



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغات



اشرافيية
عليه صلوات الله
عليه وآله

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

مَجْمَعُ الْبَيْتِ

فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

لِلشَّيْخِ أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَضَلِ بْنِ الْحَسَنِ الطَّبْرِيِّ

مُسْتَوْجِبٌ وَتَوْجِيهٌ وَتَرْغِيْبٌ

وَأَمَّا فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَتَفْسِيرِ الْكَلِمَاتِ
فَمِنْهَا نَفَاحَةٌ

الجزء الأول - العاشر

دار المعرفة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مجمع البيان فى تفسير القرآن

كاتب:

طبرسى (معروف) ، امين الاسلام ابو على فضل بن حسن
(صاحب مجمع البيان و اعلام الورى و...)

نشرت فى الطباعة:

دار المعرفة

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٢٢٥	مجمع البيان في تفسير القرآن
٢٢٥	اشاره
٢٢٥	المجلد ١
٢٢٥	اشاره
٢٢٨	(١) سورة فاتحه الكتاب مكيه و آياتها سبع (٧)
٢٢٨	اشاره
٢٢٨	توضيح
٢٢٨	أسمائها
٢٢٩	فضلها
٢٣١	الاستعاذه
٢٣١	اللغه
٢٣١	المعنى
٢٣١	الفاتحه (١): آيه ١
٢٣١	اشاره
٢٣١	توضيح
٢٣٢	فضلها
٢٣٣	اللغه
٢٣٥	الإعراب
٢٣٥	المعنى
٢٣٧	الفاتحه (١): آيه ٢
٢٣٧	اشاره
٢٣٧	القراءه
٢٣٧	اللغه
٢٣٩	الإعراب
٢٤١	المعنى
٢٤١	الفاتحه (١): آيه ٣
٢٤١	اشاره
٢٤١	توضيح
٢٤١	الفاتحه (١): آيه ٤
٢٤١	اشاره
٢٤١	الإعراب
٢٤٢	اللغه
٢٤٤	الإعراب
٢٤٦	المعنى
٢٤٦	الفاتحه (١): آيه ٥
٢٤٦	اشاره
٢٤٦	اللغه
٢٤٦	الإعراب
٢٤٨	المعنى

٢٥٠	الفاتحة (١): آية ٦
٢٥٠	اشاره
٢٥٠	القراءة
٢٥٠	الإعراب
٢٥٠	اللغة
٢٥٢	الإعراب
٢٥٢	المعنى
٢٥٤	الفاتحة (١): آية ٧
٢٥٤	اشاره
٢٥٤	القراءة
٢٥٤	الإعراب
٢٥٥	الإعراب
٢٥٧	المعنى و اللغة
٢٦٠	(٢) سورة البقره مدنيه و آياتها ست و ثمانون و مائتان (٢٨٦)
٢٦٠	نزول
٢٦٠	فضلها
٢٦١	البقره (٢): آية ١
٢٦١	اشاره
٢٦١	توضيح
٢٦٣	اللغة
٢٦٤	الإعراب
٢٦٥	البقره (٢): آية ٢
٢٦٥	اشاره
٢٦٥	القراءة
٢٦٥	الإعراب
٢٦٧	اللغة
٢٦٨	الإعراب
٢٦٩	المعنى
٢٧٠	البقره (٢): آية ٣
٢٧٠	اشاره
٢٧٠	القراءة
٢٧٠	اللغة و الإعراب
٢٧٣	المعنى
٢٧٦	البقره (٢): آية ٤
٢٧٦	اشاره
٢٧٦	القراءة
٢٧٦	الإعراب
٢٧٦	المعنى
٢٧٨	البقره (٢): آية ٥
٢٧٨	اشاره
٢٧٨	اللغة

٢٧٨	الإعراب
٢٨٠	المعنى
٢٨٠	البقرة (٢): آية ٦
٢٨٠	اشاره
٢٨٠	القراءه
٢٨٠	الإعراب
٢٨٢	اللغه
٢٨٢	الإعراب
٢٨٥	المعنى
٢٨٦	البقرة (٢): آية ٧
٢٨٦	اشاره
٢٨٦	القراءه
٢٨٦	الإعراب
٢٨٦	اللغه
٢٨٨	المعنى
٢٩٠	البقرة (٢): آية ٨
٢٩٠	اشاره
٢٩١	اللغه
٢٩١	الإعراب
٢٩١	المعنى
٢٩٢	البقرة (٢): آية ٩
٢٩٢	اشاره
٢٩٢	القراءه
٢٩٢	الإعراب
٢٩٢	اللغه
٢٩٢	الإعراب
٢٩٤	المعنى
٢٩٤	البقرة (٢): آية ١٠
٢٩٤	اشاره
٢٩٤	القراءه
٢٩٤	الإعراب
٢٩٥	اللغه
٢٩٥	المعنى
٢٩٧	البقرة (٢): الآيات ١١ الى ١٢
٢٩٧	اشاره
٢٩٧	القراءه
٢٩٧	الإعراب
٢٩٨	اللغه
٢٩٨	الإعراب
٢٩٩	المعنى
٢٩٩	البقرة (٢): آية ١٣

٢٩٩	اشاره
٢٩٩	القراءه
٢٩٩	اللغه
٣٠٠	الإعراب
٣٠٠	المعنى
٣٠٠	البقره (٢): آيه ١٤
٣٠٠	اشاره
٣٠٠	القراءه
٣٠٠	الإعراب
٣٠١	اللغه
٣٠٢	الإعراب
٣٠٢	المعنى
٣٠٢	البقره (٢): آيه ١٥
٣٠٢	اشاره
٣٠٢	اللغه
٣٠٤	الإعراب
٣٠٤	المعنى
٣٠٦	البقره (٢): آيه ١٦
٣٠٦	اشاره
٣٠٦	القراءه
٣٠٦	الإعراب
٣٠٦	اللغه
٣٠٨	الإعراب
٣٠٨	المعنى
٣٠٩	البقره (٢): آيه ١٧
٣٠٩	اشاره
٣٠٩	اللغه
٣٠٩	الإعراب
٣١١	المعنى
٣١٢	البقره (٢): آيه ١٨
٣١٢	اشاره
٣١٤	اللغه
٣١٤	الإعراب
٣١٤	المعنى
٣١٥	البقره (٢): آيه ١٩
٣١٥	اشاره
٣١٥	القراءه
٣١٥	الإعراب
٣١٥	اللغه
٣١٦	الإعراب
٣١٦	المعنى

٣١٨	البقرة (٢): آية ٢٠
٣١٨	اشاره
٣١٨	اللغة
٣١٨	الإعراب
٣١٩	المعنى
٣١٩	البقرة (٢): آية ٢١
٣١٩	اشاره
٣١٩	اللغة
٣١٩	الإعراب
٣٢١	المعنى
٣٢٢	البقرة (٢): آية ٢٢
٣٢٢	اشاره
٣٢٢	القراءة
٣٢٢	الإعراب
٣٢٢	اللغة
٣٢٤	المعنى
٣٢٤	البقرة (٢): آية ٢٣
٣٢٤	اشاره
٣٢٤	اللغة
٣٢٤	الإعراب
٣٢٨	المعنى
٣٢٩	البقرة (٢): آية ٢٤
٣٢٩	اشاره
٣٣٠	الإعراب
٣٣٠	المعنى
٣٣١	البقرة (٢): آية ٢٥
٣٣١	اشاره
٣٣١	اللغة
٣٣٢	الإعراب
٣٣٢	المعنى
٣٣٤	البقرة (٢): آية ٢٦
٣٣٤	اشاره
٣٣٤	القراءة
٣٣٤	اللغة
٣٣٤	الإعراب
٣٣٤	المعنى
٣٣٩	البقرة (٢): آية ٢٧
٣٣٩	اشاره
٣٤٠	اللغة
٣٤٠	الإعراب
٣٤٠	المعنى

٣٤١	البقرة (٢): آية ٢٨
٣٤١	اشاره
٣٤١	القراءة
٣٤١	الإعراب
٣٤٢	المعنى
٣٤٣	البقرة (٢): آية ٢٩
٣٤٣	اشاره
٣٤٣	اللغة
٣٤٣	المعنى
٣٤٤	البقرة (٢): آية ٣٠
٣٤٤	اشاره
٣٤٤	اللغة
٣٤٩	الإعراب
٣٤٩	المعنى
٣٥٢	البقرة (٢): آية ٣١
٣٥٢	اشاره
٣٥٢	القراءة
٣٥٢	اللغة
٣٥٢	المعنى
٣٥٥	البقرة (٢): آية ٣٢
٣٥٥	اشاره
٣٥٥	اللغة
٣٥٦	الإعراب
٣٥٦	المعنى
٣٥٧	البقرة (٢): آية ٣٣
٣٥٧	اشاره
٣٥٧	القراءة
٣٥٧	الإعراب
٣٥٧	اللغة
٣٥٧	الإعراب
٣٥٧	المعنى
٣٦١	البقرة (٢): آية ٣٤
٣٦١	اشاره
٣٦١	القراءة
٣٦١	الإعراب
٣٦١	اللغة
٣٦٣	الإعراب
٣٦٣	المعنى
٣٦٩	البقرة (٢): آية ٣٥
٣٦٩	اشاره
٣٦٩	اللغة

٣٧٠	الإعراب
٣٧٠	المعنى
٣٧٣	البقرة (٢): آية ٣٦
٣٧٣	إشاره
٣٧٣	القراءه
٣٧٣	الإعراب
٣٧٣	اللغه
٣٧٥	المعنى
٣٧٧	البقرة (٢): آية ٣٧
٣٧٧	إشاره
٣٧٧	القراءه
٣٧٧	الإعراب
٣٧٧	اللغه
٣٧٩	المعنى
٣٨١	البقرة (٢): آية ٣٨
٣٨١	إشاره
٣٨١	القراءه
٣٨١	اللغه
٣٨١	الإعراب
٣٨٣	المعنى
٣٨٤	البقرة (٢): آية ٣٩
٣٨٤	إشاره
٣٨٤	اللغه
٣٨٤	الإعراب
٣٨٥	المعنى
٣٨٥	البقرة (٢): آية ٤٠
٣٨٥	إشاره
٣٨٥	القراءه
٣٨٥	اللغه
٣٨٦	الإعراب
٣٨٧	المعنى
٣٨٨	البقرة (٢): آية ٤١
٣٨٨	إشاره
٣٨٨	اللغه
٣٨٩	الإعراب
٣٨٩	المعنى
٣٩٠	البقرة (٢): آية ٤٢
٣٩٠	إشاره
٣٩٢	اللغه
٣٩٢	الإعراب
٣٩٢	المعنى

٣٩٤	البقرة (٢): آية ٤٣
٣٩٤	اشاره
٣٩٤	اللغه
٣٩٤	المعنى
٣٩٨	البقرة (٢): آية ٤٤
٣٩٨	اشاره
٣٩٨	اللغه
٣٩٩	المعنى
٣٩٩	البقرة (٢): آية ٤٥
٣٩٩	اشاره
٤٠٠	اللغه
٤٠٠	الإعراب
٤٠٠	المعنى
٤٠٣	البقرة (٢): آية ٤٦
٤٠٣	اشاره
٤٠٤	اللغه
٤٠٥	الإعراب
٤٠٧	المعنى
٤٠٨	البقرة (٢): آية ٤٧
٤٠٨	اشاره
٤٠٨	المعنى
٤٠٨	البقرة (٢): آية ٤٨
٤٠٨	اشاره
٤٠٨	القراءة
٤٠٨	الإعراب
٤٠٩	اللغه
٤٠٩	الإعراب
٤١١	المعنى
٤١٢	البقرة (٢): آية ٤٩
٤١٢	اشاره
٤١٢	القراءة
٤١٢	الإعراب
٤١٢	اللغه
٤١٥	الإعراب
٤١٥	المعنى
٤١٧	البقرة (٢): آية ٥٠
٤١٧	اشاره
٤١٧	القراءة
٤١٧	اللغه
٤١٩	المعنى
٤٢١	البقرة (٢): آية ٥١

٤٢١	اشاره
٤٢١	القراءه
٤٢١	الإعراب
٤٢٢	اللغه
٤٢٢	الإعراب
٤٢٣	المعنى
٤٢٤	البقره (٢): آيه ٥٢
٤٢٤	اشاره
٤٢٤	اللغه
٤٢٤	المعنى
٤٢٤	البقره (٢): آيه ٥٣
٤٢٤	اشاره
٤٢٧	اللغه
٤٢٧	المعنى
٤٢٩	البقره (٢): آيه ٥٤
٤٢٩	اشاره
٤٢٩	القراءه
٤٢٩	الإعراب
٤٣١	اللغه
٤٣١	الإعراب
٤٣٢	المعنى
٤٣٣	البقره (٢): آيه ٥٥
٤٣٣	اشاره
٤٣٤	اللغه
٤٣٤	الإعراب
٤٣٤	المعنى
٤٣٥	البقره (٢): آيه ٥٦
٤٣٥	اشاره
٤٣٥	اللغه
٤٣٥	المعنى
٤٣٦	البقره (٢): آيه ٥٧
٤٣٦	اشاره
٤٣٦	اللغه
٤٣٧	الإعراب
٤٣٧	المعنى
٤٣٨	البقره (٢): آيه ٥٨
٤٣٨	اشاره
٤٣٨	القراءه
٤٣٩	اللغه
٤٤١	الإعراب
٤٤٢	المعنى

٤٤٢	البقرة (٢): آية ٥٩
٤٤٢	اشاره
٤٤٢	اللغه
٤٤٢	الإعراب
٤٤٢	المعنى
٤٤٥	البقرة (٢): آية ٦٠
٤٤٥	اشاره
٤٤٥	اللغه
٤٤٥	الإعراب
٤٤٦	المعنى
٤٤٧	البقرة (٢): آية ٦١
٤٤٧	اشاره
٤٤٨	القراءه
٤٤٨	الإعراب
٤٤٨	اللغه
٤٥١	الإعراب
٤٥٢	المعنى
٤٥٦	البقرة (٢): آية ٦٢
٤٥٦	اشاره
٤٥٦	القراءه
٤٥٦	الإعراب
٤٥٦	اللغه
٤٥٧	الإعراب
٤٥٨	المعنى
٤٥٩	البقرة (٢): آية ٦٣
٤٥٩	اشاره
٤٥٩	اللغه
٤٥٩	الإعراب
٤٦٠	المعنى
٤٦٠	البقرة (٢): آية ٦٤
٤٦٠	اشاره
٤٦١	اللغه
٤٦١	المعنى
٤٦١	البقرة (٢): آية ٦٥
٤٦١	اشاره
٤٦١	اللغه
٤٦٢	المعنى
٤٦٣	البقرة (٢): آية ٦٦
٤٦٣	اشاره
٤٦٣	اللغه
٤٦٣	المعنى

٤٦٥	البقرة (٢): الآيات ٦٧ إلى ٧١
٤٦٥	اشاره
٤٦٥	القراءه
٤٦٦	الإعراب
٤٦٦	اللغه
٤٦٨	الإعراب
٤٧٣	المعنى
٤٧٧	البقرة (٢): الآيات ٧٢ إلى ٧٣
٤٧٧	اشاره
٤٧٧	اللغه
٤٧٩	البقرة (٢): آيه ٧٤
٤٧٩	اشاره
٤٨٠	القراءه
٤٨٠	الإعراب
٤٨٠	اللغه
٤٨١	المعنى و الإعراب
٤٨٧	البقرة (٢): آيه ٧٥
٤٨٧	اشاره
٤٨٧	اللغه
٤٨٧	الإعراب
٤٨٩	المعنى
٤٨٩	البقرة (٢): آيه ٧٦
٤٨٩	اشاره
٤٩٠	اللغه
٤٩٠	المعنى
٤٩٢	البقرة (٢): آيه ٧٧
٤٩٢	اشاره
٤٩٢	المعنى
٤٩٣	البقرة (٢): آيه ٧٨
٤٩٣	اشاره
٤٩٣	القراءه
٤٩٣	الإعراب
٤٩٣	اللغه
٤٩٥	الإعراب
٤٩٦	المعنى
٤٩٨	البقرة (٢): آيه ٧٩
٤٩٨	اشاره
٤٩٨	اللغه
٤٩٨	الإعراب
٤٩٩	المعنى
٥٠٠	البقرة (٢): آيه ٨٠

٥٠٠	اشاره
٥٠٠	اللغه
٥٠٠	الإعراب
٥٠٠	المعنى
٥٠٠	البقره (٢): الآيات ٨١ الى ٨٢
٥٠١	اشاره
٥٠٢	القراءه
٥٠٢	الإعراب
٥٠٢	الإعراب
٥٠٣	المعنى
٥٠٤	البقره (٢): آيه ٨٣
٥٠٤	اشاره
٥٠٤	القراءه
٥٠٤	الإعراب
٥٠٤	اللغه
٥٠٥	الإعراب
٥٠٦	المعنى
٥٠٨	البقره (٢): آيه ٨٤
٥٠٨	اشاره
٥٠٨	اللغه
٥٠٩	الإعراب
٥٠٩	المعنى
٥١٠	البقره (٢): آيه ٨٥
٥١٠	اشاره
٥١٠	القراءه
٥١٠	الإعراب
٥١١	اللغه
٥١١	الإعراب
٥١٣	المعنى
٥١٤	البقره (٢): آيه ٨٦
٥١٤	اشاره
٥١٥	اللغه
٥١٥	المعنى
٥١٥	البقره (٢): آيه ٨٧
٥١٥	اشاره
٥١٥	القراءه
٥١٥	الإعراب
٥١٦	اللغه
٥١٦	المعنى
٥١٩	البقره (٢): آيه ٨٨
٥١٩	اشاره

٥١٩	القراءة
٥١٩	الإعراب
٥١٩	اللغة
٥٢٠	الإعراب
٥٢١	المعنى
٥٢٢	البقرة (٢): آية ٨٩
٥٢٢	إشاره
٥٢٢	الإعراب
٥٢٣	المعنى
٥٢٤	البقرة (٢): آية ٩٠
٥٢٤	إشاره
٥٢٤	القراءة
٥٢٤	الإعراب
٥٢٤	اللغة
٥٢٤	الإعراب
٥٢٧	المعنى
٥٢٨	البقرة (٢): آية ٩١
٥٢٨	إشاره
٥٢٨	اللغة
٥٢٨	الإعراب
٥٢٨	المعنى
٥٢٩	البقرة (٢): آية ٩٢
٥٢٩	إشاره
٥٢٩	المعنى
٥٣٠	البقرة (٢): آية ٩٣
٥٣٠	إشاره
٥٣٠	اللغة
٥٣٠	الإعراب
٥٣٢	المعنى
٥٣٣	البقرة (٢): آية ٩٤
٥٣٣	إشاره
٥٣٣	اللغة
٥٣٣	الإعراب
٥٣٣	المعنى
٥٣٤	البقرة (٢): آية ٩٥
٥٣٤	إشاره
٥٣٤	الإعراب
٥٣٤	المعنى
٥٣٦	البقرة (٢): آية ٩٦
٥٣٦	إشاره
٥٣٦	اللغة

٥٣٧	الإعراب
٥٣٧	المعنى
٥٣٩	البقرة (٢): الآيات ٩٧ إلى ٩٨
٥٣٩	إشاره
٥٣٩	القراءه
٥٣٩	الإعراب
٥٣٩	اللغه
٥٤٠	الإعراب
٥٤٠	المعنى
٥٤١	البقرة (٢): آيه ٩٩
٥٤١	إشاره
٥٤١	اللغه
٥٤٢	الإعراب
٥٤٢	المعنى
٥٤٢	البقرة (٢): آيه ١٠٠
٥٤٢	إشاره
٥٤٢	اللغه
٥٤٤	المعنى
٥٤٤	البقرة (٢): آيه ١٠١
٥٤٤	إشاره
٥٤٤	الإعراب
٥٤٥	المعنى
٥٤٦	البقرة (٢): آيه ١٠٢
٥٤٦	إشاره
٥٤٦	القراءه
٥٤٦	الإعراب
٥٤٧	اللغه
٥٤٩	الإعراب
٥٥٣	المعنى
٥٦٠	البقرة (٢): آيه ١٠٣
٥٦٠	إشاره
٥٦٠	اللغه
٥٦٠	الإعراب
٥٦٠	المعنى
٥٦٢	البقرة (٢): آيه ١٠٤
٥٦٢	إشاره
٥٦٢	اللغه
٥٦٢	المعنى
٥٦٤	البقرة (٢): آيه ١٠٥
٥٦٤	إشاره
٥٦٤	اللغه

٥٦٤	الإعراب
٥٦٤	المعنى
٥٦٥	البقرة (٢): آية ١٠٦
٥٦٥	إشاره
٥٦٥	القراءه
٥٦٥	الإعراب
٥٦٥	اللغه
٥٦٦	الإعراب
٥٦٧	المعنى
٥٦٩	البقرة (٢): آية ١٠٧
٥٦٩	إشاره
٥٦٩	اللغه
٥٦٩	الإعراب و المعنى
٥٧٠	البقرة (٢): آية ١٠٨
٥٧٠	إشاره
٥٧٠	اللغه
٥٧٢	المعنى
٥٧٣	البقرة (٢): آية ١٠٩
٥٧٣	إشاره
٥٧٣	اللغه
٥٧٣	الإعراب
٥٧٤	المعنى
٥٧٥	البقرة (٢): آية ١١٠
٥٧٥	إشاره
٥٧٥	الإعراب
٥٧٥	المعنى
٥٧٦	البقرة (٢): آية ١١١
٥٧٦	إشاره
٥٧٦	اللغه
٥٧٦	الإعراب
٥٧٦	المعنى
٥٧٧	البقرة (٢): آية ١١٢
٥٧٧	إشاره
٥٧٧	اللغه
٥٧٨	الإعراب
٥٧٨	المعنى
٥٨٠	البقرة (٢): آية ١١٣
٥٨٠	إشاره
٥٨٠	اللغه
٥٨٠	الإعراب
٥٨١	المعنى

٥٨٢	البقرة (٢): آية ١١٤
٥٨٢	اشاره
٥٨٢	اللغة
٥٨٢	الإعراب
٥٨٣	المعنى
٥٨٤	البقرة (٢): آية ١١٥
٥٨٤	اشاره
٥٨٤	اللغة
٥٨٥	الإعراب
٥٨٦	المعنى
٥٨٦	البقرة (٢): آية ١١٦
٥٨٦	اشاره
٥٨٦	القراءة
٥٨٨	الإعراب
٥٨٨	اللغة
٥٨٨	المعنى
٥٩٠	البقرة (٢): آية ١١٧
٥٩٠	اشاره
٥٩٠	القراءة
٥٩٠	الإعراب و الحجه
٥٩٠	اللغة
٥٩١	المعنى
٥٩٤	البقرة (٢): آية ١١٨
٥٩٤	اشاره
٥٩٤	اللغة
٥٩٥	الإعراب
٥٩٥	المعنى
٥٩٦	البقرة (٢): آية ١١٩
٥٩٦	اشاره
٥٩٦	القراءة
٥٩٦	الإعراب
٥٩٨	اللغة
٥٩٨	المعنى
٥٩٩	البقرة (٢): آية ١٢٠
٥٩٩	اشاره
٥٩٩	اللغة
٥٩٩	الإعراب
٥٩٩	المعنى
٦٠٠	البقرة (٢): آية ١٢١
٦٠٠	اشاره
٦٠٠	الإعراب

٦٠٠	المعنى
٦٠١	البقرة (٢): آية ١٢٢
٦٠١	اشاره
٦٠١	المعنى
٦٠١	البقرة (٢): آية ١٢٣
٦٠١	اشاره
٦٠٢	توضيح
٦٠٢	البقرة (٢): آية ١٢٤
٦٠٢	اشاره
٦٠٢	القراءة
٦٠٢	الإعراب
٦٠٢	اللغة
٦٠٤	الإعراب
٦٠٤	المعنى
٦٠٩	البقرة (٢): آية ١٢٥
٦٠٩	اشاره
٦٠٩	القراءة
٦٠٩	الإعراب
٦٠٩	اللغة
٦١١	المعنى
٦١٤	البقرة (٢): آية ١٢٦
٦١٤	اشاره
٦١٤	القراءة
٦١٥	الإعراب
٦١٥	اللغة
٦١٥	الإعراب
٦١٧	المعنى
٦١٨	البقرة (٢): آية ١٢٧
٦١٨	اشاره
٦١٨	اللغة
٦١٨	الإعراب
٦١٩	المعنى
٦٢٣	البقرة (٢): آية ١٢٨
٦٢٣	اشاره
٦٢٣	القراءة
٦٢٣	الإعراب
٦٢٣	اللغة
٦٢٥	الإعراب
٦٢٥	المعنى
٦٢٧	البقرة (٢): آية ١٢٩
٦٢٧	اشاره

٦٢٧	اللغة
٦٢٧	الإعراب
٦٢٧	المعنى
٦٢٨	البقرة (٢): آية ١٣٠
٦٢٨	إشاره
٦٢٩	اللغة
٦٢٩	الإعراب
٦٣٠	المعنى
٦٣٠	البقرة (٢): آية ١٣١
٦٣٠	إشاره
٦٣٠	الإعراب
٦٣٠	المعنى
٦٣٢	البقرة (٢): آية ١٣٢
٦٣٢	إشاره
٦٣٢	القراءه
٦٣٢	الإعراب
٦٣٢	اللغة
٦٣٢	الإعراب
٦٣٣	المعنى
٦٣٣	البقرة (٢): آية ١٣٣
٦٣٣	إشاره
٦٣٣	اللغة
٦٣٤	الإعراب
٦٣٤	المعنى
٦٣٥	البقرة (٢): آية ١٣٤
٦٣٥	إشاره
٦٣٥	اللغة
٦٣٥	الإعراب
٦٣٥	المعنى
٦٣٧	البقرة (٢): آية ١٣٥
٦٣٧	إشاره
٦٣٧	اللغة
٦٣٧	الإعراب
٦٣٩	المعنى
٦٤٠	البقرة (٢): آية ١٣٦
٦٤٠	إشاره
٦٤٠	اللغة
٦٤٠	الإعراب
٦٤٠	المعنى
٦٤١	البقرة (٢): آية ١٣٧
٦٤١	إشاره

٦٤١	اللغة
٦٤٢	الإعراب
٦٤٢	المعنى
٦٤٤	البقرة (٢): آية ١٣٨
٦٤٤	إشارة
٦٤٤	اللغة
٦٤٤	الإعراب
٦٤٤	المعنى
٦٤٤	البقرة (٢): آية ١٣٩
٦٤٤	إشارة
٦٤٤	اللغة
٦٤٤	الإعراب
٦٤٤	المعنى
٦٤٧	البقرة (٢): آية ١٤٠
٦٤٧	إشارة
٦٤٧	القراءة
٦٤٧	الإعراب
٦٤٧	اللغة
٦٤٩	الإعراب
٦٤٩	المعنى
٦٥٠	البقرة (٢): آية ١٤١
٦٥٠	إشارة
٦٥٠	توضيح
٦٥٠	البقرة (٢): آية ١٤٢
٦٥٠	إشارة
٦٥١	اللغة
٦٥١	الإعراب
٦٥١	المعنى
٦٥٣	البقرة (٢): آية ١٤٣
٦٥٣	إشارة
٦٥٣	القراءة
٦٥٣	الإعراب
٦٥٣	اللغة
٦٥٥	الإعراب
٦٥٥	المعنى
٦٥٨	البقرة (٢): آية ١٤٤
٦٥٨	إشارة
٦٥٨	اللغة
٦٥٩	الإعراب
٦٥٩	المعنى
٦٦١	البقرة (٢): آية ١٤٥

٦٦١	اشاره
٦٦١	الإعراب
٦٦١	المعنى
٦٦٣	البقرة (٢): آية ١٤٦
٦٦٣	اشاره
٦٦٣	المعنى
٦٦٣	البقرة (٢): آية ١٤٧
٦٦٣	اشاره
٦٦٣	اللغة
٦٦٥	الإعراب
٦٦٥	المعنى
٦٦٥	البقرة (٢): آية ١٤٨
٦٦٥	اشاره
٦٦٥	القراءة
٦٦٥	الإعراب
٦٦٧	اللغة
٦٦٧	المعنى
٦٦٨	البقرة (٢): آية ١٤٩
٦٦٨	اشاره
٦٦٨	المعنى
٦٦٨	البقرة (٢): آية ١٥٠
٦٦٨	اشاره
٦٦٨	الإعراب
٦٦٩	المعنى
٦٧١	البقرة (٢): آية ١٥١
٦٧١	اشاره
٦٧٢	اللغة
٦٧٢	الإعراب
٦٧٢	المعنى
٦٧٣	البقرة (٢): آية ١٥٢
٦٧٣	اشاره
٦٧٣	اللغة
٦٧٤	المعنى
٦٧٤	البقرة (٢): آية ١٥٣
٦٧٤	اشاره
٦٧٤	الإعراب
٦٧٦	المعنى
٦٧٦	البقرة (٢): آية ١٥٤
٦٧٦	اشاره
٦٧٦	اللغة
٦٧٧	الإعراب

٦٧٧	المعنى
٦٧٩	البقرة (٢): آية ١٥٥ - اشارة
٦٧٩	البقرة (٢): آية ١٥٥ - اللغه
٦٧٩	البقرة (٢): آية ١٥٥ - الإعراب
٦٧٩	المعنى
٦٨٠	البقرة (٢): الآيات ١٥٦ الى ١٥٧ - اشارة
٦٨٠	البقرة (٢): الآيات ١٥٦ الى ١٥٧ - القراءه
٦٨٠	البقرة (٢): الآيات ١٥٦ الى ١٥٧ - الإعراب
٦٨١	البقرة (٢): آية ١٥٨ - اللغه
٦٨١	المعنى
٦٨٣	البقرة (٢): آية ١٥٨ - اشارة
٦٨٣	البقرة (٢): آية ١٥٨ - القراءه
٦٨٣	البقرة (٢): آية ١٥٨ - الإعراب
٦٨٣	البقرة (٢): آية ١٥٨ - اللغه
٦٨٥	البقرة (٢): آية ١٥٩ - الإعراب
٦٨٥	المعنى
٦٨٧	البقرة (٢): آية ١٥٩ - اشارة
٦٨٧	البقرة (٢): آية ١٥٩ - اللغه
٦٨٧	المعنى
٦٨٨	البقرة (٢): آية ١٦٠ - اشارة
٦٨٨	البقرة (٢): آية ١٦٠ - اللغه
٦٨٨	البقرة (٢): آية ١٦٠ - الإعراب
٦٨٨	المعنى
٦٩٠	البقرة (٢): الآيات ١٦١ الى ١٦٢ - اشارة
٦٩٠	البقرة (٢): الآيات ١٦١ الى ١٦٢ - اللغه
٦٩١	البقرة (٢): الآيات ١٦١ الى ١٦٢ - الإعراب
٦٩١	المعنى
٦٩٢	البقرة (٢): آية ١٦٣ - اشارة
٦٩٢	البقرة (٢): آية ١٦٣ - اللغه
٦٩٢	البقرة (٢): آية ١٦٣ - الإعراب
٦٩٢	المعنى
٦٩٤	البقرة (٢): آية ١٦٤ - اشارة
٦٩٤	البقرة (٢): آية ١٦٤ - اللغه
٦٩٥	البقرة (٢): آية ١٦٤ - الإعراب
٦٩٥	المعنى

٦٩٥	اللغة
٦٩٨	المعنى
٧٠٠	البقرة (٢): آية ١٦٥
٧٠٠	اشاره
٧٠٠	القراءة
٧٠٠	الإعراب
٧٠١	اللغة
٧٠١	الإعراب
٧٠٢	المعنى
٧٠٣	البقرة (٢): الآيات ١٦٦ الى ١٦٧
٧٠٣	اشاره
٧٠٤	اللغة
٧٠٤	الإعراب
٧٠٥	المعنى
٧٠٦	البقرة (٢): آية ١٦٨
٧٠٦	اشاره
٧٠٦	القراءة
٧٠٦	الإعراب
٧٠٦	اللغة
٧٠٧	الإعراب
٧٠٧	المعنى
٧٠٨	البقرة (٢): آية ١٦٩
٧٠٨	اشاره
٧٠٨	اللغة
٧٠٨	المعنى
٧٠٩	البقرة (٢): آية ١٧٠
٧٠٩	اشاره
٧٠٩	اللغة
٧٠٩	الإعراب
٧٠٩	المعنى
٧١٠	البقرة (٢): آية ١٧١
٧١٠	اشاره
٧١٠	اللغة
٧١١	المعنى
٧١٤	البقرة (٢): آية ١٧٢
٧١٤	اشاره
٧١٤	اللغة
٧١٤	الإعراب
٧١٤	المعنى
٧١٥	البقرة (٢): آية ١٧٣
٧١٥	اشاره

٧١٥	القراءة
٧١٥	الإعراب
٧١٥	اللغة
٧١٦	الإعراب
٧١٦	المعنى
٧١٧	البقرة (٢): آية ١٧٤
٧١٧	إشارة
٧١٧	اللغة
٧١٧	الإعراب
٧١٧	المعنى
٧١٩	البقرة (٢): آية ١٧٥
٧١٩	إشارة
٧١٩	الإعراب
٧١٩	المعنى
٧٢١	البقرة (٢): آية ١٧٦
٧٢١	إشارة
٧٢١	اللغة
٧٢١	الإعراب
٧٢٢	المعنى
٧٢٣	البقرة (٢): آية ١٧٧
٧٢٣	إشارة
٧٢٣	القراءة
٧٢٣	الإعراب
٧٢٣	اللغة
٧٢٤	الإعراب
٧٢٩	المعنى
٧٣١	البقرة (٢): آية ١٧٨
٧٣١	إشارة
٧٣١	اللغة
٧٣٢	الإعراب
٧٣٢	المعنى
٧٣٤	البقرة (٢): آية ١٧٩
٧٣٤	إشارة
٧٣٤	اللغة
٧٣٤	المعنى
٧٣٥	البقرة (٢): آية ١٨٠
٧٣٥	إشارة
٧٣٥	اللغة
٧٣٥	الإعراب
٧٣٥	المعنى
٧٣٨	البقرة (٢): آية ١٨١

٧٣٨	اشاره
٧٣٨	المعنى
٧٣٨	البقره (٢): آيه ١٨٢
٧٣٨	اشاره
٧٣٨	القراءه
٧٣٨	الإعراب
٧٣٨	اللغه
٧٤٠	الإعراب
٧٤٠	المعنى
٧٤٣	المجلد ٢
٧٤٣	اشاره
٧٤٣	اشاره
٧٤٦	بقيه سوره البقره
٧٤٦	سوره البقره (٢): آيه ١٨٣
٧٤٦	اشاره
٧٤٧	الإعراب
٧٤٨	المعنى
٧٤٨	سوره البقره (٢): آيه ١٨٤
٧٤٨	اشاره
٧٤٩	القراءه
٧٤٩	الحجه
٧٤٩	اللغه
٧٤٩	الإعراب
٧٥١	المعنى
٧٥٥	سوره البقره (٢): آيه ١٨٥
٧٥٥	اشاره
٧٥٥	القراءه
٧٥٥	الحجه
٧٥٥	اللغه
٧٥٦	الإعراب
٧٥٧	المعنى
٧٦١	سوره البقره (٢): آيه ١٨٦
٧٦١	اشاره
٧٦١	اللغه
٧٦٢	الإعراب
٧٦٢	النزول
٧٦٢	المعنى
٧٦٥	سوره البقره (٢): آيه ١٨٧
٧٦٥	اشاره
٧٦٥	اللغه
٧٦٧	النزول

٧٦٨	المعنى	
٧٦٩	سوره البقره (٢): آيه ١٨٨	اشاره
٧٦٩		اللغه
٧٧٠		الإعراب
٧٧٠		المعنى
٧٧٢	سوره البقره (٢): آيه ١٨٩	اشاره
٧٧٢		القراءه
٧٧٢		الحججه
٧٧٢		اللغه
٧٧٣		الإعراب
٧٧٣		النزول
٧٧٣		المعنى
٧٧٤	سوره البقره (٢): آيه ١٩٠	اشاره
٧٧٤		اللغه
٧٧٤		النزول
٧٧٤		المعنى
٧٧٤	سوره البقره (٢): آيه ١٩١	اشاره
٧٧٤		القراءه
٧٧٧		الحججه
٧٧٧		اللغه
٧٧٧		الإعراب
٧٧٧		النزول
٧٧٧		المعنى
٧٧٩	سوره البقره (٢): آيه ١٩٢	اشاره
٧٧٩		اللغه
٧٧٩		المعنى
٧٧٩	سوره البقره (٢): آيه ١٩٣	اشاره
٧٧٩		اللغه
٧٨١		المعنى
٧٨١	سوره البقره (٢): آيه ١٩٤	اشاره
٧٨١		اللغه
٧٨١		المعنى
٧٨٢	سوره البقره (٢): آيه ١٩٥	اشاره
٧٨٢		اشاره

٧٨٣	اللغة
٧٨٣	الإعراب
٧٨٤	المعنى
٧٨٥	سورة البقره (٢): آيه ١٩٦
٧٨٥	اشاره
٧٨٥	اللغة
٧٨٦	الإعراب
٧٨٦	المعنى
٧٩٠	سورة البقره (٢): آيه ١٩٧
٧٩٠	اشاره
٧٩٠	القرانه
٧٩٠	الحججه
٧٩٠	اللغة
٧٩١	الإعراب
٧٩١	المعنى
٧٩٤	سورة البقره (٢): آيه ١٩٨
٧٩٤	اشاره
٧٩٤	اللغة
٧٩٥	الإعراب
٧٩٦	المعنى
٧٩٦	سورة البقره (٢): آيه ١٩٩
٧٩٦	اشاره
٧٩٦	اللغة
٧٩٦	المعنى
٧٩٨	سورة البقره (٢): آيه ٢٠٠
٧٩٨	اشاره
٧٩٨	اللغة
٧٩٩	الإعراب
٧٩٩	المعنى
٧٩٩	سورة البقره (٢): آيه ٢٠١
٧٩٩	اشاره
٧٩٩	اللغة
٨٠٠	المعنى
٨٠٠	سورة البقره (٢): آيه ٢٠٢
٨٠٠	اشاره
٨٠٠	اللغة
٨٠١	المعنى
٨٠٢	سورة البقره (٢): آيه ٢٠٣
٨٠٢	اشاره
٨٠٢	اللغة
٨٠٢	الإعراب

٨٠٢	المعنى
٨٠٤	سوره البقره (٢): الآيات ٢٠٤ الى ٢٠٥
٨٠٤	اشاره
٨٠٤	اللغه
٨٠٤	الإعراب
٨٠٧	التزول
٨٠٧	المعنى
٨٠٧	سوره البقره (٢): آيه ٢٠٦
٨٠٧	اشاره
٨٠٧	اللغه
٨٠٨	المعنى
٨٠٩	سوره البقره (٢): آيه ٢٠٧
٨٠٩	اللغه
٨٠٩	الإعراب
٨٠٩	التزول
٨١٠	المعنى
٨١١	سوره البقره (٢): آيه ٢٠٨
٨١١	اشاره
٨١١	القراءه
٨١١	الحججه
٨١١	اللغه
٨١١	الإعراب
٨١٢	المعنى
٨١٣	سوره البقره (٢): آيه ٢٠٩
٨١٣	اشاره
٨١٣	اللغه
٨١٣	الإعراب
٨١٣	المعنى
٨١٣	سوره البقره (٢): آيه ٢١٠
٨١٤	اشاره
٨١٥	القراءه
٨١٥	الحججه
٨١٥	اللغه
٨١٥	الإعراب
٨١٥	المعنى
٨١٧	سوره البقره (٢): آيه ٢١١
٨١٧	اشاره
٨١٧	الإعراب
٨١٧	المعنى
٨١٩	سوره البقره (٢): آيه ٢١٢
٨١٩	اشاره

٨١٩	اللغة
٨١٩	الإعراب
٨١٩	النزول
٨٢١	المعنى
٨٢٢	سورة البقره (٢): آيه ٢١٣
٨٢٢	اشاره
٨٢٢	القراءه
٨٢٢	الحججه
٨٢٢	اللغة
٨٢٢	الإعراب
٨٢٣	المعنى
٨٢٤	سورة البقره (٢): آيه ٢١٤
٨٢٤	اشاره
٨٢٤	القراءه
٨٢٤	الحججه
٨٢٥	اللغة
٨٢٥	الإعراب
٨٢٦	النزول
٨٢٦	المعنى
٨٢٧	سورة البقره (٢): آيه ٢١٥
٨٢٧	اشاره
٨٢٧	اللغة
٨٢٧	الإعراب
٨٢٧	النزول
٨٢٧	المعنى
٨٢٨	سورة البقره (٢): آيه ٢١٦
٨٢٨	اشاره
٨٢٨	اللغة
٨٢٨	الإعراب
٨٢٩	المعنى
٨٣٠	سورة البقره (٢): آيه ٢١٧
٨٣٠	اشاره
٨٣٠	اللغة
٨٣٢	النزول
٨٣٢	المعنى
٨٣٤	سورة البقره (٢): آيه ٢١٨
٨٣٤	اشاره
٨٣٤	اللغة
٨٣٤	النزول
٨٣٤	المعنى
٨٣٥	سورة البقره (٢): الآيات ٢١٩ الى ٢٢٠

٨٣٥	اشاره
٨٣٦	توضيح
٨٣٦	القراءه
٨٣٦	الحججه
٨٣٧	اللغه
٨٣٩	الإعراب
٨٣٩	النزول
٨٣٩	المعنى
٨٤٢	سوره البقره (٢): آيه ٢٢١ - - - - -
٨٤٢	اشاره
٨٤٢	اللغه
٨٤٣	الإعراب
٨٤٣	النزول
٨٤٣	المعنى
٨٤٤	سوره البقره (٢): آيه ٢٢٢ - - - - -
٨٤٤	اشاره
٨٤٤	القراءه
٨٤٤	الحججه
٨٤٤	اللغه
٨٤٥	الإعراب
٨٤٥	النزول
٨٤٥	المعنى
٨٤٧	سوره البقره (٢): آيه ٢٢٣ - - - - -
٨٤٧	اشاره
٨٤٧	الإعراب
٨٤٧	النزول
٨٤٧	المعنى
٨٤٩	سوره البقره (٢): آيه ٢٢٤ - - - - -
٨٤٩	اشاره
٨٥٠	اللغه
٨٥٠	الإعراب
٨٥٠	النزول
٨٥٠	المعنى
٨٥٢	سوره البقره (٢): آيه ٢٢٥ - - - - -
٨٥٢	اشاره
٨٥٢	اللغه
٨٥٢	الإعراب
٨٥٢	المعنى
٨٥٤	سوره البقره (٢): الآيات ٢٢٦ الى ٢٢٧ - - - - -
٨٥٤	اشاره
٨٥٤	اللغه

الإعراب	٨٥٥
المعنى	٨٥٥
سورة البقرة (٢): آية ٢٢٨	٨٥٧
اشاره	٨٥٧
اللغه	٨٥٧
الإعراب	٨٥٩
المعنى	٨٥٩
سورة البقرة (٢): آية ٢٢٩	٨٦٣
اشاره	٨٦٣
القراءه	٨٦٣
الحججه	٨٦٣
اللغه	٨٦٤
النزول	٨٦٤
المعنى	٨٦٤
سورة البقرة (٢): آية ٢٣٠	٨٦٧
اشاره	٨٦٧
الإعراب	٨٦٧
النزول	٨٦٨
المعنى	٨٦٨
سورة البقرة (٢): آية ٢٣١	٨٦٩
اشاره	٨٦٩
اللغه	٨٦٩
الإعراب	٨٦٩
المعنى	٨٧٠
سورة البقرة (٢): آية ٢٣٢	٨٧١
اشاره	٨٧١
اللغه	٨٧١
الإعراب	٨٧١
النزول	٨٧١
المعنى	٨٧١
سورة البقرة (٢): آية ٢٣٣	٨٧٣
اشاره	٨٧٣
القراءه	٨٧٣
الحججه	٨٧٣
اللغه	٨٧٤
الإعراب	٨٧٥
المعنى	٨٧٥
سورة البقرة (٢): آية ٢٣٤	٨٧٨
اشاره	٨٧٨
القراءه	٨٧٨
الحججه	٨٧٨

٨٧٨	اللغة
٨٧٨	الإعراب
٨٨٠	المعنى
٨٨١	سورة البقره (٢): آيه ٢٣٥
٨٨١	اشاره
٨٨١	التزول
٨٨١	اللغة
٨٨٢	الإعراب
٨٨٢	المعنى
٨٨٤	سورة البقره (٢): آيه ٢٣٦
٨٨٤	اشاره
٨٨٤	القراءه
٨٨٤	الحججه
٨٨٤	اللغة
٨٨٥	الإعراب
٨٨٦	المعنى
٨٨٧	سورة البقره (٢): آيه ٢٣٧
٨٨٧	اشاره
٨٨٧	القراءه
٨٨٧	الحججه
٨٨٩	الإعراب
٨٨٩	المعنى
٨٩٠	سورة البقره (٢): آيه ٢٣٨
٨٩٠	اشاره
٨٩٠	اللغة
٨٩٠	التزول
٨٩١	المعنى
٨٩٣	سورة البقره (٢): آيه ٢٣٩
٨٩٣	اشاره
٨٩٣	اللغة
٨٩٣	الإعراب
٨٩٤	المعنى
٨٩٤	سورة البقره (٢): آيه ٢٤٠
٨٩٤	اشاره
٨٩٤	القراءه
٨٩٤	الحججه
٨٩٥	المعنى
٨٩٦	سورة البقره (٢): الآيات ٢٤١ الى ٢٤٢
٨٩٦	اشاره
٨٩٦	الإعراب
٨٩٦	التزول

٨٩٦	المعنى
٨٩٧	سوره البقره (٢): آيه ٢٤٢ -
٨٩٧	اشاره
٨٩٧	اللغه
٨٩٧	الإعراب
٨٩٧	المعنى
٨٩٨	القصه
٨٩٩	سوره البقره (٢): آيه ٢٤٤ -
٨٩٩	اشاره
٨٩٩	المعنى
٨٩٩	سوره البقره (٢): آيه ٢٤٥ -
٨٩٩	اشاره
٨٩٩	القراءه
٨٩٩	الحججه
٩٠١	اللغه
٩٠١	المعنى
٩٠٢	سوره البقره (٢): آيه ٢٤٦ -
٩٠٢	اشاره
٩٠٣	القراءه
٩٠٣	الحججه
٩٠٣	اللغه
٩٠٥	المعنى
٩٠٦	سوره البقره (٢): آيه ٢٤٧ -
٩٠٦	اشاره
٩٠٧	اللغه
٩٠٧	الإعراب
٩٠٧	المعنى
٩٠٨	سوره البقره (٢): آيه ٢٤٨ -
٩٠٨	اشاره
٩٠٨	اللغه
٩٠٨	الإعراب
٩٠٩	المعنى
٩١١	سوره البقره (٢): آيه ٢٤٩ -
٩١١	اشاره
٩١٢	القراءه
٩١٢	الحججه
٩١٢	اللغه
٩١٤	الإعراب
٩١٤	المعنى
٩١٥	سوره البقره (٢): آيه ٢٥٠ -
٩١٥	اشاره

٩١٥	اللغة
٩١٦	المعنى
٩١٦	سورة البقرة (٢): آية ٢٥١
٩١٦	اشاره
٩١٦	القراءة
٩١٦	الحججه
٩١٦	اللغة
٩١٨	المعنى
٩١٨	القصة
٩١٨	المعنى
٩١٩	سورة البقرة (٢): آية ٢٥٢
٩١٩	اشاره
٩١٩	اللغة
٩٢٠	الإعراب
٩٢١	المعنى
٩٢١	سورة البقرة (٢): آية ٢٥٣
٩٢١	اشاره
٩٢١	الإعراب
٩٢١	المعنى
٩٢٢	سورة البقرة (٢): آية ٢٥٤
٩٢٢	اشاره
٩٢٣	القراءة
٩٢٣	الحججه
٩٢٣	اللغة
٩٢٣	المعنى
٩٢٤	سورة البقرة (٢): آية ٢٥٥
٩٢٤	اشاره
٩٢٤	توضيح
٩٢٥	اللغة
٩٢٧	الإعراب
٩٢٩	المعنى
٩٣٠	سورة البقرة (٢): آية ٢٥٦
٩٣٠	اشاره
٩٣١	اللغة
٩٣١	النزول
٩٣٢	المعنى
٩٣٢	سورة البقرة (٢): آية ٢٥٧
٩٣٢	اشاره
٩٣٤	اللغة
٩٣٤	المعنى
٩٣٦	سورة البقرة (٢): آية ٢٥٨

٩٣٦	اشاره
٩٣٦	القراءه
٩٣٦	الحججه
٩٣٦	اللغه
٩٣٧	الإعراب
٩٣٨	المعنى
٩٤٠	سوره البقره (٢): آيه ٢٥٩
٩٤٠	اشاره
٩٤٠	القراءه
٩٤٠	الحججه
٩٤١	اللغه
٩٤٣	الإعراب
٩٤٣	المعنى
٩٤٥	سوره البقره (٢): آيه ٢٦٠
٩٤٥	اشاره
٩٤٥	القراءه
٩٤٦	الحججه
٩٤٧	اللغه
٩٤٧	الإعراب
٩٤٧	المعنى
٩٤٩	سوره البقره (٢): آيه ٢٦١
٩٤٩	اشاره
٩٤٩	اللغه
٩٥٠	المعنى
٩٥١	سوره البقره (٢): آيه ٢٦٢
٩٥١	اشاره
٩٥١	اللغه
٩٥١	المعنى
٩٥١	سوره البقره (٢): آيه ٢٦٣
٩٥١	اشاره
٩٥١	اللغه
٩٥٣	المعنى
٩٥٣	سوره البقره (٢): آيه ٢٦٤
٩٥٣	اشاره
٩٥٤	اللغه
٩٥٤	الإعراب
٩٥٥	المعنى
٩٥٦	سوره البقره (٢): آيه ٢٦٥
٩٥٦	اشاره
٩٥٦	القراءه
٩٥٦	اللغه

الإعراب	٩٥٧
المعنى	٩٥٧
سوره البقره (٢): آيه ٢٦٦	٩٥٩
اشاره	٩٥٩
اللغه	٩٥٩
الإعراب	٩٥٩
المعنى	٩٦٠
سوره البقره (٢): آيه ٢٦٧	٩٦٠
اشاره	٩٦٠
القراءه	٩٦٠
الحججه	٩٦٠
القراءه العامه لثلا يتكرر حرفان مثلان و تخف الكلمه.	٩٦١
اللغه	٩٦١
الإعراب	٩٦١
النزول	٩٦١
المعنى	٩٦٣
سوره البقره (٢): آيه ٢٦٨	٩٦٥
اشاره	٩٦٥
اللغه	٩٦٥
سوره البقره (٢): آيه ٢٦٩	٩٦٦
اشاره	٩٦٦
القراءه	٩٦٦
الحججه	٩٦٦
المعنى	٩٦٧
سوره البقره (٢): آيه ٢٧٠	٩٦٧
اشاره	٩٦٧
اللغه	٩٦٧
الإعراب	٩٦٩
المعنى	٩٦٩
سوره البقره (٢): آيه ٢٧١	٩٦٩
اشاره	٩٦٩
القراءه	٩٦٩
الحججه	٩٧١
اللغه	٩٧١
الإعراب	٩٧٢
المعنى	٩٧٢
سوره البقره (٢): آيه ٢٧٢	٩٧٣
اشاره	٩٧٣
الإعراب	٩٧٣
النزول	٩٧٣
المعنى	٩٧٣

٩٧٥	سوره البقره (٢): آيه ٢٧٢
٩٧٥	اشاره
٩٧٥	القراءه
٩٧٥	اللغه
٩٧٥	الإعراب
٩٧٤	النزول
٩٧٤	المعنى
٩٧٧	سوره البقره (٢): آيه ٢٧٤
٩٧٧	اشاره
٩٧٧	الإعراب
٩٧٧	النزول
٩٧٨	المعنى
٩٧٩	سوره البقره (٢): آيه ٢٧٥
٩٧٩	اشاره
٩٧٩	اللغه
٩٨٠	الإعراب
٩٨٠	المعنى
٩٨٣	سوره البقره (٢): آيه ٢٧٦
٩٨٣	اشاره
٩٨٣	اللغه
٩٨٣	المعنى
٩٨٥	سوره البقره (٢): آيه ٢٧٧
٩٨٥	اشاره
٩٨٥	المعنى
٩٨٦	سوره البقره (٢): الآيات ٢٧٨ الى ٢٧٩
٩٨٦	اشاره
٩٨٦	القراءه
٩٨٦	الحججه
٩٨٦	الإعراب
٩٨٦	النزول
٩٨٧	المعنى
٩٨٧	سوره البقره (٢): آيه ٢٨٠
٩٨٧	اشاره
٩٨٧	القراءه
٩٨٩	اللغه
٩٨٩	الإعراب
٩٨٩	المعنى
٩٩١	سوره البقره (٢): آيه ٢٨١
٩٩١	اشاره
٩٩١	القراءه
٩٩١	الحججه

٩٩١	الإعراب
٩٩٢	النزول
٩٩٣	المعنى
٩٩٤	سورة البقره (٢): آيه ٢٨٢
٩٩٤	اشاره
٩٩٤	القراءه
٩٩٥	الحججه
٩٩٦	اللغه
٩٩٧	المعنى
١٠٠١	سورة البقره (٢): آيه ٢٨٣
١٠٠١	اشاره
١٠٠١	القراءه
١٠٠١	الحججه
١٠٠١	اللغه
١٠٠٣	المعنى
١٠٠٣	سورة البقره (٢): آيه ٢٨٤
١٠٠٣	اشاره
١٠٠٤	القراءه
١٠٠٤	الحججه
١٠٠٤	المعنى
١٠٠٥	سورة البقره (٢): آيه ٢٨٥
١٠٠٥	اشاره
١٠٠٥	القراءه
١٠٠٥	الحججه
١٠٠٧	الإعراب
١٠٠٧	المعنى
١٠٠٧	سورة البقره (٢): آيه ٢٨٦
١٠٠٧	اشاره
١٠٠٨	اللغه
١٠١٢	(٣) سورة آل عمران مدنيه و آياتها مائتان (٢٠٠)
١٠١٢	توضيح
١٠١٣	سورة آل عمران (٣): الآيات ١ الى ٥
١٠١٣	اشاره
١٠١٣	توضيح
١٠١٣	القراءه
١٠١٣	الحججه
١٠١٥	الإعراب
١٠١٥	النزول
١٠١٦	المعنى
١٠١٧	سورة آل عمران (٣): آيه ٦
١٠١٧	اشاره

١٠١٧	اللغة
١٠١٨	الإعراب
١٠١٨	المعنى
١٠١٨	سوره آل عمران (٣): آيه ٧
١٠١٨	اشاره
١٠١٨	اللغة
١٠١٩	الإعراب
١٠١٩	المعنى
١٠٢٢	سوره آل عمران (٣): الآيات ٨ الى ٩
١٠٢٢	اشاره
١٠٢٢	اللغة
١٠٢٢	الإعراب
١٠٢٣	المعنى
١٠٢٤	سوره آل عمران (٣): آيه ١٠
١٠٢٤	اشاره
١٠٢٤	اللغة
١٠٢٤	المعنى
١٠٢٤	سوره آل عمران (٣): آيه ١١
١٠٢٤	اشاره
١٠٢٤	اللغة
١٠٢٤	الإعراب
١٠٢٤	المعنى
١٠٢٤	سوره آل عمران (٣): آيه ١٢
١٠٢٤	اشاره
١٠٢٤	القراءه
١٠٢٤	الحججه
١٠٢٨	اللغة
١٠٢٨	النزول
١٠٢٨	المعنى
١٠٢٩	سوره آل عمران (٣): آيه ١٣
١٠٢٩	اشاره
١٠٢٩	القراءه
١٠٢٩	الحججه
١٠٣٠	اللغة
١٠٣٠	الإعراب
١٠٣١	النزول
١٠٣٢	المعنى
١٠٣٣	سوره آل عمران (٣): آيه ١٤
١٠٣٣	اشاره
١٠٣٤	اللغة
١٠٣٤	المعنى

١٠٣٦	سوره آل عمران (٣): آيه ١٥
١٠٣٦	اشاره
١٠٣٦	القراءه
١٠٣٦	الحججه
١٠٣٧	الإعراب
١٠٣٧	المعنى
١٠٣٧	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٦ الى ١٧
١٠٣٧	اشاره
١٠٣٧	اللغه
١٠٣٨	الإعراب
١٠٣٨	المعنى
١٠٣٨	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٨ الى ١٩
١٠٣٨	اشاره
١٠٣٩	القراءه
١٠٣٩	الحججه
١٠٣٩	اللغه
١٠٤٠	الإعراب
١٠٤٠	المعنى
١٠٤٢	سوره آل عمران (٣): آيه ٢٠
١٠٤٢	اشاره
١٠٤٢	القراءه
١٠٤٢	الحججه
١٠٤٣	الإعراب
١٠٤٣	المعنى
١٠٤٣	سوره آل عمران (٣): الآيات ٢١ الى ٢٢
١٠٤٣	اشاره
١٠٤٤	القراءه
١٠٤٤	الإعراب
١٠٤٤	المعنى
١٠٤٥	سوره آل عمران (٣): الآيات ٢٣ الى ٢٤
١٠٤٥	اشاره
١٠٤٦	اللغه
١٠٤٦	الإعراب
١٠٤٦	المعنى
١٠٤٧	سوره آل عمران (٣): آيه ٢٥
١٠٤٧	اشاره
١٠٤٧	اللغه
١٠٤٨	المعنى
١٠٤٨	سوره آل عمران (٣): الآيات ٢٦ الى ٢٧
١٠٤٨	اشاره
١٠٤٩	القراءه

١٠٤٩	الحججه
١٠٤٩	اللغه
١٠٥٠	الإعراب
١٠٥١	النزول
١٠٥٢	المعنى
١٠٥٤	سوره آل عمران (٣): آيه ٢٨
١٠٥٤	اشاره
١٠٥٤	القراهه
١٠٥٤	الحججه
١٠٥٤	الإعراب
١٠٥٤	المعنى
١٠٥٧	سوره آل عمران (٣): آيه ٢٩
١٠٥٧	اشاره
١٠٥٧	اللغه
١٠٥٧	الإعراب
١٠٥٧	المعنى
١٠٥٧	سوره آل عمران (٣): آيه ٣٠
١٠٥٧	اشاره
١٠٥٨	اللغه
١٠٥٨	المعنى
١٠٥٨	سوره آل عمران (٣): الآيات ٣١ الى ٣٢
١٠٥٨	اشاره
١٠٦٠	اللغه
١٠٦٠	النزول
١٠٦٠	المعنى
١٠٦١	سوره آل عمران (٣): الآيات ٣٣ الى ٣٤
١٠٦١	اشاره
١٠٦١	اللغه
١٠٦١	الإعراب
١٠٦١	المعنى
١٠٦٣	سوره آل عمران (٣): الآيات ٣٥ الى ٣٦
١٠٦٣	اشاره
١٠٦٣	القراهه
١٠٦٣	الحججه
١٠٦٣	اللغه
١٠٦٣	الإعراب
١٠٦٥	المعنى
١٠٦٦	سوره آل عمران (٣): آيه ٣٧
١٠٦٦	اشاره
١٠٦٦	القراهه
١٠٦٦	الحججه

١٠٦٦	اللغة
١٠٦٨	المعنى
١٠٦٩	سوره آل عمران (٣): الآيات ٣٨ الى ٣٩
١٠٦٩	اشاره
١٠٦٩	القراءه
١٠٧٠	الحججه
١٠٧٠	اللغة
١٠٧٠	الإعراب
١٠٧٠	المعنى
١٠٧٣	سوره آل عمران (٣): آيه ٤٠
١٠٧٣	اشاره
١٠٧٣	اللغة
١٠٧٣	المعنى
١٠٧٤	سوره آل عمران (٣): آيه ٤١
١٠٧٤	اشاره
١٠٧٤	الإعراب
١٠٧٥	المعنى
١٠٧٥	سوره آل عمران (٣): الآيات ٤٢ الى ٤٣
١٠٧٥	اشاره
١٠٧٥	المعنى
١٠٧٦	سوره آل عمران (٣): آيه ٤٤
١٠٧٦	اشاره
١٠٧٦	اللغة
١٠٧٨	الإعراب
١٠٧٨	المعنى
١٠٧٩	سوره آل عمران (٣): الآيات ٤٥ الى ٤٦
١٠٧٩	اشاره
١٠٧٩	القراءه
١٠٧٩	اللغة
١٠٧٩	الإعراب
١٠٨٠	المعنى
١٠٨٢	سوره آل عمران (٣): آيه ٤٧
١٠٨٢	اشاره
١٠٨٢	الإعراب
١٠٨٢	المعنى
١٠٨٣	سوره آل عمران (٣): الآيات ٤٨ الى ٤٩
١٠٨٣	اشاره
١٠٨٣	توضيح
١٠٨٣	القراءه
١٠٨٣	الحججه
١٠٨٣	اللغة

الإعراب	١٠٨٥
المعنى	١٠٨٥
سوره آل عمران (٣): الآيات ٥٠ الى ٥١	١٠٨٧
اشاره	١٠٨٧
اللغه	١٠٨٧
الإعراب	١٠٨٧
المعنى	١٠٨٧
سوره آل عمران (٣): الآيات ٥٢ الى ٥٤	١٠٨٨
اشاره	١٠٨٨
اللغه	١٠٨٨
الإعراب	١٠٨٨
المعنى	١٠٨٩
سوره آل عمران (٣): آيه ٥٥	١٠٩١
اشاره	١٠٩١
الإعراب	١٠٩١
المعنى	١٠٩١
سوره آل عمران (٣): الآيات ٥٦ الى ٥٨	١٠٩٣
اشاره	١٠٩٣
القراهه	١٠٩٣
الحجه	١٠٩٣
الإعراب	١٠٩٣
المعنى	١٠٩٣
سوره آل عمران (٣): الآيات ٥٩ الى ٦١	١٠٩٥
اشاره	١٠٩٥
اللغه	١٠٩٥
الإعراب	١٠٩٦
النزول	١٠٩٦
المعنى	١٠٩٧
سوره آل عمران (٣): الآيات ٦٢ الى ٦٣	١٠٩٨
اشاره	١٠٩٨
اللغه	١٠٩٩
الإعراب	١١٠٠
المعنى	١١٠٠
سوره آل عمران (٣): آيه ٦٤	١١٠٠
اشاره	١١٠٠
اللغه	١١٠١
الإعراب	١١٠١
النزول	١١٠١
المعنى	١١٠١
سوره آل عمران (٣): الآيات ٦٥ الى ٦٦	١١٠٣
اشاره	١١٠٣

11-3	القراءة
11-3	الحججه
11-3	اللغه
11-5	الإعراب
11-5	التزول
11-5	المعنى
11-6	سوره آل عمران (3): الآيات ٦٧ الى ٦٨
11-6	اشاره
11-6	اللغه
11-7	المعنى
11-7	سوره آل عمران (3): آيه ٦٩
11-7	اشاره
11-7	اللغه
11-8	المعنى
11-8	سوره آل عمران (3): الآيات ٧٠ الى ٧١
11-8	اشاره
11-8	الإعراب
11-8	المعنى
11-9	سوره آل عمران (3): الآيات ٧٢ الى ٧٤
11-9	اشاره
11-9	القراءة
11-10	الحججه
11-10	اللغه
11-11	المعنى
11-13	سوره آل عمران (3): الآيات ٧٥ الى ٧٦
11-13	اشاره
11-13	القراءة
11-13	الحججه
11-13	اللغه
11-13	الإعراب
11-14	التزول
11-14	المعنى
11-15	سوره آل عمران (3): آيه ٧٧
11-15	اشاره
11-15	التزول
11-15	المعنى
11-16	سوره آل عمران (3): آيه ٧٨
11-16	اشاره
11-16	اللغه
11-17	الإعراب
11-17	التزول

1117	المعنى
1117	سوره آل عمران (٣): الآيات ٧٩ الى ٨٠
1117	اشاره
1119	القراءه
1119	الحججه
1119	اللغه
1120	النزول
1120	المعنى
1121	سوره آل عمران (٣): الآيات ٨١ الى ٨٢
1121	اشاره
1121	القراءه
1121	الحججه
1122	المعنى
1124	سوره آل عمران (٣): الآيات ٨٣ الى ٨٥
1124	اشاره
1124	القراءه
1124	الحججه
1124	الإعراب
1125	النزول
1125	المعنى
1126	سوره آل عمران (٣): الآيات ٨٦ الى ٨٩
1126	اشاره
1126	اللغه
1126	الإعراب
1127	النزول
1127	المعنى
1128	سوره آل عمران (٣): آيه ٩٠
1128	اشاره
1128	النزول
1128	المعنى
1129	سوره آل عمران (٣): آيه ٩١
1129	اشاره
1129	اللغه
1129	الإعراب
1129	المعنى
1130	سوره آل عمران (٣): آيه ٩٢
1130	اشاره
1130	اللغه
1130	المعنى
1132	سوره آل عمران (٣): الآيات ٩٣ الى ٩٤
1132	اشاره

١١٣٣	اللغة
١١٣٣	النزول
١١٣٣	المعنى
١١٣٤	سوره آل عمران (٣): آيه ٩٥
١١٣٤	اشاره
١١٣٤	اللغة
١١٣٤	المعنى
١١٣٥	سوره آل عمران (٣): الآيات ٩٦ الى ٩٧
١١٣٥	اشاره
١١٣٥	القراءه
١١٣٥	الحججه
١١٣٥	اللغة
١١٣٦	الإعراب
١١٣٦	النزول
١١٣٦	المعنى
١١٤٠	سوره آل عمران (٣): الآيات ٩٨ الى ٩٩
١١٤٠	اشاره
١١٤٠	اللغة
١١٤٠	الإعراب
١١٤٠	المعنى
١١٤٢	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٠٠ الى ١٠١
١١٤٢	اشاره
١١٤٣	اللغة
١١٤٣	النزول
١١٤٣	المعنى
١١٤٤	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٠٢ الى ١٠٣
١١٤٤	اشاره
١١٤٤	اللغة
١١٤٥	الإعراب
١١٤٥	النزول
١١٤٥	المعنى
١١٤٩	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٠٤ الى ١٠٥
١١٤٩	اشاره
١١٤٩	اللغة
١١٤٩	الإعراب
١١٥٠	المعنى
١١٥٢	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٠٦ الى ١٠٧
١١٥٢	اشاره
١١٥٢	الإعراب
١١٥٢	المعنى
١١٥٣	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٠٨ الى ١٠٩

١١٥٣	اشاره
١١٥٤	المعنى
١١٥٤	سوره آل عمران (٣): آيه ١١٠
١١٥٤	اشاره
١١٥٤	المعنى
١١٥٦	سوره آل عمران (٣): الآيات ١١١ الى ١١٢
١١٥٦	اشاره
١١٥٦	الإعراب
١١٥٧	النزول
١١٥٧	المعنى
١١٥٨	سوره آل عمران (٣): الآيات ١١٣ الى ١١٤
١١٥٨	اشاره
١١٥٨	اللغه
١١٥٩	النزول
١١٥٩	المعنى
١١٦١	سوره آل عمران (٣): آيه ١١٥
١١٦١	اشاره
١١٦١	القراءه
١١٦١	الحججه
١١٦١	الإعراب
١١٦١	المعنى
١١٦١	سوره آل عمران (٣): الآيات ١١٦ الى ١١٧
١١٦١	اشاره
١١٦٣	اللغه
١١٦٣	المعنى
١١٦٤	سوره آل عمران (٣): آيه ١١٨
١١٦٤	اشاره
١١٦٤	اللغه
١١٦٦	الإعراب
١١٦٦	النزول
١١٦٦	المعنى
١١٦٦	سوره آل عمران (٣): آيه ١١٩
١١٦٦	اشاره
١١٦٧	اللغه
١١٦٧	الإعراب
١١٦٧	المعنى
١١٦٨	سوره آل عمران (٣): آيه ١٢٠
١١٦٨	اشاره
١١٦٨	القراءه
١١٦٨	الحججه
١١٦٨	اللغه

1168	المعنى
1170	سوره آل عمران (3): الآيات 121 إلى 122
1170	اشاره
1170	اللغة
1170	الإعراب
1170	المعنى
1174	سوره آل عمران (3): الآيات 123 إلى 126
1174	اشاره
1174	القراءة
1174	الحججه
1174	اللغة
1174	الإعراب
1176	المعنى
1178	سوره آل عمران (3): الآيات 127 إلى 128
1178	اشاره
1178	اللغة
1178	الإعراب
1179	المعنى
1180	سوره آل عمران (3): آيه 129
1180	اشاره
1181	اللغة
1181	المعنى
1181	سوره آل عمران (3): الآيات 130 إلى 132
1181	اشاره
1181	المعنى
1183	سوره آل عمران (3): الآيات 133 إلى 134
1183	اشاره
1183	القراءة
1183	الحججه
1183	اللغة
1184	المعنى
1187	سوره آل عمران (3): الآيات 135 إلى 136
1187	اشاره
1188	اللغة
1189	الإعراب
1189	النزول
1189	المعنى
1191	سوره آل عمران (3): الآيات 137 إلى 138
1191	اشاره
1191	اللغة
1191	المعنى

١١٩٣	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٣٩ الى ١٤٠
١١٩٣	اشاره
١١٩٣	القراءه
١١٩٣	الحجه
١١٩٣	اللغه
١١٩٤	الإعراب
١١٩٤	التزول
١١٩٤	المعنى
١١٩٧	سوره آل عمران (٣): آيه ١٤١
١١٩٧	اشاره
١١٩٧	اللغه
١١٩٧	المعنى
١١٩٧	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٤٢ الى ١٤٣
١١٩٧	اشاره
١١٩٩	اللغه
١١٩٩	الإعراب
١١٩٩	المعنى
١٢٠٠	سوره آل عمران (٣): آيه ١٤٤
١٢٠٠	اشاره
١٢٠٠	اللغه
١٢٠٢	التزول
١٢٠٤	المعنى
١٢٠٤	فضل في ذكر ما جاء في اسم محمد صلى الله عليه و آله
١٢٠٥	سوره آل عمران (٣): آيه ١٤٥
١٢٠٥	اشاره
١٢٠٥	الإعراب
١٢٠٥	المعنى
١٢٠٧	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٤٦ الى ١٤٨
١٢٠٧	اشاره
١٢٠٧	القراءه
١٢٠٧	الحجه
١٢٠٩	اللغه
١٢٠٩	المعنى
١٢١٠	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٤٩ الى ١٥٠
١٢١٠	اشاره
١٢١٠	اللغه
١٢١١	الإعراب
١٢١١	التزول
١٢١١	المعنى
١٢١١	سوره آل عمران (٣): آيه ١٥١
١٢١١	اشاره

١٢١١	القراءة
١٢١١	اللغة
١٢١٣	النزول
١٢١٣	المعنى
١٢١٤	سورة آل عمران (٣): آية ١٥٢
١٢١٤	اشاره
١٢١٤	اللغة
١٢١٤	الإعراب
١٢١٤	النزول
١٢١٤	المعنى
١٢١٦	سورة آل عمران (٣): الآيات ١٥٣ الى ١٥٤
١٢١٦	اشاره
١٢١٨	القراءة
١٢١٨	الحججه
١٢١٩	اللغة
١٢١٩	الإعراب
١٢١٩	المعنى
١٢٢٢	سورة آل عمران (٣): آية ١٥٥
١٢٢٢	اشاره
١٢٢٢	المعنى
١٢٢٣	سورة آل عمران (٣): الآيات ١٥٦ الى ١٥٨
١٢٢٣	اشاره
١٢٢٣	القراءة
١٢٢٣	الحججه
١٢٢٤	اللغة
١٢٢٤	الإعراب
١٢٢٤	المعنى
١٢٢٦	سورة آل عمران (٣): آية ١٥٩
١٢٢٦	اشاره
١٢٢٦	اللغة
١٢٢٧	الإعراب
١٢٢٧	المعنى
١٢٢٩	سورة آل عمران (٣): آية ١٦٠
١٢٢٩	اشاره
١٢٢٩	المعنى
١٢٣٠	سورة آل عمران (٣): آية ١٦١
١٢٣٠	اشاره
١٢٣٠	القراءة
١٢٣٠	الحججه
١٢٣١	اللغة
١٢٣١	النزول

١٢٣٢	المعنى
١٢٣٣	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٦٢ الى ١٦٣
١٢٣٣	اشاره
١٢٣٣	اللغه
١٢٣٣	النزول
١٢٣٣	المعنى
١٢٣٤	سوره آل عمران (٣): آيه ١٦٤
١٢٣٤	اشاره
١٢٣٤	اللغه
١٢٣٤	المعنى
١٢٣٥	سوره آل عمران (٣): آيه ١٦٥
١٢٣٥	اشاره
١٢٣٥	الإعراب
١٢٣٥	المعنى
١٢٣٦	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٦٦ الى ١٦٧
١٢٣٦	اشاره
١٢٣٦	الإعراب
١٢٣٦	المعنى
١٢٣٧	سوره آل عمران (٣): آيه ١٦٨
١٢٣٧	اشاره
١٢٣٧	اللغه
١٢٣٨	المعنى
١٢٣٨	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٦٩ الى ١٧١
١٢٣٨	اشاره
١٢٣٨	القراءه
١٢٣٩	الحججه
١٢٣٩	اللغه
١٢٣٩	الإعراب
١٢٣٩	النزول
١٢٤٢	المعنى
١٢٤٥	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٧٢ الى ١٧٤
١٢٤٥	اشاره
١٢٤٥	اللغه
١٢٤٦	الإعراب
١٢٤٦	النزول
١٢٤٩	المعنى
١٢٥٠	سوره آل عمران (٣): آيه ١٧٥
١٢٥٠	اشاره
١٢٥٠	الإعراب
١٢٥١	المعنى
١٢٥١	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٧٦ الى ١٧٧

١٢٥١	اشاره
١٢٥١	القراءه
١٢٥١	الحججه
١٢٥٢	الإعراب
١٢٥٢	المعنى
١٢٥٣	سوره آل عمران (٣): آيه ١٧٨
١٢٥٣	اشاره
١٢٥٣	القراءه
١٢٥٣	الحججه و الإعراب
١٢٥٤	اللغه
١٢٥٤	النزول
١٢٥٤	المعنى
١٢٥٦	سوره آل عمران (٣): آيه ١٧٩
١٢٥٦	اشاره
١٢٥٦	القراءه
١٢٥٦	الحججه
١٢٥٧	النزول
١٢٥٧	المعنى
١٢٥٨	سوره آل عمران (٣): آيه ١٨٠
١٢٥٨	اشاره
١٢٥٨	القراءه
١٢٥٨	المعنى
١٢٥٩	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٨١ الى ١٨٢
١٢٥٩	اشاره
١٢٥٩	القراءه
١٢٦٠	الحججه
١٢٦٠	اللغه
١٢٦٠	الإعراب
١٢٦٠	النزول
١٢٦١	المعنى
١٢٦٣	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٨٣ الى ١٨٤
١٢٦٣	اشاره
١٢٦٣	القراءه
١٢٦٣	الحججه
١٢٦٣	اللغه
١٢٦٣	الإعراب
١٢٦٣	النزول
١٢٦٥	المعنى
١٢٦٦	سوره آل عمران (٣): آيه ١٨٥
١٢٦٦	اشاره
١٢٦٦	اللغه

١٢٤٦	المعنى
١٢٤٧	سوره آل عمران (٣): آيه ١٨٦
١٢٤٧	اشاره
١٢٤٨	الإعراب
١٢٤٨	النزول
١٢٤٨	المعنى
١٢٤٩	سوره آل عمران (٣): آيه ١٨٧
١٢٤٩	اشاره
١٢٤٩	القراءه
١٢٤٩	الحججه
١٢٤٩	المعنى
١٢٧٠	سوره آل عمران (٣): آيه ١٨٨
١٢٧٠	اشاره
١٢٧٠	القراءه
١٢٧٠	الحججه
١٢٧٢	النزول
١٢٧٢	المعنى
١٢٧٣	سوره آل عمران (٣): آيه ١٨٩
١٢٧٣	اشاره
١٢٧٣	المعنى
١٢٧٤	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٩٠ الى ١٩٤
١٢٧٤	اشاره
١٢٧٤	اللغه
١٢٧٦	الإعراب
١٢٧٦	المعنى
١٢٨٠	سوره آل عمران (٣): آيه ١٩٥
١٢٨٠	اشاره
١٢٨٠	القراءه
١٢٨٠	الحججه
١٢٨٠	اللغه
١٢٨٠	الإعراب
١٢٨١	النزول
١٢٨١	المعنى
١٢٨٢	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٩٦ الى ١٩٨
١٢٨٢	اشاره
١٢٨٢	القراءه
١٢٨٢	اللغه
١٢٨٢	الإعراب
١٢٨٢	النزول
١٢٨٢	المعنى
١٢٨٤	سوره آل عمران (٣): آيه ١٩٩

١٢٨٤	اشاره
١٢٨٤	اللغه
١٢٨٤	الإعراب
١٢٨٤	النزول
١٢٨٥	المعنى
١٢٨٦	سوره آل عمران (٣): آيه ٢٠٠
١٢٨٦	اشاره
١٢٨٦	اللغه
١٢٨٦	المعنى
١٢٨٩	المجلد ٣
١٢٨٩	اشاره
١٢٨٩	اشاره
١٢٩٢	(٤) سوره النساء مدنيه و آياتها ست و سبعون و مائه (١٧٦)
١٢٩٢	اشاره
١٢٩٢	أوضح
١٢٩٢	عدد آياتها
١٢٩٢	خلافها آيتان
١٢٩٢	فضلها
١٢٩٢	تفسيرها
١٢٩٢	(سوره النساء (٤): آيه ١)
١٢٩٢	اشاره
١٢٩٤	القراءه
١٢٩٤	الحججه
١٢٩٦	اللغه
١٢٩٦	المعنى
١٢٩٧	(سوره النساء (٤): آيه ٢)
١٢٩٧	اشاره
١٢٩٧	اللغه
١٢٩٨	المعنى
١٢٩٩	(سوره النساء (٤): الآيات ٣ الى ٤)
١٢٩٩	اشاره
١٢٩٩	أوضح
١٢٩٩	القراءه
١٢٩٩	الحججه
١٢٩٩	اللغه
١٣٠٣	المعنى
١٣٠٥	(سوره النساء (٤): آيه ٥)
١٣٠٥	اشاره
١٣٠٥	القراءه
١٣٠٥	الحججه
١٣٠٥	المعنى

١٣٠٨	[سورة النساء (٤): آية ٦]
١٣٠٨	اشاره
١٣٠٨	اللغة
١٣٠٨	المعنى
١٣١٠	[سورة النساء (٤): آية ٧]
١٣١٠	اشاره
١٣١٠	اللغة
١٣١١	المعنى
١٣١١	[سورة النساء (٤): آية ٨]
١٣١١	اشاره
١٣١٢	المعنى
١٣١٢	[سورة النساء (٤): الآيات ٩ الى ١٠]
١٣١٢	اشاره
١٣١٣	القراءة
١٣١٣	الحججه
١٣١٣	اللغة
١٣١٣	المعنى
١٣١٧	[سورة النساء (٤): آية ١١]
١٣١٧	اشاره
١٣١٨	القراءة
١٣١٨	الحججه
١٣١٩	المعنى
١٣٢٢	[سورة النساء (٤): آية ١٢]
١٣٢٢	اشاره
١٣٢٢	القراءة
١٣٢٢	الحججه
١٣٢٢	اللغة
١٣٢٢	المعنى
١٣٢٧	[سورة النساء (٤): الآيات ١٣ الى ١٤]
١٣٢٧	اشاره
١٣٢٧	القراءة
١٣٢٧	الحججه
١٣٢٧	اللغة
١٣٢٨	المعنى
١٣٢٩	[سورة النساء (٤): الآيات ١٥ الى ١٦]
١٣٢٩	اشاره
١٣٢٩	القراءة
١٣٢٩	الحججه
١٣٢٩	اللغة
١٣٣١	المعنى
١٣٣٢	[سورة النساء (٤): الآيات ١٧ الى ١٨]

١٣٣٢	اشاره
١٣٣٢	اللغه
١٣٣٢	المعنى
١٣٣٥	[سوره النساء (٤): آيه ١٩]
١٣٣٥	اشاره
١٣٣٥	القراءه
١٣٣٥	الحججه
١٣٣٦	اللغه
١٣٣٨	المعنى
١٣٣٩	[سوره النساء (٤): الآيات ٢٠ الى ٢١]
١٣٣٩	اشاره
١٣٣٩	اللغه
١٣٣٩	المعنى
١٣٤١	[سوره النساء (٤): آيه ٢٢]
١٣٤١	اشاره
١٣٤١	اللغه
١٣٤٢	المعنى
١٣٤٤	[سوره النساء (٤): آيه ٢٣]
١٣٤٤	اشاره
١٣٤٤	اللغه
١٣٤٥	المعنى
١٣٤٨	[سوره النساء (٤): آيه ٢٤]
١٣٤٨	اشاره
١٣٤٨	القراءه
١٣٤٨	الحججه
١٣٤٩	اللغه
١٣٥٠	المعنى
١٣٥٢	[سوره النساء (٤): آيه ٢٥]
١٣٥٢	اشاره
١٣٥٣	القراءه
١٣٥٣	اللغه
١٣٥٣	المعنى
١٣٥٥	[سوره النساء (٤): الآيات ٢٦ الى ٢٨]
١٣٥٥	اشاره
١٣٥٦	المعنى
١٣٥٧	[سوره النساء (٤): الآيات ٢٩ الى ٣٠]
١٣٥٧	اشاره
١٣٥٧	القراءه
١٣٥٨	الحججه
١٣٥٨	المعنى
١٣٥٩	[سوره النساء (٤): آيه ٣١]

١٣٥٩	اشاره
١٣٥٩	القراءه
١٣٥٩	الحججه
١٣٥٩	اللغه
١٣٤١	المعنى
١٣٤٣	[سوره النساء (٤): آيه ٢٢]
١٣٤٣	اشاره
١٣٤٣	القراءه
١٣٤٣	الحججه
١٣٤٣	اللغه
١٣٤٥	المعنى
١٣٤٥	[سوره النساء (٤): آيه ٢٣]
١٣٤٥	اشاره
١٣٤٦	القراءه
١٣٤٦	الحججه
١٣٤٦	اللغه
١٣٤٧	المعنى
١٣٤٩	[سوره النساء (٤): آيه ٢٤]
١٣٤٩	اشاره
١٣٤٩	القراءه
١٣٤٩	الحججه
١٣٧٠	اللغه
١٣٧٠	المعنى
١٣٧٢	[سوره النساء (٤): آيه ٢٥]
١٣٧٢	اشاره
١٣٧٢	اللغه
١٣٧٢	المعنى
١٣٧٥	[سوره النساء (٤): آيه ٢٦]
١٣٧٥	اشاره
١٣٧٥	اللغه
١٣٧٥	المعنى
١٣٧٧	[سوره النساء (٤): آيه ٢٧]
١٣٧٧	اشاره
١٣٧٧	القراءه
١٣٧٧	الحججه
١٣٧٧	اللغه
١٣٧٧	المعنى
١٣٧٩	[سوره النساء (٤): الآيات ٣٨ الي ٣٩]
١٣٧٩	اشاره
١٣٧٩	اللغه
١٣٧٩	المعنى

١٣٨١ [سورة النساء (٤): آية ٤٠]

١٣٨١ اشارة

١٣٨١ القراءة

١٣٨١ الحجة

١٣٨١ اللغة

١٣٨٢ المعنى

١٣٨٢ [سورة النساء (٤): الآيات ٤١ الى ٤٢]

١٣٨٢ اشارة

١٣٨٢ القراءة

١٣٨٢ الحجة

١٣٨٢ المعنى

١٣٨٥ [سورة النساء (٤): آية ٤٣]

١٣٨٥ اشارة

١٣٨٥ القراءة

١٣٨٥ الحجة

١٣٨٥ اللغة

١٣٨٦ المعنى

١٣٩٠ [سورة النساء (٤): الآيات ٤٤ الى ٤٥]

١٣٩٠ اشارة

١٣٩٠ [توضيح]

١٣٩٠ اللغة

١٣٩٠ المعنى

١٣٩٢ [سورة النساء (٤): آية ٤٦]

١٣٩٢ اشارة

١٣٩٢ اللغة

١٣٩٢ المعنى

١٣٩٤ [سورة النساء (٤): آية ٤٧]

١٣٩٤ اشارة

١٣٩٤ اللغة

١٣٩٤ المعنى

١٣٩٥ [سورة النساء (٤): آية ٤٨]

١٣٩٥ اشارة

١٣٩٥ اللغة

١٣٩٦ المعنى

١٣٩٨ [سورة النساء (٤): الآيات ٤٩ الى ٥٠]

١٣٩٨ اشارة

١٣٩٨ اللغة

١٤٠٠ المعنى

١٤٠٠ [سورة النساء (٤): الآيات ٥١ الى ٥٢]

١٤٠٠ اشارة

١٤٠١ اللغة

١٤٠٢	المعنى
١٤٠٢	[سورة النساء (٤): الآيات ٥٣ الى ٥٥]
١٤٠٢	اشاره
١٤٠٢	اللغة
١٤٠٣	المعنى
١٤٠٥	[سورة النساء (٤): الآيات ٥٦ الى ٥٧]
١٤٠٥	اشاره
١٤٠٥	اللغة
١٤٠٥	المعنى
١٤٠٧	[سورة النساء (٤): آيه ٥٨]
١٤٠٧	اشاره
١٤٠٧	القراءة
١٤٠٧	اللغة
١٤٠٧	المعنى
١٤٠٩	[سورة النساء (٤): آيه ٥٩]
١٤٠٩	اشاره
١٤٠٩	المعنى
١٤١١	[سورة النساء (٤): الآيات ٦٠ الى ٦١]
١٤١١	اشاره
١٤١١	اللغة
١٤١٢	المعنى
١٤١٣	[سورة النساء (٤): الآيات ٦٢ الى ٦٣]
١٤١٣	اشاره
١٤١٣	اللغة
١٤١٣	المعنى
١٤١٤	[سورة النساء (٤): آيه ٦٤]
١٤١٤	اشاره
١٤١٤	المعنى
١٤١٥	[سورة النساء (٤): آيه ٦٥]
١٤١٥	اشاره
١٤١٦	اللغة
١٤١٦	المعنى
١٤١٨	[سورة النساء (٤): الآيات ٦٦ الى ٦٨]
١٤١٨	اشاره
١٤١٨	القراءة
١٤١٨	الحججه
١٤١٩	المعنى
١٤٢٠	[سورة النساء (٤): الآيات ٦٩ الى ٧٠]
١٤٢٠	اشاره
١٤٢١	اللغة
١٤٢٢	المعنى

١٤٢٣ [سورة النساء (٤): آية ٧١]

١٤٢٣ اشارة

١٤٢٣ اللغة

١٤٢٣ المعنى

١٤٢٥ [سورة النساء (٤): الآيات ٧٢ الى ٧٣]

١٤٢٥ اشارة

١٤٢٥ القراءة

١٤٢٥ الحجج

١٤٢٥ اللغة

١٤٢٦ المعنى

١٤٢٧ [سورة النساء (٤): آية ٧٤]

١٤٢٧ اشارة

١٤٢٧ اللغة

١٤٢٧ المعنى

١٤٢٨ [سورة النساء (٤): آية ٧٥]

١٤٢٨ اشارة

١٤٢٨ اللغة

١٤٢٨ المعنى

١٤٢٩ [سورة النساء (٤): آية ٧٦]

١٤٢٩ اشارة

١٤٢٩ اللغة

١٤٢٩ المعنى

١٤٣٠ [سورة النساء (٤): آية ٧٧]

١٤٣٠ اشارة

١٤٣٠ القراءة

١٤٣٠ الحجج

١٤٣١ المعنى

١٤٣٢ [سورة النساء (٤): آية ٧٨]

١٤٣٢ اشارة

١٤٣٢ القراءة

١٤٣٢ الحجج

١٤٣٢ اللغة

١٤٣٢ المعنى

١٤٣٤ [سورة النساء (٤): آية ٧٩]

١٤٣٤ اشارة

١٤٣٥ المعنى

١٤٣٦ [سورة النساء (٤): الآيات ٨٠ الى ٨١]

١٤٣٦ اشارة

١٤٣٦ القراءة

١٤٣٦ الحجج

١٤٣٦ اللغة

١٤٣٦	المعنى
١٤٣٨	[سورة النساء (٤): الآيات ٨٢ الى ٨٣]
١٤٣٨	اشاره
١٤٣٨	اللغة
١٤٣٩	المعنى
١٤٤١	[سورة النساء (٤): آيه ٨٤]
١٤٤١	اشاره
١٤٤١	اللغة
١٤٤٢	المعنى
١٤٤٢	[سورة النساء (٤): آيه ٨٥]
١٤٤٢	اشاره
١٤٤٢	اللغة
١٤٤٣	المعنى
١٤٤٥	[سورة النساء (٤): آيه ٨٦]
١٤٤٥	اشاره
١٤٤٥	اللغة
١٤٤٥	المعنى
١٤٤٧	[سورة النساء (٤): آيه ٨٧]
١٤٤٧	اشاره
١٤٤٩	المعنى
١٤٤٩	[سورة النساء (٤): آيه ٨٨]
١٤٤٩	اشاره
١٤٤٩	اللغة
١٤٥١	المعنى
١٤٥٢	[سورة النساء (٤): آيه ٨٩]
١٤٥٢	اشاره
١٤٥٢	المعنى
١٤٥٢	[سورة النساء (٤): آيه ٩٠]
١٤٥٢	اشاره
١٤٥٢	اللغة
١٤٥٣	المعنى
١٤٥٤	[سورة النساء (٤): آيه ٩١]
١٤٥٤	اشاره
١٤٥٥	المعنى
١٤٥٥	[سورة النساء (٤): آيه ٩٢]
١٤٥٥	اشاره
١٤٥٥	اللغة
١٤٥٧	المعنى
١٤٦٠	[سورة النساء (٤): آيه ٩٣]
١٤٦٠	اشاره
١٤٦٠	المعنى

١٤٤٤ [سوره النساء (٤): آيه ٩٤]

١٤٤٤ اشاره

١٤٤٤ القراءه

١٤٤٤ الحججه

١٤٤٤ اللغه

١٤٤٤ المعنى

١٤٤٧ [سوره النساء (٤): الآيات ٩٥ الى ٩٦]

١٤٤٧ اشاره

١٤٤٧ القراءه

١٤٤٧ الحججه

١٤٤٨ اللغه

١٤٤٩ المعنى

١٤٧٠ [سوره النساء (٤): الآيات ٩٧ الى ٩٩]

١٤٧٠ اشاره

١٤٧٠ القراءه

١٤٧٠ الحججه

١٤٧٠ اللغه

١٤٧١ المعنى

١٤٧٢ [سوره النساء (٤): آيه ١٠٠]

١٤٧٢ اشاره

١٤٧٢ اللغه

١٤٧٢ المعنى

١٤٧٥ [سوره النساء (٤): آيه ١٠١]

١٤٧٥ اشاره

١٤٧٥ اللغه

١٤٧٥ المعنى

١٤٧٨ [سوره النساء (٤): آيه ١٠٢]

١٤٧٨ اشاره

١٤٧٨ اللغه

١٤٧٩ المعنى

١٤٨١ [سوره النساء (٤): آيه ١٠٣]

١٤٨١ اشاره

١٤٨١ اللغه

١٤٨١ المعنى

١٤٨٢ [سوره النساء (٤): آيه ١٠٤]

١٤٨٢ اشاره

١٤٨٢ القراءه

١٤٨٢ الحججه

١٤٨٢ اللغه

١٤٨٤ المعنى

١٤٨٤ [سوره النساء (٤): الآيات ١٠٥ الى ١٠٦]

١٤٨٤	اشاره
١٤٨٤	المعنى
١٤٨٧	[سورة النساء (٤): الآيات ١٠٧ الى ١٠٩]
١٤٨٧	اشاره
١٤٨٧	اللغة
١٤٨٧	المعنى
١٤٩٠	[سورة النساء (٤): الآيات ١١٠ الى ١١٢]
١٤٩٠	اشاره
١٤٩٠	اللغة
١٤٩٠	المعنى
١٤٩١	[سورة النساء (٤): الآيات ١١٣ الى ١١٤]
١٤٩١	اشاره
١٤٩١	القراءة
١٤٩١	الحججه
١٤٩١	اللغة
١٤٩٢	المعنى
١٤٩٤	[سورة النساء (٤): آيه ١١٥]
١٤٩٤	اشاره
١٤٩٤	اللغة
١٤٩٤	المعنى
١٤٩٥	[سورة النساء (٤): آيه ١١٦]
١٤٩٥	اشاره
١٤٩٥	أوضح
١٤٩٥	[سورة النساء (٤): الآيات ١١٧ الى ١٢١]
١٤٩٥	اشاره
١٤٩٥	القراءة
١٤٩٦	الحججه
١٤٩٦	اللغة
١٤٩٨	المعنى
١٥٠٠	[سورة النساء (٤): آيه ١٢٢]
١٥٠٠	اشاره
١٥٠٠	أوضح
١٥٠١	[سورة النساء (٤): الآيات ١٢٣ الى ١٢٤]
١٥٠١	اشاره
١٥٠١	القراءة
١٥٠١	الحججه
١٥٠١	اللغة
١٥٠٢	المعنى
١٥٠٣	[سورة النساء (٤): الآيات ١٢٥ الى ١٢٦]
١٥٠٣	اشاره
١٥٠٣	اللغة

١٥٠٤	المعنى
١٥٠٥	[سورة النساء (٤): آية ١٢٧]
١٥٠٥	اشاره
١٥٠٥	اللغة
١٥٠٦	المعنى
١٥٠٨	[سورة النساء (٤): آية ١٢٨]
١٥٠٨	اشاره
١٥٠٨	القراءة
١٥٠٨	الحججه
١٥٠٨	اللغة
١٥٠٩	المعنى
١٥١٠	[سورة النساء (٤): الآيات ١٢٩ الى ١٣٠]
١٥١٠	اشاره
١٥١٠	اللغة
١٥١١	المعنى
١٥١٣	[سورة النساء (٤): الآيات ١٣١ الى ١٣٢]
١٥١٣	اشاره
١٥١٣	المعنى
١٥١٤	[سورة النساء (٤): الآيات ١٣٣ الى ١٣٤]
١٥١٤	اشاره
١٥١٤	المعنى
١٥١٥	[سورة النساء (٤): آية ١٣٥]
١٥١٥	اشاره
١٥١٥	القراءة
١٥١٥	الحججه
١٥١٥	اللغة
١٥١٧	المعنى
١٥١٩	[سورة النساء (٤): آية ١٣٦]
١٥١٩	اشاره
١٥١٩	القراءة
١٥١٩	الحججه
١٥١٩	المعنى
١٥٢٠	[سورة النساء (٤): الآيات ١٣٧ الى ١٣٩]
١٥٢٠	اشاره
١٥٢٠	اللغة
١٥٢١	المعنى
١٥٢٢	[سورة النساء (٤): آية ١٤٠]
١٥٢٢	اشاره
١٥٢٢	القراءة
١٥٢٢	الحججه
١٥٢٢	المعنى

١٥٢٤ [سورة النساء (٤): آية ١٤١]

١٥٢٤ اشارة

١٥٢٥ اللغة

١٥٢٥ المعنى

١٥٢٦ [سورة النساء (٤): الآيات ١٤٢ الى ١٤٣]

١٥٢٦ اشارة

١٥٢٦ القراءة

١٥٢٦ الحجج

١٥٢٦ اللغة

١٥٢٨ المعنى

١٥٢٩ [سورة النساء (٤): الآيات ١٤٤ الى ١٤٦]

١٥٢٩ اشارة

١٥٢٩ القراءة

١٥٢٩ الحجج

١٥٢٩ اللغة

١٥٢٩ المعنى

١٥٣٠ [سورة النساء (٤): آية ١٤٧]

١٥٣٠ اشارة

١٥٣٠ المعنى

١٥٣١ [سورة النساء (٤): الآيات ١٤٨ الى ١٤٩]

١٥٣١ اشارة

١٥٣١ القراءة

١٥٣١ الحجج

١٥٣١ المعنى

١٥٣٣ [سورة النساء (٤): الآيات ١٥٠ الى ١٥٢]

١٥٣٣ اشارة

١٥٣٣ القراءة

١٥٣٣ الحجج

١٥٣٣ المعنى

١٥٣٤ [سورة النساء (٤): الآيات ١٥٣ الى ١٥٤]

١٥٣٤ اشارة

١٥٣٤ القراءة

١٥٣٤ الحجج

١٥٣٥ اللغة

١٥٣٥ المعنى

١٥٣٦ [سورة النساء (٤): الآيات ١٥٥ الى ١٥٨]

١٥٣٦ اشارة

١٥٣٦ اللغة

١٥٣٧ المعنى

١٥٤٠ [سورة النساء (٤): آية ١٥٩]

١٥٤٠ اشارة

١٥٤١	المعنى
١٥٤٣	سورة النساء (٤): الآيات ١٦٠ الى ١٦١
١٥٤٣	اشاره
١٥٤٣	المعنى
١٥٤٤	سورة النساء (٤): آيه ١٦٢
١٥٤٤	اشاره
١٥٤٤	القراءه
١٥٤٤	الحججه
١٥٤٥	المعنى
١٥٤٦	سورة النساء (٤): آيه ١٦٣
١٥٤٦	اشاره
١٥٤٦	القراءه
١٥٤٦	الحججه
١٥٤٦	اللغه
١٥٤٦	المعنى
١٥٤٧	سورة النساء (٤): الآيات ١٦٤ الى ١٦٥
١٥٤٧	اشاره
١٥٤٧	المعنى
١٥٤٨	سورة النساء (٤): آيه ١٦٦
١٥٤٨	اشاره
١٥٤٩	المعنى
١٥٤٩	سورة النساء (٤): الآيات ١٦٧ الى ١٦٩
١٥٤٩	اشاره
١٥٤٩	المعنى
١٥٥٠	سورة النساء (٤): آيه ١٧٠
١٥٥٠	اشاره
١٥٥١	المعنى
١٥٥١	سورة النساء (٤): آيه ١٧١
١٥٥١	اشاره
١٥٥١	اللغه
١٥٥٢	المعنى
١٥٥٤	سورة النساء (٤): الآيات ١٧٢ الى ١٧٣
١٥٥٤	اشاره
١٥٥٤	اللغه
١٥٥٥	المعنى
١٥٥٦	سورة النساء (٤): الآيات ١٧٤ الى ١٧٥
١٥٥٦	اشاره
١٥٥٦	اللغه
١٥٥٦	المعنى
١٥٥٧	سورة النساء (٤): آيه ١٧٦
١٥٥٧	اشاره

١٥٥٧	اللغة
١٥٥٩	المعنى
١٥٦١	(٥) سورة المائدة مدنيه و آياتها عشرون و مائه (١٢٠)
١٥٦١	اشاره
١٥٦١	أُتُوضِحُ [
١٥٦١	عدد آياتها
١٥٦١	اختلافها
١٥٦١	فضلها
١٥٦٢	تفسيرها
١٥٦٣	[سورة المائدة (٥): آية ١]
١٥٦٣	اشاره
١٥٦٣	القراءه
١٥٦٣	الحججه
١٥٦٣	اللغة
١٥٦٤	المعنى
١٥٦٦	[سورة المائدة (٥): آية ٢]
١٥٦٦	اشاره
١٥٦٦	القراءه
١٥٦٦	الحججه
١٥٦٨	اللغة
١٥٦٩	المعنى
١٥٧٣	[سورة المائدة (٥): آية ٣]
١٥٧٣	اشاره
١٥٧٣	القراءه
١٥٧٣	الحججه
١٥٧٣	اللغة
١٥٧٥	المعنى
١٥٧٨	[سورة المائدة (٥): الآيات ٣٨ الى ٤٠]
١٥٧٨	اشاره
١٥٧٩	المعنى
١٥٨١	[سورة المائدة (٥): آية ٤١]
١٥٨١	اشاره
١٥٨٢	اللغة
١٥٨٤	المعنى
١٥٨٦	[سورة المائدة (٥): الآيات ٤٢ الى ٤٣]
١٥٨٦	اشاره
١٥٨٦	القراءه
١٥٨٦	الحججه
١٥٨٦	اللغة
١٥٨٦	المعنى
١٥٨٩	[سورة المائدة (٥): آية ٤٤]

١٥٨٩	اشاره
١٥٨٩	القراءه
١٥٨٩	الحججه
١٥٨٩	اللغه
١٥٨٩	المعنى
١٥٩٢	[سوره المائده (٥): آيه ٤٥]
١٥٩٢	اشاره
١٥٩٢	القراءه
١٥٩٢	الحججه
١٥٩٢	اللغه
١٥٩٢	المعنى
١٥٩٥	[سوره المائده (٥): الآيات ٤٦ الى ٤٧]
١٥٩٥	اشاره
١٥٩٥	القراءه
١٥٩٥	الحججه
١٥٩٥	اللغه
١٥٩٥	المعنى
١٥٩٨	[سوره المائده (٥): آيه ٤٨]
١٥٩٨	اشاره
١٥٩٨	القراءه
١٥٩٨	الحججه
١٥٩٨	اللغه
١٦٠٠	المعنى
١٦٠٢	[سوره المائده (٥): الآيات ٤٩ الى ٥٠]
١٦٠٢	اشاره
١٦٠٢	القراءه
١٦٠٢	الحججه
١٦٠٢	اللغه
١٦٠٢	المعنى
١٦٠٥	[سوره المائده (٥): الآيات ٥١ الى ٥٢]
١٦٠٥	اشاره
١٦٠٥	القراءه
١٦٠٥	الحججه
١٦٠٥	اللغه
١٦٠٥	المعنى
١٦٠٦	
١٦٠٧	
١٦٠٨	[سوره المائده (٥): آيه ٥٤]
١٦٠٨	اشاره
١٦٠٨	القراءه
١٦٠٨	الحججه
١٦٠٨	اللغه
١٦٠٨	المعنى
١٦٠٩	
١٦٠٩	
١٦١١	[سوره المائده (٥): الآيات ٥٥ الى ٥٦]
١٦١١	اشاره
١٦١٢	القراءه
١٦١٢	الحججه
١٦١٢	اللغه
١٦١٧	المعنى

١٦١٨	[سوره المائده (٥): آيه ٥٧]
١٦١٨	اشاره
١٦١٨	القراءه
١٦١٨	الحججه
١٦١٩	اللغه
١٦١٩	المعنى
١٦٢٠	[سوره المائده (٥): آيه ٥٨]
١٦٢٠	اشاره
١٦٢٠	اللغه
١٦٢٠	المعنى
١٦٢٠	[سوره المائده (٥): آيه ٥٩]
١٦٢٠	اشاره
١٦٢٢	اللغه
١٦٢٢	المعنى
١٦٢٣	[سوره المائده (٥): آيه ٦٠]
١٦٢٣	اشاره
١٦٢٣	القراءه
١٦٢٣	الحججه
١٦٢٤	المعنى
١٦٢٤	[سوره المائده (٥): الآيات ٦١ الى ٦٣]
١٦٢٤	اشاره
١٦٢٤	اللغه
١٦٢٧	المعنى
١٦٢٨	[سوره المائده (٥): آيه ٦٤]
١٦٢٨	اشاره
١٦٢٨	اللغه
١٦٣٢	المعنى
١٦٣٤	[سوره المائده (٥): الآيات ٦٥ الى ٦٦]
١٦٣٤	اشاره
١٦٣٤	اللغه
١٦٣٤	المعنى
١٦٣٥	[سوره المائده (٥): آيه ٦٧]
١٦٣٥	اشاره
١٦٣٥	القراءه
١٦٣٥	الحججه
١٦٣٨	المعنى
١٦٤٠	[سوره المائده (٥): آيه ٦٨]
١٦٤٠	اشاره
١٦٤٠	المعنى
١٦٤١	[سوره المائده (٥): آيه ٦٩]
١٦٤١	اشاره

١٦٤٢	المعنى
١٦٤٢	[سورة المائدة (٥): الآيات ٧٠ الى ٧١]
١٦٤٢	اشاره
١٦٤٣	القراءه
١٦٤٣	الحججه
١٦٤٣	اللغه
١٦٤٤	المعنى
١٦٤٤	[سورة المائدة (٥): الآيات ٧٢ الى ٧٤]
١٦٤٤	اشاره
١٦٤٤	اللغه
١٦٤٧	المعنى
١٦٤٩	[سورة المائدة (٥): الآيات ٧٥ الى ٧٧]
١٦٤٩	اشاره
١٦٤٩	اللغه
١٦٤٩	المعنى
١٦٥١	[سورة المائدة (٥): الآيات ٧٨ الى ٨٠]
١٦٥١	اشاره
١٦٥١	اللغه
١٦٥٢	المعنى
١٦٥٣	[سورة المائدة (٥): آيه ٨١]
١٦٥٣	اشاره
١٦٥٣	المعنى
١٦٥٤	[سورة المائدة (٥): الآيات ٨٢ الى ٨٤]
١٦٥٤	اشاره
١٦٥٤	اللغه
١٦٥٨	المعنى
١٦٥٩	[سورة المائدة (٥): الآيات ٨٥ الى ٨٦]
١٦٥٩	اشاره
١٦٥٩	اللغه
١٦٦٠	[سورة المائدة (٥): الآيات ٨٧ الى ٨٨]
١٦٦٠	اشاره
١٦٦٠	المعنى
١٦٦٢	[سورة المائدة (٥): آيه ٨٩]
١٦٦٢	اشاره
١٦٦٢	القراءه
١٦٦٢	الحججه
١٦٦٤	اللغه
١٦٦٤	المعنى
١٦٦٧	[سورة المائدة (٥): الآيات ٩٠ الى ٩١]
١٦٦٧	اشاره
١٦٦٧	اللغه

١٦٦٧	المعنى
١٦٦٩	[سوره المائده (٥): آيه ٩٢]
١٦٦٩	اشاره
١٦٦٩	المعنى
١٦٦٩	[سوره المائده (٥): آيه ٩٣]
١٦٦٩	اشاره
١٦٧٠	المعنى
١٦٧٢	[سوره المائده (٥): الآيات ٩٤ الى ٩٥]
١٦٧٢	اشاره
١٦٧٢	القراءه
١٦٧٣	الحجه
١٦٧٤	اللغه
١٦٧٥	المعنى
١٦٧٨	[سوره المائده (٥): آيه ٩٦]
١٦٧٨	اشاره
١٦٧٨	اللغه
١٦٧٨	المعنى
١٦٧٩	[سوره المائده (٥): آيه ٩٧]
١٦٧٩	اشاره
١٦٧٩	القراءه
١٦٧٩	الحجه
١٦٧٩	اللغه
١٦٨٢	[سوره المائده (٥): الآيات ٩٨ الى ٩٩]
١٦٨٢	اشاره
١٦٨٢	اللغه
١٦٨٢	المعنى
١٦٨٣	[سوره المائده (٥): آيه ١٠٠]
١٦٨٣	اشاره
١٦٨٣	اللغه
١٦٨٣	المعنى
١٦٨٤	[سوره المائده (٥): آيه ١٠١]
١٦٨٤	اشاره
١٦٨٤	اللغه
١٦٨٥	المعنى
١٦٨٧	[سوره المائده (٥): الآيات ١٠٢ الى ١٠٣]
١٦٨٧	اشاره
١٦٨٧	اللغه
١٦٨٨	المعنى
١٦٩٠	[سوره المائده (٥): آيه ١٠٤]
١٦٩٠	اشاره
١٦٩١	المعنى

١٦٩١	[سوره المائده (٥): آيه ١٠٥]
١٦٩١	اشاره
١٦٩١	القراءه
١٦٩١	الحججه
١٦٩٢	المعنى
١٦٩٣	[سوره المائده (٥): آيه ١٠٦]
١٦٩٣	اشاره
١٦٩٣	القراءه
١٦٩٣	الحججه
١٦٩٦	المعنى
١٦٩٨	[سوره المائده (٥): الآيات ١٠٧ الى ١٠٨]
١٦٩٨	اشاره
١٦٩٨	القراءه
١٧٠٠	اللغه
١٧٠٠	المعنى
١٧٠٢	[سوره المائده (٥): آيه ١٠٩]
١٧٠٢	اشاره
١٧٠٢	المعنى
١٧٠٣	[سوره المائده (٥): آيه ١١٠]
١٧٠٣	اشاره
١٧٠٣	القراءه
١٧٠٣	الحججه
١٧٠٤	المعنى
١٧٠٥	[سوره المائده (٥): آيه ١١١]
١٧٠٥	اشاره
١٧٠٥	اللغه
١٧٠٧	المعنى
١٧٠٧	[سوره المائده (٥): الآيات ١١٢ الى ١١٣]
١٧٠٧	اشاره
١٧٠٧	القراءه
١٧٠٧	الحججه
١٧٠٨	اللغه
١٧٠٨	المعنى
١٧٠٩	[سوره المائده (٥): الآيات ١١٤ الى ١١٥]
١٧٠٩	اشاره
١٧٠٩	القراءه
١٧٠٩	الحججه
١٧١٠	اللغه
١٧١٠	المعنى
١٧١٤	[سوره المائده (٥): الآيات ١١٦ الى ١١٨]
١٧١٤	اشاره

١٧١٤	اللغة
١٧١٧	المعنى
١٧١٩	سورة المائدة (٥): الآيات ١١٩ الى ١٢٠
١٧١٩	اشاره
١٧١٩	القراءة
١٧١٩	الحججه
١٧٢٠	المعنى
١٧٢٢	المجلد ٤
١٧٢٢	اشاره
١٧٢٢	اشاره
١٧٢٥	(٦) سورة الأنعام مكيه و آياتها خمس و ستون و مائه (١٦٥) -
١٧٢٥	اشاره
١٧٢٥	أوضح
١٧٢٥	عدد آياتها
١٧٢٥	فضلها
١٧٢٦	تفسيرها
١٧٢٦	سورة الأنعام (٦): الآيات ١ الى ٣
١٧٢٦	اشاره
١٧٢٧	اللغة
١٧٢٧	المعنى
١٧٢٨	الإعراب
١٧٢٩	المعنى
١٧٣٠	سورة الأنعام (٦): الآيات ٤ الى ٥
١٧٣٠	اشاره
١٧٣٠	الإعراب
١٧٣٠	المعنى
١٧٣٠	سورة الأنعام (٦): آيه ٦
١٧٣٠	اشاره
١٧٣١	اللغة
١٧٣١	الإعراب
١٧٣١	المعنى
١٧٣٢	سورة الأنعام (٦): آيه ٧
١٧٣٢	اشاره
١٧٣٢	النزول
١٧٣٢	المعنى
١٧٣٢	سورة الأنعام (٦): الآيات ٨ الى ١٠
١٧٣٢	اشاره
١٧٣٢	اللغة
١٧٣٣	المعنى
١٧٣٤	سورة الأنعام (٦): الآيات ١١ الى ١٣
١٧٣٤	اشاره

الإعراب	١٧٣٤
المعنى	١٧٣٤
سورة الأنعام (٦): الآيات ١٤ الى ١٥	١٧٣٦
اشاره	١٧٣٦
القراءه	١٧٣٦
اللغه	١٧٣٦
الإعراب	١٧٣٧
التزول	١٧٣٧
المعنى	١٧٣٧
سورة الأنعام (٦): آيه ١٦	١٧٣٨
اشاره	١٧٣٨
القراءه	١٧٣٨
الحججه	١٧٣٨
المعنى	١٧٣٨
سورة الأنعام (٦): الآيات ١٧ الى ١٨	١٧٣٩
اشاره	١٧٣٩
المعنى	١٧٣٩
سورة الأنعام (٦): الآيات ١٩ الى ٢٠	١٧٤٠
اشاره	١٧٤٠
الإعراب	١٧٤٠
التزول	١٧٤٠
المعنى	١٧٤٠
سورة الأنعام (٦): الآيات ٢١ الى ٢٢	١٧٤٢
اشاره	١٧٤٢
القراءه	١٧٤٢
الحججه	١٧٤٢
الإعراب	١٧٤٢
المعنى	١٧٤٢
سورة الأنعام (٦): الآيات ٢٣ الى ٢٤	١٧٤٣
اشاره	١٧٤٣
القراءه	١٧٤٣
الحججه	١٧٤٣
اللغه	١٧٤٤
المعنى	١٧٤٤
سورة الأنعام (٦): آيه ٢٥	١٧٤٦
اشاره	١٧٤٦
اللغه	١٧٤٦
الإعراب	١٧٤٦
التزول	١٧٤٦
المعنى	١٧٤٧
سورة الأنعام (٦): آيه ٢٦	١٧٤٨

١٧٤٨	اشاره
١٧٤٨	اللغه
١٧٤٨	المعنى
١٧٥١	[سوره الأنعام (٦): الآيات ٢٧ الى ٢٨]
١٧٥١	اشاره
١٧٥١	القراءه
١٧٥٢	الحججه
١٧٥٢	اللغه
١٧٥٢	الإعراب
١٧٥٢	المعنى
١٧٥٤	[سوره الأنعام (٦): الآيات ٢٩ الى ٣٠]
١٧٥٤	اشاره
١٧٥٥	المعنى
١٧٥٥	[سوره الأنعام (٦): الآيات ٣١ الى ٣٢]
١٧٥٥	اشاره
١٧٥٥	القراءه
١٧٥٦	الحججه
١٧٥٦	اللغه
١٧٥٧	الإعراب
١٧٥٧	المعنى
١٧٥٩	[سوره الأنعام (٦): الآيات ٣٣ الى ٣٤]
١٧٥٩	اشاره
١٧٥٩	القراءه
١٧٥٩	الحججه
١٧٦٢	[سوره الأنعام (٦): الآيات ٣٥ الى ٣٧]
١٧٦٢	اشاره
١٧٦٢	اللغه
١٧٦٢	الإعراب
١٧٦٣	المعنى
١٧٦٤	[سوره الأنعام (٦): الآيات ٣٨ الى ٣٩]
١٧٦٤	اشاره
١٧٦٥	اللغه
١٧٦٥	الإعراب
١٧٦٥	المعنى
١٧٦٧	[سوره الأنعام (٦): الآيات ٤٠ الى ٤١]
١٧٦٧	اشاره
١٧٦٧	القراءه
١٧٦٧	الحججه
١٧٦٨	الإعراب
١٧٦٩	المعنى
١٧٧٠	[سوره الأنعام (٦): الآيات ٤٢ الى ٤٥]

١٧٧٠	اشاره
١٧٧٠	القراءة
١٧٧٠	الحججه
١٧٧٠	اللغه
١٧٧٠	الإعراب
١٧٧٢	المعنى
١٧٧٤	[سوره الأنعام (٦): الآيات ٤٦ الى ٤٩]
١٧٧٤	اشاره
١٧٧٤	اللغه
١٧٧٤	المعنى
١٧٧٧	[سوره الأنعام (٦): آيه ٥٠]
١٧٧٧	اشاره
١٧٧٧	اللغه
١٧٧٧	المعنى
١٧٧٨	[سوره الأنعام (٦): آيه ٥١]
١٧٧٨	اشاره
١٧٧٨	الإعراب
١٧٧٨	المعنى
١٧٧٨	[سوره الأنعام (٦): الآيات ٥٢ الى ٥٣]
١٧٧٨	اشاره
١٧٧٩	القراءة
١٧٧٩	الحججه
١٧٧٩	الإعراب
١٧٧٩	التزول
١٧٨٠	المعنى
١٧٨١	[سوره الأنعام (٦): آيه ٥٤]
١٧٨١	اشاره
١٧٨٢	القراءة
١٧٨٢	الحججه
١٧٨٢	اللغه
١٧٨٢	التزول
١٧٨٣	المعنى
١٧٨٣	[سوره الأنعام (٦): آيه ٥٥]
١٧٨٣	اشاره
١٧٨٣	القراءة
١٧٨٣	الحججه
١٧٨٥	الإعراب
١٧٨٥	المعنى
١٧٨٥	[سوره الأنعام (٦): آيه ٥٦]
١٧٨٥	اشاره
١٧٨٥	القراءة

١٧٨٦	الحججه
١٧٨٦	الإعراب
١٧٨٦	المعنى
١٧٨٦	[سوره الأنعام (٦): الآيات ٥٧ الى ٥٨]
١٧٨٦	اشاره
١٧٨٦	القراءه
١٧٨٦	الحججه
١٧٨٧	اللغه
١٧٨٧	الإعراب
١٧٨٧	المعنى
١٧٨٨	[سوره الأنعام (٦): الآيات ٥٩ الى ٦٠]
١٧٨٨	اشاره
١٧٨٨	اللغه
١٧٨٨	الإعراب
١٧٨٨	المعنى
١٧٩١	[سوره الأنعام (٦): الآيات ٦١ الى ٦٢]
١٧٩١	اشاره
١٧٩١	القراءه
١٧٩١	الحججه
١٧٩١	المعنى
١٧٩٣	[سوره الأنعام (٦): الآيات ٦٣ الى ٦٤]
١٧٩٣	اشاره
١٧٩٣	القراءه
١٧٩٣	الحججه
١٧٩٤	الإعراب
١٧٩٤	المعنى
١٧٩٥	[سوره الأنعام (٦): آيه ٦٥]
١٧٩٥	اشاره
١٧٩٥	اللغه
١٧٩٥	المعنى
١٧٩٨	[سوره الأنعام (٦): الآيات ٦٦ الى ٦٧]
١٧٩٨	اشاره
١٧٩٨	المعنى
١٧٩٩	[سوره الأنعام (٦): الآيات ٦٨ الى ٦٩]
١٧٩٩	اشاره
١٧٩٩	القراءه
١٧٩٩	الحججه
١٧٩٩	الإعراب
١٧٩٩	النزول
١٧٩٩	المعنى
١٨٠٢	[سوره الأنعام (٦): آيه ٧٠]

١٨٠٢	اشاره
١٨٠٢	اللغة
١٨٠٢	الإعراب
١٨٠٢	المعنى
١٨٠٣	[سورة الأنعام (٦): آية ٧١]
١٨٠٣	اشاره
١٨٠٣	القراءة
١٨٠٣	الحججه
١٨٠٣	اللغة
١٨٠٤	الإعراب
١٨٠٤	المعنى
١٨٠٥	[سورة الأنعام (٦): الآيات ٧٢ الى ٧٣]
١٨٠٥	اشاره
١٨٠٥	الإعراب
١٨٠٥	المعنى
١٨٠٧	[سورة الأنعام (٦): الآيات ٧٤ الى ٧٥]
١٨٠٧	اشاره
١٨٠٧	القراءة
١٨٠٧	القراءة الطاهره «أزّز» بالفتح و قرأ يعقوب الحضرمى أزّز بضم الراء و هو قراده الحسن و ابن عباس و مجاهد و الضحاك.
١٨٠٨	الحججه
١٨٠٨	اللغة
١٨٠٨	الإعراب
١٨٠٨	المعنى
١٨١٠	[سورة الأنعام (٦): الآيات ٧٦ الى ٧٩]
١٨١٠	اشاره
١٨١٠	القراءة
١٨١٠	الحججه
١٨١٠	اللغة
١٨١١	الإعراب
١٨١١	المعنى
١٨١٤	[سورة الأنعام (٦): الآيات ٨٠ الى ٨١]
١٨١٤	اشاره
١٨١٥	القراءة
١٨١٥	الحججه
١٨١٦	الإعراب
١٨١٦	المعنى
١٨١٧	[سورة الأنعام (٦): آية ٨٢]
١٨١٧	اشاره
١٨١٧	اللغة
١٨١٧	المعنى
١٨١٨	[سورة الأنعام (٦): الآيات ٨٣ الى ٨٧]

١٨١٨	اشاره
١٨١٨	القراءه
١٨١٨	الحججه
١٨٢٠	الإعراب
١٨٢١	المعنى
١٨٢٢ [سوره الأنعام (٦): الآيات ٨٨ الى ٩٠]	
١٨٢٢	اشاره
١٨٢٢	القراءه
١٨٢٢	الحججه
١٨٢٣	المعنى
١٨٢٥ [سوره الأنعام (٦): آيه ٩١]	
١٨٢٥	اشاره
١٨٢٥	القراءه
١٨٢٥	الحججه
١٨٢٥	الإعراب
١٨٢٥	النزول
١٨٢٦	المعنى
١٨٢٧ [سوره الأنعام (٦): آيه ٩٢]	
١٨٢٧	اشاره
١٨٢٧	القراءه
١٨٢٧	الحججه
١٨٢٧	الإعراب
١٨٢٧	المعنى
١٨٢٨ [سوره الأنعام (٦): آيه ٩٣]	
١٨٢٨	اشاره
١٨٢٨	اللغه
١٨٢٩	النزول
١٨٢٩	المعنى
١٨٣٠ [سوره الأنعام (٦): آيه ٩٤]	
١٨٣٠	اشاره
١٨٣٠	القراءه
١٨٣٠	الحججه
١٨٣١	اللغه
١٨٣٢	الإعراب
١٨٣٢	النزول
١٨٣٢	المعنى
١٨٣٤ [سوره الأنعام (٦): الآيات ٩٥ الى ٩٦]	
١٨٣٤	اشاره
١٨٣٤	القراءه
١٨٣٤	الحججه
١٨٣٥	اللغه

الإعراب	١٨٢٥
المعنى	١٨٢٥
[سورة الأنعام (٦): الآيات ٩٧ إلى ٩٨]	١٨٣٧
اشاره	١٨٣٧
القراءه	١٨٣٧
الحججه	١٨٣٧
المعنى	١٨٣٧
[سورة الأنعام (٦): آيه ٩٩]	١٨٣٩
اشاره	١٨٣٩
القراءه	١٨٣٩
الحججه	١٨٣٩
اللغه	١٨٣٩
المعنى	١٨٤١
[سورة الأنعام (٦): الآيات ١٠٠ إلى ١٠١]	١٨٤٣
اشاره	١٨٤٣
القراءه	١٨٤٣
الحججه	١٨٤٣
اللغه	١٨٤٣
الإعراب	١٨٤٣
المعنى	١٨٤٣
[سورة الأنعام (٦): الآيات ١٠٢ إلى ١٠٣]	١٨٤٦
اشاره	١٨٤٦
اللغه	١٨٤٦
الإعراب	١٨٤٦
المعنى	١٨٤٦
[سورة الأنعام (٦): الآيات ١٠٤ إلى ١٠٥]	١٨٤٧
اشاره	١٨٤٧
القراءه	١٨٤٧
الحججه	١٨٤٧
اللغه	١٨٤٨
الإعراب	١٨٤٨
المعنى	١٨٤٨
[سورة الأنعام (٦): الآيات ١٠٦ إلى ١٠٧]	١٨٤٩
اشاره	١٨٤٩
اللغه	١٨٤٩
المعنى	١٨٥٠
[سورة الأنعام (٦): آيه ١٠٨]	١٨٥٠
اشاره	١٨٥٠
القراءه	١٨٥٠
الحججه	١٨٥٠
اللغه	١٨٥١

١٨٥١	التزول
١٨٥١	المعنى
١٨٥٢	سورة الأنعام (٦): الآيات ١٠٩ الى ١١٠
١٨٥٢	اشاره
١٨٥٢	القراءه
١٨٥٢	الحججه
١٨٥٤	اللغه
١٨٥٤	التزول
١٨٥٤	المعنى
١٨٥٥	سورة الأنعام (٦): آيه ١١١
١٨٥٥	اشاره
١٨٥٥	القراءه
١٨٥٥	الحججه
١٨٥٥	اللغه
١٨٥٥	المعنى
١٨٥٦	سورة الأنعام (٦): الآيات ١١٢ الى ١١٣
١٨٥٦	اشاره
١٨٥٧	القراءه
١٨٥٧	الحججه
١٨٥٧	اللغه
١٨٥٨	الإعراب
١٨٥٨	المعنى
١٨٦٠	سورة الأنعام (٦): آيه ١١٤
١٨٦٠	اشاره
١٨٦٠	القراءه
١٨٦٠	الحججه
١٨٦٠	المعنى
١٨٦١	سورة الأنعام (٦): آيه ١١٥
١٨٦١	اشاره
١٨٦١	القراءه
١٨٦١	الحججه
١٨٦١	اللغه
١٨٦١	الإعراب
١٨٦١	المعنى
١٨٦٣	سورة الأنعام (٦): الآيات ١١٦ الى ١١٧
١٨٦٣	اشاره
١٨٦٣	اللغه
١٨٦٣	الإعراب
١٨٦٤	المعنى
١٨٦٥	سورة الأنعام (٦): الآيات ١١٨ الى ١٢٠
١٨٦٥	اشاره

١٨٦٥	القراءة
١٨٦٦	الحججه
١٨٦٦	الإعراب و اللغة
١٨٦٦	المعنى
١٨٦٨	[سوره الأنعام (٦): آيه ١٢١]
١٨٦٨	اشاره
١٨٦٨	المعنى
١٨٦٩	[سوره الأنعام (٦): الآيات ١٢٢ الى ١٢٣]
١٨٦٩	اشاره
١٨٦٩	القراءة
١٨٦٩	الحججه
١٨٦٩	اللغه
١٨٧٠	الإعراب
١٨٧٠	التزول
١٨٧٠	المعنى
١٨٧٢	[سوره الأنعام (٦): آيه ١٢٤]
١٨٧٢	اشاره
١٨٧٢	القراءة
١٨٧٢	الحججه
١٨٧٢	اللغه
١٨٧٢	الإعراب
١٨٧٤	التزول
١٨٧٤	المعنى
١٨٧٤	[سوره الأنعام (٦): آيه ١٢٥]
١٨٧٤	اشاره
١٨٧٤	القراءة
١٨٧٥	الحججه
١٨٧٥	اللغه
١٨٧٥	المعنى
١٨٧٧	[سوره الأنعام (٦): الآيات ١٢٦ الى ١٢٧]
١٨٧٧	اشاره
١٨٧٧	المعنى
١٨٧٨	[سوره الأنعام (٦): الآيات ١٢٨ الى ١٢٩]
١٨٧٨	اشاره
١٨٧٨	القراءة
١٨٧٨	الحججه
١٨٧٨	الإعراب
١٨٧٩	المعنى
١٨٨١	[سوره الأنعام (٦): الآيات ١٣٠ الى ١٣٢]
١٨٨١	اشاره
١٨٨١	القراءة

١٨٨١	اللغة
١٨٨١	الإعراب
١٨٨١	المعنى
١٨٨٣	[سورة الأنعام (٦): الآيات ١٣٣ الى ١٣٥]
١٨٨٣	اشاره
١٨٨٣	القراءة
١٨٨٣	الحججه
١٨٨٣	اللغة
١٨٨٣	الإعراب
١٨٨٥	المعنى
١٨٨٦	[سورة الأنعام (٦): آيه ١٣٦]
١٨٨٦	اشاره
١٨٨٦	القراءة
١٨٨٦	الحججه
١٨٨٦	اللغة
١٨٨٦	المعنى
١٨٨٧	[سورة الأنعام (٦): آيه ١٣٧]
١٨٨٧	اشاره
١٨٨٧	القراءة
١٨٨٧	الحججه
١٨٨٨	اللغة
١٨٨٨	المعنى
١٨٨٩	[سورة الأنعام (٦): آيه ١٣٨]
١٨٨٩	اشاره
١٨٨٩	القراءة
١٨٨٩	الحججه
١٨٨٩	اللغة
١٨٨٩	الإعراب
١٨٩٠	المعنى
١٨٩٠	[سورة الأنعام (٦): آيه ١٣٩]
١٨٩٠	اشاره
١٨٩٠	القراءة
١٨٩٠	الحججه
١٨٩١	المعنى
١٨٩٢	[سورة الأنعام (٦): آيه ١٤٠]
١٨٩٢	اشاره
١٨٩٢	القراءة
١٨٩٢	الحججه
١٨٩٢	الإعراب
١٨٩٢	المعنى
١٨٩٣	[سورة الأنعام (٦): آيه ١٤١]

١٨٩٣	اشاره
١٨٩٣	القراءة
١٨٩٣	الحججه
١٨٩٣	اللغه
١٨٩٣	الإعراب
١٨٩٣	المعنى
١٨٩٦	[سوره الأنعام (٦): الآيات ١٤٢ الى ١٤٤]
١٨٩٦	اشاره
١٨٩٦	القراءة
١٨٩٦	الحججه
١٨٩٧	اللغه
١٨٩٧	الإعراب
١٨٩٧	المعنى
١٨٩٩	[سوره الأنعام (٦): آيه ١٤٥]
١٨٩٩	اشاره
١٩٠٠	القراءة
١٩٠٠	الحججه
١٩٠٠	المعنى
١٩٠١	[سوره الأنعام (٦): الآيات ١٤٦ الى ١٤٧]
١٩٠١	اشاره
١٩٠١	اللغه
١٩٠١	الإعراب
١٩٠١	المعنى
١٩٠٣	[سوره الأنعام (٦): الآيات ١٤٨ الى ١٥٠]
١٩٠٣	اشاره
١٩٠٣	اللغه
١٩٠٤	المعنى
١٩٠٦	[سوره الأنعام (٦): آيه ١٥١]
١٩٠٦	اشاره
١٩٠٦	اللغه
١٩٠٦	الإعراب
١٩٠٧	المعنى
١٩٠٨	[سوره الأنعام (٦): الآيات ١٥٢ الى ١٥٣]
١٩٠٨	اشاره
١٩٠٨	القراءة
١٩٠٨	الحججه
١٩٠٩	اللغه
١٩٠٩	المعنى
١٩١١	[سوره الأنعام (٦): الآيات ١٥٤ الى ١٥٥]
١٩١١	اشاره
١٩١١	القراءة

١٩١١	الحججه
١٩١٢	المعنى
١٩١٣	[سوره الأنعام (٦): الآيات ١٥٦ الى ١٥٧]
١٩١٣	اشاره
١٩١٤	الإعراب
١٩١٤	المعنى
١٩١٥	[سوره الأنعام (٦): آيه ١٥٨]
١٩١٥	اشاره
١٩١٥	القراءه
١٩١٥	المعنى
١٩١٧	[سوره الأنعام (٦): آيه ١٥٩]
١٩١٧	اشاره
١٩١٧	القراءه
١٩١٧	الحججه
١٩١٧	اللغه
١٩١٩	[سوره الأنعام (٦): آيه ١٦٠]
١٩١٩	اشاره
١٩١٩	القراءه
١٩١٩	الحججه
١٩١٩	اللغه
١٩٢٠	المعنى
١٩٢١	[سوره الأنعام (٦): الآيات ١٦١ الى ١٦٣]
١٩٢١	اشاره
١٩٢١	القراءه
١٩٢١	الحججه
١٩٢١	اللغه
١٩٢١	الإعراب
١٩٢٣	المعنى
١٩٢٤	[سوره الأنعام (٦): الآيات ١٦٤ الى ١٦٥]
١٩٢٤	اشاره
١٩٢٤	اللغه
١٩٢٤	الإعراب
١٩٢٤	المعنى
١٩٢٧	(٧) سوره الأعراف مكيه و آياتها ست و مائتان (٢٠٦).....
١٩٢٧	اشاره
١٩٢٧	[توضيح]
١٩٢٧	عدد آياتها
١٩٢٧	فضلها
١٩٢٧	تفسيرها
١٩٢٨	[سوره الأعراف (٧): الآيات ١ الى ٣]
١٩٢٨	اشاره

١٩٢٨	القراءة
١٩٢٨	الحججه
١٩٢٨	اللغه
١٩٢٩	الإعراب
١٩٣٠	المعنى
١٩٣١	سورة الأعراف (٧): الآيات ٤ الى ٥
١٩٣١	اشاره
١٩٣١	الإعراب
١٩٣٣	المعنى
١٩٣٣	سورة الأعراف (٧): الآيات ٦ الى ٩
١٩٣٣	اشاره
١٩٣٣	اللغه
١٩٣٤	الإعراب
١٩٣٤	المعنى
١٩٣٧	سورة الأعراف (٧): الآيات ١٠ الى ١١
١٩٣٧	اشاره
١٩٣٧	القراءة
١٩٣٧	الحججه
١٩٣٨	اللغه
١٩٣٨	الإعراب
١٩٣٨	المعنى
١٩٣٩	سورة الأعراف (٧): الآيات ١٢ الى ١٣
١٩٣٩	اشاره
١٩٣٩	اللغه
١٩٣٩	الإعراب
١٩٤٠	المعنى
١٩٤١	سورة الأعراف (٧): الآيات ١٤ الى ١٧
١٩٤١	اشاره
١٩٤١	اللغه
١٩٤١	الإعراب
١٩٤٢	المعنى
١٩٤٤	سورة الأعراف (٧): الآيات ١٨ الى ٢١
١٩٤٤	اشاره
١٩٤٤	القراءة
١٩٤٤	الحججه
١٩٤٤	اللغه
١٩٤٥	الإعراب
١٩٤٦	المعنى
١٩٤٨	سورة الأعراف (٧): الآيات ٢٢ الى ٢٥
١٩٤٨	اشاره
١٩٤٨	القراءة

١٩٤٨	الحججه
١٩٤٨	اللغه
١٩٤٨	المعنى
١٩٥١	[سوره الأعراف (٧): الآيات ٢٦ الى ٢٨]
١٩٥١	اشاره
١٩٥١	القراءه
١٩٥١	الحججه
١٩٥١	اللغه
١٩٥٢	المعنى
١٩٥٥	[سوره الأعراف (٧): الآيات ٢٩ الى ٣٠]
١٩٥٥	اشاره
١٩٥٥	اللغه
١٩٥٥	الإعراب
١٩٥٥	المعنى
١٩٥٧	[سوره الأعراف (٧): الآيات ٣١ الى ٣٢]
١٩٥٧	اشاره
١٩٥٧	القراءه
١٩٥٧	الحججه
١٩٥٨	المعنى
١٩٦٠	[سوره الأعراف (٧): الآيات ٣٣ الى ٣٤]
١٩٦٠	اشاره
١٩٦٠	اللغه
١٩٦١	المعنى
١٩٦٢	[سوره الأعراف (٧): الآيات ٣٥ الى ٣٦]
١٩٦٢	اشاره
١٩٦٢	الإعراب
١٩٦٢	المعنى
١٩٦٣	[سوره الأعراف (٧): آيه ٣٧]
١٩٦٣	اشاره
١٩٦٣	اللغه
١٩٦٣	المعنى
١٩٦٤	[سوره الأعراف (٧): الآيات ٣٨ الى ٣٩]
١٩٦٤	اشاره
١٩٦٤	القراءه
١٩٦٤	الحججه
١٩٦٤	اللغه
١٩٦٤	المعنى
١٩٦٦	[سوره الأعراف (٧): الآيات ٤٠ الى ٤١]
١٩٦٦	اشاره
١٩٦٦	القراءه
١٩٦٦	الحججه

١٩٦٦	اللغة
١٩٦٦	الإعراب
١٩٦٨	المعنى
١٩٦٩	[سورة الأعراف (٧): الآيات ٤٢ الى ٤٣]
١٩٦٩	اشاره
١٩٦٩	القراءة
١٩٦٩	الحججه
١٩٦٩	اللغة
١٩٧٠	الإعراب
١٩٧٠	المعنى
١٩٧١	[سورة الأعراف (٧): الآيات ٤٤ الى ٤٥]
١٩٧١	اشاره
١٩٧١	القراءة
١٩٧١	الحججه
١٩٧٢	الإعراب و اللغة
١٩٧٢	المعنى
١٩٧٣	[سورة الأعراف (٧): الآيات ٤٦ الى ٤٧]
١٩٧٣	اشاره
١٩٧٣	اللغة
١٩٧٤	المعنى
١٩٧٧	[سورة الأعراف (٧): الآيات ٤٨ الى ٤٩]
١٩٧٧	اشاره
١٩٧٧	اللغة
١٩٧٧	الإعراب
١٩٧٧	المعنى
١٩٧٨	[سورة الأعراف (٧): الآيات ٥٠ الى ٥١]
١٩٧٨	اشاره
١٩٧٨	اللغة
١٩٧٨	الإعراب
١٩٧٩	المعنى
١٩٨٠	[سورة الأعراف (٧): الآيات ٥٢ الى ٥٣]
١٩٨٠	اشاره
١٩٨٠	اللغة
١٩٨٠	الإعراب
١٩٨٠	المعنى
١٩٨١	[سورة الأعراف (٧): آيه ٥٤]
١٩٨١	اشاره
١٩٨١	القراءة
١٩٨١	الحججه
١٩٨٢	اللغة
١٩٨٢	الإعراب

١٩٨٢	المعنى
١٩٨٣	[سورة الأعراف (٧): الآيات ٥٥ الى ٥٦]
١٩٨٣	اشاره
١٩٨٣	القراءة
١٩٨٣	اللغة
١٩٨٤	الإعراب
١٩٨٤	المعنى
١٩٨٦	[سورة الأعراف (٧): الآيات ٥٧ الى ٥٨]
١٩٨٦	اشاره
١٩٨٦	القراءة
١٩٨٦	الحججه
١٩٨٨	اللغة
١٩٩١	[سورة الأعراف (٧): الآيات ٥٩ الى ٦٤]
١٩٩١	اشاره
١٩٩١	القراءة
١٩٩١	الحججه
١٩٩١	اللغة
١٩٩٣	الإعراب
١٩٩٣	المعنى
١٩٩٧	[سورة الأعراف (٧): الآيات ٦٥ الى ٧٢]
١٩٩٧	اشاره
١٩٩٧	اللغة
١٩٩٨	الإعراب
١٩٩٨	المعنى
٢٠٠٢	[سورة الأعراف (٧): الآيات ٧٣ الى ٧٩]
٢٠٠٢	اشاره
٢٠٠٢	القراءة
٢٠٠٢	الحججه
٢٠٠٢	اللغة
٢٠٠٣	المعنى
٢٠٠٨	[سورة الأعراف (٧): الآيات ٨٠ الى ٨٤]
٢٠٠٨	اشاره
٢٠٠٨	القراءة
٢٠٠٨	الحججه
٢٠٠٩	اللغة
٢٠٠٩	المعنى
٢٠١٢	[سورة الأعراف (٧): الآيات ٨٥ الى ٨٧]
٢٠١٢	اشاره
٢٠١٢	اللغة
٢٠١٢	الإعراب
٢٠١٣	المعنى

٢٠١٥	[سورة الأعراف (٧): الآيات ٨٨ الى ٨٩]
٢٠١٥	اشاره
٢٠١٥	اللغة
٢٠١٥	المعنى
٢٠١٧	[سورة الأعراف (٧): الآيات ٩٠ الى ٩٣]
٢٠١٧	اشاره
٢٠١٨	اللغة
٢٠١٨	الإعراب
٢٠١٨	المعنى
٢٠١٩	[سورة الأعراف (٧): الآيات ٩٤ الى ٩٥]
٢٠١٩	اشاره
٢٠١٩	اللغة
٢٠٢٠	المعنى
٢٠٢١	[سورة الأعراف (٧): الآيات ٩٦ الى ٩٩]
٢٠٢١	اشاره
٢٠٢١	القراءة
٢٠٢١	الحججه
٢٠٢٢	اللغة
٢٠٢٢	الإعراب
٢٠٢٣	المعنى
٢٠٢٤	[سورة الأعراف (٧): الآيات ١٠٠ الى ١٠٢]
٢٠٢٤	اشاره
٢٠٢٤	القراءة
٢٠٢٤	الحججه
٢٠٢٤	اللغة
٢٠٢٥	الإعراب
٢٠٢٥	المعنى
٢٠٢٧	[سورة الأعراف (٧): الآيات ١٠٣ الى ١٠٨]
٢٠٢٧	اشاره
٢٠٢٧	القراءة
٢٠٢٧	الحججه
٢٠٢٧	اللغة
٢٠٢٩	الإعراب
٢٠٣٠	المعنى
٢٠٣٢	[سورة الأعراف (٧): الآيات ١٠٩ الى ١١٢]
٢٠٣٢	اشاره
٢٠٣٢	القراءة
٢٠٣٤	الحججه
٢٠٣٤	اللغة
٢٠٣٥	الإعراب
٢٠٣٥	المعنى

٢٠٣٦ [سورة الأعراف (٧): الآيات ١١٣ الى ١١٦]

٢٠٣٦ اشارة

٢٠٣٦ القراءة

٢٠٣٦ الحجج

٢٠٣٦ الإعراب

٢٠٣٧ المعنى

٢٠٣٨ [سورة الأعراف (٧): الآيات ١١٧ الى ١٢٢]

٢٠٣٨ اشارة

٢٠٣٨ القراءة

٢٠٣٨ الحجج

٢٠٣٨ اللغة

٢٠٣٨ الإعراب

٢٠٣٩ المعنى

٢٠٤٠ [سورة الأعراف (٧): الآيات ١٢٣ الى ١٢٦]

٢٠٤٠ اشارة

٢٠٤٠ القراءة

٢٠٤٠ الحجج

٢٠٤١ اللغة

٢٠٤١ المعنى

٢٠٤٢ [سورة الأعراف (٧): آية ١٢٧]

٢٠٤٢ اشارة

٢٠٤٢ القراءة

٢٠٤٢ الحجج

٢٠٤٢ المعنى

٢٠٤٣ [سورة الأعراف (٧): الآيات ١٢٨ الى ١٢٩]

٢٠٤٣ اشارة

٢٠٤٣ المعنى

٢٠٤٤ [سورة الأعراف (٧): الآيات ١٣٠ الى ١٣١]

٢٠٤٤ اشارة

٢٠٤٤ القراءة

٢٠٤٥ الحجج

٢٠٤٥ اللغة

٢٠٤٥ المعنى

٢٠٤٦ [سورة الأعراف (٧): الآيات ١٣٢ الى ١٣٣]

٢٠٤٦ اشارة

٢٠٤٦ القراءة

٢٠٤٦ اللغة

٢٠٤٧ الإعراب

٢٠٤٧ المعنى

٢٠٥٠ [سورة الأعراف (٧): الآيات ١٣٤ الى ١٣٦]

٢٠٥٠ اشارة

٢٠٥٠	اللغة
٢٠٥٠	الإعراب
٢٠٥٠	المعنى
٢٠٥٢	[سورة الأعراف (٧): آية ١٣٧]
٢٠٥٢	اشاره
٢٠٥٢	القراءة
٢٠٥٢	الحججه
٢٠٥٢	اللغة
٢٠٥٢	الإعراب
٢٠٥٢	المعنى
٢٠٥٤	[سورة الأعراف (٧): الآيات ١٣٨ الى ١٤٠]
٢٠٥٤	اشاره
٢٠٥٤	القراءة
٢٠٥٤	اللغة
٢٠٥٤	الإعراب
٢٠٥٤	المعنى
٢٠٥٦	[سورة الأعراف (٧): آية ١٤١]
٢٠٥٦	اشاره
٢٠٥٦	القراءة
٢٠٥٦	الحججه
٢٠٥٦	المعنى
٢٠٥٧	[سورة الأعراف (٧): آية ١٤٢]
٢٠٥٧	اشاره
٢٠٥٧	اللغة
٢٠٥٧	المعنى
٢٠٥٨	[سورة الأعراف (٧): آية ١٤٣]
٢٠٥٨	اشاره
٢٠٥٨	القراءة
٢٠٥٨	الحججه
٢٠٥٩	اللغة
٢٠٥٩	المعنى
٢٠٦٢	[سورة الأعراف (٧): الآيات ١٤٤ الى ١٤٥]
٢٠٦٢	اشاره
٢٠٦٢	القراءة
٢٠٦٢	اللغة
٢٠٦٢	المعنى
٢٠٦٣	[سورة الأعراف (٧): الآيات ١٤٦ الى ١٤٧]
٢٠٦٣	اشاره
٢٠٦٣	القراءة
٢٠٦٣	الحججه
٢٠٦٤	اللغة

٢٠٦٤	المعنى
٢٠٦٤	المعنى
٢٠٦٦	[سورة الأعراف (٧): آية ١٤٨]
٢٠٦٦	اشارة
٢٠٦٦	القراءة
٢٠٦٦	الحججه
٢٠٦٦	اللغه
٢٠٦٦	الإعراب
٢٠٦٦	المعنى
٢٠٦٨	[سورة الأعراف (٧): آية ١٤٩]
٢٠٦٨	اشارة
٢٠٦٨	القراءة
٢٠٦٨	الحججه
٢٠٦٩	اللغه
٢٠٦٩	المعنى
٢٠٦٩	[سورة الأعراف (٧): الآيات ١٥٠ الى ١٥١]
٢٠٦٩	اشارة
٢٠٦٩	القراءة
٢٠٦٩	الحججه
٢٠٧٠	اللغه
٢٠٧١	الإعراب
٢٠٧١	المعنى
٢٠٧٢	[سورة الأعراف (٧): الآيات ١٥٢ الى ١٥٤]
٢٠٧٢	اشارة
٢٠٧٢	اللغه
٢٠٧٢	الإعراب
٢٠٧٢	المعنى
٢٠٧٤	[سورة الأعراف (٧): آية ١٥٥]
٢٠٧٤	اشارة
٢٠٧٤	اللغه
٢٠٧٤	الإعراب
٢٠٧٥	المعنى
٢٠٧٦	[سورة الأعراف (٧): آية ١٥٦]
٢٠٧٦	اشارة
٢٠٧٦	القراءة
٢٠٧٧	المعنى
٢٠٧٨	[سورة الأعراف (٧): آية ١٥٧]
٢٠٧٨	اشارة
٢٠٧٨	القراءة
٢٠٧٨	الحججه
٢٠٧٨	اللغه
٢٠٧٩	الإعراب

٢٠٧٩	المعنى
٢٠٨١	[سورة الأعراف (٧): آية ١٥٨]
٢٠٨١	اشاره
٢٠٨١	الإعراب
٢٠٨١	المعنى
٢٠٨٢	[سورة الأعراف (٧): الآيات ١٥٩ الى ١٦٠]
٢٠٨٢	اشاره
٢٠٨٢	اللغة
٢٠٨٢	الإعراب
٢٠٨٢	المعنى
٢٠٨٤	[سورة الأعراف (٧): الآيات ١٦١ الى ١٦٢]
٢٠٨٤	اشاره
٢٠٨٤	القراءة
٢٠٨٤	الحججه
٢٠٨٥	[سورة الأعراف (٧): الآيات ١٦٣ الى ١٦٤]
٢٠٨٥	اشاره
٢٠٨٥	القراءة
٢٠٨٥	الحججه
٢٠٨٥	اللغة
٢٠٨٥	الإعراب
٢٠٨٦	المعنى
٢٠٨٧	[سورة الأعراف (٧): الآيات ١٦٥ الى ١٦٦]
٢٠٨٧	اشاره
٢٠٨٧	القراءة
٢٠٨٧	الحججه
٢٠٨٨	اللغة
٢٠٨٨	المعنى
٢٠٩٠	[سورة الأعراف (٧): الآيات ١٦٧ الى ١٦٨]
٢٠٩٠	اشاره
٢٠٩٠	الإعراب
٢٠٩٠	المعنى
٢٠٩١	[سورة الأعراف (٧): الآيات ١٦٩ الى ١٧٠]
٢٠٩١	اشاره
٢٠٩١	القراءة
٢٠٩١	اللغة
٢٠٩٢	الإعراب
٢٠٩٢	المعنى
٢٠٩٣	[سورة الأعراف (٧): آية ١٧١]
٢٠٩٣	اشاره
٢٠٩٣	اللغة
٢٠٩٣	المعنى

٢٠٩٤ [سورة الأعراف (٧): الآيات ١٧٢ الى ١٧٤]

٢٠٩٤ اشارة

٢٠٩٤ القراءة

٢٠٩٤ الحجج

٢٠٩٤ الإعراب

٢٠٩٥ المعنى

٢٠٩٨ [سورة الأعراف (٧): الآيات ١٧٥ الى ١٧٨]

٢٠٩٨ اشارة

٢٠٩٨ اللغة

٢٠٩٨ الإعراب

٢٠٩٨ المعنى

٢١٠٢ [سورة الأعراف (٧): الآيات ١٧٩ الى ١٨١]

٢١٠٢ اشارة

٢١٠٢ القراءة

٢١٠٢ الحجج

٢١٠٢ اللغة

٢١٠٢ الإعراب

٢١٠٣ المعنى

٢١٠٦ [سورة الأعراف (٧): الآيات ١٨٢ الى ١٨٦]

٢١٠٦ اشارة

٢١٠٦ القراءة

٢١٠٦ الحجج

٢١٠٧ اللغة

٢١٠٧ المعنى

٢١٠٨ [سورة الأعراف (٧): آية ١٨٧]

٢١٠٨ اشارة

٢١٠٨ اللغة

٢١٠٩ الإعراب

٢١٠٩ النزول

٢١٠٩ المعنى

٢١١١ [سورة الأعراف (٧): آية ١٨٨]

٢١١١ اشارة

٢١١١ النزول

٢١١١ المعنى

٢١١٢ [سورة الأعراف (٧): الآيات ١٨٩ الى ١٩٣]

٢١١٢ اشارة

٢١١٢ القراءة

٢١١٢ الحجج

٢١١٣ المعنى

٢١١٦ [سورة الأعراف (٧): الآيات ١٩٤ الى ١٩٥]

٢١١٦ اشارة

٢١١٦	القراءة
٢١١٧	الحججه
٢١١٧	المعنى
٢١١٨	[سورة الأعراف (٧): الآيات ١٩٦ الى ١٩٨]
٢١١٨	اشاره
٢١١٨	المعنى
٢١١٩	[سورة الأعراف (٧): الآيات ١٩٩ الى ٢٠٠]
٢١١٩	اشاره
٢١١٩	اللغه
٢١١٩	المعنى
٢١٢١	[سورة الأعراف (٧): الآيات ٢٠١ الى ٢٠٣]
٢١٢١	اشاره
٢١٢١	القراءة
٢١٢١	الحججه
٢١٢٢	اللغه
٢١٢٢	الإعراب
٢١٢٢	المعنى
٢١٢٤	[سورة الأعراف (٧): الآيات ٢٠٤ الى ٢٠٦]
٢١٢٤	اشاره
٢١٢٤	اللغه
٢١٢٤	الإعراب
٢١٢٤	المعنى
٢١٢٧	(٨) سورة الأنفال مدنيه و آياتها خمس و سبعون (٧٥)
٢١٢٧	اشاره
٢١٢٧	[توضيح]
٢١٢٧	عدد آياتها
٢١٢٧	فضلها
٢١٢٧	تفسيرها
٢١٢٨	[سورة الأنفال (٨): آيه ١]
٢١٢٨	اشاره
٢١٢٨	القراءة
٢١٢٨	الحججه
٢١٢٨	اللغه
٢١٢٨	المعنى
٢١٣٢	[سورة الأنفال (٨): الآيات ٢ الى ٤]
٢١٣٢	اشاره
٢١٣٢	اللغه
٢١٣٢	الإعراب
٢١٣٣	المعنى
٢١٣٤	[سورة الأنفال (٨): الآيات ٥ الى ٨]
٢١٣٤	اشاره

٢١٣٤	اللغة
٢١٣٤	الإعراب
٢١٣٥	المعنى
٢١٣٩	سورة الأنفال (٨): الآيات ٩ إلى ١٤
٢١٣٩	إشاره
٢١٣٩	القراءه
٢١٣٩	الحججه
٢١٤٠	اللغة
٢١٤٠	الإعراب
٢١٤١	النزول
٢١٤١	المعنى
٢١٤٧	سورة الأنفال (٨): الآيات ١٥ إلى ١٧
٢١٤٧	إشاره
٢١٤٧	اللغة
٢١٤٧	الإعراب
٢١٤٧	المعنى
٢١٤٩	سورة الأنفال (٨): الآيات ١٨ إلى ٢١
٢١٤٩	إشاره
٢١٤٩	القراءه
٢١٤٩	الحججه
٢١٥٠	اللغة
٢١٥٠	الإعراب
٢١٥٠	المعنى
٢١٥١	سورة الأنفال (٨): الآيات ٢٢ إلى ٢٣
٢١٥١	إشاره
٢١٥١	اللغة
٢١٥٢	المعنى
٢١٥٢	سورة الأنفال (٨): الآيات ٢٤ إلى ٢٥
٢١٥٢	إشاره
٢١٥٢	القراءه
٢١٥٢	الحججه
٢١٥٥	المعنى
٢١٥٧	سورة الأنفال (٨): آيه ٢٦
٢١٥٧	إشاره
٢١٥٧	اللغة
٢١٥٧	المعنى
٢١٥٨	سورة الأنفال (٨): الآيات ٢٧ إلى ٢٨
٢١٥٨	إشاره
٢١٥٨	اللغة
٢١٥٨	الإعراب
٢١٥٨	النزول

٢١٥٩	المعنى
٢١٦٠	[سورة الأنفال (٨): آية ٢٩]
٢١٦٠	اشاره
٢١٦٠	المعنى
٢١٦٠	[سورة الأنفال (٨): آية ٣٠]
٢١٦٠	اشاره
٢١٦٠	اللغة
٢١٦٢	النزول
٢١٦٢	المعنى
٢١٦٣	[سورة الأنفال (٨): الآيات ٣١ الى ٣٤]
٢١٦٣	اشاره
٢١٦٣	الإعراب
٢١٦٤	المعنى
٢١٦٦	[سورة الأنفال (٨): آية ٣٥]
٢١٦٦	اشاره
٢١٦٦	القراءة
٢١٦٦	الحججه
٢١٦٦	اللغة
٢١٦٧	المعنى
٢١٦٧	[سورة الأنفال (٨): الآيات ٣٦ الى ٣٧]
٢١٦٧	اشاره
٢١٦٧	اللغة
٢١٦٧	النزول
٢١٦٨	المعنى
٢١٦٩	[سورة الأنفال (٨): الآيات ٣٨ الى ٤٠]
٢١٦٩	اشاره
٢١٦٩	اللغة
٢١٦٩	الإعراب
٢١٦٩	المعنى
٢١٧١	[سورة الأنفال (٨): آية ٤١]
٢١٧١	اشاره
٢١٧١	اللغة
٢١٧١	الإعراب
٢١٧١	المعنى
٢١٧٥	[سورة الأنفال (٨): الآيات ٤٢ الى ٤٤]
٢١٧٥	اشاره
٢١٧٥	القراءة
٢١٧٥	الحججه
٢١٧٥	اللغة
٢١٧٧	الإعراب
٢١٧٧	المعنى

٢١٨٠ [سورة الأنفال (٨): الآيات ٤٥ الى ٤٧]

٢١٨٠ اشارة

٢١٨٠ اللغة

٢١٨٠ الإعراب

٢١٨٠ المعنى

٢١٨٢ [سورة الأنفال (٨): آيه ٤٨]

٢١٨٢ اشارة

٢١٨٢ المعنى

٢١٨٤ [سورة الأنفال (٨): الآيات ٤٩ الى ٥١]

٢١٨٤ اشارة

٢١٨٤ القراءة

٢١٨٤ الحجج

٢١٨٤ الإعراب

٢١٨٤ المعنى

٢١٨٦ [سورة الأنفال (٨): الآيات ٥٢ الى ٥٤]

٢١٨٦ اشارة

٢١٨٦ اللغة

٢١٨٦ الإعراب

٢١٨٦ المعنى

٢١٨٧ [سورة الأنفال (٨): الآيات ٥٥ الى ٥٦]

٢١٨٧ اشارة

٢١٨٧ الإعراب

٢١٨٨ المعنى

٢١٨٨ [سورة الأنفال (٨): الآيات ٥٧ الى ٥٨]

٢١٨٨ اشارة

٢١٨٨ اللغة

٢١٨٩ الإعراب

٢١٨٩ المعنى

٢١٩٠ [سورة الأنفال (٨): الآيات ٥٩ الى ٦١]

٢١٩٠ اشارة

٢١٩٠ القراءة

٢١٩٠ الحجج

٢١٩١ اللغة

٢١٩١ الإعراب

٢١٩١ المعنى

٢١٩٤ [سورة الأنفال (٨): الآيات ٦٢ الى ٦٣]

٢١٩٤ اشارة

٢١٩٤ اللغة

٢١٩٤ المعنى

٢١٩٥ [سورة الأنفال (٨): الآيات ٦٤ الى ٦٦]

٢١٩٥ اشارة

٢١٩٥	القراءة
٢١٩٥	الحججه
٢١٩٥	اللغه
٢١٩٥	الإعراب
٢١٩٧	المعنى
٢١٩٨	[سوره الأنفال (٨): الآيات ٦٧ الى ٦٩]
٢١٩٨	اشاره
٢١٩٨	القراءة
٢١٩٨	الحججه
٢١٩٨	اللغه
٢١٩٩	الإعراب
٢١٩٩	المعنى
٢٢٠١	[سوره الأنفال (٨): الآيات ٧٠ الى ٧١]
٢٢٠١	اشاره
٢٢٠١	القراءة
٢٢٠١	المعنى
٢٢٠٢	[سوره الأنفال (٨): آيه ٧٢]
٢٢٠٢	اشاره
٢٢٠٢	القراءة
٢٢٠٢	الحججه
٢٢٠٢	اللغه
٢٢٠٣	النزول
٢٢٠٣	المعنى
٢٢٠٤	[سوره الأنفال (٨): الآيات ٧٣ الى ٧٥]
٢٢٠٤	اشاره
٢٢٠٤	اللغه
٢٢٠٤	الإعراب
٢٢٠٤	المعنى
٢٢٠٧	المجلد ٥
٢٢٠٧	اشاره
٢٢٠٧	اشاره
٢٢١٠	(٩) سوره التوبه مدنيه و آياتها تسع و عشرون و مائه (١٢٩)
٢٢١٠	اشاره
٢٢١٠	[توضيح]
٢٢١٠	عدد آياتها
٢٢١٠	اختلافها
٢٢١٠	أسمائها عشره
٢٢١١	فضلها
٢٢١١	عله ترك التسميه - فى أولها قرأه و كتابه
٢٢١١	تفسيرها
٢٢١٣	[سوره التوبه (٩): الآيات ١ الى ٢]

٢٢١٣	اشاره
٢٢١٣	اللغه
٢٢١٣	الإعراب
٢٢١٣	المعنى
٢٢١٥	[القصة]
٢٢١٧	[سورة التوبه (٩): الآيات ٣ الى ٤]
٢٢١٧	اشاره
٢٢١٧	القراءه
٢٢١٩	الحججه
٢٢١٩	اللغه
٢٢١٩	الإعراب
٢٢١٩	المعنى
٢٢٢١	[سورة التوبه (٩): الآيات ٥ الى ٦]
٢٢٢١	اشاره
٢٢٢١	اللغه
٢٢٢١	الإعراب
٢٢٢٢	المعنى
٢٢٢٤	[سورة التوبه (٩): الآيات ٧ الى ٨]
٢٢٢٤	اشاره
٢٢٢٤	القراءه
٢٢٢٤	الحججه
٢٢٢٥	اللغه
٢٢٢٧	[سورة التوبه (٩): الآيات ٩ الى ١٣]
٢٢٢٧	اشاره
٢٢٢٧	القراءه
٢٢٢٧	الحججه
٢٢٢٨	اللغه
٢٢٢٨	المعنى
٢٢٢٩	[سورة التوبه (٩): الآيات ١٤ الى ١٥]
٢٢٢٩	اشاره
٢٢٢٩	القراءه
٢٢٣٠	الحججه
٢٢٣٠	المعنى
٢٢٣٠	[سورة التوبه (٩): آيه ١٦]
٢٢٣٠	اشاره
٢٢٣٠	اللغه
٢٢٣١	المعنى
٢٢٣١	[سورة التوبه (٩): الآيات ١٧ الى ١٨]
٢٢٣١	اشاره
٢٢٣١	القراءه
٢٢٣٢	الحججه

٢٢٢٢	اللغة
٢٢٢٢	المعنى
٢٢٢٣	سورة التوبة (٩): الآيات ١٩ إلى ٢٢
٢٢٢٣	اشاره
٢٢٢٣	القراءه
٢٢٢٣	الحججه
٢٢٢٤	اللغة
٢٢٢٥	المعنى
٢٢٢٦	سورة التوبة (٩): الآيات ٢٣ إلى ٢٤
٢٢٢٦	اشاره
٢٢٢٦	القراءه
٢٢٢٦	الحججه
٢٢٢٦	اللغة
٢٢٢٦	المعنى
٢٢٢٨	سورة التوبة (٩): الآيات ٢٥ إلى ٢٧
٢٢٢٨	اشاره
٢٢٢٨	اللغة
٢٢٢٩	الإعراب
٢٢٢٩	المعنى
٢٢٤٥	سورة التوبة (٩): آيه ٢٨
٢٢٤٥	اشاره
٢٢٤٥	القراءه
٢٢٤٥	الحججه
٢٢٤٥	اللغة
٢٢٤٧	سورة التوبة (٩): آيه ٢٩
٢٢٤٧	اشاره
٢٢٤٧	اللغة
٢٢٤٨	الإعراب
٢٢٤٨	المعنى
٢٢٤٩	سورة التوبة (٩): الآيات ٣٠ إلى ٣١
٢٢٤٩	اشاره
٢٢٤٩	القراءه
٢٢٤٩	الحججه
٢٢٥٠	اللغة
٢٢٥٠	المعنى
٢٢٥١	سورة التوبة (٩): الآيات ٣٢ إلى ٣٣
٢٢٥١	اشاره
٢٢٥١	اللغة
٢٢٥١	الإعراب
٢٢٥٣	المعنى
٢٢٥٤	سورة التوبة (٩): الآيات ٣٤ إلى ٢٥

٢٣٥٤	اشاره
٢٣٥٤	اللغه
٢٣٥٤	الإعراب
٢٣٥٦	[سوره التوبه (٩): آيه ٣٦]
٢٣٥٦	اشاره
٢٣٥٦	القراءه
٢٣٥٧	الحججه
٢٣٥٧	اللغه و الإعراب
٢٣٥٧	المعنى
٢٣٥٩	[سوره التوبه (٩): آيه ٣٧]
٢٣٥٩	اشاره
٢٣٥٩	القراءه
٢٣٥٩	الحججه
٢٣٦١	اللغه
٢٣٦١	المعنى
٢٣٦٢	[سوره التوبه (٩): الآيات ٣٨ الى ٣٩]
٢٣٦٢	اشاره
٢٣٦٢	اللغه
٢٣٦٢	الإعراب
٢٣٦٢	المعنى
٢٣٦٤	[سوره التوبه (٩): آيه ٤٠]
٢٣٦٤	اشاره
٢٣٦٤	القراءه
٢٣٦٤	الحججه
٢٣٦٤	الإعراب
٢٣٦٤	المعنى
٢٣٦٦	[سوره التوبه (٩): الآيات ٤١ الى ٤٢]
٢٣٦٦	اشاره
٢٣٦٦	القراءه
٢٣٦٦	اللغه
٢٣٦٦	المعنى
٢٣٦٨	[سوره التوبه (٩): الآيات ٤٤ الى ٤٥]
٢٣٦٨	اشاره
٢٣٦٨	المعنى
٢٣٦٩	[سوره التوبه (٩): الآيات ٤٦ الى ٤٨]
٢٣٦٩	اشاره
٢٣٦٩	اللغه
٢٣٧٠	المعنى
٢٣٧٢	[سوره التوبه (٩): الآيات ٤٩ الى ٥٢]
٢٣٧٢	اشاره
٢٣٧٢	القراءه

٢٢٧٢	القراءة المشهورة «لَنْ يُصِيبَنَا» وقرأ طلحة بن مصرف قل هل يصيبنا وكذلك هو في مصحف ابن مسعود.
٢٢٧٣	المعنى
٢٢٧٥	[سورة التوبة (٩): الآيات ٥٣ إلى ٥٥]
٢٢٧٥	اشاره
٢٢٧٥	القراءة
٢٢٧٥	الحججه
٢٢٧٥	اللغه
٢٢٧٥	الإعراب
٢٢٧٦	المعنى
٢٢٧٧	[سورة التوبة (٩): الآيات ٥٦ إلى ٥٧]
٢٢٧٧	اشاره
٢٢٧٨	القراءة
٢٢٧٨	الحججه
٢٢٧٨	اللغه
٢٢٧٨	المعنى
٢٢٧٩	[سورة التوبة (٩): الآيات ٥٨ إلى ٥٩]
٢٢٧٩	اشاره
٢٢٧٩	القراءة
٢٢٧٩	اللغه
٢٢٨٠	المعنى
٢٢٨١	[سورة التوبة (٩): آيه ٦٠]
٢٢٨١	اشاره
٢٢٨١	الإعراب
٢٢٨١	المعنى
٢٢٨٢	[سورة التوبة (٩): الآيات ٦١ إلى ٦٣]
٢٢٨٢	اشاره
٢٢٨٢	القراءة
٢٢٨٢	الحججه
٢٢٨٤	اللغه
٢٢٨٥	الإعراب
٢٢٨٦	المعنى
٢٢٨٧	[سورة التوبة (٩): الآيات ٦٤ إلى ٦٦]
٢٢٨٧	اشاره
٢٢٨٧	القراءة
٢٢٨٧	الحججه
٢٢٨٧	اللغه
٢٢٨٨	المعنى
٢٢٩٠	[سورة التوبة (٩): الآيات ٦٧ إلى ٧٠]
٢٢٩٠	اشاره
٢٢٩٠	اللغه
٢٢٩٠	الإعراب

٢٢٩٠	المعنى
٢٢٩٣	[سورة التوبه (٩): الآيات ٧١ الى ٧٣]
٢٢٩٣	اشاره
٢٢٩٣	اللغه
٢٢٩٣	المعنى
٢٢٩٥	[سورة التوبه (٩): آيه ٧٤]
٢٢٩٥	اشاره
٢٢٩٥	اللغه
٢٢٩٧	المعنى
٢٢٩٨	[سورة التوبه (٩): الآيات ٧٥ الى ٧٨]
٢٢٩٨	اشاره
٢٢٩٨	اللغه
٢٢٩٩	الإعراب
٢٣٠٠	المعنى
٢٣٠١	[سورة التوبه (٩): الآيات ٧٩ الى ٨٠]
٢٣٠١	اشاره
٢٣٠١	اللغه
٢٣٠١	الإعراب
٢٣٠١	المعنى
٢٣٠٣	[سورة التوبه (٩): الآيات ٨١ الى ٨٣]
٢٣٠٣	اشاره
٢٣٠٣	اللغه
٢٣٠٣	الإعراب
٢٣٠٣	المعنى
٢٣٠٥	[سورة التوبه (٩): الآيات ٨٤ الى ٨٥]
٢٣٠٥	اشاره
٢٣٠٥	الإعراب
٢٣٠٥	المعنى
٢٣٠٧	[سورة التوبه (٩): الآيات ٨٦ الى ٨٩]
٢٣٠٧	اشاره
٢٣٠٧	اللغه
٢٣٠٧	الإعراب
٢٣٠٨	المعنى
٢٣٠٨	[سورة التوبه (٩): آيه ٩٠]
٢٣٠٨	اشاره
٢٣٠٨	القراده
٢٣٠٨	الحجه
٢٣٠٩	المعنى
٢٣٠٩	[سورة التوبه (٩): الآيات ٩١ الى ٩٣]
٢٣٠٩	اشاره
٢٣١٠	اللغه

- الإعراب ٢٣١٠
- المعنى ٢٣١٠
- سورة التوبه (٩): الآيات ٩٤ الى ٩٦ ٢٣١٢
- اشاره ٢٣١٢
- المعنى ٢٣١٣
- سورة التوبه (٩): الآيات ٩٧ الى ٩٩ ٢٣١٤
- اشاره ٢٣١٤
- القرآه ٢٣١٤
- الحججه ٢٣١٤
- اللغه ٢٣١٥
- الإعراب ٢٣١٥
- المعنى ٢٣١٥
- سورة التوبه (٩): آيه ١٠٠ ٢٣١٧
- اشاره ٢٣١٧
- القرآه ٢٣١٧
- الحججه ٢٣١٧
- الإعراب ٢٣١٧
- المعنى ٢٣١٧
- سورة التوبه (٩): الآيات ١٠١ الى ١٠٢ ٢٣٢١
- اشاره ٢٣٢١
- اللغه ٢٣٢١
- الإعراب ٢٣٢١
- المعنى ٢٣٢١
- سورة التوبه (٩): الآيات ١٠٣ الى ١٠٥ ٢٣٢٣
- اشاره ٢٣٢٣
- القرآه ٢٣٢٣
- الحججه ٢٣٢٤
- الإعراب ٢٣٢٤
- المعنى ٢٣٢٤
- سورة التوبه (٩): آيه ١٠٦ ٢٣٢٦
- اشاره ٢٣٢٦
- القرآه ٢٣٢٦
- الحججه ٢٣٢٦
- المعنى ٢٣٢٧
- سورة التوبه (٩): الآيات ١٠٧ الى ١١٠ ٢٣٢٨
- اشاره ٢٣٢٨
- القرآه ٢٣٢٨
- الحججه ٢٣٢٨
- اللغه ٢٣٢٩
- الإعراب ٢٣٣٠
- المعنى ٢٣٣٢

٢٣٣٤ [سورة التوبة (٩): الآيات ١١١ الى ١١٢]

٢٣٣٤ اشارة

٢٣٣٤ القراءة

٢٣٣٤ الحجة

٢٣٣٥ اللغة

٢٣٣٥ الإعراب

٢٣٣٥ المعنى

٢٣٣٨ [سورة التوبة (٩): الآيات ١١٣ الى ١١٤]

٢٣٣٨ اشارة

٢٣٣٨ اللغة

٢٣٣٨ المعنى

٢٣٤٠ [سورة التوبة (٩): الآيات ١١٥ الى ١١٦]

٢٣٤٠ اشارة

٢٣٤٠ المعنى

٢٣٤١ [سورة التوبة (٩): الآيات ١١٧ الى ١١٨]

٢٣٤١ اشارة

٢٣٤١ القراءة

٢٣٤١ الحجة

٢٣٤٢ اللغة

٢٣٤٢ المعنى

٢٣٤٥ [سورة التوبة (٩): آية ١١٩]

٢٣٤٥ اشارة

٢٣٤٥ القراءة

٢٣٤٥ اللغة

٢٣٤٥ المعنى

٢٣٤٦ [سورة التوبة (٩): الآيات ١٢٠ الى ١٢١]

٢٣٤٦ اشارة

٢٣٤٦ اللغة

٢٣٤٦ المعنى

٢٣٤٨ [سورة التوبة (٩): الآيات ١٢٢ الى ١٢٥]

٢٣٤٨ اشارة

٢٣٤٨ اللغة

٢٣٤٨ الإعراب

٢٣٤٩ المعنى

٢٣٥١ [سورة التوبة (٩): الآيات ١٢٦ الى ١٢٩]

٢٣٥١ اشارة

٢٣٥١ القراءة

٢٣٥١ الحجة

٢٣٥١ اللغة

٢٣٥٢ الإعراب

٢٣٥٢ المعنى

٢٣٥٤	سوره يونس مكيه و آياتها تسع و مائه (١٠٩)
٢٣٥٤	اشاره
٢٣٥٤	[أوضح]
٢٣٥٤	عدد آياتها
٢٣٥٤	اختلافها
٢٣٥٤	فضلها
٢٣٥٤	تفسيرها
٢٣٥٥	[سوره يونس (١٠): الآيات ١ الى ٢]
٢٣٥٥	اشاره
٢٣٥٥	القراه
٢٣٥٥	الحجه
٢٣٥٥	اللغه
٢٣٥٦	الإعراب
٢٣٥٦	المعنى
٢٣٥٨	[سوره يونس (١٠): الآيات ٣ الى ٤]
٢٣٥٨	اشاره
٢٣٥٨	القراه
٢٣٥٨	الحجه
٢٣٥٨	اللغه
٢٣٥٩	الإعراب
٢٣٥٩	المعنى
٢٣٦٠	[سوره يونس (١٠): الآيات ٥ الى ٦]
٢٣٦٠	اشاره
٢٣٦٠	القراه
٢٣٦٠	الحجه
٢٣٦٠	اللغه
٢٣٦١	المعنى
٢٣٦٢	[سوره يونس (١٠): الآيات ٧ الى ١٠]
٢٣٦٢	اشاره
٢٣٦٢	القراه
٢٣٦٢	الحجه
٢٣٦٢	اللغه
٢٣٦٢	المعنى
٢٣٦٤	[سوره يونس (١٠): الآيات ١١ الى ١٢]
٢٣٦٤	اشاره
٢٣٦٤	القراه
٢٣٦٤	الحجه
٢٣٦٤	الإعراب
٢٣٦٤	المعنى
٢٣٦٧	[سوره يونس (١٠): الآيات ١٣ الى ١٤]
٢٣٦٧	اشاره

٢٣٤٧	اللغة
٢٣٤٧	الإعراب
٢٣٤٧	المعنى
٢٣٤٨	[سورة يونس (١٠): الآيات ١٥ الى ١٧]
٢٣٤٨	اشاره
٢٣٤٨	القراءه
٢٣٤٨	الحججه
٢٣٤٩	اللغة
٢٣٤٩	المعنى
٢٣٧٢	[سورة يونس (١٠): الآيات ١٨ الى ٢٠]
٢٣٧٢	اشاره
٢٣٧٢	القراءه
٢٣٧٢	الحججه
٢٣٧٢	المعنى
٢٣٧٤	[سورة يونس (١٠): الآيات ٢١ الى ٢٣]
٢٣٧٤	اشاره
٢٣٧٤	القراءه
٢٣٧٥	الحججه
٢٣٧٦	اللغة
٢٣٧٦	الإعراب
٢٣٧٦	المعنى
٢٣٧٨	[سورة يونس (١٠): الآيات ٢٤ الى ٢٥]
٢٣٧٨	اشاره
٢٣٧٨	القراءه
٢٣٧٨	الحججه
٢٣٧٩	اللغة
٢٣٧٩	المعنى
٢٣٨٠	[سورة يونس (١٠): الآيات ٢٦ الى ٢٧]
٢٣٨٠	اشاره
٢٣٨٠	القراءه
٢٣٨٠	الحججه
٢٣٨٠	اللغة
٢٣٨١	الإعراب
٢٣٨١	المعنى
٢٣٨٢	[سورة يونس (١٠): الآيات ٢٨ الى ٣٠]
٢٣٨٢	اشاره
٢٣٨٢	القراءه
٢٣٨٢	الحججه
٢٣٨٣	اللغة
٢٣٨٤	الإعراب
٢٣٨٤	المعنى

٢٣٨٥ [سوره يونس (١٠): الآيات ٣١ الى ٣٣]

٢٣٨٥ اشاره

٢٣٨٥ القراءه

٢٣٨٥ الحججه

٢٣٨٦ الإعراب

٢٣٨٦ المعنى

٢٣٨٨ [سوره يونس (١٠): الآيات ٣٤ الى ٣٦]

٢٣٨٨ اشاره

٢٣٨٨ القراءه

٢٣٨٨ الحججه

٢٣٨٨ الإعراب

٢٣٨٨ المعنى

٢٣٩١ [سوره يونس (١٠): الآيات ٣٧ الى ٤٠]

٢٣٩١ اشاره

٢٣٩١ اللغه

٢٣٩١ الإعراب

٢٣٩٢ المعنى

٢٣٩٣ [سوره يونس (١٠): الآيات ٤١ الى ٤٤]

٢٣٩٣ اشاره

٢٣٩٣ المعنى

٢٣٩٦ [سوره يونس (١٠): الآيات ٤٥ الى ٤٧]

٢٣٩٦ اشاره

٢٣٩٦ القراءه

٢٣٩٦ الحججه، و الإعراب

٢٣٩٨ المعنى

٢٣٩٩ [سوره يونس (١٠): الآيات ٤٨ الى ٥٢]

٢٣٩٩ اشاره

٢٣٩٩ اللغه

٢٣٩٩ الإعراب

٢٣٩٩ المعنى

٢٤٠١ [سوره يونس (١٠): الآيات ٥٣ الى ٥٦]

٢٤٠١ اشاره

٢٤٠١ اللغه

٢٤٠١ الإعراب

٢٤٠١ المعنى

٢٤٠٣ [سوره يونس (١٠): الآيات ٥٧ الى ٥٨]

٢٤٠٣ اشاره

٢٤٠٣ القراءه

٢٤٠٣ الحججه

٢٤٠٥ المعنى

٢٤٠٦ [سوره يونس (١٠): الآيات ٥٩ الى ٦١]

- ٢٤٠٦ اشاره
- ٢٤٠٦ القراءه
- ٢٤٠٦ الحججه
- ٢٤٠٧ اللغه
- ٢٤٠٧ الإعراب
- ٢٤٠٧ المعنى
- ٢٤٠٨ [سوره يونس (١٠): الآيات ٦٢ الى ٦٥]
- ٢٤٠٨ اشاره
- ٢٤٠٨ اللغه
- ٢٤٠٨ الإعراب
- ٢٤٠٩ المعنى
- ٢٤١١ [سوره يونس (١٠): الآيات ٦٦ الى ٦٧]
- ٢٤١١ اشاره
- ٢٤١١ اللغه
- ٢٤١١ المعنى
- ٢٤١٢ [سوره يونس (١٠): الآيات ٦٨ الى ٧٠]
- ٢٤١٢ اشاره
- ٢٤١٢ الإعراب
- ٢٤١٢ المعنى
- ٢٤١٣ [سوره يونس (١٠): الآيات ٧١ الى ٧٣]
- ٢٤١٣ اشاره
- ٢٤١٣ القراءه
- ٢٤١٤ الحججه
- ٢٤١٤ اللغه
- ٢٤١٤ المعنى
- ٢٤١٦ [سوره يونس (١٠): الآيات ٧٤ الى ٧٨]
- ٢٤١٦ اشاره
- ٢٤١٦ القراءه
- ٢٤١٦ الحججه
- ٢٤١٦ اللغه
- ٢٤١٦ المعنى
- ٢٤١٧ [سوره يونس (١٠): الآيات ٧٩ الى ٨٢]
- ٢٤١٧ اشاره
- ٢٤١٧ القراءه
- ٢٤١٨ الحججه
- ٢٤١٨ المعنى
- ٢٤١٩ [سوره يونس (١٠): الآيات ٨٣ الى ٨٦]
- ٢٤١٩ اشاره
- ٢٤١٩ اللغه
- ٢٤٢٠ الإعراب
- ٢٤٢٠ المعنى

٢٤٢١ [سوره يونس (١٠): الآيات ٨٧ الى ٨٩]

٢٤٢١ اشاره

٢٤٢١ القراءه

٢٤٢١ الحججه

٢٤٢٢ اللغه

٢٤٢٢ الإعراب

٢٤٢٣ المعنى

٢٤٢٤ [سوره يونس (١٠): الآيات ٩٠ الى ٩٢]

٢٤٢٤ اشاره

٢٤٢٤ القراءه

٢٤٢٤ الحججه

٢٤٢٥ اللغه

٢٤٢٥ الإعراب

٢٤٢٦ المعنى

٢٤٢٧ [سوره يونس (١٠): آيه ٩٣]

٢٤٢٧ اشاره

٢٤٢٧ الإعراب

٢٤٢٧ المعنى

٢٤٢٨ [سوره يونس (١٠): الآيات ٩٤ الى ٩٧]

٢٤٢٨ اشاره

٢٤٢٨ القراءه

٢٤٢٨ اللغه

٢٤٢٨ الإعراب

٢٤٢٩ المعنى

٢٤٣٠ [سوره يونس (١٠): آيه ٩٨]

٢٤٣٠ اشاره

٢٤٣٠ الإعراب

٢٤٣١ المعنى

٢٤٣٣ [سوره يونس (١٠): الآيات ٩٩ الى ١٠٠]

٢٤٣٣ اشاره

٢٤٣٣ القراءه

٢٤٣٤ الحججه

٢٤٣٤ اللغه

٢٤٣٤ الإعراب

٢٤٣٤ المعنى

٢٤٣٥ [سوره يونس (١٠): الآيات ١٠١ الى ١٠٣]

٢٤٣٥ اشاره

٢٤٣٥ القراءه

٢٤٣٥ الحججه

٢٤٣٥ اللغه

٢٤٣٦ الإعراب

٢٤٢٦	المعنى
٢٤٢٧	[سورة يونس (١٠): الآيات ١٠٤ الى ١٠٧]
٢٤٢٧	اشاره
٢٤٢٧	اللغه
٢٤٢٨	الإعراب
٢٤٢٨	المعنى
٢٤٢٩	[سورة يونس (١٠): الآيات ١٠٨ الى ١٠٩]
٢٤٢٩	اشاره
٢٤٢٩	المعنى
٢٤٤٠	(١١) سورة هود مكيه و آياتها ثلاث و عشرون و مائه (١٢٣)
٢٤٤٠	اشاره
٢٤٤٠	[توضيح]
٢٤٤٠	عدد آياتها
٢٤٤٠	اختلافها
٢٤٤٠	فضلها
٢٤٤٠	تفسيرها
٢٤٤٢	[سورة هود (١١): الآيات ١ الى ٤]
٢٤٤٢	اشاره
٢٤٤٢	اللغه
٢٤٤٢	الإعراب
٢٤٤٢	المعنى
٢٤٤٤	[سورة هود (١١): آيه ٥]
٢٤٤٤	اشاره
٢٤٤٤	القراه
٢٤٤٤	الحججه
٢٤٤٤	اللغه
٢٤٤٥	الإعراب
٢٤٤٥	المعنى
٢٤٤٦	[سورة هود (١١): الآيات ٦ الى ٨]
٢٤٤٦	اشاره
٢٤٤٦	اللغه
٢٤٤٦	الإعراب
٢٤٤٦	المعنى
٢٤٤٨	[سورة هود (١١): الآيات ٩ الى ١١]
٢٤٤٨	اشاره
٢٤٤٨	اللغه
٢٤٤٨	الإعراب
٢٤٤٩	المعنى
٢٤٤٩	[سورة هود (١١): الآيات ١٢ الى ١٤]
٢٤٤٩	اشاره
٢٤٥٠	اللغه

٢٤٥٠	الإعراب
٢٤٥٠	المعنى
٢٤٥٢	سورة هود (١١): الآيات ١٥ إلى ١٦
٢٤٥٢	إشاره
٢٤٥٢	القراءه
٢٤٥٢	الحججه
٢٤٥٢	اللغه
٢٤٥٤	المعنى
٢٤٥٥	سورة هود (١١): الآيات ١٧ إلى ٢٢
٢٤٥٥	إشاره
٢٤٥٥	اللغه
٢٤٥٦	الإعراب
٢٤٥٦	المعنى
٢٤٥٩	سورة هود (١١): الآيات ٢٣ إلى ٢٤
٢٤٥٩	إشاره
٢٤٦٠	اللغه
٢٤٦٠	المعنى
٢٤٦١	سورة هود (١١): الآيات ٢٥ إلى ٢٨
٢٤٦١	إشاره
٢٤٦١	القراءه
٢٤٦١	الحججه
٢٤٦٢	اللغه
٢٤٦٢	الإعراب
٢٤٦٤	المعنى
٢٤٦٦	سورة هود (١١): الآيات ٢٩ إلى ٣١
٢٤٦٦	إشاره
٢٤٦٦	اللغه
٢٤٦٦	المعنى
٢٤٦٧	سورة هود (١١): الآيات ٣٢ إلى ٣٥
٢٤٦٧	إشاره
٢٤٦٧	اللغه
٢٤٦٨	المعنى
٢٤٧٠	سورة هود (١١): الآيات ٣٦ إلى ٣٩
٢٤٧٠	إشاره
٢٤٧٠	اللغه
٢٤٧٠	الإعراب
٢٤٧٠	المعنى
٢٤٧٤	سورة هود (١١): الآيات ٤٠ إلى ٤٣
٢٤٧٤	إشاره
٢٤٧٤	القراءه
٢٤٧٤	الحججه

٢٤٧٨	اللغة
٢٤٧٨	الإعراب
٢٤٧٩	المعنى
٢٤٨٢	[سورة هود (١١): آية ٤٤]
٢٤٨٢	إشاره
٢٤٨٢	اللغة
٢٤٨٢	المعنى
٢٤٨٤	[سورة هود (١١): الآيات ٤٥ إلى ٤٩]
٢٤٨٤	إشاره
٢٤٨٤	القراءه
٢٤٨٤	الحججه
٢٤٨٥	الإعراب
٢٤٨٦	المعنى
٢٤٨٩	[سورة هود (١١): الآيات ٥٠ إلى ٦٠]
٢٤٨٩	إشاره
٢٤٨٩	اللغة
٢٤٩٠	الإعراب
٢٤٩١	المعنى
٢٤٩٤	[سورة هود (١١): الآيات ٦١ إلى ٦٨]
٢٤٩٤	إشاره
٢٤٩٤	القراءه
٢٤٩٤	الحججه
٢٤٩٧	اللغة
٢٤٩٧	الإعراب
٢٤٩٧	المعنى
٢٥٠٠	[سورة هود (١١): الآيات ٦٩ إلى ٧٦]
٢٥٠٠	إشاره
٢٥٠٠	القراءه
٢٥٠٠	الحججه
٢٥٠٣	اللغة
٢٥٠٤	الإعراب
٢٥٠٥	المعنى
٢٥٠٩	[سورة هود (١١): الآيات ٧٧ إلى ٨٣]
٢٥٠٩	إشاره
٢٥٠٩	القراءه
٢٥٠٩	الحججه
٢٥١١	اللغة
٢٥١٢	الإعراب
٢٥١٣	المعنى
٢٥١٧	[سورة هود (١١): الآيات ٨٤ إلى ٩٥]
٢٥١٧	إشاره

٢٥١٧	القراءة
٢٥١٨	الحججه
٢٥١٨	اللغه
٢٥١٩	المعنى
٢٥٢٣	[سوره هود (١١): الآيات ٩٦ الى ١٠٣]
٢٥٢٣	اشاره
٢٥٢٣	اللغه
٢٥٢٦	[سوره هود (١١): الآيات ١٠٤ الى ١٠٨]
٢٥٢٦	اشاره
٢٥٢٧	القراءة
٢٥٢٧	الحججه
٢٥٢٨	اللغه
٢٥٢٨	الإعراب
٢٥٢٩	المعنى
٢٥٣٤	[سوره هود (١١): الآيات ١٠٩ الى ١١٢]
٢٥٣٤	اشاره
٢٥٣٤	القراءة
٢٥٣٤	الحججه
٢٥٣٧	اللغه
٢٥٣٧	الإعراب
٢٥٣٧	المعنى
٢٥٣٩	[سوره هود (١١): الآيات ١١٣ الى ١١٧]
٢٥٣٩	اشاره
٢٥٣٩	القراءة
٢٥٣٩	الحججه
٢٥٣٩	اللغه
٢٥٤٠	الإعراب
٢٥٤٠	المعنى
٢٥٤٥	[سوره هود (١١): الآيات ١١٨ الى ١٢٣]
٢٥٤٥	اشاره
٢٥٤٥	القراءة
٢٥٤٥	الحججه
٢٥٤٥	اللغه
٢٥٤٥	الإعراب
٢٥٤٧	المعنى
٢٥٥١	(١٢) سوره يوسف مكيه و آياتها إحدى عشره و مائه (١١١) ..
٢٥٥١	اشاره
٢٥٥١	[توضيح]
٢٥٥١	عدد آياتها
٢٥٥١	فضلها
٢٥٥١	تفسيرها

٢٥٥٢ [سورة يوسف (١٢): الآيات ١ إلى ٣]

٢٥٥٢ اشارة

٢٥٥٢ الإعراب

٢٥٥٢ المعنى

٢٥٥٣ [سورة يوسف (١٢): الآيات ٤ إلى ٦]

٢٥٥٣ اشارة

٢٥٥٤ القراءة

٢٥٥٤ الحجج

٢٥٥٤ اللغة

٢٥٥٤ الإعراب

٢٥٥٤ المعنى

٢٥٥٨ [سورة يوسف (١٢): الآيات ٧ إلى ١٠]

٢٥٥٨ اشارة

٢٥٥٨ القراءة

٢٥٥٨ الحجج

٢٥٥٩ اللغة

٢٥٦٠ الإعراب

٢٥٦٠ المعنى

٢٥٦٢ [سورة يوسف (١٢): الآيات ١١ إلى ١٢]

٢٥٦٢ اشارة

٢٥٦٢ القراءة

٢٥٦٣ الحجج

٢٥٦٤ اللغة

٢٥٦٤ [سورة يوسف (١٢): الآيات ١٣ إلى ١٨]

٢٥٦٤ اشارة

٢٥٦٤ اللغة

٢٥٦٤ الإعراب

٢٥٦٨ المعنى

٢٥٧٢ [سورة يوسف (١٢): الآيات ١٩ إلى ٢٠]

٢٥٧٢ اشارة

٢٥٧٢ القراءة

٢٥٧٢ الحجج

٢٥٧٢ اللغة

٢٥٧٢ الإعراب

٢٥٧٤ المعنى

٢٥٧٥ [سورة يوسف (١٢): الآيات ٢١ إلى ٢٢]

٢٥٧٥ اشارة

٢٥٧٦ اللغة

٢٥٧٦ المعنى

٢٥٧٧ [سورة يوسف (١٢): آية ٢٣]

٢٥٧٧ اشارة

٢٥٧٧	القراءة
٢٥٧٨	الحججه
٢٥٧٨	اللغه
٢٥٧٨	الإعراب
٢٥٧٨	المعنى
٢٥٧٩	[سوره يوسف (١٢): آيه ٢٤]
٢٥٧٩	اشاره
٢٥٧٩	القراءة
٢٥٧٩	الحججه
٢٥٧٩	اللغه
٢٥٨٠	المعنى
٢٥٨٣	[سوره يوسف (١٢): الآيات ٢٥ الى ٢٩]
٢٥٨٣	اشاره
٢٥٨٣	القراءة
٢٥٨٤	الحججه
٢٥٨٤	اللغه
٢٥٨٥	المعنى
٢٥٨٦	[سوره يوسف (١٢): الآيات ٣٠ الى ٣٥]
٢٥٨٦	اشاره
٢٥٨٦	القراءة
٢٥٨٧	الحججه
٢٥٨٨	اللغه
٢٥٩٠	المعنى
٢٥٩٣	[سوره يوسف (١٢): الآيات ٣٦ الى ٣٨]
٢٥٩٣	اشاره
٢٥٩٣	اللغه
٢٥٩٣	الإعراب
٢٥٩٣	المعنى
٢٥٩٦	[سوره يوسف (١٢): الآيات ٣٩ الى ٤٢]
٢٥٩٦	اشاره
٢٥٩٦	اللغه
٢٦٠٠	[سوره يوسف (١٢): الآيات ٤٣ الى ٤٩]
٢٦٠٠	اشاره
٢٦٠٠	القراءة
٢٦٠٠	الحججه
٢٦٠٢	اللغه
٢٦٠٣	الإعراب
٢٦٠٣	المعنى
٢٦٠٦	[سوره يوسف (١٢): الآيات ٥٠ الى ٥٣]
٢٦٠٦	اشاره
٢٦٠٦	القراءة

٢٦٠٤	اللغة
٢٦٠٤	الإعراب
٢٦٠٧	المعنى
٢٦٠٩	[سورة يوسف (١٢): الآيات ٥٤ الى ٥٧]
٢٦٠٩	اشاره
٢٦٠٩	القراءة
٢٦٠٩	الحججه
٢٦٠٩	اللغة
٢٦٠٩	المعنى
٢٦١٥	[سورة يوسف (١٢): الآيات ٥٨ الى ٦٢]
٢٦١٥	اشاره
٢٦١٥	القراءة
٢٦١٥	الحججه
٢٦١٥	اللغة
٢٦١٥	المعنى
٢٦١٨	[سورة يوسف (١٢): الآيات ٦٣ الى ٦٦]
٢٦١٨	اشاره
٢٦١٨	القراءة
٢٦١٨	الحججه
٢٦١٩	اللغة
٢٦٢٠	المعنى
٢٦٢١	[سورة يوسف (١٢): الآيات ٦٧ الى ٦٨]
٢٦٢١	اشاره
٢٦٢٢	اللغة
٢٦٢٢	المعنى
٢٦٢٥	[سورة يوسف (١٢): الآيات ٦٩ الى ٧٦]
٢٦٢٥	اشاره
٢٦٢٥	القراءة
٢٦٢٦	اللغة
٢٦٢٧	المعنى
٢٦٣١	[سورة يوسف (١٢): الآيات ٧٧ الى ٨٠]
٢٦٣١	اشاره
٢٦٣١	اللغة
٢٦٣١	الإعراب
٢٦٣٣	المعنى
٢٦٣٥	[سورة يوسف (١٢): الآيات ٨١ الى ٨٧]
٢٦٣٥	اشاره
٢٦٣٥	القراءة
٢٦٣٦	الحججه
٢٦٣٦	اللغة
٢٦٣٦	الإعراب

٢٦٣٨	المعنى
٢٦٤١	[سوره يوسف (١٢): الآيات ٨٨ الى ٩٣] -
٢٦٤١	اشاره
٢٦٤١	القراءه
٢٦٤١	الحججه
٢٦٤٢	اللغه
٢٦٤٢	الإعراب
٢٦٤٤	المعنى
٢٦٤٧	[سوره يوسف (١٢): الآيات ٩٤ الى ٩٨] -
٢٦٤٧	اشاره
٢٦٤٧	اللغه
٢٦٤٧	المعنى
٢٦٥٠	[سوره يوسف (١٢): الآيات ٩٩ الى ١٠٢] -
٢٦٥٠	اشاره
٢٦٥٠	الإعراب
٢٦٥١	المعنى
٢٦٥٦	[سوره يوسف (١٢): الآيات ١٠٣ الى ١٠٧] -
٢٦٥٦	اشاره
٢٦٥٦	القراءه
٢٦٥٦	الحججه
٢٦٥٦	اللغه
٢٦٥٦	الإعراب
٢٦٥٦	المعنى
٢٦٥٩	[سوره يوسف (١٢): الآيات ١٠٨ الى ١٠٩] -
٢٦٥٩	اشاره
٢٦٥٩	القراءه
٢٦٥٩	الحججه
٢٦٥٩	اللغه
٢٦٥٩	المعنى
٢٦٦١	[سوره يوسف (١٢): الآيات ١١٠ الى ١١١] -
٢٦٦١	اشاره
٢٦٦١	القراءه
٢٦٦٢	الحججه
٢٦٦٤	اللغه
٢٦٦٤	المعنى
٢٦٦٦	المجلد ٦ -
٢٦٦٦	اشاره
٢٦٦٦	اشاره
٢٦٦٩	(١٣) سوره الرعد مدنيه و آياتها ثلاث و أربعون (٤٣) -
٢٦٦٩	اشاره
٢٦٦٩	[توضيح]

٢٦٦٩	عدد أيها
٢٦٦٩	فضلها
٢٦٦٩	تفسيرها
٢٦٧٠	[سورة الرعد (١٣): الآيات ١ إلى ٢]
٢٦٧٠	اشاره
٢٦٧٠	أوضح
٢٦٧٠	اللغه
٢٦٧٠	الإعراب
٢٦٧٠	المعنى
٢٦٧٣	[سورة الرعد (١٣): الآيات ٣ إلى ٤]
٢٦٧٣	اشاره
٢٦٧٣	القراه
٢٦٧٣	الحجه
٢٦٧٤	المعنى
٢٦٧٤	[سورة الرعد (١٣): الآيات ٥ إلى ٧]
٢٦٧٤	اشاره
٢٦٧٤	القراه
٢٦٧٤	الحجه
٢٦٧٤	اللغه
٢٦٧٧	المعنى
٢٦٧٩	[سورة الرعد (١٣): الآيات ٨ إلى ١١]
٢٦٧٩	اشاره
٢٦٧٩	القراه
٢٦٧٩	الحجه
٢٦٨٠	اللغه
٢٦٨١	الإعراب
٢٦٨١	المعنى
٢٦٨٤	[سورة الرعد (١٣): الآيات ١٢ إلى ١٥]
٢٦٨٤	اشاره
٢٦٨٤	القراه
٢٦٨٤	الحجه
٢٦٨٤	اللغه
٢٦٨٤	المعنى
٢٦٨٩	[سورة الرعد (١٣): آيه ١٦]
٢٦٨٩	اشاره
٢٦٨٩	القراه
٢٦٨٩	الحجه
٢٦٨٩	المعنى
٢٦٩١	[سورة الرعد (١٣): الآيات ١٧ إلى ١٨]
٢٦٩١	اشاره
٢٦٩١	القراه

٢٦٩١	الحججه
٢٦٩٢	اللغه
٢٦٩٢	الإعراب
٢٦٩٢	المعنى
٢٦٩٤	[سوره الرعد (١٣): الآيات ١٩ الى ٢٤]
٢٦٩٤	اشاره
٢٦٩٤	اللغه
٢٦٩٥	الإعراب
٢٦٩٥	المعنى
٢٦٩٩	[سوره الرعد (١٣): الآيات ٢٥ الى ٢٩]
٢٦٩٩	اشاره
٢٦٩٩	اللغه
٢٦٩٩	الإعراب
٢٦٩٩	المعنى
٢٧٠٣	[سوره الرعد (١٣): الآيات ٣٠ الى ٣١]
٢٧٠٣	اشاره
٢٧٠٣	القراءه
٢٧٠٣	الحججه
٢٧٠٣	اللغه
٢٧٠٥	المعنى
٢٧٠٧	[سوره الرعد (١٣): الآيات ٣٢ الى ٣٤]
٢٧٠٧	اشاره
٢٧٠٧	القراءه
٢٧٠٧	الحججه
٢٧٠٨	اللغه
٢٧٠٨	المعنى
٢٧٠٩	[سوره الرعد (١٣): الآيات ٣٥ الى ٣٧]
٢٧٠٩	اشاره
٢٧١٠	اللغه
٢٧١٠	الإعراب
٢٧١٠	المعنى
٢٧١١	[سوره الرعد (١٣): الآيات ٣٨ الى ٤٠]
٢٧١١	اشاره
٢٧١١	القراءه
٢٧١٢	الحججه
٢٧١٢	المعنى
٢٧١٧	[سوره الرعد (١٣): الآيات ٤١ الى ٤٣]
٢٧١٧	اشاره
٢٧١٧	القراءه
٢٧١٧	الحججه
٢٧١٧	اللغه

٢٧١٩	الإعراب
٢٧١٩	المعنى
٢٧٢١	(١٤) سورة إبراهيم مكيه و آياتها ثنتان و خمسون (٥٢)
٢٧٢١	اشاره
٢٧٢١	أوضح
٢٧٢١	عدد آياتها
٢٧٢١	اختلافها
٢٧٢١	فضلها
٢٧٢١	تفسيرها
٢٧٢٢	[سورة إبراهيم (١٤): الآيات ١ الى ٣]
٢٧٢٢	اشاره
٢٧٢٢	القراءه
٢٧٢٢	الحججه
٢٧٢٤	اللغه
٢٧٢٤	المعنى
٢٧٢٤	[سورة إبراهيم (١٤): الآيات ٤ الى ٦]
٢٧٢٤	اشاره
٢٧٢٥	اللغه
٢٧٢٥	الإعراب
٢٧٢٥	المعنى
٢٧٢٧	[سورة إبراهيم (١٤): الآيات ٧ الى ١٠]
٢٧٢٧	اشاره
٢٧٢٧	اللغه
٢٧٢٧	الإعراب
٢٧٢٧	المعنى
٢٧٣٠	[سورة إبراهيم (١٤): الآيات ١١ الى ١٢]
٢٧٣٠	اشاره
٢٧٣٠	المعنى
٢٧٣١	[سورة إبراهيم (١٤): الآيات ١٣ الى ١٨]
٢٧٣١	اشاره
٢٧٣١	القراءه
٢٧٣١	الحججه
٢٧٣١	اللغه
٢٧٣٣	الإعراب
٢٧٣٣	المعنى
٢٧٣٥	[سورة إبراهيم (١٤): الآيات ١٩ الى ٢١]
٢٧٣٥	اشاره
٢٧٣٥	القراءه
٢٧٣٥	الحججه
٢٧٣٥	اللغه
٢٧٣٧	[سورة إبراهيم (١٤): آيه ٢٢]

٢٧٣٧	اشاره
٢٧٣٧	القراءه
٢٧٣٧	الحججه
٢٧٣٨	اللغه
٢٧٣٨	المعنى
٢٧٣٩	سوره ابراهيم (١٤): الآيات ٢٣ الى ٢٤
٢٧٣٩	اشاره
٢٧٣٩	القراءه
٢٧٣٩	الحججه
٢٧٣٩	اللغه
٢٧٣٩	المعنى
٢٧٤١	سوره ابراهيم (١٤): الآيات ٢٧ الى ٣٠
٢٧٤١	اشاره
٢٧٤١	القراءه
٢٧٤٢	الحججه
٢٧٤٢	اللغه
٢٧٤٢	المعنى
٢٧٤٤	سوره ابراهيم (١٤): الآيات ٣١ الى ٣٤
٢٧٤٤	اشاره
٢٧٤٤	القراءه
٢٧٤٤	الحججه
٢٧٤٥	اللغه
٢٧٤٥	الإعراب
٢٧٤٥	المعنى
٢٧٤٧	سوره ابراهيم (١٤): الآيات ٣٥ الى ٤١
٢٧٤٧	اشاره
٢٧٤٧	القراءه
٢٧٤٨	الحججه
٢٧٤٨	اللغه
٢٧٤٩	المعنى
٢٧٥٢	سوره ابراهيم (١٤): الآيات ٤٢ الى ٤٥
٢٧٥٢	اشاره
٢٧٥٢	القراءه
٢٧٥٢	الحججه
٢٧٥٣	اللغه
٢٧٥٣	الإعراب
٢٧٥٣	المعنى
٢٧٥٥	سوره ابراهيم (١٤): الآيات ٤٦ الى ٥٢
٢٧٥٥	اشاره
٢٧٥٥	القراءه
٢٧٥٥	الحججه
٢٧٥٦	اللغه
٢٧٥٧	الإعراب
٢٧٥٧	المعنى
٢٧٦٢	(١٥) سوره الحجر مكيه و آياتها تسع و تسعون (٩٩)

٢٧٤٢	اشارة
٢٧٤٢	[توضيح]
٢٧٤٢	فضلها
٢٧٤٢	تفسيرها
٢٧٤٢	[سورة الحجر (١٥): الآيات ١ الى ٥]
٢٧٤٢	اشارة
٢٧٤٢	القراءة
٢٧٤٢	الحججه
٢٧٤٥	الإعراب
٢٧٤٥	المعنى
٢٧٤٧	[سورة الحجر (١٥): الآيات ٦ الى ١٨]
٢٧٤٧	اشارة
٢٧٤٧	القراءة
٢٧٤٧	الحججه
٢٧٤٧	اللغه
٢٧٤٩	الإعراب
٢٧٤٩	المعنى
٢٧٧١	[سورة الحجر (١٥): الآيات ١٩ الى ٢٥]
٢٧٧١	اشارة
٢٧٧١	القراءة
٢٧٧٢	الحججه
٢٧٧٢	اللغه
٢٧٧٣	المعنى
٢٧٧٤	[سورة الحجر (١٥): الآيات ٢٦ الى ٣٥]
٢٧٧٤	اشارة
٢٧٧٤	اللغه
٢٧٧٤	الإعراب
٢٧٧٧	المعنى
٢٧٧٩	[سورة الحجر (١٥): الآيات ٣٦ الى ٤٤]
٢٧٧٩	اشارة
٢٧٧٩	القراءة
٢٧٧٩	الحججه
٢٧٧٩	اللغه
٢٧٧٩	المعنى
٢٧٨٢	[سورة الحجر (١٥): الآيات ٤٥ الى ٥٠]
٢٧٨٢	اشارة
٢٧٨٢	اللغه
٢٧٨٢	المعنى
٢٧٨٣	[سورة الحجر (١٥): الآيات ٥١ الى ٦٠]
٢٧٨٣	اشارة
٢٧٨٣	القراءة

٢٧٨٤	الحججه
٢٧٨٤	اللغه
٢٧٨٥	المعنى
٢٧٨٦	[سوره الحجر (١٥): الآيات ٦١ الى ٧٢]
٢٧٨٦	اشاره
٢٧٨٦	اللغه
٢٧٨٧	الإعراب
٢٧٨٧	المعنى
٢٧٨٩	[سوره الحجر (١٥): الآيات ٧٣ الى ٨٤]
٢٧٨٩	اشاره
٢٧٨٩	القرآه
٢٧٨٩	الحججه
٢٧٨٩	اللغه
٢٧٨٩	الإعراب
٢٧٩٠	المعنى
٢٧٩٢	[سوره الحجر (١٥): الآيات ٨٥ الى ٩١]
٢٧٩٢	اشاره
٢٧٩٢	اللغه
٢٧٩٣	المعنى
٢٧٩٦	[سوره الحجر (١٥): الآيات ٩٢ الى ٩٩]
٢٧٩٦	اشاره
٢٧٩٦	اللغه
٢٧٩٧	المعنى
٢٧٩٩	(١٦) سوره النحل مكيه و آياتها ثمان و عشرون و مائه (١٢٨)
٢٧٩٩	اشاره
٢٧٩٩	[توضيح]
٢٧٩٩	عدد آيها
٢٧٩٩	فضلها
٢٧٩٩	تفسيرها
٢٨٠٠	[سوره النحل (١٦): الآيات ١ الى ٢]
٢٨٠٠	اشاره
٢٨٠٠	القرآه
٢٨٠٠	اللغه
٢٨٠١	المعنى
٢٨٠٣	[سوره النحل (١٦): الآيات ٣ الى ٧]
٢٨٠٣	اشاره
٢٨٠٣	القرآه
٢٨٠٣	الحججه
٢٨٠٣	اللغه
٢٨٠٣	الإعراب
٢٨٠٣	المعنى

٢٨٠٦ [سورة النحل (١٦): الآيات ٨ الى ١٣]

٢٨٠٦ اشارة

٢٨٠٦ القراءة

٢٨٠٦ الحجج

٢٨٠٧ اللغة

٢٨٠٨ الإعراب

٢٨٠٨ المعنى

٢٨١٠ [سورة النحل (١٦): الآيات ١٤ الى ١٨]

٢٨١٠ اشارة

٢٨١٠ القراءة

٢٨١٠ الحجج

٢٨١٠ اللغة

٢٨١٠ الإعراب

٢٨١١ المعنى

٢٨١٢ [سورة النحل (١٦): الآيات ١٩ الى ٢٣]

٢٨١٢ اشارة

٢٨١٢ القراءة

٢٨١٢ الحجج

٢٨١٢ المعنى

٢٨١٤ [سورة النحل (١٦): الآيات ٢٤ الى ٢٩]

٢٨١٤ اشارة

٢٨١٤ القراءة

٢٨١٤ الحجج

٢٨١٤ اللغة

٢٨١٤ الإعراب

٢٨١٦ المعنى

٢٨١٨ [سورة النحل (١٦): الآيات ٣٠ الى ٣٤]

٢٨١٨ اشارة

٢٨١٨ الإعراب

٢٨١٨ المعنى

٢٨٢٠ [سورة النحل (١٦): الآيات ٣٥ الى ٣٧]

٢٨٢٠ اشارة

٢٨٢٠ القراءة

٢٨٢٠ الحجج

٢٨٢٠ اللغة

٢٨٢٠ المعنى

٢٨٢٣ [سورة النحل (١٦): الآيات ٣٨ الى ٤٠]

٢٨٢٣ اشارة

٢٨٢٣ القراءة

٢٨٢٣ الحجج

٢٨٢٣ الإعراب

٢٨٢٣	المعنى
٢٨٢٥	[سورة النحل (١٦): الآيات ٤١ الى ٤٤]
٢٨٢٥	اشاره
٢٨٢٥	القراءة
٢٨٢٥	الحججه
٢٨٢٦	المعنى
٢٨٢٨	[سورة النحل (١٦): الآيات ٤٥ الى ٥٠]
٢٨٢٨	اشاره
٢٨٢٨	القراءة
٢٨٢٨	الحججه
٢٨٢٨	اللغه
٢٨٣٢	[سورة النحل (١٦): الآيات ٥١ الى ٥٥]
٢٨٣٢	اشاره
٢٨٣٣	اللغه
٢٨٣٣	الإعراب
٢٨٣٣	المعنى
٢٨٣٥	[سورة النحل (١٦): الآيات ٥٦ الى ٦٠]
٢٨٣٥	اشاره
٢٨٣٥	اللغه
٢٨٣٥	الإعراب
٢٨٣٥	المعنى
٢٨٣٨	[سورة النحل (١٦): الآيات ٦١ الى ٦٥]
٢٨٣٨	اشاره
٢٨٣٨	القراءة
٢٨٣٨	الحججه
٢٨٣٩	الإعراب
٢٨٣٩	المعنى
٢٨٤٠	[سورة النحل (١٦): الآيات ٦٦ الى ٧٠]
٢٨٤٠	اشاره
٢٨٤١	القراءة
٢٨٤١	الحججه
٢٨٤١	اللغه
٢٨٤٢	الإعراب
٢٨٤٤	المعنى
٢٨٤٧	[سورة النحل (١٦): الآيات ٧١ الى ٧٤]
٢٨٤٧	اشاره
٢٨٤٧	القراءة
٢٨٤٧	اللغه
٢٨٤٧	المعنى
٢٨٥٠	[سورة النحل (١٦): الآيات ٧٥ الى ٧٧]
٢٨٥٠	اشاره

٢٨٥٠	القراءة
٢٨٥٠	الحججه
٢٨٥٠	اللغه
٢٨٥٠	الإعراب
٢٨٥١	المعنى
٢٨٥٢	[سوره النحل (١٦): الآيات ٧٨ الى ٨٠]
٢٨٥٢	اشاره
٢٨٥٢	القراءة
٢٨٥٢	الحججه
٢٨٥٢	اللغه
٢٨٥٤	المعنى
٢٨٥٥	[سوره النحل (١٦): الآيات ٨١ الى ٨٥]
٢٨٥٥	اشاره
٢٨٥٥	اللغه
٢٨٥٥	الإعراب
٢٨٥٥	المعنى
٢٨٥٨	[سوره النحل (١٦): الآيات ٨٦ الى ٩٠]
٢٨٥٨	اشاره
٢٨٥٨	اللغه
٢٨٥٨	المعنى
٢٨٦١	[سوره النحل (١٦): الآيات ٩١ الى ٩٤]
٢٨٦١	اشاره
٢٨٦١	اللغه
٢٨٦٢	المعنى
٢٨٦٤	[سوره النحل (١٦): الآيات ٩٥ الى ١٠٠]
٢٨٦٤	اشاره
٢٨٦٤	القراءة
٢٨٦٤	الحججه
٢٨٦٤	اللغه
٢٨٦٤	الإعراب
٢٨٦٤	المعنى
٢٨٦٨	[سوره النحل (١٦): الآيات ١٠١ الى ١٠٥]
٢٨٦٨	اشاره
٢٨٦٨	القراءة
٢٨٦٨	الحججه
٢٨٦٨	اللغه
٢٨٧١	[سوره النحل (١٦): الآيات ١٠٦ الى ١١٠]
٢٨٧١	اشاره
٢٨٧١	القراءة
٢٨٧١	الحججه
٢٨٧١	الإعراب

٢٨٧٣ المعنى
٢٨٧٤ [سورة النحل (١٦): الآيات ١١١ الى ١١٥]
٢٨٧٤ اشاره
٢٨٧٤ القراءة
٢٨٧٤ الحجج
٢٨٧٤ اللغة
٢٨٧٥ المعنى
٢٨٧٦ [سورة النحل (١٦): الآيات ١١٦ الى ١١٩]
٢٨٧٦ اشاره
٢٨٧٦ الإعراب
٢٨٧٦ المعنى
٢٨٧٨ [سورة النحل (١٦): الآيات ١٢٠ الى ١٢٤]
٢٨٧٨ اشاره
٢٨٧٨ المعنى
٢٨٧٩ [سورة النحل (١٦): الآيات ١٢٥ الى ١٢٨]
٢٨٧٩ اشاره
٢٨٧٩ القراءة
٢٨٧٩ الحجج
٢٨٨٠ المعنى
٢٨٨٢ [سورة الإسراء (١٧): آياتها إحدى عشره و مائه (١١١)]
٢٨٨٢ اشاره
٢٨٨٢ [توضيح]
٢٨٨٢ عدد آياتها
٢٨٨٢ اختلافها
٢٨٨٢ فضلها
٢٨٨٢ تفسيرها
٢٨٨٣ [سورة الإسراء (١٧): الآيات ١ الى ٣]
٢٨٨٣ اشاره
٢٨٨٣ القراءة
٢٨٨٣ الحجج
٢٨٨٣ الإعراب
٢٨٨٧ المعنى
٢٨٨٨ [سورة الإسراء (١٧): الآيات ٤ الى ٨]
٢٨٨٨ اشاره
٢٨٨٩ القراءة
٢٨٨٩ الحجج
٢٨٨٩ اللغة
٢٨٩٠ المعنى
٢٨٩٤ [سورة الإسراء (١٧): الآيات ٩ الى ١٣]
٢٨٩٤ اشاره
٢٨٩٤ اللغة

٢٨٩٤	الإعراب
٢٨٩٤	المعنى
٢٨٩٧	سورة الإسراء (١٧): الآيات ١٣ إلى ١٥
٢٨٩٧	اشاره
٢٨٩٧	القراءة
٢٨٩٧	الحججه
٢٨٩٧	اللغه
٢٨٩٩	الإعراب
٢٨٩٩	المعنى
٢٩٠١	سورة الإسراء (١٧): الآيات ١٦ إلى ٢٢
٢٩٠١	اشاره
٢٩٠١	القراءة
٢٩٠١	القراءة العامه «أَمْرًا» بالتخفيف غير ممدود و
٢٩٠١	الحججه
٢٩٠٢	اللغه
٢٩٠٢	الإعراب
٢٩٠٣	المعنى
٢٩٠٦	سورة الإسراء (١٧): الآيات ٢٣ إلى ٢٥
٢٩٠٦	اشاره
٢٩٠٦	القراءة
٢٩٠٦	الحججه
٢٩٠٧	الإعراب
٢٩٠٧	المعنى
٢٩١٠	سورة الإسراء (١٧): الآيات ٢٦ إلى ٣٠
٢٩١٠	اشاره
٢٩١٠	اللغه
٢٩١٠	الإعراب
٢٩١٠	المعنى
٢٩١٤	سورة الإسراء (١٧): الآيات ٣١ إلى ٣٥
٢٩١٤	اشاره
٢٩١٤	القراءة
٢٩١٤	الحججه
٢٩١٦	المعنى
٢٩١٨	سورة الإسراء (١٧): الآيات ٣٦ إلى ٤٠
٢٩١٨	اشاره
٢٩١٨	القراءة
٢٩١٨	الحججه
٢٩١٩	اللغه
٢٩١٩	الإعراب
٢٩٢٠	المعنى
٢٩٢١	سورة الإسراء (١٧): الآيات ٤١ إلى ٤٤

٢٩٢١	اشاره
٢٩٢١	القراءة
٢٩٢٢	الحججه
٢٩٢٢	المعنى
٢٩٢٤	[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٤٥ الى ٤٨]
٢٩٢٤	اشاره
٢٩٢٤	اللغه
٢٩٢٤	الإعراب
٢٩٢٤	المعنى
٢٩٢٧	[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٤٩ الى ٥٢]
٢٩٢٧	اشاره
٢٩٢٧	اللغه
٢٩٢٨	المعنى
٢٩٢٩	[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٥٣ الى ٥٥]
٢٩٢٩	اشاره
٢٩٢٩	اللغه
٢٩٢٩	الإعراب
٢٩٣٠	المعنى
٢٩٣٢	[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٥٨ الى ٦٠]
٢٩٣٢	اشاره
٢٩٣٢	اللغه
٢٩٣٢	الإعراب
٢٩٣٣	المعنى
٢٩٣٥	[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٦١ الى ٦٥]
٢٩٣٥	اشاره
٢٩٣٥	القراءة
٢٩٣٥	الحججه
٢٩٣٦	اللغه
٢٩٣٦	الإعراب
٢٩٣٧	المعنى
٢٩٣٩	[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٦٦ الى ٦٩]
٢٩٣٩	اشاره
٢٩٣٩	القراءة
٢٩٣٩	الحججه
٢٩٣٩	اللغه
٢٩٣٩	المعنى
٢٩٤١	[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٧٠ الى ٧٢]
٢٩٤١	اشاره
٢٩٤١	القراءة
٢٩٤٢	الحججه
٢٩٤٢	المعنى

٢٩٤٥	[سورة الإسراء (١٧): الآيات ٧٣ الى ٧٥]
٢٩٤٥	اشاره
٢٩٤٥	الإعراب
٢٩٤٦	المعنى
٢٩٤٧	[سورة الإسراء (١٧): الآيات ٧٦ الى ٧٧]
٢٩٤٧	اشاره
٢٩٤٧	القراءة
٢٩٤٧	الحججه
٢٩٤٨	الإعراب
٢٩٤٨	المعنى
٢٩٤٩	[سورة الإسراء (١٧): الآيات ٧٨ الى ٨١]
٢٩٤٩	اشاره
٢٩٤٩	اللغه
٢٩٥٠	الإعراب
٢٩٥٠	المعنى
٢٩٥٣	[سورة الإسراء (١٧): الآيات ٨٢ الى ٨٤]
٢٩٥٣	اشاره
٢٩٥٣	القراءة
٢٩٥٣	الحججه
٢٩٥٣	اللغه
٢٩٥٤	المعنى
٢٩٥٥	[سورة الإسراء (١٧): الآيات ٨٥ الى ٨٩]
٢٩٥٥	اشاره
٢٩٥٥	اللغه
٢٩٥٥	الإعراب
٢٩٥٥	المعنى
٢٩٥٨	[سورة الإسراء (١٧): الآيات ٩٠ الى ٩٥]
٢٩٥٨	اشاره
٢٩٥٨	القراءة
٢٩٥٨	الحججه
٢٩٥٩	اللغه
٢٩٦٠	المعنى
٢٩٦٢	[سورة الإسراء (١٧): الآيات ٩٦ الى ١٠٠]
٢٩٦٢	اشاره
٢٩٦٢	اللغه
٢٩٦٢	الإعراب
٢٩٦٣	المعنى
٢٩٦٥	[سورة الإسراء (١٧): الآيات ١٠١ الى ١٠٥]
٢٩٦٥	اشاره
٢٩٦٥	القراءة
٢٩٦٥	الحججه

٢٩٦٥	اللغة
٢٩٦٥	المعنى
٢٩٦٦	[سورة الإسراء (١٧): الآيات ١٠٦ الى ١١١]
٢٩٦٦	اشاره
٢٩٦٦	القراءه
٢٩٦٦	القراءه المشهوره في «قرئانه» بالتخفيف و
٢٩٦٦	الحجه
٢٩٦٦	الإعراب
٢٩٦٦	المعنى
٢٩٧٣	(١٨) سورة الكهف مكيه و آياتها عشر و مائه (١١٠)
٢٩٧٣	اشاره
٢٩٧٣	[توضيح]
٢٩٧٣	عدد آياتها
٢٩٧٣	اختلافها
٢٩٧٣	فضلها
٢٩٧٥	تفسيرها
٢٩٧٥	[سورة الكهف (١٨): الآيات ١ الى ٦]
٢٩٧٥	اشاره
٢٩٧٥	القراءه
٢٩٧٦	الحجه
٢٩٧٦	اللغة
٢٩٧٧	المعنى
٢٩٧٨	[سورة الكهف (١٨): الآيات ٧ الى ٨]
٢٩٧٨	اشاره
٢٩٧٨	اللغة
٢٩٧٩	الإعراب
٢٩٧٩	المعنى
٢٩٧٩	[سورة الكهف (١٨): الآيات ٩ الى ١٢]
٢٩٧٩	اشاره
٢٩٧٩	اللغة
٢٩٨١	المعنى
٢٩٨٣	[سورة الكهف (١٨): الآيات ١٣ الى ١٦]
٢٩٨٣	اشاره
٢٩٨٣	القراءه
٢٩٨٣	الحجه
٢٩٨٣	اللغة
٢٩٨٤	الإعراب
٢٩٨٤	المعنى
٢٩٨٥	[سورة الكهف (١٨): الآيات ١٧ الى ١٨]
٢٩٨٥	اشاره
٢٩٨٥	القراءه

٢٩٨٥	الحججه
٢٩٨٦	اللغه
٢٩٨٧	الإعراب
٢٩٨٨	المعنى
٢٩٩٠ [سوره الكهف (١٨): الآيات ١٩ الى ٢٠]	
٢٩٩٠	اشاره
٢٩٩٠	القراءه
٢٩٩٠	الحججه
٢٩٩٠	الإعراب
٢٩٩٠	المعنى
٢٩٩٢ [سوره الكهف (١٨): الآيات ٢١ الى ٢٤]	
٢٩٩٢	اشاره
٢٩٩٢	اللغه
٢٩٩٢	الإعراب
٢٩٩٤	المعنى
٢٩٩٨ [سوره الكهف (١٨): الآيات ٢٥ الى ٢٧]	
٢٩٩٨	اشاره
٢٩٩٨	القراءه
٢٩٩٨	الحججه
٣٠٠٠	المعنى
٣٠٠١ [سوره الكهف (١٨): الآيات ٢٨ الى ٣٤]	
٣٠٠١	اشاره
٣٠٠١	القراءه
٣٠٠١	الحججه
٣٠٠٢	اللغه
٣٠٠٣	المعنى
٣٠٠٤ [سوره الكهف (١٨): الآيات ٣٠ الى ٣١]	
٣٠٠٤	اشاره
٣٠٠٥	اللغه
٣٠٠٥	المعنى
٣٠٠٦ [سوره الكهف (١٨): الآيات ٣٢ الى ٣٦]	
٣٠٠٦	اشاره
٣٠٠٦	القراءه
٣٠٠٦	الحججه
٣٠٠٧	اللغه
٣٠٠٧	الإعراب
٣٠٠٧	المعنى
٣٠٠٩ [سوره الكهف (١٨): الآيات ٣٧ الى ٤٤]	
٣٠٠٩	اشاره
٣٠٠٩	القراءه
٣٠١٠	الحججه

٣٠١٢	اللغة
٣٠١٢	الإعراب
٣٠١٢	المعنى
٣٠١٥	[سورة الكهف (١٨): الآيات ٤٥ الى ٤٩]
٣٠١٥	اشاره
٣٠١٥	القراءه
٣٠١٥	الحججه
٣٠١٥	اللغة
٣٠١٥	الإعراب
٣٠١٦	المعنى
٣٠١٩	[سورة الكهف (١٨): الآيات ٥٠ الى ٥٢]
٣٠١٩	اشاره
٣٠١٩	القراءه
٣٠١٩	الحججه
٣٠١٩	اللغة
٣٠٢٠	الإعراب
٣٠٢٠	المعنى
٣٠٢٢	[سورة الكهف (١٨): الآيات ٥٣ الى ٥٦]
٣٠٢٢	اشاره
٣٠٢٢	القراءه
٣٠٢٢	الحججه
٣٠٢٢	اللغة
٣٠٢٢	المعنى
٣٠٢٥	[سورة الكهف (١٨): الآيات ٥٧ الى ٥٩]
٣٠٢٥	اشاره
٣٠٢٥	القراءه
٣٠٢٥	الحججه
٣٠٢٥	الإعراب
٣٠٢٥	المعنى
٣٠٢٨	[سورة الكهف (١٨): الآيات ٦٠ الى ٦٤]
٣٠٢٨	اشاره
٣٠٢٨	القراءه
٣٠٢٨	اللغة
٣٠٢٨	الإعراب
٣٠٢٩	المعنى
٣٠٣٢	[سورة الكهف (١٨): الآيات ٦٥ الى ٧٥]
٣٠٣٢	اشاره
٣٠٣٢	القراءه
٣٠٣٣	الحججه
٣٠٣٣	اللغة
٣٠٣٣	الإعراب

٣٠٣٣	المعنى
٣٠٣٧	[سورة الكهف (١٨): الآيات ٧٦ الى ٨٢]
٣٠٣٧	اشاره
٣٠٣٧	القراءة
٣٠٣٨	الحججه
٣٠٣٩	اللغه
٣٠٤١	الإعراب
٣٠٤١	المعنى
٣٠٤٦	[سورة الكهف (١٨): الآيات ٨٣ الى ٨٧]
٣٠٤٦	اشاره
٣٠٤٦	القراءة
٣٠٤٦	الحججه
٣٠٤٦	اللغه
٣٠٤٨	الإعراب
٣٠٤٨	المعنى
٣٠٤٩	[سورة الكهف (١٨): الآيات ٨٨ الى ٩٢]
٣٠٤٩	اشاره
٣٠٥٠	القراءة
٣٠٥٠	الحججه
٣٠٥٠	المعنى
٣٠٥١	[سورة الكهف (١٨): الآيات ٩٣ الى ٩٨]
٣٠٥١	اشاره
٣٠٥١	القراءة
٣٠٥١	الحججه
٣٠٥٤	اللغه
٣٠٥٤	المعنى
٣٠٥٧	[سورة الكهف (١٨): الآيات ٩٩ الى ١٠٦]
٣٠٥٧	اشاره
٣٠٥٧	القراءة
٣٠٥٧	الحججه
٣٠٥٧	اللغه
٣٠٥٨	الإعراب
٣٠٥٨	المعنى
٣٠٦٠	[سورة الكهف (١٨): الآيات ١٠٧ الى ١١٠]
٣٠٦٠	اشاره
٣٠٦٠	القراءة
٣٠٦٠	الحججه
٣٠٦٠	اللغه
٣٠٦٢	الإعراب
٣٠٦٢	المعنى
٣٠٦٥	(١٩٩) سورة مريم مكيه و آياتها ثمان و تسعون (٩٨)

٣٠٦٥	اشارة
٣٠٦٥	[توضيح]
٣٠٦٥	عدد آياتها
٣٠٦٥	اختلافها
٣٠٦٥	فضلها
٣٠٦٥	تفسيرها
٣٠٦٦	[سورة مريم (١٩): الآيات ١ الى ٦]
٣٠٦٦	اشارة
٣٠٦٦	القراءة
٣٠٦٦	الحججه
٣٠٦٨	اللغه
٣٠٦٩	الإعراب
٣٠٦٩	المعنى
٣٠٧١	[سورة مريم (١٩): الآيات ٧ الى ١١]
٣٠٧١	اشارة
٣٠٧١	القراءة
٣٠٧٢	الحججه
٣٠٧٢	اللغه
٣٠٧٣	الإعراب
٣٠٧٣	المعنى
٣٠٧٤	[سورة مريم (١٩): الآيات ١٢ الى ١٥]
٣٠٧٤	اشارة
٣٠٧٥	اللغه
٣٠٧٥	الإعراب
٣٠٧٥	المعنى
٣٠٧٨	[سورة مريم (١٩): الآيات ١٦ الى ٢٠]
٣٠٧٨	اشارة
٣٠٧٨	القراءة
٣٠٧٨	الحججه
٣٠٧٨	اللغه
٣٠٧٨	المعنى
٣٠٨١	[سورة مريم (١٩): الآيات ٢١ الى ٣٠]
٣٠٨١	اشارة
٣٠٨١	القراءة
٣٠٨١	الحججه
٣٠٨٣	اللغه
٣٠٨٥	المعنى
٣٠٨٩	[سورة مريم (١٩): الآيات ٣١ الى ٣٥]
٣٠٨٩	اشارة
٣٠٨٩	القراءة
٣٠٨٩	الحججه

٣٠٨٩	اللغة
٣٠٩١	المعنى
٣٠٩٢	سورة مريم (١٩): الآيات ٣٦ الى ٤٠
٣٠٩٢	اشاره
٣٠٩٢	القراءة
٣٠٩٢	الحججه
٣٠٩٥	سورة مريم (١٩): الآيات ٤١ الى ٥٠
٣٠٩٥	اشاره
٣٠٩٥	القراءة
٣٠٩٥	اللغة
٣٠٩٦	المعنى
٣٠٩٨	سورة مريم (١٩): الآيات ٥١ الى ٥٥
٣٠٩٨	اشاره
٣٠٩٨	القراءة
٣٠٩٨	الحججه
٣٠٩٨	اللغة
٣٠٩٨	المعنى
٣١٠٠	سورة مريم (١٩): الآيات ٥٦ الى ٦٠
٣١٠٠	اشاره
٣١٠٠	اللغة
٣١٠٠	المعنى
٣١٠٢	سورة مريم (١٩): الآيات ٦١ الى ٦٥
٣١٠٢	اشاره
٣١٠٢	القراءة
٣١٠٢	الحججه
٣١٠٣	الإعراب
٣١٠٣	المعنى
٣١٠٥	سورة مريم (١٩): الآيات ٦٦ الى ٧٠
٣١٠٥	اشاره
٣١٠٥	القراءة
٣١٠٥	الحججه
٣١٠٥	اللغة
٣١٠٦	الإعراب
٣١٠٧	المعنى
٣١٠٨	سورة مريم (١٩): الآيات ٧١ الى ٧٥
٣١٠٨	اشاره
٣١٠٨	القراءة
٣١٠٨	الحججه
٣١٠٩	اللغة
٣١١٠	الإعراب
٣١١٠	المعنى

٣١١٤ [سوره مريم (١٩): الآيات ٧٤ الى ٨٢]

٣١١٤ اشاره

٣١١٤ القراءه

٣١١٤ الحجه

٣١١٥ الإعراب

٣١١٦ المعنى

٣١١٧ [سوره مريم (١٩): الآيات ٨٣ الى ٩٢]

٣١١٧ اشاره

٣١١٨ القراءه

٣١١٨ الحجه

٣١١٩ اللغه

٣١١٩ الإعراب

٣١١٩ المعنى

٣١٢٢ [سوره مريم (١٩): الآيات ٩٣ الى ٩٨]

٣١٢٢ اشاره

٣١٢٣ اللغه

٣١٢٣ الإعراب

٣١٢٣ المعنى

٣١٢٥ المجلد ٧

٣١٢٥ اشاره

٣١٢٥ اشاره

٣١٢٨ (٢٠) سوره طه مكيه و آياتها خمس و ثلاثون و مائه (١٣٥)

٣١٢٨ اشاره

٣١٢٨ عدد آياتها

٣١٢٨ اختلافها

٣١٢٨ فضلها

٣١٢٩ تفسيرها

٣١٢٩ [سوره طه (٢٠): الآيات ١ الى ٨]

٣١٢٩ اشاره

٣١٢٩ القراءه

٣١٢٩ الحجه

٣١٢٩ اللغه

٣١٢٩ الإعراب

٣١٣١ المعنى

٣١٣٣ [سوره طه (٢٠): الآيات ٩ الى ١٦]

٣١٣٣ اشاره

٣١٣٣ القراءه

٣١٣٣ الحجه

٣١٣٤ اللغه

٣١٣٥ الإعراب

٣١٣٥ المعنى

٣١٣٧ [سوره طه (٢٠): الآيات ١٧ الى ٣٦]

٣١٣٧ اشاره

٣١٣٩ القراءه

٣١٣٩ الحجه

٣١٣٩ اللغه

٣١٤١ المعنى

٣١٤٣ [سوره طه (٢٠): الآيات ٣٧ الى ٤٤]

٣١٤٣ اشاره

٣١٤٤ القراءه

٣١٤٤ الحجه

٣١٤٤ اللغه

٣١٤٤ المعنى

٣١٤٧ [سوره طه (٢٠): الآيات ٤٥ الى ٥٤]

٣١٤٧ اشاره

٣١٤٨ القراءه

٣١٤٨ الحجه

٣١٤٨ اللغه

٣١٤٨ الإعراب

٣١٤٩ المعنى

٣١٥١ [سوره طه (٢٠): الآيات ٥٧ الى ٦٦]

٣١٥١ اشاره

٣١٥١ القراءه

٣١٥٢ الحجه و الإعراب

٣١٥٦ المعنى

٣١٥٨ [سوره طه (٢٠): الآيات ٦٧ الى ٧٤]

٣١٥٨ اشاره

٣١٥٩ القراءه

٣١٥٩ الحجه

٣١٥٩ اللغه

٣١٦٠ الإعراب

٣١٦٠ المعنى

٣١٦٣ [سوره طه (٢٠): الآيات ٧٧ الى ٨٦]

٣١٦٣ اشاره

٣١٦٣ القراءه

٣١٦٣ الحجه

٣١٦٤ اللغه

٣١٦٤ الإعراب

٣١٦٥ المعنى

٣١٦٧ [سوره طه (٢٠): الآيات ٨٧ الى ٩٦]

٣١٦٧ اشاره

٣١٦٧ القراءه

٣١٤٨	الحججه
٣١٤٨	اللغه
٣١٤٨	الإعراب
٣١٤٩	المعنى
٣١٧٢	[سوره طه (٢٠): الآيات ٩٧ الى ١٠٧]
٣١٧٢	اشاره
٣١٧٢	القراءه
٣١٧٢	الحججه
٣١٧٢	اللغه
٣١٧٤	المعنى
٣١٧٤	[سوره طه (٢٠): الآيات ١٠٨ الى ١١٥]
٣١٧٤	اشاره
٣١٧٤	القراءه
٣١٧٤	الحججه
٣١٧٤	اللغه
٣١٧٧	الإعراب
٣١٧٧	المعنى
٣١٨٠	[سوره طه (٢٠): الآيات ١١٦ الى ١٢٥]
٣١٨٠	اشاره
٣١٨٠	القراءه
٣١٨٠	الحججه
٣١٨٠	اللغه
٣١٨١	المعنى
٣١٨٣	[سوره طه (٢٠): الآيات ١٢٦ الى ١٣٠]
٣١٨٣	اشاره
٣١٨٣	القراءه
٣١٨٣	الحججه
٣١٨٣	اللغه
٣١٨٤	المعنى
٣١٨٥	[سوره طه (٢٠): الآيات ١٣١ الى ١٣٥]
٣١٨٥	اشاره
٣١٨٥	القراءه
٣١٨٥	اللغه
٣١٨٦	الإعراب
٣١٨٦	المعنى
٣١٨٩	(٢١) سوره الأنبياء: مكيه و آياتها اثنتا عشره و مائه (١١٢)
٣١٨٩	اشاره
٣١٨٩	[توضيح]
٣١٨٩	اختلافها
٣١٨٩	فضلها
٣١٨٩	تفسيرها

٣١٩٠ [سورة الأنبياء (٢١): الآيات ١ إلى ٥]

٣١٩٠ اشارة

٣١٩٠ القراءة

٣١٩٠ الحجة

٣١٩٠ الإعراب

٣١٩٠ المعنى

٣١٩٣ [سورة الأنبياء (٢١): الآيات ٦ إلى ١٠]

٣١٩٣ اشارة

٣١٩٣ القراءة

٣١٩٣ الإعراب

٣١٩٣ المعنى

٣١٩٦ [سورة الأنبياء (٢١): الآيات ١١ إلى ٢٠]

٣١٩٦ اشارة

٣١٩٦ اللغة

٣١٩٦ المعنى

٣٢٠٠ [سورة الأنبياء (٢١): الآيات ٢١ إلى ٣٠]

٣٢٠٠ اشارة

٣٢٠٠ القراءة

٣٢٠٠ الحجة

٣٢٠١ الإعراب

٣٢٠١ المعنى

٣٢٠٤ [سورة الأنبياء (٢١): الآيات ٣١ إلى ٣٥]

٣٢٠٤ اشارة

٣٢٠٤ اللغة

٣٢٠٤ الإعراب

٣٢٠٤ المعنى

٣٢٠٦ [سورة الأنبياء (٢١): الآيات ٣٦ إلى ٤٠]

٣٢٠٦ اشارة

٣٢٠٦ اللغة

٣٢٠٦ الإعراب

٣٢٠٧ المعنى

٣٢١٠ [سورة الأنبياء (٢١): الآيات ٤١ إلى ٤٥]

٣٢١٠ اشارة

٣٢١٠ القراءة

٣٢١٠ الحجة

٣٢١٠ اللغة

٣٢١٠ الإعراب

٣٢١٠ المعنى

٣٢١٣ [سورة الأنبياء (٢١): الآيات ٤٦ إلى ٥٠]

٣٢١٣ اشارة

٣٢١٣ القراءة

٣٢١٣	الحججه
٣٢١٣	اللغه
٣٢١٣	الإعراب
٣٢١٥	المعنى
٣٢١٦	[سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٥١ الى ٦٠]
٣٢١٦	اشاره
٣٢١٦	القراءه
٣٢١٦	الحججه
٣٢١٩	[سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٦١ الى ٧٠]
٣٢١٩	اشاره
٣٢١٩	اللغه
٣٢١٩	الإعراب
٣٢١٩	المعنى
٣٢٢٣	[سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٧١ الى ٧٥]
٣٢٢٣	اشاره
٣٢٢٣	اللغه
٣٢٢٣	الإعراب
٣٢٢٣	المعنى
٣٢٢٥	[سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٧٦ الى ٨٠]
٣٢٢٥	اشاره
٣٢٢٥	القراءه
٣٢٢٥	الحججه
٣٢٢٥	اللغه
٣٢٢٥	الإعراب
٣٢٢٦	المعنى
٣٢٢٨	[سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٨١ الى ٨٦]
٣٢٢٨	اشاره
٣٢٢٨	اللغه
٣٢٢٨	الإعراب
٣٢٢٨	المعنى
٣٢٣٠	[سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٨٧ الى ٩٠]
٣٢٣٠	اشاره
٣٢٣٠	القراءه
٣٢٣٠	الحججه
٣٢٣١	المعنى
٣٢٣٢	[سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٩١ الى ٩٥]
٣٢٣٢	اشاره
٣٢٣٣	القراءه
٣٢٣٣	الحججه
٣٢٣٣	المعنى
٣٢٣٥	[سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٩٦ الى ١٠٣]

٣٢٣٥	اشاره
٣٢٣٥	القراءه
٣٢٣٥	الحججه
٣٢٣٦	اللغه
٣٢٣٦	الإعراب
٣٢٣٦	المعنى
٣٢٣٩ [سوره الأنبياء (٢١): الآيات ١٠٤ الى ١١٢]	
٣٢٣٩	اشاره
٣٢٣٩	القراءه
٣٢٣٩	الحججه
٣٢٤٠	الإعراب
٣٢٤٠	المعنى
٣٢٤٤ [سوره الحج مدنيه و آياتها ثمان و سبعون (٧٨)]	
٣٢٤٤	اشاره
٣٢٤٤	أوضح
٣٢٤٤	عدد آياتها
٣٢٤٤	اختلافها
٣٢٤٤	فضلها
٣٢٤٤	تفسيرها
٣٢٤٥ [سوره الحج (٢٢): الآيات ١ الى ٥]	
٣٢٤٥	اشاره
٣٢٤٥	القراءه
٣٢٤٥	الحججه
٣٢٤٦	اللغه
٣٢٤٦	الإعراب
٣٢٤٧	المعنى
٣٢٥٠ [سوره الحج (٢٢): الآيات ٦ الى ١٠]	
٣٢٥٠	اشاره
٣٢٥٠	الإعراب
٣٢٥٠	المعنى
٣٢٥١ [سوره الحج (٢٢): الآيات ١١ الى ١٥]	
٣٢٥١	اشاره
٣٢٥١	القراءه
٣٢٥٢	الحججه
٣٢٥٢	اللغه
٣٢٥٢	الإعراب
٣٢٥٥	المعنى
٣٢٥٧ [سوره الحج (٢٢): الآيات ١٦ الى ١٨]	
٣٢٥٧	اشاره
٣٢٥٧	الإعراب
٣٢٥٧	المعنى

٣٣٥٩ [سورة الحج (٢٢): الآيات ١٩ الى ٢٤]

٣٣٥٩ اشارة

٣٣٥٩ القراءة

٣٣٥٩ الحج

٣٣٥٩ اللغة

٣٣٤١ المعنى

٣٣٤٣ [سورة الحج (٢٢): الآيات ٢٥ الى ٣٠]

٣٣٤٣ اشارة

٣٣٤٣ القراءة

٣٣٤٣ الحج

٣٣٤٤ اللغة

٣٣٤٤ الإعراب

٣٣٤٥ المعنى

٣٣٤٩ [سورة الحج (٢٢): الآيات ٣١ الى ٣٥]

٣٣٤٩ اشارة

٣٣٤٩ القراءة

٣٣٧٠ الحج

٣٣٧٠ اللغة

٣٣٧٠ المعنى

٣٣٧٤ [سورة الحج (٢٢): الآيات ٣٦ الى ٤٠]

٣٣٧٤ اشارة

٣٣٧٤ القراءة

٣٣٧٤ الحج

٣٣٧٤ اللغة

٣٣٧٧ الإعراب

٣٣٧٧ المعنى

٣٣٨٠ [سورة الحج (٢٢): الآيات ٤١ الى ٤٥]

٣٣٨٠ اشارة

٣٣٨٠ القراءة

٣٣٨٠ اللغة

٣٣٨١ المعنى

٣٣٨٣ [سورة الحج (٢٢): الآيات ٤٦ الى ٥١]

٣٣٨٣ اشارة

٣٣٨٣ القراءة

٣٣٨٣ الحج

٣٣٨٣ المعنى

٣٣٨٤ [سورة الحج (٢٢): الآيات ٥٢ الى ٥٥]

٣٣٨٤ اشارة

٣٣٨٤ المعنى

٣٣٨٩ [سورة الحج (٢٢): الآيات ٥٦ الى ٦٠]

٣٣٨٩ اشارة

٣٢٨٩	القراءة
٣٢٨٩	المعنى
٣٢٩٠	[سورة الحج (٢٢): الآيات ٦١ إلى ٦٥]
٣٢٩٠	إشارة
٣٢٩٠	القراءة
٣٢٩٠	الحج
٣٢٩٠	الإعراب
٣٢٩١	المعنى
٣٢٩٢	[سورة الحج (٢٢): الآيات ٦٦ إلى ٧٠]
٣٢٩٢	إشارة
٣٢٩٢	المعنى
٣٢٩٢	[سورة الحج (٢٢): الآيات ٧١ إلى ٧٥]
٣٢٩٢	إشارة
٣٢٩٤	القراءة
٣٢٩٤	اللغة
٣٢٩٤	المعنى
٣٢٩٦	[سورة الحج (٢٢): الآيات ٧٦ إلى ٧٨]
٣٢٩٦	إشارة
٣٢٩٦	الإعراب
٣٢٩٦	المعنى
٣٢٩٩	(٢٣) سورة المؤمنون مكيه و آياتها ثمانى عشره و مائه (١١٨)
٣٢٩٩	إشارة
٣٢٩٩	عدد آياتها
٣٢٩٩	اختلافها
٣٢٩٩	فضلها
٣٢٩٩	تفسيرها
٣٣٠٠	[سورة المؤمنون (٢٣): الآيات ١ إلى ١١]
٣٣٠٠	إشارة
٣٣٠٠	القراءة
٣٣٠٠	الحج
٣٣٠٠	المعنى
٣٣٠٣	[سورة المؤمنون (٢٣): الآيات ١٢ إلى ١٩]
٣٣٠٣	إشارة
٣٣٠٤	القراءة
٣٣٠٤	الحج
٣٣٠٤	اللغة
٣٣٠٤	الإعراب
٣٣٠٥	المعنى
٣٣٠٨	[سورة المؤمنون (٢٣): الآيات ٢٠ إلى ٢٥]
٣٣٠٨	إشارة
٣٣٠٨	القراءة

٣٣٠٨	الحججه
٣٣٠٩	المعنى
٣٣١١ [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٢٦ الى ٣٠]	
٣٣١١	اشاره
٣٣١١	القراءه
٣٣١١	الحججه
٣٣١١	المعنى
٣٣١٢ [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٣١ الى ٤٠]	
٣٣١٢	اشاره
٣٣١٢	القراءه
٣٣١٢	الحججه
٣٣١٣	الإعراب
٣٣١٤	المعنى
٣٣١٦ [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٤١ الى ٥٠]	
٣٣١٦	اشاره
٣٣١٦	القراءه
٣٣١٦	الحججه
٣٣١٦	المعنى
٣٣١٩ [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٥١ الى ٥٦]	
٣٣١٩	اشاره
٣٣١٩	القراءه
٣٣١٩	الحججه
٣٣٢٠	المعنى
٣٣٢١ [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٥٧ الى ٦١]	
٣٣٢١	اشاره
٣٣٢١	القراءه
٣٣٢١	الحججه
٣٣٢١	المعنى
٣٣٢٣ [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٦٢ الى ٧١]	
٣٣٢٣	اشاره
٣٣٢٣	القراءه
٣٣٢٣	الحججه
٣٣٢٣	اللغه
٣٣٢٥	الإعراب
٣٣٢٥	المعنى
٣٣٢٧ [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٧٢ الى ٨٠]	
٣٣٢٧	اشاره
٣٣٢٧	اللغه
٣٣٢٨	المعنى
٣٣٢٩ [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٨١ الى ٩٠]	
٣٣٢٩	اشاره

٣٣٢٩	القراءة
٣٣٢٩	الحججه
٣٣٢٩	المعنى
٣٣٣١ [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٩١ الى ١٠٠]	
٣٣٣١	اشاره
٣٣٣١	القراءة
٣٣٣١	الحججه
٣٣٣٢	اللغه
٣٣٣٢	المعنى
٣٣٣٥ [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ١٠١ الى ١١٠]	
٣٣٣٥	اشاره
٣٣٣٥	القراءة
٣٣٣٥	الحججه
٣٣٣٦	اللغه
٣٣٣٦	الإعراب
٣٣٣٦	المعنى
٣٣٣٨ [سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ١١١ الى ١١٨]	
٣٣٣٨	اشاره
٣٣٣٨	القراءة
٣٣٣٨	الحججه
٣٣٣٩	الإعراب
٣٣٣٩	المعنى
٣٣٤١ [سوره النور مدنيه و آياتها أربع و ستون (٦٤)]	
٣٣٤١	اشاره
٣٣٤١	أوضح
٣٣٤١	عدد آياتها
٣٣٤١	اختلافها
٣٣٤١	فضلها
٣٣٤١	تفسيرها
٣٣٤٢ [سوره النور (٢٤): الآيات ١ الى ٣]	
٣٣٤٢	اشاره
٣٣٤٢	القراءة
٣٣٤٢	الحججه
٣٣٤٢	اللغه
٣٣٤٢	المعنى
٣٣٤٥ [سوره النور (٢٤): الآيات ٤ الى ٥]	
٣٣٤٥	اشاره
٣٣٤٥	القراءة
٣٣٤٥	الحججه
٣٣٤٥	الإعراب
٣٣٤٦	المعنى

٣٣٤٧	[سورة النور (٢٤): الآيات ١٦ الى ١٠]
٣٣٤٧	اشاره
٣٣٤٧	القراءه
٣٣٤٧	الحججه
٣٣٤٩	المعنى
٣٣٥٠	[سورة النور (٢٤): الآيات ١١ الى ١٥]
٣٣٥٠	اشاره
٣٣٥١	القراءه
٣٣٥١	الحججه
٣٣٥٢	المعنى
٣٣٥٥	[سورة النور (٢٤): الآيات ١٦ الى ٢٠]
٣٣٥٥	اشاره
٣٣٥٥	المعنى
٣٣٥٦	[سورة النور (٢٤): الآيات ٢١ الى ٢٥]
٣٣٥٦	اشاره
٣٣٥٦	القراءه
٣٣٥٦	الحججه
٣٣٥٧	المعنى
٣٣٥٩	[سورة النور (٢٤): الآيات ٢٦ الى ٢٩]
٣٣٥٩	اشاره
٣٣٥٩	اللغه
٣٣٥٩	المعنى
٣٣٦٢	[سورة النور (٢٤): الآيات ٣٠ الى ٣١]
٣٣٦٢	اشاره
٣٣٦٢	القراءه
٣٣٦٢	الحججه
٣٣٦٢	اللغه
٣٣٦٢	الإعراب
٣٣٦٢	المعنى
٣٣٦٦	[سورة النور (٢٤): الآيات ٣٢ الى ٣٤]
٣٣٦٦	اشاره
٣٣٦٦	القراءه
٣٣٦٦	الحججه
٣٣٦٦	اللغه
٣٣٦٦	الإعراب
٣٣٦٧	المعنى
٣٣٧٠	[سورة النور (٢٤): الآيات ٣٥ الى ٣٨]
٣٣٧٠	اشاره
٣٣٧١	القراءه
٣٣٧١	الحججه
٣٣٧٢	اللغه

الإعراب	٣٣٧٢
المعنى	٣٣٧٣
أسورة النور (٢٤): الآيات ٣٩ إلى ٤٠	٣٣٧٩
اشاره	٣٣٧٩
القراءه	٣٣٧٩
الحججه	٣٣٧٩
اللغه	٣٣٧٩
المعنى	٣٣٧٩
أسورة النور (٢٤): الآيات ٤١ إلى ٤٦	٣٣٨٢
اشاره	٣٣٨٢
القراءه	٣٣٨٢
الحججه	٣٣٨٢
اللغه	٣٣٨٣
الإعراب	٣٣٨٣
المعنى	٣٣٨٣
أسورة النور (٢٤): الآيات ٤٧ إلى ٥٢	٣٣٨٥
اشاره	٣٣٨٥
القراءه	٣٣٨٦
الحججه	٣٣٨٦
اللغه	٣٣٨٦
المعنى	٣٣٨٨
أسورة النور (٢٤): الآيات ٥٣ إلى ٥٥	٣٣٨٩
اشاره	٣٣٨٩
القراءه	٣٣٩٠
الحججه	٣٣٩٠
المعنى	٣٣٩٠
أسورة النور (٢٤): الآيات ٥٦ إلى ٥٧	٣٣٩٣
اشاره	٣٣٩٣
القراءه	٣٣٩٣
الحججه	٣٣٩٣
المعنى	٣٣٩٣
أسورة النور (٢٤): الآيات ٥٨ إلى ٦٠	٣٣٩٥
اشاره	٣٣٩٥
القراءه	٣٣٩٥
الحججه	٣٣٩٥
اللغه	٣٣٩٦
المعنى	٣٣٩٦
أسورة النور (٢٤): آيه ٦١	٣٣٩٨
اشاره	٣٣٩٨
اللغه	٣٣٩٨
الإعراب	٣٣٩٨

٣٣٩٨	المعنى
٣٤٠١	[سورة النور (٢٤): الآيات ٦٢ إلى ٦٤]
٣٤٠١	اشاره
٣٤٠١	اللغه
٣٤٠٢	الإعراب
٣٤٠٢	المعنى
٣٤٠٤	(٢٥) سورة الفرقان مكيه و آياتها سبع و سبعون (٧٧)
٣٤٠٤	اشاره
٣٤٠٤	[توضيح]
٣٤٠٤	عدد آياتها
٣٤٠٤	فضلها
٣٤٠٤	تفسيرها
٣٤٠٥	[سورة الفرقان (٢٥): الآيات ١ إلى ١٠]
٣٤٠٥	اشاره
٣٤٠٥	القراءه
٣٤٠٥	الحججه
٣٤٠٦	الإعراب
٣٤٠٦	المعنى
٣٤٠٩	[سورة الفرقان (٢٥): الآيات ١١ إلى ٢٠]
٣٤٠٩	اشاره
٣٤٠٩	القراءه
٣٤٠٩	الحججه
٣٤١١	اللغه
٣٤١١	الإعراب
٣٤١١	المعنى
٣٤١٤	[سورة الفرقان (٢٥): الآيات ٢١ إلى ٣٠]
٣٤١٤	اشاره
٣٤١٤	القراءه
٣٤١٤	الحججه
٣٤١٤	اللغه
٣٤١٥	الإعراب
٣٤١٦	المعنى
٣٤١٩	[سورة الفرقان (٢٥): الآيات ٣١ إلى ٤٠]
٣٤١٩	اشاره
٣٤١٩	القراءه
٣٤١٩	اللغه
٣٤٢٠	الإعراب
٣٤٢٠	المعنى
٣٤٢٢	[سورة الفرقان (٢٥): الآيات ٤١ إلى ٥٠]
٣٤٢٢	اشاره
٣٤٢٣	القراءه

٣٤٢٣ الحجة

٣٤٢٣ اللغة

٣٤٢٣ الإعراب

٣٤٢٤ المعنى

٣٤٢٤ [سورة الفرقان (٣٥): الآيات ٥١ إلى ٦٠]

٣٤٢٤ اشاره

٣٤٢٧ القراءة

٣٤٢٧ الحجة

٣٤٢٧ اللغة

٣٤٢٧ الإعراب

٣٤٢٩ المعنى

٣٤٣٢ [سورة الفرقان (٣٥): الآيات ٦١ إلى ٧٠]

٣٤٣٢ اشاره

٣٤٣٢ القراءة

٣٤٣٢ الحجة

٣٤٣٤ اللغة

٣٤٣٤ المعنى

٣٤٣٩ [سورة الفرقان (٣٥): الآيات ٧١ إلى ٧٧]

٣٤٣٩ اشاره

٣٤٣٩ القراءة

٣٤٣٩ الحجة

٣٤٣٩ اللغة

٣٤٤١ المعنى

٣٤٤٤ (٢٦) سورة الشعراء مكية و آياتها سبع و عشرون و مائتان (٢٢٧)

٣٤٤٤ اشاره

٣٤٤٤ [توضيح]

٣٤٤٤ عدد آياتها

٣٤٤٤ اختلافها

٣٤٤٤ فضلها

٣٤٤٤ تفسيرها

٣٤٤٥ [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١ إلى ٩]

٣٤٤٥ اشاره

٣٤٤٥ القراءة

٣٤٤٥ الحجة

٣٤٤٥ الإعراب

٣٤٤٦ المعنى

٣٤٤٨ [سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١٠ إلى ٣٠]

٣٤٤٨ اشاره

٣٤٤٨ القراءة

٣٤٤٨ الحجة

٣٤٤٨ الإعراب

٣٤٥٠	المعنى
٣٤٥٤	[سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٣١ إلى ٥٠]
٣٤٥٤	اشاره
٣٤٥٤	المعنى
٣٤٥٥	[سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٥١ إلى ٦٨]
٣٤٥٥	اشاره
٣٤٥٦	القراءة
٣٤٥٦	الحججه
٣٤٥٧	اللغه
٣٤٥٨	المعنى
٣٤٦١	[سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٦٩ إلى ١٠٤]
٣٤٦١	اشاره
٣٤٦١	اللغه
٣٤٦١	الإعراب
٣٤٦٣	المعنى
٣٤٦٧	[سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١٠٥ إلى ١٢٢]
٣٤٦٧	اشاره
٣٤٦٨	القراءة
٣٤٦٨	الحججه
٣٤٦٨	اللغه
٣٤٦٨	الإعراب
٣٤٦٨	المعنى
٣٤٧١	[سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١٢٣ إلى ١٤٠]
٣٤٧١	اشاره
٣٤٧١	القراءة
٣٤٧١	الحججه
٣٤٧١	اللغه
٣٤٧٢	المعنى
٣٤٧٤	[سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١٤١ إلى ١٥٩]
٣٤٧٤	اشاره
٣٤٧٤	القراءة
٣٤٧٤	الحججه
٣٤٧٤	اللغه
٣٤٧٦	المعنى
٣٤٧٧	[سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١٦٠ إلى ١٧٥]
٣٤٧٧	اشاره
٣٤٧٧	اللغه
٣٤٧٧	المعنى
٣٤٧٩	[سورة الشعراء (٢٦): الآيات ١٧٦ إلى ١٩١]
٣٤٧٩	اشاره
٣٤٧٩	القراءة

٣٤٧٩	الحججه
٣٤٧٩	اللغه
٣٤٨٢	[سوره الشعراء (٢٤): الآيات ١٩٢ الى ٢١٢]
٣٤٨٢	اشاره
٣٤٨٢	القراءه
٣٤٨٢	الحججه
٣٤٨٢	اللغه
٣٤٨٢	الإعراب
٣٤٨٢	المعنى
٣٤٨٦	[سوره الشعراء (٢٤): الآيات ٢١٣ الى ٢٢٠]
٣٤٨٦	اشاره
٣٤٨٦	القراءه
٣٤٨٦	الحججه
٣٤٨٦	اللغه
٣٤٨٦	المعنى
٣٤٨٩	[سوره الشعراء (٢٤): الآيات ٢٢١ الى ٢٢٧]
٣٤٨٩	اشاره
٣٤٨٩	القراءه
٣٤٨٩	الحججه
٣٤٨٩	اللغه
٣٤٨٩	الإعراب
٣٤٩١	المعنى
٣٤٩٣	(٢٧) سوره النمل مكيه و آياتها ثلاث و تسعون (٩٣)
٣٤٩٣	اشاره
٣٤٩٣	عدد آياتها
٣٤٩٣	اختلافها
٣٤٩٣	فضلها
٣٤٩٣	تفسيرها
٣٤٩٤	[سوره النمل (٢٧): الآيات ١ الى ١٠]
٣٤٩٤	اشاره
٣٤٩٤	القراءه
٣٤٩٤	الحججه و اللغه
٣٤٩٤	الإعراب
٣٤٩٤	المعنى
٣٤٩٨	[سوره النمل (٢٧): الآيات ١١ الى ١٤]
٣٤٩٨	اشاره
٣٤٩٨	القراءه
٣٤٩٨	الحججه
٣٤٩٩	الإعراب
٣٤٩٩	المعنى
٣٥٠٠	[سوره النمل (٢٧): الآيات ١٥ الى ١٩]

٣٥٠٠	اشاره
٣٥٠٠	اللغه
٣٥٠١	الإعراب
٣٥٠١	المعنى
٣٥٠٤	[سوره النمل (٢٧): الآيات ٢٠ الى ٢٦]
٣٥٠٤	اشاره
٣٥٠٤	القراءه
٣٥٠٥	الحججه
٣٥٠٦	الإعراب
٣٥٠٦	المعنى
٣٥٠٩	[سوره النمل (٢٧): الآيات ٢٧ الى ٣١]
٣٥٠٩	اشاره
٣٥٠٩	القراءه
٣٥٠٩	المعنى
٣٥١١	[سوره النمل (٢٧): الآيات ٣٢ الى ٣٧]
٣٥١١	اشاره
٣٥١١	القراءه
٣٥١١	الإعراب
٣٥١١	المعنى
٣٥١٤	[سوره النمل (٢٧): الآيات ٣٨ الى ٤٤]
٣٥١٤	اشاره
٣٥١٤	القراءه
٣٥١٤	الحججه
٣٥١٥	المعنى
٣٥١٩	[سوره النمل (٢٧): الآيات ٤٥ الى ٥٣]
٣٥١٩	اشاره
٣٥١٩	القراءه
٣٥٢٠	الحججه
٣٥٢١	المعنى
٣٥٢٢	[سوره النمل (٢٧): الآيات ٥٤ الى ٥٩]
٣٥٢٢	اشاره
٣٥٢٢	القراءه
٣٥٢٢	الحججه
٣٥٢٢	المعنى
٣٥٢٤	[سوره النمل (٢٧): الآيات ٦٠ الى ٦٥]
٣٥٢٤	اشاره
٣٥٢٤	القراءه
٣٥٢٤	اللغه
٣٥٢٤	الإعراب
٣٥٢٥	المعنى
٣٥٢٧	[سوره النمل (٢٧): الآيات ٦٦ الى ٧٥]

٣٥٢٧	اشاره
٣٥٢٧	القراءه
٣٥٢٧	الحججه
٣٥٢٨	اللغه
٣٥٢٨	الإعراب
٣٥٢٩	المعنى
٣٥٣١ [سوره النمل (٢٧): الآيات ٧٦ الى ٨٥]	
٣٥٣١	اشاره
٣٥٣١	القراءه
٣٥٣١	الحججه
٣٥٣١	المعنى
٣٥٣٦ [سوره النمل (٢٧): الآيات ٨٦ الى ٩٣]	
٣٥٣٦	اشاره
٣٥٣٦	القراءه
٣٥٣٦	الحججه
٣٥٣٧	الإعراب
٣٥٣٧	المعنى
٣٥٤١ (٢٨) سوره القصص مكيه و آياتها ثمان و ثمانون (٨٨)	
٣٥٤١	اشاره
٣٥٤١	عدد آياتها
٣٥٤١	اختلافها
٣٥٤١	فضلها
٣٥٤١	تفسيرها
٣٥٤٢ [سوره القصص (٢٨): الآيات ١ الى ٦]	
٣٥٤٢	اشاره
٣٥٤٢	القراءه
٣٥٤٢	الحججه
٣٥٤٢	اللغه
٣٥٤٢	الإعراب
٣٥٤٢	المعنى
٣٥٤٤ [سوره القصص (٢٨): الآيات ٧ الى ١٠]	
٣٥٤٤	اشاره
٣٥٤٤	القراءه
٣٥٤٤	الحججه
٣٥٤٤	الإعراب
٣٥٤٧	المعنى
٣٥٤٩ [سوره القصص (٢٨): الآيات ١١ الى ١٥]	
٣٥٤٩	اشاره
٣٥٤٩	اللغه
٣٥٥٠	الإعراب
٣٥٥٠	المعنى

٣٥٥٢ [سورة القصص (٢٨): الآيات ١٦ الى ٢٠]

٣٥٥٢ اشارة

٣٥٥٢ اللغة

٣٥٥٢ المعنى

٣٥٥٦ [سورة القصص (٢٨): الآيات ٢١ الى ٢٥]

٣٥٥٦ اشارة

٣٥٥٦ القراءة

٣٥٥٦ الحجج

٣٥٥٦ اللغة

٣٥٥٧ الإعراب

٣٥٥٧ المعنى

٣٥٦٠ [سورة القصص (٢٨): الآيات ٢٦ الى ٣٠]

٣٥٦٠ اشارة

٣٥٦٠ القراءة

٣٥٦٠ الحجج

٣٥٦٠ اللغة

٣٥٦٠ الإعراب

٣٥٦١ المعنى

٣٥٦٥ [سورة القصص (٢٨): الآيات ٣١ الى ٣٥]

٣٥٦٥ اشارة

٣٥٦٥ القراءة

٣٥٦٥ الحجج

٣٥٦٥ الإعراب

٣٥٦٥ المعنى

٣٥٦٩ [سورة القصص (٢٨): الآيات ٣٦ الى ٤٢]

٣٥٦٩ اشارة

٣٥٦٩ القراءة

٣٥٦٩ الحجج

٣٥٦٩ اللغة

٣٥٧٠ الإعراب

٣٥٧٠ المعنى

٣٥٧٢ [سورة القصص (٢٨): الآيات ٤٣ الى ٥٠]

٣٥٧٢ اشارة

٣٥٧٢ القراءة

٣٥٧٢ الحجج

٣٥٧٢ الإعراب

٣٥٧٢ المعنى

٣٥٧٦ [سورة القصص (٢٨): الآيات ٥١ الى ٥٥]

٣٥٧٦ اشارة

٣٥٧٦ اللغة

٣٥٧٦ المعنى

٣٥٧٧ [سوره القصص (٢٨): الآيات ٥٦ الى ٦٠]

٣٥٧٧ اشاره

٣٥٧٨ القراءه

٣٥٧٨ الحجه

٣٥٧٨ اللغه

٣٥٧٨ الإعراب

٣٥٨٠ المعنى

٣٥٨٢ [سوره القصص (٢٨): الآيات ٦١ الى ٦٦]

٣٥٨٢ اشاره

٣٥٨٢ اللغه

٣٥٨٢ المعنى

٣٥٨٥ [سوره القصص (٢٨): الآيات ٦٧ الى ٧٠]

٣٥٨٥ اشاره

٣٥٨٥ المعنى

٣٥٨٦ [سوره القصص (٢٨): الآيات ٧١ الى ٧٥]

٣٥٨٦ اشاره

٣٥٨٦ المعنى

٣٥٨٨ [سوره القصص (٢٨): الآيات ٧٦ الى ٨٢]

٣٥٨٨ اشاره

٣٥٨٨ القراءه

٣٥٨٨ الحجه

٣٥٨٩ اللغه

٣٥٩٠ المعنى

٣٥٩٤ [سوره القصص (٢٨): الآيات ٨٣ الى ٨٨]

٣٥٩٤ اشاره

٣٥٩٥ النزول

٣٥٩٥ المعنى

٣٥٩٧ النظم

٣٥٩٨ المجلد ٨

٣٥٩٨ اشاره

٣٥٩٨ اشاره

٣٦٠١ [سوره العنكبوت مكيه و آياتها تسع وستون (٦٩)]

٣٦٠١ اشاره

٣٦٠١ [توضيح]

٣٦٠١ عدد آياتها

٣٦٠١ اختلافها

٣٦٠١ فضلها

٣٦٠١ تفسيرها

٣٦٠١ [سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ١ الى ٥]

٣٦٠١ اشاره

٣٦٠٣ القراءه

٣٦٠٣	الحججه
٣٦٠٣	الإعراب
٣٦٠٤	المعنى
٣٦٠٥	[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ١٦ الى ١٠]
٣٦٠٥	اشاره
٣٦٠٦	الإعراب
٣٦٠٧	المعنى
٣٦٠٨	[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ١١ الى ١٥]
٣٦٠٨	اشاره
٣٦٠٨	اللغه
٣٦٠٩	الإعراب
٣٦٠٩	المعنى
٣٦١٠	[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ١٦ الى ٢٠]
٣٦١٠	اشاره
٣٦١١	القراءه
٣٦١١	الحججه
٣٦١١	الإعراب
٣٦١١	المعنى
٣٦١٢	[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٢١ الى ٢٥]
٣٦١٢	اشاره
٣٦١٣	القراءه
٣٦١٣	الحججه
٣٦١٤	المعنى
٣٦١٦	[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٢٦ الى ٣٠]
٣٦١٦	اشاره
٣٦١٦	القراءه
٣٦١٦	اللغه
٣٦١٦	المعنى
٣٦١٨	[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٣١ الى ٣٥]
٣٦١٨	اشاره
٣٦١٨	القراءه
٣٦١٨	الحججه
٣٦١٩	المعنى
٣٦١٩	[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٣٦ الى ٤٠]
٣٦١٩	اشاره
٣٦٢٠	اللغه
٣٦٢١	الإعراب
٣٦٢١	المعنى
٣٦٢٢	[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٤١ الى ٤٥]
٣٦٢٢	اشاره
٣٦٢٢	القراءه

٣٦٢٢ الحجة و الإعراب
٣٦٢٣ اللغة
٣٦٢٣ المعنى
٣٦٢٤ [سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٤٦ الى ٥٠]
٣٦٢٤ اشارة
٣٦٢٧ القراءة
٣٦٢٧ الحجة
٣٦٢٧ اللغة
٣٦٢٧ الإعراب
٣٦٢٧ المعنى
٣٦٢٠ [سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٥١ الى ٥٥]
٣٦٢٠ اشارة
٣٦٢١ القراءة
٣٦٢١ الحجة
٣٦٢١ الإعراب
٣٦٢١ المعنى
٣٦٢٢ [سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٥٦ الى ٦٠]
٣٦٢٢ اشارة
٣٦٢٢ القراءة
٣٦٢٣ الحجة
٣٦٢٣ الإعراب
٣٦٢٤ المعنى
٣٦٢٥ [سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ٦١ الى ٦٩]
٣٦٢٥ اشارة
٣٦٢٦ القراءة
٣٦٢٦ الحجة
٣٦٢٦ اللغة
٣٦٢٦ الإعراب
٣٦٢٦ المعنى
٣٦٢٨ (٣٠) سورة الروم مكيه و آياتها ستون (٦٠)
٣٦٢٨ اشارة
٣٦٢٨ [توضيح]
٣٦٢٨ عدد آياتها
٣٦٢٨ اختلافها
٣٦٢٨ فضلها
٣٦٢٨ تفسيرها
٣٦٢٨ [سورة الروم (٣٠): الآيات ١ الى ٧]
٣٦٢٨ اشارة
٣٦٤٠ اللغة
٣٦٤٠ الإعراب
٣٦٤٠ المعنى

٣٦٤١	القصة [١٠]
٣٦٤٢	[سورة الروم (٣٠): الآيات ٨ إلى ١٠]
٣٦٤٢	اشاره
٣٦٤٢	القراءة
٣٦٤٢	الحججه
٣٦٤٣	المعنى
٣٦٤٤	[سورة الروم (٣٠): الآيات ١١ إلى ٢٠]
٣٦٤٤	اشاره
٣٦٤٥	القراءة
٣٦٤٥	الحججه
٣٦٤٥	اللغه
٣٦٤٦	المعنى
٣٦٤٨	[سورة الروم (٣٠): الآيات ٢١ إلى ٢٥]
٣٦٤٨	اشاره
٣٦٤٩	القراءة
٣٦٤٩	الحججه
٣٦٤٩	الإعراب
٣٦٥٠	المعنى
٣٦٥١	[سورة الروم (٣٠): الآيات ٢٦ إلى ٣٠]
٣٦٥١	اشاره
٣٦٥٢	الإعراب
٣٦٥٢	المعنى
٣٦٥٥	[سورة الروم (٣٠): الآيات ٣١ إلى ٣٥]
٣٦٥٥	اشاره
٣٦٥٥	القراءة
٣٦٥٥	اللغه
٣٦٥٥	المعنى
٣٦٥٦	[سورة الروم (٣٠): الآيات ٣٦ إلى ٤٠]
٣٦٥٦	اشاره
٣٦٥٧	القراءة
٣٦٥٧	الحججه
٣٦٥٨	المعنى
٣٦٥٩	[سورة الروم (٣٠): الآيات ٤١ إلى ٤٥]
٣٦٥٩	اشاره
٣٦٦٠	اللغه
٣٦٦٠	المعنى
٣٦٦١	[سورة الروم (٣٠): الآيات ٤٦ إلى ٥٠]
٣٦٦١	اشاره
٣٦٦٢	القراءة
٣٦٦٢	الحججه
٣٦٦٢	الإعراب

٣٦٦٣	المعنى
٣٦٦٤	[سورة الروم (٣٠): الآيات ٥١ الى ٥٥]
٣٦٦٤	اشاره
٣٦٦٥	القراءة
٣٦٦٥	الإعراب
٣٦٦٥	المعنى
٣٦٦٦	[سورة الروم (٣٠): الآيات ٥٦ الى ٦٠]
٣٦٦٦	اشاره
٣٦٦٦	القراءة
٣٦٦٧	الحججه
٣٦٦٧	المعنى
٣٦٦٨	(٣١) سورة لقمان مكيه و آياتها أربع و ثلاثون (٣٤)
٣٦٦٨	اشاره
٣٦٦٨	أوضح [
٣٦٦٨	عدد آيات
٣٦٦٨	اختلافها
٣٦٦٨	فضلها
٣٦٦٨	تفسيرها
٣٦٦٨	[سورة لقمان (٣١): الآيات ١ الى ١٠]
٣٦٦٨	اشاره
٣٦٧٠	القراءة
٣٦٧٠	الحججه
٣٦٧٠	الإعراب
٣٦٧١	المعنى
٣٦٧٤	[سورة لقمان (٣١): الآيات ١١ الى ١٥]
٣٦٧٤	اشاره
٣٦٧٤	القراءة
٣٦٧٤	الحججه
٣٦٧٥	الإعراب
٣٦٧٥	المعنى
٣٦٧٧	أفضل في ذكر نبذ من حكم لقمان [
٣٦٧٩	[سورة لقمان (٣١): الآيات ١٦ الى ٢٠]
٣٦٧٩	اشاره
٣٦٨٠	القراءة
٣٦٨٠	الحججه
٣٦٨١	المعنى
٣٦٨٣	[سورة لقمان (٣١): الآيات ٢١ الى ٢٥]
٣٦٨٣	اشاره
٣٦٨٤	المعنى
٣٦٨٥	[سورة لقمان (٣١): الآيات ٢٦ الى ٣٠]
٣٦٨٥	اشاره

٣٦٨٥	القراءة
٣٦٨٥	الحججه
٣٦٨٦	المعنى
٣٦٨٧	[سوره لقمان (٣١): الآيات ٣١ الى ٣٤]
٣٦٨٧	اشاره
٣٦٨٧	القراءة
٣٦٨٧	الحججه
٣٦٨٧	اللغه
٣٦٨٨	الإعراب
٣٦٨٨	المعنى
٣٦٩٠	[سوره السجده مكيه و آياتها ثلاثون (٣٠)]
٣٦٩٠	اشاره
٣٦٩٠	[توضيح]
٣٦٩٠	عدد آياتها
٣٦٩٠	اختلافها
٣٦٩٠	فضلها
٣٦٩٠	تفسيرها
٣٦٩٠	[سوره السجده (٣٢): الآيات ١ الى ٥]
٣٦٩١	اشاره
٣٦٩٢	الإعراب
٣٦٩٢	المعنى
٣٦٩٤	[سوره السجده (٣٢): الآيات ٦ الى ١٠]
٣٦٩٤	اشاره
٣٦٩٤	القراءة
٣٦٩٤	الحججه
٣٦٩٥	المعنى
٣٦٩٦	[سوره السجده (٣٢): الآيات ١١ الى ١٥]
٣٦٩٦	اشاره
٣٦٩٧	اللغه
٣٦٩٧	الإعراب
٣٦٩٧	المعنى
٣٦٩٩	[سوره السجده (٣٢): الآيات ١٦ الى ٢٠]
٣٦٩٩	اشاره
٣٦٩٩	القراءة
٣٦٩٩	الحججه
٣٧٠٠	اللغه
٣٧٠٠	المعنى
٣٧٠٢	[سوره السجده (٣٢): الآيات ٢١ الى ٢٥]
٣٧٠٢	اشاره
٣٧٠٣	القراءة
٣٧٠٣	الحججه

٣٧٠٣	المعنى
٣٧٠٥	[سورة السجده (٣٢): الآيات ٢٦ إلى ٣٠]
٣٧٠٥	اشاره
٣٧٠٥	القراءه
٣٧٠٥	الحججه
٣٧٠٦	اللغه
٣٧٠٦	الإعراب
٣٧٠٦	المعنى
٣٧٠٨	[سورة الأحزاب مدنيه و آياتها ثلاث و سبعون (٧٣)]
٣٧٠٨	اشاره
٣٧٠٨	[توضيح]
٣٧٠٨	فضلها
٣٧٠٨	تفسيرها
٣٧٠٨	[سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ١ إلى ٥]
٣٧٠٨	اشاره
٣٧٠٩	القراءه
٣٧٠٩	الحججه
٣٧١٠	المعنى
٣٧١٢	[سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٦ إلى ١٠]
٣٧١٢	اشاره
٣٧١٣	القراءه
٣٧١٣	الحججه
٣٧١٣	الإعراب
٣٧١٣	المعنى
٣٧١٧	[قصه غزوه الخندق]
٣٧٢٥	[سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ١١ إلى ٢٠]
٣٧٢٥	اشاره
٣٧٢٦	القراءه
٣٧٢٦	الحججه
٣٧٢٧	اللغه
٣٧٢٨	المعنى
٣٧٣١	[سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٢١ إلى ٢٥]
٣٧٣١	اشاره
٣٧٣٢	القراءه
٣٧٣٢	اللغه
٣٧٣٢	المعنى
٣٧٣٤	[سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٢٦ إلى ٢٧]
٣٧٣٤	اشاره
٣٧٣٤	اللغه
٣٧٣٥	[القصه]
٣٧٣٧	[سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٢٨ إلى ٣١]

٣٧٣٧	اشاره
٣٧٣٧	القراءه
٣٧٣٨	الحججه
٣٧٣٨	اللغه
٣٧٣٩	المعنى
٣٧٤٠	[سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٣٢ الى ٣٥]
٣٧٤٠	اشاره
٣٧٤١	القراءه
٣٧٤١	الحججه
٣٧٤١	اللغه
٣٧٤١	الإعراب
٣٧٤٢	المعنى
٣٧٤٦	[سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٣٦ الى ٤٠]
٣٧٤٦	اشاره
٣٧٤٧	القراءه
٣٧٤٧	الحججه
٣٧٤٧	اللغه
٣٧٤٨	الإعراب
٣٧٤٩	المعنى
٣٧٥٣	[سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٤١ الى ٤٨]
٣٧٥٣	اشاره
٣٧٥٣	المعنى
٣٧٥٥	[سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٤٩ الى ٥٠]
٣٧٥٥	اشاره
٣٧٥٦	القراءه
٣٧٥٦	الحججه
٣٧٥٦	الإعراب
٣٧٥٦	المعنى
٣٧٥٨	[سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٥١ الى ٥٥]
٣٧٥٨	اشاره
٣٧٥٩	القراءه
٣٧٥٩	الحججه
٣٧٥٩	اللغه
٣٧٥٩	الإعراب
٣٧٦١	المعنى
٣٧٦٤	[سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٥٦ الى ٦٢]
٣٧٦٤	اشاره
٣٧٦٥	القراءه
٣٧٦٥	الحججه
٣٧٦٥	اللغه
٣٧٦٥	الإعراب

٣٧٤٥	المعنى
٣٧٤٨	[سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٤٣ إلى ٤٩]
٣٧٤٨	اشاره
٣٧٤٩	القراءة
٣٧٤٩	الحججه
٣٧٤٩	المعنى
٣٧٧١	[سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٧٠ إلى ٧٣]
٣٧٧١	اشاره
٣٧٧١	المعنى
٣٧٧٥	(٣٤) سورة سبأ مكيه و آياتها أربع و خمسون (٥٤)
٣٧٧٥	اشاره
٣٧٧٥	عدد آياتها
٣٧٧٥	اختلافها
٣٧٧٥	فضلها
٣٧٧٥	تفسيرها
٣٧٧٥	[سورة سبأ (٣٤): الآيات ١ إلى ٥]
٣٧٧٥	اشاره
٣٧٧٧	القراءة
٣٧٧٧	الحججه
٣٧٧٧	اللغه
٣٧٧٨	الإعراب
٣٧٧٨	المعنى
٣٧٧٩	[سورة سبأ (٣٤): الآيات ٦ إلى ٩]
٣٧٧٩	اشاره
٣٧٧٩	القراءة
٣٧٧٩	الحججه
٣٧٨٠	الإعراب
٣٧٨١	المعنى
٣٧٨٢	[سورة سبأ (٣٤): الآيات ١٠ إلى ١٤]
٣٧٨٢	اشاره
٣٧٨٢	القراءة
٣٧٨٣	الحججه
٣٧٨٣	اللغه
٣٧٨٤	الإعراب
٣٧٨٥	المعنى
٣٧٨٩	[سورة سبأ (٣٤): الآيات ١٥ إلى ١٩]
٣٧٨٩	اشاره
٣٧٩١	القراءة
٣٧٩١	الحججه
٣٧٩٢	اللغه
٣٧٩٣	الإعراب

٣٧٩٣	المعنى
٣٧٩٥	[القصة]
٣٧٩٥	سوره سبأ (٣٤): الآيات ٢٠ الى ٢٥
٣٧٩٥	اشاره
٣٧٩٦	القراءه
٣٧٩٦	الحججه
٣٧٩٧	اللغه
٣٧٩٧	الإعراب
٣٧٩٧	المعنى
٣٧٩٩	سوره سبأ (٣٤): الآيات ٢٦ الى ٣٠
٣٧٩٩	اشاره
٣٨٠٠	الإعراب
٣٨٠٠	المعنى
٣٨٠١	سوره سبأ (٣٤): الآيات ٣١ الى ٣٥
٣٨٠١	اشاره
٣٨٠١	الإعراب
٣٨٠٢	المعنى
٣٨٠٣	سوره سبأ (٣٤): الآيات ٣٦ الى ٤٠
٣٨٠٣	اشاره
٣٨٠٤	القراءه
٣٨٠٤	الحججه
٣٨٠٤	الإعراب
٣٨٠٤	المعنى
٣٨٠٧	سوره سبأ (٣٤): الآيات ٤١ الى ٤٥
٣٨٠٧	اشاره
٣٨٠٧	الإعراب
٣٨٠٧	المعنى
٣٨٠٨	سوره سبأ (٣٤): الآيات ٤٦ الى ٥٠
٣٨٠٨	اشاره
٣٨٠٩	الإعراب
٣٨٠٩	المعنى
٣٨١٠	سوره سبأ (٣٤): الآيات ٥١ الى ٥٤
٣٨١٠	اشاره
٣٨١١	القراءه
٣٨١١	الحججه
٣٨١١	المعنى
٣٨١٤	سوره فاطر مكيه و آياتها خمس و أربعون (٤٥)
٣٨١٤	اشاره
٣٨١٤	أُتوضِح [
٣٨١٤	عدد آياتها
٣٨١٤	اختلافها

٣٨١٤	فضليها
٣٨١٤	تفسيرها
٣٨١٤	سورة فاطر (٣٥): الآيات ١ الى ٥
٣٨١٤	اشاره
٣٨١٤	القراءه
٣٨١٤	الحججه
٣٨١٤	اللغه
٣٨١٤	الإعراب
٣٨١٤	المعنى
٣٨١٨	سورة فاطر (٣٥): الآيات ٦ الى ١٠
٣٨١٨	اشاره
٣٨١٨	القراءه
٣٨١٨	الإعراب
٣٨١٨	المعنى
٣٨٢٠	سورة فاطر (٣٥): الآيات ١١ الى ١٧
٣٨٢٠	اشاره
٣٨٢١	القراءه
٣٨٢١	الحججه
٣٨٢١	اللغه
٣٨٢١	الإعراب
٣٨٢١	المعنى
٣٨٢٣	سورة فاطر (٣٥): الآيات ١٨ الى ٢٦
٣٨٢٣	اشاره
٣٨٢٣	اللغه
٣٨٢٤	المعنى
٣٨٢٥	سورة فاطر (٣٥): الآيات ٢٧ الى ٣٠
٣٨٢٥	اشاره
٣٨٢٥	اللغه
٣٨٢٦	الإعراب
٣٨٢٦	المعنى
٣٨٢٧	سورة فاطر (٣٥): الآيات ٣١ الى ٣٥
٣٨٢٧	اشاره
٣٨٢٨	القراءه
٣٨٢٨	اللغه
٣٨٢٨	الإعراب
٣٨٢٨	المعنى
٣٨٣١	سورة فاطر (٣٥): الآيات ٣٦ الى ٤٠
٣٨٣١	اشاره
٣٨٣١	القراءه
٣٨٣١	الحججه
٣٨٣٢	اللغه

٣٨٢٢	الإعراب
٣٨٢٢	المعنى
٣٨٢٥	سورة فاطر (٣٥): الآيات ٤١ إلى ٤٥
٣٨٢٥	اشاره
٣٨٢٥	القراءه
٣٨٢٥	الحججه
٣٨٢٦	الإعراب
٣٨٢٦	المعنى
٣٨٢٨	سورة يس مكيه و آياتها ثلاث و ثمانون (٨٣)
٣٨٢٨	اشاره
٣٨٢٨	[توضيح]
٣٨٢٨	عدد آيها
٣٨٢٨	اختلافها
٣٨٢٨	فضلها
٣٨٤٠	تفسيرها
٣٨٤٠	سورة يس (٣٦): الآيات ١ إلى ١٠
٣٨٤٠	اشاره
٣٨٤١	القراءه
٣٨٤١	الحججه
٣٨٤٢	اللغه
٣٨٤٣	المعنى
٣٨٤٥	سورة يس (٣٦): الآيات ١١ إلى ٢٠
٣٨٤٥	اشاره
٣٨٤٦	القراءه
٣٨٤٦	الحججه
٣٨٤٦	الإعراب
٣٨٤٦	المعنى
٣٨٤٩	سورة يس (٣٦): الآيات ٢١ إلى ٣٠
٣٨٤٩	اشاره
٣٨٥٠	القراءه
٣٨٥٠	الحججه
٣٨٥١	المعنى
٣٨٥٢	سورة يس (٣٦): الآيات ٣١ إلى ٤٥
٣٨٥٢	اشاره
٣٨٥٢	القراءه
٣٨٥٢	الحججه
٣٨٥٢	الإعراب
٣٨٥٢	المعنى
٣٨٥٤	سورة يس (٣٦): الآيات ٣٦ إلى ٤٠
٣٨٥٤	اشاره
٣٨٥٥	القراءه

٣٨٥٥	الحججه
٣٨٥٥	اللغه
٣٨٥٦	المعنى
٣٨٥٨	[سوره يس (٣٦): الآيات ٤١ الى ٥٠]
٣٨٥٨	اشاره
٣٨٥٨	القراهه
٣٨٥٨	الحججه
٣٨٥٩	اللغه
٣٨٥٩	الإعراب
٣٨٥٩	المعنى
٣٨٦١	[سوره يس (٣٦): الآيات ٥١ الى ٦٠]
٣٨٦١	اشاره
٣٨٦١	القراهه
٣٨٦٢	الحججه
٣٨٦٢	اللغه
٣٨٦٢	المعنى
٣٨٦٥	[سوره يس (٣٦): الآيات ٦١ الى ٦٥]
٣٨٦٥	اشاره
٣٨٦٥	القراهه
٣٨٦٥	الحججه
٣٨٦٥	المعنى
٣٨٦٦	[سوره يس (٣٦): الآيات ٦٦ الى ٧٠]
٣٨٦٦	اشاره
٣٨٦٦	القراهه
٣٨٦٦	الحججه
٣٨٦٧	اللغه
٣٨٦٧	الإعراب
٣٨٦٧	المعنى
٣٨٦٩	[سوره يس (٣٦): الآيات ٧١ الى ٧٦]
٣٨٦٩	اشاره
٣٨٧٠	القراهه
٣٨٧٠	الحججه
٣٨٧٠	المعنى
٣٨٧١	[سوره يس (٣٦): الآيات ٧٧ الى ٨٣]
٣٨٧١	اشاره
٣٨٧٢	القراهه
٣٨٧٢	الإعراب
٣٨٧٢	المعنى
٣٨٧٦	[سوره الصافات مكيه و آياتها ثنتان و ثمانون و مائه (١٨٢)]
٣٨٧٦	اشاره
٣٨٧٦	عدد آياتها

٣٨٧٦	اختلافها
٣٨٧٦	فضلها
٣٨٧٦	تفسيرها
٣٨٧٦	[سورة الصافات (٣٧): الآيات ١ إلى ١٠]
٣٨٧٦	اشاره
٣٨٧٨	القراءه
٣٨٧٨	الحججه
٣٨٧٩	اللغه
٣٨٧٩	الإعراب
٣٨٧٩	المعنى
٣٨٨١	[سورة الصافات (٣٧): الآيات ١١ إلى ٢٠]
٣٨٨١	اشاره
٣٨٨١	القراءه
٣٨٨١	الحججه
٣٨٨٢	اللغه
٣٨٨٢	المعنى
٣٨٨٢	[سورة الصافات (٣٧): الآيات ٢١ إلى ٣٠]
٣٨٨٢	اشاره
٣٨٨٤	المعنى
٣٨٨٥	[سورة الصافات (٣٧): الآيات ٣١ إلى ٤٠]
٣٨٨٥	اشاره
٣٨٨٥	المعنى
٣٨٨٦	[سورة الصافات (٣٧): الآيات ٤١ إلى ٥٠]
٣٨٨٦	اشاره
٣٨٨٧	القراءه
٣٨٨٧	الحججه
٣٨٨٧	اللغه
٣٨٨٩	[سورة الصافات (٣٧): الآيات ٥١ إلى ٦٠]
٣٨٨٩	اشاره
٣٨٨٩	القراءه
٣٨٨٩	الحججه
٣٨٨٩	الإعراب
٣٨٨٩	المعنى
٣٨٩٠	[سورة الصافات (٣٧): الآيات ٦١ إلى ٧٠]
٣٨٩٠	اشاره
٣٨٩١	اللغه
٣٨٩١	المعنى
٣٨٩٤	[سورة الصافات (٣٧): الآيات ٧١ إلى ٨٢]
٣٨٩٤	اشاره
٣٨٩٤	المعنى
٣٨٩٦	[سورة الصافات (٣٧): الآيات ٨٣ إلى ١٠٠]

٣٨٩٦	اشاره
٣٨٩٦	القرانه
٣٨٩٦	الحجه
٣٨٩٧	اللغه
٣٨٩٧	المعنى
٣٩٠١ [سوره الصافات (٣٧): الآيات ١٠١ الى ١١٣]	
٣٩٠١	اشاره
٣٩٠٢	القرانه
٣٩٠٢	الحجه
٣٩٠٢	اللغه
٣٩٠٣	الإعراب
٣٩٠٣	المعنى
٣٩٠٨ [سوره الصافات (٣٧): الآيات ١١٤ الى ١٢٢]	
٣٩٠٨	اشاره
٣٩٠٨	اللغه
٣٩٠٨	المعنى
٣٩١٠ [سوره الصافات (٣٧): الآيات ١٢٣ الى ١٣٢]	
٣٩١٠	اشاره
٣٩١٠	القرانه
٣٩١٠	الحجه
٣٩١١	الإعراب
٣٩١١	المعنى
٣٩١٢ [سوره الصافات (٣٧): الآيات ١٣٣ الى ١٤٢]	
٣٩١٢	اشاره
٣٩١٢	القرانه
٣٩١٢	اللغه
٣٩١٣	الإعراب
٣٩١٣	المعنى
٣٩١٥ [سوره الصافات (٣٧): الآيات ١٤٣ الى ١٦٠]	
٣٩١٥	اشاره
٣٩١٥	القرانه
٣٩١٥	الحجه
٣٩١٦	المعنى
٣٩١٧ [سوره الصافات (٣٧): الآيات ١٦١ الى ١٧٠]	
٣٩١٧	اشاره
٣٩١٧	القرانه
٣٩١٧	الحجه
٣٩١٧	اللغه
٣٩١٧	المعنى
٣٩١٨ [سوره الصافات (٣٧): الآيات ١٧١ الى ١٨٢]	
٣٩١٨	اشاره

٣٩١٩	المعنى
٣٩٢١	سوره ص مكيه و آياتها ثمان و ثمانون (٨٨)
٣٩٢١	اشاره
٣٩٢١	عدد آياتها
٣٩٢١	اختلافها
٣٩٢١	فضلها
٣٩٢١	تفسيرها
٣٩٢١	سوره ص (٣٨): الآيات ١ الى ٥
٣٩٢١	اشاره
٣٩٢٣	القراءه
٣٩٢٣	الحججه
٣٩٢٥	المعنى
٣٩٢٥	سوره ص (٣٨): الآيات ٦ الى ١٠
٣٩٢٥	اشاره
٣٩٢٦	اللغه
٣٩٢٦	الإعراب
٣٩٢٦	المعنى
٣٩٢٧	سوره ص (٣٨): الآيات ١١ الى ١٥
٣٩٢٧	اشاره
٣٩٢٧	القراءه
٣٩٢٧	الحججه
٣٩٢٧	اللغه
٣٩٢٨	الإعراب
٣٩٢٨	المعنى
٣٩٢٩	سوره ص (٣٨): الآيات ١٦ الى ٢٠
٣٩٢٩	اشاره
٣٩٢٩	اللغه
٣٩٣٠	المعنى
٣٩٣١	سوره ص (٣٨): الآيات ٢١ الى ٢٥
٣٩٣١	اشاره
٣٩٣١	القراءه
٣٩٣٣	الحججه
٣٩٣٣	اللغه
٣٩٣٣	المعنى
٣٩٣٥	سوره ص (٣٨): الآيات ٢٦ الى ٢٩
٣٩٣٥	اشاره
٣٩٣٦	القراءه
٣٩٣٦	الحججه
٣٩٣٦	اللغه
٣٩٣٦	المعنى
٣٩٣٧	سوره ص (٣٨): الآيات ٣٠ الى ٤٠

٣٩٣٧	اشاره
٣٩٣٨	اللغه
٣٩٣٨	المعنى
٣٩٤٣	[سوره ص (٣٨): الآيات ٤١ الى ٤٤]
٣٩٤٣	اشاره
٣٩٤٣	القراءه
٣٩٤٤	الحججه
٣٩٤٤	اللغه
٣٩٤٤	المعنى
٣٩٤٧	[سوره ص (٣٨): الآيات ٤٥ الى ٥٤]
٣٩٤٧	اشاره
٣٩٤٧	القراءه
٣٩٤٧	الحججه
٣٩٥٠	الإعراب
٣٩٥٠	المعنى
٣٩٥٢	[سوره ص (٣٨): الآيات ٥٥ الى ٦١]
٣٩٥٢	اشاره
٣٩٥٢	القراءه
٣٩٥٢	الحججه
٣٩٥٣	اللغه
٣٩٥٤	المعنى
٣٩٥٥	[سوره ص (٣٨): الآيات ٦٢ الى ٧٠]
٣٩٥٥	اشاره
٣٩٥٥	القراءه
٣٩٥٥	الحججه
٣٩٥٦	المعنى
٣٩٥٧	[سوره ص (٣٨): الآيات ٧١ الى ٨٣]
٣٩٥٧	اشاره
٣٩٥٨	المعنى
٣٩٥٩	[سوره ص (٣٨): الآيات ٨٤ الى ٨٨]
٣٩٥٩	اشاره
٣٩٥٩	القراءه
٣٩٦٠	الحججه
٣٩٦٠	المعنى
٣٩٦١	(٣٩) سوره الزمر مكيه و آياتها خمس و سبعون (٧٥)
٣٩٦١	اشاره
٣٩٦١	[أوضح]
٣٩٦١	عدد آياتها
٣٩٦١	اختلافها
٣٩٦١	فضلها
٣٩٦١	تفسيرها

٣٩٦١ [سورة الزمر (٣٩): الآيات ١ إلى ٥]

٣٩٦١ اشارة

٣٩٦٣ اللغة

٣٩٦٣ الإعراب

٣٩٦٣ المعنى

٣٩٦٥ [سورة الزمر (٣٩): الآيات ٦ إلى ١٠]

٣٩٦٥ اشارة

٣٩٦٦ القراءة

٣٩٦٦ الحجج

٣٩٦٦ اللغة

٣٩٦٧ الإعراب

٣٩٦٧ المعنى

٣٩٧٠ [سورة الزمر (٣٩): الآيات ١١ إلى ٢٠]

٣٩٧٠ اشارة

٣٩٧٠ اللغة

٣٩٧٠ الإعراب

٣٩٧١ المعنى

٣٩٧٣ [سورة الزمر (٣٩): الآيات ٢١ إلى ٢٥]

٣٩٧٣ اشارة

٣٩٧٣ اللغة

٣٩٧٣ الإعراب

٣٩٧٤ المعنى

٣٩٧٦ [سورة الزمر (٣٩): الآيات ٢٦ إلى ٣١]

٣٩٧٦ اشارة

٣٩٧٦ القراءة

٣٩٧٦ الحجج

٣٩٧٦ اللغة

٣٩٧٧ الإعراب

٣٩٧٧ المعنى

٣٩٧٨ [سورة الزمر (٣٩): الآيات ٣٢ إلى ٣٥]

٣٩٧٨ اشارة

٣٩٧٨ الإعراب

٣٩٧٨ المعنى

٣٩٧٩ [سورة الزمر (٣٩): الآيات ٣٦ إلى ٤٠]

٣٩٧٩ اشارة

٣٩٨٠ القراءة

٣٩٨٠ الحجج

٣٩٨٠ اللغة

٣٩٨١ [سورة الزمر (٣٩): الآيات ٤١ إلى ٤٥]

٣٩٨١ اشارة

٣٩٨٢ القراءة

٣٩٨٢	الحججه
٣٩٨٢	اللغه
٣٩٨٢	المعنى
٣٩٨٤	[سوره الزمر (٣٩): الآيات ٤٦ الى ٥٠]
٣٩٨٤	اشاره
٣٩٨٥	المعنى
٣٩٨٦	[سوره الزمر (٣٩): الآيات ٥١ الى ٥٥]
٣٩٨٦	اشاره
٣٩٨٦	المعنى
٣٩٨٧	[سوره الزمر (٣٩): الآيات ٥٦ الى ٦٠]
٣٩٨٧	اشاره
٣٩٨٨	القراءه
٣٩٨٨	الحججه
٣٩٨٨	اللغه
٣٩٨٩	المعنى
٣٩٩٠	[سوره الزمر (٣٩): الآيات ٦١ الى ٦٦]
٣٩٩٠	اشاره
٣٩٩٠	القراءه
٣٩٩٠	الحججه
٣٩٩١	المعنى
٣٩٩٢	[سوره الزمر (٣٩): الآيات ٦٧ الى ٧٠]
٣٩٩٢	اشاره
٣٩٩٣	الإعراب
٣٩٩٣	المعنى
٣٩٩٥	[سوره الزمر (٣٩): الآيات ٧١ الى ٧٥]
٣٩٩٥	اشاره
٣٩٩٦	القراءه
٣٩٩٦	الحججه
٣٩٩٦	اللغه
٣٩٩٧	المعنى
٣٩٩٩	(٤٠) سوره غافر مكيه و آياتها خمس و ثمانون (٨٥)
٣٩٩٩	اشاره
٣٩٩٩	[توضيح]
٣٩٩٩	عدد آياتها
٣٩٩٩	اختلافها
٣٩٩٩	فضلها
٤٠٠١	تفسيرها
٤٠٠١	[سوره غافر (٤٠): الآيات ١ الى ٥]
٤٠٠١	اشاره
٤٠٠١	القراءه
٤٠٠١	اللغه

٤٠٠٢	الإعراب
٤٠٠٢	المعنى
٤٠٠٣	[سورة غافر (٤٠): الآيات ٦ الى ١٠]
٤٠٠٣	اشاره
٤٠٠٤	القراءة
٤٠٠٤	الحججه
٤٠٠٤	الإعراب
٤٠٠٥	المعنى
٤٠٠٦	[سورة غافر (٤٠): الآيات ١١ الى ١٧]
٤٠٠٦	اشاره
٤٠٠٦	القراءة
٤٠٠٧	الحججه
٤٠٠٧	الإعراب
٤٠٠٧	المعنى
٤٠٠٩	[سورة غافر (٤٠): الآيات ١٨ الى ٢٠]
٤٠٠٩	اشاره
٤٠٠٩	القراءة
٤٠٠٩	الحججه
٤٠٠٩	اللغه
٤٠١٠	الإعراب
٤٠١٠	المعنى
٤٠١٠	[سورة غافر (٤٠): الآيات ٢١ الى ٢٥]
٤٠١٠	اشاره
٤٠١٢	القراءة
٤٠١٢	الحججه
٤٠١٢	المعنى
٤٠١٣	[سورة غافر (٤٠): الآيات ٢٦ الى ٣٠]
٤٠١٣	اشاره
٤٠١٤	القراءة
٤٠١٤	الحججه
٤٠١٤	المعنى
٤٠١٦	[سورة غافر (٤٠): الآيات ٣١ الى ٣٥]
٤٠١٦	اشاره
٤٠١٦	القراءة
٤٠١٦	الحججه
٤٠١٧	اللغه
٤٠١٧	المعنى
٤٠١٨	[سورة غافر (٤٠): الآيات ٣٦ الى ٤٠]
٤٠١٨	اشاره
٤٠١٩	القراءة
٤٠١٩	الحججه

٤٠١٩	اللغة
٤٠١٩	المعنى
٤٠٢٠	[سورة غافر (٤٠): الآيات ٤١ الى ٤٦]
٤٠٢٠	اشاره
٤٠٢١	القراءة
٤٠٢١	الحججه
٤٠٢١	المعنى
٤٠٢٢	[سورة غافر (٤٠): الآيات ٤٧ الى ٥٠]
٤٠٢٢	اشاره
٤٠٢٣	اللغة
٤٠٢٣	الإعراب
٤٠٢٣	المعنى
٤٠٢٤	[سورة غافر (٤٠): الآيات ٥١ الى ٥٥]
٤٠٢٤	اشاره
٤٠٢٤	القراءة
٤٠٢٤	الحججه
٤٠٢٤	الإعراب
٤٠٢٤	المعنى
٤٠٢٥	[سورة غافر (٤٠): الآيات ٥٦ الى ٦٠]
٤٠٢٥	اشاره
٤٠٢٦	القراءة
٤٠٢٦	الحججه
٤٠٢٦	المعنى
٤٠٢٨	[سورة غافر (٤٠): الآيات ٦١ الى ٦٥]
٤٠٢٨	اشاره
٤٠٢٨	المعنى
٤٠٢٩	[سورة غافر (٤٠): الآيات ٦٦ الى ٧٠]
٤٠٢٩	اشاره
٤٠٣٠	المعنى
٤٠٣١	[سورة غافر (٤٠): الآيات ٧١ الى ٧٥]
٤٠٣١	اشاره
٤٠٣١	القراءة
٤٠٣١	الحججه
٤٠٣١	اللغة
٤٠٣٢	المعنى
٤٠٣٣	[سورة غافر (٤٠): الآيات ٧٦ الى ٨٠]
٤٠٣٣	اشاره
٤٠٣٣	المعنى
٤٠٣٤	[سورة غافر (٤٠): الآيات ٨١ الى ٨٥]
٤٠٣٤	اشاره
٤٠٣٤	المعنى

٤٠٣٨	المجلد ٩
٤٠٣٨	اشاره
٤٠٣٨	اشاره
٤٠٤١	(٤١) سورة فصلت مكيه و آياتها أربع و خمسون (٥٤)
٤٠٤١	اشاره
٤٠٤١	اشاره
٤٠٤١	عدد آياتها
٤٠٤١	اختلافها
٤٠٤١	فضليها
٤٠٤١	تفسيرها
٤٠٤٢	[سورة فصلت (٤١): الآيات ١ الى ٥]
٤٠٤٢	اشاره
٤٠٤٢	الإعراب
٤٠٤٢	المعنى
٤٠٤٤	[سورة فصلت (٤١): الآيات ٦ الى ١٠]
٤٠٤٤	اشاره
٤٠٤٤	القراءة
٤٠٤٤	الحججه
٤٠٤٤	المعنى
٤٠٤٦	[سورة فصلت (٤١): الآيات ١١ الى ١٥]
٤٠٤٦	اشاره
٤٠٤٦	الإعراب
٤٠٤٧	المعنى
٤٠٤٩	[سورة فصلت (٤١): الآيات ١٦ الى ٢٠]
٤٠٤٩	اشاره
٤٠٤٩	القراءة
٤٠٤٩	الحججه
٤٠٥٠	اللغه
٤٠٥٠	الإعراب
٤٠٥٠	المعنى
٤٠٥٢	[سورة فصلت (٤١): الآيات ٢١ الى ٢٥]
٤٠٥٢	اشاره
٤٠٥٢	القراءة
٤٠٥٢	الحججه
٤٠٥٢	اللغه
٤٠٥٣	المعنى
٤٠٥٥	[سورة فصلت (٤١): الآيات ٢٦ الى ٣٠]
٤٠٥٥	اشاره
٤٠٥٥	اللغه
٤٠٥٥	الإعراب
٤٠٥٥	المعنى

٤٠٥٧ [سورة فصلت (٤١): الآيات ٣١ الى ٣٥]

٤٠٥٧ اشارة

٤٠٥٧ الإعراب

٤٠٥٧ المعنى

٤٠٦٠ [سورة فصلت (٤١): الآيات ٣٦ الى ٤٢]

٤٠٦٠ اشارة

٤٠٦٠ اللغة

٤٠٦٠ الإعراب

٤٠٦٠ المعنى

٤٠٦٣ [سورة فصلت (٤١): الآيات ٤٣ الى ٤٥]

٤٠٦٣ اشارة

٤٠٦٣ القراءة

٤٠٦٣ الحجج

٤٠٦٤ المعنى

٤٠٦٦ [سورة فصلت (٤١): الآيات ٤٦ الى ٥٠]

٤٠٦٦ اشارة

٤٠٦٦ القراءة

٤٠٦٦ الحجج

٤٠٦٦ اللغة

٤٠٦٦ المعنى

٤٠٦٨ [سورة فصلت (٤١): الآيات ٥١ الى ٥٤]

٤٠٦٨ اشارة

٤٠٦٨ المعنى

٤٠٧١ (٤٢) سورة الشورى مكيه و آياتها ثلاث و خمسون (٥٣)

٤٠٧١ اشارة

٤٠٧١ اشارة

٤٠٧١ عدد آياتها

٤٠٧١ فضلها

٤٠٧١ تفسيرها

٤٠٧٢ [سورة الشورى (٤٢): الآيات ١ الى ٥]

٤٠٧٢ اشارة

٤٠٧٢ القراءة

٤٠٧٢ الحجج

٤٠٧٢ المعنى

٤٠٧٤ [سورة الشورى (٤٢): الآيات ٦ الى ١٠]

٤٠٧٤ اشارة

٤٠٧٤ المعنى

٤٠٧٦ [سورة الشورى (٤٢): الآيات ١١ الى ١٥]

٤٠٧٦ اشارة

٤٠٧٦ اللغة

٤٠٧٦ الإعراب

٤٠٧٦	المعنى
٤٠٨٠	[سورة الشورى (٤٢): الآيات ١٦ الى ٢٠]
٤٠٨٠	اشاره
٤٠٨٠	المعنى
٤٠٨٣	[سورة الشورى (٤٢): الآيات ٢١ الى ٢٥]
٤٠٨٣	اشاره
٤٠٨٣	القراءة
٤٠٨٣	الإعراب
٤٠٨٣	المعنى
٤٠٨٧	[سورة الشورى (٤٢): الآيات ٢٦ الى ٣٠]
٤٠٨٧	اشاره
٤٠٨٧	القراءة
٤٠٨٧	الحججه
٤٠٨٨	المعنى
٤٠٨٩	[سورة الشورى (٤٢): الآيات ٣١ الى ٣٥]
٤٠٨٩	اشاره
٤٠٩٠	القراءة
٤٠٩٠	الحججه
٤٠٩٠	اللغه
٤٠٩١	المعنى
٤٠٩٢	[سورة الشورى (٤٢): الآيات ٣٦ الى ٤٠]
٤٠٩٢	اشاره
٤٠٩٢	القراءة
٤٠٩٢	الحججه
٤٠٩٢	الإعراب
٤٠٩٢	المعنى
٤٠٩٥	[سورة الشورى (٤٢): الآيات ٤١ الى ٤٥]
٤٠٩٥	اشاره
٤٠٩٥	الإعراب
٤٠٩٥	المعنى
٤٠٩٧	[سورة الشورى (٤٢): الآيات ٤٦ الى ٥٠]
٤٠٩٧	اشاره
٤٠٩٧	المعنى
٤٠٩٨	[سورة الشورى (٤٢): الآيات ٥١ الى ٥٣]
٤٠٩٨	اشاره
٤٠٩٨	القراءة
٤٠٩٨	الحججه
٤١٠٠	المعنى
٤١٠٢	[سورة الزخرف مكيه و آياتها تسع و ثمانون (٨٩)]
٤١٠٢	اشاره
٤١٠٢	اشاره

- ٤١٠٢ عدد أيها
- ٤١٠٢ اختلافها
- ٤١٠٢ فضلها
- ٤١٠٢ تفسيرها
- ٤١٠٢ [سورة الزخرف (٤٣): الآيات ١ الى ٥]
- ٤١٠٢ اشاره
- ٤١٠٤ القراءه
- ٤١٠٤ الحجه
- ٤١٠٤ اللغه
- ٤١٠٤ المعنى
- ٤١٠٥ [سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٦ الى ١٠]
- ٤١٠٥ اشاره
- ٤١٠٥ المعنى
- ٤١٠٦ [سورة الزخرف (٤٣): الآيات ١١ الى ١٥]
- ٤١٠٦ اشاره
- ٤١٠٦ اللغه
- ٤١٠٧ المعنى
- ٤١٠٨ [سورة الزخرف (٤٣): الآيات ١٦ الى ٢٠]
- ٤١٠٨ اشاره
- ٤١٠٨ القراءه
- ٤١٠٩ الحجه
- ٤١١٠ المعنى
- ٤١١١ [سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٢١ الى ٢٥]
- ٤١١١ اشاره
- ٤١١١ القراءه
- ٤١١١ الحجه
- ٤١١١ المعنى
- ٤١١٢ [سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٢٦ الى ٣٠]
- ٤١١٢ اشاره
- ٤١١٢ اللغه
- ٤١١٣ المعنى
- ٤١١٤ [سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٣١ الى ٣٥]
- ٤١١٤ اشاره
- ٤١١٤ القراءه
- ٤١١٤ الحجه
- ٤١١٥ اللغه
- ٤١١٧ [سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٣٦ الى ٤٠]
- ٤١١٧ اشاره
- ٤١١٧ القراءه
- ٤١١٧ الحجه
- ٤١١٧ اللغه

٤١١٧	المعنى
٤١٢٠	[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٤١ الى ٤٥]
٤١٢٠	اشاره
٤١٢٠	الإعراب
٤١٢٠	المعنى
٤١٢٢	[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٤٦ الى ٥٤]
٤١٢٢	اشاره
٤١٢٢	القراءة
٤١٢٢	الحججه
٤١٢٢	المعنى
٤١٢٥	[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٥٥ الى ٦٠]
٤١٢٥	اشاره
٤١٢٥	القراءة
٤١٢٥	الحججه
٤١٢٦	اللغه
٤١٢٦	المعنى
٤١٢٨	[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٦١ الى ٦٥]
٤١٢٨	اشاره
٤١٢٨	القراءة
٤١٢٨	المعنى
٤١٣٠	[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٦٦ الى ٧٥]
٤١٣٠	اشاره
٤١٣٠	القراءة
٤١٣٠	الحججه
٤١٣٠	اللغه
٤١٣٣	[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٧٦ الى ٨٥]
٤١٣٣	اشاره
٤١٣٣	القراءة
٤١٣٣	الحججه
٤١٣٤	الإعراب
٤١٣٤	المعنى
٤١٣٦	[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ٨٦ الى ٨٩]
٤١٣٦	اشاره
٤١٣٦	القراءة
٤١٣٦	الحججه
٤١٣٧	المعنى
٤١٣٨	(٤٤) سورة الدخان مكيه و آياتها تسع و خمسون (٥٩)
٤١٣٨	اشاره
٤١٣٨	عدد آياتها
٤١٣٨	اختلافها
٤١٣٨	فضلها

٤١٣٨	تفسيرها
٤١٣٩	سورة الدخان (٤٤): الآيات ١ إلى ١١
٤١٣٩	اشاره
٤١٣٩	القراءه
٤١٣٩	الحججه
٤١٣٩	الإعراب
٤١٣٩	المعنى
٤١٤٢	سورة الدخان (٤٤): الآيات ١٢ إلى ٢١
٤١٤٢	اشاره
٤١٤٢	الإعراب
٤١٤٣	المعنى
٤١٤٤	سورة الدخان (٤٤): الآيات ٢٢ إلى ٢٩
٤١٤٤	اشاره
٤١٤٤	اللغه
٤١٤٤	الإعراب
٤١٤٥	المعنى
٤١٤٧	سورة الدخان (٤٤): الآيات ٣٠ إلى ٤٠
٤١٤٧	اشاره
٤١٤٧	الإعراب
٤١٤٧	المعنى
٤١٤٩	سورة الدخان (٤٤): الآيات ٤١ إلى ٥٠
٤١٤٩	اشاره
٤١٤٩	القراءه
٤١٥٠	الحججه
٤١٥٠	المعنى
٤١٥١	سورة الدخان (٤٤): الآيات ٥١ إلى ٥٩
٤١٥١	اشاره
٤١٥١	القراءه
٤١٥١	الحججه
٤١٥٢	اللغه
٤١٥٢	الإعراب
٤١٥٢	المعنى
٤١٥٤	سورة الجاثية مكيه إلا آيه ١٤ فمدنيه و آياتها سبع و ثلاثون (٣٧)
٤١٥٤	اشاره
٤١٥٤	اشاره
٤١٥٤	عدد آياتها
٤١٥٤	اختلافها
٤١٥٤	فضلها
٤١٥٤	تفسيرها
٤١٥٥	سورة الجاثية (٤٥): الآيات ١ إلى ٥
٤١٥٥	اشاره

٤١٥٥	القراءه
٤١٥٥	الحججه
٤١٥٧	المعنى
٤١٥٨	[سوره الجاثيه (٤٥): الآيات ٦ الى ١٠]
٤١٥٨	اشاره
٤١٥٨	القراءه
٤١٥٩	الحججه
٤١٥٩	المعنى
٤١٦٠	[سوره الجاثيه (٤٥): الآيات ١١ الى ١٥]
٤١٦٠	اشاره
٤١٦٠	القراءه
٤١٦٠	الحججه
٤١٦١	المعنى
٤١٦٢	[سوره الجاثيه (٤٥): الآيات ١٦ الى ٢٠]
٤١٦٢	اشاره
٤١٦٢	المعنى
٤١٦٤	[سوره الجاثيه (٤٥): الآيات ٢١ الى ٢٥]
٤١٦٤	اشاره
٤١٦٤	القراءه
٤١٦٤	الحججه
٤١٦٥	اللغه
٤١٦٦	المعنى
٤١٦٨	[سوره الجاثيه (٤٥): الآيات ٢٦ الى ٣٠]
٤١٦٨	اشاره
٤١٦٨	القراءه
٤١٦٨	الحججه
٤١٦٨	المعنى
٤١٧٠	[سوره الجاثيه (٤٥): الآيات ٣١ الى ٣٧]
٤١٧٠	اشاره
٤١٧٠	القراءه
٤١٧٠	الحججه
٤١٧٠	المعنى
٤١٧٣	(٤٦) سوره الأحقاف مكيه و آياتها خمس و ثلاثون (٣٥)
٤١٧٣	اشاره
٤١٧٣	اشاره
٤١٧٣	عدد آياتها
٤١٧٣	اختلافها
٤١٧٣	فضلها
٤١٧٣	تفسيرها
٤١٧٤	[سوره الأحقاف (٤٦): الآيات ١ الى ٥]
٤١٧٤	اشاره

٤١٧٤	القراءة	سورة الأحقاف (٤٦): الآيات ٦ الى ١٠
٤١٧٤	الحجج	
٤١٧٤	المعنى	
٤١٧٦	القراءة	سورة الأحقاف (٤٦): الآيات ١١ الى ١٥
٤١٧٦	اشاره	
٤١٧٦	اللغه	
٤١٧٧	المعنى	
٤١٧٩	القراءة	سورة الأحقاف (٤٦): الآيات ١١ الى ١٥
٤١٧٩	اشاره	
٤١٧٩	القراءة	
٤١٧٩	الحجج	
٤١٨١	اللغه	
٤١٨١	الإعراب	
٤١٨١	المعنى	
٤١٨٣	القراءة	سورة الأحقاف (٤٦): الآيات ١٦ الى ٢٠
٤١٨٣	اشاره	
٤١٨٣	القراءة	
٤١٨٣	الحجج	
٤١٨٣	الإعراب	
٤١٨٣	المعنى	
٤١٨٧	القراءة	سورة الأحقاف (٤٦): الآيات ٢١ الى ٢٥
٤١٨٧	اشاره	
٤١٨٧	القراءة	
٤١٨٨	الحجج	
٤١٨٨	اللغه	
٤١٩٠	القراءة	سورة الأحقاف (٤٦): الآيات ٢٦ الى ٣٠
٤١٩٠	اشاره	
٤١٩٠	القراءة	
٤١٩٠	الحجج	
٤١٩١	اللغه	
٤١٩١	الإعراب	
٤١٩١	المعنى	
٤١٩٤	القراءة	سورة الأحقاف (٤٦): الآيات ٣١ الى ٣٥
٤١٩٤	اشاره	
٤١٩٤	القراءة	
٤١٩٤	الحجج	
٤١٩٥	المعنى	
٤١٩٧	اشاره	سورة محمد مدنيه و آياتها ثمان و ثلاثون (٣٨)
٤١٩٧	اشاره	
٤١٩٧	اشاره	
٤١٩٧	عدد آياتها	

٤١٩٧	اختلافها
٤١٩٧	فضلها
٤١٩٧	تفسيرها
٤١٩٨	[سورة محمد (٤٧): الآيات ١ الي ٦]
٤١٩٨	اشاره
٤١٩٨	القراءه
٤١٩٨	الحججه
٤١٩٨	اللغه
٤١٩٩	المعنى
٤٢٠١	[سورة محمد (٤٧): الآيات ٧ الي ١٠]
٤٢٠١	اشاره
٤٢٠١	اللغه
٤٢٠٢	المعنى
٤٢٠٣	[سورة محمد (٤٧): الآيات ١١ الي ١٥]
٤٢٠٣	اشاره
٤٢٠٣	القراءه
٤٢٠٣	الحججه
٤٢٠٣	اللغه
٤٢٠٤	الإعراب
٤٢٠٤	المعنى
٤٢٠٦	[سورة محمد (٤٧): الآيات ١٦ الي ٢٠]
٤٢٠٦	اشاره
٤٢٠٦	القراءه
٤٢٠٦	الحججه
٤٢٠٦	اللغه
٤٢٠٨	المعنى
٤٢١٠	[سورة محمد (٤٧): الآيات ٢١ الي ٢٥]
٤٢١٠	اشاره
٤٢١١	القراءه
٤٢١١	الحججه
٤٢١١	المعنى
٤٢١٤	[سورة محمد (٤٧): الآيات ٢٦ الي ٣٠]
٤٢١٤	اشاره
٤٢١٤	القراءه
٤٢١٤	الحججه
٤٢١٤	اللغه
٤٢١٦	المعنى
٤٢١٧	[سورة محمد (٤٧): الآيات ٣١ الي ٣٥]
٤٢١٧	اشاره
٤٢١٧	القراءه
٤٢١٧	الحججه

٤٢١٧	اللغة
٤٢١٧	المعنى
٤٢١٩	[سورة محمد (٤٧): الآيات ٣٦ الى ٣٨]
٤٢١٩	اشاره
٤٢١٩	القراءة
٤٢٢٠	الحججه
٤٢٢٠	اللغة
٤٢٢٠	الإعراب
٤٢٢٠	المعنى
٤٢٢٢	(٤٨) سورة الفتح مدنيه و آياتها تسع و عشرون (٢٩)
٤٢٢٢	اشاره
٤٢٢٢	عدد آياتها
٤٢٢٢	فضلها
٤٢٢٢	تفسيرها
٤٢٢٣	[سورة الفتح (٤٨): الآيات ١ الى ٥]
٤٢٢٣	اشاره
٤٢٢٣	اللغة
٤٢٢٣	المعنى
٤٢٢٧	[سورة الفتح (٤٨): الآيات ٦ الى ١٠]
٤٢٢٧	اشاره
٤٢٢٧	القراءة
٤٢٢٧	الحججه
٤٢٢٧	المعنى
٤٢٣٠	[سورة الفتح (٤٨): الآيات ١١ الى ١٥]
٤٢٣٠	اشاره
٤٢٣٠	القراءة
٤٢٣٠	الحججه
٤٢٣٠	اللغة
٤٢٣٣	[سورة الفتح (٤٨): الآيات ١٦ الى ٢٠]
٤٢٣٣	اشاره
٤٢٣٣	القراءة
٤٢٣٣	المعنى
٤٢٤٤	[سورة الفتح (٤٨): الآيات ٢١ الى ٢٥]
٤٢٤٤	اشاره
٤٢٤٤	القراءة
٤٢٤٤	الحججه
٤٢٤٤	اللغة
٤٢٤٤	الإعراب
٤٢٤٥	المعنى
٤٢٤٧	[سورة الفتح (٤٨): الآيات ٢٦ الى ٢٩]
٤٢٤٧	اشاره

٤٢٤٧	القراءه
٤٢٤٨	الحججه
٤٢٤٨	اللغه
٤٢٤٨	المعنى
٤٢٥٣	[سوره الحجرات مدنيه و آياتها ثمانى عشره (١٨)]
٤٢٥٣	اشاره
٤٢٥٣	[توضيح]
٤٢٥٣	عدد آياتها
٤٢٥٣	فضلها
٤٢٥٣	تفسيرها
٤٢٥٤	[سوره الحجرات (٤٩): الآيات ١ الى ٥]
٤٢٥٤	اشاره
٤٢٥٤	القراءه
٤٢٥٤	الحججه
٤٢٥٤	اللغه
٤٢٥٤	المعنى
٤٢٥٩	[سوره الحجرات (٤٩): الآيات ٦ الى ١٠]
٤٢٥٩	اشاره
٤٢٥٩	القراءه
٤٢٥٩	اللغه
٤٢٥٩	الإعراب
٤٢٤٦	المعنى
٤٢٤٤	[سوره الحجرات (٤٩): الآيات ١١ الى ١٤]
٤٢٤٤	اشاره
٤٢٤٤	القراءه
٤٢٤٤	الحججه
٤٢٤٤	اللغه
٤٢٤٧	المعنى
٤٢٧١	[سوره الحجرات (٤٩): الآيات ١٥ الى ١٨]
٤٢٧١	اشاره
٤٢٧١	القراءه
٤٢٧١	الحججه
٤٢٧١	الإعراب
٤٢٧١	المعنى
٤٢٧٣	[سوره قى مكبه و آياتها خمس و أربعون (٤٥)]
٤٢٧٣	اشاره
٤٢٧٣	اشاره
٤٢٧٣	فضلها
٤٢٧٣	تفسيرها
٤٢٧٣	[سوره قى (٥٠): الآيات ١ الى ٥]
٤٢٧٣	اشاره

٤٢٧٤ اللغة

٤٢٧٤ الإعراب

٤٢٧٤ المعنى

٤٢٧٥ [سوره ق (٥٠): الآيات ٦ الى ١١]

٤٢٧٥ اشاره

٤٢٧٥ اللغة

٤٢٧٦ الإعراب

٤٢٧٦ المعنى

٤٢٧٧ [سوره ق (٥٠): الآيات ١٢ الى ٢٠]

٤٢٧٧ اشاره

٤٢٧٧ القراءه

٤٢٧٧ الحججه

٤٢٧٨ اللغة

٤٢٧٨ المعنى

٤٢٨١ [سوره ق (٥٠): الآيات ٢١ الى ٣٠]

٤٢٨١ اشاره

٤٢٨١ القراءه

٤٢٨١ الحججه

٤٢٨١ اللغة

٤٢٨١ الإعراب

٤٢٨٣ المعنى

٤٢٨٦ [سوره ق (٥٠): الآيات ٣١ الى ٤٠]

٤٢٨٦ اشاره

٤٢٨٦ القراءه

٤٢٨٦ الحججه

٤٢٨٧ اللغة

٤٢٨٧ الإعراب

٤٢٨٧ المعنى

٤٢٩٠ [سوره ق (٥٠): الآيات ٤١ الى ٤٥]

٤٢٩٠ اشاره

٤٢٩٠ الإعراب

٤٢٩٠ المعنى

٤٢٩٢ (٥١) سوره النازيات مكيه و آياتها ستون (٦٠)

٤٢٩٢ اشاره

٤٢٩٢ اشاره

٤٢٩٢ فضلها

٤٢٩٢ تفسيرها

٤٢٩٣ [سوره النازيات (٥١): الآيات ١ الى ١٤]

٤٢٩٣ اشاره

٤٢٩٣ اللغة

٤٢٩٣ الإعراب

٤٢٩٥	المعنى
٤٢٩٧	سورة النازيات (٥١): الآيات ١٥ الى ٢٣
٤٢٩٧	اشاره
٤٢٩٧	القراءة
٤٢٩٧	الحججه
٤٢٩٨	الإعراب
٤٢٩٩	المعنى
٤٣٠١	سورة النازيات (٥١): الآيات ٢٤ الى ٣٧
٤٣٠١	اشاره
٤٣٠١	اللغه
٤٣٠٢	المعنى
٤٣٠٤	سورة النازيات (٥١): الآيات ٣٨ الى ٤٦
٤٣٠٤	اشاره
٤٣٠٤	القراءة
٤٣٠٤	الحججه
٤٣٠٥	اللغه
٤٣٠٥	المعنى
٤٣٠٦	سورة النازيات (٥١): الآيات ٤٧ الى ٦٠
٤٣٠٦	اشاره
٤٣٠٦	القراءة
٤٣٠٦	الحججه
٤٣٠٧	اللغه
٤٣١٠	(٥٢) سورة الطور مكيه و آياتها تسع و أربعون (٢٩)
٤٣١٠	اشاره
٤٣١٠	عدد آياتها
٤٣١٠	فضلها
٤٣١٠	تفسيرها
٤٣١١	سورة الطور (٥٢): الآيات ١ الى ١٦
٤٣١١	اشاره
٤٣١١	اللغه
٤٣١١	الإعراب
٤٣١٣	المعنى
٤٣١٥	سورة الطور (٥٢): الآيات ١٧ الى ٢٨
٤٣١٥	اشاره
٤٣١٥	القراءة
٤٣١٥	الحججه
٤٣١٨	سورة الطور (٥٢): الآيات ٢٩ الى ٤٠
٤٣١٨	اشاره
٤٣١٩	القراءة
٤٣١٩	الحججه
٤٣١٩	اللغه

٤٣١٩	المعنى
٤٣٢١	[سوره الطور (٥٢): الآيات ٤١ الى ٤٩]
٤٣٢١	اشاره
٤٣٢١	القراءه
٤٣٢٢	الحججه
٤٣٢٢	اللغه
٤٣٢٢	المعنى
٤٣٢٤	[سوره النجم مكيه و آياتها ننتان و ستون (٦٢)]
٤٣٢٤	اشاره
٤٣٢٤	اشاره
٤٣٢٤	عدد آيها
٤٣٢٤	اختلافها
٤٣٢٤	فضلها
٤٣٢٤	تفسيرها
٤٣٢٥	[سوره النجم (٥٣): الآيات ١ الى ١٠]
٤٣٢٥	اشاره
٤٣٢٥	القراءه
٤٣٢٥	الحججه
٤٣٢٥	اللغه
٤٣٢٧	الإعراب
٤٣٢٧	المعنى
٤٣٣٠	[سوره النجم (٥٣): الآيات ١١ الى ٢٠]
٤٣٣٠	اشاره
٤٣٣٠	القراءه
٤٣٣٠	الحججه
٤٣٣١	المعنى
٤٣٣٤	[سوره النجم (٥٣): الآيات ٢١ الى ٣٠]
٤٣٣٤	اشاره
٤٣٣٤	القراءه
٤٣٣٤	الحججه
٤٣٣٥	المعنى
٤٣٣٧	[سوره النجم (٥٣): الآيات ٣١ الى ٤١]
٤٣٣٧	اشاره
٤٣٣٧	اللغه
٤٣٣٧	الإعراب
٤٣٣٩	المعنى
٤٣٤٢	[سوره النجم (٥٣): الآيات ٤٢ الى ٦٢]
٤٣٤٢	اشاره
٤٣٤٢	القراءه
٤٣٤٢	الحججه
٤٣٤٤	اللغه

٤٣٤٥	المعنى
٤٣٤٨	(٥٤) سورة القمر مكيه و آياتها خمس و خمسون (٥٥)
٤٣٤٨	اشاره
٤٣٤٨	اشاره
٤٣٤٨	قظلها
٤٣٤٨	تفسيرها
٤٣٤٩	[سورة القمر (٥٤): الآيات ١ الى ١٠]
٤٣٤٩	اشاره
٤٣٤٩	القراءه
٤٣٤٩	الحججه
٤٣٥١	اللغه
٤٣٥١	الإعراب
٤٣٥١	المعنى
٤٣٥٤	[سورة القمر (٥٤): الآيات ١١ الى ٢١]
٤٣٥٤	اشاره
٤٣٥٤	القراءه
٤٣٥٤	الحججه
٤٣٥٥	اللغه
٤٣٥٥	الإعراب
٤٣٥٥	المعنى
٤٣٥٨	[سورة القمر (٥٤): الآيات ٢٢ الى ٣١]
٤٣٥٨	اشاره
٤٣٥٨	القراءه
٤٣٥٨	الحججه
٤٣٥٨	اللغه
٤٣٥٨	الإعراب
٤٣٦٠	المعنى
٤٣٦٢	[سورة القمر (٥٤): الآيات ٣٢ الى ٤٢]
٤٣٦٢	اشاره
٤٣٦٢	الإعراب
٤٣٦٢	المعنى
٤٣٦٤	[سورة القمر (٥٤): الآيات ٤٣ الى ٥٥]
٤٣٦٤	اشاره
٤٣٦٤	القراءه
٤٣٦٤	الحججه
٤٣٦٥	المعنى
٤٣٦٨	(٥٥) سورة الرحمن مدنيه و آياتها ثمان و سبعون (٧٨)
٤٣٦٨	اشاره
٤٣٦٨	اشاره
٤٣٦٨	عدد آياتها
٤٣٦٨	اختلافها

٤٣٤٨	فضليها
٤٣٤٩	تفسيرها
٤٣٤٩	[سورة الرحمن (٥٥): الآيات ١ الى ١٣]
٤٣٤٩	اشاره
٤٣٤٩	القراءه
٤٣٤٩	الحججه
٤٣٧٠	اللغه
٤٣٧١	الإعراب
٤٣٧١	المعنى
٤٣٧٥	[سورة الرحمن (٥٥): الآيات ١٤ الى ٣٠]
٤٣٧٥	اشاره
٤٣٧٥	القراءه
٤٣٧٥	الحججه
٤٣٧٥	اللغه
٤٣٧٧	المعنى
٤٣٨٠	[سورة الرحمن (٥٥): الآيات ٣١ الى ٤٥]
٤٣٨٠	اشاره
٤٣٨٠	القراءه
٤٣٨١	الحججه
٤٣٨٢	اللغه
٤٣٨٤	المعنى
٤٣٨٧	[سورة الرحمن (٥٥): الآيات ٤٦ الى ٦١]
٤٣٨٧	اشاره
٤٣٨٧	القراءه
٤٣٨٧	الحججه
٤٣٨٧	اللغه
٤٣٨٩	المعنى
٤٣٩١	[سورة الرحمن (٥٥): الآيات ٦٢ الى ٧٨]
٤٣٩١	اشاره
٤٣٩١	القراءه
٤٣٩١	الحججه
٤٣٩٢	اللغه
٤٣٩٣	المعنى
٤٣٩٦	(٥٦) سورة الواقعة مكيه و آياتها ست و تسعون (٩٦)
٤٣٩٦	اشاره
٤٣٩٦	اشاره
٤٣٩٦	عدد آياتها
٤٣٩٦	اختلافها
٤٣٩٦	فضليها
٤٣٩٧	تفسيرها
٤٣٩٧	[سورة الواقعة (٥٦): الآيات ١ الى ١٦]

٤٣٩٧ اشارة

٤٣٩٧ القراءه

٤٣٩٧ الحججه

٤٣٩٨ اللغه

٤٣٩٩ الإعراب

٤٤٠٠ المعنى

٤٤٠٢ [سوره الواقعه (٥٦): الآيات ١٧ الى ٢٦] -

٤٤٠٢ اشارة

٤٤٠٢ القراءه

٤٤٠٢ الحججه

٤٤٠٤ [سوره الواقعه (٥٦): الآيات ٢٧ الى ٤٠] -

٤٤٠٤ اشارة

٤٤٠٤ القراءه

٤٤٠٤ الحججه

٤٤٠٥ اللغه

٤٤٠٩ [سوره الواقعه (٥٦): الآيات ٤١ الى ٥٦] -

٤٤٠٩ اشارة

٤٤٠٩ القراءه

٤٤٠٩ الحججه

٤٤١٠ اللغه

٤٤١٠ المعنى

٤٤١٢ [سوره الواقعه (٥٦): الآيات ٥٧ الى ٧٤] -

٤٤١٢ اشارة

٤٤١٢ القراءه

٤٤١٢ الحججه

٤٤١٢ اللغه

٤٤١٦ [سوره الواقعه (٥٦): الآيات ٧٥ الى ٨٧] -

٤٤١٦ اشارة

٤٤١٦ القراءه

٤٤١٦ الحججه

٤٤١٧ اللغه

٤٤١٧ الإعراب

٤٤١٨ المعنى

٤٤٢٠ [سوره الواقعه (٥٦): الآيات ٨٨ الى ٩٦] -

٤٤٢٠ اشارة

٤٤٢٠ القراءه

٤٤٢٠ الحججه

٤٤٢٠ الإعراب

٤٤٢١ المعنى

٤٤٢٣ [٥٧) سوره الحديد مدنيه و آياتها تسع و عشرون (٢٩)] -

٤٤٢٣ اشارة

عدد أيها	٤٤٢٣
اختلافها	٤٤٢٣
فضلها	٤٤٢٣
تفسيرها	٤٤٢٣
سورة الحديد (٥٧): الآيات ١ الى ٦	٤٤٢٤
اشاره	٤٤٢٤
المعنى	٤٤٢٤
سورة الحديد (٥٧): الآيات ٧ الى ١٠	٤٤٢٦
اشاره	٤٤٢٦
القراءة	٤٤٢٦
الحججه	٤٤٢٦
المعنى	٤٤٢٧
سورة الحديد (٥٧): الآيات ١١ الى ١٥	٤٤٢٩
اشاره	٤٤٢٩
القراءة	٤٤٢٩
القراءة في فيضاغفه و الاختلاف فيه قد مضى ذكره في سورة البقره و قرأ حمزه أنظرونا بقطع الهمزه و فتحها و كسر الظاء و الباقون «نظرونا» بهمزه الوصل و ضم الظاء و قرأ أبو جعفر و ابن عامر و يعقوب لا تؤخذ منكم بالثناء و الباقون بالياء و في الشواذ قرأه سهل بن شعيب و بإيمانهم	٤٤٢٩
الحججه	٤٤٢٩
اللغه	٤٤٣١
الإعراب	٤٤٣١
المعنى	٤٤٣١
سورة الحديد (٥٧): الآيات ١٦ الى ٢٠	٤٤٣٤
اشاره	٤٤٣٤
القراءة	٤٤٣٤
الحججه	٤٤٣٤
اللغه	٤٤٣٥
المعنى	٤٤٣٦
سورة الحديد (٥٧): الآيات ٢١ الى ٢٥	٤٤٣٨
اشاره	٤٤٣٨
القراءة	٤٤٣٨
الحججه	٤٤٣٨
اللغه	٤٤٣٩
الإعراب	٤٤٣٩
المعنى	٤٤٣٩
سورة الحديد (٥٧): الآيات ٢٦ الى ٢٩	٤٤٤٢
اشاره	٤٤٤٢
اللغه	٤٤٤٢
الإعراب	٤٤٤٣
المعنى	٤٤٤٣
سورة المجادله مدنيه و آياتها ثنتان و عشرون (٢٢) (٥٨)	٤٤٤٧
اشاره	٤٤٤٧
عدد أيها	٤٤٤٧

٤٤٤٧	اختلافها
٤٤٤٧	فضلها
٤٤٤٧	تفسيرها
٤٤٤٨	[سورة المجادلة (٥٨): الآيات ١ الى ٥]
٤٤٤٨	اشاره
٤٤٤٨	القراءه
٤٤٤٨	الحجه
٤٤٤٨	اللغه
٤٤٥٠	المعنى
٤٤٥٢	[سورة المجادلة (٥٨): الآيات ٦ الى ١٠]
٤٤٥٢	اشاره
٤٤٥٢	القراءه
٤٤٥٢	الحجه
٤٤٥٤	اللغه
٤٤٥٤	الإعراب
٤٤٥٤	المعنى
٤٤٥٧	[سورة المجادلة (٥٨): الآيات ١١ الى ١٥]
٤٤٥٧	اشاره
٤٤٥٧	القراءه
٤٤٥٧	الحجه
٤٤٥٧	اللغه
٤٤٥٩	المعنى
٤٤٦١	[سورة المجادلة (٥٨): الآيات ١٦ الى ٢٢]
٤٤٦١	اشاره
٤٤٦١	القراءه
٤٤٦١	الحجه
٤٤٦٢	اللغه
٤٤٦٢	المعنى
٤٤٦٤	(٥٩) سورة الحشر مدنيه و آياتها أربع و عشرون (٢٤)
٤٤٦٤	اشاره
٤٤٦٤	عدد آياتها
٤٤٦٤	فضلها
٤٤٦٤	تفسيرها
٤٤٦٥	[سورة الحشر (٥٩): الآيات ١ الى ٥]
٤٤٦٥	اشاره
٤٤٦٥	القراءه
٤٤٦٥	الحجه
٤٤٦٥	اللغه
٤٤٦٧	الإعراب
٤٤٦٨	المعنى
٤٤٧١	[سورة الحشر (٥٩): الآيات ٦ الى ١٠]

٤٤٧١	اشاره
٤٤٧١	القرائه
٤٤٧١	الحججه
٤٤٧١	اللغه
٤٤٧٣	المعنى
٤٤٧٦ [سوره الحشر (٥٩): الآيات ١١ الى ١٥]	
٤٤٧٦	اشاره
٤٤٧٦	القرائه
٤٤٧٦	الحججه
٤٤٧٧	الإعراب
٤٤٧٧	المعنى
٤٤٧٩ [سوره الحشر (٥٩): الآيات ١٦ الى ٢٠]	
٤٤٧٩	اشاره
٤٤٧٩	اللغه
٤٤٧٩	المعنى
٤٤٨١ [سوره الحشر (٥٩): الآيات ٢١ الى ٢٤]	
٤٤٨١	اشاره
٤٤٨١	فضلها
٤٤٨١	اللغه
٤٤٨١	المعنى
٤٤٨٥ [سوره الممتحنه مدنيه و آياتها ثلاث عشره (١٣)]	
٤٤٨٥	اشاره
٤٤٨٥	أوضح
٤٤٨٥	فضلها
٤٤٨٥	تفسيرها
٤٤٨٦ [سوره الممتحنه (٦٠): الآيات ١ الى ٥]	
٤٤٨٦	اشاره
٤٤٨٦	القرائه
٤٤٨٦	الحججه
٤٤٨٧	الإعراب
٤٤٨٨	المعنى
٤٤٩١ [سوره الممتحنه (٦٠): الآيات ٦ الى ٩]	
٤٤٩١	اشاره
٤٤٩١	المعنى
٤٤٩٤ [سوره الممتحنه (٦٠): الآيات ١٠ الى ١١]	
٤٤٩٤	اشاره
٤٤٩٤	القرائه
٤٤٩٤	الحججه
٤٤٩٦	المعنى
٤٤٩٨ [سوره الممتحنه (٦٠): الآيات ١٢ الى ١٣]	
٤٤٩٨	اشاره

٤٤٩٨	الإعراب
٤٤٩٨	المعنى
٤٥٠١	(٦١) سورة الصف مدنيه و آياتها أربع عشره (١٤)
٤٥٠١	اشاره
٤٥٠١	اشاره
٤٥٠١	فضلها
٤٥٠١	تفسيرها
٤٥٠٢	[سوره الصف (٦١): الآيات ١ الى ٥]
٤٥٠٢	اشاره
٤٥٠٢	اللغه
٤٥٠٢	الإعراب
٤٥٠٢	المعنى
٤٥٠٥	[سوره الصف (٦١): الآيات ٦ الى ٩]
٤٥٠٥	اشاره
٤٥٠٥	القراءه
٤٥٠٥	الحججه
٤٥٠٥	الإعراب
٤٥٠٥	المعنى
٤٥٠٧	[سوره الصف (٦١): الآيات ١٠ الى ١٤]
٤٥٠٧	اشاره
٤٥٠٧	القراءه
٤٥٠٧	الحججه
٤٥٠٧	اللغه
٤٥٠٧	الإعراب
٤٥٠٨	المعنى
٤٥١١	المجلد ١٠
٤٥١١	اشاره
٤٥١١	اشاره
٤٥١٤	(٦٢) سورة الجمعه مدينه و آياتها إحدى عشره (١١)
٤٥١٤	اشاره
٤٥١٤	أوضح
٤٥١٤	فضلها
٤٥١٤	تفسيرها
٤٥١٥	[سوره الجمعه (٦٢): الآيات ١ الى ٥]
٤٥١٥	اشاره
٤٥١٥	اللغه
٤٥١٥	الإعراب
٤٥١٥	المعنى
٤٥١٩	[سوره الجمعه (٦٢): الآيات ٦ الى ١١]
٤٥١٩	اشاره
٤٥١٩	اللغه

٤٥٢١	المعنى
٤٥٢٦	سورة المنافقون مدنيه و آياتها إحدى عشره (١١)
٤٥٢٦	اشاره
٤٥٢٦	أوضح
٤٥٢٦	فضلها
٤٥٢٦	تفسيرها
٤٥٢٧	سورة المنافقون (٦٢): الآيات ١ الى ٥
٤٥٢٧	اشاره
٤٥٢٧	القراءه
٤٥٢٧	الحججه
٤٥٢٧	اللغه
٤٥٢٩	الإعراب
٤٥٢٩	المعنى
٤٥٣١	سورة المنافقون (٦٢): الآيات ٦ الى ١١
٤٥٣١	اشاره
٤٥٣١	القراءه
٤٥٣١	الحججه
٤٥٣٢	اللغه
٤٥٣٤	المعنى
٤٥٣٦	سورة التغابن مدنيه و آياتها ثمانى عشره (١٨)
٤٥٣٦	اشاره
٤٥٣٦	أوضح
٤٥٣٦	عدد آياتها
٤٥٣٦	فضلها
٤٥٣٦	تفسيرها
٤٥٣٧	سورة التغابن (٦٤): الآيات ١ الى ٥
٤٥٣٧	اشاره
٤٥٣٧	المعنى
٤٥٤٠	سورة التغابن (٦٤): الآيات ٦ الى ١٠
٤٥٤٠	اشاره
٤٥٤٠	القراءه
٤٥٤٠	الحججه
٤٥٤٠	الإعراب
٤٥٤٠	المعنى
٤٥٤٣	سورة التغابن (٦٤): الآيات ١١ الى ١٨
٤٥٤٣	اشاره
٤٥٤٣	القراءه
٤٥٤٣	الحججه
٤٥٤٣	المعنى
٤٥٤٧	سورة الطلاق مدنيه و آياتها اثنتا عشره (١٢)
٤٥٤٧	اشاره

٤٥٤٧	أوضح [
٤٥٤٧	عدد آياتها
٤٥٤٧	فضلها
٤٥٤٧	تفسيرها
٤٥٤٨	[سورة الطلاق (٦٥): الآيات ١ إلى ٥]
٤٥٤٨	اشاره
٤٥٤٨	القراءه
٤٥٤٨	الحججه
٤٥٤٩	الإعراب
٤٥٤٩	المعنى
٤٥٥٧	[سورة الطلاق (٦٥): الآيات ٦ إلى ١٠]
٤٥٥٧	اشاره
٤٥٥٧	القراءه
٤٥٥٧	الحججه
٤٥٥٨	المعنى
٤٥٦١	[سورة الطلاق (٦٥): الآيات ١١ إلى ١٢]
٤٥٦١	اشاره
٤٥٦١	القراءه
٤٥٦١	الإعراب
٤٥٦١	المعنى
٤٥٦٣	(٦٦) سورة التحريم مدنيه و آياتها اثنتا عشره (١٢)
٤٥٦٣	اشاره
٤٥٦٣	أوضح [
٤٥٦٣	فضلها
٤٥٦٣	تفسيرها
٤٥٦٤	[سورة التحريم (٦٦): الآيات ١ إلى ٥]
٤٥٦٤	اشاره
٤٥٦٤	القراءه
٤٥٦٤	الحججه
٤٥٦٤	اللغه
٤٥٦٤	الإعراب
٤٥٦٨	المعنى
٤٥٧٢	[سورة التحريم (٦٦): الآيات ٦ إلى ١٢]
٤٥٧٢	اشاره
٤٥٧٢	القراءه
٤٥٧٢	الحججه
٤٥٧٣	الإعراب
٤٥٧٣	المعنى
٤٥٧٧	(٦٧) سورة الملك مكيه و آياتها ثلاثون (٣٠)
٤٥٧٧	اشاره
٤٥٧٧	أوضح [

٤٥٧٧	عدد آياتها
٤٥٧٧	فضلها
٤٥٧٩	تفسيرها
٤٥٧٩	[سورة الملك (٦٧): الآيات ١ الي ٥]
٤٥٧٩	اشاره
٤٥٧٩	القراءه
٤٥٧٩	الحججه
٤٥٨٠	اللغه
٤٥٨٠	الإعراب
٤٥٨٠	المعنى
٤٥٨٢	[سورة الملك (٦٧): الآيات ١٦ الي ١١]
٤٥٨٢	اشاره
٤٥٨٢	القراءه
٤٥٨٢	الحججه
٤٥٨٢	اللغه
٤٥٨٢	المعنى
٤٥٨٥	[سورة الملك (٦٧): الآيات ١٢ الي ٢١]
٤٥٨٥	اشاره
٤٥٨٥	القراءه
٤٥٨٥	الحججه
٤٥٨٥	اللغه
٤٥٨٧	الإعراب
٤٥٨٨	المعنى
٤٥٩٠	[سورة الملك (٦٧): الآيات ٢٢ الي ٣٠]
٤٥٩٠	اشاره
٤٥٩٠	القراءه
٤٥٩٠	الحججه
٤٥٩١	اللغه
٤٥٩١	الإعراب
٤٥٩١	المعنى
٤٥٩٤	[سورة القلم مكيه و آياتها ثنتان و خمسون (٥٢)]
٤٥٩٤	اشاره
٤٥٩٤	[توضيح]
٤٥٩٤	فضلها
٤٥٩٤	تفسيرها
٤٥٩٥	[سورة القلم (٦٨): الآيات ١ الي ١٦]
٤٥٩٥	اشاره
٤٥٩٥	القراءه
٤٥٩٥	الحججه
٤٥٩٥	اللغه
٤٥٩٧	الإعراب

٤٥٩٨	المعنى
٤٦٠٤	[سورة القلم (٦٨): الآيات ١٧ إلى ٣٣]
٤٦٠٤	اشاره
٤٦٠٤	القراءه
٤٦٠٤	اللغه
٤٦٠٨	[سورة القلم (٦٨): الآيات ٣٤ إلى ٤٥]
٤٦٠٨	اشاره
٤٦٠٩	اللغه
٤٦٠٩	المعنى
٤٦١٢	[سورة القلم (٦٨): الآيات ٤٦ إلى ٥٢]
٤٦١٢	اشاره
٤٦١٢	القراءه
٤٦١٢	الحججه
٤٦١٢	اللغه
٤٦١٦	[سورة الحاقه مكيه و آياتها ثنتان و خمسون (٥٢)]
٤٦١٦	اشاره
٤٦١٦	عدد آياتها
٤٦١٦	اختلافها
٤٦١٦	فضلها
٤٦١٦	تفسيرها
٤٦١٧	[سورة الحاقه (٦٩): الآيات ١ إلى ١٠]
٤٦١٧	اشاره
٤٦١٧	القراءه
٤٦١٧	الحججه
٤٦١٧	اللغه
٤٦١٧	الإعراب
٤٦١٨	المعنى
٤٦٢١	[سورة الحاقه (٦٩): الآيات ١١ إلى ٢٤]
٤٦٢١	اشاره
٤٦٢١	القراءه
٤٦٢١	الحججه
٤٦٢١	اللغه
٤٦٢٢	الإعراب
٤٦٢٢	المعنى
٤٦٢٤	[سورة الحاقه (٦٩): الآيات ٢٥ إلى ٣٧]
٤٦٢٤	اشاره
٤٦٢٤	اللغه
٤٦٢٥	الإعراب
٤٦٢٥	المعنى
٤٦٢٧	[سورة الحاقه (٦٩): الآيات ٣٨ إلى ٥٢]
٤٦٢٧	اشاره

٤٦٢٧	القراءه
٤٦٢٧	اللغه
٤٦٢٨	المعنى
٤٦٣٠	(٧٠) سورة المعارج مكيه و آياتها أربع و أربعون (٤٤)
٤٦٣٠	اشاره
٤٦٣٠	أوضح
٤٦٣٠	عدد آياتها
٤٦٣٠	اختلافها
٤٦٣٠	فضلها
٤٦٣٠	تفسيرها
٤٦٣١	(سورة المعارج (٧٠): الآيات ١ الى ١٠] ..
٤٦٣١	اشاره
٤٦٣١	القراءه
٤٦٣١	الحججه
٤٦٣٣	اللغه
٤٦٣٣	المعنى
٤٦٣٤	(سورة المعارج (٧٠): الآيات ١١ الى ٢٥] ..
٤٦٣٤	اشاره
٤٦٣٤	القراءه
٤٦٣٤	الحججه
٤٦٣٧	اللغه
٤٦٣٧	الإعراب
٤٦٣٨	المعنى
٤٦٤١	(سورة المعارج (٧٠): الآيات ٣٦ الى ٤٤] ..
٤٦٤١	اشاره
٤٦٤١	القراءه
٤٦٤١	الحججه
٤٦٤١	اللغه
٤٦٤٢	المعنى
٤٦٤٥	(٧١) سورة نوح مكيه و آياتها ثمان و عشرون (٢٨)
٤٦٤٥	اشاره
٤٦٤٥	عدد آياتها
٤٦٤٥	اختلافها
٤٦٤٥	فضلها
٤٦٤٥	تفسيرها
٤٦٤٦	(سورة نوح (٧١): الآيات ١ الى ١٤] ..
٤٦٤٦	اشاره
٤٦٤٦	اللغه
٤٦٤٦	الإعراب
٤٦٤٧	المعنى
٤٦٥٠	(سورة نوح (٧١): الآيات ١٥ الى ٢٨) ..

٤٦٥٠	اشاره
٤٦٥٠	القراءه
٤٦٥٠	الحججه
٤٦٥٠	اللغه
٤٦٥٢	الإعراب
٤٦٥٢	المعنى
٤٦٥٦	(٧٢) سورة الجن مكيه و آياتها ثمان و عشرون (٢٨)
٤٦٥٦	اشاره
٤٦٥٦	أوضح [
٤٦٥٦	فضلها
٤٦٥٦	تفسيرها
٤٦٥٧	[سوره الجن (٧٢): الآيات ١ الى ١٠
٤٦٥٧	اشاره
٤٦٥٧	القراءه
٤٦٥٧	الحججه
٤٦٦٠	اللغه
٤٦٦٠	الإعراب
٤٦٦٠	المعنى
٤٦٦٤	[سوره الجن (٧٢): الآيات ١١ الى ٢٠
٤٦٦٤	اشاره
٤٦٦٤	القراءه
٤٦٦٤	الحججه
٤٦٦٥	اللغه
٤٦٦٦	المعنى
٤٦٦٩	[سوره الجن (٧٢): الآيات ٢١ الى ٢٨
٤٦٦٩	اشاره
٤٦٦٩	القراءه
٤٦٦٩	اللغه
٤٦٦٩	الإعراب
٤٦٦٩	المعنى
٤٦٧٣	(٧٣) سورة المزمل مكيه و آياتها عشرون (٢٠)
٤٦٧٣	اشاره
٤٦٧٣	أوضح [
٤٦٧٣	عدد آياتها
٤٦٧٣	اختلافها
٤٦٧٣	فضلها
٤٦٧٣	تفسيرها
٤٦٧٤	[سوره المزمل (٧٣): الآيات ١ الى ١٠
٤٦٧٤	اشاره
٤٦٧٤	القراءه
٤٦٧٤	الحججه

٤٦٧٤	اللغة
٤٦٧٧	الإعراب
٤٦٧٧	المعنى
٤٦٨٢	[سورة المزمل (٧٣): الآيات ١١ إلى ١٩]
٤٦٨٢	إشاره
٤٦٨٢	اللغة
٤٦٨٢	المعنى
٤٦٨٥	[سورة المزمل (٧٣): آيه ٢٠]
٤٦٨٥	إشاره
٤٦٨٥	القراءه
٤٦٨٥	الحججه
٤٦٨٥	المعنى
٤٦٨٨	[سورة المدثر مكيه و آياتها ست و خمسون (٥٦)]
٤٦٨٨	إشاره
٤٦٨٨	عدد آياتها
٤٦٨٨	اختلافها
٤٦٨٨	فضلها
٤٦٨٨	تفسيرها
٤٦٨٩	[سورة المدثر (٧٤): الآيات ١ إلى ١٠]
٤٦٨٩	إشاره
٤٦٨٩	القراءه
٤٦٨٩	الحججه
٤٦٨٩	اللغة
٤٦٩١	الإعراب
٤٦٩١	المعنى
٤٦٩٤	[سورة المدثر (٧٤): الآيات ١١ إلى ٣١]
٤٦٩٤	إشاره
٤٦٩٥	اللغة
٤٦٩٥	الإعراب
٤٦٩٦	المعنى
٤٧٠٠	[سورة المدثر (٧٤): الآيات ٣٢ إلى ٥٦]
٤٧٠٠	إشاره
٤٧٠٠	القراءه
٤٧٠٠	الحججه
٤٧٠٢	اللغة
٤٧٠٢	الإعراب
٤٧٠٢	المعنى
٤٧٠٦	[سورة القيامه مكيه و آياتها أربعون (٤٠)]
٤٧٠٦	إشاره
٤٧٠٦	أوضح
٤٧٠٦	اختلافها

٤٧٠٦	فضليها
٤٧٠٦	تفسيرها
٤٧٠٧	[سورة القيامة (٧٥): الآيات ١ الى ١٥]
٤٧٠٧	اشاره
٤٧٠٧	القراءه
٤٧٠٧	الحججه
٤٧٠٩	المعنى
٤٧١٢	[سورة القيامة (٧٥): الآيات ١٦ الى ٢٥]
٤٧١٢	اشاره
٤٧١٢	القراءه
٤٧١٢	الحججه
٤٧١٢	اللغه
٤٧١٤	المعنى
٤٧١٨	[سورة القيامة (٧٥): الآيات ٢٦ الى ٤٠]
٤٧١٨	اشاره
٤٧١٨	القراءه
٤٧١٨	الحججه
٤٧١٨	اللغه
٤٧١٩	الإعراب
٤٧١٩	المعنى
٤٧٢٢	(٧٦) سورة الإنسان مدنيه و آياتها إحدى و ثلاثون (٣١)
٤٧٢٢	اشاره
٤٧٢٢	أوضح
٤٧٢٢	عدد آياتها
٤٧٢٢	فضليها
٤٧٢٢	تفسيرها
٤٧٢٣	[سورة الإنسان (٧٦): الآيات ١ الى ١٠]
٤٧٢٣	اشاره
٤٧٢٣	القراءه
٤٧٢٣	الحججه
٤٧٢٤	اللغه
٤٧٢٨	المعنى
٤٧٢٣	[سورة الإنسان (٧٦): الآيات ١١ الى ٢٢]
٤٧٢٣	اشاره
٤٧٢٣	القراءه
٤٧٢٣	الحججه
٤٧٢٥	اللغه
٤٧٢٦	الإعراب
٤٧٢٦	المعنى
٤٧٢٩	[سورة الإنسان (٧٦): الآيات ٢٣ الى ٣١]
٤٧٢٩	اشاره

٤٧٢٩	القراءة
٤٧٢٩	الحججه
٤٧٢٩	اللغه
٤٧٤٠	الإعراب
٤٧٤٠	المعنى
٤٧٤٢	(٧٧) سورة المرسلات مكيه و آياتها خمسون (٥٠)
٤٧٤٢	اشاره
٤٧٤٢	أوضح
٤٧٤٢	فضلها
٤٧٤٢	تفسيرها
٤٧٤٢	(سورة المرسلات (٧٧): الآيات ١ الى ١٥)
٤٧٤٢	اشاره
٤٧٤٢	القراءة
٤٧٤٣	الحججه
٤٧٤٣	المعنى
٤٧٤٥	(سورة المرسلات (٧٧): الآيات ١٦ الى ٢٨)
٤٧٤٥	اشاره
٤٧٤٥	القراءة
٤٧٤٥	الحججه
٤٧٤٥	اللغه
٤٧٤٦	الإعراب
٤٧٤٦	المعنى
٤٧٤٧	(سورة المرسلات (٧٧): الآيات ٢٩ الى ٤٠)
٤٧٤٧	اشاره
٤٧٤٧	القراءة
٤٧٤٨	الحججه
٤٧٤٨	المعنى
٤٧٥٠	(سورة المرسلات (٧٧): الآيات ٤١ الى ٥٠)
٤٧٥٠	اشاره
٤٧٥٠	المعنى
٤٧٥٢	(٧٨) سورة النبأ مكيه و آياتها أربعون (٤٠)
٤٧٥٢	اشاره
٤٧٥٢	أوضح
٤٧٥٢	عدد آياتها
٤٧٥٢	اختلافها
٤٧٥٢	فضلها
٤٧٥٢	تفسيرها
٤٧٥٣	(سورة النبأ (٧٨): الآيات ١ الى ١٦)
٤٧٥٣	اشاره
٤٧٥٣	القراءة
٤٧٥٣	الحججه

٢٧٥٣	اللغة
٢٧٥٤	الإعراب
٢٧٥٥	المعنى
٢٧٥٦	[سورة التبا (٧٨): الآيات ١٧ الى ٣٠]
٢٧٥٦	اشاره
٢٧٥٦	القراءه
٢٧٥٧	الحججه
٢٧٥٧	اللغه
٢٧٥٩	المعنى
٢٧٦١	[سورة التبا (٧٨): الآيات ٣١ الى ٤٠]
٢٧٦١	اشاره
٢٧٦٢	القراءه
٢٧٦٢	الحججه
٢٧٦٢	اللغه
٢٧٦٤	المعنى
٢٧٦٧	(٧٩) سورة النزاعات مكيه و آياتها ست و أربعون (٤٦)
٢٧٦٧	اشاره
٢٧٦٧	عدد آيها
٢٧٦٧	اختلافها
٢٧٦٧	فضلها
٢٧٦٧	تفسيرها
٢٧٦٨	[سورة النزاعات (٧٩): الآيات ١ الى ١٤]
٢٧٦٨	اشاره
٢٧٦٨	القراءه
٢٧٦٨	الحججه
٢٧٦٨	اللغه
٢٧٧٠	المعنى
٢٧٧٤	[سورة النزاعات (٧٩): الآيات ١٥ الى ٢٦]
٢٧٧٤	اشاره
٢٧٧٤	القراءه
٢٧٧٤	الحججه
٢٧٧٥	المعنى
٢٧٧٧	[سورة النزاعات (٧٩): الآيات ٢٧ الى ٤٦]
٢٧٧٧	اشاره
٢٧٧٧	القراءه
٢٧٧٧	الحججه
٢٧٧٩	اللغه
٢٧٧٩	الإعراب
٢٧٨٠	المعنى
٢٧٨٢	(٨٠) سورة عبس مكيه و آياتها ننتان و أربعون (٤٢)
٢٧٨٢	اشاره

٤٧٨٢	أوضح [
٤٧٨٢	عدد آياتها
٤٧٨٢	اختلافها
٤٧٨٢	فضلها
٤٧٨٢	تفسيرها
٤٧٨٣	سورة عبس (٨٠): الآيات ١ إلى ٢٣
٤٧٨٣	اشاره
٤٧٨٣	القراءه
٤٧٨٣	الحججه
٤٧٨٤	اللغه
٤٧٨٤	الإعراب
٤٧٨٥	المعنى
٤٧٨٧	سورة عبس (٨٠): الآيات ٢٤ إلى ٤٢
٤٧٨٧	اشاره
٤٧٨٧	القراءه
٤٧٨٨	الحججه
٤٧٨٨	اللغه
٤٧٨٨	الإعراب
٤٧٨٨	المعنى
٤٧٩١	(٨١) سورة التكوير مكيه و آياتها تسع و عشرون (٢٩)
٤٧٩١	اشاره
٤٧٩١	أوضح [
٤٧٩١	عدد آياتها
٤٧٩١	فضلها
٤٧٩١	تفسيرها
٤٧٩٢	سورة التكوير (٨١): الآيات ١ إلى ١٤
٤٧٩٢	اشاره
٤٧٩٢	القراءه
٤٧٩٢	الحججه
٤٧٩٤	اللغه
٤٧٩٦	الإعراب
٤٧٩٦	المعنى
٤٧٩٨	سورة التكوير (٨١): الآيات ١٥ إلى ٢٩
٤٧٩٨	اشاره
٤٧٩٨	القراءه
٤٧٩٨	الحججه
٤٧٩٩	اللغه
٤٧٩٩	الإعراب
٤٧٩٩	المعنى
٤٨٠٢	(٨٢) سورة انفطرت مكيه و آياتها تسع عشره (١٩)
٤٨٠٢	اشاره

٤٨٠٢	[أوضح]
٤٨٠٢	فضلها
٤٨٠٢	تفسيرها
٤٨٠٣	[سورة الانفطار (٨٢): الآيات ١ الى ١٩]
٤٨٠٣	اشاره
٤٨٠٣	القراءه
٤٨٠٣	الحججه
٤٨٠٤	اللغه
٤٨٠٤	المعنى
٤٨٠٨	[سورة المطففين مكيه و آياتها ست و ثلاثون (٣٦)]
٤٨٠٨	اشاره
٤٨٠٨	[أوضح]
٤٨٠٨	عدد آيها
٤٨٠٨	فضلها
٤٨٠٨	تفسيرها
٤٨٠٩	[سورة المطففين (٨٣): الآيات ١ الى ١٧]
٤٨٠٩	اشاره
٤٨٠٩	القراءه
٤٨٠٩	اللغه
٤٨١١	الإعراب
٤٨١١	المعنى
٤٨١٥	[سورة المطففين (٨٣): الآيات ١٨ الى ٣٦]
٤٨١٥	اشاره
٤٨١٥	القراءه
٤٨١٥	الحججه
٤٨١٦	اللغه
٤٨١٦	الإعراب
٤٨١٧	المعنى
٤٨٢٠	[سورة اشقت مكيه و آياتها خمس و عشرون (٢٥)]
٤٨٢٠	اشاره
٤٨٢٠	[أوضح]
٤٨٢٠	عدد آيها
٤٨٢٠	اختلافها
٤٨٢٠	فضلها
٤٨٢٠	تفسيرها
٤٨٢١	[سورة الانشقاق (٨٤): الآيات ١ الى ٢٥]
٤٨٢١	اشاره
٤٨٢١	القراءه
٤٨٢١	الحججه
٤٨٢٢	اللغه
٤٨٢٥	المعنى

٤٨٢٩ (٨٥) سورة البروج مكيه و آياتها ثنتان و عشرون (٢٢)

٤٨٢٩ اشاره

٤٨٢٩ [توضيح]

٤٨٢٩ فضلها

٤٨٢٩ تفسيرها

٤٨٣٠ (سورة البروج (٨٥): الآيات ١ الى ٢٢)

٤٨٣٠ اشاره

٤٨٣٠ القراءه

٤٨٣٠ الحججه

٤٨٣٠ اللغه

٤٨٣٢ الإعراب

٤٨٣٤ المعنى

٤٨٤٠ (٨٦) سورة الطارق مكيه و آياتها سبع عشره (١٧)

٤٨٤٠ اشاره

٤٨٤٠ [توضيح]

٤٨٤٠ فضلها

٤٨٤٠ تفسيرها

٤٨٤١ (سورة الطارق (٨٦): الآيات ١ الى ١٧)

٤٨٤١ اشاره

٤٨٤١ القراءه

٤٨٤١ الحججه

٤٨٤١ اللغه

٤٨٤٣ الإعراب

٤٨٤٣ المعنى

٤٨٤٦ (٨٧) سورة الأعلى مكيه و آياتها تسع عشره (١٩)

٤٨٤٦ اشاره

٤٨٤٦ [توضيح]

٤٨٤٦ فضلها

٤٨٤٧ تفسيرها

٤٨٤٨ (سورة الأعلى (٨٧): الآيات ١ الى ١٩)

٤٨٤٨ اشاره

٤٨٤٨ القراءه

٤٨٤٨ الحججه

٤٨٤٨ اللغه

٤٨٥٠ الإعراب

٤٨٥٠ المعنى

٤٨٥٤ (٨٨) سورة الغاشيه مكيه و آياتها ست و عشرون (٢٦)

٤٨٥٤ اشاره

٤٨٥٤ [توضيح]

٤٨٥٤ فضلها

٤٨٥٤ تفسيرها

٤٨٥٥	[سورة الفاشيه (٨٨): الآيات ١ الى ٢٦]
٤٨٥٥	اشاره
٤٨٥٥	القراءه
٤٨٥٥	الحجه
٤٨٥٧	اللغه
٤٨٥٧	الإعراب
٤٨٥٧	المعنى
٤٨٦٢	(٨٩) سورة الفجر مكيه و آياتها ثلاثون (٣٠)
٤٨٦٢	اشاره
٤٨٦٢	[توضيح]
٤٨٦٢	اختلافها
٤٨٦٢	فضلها
٤٨٦٢	تفسيرها
٤٨٦٣	[سورة الفجر (٨٩): الآيات ١ الى ٣٠]
٤٨٦٣	اشاره
٤٨٦٣	القراءه
٤٨٦٤	الحجه
٤٨٦٦	اللغه
٤٨٦٧	الإعراب
٤٨٦٧	المعنى
٤٨٧٦	(٩٠) سورة البلد مكيه و آياتها عشرون (٢٠)
٤٨٧٦	اشاره
٤٨٧٦	[توضيح]
٤٨٧٦	فضلها
٤٨٧٦	تفسيرها
٤٨٧٧	[سورة البلد (٩٠): الآيات ١ الى ٢٠]
٤٨٧٧	اشاره
٤٨٧٧	القراءه
٤٨٧٧	الحجه
٤٨٧٩	اللغه
٤٨٨١	المعنى
٤٨٨٧	(٩١) سورة الشمس مكيه و آياتها خمس عشره (١٥)
٤٨٨٧	اشاره
٤٨٨٧	عدد آياتها
٤٨٨٧	اختلافها
٤٨٨٧	فضلها
٤٨٨٧	تفسيرها
٤٨٨٨	[سورة الشمس (٩١): الآيات ١ الى ١٥]
٤٨٨٨	اشاره
٤٨٨٨	القراءه
٤٨٨٨	الحجه

٤٨٨٨	اللغة
٤٨٩٠	الإعراب
٤٨٩٠	المعنى
٤٨٩٣	(٩٢) سورة الليل مكيه و آياتها إحدى و عشرون (٢١)
٤٨٩٣	اشاره
٤٨٩٣	أوضح
٤٨٩٣	فضلها
٤٨٩٣	تفسيرها
٤٨٩٤	(سورة الليل (٩٢): الآيات ١ الى ٢١]
٤٨٩٤	اشاره
٤٨٩٤	القراءه
٤٨٩٤	الحججه
٤٨٩٤	اللغة
٤٨٩٤	الإعراب
٤٨٩٤	المعنى
٤٨٩٩	(٩٣) سورة الضحى مكيه و آياتها إحدى عشره (١١)
٤٨٩٩	اشاره
٤٨٩٩	أوضح
٤٨٩٩	فضلها
٤٨٩٩	تفسيرها
٤٨٩٩	(سورة الضحى (٩٣): الآيات ١ الى ١١]
٤٨٩٩	اشاره
٤٨٩٩	القراءه
٤٩٠١	الحججه
٤٩٠١	اللغة
٤٩٠١	الإعراب
٤٩٠٣	المعنى
٤٩١٠	(٩٤) سورة الشرح مكيه و آياتها ثمان (٨)
٤٩١٠	اشاره
٤٩١٠	أوضح
٤٩١٠	فضلها
٤٩١٠	(سورة الشرح (٩٤): الآيات ١ الى ٨]
٤٩١٠	اشاره
٤٩١٠	اللغة
٤٩١٦	(٩٥) سورة التين مكيه و آياتها ثمان (٨)
٤٩١٦	اشاره
٤٩١٦	أوضح
٤٩١٦	فضلها
٤٩١٦	تفسيرها
٤٩١٦	(سورة التين (٩٥): الآيات ١ الى ٨]
٤٩١٦	اشاره

٤٩١٧	اللغة
٤٩١٧	المعنى
٤٩٢٠	(٩٦) سورة العلق مكيه و آياتها تسع عشره (١٩)
٤٩٢٠	اشاره
٤٩٢٠	عدد آياتها
٤٩٢٠	اختلافها
٤٩٢٠	فضلها
٤٩٢٠	تفسيرها
٤٩٢١	[سوره العلق (٩٦): الآيات ١ الى ١٩]
٤٩٢١	اشاره
٤٩٢١	اللغة
٤٩٢٣	المعنى
٤٩٢٧	(٩٧) سورة القدر مكيه و آياتها خمس (٥)
٤٩٢٧	اشاره
٤٩٢٧	[أوضح]
٤٩٢٧	عدد آياتها
٤٩٢٧	اختلافها
٤٩٢٧	فضلها
٤٩٢٧	تفسيرها
٤٩٢٨	[سوره القدر (٩٧): الآيات ١ الى ٥]
٤٩٢٨	اشاره
٤٩٢٨	القراءه
٤٩٢٨	الحجه
٤٩٢٨	اللغة
٤٩٢٨	الإعراب
٤٩٣٠	المعنى
٤٩٣٧	(٩٨) سورة البينه مدنيه و آياتها ثمان (٨)
٤٩٣٧	اشاره
٤٩٣٧	[أوضح]
٤٩٣٧	عدد آياتها
٤٩٣٧	اختلافها
٤٩٣٧	فضلها
٤٩٣٧	تفسيرها
٤٩٣٩	[سوره البينه (٩٨): الآيات ١ الى ٨]
٤٩٣٩	اشاره
٤٩٣٩	القراءه
٤٩٣٩	الحجه
٤٩٤٠	اللغة
٤٩٤٠	الإعراب
٤٩٤٠	المعنى
٤٩٤٣	(٩٩) سورة الزلزله مدنيه و آياتها ثمان (٨)

٤٩٤٣	أشاره
٤٩٤٣	[أوضح]
٤٩٤٣	عدد آياتها
٤٩٤٣	اختلافها
٤٩٤٣	فضلها
٤٩٤٣	تفسيرها
٤٩٤٤	[سوره الزلزله (٩٩): الآيات ١ الى ٨]
٤٩٤٤	أشاره
٤٩٤٤	القراءه
٤٩٤٤	الحججه
٤٩٤٤	اللغه
٤٩٤٤	المعنى
٤٩٤٩	(١٠٠) سوره العاديات مكيه و آياتها إحدى عشره (١١)
٤٩٤٩	أشاره
٤٩٤٩	[أوضح]
٤٩٤٩	عدد آياتها
٤٩٤٩	فضلها
٤٩٤٩	النظم
٤٩٥٠	[سوره العاديات (١٠٠): الآيات ١ الى ١١]
٤٩٥٠	أشاره
٤٩٥٠	القراءه
٤٩٥٠	الحججه
٤٩٥٠	اللغه
٤٩٥٢	المعنى
٤٩٥٦	(١٠١) سوره القارعه مكيه و آياتها إحدى عشره (١١)
٤٩٥٦	أشاره
٤٩٥٦	عدد آياتها
٤٩٥٦	اختلافها
٤٩٥٦	فضلها
٤٩٥٦	تفسيرها
٤٩٥٧	[سوره القارعه (١٠١): الآيات ١ الى ١١]
٤٩٥٧	أشاره
٤٩٥٧	القراءه
٤٩٥٧	الحججه
٤٩٥٧	اللغه
٤٩٥٩	الإعراب
٤٩٥٩	المعنى
٤٩٦١	(١٠٢) سوره التكاثر مكيه و آياتها ثمان (٨)
٤٩٦١	أشاره
٤٩٦١	[أوضح]
٤٩٦١	فضلها

٤٩٦١	تفسيرها
٤٩٦١	[سوره التكاثر (١٠٢): الآيات ١ الى ٨]
٤٩٦١	اشاره
٤٩٦١	القراءه
٤٩٦٣	الحججه
٤٩٦٣	اللغه
٤٩٦٣	الإعراب
٤٩٦٤	المعنى
٤٩٦٧	(١٠٣) سوره العصر مكيه و آياتها ثلاث (٣)
٤٩٦٧	اشاره
٤٩٦٧	[توضيح]
٤٩٦٧	اختلافها
٤٩٦٧	فضلها
٤٩٦٧	تفسيرها
٤٩٦٧	[سوره العصر (١٠٣): الآيات ١ الى ٣]
٤٩٦٧	اشاره
٤٩٦٧	اللغه
٤٩٦٩	المعنى
٤٩٧٠	(١٠٤) سوره الهمزه مكيه و آياتها تسع (٩)
٤٩٧٠	اشاره
٤٩٧٠	[توضيح]
٤٩٧٠	فضلها
٤٩٧٠	تفسيرها
٤٩٧٠	[سوره الهمزه (١٠٤): الآيات ١ الى ٩]
٤٩٧٠	اشاره
٤٩٧٠	القراءه
٤٩٧١	الحججه
٤٩٧١	اللغه
٤٩٧٢	الإعراب
٤٩٧٢	المعنى
٤٩٧٤	(١٠٥) سوره الفيل مكيه و آياتها خمس (٥)
٤٩٧٤	اشاره
٤٩٧٤	[توضيح]
٤٩٧٤	فضلها
٤٩٧٤	تفسيرها
٤٩٧٤	[سوره الفيل (١٠٥): الآيات ١ الى ٥]
٤٩٧٤	اشاره
٤٩٧٤	القراءه
٤٩٧٤	الحججه
٤٩٧٦	اللغه
٤٩٧٦	الإعراب

٤٩٧٩	المعنى
٤٩٨٢	(١٠٦) سورة قريش مكيه و آياتها أربع (٤)
٤٩٨٢	اشاره
٤٩٨٢	[توضيح]
٤٩٨٢	اختلافها
٤٩٨٢	فضلها
٤٩٨٢	تفسيرها
٤٩٨٢	[سورة قريش (١٠٦): الآيات ١ الى ٤]
٤٩٨٢	اشاره
٤٩٨٤	القراه
٤٩٨٤	الحجه
٤٩٨٤	اللغه
٤٩٨٤	الإعراب
٤٩٨٤	المعنى
٤٩٨٩	(١٠٧) سورة الماعون مكيه و آياتها سبع (٧)
٤٩٨٩	اشاره
٤٩٨٩	[توضيح]
٤٩٨٩	عدد آياتها
٤٩٨٩	اختلافها
٤٩٨٩	فضلها
٤٩٨٩	تفسيرها
٤٩٨٩	[سورة الماعون (١٠٧): الآيات ١ الى ٧]
٤٩٨٩	اشاره
٤٩٩١	القراه
٤٩٩١	الحجه
٤٩٩١	اللغه
٤٩٩١	الإعراب
٤٩٩١	المعنى
٤٩٩٥	(١٠٨) سورة الكوثر مكيه و آياتها ثلاث (٣)
٤٩٩٥	اشاره
٤٩٩٥	[توضيح]
٤٩٩٥	فضلها
٤٩٩٥	تفسيرها
٤٩٩٥	[سورة الكوثر (١٠٨): الآيات ١ الى ٣]
٤٩٩٥	اشاره
٤٩٩٥	اللغه
٤٩٩٦	الإعراب
٤٩٩٦	المعنى
٥٠٠١	(١٠٩) سورة الكافرون مكيه و آياتها ست (٦)
٥٠٠١	اشاره
٥٠٠١	[توضيح]

- ٥٠٠١ فضلها
- ٥٠٠٢ تفسيرها
- ٥٠٠٣ [سورة الكافرون (١٠٩): الآيات ١ الى ٦]
- ٥٠٠٣ اشاره
- ٥٠٠٣ القراءة
- ٥٠٠٣ الحجج
- ٥٠٠٣ الإعراب
- ٥٠٠٣ المعنى
- ٥٠٠٧ (١١٠) سورة النصر مدنيه و آياتها ثلاث (٣)
- ٥٠٠٧ اشاره
- ٥٠٠٧ [توضيح]
- ٥٠٠٧ فضلها
- ٥٠٠٧ تفسيرها
- ٥٠٠٧ [سورة النصر (١١٠): الآيات ١ الى ٣]
- ٥٠٠٧ اشاره
- ٥٠٠٧ الإعراب
- ٥٠٠٨ المعنى
- ٥٠١٤ (١١١) سورة المسد مكيه و آياتها خمس (٥)
- ٥٠١٤ اشاره
- ٥٠١٤ [توضيح]
- ٥٠١٤ عدد آياتها
- ٥٠١٤ فضلها
- ٥٠١٤ تفسيرها
- ٥٠١٤ [سورة المسد (١١١): الآيات ١ الى ٥]
- ٥٠١٤ اشاره
- ٥٠١٤ القراءة
- ٥٠١٦ الحجج
- ٥٠١٦ اللغة
- ٥٠١٦ المعنى
- ٥٠١٩ (١١٢) سورة الإخلاص مكيه و آياتها أربع (٤)
- ٥٠١٩ اشاره
- ٥٠١٩ [توضيح]
- ٥٠١٩ عدد آياتها
- ٥٠١٩ اختلافها
- ٥٠١٩ فضلها
- ٥٠٢١ تفسيرها
- ٥٠٢٢ [سورة الإخلاص (١١٢): الآيات ١ الى ٤]
- ٥٠٢٢ اشاره
- ٥٠٢٣ القراءة
- ٥٠٢٣ الحجج
- ٥٠٢٣ اللغة

٥٠٢٦	المعنى
٥٠٣٢	(١١٣) سورة الفلق مكيه و آياتها خمس (٥)
٥٠٣٢	اشاره
٥٠٣٢	[توضيح]
٥٠٣٢	عدد آياتها
٥٠٣٢	فضلها
٥٠٣٢	تفسيرها
٥٠٣٢	[سورة الفلق (١١٣): الآيات ١ الى ٥]
٥٠٣٢	اشاره
٥٠٣٢	اشاره
٥٠٣٤	اللغة
٥٠٣٤	النزول
٥٠٣٤	المعنى
٥٠٣٧	(١١٤) سورة الناس مكيه و آياتها ست (٦)
٥٠٣٧	اشاره
٥٠٣٧	[توضيح]
٥٠٣٧	فضلها
٥٠٣٧	[سورة الناس (١١٤): الآيات ١ الى ٦]
٥٠٣٧	اشاره
٥٠٣٧	اشاره
٥٠٣٧	القراءة
٥٠٣٧	اللغة
٥٠٣٩	الإعراب
٥٠٣٩	المعنى
٥٠٤٢	تعريف مركز

مجمع البيان في تفسير القرآن

اشاره

سرشناسه: طبرسي، فضل بن حسن، ٤٦٨ - ٥٤٨ ق.

عنوان و نام پديدآور: مجمع البيان في تفسير القرآن

تاليف ابوعلی الفضل بن الحسن الطبرسي

مصصح: هاشم رسولي

مصصح: فضل الله يزدي طباطبائي

مشخصات نشر: دارالمعرفه - بيروت - لبنان

مشخصات ظاهري: ١٠ ج.

يادداشت: عربي

موضوع: تفاسير شيعه -- قرن ٦ ق.

ص: ١

المجلد ١

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ٢

مجمع البيان فى تفسير القرآن

تأليف ابو على الفضل بن الحسن الطبرسى

مصصح: هاشم رسولى

مصصح: فضل الله يزدى طباطبايى

ص: ٣

اشاره

توضيح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مكيه عن ابن عباس و قتاده و مدنيه عن مجاهد و قيل أنزلت مرتين مره بمكه و مره بالمدينه.

أسمائها

(فاتحه الكتاب) سميت بذلك لافتتاح المصاحف بكتابتها و لوجوب قراءتها في الصلاه فهي فاتحه لما يتلوها من سور القرآن في الكتاب و القراءه (الحمد) سميت بذلك لأن فيها ذكر الحمد (أم الكتاب) سميت بذلك لأنها مقدمه على سائر سور القرآن و العرب تسمى كل جامع أمر أو متقدم لأمر إذا كانت له توابع تتبعه أما فيقولون أم الرأس للجلده التي تجمع الدماغ و أم القرى لأن الأرض دحيت من تحت مكه فصارت لجمعها أما و قيل لأنها أشرف البلدان فهي مقدمه على سائرها و قيل سميت بذلك لأنها أصل القرآن و الأم هي الأصل و إنما صارت أصل القرآن لأن الله تعالى أودعها مجموع ما في السور لأن فيها إثبات الربوبيه و العبوديه و هذا هو المقصود بالقرآن (السبع) سميت بذلك لأنها سبع آيات لا خلاف في جملتها (المثاني) سميت بذلك لأنها تثني بقراءتها في كل صلاه فرض و نفل و قيل لأنها نزلت مرتين، هذه أسمائها المشهوره، و قد ذكر في أسمائها (الوافيه) لأنها لا تنتصف في الصلاه و (الكافيه) لأنها تكفي عما سواها و لا يكفي ما سواها عنها و يؤيد ذلك ما

رواه عباده بن الصامت عن النبي صلى الله عليه و آله أم القرآن عوض عن غيرها و ليس غيرها عوضا عنها

و (الأساس) لما روى عن ابن عباس أن لكل شىء أساسا و ساق الحديث إلى أن قال و أساس القرآن الفاتحه و أساس الفاتحه بسم الله الرحمن الرحيم و (الشفاء) لما

روى عن النبي صلى الله عليه و آله فاتحه الكتاب شفاء من كل داء

و (الصلاه) لما

روى عن النبي صلى الله عليه و آله قال قال الله تعالى قسمت الصلاه بيني و بين عبدى نصفين نصفها لى و نصفها لعبدى فإذا قال العبد «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» يقول الله حمدنى عبدى فإذا قال «الرَّحْمَنِ

الرَّحِيمِ» يقول الله أثنى على عبدى فإذا قال العبد «مَا لَكَ يَوْمَ الدِّينِ» يقول الله مجدنى عبدى فإذا قال «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» يقول الله هذا بينى و بين عبدى و لعبدى ما سأل فإذا قال «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» إلى آخره قال الله هذا لعبدى ما سأل،
أورده مسلم بن الحجاج فى الصحيح

فهذه عشره أسماء.

فضلها

ذكر الشيخ أبو الحسين الخبازى المقرئ فى كتابه فى القراءة أخبرنا الإمام أبو بكر أحمد بن إبراهيم و الشيخ عبد الله بن محمد
قالا حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن شريك قال حدثنا أحمد بن يونس اليربوعى قال حدثنا سلام بن سليمان المدائنى قال حدثنا
هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبى أمامه عن أبى بن كعب قال قال رسول الله أيما مسلم قرأ فاتحه الكتاب أعطى
من الأجر كأنما قرأ ثلثى القرآن و أعطى من الأجر كأنما تصدق على كل مؤمن و مؤمنة و روى من طريق آخر هذا الخبر بعينه
إلا أنه قال كأنما قرأ القرآن

و ،

روى غيره عن أبى بن كعب أنه قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه و آله فاتحه الكتاب فقال و الذى نفسى بيده ما أنزل الله
فى التوراه و لا- فى الإنجيل و لا فى الزبور و لا فى القرآن مثلها هى أم الكتاب و هى السبع المثانى و هى مقسومه بين الله و بين
عبده و لعبده ما سأل

و ،

فى كتاب محمد بن مسعود العياشى بإسناده أن النبى صلى الله عليه و آله قال لجابر بن عبد الله الأنصارى يا جابر أ لا أعلمك
أفضل سورة أنزلها الله فى كتابه قال فقال له جابر بلى بأبى أنت و أمى يا رسول الله علمنيها قال فعلمه الحمد أم الكتاب ثم قال يا
جابر أ لا أخبرك عنها قال بلى بأبى أنت و أمى فأخبرنى فقال هى شفاء من كل داء إلا السام و السام الموت،

و عن سلمه بن محرز عن جعفر بن محمد الصادق قال من لم يبرئه الحمد لم يبرئه شىء

و

روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله إن الله تعالى قال لى يا محمد و لقد آتيناك سبعا
من المثانى و القرآن العظيم فأفرد الامتنان على بفاتحه الكتاب و جعلها بإزاء القرآن، و إن فاتحه الكتاب أشرف ما فى كنوز
العرش و إن الله خص محمدا و شرفه بها و لم يشرك فيها أحدا من أنبيائه ما خلا سليمان فإنه أعطاه منها «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ» أ لا- تراه يحكى عن بلقيس حين قالت إِنِّى أُلْقِىَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أ لا فمن
قرأها معتقدا لموالاه محمد و آله متقادا لأمرها. مؤمنا بظاها و باطنها. أعطاه الله بكل حرف منها حسنه كل واحده منها أفضل

له من الدنيا بما فيها من أصناف أموالها و خيراتها و من استمع إلى قارئ يقرأها كان له قدر ثلث ما للقارى ء فليستكثر أحدكم
من هذا الخير المعرض له فإنه غنيمه. لا يذهبن أوانه فتبقى فى قلوبكم الحسره

ص: ٥

اتفقوا على التلفظ بالتعوذ قبل التسميه فيقول ابن كثير و عاصم و أبو عمرو: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) و نافع و ابن عامر و الكسائي: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. إن الله هو السميع العليم)، و حمزه: (نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم)، و أبو حاتم (أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم)

اللغه

الاستعاذه الاستجاره فمعناه أستجير بالله دون غيره و العوذ و العياذ هو اللجأ و [الشيطان] فى اللغه هو كل متمرّد من الجن و الإنس و الدواب و لذلك جاء فى القرآن شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ و وزنه فيعال من شطنت الدار أى بعدت و قيل هو فعلان من شاط يشيط إذا بطل و الأول أصح لأنه قد جاء فى الشعر شاطن بمعناه قال أميه بن أبى الصلت

أَيما شاطن عصاه عكاه

ثم يلقى فى السجن و الأغلال

و الرجم فعيل بمعنى مفعول من الرجم و هو الرمى

المعنى

أمر الله بالاستعاذه من الشيطان إذ لا يكاد يخلو من وسوسته الإنسان فقال فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، و معنى أعوذ أُلجأ إلى الله من شر الشيطان أى البعيد من الخير المفارق أخلاقه أخلاق جميع جنسه و قيل المبعد من رحمه الله (الرجيم) أى المطرود من السماء المرمى بالشهب الثاقبه و قيل المرجوم باللغه (إن الله هو السميع) السميع لجميع المسموعات (العليم) بجميع المعلومات.

الفاتحه (١): آيه ١

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)

توضيح

اتفق أصحابنا أنها آيه من سوره الحمد و من كل سوره و إن من تركها فى الصلاه بطلت صلاته سواء كانت الصلاه فرضاً أو نفلاً و أنه يجب الجهر بها فيما يجهر فيه بالقراءه و يستحب الجهر بها فيما يخافت فيه بالقراءه و فى جميع ما ذكرناه خلاف بين فقهاء الأئمه و لا خلاف فى أنها بعض آيه من سوره النمل و كل من عدّها آيه جعل من قوله صِرَاطَ الَّذِينَ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ آيه و من

لم يعدها آيه جعل صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ آيه و قال إنها افتتاح لليمن و التبرك و أما القراء فإن حمزه و خلفا و يعقوب و اليزيدي تركوا الفصل بين السور بالتسميه و الباقون يفصلون بينها بالتسميه إلا بين الأنفال و التوبه.

فضلها

روى عن على بن موسى الرضا (عليه السلام) أنه قال «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى
بياضها

، و

روى عن ابن عباس عن

ص: ٦

النبي صلى الله عليه وآله أنه قال إذا قال المعلم للصبي قل «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» فقال الصبي «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» كتب الله براءة للصبي و براءة لأبويه و براءة للمعلم

و عن ابن مسعود قال من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» فإنها تسعة عشر حرفا ليجعل الله كل حرف منها جنة من واحد منهم و

روى عن الصادق (عليه السلام) أنه قال ما لهم قاتلهم الله عمدوا إلى أعظم آية في كتاب الله فزعموا أنها بدعه إذا أظهروها و هي «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ».

اللغة

الاسم مشتق من السمو و هو الرفعه أصله سمو بالواو لأن جمعه أسماء مثل قنو و أقناء. و حنو و أحناء و تصغيره سمي قال الراجز:
(باسم الذى فى كل سورة سمه)

و سمه أيضا ذكره أبو زيد و غيره و قيل إنه مشتق من الوسم و السمه و الأول أصح لأن المحذوف الفاء نحو صله و وصل و عده و وعد لا تدخله همزة الوصل و لأنه كان يجب أن يقال فى تصغيره وسيم، كما يقال وعيده و وصيله فى تصغير عده و صله و الأمر بخلافه (الله) اسم لا يطلق إلا عليه سبحانه و تعالى و ذكر سيويه فى أصله قولين (أحدهما) أنه إله على وزن فعال فحذفت الفاء التى هى الهمزة و جعلت الألف و اللام عوضا لازما عنها بدلاله استجازتهم قطع هذه الهمزة الداخلة على لام التعريف فى القسم و النداء فى نحو قوله (أ فإله لتفعلن و يا الله اغفر لى) و لو كانت غير عوض لم تثبت الهمزة فى الوصل كما لم تثبت فى غير هذا الاسم و القول الآخر أن أصله لاه و وزنه فعل فالحق به الألف و اللام. يدل عليه قول الأعشى:

كحلفه من أبى رباح

يسمعها لاهه الكبار

و إنما أدخلت عليه الألف و اللام للتفخيم و التعظيم فقط و من زعم أنها للتعريف فقد أخطأ لأن أسماء الله تعالى معارف و الألف من لاه منقلبه عن ياء فأصله إليه كقولهم فى معناه لهى أبوك قال سيويه نقلت العين إلى موضع اللام و جعلت اللام ساكنة إذ صارت فى مكان العين كما كانت العين ساكنة و تركوا آخر الاسم الذى هو لهى مفتوحا كما تركوا آخر أن مفتوحا و إنما فعلوا ذلك حيث غيروه لكثرة فى كلامهم فغيروا إعرابه كما غيروا بناءه و هذه دلالة قاطعه لظهور الياء فى لهى و الألف على هذا القول منقلبه كما ترى

و فى القول الأول زائده لأنها ألف فعال و تقول العرب أيضا لاه أبوك تريد لله أبوك قال ذو الإصبع العدوانى:

لاه ابن عمك لا أفضلت فى حسب

عنى و لا أنت ديانى فتخزونى

أى تسوسنى قال سيبويه حذفوا لام الإضافة و اللام الأخرى و لم ينكر بقاء عمل اللام بعد حذفها فقد حكى سيبويه من قولهم الله لأخرجن يريدون و الله و مثل ذلك كثير يطول الكلام بذكره فأما الكلام فى اشتقاقه فمنهم من قال إنه اسم موضع غير مشتق إذ ليس يجب فى كل لفظ أن يكون مشتقا لأنه لو وجب ذلك لتسلسل هذا قول الخليل و منهم من قال إنه مشتق ثم اختلفوا فى اشتقاقه على وجوه: فمنها أنه مشتق من الألوهية التى هى العبادة و التأله التبعيد قال رؤبه:

لله در الغايات المده

سبحان و استرجعن من تألهى

أى تعبدى و قرأ ابن عباس و يذرك و إلهتك أى عبادتك و يقال أله الله فلان إلهه كما يقال عبده عباده فعلى هذا يكون معناه الذى يحق له العبادة و لذلك لا يسمى به غيره و يوصف فيما لم يزل بأنه إله (و منها) أنه مشتق من الوله و هو التحير يقال أله يأله إذا تحير- عن أبى عمرو- فمعناه أنه الذى تتحير العقول فى كنه عظمته (و منها) أنه مشتق من قولهم ألهمت إلى فلان أى فزعت إليه لأن الخلق يألّهون إليه أى يفزعون إليه فى حوائجهم فليل للمألوه آله كما يقال للمؤتم به إمام (و منها) أنه مشتق من ألهمت إليه أى سكنت إليه عن المبرد و معناه أن الخلق يسكنون إلى ذكره و منها أنه من لاه أى احتجب فمعناه أنه المحتجب بالكيفية عن الأوهام، الظاهر بالدلائل و الأعلام، «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ» اسمان وضعا للمبالغه، و اشتقا من الرحمه، و هى النعمه، إلا أن فعلا أشد مبالغه من فعيل و حكى عن أبى عبيده أنه قال: الرحمن ذو الرحمه و الرحيم هو الراحم و كرر لضرب من التأكيد و أما ما روى عن ابن عباس أنهما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر فالرحمن الرقيق و الرحيم العطاف على عباده بالرزق و النعم فمحمول على أنه يعود عليهم بالفضل بعد الفضل، و النعمه بعد النعمه، فعبر عن ذلك بالرقه، لأنه لا يوصف بالرقه، و ما حكى عن تغلب أن لفظه الرحمن ليست بعرييه و إنما هى ببعض اللغات مستدلا بقوله تعالى «قَالُوا وَ مَا الرَّحْمَنُ» إنكارا منهم لهذا الاسم فليس بصحيح لأن هذه اللفظه مشهوره عند العرب

موجوده فى أشعارها قال الشنفرى:

ألا ضربت تلك الفتاه هجينها

ألا قضب الرحمن ربي يمينها

و قال سلامه بن جندل:

(و ما يشأ الرحمن يعقد و يطلق)

الإعراب

«بِسْمِ اللَّهِ» الباء حرف جر أصله الإلصاق و الحروف الجاره موضوعه لمعنى المفعوليه أ لا ترى أنها توصل الأفعال إلى الأسماء و توقعها عليها فإذا قلت مررت بزيد أوقعت الباء المرور على زيد فالجالب للباء فعل محذوف نحو ابدأوا بسم الله أو قولوا بسم الله فحمله نصب لأنه مفعول به و إنما حذف الفعل الناصب لأن دلالة الحال أغنت عن ذكره و قيل إن محل الباء رفع على تقدير مبتدأ محذوف و تقديره ابتدائي بسم الله فالباء على هذا متعلقه بالخبر المحذوف الذى قامت مقامه أى ابتدائي ثابت بسم الله أو ثبت ثم حذف هذا الخبر فأفضى الضمير إلى موضع الباء و هذا بمنزله قولك زيد فى الدار و لا يجوز أن يتعلق الباء بابتدائي المضمرة لأنه مصدر و إذا تعلق به صارت من صلته وبقى المبتدأ بلا خبر و إذا سأل عن تحريك الباء مع أن أصل الحروف البناء و أصل البناء السكون فجوابه أنه حرك للزوم الابتداء به و لا يمكن الابتداء بالساكن و إنما حرك بالكسر ليكون حركته من جنس ما يحدثه و إذا لزم كاف التشبيه فى كزيد فجوابه أن الكاف لا يلزم الحرفيه و قد تكون اسما فى نحو قوله (يضحك عن كالبرد المنهم) فخولف بينه و بين الحروف التى لا تفارق الحرفيه و هذا قول أبى عمرو الجرمى و أصحابه فأما أبو على الحسن بن عبد الغفار الفارسى فقال إنهم لو فتحوا أو ضموا لجاز لأن الغرض التوصل إلى الابتداء فبأى حركه توصل إليه جاز و بعض العرب يفتح هذه الباء و هى لغه ضعيفه و إنما حذف الهمزه من بسم الله فى اللفظ لأنها همزه الوصل تسقط فى الدرج و حذف هاهنا فى الخط أيضا لكثرة الاستعمال و لوقوعها فى موضع معلوم لا يخاف فيه اللبس و لا تحذف فى نحو قوله «أقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ» لقله الاستعمال و إنما تغلظ لام الله إذا تقدمته الضمه أو الفتحه تفخيما لذكره، و إجلالا لقدره، و ليكون فرقا بينه و بين ذكر اللات. «اللَّهِ» مجرور بالإضافه و «الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» مجروران لأنهما صفتان لله.

المعنى

«بِسْمِ اللَّهِ» قيل المراد به تضمين الاستعانه فتقديره استعينوا بأن تسموا الله بأسمائه الحسنى، و تصفوه بصفاته العلى، و قيل المراد استعينوا بالله و يلتفت إليه قول أبى عبيده أن الاسم صلته و المراد هو الله كقول لبيد:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما

و من يبك حولا كاملا فقد اعتذر

أى ثم السلام عليكما و الاسم قد يوضع موضع المسمى لما كان المعلق على الاسم ذكرا أو خطابا معلقا على المسمى تقول رأيت زيدا فتعلق الرؤيه على الاسم و فى الحقيقه تعلقها بالمسمى فإن الاسم لا يرى فحسن إقامه الاسم مقام المسمى و قيل المراد به أبتداً بتسميه الله فوضع الاسم موضع المصدر كما يقال أكرمته كرامه أى إكراما و أهنته هوانا أى إهانته و منه قول الشاعر:

أ كفرا بعد رد الموت عنى

و بعد عطائك المائه الرتاعا

أى بعد إعطائك، و قال الآخر:

فإن كان هذا البخل منك سجيّه

لقد كنت فى طولى رجائك أشعبا

أراد فى إطالتي رجائك فعلى هذا يكون تقدير الكلام ابتداء قراءتى بتسميه الله أو أقرأ مبتدئا بتسميه الله و هذا القول أولى بالصواب لأننا إنما أمرنا بأن نفتتح أمورنا بتسميه الله لا بالخبر عن كبريائه و عظمته كما أمرنا بالتسميه على الأكل و الشرب و الذبائح أ لا- ترى أن الذابح لو قال بالله و لم يقل باسم الله لكان مخالفا لما أمر به و معنى الله و الإله أنه الذى تحق له العباده و إنما تحق له العباده لأنه قادر على خلق الأجسام و إحيائها و الإنعام عليها بما يستحق به العباده و هو تعالى إله للحيوان و الجماد لأنه قادر على أن ينعم على كل منهما بما معه يستحق العباده فأما من قال معنى الإله المستحق للعباده يلزمه أن لا يكون إلها فى الأزل لأنه لم يفعل الإنعام الذى يستحق به العباده و هذا خطأ و إنما قدم الرحمن على الرحيم لأن الرحمن بمنزله اسم العلم من حيث لا يوصف به إلا الله فوجب لذلك تقديمه بخلاف الرحيم لأنه يطلق عليه و على غيره و

روى أبو سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه و آله أن عيسى بن مريم قال الرحمن رحمن الدنيا و الرحيم رحيم الآخرة

و عن بعض التابعين قال الرحمن بجميع الخلق و الرحيم بالمؤمنين خاصه و وجه عموم الرحمن بجميع الخلق مؤمنهم و كافرهم و برهم و فاجرهم هو إنشاؤه إياهم و خلقهم أحياء قادرين و رزقه إياهم و وجه خصوص الرحيم بالمؤمنين هو ما فعله بهم فى الدنيا من التوفيق

و فى الآخرة من الجنة و الإكرام، و غفران الذنوب و الآثام، و إلى هذا المعنى يؤول ما

روى عن الصادق عليه السلام أنه قال الرحمن اسم خاص بصفه عامه و الرحيم اسم عام بصفه خاصه

و عن عكرمه قال الرحمن برحمه واحده و الرحيم بمائه رحمه و هذا المعنى قد اقتبسه من

قول الرسول أن لله عز و جل مائه رحمه و أنه أنزل منها واحده إلى الأرض فقسّمها بين خلقه بها يتعاطفون و يتراحمون و آخر
تسعا و تسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة

و

روى أن الله قابض هذه إلى تلك فيكملها مائه يرحم بها عباده يوم القيامة.

الفاتحه (١): آيه ٢

إشاره

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢)

القراءه

أجمع القراء على ضم الدال من الحمد و كسر اللام من لله و روى فى الشواذ بكسر الدال و اللام. و بفتح الدال و كسر اللام. و بضم الدال و اللام. و أجمعوا على كسر الباء من «رَبِّ». و روى عن زيد بن على نصب الباء و يحمل على أنه بين جوازه لا إنه قراءه.

اللغه

الحمد و المدح و الشكر متقاربه المعنى و الفرق بين الحمد و الشكر أن الحمد نقيض الذم كما أن المدح نقيض الهجاء. و الشكر نقيض الكفران. و الحمد قد يكون من غير نعمه و الشكر يختص بالنعمه إلا أن الحمد يوضع موضع الشكر و يقال الحمد لله شكرا فينصب شكرا على المصدر و لو لم يكن الحمد فى معنى الشكر لما نصبه فإذا كان الحمد يقع موقع الشكر فالشكر هو الاعتراف بالنعمه مع ضرب من التعظيم و يكون بالقلب و هو الأصل و يكون أيضا باللسان و إنما يجب باللسان لنفى تهمه الجحود و الكفران و أما المدح فهو القول المنبئ عن عظم حال الممدوح مع القصد إليه (و أما الرب) فله معان (منها) السيد المطاع كقول لبيد:

و أهلكن قدما رب كنده و ابنه

و رب معد بين خبت و عرعر

أى سيد كنده (و منها) المالك نحو

قول النبى لرجل أرب غنم أم رب إبل فقال من كل ما آتانى الله فأكثر و أطيب.

(و منها) الصاحب نحو قول أبى ذؤيب:

ص: ١١

قد ناله رب الكلاب بكفه

بيض رهاب ريشهن مقزع

أى صاحب الكلاب (و منها) المربب (و منها) المصلح و اشتقاقه من التربيه يقال ربيته و ربيته بمعنى و فلان يرب صنيعته إذا كان ينمها و لا يطلق هذا الاسم إلا على الله و يقيد فى غيره فيقال رب الدار و رب الضيعه و (العالمون) جمع عالم و العالم جمع لا واحد له من لفظه كالنفر و الجيش و غيرهما و اشتقاقه من علامه لأنه يدل على صانعه و قيل أنه من العلم لأنه اسم يقع على ما يعلم و هو فى عرف اللغه عباره عن جماعه من العقلاء لأنهم يقولون جاءنى عالم من الناس و لا يقولون جاءنى عالم من البقر و فى المتعارف بين الناس هو عباره عن جميع المخلوقات و تدل عليه الآيه «قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا» و قيل أنه اسم لكل صنف من الأصناف و أهل كل قرن من كل صنف يسمى عالما و لذلك جمع فقيل عالمون لعالم كل زمان و هذا قول أكثر المفسرين كابن عباس و سعيد بن جبير و قتاده و غيرهم و قيل العالم نوع ما يعقل و هم الملائكه و الجن و الإنس و قيل الجن و الإنس لقوله تعالى: «لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا» و قيل هم الإنس لقوله تعالى: «أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ».

الإعراب

«الْحَمْدُ» رفع بالابتداء و الابتداء عامل معنوى غير ملفوظ به و هو خلو الاسم عن العوامل اللفظيه ليسند إليه خبر و خبره فى الأصل جمله هى فعل مسند إلى ضمير المبتدأ و تقديره الحمد حق أو استقر لله إلا أنه قد استغنى عن ذكرها لدلاله قوله «لِلَّهِ» عليها فانتقل الضمير منها إليه حيث سد مسدها و تسمى هذه جمله ظرفيه هذا قول الأخفش و أبى على الفارسى و أصل اللام للتحقيق و الملك، و أما من نصب الدال فعلى المصدر تقديره أحمد الحمد لله أو اجعل الحمد لله إلا أن الرفع بالحمد أقوى و أمدح لأن معناه الحمد و جب لله أو استقر لله و هذا يقتضى العموم لجميع الخلق و إذا نصب الحمد فكان تقديره أحمد الحمد كان مدحا من المتكلم فقط فلذلك اختير الرفع و من كسر الدال و اللام أتبع حركة الدال حركة اللام و من ضمهما أتبع حركة اللام حركة الدال و هذا أيسر من الأول لأنه أتبع حركة المبنى حركة الإعراب و الأول أتبع حركة المعرب حركة البناء و أتبع الثانى الأول و هو الأصل فى الاتباع و الذى كسر أتبع الأول الثانى و هذا ليس بأصل و أكثر النحويين ينكرون ذلك لأن حركة الإعراب غير لازمه فلا يجوز لأجلها الاتباع و لأن الاتباع

فى الكلمه الواحده ضعيف نحو الحلم فكيف فى الكلمتين و قال أبو الفتح بن جنى فى كسر الدال و ضم اللام هنا دلالة على شدة ارتباط المبتدأ بالخبر لأنه اتبع فيهما ما فى أحد الجزئين ما فى الجزء الآخر و جعل بمنزلة الكلمه الواحده نحو قولك أخوك و أبوك و أصل هذه اللام الفتح لأن الحرف الواحد لا- حظ له فى الإعراب و لكنه يقع مبتدأ فى الكلام و لا يبتدأ بساكن فاختر له الفتح لأنه أخف الحركات تقول رأيت زيدا و عمرا قالوا و من عمرا- مفتوحه- و كذلك الفاء من فعمرأ إلا أنهم كسروها لأنهم أرادوا أن يفرقوا بين لام الملك و لام التوكيد إذا قلت أن المال لهذا أى فى ملكه و أن المال لهذا أى هو هو و إذا أدخلوا هذه اللام على مضممر ردها إلى أصلها و هو الفتح قالوا لك و له لأن اللبس قد ارتفع و ذلك لأن ضمير الجر مخالف لضمير الرفع إذا قلت أن هذا لك و أن هذا لأنت إلا أنهم كسروها مع ضمير المتكلم نحو لى لأن هذه الياء لا يكون ما قبلها إلا مكسورا نحو غلامى و فرسى و هذا كله قول سيويه و جميع النحويين المحققين و ليس من الحروف المبتدأ بها مما هو على حرف واحد حرف مكسور إلا الباء وحدها و قد مضى القول فيه و أما لام الجزم فى ليفعل فإنما كسرت ليفرق بينها و بين لام التوكيد نحو ليفعل فاعلم و «رَبِّ الْعَالَمِينَ» مجرور على الصفه و العامل فى الصفه عند أبى الحسن الأخفش كونه صفه فذلك الذى يرفعه و ينصبه و يجره و هو عامل معنوى كما أن المبتدأ إنما رفعه الابتداء و هو معنى عمل فيه و استدل على أن الصفه لا- يعمل فيه ما يعمل فى الموصوف بأنك تجد فى الصفات ما يخالف الموصوف فى إعرابه نحو أيا زيد العاقل لأن المنادى مبنى و العاقل الذى هو صفته معرب و دليل ثان و هو أن فى هذه التوابع ما يعرب بإعراب ما يتبعه و لا يصح أن يعمل فيه ما يعمل فى موصوفه و ذلك نحو أجمع و جمع و جمعاء و لما صح و جوب هذا فيها دل على أن الذى يعمل فى الموصوف غير عامل فى الصفه لاجتماعهما فى أنهما تابعان و قال غيره من النحويين العامل فى الموصوف هو العامل فى الصفه و من نصب «رَبِّ الْعَالَمِينَ» فإنما ينصبه على المدح و الثناء كأنه لما قال «الْحَمْدُ لِلَّهِ» استدل بهذا اللفظ على أنه ذاكر لله فكأنه قال اذكر رب العالمين فعلى هذا لو قرئ فى غير القرآن رب العالمين مرفوعا على المدح أيضا لكان جائزا على معنى هو رب العالمين قال الشاعر:

لا يبعدن قومي الذين هم

سم العداه و آفه الجزر

النازلين بكل معترك

و الطيبون معاقد الأزر

وقد روى النازلون و النازلين و الطيبون و الطيبين و الوجه فى ذلك ما ذكرناه و «العالمين» مجرور بالإضافه و الياء فيه علامه الجر و حرف الإعراب و علامه الجمع و النون هنا عوض عن الحركه فى الواحد و إنما فتحت فرقا بينها و بين نون التثنيه تقول هذا عالمان فتكسر نون الاثنين لالتقاء الساكنين و قيل إنما فتحت نون الجمع و حقها الكسر لثقل الكسره بعد الواو كما فتحت الفاء من سوف و النون من أين و لم تكسر لثقل الكسره بعد الواو و الياء.

المعنى

معنى الآية أن الأوصاف الجميله و الثناء الحسن كلها لله الذى تحقق له العباده لكونه قادرا على أصول النعم و فاعلا لها و لكونه منشئا للخلق و مربيا لهم و مصلحا لشأنهم، و فى الآية دلالة على وجوب الشكر لله على نعمه و فيها تعليم للعباد كيف يحمدونه.

الفاتحه (١): آيه ٣

اشاره

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣)

توضيح

قد مضى تفسيرها و إنما أعاد ذكر الرحمن و الرحيم للمبالغه و قال على بن عيسى الرمانى فى الأول ذكر العبوديه فوصل ذلك بشكر النعم التى بها يستحق العباده و هاهنا ذكر الحمد فوصله بذكر ما به يستحق الحمد من النعم فليس فيه تكرار ..

الفاتحه (١): آيه ٤

اشاره

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤)

الإعراب

اختلفوا فى أن أى القراءتين أمدح فمن قرأ «مَالِكِ» قال إن هذه الصفه أمدح لأنه لا يكون مالكا للشىء إلا و هو يملكه و قد يكون مالكا للشىء و لا يملكه كما يقال ملك العرب و ملك الروم و إن كان لا يملكهم و قد يدخل فى المالك ما لا يصح دخوله فى الملك يقال فلان مالك الدراهم و لا يقال ملك الدراهم فالوصف بالمالك أعم من الوصف بالملك. و الله مالك كل شىء و قد وصف نفسه بأنه «مالك الملك يؤتى الملك من يشاء» فوصفه بالمالك أبلغ فى الثناء و المدح من وصفه بالملك و من قرأ الملك قال أن هذه الصفه أمدح لأنه لا يكون إلا مع التعظيم و الاحتواء على الجمع الكثير و اختاره أبو بكر محمد بن السرى السراج و قال أن الملك الذى يملك الكثير من الأشياء و يشارك غيره من الناس فى ملكه بالحكم عليه و كل ملك مالك و ليس كل مالك ملكا و إنما قال تعالى «مَالِكِ الْمُلْكِ» لأنه تعالى يملك ملوك الدنيا و ما ملكوا فمعناه أنه

يملك ملك الدنيا فيؤتى الملك فيها من يشاء فأما يوم الدين فليس إلا ملكه و هو ملك الملوك

ص: ١٤

يملكهم كلهم وقد يستعمل هذا في الناس يقال فلان ملك الملوک و أمير الأمراء و يراد بذلك أن من دونه ملوکا و أمراء و لا يقال ملك الملك و لا أمير الإمارة لأن أميرا و ملکا صفه غير جاریه على فعل فلا معنى لإضافتها إلى المصدر فأما إضافة ملك إلى الزمان فكما يقال ملك عام كذا و ملوک الدهر الأول و ملك زمانه و سيد زمانه فهو في المدح أبلغ و الآیه إنما نزلت في الثناء و المدح لله أ لا- ترى إلى قوله رَبِّ الْعَالَمِينَ و الربوبية و الملك متشابهان و قال أبو على الفارسی يشهد لمن قرأ «مَالِكِ» من التنزيل قوله تعالى «وَ الْمَأْمُرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ» لأن قولك الأمر له و هو مالک الأمر بمعنى أ لا ترى أن لام الجر معناها الملك و الاستحقاق و كذلك قوله تعالى: «يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا» يقوى ذلك و يشهد لقراءه من قرأ ملك قوله تعالى: «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ» لأن اسم الفاعل من الملك الملك فإذا قال الملك له ذات اليوم كان بمنزله قوله هو ملك ذلك اليوم و هذا مع قوله فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ وَ مَلِكِ النَّاسِ.

اللغة

(الملك) القادر الواسع المقدره الذى له السياسة و التدبير (و المالك) القادر على التصرف فى ماله و له أن يتصرف فيه على وجه ليس لأحد منعه منه و يوصف العاجز بأنه مالک من جهة الحكم يقال ملك بين الملك بضم الميم و مالک بين الملك و الملك بكسر الميم و فتحها و ضم الميم لغه شاذه و يقال طالت مملكتهم الناس و مملكتهم بكسر اللام و فتحها و لى فى هذا الوادى ملك و ملك و ملك ذكرها أبو على الفارسی و قال الملك للشىء اختصاص من المالك به و خروجه من أن يكون مباحا لغيره و معنى الإباحه فى الشىء كالاتساع فيه و خلاف الحصر و القصر على الشىء أ لا تراهم قالوا باح السر و باحت الدار و قال أبو بكر محمد بن السرى السراج الملك و الملك يرجعان إلى أصل واحد و هو الربط و الشد كما قالوا ملكت العجيين أى شددته قال الشاعر:

ملكته بها كفى فأنهت فتقها

يرى قائم من دونها ما وراءها

يقول شددت بهذه الطعنه كفى و منه الأملاك و معناه رباط الرجل بالمرأه و (الدين) معناه فى الآيه الجزاء قال الشاعر

(و اعلم بأنك ما تدين تدان)

و هو قول سعيد بن جبیر و قتاده و قيل

الدين الحساب و هو المروى عن أبى جعفر محمد بن على الباقرع

و ابن عباس و الدين الطاعه قال عمرو بن كلثوم:

و أيام لنا غر طوال

عصينا الملك فيها أم ندينا

و الدين العاده قال الشاعر:

تقول إذا درأت لها وضيبي

أ هذا دينه أبدا و ديني

و الدين القهر و الاستعلاء قال الأعشى:

هو دان الرباب إذ كرهوا الدين

دراكا بغزوه و احتيال

ثم دانت بعد الرباب و كانت

كعذاب عقوبه الأفعال

و يدل على أن المراد به الجزاء و الحساب قوله تعالى: «الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ».

الإعراب

«مَالِكِ» مجرور على الوصف لله تعالى و ما جاء من النصب فعلى ما ذكرناه من نصب «رَبِّ الْعَالَمِينَ» و يجوز أن ينصب «رَبِّ الْعَالَمِينَ» و «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» على النداء كأنك قلت لك الحمد يا رب العالمين و يا مالك يوم الدين و من قرأ ملك يوم الدين بإسكان اللام فأصله ملك فخفف كما يقال فخذ و فخذ و من قرأ ملك يوم الدين جعله فعلا ماضيا و يوم مجرور بإضافه ملك أو مالك إليه و كذلك الدين مجرور بإضافه يوم إليه و هذه الإضافة من باب يا سارق الليله أهل الدار اتسع فى الظرف فنصب نصب المفعول به ثم أضيف إليه على هذا الحد كما قال الشاعر أنشده سيبويه:

و يوم شهدناه سليما و عامرا

قليل سوى الطعن النهال نوافله

فكأنه قال هو ملك ذلك اليوم و لا يؤتى أحدا الملك فيه كما آتاه فى الدنيا فلا ملك يومئذ غيره و من قرأ «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» فإنه قد حذف المفعول به من الكلام للدلاله عليه و تقديره مالك يوم الدين الأحكام و القضاء لا يملك ذلك و لا يليه سواه

[أى لا يكون أحد واليا سواه] إنما خص يوم الدين بذلك لتفردہ تعالى بذلك فى ذلك اليوم و جميع

ص: ١٦

الخلق يضطرون إلى الإقرار والتسليم و أما الدنيا فليست كذلك فقد يحكم فيها ملوك و رؤساء و ليست هذه الإضافه مثل قوله تعالى وَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ لِأَنَّ السَّاعَةَ مَفْعُولٌ بِهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ وَ لَيْسَتْ مَفْعُولًا بِهَا عَلَى السَّعَةِ لِأَنَّ الظَّرْفَ إِذَا جَعَلَ مَفْعُولًا عَلَى السَّعَةِ فَمَعْنَاهُ مَعْنَى الظَّرْفِ وَ لَوْ كَانَتْ السَّاعَةُ ظَرْفًا لَكَانَ الْمَعْنَى يَعْلَمُ فِي السَّاعَةِ وَ ذَلِكَ لَا يَجُوزُ لِأَنَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَ الْمَعْنَى أَنَّهُ يَعْلَمُ السَّاعَةَ أَى يَعْرِفُهَا.

المعنى

أنه سبحانه لما بين ملكه في الدنيا بقوله «رَبِّ الْعَالَمِينَ» بين أيضا ملكه في الآخرة بقوله «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» و أراد باليوم الوقت و قيل أراد به امتداد الضياء إلى أن يفرغ من القضاء و يستقر أهل كل دار فيها و قال أبو علي الجبائي أراد به يوم الجزاء على الدين و قال محمد بن كعب أراد يوم لا ينفع إلا الدين و إنما خص يوم القيامة بذكر الملك فيه تعظيما لشأنه و تفخيما لأمره كما قال رب العرش و هذه الآية داله على إثبات المعاد و على الترغيب و الترهيب لأن المكلف إذا تصور ذلك لا بد أن يرجو و يخاف.

الفاتحة (١): آيه ٥

إشاره

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)

اللغه

العباده فى اللغه هى الذله يقال طريق معبد أى مذلل بكثره الوطاء قال طرفه:

تبارى عتاقا ناجيات و أتبع

وظيفا وظيفا فوق مور معبد

و بعير معبد إذا كان مطليا بالقطران و سمي العبد عبدا لذلته و انقياده لمولاه و الاستعانه طلب المعونه يقال استعنته و استعنت به.

الإعراب

قال أبو إسحاق إبراهيم بن السرى الزجاج موضع «إِيَّاكَ» نصب بوقوع الفعل عليه و موضع الكاف فى إِيَّاكَ خفض بإضافه إيا إليها و إيا اسم للضمير المنصوب إلا- أنه ظاهر يضاف إلى سائر المضمرات نحو قولك إِيَّاكَ ضربت و إياه ضربت و إياى حدثت و لو قلت إيا زيد حدثت كان قبيحا لأنه خص به المضممر و قد روى الخليل عن العرب إذا بلغ الرجل الستين فأياه و إيا الشواب و هذا كلام الزجاج و رد عليه الشيخ أبو على الفارسى فقال إن إيا ليس بظاهر بل هو مضممر يدل على ذلك تغير ذاته و امتناع ثباته فى حال الرفع و الجر و ليس كذلك الاسم الظاهر أ لا ترى أنه يعتقب عليه الحركات فى آخره و يحكم له بها فى موضعه من غير تغير نفسه فمخالفته للمظهر فيما وصفناه يدل على أنه مضممر ليس

بمظهر قال و حكى السراج عن المبرد عن أبي الحسن الأـخفش أنه اسم مفرد مضمر يتغير آخره كما تتغير أواخر المضمرات لاختلاف أعداد المضمرين والكاف فى إياك كالتى فى ذلك و هى داله على الخطاب فقط مجردة عن كونها علامه للمضمر فلا محل لها من الإعراب و أقول و هكذا الحكم فى إياى و إيانا و إياه و إياها فى أنها حروف تلحق إيا فإياه فى إياى دليل على التكلم و الهاء فى إياه تدل على الغيبه لا- على نفس الغائب و يجرى التأكيد على إيا منصوبا تقول إياك نفسك رأيت و إياه نفسه ضربت و إياهم كلهم عنيت فاعرفه و لا يجيز أبو الحسن إياك و إيا زيد و يستقل روايتهم عن العرب إذا بلغ الرجل الستين فإياه و إيا الشواب و يحمله على الشذوذ لأن الغرض فى الإضافة التخصيص و المضمر على نهايه التخصيص فلا وجه إذا لإضافته و الأصل فى نستعين نستعون لأنه من المعونه و العون لكن الواو قلبت ياء لثقل الكسره عليها فنقلت كسرتها إلى العين قبلها فتصير الياء ساكنه لأن هذا من الإعلال الذى يتبع بعضه بعضا نحو أعان يعين و قام يقوم و فى شرحه كلام و ربما يأتى مشروحا فيما بعد إن شاء الله و قوله نعبد و نستعين مرفوع لوقوعه موقعا يصلح للاسم أ لا ترى أنك لو قلت أنا عابدك و أنا مستعينك لقام مقامه و هذا المعنى عمل فيه الرفع و أما الإعراب فى الفعل المضارع فلمضارعتة الاسم لأن الأصل فى الفعل البناء و إنما يعرب منه ما شابه الأسماء و هو ما لحقت أوله زياده من هذه الزيادات الأربع التى هى الهمزه و النون و التاء و الياء.

المعنى

قوله تعالى: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» أدل على الاختصاص من أن نقول نعبدك و نستعينك لأن معناه نعبدك و لا نعبد سواك و نستعينك و لا نستعين غيرك كما إذا قال الرجل إياك أعنى فمعناه لا أعنى غيرك و يكون أبلغ من أن يقول أعنيك و العباده ضرب من الشكر و غايه فيه لأنها الخضوع بأعلى مراتب الخضوع مع التعظيم بأعلى مراتب التعظيم و لا- يستحق إلا بأصول النعم التى هى خلق الحياه و القدره و الشهوه و لا يقدر عليه غير الله تعالى فلذلك اختص سبحانه بأن يعبد و لا يستحق بعضنا على بعض العباده كما يستحق بعضنا على بعض الشكر و تحسن الطاعه لغير الله تعالى و لا تحسن العباده لغيره و قول من قال أن العباده هى الطاعه للمعبود يفسد بأن الطاعه موافقه الأمر و قد يكون موافقا لأمره و لا يكون عابدا له أ لا ترى أن الابن يوافق أمر الأب و لا يكون عابدا له و كذلك العبد يطيع مولاه و لا يكون عابدا له بطاعته إياه و الكفار يعبدون الأصنام و لا يكونون مطيعين لهم إذ لا- يتصور من جهتهم الأمر و معنى قوله «إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» إياك نستوفق و نطلب المعونه على عبادتك و على أمورنا كلها و التوفيق هو أن يجمع بين جميع الأسباب التى يحتاج إليها فى

حصول الفعل و لهذا لا يقال فيمن أعان غيره وفقه لأنه لا يقدر أن يجمع بين جميع الأسباب التي يحتاج إليها في حصول الفعل و أما تكرار قوله «إِيَّاكَ» فلأنه لو اقتصر على واحد ربما توهم متوهم أنه لا يتقرب إلى الله تعالى إلا بالجمع بينهما و لا يمكنه أن يفصل بينهما و هو إذا تفكر في عظمه الله تعالى كان عباده و إن لم يستعن به و قيل أنه جمع بينهما للتأكيد كما يقال الدار بين زيد و بين عمرو و لو اقتصر على واحد فقليل بين زيد و عمرو كان جائزا قال عدى بن زيد:

و جاعل الشمس مصرا لا خفاء به

بين النهار و بين الليل قد فضلا

و قال أعشى همدان:

بين الأشج و بين قيس باذخ

بخ يخ لوالده و للمولود

و هذا القول فيه نظر لأن التكرير إنما يكون تأكيدا إذا لم يكن محمولا- على فعل ثان و «إِيَّاكَ» الثاني في الآية محمول على «نَسِيْتَعِينَ» و مفعول له فكيف يكون تأكيدا و قيل أيضا أنه تعليم لنا في تجديد ذكره تعالى عند كل حاحه فإن قيل أن عباده الله تعالى لا تتأتى بغير إعانه منه فكان يجب أن يقدم الاستعانه على العباده فالجواب أنه قدم العباده على الاستعانه لا على الإعانه و قد أتت بغير استعانه و أيضا فإن أحدهما إذا كان مرتبًا بالآخر لم يختلف التقديم و التأخير كما يقال قضيت حقي فأحسنت إلى و أحسنت إلى فقضيت حقي و قيل أن السؤال للمعونه إنما يقع على عباده مستأنفه لا على عباده واقعه منهم و إنما حسن طلب المعونه و إن كان لا- بد منها مع التكليف على وجه الانقطاع إليه تعالى كقوله رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ و لأنه ربما لا يكون اللطف في إدامه التكليف و لا في فعل المعونه به إلا بعد تقديم الدعاء من العبد و قد أخطأ من استدل بهذه الآية على أن القدره مع الفعل من حيث أن القدره لو كانت متقدمه لما كان لطلب المعونه وجه لأن للرغبه إلى الله تعالى في طلب المعونه وجهين أحدهما أن يسأل الله تعالى من أطفاه و ما يقوى دواعيه و يسهل الفعل عليه ما ليس بحاصل و متى لطف له بأن يعلمه أن له في فعله الثواب العظيم زاد ذلك في نشاطه و رغبته و الثاني أن يطلب بقاء كونه قادرا على طاعته المستقبليه بأن تجدد له القدره حالا بعد حال عند من لا يقول ببقائها و أن لا يفعل ما يضادها و ينفىها عند من قال ببقائها و أما العدول عن الخبر إلى الخطاب في قوله «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» إلى آخر السوره فعلى عاده العرب المشهوره و أشعارهم من ذلك مملوءه قال ليبد:

باتت تشكى إلى النفس مجهشه

و قد حملتك سبعا بعد سبعينا

و قال أبو كثير الهذلي:

يا لهف نفسي كان جده خالد

و بياض وجهك للتراب الأعفر

فرجع من الإخبار عن النفس إلى مخاطبتها في البيت الأول و من الإخبار عن خالد إلى خطابه في البيت الثاني و قال الكسائي تقديره قولوا إياك نعبد أو قل يا محمد هذا كما قال الله تعالى «وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصِرْنَا» و قال «وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ» أى يقولون سلام.

الفتحة (١): آية ٦

إشارة

أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦)

القراءة

قرأ حمزه بإشمام الصاد الزاى إلا العجلى و بروايه خلاد و ابن سعدان يشم هاهنا فى الموضوعين فقط و قرأ الكسائي من طريق أبى حمدون بإشمام السين و يعقوب من طريق رويس بالسين و الباقون بالصاد.

الإعراب

الأصل فى الصراط السين لأنه مشتق من السرط و مسترط الطعام ممره و منه قولهم سرطراط و الأصل سريط فمن قرأ بالسين راعى الأصل و من قرأ بالصاد فلما بين الصاد و الطاء من المؤاخاه بالاستعلاء و الإطباق و لكراهه أن يتسفل بالسين ثم يتصعد بالطاء فى السراط و إذا كانوا قد أبدلوا من السين الصاد مع القاف فى صقب و صويق ليجعلوها فى استعلاء القاف مع بعد القاف من السين و قرب الطاء منها فأن يبدلوا منها الصاد مع الطاء أجدر من حيث كان الصاد إلى الطاء أقرب ألا ترى أنهما جميعا من حروف طرف اللسان و أصول الثنايا و أن الطاء تدغم فى الصاد و من قرأ بإشمام الزاى فللمؤاخاه بين السين و الطاء بحرف مجهور من مخرج السين و هو الزاى من غير إبطال الأصل.

اللغة

الهدايه فى اللغة الإرشاد و الدلالة على الشىء يقال لمن يتقدم القوم و يدلهم على الطريق هاد خريت أى دال مرشد قال طرفه:

للفتى عقل يعيش به

حيث تهدى ساقه قدمه

و الهدايه التوفيق قال:

فلا تعجلن هداك المليك

فإن لكل مقام مقالا

أى وفقك و الصراط الطريق الواضح المتسع و سمى بذلك لأنه يسرط الماره أى

ص: ٢٠

يبتلعها و المستقيم المستوى الذى لا اعوجاج فيه قال جرير:

أمير المؤمنين على صراط

إذا أعوج الموارد مستقيم

الإعراب

«اهْدِنَا» مبنى على الوقف و فاعله الضمير المستكن فيه لله تعالى و الهمزه مكسوره لأن ثالث المضارع منه مكسور و موضع النون و الألف من اهدنا نصب لأنه مفعول به و الصراط منصوب لأنه مفعول ثان.

المعنى

قيل فى معنى «اهْدِنَا» وجوه (أحدها) أن معناه ثبتنا على الدين الحق لأن الله تعالى قد هدى الخلق كلهم إلا أن الإنسان قد يزل و ترد عليه الخواطر الفاسده فيحسن أن يسأل الله تعالى أن يثبتته على دينه و يديمه عليه و يعطيه زيادات الهدى التى هى إحدى أسباب الثبات على الدين كما قال الله تعالى «وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى» و هذا كما يقول القائل لغيره و هو يأكل كل أى دم على الأكل (و ثانيها) أن الهدايه هى الثواب لقوله تعالى: يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ فصار معناه اهدنا إلى طريق الجنة ثوابا لنا و يؤيده قوله الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا (و ثالثها) أن المراد دلنا على الدين الحق فى مستقبل العمر كما دللتنا عليه فى الماضى و يجوز الدعاء بالشىء الذى يكون حاصلًا كقوله تعالى:

قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ و قوله حكاية عن إبراهيم ع: وَ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ و ذلك أن الدعاء عباده و فيه إظهار الانقطاع إلى الله تعالى فإن قيل ما معنى المسأله فى ذلك و قد فعله الله بجوابه أنه يجوز أن يكون لنا فى الدعاء به مصلحة فى ديننا و هذا كما تعبدنا بأن نكرر التسيح و التحميد و الإقرار لربنا عز اسمه بالتوحيد و إن كنا معتقدين لجميع ذلك و يجوز أن يكون الله تعالى يعلم أن أشياء كثيرة تكون أصلح لنا إذا سألناه و إذا لم نسأله لا تكون مصلحة فيكون ذلك وجهًا فى حسن المسأله و يجوز أن يكون المراد استمرار التكليف و التعريض للثواب لأن إدامته ليس بواجب بل هو تفضل محض فجاز أن يرغب إليه فيه بالدعاء و قيل فى معنى «الصَّراطِ الْمُسْتَقِيمِ» وجوه.

(أحدها)

أنه كتاب الله و هو المروى عن النبي صلى الله عليه و آله و عن على ع

و ابن مسعود (و ثانيها) أنه الإسلام و هو المروى عن جابر و ابن عباس (و ثالثها) أنه دين الله الذى لا يقبل من العباد غيره عن محمد بن الحنفية (و الرابع)

أنه النبي صلى الله عليه و آله و الأئمة القائمون مقامه و هو المروى فى أخبارنا

و الأولى حمل الآيه على العموم حتى يدخل جميع ذلك فيه لأن الصراط المستقيم هو الدين الذى أمر الله به من التوحيد و العدل و ولايه من أوجب الله طاعته.

ص: ٢١

إشارة

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)

القراءة

قرأ حمزه عليهم بضم الهاء وإسكان الميم وكذلك لديهم وإيهم وقرأ يعقوب بضم كل هاء قبلها ياء ساكنه في التثنية و الجمع المذكر والمؤنث نحو عليهما وفيهما وعليهما وفيهم وعليهن وفيهن وقرأ الباقون «عَلَيْهِمْ» وأخواتها بالكسر وقرئ في الشواذ عليهموا قراءة ابن أبي إسحاق وعيسى الثقفي وعليهمى قراءة الحسن البصرى وعمر بن قايد وعليهم مكسوره الهاء مضمومه الميم بغير واو وعليهم مضمومه الهاء والميم من غير بلوغ واو مرويتان عن الأعرج فهذه سبع قراءات ثم اختلف القراء في الميم فأهل الحجاز وصلوا الميم بواو انضمت الهاء قبلها أو انكسرت قالوا عليهموا وعلى قلوبهموا وعلى سمعهموا ومنهموا ولهموا إلا- أن نافعا اختلف عنه فيه و الباقون بسكون الميم فأما إذا لقي الميم حرف ساكن فإن القراء اختلفوا فأهل الحجاز وعاصم وابن عامر يضمون على كسر الهاء ويضمون الميم نحو عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَمِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ وَأَبُو عمرو يكسر الهاء والميم وحمزه والكسائي يضمان الهاء والميم معا وكل هذا الاختلاف في الهاء التي قبلها كسره أو ياء ساكنه فإذا جاوزت هذين الأمرين لم يكن في الهاء إلا الضم وقرأ صراط من أنعمت عليهم عمر بن الخطاب وعمر بن عبد الله الزبيرى وروى ذلك عن أهل البيت عليه السلام وقرئ أيضا في الشواذ غير المغضوب عليهم بالنصب وقرأ غير الضالين عمر بن الخطاب وروى ذلك عن على ع.

الإعراب

من قرأ عليهم بضم الهاء فإنه رده إلى الأصل لأنه إذا انفرد من حروف يتصل بها قيل هم فعلوا بضم الهاء قال السراج وهى القراءة القديمة ولغه قریش وأهل الحجاز ومن حولهم من فصحاء اليمن وإنما خص حمزه هذه الحروف الثلاثة بالضم لأن الياء قبلها كانت ألفا مثل على القوم ولدى القوم وإلى القوم ولا يجوز كسر الهاء إذا كان قبلها ألف ومن قرأ عليهموا فإنه اتبع الهاء ما أشبهها وهو الياء وترك ما لا يشبه الياء والألف على الأصل وهو الميم ومن قرأ «عَلَيْهِمْ» فكسر الهاء وأسكن الميم فلأنه آمن اللبس إذا كانت الألف في التثنية قد دلت على الاثنتين ولا- ميم فى الواحد فلما لزم الميم الجمع حذفوا الواو وأسكنوا الميم طلبا للتخفيف إذا كان ذلك لا يشكل وإنما كسر الهاء مع أن

الأصل الضم للياء التي قبلها و من قرأ عليهموا فلأنه الأصل لأن وسيله هذه الواو في الجمع وسيله لألف في التثنية أعنى أن ثبات الواو كثبات الألف و من قرأ عليهمى فإنه كسر الهاء لوقوع الياء قبلها ساكنه و كسر الميم كراهه للخروج من كسره الهاء إلى ضمه الميم ثم انقلبت الواو ياء لسكونها و انكسار ما قبلها و من كسر الهاء و ضم الميم و حذف الواو فإنه احتمل الضمه بعد الكسره لأنها غير لازمه إذا كانت ألف التثنيه تفتحها لكنه حذف الواو تفاديا من ثقلها مع ثقل الضمه و من قرأ «عَلَيْهِمْ» فإنه حذف الواو استخفافا و احتمل الضمه قبلها دليلا عليها و أما من ضم الميم إذا لقيها ساكن و كسر الهاء فإنما يحتج بأن يقول لما احتجت إلى الحركة رددت الحرف إلى أصله فضممت و تركت الهاء على كسرها لأنه لم تأت ضروره تحوج إلى ردها إلى الأصل و لأن الهاء إنما تبعت الياء لأنها شبهت بها و لم يتبعها الميم لبعدها منه و احتج من كسر الميم و الهاء بأن قال أتبع الكسر الكسر لثقل الضم بعد الكسر قال سيبويه الهاء تكسر إذا كان قبلها ياء أو كسره لأنها خفيفه و هى من حروف الزيادة كما أن الياء من حروف الزيادة و هى من موضع الألف و هى أشبه الحروف بالياء و كما أمالوا الألف في مواضع استخفافا كذلك كسروا هذه الهاء و قلبوا الواو ياء لأنه لا تثبت واو ساكنه و قبلها كسره كقولك مررت بهى و مررت بدار هى قبل.

الإعراب

«صِرَاطَ الَّذِينَ» صفة لقوله «الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» و يجوز أن يكون بدلا عنه و الفصل بين الصفة و البدل أن البدل فى تقدير تكرير العامل بدلاله تكرير حرف الجر فى قوله تعالى: قَالَ (الْمَلَأُ) الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا (مِنْ قَوْمِهِ) لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ و ليس كذلك الصفة فكما أعيدت اللام الجاره فى الاسم فكذلك العامل الرفع أو الناصب فى تقدير التكرير فكأنه قال اهدنا صراط الذين و ليس يخرج البدل و إن كان كذلك عن أن يكون فيه تبيين للأول كما أن الصفة كذلك و لهذا لم يجز سيبويه المسكين بى كان الأمر و لا بك المسكين كما أجاز ذلك فى الغائب نحو مررت به المسكين و الذين موصول و أنعمت عليهم صله و قد تم بها اسما مفردا يكون فى موضع جر بإضافه صراط إليه و لا يقال فى موضع الرفع اللذون لأنه اسم غير متمكن و قد حكى اللذون شاذا كما حكى الشياطين فى حال الرفع و أما «غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ» ففى الجر فيه ثلاثه أوجه (أحدها) أن يكون بدلا من الهاء و الميم فى عليهم كقول الشاعر:

على حاله لو أن فى القوم حاتما

على جوده لضن بالماء حاتم

فجر حاتم على البديل من الهاء فى جوده (و ثانيها) أن يكون بدلا من الذين (و ثالثها) أن يكون صفه للذين و إن كان أصل غير أن يكون صفه للنكره تقول مررت برجل غيرك كأنك قلت مررت برجل آخر أو برجل ليس بك قال الزجاج و إنما جاز ذلك لأن الذين هاهنا ليس بمقصود قصدهم فهو بمنزله قولك إني لأمر بالرجل مثلك فأكرمه و قال على بن عيسى الرمانى إنما جاز أن يكون نعتا للذين لأن الذين بصلتها ليست بالمعرفه الموقته كالإعلام نحو زيد و عمرو و إنما هى كالنكرات إذا عرفت نحو الرجل و الفرس فلما كانت الذين كذلك كانت صفتها كذلك أيضا كما يقال لا أجلس إلا إلى العالم غير الجاهل و لو كانت بمنزله الإعلام لما جاز كما لم يجز مررت بزيد غير الظريف بالجر على الصفه و قال أبو بكر السراج و الذى عندى أن غير فى هذا الموضع مع ما أضيف إليه معرفه لأن حكم كل مضاف إلى معرفه أن يكون معرفه و إنما تنكرت غير و مثل مع إضافتهما إلى المعارف من أجل معناهما و ذلك أنك إذا قلت رأيت غيرك فكل شىء ترى سوى المخاطب فهو غيره و كذلك إذا قلت رأيت مثلك فما هو مثله لا يحصى فأما إذا كان شيئا معرفه له ضد واحد و أردت إثباته و نفى ضده فعلم ذلك السامع فوصفته بغير و أضفت غير إلى ضده فهو معرفه و ذلك نحو قولك عليك بالحركه غير السكون فغير السكون معرفه و هى الحركه فكأنك كررت الحركه تأكيدا فكذلك قوله تعالى: «الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ» فغير المغضوب هم الذين أنعم الله عليهم فمتى كانت غير بهذه الصفه فهى معرفه و كذلك إذا عرف إنسان بأنه مثلك فى ضرب من الضروب فقبل فيه قد جاء مثلك كان معرفه إذا أردت المعروف بشبهك قال و من جعل غير بدلا استغنى عن هذا الاحتجاج لأن النكره قد تبدل من المعرفه و فى نصب غير ثلاثه أوجه أيضا (أحدها) أن يكون نصبا على الحال من المضمرة فى عليهم و العامل فى الحال أنعمت فكأنه قال صراط الذين أنعمت عليهم لا مغضوبا عليهم (و ثانيها) أن يكون نصبا على الاستثناء المنقطع لأن المغضوب عليهم من غير جنس المنعم عليهم (و ثالثها) أن يكون نصبا على أعنى كأنه قال أعنى غير المغضوب عليهم و لم يجز أن يقال غير المغضوبين عليهم لأن الضمير قد جمع فى عليهم فاستغنى عن أن يجمع المغضوب و هذا حكم كل ما تعدى بحرف جر تقول رأيت القوم غير المذهوب بهم استغنيت بالضمير المجرور فى بهم عن جمع المذهوب و أما لا من قوله «وَلَا الضَّالِّينَ» فذهب البصريون إلى أنها زائده لتوكيد النفى و ذهب الكوفيون إلى أنها بمعنى غير و وجه قول البصريين أنك إذا قلت ما قام زيد و عمرو احتمل أن تريد ما قاما معا و لكن قام كل واحد منهما بانفراده فإذا قلت ما قام زيد و لا عمرو زال الاحتمال و غير متضمن معنى

النفى و لهذا أجاز النحويون أنت زيدا غير ضارب لأنه بمنزله قولك إنك أنت زيدا لا ضارب و لا يجوزون أنت زيدا مثل ضارب لأن زيدا من صله ضارب و لا يتقدم عليه و قال على بن عيسى الرماني من نصب على الاستثناء جعل لا صله كما أنشد أبو عبيده

(فى بئر لا حور سرى و ما شعر)

أى فى بئر هلكه و تقديره غير المغضوب عليهم و الضالين كما قال ما مَنَّكَ أَلَّا تَسْجُدَ بمعنى أن تسجد.

المعنى و اللغة

معنى الآيه بيان الصراط المستقيم أى صراط من أنعمت عليهم بطاعتك و هم الذين ذكرهم الله تعالى فى قوله «مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصَّادِقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ» و أصل النعمه المبالغه و الزيادة يقال دقت الدواء فأنعمت دقه أى بالغت فى دقه و هذه النعمه و إن لم تكن مذكوره فى اللفظ فالكلام يدل عليها لأنه لما قال اهدنا الصَّراطَ الْمُسْتَقِيمَ و قد بينا المراد بذلك بين أن هذا صراط من أنعم عليهم به و لم يحتج إلى إعادته اللفظ كما قال النابغه:

كأنك من جمال بنى أفيش

يقعقع خلف رجله بشن

أى كأنك من جمالهم جمل يقعقع خلف رجله و أراد بالمغضوب عليهم اليهود عند جميع المفسرين الخاص و العام و يدل عليه قوله تعالى «مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ وَ جَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَ الْخَنَازِيرَ» و هؤلاء هم اليهود بدلاله قوله تعالى «وَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ» و أراد بالضالين النصارى بدلاله قوله تعالى:

«وَ لَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَ ضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ» و قال الحسن البصرى أن الله تعالى لم يبرأ اليهود من الضلاله بإضافه الضلاله إلى النصارى و لم يبرأ النصارى من الغضب بإضافه الغضب إلى اليهود بل كل واحده من الطائفتين مغضوب عليهم و هم ضالون إلا- أن الله تعالى يخص كل فريق بسمه يعرف بها و يميز بينه و بين غيره بها و إن كانوا مشتركين فى صفات كثيره و قيل المراد بالمغضوب عليهم و الضالين جميع الكفار و إنما ذكروا بالصفتين لاختلاف الفائدتين و اختار الإمام عبد القاهر الجرجاني قولاً- آخر قال إن حق اللفظ فيه أن يكون خرج مخرج الجنس كما تقول نعوذ بالله أن يكون حالنا حال المغضوب عليهم فإنك لا تقصد به قوما بأعيانهم و لكنك تريد ما تريده بقولك إذا قلت اللهم اجعلنى ممن أنعمت عليهم و لا تجعلنى ممن غضبت عليهم فلا تريد أن ها هنا

قوما بأعيانهم قد اختصوا بهذه الصفة التي هي كونهم منعما عليهم و ليس يخفى على من عرف الكلام أن العقلاء يقولون
اجعلنى ممن تديم له النعمة و هم يريدون أن يقولوا آدم على النعمة و لا يشك عاقل إذا نظر لقول عنتره:

و لقد نزلت فلا تظنى غيره

منى بمنزله المحب المكرم

إنه لم يرد أن يشبهها بإنسان هو محب مكرم عنده أو عند غيره و لكنه أراد أن يقول إنك محبه مكرمه عندى و أما الغضب من
الله تعالى فهو إرادته إنزال العقاب المستحق بهم و لعنهم و براءته منهم و أصل الغضب الشده و منه الغضبه و هى الصخره الصلبه
الشديده المركبه فى الجبل و الغضوب الحيه الخبيثه و الناقه العبوس و أصل الضلال الهلاك و منه قوله «أ إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ»
أى هلكنا و منه قوله «وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ» أى أهلكها و الضلال فى الدين الذهاب عن الحق و إنما لم يقل الذين أنعمت عليهم غير
الذين غضبت عليهم مراعاة للأدب فى الخطاب و اختيارا لحسن اللفظ المستطاب و فى تفسير العياشى رحمه الله

روى محمد بن مسلم عن أبى عبد الله عليه السلام قال سألته عن قوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ»
قال فاتحه الكتاب يثنى فيها القول قال و قال رسول الله صلى الله عليه و آله إن الله تعالى من على بفاتحه الكتاب من كنز الجنة
فيها «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» الآية التى يقول الله فيها: «وَ إِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَخِذَهُ وُلُوعًا عَلَى أَذْيَارِهِمْ نُفُورًا» و «الْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» دعوى أهل الجنة حين شكروا لله حسن الثواب و «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» قال جبرائيل عليه السلام ما قالها مسلم إلا
صدقه الله تعالى و أهل سمائه «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» إخلاص للعباده و «إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» أفضل ما طلب به العباد حوائجهم «اهْدِنَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ» صراط الأنبياء و هم الذين أنعم الله عليهم «غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ» اليهود «وَلَا الضَّالِّينَ» النصارى

و

روى محمد الحلبي عن أبى عبد الله عليه السلام أنه كان يقرأ ملك يوم الدين و يقرأ اهدنا صراط المستقيم و فى روايه أخرى
يعنى أمير المؤمنين (عليه السلام)

و

روى جميل عن أبى عبد الله عليه السلام قال إذا كنت خلف إمام ففرغ من قراءه الفاتحه فقل أنت من خلفه الحمد لله رب
العالمين

و

روى فضيل بن يسار عنه عليه السلام قال إذا قرأت الفاتحه ففرغت من قراءتها فقل الحمد لله رب العالمين.

و أما نظم هذه السوره فأقول فيه أن العاقل المميز إذ عرف نعم الله سبحانه بالمشاهده و كان له من نفسه بذلك أعدل شاهد و أصدق رائد ابتداءً بآيه التسميه استفتاحاً باسم المنعم و اعترافاً بالهيته و استرواحاً إلى ذكر فضله و رحمته و لما اعترف بالمنعم الفرد اشتغل بالشكر له و الحمد فقال الْحَمْدُ لِلَّهِ و لما رأى نعم الله تعالى على غيره واضحه كما شاهد آثارها على نفسه لائحه عرف أنه رب الخلائق أجمعين فقال رَبُّ الْعَالَمِينَ و لما رأى شمول فضله للمربوبين و عموم رزقه للمرزوقين قال الرَّحْمَنِ و لما رأى تقصيرهم فى واجب شكره و تعذيرهم فى الانزجار عند زجره و اجتناب نهيه و امتثال أمره و أنه تعالى يتجاوز عنهم بالغفران و لا- يؤاخذهم عاجلاً بالعصيان و لا يسلبهم نعمه بالكفران قال الرَّحِيمِ و لما رأى ما بين العباد من التباغى و التظالم و التكالم و التلا-كم و أن ليس بعضهم من شر بعض بسالم على أن وراءهم يوماً ينتصف فيه للمظلوم من الظالم فقال مَا لِكِ يَوْمَ الدِّينِ و إذا عرف هذه الجملة فقد علم أن له خالقاً رازقاً رحيماً يحيى و يميت و يبدئ و يعيد و هو الحى لا يشبهه شىء و الإله الذى لا يستحق العباده سواه و لما صار الموصوف بهذا الوصف كالمدرک له بالعيان المشاهد بالبرهان تحول عن لفظ الغيبه إلى لفظ الخطاب فقال إِيَّاكَ نَعْبُدُ و هذا كما أن الإنسان يصف الملك بصفاته فإذا رآه عدل عن الوصف إلى الخطاب و لما رأى اعتراض الأهواء و الشبهات و تعاور الآراء المختلفات و لم يجد معيناً غير الله تعالى سأله الإعانه على الطاعات بجميع الأسباب لها و الوصلات فقال وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ و لما عرف هذه الجملة و تبين له أنه بلغ من معرفه الحق المدى و استقام على منهج الهدى و لم يأمن العثره لارتفاع العصمه سأل الله تعالى التوفيق للدوام عليه و الثبات و العصمه من الزلات فقال اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ و هذا لفظ جامع يشتمل على مسأله معرفه الأحكام و التوفيق لإقامه شرائع الإسلام و الاقتداء بمن أوجب الله طاعته من أئمه الأنام و اجتناب المحارم و الآثام و إذا علم ذلك علم أن لله سبحانه عبادة خصهم بنعمته و اصطفاهم على بريته و جعلهم حججاً على خليقته فسأله أن يلحقه بهم و يسلك به سبيلهم و أن يعصمه عن مثل أحوال الزالين المزلين و الضالين المضلين ممن عاند الحق و عمى عن طريق الرشده و خالف سبيل القصد فغضب الله عليه و لعنه و أعد له الخزى المقيم و العذاب الأليم أو شك فى واضح الدليل فضل عن سواء السبيل فقال صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لَا الضَّالِّينَ.

نزول

مدنيه كلها إلا- آيه واحده منها و هي قوله وَ اتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ الْآيَهُ فَإِنهَا نزلت في حجه الوداع بمنى عدد آيها مائتان و ست و ثمانون آيه في العدد الكوفي و هو العدد المروى عن أمير المؤمنين على عليه السلام و سيع في العدد البصرى و خمس حجازى و أربع شامى خلافها إحدى عشر آيه عدد الكوفى الم آيه و عدد البصرى إِلَّا خَائِفِينَ آيه و قَوْلًا مَعْرُوفًا بصرى عَزَابٌ أَلِيمٌ شامى مُصْرِحُونَ غيرهم يا أُولَى الْأَلْبَابِ عراقى و المدنى الأخير من خلاف الثانى غير المدنى الأخير يَسْتَلُونَكَ ما ذا يُنْفِقُونَ مكى و المدنى الأول تَتَفَكَّرُونَ كوفى و شامى و المدنى الأخير الْحَيُّ الْقَيُّومُ مكى بصرى و المدنى الأخير مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ. المدنى الأول و روى عن أهل مكه وَ لَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَ لَا شَهِيدٌ.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه و آله قال من قرأها فصلوات الله عليه و رحمته و أعطى من الأجر كالمرابط فى سبيل الله سنه لا تسكن روعته و قال لى يا أبى مر المسلمين أن يتعلموا سورة البقره فإن تعلمها بركه و تركها حسره و لا يستطيعها البطله قلت يا رسول الله ما البطله قال السحره

و

روى سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله إن لكل شىء سناما و سنام القرآن سورة البقره من قرأها فى بيته نهارا لم يدخل بيته شيطان ثلاثه أيام و من قرأها فى بيته ليلا لم يدخله شيطان ثلاث ليال

و

روى أن النبى صلى الله عليه و آله بعث بعثا ثم تتبعهم يستقرئهم فجاء إنسان منهم فقال ما ذا معك من القرآن حتى أتى على أحدتهم سنا فقال له ما ذا معك من القرآن قال كذا و كذا و سورة البقره فقال أخرجوا و هذا عليكم أمير قالوا يا رسول الله صلى الله عليه و آله هو أحدثنا سنا قال معه سورة البقره

و

سئل النبى صلى الله عليه و آله أى سور القرآن أفضل قال البقره قيل أى آى البقره أفضل قال آيه الكرسى

فقال الصادق عليه السلام من قرأ البقره و آل عمران جاء يوم القيامة تظلانه على رأسه مثل الغمامتين أو مثل الغيابتين

البقره (٢): آيه ١

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم (١)

توضيح

(كوفى) اختلف العلماء فى الحروف المعجمه المفتحه بها السور فذهب بعضهم إلى

أنها من المتشابهات التى استأثر الله تعالى بعلمها ولا يعلم تأويلها إلا هو هذا هو المروى عن أنمتناع

و

روت العامه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال إن لكل كتاب صفوه و صفوه هذا الكتاب حروف التهجى

و عن الشعبى قال: لله فى كل كتاب سر و سره فى القرآن سائر حروف الهجاء المذكوره فى أوائل السور و فسرها الآخرون على وجوه.

(أحدها) إنها أسماء السور و مفاتها عن الحسن و زيد بن أسلم (و ثانيها) أن المراد بها الدلاله على أسماء الله تعالى فقوله تعالى «الم» معناه أنا الله أعلم و «الم» معناه أنا الله أعلم و أرى و «المص» معناه أنا الله أعلم و أفصل و الكاف فى كهيعص من كاف و الهاء من هاد و الياء من حكيم و العين من عليم و الصاد من صادق عن ابن عباس و عنه أيضا أن «الم» الألف منه تدل على اسم الله و اللام تدل على اسم جبرائيل و الميم تدل على اسم محمد صلى الله عليه و آله و

روى أبو إسحاق الثعلبى فى تفسيره مسندا إلى على بن موسى الرضا عليه السلام قال سئل جعفر بن محمد الصادق عن قوله «الم» فقال فى الألف ست صفات من صفات الله تعالى (الابتداء) فإن الله ابتداء جميع الخلق و الألف ابتداء الحروف و (الاستواء) فهو عادل غير جائر و الألف مستو فى ذاته و (الانفراد) فالله فرد و الألف فرد و (اتصال الخلق بالله) و الله لا يتصل بالخلق و كلهم محتاجون إلى الله و الله غنى عنهم و كذلك الألف لا يتصل بالحروف و الحروف متصله به و هو منقطع من غيره و الله عز و جل بائن بجميع صفاته من خلقه و معناه من الألفه فكما أن الله عز و جل سبب ألفه الخلق فكذلك الألف عليه تألفت الحروف و هو سبب ألفتها

(و ثالثها) أنها أسماء الله تعالى منقطعه لو أحسن الناس تأليفها لعلموا اسم الله الأعظم تقول الر و حم و ن فىكون الرحمن و كذلك سائرهما إلا أنا لا نقدر على وصلها و الجمع بينها عن سعيد بن جبير (و رابعها) أنها أسماء القرآن عن قتاده (و خامسها)

أنها أقسام أقسم الله تعالى بها و هي من أسمائه عن ابن عباس و عكرمه قال الأخفش و إنما أقسم الله تعالى بالحروف المعجمه

ص: ٢٩

لشرفها و فضلها و لأنها مباني كتبه المنزله بالألسنه المختلفه و أسمائه الحسنی و صفاته العلیا و أصول كلام الأمم كلها بها يتعارفون و يذكرون الله عز اسمه و يوحدونه فكأنه هو أقسم بهذه الحروف أن القرآن كتابه و كلامه (و سادسها) أن كل حرف منها مفتاح اسم من أسماء الله تعالى و ليس فيها حرف إلا و هو في آلائه و بلائيه و ليس فيها حرف إلا و هو في مده قوم و آجال آخرين عن أبي العالیه و قد ورد أيضا مثل ذلك في أخبارنا (و سابعها) أن المراد بها مده هذه الأمه عن مقاتل بن سليمان قال مقاتل حسبنا هذه الحروف التي في أوائل السور بإسقاط المكرر فبلغت سبع مائه و أربعا و أربعين سنه و هي بقیه مده هذه الأمه قال علی بن فضال المجاشعی النحوی و حسبت هذه الحروف التي ذكرها مقاتل فبلغت ثلاثه آلاف و خمسا و ستين فحذفت المكررات فبقى ستمائه و ثلاث و تسعون و الله أعلم بما فيها و أقول قد حسبتها أنا أيضا فوجدتها كذلك و يروى أن اليهود لما سمعوا «الم» قالوا مده ملك محمد صلى الله عليه و آله قصيره إنما تبلغ إحدى و سبعين سنه فلما نزلت الر المر و المص و كهيعص اتسع عليهم الأمر هذه أقوال أهل التفسیر (و ثامنها) أن المراد بها حروف المعجم استغنى بذكر ما ذكر منها في أوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تمام الثمانيه و العشرين حرفا كما يستغنى بذكر قفا نبك عن ذكر باقي القصيده و كما يقال أب في أبجد و في أ ب ت ث و لم يذكروا باقي الحروف قال الراجز:

لما رأيت أنها في حطى

أخذت منها بقرون شمط

و إنما أراد الخبر عن المرأه بأنها في أبجد فأقام قوله حطى مقامه لدلاله الكلام عليه (و تاسعها) أنها تسكيت للكفار لأن المشركين كانوا تواصلوا فيما بينهم أن لا يستمعوا لهذا القرآن و أن يلغوا فيه كما ورد به التنزيل من قوله «لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَ الْغَوَا فِيهِ» الآية فربما صفروا و ربما لغطوا ليغلطوا النبي صلى الله عليه و آله فأنزل الله تعالى هذه الحروف حتى إذا سمعوا شيئا غريبا استمعوا إليه و تفكروا و اشتغلوا عن تغليظه فيقع القرآن في مسامعهم و يكون ذلك سببا موصلا لهم إلى درك منافعهم (و عاشرها) أن المراد بها أن هذا القرآن الذى عجزتم عن معارضته من جنس هذه الحروف التي تتحاورون بها في خطبكم و كلامكم فإذا لم تقدروا عليه فاعلموا أنه من عند الله لأن العاده لم تجر بأن الناس يتفاوتون في القدر هذا التفاوت العظيم و إنما كررت في مواضع استظهارا في الحججه و هو المحكى عن قطرب و اختاره أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني.

اللغه

أجود هذه الأقوال القول الأول المحكى عن الحسن لأن أسماء الأعلام

ص: ٣٠

منقوله إلى التسميه عن أصولها للتفرقه بين المسميات فتكون حروف المعجم منقوله إلى التسميه و لهذا فى أسماء العرب نظير قالوا أوس بن حارثه بن لام الطائى و لا خلاف بين النحويين أنه يجوز أن يسمى بحروف المعجم كما يجوز أن يسمى بالجمل نحو تابط شرا و برق نحره و كل كلمه لم تكن على معنى الأصل فهى منقوله إلى التسميه للفرق نحو جعفر إذا لم يرد به معنى النهر لم يكن إلا منقولا إلى العلميه و كذلك أشباهه و لو سميت بالم لحكيت جميع ذلك و أما قول ابن عباس أنه اختصار من أسماء يعلم النبى صلى الله عليه و آله تمامها فنحوه قول الشاعر:

نادوهم أن أجموا ألاتا

قالوا جميعا كلهم ألاتا

يريد ألا تركبون قالوا ألاتا فاركبوا و قول الآخر:

قلنا لها ففى قالت قاف

لا تحسبى أنا نسينا الإيجاف

يريد قالت أنا واقفه.

الإعراب

أما موضع «الم» من الإعراب فمختلف على حسب اختلاف هذه المذاهب أما على مذهب الحسن فموضعها رفع على إضمار مبتدأ محذوف كأنه قال هذه الم و أجاز الرماني أن يكون الم مبتدأ و ذلك الكتاب خبره و تقديره حروف المعجم ذلك الكتاب و هذا فيه بعد لأن حكم المبتدأ أن يكون هو الخبر فى المعنى و لم يكن الكتاب هو حروف المعجم و يجوز أن يكون الم فى موضع نصب على إضمار فعل تقديره اتل الم و أما على مذهب من جعلها قسما فموضعها نصب بإضمار فعل لأن حرف القسم إذا حذف يصل الفعل إلى المقسم به فينصبه فإن معنى قولك بالله أقسم بالله ثم حذف أقسم فبقى بالله فلو حذف الباء لقلت الله لأفعلن و أما على مذهب من جعل هذه الحروف اختصارا من كلام أو حروفا مقطعه فلا موضع لها من الإعراب لأنها بمنزلة قولك زيد قائم فى أن موضعه لا حظ له فى الإعراب و إنما يكون للجمله موضع إذا وقعت موقع الفرد كقولك زيد أبوه قائم و إن زيدا أبوه قائم لأنه بمنزلة قولك زيد قائم و إن زيدا قائم و هذه الحروف موقوفه على الحكايه كما يفعل بحروف التهجي لأنها مبنيه على السكت كما أن العدد مبنى

على السكت يدل على ذلك جمعك بين ساكنين فى قولك لام ميم و تقول فى العدد واحد اثنان ثلاثه أربعة فتقطع ألف اثنين و ألف اثنين ألف وصل و تذكر الهاء فى ثلاثه و أربعة و لو لا أنك تقدر السكت لقلت ثلاثه بالتاء و يدل عليه قول الشاعر:

أقبلت من عند زياد كالخرف

تخط رجلاى بخط مختلف

تكتبان فى الطريق لام ألف

كأنه قال لام ألف و لكنه ألقى حركه همزه الألف على الميم ففتحها و إذا أخبرت عن حروف الهجاء أو أسماء الأعداد أعربتھا لأنك أدخلتها بالإخبار عنها فى جملة الأسماء المتمكنه و أخرجتها بذلك من حيز الأصوات كما قال الشاعر

(كما بينت كاف تلوح و ميمها)

و قال آخر:

إذا اجتمعوا على ألف و باء

و واو هاج بينهم جدال

و تقول هذا كاف حسن و هذه كاف حسنه من ذكره فعلى معنى الحرف و من أنه فعلى معنى الكلمه.

البقره (٢): آيه ٢

إشاره

ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢)

القراءه

قرأ ابن كثير فى هدى يوصل الهاء بياء فى اللفظ و كذلك كل هاء كناية قبلها ياء ساكنه فإن كان قبلها ساكن غير الياء وصلها بالواو و وافقه حفص فى قوله فى هى مهانا و قتيبه فى قوله فملاقيه و سألبيه و الباقون لا يشبعون و إذا تحرك ما قبل الهاء فهم مجمعون على إشباعه.

الإعراب

اعلم أنه يجوز فى العرييه فى فيه أربعة أوجه فهو و فى و فيه و الأصل فهو كما قيل لهو مال فمن كسر الهاء من فيه و نحوه مع أن الأصل الضم فلأجل الياء أو الكسره قبل الهاء و الهاء تشبه الألف لكونها من حروف الحلق و لما فيها من الخفاء

فكما نحوا بالألف نحو الياء بالإمالة لأجل الكسره أو الياء كذلك كسروا الهاء للكسره أو الياء ليتجانس الصوتان و من ترك
الإشباع فلكرامه اجتماع المشابهه فإن الهاء حرف خفى فإذا اكتنفها ساكنان من حروف اللين كان كان الساكنين التقيا لخفاء
الهاء فإنهم لم يعتدوا

ص: ٣٢

بها حاجزا في نحو فيهي و خذ و هو كما لم يعتد بها في نحو رد من أتبع الضم إذا وصل الفعل بضمير المؤنث فقال ردها بالفتح لا- غير و لم يتبع الضم الضم و جعل الدال كأنها لازقه بالألف و أما من أشيع و أتبعها الياء قال الهاء و إن كانت خفيه فليس يخرجها ذلك من أن تكون كغيرها من حروف المعجم التي لا- خفاء فيها فإذا كان كذلك كان حجزها بين الساكنين كحجز غيرها من الحروف التي لا خفاء فيها.

اللغة

ذلك لفظه يشار بها إلى ما بعد و هذا إلى ما قرب و الاسم من ذلك ذا و الكاف زيدت للخطاب و لا حظ لها من الإعراب و اللام تزداد للتأكيد و كسرت لالتقاء الساكنين و تسقط معها هاء تقول ذاك و ذلك و هذاك و لا تقول هذلك و الكتاب مصدر و هو بمعنى المكتوب كالحساب قال الشاعر:

بشرت عيالي إذ رأيت صحيفه

أنتك من الحجاج يتلى كتابها

أى مكتوبها و أصله الجمع من قولهم كتبت القربه إذا خرزتها و الكتبه الخرز و كتبت البغله إذا جمعت بين شفريرها بحلقه و منه قيل للجند كتبه لانضمام بعضهم إلى بعض و الريب الشك و قيل هو أسوء الشك و هو مصدر رابنى الشىء من فلان يربنى إذا كانت مستيقنا منه بالريبه فإذا أسأت به الظن و لم تستيقن بالريبه منه قلت أرابنى من فلان أمر إرابه و أراب الرجل إذا صار صاحب ريبه كما قيل ألام أى استحق أن يلام و الهدى الدلاله مصدر هديته و فعل قليل فى المصادر قال أبو على يجوز أن يكون فعل مصدر اختص به المعتل و إن لم يكن فى المصادر كما كان كينونه و نحوه لا يكون فى الصحيح و الفعل منه يتعدى إلى مفعولين يتعدى إلى الثانى منهما بأحد حرفى جر إلى أو اللام كقوله «وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصُّرَاطِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا» و قد يحذف منه حرف الجر فيصل الفعل إلى المفعول نحو اهْدِنَا الصُّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ أى دلنا عليه و اسلك بنا فيه و كأنه استنجاز لما وعدوا به فى قوله «يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ» أى سبل دار السلام و الأصل فى المتقين الموتقين مفتعلين من الوقايه فقلبت الواو تاء و أدغمتها فى التاء التى بعدها و حذفت الكسره من الياء استثقالا لها ثم حذفتها لالتقاء الساكنين فبقى متقين و التقوى أصله وقوى قلبت الواو تاء كالتراث أصله وراث و أصل الانتقاء الحجز بين الشيتين يقال انتقاه بالترس أى جعله حاجزا بينه و بينه قال الشاعر:

فألقت قناعا دونها الشمس و اتقت

بأحسن موصولين كف و معصم

و منه الوقايه لأنها تمنع رؤيه الشعر.

الإعراب

ذلك فى موضع رفع من وجوه (أحدها) أن تجعله خبرا عن الم كما مضى القول فيه (و ثانيها) أن يكون مبتدأ و الكتاب خبره (و ثالثها) أن يكون مبتدأ و الكتاب عطف بيان أو صفه له أو بدل منه و لا ريب فيه جمله فى موضع الخبر (و رابعها) أن يكون مبتدأ و خبره هدى و يكون لا ريب فى موضع الحال و العامل فى الحال معنى الإشاره (و خامسها) أن يكون لا ريب فيه و هدى جميعا خبرا بعد خبر كقولك هذا حلو حامض أى جمع الطعمين و منه قول الشاعر:

من يك ذا بت فهذا بتى

مقيظ مصيف مشتى

(و سادسها) أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا ذلك الكتاب و إن حملت على هذا الوجه أو على أنه مبتدأ و لا ريب فيه الخبر أو على أنه خبر الم أو على أن الكتاب خبر عنه كان قوله «هُدًى» فى موضع نصب على الحال أى هاديا للمتقين و العامل فيه معنى الإشاره و الاستقرار الذى يتعلق به فيه و قوله «لا رَيْبَ» قال سيبويه لا تعمل فيما بعدها فتنصبه بغير تنوين و قال غيره من حذاق النحويين جعل لا- مع النكره الشائعه مركبا فهو أو كد من تضمين الاسم معنى الحرف لأنه جعل جزءا من الاسم بدلاله أنك تضيف إليه مجموعا و تدخل عليه حرف الجر فتقول جئتك بلا مال و لا زاد فلما صار كذلك بنى على الفتح و هما جميعا فى موضع الرفع على الابتداء فموضع خبره موضع خبر المبتدأ و على هذا فيجوز أن تجعل فيه خبر و يجوز أن تجعله صفه فإن جعلته صفه أضمرت الخبر و إن جعلته خبرا كان موضعه رفعا فى قياس قول سيبويه من حيث يرتفع خبر المبتدأ و على قول أبى الحسن الأخفش موضعه رفع و الموضع للظرف نفسه لا لما كان يتعلق به لأن الحكم له من دون ما كان يكون الظرف منتصبا به فى الأصل ألا ترى أن الضمير قد صار فى الظرف و أما قوله «هُدًى» فيجوز أن يكون فى موضع رفع من ثلاثه أوجه غير الوجه الذى ذكرناه قبل و هو أن يكون خبرا عن ذلك أحدها أن يكون مبتدأ و فيه الخبر على أن تضمير لا ريب خبرا كأنك قلت لا ريب فيه فيه هدى و الوقف على هذا الوجه على قوله «لا رَيْبَ فِيهِ» و يبتدى هدى للمتقين و الوجه الثانى أن يكون خبرا عن الم على قول من جعله اسما

للسوره و الوجه الثالث أن يكون خبرا لمبتدء محذوف تقديره هو هدى.

المعنى

المراد بالكتاب القرآن و قال الأخفش ذلك بمعنى هذا لأن الكتاب كان حاضرا و أنشد لخفاف بن ندبه

أقول له و الرمح يأطر متنه

تأمل خفافا إننى أنا ذلكا

أى أنا هذا و هذا البيت يمكن إجراؤه على ظاهره أى إننى أنا ذلك الرجل الذى سمعت شجاعته و إذا جرى للشىء ذكر يجوز أن يقول السامع هذا كما قلت و ذلك كما قلت و تقول أنفقت ثلاثه و ثلاثه فهذا سته أو فذلك سته و إنما تقول هذا لقربه بالإخبار عنه و تقول ذلك لكونه ماضيا و قيل إن الله وعد نبيه أن ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء و لا يخلق على كثرة الرد فلما أنزل القرآن قال هذا القرآن ذلك الكتاب الذى وعدتك عن الفراء و أبى على الجبائى و قيل معناه هذا القرآن ذلك الكتاب الذى وعدتك به فى الكتب السالفه عن المبرد و من قال إن المراد بالكتاب التوراه و الإنجيل فقولته فاسد لأنه وصف الكتاب بأنه لا-ريب فيه و أنه هدى و وصف ما فى أيدي اليهود و النصارى بأنه محرف بقوله يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ و معنى قوله «لا رَيْبَ فِيهِ» أى أنه بيان و هدى و حق و معجز فمن هاهنا استحق الوصف بأنه لا شك فيه لا على جهة الإخبار بنفى شك الشاكين و قيل أنه على الحذف كأنه قال لا سبب شك فيه لأن الأسباب التى توجب الشك فى الكلام هى التلبيس و التعقيد و التناقض و الدعاوى العاربه من البرهان و هذه كلها منفيه عن كتاب الله تعالى و قيل إن معناه النهى و إن كان لفظه الخبر أى لا ترتابوا أو لا تشكوا فيه كقوله تعالى «فَلَا رَفْتٌ وَ لَا فُسُوقٌ» و أما تخصيص المتقين بأن القرآن هدى لهم و إن كان هدى لجميع الناس فلأنهم هم الذين انتفعوا به و اهتموا بهداه كما قال إنما أنت مُنذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا و إن كان صلى الله عليه و آله منذرا لكل مكلف لأنه إنما انتفع بإنذاره من يخشى نار جهنم على أنه ليس فى الإخبار بأنه هدى للمتقين ما يدل على أنه ليس بهدى لغيرهم و بين فى آيه أخرى أنه هدى للناس.

[فصل فى التقوى و المتقى]

روى عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال جماع التقوى فى قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَانِ الْآيَهُ

و قيل المتقى الذى اتقى ما حرم عليه و فعل ما أوجب عليه

وقيل هو الذى يتقى بصالح أعماله عذاب الله و سأل عمر بن الخطاب كعب الأحبار عن التقوى فقال هل أخذت طريقا ذا شوكة فقال نعم قال فما عملت فيه قال حذرت و تشمرت فقال كعب ذلك التقوى و نظمه بعض الناس فقال.

خل الذنوب صغيرها و كبيرها فهو التقى

و اصنع كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيره أن الجبال من الحصى

و

روى عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال إنما سمي المتقون لتركهم ما لا بأس به حذرا للوقوع فيما به بأس

و قال عمر بن عبد العزيز التقى ملجم كالمجرم فى الحرم و قال بعضهم التقوى أن لا يراك الله حيث نهاك و لا يفقدك حيث أمرك.

البقرة (٢): آية ٣

إشارة

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣)

القراءة

قرأ أبو جعفر و عاصم فى روايه الأعمشى عن أبى بكر بترك كل همزه ساكنه مثل يُؤْمِنُونَ وَيَأْكُلُونَ وَيُؤْتُونَ وَبُسَّ و نحوها و يتركان كثيرا من المتحركة مثل يُؤدِّه و لا يُؤاخِذُكُمْ و يُؤيِّدُ بِنَصْرِهِ و مذهب أبى جعفر فيه تفصيل يطول ذكره و أما أبو عمرو و فيترك كل همزه ساكنه إلا أن يكون سكونها علامه للجزم مثل ننسئها و تسؤكُم و يهئى لَكُم و مَنْ يَشَأْ وَيُبْتِئُهُمْ و اقرأ كِتَابَكَ و نحوها فإنه لا- يترك الهمزه فيها و روى عنه الهمزه أيضا فى الساكنه و أما نافع فيترك كل همزه ساكنه و متحركة إذا كانت فاء من الفعل نحو يُؤْمِنُونَ و لا- يُؤاخِذُكُمْ و اختلفت قراءة الكسائى و حمزه و لكل واحد منهم مذهب فيه يطول ذكره فالهمز على الأصل و تركه للتخفيف.

اللغة و الإعراب

الذين جمع الذى و اللاتى و اللاتى جمع التى و تثنيتهما اللذان و اللتان فى حال الرفع و اللذين و اللتين فى حال الجر و النصب و هى من الأسماء التى لا تتم إلا بصلاتها نحو من و ما و أى و صلاتها لا تكون إلا جملا خبريه يصح فيها الصدق و الكذب و لا بد أن يكون فيها ضمير يعود إلى الموصول فإذا استوفت الموصولات صلاتها كانت فى تأويل اسم مفرد مثل زيد و عمرو و

يحتاج إلى جزء آخر تصير به جملة فقوله «الَّذِينَ» موصول و يؤمنون صلته و يحتمل أن يكون محله نصبا و جرا و رفعا فالنصب على المدح تقديره أعنى الذين يؤمنون و أما الجر فعلى أنه صفة للمتقين و أما الرفع فعلى المدح أيضا كأنه لما قيل هُدًى لِلْمُتَّقِينَ قيل من هم قيل هم الذين يؤمنون بالغيب فيكون خبر مبتدأ محذوف و يؤمنون

ص: ٣٦

معناه يصدقون و الواو فى موضع الرفع بكونه ضمير الفاعلين و النون علامه الرفع و الأصل فى يفعل يؤفعل و لكن الهمزه حذفت لأنك إذا أنبأت عن نفسك قلت أنا أفعل فكانت تجتمع همزتان فاستثقلتا فحذفت الهمزه الثانيه ففعل أفعل ثم حذفت من الصيغ الآخر نفعل و تفعل و يفعل كما أن باب يعد حذفت منه الواو لوقوعها بين ياء و كسره إذ الأصل يوعد ثم حذفت فى تعد و أعد و نعد ليجرى الباب على سنن واحد قال الأزهرى اتفق العلماء على أن الإيمان هو التصديق قال الله تعالى وَ مَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا أَيُّ مَا أَنْتَ بِمُصَدِّقٍ لَنَا قَالَ أَبُو زَيْدٍ وَقَالُوا مَا أَمَنْتَ أَنْ أَجِدَ صَاحِبَهُ أَيُّ مَا وَثِقْتَ فَالْإِيمَانُ هُوَ الثَّقَةُ وَ التَّصَدِيقُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى «الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا» أَيُّ صَدَقُوا وَ وَثِقُوا بِهَا وَ قَالَ الشَّاعِرُ أَنْشَدَهُ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ:

و من قبل آمننا و قد كان قومنا

يصلون للأوثان قبل محمدا

و معناه آمننا محمدا أى صدقناه و يجوز أن يكون آمن من قياس فعلته فأفعل تقول أمنت فآمن مثل كبته فأكب و الأمن خلاف الخوف و الأمانه خلاف الخيانه و الأمون الناقه القويه كأنها يؤمن عثارها و كلالها و يجوز أن يكون آمن بمعنى صار ذا آمن على نفسه بإظهار التصديق نحو أجرب و أعاه و أصح و أسلم صار ذا سلم أى خرج عن أن يكون جربا هذا فى أصل اللغه أما فى الشريعه فالإيمان هو التصديق بكل ما يلزم التصديق به من الله تعالى و أنبيائه و ملائكته و كتبه و البعث و النشور و الجنه و النار و أما قولنا فى وصف القديم تعالى المؤمن فإنه يحتمل تأويلين أحدهما أن يكون من آمنت المتعدى إلى مفعول فنقل بالهمزه فتعدى إلى مفعولين فصار من آمن زيد العذاب و آمنت العذاب فمعناه المؤمن عذابه من لا يستحقه من أوليائه و من هذا وصفه سبحانه بالعدل كقوله قائما بالقسط و هذا الوجه مروى فى أخبارنا و الآخر أن يكون معناه المصدق أى يصدق الموحدين على توحيدهم إياه يدل عليه قوله شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِأَنَّ الشَّاهِدَ مُصَدِّقٌ لِمَا يَشْهَدُ بِهِ كَمَا أَنَّهُ مُصَدِّقٌ مِمَّنْ يَشْهَدُ لَهُ فَإِذَا شَهِدَ بِالتَّوْحِيدِ فَقَدْ صَدَّقَ الْمُوَحِّدِينَ وَ أَمَا الْغَيْبُ فَهُوَ كَلِمَا غَابَ عَنْكَ وَ لَمْ تَشْهَدْهُ وَ قَوْلُهُ «بِالْغَيْبِ» كَأَنَّهُ إِجْمَالٌ لِمَا فَصَّلَ فِي قَوْلِهِ «كُلُّ آمَنٍ بِاللَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ» أَيُّ يُؤْمِنُونَ بِمَا كَفَرَ بِهِ الْكُفَّارُ مِنْ وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ وَ إِزَالِ كِتَابِهِ وَ إِرْسَالِ رُسُلِهِ فَكُلُّ هَذَا غَيْبٌ فَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْجَارُ وَ الْمَجْرُورُ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ بِأَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ وَ فِيهِ وَجْهٌ آخَرٌ وَ هُوَ أَنَّ يَكُونُ أَرَادَ يُؤْمِنُونَ إِذَا غَابُوا عَنْكُمْ وَ لَمْ يَكُونُوا كَالْمُنَافِقِينَ وَ مِثْلُهُ قَوْلُهُ وَ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْجَارُ وَ الْمَجْرُورُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ أَيُّ يُؤْمِنُونَ غَائِبِينَ عَنِ مَرَاءِ النَّاسِ لَا يَرِيدُونَ بِإِيمَانِهِمْ تَصْنَعًا لِأَحَدٍ وَ لَكِنْ يَخْلَصُونَهُ لِلَّهِ وَ «يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ» يُؤَدُّونَهَا بِحُدُودِهَا وَ فَرَائِضِهَا يُقَالُ

أقام القوم سوقهم إذا لم يعطلوها من البيع و الشراء و قال الشاعر.

أقامت غزاله سوق الضراب

لأهل العراقين حولا قميطا

و قال أبو مسلم «يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ» أى يديمون أداء فرائضها يقال للشئ ء الراتب قائم و يقال فلان يقيم أرزاق الجند و الصلوه فى اللغه الدعاء قال الأعشى:

و أقبلها الريح فى ظلها

و صلى على دنها و ارتسم

أى دعا لها و منه

الحديث إذا دعى أحدكم إلى طعام فليجب و إن كان صائما فليصل

أى فليدع له بالبركه و الخير و قيل أصله رفع الصلا فى الركوع و هو عظم فى العجز و قوله «وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ» ما هذه حرف موصول و رزقناهم صلته و هما جميعا بمعنى المصدر تقديره و من رزقنا إياهم ينفقون أو اسم موصول و العائد من الصلة إلى الموصول محذوف و التقدير و من الذى رزقناهم ينفقون فىكون ما رزقناهم فى موضع جر بمن و الجار و المجرور فى موضع نصب بأنه مفعول ينفقون و الرزق هو العطاء الجارى و هو نقيض الحرمان و الإنفاق إخراج المال يقال أنفق ماله أى أخرجه عن ملكه و نفقت الدابه إذا خرج روحها و النافقاء جحر اليربوع لأنه يخرج منها و منه النفاق لأن المنافق يخرج إلى المؤمن بالإيمان و إلى الكافر بالكفر.

المعنى

لما وصف القرآن بأنه هُدًى لِلْمُتَّقِينَ بين صفه المتقين فقال «الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ» أى يصدقون بجميع ما أوجبه الله تعالى أو ندب إليه أو أباحه و قيل يصدقون بالقيامه و الجنه و النار عن الحسن و قيل بما جاء من عند الله عن ابن عباس و قيل بما غاب عن العباد علمه عن ابن مسعود و جماعه من الصحابه و هذا أولى لعمومه و يدخل فيه ما رواه أصحابنا من زمان غيبه المهدي عليه السلام و وقت خروجه و قيل الغيب هو القرآن عن زر بن حبيش و قال الرمانى الغيب خفاء الشئ ء عن الحسن قرب أو بعد إلا أنه كثرت صفه غايب على البعيد الذى لا يظهر للحس و قال البلخى الغيب كل ما أدرك بالدلائل و الآيات مما يلزم معرفته و قالت المعتزله بأجمعها الإيمان هو فعل الطاعة ثم اختلفوا فمنهم من اعتبر الفرائض و النوافل و منهم من اعتبر الفرائض حسب و اعتبروا اجتناب الكبائر كلها و

قد روى الخاص و العام عن على بن موسى الرضا عليه السلام أن الإيمان هو التصديق بالقلب

و الإقرار باللسان و العمل بالأركان و قد روى ذلك على لفظ آخر عنه أيضا الإيمان قول مقول و عمل معمول و عرفان بالعقول و اتباع الرسول

و أقول أن أصل الإيمان هو المعرفة بالله و برسله و بجميع ما جاءت به رسله و كل عارف بشىء فهو مصدق به يدل عليه هذه الآيه فإنه تعالى لما ذكر الإيمان علقه بالغيب ليعلم أنه تصديق للمخبر به من الغيب على معرفه و ثقته ثم أفردته بالذكر عن سائر الطاعات البدنيه و الماليه و عطفهما عليه فقال «و يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ» و الشىء لا يعطف على نفسه و إنما يعطف على غيره و يدل عليه أيضا أنه تعالى حيث ذكر الإيمان إضافه إلى القلب فقال وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَ قَالَ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَ

قال النبى صلى الله عليه و آله الإيمان سر و أشار إلى صدره و الإسلام علانيه

و قد يسمى الإقرار إيمانا كما يسمى تصديقا إلا أنه متى صدر عن شك أو جهل كان إيمانا لفظيا لا حقيقيا و قد تسمى أعمال الجوارح أيضا إيمانا استعاره و تلويحا كما تسمى تصديقا كذلك فيقال فلان تصدق أفعاله مقالته و لا خير فى قول لا يصدقه الفعل و الفعل ليس بتصديق حقيقى باتفاق أهل اللغه و إنما استعير له هذا الاسم على الوجه الذى ذكرناه فقد آل الأمر تسليم صحه الخبر و قبوله إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب و التصديق به على نحو ما تقتضيه اللغه و لا يطلق لفظه إلا على ذلك إلا أنه يستعمل فى الإقرار باللسان و العمل بالأركان مجازا و اتساعا و بالله التوفيق و قد ذكرنا فى قوله «و يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ» وجهين اقتضاهما اللغه و قيل أيضا إنه مشتق من القيام فى الصلوه و لذلك قيل قد قامت الصلاه و إنما ذكر القيام لأنه أول أركان الصلاه و أمدها و إن كان المراد به هو و غيره و الصلاه فى الشرع عبارته عن أفعال مخصوصه على وجه مخصوصه و هذا يدل على أن الاسم ينقل من اللغه إلى الشرع و قيل إن هذا ليس بنقل بل هو تخصيص لأنه يطلق على الذكر و الدعاء فى مواضع مخصوصه و قوله تعالى «و مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ» يريد و مما أعطيناهم و ملكناهم يخرجون على وجه الطاعه و حكى عن ابن عباس أنه الزكاه المفروضه و عن ابن مسعود أنه نفقه الرجل على أهله لأن الآيه نزلت قبل وجوب الزكاه و عن الضحاك هو التطوع بالنفقه و

روى محمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام أن معناه و مما علمناهم يثون

و الأولى حمل الآيه على عمومها و حقيقه الرزق هو ما صح أن ينتفع به المنتفع و ليس لأحد منعه منه و هذه الآيه تدل على أن الحرام لا يكون رزقا لأنه تعالى مدحهم بالإنفاق مما رزقهم و المنفق من الحرام لا يستحق المدح على الإنفاق بالاتفاق فلا يكون رزقا.

النزول

قال بعضهم هذه الآيه تناولت مؤمنى العرب خاصه بدلاله قوله فيما بعد «و الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ» الآيه فهذا فى مؤمنى أهل الكتاب إذ لم يكن للعرب كتاب

قبل القرآن و هذا غير صحيح لأنه لا يمتنع أن تكون الآيه الأولى عامه فى جميع المؤمنين و إن كانت الثانيه خاصه فى قوم منهم و يجوز أن يكون المراد بالآيات قوما واحدا و صفوا بجميع ذلك بأن جمع بين أوصافهم بواو العطف كقول الشاعر.

إلى الملك القرم و ابن الهمام

و ليث الكتيبه فى المزدحم.

البقره (٢): آيه ٤

إشاره

وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَ مَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤)

القراءه

أهل الحجاز غير ورش و أهل البصره لا يمدون حرفا لحرف و هو أن تكون المده من كلمه و الهمزه من أخرى نحو «بِما أُنزِلَ إِلَيْكَ» و نحوه و أما أهل الكوفه و ابن عامر و ورش عن نافع فإنهم يمدون ذلك و ورش أطولهم مدا ثم حمزه ثم عاصم بروايه الأعشى و الباقر يمدون مدا وسطا من غير إفراط فالمد للتحقيق و حذفه للتخفيف و أما السكته بين المده و الهمزه فعن حمزه و وافقه عاصم و الكسائى على اختلاف عنهما و كان يقف حمزه قبل الهمزه أيضا فيسكت على اللام شيئا من قوله بِالْآخِرَةِ ثم يبتدئ بالهمزه و كذلك يقطع على الياء من شىء كأنه يقف ثم يهزم و الباقر غير سكته.

الإعراب

إليك و لديك و عليك الأصل فيها إلاك و علاك و لداك إلا أن الألف غيرت مع المضمرة فأبدلت ياء ليفصل بين الألف فى آخر الاسم المتمكن و بينها فى آخر غير المتمكن الذى الإضافة لازمه له ألا ترى أن إلى و على و لى لا تنفرد من الإضافة فشبهت بها كلا إذا أضيفت إلى الضمير لأنها لا تنفرد و لا تكون كلاما إلا بالإضافة و ما موصول و أنزل صلته و فيه ضمير يعود إلى ما و الموصول مع صلته فى موضع جر بالباء و الجار و المجرور فى موضع نصب بأنه مفعول يؤمنون و يؤمنون صله للذين و «الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ» فى موضع جر بالعطف و العطف فيه على وجهين أحدهما أن يكون عطف أحد الموصوفين على الآخر و الآخر أن يكون جمع الأوصاف لموصوف واحد.

المعنى

ثم بين تعالى تمام صفه المتقين فقال «وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ» يعنى القرآن «وَ مَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ» يعنى الكتب المتقدمه و قوله «وَ بِالْآخِرَةِ» أى بالدار الآخرة لأن الآخرة صفه فلا بد لها من موصوف و قيل أراد به الكره الآخرة و إنما وصفت بالآخرة لتأخرها عن الدنيا كما سميت الدنيا دنيا لدنوها من الخلق و قيل لدناءتها «هُمْ يُوقِنُونَ» يعلمون و سمى

العلم يقينا لحصول القطع عليه و سكون النفس إليه فكل يقين علم و ليس كل علم يقينا و ذلك أن اليقين كأنه علم يحصل بعد الاستدلال و النظر لغموض المعلوم المنظور فيه أو لإشكال ذلك على الناظر و لهذا لا يقال في صفه الله تعالى موقن لأن الأشياء كلها في الجلاء عنده على السواء و إنما خصهم بالإيقان بالآخرة و إن كان الإيمان بالغيب قد شملها لما كان من كفر المشركين بها و جردهم إياها في نحو ما حكى عنهم في قوله وَ قَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَ نَحْيَا فَكأن في تخصيصهم بذلك مدح لهم.

البقرة (٢): آية ٥

إشاره

أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥)

اللغه

«أُولَئِكَ» اسم مبهم يصلح لكل حاضر تعرفه الإشاره و هو جمع ذلك في المعنى و أولاء جمع ذا في المعنى و من قصر قال أولا و ألاك و أولالك و إذا مد لم يجز زياده اللام لثلا يجتمع ثقل زياده و ثقل الهمزه قال الشاعر:

ألا لك قوم لم يكونوا أشابه

و هل يعظ الضليل إلا أولالكا

و «الْمُفْلِحُونَ» المنجحون الفائزون و الفلاح النجاح قال الشاعر:

اعقلى إن كنت لما تعقلى

فلقد أفلح من كان عقل

أى ظفر بحاجته و الفلاح أيضا البقاء قال لبيد:

نحل بلادا كلها حل قبلنا

و نرجو الفلاح بعد عاد و تبعنا

و أصل الفلح القطع و منه قيل الفلاح للأكار [الحراث] لأنه يشق الأرض و فى المثل الحديد بالحديد يفلح فالمفلح على هذا كأنه قطع له بالخير.

الإعراب

موضع أولئك رفع بالابتداء والخبر «عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ» و هو اسم مبنى و الكاف حرف خطاب لا- محل له من الإعراب و كسرت الهمزة فيه لالتقاء الساكنين و كذلك قوله «وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» إلا أن قوله «هُمْ» فيه وجهان (أحدهما) أنه فصل يدخل بين المبتدأ أو الخبر و ما كان في الأصل مبتدأ و خبرا للتأكيد و لا موضع له من الإعراب و الكوفيون يسمونه عمادا و إنما يدخل ليؤذن أن الاسم بعده خبر و ليس بصفه و إنما يدخل أيضا إذا كان الخبر معرفه أو ما أشبه المعرفه نحو قوله تعالى «تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ»

و الوجه الآخر أن يكون هم مبتدأ ثانياً و المفلحون خبره و الجملة فى موضع رفع بكونها خبر أولئك.

المعنى

لما وصف المتقين بهذه الصفات بين ما لهم عنده تعالى فقال «أُولَئِكَ» إشاره إلى الموصوفين بجميع الصفات المتقدمه و هم جملة المؤمنين «عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ» أى من دين ربهم و قيل على دلالة و بيان من ربهم و إنما قال «مِنْ رَبِّهِمْ» لأن كل خير و هدى فمن الله تعالى أما لأنه فعله و أما لأنه عرض له بالدلالة عليه و الدعاء إليه و الإثابة على فعله و على هذا يجوز أن يقال الإيمان هدايه منه تعالى و إن كان من فعل العبد ثم كرر تفخيماً فقال «وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» أى الظافرون بالغيبه و الباقون فى الجنة.

النزول

قال مجاهد أربع آيات من أول السوره نزلت فى المؤمنين و آيتان بعدها نزلت فى الكافرين و ثلاث عشره آيه بعدها نزلت فى المنافقين.

البقره (٢): آيه ٦

إشاره

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦)

القراءه

قوله تعالى: «أَأَنذَرْتَهُمْ» فيه ثلاث قراءات قرأ عاصم و حمزه و الكسائى إذا حقق بهمزتين و قرأ أهل الحجاز و أبو عمر بالهمزه و المد و تليين الهمزه الثانيه و الباقون يجعلونها بين بين و كذلك قراءه الكسائى إذا خفت و أبو عمرو أطول مدا من ابن كثير و اختلف فى المد عن نافع و قرأ ابن عامر بألف بين همزتين و يجوز فى العرييه ثلاثه أوجه غيرها «أَأَنذَرْتَهُمْ» بتحقيق الهمزه الأولى و تخفيف الثانيه يجعلها بين بين و أنذرتهم بهمزه واحده و عليهم أنذرتهم على إلقاء حركه الهمزه على الميم نحو قد أفلح فيما روى عن نافع.

الإعراب

أما وجه الهمزتين فهو أنه الأصل لأن الأولى همزه الاستفهام و الثانيه همزه أفعال و أما إدخال الألف بين الهمزتين فمن قرأه أراد أن يفصل بين الهمزتين استثقالا لاجتماع المثلين كما فصل بين النونين فى نحو أضربننا استثقالا لاجتماع النونات و منه قول ذى الرمه:

فيا ظييه الوعساء بين جلاجل

و بين النقاء أنت أم أم سالم

و أما من فصل بين الهمزتين و لين الثانيه فوجهه التخفيف من جهتين الفصل و التليين لأنك إذا ليتها فقد أمتها و صار اللفظ كأنه لا استفهام فيه ففي المد توكيد الدلاله على

ص: ٤٢

الاستفهام كما فى تحقيق الهمزة و أما من حقق الأولى و لين الثانى من غير فصل بالألف فهو القياس لأنه جعل التليين عوضا عن الفصل و أما من اكتفى بهمزه واحده فإنه طرح همزه الاستفهام و هو ضعيف و قد جاء فى الشعر قال عمر بن أبى ربيعه:

لعمرك ما أدري و إن كنت داريا

بسبع رمين الجمر أم بثمان

و أما من ألقى حركة الهمزة على الميم فإنه على تليين الأولى و تحقيق الثانى و العرب إذا لينوا الهمزة المتحركة و قبلها ساكن ألقوا حركتها على ما قبلها قالوا من بوك و من مك و كم بلك.

اللغة

الكفر خلاف الشكر كما أن الحمد خلاف الذم فالكفر ستر النعمة و إخفاؤها و الشكر نشرها و إظهارها و الشكر نشرها و إظهارها و كل ما ستر شيئا فقد كفره قال لبيد

(فى ليله كفر النجوم غمامها)

أى سترها و سواء مصدر أقيم مقام الفاعل كقولك زور و صوم و معناه مستو و الاستواء الاعتدال و السواء العدل قال زهير:

أرونى خطه لا خسف فيها

يسوى بيننا فيها السواء

و قالوا سى بمعنى سواء كما قالوا قى و قواء و سيان أى مثلان و الإنذار إعلام معه تخويف فكل منذر معلم و ليس كل معلم منذرا و يوصف القديم تعالى بأنه منذر لأن الإعلام يجوز و صفة به و التخويف أيضا كذلك لقوله ذلك يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ فإذا جاز و صفة بالمعنيين جاز و صفة بما يشتمل عليهما و أُنذرت يتعدى إلى مفعولين كقوله «إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا» و قد ورد إلى المفعول الثانى بالباء فى قوله قُلْ إِنَّمَا أَنْذَرْتُكُمْ بِالْوَخْيِ و قيل الإنذار هو التحذير من مخوف يتسع زمانه للاحتراز منه فإن لم يتسع فهو أشعار.

الإعراب

إن حرف توكيد و هى تنصب الاسم و ترفع الخبر و إنما نصبت و رفعت لأنها تشبه الفعل لكونها على وزنه و لأنها توكيد و التوكيد من معانى الفعل و تشبهه فى اتصال ضمير المتكلم نحو إننى و هى مبنية على الفتح كالفعل الماضى و إنما ألزمت تقديم المنصوب على المرفوع ليعلم أنها إنما عملت على جهة التشبيه فجعلت كفعل قدم مفعوله على فاعله و «الَّذِينَ كَفَرُوا» فى موضع نصب لكونه اسم إن و كفروا صلة الذين و أما خبرها ففيه وجهان (أحدهما) أن يكون الجملة التى هى «سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ» فعلى هذا يكون سواء يرتفع بالابتداء و كما بعده مما دخل عليه حرف الاستفهام فى موضع الخبر و الجملة فى

موضع رفع بأنها خبر إن و يكون قوله «لا يُؤْمِنُونَ» حالا من الضمير المنصوب

ص: ٤٣

على حد معه صقر صائدا به و بالغ الكعبه و يستقيم أن يكون أيضا استثناء و الوجه الثاني أن يكون لا يؤمنون خير إن و يكون قوله «سواءً عليهم أأنذرتهم أم لم تُنذرتهم» اعتراضا بين الخبر و الاسم فلا يكون له موضع من الإعراب كما حكم على موضعه بالرفع بالوجه الأول فأما إذا قدرت هذا الكلام على ما عليه المعنى فقلت سواء عليهم الإنذار و تركه كان سواء خيرا المبتدأ لأنه يكون تقديره الإنذار و تركه مستويان عليهم و إنما قلنا أنه مرتفع بالابتداء على ما عليه التلاوه لأنه لا يجوز أن يكون خيرا فإنه ليس فى ظاهر الكلام مخبر عنه و إذا لم يكن مخبر عنه بطل أن يكون خيرا فإذا فسد ذلك ثبت أنه مبتدأ و أيضا فإنه قبل الاستفهام و ما قبل الاستفهام لا يكون داخلا فى حيز الاستفهام فلا يجوز إذا أن يكون الخبر عما فى الاستفهام متقدما على الاستفهام و نظير ما فى الآيه من أن خبر المبتدأ ليس المبتدأ و لا له فيه ذكر ما أنشده أبو زيد:

فإن حراما لا أرى الدهر باكيا

على شجوه إلا بكيت على عمرو

و قوله «أأنذرتهم أم لم تُنذرتهم» لفظه لفظ الاستفهام و معناه الخبر و هذه الهمزة تسمى ألف التسويه و التسويه آلتها همزة الاستفهام و أم تقول أزيد عندك أم عمرو تريد أيهما عندك و لا يجوز فى مكانها أو لأن أو لا يكون معادله الهمزة و تفسير المعادله أن تكون أم مع الهمزة بمنزله أى فإذا قلت أزيد عندك أو عمرو كان معناه أحد هذين عندك و يدل على ذلك أن الجواب مع زيد أم عمرو يقع بالتعيين و مع أزيد أو عمرو يقع بنعم أو لا و إنما جرى عليه لفظ الاستفهام و إن كان خيرا لأن فيه التسويه التى فى الاستفهام ألا ترى أنك إذا قلت سواء على أقت أم قعدت فقد سويت الأمرين عليك كما إنك إذا استفهمت فقلت أقام زيد أم قعد فقد استوى الأمران عندك فى الاستفهام و عدم علم أحدهما بعينه فلما عمتهما التسويه جرى على هذا الخبر لفظ الاستفهام لمشاركته له فى الإبهام فكل استفهام تسويه و إن لم يكن كل تسويه استفهاما و قال النحويون إن نظير سواء فى هذا قولك ما أبالى أقبلت أم أدبرت لأنه وقع موقع أى فكأنك قلت ما أبالى أى هذين كان منك و ما أدرى أحسنت أم أسأت و ليت شعرى أقام أم قعد و قال حسان:

ما أبالى أنب بالحزن تيس

أم لحانى بظهر غيب لثيم

و مثله فى أنه فى صورته الاستفهام و هو خبر قول جرير:

ألستم خير من ركب المطايا

و أندى العالمين بطون راح

و لو كان استفهاما لم يكن مدحا و قول الآخر:

سواء عليه أى حين أتيته

أ ساعه نحس تتقى أم بأسعد.

النزول

قيل نزلت فى أبى جهل و خمسه من أهل بيته قتلوا يوم بدر عن الربيع بن أنس و اختاره البلخى و قيل نزلت فى قوم بأعيانهم من أحبار اليهود ممن كفر بالنبي صلى الله عليه و آله عنادا و كتم أمره حسدا عن ابن عباس و قيل نزلت فى أهل الختم و الطبع الذين علم الله أنهم لا يؤمنون عن أبى على الجبائى و قيل نزلت فى مشركى العرب عن الأصم و قيل هى عامه فى جميع الكفار أخبر تعالى بأن جميعهم لا يؤمنون و يكون كقول القائل لا يقدم جميع إخوتك اليوم فلا ينكر أن يقدم بعضهم و اختار الشيخ أبو جعفر قدس الله روحه أن يكون على الاختصاص و تجويز كل واحد من الأقوال الآخر و هذا أظهر و أسبق إلى الفهم.

المعنى

لما بين تعالى حال المؤمنين وصله بذكر الكافرين و الكفر فى الشرع عبارته عن جحد ما أوجب الله تعالى معرفته من توحيده و عدله و معرفه نبيه و ما جاء به من أركان الشرع فمن جحد شيئا من ذلك كان كافرا و هذه الآية تدل على أن فى المكلفين من لا لطف له لأنه لو كان لفعل و لآمنوا فلما أخبر أنهم لا يؤمنون علم أنهم لا لطف لهم و تدل على صدق النبي صلى الله عليه و آله لأنه أخبر بأنهم لا يؤمنون فكان كما أخبر و تدل أيضا على أنه يجوز أن يخاطب الله تعالى بالعام و المراد به الخاص فى قول من قال الآية عامه لأننا نعلم أن فى الكفار من آمن و انتفع بالإنذار.

سؤال

إن قال قائل إذا علم الله تعالى بأنهم لا يؤمنون و كانوا قادرين على الإيمان عندكم فما أنكرتم أن يكونوا قادرين على إبطال علم الله بأنهم لا يؤمنون.

الجواب

أنه لا يجب ذلك كما أنه لا يجب إذا كانوا مأمورين بالإيمان أن يكونوا مأمورين بإبطال علم الله كما لا يجب إذا كان الله تعالى قادرا على أن يقيم القيامة الساعة أن يكون قادرا على إبطال علمه بأنه لا يقيمها الساعة و الصحيح أن نقول إن العلم يتناول الشئ على ما هو به و لا يجعله على ما هو به فلا يمتنع أن يعلم حصول شئ بعينه و إن كان غيره مقدورا.

ص: ٤٥

إشارة

خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٧)

القراءة

القراءة الظاهره «غِشَاوَةً» بكسر الغين و رفع الهاء و روى عن عاصم فى الشواذ غشاوه بالنصب و عن الحسن بضم الغين و عن بعضهم بفتح الغين و عن بعضهم غشوه بغير ألف و قرأ أبو عمرو و الكسائى على أبصارهم بالإمالة و الباقون بالتفخيم و للقراء فى الإمالة مذاهب يطول شرحها.

الإعراب

حجه من رفع غشاوه أنه لم يحمل على ختم كما فى الآيه الأخرى وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصِيرِهِ غِشَاوَةً فإذا لم يحملها عليه قطعها عنه فكانت مرفوعه إما بالظرف و إما بالابتداء و كذلك قوله «وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» فإن عند سيبويه ترتفع غشاوه و عذاب بأنه مبتدأ فكأنه قال غشاوه على أبصارهم و عذاب لهم و عند الأخفش يرتفع بالظرف لأن الظرف يضم فيه فعل و ستعرف فائده اختلافهما فى هذه المسألة بعد إن شاء الله تعالى و من نصب غشاوه فأما أن يحملها على ختم كأنه قال و ختم على أبصارهم بغشاوه فلما حذف حرف الجر وصل الفعل إليها فنصبها و هذا لا يحسن لأنه فصل بين حرف العطف و المعطوف به و ذلك إنما يجوز فى الشعر و إما أن يحملها على فعل مضمر كأنه قال و جعل على أبصارهم غشاوه نحو قول الشاعر

(علفتها تبنا و ماء باردا)

أى و سقيتها و قول الآخر:

يا ليت بعلك قد غزا

متقلدا سيفا و رمحا

أى و حاملا رمحا و هذا أيضا لا يوجد فى حال الاختيار فقد صح أن الرفع أولى و تكون الواو عاطفه جمله على جمله و الغشاوه فيها ثلاث لغات فتح الغين و ضمها و كسرهما و كذلك الغشوه فيها ثلاث لغات.

اللغة

الختم نظير الطبع يقال طبع عليه بمعنى ختم عليه و يقال طبعه أيضا بغير حرف و لا يمتنع فى ذلك قال:

كان قرادى زوره طبعتهما

بطين من الجولان كتاب أعجم

وقوله خِتَامُهُ مِسْكٌ أَي آخِره و منه ختم الكتاب لأنه آخر حال الفراغ منه و قوله «عَلَى سَمْعِهِمْ» يريد على أسماعهم و السمع مصدر تقول يعجبني ضربكم أَي ضربوكم فيوحد لأنه مصدر و يجوز أن يريد على مواضع سمعهم فحذفت مواضع و دل السمع عليها كما يقال

ص: ٤٤

أصحابك عدل أى ذوو عدل و يجوز أن يكون لما أضاف السمع إليهم دل على معنى إسماعهم قال الشاعر:

بها جيف الحسرى فأما عظامها

فيبيض و أما جلدها فصليب

و قال الآخر

(فى حلقكم عظم و قد شجينا)

أى فى حلوقكم و الغشاوه الغطاء و كل ما اشتمل على الشىء بنى على فعالة نحو العمامه و القلاده و العصابه و كذلك أسماء الصناعات كالخياطه و القصاره و الصياغه لأن معنى الصنائه الاشتمال على كل ما فيها و كذلك كل من استولى على شىء فاسم ما استولى عليه الفعالة كالإماره و الخلافه و غير ذلك و سمي القلب قلبا لتقلبه بالخواطر قال الشاعر:

ما سمي القلب إلا من تقلبه

و الرأى يعزب و الإنسان أطوار

و الفؤاد محل القلب و الصدر محل الفؤاد و قد يعبر عن القلب بمحله كقوله «لُنَبَّتْ بِهِ فُؤَادَكَ» و قال «أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ» يعنى به القلب فى الموضوعين و العذاب استمرار الألم يقال عذبتة تعذيبا و عذابا و يقال عذب الماء إذا استمر فى الحلق و حمار عاذب و عذوب إذا استمر به العطش فلم يأكل من شده العطش و فرس عذوب مثل ذلك و أعذبتة عن الشىء بمعنى فطمته و العظيم الكبير يقال هو عظيم الجثه و عظيم الشأن سمي سبحانه عظيما و عظمتة كبرياؤه.

المعنى

قيل فى معنى الختم وجوه (أحدها) أن المراد بالختم العلامه و إذا انتهى الكافر من كفره إلى حاله يعلم الله تعالى أنه لا يؤمن فإنه يعلم على قلبه علامه و قيل هى نكته سوداء تشاهدها الملائكه فيعلمون بها أنه لا يؤمن بعدها فيذمونه و يدعون عليه كما أنه تعالى يكتب فى قلب المؤمن الإيمان و يعلم عليه علامه تعلم الملائكه بها أنه مؤمن فيمدحونه و يستغفرون له و كما طبع على قلب الكافر و ختم عليه فوسمه بسمه تعرف بها الملائكه كفره فكذلك وسم قلوب المؤمنين بسمات تعرفهم الملائكه بها و قد تأول على مثل هذا مناوئه الكتاب باليمين و الشمال فى أنها علامه أن المناول باليمين من أهل الجنة و المناول بالشمال من أهل النار و قوله تعالى «يَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ» يحتمل أمرين أحدهما أنه طبع عليها جزاء للكفر و عقوبه عليه و الآخر أنه طبع عليها بعلامه كفرهم كما تقول طبع عليه بالطين و ختم عليه بالشمع (و ثانيها) أن المراد بالختم على القلوب إن الله شهد عليها و حكم بأنها لا تقبل الحق كما يقال أراك تختم على كل ما يقوله فلان أى تشهد

به و تصدقه و قد ختمت عليك بأنك لا تفلح أى شهدت و ذلك استعاره (و ثالثها) أن المراد بذلك أنه تعالى ذمهم بأنها كالمختوم عليها فى أنه لا يدخلها الإيمان و لا يخرج عنها الكفر كقوله صُمُّ بَكُمِّ عُمِّي و كقول الشاعر

(أصم عما ساءه سميع)

و قول الآخر:

لقد أسمعت لو ناديت حيا

و لكن لا حياه لمن تنادى

و المعنى أن الكفر تمكن من قلوبهم فصارت كالمختوم عليها و صاروا بمنزله من لا يفهم و لا يبصر و لا يسمع عن الأصم و أبى مسلم الأصفهاني (و رابعها) أن الله وصف من ذمه بهذا الكلام بأن قلبه ضاق عن النظر و الاستدلال فلم ينشرح له فهو خلاف من ذكره فى قوله أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ و مثل قوله «أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا» و قوله «وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ و قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّهِ» و يقوى ذلك أن المطبوع على قلبه وصف بقله الفهم بما يسمع من أجل الطبع فقال بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا و قال وَ طَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ و يبين ذلك قوله تعالى «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَ أَبْصَارَكُمْ وَ خَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ» فعدل الختم على القلوب بأخذه السمع و البصر فدل هذا على أن الختم على القلب هو أن يصير على وصف لا- ينتفع به فيما يحتاج فيه إليه كما لا ينتفع بالسمع و البصر مع أخذهما و إنما يكون ضيقه بأن لا يتسع لما يحتاج إليه فيه من النظر و الاستدلال الفاصل بين الحق و الباطل و هذا كما يوصف الجبان بأنه لا قلب له إذا بولغ فى وصفه بالجبن لأن الشجاعه محلها القلب فإذا لم يكن القلب الذى هو محل الشجاعه لو كانت فإن لا تكون الشجاعه أولى قال طرفه:

فالهبيت لا فؤاد له

و الثبيت قلبه قيمه

و كما وصف الجبان بأنه لا فؤاد له و أنه يراعه و أنه مجوف كذلك وصف من بعد عن قبول الإسلام بعد الدعاء إليه و إقامه الحجه عليه بأنه مختوم على قلبه و مطبوع عليه و ضيق صدره و قلبه فى كنان و فى غلاف و هذا من كلام الشيخ أبى على الفارسي و إنما قال ختم الله و طبع الله لأن ذلك كان لعصيانهم الله تعالى فجاز ذلك اللفظ كما يقال أهلكته فلانه إذا أعجب بها و هى لا تفعل به شيئا لأنه هلك فى اتباعها.

سؤال

إن قيل لم خص هذه الأعضاء بالذكر.

فالجواب

قيل إنها طرق العلم فالقلب محل العلم و طريقه إما السماع أو الرؤيه.

البقره (٢): آيه ٨

اشاره

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨)

ص: ٤٨

الناس و البشر و الإنس نظائر و هى الجماعة من الحيوان المتميزه بالصوره الإنسانيه و أصله أناس من الإنس و وزنه فعال فأسقطت الهمزه منها لكثرة الاستعمال إذا دخلها الألف و اللام للتعريف ثم أدغمت لام التعريف فى النون كما قيل لكنا و الأصل لكن إنا و قيل الناس مأخوذه من النوس و هو الحركه و تصغيره نويس و وزنه فعل و قيل أخذ من الظهور فسمى ناسا و إنسانا لظهوره و إدراك البصر إياه يقال آنست ببصرى شيئا و قال الله سبحانه إني آنست نارا و الإنسان واحد و الناس جمعه لا من لفظه و قيل أخذ من النسيان لقوله تعالى «فَنَسِيَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا» و أصل الإنسان إنسيان و لذلك قيل فى تحقيره و تصغيره أنسيان فرد إلى الأصل و اليوم الآخر يوم القيامة و إنما سمي آخرا لأنه يوم لا يوم بعده سواه إذ ليس بعده ليله و قيل لأنه متأخر عن أيام الدنيا و إنما فتح نون من عند التقاء الساكنين استثقالا لتوالى الكسرتين لو قلت من الناس فأما عن الناس فلا يجوز فيه إلا الكسر لأن أول عن مفتوح و من يقول النون تدغم فى الياء فمنهم من يدغم بغنه و منهم من يدغم بغير غنه.

الإعراب

من يقول موصول و صله و هو مرفوع بالابتداء أو بالظرف على ما تقدم بيانه و قوله «آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ» حديث يتعلق بقوله يقول و ما حرف شبه بليس من حيث يدخل على المبتدأ و الخبر كما يدخل ليس عليهما و فيه نفي الحال كما فى ليس فأجرى مجراه فى العمل فى قول أهل الحجاز على ما جاء به التنزيل و هم مرفوع لأنه اسم ما و الباء فى قوله «بِ الْمُؤْمِنِينَ» مزيدة دخلت توكيدا للنفى و هو حرف جار و مؤمنين مجرور به و بمؤمنين فى موضع نصب بكونه خبر ما و لفظه من تقع على الواحد و الاثنتين و الجمع و المذكر و المؤنث و لذلك عاد الذكر إليه مجموعا على المعنى و منه قول الفرزدق:

تعال فإن عاهدتنى لا تخوننى

نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

فثنى الضمير العائد إلى من على المعنى.

النزول

نزلت فى المنافقين و هم عبد الله بن أبى بن سلول و جد بن قيس و معتب بن قشير و أصحابهم و أكثرهم من اليهود.

المعنى

بين الله تعالى حالهم فأخبر سبحانه أنهم يقولون صدقنا بالله و ما أنزل على رسوله من ذكر البعث فيظهرون كلمه الإيمان و كان قصدهم أن يطلعوا على أسرار

المسلمين فينقلوها إلى الكفار أو تقرب الرسول إليهم كما كان يقرب المؤمنين ثم نفى عنهم الإيمان فقال «وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ» و في هذا تكذيبهم فيما أخبروا عن اعتقادهم من الإيمان و الإقرار بالبعث فيبين أن ما قالوه بلسانهم مخالف لما في قلوبهم و هذا يدل على فساد قول من يقول الإيمان مجرد القول.

البقرة (٢): آية ٩

إشاره

يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ مَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَ مَا يَشْعُرُونَ (٩)

القراءه

قرأ نافع و ابن كثير و أبو عمرو و ما يخادعون إلا أنفسهم و الباقون «وَمَا يَخْدَعُونَ».

الإعراب

حجه من قرأ «يُخَادِعُونَ» أن فعل هنا ألقى بالموضع من فاعل الذى هو فى أكثر الأمر يكون لفاعلين و يدل عليه قوله فى الآية الأخرى «يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَ هُوَ خَادِعُهُمْ» و حجه من قرأ يخادعون هو أن ينزل ما يخطر بباله من الخدع منزله آخر يجازيه ذلك و يعاوضه إياه فيكون الفعل كأنه من اثنين فيلزم أن يقول فاعل كقول الكمييت و ذكر حمارا أراد الورود

يذكر من أنى و من أين شربه

يؤامر نفسه كذى الهجمه الإبل

فجعل ما يكون منه من وروده الماء أو تركه الورود و التمثيل بينهما بمنزله نفسين.

اللغه

أصل الخدع الإخفاء و الإبهام بخلاف الحق و التزوير يقال خدعت الرجل أخدعه خدعا بالكسر و خديعه و قالوا إنك لأخدع من صب حرشته و خادعت فلانا فخدعته و النفس فى الكلام على ثلاثه أوجه النفس بمعنى الروح و النفس بمعنى التأكيد تقول جاءنى زيد نفسه و النفس بمعنى الذات و هو الأصل و يقال النفس غير الروح و يقال هما اسمان بمعنى واحد و يشعرون يعلمون و أصل الشعر الإحساس بالشىء من جهة تدق و من هذا اشتقاق الشعر لأن الشاعر يفطن لما يدق من المعنى و الوزن و لا يوصف الله تعالى بأنه يشعر لما فيه من معنى التلطف و التخيل.

الإعراب

يخادعون فعل و فاعل و النون علامه الرفع و الجملة فى موضع نصب بكونها حالا و ذو الحال الضمير الذى فى قوله «آمَنَّا» العائد

إلى من و الله نصب بيخادعون

ص: ٥٠

و الذين آمنوا عطف و ما نفى و إلا إيجاب و أنفسهم نصب بأنه مفعول يخادعون الثانيه و ما نفى و يشعرون فعل و فاعل و كل موضع يأتي فيه إلا بعد نفى فهو إيجاب و نقض للنفى.

المعنى

معنى قوله «يُخَادِعُونَ اللَّهَ» أى يعملون عمل المخادع لأن الله تعالى لا يصح أن يخادعه من يعرفه و يعلم أنه لا يخفى عليه خافيه و هذا كما تقول لمن يزين لنفسه ما يشوبه بالرياء فى معاملته ما أجهله يخادع الله و هو أعلم به من نفسه أى يعمل عمل المخادع و هذا يكون من العارف و غير العارف و قيل المعنى يخادعون رسول الله لأن طاعته طاعه الله و معصيته معصيه الله فحذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه و هذا كقوله تعالى وَ إِن يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ وَ المفاعله قد تقع من واحد كقولهم عافاه الله و عاقبت اللص و طارقت النعل فكذلك يخادعون إنما هو من واحد فمعنى يخادعون يظهر غير ما فى نفوسهم و قوله «و الَّذِينَ آمَنُوا» أى و يخادعون المؤمنين بقولهم إذا رأوهم قالوا آمنا و هم غير مؤمنين أو بمجالستهم و مخالطتهم إياهم حتى يفسوا إليهم أسرارهم فينقلوها إلى أعدائهم و التقيه أيضا تسمى خداعا فكأنهم لما أظهروا الإسلام و أبطنوا الكفر صارت تقيتهم خداعا من حيث أنهم نجوا بها من إجراء حكم الكفر عليهم و معنى قوله «وَ مَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ» أنهم و إن كانوا يخادعون المؤمنين فى الظاهر فهم يخادعون أنفسهم لأنهم يظهرن لها بذلك أنهم يعطونها ما تمت و هم يوردونها به العذاب الشديد فوبال خداعهم راجع إلى أنفسهم «وَ مَا يَشْعُرُونَ» أى ما يعلمون أنه يرجع عليهم بالعذاب فهم فى الحقيقه إنما خدعوا أنفسهم كما لو قاتل إنسان غيره فقتل نفسه جاز أن يقال أنه قاتل فلانا و لم يقتل إلا نفسه و قوله «وَ مَا يَشْعُرُونَ» يدل على بطلان قول أصحاب المعارف لأنه تعالى أخبر عنهم بالنفاق و بأنهم لا يعلمون ذلك.

البقره (٢): آيه ١٠

إشارة

فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠)

القراءه

قرأ ابن عامر و حمزه فزادهم الله بإماله الزاى و كذلك شاء و جاء و قرأ أهل الكوفه «يَكْذِبُونَ» بفتح الياء مخففا و الباقون يكذبون.

الإعراب

حجه من أمال الألف من زاد أنه يريد أن يدل بالإماله على أن العين ياء كما أبدلوا من الضمه كسره فى عين و بيض جمع أعين و أبيض لتصح الياء و لا تقلب إلى

الواو و حجه من قرأ «يَكْذِبُونَ» أن يقول إن ذلك أشبه بما قبل الكلمه و ما بعدها لأن قولهم آمَنَّا بِاللَّهِ كذب منهم فلهم عذاب أليم بكذبهم و ما و صلته بمعنى المصدر و فى قولهم فيما بعد إِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ (قَالُوا) إِنَّا مَعَكُمْ دلاله أيضا على كذبهم فيما ادعوه من إيمانهم و إذا كان أشبه بما قبله و ما بعده كان أولى و حجه من قرأ يكذبون بالتشديد قوله «وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ» و قوله «وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي» و قوله «بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ» و قوله «وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ» و نحو ذلك و التكذيب أكثر من الكذب لأن كل من كذب صادقا فقد كذب و ليس كل من كذب مكذبا فكأنه قال و لهم عذاب أليم بتكذبيهم و أدخل كان ليدل على أن ذلك كان فيما مضى.

اللغه

المرض العله فى البدن و نقيضه الصحه قال سيبويه أمرضته جعلته مريضا و مرضته قمت عليه و وليته و زاد فعل يتعدى إلى مفعولين قال الله تعالى «وَزِدْنَاهُمْ هُدًى» و «زَادَهُ بَسْطَةً» و مصدره الزيادة و الزيد قال

(كذلك زيد المرء بعد انتقاصه)

و الأليم الموجه فعيل بمعنى مفعول كالسميع بمعنى المسمع و النذير بمعنى المنذر و البديع بمعنى المبدع قال ذو الرمه

(يصك وجوهها و هج أليم)

و الكذب ضد الصدق و هو الإخبار عن الشىء لا على ما هو به و الكذب ضرب من القول و هو نطق فإذا جاز فى القول أن يتسع فيه فيجعل غير نطق فى نحو قوله

(قد قالت الأنساع للبطن الحقى)

جاز أيضا فى الكذب أن يجعل غير نطق فى نحو قوله:

و ذبيانيه و صت بنيها

بأن كذب القراطف و القروف

فيكون فى ذلك انتفاء لها كما أنه إذا أخبر عن الشىء بخلاف ما هو به كان فيه انتفاء للصدق أى كذب القراطف فأوجدوها بالغاره.

المعنى

«فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» المراد بالمرض فى الآيه الشك و النفاق بلا- خلافاً و إنما سمي الشك فى الدين مرضا لأن المرض هو الخروج عن حد الاعتدال فالبدن ما لم تصبه آفه يكون صحيحا سويا و كذلك القلب ما لم تصبه آفه من الشك يكون صحيحا

وقيل أصل المرض الفتور فهو في القلب فتوره عن الحق كما أنه في البدن فتور الأعضاء و تقدير الآيه في اعتقاد قلوبهم الذي يعتقدونه في الله و رسوله مرض أى شك حذف المضاف

ص: ٥٢

و أقيم المضاف إليه مقامه و قوله «فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا» قيل فيه وجوه (أحدها) أن معناه ازدادوا شكا عند ما زاد الله من البيان بالآيات و الحجج إلا- أنه لما حصل ذلك عند فعله نسب إليه كقوله تعالى في قصة نوح (عليه السلام) «فَلَمَّ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا» لما ازدادوا فرارا عند دعاء نوح (عليه السلام) نسب إليه و كذلك قوله «وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ» الآيات لم تزدهم رجسا و إنما ازدادوا رجسا عندها (و ثانيها) ما قاله أبو علي الجبائي أنه أراد في قلوبهم غم بنزول النبي صلى الله عليه و آله المدينة و يتمكنه فيها و ظهور المسلمين و قوتهم فزادهم الله غما بما زاده من التمكين و القوه و أمله به من التأييد و النصره (و ثالثها) ما قاله السدي إن معناه زادتهم عداوه الله مرضا و هذا في حذف المضاف مثل قوله تعالى «فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ» أى من ترك ذكر الله (و رابعها) أن المراد في قلوبهم حزن بنزول القرآن بفضائحهم و مخازيهم فزادهم الله مرضا بأن زاد في إظهار مقابحهم و مساويهم و الإخبار عن خبث سرائرهم و سوء ضمائرهم و سمي الغم مرضا لأنه يضيق الصدر كما يضيقه المرض (و خامسها) ما قاله أبو مسلم الأصفهاني أن ذلك على سبيل الدعاء عليهم كقوله تعالى «ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ» فكأنه دعاء عليهم بأن يخليهم الله و ما اختاروه و لا يعطيهم من زياده التوفيق و الألفاظ ما يعطى المؤمنين فيكون خذلانا لهم و هو فى الحقيقة إخبار عن خذلان الله إياهم و إن خرج فى اللفظ مخرج الدعاء عليهم ثم قال «وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» و هو عذاب النار «بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ» أى بتكذيبهم الله و رسوله فيما جاء به من الدين أو بكذبهم فى قولهم «آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ».

البقرة (٢): الآيات ١١ الى ١٢

إشارة

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَ لَكِن لَّا يَشْعُرُونَ (١٢)

القراءة

قرأ الكسائي قيل و غيض و سى ء و سيئت و حيل و سيق و جى ء بضم أوائل ذلك كله و روى عن يعقوب مثل ذلك و وافقهما نافع فى سى ء و سيئت و ابن عامر فيهما و فى حيل و سيق و الباقون يكسرون كلها.

الإعراب

فى هذه كلها ثلاث لغات الكسر و إشمام الضم و قول بالواو فأما قيل بالكسر فعلى نقل حركة العين إلى الفاء لأن أصله قول ثم قلبت الواو ياء لسكونها و انكسار ما قبلها و هو قياس مطرد فى كل ما اعتلت عينه و أما الإشمام فلأجل الدلالة على الأصل

مع التخفيف.

اللغة

الإفساد إحداث الفساد و هو كل ما تغير عن استقامه الحال و الصلاح نقيض الفساد و الأرض مستقر الحيوان و يقال لقوائم الفرس أرض لأنه يستقر عليها قال:

إذا ما استحمت أرضه من سمائه

جرى و هو مودوع و واعد مصدق

الإعراب

إذا لفظه وضعت للوقت بشرط أن يكون ظرفاً زمانياً و فيها معنى الشرط و إنما يعمل فيها جوابها ففي هذه الآية إذا في محل نصب لأنه ظرف قالوا لأنه الجواب و لا يجوز أن يعمل فيه قيل لهم لأن إذا في التقدير مضاف إلى قيل و المضاف إليه لا يعمل في المضاف و كذلك قوله «وَ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا» و إذا مبني و إنما بنى لتضمنه معنى في و لزومه إياه و قد يكون إذا ظرفاً مكانياً في نحو قولك خرجت فإذا الناس وقوف أى ففي المكان الناس وقوف و يجوز أن ينصب وقوفاً على الحال لأن ظرف المكان يجوز أن يكون خبراً عن الجثة و قيل مبني على الفتح و كذلك كل فعل ماض فمبني على الفتح و لا حرف نهى و هي تعمل الجزم في الفعل و تفسدوا مجزوم بلا و علامه الجزم فيه سقوط النون و الواو ضمير الفاعلين و ما في قوله «إِنَّمَا» كافه كفت إن عن العمل فعاد ما بعدها إلى ما كان عليه في الأصل من كونه مبتدأ و خبراً و هو قوله «نَحْنُ مُصِلِحُونَ» فنحن مبتدأ و مصلحون خبره و موضع الجملة نصب بقالوا كما تقول قلت حقاً أو باطلاً و نحن مبنيه لمشابهتها للحروف و بنيت على الضم لأنها من ضمائر الرفع و الضمه علامه الرفع لأنها ضمير الجمع و الضمه بعض الواو و الواو علامه الجمع في نحو ضاربون و يضربون و قوله «لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ» جملة في موضع رفع على تقدير قيل لهم شىء فهى اسم ما لم يسم و قوله إلا كلمه تنبيه و افتتاح للكلام تدخل على كل كلام مكتف بنفسه نحو قوله أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِيكِهِمْ يَقُولُونَ وَ لَدَّ اللَّهُ وَ أَصْلَهُ لَا دَخَلَ عَلَيْهِ أَلْفُ الْاسْتِفْهَامِ وَ الْأَلْفُ إِذَا دَخَلَ عَلَى الْجُحْدِ أَخْرَجَهُ إِلَى مَعْنَى التَّقْرِيرِ وَ التَّحْقِيقِ كَقَوْلِهِ «أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى» لأنه لا يجوز للمجيب إلا-الإقرار ببلى و هم في إنهم في موضع نصب بأن و هم الآخر يجوز أن يكون فصلاً على ما فسرناه قبل و يجوز أن يكون مبتدأ و المفسدون خبره و الجملة خبر إن و ضم الميم من هم لالتقاء الساكنين ردوه إلى الأصل.

الآيه نزلت فى المنافقين الذين نزلت فيهم الآيات المتقدمه و روى عن سلمان رضى الله عنه أن أهل هذه الصفه لم يأتوا بعد و الأول يقتضيه نظم الكلام و يجوز أن يراد بها من صورتهم صوره هؤلاء فيكون قول سلمان محمولا على أنه أراد بعد انقراض المنافقين الذين تناولتهم الآيه.

المعنى

المراد «وَ إِذَا قِيلَ» للمنافقين «لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ» بعمل المعاصى و صد الناس عن الإيمان على ما روى عن ابن عباس أو بممالأه الكفار فإن فيه توهين الإسلام على ما قاله أبو على أو بتغيير المله و تحريف الكتاب على ما قاله الضحاك «قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْرِحُونَ» و هو يحتمل أمرين أحدهما أن الذى يسمونه فسادا هو عندنا صلاح لأننا إنما نفعل ذلك كى نسلم من الفريقين و الآخر أنهم جحدوا ذلك و قالوا أنا لا نعمل بالمعاصى و لا نمالئ الكفار و لا نحرف الكتاب و كان ذلك نفاقا منهم كما قالوا «آمَنَّا بِاللَّهِ» و لم يؤمنوا ثم قال إلا- أنهم أى اعلموا أن هؤلاء المنافقين الذين يعدون الفساد صلاحا «هُمْ الْمُفْسِدُونَ» و هذا تكذيب من الله تعالى لهم «وَ لَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ» أى لا- يعلمون أن ما يفعلونه فساد و ليس بصلاح و لو علموا ذلك لرجى صلاحهم و قيل لا يعلمون ما يستحقونه من العقاب و هذه الآيه تدل على بطلان مذهب أصحاب المعارف لقوله «لَا يَعْلَمُونَ» و إنما جاز تكليفهم و إن لم يشعروا أنهم على ضلال لأن لهم طريقا إلى العلم بذلك.

البقره (٢): آيه ١٣

اشاره

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَ لَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣)

القراءه

«السُّفَهَاءُ» إلا- أهل الكوفه و ابن عامر حققوا الهمزتين و أهل الحجاز و أبو عمرو همزوا الأولى و لينوا الثانيه و كذا كل همزتين مختلفتين من كلمتين و قد ذكرنا الوجه فيها حيث ذكرنا اجتماع الهمزتين فى كلمه واحده و هو قوله: «أنذرتهم» ..

اللغه

السفهاء جمع سفیه و السفیه الضعيف الرأى الجاهل القليل المعرفه بمواضع المنافع و المضار و لذلك سمي الله الصبيان و النساء سفهاء بقوله «وَ لَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا» و قال قطرب السفیه العجول الظلوم القائل خلاف الحق

و قال مؤرج السفیه الكذاب البهات المتعمد بخلاف ما يعلم و قيل السفه خفه اللحم و كثره الجهل يقال ثوب سفیه إذا كان رقيقا بالیا و سفهته الرياح أى طيرته و

قد جاء فى الأخبار أن شارب الخمر سفیه

و الألف و اللام فى الناس و فى السفهاء للعهد لا للجنس و المراد بهم المؤمنون من أصحاب النبى صلى الله عليه و آله و إنما سموا الناس لأن الغلبه كانت لهم.

الإعراب

قوله «كَمَا آمَنَ» الكاف فى موضع نصب بكونه صفة لمصدر محذوف و ما مع صلته بمعنى المصدر أى آمنوا إيماننا مثل إيمان الناس فحذف الموصوف و أقام الصفة مقامه و الهمزة فى أ نؤمن للإنكار و أصلها الاستفهام و مثله أ نطعم من لو يشاء الله أطعمه و إذا ظرف لقوله «قالوا أ نؤمن» و قد مضى الكلام فيه.

المعنى

المراد بالآيه و إذا قيل للمنافقين صدقوا بمحمد صلى الله عليه و آله و ما أنزل عليه كما صدقه أصحابه و قيل كما صدق عبد الله بن سلام و من آمن معه من اليهود قالوا أ نصدق كما صدق الجهال ثم كذبهم الله تعالى و حكم عليهم بأنهم هم الجهال فى الحقيقه لأن الجاهل إنما يسمى سفيا لأنه يضيع من حيث يرى أنه يحفظ فكذلك المنافق يعصى ربه من حيث يظن أنه يطيعه و يكفر به من حيث يظن أنه يؤمن به.

البقره (٢): آيه ١٤

إشاره

وَ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَ إِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ (١٤)

القراءه

بعض القراء ترك الهمزه من «مُسْتَهْزِؤُونَ» و قوله «خَلَوْا إِلَىٰ» قراه أهل الحجاز خلوا لى حذفوا الهمزه و ألقوا حركتها على الواو قبلها و كذلك أمثاله و الباقون أسكنوا الواو و حققوا الهمزه.

الإعراب

قال سيويوه الهمزه المضمومه المكسور ما قبلها تجعلها إذا خففتها بين بين و كذلك الهمزه المكسوره إذا كان ما قبلها مضموما نحو مرتع إبلك تجعلها بين بين و ذهب الأخفش إلى أن تقلب الهمزه ياء فى مستهزيون قلبا صحيحا من أجل الكسره التى قبلها

ولا تجعلها بين بين ولا قلبها واوا مع تحركها بالضمه لخروجه إلى ما لا نظير له ألا ترى أنه واو مضمومه قبلها كسره و ذلك مرفوض عندهم.

اللغه

اللقاء نقيض الحجاب قال الخليل كل شىء استقبل شيئا أو صادفه فقد لقيه و أصل اللقاء الاجتماع مع الشىء على طريق المقاربه و الاجتماع قد يكون لا على

ص: ٥٦

طريق المجاوره كاجتماع العرضين فى محل و الخلاً نقيض الملاً و يقال خلوت إليه و خلوت معه و يقال خلوت به على ضربين أحدهما بمعنى خلوت معه و الآخر بمعنى سخرت منه و قد ذكرنا معنى الشيطان فى مفتتح سوره الفاتحه و يستهزون أى يهزءون و مثله يستسخرون أى يسخرون و قر و استقر و علا قرنه و استعلى قرنه و رجل هزاء يهزأ بالناس و هزأه يهزأ به الناس و هذا قياس.

الإعراب

«إِنَّا» أصله إننا لكن النون حذفت لكثرة النونات و المحذوفه النون الثانيه من إن لأنها التى تحذف فى نحو وَ إِن كُلاً لَمَّا جَمِيعٌ و قد جاء على الأصل فى قوله «إِنِّى مَعَكُمْ» و معكم انتصب انتصاب الظروف نحو إنا خلفكم أى إنا مستقرون معكم و القراءه بفتح العين و يجوز للشاعر إسكان العين قال:

و ريشى منكم و هواى معكم

و إن كانت زيارتكم لماما.

المعنى

«وَ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا» يعنى أن المنافقين إذا رأوا المؤمنين «قَالُوا آمَنَّا» أى صدقنا نحن بما أنزل على محمد صلى الله عليه و آله كما صدقتم أنتم و «إِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ» قيل رؤساؤهم من الكفار عن ابن عباس و قيل هم اليهود الذين أمرهم بالكذيب و روى عن أبى جعفر الباقر عليه السلام أنهم كهانهم

«قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ» أى على دينكم «إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤْنَ» أى نستهزئ بأصحاب محمد صلى الله عليه و آله و نسخر بهم فى قولنا آمنا.

البقره (٢): آيه ١٥

إشارة

اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَ يَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥)

اللغة

المد أصله الزيادة فى الشىء و المد الجذب لأنه سبب الزيادة فى الطول و المادة كل شىء يكون مددا لغيره و قال بعضهم كل زيادة حدثت فى الشىء من نفسه فهو مددت بغير ألف كما تقول مد النهر و مده نهر آخر و كل زيادة أحدثت فى الشىء من غيره فهو أمددت بالألف كما يقال أمد الجرح لأن المده من غير الجرح و أمددت الجيش و الطغيان من قولك طغى الماء يطغى

إذا تجاوز الحد و الطاغية الجبار العنيد و العمه التحير يقال عمه يعمه فهو عمه و عامه قال رؤبه:

ص: ٥٧

و مهمه أطرافه فى مهمه

أعمى الهدى بالحائرين العمه

الإعراب

«يَعْمَهُونَ» جملة فى موضع الحال.

المعنى

قيل فى معنى الآيه و تأويلها ووجه أحدها أن يكون معنى «اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ» يجازيهم على استهزائهم و العرب تسمى الجزاء على الفعل باسمه و فى التنزيل وَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا وَ إِنَّ عَاقِبَتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَ قال عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا

فجهل فوق جهل الجاهلينا

و إنما جاز ذلك لأن حكم الجزاء أن يكون على المساواه (و ثانيها) أن يكون معنى استهزاء الله تعالى بهم تخطئه إياهم و تجهيله لهم فى إقامتهم على الكفر و إصرارهم على الضلال و العرب تقيم الشئ ء مقام ما يقاربه فى معناه قال الشاعر:

إن دهرا يلف شملى بجمل

لزمان يهم بالإحسان

و قال آخر:

كم أناس فى نعيم عمروا

فى ذرى ملك تعالى فبسق

سكت الدهر زمانا عنهم

ثم أبكاهم دما حين نطق

و الدهر لا- يوصف بالسكوت و النطق و الهم و إنما ذكر ذلك على الاستعارة و التشبيه (و ثالثها) أن يكون معنى الاستهزاء المضاف إليه تعالى أن يستدرجهم و يهلكهم من حيث لا- يعلمون و قد روى عن ابن عباس أنه قال فى معنى الاستدراج أنهم كلما أحدثوا خطيئه جدد الله لهم نعمه و إنما سمي هذا الفعل استهزاء لأن ذلك فى الظاهر نعمه و المراد به استدراجهم إلى الهلاك و العقاب الذى استحقوه بما تقدم من كفرهم (و رابعها) أن معنى استهزائه بهم أنه جعل لهم بما أظهوره من موافقه أهل

الإيمان ظاهر أحكامهم من الموارثه و المناكحه و المدافنه و غير ذلك من الأحكام و إن كان قد أعد لهم فى الآخره أليم العقاب بما أبطنوه من النفاق فهو سبحانه كالمستهزئ بهم من حيث جعل لهم أحكام المؤمنين ظاهرا ثم ميزهم منهم فى الآخره (و خامسها) ما روى عن ابن عباس أنه قال يفتح لهم و هم فى النار باب من الجنة فيقبلون من النار إليه مسرعين حتى إذا انتهوا إليه سد عليهم و فتح لهم باب آخر فى موضع آخر فيقبلون من النار إليه مسرعين حتى إذا انتهوا إليه سد

عليهم فيضحك المؤمنون منهم فلذلك قال الله عز وجل: «فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ» وهذه الوجوه الذى ذكرناها يمكن أن تذكر فى قوله تعالى: «وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ» و «يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ» و أما قوله «وَيَمِدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ» ففيه وجهان:

(أحدهما) أن يريد أن يملأ لهم ليؤمنوا و هم مع ذلك متمسكون بطغيانهم و عمهم و الآخر أنه يريد أن يتركهم من فوائده و منحه التى يؤتيها المؤمنين ثوابا لهم و يمنعها الكافرين عقابا لهم كشرح الصدر و تنوير القلب فهم فى طغيانهم أى كفرهم و ضلالهم يعمهون أى يتحiron لأنهم قد أعرضوا عن الحق فتحيروا و ترددوا.

البقرة (٢): آية ١٦

إشارة

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَهَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَ مَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٦)

القراءه

قرأ جميع القراء «اشْتَرُوا الضَّلَالَهَ» بضم الواو و فى الشواذ عن يحيى بن يعمر أنه كسرهما تشبيها بواو لو فى قوله لَوِ اسْتِطَعْنَا و روى عن يحيى بن وثاب أنه ضم واو لو و أو تشبيها بواو الجمع.

الإعراب

الواو فى «اشْتَرُوا» ساكنه فإذا سقطت همزه الوصل التقت مع الساكن المبدل من لام المعرفه فالتقى ساكنان فحرك الأول منهما لالتقائهما و صار الضم أولى بها ليفصل بالضم بينها و بين واو "لو" و "أو" يدل على ذلك اتفاقهم على التحريك بالضم فى نحو قوله «لَتَبْلُوَنَّ» و «لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ» و مصطفىو الله للدلاله على الجمع و يدل على تقرير ذلك فى هذه الواو أنهم شبهوا بها الواو التى فى أو و لو فحركوها بالضم تشبيها بها فكما شبهوا الواو التى فى أو بالتى تدل على الجمع كذلك شبهوا هذه بها فأجازوا فيها الكسر ألا- ترى أنهم أجازوا الضم فى لَوِ اسْتِطَعْنَا تشبيها بالتى للجمع و مثل هذا إجازتهم الجر فى الضارب الرجل تشبيها بالحسن الوجه و إجازتهم النصب فى الحسن الوجه تشبيها بالضارب الرجل.

اللغه

حقيقه الاشتراء الاستبدال و العرب تقول لمن تمسك بشىء و ترك غيره قد اشتراه و ليس ثم شراء و لا بيع قال الشاعر:

أخذت بالجمعه رأسا أزعرا

و بالثنايا الواضحات الدرردا

و بالطويل العمر عمرا جيدرا

كما اشترى المسلم إذ تنصرا

ص: ٥٩

و الربح الزيادة على رأس المال و منه (و من نجا برأسه فقد ربح) و التجاره التعرض للربح فى البيع و قوله «فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ» أى فما ربحوا فى تجارتهم و العرب تقول ربح بيعك و خسر بيعك و خاب بيعك على معنى ربحت فى بيعك و إنما أضافوا الربح إلى التجاره لأن الربح يكون فيها.

الإعراب

«أُولَئِكَ» موضعه رفع بالابتداء و خبره «الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالَهَ بِالْهُدَى» و ما حرف نفى و كان صورته صورته الفعل و يستعمل على نحوين أحدهما أن لا يدل على حدث بل يدل على زمان مجرد مثل كان زيد قائما فإذا استعمل على هذا فلا بد له من خبر لأن الجملة غير مكتملة بنفسها فيزداد خبر حديثا عن الاسم و يكون اسمه و خبره فى الأصل مبتدأ و خبرا فيجب لذلك أن يكون خبره هو الاسم أو فيه ذكر منه كما أن فى الآية الواو فى موضع الرفع لأنه اسم كان و مهتدين منصوب بأنه خبره و الياء فيه علامه النصب و الجمع و حرف الإعراب و النون عوض من الحركة و التوين فى الواحد و كان فى الأصل مهتدين سكنت الياء الأولى التى هى لام الفعل استثقالا للحركة عليها ثم حذفت لالتقاء الساكنين و فتحت النون فرقا بينها و بين نون التثنيه و الآخر من نحوى كان ما هو فعل حقيقى يدل على زمان و حدث كقوله تعالى: «إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً» أى تحدث فإذا استعمل هكذا فهى جملة مستقلة لا تحتاج إلى خبر.

المعنى

أشار إلى من تقدم ذكرهم من المنافقين فقال: «أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالَهَ بِالْهُدَى» قال ابن عباس أخذوا الضلالة و تركوا الهدى و معناه استبدلوا الكفر بالإيمان و متى قيل كيف قال ذلك و إنما كانوا منافقين و لم يتقدم نفاقهم إيمانا فنقول للعلماء فيه وجوه (أحدها) أن المراد باشتروا استحبوا و اختاروا لأن كل مشتر مختار ما فى يدي صاحبه على ما فى يديه عن قتاده (و ثانيها)

أنهم ولدوا على الفطره كما جاء فى الخبر

فتركوا ذلك إلى الكفر فكأنهم استبدلوه به (و ثالثها) أنهم استبدلوا بالإيمان الذى كانوا عليه قبل البعثه كفرا لأنهم كانوا يبشرون بمحمد و يؤمنون به صلى الله عليه و آله فلما بعث كفروا به فكأنهم استبدلوا الكفر بالإيمان عن الكلىبى و مقاتل و قوله «فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ» أى خسروا فى استبدالهم الكفر بالإيمان و العذاب بالثواب و قوله: «وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ» أى مصيبين فى تجارتهم كأصحاب محمد صلى الله عليه و آله و قيل أراد سبحانه أن ينفى عنهم

الربح و الهدايه فإن التاجر قد يخسر و لا يربح و يكون على هدى فإن قيل كيف قال «فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ» فى موضع ذهبت فيه رءوس أموالهم فالجواب أنه ذكر الضلاله و الهدى فكأنه قال طلبوا الربح فلم يربحوا و هلكوا و المعنى فيه أنه ذهبت رءوس أموالهم و يحتمل أن يكون ذكر ذلك على التقابل و هو أن الذين اشتروا الضلاله بالهدى لم يربحوا كما أن الذين اشتروا الهدى بالضلاله ربحوا ..

البقره (٢): آيه ١٧

إشاره

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَ تَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (١٧)

اللغه

المثل و المثل و الشبه نظائر و حقيقه المثل ما جعل كالعلم على معنى سائر يشبه فيه الثانى بالأول و مثاله قول كعب بن زهير:

كانت مواعيد عرقوب لنا مثلاً

و ما مواعيده إلا الأباطيل

فمواعيد عرقوب علم فى كل ما لا يصح من المواعيد و منه التمثال لأنه يشبه الصورة و الذى قد يوضع موضع الجمع كقوله تعالى: «وَ الَّذِي جَاءَ بِالصَّدْقِ وَ صَدَّقَ بِهِ» ثم قال «أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» قال الشاعر:

و إن الذى حانت بفلج دماؤهم

هم القوم كل القوم يا أم خالد

و استوقد بمعنى أوقد مثل استجاب بمعنى أجب و قيل استوقد أى طلب الوقود و الوقود بفتح الواو الحطب و النار جوهر مضى ء حار محرق و أصله من النور يقال نار و أنار و استنار بمعنى و المنارات العلامات و أضواء يكون لازماً و متعدياً يقال أضواء الشين بنفسه و أضواء غيره و الذى فى الآيه متعد و الترك للشى ء و الكف عنه و الإمساك نظائر و الظلمات جمع ظلمه و أصلها انتقاص الحق من قوله وَ لَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً أى لم تنقص و منه و من أشبه أباه فما ظلم أى ما انتقص حق الشبه و الإبصار إدراك الشى ء بحاسه البصر يقال أبصر بعينه و الإبصار بالقلب مشبه به.

الإعراب

مثلهم مبتدأ و كمثل الذى خبره و الكاف زائده تقديره مثلهم مثل الذى استوقد ناراً و نحوه قوله «لَيْسَ كَمِثْلِهِ» أى ليس مثله شى ء و استوقد ناراً و ما اتصل به من

صله الذى و العائد إلى المضمرة الذى فى استوقد و لما يدل على وقوع الشئ لوقوع غيره و هو بمعنى الظرف و العامل فيه جوابه و تقديره فلما أضاءت ما حوله طفئت أى طفئت حين أضاءت و ما فى قوله «ما حَوْلَهُ» اسم موصول منصوب بوقوع الإضاءة عليه و حوله نصب على الظرف و هو صلة ما يقال هم حوله و حويله و حواله و حواليه و قوله «ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ» أى أذهب الله نورهم و الفعل الذى لا- يتعدى يتعدى إلى المفعول بحرف الجر و بهمزة النقل و الباء فى قوله «بِنُورِهِمْ» يتعلق بذهب و «فِي ظُلُمَاتٍ» يتعلق بتركهم و قوله «لَا يُبْصِرُونَ» فى موضع نصب على الحال و العامل فيه تركهم أى تركهم غير مبصرين.

المعنى

«مَتْلُهُمْ» أى مثل هؤلاء المنافقين لما أظهروا الإيمان و أبطنوا الكفر «كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ» أى أوقد ناراً أو كمثل الذى طلب الضياء بإيقاد النار فى ليله مظلمه فاستضاء بها و استدفاً و رأى ما حوله فاتقى ما يحذر و يخاف و أمن فبينما هو كذلك إذا طفئت ناره فبقى مظلماً خائفاً متحيراً كذلك المنافقون لما أظهروا كلمه الإيمان و استناروا بنورها و اعتزوا بعزها فناكحوا المسلمين و وارثوهم و أمنوا على أموالهم و أولادهم فلما ماتوا عادوا إلى الظلمه و الخوف و بقوا فى العذاب و ذلك معنى قوله «فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ» و هذا هو المروى عن ابن عباس و قتاده و الضحاك و السدى و كان يجب فى حق النظم أن يكون اللفظ فلما أضاءت ما حوله أطفأ الله ناره ليشاكل جواب لما معنى هذه القضية و لكن لما كان إطفاء هذه النار مثلاً لإذهاب نورهم أقيم إذهاب النور مقام الإطفاء و حذف جواب لما إيجازاً و اختصاراً للدلالة الكلام عليه كما قال أبو ذؤيب:

دعانى إليها القلب إنى لأمره

مطيع فما أدرى أُرشد طلابها

و تقديره أُرشد أم غى طلابها فحذف للإيجاز و معنى إذهاب الله نورهم هو أن الله تعالى يسلبهم ما أعطوا من النور مع المؤمنين فى الآخرة و ذلك قوله تعالى فيما أخبر عنهم «أَنْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا» و قيل فى معنى إذهاب نور المنافقين وجه آخر و هو اطلاع الله المؤمنين على كفرهم فقد ذهب منهم نور الإسلام بما أظهر الله من كفرهم و قال سعيد بن جبير و محمد بن كعب و عطا الآيه نزلت فى اليهود و انتظارهم خروج النبى صلى الله عليه و آله و إيمانهم به و استفتاحهم به على مشركى العرب فلما خرج كفروا به و ذلك أن قريظه و النضير و بنى قينقاع قدموا من الشام إلى يثرب حين انقطعت النبوه من بنى إسرائيل و أفضت إلى العرب فدخلوا المدينة يشهدون لمحمد ص

بالنبوه و أن أمته خير الأمم و كان يغشاهم رجل من بنى إسرائيل يقال له عبد الله بن هيبان قبل أن يوحى إلى النبي صلى الله عليه و آله كل سنه فيحضهم على طاعه الله عز و جل و إقامه التوراه و الإيمان بمحمد صلى الله عليه و آله و يقول إذا خرج فلا تفرقوا عليه و انصروه و قد كنت أطمع أن أدركه ثم مات قبل خروج النبي صلى الله عليه و آله فقبلوا منه ثم لما خرج النبي صلى الله عليه و آله كفروا به فضرب الله لهم هذا المثل.

سؤال

كيف الله شبه المنافقين أو اليهود و هم جماعه بالذى استوقد ناراً و هو واحد.

الجواب

على وجوه (أحدها) أن الذى فى معنى الجمع كما قيل فى الآيه الأخرى وَ الَّذِي جَاءَ بِالصُّدْقِ وَ صَدَّقَ بِهِ (و ثانيها) أن يقال النون محذوفه من الذى كما جاء فى قول الأخطل:

أبنى كليب أن عمى اللذا

قتلا الملوكة و فككا الأغلالا

(و ثالثها) أن يكون الكلام على حذف كأنه قال مثلهم كمثل اتباع الذى استوقد ناراً ثم حذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه كما قال الجعدى:

و كيف تواصل من أصبحت

خلالته كأبى مرحب

يريد كخلاله أبى مرحب (و رابعها) أن يقال أراد بالمستوقد الجنس لما فى الذى من الإبهام إذ ليس يراد به تعريف واحد بعينه و على هذا يكون جواب «فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ» محذوفاً كأنه قال طفئت و الضمير فى قوله «ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ» يعود إلى المنافقين (و خامسها) أن يقال هذا تشبيه الحال بالحال فتقديره حال هؤلاء المنافقين فى جهلهم كحال المستوقد ناراً و تشبيه الحال بالحال جائز كما يقال بلادده هؤلاء كبلادده الحمار و لو قلت هؤلاء كالحمار لم يجز و معنى قوله «وَ تَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ» معناه لم يفعل الله لهم النور إذ الترك هو الكف عن الفعل بالفعل و هذا إنما يصح فيمن حله فعله و الله سبحانه منزه عن أن يحله فعله فمعناه أنه لم يفعل لهم النور حتى صاروا فى ظلمه أشد مما كان قبل الإيقاد و قوله «لَا يُبْصِرُونَ» أى لا يبصرون الطريق.

البقره (٢): آيه ١٨

إشارة

صُمُّ بِكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (١٨)

ص: ٦٣

الأصم هو الذى ولد كذلك و كذلك الأبكم هو الذى ولد أخرس و أصل الصم السد و الصمم سد الأذن بما لا يقع منه سمع و قناه صماء صلبه مكتنزه الجوف لسد جوفها بامتلائها و حجر أصم صلب و فتنه صماء شديده و الصمام ما يسد به رأس القاروره و أصل البكم الاعتقال فى اللسان و هو آفه تمنع من الكلام و أصل العمى ذهاب الإدراك بالعين و العمى فى القلب مثل العمى فى العين آفه تمنع من الفهم و يقال ما أعماه من عمى القلب و لا يقال ذلك فى العين و إنما يقال ما أشد عماءه و ما جرى مجراه و العمايه الغوايه و العماء السحاب الكثيف المطبق و الرجوع قد يكون عن الشىء أو إلى الشىء فالرجوع عن الشىء هو الانصراف عنه بعد الذهاب إليه و الرجوع إلى الشىء هو الانصراف إليه بعد الذهاب عنه.

الإعراب

«صُمَّ بُكْمٌ عُمَى» رفع على خبر مبتدأ محذوف أى هؤلاء الذين قصتهم هذه صم بكم عمى.

المعنى

قال قتاده «صُمَّ» لا يسمعون الحق «بُكْمٌ» لا ينطقون به «عُمَى» لا يبصرونه فهم لا يرجعون عن ضلالتهم و لا يتوبون و إنما شبههم الله بالصم لأنهم لم يحسنوا الإصغاء إلى أدله الله تعالى فكأنهم صم و إذا لم يقرؤوا بالله و برسوله فكأنهم بكم و إذا لم ينظروا فى ملكوت السماوات و الأرض فكأنهم عمى لما لم تصل إليهم منفعه هذه الأعضاء فكأنهم ليس لهم هذه الأعضاء. و هذا يدل على أن معنى الختم و الطبع ليس على وجه الحيلولة بينهم و بين الإيمان لأنه جعل الفهم بالكفر و استثقالهم للحق بمنزله الصم و البكم و العمى مع صحه حواسهم و كذلك قوله طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ أَضَلَّهُمْ وَ فَأَصَمَّهُمْ وَ أَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ وَ أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ فإن جميع ذلك إخبار عما أحدثوه عند امتحان الله إياهم و أمره لهم بالطاعة و الإيمان لا أنه فعل بهم ما منعهم به عن الإيمان و هذا كما قيل فى المثل حبك الشىء يعمى و يصم قال مسكين الدارمى:

أعمى إذا ما جارتى خرجت

حتى يوارى جارتى الخدر

و تصم عما كان بينهما

أذنى و ما فى سمعها وقر

و فى التنزيل «وَ تَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَ هُمْ لَا يُبْصِرُونَ» و قوله «فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ» يحتمل أمرين أحدهما أنه على الذم و الاستبطاء عن ابن عباس و الثانى أنهم لا يرجعون إلى الإسلام عن ابن مسعود.

إشاره

أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعِيدٌ وَبَرَقَ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (١٩)

القراءه

ظلمات أجمع القراء على ضم اللام منه على الاتباع و روى فى الشواذ عن الحسن و أبى السماك بسكون اللام و عن بعضهم بفتح اللام و أبو عمرو يميل الكاف من الكافرين فى موضع الخفض و النصب و روى ذلك عن الكسائى و الباقون لا يميلون.

الإعراب

الوجه فى ذلك أنهم كرهوا اجتماع الضمتين فتاره عدلوا إلى الفتح فقالوا ظلمات و تاره عدلوا إلى السكون فقالوا ظلمات و كلا الأمرين حسن فى اللغة و إنما أمالوا الكاف من الكافرين للزوم كسره الراء بعد الفاء المكسوره و الراء لما فيها من التكرير تجرى مجرى الحرفين المكسورين و كلما كثرت الكسرات غلبت الإماله و حسنتها و للقراء فى الإماله مذاهب و اختلافات يطول استقصاؤها و أبو على الفارسى رحمه الله قد بلغ الغايه و جاوز النهايه فى احتجاجاتهم و ذكر من التحقيق فيها و التدقيق ما ينبو عنه فهم كثير من علماء الزمان فالتعمق فى إيراد أبوابها و حججها و الغوص إلى لججها لا يليق بتفسير القرآن و كذلك ما يتعلق بفن القراءه من علوم الهمزه و الإدغام و المد فإن لذلك كتب مؤلفه يرجع إليها و يعول عليها فالرأى أن نلم بأطرافها و نقتصر على بعض أوصافها فيما يأتى من الكتاب أن شاء الله تعالى.

اللغه

الصيب المطر أصله صيوب فيعمل من الصواب لكن اجتمعت الواو و الياء و أولاهما ساكنه فصارتا ياء مشدده و مثله سيد و جيد و السماء: المعروف و كل ما علاك و أظلك فهو سماء و سماء البيت سقفه و أصابهم سماء أى مطر و أصله سما من سموت فقلبت الواو همزه لوقوعها طرفا بعد ألف زائده و جعل يكون على وجوه (أحدها) أن يتعدى إلى مفعولين نحو جعلت الطين خزفا أى صيرت (و ثانيها) أن يأتى بمعنى صنع يتعدى إلى مفعول واحد نحو قوله «وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَ النُّورَ» (و ثالثها) أن يأتى بمعنى التسميه كقوله تعالى «وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً» أى سمو له (و رابعها) أن يأتى بمعنى أفعال المقاربه نحو جعل زيد

يفعل كذا و الصواعق جمع صاعقه و هى الوقع الشديد من السحاب يسقط معه نار تحرق و الصاعقه صيحه العذاب و الحذر طلب السلامه مما يخاف.

الإعراب

«أَوْ» هاهنا للإباحه إذا قيل لك جالس الفقهاء أو المحدثين فكلا الفريقين أهل أن يجالس فإن جالست أحدهما فأنت مطيع و إن جالست الآخر فأنت مطيع و إن جالستهما فأنت مطيع فكذلك هاهنا إن مثلت المنافقين بالمستوقد كنت مصيبا و إن مثلتهم بأصحاب الصيب فأنت مصيب و إن مثلتهم بكلا الفريقين فأنت مصيب و تقديره أو كأصحاب صيب حذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه لأن هذا عطف على قوله «كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا» و الصيب ليس بعاقل فلا يعطف على العاقل و يجعلون فى موضع الحال من أصحاب الصيب و قوله «فِيهِ ظُلُمَاتٌ» جمله فى موضع الجر بأنها صفة صيب و الضمير المتصل بفى عائد إلى صيب أو إلى السماء و «حَذَرَ الْمَوْتِ» منصوب بأنه مفعول له لأن المعنى يفعلون ذلك لحذر الموت قال الزجاج و إنما نصبه الفعل لأنه فى تأويل مصدره لأن جعلهم أصابعهم فى آذانهم يدل على حذرهم الموت قال الشيخ أبو على المفعول له لا يكون إلا مصدرا لأنه يدل على أنه فعل لأجل ذلك الحدث و الحدث مصدر لكنه ليس مصدرا عن هذا الفعل بل عن فعل آخر.

المعنى

مثل هؤلاء المنافقين فى جهلهم و شدة تحيرهم «كَصَيِّبٍ» أى كأصحاب مطر «مِنَ السَّمَاءِ» أى منزل من السماء «فِيهِ» أى فى هذا المطر أو فى السماء لأن المراد بالسماء السحاب فهو مذكر «ظُلُمَاتٌ» لأن السحاب يغطى الشمس بالنهار و النجوم بالليل فيظلم الجو «وَرَعْدٌ» قيل إن الرعد صوت ملك يزجر السحاب و قيل

الرعد هو ملك موكل بالسحاب يسبح روى ذلك عن ابن عباس و مجاهد و هو المروى عن أئمتنا ع

و قيل هو ريح تختنق تحت السماء رواه أبو الجلود عن ابن عباس و قيل هو صوت اصطكاك أجرام السحاب و من قال أنه ملك قدر فيه صوت كأنه قال فيه ظلمات و صوت رعد لأنه روى أنه يزعم الراعى بغنمه و قوله «وَبَرْقٌ» قيل أنه مخاريق الملائكة من حديد تضرب به السحاب فتندح عنه النار عن على (عليه السلام) و قيل أنه سوط من نور يزجر به الملك السحاب عن ابن عباس و قيل هو مصع ملك من مجاهد و المصاع المجالده بالسيوف و غيرها قال الأعشى:

إذا هن نازلن أقرانهن

كان المصاع بما فى الجؤن

و قيل أنه نار تندح من اصطكاك الأجرام و فى تأويل الآيه و تشبيه المثل أقوال

(أحدها) أنه شبه المطر المنزل من السماء بالقرآن و ما فيه من الظلمات بما في القرآن من الابتلاء و ما فيه من الرعد بما في القرآن من الزجر و ما فيه من البرق بما فيه من البيان و ما فيه من الصواعق بما في القرآن من الوعيد آجلا و الدعاء إلى الجهاد عاجلا عن ابن عباس (و ثانيها) أنه مثل للدنيا شبه ما فيها من الشده و الرخاء بالصيب الذي يجمع نفعاً و ضرراً و أن المناق يدفع عاجل الضرر و لا يطلب آجل النفع (و ثالثها) أنه مثل للإسلام لأن فيه الحياه كما في الغيث الحياه و شبه ما فيه من الظلمات بما في إسلامهم من إبطان الكفر و ما فيه من الرعد بما في الإسلام من فرض الجهاد و خوف القتل و بما يخافونه من وعيد الآخرة لشكهم في دينهم و ما فيه من البرق بما في إظهار الإسلام من حقن دمايتهم و مناكحتهم و موارثتهم و ما فيه من الصواعق بما في الإسلام من الزواجر بالعقاب في العاجل و الآجل و يقوى ذلك ما روى عن الحسن أنه قال مثل إسلام المناق كصيب هذا وصفه (و رابعها) ما روى عن ابن مسعود و جماعه من الصحابه أن رجلين من المنافقين من أهل المدينه هربا من رسول الله صلى الله عليه و آله فأصابهما المطر الذي ذكره الله تعالى فيه رعد شديد و صواعق و برق و كلما أضاء لهما الصواعق جعلاً أصابعهما في آذانهما مخافه أن تدخل الصواعق في آذانهما فتقتلها و إذا لمع البرق مشيا في ضوئه و إذا لم يلمع لم يبصرا فأقاما فجعلوا يقولان يا ليتنا قد أصبحنا فنأتى محمدا فنضع أيدينا في يديه فأصبحا فأتياه فأسلما و حسن إسلامهما فضرب الله شأن هذين الرجلين مثلا لمنافقي المدينه و أنهم إذا حضروا النبي جعلوا أصابعهم في آذانهم فرقا من كلام النبي صلى الله عليه و آله أن ينزل فيهم شىء كما كان ذانك الرجلان يجعلان أصابعهما في آذانهما و كلما أضاء لهم مشوا فيه يعنى شىء كما كان ذانك الرجلان يجعلان أصابعهما في آذانهما و كلما أضاء لهم مشوا فيه يعنى إذا كثرت أموالهم و أصابوا غنيمه أو فتحا مشوا فيه و قالوا دين محمد صحيح و «إِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَوْمًا» يعنى إذا هلكت أموالهم و أصابهم البلاء قالوا هذا من أجل دين محمد فارتدوا كما قام ذانك الرجلان إذا أظلم البرق عليهما و قوله «وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ» يحتمل وجوها.

(أحدها) أنه عالم بهم فيعلم سرائرهم و يطلع نبيه على ضمائرهم عن الأصم (و ثانيها) أنه قادر عليهم لا يستطيعون الخروج عن قدرته قال الشاعر:

أحطنا بهم حتى إذا ما تيقنوا

بما قد رأوا مالوا جميعا إلى السلم

أى قدرنا عليهم (و ثالثها) ما روى عن مجاهد أنه جامعهم يوم القيامة يقال أحاط بكذا إذا لم يشد منه شىء و منه أحاط بكل شىء عِلْمًا أى لم يشد عن علمه شىء (و رابعها) أنه مهلكهم يقال أحيط بفلان فهو محاط به إذا دنا هلاكه قال سبحانه و أُحِيطَ

بِشْمَرِهِ أَى أَصَابِهِ مَا أَهْلَكَهُ وَقَوْلُهُ «إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ» مَعْنَاهُ أَنْ تَهْلِكُوا جَمِيعًا.

البقره (٢): آيه ٢٠

إشاره

يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)

اللغه

الخطف أخذ في استلاب يقال خطف يخطف وخطف يخطف لغتان و الثاني أفصح و عليه القراءه و منه الخطاف و يقال للذى يخرج به الدلو من البئر خطاف لاختطافه قال النابغه:

خطاطيف حجن فى حبال متينه

تمد بها أيد إليك نوازع

و قاموا أى وقفوا و المشيئه الإراده و الشىء ما يصح أن يعلم و يخبر عنه قال سيبويه هو أول الأسماء و أعمها و أبهمها لأنه يقع على المعدوم و الموجود و قيل أنه لا يقع إلا على الموجود و الصحيح الأول و هو مذهب المحققين من المتكلمين و يؤيده قوله تعالى فى هذه الآيه «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» فَإِنْ كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ مُحَدَّثٌ وَ كُلُّ مُحَدَّثٍ فَلَهُ حَالَتَانِ حَالُهُ عَدَمٌ وَ حَالُهُ وَجُودٌ وَإِذَا وَجَدَ خَرَجَ عَنْ أَنْ يَكُونَ مَقْدُورًا لِلْقَادِرِ لِأَنَّ مِنَ الْمَعْلُومِ ضَرُورَهُ أَنْ الْمَوْجُودَ لَا يَصِحُّ أَنْ يَوْجَدَ فَعَلِمْنَا أَنَّهُ إِنَّمَا يَقْدَرُ عَلَيْهِ فِي حَالِ عَدَمِهِ لِيُخْرَجَهُ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ وَ عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ يَدُورُ أَكْثَرُ مَسَائِلِ التَّوْحِيدِ.

الإعراب

كاد من أفعال المقاربه و لا يتم بالفاعل و يحتاج إلى خبر و خبره الفعل المضارع فقوله «يَكَادُ» فعل و البرق مرفوع بأنه اسم يكاد و فاعله و يخطف أبصارهم فى موضع نصب بأنه خبر يكاد و كلما أصله كل و ضم إليه ما الجزاء و هو منصوب بالظرف و العامل فيه أضاء و معناه متى ما أضاء لهم مشوا فيه و أضاء فى موضع جزم بالشرط و مشوا فى موضع الجزاء و إذا أظلم قد تقدم إعراب مثله و لو حرف معناه امتناع الشىء لامتناع غيره و إذا وقع الفعل بعده و هو منفي كان مثبتا فى المعنى و إذا وقع مثبتا كان منفيا فى المعنى فقوله «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ» قد انتفى فيه ذهاب السمع و الأبصار بسبب انتفاء المشيئه.

«يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ» المراد يكاد ما فى القرآن من الحجج النيره يخطف قلوبهم من شده إزعاجها إلى النظر فى أمور دينهم كما أن البرق يكاد يخطف أبصار أولئك «كَلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْأَوْا فِيهِ» لاهتدائهم إلى الطريق بضوء البرق كذلك المنافقون كلما دعوا إلى خير و غنيمه أسرعوا و إذا وردت شده على المسلمين تحيروا لكفرهم و وقفوا كما وقف أولئك فى الظلمات متحيرين و قيل إذا آمنوا صار الإيمان لهم نورا فإذا ماتوا عادوا إلى ظلمه العقاب و قيل هم اليهود لما نصر المسلمون ببدر قالوا هذا الذى بشر به موسى فلما نكبوا بأحد وقفوا و شكوا و قوله «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَيِّئِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ» إنما خص السمع و البصر بالذكر لما جرى من ذكرهما فى الآيتين فقال «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ» أذهبهما من المنافقين عقوبه لهم على نفاقهم و كفرهم و هذا و عيّد لهم بالعقاب كما قال فى الآيه الأولى «وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ» و قوله «بِسَيِّئِهِمْ» مصدر يدل على الجمع أو واحد موضوع للجمع كقول الشاعر:

كلوا فى بعض بطنكم تعيشوا

فإن زمانكم زمن خمص

أى بطونكم و المعنى و لو شاء الله لأظهر على كفرهم فأهلكهم و دمر عليهم لأنه على كل شىء قدير و هو مبالغه القادر و قيل إن قوله سبحانه «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» عام فهو قادر على الأشياء كلها على ثلاثه أوجه على المعدومات بأن يوجدتها و على الموجودات بأن يفنيها و على مقدور غيره بأن يقدر عليه و يمنع منه و قيل هو خاص فى مقدوراته دون مقدور غيره فإن مقدورا واحدا بين قادرين لا يمكن أن يكون لأنه يؤدى إلى أن يكون الشىء الواحد موجودا معدوما و لفظه كل قد يستعمل على غير عموم نحو قوله تعالى «تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا».

البقره (٢): آيه ٢١

إشاره

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١)

اللغه

الخلق أ على تقدير و خلق السموات فعلها على تقدير ما تدعو إليه الحكمة من غير زياده و نقصان و الخلق الطبع و الخلقه الطبيعه و الخلاق النصيب.

الإعراب

يا حرف النداء و أى اسم مبهم يقع على أجناس كثيره لأنه إنما يتم بأن

يوصف و صفته تكون باسم الجنس لأنه لما كان لا- يتم إلا- بصفه و هى لفظه داله على ما دل أى عليه مخصصه له و كان التخصيص فى الإشاره يقع بالجنس ثم بالوصف وصف بأسماء الأجناس كالناس فى قوله «يا أَيُّهَا النَّاسُ» فأى منادى مفرد معرفه مبنى لأنه وقع موقع حرف الخطاب و هو الكاف و إنما بنى على الحركه مع أن الأصل فى البناء السكون ليعلم أنه ليس بعريق فى البناء و البناء عارض فيه و إنما حرك بالضم لأنه كان فى أصله التنوين فلما سقط التنوين فى البناء أشبه قبل و بعد الذى قطع عنه الغايه فارتفع و قد ذكر فيه وجوه آخر توجد فى مظانها و الناس مرفوع لأنه صفه لأى فتبعه على حركه لفظه و لا- يجوز هنا النصب و إن كانت الأسماء المناديات المفرده المعرفه يجوز فى صفاتها النصب و الرفع لأن هنا الصفه هو المنادى فى الحقيقه و أى وصله إليه و يدل على ذلك لزوم ها و هو حرف التنييه قبل الناس و بنائها و امتناعهم من حذفها فصار ذلك كالإيذان باستثناف نداء و العلم لأن لا- يجوز الاقتصار على المنادى قبله كما جاز فى سائر المناديات و أجاز المازنى فى يا أيها الرجل النصب و ذلك فاسد لما ذكرناه و لأنه لا مجاز لذلك فى كلام العرب و لم يرو عنها غير الرفع و «الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» فى موضع نصب لأنه عطف على الكاف و الميم فى قوله «خَلَقَكُمْ» و هو مفعول به و من قبلكم صله الذين و لعل حرف ناصب من أخوات إن و قد ذكرنا القول فى مشابهه الفعل و عمله النصب و الرفع فيما تقدم و كذلك حكم لعل و شبه بالفعل أظهر لأن معناه الترجى و كم فى موضع نصب بكونه اسم لعل و تتقون جمله فى موضع الرفع بأنه خبره.

المعنى

هذا الخطاب متوجه إلى جميع الناس مؤمنهم و كافرهم إلا- من ليس بمكلف من الأطفال و المجانين و روى عن ابن عباس و الحسن أن ما فى القرآن من «يا أَيُّهَا النَّاسُ» فإنه نزل بمكه و ما فيه من «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا»* فإنه نزل بالمدينه «اعْبُدُوا رَبَّكُمْ» أى تقربوا إليه بفعل العباده و عن ابن عباس أنه قال معناه وحدوه و قوله «الَّذِينَ خَلَقَكُمْ» أى أوجدكم بعد أن لم تكونوا موجودين و أوجد من تقدم زمانكم من الخلائق و البشر بين سبحانه نعمه عليهم و على آباءهم لأن نعمه عليهم لا تتم إلا بنعمه على آباءهم «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» أى خلقكم لتتقوه و تعبدوه كقوله تعالى «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» و قيل معناه اعبدوه لتتقوا و قيل معناه لعلكم تتقون الحرمت بينكم و تكفون عما حرم الله و هذا كما يقول القائل اقبل قولى لعلك ترشد فليس أنه من ذلك على شك و إنما

يريد أقبه ترشد و إنما أدخل الكلام لعل ترقيقا للموعظه و تقريبا لها من قلب الموعوظ و يقول القائل لأجيره اعمل لعلك تأخذ الأجره و ليس يريد بذلك الشك و إنما يريد لتأخذ أجرتك و مثله قول الشاعر:

و قلتم لنا كفوا الحروب لعلنا

نكف و وثقتم لنا كل موثق

فلما كففنا الحرب كانت عهدكم

كلمح سراب في الملاء متألق

أراد قلتم لنا كفوا لنكف لأنه لو كان شاكا لما قال و ثقتم كل موثق و قال سيبويه إنما وردت لفظه لعل على أنه ترج للمخاطبين كما قال «فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى» و أراد بذلك الإبهام على موسى و هارون فكأنه قال اذهبا أنتما على رجائكما و طمعكما و الله عز و جل من وراء ذلك و عالم بما يؤول إليه أمر فرعون و قيل فائده إيراد لفظه لعل هي أن لا يحل العبد أبدا محل الآمن المدل بعمله بل يزداد حالا- بعد حال حرصا على العمل و حذرا من تركه و أكثر ما جاءت لفظه لعل و غيرها من معاني الشك فيما يتعلق بالآخرة في دار الدنيا فإذا ذكرت الآخرة مفردة جاء اليقين و قيل معناه لعلكم توقون النار في ظنكم و رجائكم و أجرى لعل على عباده دون نفسه و هذا قريب مما قاله سيبويه.

البقرة (٢): آيه ٢٢

إشارة

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْمَآرِضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)

القراءة

أدغم جماعه من القراءة قوله «جَعَلَ لَكُمْ» فقالوا جعلكم و الباقون يظهرون.

الإعراب

فمن أدغم فلاجتماع حرفين من جنس واحد و كثره الحركات و من أظهر و عليه أكثر القراءة فلأنهما منفصلان من كلمتين و في الإدغام و اختلاف القراءة فيه و الاحتجاجات لهم كلام كثير خارج عن الغرض بعلوم تفسير القرآن فمن أراد ذلك فليطلبه من الكتب المؤلفة فيه.

اللغة

الجعل و الخلق و الإحداث نظائر و الأرض هي المعروفه و الأرض قوائم الدابه و منه قول الشاعر:

ص: ٧١

و أحمر كالدجاج أما سماؤه

فريا و أما أرضه فمحول

و الأرض الرعده و فى كلام ابن عباس أزلزلت الأرض أم بي أرض و الفراش و البساط و المهادر نظائر و سمي السماء سماء
لعلوها على الأرض و كل شىء كان فوق شىء فهو لما تحته سماء و سما فلان لفلان إذا قصد نحوه عاليا عليه قال الفرزدق:

سمونا لنجران اليمان و أهله

و نجران أرض لم تديت مقاوله

قال الزجاج كل ما علا الأرض فهو بناء و الماء أصله موه و جمعه أمواه و تصغيره مويه و أنزل من السماء أى من ناحيه السماء
قال الشاعر:

(أ منك البرق أرقبه فهاجا)

أى من ناحيتك و الند المثل و العدل قال حسان بن ثابت:

أ تهجوه و لست له بند

فشر كما لخير كما الفداء

و قال جرير:

أ تيما تجعلون إلى ندا

و ما تيم لذي حسب نديد

و قيل الند الضد.

المعنى

معنى هذه الآيه يتعلق بما قبلها لأنه تعالى أمرهم بعبادته و الاعتراف بنعمته ثم عدد لهم صنوف نعمه ليستدلوا بذلك على
وجوب عبادته فإن العباده إنما تجب لأجل النعم المخصوصه فقال سبحانه: «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا» أى بساطا يمكنكم أن
تستقروا عليها و تفتروشوها و تتصرفوا فيها و ذلك لا يمكن إلا بأن تكون مبسوطه ساكنه دائمه السكون «و السَّمَاءَ بِنَاءً» أى سقفا
مرفوعا مبنيًا «وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ» أى من السحاب «مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ» أى بالماء «مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ» أى عطاء لكم و ملكا
لكم و غذاء لكم و هذا تنبيه على أنه هو الذى خلقهم و الذى رزقهم دون من جعلوه ندا له من الأوثان ثم زجرهم عن أن يجعلوا

له ندا مع علمهم بأن ذلك كما أخبرهم به بقوله «فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً» وقوله «أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» يحتمل وجوهاً (أحدها) أن يريد أنكم تعلمون أن الأصنام التي تعبدونها لم تنعم عليكم بهذه النعم التي عددناها ولا بأمثالها و أنها لا تضر ولا تنفع (و ثانيها) أن يريد أنكم تعقلون و تميزون و من كان بهذه الصفة فقد استوفى شرائط التكليف و لزمته الحجج و ضاق عذره في التخلف عن النظر و إصابه الحق (و ثالثها) ما قاله مجاهد و غيره أن المراد بذلك أهل التوراه و الإنجيل

دون غيرهم أى تعلمون ذلك فى الكتابين و قال الشريف الأجل المرتضى قدس الله روحه استدل أبو على الجبائى بقوله تعالى: «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا» و فى آيه أخرى «بِسَاطٍ» على بطلان ما يقوله المنجمون من أن الأرض كرويه الشكل قال و هذا القدر لا يدل لأنه يكفى من النعمه علينا أن يكون فى الأرض بسائط و مواضع مفروشه و مسطوحه و ليس يجب أن يكون جميعها كذلك و معلوم ضروره أن جميع الأرض ليس مسطوحا مبسوطا و إن كان مواضع التصرف فيها بهذه الصفه و المنجمون لا يدفعون أن يكون فى الأرض سطوح يتصرف فيها و يستقر عليها و إنما يذهبون إلى أن جملتها كرويه الشكل.

البقره (٢): آيه ٢٣

إشاره

وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣)

اللغه

إن دخلت هاهنا لغير شك لأن الله تعالى علم أنهم مرتابون و لكن هذا على عاده العرب فى خطابهم كقولهم إن كنت إنسانا فافعل كذا و إن كنت ابني فأطعنى و إن كان كونه إنسانا و ابنا معلوما و إنما خاطبهم الله تعالى على عادتهم فى الخطاب و الريب الشك مع تهمه و العبد المملوك من جنس ما يعقل و نقيضه الحر من التبييد و هو التذليل لأن العبد يذل لمولاه و العبوديه من أحكام الشرع لأنه بمنزله ذبح الحيوان و يستحق عليها العوض و ليست بعقوبه و لذلك يسترق المؤمن و الصبى و السوره غير مهموزه مأخوذه من سوره البناء و كل منزله رفيعه فهى سوره و منه قول النابغه:

ألم تر أن الله أعطاك سوره

ترى كل ملك دونها يتذبذب

هذا قول أبى عبيده و ابن الأعرابى فى تفسير السوره فكل سوره من القرآن بمنزله درجه رفيعه و منزل عال رفيع يرتفع القارئ منها إلى منزله أخرى إلى أن يستكمل القرآن و قيل السوره مهموزه و المراد بها القطعه من القرآن انفصلت عما سواها و أبقيت و سؤر كل شىء ببقيته و أسأرت فى الإناء أبقيت فيه قال الأعشى يصف امرأه:

فبانة و قد أسأرت فى الفؤاد

صدعا على نأبها مستطيرا

الإعراب

إن حرف شرط تجزم الفعل المضارع و تدخل على الفعل الماضى فتصرفه إلى معنى الاستقبال و لا بد للشرط من جزاء و هما جملتان ربطت إحداهما بالأخرى

نحو إن تفعل أفعل فقولك إن تفعل شرط و هو مجزوم يان و قولك أفعل جزاء و هو مجزوم بالشرط لا يان وحدها و لا بالفعل فإن كان الجزاء جمله من فعل و فاعل كان مجزوما و إن كان جمله من مبتدأ و خير فلا بد من الفاء و كانت الجملة فى موضع الجزم فقوله «كُنْتُمْ» فى موضع الجزم بيان و قوله «فَأْتُوا بِسُورِهِ» ائتوا مبنى على الوقف لأنه أمر المخاطبين و الواو فاعل و الفاء و ما بعده فى موضع جزم بأنه جزاء و ما قبل الفاء لا يعمل فيما بعده و من يقع على أربعة أوجه (أحدها) أن يكون بمعنى ابتداء الشىء من مكان ما كقولك خرجت من البصره. (و ثانيها) بمعنى التبويض كقولك أخذت من الطعام قفيزا (و ثالثها) بمعنى التبيين كقوله تعالى: «فَاجْتَبِئُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ» و هى فى التبيين تخصص الجملة التى قبلها كما أنها فى التبويض تخصص الجملة التى بعدها (و رابعها) أن تقع مزيدة نحو ما جاءنى من رجل فإذا قد عرفت هذا فقوله تعالى: «مِنْ مِثْلِهِ» قال بعضهم أن من بمعنى التبويض و تقديره فأتوا ببعض ما هو مثل له و هو سورة و قيل هو لتبيين الصفه و قيل أن من مزيدة لقوله فى موضع آخر «بِسُورِهِ مِثْلِهِ» أى مثل هذا القرآن و تعود الهاء فى مثله إلى ما من قوله «مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا» فى الأقوال الثلاثة و قيل أن من بمعنى ابتداء الغايه و الهاء من مثله يعود إلى عبدنا فيكون معناه بسوره من رجل مثله و الأول أقوى لما ذكره بعد.

المعنى

لما احتج الله تعالى للتوحيد عقبه من الاحتجاج للنبوه بما قطع عذرهم فقال «وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ صَدَقَ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلْنَا عَلَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ قَلْتُمْ لَا نَدْرِي هَلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ أَمْ لَا «فَأْتُوا بِسُورِهِ مِنْ مِثْلِهِ» أى من مثل القرآن و على قول من يقول الضمير فى مثله عائد إلى عبدنا فالمعنى فأتوا بسوره من بشر أمة مثله لا يحسن الخط و الكتابه و لا يدرى الكتب و الصحيح هو الأول لقوله تعالى فى سوره أخرى: «فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ» و قوله «فَأْتُوا بِسُورِهِ مِثْلِهِ» و قوله «لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ» يعنى فأتوا بسوره مثل ما أتى به محمد فى الإعجاز من حسن النظم و جزاله اللفظ و الفصاحه التى اختصت به و الإخبار عما كان و عما يكون دون تعلم الكتب و دراسه الأخبار و قوله: «وَ اذْعُوا شُهَدَاءَكُمْ» قال ابن عباس يعنى أعوانكم و أنصاركم الذين يظاهرونكم على تكذيبكم و سمي أعوانهم شهداء لأنهم يشاهدونهم عند المعاونه و الشهيد يكون بمعنى المشاهد كالجليس و الأكيل و يسمى الشاهد على الشىء لغيره بما يحقق دعواه بأنه شهيد أيضا و قوله «مِنْ دُونِ اللَّهِ»

أى من غير الله كما يقال ما دون الله مخلوق يريد و ادعوا من اتخذتموهم معاونين من غير الله «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فى أن هذا الكتاب يقوله محمد من نفسه و قال الفراء أراد و ادعوا آلهمكم و قال مجاهد و ابن جريج أراد قوما يشهدون لكم بذلك ممن يقبل قولهم و قول ابن عباس أقوى لأن معناه استنصروا أعوانكم على أن يأتوا بمثله لأن الدعاء بمعنى الاستعانه كما قال الشاعر:

فلما التقت فرساننا و رجالنا

دعوا يا لكعب و اعترينا لعامر

و قال آخر:

و قبلك رب خصم قد تمالوا

على فما جزعت و لا دعوت

و أما قول مجاهد فلا وجه له لأن الشاهدين لا يخلو إما أن يكونوا مؤمنين أو كفارا فالمؤمنون لا يكونون شهداء للكفار و الكفار لا بد أن يسارعوا إلى إبطال الحق أو تحقيق الباطل إذا دعوا إليه فمن أى الفريقين يكون شهداءهم و لكن ينبغى أن يجرى ذلك مجرى قوله تعالى: «قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا» و قال قوم أن هذا الوجه جائز أيضا صحته لأن العقلاء لا يجوز أن يحملوا نفوسهم على الشهاده بما يفتضحون به فى كلام أنه مثل القرآن و لا- يكون مثله كما لا يجوز أن يحملوا نفوسهم على أن يعارضوا ما ليس بمعارض على الحقيقة و هذه الآيه تدل على صحه نبوه نبينا محمد صلى الله عليه و آله و أن الله تعالى تحدى بالقرآن و ببعضه و وجه الاستدلال بها أنه تعالى خاطب قوما عقلاء فصحاء قد بلغوا الغايه القصوى من الفصاحه و تسنموا الذروه العليا من البلاغه فأنزل إليهم كلاما من جنس كلامهم و تحداهم بالإتيان بمثله أو ببعضه بقوله: «فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ» و «بِسُورَةٍ مِثْلِهِ» و جعل عجزهم عن ذلك حجه عليهم و دلاله على صدق رسوله صلى الله عليه و آله و هم أهل الحميه و الأنفه فبدلوا أموالهم و نفوسهم فى إطفاء أمره و لم يتكلفوا فى معارضه القرآن بسوره و لا خطبه فعلمنا أن المعارضه كانت متعذره عليهم فدل ذلك على أن القرآن معجز دال على صحه نبوته.

البقره (٢): آيه ٢٤

اشاره

فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤)

ص: ٧٥

إن حرف شرط و لم حرف يدخل على الفعل المضارع فينفيه و يجعله بمعنى الماضى و يعمل فيه الجزم و تفعلوا فعل و فاعل و هو مجزوم بلم و علامه الجزم فيه سقوط النون و «لَمْ تَفْعَلُوا» فى موضع جزم أيضا بأن و لن حرف يدخل على الفعل المضارع فيخصه بالاستقبال و ينفيه و يعمل فيه النصب و علامه النصب فى تفعلوا سقوط النون أيضا و قال سيبويه فى لن زعم الخليل أنها لا أن و لكنهم حذفوا لكثرة فى كلامهم كما قالوا و يلمه و جعلت بمنزله حرف واحد كما جعلوا هلا بمنزله حرف واحد و إنما هى هل و لا قال و هذا ليس بجيد لأنه لو كان كذلك لم يجز زيدا لن أضرب و أقول أن معنى هذا القول هو أنه لو كان أصل لن لا أن و ما بعد أن يكون صله لها و لا يجوز تقديم معمول ما فى الصلة على الموصول فكان يجب أن لا يجوز تقديم زيدا فى قولك لن أضرب زيدا على لن كما لم يجز تقديمه على أن فلا تقول زيدا أن أضرب و زيدا لا أن أضرب و لا خلاف بين النحويين فى جواز التقديم هناك و قوله «وَلَنْ تَفْعَلُوا» لا- موضع له من الإعراب لأنه اعتراض وقع بين الشرط و الجزاء كما يقع بين المبتدأ و الخبر فى قولك زيد فافهم ما أقول لك عالم و الاعتراض غير واقع موقع المفرد فيكون له موضع إعراب.

المعنى

«فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا» أى فإن لم تأتوا بسوره من مثله و قد تظاهرتم أنتم و شركاؤكم عليه و أعوانكم و تبين لكم عجزكم و عجز جميع الخلق عنه و علمتم أنه من عندى فلا- تقيموا على التكذيب به و معنى «وَلَنْ تَفْعَلُوا» أى و لن تأتوا بسوره مثله أبدا لأن لن تنفى على التأييد فى المستقبل و فيه دلالة على صحه نبوه نبينا محمد صلى الله عليه و آله لأنه يتضمن الإخبار عن حالهم فى مستقبل الأوقات بأنهم لا يأتون بمثله فوافق المخبر عنه الخبر و قوله: «فَاتَّقُوا النَّارَ» أى فاحذروا أن تصلوا النار بتكذيبكم و إنما جاز أن يكون قوله «فَاتَّقُوا النَّارَ» جواب الشرط مع لزوم اتقاء النار كيف تصرف الحال لأنه لا يلزمهم الاتقاء إلا بعد التصديق بالنبوه و لا يصح العلم بالنبوه إلا بعد قيام المعجزه فكأنه قال:

«فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا» فقد قامت الحججه و وجب اتقاء «النَّارِ الَّتِي وَقُودُهَا» أى حطبها «النَّاسُ وَ الْحِجَارَةُ» و هى جمع حجر و قيل أنها حجاره الكبريت لأنها أحر شىء إذا أحميت عن ابن مسعود و ابن عباس و الظاهر أن الناس و الحجاره وقود النار أى حطبها يريد بها أصنامهم المنحوتة من الحجاره كقوله تعالى: «إِنَّكُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

حَصَبُ جَهَنَّمَ» وقيل ذكر الحجاره دليل على عظم تلك النار لأنها لا تأكل الحجاره ألا وهى فى غاية الفضاءه و الهول وقيل معناه أن أجسادهم تبقى على النار بقاء الحجاره التى توقد بها النار بتقيه الله إياها و يؤيد ذلك قوله «كُلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ» الآيه وقيل معناه أنهم يعذبون بالحجاره المحميه بالنار وقوله تعالى: «أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ» معناه خلقت و هيئت للكافرين لأنهم الذين يخلدون فيها ولأنهم أكثر أهل النار فأضيفت إليهم وقيل إنما خص النار بكونها معدة للكافرين و إن كانت معدة للفاسقين أيضا لأنه يريد بذلك نارا مخصوصه لا يدخلها غيرهم كما قال: «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» وهذه الآيه تدل على بطلان قول من حرم النظر و الحجاج العقلى لأن الله عز اسمه احتج على الكفار بما ذكره فى هذه الآيه و ألزمهم به تصديق نبيه عليه السلام و قرره بأن القرآن كلامه إذ قال إن كان هذا القرآن كلام محمد فأتوا بسوره من مثله لأنه لو كان كلام البشر لتهيأ لكم مع تقدمكم فى البلاغه و الفصاحه الإتيان بمثله أو بسوره منه مع قوه دواعيكم إليه فإذا لم يتأت لكم ذلك فاعلموا بعقولكم أنه كلام الله تعالى و هذا هو المراد بالاحتجاج العقلى و استدلل بقوله «أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ» على أن النار مخلوقه الآن لأن المعد لا يكون إلا- موجودا و كذلك الجنه بقوله «أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ» و الفائدة فى ذلك أنا و إن لم نشاهدتهما فإن الملائكه يشاهدونهما و هم من أهل التكليف و الاستدلال فيعرفون ثواب الله للمتقين و عقابه للكافرين.

البقره (٢): آيه ٢٥

اشاره

وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥)

اللغه

البشاره هى الإخبار بما يسر المخبر به إذا كان سابقا لكل خبر سواه لأن الثانى لا يسمى بشاره و قد قيل للإخبار بما يغم أيضا بشاره كقوله تعالى: «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» و ذلك على سبيل التوسع و هى مأخوذه من البشره و هى ظاهر الجلد لتغيرها

بأول خبر و تبشير الصبح أوله و الجنات جمع الجنه و هى البستان و المراد بذلك الجنه ما فى الجنه من أشجارها و ثمارها دون أرضها فلذلك قال «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» لأن من المعلوم أنه أراد الخبر عن ماء أنهارها بأنه جار تحت الأشجار لأن الماء إذا كانت تحت الأرض فلا حظ فيها للعيون على أنه روى عن مسروق أن أنهار الجنه جاريه فى غير أخاديد رواه عنه أبو عبيده و غيره و أصلها من الجن و هو الستر و منه الجن لتسترها عن عيون الناس و الجنون لأنه يستر العقل و الجنه لأنها تستر البدن و الجنين لتستره بالرحم قال المفضل البستان إذا كان فيه الكرم فهو فردوس سواء كان فيه شجر غيره أو لم يكن و الجنه كل بستان فيه نخل و إن لم يكن فيه غيره و الأزواج جمع زوج و الزوج يقع على الرجل و المرأة و يقال للمرأة زوجها أيضا و زوج كل شىء شكله و الخلود الدوام و البقاء.

الإعراب

موضع أن مع اسمه و خبره نصب معناه بشر المؤمنين بأن لهم جنات فلما سقطت الباء أفضى الفعل إلى أن فنصبه و على قول الخليل يكون أن فى موضع جر و إن سقطت الباء و جنات منصوب بأنه اسم أن و لهم الجار و المجرور فى موضع خبره و التاء تاء جماعه المؤنث تكون فى حال النصب و الجر على صورته واحده كما أن ياء جماعه الذكور فى الزيدين و نحوه يكون فى حال النصب و الجر على صورته واحده و قوله «تَجْرِي» مع ما اتصل به جملة منصوبه الموضع بكونها صفة لجنات و كلما ضم كل إلى ما الجزاء فصارا أداءه للتكرار و هو منصوب على الظرف و العامل فيه رزقوا منها من ثمره من مزيده أى ثمره و قال على بن عيسى هى بمعنى التبعض لأنهم يرزقون بعض الثمرات فى كل وقت و يجوز أن يكون بمعنى تبين الصفة و هو أن يبين الرزق من أى جنس هو و من قبل تقديره أى من قبل هذا الزمان أو هذا الوقت فحذف المضاف إليه منه لفظا مع أن الإضافة مراده معنى فبنى لأجل مشابهته الحرف و إنما بنى على الحركة ليدل على تمكنه فى الأصل و إنما خص بالضم لأن إعرابه عند الإضافة كان بالفتح أو الجر نحو من قبلك و قبلك لكونه ظرفا فبنى على حركة لم تكن تدخلها فى الإعراب و هى الضمه و موضعه نصب على الظرف و متشابهها نصب على الحال و أزواج رفع أما بالابتداء أو بالظرف.

المعنى

قرن الله تعالى الوعد فى هذه الآية بالوعد فيما قبلها ليحصل الترغيب و الترهيب فقال «وَبَشِّرِ» أى أخبر بما يسر «الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» فيما بينهم و بين ربهم عن ابن عباس ب «أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا»

أى من تحت أشجارها و مساكنها «الأنهار» و النهر لا يجرى و إنما يجرى الماء فيه و يستعمل الجرى فيه توسعا لأنه موضع الجرى و قوله: «كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا» أى من الجنات و المعنى من أشجارها و تقديره كلما رزقوا من أشجار البساتين التى أعدها الله للمؤمنين «مِنْ ثَمَرِهِ رِزْقًا» أى أعطوا من ثمارها عطاء و أطعموا منها طعاما لأن الرزق عبارة عما يصح الانتفاع به و لا يكون لأحد المنع منه «قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ» فيه وجوه (أحدها) أن ثمار الجنة إذا جنت من أشجارها عاد مكانها مثلها فيشتبه عليهم فيقولون هذا الذى رزقنا من قبل هذا قول أبى عبيده و يحيى بن كثير (و ثانيها) أن معناه هذا الذى رزقنا من قبل فى الدنيا عن ابن عباس و ابن مسعود و قيل هذا الذى وعدنا به فى الدنيا (و ثالثها) معناه هذا الذى رزقناه من قبل فى الجنة أى كالذى رزقنا و هم يعلمون أنه غيره و لكنهم شبهوه به فى طعمه و لونه و ريحه و طيبه و جودته عن الحسن و واصل قال الشيخ أبو جعفر رحمه الله و أقوى الأقوال قول ابن عباس لأنه تعالى قال: «كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرِهِ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ» فعم و لم يخص فأول ما أتوا به لا يتقدر فيه هذا القول إلا بأن يكون إشاره إلى ما تقدم رزقه فى الدنيا و يكون التقدير هذا مثل الذى رزقناه فى الدنيا لأن ما رزقوه فى الدنيا قد عدم فأقام المضاف إليه مقام المضاف كما أن القائل إذا قال لغيره أعددت لك طعاما و وصفه له يحسن أن يقول هذا طعامى فى منزلى يريد مثله و من جنسه و قوله «وَ أَتُوا بِهِ» أى جيئوا به و ليس معناه أعطوه و قوله «مُتَّشَابِهًا» فيه وجوه (أحدها) أنه أراد متشابهها فى اللون مختلفا فى الطعم عن ابن عباس و مجاهد (و ثانيها) أن كلها متشابهة فى الجوده خيار لا رذل فيه عن الحسن و قتاده و اختاره الأخفش قال و هذا كما يقول القائل و قد جىء بأشياء فاضله فاشتبهت عليه فى الفضل لا أدرى ما اختار منها كلها عندى فاضل كقول الشاعر:

من تلق منهم تقل لا قيت سيدهم

مثل النجوم التى يسرى بها السارى

يعنى أنهم قد تساوا فى الفضل (و ثالثها) أنه يشبه ثمر الدنيا غير أن ثمر الجنة أطيب عن عكرمه (و رابعها) أنه يشبه بعضه بعضا فى اللذة و جميع الصفات عن أبى مسلم (و خامسها) أن التشابه من حيث الموافقه فالخادم يوافق المسكن و المسكن يوافق الفرش و كذلك جميع ما يليق به و قوله «وَ لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ» قيل هن الحور العين و قيل هن

من نساء الدنيا قال الحسن هن عجائزكم الغمص الرمص العمش طهرن من قذرات الدنيا «مُطَهَّرَةٌ» قيل فى الأبدان و الأخلاق و الأعمال فلا يحضن و لا يلدن و لا يتغوطن و لا يبلىن قد طهرن من الأقدار و الآثام و هو قول جماعه المفسرين «وَهُمْ فِيهَا» أى فى الجنة «خَالِدُونَ» يعنى دائمون يقون بقاء الله لا انقطاع لذلك و لا نفاذ لأن النعمه تتم بالخلود و البقاء كما تنتقص بالزوال و الفناء و الخلود هو الدوام من وقت مبتداً و لهذا لا يقال لله تعالى خالد.

البقره (٢): آيه ٢٦

اشاره

إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَهُ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَا ذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٢٦)

القراءه

يستحى بيائين و روى عن ابن كثير يستحى بياء واحده و وجه هذه القراءه أنه استثقل اجتماع اليائين فحذف إحداهما و هى لغه بنى تميم.

اللغه

الاستحياء من الحياء و نقيضه القحه. و الضرب يقع على جميع الأعمال إلا قليلا يقال ضرب فى التجاره و ضرب فى الأرض و ضرب فى سبيل الله و ضرب بيده إلى كذا و ضرب فلان على يد فلان إذا أفسد عليه أمرا أخذ فيه و ضرب الأمثال إنما هو جعلها لتسير فى البلاد يقال ضربت القول مثلا و أرسلته مثلا و ما أشبه ذلك و البعوض القرقس و هو صغار البق الواحده بعوضه و المثل و المثل كالمثبه و المشبه قال كعب بن زهير:

كانت مواعيد عرقوب لنا مثلا

و ما مواعيده إلا الأباطيل

و الفسق و الفسوق الترك لأمر الله و قال الفراء الفسق الخروج عن الطاعه تقول العرب فسقت الرطبه عن قشرها إذا خرجت و لذلك سميت الفأره فويسقه لخروجها من جحرها.

الإعراب

ما فى قوله «ما بَعُوضَهُ» بالنصب فيه و جوه (أحدها) أن تكون ما

مزیده و معناها التوكید كما فى قوله «فَبِمَا رَحَمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن تَ لَّهُمْ» و تقدیره أن الله لا يستحى أن يضرب بعوضه مثلا أو مثلا بعوضه فىكون بعوضه مفعولا- ثانيا ليضرب (و ثانيها) أن يكون ما نكره مفسره بعوضه كما يكون نكره موصوفه فى قوله تعالى: «هذا ما لَدَى عَتِيدٌ» فىكون تقدیره لا يستحى أن يضرب مثلا شيئا من الأشياء بعوضه فتكون بعوضه بدلا من شيئا (و ثالثها) ما يحكى عن الفراء أن معناه ما بين بعوضه إلى ما فوقها كما يقال مطرنا ما زباله إلى التعلية و له عشرون ما ناقه فجملا و هى أحسن الناس ما قرنا فقدما يعنون ما بين فى جميع ذلك و الاختيار عند البصريين الوجه الأول و إنما اختير هذا الوجه لأن ضرب هاهنا بمعنى جعل فجاز أن يتعدى إلى مفعولين و يدخل على المبتدأ و الخبر و فى التنزيل ما يدل عليه و هو قوله تعالى: «إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ» فمثل الحياه مبتدأ و كماء خبره و فى موضع آخر وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ فَدَخَلَ اضْرِبْ عَلَى الْمَبْتَدَأِ وَ الْخَبْرُ فَصَارَ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِكَ ظَنَنْتَ زَيْدًا كَعَمْرٍو وَ يَجُوزُ فِي الْإِعْرَابِ الرَّفْعُ فِي بَعْوَضِهِ وَ إِنْ لَمْ تَجْزِ الْقِرَاءَةُ بِهِ وَ فِيهِ وَجْهَانِ (أَحَدُهُمَا) أَنْ يَكُونَ خَبْرًا لِمَبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ فِي صَلِّهِ مَا فَكَأَنَّهُ قَالَ الَّذِي هُوَ بَعْوَضُهُ كَقِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ بِالرَّفْعِ وَ هَذَا عِنْدَ سَبِيئِهِ ضَعِيفٌ وَ هُوَ فِي الَّذِي أَقْوَى لِأَنَّ الَّذِي أَطْوَلَ وَ لَيْسَ لِلَّذِي مَذْهَبٌ غَيْرَ الْأَسْمَاءِ. (و الثاني) على الجواب كأنه لما قيل «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا» قيل ما هو فقيل «بَعْوَضَهُ» أى بعوضه كما تقول مررت برجل زيد أى هو زيد فتكون ما على هذا الوجه نكره مجرده من الصفه و الصله و قوله «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا» لغه العرب جميعا بالتشديد و كثير من بنى تميم يقولون أيما فلان فيفعل كذا و أنشد بعضهم:

مبتله هيفاء أيما وشاحها

فيجرى و أيما الحجبل منها فلا يجرى

و هى كلمه تجى ء فى شيئين أو أشياء يفصل القول بينهما كقولك أما زيد فمحسن و أما عمرو فمسى ء فزيد مبتدأ و محسن خبره و فيها معنى الشرط و الجزاء و تقديره مهما يكن من شى ء فزيد محسن ثم أقيم أما مقام الشرط فيحصل أما فزيد محسن ثم آخر الفاء إلى الخبر لإصلاح اللفظ و لكراهه أن تقع الفاء التى للتعقيب فى أول الكلام فقوله «الَّذِينَ آمَنُوا» على هذا يكون مبتدأ و يعلمون خبره و كذلك «الَّذِينَ كَفَرُوا» مبتدأ و يقولون خبره و قوله «مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا» ما استفهام و هو اسم فى موضع الرفع بالابتداء و ذا بمعنى الذى و صلته ما بعده و هو فى موضع رفع بأنه خبر المبتدأ تقديره أى شى ء الذى أراد

الله فعلى هذا يكون الجواب رفعا كقولك البيان لحال الذى ضرب له المثل و يحتمل أن يكون ما و ذا بمنزله اسم واحد تقديره أى شىء أراد الله فيكون فى موضع نصب بأنه مفعول أراد فعلى هذا يكون الجواب نصبا كقولك البيان لحال من ضرب له المثل و مثال الأول قوله تعالى: «ما ذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» و مثال الثانى قوله «ما ذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا» و مثلا منصوب على الحال و قيل على القطع و قيل على التفسير.

النزول

روى عن ابن مسعود و ابن عباس أن الله تعالى لما ضرب المثلين قبل هذه الآية للمنافقين يعنى قوله «مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا» و قوله «أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ» قال المنافقون الله أعلى و أجل من أن يضرب هذه الأمثال فأنزل الله تعالى هذه الآية و روى عن قتاده و الحسن لما ضرب المثل بالذباب و العنكبوت تكلم فيه قوم من المشركين و عابوا ذكره فأنزل الله هذه الآية.

المعنى

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي» أى لا يدع و قيل لا يمتنع لأن أحدنا إذا استحى من شىء تركه و امتنع منه و معناه أن الله لا يدع ضرب المثل بالأشياء الحقيره لحقارتها إذا رأى الصلاح فى ضرب المثل بها و قيل معناه هو أن الذى يستحى منه ما يكون قبيحا فى نفسه و يكون لفاعله عيب فى فعله فأخبر الله تعالى أن ضرب المثل ليس بقبيح و لا عيب حتى يستحى منه و قيل معناه أنه لا يخشى أن يضرب مثلا- كما قال «وَتَخَشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ» أى تستحى الناس و الله أحق أن تستحيه فالاستحياء بمعنى الخشيه هنا كما أن الخشيه بمعنى الاستحياء هناك و أصل الاستحياء الانقباض عن الشىء و الامتناع منه خوفا من واقعه القبيح و قال على بن عيسى معناه أنه ليس فى ضرب المثل بالحقير للحقير عيب يستحى منه فكأنه قال لا يحل ضرب المثل بالبعوض محل ما يستحى منه فوضع قوله «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي» موضعه و قوله «ما بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا» أى ما هو أعظم منها عن قتاده و ابن جريج و قيل فما فوقها فى الصغر و القله لأن الغرض هاهنا الصغر و قال الربيع بن أنس أن البعوضه تحى ما جاءت فإذا سمت ماتت فكذلك القوم الذين ضرب لهم هذا المثل إذا امتثلوا من الدنيا ربا أخذهم الله عند ذلك ثم تلا «حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً» و

روى عن الصادق عليه السلام أنه قال إنما ضرب الله المثل بالبعوضه لأن البعوضه على صغر حجمها خلق الله فيها جميع ما خلق فى الفيل مع كبره و زياده عضوين آخرين فأراد الله تعالى أن ينبه بذلك المؤمنين على لطيف خلقه و عجيب صنعه

و قد استشهد على استحسان ضرب المثل بالشىء الحقير فى كلام العرب بقول الفرزدق:

ضربت عليك العنكبوت بنسجها

و قضى عليك به الكتاب المنزل

و بقوله أيضا

و هل شىء يكون أذل بيتا

من اليربوع يحترف الترابا

و قوله «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا محمدا و القرآن و قبلوا الإسلام «فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ» مدحهم الله تعالى بأنهم تدبروا حتى علموا أنه من ربهم و أن المثل وقع فى حقه «وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا» بالقرآن «فَيَقُولُونَ» أى فلاعراضهم عن طريق الاستدلال و إنكارهم الحق قالوا «ما ذا أرادَ اللهُ بهذا مثلا» أى ما ذا أراد الله بهذا المثل فحذف الألف و اللام و قوله «يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَ يَهْدِي بِهِ كَثِيرًا» فيه وجهان (أحدهما) حكى عن الفراء أنه قال أنه حكاية عن من قال ما ذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا و يهدى به كثيرا أى يضل به قوم و يهتدى به قوم ثم قال الله تعالى «وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ» فبين تعالى أنه لا يضل إلا فاسقا ضالا و هذا وجه حسن و الآخر أنه كلامه تعالى ابتداء و كلاهما محتمل و إذا كان محمولا على هذا فمعنى قوله «يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا» إن الكفار يكذبون به و ينكرونه و يقولون ليس هو من عند الله فيضلون بسببه و إذا حصل الضلال بسببه أضيف إليه و قوله «وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا» يعنى الذين آمنوا به و صدقوه و قالوا هذا فى موضعه فلما حصلت الهداية بسببه أضيف إليه فمعنى الإضلال على هذا تشديد الامتحان الذى يكون عنده الضلال و ذلك بأن ضرب لهم الأمثال لأن المحنة إذا اشتدت على الممتحن فضل عندها سميت إضلالا و إذا سهلت فاهتدى سميت هداية فالمعنى إن الله تعالى يمتحن بهذه الأمثال عباده فيضل بها قوم كثير و يهتدى بها قوم كثير و مثله قوله «رَبِّ إِنْهُمْ أَضَلَّلَنَّا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ» أى ضلوا عندها و هذا كما يقال للرجل إذا أدخل الفضة النار لينظر فسادها من صلاحها فظهر فسادها أفسدت فضتك و هو لم يفعل فيها الفساد و إنما يراد أن فسادها ظهر عند محنته و قريب من ذلك قولهم فلان أضل ناقته و لا يريدون أنه أراد أن يضل و إنما يريدون ضلت منه لا من غيره و قولهم أفسدت فلانه فلانا و أذهبت عقله و هى ربما لم تعرفه و لكن لما ذهب عقله و فسد من أجلها أضيف الفساد إليها و قد يكون الإضلال بمعنى التخليه على جهه العقوبه و ترك المنع بالقهر و منع الألفاف التى يفعل بالمؤمنين جزاء على إيمانهم و هذا كما يقال لمن لا يصلح سيفه أفسدت سيفك أريد به أنك لم تحدث فيه الإصلاح فى كل وقت

فلنذكر أقسام الهدايه التي هي ضده اعلم أن الهدايه في القرآن تقع على وجوه (أحدها) أن تكون بمعنى الدلاله و الإرشاد يقال هداه الطريق و للطريق و إلى الطريق إذا دله عليه و هذا الوجه عام لجميع المكلفين فإن الله تعالى هدى كل مكلف إلى الحق بأن دله عليه و أرشده إليه لأنه كلفه الوصول إليه فلو لم يدلّه عليه لكان قد كلفه بما لا يطيق و يدل عليه قوله تعالى «وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى» و قوله «إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ» و قوله «أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ» و قوله «وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى» و قوله «وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» و قوله «وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ» و ما أشبه ذلك من الآيات (و ثانيها) أن يكون بمعنى زياده الألفاظ التي بها يثبت على الهدى و منه قوله تعالى «وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى» أى شرح صدورهم و ثبوتها (و ثالثها) أن يكون بمعنى الإثابه و منه قوله تعالى «يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ» و قوله «وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُضِلِّحُ بِالْهَمِّ» و الهدايه التي تكون بعد قتلهم هي إثابتهم لا محاله لأنه ليس بعد الموت تكليف (و رابعها) الحكم بالهدايه كقوله تعالى «وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ» و هذه الوجوه الثلاثه خاصه بالمؤمنين دون غيرهم لأنه تعالى إنما يثيب من يستحق الإثابه و هم المؤمنون و يزيدهم بإيمانهم و طاعاتهم أطفافا و يحكم لهم بالهدايه لذلك أيضا (و خامسها) أن تكون الهدايه بمعنى جعل الإنسان مهتديا بأن يخلق الهدايه فيه كما يجعل الشئ متحركا بخلق الحركه فيه و الله تعالى يفعل العلوم الضروريه في القلوب فذلك هدايه منه تعالى و هذا الوجه أيضا عام لجميع العقلاء كالوجه الأول فأما الهدايه التي كلف الله تعالى العباد فعلها كالإيمان به و بأنبياؤه و غير ذلك فإنها من فعل العباد و لذلك يستحقون عليها المدح و الثواب و إن كان الله سبحانه قد أنعم عليهم بدلالتهم على ذلك و إرشادهم إليه و دعائهم إلى فعله و تكليفهم إياه و أمرهم به فهو من هذا الوجه نعمه منه سبحانه عليهم و منه منه واصله إليهم و فضل منه و إحسان لديهم فهو سبحانه مشكور على ذلك محمود إذ فعل بتمكينه و أطفافه و ضروب تسهيلات و معوناته

البقره (٢): آيه ٢٧

اشاره

الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٢٧)

النقض نقيض الإبرام والعهد العقد والعهد الموثق والعهد الالتقاء وهو قريب العهد بكذا وعهد الله وصيته وأمره يقال عهد الخليفة إلى فلان بكذا أى أمره وأوصاه به ومنه قوله تعالى «أَلَمْ أَعْهِدْ لَكُمْ يَا بَنِي آدَمَ» والميثاق ما وقع التوثيق به كما أن الميثاق ما وقع التوقيت به ويقال فلان ثقة يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويقال ثقات فى الرجال والنساء والقطع الفصل بين الشئيين وأصل ذلك فى الأجسام ويستعمل ذلك أيضا فى الأعراض تشبيها به يقال قطع الحبل و قطع الكلام والأمر هو قول القائل لمن دونه افعل هذه صيغته ثم يصير أمرا بإرادته الأمر المأمور به وصيغته الأمر تستعمل فى الإباحة نحو قوله فَاصْبِرْ طَائِدُوا وَ فى التهديد نحو قوله «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ» و فى التحدى نحو قوله «فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ» و فى التكوين كقوله «كُنْ فَيَكُونُ» والأصل فى الجميع الطلب والوصل نقيض الفصل وهو الجمع بين شئيين من غير حاجز والخسران النقصان والخسار الهلاك والخاسرون الهالكون وأصل الخسران ذهاب رأس المال.

الإعراب

«الَّذِينَ يَنْقُضُونَ» فى موضع النصب لأنها صفة الفاسقين وأولئك مبتدأ والخاسرون خبره وهم فصل ويجوز أن يكون مبتدأ والخاسرون خبره والجملة خبر أولئك وقوله «مَنْ بَعْدَ مِيثَاقِهِ» من مزیده وقيل معناه ابتداء الغايه والهاء فى ميثاقه عائد إلى العهد ويجوز أن يكون عائدا إلى اسم الله تعالى وقوله «أَنْ يُوصَلَ» بدل من الهاء التى فى به أى ما أمر الله بأن يوصل فهو فى موضع جر به.

المعنى

ثم وصف الله الفاسقين المذكورين فى الآية فقال هم «الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ» أى يهدمونه لا يفون به وقيل فى عهد الله وجوه (أحدها) أنه ما ركب فى عقولهم من أدله التوحيد والعدل وتصديق الرسل وما احتج به لرسله من المعجزات الشاهده لهم على صدقهم ونقضهم لذلك تركهم الإقرار بما قد بينت لهم صحته بالأدله (و ثانيها) أنه وصيه الله إلى خلقه على لسان رسوله بما أمرهم به من طاعته ونهاهم عنه من معصيته ونقضهم لذلك تركهم العمل به (و ثالثها) أن المراد به كفار أهل الكتاب وعهد الله الذى نقضوه «مَنْ بَعْدَ مِيثَاقِهِ» هو ما أخذه عليهم فى التوراه من اتباع محمد صلى الله عليه وآله والتصديق بما جاء به من عند ربه ونقضهم لذلك هو جحودهم به بعد معرفتهم بحقيقته و كتمانهم ذلك عن الناس بعد أن أخذ الله ميثاقهم لبيئته للناس ولا يكتفونهم إن جاءهم نذير آمنوا به فلما جاءهم النذير ازدادوا نفورا و نبذوا العهد وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا و اختار هذا الوجه الطبرى (و رابعها) أنه العهد الذى أخذه عليهم حين أخرجهم من صلب

آدم كما وردت به القصة و هذا الوجه ضعيف لأنه لا يجوز أن يحتج على عباده بعهد لا يذكرونه و لا يعرفونه و لا يكون عليه دليل و قوله تعالى «وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ» معناه أمروا بصله النبي صلى الله عليه و آله و المؤمنين فقطعواهم عن الحسن و قيل أمروا بصله الرحم و القرابه فقطعواها عن قتاده و قيل أمروا بالإيمان بجميع الأنبياء و الكتب ففرقوا و قطعوا ذلك و قيل أمروا بأن يصلوا القول بالعمل ففرقوا بينهما بأن قالوا و لم يعملوا و قيل معناه الأمر بوصل كل من أمر الله بصلته من أوليائه و القطع و البراءه من أعدائه و هذا أقوى لأنه أعم و يدخل فيه الجميع و قوله «وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ» قال قوم استدعواؤهم إلى الكفر هو الفساد في الأرض و قيل إخافتهم السبيل و قطعهم الطريق و قيل نقضهم العهد و قيل أراد كل معصيه تعدى ضررها إلى غير فاعلها و الأولى حملة على العموم «أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» أى أهلكوا أنفسهم فهم بمنزله من هلك رأس ماله و روى عن ابن عباس أن كل ما نسب الله تعالى من الخسار إلى غير المسلمين فإنما عنى به الكفر و ما نسب إلى المسلمين فإنما عنى به الدنيا ..

البقره (٢): آيه ٢٨

إشاره

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ كُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨)

القراءه

قرأ يعقوب ترجعون بفتح التاء على أن الفعل لهم و الباقرن بضم التاء و فتح الجيم على ما لم يسم فاعله.

الإعراب

كيف فى الأصل سؤال عن الحال و يتضح ذلك فى الجواب إذا قيل كيف رأيت زيدا فتقول مسرورا أو مهموما و ما أشبه ذلك فتجيب بأحواله فكيف ينتظم جميع الأحوال كما أن كم ينتظم جميع العدد و ما ينتظم جميع الجنس و أين ينتظم جميع الأماكن و من ينتظم جميع العقلاء و معناه فى الآيه التوبيخ و تقديره أ متعلقين بحجه تكفرون فيكون منصوب الموضع على الحال و العامل فيه تكفرون و قال الزجاج هو استفهام فى معنى التعجب و هذا التعجب إنما هو للخلق أو للمؤمنين أى أعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون و قد ثبت حجه الله عليهم و معنى و كنتم و قد كنتم و الواو واو الحال و إضمار قد جائز إذا كان فى الكلام دليل عليه و مثله قوله تعالى «أَوْ جَاءُكُمْ حَصْرَتْ صِدُورُهُمْ» أى قد حصرت صدورهم و هى جملة فى موضع الحال و إنما وجب إظهار قد فى مثل هذا أو

تقديرها لأن الماضي لا يكون حالا و قد إنما يكون لتقريب العهد و لتقريب الحال فبدخوله يصلح أن يكون الفعل الماضي حالا.

المعنى

ثم عاد الله تعالى إلى الاحتجاج على الكفار في إنكارهم البعث و جحودهم لرسله و كتبه بما أنعم به عليهم فقال «كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ» و من قال هو توبيخ قال معناه و يحكم كيف تكفرون كما يقال كيف تكفر نعمه فلان و قد أحسن إليك و من قال هو تعجب قال تقديره عجباً منكم على أى حال يقع منكم الكفر بالله مع الدلائل الظاهرة على وحدانيته و المعجزات القاهرة على صدق من اختصه برسالته و قيام الحجج الباهرة على وجوب طاعته و شكر نعمته ثم ذكر سبحانه بعض نعمه عليهم فقال «وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ» أى و حالكم أنكم كنتم أمواتاً و فيه وجوه (أحدها) أنهم كانوا أمواتاً فى أصلاب آبائهم يعنى نطفاً فأحياهم الله ثم أماتهم الموتة التى لا- بد منها ثم أحياهم بعد الموت فهما حياتان و موتتان عن قتاده (و ثانيها) أن معناه لم تكونوا شيئاً فخلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم يوم القيامة عن ابن عباس و ابن مسعود (و ثالثها) أن معناه كنتم أمواتاً يعنى خاملى الذكر فأحياكم بالظهور ثم يميتكم عند تقضى آجالكم ثم يحييكم للبعث و العرب تسمى كل امرئ خامل ميتاً و كل امرئ مشهور حياً كما قال أبو نخيله السعدى

فأحييت من ذكرى و ما كان خاملاً

و لكن بعض الذكر أنه من بعض

(و رابعها) أن معناه كنتم نطفاً فى أصلاب آبائكم و بطون أمهاتكم و النطفة موات فأخرجكم إلى دار الدنيا أحياء «ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ» فى القبر للمسائلة «ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» أى يبعثكم يوم الحشر للحساب و المجازاة على الأعمال و سمي الحشر رجوعاً إلى الله تعالى لأنه رجوع إلى حيث لا- يكون أحد يتولى الحكم فيه غير الله كما يقال رجع أمر القوم إلى الأمير و لا يراد به الرجوع من مكان إلى مكان و إنما يراد به أن النظر صار له خاصه دون غيره و إنما بدأ الله تعالى بذكر الحياه و من بين سائر النعم التى أنعم بها على العبد لأن أول نعمه أنعم الله بها عليه خلقه إياه حياً لينفعه و بالحياه يتمكن الإنسان من الانتفاع و الالتذاذ و إنما عد الموت من النعم و هو يقطع النعم فى الظاهر لأن الموت يقطع التكليف فيصل المكلف بعده إلى الثواب الدائم فهو من هذا الوجه نعمه و قيل إنما ذكر الموت لتمام الاحتجاج لا لكونه نعمه و فى هذه الآية دلالة على أنه تعالى لم يرد من عباده الكفر و لا خلقه فيهم لأنه لو أرادهم منهم أو خلقه فيهم لم يجز أن يضيفه إليهم بقوله «كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ» كما لا يجوز أن يقول لهم كيف أو لم كنتم طوالاً أو قصاراً و ما أشبه ذلك مما

هو من فعله تعالى فيهم.

البقرة (٢): آية ٢٩

إشارة

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩)

اللغة

أصل الخلق التقدير و الجمع الضم و نقيضه الفرق و سميت الجمعه جمعها لاجتماع الناس و الاستواء الاعتدال و الاستقامه و نقيضه الاعوجاج و السبع للمؤنث و السبعه للمذكر و السبع مشتق من ذلك لأنه مضاعف القوى كأنه ضوعف سبع مرات و العليم فى معنى العالم قال سيبويه إذا أرادوا المبالغه عدوا إلى فعيل نحو عليم و رحيم.

المعنى

قال المفسرون لما استعظم المشركون أمر الإعادة عرفهم الله تعالى خلق السموات و الأرض ليدلهم بذلك على قدرته على الإعادة فقال «هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ» أى لأجلكم «مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً» ما فى موضع نصب بأنه مفعول بها و معناه أن الأرض و جميع ما فيها نعم من الله تعالى مخلوقه لكم إما دينيه فتستدلون بها على معرفته و إما دنيويه فتنتفعون بها بضروب النفع عاجلا و قوله «ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ» فيه وجوه (أحدها) أن معناه قصد للسماء و لتسويتها كقول القائل كان الأمير يدبر أمر الشام ثم استوى إلى أهل الحجاز أى تحول تدبيره و فعله إليهم (و ثانيها) أنه بمعنى استولى على السماء بالقهر كما قال لَيْسَ يَتَوَّأ عَلَى ظُهُورِهِ أَى تقهروه و منه قوله «وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ» أى تمكن من أمره و قهر هواه بعقله فعلى هذا يكون معناه ثم استوى إلى السماء فى تفرد بملكها و لم يجعلها كالأرض ملكا لخلقه و منه قول الشاعر:

فلما علونا و استوينا عليهم

تركناهم صرعى لنسر و كاسر

و قال آخر:

ثم استوى بشر على العراق

من غير سيف و دم مهراق

(و ثالثها) أن معناه ثم استوى أمره و صعد إلى السماء لأن أوامره و قضاياه تنزل من السماء إلى الأرض عن ابن عباس (و رابعها) ما روى عن ثعلب أحمد بن يحيى أنه سئل

عن معنى الاستواء فى صفه الله عز و جل فقال الاستواء الإقبال على الشىء يقال كان فلان مقبلا على فلان [يشتمه] ثم استوى على و إلى يكلمنى على معنى أقبل إلى و على فهذا معنى قوله «ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ» و قوله «فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ» التسويه جعل الشئين أو الأشياء على استواء يقال سويت الشئين فاستويا و إنما قال «فَسَوَّاهُنَّ» فجمع الضمير العائد إلى السماء لأن السماء اسم جنس يدل على القليل و الكثير كقولهم أهلكت الناس الدينار و الدرهم و قيل السماء جمع سماوه و سماءه و لذلك يؤنث مره و يذكر أخرى فقيل السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كما يفعل ذلك بالجمع الذى بينه و بين واحده الهاء نحو نخل و نخله و بقره و بقره و قيل إن السماوات كانت سماء فوق سماء فهى فى التقدير واحده و تكون الواحده جماعه كما يقال ثوب أخلاق و أسمال و برقه أعمار و أرض أعقال و المعنى أن كل ناحيه منها كذلك فجمع على هذا المعنى جعلهن سبع سموات مستويات بلا فطور و لا أمت قال على بن عيسى أن السموات غير الأفلاك لأن الأفلاك تتحرك و تدور و السموات لا تتحرك و لا تدور لقوله «إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا» و هذا قول ضعيف لأن قوله أَنْ تَزُولَا معناه لا تزول عن مراكزها التى تدور عليها و لو لا إمساكه لزالَت عنها.

سؤال

ظاهر قوله تعالى «ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ» يوجب أنه خلق الأرض قبل السماء لأن ثم للتعقيب و التراخى و قوله فى سورة أخرى «وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا» بخلافه فكيف يجمع بينهما الجواب معناه أن الله خلق الأرض قبل السماء غير أنه لم يدحها فلما خلق السماء دحها بعد ذلك و دحها بسطها و مدها عن الحسن و عمرو بن عبيد و قد يجوز أيضا أن لا يكون معنى ثم و بعد فى هذه الآيات الترتيب فى الأوقات و إنما هو على جهة تعداد النعم و التنبية عليها و الإذكار لها كما يقول القائل لصاحبه أ ليس قد أعطيتك ثم رفعت منزلتك ثم بعد هذا كله فعلت بك و فعلت و ربما يكون بعض ما ذكره متقدما فى اللفظ كان متأخرا لأن المراد لم يكن الإخبار عن أوقات الفعل و إنما المراد التذكير كما ذكره و قوله «وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» و لم يقل قدير لأنه لما وصف نفسه بالقدره و الاستيلاء وصل ذلك بالعلم إذ بهما يصح وقوع الفعل على وجه الإتقان و الإحكام و أيضا فإنه أراد أن يبين أنه عالم بما يؤول إليه حاله و حال المنعم به عليه فتتحقق بذلك النعمه و فى هذه الآيه دلالة على أن صانع السماء و الأرض قادر و عالم و أنه تعالى إنما يفعل الفعل لغرض و أن له تعالى

ص: ٩٠

على الكفار نعمًا يجب شكره عليهم بها و فيها أيضا دلالة على أن الأصل في الأشياء الإباحة لأنه ذكر أنه خلق ما في الأرض لمنفعه العباد ثم صار حظا لكل واحد منهم فما يتفرد كل منهم بالتصرف فيه يحتاج إلى دليل.

البقره (٢): آيه ٣٠

اشاره

وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّىْ جَاعِلٌ فِى الْاَرْضِ خَلِيْفَهٗ قَالُوْۤا اَتَجْعَلُ فِيْهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيْهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ قَالَ اِنِّىْ اَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ (٣٠)

اللغه

القول موضوع فى كلام العرب للحكاية نحو قولك قال زيد خرج عمرو و الرب السيد يقال رب الدار و رب الفرس و لا يقال الرب بالألف و اللام إلا الله تعالى و أصله من ربيته إذا قمت بأمره و منه قيل للعالم ربانى لأنه يقوم بأمر الأمه و الملائكه جمع ملك و اختلف فى اشتقاقه فذهب أكثر العلماء إلى أنه من الألوكه و هى الرساله و قال الخليل الألوك الرساله و هى المالكه و المالكه على مفعله و قال غيره إنما سميت الرساله الوكا لأنها تولك فى الفم أى تمضغ و الفرس تألك اللجام و تعلقك قال عدى بن زيد:

أبلغا النعمان عنى مالكا

أنه قد طال حسبى و انتظارى

و يروى ملاءكا و قال لبيد:

و غلام أرسلته أمه

بالوك فبدلنا ما سأل

و قال الهذلى:

ألكنى إليها و خير الرسول

أعلمهم بنواحى الخبر

فالملائكه على هذا وزنها معافله لأنها مفاعله مقلوبه جمع ملاك فى معنى مالك قال الشاعر:

فلست لإنسى و لكن لملاك

تنزل من جو السماء يصبوب

ص: ٩١

فوزن ملاءك معفل مقلوب مالك مفعول و من العرب من يستعمله مهموزا و الجمهور منهم على إلقاء حركة الهمزة على اللام و حذفها فيقال ملك و ذهب أبو عبيده إلى أن أصله من لأك إذا أرسل فملاكك على هذا القول مفعول و ملائك مفاعله غير مقلوبه و الميم في هذين الوجهين زائده و ذهب ابن كيسان إلى أنه من الملك و أن وزن ملاءك فعال مثل شمال و ملائك فعائله فالميم على هذا القول أصلية و الهمزة زائده و الملك و إن كان أصله الرسالة فقد صار صفه غالبه على صنف من رسل الله غير البشر كما أن السماء و إن كان أصله الارتفاع فقد صار غالبا على السماوات المعروفه و قال أصحابنا رضى الله عنهم أن جميع الملائكة ليسوا برسل الله بدلاله قوله تعالى «يُضِيْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ» فلو كانوا كلهم رسلا لكان جميعهم مصطفين فعلى هذا يكون الملك اسم جنس و لا يكون من الرسالة و الجعل و الخلق و الفعل و الإحداث نظائر إلا أن الجعل قد يتعلق بالشىء لا على سبيل الإيجاد بخلاف الفعل و الإحداث تقول جعلته متحركا و حقيقه الجعل تغيير الشىء عما كان عليه و حقيقه الفعل و الإحداث الإيجاد و الخليفه و الإمام واحد فى الاستعمال إلا أن بينهما فرقا فالخليفه استخلف فى الأمر مكان من كان قبله فهو مأخوذ من أنه خلف غيره و قام مقامه و الإمام مأخوذ من التقدم فهو المتقدم فيما يقتضى وجوب الاقتداء به و فرض طاعته فيما تقدم فيه و السفك صب الدم و الدم قد اختلف فى وزنه فقال بعضهم دمي على وزن فعل قال الشاعر:

فلو أنا على حجر ذبحنا

جرى الدميان بالخبر اليقين

و قيل أصله دمي على وزن فعل و الشاعر لما رد الباء فى التنبيه لقله الاسم حركه ليعلم أنه متحركا قبل ذلك و التسبيح التنزيه لله تعالى عن سوء و عما لا يليق به و السبوح المستحق للتنزيه و التعظيم و القدوس المستحق للتطهير و التقديس التطهير و نقيضه التنجيس و القدس السطل الذى يتطهر منه و قد حكى سيبويه أن منهم من يقول سبوح قدوس بالفتح و الضم أكثر فى الكلام و الفتح أقيس لأنه ليس فى الكلام فعول إلا ذروح و سبحان اسم المصدر قال سيبويه سبحان الله معناه براءه الله من كل سوء و تنزيه الله قال الأعشى:

أقول لما جاءنى فخره

سبحان من علقمه الفاخر

أى براءه منه قال و هو معرفه علم خاص لا ينصرف للتعريف و الزيادة و قد اضطر الشاعر فنونه قال أميه:

سبحانه ثم سبحانا يعود له

وقبله سبح الجودي و الجمد

و هو مشتق من السبح الذى هو الذهاب و لا يجوز أن يسبح غير الله و إن كان منزلها لأنه صار علما فى الدين على أعلى مراتب التعظيم التى لا يستحقها سواه كما أن العباده هى غايه فى الشكر لا يستحقها سواه.

الإعراب

قال أبو عبيده إذ هاهنا زائده و أنكر الزجاج و غيره عليه هذا القول و قالوا أن الحرف إذا أفاد معنى صحيحا لم يجز إلغاؤه قال الزجاج و معناه الوقت و لما ذكر الله تعالى خلق الناس و غيرهم فكأنه قال ابتداء خلقكم «إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ» و قال على بن عيسى تقديره اذكر إذ قال ربك للملائكة فموضع إذ نصب على إضمار فعل و الواو عاطفه جمله على جمله و «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» جمله فى موضع نصب بقال و قوله «أَتَجْعَلُ فِيهَا» إلى قوله «وَنُقَدِّسُ لَكَ» فى موضع نصب بقالوا و الواو فى قوله «وَنَحْنُ» و الواو الحال و تسمى و الواو القطع و الواو الاستئناف و الواو الابتداء و واو إذ كذا كان يمثلها سيويوه و مثله الواو فى قوله «يَغْشَى طَائِفَهُ مِنْكُمْ وَ طَائِفَهُ قَدْ أَهْمَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ» أى إذ طائفه و كذا هاهنا إذ نحن نسبح و العامل فى الحال هاهنا أ تجعل كأنه قال أ تجعل فيها من يفسد فيها و هذه حالنا و الباء فى بحمدك تتعلق بنسبح و اللام من لك تتعلق بنقدس و ما موصوله و صلته لا تعلمون و العائد ضمير المفعول حذف لطول الكلام أى لا تعلمونه و هو فى موضع النصب بأعلم.

المعنى

اذكر يا محمد «إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ» قيل أنه خطاب لجميع الملائكة و قيل خطاب لمن أسكنه الأرض بعد الجان من الملائكة عن ابن عباس «إِنِّي جَاعِلٌ» أى خالق «فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» أراد بالخليفة آدم (عليه السلام) فهو خليفة الله فى أرضه يحكم بالحق إلا أنه تعالى كان أعلم ملائكته أنه يكون من ذريته من يفسد فيها عن ابن عباس و ابن مسعود و قيل إنما سمي الله تعالى آدم خليفة لأنه جعل آدم و ذريته خلفاء للملائكة لأن الملائكة كانوا من سكان الأرض و قيل كان فى الأرض الجن فأفسدوا فيها و سفكوا الدماء فأهلكوا فجعل آدم و ذريته بدلهم عن ابن عباس و قيل عنى بالخليفة ولد آدم يخلف بعضهم بعضا و هم خلفوا أباهم آدم فى إقامة الحق و عماره الأرض عن الحسن البصرى و قيل أراد بالأرض مكة لأن النبى صلى الله عليه و آله قال دحيت الأرض من مكة و لذلك سميت أم القرى و روى أن قبر نوح و هود و صالح و شعيب بين زمزم و الركن و المقام و الظاهر أنها الأرض

المعروفه و هو الصحيح و قوله «قالوا» يعنى الملائكه لله تعالى أ تجعل فيها أى فى الأرض من يفسد فيها بالكفر و المعاصى و يسفك الدماء بغير حق و ذكر فيه وجوه (أحدها) أن خلقا يقال لهم الجان كانوا فى الأرض فأفسدوا فيها فبعث الله ملائكه أجلتهم من الأرض و كان هؤلاء الملائكه سكان الأرض من بعدهم فقالوا يا ربنا «أَ تَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا» كما فعل بنو الجان قاسوا بالشاهد على الغائب و هو قول كثير من المفسرين (و ثانيها) أن الملائكه إنما قالت ذلك على سبيل الاستفهام و على وجه الاستخبار و الاستعلام عن وجه المصلحه و الحكمة لا على وجه الإنكار و لا على سبيل إخبار فكأنهم قالوا يا الله إن كان هذا كما ظننا فعرفنا ما وجه الحكمة فيه (و ثالثها) أن الله تعالى أخبر الملائكه بأنه سيكون من ذريه هذا الخليفه من يعصى و يسفك الدماء على ما روى عن ابن عباس و ابن مسعود و الغرض فى إعلامه إياهم أن يزيدهم يقينا على وجه علمه بالغيب لأنه وجد بعد ذلك على ما أخبرهم به و قيل ليعلم آدم أنه خلق للأرض لا للجنة فقالت الملائكه أ تجعل فيها من يفعل كذا و كذا على وجه التعرف لما فى هذا من التدبير و الاستفادة لوجه الحكمة فيه و هذا الوجه يقتضى أن يكون فى أول الكلام حذف و يكون التقدير إني جاعل فى الأرض خليفه و إني عالم بأنه سيكون فى ذريته من يفسد فيها و يسفك الدماء فحذف اختصارا و كذلك قوله «أَ تَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَ يَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ» فى ضمنه اختصار شديد أى فنحن على ما نظنه و يظهر لنا من الأمر أولى بالخلافه فى الأرض لأننا نطيع و غيرنا يعصى و فى قوله «إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» اختصار أيضا لأنه يتضمن أنى أعلم من مصالح المكلفين ما لا تعلمونه و ما يكون مخالفا لما تظنونه على ظواهر الأمور و مثل هذه الحذوف العجيبه و الاختصارات البديعه كثيره فى القرآن و الحذف معدود فى أنواع الفصاحه إذا كان فيما أبقى دليل على ما ألقى و مما جاء منه فى الشعر قول الشنفرى:

و لا تقبرونى إن قبرى محرم

عليكم و لكن خامرى أم عامر

أى لا تدفنونى بل دعونى تأكلنى التى يقال لها خامرى أم عامر يعنى الضبع و قول أبى داود:

إن من شيمتى لبذل تلادى

دون عرضى فإن رضيت فكونى

أى فكونى على ما أنت عليه و إن سخطت فينى فحذف و قال عنتره:

هل تبلغنى دارها شدنيه

لعنت بمحروم الشراب مصرم

أى دعى عليها بانقطاع لبنها و جفاف ضرعها فصارت كذلك و الناقه إذا كانت لا تنتج كانت أقوى على السير و إنما أرادت الملائكة بقولهم «أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا» ولد آدم الذين ليسوا بأنبياء و لا معصومين لا آدم نفسه و من يجرى مجراه من الأنبياء و المعصومين و معنى قولهم «و نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ» نتكلم بالحمد لك و النطق بالحمد لله تسبيح له كقوله تعالى «و الْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ» و إنما يكون حمد الحامد سبحانه تسبيحا لأن معنى الحمد لله الثناء عليه و الشكر له و هذا تنزيه له و اعتراف بأنه أهل لأن ينزه و يعظم و يثنى عليه عن مجاهد و قيل معنى «نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ» نصلى لك كقوله «فَلَوْ لَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ» أى من المصلين عن ابن عباس و ابن مسعود و قيل هو رفع الصوت بذكر الله عن المفضل و منه قول جرير:

قبح الإله وجوه تغلب كلما

سيح الحجيج و كبروا إهلالا

و قوله «و نُقَدِّسُ لَكَ» أى ننزهك عما لا يليق بك من صفات النقص و لا نضيف إليك القبائح فاللام على هذا زائده نقديسك و قيل نقديس لك أى نصلى لأجلك و قيل نظهر أنفسنا من الخطايا و المعاصي قوله «إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» قيل أراد ما أضمره إبليس من الكبر و العجب و المعصية لما أمره الله سبحانه بالسجود لآدم عن ابن عباس و ابن مسعود و قيل أراد أعلم من فى ذريه آدم من الأنبياء و الصالحين عن قتاده و قيل أراد به ما اختص الله تعالى بعلمه من تدبير المصالح و

روى عن أبى عبد الله قال إن الملائكة سألت الله تعالى أن يجعل الخليفة منهم و قالوا نحن نقديسك و نطيعك و لا نعصيك كغيرنا قال فلما أجبوا بما ذكر فى القرآن علموا أنهم تجاوزوا ما لهم فلاذوا بالعرش استغفاراً فأمر الله تعالى آدم بعد هبوطه أن يبني له فى الأرض بيتا يلوذ به المخطئون كما لاذ بالعرش الملائكة المقربون فقال الله تعالى للملائكة إنى أعرف بالمصلحه منكم و هو معنى قوله «أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ»

و هذا يدل على أنه تعالى لا يفعل القبيح لأنه لو كان يحسن منه كل شىء لم يكن لهذا الكلام معنى لأنه إنما يفيد فى الجواب متى حمل على أنه أراد إنى أعلم بالمصالح فأفعل ما هو الأصلح.

النظم

و اتصال هذه الآيه بما قبلها أن الله تعالى ذكر أول النعم له علينا و هى نعمه

الحياه ثم ذكر بعده إنعامه علينا بخلق الأرض و ما فيها و بخلق السماء ثم أراد أن يذكر نعمته علينا بخلق آيينا آدم عليه السلام و ما أعطاه من الفضيله فكأنه قال اذكر لهم كيف تكفرون بالله و قد فعل بكم كذا و كذا و أنعم عليكم بكذا أو كذا.

البقره (٢): آيه ٣١

إشارة

وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١)

القراءة

قرأ أهل المدينة و أهل البصره هؤلاء بمده واحده لا يمدونها إلا على قدر خروج الألف و يمدون أولاء كأنهم يجعلونه كلمتين و الباقيون يمدون مدتين فى كل القرآن فأما الهمزتان من كلمتين نحو «هؤلاء إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» و نحوها فأبو جعفر و نافع بروايه ورش و ابن كثير بروايه القواس و يعقوب يهمزون الأولى و يخففون الثانية و يشيرون بالكسره إليها و كذلك يفعلون فى كل همزتين متفتحتين تلتقيان من كلمتين مكسورتين كانتا أو مضمومتين أو مفتوحتين فالمكسورتان على البغاء إن أردن و المضمومتان أولياء أولئك ليس فى القرآن غيره و المفتوحتان جاء أحدكم و شاء أنشره و أبو عمرو و البزى بهمزته واحده فيتركان إحداهما أصلاً إذا كانتا متفتحتين و نافع بروايه إسماعيل و ابن كثير بروايه ابن فليح بتلين الأولى و تحقيق الثانية و إذا اختلفتا فاتفقوا على همز الأولى و تليين الثانية نحو السُّفْهَاءُ أَلَا و الْبُغْضَاءُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فأما ابن عامر و عاصم و الكسائي فإنهم يهمزون همزتين فى جميع ذلك متفتحتين كانتا أو مختلفتين أما الحذف و التليين فللتخفيف و أما الهمز فللحمل على الأصل.

اللغة

فى اشتقاق آدم قولان (أحدهما) أنه مأخوذ من أديم الأرض فإذا سميت به فى هذا الوجه ثم نكرته صرفته (و الثانى) أنه مأخوذ من الأدمه على معنى اللون و الصفه فإذا سميت به فى هذا الوجه ثم نكرته لم تصرفه و الأدمه و السمره و الدكته و الورقه متقاربه المعنى و آدم أبو البشر عليه السلام قال صاحب العين الأدمه فى الناس شربه من سواد و هى السمره و فى الإبل و الظباء بياض و كل لفظه عموم على وجه الاستيعاب و حقيقته للإحاطه بالأبعاض يقال أ بعض القوم جاءك أم كلهم و يكون تأكيداً مثل أجمعون إلا أنه يبدأ فى الذكر بكل كقوله تعالى «فَسَيَجِدَ الْمَلَائِكَةَ كُلُّهُمُ أَجْمَعُونَ» لأن كلا قد يلى العوامل و أجمعون لا يكون إلا- تابعا و العرض من قولهم عرضت الشىء عليه و عرضت الجند قال الزجاج أصله فى اللغة الناحيه من نواحى الشىء فمن ذلك العرض خلاف الطول و عرض

الرجل ما يمدح به أو يذم و يقال عرضه خليفته المحموده و يقال عرضه حسبه و قال على بن عيسى هو ناحيته التي يصونها عن المكروه و السب، و العرض و ما يعرض فى الجسم و يغير صفته و يقال عرضت المتاع على البيع عرضا أى أظهرته حتى عرفت جهته و الإنباء و الإعلام و الإخبار واحد و النبأ الخبر و يقال منه أنبأته و نبأته و أنبئوني بأسماء هؤلاء أى أخبروني بها أما المتعدى إلى ثلاثه مفاعيل نحو أنبأت زيدا عمرا خير الناس و كذلك نبأت فهو هذا فى الأصل إلا أنه حمل على المعنى فعدى إلى ثلاثه مفاعيل لأن الإنباء بمعنى الإعلام و دخول هذا المعنى فيه و حصول مشابهته للإعلام لم يخرجه عن الأصل الذى هو له من الإخبار و عن أن يتعدى إلى مفعولين أحدهما بالباء أو بعن نحو تَبَّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ و النبوه إذا أخذت من الإنباء فهى مهموزه و

قد روى عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال لا تبئنن باسمى لرجل قال له يا نبى ء الله

مهموزا و النبى بغير همز الطريق الواضح يأخذ بك إلى حيث تريد و الفرق بين الإعلام و الإخبار أن الإعلام قد يكون بخلق العلم الضرورى فى القلب كما خلق الله من كمال العقل و العلم بالمشاهدات و قد يكون بنصب الأدله على الشىء و الإخبار هو إظهار الخبر علم به أو لم يعلم و لا يكون مخبرا بما يحدثه من العلم فى القلب كما يكون معلما بذلك.

المعنى

ثم أبان سبحانه و تعالى لملائكته فضل آدم عليهم و على جميع خلقه بما خصه به من العلم فقال سبحانه و تعالى «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا» أى علمه معانى الأسماء إذ الأسماء بلا معان لا فائده فيها و لا وجه لإشاره الفضيله بها و قد نبه الله تعالى الملائكه على ما فيها من لطيف الحكمة فأقروا عند ما سئلوا عن ذكرها و الإخبار عنها أنه لا علم لهم بها فقال الله تعالى «يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ» عن قتاده و قيل أنه سبحانه علمه جميع الأسماء و الصناعات و عماره الأرضين و الأطحمه و الأدوية و استخراج المعادن و غرس الأشجار و منافعها و جميع ما يتعلق بعماره الدين و الدنيا عن ابن عباس و مجاهد و سعيد بن جبير و عن أكثر المتأخرين و قيل أنه علمه أسماء الأشياء كلها ما خلق و ما لم يخلق بجميع اللغات التى يتكلم بها ولده بعده عن أبى على الجبائى و على بن عيسى و غيرهما قالوا فأخذ عنه ولده اللغات فلما تفرقوا تكلم كل قوم بلسان ألفوه و اعتادوه و تطاول الزمان على ما خالف ذلك ففسوه و يجوز أن يكونوا عالمين بجميع تلك اللغات إلى زمن نوح (عليه السلام) فلما أهلك الله الناس إلا نوحا و من تبعه كانوا هم العارفين بتلك اللغات فلما كثروا و تفرقوا اختار كل قوم منهم لغة تكلموا بها و تركوا ما سواه و فسوه و

قد روى عن الصادق (عليه السلام) أنه سئل عن هذه الآيه فقال الأرضين و الجبال و الشعاب و الأودية ثم نظر إلى بساط تحته فقال

وقيل أنه علمه أسماء الملائكة وأسماء ذريته عن الربيع وقيل أنه علمه ألقاب الأشياء ومعانيها وخواصها وهو أن الفرس يصلح لما ذا والحمار يصلح لما ذا وهذا أبلغ لأن معاني الأشياء وخواصها لا تتغير بتغير الأزمنة والأوقات وألقاب الأشياء تتغير على طول الأزمنة وقال بعضهم أنه تعالى لم يعلمه اللغة العربية فإن أول من تكلم بالعربية إسماعيل (عليه السلام) وقالوا أن الله جعل الكلام معجزه لثلاثه من الأنبياء آدم وإسماعيل ومحمد صلى الله عليه وآله ثم اختلف في كيفية تعليم الله تعالى آدم الأسماء فقليل علمه بأن أودع قلبه معرفه الأسماء وفق لسانه بها فكان يتكلم بتلك الأسماء كلها وكان ذلك معجزه له لكونه ناقصا للعادة وقيل علمه إياها بأن اضطره إلى العلم بها وقيل علمه لغة الملائكة ثم علمه بتلك اللغة سائر اللغات وقيل إنما علمه أسماء الأشخاص بأن أحضر تلك الأشياء وعلمه أسماءها في كل لغة وأنه لأى شىء يصلح و أى نفع فيه و أى ضرر وقوله «ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ» روى عن ابن عباس أنه قال عرض الخلق و عن مجاهد قال عرض أصحاب الأسماء و على هذا فيكون معناه ثم عرض المسميات على الملائكة و فيهم من يعقل و فيهم من لا يعقل فقال عرضهم غلب العقلاء فأجرى على الجميع كناية من يعقل كقوله «وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ» أجرى عليهم كناية من يعقل و فى قراءه أبى ثم عرضها و فى قراءه ابن مسعود ثم عرضهن و على هاتين القراءتين يصلح أن يكون عبارته عن الأسماء دون المسميات و اختلف فى كيفية العرض على الملائكة فقليل إنما عرضها على الملائكة بأن خلق معانى الأسماء التى علمها آدم حتى شاهدها الملائكة وقيل صور فى قلوبهم هذه الأشياء فصارت كأنهم شاهدوها وقيل عرض عليهم من كل جنس واحد و أراد بذلك تعجيزهم فإن الإنسان إذا قيل له ما اسم شىء صفته كذا وكذا فلم يعلم كان أبلغ عذرا ممن عرض عليه شىء بعينه و سئل عن اسمه فلم يعرفه و بين بذلك أن آدم عليه السلام أصلح لكخدائيه الأرض و عمارتها لا هتدائه إلى ما لا تهتدى الملائكة إليه من الصناعات المختلفه و حرث الأرض و زراعتها و إنباط الماء و استخراج الجواهر من المعادن و قعر البحار بلطائف الحكمه و هذا يقوى قول من قال أنه علمه خواص الأشياء و أراد به أنكم إذا عجزتم عن معرفه هذه الأشياء مع مشاهدتكم لها فأنتم عن معرفه الأمور المغيبه عنكم أعجز «فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» أن سأل فقليل ما الذى ادعت الملائكة حتى خوطبوا بهذا و كيف أمرهم الله سبحانه أن يخبروا بما لا يعلمون فالجواب أن للعلماء فيه وجوها من الكلام (أحدها) أن الله تعالى لما أخبر الملائكة بأنه جاعل فى الأرض خليفه هجس فى نفوسها

أنه إن كان الخليفة منهم بدلا من آدم و ذريته لم يكن في الأرض فساد و لا سفك دم كما يكون في ولد آدم و إن كان الله لا يفعل إلا ما هو الأصلح في التدبير و الأصوب في الحكمه فقال الله تعالى «أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فيما ظننتم من هذا المعنى ليدلهم على أنهم إذا لم يعلموا باطن ما شاهدوا فهم من أن يعلموا باطن ما غاب عنهم أبعد (و ثانيها) أنه خطر ببالهم أنه لن يخلق الله خلقا إلا و هم أعلم منه و أفضل في سائر أنواع العلم فقليل «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» في هذا الظن فأخبروا بهذه الأسماء (و ثالثها) أن المراد أن كنتم صادقين في أنكم تعلمون لم أجعل في الأرض خليفه أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين لأن كل واحد من الأمرين من علم الغيب فكما لم تعلموا أحدهما لا تعلمون الآخر عن ابن عباس (و رابعها) ما قاله الأخفش و الجبائي و على بن عيسى و هو أن المراد «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فيما تخبرون به من أسمائهم فأخبروا بها و هذا كقول القائل لغيره (أخبر بما في يدي إن كنت صادقا) أي إن كنت تعلم فأخبر به لأنه لا يمكنه أن يصدق في مثل ذلك إلا إذا أخبر عن علم منه و لا يصح أن يكلف ذلك إلا مع العلم به و لا بد إذا استدعوا إلى الإخبار عما لا يعلمون من أن يشترط هذا الشرط و على هذا فيكون لفظه الأمر و معناه التنبيه أو يكون أمرا مشروطا كما يقول العالم للمتعلم ما تقول في كذا و يعلم أنه لا يحسن الجواب لينبهه عليه و يحثه على طلبه و البحث عنه و لو قال له أخبر بذلك أن كنت تعلم أو إن كنت صادقا لكان حسنا فإذا تنبه على أنه لا يمكنه الجواب أجابه حينئذ فيكون جوابه بهذا التدرج أثبت في قلبه و أوقع في نفسه و لا يجوز أن يكون ذلك تكليفا لأنه لو كان تكليفا لم يكن تبيينا لهم أن آدم يعرف أسماء هذه الأشياء بتعريف الله إياه و تخصيصه من ذلك بما لا يعرفونه هم فلما أراد تعريفهم ما خص به آدم من ذلك علمنا أنه ليس بتكليف و في هذه الآية دلالة على شرف العلم و أهله من حيث إن الله سبحانه لما أراد تشریف آدم (عليه السلام) اختصه بعلم أبانه به من غيره و فضله به على من سواه ..

البقره (٢): آيه ٣٢

إشاره

قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢)

اللغه

الحكمه نقيض السفه و الإحكام الإتقان و الحكيم المانع من الفساد و منه حكمه اللجام لأنها تمنع الفرس من الجرى الشديد قال جرير:

ص: ٩٩

أبني حنيفه أحكموا سفهاءكم

إني أخاف عليكم أن أغضبا

أى امنعوهم و الحكمه هى التى تقف بك على مر الحق الذى لا يخلطه باطل و الصدق الذى لا يشوبه كذب و منه قوله حِكْمَةٌ بِالْعَهِّ و رجل حكيم إذا كان ذلك شأنه و كانت معه أصول من العلم و المعرفه و يقال حكم يحكم فى الحكم بين الناس و حكم يحكم إذا صار حكيما و الحكمه فى الإنسان هى العلم الذى يمنع صاحبه من الجهل.

الإعراب

سبحانك نصب على المصدر قال سيبويه سبحت الله تسيحا و سبحانا فالمصدر تسييح و سبحان اسم يقوم مقام المصدر و اللام من قوله «لنا» يتعلق بمحذوف فيكون جمله ظرفيه فى موضع رفع بالخبر لأن لا علم فى موضع رفع بالابتداء و «ما عَلَّمْتَنَا» موصول وصله و الضمير من علمتنا العائد إليه محذوف تقديره ما علمتنا و هو فى موضع رفع بدل من موضع لا علم و أنت يجوز أن يكون فصلا فيكون لا موضع له من الإعراب و خبر إن العليم الحكيم و يجوز أن يكون مبتدأ و الجملة خبر إن.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن الملائكة بالرجوع إليه و التسليم لأمره و قال «قَالُوا» أى الملائكة «سُبْحَانَكَ» أى تنزيها لك و تعظيما عن أن يعلم الغيب أحد سواك عن ابن عباس و قيل تنزيها لك عن الاعتراض عليك فى حكمك و قيل إنهم أرادوا أن يخرجوا الجواب مخرج التعظيم فقالوا تنزيها لك عن فعل كل قبيح و أن كنا لا- نعلم وجه الحكمه فى أفعالك و قيل أنه على وجه التعجب لسؤالهم عما لا- يعلمونه و قوله «لا- عَلِمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا» معناه إنا لا نعلم إلا بتعليمك و ليس هذا فيما علمتنا و لو أنهم اقتصروا على قولهم «لا- عَلِمَ لَنَا» لكان كافيا فى الجواب لكن أرادوا أن يضيفوا إلى ذلك التعظيم له و الاعتراف بإنعامه عليهم بالتعليم و أن جميع ما يعلمونه إنما يعلمونه من جهته و أن هذا ليس من جمله ذلك و إنما سألهم سبحانه عما علم أنهم لا يعلمونه ليقررهم على أنهم لا- يملكون إلا- ما علمهم الله و ليرفع به درجه آدم عندهم بأنه علمه ما لم يعلموه و قوله «إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ» أى العالم بجميع المعلومات لأنه من صفات ذاته و هو مبالغه العالم و قيل أنهم أثبتوا له ما نفوه عن أنفسهم أى أنت العالم من غير تعليم و نحن المعلمون و قوله «الْحَكِيمُ» يحتمل أمرين (أحدهما) أنه بمعنى العالم لأن العالم بالشىء يسمى بأنه حكيم فعلى هذا يكون من صفات الذات مثل العالم و يوصف بهما فيما لم يزل لأن ذلك واجب فى العالم لنفسه (و الثانى) أن معناه المحكم لأفعاله و يكون فعلا بمعنى مفعول و على هذا يكون من صفات الأفعال و معناه أن أفعاله كلها حكمه و صواب و ليس فيها تفاوت و لا وجه من وجوه القبح

و على هذا فلا- يوصف بذلك فيما لم يزل و روى عن ابن عباس أنه قال العليم الذى كمل فى علمه و الحكيم الذى كمل فى حكمته و فى هذه الآيه دلالة على أن العلوم كلها من جهته تعالى و إنما كان كذلك لأن العلوم لا تخلو إما أن تكون ضروريه فهو الذى فعلها و إما أن تكون استدلاليه فهو الذى أقام الأدله عليها فلا علم لأحد إلا ما علمه الله تعالى.

البقره (٢): آيه ٣٣

اشاره

قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣)

القراءه

روى عن ابن عامر أنبئهم بالهمزه و كسر الهاء و الباقون بضم الهاء.

الإعراب

من ضم الهاء حملها على الأصل لأن الأصل أن تكون هاء الضمير مضمومه و إنما تكسر الهاء إذا وليها كسره أو ياء نحو بهم و عليهم و مع هذا فقد ضمه قوم حملا على الأصل و من كسر الهاء التى قبلها همزه مخففه فإن لذلك وجها من القياس و هو أنه اتبع كسره الهاء الكسره التى قبلها و لم يعتد بالحاجز الساكن كما حكى عنهم هذا المرء و رأيت المرء و مررت بالمرء فاتبعوا مع هذا الفصل كما اللغه فى اللغه الأخرى هذا امرؤ و رأيت امرءا و مررت بامرئ و حكى أبو زيد عن بعض العرب أخذت هذا منه و منهما و منهمى فكسر المضمرة فى الإدراج و الوقف و لم أعرفه و لم أضربه.

اللغه

الإبداء و الإظهار و الإعلان بمعنى واحد و ضد الإبداء الكتمان و ضد الإظهار الإبطان و ضد الإعلان الإسرار و يقال بدا يبدو بدوا من الظهور و بدأ يبدأ بدءا بالهمزه بمعنى استأنف و قال على بن عيسى الرمانى حد الظهور الحصول على حقيقه يمكن أن تعلم بسهولة و الله سبحانه ظاهر بأدلتة باطن عن إحساس خلقه و كل استدلال فإنما هو ليظهر شىء بظهور غيره.

الإعراب

آدم منادى مفرد معرفه مبنى على الضم و محله النصب لأن المنادى مدعو و المدعو مفعول.

المعنى

ثم خاطب الله تعالى آدم ف «قال: يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ» أى أخبر الملائكه

«بِأَسْمَائِهِمْ» يعنى بأسماء الذين عرضهم عليهم و هم كناية عن المرادين بقوله بِأَسْمَاءِ هُوَ لَاءِ و قد مضى بيانه «فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ» يعنى أخبرهم آدم «بِأَسْمَائِهِمْ» أى باسم كل شىء و منافعه و مضاره «قال» الله تعالى للملائكة «أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ» الألف للتنبيه و إن كان أصلها الاستفهام كقول القائل (أ ما ترى اليوم ما أطيبه) لمن يعلم ذلك و حكى سيبويه أ ما ترى أى برق هاهنا و من الناس من قال أن هذه الألف معناها التوبيخ و من لم يجز على الملائكة المعصية منع من ذلك «إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى أعلم ما غاب فيهما عنكم فلم تشاهدوه كما أعلم ما حضركم فشاهدتموه «وَ أَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ» قيل فيه أقوال: (أحدها) أنه أراد أعلم سركم و علانيتكم و ذكر ذلك تنبيها لهم على ما يحيلهم عليه من الاستدلال لأن الأصول الأول التي يستدل بها إنما تذكر على وجه التنبيه ليستخرج بها غيرها فيستدل بعلمه الغيب على أنه خلق عباده على ما خلقهم عليه للاستصلاح فى التكليف و ما توجه الحكمة (و ثانيها) أنه أراد «أَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ» من قولكم أ تَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا «وَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ» من إضمار إبليس المعصية و المخالفه قال على بن عيسى و هذا ليس بالوجه لأن الخطاب للملائكة و ليس إبليس منهم و لأنه عام فلا يخص إلا- بدليل و جوابه أن إبليس لما دخل معهم فى الأمر بالسجود جاز أن يذكر فى جملتهم و قد رويت روايات تؤيد هذا القول و اختاره الطبرى (و ثالثها) أن الله تعالى لما خلق آدم مرت به الملائكة قبل أن ينفخ فيه الروح و لم تكن رأت مثله فقالوا لن يخلق الله خلقا إلا كنا أكرم منه و أفضل عنده فهذا ما أخفوه و كتموه و أما ما أبدوه فقولهم «أ تَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا» روى ذلك عن الحسن و الأول أقوى لأنه أعم و مما يسأل فى هذه الآيه أن يقال ما وجه ذكره تعالى لهم الأسرار من علم الغيب و الجواب أنه على معنى الجواب فيما سألوا عنه من خلق من يفسد و يفسك الدماء على وجه التعريض دون التصريح لأنه لو صرح بذلك لقال خلقت من يفسد و يفسك الدماء لما أعلم فى ذلك من المصلحة لعبادى فيما كلفتهم إياه فدل سبحانه الإحالة فى الجواب على العلم بباطن الأمور و ظاهرها أنه خلقهم لأجل علمه بالمصلحة فى ذلك و دلهم بذلك على أن عليهم الرضا بأمر الله و التسليم لقضاء الله لأنه يعلم من الغيب ما لا يعلمونه و يعلم من مصالحهم فى دينهم و دنياهم ما لا يطلعون عليه فإن قيل فأى شىء فى تعليم الله تعالى آدم الأسماء كلها مما يدل على علمه بالغيب فالجواب قيل أنه تعالى علمه الأسماء كلها بما فيها من المعانى التي تدل عليها على وجهه فتق لسانه بذلك و الهامه إياها فهى معجزه أقامها الله تعالى للملائكة تدل على نبوته و جلاله قدره و ارتفاع شأنه بما اختصه الله به من العلم الذى لا

يوصل إليه إلا- بتعليم الله عز وجل و دلهم على ذلك بأن قررههم أولا فأقروا بأن لا علم لهم به ثم أظهر لهم أن آدم يعلمه بتعليم الله إياه فبان بذلك الإعجاز بالاطلاع على ما لا سبيل إلى علمه إلا من علام الغيوب و فيه من المعجزه أنه فتق لسانه على خلاف مجرى العاده و أنه علمه من لطائف الحكمة ما لا تعلمه الملائكة مع كثره علومها و أنها أعرف الخلق بربها فعرفوا ما دلهم على علم الغيب بالمعجزه مؤكدا لما يعلمونه من ذلك بالأدله العقلية و لذلك نبههم فقال «أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى قد دلتكم على ذلك قبل و هذه دلالة بعد و قد افتتح الله تعالى الدلالة على الإعجاز بالكلام فى آدم ثم ختم به فى محمد صلى الله عليه و آله قال السيد الأجل المرتضى قدس الله روحه و فى هذه الآية سؤال لم أجد أحدا من مفسرى القرآن تعرض له و ذلك أن يقال من أين علمت الملائكة صحه قول آدم و مطابقه الأسماء المسميات و هى لم تكن عالمه بذلك من قبل و الكلام يقتضى أنهم لما أنبأهم آدم بالأسماء علموا صحتها و لو لا ذلك لم يكن لقوله تعالى: «أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» معنى و لا- كانوا أيضا مستفيدين نبوته و تميزه و اختصاصه بما ليس لهم لأن كل ذلك إنما يتم مع العلم و الجواب أنه غير ممتنع أن يكون الله تعالى جعل لهم العلم الضرورى بصحة الأسماء و مطابقتها للمسميات أما عن طريق أو ابتداء بلا- طريق فعلموا بذلك تمييزه و اختصاصه و ليس فى علمهم بصحة ما أخبر به ما يقتضى العلم بنبوته ضروره بل بعده درجات و مراتب لا بد من الاستدلال عليها حتى يحصل العلم بنبوته ضروره. و وجه آخر و هو أنه لا يمتنع أن يكون للملائكة لغات مختلفة و كل قبيل منهم يعرف أسماء الأجناس فى لغته دون لغة غيره إلا أنه يكون إحاطه عالم واحد بأسماء الأجناس فى جميع لغاتهم خارقه للعاده فلما أراد الله تعالى التنبيه على نبوه آدم علمه جميع تلك الأسماء فلما أخبرهم بها علم كل فريق مطابقه ما أخبر به من الأسماء للغته و علم مطابقه ذلك لباقي اللغات بخبر كل قبيل و على هذا الجواب فيكون معنى أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ ليخبرني كل قبيل منكم بجميع الأسماء و هذان الجوابان مبنيان على أنه لم يتقدم لهم العلم بنبوه آدم و أن إخباره بالأسماء كان مفتتح معجزاته لأنه لو كان نبيا قبل ذلك و كانوا قد علموا نبوته بمعجزات تقدم ظهورها على يده لم يحتج إلى هذين الجوابين لأنهم يعلمون مطابقه الأسماء للمسميات بعد أن لم يعلموا بقوله الذى علموا أنه حق و صدق.

إشارة

وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَ اسْتَكْبَرَ وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤)

القراءة

قرأ أبو جعفر وحده للملائكة اسجدوا بضم التاء حيث وقع و كذلك قل رب احكم بضم الباء.

الإعراب

أتبع التاء ضمه الجيم و قيل أنه نقل ضمه الهمزة لو ابتدئ بها و الأول أقوى لأن الهمزة تسقط في الدرج فلا يبقى فيها حركة تنقل.

اللغة

السيجود الخضوع و التذلل في اللغة و هو في الشرع عبارة عن عمل مخصوص في الصلاة كالركوع و القنوت و غيرهما و هو وضع الجبهة على الأرض و يقال سجد و أسجد إذا خضع قال الأعشى:

من يلق هوذه يسجد غير متئب

إذا تعمم فوق الرأس أو خضعا

و قال آخر:

فكلتاها خرت و أسجد رأسها

كما سجدت نصرانه لم تحنف

و نساء سجد إذا كن فترات الأعين قال

(و لهوى إلى حور المدامع سجد)

و الإسجاد الإطراق و إدامه النظر في فتور و سكون قال:

أغرک منى أن ذلك عندنا

و أأى معناه ترك الطاعه و امتنع و الإباء و الترك و الامتناع بمعنى و نقيض أأى أأاب و رجل أأى من قوم أأاه و ليس الإباء بمعنى الكراهه لأن العرب تتمدح أنها تأبى الضيم و لا مدح فى كراهيه الضيم و إنما المدح فى الامتناع منه كقوله تعالى: «وَأَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَمَّ نُورُهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» أى يمنع الكافرين من إطفاء نوره و الاستكبار و التكبر و التعظم و التجبر نظائر و ضده التواضع و حقيقه الاستكبار الأنفه مما لا ينبغى أن يؤنف منه و قيل حده الرفع للنفس إلى منزله لا تستحقها فأصل الباب الكبر و هو العظم و يقال على وجهين كبر

الجته و كبر الشأن و الله سبحانه الكبير من كبر الشأن و ذلك يرجع إلى سعه مقصوراته و معلوماته فهو القادر على ما لا يتناهى من جميع أجناس المقصورات و العالم بجميع المعلومات و إبليس اسم أعجمى لا- ينصرف فى المعرفه للتعريف و العجمه قال الزجاج و غيره من النحويين هو اسم أعجمى معرب و استدلوا على ذلك بامتناع صرفه و ذهب قوم إلى أنه عربى مشتق من الإبلاس و وزنه إفعيل و أنشدوا للعجاج:

يا صاح هل تعرف رسما مكرسا

قال نعم أعرفه و أبلسا

و زعموا أنه لم يصرف استثقالا له من حيث أنه اسم لا نظير له فى أسماء العرب فشبهته العرب بأسماء العجم التى لا تنصرف و زعموا أن إسحاق من أسحقه الله تعالى إسحاقا و أيوب من أب يؤب و إدريس من الدرس فى أشباه ذلك و غلطوا فى جميع ذلك لأن هذه الألفاظ معربه وافقت الألفاظ العربيه و كان أبو بكر السراج يمثل ذلك على جهه التباعد بمن زعم أن الطير ولدت الحوت و غلطوا أيضا فى أنه لا نظير له فى أسماء العرب لأنهم يقولون إزميل للشفره و إغريض للطلع و إحريض لصبغ أحمر و يقال هو العصفور و سيف إصليت ماض كثير الماء و ثوب إضريح مشبع الصبغ و قالوا هو من الصفره خاصه و مثل هذا كثير و سبيل إبليس سبيل إنجيل فى أنه معرب غير مشتق.

الإعراب

قوله «وَإِذْ» فى موضع نصب لأنها معطوفه على إذ الأولى و قوله «لِآدَمَ» آدم فى موضع جر باللام لا ينصرف لأنه على وزن أفعل فإذا قلت مررت بآدم و آدم آخر فإن سيبويه و الخليل يقولان أنه لا ينصرف فى النكرة لأنك إذا نكرته فقد أعدته إلى حال كان فيها لا ينصرف قال الأخفش إذا سميت به فقد أخرجته من باب الصفه فيجب إذا نكرته أن تصرفه فتقول و آدم آخر و قوله «اسْجُدُوا» الأصل فى همزه الوصل أن تكسر لالتقاء الساكنين و لكنها ضمت لاستثقال الضمه بعد الكسره و كذلك كل ما كان ثالثه مضموما فى الفعل المستقبل نحو قوله انظُرُونَا و اقْتُلُوا يُوسُفَ و ليس فى كلام العرب فعل لكراتهم الضمه بعد الكسره و إبليس نصب على الاستثناء المتصل من الكلام الموجب و هو فى مذهب من جعله من الملائكه و على الاستثناء المنقطع على مذهب من جعله من غير الملائكه.

المعنى

ثم بين سبحانه ما آتاه آدم عليه السلام من الإعظام و الإجلال و الإكرام فقال و اذكر يا محمد «إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ» و الظاهر يقتضى أن الأمر بالسجود له كان لجميع الملائكه حتى جبرائيل و ميكائيل لقوله «فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ» و فى هذا

تأكيد للعموم وقال قوم أن الأمر كان خاصا لطائفه من الملائكة كانوا مع إبليس طهر الله بهم الأرض من الجن و اختلف فى سجود الملائكة لآدم على أى وجه كان

فالمروى عن أئمتنا عليه السلام أنه على وجه التكرمه لآدم و التعظيم لشأنه و تقديمه عليهم

و هو قول قتاده و جماعه من أهل العلم و اختاره على بن عيسى الرمانى و لهذا جعل أصحابنا رضى الله عنهم هذه الآيه دلالة على أن الأنبياء أفضل من الملائكة من حيث أنه أمرهم بالسجود لآدم و ذلك يقتضى تعظيمه و تفضيله عليهم و إذا كان المفضول لا يجوز تقديمه على الفاضل علمنا أنه أفضل من الملائكة و قال الجبائى و أبو القاسم البلخى و جماعه أنه جعله قبله لهم فأمرهم بالسجود إلى قبلتهم و فيه ضرب من التعظيم و هذا غير صحيح لأنه لو كان على هذا الوجه لما امتنع إبليس من ذلك و لما استعظمته الملائكة و قد نطق القرآن بأن امتناع إبليس عن السجود إنما هو لاعتقاده تفضيله به و تكرمه مثل قوله «أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ لُنْزُ أَخْرَجْتَنِي» و قوله «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» و لو لم يكن الأمر على هذا الوجه لوجب أن يعلمه الله تعالى بأنه لم يأمره بالسجود على جهه تعظيمه و تفضيله عليه و إنما أمره على الوجه الآخر الذى لا تفضيل فيه و لم يجز إغفال ذلك فإنه سبب معصيه إبليس و ضلالتة فلما لم يقع ذلك علمنا أن الأمر بالسجود له لم يكن إلا على وجه التعظيم و التفضيل و الإكرام و التبجيل ثم اختلف فى إبليس هل كان من الملائكة أم لا فذهب قوم

أنه كان منهم و هو المروى عن ابن عباس و ابن مسعود و قتاده و اختاره الشيخ السعيد أبو جعفر الطوسى قدس الله روحه قال و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و الظاهر فى تفاسيرنا ثم اختلف من قال أنه من الملائكة فمنهم من قال أنه كان خازنا على الجنان و منهم من قال كان له سلطان سماء الدنيا و سلطان الأرض و منهم من قال أنه كان يسوس ما بين السماء و الأرض و قال الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان قدس الله روحه أنه كان من الجن و لم يكن من الملائكة قال و قد جاءت الأخبار بذلك متواتره عن أئمة الهدى عليهم السلام و هو مذهب الإماميه و هو المروى عن الحسن البصرى و هو قول على بن عيسى و البلخى و غيره و احتجوا على صحه هذا القول بأشياء (أحدها) قوله تعالى: «إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ» و من أطلق لفظ الجن لم يجز أن يعنى به إلا الجنس المعروف و كل ما فى القرآن من ذكر الجن مع الإنس يدل عليه (و ثانيها) قوله تعالى: «لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» فنفى المعصيه عنهم نفيا

عاما (و ثالثها) أن إبليس له نسل و ذريه قال الله تعالى «أَفَتَتَّبِعُونَ ذُرِّيَّتَهُ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِي وَ هُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ» و قال الحسن إبليس أب الجن كما أن آدم أب الإنس و إبليس مخلوق من النار و الملائكة روحانيون خلقوا من الريح في قول بعضهم و من النور في قول الحسن لا يتناسلون و لا يطعمون و لا يشربون (و رابعها) قوله تعالى: «جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا» و لا يجوز على رسل الله الكفر و لا-الفسق و لو جاز عليهم الفسق لجاز عليهم الكذب و قالوا إن استثناء الله تعالى إياه منهم لا يدل على كونه من جملتهم و إنما استثناءه منهم لأنه كان مأمورا بالسجود معهم فلما دخل معهم في الأمر جاز إخراجه بالاستثناء منهم و قيل أيضا أن الاستثناء هنا منقطع كقوله تعالى «مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ» و أنشد سيبويه:

و الحرب لا يبقى لجا

حمها التخيل و المراح

إلا الفتى الصبار في

النجدات و الفرس الوقاح

و كقول النابغه

(و ما بالربع من أحد)

(إلا الأورى)

و يؤيد هذا القول ما

رواه الشيخ أبو جعفر بن بابويه رحمه الله في كتاب النبوه بإسناده عن ابن أبي عمير عن جميل بن دراج عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال سألته عن إبليس أ كان من الملائكة أو كان يلي شيئا من أمر السماء فقال لم يكن من الملائكة و لم يكن يلي شيئا من أمر السماء و كان من الجن و كان مع الملائكة و كانت الملائكة ترى أنه منها و كان الله سبحانه يعلم أنه ليس منها فلما أمر بالسجود لآدم كان منه الذى كان

و كذا رواه العياشى فى تفسيره و أما من قال أنه كان من الملائكة فإنه احتج بأنه لو كان من غير الملائكة لما كان ملوما بترك السجود فإن الأمر إنما يتناول الملائكة دون غيرهم و قد مضى الجواب عن هذا و يزيده بيانا قوله تعالى: «مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ» فعلمنا أنه من جملة المأمورين بالسجود و إن لم يكن من جملتهم و هذا كما إذا قيل أمر أهل البصره بدخول الجامع فدخلوا إلا-رجلا من أهل الكوفه فإنه يعلم من هذا أن غير أهل البصره كان مأمورا بدخول الجامع غير أن أهل البصره خصوا بالذكر لكونهم الأ-كثر فكذلك القول فى الآيه و أجاب القوم عن الاحتجاج الأول و هو قوله تعالى «كَانَ مِنَ الْجِنِّ» بأن الجن جنس من الملائكة سموا بذلك لاجتنانهم عن العيون قال الأعشى قيس بن ثعلبه:

و لو كان شىء خالدا أو معمرا

لكان سليمان البرى من الدهر

برأه إلهى و اصطفاه عباده

و ملكه ما بين تونا إلى مصر

و سخر من جن الملائك تسعه

قياماً لديه يعملون بلا أجر

ص: ١٠٧

وقد قال الله تعالى: «وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا» لأنهم قالوا الملائكة بنات الله و أجابوا عن الثانى و هو قوله تعالى: «لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ» الآيه بأنه صفة لخزنه النيران لا- لجميع الملائكة فلا يوجب عصمه لغيرهم من الملائكة و أجابوا عن الثالث بأنه يجوز أن يكون الله تعالى ركب فى إبليس شهوه النكاح تغليظا عليه فى التكليف و إن لم يكن ذلك فى باقى الملائكة و يجوز أن يكون الله تعالى لما أهبطه إلى الأرض تغيرت حاله عن حال الملائكة قالوا و أما قولكم أن الملائكة خلقوا من الريح و هو مخلوق من النار فإن الحسن قال خلقوا من النور و النار و النور سواء و قولكم إن الجن يطعمون و يشربون فقد جاء عن العرب ما يدل على أنهم لا يطعمون و لا يشربون أنشد ابن دريد قال أنشد أبو حاتم:

و نار قد حضأت بعيد وهن

بدار ما أريد بها مقاما

سوى ترحيل راحله و عين

أكالئها مخافه أن تناما

أتوا نارى فقلت منون أنتم

فقالوا الجن قلت عموا ظلما

فقلت إلى الطعام فقال منهم

زعيم نحسد الإنس الطعاما

لقد فضلتم بالأكل فينا

و لكن ذاك يعقبكم سقاما

فهذا يدل على أنهم لا يأكلون و لا يشربون لأنهم روحانيون و قد جاء فى الأخبار النهى عن التمسح بالعظم و الروث لأن ذلك طعام الجن و طعام دوابهم و قد قيل أنهم يتشممون ذلك و لا يأكلونه و أجابوا عن الرابع و هو قوله: «جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا» بأن هذه الآيه معارضه بقوله تعالى: «اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ» لأن من للتبعيض و كلا القولين مروى عن ابن عباس و روى عنه أنه قال أن الملائكة كانت تقاتل الجن فسبى إبليس و كان صغيرا فكان مع الملائكة فتعبد معها بالأمر بالسجود لآدم فسجدوا و أبى إبليس فلذلك قال الله تعالى: «إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ» و روى مجاهد و طاووس عنه أيضا أنه قال كان إبليس قبل أن يرتكب المعصيه ملكا من الملائكة اسمه عزازيل و كان من سكان الأرض و كان سكان الأرض من الملائكة يسمون الجن و لم يكن من الملائكة أشد اجتهادا و لا أكثر علما منه فلما تكبر على الله و أبى السجود لآدم و عصاه لعنه و جعله شيطانا و سماه إبليس و أما قوله تعالى: «وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ» قيل معناه كان كافرا فى الأصل و هذا القول يوافق مذهبنا فى الموافاه و قيل أراد كان فى علم الله تعالى من الكافرين و قيل معناه صار من الكافرين كقوله تعالى: «فَكَانَ مِنَ الْمُعْرِقِينَ» و استدل بعضهم بهذه

الآية على أن أفعال الجوارح من الإيمان فقال لو لم يكن كذلك لوجب أن يكون إبليس

ص: ١٠٨

مؤمننا بما معه من المعرفة بالله تعالى و إن فسق بآبائه و هذا ضعيف لأننا إذا علمنا كفره بالإجماع علمنا أنه لم يكن معه إيمان أصلا كما أننا إذا رأينا من يسجد للصنم علمنا أنه كافر و إن كان نفس السجود ليس بكفر و اختلفوا في صفه أمر الله سبحانه الملائكة بالسجود فقيل كان بخطاب من الله تعالى للملائكة و لإبليس و قيل بوحى من الله إلى من بعثه إليهم من رسله لأن كلام الرسول كلام المرسل و قيل أن الله تعالى أظهر فعلا- دلهم به على أنه أمرهم بالسجود فإن قيل لم حكم الله بكفره مع أن من ترك السجود الآن لا يكفر قلنا لأنه جمع إلى ترك السجود خصالا من الكفر منها أنه اعتقد أن الله تعالى أمره بالقيح و لم ير أمره بالسجود حكمه و منها أنه امتنع من السجود تكبرا و ردا على الله تعالى أمره و من تركه الآن كذلك يكفر أيضا و منها أنه استخف بنبي الله و ازدراه و هذا لا يصدر إلا من معتقد الكفر و في هذه الآية دلالة على بطلان مذهب الجبر من وجوه منها قوله «أبى» فدل على قدرته على السجود الذى أباه و تركه و إلا لم يصح وصفه بالآباء و منها قوله «فَسَيَجِدُوا» فدل على أن السجود فعلهم و منها أنه مدح الملائكة بالسجود و ذم إبليس بترك السجود و عندهم إنما لم يسجد لأنه لم يخلق فيه السجود و لا قدره الموجبه له.

البقرة (٢): آية ٣٥

إشارة

وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَ كَلَامِ مِنْهَا رَعَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَ لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥)

اللغة

السكون و الاطمئنان و الهدو نظائر و السكن بسكون الكاف العيال و أهل البيت و السكن بالفتح المنزل و السكن الرحمة و البركة فى قوله «إِنَّ صِيْلَاتِكَ سَيَكُنْ لَهُمْ» و الزوج بطرح الهاء قال الأصمعى هو أكثر كلام العرب و الأكل و المضغ و اللقم متقارب و ضد الأكل الأزم و سأل عمر بن الخطاب الحارث بن كلده طيب العرب فقال يا حار ما الدواء فقال الأزم أى ترك الأكل و الرغد النفع الواسع الكثير الذى ليس فيه عناء قال ابن دريد الرغد السعة فى العيش و المشيئة من قبيل الإرادة و كذلك المحبة و الاختيار و الإيثار و إن كان لها شروط ذكرت فى أصول الكلام و القرب الدنو قرب الشىء يقرب قربا و قرب فلان أهله يقرب قربانا إذا غشيها و ما قربت هذا الأمر قربانا و قربا و الشجره ما قام على ساق و جمعها أشجار و شجرات و شجر و تشاجر القوم اختلفوا أخذ من الشجر لاشتباك أغصانه

و الظلم و الجور و العدوان متقارب و ضد الظلم الإنصاف و ضد الجور العدل و أصل الظلم انتقاص الحق قال الله تعالى كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا أَي لَمْ تَنْقُصْ وَ قِيلَ أَصْلُهُ وَضَعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ مِنْ قَوْلِهِمْ مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ أَي فَمَا وَضَعَ الشَّبَهَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَ كِلَاهُمَا مَطْرُودٌ وَ عَلَى الْوَجْهِينِ فَالظُّلْمُ اسْمٌ ذَمٌّ لَا يَجُوزُ إِطْلَاقُهُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَ الْمُعْصُومِينَ.

الإعراب

قوله: «أَشْكُنُّ أَنْتَ وَ زَوْجَكَ» استقبح عطف الظاهر على الضمير المستكن و المتصل فقال «أَشْكُنُّ أَنْتَ وَ زَوْجَكَ الْجَنَّةَ» فأنت تأكيد للضمير المستكن في اسكن الذى هو فاعله و زوجك معطوف على موضع أنت فلو عطفه على الضمير المستكن لكان أشبه في الظاهر عطف الاسم على الفعل فأتى بالضمير المنفصل فعطفه عليه و رغدا منصوب لأنه صفة لمصدر محذوف كأنه قال أكلا رغدا أى واسعاً كثيراً و يجوز أن يكون مصدرا وضع موضع الحال من قوله «كُلا» قال الخليل يقال قوم رغدا و نساء رغدا و عيش رغدا و رغيد قال امرؤ القيس:

بينما المرء تراه ناعما

يأمن الأحداث في عيش رغدا

فعلى هذا يكون تقديره و كلا منها متوسعين في العيش و حيث مبنى على الضم كما تبنى الغايه نحو من قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ لأنه منع من الإضافة إلى مفرد كما منعت الغايه من الإضافة و إنما يأتى بعده جملة اسميه أو فعلية في تقدير المضاف إليه و «لا تَقْرَبَا» مجزوم بالنهى و الألف ضمير الفاعلين و قوله «فَتَكُونَا» يحتمل أمرين أحدهما أن يكون جوابا للنهى فيكون منصوبا بإضمار أن و أن مع الفعل فى تأويل اسم مفرد و إذا قدر إضمار أن بعد الفاء كان ذلك عطفاً على مصدر الفعل المتقدم فيكون تقديره لا يكون منكما قرب لهذه الشجرة فتكونا من الظالمين فيكون الكلام جملة واحده لأن المعطوف يكون من جملة المعطوف عليه و إنما سميانه جوابا لمشابهته الجزاء فى أن الثانى سببه الأول لأن معنى الكلام أن تقربا هذه الشجرة تكونا من الظالمين و الثانى أن يكون معطوفا على النهى فيكون مجزوما و تكون الفاء عاطفه جملة على جملة فكأنه قال فلا تكونا من الظالمين.

المعنى

ثم ذكر سبحانه ما أمر به آدم (عليه السلام) بعد أن أنعم عليه بما اختصه من العلوم لما أوجب له به من الإعظام و أسجد له الملائكة الكرام فقال عز اسمه «وَقُلْنَا» و هذه

نون الكبرياء والعظمه لا نون الجمع «يا آدمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ» أى اتخذت أنت وامرأتك الجنة مسكنا و مأوى لتأوى إليه و تسكن فيه أنت و امرأتك و اختلف فى هذا الأمر فقليل أنه أمر تعبد و قيل هو إباحه لأنه ليس فيه مشقه فلا يتعلق به تكليف و قوله «وَ كَلَّا» إباحه و قوله «وَ لَا تَقْرَبَا» تعبد بالاتفاق و روى عن ابن عباس و ابن مسعود أنه لما أخرج إبليس من الجنة و لعن و بقى آدم وحده استوحش إذ ليس معه من يسكن إليه فخلقت حواء ليسكن إليها و روى أن الله تعالى ألقى على آدم النوم و أخذ منه ضلعا فخلق منه حواء فاستيقظ آدم فإذا عند رأسه امرأه فسألها من أنت قالت امرأه قال لم خلقت قالت لتسكن إلى فقالت الملائكه ما اسمها يا آدم قال حواء قالوا و لم سميت حواء قال لأنها خلقت من حى فعنها قال الله تعالى «اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ» و قيل إنها خلقت قبل أن يسكن آدم الجنة ثم أدخلها مع الجنة و فى كتاب النبوه أن الله تعالى خلق آدم من الطين و خلق حواء من آدم فهمه الرجال الماء و الطين و همه النساء الرجال قال أهل التحقيق ليس يمتنع أن يخلق الله حواء من جملة جسد آدم بعد أن لا يكون مما لا يتم الحى حيا إلا معه لأن ما هذه صفته لا يجوز أن ينقل إلى غيره أو يخلق منه حى آخر من حيث يؤدى إلى أن لا يمكن إيصال الثواب إلى مستحقه لأن المستحق لذلك هو الجملة بأجمعها و إنما سميت حواء لأنها خلقت من حى على ما ذكرناه قبل و قيل لأنها أم كل حى و اختلف فى الجنة التى أسكن فيها آدم فقال أبو هاشم هى جنة من جنان السماء غير جنة الخلد لأن جنة الخلد أكلها دائم و لا تكليف فيها و قال أبو مسلم هى جنة من جنان الدنيا فى الأرض و قال أن قوله «اهْبِطُوا مِنْهَا» لا يقتضى كونها فى السماء لأنه مثل قوله «اهْبِطُوا مِصْرًا» و استدل بعضهم على أنها لم تكن جنة الخلد بقوله تعالى حكاية عن إبليس «هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ» فلو كانت جنة الخلد لكان آدم عالما بذلك و لم يحتج إلى دلاله و قال أكثر المفسرين و الحسن البصرى و عمرو بن عبيد و واصل بن عطاء و كثير من المعتزله كالجباى و الرمانى و ابن الإخشيد إنها كانت جنة الخلد لأن الألف و اللام للتعريف و صاروا كالعلم عليها قالوا و يجوز أن تكون وسوسه إبليس من خارج الجنة من حيث يسمعان كلامه قالوا و قال من يزعم أن جنة الخلد من يدخلها لا يخرج منها غير صحيح لأن ذلك إنما يكون إذا استقر أهل الجنة فيها للثواب فأما قبل ذلك فإنها تفنى لقوله تعالى «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» و قوله «وَ كَلَّا مِنْهَا رَعْدًا» أى كلا من الجنة كثيرا واسعا لا عناء فيه «حَيْثُ شِئْتُمَا» من بقاع الجنة و قيل منها أى من ثمارها إلا ما استثناه

«وَ لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ» أى لا تأكلا منها و هو المروى عن الباقر (عليه السلام)

فمعناه لا تقرباها بالأكل و يدل عليه أن المخالفه وقعت بالأكل

بلا خلاف لا بالذنوب منها و لذلك قال فأكلا منها فبذت لهما سوأتها و اختلف في هذا النهى فقليل أنه نهى التحريم و قيل أنه نهى التنزيه دون التحريم كمن يقول لغيره لا تجلس على الطرق و هو قريب من مذهبنا فإن عندنا أن آدم كان مندوبا إلى ترك تناول من الشجره و كان بالتناول منها تاركا نفلا و فضلا و لم يكن فاعلا لقبيح فإن الأنبياء عليه السلام لا يجوز عليهم القبائح لا صغيرها و لا- كبيرها و قالت المعتزله كان ذلك صغيره من آدم (عليه السلام) على اختلاف بينهم فى أنه وقع منه على سبيل العمد أو السهو أو التأويل و إنما قلنا أنه لا يجوز مواقعه الكبائر على الأنبياء عليه السلام من حيث إن القبيح يستحق فاعله به الذم و العقاب لأن المعاصى عندنا كلها كبائر و إنما تسمى صغيره بإضافتها إلى ما هو أكبر عقابا منها لأن الإحباط قد دل الدليل عندنا على بطلانه و إذا بطل ذلك فلا معصيه إلا و يستحق فاعلها الذم و العقاب و إذا كان الذم و العقاب منفيين عن الأنبياء عليه السلام و جب أن ينتفى عنهم سائر الذنوب و لأنه لو جاز عليهم شىء من ذلك لنفر عن قبول قولهم و المراد بالتنفير أن النفس إلى قبول قول من لا تجوز عليه شيئا من المعاصى أسكن منها إلى قول من يجوز عليه ذلك و لا يجوز عليهم كل ما يكون منفرا عنه من الخلق المشوهه و الهيئات المستنكره و إذا صح ما ذكرناه علمنا أن مخالفه آدم (عليه السلام) لظاهر النهى كان على الوجه الذى بيناه و اختلف فى الشجره التى نهى عنها آدم فقليل هى السنبله عن ابن عباس و قيل هى الكرمه عن ابن مسعود و السدى و قيل هى التينه عن ابن جريج و قيل

هى شجره الكافور يروى عن على (عليه السلام)

و قيل هى شجره العلم علم الخير و الشر عن الكلبي و قيل هى شجره الخلد التى كانت تأكل منها الملائكه عن ابن جردان و قوله «فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ» أى تكونا بأكلها من الظالمين لأنفسكما و يجوز أن يقال لمن بخش نفسه الثواب أنه ظالم لنفسه كقوله تعالى حكاية عن أيوب إني كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ حيث بخش نفسه الثواب بترك المندوب إليه و اختلفوا هل كان يجوز ابتداء الخلق فى الجنة فجوز البصريون من أهل العدل ذلك قالوا يجوز أن ينعمهم الله فى الجنة مؤبدا تفضلا منه لا على وجه الثواب لأن ذلك نعمه منه تعالى كما أن خلقهم و تعريضهم للثواب نعمه و قال أبو القاسم البلخي لا يجوز ذلك لأنه لو فعل ذلك لا يخلو إما أن يكونوا متعبدين بالمعرفه أو لا يكونوا كذلك فلو كانوا متعبدين لم يكن بد من ترغيب و ترهيب و وعد و وعيد و كان يكون لا بد من دار أخرى يجازون فيها و يخلدون و إن كانوا غير متعبدين كانوا مهملين و ذلك غير جائز و جوابه أنه سبحانه لو ابتداء خلقهم فى الجنة لكان يضطرهم إلى المعرفه و يلجئهم إلى فعل الحسن و ترك القبيح و متى راموا القبيح منعوا منه فلا يؤدى إلى ما قاله و هذا كما يدخل الله الجنة

الأطفال و غير المكلفين لا على وجه الثواب.

البقره (٢): آيه ٣٦

اشاره

فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦)

القراءه

قرأ حمزه فأزالهما بالألف و الباقرن «فَأَزَلَّهُمَا».

الإعراب

من قرأ أزالهما قال إن قوله «اسْتَكُنَّ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ» معناه اثبتا فثبتا فأزالهما الشيطان فقابل الثبات بالزوال الذى هو خلافه و حجه من قرأ «فَأَزَلَّهُمَا» أنه يحتمل تأويلين أحدهما كسبهما الزله و الآخر أزل من أزل أى عثر و يدل على الوجه الأول ما جاء فى التنزيل من قوله «ما نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَ قَسَمَ لَهُمَا إِنِّي لَكَمَا لَمَنِ النَّاصِحِينَ» و قوله «فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ» الآيه و قد نسب كسب الشيطان الزله إلى الشيطان فى قوله «إِنَّمَا اسْتَرَلَهُمُ الشَّيْطَانُ» و استرل و أزل بمعنى واحد و يدل على الوجه الثانى قوله «فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ» فكما أن خروج الإنسان عن الموضع الذى هو فيه انتقال منه إلى غيره كذلك عثاره و زلته.

اللغه

الزله و الخطيئه و المعصيه و السيئه بمعنى واحد و ضد الخطيئه الإصابه يقال زلت قدمه زلا و زل فى مقاتله زله و المزله المكان الدحض و المزله الزلل فى الدحض و أزلت إلى فلان نعمه أى أسديت و

فى الحديث من أزلت إليه نعمه فليشكرها

قال كثير:

و إنى و إن صدت لمتن و صادق

عليها بما كانت إلينا أزلت

و الأصل فى ذلك الزوال و الزله زوال عن الحق و أزاله الشيطان إذا أزاله عن الحق و الهبوط و النزول و الوقوع نظائر و هو التحرك من علو إلى سفلى و يقال هبطته و أهبطته و الهبوط كالحذور و هو الموضع الذى يهبطك من أعلى إلى أسفل و قد يستعمل الهبوط بمعنى الحلول فى المكان و النزول به قال الله تعالى اهْبِطُوا مِصْرًا و يقول القائل هبطنا بلد كذا يريد حللنا قال

زهير:

ما زلت أرمقهم حتى إذا هبطت

أيدي الركاب بهم من راكس فلقا

و العدو نقيض الولي و العداوه المصدر و أصله من المجاوزه و القرار الثبات و البقاء

ص: ١١٣

و ضد القرار الانزعاج و ضد الثبات الزوال و ضد البقاء الفناء و الاستقرار الكون أكثر من وقت واحد على حال و المستقر يحتمل أن يكون بمعنى الاستقرار و يحتمل أن يكون بمعنى المكان الذى يستقر فيه و المتاع و التمتع و المتعه و التلذذ متقاربه المعنى و كل شىء تمتعت به فهو متاع و الحين و المده و الزمان متقارب و الحين فى غير هذا الموضع سته أشهر يدل عليه قوله تعالى «تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا» و الحين يصلح للأوقات كلها إلا أنه فى الاستعمال فى الكثير منها أكثر.

المعنى

ثم بين سبحانه حال آدم عليه السلام قال «فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ» أى حملهما على الزله نسب الإزلال إلى الشيطان لما وقع بدعائه و وسوسته و إغوائه «عَنْهَا» أى عن الجنة و ما كانا فيه من عظيم الرتبة و المنزله و الشيطان المراد به إبليس «فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ» من النعمه و الدعه و يحتمل أن يكون أراد إخراجهما من الجنة حتى اهبطا و يحتمل أن يكون أراد من الطاعه إلى المعصيه و أضاف الإخراج إليه لأنه كان السبب فيه كما يقال صرفنى فلان عن هذا الأمر و لم يكن إخراجهما من الجنة و إهباطهما إلى الأرض على وجه العقوبه لأن الدليل قد دل على أن الأنبياء عليهم السلام لا تجوز عليهم القبائح على حال و من أجاز العقاب على الأنبياء فقد أساء عليهم الثناء و أعظم الفريه على الله سبحانه و تعالى و إذا صح ما قلناه فإنما أخرج الله آدم من الجنة لأن المصلحه قد تغيرت بتناوله من الشجره فاقتضت الحكمه و التدبير الإلهى إهباطه إلى الأرض و ابتلاءه بالتكليف و المشقه و سلبه ما ألبسه إياه من ثياب الجنة لأن إنعامه عليه بذلك كان على وجه التفضل و الامتنان فله أن يمنع ذلك تشديدا للبلوى و الامتحان كما له أن يفقر بعد الإغناء و يميت بعد الإحياء و يسقم بعد الصحه و يعقب المحنه بعد المحنه و يختلف فى كيفية وصول إبليس إلى آدم و حواء حتى وسوس إليهما و إبليس كان قد أخرج من الجنة حين أبى السجود و هما فى الجنة فقيل إن آدم كان يخرج إلى باب الجنة و إبليس لم يكن ممنوعا من الدنو منه فكان يكلمه و كان هذا قبل أن أهبط إلى الأرض و بعد أن أخرج من الجنة عن أبى على الجبائى و قيل أنه كلمهما من الأرض بكلام عرفاه و فهماه منه و قيل أنه دخل فى فقم الحيه و خاطبهما من فقمها و الفقم جانب الشدق و قيل أنه راسلهما بالخطاب و ظاهر القرآن يدل على أنه شافهما بالخطاب و قوله «و قُلْنَا اهْبِطُوا» خاطب بخطاب الجمع و فيه وجوه (أحدها) أنه خاطب آدم و حواء و إبليس و هو اختيار الزجاج و قول جماعه من المفسرين و هذا غير منكر و أن إبليس قد

أخرج قبل ذلك بدلاله قوله فَأَخْرُجُ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ فجمع الخبر للنبي صلى الله عليه وآله لأنهم قد اجتمعوا فى الهبوط و إن كانت أوقاتهم متفرقة فيه كما يقال أخرج جميع من فى الحبس و إن أخرجوا متفرقين و الثانى أنه أراد آدم و حواء و الحيه و فى هذا الوجه بعد لأن خطاب من لا- يفهم الخطاب لا يحسن و لأنه لم يتقدم للحيه ذكر و الكنايه عن غير مذكور لا تحسن إلا بحيث لا يقع لبس مثل قوله «حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ» و قوله «مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ» و قول حاتم:

أماوى ما يغنى الثراء عن الفتى

إذا حشرجت يوما و ضاق بها الصدر

(و الثالث) أنه أراد آدم و حواء و ذريتهما لأن الوالدين يدلان على الذريه و يتعلق بهما (و الرابع) أن يكون الخطاب يختص بآدم و حواء عليهما السلام و خاطب الاثنين على الجمع على عاده العرب و ذلك لأن الاثنين أول الجمع قال الله تعالى «إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمِّ الْقَوْمِ وَ كُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ» أراد حكم داود و سليمان و قد تأول قوله تعالى «فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ» على معنى فإن كان له أخوان (و الخامس) آدم و حواء و الوسوسة عن الحسن و هذا ضعيف و قوله «بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ» يعنى آدم و ذريته و إبليس و ذريته و لم يكن من آدم إليه ما يوجب عداوته إياه و لكن حسده الملعون و خالفه فنشأت بينهما العداوه ثم إن عداوه آدم له إيمان و عداوه إبليس له كفر و قال الحسن يريد بنى آدم و بنى إبليس و ليس ذلك بأمر بل هو تحذير يعنى أن الله تعالى لا يأمر بالعداوه فالأمر مختص بالهبوط و المعاداه يجرى مجرى الحال لأن الظاهر يقتضى أنه أمرهما بالهبوط فى حال عداوه بعضهم بعضا فأما على الوجه الذى يتضمن أن الخطاب يختص بآدم و حواء فالمراد به أن ذريتهما يعادى بعضهم بعضا و علق الخطاب بهما للاختصاص بين الذريه و بين أصلها و قوله «وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ» أى مقر و مقام و ثبوت بأن جعل الأرض قرارا لكم «وَ مَتَاعٌ» أى استمتاع «إِلَى حِينٍ» إلى وقت الموت و قيل إلى يوم القيامة و قيل إلى فناء الآجال أى كل امرئ مستقر إلى فناء أجله و قال أبو بكر السراج لو قال و لكم فى الأرض مستقر و متاع لظن أنه غير منقطع فقال «إِلَى حِينٍ» أى إلى حين انقطاعه و الفرق بين قول القائل أن هذا لكم حينا و بين قوله «إِلَى حِينٍ» إلى أن يدل على الانتهاء و لا بد أن يكون له ابتداء و ليس كذلك الوجه الآخر و فى هذه الآيه دلالة على أن الله تعالى لا يريد المعصيه و لا يصد أحدا عن الطاعة و لا يخرجها عنها

ص: ١١٥

و لا يسبب المعصيه ذلك إلى الشيطان جل ربنا و تقدس عما نسبه إلى إبليس و الشياطين و يدل أيضا على أن لوسوسه إبليس تأثيرا فى المعاصى.

البقره (٢): آيه ٣٧

إشاره

فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧)

القراءه

قرأ ابن كثير آدم بالنصب و كلمات بالرفع و قرأ الباقون برفع «آدم» و نصب «كلمات».

الإعراب

حجه ابن كثير فى نصب آدم أنه فى المعنى كالقراءه الأخرى فإن الأفعال المتعديه على ثلاثه أضرب منها ما يجوز فيه أن يكون الفاعل له مفعولا به و المفعول فاعلا نحو ضرب زيد عمروا و منها ما لا يجوز لك فيه نحو أكلت الخبز و نحوه و منها ما يكون إسناده إلى الفاعل فى المعنى كإسناده إلى المفعول به نحو نلت و أصبت و تلقيت تقول نالنى خير و نلت خيرا و أصابنى شىء و أصبت شيئا و تلقانى زيد و تلقيت زيدا و مثل هذه الآيه قوله تعالى «لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» و فى حرف عبد الله فيما قيل (لا ينال عهدى الظالمون).

اللغه

التلقى نظير التلقن يقال تلقيت منه أى أخذت و قبلت و أصله من لقيت خيرا فتعدى إلى مفعول واحد ثم يعدى إلى مفعولين بتضعيف العين نحو لقيت زيدا خيرا كقوله تعالى «وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا» و مطاوعه تلقيته بالقبول أى قبلته منه و من ذلك قول أبى مهديه فى آيات من القرآن تلقيتها من عمى تلقاها من أبى هريره تلقاها من رسول الله و تلقيت الرجل استقبلته و تلقانى استقبلنى و كلمات جمع كلمه و الكلمه اسم جنس لوقوعها على الكثير من ذلك و القليل قالوا قال امرؤ القيس فى كلمته يعنون فى قصيدته و قال قس فى كلمته يعنون خطبته فقد وقعت على الكثير و قيل لكل واحد من الكلم الثلاث كلمه فوقعت على القليل من الاسم المفرد و الفعل المفرد و الحرف المفرد و أما الكلام فإن سيبويه قد استعمله فيما كان مؤلفا من هذه الكلم و على هذا جاء التنزيل قال الله تعالى «يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ» يعنى به قوله تعالى «فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا» ألا ترى إلى قوله كَذَلِكَم قال الله مِنْ قَبْلِ يُقال كلمه تكليما و كلاما و تكلم تكلما و الكلم الجرح يقال كلمته أكلمه و أصل الباب التأثر و الكلم أثر دال على الجرح و الكلام أثر دال على المعنى الذى تحته و الذى حرره المتكلمون فى حد الكلام هو أنه ما انتظم من حرفين فصاعدا من هذه الحروف المعقوله إذا وقع ممن يصح منه أو من قبيله الإفاده و قال بعضهم هو ما انتظم من الحروف المسموعه المتميزه ليطمىز من

الكتابة التي ليست بمسموعه و يتميز من أصوات كثير من الطيور لأنها ليست بمتميزه و ينقسم الكلام إلى مهمل و مستعمل و إنما أراد سيويه بقوله إن المهمل لا يكون كلاماً أنه لا يكون مفيداً إذ الكلام عنده لا يقع إلا على المفيد و به قال أبو القاسم البلخي و التوبه و الإقلاع و الإنابه في اللغة نظائر و ضد التوبه الإصرار و الله تعالى يوصف بالتوب و معناه أنه يقبل التوبه عن عباده و أصل التوبه الرجوع عما سلف و الندم على ما فرط فالله تعالى تائب على العبد بقبول توبته و العبد تائب إلى الله تعالى بندمه على معصيته.

المعنى

قوله «فَتَلَقَى آدَمُ» أى قبل و أخذ و تناول على سبيل الطاعة «مِنْ رَبِّهِ» و رب كل شىء «كَلِمَاتٍ» و أعنى قوله «فَتَلَقَى» عن أن يقول فرغب إلى الله بهن أو سأله بحقهن لأن معنى التلقى يقيد ذلك و ينبئ عما حذف من الكلام اختصاراً و لهذا قال تعالى «فَتَابَ عَلَيْهِ» لأنه لا يتوب عليه إلا بأن سأل بتلك الكلمات و على قراءه من قرأ فتلقى آدم من ربه كلمات لا يكون معنى التلقى القبول بل معناه أن الكلمات تداركته بالنجاه و الرحمة و اختلف فى الكلمات ما هى فقيل هى قوله رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا الْآيَةَ عَنْ الْحَسَنِ وَ قَتَادَةَ وَ عِكْرَمَةَ وَ سَعِيدَ بْنَ جَبْرِ وَ أَنَّ فِي ذَلِكَ اعْتِرَافًا بِالْخَطِيئَةِ فَلِذَلِكَ وَقَعَتْ مَوْجِعَ النَّدَمِ وَ حَقِيقَتَهُ الْإِنَابَةَ وَ

قيل هى قوله (اللهم لا إله إلا أنت سبحانك و بحمدك رب إنى ظلمت نفسى فارحمنى إنك خير الراحمين) (اللهم لا إله إلا أنت سبحانك و بحمدك رب إنى ظلمت نفسى فتب على إنك أنت التواب الرحيم) عن مجاهد و هو المروى عن أبى جعفر الباقر

و قيل بل هى سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر و قيل و هى

روايه تختص بأهل البيت عليهم السلام أن آدم رأى مكتوباً على العرش أسماء معظمه مكرمه فسأل عنها فقيل له هذه أسماء أجل الخلق منزله عند الله تعالى و الأسماء محمد و على و فاطمه و الحسن و الحسين فتوسل آدم عليه السلام إلى ربه بهم فى قبول توبته و رفع منزلته

قوله «فَتَابَ عَلَيْهِ» فيه حذف أى تاب آدم فتاب الله عليه أى قبل توبته و قيل تاب عليه أى وفقه للتوبه و هداه إليها بأن لقنه الكلمات حتى قالها فلما قالها قبل توبته «إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ» أى كثير القبول للتوبه يقبل مره بعد مره و هو فى صفه العباد الكثير التوبه و قيل إن معناه أنه يقبل التوبه و إن عظمت الذنوب فيسقط عقابها قوله «الرَّحِيمُ» إنما ذكره ليدل به على أنه متفضل بقبول التوبه و منعم به و أن ذلك ليس على وجه الوجوب و إنما قال فتاب عليه و لم يقل عليهما لأنه اختصر و حذف للإيجاز و التغليب كقوله سبحان الله و تعالى «وَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ» و معناه أن يرضوهما و قوله «وَ إِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا

إليها» و كقول الشاعر

رمانى بأمر كنت منه و والدى

بريا و من جول الطوى رمانى

و قال الآخر:

نحن بما عندنا و أنت بما

عندك راض و الرأى مختلف

فكذلك معنى الآيه فتاب عليهما و قال الحسن البصرى لم يخلق الله آدم إلا للأرض و لو لم يعص لأخرجه إلى الأرض على غير تلك الحال و قال غيره يجوز أن يكون خلقه للأرض إن عصى و لغيرها إن لم يعص و هو الأقوى.

[فصل مختصر فى التوبه و شروطها و الاختلاف فيها]

اعلم أن من شروط التوبه الندم على ما مضى من القبيح و العزم على أن لا- يعود إلى مثله فى القبح فإن هذه التوبه أجمع المسلمون على سقوط العقاب عندها و اختلفوا فيما عداها و كل معصيه لله تعالى فإنه يجب التوبه منها و الطاعه لا يصح التوبه منها و عندنا يصح التوبه إذا كانت من ترك الندب و يكون ذلك على وجه الرجوع إلى فعله و على هذا يحمل توبه الأنبياء عليه السلام فى جميع ما نطق به القرآن و قبول التوبه و إسقاط العقاب عندها تفضل من الله تعالى غير واجب عليه عندنا و عند جميع المعتزله واجب و قد وعد الله تعالى بذلك و إن كان تفضلا و علمنا أنه لا يخلف الميعاد و أما التوبه من قبيح مع الإقامه على قبيح آخر يعلم أو يعتقد قبحه فعند أكثر المتكلمين هى صحيحه و عند أبى هاشم و أصحابه لا يصح و اعتمد الأولون على أن قالوا كما يجوز أن يمتنع عن قبيح لقبحه مع أنه يفعل قبيحا آخر و إن علم قبحه كذلك يجوز أن يندم من قبيح مع المقام على قبيح آخر يعلم قبحه و اختلفوا فى التوبه عند ظهور أشرط الساعه هل تصح أم لا فقال الحسن يحجب عنها عند الآيات الست و

روى عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال بادروا بالأعمال ستا طلوع الشمس من مغربها و الدجال و الدخان و دابه الأرض و خويصه أحدكم يعنى الموت و أمر العامه يعنى القيامه

و قيل لا شك أن التوبه عند بعض هذه الآيات تحجب و عند بعضها يجوز أن لا تحجب و الله أعلم.

ص: ١١٨

إشارة

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨)

القراءة

قرأ يعقوب فلا- خوف بنصب الفاء في جميع القرآن وقرأ الباقر بالرفع والتنوين وجمعوا على إثبات الألف في «هُدَايَ» و تحريك الياء و روى عن الأعرج بسكون الياء و هو غلط إلا أن يكون نوى الوقف و روى بعضهم هدى و هى لغه هذيل يقلبون الألف إلى الياء للياء التى بعدها لأن شأن ياء الإضافه أن يكسر ما قبلها فجعل قلب الألف ياء بدل كسرهما إذ الألف لا يتحرك فهو مثل على ولدى و قالوا هوى قال أبو ذؤيب:

سبقوا هوى و أعنقوا لسيلهم

فتخرموا و لكل جنب مضجع.

اللغة

الهبوط النزول من موضع عال إلى استفال و قد يستعمل فى هبوط المنزل قال لبيد:

كل بنى حره مصيرهم

قل و إن أكثروا من العدد

إن يغبطوا يهبطوا و إن أمروا

يوما فهم للفناء و الفند

و الإتيان و المجرى و الإقبال نظائر و نقيضه الذهاب و الانصراف و الاتباع و الاقتداء و الاحتذاء نظائر و التابع التالى و فى الحديث القاده و الأتباع فالقاده الساده و الأتباع الذين يتبعونهم و التبع ولد البقره و ثلاثه أتبعه و الجمع أتابع و التبغ الظل و الخوف و الجزع و الفرع نظائر و نقيض الخوف الأمن و طريق مخوف يخافه الناس و مخيف يخيف الناس و الحزن و الغم و الهم نظائر و نقيضه السرور يقال حزن حزنا و حزنه حزنا و يقال حزنه و أحزنه و هو محزون و محزن و قال قوم لا يقولون حزنه الأمر و يقولون يحزنه فإذا صاروا إلى الماضى قالوا أحزنه و هذا شاذ نادر لأنه استعمل أحزن و أهمل يحزن و استعمل يحزن و أهمل حزن و أصل الباب غلظ الهم مأخوذ من الحزن و هو ما غلظ من الأرض.

الإعراب

إما هو أن الجزاء دخلت عليها "ما" ليصح دخول نون التأكيد في الفعل و لو أسقطت لم يجر دخول النون لأنها لا تدخل في
الخير الواجب إلا في القسم أو ما أشبه

ص: ١١٩

القسم كقولك زيد ليأتينك و لو قلت بغير لام لم يجز و كذلك تقول بعين ما أرينك و بجهد ما تبلغن و فى عضه ما يبتن شكيرها و لو قلت بعين أرينك بغير ما لم يجز فدخل ما هاهنا كدخل اللام فى أنها تؤكد أول الكلام و تؤكد النون آخره و الأمر و النهى و الاستفهام تدخل النون فيه و إن لم يكن معه ما إذ كان الأمر و النهى مما يشتد الحاجة إلى التوكيد فيه و الاستفهام مشبه به إذ كان معناه أخبرنى و النون إنما تلحق للتوكيد فلذلك كان من مواضعها قال الله تعالى «لَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكِ غَدًا» قال الزجاج و إنما فتح ما قبل النون فى قوله «يَأْتِيَنَّكُمْ» لسكون الياء و سكون النون الأولى قال أبو على و لو كان كذلك لما حرك فى نحو هل تضربن و نحوه من الصحيح لأن الساكنين لا يلتقيان فى هذا النحو و فى هذا ما يدل على أن هذه الحركة للبناء دون ما ذكره من التقاء الساكنين و جواب الشرط فى الفاء مع الشرط الثانى و جزائه لأن الشرط و جوابه بمنزله المبتدأ و الخبر فكما أن المبتدأ لا يتم إلا بخبره فكذلك الشرط لا يتم إلا بجزائه و لك أن تجعل خبر المبتدأ جملة هى مبتدأ و خبر كقولك زيد أبوه منطلق فكذلك أن التى للجزاء إذا كان جوابه بالفاء و وقع بعد الفاء الكلام مستأنفا صلح أن يكون جزاء و غير جزاء تقول إن تأتني فأنت مكرم و لك أن تقول أن تأتني فمن يكرمك أكرمه فقوله «فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ» شرط و يأتينكم فى موضع الجزم بيان و جزاؤه الفاء و ما بعده من قوله «فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ» الآية و من فى موضع الرفع بالابتداء و تبع فى موضع الجزم بالشرط و جزاؤه الفاء و ما بعده و هو قوله «فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ» و لا خوف عليهم جملة اسميه «وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» جملة اسميه معطوفه على الجملة التى قبلها و الفاء مع ما بعده فى موضع جزم بالجزاء لقوله «فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ» و الشرط و الجزاء مع معنى حرف الشرط الذى تضمنته من فى موضع رفع بأنها خبر المبتدأ الذى هو من ثم الفاء و ما بعده من قوله «فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ» الآية فى موضع جزم بأنه جزاء لقوله «فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ» و هذا فى المقدمات القياسيه يسمى الشرطيه المركبه و ذلك أن المقدم فيها إذا وجب وجب التالى المركب عليه.

المعنى

ثم بين تعالى إهباطهم إلى الأرض فقال «اهْبُطُوا» أى انزلوا و الخطاب لآدم و حواء على ما ذكرناه من الاختلاف فيه فيما تقدم و اختلف فى تكرار الهبوط فقيل الهبوط الأول من الجنة إلى السماء و هذا الهبوط من السماء إلى الأرض عن أبى على و قيل إنما كرر للتأكيد و قيل إنما كرر لاختلاف الحالين فقد بين بقوله «وَقُلْنَا اهْبُطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ» إن الإهباط إنما كان فى حال عداوه بعضهم لبعض و بين بقوله «قُلْنَا اهْبُطُوا

مِنْهَا جَمِيعاً فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى» أن الإهباط إنما كان للابتلاء و التكليف كما يقال اذهب سالما معافى اذهب مصاحباً و إن كان الذهاب واحداً لاختلاف الحالين «فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى» أى بيان و دلالة و قيل أنبياء و رسل و على هذا القول الأخير يكون الخطاب فى قوله اهبطوا لآدم و حواء و ذريتهما كقوله تعالى «فَقَالَ لَهَا وَ لِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ» أى أتينا بما فينا من الخلق طائعين «فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ» أى اقتدى برسلى و احتذى أدلتى فلا يلحقهم خوف من أهوال يوم القيامة من العقاب و لا هم يحزنون على فوات الثواب فأما الخوف و الحزن فى الدنيا فإنه يجوز أن يلحقهم لأن من المعلوم أن المؤمنين لا ينفكون منه و فى هذه الآية دلالة على أن الهدى قد يثبت و لا اهتداء و أن الاهتداء إنما يقع بالاتباع و القبول.

البقرة (٢): آية ٣٩

إشارة

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩)

اللغة

الكفر و التكذيب قد مضى معناهما فيما تقدم ذكره و الآيات جمع آية و معنى الآية فى اللغة العلامة و منه قوله تعالى «عِيداً لِأَوْلِنَا وَ آخِرِنَا وَ آيَةٌ مِّنْكَ» أى علامه لإجابتك دعاءنا و كل آية من كتاب الله علامه و دلالة على المضمون فيها و قال أبو عبيده معنى الآية أنها علامه لانقطاع الكلام الذى قبلها و انقطاعه من الذى بعدها و قيل إن الآية القصه و الرساله قال كعب بن زهير:

ألا أبلغا هذا المعرض آية

أ يقظان قال القول إذ قال أم حلم

أى رساله فعلى هذا يكون معنى الآيات القصص أى قصه تتلو قصه و قال ابن السكيت خرج القوم بآيتهم أى بجماعتهم لم يدعوا وراءهم شيئاً و على هذا يكون معنى الآية من كتاب الله جماعه حروف داله على معنى مخصوص و الأصحاب جمع الصاحب و هو القرين و أصل الصحبه المقارنه فالصاحب هو الحاصل مع آخر مده لأنه إذا اجتمع معه وقتاً واحداً لم يكن صاحباً له لكن يقال صحبه وقتاً من الزمان ثم فارقه.

الإعراب

موضع أولئك يحتمل ثلاثه أوجه (أحدها) أن يكون بدلاً من الذين أو عطف بيان و أصحاب النار بيان عن أولئك مجراه مجرى الوصف و الخبر هم فيها خالدون و الثانى أن يكون ابتداء و خبراً فى موضع الخبر الأول و الثالث أن يكون على خبرين بمنزله خبر واحد كقولك هذا حلوا حامض فإن قيل فلم دخلت الفاء فى موضع آخر مثل قوله

«فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ» و لم يدخل هاهنا قلنا لأن ما دخل فيه الفاء من خير الذى و أخواته مشبهه بالجزاء و ما لم يكن فيه فاء فهو على أصل الخبر و إذا قلت ما لى فهو لك أن أردت ما بمعنى الذى جاز و إن أردت به المال لم يجز.

المعنى

«الَّذِينَ كَفَرُوا» أى جحدوا «وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا» أى دلالاتنا و ما أنزلناه على الأنبياء ف «أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ» أى الملازمون للنار «هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» أى دائمون و فى هذه الآية دلالة على أن من مات مصرا على كفره غير تائب منه و كذب بآيات ربه فهو مخلد فى نار جهنم و آيات الله دلائله و كتبه المنزلة على رسله و الآية مثل الحجج و الدلالة و إن كان بينهما فرق فى الأصل يقال دلالة هذا الكلام كذا و لا يقال آيته و من استدل بهذه الآية على أن عمل الجوارح قد يكون من الكفر بقوله «وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا» فقله يفسد بأن التكذيب نفسه و إن لم يكن كفرا فهو دلالة على الكفر لأنه لا يقع إلا من كافر كالسجود للشمس و غيره.

البقرة (٢): آية ٤٠

إشارة

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ أَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَ إِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٤٠)

القراءة

القراءة المشهورة «إِسْرَائِيلَ» مهموز ممدود مشبع و هو الفصيح و روى فى الشواذ عن الحسن و الزهري إسرائيل بلا همز و لا مد و عن الأعمش و عيسى بن عمر كذلك و حكى عن الأخفش إسرائيل بكسر الهمزة من غير ياء و حكى قطرب إسرائيل من غير همز و لا ياء و إسرئيل بالنون قال أبو على

اللغة

الابن و الولد و النسل و الذرية متقاربه المعانى إلا أن الابن للذكر و الولد يقع على الذكر و الأنتى و النسل و الذرية يقع على جميع ذلك و أصله من البناء و هو وضع الشىء على الشىء فالابن مبنى على الأب لأن الأب أصل و الابن فرع و البنوه مصدر الابن و إن كان من الياء كالفتوه مصدر الفتى و تثنيته فتيان و إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم و قيل أصله مضاف لأن إسر معناه عبد و ئيل هو الله بالعبرانية فصار مثل عبد الله و كذلك جبرائيل و ميكائيل و الذكر الحفظ للشىء بذكره و ضده النسيان و الذكر جرى الشىء على لسانك و الذكر الشرف فى قوله «وَ إِنَّهُ لَعَدِ كُرُّ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ» و الذكر الكتاب الذى فيه تفصيل الدين و كل كتاب من كتب الأنبياء ذكر و الذكر الصلاة و الدعاء و

فى الأثر كانت الأنبياء إذا أحزنهم أمر فرعوا إلى الذكر

أى إلى الصلاة و أصل الباب التنبيه على الشىء قال صاحب العين تقول وفيت بعهدك وفاء و أوفيت لغه تهامه قال الشاعر فى

الجمع بين اللغتين:

أما ابن عوف فقد أوفى بدمته

كما وفى بقلاص النجر حاديها

يعنى به الدبران و هو التالى و العهد الوصيه و الرهبه الخوف و ضدها الرغبه و فى المثل رهبوت خير من رحموت أى لأن ترهب خير من أن ترحم.

الإعراب

يا حرف النداء و هى فى موضع نصب لأنه منادى مضاف و إسرائيل فى موضع جر لأنه مضاف إليه و فتح لأنه غير منصرف و فيه سببان العجمه و التعريف و قوله «وَإِيَّائِى» ضمير منصوب و لا يجوز أن يكون منصوبا بقوله «فَارْهَبُونِ» لأنه مشغول كما لا يجوز أن يقول إن زيدا فى قولك زيدا فاضربه منصوب باضربه و لكنه يكون منصوبا بفعل يدل عليه ما هو مذكور فى اللفظ و تقديره و إياى ارهبوا فارهبون و لا- يظهر ذلك لأنه استغنى عنه بما يفسره و إن صح تقديره و لا يجوز فى مثل ذلك الرفع على أن يكون الخبر فارهبون إلا

ص: ١٢٢

على تقدير محذوف كما أنشد سيبويه:

و قائله خولان فانكح فتاتهم

و أكرومه الحيين خلو كما هياً

تقديره هؤلاء خولان فانكح فتاتهم و على ذلك حمل قوله تعالى «وَ السَّارِقِ وَ السَّارِقَةَ فَاقْتَعُوا أَيْدِيَهُمَا» و «الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ» و تقديره و فيما يتلى عليكم السارق و السارقة فاقطعوا أيديهما و فيما فرض عليكم الزانية و الزانى فاجلدوا كل واحد منهما.

المعنى

لما عم الله تعالى جميع الخلق بالحجج الواضحة على توحيدته و ذكرهم ما أنعم به عليهم فى أبيهم آدم عليه السلام خص بنى إسرائيل بالحجج و ذكرهم ما أسدى إليهم و إلى آبائهم من النعم فقال «يا بَنِي إِسْرَائِيلَ» يعنى يا بنى يعقوب نسبهم إلى الأب الأعلى كما قال يا بَنِي آدَمَ و الخطاب لليهود و النصارى و قيل هو خطاب لليهود الذين كانوا بالمدينه و ما حولها عن ابن عباس «أذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ» أراد بذلك النعم التى أنعم بها على أسلافهم من كثره الأنبياء فيهم و الكتب و إنجائهم من فرعون و من الغرق على أعجب الوجوه و إنزال المن و السلوى عليهم و كون الملك فيهم فى زمن سليمان عليه السلام و غير ذلك و عد النعمة على آبائهم نعمه عليهم لأن الأولاد يتشرفون بفضيله الآباء و هذا كما يقال فى المفاخره قتلناكم يوم الفخار و هزناكم يوم ذى قار و غلبناكم يوم النصار و ذكر النعمة بلفظ الواحد و المراد بها الجنس كقوله تعالى «وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا» و الواحد لا يمكن عده و قيل المراد بها النعم الواصلة إليهم مما اختصاصوا به دون آبائهم و اشتركوا فيه مع آبائهم فكان نعمه على الجميع فمن ذلك تبقية آبائهم حتى تناسلوا فصاروا من أولادهم و من ذلك خلقه إياهم على وجه يمكنهم معه الاستدلال على توحيدته و الوصول إلى معرفته فيشكروا نعمه و يستحقوا ثوابه و من ذلك ما يوصل إليهم حالا بعد حال من الرزق و يدفع عنهم من المكاره و الأسواء و ما يسبغ عليهم من نعم الدين و الدنيا فعلى القول الأول تكون الآية تذكيرا بالنعم عليهم فى أسلافهم و على القول الثانى تكون تذكيرا بالمنعم عليهم، و من النعم على أسلافهم ما ذكره فى قوله «وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلْنَا فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَ جَعَلْنَاكُمْ مَلُوكًا وَ آتَيْنَاكُمْ مَا لَمْ يَأْتِ مِنَ الْعَالَمِينَ» و قال ابن الأبارى أراد اذكروا ما أنعمت به عليكم فيما استودعتكم من علم التوراه و بينت لكم من صفه محمد صلى الله عليه و آله و ألزمتكم من تصديقه و اتباعه فلما بعث و لم يتبعوه كانوا كالناسين لهذه النعمة و قوله «وَ أَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ» قيل فيه

وجوه (أحدها) أن هذا العهد هو أن الله تعالى عهد إليهم في التوراه أنه باعث نبيا يقال له محمد فمن تبعه كان له أجران اثنان أجر باتباعه موسى وإيمانه بالتوراه وأجر باتباعه محمدا وإيمانه بالقرآن من كفر به تكاملت أوزاره وكانت النار جزاءه فقال «أَوْفُوا بِعَهْدِي» في محمد «أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ» أدخلكم الجنة عن ابن عباس فسمى ذلك عهدا لأنه تقدم به إليهم في الكتاب السابق وقيل إنما جعله عهدا لتأكيد عهدا بمنزله العهد الذي هو اليمين كما قال سبحانه «وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ» (و ثانيها) أنه العهد الذي عاهدهم عليه حيث قال «خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ» أي بجد «وَادْكُرُوا مَا فِيهِ» أي ما في الكتاب عن الحسن (و ثالثها) أنه ما عهد إليهم في سورة المائدة حيث قال «وَ لَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ بَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَ آتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَ آمَنْتُمْ بِرُسُلِي» الآية عن قتاده (و رابعها) أنه أراد جميع الأوامر والنواهي (و خامسها) أنه جعل تعريفه إياهم نعمه عهدا عليهم و ميثاقا لأنه يلزمهم القيام بما يأمرهم به من شكر هذه النعم كما يلزمهم الوفاء بالعهد و الميثاق الذي يؤخذ عليهم و الأول أقوى لأن عليه أكثر المفسرين و به يشهد القرآن و قوله «وَ إِيَّايَ فَارْهَبُونِ» أي خافوني في نقض العهد و في هذه الآية دلالة على وجوب شكر النعمة و

في الحديث التحدث بالنعمة شكر

و فيها دلالة على عظم المعصية في جحود النعم و كفرانها و لحوق الوعيد الشديد بكتمانها و يدل أيضا على ثبوت أفعال العباد إذ لو لم تكن لهم أفعال لما صح العهد و الأمر و النهي و الوعد و الوعيد و لأدى إلى بطلان الرسل و الكتب ..

البقرة (٢): آية ٤١

إشارة

وَ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَ لَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَ لَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَ إِيَّايَ فَاتَّقُونِ (٤١)

اللغة

قوله «أَوَّلَ كَافِرٍ» قال الزجاج يعنى أول الكافرين و فيه قولان قال الأخفش معناه أول من كفر به و قال غيره من البصريين معناه أول فريق كافر به أي بالنبي صلى الله عليه و آله و قال و كلا القولين صواب حسن و نظير قوله «أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ» قال الشاعر:

و إذا هم طعموا فالأم طاعم

و إذا هم جاعوا فشر جياع

و الثمن و العوض و البدل نظائر و بينها فروق فالثمن هو البدل في البيع من العين أو الورق و إذا استعمل في غيرهما كان مشبها بهما و مجازا و العوض هو البدل الذي ينتفع به

كائنا ما كان و البديل هو الشىء الذى يجعل مكان غيره و ثوب ثمين كثير الثمن و الثمين الثمن و الفرق بين الثمن و قيمه أن الثمن قد يكون وفقا و قد يكون بخسا و قد يكون زائدا و قيمه لا تكون إلا مساويه المقدار للثمن من غير نقصان و لا زياده.

الإعراب

مصدقا نصب لأنه حال من الهاء المحذوفه من أنزلت كأنه قال أنزلته مصدقا و يصلح أن ينتصب بآمنوا كأنه قال آمنوا بالقرآن مصدقا و معكم صلته لما و العامل فيه الاستقرار أى الذى استقر معكم و الهاء فى به عائد إلى ما فى قوله «بِما أَنْزَلْتُ» إلى ما فى قوله «لِما مَعَكُمْ» و نصب «أَوَّلَ كَافِرٍ» لأنه خبر كان.

المعنى

ثم قال مخاطبا لليهود «وَ آمِنُوا» أى صدقوا «بِما أَنْزَلْتُ» على محمد صلى الله عليه و آله من القرآن لأنه منزل من السماء إلى الأرض «مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ» من التوراه أمرهم بالتصديق بالقرآن و أخبرهم أن فى تصديقهم بالقرآن تصديقا منهم للتوراه لأن الذى فى القرآن من الأمر بالإقرار بالنبوه لمحمد صلى الله عليه و آله و تصديقه نظير الذى فى التوراه و الإنجيل فإن فيهما البشاره بمحمد و بيان صفته فالقرآن مصدق لهما و قيل معناه أنه يصدق بالتوراه و الإنجيل فإن فيهما البشاره بمحمد و بيان صفته فالقرآن مصدق لهما و قيل معناه أنه يصدق بالتوراه لأن فيه الدلاله على أنه حق و أنه من عند الله و الأول أوجه لأنه يكون حجه عليهم بأن جاء القرآن بالصفه التى تقدمت بها بشاره موسى و عيسى عليه السلام و قوله «وَ لَا تُكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ» أى بالقرآن من أهل الكتاب لأن قريشا قد كانت قد كفرت به بمكة قبل اليهود و قيل المعنى و لا تكونوا السابقين إلى الكفر به فیتبعكم الناس أى لا- تكونوا أئمة فى الكفر به عن أبى العالیه و قيل المعنى و لا تكونوا أول جاحدين صفه النبى فى كتابكم فعلى هذا تعود الهاء فى به إلى النبى صلى الله عليه و آله عن ابن جريج و قيل المعنى و لا تكونوا أول كافر بما معكم من كتابكم لأنكم إذا جحدتم ما فيه من صفه النبى صلى الله عليه و آله فقد كفرتم به قال الزجاج و قواه بأن الخطاب وقع على علماء أهل الكتاب فإذا كفروا كفر معهم الأتباع فلذلك قيل لهم «وَ لَا تُكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ» قال و لو كان الهاء فى به للقرآن فلا فائده فيه لأنهم كانوا يظهرون أنهم كافرون بالقرآن و قال على بن عيسى يحتمل أن يكون أول كافر بالقرآن أنه حق فى كتابكم و إنما عظم أول الكفر لأنهم إذا كانوا أئمة لهم و قدوه فى الضلاله كانت ضلالتهم أعظم نحو ما

روى عن النبى صلى الله عليه و آله من سن سنة حسنه فله أجرها و أجر من عمل بها إلى يوم القيامة و من سن سنة سيئه كان عليه وزرها و وزر من عمل بها إلى يوم القيامة

و ليس فى نهيه عن أن يكونوا أول كافر به دلالة على أنه

يجوز أن يكونوا آخر كافر لأن المقصود النهى عن الكفر على كل حال و خص أولا بالذكر لما ذكرناه من عظم موقعه كما قال الشاعر

من أناس ليس فى أخلاقهم

عاجل الفحش و لا سوء الجزع

و ليس يريد أن فيهم فحشا آجلا و قوله «و لا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا»

روى عن أبى جعفر عليه السلام فى هذه الآية قال كان حىى بن أخطب و كعب بن الأشرف و آخرون من اليهود لهم مأكله على اليهود فى كل سنه ففكرهوا بطلانها بأمر النبى صلى الله عليه و آله فحرفوا لذلك آيات من التوراه فيها صفته و ذكره فذلك الثمن الذى أريد فى الآية

قال الفراء إنما أدخل الباء فى الآيات دون الثمن فى سورة يوسف أدخله فى الثمن فى قوله «و شَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ» لأن العروض كلها أنت مخير فيها إن شئت قلت اشترت الثوب بكساء و إن شئت قلت اشترت بالثوب كساء أيهما جعلت ثمنا لصاحبه جاز فإذا جئت إلى الدراهم و الدينير وضعت الباء فى الثمن كقوله «و شَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ» لأن الدراهم ثمن أبدا و المعنى لا- تستبدلوا بآياتى أى بما فى التوراه من بيان صفه محمد و نعتة ثمنا قليلا أى عرضا يسيرا من الدنيا «و إِيَّايَ فَاتَّقُونِ» فإخشونى فى أمر محمد صلى الله عليه و آله لا- ما يفوتكم من المأكل و الرئاسه و تقييده الثمن بالقله لا يدل على أنه إذا كان كثيرا يجوز شراؤه به لأن المقصود أن أى شىء باعوا به آيات الله كان قليلا و أنه لا يجوز أن يكون ثمن يساويه كقوله «و مَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ» و إنما أراد بذلك نفى البرهان عنه على كل حال و أنه لا يجوز أن يكون عليه برهان و مثله قوله «و يَقْتُلُونَ النَّبِيَّيْنَ بِغَيْرِ حَقٍّ» و إنما أراد أن قتلهم لا يكون إلا بغير حق و نظائر ذلك كثيره و منه قول امرئ القيس:

على لأحب لا يهتدى بمناره

إذا سافه العود الدياتى جرجرا

و إنما أراد أنه لا منار هناك فيهتدى به و فى هذه الآية دلالة على تحريم أخذ الرشى فى الدين لأنه لا يخلو إما أن يكون أمرا يجب إظهاره أو يحرم إظهاره فالأخذ على مخالفه كلا الوجهين حرام و هذا الخطاب يتوجه أيضا على علماء السوء من هذه الأمة إذا اختاروا الدنيا على الدين فتدخل فيه الشهادات و القضايا و الفتاوى و غير ذلك.

البقره (٢): آيه ٤٢

إشاره

و لا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَ تَكْتُمُوا الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤٢)

اللبس و التغطية و التعمية نظائر و الفرق بين التغطية و التعمية أن التغطية تكون بالزيادة و التعمية قد تكون بالنقصان و الزيادة و ضد اللبس الإيضاح و اللباس ما وارت به جسدك و لباس التقوى الحياء و اللبس خلط الأمور بعضها ببعض و الفعل لبس الأمر يلبس لبسا و لبس الثوب يلبسه لبسا و الفرق بين اللبس و الإخفاء أن الإخفاء يمكن أن يدرك معه المعنى و لا يمكن مع اللبس إدراك المعنى و الإشكال قد يدرك معه المعنى إلا أنه بصعوبة لأجل التعقيد و

قال أمير المؤمنين عليه السلام للحريث بن حوط يا حار إنه ملبوس عليك أن الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف أهله

و الباطل و البطل واحد و هو ضد الحق و البطلان و الفساد و الكذب و الزور و البهتان نظائر و أبطلت الشيء جعلته باطلا و أبطل الرجل جاء بباطل.

الإعراب

قوله «و تَكْتُمُوا الْحَقَّ» يحتمل وجهين من الإعراب أحدهما الجزم على النهي كأنه قال لا تلبسوا الحق و لا تكتنموا فيكون عطف جملة على جملة و الآخر النصب على الظرف بإضمار أن فيكون عطف الاسم على مصدر الفعل الذى قبله و تقديره لا يكن منكم لبس الحق و كتمانته و دل تلبسوا على لبس كما يقال من كذب كان شرا له فكذب يدل على الكذب فكأنه قال من كذب كان الكذب شرا قال الشاعر فى مثله

لا تنه عن خلق و تأتى مثله

عار عليك إذا فعلت عظيم

أى لا تجمع بين النهي عن خلق و الإتيان بمثله.

المعنى

«لا- تَلْبِسُوا» أى لا و تخلطوا «الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ» و معنى لبسهم الحق بالباطل أنهم آمنوا ببعض الكتاب و كفروا ببعض لأنهم جحدوا صفة النبى صلى الله عليه و آله فذلك الباطل و أقروا بغيره مما فى الكتاب و قيل معناه لا تحرفوا الكلم عن مواضعه فالتحريف هو الباطل و تركهم ما فى الكتاب على ما هو به هو الحق و قال ابن عباس لا تخلطوا الصدق بالكذب و قيل الحق التوراه التى أنزلها الله على موسى و الباطل ما كتبه بأيديهم و قيل الحق إقرارهم أن محمدا مبعوث إلى غيرهم و الباطل إنكارهم أن يكون بعث إليهم و قوله «و تَكْتُمُوا الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» أى لا- تكتنموا صفة النبى صلى الله عليه و آله فى التوراه و أنتم تعلمون أنه حق و الخطاب متوجه إلى رؤساء أهل الكتاب كما وصفهم بأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه للتليس على أتباعهم و هذا تقييح لما يفعلونه أى يجحدون ما يعلمون و جحد العالم أعظم من جحد الجاهل و قيل معناه و أنتم تعلمون البعث و الجزاء و قيل معناه و أنتم تعلمون ما أنزل بنى إسرائيل و ما سينزل بمن كذب على الله تعالى و قيل معناه و أنتم

تعلمون ما نزل بينى إسرائيل من المسخ و غيره فإن قيل كيف يجوز أن يكون هؤلاء عارفين بنبوه محمد و ذلك مبنى على معرفه الله و عندكم أن من عرف الله لا- يجوز أن يكفر و هؤلاء صاروا كفارا و ماتوا على كفرهم قلنا لا يمتنع أن يكونوا عرفوا الله على وجه لا يستحقون به الثواب لأن الثواب إنما يستحق بأن ينظروا من الوجه الذى يستحق به الثواب فإذا نظروا على غير ذلك الوجه لا يستحقون الثواب فعلى هذا يجوز أن يكونوا عارفين بالله و التوراه و بصفات النبى صلى الله عليه و آله و إن لم يستحقوا الثواب فلا يمتنع أن يكفروا و قال بعض أصحابنا استحقاقهم الثواب على إيمانهم مشروط بالموافاه فإذا لم يوافقوا بالإيمان لم يستحقوا الثواب فعلى هذا يجوز أن يكونوا عارفين و إن لم يكونوا مستحقين لثواب يبطل بالكفر و المعتمد الأول.

البقره (٢): آيه ٤٣

إشارة

وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ ارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣)

اللغة

أصل الصلاة عند أكثر أهل اللغة الدعاء على ما ذكرناه قبل و منه قول الأعشى:

تقول بنتى و قد قربت مرتحلا

يا رب جنب أبى الأوصاب و الوجعا

عليك مثل الذى صليت فاغتمضى

نوما فإن لجنب المرء مضطجعا

أى دعوت و قيل أصلها اللزوم من قول الشاعر

لم أكن من جناتها علم الله

و إنى لحرها اليوم صال

أى ملازم لحرها فكان معنى الصلاة ملازمه العباده على الحد الذى أمر الله تعالى به و قيل أصلها من الصلا و هو عظم العجز لرفعه فى الركوع و السجود و منه قول النابغه:

فآب مصلوه بعين جليه

و غودر بالجولان حزم و نائل

أى الذين جاءوا فى صلا السابق و على القول الأول أكثر العلماء و قد بينا معنى إقامه الصلاه فيما مضى و الزكاه و النماء و الزيادة
نظائر فى اللغه و قال صاحب العين الزكاه زكاه المال و هو تطهيره و زكا الزرع و غيره يزكو زكاه ممدودا أى نما و ازداد و هذا
لا يزكو بفلان أى لا يليق به و الزكا الشفع و الخسا الوتر و أصله تثير المال بالبركه التى يجعلها الله فيه

ص: ١٢٨

و الركوع والانحناء والانخفاض نظائر فى اللغة قال ابن دريد الراكع الذى يكبو على وجهه و منه الركوع فى الصلاة قال الشاعر:

و أفلت حاجب فوق العوالى

على شقاء تركع فى الطراب

و قال صاحب العين كل شىء ينكب لوجهه فتمس ركبته الأرض أو لا تمس بعد أن يطأطئ رأسه فهو راع قال الشاعر:

و لكنى أنص العيس تدمى

أياطلها و تركع بالحزون

و قال لبيد:

أخبر أخبار القرون التى مضت

أدب كأنى كلما قمت راع

و قيل أنه مأخوذ من الخضوع قال الشاعر:

لا تهين الفقير عليك أن

تركع يوما و الدهر قد رفعه

و الأول أقوى و إنما يستعمل فى الخضوع مجازا و توسعا.

المعنى

«وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ» أى أدوها بأركانها و حدودها و شرائطها كما بينها النبى صلى الله عليه و آله «وَأَتُوا الزَّكَاةَ» أى أعطوا ما فرض الله عليكم فى أموالكم على ما بينه الرسول لكم و هذا حكم جميع ما ورد فى القرآن مجملا- فإن بيانه يكون موكولا إلى النبى صلى الله عليه و آله كما قال سبحانه و تعالى: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» فلذلك أمرهم بالصلاة و الزكاة على طريق الإجمال و أحال فى التفصيل على بيانه و قوله «وَأَرْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ» إنما خص الركوع بالذكر و هو من أفعال الصلاة بعد قوله «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ» لأحد وجوه. (أحدها) أن الخطاب لليهود و لم يكن فى صلاتهم ركوع و كان الأحسن ذكر المختص دون المشترك لأنه أبعد من اللبس (و ثانيها) أنه عبر بالركوع عن الصلاة يقول القائل فرغت من ركوعى أى صلاتى و إنما قيل ذلك لأن الركوع أول ما يشاهد من الأفعال التى يستدل بها على أن الإنسان يصلى فكأنه كرر ذكر الصلاة تأكيدا عن أبى مسلم و يمكن أن يكون فيه فائدة تزيد على التأكيد و هو أن قوله «أَقِيمُوا الصَّلَاةَ» إنما يفيد وجوب إقامتها

و يحتمل أن يكون إشاره إلى صلاتهم التي يعرفونها و أن يكون الصلاة إشاره إلى الصلاة الشرعيه و قوله «وَأَزْكُوا مَعَ الرَّائِعِينَ» يكون معناه صلوا مع هؤلاء المسلمين الراكعين فيكون متخصصا بالصلاه المتقرره فى الشرع فلا يكون تكرارا بل يكون بيانا (و ثالثها) أنه حث على صلاه الجماعه لتقدم ذكر الصلاة فى أول الآيه.

البقره (٢): آيه ٤٤

إشاره

أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَ أَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَ فَلا تَعْقِلُونَ (٤٤)

اللغه

البر فى اللغه و الإحسان و الصله نظائر يقال فلان بار وصول محسن و ضد البر العقوق و رجل بر و بار و بر صدقت و بر حجه و بر لغتان و قولهم فلان لا يعرف الهر من البر قال الأخفش معناه لا يعرف من يهر عليه ممن ييره و قال المازنى الهر السنور و البر الفأره أو دوبيه تشبهها و الفرق بين البر و الخير أن البر يدل على قصد و الخير قد يقع على وجه السهو و النسيان و السهو و الغفله نظائر و ضد النسيان الذكر و حقيقته غروب الشىء عن النفس بعد حضوره و هو عدم علم ضرورى من فعل الله تعالى و السهو قد يقع عما كان الإنسان عالما به و عما لم يكن عالما به و قد يكون النسيان بمعنى الترك نحو قوله «تَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ» أى تركوا ذكر الله فخذلهم و التلاوه القراءه تلا يتلو تلاوه أى قرأ و تلا يتلو تلوا أى تبع و أصل التلاوه منه لاتباع بعض الحروف فيها بعضا و الفرق بين التلاوه و القراءه أن أصل القراءه جمع الحروف و أصل التلاوه اتباع الحروف و العقل و الفهم و المعرفه و اللب نظائر و رجل عاقل فهم لبيب ذو معرفه و ضد العقل الحمق يقال عقل الشىء عقلا و أعقله غيره و قيل لابن عباس أنى لك هذا العلم قال قلب عقول و لسان سئول و قال صاحب كتاب العين العقل ضد الجهل يقال عقل الجاهل إذا علم و عقل المريض بعد أن أهجر و عقل المعتوه و نحوه و العقال الرباط يقال عقلت البعير أعقله عقلا- إذا شددت يده بالعقال و العقل مجموع علوم لأجلها يتمتع الحى من كثير من المقبحات و يفعل كثيرا من الواجبات و إنما سميت تلك العلوم عقلا لأنها تعقل عن القبيح و قيل لأنها تعقل العلوم المكتسبه و لا يوصف القديم تعالى بأنه عاقل لأنه لا يعقله شىء عن فعل القبيح و إنما لا يختاره لعلمه بقبحه و بأنه غنى عنه و لأنه لا يكتسب علما بشىء فيثبت بعض علومه ببعض و قال على بن عيسى العقل هو العلم الذى يزجر عن قبيح الفعل و من كان زاجره أقوى فهو أعقل و قيل العقل معرفه يفصل بها بين القبيح و الحسن فى الجملة و قيل هو التمييز الذى له فارق الإنسان جميع الحيوان و هذه العبارات قريبه معانى بعضها من بعض و الفرق بين العقل

و العلم أن العقل قد يكمل لمن فقد بعض العلوم و لا يكمل العلم لمن فقد بعض عقله فإن قيل إذا كان العقل مختلفا فيه فكيف يجوز أن يستشهد به قلنا أن الاختلاف في ماهية العقل لا يوجب الاختلاف في قضاياه أ لا ترى أن الاختلاف في ماهية العقل حتى أن بعضهم قال معرفه و بعضهم قال قوه لا توجب الاختلاف في أن المائه أكثر من واحد و أن الكل أعظم من الجزء و غير ذلك من قضايا العقول.

المعنى

هذه الآيه خطاب لعلماء اليهود و كانوا يقولون لأقربائهم من المسلمين أثبتوا على ما أنتم عليه و لا يؤمنون هم و الألف للاستفهام و معناه التوبيخ و المراد بالبر الإيمان بمحمد صلى الله عليه و آله و وبخهم الله تعالى على ما كانوا يفعلون من أمر الناس بالإيمان بمحمد صلى الله عليه و آله و ترك أنفسهم عن ذلك قال أبو مسلم كانوا يأمرون العرب بالإيمان بمحمد صلى الله عليه و آله إذا بعث فلما بعث كفروا به و روى عن ابن عباس أن المراد أنهم كانوا يأمرون أتباعهم بالتمسك بالتوراه و تركوا هم التمسك به لأن جحدهم النبي صلى الله عليه و آله و صفته فيه ترك للتمسك به و عن قتاده كانوا يأمرون الناس بطاعه الله و هم يخالفونه و

روى أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله مررت ليله أسرى بى على أناس تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من هؤلاء يا جبرائيل فقال هؤلاء خطباء من أهل الدنيا ممن كانوا يأمرون الناس بالبر و ينسون أنفسهم

و قال بعضهم أ تأمرون الناس بالصدقه و تتركونها أنتم و إذا أتتكم الضعفاء بالصدقه لتفرقوها على المساكين ختمت فيها و قوله «وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ» معناه و أنتم تقرأون التوراه و فيها صفته و نعته عن ابن عباس و قوله «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» أ فلا تفقهون أن ما تفعلونه قبيح فى العقول و عن أبى مسلم أن معناه هذا ليس بفعل من يعقل و قيل معناه أ فلا تعلمون أن الله يعذبكم و يعاقبكم على ذلك و قيل أ فلا تعلمون أن ما فى التوراه حق فتصدقوا محمدا و تتبعوه فإن قيل إن كان فعل البر واجبا و الأمر به واجبا فلما ذا وبخهم الله تعالى على الأمر بالبر قلنا لم يوبخهم الله على الأمر بالبر و إنما وبخهم على ترك فعل البر المضموم إلى الأمر بالبر لأن ترك البر ممن يأمر به أقبح من تركه ممن لا يأمر به فهو كقول الشاعر:

لا تنه عن خلق و تأتى مثله

عار عليك إذا فعلت عظيم

و معلوم أنه لم يرد به النهى عن الخلق المذموم و إنما أراد النهى عن إتيان مثله.

البقره (٢): آيه ٢٥

إشارة

وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلَاةِ وَ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٢٥)

الصبر منع النفس عن محابها و كفها عن هواها و منه الصبر على المصيبة لكف الصابر نفسه عن الجزع و منه

جاء فى الحديث و هو شهر الصبر

لشهر رمضان لأن الصائم يصبر نفسه و يكفها عما يفسد الصيام و قتل فلان صبوا و هو أن ينصب للقتل و يحبس عليه حتى يقتل و كل من حبسته لقتل أو يمين يقال فيه قتل صبر و يمين صبر و صبرته أى حلفته بالله جهد القسم و

فى الحديث اقتلوا القاتل و اصبروا الصابر

و ذلك فيمن أمسكه حتى قتله آخر فأمر بقتل القاتل و حبس الممسك و الخشوع و الخضوع و التذلل و الإخبات نظائر و ضد الخشوع الاستكبار و خشع الرجل إذا رمى ببصره إلى الأرض و اختشع إذا طأطأ رأسه كالمتواضع و الخشوع قريب المعنى من الخضوع إلا أن الخضوع فى البدن و الإقرار بالاستخدام و الخشوع فى الصوت و البصر قال سبحانه خاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ وَ خَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ أَى سكنت و أصل الباء من اللين و السهولة و الخاشع و المتواضع و المتذلل و المستكين بمعنى قال الشاعر:

لما أتى خبر الزبير تواضعت

سور المدينة و الجبال الخشع

الإعراب

قوله «وَ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ» اللام تدخل فى خبر إن و لا- تدخل فى خبر أخواتها لأنها لام التأكيد فهى شبيهه بأن فى أنها تدخل على المبتدأ و خبره كما تدخل إن و تدخل بمعنى القسم كما تدخل إن تقول و الله لتخرجن كما تقول و الله إنك خارج فإذا كان بينهما هذه المجانسه فإذا دخلت على أن فى نحو لأنها كبيره كرهوا أن يجمعوا بين حرفين متشاكلين متفقين فى المعنى فأخر اللام إلى الخبر ليفصل بين اللام و بين إن بالاسم نحو «إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ» فأما سائر أخوات إن فمتى تركب مع المبتدأ و خبره خرج المبتدأ من صورته المبتدأ و يصير قسما آخر فلا يدخل اللام عليه و إذا لم يدخل عليه كان بالحرى أن لا يدخل على خبره.

النزول

قال الجبائى أنه خطاب للمسلمين دون أهل الكتاب و قال الرماني و غيره هو خطاب لأهل الكتاب و يتناول المؤمنين على وجه التأديب و الأولى أن يكون خطابا لجميع المكلفين لفقد الدلالة على التخصيص و يؤيد قول من قال أنه خطاب لأهل الكتاب إن ما قبل الآيه و ما بعدها خطاب لهم.

من قال أنه خطاب لليهود قال إن حب الرياسة كان يمنع علماء اليهود عن

ص: ١٣٢

اتباع النبي صلى الله عليه وآله لأنهم خافوا زوال الرياسة إذا تبعوه فأمرهم الله تعالى فقال:

«وَاسْتَعِينُوا» على الوفاء بعهدى الذى عاهدتكم فى كتابكم عليه من طاعتى و اتباع أمرى و ترك ما نهيتكم عنه و التسليم لأمرى و اتباع رسولى محمد صلى الله عليه وآله بالصبر على ما أتم فيه من ضيق المعاش الذى تأخذون الأموال من عوامكم بسببه و

روى عن أئمتنا عليه السلام أن المراد بالصبر الصوم

فيكون فائده الاستعانه به أنه يذهب بالشره و هوى النفس كما

قال ص: الصوم وجاء

و فائده الاستعانه بالصلاه أنه يتلى فيها ما يرغب فيما عند الله تعالى و بزهد فى الدنيا و حب الرياسه كما قال سبحانه «إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ» و لأنها تتضمن التواضع لله تعالى فيدفع حب الرياسه و كان النبي صلى الله عليه وآله إذا حزنه أمر استعان بالصلاه و الصوم و من قال أنه خطاب للمسلمين قال المراد به استعينوا على تنجز ما وعدته لمن اتبع النبي صلى الله عليه وآله أو على مشقه التكليف بالصبر أى بحبس النفس على الطاعات و حبسها عن المعاصى و الشهوات و بالصلاه لما فيها من تلاوه القرآن و التدبير لمعانيه و الاعتاظ بمواعظه و الائتمار بأوامره و الانزجار عن نواهيه و وجه آخر أنه ليس فى أفعال القلوب أعظم من الصبر و لا فى أفعال الجوارح أعظم من الصلاه فأمر بالاستعانه بهما و

روى عن الصادق عليه السلام أنه قال ما يمنع أحدكم إذا دخل عليه غم من غموم الدنيا أن يتوضأ ثم يدخل المسجد فيركع ركعتين يدعو الله فيها أ ما سمعت الله تعالى يقول: «وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ»

و قوله تعالى: «وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ» قيل فى الضمير فى و إنها وجوه (أحدهما) أنها عائد إلى الصلاه لأنها الأغلب و الأفضل و هو قول أكثر المفسرين و على هذا ففى عود الضمير إلى واحد و قد تقدم ذكر اثنين قولان. (أحدهما) أن المراد به الصلاه دون غيرها و خصها بالذكر لقربها منه و لأنها الأهم و الأفضل و لتأكيد حالها و تفخيم شأنها و عموم فرضها (و الآخر) أن المراد الاثنان و إن كان اللفظ واحدا و يشهد لذلك قوله تعالى: «وَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الدَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» «وَ إِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا» «وَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ» و قول الشاعر:

إن شرح الشباب و الشعر الأسود

ما لم يعاص كان جنونا

و لم يقل يعاصيا و قول الآخر:

ص: ١٣٣

فمن يك أمسى بالمدينه رحله

فإني و قيارا بها لغريب

و يروى و قيار و قول آخر:

نحن بما عندنا و أنت بما عندك

راض و الرأى مختلف

و قول الآخر:

أما الوسامه أو حسن النساء فقد

أتيت منه أو أن العقل محتتك

و نحو ذا كثير فى الكلام (و ثانيها) أنه عائد إلى الاستعانه يعنى أن الاستعانه بهما لكبيره و قوله «اشْتَعَيْنُوا» يدل على الاستعانه و مثله قول الشاعر:

إذا نهى السفیه جرى إليه

و خالف و السفیه إلى خلاف

أى جرى إلى السفه و دل السفیه على السفه (و ثالثها) أن الضمير عائد إلى محذوف و هو الإجابة للنبي صلى الله عليه و آله عن الأسم أو مؤاخذه النفس بهما أو تأديه ما تقدم أو تأديه الصلاه و ضروب الصبر عن المعاصى أو هذه الخطيئه عن أبى مسلم و هذه الوجوه الأخيره كلها ضعيفه لأنها لم يجر لها ذكر و قوله «لَكَبِيرَةٌ» أى لثقله عن الحسن و غيره و الأصل فيه أن كل ما يكبر يثقل على الإنسان حملة فيقال لكل ما يصعب على النفس و إن لم يكن من جهه الحمل يكبر عليها تشبيها بذلك و قوله: «إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ» أى على المتواضعين لله تعالى فإنهم قد وطنوا أنفسهم على فعلها و عودوها إياها فلا يثقل عليهم و أيضا فإن المتواضع لا يبالى بزوال الرياسه إذا حصل له الإيمان و قال مجاهد أراد بالخشعين المؤمنين فإنهم إذا علموا ما يحصل لهم من الثواب بفعلها لم يثقل عليهم ذلك كما أن الإنسان يتجرع مراره الدواء لما يرجو به من نيل الشفاء و قال الحسن أراد بالخشعين الخائفين.

البقره (٢): آيه ٤٦

اشاره

الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (٤٦)

الظن المذكور في الآية بمعنى العلم و اليقين كما قال دريد بن الصمه:

فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج

سراتهم في الفارسي المسرد

ص: ١٣٤

و قال أبو داود:

رب هم فرجته بعزيم

و غيوب كشفها بظنون

و قال المبرد ليس من كلام العرب أظن عند زيد مالا بمعنى أعلم لأن العلم المشاهد لا يناسب باب الظن و قد أفصح عن ذلك أوس بن حجر فى قوله:

الألمعى الذى يظن بك الظن

كان قد رأى و قد سمعا

و قال آخر:

فإلا يأتكم خبر يقين

فإن الظن ينقص أو يزيد

و قال بعض المحققين أصل الظن ما يجول فى النفس من الخاطر الذى يغلب على القلب كأنه حديث النفس بالشىء و يؤول جميع ما فى القرآن من الظن بمعنى العلم على هذا و الظن و الشك و التجويز نظائر إلا أن الظن فيه قوة على أحد الأمرين دون الآخر و حده ما قوى عند الظان كون المظنون على ما ظنه مع تجويزه أن يكون على خلافه فبالتجويز ينفصل من العلم و بالقوه ينفصل من الشك و التقليد و غير ذلك و هو من جنس الاعتقاد عند أبى هاشم و جنس برأسه سوى الاعتقاد عند أبى على و القاضى و إليه ذهب المرتضى قدس الله روحه و ضد الظن اليقين و الظنين المتهم و مصدره الظنه و الظنون الرجل السىء الظن بكل أحد و الظنون البئر التى يظن أن بها ماء و لا- يكون و مظنه الرجل حيث يألفه و يكون فيه و أصل الملاقاه الملاصقه من قولك التقى الخطان إذا تلاصقا ثم كثر حتى قيل التقى الفارسان إذا تحاذيا و لم يتلاصقا و يقال رجع الرجل و رجعته أنا لازم و متعد و أصل الرجوع العود إلى الحال الأولى.

الإعراب

«الَّذِينَ يَظُنُّونَ» فى موضع الجر صفه للخاشعين و أنهم بفتح الألف لا يجوز غيره لأن الظن فعل واقع على معنى أنه متعد يتعلق بالغير فما يليه يكون مفعولا له و أن المفتوحه الهمزه يكون مع الاسم و الخبر فى تأويل اسم مفرد و هاهنا قد سد مسد مفعولى يظن و يكون المفعول الثانى مستغنى عنه مختزلا من الكلام غير مضممر كما أن الفاعل فى أ قائم الزيدان سد مسد الخبر لطول الكلام و الاستغناء به عنه و هذا القول هو المختار عند أبى على و فيه قول آخر و هو أن مع الاسم و الخبر فى موضع المفعول الأول

و المفعول الثانى مضمّر محذوف لعلم المخاطب به فكأنه قال الذين يظنون ملاقاته ربهم واقعه و حذفت النون من ملاقوا ربهم تخفيفا عند البصريين و المعنى على إثباتها فإن المضاف إليه هنا و إن كان مجرورا فى اللفظ فهو منصوب فى المعنى فهى إضافة لفظيه غير حقيقيه و مثله قوله «إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ» و «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» و قال الشاعر:

هل أنت باعث دينار لحاجتنا

أو عبد رب أخا عون بن مخراق

و لو أردت معنى الماضى لتعرف الاسم بالإضافه لم يجز فيه إظهار النون البته و قوله «وَ أَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» فى موضع النصب عطفا على الأول.

المعنى

لما تقدم ذكر الخاشعين بين صفتهم فقال «الَّذِينَ يَظُنُّونَ» أى يوقنون «أَنَّهُمْ مُلَاقُوا» ما وعدهم «رَبِّهِمْ» عن الحسن و مجاهد و غيرهما و نظيره قوله «إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ» و قيل أنه بمعنى الظن غير اليقين و المعنى أنهم يظنون أنهم ملاقوا ربهم بذنوبهم لشده إشفاقهم من الإقامه على معصيه الله قال الرماني و فيه بعد لكثرة الحذف و قيل الذين يظنون انقضاء آجالهم و سرعه موتهم فيكونون أبدا على حذر و وجل و لا- يركنون إلى الدنيا كما يقال لمن مات لقي الله و يدل على أن المراد بقوله «مُلاقُوا رَبِّهِمْ» ملاقون جزاء ربهم قوله تعالى فى صفة المنافقين «فَاعْتَبَهُمْ يَفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ» و لا خلاف فى أن المنافق لا- يجوز أن يرى ربه و كذلك قوله «وَلَوْ تَرَى إِذْ وَفَّقُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَ لَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بلى وَ رَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ» و

جاء فى الحديث من حلف على مال امرئ مسلم كاذبا لقي الله و هو عليه غضبان

و ليس اللقاء من الرؤيه فى شىء يقال لقاك الله محابك و لا يراد به أن يرى أشخاصا و إنما يراد به لقاء ما يسره و قوله «وَ أَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» يسأل هنا فيقال ما معنى الرجوع فى الآيه و هم ما كانوا قط فى الآخرة فيعودوا إليها و جوابه من وجوه. (أحدها) أنهم راجعون بالإعاده فى الآخرة عن أبى العاليه (و ثانيها) أنهم يرجعون بالموت كما كانوا فى الحال المتقدمه لأنهم كانوا أمواتا فأحيوا ثم يموتون فيرجعون أمواتا كما كانوا (و ثالثها) أنهم يرجعون إلى موضع لا يملك أحد لهم ضرا و لا نفعا غيره تعالى كما كانوا فى بدء الخلق لأنهم فى أيام حياتهم قد يملك غيرهم الحكم عليهم و التدبير لنفعهم و ضرهم بين ذلك قوله «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» و تحقيق معنى الآيه أنه يقرون بالنشأ الثانيه فجعل رجوعهم بعد الموت إلى المحشر رجوعا إليه.

إشارة

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (٤٧)

المعنى

قد مضى تفسير أول الآيه فيما تقدم و قوله: «وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ» قال ابن عباس أراد به عالمى أهل زمانهم لأن أمتنا أفضل الأمم بالإجماع كما أن نبينا عليه أفضل الصلاه والسلام أفضل الأنبياء و بدليل قوله «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» و قيل المراد به تفضيلهم فى أشياء مخصوصه و هى إنزال المن والسلوى و ما أرسل الله فيهم من الرسل و أنزل عليهم من الكتب إلى غير ذلك من النعم العظيمه من تغريق فرعون و الآيات الكثيره التى يخف معها الاستدلال و يسهل بها الميثاق و تفضيل الله إياهم فى أشياء مخصوصه لا- يوجب أن يكونوا أفضل الناس على الإطلاق كما يقال حاتم أفضل الناس فى السخاء و نظير هذه الآيه قوله «وَ إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ» إلى قوله «وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ» فإن قيل فما الفائدة فى تكرار قوله «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ» قلنا لأنه لما كانت نعم الله هى الأصل فيما يجب شكره احتيج إلى تأكيدها كما يقول القائل اذهب اذهب عجل عجل و قيل أيضا أن التذكير الأول ورد مجملا و الثانى ورد مفصلا و قيل أنه فى الأول ذكرهم نعمه على أنفسهم و فى الثانى ذكرهم نعمه على آبائهم.

إشارة

وَ اتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَ لَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَ لَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٨)

القراءه

قرأ أهل مكه و البصره لا تقبل بالتاء و الباقون بالياء.

الإعراب

فمن قرأ بالتاء ألحق علامه التانيث لتؤذن بأن الاسم الذى أسند إليه الفعل و هو الشفاعه مؤنث و من قرأ بالياء فلأن التانيث فى الاسم ليس بحقيقى فحمل على المعنى فذكر لأن الشفاعه و التشفع بمنزله كما أن الوعظ و الموعظه و الصيحه و الصوت كذلك و قد قال تعالى: «فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ» و «أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ» و يقوى التذكير

أيضا أنه فصل بين الفعل و الفاعل بقوله «مِنْهَا» و التذكير يحسن مع الفصل كما يقال فى التأنيث الحقيقى حضر القاضى اليوم امرأه.

اللغه

الجزء و المكافاه و المقابله نظائر يقال جزى يجرى جزء و جازاه مجازاه و فلان ذو جزء أى ذو غناء فكان قوله «لا تَجْزَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً» أى لا تقابل مكروهها بشىء يدرؤه عنها و منه

الحديث أنه صلى الله عليه و آله قال لأبى برده فى الجذعه التى أمره أن يضحى بها و لا تجزى عن أحد بعدك و قال البقره تجزى عن سبعة

أى تقضى و تكفى قال أبو عبيده هو مأخوذ من قولك جزا عنى هذا الأمر فأما قولهم أجزاء الشىء أى كفانى فمهموز و قبول الشىء هو تلقيه و الأخذ به خلاف الإعراض عنه و من ثم قيل لتجاه الشىء و قبالتة و قالوا أقبلت المكواه الداء أى جعلتها قبالتة قال:

(و أقبلت أفواه العروق المكاويا)

و القبول و الانقياد و الطاعه و الإجابه نظائر و نقيضه الامتناع و الشفاعة مأخوذه من الشفع فكأنه سؤال من الشفيع يشفع سؤال المشفوع له و الشفاعة و الوسيله و القربه و الوصله نظائر و الشفعه فى الدار و غيرها معروفه و إنما سميت شفعه لأن صاحبها يشفع ماله بها و يضمها إلى ملكه و العدل و الحق و الإنصاف نظائر و نقيض العدل الجور و العدل المرضى من الناس الذكر و الأنثى و الجمع و الواحد فيه سواء و العدل الفديه فى الآيه و الفرق بين العدل و العدل إن العدل هو مثل الشىء من جنسه و العدل هو بدل الشىء و قد يكون من غير جنسه قال سبحانه «أَوْ عَدَلُ ذَلِكَ صِيَاماً» و النصره و المعونه و التقويه نظائر و

فى الحديث انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً

أى امنعه من الظلم إن كان ظالماً و امنع عنه الظلم إن كان مظلوماً و أنصار الرجل أعوانه و نصرت السماء إذا أمطرت.

الإعراب

يوماً انتصابه انتصاب المفعول لا انتصاب الظروف لأن معناه اتقوا هذا اليوم و احذروه و ليس معناه اتقوا فى هذا اليوم لأن ذلك اليوم لا- يؤمر فيه بالاتقاء و إنما يؤمر فى غيره من أجله و موضع لا- تجزى نصب لأنه صفة يوم و العائد إلى الموصوف فيه اختلاف ذهب سيويوه إلى أن فيه محذوف من الكلام أى لا يجرى فيه و قال آخرون لا يجوز إضمار فيه لأنك لا تقول هذا رجل قصدت أو رغبت و أنت تريد إليه أو فيه فهو محمول على المفعول على السعه كأنه قيل و اتقوا يوماً لا تجزیه ثم حذف الهاء كما يقال رأيت رجلاً أحب أى أحبه و هو قول السراج قال أبو على حذف الهاء من الصفه كما يحذف من الصله لما بينهما من المشابهه فإن الصفه تخصص الموصوف كما أن الصله

تخصص الموصول و لا- يعمل فى الموصوف و لا- يتسلط عليه كما لا- يعمل الصلّه فى الموصول و مرتبتها أن تكون بعد الموصوف كما أن مرتبه الصلّه أن تكون بعد الموصول و قد يلزم الصّفه فى أماكن كما يلزم الصلّه و ذلك إذا لم يعرف الموصوف إلا بها و لا تعمل الصلّه فيما قبل الموصول كما لا تعمل الصّفه فيما قبل الموصوف فإذا كان كذلك حسن الحذف من الصّفه كما يحسن من الصلّه فى نحو قوله «أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا» و قال الأخفش شيئًا فى موضع المصدر كأنه قال لا تجزى جزاء و لا تغنى غناء و قال الرماني الأقرب أن يكون شيئًا فى موضع حقا كأنه قال لا يؤدى عنها حقا و جب عليها و قوله «وَ لَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ» موضع هذه الجملة نصب بالعطف على الجملة التى هى وصف قبلها و من ذهب إلى أنه حذف الجار و أوصل الفعل إلى المفعول ثم حذف الراجع من الصّفه كان مذهبه فى لا يقبل أيضا مثله فمما حذف منه الراجع إلى الصّفه قول الشاعر:

(و ما شىء حميت بمستباح)

و الضمير فى منها عائد إلى نفس على اللفظ و فى قوله «وَ لَا هُمْ يُنْصَرُونَ» على المعنى لأنه ليس المراد به المفرد فلذلك جمع.

المعنى

لما بين سبحانه نعمه العظام عليهم أنذرهم فى كفرانها بيوم القيامة فقال «وَ اتَّقُوا» أى احذروا و اخشوا «يَوْمًا لَا تَجْزَى» أى لا تغنى أو لا تقضى فيه «نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا» و لا تدفع عنها مكروها و قيل لا يؤدى أحد عن أحد حقا و جب عليه الله أو لغيره و إنما نكر النفس ليين أن كل نفس فهذا حكمها و هذا مثل قوله سبحانه «وَ اخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزَى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَ لَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا» و قوله «وَ لَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ» قال المفسرون حكم هذه الآية مختص باليهود لأنهم قالوا نحن أولاد الأنبياء و آباؤنا يشفعون لنا فأياسهم الله عن ذلك فخرج الكلام مخرج العموم و المراد به الخصوص و يدل على ذلك أن الأمة اجتمعت على أن للنبي صلى الله عليه و آله شفاعه مقبوله و إن اختلفوا فى كيفيتها فعندنا هى مختصه بدفع المضار و إسقاط العقاب عن مستحقه من مذنبى المؤمنين و قالت المعتزله هى فى زياده المنافع للمطيعين و التائبين دون العاصين و هى ثابتة عندنا للنبي صلى الله عليه و آله و لأصحابه المنتجبين و الأئمة من أهل بيته الطاهرين و الصالحى المؤمنين و ينجى الله تعالى بشفاعتهم كثيرا من الخاطئين و يؤيده الخبر الذى تلقته الأمة بالقبول و هو

قوله ادخرت شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى

و ما جاء

فى روايات أصحابنا رضى الله عنهم مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه و آله أنه قال إنى أشفع يوم القيامة فأشفع و يشفع على فيشفع و يشفع أهل

بيتي فيشفعون و إن أدنى المؤمنين شفاعه ليشفع في أربعين من إخوانه كل قد استوجب النار

و قوله تعالى مخبرا عن الكفار عند حسراتهم على الفاتئ لهم مما حصل لأهل الإيمان من الشفاعه فما لنا من شافعين و لا صديق حميم و قوله «و لا يُؤخذُ مِنْهَا عَدْلٌ» أى فديه و إنما سمي الفداء عدلا لأنه يعادل المفدى و يماثله و هو قول ابن عباس و معناه لا يؤخذ من أحد فداء يكفر عن ذنوبه و قيل لا يؤخذ منه بدل بذنوبه و أما ما

جاء فى الحديث لا يقبل الله منه صرفا و لا عدلا

فاختلف فى معناه قال الحسن الصرف العمل و العدل الفديه و قال الأصمعى الصرف التطوع و العدل الفريضة و قال أبو عبيده الصرف الحيله و العدل الفديه و قال الكلبى الصرف الفديه و العدل رجل مكانه و قوله «و لا هُمْ يُنصِرُونَ» أى لا يعاونون حتى ينجوا من العذاب و قيل ليس لهم ناصر ينتصر لهم من الله إذا عاقبهم.

البقره (٢): آيه ٤٩

إشاره

وَ إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبُّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (٤٩)

القراءه

فى الشواذ قرأ ابن محيصرن يذبحون أبناءكم.

الإعراب

قال ابن جنى وجه ذلك أن فعلت بالتخفيف قد يكون فيه معنى التكثير و ذلك لدلاله الفعل على مصدره و المصدر اسم الجنس و حسبك بالجنس سعه و عموما و أنشد أبو الحسن:

أنت الفداء لقبله هدمتها

و نقرتها بيديك كل منقر

فكأنه قال و نقرتها لأن قوله كل منقر عليه جاء و لما فى الفعل من معنى المصدر الدال على الجنس لم يجر تشبيته و لا جمعه لاستحاله كل واحد من التشبيه و الجمع فى الجنس.

اللغه

الإنجاء و التنجيه و التخليص واحد و النجاه و الخلاص و السلامه و التخلص واحد و يقال للمكان المرتفع نجوه لأن الصائر إليه

ينجو من كثير من المضار و فرق بعضهم

ص: ١٤٠

بين الإنجاء و التنجيه فقال الإنجاء يستعمل فى الخلاص قبل وقوعه فى الهلكه و التنجيه يستعمل فى الخلاص بعد وقوعه فى الهلكه و الآل و الأهل واحد و قيل أصل آل أهل لأن تصغيره أهيل و حكى الكسائى أويل فزعموا أنها أبدلت كما قالوا هيهات و أيهات و قيل لا بل هو أصل بنفسه و الفرق بين الآل و الأهل أن الأهل أعم منه يقال أهل البصره و لا يقال آل البصره و يقال آل الرجل قومه و كل من يؤول إليه بنسب أو قرابه مأخوذ من الأول و هو الرجوع و أهله كل من يضمه بيته و قيل آل الرجل قرابته و أهل بيته و آل البعير الواحه و آل الخيمه عمدته و آل الجبل أطرافه و نواحيه و قال ابن دريد آل كل شىء شخصه و آل الرجل أهله و قرابته قال الشاعر:

و لا تبك ميتا بعد ميت أجنه

على و عباس و آل أبى بكر

و قال أبو عبيده سمعت أعرابيا فصيحا يقول أهل مكه آل الله فقلنا ما تعنى بذلك قال أليسوا مسلمين المسلمون آل الله قال و إنما يقال آل فلان للرئيس المتبع و فى شبه مكه لأنها أم القرى و مثل فرعون فى الضلال و اتباع قومه له فإذا جاوزت هذا فإن آل الرجل أهل بيته خاصه فقلنا له أفتقول لقبيلته آل فلان قال لا- إلا أهل بيته خاصه و فرعون اسم لملك العمالقه كما يقال لملك الروم قيصر و لملك الفرس كسرى و لملك الترك خاقان و لملك اليمن تبع فهو على هذا بمعنى الصفه و قيل أن اسم فرعون مصعب بن الريان و قال محمد بن إسحاق هو الوليد بن مصعب يسومونكم يكلفونكم من قولهم سامه خطه خسف إذا كلفه إياه و قيل يولونكم سوء العذاب و سامه خسفا إذا أولاه ذلأ قال الشاعر:

(إن سيم خسفا وجهه تربدا)

و قيل يحشمونكم و قيل يعذبونكم و أصل الباب السوم الذى هو إرسال الإبل فى الرعى و سوء العذاب و أليم العذاب و شديد العذاب نظائر قال صاحب العين السوء اسم العذاب الجامع للآفات و الداء يقال سؤت فلانا أسوؤه مساءه و مسائيه و استاء فلان من السوء مثل اهتم من الهم و السوؤه الفعله القبيحه و السوؤه الفرج و السوؤه أيضا كل عمل شين و تقول فى النكره رجل سوء كما يقال رجل صدق فإذا عرفت قلت الرجل السوء فلا تضيفه و لا تقول الرجل الصدق و قوله بَيضَاءٌ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ أى من غير برص و الذبح و النحر و الشق نظائر و الذبح فرى الأوداج و التذبيح التكثير منه و أصله الشق يقال ذبحت

المسك إذا فتقت عنه قال:

كان بين فكها و الفك

فأره مسك ذبحت فى سك

و الذبح الشىء المذبوح و الذباح و الذبحة بفتح الباء و تسكينها داء يصيب الإنسان فى حلقه و يستحيون أى يستبقون و منه

قول النبى صلى الله عليه و آله اقتلوا شيوخ المشركين و استحيوا شرخهم

أى استبقوا شبابهم و النساء و النسوة و النسوان لا واحد لها من لفظها و البلاء و النعمة و الإحسان نظائر فى اللغه و البلاء يستعمل فى الخير و الشر قال سبحانه وَ نَبُؤُكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ وَ الْإِبْلَاءِ فى الأنعام قال وَ لِيُنَبِّئَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا وَ قال زهير:

جزى الله بالإحسان ما فعلا بكم

و أبلاهما خير البلاء الذى يبلو

فالبلاء يكون بالإنعام كما يكون بالانتقام و أصل البلاء الامتحان و الاختبار قال الأحنف البلاء ثم الشاء.

الإعراب

العامل فى إذ من قوله «وَ إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ» قوله اذكروا من قوله «يا بنى إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِي» فهو عطف على ما تقدم و قوله «يَسْأَلُونَكُمْ» يجوز أن يكون فى موضع نصب على الحال من آل فرعون و العامل فيه نجيناكم و يجوز أن يكون للاستئناف و الأبناء جمع ابن و أصل ابن بنو بفتح الفاء و العين و يدل على أن الفاء كانت مفتوحة قولهم فى جمعه أبناء على وزن أفعال و أفعال بابه أن يكون لفعل نحو جبل و أجمال كما كان فعل بتسكين العين بابه أفعل نحو فرخ و أفرخ و المحذوف من الابن الواو على ما قلناه لأنها أثقل فهى بالحدف أولى و إليه ذهب الأخفش و أبو على الفسوى.

المعنى

ثم فصل سبحانه فى هذه الآيه النعم التى أجملها فيما قبل فقال «وَ» اذكروا «إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ» أى خلصناكم من قوم «فِرْعَوْنَ» و أهل دينه «يَسْأَلُونَكُمْ» يلزمونكم «سُوءَ الْعَذَابِ» و قيل يذيقونكم و يكلفونكم و يعذبونكم و الكل متقارب و اختلفوا فى العذاب الذى نجاهم الله تعالى منه فقال بعضهم ما ذكر فى الآيه من قوله «يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ» و هذا تفسيره و قيل أراد به ما كانوا يكلفونهم من الأعمال الشاقه فمنها أنهم جعلوهم أصنافا فصنف يخدمونهم و صنف يحرثون لهم و من لا يصلح منهم للعمل ضربوا عليهم الجزية و كانوا يذبحون أبناءهم و يستحيون نساءهم مع ذلك و يدل عليه قوله تعالى فى سورة إبراهيم «يَسْأَلُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ»

فعطفه على ذلك يدل على أنه غيره و قوله «يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ» معناه يقتلون أبناءكم و يستحيون بناتكم يستبقونهن و يدعونهن أحياء ليستعبدن و ينكحن على وجه الاسترقاق و هذا أشد من الذبح و إنما لم يقل بناتكم لأنه سماهن بالاسم الذى يؤول حالهن إليه و قيل إنما قال نساءكم على التغليب فإنهم كانوا يستبقون الصغار و الكبار يقال أقبل الرجال و إن كان فيهم صبيان و يجوز أيضا أن يقع اسم النساء على الصغار و الكبار كالأبناء و قوله «وَ فِي ذَلِكُمْ» أى و فى سومكم العذاب و ذبح الأبناء «بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ» أى لما خلى بينكم و بينه حتى فعل بكم هذه الأفاعيل و قيل فى نجاتكم من فرعون و قومه نعمه عظيمه من الله عليكم.

[القصة]

و السبب فى قتل الأبناء أن فرعون رأى فى منامه كان نارا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها و أحرقت القبط و تركت بنى إسرائيل فهاله ذلك و دعا السحرة و الكهنة و القافة فسألهم عن رؤياه فقالوا أنه يولد فى بنى إسرائيل غلام يكون على يده هلاكك و زوال ملكك و تبديل دينك فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد فى بنى إسرائيل و جمع القوابل من أهل مملكته فقال لهم لا يسقط على أيديكن غلام من بنى إسرائيل إلا قتل و لا جاريه إلا تركت و وكل بهن فكن يفعلن ذلك و أسرع الموت فى مشيخه بنى إسرائيل فدخل رءوس القبط على فرعون فقالوا له أن الموت قد وقع فى بنى إسرائيل فتذبح صغارهم و يموت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا فأمر فرعون أن يذبحوا سنه و يتركوا سنه فولد هارون فى السنه التى لا يذبحون فيها فترك و ولد موسى فى السنه التى يذبحون فيها.

البقره (٢): آيه ٥٠

إشاره

وَ إِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَ أَعْرَفْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٠)

القراءه

فى الشواذ قرأ الزهرى و إذ فرقنا بكم مشدده قال ابن جنى فرقنا أشد تفريقا من فرقنا فمعنى فرقنا بكم البحر جعلناه فرقا و معنى فرقنا بكم البحر شققنا بكم البحر.

اللغه

الفرق هو الفصل بين شيئين إذا كانت بينهما فرجه و الفرق الطائفة من كل شىء و من الماء إذا انفرق بعضه عن بعض فكل طائفة من ذلك فرق و منه كُـلُّ فِرْقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ و الفرق الخوف و

فى الحديث ما أسكر الفرق فالجرعه منه حرام

و هو مكيال يعرف

بالمدينة و البحر يسمى بحرا لاستبحاره و هو سعته و انبساطه يقال استبحر في العلم و تبحر فيه و تبقر إذا اتسع و تمكن و الباهر الأحمق الذى إذا كلم بقى كالمبهوت و العرب تسمى الماء المالح و العذب بحرا إذا كثر و منه قوله مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ يعنى المالح و العذب و أصل الباب الاتساع و أما اللج فهو الذى لا يرى حافته من فى وسطه لكثرة مائه و عظمه و دجله بالإضافة إلى الساقية بحر و بالإضافة إلى جده و نحوها ليست يبحر و الغرق الرسوب فى الماء و النجاه ضد الغرق كما أنها ضد الهلاك و أغرق فى الأمر إذا جاوز الحد فيه و أصله من نزع السهم حتى يخرج عن كبد القوس و اغرورقت عينه شرقت بدمعها و النظر النظر بالعين يقال نظرت إلى كذا و نظرت فى الكتاب و فى الأمر و قول القائل أنظر إلى الله ثم إليك معناه أتوقع فضل الله ثم فضلك و نظرتة و انتظرتة بمعنى واحد و النظر التفكير و أصل الباب كله الإقبال نحو الشىء بوجه من الوجوه فالنظر بالعين الإقبال نحو المبصر و النظر بالقلب الإقبال بالفكر به نحو المفكر فيه و النظر بالرحمه هو الإقبال بالرحمه و حقيقه النظر هو تقليب الحدقه الصحيحه نحو المرئى طلبا لرؤيته.

المعنى

ثم ذكر سبحانه نعمه أخرى فقال «وَ» اذكروا «إِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ» أى فرقنا بين المائين حتى مررتم فيه فكنتم فرقا بينهما تمرن فى طريق ييس و قيل معناه فرقنا البحر بدخولكم إياه فوقع بين كل فريقين من البحر طائفه منكم يسلكون طريقا يابسا فوقع الفرق بينكم و قيل فرقنا بكم أى بسببكم البحر لتمرنا فيه «فَأَنْجَيْنَاكُمْ» يعنى من البحر و الغرق و قوله «وَ أَعْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ» و لم يذكر غرق فرعون لأنه قد ذكره فى مواضع كقوله «فَأَعْرَقْنَاهُ وَ مَنْ مَعَهُ» فاختصر لدلاله الكلام عليه لأن الغرض مبنى على إهلاك فرعون و قومه و نظيره قول القائل (دخل جيش الأمير البادية) و يكون الظاهر أن الأمير معهم و يجوز أن يريد بآل فرعون نفسه كقوله مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَ آلُ هَارُونََ يعنى موسى و هارون و قوله «وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ» معناه و أنتم تشاهدون أنهم يغرقون و هذا أبلغ فى الشماتة و إظهار المعجزه و قيل معناه و أنتم بمنظر و مشهد منهم حتى لو نظرتم إليهم لأمكنكم ذلك لأنهم كانوا فى شغل من أن يروههم كما يقال دور بنى فلان تنظر إلى دور آل فلان أى هى بإزائها و بحيث لو كان مكانها ما ينظر لأمكنه أن ينظر إليه و هو قول الزجاج و قريب مما قاله الفراء و الأول أصح لأنهم لم يكن لهم شغل شاغل عن الرؤيه فإنهم كانوا قد جاوزوا البحر و تظاهرت أقوال المفسرين على أن أصحاب موسى (عليه السلام) رأوا انفراق البحر و التظام أمواجه بآل فرعون حتى غرقوا فلا وجه للعدول عن الظاهر.

و جملة قصه فرعون مع بنى إسرائيل فى البحر ما ذكره ابن عباس أن الله تعالى أوحى إلى موسى أن يسرى بنى إسرائيل من مصر فسرى موسى بنى إسرائيل ليلا فأتبعهم فرعون فى ألف ألف حصان سوى الإناث و كان موسى فى ستمائه ألف و عشرين ألفا فلما عاينهم فرعون قال إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ وَ إِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ وَ إِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ فسرى موسى بنى إسرائيل حتى هجموا على البحر فالتفتوا فإذا هم برهج دواب فرعون فقالوا يا موسى أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَ مِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا هذا البحر أمامنا و هذا فرعون قد رهقنا بمن معه فقال موسى (عليه السلام) عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَ يَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فقال له يوشع بن نون بم أمرت قال أمرت أن أضرب بعصاى البحر قال اضرب و كان الله تعالى أوحى إلى البحر أن أطع موسى إذا ضربك قال فبات البحر له أفكل أى رعداه لا يدرى فى أى جوانبه يضربه فضرب بعصاه البحر فانفلق و ظهر اثنا عشر طريقا فكان لكل سبط منهم طريق يأخذون فيه فقالوا إنا لا نسلك طريقا نديا فأرسل الله ريح الصبا حتى جففت الطريق كما قال فَأَضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا فَجَرُوا فِيهِ فَلَمَّا أَخَذُوا فِي الطَّرِيقِ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مَا لَنَا لَا نَرَى أَصْحَابَنَا فَقَالُوا لِمَوْسَى أَيْنَ أَصْحَابُنَا فَقَالَ فِي طَرِيقٍ مِثْلٍ طَرِيقِكُمْ فَقَالُوا لَا نَرْضَى حَتَّى نَرَاهُمْ فَقَالَ (عليه السلام) اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى أَخْلَاقِهِمُ السَّيِّئَةَ فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَنْ مَلْ بَعْصَاكَ هَكَذَا وَ هَكَذَا يَمِينًا وَ شِمَالًا فَأَشَارَ بَعْصَاهُ يَمِينًا وَ شِمَالًا فَظَهَرَ كَالْكُورَى يَنْظُرُ مِنْهَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فَلَمَّا انْتَهَى فِرْعَوْنُ إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ وَ كَانَ عَلَى فِرْسٍ حِصَانٍ أَدْهَمَ فَهَابَ دُخُولَ الْمَاءِ تَمَثَّلَ لَهُ جَبْرِيلُ عَلَى فِرْسٍ أُنْثَى وَ دِيقٍ وَ تَقَحَّمَ الْبَحْرَ فَلَمَّا رَأَاهَا الْحِصَانُ تَقَحَّمَ خَلْفَهَا ثُمَّ تَقَحَّمَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ فَلَمَّا خَرَجَ آخِرُ مَنْ كَانَ مَعَ مَوْسَى مِنَ الْبَحْرِ وَ دَخَلَ آخِرُ مَنْ كَانَ مَعَ فِرْعَوْنَ الْبَحْرَ أَطْبَقَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ فَغَرِقُوا جَمِيعًا وَ نَجَّى مَوْسَى وَ مَنْ مَعَهُ وَ مِمَّا يَسْأَلُ عَنْ هَذَا أَنْ يُقَالَ كَيْفَ لَمْ يُعْطِ اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ نَبِيٍّ مِثْلَ مَا أُعْطِيَ مَوْسَى مِنَ الْآيَاتِ الْبَاهِرَاتِ لِتَكُونَ حِجَّةً أَظْهَرَ وَ الشَّبَهَةَ أَبْعَدَ وَ الْجَوَابَ أَنَّ اللَّهَ يَنْصُبُ الْأَعْلَامَ الْبَاهِرَةَ وَ الْمَعْجَزَاتِ الْقَاهِرَةَ لِاسْتِصْلَاحِ الْخَلْقِ عَلَى حَسَبِ مَا يَرَى لَهُمْ مِنَ الصَّلَاحِ وَ قَدْ كَانَ فِي قَوْمِ مَوْسَى مِنْ بِلَادِهِ النَّفْسِ وَ كِلَالِهِ الْحَدْسِ مَا لَمْ يُمْكِنْ مَعَهُ الْاسْتِدْلَالُ بِالْآيَاتِ الْحَقِيقِيَّةِ أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ لَمَّا عَبَرُوا الْبَحْرَ وَ اتَّوَا عَلَى قَوْمِ

يعكفون على أصنام لهم قالوا بعد ما شاهدوه من هذه الآيات اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ و كان فى العرب و أمه نبينا صلى الله عليه و آله من جوده القريحه و حده الفطنه و ذكاء الذهن و قوه الفهم ما كان يمكنهم معه الاستدلال بما يحتاج فيه إلى التأمل و التدبر و الاستضاءه بنور العقل فى التفكير فجاءت آياتهم متشاكله لطباعهم المتوقده و مجانسه لما ركب فى أذهانهم من الدقه و الحده على أن فى جميعها من الحجج الظاهره و البيئه الزاهره ما ينفى خارج الشك عن قلب الناظر المستبين و يفضى به إلى فضاء العلم اليقين و يوضح له مناهج الصدق و يولجه موالج الحق و ما يَسْتَتَوِي الْأَعْمَى وَ الْبَصِيرُ و لا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ.

البقره (٢): آيه ٥١

اشاره

وَ إِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (٥١)

القراءه

قرأ أهل البصره و أبو جعفر هاهنا وعدنا بغير ألف و فى الأعراف و طه و قرأ الباقون «واعِدنا» بالألف و قرأ ابن كثير و حفص و البرجمى و رويس اتخذتم و أخذتم و ما جاء منه بإظهار الذال و وافقهم الأعشى فيما كان على افتعلت و الباقون يدغمون.

الإعراب

حجه من قرأ بإثبات الألف أنه قال لا يخلو أن يكون قد كان موسى وعد أو لم يكن فإن كان منه وعد فلا إشكال فى وجوب القراءه بواعدنا و إن لم يكن منه وعد فإن ما كان منه من قبول الوعد و التحرى لإنجازه و الوفاء به يقوم مقام الوعد و القراءه بواعدنا دلالة من الله على وعده و قبول موسى و لأنه إذا حسن فى مثل قوله بما أَخْلَفُوا اللَّهَ ما وَعَدُوهُ الإخبار بالوعد منهم لله تعالى كان هنا الاختيار «واعِدنا» و من قرأ وعدنا بغير ألف و هو أشد مطابقه للمعنى إذ كان القبول ليس بوعد فى الحقيقة إذ الوعد إنما هو إخبار الموعد بما يفعل به من خير و على هذا فيكون قوله بما أَخْلَفُوا اللَّهَ ما وَعَدُوهُ مجازا حقيقته بما أخبروا أنهم فاعلوه و قال بعضهم أن المواعده فى الحقيقة لا تكون إلا بين البشر و الله تعالى هو المتفرد بالوعد و الوعيد كما قال وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ وَ إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ و القراءتان جميعا قويتان و حجه من أدغم الذال فى التاء من «اتَّخَذْتُمْ» أن مخرج الذال قريب من مخرج التاء و حجه من لم يدغم أن مخرجيهما متغايران.

الوعد و الموعد و الوعيد و العده و الموعدة مصادر وعدته أعدده و وعدت يتعدى إلى مفعولين يجوز فيه الاقتصار على أحدهما كأعطيت قال «وَإِعِدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ» فجانِب مفعول ثان و العده و الوعد قد يكونان اسمين أيضا و الوعد فى الخير و الوعيد فى الشر و يجمع العده على العدات و لا يجمع الوعد و الموعد قد يكون موضعا و وقتا و مصدرا و الميعاد لا يكون إلا وقتا أو موضعا و قد يقال وعدته فى الشر كقوله تعالى «النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا» و أوعده لا يكون إلا فى الشر و المكاره و يقال أوعده بالشر و لا يقال أوعده الشر و حقيقه الوعد هو الخبر عن خير يناله المخبر فى المستقبل أو شر و موسى اسم مركب من اسمين بالقبطيه فم هو الماء و سى الشجر و سمي بذلك لأن التابوت الذى كان فيه موسى وجد عند الماء و الشجر و جدته جارى آسياه امرأه فرعون و قد خرج ليغتسلن بالمكان الذى وجد فيه عن السدى و هو موسى بن عمران بن يصهر بن فاهث بن لايوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عن محمد بن إسحاق بن يسار و إنما قال «أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» و لم يقل أربعين يوما لتضمن الليالى الأيام على قول المبرد عنى بذلك أنك إذا ذكرت الليالى دخل فيها الأيام و إذا ذكرت الأيام لا يدخل فيها الليالى و الصحيح أن العرب كانت تراعى فى حسابها الشهور و الأيام و الأهله فأول الشهر الليالى فلذلك أرخت بالليالى و غلبتها على الأيام و اكتفت بذكر الليالى عن الأيام فقالت لعشر خلون و لخمس بقين جريا على الليالى و الليله الوقت من غروب الشمس إلى طلوع الفجر الثانى و اليوم من طلوع الفجر الثانى إلى غروب الشمس و ليله ليلاء إذا اشتدت ظلمتها و ليله تصغير ليله أخرجوا الياء الأخيره مخرجها فى الليالى و قال بعضهم أصل ليله ليلاه فقصر و اتخذ افتعل و فعلت فيه اتخذت قال:

و قد اتخذت رجلى إلى جنب غرزها

نسيفا كأفحوص القطاه المطرق

قال أبو على و ليس اتخذت من أخذت لأن الهمزه لا تبدل من التاء و لا تبدل منها التاء و العجل البقره الصغيره يقال عجل و عجول و هو من العجله لأن قصر المده كالعجل فى الشىء و قال بعضهم إنما سمي عجلا لأنهم عجلوا فاتخذوه إلها قبل أن يأتيهم موسى.

الإعراب

قوله «وَإِعِدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» لا- يخلو تعلق الأربعين بالوعد من أن يكون على أنه ظرف أو مفعول ثان فلا- يجوز أن يكون ظرفا لأن الوعد ليس فيها كلها فيكون جواب كم و لا فى بعضها فيكون جوابا لمتى و إنما الموعدة تقضى الأربعين فإذا لم يكن ظرفا كان انتصابه بوقوعه موقع المفعول الثانى و التقدير وعدنا موسى انقضاء أربعين

ليه أو تتمه أربعين ليله فحذف المضاف كما تقول اليوم خمسة عشر من الشهر أى تمام خمسة عشر فأما انتصاب أربعين فى قوله «فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» فالميقات هو الأربعون و إنما هو ميقات و موعد فيكون كقولك تم القوم عشرين رجلا و المعنى تم القوم معدودين هذا العدد و تم الميقات معدودا هذا العدد و قد جاء الميقات فى موضع الميعاد كما جاء الوقت موضع الوعد فى قوله «إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» و فى موضع آخر وَ الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ و يبين ذلك قوله «فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» و فى الآية «وَ إِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» و ليله تنتصب على التبيين و التمييز للعدد و الأصل فى بيان العدد أن يبين بذكر المعدود و إنما انتصب بالاسم التام الذى هو أربعون و هو مشبه بالكلام التام الذى ينتصب بعده ما يكون فضله عنه و معنى تمام الاسم هاهنا هو تركيب هذا النون الذى تتممه معه فأشبهه الجملة المركبه من فعل و فاعل من جهة أنه متمم بشىء آخر و بينهما شبه آخر و هو أن فى الجملة التى من فعل و فاعل معنى يقتضى المفعول و هو ذكر الفعل و فى العدد إبهام يقتضى التفسير و البيان ليفيد أى نوع من الأنواع هو فينصب على هذا المعنى و لذلك قال سيبويه إن فى هذا الضرب و هو تمام الاسم معنى يحجز بين الاسم الأول و ما يجرى بعد التمام فالنون فى أربعين هو بمنزلة الفاعل الذى يحجز من أن يسند الفعل إلى المفعول فيسند إلى الفاعل و ينتصب المفعول لذلك و النون يتم الاسم الأول فينتصب الاسم الذى بعده و أما قوله «اتَّخَذْتُمْ» فإن اتخذت على ضربين أحدهما يتعدى إلى مفعول واحد كقوله «وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً» و قوله «أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ» و الآخر يتعدى إلى مفعولين كقوله تعالى «اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً» فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِحْرِيًّا «لَا تَتَّخِذُوا عِدْوِيَّ وَ عِدْوَكُمْ أَوْلِيَاءَ» فقوله «ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ» تقديره و اتخذتم العجل إليها فحذف المفعول الثانى لأن من صاغ عجلا أو عمله لا يستحق الوعيد و الغضب من الله تعالى.

المعنى

«وَ» اذكروا «إِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَى» أن نؤتيه الألواح فيها التوراه و البيان و الشفاء على رأس «أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» أو عند انقضاء أربعين ليله أو عند تمام أربعين ليله و إنما قلنا أن قوله اذكروا مضمرة فيه لأن الله تعالى قال قبل هذا «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ» فإذا هاهنا معطوفه على الآيات المتقدمه و هذه الأربعون ليله هى التى ذكرها الله فى سورة الأعراف فقال «وَ وَاَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَ أَتَمَمْنَا بِعَشْرِ» و هى ذو

القعده و عشر من ذى الحجه قال المفسرون لما عاد بنو إسرائيل إلى مصر بعد إنجائهم من البحر و هلاك فرعون و قومه وعدهم الله إنزال التوراه و الشرائع فخلف موسى أصحابه و استخلف هارون عليهم فمكث على الطور أربعين ليله و أنزل عليه التوراه فى الألواح و قوله «ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ» أى اتخذتموه إلهاً لأن بنفس فعلهم لصوره العجل لا يكونون ظالمين لأن فعل ذلك ليس بمحظور و إنما هو مكروه و أما الخبر الذى

روى أنه صلى الله عليه و آله لعن المصورين

فالمراد به من شبه الله بخلقه أو اعتقد فيه أنه صوره و قوله «مِنْ بَعْدِهِ» أى من بعد غيبه موسى و خروجه و قيل من بعد وعد الله إياكم بالتوراه و قيل من بعد غرق فرعون و ما رأيتم من الآيات و الكل محتمل «أَنْتُمْ ظَالِمُونَ» أى مضرون بأنفسكم بما استحققتهم من العقاب على اتخاذكم العجل إلهاً.

[القصة]

روى عن ابن عباس قال كان السامرى رجلاً من أهل باجرما قيل كان اسمنسيا و قال ابن عباس اسمه موسى بن ظفر و كان من قوم يعبدون البقر و كان حب عباده البقر فى نفسه و قد كان أظهر الإسلام فى بنى إسرائيل فلما قصد موسى إلى ربه و خلف هارون فى بنى إسرائيل قال هارون لقومه قد حملتم أوزارا من زينة القوم يعنى آل فرعون فتطهروا منها فإنها نجس يعنى أنهم استعاروا من القبط حليا و استبدوا بها فقال هارون طهروا أنفسكم منها فإنها نجسه و أوقد لهم نارا فقال اقدفوا ما كان معكم فيها فجعلوا يأتون بما كان معهم من تلك الأمتعه و الحلى فيقدفون به فيها قال و كان السامرى رأى أثر فرس جبرائيل (عليه السلام) فأخذ ترابا من أثر حافره ثم أقبل إلى النار فقال لهارون يا نبي الله ألقى ما فى يدي قال نعم و هو لا يدري ما فى يده و يظن أنه مما يجىء به غيره من الحلى و الأمتعه فقدف فيها و قال كن عجلا جسدا له خوار فكان البلاء و الفتنة فقال هذا إلهكم و إله موسى فعكفوا عليه و أحبوه حبا لم يحبوا مثله شيئا قط قال ابن عباس فكان البلاء و الفتنة و لم يزد على هذا و قال الحسن صار العجل لحما و دما و قال غيره لا يجوز ذلك لأنه من معجزات الأنبياء و من وافق الحسن قال إن القبضه من أثر الملك كان الله قد أجرى العاده بأنها إذا طرحت على أى صوره كانت حيت فليس ذلك بمعجزه إذ سبيل السامرى فيه سبيل غيره و من لم يجز انقلابه حيا تأول الخوار على أن السامرى صاغ عجلا و جعل فيه خروقا يدخلها الريح فيخرج منها صوت كالخوار و دعاهم إلى عبادته فأجابوه و عبدوه عن أبى على الجبائى.

البقره (٢): آيه ٥٢

إشاره

ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٢)

اللغه

العفو و الصفح و المغفره و التجاوز نظائر قال ابن الأنبارى عفا الله عنك معناه

محا الله عنك مأخوذ من قولهم عفت الريح الأثر إذا درستته و محته فَعَفُوَ اللهُ مَحْوَهُ الذنوب عن العبد و قال الرمانى أصل العفو الترك و منه قوله فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ أَى ترك فالعفو ترك العقوبه و العفو أحل المال و أطيبه و العفو المعروف و العفاء و المعتفون طلاب المعروف و العافيه من الطير و الدواب طلاب الرزق و منه

الحديث من غرس شجره مثمره فما أكلت العافيه منها إلا كتب له صدقه و العافيه دفاع الله عن العبد

و العفاء التراب قال زهير:

(على آثار من ذهب العفاء)

و الشكر الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم قال الرمانى الشكر هو الإظهار للنعمة.

المعنى

«ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ» أى وضعنا عنكم العقاب الذى استحققتموه بقبول توبتكم من عباده العجل «مِنْ بَعْدِ ذَلِكُمْ» أى من بعد اتخاذكم إياه إلهًا و قيل معناه تركنا معاجلتكم بالعقاب من بعد اتخاذكم العجل إلهًا «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» لكى تشكروا الله على عفوه عنكم و سائر نعمه عليكم و قيل معناه التعريض أى عرفناكم للشكر و فى هذه الآية دلالة على وجوب شكر النعمة و على أن العفو عن الذنب بعد التوبه نعمه من الله على عباده ليشكروه و معنى قولنا فى الله أنه غفور شكور أنه يجازى العبد على طاعاته من غير أن ينقصه شيئًا من حقه فجعل المجازاه على الطاعة شكرًا فى مجاز اللغه و لا يستحق الإنسان الشكر على نفسه لأنه لا يكون منعمًا على نفسه فالنعمة تقتضى منعمًا غير المنعم عليه كما أن القرض يقتضى مستقرضًا غير المقرض و قد يصح أن يحسن الإنسان إلى نفسه كما يصح أن يسيء إليها لأن الإحسان من الحسن فإذا فعل بها فعلا حسنا ينتفع به كان محسنا إليها بذلك الفعل و إذا فعل بها فعلا قبيحا تستضر به كان مسيئا إليها و لا يستحق الكافر الشكر على الوجه الذى يستحقه المؤمن لأن المؤمن من يستحق الشكر على وجه الإجلال و الإعظام و الكافر لا يستحقه كذلك و إنما يجب له مكافاه نعمته كما يجب قضاء دينه على وجه الخروج منه إليه من غير تعظيم له و الفرق بين الشكر و المكافاه أن المكافاه من التكافى و هو التساوى و ليس كذلك الشكر ففى المكافاه للنعمة دلالة على أنه قد استوفى حقها و قد يكون الشكر مقصرا عنها و إن كان ليس على المنعم عليه أكثر منه إلا- أنه كلما ازداد من الشكر حسن الإزدىاد و إن لم يكن واجبا لأن الواجب لا يكون إلا متناهيا و ذلك كالشكر لنعمة الله تعالى لو استكثر به غايه الاستكثار لم يكن لينتهى إلى حد لا يجوز له الإزدىاد لعظم نعمه الله سبحانه و صغر شكر العبد.

البقره (٢): آيه ٥٣

إشارة

وَ إِذِ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَ الْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (٥٣)

الفرقان مصدر فرقت بين الشئين الفرق فرقا و فرقانا و يسمى كل فارق فرقانا كما سمي كتاب الله فرقانا لفصله بين الحق و الباطل و سمي الله تعالى يوم بدر الفرقان لأنه فرق في ذلك اليوم بين الحق و الباطل و قال «إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا» أى يفرق بينكم و بين ذنوبكم.

المعنى

«وَ اذْكُرُوا إِذْ آتَيْنَا» أى أعطينا «مُوسَى الْكِتَابَ» و هو التوراه «وَ الْفُرْقَانَ» اختلفوا فيه على وجوه (أحدها) و هو قول ابن عباس إن المراد به التوراه أيضا و إنما عطفه عليه لاختلاف اللفظين كقول عنترة:

(أقوى و أقفر بعد أم الهيثم)

و قال عدى بن زيد:

و قددت الأديم لراهشيه و ألقى

قولها كذبا و مينا

و المين الكذب (و ثانيها) أن الكتاب عبارته عن التوراه و الفرقان انفراق البحر الذى أتاه موسى عليه السلام (و ثالثها) أن المراد بالفرقان بين الحلال و الحرام و الفرق بين موسى و أصحابه المؤمنين و بين فرعون و أصحابه الكافرين بأشياء كثيرة منها أنه نجى هؤلاء و أغرق هؤلاء (و رابعها) أن المراد بالفرقان القرآن و يكون تقديره و آتينا موسى التوراه و آتينا محمدا الفرقان فحذف ما حذف لدلاله ما أبقاه عليه كما حذف الشاعر فى قوله:

تراه كان الله يجده أنفه

و عينيه إن مولاه كان له وفر

يريد و يفتأ عينيه لأن الجده لا يكون للعينين و اكتفى بيده عن يفتأ و قال آخر:

يا ليت بعلك قد غدا

متقلدا سيفا و رمحا

أراد و حاملا رمحا و هو قول الفراء و قطرب و ثعلب و ضعف قوم هذا الوجه لأن فيه حمل القرآن على المجاز من غير ضروره مع أنه تعالى أخبر أنه أتى موسى الفرقان فى قوله «وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَ هَارُونَ الْفُرْقَانَ» و قوله «لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» أى لكى تهتدوا بما فى التوراه من البشاره بمحمد صلى الله عليه و آله و بيان صفته.

إشارة

وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ اَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا اِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا اَنْفُسَكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ اِنَّهٗ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ (٥٤)

القراءة

قرأ أبو عمرو وبارئكم و يأمركم و ينصركم باختلاس الحركة و روى عنه السكون أيضا و الباقرن بغير اختلاف و لا تخفيف.

الإعراب

قال أبو على حروف المعجم على ضربين ساكن و متحرك و الساكن على ضربين (أحدهما) ما أصله السكون فى الاستعمال و الآخر ما أصله الحركة فما أصله الحركة يسكن على ضربين (أحدهما) أن تكون حركة بناء و الآخر أن تكون حركة إعراب و حركة البناء تسكن على ضربين (أحدهما) أن يكون الحرف المسكن من كلمه مفرده نحو فخذ و سبع و إبل و ضرب و علم فمن خفف قال فخذ و سبع و إبل و ضرب و علم و الآخر أن يكون من كلمتين فيسكن على تشبيه المنفصل بالمتصل نحو قراءه من قرأ و يَحْشَ اللّٰهَ وَ يَتَّقِهٖ وَ منه قول العجاج:

(فبات منتصبا و ما تكردسا)

ألا ترى أن تقه من يتقه مثل كتف و منه قول الشاعر:

(قالت سليمان اشتر لنا سويقا)

و لا خلاف فى تجويز إسكان حركة البناء فى نحو ما ذكرناه من قول العرب و النحويين و أما حركة الإعراب فمختلف فى تجويز إسكانها فمن الناس من يقول إن إسكانها لا يجوز من حيث كان علما للإعراب و أما سيبويه فيجوز ذلك لا يفصل بين القبيلتين و روى قول امرئ القيس:

فاليوم أشرب غير مستحقب

إثما من الله و لا واغل

و قول الآخر:

(و قد بدا هنك من الميزر)

و من هذا النحو قول جرير:

سيروا بنى العم فالأهواز منزلكم

و نهر تيرى و لا تعرفكم العرب

فشبه ما يدخل على المعرب بما يدخل على المبني كما شبهوا حركات البناء بحركات الإعراب فمن ثم أدغم نحو رد و فر و
عض كما أدغموا نحو يرد و يفر و يعرض و اعلم أن الحركات التي تكون للبناء و الإعراب قد يستعملون في الضمه و الكسره منها
الاختلاس و التخفيف كما يستعملون الإشباع و التمطيط فأما الفتحة فليس فيها الإشباع فقط و لم يخفف نحو جبل كما خفف
مثل سبع و كتف و على هذا المذهب حمل سيويه قول أبي عمرو إلى بارئكم فذهب إلى أنه اختلس الحركه و لم يشبعها فهو
بزنه حرف متحرك فمن

ص: ١٥٢

روى عن أبي عمرو الإسكان في هذا النحو فلعله سمعه يختلس فحسبها إسكانا لضعف الصوت به و الخفاء و على هذا قوله و لا يأمركم و غيره.

اللغة

البارئ هو الخالق الصانع و برأ الله الخلق يبرؤهم براء أى خلقهم قال أميه ابن أبي الصلت:

الخالق البارئ المصور فى الأرحام

ماء حتى يصير دما

و الفرق بين البارئ و الخالق أن البارئ هو المبدئ المحدث و الخالق هو المقدر الناقل من حال إلى حال و برأ من المرض يبرأ براء فهو بارئ و البراءة من العيب و المكروه لا- يقال منه إلا برىء بالكسر و فاعله برىء و رجل براء بمعناه و امرأه براء و نسوه براء و أما قوله إِنَّا بُرَّاءُوا فهو جمع برىء و أصل الباب انفصال الشىء من الشىء و منه برأ الله الخلق أى فطرهم كأنهم انفصلوا من العدم إلى الوجود و البريه فعيله بمعنى مفعول و لا- تهمز كما لا- يهمز ملك و إن كان أصله الهمزه و قيل البريه مشتقه من البرى و هو التراب فلذلك لم يهمز و قيل مأخوذه من بریت العود فذلك لم يهمز و القتل و الذبح و الموت نظائر و الفرق بينهما أن القتل نقض بنيه الحياه و الذبح فرى الأوداج و الموت عند من أثبتة عرض يضاد الحياه و القتل العدو و جمعه أقتال و القتال النفس و ناقه ذات قتال إذا كانت وثيقه و قتلت الشىء علمًا إذا أيقنته و تحققتة و فى المثل قتلت أرض جاهلها و قتل أرضا عالمها و تقتلت الجارية للفتى حتى عشقها كأنها خضعت له قال:

تقتلت لى حتى إذا ما قتلتنى

تنسكت ما هذا بفعل النواسك

الإعراب

«يا قَوْمِ» القراءه بكسر الميم و هو الاختيار لأنه منادى مضاف و النداء باب حذف فحذف الياء لأنه حرف واحد و هو فى آخر الاسم كما أن التنوين فى آخره و بقيت الكسره تدل عليه و لما كان ياء الإضافة قد تحذف فى غير النداء لزم حذفه فى النداء و يجوز فى الكلام أربعه وجوه «يا قَوْمِ» كما قرئ و لا- يجوز غيره فى القرآن لأن القراءه سنه متبعه و يجوز يا قومى إنكم بإثبات الياء و إسكانه و يجوز يا قومى بإثبات الياء و تحريكه فهذه ثلاثه أوجه فى الإضافة و يجوز يا قوم على أنه منادى مفرد و أما قوله «يا لَيْتَ قَوْمِي» فإن الياء ثبتت فيه لأنه لم يلحقه ما يوجب حذفه كما لحق فى النداء.

«وَ» اذكروا «إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ» الذين عبدوا العجل عند رجوعه إليهم «يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ» أى أضررتهم بأنفسكم و وضعتم العبادة غير موضعها «بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ» معبودا و ظلمهم إياها فعلهم بها ما لم يكن لهم أن يفعلوه مما يستحق به العقاب و كذلك كل من فعل فعلا يستحق به العقاب فهو ظالم لنفسه «فَتَوَبُّوا إِلَىٰ بَارئِكُمْ» أى ارجعوا إلى خالقكم و منشئكم بالطاعة و التوحيد و جعل توبتهم الندم مع العزم و قتل النفس جميعا و هنا إضمار باختصار كأنه لما قال لهم «فَتَوَبُّوا إِلَىٰ بَارئِكُمْ» قالوا كيف قال «فَمَا قَاتَلُوا أَنْفُسَهُمْ كُمْ» أى ليقتل بعضهم بعضا بقتل البرىء المجرم عن ابن عباس و سعيد بن جبير و مجاهد و غيرهم و هذا كقوله سبحانه «فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ كُمْ» أى ليسلم بعضهم على بعض و قيل معناه استسلموا للقتل فجعل استسلامهم للقتل قتلا- منهم لأنفسهم على وجه التوسع عن ابن إسحاق و اختاره الجبائى و اختلفوا فى المأمور بالقتل فروى أن موسى أمرهم أن يقوموا صفين فاغتسلوا و لبسوا أكفانهم و جاء هارون باثنى عشر ألفا ممن لم يعبدوا العجل و معهم الشفار المرهفه و كانوا يقتلونهم فلما قتلوا سبعين ألفا تاب الله على الباقين و جعل قتل الماضين شهاده لهم و قيل أن السبعين الذين كانوا مع موسى فى الطور هم الذين قتلوا ممن عبد العجل سبعين ألفا و قيل أنهم قاموا صفين فجعل يطعن بعضهم بعضا حتى قتلوا سبعين ألفا و قيل غشيتهم ظلمه شديده فجعل بعضهم يقتل بعضا ثم انجلت الظلمه فأجلوا عن سبعين ألف قتيل و روى أن موسى و هارون وقفا يدعوان الله و يتضرعان إليه و هم يقتل بعضهم بعضا حتى نزل الوحي برفع القتل و قبلت توبه من بقى و ذكر ابن جريج أن السبب فى أمرهم بقتل أنفسهم أن الله تعالى علم أن ناسا منهم ممن لم يعبد العجل لم ينكروا عليهم ذلك مخافه القتل مع علمهم بأن العجل باطل فذلك ابتلاهم الله بأن يقتل بعضهم بعضا و إنما امتحنهم الله تعالى بهذه المحنه العظيمة لكفرهم بعد الدلالات و الآيات العظام و قال الرماني لا بد أن يكون فى الأمر بالقتل لطف لهم و لغيرهم كما يكون فى استسلام القاتل لطف له و لغيره فإن قيل كيف يكون فى قتلهم نفوسهم لطف لهم و لا تكليف عليهم بعد القتل و اللطف لا يكون لطفًا فيما مضى و لا فيما يقارنه فالجواب أن القوم إذا كلفوا أن يقتل بعضهم بعضا فكل واحد منهم يقصد قتل غيره و يجوز أن يبقى بعده فيكون القتل لطفًا له فيما بعد و لو كان بمقدار زمان يفعل فيه واجبا أو يمتنع عن قبيح و هذا كما تقول فى عبادتنا بقتال المشركين و أن الله تعبدنا بأن نقاتل حتى

نقتل أو نقتل و مدحنا على ذلك و كذلك روى أهل السير أن الذين عبدوا العجل تعبدوا بأن يصبروا على القتل حتى يقتل بعضهم بعضا فكان القتل شهاده لمن قتل و توبه لمن بقى و إنما تكون شبهه لو أمروا بأن يقتلوا نفوسهم بأيديهم و لو صح ذلك لم يمتنع أن يكونوا أمروا بأن يفعلوا بنفوسهم الجراح التي تفضى إلى الموت و إن لم يزل معها العقل فينا في التكليف و أما على القول الآخر أنهم أمروا بالاستسلام للقتل و الصبر عليه فلا مسأله لأنهم ما أمروا بقتل نفوسهم فعلى هذا يكون قتلهم حسنا لأنه لو كان قبيحا لما أمروا بالاستسلام له و لذلك نقول لا يجوز أن يتعبد نبي و لا إمام بأن يستسلم للقتل مع قدرته على الدفع عن نفسه فلا- يدفعه لأن في ذلك استسلاما للقيح مع القدره على دفعه و ذلك لا يجوز و إنما كان يقع قتل الأنبياء و الأئمه عليه السلام على وجه الظلم و ارتفاع التمكّن من المنع غير أنه لا يمتنع من أن يتعبد بالصبر على الدفاع و تحمل المشقه في ذلك و إن قتله غيره ظلما و القتل و إن كان قبيحا بحكم العقل فهو مما يجوز تغييره بأن يصير حسنا لأنه جار مجرى سائر الآلام و ليس يجرى ذلك مجرى الجهل و الكذب في أنه لا يصير حسنا قط و وجه الحسن في القتل أنه لطف على ما قلناه و أيضا فكما يجوز من الله تعالى أن يميت الحي فكذلك يجوز أن يأمرنا بإماتته و يعوضه على الآلام التي تدخل عليه و يكون فيه لطف على ما ذكرناه و قوله «ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ» إشاره إلى التوبه مع القتل لأنفسهم على ما أمرهم الله به بدلاله قوله «فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ» فقولاه «فَتُوبُوا» دال على التوبه فكأنها مذكوره و قوله «فَاقْتُلُوا» دال على القتل فكأنه قال أن التوبه و قتل النفس في مرضاه الله كما أمركم به و إن كان فيه مشقه عظيمه خير لكم عند خالقكم من إثارة الحياه الدنيا لأن الحياه الدنيا لا تبقى بل تنفى و تحصلون بعد الحياه على عذاب شديد و إذا قتلت أنفسكم كما أمركم الله به زالت مشقه القتل عن قريب و بقيتم في نعيم دائم لا- يزول و لا- يبئد و كرر ذكر باريكم تعظيما لما أتوا به مع كونه خالقا لهم و قوله «فَتَابَ عَلَيْكُمْ» هاهنا إضمار تقديره ففعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم أو فقتلت أنفسكم فتاب عليكم أى قبل توبتكم «إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ» أى قابل التوبه عن عباده مره بعد مره و قيل معناه قابل التوبه عن الذنوب العظام «الرَّحِيمُ» يرحمكم إذا تبتم و يدخلكم الجنة و فى هذه الآيه دلالة على أنه يجوز أن يشترط فى التوبه سوى الندم ما لا يصح التوبه إلا به كما أمروا بالقتل.

البقره (٢): آيه ٥٥

اشاره

وَ إِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٥)

«لَنْ نُؤْمِنَ لِمَكَ» أى لن نصدقك يقال آمن به و آمن له بدلاله قول تعالى «قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ» و فى موضع آخر آمنتهم له و الرؤيه الإدراك بالبصر ثم يستعمل بمعنى العلم يقال رأى ببصره رؤيه و رأى من رأى رأيا و رأيت رؤيا حسنه و الرواء المنظر فى البهاء و الجمال و المرآه التى ينظر فيها و جمعها المرآئى و تراءيت بالمرآه إذا نظرت فيها و جاء

فى الحديث لا و يترأى أحدكم بالماء

أى لا ينظر فيه و تراءى القوم إذا رأى بعضهم بعضا و تراءى فلان لفلان إذا تصدى له ليراه و يحذفون الهمزه من رأيت فى كل كلمه تكون راؤها ساكنه تقول رأيت أرى و الأصل أراى و أريته فلانا أريه فأنا مرى و هو مرى و الأصل أ رأيته أرايه و أثبتها فى موضعين مرئى و أرات الناقه و الشاه إذا عرف فى لون ضرعها أنها قد أقربت و الرأى حسن الشاره و الهياه قال جرير:

و كل قوم لهم رأى و مختبر

و ليس فى تغلب رأى و لا خبر

و الجهر و العلامه و المعايينه نظائر يقال جهر بكلامه و بقراءته جهرا إذا أعلن و رجل جهير ذو رواء و كلام جهير و صوت جهير أى عال و الفعل منه جهر جهاره و جهرنى الرجل أى راعنى جماله و ضد الجهر السر و أصل الباب الظهور و حقيقه الجهر ظهور الشىء معايينه و الفرق بين الجهر و المعايينه أن المعايينه ترجع إلى حال المدرك و الجهره ترجع إلى حال المدرك و قد تكون الرؤيه غير جهره كالرؤيه فى النوم و الرؤيه بالقلب فإذا قال جهره لم يكن إلا- رؤيه العين على التحقيق دون التخيل و الصاعقه على ثلاثه أوجه (أحدها) نار تسقط من السماء كقوله «وَيُرْسَلُ الصَّوَاعِقُ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ» (و الثانى) الموت فى قوله «فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ» و قوله «فَأَخَذَتْكُمْ الصَّاعِقَةُ» و (الثالث) العذاب فى قوله «أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقِهِ عَادٍ وَ ثَمُودَ».

الإعراب

«حَتَّى نَرَى» حتى بمعنى إلى و هى الجاره للاسم و انتصب نرى بعدها بإضمار أن كما ينتصب الفعل بعد اللام بإضمار أن و أن مع الفعل فى تأويل المصدر و فى موضع جر بحتى ثم أن الجار و المجرور فى موضع نصب بأنه مفعول لن نؤمن و جهره مصدر وضع موضع الحال.

المعنى

«وَ إِذِ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ» أى لن نصدقك فى قولك إنك نبى مبعوث «حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً» أى علانيه فيخبرنا بأنك نبى مبعوث و قيل معناه أنا لا نصدقك فيما تخبر به من صفات الله تعالى و ما يجوز عليه و ما لا يجوز عليه حتى نرى الله جهره أى علانيه و عيانا فيخبرنا بذلك و قيل أنه لما جاءهم بالألواح و فيها التوراه قالوا لن

نؤمن بأن هذا من عند الله حتى نراه عيانا و قال بعضهم إن قوله «جَهْرَةً» صفة لخاطبهم لموسى أنهم جهروا به و أعلنوه و تقديره و إذا قلم جهره لن نؤمن لك حتى نرى الله و الأول أقوى «فَأَخَذَتْكُمْ الصَّاعِقَةُ» أى الموت «وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ» إلى أسباب الموت و قيل إلى النار و إنما قرع الله سبحانه اليهود بسؤال أسلافهم الرؤيه من حيث أنهم سلكوا طريقتهم فى المخالفه للنبي الذى لزمهم اتباعه و التصديق بجميع ما أتى به فجروا على عادة أسلافهم الذين كانوا يسألون تاره نبيهم أن يجعل لهم إلهها غير الله و مره يعبدون العجل من دون الله و طورا يقولون «لَنْ نُؤْمِنَ لِمَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً» و استدل أبو القاسم البلخي بهذه الآيه على أن الرؤيه لا- تجوز على الله تعالى قال لأنها إنكار تضمن أمرين ردهم على نبيهم و تجويزهم الرؤيه على ربهم و يؤيد ذلك قوله تعالى «فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً» فدل ذلك على أن المراد إنكار الأمرين و تدل هذه الآيه أيضا على أن قول موسى «رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ» كان سؤالا لقومه لأنه لا خلاف بين أهل التوراه أن موسى عليه السلام لم يسأل الرؤيه إلا دفعه واحده و هى التى سألتها لقومه.

البقره (٢): آيه ٥٦

إشاره

ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٦)

اللغه

البعث إثاره الشىء من محله و منه يقال بعث فلان راحلته إذا أثارها من مبركها للسير و بعث فلانا لحاجتى إذا أقمته من مكانه الذى هو فيه للتوجيه إليها و منه يقال ليوم القيامة يوم البعث لأنه يوم يثار الناس فيه من قبورهم لموقف الحساب و بعثته من نومه فانبعث أى نهته فانتهى و البعث الجند يبعثون إلى وجه أو فى أمر و أصل البعث الإرسال.

المعنى

«ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ» أى ثم أحييناكم «مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ» لاستكمال آجالكم عن الحسن و قتاده و قيل أنهم سألوا بعد الإفاقه أن يبعثوا أنبياء فبعثهم الله أنبياء عن السدى فيكون معناه بعثناكم أنبياء و أجمع المفسرون إلا شردمه يسيره إن الله لم يكن أمات موسى كما أمات قومه و لكن غشى عليه بدلاله قوله فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ و الإفاقه إنما تكون من الغشيان و قوله «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» أى لكى تشكروا الله على نعمه التى منها رده الحياه إليكم و فى هذا إثبات لمعجزه نبينا محمد صلى الله عليه و آله و احتجاج على مشركى العرب الذين كانوا غير مؤمنين بالبعث لأنه كان يذكر لهم من أخبار الذين بعثهم الله فى الدنيا فكان يوافقهم على ذلك من يخالفه من اليهود و النصرارى و يجب أن يكون هؤلاء القوم و إن أماتهم الله ثم أحياهم غير مضطرين إلى معرفه الله عند موتهم كما يضطر الواحد منا اليوم إلى

معرفة عند الموت بدليل أن الله أعادهم إلى التكليف و المعرفة في دار التكليف لا- تكون ضروريه بل تكون مكتسبه و لكن موتهم إنما كان في حكم النوم فأذهب الله عنهم الروح من غير مشاهدته منهم لأحوال الآخرة و ليس في الإحياء بعد الإمامته ما يوجب الاضطراب إلى المعرفة لأن العلم بأن الإحياء بعد الإمامته لا يقدر عليه غير الله طريقه الدليل و ليس الإحياء بعد الإمامته إلا قريبا من الانتباه بعد النوم و الإفاقة بعد الإغماء في أن ذلك لا يوجب علم الاضطراب و استدلال قوم من أصحابنا بهذه الآية على جواز الرجعه و قول من قال إن الرجعه لا- تجوز إلا- في زمن النبي صلى الله عليه و آله ليكون معجزا له و دلالة على نبوته باطل لأن عندنا بل عند أكثر الأمة يجوز إظهار المعجزات على أيدي الأئمة و الأولياء و الأدلة على ذلك المذكوره في كتب الأصول و قال أبو القاسم البلخي لا- تجوز الرجعه مع الإعلام بها لأن فيها إغراء بالمعاني من جهة الاتكال على التوبه في الكره الثانيه و جوابه أن من يقول بالرجعه لا يذهب إلى أن الناس كلهم يرجعون فيصير إغراء بأن يقع الاتكال على التوبه فيها بل لا أحد من المكلفين إلا و يجوز أن لا يرجع و ذلك يكفي في باب الزجر.

البقره (٢): آيه ٥٧

إشاره

وَ ظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَ مَا ظَلَّمُونَا وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٥٧)

اللغه

الظله الغمامه و الستره نظائر يقال ظللت تظليلا و الظل ضد الضح و نقيضه و ظل الشجره سترها و لا أزال الله عنا ظل فلان أى ستره و يقال لسواد الليل ظل لأنه يستر الأشياء قال الله تعالى أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَيَّدَ الظَّلَّ وَ الغمام السحاب و القطعه منها غمامه و إنما سمي غماما لأنه يغم السماء أى يسترها و كل ما يستر شيئا فقد غمه و قيل هو ماء أبيض من السحاب و الغمه الغطاء على القلب من الغم و فلان في غمه من أمره إذا لم يهتد له و المن الإحسان إلى من لا- يستشبهه و الاسم المنه و الله تعالى هو المنان علينا و الرحيم بنا و المن قطع الخير و منه قوله أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ أى غير مقطوع و المنه قوه القلب و فلان ضعيف المنه و أصل الباب الإحسان فالمن الذى كان يسقط على بنى إسرائيل هو مما من الله به عليهم أى أحسن به إليهم و السلوى طائر كالسماني قال الأخفش هو للواحد و الجمع كقولهم دفلى و قال الخليل واحده سلواه قال:

كما انتفض السلواه من بلل القطر

قال الزجاج

ص: ١٥٨

غلط خالد بن زهير في قوله:

و قاسمها بالله جهدا لأنتم

ألد من السلوى إذا ما نشورها

فظن أن السلوى العسل و إنما هو طائر قال أبو على الفارسي و قرئ على الزجاج في مصنف أبي عبيد أنه العسل قال و الذى عندي فيه أن السلوى كأنه ما يسلى عن غيره لفضيله فيه من فرط طيبه أو قله معاناه و علاج في اقتنائه فالعسل لا يمتنع أن يسمى سلوى لجمعه الأمرين كما سمي الطائر الذى كان يسقط مع المن به و يقال سلا فلان عن فلان يسلو سلوا إذا تسلى عنه و فلان فى سلوه من العيش إذا كان فى رغد يسليه الهم و السلوان ماء من شربه ذهب همه فيما زعموا قال:

لو أشرب السلوان ما سليت

الإعراب

موضع «كُلُوا» نصب بمحذوف كأنه قال و قلنا لهم كلوا و موضع «السُّلوى» نصب لأنه معطوف على المن و قوله «و ما ظَلَّمونا» إنما يتصل بما قبله أيضا بتقدير محذوف كأنه قال فخالفوا ما أمروا به و كفروا هذه النعمة و ما ظلمونا.

المعنى

«و ظَلَلْنَا عَلَيْكُمُ الْعَمَامَ» أى جعلنا لكم الغمام ظله و ستره تقيكم حر الشمس فى التيه عن جماعه المفسرين «و أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمُنَّ» فيه وجوه (أحدها) أنه المن الذى يعرفه الناس يسقط على الشجر عن ابن عباس و (ثانيها) أنه شىء كالصمغ كان يقع على الأشجار و طعمه كالشهد و العسل عن مجاهد و (ثالثها) أنه الخبز المرقق عن وهب و (رابعها) أنه جميع النعم التى أتتهم مما من الله به عليهم مما لا تعب فيه و لا نصب و

روى عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال الكمأه من المن و ماؤها شفاء للعين

«و السُّلوى» قيل هو السمانى و قيل هو طائر أبيض يشبه السمانى عن ابن عباس و قوله «كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ» معناه قلنا لهم كلوا من الشىء اللذيذ و قيل المباح الحلال و قيل المباح الذى يستلذ أكله الذى رزقناكم أى أعطيناكم و جعلناه رزقا لكم و قوله «و ما ظَلَّمونا» أى فكفروا هذه النعمة و ما نقصونا بكفرانهم أنعمنا «و لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسِهِمْ يَظْلِمُونَ» أى يسمون و قيل معناه و ما ضررونا و لكن كانوا أنفسهم يضررون و هذا يدل على أن الله تعالى لا ينفعه طاعه من أطاعه و لا يضره معصيه من عصاه و إنما تعود منفعة الطاعه إلى المطيع و مضره المعصيه إلى العاصى.

و كان سبب إنزال المن و السلوى عليهم أنه لما ابتلاهم الله بالتيه إذ قالوا لموسى فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِمْدُونَ حين أمرهم بالمسير إلى بيت المقدس و حرب العمالقه بقوله اذْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ فَوَقَعُوا فِي التَّيْهِ فَصَارُوا كَلِمًا سَارُوا تَاهُوا فِي قَدْرٍ خَمْسَةِ فَرَاسِخٍ أَوْ سِتِّهِ فَكَلِمًا أَصْبَحُوا سَارُوا غَادِينَ فَأَمْسُوا فَإِذَا هُمْ فِي مَكَانِهِمْ الَّذِي ارْتَحَلُوا مِنْهُ كَذَلِكَ حَتَّى تَمَّتِ الْمَدَّةُ وَ بَقُوا فِيهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً وَ فِي التَّيْهِ تَوَفَّى مُوسَى وَ هَارُونَ ثُمَّ خَرَجَ يُوْشَعَ بْنِ نُونٍ وَ قِيلَ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى يَرُدُّ الْجَانِبَ الَّذِي انْتَهَوْا إِلَيْهِ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى الْجَانِبِ الَّذِي سَارُوا مِنْهُ فَكَانُوا يَضِلُّونَ عَنِ الطَّرِيقِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا خَلَقًا عَظِيمًا فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَضِلُّوا كُلَّهُمْ عَنِ الطَّرِيقِ فِي هَذِهِ الْمَدَّةِ الْمَدِيدَةِ فِي هَذَا الْمَقْدَارِ مِنَ الْأَرْضِ وَ لَمَّا حَصَلُوا فِي التَّيْهِ نَدَمُوا عَلَى مَا فَعَلُوا فَأَلْطَفَ اللَّهُ لَهُمْ بِالْغَمَامِ لَمَّا شَكُوا حَرَّ الشَّمْسِ وَ أَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَنِّ وَ السَّلْوَى فَكَانَ يَسْقُطُ عَلَيْهِمُ الْمَنُّ مِنْ وَقْتِ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ فَكَانُوا يَأْخُذُونَ مِنْهَا مَا يَكْفِيهِمْ لِيَوْمِهِمْ وَ

قال الصادق عليه السلام كان ينزل المن على بنى إسرائيل من بعد الفجر إلى طلوع الشمس فمن نام في ذلك الوقت لم ينزل نصيبه فلذلك يكره النوم في هذا الوقت إلى بعد طلوع الشمس

قال ابن جرير و كان الرجل منهم إذا أخذ من المن و السلوى زياده على طعام يوم واحد فسد إلا يوم الجمعة فإنهم إذا أخذوا طعام يومين لم يفسد و كانوا يأخذون منها ما يكفيهم ليوم الجمعة و السبت لأنه كان لا يأتيهم يوم السبت و كانوا يخبزونه مثل القرصه و يوجد له طعم كالشهد المعجون بالسمن و كان الله تعالى يبعث لهم السحاب بالنهار فيدفع عنهم حر الشمس و كان ينزل عليهم في الليل من السماء عمود من نور يضيء لهم مكان السراج و إذا ولد فيهم مولود يكون عليه ثوب يطول بطوله كالجلد.

البقره (٢): آيه ٥٨

اشاره

وَ إِذْ قُلْنَا اذْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَ اذْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَ قُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَ سَيِّئُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨)

القراءه

قرأ أبو جعفر و نافع يغفر بالياء مضمومه و الباقون «نَغْفِرُ لَكُمْ» بالنون و هو الاختيار لأنه أشبه بما تقدم من قوله وَ ظَلَّلْنَا وَ أَنْزَلْنَا وَ لأن أكثر القراء عليه و أجمع القراء على

إظهار الراء عند اللام إلا- ما روى عن أبي عمرو و فى روايه اليزيدى الاستجاده من إدغام الراء فى اللام و اتفق القراء على «خطاياكم» هنا و إن اختلفوا فى الأعراف و نوح فقرأ بعضهم هناك خطيئاتهم و ذلك لأن اللتين فى الأعراف و نوح كتبنا فى المصحف بغير ألف و هاهنا كتبت بالألف.

اللغه

الدخول و الولوج و الاقتحام نظائر و الفرق بين الدخول و الاقتحام أن الاقتحام دخول على صعوبه و فى الأمر دخل أى فساد و دخل أمره إذا فسد و فلان دخيل فى بنى فلان إذا كان من غيرهم و أطلعت على دخله أمرى إذا بثته مكتومك و فلان مدخول إذا كان فى عقله أو فى حسبه دخل و القرية و البلده و المدينه نظائر قال أبو العباس و أصله الجمع و قرية الماء فى الحوض أقرية قريبا و قرية الضيف أقرية قرى و المقراه الجفنه التى يعد فيها الطعام للأضياف قال:

عظام المقارى جارهم لا يفرع

و قال الخليل القرية و القرية لغتان و الكسر لغه يمانيه و القرى الظهر من كل شىء و جمعه الأقرء و السجود شده الانحناء و منه السجد من النساء و هن الفاترات الأعين قال الشاعر:

و لهوى إلى حور المدامع سجد

و قال الآخر:

ترى الأكم فيها سجدا للحوافر

و حطه مصدر مثل رده و جده من رددت و جددت قال الخليل الحط وضع الأحمال عن الدواب و الحط و الوضع و الخفض نظائر و الحط الحدر من العلو قال امرئ القيس:

كجلمود صخر حطه السيل من عل

و جاريه محطوطه المتين ممدوده حسنه و الغفران و العفو و الصفح نظائر يقال غفر الله له غفرانا أى ستر الله على ذنوبه و الغفر التغطية و ثوب ذو غفر إذا كان له زتبر يستر نسجه و يقال المغفر لتغطيته العنق و الغفيره و المغفره بمعنى و الغفاره خرقة تلف على سية القوس و المغفور و المغفار صمغ العرطف و أغفر الشجر إذا ظهر ذلك فيه و منه

الحديث أنه صلى الله عليه و آله دخل على عائشه فقالت يا رسول الله أكلت مغاير

يعنى هذا الصمغ و منهم من يقول مغاير كما قيل جدث و جدف و يقال جاءوا و الجماء الغفير و جاءوا جما غفيرا و جماء الغفير أى مجتمعين جمعا يغطى الأرض و الغفر ولد الأرويه لأنه يأوى الجبال و يتستر عن الناس و يقال أصبغ ثوبك فإنه أغفر للوسخ أى أستر له و أصل الباب الستر و حد المغفره ستر الخطيئه برفع العقوبه و الخطيئه و الزله و المعصيه نظائر يقال خطأ الشىء خطأ

إذا لم يردده و أصابه و أخطأه إخطاء إذا أرادته فلم يصبه و الأول خاطئ و الثاني مخطئ و الخطيئات جمع

ص: ١٤١

خطيئه مثل صحيفات جمع صحيفه و سفينات جمع سفينه و الخطايا أيضا جمع خطيئه و المحسن الفاعل للإحسان أو الفاعل للحسن يقال أحسن إلى غيره و أحسن في فعله و الفرق بينهما أن أحسن إليه لا- يقال إلا في النفع فلا يقال أحسن الله إلى أهل النار بتعذيبهم و يقال أحسن في تعذيبهم بالنار بمعنى أحسن في فعله و تدييره و يقال امرأه حسناء و لا يقال رجل أحسن و حد الحسن و من طريق الحكمة هو الفعل الذى يدعو إليه العقل و ضده القبيح و هو فعل الذى يزجر عنه العقل و حد الإحسان هو النفع الحسن و حد الإساءة هو الضرر القبيح و هذا إنما يصح على مذهب من يقول إن الإنسان يكون محسنا إلى نفسه و مسيئا إليها و من لم يذهب إليه يزيد فيه الواصل إلى الغير مع قصده إلى ذلك و الأولى فى حد الحسن أن يقال هو الفعل الذى إذا فعله العالم به على وجه لم يستحق الذم.

الإعراب

حيث ظرف مكان مبنى على الضم و ذكرنا فى بنائه فيما قبل و الجملة بعده فى تقدير المضاف إليه و مما يسأل فيه أن يقال كيف بنى على الضم و هو مضاف إلى الجملة على التشبيه بما حذف منه الإضافة و هو قبل و بعد و جوابه أن حيث مع إضافته إلى الجملة لا يمتنع أن يكون شبه قبل و نحوه قائما فيه لأنه قد منع الإضافة إلى المفرد و إن كان قد أضيف إلى الجملة و حق الإضافة أن تقع إلى المفرد و إذا كان كذلك فكان المضاف إليه محذوف منه كقبل و بعد هذا على قول من بناه على الضم و من بناه على غير الضم فقال حيث فلا يدخل عليه هذا السؤال و لا يجوز فى القرآن إلا الضم و أما حطه فإنما ارتفع على الحكاياه و قال الزجاج تقديره مسألتنا حطه أى حط ذنوبنا عنا و قيل تقديره دخولنا الباب سجدا حطه لذنوبنا و لو جاز قراءته بالنصب لكان وجهه فى العربية حط عنا ذنوبنا حطه كما يقال سمعا و طاعة أى أسمع سمعا و أطيع طاعة و معاذ الله أى نعوذ بالله معاذا و قوله «نَعْفُوْكُمْ» مجزوم لأنه جواب الأمر و إنما انجزم بالشرط فإن المعنى أن تقولوا نغفر لكم فحذف الشرط لدلاله الجزاء عليه و وقوع الأمر فى الكلام و طول به و حسن حذفه معه لأنه صار كالمعاقب له من حيث اجتماعهما فى أنهما غير موجبين و غير خبرين و هذا كما يحذف المبتدأ لدلاله الخبر عليه و قد يحذف الجزاء أيضا لدلاله الشرط عليه فى نحو قولهم أنت ظالم إن فعلت كما يحذف خبر المبتدأ لدلاله المبتدأ عليه قال سيبويه كان أصل خطايا خطائى مثل خطائع فأبدل من الياء همزه فصار خطائى مثل خطائع فتجتمع همزتان فقلبت

الثانية ياء فصار خطائي مثل خطاعي ثم قلبت الياء و الكسره إلى الألف و الفتحة فقبل خطاء مثل خطاعا كما فعل بمدارى فقبل مدارى ثم استثقل همزه بين ألفين لأن الهمزه مجانسه للألفات فكان كأنما اجتمعت ثلاث ألفات فأبدلت الهمزه ياء فقبل خطايا و قال الخليل أصل خطايا فعايل فقلبت إلى فعالي ثم قلب بعد على ما تبينت فى المذهب الأول و إنما أعل هذا الإعلال لأن الهمزه التى بعد الألف عارضه غير أصلية و تقول فى جمع مرآه مرآئى فلا تعل لأن الهمزه عين الفعل.

المعنى

أجمع المفسرون على أن المراد بالقرية هاهنا بيت المقدس و يؤيده قوله فى موضع آخر ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ و قال ابن زيد أنها أريحا قرية قرب بيت المقدس و كان فيها بقايا من قوم عاد و هم العمالقه و رأسهم عوج بن عتق يقول اذكروا «إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ» أى أين شئتم «رَعَدًا» أى موسعا عليكم مستمتعين بما شئتم من طعام القرية بعد المن و السلوى و قد قيل أن هذه إباحه لهم منه لغنائمها و تملك أموالها إتماما للنعمه عليهم «وَ ادْخُلُوا الْبَابَ» يعنى الباب الذى أمروا بدخوله و قيل هو باب حطه من بيت المقدس و هو الباب الثامن عن مجاهد و قيل باب القبه التى كان يصلى إليها موسى و بنو إسرائيل و قال قوم هو باب القرية التى أمروا بدخولها قال أبو على الجبائى و الآيه على قول من يزعم أنه باب القبه أدل منها على قول من يزعم أنه باب القرية لأنهم لم يدخلوا القرية فى حياه موسى و آخر الآيه يدل على أنهم كانوا يدخلون هذا الباب على غير ما أمروا به فى أيام موسى لأنه قال «فَيَدَّلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ» و العطف بالفاء التى هى للتعقيب من غير تراخ يدل على أن هذا التبديل منهم كان فى إثر الأمر فدل ذلك على أنه كان فى حياه موسى و قوله «سَيَجِدُ» قيل معناه ركعا و هو شده الانحناء عن ابن عباس و قال غيره أن معناه ادخلوا خاضعين متواضعين يدل عليه قول الأعشى:

يراوح من صلوات المليك

طورا سجودا و طورا جؤارا

و قيل معناه ادخلوا الباب فإذا دخلتموه فاسجدوا لله سبحانه شكرا عن وهب و قوله «حِطَّةً» قال الحسن و قتاده و أكثر أهل العلم معناه حط عنا ذنوبنا و هو أمر بالاستغفار و قال ابن عباس أمروا أن يقولوا هذا الأمر حق و قال عكرمه أمروا أن يقولوا لا إله إلا الله لأنها تحط الذنوب و كل واحد من هذه الأقوال مما يحط الذنوب فيصح أن يترجم عنه بحطه و

روى عن الباقر (عليه السلام) أنه قال نحن باب حطتكم

و قوله «نَغْفِرُ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ» أى نصفح

و نَعْفُ عَنْ ذُنُوبِكُمْ «وَسَيَنْزِيذُ الْمُحْسِنِينَ» أَي وَ سَنَزِيدُهُمْ عَلَى مَا يَسْتَحِقُونَهُ مِنَ الثَّوَابِ تَفْضِيلاً كَقَوْلِهِ تَعَالَى «لِيُؤْفِقَهُمْ أُجُورَهُمْ وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ» وَ قِيلَ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ أَنَّ يَزِيدُهُمُ الْإِحْسَانَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنَ الْإِحْسَانِ بِإِنزَالِ الْمَنِّ وَ السُّلُوبِ وَ تَطْلِيلِ الْغَمَامِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ.

البقره (٢): آيه ٥٩

اشاره

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٥٩)

اللغه

التبديل تغيير الشىء إلى غير حاله و الرجز بكسر الراء العذاب فى لغه أهل الحجاز و هو غير الرجز لأن الرجز التنبؤ و

قال النبى صلى الله عليه و آله فى الطاعون أنه رجز عذب به بعض الأمم قبلكم

و قال أبو عبيده الرجز و الرجز لغتان مثل البزاق و البساق و الزرع و السرعة و الرجز بضم الراء عباده الأوثان و فسق يفسق و الضم أشهر و عليه القراءة و معنى الفسق فى اللغه الخروج من العقيدة و كل من خرج عن شىء فقد فسق إلا أنه فى الشرع مخصوص بالخروج عن أمر الله تعالى أو طاعته.

الإعراب

«غَيْرَ الَّذِي» انتصب غير بأنه صفة لقول واصل غير أن يكون صفة تجرى مجرى مثل و إذا أضيفا إلى المعارف لم يتعرفا لما فيها من الإبهام لأن مثل الشىء يكون على وجوه كثيرة و كذلك غير الشىء يكون أشياء كثيرة غير مختلفه.

المعنى

ثم بين سبحانه أنهم قد عصوا فيما أمروا به فقال «فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ» أى فخالف الذين عصوا و الذين فعلوا ما لم يكن لهم أن يفعلوه و غيروا ما أمروا به فقالوا غير ذلك و اختلف فى ذلك الغير فقيل أنهم قالوا بالسريانيه هاطا سماقاتا و قال بعضهم حطا سماقاتا و معناه حنطه حمراء فيها شعيره و كان قصدهم فى ذلك الاستهزاء و مخالفه الأمر و قيل أنهم قالوا حنطه تجاهلا و استهزاء و كانوا قد أمروا أن يدخلوا الباب سجدا و طؤطىء لهم الباب ليدخلوه كذلك فدخلوه زاحفين على أستاههم فخالفوا فى الدخول أيضا و قوله «فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا» أى فعلوا ما لم يكن لهم فعله من تدليلهم ما أمر الله به بالقول و الفعل «رِجْزًا» أى عذابا «مِنَ السَّمَاءِ» عن ابن عباس و قتاده و الحسن «بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ» أى بكونهم فاسقين أو بفسقهم كقوله «ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا» أى بعصيانهم و قال ابن زيد أهلكوا بالطاعون فمات منهم فى ساعه واحده أربعة و عشرون ألفا من كبرائهم و شيوخهم و بقى الأبناء فانتقل عنهم العلم و العباده كأنه يشير إلى أنهم

عوقبوا بإخراج الأفاضل من بينهم.

البقرة (٢): آيه ٦٠

إشاره

وَ إِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَ اشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَ لَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٦٠)

اللغه

الاستسقاء طلب السقيا و يقال سقيته و أسقيته بمعنى و قيل سقيته من سقى الشفه و أسقيته دللته على الماء و يقال عصا و عصوان و ثلاث أعص و جمعه عصى و الانفجار الانشقاق و الانبجاس أضيّق منه فيكون أولا انبجاسا ثم يصير انفجارا و العين من الأسماء المشتركة فالعين من الماء مشبهه بالعين من الحيوان لخروج الماء منها كخروج الدمع من تيك و بلد قليل العين أى قليل الناس و ما بالدار عين متحركه الياء و العين مطر أيام لا يقلع و العين الذهب و العين الميزان و العين الشمس و العين المتجسس للأخبار و قد تقدم ذكر أناس و أنه لا واحد له من لفظه «وَ لَا تَعْنُوا» أى و لا تفسدوا و لا تطغوا و العثى شده الفساد يقال عثا يعثو عثوا و عثى يعثى عثى و عاث يعيث عيثا و عيوثا و عيثانا قال رؤبه:

(و عاث فينا مستحل عايث)

الإعراب

إذا متعلق بكلام محذوف فكأنه قال و اذكروا إذ استسقى و يجوز أن يكون معطوفا على ما تقدم ذكره فى الآيات المتقدمه و قوله «اثنتا عشره عيناً» الشين ساكنه عند جميع القراء و كان يجوز كسرهما فى اللغه و الكسر لغه ربيعه و تميم و الإسكان لغه أهل الحجاز قال ابن جنى أن ألفاظ العدد قد كثر فيها الانحرافات و ذلك أن لغه أهل الحجاز فى غير العدد فى نظير عشره عشره فيقولون نبقه و فخذ يكسرون الثانى و بنو تميم يسكنون فيقولون نبقه و فخذ فلما ركب الاسمان استحال الوزن فقال بنو تميم إحدى عشره و اثنتا عشره بكسر الشين و قال أهل الحجاز عشره بسكونها و عينا منصوب على التمييز و الاسم الثانى من اثنتا عشره قام مقام النون فى عشرون بدلاله سقوط النون من اثنتان و أن عشره تعاقبها و كذلك التقدير فى جميع ذلك و هو الثلاثه و الثلاث من ثلاثه عشر و ثلاث عشره إلى

ص: ١٦٥

تسعه عشر و تسع عشره أن يكون فيها نون فقام عشره مقامها فلذلك لم يدخلها التنوين و إذا لم يدخلها تنوين لم تبن و مفسدين منصوب على الحال.

المعنى

ثم عد سبحانه و تعالى على بنى إسرائيل نعمه أخرى إضافه إلى نعمه العلى الأولى فقال «وَ إِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى» أى سأل موسى قومه ماء و السنين سين الطلب و ترك ذكر المسئول ذلك إذ كان فيما ذكر من الكلام دلالة على معنى ما ترك و كذلك قوله «فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ» لأن معناه فضربه فانفجرت فترك ذكر الخبر عن ضرب موسى الحجر لأن فيما أبقاه من الكلام دلالة على ما ألقاه و هذا كما يقال أمرت فلانا بالتجاره فاكتسب مالا أى فاتجر و اكتسب مالا و قوم موسى هم بنو إسرائيل و إنما استسقى لهم ربه الماء فى الحال التى تاهوا فيها فى التيه فشكوا إليه الظمأ فأوحى الله تعالى إليه ان «اضْرِبْ بِعَصَاكَ» و هو عصاه المعروفه و كان من آس الجنة دفعها إليه شعيب و كان آدم حمله من الجنة معه إلى الأرض و كان طوله عشره أذرع على طول موسى و له شعبتان تتقدان فى الظلمه نورا و به ضرب البحر فانفلق و هو الذى صار ثعبانا و أما الحجر فاختلف فيه فقيل كان يقرع لهم حجرا من عرض الحجاره فينفجر عيوننا لكل سبط عينا و كانوا اثنى عشر سبطا ثم يسير كل عين فى جدول إلى السبط الذى أمر بسقيهم عن وهب بن منبه و قيل كان حجرا بعينه خفيفا إذا رحلوا حمل فى مخلاه فإذا نزلوا ضربه موسى بعصاه فانفجر منه الماء عن ابن عباس و هذا أولى لدلالة الألف و اللام للعهد عليه و قيل كانت حجره فيها اثنتا عشره حفره و كان الحجر من الكذبان و كان يخرج من كل حفره عين ماء عذب فرات فيأخذونه فإذا فرغوا أراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء و كان يسقى كل يوم ستمائه ألف عن أبى مسروق و

روى أنه كان حجرا مربعا

و

روى أنه كان مثل شكل الرأس و كان موسى إذا ضربه بعصاه انفجرت منه فى كل ناحيه ثلاث عيون لكل سبط عين و كانوا لا يرتحلون مرحله إلا وجدوا ذلك الحجر بالمكان الذى كان به منهم فى المنزل الأول

و قوله «فَإِنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا» لا ينافى قوله فى سوره الأعراف فَانْبَجَسَتْ لأن الانبجاس هو الانفجار إلا أنه أقل و قيل أنه لا يمتنع أن يكون أول ما يضرب عليه

ص: ١٦٦

العصا كان ينبجس ثم يكثر حتى يصير انفجار و قيل كان ينبجس عند الحاجة و ينفجر عند الحاجة و قيل كان ينبجس عند الحمل و ينفجر عند الوضع و قوله «قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ» أى قد علم كل سبط و فريق منهم موضع شربهم و قوله «كُلُوا وَ اشْرَبُوا» أى و قلنا لهم كلوا و اشربوا و هذا كلام مبتدأ و قوله «مِنْ رِزْقِ اللَّهِ» أى كلوا من النعم التى من الله بها عليكم من المن و السلوى و غير ذلك و اشربوا من الماء فهذا كله من رزق الله الذى يأتىكم بلا مشقه و لا مؤونه و لا تبعه فإن الرزق ما للمرزوق أن ينتفع به و ليس لأحد منعه منه و قوله «وَ لَا تَعْتُوا» أى لا- تسعوا فى الأرض فسادا و إنما قال «لَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ» و إن كان العثى لا يكون إلا فسادا لأنه يجوز أن يكون فعل ظاهره الفساد و باطنه المصلحه فيبين أن فعلهم هو العيث الذى هو الفساد ظاهرا و باطنا و متى سئل فقبل كيف يجتمع ذاك الماء الكثير فى ذلك الحجر الصغير و هل يمكن ذلك فالجواب أن ذلك من آيات الله الباهره و الأعاجيب الظاهره الداله على أنها من فعل الله تعالى المنشى للأشياء القادر على ما يشاء الذى تذلل له الصعاب و يتسبب له الأسباب فلا بدع من كمال قدرته و جلال عزته أن يبدع خلق المياه الكثيره ابتداء معجزه لموسى و نعمه عليه و على قومه و من استبعد ذلك من الملاحده الذين ما قدروا الله حق قدره و لم يعرفوه حقيقه معرفته فالكلام عليهم إنما يكون فى وجود الصانع و إثبات صفاته و اتساع مقدراته و لا معنى للتشاغل بالكلام معهم فى الفرع مع خلافهم فى الأصل.

البقره (٢): آيه ٦١

اشاره

وَ إِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَ فُومِهَا وَ عَدَسِهَا وَ بَصِيلِهَا قَالَ أَ تُسَبِّحُونَ اللَّهَ هُوَ أَذْنَىٰ بِإِلَهِ هُوَ خَيْرٌ اهِبُوا مَضِرًّا فإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَ ضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدُّلَّةَ وَ الْمَسِيكَنَةَ وَ بَاؤُ بِغَضَبِ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ (٦١)

ص: ١٦٧

القراءه

قرأ أهل المدينه النبئین بالهمزه و الباقون بغير همز.

الإعراب

قال أبو على الحجه لمن همز النبى ء أن يقول هو أصل الكلمه ألا- ترى أن ناسا من أهل الحجاز حققوا الهمزه فى الكلام و لم يبدلوه فلم يكن كماضى يدع و نحوه مما رفض استعماله فأما ما

روى فى الحديث من أن بعضهم قال يا نبى ء الله فقال صلى الله عليه و آله لست نبى ء الله و لكنى نبى الله

فأظن أن من أهل النقل من ضعف إسناد هذا الحديث و يقوى ضعفه أن من مدح النبى صلى الله عليه و آله فقال:

يا خاتم النبيا إنك مرسل

بالحق خير هدى الإله هداكا

لم يؤثر عنه إنكار عليه فيما علمنا و لو كان فى واحده نكير لكان الجمع كالواحد و حجه من أبدل و لم يحقق مجى ء الجمع فى التنزيل على أنبياء الذى هو فى أكثر الأمر للمعتل اللام نحو صفى و أصفياء و غنى و أغنياء فدل على أن الواحد قد ألزم فيه البدل فإذا ألزم فيه البدل ضعف فيه التحقيق و لا- يجوز أن يكون اشتقاق النبى من النبوه التى هى الارتفاع أو من النباهه لأن سيبويه حكى أن جميع العرب يقولون تنبأ مسيلمه بالهمزه فدل على أن أصله الهمز و قال الزجاج يجوز أن يكون نبى من أنبات فترك همزته لكثرة الاستعمال و يجوز أن يكون من نبا ينبو إذا ارتفع فيكون فعلا من الرفع.

اللغه

الطعام ما يتغذى به و الطعم بضم الطاء الأكل و الطعم عرض يدرك بحاسه الذوق و الطعام من قبيل الأجسام و الواحد أول عدد الحساب و حده ما لا يتجزى و الله تعالى واحد لتفرده بصفاته الحسنى و الدعاء أصله النداء عن ابن السراج و كل من يدعو ربه فهو يناديه و حقيقه الدعاء قول القائل لمن فوقه افعل و الفرق بينه و بين الأمر يظهر بالرتبه و الإنبات إخراج النبات و أصله من الظهور فكأنه ظهر إذا نبت و البقل ما ينبت الربيع يقال بقلت الأرض و أقلت لغتان فصيحتان إذا أنبتت البقل فالبقل كل نبات ليس له ساق و فى القشاء لغتان ضم القاف و كسرهما و الكسر أجود و هى لغه القرآن و قد روى عن عيسى الثقفى فى الشواذ بالضم و

الفوم هو الحنطه عن ابن عباس و قتاده و السدى و هو المروى عن أبى جعفر الباقر

و أنشد ابن عباس قول أحيحة بن الجلاح:

قد كنت أغنى الناس شخصا واحدا

ورد المدينة عن زراعه فوم

وقال الفراء والأزهري هو الحنطة و الخبز تقول العرب فوموا لنا أى اختبزوا و قال قوم هو الحبوب التى تخبز و قال الكسائي هو الثوم أبدال من الثاء فاء كما قالوا جدث و جدف

ص: ١٦٨

قال الفراء و هذا أشبه بما ذكره بعده من البصل قال الزجاج و هذا بعيد لأنه لا يعرف الثوم بمعنى الفوم لأن القوم لا يجوز أن يطلبوا الثوم و لا يطلبون الخبز الذى هو الأصل و هذا ضعيف لأنه قد روى فى الشواذ عن ابن مسعود و ابن عباس و ثومها بالثاء و العدس حب معروف و قوله «أذنى» أى أقرب و أدون كما تقول هذا شىء مقارب أو دون و يجوز أن يكون أدنى من الدناءة و هى الخسه يقال دنا دناءة فهو دنى و هو أدنى منه فتركت همزتها و هو اختيار الفراء و حكى الأزهري عن ابن زيد الدنى بلا همز الخسيس و الدنىء بالهمزة الماكن و أما اشتقاق مصر فقال بعضهم هو من القطع لانقطاعه بالعماره عما سواه و منهم من قال هو مشتق من الفصل بينه و بين غيره و قال عدى بن زيد:

و جاعل الشمس مصرا لا خفاء به

بين النهار و بين الليل قد فصلا

و «ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ» أى فرضت و وضعت عليهم الذلة و ألزموها من قولهم ضرب الإمام الجزية على أهل الذمه و ضرب الأمير على عبيده الخراج و قيل ضربت عليهم الذلة أى حلوا بمنزل الذل و المسكنه مأخوذ من ضرب القباب قال الفرزدق:

ضربت عليك العنكبوت بنسجها

و قضى عليك به الكتاب المنزل

و أما الذلة فمشتقه من قولهم ذل فلان يذل ذلا و ذله و المسكنه مصدر المسكين يقال ما فيهم أسكن من فلان و ما كان مسكينا و لقد تمسكن تمسكنا و منهم من يقول تسكن تسكنا و المسكنه هاهنا مسكنه الفاقه و الحاجه و هى خشوعها و ذلها و قوله «وَأَوْ بَعْضُ» أى انصرفوا و رجعوا و لا يقال باء إلا موصولا أما بخير و أما بشر و أكثر ما يستعمل فى الشر و يقال باء بذنبه يبوء به قال المبرد و أصله المنزل أى نزلوا منزله غضب الله

و روى أن رجلا جاء برجل إلى رسول الله صلى الله عليه و آله فقال هذا قاتل أخى و هو بواء به

أى مقتول به و منه قول ليلى الأخيلية:

فإن تكن القتلى بواء فإنكم

فتى ما قتلتم آل عوف بن عامر

قال الزجاج أصل ذلك التسويه و منه ما روى عن عباده بن الصامت قال جعل الله تعالى الأنفال إلى نبيه فقسمها بينهم على بواء أى على سواء بينهم فى القسم و منه قول الشاعر:

فيقتل جبراً بامرئ لم يكن له

بواء و لكن لا تكايل بالدم

و قال قوم هو الاعتراف و معناه أنهم اعترفوا بما يوجب غضب الله و منه قول الشاعر:

إني أبوء بعثرتي و خطيئتي

ربي و هل إلا إليك المهرب

و الغضب إرادته إيصال الضرر إلى من غضب عليه فإذا أضيف إلى الله تعالى فالمراد به أنه يريد إنزال العقوبة بالمغضوب عليه نعوذ بالله من غضبه و النبي اشتقاقه من النبأ الذي هو الخبر لأنه المخبر عن الله سبحانه فإن قلت لم لا يكون من النبأوه و مما أنشده أبو عثمان قال أنشدني كيسان:

محض الضريبه فى البيت الذى وضعت

فيه النبأوه حلوا غير ممذوق

فالقول فيه أنه لا- يجوز أن يكون منها لأن سيبويه زعم أنهم يقولون فى تحقير النبوه كان مسيلمه نبيئه سوء و كلهم يقول تنبأ مسيلمه فلو كان يحتمل الأمرين لما اجتمعوا على ذلك قال أبو على و مما يقوى أنه من النبأ الذى هو الخبر أن النبأوه الرفعه و كأنه قال فى البيت الذى وضعت فيه الرفعه و ليس كل رفعه نبوه و قد يكون فى البيت رفعه ليست بنبوه و المخبر عن الله تعالى المبلغ عنه نبى و رسول فهذا الاسم أخص به و أشد مطابقه للمعنى المقصود إذا أخذ من النبأ و الاعتداء تجاوز الحد الذى حده الله لعباده إلى غيره و كل مجاوز حد شىء إلى غيره فقد تعداه إلى ما تجاوز إليه.

الإعراب

قوله «يُخْرِجُ لَنَا» مجزوم لأنه جواب أمر محذوف لأن تقديره ادع لنا ربك و قل له أخرج لنا يخرج لنا و قد ذكرنا فيما قبل أن الأصل فيه أنه مجزوم بالشرط و حذف الشرط لأن الكلام يدل عليه و قيل أن تقديره أن يكون يخرج مجزوما بإضمار اللام أى ليخرج لنا نحو قوله: «قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ» أى ليقوموا فحذف اللام و أنشد أبو زيد:

فيضحى صريعا ما يقوم لحاجه

و لا يسمع الداعى و يسمعك من دعا

و أنشد غيره:

فقل ادعى و ادع فإن أندى

لصوت أن ينادى داعيان

ص: ١٧٠

أى ولأدع وقال آخر:

محمد تفد نفسك كل نفس

إذا ما خفت من أمر تبالا

أى لتفد قال المبرد حدثني المازني قال جلست في حلقة الفراء فسمعته يقول لأصحابه لا يجوز حذف لام الأمر إلا في الشعر ثم أنشد:

من كان لا يزعم أني شاعر

فيدن مني ينهه الزواجر

فقلت له لم جاز في الشعر و لم يجز في الكلام قال لأن الشعر يضطر فيه الشاعر فيحذف قال فقلت فما اضطره هاهنا و هو يمكنه أن يقول فليدن مني قال فسأل عنى فقيل المازني فأوسع لى و قوله «مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ» من هنا للتبعيض لأن المراد يخرج لنا بعض ما تنبته الأرض و قال بعضهم أن من هنا زائده نحو قولهم ما جاءنى من أحد و الصحيح الأول لأن من لا تزداد فى الإيجاب و إنما تزداد فى النفى و لأن من المعلوم أنهم لم يريدوا جميع ما تنبته الأرض و نون جمع القراء مصرا لأنه أراد مصرا من الأمصار بغير تعيين لأنهم كانوا فى تيه و يجوز أن يكون المراد مصر بعينها البلده المعروفه و صرفه لأنه مذكر و روى عن ابن مسعود أنه قرأ بغير ألف و يجوز أن يكون المراد مصر هذه بعينها كما قال ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ و إنما لم يصرفه لأنه اسم المدينة فهو مذكر سمي به مؤنث و يمكن أن يكون إنما نونه من نونه اتباعا للمصحف لأنه مكتوب فى المصحف بألف و قوله «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ» قال الزجاج معناه و الله أعلم الغضب حل بهم بكفرهم و أقول فى بيانه أن ذلك إشاره إلى الغضب فى قوله «وَ بَأْوٍ بِغَضَبٍ» فهو فى موضع الرفع بالابتداء و إن مع صلته من الاسم و الخبر فى موضع جر بالباء و الجار يتعلق بخبر المبتدأ و هى جملة من الفعل و الفاعل حذف لدلاله ما يتصل بها عليها و كذلك قوله «ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا» فإن ما مع صلته فى تأويل المصدر.

المعنى

لما عدد سبحانه فيما قبل ما أسداه إليهم من النعم و الإحسان ذكر ما قابلوا به تلك النعم من الكفران و سوء الاختيار لنفوسهم بالعصيان فقال «وَ إِذْ قُلْتُمْ» أى قال أسلافكم من بنى إسرائيل «يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ» أى لن نطبق حبس أنفسنا على طعام واحد و إنما قال «عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ» و إن كان طعامهم المن و السلوى و هما شيئان لأنه أراد به أن طعامهم فى كل يوم واحد أى يأكلون فى اليوم ما كانوا يأكلونه فى الأمس كما يقال أن طعام فلان فى كل يوم واحد و إن كان يأكل ألوانا إذا حبس نفسه على

ألوان من الطعام لا- يعدوها إلى غيرها و قيل أنه كان ينزل عليهم المن وحده فملوه فقالوا ذلك فأنزل عليهم السلوى من بعد ذلك وقوله «فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ» أى فاسأل ربك و ادعه لأجلنا «يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَ قِثَائِهَا وَ فُومِهَا وَ عَدَسِهَا وَ بَصِيلِهَا» أى مما تنبتة الأرض من البقل و القثاء و مما سماه الله مع ذلك و كان سبب مسألتهم ذلك ما رواه قتاده قال كان القوم فى البريه قد ظلل عليهم الغمام و أنزل عليهم المن و السلوى فملوا ذلك و ذكروا عيشا كان لهم بمصر فسألوا موسى فقال الله «اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ» و تقديره فدعا موسى فاستجنا له فقلنا لهم اهبطوا مصرا و قيل إنهم قالوا لا نصبر على الغنى بأن يكون جميعنا أغنياء فلا يقدر بعضنا على الاستعانه ببعض فلذلك قالوا يخرج لنا مما تنبت الأرض ليحتاجوا فيه إلى أعوان فيكون الفقير عوناً للغنى وقوله «قَالَ أَسَدٌ تَبَدَّلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ» معناه قال لهم موسى و قيل بل قال الله لهم أتركون ما اختار الله لكم و تؤثرون ما هو أدون و أردى على ذلك و قيل أنه أراد أ تستبدلون ما تتبدلون فى زراعته و صناعته بما أعطاه الله إياكم عفوا من المن و السلوى و قيل المراد تختارون الذى هو أقرب أى أقل قيمه على الذى هو أكثر قيمه و الذى و اختلف فى سؤالهم هذا هل كان معصيه فقيل لم يكن معصيه لأن الأول كان مباحا فسألوا مباحا آخر و قيل بل كان معصيه لأنهم لم يرضوا بما اختاره الله لهم و لذلك ذمهم على ذلك و هو أوجه و قوله «اهْبِطُوا مِصْرًا» اختلف فيه فقال الحسن و الربيع أراد مصر فرعون الذى خرجوا منه و قال أبو مسلم أراد بيت المقدس و روى ذلك عن ابن زيد و قال قتاده و السدى و مجاهد أراد مصرا من الأمصار يعنى أن ما تسألونه إنما يكون فى الأمصار و لا يكون فى المفاوز أى إذا نزلتم مدينه ذات طول و عرض «فَإِنَّ لَكُمْ» فيها «ما سَأَلْتُمْ» من نبات الأرض و قد تم الكلام هاهنا ثم استأنف حكم الذين اعتدوا فى السبت و من قتل الأنبياء فقال «وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَ الْمَسِيكَةُ» أى ألزموا الذله إلزاما لا يبرح عنهم كما يضرب المسمار على الشىء فيلزمه و قيل المراد بالذله الجزيه لقوله «حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَ هُمْ صَاغِرُونَ» عن الحسن و قتاده و قيل هو الكسيتيج و زى اليهود عن عطا و قوله «وَ الْمَسِيكَةُ» يعنى زى الفقر فترى المثرى منهم يتبأس مخافه أن يضاعف عليه الجزيه و قال قوم هذه الآيه تدل على فضل الغنى لأنه ذمهم على الفقر و ليس ذلك بالوجه لأن المراد به فقر القلب لأنه قد يكون فى اليهود مياسير و لا يوجد يهودى غنى النفس

و قال

ص: ١٧٢

وقال ابن زيد أبدل الله اليهود بالعز ذلا- وبالنعمة بؤسا وبالرضا عنهم غضبا جزاء لهم بما كفروا بآياته وقتلوا أنبياءه ورسله اعتداء و ظلما «وَبَاؤُ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ» أى رجعوا منصرفين متحملين غضب الله قد وجب عليهم من الله الغضب و حل بهم منه السخط و قال قوم الغضب هو ما حل بهم فى الدنيا من البلاء و النقمه بدلا من الرخاء و النعمه و قال آخرون هو ما ينالهم فى الآخره من العقاب على معاصيهم ثم أشار إلى ما تقدم ذكره فقال «ذَلِكَ» أى ذلك الغضب و ضرب الذله و المسكنه حل بهم لأجل «أنهم كانوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ» أى يجحدون حجج الله و بيناته و قيل أراد بآيات الله الإنجيل و القرآن و لذلك قال فَبَاؤُ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبِ الْأَوَّلِ لِكْفَرِهِمْ بِعِيسَى و الإنجيل و الثانى لكفرهم بمحمد و القرآن و قيل آيات الله صفه محمد صلى الله عليه وآله و قوله «وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ» أى بغير جرم كزكريا و يحيى و غيرهما و قوله «بِغَيْرِ الْحَقِّ» لا يدل على أنه قد يصح أن يقتل النبيون بحق لأن هذا خرج مخرج الصفه لقتلهم و أنه لا يكون إلا ظلما بغير حق كقوله تعالى «وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ» و معناه أن ذلك لا يمكن أن يكون عليه برهان و كقول الشاعر:

(على لأحب لا يهتدى بمناره)

و معناه ليس هناك منار يهتدى به و فى أمثاله كثره و قوله «ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ» ذلك إشاره إلى ما تقدم أيضا بعضيائهم فى قتل الأنبياء و عدوهم السب و قيل بنقضهم العهد و اعتدائهم فى قتل الأنبياء و المراد إنى فعلت بهم ما فعلت من ذلك بعضيائهم أمرى و تجاوزهم حدى إلى ما نهيتهم عنه.

سؤال

إن قيل كيف يجوز التخليه بين الكفار و قتل الأنبياء [فالجواب] إنما جاز ذلك لتنال أنبياء الله سبحانه من رفع المنازل و الدرجات ما لا- ينالونه بغير القتل و ليس ذلك بخذلان لهم كما أن التخليه بين المؤمنين و الأولياء و المطيعين و بين قاتليهم ليست بخذلان لهم و قال الحسن أن الله تعالى لم يأمر نبييا بالقتال فقتل فيه و إنما قتل من الأنبياء من قتل فى غير قتال و الصحيح أن النبي إن كان لم يؤد الشرع الذى أمر بتأديته لم يجر أن يمكن الله سبحانه من قتله لأنه لو مكن من ذلك لأدى إلى أن يكون المكلفون غير مزاحى العله فى التكليف و فيما لهم من الألفاف و المصالح فأما إذا أدى الشرع فحينئذ يجوز أن يخلى الله بينه و بين قاتليه و لم يجب عليه المنع من قتله و

روى أبو هريره عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال اختلفت بنو إسرائيل بعد موسى بخمسائه سنه حتى كثر فيهم أولاد السبايا و اختلفوا بعد عيسى بمائتى سنه.

إشاره

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢)

القراءه

قرأ نافع بترك الهمزه من الصابئين و الصابئون فى كل القرآن و الباقون يهمزون.

الإعراب

ترك الهمزه يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون من صبا يصبو إذا مال إلى الشىء و الآخر قلب الهمزه قال أبو على و لا يسهل أن يأخذه من صبا يصبو لأنه قد يصبو الإنسان إلى الدين فلا يكون منه تدين به مع صبوه إليه فإذا بعد هذا و كان الصابئون منتقلين من دينهم الذى أخذ عليهم إلى سواه لم يستقم أن يكون إلا من صبأت الذى معناه انتقال من دينهم إلى دين لم يشرع لهم فيكون على قلب الهمز و قلب الهمز على هذا الحد لا يجيزه سيبويه إلا فى الشعر فدل على أن القائل لذلك غير فصيح و أنه مخلط فى لغته فالاختيار الهمز و لأنه قراءه الأكثر و إلى التفسير أقرب.

اللغه

هادوا أى صاروا يهودا و دانوا باليهوديه و هاد يهود هوذا أى تاب و اختلف فى اشتقاق اسم اليهود فقيل هو من اليهود أى التوبه و منه قوله «إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ» عن ابن جريج و سموا بذلك لتوبتهم عن عباده العجل و قال زهير:

سوى مربع لم يأت فيه مخافه

و لا رهقا من عابد متهود

أى تائب و قيل إنما سموا يهودا لأنهم نسبوا إلى يهوذا أكبر ولد يعقوب فعربت الذال دالا و قيل إنما سموا يهودا لأنهم هادوا أى مالوا عن الإسلام و عن دين موسى و قيل سموا بذلك لأنهم يتهودون أى يتحركون عند قراءه التوراه و يقولون أن السماوات و الأرض تحركت حين أتى الله موسى (عليه السلام) التوراه و اليهود اسم جمع واحدهم يهودى كالزنجى و الزنج و الرومى و الروم و النصارى جمع نصران كقولهم سكران و سكارى و ندمان و ندامى

هذا قول سيويه قال الشاعر:

تراه إذا كان العشى محنفا

يضحى لديه و هو نصران شامس

و هو الممتلى نصرا كما أن الغضبان هو الممتلى غضبا و قيل فى مؤنثه نصرانه كما قال:

(كما سجدت نصرانه لم تحنف).

و قيل أن واحد النصرارى نصرى مثل مهرى و مهارى و اختلفوا فى اشتقاق هذا الاسم فقال ابن عباس هو من ناصره قريه كان يسكنها عيسى (عليه السلام) فنسبوا إليها و قيل سموا بذلك لتناصرهم أى نصره بعضهم بعضا و قيل إنما سموا بذلك لقوله «مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ» و الصابئون جمع صابئ و هو من انتقل إلى دين آخر و كل خارج من دين كان عليه إلى آخر غيره سمي فى اللغة صابئا قال أبو على قال أبو زيد صبا الرجل فى دينه يصبا صبوبا إذا كان صابئا و صبا ناب الصبى يصبا صبا إذا طلع و صبأت عليهم تصبأ صبا و صبوءا إذا طلعت عليهم و طرأت مثله فكان معنى الصابئ التارك دينه الذى شرع له إلى دين غيره كما أن الصابئ على القوم تارك لأرضه و منتقل إلى سواها و الدين الذى فارقه هو تركهم التوحيد إلى عباده النجوم أو تعظيمها قال قتاده و هم قوم معروفون و لهم مذهب يتفردون به و من دينهم عباده النجوم و هم يقرون بالصابع و بالمعاد و ببعض الأنبياء و قال مجاهد و الحسن الصابئون بين اليهود و المجوس لا- دين لهم و قال السدى هم طائفه من أهل الكتاب يقرءون الزبور و قال الخليل هم قوم دينهم شبيه بدين النصرارى إلا- أن قبلتهم نحو مهب الجنوب حيال منتصف النهار يزعمون أنهم على دين نوح و قال ابن زيد هم أهل دين من الأديان كانوا بالجزيره جزيره الموصل يقولون لا إله إلا الله و لم يؤمنوا برسول الله فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي (عليه السلام) و لأصحابه هؤلاء الصابئون يشبهونهم بهم و قال آخرون هم طائفه من أهل الكتاب و الفقهاء بأجمعهم يجيزون أخذ الجزيه منهم و عندنا لا يجوز ذلك لأنهم ليسوا بأهل كتاب.

الإعراب

خبر إن جمله قوله «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» الآيه لأن معناه من آمن منهم بالله و اليوم الآخر فترك ذكر منهم لدلاله الكلام عليه و قوله «فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ» إلى آخر الآيه فى موضع الجزاء و إنما رفع و لا خوف لتكرير لا كقول الشاعر:

ص: ١٧٥

و ما صرمتك حتى قلت معلنه

لا ناقه لى فى هذا و لا جمل

و هذا كأنه جواب لمن قال أناقه لك فى هذا أم جمل فأما النكره المفرده ففیه الفتح لا غير نحو لا رجل فى الدار و هو جواب هل من رجل فى الدار، و إنما قال «مَنْ آمَنَ» فوحد ثم قال «فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ» فجمع لأن من موحد اللفظ مجموع المعنى على ما تقدم بيانه.

المعنى

«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» اختلف فى هؤلاء المؤمنين من هم فقال قوم هم الذين آمنوا بيسى ثم لم يتهودوا و لم ينتصروا و لم يصابوا و انتظروا خروج محمد صلى الله عليه و آله و قيل هم طلاب الدين منهم حبيب النجار و قس بن ساعده و زيد بن عمرو بن نفيل و ورقه بن نوفل و البراء الشنى و أبو ذر الغفارى و سلمان الفارسى و بحير الراهب و وفد النجاشى آمنوا بالنبى صلى الله عليه و آله قبل مبعثه فمنهم من أدركه و تابعه و منهم من لم يدركه و قيل هم مؤمنوا الأمم الماضيه و قيل هم المؤمنون من هذه الأمه و قال السدى هو سلمان الفارسى و أصحابه النصارى الذين كان قد تنصر على أيديهم قبل مبعث رسول الله و كانوا قد أخبروه بأنه سيعث و أنهم يؤمنون به أن أدركوه و اختلفوا فى قوله «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» فقال قوم هو خبر عن الذين هادوا و النصارى و الصابئين و الضمير يرجع إليهم لأن الذين آمنوا قد كانوا مؤمنين فلا معنى أن يشرط فيهم استئناف الإيمان فكأنه قال أن الذين آمنوا و من آمن من اليهود و النصارى و الصابئين بالله و اليوم الآخر فلهم أجرهم و قال آخرون من آمن منهم الضمير راجع إلى الكل و يكون رجوعه إلى الذين آمنوا بمعنى الثبات منهم إيمانهم و الاستقامه و ترك التبديل و إلى الذين هادوا و النصارى و الصابئين بمعنى استئناف الإيمان بالنبى صلى الله عليه و آله و ما جاء به و قال بعضهم أراد من آمن بمحمد صلى الله عليه و آله بعد الإيمان بالله و بالكتب المتقدمه لأنه لا يتم أحدهما إلا بالآخر و نظيره قوله «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ» و روى عن ابن عباس أنه قال أنها منسوخه بقوله «وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ» و هذا بعيد لأن النسخ لا يجوز أن يدخل الخبر الذى هو متضمن للوعد و إنما يجوز دخوله فى الأحكام الشرعيه التى يجوز تغييرها و تبديلها بتغير المصلحه فالأولى أن يحمل على أنه لم يصح هذا القول عن ابن عباس و قال قوم أن حكمها ثابت و المراد بها أن الذين آمنوا بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم من المنافقين و اليهود و النصارى و الصابئين إذا آمنوا بعد النفاق و أسلموا بعد العناد كان لهم أجرهم عند ربهم كمن آمن فى أول استدعائه إلى الإيمان من غير نفاق و لا عناد لأن قوما من المسلمين قالوا

أن من أسلم بعد نفاقه و عناده كان ثوابه أنقص و أجره أقل فأخبر الله بهذه الآيه أنهم سواء فى الأجر و الثواب و قوله «بِاللَّهِ» أى بتوحيد الله و صفاته و عدله «وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» يعنى يوم القيامة و البعث و النشور و الجنة و النار «وَ عَمِلَ صَالِحًا» أى عمل ما أمره الله به من الطاعات و إنما لم يذكر ترك المعاصى لأن تركها من الأعمال الصالحة «فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ» أى جزاؤهم و ثوابهم «عِنْدَ رَبِّهِمْ» أى معد لهم عنده و قوله «وَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ» مضى تفسيره قبل و قيل معناه لا خوف عليهم فيما قدموا و لا- هم يحزنون على ما خلفوا و قيل لا خوف عليهم فى العقبى و لا يحزنون على الدنيا و فى هذه الآيه دلالة على أن الإيمان هو التصديق و الاعتقاد بالقلب لأنه تعالى قال: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ» ثم عطف عليه بقوله «وَ عَمِلَ صَالِحًا» و من حمل ذلك على التأكيد أو الفضل فقد ترك الظاهر و كل شىء يذكرونه مما عطف على الأول بعد دخوله فيه مثل قوله «فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَ نَخْلٌ وَ رُمَّانٌ» و إذ أخذنا من النبيين ميثاقهم و منك و من نوح فإن جميع ذلك على سبيل المجاز و الاتساع و لو خيلنا و الظاهر لقلنا أنه ليس بداخل فى الأول.

البقره (٢): آيه ٦٣

إشارة

وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَ رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣)

اللغة

الميثاق هو مفعال من الوثيقه أما يمين و أما بعهد أو غير ذلك من الوثائق و الطور الجبل فى اللغة قال العجاج:

دانى جناحيه من الطور فمر

تقضى البازى إذ البازى كسر

و قيل أنه اسم جبل بعينه ناجى الله عليه موسى عليه السلام عن ابن عباس و القوه القدره و هى عرض يصير به الحى قادرا و كل جسم قادر بقدره لا يصح منه فعل الجسم و الأخذ ضد الإعطاء و أصل خذ أوخذ و كذا كل أصله أوكل و إنما لزم الحذف فيها تخفيفا لكثرة الاستعمال و كذلك مر و قد جاء فيه أوامر على الأصل.

الإعراب

«خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ» محله نصب على تقدير و قلنا لكم خذوا كما تقول أوجبت عليه قم أى أوجبت عليه فقلت قم قال الفراء أخذ الميثاق قول و لا حاجه بالكلام

إلى إضمار القول فيه غير أنه ينبغي لكل ما خالف القول من الكلام الذى هو بمعنى القول أن يكون معه أن كقوله «إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ» قال و يجوز حذف أن و موضع ما هاهنا نصب.

المعنى

ثم عاد إلى خطاب بنى إسرائيل فقال «وَ» اذكروا «إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ» أى عهدكم و العهد هو الذى فطر الله الخلق عليه من التوحيد و العدل و نصب لهم من الحجج الواضحة و البراهين الساطعة الداله على ذلك و على صدق الأنبياء و الرسل و قيل أنه أراد به الميثاق الذى أخذه الله على الرسل فى قوله «وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ الْآيَةَ و قيل هو أخذ التوراه عن موسى «وَ رَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ» قال أبو زيد هذا حين رجع موسى من الطور فأتى بالألواح فقال لقومه جئتمكم بالألواح و فيها التوراه و الحلال و الحرام فاعملوا بها قالوا و من يقبل قولك فأرسل الله عز و جل الملائكه حتى نتقوا الجبل فوق رءوسهم فقال موسى عليه السلام إن قبلتم ما آتيتكم به و إلا أرسلوا الجبل عليكم فأخذوا التوراه و سجدوا لله تعالى ملاحظين إلى الجبل فمن ثم يسجد اليهود على أحد شقى و جوههم قيل و هذا هو معنى أخذ الميثاق و كان فى حال رفع الجبل فوقهم لأن فى هذه الحال قيل لهم «خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ» يعنى التوراه «بِقُوَّةٍ» أى بجد و يقين لا شك فيه و هو قول ابن عباس و قتاده و السدى و قريب منه

ما روى العياشى أنه سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز و جل «خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ» أبقوه بالأبدان أم بقوه بالقلوب فقال بهما جميعا

و قيل أخذه بقوه هو العمل بما فيه بعزيمه و جد و قيل بقدره و أنتم قادرون على أخذه عن أبى على و الأصم «وَ اذْكُرُوا مَا فِيهِ» يعود الضمير من فيه إلى ما من قوله «ما آتيناكم» و هو التوراه يعنى احفظوا ما فى التوراه من الحلال و الحرام و لا تنسوه و قيل

معناه اذكروا ما فى تركه من العقوبه و هو المروى عن أبى عبد الله ع

و قيل معناه اعملوا بما فيه و لا تتركوه و قيل المعنى فى ذلك أن ما آتيناكم فيه من وعد و وعيد و ترغيب و ترهيب تدبروه و اعتبروا به و اقبلوه «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» أى كى تتقونى إذا فعلتم ذلك و تخافوا عقابى و تنتهوا إلى طاعتى و تنزعوا عما أنتم عليه من المعصيه.

البقره (٢): آيه ٦٤

اشاره

ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٤)

توليتهم أعرضتم و هو مطاوع قولهم و لاه فلان دبره إذا استدبر عنه و جعله خلف ظهره ثم يستعمل ذلك فى كل تارك طاعه أمر و معرض بوجهه عنه فيقال تولى فلان عن طاعه فلان و تولى عن صداقته و منه قوله «فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَ تَوَلَّوْا» أى خالفوا ما وعدوا الله من قولهم لَنْصَدَّقَنَّ وَ لَنْكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ وَ الخاسر هو الذى ذهب رأس ماله و رأس مال الإنسان نفسه و ما سواها مما يحصل له من المنافع فهو كله ربح.

المعنى

معنى الآية ثم نبذتم العهد الذى أخذناه عليكم بعد إعطائكم الموائيق وراء ظهوركم و أعرضتم عنه «فَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» أى فلو لا أن الله تفضل عليكم بالتوبه بعد نكثكم الميثاق الذى واثقتموه إذ رفع فوقكم الطور و أنعم عليكم بالإسلام «وَ رَحْمَتُهُ» التى رحمكم بها فتجاوز منكم خطيئتكم بمراجعتكم طاعه ربكم «لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ» و قال أبو العالیه فضل الله الإيمان و رحمته القرآن فيكون معناه لو لا- إقدارى لكم على الإيمان و إزاحه علتكم فيه حتى فعلتم الإيمان لكنتم من الخاسرين و إنما جعل الإيمان فضلا و توبته التى بها نجوا و لم يكونوا بها خاسرين فضلا منه من حيث كان هو الداعى إليه و المقدر عليه و المرغب فيه و يحتمل أن يكون المعنى فلو لا- فضل الله عليكم بإمهاله إياكم بعد توليكم عن طاعته حتى تاب عليكم برجوع بعضكم عن ذلك و توبته لكنتم من الخاسرين و يحتمل أن يريد فلو لا فضلى عليكم فى رفع الجبل فوقكم للتوفيق و اللطف الذى تبتم عنده حتى زال العذاب عنكم و سقوط الجبل لكنتم من الخاسرين.

البقره (٢): آيه ٦٥

اشاره

وَ لَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (٦٥)

اللغة

علمتم أى عرفتم هنا تقول علمت أخاك و لم أكن أعلمه أى عرفته و لم أكن أعرفه كقوله تعالى: «وَ آخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ» أى لا- تعرفونهم الله يعرفهم و «الَّذِينَ اعْتَدُوا» فى موضع نصب لأنه مفعول به و الفرق بينه و بين ما يتعدى إلى مفعولين إن المعرفة تنصرف إلى ذات المسمى و العلم ينصرف إلى أحواله فإذا قلت علمت زيدا فالمراد عرفت شخصه و إذا قلت علمت زيدا كريما أو لثيما فالعلم يتعلق بأحواله من

فضل و نقص و اعتدوا أى ظلموا و جاوزوا ما حد لهم و السبت من أيام الأسبوع قال الزجاج السبت قطعه من الدهر فسمى بذلك اليوم و قال أبو عبيده سمي بذلك لأنه يوم سبت فيه خلق كل شىء أى قطع و فرغ قوله منكم فى موضع نصب حالا من الذين اعتدوا أى المعتدين كائنين منكم قوله «فى السَّبْتِ» متعلق باعتدوا و أصل السبت مصدر يقال يسبت سبتا إذا قطع ثم سمي اليوم سبتا و قد يقال يوم السبت فيخرج مصدرا على أصله و قد قالوا اليوم السبت فجعلوا اليوم خيرا عن السبت كما يقال اليوم القتال فعلى ما ذكرنا يكون فى الكلام حذف تقديره فى يوم السبت و قال قوم إنما سمي بذلك لأن اليهود يسبتون فيه أى يقطعون فيه الأعمال و قال آخرون سمي بذلك لما لهم فيه من الراحة لأن أصل السبت هو السكون و الراحة و منه قوله «وَ جَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا» و يقال للنائم مسبوت لاستراحته و سكون جسده و القرده جمع قرد و الأثنى قرده و الخاسئى المبعد المطرود يقال خسأت الكلب أخسأه خسا و خسئ الكلب يخسأ خسا تقول خسأته و خسئ و انخسأ قال الراجز

كالكلب إن قلت له اخسأ انخسأ

أى إن طردته انطرد.

المعنى

خاطب اليهود فقال «وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ» أى عرفتم «الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فى السَّبْتِ» أى الذين جاوزوا ما أمروا به من ترك الصيد يوم السبت و كان الحيتان تجتمع فى يوم السبت لأنها فحبسوها فى السبت و أخذوها فى الأحد فاعتدوا فى السبت أى ظلموا و تجاوزوا ما حد لهم لأن صيدها هو حبسها و روى عن الحسن أنهم اصطادوا يوم السبت مستحلين بعد ما نهوا عنه «فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً» و هذا إخبار عن سرعه فعله و مسخه إياهم لا- أن هناك أمرا و معناه و جعلناهم قرده كقوله تعالى: «فَقَالَ لَهَا وَ لِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ» و لم يكن هناك قول و إنما أخبر عن تسهل الفعل عليه و تكوينه بلا مشقه قال ابن عباس فمسخهم الله تعالى عقوبه لهم و كانوا يتعاونون و بقوا ثلاثة أيام لم يأكلوا و لم يشربوا و لم يتناسلوا ثم أهلكهم الله تعالى و جاءت ريح فهبت بهم و ألقتهم فى الماء و ما مسخ الله أمه إلا أهلكها و هذه القرده و الخنازير ليست من نسل أولئك و لكن مسخ أولئك على صورته هؤلاء يدل عليه إجماع المسلمين على أنه ليس فى القرده و الخنازير من هو من أولاد آدم و لو كانت من أولاد الممسوخين لكانت من بنى آدم و قال مجاهد لم يمسخوا قرده و إنما هو مثل ضربه الله كما قال كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا و حكى عنه أيضا أنه مسخت قلوبهم فجعلت قلوب القرده لا تقبل و عطا و لا تتقى زجرا و هذان القولان يخالفان الظاهر الذى أكثر المفسرين عليه من غير ضروره تدعو إليه و قوله «خَاسِئِينَ» أى مبعدين عن الخير و قيل أذلاء صاغرين مطرودين عن مجاهد و فى هذه

الآيات احتجاجات من الله تعالى على اليهود بنعمه المترادفه على آبائهم و إخبار الرسول صلى الله عليه و آله عن عناد أسلافهم مره بعد أخرى و كفرانهم و عصيانهم ثانيه بعد أولى مع ظهور الآيات اللانحه و المعجزات الواضحه تعزیه له صلى الله عليه و آله و تثبيتا لفؤاده و تسليته إياه عما يقاسيه من مخالفه اليهود و كيدهم و براهه من جحودهم و كفرهم و عنادهم و ليكون وقوفه على ما وقف عليه من أخبار سلفهم تنبيها لهم و حجه عليهم فى إخلادهم إلى الهوى و إلحادهم و تحذيرا لهم من أن يحل بهم ما حل بآبائهم و أجدادهم.

البقره (٢): آيه ٦٦

اشاره

فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيَّنَّ يَدَيَّهَا وَ مَا خَلَّفَهَا وَ مَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٦٦)

اللغه

النكال الإرهاب للغير و أصله المنع لأنه مأخوذ من النكل و هو القيد و هو أيضا اللجام و سميت العقوبه نكالا لأنها تمنع عن ارتكاب مثله ما ارتكبه من نزلت به و نكل فلان بفلان تنكيلا و نكالا و الموعظه الوعظ و أصله التخويف يقال وعظت فلانا موعظه و وعظه.

المعنى

«فَجَعَلْنَاهَا» الضمير يعود إلى الأمه التى مسخت

و هم أهل إبله قريه على شاطئ البحر و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

أو إلى المسخه عن الزجاج أو إلى العقوبه أى جعلنا تلك العقوبه عن ابن عباس أو إلى القرية التى اعتدى أهلها فيها «نَكَالًا» أى عقوبه و قيل اشتهاى أو فضيحه و قيل تذكره و عبره و قوله «لِما بَيَّنَّ يَدَيَّهَا وَ ما خَلَّفَهَا» ذكر فيه وجوه (أحدها) ما روى عن ابن عباس رواه الضحاك عنه «لِما بَيَّنَّ يَدَيَّهَا» للأمم التى تراها و «ما خَلَّفَهَا» ما يكون بعدها و هو يقارب المأثور

المروى عن الباقر و الصادق عليه السلام أنهما قالا «لِما بَيَّنَّ يَدَيَّهَا» أى لما معها ينظر إليها من القرى و «ما خَلَّفَهَا» نحن و لنا فيها موعظه

فعلى هذا يكون ما بمعنى من أى نكالا للخلق الذين كانوا معهم و لجميع من يأتى بعدهم إلى يوم القيامة لئلا يفعلوا مثل فعلهم (و ثانيها) أن يكون معناه جعلناها عقوبه للذنوب التى تقدمت على الاضطياى و الذنوب التى تأخرت عنه و هذا يقتضى أن يكون الله تعالى لم يعاجلهم بالعقوبه عقيب الاضطياى عن ابن عباس أيضا فيكون اللام بمعنى السبب أى بسبب ذلك (و ثالثها) أن يكون المراد لما بين يديها من القرى و ما

خلفها من القرى عن عكرمه [عن ابن عباس] (و رابعها) أن يكون المراد «لِما بَيَّنَّ يَدَيَّهَا» ما مضى من خطاياهم و ب «ما خَلَفَهَا» خطاياهم التي أهلكوا بها «و مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ» معناه أنه إنما يتعظ بها المتقون فكانها موعظه لهم دون غيرهم و هذا كقوله سبحانه «هُدًى لِلْمُتَّقِينَ» و في هذه الآيه دلالة على أن من فعل مثل أفعال هؤلاء ممن تقدمهم أو تأخر عنهم يستحق من العقاب مثل ما حل بهم من التشويه و تغيير الخلقه إذ كان نكالا- لهم جميعا و تحذيرا و تنيها للمتقين لكي لا- يواقعوا من المعاصي ما واقع أولئك فيستحقوا ما استحقوه نعوذ بالله من سخطه.

البقره (٢): الآيات ٦٧ الى ٧١

اشاره

وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوعًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاسَ لِيَنْظُرُوا فِيهَا فَتَكُونَ لَكُمْ آيَةً يَوْمَ الْحَرْبِ وَاللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا سَيِّئَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبِّحُوهَا وَ مَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١)

القراءه

قرأ حمزه و إسماعيل عن نافع و عباس عن أبي عمرو هزءا و كفوءا

ص: ١٨٢

بالتخفيف و الهمز فى كل القرآن و قرأ حفص عن عاصم بضم الزاى و الفاء غير مهموز و قرأ يعقوب «هُزُوا» بضم الزاى كفوا بسكون الفاء و الباقون بالتثقيـل و الهمز.

الإعراب

قال أبو الحسن زعم عيسى أن كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم فمن العرب من يثقله و منهم من يخففه نحو العسر و اليسر و الحلم و مما يقوى هذه الحكاياه أن ما كان على فعل من الجموع مثل كتب و رسل قد استمر فيه الوجهان حتى جاء ذلك فى المعتل العين الواوى نحو سوكت الأسحل قال:

و فى الألف اللامعات سور

و حكى أبو زيد قول قوم و أما فعل فى جمع أفعال نحو أحمر و حمر فكأنهم ألزموه الإسكان للفصل بين الجمعين و قد جاء فيه التحريك فى الشعر فإذا كان الأمر على هذا و جب أن يكون ذلك مستمرا فى نحو الكف ء و الهزء فإذا خفف الهمزه و ثقل العين لزم أن تقلب الهمزه واوا فيقول هزوا و لم يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ و إن خفف فأسكن العين قال هزوا فأبقى الواو التى انقلبت عن الهمزه لانضمام ما قبلها و إن لم تكن ضممه العين فى اللفظ لأنها مراده فى المعنى كما قالوا لقضو الرجل فأبقوا الواو و لم يردوا اللام التى هى ياء من قضيت لأن الضمه مراده فى المعنى و كذلك قالوا رضى زيد فيمن قال علم زيد فلم يردوا الواو التى هى لام لزوال الكسره لأنها مقدره مراده و إن كانت محذوفه من اللفظ و كذلك تقول هزوا و كفوا فتثبت الواو و إن كنت حذفت الضمه الموجهه لاجتلابها و إذا كان الأمر على هذا فقراءه من قرأ بالضم و تحقيق الهمز فى الجواز و الحسن كقراءه من قرأ بالإسكان و قلب الهمزه واوا لأنه تخفيف قياسى و قد روى أبو زيد عن أبى عمرو أنه خير بين التخفيف و التثقيـل.

اللغة

البقره اسم للمؤنث من هذا الجنس و اسم الذكر منه الثور و هذا يخالف صيغه المذكر منه صيغه الأنثى كالحمل و الناقه و الرجل و المرأه و الجدى و العناق و أصل البقر الشق يقال بقرت بطنه أى شققته و سمي البقر بقرا لأن من شأنه شق الأرض بالكراب و الهزء اللعب و السخريه يقال هزأت به هزء و مهزأه و أعوذ بالله ألجأ إلى الله عودا و عياذا و حقيقه العياذ استدفاع ما يخاف من شره بما يطمع ذلك منه و الجهل نقيض العلم و قيل هو نقيض الحلم و الصحيح أنه اعتقاد الشىء على خلاف ما هو به كما أن العلم اعتقاد الشىء على ما هو و التبيين التعريف و أصله من البين و هو الفراق فكل من بين شيئا فقد ميزه

عما يلتبس به حتى يعرفه غيره قال سيبويه أبان الشىء و أبتته و بين و بينته و استبان و استبتته و المعنى واحد و الفارض الكبيره المسنه يقال فرضت البقره تفرض فروضا إذا أسنت قال الشاعر:

لعمري قد أعطيت جارك فارضا

تساق إليه ما تقوم على رجل

و قيل إن الفارض التى ولدت بطونا كثيره فيتسع لذلك جوفها لأن معنى الفارض فى اللغه الواسع الضخم و هو قول بعض المتأخرين و استشهد بقول الراجز:

يا رب ذى ضغن على فارض

له قروء كقروء الحائض

و يقال لحيته فارضه أى عظيمه و البكر الصغيره التى لم تحمل و البكر من بنى آدم و من البهائم ما لم يفتحله الفحل و البكر من كل شىء أوله و البكر التى ولدت واحدا و بكرها أول أولادها قال:

يا بكر بكرين و يا خلب الكبد

أصبحت منى كذراع من عضد

و ضربه بكر أى قاطعه لا تنثنى و حدث ابن عائشه عن أبيه عن جده قال كانت ضربات على بن أبى طالب عليه السلام أبارا كان إذا اعتلى قد و إذا اعترض قط ذكره ابن فارس فى مجمل اللغه و البكر بفتح الباء الفتى من الإبل و العوان دون المسنه و فوق الصغيره و هى النصف التى ولدت بطنا أو بطنين قال الفراء يقال من العوان عونت المرأه تعوينا إذا بلغت ثلاثين سنه و منه قيل للحرب عوان إذا لم يكن أول حرب بين القوم و كانوا قد قاتلوا قبله و بين اسم يستعمل على ضربين مصدر و ظرف قال أبو على و هما عندى و جميع بابهما يرجعان إلى أصل واحد و هو الافتراق و الانكشاف و سيأتيك بيانه فى الأعراب إن شاء الله و اللون عرض يتعاقب على الجوهر تعاقب المتضاد و هو عباره عما إذا وجد حصلت به الجواهر على هيئه مخصوصه لولاه لما حصلت على تلك الهياه و لا يدخل تحت مقدور العباد فاقع لونها أى شديده الصفرة يقال أصفر فاقع و أحمر ناصع و أخضر ناضر و أحمر قانى و أبيض يقق و لهق و لهاق و أسود حالك و حلوك و حلوكوك و غريب و دجوى فهذه كلها صفات مبالغه فى الألوان و قيل إنه أراد بصفراء هاهنا سوداء شديده السواد كما يقال صفراء أى سوداء و قال الشاعر:

تلك خيلي منه و تلك ركابي

هن صفر اولادها كالزيب

و الأول أصح فإن الإبل إن وصفت به فلا يوصف البقر به و أيضا فإن السواد لا يوصف بالفقوع و إنما يوصف بالحلوكة و غيرها على ما ذكرناه و البقر جمع بقره و كذلك البقر جمع كالجامل جمع جمل قال الأعشى:

و ما ذنبه إن عافت الماء باقر

و ما إن تعاف الماء إلا ليضربا

و قال آخر:

(لهم جامل لا يهدأ الليل سامره)

أى جمال و نحو هذا عندهم اسم مفرد مصوغ للكثرة كاسم الجنس و مثله العبيد و الكليب و الضئيين فى جمع عبد و كلب و ضان و قوله لا ذلول يقال للدابه قد ذللها الركوب و العمل دابه ذلول بين الذل بكسر الذال و يقال فى مثله من بنى آدم رجل ذليل بين الذل بضم الذال و الذله بكسرها و المذله و الإثارة إظهار الشىء بالكشف و أثار الأرض أى كربها و قلبها و الحرث كل أرض ذلته للزرع قال الخليل الحرث قذف البذر فى الأرض للازدراع و الزرع الإنبات و الإنماء قال عز اسمه «أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ» مسلمه مبرأه من العيوب مفعله من السلامه الشيه اللون فى المشى يخالف عامه لونه و الوشى خلط اللون باللون و «لَا شَيْءَ فِيهَا» أى لا وضح فيها يخالف لون جلدها يقال وشيت الثوب أشيه شيه و وشيا و منه قيل لمن يسعى بالرجل إلى السلطان واش لكذبه عليه عنده و تحسینه كذبه بالأباطيل و يقال منه وشيت به وشايه قال كعب بن زهير:

تسعى الوشاه بجنيها و قولهم

إنك يا ابن أبى سلمى لمقتول

يعنى أنهم يتقولون بالأباطيل و يقولون إنه إن لحق بالنبي صلى الله عليه و آله قتله و الذبح فرى الأوداج و ذلك فى البقر و الغنم و النحر فى الإبل و لا يجوز فيها عندنا غير ذلك و فيه خلاف بين الفقهاء و

قيل للصادق عليه السلام إن أهل مكة يذبحون البقره فى اللبه فما ترى فى أكل لحومها فسكت هنيهة ثم قال قال الله تعالى «فَذَبْحُهَا وَ مَا كَادُوا يَفْعَلُونَ» لا تأكل إلا ما ذبح من مذبحه

الإعراب

حذفت الفاء من قوله «قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا» لاستغناء ما قبله من الكلام عنه و حسن الوقف على قوله «أَنْ تَذَبِّحُوا بَقَرَةً» كما حسن إسقاطها من قوله قال «فَمَا حَطْبُكُمْ

أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا»* و لم يقل فقالوا و لو قيل بالفاء لكان حسنا و لو قلت قمت ففعلت لم يجر إسقاط الفاء لأنها عطف لا استفهام يحسن السكوت عليه و قوله «هُزُوا» لا يخلو من أحد أمرين (أحدهما) أن يكون المضاف محذوفا لأن الهزء حدث و المفعول الثاني من تتخذ يكون الأول نحو قوله «لا تَتَّخِذُوا عِدُوِّيَ وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ» (و الثاني) أن يكون الهزء بمعنى المهزوء به مثل الصيد فى قوله تعالى «أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ» و نحوه و كما يقال رجل رضى أى مرضى أقام المصدر مقام المفعول و أما قوله تعالى «لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَ لَعِباً» فلا يحتاج فيه إلى تقدير محذوف لأن الدين ليس بعين و قوله «أَعُوذُ بِاللَّهِ» أصله أعود فنقلت الضمه من الواو إلى الساكن قبلها من غير استئثار لذلك غير أنه لما أعلت عين الماضى لتحركها و انفتاح ما قبلها أعلت عين المضارع أيضا ليجرى الباب على سنن واحد و كذلك القول فى أعاذ يعيد و استعاذ يستعيد و الأصل أعود يعوذ و استعوذ يستعوذ و قوله «لا فَارِضٌ وَ لا بَكْرٌ» قال الأخفش ارتفع و لم ينتصب كما ينتصب المنفى لأنه صفة لبقره و قوله «عَوَانٌ» مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف كأنه قال هى عوان و قال الزجاج ارتفع فارض بإضمار هى أى هى لا فارض و لا- بكر قال و إنما جاز «بَيِّنَ ذَلِكَ» و بين لا يكون إلا مع اثنين أو أكثر لأن ذلك ينوب عن الحمل تقول ظننت زيدا قائما فيقول القائل قد ظننت ذاك و ظننت ذلك قال أبو على لا- يخلو ذلك فيما ذكره من قولهم ظننت ذلك من أن يكون إشاره إلى المصدر كما ذهب إليه سيبويه أو يكون إشاره إلى أحد مفعولى ظننت و أن تكون نائبة عن الجملة كما قاله أبو إسحاق و لا يجوز أن يكون إشاره إلى أحد المفعولين لأنه لو كان كذلك للزم أن يذكر الآخر كما لو أنك ذكرت اسم المشار إليه للزم فيه ذلك و كما أنك إذا ذكرت المبتدأ لزمك ذكر الخبر أو يعلم من الحال ما يقوم مقام ذكرك له و لا يجوز أن تكون نائبة عن الجملة هنا و لا- إشاره إليها كما لم ينب عن الجملة فى غير هذا الموضع من المواضع التى تقع فيها الجملة نحو صله الذى و وصف النكرات فثبت أن ذاك فى قولهم ظننت ذاك إشاره إلى المصدر الذى هو الظن و لا- يجوز أن يقع اسم مفرد موقع جملة و لو كان سائغا أن ينوب ذلك عن الحمل لما جاز وقوعه هنا لأن هذا الموضع ليس من مواضع الجمل أ لا ترى أن ذلك إشاره إلى ما تقدم مما دل عليه قوله «لا فَارِضٌ وَ لا بَكْرٌ» و هو البكاره و الفروض فإنما يدل قوله ذلك عليهما فلو كان واقعا موقع جملة ما دل عليهما لأن الجملة يسند فيها الحدث إلى المحدث عنه و ليس واحد من الفروض و البكاره يسند

إلى الآخر ألا ترى أن المعنى بين هذين الوصفين وهذا واضح و اعلم أن الاسم الذى يضاف إليه بين لا يخلو من أن يكون دالا على واحد أو على أكثر من الواحد فإذا كان دالا على الواحد غير دال على أكثر منه عطف عليه اسم آخر لما ذكرنا من أن أصله الافتراق فكما يمتنع أن يقول افتراق و اجتماع زيد حتى تضيف إليه ما يزيد به على الأفراد لذلك لا تقول بين زيد حتى تضيف إليه آخر بالواو دون غيرها من الحروف العاطفه و إذا كان الاسم دالا على الكثيره و إن كان مفردا جاز أن يضاف بين إليه و أما قوله «عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ» فإنما أضيف فيه بين إلى ذلك من حيث جاز إضافته إلى القوم و ما أشبه ذلك من الأسماء التى تدل على الكثيره و إنما جاز أن يكون قولنا ذلك يراد به مره الانفراد و مره الجمع و الكثيره لمشابهته الموصوله كالذى و ما ألا ترى أن البابين يشتبهان فى دلالة كل واحد منهما على غير شىء بعينه فجاز أن يراد به الواحد مره و أكثر من الواحد مره و يدل على ما ذكرناه من قصدهم بذلك الجمع و ما زاد على الواحد أن رؤبه لما قال له أبو عبيده فى قوله:

فيه خطوط من سواد و بلق

كأنه فى الجلد توليع البهق.

إن أردت الخطوط و جب أن تقول كأنها و إن أردت السواد و البلق و جب أن تقول كأنهما قال أردت كان ذلك فعلم به أنهم يقصدون ذلك غير المفرد و يدل عليه أيضا قول القائل:

إن للخير و للشر مدى

و كلا ذلك وجه و قبل

ألا- ترى أن كلا-لا- تضاف إلى المفرد فلو لا- أن المراد بذلك غير الأفراد لما أضيف كلا إليه فكذلك القول فى «عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ» و المراد بذلك الزيادة على الواحد ألا ترى أنه إشارة إلى ما تقدم من قوله مما دل على الفروض و البكاره و موضع ما من قوله «ما هِىَ» و «ما لُونُهَا» رفع لأنه خبر المبتدأ لأن تأويله الاستفهام أى شىء هو و أى لون لونها «قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ» إنها ما بعد القول من باب إن مكسوره أبدا كأنك لم تذكر القول فى صدر كلامك و إنما وقعت قلت فى كلام العرب على أن يحكى بها ما كان كلاما يقوم بنفسه قبل دخولها فيؤدى مع ذكرها ذلك اللفظ تقول قلت زيد منطلق كأنك حكيت زيد منطلق و كذلك أن زيدا منطلق إذا حكيتة تقول قلت إن زيدا منطلق و قوم من العرب و هم بنو سليم يجعلون باب قلت كباب ظننت فيقولون قلت زيدا منطلقا و قوله «فَاعِجٌ لَوْنُهَا» ارتفع لونها بأنه فاعل فاعل و هو صفه البقره مثل صفراء و كذلك «تَسِيرُ النَّاطِرِينَ» جملة مرفوعه الموضع بكونها صفه

لبقره و يقال فقع لونه فقوعا و فقع يفقع إذا خلصت صفرته و قوله «إِنَّ الْبُقْرَةَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا» كل جمع يكون واحده بالهاء. نحو البقر و النخل و السحاب فإنه يؤنث و يذكر قال الله تعالى «كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ» و فى موضع آخر نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ و التذكير الغالب و قوله «تُثِيرُ الْأَرْضَ» فى موضع رفع بكونه صفة لذلول و هو داخل فى معنى النفى أى بقره ليست بذلول مثيره للأرض و لا ساقيه للحرث و مسلمه صفة لبقره أيضا و «لَا شَيْءَ فِيهَا» جملة فى موضع رفع أيضا بأنها صفة البقره و شيه مصدر من وشيت و أصلها وشى فلما أسقطت الواو منها عوضت الهاء فى آخرها قالوا وشيته شيه كما قالوا وزنته زنه و وصلتته صله فوزنها عله «قَالُوا الْآنَ» و فيه وجوه أجودها إسكان اللام من الآن و حذف الواو من اللفظ و يجوز قال لأن على إلغاء الهمزه و فتح اللام من الآن و ترك الواو محذوفه لالتقاء الساكنين و لا يعتد بفتح اللام و يجوز قالوا لأن بإظهار الواو لحركة اللام لأنهم إنما حذفوا الواو لسكونها فلما تحركت ردوها و الأجود فى العربية حذفها و لا ينبغى أن يقرأ إلا بما وردت به روايه صحيحه فإن القراءة سنه متبعه قال أبو على إنما بنى الآن لتضمنه معنى الحرف و هو تضمن معنى التعريف لأن التعريف حكمه أن يكون بحرف و ليس تعرفه بما فيه من الألف و اللام لأنه لو كان كذلك للزم أن يكون قبل دخول اللام عليه نكره كرجل و الرجل و كذلك الذى فإن فيه الألف و اللام و ليس تعرف الاسم بهما إنما تعرفه بغيرهما و هو كونه موصولا مخصوصا و لو كان تعرفه باللام لوجب أن يكون سائر الموصولات المتعرفه بالصلوات نحو من و ما غير متعرفه و يقوى زياده اللام ما رواه المبرد عن المازنى قال سألت الأصمعى عن قول الشاعر:

و لقد جنيتك أكمؤا و عساقلا

و لقد نهيتك عن بنات الأوبر

لم أدخل اللام قال أدخله زياده للضرورة كقول الآخر:

(بإعدام العمرو عن أسيرها)

و أنشد ابن الأعرابي:

يا ليت أم العمرو كانت صاحبي

مكان من أنشأ على الركائب

فكما أن اللام فى الذى و فى هذه الحكايه زائده كذلك فى الآن زائده و قوله «وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ» كاد يدل على مقاربه مباشره و يفعلون فى موضع نصب بأنه خير كاد و الفصيح لا يدخل عليه أن لأن أن حرف يركب مع الفعل فيقوم مقام المصدر و إنما يسند إلى أن أفعال غير ثابتة و لا مستقره مثل الطمع و الرجاء نحو عسى أن تفعل و دليل على ذلك أن أن لا تدخل على فعل الحال بل على ما يتوقع فى المستأنف فهذا كانت أن لازمه لعسى و لا

يلزم كاد لأن كاد قريب من الحال وقد استعمل كاد مع أن فى الشعر أنشد الأصمعى:

كادت النفس أن تفيض عليه

إذ ثوى حشو ريطه و برود.

[القصة]

كان السبب فى أمر الله تعالى بذبح البقره فيما

رواه العياشى مرفوعا إلى الرضا (عليه السلام) أن رجلا من بنى إسرائيل قتل قرابه له ثم أخذه و طرحه على طريق أفضل سبط من أسباط بنى إسرائيل ثم جاء يطلب بدمه فقالوا لموسى سبط آل فلان قتل فأخبرنا من قتله قال اتئوني ببقره «قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا» الآية و لو أنهم عمدوا إلى بقره أجزأتهم و لكن شددوا فشدد الله عليهم «قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ» أى لا صغيره و لا كبيره إلى قوله «قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ» فطلبوها فوجدوها عند فتى من بنى إسرائيل فقال لا أبيعها إلا بملء مسكها ذهباً فجاءوا إلى موسى فقالوا له قال فاشتروها قال و قال لرسول الله صلى الله عليه و آله بعض أصحابه أن هذه البقره ما شأنها فقال إن فتى من بنى إسرائيل كان باراً بأبيه و أنه اشترى سلعه فجاء إلى أبيه فوجده نائماً و الإقليد تحت رأسه فكره أن يوقظه فترك ذلك و استيقظ أبوه فأخبره فقال له أحسنت خذ هذه البقره فهى لك عوض لما فاتك قال فقال رسول الله صلى الله عليه و آله انظروا إلى البر ما بلغ بأهله

و قال ابن عباس كان القتيلى شيخاً مثرياً قتله بنو أخيه و ألقوه على باب بعض الأسباط ثم ادعوا عليهم القتل فاحتكموا إلى موسى (عليه السلام) فسأل من عنده فى ذلك علم فقالوا أنت نبى الله و أنت أعلم منا فأوحى الله تعالى إليه أن يأمرهم بذبح بقره فأمرهم موسى (عليه السلام) أن يذبحوا بقره و يضرب القتيلى ببعضها فيحى الله القتيلى فيبين من قتله و قيل قتله ابن عمه استبطاء لموته فقتله ليرثه و

قيل إنما قتله ليتزوج بنته و قد خطبها فلم ينعم له و خطبها غيره من خيار بنى إسرائيل فأنعم له فحسده ابن عمه الذى لم ينعم له فقعد له فقتله ثم حملة إلى موسى فقال يا نبى الله هذا ابن عمى قد قتل فقال موسى من قتله قال لا أدرى و كان القتل فى بنى إسرائيل عظيماً فعظم ذلك على موسى (عليه السلام) و هذا هو المروى عن الصادق (عليه السلام).

المعنى

هذه الآيات معطوفه على ما تقدمها من الآيات الواردة فى البيان لنعم الله تعالى على بنى إسرائيل و مقابلتهم لها بالكفران و العصيان فقال و اذكروا أيضا من نكنكم ميثاقى الذى أخذته عليكم بالطاعة «إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا» قال قوم موسى له أ تسخر بنا حيث سألناك عن القتيلى فتأمرنا بذبح بقره و إنما قالوا ذلك لتباعد ما بين الأمرين فى الظاهر مع جهلهم بوجه الحكمة فيما أمرهم به لأن موسى عليه السلام أمرهم بالذبح و لم يبين لهم أن الذبح لأى معنى فقالوا أى اتصال لذبح البقره بما ترفعنا فيه إليك فهذا استهزاء بنا «قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنْ

الْجَاهِلِينَ» أى معاذ الله أن أكون من المستهزئين و إنما قال «مِنَ الْجَاهِلِينَ» ليدل على أن الاستهزاء لا يصدر إلا عن جاهل فإن من استهزأ بغيره لا يخلو إما أن يستهزئ بخلقته أو بفعل من أفعاله فأما الخلقه فلا معنى للاستهزاء بها و أما الفعل فإذا كان قبيحا فالواجب أن ينبه فاعله على قبحة لينزجر عنه فأما إن يستهزئ به فلا فالاستهزاء على هذا يكون كبيره لا يقع إلا عن جاهل به أو محتاج إليه فإذا قيل لم أمروا بذبح البقره دون غيرها فقد قيل فيه لأنها من جنس ما عبده من العجل ليهون عندهم ما كانوا يرونه من تعظيمه فيزول ما كان فى نفوسهم من عبادته و إنما أحيا الله القليل بقتل حى ليكون أظهر لقدرته فى اختراع الأشياء من أضدادها فلما علموا أن ذبح البقره فرض من الله تعالى سألوا عنها فبدأوا بسنها فقالوا «اذْعُ لَنَا رَبِّكَ» أى سل من أجلنا ربك «يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ» و لم يظهر فى السؤال أن المسئول عنه سن البقره و إنما ظهر ذلك فى الجواب «قَالَ» موسى عليه السلام «إِنَّهُ يَقُولُ» أى إن الله عز اسمه يقول «إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا- فَارِضٌ وَلَا- بَكْرٌ» أى ليست بكبيره هرمه و لا- صغيره «عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ» أى هى وسط بين الصغيره و الكبيره و هى أقوى ما يكون و أحسن من البقر و الدواب عن ابن عباس و قيل وسط ولدت بطنا أو بطنين عن مجاهد «فَأَفْعَلُوا مَا تُوْمَرُونَ» أى اذبحوا ما أمرتم بذبحه فلما بين سبحانه سن البقره سألوا عن لونها «قَالُوا اذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا لَوْنُهَا» أى سل ربك يبين لنا ما لون البقره التى أمرنا بذبحها «قَالَ» موسى «إِنَّهُ» سبحانه و تعالى «يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ» حتى قرنها و ظلها أصفران عن الحسن و سعيد بن جبیر «فَأَفْعَلُوا لَوْنُهَا» أى شديده صفره لونها و قيل خالص الصفرة و قيل حسن الصفرة و قوله «تَسْرُّ النَّاطِرِينَ» أى تعجب الناظرين و تفرحهم بحسنها عن قتاده و غيره و

روى عن الصادق (عليه السلام) أنه قال من لبس نعلا صفراء لم يزل مسرورا حتى يبليها كما قال الله تعالى «صَفْرَاءُ فَافْعَلُوا لَوْنُهَا تَسْرُّ النَّاطِرِينَ»

و لما بين سبحانه سن البقره و لونها سألوا عن صفتها ف «قَالُوا» يا موسى «اذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ» أى من العوامل أم من السوائم «إِنَّ الْبَقْرَةَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا» أى اشتبه علينا صفه البقره التى أمرنا الله بذبحها «وَ إِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ» إلى صفه البقره بتعريف الله إيانا و بما يشاؤه لنا من اللطف و الزيادة فى البيان و

روى ابن جريج و قتاده عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه و آله أنهم أمروا بأدنى بقره و لكنهم لما شددوا على أنفسهم شدد الله عليهم و أيم الله لو لم يستثنوا ما بينت لهم إلى آخر الأبد

«قَالَ» يعنى موسى (عليه السلام) «إِنَّهُ» يعنى الله تعالى «يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ» أى البقره التى أمرتم بذبحها «لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ» أى لم يذلها العمل بإثارة الأرض بأظلافها «وَ لَا تَسْقَى الْحَرْثَ» أى لا يستقى عليها الماء فتسقى الزرع «مُسَلَّمَةٌ» أى بريئه من العيوب

عن قتاده و عطاء و قيل مسلمه من الشيه ليس لها لون يخالف لونها عن مجاهد و قيل سليمه من آثار العمل لأن ما كان من العوامل لا- يخلو من آثار العمل فى قوائمه و بدنه و قال الحسن أنها كانت وحشيه «لا شَيْبَةَ فِيهَا» قال أهل اللغه لا وضح فيها يخالف لون جلدها و قيل لا- لون فيها سوى لونها عن قتاده و مجاهد «قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ» أى ظهر لنا الحق الآن و هى بقره فلان و هذا يدل على أنهم جوزوا أنه قبل ذلك لم يجىء بالحق على التفصيل و إنما أتى به على وجه الجملة و قال قتاده الآن بينت الحق و هذا يدل على أنه كان فيهم من يشك فى أن موسى (عليه السلام) ما بين الحق «فَدَبَّحُوهَا» يعنى ذبحوا البقره على ما أمروا به «وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ» أى قرب أن لا يفعلوا ذلك مخافه اشتهاه فضيحه القاتل و قيل كادوا لا يفعلون ذلك لغلاء ثمنها فقد حكى عن ابن عباس أنهم اشتروها بملء جلدتها ذهباً من مال المقتول و عن السدى بوزنها عشر مرات ذهباً قال عكرمه و ما ثمنها إلا ثلاثه دنانير و نذكر هاهنا فصلاً موجزاً ينجذب إلى الكلام فى أصول الفقه اختلف العلماء فى هذه الآيات فمنهم من ذهب إلى أن التكليف فيها متغاير و أنهم لما قيل لهم اذبحوا بقره لم يكن المراد منهم إلا- ذبح أى بقره شاءوا من غير تعيين بصفه و لو أنهم ذبحوا أى بقره اتفقت لهم كانوا قد امتثلوا الأمر فلما لم يفعلوا كان المصلحه أن يشدد عليهم التكليف و لما راجعوا المره الثانيه تغيرت مصلحتهم إلى تكليف ثالث ثم اختلف هؤلاء من وجه آخر فمنهم من قال فى التكليف الأخير أنه يجب أن يكون مستوفياً لكل صفه تقدمت فعلى هذا القول يكون التكليف الثانى و الثالث ضم تكليف إلى تكليف زياده فى التشديد عليهم لما فيه من المصلحه و منهم من قال إنه يجب أن يكون بالصفه الأخيره فقط دون ما تقدم و على هذا القول يكون التكليف الثانى نسخاً للأول و التكليف الثالث نسخاً للثانى و قد يجوز نسخ الشىء قبل الفعل لأن المصلحه تجوز أن يتغير بعد فوات وقته و إنما لا يجوز نسخ الشىء قبل وقت الفعل لأن ذلك يؤدى إلى البداء و ذهب آخرون إلى أن التكليف واحد و أن الأوصاف المتأخره هى للبقره المتقدمه و إنما تأخر البيان و هو مذهب المرتضى قدس الله روحه و استدل بهذه الآيه على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب إلى وقت الحاجه قال إنه تعالى لما كلفهم ذبح بقره قالوا لموسى عليه السلام «اذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ» فلا يخلو قولهم ما هى من أن يكون كناية عن البقره المتقدم ذكرها أو عن التى أمروا بها ثانياً و الظاهر من قولهم ما هى يقتضى أن يكون السؤال عن صفه البقره المأمور بذبحها لأنه لا

علم لهم بتكليف ذبح بقره أخرى فيستفهموا عنها و إذا صح ذلك فليس يخلو قوله «إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ» من أن يكون الهاء فيه كناية عن البقره الأولى أو عن غيرها و ليس يجوز أن يكون كناية عن بقره ثانية لأن الظاهر يقتضى أن تكون الكناية متعلقه بما تضمنه سؤالهم و لأنه لو لم يكن الأمر على ذلك لم يكن جوابا لهم و قول القائل فى جواب من سأله ما كذا و كذا أنه بالصفه الفلانيه صريح فى أن الهاء كناية عما وقع السؤال عنه هذا مع قولهم «إِنَّ الْبَقْرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا» فإنهم لم يقولوا ذلك إلا و قد اعتقدوا أن خطابهم مجمل غير ميبين و لو كان الأمر على ما ذهب إليه القوم فلم لم يقل لهم و أى تشابه عليكم و إنما أمرتم فى الابتداء بذبح بقره أى بقره كانت و فى الثانى بما يختص بالسن المخصوص و فى الثالث بما يختص باللون المخصوص من أى البقر كان و أما قوله «فَذَبِّحُوهَا وَ مَا كَادُوا يَفْعَلُونَ» فالظاهر أن ذمهم مصروف إلى تقصيرهم أو تأخيرهم امتثال الأمر بعد البيان التام و هو غير مقتض ذمهم على ترك المبادره فى الأول إلى ذبح بقره فلا دلالة فى الآية على ذلك.

البقره (٢): الآيات ٧٢ الى ٧٣

إشاره

وَ إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَ اللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَكُلْنَا اضْرِبُوهُ بَبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَ يُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣)

اللغه

ادارأتم اختلفتم و أصله تدارأتم فأدغمت التاء فى الدال بعد أن سكنت ثم جعلوا قبلها همزه الوصل ليتمكن النطق بالساكن و أصل الدرء الدفع و منه

الحديث ادروا الحدود بالشبهات

و منه قوله وَ يَذْرُؤًا عَنْهَا الْعَذَابَ وَ قَالَ رُوْبَه:

أدركتها قدام كل مدره

بالدفع عنى درء كل عنجه

و قيل الدارأ العوج و منه قول الشاعر:

فنكب عنهم درء الأعداى

و داووا بالجنون من الجنون

ثم بين الله سبحانه المقصود من الأمر بالذبح فبدأ بذكر القتل و قال «وَ إِذِ قَتَلْتُمْ نَفْسًا» ذكر فيه وجهان (أحدهما) أنه متقدم فى المعنى على الآيات المتقدمة فى اللفظ فعلى هذا يكون تأويله و إذ قتلتم نفسا «فَادَارَأْتُمْ فِيهَا» فسألتم موسى فقال لكم إن الله يأمركم أن تذبحوا بقره فقدم المؤخر و آخر المقدم و نحو ذا كثير فى القرآن و الشعر قال سبحانه «الْحَمِيدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا» تقديره أنزل على عبده الكتاب قيما و لم يجعل له عوجا و قال الشاعر:

إن الفرزدق صحره ملمومه

طالت فليس ينالها الأوعالا

أى طالت الأوعال (و الوجه الآخر) أن الآية قد تعلقت بما هو متأخر فى الحقيقه و هو قوله «فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا» الآية فكأنه قال فذبحوها و ما كادوا يفعلون و لأنكم قتلتم نفسا فادارأتم فيها أمرناكم أن تضربوه ببعضها لينكشف أمره و المراد و اذكروا إذ قتلتم نفسا و هذا خطاب لمن كان على عهد النبى صلى الله عليه و آله و المراد به أسلافهم على عادة العرب فى خطاب الأبناء و الأحفاد بخطاب الأسلاف و الأجداد و خطاب العشيره بما يكون من أحدها فقالت فعلت بنو تميم كذا و إن كان الفاعل واحدا و يحتمل أن يكون خطابا لمن كان فى زمن موسى عليه السلام و تقديره و قلنا لهم و إذ قتلتم نفسا و قيل إن اسم المقتول عاميل «فَادَارَأْتُمْ فِيهَا» الهاء من فيها يعود إلى النفس أى كل واحد دفع قتل النفس عن نفسه و قيل إنها تعود إلى القتل أى اختلفتم فى القتله لأن قوله «قَتَلْتُمْ» يدل على المصدر و عودها إلى النفس أولى و أشبه بالظاهر «وَ اللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ» أى مظهر ما كنتم تسرون من القتل و قيل معناه أنه مخرج من غامض أخباركم و مطلع من معاييكم و معايب أسلافكم على ما تكتُمونه أنتم و هو خطاب لليهود فى زمن النبى صلى الله عليه و آله «فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا» أى قلنا لهم اضربوا القتل ببعض البقره و اختلفوا فى البعض المضروب به القتل فقيل ضرب بفخذ البقره فقام حيا و قال قتلنى فلان ثم عاد ميتا عن مجاهد و قتاده و عكرمه و قيل ضرب بذيئها عن سعيد بن جبير و قيل بلسانها عن الضحاك و قيل ضرب بعظم من عظامها عن أبى العالى و قيل بالبضعه التى بين الكتفين عن السدى و قيل ضرب ببعض آرابها عن أبى زيد و هذه الأقاويل كلها محتمله الظاهر و المعلوم أن الله سبحانه و تعالى أمر أن يضرب القتل ببعض البقره ليحيا القتل إذا فعلوا ذلك فيقول فلان قتلنى ليزول الخلف و التدارؤ بين القوم

و الصانع عز اسمه و إن كان قادرا على إحيائه من دون ذلك فإنما أمرهم بذلك لأنهم سألوا موسى أن يبين لهم حال القتل و هم كانوا يعدون القربان من أعظم القربات و كانوا جعلوا له بيتا على حده لا يدخله إلا خيارهم فأمرهم الله بتقديم هذه القربه تعليما منه لكل من اعتاص عليه أمر من الأمور أن يقدم نوعا من القرب قبل أن يسأل الله تعالى كشف ذلك عنه ليكون أقرب إلى الإجابة و إنما أمرهم بضرب القتل ببعضها بعد أن جعل اختيار وقت الإحياء يهم ليعلموا أن الله سبحانه و تعالى قادر على إحياء الأموات فى كل وقت من الأوقات و التقدير فى الآيه فقلنا اضربوه ببعضها فضربه فحيى كما قال سبحانه «اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ» تقديره فاضرب فانفلق و قوله «كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى» يحتمل أن يكون حكاية عن قول موسى (عليه السلام) لقومه أى اعلّموا بما عاينتموه أن الله تعالى قادر على إحياء الموتى للجزاء و يحتمل أن يكون خطابا من الله تعالى لمشركى قريش و الإشارة وقعت إلى قيام المقتول عند ضربه ببعض أعضائه البقره لأنه

روى أنه قام حيا و أوداجه تشخب دما فقال قتلنى فلان ابن عمى ثم قبض

«وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ» يعنى المعجزات الباهره الخارقه للعادة من إحياء ذلك الميت و غيره و قيل أراد الأعلام الظاهره الداله على صدق محمد صلى الله عليه و آله «لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» أى لكى تستعملوا عقولكم فإن من لم يستعمل عقله و لم يبصر رشده فهو كمن لا عقل له و قيل لكى تعقلوا ما يجب عليكم من أمور دينكم و احتج الله تعالى بهذه الآيات على مشركى العرب فيما استبعده من البعث و قيام الأموات بقولهم «أَ إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَ رُفَاتًا أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا» فأخبرهم سبحانه بأن الذى أنكره و استبعده لا يتعذر فى اتساع قدرته و نبههم على ذلك بذكر المقتول و إحيائه بعد خروجه من الحياه و أبطنوا خبر قتله و كيفيته و قيامه بعد القتل حيا مخاطبا باسم قتلته مؤذنا لهم أن إحياء جميع الأموات بعد أن صاروا عظاما باليات لا يصعب عليه و لا يتعذر بل يهون عنده و يتيسر و فيها دلالة على صدق نبوه نبينا محمد صلى الله عليه و آله حيث أخبرهم بغوامض أخبارهم التى لا يجوز أن يعلمها إلا- من قرأ كتب الأولين أو أوحى إليه من عند رب العالمين و قد صدقه مخالفوه من اليهود فيما أخبر به من هذه الأقاصيص و قد علموا أنه أمى لم يقرأ كتابا و لم يرتابوا فى ذلك و هذه آيه صادعه و حجه ساطعه فى تثبيت نبوته ص.

البقره (٢): آيه ٧٤

إشارة

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنِ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنِ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنِ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٧٤)

قرأ ابن كثير وحده هاهنا عما يعملون بالياء و الباقون بالتاء و اختلفوا فى قوله تعالى «و ما الله بغافل عما تعملون» «و ما ربك بغافل عما تعملون» قرأهما أبو جعفر وحده بالتاء فى كل القرآن إلا- فى الأنعام و قرأ ابن عامر بالياء فى كل القرآن و قرأ حمزه و الكسائى الأول بالتاء و الثانى بالياء فى كل القرآن و اختلف عن ابن كثير و نافع و عاصم و أبى عمرو.

الإعراب

قال أبو على القول فى ذلك أن ما كان قبله خطاب جعل بالتاء ليكون الخطاب معطوفا على خطاب كقوله «ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ» ثم قال «عَمَّا تَعْمَلُونَ» بالتاء و لو كان بالياء على لفظ الغيبه أى و ما الله بغافل عما يعمل هؤلاء أيها المسلمون لكان حسنا و إن كان الذى قبله غيبه حسن أن يجعل على لفظ الغيبه و يجوز فيه الخطاب أيضا و وجه ذلك أن يجمع بين الغيبه و الخطاب فيغلب الخطاب على الغيبه كتغليب المذكر على المؤنث ألا ترى أنهم قدموا الخطاب على الغيبه فى باب الضمير و هو موضع ترد فيه الأشياء إلى أصولها نحو تك فى نحو قوله (فلا- تك ما أسأل و لا أأمر) فلما قدموا المخاطب على الغائب فقالوا أعطاكه و لم يقولوا أعطاهوك علم أنه أقدم فى الرتبة فإذا كان الأمر على هذا فالخطاب فى هذا النحو يعنى به الغيب و المخاطبون فيغلب الخطاب على الغيبه و يجوز فيه وجه آخر و هو أن يراد به و قل لهم أيها النبى ما الله بغافل عما تعملون و الله أعلم.

اللغه

القسوه ذهاب اللين و الرحمه من القلب يقال قسا قلبه يقسو قسوا و قسوه و قساوه و القسوه الصلابه فى كل شى ء و نقيضه الرقه و الشده القوه فى الجسم و الشده صعوبه الأمر و الشد العقده و النهر المجرى الواسع من مجارى الماء و الجدول و السرى دون ذلك يقال نهر و نهر و الفتح أفصح قال سبحانه فى جَنَاتٍ وَ نَهْرٍ و جمعه نهر و أنهار و التفجر التفعّل من فجر الماء و ذلك إذا أنزل خارجا من منبعه و كل سائل شخص خارجا من موضعه و مكانه فقد انفجر ماء كان أو دما أو غير ذلك قال عمر بن لجا:

و لما أن قرنت إلى جرير

أبى ذو بطنه إلا انفجارا

أى خروجا و سيلانا و أصل يشقق يتشقق أدغمت التاء فى الشين و هو أن ينقطع من غير أن يبين و الغفله السهو عن الشىء و هو ذهاب المعنى عن النفس بعد حضوره و يقال تغافت على عمد أى عملت عمل الساهى.

المعنى و الإعراب

لما قدم سبحانه ذكر المعجزات القاهره و الأعلام الظاهره بين ما فعلوا بعدها من العصيان و الطغيان فقال عز اسمه «ثُمَّ قَسَيْتُ قُلُوبَكُمْ» أى غلظت و بيست و عت و قشت «مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ» أى من بعد آيات الله كلها التى أظهرها على يد موسى عليه السلام و قيل أنه أراد بنى أخى المقتول حين أنكروا قتله بعد أن سمعوه منه عند إحياء الله تعالى إياه أنه قتله فلان عن ابن عباس فيكون ذلك إشارة إلى الإحياء أى من بعد إحياء الميت لكم ببعض من أعضاء البقره بعد أن تدارأتم فيه فأخبركم بقاتله و السبب الذى من أجله قتله و كان يجب ممن شاهد هذه الآيه العجيبه و المعجزه الخارقه للعاده أن يخضع و يلين قلبه و يحتمل أن يكون ذلك إشارة أيضا إلى الآيات الآخر التى تقدمت كمشخ القرده و الخنازير و رفع الجبل فوقهم و انبجاس الماء من الحجر و انفراق البحر و غير ذلك و إنما جاز أن يقول ذلك و أن كانوا جماعه و لم يقل ذلكم لأن الجماعه فى معنى الجمع و الفريق فلفظ الخطاب مفرد فى معنى الجمع و لو قال ذلكم لجاز و قوله «فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ» شبه قلوبهم بالحجاره فى الصلابه و اليبس و الغلظ و الشده و

قد ورد الخبر عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثره الكلام بغير ذكر الله تقسى القلب و إن أبعد الناس من الله القاسى القلب

«أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً» أى أو هى أشد قسوه و يجوز أن يكون عطفًا على موضع الكاف و كأنه قال فهى مثل الحجاره أو أشد قسوه أى أشد صلابه لامتناعهم عن الإقرار اللازم بقيام حجته و العمل بالواجب من طاعته بعد مشاهدته الآيات و قيل فى تأويل أو هاهنا وجوه (أحدها) ما ذكره الزجاج أن معناها الإباحه كقولهم جالس الحسن أو ابن سيرين فإن جالست أحدهما أو جمعت بينهما فأنت مصيب فيكون معنى الآيه على هذا أن قلوبهم قاسيه فإن شبهت قسوتها بالحجر أصبت و إن شبهتها بما هو أشد أصبت و إن شبهتها بهما جميعا أصبت كما مر نحو هذا فى قوله سبحانه «أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ» (و ثانيها) أن يكون أو دخلت للتفصيل و التمييز فيكون معنى الآيه إن قلوبهم قاسيه فبعضها كالحجاره و بعضها أشد قسوه من الحجاره و قد يحتمل قوله تعالى «أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ»

هذا الوجه أيضا (و ثالثها) أن يكون أو دخلت على سبيل الإبهام فيما يرجع إلى المخاطب و إن كان تعالى عالما بذلك غير شاك فيه فأخبر أن قسوه قلوب هؤلاء كالحجاره أو أشد قسوه و المعنى أنها كأحد هذين لا يخرج عنهما كما يقال أكلت بسره أو تمره و هو يعلم ما أكله على التفصيل إلا أنه أبهم على المخاطب و كما قال لبيد:

تمنى ابتئى أن يعيش أبوهما

و هل أنا إلا من ربيعه أو مضر

أراد و هل أنا إلا من أحد هذين الجنسین فسيلى أن أفنى كما فنيا و إنما حسن ذلك لأن غرضه الذى نحاه هو أن يخبر بكونه ممن يموت و يفنى و لم يخل بقصده الذى أجرى إليه إجمال ما أجمل من كلامه فكذلك هنا الغرض الإخبار عن شدة قسوه قلوبهم و أنها مما لا يصغى إلى و عظ و لا يعرج على خير فسواء كانت كالحجاره أو أشد منها فى أنه لا يحتاج إلى ذكر تفصيله (و رابعها) أن يكون أو بمعنى بل كما قال الله تعالى «وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ» و معناه بل يزيدون و روى عن ابن عباس أنه قال كانوا مائه ألف و بعضا و أربعين ألف و أنشد الفراء:

بدت مثل قرن الشمس فى روتق الضحى

و صورتها أو أنت فى العين أملح

كما تكون أم المنقطعه فى الاستفهام بمعنى بل يقول القائل أ ضربت عبد الله أم أنت متعنت أى بل أنت و قال الشاعر:

فو الله ما أدرى أ سلمى تغولت

أم النوم أم كل إلى حبيب

معناه بل كل و قد طعن على هذا الجواب فقيل كيف يجوز أن يخاطبنا الله عز اسمه بلفظه بل و هى تقتضى الاستدراك و النقض للكلام الماضى و الإضراب عنه و هذا غير سديد لأن الاستدراك أن أريد به الاستفاده أو التذكر لما لم يكن معلوما فلا يصح و إن أريد به الأخذ فى الكلام الماضى و استئناف زياده عليه فهو صحيح فالقائل إذا قال أعطيته ألفا بل ألفين لم ينقض الأول و كيف ينقضه و الأول داخل فى الثانى و إنما أراد عليه و إنما يكون ناقضا للثانى لو قال لقيت رجلا بل حمارا لأن الأول لا يدخل فى الثانى على وجه و قوله تعالى «أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً» غير ناقض للأول لأنها لا تزيد على الحجارة إلا بأن يساويها و إنما تزيد عليها بعد المساواه (و خامسها) أن يكون بمعنى الواو كقوله تعالى «أَوْ بِيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بِيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ» معناه و بيوت آبائكم قال جرير:

أ ثعلبه الفوارس أو رياحا

عدلت بهم طهيه و الخشابا

أراد و رباحا و قال أيضا:

نال الخلافه أو كانت له قدرا

كما أتى ربه موسى على قدر

و قال توبه بن الحمير:

و قد زعمت ليلي بأنى فاجر

لنفسى تقاها أو عليها فجورها

فإن قيل كيف يكون أو فى الآيه بمعنى الواو و الواو للجمع و الشىء إذا كان على صفه لم يجز أن يكون على خلافها أوجب عنه بأنه ليس يمتنع أن تكون قلوبهم كالحجاره فى حاله و أشد من الحجاره فى حاله أخرى فيصح المعنى و لا يتنافى و فائده هذا الجواب أن قلوب هؤلاء مع قساوتها ربما لانت بعض اللين و كادت تصغى إلى الحق فتكون فى هذا الحال كالحجاره التى ربما لانت و تكون فى حال أخرى فى نهايه البعد عن الخير فتكون أشد من الحجاره.

و جواب آخر و هو أن قلوبهم لا- تكون أشد من الحجاره إلا- بعد أن يكون فيها قسوه الحجاره لأن قولنا فلان أعلم من فلان إخبار بأنه زائد عليه فى العلم الذى اشتركا فيه فلا بد من الاشتراك ثم الزيادة فلا تنافى هاهنا ثم فضل سبحانه الحجاره على القلب القاسى فقال «وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ» معناه أن من الحجاره ما هو أنفع من قلوبكم القاسيه فيتفجر منه أنهار الماء و استغنى بذكر الأنهار عن ذكر الماء و قيل المراد منه الحجر الذى كان ينفجر منه اثنتا عشره عينا و قيل هو عام «وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ» يعنى و من الحجاره ما يخرج منه الماء فيكون عينا نابعه لا أنهارا جاربه حتى يكون مخالفا للأول و قال الحسين بن على المغربى الحجاره الأولى حجاره الجبال منها تتفجر الأنهار و الثانیه حجر موسى عليه السلام الذى كان يضربه فيخرج منه العيون فلا- يكون تكرارا و قوله «وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» الضمير فى منها يرجع إلى الحجاره أى و من الحجاره ما يهبط من خشيه الله و عليه أكثر أهل التفسير و قيل يرجع إلى القلوب أى و من القلوب ما يهبط من خشيه الله أى تخشع و هى قلوب من آمن من أهل الكتاب فيكونون مستثنين من القاسيه قلوبهم عن أبى مسلم و من قال إن الضمير يرجع إلى الحجاره فإنهم اختلفوا فى تأويله على وجوه (أحدها) ما روى عن مجاهد و ابن جريج أن كل حجر تردى من رأس جبل فهو من خشيه الله فمعناه أن الحجاره قد تصير إلى الحال التى ذكرها

من خشية الله و قلوب اليهود لا- تخشى و لا- تخشع و لا- تلين لأنهم عارفون بصدق محمد ثم لا يؤمنون به فقلوبهم أقسى من الحجارة (و ثانيها) ما قاله الزجاج إن الله تعالى أعطى بعض الجبال المعرفة فعقل طاعه الله نحو الجبل الذى تجلى الله عز و جل له حين كلم موسى فصار دكا و كما

روى عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال إن حجرا كان يسلم على فى الجاهليه و إنى لأعرفه الآن

و هذا الوجه ضعيف لأن الجبل إذا كان جمادا فمحال أن يكون فيه معرفه الله و إن كان بنيته بنيه الحى فإنه لا يكون جبلا و أما الخير فإن صح فإن معناه أنه سبحانه أحياء فسلم على النبى صلى الله عليه و آله ثم أعاده حجرا و يكون معجزا له عليه السلام (و ثالثها) أنه يدعو المتفكر فيه إلى خشية الله أو يوجب الخشيه له بدلالته على صانعه لما يرى فيه من الدلالات و العجائب و أضاف الخشيه إليه لأن التفكر فيه هو الداعى إلى الخشيه كما قال جرير بن عطيه:

و أعور من نبهان أما نهاره

فأعمى و أما ليله فبصير

فجعل الصفه لليل و النهار و هو يريد صاحبه النبهانى الذى يهجو به بذلك من أجل أنه كان فيهما على ما وصفه به (و رابعها) أنه إنما ذكر ذلك على سبيل ضرب المثل أى كأنه يخشى الله سبحانه فى المثل لانقياده لأمره و وجد منه ما لو وجد من حى عاقل لكان دليلا على خشيه كقوله سبحانه «فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ» أى كأنه يريد لأنه ظهر فيه من الميل ما لو ظهر من حى لدل على إرادته الانقضاض و مثله قوله «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ» و كما قال زيد الخيل:

بجمع تفضل البلق فى حجراته

ترى الأكم فيها سجدا للحوافر

فجعل ما ظهر فى الأكم من آثار الحوافر و قله مدافعتها لها كما يدافع الحجر الصلد سجودا لها و لو كانت الأكم فى صلابه الحديد حتى تمتنع على الحوافر لم يقل أنها تسجد للحوافر قال جرير:

لما أتى خبر الزبير تواضعت

سور المدينة و الجبال الخشع

أى كأنها كذلك و قال جرير أيضا:

و الشمس طالعه ليست بكاسفه

تبكى عليك نجوم الليل و القمر

و كما قال سبحانه «لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» أى لو كانت الجبال مما يخشع لشيء ما لرأيته خاشعا و يؤيد هذا الوجه قوله سبحانه «وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ».

و (خامسها) أن هبط يجوز أن يكون متعديا قال الشاعر:

ما راغنى إلا جناح هابطا

على البيوت قوطه العلابطا

فاعمله بالقوط كما ترى و يكون على هبطت الشىء فهبط فمعناه يهبط غيره من خشية الله أى إذا رآه الإنسان خشع لطاعه خالقه إلا- أنه حذف المفعول تخفيفا و لدلاله الكلام عليه و نسب الفعل إلى الحجر لأن طاعه رائيه لخالقه سببها النظر إليه أى منها ما يهبط الناظر إليه أى يخضعه و يخشعه و قوله «وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» أيها المكذبون بآياته الجاحدون نبوه نبيه محمد صلى الله عليه و آله و قد ذكرناه قبل.

البقره (٢): آيه ٧٥

إشارة

أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥)

اللغة

الطمع تعليق النفس بما تظنه من النفع و نظيره الأمل و الرجاء و نقيضه اليأس و الفريق جمع كالتوائفه لا واحد له من لفظه و هو فاعل من التفرق كما سميت الجماعة بالحزب من التحزب قال الأعشى بن ثعلبه:

أجدوا فلما خفت أن يتفرقوا

فريقين منهم مصعد و مصوب

و التحريف فى الكلام تغيير الكلمه عن معناها.

الإعراب

«أَفَتَطْمَعُونَ» ألف استخبار تجرى فى كثير من المواضع مجرى الإنكار إذا لم يكن معها نفى فإذا جاءت مع النفى فإنكار النفى تثبيت و يكون بمعنى الاستدعاء إلى الإقرار نحو أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ فجوابه بلى كقوله «أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بلى» و جواب أ فتطمعون لا على ما ذكرناه.

هذا خطاب لأمه نبينا محمد صلى الله عليه وآله يقول «أَفَتَطْمَعُونَ» أيها المؤمنون «أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ» من طريق النظر والاعتبار و الانقياد للحق بالاختيار «وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ» أي ممن هو في مثل حالهم من أسلافهم «يَسْتَمِعُونَ كَلَامَ اللَّهِ» و يعلمون أنه حق و يعاندون فيحرفونه و يتأولونه على غير تأويله و قيل إنهم علماء اليهود الذين يحرفون التوراه فيجعلون الحلال حراما و الحرام حلالا- اتباعا لأهوائهم و إعانه لمن يرشوهم عن مجاهد و السدى و قيل إنهم السبعون رجلا الذين اختارهم موسى من قومه فسمعوا كلام الله فلم يمتثلوا أمره و حرفوا القول في إخبارهم لقومهم حين رجعوا إليهم عن ابن عباس و الربيع فيكون على هذا كلام الله معناه كلام الله لموسى وقت المناجاة و قيل المراد بكلام الله صفه محمد صلى الله عليه وآله في التوراه و قوله «ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ» قيل فيه وجهان (أحدهما) أن يكون معناه أنهم غيروه من بعد ما فهموه فأنكروه عنادا «وَهُمْ يَعْلَمُونَ» أنهم يحرفونه أي يغيرونه (و الثاني) أن معناه من بعد ما تحققوه و هم يعلمون ما عليهم في تحريفه من العقاب و الأول أليق بمذهبنا في الموافاه و إنما أراد الله سبحانه بالآيه أن هؤلاء اليهود الذين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وآله إن لم يؤمنوا به و كذبوه و جحدوا نبوته فلهم بآبائهم و أسلافهم الذين كانوا في زمان موسى (عليه السلام) أسوه إذا جروا على طريقتهم في الجحد و العناد و هؤلاء الذين عاندوا و حرفوا كانوا معدودين يجوز على مثلهم التواطؤ و الاتفاق في كتمان الحق و إن كان يمتنع ذلك على الجمع الكثير و الجم الغفير لأمر يرجع إلى اختلاف الدواعى و يبطل قول من قال إنهم كانوا كلهم عارفين معاندين لأن الله سبحانه إنما نسب فريقا منهم إلى المعانده و إن كانوا بأجمعهم كافرين و في هذه الآيه دلالة على عظم الذنب في تحريف الشرع و هو عام في إظهار البدع في الفتاوى و القضايا و جميع أمور الدين.

البقره (٢): آيه ٧٦

إشاره

وَ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَىٰ بَعْضِ قَالُوا أَ تَحَدُّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَ فَلَآ تَعْقِلُونَ (٧٦)

الحديث والخبر والنبأ نظائر مشتق من الحدوث و كأنه إخبار عن حوادث الزمان و الفتح فى الأصل فتح المغلق و قد يستعمل فى مواضع كثيرة فمنها الحكم يقال اللهم افتح بينى و بين فلان أى احكم يَقُولُونَ متى هَذَا الْفَتْحُ أى متى هذا القضاء و يوم الفتح يوم القضاء و قال الشاعر:

ألا أبلغ بنى عصم رسولا

فإنى عن فتاحتكم غنى

و يقال للقاضى الفتح و منها التعليم يقال افتح على هذا أى علمنى ما عندك فيه و منها النصره يقال استفتحه أى أطلب منه النصر و منه قوله إِنَّ تَسِيدَتِفَتْحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ و يستعمل فى فتح البلدان يقال فتح المسلمون أرض كذا و المحاجه و المجادله و المناظره نظائر فالمحاجه أن يحتج كل واحد من الخصمين على صاحبه و الحججه الوجه الذى به يكون الظفر عند الحجاج و يقال حاججته فحججته

و فى الحديث فحج آدم موسى

أى غلبه فى الحججه و أصله من القصد و منه الحجج و هو القصد إلى بيت الله الحرام على وجه مخصوص فالحججه هى النكته المقصوده فى تصحيح الأمور.

النزول

روى عن أبى جعفر الباقر عليه السلام أنه قال كان قوم من اليهود ليسوا من المعاندين المتواطئين إذا لقوا المسلمين حدثوهم بما فى التوراه من صفه محمد فنهاهم كبراًوهم عن ذلك و قالوا لا تخبروهم بما فى التوراه من صفه محمد فيحاجوكم به عند ربكم فنزلت هذه الآيه

و قال مجاهد نزلت فى بنى قريظه لما قال لهم النبى صلى الله عليه و آله يا إخوه القرده و الخنازير

قالوا من أخبر محمدا بهذا ما خرج إلا منكم و قال السدى هؤلاء ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا فكانوا يحدثون المؤمنين من العرب بما عذب به أسلافهم فقال بعضهم لبعض أ تحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليحاجوكم به فيقولون نحن أكرم على الله منكم.

المعنى

ثم ذكر الله سبحانه خصله أخرى من خصلاتهم الذميمة فقال (وَ) هم الذين «إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا» أى رأوهم «قَالُوا آمَنَّا» أى صدقنا بمحمد أنه نبى صادق نجده فى كتابنا بنعته و صفته و بما صدقتم به و أقررنا بذلك أخبر الله تعالى عنهم أنهم تخلقوا بأخلاق

المنافقين و تحلوا بحليتهم و استنوا بسنتهم «وَ إِذَا خَالَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ» أَي إِذَا خَالَ بَعْضُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودِ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ إِلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ فَصَارُوا فِي خَلَاءٍ وَ هُوَ

ص: ٢٠٢

الموضع الذى ليس فيه غيرهم «قالوا» يعنى قال بعضهم لبعض «أُتَحَدُّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ» قال الكلبي بما قضى الله عليكم فى كتابكم أن محمدا حق وقوله صدق و روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن معناه قالوا لا تحدثوا العرب بهذا فإنكم قد كنتم تستفتحون به عليهم أى لا تقروا بأنه نبي وقد علمتم أنه قد أخذ له الميثاق عليكم باتباعه و أنه النبي الذى كنا ننتظره و نجده فى كتابنا اجحدوه و لا تقروا لهم به و قال الكسائي أ تحدثونهم بما بينه الله لكم فى كتابكم من العلم بيعث محمد صلى الله عليه و آله و البشاره به و بعض الأقوال فيه ذكرناه فى النزول و أقوى التأويلات قول من قال «أُتَحَدُّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ» أى حكم الله به عليكم و قضاه فيكم و من حكمه عليكم ما أخذ به ميثاقكم من الإيمان بمحمد صلى الله عليه و آله و صفته الموصوفه لكم فى التوراه و من قضائه فيكم أنه جعل منكم القرده و الخنازير و قوله «لِيَحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ» أى ليكون لهم الحججه عليكم عند الله فى الدنيا و الآخره فى إيمانهم بالنبي صلى الله عليه و آله إذ كنتم مقرين به و مخبرين بصحه أمره من كتابكم فهذا يبين حجتهم عليكم عند الله و قيل معناه ليجادلوكم و يقولوا لكم قد أقررتم أنه نبي حق فى كتابكم ثم لا تتبعونه و قوله «عِنْدَ رَبِّكُمْ» قال ابن الأنبارى معناه فى حكم ربكم كما يقال هذا حلال عند الشافعى أى فى حكمه و هذا يحل عند الله أى فى حكمه و قوله «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» أى أفلا- تفقهون أيها القوم أن إخباركم محمدا و أصحابه بما تخبرونهم به من وجود نعت محمد فى كتبكم حجه عليكم عند ربكم يحتجون بها عليكم و قيل معناه أفلا- تعقلون أيها المؤمنون أنهم لا يؤمنون فلا تسمعوا فى ذلك عن الحسن و قيل إنه خطاب لليهود أى فلا تعقلون أيها اليهود إذ تقبلون من رؤسائكم مثل هذا و هذا تحذير لهم عن الرجوع إلى قول رؤسائهم.

البقره (٢): آيه ٧٧

إشاره

أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَ مَا يُعْلِنُونَ (٧٧)

المعنى

«أَوْ لَا يَعْلَمُونَ» يعنى اليهود أن الله يعلم سرهم و علانيتهم فكيف يستجيزون أن يسروا إلى إخوانهم النهى عن التحدث بما هو الحق و هم مقرون بذلك غير جاحدين بأن الله يعلم سرهم و جهرهم كالكفار و المنافقين فهم من هذه الجهه ألوم و المذمه لهم ألزم عن أكثر المفسرين و قيل معناه أ و لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون من كفرهم

و تكذيبهم محمدا إذا خلا بعضهم إلى بعض و ما يعلنون من قولهم آمننا إذا لقوا أصحاب محمد ليرضوهم بذلك عن قتاده و أبى العالیه.

البقره (٢): آیه ٧٨

اشاره

وَ مِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَ إِنَّ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٧٨)

القرءاء

قرأ أبو جعفر و شبيهه و الحسن أمانى مخففه و الباقون بالتشديد و كذلك فى قوله «لَيْسَ بِأَمَانِيَّكُمْ وَ لَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ».

الإعراب

قال ابن جنى الأصل فيه التثقيل أمانى جمع أمنييه و التخفيف فى هذا النحو كثير و المحذوف منه الياء الأولى التى هى نظيره ياء المد مع غير الإدغام نحو ياء قراطيس و حوامين و أراجيح جمع حومانه و أرجوحه ألا تراها قد حذفت فى نحو قوله:

و البكرات الفسج العظامسا

و قوله:

و غير سفع مثل يحامم

يريد عظاميس و يحاميم على أن حذف الياء مع الإدغام أسهل من حذفه و لا إدغام معه و ذلك أن هذه الياء لما أدغمت خفيت و كادت تستهلك فإذا أنت حذفتها فكأنك إنما حذفت شيئا هو فى حال وجوده فى حكم المحذوف.

اللغه

الأمى الذى لا يحسن الكتابه و إنما سمي أميا لأحد وجوه (أحدها) أنه الأمه الخلقه فسمى أميا لأنه باق على خلقته و منه قول الأعشى:

و إن معاويه الأكرمين

حسان الوجوه طوال الأمم

(و ثانيها) أنه مأخوذ من الأمه التى هى الجماعه أى هو على أصل ما عليه الأمه فى أنه لا يكتب لأنه يستفيد الكتابه بعد أن لم

يكن يكتب (و ثالثها) أنه مأخوذ من الأم أى هو على ما ولدته أمه فى أنه لا- يكتب و قيل إنما نسب إلى أمه لأن الكتابه إنما تكون فى الرجال دون النساء و الأمنيه ذكر فيها وجوه (أحدها) أن معناها التلاوه يقال تمنى كتاب الله أى قرأ و تلا و قال كعب بن مالك:

تمنى كتاب الله أول ليله

و آخره لاقى حمام المقادر

ص: ٢٠٤

و قال آخر:

تمنى كتاب الله بالليل خاليا

تمنى داود الزبور على رسل

(و ثانيها) أن المراد بالأمانى الأحاديث المختلفه عن الفراء و العرب تقول أنت إنما تتمنى هذا القول أى تختلقه و قال بعضهم ما تمنيت مذ أسلمت أى ما كذبت (و ثالثها) أن المراد بالأمانى أنهم يتمنون على الله ما ليس لهم مثل قولهم «لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً» و قولهم «نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ» و قال الزجاج إذا قال القائل ما لا يعلمه فكأنه إنما يتمناه و هذا مستعمل فى كلام الناس تقول للذى يقول ما لا حقيقه له و هو يحبه هذا أمنيته و هذه أمنيته و الظن هو ترجيح أحد الجانبين على الآخر لأماره صحيحه و ليس هو من قبيل الاعتقادات على الصحيح من المذهب و فى الناس من قال هو اعتقاد.

الإعراب

قال الزجاج يرتفع أميون بالابتداء و منهم الخبر و فى قول الأخفش يرتفع أميون بفعلهم كان المعنى و استقر منهم قال أبو على ليس يرتفع أميون عند الأخفش بفعلهم و إنما يرتفع بالظرف الذى هو منهم و مذهب سيبويه أنه يرتفع بالابتداء فى من عنده ضمير لقوله أميون و موضع منهم على مذهبه رفع لوقوعه موقع خبر الابتداء فأما على مذهب الأخفش فلا ضمير لقوله أميون فى منهم و لا- موضع له عنده كما لا- موضع لذهب فى قولك ذهب زيد و إنما رفع الأ-خفش الاسم بالظرف لأنه نظر إلى هذه الظروف فوجدها تجرى مجرى الفعل فى مواضع و فى أنها تحتل الضمير كما يحتمله الفعل و ما قام مقامه من أسماء الفاعلين و ما أشبه به و يؤكد ما فيها كما يؤكد ما فى الفعل و ما قام مقامه فى نحو مررت بقوم لك أجمعون و ينصب عنها الحال كما ينصب بالفعل و يوصل بهما الأسماء الموصوله كما يوصل بالفعل و الفاعل فيصلر فيها ضمير الموصول كما يصلر ضميره فى الفعل و يوصف به النكره كما يوصف بالفعل و الفاعل فلما رآها فى هذه المواضع تقوم مقام الفعل أجزاها أيضا مبتدأ مجرى الفعل فرفع بها الاسم كما رفع بالفعل إذا قامت هذه الظروف مقام الفعل فى هذه المواضع فقال فى عندك زيد و فى الدار عمرو و منهم أميون و نحو ذلك أنه يرتفع بالظرف إذ كان الظرف قد أقيم مقام الفعل فى غير هذه المواضع و الدليل على أن الاسم هاهنا مرتفع بالظرف دون الفعل الذى هو استقر و نحوه أنه لو كان مرتفعا بالفعل لجاز قائما فى الدار زيد كما يجوز قائما استقر زيد فامتناع تقديم الحال هنا

ص: ٢٠٥

يدل على أنه لا عمل للفعل هنا و قوله «إِلَّا أَمَانِيَّ» نصب على الاستثناء المنقطع كقوله «مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ» و كقول الشاعر:

ليس بينى و بين قيس عتاب

غير طعن الكلى و ضرب الرقاب

و قول النابغه:

حلفت يمينا غير ذى مثويه

و لا علم إلا حسن ظن بصاحب

و إن فى قوله «إِنَّ هُمْ» بمعنى ما أى ما هم إلا ظانون فهم مبتدأ و يظنون خبره.

المعنى

«وَمِنْهُمْ» يعنى و من هؤلاء اليهود الذين قص الله قصصهم فى هذه الآيات و قطع الطمع عن إيمانهم «أُمِّيُونَ» أى غير عالمين بمعانى الكتاب يعلمونها حفظا و تلاوه لا رعايه و درايه و فهما لما فيه عن ابن عباس و قتاده و قال أبو عبيده الأميون هم الأمم الذين لم ينزل عليهم كتاب و النبى الأمى الذى لا يكتب و أنشد لتبع:

له أمه سميت فى الزبور

أميه هى خير الأمم

و قوله «لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ» أى لا يعلمون ما فى الكتاب الذى أنزل الله عز و جل و لا يدرون ما أودعه الله إياه من الحدود و الأحكام و الفرائض فهم كهيهه البهائم مقلده لا يعرفون ما يقولون و الكتاب المعنى به التوراه أدخل عليه لام التعريف «إِلَّا» بمعنى لكن «أَمَانِيَّ» أى قولا يقولونه بأفواههم كذبا عن ابن عباس و قيل أحاديث يحدثهم بها علماءهم عن الكلبى و قيل تلاوه يتلونها و لا يدرونها عن الكسائى و الفراء و قيل أمانى يتمنون على الله الرحمه و يخطر الشيطان ببالهم أن لهم عند الله خيرا و يتمنون ذهاب الإسلام بموت الرسول صلى الله عليه و آله و عود الرياسه إليهم و قيل أمانى يتخرصون الكذب و يقولون الباطل و التمنى فى هذا الموضوع هو تخلق الكذب و تخرصه و يقوى ذلك قوله «وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ» فبين أنهم يختلقون ما يختلقون من الكذب ظنا لا يقينا و لو كان المعنى أنهم يتلونه لما كانوا ظانين و كذلك لو كانوا يتمنونه لأن الذى يتلوه إذا تدبره علمه و لا يقال للمتمنى فى حال وجود تمنيه أنه يظن تمنيه و لا أنه شاك فيما هو عالم به و اليهود الذين عاصروا النبى لم يشكوا فى أن التوراه من عند الله و قوله «وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ» و معناه أنهم يشكون و فى هذه الآيه دلالة على أن التقليد فى معانى الكتاب و فيما طريقه العلم غير جائز و أن الاقتصار على

الظن فى أبواب الديانات لا- يجوز و أن الحجه بالكتاب قائمه على جميع الخلق و إن لم يكونوا عالمين إذا تمكنوا من العلم به و إن من الواجب أن يكون التعويل على معرفه معانى الكتاب لا على مجرد تلاوته.

البقره (٢): آيه ٧٩

اشاره

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩)

اللغه

الويل فى اللغه كلمه يستعملها كل واقع فى هلكه و أصله العذاب و الهلاك و مثله الويح و الويس و قال الأصمعى هو التقيح و منه وَ لَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ و قال المفضل معناه الحزن و قال قوم هو الهوان و الخزى و منه قول الشاعر:

يا زبرقان أخا بنى خلف

ما أنت ويل أبيك و الفخر

و أصل الكسب العمل الذى يجلب به نفع أو يدفع به ضرر و كل عامل عملا بمباشره منه له و معاناه فهو كاسب له قال لبيد:

لمعفر قهد تنازع شلوه

غبس كواسب ما يمن طعامها

و قيل الكسب عباره عن كل عمل بجارحه يجتلب به نفع أو يدفع به مضره و منه يقال للجوارح من الطير كواسب.

الإعراب

ويل رفع بالابتداء و خبره للذين قال الزجاج و لو كان فى غير القرآن لجاز فويلا للذين على معنى جعل الله ويلا للذين و الرفع على معنى ثبوت الويل للذين و قال غيره إذا أضفت ويل و ويح و ويس نصبت من غير تنوين فقلت ويح زيد و ويل زيد و أما التعس و البعد و ما أشبههما فلا يحسن فيها الإضافه بغير لام فلذلك لم ترفع و إنما يقال فى نحوها تعسا له و بعدا له و تبا له و قد نصب أيضا ويل و ويح مع اللام فقالوا ويلا لزيد و ويحا

ص: ٢٠٧

كسا اللؤم تيما خضره فى جلودها

فويلا لتيم من سرايلها الخضر.

المعنى

ثم عاد سبحانه إلى ذكر علماء اليهود فقال «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ» قال ابن عباس الويل فى الآيه العذاب وقيل جبل فى النار

و روى الخدرى عن النبى صلى الله عليه و آله أنه واد فى جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره

و الأصل فيه ما ذكرناه من أنه كلمه التحسر و التفجع و التلهف و التوجع يقولها كل مكروب هالك و فى التنزيل يا وَيْلَتْنَا ما لِهَذَا الْكِتَابِ و قوله «لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» معناه يتولون كتابته ثم يضيفونه إلى الله سبحانه كقوله سبحانه «مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا» أى نحن تولينا ذلك لم نكله إلى أحد من عبادنا و مثله خلقت بيدي و يقال رأيت به بعينى و سمعته بإذنى و لقيته بنفسى و المعنى فى جميع ذلك التأكيد و أيضا فقد يضيف الإنسان الكتاب إلى نفسه و قد أمر غيره بالكتابه عنه فيقول أنا كتبت إلى فلان و هذا كتابى إلى فلان و كقوله سبحانه «يُذَيِّحُ أْبْنَاءَهُمْ» و إنما أمر به فأعلمنا الله سبحانه أنهم يكتبونه بأيديهم و يقولون هو من عند الله و قد علموا يقينا أنه ليس من عنده و قيل معناه أنهم فعلوا ذلك من تلقاء أنفسهم كالرجل إذا اخترع مذهبا أو قولاً لم يسبق إليه يقال له هذا مذهبك و هذا قولك و أن كان جميع ما يؤخذ عنه من الأقوال قوله و المراد أن هذا من تلقاء نفسك و أنك لم تسبق إليه

و قيل كتابتهم بأيديهم أنهم عمدوا إلى التوراه و حرفوا صفه النبى صلى الله عليه و آله ليوقعوا الشك بذلك للمستضعفين من اليهود و هو المروى عن أبى جعفر الباقر

و عن جماعه من أهل التفسير و قيل كانت صفته فى التوراه أسمر ربه فجعلاه آدم طويلا و فى روايه عكرمه عن ابن عباس قال إن أحبار اليهود وجدوا صفه النبى صلى الله عليه و آله مكتوبه فى التوراه أكحل أعين ربه حسن الوجه فمحوه من التوراه حسدا و بغيا فأتاهم نفر من قريش فقالوا أ تجدون فى التوراه نبيا منا قالوا نعم نجده طويلا أزرق سبط الشعر ذكره الواحدى بإسناده فى الوسيط و قيل المراد بالآيه كاتب كان يكتب للنبي فيغير ما يملى عليه ثم ارتد و مات فلفظته الأرض و الأول أوجه لأنه أليق بنسق الكلام و قوله «لِيَشْتَرُوا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا» يريد ليأخذوا به ما كانوا يأخذونه من عوامهم من الأموال و إنما ذكر لفظ الاشتراء توسعا و المراد أنهم تركوا الحق و أظهروا الباطل ليأخذوا على ذلك شيئا كمن يشتري السلعه بما يعطيه و الفائده فى قوله «تَمَنَّا قَلِيلًا» أن كل ثمن له لا يكون إلا قليلا و للعرب فى ذلك طريقه معروفه يعرفها من تصفح كلامهم و قيل إنما بالقله لأنه عرض الدنيا و هو قليل المده كقوله تعالى «قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ» عن أبى العاليه و قيل إنما قال

قليل لأنه حرام وقوله «فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ» أى عذاب لهم و خزي لهم و قبح لهم مما فعلوا من تحريف الكتاب «وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ» من المعاصى و قيل مما يجمعون من المال الحرام و الرشى التى يأخذونها عن العوام.

البقره (٢): آيه ٨٠

إشارة

وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٠)

اللغة

المس نظير اللمس و الفرق بينهما أن مع اللمس إحساسا و أصله اللصوق و حده الجمع بين الشئين على نهايه القرب و الإخلاف نقض ما تقدم من العهد بالفعل.

الإعراب

أياما انتصب على الظرف و أصل اتخذتم أ اتخذتم دخلت همزه الاستفهام على همزه الوصل فسقطت همزه الوصل و من القراء من أدغم الذال فى التاء من اتخذتم و فيهم من لم يدغم و أم هاهنا يحتمل أن تكون متصله على المعادله لهمزه الاستفهام كأنه قال على أى الحاليتين أنتم أ تقولون على الله ما تعلمون أم تقولون عليه ما لا تعلمون و يحتمل أن تكون منقطعه على تقدير تمام الكلام قبله فيكون بمعنى بل و الهمزه كأنه استأنف فقال بل أ تقولون.

النزول

قال ابن عباس و مجاهد قدم رسول الله صلى الله عليه و آله المدينة و اليهود تزعم أن مده الدنيا سبعة آلاف سنة و إنما يعذب بكل ألف سنة يوما واحدا ثم ينقطع العذاب فأنزل الله هذه الآية و قال أبو العالیه و عكرمه و قتاده هى أربعون يوما لأنها عدد الأيام التى عبدوا فيها العجل ..

المعنى

«وَقَالُوا» أى قالت اليهود «لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ» أى لن تصيبنا «إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً» معناه أياما قلائل كقوله دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ و قيل معدوده محصاه و المعدوده إذا أطلقت كان معناها القليله قال الله سبحانه «قُلْ» يا محمد لهم «أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا» أى موثقا إنه لا يعذبكم إلا هذه المده و عرفتم ذلك بوحيه و تنزيله فإن كان ذلك فالله سبحانه لا ينقض عهده و ميثاقه «أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ» الباطل جهلا منكم به و جراه عليه.

البقره (٢): الآيات ٨١ الى ٨٢

بلى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَ أَحَاطَ بِهَا خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨٢)

قرأ أهل المدينة خطيئته على الجمع و الباقون على التوحيد.

الإعراب

قال أبو علي يجوز أن يكون من للجزاء الجازم و يجوز أن يكون للجزاء غير الجازم فتكون السيئه و إن كانت مفردة يراد بها الكثيره و كذلك تكون خطيئته مفرده و إنما حسن أن يفرد لأنه مضاف إلى ضمير مفرد و إن كان يراد به الكثيره كما قال تعالى بلى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ فَأُفْرِدَ الْوَجْهَ وَ الْأَجْرَ وَ إن كان فى المعنى جمعا فى الموضوعين فكذلك المضاف إليه الخطيئته لما لم يكن جمعا لم يجمع كما جمعت فى قوله نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَ لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا لأن ذلك مضاف إلى جمع و من قال خطيئته فجمع حمله على المعنى و المعنى الجمع و الكثيره و يدل عليه قوله «فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ» فأولئك خير المبتدأ الذى هو من فى قول من جعله جزء مجزوما و فى كلا الوجهين يراد به من فى قوله «بلى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً» و مما يدل على أن من يراد به الكثيره فيجوز لذلك أن يجمع خطيئته لأنها مضافه إلى جمع فى المعنى قوله بعد هذه «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» ألا ترى أن الذين جمع و هو معادل به فكذلك المعادل به يكون جمعا مثل ما عودل.

الإعراب

بلى جواب لقولهم لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً و الفرق بين بلى و نعم أن بلى جواب النفى و نعم جواب الإيجاب قال الفراء إنما امتنعوا من استعمال نعم فى جواب الجحد لأنه إذا قال لغيره ما لك على شىء فقال له نعم فقد صدقه و كأنه قال نعم ليس لى عليك شىء و إذ قال بلى فإنما هو رد لكلامه أى لى عليك شىء و قوله «هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» عطف هذه الجملة على الأولى بغير حرف العطف لأن فى الجملة الثانية ذكر ممن فى الأولى و الضمير يربط الكلام الثانى بالأول كما أن حرف العطف يربطه به مثل قوله «إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ» و قال فى موضع آخر و كانوا يصرون بالواو و قال «سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَ يَقُولُونَ خَمْسَةً سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَ يَقُولُونَ سَبْعَةً وَ ثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ» فحذفت الواو من قوله رابعهم و سادسهم استغناء

عنها بما فى الجملة من ذكر ما فى الأول لأن الحرف يدل على الاتصال و ما فى الجملة من ذكر ما تقدمها اتصال أيضا فاستغنى به عنه.

المعنى

رد الله تعالى على اليهود قولهم لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعْدُودَةً فقال «بلى» أى ليس الأمر كما قالوا و لكن «مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً» اختلف فى السيئه فقال ابن عباس و مجاهد و قتاده و غيرهم السيئه هاهنا الشرك و قال الحسن هى الكبيره الموجبه للنار و قال السدى هى الذنوب التى أوعده الله عليها النار و القول الأول يوافق مذهبنا لأن ما عدا الشرك لا يستحق به الخلود فى النار عندنا و قوله «أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ» يحتمل أمرين (أحدهما) أنها أهدت به من كل جانب كقوله تعالى «وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ» (و الثانى) أن المعنى أهلكته من قوله «إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ» و قوله «وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ» و قوله «وَ أُحِيطَ بِثَمَرِهِ» و هذا كله بمعنى البوار و الهلكه فالمراد أنها سدت عليهم طريق النجاه و روى عن ابن عباس و الضحاک و أبى العالىه أن المراد بالخطيئه الشرك و عن الحسن إنها الكبيره و عن عكرمه و مقاتل إنها الإصرار على الذنب و إنما قال «مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ» و لم يقل و أحاطت به سيئته خالف بين اللفظين ليكون أبلغ و أفصح «فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ» أى يصحبون النار و يلازمونها «هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» أى دائمون أبدا عن ابن عباس و غيره و الذى يليق بمذهبنا من تفسير هذه الآيه قول ابن عباس لأن أهل الإيمان لا يدخلون فى حكم هذه الآيه و قوله «وَ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ» يقوى ذلك لأن المعنى أن خطاياهم قد اشتملت عليه و أهدت به حتى لا يجد عنها مخلصا و لا مخرجا و لو كان معه شىء من الطاعات لم تكن السيئه محيطه به من كل وجه و قد دل الدليل على بطلان التحابط و لأين قوله تعالى «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» فيه وعد لأهل التصديق و الطاعه بالثواب الدائم فكيف يجتمع الثواب الدائم مع العقاب الدائم و يدل أيضا على أن المراد بالسيئه فى الآيه الشرك فيبطل الاحتجاج بالآيه على دخول العمل فى الإيمان على ما ذكره أهل التفسير أن سيئه واحده لا تحبط جميع الأعمال عند أكثر الخصوم فلا- يمكن إذا إجراء الآيه على العموم فيجب أن يحمل على أكبر السيئات و أعظم الخطيئات و هو الشرك ليتمكن الجمع بين الآيتين.

إشارة

وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَ الْيَتَامَىٰ وَ الْمَسَاكِينِ وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَ أَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ (٨٣)

القراءة

قرأ ابن كثير و حمزه و الكسائي لا يعبدون بالياء و الباقون بالتاء و قرأ حمزه و الكسائي و قولوا للناس حسنا بفتح الحاء و السين و الباقون حسناً بضم الحاء و إسكان السين.

الإعراب

حجه من قرأ «لا تَعْبُدُونَ» بالتاء على الخطاب قوله «إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَ حَكَمِهِ ثُمَّ جَاءَكُمْ» إلى آخر الآيه و يقويه قوله «وَ قُولُوا» و قوله «ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَ أَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ» فإذا كان هذا خطاباً و هو عطف على ما تقدم و جب أن يكون المعطوف عليه في حكمه و حجه من قرأ بالياء قوله «قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ» فحمله على لفظ الغيبة و أما قوله «حُسْنًا» فمن قرأه بضم الحاء ففيه ثلاثة أوجه (أحدها) أن يكون الحسن بمعنى الحسن كالنجل و النجل و الرشد و الرشد و جاز ذلك في الصفه كما جاز في الاسم قالوا العرب و العرب و هو صفه بدلاله قولهم مررت بقوم عرب أجمعين فعلى هذا يكون الحسن صفه كالحلو و المر و (ثانيها) أن يكون الحسن مصدراً كالشكر و الكفر و حذف المضاف معه أى قولوا قولاً ذا حسن و (ثالثها) أن يكون منصوباً على أنه مصدر الفعل الذى دل عليه الكلام أى ليحسن قولكم حسناً و من قرأه حسناً جعله صفه و تقديره و قولوا للناس قولاً حسناً كقوله تعالى فَأَمَّا قَلِيلًا أَى متاعاً قليلاً.

اللغة

الأخذ ضد الإعطاء و القربى مصدر قولهم قربت منى رحم فلان قرابه و قربى و قرباً و اليتامى جمع يتيماً مثل نديم و ندامى و اليتيم الذى مات أبوه إلى أن يبلغ الحلم و لا يقال لمن ماتت أمه يتيماً يقال لمن يتم يتيماً يتما إذا فقد أباه هذا فى الإنسان فأما فى غير الإنسان فيتمه من قبل أمه قال الأصمعى إن اليتيم فى الناس من قبل الأب و فى

غير الناس من قبل الأم و المسكين هو المتخشع المتذلل من الحاجه مأخوذ من السكون كأنه قد أسكنه الفقر.

الإعراب

قوله «لا- تَعْبُدُونَ» لا- يخلو إما أن يكون حالاً أو يكون تلقى القسم أو يكون على لفظ الخبر و المعنى معنى الأمر أو يكون على تقدير أن لا تعبدوا فتحذف أن فيرفع الفعل فإن جعلته حالاً فالأولى أن يكون بالياء ليكون في الحال ذكر من ذى الحال و كأنه قال أخذنا ميثاقهم موحدين و إن جعلته تلقى قسم و عطفت عليه الأمر و هو قوله «وَقُولُوا» كنت قد جمعت بين أمرين لا يجمع بينهما فإن لم تحمل الأمر على القسم و أضمرت القول كأنه قال و إذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل تعبدون إلا الله و قلنا و أحسنوا بالوالدين إحساناً فيكون و قلنا على هذا معطوفاً على أخذنا جاز لأن أخذ الميثاق قول فكأنه قال قلنا هم كذا و كذا و إن حملته على أن اللفظ لفظ خبر و المعنى معنى الأمر يكون مثل قوله «تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ» و يدل على ذلك قوله يَغْفِرُ لَكُمْ و يؤكد ذلك أنه قد عطفت عليه بالأمر و هو قوله «وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا» «وَقُولُوا» «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ» و إن حملته على أن المعنى أخذنا ميثاقهم بأن لا تعبدوا فلما حذف أن ارتفع الفعل كما قال طرفه:

ألا أي هذا الزاجرى أحضر الوغى

و أن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

فإن هذا قول أن حملته عليه كان فيه حذف بعد حذف و زعم سيبويه أن حذف أن من هذا النحو قليل و قوله «وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا» الحرف الجار يتعلق بفعل مضمر و لا- يجوز أن يتعلق بقوله «إِحْسَانًا» لأن ما تعلق بالمصدر لا يجوز أن يتقدم عليه. و أحسن يصل إلى المفعول بالياء كما يصل بالياء على ذلك قوله وَ قَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ فتعدى بالياء كما تعدى بالياء في قوله وَ أَحْسِنُ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ و قوله «ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ» قال الزجاج نصب قليلاً على الاستثناء المعنى أستثنى قليلاً منكم قال أبو علي إن في هذا التمثيل إيهاماً أن الاسم المستثنى ينتصب على معنى أستثنى أو يالا و ليس كذلك بل ينتصب الاسم المستثنى عن الجملة التى قبل إلا- بتوسط إلا كما ينتصب الطيالس و نحوها فى قولك جاء البرد و الطيالس و ما صنعت و أباك عن الجملة التى قبل الواو بتوسط الواو و يدل على ذلك قولهم ما جاءنى إلا زيد فلو كان لإلا أو لما يدل عليه عمل فى المستثنى لجاز نصب هذا كما أنك لو قلت أستثنى زيدا لنصبته فإن قيل لا يجوز النصب هنا لأن الفعل يبقى فارغاً بلا فاعل قيل فهلا ذلك امتناع هذا من الجواز على أن ما بعد إلا متصل بما قبلها و أنه ليس لإلا فيه عمل و لا أثر إلا ما يدل عليه من معنى الاستثناء.

ثم عاد سبحانه إلى ذكر بنى إسرائيل فقال «وَ» اذكروا «إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ» أى عهدهم و قيل الميثاق الأدله من جهه العقل و الشرع و قيل هو موثيق الأنبياء على أممهم و العهد و الميثاق لا يكون إلا بالقول فكأنه قال أمرناهم و وصيناهم و أكدنا عليهم و قلنا لهم و الله «لَا تَعْبُدُونَ» إذا حملناه على جواب القسم و إذا حملناه على الحال أو على أن معناه الأمر فكما قلناه قبل و إذا حملناه على حذف أن فتقديره و إذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل بأن لا تعبدوا «إِلَّا اللَّهَ» وحده دون ما سواه من الأنداد «وَ» بأن تحسنوا إلى «الوالدين إِحْسَانًا» و الإحسان الذى أخذ عليهم الميثاق بأن يفعلوه إلى الوالدين هو ما فرض على أمتنا أيضا من فعل المعروف بهما و القول الجميل و خفض جناح النذل لهما و التحن عليهما و الرأفه بهما و الدعاء بالخير لهما و ما أشبه ذلك و قوله «وَ ذِي الْقُرْبَى» أى و بذى القربى أن تصلوا قرابته و رحمه «وَ الْيَتَامَى» أى و باليتامى أن تعطفوا عليهم بالرأفه و الرحمه «وَ الْمَسَاكِينِ» أى و بالمساكين أن تؤتوهم حقوقهم التى أوجها الله عليهم فى أموالهم و قوله «وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا» فيه عدول إلى الخطاب بعد الخبر و إنما استجازت العرب ذلك لأن الخبر إنما كان عنم خاطبوه بعينه لا عن غيره و قد يخاطبون أيضا ثم يصيرون بعد الخطاب إلى الخبر فمثال الأول قول عنتره:

شطت مزار العاشقين فأصبحت

عسرا على طلابك ابنه مخرم

و مثال الثانى قول كثير عزه:

أسيئى بنا أو أحسنى لا ملومه

لدينا و لا مقلية إن تقلت

و قيل معناه قلنا لهم قولوا و اختلف فى معنى قوله حسنا فقليل هو القول الحسن الجميل و الخلق الكريم و هو مما ارتضاه الله و أحبه عن ابن عباس و قيل هو الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر عن سفيان الثورى و قال الربيع بن أنس «قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا» أى معروفا و

روى جابر عن أبى جعفر الباقر عليه السلام فى قوله «وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا» قال قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال لكم فإن الله يبغض اللعان السباب الطعان على المؤمنين الفاحش المتفحش السائل الملحف و يحب الحليم العفيف المتعفف

ثم اختلف فيه من وجه آخر فقليل

هو عام فى المؤمن و الكافر على ما روى عن الباقر ع

و قيل هو خاص فى المؤمن و اختلف من قال أنه عام فقال ابن عباس و قتاده أنه منسوخ بآيه السيف

بقوله عليه السلام قاتلوهم حتى يقولوا لا إله إلا الله أو يقرؤا بالجزية و قد روى ذلك أيضا عن الصادق ع

و قال الأكثرون إنها ليست بمنسوخه لأنه يمكن قتالهم مع حسن القول فى دعائهم إلى الإيمان كما قال الله تعالى «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» و قال فى آيه أخرى «وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ» و قوله «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ» أى أدوها بحدودها الواجبه عليكم «وَأَتُوا الزَّكَاةَ» أى أعطوها أهلها كما أوجبها الله عليكم روى عن ابن عباس أن الزكاه التى فرضها الله على بنى إسرائيل كانت قربانا تهبط إليه نار من السماء فتحمله فكان ذلك تقبله و متى لم تفعل النار به ذلك كان غير متقبل و روى عنه أيضا أن المعنى به طاعه الله و الإخلاص و قوله «ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ» أى أعرضتم «إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَ أَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ» أخبر الله سبحانه عن اليهود أنهم نكثوا عهده و نقضوا ميثاقه و خالفوا أمره و تولوا عنه معرضين إلا من عصمه الله منهم فوفى الله بعهده و ميثاقه و وصف هؤلاء بأنهم قليل بالإضافه إلى أولئك و اختلف فيه فقيل أنه خطاب لمن كان بين ظهرانى مهاجر رسول الله صلى الله عليه و آله من يهود بنى إسرائيل و ذم لهم بنقضهم الميثاق الذى أخذ عليهم فى التوراه و تبدلهم أمر الله و ركوبهم معاصيه و قيل أنه خطاب لأسلافهم المذكورين فى أول الآيه و إنما جمع بين التولى و الإعراض و إن كان معناهما واحدا تأكيداً و قيل معنى تولوا فعلوا الإعراض و هم معرضون أى مستمرين على ذلك و فى هذه الآيه دلالة على ترتيب الحقوق فبدأ الله سبحانه بذكر حقه و قدمه على كل حق لأنه الخالق المنعم بأصول النعم ثم ثنى بحق الوالدين و خصهما بالمزيه لكونهما سببا للوجود و إنعامهما بالتربيه ثم ذكر ذوى القربى لأنهم أقرب إلى المكلف من غيرهم ثم ذكر حق اليتامى لضعفهم و الفقراء لفقرتهم.

البقره (٢): آيه ٨٤

إشاره

وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَ لَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٨٤)

اللغه

السفك الصب سفكت الدم أسفكه سفكا و واحد الدماء دم و أصله دمي فى قول أكثر النحويين و دليل من قال إن أصله دمي قول الشاعر:

فلو أنا على حجر ذبحنا

جرى الدميان بالخبر اليقين

و قال قوم أصله دمی إلا أنه لما حذف و رد إليه ما حذف منه حركت الميم لتدل الحركه على أنه استعمل محذوفا و النفس مأخوذه من النفاسه و هى الجلاله فنفس الإنسان أنفس ما فيه و الدار هى المنزل الذى فيه أبنیه المقام بخلاف منزل الارتحال و قال الخليل كل موضع حله قوم فهو دار لهم و إن لم يكن فيه أبنیه و الإقرار الاعتراف و الشهاده أخذ من المشاهده و هو الإخبار عن الشىء بما يقوم مقام المشاهده فى المعرفه.

الإعراب

تقدير الإعراب فى هذه الآيه مثل الذى قلناه فى الآيه الأولى على السواء.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من الأخبار عن اليهود بنقض المواثيق و العهود بقوله «وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ» أى ميثاق أسلافكم الذين كانوا فى زمن موسى و الأنبياء الماضين صلوات الله على نبينا و عليهم أجمعين و إنما أضاف الميثاق إليهم لما كانوا أخلافا لهم على ما سبق الكلام فيه و قوله «لَا تَسِيْفُكُونَ دِمَاءَكُمْ» معناه لا يقتل بعضكم بعضا لأن فى قتل الرجل منهم الرجل قتل نفسه إذا كانت ملتتهما واحده و دينهما واحد أو أهل الدين الواحد بمنزله الرجل الواحد فى ولايه بعضهم بعضا

قال النبى صلى الله عليه و آله إنما المؤمنون فى تراحمهم و تعاطفهم بمنزله الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو واحد تداعى له سائر الجسد بالحمى و السهر

هذا قول قتاده و أبى العالى و قيل معناه لا يقتل الرجل منكم غيره فيقاربه قصاصا فيكون بذلك قاتلا لنفسه لأنه كالسبب فيه و قوله «وَ لَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ» معناه لا يخرج بعضكم بعضا من دياركم بأن تغلبوا على الدار و قيل معناه لا تفعلوا ما تستحقون به الإخراج من دياركم كما فعله بنو النضير و قوله «ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ» أى أقررتم بذلك و أنتم شاهدون على من تقدمكم بأخذنا منهم الميثاق و بما بذلوه من أنفسهم من القبول و الالتزام و قيل معنى إقرارهم هو الرضاء به و الصبر عليه كما قال الشاعر:

أ لست كلييا إذا سيم خطه

أقر كإقرار الحليله للبعل

و اختلف فى المخاطب بقوله «وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ» فقيل اليهود الذين بين ظهرائى مهاجر رسول الله صلى الله عليه و آله أيام هجرته إليهم و يخهم الله تعالى على تضييعهم أحكام ما فى أيديهم من التوراه التى كانوا يقرون بحكمها و قال لهم «ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ» يعنى أقر أولكم و سلفكم و أنتم تشهدون على إقرارهم بأخذى الميثاق عليهم بأن لا تسفكوا دماءكم و لا

تخرجوا أنفسكم من دياركم و تصدقون بذلك عن ابن عباس و قيل إنه خبر من الله عز و جل عن أوائلهم و لكنه أخرج الخبر بذلك مخرج المخاطبه لهم على النحو الذى تقدم فى الآيات و أنتم تشهدون أى و أنتم شهود عن أبى العاليه و يحتمل قوله «وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ» أمرين (أحدهما) أن معناه و أنتم تشهدون على أنفسكم بالإقرار و (الثانى) أن معناه و أنتم تحضرون سفك دمائكم و إخراج أنفسكم من دياركم و قال بعض المفسرين نزلت الآية فى بنى قريظه و النصير و قيل نزلت فى أسلاف اليهود.

البقره (٢): آيه ٨٥

إشاره

ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَ تُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَ هُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْتَوْمُنُونِ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥)

القراءه

قرأ أهل الكوفه تظاهرون بتخفيف الظاء هاهنا و فى التحريم و الباقون بالتشديد فيهما و قرأ أبو جعفر و نافع و عاصم و الكسائى و يعقوب «أسارى تُفادوهم» بالألف فيهما و قرأ حمزه وحده أسرى تفدوهم بغير ألف فيهما و قرأ ابن كثير و ابن عامر و أبو عمرو أسارى بألف تفدوهم بغير ألف و كان أبو عمرو و حمزه و الكسائى يميلون الراء من أسارى و نافع يقرأ بين بين و الباقون يفتحون.

الإعراب

من قرأ «تَظَاهَرُونَ» بالتخفيف فالأصل فيه تظاهرون فحذف التاء الثانيه لاجتماع التاءين و من قرأ تظاهرون بالتشديد فالأصل فيه أيضا تظاهرون فأدغم التاء فى الظاء لقرب المخرجين و كل واحد من الفريقين كره اجتماع الأمثال ففريق خفف بالإدغام و فريق بالحذف فالتاء التى اعتلت بالإدغام هى التاء التى اعتلت بالحذف و وجه قول من قرأ أسرى أنه جمع أسير فعيل بمعنى مفعول نحو قتيل بمعنى مقتول و قتلى و جريح و جرحى

و هو أقيس من أسارى و وجه قول من قال «أسارى» أنه شبهه بكسالى و ذلك أن الأسير لما كان محبوسا عن كثير من تصرفه للأسير كما أن الكسلان محتبس عن ذلك لعادته السيئه شبه به فأجرى عليه هذا الجمع كما قيل مرضى و موتى و هلكى لما كانوا مبتلين بهذه الأشياء المصائب بها فأشبهه فى المعنى فعلا بمعنى مفعول فأجرى عليه فى الجمع اللفظ الذى لفعيل بمعنى مفعول و كما شبه أسارى بكسالى شبه كسلى بأسرى و من قرأ «تَفَادُوهُمْ» فلأن لكل واحد من الفريقين فعلا فمن الأسير دفع الأسير و من المأسور منهم دفع فدائه فوجه تفادوهم على هذا ظاهر و من قرأ تفدوهم فالمعنى فيه مثل المعنى فى «تَفَادُوهُمْ» و هذا الفعل يتعدى إلى مفعولين إلى الأول بنفسه و إلى الثانى بالجار كقوله «وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ» و قول الشاعر:

يودون لو يفدوننى بنفوسهم

و مثنى الأواقى و القيان النواهد

و قال الأعشى فى فادى:

عند ذى تاج إذا قيل له

فاد بالمال تراخى و مرح

المفعول الأول محذوف و التقدير فاد الأسرى بالمال و فى الآيه المفعول الثانى الذى يصل إليه الفعل بالحرف محذوف.

اللغة

تظاهرون تعاونون و الظهير المعين و قوله وَ الْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ التقدير فيه الجمع و اللفظ على الأفراد و مثله قول رؤبه:

(دعها فما النحوى من صديقها)

أى من أصدقائها و ظاهر بين درعين لبس إحداها فوق الأخرى و الإثم الفعل القبيح الذى يستحق بها اللوم و نظيره الوزر و قال قوم معنى الإثم هو ما تنفر منه النفس و لم يطمئن إليه القلب و منه

قول النبى صلى الله عليه و آله لنواس بن سمرعان حين سأله عن البر و الإثم فقال البر ما اطمأنت إليه نفسك و الإثم ما حك فى صدرك

و العدوان الإفراط فى الظلم يقال عدا فلان فى ظلمه عدوا و عدوا و عدوانا و عدا و قيل العدوان مجاوزه الحد و الأسر الأخذ بالقهر و أصله الشد و الحبس و أسره إذا شده و قال أبو عمرو بن العلاء الأسارى الذين هم فى الوثاق و الأسرى الذين هم فى اليد و إن لم يكونوا فى الوثاق و الخزى السوء و الذل يقال خزى الرجل خزيا و يقال فى الحياء خزى خزيا.

الإعراب

قوله «ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ» فيه ثلاثه أقوال (أحدها) أن أنتم مبتدأ و هؤلاء منادى مفرد تقديره يا هؤلاء و تقتلون خبر المبتدأ (و ثانيها) أن هؤلاء تأكيد لأنتم (و ثالثها) أنه بمعنى الذين و تقتلون صلته له أى أنتم الذين تقتلون أنفسكم فعلى هذا يكون تقتلون لا

ص: ٢١٨

موضع له من الإعراب و مثله فى الصلّه و قوله «وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى» أى و ما التى بيمينك و أنشد النحويون فى ذلك:

عدس ما لعباد عليك إماره

نجوت و هذا تحمليين طليق

و قوله «تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ» فى موضع نصب على الحال من تخرجون و قوله «وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ» هو على ضريين (أحدهما) أن يكون إضمار الإخراج الذى تقدم ذكره فى قوله «وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ» ثم بين ذلك بقوله «إِخْرَاجُهُمْ» تأكيدا لتراخى الكلام (و الآخر) أن يكون هو ضمير القصة و الحديث فكأنه قال و الحديث محرم عليكم إخراجهم كما قال الله «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» أى الأمر الذى هو الحق الله أحد.

المعنى

«ثُمَّ أَنْتُمْ» يا معشر يهود بنى إسرائيل بعد إقراركم بالميثاق الذى أخذته عليكم أن لا تسفكوا دماءكم و لا تخرجوا أنفسكم من دياركم و بعد شهادتكم على أنفسكم بذلك أنه واجب عليكم و لازم لكم الوفاء به «تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ» أى يقتل بعضكم بعضا كقوله سبحانه «فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ» أى ليسلم بعضكم على بعض و قيل معناه تتعرضون للقتل «وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ» أى متعاونين عليهم فى إخراجكم إياهم «بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ وَ إِنْ يَأْتُواكُمْ أُسَارَى فَفَادُوهُمْ وَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ» أى و أنتم مع قتلكم من تقتلون منكم إذا وجدتم أسيرا فى أيدي غيركم من أعدائكم تفدونهم و قتلكم إياهم و إخراجكموهم من ديارهم حرام عليكم كما أن تركهم أسرى فى أيدي عدوهم حرام عليكم فكيف تستجيزون قتلهم و لا تستجيزون ترك فدائهم من عدوهم و هما جميعا فى حكم اللازم لكم فيهم سواء لأن الذى حرمت عليكم من قتلهم و إخراجهم من دورهم نظير الذى حرمت عليكم من تركهم أسرى فى أيدي عدوهم «أَفَقْتُلُونَ بَعْضَ الْكِتَابِ» الذى فرضت عليكم فيه فرائضى و بينت لكم فيه حدودى و أخذت عليكم بالعمل بما فيه ميثاقى فتصدقون به فتفادون أسراكم من أيدي عدوهم «وَ تَكْفُرُونَ بَعْضُ» و تكفرون ببعضه فتجحدونه فتقتلون من حرمت عليكم قتله من أهل دينكم و قومكم و تخرجونهم من ديارهم و قد علمتم أن الكفر منكم ببعضه نقض منكم لعهدى و ميثاقى و اختلف فيمن عنى بهذه الآية فروى عكرمه عن ابن عباس أن قريظه و النضير كانا أخوين كالأوس و الخزرج فافترقوا فكانت النضير مع الخزرج و كانت قريظه مع الأوس فإذا اقتتلوا عاونت كل فرقه حلفاءها فإذا وضعت الحرب أوزارها فدوا أسراها تصديقا لما فى التوراه و الأوس و الخزرج أهل شرك

يعبدون الأوثان لا يعرفون جنه ولا نارا ولا قيامه ولا كتابا فأنبأ الله تعالى اليهود بما فعلوه وقال أبو العالیه كان بنو إسرائيل إذا استضعف قوم قوما أخرجوهم من ديارهم وقد أخذ عليهم الميثاق أن لا يسفكوا دماءهم ولا يخرجوا أنفسهم من ديارهم وأخذ عليهم الميثاق أن أسر بعضهم بعضا أن يفادوهم فأخرجوهم من ديارهم ثم فادوهم فأمنوا بالفداء ففدوا وكفروا بالإخراج من الديار فأخرجوهم وقيل ليس الذين أخرجوهم الذين فودوا ولكنهم قوم آخرون على ملتهم فأنبههم الله تعالى على ذلك قال أبو مسلم الأصبهاني ليس المراد بقوله «أَفْتَوْمُنُونَ» الآية أنهم يخرجون وهو محرم ويفدون وهو واجب وإنما يرجع ذلك إلى بيان صفه محمد صلى الله عليه وآله وغيره وقوله «فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» اختلف في الخزي الذي خزاهم الله إياه بما سلف منهم من المعصية فليل هو حكم الله الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وآله من أخذ القاتل بمن قتل والقود به قصاصا والانتقام من الظالم للمظلوم وقيل بل هو أخذ الجزية منهم ما أقاموا على ذمتهم على وجه الذل والصغار وقيل الخزي الذي خزوا به في الدنيا هو إخراج رسول الله صلى الله عليه وآله بنى النضير من ديارهم لأول الحشر وقتل بنى قريظه وسبى ذراريهم وكان ذلك خزيا لهم في الدنيا ثم أعلم الله سبحانه أن ذلك غير مكفر عنهم ذنوبهم وأنهم صائرون بعده إلى عذاب عظيم فقال «وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ» أى إلى أشد العذاب الذى أعده الله لأعدائه وهو العذاب الذى لا روح فيه مع اليأس من التخلص «وَمَا لِلَّهِ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» أى وما الله بساه عن أعمالهم الخبيثة بل هو حافظ لها ومجاز عليها ومن قرأه بالتاء رده إلى المواجهين بالخطاب فى قوله «أَفْتَوْمُنُونَ بِيَعُضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ» ومما يسأل فى هذه الآية أن ظاهرها يقتضى صحه اجتماع الإيمان والكفر وذلك مناف للصحيح من المذهب والقول فيه أن المعنى أنهم أظهروا التصديق ببعض الكتاب والإنكار للبعض دون بعض وهذا يدل على أنهم لا ينفعهم الإيمان بالبعض مع الكفر بالبعض الآخر وفى هذه الآية تسليه لنبينا عليه السلام فى ترك قبول اليهود قوله وانحيازهم عن الإيمان به فكأنه يقول كيف يقبلون قولك ويسلمون لأمرك ويؤمنون بك وهم لا يعملون بكتابهم مع إقرارهم به وبأنه من عند الله تعالى.

البقره (٢): آيه ٨٦

إشاره

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٨٦)

الخفة نقيض الثقل و التخفيف و التسهيل و التهوين نظائر و اختلف في الخفة و الثقل ف قيل أنه يرجع إلى تناقص الجواهر و تزايدها و قيل إن الاعتماد اللازم سفلا يسمى ثقلا و الاعتماد اللازم المختص بوجهه العلو يسمى خفة.

المعنى

أشار إلى الذين أخبر عنهم بأنهم يؤمنون ببعض الكتاب و يكفرون ببعض فقال «أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» أى ابتاعوا رياسه الدنيا «بِالْآخِرَةِ» أى رضوا بها عوضا من نعيم الآخرة التى أعدها الله تعالى للمؤمنين جعل سبحانه تركهم حظوظهم من نعيم الآخرة بكفرهم بالله ثمنا لما ابتاعوه به من خسيس الدنيا ثم أخبر أنهم لا- حظ لهم فى نعيم الآخرة بقوله «فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ» أى لا ينقص من عذابهم و لا يهون عنهم «وَلَا هُمْ يُنصَّرُونَ» أى لا ينصرهم أحد فى الآخرة فيدفع عنهم بنصرته عذاب الله تعالى.

البقرة (٢): آية ٨٧

إشاره

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَ قَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَ آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَ أَيْدِنَاهُ بِرُوحِ الْقُدْسِ أَ فُكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ (٨٧)

القراءه

قرأ ابن كثير القدس بسكون الدال فى جميع القرآن و الباقون بضم القاف و الدال و روى فى الشواذ عن أبى عمرو و أيدنه على زنه أفعلناه و القراءه «أَيْدِنَاهُ» بالتشديد.

الإعراب

التخفيف و الثقيل فى القدس و كذلك فيما كان مثله نحو الحلم و الحلم و العنق و العنق و «أَيْدِنَاهُ» إنما كانت القراءه المشهوره فيه فعلناه لما يعرض من تصحيح العين مخافه توالى إعلالين فى أيدنه على أفعلناه و معنى هذا أنه لو أعلنت عينه كما يجب إعلال عين أفعلت من الأ-جوف كأقمت و أبعث لتتابع فيه إعلالان لأن أصل آيدت أ أيدت كما أن أصل آمن آمن ءامن فانقلبت الهمزه الثانيه ألفا لاجتماع همزتين فى كلمه واحده و الأولى منهما

مفتوحه و الثانيه ساكنه و كان يجب أيضا أن تلقى حركه العين على الفاء و تحذف العين كما أقيت حركه الواو من أقومت على القاف قبلها فصار أقت و كان يجب على هذا أن تقلب الفاء هنا واوا لأنها قد تحركت و انفتح ما قبلها و لا بد من قلبها لوقوع الهمزه الأولى قبلها كما قلبت فى تكسير آدم أوادم فكان يجب أن تقول أودته كأقمته فتحذف العين كما ترى و تقلب الفاء التى هى فى الأصل همزه واوا فيعتل الفاء و العين جميعا و إذا كان يؤدى القياس إلى هذا رفض و كثر فيه فعلت ليؤمن الإعلان و جاء أيدت قليلا شاذا على الأصل و إذا كانوا قد أخرجوا عين أفعلت و هى حرف عله على الصحه فى نحو قوله:

صددت فأطولت الصدود و قلما

وصال على طول الصدود يدوم

و أعوز القوم و أغيمت السماء و لو أعلت لم يخف فيه توالى إعلايين كان خروج أيدت على الصحه لئلا يجتمع إعلان أولى و أخرى.

اللغه

قفينا أى أردفنا و أتبعنا بعضهم خلف بعض و أصله من القفا يقال قفوت فلانا إذا صرت خلف قفاه كما يقال دبرته قال امرؤ القيس:

و قفى على آثارهن بحاصب

و غيبه شؤبوب من الشد ملهب

و الرسل جمع رسول كالصبر و الشكر فى جمع صبور و شكور و أيدناه قوبنا من الأيد و الآد و هما القوه و مثلهما فى البناء على فعل و فعل الذيم و الذام و العيب و العاب قال العجاج:

(من أن تبدلت بادی آدا)

أى بقوه شبابى قوه الشيب و القدس الطهر و التقديس التطهير و قولنا فى صفة الله تعالى القدوس أى الطاهر المنزه عن أن يكون له ولد أو يكون فى فعله و حكمه ما ليس بعدل و بيت المقدس لا- يخلو المقدس فيه إما أن يكون مصدرا أو مكانا فإن كان مكانا فالمعنى بيت المكان الذى فعل فيه الطهاره و أضيف إلى الطهاره لأنه منسك كما جاء أن طَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ و تطهيره إخلاؤه من الصنم و إبعاده منه فعلى هذا يكون معناه بيت مكان الطهاره و إن كان مصدرا كان كقوله إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ و نحوه من المصادر التى جاءت على هذا المثال و الهوى مقصورا و الشهوه نظيران هوى يهوى هوى.

المعنى

ثم ذكر سبحانه إنعامه عليهم بإرسال رسله إليهم و ما قابلوه به من

تكذيبهم فقال «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ» أى أعطيناه التوراه و أنزلنا إليه «وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ» أى أتبعنا من بعد موسى «بِالرُّسُلِ» رسولا بعد رسول يتبع الآخر الأول فى الدعاء إلى وحدانيه الله تعالى و القيام بشرائعه على منهاج واحد لأن كل من بعثه الله تعالى نبيا بعد موسى إلى زمن عيسى عليه السلام فإنما بعثه بإقامه التوراه و العمل بما فيها و الدعاء إلى ذلك «وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ» أى أعطيناه المعجزات و الدلالات على نبوته من إحياء الموتى و إبراء الأكمه و الأبرص و نحو ذلك من الآيات الداله على صدقه و صحه نبوته و قال بعضهم أراد بالبينات الإنجيل و ما فيه من الأحكام و الآيات الفاصله بين الحلال و الحرام «وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» أى قويناه و أعناه بجبريل (عليه السلام) عن قتاده و السدى و الضحاك و الربيع و اختلف فى سبب تسميه جبرائيل عليه السلام روحا على وجوه (أحدها) أنه يحيى بما يأتى به من البيئات الأديان كما يحيى بالأرواح الأبدان (و ثانيها) أنه سمى بذلك لأن الغالب عليه الروحانيه و كذلك سائر الملائكه و إنما خص بهذا الاسم تشريفا له (و ثالثها) أنه سمى به و أضيف إلى القدس لأنه كان بتكوين الله تعالى إياه روحا من عنده من غير ولاده و ولد و قال ابن زيد المراد بروح القدس الإنجيل كما سمى الله تعالى القرآن روحا فقال وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا فكَذَلِكَ سَمَى الْإِنْجِيلَ رُوحًا وَ روى الضحاك عن ابن عباس أن الروح الاسم الذى كان عيسى (عليه السلام) يحيى به الموتى و قال الربيع هو الروح الذى نفخ فيه فأضافه إلى نفسه تشريفا كما قال بيت الله و نَاقَهُ اللَّهُ وَ أَقْوَى الْأَقْوَالِ وَ الْوَجُوهِ قَوْلُ مَنْ قَالَ هُوَ جِبْرَائِيلُ (عليه السلام) و إذا قيل لم خص عيسى (عليه السلام) من بين الأنبياء بأنه مؤيد بجبرائيل و كل نبى مؤيد به فالقول فيه إنه إنما خص بذلك لثبوت اختصاصه به من صغره إلى كبره فكان يسير معه حيث سار و لما هم اليهود بقتله لم يفارقه حتى صعد به إلى السماء و كان تمثل لمريم عند حملها به و بشرها به و نفخ فيها و اختلف فى معنى القدس فقيل هو الطهر و قيل هو البركه عن السدى و حكى قطرب أنهم يقولون قدس عليه الأنبياء أى برکوا و على هذا فإنه كدعاء إبراهيم (عليه السلام) للحرم رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَ كقول زكريا وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا وَ قيل القدس هو الله تعالى عن الحسن و الربيع و ابن زيد و قالوا القدوس و القدس واحد و قوله «أَفُكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ» خطاب لليهود فكأنه قال يا معشر يهود بنى إسرائيل أكلما جاءكم رسول من رسلى بغير الذى تهواه أنفسكم تعظمتم و تجبرتم و أنفتم من قبول قوله «فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ» أى فكذبتم منهم بعضا ممن لم تقدرُوا على قتله مثل عيسى (عليه السلام) و محمد (صلى الله عليه و آله) و قتلتم بعضا مثل يحيى و زكريا و غيرهما و ظاهر الخطاب و إن خرج مخرج التقرير

فهو بمعنى الخبر و إنما أضاف هذا الفعل إليهم و إن لم يباشروه بنفوسهم لأنهم رضوا بفعل أسلافهم فأضيف الفعل إليهم و إن فعله أسلافهم ..

البقرة (٢): آيه ٨٨

إشاره

وَ قَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَفَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ (٨٨)

القراءه

القراءه المشهوره «غُلْفٌ» بسكون اللام و روى فى الشواذ عن أبى عمرو غلف بضم اللام.

الإعراب

من قرأ بالتسكين فهو جمع الأغلف مثل أحمر و حمر و يقال للسيف إذا كان فى غلاف أغلف و قوس غلفاء و جمعها غلف و لا يجوز تثقيله إلا فى ضروره الشعر نحو قول طرفه:

أيها الفتيان فى مجلسنا

جردوا منها ورادا و شقر

فحركت لضروره الشعر فمن قرأ غلف مثقلا- فهو جمع غلاف نحو مثال و مثل و حمار و حمر فيكون معناه أن قلوبنا أوعيه للعلم فما بالها لا تفهم و يجوز أن يكون التسكين عن التثقيب مثل رسل و رسل.

اللغه

اللعن هو الإقصاء و الإبعاد يقال لعن فلان فلانا فهو ملعون ثم يصرف.

مفعول منه إلى فعيل فليل لعين قال الشماخ:

و ماء قد وردت لوصل أروى

عليه الطير كالورق اللجين

ذعرت به القطا و نفيت عنه

مقام الذئب كالرجل اللعين

«فَقَلِيلًا» منصوب بأنه صفة لمصدر محذوف و إنما حذف لأن الصفة تقوم مقامه و تدل عليه أى فإيماننا قليلا ما يؤمنون و قيل أنه منصوب على الحال أى يؤمنون و هم قليل و قيل و تقديره بقليل ما يؤمنون حذف الجار فوصل الفعل إليه فنصبه و ما هاهنا مزیده للتوكيد و لا معنى لها كما فى قوله «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ» و تقدير الكلام قليلا يؤمنون و كما فى قول الشاعر:

لو بأبائين جاء يخطبها

خضب ما أنف خاطب بدم

و قيل إن معنى ما هاهنا هو أن يدل على غايه التنكير فى الاسم و فرط الإبهام فيه

المعنى

«وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ» رجع الكلام إلى الحكايه عن اليهود و عن سوء مقالهم و فعالهم فالمعنى على القراءه الأولى أنهم ادعوا أن قلوبهم ممنوعه من القبول فقالوا أى فائده فى إنذارك لنا و نحن لا نفهم ما تقول إذا ما تقوله ليس مما يفهم كقوله تعالى «وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ» و قال أبو على الفارسى ما يدرك به المعلومات من الحواس و غيرها من الأعضاء إذا ذكر بأنه لا- يعلم وصف بأن عليه مانعا من ذلك و دونه حائلا- فمن ذلك قوله تعالى «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا» لما كان القفل حاجزا بين المقفل عليه و حائلا من أن يدخله ما يدخل إذا لم يكن مقفلا جعل مثلا للقلوب بأنها لا تعى و لا- تفقه و كذلك قوله «لَقَالُوا إِنَّمَا سَكَّرَتْ أَبْصَارُنَا» و «الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي» و قوله «بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ» كان شده عنادهم تحملهم على الشك فى المشاهدات و دفع المعلومات و أما المعنى على القراءه الثانيه من تحريك العين فى غلف فهو على أن المراد أن قلوبنا أوعيه للعلم و نحن علماء و لو كان ما تقوله شيئا يفهم أوله طائل لفهمناه أو يكون المراد ليس فى قلوبنا ما تذكره فلو كان علما لكان فيها و قوله «بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ» رد الله سبحانه عليهم قولهم أى ليس ذلك كما زعموا لكن الله سبحانه قد أقصاهم و أبعدهم من رحمته و طردهم عنها بجحودهم به و برسله و قيل معنى لعنهم طبع على قلوبهم على سبيل المجازاه لهم بكفرهم و قوله «فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ» معناه أن هؤلاء الذين وصفهم قليلو الإيمان بما أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه و آله و إن كان معهم بعض الإيمان من التصديق بالله و بصفاته و غير ذلك مما كان فرضا عليهم و ذلك قليل بالإضافة إلى ما جحدوه من التصديق بنبوه نبينا صلى الله عليه و آله و بما جاء به و الذى يليق بمذهبنا أن يكون المراد به لا إيمان لهم أصلا و إنما وصفهم بالقليل كما يقال قل ما رأيت هذا قط أى ما رأيت هذا قط و إن جعلت قليلا نصبا على الحال أى يؤمنون قليلا فمعناه لا يؤمن به إلا نفر قليل كعبد الله بن سلام و أصحابه و فى هذه الآيه رد على المجبره لأن هؤلاء اليهود قالوا مثل ما يقولونه من أن على قلوبهم ما يمنع من الإيمان و يحول بينها و بينه فكذبهم الله تعالى فى ذلك بأن لعنهم و ذمهم و لو كانوا صادقين لما استحقوا اللعن و الطرد و لكان الله سبحانه قد كلفهم ما لا يطيقونه ..

إشارة

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَ كَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩)

الإعراب

مصدق رفع لأنه صفة لكتاب و لو نصب على الحال لكان جائزا لكنه لم يقرأ به في المشهور و قيل ضم على الغايه و قد ذكرنا الوجه فيه فيما تقدم من قوله قالوا هذا الذي رزقنا من قبيل و أما جواب لما في قوله «وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» فعند الزجاج و الأخفش محذوف لأن معناه معروف يدل عليه قوله «فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ» كما حذف جواب لو من نحو قوله «وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلَّمَتْهُ بِهَ الْمَوْتَى وَ تَقْدِيرُهُ وَ لو أن قرآنا سوى هذا القرآن سيرت به الجبال لسيرت بهذا القرآن و قيل إن قوله «كَفَرُوا» جواب لقوله «وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» و لقوله «فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا» و إنما كرر لما لطول الكلام عن المبرد.

النزول

قال ابن عباس كانت اليهود يستفتحون أى يستنصرون على الأوس و الخزرج برسول الله صلى الله عليه و آله قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب و لم يكن من بنى إسرائيل كفروا به و جحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل و بشر بن البراء بن معرور يا معشر اليهود اتقوا الله و أسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد و نحن أهل الشرك و تصفونه و تذكرون أنه مبعوث فقال سلام بن مشكم أخو بنى النضير ما جاءنا بشىء نعرفه و ما هو بالذى كنا نذكر لكم فأنزل الله تعالى هذه الآية و

روى العياشى بإسناده رفعه إلى أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السلام قال كانت اليهود تجد فى كتبها أن مهاجر محمد رسول الله صلى الله عليه و آله ما بين عير و أحد فخرجوا يطلبون الموضوع فمروا بجبل يقال له حداد فقالوا حداد و أحد سواء فتفرقوا عنده فتنزل بعضهم بتيماء و بعضهم بفدك و بعضهم بخيبر فاشتاق الذين بتيماء إلى بعض إخوانهم فمر بهم أعرابى من قيس فتكاثروا منه و قال لهم أمر بكم ما بين عير و أحد فقالوا له إذا مررت بهما فأذنا بهما فلما توسط بهم أرض المدينة قال ذلك عير و هذا أحد فتنزلوا عن ظهر إبله و قالوا له قد أصبنا بغيثنا فلا حاجه بنا إلى إبلك فاذهب حيث شئت و كتبوا إلى إخوانهم الذين بفدك و خيرب أنا قد أصبنا الموضوع فهللوا إلينا

فكتبوا إليهم أنا قد استقرت بنا الدار و اتخذنا بها الأموال و ما أقربنا منكم فإذا كان ذلك فما أسرعنا إليكم و اتخذوا بأرض المدينة أموالا فلما كثرت أموالهم بلغ ذلك تبع فغزاهم فتحصنوا منه فحاصرهم ثم أمنهم فنزلوا عليه فقال لهم إني قد استطبت بلادكم و لا أراني إلا مقيما فيكم فقالوا له ليس ذلك لك إنها مهاجر نبي و ليس ذلك لأحد حتى يكون ذلك فقال لهم فإني مخلف فيكم من أسرتي من إذا كان ذلك ساعده و نصره فخلف حين تراهم الأوس و الخزرج فلما كثروا بها كانوا يتناولون أموال اليهود فكانت اليهود تقول لهم أما لو بعث محمد لنخرجنكم من ديارنا و أموالنا فلما بعث الله محمد صلى الله عليه و آله آمنت به الأنصار و كفرت به اليهود و هو قوله تعالى «وَ كَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا» إلى آخر الآيه.

المعنى

«وَلَمَّا جَاءَهُمْ» أى جاء اليهود من بنى إسرائيل الذين وصفهم الله «كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» يعنى به القرآن الذى أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه و آله «مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ» أى للذى معهم من الكتب التى أنزلها الله تعالى قبل القرآن من التوراه و الإنجيل و غيرهما و فيه وجهان (أحدهما) أن معناه إنه مصدق لما تقدم به الأخبار فى التوراه و الإنجيل فهو مصدق لذلك من حيث كان مخبره على ما تقدم الخبر به (و الآخر) إنه مصدق لهما أى بأنهما من عند الله تعالى و أنهما حق «وَ كَانُوا» يعنى اليهود «مِنْ قَبْلُ» أى من قبل مبعث النبى صلى الله عليه و آله و نزول القرآن «يَسْتَفْتِحُونَ» فيه وجوه (أحدها) أن معناه يستنصرون أى يقولون فى الحروب اللهم افتح علينا و انصرنا بحق النبى الأسمى اللهم انصرنا بحق النبى المبعوث إلينا فهم يسألون عن الفتح الذى هو النصر (و ثانيها) أنهم كانوا يقولون لمن يباذهم هذا نبى قد أطل زمانه ينصرنا عليكم (و ثالثها) أن معنى يستفتحون يستعلمون من علمائهم صفة نبى يبعث من العرب فكانوا يصفونه لهم فلما بعث أنكروه (و رابعها) أن معنى يستفتحون يستحكمون ربهم على كفار العرب كما قال:

ألا أبلغ بنى عصم رسولا

فإني عن فتاحتكم غنى

أى عن محاكمتكم به و قوله «عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا» أى مشركى العرب «فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا» يعنى محمدا صلى الله عليه و آله أى عرفوا صفته و مبعثه «كَفَرُوا بِهِ» حسدا و بغيا و طلبا

للرياسة «فَلَعَنَهُ اللَّهُ» أى غضبه و عقابه «عَلَى الْكَافِرِينَ» و قد فسرنا معنى اللعنه و الكفر فيما مضى.

البقره (٢): آيه ٩٠

إشاره

بِئْسَ مَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاؤُا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (٩٠)

القراءه

قرأ أبو عمرو أن ينزل خفيفه كل القرآن إلا- فى الأنعام أن يُنَزَّلَ آيَةً فَإِنَّهُ شَدَّهَا وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ بِالتَّخْفِيفِ كُلَّ الْقُرْآنِ إِلَّا فِي سَبْحَانَ وَ نُنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ وَ حَيْثُ تُنَزَّلُ فَإِنَّهُ شَدَّهَا وَقَرَأَ حَمْزُهُ وَ الْكَسَائِيَّ كُلَّ الْقُرْآنِ بِالتَّشْدِيدِ إِلَّا- فِي الْمِ وَ حَمَّ عَسَقَ يَنْزِلُ الْغَيْثَ فَإِنَّهُمَا قَرَأَهَا بِالتَّخْفِيفِ وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالتَّشْدِيدِ كُلَّ الْقُرْآنِ وَ اتَّفَقُوا فِي الْحَجْرِ وَ مَا نُنَزَّلُهُ أَنَّهُ مُشَدَّدٌ.

الإعراب

نزل فعل غير متعد و يعدى بالإضراب الثلاثه و هى النقل بالهمزه و تضعيف العين و حرف الجر فأنزل و نزل لغتان و مما عدى بالحرف قوله تعالى نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ فِيمَنْ رَفَعَ الرُّوحَ وَ قَدْ كَثُرَ مَجِئُ التَّنْزِيلِ فِي الْقُرْآنِ فَهَذَا يَقْوَى نَزَلَ وَ لَمْ يَعْلَمْ فِيهِ الْإِنْزَالُ وَ كَثُرَ فِيهِ مَجِئُ أَنْزَلَ.

اللغه

بئس و نعم فعلاين ماضيان أصلهما على وزن فعل و فيها أربع لغات نعم و بئس مثل حمد و نعم و بئس بسكون العين و نعم و بئس بكسر الفاء و العين و نعم و بئس و اشتروا افتعلوا من الشراء و أكثر الكلام شريت بمعنى بعث و اشتريت بمعنى ابتعت قال يزيد الحميرى:

و شريت بردا ليتنى

من بعد برد كنت هامه

و ربما استعملت اشتريت بمعنى بعث و شريت بمعنى ابتعت و الأكثر ما تقدم و البغى أصله الفساد مأخوذ من قولهم بغى الجرح إذا فسد و قيل أصله الطلب لأن الباغى يطلب التناول الذى ليس له ذلك و سميت الزانيه بغيا لأنها تطلب و الإهانه الإذلال.

الإعراب

قال الزجاج بئس إذا وقعت على ما جعلت معها ما بمنزله اسم منكور

و إنما كان ذلك في نعم و بئس لأنهما لا يعملان في اسم علم إنما يعملان في اسم منكور دال على جنس أو اسم فيه ألف و لام يدل على جنس و إنما كانت كذلك لأن نعم مستوفيه لجميع المدح و بئس مستوفيه لجميع الذم فإذا قلت نعم الرجل زيد فقد قلت استحق زيد المدح الذي يكون في سائر جنسه و كذا إذا قلت بئس الرجل زيد دللت على أنه قد استوفى الذم الذي يكون في سائر جنسه فلم يجز إذ كان يستوفى مدح الأجناس أن يعمل من غير لفظ جنس فإذا كان معها اسم جنس بغير ألف و لام فهو نصب أبدا و إذا كانت فيه ألف و لام فهو رفع أبدا نحو نعم الرجل زيد و نعم الرجل زيد و إنما نصبت رجلا للتمييز و في نعم اسم مضمرة على شريطة التفسير و لذلك كانت ما في نعم بغير صلة لأن الصلة توضح و تخصص و القصد في نعم أن يليها اسم منكور أو اسم جنس فقله «بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ» تقديره بئس شيئا اشتروا به أنفسهم قال أبو علي قوله و لذلك كانت ما في نعم بغير صلة يدل على أن ما إذا كانت موصولة لم يجز عنده أن تكون فاعله نعم و بئس و ذلك عندنا لا يمتنع و جهة جوازه أن ما اسم مبهم يقع على الكثرة و لا يخصص واحدا بعينه كما أن أسماء الأجناس تكون للكثرة و ذلك في نحو قوله تعالى وَ يُعْبَدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَ لَا يَنْفَعُهُمْ وَ يَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ فَالْقَصْدُ بِهِ هُنَا الْكَثْرَةُ وَ إِنْ كَانَ فِي الْفِظِ مَفْرُودًا بَدَلَالَهُ قَوْلُهُ وَ يَقُولُونَ هَؤُلَاءِ وَ تَكُونُ مَعْرِفُهُ وَ نَكَرُهُ كَمَا أَنَّ أَسْمَاءَ الْأَجْناسِ تَكُونُ مَعْرِفُهُ وَ نَكَرُهُ وَ قَدْ أَجَازَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمَبْرَدُ فِي الَّذِي أَنْ تَلِيَ نَعْمَ وَ بَيْسَ إِذَا كَانَ عَامَا غَيْرِ مَخْصُوصِ كَمَا فِي قَوْلِهِ وَ الَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ إِذَا جَازَ فِي الَّذِي كَانَ فِي مَا أَجُوزَ فَقَوْلُهُ «بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ» يَجُوزُ عِنْدِي أَنْ تَكُونَ مَا مَوْصُولُهُ وَ مَوْضِعُهَا رَفْعٌ بِكُونِهَا فَاعِلُهُ لِبَيْسَ وَ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَنكُورُهُ فَتَكُونَ اشْتَرَوْا صِفَهُ غَيْرِ صِلِهِ وَ يَدُلُّ عَلَى صِحِّهِ مَا رَأَيْتَهُ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

و كيف أَرهَبُ أمرا أو أراع له

و قد زكات إلى بشر بن مروان

فنعمة مزكا من ضاقت مذاهبه

و نعم من هو في سر و إعلان

ألا- ترى أنه جعل مزكا فاعل نعم لما كان مضافا إلى من و هي تكون عامه غير معينه و أما قوله «أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ» فموضعه رفع و هو المخصوص بالذم فإن شئت رفعته على أنه مبتدأ مؤخر و إن شئت على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هذا الشيء المذموم كفرهم بما أنزل الله و قوله «بَغِيًّا» نصب بأنه مفعول له كقول حاتم:

و أغفر عوراء الكريم ادخاره

و أعرض عن شتم اللئيم تكرما

المعنى أغفر عوراءه لادخاره و أعرض عن الشتم للتكريم و موضع أن الثانيه نصب على حذف حرف الجر يعنى بغيا لأن ينزل الله أى من أجل أن ينزل الله.

المعنى

ثم ذم الله سبحانه اليهود بإيثارهم الدنيا على الدين فقال «بِئْسَ مَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ» أى بئس شيئا باعوا به أنفسهم أو بئس الشئ باعوا به أنفسهم «أَنْ يَكْفُرُوا» أى كفرهم «بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ» يعنى القرآن و دين الإسلام المنزل على محمد صلى الله عليه و آله فإذا سأل كيف باعت اليهود أنفسهم بالكفر فالجواب أن البيع و الشراء إزاله ملك المالك إلى غيره بعوض يعتاضه منه ثم يستعمل ذلك فى كل معتاض من عمله عوضا خيرا كان أو شرا فاليهود لما أوبقوا أنفسهم بكفرهم بمحمد صلى الله عليه و آله و أهلכו خاطبهم الله بما كانوا يعرفونه فقال بئس الشئ رضا به عوضا من ثواب الله و ما أعد له لو كانوا آمنوا بالله و ما أنزل الله على نبيه النار و ما أعد لهم بكفرهم و نظير ذلك الآيات فى سورة النساء من قوله أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَ الطَّاغُوتِ إِلَى قَوْلِهِ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا وَ قَوْلِهِ «بَغِيًّا» أى حسدا لمحمد صلى الله عليه و آله إذا كان من ولد إسماعيل و كانت الرسل قبل من بنى إسرائيل و قيل طلبا لشيء ليس لهم ثم فسر ذلك بقوله «أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» و هو الوحي و النبوه و قوله «فَبَاؤُا بِغَضَبِ عَلَى غَضَبٍ» معناه رحبت اليهود من بنى إسرائيل بعد ما كانوا عليه من الانتصار بمحمد و الاستفتاح به و الإخبار بأنه نبى مبعوث مرتدين ناكسين على أعقابهم حين بعثه الله نبيا بغضب من الله استحقوه منه بكفرهم و قال مؤرج معنى «فَبَاؤُا بِغَضَبِ» استوجبوا اللعنه بلغه جرهم و لا يقال باء مفردة حتى يقال إما بخير و إما بشر و قال أبو عبيده «فَبَاؤُا بِغَضَبِ» احتملوه و أقروا به و أصل البوء التقرير و الاستقرار و قوله «عَلَى غَضَبِ» فيه أقوال (أحدها) أن الغضب الأول حين غيروا التوراه قبل مبعث النبى و الغضب الثانى حين كفروا بمحمد صلى الله عليه و آله عن عطاء و غيره (و ثانيها) أن الغضب الأول حين عبدوا العجل و الثانى حين كفروا بمحمد عن السدى (و ثالثها) أن الأول حين كفروا بعيسى (عليه السلام) و الثانى حين كفروا بمحمد صلى الله عليه و آله عن الحسن و عكرمه و قتاده (و رابعها) أن ذلك على التوكيد و المبالغه إذ كان الغضب لازما لهم فيتكرر عليهم عن أبى مسلم و الأصم «وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ» معناه للجاحدين بنبوه محمد عذاب مهين من الله إما فى الدنيا و إما فى الآخرة و المهين هو الذى يذل صاحبه و يخزيه و يلبسه الهوان و قيل المهين الذى لا يتنقل منه إلى إعزاز و إكرام و قد يكون غير مهين إذا

كان تحميصا و تكفيرا ينتقل بعده إلى إعزاز تعظيم فعلى هذا من ينتقل من عذاب النار إلى الجنة لا يكون عذابه مهينا.

البقرة (٢): آية ٩١

إشارة

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُولُوا نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَ يَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَ هُوَ الْحَقُّ مُصِِّدًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩١)

اللغة

ما وراءه أى ما بعده قال الشاعر:

تمنى الأمانى ليس شىء وراءها

كموعد عرقوب أخاه بيثرب

قال الفراء معنى وراءه سوى كما يقال للرجل تكلم بالكلام الحسن ما وراء هذا الكلام شىء يراد ليس عند المتكلم به شىء سوى ذلك الكلام.

الإعراب

قوله «مُصِِّدًا» نصب على الحال و هذه حال مؤكده قال الزجاج زعم سيويوه و الخليل و جميع النحويين الموثوق بعلمهم أن قولك هو زيد قائما خطأ لأن قولك هو زيد كناية عن اسم متقدم فليس فى الحال فائده لأن الحال يوجب هاهنا أنه إذا كان قائما فهو زيد و إذا ترك القيام فليس بزيد فهذا خطأ فأما قولك هو زيد معروفا و هو الحق مصدقا فى الحال هنا فائده كأنك قلت أثبتة له معروفا و كأنه بمنزلة قولك هو زيد حقا فمعروف حال لأنه إنما يكون زيدا بأنه يعرف بزيد و كذلك القرآن هو الحق إذا كان مصدقا لكتب الرسل عليه السلام و قوله «فَلِمَ تَقْتُلُونَ» و إن كان بلفظ الاستقبال فالمراد به الماضى و إنما جاز ذلك لقوله «مِنْ قَبْلُ» و إن بمعنى الشرط و يدل على جوابه ما تقدم و تقديره إن كنتم مؤمنين فلم قتلتم أنبياء الله و قيل إن بمعنى ما النافية أى ما كنتم مؤمنين.

المعنى

«وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ» يعنى اليهود الذين تقدم ذكرهم «آمَنُوا» أى صدقوا

«بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ» من القرآن على محمد صلى الله عليه وآله والشرائع التي جاء بها «قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا» يعنون التوراه «وَ يَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ» أى يجحدون بما بعده يريد الإنجيل و القرآن أو بما سوى التوراه من الكتب المنزله كقوله سبحانه وَ أُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَمْ و قال ابن الأنبارى تم الكلام عند قوله «بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا» ثم ابتداء الله بالإخبار عنهم فقال «وَ يَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ» أى بما سواه «وَ هُوَ الْحَقُّ» يعنى القرآن «مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ» يعنى التوراه لأن تصديق محمد و ما أنزل معه من القرآن مكتوب عندهم فى التوراه قال الزجاج و فى هذا دلالة على أنهم قد كفروا بما معهم إذ كفروا بما يصدق ما معهم ثم رد الله تعالى عليهم قولهم «نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا» فقال «قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ» أى قل يا محمد لهم فلم قتلتم أنبياء الله و قد حرم الله فى الكتاب الذى أنزل عليكم قتلهم و أمركم فيه باتباعهم و فرض عليكم طاعتهم و تصديقهم «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» بما أنزل عليكم و قال الزجاج إن بمعنى ما هاهنا كأنه قال ما كنتم مؤمنين و هذا وجه بعيد و إنما قال تقتلون بمعنى قتلتم لأن لفظ المستقبل يطلق على الماضى إذا كان ذلك من الصفات اللازمه كما يقال أنت تسرق و تقتل إذا صار ذلك عادة له و لا يراد بذلك ذمه و لا توبيخه على ذلك الفعل فى المستقبل و إنما يراد به توبيخه على ما مضى و إنما أضاف إليهم فعل آباءهم و أسلافهم لأحد أمرين (أحدهما) أن الخطاب لمن شهد من أهل مله واحده و من غاب منهم واحد فإذا قتل أسلافهم الأنبياء و هم مقيمون على مذهبهم و طريقتهم فقد شركوهم فى ذلك و الآخر أنهم رضوا بأفعالهم و الراضى بفعل قوم كالدخل فيه معهم و هذا المعنى قريب من الأول و فى هذه الآيه دلالة على أن الإيمان بكتاب من كتب الله لا يصح إذا لم يحصل الإيمان بما سواه من كتب الله المنزله التى هى مثله فى اقتران المعجزه به.

البقره (٢): آيه ٩٢

إشارة

وَ لَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (٩٢)

المعنى

ثم حكى سبحانه عنهم ما يدل على قله بصيرتهم فى الدين و ضعفهم فى اليقين فقال «وَ لَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ» الداله على صدقه و المعجزات المؤيده لنبوته كاليد البيضاء و انبجاس الماء من الحجر و فلق البحر و قلب العصا حيه و الطوفان و الجراد و القمل و الضفادع و الدم و سماها بينات لظهورها و تبينها للناظرين إليها أنها معجزه يتعذر

ص: ٢٣٢

الإتيان بها على كل بشر وقوله «ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ» يعنى اتخذتم العجل إليها و عبدتموه «مِنْ بَعْدِهِ» أى من بعد موسى لما فارقكم ومضى إلى ميقات ربه و يجوز أن يكون الهاء كناية عن المجىء فيكون التقدير ثم اتخذتم العجل من بعد مجىء البيئات «وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ» لأنفسكم بكفركم و عبادتكم العجل لأن العبادة لا تكون لغير الله.

البقره (٢): آيه ٩٣

اشاره

وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَ رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَ عَصَيْنَا وَ أُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩٣)

اللغه

اسمعوا معناه اقبلوا و منه قوله (سمع الله لمن حمده) أى قبل الله حمد من حمده و قوله «وَأُشْرِبُوا» أصله من الشرب يقال شرب و أشرب غيره إذا حملة على الشرب و أشرب الزرع أى سقى و أشرب قلبه حب كذا قال زهير:

فصحوت عنها بعد حب داخل

و الحب يشربه فؤادك داء

الإعراب

قوله «الْعِجْلَ» أى حب العجل حذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه و مثله قول الشاعر:

حسبت بغام راحلتى عناقا

و ما هى ويب غيرك بالعناق

أى حسبت بغام راحلتى بغام عناق و قال طرفه:

ألا إننى سقيت أسود حالكا

ألا بجلى من الشراب الأبلج

يريد سقيت سم أسود قال آخر:

و شر المنيا ميت وسط أهله

كهلڪ الفتى قد أسلم الحى حاضره

أى منيه ميت و قوله «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» فقد تقدم ذكر إعرابه و أن يجوز أن

ص: ٢٣٣

يكون بمعنى ما أى ما كنتم مؤمنين و جاز أن يكون تقديره إن كنتم مؤمنين فبئسما يأمركم به إيمانكم هذا.

المعنى

قوله «وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَ رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ» قد فسرناه فيما مضى و الفائدة فى تكرير هذا و أمثاله التأكيد و إيجاب الحجة عليهم على عادة العرب فى مخاطباتها و قيل إنه سبحانه لما عد فضائح اليهود أعاد ذكر رفع الجبل و قيل أنه تعالى إنما ذكر الأول للاعتبار بأخبار من مضى و الثانى للاحتجاج عليهم و قوله «وَ اسْمِعُوا» أى اقبلوا ما سمعتم و اعملوا به و أطيعوا الله و قيل معناه اسمعوا ما يتلى عليكم أى استمعوا لتسمعوا و هذا اللفظ يحتمل الاستماع و القبول و لا تنافى بينهما فيحتمل عليهما فكأنه قيل استمعوا لتسمعوا ثم اقبلوا و أطيعوا و بدل عليه أنه قال فى الجواب عنهم «قَالُوا سَمِعْنَا وَ عَصَيْنَا» و فيه قولان (أحدهما) أنهم قالوا هذا القول فى الحقيقة استهزاء و معناه سمعنا قولك و عصينا أمرك (و الثانى) أن حالهم كحال من قال ذلك إذ فعلوا ما دل عليه كما قال الشاعر:

(قالت جناحاه لرجليه الحقى)

و إن كان الجناح لا يقول ذلك و إنما رجع سبحانه عن لفظ الخطاب إلى الخبر عن الغائب على عادة العرب المألوفه و اختلف فى هذا الضمير إلى من يعود ف قيل إلى اليهود الذين كانوا فى عصر النبى صلى الله عليه و آله فإنهم قالوا ذلك ثم رجع إلى حديث أوائلهم فقال «وَ أَشْرَبُوا» و قيل إلى اليهود الذين كانوا فى عصر موسى عليه السلام إذ ردوا عليه قوله و قابله بالعصيان و قوله «وَ أَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمْ» فمعناه دخل قلوبهم حب العجل و إنما عبر عن حب العجل بالشرب دون الأكل لأن شرب الماء يتغلغل فى الأعضاء حتى يصل إلى بواطنها و الطعام يجاوز الأعضاء و لا يتغلغل فيها قال الشاعر:

تغلغل حيث لم يبلغ شراب

و لا حزن و لم يبلغ سرور

و ليس المعنى فى قوله «وَ أَشْرَبُوا» أن غيرهم فعل ذلك بهم بل هم الفاعلون لذلك كما يقول القائل أنسيت ذلك من النسيان و ليس يريد أن غيره فعل ذلك به و يقال أوتى فلان علما جما و إن كان هو المكتسب له و قوله «بِكُفْرِهِمْ» ليس معناه أنهم أشربوا حب العجل جزاء على كفرهم لأن محبه العجل كفر قبيح و الله سبحانه لا يفعل الكفر فى العبد لا ابتداء و لا جزاء بل معناه أنهم كفروا بالله تعالى بما أشربوه من محبه العجل و قيل إنما أشرب حب العجل قلوبهم من زينه عندهم و دعاهم إليه كالسامرى و شياطين الجن و الإنس فقوله «بِكُفْرِهِمْ» معناه لاعتقادهم التشبيه و جهلهم بالله تعالى و تجويزهم العباده لغيره أشربوا

فى قلوبهم حب العجل لأنهم صاروا إلى ذلك لهذه المعانى التى هى كفر و قول من قال فعل الله ذلك بهم عقوبه و مجازاه غلط فاحش لأن حب العجل ليس من العقوبه فى شىء و لا ضرر فيه و قوله «قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ» معناه قل يا محمد لهؤلاء اليهود بئس الشىء الذى يأمركم به إيمانكم إن كان يأمركم بقتل أنبياء الله و رسله و التكذيب بكتبه و جحد ما جاء من عنده و معنى إيمانهم تصديقهم بالذى زعموا أنهم مصدقون به من كتاب الله بقولهم نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا و قوله «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» أى مصدقين كنا زعمتم بالتوراه و فى هذا نفى عن التوراه أن يكون يأمر بشىء يكرهه الله من أفعالهم و إعلام بأن الذى يأمرهم بذلك أهواؤهم و يحملهم عليه آراؤهم.

البقره (٢): آيه ٩٤

إشاره

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٤)

اللغه

الخالصه الصافيه يقال خلص لى هذا الأمر أى صار لى وحدى و صفا لى يخلص خلوصا و خالصه مصدر كالعافيه و أصل الخلوص أن يصفو الشىء من كل شائبه و دون يستعمل على ثلاثه أوجه أن يكون الشىء دون الشىء فى المكان و فى الشرف و فى الاختصاص و هو المراد فى الآيه و التمنى من جنس الأقوال عند أكثر المتكلمين و هو أن يقول القائل لما كان ليته لم يكن و لما لم يكن ليته كان و قال أبو هاشم هو معنى فى القلب و لا خلاف فى أنه ليس من قبيل الشهوه.

الإعراب

خالصه نصب على الحال.

المعنى

ثم عاد سبحانه إلى الاحتجاج على اليهود بما فضح به أحبارهم و علماءهم و دعاهم إلى قضيه عادله بينه و بينهم فقال «قُلْ» يا محمد لهم «إِنْ كَانَتْ» الجنه «خَالِصَةً» لكم «دُونِ النَّاسِ» كلهم أو دون محمد و أصحابه كما ادعيتم بقولكم لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى و كنتم صادقين فى قولكم نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ و إن الله لا يعذبنا «فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ» لأن من اعتقد أنه من أهل الجنه قطعاً كان الموت أحب إليه من حياه الدنيا التى فيها أنواع المشاق و الهموم و الآلام و الغموم و من كان على يقين أنه إذا مات

تخلص منها و فاز بالنعيم المقيم فإنه يؤثر الموت على الحياه ألا ترى إلى

قول أمير المؤمنين عليه السلام و هو يطوف بين الصفيين بصفين في غلامه لما قال له الحسن ابنه ما هذا زى الحرب يا بنى إن أباك لا يبالي وقع على الموت أو وقع الموت عليه

و قول عمار بن ياسر بصفين أيضا الآن ألقى الأحبه محمدا و حزبه و أما

ما روى عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به و لكن ليقل اللهم أحيى ما دامت الحياه خيرا لى و توفنى ما كانت الوفاه خيرا لى

فإنما نهى عن تمنى الموت لأنه يدل على الجزع و المأمور به الصبر و تفويض الأمور إليه تعالى و لأننا لا نأمن وقوع التقصير فما أمرنا به و نرجو فى البقاء التلافى.

البقره (٢): آيه ٩٥

إشاره

وَ لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٩٥)

الإعراب

أبدا نصب على الظرف أى طول عمرهم يقول القائل لا أكلمك أبدا يريد ما عشت و ما بمعنى الذى أى بالذى قدمت أيديهم و يجوز أن يكون ما بمعنى المصدر فيكون المراد بتقدمه أيديهم.

المعنى

أخبر الله سبحانه عن هؤلاء الذين قيل لهم فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بأنهم لا يتمنون ذلك أبدا بما قدموه من المعاصى و القبائح و تكذيب الكتاب و الرسول عن الحسن و أبى مسلم و قيل بما كنتموا من صفه النبي صلى الله عليه و آله عن ابن جريج و أضاف ذلك إلى اليد و إن كانوا إنما فعلوا ذلك باللسان لأن العرب تقول هذا ما كسبت يداك و إن كان ذلك حصل باللسان و الوجه فيه أن الغالب أن تحصل الجنايه باليد فيضاف بذلك إليها ما يحصل بغيرها و قوله «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ» خصص الظالمين بذلك و إن كان عليما بهم و بغيرهم بأن الغرض بذلك الزجر و التهديد كما يقال الإنسان لغيره إني عارف بصير بعملك و قيل معناه إن الله عليم بالأسباب التى منعتهم عن تمنى الموت و بما أضمره و أسروه من كتمان الحق عنادا مع علم كثير منهم أنهم مبطلون و

روى عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا و لرأوا مقاعدهم من النار فقال الله سبحانه إنهم «لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا» تحقيقا لكذبهم

و فى ذلك أعظم دلالة على صدق نبينا و صحة نبوته لأنه

ص: ٢٣٦

أخبر بالشيء قبل كونه فكان كما أخبر و أيضا فإنهم كفوا عن التمني للموت لعلمهم بأنه حق و أنهم لو تمنوا الموت لماتوا و

روى الكلبي عن ابن عباس أنه قال كان رسول الله صلى الله عليه و آله يقول لهم إن كنتم صادقين في مقاتلكم فقولوا اللهم أمتنا
فو الذي نفسى بيده لا يقولها رجل إلا غص بريقه فمات مكانه

و هذه القصة شبيهة بقصة المبالهه و أن النبي صلى الله عليه و آله لما دعا النصارى إلى المبالهه امتنعوا لقله ثقتهم بما هم عليه و
خوفهم من صدق

النبي صلى الله عليه و آله في قوله لو باهلونى لرجعوا لا يجدون أهلا و لا مالا

فلما لم يتمن اليهود الموت افتضحوا كما أن النصارى لما أحجموا عن المبالهه افتضحوا و ظهر الحق فإن قيل من أين علمتم أنهم
لم يتمنوا الموت بقلوبهم فالجواب أن من قال التمني هو القول فالسؤال ساقط عنه و من قال هو معنى فى القلب قال لو تمنوه
بقلوبهم لأظروه بألسنتهم حرصا منهم على تكذيبه فى إخباره و لأن تحديدهم بتمنى الموت إنما وقع بما يظهر على اللسان و كان
يسهل عليهم أن يقولوا ليت الموت نزل بنا فلما عدلوا عن ذلك ظهر صدقه صلى الله عليه و آله و وضحت حجته.

البقره (٢): آيه ٩٦

إشاره

وَ لَتَجِدَنَّهْم أٰخِرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيٰهِ وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَ مَا هُوَ بِمُرْخِزٍهٖ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَ
اللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٩٦)

اللغه

وجده و صادفه و ألفاه نظائر يقال وجدت الشيء و وجدانا إذا أصبته و يقال وجدت بمعنى علمت و الحرص شدة الطلب و رجل
حريص و قوم حراص و الموده المحبه يقال وددت الرجل أوده ودا و ودا و ودا و ودا و ودا و موده و التعمير طول العمر و العمر و
العمر لغتان و أصله من العماره الذى هو ضد الخراب فالعمر المده التى يعمر فيها البدن بالحياه و الألف من التأليف سمي بذلك
العدد لأنه ضم مائه عشر مرات و الزحزحه التنحيه يقال زحزحته فترزح و قال الشاعر:

و قالوا ترزح لا بنا فضل حاجه

إليك و لا منا لوهيك راقع

و البصير بمعنى المبصر كما أن السميع بمعنى المسمع و لكنه صرف إلى فعل و مثله بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ بمعنى المبدع و العذاب الأليم بمعنى المؤلم هذا فى اللغة و عند المتكلمين المبصر هو المدرك للمبصرات و البصير هو الحى الذى لا آفه به فهو ممن يجب أن يبصر المبصرات إذا وجدت و ليس أحدهما هو الآخر و كذلك القول فى السميع و السامع.

الإعراب

«لَتَجِدَنَّهْمَ» اللام لام القسم و النون للتأكيد و تقديره و الله لتجدنهم قال سيبويه سألت الخليل عن قوله لتفعلن إذا جاءت مبتدأ فقال هى على نيه القسم و هذه اللام إذا دخلت على المستقبل لزمته فى الأمر الأكثر بالنون و إذا كان وجدت بمعنى وجدان الضالة يعدى إلى مفعول واحد كفقدت الذى هو ضده فينتصب أحرص على الحال و إذا كان بمعنى علمت تعدى إلى مفعولين ثانيهما عبارته عن الأول فيكون أحرص هو المفعول الثانى و هو الأصح و قوله «وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا» قال الفراء يريد و أحرص من الذين أشركوا أيضا كما يقال هو أسخى الناس و من حاتم و من هرم لأن تأويل قولك أسخى الناس إنما هو أسخى الناس و قال الزجاج تقديره و لتجدنهم أحرص من الذين أشركوا و قيل إنما دخلت من فى قوله «وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا» و لم يدخل فى قوله «أَحْرَصَ النَّاسِ» لأنهم بعض الناس و الإضافة فى باب أفعل لا يكون إلا كذلك تقول الياقوت أفضل الحجارة و لا تقول الياقوت أفضل الزجاج بل تقول أفضل من الزجاج فلذلك قال «وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا» لأن اليهود ليسوا هم بعض المجوس و هم بعض الناس و قوله «وَمَا هُوَ بِمُزْحَازِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ» فيه وجوه (أحدها) أن هو كناية عن أحدهم الذى جرى ذكره و أن يعمر فى موضع رفع بأنه فاعل تقديره و ما أحدهم بمزحزحه من العذاب تعميره كما يقال مررت برجل معجب قيامه (و ثانيها) أنه كناية عما جرى ذكره من طول العمر و قوله أن يعمر بيان لقوله هو و تقديره و ما تعميره بمزحزحه من العذاب و كأنه قيل و ما هو الذى ليس بمزحزحه فقيل هو التعمير (و ثالثها) أنه عماد و أن يعمر فى موضع الرفع بأنه مبتدأ و بمزحزحه خبره و منع الزجاج هذا القول الأخير قال لا يجوز البصريون ما هو قائما زيد و ما هو بقائم زيد بمعنى الأمر و الشأن و قال غيره إذا كانت ما غير عامله فى الباء جاز كقولهم ما بهذا بأس.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن أحوال اليهود فقال «وَلَتَجِدَنَّهْمَ» أى و لتعلمن

يا محمد هؤلاء اليهود وقيل يعنى به علماء اليهود «أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاهِ» أى أحرصهم على البقاء فى الدنيا أشد من حرص سائر الناس «وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا» أى ولتجدنهم أحرص من الذين أشركوا وهم المجوس ومن لا يؤمن بالبعث وقال أبو على الجبائى إن الكلام تم عند قوله «عَلَى حَيَاهِ» وقوله «وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا» تقديره ومن [اليهود] الذين أشركوا من يود أحدهم لو يعمر ألف سنه فحذف من وقال على بن عيسى هذا غير صحيح لأن حذف من لا يجوز فى مثل هذا الموضع وقال أبو مسلم الأصفهانى أن فى هذا الكلام تقديمًا وتأخيرًا وتقديره ولتجدنهم وطائفه من الذين أشركوا أحرص الناس على حيوه وأقول إذا جاز هاهنا أن يحذف الموصوف الذى هو طائفه و تقام الصفه مقامه وهو قوله «مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا» فليجز على ما ذهب إليه الجبائى أن يكون تقديره ومن الذين أشركوا طائفه يود أحدهم فيحذف الموصوف ويقام صفته الذى هو «يَوَدُّ أَحَدَهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سِنَةٍ» مقامه فيصح على هذا تقدير الحذف ويستوى القولان من حيث الصورة والصفه ويختلفان من حيث المعنى ويكون من هنا هى الموصوفه لا- الموصوله كما قدره الجبائى وقوله «يَوَدُّ أَحَدَهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سِنَةٍ» ذكر الألف لأنها نهايه ما كانت المجوس يدعوا به بعضهم لبعض و تحيى به الملوك يقولون عش ألف نوروز و ألف مهرجان قال ابن عباس هو قول أحدهم لمن عطس هزار سأل بزى يقال فهؤلاء الذين يزعمون أن لهم الجنة لا- يتمنون الموت وهم أحرص ممن لا- يؤمن بالبعث وكذلك يجب أن يكون هؤلاء لعلمهم بما أعد الله لهم فى الآخره من الجحيم والعذاب الأليم على كفرهم وعنادهم مما لا يقر به أهل الشرك فهم للموت أكره من أهل الشرك الذين لا- يؤمنون بالبعث وعلى الحياه أحرص لهذه العله وقوله «وَمَا هُوَ بِمُزْحَجٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ» أى وما أحدهم بمنجيه من عذاب الله ولا بمبعده منه تعميره وهو أن يطول له البقاء لأنه لا بد للعمر من الفناء هذا هو أحسن الوجوه التى تقدم ذكرها «وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ» أى عليم بأعمالهم لا يخفى عليه شىء منها بل هو محيط بجميعها حافظ لها حتى يذيقهم بها العذاب وفى هذه الآيه دلالة على أن الحرص على طول البقاء لطلب الدنيا ونحوه مذموم وإنما المحمود طلب البقاء للازدياد فى الطاعة وتلافى الفئات بالتوبه والإنابه و درك السعاده بالإخلاص فى العباده و إلى هذا المعنى

أشار أمير المؤمنين (عليه السلام) فى قوله: بقيه عمر المؤمن لا قيمه له يدرك بها ما فأت و يحيى بها ما أمات.

إشاره

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَ
مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (٩٨)

القراءه

قرأ ابن كثير جبريل بفتح الجيم و كسر الراء من غير همز وقرأ حمزه و الكسائي و أبو بكر إلا يحيى جبرئيل بفتح الجيم و الراء مهموزا على زنه جبرعيل و روى يحيى كذلك إلا أنه حذف الياء بعد الهمز فصار مثل جبرعل و الباكون بكسر الجيم و الراء و بعدها ياء من غير همزه وقرأ أهل المدينه ميكايل بهمزه مكسوره بعد الألف على زنه ميكاعل وقرأ أهل البصره «ميكال» بغير همز و لا ياء و الباكون بإثبات ياء ساكنه بعد الهمزه على زنه ميكاغيل.

الإعراب

قال أبو علي روينا عن أبي الحسن أنه قال في جبريل ست لغات جبرائيل و جبرائيل و جبرائل و جبرئيل و جبرال و جبريل و جبرئيل فمن قال جبريل كان على لفظ قنديل و برطيل و من قال جبرئيل كان على وزن عندليب و من قال جبرئيل كان على وزن جحمرش و من قال ميكال على وزن قنطار و ميكايل و جبرائيل خارج عن كلام العرب و هذه الأسماء معربه فإذا أتى بها على ما في أبيه العرب مثله كان أذهب في باب التعريب و قد جاء في أشعارهم ما هو على لفظ التعريب و ما هو خارج عن ذلك قال:

عبدوا الصليب و كذبوا بمحمد

و بجبرئيل و كذبوا ميكالاً

و قال حسان:

و جبريل رسول الله منا

و روح القدس ليس له كفاء.

اللغه

جبرئيل و ميكايل اسمان أعجميان عربا و قيل جبر في اللغه السريانيه هو العبد و إيل هو الله و ميك هو عبيد فمعنى جبريل عبد الله و معنى ميكايل عبيد الله و قال أبو علي الفارسي هذا لا يستقيم من وجهين أحدهما أن إيل لا يعرف من أسماء الله تعالى في

اللغة العربية و الآخر أنه لو كان كذلك لكان آخر الاسم مجرورا أبدا كقولهم عبد الله و البشرى و البشاره الخبر السار أول ما يرد فيظهر ذلك في بشره الوجه.

الإعراب

جواب الشرط محذوف تقديره من كان عدوا لجبرائيل فليمت غيظا فإنه نزل الوحي على قلبك بإذن الله و الهاء فى قوله فإنه تعود إلى جبريل و الهاء فى نزله تعود إلى القرآن و إن لم يجر له ذكر كما أن هاء فى قوله تعالى: ما تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ تعود إلى الأرض و يجوز أن يكون على معنى جبرئيل و تقديره فإن الله نزل جبريل على قلبك لا أنه نزل بنفسه و الأول أصح و نصب مصدقا على الحال من الهاء فى نزله و هو ضمير القرآن أو جبريل ع.

النزول

قال ابن عباس كان سبب نزول هذه الآية ما روى أن ابن سوريا و جماعه من يهود أهل فدك لما قدم النبي صلى الله عليه و آله المدينة سألوه فقالوا يا محمد كيف نومك فقد أخبرنا عن نوم النبي الذى يأتى فى آخر الزمان فقال تنام عيناي و قلبى يقظان قالوا صدقت يا محمد فأخبرنا عن الولد يكون من الرجل أو المرأه فقال أما العظام و العصب و العروق فمن الرجل و أما اللحم و الدم و الظفر و الشعر فمن المرأه قالوا صدقت يا محمد فما بال الولد يشبه أعمامه ليس فيه من شبه أخواله شىء أو يشبه أخواله و ليس فيه من شبه أعمامه شىء فقال أيهما علا ماؤه كان الشبه له قالوا صدقت يا محمد قالوا فأخبرنا عن ربك ما هو فأنزل الله سبحانه قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ إِلَى آخِر السوره فقال له ابن سوريا خصله واحده إن قلتها آمنت بك و اتبعتك أى ملك يأتيك بما ينزل الله عليك قال فقال جبريل قال ذاك عدونا ينزل بالقتال و الشده و الحرب و ميكائيل ينزل باليسر و الرخاء فلو كان ميكائيل هو الذى يأتيك لآمنا بك.

المعنى

فأنزل الله تعالى هذه الآية جوابا لليهود و ردا عليهم فقال «قُلْ» لهم يا محمد «مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ» إذا كان هو المنزل للكتاب عليك «فَمِائِنَهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ» لا- من تلقاء نفسه و إنما أضافه إلى قلبه لأنه إذا أنزل عليه كان يحفظه و يفهمه بقلبه و معنى قوله «بِإِذْنِ اللَّهِ» بأمر الله و قيل أراد بعلمه أو بإعلام الله إياه ما ينزل على قلبك و قوله «مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ» معناه موافقا لما بين يديه من الكتب و مصدقا له بأنه حق و بأنه من عند الله لا مكذبا لها «و هُدًى وَ بُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ» معناه إن كان فيما أنزله الأمر بالحرب و الشده على الكافرين فإنه هدى و بشرى للمؤمنين و إنما خص الهدى

بالمؤمنين من حيث كانوا هم المهتدين به العاملين بما فيه و إن كان هدى لغيرهم أيضا و قيل أراد بالهدى الرحمة و الثواب فلذلك خصه بالمؤمنين و معنى البشرى أن فيه البشاره لهم بالنعيم الدائم و إن جعلت مصدقا و هدى و بشرى حالا لجبريل فالمعنى أنه يصدق بكتب الله الأولى و يأتى بالهدى و البشرى و إنما قال سبحانه «عَلَى قَلْبِكَ» و لم يقل على قلبى على العرف المألوف كما تقول لمن تخاطبه لا- تقل للقوم أن الخبر عندك و يجوز أن تقول لا تقل لهم أن الخبر عندى و كما تقول قال القوم جبريل عدونا و يجوز أن تقول قالوا جبريل عدوهم و أما قوله تعالى: «مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ» فمعناه من كان معاديا لله أى يفعل فعل المعادى من المخالفه و العصيان فإن حقيقه العداوه طلب الإضرار به و هذا يستحيل على الله تعالى و قيل المراد به معاداه أوليائه كقوله إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ قَوْلَهُ «وَ مَلَائِكَتِهِ» أى و معاديا لملائكته «وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكَالَ» و إنما أعاد ذكرهما لفضلهما و منزلتهما كقوله تعالى «فِيهِمَا فَكِرَهُهُ وَ نَحْلُ وَ رُمَّانٌ» و قيل إنما أعاد ذكرهما لأن اليهود قالت جبريل عدونا و ميكائيل و لينا فخصهما الله بالذكر لأن النزاع جرى فيهما فكان ذكرهما أهم و لثلا تزعم اليهود أنهما مخصوصان من جملة الملائكه و ليسا بداخلين فى جملتهم فنص الله تعالى عليهما ليبتل ما يتأولونه من التخصيص ثم قال «فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ لِّلْكَافِرِينَ» و لم يقل فإنه و كرر اسم الله لثلا يظن أن الكنايه راجعه إلى جبرائيل أو ميكائيل و لم يقل لهم لأنه قد يجوز أن ينتقلوا عن العداوه بالإيمان و قد طعن بعض الملحده فى هذا فقال كيف يجوز أن يقول عاقل أنا عدو جبريل و ليس هذا القول من اليهود بمستنكر و لا- عجب مع ما أخبر الله تعالى عن قولهم بعد مشاهدتهم فلق البحر و الآيات الخارقة للعادة اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ و قولهم أَرْنَا اللَّهَ جَهْرَةً و عبادتهم العجل و غير ذلك من جهالاتهم.

البقره (٢): آيه ٩٩

إشاره

وَ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَ مَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ (٩٩)

اللغه

الآيه العلامه التى فيها عبره و قيل العلامه التى فيها الحججه و البيئه الدلاله الفاصله الواضحه بين القضيه الصادقه و الكاذبه مأخوذه من إبانته أحد الشيين من الآخر ليزول التباسه به.

قد تدخل في الكلام لأحد أمرين أحدهما لقوم يتوقعون الخبر والآخر لتقريب الماضي من الحال تقول خرجت وقد ركب الأمير و هي هنا مع لام القسم على تقدير قوم يتوقعون الخبر لأن الكلام إذا خرج ذلك المخرج كان أوكد و أبلغ.

النزول

قال ابن عباس إن ابن سوريا قال لرسول الله صلى الله عليه و آله يا محمد ما جئنا بشىء نعرفه و ما أنزل الله عليك من آية بينه فنتبعك لها فأنزل الله هذه الآية.

المعنى

يقول «وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ» يا محمد «آيَاتٍ» يعنى سائر المعجزات التى أعطىها النبى صلى الله عليه و آله عن البلخى و قيل هى القرآن و ما فيها من الدلالات عن أبى مسلم و أبى على و قيل هى علم التوراه و الإنجيل و الأخبار عما غمض مما فى كتب الله السالفه عن الأصم كقوله تعالى يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ «بَيِّنَاتٍ» أى واضحات تفصل بين الحق و الباطل «وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ» و معناه الكافرون و إنما سُمى الكفر فسقا لأن الفسق خروج من شىء إلى شىء و اليهود خرجوا من دينهم و هو دين موسى بتكذيب النبى صلى الله عليه و آله و إنما لم يقل الكافرون و إن كان الكفر أعظم من الفسق لأحد أمرين (أحدهما) أن المراد أنهم خرجوا عن أمر الله إلى ما يعظم من معاصيه و الثانى أن المراد به أنهم الفاسقون المتمردون فى كفرهم لأن الفسق لا يكون إلا أعظم الكبائر فإن كان فى الكفر فهو أعظم الكفر و إن كان فيما دون الكفر فهو أعظم المعاصى.

البقره (٢): آيه ١٠٠

إشاره

أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٠)

اللغه

النبد طرحك الشىء عن يدك أمامك أو خلفك و المنابذه انتباز الفريقين للحرب و نابذناهم الحرب و المنبذون هم الأولاد الذين يطرحون و المنابذه فى البيع منهى عنها و هو كالرمى كأنه إذا رمى به و جب البيع له و سُمى النبيذ نبيذا لأن التمر كان يلقى فى الجره و غيرها و قيل معنى نبذه تركه و قيل ألقاه قال أبو الأسود الدؤلى:

نظرت إلى عنوانه فنبدته

كنبذك نعلأ أخلقت من نعالكا

الواو فى قوله «أَوْ كَلَّمَا» عند سيبويه و أكثر النحويين واو العطف إلا أن ألف الاستفهام دخلت عليها لأن لها صدر الكلام و هى أم حروف الاستفهام بدلاله أن هذه الواو تدخل على هل تقول و هل زيد عالم لأن الألف أقوى منها و قال بعضهم يحتمل أن تكون زائده كزياده الفاء فى قولك أ ف الله ليفعلن و الأول أصح لأنه لا- يحكم على الحرف بالزياده مع وجود معنى من غير ضروره و نصب كلما على الظرف و العامل فيه نبذه و لا يجوز أن يعمل فيه عاهدوا لأنه متمم لما إما صلته و إما صفه.

المعنى

أخبر الله سبحانه عن اليهود أيضا فقال «أَوْ كَلَّمَا عَاهِدُوا» الله «عَهْدًا» أراد به العهد الذى أخذه الأنبياء عليهم أن يؤمنوا بالنبي الأسمى عن ابن عباس و كلما لفظ يقتضى التكرار فيقتضى تكرر النقص منهم و قال عطاء هى العهود التى كانت بين رسول الله صلى الله عليه و آله و بين اليهود فنقضوها كفعل قريظه و النضير عاهدوا أن لا يعينوا عليه أحدا فنقضوا ذلك و أعانوا عليه قريشا يوم الخندق «نَيْدَهُ فَرِيْقٌ مِنْهُمْ» أى نقضه جماعه منهم «بَلْ أَكْثَرُهُمْ» أى أكثر المعاهدين «لَا يُؤْمِنُونَ» و لا تعود الهاء و الميم إلى فريق إذ كانوا كلهم غير مؤمنين فأما المعاهدون فمنهم من آمن كعبد الله بن سلام و كعب الأحبار و غيرهما فأما وجه دخول بل على قوله «بَلْ أَكْثَرُهُمْ» فإنه لأمرين (أحدهما) أنه لما نبذه فريق منهم دل على أن ذلك الفريق كفر بالنقض فقال بل أكثرهم كفار بالنقض الذى فعلوه و إن كان بعضهم نقضه جهلا و بعضهم نقضه عنادا و الثانى أنه أراد كفر فريق منهم بالنقض و كفر أكثرهم بالجحد للحق و هو أمر النبي صلى الله عليه و آله و ما يلزم من اتباعه و التصديق به.

البقره (٢): آيه ١٠١

إشارة

وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصِِّدٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١)

الإعراب

لما فى موضع نصب بأنه ظرف و يقع به الشىء بوقوع غيره و العامل فيه نبذ و مصدق رفع لأنه صفة لرسول لأنها نكرتان و لو نصب لكان جائزا لأن رسول قد وصف بقوله «مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» فلذلك يحسن نصبه على الحال إلا أنه لا يجوز فى القراءه إلا

الرفع لأن القراءه سنه متبعه و موضع ما جر باللام و مع صله لها و الناصب لمع معنى الاستقرار و المعنى لما استقر معهم.

المعنى

«وَلَمَّا جَاءَهُمْ» أى و لما جاء اليهود الذين كانوا فى عصر النبى صلى الله عليه و آله «رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» يعنى محمدا صلى الله عليه و آله عن أكثر المفسرين و قيل أراد بالرسول الرساله كما قال كثير:

فقد كذب الواشون ما بحت عندهم

بليلى و ما أرسلتهم برسول

قال على بن عيسى و هذا ضعيف لأنه خلاف الظاهر قليل فى الاستعمال و قوله «مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ» يحتمل أمرين (أحدهما) أنه مصدق لكتبهم من التوراه و الإنجيل لأنه جاء على الصفه التى تقدمت بها البشاره (و الثانى) أنه مصدق للتوراه بأنها حق من عند الله لأن الأخبار هاهنا إنما هو عن اليهود دون النصارى و الأول أحسن لأن فيه حجه عليهم و قوله «تَبَيَّنَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» أى ترك و ألقى طائفه منهم و إنما قال «مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» و لم يقل منهم و قد تقدم ذكرهم لأنه يريد به علماء اليهود فأعاد ذكرهم لاختلاف المعنى و قيل أنه لم يكن عنهم للبيان لما طال الكلام و قوله «كِتَابَ اللَّهِ» يحتمل أن يريد به التوراه و يحتمل أن يريد به القرآن و قوله «وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ» كناية عن تركهم العمل به قال الشعبى هو بين أيديهم يقرءونه و لكن نبذوا العمل به و قال سفيان بن عيينه أدرجوه فى الحرير و الديباج و حلوه بالذهب و الفضة و لم يحلوا حلاله و لم يحرموا حرامه فذلك النبذ هذا إذا حمل الكتاب على التوراه و قال أبو مسلم لما جاءهم الرسول بهذا الكتاب فلم يقبلوه صاروا نابذين للكتاب الأول أيضا الذى فيه البشاره به و قال السدى نبذوا التوراه و أخذوا بكتاب آصف و سحر هاروت و ماروت يعنى أنهم تركوا ما تدل عليه التوراه من صفه النبى صلى الله عليه و آله و قال قتاده و جماعه من أهل العلم أن ذلك الفريق كانوا معاندين و إنما ذكر فريقا منهم لأن الجمع العظيم و الجم الغفير و العدد الكثير لا يجوز عليهم كتمان ما علموه مع اختلاف الهمم و تشتت الآراء و تباعد الأهواء لأنه خلاف المألوف من العادات إلا- إذا كانوا عددا يجوز على مثلهم التواطؤ على الكتمان و قوله «كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» أى لا- يعلمون أنه صدق و حق و المراد أنهم علموا و كتموا بغيا و عنادا و قيل المراد كأنهم لا- يعلمون ما عليهم فى ذلك من العقاب و قيل المراد كأنهم لا يعلمون ما فى كتابهم أى حلوا محل الجاهل بالكتاب.

اشاره

وَ اتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِكُمْ سُبْحَانَ مَا كَفَرَ سُبْحَانَ مَا كَفَرَ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ وَ مَا أُنزِلَ عَلَىٰ الْمَلَكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَ مَارُوتَ وَ مَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ وَ مَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ يَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَ لَا يَنْفَعُهُمْ وَ لَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَ لَبِئْسَ مَا شَرُّوا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢)

القراءه

قرأ ابن عامر و حمزه و الكسائي و لكن الشياطين كفروا و لكن الله قتلهم و لكن الله رمى بتخفيف النون من لكن و رفع الاسم بعدها و الباقر بالتشديد و روى فى الشواذ على الملكين بكسر اللام عن ابن عباس و الحسن.

الإعراب

قال أبو على اعلم أن لكن لا نعلم شيئا على مثاله فى الأسماء و لا فى الأفعال و هى مثل إن فى أنها مثقله ثم تخفف إلا أن إن و أن إذا خففتا فقد ينصب بهما كما كان ينصب بهما مثقلتين و إن كان غير الأعمال أكثر و لم نعلم أن أحدا حكى النصب فى لكن إذا خففت فيشبهه إن و النصب لم يجىء فى هذا الحرف مخففا ليكون ذلك دلاله على أن الأصل فى هذه الحروف أن لا تعمل إذا خففت لزوال اللفظ الذى به شابه الفعل فى التخفيف و لكن و إن لم يشابه الفعل فإن فيه ما يشبه الفعل إذا فصلته كقولهم أراك منتفخا أريد أن تفخ مثل كتف فقدر منفصلا ثم خفف كذلك يقدر فى لكن الانفصال فيشبهه ليت و إن.

أتبعه أقتدى به و تلو معناه تتبع لأن التالى تابع و قيل معناه تقرأ من تلوت كتاب الله أى قرأته قال الله تعالى هنالك تتلوا كل نفس ما أسلفت أى تتبع و قال حسان بن ثابت:

نبي يرى ما لا يرى الناس حوله

و يتلو كتاب الله فى كل مشهد

و السحر و الكهانه و الحيله نظائر يقال سحره يسحره سحرا و قال صاحب العين السحر عمل يقرب إلى الشياطين و من السحر الأخذه التى تأخذ العين حتى يظن أن الأمر كما ترى و ليس الأمر كما ترى و الجمع الأخذ فالسحر عمل خفى لخفاء سببه يصور الشئ بخلاف صورته و يقلبه عن جنسه فى الظاهر و لا يقلبه عن جنسه فى الحقيقه أ لا ترى إلى قوله سبحانه و تعالى يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى و السحر الغذاء قال امرؤ القيس:

أرانا موضعين لحتم غيب

و نسحر بالطعام و بالشراب

و السحر أيضا الرئه يقال للجبان انتفخ سحره و الفتنة و الامتحان و الاختبار نظائر يقال فتنته فتنة و أفتنه قال أعشى همدان فجاء باللغتين:

لقد فتننتى و هى بالأمس أفتنت

سعيدا فأمسى قد قلا كل مسلم

و فتننت الذهب فى النار إذا اختبرته فيها لتعلم أ خالص هو أم مشوب فليل لكل ما أحميته فى النار فتنة و فتننت الخبز فى النار أنضجتها و منه قوله يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ أى يشوون و تعلم قد تكون بمعنى اعلم كما قيل علمت و أعلمت بمعنى و كذلك فهمت و أ فهمت قال كعب بن زهير:

تعلم رسول الله أنك مدركى

و أن وعيدا منك كالأخذ باليد

و قيل إن بينهما فرقا فعنى تعلم تسبب إلى ما به تعلم من النظر فى الأدله و ليس فى اعلم هذا المعنى فقد يقال ذلك لما يعلم بلا تأمل كقولك اعلم أن الفعل يدل على الفاعل و أن ما لم يسبق المحدث محدث و تقول فى الأول تعلم النحو و الفقه و المرء تأنيته المرأه و يقال مره بلا ألف و الضرر و الألم و الأذى نظائر و الضر نقيض النفع يقال ضره يضره ضرا و أضر به إضرارا و اضطره إليه اضطرارا قال صاحب العين الضر و الضر لغتان فإذا ضمنت إليه النفع فتحت الضاد و الضرير الذاهب البصر من الناس

يقال رجل ضريير بين الضراره

ص: ٢٤٧

فى الحديث لا ضرر ولا ضرار

و ضريرا الوادى جانباه و كل شىء دنا منك حتى يزحمك فقد أضر بك و أصل الباب الانتقاص و الأذن فى اللغة على ثلاثه أقسام (أحدها) بمعنى العلم كقوله فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ أى فاعلموا و قال الحطيئه:

ألا يا هند إن جددت وصلا

و إلا فأذنينى بانصرام

و (الثانى) بمعنى الإباحه و الإطلاق كقوله تعالى فَأَنْكِحُوهُنَّ بِأُذُنِ أَهْلِهِنَّ و الثالث بمعنى الأمر كقوله نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ و النفع و المنفعه و اللذه نظائر و حد النفع هو كل ما يكون به الحيوان ملتذا أما لأنه لذه أو يؤدي إلى لذه و حد الضرر كل ما يكون به الحيوان ألما أما لأنه ألم أو يؤدي إلى ألم و الخلاق النصيب من الخير قال أميه بن أبى الصلت:

يدعون بالويل فيها لا خلاق لهم

إلا سراييل من قطر و أغلال

الإعراب

قوله «ما تَتْلُوا» فيه وجهان أحدهما أن تكون تتلوا بمعنى تلت و إنما جاز ذلك لما عام من اتصال الكلام بعهد سليمان فيمن قال إن المراد على عهد ملك سليمان أو فى زمن ملك سليمان أو بملك سليمان فيمن لم يقدر حذف المضاف فدل ذلك على إن مثال المضارع أريد به الماضى قال سيبويه قد تقع يفعل فى موضع فعل كقول الشاعر:

و لقد أمر على اللثيم يسبنى

فمضيت ثمه قلت لا يعينى

و الوجه الآخر أن يكون يفعل على بابه لا يريد به فعل و لكنه حكاية حاول و إن كان ماضيا كقوله وَ إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ فَيَسُومُونَكُمْ حكاية للحال فى الوقت الذى كانت فيه و إن كان آل فرعون منقرضين فى وقت هذا الخطاب و من هذا ما أنشده ابن الأعرابى:

جاريه فى رمضان الماضى

تقطع الحديث بالإيماض

وقوله «وَمَا أَنْزَلْ» ذكر في ما ثلاثه أقوال (أحدها) أنه بمعنى الذي و أنزل صلته و موضعه نصب بكونه معطوفا على السحر و قيل أنه معطوف على قوله «مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ» و (ثانيها) أنه بمعنى أيضا و موضعه جر و يكون معطوفا بالواو على ملك سليمان و (ثالثها) أنه بمعنى الجحد و النفي و تقديره و ما كفر سليمان و لم ينزل الله السحر على الملكين و بابل اسم بلد لا- ينصرف للتعريف و التأنيث و قوله فَيَتَعَلَّمُونَ» لا

ص: ٢٤٨

يخلو من أحد أمرين إما أن يكون الفعل معطوفاً بالفاء على فعل قبله أو يكون خبر مبتدأ محذوف و الفعل الذى قبله لا يخلو إما أن يكون كفروا من قوله «وَ لَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا» فيجوز أن يكون فيتعلمون معطوفاً عليه لأن كفروا فى موضع رفع بكونه خبر لكن فعطف عليه بالمرفوع و هو قول سيبويه فأما يعلمون فيجوز أن تكون فى موضع نصب على الحال من كفروا أى كفروا فى حال تعليمهم و يجوز أن يكون بدلاً من كفروا لأن تعليم الشياطين كفر فى المعنى و إذا كان كذلك جاز البدل فيه إذا كان إياه فى المعنى كما كان مضاعفه العذاب لما كان لقى الآثام فى قوله «وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ جَازَ إِبْدَالِهِ مِنْهُ» إما أن يكون الفعل الذى عطف عليه يتعلمون قوله «يُعَلِّمُونَ» و هو قول الفراء و أنكر الزجاج هذا القول قال لأن قوله «مِنْهُمَا» دليل على التعلم من الملكين خاصة قال أبو على فهذا يدخل على قول سيبويه أيضاً كما يدخل على قول الفراء لأنهما جميعاً قالوا بعطفه على فعل الشياطين قال و هذا الاعتراض ساقط من جهتين إحداهما أن التعلم و إن كان من الملكين خاصة فلا يمتنع أن يكون قوله «فَيَتَعَلَّمُونَ» عطف على كفروا و على يعلمون و إن كان متعلقاً بهما و كان الضمير فى منهما راجعاً إلى الملكين فإن قلت كيف يجوز هذا و هل يسوغ أن يقدر هذا التقدير و يلزمك أن يكون النظم و لكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر فيتعلمون منهما فتضم الملكين قبل ذكرهما و الإضمار قبل الذكر غير جائز و إن لزمك فى هذا القول الإضمار قبل الذكر و كان ذلك غير جائز لزم أن لا تجيز العطف على واحد من الفعلين اللذين هما كفروا و يعلمون بل تعطفه على فعل مذكور بعد ذكر الملكين كما ذهب إليه أبو إسحاق الزجاج فإنه عطف على ما يوجهه معنى الكلام عند قوله «فَلَا تَكْفُرْ» أى فيأبون فيتعلمون أو على يعلمان من قوله «مَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ» لأنهما فعلان مذكوران بعد الملكين فالجواب أما النظم فإنه على ما ذكرته و هو صحيح و أما الإضمار قبل الذكر فإن منهما فى قوله «فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا» إذا كان ضميراً عائداً إلى الملكين فإن إضمارهما بعد تقدم ذكرهما و ذلك سائغ و نظيره قوله تعالى «وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ لَمَّا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ أَضْمَرَ اسْمَهُ وَ لَوْ قَالَ ابْتَلَىٰ رَبَّهُ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَجْزِ لِكَوْنِهِ إِضْمَارًا قَبْلَ الذِّكْرِ وَ هَذَا بَيْنَ جَدَا فَالاعتراض بذلك على سيبويه و الفراء ساقط و أما الوجه الأخرى التى يسقط منها ذلك فهى أنه قد قيل فى قوله تعالى «وَ مَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ» ثلاثه أقوال يأتى شرحها فى المعنى قولان منها تعلم السحر فيهما من الملكين و قول منها تعلمه من الشياطين فيكون نظم الكلام على هذا و لكن الشياطين هاروت و ماروت كفروا يعلمون الناس السحر فيتعلمون منهما «وَ مَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ» أى لم ينزل «وَ مَا

يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ» أى و ما يعلم هاروت و ماروت من أحد فمنهما على هذا القول لا يرجع إلى الملكين إنما يرجع إلى هاروت و ماروت اللذين هما الشياطين فى المعنى فأما حمل الكلام على التشبيه و الشياطين جمع فسائغ يجوز أن يحمل على المعنى فيجمع و على لفظ هاروت و ماروت فيثنى و نظيره قوله وَ إِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ثُمَّ قَالِ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغْت إِخْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَى و يجوز أن يكون يتعلمون معطوفا على يعلمان من قوله «وَ مَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ» فيكون الضمير الذى فى يتعلمون لأحد إلا أنه جمعه لما حمل على المعنى كقوله تعالى فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ فأما جواز عطفه على ما ذكره الزجاج من قوله و قيل إن يتعلمون عطف على ما يوجهه معنى الكلام لأن المعنى إنما نحن فتنه فلا تكفر فيأبون فيتعلمون و هذا قول حسن فهو قول الفراء قال أبو على و هو عندى جائز لأنه من المضمير الذى فهم للدلالة عليه و أما كونه خبرا للمبتدأ المحذوف فعلى أن تقديره فهم يتعلمون منهما و ذلك غير ممتنع و قد قيل فى قوله منهما أن الضمير عائد إلى السحر و الكفر قاله أبو مسلم قال لأنه تقدم الدليل عليها فى قوله «كَفَرُوا» و هذا كقوله سبحانه سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى وَ يَتَجَبَّبَهَا الْأَشْقَى أى يتجنب الذكرى و قوله «وَ لَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ» قال الزجاج دخول اللام على قد على وجه القسم و التوكيد و قال النحويون فى قوله «لَمَنِ اشْتَرَاهُ» قولين جعل بعضهم من بمعنى الشرط و جعل الجواب «مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ» و هذا ليس بموضع شرط و جزاء و لكن المعنى و لقد علموا الذى اشتراه ما له فى الآخرة من خلاق كما تقول و الله لقد علمت للذى جاءك ما له من عقل انتهى كلام الزجاج و أقول فموضع من رفع بالابتداء و موضع «مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ» رفع على أنه خبر المبتدأ و هذا قول سيبويه فاللام فى قوله «لَمَنِ اشْتَرَاهُ» لام الابتداء دون القسم لأن هذه اللام قد تكون تأكيدا لغير القسم و اللام مع الجملة التى بعدها فى موضع نصب بعلموا كما أن الاستفهام كذلك فى نحو علمت أزيد فى الدار أم عمرو و هذا هو المسمى تعليقا قال أبو على قول من قال إن من جزاء بعيد لأنه إذا كان جزاء فاللام فى لمن اشتراه سبب دخوله القسم كالتى فى قوله وَ لَئِنُ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبَلَتَكَ وَ لَئِنُ شِئْنَا لَنُدْهِبَنَّهُ فَيَقْتَضَى ذلك قسما و القسم الذى يقتضيه قوله «لَمَنِ اشْتَرَاهُ» إذا حملت من على أنه جزاء لا يخلو من أن يكون علموا لأن العلم و الظن قد يقامان مقام القسم كما فى قوله:

و لقد علمت لتأتين منيتى

إن المنايا لا تطيش سهامها

و قوله وَ ظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ أو يكون مضمرا بين قوله «عَلِمُوا» و قوله «لَمَنِ اشْتَرَاهُ»

و يبعد أن يكون علموا قسما و قوله «لَمَنْ اشْتَرَاهُ» جوابه هنا لأنه في هذا الموضع محلوف عليه مقسم و المقسم عليه لا- يكون قسما لأنه يلزم من هذا أن يدخل قسم على قسم لأن في أول الكلام قسما و هو المضمرة الجالب للأم في لقد فهذا هو القسم الأول و الثاني هو الذى يدخل عليه هذا القسم الأول المضمرة و هو قد علموا إذا أجبته باللام فيمن جعله ابتداء و بالنفى فيمن جعل من جزاء و دخول القسم على القسم يبعد عند سيبويه و لا يسوغ فمن أجل هذا بعد عنده أن يكون علموا هنا بمنزلة القسم و أن يجاب بجوابه فقال سيبويه و الخليل لا- يقوى أن تقول و حقك و حق زيد لأفعلن و الواو الثاني و او قسم لا- يجوز إلا مستكرها لأنه لا يجوز هذا في محلوف عليه إلا أن يضم الآخر إلى الأول و يحلف بهما على المحلوف عليه و لهذا جعل هو و الخليل الحرف في قوله وَ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَ النَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَ مَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثَى للعطف دون القسم فلهذا حمل اللام في لمن اشتراه على أنها لام ابتداء دون قسم و ليست كاللام الأخرى في أنها تقتضى قسما لا محالة في نحو قولهم لعمر ك لأفعلن كذا فلا يلزم على تأوله دخول قسم على قسم و يبعد أيضا أن يكون القسم مضمرا بين قوله «وَ لَقَدْ عَلِمُوا» و بين «لَمَنْ اشْتَرَاهُ» لأن علموا يقتضى مفعوليه و إذا وقع قسم بينه و بين مفعوليه لم يجب و كان لغوا كما أنه في نحو قولك زيد و الله منطلق و إن تأتني و الله أتيتك لغوا لا جواب له و لأنه لو أوجب للزم اعتماد علمت عليه فصار القسم في موضع نصب لوقوعه موقع مفعولى علمت و ذلك يمتنع لأنك لو جعلته في موضع مفعوليه لأخرجته عما وضع له لأنه إذا وضع ليؤكد به غيره فلو جعلته في موضع المفعولين لأخرجته عن أن يكون تأكيدا لغيره و لجعلته قائما بنفسه و لو جاز أن يكون في موضع مفعولى علمت لجاز أن يوصل به و يوصف به النكرة و هذا ممتنع فمعلوم إذا أن القسم بعد علمت لا يلزم أن يكون له جواب فإضمار القسم بعد علموا غير جائز لأنه ليس يجوز إلا أن يكون له جواب يدل عليه إذا حذف كما يدل ليفعلن و نحوه من الجواب على القسم و المحذوف فإذا لم يجز أن يكون له جواب لم يجز حذفه و إرادته فقد بعد أيضا أن يكون القسم مضمرا بعد علمت فلما كان علموا مقسما عليه في هذا الموضع فإذا جعلت من بغير معنى الذى لزمك أن يكون علمت قسما و يكون قوله «مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ» و جوابه و كان دخول القسم على القسم غير سائغ عند سيبويه و حمل اللام في لمن على أنه لام الابتداء و من بمعنى الذى لثلا- يلزم ما لا يستحسنه و لا يستجيزه من دخول قسم على قسم فمذهب سيبويه في هذا هو البين.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من أنه نبذ فريق من اليهود كتاب الله

الذى فى أيديهم وراء ظهورهم فقال «وَ اتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ» و اختلف فى المعنى بقوله «وَ اتَّبِعُوا» على ثلاثة أقوال (أحدها) أنهم اليهود الذين كانوا على عهد النبى صلى الله عليه و آله عن الربيع و ابن إسحاق و السدى (و ثانيها) أنهم اليهود الذين كانوا فى زمن سليمان عن ابن عباس و ابن جريج (و ثالثها) أن المراد به الجميع لأن متبعى السحر لم يزالوا منذ عهد سليمان إلى أن بعث محمد صلى الله عليه و آله و روى عن الربيع أن اليهود سألو محمدا صلى الله عليه و آله زمانا عن التوراه لا يسألونه عن شىء من ذلك إلا أنزل الله عليه ما سألو عنه فيخصمهم فلما رأوا ذلك قالوا هذا أعلم بما أنزل علينا منا و أنهم سألوه عن السحر و خاصموه به فأنزل الله تعالى «وَ اتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ» الآية أى اقتدوا بما كانت تتلو الشياطين أى تتبع و تعمل به عن ابن عباس و قيل معناه تقرأ عن عطا و قتاده و قيل معناه تكذب عن أبى مسلم يقال تلا عليه إذا كذب قال سبحانه و تعالى وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ فإذا صدق قيل تلا عنه و إذا أبهم جاز الأمران و اختلف فى قوله «الشَّيَاطِينُ» فقيل هم شياطين الجن لأنه المستفاد من إطلاق هذه اللفظه و قيل هم شياطين الإنس المتمردون فى الضلاله كما قال جرير:

أيام يدعوننى الشيطان من غزلى

و كن يهويننى إذ كنت شيطانا

و قيل هم شياطين الجن و الإنس و قوله «عَلَى مُلْكِكَ سُلَيْمَانَ» قيل معناه فى ملك سليمان كقول أبى النجم:

(فهى على الأفق كعين الأحول)

أى فى الأفق ثم إن هذا يحتمل معنيين (أحدهما) فى عهد ملك سليمان (و الثانى) فى نفس ملك سليمان كما يقال فلان يطعن فى ملك فلان و فى نفس فلان و قيل معناه على عهد ملك سليمان و قال أبو مسلم معناه ما كانت تكذب الشياطين على ملك سليمان و على ما أنزل على الملكين و أما قوله «وَ مَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَ لَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ» بين بهذا أن ما كانت تتلوه الشياطين و تأثره و ترويه كان كفرا إذ برأ سليمان (عليه السلام) منه و لم يبين سبحانه بقوله «مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِكَ سُلَيْمَانَ» أنها أى شىء كانت تتلو الشياطين ثم لم يبين بقوله سبحانه «وَ مَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ» أن ذلك الكفر أى نوع من أنواع الكفر حتى قال «وَ لَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ» فبين سبحانه أن ذلك الكفر كان من نوع السحر فإن اليهود أضافوا إلى سليمان السحر و زعموا أن ملكه كان به فبرأه الله منه و هو قول ابن عباس و ابن جبير و قتاده و اختلف فى السبب الذى لأجله أضافت اليهود السحر إلى سليمان (عليه السلام) فقيل إن سليمان كان قد جمع كتب السحرة و وضعها فى خزانته و قيل كتنها تحت كرسيه لئلا

يطلع عليها الناس و لا يعلموا بها فلما مات سليمان استخرجت السحرة تلك الكتب و قالوا إنما تم ملك سليمان بالسحر و به سخر الإنس و الجن و الطير و زينوا السحر فى أعين الناس بالنسبه إلى سليمان (عليه السلام) و شاع ذلك فى اليهود و قبلوه لعداوتهم لسليمان عن السدى و

روى العياشى بإسناده عن أبى بصير عن أبى جعفر (عليه السلام) قال لما هلك سليمان وضع إبليس السحر ثم كتبه فى كتاب و اطواه و كتب على ظهره هذا ما وضع آصف بن برخيا من ملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم من أراد كذا و كذا فليقل كذا و كذا ثم دفنه تحت السرير ثم استثاره لهم فقال الكافرون ما كان يغلبنا سليمان إلا بهذا و قال المؤمنون هو عبد الله و نبيه فقال الله فى كتابه «وَ اتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ» الآية

و فى قوله «وَ لَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا» ثلاثه أقوال (أحدها) أنهم كفروا بما استخرجوه من السحر و (ثانيها) أنهم كفروا بما نسبوا إلى سليمان من السحر (و ثالثها) أنهم سحروا فعبر عن السحر بالكفر و فى قوله «يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ» قولان (أحدهما) أنهم ألقوا السحر إليهم فتعلموه (و الثانى) أنهم دلوهم على استخراجهم من تحت الكرسي فتعلموه و قوله «وَ مَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بَابِلَ هَارُوتَ وَ مَارُوتَ» فيه وجوه.

(أحدها) أن المراد أن الشياطين يعلمون الناس السحر و الذى أنزل على الملكين و إنما أنزل على الملكين وصف السحر و ماهيته و كيفية الاحتيال فيه ليعرفا ذلك و يعرفاه الناس فيجتنبوه غير أن الشياطين لما عرفوه استعملوه و إن كان المؤمنون إذا عرفوه اجتنبوه و انتفعوا بالاطلاع على كيفية (و ثانيها) أن يكون المراد على ما ذكرناه قبل من أن معناه و اتبعوا ما كذبت به الشياطين على ملك سليمان و على ما أنزل على الملكين أى معهما و على ألسنتهما كما قال سبحانه ما وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ أى معهما و على ألسنتهم (و ثالثها) أن يكون ما بمعنى النفى و المراد و ما كفر سليمان و لا أنزل الله السحر على الملكين و لكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت و ماروت و يكون قوله ببابل هاروت و ماروت من المؤخر الذى معناه التقديم و يكون فى هذا التأويل هاروت و ماروت رجلين من جملة الناس و يكون الملكان اللذان نفى عنهما السحر جبرئيل و ميكائيل (عليه السلام) لأن سحره اليهود فيما ذكر كانت تدعى أن الله عز و جل أنزل السحر على لسان جبرئيل و ميكائيل على سليمان فأكذبهم الله فى ذلك و يجوز أن يكون هاروت و ماروت يرجعان إلى الشياطين كأنه قال و لكن الشياطين هاروت و ماروت كفروا و يسوغ ذلك كما ساغ فى قوله وَ كُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ يعنى لحكم داود و سليمان و يكون على هذا قوله «وَ مَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ» راجعا إلى هاروت و ماروت و معنى قولهما إنما نحن فتنه

«فَلَا تَكْفُرُوا» يكون على طريق الاستهزاء و التماجن لا على سبيل النصيحة و التحذير و يجوز على هذا التأويل أيضا الذى يتضمن النفى و الجحد أن يكون هاروت و ماروت اسمين للملكين و نفى عنهما إنزال السحر و يكون قوله «وَمَا يُعَلِّمَانِ» راجعا إلى قبيلتين من الجن و الإنس أو إلى شياطين الجن و الإنس فيحسن التثنيه لهذا و روى هذا التأويل فى حمل ما على النفى عن ابن عباس و غيره من المفسرين و حكى عنه أيضا أنه كان يقرأ على الملكين بكسر اللام و يقول متى كان العليجان ملكين إنما كانا ملكين و على هذه القراءة لا ينكر أن يرجع قوله «وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ» إليهما و يمكن على هذه القراءة فى الآيه وجه آخر و إن لم يحمل قوله «وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ» على الجحد و النفى و هو أن يكون هؤلاء الذين أخبر عنهم اتبعوا ما تتلوه الشياطين و تدعيه على ملك سليمان و اتبعوا ما أنزل على الملكين من السحر و لا يكون الإنزال مضافا إلى الله تعالى و إن أطلق لأنه جل و عز لا- ينزل السحر بل يكون أنزله إليهما بعض الضلال و يكون معنى أنزل و إن كان من الأرض حمل إليهما لا من السماء أنه أتى به من نجود البلاد و أعاليها فإن من هبط من النجد إلى الغور يقال نزل و اختلف فى بابل فقيل هى بابل العراق لأنه تبلبت بها الألسن عن ابن مسعود و قيل هى بابل دماوند عن السدى و قيل هى نصيبين إلى رأس العين و هاروت و ماروت قيل هما رجلان على ما تقدم بيانه و قيل هما ملكان من الملائكة أهبطهما الله إلى الأرض على صورته الإنس لثلا ينفر الناس منهما إذا كانا على صورته الملائكة و اختلف فى سبب هبوطهما فقيل إن الله أهبطهما ليأمر بالدين و ينهى عن السحر و يفرقا بينه و بين المعجز لأن السحر كان كثيرا فى ذلك الوقت ثم اختلف فى ذلك فقال قوم كانا يعلمان الناس كيفية السحر و ينهيان عن فعله ليكون النهى بعد العلم فإن من لا- يعرف الشىء لا- يمكنه اجتنابه و قال آخرون لم يكن لهما تعليم السحر لما فى ذلك من الإغراء بفعله و إنما اهبطا لمجرد النهى إذ كان السحر فاشيا و قيل أيضا فى سبب هبوطهما

إن الملائكة تعجبت من معاصى بنى آدم مع كثره نعم الله عليهم فقال طائفه منهم يا ربنا أ ما تغضب مما يعمل خلقك فى أرضك و مما يفترون عليك من الكذب و الزور و يرتكبونه من المعاصى و قد نهيتهم عنها و هم فى قبضتك و تحت قدرتك فأحب الله سبحانه أن يعرفهم ما من به عليهم من عجيب

خلقهم و ما طبعهم عليه من الطاعة و عصمهم به من الذنوب فقال لهم انذبوا منكم ملكين حتى أهبطهما إلى الأرض و اجعل فيهما من طبائع المطعم و المشرب و الشهوة و الحرص و الأمل مثل ما جعلت في ولد آدم ثم اختبرهما في الطاعة لى قال فندبوا لذلك هاروت و ماروت و كانا من أشد الملائكة قولا في العيب لولد آدم و استجرار عتب الله عليهم قال فأوحى الله إليهما أن اهبطا إلى الأرض فقد جعلت فيكما من طبائع المطعم و المشرب و الشهوة و الحرص و الأمل مثل ما جعلت في ولد آدم و أنظر أن لا تشركا بى شيئا و لا تقتلا النفس التى حرم الله قتلها و لا تزنيا و لا تشربا الخمر ثم أهبطهما إلى الأرض على صورة البشر و لباسهم فرفع لهما بناء مشرف فأقبلا نحوه فإذا امرأه جميله حسناء أقبلت نحوهما فوقعت في قلوبهما موقعا شديدا ثم إنهما ذكرا ما نهيا عنه من الزنا فمضيا ثم حركتهما الشهوة فرجعا إليها فراوداها عن نفسها فقالت إن لى دينا أدين به و لست أقدر فى دىنى على أن أجيبكما إلى ما تريدان إلا أن تدخلنا فى دىنى فقالا و ما دينك فقالت لى إله من عبده و سجد له كان لى السبيل إلى أن أجيبه إلى كل ما سألتى قالا و ما إلهك قالت هذا الصنم قال فائتمرا بينهما فغلبتهما الشهوة التى جعلت فيهما فقالا لها نجيبك إلى ما سألت قالت فدونكما فاشربا الخمر فإنه قربان لكما عنده و به تصلان إلى ما تريدان فقالا هذه ثلاث خصال قد نهانا ربنا عنها الشرك و الزنا و شرب الخمر فائتموا بينهما ثم قالا لها ما أعظم البليه بك قد أجبناك قال فاشربا الخمر و سجدا للصنم ثم راوداها عن نفسها فلما تهيأت لهما دخل عليهما سائل يسأل فلما رأياه فزعا منه فقال لهما إنكما لمريبان قد خلوتما بهذه المرأه الحسناء إنكما لرجلا- سوء و خرج عنهما فقالت لهما بادرا إلى هذا الرجل فاقتلاه قبل أن يفضحكما و يفضحنى ثم دونكما فاقضيا حاجتكما و أنتما مطمئنان آمنان قال فقاما إلى الرجل فأدركاه فقتلاه ثم رجعا إليها فلم يرياها و بدت لهما سوآتهما و نزع عنهما رياشهما و سقط فى أيديهما فأوحى الله تعالى إليهما إنما أهبطتكما إلى الأرض ساعه من نهار فعصيتمانى بأربع معاص قد نهيتكما عنها و تقدمت إليكما فيها فلم تراقبانى و لم تستحيا منى و قد كنتما أشد من ينقم على أهل الأرض من المعاصى فاخترتا عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة قال فاخترتا عذاب الدنيا فكانا يعلمان الناس السحر بأرض بابل ثم لما علما الناس رفعا من الأرض إلى الهواء فهما معذبان منكسان معلقان فى الهواء إلى يوم القيامة هذا الخبر رواه العياشى مرفوعا إلى أبى جعفر الباقر (عليه السلام)

و من قال بعصمه الملائكة (عليه السلام) لم يجز هذا الوجه و قوله «و ما يُعلمان من أحدى حتى يقولان إنما نحن فتنه فلا تكفروا» يعنى الملكين ما يعلمان أحدا و العرب تستعمل لفظه علم بمعنى أعلم أى لا يعرفان

صفات السحر و كيفيته حتى يقلا أى الأبعد أن يقولوا إنما فتنه أى محنه لأن الفتنه بمعنى المحنه و الاختبار و الابتلاء و إنما كانا محنه من حيث ألقيا إلى المكلفين أمرا لينزجروا عنه و يمتنعوا من مواقعه و هم إذا عرفوه أمكن أن يستعملوه و يرتكبوه فقلالا لمن يطلعانه على ذلك لا- تكفر باستعماله و لا- تعدل عن الغرض فى إلقائه إليك فإنه إنما ألقى إليك لتجنبه لا لتفعله و لا يكون على هذا التأويل تعلم السحر كفرا و معصيه كما أن من عرف الزنا لم يأثم بأنه عرفه و إنما يأثم بالعمل و قيل إن المراد به نفى تعليمهما السحر و التقدير و لا يعلمان أحدا السحر فيقولان إنما نحن فتنه فعلى هذا يكون تعليم السحر من الشياطين و النهى عنه من الملكين و قوله «فَلَا تَكْفُرُوا» يعنى به أحد ثلاثة أشياء (أحدها) فلا تكفر بالعمل بالسحر (و الثانى) فلا تكفر بتعلم السحر و يكون مما امتحن الله عز و جل بالملكين الناس فى ذلك الوقت و جعل المحنه فى الكفر و الإيمان أن يقبل القابل تعلم السحر فيكون بتعلمه كافرا و بتركه التعلم مؤمنا لأن السحر كان قد كثر و هذا ممكن أن يمتحن الله به كما امتحن بالنهر فى قوله فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي (و الثالث) فلا- نكفر بكليهما و قوله «فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا» أى من هاروت و ماروت و قيل من السحر و الكفر و قيل أراد بدلا مما علماهم و يكون المعنى أنهم يعدلون عما علمهم الملكان من النهى عن السحر إلى فعله و استعماله كما يقال ليت لنا من كذا و كذا أى بدلا منه و كقول الشاعر:

جمعت من الخيرات و طبا و علبه

و صرا لإخلاف المزممه البزل

و من كل أخلاق الكرام نميمه

و سعيها على الجار المجاور بالمحل.

و قوله «مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ» فيه وجوه (أحدها) أنهم يوجدون أحدهما على صاحبه و يبغضونه إليه فيؤدى ذلك إلى الفرقة عن قتاده (و ثانيها) أنه يغوون أحد الزوجين و يحملونه على الكفر و الشرك بالله تعالى فيكون بذلك قد فارق زوجه الآخر المؤمن المقيم على دينه فيفرق بينهما اختلاف النحل و تباين المله (و ثالثها) أنهم يسعون بين الزوجين بالنميمه و الوشايه حتى يؤول أمرهما إلى الفرقة و المبايه و قوله «وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» أى لا يلحقون بغيرهم ضررا إلا بعلم الله فيكون على وجه التهديد و قيل معناه إلا بتخليه الله عن الحسن قال من شاء الله منعه فلا يضره السحر و من شاء خلى بينه و بينه فيضره و قوله «وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَ لَا يَنْفَعُهُمْ» معناه يضرهم

فى الآخرة ولا- ينفعمهم و إن كان ينفعمهم فى الدنيا لأنهم لما قصدوا بتعلمه أن يفعلوه و ىرتكبوه لا أن ىجتنبوه صار ذلك بسوء اختيارهم ضررا عليهم و قوله «وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِى الآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ» ىعنى اليهود الذين نبذوا كتاب وراء ظهورهم علموا لمن استبدل السحر بدين الله فالهاء فى اشتراه كناية عن السحر عن قتاده و جماعه من المفسرين فما له فى الآخرة من نصيب و قوله «وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ» ىعنى بئس ما باعوا به حظ أنفسهم حيث اختاروا التكسب بالسحر و قوله «لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» بعد قوله «وَلَقَدْ عَلَّمُوا» ذكر فيه وجوه (أحدها) أن ىكون الذين علموا غير الذين لم يعلموا أو ىكون الذين علموا الشياطين أو الذين خبر تعالى عنهم بأنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم و الذين لم يعلموا هم الذين تعلموا السحر (و ثانيها) أن ىكون الذين علموا هم الذين لم يعلموا إلا- أنهم علموا شيئا و لم يعلموا غيره فكأنه تعالى وصفهم بأنهم عالمون بأنه لا نصيب لمن اشترى ذلك و رضيه لنفسه على الجملة و لم يعلموا كنه ما يصيرون إليه من العقاب الدائم (و ثالثها) أن تكون الفائدة فى نفى العلم بعد إثباته أنهم لم يعملوا بما علموا فكأنهم لم يعلموا كما قال كعب بن زهير ىصف ذنبا و غرابا تبعاه لىصيبا من زاده:

إذا حضرانى قلت لو تعلمانه

أ لم تعلما أنى من الزاد مرمل

ففى عنهما العلم ثم أثبتته و المعنى فى نفيه العلم عنهما أنها لم يعملوا بما علموا فكأنهما لم يعلموا و فى هذه الآية دلالة على أن الأفعال تختلف باختلاف المقاصد و لذلك كان تعلم السحر لإزاله الشبهه و التحرز منه و اجتنابه إيمانا و لتصديقه و استعماله كفرا و اختلف فى ماهية السحر على أقوال فقيل أنه ضرب من التخيل و صنعه من لطيف الصنائع و قد أمر الله تعالى بالتعود منه و جعل التحرز بكتابه و قايه منه و أنزل فيه سورة الفلق و هو قول الشيخ المفيد أبى عبد الله من أصحابنا و قيل أنه خدع و مخاريق و تمويهات لا- حقيقه لها ىخيل إلى المسحور أن لها حقيقه و قيل أنه ىمكن الساحر أن ىقلب الإنسان حمارا و ىقلبه من صورته إلى صورته و ينشئ الحيوان على وجه الالاختراع و هذا لا- ىجوز و من صدق به فهو لا ىعرف النبوه و لا يأمن أن تكون معجزات الأنبياء من هذا النوع و لو أن الساحر و المعزم قدرا على نفع أو ضرر و علما الغيب لقدرا على إزاله الممالك و استخراج الكنوز من معادنها و الغلبه على البلدان بقتل الملوك من غير أن ىنالهم مكروه و ضرر فلما رأيناهم أسوء الناس حالا و أكثرهم مكيدة و احتيالا علمنا أنهم لا ىقدرون على شىء من

ذلك فأما ما روى من الأخبار أن النبي صلى الله عليه وآله سحر فكان يرى أنه فعل ما لم يفعله و أنه لم يفعله ما فعله فأخبار مفتعله لا يلتفت إليها و قد قال الله سبحانه و تعالى حكاية عن الكفار إِنَّ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا فلو كان للسحر عمل فيه لكان الكفار صادقين في مقالهم حاشا النبي صلى الله عليه وآله من كل صفة نقص تنفر عن قبول قوله فإنه حجه الله على خليقته و صفوته على بريته.

البقرة (٢): آية ١٠٣

إشارة

وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٣)

اللغة

المثوبة و الثواب و الأجر نظائر و نقيض المثوبة العقوبة يقال تاب يثوب ثوبا و ثوبا و أثابه إثابه و مثوبه و ثوابا و الأصل فى الثواب ما رجع إليك من شىء يقال اعترت الرجل غشيه ثم ثابت إليه نفسه و لذلك سمي الثواب ثوابا لأنه العائد إلى صاحبه مكافاه لما فعل و منه التثويب فى الأذان و هو ترجيع الصوت يقال ثوب الداعى إذا كرر دعاءه إلى الحرب أو غيرها و يقال انهزم القوم ثم تابوا أى رجعوا و الثوب مشتق من هذا أيضا لأنه تاب لباسا بعد أن كان قطننا أو غزلا و المثابه الموضع يثوب إليه الناس و فى الشواذ قرأ قتاده لمثوبه بسكون التاء و فتح الواو و هى لغة كما قالوا مشوره و مشوره و أجمع العرب على قولهم هذا خير منه و هذا شر منه إلا بعض بنى عامر فإنهم يقولون هذا أخير من ذا و أشر من ذا.

الإعراب

اللام فى لمثوبه لام الابتداء و هى فى موضع جواب لو لأنها تنبئ عن قولك لا تشبوا و الضمير فى أنهم عائد إلى الذين يتعلمون السحر.

المعنى

ثم قال سبحانه «وَلَوْ أَنَّهُمْ» يعنى الذين يتعلمون السحر و يعملونه و قيل هم اليهود «آمَنُوا» أى صدقوا بمحمد صلى الله عليه وآله و القرآن «وَ اتَّقَوْا» السحر و الكفر و قيل جميع المعاصى «لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ» أى لأثيبوا و ثواب الله خير «لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» أى لو كانوا يستعملون ما يعلمونه و ليس أنهم كانوا يجهلون ذلك كما يقول الإنسان لصاحبه و هو يعظه ما أدعوك إليه خير لك لو كنت تعقل أو تنظر فى العواقب و فى قوله «لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» و هو خير علموا أو لم يعلموا و جهان (أحدهما) أن معناه لو كانوا يعلمون لظهر لهم بالعلم ذلك أى لعلموا أن ثواب الله خير من السحر (و الآخر) أن المعنى فيه الدلالة على جهلهم و ترغيبهم فى أن يعلموا ذلك و أن يطلبوا ما هو خير لهم من السحر و هو ثواب الله الذى ينال بطاعته و اتباع مرضاته و فى هذه الآية دلالة على بطلان قول أصحاب

المعارف لأنه نفى ذلك العلم عنهم.

البقرة (٢): آيه ١٠٤

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَ قُولُوا انظُرْنَا وَ اسْمَعُوا وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤)

اللغة

المراعاة التفقد للشئ في نفسه أو أحواله و المراعاة و المحافظه و المراقبه نظائر و نقيض المراعاة الإغفال و رعى الله فلانا أى حفظه و رعيت له حقه و عهده فيمن خلف و أرعيته سمعى إذا أصغيت إليه و راعيته بعينى إذا لاحظته و جمع الراعى رعاء و رعا و رعيان و كل من ولى قوما فهو راعيهم و هم رعيتة و المرعى من الناس المسوس و الراعى السائس و استرعاه الله خلقه أى و لاه أمرهم ليرعاهم و الإرعاء الإبقاء على أخيك و الاسم الرعوى و الرعيا و راعنى سمعك أى استمع و رجل ترعيه للذى صنعته و صنعه آباءه الرعايه و قال الشاعر:

يسوسها ترعيه حاف فضل

و أصل الباب الحفظ و نظرت الرجل أنظر نظره بمعنى انتظرته و ارتقبتة.

المعنى

لما قدم سبحانه نهى اليهود عن السحر عقبه بالنهى عن إطلاق هذه اللفظه فقال سبحانه «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا» كان المسلمون يقولون يا رسول الله راعنا أى استمع منا فحرفت اليهود هذه اللفظه فقالوا يا محمد راعنا و هم يلحدون إلى الرعونه يريدون به النقيصه و الوقيعه فلما عوتبوا قالوا نقول كما يقول المسلمون فهى الله عن ذلك بقوله «لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَ قُولُوا انظُرْنَا» و قال قتاده إنها كلمه كانت تقولها اليهود على وجه الاستهزاء و قال عطاء هى كلمه كانت الأنصار تقولها فى الجاهليه فنهوا عنها فى الإسلام و قال السدى كان ذلك كلام يهودى بعينه يقال له رفاعه بن زيد يريد بذلك الرعونه فهى المسلمون عن ذلك و

قال الباقى (عليه السلام) هذه الكلمه سب بالعبرانيه إليه كانوا يذهبون

و قيل كان معناه عندهم اسمع لا سمعت و روى عن الحسن أنه كان يقرأ راعنا بالتونين و هو شاذ لا يؤخذ به و معنى «انظُرْنَا» يحتمل وجوها (أحدها) انتظرنا نفهم و نتبين ما تعلمنا (و الآخر) فقهننا و بين لنا يا محمد (و الثالث) أقبل علينا و يجوز أن يكون معناه أنظر إلينا فحذف حرف الجر و قوله «وَ اسْمَعُوا» يحتمل أمرين (أحدهما) أن معناه اقبلوا ما يأمركم به قوله سمع الله لمن حمده و سمع الله دعاءك أى قبله و (الثانى) أن معناه استمعوا ما يأتيكم به الرسول عن الحسن «وَ لِلْكَافِرِينَ» بمحمد و القرآن «عَذَابٌ أَلِيمٌ» أى موجع

قال الحسن و الضحاك كل ما فى القرآن يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فإنه نزل بالمدينه.

البقره (٢): آيه ١٠٥

إشاره

ما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ لَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ اللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (١٠٥)

اللغه

الموده المحبه و الاختصاص بالشىء هو الانفراد به و ضد الاختصاص الاشتراك و يقال خصه بالشىء أى يختصه خصا إذا فضله به و الخصاص الفرج و الخص بيت من قصب أو شجر و إنما سمي خصا لأنه يرى ما فيه من خصاصه و كل خلل أو خرق يكون فى السحاب أو المنخل فهو الخصاصه و أصل الباب الانفراد بالشىء و منه يقال للفرج الخصائص لانفراد كل واحد عن الآخر من غير جمع بينها و يقال أخصصته بالفائده و اخصصت أنا بها كما يقال أفردته بها و انفردت أنا بها.

الإعراب

«الَّذِينَ كَفَرُوا» فى موضع رفع لأنه فاعل يود و المشركين فى موضع جر بالعطف على أهل الكتاب و تقديره و لا من المشركين و قوله «أَنْ يُنَزَّلَ» فى موضع نصب لأنه مفعول يود و من فى قوله «مِنْ خَيْرٍ» زائده مؤكده كقولك ما جاءنى من أحد و موضع من خير رفع و من فى قوله «مِنْ رَبِّكُمْ» لابتداء الغايه و التى فى قوله «مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» للتنوع و التبيين مثل التى فى قوله فَمَاجْتَبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ.

المعنى

ثم أخبر سبحانه أيضا عن اليهود فقال «ما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ لَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ» معناه ما يحب الكافرون من أهل الكتاب و لا من المشركين بالله من عبده الأوثان أن ينزل الله عليكم شيئا من الخير الذى هو عنده و الخير الذى تمنوا أن لا ينزله الله عليهم ما أوحى إلى نبيه صلى الله عليه و آله و أنزله عليه من القرآن و الشرائع بغيا منهم و حسدا «وَ اللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ» و

روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) و عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام) أن المراد برحمته هنا النبوه

و به قال الحسن و أبو على و الرماني و غيرهم من المفسرين قالوا يختص بالنبوه من يشاء من عباده «وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» هذا خبر منه سبحانه أن كل خير نال عباده فى دينهم و دنياهم فإنه من

عنده ابتداء منه إليهم و تفضلا عليهم من غير استحقاق منهم لذلك عليه فهو عظيم الفضل ذو المن و الطول.

البقره (٢): آيه ١٠٦

إشارة

ما نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦)

القراءة

قرأ ابن عامر ما ننسخ بضم النون و كسر السين و الباقون بفتحها وقرأ ابن كثير و أبو عمرو نساها بفتح النون و السين و إثبات الهمزة و الباقون بضم النون و كسر السين بلا همز.

الإعراب

أما قراءة ابن عامر ننسخ فلا يخلو من أن يكون أفعل لغه في فعل نحو بدأ و بدأ و حل من إحرامه و أحل أو تكون الهمزة للنقل نحو ضرب و أضربته و نسخ الكتاب و أنسخته الكتاب أو يكون المعنى في أنسخ الآيه وجدتها منسوخه كقولهم أحمدت زيدا و أبخلته و الوجه الصحيح هو الأول و هو أن يكون نسخ و أنسخ لغتين متفقتين في المعنى و إن اختلفتا في اللفظ و قول من فتح النون أبين و أوضح و أما نساها فهي من النسي و هو التأخير يقال نسا نساء الإبل عن الحوض أنساها نسا إذا أخرتها عنه و انتسأت أنا أى تأخرت و منه قولهم أنسا الله أجلك و نسا في أجلك و أما القراءة الأخرى فمن النسيان الذى هو بمعنى السهو أو بمعنى الترك.

اللغة

النسخ في اللغة إبطال شىء و إقامة آخر مقامه يقال نسخت الشمس الظل أى أذهبته و حلت محله و قال ابن دريد كل شىء خلف شيئا فقد انتسخه و انتسخ الشيب الشباب و تناسخ الورثة أن تموت ورثة بعد ورثة و أصل الميراث قائم لم يقسم و كذلك تناسخ الأزمنة و القرون بعد القرون الماضيه و أصل الباب الإبدال من الشىء غيره و قال على بن عيسى النسخ الرفع لشىء قد كان يلزم العمل به إلى بدل منه كنسخ الشمس بالظل لأنه يصير بدلا منها في مكانها و هذا ليس بصحيح لأنه ينتقض بمن يلزمه الصلاة قائما فعجز عن القيام فإنه يسقط عنه القيام لعجزه و لا يسمى العجز ناسخا و لا القيام منسوخا و ينتقض

أيضاً بمن يستبيح الشيء بحكم العقل وورد الشرع بخطره فإنه لا يقال إن الشرع نسخ حكم العقل ولا أن حكم العقل منسوخ و أولى ما يجد به النسخ أن يقال هو كل دليل شرعى دل على أن مثل الحكم الثابت بالنص الأول غير ثابت فى المستقبل على وجه لولاه لكان ثابتاً بالنص الأول مع تراخيه عنه و النسخ فى القرآن على ضروب منها أن يرفع حكم الآية و تلاوتها كما روى عن أبى بكر أنه قال كنا نقرأ لا- ترغبوا عن آباءكم فإنه كفر بكم و منها أن تثبت الآية فى الخط و يرفع حكمها كقوله وَ إِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعاقِبْتُمْ الآية فهذه ثابتة اللفظ فى الخط مرتفعه الحكم و منها ما يرتفع اللفظ و يثبت الحكم كآيه الرجم فقد قيل أنها كانت منزله فرفع لفظها و قد جاءت أخبار كثيرة بأن أشياء كانت فى القرآن فنسخ تلاوتها فمنها ما روى عن أبى موسى أنهم كانوا يقرءون لو أن لابن آدم واديين من مال لا يتغى إليهما ثالثاً و لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب و يتوب الله على من تاب ثم رفع و عن أنس أن السبعين من الأنصار الذين قتلوا بيئر معونه قرأنا فيهم كتاباً بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضى عنا و أرضانا ثم إن ذلك رفع و قال أبو عبيده معنى نساها أى نمضيها فلا ننسخها قال طرفه:

أمون كالواح الأران نساتها

على لا حب كأنه ظهر برجد

أى أمضيتها و قال غيره نسات الإبل فى ظمئها أنساها نسا إذا زدتها فى ظمئها يوماً أو يومين و ظمؤها منعها الماء و نسات الماشية تنساً نسا إذا سمتت و كل سمين ناسئ قال الزجاج و تأويله أن جلودها نسات أى تأخرت عن عظامها و قال غيره إنما قيل ذلك لأنها تأخرت فى المرعى حتى سمتت و يقال للعصا المنسأة لأنها ينسأ بها أى يؤخر ما يساق عن مكانه و يدفع بها الإنسان عن نفسه الأذى و نسات ناقتى إذا دفعتها فى السير و أصل الباب التأخير.

الإعراب

«ما نَسَيْحٌ» ما اسم ناب مناب أن و هو فى موضع نصب بنسخ و إنما لزمه التقديم و إن كان مفعولاً و مرتبه المفعول أن يكون بعد الفاعل لنيابته عن حرف الشرط الذى له صدر الكلام و نسخ مجزوم بالشرط و ننس جزم لأنه معطوف عليه و نأت مجزوم لأنه جزء و من فى قوله «مِنْ آيَةٍ» للتبويض و قيل هى مزيدة و لفظ أ لم هاهنا لفظ الاستفهام و معناه التقرير و تعلم مجزوم بلم لأن حرف الاستفهام لا يغير العامل عن عمله.

النظم

لما قال سبحانه فى الآية الأولى ما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ لَأَ

المُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ دل بهذه الآية على أنه سبحانه لا يخليهم من إنزال خير إليهم بخلاف ما تمناه أعداؤهم فيهم وأنه أبدا ينزل عليهم ما هو أصلح لهم عن علي بن عيسى وقيل إنه سبحانه لما عاب اليهود بأشياء ورد عليهم ما راموا به الطعن في أمر نبينا (عليه السلام) وكان مما طعنوا فيه أنه يقول بنسخ كل شريعته تقدمت شريعته فينبى الله سبحانه جواز ذلك ردا عليهم عن أبى مسلم.

المعنى

«ما نَسَخَ مِنْ آيَةٍ» قد ذكرنا حقيقة النسخ عند المحققين وقيل معناه ما نرفع من آية أو حكم آية وقيل معناه ما نبدل من آية عن ابن عباس ومن قرأ «أَوْ نَسِيَهَا» فمعناه على وجهين فإن لفظ النسي المنقول منه أنسى على ضربين (أحدهما) بمعنى النسيان الذى هو خلاف الذكر نحو قوله وَ أَذْكَرَ رَبِّكَ إِذَا نَسِيَتْ (والآخر) بمعنى الترك نحو قوله نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ أى تركوا طاعه الله فترك رحمتهم أو ترك تخليصهم فالوجه الأول فى الآية مروى عن قتاده وهو أن يكون محمولا على النسيان الذى هو مقابل الذكر ويجوز ذلك على الأعمه بأن يؤمروا بترك قراءتها فينسونها على طول الأيام ولا يجوز ذلك على النبى صلى الله عليه وآله لأنه يؤدى إلى التنفير كذا ذكره الشيخ أبو جعفر رحمه الله فى تفسيره وقد جوز جماعه من المحققين ذلك على النبى صلى الله عليه وآله و آله قالوا أنه لا يؤدى إلى التنفير لتعلقه بالمصلحة ويجوز أيضا أن ينسيهم الله تعالى ذلك على الحقيقة وإن كانوا جمعا كثيرا و جما غفيرا بأن يفعل النسيان فى قلوب الجميع وإن كان ذلك خارقا للعادة ويكون معجزا للنبى صلى الله عليه وآله واستدل من حمل الآية على النسيان الذى هو خلاف الذكر و جوز كون النبى صلى الله عليه وآله مرادا به بقوله سبحانه سَيَقْرُوكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ أى إلا ما شاء الله أن تنساه قال و إلى هذا ذهب الحسن فقال إن نبيكم أقرئ القرآن ثم نسيه وأنكر الزجاج هذا القول فقال إن الله تعالى قد أنبا النبى صلى الله عليه وآله فى قوله وَ لَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لتفتري علينا غيره بأنه لا يشاء أن يذهب بما أوحى إلى النبى صلى الله عليه وآله و آله قال أبو على الفارسى هذا الذى احتج به على من ذهب إلى أن ننسها من النسيان لا يدل على فساد ما ذهبوا إليه و ذلك أن قوله وَ لَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ إنما هو على ما لا يجوز عليه النسخ و التبديل من الأخبار و أقاصيص الأمم و نحو ذلك مما لا يجوز عليه التبديل و الذى ينسأه النبى صلى الله عليه وآله و هو ما يجوز أن ينسخ من الأوامر و النواهى الموقوفة على المصلحة و فى الأوقات التى يكون ذلك فيها أصلح و يدل على أن ننسها من النسيان الذى هو خلاف الذكر قراءه من قرأ أو تنسها و هو قراءه سعد بن أبى وقاص و قراءه من قرأ أو ننسكها و هو المروى عن سالم مولى أبى حذيفة و قراءه من قرأ أو تنسها و هو المروى عن

سعد بن مالك فالمفعول المراد المحذوف في قراءه من قرأ «أَوْ نُنْسِيهَا» مظهر في قراءه من قرأ ننسكها و يبينه ما روى عن الضحاك أنه قرأ ننسها و يؤكد ذلك أيضا ما روى من قراءه ابن مسعود ما ننسك من آيه أو ننسخها و به قرأ الأعمش و روى عن مجاهد أنه قال قراءه أبي ما ننسخ من آيه أو ننسك فهذا كله يثبت قراءه من جعل ننسها من النسيان و يؤكد ما روى عن قتاده أنه قال كانت الآيه تنسخ بالآيه و ينسى الله نبيه من ذلك شيئا و الوجه الثاني و هو أن المراد بالنسيان الترك في الآيه مروى عن ابن عباس فعلى هذا يكون المراد بنسها نأمركم بتركها أى بترك العمل بها قال الزجاج إنما يقال في هذا نسيت إذا تركت و لا- يقال فيه أنسيت تركت و إنما معنى «أَوْ نُنْسِيهَا» أو تتركها أى نأمركم بتركها قال أبو على من فسر أنسيت بتركت لا يكون مخطئا لأنك إذا أنسيت فقد نسيت و من هذا قال على بن عيسى إنما فسره المفسرون على ما يؤول إليه المعنى لأنه إذا أمر بتركها فقد تركها فإن قيل إذا كان نسخ الآيه رفعها و تركها أن لا تنزل فما معنى ذلك و لم جمع بينهما قيل ليس معنى تركها ألا- تنزل و قد غلط الزجاج في توهمه ذلك و إنما معناه إقرارها فلا ترفع كما قال ابن عباس نتركها فلا نبدلها و إضافه الترك إلى القديم سبحانه في نحو هذا اتساع كقوله تعالى وَ تَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ وَ تَرَكَنا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ أى خليانهم و ذاك و أما من قرأ أو نسأها على معنى التأخير فقيل فيه وجوه (أحدها) أن معناه أو تؤخرها فلا تنزلها و نزل بدلا منها مما يقوم مقامها في المصلحه أو يكون أصلح للعباد منها (و ثانيها) أن معناه تؤخرها إلى وقت ثان و نأتى بدلا منها في الوقت المتقدم بما يقوم مقامها (و ثالثها) أن يكون معنى التأخير أن ينزل القرآن فيعمل به و يتلى ثم يؤخر بعد ذلك بأن ينسخ فيرفع تلاوته البتة و يمحي فلا- تنسأ و لا- يعمل بتأويله مثل ما روى عن زر بن حبيش أن أبا قال له كم تقرأون الأحزاب قال بضعا و سبعين آيه قال قد قرأتها و نحن مع رسول الله صلى الله عليه و آله أطول من سورة البقره أوردته أبو على في كتاب الحججه (و رابعها) أن يؤخر العمل بالتأويل لأنه نسخ و يترك خطه مثبتا و تلاوته قرآن يتلى و هو ما حكى عن مجاهد يثبت خطها و يبدل حكمها و الوجهان الأولان عليهما الاعتماد لأن الوجهين الأخيرين يرجع معنهما إلى معنى النسخ فلا يحسن إذ يكون في التقدير محصوله ما ننسخ من آيه أو ننسخها و هذا لا يصح على أن الوجه الأول أيضا فيه ضعف لأنه لا فائده في تأخير ما لم يعرفه العباد و لا- علموه و لا- سمعوه فالأقوى هو الوجه الثاني و قوله «نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا» فيه قولان (أحدهما) نأت بخير منها لكم في التسهيل و التيسير كالأمر بالقتال الذى سهل على المسلمين بقوله الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ أَوْ مِثْلَهَا في السهوله كالعباده بالتوجه إلى

الكعبة بعد أن كان إلى بيت المقدس عن ابن عباس (و الثاني) نأت بخير منها في الوقت الثاني أى هي لكم في الوقت الثاني خير لكم من الأولى في الوقت الأول في باب المصلحه أو مثلها في ذلك عن الحسن و قوله «أَلَمْ تَعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» قيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه و آله و قيل هو خطاب لجميع المكلفين و المراد أ لم تعلم أيها السامع أو أيها الإنسان إن الله تعالى قادر على آيات و سور مثل القرآن ينسخ بها ما أمر فيقوم في النفع مقام المنسوخ و على القول الأول معناه أ لم تعلم يا محمد أنه سبحانه قادر على نصرك و الانتصار لك من أعدائك و قيل هو عام في كل شىء و استدل من زعم أنه لا يجوز نسخ القرآن بالسنة المعلومه بهذه الآيه قال أضاف الإتيان بخير منها إلى نفسه و السنه لا تضاف إليه حقيقه ثم قال بعد ذلك «أَلَمْ تَعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» فلا بد من أن يكون أراد ما يختص سبحانه بالقدره عليه من القرآن المعجز و الصحيح أن القرآن يجوز أن ينسخ بالسنة المقطوع عليها و معنى خير منها أى أصلح لنا منها فى ديننا و أنفع لنا بأن نستحق به مزيد الثواب فأما إضافه ذلك إليه تعالى فصحيحه لأن السنه إنما هى بوحيه تعالى و أمره بإضافتها إليه كإضافه كلامه و آخر الآيه إنما يدل على أنه قادر على أن ينسخ الآيه بما هو أصلح و أنفع سواء كان ذلك بقرآن أو سنه و فى هذه الآيه دلالة على أن القرآن محدث و أنه غير الله تعالى لأن القديم لا يصح نسخه و لأنه أثبت له مثلا و الله سبحانه قادر عليه و ما كان داخلا تحت القدره فهو فعل و الفعل لا يكون إلا محدثا.

البقره (٢): آيه ١٠٧

إشاره

أَلَمْ تَعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ (١٠٧)

اللغه

الولى هو القائم بالأمر و منه ولى عهد المسلمين و دون الله سوى الله قال أميه بن أبى الصلت:

يا نفس ما لك دون الله من واق

و ما على حدثان الدهر من باق

و النصير الناصر و هو المؤيد و المقوى.

الإعراب و المعنى

«أَلَمْ تَعْلَمَنَّ» استفهام تقرير و تثبيت و يؤول فى المعنى إلى الإيجاب فكأنه يقول قد علمت حقيقه كما قال جرير:

أ لستم خير من ركب المطايا

و أندى العالمين بطون راح

فلهذا خاطب به النبي صلى الله عليه وآله وقيل إن الآية وإن كانت خطابا للنبي (عليه السلام) فالمراد به أمته كقوله يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ وَمِثْلَهُ قَوْلِ الْكَمِيْتِ فِي مَدْحِ النَّبِيِّ (عليه السلام):

لج بتفضيلك اللسان و لو

أكثر فيك الضجاج و اللجب

وقيل أفرطت بل قصدت و لو

عنفنى القائلون أو ثلبوا

أنت المصطفى المهذب المحض

فى النسبه إن نص قومك النسب

فأخرج كلامه مخرج الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وأراد به أهل بيته لأن أحدا من المسلمين لا يعنف مادح النبي (عليه السلام) و لا يكثر الضجاج و اللجب فى إطناب القول فيه فكأنه قال أ لم تعلم أيها الإنسان «أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» لأنه خلقهما و ما فيهما و قوله «وَمَا لَكُمْ مِنْ» قال إن الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وآله قال أتى بضمير الجمع فى الخطاب تفخيما لأمره و تعظيما لقدره و من قال هى خطاب له و للمؤمنين أو لهم خاصة فالمعنى أ لم تعلموا ما لكم أيها الناس «مِنْ دُونِ اللَّهِ» أى سوى الله «مِنْ وَلِيٍّ» يقوم بأمركم «وَلَا نَصِيرٍ» ناصر ينصركم.

البقره (٢): آيه ١٠٨

إشاره

أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ۗ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٠٨)

اللغه

السؤال هو أن يطلب أمر ممن يعلم معنى الطلب و سواء بالمد على ثلاثه أوجه بمعنى قصد و عدل و بمعنى وسط فى قوله إلى سواء الجحيم و بمعنى غير فى قولك أتيت سواك أى غيرك و معنى ضل هاهنا ذهب عن الاستقامه قال الأخطل:

كنت القذى فى موج أكرر مزبد

قذف الآتي به فضل ضلّالا

ص: ٢٦٦

أم هذه منقطعه فإن أم على ضربين متصله و منقطعه فالمتصله عديله الألف و هى مفرقه لما جمعته أى كما أن أو مفرقه لما جمعه أحد تقول أضرب أيهم شئت زيدا أم عمرا أم بكرا كما تقول اضرب أحدهم زيدا أو عمرا أو بكرا و المنقطعه لا تكون إلا بعد كلام لأنها بمعنى بل و همزه الاستفهام كقول العرب أنها لإبل أم شاء كأنه قال بل أهى شاء فقوله «أَمْ تُرِيدُونَ» تقديره بل أ تريدون و مثله قول الأخطل:

كذبتك عينك أم رأيت بواسط

غلس الظلام من الرباب خيالاً

«أَنْ تَشْتَلُوا» موصول و صله فى محل النصب لأنه مفعول تريدون كما أن الكاف حرف جر ما حرف موصول «سُئِلَ مُوسَى» جملة فعلية هى صله ما و الموصول و الصله فى محل الجر بالكاف و الكاف متعلق بتسألوا و الجار و المجرور فى محل النصب على المصدر و من قبل فى محل النصب لأنه ظرف قوله «سُئِلَ» و من اسم للشرط فى محل الرفع بالابتداء و الفاء فى قوله «فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ» فى محل الجزم لأنه جواب الشرط و معنى حرف الشرط الذى تضمنه من مع الجملتين فى محل الرفع لأنه خبر المبتدأ.

النزول

اختلف فى سبب نزول الآيه فروى عن ابن عباس أنه قال إن رافع بن حرملة و وهب بن زيد قالاً لرسول الله صلى الله عليه و آله ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه و فجر لنا أنهارا نتبعك و نصدقك فأنزل الله هذه الآيه و قال الحسن عنى بذلك مشركى العرب و قد سألوها فقالوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا إِلَى قَوْلِهِ أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةَ قَبِيلًا و قالوا لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ أَوْ نَرَى رَبَّنَا و قال السدى سألت العرب محمدا أن أتتهم بالله فيروه جهره و قال مجاهد سألت قريش محمدا أن يجعل لهم الصفا ذهابا قال نعم و لكن يكون لكم كالمائدة لقوم عيسى (عليه السلام) فرجعوا و قال أبو على الجبائى روى أن رسول الله صلى الله عليه و آله سأله قوم أن يجعل لهم ذات أنواط كما كان للمشركين ذات أنواط و هى شجره كانوا يعبدونها و يعلقون عليها الثمر و غيره من المأكولات كما سألوها موسى (عليه السلام) اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ.

المعنى

«أَمْ تُرِيدُونَ» أى بل أ تريدون «أَنْ تَشْتَلُوا رَسُولَكُمْ» يعنى النبى محمدا «كَمَا سُئِلَ مُوسَى» أى كما سأل قوم موسى موسى «مِنْ قَبْلِ» من الاقتراحات أى ذهب يمينا و شمالا و السبيل و الطريق و المذهب نظائر و الجمع السبل.

و المحاللات «وَمَنْ يَتَّبِعْ دَلَّ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ» أى من استبدل الجحود بالله و بآياته بالتصديق بالله و بالإقرار به و بآياته و اقترح المحاللات على النبى صلى الله عليه و آله و سأل عما لا يعنيه بعد وضوح الحق بالبراهين «فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ» أى ذهب عن قصد الطريق و قيل عن طريق الاستقامه و قيل عن وسط الطريق لأن وسط الطريق خير من أطرافه.

النظم

وجه اتصال هذه الآيه بما قبلها أنه لما دل الله تعالى بما تقدم على تدييره لهم فيما يأتى به من الآيات و ما ينسخه و اختياره لهم ما هو الأصلح فى كل حال قال أ ما ترضون بذلك و كيف تتخيرون محالات مع اختيار الله لكم ما يعلم فيه من المصلحه فإذا أتى بآيه تقوم بها الحجة فليس لأحد الاعتراض عليها و لا اقتراح غيرها لأن ذلك بعد صحه البرهان بها يكون تعنتا.

البقره (٢): آيه ١٠٩

اشاره

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩)

اللغه

الحسد إرادته زوال نعمه المحسود إليه أو كراهه النعمه التى هو فيها و إرادته أن تصير تلك النعمه بعينها له و قد يكون تمنى زوال نعمه الغير حسدا و إن لم يطمع الحاسد فى تحول تلك النعمه إليه و أشد الحسد التعرض للاغتمام بكون الخير لأحد و أما الغبطه فهى أن يراد مثل النعمه التى فيها الغير و إن لم يرد زوالها عنه و لا يكره كونها له فهذه غير مذموم و الحسد مذموم و يقال حسدته على الشىء أحسده حسدا و حسدته الشىء بمعنى واحد و منه قول الشاعر:

يحسد الناس الطعاما

و الصفح و العفو و التجاوز عن الذنب بمعنى و يقال لظاهر جلد الإنسان صفحته و كذا هو من كل شىء و منه صافحته أى لقت صفحه كفه صفحه كفى و قولهم صفحت عنه فيه قولان (أحدهما) أن معناه إنى لم آخذه بذنبه و أبدت له منى صفحه جميله و الآخر أنه لم ير منى ما يقبض صفحته و يقال صفحت الورقه أى تجاوزتها إلى غيرها و منه تصفحت الكتاب و قد يتصفح الكتاب من لا يحسن أن يقرأه.

الإعراب

من فى قوله «مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» يتعلق بمحذوف تقديره فريق كائون

من أهل الكتاب فيكون صفه لكثير من بعد في محل نصب على الظرف و العامل فيه يرد و كفارا مفعول ثان ليرد و مفعوله الأول كم من يردونكم و فيه انتصاب قوله «حَسَدًا» وجهان (أحدهما) أن الجملة التي قبله تدل على الفعل الذي هو مصدره و تقديره حسدوكم حسدا كما يقال فلان يتمنى لك الشر حسدا فكأنه قال يحسدك حسدا و الآخر أن يكون مفعولا له فكأنه قال يردونكم كفارا لأجل الحسد كما تقول جثته خوفا منه و قوله «مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ» يتعلق بقوله «وَدَّ كَثِيرٌ» لا بقوله «حَسَدًا» لأن حسد الإنسان لا يكون من غير نفسه قال الزجاج و قال غيره يجوز أن يتعلق بقوله «حَسَدًا» على التوكيد كقوله عز و جل وَ لَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ وَ يَحْتَمِلُ وَجْهًا آخَرَ وَ هُوَ أَنْ يَكُونَ الْيَهُودُ قَدْ أَضَافُوا الْكُفْرَ وَ الْمَعَاصِيَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ سَبْحَانَهُ تَكْذِيبًا لَهُمْ إِنْ ذَلِكَ «مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ» و قوله «مَا تَبَيَّنَ» ما حرف موصول و تبين لهم الحق صلته و الموصول و الصلة في محل الجر بإضافه بعد إليه «حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ» يأتي منصوب بإضمار أن و هما في محل الجر بحتى و الجار و المجرور مفعول فاعفوا و اصفحوا.

النزول

نزلت الآية في حبي بن أخطب و أخيه أبي ياسر بن أخطب و قد دخلا على النبي صلى الله عليه و آله حين قدم المدينة فلما خرجا قيل لحبي أ هو نبي قال هو هو فقيل فما له عندك قال العداوة إلى الموت و هو الذي نقض العهد و أثار الحرب يوم الأحزاب عن ابن عباس و قيل نزلت في كعب بن الأشرف عن الزهري و قيل في جماعه اليهود عن الحسن.

المعنى

ثم أخبر الله سبحانه عن سرائر اليهود فقال «وَدَّ» أى تمنى «كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» كحبي بن أخطب و كعب بن الأشرف و أمثالهما «لَوْ يَرُدُّونَكُمْ» يا معشر المؤمنين أى يرجعونكم «مِنْ بَعِيدٍ إِيْمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا» منهم لكم بما أعد الله لكم من الثواب و الخير و إنما قال «كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» لأنه إنما آمن منهم القليل كعبد الله بن سلام و كعب الأخبار و قيل إنما حسد اليهود المسلمين على وضع النبوه فيهم و ذهابها عنهم و زوال الرياسه إليهم و قوله «مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ» قد بينا ما فيه فى الإعراب و قوله «مِنْ بَعِيدٍ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ» أى بعد ما تبين لهم أن محمدا رسول الله و الإسلام دين الله عن ابن عباس و قتاده و السدى و قوله «فَاعْفُوا وَ أَصْفَحُوا» أى تجاوزوا عنهم و قيل أرسلوهم فإنهم

لا يفوتون الله ولا يعجزونه وإنما أمرهم بالعفو والصفح وإن كانوا مضطهدين مقهورين من حيث أن كثيرا من المسلمين كانوا عزيزين في عشائريهم وأقوامهم يقدرون على الانتقام من الكفار فأمرهم الله بالعفو وإن كانوا قادرين على الانتصاف «حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ» أى بأمره لكم بعقابهم أو يعاقبهم هو على ذلك ثم أتاهم بأمره فقال قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ الْآيَةَ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ وَقِيلَ بِأَمْرِهِ أَيْ بِآيَةِ الْقِتْلِ وَالسَّبِي لِبْنِي قَرِيظَةَ وَالْجَلَاءَ لِبْنِي النَّضِيرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقِيلَ بِأَمْرِهِ بِالْقِتَالِ عَنْ قَتَادَةَ فَإِنَّهُ قَالَ هَذِهِ الْآيَةُ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ الْآيَةَ وَبِهِ قَالَ الرَّبِيعُ وَالسَّادِيُّ وَقِيلَ نَسَخَتْ بِقَوْلِهِ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَ

روى عن الباقر (عليه السلام) أنه قال لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وآله بقتال ولا أذن له فيه حتى نزل جبرائيل (عليه السلام) بهذه الآية أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَقَلَدَهُ سِيفًا

وقوله «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» فيه ثلاثة أقوال. (أحدها) أنه قدير على عقابهم إذ هو على كل شيء قدير عن أبي علي (و ثانيها) أنه قدير على أن يدعو إلى دينه بما أحب مما هو الأليق بالحكمه فيأمر بالصفح تاره و بالعقاب أخرى على حسب المصلحه عن الزجاج (و ثالثها) أنه لما أمر بالإمهال و التأخير فى قوله «فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا» قال إن الله قادر على عقوبتهم بأن يأمرهم بقتالهم و يعاقبهم فى الآخرة بنفسه.

البقره (٢): آيه ١١٠

إشاره

وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ مَا تَقَدَّمُوا لَأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٠)

الإعراب

ما اسم للشرط فى موضع رفع بالابتداء و تقدموا شرط «مِنْ خَيْرٍ» من مزيده و الجار و المجرور مفعول تقدموا و تجدوه مجزوم لأنه جزء و علامه الجزم فى الشرط و الجزء سقوط النون و معنى حرف الشرط الذى تضمنه ما مع الشرط و الجزء فى محل الرفع لأنه خبر المبتدأ و ما فى قوله «بِمَا تَعْمَلُونَ» اسم موصول أو حرف موصول و الموصول و الصله فى موضع جر بالباء و الباء متعلق ببصير الذى هو خبر إن.

المعنى

لما أمر الله سبحانه المؤمنين بالصفح عن الكفار و التجاوز علم أنه يشق عليهم ذلك مع شدة عداوة اليهود و غيرهم لهم فأمرهم بالاستعانة على ذلك بالصلاه و الزكاه فإن فى ذلك معونه لهم على الصبر مع ما يحوزون بهما من الثواب و الأجر كما قال فى

موضع آخر وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَقوله «وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ» أى من طاعه و إحسان و عمل صالح «تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ» أى تجدوا ثوابه معدا لكم عند الله و قيل معناه تجدوه مكتوبا محفوظا عند الله ليجازيكم به و فى هذه الآية دلالة على أن ثواب الخيرات و الطاعات لا يضيع و لا يبطل و لا يحبط لأنه إذا أحبط لا تجدونه و قوله «إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» أى لا يخفى عليه شىء من أعمالكم سيجازيكم على الإحسان بما تستحقونه من الثواب و على الإساءة بما تستحقونه من العقاب فاعملوا عمل من يستيقن أنه يجازيه على ذلك من لا يخفى عليه شىء من عمله و فى هذا دلالة على الوعد و الوعيد و الأمر و الزجر و إن كان خبرا عن غير ذلك فى اللفظ.

البقرة (٢): آية ١١١

إشارة

وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١١١)

اللغة

فى هود ثلاثة أقوال (أحدها) أنه جمع هائد كعائد و عوذ و عائط و عوط و هو جمع للمذكر و المؤنث على لفظ واحد و الهائد التائب الراجع إلى الحق (و ثانيها) أن يكون مصدرا يصلح للواحد و الجمع كما يقال رجل فطر و قوم فطر و رجل صوم و قوم صوم (و ثالثها) أن يكون معناه إلا من كان يهودا فحذفت الياء الزائدة و البرهان و الحجج و الدلالة و البيان بمعنى واحد و هو ما أمكن الاستدلال به على ما هو دلالة عليه مع قصد فاعله إلى ذلك و فرق على بن عيسى بين الدلالة و البرهان بأن قال الدلالة قد تنبئ عن معنى فقط لا يشهد بمعنى آخر و قد تنبئ عن معنى يشهد بمعنى آخر و البرهان ليس كذلك لأنه بيان عن معنى ينبئ عن معنى آخر و قد نوزع فى هذا الفرق و قيل أنه محض الدعوى.

الإعراب

قالوا جملة فعلية و الجنه ظرف مكان ليدخل و إلا- هاهنا لنقض النفي و من موصول و هو مع صلته مرفوع الموضع بأنه فاعل يدخل و لن يدخل مع ما بعده معمول قالوا و إن حرف شرط و جوابه محذوف و تقديره إن كنتم صادقين فهاتوا برهانكم.

المعنى

ثم حكى سبحانه نبذا من أقوال اليهود و دعاويهم الباطلة فقال «وَقَالُوا

لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى» و هذا على الإيجاز و تقديره قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا و قالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا و وحد كان لأن لفظه من قد تكون للواحد و قد تكون للجماعه و إنما قلنا أن الكلام مقدر هذا التقدير لأن من المعلوم أن اليهود لا يشهدون للنصارى بالجنة و لا النصارى لليهود فعلمنا أنه أدرج الخبر عنهما للإيجاز من غير إخلال بشىء من المعنى فإن شهره الحال تغنى عن البيان الذى ذكرناه و مثله قول حسان بن ثابت:

أ من يهجو رسول الله منكم

و يمدحه و ينصره سواء

تقديره و من يمدحه و ينصره غير أنه لما كان اللفظ واحدا جمع مع الأول و صار كأنه إخبار عن جماعه واحده و إنما حقيقته عن بعضين متفرقين و قوله «تَلْمِكَ أَمَانِيهِمْ» أى تلك المقالہ أمانى كاذبه يتمنونها على الله عن قتاده و الربيع و قيل أمانيههم أباطيلهم بلغه قريش عن المؤرج و قيل معناه تلك أقاويلهم و تلاوتهم من قولهم تمنى أى تلا و قد يجوز فى العريبه أمانيههم بالتخفيف و التثقيب أجود «قُلْ» يا محمد «هاتوا» أى أحضروا و ليس بأمر بل هو تعجيز و إنكار بمعنى إذا لم يمكنكم الإتيان ببرهان يصحح مقالكم فاعلموا أنه باطل فاسد «بُزْهَانِكُمْ» أى حججكم عن الحسن و مجاهد و السدى «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فى قولكم «لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى» و فى هذه الآية دلالة على فساد التقليد أ لا ترى أنه لو جاز التقليد لما أمروا بأن يأتوا فيما قالوه ببرهان و فيها أيضا دلالة على جواز المحاجه فى الدين.

البقره (٢): آيه ١١٢

إشارة

بلى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢)

اللغة

أسلم يستعمل فى شيئين (أحدهما) أسلمه إلى كذا أى صرفه إليه تقول أسلمت الثوب إليه (و الثانى) أسلم له بمعنى أخلص له و منه قوله وَ رَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ أى خالصا و قال زيد بن عمرو بن نفيل:

أسلمت وجهى لمن أسلمت

له الأرض تحمل صخرًا ثقلا

و أسلمت وجهى لمن أسلمت

له المزن تحمل عذبا زلالا

و يروى و أسلمت نفسى و الوجه مستقبل كل شىء و وجه الإنسان محياه و يقال وجه الكلام تشبيها بوجه الإنسان لأنه أول ما يبدو منه و يعرف به و يقال هذا وجه الرأى أى الذى يبدو منه و يعرف به و الوجه من كل شىء أول ما يبدو فيظهر بظهوره ما بعده و قد استعملت العرب لفظه وجه الشىء و هم يريدون نفسه إلا أنهم ذكروه باللفظ الأشرف الأئبه و دلوا عليه به كما قال سبحانه كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ أَى إِلَّا هُوَ وَ يَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ أَى ربك و قال الأعشى:

و أول الحكم على وجهه

ليس قضائى بالهوى الجائر

أى على ما هو به من الصواب و قال ذو الرمه:

فطاوعت همى و انجلى وجه نازل

من الأمر لم يترك خلاجا نزولها

يريد و انجلى النازل من الأمر.

الإعراب

بلى يدخل فى جواب الاستفهام مثل قوله أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بلى و يصلح أن يكون تقديره هنا أ ما يدخل الجنه أحد فقيل «بلى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ» لأن ما تقدم يقتضى هذا السؤال و يصلح أن يكون جوابا للجحد على التكذيب كقولك ما قام زيد فيقول بلى قد قام و يكون التقدير هنا ليس الأمر كما قال الزاعمون لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى و لكن «مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ» فهو يدخلها و من أسلم يجوز أن يكون من موصولا- و يجوز أن يكون للشرط فيكون أسلم أما صلته له و أما مجزوم الموضع بكونه شرطا أو يكون من مبتدأ و الفاء فى قوله «فَلَهُ أَجْرُهُ» للجزاء و اللام تتعلق بمحذوف فى محل الرفع لأنه خبر لقوله أَجْرُهُ و المبتدأ مع خبره فى محل الرفع لوقوعه بعد الفاء و الفاء مع ما دخل فيه فى محل الجزم و معنى حرف الشرط الذى تضمنه من مع الشرط و الجزاء فى محل الرفع بأنه خبر المبتدأ و إن كان من موصولا فمن مع أسلم مبتدأ و الفاء مع الجملة بعده خبره و عند ربه ظرف مكان فى موضع نصب على الحال تقديره كائنا عند ربه و العامل فيه المحذوف الذى تعلق به اللام و ذو الحال الضمير المستكن فيه و قوله «وَ هُوَ مُحْسِنٌ» فى موضع نصب على الحال و إنما قال «فَلَهُ أَجْرُهُ» على التوحيد ثم قال «وَ لَا خَوْفٌ» عليهم لأن من مفرد اللفظ مجموع المعنى فيحمل على اللفظ مره و على المعنى أخرى.

المعنى

ثم رد الله سبحانه عليهم مقاتلهم فقال «بلى من أسلم وجهه لله» قيل

ص: ٢٧٣

معناه من أخلص نفسه لله بأن سلك طريق مرضاته عن ابن عباس و قيل وجه وجهه لطاعه الله و قيل فوض أمره إلى الله و قيل استسلم لأمر الله و خضع و تواضع لله لأن أصل الإسلام الخضوع و الانقياد و إنما خص الوجه لأنه إذا جاد بوجهه في السجود لم يبخل بسائر جوارحه «وَهُوَ مُحْسِنٌ» في عمله و قيل و هو مؤمن و قيل مخلص «فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ» معناه فله جزاء عمله عند الله «وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» في الآخرة و هذا ظاهر على قول من يقول أنه لا- يكون على أهل الجنة خوف و لا حزن في الآخرة و أما على قول من قال أن بعضهم يخاف ثم يأمن فمعناه أنهم لا يخافون فوت جزاء أعمالهم لأنهم يكونون على ثقة بأن ذلك لا يفوتهم.

البقره (٢): آيه ١١٣

إشارة

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَّ قَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَّهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١١٣)

اللغة

القيامة مصدر إلا- أنه صار كالعلم على وقت بعينه و هو الوقت الذي يبعث الله عز و جل فيه الخلق فيقومون من قبورهم إلى محشرهم تقول قام يقوم قياما و قيامه مثل عاد يعود عيادا و عياده.

الإعراب

«وَهُمْ يَتْلُونَ» جملة من مبتدأ و خبر منصوبه الموضع على الحال و العامل قالت و ذو الحال اليهود و النصارى و الكاف في كذلك يتعلق بيتلون أو بقال الذين و تقديره و هم يتلون الكتاب كتلاوتكم أو قال الذين لا يعلمون و هم المشركون كقول اليهود و النصارى و مثل صفة مصدر محذوف تقديره قولاً مثل قولهم.

النزول

قال ابن عباس أنه لما قدم وفد نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه و آله أتتهم أجبارة اليهود فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه و آله فقال رافع بن حرملة ما أنتم على شىء و جحد نبوه عيسى و كفر بالإنجيل فقال رجل من أهل نجران ليست اليهود على شىء و جحد نبوه موسى و كفر بالتوراه فأنزل الله هذه الآية.

ثم بين سبحانه ما بين أهل الكتاب من الاختلاف مع تلاوه الكتاب فقال «وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ» فى تدنيهم بالنصرانيه «وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ» فى تدنيهم باليهوديه «وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ» أى يقرءونه و ذكر فيه وجهان (أحدهما) أن فيه حل الشبهه بأنه ليس فى تلاوه الكتاب معتبر فى الإنكار لما لم يؤت على إنكاره ببرهان فلا ينبغى أن يدخل الشبهه بإنكار أهل الكتاب لمله الإسلام إذ كل فريق من أهل الكتاب قد أنكر ما عليه الآخر ثم بين أن سيلهم كسبيل من لا يعلم الكتاب من مشركى العرب وغيرهم ممن لا كتاب لهم فى الإنكار لدين الإسلام (و الوجه الآخر) الذم لمن أنكر ذلك من أهل الكتاب على جهه العناد إذ قد ساوى المعاند منهم للحنى الجاهل به فى الدفع له فلم ينفعه علمه و قوله «كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ» معناه أن مشركى العرب الذين هم جهال و ليس لهم كتاب هكذا قالوا لمحمد و أصحابه أنهم ليسوا على شىء من الدين مثل ما قالت اليهود و النصارى بعضهم لبعض عن السدى و مقاتل و قيل معناه أن مشركى العرب قالوا بأن جميع الأنبياء و أممهم لم يكونوا على شىء و كانوا على خطأ فقد ساووكم يا معشر اليهود فى الإنكار و هم لا يعلمون و قيل أن هؤلاء الذين لا يعلمون أمم كانت قبل اليهود و النصارى و قبل التوراه و الإنجيل كقوم نوح و عاد و ثمود قالوا لأنبيائهم لستم على شىء عن عطاء و قيل أن الأصح أن المراد بقوله «كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ» أسلاف اليهود و المراد بقوله «وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ» هؤلاء الذين كانوا على عهد النبى صلى الله عليه و آله لأنه حكى قول مبطل لمبطل فلا يجوز أن يعطف عليه قول مبطل لمحق و قوله «فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» فيه وجوه (أحدها) أن حكمه بينهم أن يكذبهم جميعا و يدخلهم النار عن الحسن (و ثانيها) أن حكمه فيهم الانتصاف من الظالم المكذب بغير حجه و لا برهان للمظلوم المكذب عن أبى على (و ثالثها) أن حكمه أن يريهم من يدخل الجنة عيانا و من يدخل النار عيانا و هذا هو الحكم الفصل فى الآخره بما يصير إليه كل فرقه فأما الحكم بينهم فى العقد فقد بينه الله جل و عز فيما أظهر من حجج المسلمين و فى عجز الخلق عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن عن الزجاج.

إشارة

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٤)

اللغة

المنع و الصد و الحيلولة نظائر و ضد المنع الإطلاق يقال منعه فامتنع و رجل منيع أى لا يخلص إليه و هو فى عز و منعه تخفف و تثقل و امرأه منيعه لا- تواتى على فاحشه و السعى و الركض و العدو نظائر و ضد السعى الوقف و فلان يسعى على عياله أى يكسب لهم و سعى للسلطان إذا ولى أمر الصدقه قال الشاعر:

سعى عقالا فلم يترك لها سبدا

فكيف لو قد سعى عمرو عقالين

و العقال صدقه عام و ساعى الرجل الأمة إذا فجر بها و لا تكون المساعاه إلا فى الإماء و الخراب و الهدم و النقض نظائر و الخربه سعه خرق الأذن و كل ثقب مستدير و الخارب اللص قال الأصمعى يختص بسارق الإبل و الخرابه سرقة الإبل.

الإعراب

موضع من رفع و هو استفهام و أظلم رفع لأنه خبر الابتداء و موضع أن نصب على البدل من مساجد و هو بدل الاشتمال و التقدير و من أظلم ممن منع أن يذكر فى مساجد الله اسمه و يجوز أن يكون موضع أن نصبا على أنه مفعول له فيكون تقديره كراهه أن يذكر فيها اسمه و يجوز أن يكون على حذف من و تقديره من أن يذكر و أن يدخلوها فى موضع رفع بأنه اسم كان و قيل إن كان هاهنا مزيده و تقديره ما لهم أن يدخلوها فعلى هذا يكون موضع أن يدخلوها رفعا بالابتداء و إلا حرف استثناء و هو هنا لنقض النفي و خائفين منصوب على الحال و قوله «خِزْيٌ» مرفوع من وجهين (أحدهما) الابتداء (و الآخر) أن يكون مرفوعا بلهم و قوله «فِي الدُّنْيَا» الجار و المجرور فى موضع نصب على الحال و ذو الحال الضمير المستكن فى لهم و كذلك قوله «وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ».

النزول

اختلفوا فى المعنى بهذه الآية فقال ابن عباس و مجاهد أنهم الروم غزوا بيت المقدس و سعوا فى خرابه حتى كانت أيام عمر فأظهر الله المسلمين عليهم و صاروا لا يدخلونه إلا خائفين و قال الحسن و قتاده هو بخت نصر خرب بيت المقدس و أعانه عليه

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنهم قريش حين منعوا رسول الله صلى الله عليه وآله دخول مكة والمسجد الحرام

و به قال البلخى و الرمانى و الجبائى و ضعف هذا الوجه الطبرى بأن قال إن مشركى قريش لم يسعوا فى تخريب المسجد الحرام و قوله يُفْسِدُ بأن عماره المساجد إنما تكون بالصلاه فيها و خرابها بالمنع من الصلاه فيها و قد وردت الروايه بأنهم هدموا مساجد كان أصحاب النبى صلى الله عليه وآله يصلون فيها بمكته لما هاجر النبى صلى الله عليه وآله إلى المدينه قال و هو أيضا لا يتعلق بما قبله من ذم أهل الكتاب كما يتعلق به إذا عنى به النصارى و بيت المقدس و جوابه أنه قد جرى أيضا ذكر غير أهل الكتاب فى قوله كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ و هذا أقرب لأن الكلام خرج مخرج الذم فمره توجه الذم إلى اليهود و مره إلى النصارى و مره إلى عبده الأصنام و المشركين.

المعنى

«وَمَنْ أَظْلَمُ» أى و أى أحد أشد و أعظم ظلما «مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ» من «أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ» و يكون معناه لا أحد أظلم ممن منع أن يذكر فى مساجد الله اسمه سبحانه و عمل فى المنع من إقامة الجماعه و العباده فيها و إذا حمل قوله «مَسَاجِدَ اللَّهِ» على بيت المقدس أو على الكعبه فإنما جاز جمعه على أحد وجهين أما أن تكون مواضع السجود فإن المسجد العظيم يقال لكل موضع منه مسجد و يقال لجملته مسجد و أما أن يدخل فى هذه اللفظه المساجد التى بناها المسلمون للصلاه

و روى عن زيد بن على عن آباءه عن على (عليه السلام) أنه أراد جميع الأرض لقول النبى صلى الله عليه وآله جعلت لى الأرض مسجدا و ترابها طهورا

و قوله «وَسَعَى فِي خَرَابِهَا» أى عمل فى تخريبها و التخريب إخراجهم أهل الإيمان منها عند الهجره و قيل هو صدهم عنها و يجوز حمله على الأمرين و قيل المراد المنع عن الصلاه و الطاعه فيها و هو السعى فى خرابها و قوله «أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ» فيه خلاف قال ابن عباس معناه أنه لا يدخل نصرانى بيت المقدس إلا نهك ضربا و أبلغ عقوبه و هو كذلك اليوم و من قال المراد به المسجد الحرام قال لما نزلت هذه الآية أمر النبى صلى الله عليه وآله مناديا فنادى ألا لا يحجن بعد العام مشرك و لا- يطوفن بهذا البيت عريان فكانوا لا يدخلونه بعد ذلك و قال الجبائى بين الله سبحانه أنه ليس لهؤلاء المشركين دخول المسجد الحرام و لا دخول غيره من المساجد فإن دخل منهم داخل إلى بعض المساجد كان على المسلمين إخراجهم منه إلا أن يدخل إلى بعض الحكام لخصومه بينه و بين غيره فيكون فى دخوله خائفا من الإخراج على وجه الطرد

بعد انفصال خصومته و لا يقعد فيه مطمئنا كما يقعد المسلم قال الشيخ أبو جعفر قدس الله روحه و هذا يليق بمذهبننا و يمكن الاستدلال بهذه الآيه على أن الكفار لا يجوز أن يمكنوا من دخول المساجد على كل حال فأما المسجد الحرام خاصة فيستدل على أن المشركين يمنعون من دخوله و لا يمكنون منه لحكومته و لا غيرها بأن الله تعالى قد أمر بمنعهم من دخوله بقوله ما كَانَ لِمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ يَعْنِي الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَقَوْلُهُ فَلَا يَقْرُبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَقَالَ الزَّجَاجُ أَعْلَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ يَظْهَرُ عَلَى جَمِيعٍ مِنْ خَالَفِهِمْ حَتَّى لَا يُمْكِنَ دُخُولُ مُخَالَفٍ إِلَى مَسَاجِدِهِمْ إِلَّا خَائِفًا وَ هَذَا كَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ فَكَأَنَّهُ قِيلَ أَوْلَيْتُكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لِإِعْزَازِ اللَّهِ الدِّينِ وَ إِظْهَارِهِ الْمُسْلِمِينَ وَ قَوْلُهُ «لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ» قِيلَ فِيهِ وَجُوهٌ (أَحَدُهَا) أَنْ يَرَادَ بِالْخِزْيِ أَنَّهُمْ يَعْطُونَ الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَ هُمْ صَاغِرُونَ عَنْ قِتَادِهِ (وَ ثَانِيهَا) أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْقَتْلَ وَ سَبِي الدَّرَارِيِّ وَ النِّسَاءِ إِنْ كَانُوا حُرْبًا وَ إِعْطَاءَ الْجِزْيَةِ إِنْ كَانُوا ذِمَّةً عَنِ الزَّجَاجِ (وَ ثَالِثُهَا) إِنْ الْمُرَادَ بِخِزْيِهِمْ فِي الدُّنْيَا أَنَّهُ إِذَا قَامَ الْمَهْدِيُّ وَ فَتَحَ قَسْطَنْطِينِيَةَ فَحِينَئِذٍ يَقْتُلُهُمْ عَنِ السَّدِيِّ (وَ رَابِعُهَا) أَنَّ الْمُرَادَ بِخِزْيِهِمْ طَرْدَهُمْ عَنِ دُخُولِ الْمَسَاجِدِ عَنِ أَبِي عَلِيٍّ وَ قَوْلُهُ «وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ بِالْعَذَابِ الْأَعْظَمِ إِذْ كَانُوا مِنْ كُلِّ ظَالِمٍ أَظْلَمٍ.

البقره (٢): آيه ١١٥

إشاره

وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (١١٥)

اللغه

المشرق و الشرق اسمان لمطلع الشمس و القمر و شرقت الشمس إذا طلعت و أشرقت أضواءت و يقال لا أفعل ذلك ما ذر شارق أى ما طلع قرن الشمس و أيام التشريق أيام تشريق اللحم فى الشمس و

فى الحديث لا تشريق إلا فى مصر أو مسجد جامع

أى لا صلاه عيد لأن وقتها طلوع الشمس و المغرب و المغيب بمعنى و هو موضع الغروب يقال غربت الشمس تغرب إذا غابت و أصل الغرب الحد و التباعد و غربه النوى بعد المنتأى و غرب السيف حده سمي بذلك لأنه يمضى و لا يرد فهو مأخوذ من الإبعاد و الواسع الغنى سمي به لسعه مقدوراته و قيل هو الكثير الرحمه و السعه و الفسحه من النظائر و ضد السعه الضيق يقال وسع يسع سعه و أوسع الرجل إذا صار ذا سعه فى المال.

اللام فى قوله «وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ» لام الملك و إنما وحد المشرق و المغرب لأنه أخرج ذلك مخرج الجنس فدل على الجمع كما يقال أهلك الناس الدينار و الدرهم و ابن بنى لتضمنه معنى الحرف و إنما بنى على الفتح لالتقاء الساكنين و فيه معنى الشرط و تولوا مجزوم بالشرط و جوابه «فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ» و علامه الجزم فى تولوا سقوط النون و أين فى موضع نصب لأنه ظرف لقوله تُؤَلُّوا و ما فى قوله «فَأَيْنَمَا» هى التى تهىى الكلمه لعمل الجزم و لذلك لم يجاز بإذ و حيث حتى يضم إليهما ما فىقال حيثما تكن أكن و إذا ما تفعل أفعل و لا يقال حيث تكن أكن و إذ تفعل أفعل و يجوز فى أين الجزم و إن لم يدخل ما عليها كقول الشاعر:

أين تضرب بنا العداه تجدنا

نصرف العيس نحوها للتلافي

و ثم موضعه نصب لأنه ظرف مكان و بنى على الفتح لالتقاء الساكنين و إنما بنى فى الأصل لأنه معرفه و حكم الاسم المعرف أن يكون بحرف فبنى لتضمنه معنى الحرف الذى يكون به التعريف و العهد أ لا- ترى أن ثم لا- تستعمل إلا- فى مكان معهود معروف لمخاطبك.

النزول

اختلف فى سبب نزول هذه الآيه ف قيل أن اليهود أنكروا تحويل القبله إلى الكعبه عن بيت المقدس فنزلت الآيه ردا عليهم عن ابن عباس و اختاره الجبائى قال بين سبحانه أنه ليس فى جهه دون جهه كما تقول المجسمه و قيل كان للمسلمين التوجه حيث شاءوا فى صلاتهم و فيه نزلت الآيه ثم نسخ ذلك بقوله فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ عن قتاده قال و كان النبى صلى الله عليه و آله قد اختار التوجه إلى بيت المقدس و كان له إن يتوجه حيث شاء و قيل نزلت فى صلاه التطوع على الراحله تصلبها حيثما توجهت إذا كنت فى سفر و أما الفرائض فقوله وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ يعنى

أن الفرائض لا تصلبها إلا إلى القبله و هذا هو المروى عن أئمتنا (عليه السلام)

قالوا و صلى رسول الله صلى الله عليه و آله إيماء على راحلته أينما توجهت به حيث خرج إلى خيبر و حين رجع من مكه و جعل الكعبه خلف ظهره

و روى عن جابر قال بعث رسول الله صلى الله عليه و آله سريره كنت فيها فأصابتنا ظلمه فلم نعرف القبله فقالت طائفه منا قد عرفنا القبله هى هاهنا قبل الشمال فصلوا و خطوا خطوطا و قال بعضنا القبله هاهنا قبل الجنوب و خطوا خطوطا فلما أصبحوا و طلعت

الشمس أصبحت تلك الخطوط لغير القبلة فلما قفلنا من سفرنا سألنا النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك فسكت فأنزل الله تعالى هذه الآية.

المعنى

«وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ» أراد أن المشرق والمغرب لله ملكا وقيل أراد أنه خالقهما و صانعهما وقيل معناه يتولى إشراق الشمس من مشرقها وإغرابها من مغربها «فَأَيْنَمَا تُولُوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ» معناه فأينما تولوا وجوهكم فحذف المفعول للعلم به فثم أى فهناك وجه الله أى قبله الله عن الحسن ومجاهد و قتاده والوجه والوجه والوجه والوجه القبلة ومثله الوزن والزنه والعرب تسمى القصد الذى تتوجه إليه وجها قال الشاعر:

أستغفر الله ذنبا لست محصيه

رب العباد إليه الوجه والعمل

معناه إليه القصد بالعبادة وقيل معناه فثم الله يعلم ويرى فادعوه كيف توجهتم كقوله تعالى: يُرِيدُونَ وَجْهَهُ أى يريدونه بالدعاء ويقال لما قرب من المكان هنا ولما تراخى ثم وهناك وقوله كُلُّ شَيْءٍ إِلاَّ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ أى إلا هو وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ أى ويبقى ربك عن الكلبى وقيل معناه ثم رضوان الله يعنى الوجه الذى يؤدى إلى رضوانه كما يقال هذا وجه الصواب عن أبى على والرماني «إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ» أى غنى عن أبى عبيده وتقديره غنى عن طاعتكم وإنما يريدنا لمنافعكم وقيل واسع الرحمه فلذلك رخص فى الشريعة عن الزجاج وقيل واسع المقذور يفعل ما يشاء «عَلِيمٌ» أى عالم بوجوه الحكمة فبادروا إلى ما أمركم به وقيل عليم أين يضع رحمته على ما توجهه الحكمة وقيل عليم بنياتكم حيثما صليتم ودعوتكم.

النظم

ووجه اتصال الآية بما قبلها أن التقدير لا يمنعكم تخريب من خرب المساجد عن أن تذكره حيث كنتم من أرضه فله المشرق والمغرب والجهات كلها عن على بن عيسى وقيل لما تقدم ذكر الصلاة والمساجد عقبه بذكر القبلة وبيانها.

البقرة (٢): آية ١١٦

إشارة

وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ (١١٦)

القراءه

قرأ ابن عامر قالوا بغير واو والباقون بالواو.

حذف الواو هنا يجوز من وجهين (أحدهما) أن يستأنف الجملة فلا يعطفها على ما تقدم (و الآخر) أن للجملة التي هي «قالوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا» ملابسه بما قبلها من قوله وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ الْآيَةَ فَإِنَّ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا من جملة هؤلاء الذين تقدم ذكرهم فيستغنى عن الواو لالتباس الجملة بما قبلها كما استغنى عنها في نحو قوله وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ و لو كان و هم فيها خالدون لكان حسنا.

اللغة

الأصل في القنوت الدوام ثم يستعمل على وجوه منها أن يكون بمعنى الطاعة كقوله «كُلُّ لَه قَانِتُونَ» أى مطيعون و منها أن يكون بمعنى الصلاة كقوله يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَ اسْجُدِي وَ ارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ و بمعنى طول القيام

و روى جابر بن عبد الله قال سئل النبي صلى الله عليه و آله أى الصلاة أفضل قال طول القنوت أى طول القيام

و يكون بمعنى الدعاء قال صاحب العين القنوت فى الصلاة دعاء بعد القراءة فى آخر الوتر يدعو قائما و منه قوله أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَ قَائِمًا و يكون بمعنى السكوت قال زيد بن أرقم كنا نتكلم فى الصلاة حتى نزلت وَ قَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ فأمسكنا عن الكلام.

النزول

نزلت الآية فى النصرارى حيث قالوا المسيح ابن الله و قيل نزلت فيهم و فى مشركى العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله.

المعنى

لما حكى الله سبحانه قول اليهود فى أمر القبلة و رد عليهم قولهم ذكر مقاتلهم فى التوحيد رادا عليهم قال «وَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ» أى إجلالا له عن اتخاذ الولد و تنزيها عن القبائح و السوء و الصفات التى لا تليق به

و روى عن طلحة بن عبيد الله أنه سأل النبي صلى الله عليه و آله عن معنى قوله «سُبْحَانَهُ» فقال تنزيها لله عن كل سوء بل له ما فى السموات و الأرض

هذا رد عليهم قولهم «اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا» أى ليس الأمر كما زعموا «بَلْ لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» ملكا و الولد لا يكون ملكا للأب لأن البنوه و الملك لا يجتمعان فكيف يكون الملائكة الذين هم فى السماء و المسيح الذى هو فى الأرض ولدا له فنبه بذلك على أن المسيح و غيره عبيد له مخلوقون مملوكون فهم بمنزلة سائر الخلق و قيل معناه بل له ما فى السموات و الأرض فعلا و الفعل لا يكون من جنس الفاعل و الولد لا يكون إلا من جنس أبيه فإن من تبنى إنسانا فالذى تبناه لا بد من أن يكون من جنسه و قوله «كُلُّ لَه قَانِتُونَ» قال ابن عباس و مجاهد معناه مطيعون و قال السدى كل له مطيع يوم القيامة و قال الحسن كل له قائم بالشهادة أنه عبده و قال الجبائى كل دائم على حال واحده

بالشهادة بما فيه من آثار الصنعه و الدلاله على الربوبيه و قال أبو مسلم كل في ملكه و قهره يتصرف فيه كيف يشاء لا يمتنع عليه.

البقره (٢): آيه ١١٧

اشاره

بَدِيعِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (١١٧)

القراءه

قرأ ابن عامر فيكون بالنصب و الباقرن بالرفع.

الإعراب و الحجه

قال أبو على يمتنع النصب في قوله «فَيَكُونُ» لأن قوله كُنْ و إن كان على لفظ الأمر فليس بأمر و لكن المراد به الخبر لأن المنفى الذى ليس بكائن لا يؤمر و لا يخاطب فالتقدير نكون فيكون فاللفظ لفظ الأمر و المراد الخبر كقولهم فى التعجب أكرم بزيد فإذا لم يكن قوله كُنْ أمراً فى المعنى و إن كان على لفظه لم يجوز أن ينصب الفعل بعد الفاء بأنه جواب كما لم يجوز النصب فى الفعل الذى يدخله الفاء بعد الإيجاب نحو آتيك فأحدثك إلا أن يكون فى شعر نحو قوله:

لنا هضبه لا ينزل الذل وسطها

و يأوى إليها المستجير فيعصما

و يدل أيضا على امتناع النصب فيه أن الجواب بالفاء مضارع الجزاء فلا- يجوز اذهب فيذهب على قياس قراءه ابن عامر كن فيكون لأن المعنى يصير إن ذهبت ذهبت و هذا الكلام لا يفيد و إنما يفيد إذا اختلف الفاعلان و الفعلان نحو قم فأعطيك لأن المعنى إن قمت أعطيتك و إذا كان الأمر على هذا لم يكن ما روى عنه من نصبه فيكون متجها و يمكن أن يقال فيه أن اللفظ لما كان على لفظ الأمر حملة على اللفظ كما حمل أبو الحسن فى نحو قوله قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ عَلَىٰ أَنَّهُ أُجْرَىٰ مجرى جواب الأمر و إن لم يكن جوابا له على الحقيقة فالوجه فى يكون الرفع على أن يكون معطوفا على كن لأن المراد به نكون فيكون أو يكون خبر مبتدأ محذوف كأنه قال فهو يكون.

اللغه

البديع بمعنى المبدع كالسميع بمعنى المسمع و بينهما فرق من حيث أن فى بديع مبالغه ليست فى مبدع و يستحق الوصف به فى غير حال الفعل على الحقيقة

بمعنى أن من شأنه إنشاء الأشياء على غير مثال و احتذاء و الابتداع و الاختراع و الإنشاء نظائر و كل من أحدث شيئاً فقد أبدعه و الاسم البدعه

و فى الحديث كل بدعه ضلاله و كل ضلاله سبيلها إلى النار

و القضاء و الحكم من النظائر و أصل القضاء الفصل و إحكام الشىء قال أبو ذؤيب:

و عليهما مسرودتان قضاهما

داود أو صنع السوابغ تبع

أى أحكمهما ثم ينصرف على وجوه منها الأمر و الوصيه كقوله تعالى: وَ قَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ أَى وصى ربك و أمر و منها أن يكون بمعنى الإخبار و الإعلام كقوله وَ قَضَى بِنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَى أخبرناهم و قوله وَ قَضَى بِنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَى عهدنا إلى لوط و منها أن يكون بمعنى الفراغ نحو قوله فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكُكُمْ أَى فرغتم من أمر المناسك و قوله فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ

و فيما رواه على بن موسى الرضا عن أبيه عن جده الصادق (عليه السلام) قال القضاء على عشره أوجه ذكر فيه الوجوه الثلاثة التى ذكرناها (و الرابع) بمعنى الفعل فى قوله فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ أَى فافعل ما أنت فاعل و منه قوله إِذَا قَضَى أَمْرًا يَعْنِي إِذَا فَعَلَ أَمْرًا كَانَ فِي عِلْمِهِ أَنْ يَفْعَلَهُ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ و منه قوله إِذَا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْرًا يَقُولُ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا فَعَلَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ شَيْئًا فِي تَرْوِيجِ زَيْنَبَ أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرُ مِنْ أَمْرِهِمْ (و الخامس) فى قوله لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ أَى لينزل علينا الموت و قوله لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا أَى لَا يَنْزِلُ بِهِمُ الْمَوْتُ وَ قَوْلُهُ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ أَى فَأَنْزَلَ بِهِ الْمَوْتَ (و السادس) قوله وَ أَنْزَلْنَاهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ أَى وَجِبَ الْعَذَابُ فَوْقَ بَأْهِلِ النَّارِ وَ كَذَا قَوْلُهُ وَ قَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ (و السابع) قوله وَ كَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا أَى مَكْتُوبًا فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ أَنَّهُ يَكُونُ (و الثامن) بمعنى الإتمام فى نحو قوله فَلَمَّا قُضِيَ مَوْسَى الْأَجَلَ أَى أتم و أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ أَى أتممت و قوله مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ يَعْنِي مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّ جِبْرَائِيلُ إِلَيْكَ الْوَحْيُ (و التاسع) بمعنى الحكم و الفصل كقوله وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ أَى يَفْصِلُ وَ فِي الْإِنْعَامِ يَقْضِي بِالْحَقِّ أَى يَفْصِلُ الْأَمْرَ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ بِالْعَذَابِ (و العاشر) بمعنى الجعل فى قوله فَفَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ أَى جعلهن

المعنى

لما نزه الله سبحانه نفسه عن اتخاذ الأولاد و دل عليه بأن له ما فى السماوات و الأرض أكد ذلك بقوله «يَدْبِغُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أَى منشئ السماوات

و الأرض على غير مثال امثله و لا احتذاء من صنع خالق كان قبله «وَ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا» قيل معناه إذا فعل أمرا أى أراد إحداث أمر كقوله تعالى: فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ أَى إِذَا أَرَدْتَ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ إِذَا أَحْكَمَ أَمْرًا وَ قِيلَ مَعْنَاهُ حَكْمٌ وَ حَتْمٌ بِأَنَّهُ يَفْعَلُ أَمْرًا وَ الْأَوَّلُ أَوْجَهُ وَ قَوْلُهُ «فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» اِخْتَلَفَ فِيهِ عَلَى وَجْهِ (أَحَدِهَا) أَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ التَّمْثِيلِ لِأَنَّ الْمَعْدُومَ لَا يَصِحُّ أَنْ يَخَاطَبَ وَ لَا يُؤْمَرُ وَ حَقِيقَةُ مَعْنَاهُ أَنْ مَنْزِلَةَ الْفِعْلِ فِي تَسْهَلِهِ وَ تَيْسَرِهِ عَلَيْهِ وَ انْتِفَاءُ التَّعْذُرِ مِنْهُ كَمَنْزِلَةِ مَا يُقَالُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ كَمَا يُقَالُ قَالَ فُلَانٌ بِرَأْسِهِ أَوْ بِيَدِهِ كَذَا إِذَا حَرَّكَ رَأْسَهُ أَوْ أَوْمَأَ بِيَدِهِ وَ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا عَلَى الْحَقِيقَةِ وَ كَمَا قَالَ أَبُو النَّجْمِ:

قد قالت الأنساع للبطن الحق

قدما فاضت كالفنيق المحنق

و قال العجاج يصف ثورا:

و فيه كالأعراض للعكور

فكر ثم قال فى التفكير

إن الحياه اليوم فى الكرور

و قال عمرو بن قميئه السدوسى:

فأصبحت مثل النسر طارت فراخه

إذا رام تطيارا يقال له قع

و قال آخر:

و قالت له العينان سمعا و طاعه

و حدرتا كالدرا لما يثقب

و المشهور فيه قول الشاعر:

امتلاً الحوض و قال قطنى

مهلا رويدا قد ملأت بطنى

و هو قول أبى على و أبى القاسم و جماعه من المفسرين (و ثانيها) أنه علامه جعلها الله للملائكه إذا سمعوها علموا أنه أحدث أمرا و هذا هو المحكى عن أبى الهذيل.

(و ثالثها) ما قاله بعضهم أن الأشياء المعدومه لما كانت معلومه عند الله تعالى صارت كالموجود فصح أن يخاطبها و يقول لما شاء إيجادها منها كن و الأصح من الأقوال الأول و هو الأشبه بكلام العرب و يؤيده قوله تعالى: فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ و إن حمل على القول الثاني فالمراد أن يقول للملائكة على جهة الإعلام منه

ص: ٢٨٤

لهم و إخباره إياهم عن الغيب كن أى يقول أكون فيكون فاعل كن الله و هو فى معنى الخبر و إن كان اللفظ لفظ الأمر على ما تقدم بيانه و قد يجوز على هذا أن يكون فاعل كن الشىء المعدوم المراد كونه و تقديره يقول من أجله للملائكة يكون شىء كذا فيكون ذلك على ما يخبر به لا خلف له و لا تبديل عما يخبر به و أما القول الثالث فبعيد لأن المعدوم لا يصح خطابه و لا أمره بالكون و الوجود ليخرج بهذا الأمر إلى الوجود لأن ذلك امتثال للأمر و تلق له بالقبول و الطاعة و هذا إنما يتصور من المأمور الموجود دون المعدوم و لو صح ذلك لوجب أن يكون المأمور المعدوم فاعلا لنفسه كما يكون المتلقى لما يؤمر به بالقبول فاعلا- لما أمر به و هذا فاسد ظاهر البطلان و قال بعضهم إنما يقول كن عند وجود الأشياء لا قبلها و لا بعدها كقوله تعالى: **ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ** و إنما أراد أنه يدعوهم فى حال خروجهم لا قبله و لا بعده و هذا الوجه أيضا ضعيف لأن من شرط حسن الأمر أن يتقدم المأمور به و كذلك الدعاء و فى هذه الآية دلالة على أنه سبحانه لا يجوز أن يتخذ ولدا لأنه إذا ثبت أنه منشئ السماوات و الأرض ثبت بذلك أنه سبحانه ليس بصفه الأجسام و الجواهر لأن الجسم يتعذر عليه فعل الأجسام و من كان بهذه الصفه لم يجز عليه اتخاذ الولد و لأنه سبحانه قد أنشأ عيسى من غير أب من حيث هو مبدع الأشياء فجعل عن اتخاذ الأبناء و تعالى علوا كبيرا.

البقره (٢): آيه ١١٨

إشاره

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْ لَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (١١٨)

اللغه

اليقين و العلم و المعرفه نظائر فى اللغه و نقيضه الشك و الجهل و أيقن و تيقن و استيقن بمعنى و قال صاحب العين اليقن اليقين قال:

و ما بالذى أبصرته العيون

من قطع يأس و لا من يقن

فاليقين علم يثلج به الصدر و لذلك يقال وجدت برد اليقين و لا يقال وجدت برد العلم.

لولا بمعنى هلا ولا تدخل إلا على الفعل و معناها التحضيض قال:

تعدون عقر النبي أفضل مجدكم

بنى ضو طرى لولا الكمي المقنعا

أى هلا تعقرون الكمي المقنع و الكاف فى كذلك تتعلق بقال و الجار و المجرور فى موضع نصب على المصدر أى كقولهم.

المعنى

لما بين سبحانه حالهم فى إنكارهم التوحيد و ادعائهم عليه اتخاذ الأولاد عقبه بذكر خلافهم فى النبوات و سلوكهم فى ذلك طريق التعنت و العناد فقال «وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» و هم النصارى عن مجاهد و اليهود عن ابن عباس و مشركو العرب عن الحسن و قتاده و هو الأقرب لأنهم الذين سألوا المحالات و لم يقتصروا على ما ظهر و اتضح من المعجزات و قالوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَبُوعًا الْآيَاتِ إِلَى آخِرِهَا و لأنه وصفهم بأنهم لا يعلمون فبين أنهم ليسوا من أهل الكتاب و من قال المراد به النصارى قال لأنه قال قبلها وَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا و هم الذين قالوا المسيح ابن الله و هذا لا دلاله فيه لأنه يجوز أن يذكر قوما ثم يستأنف فيخبر عن قوم آخرين على أن مشركى العرب قد أضافوا أيضا إلى الله سبحانه البنات فدخلوا فى جملة من قال اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا و قوله «لَوْ لَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ» أى هلا يكلمنا معانيه فيخبرنا بأنك نبى و قيل معناه هلا يكلمنا بكلامه كما كلم موسى و غيره من الأنبياء و قوله «أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ» أى تأتينا آية موافقه لدعوتنا كما جاءت الأنبياء آيات موافقه لدعوتهم و لم يرد أنه لم تأتيم آية لأنه قد جاءتهم الآيات و المعجزات و قوله «كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ» قيل هم اليهود حيث اقترحوا الآيات على موسى عن مجاهد لأنه حمل قوله الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ على النصارى و قيل هم اليهود و النصارى جميعا عن قتاده و السدى و قيل سائر الكفار الذين كانوا قبل الإسلام عن أبى مسلم «تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ» أى أشبه بعضها بعضا فى الكفر و القسوه و الاعتراض على الأنبياء من غير حجه و التعنت و العناد كقول اليهود لموسى أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً و قول النصارى للمسيح أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ و قول العرب لنبينا صلى الله عليه و آله حول لنا الصفا ذهبا و لذلك قال الله سبحانه أ تَوَاصَوْا بِهِ و قوله «قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ» يعنى الحجج و المعجزات التى يعلم بها صحه نبوه محمد صلى الله عليه و آله «لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ» أى يستدلون بها من الوجه الذى يجب الاستدلال به فأيقنوا لذلك فكذلك

فاستدلوا أنتم حتى توقنوا كما أيقن أولئك والمعنى فيه أن فيما ظهر من الآيات الباهرات الداله على صدقه كفايه لمن ترك التعنت والعناد فإن قيل لم يؤتوا الآيات التي اقترحوها لتكون الحجة عليهم أكد قلنا الاعتبار في ذلك بالمصالح ولو علم الله سبحانه أن في إظهار ما اقترحوه من الآيات مصلحه لأظهرها فلما لم يظهرها علمنا أنه لم يكن في إظهارها مصلحه.

البقره (٢): آيه ١١٩

إشاره

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (١١٩)

القراءه

قرأ نافع

ولا تسئل بفتح التاء و الجزم على النهى و روى ذلك عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام)

و ابن عباس ذكر ذلك القراء و أبو القاسم البلخى و الباقر على لفظ الخبر على ما لم يسم فاعله.

الإعراب

الرفع فى «تُسْئَلُ» يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون حالا فيكون مثل ما عطف عليه من قوله «بَشِيرًا وَ نَذِيرًا» أى و غير مسئول و يكون ذكر الجملة بعد المفرد الذى هو قوله «بَشِيرًا» كما ذكر الجملة فى قوله وَ يُكَلِّمُ النَّاسَ فى الْمَهْدِ وَ كَهْلًا بعد ما تقدم من المفرد و كذلك قوله وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ و هو هنا يجرى مجرى الجملة (و الآخر) أن يكون منقطعا عن الأول مستأنفا به كأنه قيل و لست تسأل عن أصحاب الجحيم و أما قراءه نافع و لا تسئل بالجزم ففيه قولان (أحدهما) أن يكون على النهى عن المسأله (و الآخر) أن يكون النهى لفظا و المعنى على تفخيم ما أعد لهم من العقاب كقول القائل لا تسأل عن حال فلان أى قد صار إلى أكثر مما تريده و سألت يتعدى إلى مفعولين مثل أعطيت قال الشاعر:

سألتانى الطلاق إذ رأتنى

قل ما لى قد جئتمانى بنكر

و يجوز أن يقتصر فيه على مفعول واحد ثم يكون على ضربين (أحدهما) أن يتعدى بغير حرف كقوله وَ سِئَلُوا ما أَنْفَقْتُمْ فَسِئَلُوا أَهْلَ الذُّكْرِ (و الآخر) أن يتعدى بحرف كقوله تعالى سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ واقِعٍ و قولهم سألت عن زيد و إذا تعدى إلى مفعولين كان على ثلاثه أضرب (أحدها) أن يكون بمنزله أعطيت كقوله سألت عمرا بعد بكر حقا فمعنى هذا استعطيته أى سألته أن يفعل ذلك (و الآخر) أن يكون بمنزله اخترت الرجال زيدا و ذلك قوله تعالى وَ لَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا أى لا يسأل حميم عن حميمه

(و الثالث) أن يتعدى إلى مفعولين فيقع موقع المفعول الثاني منهما استفهام و ذلك كقوله تعالى سَلُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ وَ سَلُّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَلَمْ نَجْعَلْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ.

اللغة

الجحيم النار بعينها إذا شب وقودها و صار كالعلم على جهنم كقول أمية بن أبي الصلت:

إذا شبت جهنم ثم زادت

و أعرض عن قوابسها الجحيم

و جحمت النار تجحج جحما إذا اضطربت و الجحمة العين بلغه حمير قال:

أيا جحمتي بكى على أم واهب

قتيله قلوب بإحدى المذانب

و جحمتا الأسد عيناه و جاحم الحرب شدة القتل فى معركتها قال سعد بن مالك بن ضبيعه:

و الحرب لا يبقى لجاحمها

التخيل و المراح

إلا الفتى الصبار فى

النجادات و الفرس الوقاح

المعنى

بين الله سبحانه فى هذه الآية تأييده نبيه محمد صلى الله عليه و آله بالحجج و بعثه الحق فقال «إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ» يا محمد «بِالْحَقِّ» قيل بالقرآن عن ابن عباس و قيل بالإسلام عن الأصم و قيل على الحق أى بعثناك على الحق كقوله سبحانه خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ أى على أنهما حق لا باطل و قوله «بَشِيرًا وَ نَذِيرًا» أى بشيرا من اتبعك بالثواب و نذيرا من خالفك بالعقاب و قوله «وَ لَا تُسَيِّئُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ» أى لا تسأل عن أحوالهم و فيه تسليه للنبي صلى الله عليه و آله إذ قيل له إنما أنت بشير و نذير و لست تسأل عن أهل الجحيم و ليس عليك إجبارهم على القبول منك و مثله قوله فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ و قوله لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ و قيل معناه لا تؤاخذ بذنبهم كقوله سبحانه عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَ عَلَيْكُمْ مَا أَى فعلية الإبلاغ و عليكم القبول.

إشارة

وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٢٠)

اللغة

الرضا و الموده و المحبه نظائر و ضد الرضا الغضب و الرضا أيضا بمعنى المرضي و هو من بنات الواو و بدلاله قولهم الرضوان و تقول رجل رضا و رجال و نساء رضا و المله و النحله و الديانه نظائر و مله رسول الله صلى الله عليه و آله الأمر الذى أوضحه و امتل الرجل إذا أخذ فى مله الإسلام أى قصد ما أمل منه و الإملاء إملاء الكتاب ليكتب.

الإعراب

تتبع نصب بحتى قال سيبويه و الخليل إن الناصب للفعل بعد حتى أن إلا أنها لا تظهر بعد حتى و يدل على أن حتى لا تنصب بنفسها إنها تجر الاسم فى نحو قوله حَتَّىٰ مَطَّلَعَ الْفَجْرَ و لا يعرف فى العرييه حرف يعمل فى اسم يعمل فى فعل و لا حرف جار يكون ناصبا للفعل فصار مثل اللام فى قولك ما كان زيد ليضربك فى أنها جاره و الناصب ليضربك أن المضمرة و لا يجوز إظهارها مع هذه اللام أيضا هو ضمير مرفوع بالابتداء أو فصل و الهدى خبر المبتدأ أو خبر إن و قوله «مِنَ الْعِلْمِ» يتعلق بمحذوف فى موضع الحال و ذو الحال الموصوف المحذوف الذى قوله «الَّذِي جَاءَكَ» صفته و كذلك قوله «مِنَ اللَّهِ» فى موضع الحال و «مِنَ وَلِيٍّ» فى موضع رفع بالابتداء و من مزيده و قوله «مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ» فى موضع الجزاء للشرط و لكن الجزاء إذا قدر فيه القسم لا يجزم فلا يكون فى موضع جزم و لا بد أن يكون فيه أحد الحروف الداله على القسم فحرف ما هاهنا تدل على القسم فلهذا لم يجزم.

المعنى

كانت اليهود و النصارى يسألون النبى صلى الله عليه و آله الهدنه و يرونه أنه إن هادنهم و أمهلهم اتبعوه فأيسه الله تعالى من موافقتهم فقال «وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ» و قيل أيضا أن النبى صلى الله عليه و آله كان مجتهدا فى طلب ما يرضيهم ليدخلوا فى الإسلام فقل له دع ما يرضيهم إلى ما أمرك الله به من مجاهدتهم و هذا يدل على أنه لا يصح إرضاء اليهود و النصارى على حال لأنه تعالى علق رضاهم بأن يصير (عليه السلام) يهوديا أو نصرانيا و إذا استحال ذلك استحال إرضائهم يعنى أنه لا يرضى كل فرقه منهم إلا أن يتبع ملتهم أى دينهم و قيل قبلتهم «قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ» أى قل يا محمد لهم أن دين الله الذى يرضاه هو الهدى أى الدين الذى أنت عليه عن ابن عباس و قيل معناه أن هدى الله يعنى القرآن هو الذى يهدى إلى الجنه لا طريقه اليهود و النصارى

وقيل معناه أن دلالة الله هي الدلالة و هدى الله هو الحق كما يقال طريقه فلان هي الطريقه و قوله «وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ» أى مراداتهم و قال ابن عباس معناه أن صليت إلى قبلتهم «بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ» أى من البيان من الله تعالى و قيل من الدين «ما لك» يا محمد «مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ» يحفظك من عقابه «وَلَا نَصِيرٍ» أى معين و ظهير يعينك عليه و يدفع بنصره عقابه عنك و هذه الآيه تدل على أن من علم الله تعالى منه أنه لا يعصى يصح وعيده لأنه علم أن نبيه (عليه السلام) لا يتبع أهواءهم فجرى مجرى قوله لَيْنِ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَّا كَفَرَكَ و المقصود منه التنبيه على أن حال أمته فيه أغلظ من حاله لأن منزلتهم دون منزلته و قيل الخطاب للنبي (عليه السلام) و المراد أمته.

البقره (٢): آيه ١٢١

إشارة

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٢١)

الإعراب

«الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ» رفع بالابتداء و يتلونه فى موضع خبره و أولئك ابتداء ثان و يؤمنون به خبره و إن شئت كان أولئك يؤمنون به فى موضع خبر المبتدأ الذى هو الذين و يتلونه فى موضع نصب على الحال و إن شئت كان خبر الابتداء يتلونه و أولئك جميعا فيكون للابتداء خبر إن كما تقول هذا حلو حامض و حق تلاوته منصوب على المصدر.

النزول

قيل نزلت فى أهل السفينه الذين قدموا مع جعفر بن أبى طالب من الحبشه و كانوا أربعين رجلا اثنان و ثلاثون من الحبشه و ثمانيه من رهبان الشام منهم بحيراء عن ابن عباس و قيل هم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام و شعبه بن عمرو و تمام بن يهودا و أسد و أسيد ابنى كعب و ابن يامين و ابن صوريا عن الضحاك و قيل هم أصحاب محمد عن قتاده و عكرمه فعلى القولين الأولين يكون المراد بالكتاب التوراه و على القول الأخير المراد به القرآن.

المعنى

«الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ» أى أعطيناهم «الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ» اختلف فى معناه على وجوه (أحدها) أنه يتبعونه يعنى التوراه حق اتباعه و لا يحرفونه ثم يعلمون بحلاله و يقفون عند حرامه و منه قوله وَ الْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا أى تبعها و به قال ابن مسعود و مجاهد و قتاده إلا أن المراد به القرآن عندهم و (ثانيها) أن المراد به يصفونه حق صفته

فى كتبهم لمن يسألهم من الناس عن الكلبى و على هذا تكون الهاء راجعه إلى محمد صلى الله عليه و آله و (ثالثها) ما

روى عن أبى عبد الله أن «حَقَّ تِلَاوَتِهِ» هو الوقوف عند ذكر الجنة و النار يسأل فى الأولى و يستعيز من الأخرى.

و (رابعها) أن المراد يقرءونه حق قراءته يرتلون ألفاظه و يفهمون معانيه و (خامسها) أن المراد يعملون حق العمل به فيعملون بمحكمه و يؤمنون بمتشابهه و يكون ما أشكل عليهم إلى عالمه عن الحسن و قوله «أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ» أى بالكتاب عن أكثر المفسرين و قيل بالنبي (عليه السلام) عن الكلبى «وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ» و هم اليهود و قيل هم جميع الكفار و هو الأولى لعمومه «فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» خسروا أنفسهم و أعمالهم و قيل خسروا فى الدنيا الظفر و نصره فى الآخرة ما أعد الله للمؤمنين من نعيم الجنة.

البقره (٢): آيه ١٢٢

اشاره

يا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنَّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٢٢)

المعنى

هذه الآيه قد تقدم ذكر مثلها فى رأس نيف و أربعين آيه و مضى تفسيرها و قيل فى سبب تكريرها ثلاثة أقوال (أحدها) أن نعم الله سبحانه لما كانت أصول كل نعمه كرر التذكير بها مبالغه فى استدعائهم إلى ما يلزمهم من شكرها ليقبلوا إلى طاعه ربهم المظاهر نعمه عليهم و (ثانيها) أنه سبحانه لما ذكر التوراه و فيها الدلاله على شأن عيسى و محمد (عليه السلام) فى النبوه و البشاره بهما ذكرهم نعمته عليهم بذلك و ما فضلهم به كما عدد النعم فى سوره الرحمن و كرر قوله فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فكل تقرير جاء بعد تقرير فإنما هو موصول بتذكير نعمه غير الأولى و ثالثه غير الثانيه إلى آخر السوره و كذلك الوعيد فى سوره المرسلات بقوله وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ إنما هو بعد الدلاله على أعمال تعظم التكذيب بما تدعو إليه الأدله.

البقره (٢): آيه ١٢٣

اشاره

وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (١٢٣)

توضیح

و مثل هذه الآيه أيضا قد تقدم ذكره و مر تفسيره.

البقره (٢): آيه ١٢٤

اشاره

وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤)

القراءه

قرأ ابن عامر إبراهيم هاهنا و فى مواضع من القرآن و الباقون «إِبْرَاهِيمَ» و قرأ حمزه و حفص عهدى بإرسال الياء و الباقون بفتحها.

الإعراب

فى إبراهيم خمس لغات إبراهيم و إبراهيم و إبراهيم فحذفت الألف استخفافا قال الشاعر:

عذت بما عاذ به إبراهيم

و إبراهيم قال أميه:

(مع إبراهيم التقى و موسى)

و أبرهم قال:

نحن آل الله فى كعبته

لم يزل ذاك على عهد أبرهم

و الوجه فى هذه التغييرات ما تقدم ذكره من قولهم إن العرب إذا نطقت بالأعجمى خلطت فيه و تلعبت بحروفه فتغيرها و أما قوله «عَهْدِي» فإنما فتح هذه الياء إذا تحرك ما قبلها لأن أصل هذه الياء الحركه فإنها بإزاء الكاف للمخاطب فكما فتحت الكاف كذلك تفتح الياء و من أسكنها فإنه يحتج بأن الفتحه مع الياء قد كرهت فى الكلام كما كرهت الحركتان الأخيران فيها ألا ترى أنهم قد أسكنوها فى حال السعه إذا لزم تحريكها بالفتح كما أسكنوها إذا لزم تحريكها بالحركتين الأخيرين و ذلك قولهم قالى قلا و بادى و بدا و معديكرب فالياء فى هذه المواضع فى موضع الفتحه التى فى آخر الاسمين نحو حضر موت و قد أسكنت كما أسكنت فى الجر و الرفع.

اللغه

الابتلاء الاختبار و التمام و الكمال و الوفاء نظائر و ضد التمام النقصان يقال تم تماما و أتمه و تممه تميما و تتمه و التم الشىء التام و لكل حامله تمام بفتح التاء و كسرهما و بدر تمام و ليل تمام بالكسر و الذريه و النسل و الولد نظائر و بعض العرب يكسر منها الذال فيقول ذريه و روى أنه قراءه زيد بن ثابت و بعضهم فتحها فقال ذريه و فى أصل الكلمه أربعه مذاهب من الذرء و من الذر و الذرو و الذرى فإن جعلته من الذرء فوزنه فعليه كمريق ثم ألزمت

ص: ٢٩٢

التخفيف أو البديل كنبى فى أكثر اللغه و البريه و إن أخذته من الذر فوزه فعليه كقمريه أو فعيله نحو ذريه فلما كثر الرءاءت أبدلت الأخيره ياء و أدغم الياء الأولى فيها نحو سريه فيمن أخذها من السر و هو النكاح أو فعوله نحو ذروره فأبدلوا الرء الأخيره لما ذكرنا فصار ذرويه ثم أدغم فصار ذريه و إن أخذته من الذرو أو الذرى فوزه فعوله أو فعيله و فيه كلام كثير يطول به الكتاب ذكره ابن جنى فى المحتسب و النيل و اللحاق و الإدراك نظائر و النيل و النوال ما نلته من معروف إنسان و أناله معروفه و نوله أعطاه قال طرفه:

إن تنوله فقد تمنعه

و تريه النجم يجرى بالظهر

و قولهم نولك أن تفعل كذا معناه حقك أن تفعل.

الإعراب

اللام فى قوله «لِلنَّاسِ» تتعلق بمحذوف تقديره إماما استقر للناس فهو صفه لإمام فلما قدمه انتصب على الحال و يجوز أن تتعلق بجاعلك و قوله «إماماً» مفعول ثان لجعل «وَمِنْ ذُرِّيَّتِي» تتعلق بمحذوف تقديره و اجعل من ذريتي.

المعنى

«و» اذكروا «إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ» أى اختبر و هو مجاز و حقيقته أنه أمر إبراهيم ربه و كلفه و سمي ذلك اختبار لأن ما يستعمل الأمر منا فى مثل ذلك يجرى على جهه الاختبار و الامتحان فأجرى على أمره اسم أمور العباد على طريق الاتساع و أيضا فإن الله تعالى لما عامل عباده معاملته المبتلى المختبر إذ لا يجازيهم على ما يعلمه منهم أنهم سيفعلونه قبل أن يقع ذلك الفعل منهم كما لا يجازى المختبر للغير ما لم يقع الفعل منه سمي أمره ابتلاء و حقيقه الابتلاء تشديد التكليف و قوله «بِكَلِمَاتٍ» فيه خلاف

فروى عن الصادق أنه ما ابتلاه الله به فى نومه من ذبح ولده إسماعيل أبى العرب فأتمها إبراهيم و عزم عليها و سلم لأمر الله فلما عزم الله ثوبا له لما صدق و عمل بما أمره الله «إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا» ثم أنزل عليه الحنيفيه و هى الطهاره و هى عشره أشياء خمسها منها فى الرأس و خمسها منها فى البدن فأما التى فى الرأس فأخذ الشارب و إعفاء اللحي و طم الشعر و السواك و الخلال و أما التى فى البدن فحلق الشعر من البدن و الختان و تقليم الأظفار و الغسل من الجنابه و الطهور بالماء فهذه الحنيفيه الظاهره التى جاء بها إبراهيم فلم تنسخ و لا تنسخ إلى يوم القيامة و هو قوله «وَأَتَّبَعْ مَلَأَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ذَكَرَهُ عَلَىٰ بَنِ إِبْرَاهِيمَ بَنِ هَاشِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ»

و قال قتاده و هو إحدى الروايتين عن ابن عباس أنها عشر خصال كانت فرضا فى شرعه سنه فى شريعتنا المضمضه و الاستنشاق و فرق الرأس و قص الشارب و السواك فى الرأس و الختان و حلق العانه و نتف الإبط و تقليم الأظفار و الاستنجاء بالماء فى البدن و فى الروايه الأخرى

عن ابن عباس أنه ابتلاه بثلاثين خصله من شرائع الإسلام لم يبتل أحدا بها فأقامها كلها إبراهيم فآتمهن فكتب له البراءة فقال وَ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى وَ هِيَ عَشْرٌ فِي سُورَةِ بَرَاءَةِ التَّائِبِينَ الْعَابِدُونَ إِلَى آخِرِهَا وَ عَشْرٌ فِي الْأَحْزَابِ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِمَاتِ إِلَى آخِرِهَا وَ عَشْرٌ فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى قَوْلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ وَ رَوَى وَ عَشْرٌ فِي سُورَةِ سَأَلَ سَائِلٌ إِلَى قَوْلِهِ وَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صِيْلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ فَجَعَلَهَا أَرْبَعِينَ وَ فِي رَوَايَةٍ ثَالِثَةٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ أَمَرَهُ بِمَنَاسِكَ الْحَجِّ وَ قَالَ الْحَسَنُ ابْتِلَاهُ اللَّهُ بِالْكَوْكَبِ وَ الْقَمَرِ وَ الشَّمْسِ وَ الْخِتَانِ وَ بِذَبْحِ ابْنِهِ وَ بِالنَّارِ وَ بِالْهَجْرَةِ فَكَلَّهِنَّ وَ فِي اللَّهِ فِيهِنَّ وَ قَالَ مُجَاهِدٌ ابْتِلَاهُ اللَّهُ بِالْآيَاتِ الَّتِي بَعْدَهَا وَ هِيَ قَوْلُهُ «إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا» إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ وَ قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْجَبَّائِيُّ أَرَادَ بِذَلِكَ كَلِمًا كَلَّفَهُ مِنَ الطَّاعَاتِ الْعَقْلِيَّةِ وَ الشَّرْعِيَّةِ وَ الْآيَةِ مُحْتَمَلَةً لِجَمِيعِ هَذِهِ الْأَقْوَالِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا وَ كَانَ سَعِيدُ بْنُ الْمَسِيْبِ يَقُولُ

كان إبراهيم أول الناس أضاف الضيف و أول الناس اختتن و أول الناس قص شاربه و استحد و أول الناس رأى الشيب فلما رآه قال يا رب ما هذا قال هذا الوقار قال يا رب فزدني وقارا و هذا أيضا قد رواه السكوني عن أبي عبد الله

و لم يذكر أول من قص شاربه و استحد و زاد فيه* و أول من قاتل في سبيل الله إبراهيم و أول من أخرج الخمس إبراهيم و أول من اتخذ النعلين إبراهيم و أول من اتخذ الرايات إبراهيم و

روى الشيخ أبو جعفر بن بابويه رحمه الله في كتاب النبوه بإسناده مرفوعا إلى المفضل بن عمر عن الصادق (عليه السلام) قال سألته عن قول الله عز و جل «وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ» ما هذه الكلمات قال هي الكلمات التي تلقاها آدم (عليه السلام) من ربه فتاب عليه و هو أنه قال يا رب أسألك بحق محمد و علي و فاطمه و الحسن و الحسين إلا تبت علي فتاب الله عليه إنه هو التواب الرحيم فقلت له يا ابن رسول الله فما يعنى بقوله «فَأَتَمَّهُنَّ» قال أتمهن اثني عشر إماما تسعه من ولد الحسين (عليه السلام) قال المفضل فقلت له يا ابن رسول الله فأخبرني عن كلمة الله عز و جل وَ جَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ قَالَ يَعْنِي بِذَلِكَ الْإِمَامَةَ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي عَقْبِ الْحُسَيْنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَقُلْتُ لَهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ فَكَيْفَ صَارَتِ الْإِمَامَةُ فِي وَدِّ الْحُسَيْنِ دُونَ وَدِّ الْحَسَنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَ هُمَا جَمِيعًا وَ لِدَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سِبْطَاهُ وَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَقَالَ إِنْ مُوسَى وَ هَارُونَ نَبِيَانِ مَرْسَلَانِ أَخْوَانِ فَجَعَلَ اللَّهُ النَّبُوَّةَ فِي صُلْبِ هَارُونَ دُونَ صُلْبِ مُوسَى وَ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ لَمْ فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ وَ أَنْ الْإِمَامَةَ خَلَّافَهُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ

لم جعلها الله في صلب الحسين دون صلب الحسن لأن الله عز و جل هو الحكيم في أفعاله لا يُسئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْأَلُونَ

وقال الشيخ أبو جعفر بن بابويه رحمه الله و لقوله تعالى «وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ» وجه آخر فإن الابتلاء على ضربين (أحدهما) مستحيل على الله تعالى (و الآخر) جائز فالمستحيل هو أن يختبره ليعلم ما تكشف الأيام عنه و هذا ما لا يصح لأنه سبحانه علام الغيوب و الآخر أن يبتليه حتى يصبر فيما يبتليه به فيكون ما يعطيه من العطاء على سبيل الاستحقاق و لينظر إليه الناظر فيقتدى به فيعلم من حكمه الله عز و جل أنه لم تكن أسباب الإمامه إلا إلى الكافي المستقل بها الذي كشفت الأيام عنه فأما الكلمات سوى ما ذكرناه فمنها اليقين و ذلك قوله عز و جل وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُؤَقِّنِينَ و منها المعرفة بالتوحيد و التنزيه عن التشبيه حين نظر إلى الكوكب و القمر و الشمس و منها الشجاعه بدلاله قوله فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلاَّ كَبِيرًا لَهُمْ و مقاومته و هو واحد ألوفاً من أعداء الله تعالى و منها الحلم و قد تضمنه قوله عز و جل إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ و منها السخاء و يدل عليه قوله هَلْ أَتَاكَ حَدِيثٌ ضَافٍ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ثم العزله عن العشيره و قد تضمنه قوله وَ أَعْتَزَلُكُمْ وَ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ثم الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و بيان ذلك في قوله يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَ لَا يُبْصِرُ الْآيَاتِ ثم دفع السيئه بالحسنه في جواب قول أبيه لئن لم تنته لما رجمتك وَ اهْجُرْنِي مَلِيًّا قَالَ سِلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ثم التوكل و بيان ذلك في قوله الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ الْآيَاتِ ثم المحنه في النفس حين جعل في المنجنيق و قذف به في النار ثم المحنه في الولد حين أمر بذبح ابنه إسماعيل ثم المحنه في الأهل حين خلص الله حرمة من عباده القبطى في الخبر المشهور ثم الصبر على سوء خلق ساره ثم استقصاره النفس في الطاعه بقوله وَ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ثم الزلفه في قوله مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَ لَا نَصْرَانِيًّا الْآيَهُ ثم الجمع لشروط الطاعات في قوله إِنَّ صِدْقِي وَ نُسُوكِي وَ مَحْيَايَ وَ مَمَاتِي إِلَى قَوْلِهِ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ثم استجابته الله دعوته حين قال رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى الْآيَهُ ثم اصطفاه الله سبحانه إياه في الدنيا ثم شهادته له في العاقبه أنه من الصالحين في قوله وَ لَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ثم اقتداء من بعده من الأنبياء به في قوله وَ وَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَ يُعْقَبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ الْآيَهُ و في قوله ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا انتهى كلام الشيخ أبي جعفر رحمه الله و قوله «فَأَتَمَّهُنَّ» معناه وفى بهن في قول الحسن و عمل بهن على التمام في قول قتاده و الضمير في أتمهن عائداً إلى الله تعالى في قول أبي القاسم البلخي و هو اختيار

الحسين بن علي المغربي قال البلخي والكلمات هي الإمامه على ما قاله مجاهد قال لأن الكلام متصل و لم يفصل بين قوله «إني جاعلك للناس إماماً» و بين ما تقدمه بواو العطف و أتمهن الله بأن أوجب بها الإمامه بطاعته و اضطراره بما ابتلاه و قوله «قال إني جاعلك للناس إماماً» معناه قال الله تعالى (إني جاعلك إماماً يقتدى بك في أفعالك و أقوالك) لأن الاستفادة من لفظ الإمام أمران (أحدهما) أنه المقتدى به في أفعاله و أقواله (و الثاني) أنه الذي يقوم بتدبير الأمة و سياستها و القيام بأمورها و تأديب جناتها و توليه ولايتها و إقامة الحدود على مستحقيها و محاربه من يكيدها و يعاديها فعلى الوجه الأول لا يكون نبي من الأنبياء إلا و هو إمام و على الوجه الثاني لا يجب في كل نبي أن يكون إماماً إذ يجوز أن لا يكون مأموراً بتأديب الجنه و محاربه العداة و الدفاع عن حوزة الدين و مجاهدة الكافرين فلما ابتلى الله سبحانه إبراهيم بالكلمات فأتهم جعله إماماً للأنام جزاء له على ذلك و الدليل عليه أن قوله «جاعلك» عمل في قوله «إماماً» و اسم الفاعل إذا كان بمعنى الماضي لا يعمل عمل الفعل و لو قلت أنا ضارب زيدا أمس لم يجز فوجب أن يكون المراد أنه جعله إماماً إما في الحال أو في الاستقبال و النبوه كانت حاصله له قبل ذلك و قوله «قالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي» أي و اجعل من ذريتي من يوشح بالإمامه و يوشح بهذه الكرامه و قيل إنما قال ذلك على جهه التعرف ليعلم هل يكون في عقبه أئمه يقتدى بهم و الأولي أن يكون ذلك على وجه السؤال من الله تعالى أن يجعلهم كذلك و قوله «قالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» قال مجاهد

العهد الإمامه و هو المروى عن أبي جعفر و أبي عبد الله (عليه السلام)

أي لا- يكون الظالم إماماً للناس فهذا يدل على أنه يجوز أن يعطى ذلك بعض ولده إذا لم يكن ظالماً لأنه لو لم يرد أن يجعل أحدا منهم إماماً للناس لوجب أن يقول في الجواب لا أو لا ينال عهدي ذريتك و قال الحسن معناه أن الظالمين ليس لهم عند الله عهد يعطيهم به خيراً و إن كانوا قد يعاهدون في الدنيا فيوفى لهم و قد كان يجوز في العربي أن يقال لا ينال عهدي الظالمون لأن ما نالك فقد نلت و قد روى ذلك في قراءة ابن مسعود و استدلل أصحابنا بهذه الآية على أن الإمام لا يكون إلا معصوماً عن القبائح لأن الله سبحانه نفى أن ينال عهده الذي هو الإمامه ظالم و من ليس بمعصوم فقد يكون ظالماً إما لنفسه و إما لغيره فإن قيل إنما نفى أن يناله ظالم في حال ظلمه فإذا تاب لا يسمى ظالماً فيصح أن يناله فالجواب أن الظالم و إن تاب فلا يخرج من أن تكون الآية قد تناولته في حال كونه ظالماً فإذا نفى أن يناله فقد حكم عليه بأنه لا ينالها و الآية مطلقه غير مقيدة بوقت دون وقت

فيجب أن تكون محموله على الأوقات كلها فلا ينالها الظالم وإن تاب فيما بعد.

البقرة (٢): آيه ١٢٥

إشاره

وَ إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَ أَمْنًا وَ اتَّخَذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُضِلًّا وَ عَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَ الْعَاكِفِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥)

القراءه

قرأ نافع و ابن عامر و اتخذوا مفتوحه الخاء و قرأ الباقون «وَ اتَّخَذُوا» مكسوره الخاء.

الإعراب

من قرأ بكسر الخاء فإنه على الأمر و الإلزام و يكون عطفا على قوله يا بني إسرائيل اذكروا و يجوز أن يكون عطفا على قوله «وَ إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ» من طريق المعنى لأن معناه ثوبوا و اتخذوا و من قرأ بالفتح عطفه على ما تقدمه من الفعل الذى أضيف إليه إذ فكأنه قال و إذ اتخذوا.

اللغه

البيت و المأوى و المنزل نظائر و البيت من أبيات الشعر سمي بذلك لضمه الحروف و الكلام كما يضم البيت من بيوت الناس أهله و البيت من بيوتات العرب و هى أحيائها و امرأه الرجل بيته قال الراجز:

ما لى إذا أجذبها صائت

أ كبر قد غالنى أم بيت

المثابه هاهنا الموضع الذى يثاب إليه من ثاب يثوب مثابه و مثابا و ثوبا إذا رجع قال ورقه بن نوفل فى صفه الحرم:

مثاب لإفناء القبائل كلها

تخب إليها اليعملات الطلائح

و منه ثاب إليه عقله أى رجع بعد عزوبه و أصل مثابه مثوبه نقلت حركه الواو إلى التاء ثم قلبت ألفا على ما قبلها و قيل إن التاء فيه للمبالغه كما قيل نسابه و قيل إن معناهما واحد

كمقامه و مقام قال زهير:

و فيهم مقامات حسان وجوهها

و أنديه ينتابها القول و الفعل

و جمع المقام مقاوم قال:

و إني لقوام مقاوم لم يكن

جرير و لا مولى جرير يقومها

و الطائف و الجائل و الدائر نظائر و يقال طاف يطوف طوفا إذا دار حول الشىء و أطاف به إطفاه إذا ألم به و أطاف به إذا أحاط به و الطائف العاس و الطوافون المماليك و الطائف طائف الجن و الشيطان و هو كل شىء يغشى القلب من وسواسه و هو طيف أيضا و العاكف المقيم على الشىء اللازم له و عكف يعكف عكفا و عكوفها قال النابغة:

عكوف على أبياتهم يثمدونها

رمى الله فى تلك الأكف الكوانع

و العاكف المعتكف فى المسجد و قل ما يقولون عكف و إنما يقولون اعتكف و الركع جمع الراكع و السجود جمع الساجد و كل فعل مصدره على فعول جاز فى جمع الفاعل منه أن يكون على فعول كالتعود و الركوع و السجود و نحوها.

المعنى

قوله «وَ إِذْ جَعَلْنَا» عطف على قوله وَ إِذْ ابْتَلَى و ذلك معطوف على قوله يا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ و «الْبَيْتَ» الذى جعله الله مثابه هو البيت الحرام و هو الكعبة و روى أنه سمي البيت الحرام لأنه حرم على المشركين أن يدخلوه و سمي الكعبة لأنها مربعة و صارت مربعة لأنها بحذاء البيت المعمور و هو مربع و صار البيت المعمور مربعة لأنه بحذاء العرش و هو مربع و صار العرش مربعة لأن الكلمات التى بنى عليها الإسلام أربع و هى سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر و قوله «مَثَابَةً لِلنَّاسِ» ذكر فيه وجوه فليل أن الناس يثوبون إليه كل عام أى ليس هو مره فى الزمان فقط على الناس عن الحسن و قيل معناه أنه لا ينصرف منه أحد و هو يرى أنه قد قضى منه وطرا فهم يعودون إليه عن ابن عباس

و قد ورد فى الخبر أن من رجع من مكة و هو ينوى الحج من

قابل زيد في عمره و من خرج من مكة و هو لا ينوي العود إليها فقد قرب أجله

و قيل معناه يحجون إليه فيثابون عليه و قيل مثابه معاذ و ملجأ و قيل مجمعا و المعنى فى الكل يؤول إلى أنهم يرجعون إليه مره بعد مره و قوله «وَ أَمْنًا» أراد مأمنا أى موضع أمن و إنما جعله الله أمنا بأن حكم أن من عاذ به و التجأ إليه لا يخاف على نفسه ما دام فيه و بما جعله فى نفوس العرب من تعظيمه حتى كانوا لا يتعرضون من فيه فهو آمن على نفسه و ماله و إن كانوا يتخطفون الناس من حوله و لعظم حرمة لا يقام فى الشرع الحد على من جنى جنايه فالتجأ إليه و إلى حرمة لكن يضيق عليه فى المطعم و المشرب و البيع و الشراء حتى يخرج منه فيقام عليه الحد فإن أحدث فيه ما يوجب الحد أقيم عليه الحد فيه لأنه هتك حرمة الحرم فهو آمن من هذه الوجوه و كان قبل الإسلام يرى الرجل قاتل أبيه فى الحرم فلا يتعرض له و هذا شىء كانوا قد توارثوه من دين إسماعيل فبقوا عليه إلى أيام نبينا صلى الله عليه و آله و قوله «وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ» قال ابن عباس الحج كله مقام إبراهيم و قال عطاء مقام إبراهيم عرفه و المزدلفه و الجمار و قال مجاهد الحرم كله مقام إبراهيم و قال الحسن و قتاده و السدى

هو الصلاة عند مقام إبراهيم أمرنا بالصلاة عنده بعد الطواف و هو المروى عن الصادق (عليه السلام)

و قد سئل عن الرجل يطوف بالبيت طواف الفريضة و نسى أن يصلى ركعتين عند مقام إبراهيم فقال يصليها و لو بعد أيام أن الله تعالى قال «وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ» و هذا هو الظاهر لأن مقام إبراهيم إذا أطلق لا يفهم منه إلا المقام المعروف الذى هو فى المسجد الحرام و فى المقام دلالة ظاهره على نبوه إبراهيم (عليه السلام) فإن الله جعل الحجر تحت قدميه كالطين حتى دخلت قدمه فيه و كان فى ذلك معجزه له و

روى عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام) أنه قال نزلت ثلاثه أحجار من الجنة مقام إبراهيم و حجر بنى إسرائيل و الحجر الأسود استودعه الله إبراهيم (عليه السلام) حجرا أبيض و كان أشد بياضا من القراطيس فاسود من خطايا بنى آدم.

[القصة]

ابن عباس قال لما أتى إبراهيم بإسماعيل و هاجر فوضعهما بمكة و أتت على ذلك مده و نزلها الجرهميون و تزوج إسماعيل امرأه منهم و ماتت هاجر و استأذن إبراهيم ساره أن يأتى هاجر فأذنت له و شرطت عليه أن لا ينزل فقدم إبراهيم (عليه السلام) و قد ماتت هاجر فذهب إلى بيت إسماعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ليس هنا ذهب يتصيد و كان إسماعيل يخرج من الحرم فيصيد ثم يرجع فقال لها إبراهيم هل عندك ضيافة قالت ليس عندى شىء و ما عندى أحد فقال لها إبراهيم إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام و قولى له فليغير عتبه بابه و ذهب إبراهيم (عليه السلام) فجاء إسماعيل (عليه السلام) فوجد ريح أبيه فقال لامرأته هل

جاءك أحد قالت جاءني شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفه بشأنه قال فما قال لك قالت قال لي أقرئي زوجك السلام و قولي له فليغير عتبه بابه فطلقها و تزوج أخرى فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث ثم استأذن ساره أن يزور إسماعيل فأذنت له و اشترطت عليه أن لا ينزل فجاء إبراهيم حتى انتهى إلى باب إسماعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ذهب يتصيد و هو يجيء الآن إن شاء الله فانزل يرحمك الله قال لها هل عندك ضيافه قالت نعم فجاءت باللبن و اللحم فدعا لهما بالبركه فلو جاءت يومئذ بخبز أو بر أو شعير أو تمر لكان أكثر أرض الله برا و شعيرا و تمرا فقالت له أنزل حتى أغسل رأسك فلم ينزل فجاءت بالمقام فوضعتة على شقه الأيمن فوضع قدمه عليه فبقى أثره فغسلت شق رأسه الأيمن ثم حولت المقام إلى شقه الأيسر فغسلت شق رأسه الأيسر فبقى أثر قدمه عليه فقال لها إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام و قولي له قد استقامت عتبه بابك فلما جاء إسماعيل (عليه السلام) وجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاءك أحد قالت نعم شيخ أحسن الناس وجهها و أطيبهم ريحا فقال لي كذا و كذا و قلت له كذا و غسلت رأسه و هذا موضع قدميه على المقام فقال إسماعيل لها ذاك إبراهيم (عليه السلام) و قد روى هذه القصة بعينها على بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن أبان عن الصادق (عليه السلام) و إن اختلف بعض ألفاظه و قال في آخرها إذا جاء زوجك فقولي له جاء هاهنا شيخ و هو يوصيك بعتبه بابك خيرا قال فأكب إسماعيل على المقام يبكي و يقبله

و

في روايه أخرى عنه (عليه السلام) أن إبراهيم استأذن ساره أن يزور إسماعيل فأذنت له أن لا يلبث عنها و أن لا ينزل من حماره فقيل له كيف كان ذلك فقال إن الأرض طويت له

و

روى عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه و آله قال الركن و المقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما و لو لا أن نورهما طمس لأضاء ما بين المشرق و المغرب

و قوله «مُصَلَّى» فيه أقوال قيل مدعى من صليت أى دعوت عن مجاهد و قيل قبله عن الحسن و

قيل موضع صلاة فأمر أن يصلى عنده عن قتاده و السدى و هذا هو المروى عن أئمتنا (عليه السلام)

و استدل أصحابنا به على أن صلاة الطواف فريضه مثل الطواف لأن الله تعالى أمر بذلك و ظاهر الأمر يقتضى الوجوب و لا صلاة واجبه عند مقام إبراهيم غير صلاة الطواف بلا خلاف و قوله «وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ» أى أمرناهما

ص: ٣٠٠

وألزماهنا «أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ» أى قلنا لهما أن طهرا بيتي لأن أن هذه هى المفسره التى تكون عباره عن القول إذا صاحبت من الألفاظ ما يتضمن معنى القول كقوله سبحانه «عَهِدْنَا» هنا و ذكر فى التطهير هنا وجوه (أحدها) أن المراد طهرا من الفرث و الدم الذى كان يطرحه المشركون عند البيت قبل أن يصير فى يد إبراهيم و إسماعيل عن الجبائى (و ثانيها) أن المراد طهراه من الأصنام التى كانوا يعلقونها على باب البيت قبل إبراهيم عن مجاهد و قتاده (و ثالثها) أن المراد طهراه بنيانا بكماله على الطهاره كما قال سبحانه أَلَمْ نَسِّ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ وَ إِنَّمَا أَضَافَ الْبَيْتَ إِلَى نَفْسِهِ تَفْضِيلاً لَهُ عَلَى سَائِرِ الْبَقَاعِ وَ تَمِيِزاً وَ تَخْصِيصاً وَ قَوْلُهُ «لِلطَّائِفِينَ وَ الْعَاكِفِينَ» أَكْثَرَ الْمَفْسَرِينَ عَلَى أَنَّ الطَّائِفِينَ هُمُ الدَّائِرُونَ حَوْلَ الْبَيْتِ وَ الْعَاكِفِينَ هُمُ الْمَجَاوِرُونَ لِلْبَيْتِ وَ قَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ أَنَّ الطَّائِفِينَ هُمُ الطَّارِثُونَ عَلَى مَكَّةَ مِنَ الْآفَاقِ وَ الْعَاكِفِينَ هُمُ الْمَقِيمُونَ فِيهَا وَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْعَاكِفُونَ الْمَصْلُونَ وَ الْأَوَّلُ أَصَحُّ لِأَنَّهُ الْمَفْهُومُ مِنْ إِطْلَاقِ اللَّفْظِ وَ قَوْلُهُ «وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ» قِيلَ هُمُ الْمَصْلُونَ عِنْدَ الْبَيْتِ يَرْكَعُونَ وَ يَسْجُدُونَ عَنِ قِتَادِهِ وَ قِيلَ هُمُ جَمِيعُ الْمُسْلِمِينَ لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْمُسْلِمِينَ الرُّكُوعَ وَ السُّجُودَ عَنِ الْحَسَنِ وَ قَالَ عَطَاءٌ إِذَا طَافَ بِهِ فَهُوَ مِنَ الطَّائِفِينَ وَ إِذَا جَلَسَ فَهُوَ مِنَ الْعَاكِفِينَ وَ إِذَا صَلَّى فَهُوَ مِنَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ

قال رسول الله صلى الله عليه و آله إن الله عز و جل فى كل يوم و ليلة عشرين و مائه رحمه تنزل على هذا البيت ستون منها للطائفين و أربعون للعاكفين و عشرون للناظرين.

البقره (٢): آيه ١٢٦

إشاره

وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَ مَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَ بئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦)

القراءه

قرأ ابن عامر فأمّته بسكون الميم خفيفه من أمتعت و الباقيون بالتشديد و فتح الميم من تمتعت و روى فى الشواذ عن ابن عباس فأمّته قليلاً ثم أضطره إلى عذاب

النار على الدعاء من إبراهيم (عليه السلام) و عن ابن محيصة ثم أطره بإدغام الضاد فى الطاء.

الإعراب

قال أبو على التمشيد فى «فَأَمْتَعُهُ» أولى لأن التنزيل عليه قال سبحانه يُمْتَعُكُمْ مَتَاعاً حَسِيباً وَ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ وجه قراءه ابن عامر إن أمتع لغه قال الراعى:

خليلين من شعيبين شتى تجاوزا

قديما و كانا بالفرق أمتعا

قال أبو زيد أمتعا أراد تمتعا فأما قراءه ابن عباس فأمتعه فيحتمل أمرين من ابن جنى (أحدهما) أن يكون الضمير فى قال لإبراهيم أى قال إبراهيم أيضا و من كفر فأمتعه يا رب و حسن إعادته قال ل طول الكلام و لأنه انتقل من الدعاء لقوم إلى الدعاء على آخرين و الآخر أن يكون الضمير فى قال لله تعالى أى فأمتعه يا خالق أو يا إله يخاطب بذلك نفسه عز و جل فجرى ذلك على ما تعتاده العرب من أمر الإنسان لنفسه كقول الأعشى:

ودع هريره إن الركب مرتحل

و هل تطيق وداعا أيها الرجل.

اللغة

البلد و المصر و المدينه نظائر و أصله من قولهم بلد للأثر فى الجلد و غيره و جمعه أبلاد و من ذلك سميت البلاد لأنها مواضع مواطن الناس و تأثيرهم و من ذلك قولهم لكركره البعير بلده لأنه إذا برك تأثرت و الاضطراب هو الفعل فى الغير على وجه لا يمكنه الانفكاك منه إذا كان من جنس مقدوره و لهذا لا يقال فلان مضطر إلى لونه و إن كان لا يمكنه دفعه عن نفسه لما لم يكن اللون من جنس مقدوره و يقال هو مضطر إلى حركه الفالج و حركه العروق لما كانت الحركه من جنس مقدوره و المصير الحال التى يؤدى إليها أول لها و صار و حال و آل نظائر و صير كل أمر مصيره و صير الباب شقه و

فى الحديث من نظر فى صير باب فقد دمر

و صيور الأمر آخره.

الإعراب

قوله «مَنْ آمَنَ» محله نصب لأنه بدل من أهله و هو بدل البعض من الكل كما تقول أخذت المال ثلثه و جعلت متاعك بعضه على بعض و قوله «وَمَنْ كَفَرَ» يجوز أن يكون موصولا و وصله فى موضع الرفع على الابتداء و يجوز أن يكون من أسماء الشرط

فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ بِالْإِبْتِدَاءِ وَكَفَرَ شَرْطُهُ وَ«فَأَمْتَعَهُ» الْفَاءُ وَ مَا بَعْدَهُ جِزَاءٌ وَ مَعْنَى حَرْفِ الشَّرْطِ الَّذِي تَضَمَّنَهُ مِنْ مَعَ الشَّرْطِ وَ الْجِزَاءِ
فِي مَوْضِعِ خَبَرِ الْمَبْتَدَأِ وَ عَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ فَالْفَاءُ وَ مَا بَعْدَهُ خَبَرُ الْمَبْتَدَأِ «وَ بِنُسْ الْمَصْتَبِيرُ» فَعَلٌ وَ فَاعِلٌ فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ لِأَنَّهُ خَبَرٌ
مَبْتَدَأٌ

ص: ٣٠٢

محذوف تقديره و بس المصير النار أو العذاب و انتصب قليلا على أحد وجهين (أحدهما) أن يكون صفة للمصدر نحو قوله متاعاً حسناً قال سيبويه ترى الرجل يعالج شيئاً فيقول رويدا أى علاجاً رويدا و إنما وصفه بالقله مع أن التمتع يدل على التكثير من حيث كان إلى نفاذ و نقص و تناه كقوله سبحانه قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ (و الثانى) أن يكون وصفاً للزمان أى زماناً قليلاً و يدل عليه قوله سبحانه عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصِيبَهُنَّ نَادِمِينَ و تقديره بعد زمان قليل كما يقال عرق عن الحمى و أطعمه عن الجوع أى بعد الحمى و بعد الجوع.

المعنى

«وَ اذْكَرَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا» أى هذا البلد يعنى مكة «بَلَدًا آمِنًا» أى ذا أمن كما يقال بلد أهل أى ذو أهل و قيل معناه يأمنون فيه كما يقال ليل نائم أى ينام فيه قال ابن عباس يريد حراماً محرماً لا يصاد طيره و لا يقطع شجره و لا يختلى خلاؤه و إلى هذا المعنى يؤول ما

روى عن الصادق (عليه السلام) من قوله من دخل الحرم مستجيراً به فهو آمن من سخط الله عز و جل و من دخله من الوحش و الطير كان آمناً من أن يهاج أو يؤذى حتى يخرج من الحرم

و

قال رسول الله صلى الله عليه و آله يوم فتح مكة أن الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات و الأرض فهى حرام إلى أن تقوم الساعة لم تحل لأحد قبلى و لا تحل لأحد من بعدى و لم تحل لى إلا ساعه من النهار

فهذا الخير و أمثاله المشهوره فى روايات أصحابنا تدل على أن الحرم كان آمناً قبل دعوه إبراهيم (عليه السلام) و إنما تأكدت حرمة بدعائه (عليه السلام) و قيل إنما صار حراماً بدعائه (عليه السلام) و قبل ذلك كان كسائر البلاد و استدل عليه

بقول النبى صلى الله عليه و آله إن إبراهيم حرم مكة و إنى حرمت المدينة

و قيل كانت مكة حراماً قبل الدعوه بوجه غير الوجه الذى صارت به حراماً بعد الدعوه فالأول بمنع الله إياها من الاصطلام و الائتفاك كما لحق ذلك غيرها من البلاد و بما جعل ذلك فى النفوس من تعظيمها و الهيبة لها و (الثانى) بالأمر بتعظيمه على أسننه الرسل فأجابه الله تعالى إلى ما سأل و إنما سأل أن يجعلها آمناً من الجذب و القحط لأنه أسكن أهله بواد غير ذى زرع و لا ضرع و لم يسأله أمنها من الائتفاك و الخسف الذى كان حاصلها لها و قيل أنه (عليه السلام) سأله الأمرين على أن يديمهما و إن كان أحدهما مستأنفاً و الآخر قد كان قبل و قوله «وَ ارزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ» أى أعط من أنواع الرزق و الثمرات «مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» سأل لهم الثمرات ليجتمع لهم الأمن و الخصب فيكونوا فى رغد من العيش و

روى عن أبى جعفر (عليه السلام) أن المراد بذلك أن الثمرات تحمل إليهم من

روى عن الصادق (عليه السلام) قال هي ثمرات القلوب أى حبيبهم إلى الناس ليثوبوا إليهم

و إنما خص بذلك من آمن بالله لأن الله تعالى قد أعلمه أنه يكون فى ذريته الظالمون فى جواب مسألتة إياه لذريته الإمامة بقوله «لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» فخص بالدعاء فى الرزق المؤمنين تأدبا بأدب الله تعالى و قيل أنه (عليه السلام) ظن أنه إذا دعا للكفار بالرزق أنهم يكثرون بمكه و يفسدون فربما يصدون الناس عن الحج فخص بالدعاء أهل الإيمان و قوله «قَالَ وَ مَنْ كَفَرَ فَأَمَّتُّهُ قَلِيلًا» أى قال الله سبحانه قد استجبت دعوتك فيمن آمن منهم و من كفر فأمتعه بالرزق الذى أرزقه إلى وقت مماته و قيل فأمتعه بالبقاء فى الدنيا و قيل أمتعه بالأمن و الرزق إلى خروج محمد صلى الله عليه و آله فيقتله إن أقام على كفره أو يجليه عن مكه عن الحسن «ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ» أى أدفعه إلى النار و أسوقه إليها فى الآخرة «وَبَشِّرِ الْمَصِيرَ» أى المرجع و المأوى و المال.

البقره (٢): آيه ١٢٧

إشاره

وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧)

اللغه

الرفع و الإعلاء و الإصعاد نظائر و نقيض الرفع الوضع و نقيض الإصعاد الإنزال يقال رفع يرفع رفعاً و ارتفع الشىء نفسه و المرفوع من عدو الفرس دون الحضر و فوق الموضوع يقال ارفع من دابتك و الرفع نقيض الخفض فى كل شىء و الرفع نقيض الذله و القواعد و الأساس و الأركان نظائر و واحد القواعد قاعده و أصله فى اللغه الثبوت و الاستقرار فمن ذلك القاعده من الجبل و هى أصله و قاعده البناء أساسه الذى بنى عليه و امرأه قاعده إذا أتت عليها سنون لم تتزوج و إذا لم تحمل المرأه أو النخلة قيل قد قعدت فهى قاعده و جمعها قواعد و تأويله أنها قد ثبتت على ترك الحمل و إذا قعدت عن الحيض فهى قاعده بغيرها لأنه لا فعل لها فى قعودها عن الحيض و قعدت المرأه إذا أتت بأولاد لثام فهى قاعده و قيل فى أن واحده النساء القواعد قاعد قولان (أحدهما) أنها من الصفات المختصه بالمؤنث نحو الطالق و الحائض فلم يحتج إلى علامه التأنيث (و الآخر) و هو الصحيح أن ذلك على معنى النسبه أى ذات قعود كما يقال نابل و دارع أى ذو نبل و ذو درع و لا يراد بذلك تثبيت الفعل.

الإعراب

قوله «مِنَ الْبَيْتِ» الجار و المجرور يتعلق بيرفع أو بمحذوف فيكون فى

محل النصب على الحال و ذو الحال القواعد و موضع الجملة من قوله «رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا» نصب بقول محذوف كأنه قال يقولان ربنا تقبل منا و اتصل بما قبله لأنه من تمام الحال لأن يقولان فى موضع الحال.

المعنى

ثم بين سبحانه كيف بنى إبراهيم البيت فقال «وَ إِذِ يَرْفَعُ» و تقديره و اذكر إذ يرفع «إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ» أى أصول البيت التى كانت قبل ذلك عن ابن عباس و عطاء قالا

قد كان آدم (عليه السلام) بناه ثم عفا أثره فجدده إبراهيم (عليه السلام) و هذا هو المروى عن أئمتنا (عليه السلام)

و قال مجاهد بل أنشأه إبراهيم (عليه السلام) بأمر الله عز و جل و كان الحسن يقول أول من حج البيت إبراهيم و فى روايات أصحابنا أن أول من حج البيت آدم (عليه السلام) و ذلك يدل على أنه كان قبل إبراهيم و

روى عن الباقر أنه قال أن الله تعالى وضع تحت العرش أربع أساطين و سماه الضراح و هو البيت المعمور و قال للملائكة طوفوا به ثم بعث ملائكة فقال ابنوا فى الأرض بيتا بمثال و قدره و أمر من فى الأرض أن يطوفوا بالبيت

و فى كتاب العياشى بإسناده عن الصادق قال أن الله أنزل الحجر الأسود من الجنة لآدم و كان البيت دره بيضاء فرفعه الله تعالى إلى السماء و بقى أساسه فهو حيال هذا البيت و قال يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إليه أبدا فأمر الله سبحانه إبراهيم و إسماعيل أن يبنا البيت على القواعد

و

عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أن أول شىء نزل من السماء إلى الأرض لهو البيت الذى بمكة أنزله الله ياقوته حمراء ففسق قوم نوح فى الأرض فرفعه

و قوله «وَ إِسْمَاعِيلُ» أى يرفع إبراهيم و إسماعيل أساس الكعبة يقولان ربنا تقبل منا و فى حرف عبد الله بن مسعود و يقولان ربنا تقبل منا و مثله قوله سبحانه وَ الْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أى يقولون سلام عليكم وَ الْمَلَائِكَةُ بِاسْمِ طُورَا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَهُمْ كُمْ أى يقولون و قال بعضهم تقديره يقول ربنا برده إلى إبراهيم (عليه السلام) قال لأن إبراهيم وحده رفع القواعد من البيت و كان إسماعيل صغيرا فى وقت رفعها و هو شاذ غير مقبول لشذوذه فإن الصحيح أن إبراهيم و إسماعيل كانا بينان الكعبة جميعا و قيل كان إبراهيم بينى و إسماعيل يناوله الحجر فوصفا بأنهما رفعا البيت عن ابن عباس و فى قوله «رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا» دليل على أنهما بنيا الكعبة مسجدا لا مسكنا لأنهما التمسوا الثواب عليه و الثواب إنما يطلب على الطاعة و معنى «تَقَبَّلْ مِنَّا» أثبنا على عمله و هو مشبه بقبول الهدية فإن الملك إذا قبل الهدية من إنسان أثابه على ذلك و قوله «إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» أى أنت السميع لدعائنا العليم بنا و بما يصلحنا و

روى عن الباقر أن إسماعيل أول من شق

لسانه بالعرييه و كان أبوه يقول له و هما بينان البيت يا إسماعيل هات ابن أى أعطنى حجرا فيقول له إسماعيل بالعرييه يا أبه
هاك حجرا فإبراهيم بينى و إسماعيل يناوله الحجاره

و فى هذه الآيه دلالة على أن الدعاء عند الفراغ من العباده مرغّب فيه مندوب إليه كما فعله إبراهيم و إسماعيل (عليه السلام).

[قصه مهاجره إسماعيل و هاجر]

روى على بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن النضر بن سويد عن هشام عن الصادق قال إن إبراهيم كان نازلا فى بادية الشام فلما
ولد له من هاجر إسماعيل اغتمت ساره من ذلك غما شديدا لأنه لم يكن له منها ولد فكانت تؤذى إبراهيم فى هاجر و تغمه
فشكا ذلك إبراهيم إلى الله عز و جل فأوحى الله إليه إنما مثل المرأه مثل الضلع المعوج إن تركته استمعت به و إن رمت أن
تقيمه كسرتة و قد قال القائل فى ذلك:

هى الضلع العوجاء لست تقيمها

ألا إن تقويم الضلوع انكسارها

ثم أمره أن يخرج إسماعيل و أمه عنها فقال أى رب إلى أى مكان قال إلى حرمى و أمنى و أول بقعه خلقتها من أرضى و هى
مكه و أنزل عليه جبرائيل بالبراق فحمل هاجر و إسماعيل و إبراهيم فكان إبراهيم لا يمر بموضع حسن فيه شجر و نخل و زرع إلا
قال يا جبرائيل إلى هاهنا إلى هاهنا فيقول جبرائيل لا امض لا امض حتى وافى مكه فوضعه فى موضع البيت و قد كان إبراهيم
عاهد ساره أن لا ينزل حتى يرجع إليها فلما نزلوا فى ذلك المكان كان فيه شجر فألقت هاجر على ذلك الشجر كساء كان معها
فاستظلت تحته فلما سرحهم إبراهيم و وضعهم و أراد الانصراف عنهم إلى ساره قالت له هاجر لم تدعنا فى هذا الموضع الذى
ليس فيه أنيس و لا ماء و لا زرع فقال إبراهيم ربي الذى أمرنى أن أضعكم فى هذا المكان ثم انصرف عنهم فلما بلغ كدى و هو
جبل بذى طوى التفت إليهم إبراهيم فقال رَبَّنَا إِنِّي أَسِيَكْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ إِلَى قَوْلِهِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ثم مضى و
بقيت هاجر فلما ارتفع النهار عطش إسماعيل فقامت هاجر فى الوادى حتى صارت فى موضع المسعى فنادت هل فى الوادى من
أنيس فغاب عنها إسماعيل فصعدت على الصفا و لمع لها السراب فى الوادى و ظنت أنه ماء فتزلت فى بطن الوادى و سعت فلما
بلغت المروه غاب عنها إسماعيل ثم لمع لها السراب فى ناحيه الصفا و هبطت إلى الوادى

ص: ٣٠٦

تطلب الماء فلما غاب عنها إسماعيل عادت حتى بلغت الصفا فنظرت إلى إسماعيل حتى فعلت ذلك سبع مرات فلما كان فى الشوط السابع وهى على المروه نظرت إلى إسماعيل وقد ظهر الماء من تحت رجليه فعدت حتى جمعت حوله رملا وأنه كان سائلا فزمته بما جعلت حوله فلذلك سميت زمزم وكانت جرهم نازله بذى المجاز و عرفات فلما ظهر الماء بمكة عكفت الطير والوحوش على الماء فنظرت جرهم إلى تعكف الطير على ذلك المكان فاتبعوها حتى نظروا إلى امرأه وصبى نزول فى ذلك الموضع قد استظلوا بشجره قد ظهر لهم الماء فقال لهم جرهم من أنت وما شأنك وشأن هذا الصبى قالت أنا أم ولد إبراهيم خليل الرحمن (عليه السلام) وهذا ابنه أمره الله أن ينزلنا هاهنا فقالوا لها أ تأذنين أن نكون بالقرب منكم فقالت حتى أسأل إبراهيم قال فزارهما إبراهيم يوم الثالث فقالت له هاجر يا خليل الله إن هاهنا قوما من جرهم يسألونك أن تأذن لهم حتى يكونوا بالقرب منا أ فتأذن لهم فى ذلك فقال إبراهيم نعم فأذنت هاجر لجرهم فنزلوا بالقرب منهم و ضربوا خيامهم و أنست هاجر و إسماعيل بهم فلما زارهم إبراهيم فى المره الثانيه و نظر إلى كثره الناس حولهم سر بذلك سرورا شديدا فلما تحرك إسماعيل كانت جرهم قد وهبوا لإسماعيل كل واحد منهم شاه و شاتين و كانت هاجر و إسماعيل يعيشان بها فلما بلغ مبلغ الرجال أمر الله تعالى إبراهيم أن يبنى البيت فقال يا رب فى أى بقعه قال فى البقعه التى أنزلت على آدم القبه فأضاءت الحرم قال و لم تنزل القبه التى أنزلها الله على آدم قائمه حتى كان أيام الطوفان فى زمان نوح فلما غرقت الدنيا رفع الله تلك القبه و غرقت الدنيا و لم تغرق مكة فسمى البيت العتيق لأنه أعتق من الغرق فلما أمر الله عز و جل إبراهيم أن يبنى البيت لم يدر فى أى مكان يبنيه فبعث الله جبرائيل فخط له موضع البيت و أنزل عليه القواعد من الجنة و كان الحجر الذى أنزله الله على آدم أشد بياضا من الثلج فلما مسته أيدى الكفار أسود قال فبنى إبراهيم البيت و نقل إسماعيل الحجر من ذى طوى فرفعه فى السماء تسعه أذرع ثم دله على موضع الحجر فاستخرجه إبراهيم و وضعه فى موضعه الذى هو فيه و جعل له بابين بابا إلى المشرق و بابا إلى المغرب فالباب الذى إلى المغرب يسمى المستجار ثم ألقى عليه الشيخ و الإذخر و علقت هاجر على بابه كساء كان معها فكانوا يكونون تحته فلما بناه و فرغ حج إبراهيم و إسماعيل و نزل عليهما جبرائيل يوم الترويه لثمان خلت من ذى الحجه فقال يا إبراهيم قم فارتو من الماء لأنه لم يكن بمنى و عرفات ماء فسميت الترويه لذلك ثم

أخرجه إلى منى فبات بها ففعل به ما فعل بآدم فقال إبراهيم لما فرغ من بناء البيت رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الشَّمَرَاتِ الْآيَةَ.

البقرة (٢): آية ١٢٨

إشارة

رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨)

القراءة

قرأ ابن كثير أرنا بإسكان الراء كل القرآن و وافقه ابن عامر و أبو بكر عن عاصم في السجده ربنا أرنا الذين وقرأ أبو عمرو بالاختلاس لكسره الراء من غير إشباع كل القرآن و الباكون بالكسر.

الإعراب

الاختيار كسره الراء لأنها كسره الهمزة قد حولت إلى الراء لأن أصله أرانا فنقلت الكسره إلى الراء و سقطت الهمزة و لأن في إسكان الراء بعد سقوط الهمزة إجحافا بالكلمه و إبطالا للدلاله على الهمزة و من سكنه فعلى وجه التشبيه بما يسكن في مثل كبد و فخذ و نحو قول الشاعر:

(لو عصر منه ألبان و المسك انعصر)

و قال الآخر:

قالت سليمة اشتر لنا سويقا

و اشتر و عجل خادما لبيقا

و أما الاختلاس فلطلب الخفه و بقاء الدلاله على حذف الهمزة.

اللغة

الإسلام هو الانقياد لأمر الله تعالى بالخضوع و الإقرار بجميع ما أوجب الله و هو و الإيمان واحد عندنا و عند المعتزله و في الناس من قال بينهما فرق و يبطله قوله سبحانه إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ و مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ و المناسك هاهنا المتعبدات قال الزجاج كل متعبد منسك و النسك في اللغة العباده و رجل ناسك عابد و قد نسك نسكا و النسك الذبيحه يقال من فعل كذا فعليه نسك أى دم يهريقه و النسيكه الذبيحه و المنسك الموضع الذى تذبح فيه النسائك و المنسك أيضا هو النسك نفسه قال سبحانه وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسِكًا و قال ابن دريد النسك أصله الذبائح كانت تذبح في الجاهليه و النسيكه شاه

كانوا يذبحونها في المحرم في الإسلام ثم نسخ ذلك بالأضاحي قال الأعشى:

ص: ٣٠٨

و ذا النصب المنسوب لا تنسكته

و لا تعبد الشيطان و الله فاعبدا

قال أبو علي الفسوى المناسك جمع منسك و هو المصدر جمع لاختلاف ضروبه.

الإعراب

اللام فى لك تعلق بمسلمين «وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا» من فيه تعلق بمحذوف تقديره و اجعل من ذريتنا و الجار و المجرور مفعول اجعل و أمه مفعول ثان لأجعل و أرنا يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون منقولا من رأيت الذى هو بمعنى إدراك البصر نقلت بالهمزه فتعدت إلى مفعولين و التقدير حذف المضاف كأنه قال أرنا مواضع مناسكنا أى عرفناها لنقضى نسكنا فيها و ذلك نحو مواقيت الإحرام و الموقف بعرفات و موضع الطواف فهذا من رأيت الموضع و أريته إياه (و الآخر) أن يكون منقولا من نحو قولهم فلان يرى رأى الخوارج فيكون معناه علمنا مناسكنا و مثله قول الشاعر:

أرينى جوادا مات هزلا لعلى

أرى ما ترين أو بخيلا مخلدا

أراد دلينى و لم يرد رؤيه العين.

المعنى

ثم ذكر تمام دعائهما (عليه السلام) فقال سبحانه: «رَبَّنَا وَ اجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ» أى قال ربنا و اجعلنا مسلمين فى مستقبل عمرنا كما جعلتنا مسلمين فى ماضى عمرنا بأن توفقنا و تفعل بنا الألفاظ التى تدعونا إلى الثبات على الإسلام و يجرى ذلك مجرى أن يؤدب أحدنا ولده و يعرضه لذلك حتى صار أديبا فيجوز أن يقال جعل ولده أديبا و عكس ذلك إذا عرضه للبلاء و الفساد جاز أن يقال جعله ظالما فاسدا و قيل أن معنى مسلمين موحدين مخلصين لك لا نعبد إلا إياك و لا ندعو ربا سواك و قيل قائمين بجميع شرائع الإسلام مطيعين لك لأن الإسلام هو الطاعة و الانقياد و الخضوع و ترك الامتناع و قوله «وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ» أى و اجعل من ذريتنا أى من أولادنا و من للتبويض و إنما خصا بعضهم لأنه تعالى أعلم إبراهيم (عليه السلام) أن فى ذريته من لا ينال عهده الظالمين لما يرتكبه من الظلم و قال السدى أراد بذلك العرب و الصحيح الأول أمه مسلمه لك أى جماعه موحده منقادك لك يعنى أمه محمد صلى الله عليه و آله بدلاله قوله وَ ابْتَعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ و

روى عن الصادق أن المراد بالأمة بنو هاشم خاصة

و قوله «وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا» أى عرفنا هذه المواضع التى تتعلق بالنسك بها لنفعله عندها و نقضى عبادتنا فيها على حد ما يقتضيه توفيقنا عليها قال قتاده فأراهما الله مناسكهما الطواف بالبيت و السعى بين الصفا و المروه و الإفاضه من عرفات و من جمع و رمى الجمار حتى أكمل بها الدين و قال

عطاء و مجاهد معنى مناسكنا مذابحنا و الأول أقوى و قوله «و تَبَّ عَلَيْنَا» فيه وجوه (أحدها) أنهما قالا هذه الكلمه على وجه التسييح و التعبد و الانقطاع إلى الله سبحانه ليقتدى بهما الناس فيها و هذا هو الصحيح (و ثانيها) أنهما سألا التوبه على ظلمه ذريتهما (و ثالثها) أن معناه ارجع إلينا بالمغفره و الرحمه و ليس فيه دلالة على جواز الصغيره عليهم أو ارتكاب القبيح منهم لأن الدلائل القاهره قد دلت على أن الأنبياء معصومون منزهون عن الكبائر و الصغائر و ليس هنا موضع بسط الكلام فى ذلك «إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ» أى القابل للتوبه من عظام الذنوب و قيل الكثير القبول للتوبه مره بعد أخرى «الرَّحِيمُ» بعباده المنعم عليهم بالنعيم العظام و تكفير السيئات و الآثام و فى هذه الآيه دلالة على أنه يحسن الدعاء بما يعلم الداعى أنه يكون لا محاله لأنهما كانا عالمين بأنهما لا يقاربان الذنوب و الآثام و لا يفارقان الدين و الإسلام.

البقره (٢): آيه ١٢٩

إشاره

رَبَّنَا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)

اللغه

«الْعَزِيزُ» القدير الذى لا يغالب و قيل هو القادر الذى لا يمتنع عليه شىء أراد فعله و نقيض العز الذل و عز يعز عزه و عزا إذا صار عزيزا و عز يعز عزا إذا قهر و منه قولهم من عز بز أى من علب سلب و اعتر الشىء إذا صلب و هو من العزاز من الأرض و هو الطين الصلب الذى لا يبلغ أن يكون حجاره و عز الشىء إذا قل حتى لا يكاد يوجد و اعتر فلان بفلان إذا تشرف به و الحكيم معناه المدبر الذى يحكم الصنع و يحسن التدبير فعلى هذا يكون من صفات الفعل و يكون بمعنى العليم فيكون من صفات الذات.

الإعراب

ابعث جمله فعلية معطوفه على تب فيهم تتعلق بابعث و يجوز أن تتعلق بمحذوف تقديره رسولا- كائنا فيهم فيكون فى موضع نصب على الحال و يتلو منصوب الموضع بكونه صفة قوله رَسُولًا أى تاليا و عليهم تتعلق ببيتلو.

المعنى

الضمير فى قوله «فِيهِمْ» يرجع إلى الأمة المسلمه التى سأل الله إبراهيم أن

يجعلهم من ذريته و المعنى به بقوله «رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ» هو نبينا صلى الله عليه و آله لما

روى عنه أنه قال أنا دعوه أبى إبراهيم و بشاره عيسى (عليه السلام)

يعنى قوله مُبَشَّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ و هو قول الحسن و قتاده و جماعه من العلماء و يدل على ذلك أنه دعا بذلك لذريته الذين يكونون بمكة و ما حولها على ما تضمنه الآيه فى قوله «رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ» أى فى هذه الذريه «رَسُولًا مِنْهُمْ» و لم يبعث الله من هذه صورته إلا محمدا صلى الله عليه و آله و قوله «يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ» أى يقرأ عليهم آياتك التى نوحى بها إليه «وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ» أى القرآن و هذا لا يعد من التكرار لأنه خص الأول بالتلاوه ليعلموا بذلك أنه معجز دال على صدقه و نبوته و خص الثانى بالتعليم ليعرفوا ما يتضمنه من التوحيد و أدلته و ما يشتمل عليه من أحكام شريعته و قوله «وَالْحِكْمَةَ» قيل هى هاهنا السنه عن قتاده و قيل المعرفه بالدين و الفقه فى التأويل عن مالك بن أنس و قيل العلم بالأحكام التى لا يدرك علمها إلا من قبل الرسل عن ابن زيد و قيل أنه صفه للكتاب كأنه وصفه بأنه كتاب و أنه حكمه و أنه آيات و قيل الحكمة شىء يجعله الله فى القلب ينوره الله به كما ينور البصر فيدرك المبصر و قيل هى مواظب القرآن و حرامه و حلاله عن مقاتل و كل حسن و قوله «وَيَزَكِّيهِمْ» أى يجعلهم مطيعين مخلصين و الزكاء هو الطاعه و الإخلاص لله سبحانه عن ابن عباس و قيل معناه يطهرهم من الشرك و يخلصهم منه عن ابن جريج و قيل معناه يستدعيهم إلى فعل ما يزكون به من الإيمان و الصلاح عن الجبائى و قيل يشهد لهم بأنهم أذكىاء يوم القيامة إذا شهد على كل نفس بما كسبت عن الأصم و قوله «إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» أى القوى فى كمال قدرتك المنيع فى جلال عظمتك المحكم لبدائع صنعتك و إنما ذكر هاتين الصفتين لاتصالهما بالدعاء فكأنه قال فزعنا إليك فى دعائنا لأنك القادر على إجابتنا العالم بما فى ضمائرنا و بما هو أصلح لنا مما لا يبلغه كنه علمنا و قصار بصائرنا و فى هذه الآيه دلالة على أن إبراهيم و إسماعيل (عليه السلام) دعوا لنبينا محمد صلى الله عليه و آله بجميع شرائط النبوه لأن تحت التلاوه الأداء و تحت التعليم البيان و تحت الحكمة السنه و دعوا لأمتهم باللطف الذى لأجله تمسكوا بكتابه و شرعه فصاروا أذكىاء و هذا لأن الدعاء صدر من إسماعيل (عليه السلام) فعلم بذلك أن النبى المدعو به من ولده لا من ولد إسحاق و لم يكن فى ولد إسماعيل نبى غير نبينا صلى الله عليه و آله سيد الأنبياء.

البقره (٢): آيه ١٣٠

إشاره

وَمَنْ يَزْعَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠)

ص: ٣١١

الرغبة المحبة لما فيه للنفس منفعة و رغبته فيه ضد رغبته عنه و الرغبة و المحبة و الإرادة نظائر و نقيض الرغبة الرهبة و نقيض المحبة البغضة و نقيض الإرادة الكراهة و تقول رغبته فيه رغبة و رغبا و رغبا و رغبي إذا ملت إليه و رغبته عنه إذا صدقت عنه و رجل رغب نهم شديد الأكل و فرس رغب الشحوه أى كثير الأخذ بقوائمه من الأرض و موضع رغب واسع و الرغيبه العطاء الكثير الذى يرغب فى مثله و الاصطفاء و الاجتباء و الاختيار نظائر و الصفاء و النقاء و الخلوص نظائر و الصفو نقيض الكدر و صفوه كل شىء خالصه و صفى الإنسان أخوه الذى يصفاه الموده و ناقة صفى كثيره اللبن و نخله صفيه كثيره الحمل و الجمع الصفايا و اصطفينا على وزن افتعلنا من الصفوه و إنما قلبت التاء طاء لأنها أشبه بالصاد بالاستعلاء و الإطباق و هى من مخرج التاء فأتى بحرف وسط بين الحرفين.

الإعراب

«مَنْ يَرْغَبُ» لفظه من للاستفهام و معناه الجحد فكأنه قال ما يرغب عن مله إبراهيم و لا يزهده فيها إلا من سفه نفسه أى الذى سفه نفسه فمن الأولى على الاستفهام و الثانى بمعنى الذى و إلا- حرف الاستثناء و يجوز أن يكون لنقض النفي و من اسم موصول و سفه نفسه صلته و الموصول و الصلة فى محل النصب على الاستثناء أو فى محل الرفع بكونه بدلا من الضمير الذى فى يرغب و فى انتصاب نفسه خلاف قال الأخفش معناه سفه نفسه و قال يونس أراها لغه قال الزجاج أراد أن فعل لغه فى المبالغه كما أن فعل كذلك و يجوز على هذا القول سفهت زيدا بمعنى سفهت زيدا و قال أبو عبيده معناه أهلك نفسه و أوبق نفسه فهذا كله وجه واحد و الوجه الثانى أن يكون على التفسير كقوله فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا و هو قول الفراء قال أن العرب توقع سفه على نفسه و هى معرفه و كذلك بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا و أنكر الزجاج هذا الوجه قال إن معنى التمييز لا يحتمل التعريف لأن التمييز إنما هو واحد يدل على جنس أو خله تخلص من خلال فإذا عرفته صار مقصودا قصده و هذا لم يقله أحد ممن تقدم من النحويين و الوجه الثالث أن يكون على التمييز و الإضافة على تقدير الانفصال كما تقول مررت برجل مثله أى مثل له و الوجه الرابع أن يكون على حذف الجار فى معنى سفه فى نفسه كقوله سبحانه أَنْ تَسْتَرْضِيَهُمْ أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَى لأولادكم فحذف حرف الجر من غير ظرف و مثله وَ لَا تَغْرِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ أَى على عقده النكاح و مثله قول الشاعر:

نغالى اللحم للأضياف نيا

و نبذله إذا نضح القدور

و المعنى نغالى باللحم قال الزجاج و هذا مذهب صحيح و الوجه الخامس ما اختاره

الزجاج و هو أن سفه بمعنى جهل و هو موافق في المعنى لما قاله السراج في قوله بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا إن البطر مستقل للنعمة غير راض بها فعلى هذا يكون نفسه مفعولاً- به و أنه في الآخرة في تتعلق بمحذوف فهو منصوب الموضع على الحال و ذو الحال الضمير المستكن في قوله «لِمَنْ الصَّالِحِينَ».

النزول

روى أن عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه سلمه و مهاجرا إلى الإسلام فقال لقد علمنا أن صفه محمد في التوراه فأسلم سلمه و أبي مهاجر أن يسلم فأنزل الله هذه الآية.

المعنى

لما بين سبحانه قصه إبراهيم و أن ملته مله محمد عقبه بذكر الحدث على اتباعها فقال: «وَمَنْ يَزْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ» أى لا- يترك دين إبراهيم و شريعته إلا- من أهلك نفسه و أوبقها و قيل أضل نفسه عن الحسن و قيل جهل قدره لأن من جهل خالقه فهو جاهل بنفسه عن الأصم و قيل جهل نفسه بما فيها من الآيات الداله على أن لها صانعا ليس كمثله شىء عن أبى مسلم و قوله «وَلَقَدْ اضْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا» أى اخترناه بالرسالة و اجتبيناه «وَأِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ» أى من الفائزين عن الزجاج و قيل معناه لمع الصالحين أى مع آبائه الأنبياء فى الجنة عن ابن عباس و قيل إنما خص الآخرة بالذكر و إن كان فى الدنيا كذلك لأن المعنى من الذين يستوجبون على الله سبحانه الكرامه و حسن الثواب فلما كان خلوص الثواب فى الآخرة دون الدنيا وصفه فيها بما ينبى عن ذلك و فى قوله سبحانه «وَمَنْ يَزْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ» دلالة على أن مله إبراهيم هى مله نبينا صلى الله عليه و آله لأن مله إبراهيم داخله فى مله محمد مع زيادات فى مله محمد فبين أن الذين يرغبون من الكفار عن مله محمد التى هى مله إبراهيم قد سفهوا أنفسهم و هذا معنى قول قتاده و الربيع و يدل عليه قوله «مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ».

البقره (٢): آيه ١٣١

اشاره

إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١)

الإعراب

قال فعل فارغ و له جار و مجرور و اللام تتعلق بقال و «قَالَ لَهُ رَبُّهُ» مجرور الموضع بإضافه إذ إليه و اللام فى «لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» تتعلق بأسلمت.

المعنى

هذا متصل بقوله وَ لَقَدْ اضْطَفَيْنَاهُ و موضع «إِذْ» نصب باصطفيانا و تقديره و لقد اصطفيانا حين قال له ربه أسلم و اختلف فى أنه

متى قيل له ذلك فقال الحسن كان هذا

ص: ٣١٣

حين أفلت الشمس و رأى إبراهيم تلك الآيات و الأدله فاستدل بها على وحدانيه الله سبحانه و قال يا قوم إني برىء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات و الأرض الآيه و أنه أسلم حينئذ و هذا يدل على أنه كان ذلك قبل النبوه و أنه قال له ذلك إلهاما استدعاء منه إلى الإسلام فأسلم حينئذ لما وضح له طريق الاستدلال بما رأى من الآيات و لا يصح أن يوحى الله إليه قبل إسلامه بأنه نبي الله لأن النبوه حال إجلال و إعظام و لا يكون ذلك قبل الإسلام و قال ابن عباس إنما قال ذلك إبراهيم (عليه السلام) حين خرج من السرب و قيل إنما قال ذلك بعد النبوه و معنى «أسلم» استقم على الإسلام و اثبت على التوحيد كقوله سبحانه فأعلم أنه لا إله إلا الله و قيل إن معنى أسلم أخلص دينك بالتوحيد و قوله «أسلمت لرَبِّ العالمين» أى أخلصت الدين لله رب العالمين.

البقره (٢): آيه ١٣٢

إشاره

وَ وَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَيْنِي وَ بَيْنِهِ وَ يَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢)

القراءه

قرأ أهل المدينة و الشام و أوصى بهمزه بين واوين و تخفيف الصاد و قرأ الباقون «وَ وَصَّىٰ» مشدده الصاد.

الإعراب

حجه من قرأ «وَصَّى» قوله تعالى فلا يشء تطيعون توصيه فتوصيه مصدر وصى مثل قطع تقطعه و لا يكون منه تفعيل لأنك لو قلت فى مصدر حيث تفعيل لكان يجتمع ثلاث ياءات فرفض ذلك و حجه من قرأ و أوصى بها إبراهيم قوله يُوصيكم الله و من بعد وصيه توصون بها أو دين.

اللغه

وصى و أوصى و أمر و عهد بمعنى و قد قالوا وصى البيت إذا اتصل ببعضه ببعض فالوصيه كان الموصى بالوصيه وصل جل أمره بالموصى إليه.

الإعراب

يعقوب رفع لأنه عطف على إبراهيم و التقدير و وصى إبراهيم و يعقوب و هذا معنى قول ابن عباس و قتاده و قيل أنه على الاستثناف كأنه قال و وصى يعقوب أن يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين و الأول أظهر و الفرق بين التقديرين أن الأول لا إضمار فيه لأنه معطوف و الثانى فيه إضمار و الهاء فى بها تعود إلى المله و قد تقدم ذكرها و هو قول

الزجاج وقيل إنها تعود إلى الكلمه التي هي أَسَلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَالْأَلْفِ وَاللَّامِ فِي الدِّينِ لِلْعَهْدِ دُونَ الْإِسْتِغْرَاقِ لِأَنَّهُ أَرَادَ دِينَ الْإِسْلَامِ وَقَوْلُهُ «فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» وَإِنْ كَانَ عَلَى لَفْظِ النَّهْيِ لَهُمْ عَنِ الْمَوْتِ فَالنَّهْيُ عَلَى الْحَقِيقَةِ عَنِ تَرْكِ الْإِسْلَامِ لثَلَاثٍ يَصَادِفُهُمُ الْمَوْتُ عَلَيْهِ وَ مِثْلُهُ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ لَا- أَرَيْنَكَ هَاهُنَا فَالنَّهْيُ فِي الْفِطْرَةِ لِلْمُتَكَلِّمِ وَإِنَّمَا هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ لِلْمُخَاطَبِ فَكَأَنَّهُ قَالَ لَا تَتَعَرَّضْ لِأَنَّ أَرَاكَ بِكَوْنِكَ هَاهُنَا وَقَوْلُهُ «وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» جَمَلُهُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ وَ تَقْدِيرُهُ لَا تَمُوتُوا إِلَّا مُسْلِمِينَ وَ ذُو الْحَالِ الْوَاقِعِ فِي تَمُوتُوا وَ مَعْنَاهُ لِأَتَكُمُ الْمَوْتَ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ.

المعنى

لما بين عز اسمه دعاء إبراهيم (عليه السلام) لذريته و حكم بالسفه على من رغب عن ملته ذكر اهتمامه بأمر الدين و عهده به إلى نبيه في وصيته فقال «وَ وَصَّى بِهَا» أَى بِالْمَلَّةِ أَوْ بِالْكَلِمَةِ الَّتِي هِيَ قَوْلُهُ أَسَلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَ يُؤَيِّدُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى وَ جَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ وَ قِيلَ بِكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ وَ هِيَ لَا- إِلَهَ إِلَّا- اللَّهُ «إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ» إِنَّمَا خَصَّ الْبَنِينَ لِأَنَّ إِشْفَاقَهُ عَلَيْهِمْ أَكْثَرَ وَ هُمْ يَقْبُولُونَ وَصِيَّتَهُ أَجْدَرُ وَ إِذَا فَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو جَمِيعَ الْأَنْفَامِ إِلَى الْإِسْلَامِ «وَ يَعْقُوبُ» وَ هُوَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَ إِنَّمَا سُمِّيَ يَعْقُوبَ لِأَنَّهُ وَ عِيصَا كَانَا تَوَآمِيْنِ فَتَقَدَّمَ عِيصُ وَ خَرَجَ يَعْقُوبُ عَلَى إِثْرِهِ أَخْذًا بِعَقْبِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ الْمَعْنَى وَ وَصَّى يَعْقُوبَ بَنِيَهُ الْاِثْنَيْ عَشَرَ وَ هُمُ الْأَسْبَاطُ «يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ» أَى فَقَالَا- جَمِيعًا يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ لَكُمْ دِينَ الْإِسْلَامِ «فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» أَى لَا تَتَرَكُوا الْإِسْلَامَ فَيَصَادِفُكُمُ الْمَوْتُ عَلَى تَرْكِهِ أَوْ لَا تَتَعَرَّضُوا لِلْمَوْتِ عَلَى تَرْكِ الْإِسْلَامِ بِفِعْلِ الْكُفْرِ وَ قَالَ الزَّجَّاجُ مَعْنَاهُ الزَّمُوا الْإِسْلَامَ فَإِذَا أَدْرَكَكُمْ الْمَوْتُ صَادِفُكُمْ مُسْلِمِينَ وَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى التَّرْغِيبِ فِي الْوَصِيَّةِ عِنْدَ الْمَوْتِ وَ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُوصَى الْإِنْسَانُ مِنْ يَلِي أَمْرَهُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَ لَزُومِ الدِّينِ وَ الطَّاعَةِ.

البقرة (٢): آية ١٣٣

إشارة

أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَ إِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣)

اللغة

الشهداء جمع شهيد و الشاهد و الحاضر من النظائر تقول حضرت القوم

أحضرهم حضوراً إذا شهدتهم و الحضيره الجماعه من الناس ما بين الخمسه إلى العشره و أحضر الفرس إحضاراً إذا عدا عدوا شديداً و حاضرت الرجل محاضره إذا عدوت معه و حاضرتة إذا جاثيته عند السلطان أو فى خصومه و حضره الرجل فناؤه و أصل الباب الحضور خلاف الغيبه.

الإعراب

أم هاهنا منقطعه و هى لا تجىء إلا و قد تقدمها كلام لأنها التى تكون بمعنى بل و همزه الاستفهام كأنه قيل بل أ كنتم شهداء و معنى أم هاهنا الجحد أى ما كنتم شهداء و إنما كان اللفظ على الاستفهام و المعنى على خلافه لأن إخراجهم مخرج الاستفهام أبلغ فى الكلام و أشد مظاهره فى الحجاج إذ يخرج الكلام مخرج التقرير بالحق فيلزم الحججه أو الإنكار له فتظهر الفضيحه و إذ الأولى ظرف من قوله «شهداء» و إذ الثانيه بدل من إذ الأولى و قيل العامل فى الثانيه حضر و كلاهما جائز ما للاستفهام و هو منصوب الموضع لأنه مفعول تعبدون و «مِنْ بَعْدِي» الجار و المجرور فى محل نصب على الظرف و قوله «إِلَهًا وَاحِدًا» منصوب على أحد وجهين أن يكون حالاً فكأنه قال نعبد إلهك فى حال وحدانيته أو يكون بدلاً من إلهك و تكون الفائدة فيه ذكر التوحيد و نحن له مسلمون جمله فى موضع الحال و يجوز أن يكون على الاستئناف فلا يكون لها موضع من الإعراب و إبراهيم و إسماعيل و إسحاق فى موضع جر على البدل من آباءك كما تقول مررت بالقوم أخيك و غلامك و صاحبك.

المعنى

خاطب سبحانه أهل الكتاب فقال: «أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ» أى ما كنتم حضوراً «إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ» و ما كنتم حضوراً «إِذْ قَالَ يَعْقُوبُ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي» و معناه أنكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على أنبيائى و رسلى الأباطيل بأن تنسبوهم إلى اليهوديه و النصرانيه فإنى ما بعثتهم إلا بالحنيفيه و ذلك أن اليهود قالوا أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهوديه فرد الله تعالى عليهم قولهم و إنما قال «مَا تَعْبُدُونَ» و لم يقل من تعبدون لأن الناس كانوا يعبدون الأصنام فقال أى الأشياء تعبدون من بعدى «قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَ إِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ» و إنما قدم ذكر إسماعيل على إسحاق لأنه كان أكبر منه و إسماعيل كان عم يعقوب و جعله أباً له لأن العرب تسمى العم أباً كما تسمى الجد أباً و ذلك لأنه يجب تعظيمهما كتعظيم الأب و لهذا

قال النبى صلى الله عليه و آله ردوا على أبى يعنى العباس عمه

«إِلَهًا وَاحِدًا وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» أى مدعونون مقرون بالعبوديه و قيل خاضعون منقادون مستسلمون لأمره و نهيه قولاً و عقداً و قيل داخلون فى

الإسلام يدل عليه قوله إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ.

البقره (٢): آيه ١٣٤

إشاره

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٤)

اللغه

الأمة على وجوه (الأول) الجماعة كما فى الآيه (و الثانى) القدوه و الإمام فى قوله إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا (و الثالث) القامه فى قول الأعشى:

و إن معاويه الأكرمين

حسان الوجوه طوال الأمم

(و الرابع) الاستقامه فى الدين و الدنيا قال النابغه:

حلفت فلم أترك لنفسى ريبه

و هل يأتمن ذو أمه و هو طائع

أى ذو مله و دين (و الخامس) الحين فى قوله وَ اذْكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ (و السادس) أهل الملّه الواحده فى قولهم أمه موسى و أمه عيسى و أمه محمد صلى الله عليه و آله و أصل الباب القصد من أمه يؤمه أما إذا قصده و خلت أى مضت و أصله الانفراد يقال خلا الرجل بنفسه إذا انفرد و خلا المكان من أهله إذا انفرد منهم و الفرق بين الخلو و الفراغ أن الخلو إذا لم يكن مع الشىء غيره و قد يفرغ من الشىء و هو معه يقال فرغ من البناء و هو معه فإذا قيل خلا منه فليس معه و الكسب العمل الذى يجلب به نفع أو يدفع به ضرر عن النفس و كسب لأهله إذا اجتلب ذلك لهم بعلاج و مراس و لذلك لا يطلق الكسب فى صفه الله.

الإعراب

قوله «لَهَا مَا كَسَبَتْ» يحتمل أن يكون فى موضع نصب على الحال فكأنه قيل ملزمه ما تستحقه بعملها و يجوز أن لا يكون لها موضع لأنها مستأنفه فلا تكون جزءا من الخبر الأول لكن تكون متصله به فى المعنى و إن لم تكن جزءا منه لأنهما خبران فى المعنى عن شىء واحد فكأنه قيل الجماعه قد خلت و الجماعه لها ما كسبت عما كانوا يعملون ما اسم موصول و كانوا يعملون صلته و الموصول و الصله فى موضع الجر بعن و عن تتعلق بتسألون.

المعنى

«تِلْمَكْ أُمَّهُ قَدْ خَلَتْ» أى جماعه قد مضت يعنى إبراهيم و أولاده «لَهَا مَا كَسَبَتْ» أى ما عملت من طاعه أو معصيه «وَلَكُمْ» يا معشر اليهود و النصارى «مَا كَسَبْتُمْ» أى ما عملتم من طاعه أو معصيه «وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أى لا يقال

ص: ٣١٧

لكم لم عملوا كذا و كذا على جهه المطالبه لكم بما يلزمهم من أجل أعمالهم كما لا يقال لهم لم عملتم أنتم كذا و كذا و إنما يطالب كل إنسان بعمله دون عمل غيره كما قال سبحانه وَ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَ فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ بَطْلَانِ قَوْلِ الْمَجْبِرِ أَنَّ الْأَبْنََاءَ مُؤَاخِذُونَ بِذُنُوبِ آبَائِهِمْ وَ إِنَّ ذُنُوبَ الْمُسْلِمِينَ تَحْمِلُهَا عَلَى الْكُفَّارِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ نَفَىٰ ذَلِكَ.

البقره (٢): آيه ١٣٥

إشارة

وَ قَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥)

اللغة

الحنيف المائل عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق قال ابن دريد الحنيف العادل عن دين إلى دين و به سميت الحنيفيه لأنها مالت عن اليهوديه و النصرانيه و قيل الحنيف الثابت على الدين المستقيم و الحنيفيه الاستقامه على دين إبراهيم و إنما قيل للذي تقبل إحدى قدميه على الأخرى أحنف تفاعلاً- بالسلامه كما قيل للمهلكه مفازه تفاعلاً- بالفوز و النجاه و هو قول كثير من المفسرين و أهل اللغة و قال الزجاج أصله من الحنف و هو ميل في صدر القدم و سمي الأحنف لحنف كان به و قالت حاضنته و هى ترقصه:

(و الله لو لا حنف برجله

ما كان فى صبيانكم كمثلها)

و

فى الحديث أحب الأديان إلى الله تعالى الحنيفيه السمحه

و هى مله النبى صلى الله عليه و آله لا حرج فيها و لا ضيق.

الإعراب

جزم تهتدوا على الجواب للأمر و معنى الشرط قائم فى الكلمه أى إن تكونوا على هذه الملّه تهتدوا فإنما انجزم تهتدوا على الحقيقه بالجزاء و قوله «مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ» فى انتصابه وجوه (أحدها) أن تقديره بل اتبعوا مله إبراهيم لأن قولهم «كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ» تتضمن معنى اتبعوا اليهوديه أو النصرانيه و تقديره قالوا اتبعوا اليهوديه أو النصرانيه قل بل اتبعوا مله إبراهيم فهذا عطف على المعنى (و الثانى) أن يكون على الحذف كأنه قيل بل نتبع مله إبراهيم فالأول عطف و الثانى حذف (و الثالث) أن ينتصب على تقدير بل نكون أهل مله إبراهيم فحذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه كقوله تعالى وَ سَيِّئِلِ الْقَرْيَةَ فَهَذَا عطف على اللفظ و هو قول الكوفيين و حنيفا نصب على الحال أى فى حال حنيفيته.

عن ابن عباس أن عبد الله بن سوريا و كعب بن الأشرف و مالك بن الضيف و جماعه من اليهود و نصارى أهل نجران خاصموا
أهل الإسلام كل فرقه تزعم أنها

أحق بدين الله من غيرها فقالت اليهود نبينا موسى أفضل الأنبياء و كتابنا التوراه أفضل الكتب و قالت النصارى نبينا عيسى أفضل الأنبياء و كتابنا الإنجيل أفضل الكتب و كل فريق منهما قالوا للمؤمنين كونوا على ديننا فأنزل الله تعالى هذه الآيه و قيل إن ابن صوريا قال لرسول الله صلى الله عليه و آله ما الهدى إلا ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتد و قالت النصارى مثل ذلك فأنزل الله هذه الآيه.

المعنى

«وَقَالُوا» الضمير يرجع إلى اليهود و النصارى أى قالت اليهود «كُونُوا هُودًا» و قالت النصارى كونوا «نَصَارَى» كل فريق منهم دعا إلى ما هو عليه و معنى «نَهْتَدُوا» أى تصيبوا طريق الحق كأنهم قالوا تهتدوا إلى الحق أى إذا فعلتم ذلك كنتم قد اهتديتم و صرتم على سنن الاستقامه «قُلْ» يا محمد «بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ» أى بل نتبع دين إبراهيم و على الوجه الآخر بل اتبعوا دين إبراهيم و قد عرفت الوجوه الثلاثه فى الإعراب فلا معنى لإعادتها «حَنِيفًا» مستقيما و قيل مائلا إلى دين الإسلام و فى الحنيفيه أربعة أقوال (أحدها) أنها حج البيت عن ابن عباس و الحسن و مجاهد (و ثانيها) أنها اتباع الحق عن مجاهد (و ثالثها) أنها اتباع إبراهيم فيما أتى به من الشريعة التى صار بها إماما للناس بعده من الحج و الختان و غير ذلك من شرائع الإسلام (و الرابع) أنها الإخلاص لله وحده فى الإقرار بالربوبية و الإذعان للعبودية و كل هذه الأقوال ترجع إلى ما قلناه من معنى الاستقامه و الميل إلى ما أتى به إبراهيم (عليه السلام) من الملة «وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» أى و ما كان إبراهيم من المشركين نفى الشرك عن ملته و أثبتته فى اليهود و النصارى حيث قالوا عَزِيزُ ابْنُ اللَّهِ و الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ و فى قوله سبحانه «يَلِ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ» حجه على وجوب اتباع ملة إبراهيم (عليه السلام) لسلامتها من التناقض و لوجود التناقض فى اليهودية و النصرانية فلذلك صارت ملة إبراهيم أحرى بالاتباع من غيرها فمن التناقض فى اليهودية منعهم من جواز النسخ مع ما فى التوراه من الدلاله على جوازه و امتناعهم من العمل بما تقدمت به البشاره فى التوراه من اتباع النبى الأسمى مع إظهارهم التمسك بها و امتناعهم من الإذعان لما دلت عليه الآيات الظاهره و المعجزات الباهره من نبوه عيسى و محمد صلى الله عليه و آله مع إقرارهم بنبوه عيسى بدلاله المعجزات عليها إلى غير ذلك من أنواع التناقض و من التناقض فى قول النصارى قولهم الأب و الابن و روح القدس إله واحد مع زعمهم أن الأب ليس هو الابن و أن الأب إله و الابن إله و روح القدس إله و امتناعهم من أن يقولوا ثلاثة آلهه إلى غير ذلك من تناقضاتهم المذكوره فى الكتب.

إشارة

قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَ مَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطِ وَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَ عِيسَىٰ وَ مَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦)

اللغة

الأسباط واحدهم سبط و هم أولاد إسرائيل و هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم و هم اثنا عشر سبطا من اثني عشر ابنا و قالوا الحسن و الحسين سبطا رسول الله أى ولداه و الأسباط فى بنى إسرائيل بمنزله القبائل فى ولد إسماعيل قال الزجاج السبط الجماعة يرجعون إلى أب واحد و السبط فى اللغة الشجر فالسبط الذين هم من شجره واحده و قال ثعلب يقال سبط عليه العطاء أو الضرب إذا تابع عليه حتى يصل بعضه ببعض و أنشد التوزى فى قطع بقر:

(كأنه سبط من الأسباط)

شبهه بالجماعه من الناس يتتابعون فى أمر و من ثم قيل لولد يعقوب أسباط و الفرق بين التفريق و الفرق أن التفريق جعل الشئ مفارقا لغيره و الفرق نقيض الجمع و الجمع جعل الشئ مع غيره و الفرق جعل الشئ مع غيره و الفرق بالحجه هو البيان الذى يشهد أن الحكم لأحد الشئيين دون الآخر.

الإعراب

«ما أُوتِيَ» تقديره ما أُوتيه حذف الهاء العائد إلى الموصول و من فى قوله «مِنْ رَبِّهِمْ» تتعلق بأوتى أو بمحذوف فيكون مع المحذوف فى موضع نصب على الحال و ذو الحال الضمير المستكن فى أوتى و العامل أوتى أو يكون العامل فيه أنزل و ذو الحال ما أوتى لا نفرق جمله منفيه منصوبه الموضع على الحال و العامل فيه آمننا و منهم تتعلق بمحذوف مجرور الموضع بكونه صفة لأحد و معنى أحد منهم أى بين اثنين أو جماعه و تقديره و لا نفرق بين أحد و أحد منهم.

المعنى

«قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ» خطاب للمسلمين و قيل خطاب للنبي و المؤمنين أمرهم الله تعالى بإظهار ما تدينوا به على الشرع فبدأ بالإيمان بالله لأنه أول الواجبات و لأنه بتقديم معرفته تصح معرفه النبوات و الشرائع «وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْنَا» يعنى القرآن نؤمن بأنه حق و صدق و واجب اتباعه فى الحال و إن تقدمته كتب «وَ مَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطِ» قال قتاده هم يوسف و إخوته بنو يعقوب ولد كل واحد منهم أمه من الناس فسموا الأسباط و به قال السدى و الربيع و محمد بن إسحاق و ذكروا أسماء الاثنى

عشر يوسف و بنيامين و زبالون و روبيل و يهوذا و شمعون و لاوى و دان و قهاب و يشجر و نفتالى و جاد و أشرفهم ولد يعقوب لا خلاف بين المفسرين فيه و قال كثير من المفسرين أنهم كانوا أنبياء و الذى يقتضيه مذهبنا أنهم لم يكونوا أنبياء بأجمعهم لأن ما وقع منهم من المعصيه فيما فعلوه بيوسف (عليه السلام) لا خفاء به و النبى عندنا معصوم من القبائح صغيرها و كبيرها و ليس فى ظاهر القرآن ما يدل على أنهم كانوا أنبياء و قوله «وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ لَّا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُمْ كَانُوا أَنبِيَاءَ» لا يجوز أن يكون كان على بعضهم ممن كان نبيا و لم يقع منه ما ذكرناه من الأفعال القبيحه و يحتمل أن يكون مثل قوله «وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْنَا» و أن المنزل على النبى خاصه لكن المسلمين لما كانوا مأمورين بما فيه أضيف الإنزال إليهم و قد

روى العياشى فى تفسيره عن حنان بن سدير عن أبيه عن أبى جعفر الباقر قال قلت له أ كان ولد يعقوب أنبياء قال لا و لكنهم كانوا أسباطا أولاد الأنبياء و لم يكونوا فارقوا الدنيا إلا سعداء تابوا و تذكروا ما صنعوا

و قوله «وَ مَا أوتِيَ مُوسَىٰ وَ عِيسَىٰ» أى أعطيا و خصهما بالذكر لأنه احتجاج على اليهود و النصارى و المراد بما أوتى موسى التوراه و بما أوتى عيسى الإنجيل «وَ مَا أوتِيَ النَّبِيُّونَ» أى ما أعطيه النبيون «مِنْ رَبِّهِمْ لَّا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ» أى بأن تؤمن ببعض و تكفر ببعض كما فعله اليهود و النصارى فكفرت اليهود بعيسى و محمد و كفرت النصارى بسليمان و نبينا محمد صلى الله عليه و آله «وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» أى نحن لما تقدم ذكره و قيل لله خاضعون بالطاعه مدعون بالعبوديه و قيل منقادون لأمره و نهيه و قد مضى هذا مستوفى فيما قبل و فائده الآيه الأمر بالإيمان بالله و الإقرار بالنبيين و ما أنزل إليهم من الكتب و الشرائع و الرد على من فرق بينهم فيما جمعهم الله عليه من النبوه و إن كانت شرائعهم غير لازمه لنا فإن الإيمان بهم لا يقتضى لزوم شرائعهم و روى عن الضحاك أنه قال علموا أولادكم و أهاليكم و خدمكم أسماء الأنبياء الذين ذكرهم الله فى كتابه حتى يؤمنوا بهم و يصدقوا بما جاءوا به فإن الله تعالى يقول «قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ» الآيه.

البقره (٢): آيه ١٣٧

إشاره

فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧)

اللغه

الشقاق المنازعه و المحاربه و يحتمل أن يكون أصله مأخوذا من الشق لأنه

صار فى شق غير شق صاحبه للعداوه و المباينه و يحتمل أن يكون مأخوذا من المشقه لأن كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه و يؤذيه و الكفايه بلوغ الغايه يقال يكفى و يجرى و يغنى بمعنى واحد و كفى يكفى كفايه إذا قام بالأمر و كفاك هذا الأمر أى حسبك و رأيت رجلا كافيك من رجل أى كفاك به رجلا.

الإعراب

الباء فى قوله «بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ» يحتمل ثلاثه أشياء (أحدها) أن تكون زائده و التقدير فإن آمنوا مثل ما آمنتم به أى مثل إيمانكم به كما يقال كفى بالله أى كفى الله قال الشاعر:

(كفى الشيب و الإسلام للمرء ناهيا)

(و الثانى) أن يكون المعنى بمثل هذا و لا تكون زائده كأنه قال فإن آمنوا على مثل إيمانكم كما تقول كتبت على مثل ما كتبت و بمثل ما كتبت كأنك تجعل المثل آله توصل بها إلى العمل و هذا أجود من الأول (و الثالث) أن تلغى مثل كما ألغيت الكاف فى قوله فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مِّأْكُولٍ و هذا أضعف الوجوه لأنه إذا أمكن حمل كلام الله على فائده فلا يجوز حمله على الزيادة و زياده الاسم أضعف من زياده الحرف نحو ما و لا و ما أشبه ذلك و قوله «فَقَدِ اهْتَدَوْا» فى محل الجزم أو فى محل الرفع لأنه جواب شرط مبنى و كذلك قوله «فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ» و إنما حرف لإثبات الشىء و نفى غيره و هم مبتدأ و فى شقاق فى موضع خبره.

النزول

لما نزل قوله تعالى قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ الْآيَةَ قَرَأَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ عَلَى الْيَهُودِ وَ النَّصَارَى فَلَمَّا سَمِعَتِ الْيَهُودُ ذَكَرَ عِيسَى أَنْكَرُوا وَ كَفَرُوا وَ قَالَتِ النَّصَارَى إِنَّ عِيسَى لَيْسَ كَسَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ لِأَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ فَنَزَلَتِ الْآيَةُ.

المعنى

«فَإِنْ آمَنُوا» أخبر الله سبحانه أن هؤلاء الكفار متى آمنوا على حد ما آمن المؤمنون به «فَقَدِ اهْتَدَوْا» إلى طريق الجنة و قيل سلكوا طريق الاستقامه و الهدايه و قيل كان ابن عباس يقول اقرءوا بما آمنتم به فليس لله مثل و هذا محمول على أنه فسر الكلام لا أنه أنكر القراءه الظاهره مع صحه المعنى و قوله «وَ إِنْ تَوَلَّوْا» أى أعرضوا عن الإيمان و جحدوه و لم يعترفوا به «فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ» أى فى خلاف قد فارقوا الحق و تمسكوا بالباطل فصاروا مخالفين لله سبحانه عن ابن عباس و قريب منه ما

روى عن الصادق (عليه السلام) أنه قال يعنى فى كفر

و قيل فى ضلال عن أبى عبيده و قيل فى منازعه و محاربه عن أبى زيد و قيل فى عداوه عن الحسن «فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ» وعد الله سبحانه رسوله بالنصره و كفايه من يعاديه من اليهود و النصارى الذين شاقوه و فى هذا دلالة بينه على نبوته و صدقه صلى الله عليه و آلہ المعنى أن الله سبحانه يكفيك يا محمد أمرهم «وَ هُوَ

السَّمِيعُ» لأقوالهم «الْعَلِيمُ» بأعمالهم فى إبطال أمرك و لن يصلوا إليك.

البقره (٢): آيه ١٣٨

اشاره

صِبْغَةَ اللَّهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَ نَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (١٣٨)

اللغه

«صِبْغَةَ اللَّهِ» مأخوذه من الصبغ لأن بعض النصارى كانوا إذا ولد لهم مولود غمسوه فى ماء لهم يسمونه المعموديه يجعلون ذلك تطهيرا له ف قيل صبغه الله تطهير الله لا- تطهيركم بتلك الصبغه و هو قول الفراء و قيل إن اليهود تصبغ أبناءها يهودا و النصارى تصبغ أبناءها نصارى أى يلقنون أولادهم اليهوديه و النصرانيه عن قتاده إلى هذا يؤول ما روى عن عمر بن الخطاب أخذ العهد على بنى تغلب أن لا يصبغوا أولادهم أى لا يلقنونهم النصرانيه لكن يدعونهم حتى يبلغوا فيختاروا لأنفسهم ما شاءوا من الأديان [فى صبغه الله] و قيل سمي الدين صبغه لأنه هيئه تظهر بالمشاهده من أثر الطهاره و الصلاه و غير ذلك من الآثار الجميله التى هى كالصبغه عن الجبائى قال أميه:

فى صبغه الله كان إذا نسى العهد

و خلى الصواب إذ عرفا

و يقال صبغ الثوب يصبغه بفتح الباء و ضمها و كسرهما صبغا بفتح الصاد و كسرهما.

الإعراب

نصب «صِبْغَةَ اللَّهِ» على أنه بدل من قوله مَلَّةً إِبْرَاهِيمَ و تفسير له عن الأخفش و قيل أنه نصب على الإغراء تقديره اتبعوا صبغه الله و أَلْزَمُوا صبغه الله و من استفهام و هو مبتدأ و أحسن خبره و صبغه نصب على التمييز.

المعنى

«صِبْغَةَ اللَّهِ» أى اتبعوا دين الله عن ابن عباس و الحسن و قتاده و مجاهد و يقرب منه ما

روى عن الصادق (عليه السلام) قال يعنى به الإسلام

و قيل شريعته الله التى هى الختان الذى هو تطهير عن الفراء و البلخى و قيل فطره الله التى فطر الناس عليها عن أبى العالیه و غيره «وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً» أى لا أحد أحسن من الله صبغه أى بينا لفظه لفظ الاستفهام و معناه الجحد عن الحسن و غيره «وَ نَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ» أى من نحن له عابدون يجب أن تتبع صبغته لا ما صبغنا عليه الآباء و الأجداد و قيل و نحن له عابدون فى اتباعنا

مله إبراهيم صبغه الله.

ص: ٣٢٣

إشاره

قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَ لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (١٣٩)

اللغه

الحجاج و الجدال و الخصام نظائر و الأعمال و الأحداث و الأفعال نظائر و الإخلاص و الإفراد و الاختصاص نظائر و ضد الخالص المشوب.

الإعراب

«وَهُوَ رَبُّنَا وَ رَبُّكُمْ» المبتدأ و خبره فى موضع نصب على الحال و العامل فيه تحاجون و ذو الحال الواو «وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ» مبتدئان و خبران و الجملةان فى موضع نصب على الحال بالعطف على «هُوَ رَبُّنَا وَ رَبُّكُمْ» «وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ» كذلك.

المعنى

أمر الله سبحانه نبيه (عليه السلام) فى هذه الآيه أن يقول لهؤلاء اليهود و غيرهم «أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ» و معناه فى دين الله أى أ تخاصموننا و تجادلوننا فيه و هو سبحانه خالقنا و المنعم علينا و خالقكم و المنعم عليكم و اختلف فى محاجتهم كيف كان فقيل كانت محاجتهم للنبي (عليه السلام) أنهم يزعمون أنهم أولى بالحق لتقدم النبوه فيهم و الكتاب و قيل بل كانت محاجتهم أنهم قالوا نحن أحق بالإيمان من العرب الذين عبدوا الأوثان و قيل كانت محاجتهم أنهم قالوا يا محمد إن الأنبياء كانوا منا و لم يكن من العرب نبي فلو كنت نبيا لكنت منا و قال الحسن كانت محاجتهم أن قالوا نحن أولى بالله منكم و قالوا نَحْنُ أَوْلَى اللَّهِ وَ أَحِبَّأُوهُ وَ قالوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى وَ كان غرضهم بذلك أن الدين يلتبس من جهتهم و أن النبوه أولى أن تكون فيهم فبين سبحانه أنه أعلم بتدبير خلقه بقوله «وَهُوَ رَبُّنَا وَ رَبُّكُمْ» أى خالقنا و خالقكم فهو أعلم حيث يجعل رسالته و من الذى يقوم بأعبائها و يتحملها على وجه يكون أصلح للخلق و أولى بتدبيرهم و قوله «وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ» أى لنا ديننا و لكم دينكم و قيل معناه ما علينا مضره من أعمالكم و ما لكم منفعه من أعمالنا فضرر أعمالكم عليكم و نفع أعمالنا لنا و قيل إنه إنكار لقولهم إن العرب تعبد الأوثان و بيان لأن لا حجه فيه إذ كل مأخوذ بما كسبت يده و لا يؤخذ أحد بجرم غيره و قوله «وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ» أى موحدون و المراد بذلك أن المخلص أولى بالحق من المشرك و قيل معناه الرد عليهم ما احتجوا به من عباده العرب للأوثان فكأنه قال لا عيب علينا فى ذلك إذا كنا موحدين كما لا عيب عليكم بفعل من عبد العجل من أسلافكم إذا اعتقدتم الإنكار عليهم فى ذلك.

روى عن حذيفه بن اليمان قال سألت النبى صلى الله عليه وآله عن الإخلاص ما هو قال سألت جبريل (عليه السلام) عن ذلك قال سألت رب العزه عن ذلك فقال هو سر من سرى استودعته قلب من أحببته من عبادى

و

روى عن أبى إدريس الخولانى عن النبى صلى الله عليه وآله قال إن لكل حق حقيقه و ما بلغ عبد حقيقه الإخلاص حتى لا يحب أن يحمد على شىء من عمل الله

و قال سعيد بن جبير الإخلاص أن يخلص العبد دينه و عمله لله و لا يشرك به فى دينه و لا يرائى بعمله أحدا و قيل الإخلاص أن تستوى أعمال العبد فى الظاهر و الباطن و قيل هو ما استتر من الخلاق و استصفى من العلائق و قيل هو أن يكتم حسناته كما يكتم سيئاته.

البقره (٢): آيه ١٤٠

إشارة

أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَشْيَابَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٠)

القراءة

قرأ أهل الكوفه غير أبى بكر و ابن عامر «أم تقولون» بالتاء و الباقون بالياء.

الإعراب

الأول على الخطاب فتكون أم متصله بما قبلها من الاستفهام كأنه قال أ تحاجوننا فى الله أم تقولون إن الأنبياء كانوا على دينكم و التقدير بأى الحجتين تتعلقون فى أمرنا بالتوحيد فنحن موحدون أم باتباع دين الأنبياء فنحن لهم متبعون و الثانى و هو القراءة بالياء على العدول من الحجاج الأول إلى حجاج آخر فكأنه قال بل تقولون إن الأنبياء من قبل أن تنزل التوراه و الإنجيل كانوا هودا أو نصارى و تكون أم هذه هى المنقطعه فيكون قد أعرض عن خطابهم استجهالا لهم بما كان منهم كما يقبل العالم على من بحضرتة بعد ارتكاب مخاطبه جهاله شنيعه فيقول قد قامت عليه الحججه أم يقول بإبطال النظر المؤدى إلى المعرفه.

اللغه

الأعلم و الأعراف و الأدرى بمعنى واحد و الأظلم و الأجور و الأعتى نظائر و أفعل هذه تستعمل بمعنى الزيادة و إنما يصح معناه

فيما يقع فيه التزايد كقولهم أفضل و أطول و قد قال المحققون الصفات على ثلاثة أضرب صفة ذات و صفة تحصل بالفاعل

ص: ٣٢٥

و صفه تحصل بالمعنى (فالأول) مثل كون الذات جوهرًا أو سوادًا وهذا لا يصح فيه التزايد (و الثاني) كالوجود و لا يصح فيه أيضا التزايد (و الثالث) على ضريين (أحدهما) يصح فيه التزايد و هو كل ما يوجبه معنى له مثل كالألوان و الأكوان و نحوها (و الآخر) لا يصح فيه التزايد و هو كل ما يوجبه معنى، و كتم و أخفى و أسر واحد و الغفله و السهو و النسيان نظائر و هو ذهاب المعنى عن النفس و الصحيح أن السهو ليس بمعنى و إنما هو فقد علوم مخصوصه فإن استمر به السهو مع صحه سمى جنونا فإذا قارنه ضرب من الضعف سمى إغماء و إذا قارنه ضرب من الاسترخاء سمى نوما فإن قارنه نوع من الطرب سمى سكرًا و إذا حصل السهو بعد علم سمى نسيانا.

الإعراب

«أَمِ اللّٰهُ» الله مبتدأ و خبره محذوف تقديره أم الله أعلم و عنده ظرف مكان لكتنم أو يكون صفه لشهاده تقديره شهاده كائنه عنده و من الله صفه لشهاده أيضا و هى صفه بعد صفه.

المعنى

قد ذكرنا الفرق فى المعنى بين قوله «أَمِ تَقُولُونَ» على المخاطبه و قوله أم يقولون بالياء على أن يكون المعنى لليهود و النصرارى و هم غيب و فى هذا احتجاج عليهم فى قولهم لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى من وجوه (أحدها) ما أخبر به نبينا صلى الله عليه و آله مع ظهور المعجز الدال على صدقه (و الثاني) ما فى التوراه و الإنجيل من أن هؤلاء الأنبياء كانوا على الحنيفيه (و الثالث) أن عندهم إنما يقع اسم اليهوديه على من تمسك بشريعه التوراه و اسم النصرانيه على من تمسك بشريعه الإنجيل و الكتابان أنزلا بعدهم كما قال سبحانه وَ مَا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ إِلَّا مِنَ بَعْدِهِ (و الرابع) أنهم ادعوا ذلك من غير برهان فوبخهم الله سبحانه بهذه الوجوه و قوله «قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّٰهُ» صورته صورته الاستفهام و المراد به التوبيخ و مثله قوله أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا و معناه قل يا محمد لهم أ أنتم أعلم أم الله و قد أخبر سبحانه أنهم كانوا على الحنيفيه و زعمتم أنهم كانوا هودا أو نصرارى فيلزمكم أن تدعوا أنكم أعلم من الله و هذا غايه الخزى فإن قيل لم قال أ أنتم أعلم أم الله و قد كانوا يعلمونه فكتمونه و إنما ظاهر هذا الخطاب لمن لا يعلم فالجواب أن من قال إنهم كانوا على ظن و توهم فوجه الكلام على قوله واضح و من قال أنهم كانوا يعلمون ذلك و إنما كانوا يجحدونه فمعناه أن منزلتكم منزله المعترض على ما يعلم أن الله أخبر به فما ينفعه ذلك مع إقراره بأن الله أعلم منه و أنه لا يخفى عليه شىء لأن ما دل

على أنه أعلم هو الدال على أنه لا- يخفى عليه شىء و هو أنه عالم لذاته يعلم جميع المعلومات وقوله «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ» فيه أقوال (أحدها) أن من فى قوله من الله لا ابتداء الغايه و هو متصل بالشهاده لا بالكتمان و معناه و ما أحد أظلم ممن يكون عنده شهاده من الله فيكتمها و المراد بهذه الشهاده أن الله تعالى بين فى كتابهم صحه نبوه محمد صلى الله عليه وآله و البشاره به عن الحسن و قتاده و قيل المراد بها أن إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب و أولاده كانوا حنفاء مسلمين فكتموا هذه الشهاده و ادعوا أنهم كانوا على دينهم عن مجاهد فهذه شهاده من الله عندهم كتموها (و الثانى) أن من متصل بالكتمان أى من أظلم ممن كتم ما فى التوراه من الله أى من عباده الله أو كتم شهاده أن يؤديها إلى الله (و الثالث) أن المراد من أظلم فى كتمان الشهاده من الله لو كتمها و ذلك نحو قولهم من أظلم ممن يجور على الفقير الضعيف من السلطان الغنى القوى و المعنى أنه يلزمكم أنه لا- أحد أظلم من الله إذا كتم شهاده عنده ليقع عباده فى الضلال و هو الغنى عن ذلك المتعالى أى لو كانوا هودا أو نصارى لأخبر بذلك و هذا المعنى قول البلخى و أبى مسلم و قوله «وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» أو عدهم سبحانه بما يجمع كل وعيد أى ليس الله بساه عن كتمان الشهاده التى لزمكم القيام بها لله و قيل هو على عمومه أى لا يخفى على الله شىء من المعلومات فكونوا على حذر من الجزاء على أعمالكم بما تستحقونه من العقاب.

البقره (٢): آيه ١٤١

اشاره

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَ لَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤١)

توضيح

قد مضى تفسير هذه الآيه و قيل فى وجه تكراره إنه عنى بالأول إبراهيم و من ذكر معه من الأنبياء (عليه السلام) و بالثانى أسلاف اليهود و قيل إنه إذا اختلفت الأوقات و المواطن لم يكن التكرير معيبا و وجه اتصال الآيه بما قبلها أنه يقول إذا سلم لكم ما ادعيتم من أن الأنبياء كانوا على دين اليهوديه أو النصرانيه فليس لكم فيه حجه لأنه لا يمتنع اختلاف الشرائع بالمصالح فله سبحانه أن ينسخ من الشرائع ما شاء و يقر منها ما شاء على حسب ما تقتضيه الحكمه و قيل إن ذلك ورد مورد الوعظ لهم و الزجر حتى لا يتكلموا على فضل الآباء و الأجداد فإن ذلك لا ينفعهم إذا خالفوا أمر الله.

البقره (٢): آيه ١٤٢

اشاره

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٤٢)

السفيه و الجاهل و الغبي نظائر و قد ذكرنا معنى السفه و السفيه فيما مضى و ولاه عنه أى صرفه و قتله و اشتقاقه من الولي و هو القرب و هو حصول الثانى بعد الأول من غير فصل فالثانى يلى الأول و الثالث يلى الثانى ثم هكذا أبدا و ولى عنه خلاف ولى إليه مثل قولك عدل عنه و عدل إليه و انصرف عنه و انصرف إليه فإذا كان الذى يليه متوجها إليه فهو متول إليه و إذا كان متوجها إلى خلاف جهته فهو متول عنه و القبلة مثل الجلسه للحال التى يقابل الشىء غيره عليها كما أن الجلسه للحال التى يجلس عليها و كان يقال فيما حكى هو لى قبله و أنا له قبله ثم صار علما على الجبهه التى تستقبل فى الصلاة.

الإعراب

«مِنَ النَّاسِ» فى محل نصب حال من السفهاء و ما استفهام و هو مبتدأ و ولاههم خبره و «عَنْ قِبَلِهِمْ» مفعول ولى.

المعنى

ثم ذكر سبحانه الذين عابوا المسلمين بالانصراف عن قبله بيت المقدس إلى الكعبة فقال «سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ» أى سوف يقول الجهال و هم الكفار الذين هم بعض الناس «مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا» أى شىء حولهم و صرفهم يعنى المسلمين عن بيت المقدس الذى كانوا يتوجهون إليها فى صلاتهم اختلف فى الذين قالوا ذلك فقال ابن عباس و غيره هم اليهود و قال الحسن هم مشركو العرب و إن رسول الله لما حول الكعبة من بيت المقدس قالوا يا محمد رغبت عن قبله آباءك ثم رجعت إليها فلترجعن إلى دينهم و قال السدى هم المنافقون قالوا ذلك استهزاء بالإسلام و اختلف فى سبب مقاتلتهم ذلك ف قيل أنهم قالوا ذلك على وجه الإنكار للنسخ عن ابن عباس و قيل إنهم قالوا يا محمد ما ولاك عن قبلتك التى كنت عليها ارجع إلى قبلتنا نتبعك و تؤمن بك أرادوا بذلك فتنته عن ابن عباس أيضا و قيل إنما قاله مشركو العرب ليؤهموا أن الحق ما هم عليه و أما الوجه فى الصرف عن القبلة الأولى ففيه قولان (أحدهما) أنه لما علم الله تعالى فى ذلك من تغير المصلحه و (الآخر) أنه لما بينه سبحانه بقوله لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقَبَيْهِ لَأَنَّهُمْ كَانُوا بِمَكَّةَ أَمْرًا أَن يَتَّجِعُوا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ لِيَتَّمِيزُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَتَّجِعُونَ إِلَى الْكَعْبَةِ فَلَمَّا انْتَقَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ كَانَتْ الْيَهُودُ يَتَّجِعُونَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ فَأَمَرُوا بِالتَّوَجُّهِ إِلَى الْكَعْبَةِ

ليتميزوا من أولئك «قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ» هو أمر من الله سبحانه لنبيه أن يقول لهؤلاء الذين عابوا انتقالهم من بيت المقدس إلى الكعبة المشرق و المغرب ملك لله سبحانه يتصرف فيهما كيف شاء على ما تقتضيه حكمته و في هذا إبطال لقول من زعم أن الأرض المقدسه أولى بالتوجه إليها لأنها مواطن الأنبياء و قد شرفها الله و عظمها فلا وجه للتولية عنها فرد الله سبحانه عليهم بأن المواطن كلها لله يشرف منها ما يشاء في كل زمان على ما يعلمه من مصالح العباد و عن ابن عباس كانت الصلاة إلى بيت المقدس بعد مقدم النبي صلى الله عليه و آله المدينة سبعة عشر شهرا و عن البراء بن عازب قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه و آله نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ثم صرفنا نحو الكعبة أورده مسلم في الصحيح و عن أنس بن مالك إنما كان ذلك تسعة أشهر أو عشرة أشهر و عن معاذ بن جبل ثلاثة عشر شهرا و

رواه على بن إبراهيم بإسناده عن الصادق (عليه السلام) قال تحولت القبلة إلى الكعبة بعد ما صلى النبي صلى الله عليه و آله بمكة ثلاث عشره سنه إلى بيت المقدس و بعد مهاجرته إلى المدينة صلى إلى بيت المقدس سبعة أشهر قال ثم وجهه الله إلى الكعبة و ذلك أن اليهود كانوا يعيرون رسول الله صلى الله عليه و آله و يقولون له أنت تابع لنا تصلى إلى قبلتنا فاغتم رسول الله صلى الله عليه و آله من ذلك غما شديدا و خرج في جوف الليل ينظر إلى آفاق السماء ينتظر من الله تعالى في ذلك أمرا فلما أصبح و حضر وقت صلاة الظهر كان في مسجد بنى سالم قد صلى من الظهر ركعتين فنزل عليه جبرائيل (عليه السلام) فأخذ بعضديه و حوله إلى الكعبة و أنزل عليه قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ كَانِ صَلَى رَكَعَتَيْنِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَ رَكَعَتَيْنِ إِلَى الْكَعْبَةِ فَقَالَتِ الْيَهُودُ وَ السُّفَهَاءُ «مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا»

قال الزجاج إنما أمر بالصلاة إلى بيت المقدس لأن مكة بيت الله الحرام كانت العرب آلفه لحجه فأحب الله أن يمتحن القوم بغير ما ألفوه ليظهر من يتبع الرسول ممن لا يتبعه و قوله «يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أي يدل و يرشده إلى الدين و إنما سماه الصراط لأنه طريق الجنة المؤدى إليها كما يؤدى الطريق إلى المقصد و قيل طريق الجنة.

إشاره

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ (١٤٣)

القراءه

قرأ ابن كثير و نافع و ابن عامر و حفص عن عاصم «الرؤف» على وزن رعو ف و قرأ أبو جعفر لرووف مثقل غير مهموز و الباقون لرءوف على وزن رعف.

الإعراب

وجه من قرأ «الرؤف» أن بناء فعول أكثر في كلامهم من فعل ألا ترى أن باب ضرور و صبور أكثر من باب يقظ و حذر و قد جاء على هذه الزنه من صفات الله تعالى نحو غفور و شكور و ودود و لا نعلم فعلا فيها و قال كعب بن مالك الأنصاري:

نطيع نبينا و نطيع ربا

هو الرحمن كان بنا رءوفا

و من قرأ رءوفا قال إن ذلك الغالب على أهل الحجاز قال الوليد بن عقبة لمعاويه:

و شر الطالبين فلا تكنه

لقاتل عمه الرؤوف الرحيم

و قال جرير:

ترى للمسلمين عليك حقا

كفعل الوالد الرؤوف الرحيم.

اللغه

الوسط العدل و قيل الخيار و معناهما واحد لأن العدل خير و الخير عدل و قيل أخذ من المكان الذي يعدل المسافه منه إلى أطرافه و قيل بل أخذ من التوسط بين المقصر و الغالى فالحق معه قال مؤرج أى وسطا بين الناس و بين أنبيائهم قال زهير:

هم وسط يرضى الأنام بحكمهم

إذا طرقت إحدى الليالي بمعظم

قال صاحب العين الوسط من كل شىء أعدل وأفضله وقيل الواسط والوسط كما قيل اليابس واليبس وقيل فى صفه النبى صلى الله عليه وآله كان من أوسط قومه أى من خيارهم والعقب مؤخر القدم وعقب الإنسان نسله قال ثعلب نُزِدُ عَلَى أَغْقَابِنَا أى نعقب بالشر بعد الخير وكذلك رجع على عقبيه والعقبه الكره بعد الكره فى الركوب والمشى والتعقيب الرجوع إلى أمر تريده ومنه ولم يعقب وعقب الليل النهار يعقبه والإضاعة مصدر أضاع يضيع وضاع الشىء ضياعاً وضاع الشىء تضييعاً وقال صاحب العين ضيعة الرجل حرفته يقال ما ضيعتك أى حرفتك ومنه كل رجل وضيعته وترك عياله بضيعة ومضيعة والضيعة والضياع

ص: ٣٣٠

معروف و أصل الضياع الهلاك قال أبو زيد رأفت بالرجل أرأف به رأفه و رأفه و رؤفت به أرؤف به بمعنى.

الإعراب

في الآيه ثلاث لامات مختلفات فاللام في قوله «لِتَكُونُوا» لام كي و تكونوا في موضع نصب بإضمار أن و تقديره لأن تكونوا و أن تكونوا في موضع جر باللام لأنها اللام الجاره في الأصل و في قوله «وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً» لام توكيد و هي لام الابتداء فصلت بينها و بين إن لتلا يجتمع حرفان متفقان في المعنى و هي تلزم إن المخففه من الثقيله لتلا تلتبس بأن النافيه التي هي بمعنى ما في مثل قوله «إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ» وقال الكوفيون إن في مثل هذا الموضع بمعنى ما و اللام بمعنى إلا تقديره و ما كانت إلا كبيره و أنكر البصريون ذلك لأنه لو كان كذلك لجاز أن يقال جاء القوم لزيدها بمعنى إلا زيدها و أما في قوله «وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ» فلام تأكيد نفى و أصلها لام الإضافه أيضا و ينتصب الفعل بعدها بإضمار أن أيضا إلا أنه لا يجوز إظهار أن بعدها لأن التقدير ما كان الله مضيعا إيمانكم فلما حمل معناه على التأويل حمل لفظه أيضا على التأويل من غير تصريح بإظهار أن و يجوز إظهار أن بعد لام كي كما ذكرناه و الكاف في قوله «وَ كَذَلِكَ» كاف التشبيه و هو في موضع نصب بالمصدر و ذلك إشاره إلى الهدايه من قوله يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ و التقدير أنعمنا عليكم بالعداله كما أنعمنا عليكم بالهدايه و العامل في الكاف جعلنا كأنه قيل يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم فقد أنعمنا عليكم بذلك و جعلناكم أمه و سطا فأنعمنا مثل ذلك الإنعام إلا أن جعلنا يدل على أنعمنا و هدى الله صله الذين و الضمير العائد إلى الموصول محذوف فتقديره على الذين هداهم الله و الجار و المجرور في محل نصب على الاستثناء تقديره و إن كانت لكبيره على الكل إلا على الذين هدى الله.

المعنى

ثم بين سبحانه فضل هذه الأمه على سائر الأمم فقال سبحانه «وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسِيًّا» و قد ذكرنا وجه تعلق الكاف المضاف إلى ذلك بما تقدم أخبر عز اسمه أنه جعل أمه نبيه محمد صلى الله عليه و آله عدلا و واسطه بين الرسول و الناس و متى قيل إذا كان في الأمه من ليس هذه صفته فكيف وصف جماعتهم بذلك فالجواب أن المراد به من كان بتلك الصفه و لأن كل عصر لا يخلو من جماعه هذه صفتهم و

روى بريد بن معاويه العجلي عن الباقر (عليه السلام) نحن الأمه الوسط و نحن شهداء الله على خلقه و حجته في أرضه

و

في روايه أخرى قال إلينا يرجع الغالى و بنا يلحق المقصر

و روى الحاكم أبو القاسم الحسكاني

فى كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفضيل ياسناده عن سليم بن قيس الهلالي عن على (عليه السلام) أن الله تعالى إيانا عنى بقوله «لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ» فرسول الله شاهد علينا و نحن شهداء الله على خلقه و حجته فى أرضه و نحن الذين قال الله تعالى «كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا»

و قوله «لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ» فيه ثلاثة أقوال (أحدها) أن المعنى لتشهدوا على الناس بأعمالهم التى خالفوا فيها الحق فى الدنيا و فى الآخرة كما قال وَ جِئَءَ بِالنَّبِيِّينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ قَالَ وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ وَ قال ابن زيد الأشهاد أربعة الملائكة و الأنبياء و أمه محمد صلى الله عليه و آله و الجوارح كما قال يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيَدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ الْآيَةَ (و الثانى) أن المعنى لتكونوا حجة على الناس فتبينوا لهم الحق و الدين و يكون الرسول عليكم شهيدا مؤديا للدين إليكم و سمي الشاهد شاهدا لأنه يبين و لذلك يقال للشهادة بينه (و الثالث) أنهم يشهدون للأنبياء على أممهم المكذبين لهم بأنهم قد بلغوا و جاز ذلك لإعلام النبى صلى الله عليه و آله إياهم بذلك و قوله «وَ يَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا» أى شاهدا عليكم بما يكون من أعمالكم و قيل حجة عليكم و قيل شهيدا لكم بأنكم قد صدقتم يوم القيامة فيما تشهدون به و تكون على معنى اللام كقوله وَ مَا ذُبِحَ عَلَى النَّصْبِ أى للنصب و قوله «وَ مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا» قيل معنى كنت عليها صرت عليها و أنت عليها يعنى الكعبة كقوله «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ» أى خير أمه و قيل هو الأصح يعنى بيت المقدس الذى كانوا يصلون إليها أى صرفناك عن القبلة التى كنت عليها إلا- لنعلم أو ما جعلنا القبلة التى كنت عليها فصرفناك عنها «إِلَّا لِنَعْلَمَ» و حذف لدلاله الكلام عليه و فى قوله «إِلَّا لِنَعْلَمَ» أقوال (أولها) أن معناه ليعلم حزبنا من النبى و المؤمنين كما يقول الملك فتحنا بلد كذا أو فعلنا كذا أى فتح أوليائنا و الثانى أن معناه ليحصل المعلوم موجودا و تقديره ليعلم أنه موجود فلا يصح وصفه بأنه عالم بوجود المعلوم قبل وجوده و الثالث أن معناه لنعاملكم معاملته المختبر الممتحن الذى كأنه لا- يعلم إذ العدل يوجب ذلك من حيث لو عاملهم بما يعلم أنه يكون منهم قبل وقوعه كان ظلما و الرابع ما قاله علم الهدى المرتضى قدس الله روحه و هو أن قوله «لِنَعْلَمَ» تقتضى حقيقه أن يعلم هو و غيره و لا يحصل علمه مع علم غيره إلا بعد حصول الاتباع فأما قبل حصوله فيكون القديم سبحانه هو المنفرد بالعلم به فصح ظاهر الآيه و قوله «مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ» أى يؤمن به و يتبعه فى أقواله و أفعاله «مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ» فيه قولان (أحدهما) أن قوما ارتدوا عن الإسلام لما حولت القبلة جهلا منهم بما فيه من وجوه

الحكمه و الآخر أن المراد به كل مقيم على كفره لأن جهه الاستقامه إقبال و خلافها إدبار و لذلك وصف الكافر بأنه أدبر و استكبر و أنه كذب و تولى أى عن الحق و قوله «وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ» الضمير فى كانت يعود إلى القبله على قول أبى العاليه أى و قد كانت القبله كبيره و قيل الضمير يرجع إلى التحويله و ما أرقه القبله الأولى عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و هو الأقوى لأن القوم إنما ثقل عليهم التحول لا نفس القبله و قيل الضمير يرجع إلى الصلاه عن ابن زيد و قوله «لَكَبِيرَةً» قال الحسن معناه ثقيله يعنى التحويله إلى بيت المقدس لأن العرب لم تكن قبله أحب إليهم من الكعبه و قيل معناه عظيمه على من لا يعرف ما فيها من وجه الحكمه فأما الذين هداهم الله لذلك فلا تعظم عليهم و هم الذين صدقوا الرسول فى التحول إلى الكعبه و إنما خص المؤمنين بأنه هداهم و إن كان قد هدى جميع الخلق لأنه ذكرهم على طريق المدح و لأنهم الذين انتفعوا بهدى الله و غيرهم كأنه لم يتعد بهم و قوله «وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ» قيل فيه أقوال (أحدها) أنه لما حولت القبله قال ناس كيف بأعمالنا التى كنا نعمل فى قبلتنا الأولى فأنزل الله «وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ» عن ابن عباس و قتاده و قيل أنهم قالوا كيف بمن مات من إخواننا قبل ذلك و كان قد مات أسعد بن زراره و البراء بن معرور و كانا من النقباء فقال «وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ» أى صلاتكم إلى بيت المقدس و يمكن على هذا أن يحمل الإيمان على أصله فى التصديق أى لا يضيع تصديقكم بأمر تلك القبله (و ثانيها) أنه لما ذكر ما عليهم من المشقه فى التحويله أتبعه بذكر ما لهم عنده بذلك من المثوبه و أنه لا يضيع ما عملوه من الكلفه فيه لأن التذكير به يبعث على ملازمه الحق و الرضا به عن الحسن (و ثالثها) أنه لما ذكر إنعامه عليهم بالتوليه إلى الكعبه ذكر السبب الذى استحقوا به ذلك الإنعام و هو إيمانهم بما حملوه أولاً فقال و ما كان الله ليضيع إيمانكم الذى استحققتم به تبليغ محبتكم فى التوجه إلى الكعبه عن أبى القاسم البلخى و قوله «إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ» رءوف بهم لا يضيع عنده عمل عامل منهم و الرأفه أشد الرحمه دل سبحانه بالرأفه و الرحمه على أنه يوفر عليهم ما استحقوه من الثواب من غير تضييع لشيء منه و قيل أنه سبحانه دل بقوله «الرُّؤُوفُ رَحِيمٌ» على أنه منعم على الناس بتحويل القبله و استدل كثير من العلماء بهذه الآيه على أن إجماع الأمة حجه من حيث أنه و صفتهم بأنهم عدول فإذا عدلهم الله تعالى لم يجز أن تكون شهادتهم مردوده و الصحيح أنها لا تدل على ذلك لأن ظاهر الآيه أن يكون كل واحد من الأمة بهذه الصفه و معلوم خلاف ذلك و متى حملوا الآيه على بعض الأمة لم يكونوا بأولى ممن يحملها على المعصومين و الأئمه من آل الرسول (عليه السلام) و فى هذه الآيه

دلالة على جواز النسخ في الشريعة بل على وقوعه لأنه قال «وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا» فأخبر أنه تعالى هو الجاعل لتلك القبلة وأنه هو الذي نقله عنها وذلك هو النسخ.

البقرة (٢): آية ١٤٤

إشاره

قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤)

اللغه

الرؤية هي إدراك الشيء بالبصر ونظيره الإبصار ثم تستعمل بمعنى العلم والتقلب والتحول والتصريف نظائر وهو التحرك في الجهات ويقال وليتك القبلة أي صيرتك تستقبلها بوجهك وليس هذا المعنى في فعلت منه لأنك تقول وليت الدار فلا يكون فيه دلالة على أنك واجهتها ففعلت في هذه الكلمة ليس بمنقول من فعلت الذي هو وليت وقد جاءت هذه الكلمة مستعملة على خلاف المقابلة والمواجهه في نحو قوله وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ وقوله يُوَلُّوكُمُ الْأَذْبَارَ فهذا منقول من قولهم دارى تلى داره تقول وليت ميامنه وولاني ميامنه مثل فرح وفرحته والرضا والمحبه نظيران وإنما يظهر الفرق بضديهما فالمحبه ضدها البغض والرضا ضده السخط وهو يرجع إلى الإرادة فإذا قيل رضى عنه فكأنه أراد تعظيمه و ثوابه وإذا قيل رضى عمله فكأنه أراد ذلك والسخط إرادته الانتقام و «شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» أي نحوه و تلقاه قال الشاعر:

وقد أظلكم من شطر ثغركم

هول له ظلم يغشاكم قطعاً

أى من نحو ثغركم وقال:

إن العسير بها داء يخامرها

فشطرها نظر العينين محسور

أى نحوها قال الزجاج يقال هؤلاء القوم مشاطرون أى دورهم متصل بدورنا كما يقال هؤلاء يناحوننا أى نحن نحوهم وهم نحونا وقال صاحب العين شطر كل شيء نصفه وشطره

نحوه و قصده و منه المثل احلب حلبا لك شطره أى نصفه و شطرت الشىء أى جعلته و الحرام المحرم كما أن الكتاب بمعنى المكتوب و الحساب بمعنى المحسوب و الحق وضع الشىء فى موضعه إذا لم يكن فيه وجه من وجوه القبح و الغفله هى السهو عن بعض الأشياء خاصه و إذا كان السهو عاما فهو فوق الغفله لأن النائم لا يقال له غفل إلا مجازا.

الإعراب

«حَيْثُ مَا كُنْتُمْ» موضع كنتم جزم بالشرط و تقديره و حيثما تكونوا و الفاء و ما بعده فى موضع الجزاء و لا يجازى بحيث و إذ حتى يكف كل واحد منهما بما و ذلك لأنهما لا يكونان إلا مضافين إلى ما بعدهما من الجمله قبل المجازاه بهما فألزما فى المجازاه ما لتكفهما عن الإضافه لأن الإضافه تمنع الجزاء بهما و ذلك لأن الفعل إذا وقع فى موضع اسم ارتفع المضاف إليه فى موضع اسم مجرور و موضعه جر بالإضافه فيمتنع جزمه بالجزاء مع وجود شرط الرفع فيه فلما كان كذلك كفا بما لتهيئهما لجزم فعل الشرط بالجزاء و شطر منصوب على الظرف.

النزول

قال المفسرون كانت الكعبه أحب القبلتين إلى رسول الله صلى الله عليه و آله فقال لجبريل وددت أن الله صرفنى عن قبله اليهود إلى غيرها فقال له جبريل (عليه السلام) إنما أنا عبد مثلك و أنت كريم على ربك فادع ربك و سله ثم ارتفع جبريل و جعل رسول الله صلى الله عليه و آله يديم النظر إلى السماء رجاء أن يأتيه جبريل بالذى سأل ربه فأنزل الله تعالى هذه الآية فقال.

المعنى

«قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ» يا محمد «فِي السَّمَاءِ» لانتظار الوحى فى أمر القبله و قيل فى سبب تقلب النبي وجهه فى السماء قولان (أحدهما) أنه كان وعد بتحويل القبله عن بيت المقدس فكان يفعل ذلك انتظارا و توقعا للموعود كما أن من انتظر شيئا فإنه يجعل بصره إلى الجهه التى يتوقع وروده منها (و الثانى) أنه كان يكره قبله بيت المقدس و يهوى قبله الكعبه و كان لا يسأل الله تعالى ذلك لأنه لا يجوز للأنبيا أن يسألوا الله تعالى شيئا من غير أن يؤذن لهم فيه لأنه يجوز أن لا يكون فيه مصلحه فلا يجابون إلى ذلك فيكون فتنه لقومهم و اختلف فى سبب إرادته تحويل القبله إلى الكعبه فقيل لأن الكعبه

كانت قبله أبيه إبراهيم (عليه السلام) و قبله آباءه عن ابن عباس و قيل لأن اليهود قالوا يخالفنا محمد في ديننا و يتبع قبلتنا عن مجاهد و قيل إن اليهود قالوا ما درى محمد و أصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم عن ابن زيد و قيل كانت العرب يحبون الكعبة و يعظمونها غايه التعظيم فكان في التوجه إليها استماله لقلوبهم ليكونوا أحرص على الصلاه إليها و كان صلى الله عليه و آله حريصا على استدعائهم إلى الدين و يحتمل أن يكون إنما أحب ذلك لجميع هذه الوجوه إذ لا تنافى بينها و قوله «فَلَنَوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا» أى فلنصرفنك إلى قبله تريدها و تحبها و إنما أراد به محبه الطباع لا أنه كان يسخط القبلة الأولى «فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» أى حول نفسك نحو المسجد الحرام لأن وجه الشىء نفسه و قيل إنما ذكر الوجه لأن به يظهر التوجه و قال أبو على الجبائى أراد بالشطر النصف فأمره الله تعالى بالتوجه إلى نصف المسجد الحرام حتى يكون مقابل الكعبة و هذا خطأ لأنه خلاف أقوال المفسرين «وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ» أى أينما كنتم من الأرض فى بر أو بحر أو سهل أو جبل فولوا ووجهكم نحوه فالأول خطاب للنبي صلى الله عليه و آله و أهل المدينة (و الثانى) خطاب لجميع أهل الآفاق و لو اقتصر على الأول لجاز أن يظن أن ذلك قبلتهم حسب فيين سبحانه أنه قبله لجميع المصلين فى مشارق الأرض و مغاربها و ذكر أبو إسحاق الثعلبى فى كتابه عن ابن عباس أنه قال البيت كله قبله و قبله البيت الباب و البيت قبله أهل المسجد و المسجد قبله أهل الحرم و الحرم قبله أهل الأرض كلها و هذا موافق لما قاله أصحابنا أن الحرم قبله من نأى عن الحرم من أهل الآفاق و قوله «وَ إِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» أراد به علماء اليهود و قيل علماء اليهود و النصارى «لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ» أى يعلمون أن تحويل القبلة إلى الكعبة حق مأمور به من ربهم و إنما علموا ذلك لأنه كان فى بشاره الأنبياء لهم أن يكون نبي من صفاته كذا و كذا و كان فى صفاته أنه يصلى إلى القبلتين و روى أنهم قالوا عند التحويل ما أمرت بهذا يا محمد و إنما هو شىء تبتدعه من تلقاء نفسك مره إلى هنا و مره إلى هنا فأنزل الله تعالى هذه الآيه و بين أنهم يعلمون خلاف ما يقولون «وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ» أى ليس الله بغافل عما يعمل هؤلاء من كتمان صفة محمد صلى الله عليه و آله و المعانده و دل هذا على أن المراد بالآيه قوم معدودون يجوز على مثلهم التواطؤ على الكذب و على أن يظهروا خلاف ما يبطنون فأما الجمع العظيم فلا يجوز عليهم التواطؤ على الكذب و لا يتأتى فيهم كلهم أن يظهروا خلاف ما يعلمون و هذه الآيه ناسخه لفرض التوجه إلى بيت المقدس و قال ابن عباس أول ما نسخ من القرآن فيما ذكر لنا شأن القبلة و قال قتاده نسخت هذه الآيه ما قبلها و قال جعفر بن مبشر هذا مما نسخ من السنه بالقرآن

و هذا هو الأقوى لأنه ليس فى القرآن ما يدل على التبعيد بالتوجه إلى بيت المقدس و من قال إنها نسخت قوله فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ

فإن هذه الآيه عندنا مخصوصه بالنوافل فى حال السفر روى ذلك عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام)

و ليست بمنسوخه و اختلف الناس فى صلاه النبى صلى الله عليه و آله إلى بيت المقدس فقال قوم كان (عليه السلام) يصلى بمكه إلى الكعبه فلما هاجر إلى المدينه أمره الله تعالى أن يصلى إلى بيت المقدس ثم أعيد إلى الكعبه و قال قوم كان يصلى بمكه إلى بيت المقدس إلا أنه كان يجعل الكعبه بينه و بينها و لا يصلى فى غير المكان الذى يمكن هذا فيه و قال قوم بل كان يصلى بمكه و بعد قدومه المدينه إلى بيت المقدس و لم يكن عليه أن يجعل الكعبه بينه و بينها ثم أمره الله تعالى بالتوجه إلى الكعبه.

البقره (٢): آيه ١٤٥

إشاره

وَ لَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَ مَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَ مَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَ لَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥)

الإعراب

اختلف النحويون فى أن لئن لم أجيب بجواب لو فقال الأَخفش أجيب بجواب لو لأن الماضى وليها كما يلى لو فدخلت كل واحده منهما على صاحبها قال سبحانه وَ لَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصِيرًا لَظَلُّوا فَجَرَى لئن مجرى لو و قال وَ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا ثم قال لَمُتُّوبَةً فَجَرَى لئن و قال سيبويه و أصحابه أن معنى لظَلُّوا لِيُظْلَنَ فمعنى لئن غير معنى لو و كل واحده منهما على حقيقتها و حقيقه معنى لو أنها يمتنع بها الشىء لامتناع غيره كقولك لو أتيتنى لأكرمتك فامتنع الإكرام لامتناع الإتيان و معنى إن أن يقع بها الشىء لوقوع غيره تقول إن تأتني أكرمك فالإكرام يقع بوقوع الإتيان و لو لما مضى و إن لما يستقبل و إنما الحق فى الجواب هذا التداخل لدلاله اللام على معنى القسم فمضى جواب القسم أغنى عن جواب الشرط لدلالته عليه و كذلك قوله «إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ» ليس بجواب للشرط على الحقيقه و لكنه جواب القسم و قد أغنى عن الجزاء بدلالته عليه و إنما يجاب الشرط بالفعل أو بالفاء أو بإذا على ما هو مشروح فى مواضعه.

المعنى

«وَ لَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» فى الكلام معنى القسم أى و الله لئن

أتيت الذين أعطوا الكتاب يعنى أهل العناد من علماء اليهود و النصارى عن الزجاج و البلخى و قيل المعنى به جميع أهل الكتاب عن الحسن و أبى على «بِكُلِّ آيَةٍ» أى بكل حجه و دلاله «ما تَبِعُوا قِبَلَتَكَ» أى لا يجتمعون على اتباع قبلك على القول الثانى و على القول الأول لا- يؤمن منهم أحد لأن المعاند لا تنفعه الدلاله و إنما تنفع الجاهل الذى لا يعلم «و ما أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتَهُمْ» فى معناه أربعة أقوال (أحدها) أنه رفع لتجويز النسخ و بيان أن هذه القبله لا تنسخ (و ثانيها) أنه على وجه المقابله لقوله «ما تَبِعُوا قِبَلَتَكَ» كما يقال ما هم بتاركى إنكار الحق و ما أنت بتارك الاعتراف به فيكون الذى جر الكلام الثانى هو التقابل للكلام الأول (و ثالثها) أن المراد ليس يمكنك استصلاحهم باتباع قبلكم لاختلاف وجهتهم لأن النصارى تتوجه إلى جهه المشرق الموضع الذى ولد فيه عيسى (عليه السلام) و اليهود إلى بيت المقدس فبين الله سبحانه أن إرضاء الفريقين محال (و رابعها) أن المراد حسم أطماع أهل الكتاب من اليهود إذ كانوا طمعوا فى ذلك و ظنوا أنه يرجع إلى الصلاه إلى بيت المقدس و قوله «و ما بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَةَ بَعْضٍ» فى معناه قولان (أحدهما) أنه لا- تصير النصارى كلهم يهودا أو تصير اليهود كلهم نصارى أبدا كما لا يتبع جميعهم الإسلام و هذا من الإخبار بالغيب قاله الحسن و السدى (الآخر) أن معناه إسقاط اعتلالهم بأنه لا يجوز مخالفه أهل الكتاب فيما ورثوه عن أنبياء الله و إن بيت المقدس لم يزل كان قبله الأنبياء فهو أولى بأن يكون قبله أى فكما جاز أن يخالف بين وجهتهم للاستصلاح جاز أن يخالف بوجهه ثالثه فى زمان آخر للاستصلاح و يحتمل أيضا أن يجرى الكلام على الظاهر لأنه لم يثبت أن يهوديا تنصر و لا أن نصرانيا تهود فلا ضروره بنا إلى العدول عن الظاهر إلى التأويل و هذا قول القاضى و قوله «و لَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ» الخطاب للنبي صلى الله عليه و آله و فيه أربعة أقوال (أولها) أن المراد به غيره من أمته و إن كان الخطاب له و المراد الدلاله على أن الوعيد يستحق باتباع أهوائهم و أن اتباعهم رده عن الحسن و الزجاج (و ثانيها) أن المراد أن اتبعت أهوائهم فى المداراه لهم حرصا أن يؤمنوا إنك إذا لمن الظالمين لنفسك مع إعلامنا إياك أنهم لا- يؤمنون عن الجبائى و (ثالثها) أن معناه الدلاله على فساد مذاهبهم و تبكيتهم بها و أن من تبعهم كان ظالما (و رابعها) أنه على سبيل الزجر عن الركون إليهم و مقاربتهم تقويه لنفسه و متبعى شريعته ليستمروا على عداوتهم عن القاضى «مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ» أى من الآيات و الوحى الذى هو طريق العلم و قيل من بعد ما علمت أن الحق ما أنت عليه من قبله و الدين «إِنَّكَ إِذَا لِمَنْ الظَّالِمِينَ» و قد مضى معناه و هو

مثل قوله لئن أشركت ليحبطن عملك و في هذه الآية دلالة على فساد قول من قال أنه لا يصح الوعيد بشرط و إن من علم الله تعالى أنه يؤمن لا يستحق العقاب أصلا لأن الله تعالى علق الوعيد بشرط يوجب أنه متى حصل الشرط يحصل استحقاق العقاب و فيها دلالة على فساد قول من زعم أن في المقدور لطفًا لو فعله الله تعالى بالكافر لآمن لا محاله لقوله إن أتيتهم بكل آية ما تبعوا قبلتك فعلى قول من قال المراد به المعاند لا- ينفعه شيء من الآيات و على قول من قال المراد به جميع الكفار فلا لطف لهم أيضا يؤمنون عنده فعلى الوجهين معا يبطل قولهم و فيها دلالة أيضا على أن جميع الكفار لا يؤمنون.

البقرة (٢): آية ١٤٦

إشارة

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦)

المعنى

أخبر الله سبحانه بأنهم يعرفون النبي (عليه السلام) و صحه نبوته فقال «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ» أى أعطيناهم «الْكِتَابَ» و هم العلماء منهم «يَعْرِفُونَهُ» أى يعرفون محمدا و أنه حق «كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ» قيل و الضمير فى يعرفونه يعود إلى العلم من قوله مِنَ الْعِلْمِ يعنى النبوه و قيل الضمير يعود إلى أمر القبله أى يعرفون أن أمر القبله حق عن ابن عباس فإن قيل كيف قال يعرفونه كما يعرفون أبناءهم و هم كانوا يعرفون أبناءهم من جهه الحكم و يعرفون أمر النبي (عليه السلام) من جهه الحقيقه قيل أنه شبه المعرفة بالمعرفة و لم يشبه طريق المعرفة بطريق المعرفة و كل واحده من المعرفتين كالأخرى و إن اختلف الطريقان «وَ إِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» إنما خص الفريق منهم لأن من أهل الكتاب من أسلم كعبد الله بن سلام و كعب الأخبار و غيرهما.

البقرة (٢): آية ١٤٧

إشارة

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١٤٧)

اللغة

الامتراء الاستخراج و قيل الاستدرار قال الأعشى:

تدر على أسوق الممترين

و كفا إذا ما السحاب ارجحن

يعنى الشاكين فى درورها لطول سيرها و قيل المستخرجين ما عندها قال صاحب

العين المرى مسحك ضرع الناقه تمرىها لتسكن للحلب و الريح تمرى السحاب مريا و المريه من ذلك و المريه الشك و منه الامتراء و التمارى و المماراه و المراء الجدال و أصل الباب الاستدراار يقال بالشكر تتمرى النعم أى تستدر.

الإعراب

الحق مرفوع بأنه خبر مبتدأ محذوف و تقديره ذلك الحق أو هو الحق و مثله مررت برجل كريم زيد أى هو زيد و لو نصب لجاز فى العريبه على تقدير اعلم الحق من ربك أو اقرأ الحق و النون فى لا تكونن نون التأكيد يؤكد بها الأمر و النهى و لا يؤكد بها الخبر لما كان يدل على كون المخبر به و ليس كذلك الأمر و النهى و الاستخبار فألزم الخبر التأكيد بالقسم و جوابه و اختصت هذه الأشياء بنون التأكيد ليدل على اختلاف المعنى فى المؤكد و لما كان الخبر أصل الجمل أكد بأبلغ التأكيد و هو القسم.

المعنى

هو «الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ» و هو ما آتاه الله من الوحي و الكتاب و الشرائع «فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ» من الشاكين فى الحق الذى تقدم إخبار الله تعالى به و فى عناد من كتم النبوه و امتناعهم من الاجتماع على ما قامت به الحجه و قيل من الممترين فى شىء يلزمك العلم به و هذا أولى لأنه أعم و الخطاب و إن كان متوجها إلى النبى (عليه السلام) فالمراد به الأمه كقوله عز اسمه يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ و أمثاله و قيل الخطاب له لأنه يجوز عليه ذلك لملازمته أمر الله سبحانه و لو لم يكن هناك أمر لم تصح الملازمه و فى هذا دلالة على جواز ثبوت قدره على خلاف المعلوم خلافا لقول المجبره.

البقره (٢): آيه ١٤٨

اشاره

وَ لِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيَّهَا فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ أَيَّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٤٨)

القراءه

قرأ ابن عامر و أبو بكر عن عاصم

هو مولاها و روى ذلك عن ابن عباس و محمد بن على الباقر

و الباقر «هُوَ مَوْلِيَّهَا».

الإعراب

من قرأ «هُوَ مَوْلِيَّهَا» فالضمير الذى هو هو الله تعالى و التقدير الله موليها إياه حذف المفعول الثانى لجرى ذكره المظهر و هو كل

فِي قَوْلِهِ «وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ» وَهُوَ مُبْتَدَأٌ وَمَوْلِيهَا خَبْرُهُ وَالجُمْلَةُ الَّتِي هِيَ هُوَ مَوْلِيهَا فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ لِكُونِهَا وَصْفًا لَوِجْهَةٍ مِنْ قَرَأَ هُوَ
مَوْلَاهَا

ص: ٣٤٠

فالضمير الذى هو لكل و قد جرى ذكره و قد استوفى الاسم الجارى على الفعل المبني للمفعول مفعوليه اللذين يقتضيهما أحدهما الضمير المرفوع من مولى و الآخر ضمير المؤنث و يجوز أن يكون الضمير الذى هو هو فى قوله «هُوَ مُوَلِّيَهَا» عائداً إلى كل و التقدير لكل وجهه هو موليها وجهه أى كل أهل وجهه هم الذين ولوا وجوههم إلى تلك الجهة.

اللغة

اختلف أهل العربية فى وجهه فبعضهم يذهب إلى أنه مصدر شذ عن القياس فجاء مصححا و منهم من يقول هو اسم ليس بمصدر جاء على أصله و أنه لو كان مصدرا جاء مصححا للزم أن يجىء فعله أيضا مصححا ألا ترى أن هذا المصدر إنما اعتل على الفعل حيث كان عاملا- عمله و كان على حركاته و سكونه فلو صح لصح الفعل لأن هذه الأفعال المعتلة إذا صحت فى موضع تبعها باقى ذلك فوجهه اسم للمتوجه و الوجهه المصدر قالوا وجه الحجر جهة ما له يريدون هنا المصدر و ما زائده و له فى موضع الصفه للنكرة و الاستباق و الابتدار و الإسراع نظائر و له فى هذا الأمر سبقه و سابقه و سبق أى سبق الناس إليه.

المعنى

هذا بيان لأمر القبله أيضا و قوله «وَ لِكُلِّ وَجْهَةٍ» فيه أقوال (أحدها) أن معناه لكل أهل مله من اليهود و النصارى قبله عن مجاهد و أكثر المفسرين و (ثانيها) أن لكل نبى و صاحب مله وجهه أى طريقه و هى الإسلام و إن اختلفت الأحكام كقوله تعالى لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهَاجاً يعنى شرائع الأنبياء عن الحسن و (ثالثها) أن لكل من المسلمين و أهل الكتاب قبله يعنى صلاتهم إلى بيت المقدس و صلاتهم إلى الكعبه عن قتاده و (رابعها) أن لكل قوم من المسلمين وجهه من كان منهم وراء الكعبه أو قدامها أو عن يمينها أو عن شمالها و هو اختيار الجبائى «هُوَ مُوَلِّيَهَا» أى الله موليها إياهم و معنى توليته لهم إياها أنه أمرهم بالتوجه نحوها فى صلاتهم إليها و يدل على ذلك قوله فَلَنَوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا و قيل معناه لكل مولى الوجهه وجهه أو نفسه إلا أنه استغنى عن ذكر النفس و الوجهه و كل و إن كان مجموع المعنى فهو موحد اللفظ فجاء البناء على لفظه فلذلك قال هو فى الكنايه عنه و إن كان المراد به الجمع و المعنى كل جماعه منهم يولونها وجوههم و يستقبلونها و قوله «فَأَسْبَغَ تَبَقُّوا الْخَيْرَاتِ» معناه سارعوا إلى الخيرات عن الربيع و الخيرات هى الطاعات لله تعالى و قيل معناه بادروا إلى القبول من الله عز و جل فيما يأمركم به مبادره من يطلب السبق إليه عن الزجاج و قيل معناه تنافسوا فيما رغبتم فيه من الخير فلكل عندى ثوابه عن ابن عباس و قوله «أَيُّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً» أى حيثما متم من بلاد الله

سبحانه يأت بكم الله إلى المحشر يوم القيامة و روى فى أخبار أهل البيت (عليه السلام) أن المراد به أصحاب المهدي فى آخر الزمان

قال الرضا (عليه السلام) و ذلك و الله لو قام قائمنا يجمع الله إليه جميع شيعتنا من جميع البلدان

«إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» أى هو قادر على جمعكم و حشركم و على كل شىء .

البقره (٢): آيه ١٤٩

اشاره

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩)

المعنى

«وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ» من البلاد «فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» أى فاستقبل بوجهك تلقاء المسجد الحرام و قيل فى تكراره وجوه (أحدها) أنه لما كان فرضا نسخ ما قبله كان من مواضع التأكيد و التبيين لينصرف الخلق إلى الحال الثانيه من الحال الأولى على يقين و (ثانيها) أنه مقدم لما يأتى بعده و يتصل به فأشبهه الاسم الذى تكرر ليخبر عنه بأخبار كثيره كما يقال زيد كريم زيد عالم زيد فاضل و ما أشبه ذلك مما يذكر لتعلق الفائده به و (ثالثها) أنه فى الأول بيان لحال الحضر و فى الثانى بيان لحال السفر و قوله «وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ» معناه و إن التوجه إلى الكعبه الحق المأمور به من ربك و يحتمل أن يراد بالحق الثابت الذى لا يزول بنسخ كما يوصف القديم سبحانه بأنه الحق الثابت الذى لا يزول «وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» معناه هنا التهديد كما يقول الملك لعبيده ليس يخفى على ما أنتم عليه فيه و مثله قوله إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ.

البقره (٢): آيه ١٥٠

اشاره

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَاخْشَوْنِي وَ لَأْتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَاخْشَوْنِي وَ لَأْتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٠)

الإعراب

«لِئَلَّا يَكُونَ» هو لأن لا كتبت الهمزه ياء لكسره ما قبلها و ترك نافع همزها

تخفيفا و أدغمت النون فى اللام و موضع اللام من لثلا- نصب و العامل فيه فولوا و قال الزجاج العامل فيه ما دخل الكلام من معنى عرفتكم ذلك لثلا يكون و كذلك قوله «وَأَلْتَمَّ نِعْمَتِي» اللام تتعلق بقوله فَوَلُّوا و تقديره لأن أتم و قوله «إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا» فيه أقوال (أحدها) أنه استثناء منقطع كقوله ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَتْبَاعُ الظَّنِّ و يقال ما له على حق إلا التعدى و الظلم يعنى لكنه يتعدى و يظلم و قال النابغه:

و لا عيب فيهم غير أن سيوفهم

بهن فلول من قراع الكتائب

و كأنه يقول إن كان فيهم عيب فهذا و ليس هذا بعيب فإذا ليس فيهم عيب و هكذا فى الآية إن كان على المؤمنين حجه فللظالم فى احتجاجه و ليس للظالم حجه فإذا ليس عليهم حجه و (الثانى) أن تكون الحججه بمعنى المحاجه فكأنه قال لثلا يكون للناس عليكم حجاج إلا الذين ظلموا فإنهم يحاجونكم بالباطل فعلى هذا يكون الاستثناء متصلا و (الثالث) ما قاله أبو عبيده أن إلا هاهنا بمعنى الواو أى و لا الذين ظلموا و أنكر عليه الفراء و المبرد قال الفراء إلا لا يأتى بمعنى الواو من غير أن يتقدمه استثناء كما قال الشاعر:

ما بالمدينه دار غيره واحده

دار الخليفه إلا دار مروانا

أى دار الخليفه و دار مروان و أنشد الأخفش:

و أرى لها دارا بأغدره السيدان

لم يدرس لها رسم

إلا رمادا هامدا دفعت

عنه الرياح خوالد سحم

أى أرى لها دارا و رمادا و قال المبرد لا يجوز أن يكون إلا بمعنى الواو أصلا و (الرابع) أن فيه إضمار على و تقديره إلا على الذين ظلموا منهم فكأنه قال لثلا يكون عليكم حجه إلا على الذين ظلموا فإنه يكون الحججه عليهم و هم الكفار عن قطرب و هو اختيار الأزهري قال على بن عيسى و هذان الوجهان بعيدان و الاختيار القول الأول.

المعنى

قد مضى الكلام فى معنى أول الآية و قيل فى تكراره وجوه (أحدها) أنه لاختلاف المعنى و إن اتفق اللفظ لأن المراد بالأول «وَأَلْتَمَّ نِعْمَتِي» من حيثُ خَرَجْتَ» منصرفا عن التوجه إلى بيت المقدس «قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» و المراد بالثانى أين ما كنت من

البلاد فتوجه نحوه من كل جهات الكعبه و سائر الأقطار (و ثانيها) أنه من مواضع

ص: ٣٤٣

التأكيد لما جرى من النسخ ليثبت في القلوب (و ثالثها) أنه لاختلاف المواطن و الأوقات التي تحتاج إلى هذا المعنى فيها و قوله «لَيْلًا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ» قيل فيه وجوه (أولها) أن معناه لأن لا يكون لأهل الكتاب عليكم حجه إذا لم تصلوا نحو المسجد الحرام بأن يقولوا ليس هذا هو النبي المبشر به إذ ذاك نبي يصلى بالقبلتين (و ثانيها) أن معناه لا تعدلوا عما أمركم الله به من التوجه إلى الكعبة فتكون لهم عليكم حجه بأن يقولوا لو كنتم تعلمون أنه من عند الله لما عدلتم عنه عن الجبائي (و ثالثها) ما قاله أبو روق إن حجه اليهود أنهم كانوا قد عرفوا أن النبي المبعوث في آخر الزمان قبلته الكعبة فلما رأوا محمدا يصلى إلى الصخره احتجوا بذلك فصرفت قبلته إلى الكعبة لئلا- يكون لهم عليه حجه «إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ» يريد إلا- الظالمين الذين يكتُمون ما عرفوا من أنه يحول إلى الكعبة و على هذا يكون الاستثناء متصلا و قد مضى ذكر ما قيل فيه من الأقوال في الإعراب و إنما اختلف العلماء في وجه الاستثناء لأن الظالم لا يكون له حجه لكنه يورد ما هو في اعتقاده حجه و إن كانت باطله كما قال سبحانه حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ و قيل المراد بالذين ظلموا قريش و اليهود فأما قريش فقالوا قد علم أننا على مدى فرجع إلى قبلتنا و سيرجع إلى ديننا و أما اليهود فقالوا لم ينصرف عن قبلتنا عن علم و إنما فعله برأيه و زعم أنه قد أمر به و قيل المراد بالذين ظلموا العموم يعنى ظلموكم بالمقاتله و قله الاستماع و قوله «فَإِذَا تَخَشَّوهُمْ وَ أَخْشَوْنِي» لما ذكرهم بالظلم و الخصومه و المحاجه طيب نفوس المؤمنين فقال لا- تخافوهم و لا تلتفتوا إلى ما يكون منهم فإن عاقبه السوء عليهم و لا حجه لأحد منهم عليكم و لا يد و قيل لا تخشوهم في استقبال الكعبه و اخشوا عقابي في ترك استقبالها فإني أحفظكم من كيدهم و قوله «وَ لِأَنْتُمْ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ» عطف على قوله «لَيْلًا» و تقديره لئلا- يكون لأحد عليكم حجه و لأنتم نعمتي عليكم بهدايتي إياكم إلى قبله إبراهيم (عليه السلام) بين سبحانه أنه حول القبله لهذين الغرضين زوال القاله و تمام النعمه و روى عن ابن عباس أنه قال و لأنتم نعمتي عليكم في الدنيا و الآخره أما في الدنيا فأنصركم على أعدائكم و أورثكم أرضهم و ديارهم و أموالهم و أما في الآخره فجننتي و رحمتي و

روى عن علي (عليه السلام) قال النعم سته الإسلام و القرآن و محمد صلى الله عليه و آله و الستر و العافيه و الغنى عما في أيدي الناس

«وَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» أى لكي تهتدوا و لعل من الله واجب عن الحسن و جماعه و قيل لتهتدوا إلى ثوابها و قيل إلى التمسك بها.

البقره (٢): آيه ١٥١

إشاره

كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَ يُزَكِّيْكُمْ وَ يُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (١٥١)

الإرسال التوجيه بالرسالة و التحميل لها ليؤدي إلى من قصد و التلاوه ذكر الكلمه بعد الكلمه على نظام متسق و أصله من الاتباع و منه تلاه أى تبعه و التركيه النسبه إلى الإزدياد من الأفعال الحسنه التى ليست بمشوبه و يقال أيضا على معنى التعويض لذلك بالاستدعاء إليه و اللطف فيه يقال زكى فلان فلانا إذا أطراه و مدحه و زكاه حملة على ماله فيه الزكاء و النماء و الطهاره و القدس و الحكمة هى العلم الذى يمكن به الأفعال المستقيمة.

الإعراب

ما فى قوله «كَمَا أَرْسَلْنَا» مصدرية فكأنه قال كإرسالنا فيكم و يحتمل أن تكون كافه كما قال الشاعر:

أ علاقته أم الوليد بعد ما

أفنان رأسك كالثغام المخلص

فإنه يجوز كما زيد محسن إليك فأحسن إلى أسبابه و العامل فى الكاف من قوله «كَمَا» يجوز أن يكون الفعل الذى قبله و هو قوله «وَلِأْتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ فَعَلَى هَذَا لَا يُوَقَّفُ عِنْدَ قَوْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» و يكون الوقف عند قوله ما لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ و يجوز أن يكون الفعل الذى بعده و هو قوله فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ و على هذا يوقف عند قوله تَهْتَدُونَ و يبدأ بقوله «كَمَا أَرْسَلْنَا» و لا يوقف عند قوله تَعْلَمُونَ و الأول أحد قولى الزجاج و اختيار الجبائى و الثانى قول مجاهد و الحسن و أحد قولى الزجاج و قوله «مِنْكُمْ» فى موضع نصب لأنه صفة لقوله رَسُولًا و كذلك قوله «يَتْلُوا» و ما بعده فى موضع الصفه.

المعنى

قوله «كَمَا أَرْسَلْنَا» التشبيه فيه على القول الأول معناه أن النعمة فى أمر القبله كالنعمه بالرساله لأن الله تعالى لطف لعباده بها على ما يعلم من المصلحه و محمود العاقبه و أما على القول الثانى فمعناه أن فى بعثه الرسول منكم إليكم نعمه عليكم لأنه يحصل لكم به عز الرساله فكما أنعمت عليكم بهذه النعمة العظيمة فاذكرونى و اشكروا لى و اعبدونى أنعم عليكم بالجزاء و الثواب و الخطاب للعرب على قول جميع المفسرين و قوله «رَسُولًا» يعنى محمد صلى الله عليه و آله «مِنْكُمْ» بالنسب لأنه من العرب و وجه النعمة عليهم بكونه من العرب ما حصل لهم به من الشرف و الذكر و أن العرب لم تكن لتتبع رسولا يبعث إليهم من غيرهم مع نخوتهم و عزتهم فى نفوسهم فكون الرسول منهم يكون أدعى لهم إلى الإيمان به

و اتباعه و قوله «يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا» أراد بها القرآن «و يُزَكِّيَكُمْ» و يعرضكم لما تكونون به أذكيا من الأمر بطاعه الله و اتباع مرضاته و يحتمل أن يكون معناه ينسبكم إلى أنكم أذكيا بشهادته لكم بذلك ليعرفكم الناس به «و يُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ» الكتاب القرآن و الحكمة هي القرآن أيضا جمع بين الصفتين لاختلاف فائدتهما كما يقال الله العالم بالأمور كلها القادر عليها و قيل أراد بالكتاب القرآن و بالحكمة الوحي من السنه و ما لا- يعلم إلا- من جهته من الأحكام و قوله «و يُعَلِّمُكُمُ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ» أي ما لا- سبيل لكم إلى عمله إلا من جهه السمع فذكرهم الله بالنعمة فيه و يكون التعليم لما عليه دليل من جهه العقل تابعا للنعمة فيه و لا سيما إذا وقع موقع اللطف.

البقره (٢): آيه ١٥٢

إشارة

فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَ اشْكُرُوا لِي وَ لَا تَكْفُرُونِ (١٥٢)

اللغة

الذكر حضور المعنى للنفس و قد يكون بالقلب و قد يكون بالقول و كلاهما يحضر به المعنى للنفس و في أكثر الاستعمال يقال الذكر بعد النسيان و ليس ذلك بموجب أن لا يكون إلا بعد نسيان لأن كل من حضره المعنى بالقول أو العقد أو الخطور بالبال ذاكر له و أصله التنبيه على الشئ ء فمن ذكرته شيئا فقد نهته عليه و إذا ذكر بنفسه فقد تنبه عليه و الذكر الشرف و النباهه و الفرق بين الذكر و الخاطر أن الخاطر ما يمر بالقلب و الذكر قد يكون القول أيضا و في قوله «وَ اشْكُرُوا لِي» محذوف أي اشكروا لى نعمتى لأن حقيقه الشكر الاعتراف بالنعمة و فى قوله «وَ لَا تَكْفُرُونِ» أيضا محذوف لأن الكفر هو ستر النعمة و جحدها لا ستر المنعم و قولهم حمدت زيدا و ذمته لا حذف فيه و إن كنت إنما تحمد أو تذم من أجل الفعل كما أنه ليس فى قولك زيد متحرك حذف و إن كان إنما تحرك لأجل الحركة فليس كل كلام دل على معنى غير مذكور يكون فيه حذف ألا ترى أن قولك زيد ضارب دل على مضرب و ليس بمحذوف فالحمد للشئ ء دلالة على أنه محسن و الذم للشئ ء دلالة على أنه مسى ء كقولهم نعم الرجل زيد و بئس الرجل عمرو و قالوا شكرتك و شكرت لك و إنما قيل شكرتك لإيقاع اسم المنعم موقع النعمة فعدى الفعل بغير واسطه و الأجود شكرت لك النعمة لأنه الأصل فى الكلام قال الشاعر:

هم جمعوا بؤسى و نعمى عليكم

فهلا شكرت القوم إذ لم تقابل

و مثل ذلك نصحتك و نصحت لك ذكرنا الموجه فى حذف الياء فى مثل «وَ لَا تَكْفُرُونِ» فيما مضى.

«فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ» قيل معناه اذكروني بطاعتي اذكركم برحمتي عن سعيد بن جبير بيانه قوله سبحانه وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ و قيل اذكروني بطاعتي اذكركم بمعونتي عن ابن عباس و بيانه قوله وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا و قيل اذكروني بالشكر اذكركم بالزيادة عن ابن كيسان بيانه لئن شكرتم لأزيدنكم و قيل اذكروني على ظهر الأرض اذكركم في بطنها و قد جاء في الدعاء اذكروني عند البلاء إذا نسيني الناسون من الورى و قيل اذكروني في الدنيا اذكركم في العقبى و قيل اذكروني في النعمة و الرخاء اذكركم في الشدة و البلاء و بيانه قوله سبحانه فَلَوْ لَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ و

في الخبر تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة

و قيل اذكروني بالدعاء اذكركم بالإجابة بيانه قوله اذعوني أستجب لكم و

روى عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال قال النبي صلى الله عليه و آله إن الملك ينزل الصحيفة من أول النهار و أول الليل يكتب فيها عمل ابن آدم فأملوا في أولها خيرا و في آخرها خيرا فإن الله يغفر لكم ما بين ذلك إن شاء الله فإن الله يقول «فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ»

و قال الربيع في هذه الآية إن الله عز و جل ذاكر من ذكره و زائد من شكره و معذب من كفره و قوله «وَ أَشْكُرُوا لِي» أى اشكروا نعمتى و أظهروها و اعترفوا بها «وَ لَا تَكْفُرُونَ» و لا تستروا نعمتى بالجحود يعنى بالنعمة قوله «كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ» الآية.

البقرة (٢): آية ١٥٣

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣)

الإعراب

«الَّذِينَ آمَنُوا» موضعه رفع بأنه صفة لأى كما أن الناس كذلك فى قوله يَا أَيُّهَا النَّاسُ و قد ذكرناه فيما مضى و هو قول جميع النحويين إلا-الأخفش فإنه لا يجعله صفة لأى و يرفعه بأنه خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل يا من هم الذين آمنوا إلا أنه لا يظهر المحذوف مع أى و إنما حملة على ذلك لزوم البيان لأى فقال الصفة لا تلزم و إنما تلزم الصلة قال على بن عيسى و الوجه عندى أن يكون صفة بمنزلة الصلة فى اللزوم و قد ذكرنا الوجه فى لزومها أيضا عند قوله سبحانه يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ و قال أبو على لا يجوز أن يكون أى فى النداء موصوله لأنها لو كانت موصولة لوصلت بكل واحده من الجمل الأربع و لم يقتصر بها على ضرب واحد منها لأن ذلك لم يفعل بشىء من الأسماء الموصولة فى

موضع و لجاز أيضا أن يقال يا أيها رجل لأن خبر المبتدأ لا يجوز أن يكون مقصورا على المعرفة بالألف و اللام و لا يغير عنه و فى امتناع جميع النحويين من إجازة ذلك ما يدل على فساد هذا القول و أيضا فلو كانت موصولة للزم جواز إظهار المبتدأ المحذوف من الصلة و كان يجوز يا أيها هو الرجل و يا أيها هى المرأة و لا خلاف فى أنه لا يجوز ذلك.

المعنى

قد مضى تفسير قوله «اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ» فيما مضى يخاطب المؤمنين فيقول «اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ» أى بحبس النفس عما تشتهيه من المقبحات و حملها على ما تنفر منه من الطاعات و إلى هذا المعنى

أشار أمير المؤمنين (عليه السلام) فى قوله الصبر صبران صبر على ما تكره و صبر عما تحب

و بالصلاه لما فيها من الذكر و الخشوع لله و تلاوه القرآن الذى يتضمن ذكر الوعد و الوعيد و الهدى و البيان و ما هذه صفته يدعو إلى الحسنات و يزجر عن السيئات و اختلف فى أن الاستعانه بهما على ما ذا فقيل على جميع الطاعات فكأنه قال استعينوا بهذا الضرب من الطاعه على غيره من الطاعات و قيل على الجهاد فى سبيل الله و قوله «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» فيه وجهان (أحدهما) أن معناه أنه معهم بالمعونه و النصره كما يقال السلطان معك فلا تبال من لقيت (و الآخر) أن المراد هو معهم بالتوفيق و التسديد أى يسهل عليهم أداء العبادات و الاجتناب من المقبحات و نظيره قوله سبحانه وَ يَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى و لا يجوز أن يكون مع هنا بمعنى الاجتماع فى المكان لأن ذلك من صفات الأجسام تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا و فى الآية دلالة على أن فى الصلاه لطفًا للعبد لأنه سبحانه أمرنا بالاستعانه بها و يؤيده قوله سبحانه إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ.

البقره (٢): آيه ١٥٤

إشارة

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَمْوَاتٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (١٥٤)

اللغه

السييل الطريق و سييل الله طريق مرضاته و إنما قيل للجهاد سييل الله لأنه طريق إلى ثواب الله عز و جل و القتل هو نقض بنيه الحياه و الموت عند من قال أنه معنى عرض ينافى الحياه منافاه التعاقب و من قال أنه ليس بمعنى قال هو عباره عن بطلان الحياه و هو الأصح فأما الحياه فلا خلاف فى أنها معنى و هى عرض يصير الجملة كالشىء الواحد حتى يصير قادرا واحدا عالما واحدا مريدا واحدا و لا يقدر على فعل الحياه إلا الله سبحانه

و الشعر هو ابتداء العلم بالشئ من جهة المشاعر و هى الحواس و لذلك لا- يوصف تعالى بأنه شاعر و لا بأنه يشعر و إنما يوصف بأنه عالم و يعلم و قيل إن الشعر هو إدراك ما دق للطف الحس مأخوذ من الشعر لدقته و منه الشاعر لأنه يفتن من إقامه الوزن و حسن النظم لما لا يفتن له غيره.

الإعراب

قوله «أموات» مرفوع بأنه خبر مبتدأ محذوف تقديره لا تقولوا هم أموات و لا يجوز فيه النصب كما يجوز قلت حسنا لأن حسنا فى موضع المصدر كأنه قال قلت قولاً حسناً فأما قوله وَ يَقُولُونَ طَاعَهُ فيجوز فيه النصب فى العريه على تقدير نطيع طاعه و الفرق بين بل و لكن أن لكن نفى لأحد الشئيين و إثبات للآخر كقولك ما قام زيد لكن عمرو و ليس كذلك بل لأنها إضراب عن الأول و إثبات للثانى و لذلك وقعت فى الإيجاب كقولك قام زيد بل عمرو.

النزول

عن ابن عباس أنها نزلت فى قتلى بدر و قتل من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلاً سته من المهاجرين و ثمانية من الأنصار و كانوا يقولون مات فلان فأنزل الله تعالى هذه الآية.

المعنى

لما أمر الله سبحانه بالصبر و الصلاه للازدياد فى القوه بهما على الجهاد قال «و لا تقولوا لمن يُقتل فى سبيلِ الله أموات» فهى أن يسمى من قتل فى الجهاد أمواتاً «بل أحياء» أى بل هم أحياء و قيل فيه أقوال (أحدها) و هو الصحيح أنهم أحياء على الحقيقة إلى أن تقوم الساعة و هو قول ابن عباس و قتاده و مجاهد و إليه ذهب الحسن و عمرو بن عبيد و واصل بن عطاء و اختاره الجبائى و الرماني و جميع المفسرين (و الثانى) أن المشركين كانوا يقولون إن أصحاب محمد يقتلون نفوسهم فى الحروب بغير سبب ثم يموتون فيذهبون فأعلمهم الله أنه ليس الأمر على ما قالوه و أنهم سيحيون يوم القيامة و يثابون عن البلخى و لم يذكر ذلك غيره و (الثالث) معناه لا تقولوا هم أموات فى الدين بل هم أحياء بالطاعة و الهدى و مثله قوله سبحانه أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ فجعل الضلال موتاً و الهدايه حياه عن الأصم و (الرابع) أن المراد أنهم أحياء لما نالوا من جميل الذكر و الثناء كما

روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) من قوله هلكت خزان الأموال و العلماء باقون ما بقى الدهر أعيانهم مفقوده و آثارهم فى القلوب موجوده

و المعتمد هو القول الأول لأن عليه

إجماع المفسرين و لأن الخطاب للمؤمنين و كانوا يعلمون أن الشهداء على الحق و الهدى و أنهم ينشرون و يحيون يوم القيامة فلا- يجوز أن يقال لهم «وَ لَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ» من حيث أنهم كانوا يشعرون ذلك و يقرون به و لأن حمله على ذلك يبطل فائده تخصيصهم بالذكر و لو كانوا أيضا أحياء بما حصل لهم من جميل الثناء لما قيل أيضا و لكن لا تشعرون لأنهم كانوا يشعرون ذلك و وجه تخصيص الشهداء بكونهم أحياء و إن كان غيرهم من المؤمنين قد يكونون أحياء في البرزخ أنه على وجه التقديم للبشارة بذكر حالهم ثم البيان لما يختصون به من أنهم يرزقون كما في الآية الأخرى يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ قِيلَ نَحْنُ نَرَى جِثَّ الشَّهَدَاءِ مَطْرُوحَةً عَلَى الْأَرْضِ لَا تَنْصَرِفُ وَ لَا يَرَى فِيهَا شَيْءٌ مِنْ عِلْمَاتِ الْأَحْيَاءِ فَالْجَوَابُ أَنَّ عَلَى مَذْهَبِ مَنْ يَقُولُ بِالْإِنْسَانِ مِنْ أَصْحَابِنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَجْعَلُ لَهُمْ أَجْسَامًا كَأَجْسَامِهِمْ فِي دَارِ الدُّنْيَا يَتَنَعَّمُونَ فِيهَا دُونَ أَجْسَامِهِمُ الَّتِي فِي الْقُبُورِ فَإِنَّ النِّعَمَ وَ الْعَذَابَ إِنَّمَا يَحْصُلُ عِنْدَهُ إِلَى النَّفْسِ الَّتِي هِيَ الْإِنْسَانُ الْمَكْلُوفُ عِنْدَهُ دُونَ الْجِثَّةِ وَ يُؤَيِّدُ ذَلِكَ مَا

رواه الشيخ أبو جعفر في كتاب تهذيب الأحكام مسندا إلى علي بن مهزيار عن القاسم بن محمد عن الحسين بن أحمد عن يونس بن ظبيان قال كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) جالسا فقال ما يقول الناس في أرواح المؤمنين قلت يقولون في حواصل طير خضر في قناديل تحت العرش فقال أبو عبد الله سبحانه الله المؤمن أكرم على الله أن يجعل روحه في حوصلة طائر أخضر يا يونس المؤمن إذا قبضه الله تعالى صير روحه في قالب كقالبه في الدنيا فيأكلون و يشربون فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا

و

عنه عن ابن أبي عمير عن حماد عن أبي بصير قال سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن أرواح المؤمنين فقال في الجنة على صور أبدانهم لو رأيته لقلت فلان

فأما على مذهب من قال من أصحابنا إن الإنسان هذه الجملة المشاهدة و إن الروح هو النفس المتردد في مخارق الحيوان و هو أجزاء الجو فالقول إنه يلطف أجزاء من الإنسان لا- يمكن أن يكون الحي حيا بأقل منها يوصل إليها النعيم و إن لم تكن تلك الجملة بكمالها لأنه لا معتبر بالأطراف و أجزاء السمن في كون الحي حيا فإن الحي لا يخرج بمفارقتها من كونه حيا و ربما قيل بأن الجثة يجوز أن تكون مطروحة في الصورة و لا تكون ميتة فتصل إليها اللذات كما أن النائم حي و تصل إليه اللذات مع أنه لا يحس و لا يشعر بشيء من ذلك فيرى في النوم ما يجد به السرور و الالتذاذ حتى أنه يود أن يطول نومه فلا ينتبه و

قد جاء في الحديث أنه يفسح له مد بصره و يقال له نم نومه العروس

و قوله «وَ لَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ» أي لا تعلمون أنهم أحياء و في هذه الآية دلالة على صحه مذهبنا في سؤال القبر و إثابه المؤمن

فيه و عقاب العصاه على ما تظاهرت به الأخبار و إنما حمل البلخي الآيه على حياه الحشر لإنكاره عذاب القبر.

البقره (٢): آيه ١٥٥

اشاره

وَ لَتَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَرَاتِ وَ بَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥)

اللغه

البلاء الاختبار و يكون بالخير و الشر و الخوف انزعاج النفس لما يتوقع من الضرر و الجوع ضد الشبع و هو الممخمه و المجاعه عام فيه جوع و حقيقه الجوع الشهوه الغالبه إلى الطعام و الشبع زوال الشهوه و لا خلاف أن الشهوه معنى فى القلب لا يقدر عليه غير الله تعالى و الجوع منه و أما الشبع فهو معنى عند أبى على الجبائى و هو فعله تعالى و عند أبى هاشم ليس بمعنى و هكذا القول فى العطش و الرى و النقص نقيض الزيادة و النقصان يكون مصدرا و اسما و نقص الشىء و نقصته لازم و متعد و دخل عليه نقص فى عقله و دينه و لا- يقال نقصان و النقيصه الوقيعه فى الناس و النقيصه انتقاص الحق و تنقصه تناول عرضه و أصل النقص الحط من التمام و المال معروف و أموال العرب أنعامهم و رجل مال أى ذو مال و الثمره أفضل ما تحمله الشجره.

الإعراب

فتحت الواو فى «لَتَبْلُوَنَّكُمْ» كما فتحت الراء فى لَنَنْصُرَنَّكُمْ و هو أنه بنى على الفتحه لأنها أخف إذا استحق البناء على الحركه كما استحق يا فى النداء حكم البناء على الحركه «مِنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ» الجار و المجرور صفه شىء .

المعنى

لما بين سبحانه ما كلف عباده من العبادات عقبه ببيان ما امتحنهم به من فنون المشقات فقال «وَ لَتَبْلُوَنَّكُمْ» أى و لنختبرنكم و معناه نعاملكم معاملة المختبر ليظهر المعلوم و الخطاب لأصحاب النبى (عليه السلام) عن عطاء و الربيع و لو قيل أنه خطاب لجميع الخلق لكان أيضا صحيحا «بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ» أى بشىء من الخوف و شىء من الجوع و شىء من نقص الأموال فأوجز و إنما قال من الخوف على وجه التبويض لأنه لم يكن مؤبدا و إنما عرفهم سبحانه ذلك ليوطنوا أنفسهم على المكاره التى تلحقهم فى نصره النبى صلى الله عليه و آله لما لهم فيها من

المصلحة فأما سبب الخوف فكان قصد المشركين لهم بالعداوة و سبب الجوع تشاغلهم بالجهاد فى سبيل الله عن المعاش و احتياجهم إلى الإنفاق فيه و قيل للقحط الذى لحقهم و الجذب الذى أصابهم و سبب نقص الأموال الانقطاع بالجهاد عن العماره و نقص الأنفس بالقتل فى الحروب مع رسول الله صلى الله عليه و آله و قيل نقص الأموال بهلاك المواشى «وَالْأَنْفُسِ» بالموت و قوله «وَالشَّمْرَاتِ» قيل أراد ذهاب حمل الأشجار بالجوانح و قله النبات و ارتفاع البركات و قيل أراد به الأولاد لأن الولد ثمره القلب و إنما قال ذلك لاشتغالهم بالقتال عن عماره البستان و عن مناكحه النسوان فيقل نزل البساتين و حمل البنات و البنين و وجه الابتلاء بهذه الأشياء ما تقتضيه الحكمة من الألفاظ و دقائق المصالح و الأغراض و يدخره سبحانه لهم ما يرضيهم به من جلائل الأعواض و قيل فى وجه اللطف فى ذلك قولان (أحدهما) أن من جاء من بعدهم إذا أصابهم مثل هذه الأمور علموا أنه لا يصيبهم ذلك لنقصان درجه و حط مرتبه فإن قد أصاب ذلك من هو أعلى درجه منهم و هم أصحاب النبى صلى الله عليه و آله (و الآخر) أن الكفار إذا شاهدوا المؤمنين يتحملون المشاق فى نصره الرسول و موافقتهم له و تنالهم هذه المكاره فلا يتغيرون فى قوه البصيره و نقاء السريره علموا أنهم إنما فعلوا ذلك لعلمهم بصحة هذا الدين و كونهم من معرفه صدقه على اليقين فيكون ذلك داعيا لهم إلى قبول الإسلام و الدخول فى جملة المسلمين و قوله «وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ» أى أخبرهم بما لهم على الصبر فى تلك المشاق و المكاره من المثوبه الجزيله و العاقبه الجميله.

البقره (٢): الآيات ١٥٦ الى ١٥٧

إشاره

الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)

القراءه

أمال الكسائى فى بعض الروايات النون من إنا و اللام من لله و الباوق بالتفخيم.

الإعراب

و إنما جازت الإماله فى هذه الألف مع اسم الله للكسره مع كثره الاستعمال حتى صارت بمنزله الكلمه الواحده قال الفراء لا يجوز إماله إنا مع غير الاسم الله تعالى فى مثل قولك إنا لزيد و إنما لم يجر ذلك لأن الأصل فى الحروف و ما جرى مجراها امتناع الإماله فيها فلا يجوز إماله حتى و لكن ما أشبه ذلك لأن الحروف بمنزله

بعض الكلمه من حيث امتنع فيها التصريف الذى يكون فى الأسماء و الأفعال.

اللغه

المصيبه المشقه الداخله على النفس لما يلحقها من المضره و هو من الإصابه كأنها تصيبها بالنكبه و الرجوع مصير الشىء إلى ما كان يقال رجعت الدار إلى فلان إذا ملكها مره ثانيه و هو نظير العود و المصير و الاهتداء الإصابه لطريق الحق.

المعنى

ثم وصف عز اسمه الصابرين فقال «الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ» أى نالتهم نكبه فى النفس أو المال فوطنوا أنفسهم على ذلك احتساباً للأجر «قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ» هذا إقرار بالعبوديه أى نحن عبيد الله و ملكه «وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» هذا إقرار بالبعث و النشور أى نحن إلى حكمه نصير و لهذا

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) إن قولنا «إِنَّا لِلَّهِ» إقرار على أنفسنا بالملك و قولنا «وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» إقرار على أنفسنا بالهلك

و إنما كانت هذه اللفظه تعزیه عن المصيبه لما فيها من الدلاله على أن الله تعالى يجبرها إن كانت عدلا و ينصف من فاعلها إن كانت ظلما و تقديره إنا لله تسليما لأمره و رضاء بتدبيره و إنا إليه راجعون ثقه بأنا نصير إلى عدله و انفراده بالحكم فى أموره و

فى الحديث من استرجع عند المصيبه جبر الله مصيبته و أحسن عقباه و جعل له خلفا صالحا يرضاه

و

قال (عليه السلام) من أصيب بمصيبه فأحدث استرجاعا و إن تقادم عهدا كتب الله له من الأجر مثل يوم أصيب

و

روى الصادق (عليه السلام) عن آبائه عن النبى صلى الله عليه و آله قال أربع من كن فيه كتبه الله من أهل الجنة من كانت عصمته شهاده أن لا إله إلا الله و من إذا أنعم الله عليه النعمه قال الحمد لله و من إذا أصاب ذنبا قال أستغفر الله و من إذا أصابته مصيبه قال «إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»

و قوله «أُولَئِكَ» إشاره إلى الذين وصفهم من الصابرين «عَلَيْهِمْ صَيَلَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ» أى ثناء جميل من ربهم و تزكيه و هو بمعنى الدعاء لأن الثناء يستحق دائما ففيه معنى اللزوم كما أن الدعاء يدعى به مره بعد مره ففيه معنى اللزوم و قيل بركات من ربهم عن ابن عباس و قيل مغفره من ربهم «وَ رَحْمَةٌ» أى نعمه عاجلا و آجلا فالرحمه النعمه على المحتاج و كل أحد يحتاج إلى نعمه الله فى دنياه و عقباه «وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» أى المصيبون طريق الحق فى الاسترجاع و قيل إلى الجنة و الثواب و كان عمر بن الخطاب إذا قرأ هذه الآيه قال نعم العادلان و نعمت العلاوه.

إشاره

إِنَّ الصِّفَا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَيَّجَ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (١٥٨)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير عاصم من يطوع بالياء و تشديد الطاء و الواو و كذلك ما بعده و وافقهم زيد و رويس عن يعقوب فى الأول و الباقرن «تَطَوَّعَ» على أنه فعل ماض روى فى الشواذ عن على (عليه السلام) و ابن عباس و أنس و سعيد بن جبير و أبى بن كعب و ابن مسعود ألا يطوف بهما.

الإعراب

يمكن أن يكون لا على هذه القراءه زائده كما فى قوله لِنَلَّا يَغْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أى ليعلم و كقوله:

من غير لا عصف و لا اصطراف

أى من غير عصف و يطوع تقديره يتطوع إلا أنه أدغم التاء فى الطاء لتقاربهما.

اللغه

الصفاء فى الأصل الحجر الأملس مأخوذ من الصفو واحده صفاه قال امرؤ القيس:

لها كفل كصفاه المسيل

أبرز عنها جحاف مضر

فهو مثل حصاه و حصى و نواه و نوى و قيل إن الصفاء واحد قال المبرد الصفاء كل حجر لا يخلطه غيره من طين أو تراب و إنما اشتقاقه من صفا يصفو إذا خلص و أصله من الواو لأنك تقول فى تثنيه صفوان و لا يجوز إمالته و المروه فى الأصل الحجارة الصلبة اللينه و قيل الحصاه الصغيره و المروه لغه فى المروه و قيل هو جمع مثل تمره و تمر قال أبو ذؤيب:

حتى كأنى للحوادث مروه

بصفا المشرق كل يوم تفرع

و المروه نبت و أصله الصلابه فالنبت إنما سمي بذلك لصلابه بزره و قد صار اسمين لجبلين معروفين بمكه و الألف و اللام

فيهما للتعريف لا للجنس و الشعائر المعالم للأعمال و شعائر الله معالمه التي جعلها مواطن للعبادة و كل معلم لعباده من دعاء أو صلاة أو غيرهما فهو مشعر لتلك العبادة و واحد الشعائر شعيره فشعائر الله أعلام متعبداته من موقف أو مسعى أو منحر من شعرت به أى علمت قال الكميت:

نقتلهم جيلا فجيلا نراهم

شعائر قربان بهم يتقرب

ص: ٣٥٤

و الحج في اللغة هو القصد على وجه التكرار و في الشريعة عباره عن قصد البيت بالعمل المشروع من الإحرام و الطواف و السعى و الوقوف بالموقفين و غير ذلك قال الشاعر:

و أشهد من عوف حلولا كثيره

يحجون بيت الزبيرقان المزعفرا

يعنى يكثرون التردد إليه لسؤدده و العمره هي الزياره أخذ من العماره لأن الزائر يعمر المكان بزيارته و هي في الشرع زياره البيت بالعمل المشروع و الجناح الميل عن الحق يقال جنح إليه جنوحا إذا مال و أجنحته فاجتنح أى أملتة فمال و جناح الطائر يده و يدا الإنسان جناحاه و جناح العسكر جانباه و الطواف الدوران حول الشىء و منه الطائف و في عرف الشرع الدور حول البيت و الطائفه الجماعه كالحلقه الدائره و يطوف أصله يتطوف و مثله يطوع و الفرق بين الطاعه و التطوع أن الطاعه موافقه الإراده في الفريضه و النافله و التطوع التبرع بالنافله خاصه و أصلهما من الطوع الذى هو الانقياد و الشاكر فاعل الشكر و إنما يوصف سبحانه بأنه شاكر مجازا و توسعا لأنه في الأصل هو المظهر للإنعام عليه و الله يتعالى عن أن يكون عليه نعمه لأحد.

الإعراب

قوله «فَمَنْ حَيَّجَ» «وَمَنْ تَطَوَّعَ» يحتمل أمرين (أحدهما) أن يكون من موصولا- بمنزله الذى و الآخر أن يكون للجزاء فإن كان موصولا فلا موضع للفعل الذى بعده هو مع صلته في موضع رفع الابتداء و الفاء على هذا مع ما بعده في قوله «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ» «فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ» في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ الموصول و إن كان للجزاء كان الفعل الذى بعده في موضع الجزم و كانت الفاء مع ما بعدها أيضا في موضع جزم لوقوعها موقع الفعل المجزوم الذى هو جزاء و الفعل الذى هو حج أو تطوع على لفظ الماضى و التقدير به المستقبل كما أن ذلك في قولك إن أكرمتنى أكرمتك كذلك و قوله «فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ» إنما يصح أن يقع موقع الجزاء أو موقع خبر المبتدأ و إن لم يكن فيه ضمير عائد لأن تقديره يعامله معامله الشاكر بحسن المجازاه و إيجاب المكافاه و إنما دخلت الفاء في خبر المبتدأ الموصول لما فيه من معنى الجزاء و إن لم يكن في موضع الجزم ألا ترى أن هذه الفاء تؤذن بأن الثانى وجب لوجوب الأول.

المعنى

لما ذكر سبحانه امتحان العباد بالتكليف و الإلزام مره و بالمصائب و الآلام أخرى ذكر سبحانه أن من جملة ذلك أمر الحج فقال «إِنَّ الصَّافَةَ وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ» أى إنهما من أعلام متعبداته و قيل من مواضع نسكه و طاعاته عن ابن عباس و قيل من دين

الله عن الحسن و قيل فيه حذف و تقديره الطواف بين الصفا و المروه من شعائر الله و

روى عن جعفر الصادق (عليه السلام) أنه قال نزل آدم على الصفا و نزلت حواء على المروه فسمى الصفا باسم آدم المصطفى و سميت المروه باسم المرأه

و قوله «فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ» أى قصده بالأفعال المشروعه «أَوْ اغْتَمَرَ» أى أتى بالعمره بالمناسك المشروعه و قوله «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ» أى لا حرج عليه «أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا»

قال الصادق (عليه السلام) كان المسلمون يرون أن الصفا و المروه مما ابتدع أهل الجاهليه فأنزل الله هذه الآيه و إنما قال «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا» و هو واجب أو طاعه على الخلاف فيه لأنه كان على الصفا صنم يقال له إساف و على المروه صنم يقال له نائله و كان المشركون إذا طافوا بهما مسحوا فتخرج المسلمون عن الطواف بهما لأجل الصنمين فأنزل الله تعالى هذه الآيه

عن الشعبى و كثير من العلماء فرجع رفع الجناح عن الطواف بهما إلى تخرجهم عن الطواف بهما لأجل الصنمين لا إلى عين الطواف كما لو كان الإنسان محبوسا فى موضع لا يمكنه الصلاه إلا بالتوجه إلى ما يكره التوجه إليه من المخرج و غيره فيقال له لا جناح عليك فى الصلاه إلى ذلك المكان فلا يرجع رفع الجناح إلى عين الصلاه لأن عين الصلاه واجبه إنما يرجع إلى التوجه إلى ذلك المكان و رويت روايه أخرى

عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه كان ذلك فى عمره القضاء و ذلك أن رسول الله صلى الله عليه و آله شرط عليهم أن يرفعوا الأصنام فتشاغل رجل من أصحابه حتى أعيدت الأصنام فجاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه و آله فقبل له إن فلانا لم يطف و قد أعيدت الأصنام فنزلت هذه الآيه «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا» أى و الأصنام عليهما قال فكان الناس يسعون و الأصنام على حالها فلما حج النبى صلى الله عليه و آله رمى بها

و قوله «مَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا» فيه أقوال (أولها) أن معناه من تبرع بالطواف و السعى بين الصفا و المروه بعد ما أدى الواجب من ذلك عن ابن عباس و غيره (و ثانيها) أن معناه من تطوع بالحج و العمره بعد أداء الحج و العمره المفروضين عن الأصم (و ثالثها) أن معناه من تطوع بالخيرات و أنواع الطاعات عن الحسن و من قال إن السعى ليس بواجب قال معناه من تبرع بالسعى بين الصفا و المروه و قوله «فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ» أى مجازيه على ذلك و إنما ذكر لفظ الشاكر تلطفا بعباده و مظاهره فى الإحسان و الإنعام إليهم كما قال مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا و الله سبحانه لا يستقرض عن عوز و لكنه ذكر هذا اللفظ على طريق التلطف أى يعامل عباده معامله المستقرض من حيث إن العبد ينفق فى حال غناه فيأخذ أضعاف ذلك فى حال فقره و حاجته و كذلك لما كان يعامل عباده معامله الشاكرين من حيث أنه يوجب الثناء له و الثواب سمي نفسه شاكرا و قوله «عَلِيمٌ» أى بما تفعلونه من الأفعال فيجازيكم عليها

وقيل عليم بقدر الجزاء فلا- يبخس أحدا حقه و في هذه الآية دلالة على أن السعى بين الصفا و المروه عباده و لا خلاف في ذلك و هو عندنا فرض واجب في الحج و في العمره و به قال الحسن و عائشه و هو مذهب الشافعي و أصحابه و قال إن السنه أوجبت السعى و هو

قوله صلى الله عليه و آله كتب عليكم السعى فاسعوا

فأما ظاهر الآية فإنما يدل على إباحه ما كرهوه من السعى و عند أبي حنيفة و أصحابه هو تطوع و هو اختيار الجبائي و روى ذلك عن أنس و ابن عباس و عندنا و عند الشافعي من تركه متعمدا فلا حج له.

البقره (٢): آيه ١٥٩

إشاره

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩)

النزول المعنى بالآيه اليهود و النصرى مثل كعب بن الأشرف و كعب بن أسد و ابن سوريا و زيد بن التابوه و غيرهم من علماء النصرى الذين كتموا أمر محمد و نبوته و هم يجدونه مكتوبا في التوراه و الإنجيل مثبتا فيهما عن ابن عباس و مجاهد و الحسن و قتاده و أكثر أهل العلم و قيل إنه

المعنى

ثم حث الله سبحانه على إظهار الحق و بيانه و نهى عن إخفائه و كتمانها فقال «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ» أى يخفون «ما أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ» أى من الحجج المنزله في الكتب «وَالْهُدَىٰ» أى الدلائل فالأول علوم الشرع و الثانى أدله العقل فعمم بالوعيد في كتمان جميعها و قيل أراد بالبينات الحجج الداله على نبوته (عليه السلام) و بالهدى ما يؤديه إلى الخلق من الشرائع و قيل البيئات و الهدى هى الأدله و هما بمعنى واحد و إنما كرر لاختلاف لفظيهما «مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ» يعنى فى التوراه و الإنجيل من صفته (عليه السلام) و من الأحكام و قيل فى الكتب المنزله من عند الله و قيل أراد بقوله «ما أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ» الكتب المتقدمه و بالكتاب القرآن «أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ» أى يبعدهم من رحمته بإيجاب العقوبه لأنه لا يجوز لهم من لا يستحق العقوبه «وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ» قيل الملائكه و المؤمنون عن قتاده و الربيع و هو الصحيح لقوله سبحانه «عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ أَجْمَعِينَ» و قيل دواب الأرض و هوامها تقول منعنا القطر بمعاصى بنى آدم عن

مجاهد و عكرمه و قيل كل شىء سوى الثقلين الجن و الإنس عن ابن عباس و قيل إذا تلا عن الرجل رجعت اللعنه على المستحق لها فإن لم يستحقها واحد منهما رجعت على اليهود الذين كتموا ما أنزل الله عن ابن مسعود فإن قيل كيف يصح ذلك على قول من قال المراد باللاعنين البهائم و هذا الجمع لا يكون إلا للعقلاء قيل لما أضيف إليها فعل ما يعقل عوملت معاملته من يعقل كقوله سبحانه وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ رَأَيْتَهُمْ لى ساجِدِينَ و إنما أضيف اللعن إلى من لا يعقل لأن الله يلمهم اللعن عليهم لما فى ذلك من الزجر عن المعاصى لأن الناس إذا علموا أنهم إذا عملوا هذه المعاصى استحقوا اللعن حتى أنه يلعنهم الدواب و الهوام كان لهم فى ذلك أبلغ الزجر و قيل إنما يكون ذلك فى الآخرة يكمل الله عقولها فتلعنهم و فى هذه الآيه دلالة على أن كتمان الحق مع الحاجة إلى إظهاره من أعظم الكبائر و أن من كتم شيئاً من علوم الدين و فعل مثل فعلهم فهو مثلهم فى عظم الجرم و يلزمه كما لزمهم الوعيد و

قد روى عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار

و فيها أيضاً دلالة على وجوب الدعاء إلى التوحيد و العدل لأن فى كتاب الله تعالى ما يدل عليهما تأكيداً لما فى العقول من الأدله.

البقره (٢): آيه ١٦٠

إشارة

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ بَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَ أَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٦٠)

اللغة

التوبة هى الندم الذى يقع موقع التنصل من الشىء و ذلك بالتحسر على مواقفته و العزم على ترك معاودته إن أمكنت المعاودة و اعتبروا قوم ترك المعاودة على مثله فى القبح و هذا أقوى لأن الأمة أجمعت على سقوط العقاب عند هذه التوبة و فيما عداها خلاف و إصلاح العمل هو إخلاصه من قبيح ما يشوبه و التبيين هو التعريض للعلم الذى يمكن به صحه التمييز من البين الذى هو القطع.

الإعراب

موضع الذين نصب على الاستثناء من الكلام الموجب و معنى الاستثناء الاختصاص بالشىء دون غيره فإذا قلت جاءنى القوم إلا زيدا فقد اختصاصت زيدا بأنه لم يجىء و إذا قلت ما جاءنى إلا زيد فقد اختصاصته بالمجىء و إذا قلت ما جاءنى زيد إلا راكبا فقد اختصاصته بهذه الحالة دون غيرها من المشى و العدو و غيرهما.

المعنى

ثم استثنى الله سبحانه في هذه الآية من تاب و أصلح و بين من جمله من

ص: ٣٥٨

استحق اللعنه فقال «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا» أى ندموا على ما قدموا «وَأَصْلَحُوا» نياتهم فيما يستقبل من الأوقات «وَيَتُوبُوا» اختلف فيه فقال أكثر المفسرين بينوا ما كتموه من البشاره بالنبي صلى الله عليه وآله وقيل بينوا التوبه و إصلاح السريره بالإظهار لذلك فإن من ارتكب المعصيه سرا كفاه التوبه سرا و من أظهر المعصيه يجب عليه أن يظهر التوبه وقيل بينوا التوبه بإخلاص العمل «فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ» أى أقبل و الأصل فى أتوب أفعال التوبه إلا- أنه لما وصل بحرف الإضافه دل على أن معناه أقبل التوبه إنما كان لفظه مشتركا بين فاعل التوبه و القابل لها للترغيب فى صفه التوبه إذ وصف بها القابل لها و هو الله عز اسمه و ذلك من إنعام الله على عباده لئلا يتوهم بما فيها من الدلاله على مفارقة الذنب أن الوصف بها عيب فلذلك جعلت فى أعلى صفات المدح «وَأَنَا التَّوَّابُ» هذه اللفظه للمبالغه إما لكثرة ما يقبل التوبه و إما لأنه لا يرد تائبا منيا أصلا و وصفه سبحانه نفسه بالرحيم عقيب قوله «التَّوَّابُ» يدل على أن إسقاط العقاب عند التوبه تفضل من الله سبحانه و رحمه من جهته على ما قاله أصحابنا و أنه غير واجب عقلا- على ما يذهب إليه المعتزله فإن قالوا قد يكون الفعل الواجب نعمه إذا كان منعما بسببه كالثواب و العوض لما كان منعما بالتكليف و بالآلام التى تستحق بها الأ-عواض جاز أن يطلق عليها اسم النعمه فالجواب أن ذلك إنما قلناه فى الثواب و العوض ضروره و لا ضروره هاهنا تدعو إلى ارتكابه.

البقره (٢): الآيات ١٦١ الى ١٦٢

اشاره

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مَا تَوْا وَ هُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَ الْمَلَائِكَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَ لَا هُمْ يُنظَرُونَ (١٦٢)

اللغه

واحد الناس إنسان فى المعنى فأما فى اللفظ فلا واحد له فهو كافر و رهط مما يقال إنه اسم للجمع و الخلود اللزوم أبدا و البقاء الوجود فى وقتين فصاعدا و لذلك لم يجر فى صفات الله تعالى خالد و جاز باق و لذلك يقال أخلد إلى قوله أى لزم معنى ما أتى به و منه قوله وَ لَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْمَآزِىِ أَي مَالِ إِلَيْهَا مِيلَ اللَّازِمِ لَهَا وَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْخُلُودِ وَ الدَّوَامِ أَنَّ الدَّوَامَ هُوَ الْوَجُودُ فِي الْأَزْلِ وَ إِلَّا- يَزَالُ فَإِذَا قِيلَ دَامَ الْمَطَرُ فَهُوَ عَلَى الْمَبَالِغَةِ وَ حَقِيقَتُهُ لَمْ يَزَلْ مِنْ وَقْتِ كَذَا إِلَى وَقْتِ كَذَا وَ الْخُلُودُ هُوَ اللَّزُومُ أَبَدًا وَ التَّخْفِيفُ هُوَ النِّقْصَانُ مِنَ الْمَقْدَارِ الَّذِى لَهُ وَ الْعَذَابُ هُوَ الْأَلَمُ الَّذِى لَهُ امْتِدَادٌ وَ الْإِنْظَارُ الْإِمْهَالُ قَدْرَ مَا يَقَعُ النَّظَرُ

فى الخلاص و أصل النظر الطلب فالنظر بالعين هو الطلب بالعين و كذلك النظر بالقلب أو باليد أو بغيرها من الحواس تقول أنظر الثوب أين هو أى اطلبه أين هو و الفرق بين العذاب و الإيلاءم أن الإيلاءم قد يكون بجزء من الألم فى الوقت الواحد مقدار ما يتألم به و العذاب الألم الذى له استمرار فى أوقات و منه العذب لاستمراره فى الحلق و العذبه لاستمرارها بالحركه.

الإعراب

«وَهُمْ كُفَّارٌ» جملة فى موضع الحال و أجمعين تأكيد و إنما أكد به ليرتفع الإيهام و الاحتمال قبل أن ينظر فى تحقيق الاستدلال و لهذا لم يجز الأخفش رأيت أحد الرجلين كليهما و أجاز رأيتهما كليهما لأنك إذا ذكرت الحكم مقرونا بالدليل أزلت الإيهام للفساد و إذا ذكرته وحده فقد يتوهم عليك الغلط فى المقصد و أنت لما ذكرت التثنيه فى قولك أحد الرجلين و ذكرت أحدا كنت بمنزله من ذكر الحكم و الدليل عليه فأما ذكر التثنيه فى رأيتهما فبمنزله ذكر الحكم وحده و خالد بن منصور على الحال و العامل فيه الظرف من قوله عَلَيْهِمْ لَأَن فِيهِ مَعْنَى الاستقرار للعه و ذو الحال الهاء و الميم من عليهم كقولك عليهم المال صاغرين و قوله «فِيهَا» الهاء يعود إلى اللعنه فى قول الزجاج و إلى النار فى قول أبى العالیه «لَا يَخْفَى عَنْهُمْ الْعِذَابُ» جملة فى موضع الحال «وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ» كذلك و هم تأكيد لضمير فى فعل مقدر يفسره هذا الظاهر تقديره و لا هم ينظرون هم.

المعنى

لما بين سبحانه حال من كتم الحق و حال من تاب منهم عقبه بحال من يموت من غير توبه منهم أو من الكفار جميعا فقال «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ» أى ماتوا مصرين على الكفر و إنما قال «وَ مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ» مع أن كل كافر ملعون فى حال كفره ليصير الوعيد فيه غير مشروط لأن بالموت يفوت التلافى بالتوبه فلذلك شرط سبحانه و بين أن الكفار لم يموتوا على كفرهم لم تكن هذه حالهم و قيل إن هذا الشرط إنما هو فى خلود اللعنه لهم كقوله «خَالِدِينَ فِيهَا» «أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ» أى إبعاده من رحمته و عقابه «وَ الْمَلَائِكَةُ وَ النَّاسُ أَجْمَعِينَ» فإن قيل كيف قال «وَ النَّاسُ أَجْمَعِينَ» و فى الناس من لا يلعن الكافر فالجواب من وجوه (أحدها) أن كل أحد من الناس يلعن الكافر أما فى الدنيا و أما فى الآخرة أو فيهما جميعا كما قال ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا عن أبى العالیه و (ثانيها) أنه أراد به المؤمنين كأنه لم يعتد بغيرهم كما يقال المؤمنون هم الناس عن قتاده و الربيع و (ثالثها) أنه لا يمتنع أحد من لعن الظالمين فيدخل فى ذلك الكافر لأنه ظالم عن السدى و اللعنه إنما تكون من الناس على وجه الدعاء و من الله على

وجه الحكم و قوله «خَالِدِينَ فِيهَا» أى دائمين فيها أى فى تلك اللعنه عن الزجاج و الجبائى و قيل فى النار لأنه كالمذكور لشهرته فى حال المعذبين و لأن اللعن إبعاد من الرحمه و إيجاب للعقاب و العقاب يكون فى النار و أما الخلود فى اللعنه فيحتمل أمرين (أحدهما) الاستحقاق للعهه بمعنى أنها تحق عليهم أبدا (و الثانى) فى عاقبه اللعنه و هى النار التى لا تبنى أبدا و قوله «لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ» أى يكون عذابهم على و تيره واحده فلا يخفف أحيانا و يشتد أحيانا «وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ» أى لا يمهلون للاعتذار كما قال سبحانه و لَا يُؤَذِّنْ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ قطعاً لطمعهم فى التوبه عن أبى العالیه و قيل معناه لا يؤخر العذاب عنهم بل عذابهم حاضر.

البقره (٢): آيه ١٦٣

إشاره

وَ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (١٦٣)

اللغه

واحد شىء لا ينقسم عددا كان أو غيره و يجرى على وجهين على الحكم و على جهه الوصف فالحكم كقولك جزء واحد فإنه لا ينقسم من جهه أنه جزء و الوصف كقولك إنسان واحد و دار واحده فإنه لا ينقسم من جهه أنه إنسان.

الإعراب

هو من قوله «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» فى موضع رفع على البدل من موضع لا مع الاسم كقولك لا رجل إلا زيد كأنك قلت ليس إلا زيد كما تريد من المعنى إذ لم تعدد بغيره و لا يجوز نصب على قولك ما قام أحد إلا زيد لأن البدل يدل على أن الاعتماد على الثانى و المعنى ذلك و نصب يدل على أن الاعتماد فى الأخبار إنما هو على الأول و العبارة الواضحه إن هو بدل من محل إله قبل التركيب و قوله «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» هو إثبات الله سبحانه و هو بمنزله قولك الله الآله وحده و إنما كان كذلك لأنه القادر على ما يستحق به العباده و لا- لم يدل على النفى فى هذا الخبر من قبل أنه لم يدل على إله موجود و لا معدوم سوى الله لكنه نقيض لقول من ادعى إلهها مع الله و إنما النفى إخبار بعدم شىء كما أن الإثبات إخبار بوجوده.

النزول

ابن عباس قال إن كفار قريش قالوا يا محمد صف لنا و انسب لنا ربك فأنزل الله هذه الآيه و سوره الإخلاص.

المعنى

«وَ إِلَهُكُمْ» أى خالقكم و المنعم عليكم بالنعم التى لا يقدر عليها غيره و الذى تحق له العباده و قال على بن عيسى معنى إله هو المستحق للعباده و هذا غلط لأنه لو

كان كذلك لما كان القديم سبحانه إلها فيما لم يزل لأنه لم يفعل في الأزل ما يستحق به العبادة و معنى قولنا إنه تحق له العبادة أنه قادر على ما إذا فعله استحق به العبادة و قوله «إِلَهُ واحِدٌ» وصفه سبحانه بأنه واحد على أربعة أوجه (أحدها) أنه ليس بذى أبعاد و لا يجوز عليه الانقسام و لا يحتمل التجزئه (و الثانى) أنه واحد لا نظير له و لا شبيه له (و الثالث) أنه واحد فى الإلهيه و استحقاق العباده (و الرابع) أنه واحد فى صفاته التى يستحقها لنفسه فإن معنى وصفنا الله تعالى بأنه قديم أنه المختص بهذه الصفه لا- يشاركه فيها غيره و وصفنا له بأنه عالم قادر أنه المختص بكيفيه استحقاق هاتين الصفتين لأن المراد به أنه عالم بجميع المعلومات لا يجوز عليه الجهل و قادر على الأجناس كلها لا يجوز عليه العجز و وصفنا له بأنه حى باق أنه لا يجوز عليه الموت و الفناء فصار الاختصاص بكيفيه الصفات كالإختصاص بنفس الصفات يستحقها سبحانه وحده على وجه لا يشاركه فيه غيره و قوله «لا إلهَ إِلاَّ هُوَ» هذه كلمه لإثبات الإلهيه لله تعالى وحده و معناه الله هو الإله وحده و اختلف فى أنه هل فيها نفى المثل عن الله سبحانه فقال المحققون ليس فيها نفى المثل عنه لأن النفى إنما يصح فى موجود أو معدوم و الله عز اسمه ليس له مثل موجود و لا معدوم و قال بعضهم فيها نفى المثل المقدر عن الله سبحانه و قوله «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ» إنما قرن «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ» بقوله «لا إلهَ إِلاَّ هُوَ» لأنه بين به سبب استحقاق العباده على عباده و هو ما أنعم عليهم من النعم العظام التى لا يقدر عليها أحد غيره فإن رحمه هى النعمه على المحتاج إليها و قد ذكرنا معنى «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ» فيما مضى.

النظم

الآيه متصله بما قبلها و بما بعدها فاتصالها بما قبلها كاتصال الحسنه بالسيئه لتمحو أثرها و يحذر من موافقتها لأنه لما ذكر الشرك و أحكامه أتبع ذلك بذكر التوحيد و أحكامه و اتصالها بما بعدها كاتصال الحكم بالدلاله على صحته لأن ما ذكر فى الآيه التى بعدها هى الحجه على صحه التوحيد.

البقره (٢): آيه ١٦٤

إشاره

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلُوكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ بَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)

ص: ٣٦٢

قرأ حمزه و الكسائي الرياح على التوحيد و الباقرن على الجمع و لم يختلفوا فى توحيد ما ليس فيه ألف و لام و قرأ أبو جعفر «الرياح» على الجمع كل القرآن إلا فى الذاريات و قرأ أبو عمرو و يعقوب و ابن عامر و عاصم «الرياح» فى عشره مواضع فى البقره و الأعراف و الحجر و الكهف و الفرقان و النمل و الروم فى موضعين و فاطر و الجاثيه و قرأ نافع اثنى عشر موضعاً هذه العشره و فى إبراهيم و عسق و قرأ ابن كثير فى خمسه مواضع البقره و الحجر و الكهف و أول الروم و الجاثيه و قرأ الكسائي الرياح* فى ثلاثه مواضع فى الحجر و الفرقان و أول الروم و وافقه حمزه إلا فى الحجر.

الإعراب

قال ابن عباس «الرياح» للرحمه و الريح للعذاب و

روى أن النبى صلى الله عليه و آله كان إذا هبت ريح قال اللهم اجعلها رياحا و لا تجعلها ريحا

و يقوى هذا الخبر قوله سبحانه و من آياته أن يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ و يشبه أن يكون النبى صلى الله عليه و آله إنما قصد بقوله هذا الموضع و بقوله و لا تجعلها ريحا قوله سبحانه و فى عادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيْحَ الْعَقِيمَ و قد تختص اللفظه فى التنزيل بشىء فيكون أماره له فمن ذلك أن عامه ما جاء فى القرآن من قوله ما يُدْرِيكَ* مبهم غير مبين و ما كان من لفظ ما أدراك* مفسر كقوله و ما أدراك ما الحاقه و ما القارعه و ما يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ قال أبو على «و تَصْيِرِيفِ الرِّيَّاحِ» على الجمع أولى لأن كل واحده من الرياح مثل الأخرى فى دلالتها على التوحيد و من وحد فإنه أراد الجنس كما قالوا أهلك الناس الدينار و الدرهم فأما قوله و لِسَيْلِمَانَ الرِّيْحَ عاصمه و إن كانت الرياح كلها سخرت له فالمراد بها الجنس و الكثره و إن كانت قد سخرت له ريح بعينها كان كقولك الرجل و أنت تريد به العهد و أما قوله و فى عادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيْحَ فهى واحده يدللك عليه قوله فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ رِيحاً صَرْصِراً و

فى الحديث نصرت بالصبا و أهلكت عاد بالدبور

فهذا يدل على أنها واحده.

اللغه

الخلق هو الإحداث للشىء على تقدير من غير احتذاء على مثال و لذلك لا يجوز إطلاقه إلا فى صفات الله سبحانه لأنه لا أحد سوى الله يكون جميع أفعاله على ترتيب من غير احتذاء على مثال و قد استعمل الخلق بمعنى المخلوق كما استعمل الرضا

بمعنى المرضى و هو بمنزله المصدر و ليس معنى المصدر بمعنى المخلوق و اختلف أهل العلم فيه إذا كان بمعنى المصدر فقال قوم هو الإرادة له و قال آخرون إنما هو على معنى مقدر كقولك وجود و عدم و حدوث و قدم و هذه الأسماء تدل على مسمى مقدر للبيان عن المعاني المختلفه و إلا فالمعنى بها هذا الموصوف فى الحقيقه و السماوات جمع السماء و كل سقف سماء غير أنه إذا أطلق لم يفهم منه غير السماوات السبع و إنما جمعت السماوات و وحدت الأرض لأنه لما ذكر السماء بأنها سبع فى قوله فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ و قوله خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ جمع لثلاثا يوهم التوحيد معنى الواحد من هذه السبع و قوله وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ و إن دل على معنى السبع فإنه لم يجر على جهة الإفصاح بالتفصيل فى اللفظ و أيضا فإن الأرض لتشاكلها تشبه الجنس الواحد الذى لا يجوز جمعه إلا أن يراد الاختلاف و ليس تجرى السماوات مجرى الجنس المتفق لأنه دبر فى كل سماء أمرها التدبير الذى هو حقها و الاختلاف نقيض الاتفاق و «اِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ» أخذ من الخلف لأن كل واحد منهما يخلف صاحبه على وجه المعاقبه و قيل هو من اختلاف الجنس كاختلاف السواد و البياض لأن أحدهما لا يسد مسد الآخر فى الإدراك و المختلفان ما لا يسد أحدهما مسد الآخر فيما يرجع إلى ذاته و الليل هو الظلام المعاقب للنهار واحده ليله فهو مثل تمر و تمره و النهار هو الضياء المتسع و أصله الاتساع و منه قول الشاعر:

ملكته بها كفى فأنهت فتقها

يرى قائم من دونها ما وراءها

أى أوسعت و إنما جمعت الليله و لم يجمع النهار لأن النهار بمنزله المصدر كقولك الضياء يقع على الكثير و القليل على أنه قد جاء جمع النهار نهر على وجه الشذوذ و قال الشاعر:

لولا الثريدان هلكننا بالضم

ثريد ليل و ثريد بالنهر

و الفلك السفن تقع على الواحد و الجمع و الفلك فلك السماء و كل مستدير فلك فإن صاحب العين قيل هو اسم للدوران خاصه و قيل بل اسم لإطباق سبعة فيها النجوم و فلكت الجارية إذا استدار ثديها و أصل الباب الدور و ما أنزل الله من السماء و قال قوم السماء يقع على السحاب لأن كل شىء علا شيئا فهو سماء له و قال على بن عيسى قيل إن السحاب بخارات تصعد من الأرض و ذلك جائز لا يقطع به و لا مانع من صحته من دليل عقل و لا سمع و السماء السقف قال سبحانه وَ جَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا فالسما المعروفة سقف

الأرض و أصله من السمو و هو العلو فالسمااء الطبقة العاليه على الطبقة السافله و الأرض الطبقة السافله و يقال أرض البيت و أرض الغرفه فهو سمااء لما تحته من الطبقة السافله و أرض لما فوقه إلا- أنه صار ذلك الاسم بمنزله الصفه الغالبه على السماء المعروفه و هذا الاسم كالعلم على الأرض المعروفه و البحر هو الخرق الواسع للماء الذى يزيد على سعه النهر و المنفعه هى اللذه و السرور أو ما أدى إليهما أو إلى واحد منهما و النفع و الخير و الحظ نظائر و قد تكون المنفعه بالآلام إذا أدت إلى لذات و الإحياء فعل الحياه و حياه الأرض عمارتها بالنبات و موتها خرابها بالجفاف الذى يمتنع معه النبات و البث التفريق و لك شىء بثته فقد فرقته و سمى الغم بثا لتقسم القلب به و الدابه من الدبيب و كل شىء خلقه الله مما يدب فهو دابه و صار بالعرف اسما لما يركب و التصريف التقليل و صرف الدهر تقلبه و جمعه صروف و السحاب مشتق من السحب و هو جرك الشىء على وجه الأرض كما تسحب المرأه ذيلها و كل منجر منسحب و سمى سحابا لانجراره فى السماء و التسخير و التذليل و التمهيد نظائر يقال سخر الله لفلان كذا إذا سهله له و سخرت الرجل إذا كلفته عملا بلا أجره و هى السخره و سخر منه إذا استهزأ به و الرياح أربع الشمال و الجنوب و الصبا و الدبور فالشمال عن يمين القبله و الجنوب عن يسارها و الصبا و الدبور متقابلان فالصبا من قبل المشرق و الدبور من قبل المغرب و أنشد أبو زيد:

إذا قلت هذا حين أسلو يهيجنى

نسيم الصبا من حيث يطلع الفجر

فإذا جاءت الرياح بين الصبا و الشمال فهى النكباء و التى بين الجنوب و الصبا الجرياء و الصبا هى القبول و الجنوب يسمى الأزيب و يسمى النعامى و الشمال يسمى محوه لا تنصرف و يسمى مسعا و نسعا و يسمى الجنوب لاقحا و الشمال حائلا قال أبو داود يصف سحابا:

لقحن ضحيا للقق الجنوب

فأصبحن ينتجن ماء الحيا

قوله للقق الجنوب أى للإلقاح الجنوب و قال زهير:

جرت سنحا فقلت لها مروعا

نوى مشموله فمتى اللقاء

مشموله أى مكروهه لأنهم يكرهون الشمال لبردها و ذهابها بالغييم فصار كل مكروه

المعنى

لما أخبر الله سبحانه الكفار بأن إلههم إله واحد لا ثانى له قالوا ما الدلالة على ذلك فقال الله سبحانه «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» أى فى إنشائهما مقدرين على سبيل الاختراع «وَ اِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» كل واحد منهما يخلف صاحبه إذا ذهب أحدهما جاء الآخر على وجه المعاقبه أو اختلافهما فى الجنس واللون والطول والقصر «وَ الْفُلُوكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ» أى السفن التى تحمل الأحمال «بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ» خص النفع بالذكر وإن كان فيه نفع و ضرر لأن المراد هنا عد النعم و لأن الضرر غيره إنما يقصد منفعه نفسه و النفع بها يكون بركوبها و الحمل عليها فى التجارات و المكاسب «وَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ» أى من نحو السماء عند جميع المفسرين و قيل يريد به السحاب «مِنْ مَاءٍ» يعنى المطر «فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا» أى فعمر به الأرض بعد خرابها لأن الأرض إذا وقع عليها المطر أنبتت و إذا لم يصبها مطر لم تنبت و لم يتم نباتها فكانت من هذا الوجه كالميت و قيل أراد به إحياء أهل الأرض بإحياء الأقوات و غيرها مما تحيى به نفوسهم «وَ بَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ» أى فرق فى الأرض من كل حيوان يدب و أراد بذلك خلقها فى مواضع متفرقة «وَ تَصْرِيْفِ الرِّيَّاحِ» أى تقليبها بأن جعل بعضها صباء و بعضها دبوراً و بعضها شمالاً و بعضها جنوباً و قيل تصريفها بأن جعل بعضها يأتى بالرحمة و بعضها يأتى بالعذاب عن قتاده و روى أن الريح هاجت على عهد ابن عباس فجعل بعضهم يسب الريح فقال لا تسبوا الريح و لكن قولوا اللهم اجعلها رحمة و لا تجعلها عذاباً «وَ السَّحَابِ الْمُسَخَّرِ» أى المذلل «بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» يصرفها كما يشاء من بلد إلى بلد و من موضع إلى موضع «لآيَاتٍ» أى حججاً و دلالات «لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» قيل أنه عام فى العقلاء من استدل منهم و من لم يستدل و قيل أنه خاص بمن استدل به لأن من لم ينتفع بتلك الدلالات و لم يستدل بها صار كأنه لا عقل له فيكون مثل قوله «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا» قوله هُدًى لِلْمُتَّقِينَ و ذكر سبحانه الآيات و الدلالات و لم يذكر على ما ذا تدل فحذف لدلاله الكلام عليه و قد بين العلماء تفصيل ما تدل عليه فقالوا أما السماوات و الأرض فيدل تغير أجزائهما و احتمالهما الزيادة و النقصان و إنهما من الحوادث لا ينفكان عن حدودهما ثم إن حدودهما و خلقهما يدل على أن لهما خالقاً لا يشبههما و لا يشبهانه لأنه لا يقدر على خلق الأجسام إلا القديم القادر لنفسه الذى ليس بجسم و لا عرض إذ جميع ما هو بصفه

الأجسام والأعراض محدث ولا بد له من محدث ليس بمحدث لاستحاله التسلسل ويدل كونهما على وجه الإتيان والإحكام والاتساق والانتظام على كون فاعلهما عالما حكيما وأما اختلاف الليل والنهار وجريهما على وتيره واحده وأخذ أحدهما من صاحبه الزيادة والنقصان وتعلق ذلك بمجاري الشمس والقمر فيدل على عالم مدبر يدبرهما على هذا الحد لا يسهو ولا يذهل من جهة أنها أفعال محكمة واقعه على نظام وترتيب لا يدخلها تفاوت ولا اختلال وأما الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس فيدل حصول الماء على ما تراه من الرقة واللطف التي لولاها لما أمكن جري السفن عليه وتسخير الرياح لإجرائها في خلاف الوجه الذي يجري الماء إليه على منعم منهم دبر ذلك لمنافع خلقه ليس من جنس البشر ولا من قبيل الأجسام لأن الأجسام يتعذر عليها فعل ذلك وأما الماء الذي ينزل من السماء فيدل إنشاؤه وإنزاله قطره قطره لا تلتقى أجزاءه ولا تتألف في الجو فينزل مثل السيل فيخرب البلاد والديار ثم إمساكه في الهواء مع أن من طبع الماء الانحدار إلى وقت نزوله بقدر الحاجة وفي أوقاتها على أن مدبره قادر على ما يشاء من الأمور عالم حكيم خبير وأما إحياء الأرض بعد موتها فيدل بظهور الثمار وأنواع النبات وما يحصل به من أقوات الخلق وأرزاق الحيوانات واختلاف طعومها وألوانها وروائحها واختلاف مضارها ومنافعها في الأغذية والأدوية على كمال قدرته وبدائع حكمته سبحانه من عليم حكيم ما أعظم شأنه وأما بث كل دابة فيها فيدل على أن لها صنعا مخالفا لها منعا بأنواع النعم خالقا للذوات المختلفه بالهيئات المختلفه في التراكيب المتنوعه من اللحم والعظم والأعصاب والعروق وغير ذلك من الأعضاء والأجزاء المتضمنه لبدائع الفطره وغرائب الحكمه الداله على عظيم قدرته وجسيم نعمته وأما الرياح فيدل تصريفها بتحريكها وتفريقها في الجهات مره حاره ومره بارده وتاره لينه وأخرى عاصفه وطورا عقيما وطورا لا قحه على أن مصرفها قادر على ما لا يقدر عليه سواه إذ لو أجمع الخلق كلهم على أن يجعلوا الصبا دبوراً أو الشمال جنوباً لما أمكنهم ذلك وأما السحاب المسخر فيدل على أن ممسكه هو القدير الذي لا شبيه له ولا نظير لأنه لا يقدر على تسكين الأجسام بغير علاقه ولا دعاهه إلا الله سبحانه وتعالى القادر لذاته الذي لا نهايه لمقدوراته فهذه هي الآيات الداله على أن الله سبحانه صانع غير مصنوع قادر لا يعجزه شىء عالم لا يخفى عليه شىء حتى لا تلحقه الآفات ولا تغيره الحادثات ولا يعزب عنه مثقال ذره في الأرض ولا في السماء وهو السميع البصير استشهد بحدوث هذه الأشياء على قدمه وأزليته وبما وسمها به من العجز والتسخير على كمال قدرته وبما ضمنها من البدائع على عجائب خلقته وفيها أيضا أوضح

دلاله على أنه سبحانه المنان على عباده بفوائد النعم المنعم عليهم بما لا- يقدر غيره على الإنعام بمثله من جزيل القسم فيعلم بذلك أنه سبحانه الآله الذى لا يستحق العباده سواه و فى هذه الآيه أيضا دلاله على وجوب النظر و الاستدلال و أن ذلك هو الطريق إلى معرفته و فيها البيان لما يجب فيه النظر و إبطال التقليد.

البقره (٢): آيه ١٦٥

اشاره

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَ لَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَ أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥)

القراءه

قرأ نافع و ابن عامر و يعقوب و لو ترى الذين ظلموا بالثناء على الخطاب و قرأ الباقون بالياء و كلهم قرءوا «إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ» بفتح الياء إلا ابن عامر فإنه قرأ إذ يرون بالضم و قرأ أبو جعفر و يعقوب أن القوه لله و إن الله بكسر الهمزه فيهما و الباقون بفتحةا.

الإعراب

قال أبو على حجه من قرأ «وَ لَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا» بالياء أن لفظ الغيبه أولى من لفظ الخطاب من حيث أنه يكون أشبه بما قبله من قوله «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا» و هو أيضا أشبه بما بعده من قوله كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسِيرَاتٍ و حجه من قرأ و لو ترى فجعل الخطاب للنبي (عليه السلام) لكثره ما جاء فى التنزيل من قوله وَ لَوْ تَرَى و يكون الخطاب للنبي (عليه السلام) و المراد به الكافه و أما فتح أن القوه فيمن قرأ بالياء فلا يخلو من أن يكون ترى من رؤيه البصر أو المتعديه إلى مفعولين فإن جعلته من رؤيه البصر لم يجز أن يتعدى إلى أن لأنها قد استوفت مفعولها الذى تقتضيه و هو الذين ظلموا و لا يجوز أن تكون المتعديه إلى مفعولين لأن المفعول الثانى فى هذا الباب هو المفعول الأول فى المعنى و قوله «أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ» لا يكون «الَّذِينَ ظَلَمُوا» فإذا يجب أن يكون منتصبا بفعل آخر غير ترى و ذلك الفعل هو الذى يقدر جوابا للو كأنه قال و لو ترى الذين ظلموا إذ يرون العذاب لرأوا أن القوه لله جميعا و المعنى أنهم شاهدوا من قدرته سبحانه ما تيقنوا معه أنه قوى عزيز و أن الأمر ليس على ما كانوا عليه من جحودهم لذلك أو شكهم فيه و مذهب من قرأ بالياء أبين لأنهم ينصبون أن بالفعل الظاهر دون المضمرة و الجواب فى هذا النحو يجىء محذوفا فإذا عمل الجواب فى شىء صار بمنزله الأشياء المذكوره فى اللفظ فحمل المفعول عليه

يخالف ما عليه سائر هذا النحو من الآى التى حذفت الأجوبيه معها لتكون أبلغ فى باب التوعيد هذا كلام أبى على الفارسى و نحن نذكر ما قاله غيره فى كسر إن القوه و فتحها فى الإعراب و حجه من قرأ «إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ» قوله وَ رَأُوا الْعَذَابَ و قوله «وَ إِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ» و حجه ابن عامر قوله «كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ» لأنك إذا بنيت هذا الفعل للمفعول به قلت يرون أعمالهم حسرات.

اللغه

الأنداد و الأشباه و الأمثال نظائر واحدها ند و قيل هى الأضداد و أصل الند المثل المناوى و الحب خلاف البغض و المحبه هى الإراده إلا أن فيها حذفاً لا يكون فى الإراده فإذا قلت أحب زيداً فالمعنى إنى أريد منفعه أو مدحه و إذا قلت أحب الله زيداً فالمعنى أنه يريد ثوابه و تعظيمه و إذا قلت أحب الله فالمعنى أريد طاعته و اتباع أوامره و لا يقال أريد زيداً و لا أن الله يريد المؤمن و لا- أنى أريد الله فاعتيد الحذف فى المحبه و لم يعتد فى الإراده و قيل إن المحبه ليست من جنس الإراده بل هى من جنس ميل الطبع كما تقول أحب و لى أى يميل طبعى إليه و هذا من المجاز بدلاله أنهم يقولون أحببت أن أفعل بمعنى أردت أن أ و يقال أحبه أحبباً و حبه حبا و محبه و أحب البعير أحبباً إذا برك فلا يثور و هو كالحران فى الخيل قال أبو عبيده و منه قوله أَحَبَّبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي أَى لصقت بالأرض لحب الخيل حتى فاتتنى الصلاه و يرى قال أبو على الفارسى هو من رؤيه العين يدل على ذلك تعديه إلى مفعول واحد تقديره و لو يرون أن القوه لله أى لو يرى الكفار ذلك و يدل عليه قوله «إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ» و الشده قوه العقد و هو ضد الرخاوه و القوه و القدره واحده.

الإعراب

يجوز فتح أن من ثلاثه أوجه و كسرهما من ثلاثه أوجه مع القراءه بالياء فأما الفتح (فالأول) أن يفتح بإيقاع الفعل عليها بمعنى المصدر و تقديره و لو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب قوه الله و شده عذابه (و الثانى) أن يفتح على حذف اللام كقولك لأن القوه لله (و الثالث) على تقدير لرأوا أن القوه لله و أن الله شديد العذاب على الاتصال بما حذف من الجواب و أما الوجه الأول فى الكسر فعلى الاستئناف و الثانى على الحكايه مما حذف من الجواب كأنه قيل لقالوا إن القوه لله و الثالث على الاتصال بما حذف من الحال كأنه قيل يقولون إن القوه لله فأما مع القراءه بالتاء فيجوز أيضا كسر أن من ثلاثه أوجه و فتحها من

ثلاثة أوجه فأما الفتح (فأولها) أن يكون على البديل كقولك و لو ترى الذين ظلموا إن القوه لله عليهم عن الفراء و قال أبو علي و هذا لا يجوز لأن قوله إن القوه ليس الذين ظلموا و لا بعضهم و لا مشتقاً عليهم (و الثاني) أن يفتح على حذف اللام كقولك لأن القوه (و الثالث) لرأيت أن القوه لله و أما الكسر مع التاء فكالكسر مع الياء قال الفراء و الاختيار مع الياء الفتح و مع التاء الكسر لأن الرؤيه قد وقعت على الذين و جواب لو محذوف كأنه قيل لرأوا مضره اتخاذهم الأنداد و لرأوا أمراً عظيماً لا يحصر بالأوهام و حذف الجواب يدل على المبالغه كقولك لو رأيت السياط تأخذ فلاناً لأن المحذوف يحتمل كل أمر و من قرأ «و لَوْ يَرَى» بالياء فالذين ظلموا فى موضع رفع بأنهم الفاعلون و من قرأ بالتاء فالذين ظلموا فى موضع نصب و قوله «جَمِيعاً» نصب على الحال كأنه قيل إن القوه ثابتة لله فى حال اجتماعها و هو صفة مبالغه بمعنى إذا رأوا مقدورات الله فيما تقدم الوعيد به علموا أن الله سبحانه قادر لا يعجزه شىء و قوله «يُحِبُّونَهُمْ» فى موضع نصب على الحال من الضمير فى يتخذ و إن كان الضمير فى يتخذ على التوحيد لأنه يعود إلى من و يجوز أن يعود إليه الضمير على اللفظ مره و على المعنى أخرى و يجوز أن يكون يحبونهم صفة لقوله «أنداداً» قال أبو علي لو قلت كيف جاء إذ فى قوله «إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ» و هذا أمر مستقبل فالقول أنه جاء على لفظ الماضى لإيراده التقريب فى ذلك كما جاء و ما أَمُرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحِ الْبَصِيرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ و إن الساعه قريب و على هذا قوله وَ نَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ و من هذا الضرب ما جاء فى التنزيل من قوله وَ لَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَ لَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ وَ لَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ.

المعنى

«وَمِنَ النَّاسِ» من للتبعيض هاهنا أى بعض الناس «مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً» يعنى آلهتهم من الأوثان التى كانوا يعبدونها عن قتاده و مجاهد و أكثر المفسرين و قيل رؤساؤهم الذين يطيعونهم طاعه الأرباب من الرجال عن السدى و على هذا المعنى ما

روى جابر عن أبى جعفر (عليه السلام) أنه قال هم أئمة الظلمه و أشياعهم

و قوله «يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ» على هذا القول الأخير أدل لأنه يبعد أن يحبوا الأوثان كحب الله مع علمهم بأنها لا تنفع و لا تضر و يدل أيضاً عليه قوله إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا و معنى يحبونهم يحبون عبادتهم أو التقرب إليهم أو الانقياد لهم أو جميع ذلك كحب الله فيه ثلاثه أقوال (أحدها) كحبكم الله أى كحب المؤمنين الله عن ابن عباس و الحسن (و الثانى) كحبهم الله

يعنى الذين اتخذوا الأنداد فيكون المعنى به من يعرف الله من المشركين و يعبد معه الأوثان و يسوى بينهما فى المحبه عن أبى على و أبى مسلم (و الثالث) «كَحُبِّ اللَّهِ» أى كالحب الواجب عليهم اللازم لهم لا الواقع «وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ» يعنى حب المؤمنين فوق حب هؤلاء و حبهم أشد من وجوه (أحدها) إخلاصهم العباده و التعظيم له و الثناء عليه من الإشراك (و ثانيها) أنهم يحبونه عن علم بأنه المنعم ابتداء و أنه يفعل بهم فى جميع أحوالهم ما هو الأصلح لهم فى التدبير و قد أنعم عليهم بالكثير فيعبودونه عباده الشاكرين و يرجون رحمته على يقين فلا بد أن يكون حبهم له أشد (و ثالثها) أنهم يعلمون أن له الصفات العلى و الأسماء الحسنى و أنه الحكيم الخبير الذى لا مثل له و لا نظير يملك النفع و الضر و الثواب و العقاب و إليه المرجع و المآب فهم أشد حبا لله بذلك ممن عبد الأوثان و اختلف فى معنى قوله «أَشَدُّ حُبًّا» فقليل أثبت و أدوم لأن المشرك ينتقل من صنم إلى صنم عن ابن عباس و قيل لأن المؤمن يعبده بلا واسطه و المشرك يعبده بواسطه عن الحسن و قوله «وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا» تقديره و لو يرى الظالمون أى يبصرون و قيل لو يعلم هؤلاء الظالمون «إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ» و الصحيح الأول كما تقدم بيانه هذا على قراءه من قرأ بالياء و من قرأ بالتاء فمعناه و لو ترى يا محمد عن الحسن و الخطاب له و المراد غيره و قيل معناه لو ترى أيها السامع أو أيها الإنسان الظالمين إذ يرون العذاب و قوله «أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ» فيه حذف أى لرأيت أن القوه لله «جَمِيعاً» فعلى هذا يكون متصلا بجواب لو و من قرأ بالياء فمعناه و لو يرى الظالمون أن القوه لله جميعا لرأوا مضره فعلهم و سوء عاقبتهم و معنى قوله «أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً» أن الله سبحانه قادر على أخذهم و عقوبتهم و فى هذا وعيد و إشاره إلى أن هؤلاء الجبابره مع تعززههم إذا حشروا ذلوا و تخاذلوا و قد بينا الوجوه فى فتح أن و كسرهما فالمعنى تابع لها و دائر عليها و جواب لو محذوف على جميع الوجوه «وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ» وصف العذاب بالشده توسعا و مبالغه فى الوصف فإن الشده من صفات الأجسام.

النظم

وجه اتصال هذه الآيه بما قبلها أن الله سبحانه أخبر أن مع وضوح هذه الآيات و الدلالات التى سبق ذكرها أقام قوم على الباطل و إنكار الحق فكأنه قال أ بعد هذا البيان و ظهور البرهان يتخذون من دون الله أندادا.

البقره (٢): الآيات ١٦٦ الى ١٦٧

إشاره

إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَ رَأَوْا الْعَذَابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦) وَ قَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤْنَا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَ مَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (١٦٧)

ص: ٣٧١

التبرؤ في اللغة و التفصي و التنزيل نظائر و أصل التبرؤ التولى و التباعد للعداوه و إذا قيل تبرأ الله من المشركين فكأنه باعدهم من رحمته للعداوه التي استحقوها بالمعصيه و أصله من الانفصال و منه برأ من مرضه و برىء ببرأ برءا و براء و برىء من الدين براءه و الاتباع طلب الاتفاق في مقال أو فعال أو مكان فإذا قيل اتبعه ليلحقه فالمراد ليتفق معه في المكان و التقطع التباعد بعد اتصال و السبب الوصله إلى المتعذر بما يصلح من الطلب و الأسباب الوصلات واحدا سبب و منه يسمى الحبل سببا لأنك تتوصل به إلى ما انقطع عنك من ماء بئر أو غيره و مضت سبه من الدهر أى ملاوه و الكره الرجعه قال الأخطل:

و لقد عطفن على فزاره عطفه

كر المنيح و جلن ثم مجالا

و الكر نقيض الفر قال صاحب العين الكر الرجوع عن الشىء و الكر الحبل الغليظ و قيل الشديد الفتل و الحسرات جمع الحسره و هى أشد الندامه و الفرق بينها و بين الإراده أن الحسره تتعلق بالماضى خاصه و الإراده تتعلق بالمستقبل لأن الحسره إنما هى على ما فأت بوقوعه أو ينقضى وقته و الحسره و الندامه من النظائر يقال حسر يحسر حسرا و حسره إذا كمد على الشىء الفأنت و تلهف عليه و أصل الحسر الكشف تقول حسرت العمامه عن رأسى إذا كشفتها و حسر عن ذراعيه حسرا و الحاسر الذى لا درع عليه و لا مغفر.

الإعراب

العامل في إذ قوله شديد العذاب أى وقت التبرؤ و انتصب فمتبرأ على أنه جواب التمنى بالفاء كأنه قال ليت لنا كرورا فبرأ، و كلما عطف الفعل على ما تأويله

تأويل المصدر نصب بإضمار أن و لا- يجوز إظهارها فيما لم يفصح بلفظ المصدر فيه لأنه لما حمل الأول على التأويل حمل الثانى على التأويل أيضا و يجوز فيه الرفع على الاستئناف أى فحن نترأ منهم على كل حال و أما قوله «لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً» ففى موضع الرفع لفعل محذوف تقديره لو صح أن لنا كره لأن لو فى التمنى و فى غيره تطلب الفعل و إن شئت قلت تقديره لو ثبت أن لنا كره و أقول إن جواب لو هنا أيضا فى التقدير محذوف و لذلك أفاد لو فى الكلام معنى التمنى فىكون تقديره لو ثبت أن لنا كره فنتبرأ منهم لتشفينا بذلك و جازيناهم صاعا بصاع و هذا شىء أخرجه لى الاعتبار و لم أره فى الأصول و هو الصحيح الذى لا غبار عليه و بالله التوفيق و أما العامل فى الكاف من كذلك فقوله «يُرِيهِمُ اللَّهُ» أى يريهم الله أعمالهم حسرات كذلك أى مثل تبرؤ بعضهم من بعض و ذلك لانقطاع الرجاء من كل واحد منهما و قيل تقديره يريهم أعمالهم حسرات كما أراهم العذاب و ذلك لأنهم أيقنوا بالهلاك فى كل واحد منهما.

المعنى

لما ذكر الذين اتخذوا الأنداد ذكر سوء حالهم فى المعاد فقال سبحانه «إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا» و هم القاده و الرؤساء من مشركى الإنس عن قتاده و الربيع و عطاء و قيل هم الشياطين الذين اتبعوا بالوسوسة من الجن عن السدى و قيل هم شياطين الجن و الإنس و الأظهر هو الأول «مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا» أى من اتباع السفلى «وَرَأَوْا» أى رأى التابعون و المتبعون «الْعَذَابَ» أى عينه حين دخلوا النار «وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ» فيه وجوه (أحدها) الوصلات التى كانوا يتواصلون عليها عن مجاهد و قتاده و الربيع (و الثانى) الأرحام التى كانوا يتعاطفون بها عن ابن عباس (و الثالث) العهود التى كانت بينهم يتوادون عليها عن ابن عباس أيضا (و الرابع) تقطعت بهم أسباب أعمالهم التى كانوا يوصلونها عن ابن زيد و السدى (و الخامس) تقطعت بهم أسباب النجاه عن أبى على و ظاهر الآيه يحتمل الكل فىنبغى أن يحمل على عمومه فكأنه قيل قد زال عنهم كل سبب يمكن أن يتعلق به فلا ينتفعون بالأسباب على اختلافها من منزله أو قرابه أو موده أو حلف أو عهد على ما كانوا ينتفعون بها فى الدنيا و ذلك نهايه فى الإياس «وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا» يعنى الأتباع «لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً» أى عوده إلى دار الدنيا و حال التكليف «فَتَنَبَّرْنَا مِنْهُمْ» أى من القاده فى الدنيا «كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا» فى الآخرة «كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسِيرَاتٍ عَلَيْهِمْ» (أحدها) أن المراد المعاصى يتحسرون عليها لم عملوها عن الربيع و ابن زيد و هو اختيار الجبائى و البلخى (و الثانى) المراد الطاعات يتحسرون عليها لم لم يعملوها و ضيعوها عن السدى

ما رواه أصحابنا عن أبي جعفر (عليه السلام) أنه قال هو الرجل يكتسب المال و لا يعمل فيه خيرا فيرثه من يعمل فيه عملا صالحا فيرى الأول ما كسبه حسره في ميزان غيره

(و الرابع) أن الله سبحانه يريهم مقادير الثواب التي عرضهم لها لو فعلوا الطاعات فيتحسرون عليه لم فرطوا فيه و الآيه محتمله لجميع هذه الوجوه فالأولى الحمل على العموم «و ما هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ» أى يخلدون فيها بين سبحانه فى الآيه أنهم يتحسرون فى وقت لا- ينفعمهم فيه الحسره و ذلك ترغيب فى التحسر فى وقت تنفع فيه الحسره و أكثر المفسرين على أن الآيه وارده فى الكفار كابن عباس و غيره و فى هذه الآيه دلالة على أنهم كانوا قادرين على الطاعة و المعصيه لأن ليس فى المعقول أن يتحسر الإنسان على ترك ما كان لا يمكنه الانفكاك عنه أو على فعل ما كان لا يمكنه الإتيان به ألا ترى أنه لا يتحسر الإنسان على أنه لم يصعد السماء لما لم يكن قادرا على الصعود إلى السماء.

البقره (٢): آيه ١٦٨

اشاره

يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّبًا وَ لَا تَتَّبِعُوا خُطواتِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨)

القراءه

قرأ نافع و أبو عمرو و حمزه و أبو بكر إلا البرجمى خطوات بسكون الطاء حيث وقع و الباقرن بضمها و روى فى الشواذ عن على (عليه السلام) خطوات بضميتين و همزه و عن أبى السماك خطوات بفتح الخاء و الطاء.

الإعراب

ما كان على فعله من الأسماء فالأصل فى جمعه التثقيل نحو غرفه و غرفات و حجره و حجرات لأن التحريك فاصل بين الاسم و الصفه و من أسكنه قال خُطواتٍ فإنه نوى الضمه و أسكن الكلمه عنها طلبا للرخفه و من ضم الخاء و الطاء مع الهمزه فكأنه ذهب بها مذهب الخطيئه فجعل ذلك على مثال فعله من الخطا هذا قول الأخفش و قال أبو حاتم أرادوا إشباع الفتحة فى الواو فانقلبت همزه و من فتح الخاء و الطاء فهو جمع خطوه فيكون مثل تمره و تمرات.

اللغه

الأكل هو البلع عن مضغ و بلع الذهب و اللؤلؤ و ما أشبهه ليس بأكل فى الحقيقه و قد قيل النعام تأكل الجمر فأجروه مجرى أكل الطعام و الحلال هو الجائز من

أفعال العباد و نظيره المباح و أصله الحل نقيض العقد و إنما سمي المباح حلالاً لانحلال عقد الحظر عنه و لا يسمى كل حسن حلالاً- لأنه أفعاله تعالى حسنه و لا يقال إنها حلال إذ الحلال إطلاق في الفعل لمن يجوز عليه المنع يقال حل يحل حلالاً و حل يحل حلولاً و حل العقد يحله حلاً و أحل من إحرامه و حل فهو محل و حلال و حلت عليه العقوبه وجبت و الطيب هو الخالص من شائب ينغص و هو على ثلاثه أقسام الطيب المستلد و الطيب الجائر و الطيب الطاهر و الأصل هو المستلد إلا أنه وصف به الطاهر و الجائر تشبيهاً إذ ما يزرع عنه العقل أو الشرع كالذي تكرهه النفس في الصبر عنه و ما تدعو إليه بخلاف ذلك و الطيب الحلال و الطيب النظيف و أصل الباب الطيب خلاف الخبيث و الخطوه بعد ما بين قدمي الماشي و الخطوه المره من الخطوه يقال خطوت خطوه واحده و جمع الخطوه خطى و أصل الخطوه نقل القدم و «خُطُواتِ الشَّيْطَانِ» آثاره و العدو المباعد عن الخير إلى الشر و الولي نقيضه.

الإعراب

حلالاً صفة مصدر محذوف أى كلوا شيئاً حلالاً و من فى قوله «مِمَّا فِي الْأَرْضِ» يتعلق بكلوا أو بمحذوف يكون معه فى محل النصب على الحال و العامل فيه كلوا و ذو الحال قوله «حَلَالًا» و قوله «طَيِّبًا» صفة بعد صفة.

النزول

عن ابن عباس إنها نزلت فى ثقيف و خزاعه و بنى عامر بن صعصعه و بنى مدلج لما حرموا على أنفسهم من الحرث و الأنعام و البحيره و السائبه و الوصيله فنهاهم الله عن ذلك.

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر التوحيد و أهله و الشرك و أهله أتبع ذلك بذكر ما تتابع منه سبحانه على الفريقين من النعم و الإحسان ثم نهاهم عن اتباع الشيطان لما فى ذلك من الجحود لنعمه و الكفران فقال «يَا أَيُّهَا النَّاسُ» و هذا الخطاب عام لجميع المكلفين من بنى آدم «كُلُوا» لفظه الأمر و معناه الإباحه «مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا» لما أباح الأكل بين ما يجب أن يكون عليه من الصفة لأن فى المأكل ما يحرم و فيه ما يحل فالحرام يعقب الهلكه و الحلال يقوى على العباده و إنما يكون حلالاً بأن لا يكون مما تناوله الحظر و لا- يكون لغير الأكل فيه حق و هو يتناول جميع المحللات و أما الطيب فليل هو الحلال أيضاً فجمع بينهما لاختلاف اللفظين تأكيداً و قيل معناه ما يستطيعونه و يستلذونه فى العاجل و الآجل «وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ» اختلف فى معناه فليل أعماله عن ابن عباس و قيل خطاياهم عن مجاهد و قتاده و قيل طاعتكم إياه عن السدى و قيل آثاره عن الخليل و

روى عن

ص: ٣٧٥

أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام) أن من خطوات الشيطان الحلف بالطلاق و النذور فى المعاصى و كل يمين بغير الله تعالى و قال القاضى يريد وساوس الشيطان و خواطره و قال الماوردى هو ما ينقلهم به من معصيه إلى معصيه حتى يستوعبوا جميع المعاصى مأخوذ من خطو القدم فى نقلها من مكان إلى مكان حتى يبلغ مقصده «إِنَّهُ لَكُمْ عِدُوٌّ مُّبِينٌ» أى مظهر للعداوه بما يدعوكم إليه من خلاف الطاعة لله تعالى و اختلف الناس فى المأكل و المنافع التى لا ضرر على أحد فيها فمنهم من ذهب إلى أنها الحظر و منهم من ذهب إلى أنها على الإباحه و اختاره المرتضى قدس الله روحه و منهم من وقف بين الأمرين و جوز كل واحد منهما و هذه الآيه داله على إباحه المأكل إلا ما دل الدليل على حظره فجاءت مؤكده لما فى العقل.

البقره (٢): آيه ١٦٩

إشارة

إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١٦٩)

اللغة

الأمر من الشيطان هو دعاؤه إلى الفعل فأما الأمر فى اللغة فهو قول القائل لمن دونه افعل إذا كان الأمر مريدا للمأمور به و قيل هو الدعاء إلى الفعل بصيغته أفعال و السوء كل فعل قبيح يزجر عنه العقل أو الشرع و يسمى أيضا ما تنفر عنه النفس سوء تقول ساءنى كذا يسوئنى سوءا و قيل إنما سمي القبيح سوءا لسوء عاقبته لأنه قد يلتذ به فى العاجل و الفحشاء و الفاحشه و القبيحه و السيئه نظائر و هى مصدر نحو السراء و الضراء يقال فحش فحشا و فحشاء و كل من تجاوز قدره فهو فاحش و أفحش الرجل إذا أتى بالفحشاء و كل ما لا- يوافق الحق فهو فاحشه و قوله «إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ» معناه خروجها من بيتها بغير إذن زوجها المطلق لها و القول كلام له عبارته تنبئ عن الحكايه و ذلك ككلام زيد يمكن أن يأتى عمرو بعباره عنه ينبئ عن الحكايه له فيقول قال زيد كذا و كذا فيكون قوله قال زيد يؤذن بأنه يحكى بعده كلام و ليس كذلك إذا قال تكلم زيد لأنه لا يؤذن بالحكايه و العلم ما اقتضى سكون النفس و قيل هو تبين الشىء على ما هو به للمدرك له.

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر الشيطان عقبه ببيان ما يدعو إليه من مخالفه الدين فقال «إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ» أى المعاصى عن السدى و قتاده و قيل بما يسوء فاعله أى يضره و هو فى المعنى مثل الأول «وَ الْفَحْشَاءِ» قيل المراد به الزنا و قيل السوء ما لا حد فيه و الفحشاء ما فيه حد عن ابن عباس «وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» قيل هو دعواهم له الأنداد و الأولاد و نسبتهم إليه الفواحش عن أبى مسلم و قيل أراد به جميع المذاهب

الفاسده و الاعتقادات الباطله و مما يسأل على هذا أن يقال كيف يأمرنا الشيطان و نحن لا نشاهده و لا نسمع كلامه فالجواب أن معنى أمره هو دعاؤه إليه كما تقول نفسى تأمرنى بكذا أى تدعونى إليه و قيل أنه يأمر بالمعاصى حقيقه و قد يعرف ذلك الإنسان من نفسه فيجد ثقل بعض الطاعات عليه و ميل نفسه إلى بعض المعاصى و الوسوسه هى الصوت الخفى و منه وسواس الحلى فيلقى إليه الشيطان أشياء بصوت خفى فى أذنه و متى قيل كيف يميز الإنسان بين ما يلقى إليه الشيطان و ما تدعو إليه النفس فالقول أنه لا ضير عليه إذا لم يميز بينهما فإنه إذا ثبت عنده أن الشيطان قد يأمره بالمعاصى جوز فى كل ما كان من هذا الجنس أن يكون من قبل الشيطان الذى ثبت له عداوته فيكون أرغب فى فعل الطاعه مع ثقلها عليه و فى ترك المعاصى مع ميل النفس إليها مخالفه للشيطان الذى هو عدوه.

البقره (٢): آيه ١٧٠

إشاره

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَ لَا يَهْتَدُونَ (١٧٠)

اللغه

ألفينا أى صادفنا و وجدنا و الأب و الوالد واحد و الاهتداء الإصابه لطريق الحق بالعلم.

الإعراب

«أَوْ لَوْ» هنا واو العطف دخلت عليها همزه الاستفهام و المراد به التوبيخ و التقريع و مثل هذه الواو أَوْ لَوْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ أَلَمْ يَسِيرُوا و إنما جعلت همزه الاستفهام للتوبيخ لأنه يقتضى ما الإقرار به فضيحه عليه كما يقتضى الاستفهام الإخبار بما يحتاج إليه و إنما دخلت الواو فى مثل هذا الكلام لأنك إذا قلت اتبعه و لو ضرك فمعناه اتبعه على كل حال و ليس كذلك أتبعه لو ضرك لأن هذا خاص و ذاك عام فدخلت الواو لهذا المعنى.

النزول

ابن عباس قال دعا النبى (عليه السلام) اليهود إلى الإسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا أعلم منا فنزلت هذه الآيه و فى روايه الضحاك عنه أنها نزلت فى كفار قريش.

المعنى

لما تقدم ذكر الكفار بين سبحانه حالهم فى التقليد و ترك الإجابة إلى

الإقرار بصدق النبي صلى الله عليه وآله فيما جاء به من الكتاب المجيد فقال «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ» اختلف في الضمير فقيل يعود إلى من من قوله «مَنْ يَتَّخِذْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا» وهم مشركو العرب وقيل يعود إلى الناس من قوله «يَا أَيُّهَا النَّاسُ» فعدل عن المخاطبه إلى الغيبه كما قال «حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَبِيئِهِ» وقيل يعود إلى الكفار إذ قد جرى ذكرهم و يصلح أيضا أن يعود إليهم و إن لم يجر ذكرهم لأن الضمير يعود إلى المعلوم كما يعود إلى المذكور و القائل لهم هو النبي صلى الله عليه وآله و المسلمون «اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ» أى من القرآن و شرائع الإسلام و قيل فى التحريم و التحليل «قَالُوا» أى الكفار «بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا» أى وجدنا «عَلَيْهِ آبَاءَنَا» من عباده الأصنام إذا كان الخطاب للمشركين أو فى التمسك باليهوديه إذا كان الخطاب لليهود «أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا» أى لا يعلمون شيئا من أمور الدين «وَلَا يَهْتَدُونَ» أى لا يصيبون طريق الحق و معناه لو ظهر لكم أنهم لا يعلمون شيئا مما لهم معرفته أ كنتم تتبعونهم أم كنتم تنصرفون عن اتباعهم فإذا صح أنه يجب الانصراف عن اتباعهم فقد تبين أن الواجب اتباع الدليل دون اتباع هؤلاء.

البقره (٢): آيه ١٧١

إشاره

وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَ نِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (١٧١)

اللغه

المثل قول سائر يدل على أن سبيل الثانى سبيل الأول نعى الراعى بالغنم ينعى نعيقا إذا صاح بها زجرا قال الأخطل:

فانعى بضانك يا جرير فإنما

منتك نفسك فى الخلاء ضلالا

و نعى الغراب نعاقا و نعيقا إذا صوت من غير أن يمد عنقه و يحركها و نعى بالغين بمعناه فإذا مد عنقه و حركها ثم صاح قيل نعب و الناعقان كوكبان من كواكب الجوزاء و رجلها اليسرى و منكبها الأيمن و هو الذى يسمى الهنعه و هما أضوأ كواكب الجوزاء و الدعاء طلب الفعل من المدعو و نظيره الأمر و الفرق بينهما يظهر بالرتبه و النداء مصدر نادى مناداه و نداء و الدعاء و السؤال بمعناه و الندى له وجوه فى المعنى يقال ندى الماء و ندى

الخير و الشر و ندى الصوت و ندى الحضر فالندى هو البلبل و ندى الخير هو المعروف يقال أندى فلان علينا ندى كثيرا و يده نديه بالمعروف و ندى الصوت بعد مذهبه و ندى الحضر صحه جريه و اشتق النداء من ندى الصوت ناداه أى دعاه بأرفع صوته.

المعنى

ثم ضرب الله مثلا للكفار فى تركهم إجابته من يدعوهم إلى التوحيد و ركونهم إلى التقليد فقال «وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ» أى يصوت «بِمَا لَا يَسْمَعُ» من البهائم «إِلَّا دُعَاءً وَ نِدَاءً» و اختلف فى تقدير الكلام و تأويله على وجوه (أولها)

أن المعنى مثل الذين كفروا فى دعائك إياهم أى مثل الداعى لهم إلى الإيمان كمثل الناعق فى دعائه المنعوق به من البهائم التى لا تفهم و إنما تسمع الصوت فكما أن الأنعام لا يحصل لها من دعاء الراعى إلا السماع دون تفهم المعنى فكذلك الكفار لا يحصل لهم من دعائك إياهم إلى الإيمان إلا السماع دون تفهم المعنى لأنهم يعرضون عن قبول قولك و ينصرفون عن تأمله فيكونون بمنزله من لم يعقله و لم يفهمه و هذا كما تقول العرب فلان يخافك كخوف الأسد و المعنى كخوفه من الأسد فأضاف الخوف إلى الأسد و هو فى المعنى مضاف إلى الرجل قال الشاعر:

فلست مسلما ما دمت حيا

على زيد بتسليم الأمير

أراد بتسليمى على الأمير و هذا معنى قول ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتاده و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

و هو اختيار الجبائى و الرماني و الطبرى (و ثانيها) أن يكون المعنى مثل الذين كفروا و مثلنا أو مثل الذين كفروا و مثلك يا محمد كمثل الذى ينق بما لا يسمع إلا دعاء و نداء أى كمثل الأنعام المنعوق بها و الناعق الراعى الذى يكلمها و هى لا تعقل فحذف المثل الثانى اكتفاء بالأول و مثله قوله سبحانه «وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ» و أراد الحر و البرد و قال أبو ذؤيب:

عصيت إليها القلب إنى لأمرها

مطيع فما أدرى أُرشد طلابها

أراد أُرشد أم غى فاكتفى بذكر الرشد لوضوح الأمر و هو قول الأحفش و الزجاج و هذا لأن فى الآية تشبيه شيتين بشيتين تشبيه الداعى إلى الإيمان بالراعى و تشبيه المدعويين من الكفار بالأنعام فحذف ما حذف للإيجاز و أبقى فى الأول ذكر المدعو و فى الثانى ذكر الداعى و فيما أبقى دليل على ما ألقى (و ثالثها) أن المعنى مثل الذين كفروا فى دعائهم الأصنام كمثل الراعى فى دعائه الأنعام بتعال و ما جرى مجراه من الكلام فكما أن من دعا

البهائم يعد جاهلا فداعى الحجارة أشد جهلا منه لأن البهائم تسمع الدعاء و إن لم تفهم معناه و الأصنام لا يحصل لها السماع أيضا عن أبي القاسم البلخي و غيره (و رابعها) أن مثل الذين كفروا فى دعائهم الأصنام و هى لا تعقل و لا تفهم كمثل الذى ينطق دعاء و نداء بما لا يسمع صوته جملة و يكون المثل مصروفا إلى غير الغنم و ما أشبهها مما يسمع و إن لم يفهم و على هذا الوجه ينتصب دعاء و نداء بينق و إلا ملغاه لتوكيد الكلام كما فى قول الفرزدق:

هم القوم إلا حيث سلوا سيوفهم

و ضحوا بلحم من محل و محرم

و المعنى هم القوم حيث سلوا سيوفهم (و خامسها) أن يكون المعنى و مثل الذين كفروا كمثل الغنم الذى لا يفهم دعاء الناعق فأضاف سبحانه المثل الثانى إلى الناعق و هو فى المعنى مضاف إلى المنعوق به على مذهب العرب فى القلب نحو قولهم طلعت الشعري و انتصب العود على الحرباء و المعنى انتصب الحرباء على العود و أنشد الفراء:

إن سراجا لكريم مفخره

تجلى به العين إذا ما تجمره

أى تجلى بالعين و أنشد أيضا:

كانت فريضه ما تقول كما

كان الزنا فريضه الرجم

و المعنى كما كان الرجم فريضه الزنا و أنشد:

و قد خفت حتى ما تزيد مخافتى

على وعل فى ذى المطاره عاقل

أى ما تزيد مخافه وعل على مخافتى و قال العباس بن مرداس:

فديت بنفسه نفسى و مالى

و ما آلوك إلا ما أطيق

أراد بنفسى نفسه ثم وصفهم سبحانه بما يجرى مجرى التهجين و التوبيخ فقال «صُمَّمٌ بُّكُمْ عُمَى» أى صم عن استماع الحجة بكم عن التكلم بها عمى عن الأبصار لها و هو قول ابن عباس و قتاده و السدى و قد مر بيانه فى أول السوره أبسط من هذا «فَهْمٌ لا يَعْقِلُونَ» أى هم بمنزله من لا عقل له إذ لم ينتفعوا بعقولهم.

إشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢)

اللغه

الشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم و يكون على وجهين (أحدهما) الاعتراف بالنعمة متى ذكرها المنعم عليه بالاعتقاد لها (و الثانى) الطاعه بحسب جلاله النعمه فالأول لازم فى كل حال من أحوال الذكر و الثانى أنه يلزم فى الحال التى يحتاج فيها إلى القيام بالحق و أما العباده فهى ضرب من الشكر إلا أنها غايه فيه ليس وراءها شكر و يقترن به ضرب من الخضوع و لا يستحق العباده غير الله سبحانه لأنها إنما تستحق بأصول النعم التى هى الحياه و القدره و الشهوه و أنواع المنافع و بقدر من النفع لا يوازيه نعمه منعم فلذلك اختص الله سبحانه باستحقاقها.

الإعراب

«ما رَزَقْنَاكُمْ» موصول و صلته و العائد من الصلته إلى الموصول محذوف و تقديره ما رزقناكموه و جواب الشرط محذوف تقديره إن كنتم إياه تعبدون فكلوا من طيبات ما رزقناكم و اشكروا لله.

المعنى

ثم خاطب سبحانه المؤمنين و ذكر نعمه الظاهره عليهم و إحسانه المبين إليهم فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا» ظاهره الأمر و المراد به الإباحه لأن تناول المشتهى لا يدخل فى التعبد و قيل أنه أمر من وجهين. (أحدهما) بأكل الحلال (و الآخر) بالأكل وقت الحاجه دفعا للضرر عن النفس قال القاضى و هذا مما يعرض فى بعض الأوقات و الآيه غير مقصوره عليه فيحمل على الإباحه «مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ» أى مما تستلذونه و تستطيبونه من الرزق و فيه دلالة على النهى عن أكل الخبيث فى قول البلخى و غيره كأنه قيل كلوا من الطيب غير الخبيث كما أنه لو قال كلوا من الحلال لكان ذلك دالا على حظر الحرام و هذا صحيح فيما له ضد قبيح مفهوم فأما غير ذلك فلا يدل على قبح ضده لأن قول القائل كل من مال زيد لا يدل على أنه أراد تحريم ما عداه لأنه قد يكون الغرض البيان لهذا خاصه و ما عداه موقوف على بيان آخر و ليس كذلك ما ضده قبيح لأنه قد يكون من البيان تقييح ضده «وَ اشْكُرُوا لِلَّهِ» لما نبه سبحانه على إنعامه علينا بما جعله لنا من لذيذ الرزق أمرنا بالشكر لأن الإنعام يقتضى الشكر و قوله «إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ» أى إن كنتم تعبدونه عن علم بكونه منعما عليكم و قيل إن كنتم مخلصين له فى العباده و ذكر الشرط هنا إنما هو على وجه المظاهره فى الحجاج و لما فيه من حسن البيان و تلخيص

الكلام أن كانت العباده لله سبحانه واجبه عليكم بأنه إلهكم فالشكر له واجب عليكم بأنه منعم محسن إليكم.

البقره (٢): آيه ١٧٣

إشاره

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَ مَا أَهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَ لَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٧٣)

القراءه

قرأ أبو جعفر الميته مشدده كل القرآن وقرأ أهل الحجاز و الشام و الكسائي فمن اضطر غير باغ بضم النون و أبو جعفر منهم بكسر الطاء من اضطر و الباقون بكسر النون.

الإعراب

الميته أصلها الميئته فحذفت الياء الثانيه استخفافا لثقل الياءين و الكسره و الأجود فى القراءه الميته بالتخفيف و قوله فمن اضطر بالضم فهو للاتباع كما ضمت همزه الوصل فى انصروا و أما الكسره فعلى أصل الحركه لالتقاء الساكنين و أما قراءه أبى جعفر فمن اضطر فلأن الأصل اضطرر فسكنت الراء الأولى للإدغام و نقلت حركتها إلى الحرف الذى قبلها فصار اضطر و الأصل أن لا تنقل حركه الراء عند إسكانها لأن الطاء على حركتها الأصليه.

اللغه

الإهلال فى الذبيحه رفع الصوت بالتسميه و كان المشركون يسمون الأوثان و المسلمون يسمون الله و انهلال المطر شده انصبابه و الهلال غره القمر لرفع الناس أصواتهم عند رؤيته بالتكبير و المحرم يهل بالإحرام و هو أن يرفع صوته بالتلبيه و استهل الصبى إذا بكى وقت الولاده و الاضطرار كل فعل لا يمكن المفعول به الامتناع منه و ذلك كالجوع الذى يحدث للإنسان فلا يمكنه الامتناع منه و الفرق بين الاضطرار و الإلجاء أن الإلجاء قد تتوفر معه الدواعى إلى الفعل من جهه الضرر و النفع و ليس كذلك الاضطرار قال صاحب العين رجل لحم إذا كان أكولا للحم و بيت لحم يكثر فيه اللحم و ألحمت القوم إذا قتلتهم و صاروا لحما و الملحمة الحرب ذات القتل الشديد و استلحم الطريد إذا اتسع و اللحمه قرابه النسب و أصل الباب اللزوم و منه اللحم للزوم بعضه بعضا و أصل البغى الطلب من قولهم بغى الرجل حاجته يبغى بغاء قال الشاعر:

لا يمنعك من بغاء الخير تعقاد التمام

إن الأشائم كالأيامن و الأيامن كالأشائم

و البغاء طلب الزنا و العادى المعتدى:.

الإعراب

إنما تفيد إثبات الشىء الذى يذكر بعدها و نفى ما عداه كقول الشاعر:

(و إنما عن أحسابهم أنا أو مثلى)

و إنما كانت لإثبات الشىء و نفى ما سواه من قبل أن إن كانت للتوكيد و انضاف إليها ما للتوكيد أيضا أكدت أن من جهة التحقيق للشىء و أكدت ما من جهة نفى ما عداه فإذا قلت إنما أنا بشر فكأنك قلت ما أنا إلا بشر و لو كانت ما بمعنى الذى لكتبت ما مفصوله و مثله قوله تعالى: «إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ» أى لا إله إلا الله إلا إله واحد و مثله إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ أى لا نذير إلا أنت فإذا ثبت ذلك فلا- يجوز فى الميته إلا-ال نصب لأن ما كاهه و لو كانت ما بمعنى الذى لجاز فى الميته الرفع و غير باغ منصوب على الحال و تقديره لا باغيا و لا عاديا و لا يجوز أن يقع إلا هاهنا فى موضع غير لما قلناه أنه بمعنى النفى و لذلك عطف عليه بلا فأما إلا فمعناه فى الأصل الاختصاص لبعض من كل و ليس هاهنا كل يصلح أن يخص منه.

المعنى

لما ذكر سبحانه إباحه الطيبات عقبه بتحريم المحرمات فقال «إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ» و هو ما يموت من الحيوان «وَالدَّمَ وَ لَحْمَ الْخَيْزِيرِ» خص اللحم لأنه المعظم و المقصود و إلا فجملته محرمه «وَمَا أَهْلٌ بِهِ لَعَيَّرَ اللَّهُ» قيل فيه قولان.

(أحدهما) أنه ما ذكر غير اسم الله عليه عن الربيع و جماعه من المفسرين و الآخر أنه ما ذبح لغير الله عن مجاهد و قتاده و الأول أوجه «فَمَنْ اضْطُرَّ» إلى أكل هذه الأشياء ضروره مجاعه عن أكثر المفسرين و قيل ضروره إكراه عن مجاهد و تقديره فمن خاف على النفس من الجوع و لا يجد مأكولا يسد به الرمق و قوله «غَيْرِ بَاغٍ» قيل فيه ثلاثه أقوال (أحدها) غير باغ اللذه «وَلَا عَادٍ» سد الجوعه عن الحسن و قتاده و مجاهد (و ثانيها) غير باغ فى الإفراط و لا عاد فى التقصير عن الزجاج (و ثالثها)

غير باغ على إمام المسلمين و لا عاد بالمعصيه طريق المحقين و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله

و عن مجاهد و سعيد بن جبير و اعترض على بن عيسى على هذا القول بأن قال أن الله لم يبح لأحد قتل نفسه و التعرض للقتل قتل فى حكم الدين و لأن الرخصه لأجل المجاعه لا لأجل سفر الطاعه و هذا فاسد لأن الباغى على الإمام معرض نفسه للقتل فلا يجوز لذلك استباحه ما حرم الله كما لا يجوز له أن يستبقى نفسه بقتل غيره من المسلمين و قوله أن الرخصه لأجل المجاعه

غير مسلم على الإطلاق بل هو مخصوص بمن لم يعرض نفسه لها «فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ» أى لا حرج عليه و إنما ذكر هذا اللفظ ليبين أنه ليس بمباح فى الأصل و إنما رفع الحرج لأجل الضروره «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» و إنما ذكر المغفره لأحد الأمرين أما ليبين أنه إذا كان يغفر المعصيه فإنه لا يؤخذ بما رخص فيه و أما لأنه وعد بالمغفره عند الإنابه إلى طاعه الله مما كانوا عليه من تحريم ما لم يحرمه الله من السائبه و غيرها.

البقره (٢): آيه ١٧٤

إشاره

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٤)

اللغه

البطن خلاف الظهر و البطن الغامض من الأرض و البطن من العرب دون القبيله.

الإعراب

الذين مع صلته منصوب بأن و أولئك رفع بالابتداء و خبره «ما يأكلون فى بطونهم إلا النار» و المبتدأ و خبره جمله فى موضع الرفع بكونها خبر إن و النار نصب بياكلون.

التزول المعنى فى هذه الآيه أهل الكتاب بإجماع المفسرين إلا أنها متوجهه على قول كثير منهم إلى جماعه قليله من اليهود و هم علماءهم ككعب بن الأشرف و حبي بن أخطب و كعب بن أسد و كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا و يرجون كون النبى منهم فلما بعث من غيرهم خافوا زوال ما كلتهم فغير

المعنى

ثم عاد الكلام إلى ذكر اليهود الذين تقدم ذكرهم فقال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ» أى صفه محمد و البشاره به عن ابن عباس و قتاده و السدى و قيل كتموا الأحكام عن الحسن و الكتاب على القول الأول هو التوراه و على الثانى يجوز أن يحمل على القرآن و على سائر الكتب «وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا» أى يستبدلون به عرضا قليلا- و ليس المراد أنهم إذا اشتروا به ثمننا كثيرا كان جائزا بل الفائده فيه أن كل ما يأخذونه فى مقابله ذلك من حطام الدنيا فهو قليل و للعرب فى ذلك عاده معروفه و مذهب مشهور و مثله فى القرآن كثير قال «وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ» وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ و فيه دلالة على أن من ادعى أن مع الله إلها آخر لا يقوم له على

قوله بُرْهَانَ و إن قتل الأنبياء لا يكون إلا بغير حق و ذلك بأن وصف الشىء بما لا بد أن يكون عليه من الصفه و مثله فى الشعر قول النابغه:

يحفه جانباً نيق و يتبعه

مثل الزجاجه لم تكحل من الرمذ

أى ليس بها رمذ فيكتحل له و قول الآخر:

لا يغمز الساق من أين و من و صب

و لا يعرض على شرسوفه الصفر

أى ليس بساقه أين و لا و صب فيغمزها من أجلهما و قول سويد بن أبى الكاهل:

من أناس ليس فى أخلاقهم

عاجل الفحش و لا سوء الجزع

و لم يرد أن فى أخلاقهم فحشا آجلاً أو جزعا غير سىء بل نفى الفحش و الجزع عن أخلاقهم و فى أمثال هذا كثيره «أولئك» يعنى الذين كتموا ذلك و أخذوا الأجر على الكتمان «ما يأكلون فى بطنهم إلا النار» و معناه أن أكلهم فى الدنيا و إن كان طيباً فى الحال فكأنهم لم يأكلوا إلا النار لأن ذلك يؤديهم إلى النار كقوله سبحانه فى أكل مال اليتيم: «إنما يأكلون فى بطنهم ناراً» عن الحسن و الربيع و أكثر المفسرين و قيل إنهم يأكلون النار حقيقه فى جهنم عقوبه لهم على كتمانهم فيصير ما أكلوا فى بطنهم ناراً يوم القيامة فسماه فى الحال بما يصير إليه فى المال و إنما ذكر البطن و إن كان الأكل لا يكون إلا فى البطن لوجهين (أحدهما) أن العرب تقول جعت فى غير بطنى و شبع فى غير بطنى إذا جاع من يجرى جوعه مجرى جوعه و شبعه مجرى شبعه فذكر ذلك لإزالة اللبس (و الآخر) أنه لما استعمل المجاز بأن أجرى على الرشوه اسم النار حقق بذكر البطن ليدل على أن النار تدخل أجوافهم «و لا يكلمهم الله يوم القيامة» فيه وجهان (أحدهما) أنه لا يكلمهم بما يحبون و فى ذلك دليل على غضبه عليهم و إن كان يكلمهم بالسؤال بالتوبيخ و بما يغمهم كما قال «فَلَسَيَمَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ» و قال أحسوا فيها و لا تكلمون و هذا قول الحسن و الجبائى (و الثانى) أنه لا يكلمهم أصلاً فتحمل آيات المسأله على أن الملائكه تسألهم عن الله و بأمره و يتأول قوله أحسوا فيها على دلالة الحال و إنما يدل نفى الكلام على الغضب فى الوجه الأول من حيث أن الكلام وضع فى

الأصل للفائده فلما انتفى الفائده على وجه الحرمان دل على الغضب فأما الكلام على وجه الغم والإيلام فخارج عن ذلك «و لا يُزَكِّيهِمْ» معناه لا يثنى عليهم ولا يصفهم بأنهم أذكاء و من لا يثنى الله عليه فهو معذب و قيل لا تقبل أعمالهم كما تقبل أعمال الأذكاء و قيل معناه لا يطهرهم من خبث أعمالهم بالمغفره «و لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» أى موجه مؤلم.

البقره (٢): آيه ١٧٥

إشاره

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَهَ بِالْهُدَى وَ الْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَهَ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (١٧٥)

الإعراب

«فَمَا أَصْبَرَهُمْ» قيل إن ما للتعجب كالتى فى قوله «قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ» أى قد حل محل ما يتعجب منه و حكى عن بعض العرب أنه قال لخصمه ما أصبرك على عذاب الله و قيل أنه للاستفهام على معنى أى شىء أصبرهم يقال أصبرت السبع أو الرجل و نحوه إذا نصبته لما يكره قال الحطيئه:

قلت لها أصبرها دأباً

ويحك أمثال طريف قليل

أى ألزمها و اضطرها.

المعنى

«أُولَئِكَ» إشاره إلى من تقدم ذكرهم «الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَهَ بِالْهُدَى» أى استبدلوا الكفر بالنبى (صلى الله عليه و آله) بالإيمان به فصاروا بمنزله من يشتري السلعه بالثمن و قيل المراد بالضلاله كتمان أمره مع علمهم به و بالهدى إظهاره و قيل المراد بالضلاله العذاب و بالهدى الثواب و طريق الجنه أى استبدلوا النار بالجنه و قوله «وَ الْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَهَ» قيل أنه تأكيد لما تقدم عن أبى مسلم و قيل أنهم كانوا اشتروا العذاب بالمغفره لما عرفوا ما أعد الله لمن عصاه من العذاب و لمن أطاعه من الثواب ثم أقاموا على ما هم عليه من المعصيه مصرين عن القاضى و هذا أولى لأنه إذا أمكن حمل الكلام على زياده فائده كان أولى فكان اشتراؤهم الضلاله يرجع إلى عدولهم عن طريق العلم إلى طريق الجهل و اشتراؤهم العذاب بالمغفره يرجع إلى عدولهم عما يوجب الجنه إلى ما يوجب النار و قوله «فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ» فيه أقوال (أحدها)

إن معناه ما أجرأهم على النار ذهب إليه الحسن و قتاده و رواه على بن إبراهيم بإسناده عن أبى عبد الله (عليه السلام)

(و الثانى)

ما أعملهم بأعمال أهل النار عن مجاهد و هو المروى عن أبي عبد الله (عليه السلام)

(و الثالث) ما أبقاهم على النار كما يقال ما أصبر فلانا على الحبس عن الزجاج (و الرابع) ما أدومهم على النار أى ما أدومهم على عمل أهل النار كما يقال ما أشبه سخاءك بحاتم عن الكسائي و قطرب و على هذه الوجوه فظاهر الكلام التعجب و التعجب لا- يجوز على القديم سبحانه لأنه عالم بجميع الأشياء لا يخفى عليه شىء و التعجب إنما يكون مما لا يعرف سببه و إذا ثبت ذلك فالغرض أن يدلنا على أن الكفار حلوا محل من يتعجب منه فهو تعجب لنا منهم (و الخامس) ما روى عن ابن عباس أن المراد أى شىء أصبرهم على النار أى حبسهم عليها فتكون للاستفهام و يمكن حمل الوجوه الثلاثة المتقدمة على الاستفهام أيضا فيكون المعنى أى شىء أجرأهم على النار و أعملهم بأعمال أهل النار و أبقاهم على النار و قال الكسائي هو استفهام على وجه التعجب و قال المبرد هذا حسن لأنه كالتوبيخ لهم و التعجب لنا كما يقال لمن وقع فى ورطه ما اضطررك إلى هذا إذا كان غنيا عن التعرض للوقوع فى مثلها و المراد به الإنكار و التقرير على اكتساب سبب الهلاك و تعجب الغير منه و من قال معناه ما أجرأهم على النار فإنه عنده من الصبر الذى هو الحبس أيضا لأن بالجرأه يصبر على الشده.

البقره (٢): آيه ١٧٦

إشاره

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (١٧٦)

اللغه

الاختلاف الذهاب على جهه التفرق فى الجهات و أصله من اختلاف الطريق تقول اختلفنا الطريق فجاء هذا من هنا و جاء ذاك من هناك ثم استعمل فى الاختلاف فى المذاهب تشبيها بالاختلاف فى الطريق من حيث أن كل واحد منهم على نقيض ما عليه الآخر من الاعتقاد و أما اختلاف الأجناس فهو ما لا يسد أحدهما مسد الآخر فيما يرجع إلى ذاته كالسواد و البياض و الشقاق و المشاقه انحياز كل واحد عن شق صاحبه للعداوه له و هو طلب كل واحد منهما ما يشق على الآخر لأجل العداوه.

الإعراب

قال الزجاج ذلك مرفوع بالابتداء و الخبر محذوف أى ذلك الأمر و يجوز أن يكون مرفوعا بخبر الابتداء أى الأمر ذلك و يحتمل أن يكون موضع ذلك نصبا على

المعنى

«ذَلِكَ» إشاره إلى أحد ثلاثه أشياء (أولها) ذلك الحكم بالنار عن الحسن (و ثانيها) ذلك العذاب (و ثالثها) ذلك الضلال و في تقدير خبره ثلاثه وجوه (أحدها) ما ذكرناه من قول الزجاج (و ثانيها) إن تقديره ذلك الحكم الذى حكم فيهم أو حل بهم من العذاب أو ذلك الضلال معلوم بأن الله نزل الكتاب بالحق فحذف لدلاله ما تقدم من الكلام عليه (و الثالث) ذلك العذاب لهم «بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ» و يكون الباء مع ما بعده فى موضع الخبر و من ذهب إلى أن المعنى ذلك الحكم بدلاله أن الله نزل الكتاب بالحق فالكلام على صورته و من ذهب إلى أن المعنى ذلك العذاب أو الضلال بأن الله نزل الكتاب بالحق ففى الكلام محذوف و تقديره فكفروا به و المراد بالكتاب هاهنا التوراه و قال الجبائى هو القرآن و غيره و قال بعضهم المراد بالأول التوراه و الثانى القرآن «وَإِنَّ الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ» قيل هم الكفار أجمع عند أكثر المفسرين اختلفوا فى القرآن على أقوال فمنهم من قال هو كلام السحرة و منهم من قال كلام تعلمه و منهم من قال كلام تقوله و قيل هم أهل الكتاب من اليهود و النصارى عن السدى اختلفوا فى التأويل و التنزيل من التوراه و الإنجيل لأنهم حرفوا الكتاب و كتموا صفه النبى صلى الله عليه و آله و جحدت اليهود الإنجيل و القرآن و قوله «لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ» أى بعيد عن الألفه بالاجتماع على الصواب و قيل بعيد فى الشقاق لشهاده كل واحد على صاحبه بالضلال و كلاهما عادل عن الحق و السداد و قيل فى اختلاف شديد فيما يتصل بأحكام التوراه و الإنجيل.

إشارة

لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَ آتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ السَّائِلِينَ وَ فِي الرِّقَابِ وَ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَ آتَى الزَّكَاةَ وَ الْمُؤْتُونَ بَعْدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَ الصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ حِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)

القراءة

قرأ حفص عن عاصم غير هبيرة و حمزه ليس البر بنصب الراء و الباوقن بالرفع و روى فى الشواذ عن ابن مسعود و أبى «لَيْسَ الْبِرُّ» بالنصب بأن يولوا بالياء و قرأ نافع و ابن عامر و لكن البر بالتخفيف و الرفع و الباوقن «وَ لَكِنَّ الْبِرَّ» بالتشديد و النصب.

الإعراب

قال أبو على حجه من رفع البر أن ليس يشبه الفعل و كون الفاعل بعد الفعل أولى من كون المفعول بعده و حجه من نصب البر أنه قد حكى عن بعض شيوخنا أنه قال فى هذا النحو أن يكون الاسم أن و صلتها أولى بشبهها بالمضمر فى أنها لا توصف كما لا- يوصف المضمر و كأنه اجتمع مضمر و مظهر و الأولى إذا اجتمعا أن يكون المضمر الاسم من حيث كان أذهب فى الاختصاص من المظهر قال ابن جنى يجوز أن يكون إنما نصب البر مع الباء بأن جعل الباء زائده كقولهم وَ كَفَى بِاللَّهِ وَكَيْلًا.

اللغة

البر العطف و الإحسان مصدر و يجوز أن يكون بمعنى البار أى الواسع الإحسان و البر الصدق و البر الإيمان و التقوى و أصله من الاتساع و منه البر خلاف البحر لاتساعه و اختلف أهل اللغة و الفقهاء فى المسكين و الفقير أيهما أشد أحوالاً- فقال جماعه المسكين الذى لا شىء له و الفقير الذى له ما لا يكفيه و هو قول يونس و ابن دريد و قول أبى حنيفة و قال آخرون الفقير الذى لا- شىء له و المسكين من له شىء يسير و هو قول الشافعى و السبيل الطريق و ابن السبيل هو المنقطع به إذا كان فى سفره محتاجا و إن كان فى بلده ذا يسار و هو من أهل الزكاه و قيل أنه الضيف عن قتاده و إنما قيل للمسافر ابن الطريق للزومه الطريق كما قيل للطير ابن الماء قال ذو الرمه:

وردت اعتسافا و الثريا كأنها

على قمه الرأس ابن ماء محلق

و الرقاب جمع رقبه و هى أصل العنق و يعبر به عن جميع البدن يقال أعتق الله رقبته و منه قوله فَتَحْرِيْرُ رَقَبَةٍ وَ البؤس الفقر و الضراء السقم و الوجع و هما مصدران بنيا على فعلاء و ليس لهما أفعل لأن أفعل و فعلاء فى الصفات و النعوت و لم يأتيا فى الأسماء التى ليست بنعوت.

من نصب البر جعل أن مع صلتها اسم ليس أي ليس توليتكم وجوهكم

ص: ٣٨٩

البر كله و من رفع البر فالمعنى ليس البر كله توليتكم و كالا- المذهبين حسن لأن كل واحد من اسم ليس و خبرها معرفه فإذا اجتمعا فى التعريف تكافأ فى كون أحدهما اسما و الآخر خبرا كما تتكافأ النكرتان و قد ذكرنا الوجه فى ترجيح أحد المذهبين على الآخر و لكن البر إذا شددت لكن نصبت البر و إذا خففت رفعت البر و كسرت النون مع التخفيف لالتقاء الساكنين و أما الإخبار عن البر بمن آمن ففيه وجه ثلاثة (أحدها) أن يكون البر بمعنى البار فجعل المصدر فى موضع اسم الفاعل كما يقال ماء غور أى غائر و رجل صوم أى صائم و مثله قول الخنساء:

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت

فإنما هى إقبال و إدبار

أى أنها مقبله و مدبره مثله:

تظل جيادهم نوحا عليهم

مقلده أعنتها صفونا

أى نائحه و (ثانيها) إن المعنى و لكن ذا البر من آمن بالله فحذف المضاف من الاسم و (ثالثها) أن يكون التقدير و لكن البر بر من آمن بالله فحذف المضاف من الخبر و أقام المضاف إليه مقامه كقول الشاعر:

و كيف تواصل من أصبحت

خلالته كأبى مرحب

و كقول النابغه:

و قد خفت حتى ما تزيد مخافتى

على وعل فى ذى المطاره عاقل

أى على مخافه و على و مثله قوله تعالى «أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» ثم قال «كَمَنْ آمَنَ» أى كإيمان من آمن و قوله «وَالْمُؤْمِنُونَ بَعَثَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا» فى رفعه قولان أحدهما أن يكون مرفوعا على المدح لأن النعت إذا طال و كثر رفع بعضه و نصب على المدح و المعنى و هم الموفون و الآخر أن يكون معطوفا على من آمن و المعنى و لكن ذا البر أو ذوى البر المؤمنون و الموفون بعهدهم و أما قوله «وَالصَّابِرِينَ» فمنصوب على المدح أيضا لأن مذهبهم فى الصفات و النعوت إذا طالت أن يعترضوا بينها بالمدح أو الذم ليميزوا الممدوح أو المذموم و تقديره أعنى الصابرين قال أبو على و الأحسن فى هذه الأوصاف التى تقطعت للرفع من موصوفها و المدح أو الغض منهم و الذم أن يخالف بإعرابها و لا- تجعل كلها جاريه على موصوفها ليكون ذلك دلالة على هذا المعنى

و انفصالا- لما يذكر للتثويه و التنبيه أو النقص و الغض مما يذكر للتخليص و التمييز بين الموصوفين المشتبهين فى الاسم المختلفين فى المعنى و من ذلك قول الشاعر أنشده الفراء:

إلى الملك القرم و ابن الهمام

و ليث الكتيبه فى المزدحم

و ذا رأى حين تغم الأمور

بذات الصليل و ذات اللجم

فنصب ليث الكتيبه و ذا رأى على المدح و أنشد أيضا:

فليت التى فيها النجوم تواضعت

على كل غث منهم و سمين

غيوث الحيا فى كل محل و لزه

أسود الشرى يحمين كل عرين

و مما نصب على الذم:

سقونى الخمر ثم تكنفونى

عداه الله من كذب و زور

و شىء آخر و هو أن هذا الموضع من مواضع الإطناب فى الوصف و إذا خولف بإعراب الألفاظ كان أشد و أوقع فيما يعن و يعترض لصيروره الكلام و كونه بذلك ضروريا و جملا و كونه فى الأجزاء على الأول و جها واحدا و جمله واحده فلذلك سبق قول سيبويه فى قوله وَ الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ و أنه محمول على المدح قول من قال أنه محمول على قوله بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ و بالمقيمين الصلاة و إن كان هذا غير ممتنع و قال بعض النحويين أن الصابرين معطوف على ذوى القربى قال الزجاج و هذا لا يصلح إلا أن تكون و الموفون رفعا على المدح للضميرين لأن ما فى الصلة لا يعطف عليه بعد المعطوف على الموصول قال أبو على لا وجه لهذا القول لأن و الصابرين لا يجوز حمله على «وَ آتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ» سواء كان قوله «وَ الْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ» عطفا على الموصول أو مدحا لأن الفصل بين الصلة يقع به إذا كان مدحا كما يقع به إذا كان مفردا معطوفا على الموصول بل الفصل بينهما بالمدح أشنع لكون المدح جمله و الجمل ينبغى أن تكون فى الفصل أشنع و أقبح بحسب زيادتها على المفرد و إن كان الجميع من ذلك ممتنعا.

لما حولت القبلة و كثر الخوض فى نسخها و صار كأنه لا- يراعى بطاعه الله إلا التوجه للصلاه و أكثر اليهود و النصارى ذكرها
أنزل الله سبحانه هذه الآيه عن أبى القاسم البلخى و عن قتاده أنها نزلت فى اليهود.

«لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» بين سبحانه أن البر كله ليس فى الصلاة فإن الصلاة إنما أمر بها لكونها مصلحه فى الإيمان و صارفه عن الفساد و كذلك العبادات الشرعيه إنما أمر بها لما فيها من الألفاف و المصالح الدينيه و ذلك يختلف بالأزمان و الأوقات فقال ليس البر كله فى التوجه إلى الصلاة حتى يضاف إلى ذلك غيره من الطاعات التى أمر الله بها عن ابن عباس و مجاهد و اختاره أبو مسلم و قيل معناه ليس البر ما عليه النصارى من التوجه إلى المشرق و لا ما عليه اليهود من التوجه إلى المغرب عن قتاده و الربيع و اختاره الجبائى و البلخى «وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ» أى لكن البر بر من آمن بالله كقولهم السخاء حاتم و الشعر زهير أى السخاء سخاء حاتم و الشعر شعر زهير عن قطرب و الزجاج و الفراء و اختاره الجبائى و قيل و لكن البار أو ذا البر من آمن بالله أى صدق بالله و يدخل فيه جميع ما لا يتم معرفه الله سبحانه إلا به كمعرفه حدوث العالم و إثبات المحدث و صفاته الواجبه و الجائزه و ما يستحيل عليه سبحانه و معرفه عدله و حكمته «وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» يعنى القيامة و يدخل فيه التصديق بالبعث و الحساب و الثواب و العقاب «وَالْمَلَائِكَةِ» أى و بأنهم عباد الله المكرمون لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون «وَالْكِتَابِ» أى و بالكتب المنزله من عند الله إلى أنبيائه «وَالنَّبِيِّينَ» و بالأنبياء كلهم و أنهم معصومون مطهرون و فيما أدوه إلى الخلق صادقون و إن سيدهم و خاتمهم محمد صلى الله عليه و آله و إن شريعته ناسخه لجميع الشرائع و التمسك بها لازم لجميع المكلفين إلى يوم القيامة «وَأَتَى الْمَالَ» أى و أعطى المال «عَلَى حُبِّهِ» فيه وجوه (أحدها) إن الكنايه راجعه إلى المال أى على حب المال فيكون المصدر مضافا إلى المفعول و هو معنى قول ابن عباس و ابن مسعود قال هو أن تعطيه و أنت صحيح تأمل العيش و تخشى الفقر و لا- تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا (و ثانيها) أن تكون الهاء راجعه إلى من آمن فيكون المصدر مضافا إلى الفاعل و لم يذكر المفعول لظهور المعنى و وضوحه و هو مثل الوجه الأول سواء فى المعنى (و ثالثها) أن تكون الهاء راجعه إلى الإتياء الذى دل عليه قوله «وَأَتَى الْمَالَ» و المعنى على حبه الإيعاء و يجرى ذلك مجرى قول القطامى:

هم الملوک و أبناء الملوک لهم

و الآخذون به و الساسه الأول

فكنى بالهاء عن الملك لدلاله قول الملوک عليه (و رابعها) أن الهاء راجعه إلى الله لأن ذكره سبحانه قد تقدم أى يعطون المال على حب الله و خالصا لوجهه قال المرتضى

قدس الله روحه لم نسبق إلى هذا الوجه في هذه الآيه و هو أحسن ما قيل فيها لأن تأثير ذلك أبلغ من تأثير حب المال لأن المحب للمال الضنين به متى بذله و أعطاه و لم يقصد به القربه إلى الله تعالى لم يستحق شيئا من الثواب و إنما يؤثر حبه للمال في زياده الثواب متى حصل قصد القربه و الطاعه و لو تقرب بالعطيه و هو غير ضنين بالمال و لا محب له لا يستحق الثواب «ذوى القُربى» أراد به قرابه المعطى كما

روى عن النبي صلى الله عليه و آله أنه سئل عن أفضل الصدقه فقال جهد المقل على ذى الرحم الكاشح

و

قوله لفاطمه بنت قيس لما قالت يا رسول الله إن لى سبعين مثقالا من ذهب قال اجعلها فى قرابتك

و يحتمل أن يكون

أراد قرابه النبي (صلى الله عليه و آله) كما فى قوله «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام)

«وَ الْيَتَامَى» اليتيم من لا أب له مع الصغر قيل أراد يعطيهم أنفسهم المال و قيل أراد ذوى اليتامى أى يعطى من تكفل بهم لأنه لا يصح إيصال المال إلى من لا يعقل فعلى هذا يكون اليتامى فى موضع جر عطفًا على القربى و على القول الأول يكون فى موضع نصب عطفًا على «ذوى القُربى» «وَ الْمَسَاكِينَ» يعنى أهل الحاجه «وَ ابْنِ السَّبِيلِ» يعنى المنقطع به عن أبى جعفر و مجاهد و قيل الضيف عن ابن عباس و قتاده و ابن جبير «وَ السَّائِلِينَ» أى الطالبين للصدقه لأنه ليس كل مسكين يطلب «وَ فِي الرِّقَابِ» فيه وجهان (أحدهما) عتق الرقاب بأن يشتري و يعتق (و الآخر) فى رقاب المكاتبين و الآيه محتمله للأمرين فينبغى أن تحمل عليهما و هو اختيار الجبائى و الرماني و فى هذه الآيه دلالة على وجوب إعطاء مال الزكاه المفروضه بلا خلاف و قال ابن عباس فى المال حقوق واجبه سوى الزكاه و قال الشعبي هى محموله على وجوب حقوق فى مال الإنسان غير الزكاه مما له سبب وجوب كالإنفاق على من يجب عليه نفقته و على من يجب عليه سد رمقه إذا خاف عليه التلف و على ما يلزمه من النذور و الكفارات و يدخل فى هذا أيضا ما يخرج الإنسان على وجه التطوع و القربه إلى الله لأن ذلك كله من البر و اختاره الجبائى قالوا و لا يجوز حمله على الزكاه المفروضه لأنه عطف عليه الزكاه و إنما خص هؤلاء لأن الغالب أنه لا يوجد الاضطرار إلا فى هؤلاء «وَ أَقَامَ الصَّلَاةَ» أى أداها لميقاتها و على حدودها «وَ آتَى الزَّكَاةَ» أى أعطى زكاه ماله «وَ الْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا» أى و الذين إذا عاهدوا عهدا أوفوا به يعنى العهود و النذور التى بينهم و بين الله تعالى و العقود التى بينهم و بين الناس و كلاهما يلزم الوفاء به «وَ الصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَ الضَّرَّاءِ» يريد بالبأساء البؤس و الفقر و بالضراء الوجع و العله عن ابن مسعود و قتاده و جماعه من المفسرين «وَ حِينَ الْبَأْسِ» يريد وقت القتال و جهاد العدو و

روى عن على

(عليه السلام) أنه قال كنا إذا أحمر البأس اتقينا برسول الله فلم يكن أحد منا أقرب إلى العدو منه

يريد إذا اشتد الحرب «أُولئِكَ» إشاره إلى من تقدم ذكرهم «الَّذِينَ صَدَقُوا» أى صدقوا الله فيما قبلوا منه و التزموه علما و تمسكوا به عملا عن ابن عباس و الحسن و قيل الذين صدقت نياتهم لأعمالهم على الحقيقه «وَأُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» أى اتقوا بفعل هذه الخصال نار جهنم و استدل أصحابنا بهذه الآيه على أن المعنى بها أمير المؤمنين (عليه السلام) لأنه لا خلاف بين الأمة إنه كان جامعا لهذه الخصال فهو مراد بها قطعاً و لا- قطع على كون غيره جامعا لها و لهذا قال الزجاج و الفراء أنها مخصوصه بالأنبياء المعصومين لأن هذه الأشياء لا يؤديها بكليتها على حق الواجب فيها إلا الأنبياء.

البقره (٢): آيه ١٧٨

إشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بِغَدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨)

اللغه

كتب فرض و أصل الكتابه الخط الدال على معنى فسمى به ما دل على الفرض قال الشاعر:

كتب القتل و القتال علينا

و على الغانيات جر الذبول

و القصاص و المقاصه و المعاوضه و المبادله نظائر يقال قص أثره أى تلاه شيئاً بعد شىء و منه القصاص لأنه يتلو أصل الجنايه و يتبعه و قيل هو أن يفعل بالثانى ما فعله هو بالأول مع مراعاة المماثله و منه أخذ القصاص كأنه يتبع آثارهم شيئاً بعد شىء و الحر نقيض العبد و الحر من كل شىء أكرمه و أحرار البقول ما يؤكل غير مطبوخ و تحرير الكتابه إقامه حروفها و العفو الترك و عفت الدار أى تركت حتى درست و العفو عن المعصيه ترك العقاب

عليها وقيل معنى العفو هاهنا ترك القود بقبول الديه من أخيه و جمع الأخ الأخوه إذا كانوا لأب فإن لم يكونوا لأب فهم إخوان ذكر ذلك صاحب العين و التأديه و الأداء تبليغ الغايه يقال أدى فلان ما عليه و فلان أدى للأمانه من غيره.

الإعراب

فاتباع مبتدأ و خبره محذوف أى فعلية اتباع أو خبر لمبتدأ محذوف أى فحكمه اتباع و لو كان فى غير القرآن لجاز فاتباعا بالمعروف و أداء إليه بإحسان على معنى فليتبع اتباعا و ليؤد أداء و لكن الرفع عليه إجماع القراء و هو الأجود فى العريه.

النزول

نزلت هذه الآيه فى حين من العرب لأحدهما طول على الآخر و كانوا يتزوجون نساءهم بغير مهور و أقسموا لنقتلن بالعبد منا الحر منهم و بالمرأه منا الرجل منهم و بالرجل منا الرجلين منهم و جعلوا جراحاتهم على الضعف من جراح أولئك حتى جاء الإسلام فأنزل الله هذه الآيه.

المعنى

لما بين سبحانه أن البر لا يتم إلا بالإيمان و التمسك بالشرائع بين الشرائع و بدأ بالدماء و الجراح فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ» أى فرض عليكم و أوجب و قيل كتب عليكم فى أم الكتاب و هو اللوح المحفوظ على جهه الفرض «الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ» المساواه فى القتل أى يفعل بالقاتل مثل ما فعله بالمقتول و لا خلاف أن المراد به قتل العمد لأن العمد هو الذى يجب فيه القصاص دون الخطأ المحض و شبهه العمد و متى قيل كيف قال «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ» و الأولياء مخيرون بين القصاص و العفو و أخذ الديه و المقتص منه لا- فعل له فيه فلا- و جوب عليه فالجواب من وجهين (أحدهما) أنه فرض عليكم ذلك إن اختار أولياء المقتول القصاص و الفرض قد يكون مضيقا و قد يكون مخيرا فيه (و الثانى) أنه فرض عليكم التمسك بما حد عليكم و ترك مجاوزته إلى ما لم يجعل لكم و أما من يتولى القصاص فهو إمام المسلمين و من يجرى مجراه فيجب عليه استيفاء القصاص عند مطالبه الولي لأنه حق آدمي و يجب على القاتل تسليم النفس «الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَ الْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَ الْأُنْثَى بِالْأُنْثَى»

قال الصادق و لا يقتل حر بعبد و لكن يضرب ضربا شديدا و يغرم ديه العبد

و هذا مذهب الشافعى

و قال إن قتل رجل امرأه فأراد أولياء المقتول أن يقتلوه أدوا نصف ديته إلى أهل الرجل

و هذا هو حقيقه المساواه فإن نفس المرأه لا- تساوى نفس الرجل بل هى على النصف منها فيجب إذا أخذت النفس الكامله بالنفس الناقصه أن يرد فضل ما بينهما و كذلك رواه الطبرى فى تفسيره عن على السلام و يجوز قتل العبد بالحر و الأنثى بالذكر إجماعا و ليس فى الآيه ما

يمنع من ذلك لأنه لم يقل لا تقتل الأنثى بالذكر ولا العبد بالحر فما تضمنته الآية معمول به و ما قلناه مثبت بالإجماع و بقوله سبحانه النَّفْسَ بِالنَّفْسِ و قوله «فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ» فيه قولان (أحدهما) أن معناه من ترك له و صفح عنه من الواجب عليه و هو القصاص فى قتل العمد من أخيه أى من دم أخيه فحذف المضاف للعلم به و أراد بالأخ المقتول سماه أخوا للقاتل فدل أن أخوه الإسلام بينهما لم تنقطع و إن القاتل لم يخرج عن الإيمان بقتله و قيل أراد بالأخ العافى الذى هو ولى الدم سماه الله أخوا للقاتل و قوله «شَيْءٌ» دليل على أن بعض الأولياء إذا عفا سقط القود لأن شيئا من الدم قد بطل بعفو البعض و الله تعالى قال «فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ» و الضمير فى قوله «لَهُ» و فى «أَخِيهِ» كلاهما يرجع إلى من و هو القاتل أى من ترك له القتل و رضى منه بالديه هذا قول أكثر المفسرين قالوا العفو أن يقبل الدية فى قتل العمد و لم يذكر سبحانه العافى لكنه معلوم أن المراد به من له القصاص و المطالبة و هو ولى الدم و القول الآخر أن المراد بقوله «فَمَنْ عُفِيَ لَهُ» ولى الدم و الهاء فى أخيه يرجع إليه و تقديره فمن بذل له من أخيه يعنى أخوا الولى و هو المقتول الدية و يكون العافى معطى المال ذكر ذلك عن مالك و من نصر هذا القول قال أن لفظ شىء منكر و القود معلوم فلا- يجوز الكناية عنه بلفظ النكره فيجب أن يكون المعنى فمن بذل له من أخيه مال و ذلك يجوز أن يكون مجهولا لا يدرى أنه يعطيه الدية أو جنسا آخر و مقدار الدية أو أقل أو أكثر فصح أن يقال فيه شىء و هذا ضعيف و القول الأول أظهر و قد ذكرنا الوجه فى تنكير قوله «شَيْءٌ» هناك و أما الذى له العفو عن القصاص فكل من يرث الدية إلا- الزوج و الزوجه عندنا و أما غير أصحابنا من العلماء فلا- يستثنونهما و قوله «فَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ» أى فعلى العافى اتباع بالمعروف هى أن لا يشدد فى الطلب و ينظره إن كان معسرا و لا يطالبه بالزيادة على حقه و على المعفو له «وَ أَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ» أى

الدفء عند الإمكان من غير مطل و به قال ابن عباس و الحسن و قتاده و مجاهد و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل المراد فعلى المعفو عنه الاتباع و الأداء و قوله «ذَلِكَ» إشاره إلى جميع ما تقدم «تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ رَحْمَةٌ» معناه أنه جعل لكم القصاص أو الدية أو العفو و خيركم بينها و كان لأهل التوراه القصاص أو العفو و لأهل الإنجيل العفو أو الدية و قوله «فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ» أى

بأن قتل بعد قبول الدية أو العفو عن ابن عباس و الحسن و قتاده و مجاهد و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل بأن قتل غير قاتله أو طلب أكثر مما وجب له من الدية و قيل بأن جاوز الحد بعد ما بين له كيفية القصاص قال القاضى و يجب حمله على الجميع لعموم اللفظ «فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ» فى الآخرة.

إشاره

وَ لَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩)

اللغه

الألّباب العقول واحدها لب مأخوذ من لب النخله و لب بالمكان و ألب به إذا قام و اللب البال.

المعنى

ثم بين سبحانه وجه الحكمة فى إيجاب القصاص فقال «وَ لَكُمْ» أيها المخاطبون «فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ» فيه قولان (أحدهما) أن معناه فى إيجاب القصاص حياه لأن من هم بالقتل فذكر القصاص ارتدع فكان ذلك سببا للحياه عن مجاهد و قتاده و أكثر أهل العلم (و الثانى) أن معناه لكم فى وقوع القتل حياه لأنه لا يقتل إلا القاتل دون غيره بخلاف ما كان يفعله أهل الجاهليه الذين كانوا يتفانون بالطوائل عن السدى و المعنيان جميعا حسنان و نظيره من كلام العرب القتلى أنفى للقتل إلا أن ما فى القرآن أكثر فائده و أوجز فى العبارة و أبعد من الكلفه بتكرير الجملة و أحسن تأليفا بالحروف المتلائمه فأما كثره الفائده فلأن فيه جميع ما فى قولهم القتل أنفى للقتل و زياده معانى منها إبانه العدل لذكره القصاص و منها إبانه الغرض المرغوب فيه و هو الحياه و منها الاستدعاء بالرغبه و الرهبه و حكم الله به و أما الإيجاز فى العبارة فإن الذى هو نظير القتلى أنفى للقتل قوله «الْقِصَاصِ حَيَاةٌ» و هو عشره أحرف و ذلك أربعة عشر حرفا و أما بعده من الكلفه فهو أن فى قولهم القتل أنفى للقتل تكريرا غيره أبلغ منه و أما الحسن بتأليف الحروف المتلائمه فإنه مدرك بالحس و موجود باللفظ فإن الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزه لبعدهم الهمزه من اللام و كذلك الخروج من الصاد إلى الحاء أعدل من الخروج من الألف إلى اللام فباجتماع هذه الأمور التى ذكرناها كان أبلغ منه و أحسن و إن كان الأول حسنا بليغا و قد أخذه الشاعر فقال:

أبلغ أبا مسمع عنى مغلغله

و فى العتاب حياه بين أقوام

و هذا و إن كان حسنا فينبه و بين لفظ القرآن ما بين أعلى الطبقة و أدناها و أول ما فيه أن ذلك استدعاء إلى العتاب و هذا استدعاء إلى العدل و فى ذلك إبهام و فى الآيه بيان عجيب و قوله «يا أُولِي الْأَلْبَابِ» معناه يا ذوى العقول لأنهم الذين يعرفون العواقب و يتصورون ذلك فلذلك خصهم «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» فى لعل ثلاثه أقوال (أحدها) أنه بمعنى اللام أى لتتقوا (و الثانى) أنه للرجاء و الطمع كأنه قال على رجائكم و طمعكم فى التقوى

(و الثالث) على معنى التعرض أى على تعرضكم للتقوى و فى تتقون قولان (أحدهما) لعلكم تتقون القتل بالخوف من القصاص عن ابن عباس و الحسن و ابن زيد (و الثانى) لعلكم تتقون ربكم باجتنا ب معاصيه و هذا أعم.

البقره (٢): آيه ١٨٠

إشارة

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (١٨٠)

اللغة

المعروف هو العدل الذى لا يجوز أن ينكر و لا حيف فيه و لا جور و الحضور وجود الشىء بحيث يمكن أن يدرك و الحق هو الفعل الذى لا يجوز إنكاره و قيل هو ما علم صحته سواء كان قولاً أو فعلاً أو اعتقاداً و هو مصدر حق يحق حقاً.

الإعراب

قوله «كُتِبَ عَلَيْكُمْ» المعنى و كتب عليكم إلا أن الكلام إذا طال استغنى عن العطف بالواو و علم أن معناه معنى الواو لأن القصة الأولى قد استتمت و فى القصة الثانية ذكر مما فى الأولى فاتصلت هذه بتلك لأجل الذكر و الوصيه ارتفعت لأحد وجهين إما بأنه اسم ما لم يسم فاعله و هو كتب و إما بأنه مبتدأ و قوله «لِلْوَالِدَيْنِ» خبره و الجملة فى موضع رفع على الحكايه لأن معنى كتب عليكم قيل لكم الوصيه للوالدين و أما العامل فى إذا ففيه وجهان (أحدهما) كتب فكأنه قيل كتب عليكم الوصيه وقت المرض (و الآخر) ما قاله الزجاج و هو أن الوصيه رغب فيها فى حال الصحه فتقديره كتب عليكم أن توصوا و أنتم قادرون على الوصيه قائلين إذا حضرنا الموت فلفلان كذا و حقاً نصب على المصدر و تقديره أحق ذلك حقاً و قد استعمل على وجه الصفه بمعنى ذى الحق كما وصف بالعدل فعلى هذا يكون نصبا على الحال و يجوز أن يكون مصدر كتب من غير لفظه تقديره كتب كتاباً.

المعنى

ثم بين سبحانه شريعته أخرى و هو الوصيه فقال «كُتِبَ عَلَيْكُمْ» أى فرض عليكم «إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ» أى أسباب الموت من مرض و نحوه من الهرم و لم يرد إذا عاين البأس و ملك الموت لأن تلك الحاله تشغله عن الوصيه و قيل فرض عليكم الوصيه فى حال الصحه أن تقولوا إذا حضرنا الموت فافعلوا كذا «إِنْ تَرَكَ خَيْرًا» أى مالا و اختلف فى المقدار الذى يجب الوصيه عنده فقال الزهرى فى القليل و الكثير مما

يقع عليه اسم المال و قال إبراهيم النخعي من ألف درهم إلى خمسمائه و قال ابن عباس إلى ثمانمائه درهم و

روى عن علي (عليه السلام) أنه دخل على مولى له في مرضه و له سبعمائه أو ستمائه درهم فقال أ لا- أوصى فقال لا- إن الله سبحانه قال «إِنْ تَرَكَ خَيْرًا» و ليس لك كثير مال

و هذا هو المأخوذ به عندنا لأن قوله حجه «الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ» أى الوصيه لوالديه و قرابته «بِالْمَعْرُوفِ» أى بالشىء الذى يعرف أهل التمييز أنه لا جور فيه و لا حيف و يحتمل أن يرجع ذلك إلى قدر ما يوصى لأن من يملك المال الكثير إذا أوصى بدرهم فلم يوص بالمعروف و يحتمل أن يرجع إلى الموصى لهم فكأنه أمر بالطريقه الجميله فى الوصيه فليس من المعروف أن يوصى للغنى و يترك الفقير و يوصى للقريب و يترك الأقرب منه و يجب حملة على كلا الوجهين «حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ» أى حقا واجبا على من آثر التقوى و هذا تأكيد فى الوجوب و اختلف فى هذه الآيه فقليل أنها منسوخه و قيل أنها منسوخه فى الموارىث ثابتة فى غير الوارث و قيل أنها غير منسوخه أصلا و هو الصحيح عند المحققين من أصحابنا لأن من قال أنها منسوخه بآيه الموارىث فقله باطل بأن النسخ بين الخبرين إنما يكون إذا تنافى العمل بموجبهما و لا تنافى بين آيه الموارىث و آيه الوصيه فكيف تكون هذه ناسخه بتلك مع فقد التنافى و من قال أنها منسوخه

بقوله (عليه السلام) لا وصيه لوارث

فقد أبعده لأن الخبر لو سلم من كل قدح لكان يقتضى الظن و لا يجوز أن ينسخ كتاب الله تعالى الذى يوجب العلم اليقين بما يقتضى الظن و لو سلمنا الخبر مع ما ورد من الطعن على روايه لخصصنا عموم الآيه و حملناها على أنه لا وصيه لوارث بما يزيد على الثلث لأن ظاهر الآيه يقتضى أن الوصيه جائزه لهم بجميع ما يملك و قول من قال حصول الإجماع على أن الوصيه ليست بفرض يدل على أنها منسوخه يفسد بأن الإجماع إنما هو على أنها لا تفيد الفرض و ذلك لا يمنع من كونها مندوبا إليها مرغبا فيها و

قد روى أصحابنا عن أبى جعفر (عليه السلام) أنه سئل هل تجوز الوصيه للوارث فقال نعم و تلا هذه الآيه

و

روى السكونى عن أبى عبد الله عن أبيه عن علي (عليه السلام) قال من لم يوص عند موته لذوى قرابته ممن لا يرث فقد ختم عمله بمعصيه

و مما يؤيد ما ذكرناه ما

روى عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال من مات بغير وصيه مات ميتة جاهليه

و

عنه (عليه السلام) أنه قال من لم يحسن وصيته عند موته كان نقصا فى مروءته و عقله

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال ما ينبغى لامرئ مسلم أن يبيت إلا ووصيته تحت رأسه.

ص: ٣٩٩

إشارة

فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨١)

المعنى

ثم أورد سبحانه على تغيير الوصيه فقال «فَمَنْ بَدَّلَهُ» أى بدل الوصيه و غيرها من الأوصياء أو الأولياء أو الشهود و إنما ذكر حملا على الإيضاء كقوله «فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ» أى وعظ و التبديل تغيير الشىء عن الحق فيه بأن يوضع غيره فى موضعه «بَعْدَ مَا سَمِعَهُ» من الموصى الميت و إنما ذكر السماع ليبدل على أن الوعيد لا يلزم إلا بعد العلم و السماع «فَإِنَّمَا إِثْمُهُ» أى إثم التبديل «عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ» أى على من يبدل الوصيه و برىء الميت «إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» أى سميع لما قاله الموصى من العدل أو الجنف عليم بما يفعله الوصى من التصحيح أو التبديل و قيل سميع لوصاياكم عليم بنياتكم و قيل سميع بجميع المسموعات عليم بجميع المعلومات و فى هذه الآيه دلالة على أن الوصى أو الوارث إذا فرط فى الوصيه أو غيرها لا يأثم الموصى بذلك و لم ينقص من أجره شىء فإنه لا يجازى أحد على عمل غيره و فيها أيضا دلالة على بطلان قول من يقول أن الوارث إذا لم يقض دين الميت فإنه يؤخذ به فى قبره أو فى الآخره لما قلناه من أنه يدل على أن العبد لا يؤاخذ بجرم غيره إذ لا إثم عليه بتبديل غيره و كذلك لو قضى عنه الوارث من غير أن يوصى به لم يزل ذلك عقابه إلا أن يتفضل الله بإسقاطه عنه.

إشارة

فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨٢)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير حفص و يعقوب موص بالتشديد و قرأ الباقون «مُوصٍ» بالتخفيف.

الإعراب

ذكرناها عند قوله وَ وَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ.

اللغه

الجنف الجور و هو الميل عن الحق و قال صاحب العين هو الميل فى الكلام و فى الأمور كلها يقال جنف علينا فلان و أجنف فى حكمه و هو مثل الحيف إلا أن الحيف فى الحكم خاصه و الجنف عام و رجل أجنف فى أحد شقيه ميل على الآخر قال

الشاعر فى الجنف:

إنى امرؤ منعت أرومه عامر

ضيمى و قد جنفت على خصوم

الإعراب

من فى قوله «مِنْ مُوصٍ» يتعلق بمحذوف تقديره فمن خاف جنفا كائنا من موص فموضع الجار و المجرور مع المحذوف نصب على الحال و ذو الحال قوله «جَنَفًا» و بين ظرف مكان لأصلح و الضمير فى بينهم عائد إلى معلوم بالدلالة عليه عند ذكر الموصى و الإصلاح لأنه يدل على الموصى لهم و من ينازعهم و أنشد الفراء فى مثله:

أعمى إذا ما جارتى خرجت

حتى يوارى جارتى الخدر

و يصم عما كان بينهما

سمعى و ما بى غيره وقر

أراد بينها و بين زوجها و إنما ذكرها وحدها.

المعنى

لما تقدم الوعيد لمن بدل الوصيه بين فى هذه الآيه أن ذلك يلزم من غير حقا بباطل فأما من غير باطلا بحق فهو محسن فقال «فَمَنْ خَافَ» أى خشى و قيل علم لأن فى الخوف طرفا من العلم و ذلك أن القائل إذا قال أخاف أن يقع أمر كذا فكأنه يقول أعلم و إنما يخاف لعلمه بوقوعه و منه قوله «وَ أَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ» و قوله «إِلَّا أَنْ يَخَافَ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ» «مِنْ مُوصٍ جَنَفًا» أى ميلا عن الحق فيما يوصى به فإن قيل كيف قال فمن خاف لما قد وقع و الخوف إنما يكون لما لم يقع قيل أن فيه قولين (أحدهما) أنه خاف أن يكون قد زل فى وصيته فالخوف يكون للمستقبل و هو من أن يظهر ما يدل على أنه قد زل لأنه من جهة غالب الظن (و الثانى) أنه لما اشتمل على الواقع و على ما لم يقع جاز فيه خاف فيأمره بما فيه الصلاح فيما لم يقع و ما وقع رده إلى العدل بعد موته و قال الحسن الجنف هو أن يوصى به فى غير قرابه و إنما قال ذلك لأن عنده الوصيه للقرابه واجبه و الأمر بخلافه و قيل المراد من خاف من موص فى حال مرضه الذى يريد أن يوصى جنفا و هو أن يعطى بعضا و يضر ببعض فلا إثم عليه أن يشير عليه بالحق و يرده إلى الصواب و يصلح بين الموصى و الورثه و الموصى له حتى يكون الكل راضين و لا يحصل جنف و لا إثم و يكون قوله «فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ» أى فيما يخاف بينهم من حدوث الخلاف فيه فيما بعد و يكون قوله «فَمَنْ خَافَ» على ظاهره و يكون الخوف مترقبا غير واقع و هذا قريب غير أن الأول عليه أكثر المفسرين و هو المروى عن أبى جعفر و أبى

عبد الله (عليه السلام) و قوله «أَوْ إِثْمًا»

الإثم أن يكون الميل عن الحق على وجه العمد و الجنف أن يكون على جهة الخطأ من حيث لا يدري أنه يجوز و هو معنى قول ابن عباس و الحسن و روى ذلك عن أبي جعفر (عليه السلام)

«فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ» أى بين الورثة و المختلفين فى الوصيه و هم الموصى لهم «فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ» لأنه متوسط مرید للإصلاح و إنما قال «فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ» و لم يقل يستحق الأجر لأن المتوسط إنما يجرى أمره فى الغالب على أن ينقص صاحب الحق بعض حقه بسؤاله إياه فبين سبحانه لنا أنه لا إثم عليه فى ذلك إذا قصد الإصلاح و قيل إنه لما بين إثم المبدل و هذا أيضا ضرب من التبديل بين مخالفته للأول بكونه غير مأثوم برده الوصيه إلى العدل ف «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» يعنى إذا كان يغفر الذنوب و يرحم المذنب فأولى و أحرى أن يكون كذلك و لا ذنب و

روى عن الصادق (عليه السلام) فى قوله «جَنَفًا أَوْ إِثْمًا» أنه بمعنى إذا اعتدى فى الوصيه و زاد على الثلث

و روى ذلك عن ابن عباس و

روى عن رسول الله صلى الله عليه و آله أنه قال من حضره الموت فوضع وصيته على كتاب الله كان ذلك كفاره لما ضيع من زكاته فى حياته و بالله التوفيق.

سرشناسه: طبرسی، فضل بن حسن، ٤٦٨ - ٥٤٨ ق.

عنوان و نام پدیدآور: مجمع البیان فی تفسیر القرآن

تالیف ابوعلی الفضل بن الحسن الطبرسی

مصصح: هاشم رسولی

مصصح: فضل الله یزدی طباطبایی

مشخصات نشر: دارالمعرفه - بیروت - لبنان

مشخصات ظاهری: ١٠ ج.

یادداشت: عربی

موضوع: تفاسیر شیعه -- قرن ٦ ق.

ص: ١

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ٢

مجمع البيان فى تفسير القرآن

تأليف ابو على الفضل بن الحسن الطبرسى

مصصح: هاشم رسولى

مصصح: فضل الله يزدى طباطبايى

ص: ٣

اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)

فصل فى ذكر ما جاء فى اسم محمد صلى الله عليه وآله

كانت كفار قريش يشتمون مذمما يعنون اسم النبى ص

فروى أبو هريره عن النبى ص قال ألم تروا كيف صرف الله عنى لعن قريش و شتمهم يشتمون مذمما و أنا محمد

و فى مسند على بن موسى الرضا عن آباءه عن النبى ص أنه قال إذا سميتم الولد محمدا فأكرموه و أوسعوا له فى المجلس و لا تقبحوا له وجهها و ما من قوم كان لهم مشوره فحضر معهم من اسمه محمد أو أحمد فأدخلوه فى مشورتهم إلا خير لهم و ما من مائده وضعت فحضرها من اسمه محمد أو أحمد إلا قدس فى كل يوم ذلك المنزل مرتين

و عن أنس بن مالك قال كان النبى ص فى السوق فقال رجل يا أبا القاسم فالتفت إليه رسول الله فقال الرجل إنما أدعو ذاك فقال رسول الله تسموا باسمى و لا تكنوا بكنيتى

و عن أبى هريره قال قال رسول الله ص

لا تجمعوا بين اسمى و كنىتى أنا أبو القاسم الله يعطى و أنا أقسم

ثم رخص فى ذلك لعلى (عليه السلام) و ابنه

و عن على بن أبى طالب قال قال لى رسول الله ص أن ولد لك غلام نحلته اسمى و كنىتى. اللغه

الصوم فى اللغه الإمساك و منه يقال للصمت صوم لأنه إمساك عن الكلام قال ابن دريد كل شىء سكنت حركته فقد صام صوما و قال النابغه:

خيل صيام و خيل غير صائمه

تحت العجاج و أخرى تملك اللجما

أى قيام و صامت الريح أى ركبت و صامت الشمس إذا استوت فى منتصف النهار و صام النهار أيضا بمقدار قال امرؤ القيس:

فدعها و سل الهم عنك بجسره

ذمول إذا صام النهار و هجرا

و الصوم ذرق النعام و أصل الباب الإمساك و هو فى الشرع إمساك عن أشياء مخصوصه على وجه مخصوص ممن هو على صفات مخصوصه فى زمان مخصوص فالاسم شرعى و فيه معنى اللغه و الصيام بمعنى الصوم يقال صمت صوما و صياما.

الإعراب

الصيام رفع بما لم يسم فاعله و قوله «كَمَا كُتِبَ» أى مثل ما كتب فما هذه مصدرية و تقدير الكلام كتب عليكم الصيام كتابه مثل كتابته على الذين من قبلكم فحذف المصدر و أقيم صفته مقامه و يحتمل أن يكون موضع الكاف نصبا على الحال من

ص: ٥

الصيام و تقديره كتب عليكم الصيام مفروضاً أى فى هذه الحال.

المعنى

ثم بين سبحانه فريضه أخرى فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» أى يا أَيُّهَا المصدقون و

روى عن الصادق (عليه السلام) أنه قال: لذه ما فى النداء أزال تعب العباده و العنا

و قال الحسن: إذا سمعت الله عز و جل يقول «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» فارع لها سمعك فإنها لأمر تؤمر به أو لنهى تنهى عنه «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ» أى فرض عليكم العباده المعروفه فى الشرع و إنما خص المؤمنين بالخطاب لقبولهم لذلك و لأن العباده لا تصح إلا- منهم و وجوبه عليهم لا ينافى وجوبه على غيرهم و قوله «كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» فيه أقوال (أحدها) أنه شبه فرض صومنا بفرض صوم من تقدمنا من الأمم أى كتب عليكم صيام أيام كما كتب عليهم صيام أيام و ليس فيه تشبيه عدد الصوم المفروض علينا و لا- وقته بعدد الصوم المفروض عليهم أو وقته و هو اختيار أبى مسلم و الجبائى (و ثانيها) أنه فرض علينا صوم شهر رمضان كما كان فرض صوم شهر رمضان على النصارى و كان يتفق ذلك فى الحر الشديد و البرد الشديد فحولوه إلى الربيع و زادوا فى عدده عن الشعبى و الحسن و قيل كان الصوم علينا من العتمه إلى العتمه ثم اختلف فيه فقال بعضهم كان يحرم الطعام و الشراب من وقت صلاه العتمه إلى وقت صلاه العتمه و قال بعضهم كان يحرم من وقت النوم إلى وقت النوم ثم نسخ ذلك فالمراد بقوله «الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» النصارى على قول الحسن و الشعبى و أهل الكتاب من اليهود و النصارى على قول غيرهما و قوله «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» أى لكى تتقوا المعاصى بفعل الصوم عن الجبائى و قيل لتكونوا أتقياء بما لطف لكم فى الصيام فإنه أقوى الوسائل و الوصول إلى الكف عن المعاصى كما

روى عن النبى ص أنه قال: خصاء أمتى الصوم

و

سأل هشام بن الحكم أبا عبد الله عن عله الصيام فقال إنما فرض الصيام ليستوى به الغنى و الفقير و ذلك لأن الغنى لم يكن ليجد مس الجوع فيرحم الفقير فأراد الله سبحانه أن يذيق الغنى مس الجوع ليرق على الضعيف و يرحم الجائع.

سوره البقره (٢): آيه ١٨٤

اشاره

أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَ أَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤)

ص: ٦

القراءه

قرأ أبو جعفر و نافع و ابن عامر فديه طعام مساكين على إضافه فديه إلى طعام و جمع المساكين و قرأ الباقون «فَدِيَّةً» منونه «طَعَامٌ» رفع «مَشِيكِينَ» موحد مجرورا و قرأ حمزه و الكسائي و من يطوع خيرا و الباقون «تَطَوَّعَ» و قد مضى ذكره و روى فى الشواذ يطوقونه عن ابن عباس بخلاف و عائشه و سعيد بن المسيب و عكرمه و عطا يطوقونه على معنى يتطوقونه عن مجاهد و عن ابن عباس و عن عكرمه و روى عن ابن عباس أيضا يتطيقونه و يطيقونه أيضا.

الحجه

من قرأ «فَدِيَّةً طَعَامٌ مَشِيكِينَ» طعام مسكين عطف بيان لفديه و أفراد مسكين جائز و إن كان المعنى على الكثره لأن المعنى على كل واحد طعام مسكين قال أبو زيد يقال أتينا الأمير فكسانا كلنا حله و أعطانا كلنا مائه و أما من أضاف الفديه إلى طعام كإضافه البعض إلى ما هو بعض له فإنه سمي الطعام الذى يفدى به فديه ثم أضاف الفديه إلى الطعام الذى يعم الفديه و غيرها و هو على هذا من باب خاتم حديد و أما من قرأ يطوقونه فإنه يفعلونه من الطاقه فهو كقوله يجشمونه و يكلفونه و يجعل لهم كالطوق فى أعناقهم و يطوقونه كقولك يتكلفونه و يتجشمونه و أما من قرأ يطيقونه فإنه يتطيقونه يتفعلونه إلا أن العينين أبدلتا ياء كما قالوا فى تصور الجرف تهير و يطيقونه يفعلونه منه.

اللغه

السفر أصله من السفر الذى هو الكشف تقول سفر يسفر سفرا و انسفرت الإبل إذا انكشفت ذاهبه و سفرت الريح السحاب قال العجاج:

(سفر الشمال الزبرج المزبرجا)

الزبرج السحاب الرقيق و فى السفر يظهر ما لا يظهر إلا به و ينكشف من أخلاق الناس ما لا ينكشف إلا به و العده فعله من العد و هى بمعنى المعدود كالطحن بمعنى المطحون و الحمل بمعنى المحمول و الطوق الطاقه و هى القوه يقال طاق الشىء يطوقه طوقا و طاقه و الطاق إطاقه إذا قوى عليه و طوقه تطويقا ألبسه الطوق و هو معروف من ذهب كان أو من فضه لأنه يكسبه قوه بما يعطيه من الجلاله و كل شىء استدار فهو طوق و طوقه الأمير أى جعله كالطوق فى عنقه.

الإعراب

«أَيَّامًا» قال الزجاج يجوز فى انتصابه و جهان (أحدهما) أن يكون ظرفا كأنه كتب عليكم الصيام فى أيام و العامل فيه الصيام كان المعنى كتب عليكم أن تصوموا أياما و قال بعض النحويين أنه مفعول ما لم يسم فاعله نحو قولك أعطى زيد المال قال و ليس هذا بشىء لأن الأيام هاهنا متعلقه بالصوم و زيد و المال مفعولان لأعطى ذلك أن تقيم أيهما شئت مقام الفاعل و ليس فى هذا إلا نصب أيام بالصيام قال أبو على «أَيَّامًا» يجوز فى

انتصابه وجهان (أحدهما) أن ينتصب على الظرف و الآخر أن ينتصب انتصاب المفعول به على السعه فإذا انتصب على أنه ظرف جاز أن يكون العامل فيه كتب فيكون التقدير كتب عليكم الصيام في أيام و إن شئت اتسعت فنصبته نصب المفعول به فتقول على هذا يا مكتوب أيام عليه أو يا كاتب أيام الصيام و إنما جاز إضافه اسم الفاعل أو المفعول إلى أيام لإخراجك إياه عن أن يكون ظرفا و اتساعك في تقديره اسما و إذا كان الأمر على ما ذكرناه كان ما منعه أبو إسحاق من إجازة من أجاز أن كتب عليكم الصيام أياما بمنزله أعطى زيد المال جائز غير ممتنع قال و لا يستقيم أن ينتصب أياما بالصيام على أن يكون المعنى كتب عليكم الصيام في أيام لأن ذلك و إن كان مستقيما في المعنى فهو في اللفظ ليس كذلك ألا ترى أنك إذا حملته على ذلك فصلت بين الصله و الموصول بأجنبي منهما و ذلك أن أياما تصير من صله الصيام و قد فصلت بينهما بمصدر كتب لأن التقدير كتب عليكم الصيام كتابه مثل كتابته على من كان قبلكم فالكاف في كما متعلقه بكتب و قد فصلت بها بين المصدر و صلته و ليس من واحد منهما و أقول أنه يستقيم أن ينتصب أياما بالصيام إذا جعلت الكاف من قوله «كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» في موضع نصب على الحال أى مفروضا مثل ما فرض عليهم فيكون ما موصولا- و كتب صلته و فى كتب ضمير يعود إلى ما و الموصول و صلته فى موضع جر بإضافه الكاف إليه و الكاف موضع النصب بأنه صفة للمحذوف الذى هو الحال من الصيام فعلى هذا لم يفصل بين الصله و الموصول ما هو أجنبي منهما على ما ذكره الشيخ أبو على و قوله «فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ» تقديره فعليه عده فيكون ارتفاع عده على الابتداء على قول سيبويه و على قول الأخفش يكون مرتفعا بالظرف على ما تقدم بيانه و يجوز أن يكون تقديره فالذى ينوب عن صومه فى وقت الصوم عده من أيام آخر فيكون عده خبر الابتداء و آخر لا ينصرف لأنه وصف معدول عن الألف و اللام لأن نظائرها من الصغر و الكبير لا يستعمل إلا بالألف و اللام لا يجوز نسوه صغر و إن تصوموا فى موضع رفع بالابتداء و خير خبر له و لكم صفة الخبر.

المعنى

«أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ» أى معلومات محصورات مضبوطات كما يقال أعطيت مالا معدودا أى محصورا متعينا و يجوز أن يريد بقوله «مَعْدُودَاتٍ» أنها قلائل كما قال سبحانه دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ يريد أنها قليلة و اختلف فى هذه الأيام على قولين (أحدهما) أنها غير شهر رمضان و كانت ثلاثة أيام من كل شهر ثم نسخ عن معاذ و عطا و عن ابن عباس

و روى ثلاثة أيام من كل شهر و صوم عاشوراء عن قتاده ثم قيل أنه كان تطوعا و قيل بل كان واجبا و اتفق هؤلاء على أن ذلك منسوخ بصوم شهر رمضان و الآخر أن المعنى بالمعدودات شهر رمضان عن ابن عباس و الحسن و اختاره الجبائي و أبو مسلم و عليه أكثر المفسرين قالوا أوجب سبحانه الصوم أولا- فأجمله و لم يبين أنها يوم أو يومان أم أكثر ثم بين أنها أيام معلومات و أبهم ثم بينه بقوله «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» قال القاضى و هذا أولى لأنه إذا أمكن حمله على معنى من غير إثبات نسخ كان أولى و لأن ما قالوه زياده لا دليل عليه «فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ» عطف قوله «عَلَى سَفَرٍ» و هو ظرف على قوله «مَرِيضًا» و هو اسم مع أن الظرف لا يعطف على الاسم لأنه و إن كان ظرفا فهو بمعنى الاسم و تقديره فمن كان منكم مريضا أو مسافرا فالذى ينوب مناب صومه عده من أيام أخر و فيه دلالة على أن المسافر و المريض يجب عليهما الإفطار لأنه سبحانه أوجب القضاء بنفس السفر و المرض و من قدر فى الآية فأفطر فقد خالف الظاهر و قد ذهب إلى وجوب الإفطار فى السفر جماعه من الصحابه كعمر بن الخطاب و عبد الله بن عباس و عبد الله بن عمر و عبد الرحمن بن عوف و أبى هريره و عروه بن الزبير و هو المروى عن أئمتنا فقد روى أن عمر بن الخطاب أمر رجلا صام فى السفر أن يعيد صومه و روى يوسف بن الحكم قال سألت ابن عمر عن الصوم فى السفر فقال أ رأيت لو تصدقت على رجل صدقه فردها عليك ألا تغضب فإنها صدقه من الله تصدق بها عليكم و

روى عبد الرحمن بن عوف قال قال رسول الله الصائم فى السفر كالمفطر فى الحضر

و روى عن ابن عباس أنه قال الإفطار فى السفر عزيمه و

روى أصحابنا عن أبى عبد الله أنه قال الصائم فى شهر رمضان فى السفر كالمفطر فيه فى الحضر

و

عنه (عليه السلام) قال لو أن رجلا مات صائما فى السفر لما صليت عليه

و

عنه ص قال من سافر أفطر و قصر إلا أن يكون رجلا سفره إلى صيد أو فى معصية الله

و

روى العياشى بإسناده مرفوعا إلى محمد بن مسلم عن أبى عبد الله قال لم يكن رسول الله يصوم فى السفر تطوعا و لا فريضه حتى نزلت هذه الآية بكراع الغميم عند صلاه الهجير فدعا رسول الله بإناء فيه ماء فشرب و أمر الناس أن يفتروا فقال قوم قد توجه النهار و لو تممنا يومنا هذا فسماهم رسول الله العصاه فلم يزالوا يسمون بذلك الاسم حتى قبض رسول الله

«وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ» الهاء يعود إلى الصوم عند أكثر أهل العلم أى يطيقون الصوم خير الله المطيقين الصوم من الناس كلهم بين أن يصوموا و لا

يكفروا و بين أن يفطروا و يكفروا عن كل يوم بإطعام مسكين لأنهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ ذلك بقوله «فَمَنْ شَهَدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ» و قيل أن الهاء يعود إلى الفداء عن الحسن و أبي مسلم و أما المعنى بقوله «الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ» ففيه ثلاثة أقوال (أولها) أنه سائر الناس كما قدمنا ذكره من التخيير و النسخ بعده و هو قول ابن عباس و الشعبي (و ثانيها) أن هذه الرخصة كانت للحوامل و المرضع و الشيخ الفانى ثم نسخ من الآيه الحامل و المرضع و بقى الشيخ الكبير عن الحسن و عطاء (و ثالثها) أن معناه و على الذين كانوا يطيقونه ثم صاروا بحيث لا يطيقونه و لا نسخ فيه عن السدى و

قد رواه بعض أصحابنا عن أبي عبد الله أن معناه و على الذين كانوا يطيقون الصوم ثم أصابهم كبر أو عطاش و شبه ذلك فعليهم كل يوم مد

و

روى على بن إبراهيم بإسناده عن الصادق (عليه السلام) و على الذين يطيقونه فديه من مرض فى شهر رمضان فأفطر ثم صح فلم يقض ما فاته حتى جاء شهر رمضان آخر فعليه أن يقتضى و يتصدق لكل يوم مدا من طعام

و قوله «فِدْيَةُ طَعَامِ مِسْكِينٍ» اختلف فى مقدار الفديه فقال أهل العراق نصف صاع عن كل يوم و قال الشافعى عن كل يوم مد و عندنا إن كان قادرا فمدان فإن لم يقدر أجزاءه مد واحد و قوله «فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ» قيل معناه من أطعم أكثر من مسكين واحد عن عطا و طاووس و قيل أطعم المسكين الواحد أكثر من قدر الكفايه حتى يزيده على نصف صاع عن مجاهد و يجمع بين القولين قول ابن عباس من تطوع بزيادة الإطعام و قيل معناه من عمل برا فى جمع السدين فهو خير له عن الحسن و قيل من صام مع الفديه عن الزهرى و قوله «وَ أَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ» أى و صومكم خير لكم من الإفطار و الفديه و كان هذا مع جواز الفديه فأما بعد النسخ فلا يجوز أن يقال الصوم خير من الفديه مع أن الإفطار لا يجوز أصلا و قيل معناه الصوم خير لمطيقه و أفضل ثوابا من التكفير لمن أفطر بالعجز «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» إن الصوم خير لكم من الفديه و قيل إن كنتم تعلمون أفضل أعمالكم و فى قوله سبحانه «وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ» دلالة على أن الاستطاعه قبل الفعل.

ص: ١٠

اشاره

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَ مَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَ لِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُم وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥)

القراءة

قرأ أبو بكر عن عاصم و لتكملوا بالتشديد و الباقر «لِتُكْمِلُوا» بالتخفيف وقرأ أبو جعفر العسر و اليسر بالثقل فيهما و الباقر بالتخفيف.

الحجج

حججه من قرأ «و لِتُكْمِلُوا» قوله الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ و من قرأ و لتكملوا فلائن فعل و أفعل كثيرا ما يستعمل أحدهما موضع الآخر قال النابغة:

فكملت مائه منها حمامتها

و أسرعته حسبه في ذلك العدد.

اللغة

الشهر معروف و جمعه في القله أشهر و في الكثره شهور و أصله من اشتهاه بالهلال يقال شهرت الحديث أظهرته و شهرت السيف انتضيته و أتان شهيره عريضه ضخمه و أصل الباب الظهور و أصل رمضان من الرمش و هو شده وقع الشمس على الرمل وغيره و إنما سموه رمضان لأنهم سموا الشهور بالأزمنه التي وقعت فيها فوافق رمضان أيام رمض الحر و قد جمعوا رمضان على رمضانات و قيل أن رمضان اسم من أسماء الله فروى عن مجاهد لا- تقل رمضان و لكن قل شهر رمضان فإنك لا تدري ما رمضان و

قد جاء في الأخبار المرويه عن النبي ص أنه قال من صام رمضان إيماناً و احتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه

و قيل إنما سمي رمضان لأنه يرمض الذنوب أي يحرقها و القرآن أصله الجمع لقولهم ما قرأت الناقه سلا قط أي ما جمعت رحمها على سلا و منه القراءه و القارئ لأنه يجمع الحروف و الفرقان الذي يفرق بين الحق و الباطل و الإراده أصلها الواو لأنك تقول راودته على أن يفعل كذا مراوده و منه راد يرود رودا فهو رائد و في المثل الرائد لا يكذب أهله و أصل الباب الطلب و الإراده بمعنى الطلب للمراد لأنها كالسبب له و اليسر ضد العسر و اليسار الغنى و السعه و اليسار اليد اليسرى و اليسر الجماعه

يجمعون على الجزور فى الميسر و الجمع الإيسار و أصل الباب السهوله و أصل العسر الصلابه يقال عسر الشىء عسرا و رجل أعسر يعمل بشماله و أعسر الرجل إذا افتقر و ضده اليسر و يقال كمل الشىء و أكملته و كملته أى تممته.

الإعراب

«شَهْرُ رَمَضانَ» فى ارتفاعه ثلاثه أوجه (أحدها) أن يكون خبر مبتدأ

ص: ١١

محذوف يدل عليه قوله أَيْاماً أى هي شهر رمضان (و الثاني) أن يكون بدلاً من الصيام فكأنه قال كتب عليكم شهر رمضان (و الثالث) أن يرتفع بالابتداء و يكون خبره «الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» و إن شئت جعلت الذى أنزل فيه القرآن صفة له و أضمرت الخبر حتى كأنه قال و فيما كتب عليكم شهر رمضان أى صيام شهر رمضان و لا ينصرف رمضان للتعريف و زياده الألف و النون المضارعتين لألفى التأنيث و يجوز فى العرييه شهر رمضان بالنصب من وجهين (أحدهما) صوموا شهر رمضان و الآخر على البديل من قوله أَيْاماً فقوله «هُدًى» فى موضع النصب على الحال أى هادياً للناس و قوله «فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ» فالشهر ينتصب على أنه ظرف لا- على أنه مفعول به لأنه لو كان مفعولاً- به للزم الصيام المسافر كما يلزم المقيم من حيث أن المسافر يشهد الشهر شهادة المقيم فلما لم يلزم المسافر علمنا أن معناه فمن شهد منكم المصر فى الشهر و لا يكون مفعولاً به كما لو قلت أحييت شهر رمضان يكون مفعولاً به فإن قلت كيف جاء ضميره متصلاً فى قوله «فَلْيَصُمْهُ» إذا لم يكن مفعولاً به قلنا لأن الاتساع وقع فيه بعد أن استعمل ظرفاً على ما تقدم بيان أمثاله و إنما عطف الظرف على الاسم فى قوله «وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ» لأنه بمعنى الاسم فكأنه قال أو مسافراً كقوله سبحانه «دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً» أى دعانا مضطجعاً و أما العطف باللام فى قوله «وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ» ففيه وجهان (أحدهما) أنه عطف جملة على جملة لأن بعده محذوفاً و تقديره و لتكملوا العدة شرع ذلك أو أريد ذلك و مثله قوله «وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيُكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ» أى و ليكون من الموقنين أريناه ذلك (و الثاني) أن يكون عطفاً على تأويل محذوف و دل عليه ما تقدم من الكلام لأنه لما قال «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ» دل على أنه قد فعل ذلك ليسهل عليكم فجاز و لتكملوا العدة عطفاً عليه قال الشاعر:

بادت و غير آيهن مع البلى

إلا رواكد جمرهن هباء

و مشجج إما سواء قذاله

فبدا و غيب مماره المعزاء

أى سائره فعطف على تأويل الكلام كأنه قال بها رواكد و مشجج هذا قول الزجاج و الأول قول الفراء.

المعنى

ثم بين سبحانه وقت الصوم فقال «شَهْرُ رَمَضَانَ» أى هذه الأيام

المعدودات شهر رمضان أو كتب عليكم شهر رمضان أو شهر رمضان هو الشهر «الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» فيبين أنه خصه بالصوم فيه لاختصاصه بالفضائل المذكورة وهو أنه «أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» الذي عليه مدار الدين والإيمان ثم اختلف في قوله «أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» فقيل

أن الله أنزل جميع القرآن في ليلة القدر إلى السماء الدنيا ثم أنزل على النبي بعد ذلك نجوما في طول عشرين سنة عن ابن عباس و سعيد بن جبير و الحسن و قتاده و هو المروى عن أبي عبد الله

وقيل إن الله تعالى ابتداء إنزاله في ليلة القدر من شهر رمضان عن ابن إسحاق وقيل أنه كان ينزل إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ما يحتاج إليه في تلك السنة جملة واحده ثم ينزل على مواقع النجوم إرسالا في الشهور والأيام عن السدي يسنده إلى ابن عباس و

روى الثعلبي بإسناده عن أبي ذر الغفاري عن النبي ص أنه قال أنزلت صحف إبراهيم لثلاث مضي من شهر رمضان و في روايه الواحدى في أول ليله منه و أنزلت توراه موسى لست مضي من شهر رمضان و أنزل إنجيل عيسى لثلاث عشره ليله خلت من رمضان و أنزل زبور داود لثمان عشره ليله مضت من رمضان و أنزل الفرقان على محمد لأربع و عشرين من شهر رمضان و هذا بعينه رواه العياشى عن أبي عبد الله عن آبائه عن النبي ص

وقيل المراد بقوله «أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» أنه أنزل في فرضه و إيجاب صومه على الخلق القرآن فيكون فيه بمعنى في فرضه. كما يقول القائل أنزل الله في الزكاه كذا يريد في فرضها ثم وصف سبحانه القرآن بقوله «هُدًى لِلنَّاسِ» أى هاديا للناس و دالا لهم على ما كلفوه من العلوم «وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ» أى و دلالات من الهدى و قيل المراد بالهدى الأول الهدى من الضلاله و بالثانى بيان الحلال و الحرام عن ابن عباس و قيل أراد بأول ما كلف من العلم و بالثانى ما يشتمل عليه من ذكر الأنبياء و شرائعهم و أخبارهم لأنها لا تدرك إلا بالقرآن عن الأصم و القاضى و قوله «وَالْفُرْقَانِ» أى و مما يفرق بين الحق و الباطل و

روى عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال القرآن جملة الكتاب و الفرقان المحكم الواجب العمل به

و

روى الحسن بن محبوب عن أبي أيوب عن أبي الورد عن أبي جعفر قال خطب رسول الله ص الناس في آخر جمعه من شعبان فحمد الله و أثنى عليه ثم قال أيها الناس: إنه قد أظلكم شهر فيه ليله خير من ألف شهر و هو شهر رمضان فرض الله صيامه و جعل قيام ليله فيه بتطوع صلاه كمن تطوع بصلاه سبعين ليله فيما سواه من الشهور و جعل لمن تطوع فيه بخصله من خصال الخير و البر كأجر من أدى فريضه من فرائض الله فيما سواه و من أدى فيه فريضه من فرائض الله كان كمن أدى سبعين فريضه [من فرائض] فيما سواه من

الشهور و هو شهر الصبر و إن الصبر ثوابه الجنة و هو شهر المواساه و هو شهر يزيد الله فيه من رزق المؤمنين و من فطر فيه مؤمنا صائما كان له بذلك عند الله عتق رقبه و مغفره لذنوبه فيما مضى فليل له يا رسول الله ليس كلنا نقدر على أن نفطر صائما قال فإن الله كريم يعطى هذا الثواب من لم يقدر منكم إلا- على مذقه من لبن يفطر بها صائما أو شربه من ماء عذب أو تميرات لا يقدر على أكثر من ذلك و من خفف فيه عن مملوكه خفف الله عليه حسابه و هو شهر أوله رحمه و أوسطه مغفره و آخره إجابته و العتق من النار و لا غنى بكم فيه عن أربع خصال خصلتين ترضون الله بهما و خصلتين لا غنى بكم عنهما فأما اللتان ترضون الله بهما فشهادته أن لا- إله إلا الله و إني رسول الله و أما اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله فيه حوائجكم و الجنة و تسألون الله فيه العافيه و تتعوذون به من النار

و

في روايه سلمان الفارسي فاستكثروا فيه من أربع خصال خصلتان ترضون بهما ربكم و خصلتان لا غنى بكم عنهما فأما الخصلتان اللتان ترضون ربكم بهما فشهادته أن لا إله إلا الله و تستغفرونه و أما اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة و تتعوذون به من النار

و

قال رسول الله نوم الصائم عباده و صمته تسبيح و دعاؤه مستجاب و عمله مضاعف

و قوله «فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ» فيه وجهان (أحدهما) فمن شهد منكم المصر و حضر و لم يغب في الشهر و الألف و اللام في الشهر للعهد و المراد به شهر رمضان فليصم جميعه و هذا معنى ما

رواه زراره عن أبي جعفر أنه قال لما سئل عن هذه ما أبينها لمن عقلها قال من شهد شهر رمضان فليصمه و من سافر فيه فليفطر

و

قد روى أيضا عن علي و ابن عباس و مجاهد و جماعه من المفسرين أنهم قالوا من شهد الشهر بأن دخل عليه الشهر و هو حاضر فعليه أن يصوم الشهر كله

(و الثاني) من شاهد منكم الشهر مقيما مكلفا فليصم الشهر بعينه و هذا نسخ للتخيير بين الصوم و الفديه و إن كان موصولا به في التلاوه لأن الانفصال لا يعتبر عند التلاوه بل عند الإنزال و الأول أقوى و قوله «وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ» قد مضى تفسيره في الآيه المتقدمه و حد المرض الذي يوجب الإفطار ما يخاف الإنسان معه الزيادة المفرطه في مرضه و

روى أبو بصير قال سألت أبا عبد الله عن حد المرض الذي على صاحبه فيه الإفطار قال هو مؤتمن عليه مفوض إليه فإن وجد ضعفا فليفطر و إن وجد قوه فليصم كان المرض على ما كان

و روى أيضا أن ذلك كل مرض لا يقدر معه على القيام بمقدار زمان صلاته و به قال الحسن و في ذلك اختلاف بين الفقهاء و

أما السفر الذى يوجب الإفطار عندنا فما كان مباحا أو طاعه و كانت المسافه ثمانيه فراسخ أربعه و عشرين ميلا و عند الشافعى
سته عشر فرسخا و عند أبى حنيفه أربعه و عشرين فرسخا و اختلف فى العده

ص: ١٤

من الأيام الآخر فقال الحسن و جماعه هى على التضييق إذا برأ المريض أو قدم المسافر و قال أبو حنيفه موسع فيها و عندنا موقت بما بين رمضانين و تجوز متتابعه و متفرقه و التتابع أفضل فإن فرط حتى لحقه رمضان آخر لزمه الفديه و القضاء و به قال الشافعى و قوله «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ» أى فى الرخصه للمريض و المسافر إذا لم يوجب الصوم عليهما و قيل يريد الله بكم اليسر فى جميع أموركم «وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ» أى التضييق عليكم و فيه دلالة على بطلان قول المجبره لأنه بين أن فى أفعال المكلفين ما يريده سبحانه و هو اليسر و فيها ما لا يريده و هو العسر و لأنه إذا كان لا يريد بهم العسر فإن لا يريد تكليف ما لا يطاق أولى و قوله «وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ» تقديره يريد الله لأن يسهل عليكم و لأن تكملوا أى تمتوا عده ما أفطرتم فيه و هى أيام السفر و المرض بالقضاء إذا أقمتم و برأتم فتصوموا للقضاء بعدد أيام الإفطار و على القول الآخر فتقديره و لإكمال العده شرع الرخصه فى الإفطار و يحتمل أن يكون معناه و لتكملوا عده الشهر لأنه مع الطاقه و عدم العذر يسهل عليه إكمال العده و المريض و المسافر يتعسر عليهما ذلك فيكمالان العده فى وقت آخر و من قال أن شهر رمضان لا ينقص أبدا استدل بقوله «وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ» و قال بين تعالى أن عده شهر رمضان محصوره يجب صيامها على الكمال و لا يدخلها نقصان و لا اختلال فالجواب عنه من وجهين (أحدهما) أن المراد أكملوا العده التى وجب عليكم صيامها و قد يجوز أن يكون هذه العده تاره ثلاثين و تاره تسعه و عشرين (و الآخر) ما ذكرناه من أن المراد راجع إلى القضاء و يؤيده أنه سبحانه ذكره عقيب ذكر السفر و المرض و قوله «وَلِتُكْمِلُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ» المراد به تكبير ليله الفطر عقيب أربع صلوات المغرب و العشاء الآخره و الغداه و صلاه العيد على مذهبنا و قال ابن عباس و جماعه التكبير يوم الفطر و قيل المراد به و لتعظموا الله على ما أرشدكم له من شرائع الدين «وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» أى لتشكروا الله على نعمه.

سوره البقره (٢): آيه ١٨٦

إشاره

وَ إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَ لِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦)

اللغه

أجاب و استجاب بمعنى قال الشاعر:

و داع دعا يا من يحب لى النداء

فلم يستجبه عند ذاك مجيب

أى لم يجبه و قال المبرد بينهما فرق و هو أن فى الاستجابه معنى الإذعان و ليس ذلك فى

الإجابة و أصله من الجواب و هو القطع يقال جاب البلاد يجوبها جوبا إذا قطعها و اجتاب الظلام بمعناه و الجابه و الإجابة بمعنى الصحيح أن الجابه و الطاعه و الطاقه و نحوها أسماء بمعنى المصادر و أجاب عن السؤال جوابا و انجاب السحاب إذا انقشع و أصل الباب القطع فإجابة السائل القطع بما سأل لأن سؤاله على الوقف أ يكون أم لا يكون و الرشد نقيض الغي رشد يرشد رشدا و رشد يرشد رشدا و رجل رشيد و ولد فلان لرشده خلاف لزنیه و أصل الباب إصابه الخير و منه الإرشاد و هو الدلاله على وجه الإصابه للخير.

الإعراب

إذا ظرف زمان للفعل الذى يدل عليه قوله «فَأِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ» تقديره فأخبره يا محمد إنى بهذه الصفه و لا يجوز أن يعمل فيه قريب أو أجيب لأن معمول إن لا يجوز أن يعمل فيما قبل إن لما بين فى موضعه و قوله أجيب فى موضع رفع بأنه خبر إن أيضا فهو خبر بعد خبر.

النزول

روى عن الحسن أن سائلا سأل النبى (صلى الله عليه و آله) أ قريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت الآيه و قال قتاده نزلت جوابا لقوم سألوا النبى كيف ندعو.

المعنى

لما ذكر سبحانه الصوم عقبه بذكر الدعاء و مكانه منه و إجابته إياه فقال «وَ إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى» الأقرب أن يكون السؤال عن صفته سبحانه لا عن فعله لقوله سبحانه «فَأِنِّى قَرِيبٌ» و فيه حذف أى فقل إنى قريب فدل بهذا على أنه سبحانه لا مكان له إذ لو كان له مكان لم يكن قريبا من كل من يناجيه و قيل معناه إنى أسمع دعاء الداعى كما يسمعه القريب المسافه منهم فجاءت لفظه قريب بحسن البيان بها فأما قريب المسافه فلا يجوز عليه سبحانه لأن ذلك إنما يتصور فيمن كان متمكنا فى مكان و ذلك من صفات المحدثات و قوله «أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ» مفهوم المعنى و قوله «فَلْيَسْتَجِيبُوا لى» قال أبو عبيده معناه فليجيبونى فيما دعوتهم إليه و قال المبرد و السراج معناه فليدعونا للحق بطلب موافقه ما أمرتهم به و نهيتهم عنه و قال مجاهد معناه فليستجيبوا لى بالطاعه و قيل معناه فليدعونى و

روى عن النبى ص أعجز الناس من عجز عن الدعاء و أبخل الناس من بخل بالسلام

«وَ لِيُؤْمِنُوا بى» أى و ليصدقوا بجميع ما أنزلته و

روى عن أبى عبد الله أنه قال «وَ لِيُؤْمِنُوا بى» أى و ليتحققوا أنى قادر على إعطائهم ما سألوه «لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ» أى لعلهم يصيبون الحق و يهتدون إليه

فإذا سئل فقيل نحن نرى كثيرا من الناس يدعون الله فلا يجيبهم فما معنى قوله «أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ» فالجواب أنه ليس

أحد يدعو الله على ما

ص: ١٦

توجيه الحكمة إلا- أجابه الله فإن الداعي إذا دعاه يجب أن يسأل ما فيه صلاح له في دينه و لا يكون فيه مفسده له و لا لغيره و يشترط ذلك بلسانه أو ينويه بقلبه فالله سبحانه يجيبه إذا اقتضت المصلحه إجابته أو يؤخر الإجابة إن كانت المصلحه فى التأخير و إذا قيل إن ما تقتضيه الحكمة لا بد أن يفعله فما معنى الدعاء و إجابته فجوابه أن الدعاء عباده فى نفسها يعبد الله سبحانه بها لما فى ذلك من إظهار الخضوع و الانقياد إليه سبحانه و أيضا فإنه لا يمتنع أن يكون وقوع ما سأله إنما صار مصلحه بعد الدعاء و لا يكون مصلحه قبل الدعاء فى الدعاء هذه الفائده و يؤيد ذلك ما

روى عن أبى سعيد الخدرى قال قال النبى (صلى الله عليه و آله) ما من مسلم دعا الله سبحانه بدعوه ليس فيها قطيعه رحم و لا إثم إلا أعطاه الله بها إحدى خصال ثلاث إما أن يعجل دعوته و إما أن يؤخر له فى الآخرة و إما أن يدفع عنه من السوء مثله قالوا يا رسول الله إذا نكثرت قال الله أكثر و فى روايه أنس بن مالك الله أكثر و أطيب ثلاث مرات

و

روى عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله إن العبد ليدعو الله و هو يحبه فيقول يا جبرائيل لا تقض لعبدى هذا حاجته و آخرها فإنى أحب أن لا أزال أسمع صوته و أن العبد ليدعو الله و هو يبغضه فيقول يا جبرائيل اقض لعبدى هذا حاجته يا خلاصه و عجلها فإنى أكره أن أسمع صوته

و

روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال ربما أخرجت عن العبد إجابته الدعاء ليكون أعظم لأجر السائل و أجزل لإعطاء الأمل و قيل لإبراهيم بن أدهم ما بالننا ندعو الله سبحانه فلا يستجيب لنا فقال لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه و عرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته و عرفتم القرآن فلم تعملوا بما فيه و أكلتم نعمه الله فلم تؤدوا شكرها و عرفتم الجنة فلم تطلبوها و عرفتم النار فلم تهربوا منها و عرفتم الشيطان فلم تحاربوه و وافقتموه و عرفتم الموت فلم تستعدوا له و دفنتم الأموات فلم تعتبروا بهم و تركتم عيوبكم و اشتغلتم بعيوب الناس.

ص: ١٧

اشاره

أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٨٧)

اللغة

الرفث الجماع هاهنا بلا خلاف و قيل أن أصله القول الفاحش فكفى به عن الجماع قال العجاج:

" عن اللغا و رفث التكلم "

قال الأَخفش إنما عدت بالى فى الآيه لأنه بمعنى الإفضاء و اللباس الثياب التى من شأنها أن تستر الأبدان و يشبه به الأغشيه فيقال لبس السيف بالحليه و العرب تسمى المرأه لباسا و إزارا قال الشاعر:

إذا ما الضجيع ثنى عطفه

تثنت فكانت عليه لباسا

و قال:

ألا أبلغ أبا حفص رسولا

فدى لك من أخى ثقه إزارى

قال أهل اللغة معناه امرأتى و الاختيان الخيانه يقال خانه يخونه خونا و خيانه و اختيانا «و خائنه الأَعْيُن» مسارقه النظر إلى ما لا- يحل و أصل الباب منع الحق، و المباشرة إلصاق البشره بالبشره و هى ظاهر الجلد و الابتغاء طلب البغيه و «الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ» بياض الفجر و «الْخَيْطُ الْأَسْوَدُ» سواد الليل فأول النهار طلوع الفجر الثانى لأنه أوسع ضياء قال أبو داود:

فلما أضاءت لنا غدوه

و لاح من الصبح خيط أنارا

و الخيط فى اللغة معروف يقال خاطه يخيطه خيطا و خياطه و الخيط القطيع من النعام و نعامه خيطاء قيل خيطها طول قصبها و

عنقها و قيل اختلاط سوادها ببياضها و السواد و البياض لوان كل واحد منهما أصل بنفسه و بيضه الإسلام مجتمعه و ابتاضوهم أى استأصلوهم بمعنى اقتلعوا بيضتهم و السواد و المساوده المساره لأن الخفاء فيه كخفاء الشخص فى سواد الليل و سواد العراق سمي به لكثرة الماء و الشجر الذى تسود به الأرض و سواد كل شىء شخصه و سويداء القلب و سواده دمه الذى فيه و قيل حبه القلب و العكوف و الاعتكاف أصله اللزوم يقال عكفت بالمكان أى أقمت به ملازما له قال الطرماح:

ص: ١٨

و هو فى الشرع عباره عن اللبث فى مكان مخصوص للعباده و الحد على وجوه الحد المنع و حدود الله فرائضه قال الزجاج هى ما منع الله من مخالفتها و الحد جلد الزانى و غيره و الحد حد السيف و غيره و الحد حد الدار و الحد فرق بين الشئيين و الحد نهايه الشىء التى تمنع من أن يدخله ما ليس منه أو أن يخرج عنه ما هو منه و قال الخليل الحد الجامع المانع و الحداد البواب قال الأعشى:

فقمنا و لما يصح ديكننا

إلى جونه عند حدادها

يعنى صاحبها الذى يحفظها و يمنعها و كل من منع شيئا فهو حداد و من ذلك أحدث المرأه على زوجها معناه امتنعت من الزينه و الحديد إنما سمى حديدا لأنه يمتنع به من الأعداء فأصل الباب المنع.

النزول

روى على بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه رفعه إلى أبى عبد الله قال كان الأكل محرما فى شهر رمضان بالليل بعد النوم و كان النكاح حراما بالليل و النهار فى شهر رمضان و كان رجل من أصحاب رسول الله يقال له مطعم بن جبير أخو عبد الله بن جبير الذى كان رسول الله و كله بغم الشعب يوم أحد فى خمسين من الرماه و فارقه أصحابه و بقى فى اثنى عشر رجلا فقتل على باب الشعب و كان أخوه هذا مطعم بن جبير شيخا ضعيفا و كان صائما فأبطأت عليه أهله بالطعام فنام قبل أن يفطر فلما انتبه قال لأهله قد حرم على الأكل فى هذه الليله فلما أصبح حضر حفر الخندق فأغمى عليه فرآه رسول الله فرق له و كان قوم من الشباب ينكحون بالليل سرا فى شهر رمضان فأنزل الله هذه الآيه فأحل النكاح بالليل فى شهر رمضان و الأكل بعد النوم إلى طلوع الفجر

و اختلفت العامه فى اسم هذا الرجل من الأنصار فقال بعضهم قيس بن صرمه و قيل أبو صرمه و قيل أبو قيس بن صرمه و قيل صرمه بن إياس و قالوا جاء إلى رسول الله فقال عملت فى النخل نهارى أجمع حتى إذا أمسيت فأتيت أهلى لتطعمنى فأبطأت فتمت فأيقظونى و قد حرم على الأكل و قد أمسيت و قد جهدنى الصوم فقال عمر يا رسول الله أعتذر إليك من مثله رجعت إلى أهلى بعد ما صليت العشاء فأتيت امرأتى و قام رجال و اعترفوا بمثل الذى سمعوا فنزلت الآيه عن ابن عباس و السدى.

ثم بين سبحانه وقت الصيام وما يتعلق به من الأحكام فقال «أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ» أى الجماع وقال ابن عباس أن الله سبحانه حىي يكنى بما شاء أن الرفث و اللباس و المباشرة و الإفشاء هو الجماع و قال الزجاج الرفث هو كلمه جامع لكل ما يريد الرجل من المرأه و هذا يقتضى تحريما متقدما أزيل عنهم و المراد بليله الصيام الليله التى يكون فى غدها الصوم و

روى عن أبى جعفر و أبى عبد الله كراهيه الجماع فى أول ليله من كل شهر إلا- أول ليله من شهر رمضان فإنه يستحب ذلك لمكان الآيه

و الأشبه أن يكون المراد به لياالى الشهر كله و إنما وحده لأنه اسم جنس يدل على الكثره «هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ» أى هن سكن لكم و أنتم سكن لهن كما قال «وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا» أى سكننا عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و المعنى تلبسونهن و تخالطونهن بالمساكنه أى قل ما يصبر أحد الزوجين عن الآخر و قيل إنما جعل كل واحد منهما لباسا للآخر لانضمام جسد كل واحد منهما إلى جسد صاحبه حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب الذى يلبسه فلما كانا يتلبسان عند الجماع سمي كل واحد منهما لباسا لصاحبه و قال الربيع هن فراش لكم و أنتم لحاف لهن «عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ» لما حرم عليهم الجماع و الأكل بعد النوم و خالفوا فى ذلك ذكرهم الله بالنعمه فى الرخصه التى نسخت تلك التحريمه فقال «عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ» بالمعصيه أى لا تؤدون الأمانه بالامتناع عن المباشرة و قيل معنى تختانون تنقصون أنفسكم من شهواتها و تمنعونها من لذاتها باجتنا ب ما نهيتم عنه فخففه الله عنكم «فَتَابَ عَلَيْكُمْ» أى قبل توبتكم و قيل معناه فرخص لكم و أزال التشديد عنكم «وَ عَفَا عَنْكُمْ» فيه و جهان (أحدهما) غفر ذنوبكم (و الآخر) أزال تحريم ذلك عنكم و ذلك عفو عن تحريمه عليهم «فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ» بالليل أى جامعوهن لفظه أمر و معناه الإباحه «وَ ابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ» فيه قولان (أحدهما) اطلبوا ما قضى الله لكم من الولد عن الحسن و أكثر المفسرين و هو أن يجامع الرجل أهله رجاء أن يرزقه الله ولدا يعبد و يسبح له (و الآخر) اطلبوا ما كتب الله لكم من الحلال الذى بينه فى كتابه فإن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه و قوله «وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا» إباحه للأكل و الشرب «حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ» أى ليظهر و يتميز لكم على التحقيق الخيط الأبيض من الخيط الأسود أى النهار من الليل فأول النهار طلوع الفجر الثانى و قيل بياض الفجر من سواد الليل و قيل بياض أول النهار من سواد آخر الليل و إنما شبه ذلك بالخيط لأن القدر الذى يحرم الإفطار من البياض يشبه الخيط فيزول به مثله من السواد و لا اعتبار بالانتشار «مِنَ الْفَجْرِ»

يحتمل - من - معنيين

(أحدهما) أن يكون بمعنى التبعض لأن المعنى من بعض الفجر و ليس الفجر كله عن ابن دريد (و الآخر) أنه للتبيين لأنه بين الخيط الأبيض فكأنه قال الخيط الأبيض الذى هو الفجر و

روى أن عدى بن حاتم قال للنبي إني وضعت خيطين من شعر أبيض و أسود فكنت أنظر فيهما فلا يتبين لى فضحك رسول الله حتى رؤيت نواجذه ثم قال يا ابن حاتم إنما ذلك بياض النهار و سواد الليل فابتداء الصوم من هذا الوقت

ثم بين تعالى الانتهاء فقال «ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ» أى من وقت طلوع الفجر الثانى و هو المستطيل المعترض الذى يأخذ الأفق و هو الفجر الصادق الذى يجب عنده الصلاه إلى وقت دخول الليل و هو بعد غروب الشمس و علامه دخوله على الاستظهار سقوط الحمره من جانب المشرق و إقبال السواد منه و إلا فإذا غابت الشمس مع ظهور الآفاق فى الأرض المبسوطة و عدم الجبال و الروابى فقد دخل الليل و قوله «وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ» فى معناه قولان هاهنا (أحدهما) أنه أراد به الجماع عن ابن عباس و الحسن و قتاده (و الثانى) أنه أراد الجماع و كل ما دونه من قبله و غيرها من مالک و ابن زيد و هو مذهبننا و قوله «وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ» أى معتكفون أى لا تباشروهن فى حال اعتكافكم فى المساجد و الاعتكاف لا يصح عندنا إلا فى أحد المساجد الأربعة المسجد الحرام و مسجد النبى و مسجد الكوفه و مسجد البصره و عند سائر الفقهاء يجوز فى سائر المساجد إلا أن مالكا قال أنه يختص بالجامع و لا يصح الاعتكاف عندنا إلا بصوم و به قال أبو حنيفة و مالک و عند الشافعى يصح بغير صوم و عندنا لا يكون إلا فى ثلاثه أيام و عند أبى حنيفة يوم واحد و عند مالک عشره أيام لا يجوز أقل منه و عند الشافعى ما شاء و لو ساعه واحده و فى الآيه دلالة على تحريم المباشرة فى الاعتكاف ليلا و نهارا لأنه علق المباشرة بحال الاعتكاف و قوله «تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ» تلك إشارة إلى الأحكام المذكوره فى الآيه حدود الله حرمان الله عن الحسن و قيل معناه معاصى الله عن الضحاک و قيل ما منع الله منه عن الزجاج «فَلَا تَقْرُبُوهَا» أى فلا تأتوها و قيل معناه تلك فرائض الله فلا تقربوها بالمخالفة «كَذَلِكَ» أى مثل هذا البيان الذى ذكر «يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ» أى حججه و أدلته على ما أمرهم به و نهاهم عنه «لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ» أى لكى يتقوا معاصيه و تعدى حدوده فيما أمرهم به و نهاهم عنه و أباحهم إياها و فى هذا دلالة على أن الله تعالى أراد التقوى من جميع الناس.

سوره البقره (٢): آيه ١٨٨

إشارة

وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَ تَدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٨)

ص: ٢١

الباطل الذاهب الزائل يقال بطل إذا ذهب و قيل الباطل هو ما تعلق بالشئ على خلاف ما هو به خبرا كان أو اعتقادا أو ظنا أو تخيلا- و الحكم هو الذى يفصل بين الخصمين يمنع كل واحد من منازعه الآخر و يقال أدلى فلان بحجته إذا أقامها و هو من قولهم أدليت الدلو فى البئر إذا أرسلتها و دلوتها إذا أخرجتها فمعنى قولهم أدلى بحجته أرسلها و أتى بها على صحة و فى تشبيهه الخصومه بإرسال الدلو فى البئر وجهان (أحدهما) أنه تعلق بسبب الحكم كتعلق الدلو بالسبب الذى هو الجبل (الثانى) أنه يمضى فيه من غير تثبيت كمضى الدلو فى الإرسال من غير تثبيت و الفريق القطيعه المعزوله من الجملة سواء كان من الناس أو من غيرهم و الإثم الفعل الذى يستحق به الدم.

الإعراب

و تدلوا محله جزم على النهى عطفًا على قوله «وَلَا تَأْكُلُوا» و يحتمل أن يكون نصبا على الظرف و يكون نصبه بإضمار أن يقول الشاعر:

لا تنه عن خلق و تأتي مثله

عار عليك إذا فعلت عظيم

أى لا تجمع بينهما.

المعنى

ثم بين سبحانه شريعته من شرائع الإسلام نسقا على ما تقدم من بيان الحلال و الحرام فقال «وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ» أى لا يأكل بعضكم مال بعض بالغصب و الظلم و الوجوه التى لا تحل كقوله «وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ» أى و لا يقتل بعضكم بعضا و قيل معناه لا تأكلوا أموالكم باللهو و اللعب مثل ما يؤخذ فى القمار و الملاهى لأن كل ذلك من الباطل و

روى عن أبى جعفر أنه يعنى بالباطل اليمين الكاذبه يقطع بها الأموال

و

روى عن أبى عبد الله قال كانت قريش يقامر الرجل فى أهله و ماله فنهاهم الله

و الأولى حملة على الجميع لأن الآيه تحتل الكل «وَتُدَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ» و تلقوا بها إلى القضاء و قيل فيه أقوال (أحدهما) أنه الودائع و ما لا يقوم عليه بينه عن ابن عباس و الحسن و قتاده (و ثانيها) أنه مال اليتيم فى يد الأوصياء لأنهم يدفعونه إلى الحكام إذا طولبوا به ليقطعوا بعضه و تقوم لهم فى الظاهر حجة عن الجبائى (و ثالثها) أنه ما يؤخذ بشهادته الزور عن الكلبى و الأولى أن يحمل على الجميع «لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ

بِالْبِائِمِ» أى لتأكلوا طائفه من أموال الناس بالفعل الموجب للإثم بأن يحكم الحاكم بالظاهر و كان الأمر فى الباطن بخلافه «وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» أن ذلك الفريق من المال ليس بحق لكم و أنتم مبطلون و هذا أشد فى الزجر

و قال أبو عبد الله (عليه السلام) علم الله أنه سيكون فى هذه الأمه حكام يحكمون بخلاف الحق فنهى الله تعالى المؤمنين أن يتحاكموا إليهم و هم يعلمون أنهم لا يحكمون بالحق

و هذا يدل على أن الإقدام على المعصيه مع العلم أو مع التمكن من العلم أعظم.

سوره البقره (٢): آيه ١٨٩

اشاره

يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَ لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَ أَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٨٩)

القراءه

قرأ ابن كثير و ابن ذكوان و الكسائى البيوت و الشيوخ و أخواتهما بكسر أوائلها إلا- الغيوب و قرأ حمزه و حماد و يحيى عن عاصم كلها بالكسر إلا الجيوب و قالون يكسر منها البيوت فقط و الباقرن بالضم.

الحجه

من كسر أوائل هذه الكلمات إنما فعل ذلك لأجل الياء أبدل من الضمه الكسره لأن الكسره أشد موافقه للياء من الضمه لها كما كسر الفاء من عينه و نيب فى تصغير عين و ناب و إن لم يكن فى أبنيه التصغير على هذا الوزن لتقريب الحركه مما بعدها. و من ضمها فعلى الأصل لأنها فعول.

اللغه

الأهله جمع هلال و اشتقاقه من قولهم استهل الصبى إذا بكى حين يولد أو صاح و قولهم أهل القوم بالحج إذا رفعوا أصواتهم بالتلبيه و إنما قيل هلال لأنه حين يرى يهل الناس بذكره يقال أهل الهلال و استهل و لا يقال أهل و يقال أهلنا الهلال و أهلنا شهر كذا أى دخلنا فيه و قد اختلف فى تسميته هلالا كم يسمى و متى يسمى قمرا فقال بعضهم يسمى هلالا ليلتين من الشهر ثم لا يسمى هلالا إلى أن يعود فى الشهر الثانى و قال آخرون يسمى هلالا ثلاث ليال ثم يسمى قمرا و قال بعضهم يسمى هلالا حتى يحجر و تحجيره أن

يستدير بخطه دقيقه و هذا قول الأصمعي و قال بعضهم يسمى هلالا حتى يبهر ضوءه سواد الليل ثم يقال قمر و هذا يكون في الليله السابعه و اسم القمر عند العرب الزبرقان و اسم دارته الهاله و اسم ضوءه الفخت و الميقات مقدار من الزمان جعل علما لما يقدر من العمل و التوقيت تقدير الوقت و كلما قدرت غايته فهو موقت و الميقات منتهى الوقت و الآخره ميقات الخلق و الإهلال ميقات الشهر و الحج ذكرنا معناه فيما مضى و البر النفع الحسن و الظهر الصفحه القابله لصفحه الوجه و الباب المدخل يقول منه بوبه تبويبا إذا جعله أبوابا و البواب الحاجب لأنه يلزم الباب و البابه القطعه من الشىء كالباب من الجملة.

الإعراب

قوله «لِلنَّاسِ» فى موضع رفع صفه لمواقيت تقديره هى مواقيت كائنه للناس و الباء فى قوله «بِأَنَّ تَأْتُوا» مزيده لتأكيد النفى و أن تأتوا فى موضع الجر بالباء و الجار و المجرور فى موضع النصب بأنهما خبر ليس و قوله «وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى» قيل فيه وجهان (أحدهما) أن تقديره «وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى» كما قلناه فى قوله «وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» (و الآخر) إن تقديره و لكن البار من اتقى وضع المصدر موضع الصفه.

النزول

روى إن معاذ بن جبل قال يا رسول الله إن اليهود يكثرون مسألتنا عن الأهله فأنزل الله هذه الآيه و قال قتاده ذكر لنا أنهم سألوا رسول الله لم خلقت هذه الأهله فأنزل الله هذه الآيه.

المعنى

ثم بين شريعته أخرى فقال «يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ» أى أحوال الأهل فى زيادتها و نقصانها و وجه الحكمة فى ذلك «قُلْ» يا محمد «هِيَ مَوَاقِيتٌ لِلنَّاسِ وَ الْحَجَّجِ» أى هى مواقيت يحتاج الناس إلى مقاديرها فى صومهم و فطرمهم و عدد نساءهم و محل ديونهم و حجهم فبين سبحانه أن وجه الحكمة فى زياده القمر و نقصانه ما تعلق بذلك من مصالح الدين و الدنيا لأن الهلال لو كان مدورا أبدا مثل الشمس لم يمكن التوقيت به و فيه أوضح دلالة على أن الصوم لا يثبت بالعدد و أنه يثبت بالهلال لأنه سبحانه نص على أن الأهله هى المعتره فى المواقيت و الدلالة على الشهور فلو كانت الشهور إنما تعرف بطريق العدد لخص التوقيت بالعدد دون رؤيه الأهله لأن عند أصحاب العدد لا عبره برؤيه الأهله فى معرفه المواقيت و قوله «وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنَّ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا» فيه وجوه (أحدها)

أنه كان المحرمون لا يدخلون بيوتهم من أبوابها و لكنهم كانوا يتقون فى ظهر بيوتهم أى فى مؤخرها نقبا يدخلون و يخرجون منه فنهوا عن التدين بذلك عن ابن عباس و قتاده و عطا

و رواه أبو الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام)

وقيل إلا- أن الحمس وهو قريش و كنانه و خزاعه و ثقيف و جشم و بنو عامر بن صعصعه كانوا لا يفعلون ذلك و إنما سموا حمسا لتشدهم فى دينهم و الحماسه الشده و قيل بل كانت الحمس تفعل ذلك و إنما فعلوا ذلك حتى لا يحول بينهم و بين السماء شىء (و ثانيها)

إن معناه ليس البر أن تأتوا البيوت من غير جهاتها و ينبغى أن تأتوا الأمور من جهاتها أى الأمور كان و هو المروى عن جابر عن أبي جعفر

(و ثالثها) إن معناه ليس البر طلب المعروف من غير أهله و إنما البر طلب المعروف من أهله «و لَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى» قد مر معناه «و أَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا» قد مضى معناه و

قال أبو جعفر آل محمد أبواب الله و سبله و الدعاء إلى الجنة و القاده إليها و الأدلاء عليها إلى يوم القيامة

و

قال النبى (صلى الله عليه و آله) أنا مدينه العلم و على بابها و لا تؤتى المدينه إلا من بابها و يروى أنا مدينه الحكمه

«و أَتُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» معناه و اتقوا ما نهاكم الله عنه و زهدكم فيه لكى تفلحوا بالوصول إلى ثوابه الذى ضمنه للمتقين.

النظم

و وجه اتصال قوله «لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا» بقوله «يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ» أنه لما بين أن الأهله مواقبت للناس و الحج و كانوا إذا أحرموا يدخلون البيوت من ورائها عطف عليها قوله «و لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا» و قيل أنه لما بين أن أمورنا مقدره بأوقات قرن به قوله «و لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا» أى فكما أن أموركم مقدره بأوقات فلتكن أفعالكم جاريه على الاستقامه باتباع ما أمر الله به و الانتهاء عما نهى عنه لأن اتباع ما أمر به خير من اتباع ما لم يأمر به.

سوره البقره (٢): آيه ١٩٠

اشاره

وَ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَ لَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠)

اللغه

القتال و المقاتله محاوله الرجل قتل من يحاول قتله و التقاتل محاوله كل واحد من المتعادين قتل الآخر و الاعتداء مجاوزه الحد يقال عدا طوره إذا جاوز حده.

عن ابن عباس نزلت هذه الآية في صلح الحديبيه و ذلك أن رسول الله لما خرج هو و أصحابه في العام الذي أرادوا فيه العمرة و كانوا ألفا و أربعمائه فصاروا حتى نزلوا الحديبيه فصدّهم المشركون عن البيت الحرام فنحروا الهدى بالحديبيه ثم صالحهم المشركون على أن يرجع من عامه و يعود العام القابل و يخلوا له مكة ثلاثه أيام فيطوف

بالبیت و یفعل ما یشاء فرجع إلى المدینة من فوره فلما كان العام المقبل تجهز النبی (صلی الله علیه و آله) و أصحابه لعمره القضاء و خافوا أن لا- تفي لهم قریش بذلك و أن یصدوهم عن السیت الحرام و یقاتلوهم و کره رسول الله قتالهم فی الشهر الحرام فی الحرم فأنزل الله هذه الآیه و عن الربیع بن أنس و عبد الرحمن بن زید بن أسلم هذه أول آیه نزلت فی القتال فلما نزلت كان رسول الله یقاتل من قاتله و یکف عن من کف عنه حتى نزلت «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» فنسخت هذه الآیه.

المعنى

ثم بین سبحانه أمر الجهاد فقال مخاطبا للمؤمنين «وَقَاتِلُوا» أى مع الكفار «فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أى دين الله و هو الطريق الذى بینة للعباد لیسلكوه على أمرهم به و دعاهم إليه «الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ» قيل أمروا بقتال المقاتلين دون النساء و قيل أنهم أمروا بقتال أهل مكه و الأولی حمل الآیه على العموم إلا من أخرجه الدلیل «وَلَا تَعْتَدُوا» أى و لا تجاوزوا من قتال من هو من أهل القتال إلى قتال من لم تؤمروا بقتاله و قيل معناه لا تعتدوا بقتال من لم یبدأكم بقتال «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» ظاهره یقتضى أن یسخط علیهم لأنه على جهه الذم لهم و قد ذكرنا معنى المحبه لهم فیما مضى و اختلف فی الآیه هل هی منسوخه أم لا فقال بعضهم منسوخه على ما ذكرناه و روى عن ابن عباس و مجاهد أنها غیر منسوخه بل هی خاصه فی النساء و الذراری و قيل أمر بقتال أهل مكه و

روى عن أئمتنا (علیه السلام) أن هذه الآیه ناسخه لقوله «كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ» و كذلك قوله «وَأَقْتُلُوا حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ» ناسخ لقوله «وَلَا تَطْعَمِ الْكَافِرِينَ وَ الْمُنَافِقِينَ وَ دَعِ أَذَاهُمْ».

سوره البقره (٢): آیه ١٩١

اشاره

وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ وَ الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَ لَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَيْثُ يُقَاتِلُونَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُواكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١)

القراءه

قرأ حمزه و الكسائى و لا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم كل بغير ألف و الباقون بألف فى جميع ذلك.

الحج

من قرأها بغير ألف فإنما اتبع المصحف لأنه كتب في المصاحف بغير الألف و من قرأ بالألف فقال إنما تحذف الألف في الخط كما في الرَّحْمَنِ.

اللغة

ثقفته أثقفه ثقفا و ثقافه أى وجدته و منه قولهم رجل ثقف لقف أى يجد ما يطلبه و ثقف الرجل ثقافه فهو ثقف و ثقف ثقفا بالتحريك فهو ثقف إذا كان سريع التعلم و الثقاف حديده يقوم بها الرماح المعوجه و التثقيف التكوين و الفتنه أصلها الاختبار ثم ينصرف إلى معان منها الابتلاء نحو قوله «فَتَنَّاكَ فُتُونًا» أى ابتليناك ابتلاء على إثر ابتلاء و منها العذاب كقوله جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ و منها الصد عن الدين نحو قوله «وَ احذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ» و المراد بها فى الآيه الشرك بالله و برسوله.

الإعراب

حيث فيه ثلاث لغات ضم الثاء و فتحها و كسرهما فالضم لشبهها بالغايه نحو قبل و بعد لأنه منع الإضافة إلى المفرد مع لزومه معنى الإضافة إياه فيجرى لذلك مجرى قبل و بعد فى البناء على الضم و الفتح لأجل البناء كما فتحت أين و كيف. و الكسر لأجل أنه الأصل فى التحريك لالتقاء الساكنين و الجملة بعد حيث فى موضع جر بإضافه حيث إليها فى الموضعين و تقاتلوا منصوب بإضمار أن و هو صلة أن و الموصول و الصلة فى محل جر بحتى و حتى يتعلق بتقاتلواهم.

النزول

نزلت فى سبب رجل من الصحابه قتل رجلا من الكفار فى الشهر الحرام فعابوا المؤمنين بذلك فبين الله سبحانه أن الفتنه فى الدين و هو الشرك أعظم من قتل المشركين فى الشهر الحرام و إن كان غير جائز.

المعنى

ثم خاطب الله تعالى المؤمنين مبينا لهم كيفية القتال مع الكافرين فقال «وَ اقْتُلُوهُمْ» أى الكفار «حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ» أى وجدتموهم «وَ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ» يعنى أخرجوهم من مكه كما أخرجوكم منها «وَ الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ» أى شركهم بالله و برسوله أعظم من القتل فى الشهر الحرام وسمى الكفر فتنه لأن الكفر يؤدي إلى الهلاك كما أن الفتنه تؤدي إلى الهلاك و قيل لأن الكفر فساد يظهر عند الاختبار و قوله «وَ لَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ» نهى عن ابتدائهم بقتال أو قتل فى الحرم حتى يبتدئ المشركون بذلك «فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ» أى بدءوكم بذلك «فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ» أن يقتلوا حيث ما وجدوا و فى الآيه دلالة على وجوب إخراج الكفار من مكه كقوله حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً و السنه قد وردت أيضا بذلك و هو

قوله لا يجتمع

فى جزيره العرب دينان.

سوره البقره (٢): آيه ١٩٢

اشاره

فَإِنْ اٰتٰهُوْا فَاِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ (١٩٢)

اللغه

الانتهاء الامتناع و النهى الزجر عن الفعل بصيغه لا تفعل مع كراهه الناهى لذلك الفعل و الأمر الدعاء إلى الفعل بصيغه افعل مع إرادته الأمر لذلك و النهى الغدير لمنعه الماء أن يفيض و النهى بمنزله المنع و نهايه الشىء غايته و النهى جمع نهيه و هى العقل و التناهى هى المواضع التى تنهبط فيتناهى إليها ماء السماء واحدها تنهيه و الإنهاء إبلاغ الشىء الشىء نهايته و المغفره تغطيه الذنب بما يصير به بمنزله غير الواقع فى الحكم.

المعنى

«فَإِنْ اٰتٰهُوْا» أى امتنعوا من كفرهم بالتوبه منه عن مجاهد و غيره «فَاِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ» فاختصر الكلام لدلاله ما تقدم من الشرط عليه و فيه الدلاله على أنه يقبل توبه القاتل عمدا لأنه بين عز اسمه أنه يقبل توبه المشرك و الشرك أعظم من القتل.

سوره البقره (٢): آيه ١٩٣

اشاره

وَ قَاتِلُوْهُمْ حَتّٰى لَا تُكُوْنَ فَتْنَةً وَ يَكُوْنَ الدِّيْنُ لِلّٰهِ فَاِنْ اٰتٰهُوْا فَلَا عُدُوَانَ اِلَّا عَلٰى الظّٰلِمِيْنَ (١٩٣)

اللغه

الدين هاهنا الإذعان بالطاعه كما فى قول الأعشى:

هودان الرباب إذ كرهوا

الدين دراكا بغزوه و صيال

وقيل هو الإسلام و أصل الدين العاده قال الشاعر:

تقول إذا درأت لها وضيئى

أهذا دينه أبدا و دينى

وقد استعمل بمعنى الطاعة فى قوله «ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملِك» و بمعنى الإسلام فى قوله «إن الدين عند الله الإسلام» لأن الشريعة يجب أن يجرى فيها على عادة مستمره.

ص: ٢٨

ثم بين تعالى غايه وجوب القتال و قال يخاطب المؤمنين

«وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ» أى شرك عن ابن عباس و قتاده و مجاهد و هو المروى عن الصادق (عليه السلام)

«وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ» و حتى تكون الطاعه لله و الانقياد لأمر الله و قيل حتى يكون الإسلام لله أى حتى لا يبقى الكفر و يظهر الإسلام على الأديان كلها «فَإِنْ أَنْتَهُوا» أى امتنعوا من الكفر و أذعنوا للإسلام «فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ» أى فلا عقوبه عليهم و إنما العقوبه بالقتل على الكافرين المقيمين على الكفر فسمى القتل عدوانا من حيث كان عقوبه على العدوان و هو الظلم كما قال فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ وَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا وَ إِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا وَ حَسَنَ ذَلِكَ لِأَزْدِجِ الكَلَامِ وَ المزاوجه هنا إنما حصلت فى المعنى لأن التقدير فإن انتهوا عن العدوان فلا عدوان إلا على الظالمين و هذا الوجه مروى عن قتاده و الربيع و عكرمه و قيل معنى العدوان الابتداء بالقتال عن مجاهد و السدى و هذه الآيه ناسخه للأولى التى تضمنت النهى عن القتال فى المسجد الحرام حتى يبدءوا بالقتال فيه لأن فيها إيجاب قتالهم على كل حال حتى يدخلوا فى الإسلام عن الحسن و الجبائى و على ما ذكرناه فى الآيه الأولى عن ابن عباس أنها غير منسوخه فلا تكون هذه الآيه ناسخه بل تكون مؤكده و قيل بل المراد بها أنهم إذا ابتدأوا بالقتال فى الحرم يجب مقاتلتهم حتى يزول الكفر.

سوره البقره (٢): آيه ١٩٤

إشارة

الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَ الْحُرْمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٩٤)

اللغة

إنما سمي الشهر الحرام لأنه يحرم فيه ما يحل فى غيره من القتال و نحوه و الحرمات جمع حرمة و هى ما يجب حفظه و يحرم هتكه و الحرام هو القبيح الممنوع من فعله و الحلال المأذون فيه و القصاص الأخذ للمظلوم من الظالم من أجل ظلمه إياه و اعتدى عليه و عدى عليه بمعنى مثل قرب و اقرب و جلب و اجتلب و قيل إن فى افتعل مبالغه ليست فى فعل.

المعنى

ثم بين الله تعالى القتال فى الشهر الحرام فقال «الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ» المراد بها هاهنا ذو القعدة و هو شهر الصد عام الحديبيه و الأشهر الحرم أربعه

ثلاثة سرد ذو القعدة و ذو الحجة و المحرم و واحد فرد و هو رجب كانوا يحرمون فيها القتال حتى لو أن رجلا لقي قاتل أبيه أو أخيه لم يتعرض له بسوء و إنما قيل ذو القعدة لقعودهم فيه عن القتال و قيل في تقديره وجهان (أحدهما) أنه قتال شهر الحرام أى فى الشهر الحرام بقتال الشهر الحرام فحذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه و قيل أنه الشهر الحرام على جهة العوض لما فأت فى السنه الأولى و معناه الشهر الحرام ذو القعدة الذى دخلتم فيه مکه و اعتمرتم و قضيتم منها و طرکم فى سنه سبع بالشهر الحرام ذى القعدة الذى صددتم فيه عن البيت و منعتم عن مرادکم فى سنه ست «وَ الْحُرْمَاتُ قِصَاصٌ» قيل فيه قولان (أحدهما) أن الحرمات قصاص بالمراغمه بدخول البيت فى الشهر الحرام قال مجاهد

لأن قريشا فخرت بردها رسول الله ص عام الحديبيه محرما فى ذى القعدة عن البلد الحرام فأدخله الله مکه فى العام المقبل فى ذى القعدة فقضى عمرته و أقصه بما حيل بينه و بينه و هو معنى قتاده و الضحاك و الربيع و عبد الرحمن بن زيد و روى عن ابن عباس و أبى جعفر الباقر مثله

(و الثانى) أن الحرمات قصاص بالقتال فى الشهر الحرام أى لا يجوز للمسلمين إلا قصاصا قال الحسن إن مشركى العرب قالوا لرسول الله أن نهيت عن قتالنا فى الشهر الحرام قال نعم و إنما أراد المشركون أن يغروه فى الشهر الحرام فيقاتلوه فأنزل الله هذا أى أن استحلوا منكم فى الشهر الحرام شيئا فاستحلوا منهم مثل ما استحلوا منكم و به قال الزجاج و الجبائى و إنما جمع الحرمات لأنه أراد حرمة الشهر حرمة البلد و حرمة الإحرام و قيل لأن كل حرمة تستحل فلا يجوز إلا على وجه المجازاه «فَمَنْ اغْتَدَى عَلَيْكُمْ» أى ظلمكم «فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اغْتَدَى عَلَيْكُمْ» أى فجازوه باعتدائه و قابلوه بمثله (و الثانى) ليس باعتداء على الحقيقة و لكن سماه اعتداء لأنه مجازاه اعتداء و جعله مثله و إن كان ذلك جورا و هذا عدلا لأنه مثله فى الجنس و فى مقدار الاستحقاق و لأنه ضرر كما أن ذاك ضرر فهو مثله فى الجنس و المقدار و الصفه «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» فيما أمركم به و نهاكم عنه «وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ» بالنصره لهم أو يريد أن نصره الله معهم و أصل «مَعَ» المصاحبه فى المكان أو الزمان و فى هذه الآية دلالة على أن من غصب شيئا و أتلفه يلزمه رد مثله ثم أن المثل قد يكون من طريق الصورة فى ذوات الأمثال و من طريق المعنى كالقيم فيما لا مثل له.

سوره البقره (٢): آيه ١٩٥

إشارة

وَ أَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَ أَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥)

ص: ٣٠

الإنفاق إخراج الشئ عن ملكه إلى ملك غيره لأنه لو أخرجه إلى هلاك لم يسم إنفاقاً. والإلقاء تصيير الشئ إلى جهة السفلى وقد يقال ألقى عليه مسأله مجازاً كما يقال طرح عليه مسأله وقد يقال لكل من أخذ في عمل ألقى يديه إليه وفيه قال لبيد:

حتى إذا ألقى يدا في كافر

و أجن عورات الثغور ظلامها

يعنى الشمس أى بدأت فى المغيب. التهلكه و الهلاك واحد و قيل التهلكه مصدر بمعنى الهلاك و ليس فى كلام العرب مصدر على تفعله بضم العين إلا هذا و قيل التهلكه كل ما يصير عاقبته إلى الهلاك و أصل الهلاك الضياع و هو مصير الشئ بحيث لا يدري أين هو و منه يقال للكافر هالك و للميت هالك و للمعذب هالك و الهلوك الفاجره و الهالكى الحداد و أصله أن بنى الهالك بن عمرو كانوا قيوناً فنسب إليه كل قين و الإحسان هو إيصال النفع الحسن إلى الغير و ليس المحسن من فعل الفعل الحسن لأن مستوفى الدين لا يسمى محسناً و إن كان فعله حسناً و لا يقال أن القديم تعالى بفعل العقاب محسن و إن كان العقاب حسناً و إنما اعتبرنا النفع الحسن لأن من أوصل نفعاً قبيحاً إلى غيره لا يقال أنه محسن إليه.

الإعراب

الباء فى قوله تعالى «بأيديكم» زائده كما يقال جذبت الثوب و بالثوب و علمته و علمت به و قال الشاعر:

و لقد ملأت على نصيب جلده

مساءه إن الصديق يعاتب

أى ملأت جلده مساءه و قيل ليست الباء بزائده و لكنها على أصل الكلام من وجهين (أحدهما) أن كل فعل متعد إذا كنى عنه أو قدر على المصدر دخلته الباء تقول ضربته ثم تكنى عنه فتقول فعلت به و يقال أوقعت الضرب به فجاء على أصل الأفعال للتعدية (و الآخر) أنه لما كان معناه لا تهلکوا أنفسکم بأيديکم دخلت الباء لتدل على هذا المعنى و هو خلاف أهلكك نفسه بيد غيره.

لما أوجب سبحانه القتال في سبيل الله عقبه بذكر الإنفاق فيه فقال «وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» معناه و أنفقوا من أموالكم في الجهاد و طريق الدين و كل ما أمر الله به من الخير و أبواب البر فهو سبيل الله لأن السبيل هو الطريق فسبيل الله الطريق إلى الله و إلى رحمته الله و ثوابه إلا أنه كثر استعماله في الجهاد لأن الجود بالنفس أقصى غايه الجود و الجهاد هو الأمر الذي يخاطر فيه بالروح فكانت له مزيه «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» قيل في معناه وجوه (أحدها) أنه أراد لا تهلكوا أنفسكم بأيديكم بترك الإنفاق في سبيل الله فيغلب عليكم العدو عن ابن عباس و جماعه من المفسرين (و ثانيها) أنه عنى به لا- تركبوا المعاصي باليأس من المغفرة عن البراء بن عازب و عبيده السلماني (و ثالثها) أن المراد لا- تقتحموا الحرب من غير نكايه في العدو و لا قدره على دفاعهم عن الثورى و اختاره البلخى (و رابعها) أن المراد و لا تسرفوا في الإنفاق الذى يأتى على النفس عن الجبائى و يقرب منه ما

روى عن أبى عبد الله لو أن رجلا- أنفق ما فى يديه فى سبيل الله ما كان أحسن و لا وفق لقوله سبحانه «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَ أَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» يعنى المقتصدین

و قال عكرمه معناه أحسنوا الظن بالله يبر بكم و قال عبد الرحمن بن زيد و أحسنوا بالعود على المحتاج و الأولى حمل الآيه على جميع هذه الوجوه و لا- تنافى فيها و فى هذه الآيه دلالة على تحريم الإقدام على ما يخاف منه على النفس و على جواز ترك الأمر بالمعروف عند الخوف لأن فى ذلك إلقاء النفس إلى التهلكه و فيها دلالة على جواز الصلح مع الكفار و البغاه إذا خاف الإمام على نفسه أو على المسلمين كما فعله رسول الله ص عام الحديبيه و فعله أمير المؤمنين (عليه السلام) بصفين و فعله الحسن (عليه السلام) مع معاويه من المصالحه لما تشتت أمره و خاف على نفسه و شيعته فإن عورضنا بأن الحسين (عليه السلام) قاتل وحده فالجواب أن فعله يحتمل وجهين (أحدهما) أنه ظن أنهم لا يقتلونه لمكانه من رسول الله ص و الآخر أنه غلب على ظنه أنه لو ترك قتالهم قتله الملعون ابن زياد صبورا كما فعل بابن عمه مسلم فكان القتل مع عز النفس و الجهاد أهون عليه.

اشاره

وَ اتُّمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَخْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفَدْيُهُ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكُمْ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٩٦)

اللغة

قد ذكرنا حقيقه الحج و العمره فيما مضى عند قوله «فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ» فلا معنى لإعادته و الإحصار المنع يقال للرجل الذى قد منعه الخوف أو المرض عن التصرف قد أحصر فهو محصر و يقال للرجل الذى حبس قد حصر فهو محصور و قال الفراء يجوز أن يقوم كل واحد منهما مقام الآخر و خالفه فيه أبو العباس المبرد و الزجاج.

قال المبرد و نظيره حبسه جعله فى الحبس و أحبسه عرضه للحبس و أقتله عرضه للقتل و كذلك حصره حبسه أى أوقع به الحصر و أحصره عرضه للحصر و حصر حصرًا إذا عيب فى الكلام و الحصر البخيل لحبسه رفته و الحصر الذى لا يبوح بسره لأنه قد حبس نفسه عن البوح به و الحصر الحبس و الحصر الملك و الحصر الهيوب المحجم عن الشىء و الحصور الذى لا إربه له فى النساء و أصل الباب الحبس و فى أصل الهدى قولان (أحدهما) أنه من الهديه يقال أهديت الهديه إهداء و أهديت الهدى إلى بيت الله إهداء فعلى هذا إنما يكون هديا لأجل التقرب به إلى الله (و الآخر) أنه من هداه إذا ساقه إلى الرشاد فسمى هديا لأنه يساق إلى الحرم الذى هو موضع الرشاد و واحد الهدى هديه كما يقال شريه و شرى و تمره و تمر و جمع الهدى هدى على زنه فعيل كما يقال عبد و عبيد و كلب و كليب و قيل واحد الهدى هديه مثل مطيه و مطى قال الفرزدق:

حلفت برب مكه و المصلى

و أعناق الهدى مقلدات

و الحلق حلق الرأس يقال حلق و حلق و الملقح موضع الحلق بمنى و المحلق

الحلاق و حلق الطائر في الهواء إذا ارتفع و حلق ضرع الناقة إذا ارتفع لبنها و الحلق مجرى الطعام و الشراب في المرى و حلق الأرض مجاريها في أوديتها و حلاق المنيه و أصل الباب الاستمرار و الرأس أعلى كل شىء و الأذى كل ما تأذيت به و رجل أذى إذا كان شديد التأذى و أصله الضرر بالشىء و النسك جمع النسيكه و هى الذبيحه و يجمع أيضا على نسائك كصحيفه و صحائف و صحف و كلما ذبح لله فهو نسيكه و النسك العباده و منه رجل ناسك أى عابد و التمتع أصله الالتذاذ و الاستمتاع و متعه الحجه هى أن يعتمر فى أشهر الحج ثم يحل و يتمتع بالإحلال بأن يفعل ما يفعله المحل ثم يحرم بالحج من غير رجوع إلى الميقات فهو إحلال بين إحرامين و أهل الرجل زوجته و التأهل التزوج و أهل الرجل أخص الناس به و أهل البيت سكانه و أهل الإسلام من يدين به و أهل القرآن من يقرؤه و يقوم بحقوقه و أهله لهذا الأمر أى جعلته أهلا- له و قولهم أهلا- و مرحبا أى اختصاصا بالتحية و التكرمه و العقاب مصدر يقال عاقبه عقابا و معاقبه و عقوبه و أصله من عقب الشىء أى خلفه فكان القبيح يعقبه الشده و عقب الإنسان نسله و عقبه مؤخر قدميه.

الإعراب

قوله «فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ» موضع ما رفع كأنه قال فعليه ما استيسر و يجوز أن يكون موضعه نصبا و تقديره فأهدوا ما استيسر و الرفع أولى لكثرة نظائره كقوله «فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ» «فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ» * «فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ» و قوله «فِي الْحَجِّ» يتعلق بالمصدر و ليس فى موضع خبر و هذا النحو قد جاء مرفوعا على تقدير إضمار خبر.

المعنى

ثم بين سبحانه فرض الحج و العمره على العباد بعد بيانه فريضه الجهاد فقال «وَ أَتَمُّوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ لِلَّهِ» أى أتموهما بمناسكهما و حدودهما و تأديه كل ما فيهما عن ابن عباس و مجاهد و قيل

معناه أقيموهما إلى آخر ما فيهما و هو المروى عن أمير المؤمنين و على بن الحسين

و عن سعيد بن جبير و مسروق و السدى و قوله «لِلَّهِ» أى اقصدوا بهما التقرب إلى الله و العمره واجبه عندنا مثل الحج و به قال الشافعى فى الجديد و قال أهل العراق أنها مسنونه و أركان أفعال الحج النيه و الإحرام و الوقوف بعرفة و الوقوف بالمشعر و طواف الزيارة و السعى بين الصفا و المروه و أما الفرائض التى ليست بأركان فالتلبية و ركعتا الطواف و طواف النساء و ركعتا الطواف له و أما المسنونات من أفعال الحج فمذكوره فى الكتب المصنفة فيه و أركان فرائض العمره النيه و الإحرام و طواف الزيارة و السعى و أما ما

ليس بركن من فرائضها فالتلبيه و ركعتا الطواف و طواف النساء و ركعتا الطواف له و قوله «فَإِنْ أَحْصِرْتُمْ» فيه قولان (أحدهما)

أن معناه منعكم خوف أو عدو أو مرض فامتنعتم لذلك عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و عطا و هو المروى عن أئمتنا

(و الثانى) معناه إن منعكم حابس قاهر عن مالك «فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ» فعليكم ما سهل من الهدى أو فأهدوا ما تيسر من الهدى إذا أردتم الإحلال و الهدى يكون على ثلاثه أنواع جزور أو بقره أو شاه و

أيسرها شاه و هو المروى عن على

و ابن عباس و الحسن و قتاده و روى عن ابن عمر و عائشه أنه ما كان من الإبل و البقر دون غيرهما و الأول هو الصحيح «وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ» أى لا- تتحللوا من إحرامكم حتى يبلغ الهدى محله و ينحر أو يذبح و اختلف فى محل الهدى على قولين (الأول) أنه الحرم فإذا ذبح به فى يوم النحر أحل عن ابن عباس و ابن مسعود و الحسن و عطا (و الثانى) أنه الموضع الذى يصد فيه لأن النبى ص نحر هديه بالحديبيه و أمر أصحابه ففعلوا مثل ذلك و ليست الحديبيه من الحرم عن مالك و أما على مذهبن فالأول حكم المحصر بالمرض و الثانى حكم المحصور بالعدو و إن كان الإحرام بالحج فمحله منى يوم النحر و إن كان الإحرام بالعمرة فمحله مكه «فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ» أى من مرض منكم مرضا يحتاج فيه إلى الحلق للمداواه أو تأذى بهوام رأسه أبيع له الحلق بشرط الفديه و روى أصحابنا أن هذه نزلت فى إنسان يعرف بكعب بن عجره و أنه كان قد قمل رأسه و قوله «فَفِدْيَةٌ» أى فحلق لذلك العذر فعليه فديه أى بدل و جزاء يقوم مقام ذلك من صيام أو صدقه أو نسك

المروى عن أئمتنا أن الصيام ثلاثه أيام و الصدقه على ستة مساكين و روى على عشره مساكين

و النسك شاه و هو مخير فيها و قوله «فَإِذَا أَمِنْتُمْ» معناه فإذا أمنتكم الموانع من العدو و المرض و كل مانع «فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ» فعليه ما تيسر من الهدى و التمتع عندنا هو الفرض اللازم لمن لم يكن من حاضرى المسجد الحرام و حاضر المسجد الحرام هو من كان على اثنى عشر ميلا- من كل جانب إلى مكه فمن كان خارجا عن هذا الحد فليس من الحاضرين و صفه التمتع بالعمرة إلى الحج أن ينشئ الإحرام فى أشهر الحج ثم يدخل إلى مكه فيطوف بالبيت و يسعى بين الصفا و المروه و يقصر و يحل من إحرامه ثم ينشئ إحراما آخر للحج من المسجد الحرام و يخرج إلى عرفات ثم يفيض إلى المشعر و يأتى بأفعال الحج على ما هو مذكور فى الكتب و فى بعض ذلك خلاف بين الفقهاء و الهدى واجب للتمتع بلا خلاف لظاهر التنزيل على خلاف فى أنه نسك أو جبران و عندنا أنه نسك «فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةٍ

أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ» أَي فَمَنْ لَمْ يَجِدِ الْهَدْيَ وَلَا ثَمَنَهُ فَعَلِيهِ صِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَعِنْدَنَا أَنَّ هَذِهِ الْأَيَّامُ الثَّلَاثَةُ يَوْمٌ قَبْلَ يَوْمِ التَّرْوِيهِ وَيَوْمِ التَّرْوِيهِ وَيَوْمَ عَرَفَةَ وَإِنْ صَامَ فِي أَوَّلِ الْعَشْرِ جَازَ ذَلِكَ رِخْصَةً وَإِنْ صَامَ يَوْمَ التَّرْوِيهِ وَيَوْمَ عَرَفَةَ قَضَى يَوْمًا آخَرَ بَعْدَ انْقِضَاءِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ وَإِنْ فَاتَهُ صَوْمُ يَوْمِ التَّرْوِيهِ أَيْضًا صَامَ الْأَيَّامَ الثَّلَاثَةَ بَعْدَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ مُتَتَابِعَاتٍ وَقَوْلُهُ «وَسَبَّعَهُ إِذَا رَجَعْتُمْ» أَي وَسَبَّعَهُ أَيَّامًا إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَى بِلَادِكُمْ وَأَهَالِيكُمْ وَبِهِ قَالَ قَتَادَةُ وَعَطَاءٌ وَقِيلَ مَعْنَاهُ إِذَا رَجَعْتُمْ مِنْ مَنَى فَصَوْمُهَا فِي الطَّرِيقِ عَنْ مُجَاهِدٍ وَالْأَوَّلُ هُوَ الصَّحِيحُ عِنْدَنَا وَقَوْلُهُ «تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ» فِيهِ أَقْوَالٌ (أَحَدُهَا)

أَنَّ مَعْنَاهُ كَامِلَةٌ مِنَ الْهَدْيِ إِذَا وَقَعَتْ بَدَلًا مِنْهُ اسْتَكْمَلْتَ ثَوَابَهُ عَنِ الْحَسَنِ وَهُوَ الْمَرْوِيُّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ

وَإِخْتَارَهُ الْجَبَائِيُّ (وَثَانِيهَا) أَنَّهُ لِإِزَالَةِ الْإِبْهَامِ لثَلَاثَ يَوْمٍ أَنَّ الْوَاوَ بِمَعْنَى أَوْ فِيكَوْنُ كَأَنَّهُ قَالَ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ أَوْ سَبَّعَهُ إِذَا رَجَعْتُمْ لِأَنَّهُ إِذَا اسْتَعْمَلَ الْوَاوَ بِمَعْنَى الْوَاوِ جَازَ أَنْ يَسْتَعْمَلَ الْوَاوَ بِمَعْنَى أَوْ كَمَا قَالَ فَانْكُحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَالْوَاوُ هَاهُنَا بِمَعْنَى أَوْ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِارْتِفَاعِ اللَّبْسِ عَنِ الزَّجَاجِ وَأَبِي الْقَاسِمِ الْبَلْخِيِّ (وَثَالِثُهَا) أَنَّهُ إِنَّمَا قَالَ كَامِلَةً لِلتَّوَكِيدِ كَمَا قَالَ جَرِيرٌ:

ثَلَاثٌ وَاثْنَتَانِ فَهِنَّ خَمْسٌ

وَ سَادِسَةٌ تَمِيلُ إِلَى تَمَامٍ

وَقَوْلُهُ «ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» أَي مَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ مِنَ التَّمَتُّعِ بِالْعَمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ لَيْسَ لِأَهْلِ مَكَّةَ وَ مِنْ يَجْرِي مَجْرَاهُمْ وَإِنَّمَا هُوَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ حَاضِرِي مَكَّةَ وَهُوَ مَنْ يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا أَكْثَرَ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ مِيلًا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ «وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» لِمَنْ عَصَاهُ. الْحَدِيثُ

رَوَى مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمَادٍ عَنِ الصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَامَ بِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ لَمْ يَحْجِ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ وَأَذَّنَ فِي النَّاسِ الْآيَةَ فَأَمَرَ الْمُؤَذِّنِينَ أَنْ يُؤَذِّنُوا بِأَعْلَى أَصْوَاتِهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ يَحْجُ مِنْ عَامِهِ هَذَا فَعَلِمَ بِهِ مِنْ حَضَرِ الْمَدِينَةِ وَأَهْلِ الْعَوَالِي وَالْأَعْرَابِ فَاجْتَمَعُوا فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ فِي أَرْبَعِ بَقِيْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى ذِي الْحَلِيفَةِ فَزَالَتِ الشَّمْسُ اغْتَسَلَ ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ الَّذِي عِنْدَهُ الشَّجَرَةُ فَصَلَّى فِيهِ الظُّهْرَ وَأَحْرَمَ بِالْحَجِّ ثُمَّ سَاقَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ فَلَمَّا وَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ بِالْمَرْوَةِ بَعْدَ فِرَاقِهِ مِنَ السَّعْيِ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ بِوَجْهِهِ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ هَذَا جَبْرَائِيلُ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى خَلْفِهِ يَأْمُرُنِي أَنْ أَمْرَ مِنْ لَمْ يَسُقْ هَدْيًا أَنْ يَحِلَّ وَ لَوْ اسْتَقْبَلْتَ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتَ لَصَنَعْتَ مِثْلَ مَا أَمَرْتُكُمْ وَ لَكِنِّي سَقَتُ الْهَدْيَ وَ لَا يَنْبَغِي لِسَائِقِ الْهَدْيِ أَنْ يَحِلَّ حَتَّى يَبْلُغَ هَذَا الْهَدْيِ مَحَلَّهُ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ أَنْ نَخْرُجَ حِجَابًا وَ رءُوسِنَا تَقَطَّرُ فَقَالَ إِنَّكَ لَنْ تَوْمَنَ بِهَا أَبَدًا فَقَامَ إِلَيْهِ سَرِيقُهُ بْنُ

مالك بن جعثم الكنانى فقال يا رسول الله علمتنا ديننا فكأننا خلقنا اليوم فهذا الذى أمرتنا به لعامنا أو لما نستقبل فقال له رسول الله بل هو للأبد إلى يوم القيامة ثم شبك بين أصابعه بعضها فى بعض و قال دخلت عمره فى الحج إلى يوم القيامة و قدم على من اليمن على رسول الله و هو بمكة فدخل على فاطمه و هى قد أحلت فوجد عليها ثيابا مصبوغه فقال ما هذا يا فاطمه فقالت أمرنا بهذا رسول الله فخرج إلى رسول الله مستفتيا محرشا على فاطمه فقال يا رسول الله إنى رأيت فاطمه قد أحلت و عليها ثياب مصبوغه فقال رسول الله أنا أمرت الناس بذلك و أنت يا على بم أهلت فقال قلت يا رسول الله إهلالا كإهلال النبى فقال رسول الله كن على إحرامك مثلى و أنت شريكى فى هديى قال و نزل رسول الله بمكة بالبطحاء هو و أصحابه و لم ينزل الدور فلما كان يوم الترويه عند زوال الشمس أمر الناس أن يغتسلوا و يهلوا بالحج فخرج النبى و أصحابه مهلين بالحج حتى أتوا منى و صلى الظهر و العصر و المغرب و العشاء الآخرة و الفجر ثم غدا و الناس معه و كانت قريش تفيض من المزدلفه و هو جمع و يمنعون الناس أن يفيضوا منها فأنزل الله على نبيه **ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ** يعنى إبراهيم و إسماعيل و إسحاق فى إفاضتهم منها و من كان بعدهم فلما رأيت قريش أن قبه رسول الله قد مضت كأنه دخل فى أنفسهم شىء للذى كانوا يرجون من الإفاضه من مكانهم حتى انتهى إلى نمره و هى بطن عرفه بجبال الأراك فضرب قبه و ضرب الناس أحييتهم عندها فلما زالت الشمس خرج رسول الله و معه قومه و قد اغتسل و قطع التلبيه حتى وقف بالمسجد فوعظ الناس و أمرهم و نهاهم ثم صلى الظهر و العصر بأذان و إقامتين ثم مضى إلى الموقف فوقف به فجعل الناس يتدرون أخفاف ناقته يقفون إلى جانبها فنحاهما ففعلوا مثل ذلك فقال يا أيها الناس أنه ليس موضع أخفاف ناقتي الموقف و لكن هذا كله موقف و أوما بيده إلى الموقف فتفرق الناس و فعل مثل ذلك بالمزدلفه فتوقف حتى وقع قرص الشمس ثم أفاض و أمر الناس بالدعه حتى إذا انتهى إلى المزدلفه و هى المشعر الحرام صلى المغرب و العشاء الآخرة بأذان واحد و إقامتين ثم أقام حتى صلى فيها الفجر و عجل ضعفاء بنى هاشم بالليل فأمرهم أن لا يرموا الجمره جمره العقبه حتى تطلع الشمس فلما أضاء له النهار أفاض حتى انتهى إلى منى فرمى جمره العقبه و كان الهدى الذى جاء به رسول الله أربعاً و ستين أو ستاً و ستين و جاء على بأربع و ثلاثين أو ست و ثلاثين فحمر رسول الله ستاً و ستين بدنه و نحر على (عليه السلام) أربعاً و ثلاثين بدنه و أمر

رسول الله أن يأخذ من كل بدنه منها جذوه من لحم ثم تطرح فى برمه ثم تطبخ فأكل رسول الله منها و على و تحسبها من مرقها و لم يعط الجزارين جلودها و لا جلالها و لا قلائدها و تصدق به و حلق و زار البيت و رجع إلى منى فأقام بها حتى كان يوم الثالث من آخر أيام التشريق ثم رمى الجمار و نفر حتى انتهى إلى الأبطح فقالت عائشه يا رسول الله ترجع نساؤك بحجه و عمره معا و أرجع بحجه فأقام بالأبطح و بعث معها عبد الرحمن بن أبى بكر إلى التنعيم فأهلت بعمره ثم جاءت فطافت بالبيت و صلت ركعتين عند مقام إبراهيم و سعت بين الصفا و المروه ثم أتت النبى فارتحل من يومه فلم يدخل المسجد و لم يطف بالبيت و دخل من أعلى مكة من عقبه المدنيين و خرج من أسفل مكة من ذى طوى.

سوره البقره (٢): آيه ١٩٧

اشاره

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَ اتَّقُونِ يَا أُولَى الْأَلْبَابِ (١٩٧)

القراءه

قرأ ابن كثير و أبو عمرو و يعقوب فلا رفث و لا فسوق بالرفع «و لا جدال» بالفتح و قرأ أبو جعفر جميع ذلك بالرفع و التنوين و قرأ الباقر جميع بالفتح.

الحجه

حجه من فتح الجميع أن يقول أنه أشد مطابقه للمعنى المقصود أ لا ترى أنه إذا فتح فقد نفى جميع الرفث و الفسوق كما أنه إذا قال لا- ريب فقد نفى جميع هذا الجنس فإذا رفع و نون فكان النفى لواحد منه أ لا- ترى أن سيويه يرى أنه إذا قال لا غلام عندك و لا- جاريه فهو جواب من سأل فقال أ غلام عندك أم جاريه فالفتح أولى لأن النفى قد عم و المعنى عليه و حجه من رفع أنه يعلم من الفحوى أنه ليس المنفى رفثا واحدا و لكنه جميع ضروره و أن النفى قد يقع فيه الواحد موقع الجميع و إن لم يبين فيه الاسم مع لا نحو ما رجل فى الدار.

اللغه

الرفث أصله فى اللغه الإفحاش فى النطق قال العجاج

" عن اللغا و رفث التكلم "

و قيل الرفث بالفرج الجماع و باللسان المواعده للجماع و بالعين الغمز للجماع

و الفسوق الخروج من الطاعة. و الجدل فى اللغة و المجادله و المنازعه و المشاجره و المخاصمه نظائر و جدلت الحبل فتلته و الجديل زمام البعير فعيل بمعنى مفعول و المجدل القصر و الجداله الأرض ذات العمل الرقيق و غلام جادل إذا ترعرع و اشتد و الزاد الطعام الذى يتخذ للسفر و المزود وعاء يجعل فيه الزاد و كل من انتقل بخير من عمل أو كسب فقد تزود منه تزودا و اللب العقل سمي بذلك لأنه أفضل ما فى الإنسان و أفضل كل شىء لباً.

الإعراب

الحج مبتدأ و أشهر خبره و تقديره أشهر الحج أشهر معلومات ليكون الثانى هو الأول فى المعنى أو الحج حج أشهر معلومات فحذف المضاف أى لا حج إلا فى هذه الأشهر فالأشهر على هذا متسع فيها مخرجه عن الظروف و المعنى على ذلك ألا ترى أن الحج فى الأشهر و قد يجوز أن يجعل الحج الأشهر على الاتساع لكونه فيها و لكثرتة من الفاعلين له كما قالت الخنساء:

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت

فإنما هى إقبال و إدبار

جعلتها الإقبال و الإدبار لكثرتهما منها و قوله «فَلا- رَفَتْ» إذا فتحت فعلى البناء و قد تقدم بيانه فيما مضى و إذا رفعت فعلى الابتداء و يكون فى الحج خبراً لهذه المرفوعات و إذا فتحت ما قبل المرفوع و أثبت ما بعده مرفوعاً جاز أن يكون عطفاً على الموضع و جاز أن يكون بمعنى ليس كما فى قوله:

من صد عن نيرانها

فأنا ابن قيس لا براح

و ما بعد الفاء فى موضع الرفع لوقوعه موقع الفعل المضارع بعد الفاء و الفاء مع ما بعده فى محل الجزم أو فى محل الرفع لأنه جواب شرط مبنى.

المعنى

«الْحِجُّ» أى أشهر الحج «أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ» أى أشهر مؤقتة معينه لا- يجوز فيها التبديل و التغيير بالتقديم و التأخير اللذين كان يفعلهما النساء اللذين أنزل فيهم إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ الْآيَةِ و

أشهر الحج عندنا شوال و ذو القعدة و عشر من ذى الحجة على ما روى عن أبى جعفر

و به قال ابن عباس و مجاهد و الحسن و غيرهم و قيل

هى شوال و ذو القعدة و ذو الحجة عن عطاء و الربيع و طاووس و روى ذلك فى أخبارنا

و إنما صارت هذه أشهر الحج لأنه لا يصح الإحرام بالحج إلا فيها بلا خلاف و عندنا لا يصح

ص: ٣٩

أيضا الإحرام بالعمرة التي يتمتع بها إلى الحج إلا فيها و من قال أن جميع ذى الحجة من أشهر الحج قال لأنه يصح أن يقع فيها بعض أفعال الحج مثل صوم الأيام الثلاثة و ذبح الهدى و متى قيل كيف سمي الشهران و بعض الثالث أشهرها فجوابه أن الاثنين قد يقع عليه لفظ الجمع كما في قوله

(ظهراهما مثل ظهور الترسين)

و أيضا فقد يضاف الفعل إلى الوقت و إن وقع في بعضه و يضاف الوقت إليه كذلك تقول صليت صلاة يوم الجمعة و صلاة يوم العيد و إن كانت الصلاة في بعضه و قدم زيد يوم كذا و إن كان قدم في بعضه فكذلك جاز أن يقال في شهر الحج ذو الحجة و إن وقع الحج في بعضه «فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ» معناه فمن أوجب على نفسه فيهن الحج أى فمن أحرم فيهن بالحج بلا خلاف أو بالعمرة التي يتمتع بها إلى الحج على مذهبننا «فَلَا رَفْتٌ» كنى بالرفث عن الجماع هاهنا عند أصحابنا و هو قول ابن مسعود و قتاده و قيل هو مواعده الجماع و التعريض للنساء به عن ابن عباس و ابن عمر و عطا و قيل هو الجماع و التعريض له بمداعبه أو مواعده عن الحسن «وَلَا فُسُوقٌ» و روى أصحابنا أنه الكذب و قيل هو معاصى الله كلها عن ابن عباس و الحسن و قتاده و هذا أعم و يدخل فيه الكذب و قيل هو التنازع بالألقاب لقوله «بِئْسَ الْأِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ» عن الضحاك و قيل هو السباب

لقوله (سباب المؤمن فسوق و قتاله كفر

) عن إبراهيم و مجاهد و قال بعضهم لا- يجوز أن يراد به هنا إلا- ما نهى المحرم عنه مما يكون حلالا له إذا أحل لاختصاصه بالنهى عنه و هذا تخصص للعموم بلا دليل و قد يقول القائل ينبغي لك أن تقيّد لسانك في رمضان لئلا يفسد صومك و قد جاء

في الحديث إذا صمت فليصم سمعك و بصرك و لا يكون يوم صومك كيوم فطرك

فإنما خصه بذلك لعظم حرمة «وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ» روى أصحابنا أنه قول لا و الله و بلى و الله صادقا أو كاذبا و للمفسرين فيه قولان (أحدهما) أنه المراء و السباب و الإغصاب على جهة المحك و اللجاج عن ابن عباس و ابن مسعود و الحسن (و الثانى) أن معناه لا جدال فى أن الحج قد استدار فى ذى الحجة لأنهم كانوا ينسئون الشهور فيقدمون و يؤخرون فربما اتفق فى غيره عن مجاهد و السدى «وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ» معناه ما تفعلوا من خير يجازكم الله العالم به لأن الله عالم بجميع المعلومات على كل حال إلا أنه جعل يعلمه فى موضع يجازه للمبالغة فى صفة العدل أى أنه يعاملكم معاملة من يعلمه إذا ظهر منكم فيجازى به و ذلك تأكيد أن الجزاء لا يكون إلا بالفعل دون ما يعلم أنه يكون منهم قبل أن

يفعلوه «و تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى» قيل فيه قولان (أحدهما) أن معناه أن قوما كانوا يرمون بأزوادهم و يتسمون بالمتوكله فقبل لهم تزودوا من الطعام و لا تلقوا كلكم على الناس و خير الزاد مع ذلك التقوى عن الحسن و قتاده و مجاهد (و الثاني) أن معناه تزودوا من الأعمال الصالحه «فإنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى» و ذكر ذلك في أثناء أفعال الحج لأنه أحق شيء بالاستكثار من أعمال البر فيه «و اتَّقُونِ» فيما أمرتكم به و نهيتكم عنه «يا أُولَى الْأَلْبَابِ» يا ذوى العقول.

سوره البقره (٢): آيه ١٩٨

اشاره

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَاِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ (١٩٨)

اللغه

الجناح الحرج فى الدين و هو الميل عن الطريق المستقيم و الابتغاء الطلب و الإفاضه مأخوذه من فيض الإناء عن امتلائه فمعنى أفضتم دفعتم من عرفات إلى المزدلفه عن اجتماع و كثره و يقال أفاض القوم فى الحديث إذا اندفعوا فيه و أكثروا التصرف و أفاض الرجل إناءه إذا صبه و أفاض الرجل بالقداح إذا ضرب بها لأنها تقع متفرقه، قال أبو ذؤيب:

و كأنهن ربابه و كأنه

يسر يفيض على القداح و يصدع

و أفاض البعير بجرته إذا رمى بها متفرقه كثيره قال الراعى:

و أفضن بعد كظومهن بجره

من ذى الأباطح اذرعين حقيلا

فالإفاضه فى اللغه لا- تكون إلا- عن تفرق أو كثره و عرفات اسم للبقعه المعروفه يجب الوقوف بها فى الحج و يوم عرفه يوم الوقوف بها و اختلف فى سبب تسميتها بعرفات ف قيل

لأن إبراهيم (عليه السلام) عرفها بما تقدم له من النعت لها و الوصف روى ذلك عن على

و ابن

عباس وقيل أنها سميت بذلك لأن آدم وحواء اجتمعا فيها فتعارفا بعد أن كانا افترقا عن الضحاك و السدى و قد رواه أصحابنا أيضا وقيل سميت بذلك لعلوها و ارتفاعها و منه عرف الديك و قيل سميت بذلك لأن إبراهيم كان يريه جبرائيل المناسك فيقول عرفت عرفت عن عطاء و روى عن ابن عباس أن إبراهيم رأى فى المنام أنه يذبح ابنه فأصبح يروى يومه أجمع أى يفكر أ هو أمر من الله أم لا- فسمى بذلك يوم الترويه ثم رأى فى الليله الثانيه فلما أصبح عرف أنه من الله فسمى يوم عرفه و روى أن جبريل قال لآدم هناك اعترف بذنبك و اعرف مناسكك فقال «رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا» الآية فلذلك سميت عرفه و المشعر الحرام هو المزدلفه سميت مشعرا لأنه معلم للحج و الصلاه و المقام و المبيت به و الدعاء عنده من أعمال الحج و إنما سمي المشعر الحرام مزدلفه لأن جبريل قال لإبراهيم بعرفات ازدلف إلى المشعر الحرام فسمى المزدلفه و سمي جمعا لأنه يجمع به بين المغرب و العشاء الآخره بأذان واحد و إقامتين و سميت منى منى لأن إبراهيم تمنى هناك أن يجعل الله مكان ابنه كبشا يأمره بذبحه فديه له.

الإعراب

جناح اسم ليس و خبره عليكم و موضع أن تبتغوا نصب على تقدير ليس عليكم جناح فى أن تبتغوا فلما سقط فى عمل فيها معنى جناح و المعنى لستم تأثمون فى أن تبتغوا. و عرفات اسم معرفه لموضع جرت مجرى موضع واحد لاتصال بعضها ببعض و إنما صرفت و إن كان فيها سببان من أسباب منع الصرف و هو التعريف و التأنيث لأنها على حكاية الجمع فالتنوين فيها بإزاء النون فى مسلمون و لو سميت امرأه بمسلمون لم تحذف هذه النون و تقول أقبلت مسلمون و رأيت مسلمين و يجوز فى عرفات حذف التنوين أيضا تشبيها بالواحد إذا كان اسما لواحد إلا أنه لا يكون إلا مكسورا و إن أسقطت التنوين و مثلها أذرعاع فى قول امرئ القيس:

تنورتها من أذرعاع و أهلها

بيثرب أدنى دارها نظر عال

أكثر الروايه بالتنوين و قد أنشد بالكسر بغير تنوين و الأول اختيار النحويين لما ذكرنا من إجرائهم إياه مجرى المسلمون و أما فتح التاء فخطا «وَ إِنْ كُنْتُمْ» إن هنا هى المخففه من الثقيله بدلاله أن لام الابتداء معها و إذا خففت لم تعمل إن «وَ إِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنَّ»

الضَّالِّينَ» لا موضع له من الإعراب لأنه وقع بعد حرف غير عامل و إنما هذه الواو عطفت جملة على جملة.

المعنى

«لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ» قيل كانوا يتأثمون بالتجاره فى الحج فرفع الله بهذه اللفظه الإثم عمن يتجر فى الحج عن ابن عباس و مجاهد و الحسن و عطاء و فى هذا تصريح بالإذن فى التجاره و هو المروى عن أئمتنا و قيل كان فى الحج أجراء و مكارون و كان الناس يقولون أنه لا حج لهم فبين سبحانه أنه لا إثم على الحاج فى أن يكون أجيرا لغيره أو مكاريا و قيل

معناه لا جناح عليكم أن تطلبوا المغفره من ربكم رواه جابر عن أبى جعفر (عليه السلام)

«فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْ عَرَافَاتٍ» أى دفعتم عنها بعد الاجتماع فيها «فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ» و فى هذا دلالة على أن الوقوف بالمشعر الحرام فريضه كما ذهبنا إليه لأن ظاهر الأمر على الوجوب فقد أوجب الله الذكر فيه و لا يجوز أن يوجب الذكر فيه إلا و قد أوجب الكون فيه و لأن كل من أوجب الذكر فيه فقد أوجب الوقوف و تقدير الكلام فإذا أفضتكم من عرفات فكونوا بالمشعر الحرام و اذكروا الله فيه «وَ اذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ» معناه و اذكروه بالثناء و الشكر على حسب نعمته عليكم بالهدايه فإن الشكر يجب أن يكون على حسب النعمه فى عظم المنزله كما يجب أن يكون على مقدارها لو صغرت النعمه و لا-يجوز التسويه بين من عظمت نعمته و بين من صغرت نعمته و تقدير الكلام و اذكروه ذكرا مثل هدايته إياكم «وَ إِنْ كُنْتُمْ» أى و إنكم كنتم من قبله أى من قبل الهدى و قيل من قبل محمد ص فتكون الهاء كناية عن غير مذكور «لَمَنِ الضَّالِّينَ» عن النبوه و الشريعه فهداكم إليه.

سوره البقره (٢): آيه ١٩٩

اشاره

ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٩)

اللغه

الاستغفار طلب المغفره و المغفره التغطيه للذنب و الفرق بين غفور و غافر أن فى غفور مبالغه لكثره المغفره فأما غافر فيستحق الوصف به من وقع منه الغفران و العفو هو المغفره و قد فرق بينهما بأن العفو ترك العقاب على الذنب و المغفره تغطيه الذنب بإيجاب المثوبه و لذلك كثرت المغفره فى صفات الله دون صفات العباد فلا يقال أستغفر السلطان كما يقال أستغفر الله.

المعنى

«ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ» قيل فيه قولان (أحدهما) أن

المراد به الإفاضه من عرفات و أنه أمر لقريش و حلفائها و هم الخمس لأنهم كانوا لا يقفون

مع الناس بعرفه و لا يفيضون منها و يقولون نحن أهل حرم الله فلا نخرج منه و كانوا يقفون بالمزدلفه و يفيضون منها فأمرهم الله بالوقوف بعرفه و الإفاضه منها كما يفيض الناس و المراد بالناس سائر العرب عن ابن عباس و عائشه و عطاء و مجاهد و الحسن و قتاده و هو المروى عن الباقر (عليه السلام)

و قال الضحاك أنه أمر لجميع الحاج أن يفيضوا من حيث أفاض إبراهيم عن الضحاك قال و لما كان إبراهيم إماما كان بمنزله الأمة فسماه وحده ناسا- (و الثانى)- أن المراد به الإفاضه من المزدلفه إلى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمى و النحر عن الجبائى قال و الآيه تدل عليه لأنه قال فإذا أفضت من عرفات ثم قال «ثُمَّ أْفِيضُوا» فوجب أن يكون إفاضه ثانيه فدل ذلك على أن الإفاضتين واجبتان و الناس المراد به إبراهيم كما أنه فى قوله «الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ» نعيم بن مسعود الأشجعى و قيل

إن الناس إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و من بعدهم من الأنبياء عن أبى عبد الله

و مما يسأل على الأول أن يقال إذا كان ثم للترتيب فما معنى الترتيب هاهنا و قد روى أصحابنا فى جوابه أن هاهنا تقديما و تأخيرا و تقديره (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس فإذا أفضت من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام و استغفروا الله إن الله غفور رحيم) و قيل أراد بالناس آدم عن سعيد بن جبير و الزهرى و قيل هم أهل اليمن و ربيعه عن الكلبى و قيل هم العلماء الذين يعلمون الدين و يعلمونه الناس «وَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ» أى اطلبوا المغفره منه بالندم على ما سلف من المعاصى «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ» أى كثير المغفره «رَحِيمٌ» واسع الرحمه.

سوره البقره (٢): آيه ٢٠٠

اشاره

فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلَقٍ (٢٠٠)

اللغه

أصل القضاء فصل الأمر على إحكام و قد يفصل بالفراغ منه كقضاء المناسك و قد يفصل بأن يعمل على تمام كقوله «فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ» و قد يفصل بالإخبار به على القطع كقوله «وَ قَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ» و قد يفصل بالحكم كقضاء القاضى على وجه الإلزام و الخلاق النصيب من الخير و أصله التقدير فهو النصيب من الخير على وجه الاستحقاق و قيل أنه من الخلق فهو نصيب مما يوجهه الخلق الكريم.

أشد في موضع جر و لكنه لا ينصرف لأنه على وزن الفعل و هو صفة و يجوز أن يكون منصوبا على المصدر على و اذكروه أشد ذكرا و ذكرا منصوب على التمييز في الآخرة الجار و المجرور يتعلق بما يتعلق به اللام في قوله «لَهُ» و له في موضع خبر للمبتدأ الذى هو من خلاق فإن من مزیده و الجار و المجرور في موضع رفع بالابتداء و يجوز أن يكون في الآخرة في موضع نصب على الحال و العامل فيه ما فى له من الفعل.

المعنى

«فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ» معناه فإذا أدبتم مناسككم و قيل فإذا فرغتم من مناسككم و المناسك جمع المنسك و المنسك يجوز أن يكون موضع النسك و يجوز أن يكون مصدرا فإن كان موضعا فالمعنى فإذا قضيتم ما وجب عليكم إيقاعه فى متعباتكم و إن كان بمعنى المصدر فإنما جمع لأنه يشتمل على أفعال و أذكار فجاز جمعه كالأصوات أى فإذا قضيتم أفعال الحج فاذكروا الله و اختلف فى الذكر على قولين - (أحدهما) - أن المراد به التكبير المختص بأيام منى لأنه الذكر المرغب فيه المندوب إليه فى هذه الأيام (و الآخر) أن المراد به سائر الأدعية فى تلك المواطن لأن الدعاء فيها أفضل منه فى غيرها «كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ» معناه ما روى عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام) أنهم كانوا إذا فرغوا من الحج يجتمعون هناك و يعدون مفاخر آبائهم و مآثرهم و يذكرون أيامهم القديمة و أيادهم الجسيمة فأمرهم الله سبحانه أن يذكروه مكان ذكرهم آبائهم فى هذا الموضع

«أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا» أو يزيدوا على ذلك بأن يذكروا نعم الله و يعدوا آلاءه و يشكروا نعماءه لأن آبائهم و إن كانت لهم عليهم أياد و نعم فنعم الله عليهم أعظم و أياديه عندهم أفخم و لأنه المنعم بتلك المآثر و المفاخر على آبائهم و عليهم و هذا هو الوجه فى تشبيهه هذا الذكر الواجب بذلك الذكر الذى هو دونه فى الوجوب و هو قول الحسن و قتاده و قيل معناه و استغيثوا بالله و أفرعوا إليه كما يفرع الصبى إلى أبيه فى جميع أموره و يلهج بذكره فيقول يا أبت عن عطاء و الأول أصح و قوله «فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا» بين سبحانه أن الناس فى تلك المواطن أصناف فمنهم من يسأل نعيم الدنيا و لا يسأل نعيم الآخرة لأنه غير مؤمن بالبعث و النشور «وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ» أى نصيب من الخير موفور.

سورة البقرة (٢): آية ٢٠١

إشارة

وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١)

اللغة

الفرق بين القول و الكلام أن القول يدل على الحكاية و ليس كذلك الكلام

نحو قال الحمد لله فإذا أخبرت عنه بالكلام قلت تكلم بالحق و الحكايه على ثلاثه أوجه (أحدها) حكاية على اللفظ و المعنى نحو قال آتوني أفرغ عليه قطراً إذا حكا من يعرف لفظه و معناه و حكاية على اللفظ نحوها إذا حكا من يعرف لفظه دون معناه و حكاية على المعنى نحو أن تقول نحاسا بدل قوله قطرا و الإيتاء الإعطاء و أصله الآتى بمعنى المجىء فأتى إذا كان منه المجىء ء و آتى غيره حملة على المجىء ء فيقال أتاه ما يحب و آتى غيره ما يحب و ق أصله من وقى يقى وقايه و وقاء و الوقاء أصله الحجز بين الشئين و الوقاء الحاجز الذى يسلم به من الضرر.

المعنى

لما ذكر سبحانه دعاء من سأله من أمور الدنيا فى تلك المواقف الشريفه ما لا يرتضيه عقبه بما يسأله المؤمنون فيها من الدعاء الذى يرغب فيه فقال «وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا» أى أعطنا «فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» أى نعيم الدنيا و نعيم الآخرة عن أنس و قتاده و

روى عن أبى عبد الله أنها السعه فى الرزق و المعاش و حسن الخلق فى الدنيا و رضوان الله و الجنة فى الآخرة

و قيل العلم و العباده فى الدنيا و الجنة فى الآخرة عن الحسن و قتاده و قيل هى المال فى الدنيا و فى الآخرة الجنة عن ابن زيد و السدى و قيل

هى المرأه الصالحه فى الدنيا و فى الآخرة الجنة عن على (عليه السلام)

و

روى عن النبى (صلى الله عليه و آله) أنه قال من أوتى قلبا شاكرا و لسانا ذاكرا و زوجه مؤمنه تعينه على أمر دنياه و أخره فقد أوتى فى الدنيا حسنه و فى الآخرة حسنه و وقى عذاب النار.

سوره البقره (٢): آيه ٢٠٢

اشاره

أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠٢)

اللغه

النصيب الحظ و جمعه أنصباء و أنصبه و حد النصيب الجزء الذى يختص به البعض من خير أو شر و الكسب الفعل الذى يجتلب به نفع أو يدفع به ضرر و السريع من العمل هو القصير المده يقال سريع سرعه و سرعا فهو سريع و أقبل فلان فى سرعان قومه أى فى أوائلهم المسرعين و الحساب مصدر كالمحاسبه.

«أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا» أى حظ من كسبهم باستحقاقهم الثواب عليه «وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ» ذكر فيه وجوه (أحدها) أن معناه سريع المجازاة للعباد على أعمالهم و أن وقت الجزاء قريب و يجرى مجراه قوله وَ مَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصِيرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ و عبر عن الجزاء بالحساب لأن الجزاء كفاء للعمل و بمقداره فهو حساب له يقال أحسبني الشئ أى كفاني (و ثانيها) أن يكون المراد به أنه يحاسب أهل الموقف فى

أوقات يسيره لا يشغله حساب أحد عن حساب غيره كما لا يشغله شأن عن شأن و

ورد في الخبر أنه تعالى يحاسب الخلائق كلهم في مقدار لمح البصر و روى بقدر حلب شاه

و هذا أحد ما يدل على أنه ليس بجسم و أنه لا يحتاج في فعل الكلام إلى آله لأنه لو كان كذلك لما جاز أن يخاطب اثنين في وقت واحد بمخاطبتين مختلفتين و لكان يشغله خطاب بعض الخلق عن خطاب غيره و لكانت مده محاسبته للخلق على أعمالهم طويله و

روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال معناه أنه يحاسب الخلق دفعه كما يرزقهم دفعه

(و ثالثها) أن معناه أنه تعالى سريع القبول لدعاء هؤلاء و الإجابة لهم من غير احتباس فيه و بحث عن المقدار الذي يستحقه كل داع كما يحتبس المخلوقون للإحصاء و الاحتساب و يقرب منه ما روى عن ابن عباس أنه قال يريد أنه لا حساب على هؤلاء إنما يعطون كتبهم بأيمانهم فيقال لهم هذه سيئاتكم قد تجاوزت بها عنكم و هذه حسناتكم قد ضعفتموها لكم.

سورة البقرة (٢): آية ٢٠٣

إشارة

وَ اذْكُرُوا اللّٰهَ فِيْ اَيّٰمٍ مَّعْدُوْدٰتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِيْ يَوْمَيْنِ فَلَا اِثْمَ عَلَيْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلَا اِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقٰ وَ اتَّقُوا اللّٰهَ وَ اعْلَمُوْا اَنَّكُمْ اِلَيْهِ تُحْشَرُوْنَ (٢٠٣)

اللغة

المعدودات تستعمل كثيرا في اللغة للشئ القليل و كل عدد قل أو كثر فهو معدود و لكن معدودات أدل على القلة لأن كل قليل يجمع بالألف و التاء و الحشر جمع القوم من كل ناحية إلى مكان و المحشر المكان الذي يحشرون فيه و حشرتهم السنه إذا أجمعت بهم لأنها تضمهم من النواحي إلى المصر و سهم حشر خفيف لطيف لأنه ضامر باجتماعه و أذن حشره لطيفه و ضامره و حشرات الأرض دوابها الصغار لاجتماعها من كل ناحية فأصل الباب الاجتماع.

الإعراب

العامل في اللام من قوله «لِمَنِ اتَّقَى» فيه قولان (أحدهما) أن تقديره ذلك «لِمَنِ اتَّقَى» فيكون الجار و المجرور في موضع خبر المبتدأ و إنما حذف ذلك لأن الكلام الأول دل على وعد للعامل (و الثاني) أن يكون العامل فيه معنى لا إثم عليه لأنه قد تضمن معنى جعلناه لمن اتقى.

المعنى

«وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ» هذا أمر من الله للمكلفين أن يذكروه

ص: ٤٧

و هى أيام التشريق ثلاثه أيام بعد النحر و الأيام المعلومات عشر ذى الحجه عن ابن عباس و الحسن و أكثر أهل العلم و هو المروى عن أئمتنا

و ذكر الفراء أن المعلومات أيام التشريق و المعدودات العشر و الذكر المأمور به هو أن تقول عقيب خمس عشره صلوات الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله و الله أكبر الله أكبر و لله الحمد الله أكبر على ما هداانا و الحمد لله على ما أولانا و الله أكبر على ما رزقنا من بهيمه الأنعام و

أول التكبير عندنا عقيب الظهر من يوم النحر و آخره عقيب صلاه الفجر من اليوم الرابع من النحر هذا لمن كان بمنى و من كان بغير منى من الأمصار يكبر عقيب عشر صلوات أولها صلاه الظهر من يوم النحر أيضا هذا هو المروى عن الصادق (عليه السلام)

و فى ذلك اختلاف بين الفقهاء و وافقنا فى ابتداء التكبير من صلاه الظهر من يوم النحر ابن عباس و ابن عمر قوله «فَمَنْ تَعَجَّلَ فى يَوْمَيْنِ فَلَا- إِنْ تَمَّ عَلَيْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلَا- إِنْ تَمَّ عَلَيْهِ» المعنى فى ذلك الرخصه فى جواز النفر فى اليوم الثانى من أيام التشريق و الأفضل أن يقيم إلى النفر الأخير و هو الثالث من التشريق و إذا نفر فى الأول نفر بعد الزوال إلى غروب الشمس فإن غربت فليس له أن ينفر إلى اليوم الثالث و قوله «فَلَا إِنْ تَمَّ عَلَيْهِ» فيه قولان- (أحدهما)- أن معناه لا إثم عليه لأن سيئاته صارت مكفوره بما كان من حجه المبرور و هو قول ابن مسعود- (و الثانى)- إن معناه لا إثم عليه فى التعجيل و التأخير و إنما نفى الإثم لثلاثه متوهم إن فى التعجيل إثما و إنما قال «فَلَا إِنْ تَمَّ عَلَيْهِ» فى التأخير على وجه المزواجه كما يقال إن أعلنت الصدقه فحسن و أن أسررت فحسن و إن كان الإسرار أحسن و أفضل عن الحسن و قوله «لِمَنْ اتَّقَى» فيه قولان- (أحدهما)- إن الحج يقع مبرورا مكفرا للسيئات إذا اتقى ما نهى الله عنه و الآخر ما رواه أصحابنا أن قوله «لِمَنْ اتَّقَى» متعلق بالتعجيل فى اليومين و تقديره فمن تعجل فى يومين فلا- إثم عليه لمن اتقى الصيد إلى انقضاء النفر الأخير و ما بقى من إحرامه و من لم يتقها فلا يجوز النفر فى الأول و هو المروى عن ابن عباس و اختاره الفراء

و قد روى أيضا عن أبى عبد الله فى قوله «فَمَنْ تَعَجَّلَ فى يَوْمَيْنِ» أى من مات فى هذين اليومين فقد كفر عنه كل ذنب «وَ مَنْ تَأَخَّرَ» أى من أجله فلا إثم عليه إذا اتقى الكبائر

و قوله «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» أى اجتنبوا معاصى الله «وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» أى تحققوا أنكم بعد موتكم تجمعون إلى الموضع الذى يحكم الله فيه بينكم و يجازيكم على أعمالكم.

سوره البقره (٢): الآيات ٢٠٤ الى ٢٠٥

إشاره

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فى قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَ إِذَا تَوَلَّى سَعَى فى الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَ يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الْفُسَادَ (٢٠٥)

الإعجاب هو سرور المعجب بما يستحسن و منه العجب بالنفس و هو سرور المعجب من الشئ ء استحسانا له و ذلك إذا تعجب من شدة حسنه تقول عجب و تعجب و عجبه غيره و أعجبه و استعجب الرجل إذا اشتد تعجبه قال الأزهرى العجب كل شئ ء غير مألوف و الألد الشديد الخصومه تقول لد يلد لدودا و لده يلده إذا غلبه فى الخصومه و لد الدواء فى حلقه إذا أوجره فى أحد شقى فمه و اللديدان جانبا الوادى و لديدا كل شئ ء جانبا و التلدد التلفت عن تحير و الخصام قيل أنه جمع الخصم عن الزجاج و فعل إذا كان صفه فإنه يجمع على فعال نحو صعب و صعاب و إذا كان اسما فإنه يجمع فى القله على أفعل و فى الكثره على فعال كفرخ و فراخ و قيل الخصام مصدر كالمخاصمه عن الخليل و التولى هو الانحراف و الزوال عن الشئ ء إلى خلاف جهته و قوله «سعى» قد يكون بمعنى عمل و قد يكون بمعنى أسرع قال الأعشى:

و سعى لكنده سعى غير مواكل

قيس فضر عدوها و بنى لها

أى عمل لكنده و الإفساد هو عمل الضرر بغير استحقاق و لا وجه من وجوه المصلحه و الإهلاك العمل الذى ينفى الانتفاع و الحرث الزرع و النسل العقب من الولد و قال الضحّاك الحرث كل نبات و النسل كل ذات روح و يقال نسل ينسل نسولا إذا خرج فسقط و منه نسل و بر البعير أو ريش الطائر و الناس نسل آدم لخروجهم من ظهره و أصل باب النسول الخروج.

الإعراب

ليفسد نصب بإضمار أن و يجوز إظهارها بأن يقال لأن يفسد فيها و لا- يجوز إظهار أن فى قوله لِيَيْدَرَ من «ما كانَ اللَّهُ لِيَيْدَرَ الْمُؤْمِنِينَ» و الفرق بينهما أن اللام فى ليفسد على أصل الإضافة فى الكلام و اللام فى ليدر لتأكيد النفى كما دخلت الباء فى ليس زيد بقائم.

النزول

قال ابن عباس

نزلت الآيات الثلاثه فى المرائى لأنه يظهر خلاف ما يبطن و هو المروى عن الصادق (عليه السلام)

إلا- أنه عين المعنى به و قال الحسن نزلت فى المنافقين و قال السدى نزلت فى الأخنس بن شريق و كان يظهر الجميل بالنبي و المحبه له و الرغبه فى دينه و يبطن خلاف ذلك.

المعنى

ثم بين سبحانه حال المنافقين بعد ذكره أحوال المؤمنين و الكافرين فقال «وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ» أى تستحسن كلامه يا محمد و يعظم موقعه من قلبك «فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» أى يقول آمنت بك و أنا صاحب لك و نحو ذلك «وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ» أى يحلف بالله و يشهده على أنه مضممر ما يقول فيقول اللهم اشهد على به و ضميره على خلافه «وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ» أى و هو أشد المخاصمين خصومه و من قال أن الخصام مصدر فمعناه و هو شديد الخصومه عند المخاصمه جدل مبطل «وَ إِذَا تَوَلَّى» أى أعرض عن الحسن و قيل معناه ملك الأمر و صار واليا عن الضحاك و معناه إذا ولى سلطانا جار و قيل ولى عن قوله الذى أعطاه عن ابن جريج «سَيَعَى فِي الْأَرْضِ» أى أسرع فى المشى من عندك و قيل عمل فى الأرض «لِيُفْسِدَ فِيهَا» قيل ليقطع الرحم و يسفك الدماء عن ابن جريج و قيل ليظهر الفساد و يعمل المعاصى «وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَّشِيلَ» أى النبات و الأولاد و ذكر الأزهري أن الحرث النساء و النسل الأولاد لقوله «نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ» و

روى عن الصادق (عليه السلام) إن الحرث فى هذا الموضع الدين و النسل الناس

«وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ» أى العمل بالفساد و قيل أهل الفساد و فيه دلالة على بطلان قول المجبره إن الله تعالى يريد القبائح لأنه تعالى نفى عن نفسه محبه الفساد و المحبه هى الإراده لأن كل ما أحب الله أن يكون فقد أراد أن يكون و ما لا يحب أن يكون لا يريد أن يكون.

سوره البقره (٢): آيه ٢٠٦

اشاره

وَ إِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَ لَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦)

اللغه

الاتقاء طلب السلامه بما يحجز عن المخافه و اتقاء الله إنما هو اتقاء عذابه و الأخذ ضد الإعطاء و العزه القوه التى تمتنع بها عن الذله و المهاد الوطاء من كل شىء و كل شىء و وطئته فقد مهدته و الأرض مهاد لأجل توطئته للنوم و القيام عليه.

ثم بين تعالى صفه من تقدم من المنافقين فقال «وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ» أى و إذا قيل لهذا المنافق اتق الله فيما نهاك عنه من السعى فى الأرض بالفساد و إهلاك الحرث و النسل «أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ» قيل فى معناه قولان (أحدهما) حملته العزه

و حميه الجاهليه على فعل الإثم و دعته إليه كما يقال أخذته بكذا أى ألزمته ذلك و أخذته الحمى أى لزمته- (و الثانى)-
أخذته العزه من أجل الإثم الذى فى قلبه من الكفر عن الحسن «فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ» أى فكفاه عقوبه من إضلاله أن يصلى نار جهنم «وَ
لَبِئْسَ الْمِهَادُ» أى القرار عن الحسن كما قال فى موضع آخر وَ بِيَسِّ الْقَرَارُ لِأَنَّ الْقَرَارَ كَالْوِطَاءِ فِي الثَّبُوتِ عَلَيْهِ وَ قِيلَ إِنَّمَا سُمِّيَتْ
جَهَنَّمُ مِهَادًا لِأَنَّهَا بَدَلٌ مِنَ الْمِهَادِ كَمَا قَالَ سَبْحَانَهُ «فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» لِأَنَّهُ مَوْضِعُ الْبَشْرِ بِالنَّعِيمِ عَلَى جِهَةِ الْبَدَلِ مِنْهُ وَ فِي هَذِهِ
الآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ مِنْ تَكْبَرٍ عَنِ قَبُولِ الْحَقِّ إِذَا دُعِيَ إِلَيْهِ كَانَ مَرْتَكِبًا أَعْظَمَ كَبِيرَهُ وَ لِذَلِكَ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ أَنَّ مِنَ الذَّنُوبِ الَّتِي لَا
تَغْفَرُ أَنْ يُقَالَ لِلرَّجُلِ اتَّقِ اللَّهَ فَيَقُولُ عَلَيْكَ نَفْسُكَ.

سوره البقره (٢): آيه ٢٠٧

اللغه

الشرء من الأضداد يقال شرى إذا باع و شرى إذا اشترى و قوله «وَ شَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ» أى باعوه و الرضا ضد
السخط و قد تقدم معنى الرؤوف.

الإعراب

ابتغاء نصب لأنه مفعول له كقول الشاعر:

و أغفر عوراء الكريم ادخاره

و أعرض عن قول اللئيم تكرما.

النزول

روى السدى عن ابن عباس قال نزلت هذه الآيه فى على بن أبى طالب حين هرب النبى (صلى الله عليه و آله) عن المشركين إلى
الغار و نام على (عليه السلام) على فراش النبى (صلى الله عليه و آله) و نزلت الآيه بين مكه و المدينه و

روى أنه لما نام على فراشه قام جبرائيل عند رأسه و ميكائيل عند رجله و جبرائيل ينادى بخ بخ من مثلك يا ابن أبى طالب
يباهى الله بك الملائكه

و قال عكرمه نزلت فى أبى ذر الغفارى جندب بن السكن و صهيب بن سنان لأن أهل أبى ذر أخذوا أبا ذر فانفلت منهم فقدم
على النبى (صلى الله عليه و آله) فلما رجع مهاجرا أعرضوا عنه فانفلت حتى نزل على النبى (صلى الله عليه و آله) و أما صهيب
فإنه أخذه المشركون من أهله فافتدى منهم بماله ثم خرج مهاجرا و

روى عن على و ابن عباس أن المراد بالآيه الرجل الذى يقتل على الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر

و قال قتاده نزلت فى المهاجرين و الأنصار و قال الحسن هى عامه فى كل مجاهد فى سبيل الله.

المعنى

ثم عاد سبحانه إلى وصف المؤمن الأمر بالمعروف فى قوله وَإِذَا قِيلَ لَهُ

ص: ٥١

اتَّقِ اللَّهَ لِأَنَّ هَذَا الْقَائِلَ أَمْرٌ بِالْخَيْرِ وَالْمَعْرُوفِ فَقَالَ «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي» أَيْ يَبِيعُ نَفْسَهُ «اِبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ» أَيْ لِبَتِّغَاءِ رِضَا اللَّهِ وَ إِنَّمَا أُطْلِقَ عَلَيْهِ اسْمُ الْبَيْعِ لِأَنَّهُ إِنَّمَا فَعَلَ مَا فَعَلَ لِيَطْلُبَ رِضَا اللَّهِ كَمَا أَنَّ الْبَائِعَ يَطْلُبُ الثَّمَنَ بِالْبَيْعِ «وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ» أَيْ وَاسِعَ الرَّحْمَةِ بَعِيدَهُ يَنْبِئُهُمْ مَا حَاوَلُوهُ مِنْ مَرْضَاتِهِ وَ ثَوَابِهِ.

سوره البقره (٢): آيه ٢٠٨

اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٠٨)

القرءاء

قرأ أهل الحجاز و الكسائي في السلم كافة بفتح السين و الباقون بكسرها.

الحججه

قال الأخفش السلم بكسر السين الصلح و فيه ثلاث لغات السلم السلم و أنشد:

أ نائل إننى سلم

لأهلك فاقبلى سلمى

قال أبو عبيده السلم بكسر السين و الإسلام واحد و هو في موضع آخر المسالمة و الصلح و السلم الاستسلام و منه قوله تعالى «وَ رَجُلًا سَلِيمًا لِرَجُلٍ» أَيْ مَسْتَسْلِمًا لَهُ مَنَقَادًا لِمَا يَرِيدُهُ مِنْهُ فَيَكُونُ مَصْدَرًا وَصَفٌ بِهِ وَ يَحْتَمِلُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ فِعْلًا بِمَعْنَى فَاعِلٍ مِثْلَ بَطْلٍ وَ حَسَنٍ وَ نَظِيرِهِ يَابَسُ وَ يَيْسُ وَ وَاسِطٌ وَ وَسْطٌ.

اللغه

كافه معناه جميعا و اشتقاقه في اللغه مما يكف الشىء في آخره و من ذلك كفه القميص لحاشيته لأنها تمنعه من أن ينتشر و كل مستطيل فحرفه كفه و يقال في كل مستدير كفه نحو كفه الميزان و استكف السائل و تكفف إذا بسط كفه للسؤال و كل شىء جمعته فقد كففته و استكف القوم بالشىء إذا أحذقوا به.

الإعراب

كافه منصوب على الحال من الواو في ادخلوا و قيل هو حال من السلم و لكم يتعلق بمحذوف فهو في موضع نصب على الحال من عدو.

لما قدم تعالى ذكر الفرق الثلاث من العباد دعا جميعهم إلى الطاعة و الانقياد فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا الله و رسوله «ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ» أى فى الإسلام أى دوموا فيما دخلتم فيه كقوله «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ» عن

ابن عباس و السدى و الضحاك و مجاهد و قيل معناه «ادخلوا فى السلم» فى الطاعه عن الربيع و هو اختيار البلخى و الكلام محتمل للأمرين و حملها على الطاعه أعم و يدخل فيه ما رواه أصحابنا من أن المراد به الدخول فى الولاية «كأفّه» أى جميعا أى ادخلوا جميعا فى الإسلام و الطاعه و الاستسلام و قيل معناه ادخلوا فى السلم كله أى فى جميع شرائع الإسلام و لا تتركوا بعضه معصيه و يؤيد هذا القول ما

روى أن قوما من اليهود أسلموا و سألوا النبى أن يبقى عليهم تحريم السبت و تحريم لحم الإبل فأمرهم أن يلتزموا جميع أحكام الإسلام

«وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ» أى آثاره و نزعاته لأن ترككم شيئا من شرائع الإسلام اتباع للشيطان «إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ» أى مظهر للعداوه بامتناعه من السجود لآدم بقوله لَأَخْتَبِكُنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا.

سوره البقره (٢): آيه ٢٠٩

اشاره

فَإِنْ زَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٠٩)

اللغه

يقال زل الرجل يزل زلا- و زللا- و مزله إذا أذنب و زل فى الطريق زليلا و أصله من الزوال و معنى الزله الزوال عن الاستقامه و العزيز هو القدير المنيع الذى لا يعجزه شىء و أصل العزه الامتناع و منه أرض عزاز إذا كانت ممتنعه بالشده و قد ذكرنا معنى الحكيم فيما سبق.

الإعراب

ما حرف موصول و جاء تكم صلته و اعلموا جمله فى موضع الرفع لأنها بعد الفاء فى جواب الشرط و الفاء مع الجمله فى محل الجزم أو محل الرفع لأنه جواب شرط مبنى.

المعنى

لما أمر سبحانه عباده بالطاعه عقبه بالوعيد على تركها فقال «فَإِنْ زَلَّيْتُمْ» أى تنحيتم عن القصد و عدلتم عن الطريق القويم الذى أمركم الله تعالى بسلوكه «مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ» أى الحجج و المعجزات «فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ» فى نعمته لا يمتنع شىء من بطشه و عقوبته «حَكِيمٌ» فيما شرع من أحكام دينه لكم و فيما يفعله بكم من العقاب على معاصيكم بعد إقامه الحجج عليكم.

سوره البقره (٢): آيه ٢١٠

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٢١٠)

القراءة

قرأ أبو جعفر و الملائكة بالجر و الباقون بالرفع و قرأ ابن عامر و الكسائي و حمزه ترجع الأمور بفتح التاء و الباقون بضمها.

الحج

من قرأ و الملائكة بالجر فإنه عطفها على الغمام أى فى ظلل من الغمام و فى ظلل من الملائكة أى جماعه من الملائكة و قراءه السبعه بالرفع عطفها على قوله الله أى «إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ» و إلا- أن يأتيهم الملائكة و حجه من قرأ «تُرْجَعُ الْأُمُورُ» على بناء الفعل للمفعول به قوله ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ و لَيْتَنُ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي و لَيْتَنُ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي و حجه من قرأ ترجع على بناء الفعل للفاعل قوله أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ.

اللغة

النظر هنا بمعنى الانتظار كما فى قول الشاعر:

فبيننا نحن نظره أتانا

معلق شكوه و زناد راع

أى نتظره و أصل النظر الطلب لإدراك الشىء و إذا استعمل بمعنى الانتظار فلأن المنتظر يطلب إدراك ما يتوقع و إذا كان بمعنى الفكر بالقلب فلأن المتفكر يطلب به المعرفه و إذا كان بالعين فإن الناظر يطلب الرؤيه و الظلل جمع ظله و هى ما يستظل به من الشمس و سمي السحاب ظله لأنه يستظل به و الغمام السحاب الأبيض الرقيق سمي بذلك لأنه يغم أى يستر.

الإعراب

هل حرف استفهام بمعنى النفى. إلا- هاهنا لنقض النفى. «أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ» فى موضع نصب ينظرون. «مِنَ الْعَمَامِ» يتعلق بمحذوف فهو جمله ظرفيه فى موضع الجر صفة ظلل.

المعنى

ثم عقب سبحانه ما تقدم من الوعيد بوعيد آخر فقال «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْعَمَامِ» أى هل ينتظر هؤلاء المكذبون بآيات الله إلا أن يأتيهم أمر الله أو عذاب الله و ما توعدهم به على معصيته فى ستر من السحاب و قيل قطع من السحاب و هذا كما يقال قتل الأمير فلانا و ضربه و أعطاه و إن لم يتول شيئاً من ذلك بنفسه بل فعل بأمره فأسند إليه لأمره به و قيل معناه ما ينتظرون إلا أن يأتيهم جلائل آيات الله غير أنه ذكر نفسه تفخيماً للآيات كما يقال دخل الأمير البلد و يراد بذلك جنده و إنما ذكر الغمام ليكون أهول فإن الأحوال تشبه بظلل الغمام كما قال سبحانه و إِذَا عَشِيَهُمْ مَوْجٌ

كَالظَّلْمِ وَقَالَ الزَّجَّاجُ مَعْنَاهُ يَأْتِيهِمْ اللَّهُ بِمَا وَعَدَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالْحِسَابِ كَمَا قَالَ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا أَيْ أَتَاهُمْ بِخِذْلَانِهِ إِيَّاهُمْ وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ مُتَقَارِبَةٌ الْمَعْنَى بَلِ الْمَعْنَى فِي الْجَمِيعِ وَاحِدٌ أَيْ هَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ اسْتِفْهَامٌ يَرَادُ بِهِ النِّفْيُ وَالْإِنْكَارُ أَيْ مَا يَنْتَظِرُونَ كَمَا يَقَالُ هَلْ يَطَالِبُ بِمِثْلِ هَذَا إِلَّا مُتَعَنَتِ أَيْ مَا يَطَالِبُ وَ مِثْلُهُ فِي التَّنْزِيلِ هَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَقَدْ يَقَالُ أَتَى وَ جَاءَ فِيمَا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْمَجِيءُ وَ الْذَّهَابُ يَقُولُ أَتَانِي وَعِيدَ فُلَانٌ وَ جَاءَنِي كَلَامُ فُلَانٍ وَ أَتَانِي حَدِيثُهُ وَ لَا يَرَادُ بِهِ الْإِتْيَانُ الْحَقِيقِيُّ قَالَ:

أتانى فلم أسرر به حين جاءنى

حديث بأعلى القبتين عجيب

و قال الآخر:

أتانى نصرهم و هم بعيد

بلادهم بأرض الخيزران

و أما قوله «و الْمَلَائِكَةُ» فقد ذكرنا الوجه فى رفعه و جره قبل و قيل معنى الآية إلا أن يأتيهم الله بظلم من الغمام أى بجلائل آياته و بالملائكة و قوله «و قُضِيَ الْأَمْرُ» معناه فرغ من الأمر و هو المحاسبه و إنزال أهل الجنة فى الجنة و أهل النار فى النار هذا فى الآخره و قيل معناه وجب العذاب أى عذاب الاستئصال و هذا فى الدنيا «و إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» أى إليه ترد الأمور فى سؤاله عنها و مجازاته عليها و كانت الأمور كلها له فى الابتداء فسلكت بعضها فى الدنيا غيره ثم يصير كلها إليه فى الحشر لا يملك أحد هناك شيئا و قيل إليه ترجع أمور الدنيا و الآخره.

سوره البقره (٢): آيه ٢١١

اشاره

سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيْنَهُ وَ مَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢١١)

الإعراب

كم فى موضع نصب لأنه مفعول ثان لآتيناهم و إنما وجب له صدر الكلام لتضمنه معنى الاستفهام ثم إن هذه الجملة التى هى «كم آتيناهم من آية» قد وقعت موقع المفعول الثانى لقوله: «سَلِّ» من آية يتعلق بآتيناهم أيضا و ما حرف موصول جاءت صلته و الموصول و الصلة فى موضع جر بإضافه بعد إليه.

المعنى

«سَلِّ» يا محمد «بِنِي إِسْرَائِيلَ» أَي أَوْلَادِ يَعْقُوبَ وَ هُمُ الْيَهُودَ الَّذِينَ

ص: ٥٥

كانوا حول المدينة و المراد به علماءهم و هو سؤال تقرير لتأكيد الحجج عليهم «كَمْ آتَيْنَاهُمْ» أى أعطيناهم «مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ» من حجة ظاهره واضحه مثل اليد البيضاء و قلب العصا حيه و فلق البحر و تظليل الغمام عليهم و إنزال المن و السلوى عن الحسن و مجاهد و قيل كم من حجة واضحه لمحمد تدل على صدقه عن الجبائي «وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ» فى الكلام حذف و تقديره فبدلوا نعمه الله و كفروا بآياته و خالفوه فضلوا و أضلوا و من يبدل الشكر عليها بالكفران و قيل من يصرف أدله الله عن وجوهها بالتأويلات الفاسده الخاليه من البرهان «فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» له و قيل شديد العقاب لمن عصاه فيدخل فيه هذا المذكور و فى الآيه دلالة على فساد قول المجبره فى أنه ليس لله سبحانه على الكافرين نعمه لأنه حكم عليهم بتبديل نعم الله كما قال فى موضع آخر يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا و نحو ذلك من وجه آخر و هو أنه أضاف التبديل إليهم و أوعدهم عليه بالعقوبه فلو لم يكن فعلهم لما استحقوا العقوبه. و التبديل هو أن يحرف أو يكتم أو يتأول على خلاف جهته كما فعلوه فى التوراه و الإنجيل و كما فعلوه مبتدعه الأممه فى القرآن.

النظم

لما بين الله تعالى شرائعه و إن الناس فيها ثلاث فرق مؤمن و كافر و منافق ثم وعد و أوعد و أوعد بين بعد ذلك أن تركهم الإيمان ليس بتقصير فى الحجج و لكن لسوء طباعهم و خبت أفعالهم فقد فعلوا قبلك يا محمد هذا الصنيع فقال «سَلِّ بِنِي إِسْرَائِيلَ».

سوره البقره (٢): آيه ٢١٢

اشاره

زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢١٢)

اللغه

التزيين و التحسين واحد و الزين خلاف الشين و الزينه اسم جامع لكل ما يترين به.

الإعراب

الدنيا صفة الحياه بغير حساب الجار و المجرور فى محل النصب على الحال و العامل فيه يرزق و ذو الحال الضمير فى يرزق أو الموصول الذى هو من يشاء و تقديره غير محاسب أو غير محاسب.

النزول

نزلت الآيه فى أبى جهل و غيره من رؤساء قريش بسطت لهم الدنيا و كانوا يسخرون من قوم من المؤمنين فقراً مثل عبد الله بن

مسعود و عمار و بلال و خباب و يقولون

ص: ٥٦

لو كان محمد نبيا لاتبعه أشرافنا عن ابن عباس و قيل نزلت في عبد الله بن أبي و أصحابه يسخرون من ضعفاء المؤمنين عن مقاتل و قيل نزلت في رؤساء اليهود من بنى قريظه و النضير و قينقاع سخروا من فقراء المهاجرين عن عطا و لا مانع من نزوله في جميعهم.

المعنى

ثم بين سبحانه أن عدولهم عن الإيمان إنما هو لإيثارهم الحياه الدنيا فقال «رُئِنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» و فيه قولان (أحدهما) أن الشيطان زينها لهم بأن قوى دواعيهم و حسن فعل القبيح و الإخلال بالواجب إليهم فأما الله فلا يجوز أن يكون المزين لهم إياها لأنه زهد فيها و قال و اعلم أنها متاع الغرور و قال قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ عَنِ الْحَسَنِ وَ الْجَبَائِي (و الآخر) أن الله زينها لهم بأن خلق فيها الأشياء المحبوه المعجبه و بما خلق لهم من الشهوه لها كما قال رُئِنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَنَاطِيرِ الْأَيَّةِ و إنما كان كذلك لأن التكليف لا يتم إلا مع الشهوه فإن الإنسان إنما يكلف بأن يدعى إلى شىء تنفر نفسه عنه أو يزجر عن شىء تتوق نفسه إليه و هذا معنى

قول النبي (صلى الله عليه و آله) حفت الجنه بالمكاره و حفت النار بالشهوات

و إنما ذكر الفعل و هو مستند إلى الحياه لأن تأنيث الحياه غير حقيقى و هو بمعنى العيش و البقاء و نحوهما و لأنه فصل بين الفعل و الفاعل بقوله «لِلَّذِينَ كَفَرُوا» و إذا قالوا في التأنيث الحقيقى حضر القاضى اليوم امرأه و جوزوا التذكير فيه فهو في التأنيث غير الحقيقى أجوز «وَ يَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا» و يهزءون من المؤمنين لفرهم و قيل لإيمانهم بالبعث و جدهم في ذلك و قيل لزهدهم في الدنيا و يمكن حمله على الجميع إذ لا تنافى بين هذه الأقوال «وَ الَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أى الذين اجتنبوا الكفر فوق الكفار في الدرجات و قيل أراد أن تمتعهم بنعيم الآخرة أكثر من استمتاع هؤلاء في الآخرة بنعيم الدنيا و قيل أراد أن حالهم فوق هؤلاء الكفار لأنهم في عليين و هؤلاء في سجين و هذا كقوله «أَصْرِحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا» و مثله قول حسان يعنى رسول الله و أبا جهل:

(فشر كما لخير كما الفداء)

و قيل أنه أراد أن حال المؤمنين في الهزء بالكفار و الضحك منهم في الآخرة حال فوق هؤلاء في الدنيا و يدل على ذلك قوله تعالى «إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ» إلى قوله «فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ» «وَ اللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ» قيل فيه أقوال (أحدها) أن معناه يعطيهم الكثير الواسع الذى لا يدخله الحساب من كثرته (و ثانيها) أنه لا يرزق الناس في الدنيا على مقابله أعمالهم و إيمانهم و كفرهم فلا

يدل بسط الرزق للكافر على منزلته عند الله و إن قلنا أن المراد به في الآخرة فمعناه أن الله لا يثيب المؤمنين في الآخرة على قدر أعمالهم التي سلفت منهم بل يزيدهم تفضلاً (و ثالثها) أنه يعطيه عطاء لا يؤاخذ به بذلك أحد و لا يسأله عنه سائل و لا يطلب عليه جزاء و لا مكافاه (و رابعها) أنه يعطى العدد من الشىء لا يضبط بالحساب و لا يأتى عليه العدد لأن ما يقدر عليه غير متناه و لا محصور فهو يعطى الشىء لا من عدد أكثر منه فينقص منه كمن يعطى الألف من الألفين و العشره من المائه عن قطرب (و خامسها) أن معناه يعطى أهل الجنه ما لا يتناهى و لا يأتى عليه الحساب و كل هذه الوجوه جائز حسن.

سوره البقره (٢): آيه ٢١٣

اشاره

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اختلفُوا فِيهِ وَ مَا اختلف فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغِيًّا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اختلفُوا فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢١٣)

القراءه

قرأ أبو جعفر القارئ وحده ليحكم بضم الياء و فتح الكاف و الباقون بفتح الياء و ضم الكاف.

الحججه

وجه القراءه الظاهره أن الكتاب يحكم و يكون على التوسع كقوله تعالى «هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق» و يجوز أن يكون فاعل يحكم الله أى ليحكم الله فى عباده و وجه قراءه أبى جعفر ظاهر.

اللغه

الأمه على وجوه ذكرناها عند قوله تَلِكْ أُمَّةٌ قَدْ حَلَّتْ* و هى هنا بمعنى المله و الدين.

الإعراب

«مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ» نصب على الحال بالحق فى موضع الحال و العامل فيه أنزل و ذو الحال الكتاب «لِيُحْكُمَ» جار و مجرور و اللام يتعلق بأنزل و «بَغِيًّا»

بَيْنَهُمْ» نصب على أنها مفعول له أى لم يوقعوا الاختلاف إلا للبعى و يجوز أن يكون مصدرا وقع موقع الحال و ما اسم موصول و اختلفوا صلته و اللام يتعلق بهدى و من الحق فى موضع الحال من الموصول و العامل فيه هدى و الباء فى ياذنه يتعلق بهدى أيضا.

المعنى

ثم بين سبحانه أحوال من تقدم من الكفار تسليه للنبي فقال «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً» أى ذوى أمه واحده أى أهل مله واحده و على دين واحد فحذف المضاف و اختلف فى أنهم على أى دين كانوا فقال قوم أنهم كانوا على الكفر و هو المروى عن ابن عباس فى إحدى الروايتين و الحسن و اختاره الجبائى ثم اختلفوا فى أى وقت كانوا كفارا فقال الحسن كانوا كفارا بين آدم و نوح و قال بعضهم كانوا كفارا بعد نوح إلى أن بعث الله إبراهيم و النبيين بعده و قال بعضهم كانوا كفارا عند مبعث كل نبي و هذا غير صحيح لأن الله بعث كثيرا من الأنبياء إلى المؤمنين فإن قيل كيف يجوز أن يكون الناس كلهم كفارا و الله تعالى لا يجوز أن يخلى الأرض من حجه له على خلقه قلنا يجوز أن يكون الحق هناك فى واحد أو جماعه قليله لم يمكنهم إظهار الدين خوفا و تقيه فلم يعتد بهم إذا كانت الغلبه للكفار و قال آخرون إنهم كانوا على الحق و هو المروى عن قتاده و مجاهد و عكرمه و الضحاك و ابن عباس فى الروايه الأخرى ثم اختلفوا فقال ابن عباس و قتاده هم كانوا بين آدم و نوح و هم عشر فرق كانوا على شريعه من الحق فاختلّفوا بعد ذلك و قال الواقدي و الكلبي هم أهل سفينه نوح حين غرق الله الخلق ثم اختلفوا بعد ذلك فالتقدير على قول هؤلاء «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً» فاختلّفوا «فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ» و قال مجاهد المراد به آدم كان على الحق إماما لذريته فبعث الله النبيين فى ولده و

روى أصحابنا عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام) أنه قال كانوا قبل نوح أمه واحده على فطره الله لا مهتدين و لا ضلالا فبعث الله النبيين

و على هذا فالمعنى أنهم كانوا متعبدين بما فى عقولهم غير مهتدين إلى نبوه و لا شريعه ثم بعث الله النبيين بالشرائع لما علم أن مصالحهم فيها «فَبَعَثَ اللَّهُ» أى أرسل الله «النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ» لمن أطاعهم بالجنه «و مُنذِرِينَ» لمن عصاهم بالنار «وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ» أى أنزل مع كل واحد منهم الكتاب و قيل معناه و أنزل مع بعثهم الكتاب إذ الأنبياء لم يكونوا منزلين حتى ينزل الكتاب معهم و أراد به مع بعضهم لأنه لم ينزل مع كل نبي كتاب و قيل المراد به الكتب لأن الكتاب اسم جنس فمعناه الجمع قوله «بِالْحَقِّ» أى بالصدق و العدل و قيل معناه و أنزل الكتاب بأنه حق و أنه من عند الله و قيل معناه و أنزل الكتاب بما فيه من بيان الحق و قوله «لِيُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ» الضمير فى يحكم يرجع إلى

الله أى ليحكم الله منزل الكتاب و قيل يرجع إلى الكتاب أى ليحكم الكتاب فأضاف الحكم إلى الكتاب و إن كان الله هو الذى يحكم على جهه التفخيم لأمر الكتاب «فِيمَا اِخْتَلَفُوا فِيهِ» من الحق قبل إنزال الكتاب و متى سئل عن هذا فقول إذا كانوا مختلفين فى الحق فكيف عمهم الكفر فى قول من قال أنهم كانوا كلهم كفارا فجوابه أنه لا- يمتنع أن يكونوا كفارا و بعضهم يكفر من جهه الغلو و بعضهم يكفر من جهه التقصير كما كفرت اليهود و النصارى فى المسيح فقالت النصارى هو رب و قالت اليهود هو كاذب و قوله «وَمَا اِخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ» معناه و ما اختلف فى الحق إلا الذين أعطوا العلم به كاليهود فإنهم كتموا صفه النبى بعد ما أعطوا العلم به «مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ» أى الأدله و الحجج الواضحه و قيل التوراه و الإنجيل و قيل معجزات محمد «بَغْيًا بَيْنَهُمْ» أى ظلما و حسدا و طلبا للرئاسه و قوله «فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اِخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ» معناه فهدى الله الذين آمنوا للحق مما اختلفوا فيه بعلمه و الأذن بمعنى العلم مشهور فى اللغه قال الحارث بن حلزه:

" آذنتنا بينها أسماء "

أى أعلمتنا و إنما خص المؤمنين لأنهم اقتصوا بالاهتداء و قيل إن معنى بإذنه بلطفه فعلى هذا يكون فى الكلام محذوف أى فاهتدوا بإذنه و إنما قال هداهم لما اختلفوا فيه من الحق و لم يقل هداهم للحق فيما اختلفوا فيه لأنه لما كانت العناية بذكر الاختلاف كان أولى بالتقديم فقدمه ثم فسره بمن «وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» فيه أقوال (أحدها) أن المراد به البيان و الدلاله و الصراط المستقيم هو الإسلام و خص به المكلفين دون غيرهم ممن لا يحتمل التكليف عن الجبائى (و ثانيها) أن المراد به يهديهم باللطف فيكون خاصا بمن علم من حاله أنه يصلح به عن البلخى و ابن الإخشيد (و ثالثها) أن المراد به يهديهم إلى صراط الجنه و يأخذ بهم على طريقها فتكون مخصوصا بالمؤمنين.

سوره البقره (٢): آيه ٢١٤

اشاره

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبُاسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَ زُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤)

القرءه

قرأ نافع وحده حتى يقول بالرفع و الباكون بالنصب.

الحجه

من نصب فالمعنى و زلزلوا إلى أن قال الرسول و ما ينصب بعد حتى جاء

ص: ٦٠

من الأفعال على ضربين (أحدهما) أن يكون بمعنى إلى كما فى الآيه و الآخر أن يكون بمعنى كى كما تقول أسلمت حتى أدخل الجنه فهذا تقديره أسلمت كى أدخل الجنه فالإسلام قد كان و الدخول لم يكن و فى الوجه الأول كلا الفعلين السبب و المسبب قد مضى و أما من قرأ بالرفع فالفعل الواقع بعد حتى لا يكون إلا فعل حال و يجىء أيضا على ضربين (أحدهما) أن يكون الفعل الأول الذى هو السبب قد مضى و الفعل الثانى المسبب لم يمتض كما تقول مرض حتى لا يرجونه و تتجه الآيه على هذا الوجه لأن المعنى زلزلوا فيما مضى حتى أن الرسول يقول الآن «مَتَى نَضْرُ اللَّهُ» و حكيت الحال التى كانوا عليها كما حكيت الحال فى قوله هذا مِنْ شَيْعَتِهِ وَ هَذَا مِنْ عِدُوِّهِ (و الثانى) أن يكون الفعلان جميعا قد مضيا نحو سرت حتى أدخلها فالدخول متصل بالسير بلا- فصل بينهما و الحال محكيه كما كانت فى الوجه الأول ألا ترى أن ما مضى لا يكون حالا و حتى إذا رفع الفعل بعدها حرف يستأنف الكلام بعدها و ليست العاطفه و لا الجاره و إذا نصب الفعل بعدها فهى الجاره و ينصب الفعل بعدها بإضمار أن كما ينصب بعد اللام و الفعل و أن المضمرة معها فى موضع جر.

اللغه

الزلزله شده الحركه و الزلزال البليه المزعجه لشده الحركه و الجمع زلازل و أصله من قولك زل الشىء عن مكانه ضوعف لفظه لمضاعفه معناه نحو صر و صرصر و صل و صلصل فإذا قلت زلزلته فتأويله كررت تحريكه عن مكانه.

الإعراب

أم هذه هى المنقطعه و معناه بل أ حسبتم و الفرق بين أ حسبتم و أم حسبتم أن أم لا- تكون إلا متصله بكلام و الألف تكون مستأنفه. أن تدخلوا صله و موصول فى موضع نصب بأنه مفعول حسبتم و قد سدا مسد مفعوليه و قيل مفعوله الثانى محذوف و تقديره أم حسبتم دخولكم الجنه ثابتا و الجنه نصب لأنها ظرف مكان لتدخلوا و لما أصلها لم زيد عليها ما غيرت معناها كما غيرت معنى لو إذا قلت لو ما فصيرته بمعنى هلا- و الفرق بين لم و لما إن لما يصح أن يوقف عليها مثل قولك فى جواب من يقول أ قدم الأمير؟ لما و لا يجوز أن يقول لم و فى لما توقع لأنها عقبيه قد إذا انتظر قوم ركوب الأمير قلت قد ركب فإن نفيت هذا قلت لما يركب و ليس كذلك لم و يجمعهما نفى الماضى " مثل " مرفوع بأنه صفه محذوف مرفوع بياتى تقديره و لما يأتكم نصب مثل الذى أصاب الذين خلوا من قبلكم و إضافه مثل غير حقيقه لأنه فى تقدير الانفصال فالمجرور فى تقدير المنصوب لأنه مفعول و لما مع الجملة فى موضع نصب على الحال و الواو واو الحال و تقديره أن تدخلوا

الجنة غير مصابين و مستهم البأساء فى موضع الحال أيضا يا ضمارة قد و العامل فىه خلوا و زلزلوا معطوفه على مستهم و نصر الله مبتداً و إضافته غير حقيقه و متى فى موضع خبر المبتداً.

النزول

قيل نزلت يوم الخندق لما اشتدت المخافه و حوصر المسلمون فى المدينه فدعاهم الله إلى الصبر و وعدهم بالنصر عن قتاده و السدى و قيل نزلت فى حرب أحد لما قال عبد الله بن أبى لأصحاب النبى إلى متى تقتلون أنفسكم لو كان محمد نبيا ما سطر الله عليه الأسر و القتل و قيل نزلت فى المهاجرين من أصحاب النبى (صلى الله عليه و آله) إلى المدينه إذ تركوا ديارهم و أموالهم و مسهم الضر عن عطا.

المعنى

ثم ذكر سبحانه ما جرى على المؤمنين من الأمم الخاليه تسليه لنيبه و لأصحابه فيما لهم من المشركين و أمثالهم لأن سماع أخبار الخيار الصالحين يرغب فى مثل أحوالهم فقال «أَمْ حَسِبْتُمْ» معناه بل أظنتم و خلتهم أيها المؤمنون «أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ» معناه و لما تمتحنوا و تبتلوا بمثل ما امتحنوا به فتصبروا كما صبروا و هذه استدعاء إلى الصبر و بعده الوعد بالنصر و المثل مثل الشبه و الشبه أى لم يصبكم شبه الذين خلوا أى مضوا قبلكم من النبيين و المؤمنين و فى الكلام حذف و تقديره مثل محنه الذين أو مصيبه الذين مضوا ثم ذكر سبحانه ما أصاب أولئك فقال «مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَ الضَّرَاءُ» و المس و اللمس واحد و البأساء نقيض النعماء و الضراء نقيض السراء و قيل البأساء القتل و الضراء الفقر و قيل هو ما يتعلق بمضار الدين من حرب و خروج من الأهل و المال و إخراج فمدحوا بذلك إذ توقعوا الفرج بالصبر «وَ زُلْزَلُوا» أى حركوا بأنواع البلايا و قيل معناه هنا أزعجوا بالمخافه من العدو و ذلك لفرط الحيره «حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ» قيل هذا استعجال للموعد كما يفعله الممتحن و إنما قاله الرسول استبطاء للنصر على جهه التمنى و قيل إن معناه الدعاء لله بالنصر و لا يجوز أن يكون على جهه الاستبطاء لنصر الله لأن الرسول يعلم أن الله لا يؤخره عن الوقت الذى توجهه الحكمة ثم أخبر الله سبحانه أنه ناصر أوليائه لا محاله فقال «أَلَا إِنَّ نَصِيرَ اللَّهِ قَرِيبٌ» و قيل إن هذا من كلامهم بأنهم قالوا عند الإياس «مَتَى نَصِيرُ اللَّهِ» ثم تفكروا فعلموا أن الله منجز وعده فقالوا «أَلَا إِنَّ نَصِيرَ اللَّهِ قَرِيبٌ» و قيل أنه ذكر كلام الرسول و المؤمنين جمله و تفصيلا و قال المؤمنون «مَتَى نَصِيرُ اللَّهِ» و قال الرسول «أَلَا إِنَّ نَصِيرَ اللَّهِ قَرِيبٌ» كقوله جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ أى لتسكنوا بالليل و لتبتغوا من فضله بالنهار.

إشارة

يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢١٥)

اللغة

النفقة إخراج الشئ من الملك بيع أو هبه أو صله أو نحو ذلك وقد غلب في العرف على إخراج ما كان من المال من عين أو ورق و السؤال طلب الجواب بصيغه مخصوصه من الكلام.

الإعراب

موضع ما من قوله «ماذا يُنْفِقُونَ» يحتمل أن يكون مرفوعا أو منصوبا فأما الرفع فيكون على تقدير ما الذي ينفقون أى شئ الذى ينفقونه و العائد من الصلة محذوف و يكون ذا موصولا بمنزله الذى و ينفقون صلته و النصب على تقدير أى شئ ينفقون فيكون ما و ذا بمنزله شئ واحد و يكون ذا لغوا لأن ما مفيدة للمعنى و ما من قوله «ما أَنْفَقْتُمْ» اسم للشرط فى محل الرفع بالابتداء و أنفقتم فى محل الجزم بما من خير جار و مجرور فى موضع الحال و من للتبيين و تقديره ما أنفقتم كائنا من خير فذو الحال الضمير المحذوف من الصلة فللوالدين الجار و المجرور خبر مبتدأ محذوف و المبتدأ و الخبر فى محل الرفع لوقوعهما بعد الفاء و الفاء مع ما بعده جواب للشرط و معنى حرف الشرط الذى تضمنه ما مع الشرط و الجزاء فى موضع رفع لأنها خبر المبتدأ الأول «وَمَا تَفْعَلُوا» ما اسم شرط فى محل النصب بتفعلوا و يجوز أن يكون ما فى أنفقتم أيضا منصوب الموضع بأنفقتم فيكون مفعولا له.

النزول

نزلت فى عمرو بن الجموح و كان شيخا كبيرا ذا مال كثير فقال يا رسول الله بماذا أتصدق و على من أتصدق فأنزل الله هذه الآية.

المعنى

«يَسْئَلُونَكَ» يا محمد «ماذا» إلى أى شئ ينفقون و السؤال عن الإنفاق يتضمن السؤال عن المنفق عليه فإنهم قد علموا أن الأمر وقع بإنفاق المال فجاء الجواب ببيان كيفية النفقه و على من ينفق فقال قل يا محمد «ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ» أى مال فدل على أن له مقدارا و أنه مما ينتفع به لأن ما لا ينتفع به لا يسمى خيرا «فَلِلْوَالِدَيْنِ»

وَ الْأَقْرَبِينَ» و المراد بالوالدين الأب و الأم و الجد و الجده و إن علوا لأنهم يدخلون في اسم الوالدين و المراد بالأقربين أقارب المعطى «وَ الْيَتَامَى» أى كل من لا أب له مع صغره «وَ الْمَسَاكِينَ» الفقراء «وَ ابْنِ السَّبِيلِ» المنقطع به و اختلفوا في هذه النفقه فقال الحسن المراد به نفقه التطوع على من لا- يجوز وضع الزكاه عنده و الزكاه لمن يجوز وضع الزكاه عنده فهى عامه فى الزكاه المفروضه و فى التطوع و قال السدى الآيه و ارده فى الزكاه ثم نسخت ببيان مصارف الزكاه و الأول أظهر لأنه لا دليل على نسخها و اتفق العلماء على أنه لا يجوز دفع الزكاه إلى الأب و الأم و الجد و الجده و إلى الأولاد فأما النفقه فلا خلاف أن النفقه على الوالدين إذا كانا فقيرين واجبه و أما النفقه على ذى الرحم فلا يجب عندنا و عند الشافعى و يجب عند أبى حنيفه و قوله «وَ مَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ» أى من عمل صالح يقربكم إلى الله «فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ» يجازيكم به من غير أن يضيع منه شىء لأنه تعالى لا يخفى عليه شىء.

النظم

و وجه اتصال هذه الآيه بما قبلها أن الآيه الأولى فيها دعاء إلى الصبر على الجهاد فى سبيل الله و فى هذه الآيه بيان لوجه النفقه فى سبيل الله و كل ذلك دعاء إلى فعل البر و الطاعه.

سوره البقره (٢): آيه ٢١٦

اشاره

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَ هُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَ عَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ عَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦)

اللغه

الكره بالفتح المشقه التى تحمل على النفس و الكره بالضم المشقه حمل على النفس أو لم يحمل و قيل الكره الكراهه و الكره المشقه و قد يكره الإنسان ما لا يشق عليه و قد يشق عليه ما لا يكرهه و قيل الكره و الكره لغتان مثل الضعف و الضعف و الخير نقيض الشر و الخير النفع الحسن و الشر الضرر القبيح و هذا هو الأصل ثم يستعملان فى غير ذلك توسعا يقال شر يشر شراره و شرار النار و شررها لهبها و شره الشباب نشاطه و تشيرير اللحم أو الثوب أن تبسطه ليحف و الأشرار الإظهار.

الإعراب

«وَ هُوَ كُرْهُ لَكُمْ» فيه حذف و تقديره و هو ذو كره لكم و يجوز أن يكون

معناه و هو مكروه لكم فوقع المصدر موقع المفعول و مثله رجل رضا أى ذو رضا و يجوز أن يكون بمعنى مرضى «وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا» موضع أن تكرهوا رفع بأنه فاعل عسى و عسى هذه تامه لأنها تمت بالفاعل و لم تحتج إلى خبر.

المعنى

هذه الآية بيان لكون الجهاد مصلحه لمن أمر به قال سبحانه «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ» أى فرض عليكم الجهاد فى سبيل الله «وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ» أى شاق عليكم تكرهونه كراهه طباع لا على وجه السخط و قد يكون الشىء مكروها عند الإنسان فى طبعه و من حيث تنفر نفسه عنه و إن كان يريد أن الله تعالى أمره بذلك كالصوم فى الصيف و قيل معناه أنه مكروه لكم قبل أن يكتب عليكم لأن المؤمنين لا يكرهون ما كتب الله عليهم «وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا» معناه و قد تكرهون شيئًا فى الحال و هو خير لكم فى عاقبه أموركم كما تكرهون القتال لما فيه من المخاطره بالروح «وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ» لأن لكم فى الجهاد إحدى الحسنين إما الظفر و الغنيمه و إما الشهاده و الجنه «وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ» أى و قد تحبون ما هو شر لكم و هو القعود عن الجهاد لمحبه الحياه و هو شر لما فيه من الذل و الفقر فى الدنيا و حرمان الغنيمه و الأجر فى العقبى «وَاللَّهُ يَعْلَمُ» أى يعلم ما فيه مصالحكم و منافعكم و ما هو خير لكم فى عاقبه أمركم «وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» ذلك فبادروا إلى ما يأمركم به و إن شق عليكم و أجمع المفسرون إلا- عطاء إن هذه الآية داله على وجوب الجهاد و فرضه غير أنه فرض على الكفايه حتى أن لو قعد جميع الناس عنه أثموا به و إن قام به من فى قيامه كفايه و غناء سقط عن الباقيين و قال عطاء إن ذلك كان واجبا على الصحابه و لم يجب على غيرهم و قوله شاذ عن الإجماع.

إشارة

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَزِدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اشْتَرَطُوا وَمَنْ يَزِدْكُمْ عَنْ دِينِكُمْ فَإِنَّهُ قَاتِلُكَ فَالْقَاتِلُ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢١٧)

اللغة

الصد والمنع و الصرف نظائر يقال صد عن الشيء يصد صدودا و صدا إذا أعرض و عدل عنه و صد غيره يصدده صدا إذا عدل به عنه و منعه و الصدد ما استقبلك و صار في قبالتك لأنه يعدل إلى مواجهتك و الصدان ناحيتا الشعب و الوادى و الصداد ضرب من الجرذان يعد لك لشده تحرزه و الصداد الوزغ لأنه يعدل عنه استقدارا له و أصل الباب العدو. لا يزال أصله من الزوال و هو العدول و معنى لا يزال يدوم موجودا و ما زال أى دام.

و حبط عمل الرجل حبطا و حبوطا و أحبطه الله إحباطا و الحبط فساد يلحق الماشيه فى بطونها لأكل الحباط و هو ضرب من الكلا يقال حبطت الإبل تحبط حبطا إذا أصابها ذلك ثم سمي الهلاك حبطا و

فى الحديث أن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم

. الإعراب

قتال فيه مجرور على البدل من الشهر و هو بدل الاشتمال لأن الزمان يشتمل على ما يقع فيه و مثله فى المكان قوله «قَاتِلْ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ» النار و قال الأعشى:

لقد كان فى حول ثواء ثوبته

تقضى لبانات و يسأم سائم

و قال الكوفيون هو مجرور على إضمار عن و قال بعضهم هو على التكرير و هذه ألفاظ متقاربه فى المعنى و إن اختلف فى العبارة عنه و قوله «قِتَالٍ» مرفوع بالابتداء و كبير خبره «وَصِدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ» مبتدأ «وَكُفْرٌ بِهِ» معطوف عليه «وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ» معطوف عليه أيضا و خبره «أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ» أى هذه الأشياء أكبر عند الله أى أعظم إثما و أجاز الفراء رفعه على وجهين (أحدهما) أنه مردود على كبير أى «قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصِدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ» أى القتال قد جمع أنه كبير و أنه صد عن سبيل الله و كفر به (و الآخر) أن يجعل الصد الكبير أى القتال فيه كبير و الصد عن سبيل الله كبير فيكون مرتفعا بالابتداء و خبره محذوف و خطأ العلماء بالنحو قالوا لأنه يصير المعنى فى التقدير الأول قل القتال فى الشهر الحرام كفر بالله و هذا خطأ بالإجماع و يصير التقدير فى الثانى و إخراج أهله منه أكبر عند الله من الكفر و هذا أيضا خطأ بالإجماع و للفراء أن يقول فى هذه: المعنى و إخراج

أهله منه أكبر من

ص: ٦٦

القتل فيه لا- من الكفر به لأن المعنى فى إخراج أهله منه إخراج النبى و المؤمنين بعده فأما الوجه الأول فلا مخلص للفراء منه و المسجد الحرام مجرور عطف على سبيل الله كأنه قال و صد عن سبيل الله و عن المسجد الحرام و هو قول المبرد و قيل أنه عطف على الشهر الحرام كأنه قال يسألونك عن القتال فى الشهر الحرام و المسجد الحرام و هو قول الفراء و لا يجوز حمله على الباء فى قوله «وَ كُفِّرَ بِهِ» لأنه لا يعطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار إلا فى ضروره الشعر و من يردد على إظهار التضعيف لسكون الثانى و يجوز يردد بفتح الدال على التحريك لالتقاء الساكنين بأخف الحركات و يجوز بكسر الدال على أصل التحريك لالتقاء الساكنين و الفتح أجود.

النزول

قال المفسرون بعث رسول الله سريره من المسلمين و أمر عليهم عبد الله بن جحش الأسدى و هو ابن عمه النبى ص و ذلك قبل قتال بدر بشهرين على رأس سبعة عشر شهرا من مقدمه المدينة فانطلقوا حتى هبطوا نخله فوجدوا بها عمرو بن الحضرمى فى غير تجاره لقريش فى آخر يوم من جمادى الآخرة و كانوا يرون أنه من جمادى و هو رجب فاختم المسلمون فقال قائل منهم هذه غره من عدو و غنم رزقتموه و لا ندرى أ من الشهر الحرام هذا اليوم أم لا و قال قائل منهم لا نعلم هذا اليوم إلا من الشهر الحرام و لا نرى أن تستحلوه لطمع أشفيتم عليه فغلب على الأمر الذى يريدون عرض الحياه الدنيا فشدوا على ابن الحضرمى فقتلوه و غنموا غيره فبلغ ذلك كفار قریش و كان ابن الحضرمى أول قتيل قتل بين المشركين و المسلمين و ذلك أول فى ء أصابه المسلمون فركب وفد كفار قریش حتى قدموا على النبى ص فقالوا أ يحل القتال فى الشهر الحرام فأنزل الله هذه الآيه.

المعنى

«يَسْأَلُونَكَ» يا محمد و السائلون أهل الشرك على جهه العيب للمسلمين باستحلالهم القتال فى الشهر الحرام عن الحسن و أكثر المفسرين و قيل السائلون أهل الإسلام سألوأ عن ذلك ليعلموا كيف الحكم فيه «عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ» يعنى عن قتال فى الشهر الحرام و هو رجب سمي بذلك لتحريم القتال فيه و لعظم حرمة و لذلك كان يسمى فى الجاهليه منزع الأسنان و منصل الأمل لأنهم كانوا ينزعون الأسنان و النصال عند دخول رجب انطواء على ترك القتال فيه و كان يدعى الأصم لأنه لا يسمع فيه قعقه السلاح فنسب الصمم إليه كما قيل ليل نائم و سر كاتم فكان الناس لا يخاف بعضهم بعضا و تأمن

السبل إلى أن ينقضى الشهر «قُل» يا محمد «قِتَالٍ فِيهِ» أى فى الشهر الحرام «كَبِيرٌ» أى ذنب عظيم ثم استأنفه و قال «وَ صَدُّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَ كُفْرٌ بِهِ» أى و الصد عن سبيل الله و الكفر بالله «وَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» أى و الصد عن المسجد الحرام و على القول الآخر معناه يسألونك عن القتال فى الشهر الحرام و عند المسجد الحرام و قيل معناه و الكفر و المسجد الحرام عن الجبائى فحملة عن الباء فى قوله «وَ كُفْرٌ بِهِ» «وَ إِخْرَاجُ أَهْلِهِ» يعنى أهل المسجد و هم المسلمون و «مِنَهُ» أى من المسجد «أَكْبَرُ» أى أعظم وزرا «عِنْدَ اللَّهِ» يعنى إخراجهم المسلمين من مكة حين هاجروا إلى المدينة و الظاهر يدل على أن القتال فى الشهر الحرام كان محرما لقوله «قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ» و ذلك لا- يقال إلا فيما هو محرم محذور و قيل أن النبى ص عقل ابن الحضرمى و قوله «وَ الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ» معناه الفتنة فى الدين و هو الكفر أعظم من القتل فى الشهر الحرام يعنى قتل ابن الحضرمى و قال قتاده و غيره أن تحريم القتال فى الشهر الحرام و عند المسجد الحرام منسوخ بقوله «وَ قَاتِلُوهُمْ حَيْثُ لَا تَكُونُ فِتْنَةٌ» و بقوله «فَمَا قَاتَلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» و قال عطاء هو باق على التحريم و عندنا أنه باق على التحريم فيمن يرى لهذه الأشهر حرمة و لا يبتدون فيها بالقتال و كذلك فى الحرم و إنما أباح الله تعالى للنبى ص قتال أهل مكة عام الفتح

فقال (عليه السلام) إن الله أحلها لى فى هذه الساعة و لا يحلها لأحد من بعدى إلى يوم القيامة

و من لا يرى منهم حرمة الحرم و حرمة هذه الأشهر جاز قتاله أى وقت كان و التحريم منسوخ فى حقه و قوله تعالى: «وَ لَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ» يعنى أهل مكة يقاتلونكم يا معشر المسلمين «حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ» أى يصرفوكم عن دين الإسلام و يلجئوكم إلى الارتداد «إِنْ اسْتَطَاعُوا» أى إن قدروا على ذلك «وَ مَنْ يَزِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ» هذا تحذير عن الارتداد ببيان استحقاق العذاب عليه «فَيَمُتْ وَ هُوَ كَافِرٌ» يعنى مات على كفره «فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ» معناه أنها صارت بمنزله ما لم يكن لإيقاعهم إياها على خلاف الوجه المأمور به لأن إحباط العمل و إبطاله عبارته عن وقوعه على خلاف الوجه الذى يستحق عليه الثواب و ليس المراد أنهم استحقوقا على أعمالهم الثواب ثم انحبط لأنه قد دل الدليل على أن الإحباط على هذا الوجه لا يجوز «وَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» أى دائمون.

النظم

نظم الآيه و تقديرها يسألونك عن القتال فى الشهر الحرام و عند المسجد الحرام فقل ذلك كبير و لكن الكفر بالله و صد المسلمين عن بيت الله و دينه و إخراجهم عن أوطانهم أعظم عند الله و أكبر وزرا و هؤلاء الكفار مع هذه الأفعال يقاتلونكم ليردوكم عن

ص: ٦٨

الدين فكل واحد من هذا أعظم مما سألوا عنه.

سوره البقره (٢): آيه ٢١٨

اشاره

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢١٨)

اللغه

الهجر ضد الوصل يقال هجره يهجره هجرانا و هجرا و هجره إذا قطع مواصلته و هجر المريض يهجر هجرا إذا قال ما ينبغي أن يهجر من الكلام و سموا المهاجرين لهجرتهم قومهم و أرضهم و إنما أطلق على هؤلاء اللفظ الذى يقع على الاثنين لأن كل واحد من هؤلاء فعل مثل فعل صاحبه و ترك ما تركه اختيارا لصحبه النبي و جاهدت العدو مجاهده و جهادا إذا حملت نفسك على المشقه فى قتاله و الرجاء الأمل و قوله ما لكم لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً أى لا تخافون و قال أبو ذؤيب:

إذا لسعت النحل لم يرج لسعها

و خالفها فى بيت نوب عوامل

أى لم يخف و ذلك أن الرجاء للشىء معه الخوف من أن لا يكون فلذلك سمي الخوف باسم الرجاء.

النزول

نزلت الآيه فى قصه عبد الله بن جحش و أصحابه لما قاتلوا فى رجب و قتل واقد السهمى ابن الخضر مى فظن قوم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر فأنزل الله الآيه فيهم بالوعد.

المعنى

«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا الله و رسوله «وَالَّذِينَ هَاجَرُوا» أى قطعوا عشائرتهم و فارقوا منازلهم و تركوا أموالهم «وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أى قاتلوا الكفار فى طاعه الله التى هى سبيله المشروعه لعباده و إنما جمع بين هذه الأشياء لبيان فضلها و الترغيب فيها لا لأن الثواب لا يستحق على واحد منها على الانفراد «أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ» أى يأملون نعمه الله فى الدنيا و العقبى و هى النصره فى الدنيا و المثوبه فى العقبى «وَاللَّهُ غَفُورٌ» يغفر ذنوبهم «رَحِيمٌ» يرحمهم و إنما ذكر لفظ الرجاء للمؤمنين و إن كانوا يستحقون الثواب قطعا و يقينا لأنهم لا يدرون ما يكون منهم فى

المستقبل الإقامه على طاعه الله أو الانقلاب عنها إلى معصيه الله و وجه آخر و هو الصحيح و هو أن يرجوا رحمه الله فى غفران معاصيهم التى لم يتفق لهم التوبه منها و احترموا دونها فهم يرجون أن يسقط الله عقابها عنهم تفضلاً فأما الوجه الأول فإنما يصح على مذهب من يجوز أن يكفر المؤمن بعد إيمانه أو يفعل فى المستقبل كبيره تحبط ثواب إيمانه و هذا لا يصح على مذهبنا فى الموافاه و قال الحسن أراد به إيجاب الرجاء و الطمع على المؤمنين لأن رجاء رحمه الله من أركان الدين و اليأس من رحمته كفر كما قال «لا- يَنَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ» الآيه و الأمن من عذابه خسران كما قال «فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ» فمن الواجب على المؤمن أن لا- ييأس من رحمته و أن لا- يأمن من عقوبته و يؤيده قوله تعالى «يَخِذْ أَلْمَآخِرَةَ وَ يَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ» و قوله «يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَ طَمَعًا» و ليس فى الآيه دلالة على أن من مات مصراً على كبيره لا يرجو رحمه الله لأمرين (أحدهما) أن الدليل المفهوم غير صحيح عند أكثر المحصلين (و الآخر) أنه قد يجتمع عندنا الإيمان و الهجره و الجهاد مع ارتكاب الكبيره و لا يخرج من هذه صورته عن تناول الآيه له.

النظم

وجه اتصال هذه الآيه بما قبلها أنه لما ذكر فى الأولى العذاب ذكر بعدها الثواب ليكون العبد بين الخوف و الرجاء إذ ذاك أحق بتدبير الحكماء و أوكد فى الاستدعاء.

سوره البقره (٢): الآيات ٢١٩ الى ٢٢٠

اشاره

يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَ إِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَ يَسْتَلُونَكَ مَا ذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩) فى الدُّنْيَا وَ الْمَآخِرَةِ وَ يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَ إِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٠)

ص: ٧٠

آيتان في الكوفي و آيه واحده فيما عد الكوفي تتفكرون آيه و تركها غيره.

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير عاصم إثم كثير بالثاء و الباقون بالباء و قرأ أبو عمرو وحده قل العفو بالرفع و الباقون بالنصب.

الحجه

قال أبو على حجه من قرأ بالباء أن يقول الباء أولى لأن الكبر مثل العظم و مقابله الصغر و الكبير العظيم قال تعالى: «وَكُلُّ صَيْغِرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَتَرٌ» و قد استعملوا في الذنب إذا كان موبقا الكبيره كقوله «كَبَائِرٌ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ» و «كَبَائِرٌ الْإِثْمِ» فلذلك ينبغي أن يكون قوله «قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ» بالباء لأن شرب الخمر و الميسر من الكبيره و قالوا في غير الموبق صغير و صغيره و لم يقولوا قليل و مقابل الكثير القليل كما أن مقابل الكبير الصغير و يدل على ذلك أيضا قوله «وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا» و اتفاقهم هنا على أكبر و رفضهم لأكثر و وجه من قرأ بالثاء أنه قد جاء فيهم إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة و البغضاء في الخمر و الميسر و يصدكم عن ذكر الله و عن الصلاة و

في الحديث لعن الرسول في الخمر عشره مشتريها و المشتراه له و عاصرها و المعصوره له و ساقيةها و المستقى لها و حاملها و المحموله إليه و آكل ثمنها

فهذا يقوى قراءه من قرأ كثير و أما وجه قول من نصب العفو فهو أن قولهم ما ذا يستعمل على ضربين (أحدهما) أن يكون ما مع ذا اسما واحدا (و الآخر) أن يكون ذا بمعنى الذي فالأول قول العرب عما ذا تسأل أثبتوا الألف في ما لما كان ما مع ذا بمنزله اسم واحد فإن الحذف إنما يقع إذا كانت الألف آخرا و من ذلك قول الشاعر:

يا خزر تغلب ما ذا بال نسوتكم

لا يستفqn إلى الدين تحتانا

أى ما بال نسوتكم فإذا كان ما مع ذا بمنزله اسم واحد كان قوله «ما ذا يُنْفِقُونَ» في موضع نصب بمنزله ما ينفقون أى ما ينفقون فجواب هذا العفو بالنصب و أما وجه قول من رفع فهو أن يجعل ما ذا على الضرب الآخر فيكون تقديره ما الذى ينفقون فجوابه العفو على أن يكون خبر مبتدا محذوف أى الذى ينفقون العفو و مثله فى التنزيل و إذا قيل لَهُمْ ما ذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ و اعلم أن سيبويه لا يجوز أن يكون ذا بمنزله الذى إلا فى هذا الموضع لما قامت الدلاله على ذلك و الكوفيون يجيزون فى غير هذا الموضع

و يحتجون بقول الشاعر:

عدس ما لعباد عليك إماره

نجوت و هذا تحمليين طليق

و بقوله سبحانه وَ مَا تَلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى و لا دلالة لهم فى الآية فإن قوله بِيَمِينِكَ يجوز أن يكون ظرفا فى موضع الحال فلا يكون صلة و كذلك تحمليين فى البيت و العامل فى الحال فى الموضعين ما فى المبهم من معنى الفعل.

اللغة

الخمير أصله الستر و الخمر ما واراك من الشجر و غيره و منه الخمار للمقنعه و دخل فى خمار الناس أى فى الكثير الذى يستتر فيهم و يقال خامره الداء إذا خالطه قال كثير:

هنيئا مريئا غير داء مخامر

لعزه من أعراضنا ما استحلت

و خمرت الإناء أى غطيته و

فى الحديث كان النبى يسجد على الخمره

و هى السجاده الصغيره من الحصير سميت بذلك لأنها تستر الوجه عن الأرض قال الزجاج و قد لبس على أبى الأسود الدؤلى فقيل له أن هذا المسكر الذى سموه بغير الخمر حلال فظن أن ذلك كما قيل له ثم رده طبعه إلى أن حكم بأنهما واحد فقال له:

دع الخمر تشربها الغواه فإننى

رأيت أخاها مجزيا بمكانها

فإن لا يكنها أو تكنه فإنه

أخوها غذته أمه بلبانها

و أصل الباب الستر و الميسر القمار اشتق من اليسر و هو وجوب الشىء لصاحبه من قولك يسر لى هذا الشىء يسر يسرا و ميسرا إذا وجب لك و الياسر الواجب بقداح و جب لك أو غيره و قيل للمقامر ياسر و يسر قال النابغه:

أو ياسر ذهب القداح بوفره

أسف تأكله الصديق مخلع

أى قامر و قيل أخذ من التجزئه لأن كل شىء جزأته فقد يسرته و الياسر الجازر و الميسر الجزور و قيل أخذ من اليسر و هو السهوله لأنهم كانوا يشتركون فى الجزور ليسهل

ص: ٧٢

أمرها إلا أنه على جهة القمار و العفو مأخوذ من الزيادة و منه قيل حتى عفوا أى زادوا على ما كانوا عليه من العدد قال الشاعر:

و لكننا يعرض السيف منا

بأسوق عافيات الشحم كوم

أى زائدات الشحم و قيل هو مأخوذ من الترك من قوله فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ أَى ترك و منه

قوله عفوت لكم عن صدقه الخيل

أى تركتها فيكون العفو المتروك غنى عنه و المخالطه مجامعه يتعذر معها التمييز كمخالطه الخل للماء و ما أشبهه و الخليطان الشريكان لاختلاط أموالهما و الخليط: القوم أمرهم واحد و الإعنات الحمل على مشقه لا تطاق ثقلا و عنت العظم عنتا أصابه و هن أو كسر بعد جبر و عنت عنتا إذا اكتسب مأثما و تعنته تعنتا إذا لبس عليه فى سؤاله له و الأ-كمه العنوت الطويله و أصل الباب المشقه و الشده.

الإعراب

العامل فى الظرف من قوله «فِي الدُّنْيَا وَ الْمَآخِرَةِ» قوله «يُيَبِّئُ» أى مبين لكم الآيات فى أمر الدنيا و الآخرة و يجوز أن يكون تتفكرون أيضا أى تتفكرون فى أمر الدنيا و أمر الآخرة و قوله «فَإِخْوَانُكُمْ» رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف و تقديره فهم إخوانكم و يجوز فى العريبه إخوانكم على النصب على تقدير إخوانكم يخالطون و الوجه الرفع.

النزول

نزلت فى جماعه من الصحابه أتوا رسول الله ص فقالوا أفنتا فى الخمر و الميسر فإنها مذهبه للعقل مسلبه للمال فنزلت الآية.

المعنى

ثم عاد سبحانه إلى بيان الشرائع و الأحكام فقال «يَسْبِيحُ لَوْلَاكَ» يا محمد «عَنِ الْخَمْرِ» و هى كل شراب مسكر مخالط للعقل مغط عليه و ما أسكر كثيره فقليله خمر هذا هو الظاهر فى روايات أصحابنا و هو مذهب الشافعى و قيل الخمر عصير العنب إذا اشتد و غلى و هو مذهب أبى حنيفة «وَ الْمَيْسِرِ» و

هو القمار كله عن ابن عباس و ابن مسعود و مجاهد و قتاده و الحسن و هو المروى عن أئمتنا حتى قالوا أن لعب الصبيان بالجوز هو القمار

«قُلْ فِيهِمَا» أى فى الخمر و الميسر «إِنَّكُمْ كَبِيرٌ» أى وزر عظيم و كثير من الكثره «وَ مَنَافِعُ لِلنَّاسِ» منفعه الخمر ما كانوا يأخذونه فى أثمانها و ما يحصل من اللذه و الطرب و القوه بشربها و منفعه القمار هو أن يفوز الرجل بمال صاحبه من غير كد و لا مشقه و

يرتفق به الفقراء «وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا» أى ما فيهما من الإثم أكبر مما فيهما من النفع لأن نفعهما فى الدنيا و ما يحصل من الإثم بهما يوجب سخط الله فى الآخرة فلا

ص: ٧٣

يظهر في جنبه إلا نفع قليل لا بقاء له قال الحسن في الآية تحريم الخمر من وجهين (أحدهما) قوله «وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ» فإنه إذا زادت مضرة الشيء على منفعته اقتضى العقل الامتناع عنه (و الثاني) أنه بين أن فيهما الإثم وقد حرم في آية أخرى الإثم فقال قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَّنَ وَ الإِثْمَ وَ قِيلَ إِنَّ الخمر يسمى إثما في اللغة قال الشاعر:

شربت الإثم حتى ضل عقلي

كذاك الإثم يصنع بالعقول

على أنه قد وصف الإثم بأنه كبير و الكبير محرم بلا خلاف و قال الضحاك معناه و إثمهما بعد تحريمهما أكبر من نفعهما قبل تحريمهما و قال سعيد بن جبير كلاهما قبل التحريم يعني أن الإثم الذي يحدث من أسبابهما أكبر من نفعهما و قال قتاده هذه الآية لا تدل على تحريمهما و إنما تدل الآية التي في المائدة من قوله «إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ إِلَى آخِرِهَا وَ قَوْلُهُ «وَ يَسِيئُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ» أى شئ ينفقون و السائل عمرو بن الجموح سأل عن النفقة في الجهاد و قيل في الصدقات «قُلِ الْعَفْوَ» فيه أقوال (أحدها) أنه ما فضل عن الأهل و العيال أو الفضل عن الغنى عن ابن عباس و قتاده (و ثانيها)

أن العفو الوسط من غير إسراف و لا إقتار عن الحسن و عطا و هو المروى عن أبي عبد الله (عليه السلام)

(و ثالثها)

أن العفو ما فضل عن قوت السنه عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال و نسخ ذلك بآيه الزكاه

و به قال السدى (و رابعها) أن العفو أطيب المال و أفضله و قوله «كَذَلِكَ» إنما وحد الكاف لأن الخطاب للنبي و يدخل فيه الأمة و قيل أن تقديره كذلك أيها القبيل «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ» أى الحجج في أمر النفقه و الخمر و الميسر و قيل في سائر شرائع الإسلام «لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ» أى لكي تتفكروا «فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ» أى في أمر الدنيا و أمر الآخرة فتعلمون أن الدنيا دار بلاء و عناء و فناء و الآخرة دار جزاء و بقاء فتزهدوا في هذه و ترغبوا في تلك و قيل أنه من صله يبين أى كما يبين لكم الآيات في الخمر و الميسر يبين لكم الآيات في أمور الدنيا و الآخرة لكي تتفكروا في ذلك دلالة على أن الله أراد منهم التفكر سواء تفكروا أو لم يتفكروا «وَ يَسِيئُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى» قال ابن عباس لما أنزل الله وَ لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ* الآية و إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا انطلق كل من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه و شرابه من شرابه و اشتد ذلك عليهم فسألوا عنه فنزلت هذه الآية و لا بد من إضمار في الكلام لأن السؤال لم يقع عن أشخاص اليتامى و لا ورد الجواب عنها فالمعنى يسألونك عن القيام على اليتامى أو التصرف في أموال اليتامى قل يا

محمد «إِضِيْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ» يعنى إصلاح لأموالهم من غير أجره و لا- أخذ عوض منهم خير و أعظم أجرا «وَ إِنْ تُخَالِطُوهُمْ» أى تشاركوهم فى أموالهم و تخلطوها بأموالكم فتصيبوا من أموالهم عوضا عن قيامكم بأموالهم «فَاِخْوَانُكُمْ»

أى فهم إخوانكم و الإخوان يعين بعضهم بعضا و يصيب بعضهم من مال بعض و هذا إذن لهم فيما كانوا يتخرجون منه من مخالطة الأيتام فى الأموال من المأكل و المشرب و المسكن و نحو ذلك و رخصه لهم فى ذلك إذا تحروا الصلاح بالتوفير على الأيتام عن الحسن و غيره و هو المروى فى أخبارنا

«وَ اللَّهُ يَغْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُضِيلِحِ» معناه و الله يعلم من كان غرضه من مخالطة اليتامى إفساد مالهم أو إصلاح مالهم «وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَمَأَعَنْتَكُمْ» أى لضيق عليكم فى أمر اليتامى و مخالطتهم و ألزمتهم و ألتزمتهم ما كنتم تجتنبونه من مشاركتهم و قال الزجاج معناه لكلفكم ما يشق عليكم فتعتون و لكنه لم يفعل و فى هذا دلالة على بطلان قول المجبره لأنه سبحانه إذا لم يشأ إعانتهم و لو أعتنهم لكان جائزا حسنا لكنه وسع عليهم لما فى التوسعه من النعمه فكيف يصح أن يشاء تكليف ما لا- يطاق و كيف يكلف ما لا سبيل للمكلف إليه و يأمره بما لا يتصور إحداثه من جهته و أى عنت أعظم من هذا قال البلخى و فيه أيضا دلالة على فساد مذهب من قال أنه تعالى لا يقدر على الظلم لأن الإعانت بتكليف ما لا يجوز فى الحكمة مقدور و لو شاء لفعله «إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ» يفعل بعزته ما يحب لا يدفعه عنه دافع «حَكِيمٌ» فى تدبيره و أفعاله ليس له عما توجه الحكمة مانع.

سوره البقره (٢): آيه ٢٢١

اشاره

وَ لَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَ لَأَمَّهُ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَ لَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَ لَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَ لَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَ لَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَ اللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَ الْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَ يُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١)

اللغه

النكاح اسم يقع على العقد و الوطء و قيل أن أصله الوطء ثم كثر حتى قيل للعقد نكاح كما أن الحدث يسمى عذره و هى اسم للفناء و يسمى غائطا و هو اسم للمكان

المطمئن يقال نكح ينكح نكاحا إذا تزوج و أنكحه غيره زوجه و الأمه المملوكه يقال أمه بينه الأموه و أميت فلانه و تأميتها إذا جعلتها أمه و أصل أمه فعله بدلاله قولهم فى جمعها إماء و آم نحو أكمه و إكام و آكم.

الإعراب

يؤمن فى محل النصب بأن مضمرة و أن يؤمن فى موضع جر بحتى و حتى يتعلق بتنكح و من مشركه من يتعلق بخير و الجار و المجرور فى محل النصب بأنه مفعول به و لو أعجبتكم جواب لو محذوف تقديره و لو أعجبتكم أمه مشركه لأمه مؤمنه خير منها و لا تنكحوا المشركين المفعول الثانى محذوف تقديره و لا تنكحوا المشركين الأزواج حتى يؤمنوا و إعراب قوله «حَتَّى يُؤْمِنُوا» و قوله «وَلَوْ أَعْجَبَكُمُ» مثل ما قلناه فى حتى يؤمن و لو أعجبتكم.

النزول

نزلت فى مرثد بن أبى مرثد الغنوى بعثه رسول الله إلى مكه ليخرج منها ناسا من المسلمين و كان قويا شجاعا فدعته امرأه يقال لها عناق إلى نفسها فأبى و كانت خله فى الجاهليه فقالت هل لك أن تتزوج بى فقال حتى أستأذن رسول الله فلما رجع استأذن فى التزوج بها فنزلت الآية.

المعنى

لما تقدم ذكر المخالطه بين تعالى من يجوز مخالطته بالنكاح فقال «وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ» أى لا تتزوجوا النساء الكافرات «حَتَّى يُؤْمِنَ» أى يصدقن بالله و رسوله و هى عامه عندنا فى تحريم مناكحه جميع الكفار من أهل الكتاب و غيرهم و ليست بمنسوخه و لا مخصوصه و اختلفوا فيه فقال بعضهم لا يقع اسم المشركات على أهل الكتاب و قد فصل الله بينهما فقال لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ الْمُشْرِكِينَ وَ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ لَا الْمُشْرِكِينَ وَ عطف أحدهما على الآخر فلا نسخ فى الآية و لا- تخصيص و قال بعضهم الآية متناوله جميع الكفار و الشرك يطلق على الكل و من جحد نبوه نبينا محمد (صلى الله عليه و آله) فقد أنكر معجزه و أضافه إلى غير الله و هذا هو الشرك بعينه لأن المعجز شهاده من الله له بالنبوه ثم اختلف هؤلاء فمنهم من قال أن الآية منسوخه فى الكتاب بالآيه التى فى المائده وَ الْمُحْصِنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ الْحَسَنِ وَ مُجَاهِدٍ وَ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ أَنَّهَا مَخْصُوصَةٌ بِغَيْرِ الْكِتَابِيَّاتِ عَنْ قَتَادَةَ وَ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ وَ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ أَنَّهَا عَلَى ظَاهِرِهَا فِي تَحْرِيمِ نِكَاحِ كُلِّ كَافِرٍ كِتَابِيَّهِ كَانَتْ أَوْ مَشْرُكِهِ عَنْ ابْنِ عَمْرٍ

و بعض الزيديه و هو مذهبنا و سياًتى بيان آيه المائده فى موضعها إن شاء الله «و لَأَمَّهُ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ» معناه مملوكه مصدقه مسلمه خير من حره مشركه «وَلَوْ أَعْجَبْتُمْ» و لو أعجبكم بمالها أو حسبها أو جمالها و ظاهر هذا يدل على أنه يجوز نكاح الأمه المؤمنه مع وجود الطول فأما قوله «وَمَنْ لَمْ يَشِ تَطَّعْ مِنْكُمْ طَوَّلًا الْآيَةَ فَإِنَّمَا هِيَ عَلَى التَّنْزِيهِ دُونَ التَّحْرِيمِ» «وَلَا تُنْكَحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا» معناه و لا تنكحوا النساء المسلمات جميع الكفار من أهل الكتاب و غيرهم حتى يؤمنوا و هذا يؤيد قول من يقول أن قوله «وَلَا تُنْكَحُوا الْمُشْرِكَاتِ» يتناول جميع الكافرات و قوله «وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ» أى عبد مصدق مسلم خير من حر مشرك و لو أعجبكم ماله أو حاله أو جماله و الفرق بين و لو أعجبكم و بين و إن أعجبكم أن لو للماضى و إن للمستقبل و كلاهما يصح فى معنى الآيه و هو من العجب الذى هو بمعنى الاستعظام و ليس من التعجب «أُولَئِكَ» يعنى المشركين «يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ» يعنى إلى الكفر و المعاصى التى هى سبب دخول النار و هذا مثل التعليل لأن الغالب أن الزوج يدعو زوجته إلى دينه «وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ» أى إلى فعل ما يوجب الجنة «وَالْمَغْفِرَةَ» من الإيمان و الطاعه «بِأُذْنِهِ» أى بأمره يعنى بما يأمر و يأذن فيه من الشرائع و الأحكام عن الحسن و الجبائى و قيل بإعلامه و قوله «وَيُبينُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ» أى حججه و قيل أوامره و نواهيه و ما يحظره و يبيحه للناس «لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» أى لكى يتذكروا أو يتعظوا.

سوره البقره (٢): آيه ٢٢٢

اشاره

وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير حفص حتى يطهرن بتشديد الطاء و الهاء و الباقون بالتخفيف.

الحجه

من قرأ «يَطْهُرْنَ» فإنه من طهرت المرأة و طهرت طهرا و طهاره و طهرت بالفتح أقيس لأنه خلاف طمئت فينبغى أن يكون على بناءه و أيضا فقولهم طاهر يدل على أنه مثل قعد فهو قاعد و من قرأ يطهرن فإنه يتطهرن فأدغم التاء فى الطاء.

اللغه

حاضت المرأة تحيض حيضا و محيضا و محاضا و المصدر من هذا الباب

المفعل و المفعول جائر فيه قال الراعى :

بنيت مرافقهن فوق مزله

لا يستطيع بها القراد مقيلا

أى قيلوله و امرأه حائض و نساء حيض و الاعتزال التنحي عن الشىء و كل شىء نحيته عن موضع فقد عزلته عنه و منه عزل الوالى و أنت عن هذا بمعزل أى متنحى و عزلاء المزاده مخرج الماء من إحدى جانبيها و الجمع عزال و المعزال من الناس الذى لا ينزل مع القوم فى السفر لكنه ينزل ناحيه و الطهر خلاف الدنس و الطهور يكون اسما و يكون صفة فإذا كان اسما كان على ضربين (أحدهما) أن يكون مصدرا كما حكاه سيبويه تطهرت طهورا حسنا و توضأت وضوءا (و الآخر) أن يكون اسما ليس بمصدر كما جاء فى قوله (طهورا ناء أحدكم) كذا و هو اسم لما يطهر كالفطور و الوجور و السعوط و السحور و أما كونه صفة فهو فى قوله «وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا» فهذا كالرسول و العجوز و نحو ذلك من الصفات التى جاءت على فعول و لا دلالة فيه على التكرير لما لم يكن متعديا نحو ضروب أ لا ترى أن فعله غير متعد كما يتعدى ضربت و من الصفة قوله هو الطهور مأؤه لأنه ارتفع به الماء كما يرتفع الاسم بالصفة المتقدمه.

الإعراب

من حيث جار و مجرور و لكن حيث مبنى لا- يظهر فيه الإعراب و إنما بنى لمشابهة الحرف لأنه لا يفيد إلا مع غيره كالحرف و من يتعلق بقول «فَأَتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ» جملة فى محل الجر بإضافه حيث إليه.

النزول

قيل كانوا فى الجاهليه يتجنبون مؤاكلة الحائض و مشاربتها و مجالستها فسألوا عن ذلك فنزلت الآية عن الحسن و قتاده و الربيع و قيل كانوا يستجيزون إتيان النساء فى أدبارهن أيام الحيض فلما سألوا عنه بين لهم تحريمه عن مجاهد و الأول عندنا أقوى.

المعنى

ثم بين سبحانه شريعته أخرى فقال «وَ يَسْتَلُونَكَ» يا محمد و السائل أبو الدحداح فيما قيل «عَنِ الْمَحِيضِ» أى عن الحيض و أحواله «قُلْ» يا محمد «هُوَ أَذَى» معناه قذر و نجس عن قتاده و السدى و قيل دم عن مجاهد و قيل هو أذى لهن و عليهن لما فيه من المشقة قاله القاضى «فَاعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ» أى اجتنبوا مجامعتهن

فى الفرج عن ابن عباس و عائشه و الحسن و قتاده و مجاهد و هو قول محمد بن الحسن و يوافق مذهبنا أنه لا- يحرم منها غير موضع الدم فقط و قيل يحرم ما دون الإزار و يحل ما فوقه عن شريح و سعيد بن المسيب و هو قول أبى حنيفة و الشافعى «و لا تَقْرُبُوهُنَّ» بالجماع أو ما دون الإزار على الخلاف فيه «حَتَّى يَطْهُرْنَ» بالتخفيف معناه حتى ينقطع الدم عنهن و بالتشديد معناه يغتسلن عن الحسن و يتوضأن عن مجاهد و طاووس و هو مذهبنا «فَإِذَا تَطَهَّرْنَ» أى اغتسلن و قيل توضأن و قيل غسلن الفرج «فَمَا تَوَهُنَّ» فجماعهن و هو إباحه و إن كان صورته صورة الأمر كقوله «وَ إِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا» مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ» معناه من حيث أمركم الله تجنبه فى حال الحيض و هو الفرج عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و الربيع و قيل من قبل الطهر دون الحيض عن السدى و الضحاك و قيل من قبل النكاح دون الفجور عن ابن الحنفية و الأول أليق بالظاهر قال الزجاج معناه من الجهات التى تحل فيها أن تقرب المرأه و لا- تقربوهن من حيث لا- يجب أى لا تقربوهن و هن صائمت أو محرمت أو معتكفات و قال الفراء و لو أراد الفرج لقال فى حيث فلما قال من حيث علمنا أنه أراد من الجهه التى أمركم الله بها و قال غيره إنما قال من حيث لأن من لا ابتداء الغايه فى الفعل نحو قولك أنت زيدا من مأتاه أى من الوجه الذى يؤتى منه «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ» من الذنوب «وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ» قيل معناه المتطهرين بالماء عن عطا و قد رواه أصحابنا أيضا فى سبب نزول الآيه و قيل يحب المتطهرين من الذنوب عن سعيد بن جبير و لم يذكر المتطهرات لأن المؤنث يدخل فى المذكر و قيل التوابين من الكبائر و المتطهرين من الصغائر و فى هذه الآيه دلالة على وجوب اعتزال المرأه فى حال الحيض و فيها ذكر غايه التحريم و يشتمل ذلك على فصول أحدها ذكر الحيض و أقله و أكثره و عندنا أقله ثلاثة أيام و أكثره عشره أيام و هو قول أهل العراق و عند الشافعى و أكثر أهل المدينة أقله يوم و ليله و أكثره خمسه عشر يوما و ثانيها حكم الوطء فى حال الحيض فإن عندنا إن كان فى أوله يلزمه دينار و إن كان فى وسطه فنصف دينار و إن كان فى آخره فربع دينار و قال ابن عباس عليه دينار و لم يفصل و قال الحسن يلزمه بدنه أو رقبه أو عشرون صاعا و ثالثها غايه تحريم الوطء و اختلف فيه فمنهم من جعل الغايه انقطاع الدم و منهم من قال إذا توضأت أو غسلت فرجها حل و طؤها عن عطا و طاووس و هو مذهبنا و إن كان المستحب أن لا يقربها إلا بعد الغسل و منهم من قال إذا انقطع دمها فاغتسلت حل و طؤها عن الشافعى و منهم من قال إذا كان حيضها عشرا فنفس انقطاع الدم يحللها للزوج و إن كان دون العشره فلا يحل و طؤها

إلا بعد الغسل أو التيمم أو مضى وقت الصلاة عليها عن أبي حنيفة.

سورة البقرة (٢): آية ٢٢٣

إشارة

نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِنَفْسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣)

الإعراب

أنى فى محل النصب لأنه ظرف مكان إذا كان بمعنى حيث أو أين أو ظرف زمان إذا كان بمعنى متى و العامل فيه فأتوا و شئتم جملة فعلية فى موضع الجر بإضافة الظرف إليها و إذا كان أنى بمعنى كيف فهو فى محل النصب على المصدر و لا محل لشئتم و تقديره فأتوا حرتكم أى نوع شئتم.

النزول

قيل نزلت ردا على اليهود حيث قالوا أن الرجل إذا أتى المرأة من خلفها فى قبلها خرج الولد أحول فكذبهم الله عن ابن عباس و جابر و قيل أنكرت اليهود إتيان المرأة قائمه و باركه فأنزل الله إباحته عن الحسن.

المعنى

لما بين تعالى أحوال النساء فى الطهر و الحيض عقب ذلك بقوله «نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ» و فيه وجهان - أحدهما - أن معناه مزدرع لكم و محترث لكم عن ابن عباس و السدى - (و الثانى) - إن معناه ذوات حرت لكم منهن تحرثون الولد و اللذه فحذف المضاف و هذا فى المعنى مثل الأول عن الزجاج و قال أبو عبيده كنى بالحرث عن الجماع و الثالث معناه كحرت لكم فحذف كاف التشبيه كما قال الشاعر:

النشر مسك و الوجوه دنا

نير و أطراف الأكف عنم

و قد سمي العرب النساء حرثا قال المفضل بن سلمه أنشدنى أبى:

إذا أكل الجراد حروث قوم

فحرتى همه أكل الجراد

يريد امرأتى «فَأْتُوا حَرْثَكُمْ» أى موضع حرتكم يعنى نساءكم «أَنَّى شِئْتُمْ» معناه من أين شئتم عن قتاده و الربيع قيل كيف شئتم

عن مجاهد و قيل متى شتم عن الضحاک و هذا خطأ عند أهل اللغة لأن أنى لا يكون إلا بمعنى من أى كما قال أنى لك هذا و قيل معناه من أى وجه و استشهد بقول الكميت:

أنى و من أين أبك الطرب

من حيث لا صبوه و لا ريب

ص: ٨٠

و ليس فى البيت شاهد لهم لأنه لا يجوز أن يكون أتى به لاختلاف اللفظين كما يقولون متى كان هذا و أى وقت كان و يجوز أن يكون بمعنى كيف و استدلال مالك بقوله «أَنْتَى شَيْئْتُمْ» على جواز إتيان المرأه فى دبرها و رواه عن نافع عن ابن عمر و حكاه زيد بن أسلم عن محمد بن المنكدر و به قال كثير من أصحابنا و خالف فى ذلك جميع الفقهاء و قالوا أن الحرث لا يكون إلا بحيث النسل فيجب أن يكون الوطء حيث يكون النسل فأجيبوا عن ذلك بأن النساء و إن كن لنا حرثا فقد أيسح لنا و طوهن بلا خلاف فى غير موضع الحرث كالوطء فيما دون الفرج و ما أشبهه و قوله «وَ قَدَّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ» معناه قدموا الأعمال الصالحة التى أمرتم بها و رغبتم فيها لتكون ذخرا لكم عند الله و وجه اتصاله بما قبله أنه لما تقدم الأمر بعده أشياء قال بعدها و قدموا لأنفسكم بالطاعة فيما أمرتم به «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» و اتقوا عقاب الله بترك مجاوزة الحد فيما بين لكم و فى ذلك الحث على العمل بالواجب الذى عرفوه و التحذير من مخالفه ما ألزموه و قيل معنى التقديم هنا طلب الولد فإن فى اقتناء الولد الصالح يكون تقديم عظيم

لقوله إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا عن ثلاث ولد صالح يدعو له و صدقه جاريه و علم به ينتفع بعد موته

و قيل هو تقديم الإفراط

لقوله من قدم ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث لم تمسه النار إلا تحله القسم فقيل يا رسول الله و اثنان قال و اثنان

و قيل هو التسميه عند الجماع عن عطاء و قيل هو الدعاء عند الجماع عن مجاهد و يؤيده ما

روى عن ابن عباس قال قال النبى إذا أراد أحدكم أن يأتى أهله فليقل بسم الله اللهم جنبنى الشيطان و جنب الشيطان ما رزقتنا فإن قدر بينهما ولد لم يضره شيطان

و قيل هو التزوج بالعفاف ليكون الولد طاهرا صالحا «وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقِقُونَ» أى ملاقوا جزائه يعنى ثوابه إن أطعتموه و عقابه إن عصيتموه و إنما أضافه إليه على ضرب من المجاز «وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» بالثواب و الجنة و لا يصح حمل اللقاء على الرؤيه لأن لفظ اللقاء يقع على معان مختلفه يقال لقى جهده و لقى حمامه و لأن فى الآيه إثبات اللقاء لجميع العباد و هذا خلاف ما ذهب إليه أهل التشبيه.

سوره البقره (٢): آيه ٢٢٤

اشاره

وَ لَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَ تَتَّقُوا وَ تَصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٤)

ص: ٨١

يقال لكل من يصلح للشيء هو عرضه له والمرأه عرضه للنكاح والدابه المعده للسفر عرضه له وقال الشاعر:

فهذى لأيام الحروب و هذه

للهورى و هذى عرضه لارتحالنا

أى عده و قال أبو العباس العرضه الاعتراض فى الخير و الشر و اليمين و القسم و الحلف واحد و قيل أخذ من القوه لأنه يتقوى به على ما يحلف عليه و منه قوله " تلقاها عرابه باليمين " و قيل أخذ من الجراحه لأنهم كانوا عند الأيمان يضربون أيديهم على أيديهم فسمى الحلف بذلك و قيل أخذ من اليمن الذى هو البركه لأنه عقد خير يتبرك بذكره للتأكيد.

الإعراب

قوله «أَنْ تَبْرُوا» فى موضعه ثلاثه أقوال (أحدها) أن موضعه جر بحذف اللام عن الخليل قال أبو على جاز أن يكون المصدر الذى هو أن مع الفعل فى موضع جر و إن لم يجز ذلك فى غير أن لأمرين (أحدهما) أن الكلام قد طال بالصله فحسن الحذف (و الآخر) أن أن حرف و إذا حذف اللام صار كان حرفا كان قد أقيم مقام حرف فعاقبه فلهدا حسن حذف اللام مع أن دون المصدر غير الموصول فى اللفظ بالفعل و أقول عنى بذلك أنك إذا قلت جئتكم لضرب زيد لم يجز أن تحذف اللام فتقول جئتكم ضرب زيد و إذا قلت جئتكم لأن تضرب زيدا جاز أن تحذف اللام فتقول جئتكم أن تضرب زيدا (و الثانى) أن موضعه النصب لأنه لما حذف الجار وصل الفعل و هو قول سيبويه و هو القياس و أقول على القولين جميعا فيكون تقديره لأن لا تبروا على النفى أو لأن تبروا على الإثبات فعلى القول الأول و هو النفى يكون فى موضع النصب بأنه مفعول له و على القول الثانى و هو الإثبات يجوز أن يكون مفعولا له و يجوز أن يكون فى محل النصب على الحال و العامل فيه ما فى قوله «لَأَيْمَانِكُمْ» من معنى الفعل تقديره لا تجعلوا الله عرضه لأيمانكم كائنه لأن تبروا أى لبركم و ذو الحال الإيمان (و الثالث) ما قاله قوم أن موضعه رفع تقديره أن تبروا و تقوا أولى فحذف الخبر الذى هو أولى لأنه معلوم المعنى.

النزول

نزلت فى عبد الله بن رواحه حين حلف أن لا يدخل على ختنه و لا يكلمه و لا يصلح بينه و بين امرأته فكان يقول إني حلفت بهذا فلا يحل لى أن أفعله فنزلت الآية.

المعنى

لما بين سبحانه أحوال النساء و ما يحل منهن عقبه بذكر الإيلاء و هو

اليمين التي تحرم الزوجه فابتدأ بذكر الأيمان أولا تأسيسا لحكم الإيلاء فقال «وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ» و في معناه ثلاثه أقوال (أحدها) أن معناه لا تجعلوا اليمين بالله عله مانعه لكم من البر و التقوى من حيث تعتمدونها لتعتلوا بها و تقولوا حلفنا بالله و لم تحلفوا به عن الحسن و طاووس و قتاده و أصله في هذا الوجه الاعتراض الذى هو المانع بينكم و بين البر و التقوى لأن المعترض بين الشيتين يكون مانعا من وصول أحدهما إلى الآخر فالعله مانعه كهذا المعترض (و الثانى) أن عرضه معناه حجه فكأنه قال لا تجعلوا اليمين بالله حجه في المنع من البر و التقوى فإن كان قد سلف منكم يمين ثم ظهر أن غيرها خير منها فافعلوا الذى هو خير و لا تحتجوا بما قد سلف من اليمين عن ابن عباس و مجاهد و الربيع و أصله في هذا القول و الأول واحد لأنه منع من جهه الاعتراض لعله أو حجه (و الثالث) أن معناه لا تجعلوا اليمين بالله عده مبتذله في كل حق و باطل لأن تبروا في الحلف بها و تتقوا المأثم فيها عن عائشه لأنها قالت

لا تحلفوا به و إن بررتم و به قال الجبائى و أبو مسلم و هو المروى عن أئمتنا

نحو

ما رواه عثمان بن عيسى عن أبى أيوب الخزاز قال سمعت أبا عبد الله يقول لا تحلفوا بالله صادقين و لا كاذبين فإنه سبحانه يقول «وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ»

قال أبو مسلم و من أكثر ذكر شىء في معنى فقد جعله عرضه له و تقول جعلتنى عرضه لقومك قال الشاعر:

" و لا تجعلينى عرضه للوائم "

و تقديره على الوجه الأول و الثانى لا تجعلوا الله مانعا من البر و التقوى باعتراضك به حالفا و على الوجه الثالث لا تجعلوا الله مما تحلف به دائما باعتراضك بالحلف به في كل حق و باطل و قوله «أَنْ تَبْرُوا» قيل في معناه أقوال (الأول) لأن تبروا على معنى الإثبات أى لأن تكونوا برره أتقياء فإن من قلت يمينه كان أقرب إلى البر ممن كثرت يمينه و قيل لأن تبروا في اليمين (و الثانى) أن المعنى لدفع أن تبروا أو لترك أن تبروا فحذف المضاف عن المبرد (و الثالث) أن معناه أن لا تبروا فحذف لا عن أبى عبيده قال و قد حذف لا لأنه في معنى القسم كقول امرئ القيس:

" فقلت يمين الله أبرح قاعدا "

أى لا- أبرح و أنكر المبرد هذا لأنه لما كان معه أن بطل أن يكون جوابا للقسم و إنما يجوز و الله أقوم في القسم بمعنى لا أقوم لأنه لو كان إثباتا لقال لأقوم باللام و النون و المعنى في قول أبى العباس و أبى عبيده واحد و التقدير مختلف «و تَتَّقُوا» أى تتقوا الإثم و المعاصى في الأيمان «و تُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ» في الإيمان و تصلحوا بين الناس عطف على ما سبق و معناه و لا تجعلوا الحلف

بالله عله أو حجه فى أن لا تبروا و لا تتقوا و لا تصلحوا لكى تكونوا من البرره و الأتقياء و المصلحين بين الناس أو لدفع أن تبروا و تتقوا و تصلحوا و على الوجه الثالث لا تجعلوا اليمين بالله مبتذله لأن تبروا و تتقوا و تصلحوا أى بين الناس فإن من كثرت يمينه لا- يوثق بحلفه و من قلت يمينه فهو أقرب إلى التقوى و الإصلاح بين الناس «وَاللَّهُ سَمِيعٌ» لأقوالكم «عَلَيْمٌ» بما فى ضمائر كم لا يخفى عليه من ذلك خافيه و فى هذه الآيه دلالة على أن من حلف على شىء فرأى غيره خيرا منه فله أن ينقض يمينه و يفعل الذى هو خير و هل يجب عليه الكفاره فيه خلاف فعند أكثر الفقهاء يجب عليه الكفاره و لا كفاره عليه عندنا و من أقسم على غيره ليفعل فعلا أو ليمتنع عن فعل و لا يبالى بذلك قال بعضهم أن المقسم عليه لا يأثم بذلك و الصحيح أن المقسم عليه يأثم لقول النبى من سألكم بالله فأعطوه و من استعاذكم بالله فأعيذوه.

سوره البقره (٢): آيه ٢٢٥

اشاره

لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ و لَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ و اللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٢٥)

اللغه

أصل اللغو الكلام الذى لا فائده فيه يقال لغا يلغو لغوا إذا أتى بكلام لا فائده فيه و ألغى الكلمه إذا طرحها لأنه لا فائده فيها و اللغويه الكلمه القبيحه الفاحشه و منه اشتقاق اللغه لأنها كلام لا فائده فيه عند غير أهله و لغو الطائر منطقه قال ثعلبه بن صعير المازنى:

باكرتهم بسباء جون ذارع

قبل الصباح و قبل لغو الطائر

و اللغا الذكر بالكلام القبيح لغى يلغى لغى و أصل الحلم الأناه و هو فى صفته تعالى الإمهال بتأخير العقاب على الذنب.

الإعراب

«فِي أَيْمَانِكُمْ» فى موضع الحال و العامل فيه يؤاخذ و ذو الحال اللغو «بِمَا كَسَبَتْ» يجوز أن يكون ما اسما موصولا و يجوز أن يكون حرفا موصولا.

المعنى

ثم بين سبحانه أقسام اليمين فقال «لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ» اختلفوا فى يمين اللغو

فقيل هو ما يجرى على عادة الناس من قول لا و الله و بلى و الله من غير عقد على يمين يقتطع بها مال و لا يظلم بها أحد عن ابن

عباس و عائشه

ص: ۸۴

و الشعبي و هو المروى عن أبي جعفر و أبي عبد الله

و هو قول الشافعى و قيل هو أن يحلف و هو يرى أنه صادق ثم تبين أنه كاذب فلا إثم عليه و لا كفاره عن الحسن و مجاهد و قتاده و غيرهم و هو قول أبى حنيفة و أصحابه و قيل هو يمين الغضبان لا يؤخذكم بالحنث فيها عن ابن عباس أيضا و طاووس و به قال سعيد بن جبیر إلا- أنه أوجب فيها الكفاره و قال مسروق كل يمين ليس له الوفاء فهى لغو و لا يجب فيها كفاره «وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ» أى بما عزمتم و قصدتم لأن كسب القلب العقد و النيه و فيه حذف أى من أيمانكم و قيل بأن تحلفوا كاذبين أو على باطل عن إبراهيم «وَاللَّهُ غَفُورٌ» يغفر الذنوب «حَلِيمٌ» يمهل العقوبه على الذنب و لا يعجل بها.

سوره البقره (٢): الآيات ٢٢٦ الى ٢٢٧

إشاره

لِّلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَأُو فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٧)

اللغه

آلى الرجل من امرأته يؤلى إيلاء من الأليه و الألوه و هى الحلف قال الشاعر:

كفينا من تغيب من نزار

و أحشنا إليه مقسمينا

و ائلى و تألى بمعناه و فى التنزيل «وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ» و قرأ و لا يتأل و جمع الأليه أليا و أليات كعشيه و عشايا و عشيات و جمع الألوه الأيى كركوبه و ركائب و التربص الانتظار و يقال تربصت به قال الشاعر:

تربص بها ريب المنون لعلها

تطلق يوما أو يموت حليلها

و الفى ء الرجوع يقال فاء يفى ء فيئا إذا رجع و فاء الفى ء إذا تحول عن جهه الغداه برجوع الشمس عنه و الفرق بين الفى ء و الظل ما قال المبرد أن الفى ء ما نسخ الشمس لأنه هو الراجع و الظل ما لا شمس فيه و كل فى ء ظل و ليس كل ظل فيئا و أهل الجنه فى ظل لا

فى فى ء لأن الجنه لا شمس فيها و فى التنزيل وَ ظَلَّ مَمْدُودٍ و جمع الفى ء أفياء و الفى ء غنائم المشركين أفاء الله علينا منهم و هو من رجوع الشىء إلى حقه و فلان سريع الفى ء من غضبه أى الرجوع و العزم هو العقد على فعل شىء فى مستقبل الأوقات و هو إرادته متقدمه للفعل بأكثر من وقت واحد يتعلق بفعل اللازم يقال عزم على الشىء ء يعزم عزمًا و اعترم و عزمت عليك لتفعلن أى أقسمت و عزم الراقى كأنه أقسم على الداء و ما لفلان عزمه أى ما يثبت على شىء ء لتلونه و عزائم القرآن التى تقرأ على ذوى الآفات لما يرجى من البرء بها و الطلاق حل عقد النكاح بسبب من جهه الرجل و امرأه طالق زعم قوم أن تاء التأنيث إنما حذفت لأنه لا حظ فيه للمذكر و هذا ليس بشىء ء لأن فى الكلام أشياء كثيره يشترك فيها المذكر و المؤنث لا يثبت فيها الهاء فى المؤنث يقال بعير ضامر و ناقه ضامر و أمثاله كثيره و قال سيبويه أنه وقع على لفظ التذكير صفه للمؤنث لأن المعنى شىء ء طالق و حقيقته أنه على جهه النسب نحو قولهم امرأه مطفل أى ذات طفل و طالق أى ذات طلاق فإذا أجرته على الفعل قلت طالقه قال الأعشى:

أيا جارتى بينى فإنك طالقه

كذاك أمور الناس غاد و طارقه

و أصل الطلاق من الانطلاق و طلقت المرأه عند الولاده فهى مطلوقه إذا تمخضت و الطلق الشوط من الجرى و الطلق الحبل الشديد الفتل و السميع من كان على صفه يجب لأجلها أن يدرك المسموعات إذا وجدت و هى ترجع إلى كونه حيا لا آفه به و السامع المدرك و يوصف القديم سبحانه فى الأزل بأنه سميع و لا- يوصف فى الأزل بأنه سامع إنما يوصف به إذا وجدت المسموعات.

الإعراب

يجوز فى «أَرْبَعَهُ أَشْهُرٍ» ثلاثه أوجه الجر على الإضافه و عليه القراءه و هذه الإضافه غير حقيقه فإن الأربعة فى محل النصب و إن كان مجرور اللفظ و يجوز فى العرييه الرفع و النصب «تَرَبُّصُ أَرْبَعِهِ أَشْهُرٍ» كقوله فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ وَ مِثْلَهُ فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ وَ تَرَبُّصُ أَرْبَعِهِ أَشْهُرٍ كقوله «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءً وَ أَمْوَاتًا» أى تكفتكم أحياء و أمواتا.

المعنى

ثم بين تعالى حكم الإيلاء لأنه من جمله الأيمان و الأقسام و شريعته من شرائع الإسلام فقال «لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ» أى يحلفون و فيه حذف أى أن يعتزلوا عن وطء

نسائهم على وجه الإضرار بهن «تَرُبُّصُ أَرْبَعِهِ أَشْهُرٌ» أى التوقف و التثبيت فى أربعة أشهر و اليمين التى يكون الرجل بها موليا هى اليمين بالله عز و جل أو بشىء من صفاته التى لا يشاركه فيها أحد غيره على وجه لا يقع موقع اللغو الذى لا فائده فيه و

يكون الحلف على الامتناع من الجماع على وجه الغضب و الضرار و هو المروى عن على

و ابن عباس و الحسن و قيل فى الغضب و الرضا عن إبراهيم و الشعبى و جماعه من الفقهاء و قيل هو فى الجماع و غيره من الضرار نحو أن يحلف لا يكلمها عن سعيد بن المسيب «فَإِنْ فَاؤُ» أى رجعوا إلى أمر الله بأن يجامعوا عند قدره عليه أو يراجعوا بالقول عند العجز عن الجماع عن ابن عباس و مسروق و سعيد بن المسيب و هو مذهبنا و به قال أبو حنيفة و أصحابه و قيل يكون فائيا بالعزم فى حال العذر إلا أنه ينبغى أن يشهد على فيئه عن الحسن و إبراهيم و علقمه و هذا يكون عندنا للعاجز عن الجماع و يجب على الفائى عندنا كفاره و لا عقوبه عليه و به قال ابن عباس و سعيد بن المسيب و قتاده و قال الحسن و إبراهيم لا كفاره عليه و لا عقوبه لقوله «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» و معنى غفور عندنا أنه لا يتبعه بعقوبه و من حلف أن لا يجامع أقل من أربعة أشهر لا يكون موليا و من حلف أن لا يقربها و هى مرضعه مخافه أن تحبل فيضر ذلك بولدها لا يلزمه حكم الإيلاء و إذا مضت أربعة أشهر و لم يجامع أَلزَمه الحاكم إما الرجوع و الكفاره و إما الطلاق فإن امتنع حبسه حتى يفىء أو يطلق «وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ» عزمه الطلاق عندنا أن يعزم ثم يتلفظ بالطلاق و متى لم يتلفظ بالطلاق على الوجه المشروع فإن المرأة لا تبين منه إلا أن تستعدى فإن استعدت و أنظره الحاكم أربعة أشهر فإنه يوقف عند الأشهر الأربعة و يقال له فىء أو طلق فإن لم يفعل حبسه حتى يطلق و به قال الشافعى إلا أنه قال متى امتنع من الطلاق و الفئه طلق عنه الحاكم طلقه رجعيه و قال أبو حنيفة و أصحابه إذا مضت أربعة أشهر و لم يفىء بانته منه بتطبيقه و لا رجعه له عليها و عليها العده يخطبها فى العده و لا يخطبها غيره «فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» يسمع قوله و يعلم ضميره و قيل يسمع إيلاءه و يعلم نيته و إنما ذكر عقيب الأول «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» لأنه لما أخبر عن المولى أنه يلزمه الفىء أو الطلاق بين أنه إن فاء فإن الله غفور رحيم بأن يقبل رجوعه و لا يتبعه بعقاب ما ارتكبه و ذكرها هنا أنه سميع عليم لما أخبر عنه بإيقاع الطلاق و كان ذلك مما يسمع أخبر بأنه لا يخفى عليه و أنه يسمعه فكل لا يليق إلا بموضعه و ذلك من عظيم فصاحه القرآن.

اشاره

وَ الْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ
بُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَ لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَ لِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
(٢٢٨)

اللغه

القرء جمع قرء و جمعه القليل أقرؤ و الكثير أقرأ و قرء و صار بناء الكثير فيه أغلب في الاستعمال يقال ثلاثه قرء مثل ثلاثه
شسوع استغنى ببناء الكثير عن بناء القليل و وجه آخر و هو أنه لما كانت كل مطلقه يلزمها هذا دخله معنى الكثره فأتى ببناء
الكثره للإشعار بذلك فالقرء كثيره إلا- أنها ثلاثه في ثلاثه في القسمه و هذا الحرف من الأضداد و أصله في اللغه يحتمل
وجهين (أحدهما) الاجتماع و منه قرأت القرآن لاجتماع حروفه و ما قرأت الناقه سلاقط أى لم يجتمع رحمها على ولد قط قال
عمرو بن كلثوم:

ذراعى عيطل أدماء بكر

هجان اللون لم تقرأ جنينا

فعلى هذا يقال قرأت المرأه فهى مقرئ إذا حاضت و أنشد:

" له قرء كقرء الحائض "

و ذلك لاجتماع الدم فى الرحم و يجرى على هذا أن يكون القرء الطهر لاجتماع الدم فى جملة البدن (و الوجه الثانى) أن أصل
القرء الوقت الجارى فى الفعل على عادته و هو يصلح للحيض و الطهر يقال هذا قارئ الرياح أى وقت هبوبها قال الشاعر:

شئت العقر عقر بنى شليل

إذا هبت لقاريها الرياح

أى لوقت هبوبها و شده بردها و الذى يدل على أن القرء الطهر قول الأعشى:

و فى كل عام أنت جاشم غزوه

تشد لأقصاها عزيزم عزائك

مورثه مالا و فى الأرض رفعه

لما ضاع فيها من قروء نساءكا

فالذى ضاع هاهنا الأظهار لا الحيض و البعوله جمع بعل و يقال بعل يبعل بعوله و هو

ص: ٨٨

بعل و سمي الزوج بعلا لأنه عال على المرأة بملكه لزوجيتها و قوله «أَتَدْعُونَ بَعْلًا» أى ربا و قيل أنه صنم و البعل النخل يشرب بعروقه لأنه مستعل على شربه و بعل الرجل بأمره إذا ضاق به ذرعا لأنه علاه منه ما ضاق به ذرعه و بعل الرجل بطر لأنه استعلى تكبرا و امرأه بعلة لا تحسن لبس الثياب لأن الحيره تستعلى عليها فتدهشها و الرجال جمع رجل يقال رجل بين الرجله أى القوه و هو أرجلهما أى أقواهما و فرس رجيل قوى على المشى و سميت الرجل رجلا لقوتها على المشى و رجل من جراد أى قطعه منه تشبيها بالرجل لأنها قطعه من الجملة و الراجل الذى يمشى على رجله و ارتجل الكلام ارتجالا لأنه قوى عليه من غير ركوب فكره و ترجل النهار لأنه قوى ضيائه بنزول الشمس إلى الأرض و رجل شعره إذا طوله و أصل الباب القوه و الدرجه المنزله.

الإعراب

«إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ» جواب الشرط محذوف و تقديره إن كن يؤمن بالله لا يكتمن و كذلك جواب الشرط من قوله تعالى «إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا» محذوف و تقديره إن أرادوا إصلاحا فبعولتهن أحق بردهن «مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ» إضافه مثل غير حقيقه لأن الذى عليهن مفعوله.

المعنى

ثم بين سبحانه حكم المطلقات و الطلاق فقال «وَالْمُطَلَّقاتُ» أى المخليات عن حبال الأزواج بالطلاق و إنما يعنى المطلقات المدخول بهن من ذوات الحيض غير الحوامل لأن فى الآية بيان عدتهن «يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ» معناه ينتظرن بأنفسهن انقضاء ثلثه قروء فلا يتزوجن لفظه خير و معناه أمر و المراد بالقروء الأطهار عندنا و به قال زيد بن ثابت و عائشه و ابن عمر و مالك و الشافعى و أهل المدينة قال ابن شهاب ما رأيت أحدا من أهل بلدنا إلا و هو يقول الأقرء الأطهار إلا سعيد بن المسيب و المروى عن ابن عباس و ابن مسعود و الحسن و مجاهد و

رووه أيضا عن على أن القراء الحيض

و المراد بثلاثة قروء ثلاثة حيض و هو مذهب أبى حنيفة و أصحابه و استشهدوا

بقوله (عليه السلام) للمستحاضه دعى الصلاة أيام أقرائك

و الصلاة إنما تترك فى أيام الحيض و استشهد من ذهب إلى أن القراء الطهر بقوله تعالى: «فَطَلَّقُوهُنَّ لِإِعْدَتِهِنَّ» أى فى طهر لم تجامع فيه كما يقال لغره الشهر.

و

يقول النبى (صلى الله عليه و آله) لما طلق ابن عمر زوجته و هى حائض مره فليراجعها فإذا طهرت فليطلق أو ليمسك و تلا النبى ص إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ لِإِعْدَتِهِنَّ لِقَبْلِ عِدَّتِهِنَّ

فأخبر أن العده الأطهار دون الحيض لأنها حينئذ تستقبل عدتها و لو طلقت حائضا لم تكن مستقبلة

عدتها إلا بعد الحيض و

روى أصحابنا عن زراره قال سمعت ربيعه الرأى يقول أن من رأى أن الأقرء التى سمى الله فى القرآن إنما هى الطهر فيما بين الحيضين و ليست بالحيض قال فدخلت على أبى جعفر فحدثته بما قال ربيعه فقال كذب لم يقل برأيه و إنما بلغه عن على (عليه السلام) فقلت أصلحك الله أ كان على يقول ذلك قال نعم كان يقول إنما القرء الطهر تقرأ فيه الدم فتجمعه فإذا جاء الحيض قذفته قلت أصلحك الله رجل طلق امرأته طاهره من غير جماع بشهاده عدلين قال إذا دخلت فى الحيضه الثالثه فقد انقضت عدتها و حلت للأزواج قال قلت إن أهل العراق يروون عن على (عليه السلام) أنه كان يقول هو أحق بردها ما لم تطهر من الحيضه الثالثه فقال كذبوا

«وَلَا يَحِلُّ لَهَنَّ» أى للمطلقات اللاتى تجب عليهن العده «أَنْ يَكْتُمَنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ» قيل أراد به الحيض عن إبراهيم و عكرمه و قيل أراد به الحبل عن ابن عباس و قتاده و

قيل أراد به الحيض و الحبل عن ابن عمر و الحسن و هو المروى عن الصادق (عليه السلام) قال قد فوض الله إلى النساء ثلاثه أشياء الحيض و الطهر و الحمل

و هذا القول أعم فالأخذ به أولى و إنما لم يحل لهن الكتمان لثلا يظلمن الزوج بمنع المراجعة عن ابن عباس و قيل بنسبه الولد إلى غيره كفعل الجاهليه عن قتاده و قوله «إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» يعنى من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فهذه صفتة و حليته و ليس هذا بشرط حتى أنها إذا لم تكن مؤمنة يحل لها الكتمان و لكن المراد أن الإيمان يمنع من ارتكاب هذه المعصيه كما يقول الرجل لصاحبه إن كنت مؤمنا فلا تظلم و هذا على وجه الوعيد «وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ» يعنى أن أزواجهن أولى بمراجعتهن و هى ردهن إلى الحاله الأولى فى ذلك الأجل الذى قدر لهن فى مده العده فإنه ما دامت تلك المده باقيه كان للزوج حق المراجعة و يفوت بانقضائها و فى هذا ما يدل على أن الزوج ينفرد بالمراجعة و لا يحتاج فى ذلك إلى رضاء المرأه و لا إلى عقد جديد و إشهاد و هذا يختص بالرجعيات و إن كان أول الآيه عاما فى جميع المطلقات الرجعيه و البائنه «إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا» لا-إضراراً و ذلك أن الرجل كان إذا أراد الإضرار بامرأته طلقها واحده و تركها حتى إذا قرب انقضاء عدتها راجعها و تركها مده ثم طلقها أخرى و تركها مده كما فعل فى الأولى ثم راجعها و تركها مده ثم طلقها أخرى فجعل الله الزوج أحق بالمراجعة على وجه الإصلاح لا على وجه الإضرار و إنما شرط الإصلاح فى إباحه الرجعه لا فى ثبوت أحكامها لإجماع الأمة على أن مع إرادته الإضرار يثبت أحكام الرجعه و قوله

«وَلَهُنَّ» أى للنساء على أزواجهن «مِثْلُ الَّذِي لَهُمْ عَلَيْهِنَّ» من الحق «بِالْمَعْرُوفِ» و هذا من الكلمات العجيبه الجامعه للفوائد الجمه و إنما أراد بذلك ما يرجع إلى حسن العشره و ترك المضاره و التسويه فى القسم و النفقه و الكسوه كما أن للزوج حقوقا عليها مثل الطاعه التى أوجبها الله عليها له و أن لا تدخل فراشه غيره و أن تحفظ ماءه فلا تحتال فى إسقاطه و

روى أن امرأه معاذ قالت يا رسول الله ما حق الزوجه على زوجها قال أن لا يضرب وجهها و لا يقبحها و أن يطعمها مما يأكل و يلبسها مما يلبس و لا يهجرها

و

روى عنه ص أنه قال اتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمانه الله و استحلتتم فروجهن بكلمه الله و من حاكم عليهن أن لا يوطئن فراشكم من تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح و لهن عليكم رزقهن و كسوتهن بالمعروف

و قوله «وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ» قيل معناه فضيله منها الطاعه و منها أن يملك التخليه و منها زياده الميراث على قسم المرأه و الجهاد هذا قول مجاهد و قتاده و قيل معناه منزله فى الأخذ عليها بالفضل فى المعامله حتى يقول ما أحب أن أستوفى منها جميع حتى ليكون لى عليها الفضيله عن ابن عباس و قيل معناه أن المرأه تنال اللذه من الرجل كما ينال الرجل منها و له الفضل بنفقته و قيامه عليها عن الزجاج و فى تفسير على بن إبراهيم بن هاشم قال حق الرجال على النساء أفضل من حق النساء على الرجال و فى كتاب من لا يحضره الفقيه

روى عن الباقر (عليه السلام) قال جاءت امرأه إلى رسول الله ص فقالت يا رسول الله ما حق الزوج على المرأه فقال لها أن تطيعه و لا- تعصيه و لا- تتصدق من بيتها بشىء إلا بإذنه و لا تصوم تطوعا إلا بإذنه و لا تمنعه نفسها و إن كانت على ظهر قتب و لا تخرج من بيتها إلا- بإذنه فإن خرجت بغير إذنه لعنتها ملائكه السماء و ملائكه الأرض و ملائكه الغضب و ملائكه الرحمه حتى ترجع إلى بيتها فقالت يا رسول الله من أعظم الناس حقا على المرأه قال زوجها قالت فما لى من الحق عليه مثل ما له من الحق على قال لا و لا من كل مائه واحده فقالت و الذى بعثك بالحق لا يملك رقبتى رجل أبدا

و

قال (عليه السلام) لو كنت أمرا أحدا يسجد لأحد لأمرت المرأه أن تسجد لزوجها

«وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» أى قادر على ما يشاء يمنع و لا- يمنع و يقهر و لا- يقهر فاعل ما تدعو إليه الحكمه و قد قيل فى الآيه إن المطلقه قبل الدخول و المطلقه الحامله نسختا من هذه الآيه بقوله فما لكم عليهن من عدّه تغتدونها و أولات الأحمال أجلهن أن يضرعن حملهن و قيل إنهما مخصوصتان من الآيه كما ذكرناه فى أول الآيه.

إشارة

الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْنًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٢٩)

القراءة

قرأ أبو جعفر و حمزه إلا أن يخافا بضم الياء و الباقون بفتحها.

الحجج

خاف فعل يتعدى إلى مفعول واحد و ذلك المفعول يكون أن و صلتها نحو قوله تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ و يكون غيرها نحو قوله تَخَافُونَهُمْ فوجه قراءه حمزه إلا أن يخافا أنه لما بنى الفعل للمفعول به أسند الفعل إليه فلم يبق شىء يتعدى إليه فأما أن من قوله «أَلَّا يُقِيمَا» فإن الفعل يتعدى إليه بالجار كما تعدى بالجار فى قوله:

و لو خافك الله عليه حرمه

و موضع أن فى الآية جر بالجار المقدر على قول الخليل و الكسائى و نصب فى قول سيبويه و أصحابه إلا أنه لما حذف الجار وصل الفعل إلى المفعول الثانى مثل أستغفر الله ذنبا و أمرتك الخير فقراءته مستقيمه على ما رأيت فإن قال قائل لو كان يخافا كما قرأ لكان ينبغى أن يكون فإن خيفا قيل لا يلزمه هذا السؤال لمن خالفه فى القراءه لأنهم قد قرءوا إلا أن يخافا و لم يقولوا فإن خافا و ليس يلزم هذا السؤال جميعهم لأمرين (أحدهما) أنه انصرف من الغيبه إلى الخطاب كما قال الْحَمْدُ لِلَّهِ ثُمَّ قَالَ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ مَا آتَيْتُمُ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْغَفُونَ و هذا النحو كثير فى التنزيل و غيره (و الآخر) أن يكون الخطاب فى قوله «فَإِنْ خِفْتُمْ» مصروفا إلى الولاة و الفقهاء الذين يقومون بأمر الكافه و جاز أن يكون الخطاب للكثيره فيمن جعله انصرافا من الغيبه إلى الخطاب لأن ضمير الاثنين فى يخافا ليس يراد به اثنان مخصوصان إنما يراد به أن كل من كان هذا شأنه فهذا حكمه فأما من قرأ «يخافا» بفتح الياء فالمعنى أنه إذا خاف كل واحد من الزوج و المرأه أن لا يقيما حدود الله حل الافتداء.

المره و المرتان كالكره و الكرتين و أصل المره المرور خلاف الوقوف و المره شدة الفتل لاستمراره على الأحكام و الإمساك خلاف الإطلاق و ما بفلان مسكه و تماسك إذا لم يكن فيه خير و الممسك البخيل و المسك الإهاب لأنه يمسك البدن باحتوائه عليه و المسك السوار لاستمساكه في اليد و التسريح مأخوذ من السرح و هو الإطلاق و سرح الماشيه في المرعى سرحا إذا أطلقها ترعى و سرحت الماشيه انطلقت في المرعى و السرحان الذئب لاتباعه السرح و السرحه الشجره المرتفعه لانطلاقها في جهه الطول و المسرح المشط لإطلاق الشعر به و السرياح الجراد لانطلاقه في البلاد و «أَنْ يَخَافَا» معناه أن يظنا قال الشاعر:

أتانى كلام عن نصيب يقوله

و ما خفت يا سلام إنك عائبى

يعنى ما ظننت و أنشد الفراء:

إذا مت فادفنى إلى جنب كرمه

تروى عظامى بعد موتى عروقها

و لا تدفنى فى الفلاه فإننى

أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها

. الإعراب

الطلاق رفع بالابتداء و مرتان الخبر و قوله «فَامْسَاكٌ» خبر مبتدئ محذوف تقديره فالواجب عليك إمساك و لو كان فى الكلام فإمساكا بالنصب لكان جائزا على فأمسكوهن إمساكا بمعروف كما قال فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ و «أَنْ يَخَافَا» موصول و صله موضعها نصب بأنه مفعول له تقديره لمخافتهما و «أَلَّا يُقِيمَا» فى موضع نصب بأنه مفعول يخافا تقديره يخافا ترك إقامه حدود الله.

النزول

روى هشام بن عروه عن أبيه عن عائشه أن امرأه أتتها فشكت أن زوجها يطلقها و يسترجعها يضارها بذلك و كان الرجل فى الجاهليه إذا طلق امرأته ثم راجعها قبل أن تنقضى عدتها كان له ذلك و إن طلقها ألف مره لم يكن للطلاق عندهم حد فذكرت ذلك لرسول الله فنزلت «الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ» فجعل حد الطلاق ثلاثا و الطلاق الثالث قوله فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ و

روى أيضا أنه قيل للنبي الطلاق مرتان فأين الثالثه قال «فَامْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ»

وقوله «إِلَّا أَنْ يَخَافَا» فَأَنْزَلَ فِي ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ وَزَوْجَتِهِ جَمِيلَةَ بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَكَانَ يُحِبُّهَا وَتَبَغَّضَهُ فَقَالَ لَهَا أ
تَرْدِينَ عَلَيَّ حَدِيقَتَهُ قَالَتْ نَعَمْ وَأَزِيدَهُ قَالَ لَا حَدِيقَتَهُ فَقَطْ فَفَرَدَتْ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ فَقَالَ يَا ثَابِتُ خُذْ مِنْهَا مَا أُعْطَيْتَهَا وَخُلْ سَبِيلَهَا
فَفَعَلَ فَكَانَ أَوَّلَ خُلْعٍ فِي الْإِسْلَامِ.

ص: ٩٣

ثم بين سبحانه عدد الطلاق فقال «الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ» أى الطلاق الذى يملك فيه الرجعه مرتان و فى معناه قولان (أحدهما) أنه بيان تفصيل طلاق السنه و هو أنه إذا أراد طلاقها ينبغى أن يطلقها فى طهر لم يقربها فيه بجماع تطليقه واحده ثم يتركها حتى تخرج من العده أو حتى تحيض و تطهر ثم يطلقها ثانيه عن ابن عباس و مجاهد (و الثانى) إن معناه البيان عن عدد الطلاق الذى يوجب البينونه مما لا- يوجبها و فى الآيه بيان أنه ليس بعد التطليقتين إلا الفرقه البائنه و لفظه لفظ الخبر و معناه الأمر أى طلقوا دفعتين و قوله «فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ» تقديره فالواجب إذا راجعها بعد التطليقتين إمساك بمعروف أى على وجه جميل سائغ فى الشريعه لا على وجه الإضرار بهن «أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ» فيه قولان (أحدهما) أنه الطلقه الثالثه (و الثانى)

أنه يترك المعتده حتى تبين بانقضاء العده عن السدى و الضحاك و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله

«وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ» خطاب الأزواج «أَنْ تَأْخُذُوا» فى حال الطلاق و استبدال «مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ» أى أعطيتموهن من المهر «شَيْئًا» ثم استثنى الخلع فقال «إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ» معناه إلا أن يغلب على ظنهما أن لا يقيما حدود الله لما بينهما من أسباب التباعد و التباغض و قال ابن عباس هو أن يظهر من المرأه النشوز و سوء الخلق بغضا للزوج و

قال أبو عبد الله إذا قالت المرأه له لا أغتسل لك من جنبه و لا أبر لك قسما و لأوطنن فراشك و لأدخلن عليك بغير إذنك إذا قالت له هذا حل له أن يخلعها و حل له ما أخذ منها

و على الجملة إذا خاف أن تعصى الله فيه بارتكاب محظور أو إخلال بواجب و أن لا تطيعه فيما يجب عليها فحينئذ يحل له أن يخلعها و روى مثل ذلك عن الحسن و قال الشعبي هو نشوزها و نشوزها «فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ» أى فإن ظننتم أن لا يكون بينهما صلاح فى المقام «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا» أى فلا حرج و لا إثم عليهما و هذا يفيد الإباحه و فى قوله «عَلَيْهِمَا» و إن كانت الإباحه للزوج و جهان (أحدهما) إن الزوج لو خص بالذكر لأوهم أنها عاصيه و إن كانت الفديه له جائزه فبين الأذن لهما فى ذلك ليزول الإيهام عن على بن عيسى (و الآخر) أن المراد به الزوج و إنما ذكر معه المرأه لاقترانهما كقوله «نَسِيًا حَوْتَهُمَا» و قوله «يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجَانُ» و إنما هو من الملح دون العذب فجاز للاتساع قال الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن و هذا أليق بمذهبنا لأن الذى يبيح الخلع عندنا هو ما لولاه لكانت المرأه عاصيه و أقول أن الذى عندى فى ذلك أن جواز وقوع العصيان منها هو السبب فى إباحه الخلع و رفع الجناح إنما تعلق بالخلع لا بأسبابه و الوجه الأول أولى بالاختيار و أشد ملائمه لظاهر الآيه و الوجه الأخير مرغوب عنه لعدوله عن سنن الاستقامه إذ لا يكون الاثنان

واحدا في الحقيقة «فِيمَا أُفْتِدَتْ بِهِ» أى بذلت من المال و اختلف في ذلك فعندنا إن كان البغض منها وحدها و خاف منها العصيان جاز أن يأخذ المهر و زياده عليه و إن كان منهما فدون المهر و قيل أنه يجوز الزيادة على المهر و النقصان من غير تفصيل عن ابن عباس و ابن عمر و رجاء بن حيوة و إبراهيم و مجاهد و

قيل المهر فقط عن ربيع و عطا و الزهري و الشعبي و روه عن علي

و الخلع بالفديه على ثلاثه أوجه (أحدها) أن تكون المرأه عجوز أو دميمه فيضار بها الزوج لتفتدى نفسها فهذا لا يحل له الفداء لقوله «وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ» الآية (و الثاني) أن يرى الرجل امرأته على فاحشه فيضار بها لتفتدى نفسها فهذا جائز و هو معنى قوله «وَ لَا تَعْضُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضٍ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ» (و الثالث) أن يخافا ألا يقيما حدود الله لسوء خلق أو قله نفقه من غير ظلم أو نحو ذلك فيجوز لهما جميعا الفديه على ما مر تفصيله «تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ» أى أوامره و نواهيها و ما نصب من الآيات فى الخلع و الطلاق و الرجعه و العده «فَلَا تَعْتَدُوهَا» أى فلا تجاوزوها بالمخالفه «وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ» أى يتجاوزها بأن يخالف ما حد له «فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» و استدل أصحابنا بهذه الآية على أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد لا يقع لأنه قال الطلاق مرتان ثم ذكر الثالث على الخلاف فى أنها قوله «أَوْ تَشِيرِيحٌ بِإِحْسَانٍ» أو قوله «فَإِنْ طَلَّقَهَا» و من طلق ثلاثا بلفظ واحد فإنه لم يأت بالمرتتين و لا بالثالثه كما أنه لما أوجب فى اللعان أربع شهادات فلو أتى بالأربع بلفظ واحد لما أتى بالشروع و لم يحصل حكم اللعان و كذلك لو رمى فى الجمار بسبع حصيات دفعه واحده لم تجزئ عنه بلا خلاف و كذلك الطلاق.

سوره البقره (٢): آيه ٢٣٠

إشاره

فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٢٣٠)

الإعراب

موضع أن فى قوله «فلا- جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا» جر بإضمار الجار و تقديره فى أن يتراجعا عن الخليل و الكسائى و الزجاج و قيل و موضعه نصب و هو اختيار الزجاج و باقى النحويين و موضع أن الثانيه و هو «أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ» نصب بلا خلاف بظنا و إنما

جاز حذف في من «أَنْ يَتَرَاَجَعَا» و لم يجز حذفه من المصدر الذى هو التراجع لطول أن بالصله كما جاز الذى ضربت زيد لطول "الذى" بالصله و لم يجز في المصدر كما لم يجز في اسم الفاعل نحو زيد ضارب عمرو و يريد ضاربه.

النزول

الزهرى عن عروه عن عائشه قالت جاءت امرأه رفاعه بن وهب القرظى إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) فقالت إني كنت عند رفاعه فطلقني فبت طلاقى فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير و أن ما معه مثل هدبه الثوب و أنه طلقني قبل أن يمسنى فارجع إلى ابن عمى فتبسم رسول الله و قال أ تريدن أن ترجعى إلى رفاعه لا حتى يذوق عسيلتك و تذوقى عسيلته

و فى قصه رفاعه و زوجته نزل فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره.

المعنى

ثم بين سبحانه حكم التلقيه الثالثه فقال «فَإِنْ طَلَّقَهَا»

يعنى التلقيه الثالثه على ما روى عن أبى جعفر

و به قال السدى و الضحاك و قيل هو تفسير قوله «أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ» عن مجاهد و هذا على مذهب من جعل التسريح طلاقا «فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ» أى لا تحل هذه المرأه أى لا يحل نكاحها لهذا الرجل الذى طلقها حتى تزوج زوجا غيره و يجامعها و اختلف فى ذلك فقيل العقد علم بالكتاب و الوطاء بالسنة عن الجبائى و قيل بل كلاهما علم بالكتاب لأن لفظ النكاح يطلق عليهما فكأنه قيل حتى يتزوج و يجامعها الزوج و لأن العقد مستفاد بقوله «زَوْجًا غَيْرَهُ» و النكاح مستفاد بقوله «حَتَّى تَنْكِحَ» و إنما أوجب الله ذلك لعلمه بصعوبه تزوج المرأه على الرجل حتى لا يعجلوا بالطلاق و أن يتثبتوا قال أبو مسلم و هذا من الكنايات الفصيحه و الإيجاز العجيب «فَإِنْ طَلَّقَهَا» الزوج الثانى «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاَجَعَا» أى فلا جناح على الزوج و على المرأه أن يعقدا بينهما عقد النكاح و يعودا إلى الحاله الأولى فذكر النكاح بلفظ التراجع «إِنْ ظَنَّا» أى إن رجيا و قيل علما و قيل اعتقدا «أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ» فى حسن الصحبه و المعاشره و أنه يكون بينهما الصلاح «و تِلْكَ» إشاره إلى الأمور التى بينها فى النكاح و الطلاق و الرجعه «حُدُودَ اللَّهِ» أوامره و نواهيه «بُيِّنُهَا» يفصلها «لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» خص العالمين بذكر البيان لهم لأنهم هم الذين ينتفعون ببيان الآيات فصار غيرهم بمنزله من لا- يعتد به و يجوز أيضا أن يكونوا خصوا بالذكر تشريفا لهم كما خص جبرائيل و ميكائيل

بالذكر من بين الملائكة و تدل الآيه على أنه إذا طلقها الثالثه فلا تحل له إلا بعد شرائط الزوج الثاني و وطئه فى القبل و فرقتة و انقضاء عدتها. و صفه الزوج الذى يحل المرأه للزوج الأول أن يكون بالغاً و يعقد عليها عقداً صحيحاً دائماً و اختلف فى التحليل على ثلاثه أقاويل فمنهم من قال إذا نوى التحليل يفسد النكاح و لا تحل للأول عن مالك و الأوزاعى و الثورى و روى نحوه عن أبى يوسف و احتجوا

بقوله (لعن الله المحلل و المحلل له)

و منهم من قال إذا لم يشرط فى العقد حل و إذا شرطه يفسد و لا يحل عند الشافعى و منهم من قال يصح العقد و يبطل الشرط و تحل للأول و لكن يكره ذلك و هو الظاهر من مذهب أبى حنيفه و أهل العراق و قال محمد يصح النكاح و لا تحل للأول و فى قوله «فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ» دلالة على أن النكاح بغير ولى جائز و إن المرأه يجوز لها أن تعقد على نفسها لأنه أضاف العقد إليها دون وليها.

سوره البقره (٢): آيه ٢٣١

إشاره

وَ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَ لَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لَتَعْتَدُوا وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَ لَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًّا وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ مَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَ الْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١)

اللغه

الأجل آخر المده و عاقبه الأمور و المراد بالمعروف هاهنا الحق الذى يدعو إليه العقل أو الشرع للمعرفه بصحته خلاف المنكر الذى يزرع عنه العقل أو السمع لاستحاله المعرفه بصحته فما يجوز المعرفه بصحته معروف و ما لا يجوز المعرفه بصحته منكر.

الإعراب

«فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ» الجملة فى موضع جر بالعطف على الجملة قبلها و هى «طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ» مجروره الموضع بإضافه إذا إليها و ضاررا نصب الحال من الواو فى

تمسكوهن تقديره و لا- تمسكوهن مضارين و اللام فى لتعتدوا يتعلق بتمسكوا و ضرارا و هزوا مفعول ثان لتتخذوا و ما أنزل موصول و صله فى محل النصب بالعطف على نعمه. من الكتاب فى محل النصب على الحال و العامل فيه اذكروا و ذو الحال ما أنزل و من يكون بمعنى التبيين يعظكم جملة فى موضع الحال و العامل فيه أنزل.

المعنى

ثم بين سبحانه ما يفعل بعد الطلاق فقال «وَ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ» و هذا خطاب للأزواج «فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ» البلوغ هاهنا بلوغ مقاربه أى قاربن انقضاء العده بما يتعارفه الناس بينهم بما تقبله النفوس و لا تنكره العقول و المراد بالمعروف هاهنا أن يمسكها على الوجه الذى أباحه الله له من القيام بما يجب لها من النفقه و حسن العشره و غير ذلك «أَوْ سَيَّرَهُنَّ بِمَعْرُوفٍ» أى اتركوهن حتى تنقضى عدتهن فيكن أملك بأنفسهن «وَ لَا تُمَسِّكُوهُنَّ ضِرَارًا» أى لا تراجعوهن لا لرغبه فيهن بل لطلب الإضرار بهن أما فى تطويل العده أو بتضييق النفقه فى العده «لِتَعْتَدُوا» أى لتظلموهن «وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ» أى الإمساك للمضاره «فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ» فقد أضر بنفسه و عرضها لعذاب الله «وَ لَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا» أى لا- تستخفوا بأوامره و فروضه و نواهيه و قيل آيات الله قوله «فَأِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَشِيرِيحُ بِإِحْسَانٍ» «وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» فيما أباحه لكم من الأزواج و الأموال و ما بين لكم من الحلال و الحرام «وَ مَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ» يعنى العلوم التى دل عليها و الشرائع التى بينها «يَعْظُكُمْ بِهِ» لتتعظوا فتؤجروا بفعل ما أمركم الله به و ترك ما نهاكم عنه «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» أى معاصيهه التى تؤدى إلى عقابه و قيل اتقوا عذاب الله باتقاء معاصيهه «وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» من أفعالكم و غيرها.

إشارة

وَ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢٣٢)

اللغة

العضل الحبس وقيل هو مأخوذ من المنع وقيل هو مأخوذ من الضيق والشده والأمر المعضل الممتنع بصعوبته وعضلت الناقه فهى معضله إذا احتبس ولدها فى بطنها وعضلت الدجاجة إذا احتبس بيضها وتقول عضل المرأه يعضلها عضلا إذا منعها من التزويج ظلما وعضل الداء الأطباء إذا أعياهم أن يقوموا به وامتنع عليهم لشده و داء عضال وفلان عضله من العضل أى داهيه من الدواهي.

الإعراب

موضع أن من قوله «أَنْ يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ» جر عند الخليل والكسائى و تقديره من أن و نصب عند غيرهما بوصول الفعل « ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ » مبتدأ و خبر وقوله «مَنْ كَانَ (مِنْكُمْ) يُؤْمِنُ بِاللَّهِ» فى موضع رفع بيوعظ و منكم فى موضع الحال فى الضمير فى يؤمن.

النزول

نزلت فى معقل بن يسار حين عضل أخته جملاء أن ترجع إلى الزوج الأول و هو عاصم بن عدى فإنه كان طلقها و خرجت من العده ثم أراد أن يجتمعا بعقد آخر فمنعها من ذلك فنزلت الآية عن قتاده و الحسن و جماعه و قيل نزلت فى جابر بن عبد الله عضل بنت عم له عن السدى و الوجهان لا يصحان على مذهبنا لأنه لا ولاية للأخ و ابن العم عندنا و لا تأثير لعضلها فالوجه فى ذلك أن تحمل الآية على المطلقين كما فى الظاهر فكأنه قال لا تعضلوهن أى لا تراجعوهن عند قرب انقضاء عدتهن إضرارا بهن لا رغبه فيهن فإن ذلك لا يسوغ فى الدين و يجوز أن يكون العضل محمولا على الجبر و الحيلولة بينهما و بين التزويج دون ما يتعلق بالولاية.

المعنى

«وَ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ» أى انقضت عدتهن «فَلَا تَعْضُوهُنَّ» أى لا تمنعهن ظلما عن التزوج و قيل المراد به التخليه و قيل هو خطاب للأولياء و منع لهم من عضلهم و قيل خطاب للأزواج يعنى أن تطلقوهن فى السر و لا- تظهروا طلاقهن كيلا يتزوجن غيرهم فيبقين لا ممسكات إمساك الأزواج و لا مخليات تخليه الطلاق أو تطولوا العده عليهن «أَنْ يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ» أى من رضين بهم أزواجا لهن و قيل الذين كانوا أزواجا لهن من قبل «إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ» أى بما لا يكون مستنكرا فى

عاده ولا خلق ولا عقل وقيل إذا تراضى الزوجان بالنكاح الصحيح عن السدى وقيل إذا تراضيا بالمهر قليلا كان أو كثيرا «ذَلِكَ» إشاره إلى ما سبق من الأمر والنهى «يُوعَظُ بِهِ» يزجر ويخوف به «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» إنما خصهم بالذكر لأنهم

ص: ٩٩

الذين انتفعوا به أو لأنهم أولى بالاعتاظ به وقيل لأن الكافر إنما يلزمه الوعظ بعد قبوله الإيمان و اعترافه بالله تعالى «ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ» أى خير لكم و أفضل و أعظم بركه و أخرى أن يجعلكم أزكياء «وَ أَطْهَرُ» أى أطهر لقلوبكم من الريه فيانه لعل فى قلبها حبا فإذا منعها من التزويج لم يؤمن أن يتجاوزا إلى ما حرم الله و قيل أطهر لكم من الذنوب «وَ اللَّهُ يَعْلَمُ» ما لكم فيه من الصلاح فى العاجل و الآجل «وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» و أنتم غير عالمين إلا بما أعلمكم و ليس لأحد أن يستدل بالآيه على أن العقد لا يصح إلا- بولى لأنا قد بينا أن المراد بالعضل المنع و إذا حملنا الآيه على أنها خطاب للأزواج سقط قولهم و هذا أولى لأنه لم يجر للأولياء ذكر كما جرى ذكر المطلقين.

سوره البقره (٢): آيه ٢٣٣

اشاره

وَ الْوَالِدَاتُ يُرْضِينَ عَنْ أَوْلَادِهِنَّ حَوْلِينَ كَامِلِينَ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِيمَ الرِّضَاعَةَ وَ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَ كِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارُّ وَالِدَهُ بَوْلِدِهَا وَ لَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَ عَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَ تَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَ إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَأَلْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣)

القراءه

قرأ أهل البصره و ابن كثير و قتيبه عن الكسائى لا تضار بالرفع و تشديد الراء و قرأ أبو جعفر وحده بتخفيف الراء و سكونها و الباقون بتشديدها و فتحها و قرأ ابن كثير وحده ما أتيتم مقصوره الألف و الباقون «ما آتيتم» و كذلك فى الروم.

الحجه

من رفع فلائن قبله لا- تكلف فأتبعه ما قبله ليكون أحسن لتشابه اللفظ فإن قلت أن ذلك خبر و هذا أمر قيل إن الأمر قد يجىء على لفظ الخبر فى التنزيل ألا ترى إلى قوله «وَ الْمُطَّلَقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ» و يؤكد ذلك أن ما بعده على لفظ الخبر و هو قوله

«وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ» والمعنى ينبغي ذلك فلما وقع موقعه صار فى لفظه و من فتح جعله أمرا و فتح الراء ليكون حركته موافقه لما قبلها و هو الألف و أما قراءه أبى جعفر لا تضار فينبغى أن يكون أراد لا تضار كما روى فى الشواذ عن أبان عن عاصم إلا أنه حذف إحدى الرائين تخفيفا كما قالوا أحست فى أحسست و ظلت و مست فى ظللت و مسست و من قرأ «آتَيْتُمْ» فالمراد إيتاء المهر كقوله «وَأَتَيْتُمْ إِخِيْدَاهُنَّ فِنْطَارًا» و قوله «إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ» و أما قول ابن كثير فتقديره إذا سلمتم ما أتيتم نقده أو أتيتم سوقه فحذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه ثم حذف الهاء من الصلته فكأنه قال أتيت نقد ألف أى بذلته كما يقول أتيت جميلا أى فعلته و يؤيده قول زهير:

فما يك من خير أتوه فإنما

توارثه آباء آبائهم قبل

فكما تقول أتيت خيرا فكذلك تقول أتيت نقد ألف و قد وقع أتيت موضع آتيت و يجوز أن يكون ما فى الآية مصدرا فيكون التقدير إذا سلمتم الإتيان و الإتيان المأتى مما يبذل بسوق أو نقد كقوله ضرب الأمير أى مضروبه.

اللغة

الرضع مص الشدى بشرب اللبن منه يقال رضع و رضع و المصدر الرضع و الرضع و الرضاع و الرضاعة و لثيم راضع يرضع لبن ناقته من لؤمه لثلا يسمع الضيف صوت الشخب و أرضعت المرأة فهى مرضعه و قولهم مرضع بغير هاء ذات رضاع و الحول السنه مأخوذ من الانقلاب فى قولك حال الشىء عما كان عليه يحول و منه الاستحاله فى الكلام لانقلابه عن الصواب و قيل أخذ من الانتقال من قولك تحول عن المكان و الكسوه مصدر كسوته ثوبا أى ألبسته و اكتسى أى لبس و الكسوه اللباس و التكليف الإلزام الشاق و أصله من الكلف و هو ظهور الأثر لأنه يلزمه ما يظهر فيه أثره و تكلف أى تحمل و الكلف بالشىء الإيلاع به و الوسع الطاقه مأخوذ من سعه المسلك إلى الغرض فيمكن لذلك فلو ضاق لأعجز عنه و السعه فيه بمنزله القدره فلذلك قيل الوسع بمعنى الطاقه و الفصال الفطام لانفصال المولود عن الاغتذاء بشدى أمه إلى غيره من الأقوات و فصيله الرجل بنو أبيه لانفصالهم من أصل واحد و الفصل الفرق و التشاور مأخوذ من الشور و هو اجتناء العسل تقول شرت العسل أشوره شورا إذا اجتنيته من مكانه و المشوره استخراج الرأى من

المستشار لأنها تجتنى منه و أشار إليه إشاره أو ما إليه و المشيره الإصبع التي تسمى السبابه لأنه يشار بها و الشاره الهياه و اللباس الحسن لأنه مما يشار إليه لحسنه و التشوير استخراج سير الدابه كالاجتناء.

الإعراب

عن تراض فى موضع الحال تقديره فإن أراد متراضين منهما فى موضع جر صفه لتراض «أَنْ تَسْتَرِضِعُوا أَوْلَادَكُمْ» معناه لأولادكم فحذفت اللام للدلاله الاسترضاع عليه من حيث إنه لا يكون إلا للأولاد و لا يجوز دعوت زيدا تريد لزيد لأنه لا يجوز أن يكون مدعوا له إذ معنى دعوت زيدا لعمرو خلاف دعوت زيدا فقط فلا يجوز للالتباس و قوله «بِالْمَعْرُوفِ» جاز أن يتعلق بسلمتم كأنه قال إذا سلمتم بالمعروف ما آتيتم و يجوز أن يتعلق بآتيتم على حد قولك أتيتته بزيد.

المعنى

لما بين سبحانه حكم الطلاق عقبه بيان أحكام الأولاد الصغار فى الرضاع و التريه و ما يجب فى ذلك من الكسوه و النفقه فقال «وَالْوَالِدَاتُ» أى الأمهات «يُضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ» صبغته صبغه الخبر و المراد به الأمر أى ليرضعن أولادهن كقوله «يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ» و جاز ذلك التصرف فى الكلام مع رفع الإشكال إذ لو كان خيرا لكان كذبا لجواز أن يرضعن أكثر من حولين أو أقل و قولك حسبك درهم معناه اكتف بدرهم تام و قيل هو خير بمعنى الأمر و تقديره و الوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين فى حكم الله الذى أوجبه على عباده فحذف للدلاله عليه و هذا أمر استحباب لا- أمر إيجاب و المعنى إنهن أحق برضاعهم من غيرهن بدليل قوله «وَإِنْ تَعَايَرْتُمْ فَسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى» ثم بين مده الرضاع فقال «حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ» أى عامين تامين أربعة و عشرين شهرا و إنما ذكر كاملين و إن كانت التثنيه تأتى على استيفاء العده لرفع الإبهام الذى يعرض فى الكلام فإن الرجل يقول سرت شهرا و أقمت عند فلان سنه و إن كان قد سار قريبا من شهر و أقام قريبا من سنه و فى هذا بيان لأمرين (أحدهما) مندوب (و الثانى) فرض فالمندوب و هو أن يجعل الرضاع تمام الحولين و المفروض هو أن المرضعه تستحق الأجره فى مده الحولين و لا تستحق فيما زاد عليه و اختلف فى هذا الحد هل هو لكل مولود أو للبعض فقال ابن عباس ليس لكل مولود و لكن لمن ولد لسته أشهر و إن ولد لتسعه أشهر فثلاثه و عشرون و إن ولد لتسعه أشهر فأحد و عشرون يطلب بذلك تكمله ثلاثين شهرا فى الحمل و الفصال و على هذا يدل ما رواه أصحابنا فى هذا الباب لأنهم

رووا أن ما نقص عن أحد و عشرين شهرا

وقال الثوري وجماعه هو لازم في كل ولد إذا اختلف والداه رجعا إلى الحولين من غير زياده و لا نقصان و لا يجوز لهما غير ذلك و الرضاع بعد الحولين لا حكم له في التحريم عندنا و به قال ابن عباس و ابن مسعود و أكثر العلماء قالوا المراد بالآيه بيان التحريم الواقع بالرضاع ففي الحولين يحرم و ما بعده لا- يحرم و قوله «لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ» أى لمن أراد أن يتم الرضاعه المفروضه عليه و هذا يدل على أن الرضاع غير مستحق على الأم لأنه علقه بالإراداه و يدل عليه قوله «وَ إِنْ تَعَاسَرَ زُمَّتُمْ فَسْتُرْضِعْ لَهُ أُخْرَى» و قال قتاده و الربيع فرض الله على الوالدات أن يرضعن أولادهن حولين ثم أنزل الرخصه بعد ذلك فقال لمن أراد أن يتم الرضاعه يعنى إن هذا منتهى الرضاع و ليس فيما دون ذلك حد محدود و إنما هو على مقدار صلاح الصبي و ما يعيش به «وَ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ» يعنى الأب «رِزْقُهُنَّ» يعنى الطعام و الإيدام «وَ كِسْوَتُهُنَّ» يعنى لباسهن و المراد رزق الأم و كسوتها ما دامت فى الرضاعه اللازمه و ذلك فى المطلقه عن الثورى و الضحاك و أكثر المفسرين «بِالْمَعْرُوفِ» يعنى على قدر اليسار لأنه علم أحوال الناس فى الغنى و الفقر و جعل حق الحضانه للأم و النفقه على الأب على قدر اليسار و لم يرد به نفقه الزوجات لأنه قابلهما بالإرضاع و نفقه الزوجه لا- تجب بسبب الإرضاع و إنما تجب بسبب الزوجيه و قال بعضهم أراد به نفقه الزوجات و قوله «لا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا» أى لا يلزم إلا دون طاقتها «لا تَضَارُّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا» أى لا تترك الوالده إرضاع ولدها غيظا على أبيه فتضر بولده به لأن الوالده أشفق عليه من الأجنبيه «وَ لا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ» أى لا يأخذه من أمه طلبا للإضرار بها فيضر بولده فيكون المضاره على هذا بمعنى الإضرار أى لا تضر الوالده و لا الوالد بالولد و إنما قال تضار و الفعل من واحد لأنه لما كان معناه المبالغه كان بمنزله أن يكون الفعل من اثنين و قيل الضرر يرجع إلى الولد كأنه يقول لا يضار كل واحد من الأب و الأم بالصبي الأم بأن لا ترضعه و الأب بأن لا ينفق أو بأن ينتزعه من الأم و الباء زائده و المعنى لا تضار والده ولدها و لا والد ولده و قيل معناه لا تضار والده الزوج بولدها و لو قيل فى ولدها لجاز فى المعنى و

روى عن السيدين الباقر و الصادق (عليه السلام) لا تضار والده بأن يترك جماعها خوف الحمل لأجل ولدها المرتضع

«وَ لا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ» أى لا تمنع نفسها من الأب خوف الحمل فيضر ذلك بالأب و قيل لا تضار والده بولدها بأن ينتزع الولد منها و يسترضع امرأه غيرها مع إجابتها إلى الرضاع بأجره المثل فعلى هذا يكون معنى بولدها بسبب ولدها «وَ لا مَوْلُودٌ لَهُ» أى لا تمتنع هى من الإرضاع إذا أعطيت أجره مثلها فإن فعلت استأجر الأب مرضعه ترضعه غيرها و لا تمنعه من رؤيه الولد، فيكون

فيه مضاره بالوالد وقوله «بَوْلَدِهِ» بسبب ولده أيضا وليس بين هذه الأقوال تناف فالأولى حمل الآيه على جميعها وقوله «وَعَلَى الْوَارِثِ» قيل معناه وارث الولد عن الحسن و قتاده و السدى و هو من يرثه إذا مات و قيل وارث الوالد عن قبيصه بن ذؤيب و الأول أقوى «مِثْلُ ذَلِكَ» أى مثل ما كان على الوالد من النفقه و الرضاع عن الحسن و قتاده و قيل مثل ما كان على الوالد من ترك المضاره عن الضحاک و المفهوم عند أكثر العلماء الأمران معا و هو أليق بالعموم و اختلفوا فى أن النفقه على كل وارث أو على بعضهم فقيل هى على العصابات دون أصحاب الفرائض من الأم و الأخوه من الأم عن عمر بن الخطاب و الحسن و قيل على وارث الصبى من الرجال و النساء على قدر النصيب من الميراث عن قتاده و قيل على الوارث ممن كان ذا رحم محرم دون ذى رحم ليس بمحرم كابن العم و ابن الأخت فيجب على ابن العم و إن كان وارثه فى تلك الحال عن أبى حنيفة و صاحبيه و قيل على الوارث أى الباقي من أبويه عن سفيان و هو الصحيح عندنا و هو أيضا مذهب الشافعى لأن عنده لا يجبر على نفقه الرضاع إلا الولدان فقط و

قد روى أيضا فى أخبارنا أن على الوارث كائنا من كان النفقه

و هذا يوافق الظاهر و به قال قتاده و أحمد و إسحاق و قوله «فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا» أى

قبل الحولين عن مجاهد و قتاده و هو المروى عن أبى عبد الله

و قيل قبل الحولين أو بعدهما عن ابن عباس «عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا» أى من الأب و الأم «وَتَشَاوُرٍ» يعنى اتفاق منهما و مشاوره و إنما بشرط تراضيهما و تشاورهما مصلحة للولد لأن الوالده تعلم من تربيته الصبى ما لا يعلمه الوالد فلو لم يتفكرا و يتشاورا فى ذلك أدى إلى ضرر الصبى «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا» أى لا حرج عليهما إذا تماسك الولد فإن تنازعا رجعا إلى الحولين و قوله «وَإِنْ أَرَدْتُمْ» خطاب للآباء «أَنْ تَشْتَرِيَهُمْ أَوْ أَوْلَادَكُمْ» أى لأولادكم أن تطلبوا لهم مرضع غير أمهاتهم لآباء أمهاتهم الرضاع أو لعله بهن من انقطاع لبن أو غيره «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ» أى لا حرج و لا ضيق فى ذلك «إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ» أى إذا أسلمتم إلى الأم أجره المثل مقدار ما أرضعت عن مجاهد و السدى و قيل إذا سلمتم الاسترضاع عن تراض و اتفاق دون ذلك الضرر عن أبى شهاب و هذا معنى قول ابن عباس و فى روايه عطاء قال إذا سلمت أمه و رضى أبوه لعل له غنى يشتري له مرضعا و قيل إذا سلمتم أجره المسترضعه عن الثورى و قيل إذا سلمتم أجره الأم أو الظئر عن ابن جريج و معنى قوله «آتَيْتُمْ» ضمنتم و ألزمتم ثم أوصى بالتقوى فقال «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» يعنى معاصيه أو عذابه فى مجاوزة ما حده لكم «وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ» أى بأعمالكم «بَصِيرٌ» أى عليم لا يخفى عليه شىء منها و فى قوله «لَا تُكَلِّفُ

نَفْسٍ إِلَّا وَسَّيْعَهَا» دلالة على فساد قول المجبره فى حسن تكليف ما لا- يطابق لأنه إذا لم يجر أن يكلف مع عدم الجده فإن لا يكلف مع عدم القدره أحرى فإن فى الحالين لا سبيل له إلى أداء ما كلف.

سوره البقره (٢): آيه ٢٣٤

اشاره

وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤)

القرءه

روى فى الشواذ عن على (عليه السلام) يتوفون بفتح الياء.

الحجه

قال ابن جنى هو على حذف المفعول أى الذين يتوفون أيامهم أو آجالهم و أعمارهم و حذف المفعول به كثير فى القرآن و فصيح الكلام إذا كان هناك دليل عليه كما قال الله وَ أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ءِ أَي شَيْئًا قَالَ الحطية:

منعمه تصون إليك منها

كصونك من رداء شرعى

أى تصون الكلام منها و توفيت الشىء استوفيته أخذته و افياء.

اللغه

يذر و يدع يترك و لا يستعمل منهما الماضى استغنى عنه بترك و العله فى ذلك أنهم تركوا الواوات فى أول الكلمه حتى أنهم لم يلحقوها أولا- على جهه الزيادة أصلا و الأجل غايه الوقت فى محل الدين و نحوه لتأخيره إلى ذلك الوقت و الآجل نقيض العاجل لتأخره عن وقت غيره و فعله من أجل كذا أى لعاقبه كذا و هى متأخره عن وقت الفعل الذى دعت إليه و القطيع من بقر الوحش يسمى أجلا و قد تأجل الصوار أى صار أجلا لتأخر بعضه عن بعض و أجل عليهم شرا أجلا أى جناه لأنه أعقبهم شرا و الآ-جله الآ-خره و العاجله الدنيا و الخبير العالم بمخبر الخبر و أصله من السهوله و الخبار الأرض السهله و أخبرت بالشىء لأنه تسهيل لطريق العلم به و الخبير الأكار و المخابره المؤاكره و هو أن يزرع على النصف أو الثلث أو نحوه و ذلك لتسهيل الزراعه.

الإعراب

الذين مرتفع بالابتداء و يتوفون صلته و منكم فى موضع نصب على

الحال من الواو فى يتوفون «وَ يَدْرُونَ أَزْوَاجًا» عطف على الصلّه فهو أيضا من الصلّه و يتربصن و ما بعده خبر المبتدأ و إذا كان خبر المبتدأ لا يخلو من أن يكون هو هو أو يكون له فيه ذكر فلا يجوز أن يكون هذا الظاهر على الذى هو عليه لخلوه من ضربى خبر الابتداء و قد قيل فيه أقوال (أحدها) أن تقدير خبر المبتدأ يتربصن بعدهم لأن المعنى يتربصن أزواجهم بعدهم أربعة أشهر و عشرا و جاز حذف هذا الذى يتعلق به الراجع إلى المبتدأ كما جاء ذلك فى قولهم السمن منوان بدرهم و المعنى على منوان منه بدرهم عن الأخفش (و الثانى) أن يكون تقديره أزواجهم يتربصن عن أبى العباس المبرد فالمحذوف على هذا هو المبتدأ الذى هو أزواجهم و ساغ هذا الحذف لقيام الدلالة عليه كما يسوغ حذف المفرد إذا قامت الدلالة عليه و قيام الدلالة على المضاف أن الأزواج قد تقدم ذكرهن فساغ إضمارهن و حسن و أما حذف المضاف إليه فلاقتضاء المبتدأ الراجع إليه و قد جاء المبتدأ مضافا محذوفا كما جاء المفرد و ذلك قوله تعالى: «لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ» أى تقلبهم متاع قليل (و الثالث) أن يكون تقديره يتربصن أزواجهن ثم كنى عن الأزواج عن الكسائى و إنما قال و عشرا بالتأنيث تغليا لليالى على الأيام إذا اجتمعت فى التاريخ لأن ليله كل يوم قبله كما قيل لخمس بقين و قد علم المخاطب أن الأيام داخله مع الليالى و أنشد سيبويه:

فطافت ثلاثا بين يوم و ليله

يكون النكير أن تضيف و تجارا

فيما فعلن ما مع صلته فى موضع الجر بفى و قوله «بِالْمَعْرُوفِ» الجار و المجرور فى موضع النصب على الحال.

المعنى

لما بين عدّه المطلقات بين عدّه الوفاة فقال «وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ» منكم أى يقبضون و يموتون «وَ يَدْرُونَ» أى يتركون «أَزْوَاجًا» أى نساء «يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ» أى ينتظرن انقضاء العده و يحبسن أنفسهن عن التزويج معتدات «أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ عَشْرًا» أى و عشر ليال و عشره أيام و هذه عدّه المتوفى عنها زوجها سواء كانت مدخولا بها أو غير مدخول بها حره كانت أو أمه فإن كانت حبلى فعدتها أبعد الأجلين من وضع الحمل أو مضى أربعة أشهر و عشر و وافقنا فى عدّه الأمه الأصم و خالف باقى الفقهاء فى ذلك فقالوا عدتها نصف عدّه الحره شهران و خمسه أيام و إليه ذهب قوم من أصحابنا و قالوا فى عدّه الحامل أنها بوضع الحمل و إن كان بعد على المغتسل و روى ذلك عن عمر بن

ص: ١٠٦

الخطاب و أبي مسعود البدرى و أبى هريره و عندنا أن وضع الحمل يختص عدّه المطلقه و الذى يجب على المعتده فى عدّه الوفاه اجتنابه هو الزينه و الكحل بالإثممد و ترك النقله عن المنزل عن ابن عباس و الزهرى و الامتناع من التزوج لا- غير عن الحسن و إحدى الروايتين عن ابن عباس و عندنا أن جميع ذلك واجب «فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ» أى آخر العده بانقضائها «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ» قيل أنه خطاب للأولياء و قيل لجميع المسلمين لأنه يلزمهم منعها عن التزوج فى العده و قيل معناه لا جناح على النساء و عليكم «فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ» من النكاح و استعمال الزينه التى لا- ينكر مثلها و هذا معنى قوله «بِالْمَعْرُوفِ» و قيل معنى قوله «بِالْمَعْرُوفِ» ما يكون جائزا و قيل معناه النكاح الحلال عن مجاهد «وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» أى عليم و هذه الآيه ناسخه لقوله «وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ» و إن كانت متقدمه فى التلاوه عليه.

سوره البقره (٢): آيه ٢٣٥

اشاره

وَ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنُتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْكُمْ سَتَذُكَّرُونَ هُنَّ وَ لَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَ لَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٣٥)

النزول

آيه فى الكوفى و آيتان فى غيرهم يترك «قَوْلًا مَعْرُوفًا» الكوفى.

اللغه

التعريض ضد التصريح و هو أن تضمن الكلام دلالة على ما تريد و أصله من العرض من الشىء الذى هو جانبه و ناحيه منه و

فى الحديث من عرض عرضنا و من مشى على الكلا ألقيناه فى النهر

و معناه من عرض بالقذف عرضنا له بتأديب لا يبلغ الحد و من صرح ألقيناه فى نهر الحد و الفرق بين التعريض و الكنايه أن التعريض تضمنين الكلام دلالة

على شىء ليس فيه ذكر له و الكنايه العدول عن الذكر الأخص بالشىء إلى ذكر يدل عليه فالأول كقول القائل ما أقيح البخل تعرض بأن المخاطب بخيل (و الثانى) كقولك زيدا ضربته كنيته عنه بالهاء و الخطبه الذكر الذى يستدعى به إلى عقده النكاح أخذ من الخطاب و هو توجيه الكلام للأفهام و الخطبه الوعظ المتسق على ضرب من التأليف و قيل الخطبه ما له أول و آخر مثل الرساله و الخطبه للحال نحو الجلسه و القعده و الإكنان الستر للشىء و الكن الستر أيضا و الفرق بين الإكنان و الكن أن الإكنان الإضمار فى النفس و لا يقال كنىته فى نفسى و الكن فى معنى الصون و فى التنزيل يَبْصُرُ مَكْنُونٌ و الكانون يحتاج إليه فى وقت الاكتنان من البرد و الكنانه الجعبه الصغيره تتخذ للنبل و السر فى اللغه على ثلاثه أوجه الإخفاء فى النفس و الشرف فى الحساب يقال فلان فى سر قومه أى فى صميمهم و الجماع فى الفرج قال امرؤ القيس:

ألا زعمت بسباسه اليوم أننى

كبرت و أن لا يشهد السر أمثالى

و قال الأعشى:

و لا تنكحن جاره إن سرها

عليك حرام فانكحن أو تأبدا

و العزم عقد القلب على أمر تفعله و

فى الحديث خير الأمور عوازمها

يعنى ما وكدت عزمك عليه و العقده من العقد و هو الشد و فى المثل يا عاقد اذكر حلا و عقد اليمين خلاف اللغو.

الإعراب

«فِيمَا عَرَّضْتُمْ» الجار و المجرور فى موضع الحال و كذا فى قوله «مِنْ خِطْبِهِ النِّسَاءِ» «أَنْ تَقُولُوا» فى موضع نصب بدل من سرا تقديره و لا تواعدوهن إلا قولا معروفا «وَلَا تَعَزِّمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ» أى على عقده النكاح فحذف على استخفافا كما قالوا ضرب زيد الظهر و البطن معناه على الظهر و البطن قال سيبويه أن الحذف فى هذه الأشياء لا يقاس عليه.

المعنى

لما تقدم ذكر عده النساء و جواز الرجعه فيها للأزواج عقبه بيان حال غير الأزواج فقال «وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ» أى لا حرج و لا ضيق عليكم يا معشر الرجال «فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبِهِ النِّسَاءِ» المعتدات و لم تصرحوا به و ذلك بأن تذكروا ما يدل على

رغبتكم فيها ثم اختلف في معناه فقيل التعريض هو أن يقول الرجل للمعتده إنى أريد النكاح و إنى أحب امرأه من صفتها كذا و كذا فيذكر بعض الصفات التي هي عليها عن ابن عباس و قيل هو أن يقول إنك لنافعه و إنك لموافقته لى و إنك لمعجبه جميله فإن قضى الله شيئا كان عن القاسم بن محمد و الشعبي و قيل هو كل ما كان من الكلام دون عقده النكاح عن ابن زيد «أَوْ أَكُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ» أى أسررتم و أضمرتم فى أنفسكم من نكاحهن بعد مضى عدتهن و قيل هو إسرار العزم دون إظهاره و التعريض إظهاره عن مجاهد و ابن زيد «عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَيَتَذَكَّرُونَ هُنَّ» برغبتكم فيهن خوفا منكم أن يسبقكم إليهن غيركم فأباح لكم ذلك «وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا» فيه أقوال (أحدها) أن معناه لا تواعدوهن فى السر لأنها أجنبيه و المواعده فى السر تدعو إلى ما لا يحل (و ثانيها) أن معناه الزنا عن الحسن و إبراهيم و قتاده و قالوا كان الرجل يدخل على المرأة من أجل الزنيه و هو معرض للنكاح فنهوا عن ذلك (و ثالثها) أنه العهد على الامتناع من تزويج غيرك عن ابن عباس و سعيد بن جبير (و رابعها) هو أن يقول لها إنى ناكحك فلا تفوتينى نفسك عن مجاهد (و خامسها) أن السر هو الجماع فمعناه لا تصفوا أنفسكم بكثرة الجماع و لا تذكره عن جماعه. (و سادسها) أنه إسرار عقده النكاح فى السر عن عبد الرحمن بن زيد و يجمع هذه الأقوال ما

روى عن الصادق أنه قال لا تصرحوا لهن النكاح و التزويج قال و من السر أن يقول لها موعدك بيت فلان

«إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا» يعنى التعريض الذى أباحه الله و إلا بمعنى لكن لأن ما قبله هو المنهى عنه و ما بعده هو المأذون فيه و تقديره و لكن قولوا قولاً معروفاً «وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النَّكَاحِ» أى على عقده النكاح يعنى لا تبتوا النكاح و لا تعقدوا عقده النكاح فى العده و لم يرد به النهى عن العزم على النكاح بعد العده لأنه أباح ذلك بقوله «أَوْ أَكُنْتُمْ» «حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ» معناه حتى تنقضى العده بلا خلاف و قيل الكتاب هو القرآن و المعنى حتى يبلغ فرض الكتاب أى ما فرض فى القرآن من العده و الأجل المضروب لها و قيل معناه حتى يبلغ الفرض أجله و عبر بالكتاب عن الفرض كما يقال كتب أى فرض و هذا لأن ما كتب فقد أثبت فقد اجتمعا فى معنى الثبوت و قيل أن هذا تشبيه للعده بالدين المؤجل المكتوب أجله فى كتاب فكما يتأخر المطالبه بذلك الدين حتى يبلغ الكتاب أجله كذلك يتأخر خطبه النكاح فى العده إلى انقضاء العده «وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ» من أسراركم و ضمائركم «فَاخْذَرُوهُ» فاتقوا عقابه و لا تخالفوا أمره «وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ» لعباده «حَلِيمٌ» يمهل العقوبه المستحقه فلا يعجل بها.

اشاره

لا- جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُم النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَ مَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (٢٣٦)

القراءة

قرأ حمزه و الكسائي تماسوهن بضم التاء و بألف في موضعين هاهنا و في الأحزاب و قرأ الباقون «تَمَسُّوهُنَّ» و قرأ أبو جعفر و أهل الكوفه إلا أبا بكر و ابن ذكوان قدره بفتح الدال في الموضعين و الباقون بإسكانها.

الحججه

حججه من قرأ «تَمَسُّوهُنَّ» قوله «وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرًا» و «لَمْ يَطْمِئُنُّهُنَّ» و فَانكِحُوهُنَّ و النكاح عبارته عن الوطاء قال جرير:

التاركون على طهر نساءهم

و الناكحون بشطىء دجله البقرا

و حججه من قرأ و لا تماسوهن أن فاعل و فعل قد يراد بكل واحد منهما ما يراد بالآخر و ذلك نحو طارقت النعل و عاقبت اللص و قال أبو الحسن يقال هو القدر و القدر و هم يختصمون في القدر و القدر قال الشاعر:

(ألا يا لقوم للنوائب و القدر)

و خذ منه بقدر كذا و قدر كذا لغتان و في كتاب الله فَسَأَلَتْ أُوْدِيَةَ بِقَدَرِهَا و قدرها و «عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ» و قدره و ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدَرِهِ و لو حركت كان جائزا و كذلك إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ و لو خففت كان جائزا إلا أن رءوس الآي كلها متحركة فيلزم الفتح لأن ما قبلها مفتوح.

اللغة

الموسع الذى يكون فى سعه لغناه و المقتر الذى يكون فى ضيق لفقره يقال أوسع الرجل إذا كثر ماله و اتسعت حاله و أقتر إذا افتقر و قترت الشىء أى أقتره قترا و قترته تقيرا إذا ضيقت الإنفاق منه و القتر دخان الشحم على النار لقلته بالإضافة إلى بقيته و القتر الغبار و القتر مسامير الدرع لقلتها و صغرها و القتر ابتداء الشيب لقلته و يجوز أن يكون مشبها بالدخان أول ما يرتفع و القتره ناموس الصائد لأنها كالقتر و أصل الباب الإقلال و قدرت الشىء أى قدره و أقدره قدرا و قدرت على الشىء أى أقدر عليه قدره و قدورا.

«ما لَمْ تَمْسُوهُنَّ» موصول و صله فى موضع نصب تقديره مده ترك المس فحذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه و العامل فى الظرف طلق و جواب الشرط محذوف تقديره إن طلقتم النساء فلا جناح عليكم متاعا نصب على أحد وجهين إما أن

يكون حالاً- من قدره و العامل فيه الظرف أى ممتعا متاعا و أما على المصدر أى متعوهن متاعا و حقا ينتصب أيضا على أحد وجهين إما أن يكون حالاً من قوله «بِالْمَعْرُوفِ» و العامل فيه معنى عرف حقا و إما أن يكون على التأكيد بجمله الخبر فكأنه قال أخبركم به حقا أو أحقه حقا أو حق ذلك عليهم حقا كأنه قال إيجابا على المحسنين.

المعنى

ثم بين سبحانه حكم الطلاق قبل الفرض و المسيس فقال «لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ» هذا إباحه للطلاق قبل المسيس و فرض المهر فرفع الإثم عن الطلاق قبل الدخول لثلا يتوهم أحد أن الطلاق فى هذه الحاله محظور و المس كناية عن الوطء و المفروض صداقها داخله فى دلالة الآية و إن لم يذكر لأن التقدير ما لم تمسوهن ممن قد فرضتم لهن «أَوْ» لم «تَفْرَضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً» لأن أو تنبئ عن ذلك إذ لو كان على الجمع لكان بالواو و المراد بالفريضة الصداق بلا خلاف لأنه يجب بالعقد على المرأة فهو فرض لوجوبه بالعقد و معناه أو لم تقدروا لهن مهرا مقدر و إنما خص التى لم يدخل بها الذكر فى رفع الجناح دون المدخول بها و إن كان حكمهما واحدا لأمرين (أحدهما) لإزالة الشك على ما قدمنا ذكره (و الثانى) لأن له أن يطلق التى لم يدخل بها أى وقت شاء بخلاف المدخول بها فإنه لا يجوز أن يطلقها إلا فى طهر لم يجامعها فيه «وَمَتَّعُوهُنَّ» أى أعطوهن من مالكم ما يتمتعن به و المتعه و المتاع ما يتمتع به «عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ» أى على الغنى الذى هو فى سعه لغناه على قدر حاله «وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ» أى على الفقير الذى هو فى ضيق بقدر إمكانه و طاقته و

المتعه خادم أو كسوه أو رزق عن ابن عباس و الشعبى و الربيع و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله

و هو مذهب الشافعى و قيل هو مثل نصف صداق تلك المرأة المنكوحه عن أبى حنيفة و أصحابه ثم اختلف فى ذلك

فقيل إنما تجب المتعه للتى لم يسم لها صداق خاصه عن سعيد بن المسيب و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله

و هو مذهب أبى حنيفة و أصحابه و قيل المتعه لكل مطلقه إلا المختلعه و المبارئه و الملاعنه عن الزهرى و سعيد بن جبير و أبى العالیه و قيل المتعه لكل مطلقه سوى المطلقة المفروض لها إذا طلقت قبل الدخول فإنما لها نصف الصداق و لا متعه لها عن ابن عمر و نافع و عطاء و هو مذهب الشافعى و قد رواه أصحابنا أيضا و ذلك محمول على الاستحباب و قوله «مَتَاعًا» أى و متعوهن متاعا «بِالْمَعْرُوفِ» أى وسطا ليس فيه إسراف و لا تقتير و قيل متاعا معتبرا بحال الرجل فى اليسار و الإقتار و قيل معتبرا بحالهما جميعا إذ لا يسوى بين حره شريفه و بين أمه معتقه ليكون ذلك خارجا عن التعارف عن القاضى و قال أهل المدينة يؤمر الزوج به من غير أن يجبر عليه و عندنا يجبر عليه و به

قال أهل العراق «حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ» أى واجبا على الذين يحسنون الطاعة و يجتنبون المعصية و إنما خص المحسنين بذلك تشريفا لهم لا أنه لا يجب على غيرهم و دل ذلك على وجوب الإحسان على جميعهم فإن على كل إنسان أن يكون محسنا فهو كقوله هُدًى لِلْمُتَّقِينَ و قيل معناه من أراد أن يحسن فهذا حقه و حكمه و طريقه عن أبى مسلم هذا كله فى المطلقه فأما المتوفى عنها زوجها إذا لم يفرض لها صداق فلها الميراث و عليها العده إجماعا و قال أكثر الفقهاء لها صداق مثلها و حكى أبو على الجبائى عن بعض الفقهاء أنه قال لا مهر لها و هو الذى يليق بمذهبنا لأنه لا نص لأصحابنا فى ذلك.

سوره البقره (٢): آيه ٢٣٧

اشاره

وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٧)

القراءه

روى فى الشواذ عن الحسن أو يعفو الذى بيده بسكون الواو و عن على (عليه السلام) و لا تناسوا الفضل.

الحججه

قال ابن جنى سكون الواو من المضارع فى موضع النصب قليل و سكون الياء فيه أكثر و أصل السكون فى هذا إنما هو للألف نحو أن يسعى ثم شبهت الياء بالألف لقربها منها نحو قوله:

كان أيديهن بالموماه

أيدي جوار بتن ناعمات

و قوله:

(كان أيديهن بالقاع القرق)

ثم شبهت الواو فى ذلك بالياء قال الأخطل:

إذا شئت أن تلهو ببعض حديثها

رفعن و أنزلن القطين المولدا

و قال:

"أبى الله أن أسمو بأم ولا أب"

و أما قوله تعالى ولا تناسوا فإنما هو نهى

ص: ١١٢

عن فعلهم الذى اختاروه و تظاهروا به كما يقال تغافل و تصام و تحسن هذه القراءه إنك إنما تنهى الإنسان عن فعله و النسيان ظاهره أن يكون من فعل غيره كأنه أنسى فنسى قال الله سبحانه و ما أنسانيه إلا الشيطان.

الإعراب

«فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ» رفع تقديره عليكم نصف ما فرضتم و قوله «يَعْفُونَ» فى موضع نصب بأن إلا أن فعل المضارع إذا اتصل به نون ضمير جماعه المؤنث بنى فيستوى فى الرفع و النصب و الجزم و «أَنْ يَعْفُونَ» موصول و صله فى محل نصب على الاستثناء «أَوْ يَعْفُوا» تقديره أو أن يعفو و هو فى محل نصب بالعطف على الموصول و الصله قبلها «وَأَنْ تَعْفُوا» فى موضع الرفع بالابتداء و أقرب خبره و تقديره و العفو أقرب للتقوى و اللام يتعلق بأقرب و هو بمعنى من أو إلى و الألف و اللام فى النكاح بدل من الإضافة إذ المعنى أو يعفو الذى بيده عقده نكاحه و مثله قوله «فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى» و معناه هى مأواه.

المعنى

ثم بين سبحانه حكم الطلاق قبل المسيس بعد الفرض فقال «وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ» يعنى إن طلقتم أيها الرجال النساء «مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ» أى تجامعوهن «وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً» أى أوجبتم لهن صداقا و قدرتم مهرا «فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ» أى فعليكم نصف ما قدرتم و هو المهر المسمى «إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ» يعنى الحرائر البالغات غير المولى عليهن لفساد عقولهن أى يتركن ما يجب لهن من نصف الصداق فلا يطالبن الأزواج بذلك عن ابن عباس و مجاهد و سائر أهل العلم «أَوْ يَعْفُوا» أى يترك و يهب الذى بيده عقده النكاح

قيل هو الولى عن مجاهد و علقمه و الحسن و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله

و هو مذهب الشافعى غير أن عندنا الولى هو الأب أو الجد مع وجود الأب الأدنى على البكر غير البالغ فأما من عداهما فلا ولايه له إلا بتوليتهما إياه و

قيل هو الزوج و روه عن على

و سعيد بن المسيب و شريح و إبراهيم و قتاده و الضحاك و هو مذهب أبى حنيفة و رواه أيضا أصحابنا غير أن الأول أظهر و هو المذهب

و من جعل العفو للزوج قال له أن يعفو عن جميع النصف و من جعله للولى من أصحابنا قال له أن يعفو عن بعضه و ليس له أن يعفو عن جميعه فإن امتنعت المرأه عن ذلك لم يكن لها ذلك إذا اقتضته المصلحه عن أبى عبد الله

«وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى» خطاب للزوج و المرأه جميعا عن ابن عباس و للزوج وحده عن الشعبى قال و إنما جمع لأنه خطاب لكل زوج و قول ابن عباس أقوى لعمومه و إنما كان العفو أقرب للتقوى من وجهين (أحدهما) أن معناه أقرب إلى أن يتقى

أحدهما ظلم صاحبه لأن من ترك لغيره حق نفسه كان أقرب إلى أن لا- يظلم غيره بطلب ما ليس له (و الثاني) أن معناه أقرب إلى أن يتقى معصية الله لأن من ترك حق نفسه كان أقرب إلى أن لا يعصى الله بطلب ما ليس له «وَلَا تَتَسَوَّأُ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ» أى لا تتركوا الأخذ بالفضل والإحسان بينكم و الإفضال فتأخذوا بمر الحكم و استيفاء الحقوق على الكمال بين الله سبحانه فى هذه الآيه الحكم الذى لا يعذر أحد فى تركه و هو أنه ليس للزوج أن ينقصها من نصف المهر و لا للمرأة أن تطالبه بالزيادة ثم بين طريق الفضل من الجانبين و ندب إليه و حث عليه «إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ» أى بأعمالكم «بَصِيرٌ» أى عليم و روى عن سعيد بن المسيب أن هذه الآيه ناسخه لحكم المتعه فى الآيه الأولى و قال أبو القاسم البلخى و هذا ليس بصحيح لأن الآيه تضمنت حكم من لم يدخل بها و لم يسم لها مهرا إذا طلقها و هذه تضمنت حكم التى فرض لها المهر و لم يدخل بها إذا طلقها و أحد الحكمين غير الآخر و أقول إذا بينا فى الآيه الأولى أنها تتناول المطلقات غير المدخول بهن سواء فرض لهن المهر أو لم يفرض و قلنا إن متعهن لا يحمل على العموم إذ لا متعه لمن فرض لها المهر و إن لم يدخل بها فلا بد من تخصيص فيه و تقدير و حذف أى و متعوا من طلقتم منهن و لم تفرضوا لهن فريضه و إنما جاز هذا الحذف لدلاله ذكر من فرض لها المهر و حكمها فى الآيه الأخرى عليه و هذا ما سنح لى ها هنا و لم أر أحدا من المفسرين تعرض لذكره و بالله التوفيق.

سوره البقره (٢): آيه ٢٣٨

إشارة

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨)

اللغة

الحفظ ضبط الشىء فى النفس ثم يشبهه به ضبطه بالمنع من الذهاب و الحفظ خلاف النسيان و أحفظه أغضبه لأنه حفظ عليه ما يكرهه و منه الحفيظه الحميه و الحفاظ المحافظه و الوسطى تأنيث الأوسط و هو الشىء بين الشيتين على جهه الاعتدال و أصل القنوت الدوام على أمر واحد و قيل أصله الطاعة و قيل أصله الدعاء فى حال القيام قال على بن عيسى و الأول أحسن لحسن تصرفه فى الباب لأن المداوم على الطاعة قانت و كذلك المداوم فى صلاته على السكوت إلا عن الذكر المشروع و كذلك المداوم على الدعاء و يقال فلان يقنت عليه أى يدعو عليه دائما.

النزول

عن زيد بن ثابت أن النبى كان يصلى بالهاجره و كانت أثقل الصلوات

على أصحابه فلا يكون وراءه إلا الصف أو الصفان فقال لقد هممت أن أحرق على قوم لا يشهدون الصلاة بيوتهم فنزلت هذه الآية ..

المعنى

لما حث الله سبحانه على الطاعة خص الصلاة بالمحافظة عليها لأنها أعظم الطاعات فقال «حَافِظُوا عَلَيَّ الصَّلَوَاتِ» أى داوموا على الصلوات المكتوبات فى موابقتها بتمام أركانها ثم خص الوسطى تفخيما لشأنها فقال «وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى» كقوله سبحانه «مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ» أى و الصلاة الوسطى خاصة فداوموا عليها ثم اختلف فى الصلاة الوسطى على أقوال (أحدها)

أنها صلاة الظهر عن زيد بن ثابت و ابن عمر و أبى سعيد الخدرى و أسامه و عائشه و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله و هو قول أبى حنيفه و أصحابه و

ذكر بعض أئمة الزيدية إنها الجمعة يوم الجمعة و الظهر سائر الأيام و رواه عن على

و يدل عليه سبب نزول هذه الآية و هو أنها وسط النهار و أول صلاة فرضت و

روى عن على قال قال النبى ص إن الله فى السماء الدنيا حلقه تزول فيها الشمس فإذا زالت الشمس سبح كل شىء لربنا فأمر الله سبحانه بالصلاة فى تلك الساعة و هى الساعة التى تفتح فيها أبواب السماء فلا تغلق حتى يصلى الظهر و يستجاب فيها الدعاء (و ثانيها)

أنها صلاة العصر عن ابن عباس و الحسن و روى ذلك عن على

و ابن مسعود و قتاده و الضحاك و روى ذلك عن أبى حنيفه و

روى مرفوعا إلى النبى قالوا لأنها بين صلاتى النهار و صلاتى الليل و إنما خصت بالذكر لأنها تقع فى وقت اشتغال الناس فى غالب الأمر

و

روى عن النبى أنه قال الذى تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله و ماله

و

روى بريده قال قال النبى ص بكروا بالصلاة فى يوم الغيم فإنه من فاتته صلاة العصر حبط عمله

(و ثالثها) أنها المغرب عن قيصره بن ذؤيب قال لأنها وسط فى الطول و القصر من بين الصلوات و

روى الثعلبى بإسناده عن عائشه قالت قال رسول الله إن أفضل الصلوات عند الله صلاه المغرب لم يحطها الله عن مسافر و لا مقيم فتح الله بها صلاه الليل و ختم بها صلاه النهار فمن صلى المغرب و صلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرًا فى الجنة و من صلى بعدها أربع ركعات غفر الله له ذنب عشرين أو أربعين سنه

(و رابعها) أنها صلاه العشاء الآخره عن بعضهم قال لأنها بين صلاتين لا تقصران و

روى عن النبى أنه قال من صلى العشاء الآخره فى جماعه كان كقيام نصف ليله و من صلى صلاه الفجر فى جماعه كان كقيام ليله

(و خامسها) أنها صلاه الفجر عن معاذ و ابن عباس و جابر بن عبد الله و عطاء و عكرمه و مجاهد و هو قول الشافعى قالوا لأنها بين صلاتى الليل و صلاتى النهار و بين الظلام و الضياء و لأنها صلاه لا تجمع مع غيرها فهى منفرده بين مجتمعين و يدل عليه

ص: ١١٥

من التنزيل قوله وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً يعنى تشهده ملائكه الليل و ملائكه النهار و هو مكتوب فى ديوان الليل و ديوان النهار قالوا و يدل عليه آخر الآيه و هو قوله «وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ» يعنى و قوموا فيها لله قانتين قال أبو رجاء العطاردى صلى بنا ابن عباس فى مسجد البصره صلاه الغداه فقت فيها قبل الركوع و رفع يديه فلما فرغ قال هذه الصلاه الوسطى التى أمرنا أن نقوم فيها قانتين أورده الثعلبى فى تفسيره و

روى بإسناده مرفوعا إلى أنس بن مالك قال ما زال رسول الله يقنت فى صلاه الغداه حتى فارق الدنيا

(و سادسها) أنها إحدى الصلوات الخمس لم يعينها الله و أخفاها فى جملة الصلوات المكتوبه ليحافظوا على جميعها كما أخفى ليله القدر فى ليالى شهر رمضان و اسمه الأعظم فى جميع الأسماء و ساعه الإجابه فى ساعات الجمعة عن الربيع بن خيثم و أبى بكر الوراق «وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ» قال ابن عباس

معناه داعين و القنوت هو الدعاء فى الصلاه فى حال القيام و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله

و قيل معناه طائعين عن الحسن و سعيد بن المسيب و قتاده و الضحاك و طاووس و إحدى الروايتين عن ابن عباس و قيل معناه خاشعين عن مجاهد قال نهوا عن العبث و الالتفات فى الصلاه و قيل ساكنين عن ابن مسعود و زيد بن أرقم و الأصل فيه الإتيان بالدعاء أو غيره من العبادات فى حال القيام و يجوز أن يطلق فى سائر الطاعات فإنه و إن لم يكن فيه القيام الحقيقى فإن فيه القيام بالعباده.

سوره البقره (٢): آيه ٢٣٩

اشاره

فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أُمِّتُمْ فَأذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (٢٣٩)

اللغه

الرجال جمع راجل مثل تاجر و صحاب و قيام فى جمع تاجر و صاحب و قائم و الراجل هو الكائن على رجله واقفا كان أو ماشيا و الركبان جمع راكب كالفرسان جمع فارس و كل شىء علا شيئا فقد ركب و الركاب المطى و ركبت الرجل أركبه ركبا أى ضربته بركبته و أصبت ركبته أيضا و هذا قياس فى جميع الأعضاء نحو رأسه و بطنه و ظهرته.

الإعراب

رجالا- منصوب على الحال تقديره فصلوا رجالا- كما علمكم الكاف يتعلق باذكروا و ما مصدرية فى ما علمكم و قوله «ما لم تكونوا تعلمون» موصول و صلته فى موضع المفعول الثانى لعلم.

المعنى

لما قدم سبحانه وجوب المحافظه على الصلاه عقبه بذكر الرخصه عند المخافه فقال «فَإِنْ خِفْتُمْ» أى إن لم يمكنكم أن تقوموا قانتين موفين الصلاه حقها لخوف عرض لكم «فَرَجَالًا» أى فصلوا رجالا- على أرجلكم وقيل مشاه «أَوْ رُكْبَانًا» أى على ظهور دوابكم عنى بها صلاه الخوف و صلاه الخوف من العدو ركعتان فى السفر و الحضر إلا المغرب فإنها ثلاث ركعات و

يروى أن عليا صلى ليله الهرير خمس صلوات بالإيماء وقيل بالتكبير و إن النبى صلى يوم الأحزاب إيماء

«فَإِذَا أَمِنْتُمْ» من الخوف «فَإِذْ كُرُوا اللَّهَ» أى فصلوا صلاه الأيمن وقيل اذكروا الله بالثناء عليه و الحمد له «كَمَا عَلَّمَكُم» من أمور دينكم و غير ذلك من أموركم «مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ».

سوره البقره (٢): آيه ٢٤٠

اشاره

وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّهٌ لِّأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٤٠)

القرءاء

قرأ أهل المدينة و ابن كثير و الكسائى و أبو بكر عن عاصم وصيه بالرفع و الباقون بالنصب.

الحجه

قال أبو على حجه من قرأ وصيه بالرفع أنه يجوز أن يرتفع من وجهين (أحدهما) أن يكون مبتدأ و الظرف خبره و حسن الابتداء بالنكره لأنه موضع تخصيص كما حسن أن يرتفع سلام عليكم و خير بين يديك و نحو قوله لملتمس المعروف أهل و مرحب لأنها فى موضع دعاء فجاز فيها الابتداء بالنكره لما كان معناها كمعنى المنصوب (و الآخر) أن تضم له خبرا فيكون لأزواجهم صفه و تقدير الخبر المضمم فعلهم وصيه لأزواجهم و من نصب وصيه حمله على الفعل أى ليوصوا وصيه و يكون قوله «لِأَزْوَاجِهِمْ» وصفا كما كان فى قول من أضم الخبر كذلك و من حجتهم أن الظرف إذا تأخر عن النكره كان استعماله صفه أكثر و إذا كان خبرا تقدم على النكره إذا لم يكن فى معنى المنصوب كقوله تعالى «وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ» «وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ» فإذا تأخرت فالأكثر فيها أن تكون صفاتا و قال بعضهم لا يجوز غير الرفع لأنه لا يمكن الوصيه بعد الوفاء و لأن فرض النفعه كان لهن أوصى أو لم يوص قال على بن عيسى و هذا غلط لأن المعنى و الذين تحضرهم الوفاء منكم

فلذلك قال «يَتَوَفَّوْنَ» على لفظ الحاضر الذى يتناول نحو قوله (الذين يصلون فليعرضوا عن الفكر فيما يشغلهم) فأما قولهم أن الفرض كان لهن وإن لم يوصوا فغير صحيح لأن الزوج إذا فرط فى الوصيه فلا- ينكر أن يوجه الله على الورثه و قال قتاده و السدى كان يجب على الزوج الوصيه لها كما أوجب الوصيه للوالدين و الأقربين و قوله «مَتَاعاً» نصب على وجهين (أحدهما) أنه على تقدير متعهن متاعاً (و الثانى) جعل الله لهن ذلك متاعاً لأن ما قبله دل عليه و قوله «غَيْرِ إِخْرَاجٍ» منصوب على وجهين (أحدهما) أن يكون صفه لمتاع (و الثانى) أن يكون مصدراً وضع موضع الحال قال الفراء و هو كقولك جئتك غير رغبه إليك فكأنه قال متعهن متاعاً فى مساكنهن و أقول إن تقديره غير مخرجات إخراجاً فيكون ذو الحال هن من متعهن و يجوز أن يكون تقديره غير مخرجين فيكون ذو الحال الواو من متعهن.

المعنى

«وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ» أى الذين يقاربون منكم الوفاه لأن المتوفى لا يؤمر و لا ينهى «وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّهً لِّأَزْوَاجِهِمْ» أى فليوصوا وصيه لهن و من رفع فمعناه وصيه من الله لأزواجهم أو عليهم وصيه لهن «مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ» يعنى ما يتتفعن به حولا من النفقه و الكسوه و السكنى و قيل و هو مثل المتعه فى المطلقات و كان واجبا فى المتوفى عنها زوجها بالوصيه من مال الزوج «غَيْرِ إِخْرَاجٍ» أى لا- يخرجن من بيوت الأزواج «فَإِنْ خَرَجْنَ» بأنفسهن قبل الحول من غير أن يخرجهن الورثه و قيل أن المراد إذا خرجن بعد مضى الحول و قد مضت العده فإن بمعنى إذا عن القاضى و غيره «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ» يا معشر أولياء الميت «فِى مَا فَعَلْنَ فِى أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ» اختلفوا فى رفع الجناح قيل لا جناح فى قطع النفقه و السكنى عنهن عن الحسن و السدى قالوا و هذا دليل على سقوط النفقه بالخروج و أن ذلك كان واجبا لهن بالإقامه إلى الحول فإن خرجن قبله بطل الحق الذى وجب لهن بالإقامه و قيل لا جناح عليكم فى ترك منعهن من الخروج لأن مقامها سنه فى البيت غير واجب و لكن قد خيرها الله فى ذلك عن الجبائى و قيل لا جناح عليكم أن تزوجن بعد انقضاء العده و هذا أوجه و تقديره إذا خرجن من العده بانقضاء السنه فلا جناح إن تزوجن و قوله «مِنْ مَّعْرُوفٍ» يعنى طلب النكاح و التزين «وَاللَّهُ عَزِيزٌ قَادِرٌ لَّا شَيْءٌ يَعْجزُهُ «حَكِيمٌ» لا يصدر منه إلا ما تقتضيه الحكمه و اتفق العلماء على أن هذه الآيه منسوخه و

قال أبو عبد الله ثم كان الرجل إذا مات أنفق على امرأته من صلب المال حولا ثم أخرجت بلا ميراث ثم نسختها آيه الربع و الثمن فالمرأه ينفق عليها من نصيبها

و

عنه قال نسختها يَتَرَبِّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ عَشْرًا وَ نَسَخْتَهَا آيه المواريث.

إشاره

وَ لِلْمُطَلَّقاتِ مَتاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (٢٤١) كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢٤٢)

الإعراب

الوجه فى انتصاب قوله «حَقًّا» مثل ما بيناه فيما قبل فى قوله حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ كذلك الكاف يتعلق بيبين أى مثل هذا البيان بيبين لكم.

النزول

قيل لما نزلت وَ مَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ إِلَى قوله حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ قال بعضهم إن أحببت فعلت و إن لم أرد ذلك لم أفعل فأنزل الله هذه الآية عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

المعنى

لما قدم سبحانه بيان أحوال المعتدات عقبه بيان ما يجب لهن من المتعه فقال «وَ لِلْمُطَلَّقاتِ مَتاعٌ بِالْمَعْرُوفِ» اختلف فيه فقال سعيد بن جبير و أبو العاليه و الزهرى إن المراد بهذا المتاع المتعه و أن المتعه واجبه لكل مطلقه و قال أبو على الجبائى المراد به النفقه و هو المتاع المذكور فى قوله مَتاعاً إِلَى الْحَوْلِ و قال سعيد بن المسيب الآية منسوخه بقوله تعالى فَنُصِفُ ما فَرضْتُمْ و عندنا أنها مخصوصه بتلك الآية إن نزلتا معا و إن كانت تلك متأخره فمنسوخه لأن عندنا لا تجب المتعه إلا للمطلقه التى لم يدخل بها و لم يفرض لها مهر فأما المدخول بها فلها مهر مثلها إن لم يسم لها مهر و إن سمي لها مهر فما سمي لها و غير المدخول بها المفروض مهرها لها نصف المهر و لا متعه فى هذه الأحوال و به قال الحسن فلا بد من تخصيص هذه الآية و ذكرنا الكلام فى المتعه عند قوله «وَ مَتَّعُوهُنَّ» و قوله «بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ» مضى تفسيره و خص المتقين هنا كما خص المحسنين هناك «كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ» أى كما بين الله لكم الأحكام و الآداب التى مضت مما تحتاجون إلى معرفتها فى دينكم بيبين لكم هذه الأحكام فشبه البيان الذى يأتى بالبيان الماضى و البيان هو الأدله التى يفرق بها الحق و الباطل «لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» معناه لكى تعقلوا آيات الله و قيل لعلكم تكمل عقولكم فإن العقل الغريزى إنما يكمل بالعقل المكتسب و المراد به استعمال العقل مع العلم به و من لم يستعمل العقل فكأنه لا- عقل له و هذا كقوله تعالى إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ جعلهم جهالا لأنهم آثروا هواهم على ما علموا أنه الحق.

اشاره

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَعَدُوٌّ فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٢٤٣)

اللغه

الرؤية هنا بمعنى العلم ومعنى ألم تر ألم تعلم وهذه الألف ألف التوقيف و تر متروكه الهمزه وأصله ألم ترا من رأى يرى مثل نأى ينأى إلا أنهم على إسقاط الهمزه هنا للتخفيف.

الإعراب

«حَذَرَ الْمَوْتِ» نصب لأنه مفعول له و جاز أن يكون نصبه على المصدر لأن خروجهم يدل على حذروا الموت حذرا.

المعنى

لما ذكر قوله يُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ عقبه بذكر آيه من آياته فقال «أَلَمْ تَرَ» أى ألم تعلم: يا محمد أو أيها السامع أو لم ينته علمك إلى خبر هؤلاء «الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ» قيل هم من قوم بنى إسرائيل فروا من طاعون وقع بأرضهم عن الحسن وقيل فروا من الجهاد وقد كتب عليهم عن الضحاك ومقاتل واحتجا بقوله عقيب الآيه وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وقيل هم قوم حزقييل وهو ثالث خلفاء بنى إسرائيل بعد موسى وذلك أن القيم بأمر بنى إسرائيل بعد موسى كان يوشع بن نون ثم كالب بن يوقنا ثم حزقييل وقد كان يقال له ابن العجوز وذلك أن أمه كانت عجوزا فسألت الله الولد وقد كبرت وعقمت فوهبه الله لها وقال الحسن هو ذو الكفل وإنما سمي حزقييل ذا الكفل لأنه كفل سبعين نبيا نجاهم من القتل وقال لهم اذهبوا فإنى إن قتلت كان خيرا من أن تقتلوا جميعا فلما جاء اليهود وسألوا حزقييل عن الأنبياء السبعين فقال إنهم ذهبوا ولا أدري أين هم ومنع الله ذا الكفل منهم «وَهُمْ أُلُوفٌ» أجمع أهل التفسير على أن المراد بألوف هنا كثره العدد إلا ابن زيد فإنه قال معناه خرجوا مؤتلفى القلوب لم يخرجوا عن تباغض فجعله جمع ألف مثل قاعد وقعود وشاهد وشهود واختلف من قال المراد به العدد الكثير فقيل كانوا ثلاثه آلاف عن عطاء الخراسانى وقيل ثمانيه آلاف عن مقاتل والكلبى وقيل عشره آلاف عن ابن روق وقيل بضعه وثلاثين ألفا عن السدى وقيل أربعين ألفا عن ابن عباس وابن جريج وقيل سبعين ألفا عن عطا بن أبى رباح وقيل كانوا عددا كثيرا عن الضحاك والذى يقضى به الظاهر أنهم كانوا أكثر من عشره آلاف لأن بناء فعول للكثرة وهو ما زاد على العشره وما نقص عنها يقال فيه آلاف يقال فيه عشره آلاف ولا يقال عشره ألوف «حَذَرَ الْمَوْتِ» أى من خوف الموت «فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ» قيل فى معناه قولان (أحدهما) أن معناه أماتهم الله كما يقال

قالت السماء فهطلت معناه فهطلت السماء و قلت برأسى كذا و قلت ييدى كذا و معناه أشرت برأسى و ييدى و ذلك لما كان القول فى الأ-كثر استفتاحا للفعل كالقول الذى هو تسميه و ما جرى مجراه مما كان يستفتح به الفعل صار معنى قالت السماء فهطلت أى استفتحت بالهطلان كذلك معناه ها هنا فاستفتح الله بإماتتهم (و الثانى) أن معناه أماتهم بقول سمعته الملائكة لضرب من العبره ثم أحياهم الله بدعاء نبيهم حزقيل عن ابن عباس و قيل إنه شمعون من أنبياء بنى إسرائيل «إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ» لما ذكر النعمه عليهم بما أراهم من الآيه العظيمة فى أنفسهم ليلتموا سبيل الهدى و يجتنبوا طريق الردى ذكر بعده ما له عليهم من الأنعام و الإحسان مع ما هم عليه من الكفران و هذه الآيه حجه على من أنكر عذاب القبر و الرجعه معا لأن إحياء أولئك مثل إحياء هؤلاء الذين أحياهم الله للاعتبار.

القصة

قيل إن اسم القرية التى خرجوا منها هربا من وبائها داوردان قبل واسط قال الكلبي و الضحاك و مقاتل أن ملكا من ملوك بنى إسرائيل أمرهم أن يخرجوا إلى قتال عدوهم فخرجوا فعسكروا ثم جنبوا و كرهوا الموت فاعتلوا و قالوا إن الأرض التى نأتىها بها الوباء فلا نأتىها حتى ينقطع منها الوباء فأرسل الله عليهم الموت فلما رأوا أن الموت كثر فيهم خرجوا من ديارهم فرارا من الموت فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب و إله موسى قد ترى معصيه عبادك فأرهم آيه فى أنفسهم حتى يعلموا أنهم لا يستطيعون الفرار منك فأماتهم الله جميعا و أمات دوابهم و أتى عليه ثمانيه أيام حتى انتفخت و أروحت أجسادهم فخرج إليهم الناس فعجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيره دون السباع و تركوهم فيها قالوا و أتى على ذلك مده حتى بليت أجسادهم و عريت عظامهم و تقطعت أوصالهم فمر عليهم حزقيل و جعل يتفكر فيهم متعجبا منهم فأوحى إليه يا حزقيل تريد أن أريك آيه و أريك كيف أحيى الموت قال نعم فأحياهم الله و قيل إنهم كانوا قوم حزقيل فأحياهم الله بعد ثمانيه أيام و ذلك أنه لما أصابهم ذلك خرج حزقيل فى طلبهم فوجدهم موتى فبكى ثم قال يا رب كنت فى قوم يحمدونك و يسبحونك و يقدسونك فبقيت وحيدا لا قوم لى فأوحى الله إليه قد جعلت حياتهم إليك فقال حزقيل أحيوا يا ذن الله فعاشوا و

سأل حمران بن أعين أبا جعفر الباقر (عليه السلام) عن هؤلاء القوم الذين «قال لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ» فقال أحياهم حتى نظر الناس إليهم ثم أماتهم أم ردهم إلى الدنيا حتى سكنوا الدور و أكلوا

الطعام قال لا بل ردهم الله حتى سكنوا الدور و أكلوا الطعام و نكحوا النساء و مكثوا بذلك ما شاء الله ثم ماتوا بأجالهم.

سوره البقره (٢): آيه ٢٤٤

اشاره

وَ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٤٤)

المعنى

اختلف فى المخاطب بقوله «وَ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» فقيل توجه الخطاب إلى الصحابه بعد ما ذكرهم بحال من فر من الموت فلم ينفعه الفرار يحرضهم على الجهاد لئلا يسلكوا فى الفرار من الجهاد سبيل أولئك الذين فروا من الديار و قيل أنه خطاب للذين جرى ذكرهم على تقدير و قيل لهم قاتلوا فى سبيل الله «وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» أى سميع لما يقول المنافق عليم بما يجنه فاحذروا حاله.

سوره البقره (٢): آيه ٢٤٥

اشاره

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَ اللَّهُ يَقْبِضُ وَ يَبْصُطُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥)

القراءه

«فَيُضَاعِفُهُ» فيه أربع قراءات قرأ أبو عمرو و نافع و حمزه و الكسائى فيضاعفه بالألف و الرفع و قرأ عاصم الألف و النصب و قرأ ابن كثير و أبو جعفر فيضعفه بالتشديد و الرفع و قرأ ابن عامر و يعقوب بالتشديد و النصب و قرأ أبو عمرو و الكسائى و حمزه ببسط و بسطه:

و فى الأعراف أيضا بالسين و روى عنهم أيضا بالصاد و يعقوب و هشام بالسين و الباقرن مختلف عنهم.

الحجه

قال أبو على للرفع فى قوله فيضاعفه وجهان (أحدهما) أن يعطفه على ما فى الصله و الآخر أن يستأنفه فأما النصب فى «فَيُضَاعِفُهُ» فالرفع أحسن منه ألا- ترى أن الاستفهام إنما هو عن فاعل الإقراض لا- عن الإقراض و إذا كان كذلك لم يكن مثل قولك أ تقرضنى فأشكرك لأن الاستفهام هاهنا عن الإقراض و وجه قول ابن عامر و عاصم فى النصب من فاء «فَيُضَاعِفُهُ» أنه حمل الكلام على المعنى و ذلك أنه لما كان المعنى أ يكون قرض حمل قوله «فَيُضَاعِفُهُ» على ذلك كما أن من قرأ من يضلل الله فلا هادى له و يذرهم جزم قوله و يذرهم لما كان معنى قوله فلا هادى له لا يهدده و نحو ذلك مما يحمل فيه الكلام على المعنى

دون اللفظ كثير فأما القول في يضاعف و يضعف فكل واحد منهما في معنى الآخر و قوله

ص: ١٢٢

«أضعافاً» منصوب على الحال و تقديره فيكثره فإذا هي أضعاف فيكون حالاً بعد الفراغ من الفعل و وجه قول من أبدل من السين الصاد في هذه المواضع التي ذكرت أن الطاء حرف مستعل يتصعد من مخرجها إلى الحنك و لم يتصعد السين تصعدها فكره التصعد عن التسفل فأبدل من السين حرفاً في مخرجها في تصعد الطاء فتلاّم الحرفان و صار كل واحد منهما وفق صاحبه في التصعد فزال في الإبدال ما كان يكره من التصعد عن التسفل و لو كان اجتماع الحرفين على عكس ما ذكرناه و هو أن يكون التصعد قبل التسفل لم يكره ذلك و لم يدلوا أ لا ترى أنهم قالوا طسم الطريق و قسوت و قست فلم يكرهوا التسفل عن تصعد كما كرهوا بسط حتى قالوا بصط فأبدلوا فأما من لم يبدل السين في بسط و ترك السين فلأنه الأصل و لأن ما بين الحرفين من الخلاف يسير فاحتمل الخلاف لقلته.

اللغة

القرض هو قطع جزء من المال بالإعطاء على أن يرد بعينه أو يرد مثله بدلاً منه و أصل القرض القطع بالمناب يقال قرض الشيء يقرض إذا قطعه بناه و أقرض فلان فلانا إذا أعطاه ما يتجازاه منه و الاسم منه القرض و التضعيف و المضاعفة و الأضعاف بمعنى و هو الزيادة على أصل الشيء حتى يصير مثلين أو أكثر تقول ضعفت القوم أضعفهم ضعفاً إذا كثرتهم فصرت مع أصحابك على الضعف منهم و ضعف الشيء مثله في المقدار إذا زيد عليه فكل واحد منهما ضعف و ضعف الشيء ضعفاً و ضعفاً و الضعف خلاف القوة و القبض خلاف البسط يقال قبضه يقبضه قبضاً و القبض ضم الكف على الشيء و التقبض التشنج و تقبض عنه إذا اشأز عنه لأنه ضم نفسه عن الانبساط إليه و قبض الإنسان إذا مات و الملك قابض الأرواح و بسط يبسط بسطاً و البساط ما بسطته و البساط بفتح الباء الأرض الواسعة و كتب يبسط بالسين و بسطه بالصاد لأن القلب على الساكن أقوى منه على المتحرك.

المعنى

لما حث سبحانه على الجهاد و ذلك يكون بالنفس و المال و عقبه بالتلطف في الاستدعاء إلى أعمال البر و الإنفاق في سبيل الخير فقال «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ» أي ينفق في سبيل الله و طاعته و المراد به الأمر و ليس هذا بقرض حازه على ما ظنه اليهود فقال إنما يستقرض منا ربنا عن عوز فإنما هو فقير و نحن أغنياء بل سمي تعالى الإنفاق قرضاً تلطفاً للدعاء إلى فعله و تأكيداً للجزاء عليه فإن القرض يوجب الجزاء «قَرْضاً حَسِيناً» و القرض الحسن أن ينفق من حلال و لا يفسده بمن و لا أذى و قيل هو أن يكون محتسباً طيباً به نفسه عن الواقدي و قيل هو أن يكون حسن الموقع عند الإنفاق فلا يكون خسيساً

و الأولى أن يكون جامعا لهذه الأمور كلها فلا تنافى بينها «فِيضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً» أى فيزيده له أى يعطيه ما لا يعلمه إلا الله و هو مثل قوله تعالى «و يُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا» عن الحسن و السدى و

روى عن الصادق (عليه السلام) أنه قال لما نزلت هذه الآية مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا قَالَ رسول الله رب زدنى فأنزل الله مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا فَقَالَ رسول الله رب زدنى فأنزل الله سُبْحَانَ «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً»

و الكثير عند الله لا يحصى «وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَ يَبْضُطُ» معناه و الله يقبض الرزق عن أقوام بأن يقتره عليهم و يبسط الرزق على أقوام بأن يوسعهم عليهم عن الحسن و ابن زيد و قيل معناه يقبض الصدقات و يبسط الجزاء عليها عاجلا أو آجلا أو كلاهما عن الأصم و الزجاج و قيل يقبض الرزق بموت واحد و يبسط لوارثه «وَأِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» و هذا تأكيد للجزاء قال الكلبي فى سبب نزول هذه الآية

أن النبي ص قال من تصدق بصدقه فله مثلها فى الجنة فقال أبو الدحداح الأنصارى و اسمه عمرو بن الدحداح يا رسول الله إن لى حديقتين إن تصدقت بإحدهما فإن لى مثلها فى الجنة قال نعم قال و أم الدحداح معى قال نعم قال و الصبيه معى قال نعم فتصدق بأفضل حديقتيه فدفعها إلى رسول الله فنزلت الآية فضاغف الله له صدقته ألفى ألف و ذلك قوله «أَضْعَافًا كَثِيرَةً» قال فرجع أبو الدحداح فوجد أم الدحداح و الصبيه فى الحديقه التى جعلها صدقه فقام على باب الحديقه و تحرج أن يدخلها فنادى يا أم الدحداح قالت لبيك يا أبا الدحداح قال إنى قد جعلت حديقتى هذه صدقه و اشتريت مثلها فى الجنة و أم الدحداح معى و الصبيه معى قالت بارك الله لك فيما شريت و فيما اشتريت فخرجوا منها و أسلموا الحديقه إلى النبي فقال النبي كم نخله متدل عدوقها لأبى الدحداح فى الجنة.

سوره البقره (٢): آيه ٢٤٦

اشاره

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَ مَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ قَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَ أَبْنَانِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦)

ص: ١٢٤

القراءة

قرأ نافع وحده عسيتم بكسر السين و الباقون بفتحها.

الحجج

المشهور فى عسيت فتح السين و وجه قراءه نافع أنهم قالوا هو عس بذلك و ما عساه و أعس به حكاة ابن الأعرابى و هذا يقوى قراءه نافع لأن عس مثل حر و شج و قد جاء فعل و فعل مثل نغم و نغم و ورت بك زنادى و وريت فكذلك عست و عسيت فإن أسند الفعل إلى ظاهر فقياس عسيتم أن تقول عسى زيد مثل رضى فإن قاله فهو قياس قوله و إن لم يقله فسائغ له أن يأخذ باللغتين معا و يستعمل إحداهما فى موضع و الأخرى فى موضع آخر كما فعل ذلك غيره.

اللغة

الملا الجماعة الأشراف من الناس و

روى أن رجلا من الأنصار قال يوم بدر إن قتلنا الأعاجيز صلعا فقال النبى أولئك الملا من قريش لو رأيتهم فى أنديتهم لهبتهم و لو أمروك لأطعتهم و لاحتقرت فعالك عند فعالهم

و ملأت الإناء أترعته لأنه يجتمع فيه ما لا يكون مزيد عليه و ملأت الرجل عاونته و تمالئوا على ذلك إذا تعاونوا و ملا الرجل ملاءه فهو ملئ بالأمر إذا أمكنه القيام به و الملا الخلق لأن جميع أفعال صاحبه يجرى عليه يقال أحسنوا املاءكم أى أخلاقكم قال:

تنادوا يأل بهته إذ رأونا

فقلنا أحسنى ملا جهينا

و أصل الباب الاجتماع فيما لا يحتمل المزيد و إنما سمي الأشراف ملا لأنه لا مزيد على شرفهم و قيل لأن هيبتهم تملأ الصدور و الملا مقصورا المتسع من الأرض قال الشاعر:

ألا غنيانى و ارفعا الصوت بالملا

فإن الملا عندى تريد المدى بعدا

. الإعراب .

«مِنْ بَيْنِ إِسْرَائِيلَ» الجار و المجرور فى محل نصب على الحال و العامل فيه تر و ذو الحال الملا و «مِنْ بَعِيدِ مُوسَى» فى موضع الحال أيضا و هو حال بعد حال أو حال من الضمير فى الجار و المجرور قبله و قوله «نُقَاتِلُ» جزم على الجواب للمسألة التى هى

على لفظ الأمر أى إن تبعث لنا ملكا نقاتل و لو كان بالياء لجاز الرفع على أن يكون صفه للملك قال الزجاج و الرفع فى نقاتل بعيد يجوز على معنى فإننا نقاتل فى سبيل الله و كثير من

ص: ١٢٥

النحويين لا- يجيز الرفع فيه و قوله «أَلَا تُقَاتِلُوا» في موضع نصب لأنه خبر عسى و قوله «وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ» قال أبو الحسن الأخفش فيه و في قوله مَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا إن أن زائده كأنه قال ما لنا لا نقاتل و ما لكم لا تأكلون كقوله مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ و مَا لَكُمْ لَا تَأْمَنَّا وقع الفعل المنفى موقع الحال كما وقع الموجب موقعه في قولك ما لك تفعل و قد يقال أيضا في نحو ذلك أن المعنى و ما لنا في أن لا نقاتل و ما لكم في أن لا تأكلوا فكأنه حمل الآية على وجهين قال أبو علي و القول الثاني أوضح و يكون أن مع حرف في موضع نصب الحال كقوله تعالى «فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرِهِ مُعْرِضِينَ» و نحو ذلك ثم حذف الجار و سد أن و صلتها ذلك المسد و الحال في الأصل هو الجالب للحرف المقدر إلا- أنه ترك إظهاره لدلاله المنصوب عنه عليه و مثله في وقوع الظرف موقع الحال قول أبو ذؤيب:

يعثرن في حد الظباء كأنما

كسيت برود بنى يزيد الأذرع

و هذا كما يقال خرجت في الثياب أى خرجت لابسا و وجه ثالث ذكره المبرد و هو أن يكون ما جحدوا و تقديره و ما لنا نترك القتال و على الوجهين الأولين يكون ما استفهما و قد أخرجنا جملة في موضع الحال و تقديره و ما لنا ألا نقاتل مخرجين من ديارنا و ذو الحال الضمير في ألا نقاتل و قليلا منصوب على الاستثناء من الموجب.

المعنى

لما قدم تعالى ذكر الجهاد عقبه بذكر القصة المشهورة في بنى إسرائيل تضمنت شرح ما نالهم في قعودهم عنه تحذيرا من سلوك طريقهم فيه «أَلَمْ تَرَ» أى ألم ينته علمك يا محمد «إِلَى الْمَلَأِ» أى جماعه الأشراف «مَنْ بَنَى إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى» أى من بعد وفاته «إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ» اختلف في ذلك النبى فقيل اسمه شمعون سمته أمه بذلك لأن أمه دعت إلى الله أن يرزقها غلاما فسمع الله دعاءها فيه و هو شمعون بن صفيه من ولد لاوى بن يعقوب عن السدى و قيل هو يوشع بن نون بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب عن قتاده و

قيل هو إشمويل و هو بالعربية إسماعيل عن أكثر المفسرين و هو المروى عن أبى جعفر

«ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» اختلف في سبب سؤالهم ذلك فقيل كان سبب سؤالهم ذلك استدلال الجابره لهم لما ظهروا على بنى إسرائيل و غلبوهم على كثير من ديارهم و سبوا كثيرا من ذراريتهم بعد أن كانت الخطايا قد كثرت في بنى إسرائيل

و عظمت فيهم الأحداث و نسوا عهد الله تعالى و لم يكن لهم نبي يدبر أمرهم فبعث الله إليهم إسمويل نبيا فقالوا له إن كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله آيه من نبوتك عن الربيع و الكلبي و قيل أرادوا قتال العمالقه فسألوا ملكا يكون أميرا عليهم تنتظم به كلمتهم و يجتمع أمرهم و يستقيم حالهم في جهاد عدوهم عن السدي و قيل بعث الله إسمويل نبيا فلبثوا أربعين سنة بأحسن حال ثم كان من أمر جالوت و العمالقه ما كان فقالوا لإسمويل ابعث لنا ملكا عن وهب و

قال أبو عبد الله كان الملك في ذلك الزمان هو الذي يسير بالجنود و النبي يقيم له أمره و ينبئه بالخبر من عند ربه فأجابهم نبينهم ف «قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال»

أى لعلكم إن فرض عليكم المحاربه مع ذلك الملك «ألا تقاتلوا» أن لا تفوا بما تقولون و تجنبوا فلا تقاتلوا و إنما سألهم عن ذلك ليعرف ما عندهم من الحرص على القتال و هذا كأخذ العهد عليهم و معنى عسيتم قاربت فإذا قلت عسيت أن أفعل كذا فمعناه قاربت فعله «قالوا» يعنى قال الملاء «و ما لنا ألا نقاتل في سبيل الله» معناه و أى شىء لنا فى ترك القتال و قيل معناه ليس لنا ترك القتال «و قد أخرجنا» لفظه عام و معناه خاص أى قد أخرج بعضنا «من ديارنا و أبنائنا» أوطاننا و أهالينا بالسبى و القهر على نواحينا و المعنى أنهم أجابوا نبينهم بأن قالوا إنما كنا لا نرغب فى القتال إذ كنا أعزاء لا يظهر علينا عدونا فأما إذا بلغ الأمر هذا المبلغ فلا بد من الجهاد «فلما كتب عليهم القتال» فيه حذف تقديره فسأل النبي الله تعالى أن يبعث لهم ملكا يجاهدون معه أعداءهم فسمع الله دعوته و أجاب مسألته فبعث لهم ملكا و كتب عليهم القتال أى فرض فلما كتب عليهم القتال «تولوا» أى عرضوا عن القيام به و ضيعوا أمر الله «إلا قليلا منهم» و هم الذين عبروا النهر على ما نبينه من بعد «و الله عليهم بالظالمين» هذا تهديد لمن يتولى عن القتال لأنهم ظلموا أنفسهم بمعصيه الله.

سوره البقره (٢): آيه ٢٤٧

اشاره

وَ قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَ نَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَ لَمْ يُؤْتَ سَيِّعَهُ مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَ زَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ وَ اللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧)

ص: ١٢٧

اصطفاه اختاره و استصفاه بمعناه و أصله اصتفاه إلا أن التاء أبدلت طاء لأن التاء من مخرج الطاء و الطاء مطبقة كما أن الصاد مطبقة فأبدلوا منها ليسهل النطق بها بعد الصاد و البسطه الفضيله فى الجسم و المال و الجسم حده الطويل العريض العميق بدلاله قولهم جسم جسامه أى ضخم و هذا جسيم أى ضخيم و هذا أجسم من هذا إذا زاد عليه فى الطول و العرض و العمق و قيل الجسم هو المؤلف و قيل هو القائم بنفسه و الصحيح الأول.

الإعراب

طالوت و جالوت و داود لا- تنصرف لأنها أسماء أعجميه و فيها سببان التعريف و العجمه فأما جاموس فلو سميت رجلا به لانصرف و إن كان أعجميا لأنه قد تمكن فى العريه لأنك تدخل عليه الألف و اللام فتقول الجاموس " ملكا" نصب على الحال العامل فيه بعث و ذو الحال طالوت و أنى فى موضع نصب لأنه خبر يكون و الملك اسمه و له فى موضع الحال و ذو الحال الملك تقديره و أنى يكون له الملك يستقر له علينا و يجوز أن يكون كان هنا تامه فيتعلق اللام بكون و أنى فى موضع نصب على الحال من يكون و علينا يتعلق بالملك «و نَحْنُ أَحَقُّ» فى محل نصب على الحال أيضا تقديره أنى يكون له أن يملك علينا و نحن أحق منه بالملك «وَلَمْ يُؤْتِ سَعَةَ» فى محل الحال أيضا عطف على نحن أحق و العامل فيه الملك و ذو الحال الضمير فى أن يملك و تقديره أن يملك علينا غير مؤتى سعه ماله.

المعنى

«وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا» أى جعله ملكا و كان طالوت من ولد بنيامين بن يعقوب و لم يكن من سبط النبوه و لا- من سبط المملكه و سمي طالوت لطلوه و يقال كان سقاء و قيل كان خرنبدجا و قيل كان دباغا و كانت النبوه فى سبط لاوى بن يعقوب و كانت المملكه فى سبط يهوذا بن يعقوب و قيل فى سبط يوسف و قوله «مَلِكًا» يعنى أميرا على الجيش عن مجاهد و قيل بعثه نبيا بعد أن جعله ملكا «قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا» أى من أين له الملك و هذا أول اعتراضهم إذ أنكروا ملكه «و نَحْنُ أَحَقُّ» أى أولى «بِالْمُلْكِ مِنْهُ» لأننا من سبط النبوه و المملكه و أوتينا المال «وَلَمْ يُؤْتِ سَعَةَ مِنَ الْمَالِ» أى لم يعط ما يملك به الناس و هو المال إذ لا بد للملك من المال يحصل به المماليك و قيل معناه و لم يؤت سعه من المال فيشرف به و يجبر نقصا لو كان فيه حتى يساوى أهل الأنساب فأعلمهم الله أنه أعرف بوجوه الحكمة منهم فإن المقصود فى الملك و الرئاسة هو العلم و الشجاعه و أخبرهم بذلك عن لسان نبيهم

«قَالَ إِنَّ اللَّهَ اضْيَطَفَاهُ» أى اختاره «عَلَيْكُمْ» عن ابن عباس «وَزَادَهُ بَسِطَةً» أى فضيله و سعه «فِي الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ» و كان أعلم بنى إسرائيل فى وقته و أجملهم و أتمهم و أعظمهم جسما و أقواهم شجاعه و قيل كان إذا قام الرجل فيسط يده رافعا لها نال رأسه قال وهب كان ذلك فيه قبل الملك و زاده ذلك بعد الملك «وَ اللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ» أى لا تنكروا ملكه و إن لم يكن من أهل بيت الملك فإن الله سبحانه مالك الملك يؤتى الملك من يشاء «وَ اللَّهُ وَاسِعٌ» قيل فى معناه ثلاثة أقوال (أحدها) أنه واسع الفضل فحذف كما يقال فلان كبير أى كبير القدر (و الثانى) أن الواسع بمعنى الموسع أى يوسع على من يشاء من نعمه كما جاء أليم بمعنى مؤلم و سميع بمعنى مسمع (و الثالث) أن معناه ذو سعه نحو عَيْشِهِ رَاضِيَةٍ أى ذات رضا و رجل تأمر أى ذو تمر و لابن أى ذو لبن و قوله «عَلِيمٌ» أى عليم بمن ينبغى أن يؤتية الفضل و المملكه إما للاستصلاح و إما للامتحان و فى هذه الآيه دلالة على أن الملك قد يضاف إليه سبحانه و ذلك بأن ينصب الملك للتدبير و يعطيه آلات الملك و يأمر الخلق بالانقياد له فعند ذلك يجوز أن يقال بعثه الله سبحانه ملكا و إن لم يكن فى البعثه كالأنبياء و يقال فى ملكه أيضا أنه من جهة الله سبحانه لأن تصرفه صادر عن إذنه و فيها دلالة أيضا على أن الملك ليس بواجب أن يكون وراثه و إنما يكون بحسب ما يعلمه الله من المصلحه و فيها دلالة على أن من شرط الإمام أن يكون أعلم من رعيته و أكمل و أفضل فى خصال الفضل و الشجاعه لأن الله علل تقديم طالوت عليهم بكونه أعلم و أقوى فلو لا أن ذلك شرط لم يكن له معنى.

سوره البقره (٢): آيه ٢٤٨

اشاره

وَ قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَ بَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَ آلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٤٨)

اللغه

التابوت بالتاء لغه جمهور العرب و التابوه بالهاء لغه الأنصار و السكينه مصدر وقع موقع الاسم نحو القضييه و البقيه و العزيمه و أخذ من السكون.

الإعراب

موضع أن يأتىكم رفع المعنى أن آيه ملكه إتيان التابوت إياكم «فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ» مبتدأ و خبر فى موضع النصب على الحال من التابوت مما ترك الجار و المجرور فى موضع الصفه لبقية.

«وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ» أى علامه تمليكك الله إياه و حجه صحه ملكه «أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ» و فى هذا دليل على أنهم قالوا لرسولهم إن كان ملكه بأمر من الله و من عنده فأتنا بعلامه تدل على ذلك فأجابهم بهذا و

روى على بن إبراهيم فى تفسيره عن أبى جعفر أن التابوت كان الذى أنزله الله على أم موسى فوضعت فيه ابنها و ألقته فى البحر و كان فى بنى إسرائيل معظما يتبركون به فلما حضر موسى الوفاه وضع فيه الألواح و درعه و ما كان عنده من آثار النبوه و أودعه عند وصيه يوشع بن نون فلم يزل التابوت بينهم و بنو إسرائيل فى عز و شرف ما دام فيهم حتى استخفوا به و كان الصبيان يلعبون به فى الطرقات فلما عملوا المعاصى و استخفوا به رفعه الله عنهم فلما سألوا نبيهم أن يبعث إليهم ملكا بعث الله لهم طالوت و رد عليهم التابوت

و

قيل كان فى أيدى أعداء بنى إسرائيل من العمالقه غلبوهم عليه لما مرج أمر بنى إسرائيل و حدث فيهم الأحداث ثم انتزع الله من أيديهم و رده على بنى إسرائيل تحمله الملائكه عن ابن العباس و وهب و روى ذلك عن أبى عبد الله

و قيل كان التابوت الذى أنزله الله على آدم فيه صور الأنبياء فتوارثه أولاد آدم و كان فى بنى إسرائيل يستفتحون به على عدوهم و قال قتاده و كان فى بريه التيه خلفه هناك يوشع بن نون فحملته الملائكه إلى بنى إسرائيل و قيل كان قدر التابوت ثلاثه أذرع فى ذراعين عليه صفائح الذهب و كان من شمشار و كانوا يقدمونه فى الحروب و يجعلونه أمام جندهم فإذا سمع من جوفه أنين زف التابوت أى سار و كان الناس يسرون خلفه فإذا سكن الأنين و خمد فوقف الناس بوقوفه «فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ» قيل فى التابوت نفسه و قيل فيما فى التابوت و اختلف فى السكينه

فقيل إن السكينه التى كانت فيه ربح هفافه من الجنه لها وجه كوجه الإنسان عن على (عليه السلام)

و قيل

كان له جناحان و رأس كراس الهره من الزبرجد و الزمرد عن مجاهد و روى ذلك فى أخبارنا

و قيل كان فيه آيه يسكنون إليها عن عطا و قيل روح من الله يكلمهم بالبيان عند وقوع الاختلاف عن وهب «وَبَقِيَّتُهُ مِمَّا تَرَكَّ آلُ مُوسَى وَ آلُ هَارُونَ» قيل

إنها عصا موسى و رضاض الألواح عن ابن عباس و قتاده و السدى و هو المروى عن أبى جعفر الصادق

و قيل هى التوراه و شىء من ثياب موسى عن الحسن و قيل كان فيه أيضا لوحان من التوراه و قفيز من المن الذى كان ينزل عليهم و نعلا- موسى و عمامه هارون و عصاه هذه أقوال أهل التفسير فى السكينه و البقيه و الظاهر أن السكينه آمنه و طمأنينه جعلها الله فيه ليسكن إليه بنو إسرائيل و البقيه جائز أن يكون بقيه من العلم أو شىء من علامات الأنبياء و جائز أن يتضمنها

جميعا على ما قاله الزجاج و قيل أراد بآل موسى و آل هارون موسى و هارون على نبينا و عليهما السلام يعنى مما ترك موسى و هارون تقول العرب

ص: ١٣٠

آل فلان يريدون نفسه أنشد أبو عبيده:

فلا تبك ميتا بعد ميت أحبه

على وعباس و آل أبي بكر

يريد أبا بكر نفسه وقال جميل:

بشينة من آل النساء وإنما

يكن لأذنى لا وصال لغائب

أى من النساء «تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ» قيل حملته الملائكة بين السماء والأرض حتى رآه بنو إسرائيل عيانا عن ابن عباس والحسن و قيل لما غلب الأعداء على التابوت أدخلوه بيت الأصنام فأصبحت أصنامهم منكبه فأخرجوه ووضعوه ناحيه من المدينة فأخذهم وجع فى أعناقهم و كل موضع وضعوه فيه ظهر فيه بلاء و موت و وباء فأشير عليهم بأن يخرجوا التابوت فأجمع رأيهم على أن يأتوا به و يحملوه على عجله و يشدوها على ثورين ففعلوا ذلك و أرسلوا الثورين فجاءت الملائكة و ساقوا الثورين إلى بنى إسرائيل فعلى هذا يكون معنى «تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ» تسوقه كما تقول حملت متاعى إلى مكة و معناه كنت سببا لحمله إلى مكة «إِنَّ فِي ذَلِكْ لَمَآيَةٍ لَّكُمْ» أى فى رجوع التابوت إليكم علامه أن الله سبحانه ملك طالوت عليكم «إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» مصدقين و لا يجوز أن يكون على تثبيت الإيمان لهم لأنهم كفروا حين ردوا على نبيهم و قيل إن كنتم مؤمنين كما تزعمون.

سورة البقره (٢): آيه ٢٤٩

اشاره

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩)

ص: ١٣١

القراءه

قرأ ابن كثير و أبو عمرو و أهل المدينه غرفه بالفتح و الباقون بالضم.

الحجه

قال أبو على من فتح الغين عدى الفعل إلى المصدر و المفعول فى قوله محذوف و المعنى إلا من اغترف ماء غرفه و من ضم الغين عدى الفعل إلى المفعول به و لم يعده إلى المصدر لأن الغرفه العين المغترفه فهو بمنزله إلا من اغترف ماء و البغداديون يجعلون هذه الأسماء المشتقه من المصادر بمنزله المصادر و يعملونها كما يعملون المصادر فيقولون عجت من دهنك لحيتك و قد جاء من العرب ما يدل عليه و هو قول الشاعر:

(و بعد عطائك المائه الرتاعا)

و أشياء غير هذا فعلى هذا يجوز أن ينصب الغرفه نصب الغرفه و قد قال سيبويه فى نحو الجلسه و الركبه أنه قد يستغنى بها عن المصادر أو قال تقع مواقعها و هذا كالمقارب لقولهم و لو قيل أن الضم هنا أوجه لقوله «فَشَرِبُوا مِنْهُ» و المشروب منه و المشروب منه الغرفه لكان قولاً.

اللغه

الفصل القطع و فصل بالجنود أى سار بهم و قطعهم عن موضعهم و فصل الصبى فصلاً قطعاً عن اللبن و الجنود جمع جند و جند الجنود أى جمعهم و

فى الحديث الأرواح جنود مجنده

و أصل الباب الجند الغليظ من الأرض يقال طعم الماء كما يقال طعم الطعام و أنشدوا:

فإن شئت حرمت النساء سواكم

و إن شئت لم أطعم نقاخا و لا بردا

أراد لم أذق و النقاخ العذب و غرف الماء يغرف غرفاً و اغترف بمعنى و المغرفه الآله التى يغرف بها و غرب غرف كبير و المجاوزه من الجواز يقال جاز الشىء يجوزه إذا قطعه و أجازه إجازة إذا استصوبه و الشىء يجوز إذا لم يمنع منه دليل و جوز الشىء وسطه مشبه بمجاز الطريق و هو وسطه الذى يجاز فيه و قيل إن اشتقاق الجوزاء منه لأنها تعترض جوز السماء و المجاز فى الكلام لأنه خروج عن الأصل إلى ما يجوز فى الاستعمال و أصل الباب الجواز و هو المرور من غير شىء يصدر منه التجاوز عن الذنب لأنه المرور عليه بالصفح و الطاقه القوه يقال أطقت الشىء إطاقه و طاقه و طوقاً مثل أطعته إطاقه و طوعاً و الفئه الطائفه من الناس و الجمع فئون و فئات و لا يجوز فى عده إلا عادات لأن نقص عده من أوله و ليس كذلك فئه و ما نقص من

أوله يجرى فى الباب على اطراد بمنزله غير المنقوص و أما فئه و مائه و عزه فإن النقص فيه على غير اطراد و تقول فأوت رأسه
بالسيف إذا قطعتة و انفاء

ص: ١٣٢

الشيء انفياء إذا انقطع وأصل الباب القطع ومنه الفئه لأنهم قطعه من الناس.

الإعراب

قوله «بَيْدِهِ» من فتح فاء غرفه جاز أن يتعلق بالمصدر عنده و جاز أن يعلقه بالفعل أيضا و من أعمل الغرفه إعمال المصدر جاز أن يتعلق الباء بها في قوله و كلا- الأمرين مذهب و «مَنْ اعْتَرَفَ» في موضع نصب بالاستثناء و كم خبريه و هي في موضع رفع بالابتداء.

المعنى

«فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ» في الكلام حذف لدلاله ما بقى عليه و هو فأتاهم التابوت بالصفه التي وعدوا بها فصدقوا و انقادوا لطالوت فلما فصل طالوت أى خرج من مكانه و قطع الطريق بالجنود أى العساكر و اختلف فى عددهم فقبل كانوا ثمانين ألف مقاتل عن السدى و قيل سبعين ألفا عن مقاتل و ذلك أنهم لما رأوا التابوت أيقنوا بالنصر فبادروا إلى الجهاد «قَالَ» يعنى طالوت «إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ» أى مختبركم و ممتحنكم و معنى الابتلاء هاهنا تمييز الصادق عن الكاذب فى قوله عن الحسن و كان سبب ابتلائهم بالنهر شكايتهم قله الماء و خوف التلف من العطش عن وهب و قيل إنما ابتلوا بذلك ليصبروا عليه فيكثر ثوابهم و يستحقوا به النصر على عدوهم و ليتعودوا الصبر على الشدائد فيصبروا عند المحاربه و لا ينهزموا و اختلف فى النهر الذى ابتلوا به فقبل هو نهر بين الأردن و فلسطين عن قتاده و الربيع و قيل هو نهر فلسطين عن ابن عباس و السدى و قوله «فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ» الهاء كناية عن النهر فى اللفظ و هو فى المعنى للماء و يقال شربت من نهر كذا و يراد به الماء «فَلَيْسَ مِنِّي» معناه ليس من أهل ولايتى و ليس من أصحابى و ممن يتبعنى «وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ» أى و من لم يطعم من ذلك الماء «فَإِنَّهُ مِنِّي» أى من أهل ولايتى و أوليائى و هو من الطعم الذى هو ما يؤديه الذوق أى لم يجد طعمه لا- من الطعام و الطعم يوجد فى الماء و فى الطعام جميعا «إِلَّا مَنْ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ» إلا من أخذ الماء مره واحده باليد و من قرأ بالضم فمعناه إلا من شرب مقدار ملء كفه «فَشَرِبُوا مِنْهُ» أى شربوا كلهم أكثر من غرفه إلا قليلا منهم قيل إن الذين شربوا منه غرفه كانوا ثلاث مائه و بضعه عشر رجلا عن الحسن و قتاده و جماعه و قيل أربعة آلاف رجل و نافق سته و سبعون ألفا ثم نافق الأربعة الآلاف إلا ثلاثمائه و بضعه عشر عن السدى و قيل من استكثر من ذلك الماء عطش و من لم يشرب إلا- غرفه روى و ذهب عطشه و رد طالوت عند ذلك العصاه منهم فلم يقطعوا معه النهر «فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ» معناه فلما تخطى النهر طالوت و المؤمنون معه و هم أصحابه و روى عن البراء بن عازب و قتاده و الحسن أنه إنما جاوز معه المؤمنون خاصه كانوا مثل عدد أهل بدر و قيل بل جاوز المؤمنون و الكافرون إلا أن الكافرين انزلوا و بقى المؤمنون على عدد أهل بدر عن ابن عباس و السدى و هذا أقوى

لقوله سبحانه «فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ» فلما رأوا كثره جنود جالوت «قالوا» أى قال الكفار منهم «لا- طاقه لنا اليوم بجالوت و جنوده» فقال المؤمنون حينئذ الذين عددهم عده أهل بدر «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله» قال أبو القاسم البلخي و يجوز أن يكونوا كلهم مؤمنين غير أن بعضهم أشد إيقانا و أقوى اعتقادا و هم الذين قالوا «كم من فئة قليلة» إلى آخره «قال الذين يظنون أنهم ملأوا الله» أى راجعون إلى الله و إلى جزائه قيل فى يظنون ثلاثة أقوال (أحدها) إن معنى يظنون يستيقنون عن السدى كقول دريد بن الصمه:

فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج

سراتهم فى الفارسى المسرد

أى أيقنوا (و الثانى) إن معناه يحدثون نفوسهم و هو أصل الظن لأن حديث النفس بالشىء قد يكون مع الشك و قد يكون مع العلم إلا- أنه قد كثر على ما كان مع الشك (و الثالث) يظنون أنهم ملأوا الله بالقتل فى تلك الوقعة «كم من فئة» أى فرقه «قليله غلبت فئة كثيرة» أى قهرت فرقه كثيرة «بإذن الله» أى بنصره عن الحسن لأنه إذا أذن الله فى القتال نصر فيه على الوجه الذى أذن فيه «و الله مع الصابرين» بالنصره لهم على أعدائهم.

سوره البقره (٢): آيه ٢٥٠

اشاره

وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَ جُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَ تَبَّتْ أَعْدَامُنَا وَ انصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠)

اللغه

البروز أصله الظهور و منه البراز و هى الأرض الفضاء و رجل برز و امرأه برزه أى ذو عفه و فضل لظهور ذلك منهما و الإفراغ الصب للسيال على وجه إخلاء المكان منه يقال فرغ يفرغ فراغا و أفرغ إفراغا و أَصْبَحَ فُؤَادُ مُوسَى فَرَاغًا أى خاليا من الصبر و أصل الفراغ الخلو و التثبيت تمكين الشىء فى مكانه للزومه إياه و قد يقال تثبت بمعنى حكم بوجوده و رجل ثبت المقام إذا كان شجاعا لا يبرح موقفه، و طعنه فأثبت فيه الرمح أى نفذ فيه لأنه يلزم فيه و أثبت حجته أى أقامها و رجل ثبت أى ثقه مأمون فيما روى و النصر هو المعونه على العدو و يكون ذلك بأشياء منها بزيادة القوه و منها بالرعب عن الملاقاه و منها

ص: ١٣٤

بالاطلاع على العوره و منها بتخيل الكثره و منها باختلاف الكلمه و الفرق بين النصر و اللطف إن كل نصر من الله فهو لطف و ليس كل لطف نصرا لأن اللطف يكون فى أخذ طاعه بدلا من معصيه و قد يكون فى فعل طاعه من النوافل و النصر فعل الله و الصبر من فعل العبد لأنه يجازى عليه و هو حبس النفس عما تنازع إليه من الفعل و هو هاهنا حبسها عما تنازع إليه من الفرار من القتال.

المعنى

«وَلَمَّا بَرَزُوا» أى ظهر طالوت و المؤمنون معه لمحاربه جالوت «وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ» أى أصب علينا صبيرا أى وفقنا للصبر على الجهاد و شبهه بتفريغ الإناء من جهه أنه نهايه ما توجه الحكمه كما أنه نهايه ما فى الواحد من الآنيه «وَوَبَّأْتِ أَفْئِدَامَنَا» أى وفقنا للثبوت على الأمر «وَأَنْصُرْنَا» أعنا «عَلَى» جهاد «الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ» قوم جالوت.

سوره البقره (٢): آيه ٢٥١

اشاره

فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١)

القراءه

قرأ أبو جعفر و نافع و يعقوب دفاع الله بالألف و فى الحج مثله و قرأ الباقر بغير ألف.

الحجه

قال أبو على دفاع يحتمل أمرين أحدهما أن يكون مصدر الفعل كالكتاب و اللقاء و نحو ذلك الثانى أن يكون مصدرا لفاعل و يدل عليه قراءه من قرأ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا و كان معنى دفع و دافع سواء ألا ترى إلى قوله:

و لقد حرصت بأن أدافع عنهم

فإذا المنيه أقبلت لا تدفع

كان المعنى حرصت بأن أدافع عنهم المنيه و المنيه لا تدفع فوضع أدافع موضع أدفع فإذا كان كذلك فيدفع و يدافع متقاربان.

اللغه

الهزم الدفع يقال هزم القوم فى الحرب يهزمهم هزما إذا دفعهم بالقتال

هربا منه فانهزموا انهزاما و تهزم السقاء إذا يبس فتصدع لاندفاع بعضه عن بعض و الاهتزام الذبح يقال اهترم شاتك قبل أن تهزم فتهلك لدفع ضياعها بتذكيته و أصل الدفع الصرف عن الشيء و الدفاع السيل و الدفعه اندفاع الشيء جملة.

المعنى

ثم ذكر سبحانه تمام القصة فقال «فَهَزَمُوهُمْ» و لا بد من حذف هنا كأنه لما قالوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا قال فاستجاب لهم ربهم فهزموهم بنصره أى دفعوهم و كسروهم لأن ذكر الهزيمة بعد سؤال النصره دليل على معنى الإجابة و معنى هزموهم سببوا لهزيمتهم بأن فعلوا ما ألجأهم إليها فعلى هذا يكون حقيقه و قال أبو على الجبائى ذلك مجاز لأنهم لم يفعلوا هزيمتهم كما يقال أخرجه من منزله إذا ألجأه إلى الخروج و لم يفعل خروجه و الصحيح الأول و قوله «يَا ذُنِ اللَّهِ» أى بأمر الله و قيل بعلم الله «وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ».

القصة

و كان من قصه داود على ما

رواه على بن إبراهيم بن هاشم عن الصادق (عليه السلام) أن الله أوحى إلى نبيهم أن جالوت يقتله من يستوى عليه درع موسى و هو رجل من ولد لاوى بن يعقوب و اسمه داود بن أيشا راع و كان لأيشا عشرة بنين أصغرهم داود فلما بعث الله طالوت إلى بنى إسرائيل و جمعهم لحرب جالوت بعث إلى أيشا بأن أحضر ولدك فلما حضروا دعا واحدا واحدا من ولده فألبسه درع موسى فمنهم من طالت عليه و منهم من قصرت عنه فقال لأيشا هل خلفت من ولدك أحدا قال نعم أصغرهم تركته فى الغنم يرهاها فبعث إليه فجاء به فلما دعى أقبل و معه مقلاع قال فنادته ثلاث صخرات فى طريقه يا داود خذنى فأخذها فى مخلاته و كان حجر الفيروزج و كان داود شديد البطش شجاعا قويا فى بدنه فلما جاء إلى طالوت ألبسه درع موسى فاستوت عليه قال فجاء داود فوقف حذاء جالوت و كان جالوت على الفيل و على رأسه التاج و فى جبهته ياقوته تلمع نورا و جنوده بين يديه فأخذ داود حجرا من تلك الأحجار فرمى به فى ميمنه جالوت و وقع عليهم فانهزموا و أخذ حجرا آخر فرمى به فى ميسره جالوت فانهزموا و رمى بالثالث إلى جالوت فأصاب موضع الياقوته فى جبهته و وصلت إلى دماغه و وقع إلى الأرض ميتا

و قيل إن جالوت طلب البراز فخرج إليه داود فرماه بحجر من مقلاع فوقع بين عينيه و خرج من قفاه و أصاب جماعه كثيره من أهل عسكره فقتلهم و انهزم القوم عن آخرهم عن وهب و غيره من المفسرين

المعنى

«وَ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ» أى و أعطاه الملك بعد قتل داود جالوت بسبع سنين عن الضحاك «وَ الْحِكْمَةَ» قيل النبوه و لم يكن نبيا قبل قتل جالوت فجمع الله له الملك و النبوه عند موت طالوت فى

حاله واحده لأنه لا يجوز أن يتأس من ليس بنبي لأنه قلب ما توجه الحكمة لأن النبي يوثق بظاهره و باطنه و لا يخبر إلا بحق و لا- يدعو إلا إلى حق فليس كذلك من ليس بنبي عن الحسن و قيل يجوز ذلك إذا كان يفعل ما يفعل بأمره و مشورته «وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ» معناه و علمه أمور الدين و ما شاء من أمور الدنيا منها صنعه الدروع فإنه كان يلين له الحديد كالشمع و قيل الزبور و الحكم بين الناس و كلام الطير و النمل و قيل الصوت الطيب و الألحان «وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ» قيل فيه ثلاثه أقوال (أحدها) لو لا- دفع الله بجنود المسلمين الكفار و معرفتهم لغلّبوا و خربوا البلاد عن ابن عباس و مجاهد (و الثاني) معناه

يدفع الله بالبر عن الفاجر الهلاك عن علي

و قتاده و جماعه من المفسرين و مثله ما رواه

جميل عن أبي عبد الله قال إن الله يدفع بمن يصلي من شيعتنا عن لا يصلي منهم و لو اجتمعوا على ترك الصلاه لهلكوا و إن الله ليدفع بمن يزكى من شيعتنا عن لا يزكى منهم و لو اجتمعوا على ترك الزكاه لهلكوا و إن الله ليدفع بمن يحج من شيعتنا عن لا يحج منهم و لو اجتمعوا على ترك الحج لهلكوا

و قريب من معناه ما

روى عن النبي أنه قال لو لا عباد الله ركع و صبيان رضع و بهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا

و

روى جابر بن عبد الله قال قال رسول الله إن الله يصلح بصلاح الرجل المسلم ولده و ولد ولده و أهل دويرته و دويرات حوله و لا يزالون في حفظ الله ما دام فيهم

(و الثالث) أن في معنى قول الحسن ما يزرع الله بالسلطان أكثر مما يزرع بالقرآن لأن من يمتنع عن الفساد لخوف السلطان أكثر ممن يمتنع منه لأجل الوعد و الوعيد الذي في القرآن «وَلِكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ» أى ذو نعمه عليهم فى دينهم و دنياهم.

سوره البقره (٢): آيه ٢٥٢

اشاره

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْتَلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢٥٢)

اللغه

التلاوه ذكر الكلمه بعد الكلمه من غير فاصله لأن التالى للشىء يليه من غير فصل بغيره و أصل التلو إيقاع الشىء بعد الشىء الذى يليه و الحق هو وقوع الشىء موقعه الذى هو له من غير تغيير عنه بما لا- يجوز فيه و الرساله تحميل جمله من الكلام لها

فأئءه إىى المقصوء بالدلالة.

الإعراب

نتلوهأ جمله فى موضع الحال و العامل فىه معنى الإشاره فى تلك و ذو الحال آيات الله أى متلوه عليك و الباء فى بالحق يتعلق بتلوهأ أيضا.

ص: ١٣٧

«تَلَكَّ» إشاره إلى ما تقدم ذكره من إمامته أُلوف من الناس دفعه واحده و إحيائهم دفعه واحده بدعاء نبیهم و من تمليك طالوت و هو من أهل الخمول الذى لا- ينقاد لمثله الناس لما جعل الله له من الآيه علما على تمليكه و نصره أصحاب طالوت مع قله عددهم و ضعفهم على جالوت و أصحابه مع قوتهم و شوكتهم «آياتُ اللَّهِ» أى دلالات الله على قدرته «تَتْلُوها عَلَيْكَ» نقرؤها عليك يا محمد «بِالْحَقِّ» بالصدق و قيل يقرأها جبريل عليك «بِالْحَقِّ» بأمرنا «وَ إِنَّكَ لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ» معناه و إنك لمن المرسلين بدلاله إخبارك بهذه الآيات مع أنك لم تشاهدها و لم تخالط أهلها و لا تعلم ذلك مع عدم المشاهده و مخالطه أهلها إلا بوحي من جهه الله و الله لا يوحى إلا إلى أنبيائه.

سوره البقره (٢): آيه ٢٥٣

اشاره

تَلَمَّكَ الرَّسِيلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَ آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَ أَيْدِنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَ لَكِنْ اِخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَ مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلُوا وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (٢٥٣)

الإعراب

درجات منصوب على الحال و العامل فيه رفع و ذو الحال بعضهم و تقديره رفع بعضهم ذوى درجات فحذف المضاف و يجوز أن يكون حالا بعد الفراغ من الفعل تقديره و رفع بعضهم فإذا هم ذوو درجات و يجوز أن يكون ظرف مكان و يجوز أن يكون اسما وضع موضع المصدر تقديره و رفع بعضهم رفعا.

المعنى

«تَلَمَّكَ» بمعنى أولئك إلا أنه أراد به الإشاره إلى الجماعه فأتى بلفظ الإفراد الذى يكون للمؤنث المفرد كما يقال القوم خرجت أى أولئك الذين تقدم ذكرهم من الأنبياء فى الكتاب «فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ» إنما ذكر الله تفضيل بعض الرسل على بعض لأمر (أحدها) لأن لا- يغلط غلط فيسوى بينهم فى الفضل كما استوتوا فى الرساله (و ثانيها) أن يبين أن تفضيل محمد عليهم كتفضيل من مضى من الأنبياء بعضهم

على بعض (و ثالثها) أن الفضيله قد تكون بعد أداء الفريضة و هذه الفضيله المذكوره هاهنا هي ما خص كل واحد منهم من المنازل الجليله نحو كلامه لموسى بلا- سفير و كإرساله محمدا إلى الكافه من الجن و الإنس و قيل أراد التفضيل فى الآخره لتفاضلهم فى الأعمال و تحمل الأثقال و قيل بالشرائع فمنهم من شرع و منهم من لم يشرع و الفرق بين الابتداء بالفضيله و بين المحاباه أن المحاباه اختصاص البعض بالنفع على ما يوجهه الشهوه دون الحكمة و ليس كذلك الابتداء بالفضيله لأنه قد يكون للمصلحه التى لولاها لفسد التدبير و أدى إلى حرمان الثواب للجميع فمن حسن النظر لهذا الإنسان تفضيل غيره عليه إذا كان فى ذلك مصلحه له فهذا وجه تدعو إليه الحكمة و ليس كالوجه الأول الذى إنما تدعو إليه الشهوه «مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ» أى كلمه الله و هو موسى «وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ» قال مجاهد أراد به محمدا (صلى الله عليه و آله) فإنه تعالى فضله على جميع أنبيائه بأن بعثه إلى جميع المكلفين من الجن و الإنس و بأن أعطاه جميع الآيات التى أعطاهها من قبله من الأنبياء و بان خصه بالقرآن الذى لم يعطه غيره و هو المعجزه القائمه إلى يوم القيامة بخلاف سائر المعجزات فإنها قد مضت و انقضت و بأن جعله خاتم النبيين و الحكمة تقتضى تأخير أشراف الرسل لأعظم الأمور «وَ آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ» أى الدلالات كإبراء الأكمه و الأبرص و إحياء الموتى و الإخبار عما كانوا يأكلونه و يدخرونه فى بيوتهم «وَ أَيْدِنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» قد مر تفسيره فى الآيه الخامسه و الثمانين من هذه السوره «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ» أى من بعد الرسل و قال قتاده و الربيع من بعد موسى و عيسى و أتى بلفظ الجمع لأن ذكرهما يغنى عن ذكر المتبعين لهما كما يقال خرج الأمير فنكوا فى العدو نكايه عظيمه معناه و لو شاء الله لم يقتل الذين من بعد الأنبياء بأن يلجئهم إلى الإيمان و يمنعهم عن الكفر إلا أنه لم يلجئهم إلى ذلك لأن التكليف لا يحسن مع الضروره و الإلجاء و الجزاء لا يحسن إلا مع التخليه و الاختيار عن الحسن و قيل معناه لو شاء الله ما أمرهم بالقتال «مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ» من بعد وضوح الحجه فإن المقصد من بعثه الرسل قد حصل بإيمان من آمن قبل القتال «وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ» بتوفيق الله و لطفه و حسن اختياره «و مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ» بسوء اختياره «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا» كرر ذلك تأكيداً و تنبيهاً و قيل الأول مشيئه الإكراه أى لو شاء الله اضطرهم إلى حال يرتفع معها التكليف و الثانى الأمر للمؤمنين بالكف عن قتالهم «وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ» ما تقتضيه المصلحه و توجه الحكمة.

سوره البقره (٢): آيه ٢٥٤

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةً وَلَا شَفَاعَةً وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٤)

القراءه

قرأ ابن كثير و أبو عمرو و يعقوب لا بيع فيه و لا خله و لا شفاعة بالفتح فيها أجمع و فى سوره إبراهيم لا بيع فيه و لا خلال و فى الطور لا لغو فيها و لا تأثيم و قرأ الباقون جميعها بالرفع.

الحجه

قال أبو على أما من فتح بلا- تنوين فإنه جعله جواب هل فيها من لغو أو تأثيم و من رفع جعله جواب أ فيها لغو أو تأثيم و قد ذكرنا صدرا من القول على النفى فيما تقدم و المعنيان متقاربان فى أن النفى يراد به العموم و الكثره فى القراءتين يدل على ذلك قول أميه:

" فلا لغو و لا تأثيم فيها "

ألا ترى أنه يريد من نفى اللغو و إن كان قد رفعه ما يريد بنفى التأثيم الذى فتحه و لم ينونه فإن جعلت قوله فيها خبرا أضمرت للأول خبرا و إن جعلته صفة أضمرت لكل واحد من الاسمين خبرا.

اللغه

البيع هو استبدال المتاع بالثمن و البيع نقيض الشراء و البيع أيضا الشراء لأنه تاره عقد على الاستبدال بالثمن و تاره على الاستبدال بالمتاع و البيع الصفقه على إيجاب البيع و البيعه الصفقه على إيجاب الطاعه و البيعان البائع و المشتري و الخله خالص الموده و الخلل الانفراج بين الشئتين و خللته بالخلال أخله خللا إذا شككته به و اختلال الحال انحرافها بالفقر و الخليل الخالص الموده من الخله لتخلل الأسرار بينهما و قيل لأنه يمتنع من الشوب فى الموده بالنقيصه و الخليل أيضا المحتاج من الخله و الخل معروف لتخلله بحدته و لطفه فيما ينساب فيه و الخل الرجل الخفيف الجسم و الخل الطريق فى الرمل و فى فلان خله رائقه أى خصله و الخله جفن السيف و قد ذكرنا معنى الشفاعة عند قوله **وَ لَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ**.

المعنى

لما قص الله سبحانه أخبار الأمم السابقيه و ثبت رساله نبينا (صلى الله عليه و آله) عقبه بالحث على الطاعه فقال **« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَىٰ صَدَقُوا مُحَمَّدًا (صلى الله عليه و آله) فيما جاء به «أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ»** قيل أراد به الفرض كالزكاه و نحوها دون النفل لاقران الوعيد به عن الحسن و لأن ظاهر الأمر يقتضى الإيجاب و قيل يدخل فيه النفل و الفرض عن ابن جريج و اختاره البلخى و هو الأقوى لأنه أعم و لأن الآيه ليس فيها وعيد على ترك النفقه و إنما فيها إخبار عن عظم أهوال يوم القيامة و شدائدتها **«مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ»** أى يوم

القيامه «لا يَبِيعُ فِيهِ» أى لا تجاره «وَلَا خُلَّةٌ» أى ولا صداقه لأنهم بالمعاصى يصيرون أعداء وقيل لأن شغله بنفسه يمنع من صداقه غيره وهذه كقوله الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ «وَلَا شَفَاعَةَ» أى لغير المؤمنين مطلقاً فأما المؤمنون فقد يشفع بعضهم لبعض ويشفع لهم أنبيأؤهم كما قال سبحانه وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَمَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ «وَالْكَافِرُونَ هُمْ الظَّالِمُونَ» إنما ذم الله الكافر بالظلم وإن كان الكفر أعظم منه لأمرين (أحدهما) الدلاله على أن الكافر ضر نفسه بالخلود فى النار فقد ظلم نفسه (و الآخر) أنه لما نفى البيع فى ذلك اليوم والخله والشفاعه و أخبر أنه قد حرم الكافر هذه الأمور قال وليس ذلك بظلم منا بل الكافرون هم الظالمون لأنهم عملوا بأنفسهم ما استحقوا به حرمان هذه الأمور و وجه آخر فى تخصيص الكافر بالظلم و هو إن ظلم الكافر هو غايه الظلم و ليس يبلغ ظلم المؤمنين لأنفسهم و غيرهم مبلغ ظلم الكافرين و نظيره قول القائل فلان هو الفقيه فى البلد و فلان هو الفاضل و يراد به تقدمه على غيره فيما أضيف إليه.

سوره البقره (٢): آيه ٢٥٥

اشاره

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥)

توضيح

آيتان بصرى و آيه واحده عند غيرهم عد البصرى «الْحَيُّ الْقَيُّومُ» آيه.

فضل الآيه

ذكر ابن انجويه الفسوى فى كتاب الترغيب بإسناد متصل عن أبى بن كعب قال قال رسول الله يا أبا المنذر أى آيه فى كتاب الله أعظم قلت «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ» قال فضرِب فى صدرى ثم قال ليهنئك العلم و الذى نفس محمد بيده إن لهذه الآيه للسانا و شفيتين تقدس الملك عند ساق العرش

و

روى الثعلبى بإسناده عن عبد الله بن عمر قال

ص: ١٤١

قال النبي من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبه كان الذي يتولى قبض نفسه ذو الجلال والإكرام و كان كمن قاتل مع أنبياء الله حتى استشهد

و

ياسناده عن علي (عليه السلام) قال سمعت نبيكم علي أعواد المنبر و هو يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبه لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت و لا يواظب عليها إلا صديق أو عابد و من قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه و جاره و جار جاره

و

عنه قال سمعت رسول الله يقول يا علي سيد البشر آدم و سيد العرب محمد و لا فخر و سيد الفرس سلمان و سيد الروم صهيب و سيد الحبشه بلال و سيد الجبال الطور و سيد الشجر السدر و سيد الشهور الأشهر الحرم و سيد الأيام يوم الجمعة و سيد الكلام القرآن و سيد القرآن البقره و سيد البقره آية الكرسي يا علي إن فيها لخمسين كلمه في كل كلمه خمسون بركه

و روى عن عبد الله بن مسعود قال من قرأ عشر آيات من سورة البقره في كل ليله في بيت لم يدخل ذلك البيت شيطان حتى يصبح أربع آيات من أولها و آية الكرسي و آيتين بعدها و خواتيمها و

روى عن أبي جعفر الباقر قال من قرأ آية الكرسي مره صرف الله عنه ألف مكروه من مكاره الدنيا و ألف مكروه من مكاره الآخره أيسر مكروه الدنيا الفقر و أيسر مكروه الآخره عذاب القبر

و

عن أبي عبد الله قال إن لكل شيء ذروه و ذروه القرآن آية الكرسي.

اللغه

الحى من كان على صفه لا يستحيل معها أن يكون قادرا عالما و إن شئت قلت هو من كان على صفه يجب لأجلها أن يدرك المدرجات إذا وجدت و القيوم أصله قيوم على وزن فيعول إلا- أن الياء و الواو إذا اجتمعتا و أولاهما ساكنه قلبت الواو ياء و أدغمت الياء فى الياء قياسا مطردا و القيام أصله قيوام على وزن فيعال ففعل به ما ذكرناه قال أميه بن أبى الصلت:

لم يخلق السماء و النجوم

و الشمس معها قمر يعوم

قدرها المهيمن القيوم

و الحشر و الجنة و النعيم

إلا لأمر شأنه عظيم

و السنه النوم الخفيف و هو النعاس قال عدى بن الرقاع:

و سنان أقصده النعاس فرنقت

فى عينه سنه و ليس بنائم

و هو مصدر و سن يوسن و سنا و سنه قال المفضل السنه فى الرأس و النوم فى القلب

ص: ١٤٢

و النوم خلاف اليقظه يقال نام نوما و استنام إليه أى استأنس إليه و اطمأن إلى ناحيته و قال الليث يقال لكل من أحرز شيئا أو بلغ علمه أقصاه قد أحاط به و يقال وسع فلان الشىء يسعه سعه إذا احتمله و أطاقه و أمكنه القيام به و يقال لا يسعك هذا أى لا تطيقه و لا تحتمله الكرسي كل أصل يعتمد عليه قال الشاعر:

تحف بهم بيض الوجوه و عصبه

كراسى بالأحداث حين تنوب

أى علماء بحوادث الأمور و قال آخر:

نحن الكراسى لا تعد هوازن

أفعالنا فى النائبات و لا أسد

و قال آخر:

ما لى بأمرك كرسي أكاومه

و هل بكرسى علم الغيب مخلوق

و كل شىء تراكب فقد تكارس و منه الكراسه لتراكب بعض ورقها على بعض و رجل كروس عظيم الرأس و يقال كرسي الملك من كذا و كذا أى ملكه مشبه بالكرسي المعروف و أصل الباب الكرسي تراكب الشىء بعضه على بعض و آده يؤوده أودا إذا أثقله و جهده و أدت العود أؤده أودا فأناد نحو عجته فانعاج و الآود و الأوداء على وزن الأعوج و العوجاء و المعنى واحد و الجمع الأود كالعوج و العلى أصله من العلو و هو سبحانه على بالاعتدار و نفوذ السلطان و لا يقال رفيع بالاعتدار لأن الرفعه فى المكان و العلو منقول إلى معنى الاعتدار يقال فلان علا على قرنه يعلو علوا فهو عال و علا بمعنى اقتدر و لا يقال ارتفع عليه بمعناه و لذلك يقال استعلى عليه بالحجه و لا يقال ارتفع عليه بالحجه و العلو بضم العين و كسرهما خلاف السفلى و علا فى الأرض علوا تجبر و منه قوله **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ** أى تجبر و الله تعالى العالى و المتعالى أى القادر القاهر لا يعجزه شىء و فلاذن من عليه الناس أى من أشرفهم و العظيم معناه العظيم الشأن و قيل العظيم بمعنى المعظم كما قالوا فى الخمر العتيق أى المعتقه و الأول أقوى.

الإعراب

الله رفع بالابتداء و ما بعده خبره و الكلام مخرجه مخرج النفى أى لا يصح إله سوى الله و حقيقته الإثبات لإله واحد هو الله فكأنه قيل الله هو الإله دون غيره و ارتفع هو فى **«لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ»** على أحد وجهين (أحدهما) بالابتداء كأنه قال ما إله إلا الله (و الثانى) أن يكون بدلا كأنه قال ما إله ثابتا أو موجودا إلا الله و يجوز فى العربية نصب

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر الأمم و اختلافهم على أنبيائهم في التوحيد و غيره عقبه بذكر التوحيد فقال «اللَّهُ» أى من يحق له العباده لقدرته على أصول النعم و قد ذكرنا اختلاف الأقوال فى أصله و فى معناه فى مفتتح سورة الفاتحه «لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» أى لا أحد تحق له العباده و يستحق الإلهيه غيره «الْحَيُّ» قد ذكرنا معناه «الْقَيُّومُ» القائم بتدبير خلقه من إنشائهم ابتداء و إيصال أرزاقهم إليهم كما قال «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا» عن قتاده و قيل القيوم هو العالم بالأمر من قولهم هذا يقوم بهذا الكتاب أى يعلم ما فيه و قيل معناه الدائم الوجود عن سعيد بن جبير و الضحاك و قيل معناه القائم على كل نفس بما كسبت حتى يجازيها من حيث هو عالم بها عن الحسن و اللفظ لجميع هذه الوجوه محتمل «لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ» أى نعاس «وَلَا نَوْمٌ» ثقل مزيل للقوه و قيل معناه لا يغفل عن الخلق و لا يسهو كما يقال للغافل أنت نائم و أنت و سنان «لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ» معناه له ملك ما فيهما و له التصرف فيهما «مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ» هو استفهام معناه الإنكار و النفى أى لا يشفع يوم القيامة أحد لأحد إلا بإذنه و أمره و ذلك أن المشركين كانوا يزعمون أن الأصنام تشفع لهم فأخبر الله سبحانه أن أحدا ممن له الشفاعة لا يشفع إلا بعد أن يأذن الله له فى ذلك و يأمره به «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ» قيل فيه وجوه (أحدها) أن معناه يعلم ما بين أيديهم ما مضى من الدنيا و ما خلفهم من الآخرة عن مجاهد و السدى (و الثانى) معناه يعلم الغيب الذى تقدمهم من قولك بين يديه أى قدامه و ما مضى فهو قدام الشىء فيحمل عليه على هذا التقدير لا إن هذا اللفظ حقيقه فى الماضى «وَمَا خَلْفَهُمْ» يعنى الغيب الذى يأتى بعدهم عن ابن جريج (و الثالث) أن «مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ» عبارته عما لم يأت كما يقال رمضان بين أيدينا «وَمَا خَلْفَهُمْ» عبارته عما مضى كما يقال فى شوال قد خلفنا رمضان عن الضحاك «وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ» معناه من معلومه كما يقال اللهم اغفر لنا علمك فينا أى معلومك فينا و يقال إذا ظهرت آية هذه قدره الله أى مقدور الله و الإحاطه بالشىء علمه أن يعلمه كما هو على الحقيقه «إِلَّا بِمَا شَاءَ» يعنى ما شاء أن يعلمهم و يطلعهم عليه «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ» اختلف فيه على أقوال (أحدها)

وسع علمه السماوات و الأرض عن ابن عباس و مجاهد و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام)

و يقال للعلماء كراسى كما يقال أوتاد الأرض لأن بهم قوام الدين و الدنيا (و ثانيها) أن الكرسى هاهنا هو العرش عن الحسن و إنما سمي كرسيا لتركيب بعضه على بعض

(و ثالثها) أن المراد بالكرسى هاهنا الملك و السلطان و القدره كما يقال اجعل لهذا الحائط كرسيا أى عمادا يعمد به حتى لا يقع و لا يميل فيكون معناه أحاط قدرته بالسموات و الأرض و ما فيهما (و رابعها) أن الكرسى سرير دون العرش

و قد روى عن أبى عبد الله و قريب منه ما روى عن عطاء أنه قال ما السموات و الأرض عند الكرسى إلا كحلقة خاتم فى فلاه و ما الكرسى عند العرش إلا كحلقة فى فلاه

و منهم من قال إن السموات و الأرض جميعا على الكرسى و الكرسى تحت العرش كالعرش فوق السماء و

روى الأصمغ بن نباته أن عليا قال إن السموات و الأرض و ما فيهما من مخلوق فى جوف الكرسى و له أربعة أملاك يحملونه بإذن الله ملك منهم فى صورته الآدميين و هى أكرم الصور على الله و هو يدعو الله و يتضرع إليه و يطلب الشفاعة و الرزق للآدميين و الملك الثانى فى صورته الثور و هو سيد البهائم يدعو الله و يتضرع إليه و يطلب الشفاعة و الرزق للبهائم و الملك الثالث فى صورته النسر و هو سيد الطيور و هو يدعو الله و يتضرع إليه و يطلب الشفاعة و الرزق لجميع الطيور و الملك الرابع فى صورته الأسد و هو سيد السباع و هو يدعو الله و يتضرع إليه و يطلب الشفاعة و الرزق لجميع السباع قال و لم يكن فى جميع الصور صورته أحسن من الثور و لا أشد انتصابا منه حتى اتخذ الملائم من بنى إسرائيل العجل و عبدوه فخفض الملك الذى فى صورته الثور رأسه استحياء من الله أن عبدوا من دون الله بشىء يشبهه و تخوف أن ينزل الله به العذاب

«وَلَا يُؤَدُّهُ حِفْظُهُمَا» أى لا يشق على الله و لا يتقله حفظ السموات و الأرض و قيل الهاء فى يؤوده يعود إلى الكرسى و هذا على قول من يقول أن السموات و الأرض على الكرسى «وَهُوَ الْعَلِيُّ» عن الأشباه و الأضداد و الأمثال و الأنداد و عن أمارات النقص و دلالات الحدث و قيل هو من العلو الذى هو بمعنى القدره و السلطان و الملك و علو الشأن و القهر و الاعتلاء و الجلال و الكبرياء «الْعَظِيمُ» أى العظيم الشأن القادر الذى لا يعجزه شىء و العالم الذى لا يخفى عليه شىء لا نهايه لمقدوراته و لا غايه لمعلوماته و

روى على بن إبراهيم عن أبيه عن الحسين بن خالد أنه قال قرأ أبو الحسن الرضا (عليه السلام) الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنه و لا نوم له ما فى السموات و ما فى الأرض و ما بينهما و ما تحت الثرى عالم الغيب و الشهاده الرحمن الرحيم من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه.

سوره البقره (٢): آيه ٢٥٦

اشاره

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦)

ص: ١٤٥

الرشد نقيض الغى و هو الرشد و الرشد و تقول غوى يغوى غيا و غوايه إذا سلك طريق الهلاك و غوى إذا خاب قال الشاعر:

و من يلق خيرا يحمد الناس أمره

و من يغو لا يعدم على الغى لائما

و غوى الفصيل يغوى غوى إذا قطع عن اللبن حتى يكاد يهلك و الطاغوت وزنها فى الأصل فعلوت و هو مصدر مثل الرغبوت و الرهبوت و الرحموت و يدل على أنها مصدر وقوعها على الواحد و الجماعه بلفظ واحد و أصلها طغيوت لأنها من الياء يدل على ذلك قوله فى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ثم إن اللام قدمت إلى موضع العين فصارت طيغوت ثم قلبت الياء ألفا لتحركها و انفتاح ما قبلها فصارت طاغوت فوزنها الآن بعد القلب فعلوت و جمع طاغوت طواغيت و طواغت و طواغ على حذف الزيادة و الطواغى على العوض من المحذوف و العروه عروه الدلو و نحوه لأنها متعلقه و عروت الرجل أعروه عروا إذا ألمت به متعلقا بسبب منه و اعتراه هم إذا تعلق به و عرته الحمى تعروه إذا علقت به فالأصل فى الباب التعلق قال الأزهرى العروه كل نبات له أصل ثابت كالشيع و القيصوم و غيره و به شبهت عرى الأشياء فى لزومها و الوثقى تأنيث الأوثق و الانفصام و الانقطاع و الانصداع نظائر قال الأعرشى:

و مبسمها من شتيت النبات

غير أكس و لا منفصم

يقال فصمته فانفصم.

النزول

قيل نزلت الآيه فى رجل من الأنصار كان له غلام أسود يقال له صبيح و كان يكرهه على الإسلام عن مجاهد و

قيل نزلت فى رجل من الأنصار يدعى أبا الحصين و كان له ابنان فقدم تجار الشام إلى المدينه يحملون الزيت فلما أرادوا الرجوع من المدينه أتاهم ابنا أبى الحصين فدعوهما إلى النصرانيه فتنصرا و مضيا إلى الشام فأخبر أبو الحصين رسول الله ص فأنزل الله تعالى «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ» فقال رسول الله ص أبعدهما الله هما أول من كفر فوجد أبو الحصين فى نفسه على النبى حين لم يبعث فى طلبهما فأنزل الله «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ» الآيه

قال و كان هذا قبل أن يؤمر النبى بقتال أهل الكتاب ثم نسخ و أمر بقتال أهل الكتاب فى سوره براءه عن السدى و هكذا قال ابن مسعود و ابن زيد أنها منسوخه

بآيه السيف و قال الباقون هي محكمه و

قيل كانت امرأه من الأنصار تكون مقلاتا فترضع أولاد اليهود فجاء الإسلام و فيهم جماعه منهم فلما أجليت بنو النضير إذا فيهم أناس من الأنصار فقالوا يا رسول الله أبناؤنا و إخواننا فنزلت «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ» فقال خيروا أصحابكم فإن اختاروكم فهم منكم و إن اختاروهم فأجلوهم

عن ابن عباس.

المعنى

لما تقدم ذكر اختلاف الأمم و أنه لو شاء الله لأكرههم على الدين ثم بين تعالى دين الحق و التوحيد عقبه بأن الحق قد ظهر و العبد قد خير إكراه بقوله «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ» و فيه عده أقوال (أحدها) أنه في أهل الكتاب خاصه الذين يؤخذ منهم الجزية عن الحسن و قتاده و الضحاك (و ثانيها) أنه في جميع الكفار ثم نسخ كما تقدم ذكره عن السدى و غيره (و ثالثها) أن المراد لا تقولوا لمن دخل في الدين بعد الحرب أنه دخل مكرها لأنه إذا رضى بعد الحرب و صح إسلامه فليس بمكره عن الزجاج (و رابعها) أنها نزلت في قوم خاص من الأنصار كما ذكرناه في النزول عن ابن عباس و غيره (و خامسها) أن المراد ليس في الدين إكراه من الله و لكن العبد مخير فيه لأن ما هو دين في الحقيقه هو من أفعال القلوب إذا فعل لوجه و جوبه فأما ما يكره عليه من إظهار الشهادتين فليس بدين حقيقه كما أن من أكره على كلمه الكفر لم يكن كافرا و المراد الدين المعروف و هو الإسلام و دين الله الذى ارتضاه «قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ» قد ظهر الإيمان من الكفر و الحق من الباطل بكثرة الحجج و الآيات الداله عقلا و سمعا و المعجزات التى ظهرت على يد النبى «فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ» فيه أقوال (أحدها)

أنه الشيطان عن مجاهد و قتاده و هو المروى عن أبى عبد الله

(و ثانيها) أنه الكاهن عن سعيد بن جبير (و ثالثها) أنه الساحر عن أبى العاليه (و رابعها) أنه مرده الجن و الإنس و كلما يطغى (و خامسها) أنه الأصنام و ما عبد من دون الله و على الجملة فالمراد من كفر بما خالف أمر الله «وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ» أى يصدق بالله و بما جاءت به رسله «فَقَدْ اسْتَيْمَسَكَ» أى تمسك و اعتصم «بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى» أى بالعصمه الوثيقه و عقد لنفسه من الدين عقدا وثيقا لا يحله شبهه و عن مجاهد هو الإيمان بالله و رسوله و جرى هذه مجرى المثل لحسن البيان بإخراج ما لا يقع به الإحساس إلى ما يقع به «لَمَّا انْفِصَامَ لَهَا» أى لا انقطاع لها يعنى كما لا ينقطع أمر من تمسك بالعروه كذلك لا ينقطع أمر من تمسك بالإيمان «وَاللَّهُ سَمِيعٌ» لأقوالكم «عَلِيمٌ» بضمائرهم.

سوره البقره (٢): آيه ٢٥٧

اشاره

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥٧)

الولى من الولى و هو القرب من غير فصل و هو الذى يكون أولى بالغير من غيره و أحق بتدبيره و منه الوالى لأنه يلى القوم بالتدبير و بالأمر و النهى و منه المولى من فوق لأنه يلى أمر العبد بسد الخله و ما به إليه الحاجه و منه المولى من أسفل لأنه يلى أمر المالك بالطاعة و منه المولى لابن العم لأنه يلى أمره بالنصره لتلك القرابه و منه ولى اليتيم لأنه يلى أمر ماله بالحفظ له و القيام عليه و الولى فى الدين و غيره لأنه يلى أمره بالنصره و المعونه كما توجهه الحكمه و المعاقده فجميع هذه المواضع الأولى و الأحق ملحوظ فيها و ولى عن الشىء إذا أدبر عنه لأنه زال عن أن يليه بوجهه و استولى على الشىء إذا احتوى عليه لأنه ولىه بالقهر و الله تعالى ولى المؤمنين على ثلاثة أوجه أحدها أنه يتولاهم بالمعونه على إقامة الحججه و البرهان لهم فى هدايتهم كقوله «وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى» و ثانيها أنه وليهم فى نصرهم على عدوهم و إظهار دينهم على دين مخالفيهم و ثالثها أنه وليهم يتولاهم بالمثوبه على الطاعة و المجازاه على الأعمال الصالحه.

المعنى

لما ذكر سبحانه المؤمن و الكافر بين ولى كل واحد منهما فقال «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا» أى نصيرهم و معينهم فى كل ما بهم إليه الحاجه و ما فيه لهم الصلاح من أمور دينهم و دنياهم و آخرتهم «يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» أى من ظلمات الضلاله و الكفر إلى نور الهدى و الإيمان لأن الضلال و الكفر فى المنع من إدراك الحق كالظلمه فى المنع من إدراك المبصرات و وجه إخراج الله تعالى المؤمنين من ظلمات الكفر و الضلال إلى نور الإيمان و الطاعة هو أنه هداهم إليه و نصب الأدله لهم عليه و رغبتهم فيه و فعل بهم من الألفاف ما يقوى به دواعيهم إلى فعله لأننا قد علمنا أنه لو لا هذه الأمور لم يخرجوا من الكفر إلى الإيمان فصح إضافه الإخراج إليه تعالى لكون هذه الأمور التى عددناها من جهه الله تعالى كما يصح من أهدنا إذا أشار إلى غيره بدخول بلد من البلدان و رغبه فيه و عرفه ما له فيه من الصلاح أن يقول أنا أدخلت فلانا البلد الفلانى و أنا أخرجته من كذا و كذا «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ» أى متولى أمورهم و أنصارهم الطاغوت و الطاغوت هاهنا واحد أريد به الجميع و هذا جائز فى اللغة إذا كان فى الكلام دليل على الجماعه قال الشاعر:

بها جيف الحسرى فأما عظامها

فبيض و أما جلدها فضليب

فجلدها فى معنى جلودها و قال العباس بن مرداس:

فقلنا أسلموا و أنا أخوكم

فقد فرئت من الإحن الصدور

و المراد به الشيطان عن ابن عباس و قيل رؤساء الضلالة عن مقاتل «يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ» أى من نور الإيمان و الطاعة و الهدى إلى ظلمات الكفر و المعصية و الضلالة و أضاف إخراجهم من النور إلى الظلمات إلى الطواغيت على ما تقدم ذكره من أنهم يغوونهم و يدعونهم إلى ذلك و يزنون فعله لهم فصح إضافته إليهم و هذا يدل على بطلان برهان قول من قال إن الإضافة الأولى تقتضى أن الإيمان من فعل الله تعالى بالمؤمن لأنه لو كان كذلك لاقتضت الإضافة الثانية أن الكفر من فعل الشيطان و عندهم لا فرق بين الأمرين فى أنهما من فعله تعالى عن ذلك و أيضا فلو كان الأمر على ما ظنوا لما صار الله تعالى وليا للمؤمنين و ناصر لهم على ما اقتضته الآيه و الإيمان من فعله لا- من فعلهم و لما كان خاذلا- للكفار و مضيفا لولا-يتهم إلى الطاغوت و الكفر من فعله فيهم و لم يفصل بين الكافر و المؤمن و هو المتولى لفعل الأمرين فيهما و مثل هذا لا يخفى على منصف فإن قيل كيف يخرجونهم من النور و هم لم يدخلوا فيه قلنا قد ذكر فيه وجهان (أحدهما) أن ذلك يجرى مجرى قول القائل أخرجنى والدى من ميراثه فمنعه من الدخول فيه إخراج و مثله قوله فى قصه يوسف إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لَمْ يَكُنْ فِيهَا قَطْ وَ قَوْلُهُ وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ وَ قَالَ الشاعِر:

فإن تكن الأيام أحسن مره

إلى فقد عادت لهن ذنوب

و لم يكن لها ذنوب قبل ذلك و الوجه الآخر أنه فى قوم ارتدوا عن الإسلام عن مجاهد و الأول أقوى و قوله «أُولَئِكَ أَصِيحَابُ النَّارِ» إلى آخره قد مضى تفسيره.

إشارة

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨)

القراءة

قرأ أهل المدينة أنا أحيى بإثبات الألف في أنا والمد إذا كان بعدها همزه مضمومه أو مفتوحة نحو أنا أخوك فإن كان بعدها همزه مكسوره نحو إن أنا إلّا نذيرٌ حذفوا الألف إجماعاً.

الحجّه

الأصل في أنا الهمزة والنون وإنما يلحقها الألف في الوقف كما أن الهاء تلحق للوقف في مسلمونه و كما أن الهاء التي تلحق للوقف تسقط في الوصل كذلك هذه الألف تسقط في الوصل وقد جاءت ألف أنا مثبتة في الوصل في الشعر نحو قول الأعشى:

فكيف أنا و انتحال القوافي

بعد المشيب كفى ذاك عارا

وقول الآخر:

أنا شيخ العشيره فاعرفوني

حميدا قد تدرت السناما

قال أبو علي و ما روى في إثبات الألف في أنا إذا كان بعد الألف همزه فإنى لا أعلم بين الهمزه وغيرها من الحروف فصلا ولا شيئا يجب من أجله إثبات الألف التي حكمها أن تثبت في الوقف.

اللغه

في بهت أربع لغات بهت على وزن ظرف و بهت على وزن حذر و بهت على وزن ذهب و بهت على وزن ما لم يسم فاعله و هذا هو الأفصح و عليه القراءة يقال بهت الرجل يبهت بهتا إذا انقطع و تحير و يقال بهت الرجل أبهته بهتانا إذا قابلته بكذب فالبهت الحيره عند استيلاء الحجه لأنها كالحيره للمواجه بالكذب لأن تحير المكذب في مذهبه كتحير المكذوب عليه و منه قوله أ تأخذونه بهتانا كأنه قال أ تأخذونه ادعاء للكذب فيه.

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي» إنما أدخلت إلى في الكلام للتعجب من حال الكافر المحاج بالباطل كما يقولون أ ما ترى إلى فلان كيف يصنع و منه معنى هل رأيت كفلان في

صنيعه كذا فإنما دخلت إلى من بين حروف الجر لهذا المعنى لأنها لما كانت بمعنى الغايه و النهايه صار الكلام بمنزله هل انتهت رؤيتك إلى من هذه صفته ليدل على بعد وقوع مثله على التعجب منه لأن التعجب إنما يكون مما استبهم سببه و لم تجر العاده به و قد صارت إلى هاهنا بمنزله كاف التشبيه لما بينا من العله إذ كان ما ندر مثله كالذى يبعد وقوعه.

المعنى

لما بين تعالى أنه ولى المؤمنين و أن الكفار لا ولى لهم سوى الطاغوت تسليه لنبيه ص قص عليه بعده قصه إبراهيم و نمرود فقال «أَلَمْ تَرَ» يا محمد أى ألم ينته علمك و رؤيتك «إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ» أى إلى من كان كالذى حاج فكأنه قال هل رأيت كالذى حاج أى خاصم و جادل إبراهيم و هو نمرود بن كنعان و هو أول من تجبر و ادعى الربوبيه عن مجاهد و غيره و إنما أطلق لفظ المحاجه و إن كانت مجادله بالباطل و لم تكن له فيه حجه لأن فى زعمه أن له فيه حجه و اختلف فى وقت هذه المحاجه

فقيل عند كسر الأصنام قبل إلقائه فى النار و جعلها عليه بردا و سلاما عن الصادق (عليه السلام)

«فِي رَبِّهِ» أى فى رب إبراهيم الذى يدعو إلى توحيده و عبادته «أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ» أى لأن آتاه الله الملك الهاء من آتاه تعود إلى المحاج لإبراهيم أى أعطاه الله الملك و هو نعيم الدنيا و سعه المال فبطر الملك حمله على محاجه إبراهيم عن الحسن و الجبائى و الملك على هذا الوجه جائز أن ينعم الله تعالى به على كل أحد فأما الملك بتمليك الأمر و النهى و تدبير أمور الناس و إيجاب الطاعه على الخلق فلا يجوز أن يؤتبه الله إلا من يعلم أنه يدعو إلى الصلاح و السداد و الرشاد دون من يدعو إلى الكفر و الفساد و لا- يصح منه لعلمه بالغيوب و السرائر تفويض الولاية إلى من هذا سبيله لما فى ذلك من الاستفساد و قيل إن الهاء تعود إلى إبراهيم عن أبى القاسم البلخى و يسأل على هذا فيقال كيف يكون الملك لإبراهيم و الحبس و الإطلاق إلى نمرود و جوابه أن الحبس و الإطلاق و الأمر و النهى كان من جهه الله لإبراهيم و إنما كان نمرود يفعل ذلك على وجه القهر و الغلبه لا من جهه ولايه شرعيه «إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يُحْيِى وَ يُمِيتُ» فى الكلام حذف و هو إذ قال له نمرود من ربك فقال ربي الذى يحيى و يميت بدأ بذكر الحياه لأنها أول نعمه ينعم الله بها على خلقه ثم يميتهم و هذا أيضا لا يقدر عليه إلا الله تعالى لأن الإمامته هى أن يخرج الروح من بدن الحى من غير جرح و لا نقص بنيه و لا إحداث فعل يتصل بالبدن من جهته و هذا خارج عن قدره البشر «قَالَ أَنَا أَحْيِى وَ أُمِيتُ» أى فقال نمرود أنا أحىي بالتخليه من الحبس من وجب عليه القتل و أميت بالقتل من شئت ممن هو حى و هذا جهل من الكافر لأنه اعتمد فى المعارضه على العبارة فقط دون المعنى عادلا عن وجه الحجه بفعل الحياه للميت أو

الموت للحى على سبيل الاختراع الذى ينفرد به تعالى و لا يقدر عليه سواه «قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب» قيل فى انتقاله من حجه إلى أخرى وجهان (أحدهما) أن ذلك لم يكن انتقالا و انقطاعا عن إبراهيم فإنه يجوز من كل حكيم إيراد حجه أخرى على سبيل التأكيد بعد تمام ما ابتدأ به من الحجاج و علامه تمامه ظهوره من غير اعتراض عليه بشبهه لها تأثير عند التأمل و التدبر لموقعها من الحجه المعتمد عليها (و الثانى) أن إبراهيم إنما قال ذلك ليبين أن من شأن من يقدر على إحياء الأموات و إمامته الأحياء أن يقدر على إتيان الشمس من المشرق فإن كنت قادرا على ذلك فأت بها من المغرب و إنما فعل ذلك لأنه لو تشاغل معه بأنى أريت اختراع الموت و الحيوه من غير سبب و لا علاج لاشتبه على كثير ممن حضر فعدل إلى ما هو أوضح لأن الأنبياء إنما بعثوا للبيان و الإيضاح و ليست أمورهم مبنيه على تحاج الخصمين و طلب كل واحد منهما غلبه خصمه و

قد روى عن الصادق (عليه السلام) أن إبراهيم (عليه السلام) قال له أحي من قتلته إن كنت صادقا

ثم استظهر عليه مما قاله ثانيا «فبُهِتَ» الذى كفر أى تحير عند الانقطاع بما بأن من ظهور الحجه فإن قيل فهلا قال له نمرود فليات بها ربك من المغرب قيل عن ذلك جوابان (أحدهما) أنه لما علم بما رأى من الآيات أنه لو اقترح ذلك لأتى به الله تصديقا لإبراهيم فكان يزداد بذلك فضيحه عدل عن ذلك (و الثانى) أن الله خذله و لطف لإبراهيم حتى أنه لم يأت بشبهه و لم يلبس «و الله لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» بالمعونه على بلوغ البغيه من الفساد و قيل معناه لا يهديهم إلى المحاجه كما يهدى أنبياءه و أوليائه و قيل معناه لا يهديهم بالطفافه و تأييده إذا علم أنه لا لطف لهم و قيل لهم لا يهديهم إلى الجنه و هذا لا يعارض قوله و أمّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ لِأَنَا قَدْ بَيْنَا مَعَانِيَ الْهُدَايَةِ وَ وَجُوهَهَا قَبْلَ عِنْدَ قَوْلِهِ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَ يَهْدِي بِهِ كَثِيرًا فبعضها عام لجميع المكلفين و بعضها خاص للمؤمنين و فى هذه الآيه دلالة على أن المعارف غير ضروريه إذ لو كانت كذلك لما صحت المحاجه فى إثبات الصانع و فيها دلالة على فساد التقليد و حسن الحجاج و أنه تعالى إنما يعلم بأفعاله التى لا يقدر عليها غيره و فى تفسير ابن عباس أن الله سبحانه سلط على نمرود بعوضه فعضت شفثيه فأهوى إليها بيده ليأخذها فطارت فى منخره فذهب ليستخرجها فطارت فى دماغه فعذبه الله بها أربعين ليله ثم أهلكه.

إشارة

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩)

القراءة

قرأ أبو عمرو و ابن عامر و حمزه و الكسائي لبت بالإدغام و الباقون بالإظهار و قرأ أهل العراق غير أبي عمرو و عاصم لم يتسن و اقتد بحذف الهاء وصلوا و الباقون بإثبات الهاء في الوصل و لم يختلفوا في إثباتها في الوقف و قرأ أهل الحجاز و البصره نشرها بضم النون الأولى و بالراء و قرأ أهل الكوفه و الشام نشرها بالزاي و روى أبان عن عاصم نشرها بفتح النون و ضم الشين و بالراء و قرأ حمزه و الكسائي قال اعلم موصوله الألف ساكنه الميم و الباقون «أَعْلَمُ» مقطوعه الألف مرفوعه الميم.

الحجج

قال أبو علي من أدغم لبت أجرى التاء و التاء مجرى المثلين من حيث اتفق الحرفان في أنهما من طرف اللسان و أصول الثنايا و اتفقا في الهمس و من بين و لم يدغم فلتباين المخرجين لأن الطاء و الدال و التاء من حيز و الظاء و الذال و التاء من حيز و من قرأ «لَمْ يَتَسَنَّهْ» بالهاء في الوصل فيحتمل أمرين (أحدهما) أن يكون الهاء لاما من السنه فيمن قال شجره سنهاء فيكون سكون الهاء للجزم و الآخر أن يكون من السنه أيضا فيمن قال استوا و سنوات أو يكون من المسنون الذي يراد به المتغير كأنه لم يتسن ثم قلب على حد القلب في لم يتظن و حكى أن أبا عمرو الشيباني إلى هذا كان يذهب في هذا الحرف فالهاء في «يَتَسَنَّهْ» على هذين القولين يكون للوقف فينبغي أن يلحق في الوقف و يسقط في الدرج و أما قوله أفتدده فيجوز أن يكون الهاء كناية عن المصدر و لا يكون التي للوقف و لكن لما ذكر الفعل دل على مصدره فأضمره كما أضمر في قوله «وَلَا يَخْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ» و قال الشاعر:

غدا سراقه للقرآن يدرسه

و المرء عند الرشى إن يلقها ذئب

فالهاء فى ىدرسه للمصدر لا ىجوز أن ىكون للمفعول لأن الفعل قد تعدى إلى المفعول باللام فلا ىجوز أن ىتعدى إليه مره ثانیه و كذلك قوله فیهدهم اقتده ىكون اقتد الاقتداء فىضمرد لدلاله الفعل علیه و من قرأ كیف نشرها فمعناه كیف نحیها ىقال أنشر الله المیت فنشر و قد وصف العظام بالإحیاء قال تعالى من ىحى العظام و هى رمیم قل ىحییها الذى أنشأها أول مره و كذلك فى قوله نشرها و من قرأ «نشرها» بالزاء فالنشر الارتفاع قال أبو الحسن نشروا نشرته فتقدير نشرها نرفع بعضها إلى بعض للإحیاء و من هذا النشور من المرأه و هو أن تنبو عن الزوج فى العشره فلا تلائمه و من قرأ «قال أعلم» على لفظ الخبر فلأنه لما شاهد من إحیاء الله و بعثه إیاه بعد وفاته ما شاهد أخبر عما تبینه و تیقنه أى أعلم هذا الضرب من العلم الذى لم أكن علمته قیل و من قال أعلم على لفظ الأمر فالمعنى ىؤول إلى الخبر و ذلك أنه لما تبین له ما تبین من الأمر الذى لا مجال للشبهه علیه نزل نفسه منزله غیره فخطبها كما ىخطب سواها كقول الأعشى:

أرمى بها البیداء إذا هجرت

و أنت بین القرو و العاصر

فقال أنت و هو یرید نفسه و مثله قوله:

ودع هریره إن الركب مرتحل

و هل تطیق وداعا أیها الرجل

فخطب نفسه كما ىخطب غیره قال أبو الحسن و هو أجود فى المعنى.

اللغه

أصل الخواء الخلاء قال الراجز:

" ىبدو خواء الأرض من خوائه "

و الخواء الفرجه بین الشیئین لخلو ما بینهما و خوت الدار تخوى خواء فهى خاویه إذا باد أهلها لخلوها منهم و الخوى الجوع خوى ىخوى خوى لخلو البطن من الغذاء و التخویه التفریج بین العضدین و الجنین لخلو ما بینهما بتباعدهما. «على عروشه» أى على أبنيتها قال أبو عیبده هى الخیام و هى بیوت الإعراب و قال غیره «خاویة على عروشه» أى بقیة حیطانها لا سقوف علیها و كل بناء عرش و عریش مکه أبنيتها و عرش ىعرش عرشا إذا بنى و العریش البیت لارتفاع أبنيته و العرش السریر لارتفاعه عن غیره و عرش الرجل قوام أمره و عرش البیت سقفه و التعریش جعل الخشب تحت الكرم لیمتد علیه ىقال عرشته و عرشته و أصل القریه الجمع من قریت الماء و سمیت قریه لاجتماع الناس فیها للإقامه بها و «أنى ىحى» من أين ىحى أو كیف ىحى و العام الحول و جمعه الأعوام و هو حول ىأتى بعد شتوه و صیفه لأن فیة سبعا طویلا ربما ىمكن من التصرف فیة و العوم السباحه و السفینه تعوم فى جریها

و الإبل تعوم فى سيرها و الاعتيام اصطفاء خيار مال الرجل لأنه يجرى فى أخذه شيئاً بعد شىء كالسباح فى الماء الجارى و اعتمام الموت النفوس أولاً فأولاً كذلك و أصل الباب السبح و اللبث المكث يقال لبث فهو لابت و تلبث تلبثا إذا تمكث و الحمار يقال للوحشى و الأهلى و أصله من الحمرة لأن الحمرة أغلب عليه و حمارة القيض شده حره و حمر فو الفرس يحمر حمرا إذا أنتن و موت أحمر شديد مشبه بحمرة النار و الأسود و الأحمر العرب و العجم لأن السواد أغلب على لون العرب كما أن الحمرة أغلب على لون العجم و منه قول الأشعث لعلى غلبت عليك هذه الحمراء يعنى العجم و النشر خلاف الطى و النشر إذاعه الحديث و حث العود بالمنشار و النشر الرائحة الطيبة و ربما قيل فى الخبيثه و النشره الرقيه و النشر بالزراى المرتفع من الأرض.

الإعراب

أو حرف عطف و هو عطف على معنى الكلام الأول و تقديره أ رأيت كالذى حاج إبراهيم فى ربه أو كالذى مر على قريه و موضع الكاف نصب بتر و معناه التعجب لأن كل ما خرج من بابه لعظمه عن حد نظائره فهو مما يتعجب منه تقول ما أجهله أى قد خرج بجهله عن حد نظائره و كذلك لو قلت هل رأيت كزيد الجاهل لدلت على مثل الأول منه فى التعجب لما بينا أن ما أفعله صيغه وضعت للتعجب و ليس كذلك هل رأيت لأنها فى الأصل للاستفهام و قيل الكاف زائده للتوكيد كما زيدت فى قوله لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و الأول أوجه لأنه لا- يحكم بالزياده إلا لضروره و قوله «أنى» استفهام فى موضع نصب على الحال من يحيى و تقديره أقادر أن يحيى و يجوز أن يكون مصدرا ليحيى و تقديره أى نوع يحيى أى أى إحياء يحيى و هذا أولى لأنه يكون سؤالاً- عن كيفية الإحياء لا إنكاراً لأصل الإحياء و موضع كم نصب بلبث كأنه قال أ مائه سنه لبثت أم أقل أم أكثر و قوله «وَلِنَجْعَلَنَّكَ» دخلت الواو لاتصال اللام بفعل محذوف كأنه قال و لنجعلك آيه للناس فعلنا ذلك لأن الواو لو أسقطت اتصلت اللام بالفعل المتقدم كيف فى محل نصب على الحال من ننشر أو ننشر و ذو الحال الضمير المستكن فيه أو على المصدر و ننشرها جملة فى موضع الحال من أنظر و ذو الحال العظام.

المعنى

«أَوْ كَالَّذِي مَرَّ» أى أو هل رأيت كالذى مر و معناه إن شئت فانظر فى قصه الذى حاج إبراهيم و إن شئت فانظر إلى قصه الذى مر «على قريه» و

هو عزيز عن قتاده و عكرمه و السدى و هو المروى عن أبى عبد الله

و

قيل هو أرميا عن وهب و هو المروى عن أبى جعفر

و قيل هو الخضر عن ابن إسحاق و القريه التى مر عليها هى بيت المقدس لما

خربه بخت نصر عن وهب و قتاده و الربيع و عكرمه و قيل هي الأرض المقدسه عن الضحاك و قيل هي القرية التي خرج منها الألو ف حذر الموت عن ابن زيد «و هي خاوية على عروشها» أي خاليه و قيل خراب عن ابن عباس و الربيع و الضحاك و قيل ساقطه على أبنيتها و سقوفها كان السقوف سقطت و وقعت البنيان عليها قال «أنتي يحيى هذه الله بعد موتها» أي كيف يعمر الله هذه القرية بعد خرابها و قيل كيف يحيى الله أهلها بعد ما ماتوا و أطلق لفظ القرية و أراد به أهلها كقوله «و سئل القرية» و لم يقل ذلك إنكارا و لا تعجبا و لا ارتيابا و لكنه أحب أن يريه الله إحياءها مشاهده كما يقول الواحد منا كيف يكون حال الناس يوم القيامة و كيف يكون حال أهل الجنة في الجنة و كيف يكون حال أهل النار في النار و كقول إبراهيم رب أرني كيف تُحي الموتى أحب أن يريه الله إحياء الموتى مشاهده ليحصل له العلم به ضروره كما حصل العلم دلالة لأن العلم الاستدلالي ربما اعتورته الشبهه «فأما لله مائة عام» أي مائة سنة «ثم بعثه» أي أحياه كما كان «قال كم لبثت» في التفسير أنه سمع نداء من السماء كم لبثت يعني في مبيتك و منامك و قيل إن القائل له نبي و قيل ملك و قيل بعض المعمرين ممن شاهده عند موته و إحيائه «قال لبثت يوماً أو بعض يوم» لأن الله أماته في أول النهار و أحياه بعد مائة سنة في آخر النهار فقال يوماً ثم التفت فرأى بقيه من الشمس فقال أو بعض يوم فقال «بيل لبثت مائة عام» معناه بل مكثت في مكانك مائة سنة «فأنظر إلى طعامك و شرابك لم يتسنه» أي لم تغيره السنون و إنما قال «لم يتسنه» على الواحد لأنه أراد به جنس الطعام و الشراب أي أنظر إلى ما تركته أنه لم يتسنه و قيل أراد به الشراب لأنه أقرب المذكورين إليه و قيل كان زاده عصيرا و تينا و عنباً و هذه الثلاثة أسرع الأشياء تغيراً و فساداً فوجد العصير حلواً و التين و العنب كما جنياً لم يتغيرا «و أنظر إلى حمارك» معناه انظر إليه كيف تفرق أجزاءه و تبدد عظامه ثم انظر كيف يحييه الله و إنما قال له ذلك ليستدل بذلك على طول مماته «و لنجعلك آية للناس» فعلنا ذلك و قيل معناه فعلنا ذلك إجابة لك إلى ما أردت و قوله «و لنجعلك آية للناس» أي حجه للناس في البعث «و انظر إلى العظام كيف ننشرها» كيف نحياها و بالزأى كيف نرفعها من الأرض فزادها إلى أماكنها من الجسد و تركب بعضها على بعض «ثم نكسوها» أي نلبسها «لحمًا» و اختلف فيه فقيل أراد عظام حماره عن السدى و غيره فعلى هذا يكون تقديره و انظر إلى عظام حمارك و قيل أراد عظامه عن الضحاك و قتاده و الربيع قالوا أول ما أحيانا الله منه عينه و هو مثل غرقى البيض فجعل ينظر إلى العظام

الباليه المتفرقه تجتمع إليه و إلى اللحم الذى قد أكلته السباع الذى يأتلف إلى العظام من هاهنا و من هاهنا و يلتزم و يلتزق بها حتى قام و قام حماره «فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ» أى ظهر و علم و إنما علم أنه مات مائه سنه بشيئين (أحدهما) بإخبار من أراه الآيه المعجزه فى نفسه و حماره و طعامه و شرابه و تقطع أوصاله ثم اتصال بعضها إلى بعض حتى رجع إلى حالته التى كان عليها فى أول أمره (و الآخر) أنه علم ذلك بالآثار الداله على ذلك لما رجع إلى وطنه فرأى ولد و لده شيوخا و قد كان خلف آباءهم شبابا إلى غير ذلك من الأمور التى تغيرت و الأحوال التى تقلبت و

روى عن على (عليه السلام) أن عزيزا خرج من أهله و امرأته حامل و له خمسون سنه فأماته الله مائه سنه ثم بعته فرجع إلى أهله ابن خمسين سنه و له ابن له مائه سنه فكان ابنه أكبر منه فذلك من آيات الله

و قيل أنه رجع و قد أحرق بخت نصر التوراه فأملأها من ظهر قلبه فقال رجل منهم حدثنى أبى عن جدى أنه دفن التوراه فى كرم فإن أريتمونى كرم جدى أخرجتها لكم فأروه فأخرجها فعارضوا ذلك بما أملى فما اختلفا فى حرف فقالوا ما جعل الله التوراه فى قلبه إلا و هو ابنه فقالوا عَزِيزٌ ابْنُ اللَّهِ «قَالَ» أى قال المار على القرية «أَعْلَمُ» أى أتيقن و من قرأ اعلم فمعناه على ما تقدم ذكره من أنه يخاطب نفسه و قيل أنه أمر من الله تعالى له «أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» أى لم أقل ما قلت عن شكك و ارتياب و يحتمل أنه إنما قال ذلك لأنه ازداد بما شاهد و عاين يقينا و علما إذ كان قبل ذلك علم استدلال فصار علمه ضروره و معاينه.

سوره البقره (٢): آيه ٢٦٠

اشاره

وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَ لَكِن لِّيُطَمِّنَنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصِرْ بِهِنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَ اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٦٠)

القراءه

قرأ أبو جعفر و حمزه و خلف و رويس عن يعقوب فصرهن بكسر الصاد و الباقون «فَصِرْ بِهِنَّ» بضم الصاد و روى فى الشواذ عن ابن عباس فصرهن بكسر الصاد و تشديد الراء و فتحها و عن عكرمه فصرهن بفتح الصاد و كسر الراء و تشديدها و قرأ عاصم فى روايه أبى بكر جزءا مثقلا مهموزا حيث وقع و قرأ أبو جعفر جزا مشددا و الباقون بالهمز

الحج

يقال صرته أصوره أى أملته و منه قول الشاعر:

(يصور عنوقها أحوى زنيم)

أى يميل عنوق هذه الغنم تيس أحوى و صرته أصوره قطعته قال أبو عبيده فصرهن من الصور و قال هو القطع و قال أبو الحسن و قد قالوا بمعنى القطع صار يصير أيضا قال الشاعر:

و فرع يصير الجيد و حف كأنه

على الليت قنوان الكروم الدوالح

و معنى هذا يميل الجيد من كثرته فقد ثبت أن الميل و القطع يقال فى كل واحد منهما أيضا صار يصير فمن جعل «فَصَيْرُهُنَّ إِلَيْكَ» بمعنى أملهن إليك حذف من الكلام و المعنى أملهن إليك فقطعهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا فحذف الجملة لدلالة الكلام عليها كما حذف من قوله «أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَمَا نَفَلَقَ» أى فضررب فانفلق و من قدر «فَصَيْرُهُنَّ» على معنى فقطعهن لم يحتج إلى إضمار و يحتمل كلا الوجهين كل واحد من القراءتين على ما ذكرناه و قوله «إِلَيْكَ» إن جعلت صرهن بمعنى فقطعهن كان إليك متعلقا بخذ أى خذ إليك أربعه من الطير فقطعهن ثم اجعل و إن جعلته بمعنى أملهن احتمل إليك أن يكون متعلقا بخذ و أن يكون متعلقا بصرهن و قياس قول سيبويه أن يكون متعلقا بقوله «فَصَيْرُهُنَّ» لأنه أقرب إليه و من قرأ فصرهن بكسر الصاد و تشديد الراء فإنه يكون من صره يصره أى قطعه و المتعدى من هذا الباب قليل و قد روى عن عكرمه أيضا فصرهن بضم الصاد فيكون من صره يصره و هذا على القياس و من قرأ فصرهن فهو فعلهن من صرى يصرى تصرىه إذا حبس و قطع قال:

رب غلام قد صرى فى فقرته

ماء الشباب عنفوان شرته

أى حبسه و قطعه و منه الشاه المصراه أى المحبوسه اللبن المقطوعه فى ضرعها عن الخروج و أما الوجه فى قراءه من قرأ جزءا بالثقل فقد ذكرنا عند قوله تعالى «قَالُوا أَتَّخِذُنَا هُزُوءًا» و من قرأ جزا بالتشديد فأصله جزءا ثم خفف همزته ثم إنك إذا وقفت كان لك السكون و إن شئت الإشمام فتقول الجزو و إن شئت التشديد (فتقول) الجز ثم أنه وصل

على وقفه فقال جزا كما قال الشاعر:

ببازل وجناء أو عيهل

كان مهواها على الكلكل

فأجرى الوصل مجرى الوقف.

اللغة

اطمأن يطمئن توطأ و المطمئن من الأرض ما انخفض و تطامن و اطمأن إليه إذا وثق به لسكون نفسه إليه و لتوطى حاله بالأمانه عنده و أصل الباب التوطئه و الطير معروف و طار يطير طيرانا و طيروره و الباب يدل على خفه الشىء فى الهواء ثم يستعار ذلك فى غيره و فى كل سرعه و تطير من الطيره و هو زجر الطير بما يكره و طائر الإنسان عمله الذى تقلده من خير أو شر لأنه بمنزله طائر الزجر فى البركه و التشؤم و فجر مستطير منتشر فى الأفق و غبار مستطار و فرس مطار حديد الفؤاد لأنه طيار فى جريه و الجبل وتد من أوتاد الأرض و جبل فلان على كذا أى طبع و رجل ذو جبله إذا كان غلظ الجسم و الجبله الأمه من الناس و أجبل الحافر إذا بلغ إلى صلابه لا يمكنه الحفر عندها و منه أجبل الشاعر إذا صعب عليه القول و الجزء بعض الشىء و جزأته بعضته و الفرق بين الجزء و السهم أن السهم من الجملة ما ينقسم عليه نحو الاثنتين من العشره و قد يقال الجزء لما لا ينقسم عليه نحو الثلاثه من العشره و لا تنقسم العشره عليها و إن كانت الثلاثه جزءا من العشره.

الإعراب

العامل فى إذ فى المعنى اذكر أى و اذكر هذه القصه عن الزجاج و يجوز أن يكون عطفا على قوله «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَيَّجَ إِبْرَاهِيمَ» أى و أ لم تر إذ قال و موضع كيف نصب بقوله «تُحْيِ الْمَوْتَى» و المعنى بأى حال تحيى الموتى و قوله «لِيُطْمِئِنَّ قَلْبِي» اللام يتعلق بمعنى أرني تقديره أرني ليطمئن قلبي من الطير صفه لأربعة فعلى هذا يكون من للتبويض و للتبيين و يجوز أن يتعلق بخذ فعلى هذا لا يكون إلا للتبيين منهن أى جزء من كل واحد منهن فلما قدم على جزء وقع موضع النصب على الحال من جزء و قوله «سَعِيًّا» مصدر وقع موقع الحال و كأنه قال يسعين سعيا أو ساعيات سعيا.

المعنى

ثم ذكر تعالى ما أراه إبراهيم عيانا من إحياء الموتى فقال «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى» اختلف فى سبب سؤال إبراهيم هذا على وجوه (أحدها) ما قاله الحسن و الضحاك و قتاده و هو

المروى عن أبى عبد الله أنه رأى جيفه

تمزقها السباع فيأكل منها سباع البر و سباع الهواء و دواب البحر فسأل الله إبراهيم فقال يا رب قد علمت أنك تجمعها من بطون السباع و الطير و دواب البحر فأرني كيف تحييها لأعين ذلك

(و ثانيها) ما روى عن ابن عباس و سعيد بن جبير و السدى أن الملك بشر إبراهيم (عليه السلام) بأن الله قد اتخذه خليلا و أنه يجيب دعوته و يحيى الموتى بدعائه فسأل الله تعالى أن يفعل ذلك ليطمئن قلبه بأنه قد أجاب دعوته و اتخذه خليلا (و ثالثها) أن سبب السؤال منازعه نمرود إياه في الإحياء إذ قال أنا أحيى و أميت و أطلق محبوسا و قتل إنسانا فقال إبراهيم ليس هذا بإحياء و قال يا رب أرني كيف تحيى الموتى ليعلم نمرود ذلك و

روى أن نمرود توعد بالقتل إن لم يحيى الله الميت بحيث يشاهده فلذلك قال «لِيُطْمِئِنَّ قَلْبِي» أى بأن لا يقتلنى الجبار

عن محمد بن إسحاق بن يسار (و رابعها) أنه أحب أن يعلم ذلك علم عيان بعد أن كان عالما به من جهة الاستدلال و البرهان لتزول الخواطر و وساوس الشيطان و هذا أقوى الوجوه «قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ» هذه الألف استفهام و يراد به التقرير كقول الشاعر:

أ لستم خير من ركب المطايا

و أندى العالمين بطون راح

أى قد آمنت لا محاله فلم تسأل ذا و هذه الألف إذا دخلت على الإثبات فالمراد النفى كقوله «أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ» أى لم تقل «قَالَ بَلَى وَ لَكِنْ لِيُطْمِئِنَّ قَلْبِي» أى بلى أنا مؤمن و لكن سألت ذاك لأزداد يقينا إلى يقينى عن الحسن و قتاده و مجاهد و ابن جبير و قيل لأعين ذلك و يسكن قلبى إلى علم العيان بعد علم الاستدلال و قيل ليطمئن قلبى بأنك قد أجبت مسألتى و اتخذتنى خليلا كما وعدتنى «قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَهُ مِنَ الطَّيْرِ» مختلفه الأجناس و إنما خص الطير من بين سائر الحيوانات لخاصية الطيران و قيل

إنها الطاووس و الديك و الحمام و الغراب أمر أن يقطعها و يخلط ريشها بدمها هذا قول مجاهد و ابن جريج و عطاء و ابن زيد و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

«فَصَيَّرَهُنَّ إِلَيْكَ» أى قطعهن عن ابن عباس و سعيد بن جبير و الحسن و قيل معناه اضممهن إليك عن عطاء و ابن زيد و قد تقدم بيانه فى وجه القراءة «ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا» و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أن معناه فرقهن على كل جبل و كانت عشره أجبل ثم خذ بمناقيرهن و ادعهن باسمى الأكبر و حلفهن بالجبروت و العظمه يأتينك سعيا ففعل إبراهيم ذلك و فرقهن على عشره أجبل ثم دعاهن فقال أجبني بإذن الله فكانت تجتمع

و يأتلف لحم كل واحد و عظمه إلى رأسه و طارت إلى إبراهيم

و قيل أن الجبال كانت سبعة عن ابن جريج و السدى و قيل كانت أربعة عن ابن عباس و الحسن و قتاده و قيل أراد كل جبل على العموم بحسب الإمكان كأنه قال فرقهن على كل جبل يمكنك التفرقه عليه عن مجاهد و الضحاك و يسأل فيقال كيف قال ثم ادعهن و دعاء الجماد قبيح و جوابه أنه أراد بذلك الإشارة إليها و الإيماء لتقبل عليه إذا أحيها الله و قيل معنى الدعاء هاهنا الإخبار عن تكوينها أحياء كقوله سبحانه «كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ» و قوله «أَتْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهًا» عن الطبرى و قول من قال أنه جعل على كل جبل طيرا ثم دعاها بعيد من الصواب و الفائدة لأنه إنما طلب بالعلم به كونه قادرا على إحياء الموتى عيانا و ليس فى إتيان طائر حتى إليه بالإيماء ما يدل على ذلك و فى الكلام حذف فكأنه قال فقطعهن ثم اجعل على كل جبل من كل واحد منهن جزءا فإن الله يحييهن فإذا أحياهن فادعهن فيكون الإيماء إليها بعد أن صارت أحياء ففعل إبراهيم ذلك فنظر إلى الريش يسعى بعضها إلى بعض و كذلك العظام و اللحم ثم أتينه مشيا على أرجلهن فتلقى كل طائر رأسه و ذلك قوله «يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا» و ذكر عن النضر بن شميل قال سألت الخليل بن أحمد عن قوله تعالى «يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا» هى يقال للطائر إذا طار سعى فقال لا قلت فما معناه قال معناه يأتينك و أنت تسعى سعيا «وَ اعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ» أى قوى لا يعجز عن شىء «حَكِيمٌ» فى أفعاله و أقواله و قيل عزيز يذل الأشياء له و لا- يمتنع عليه شىء حكيم أفعاله كلها حكمه و صواب و مما يسأل فى هذه الآية أن يقال كيف أجيب إبراهيم إلى آيات الآخرة دون موسى فى قوله «أَرِنِي أَنْظُرُ إِلَيْكَ» و جوابه من وجهين (أحدهما) أنه سأل آية لا يصح معها بقاء التكليف من وقوع الضرورة التى لا يعترضها الشكوك بوجه و إبراهيم إنما سأل فى شىء خاص يصح معه التكليف (و الآخر) أن الأحوال قد تختلف فيكون الأصلح فى بعض الأحوال الإجابة و فى بعضها المنع فيما لم يتقدم فيه إذن.

سورة البقرة (٢): آية ٢٦١

إشارة

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١)

اللغة

النبت الحشيش و كل ما ينبت من الأرض يقال نبت نبتا و نباتا و أنبته الله إنباتا

و الينبوت شجر الخشخاش و أنبت الغلام إذا راهق و استبان شعر عانته و السنبله على وزن فعله كقولهم أسبل الزرع بمعنى سنبل إذا صار فيه السنبل و الأصل فيه الإسبال و هو إرسال الستر و نحوه فكما يسترسل الستر بالإسبال يسترسل الزرع بالسنبل و لأنه صار فيه حب مستور كما يستر بالإسبال و المائه معروفه يقال أمات الغنم إذا بلغت مائه و أمأيتها أنا أى وفيتها مائه و المأى الفساد بين القوم.

المعنى

«مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قيل تقديره مثل صدقات الذين ينفقون أموالهم كمثل حبه و

قيل تقديره مثل الذين ينفقون كمثل زارع حبه و سبيل الله هو الجهاد و غيره من أبواب البر كلها على ما تقدم بيانه فالآيه عامه فى النفقه فى جميع ذلك و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و اختاره أبو على الجبائى و قيل هى خاصه بالإنفاق فى الجهاد فأما غيره من الطاعات فإنما يجرى بالواحد عشره أمثالها «كَمَثَلِ حَبِّهِ أَنْبَتَتْ» أى أخرجت «سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلِهِ مِائَةٌ حَبِّهِ» يعنى أن النفقه فى سبيل الله بسبعمائته ضعف و متى قيل هل رأى فى سنبله مائه حبه حتى يضرب المثل بها فجوابه أن ذلك متصور و إن لم ير كقول امرئ القيس:

(و مسنونه زرق كأنياب أغوال)

و قوله تعالى «طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ» و أيضا فقد رأى ذلك فى الجاورس و نحوه «وَ اللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ» أى يزيد على سبعمائته لمن يشاء و قيل معناه يضاعف هذه المضاعفه لمن يشاء و

روى عن ابن عمر أنه قال لما نزلت هذه الآيه قال رسول الله ص رب زد أمتى فنزل قوله مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً قال رب زد أمتى فنزل «إِنَّمَا يُؤَفِّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ»

و قوله «وَ اللَّهُ وَاسِعٌ» أى واسع القدره لا- يضيق عنه ما شاء من الزيادة و قيل واسع الرحمه لا- يضيق عن المضاعفه «عَلِيمٌ» بما يستحق الزيادة عن ابن زيد و قيل عليم بما كان من النفقه و بنيه المنفق و ما يقصده من الإنفاق.

النظم

اتصلت هذه الآيه بقوله مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا و ما بين الآيتين اعتراض بالاستدعاء إلى الحق و بيان الحجج و العبر عن على بن عيسى و قيل لما قص تعالى ما فيه البرهان على التوحيد و ما أتى رسله من البيئات حث على الجهاد و اعلم أن من عاند بعد هذه الدلالات يجب قتاله فحث على قتال من كفر بعد هذا البرهان و بين أن فى جهادهم و النفقه فيهم الثواب العظيم عن الزجاج.

اشاره

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢)

اللغه

المن هو ذكر ما ينغص المعروف كقول القائل أحسنت إلى فلان و أنعشته و نحو ذلك و أصل المن القطع و منه قوله «لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» أى غير مقطوع و منه قولهم جبل منين أى ضعيف لأنه مقطوع و سمي ما يكدر المعروف بأنه منه لأنه يقطع الحق الذى يجب به و المنه النعمه العظيمه سميت بذلك لأنها تجل عن قطع الحق بها لعظمها و المنه القوه فى القلب و المن الذى يقع من السماء و المن الذى يوزن به لأنه يقطع على مقدار مخصوص و الأذى ضرر يتعجل وصوله إلى المضرور و الخوف توقع الضرر و هو يرجع إلى الاعتقاد و الحزن الغم الذى يغلظ على النفس.

المعنى

لما أمر الله تعالى بالإنفاق عقبه ببيان كيفية الإنفاق فقال «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ» أى يخرجون «أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» و قد تقدم بيانه «ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا» أى نفقاتهم «مَنًّا» أى منه على المعطى «وَلَا أَذَىٰ» له و المن هو أن يقول له ألم أعطك كذا ألم أحسن إليك ألم أغنك و نحوها و الأذى أن يقول أراحنى الله منك و من ابتلائى بك و يحتمل أن يكون معنى الأذى أن يعبس وجهه عليه أو يتعبه أو يؤذيه فيما يدفعه إليه أو يصرفه فى بعض أشغاله بسبب إنفاقه عليه فكل هذا من المن و الأذى الذى يكدر الصنيعه و ينغص النعمه و يبطل الأجر و المثوبه و قوله «لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ» إلى آخره قد مر تفسيره و قيل معناه لهم جزاء أعمالهم عند ربهم و إنما قال «عِنْدَ رَبِّهِمْ» لتكون النفس أسكن إليه و أوثق به لأن ما عنده لا يخاف عليه فوت و لا نقص «وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ» من فوت الأجر و نقصانه يوم القيامه «وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» لفوته و نقصانه و فى هذه الآيه دلالة على أنه يصح الوعد بشرط لأن مفهوم الكلام أن تقديره فى المعنى إن لم يتبعوا ما أنفقوا منا و لا أذى فلهم من الأجر كذا و الوعد إذا كان مشروطا فمتى لم يحصل الشرط لم يحصل استحقاق الثواب و

قد روى عن النبى ص أنه قال المنان بما يعطى لا يكلمه الله و لا ينظر إليه و لا يزيكه و له عذاب أليم.

اشاره

قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣)

اللغه

الغنى الواسع الملك و الله غنى بأنه مالك لجميع الأشياء لأنه قادر عليها لا

ص: ١٦٣

يتعذر عليه شىء منها و الغنى ضد الحاجة يقال غنى يغنى غنا و استغنى و أغناه الله و الغناء الكفايه للغنى به عن غيره و الغنيه الاستغناء و قد غنى القوم إذا نزلوا فى مكان يغنيهم و المكان الذى ينزلون به مغنى و قد غنى فلان غناء إذا بالغ فى التطريب فى الإنشاد حتى يستغنى الشعر أن يزداد فى نغمه و قد غنيت المرأه غنيا قال قيس بن الحطيم:

أجد بعمره غنيانها

فتهجر أم شأننا شأنها

غنيانها غناؤها و الغوانى النساء لأنهن غنبن بجمالهن و قيل بأزواجهن و الحليم مر ذكره.

المعنى

«قَوْلٌ مَعْرُوفٌ» أى كلام حسن جميل لا- وجه فيه من وجوه القبح يرد به السائل و قيل معناه دعاء صالح نحو أن يقول صنع الله بك و أغناك الله عن المسأله و أوسع الله عليك الرزق و أشباه ذلك و قيل معناه عده حسنه و قيل قول فى إصلاح ذات البين عن الضحاك «و مَعْفِرَةٌ» قيل فيه أقوال (أحدها) أن معناه سلامه من المعصيه لأن حالها كحال المغفره فى الأمان من العقوبه عن الجبائى (و ثانيها) أن معناه ستر على السائل و سؤاله (و ثالثها) أن معناه عفو المسئول عن ظلم السائل عن الحسن و على هذا فيكون ظلم السائل أن يسأل فى غير وقته أو يلحف فى سؤاله أو يسىء الأدب بأن يفتح الباب أو يدخل الدار بغير إذن فالعفو عن ظلمه «خَيْرٌ مِنْ صِدْقِهِ يَتَّبِعُهَا أَدَى» و إنما صار القول المعروف و العفو عن الظلم خيرا من الصدقه التى يتبعها أذى لأن صاحب هذه الصدقه لا- يحصل على خير لا على عين ماله فى دنياه و لا على ثوابه فى عقباه و القول بالمعروف و العفو طاعتان يستحق الثواب عليهما و

قد روى عن النبى ص أنه قال إذا سأل السائل فلا تقطعوا عليه مسأله حتى يفرغ منها ثم ردوا عليه بوقار و لين إما بذل يسير أو رد جميل فإنه قد يأتىكم من ليس بإنس و لا جان ينظرون كيف صنيعكم فيما خولكم الله تعالى

«وَاللَّهُ غَنِيٌّ» عن صدقاتكم و عن جميع طاعاتكم لم يأمركم بها و لا بشىء منها لحاجه منه إليها و إنما أمركم بها و دعاكم إليها لحاجتكم إلى ثوابها «حَلِيمٌ» لا- يعاجلكم بالعقوبه و قيل لا يعجل بالعقوبه على من يمن و يؤذى بصدقته و لو وقع هاهنا موقع حلیم حميد أو عليم لم يحسن.

سوره البقره (٢): آيه ٢٦٤

اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْمَأْذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤)

الرئاء و المرآه أصله من الرؤيه كأنه يفعل ليرى غيره ذلك و جمع فى «رِئَاءِ النَّاسِ» بين همزتين و لا يجمع فى ذوائب و إن حال بينهما الألف فى كلا- الموضوعين لخفه الواحد و لأنهما مفتوحتان فى الواحد فهو أخف لها و الصفوان واحده صفوانه مثل سعدان و سعدانه و مرجان و مرجانه و هى الحجر الأملس و الصفا بمعنى الصفوان و ذكر الكسائي فى جمع صفوان صفى و أنكر ذلك المبرد و قال إنما هو جمع صفا مثل عصى و عصا و قفى و قفا و التراب و الترب واحد و ترب الرجل إذا لصق بالتراب من الفقر و منه قوله «مَسِيحِينَ ذَا مَتْرَبِهِ» لأنه قعد على التراب للفقر و أترب الرجل إذا صار ماله بعدد التراب و الترب اللده و قيل فيه أقوال منها أن الأتراب خرجوا إلى التراب فى وقت من الزمان و منها أنهم صبيان يلعبون فى التراب و منها أنهم فى الاشتباه كالتراب. و الترائب عظام الصدر لأنها متشابهه و الوابل المطر الشديد الوقع و بلت السماء تبل و بلا و الوبيل الشديد و الوبال سوء العاقبه و أصل الباب الشده و الصلد الحجر الأملس قال الشاعر:

و لست بجلب جلب ريح و قره

و لا بصفا صلد عن الخير معزل

و الصلد من الأرض ما لا ينبت شيئاً لصلابته و الصلد البخيل و صلد الزند صلودا إذا لم يور ناراً و فرس صلود إذا أبطأ عرقه و قدر صلود إذا أبطأ عليها و أصل الباب ملاسه فى صلابه.

الإعراب

الكاف فى قوله «كَأَلَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ» فى موضع نصب على الحال من الواو فى تبطلوا. «رِئَاءِ النَّاسِ» مصدر وضع موضع الحال من الضمير فى ينفق تقديره ينفق ماله مرائياً و يجوز أن يكون مفعولاً- له. «عَلَيْهِ تُرَابٌ» جملة فى موضع جر بكونه صفه صفوان و صلدا حال من تركه و ذو الحال الهاء و «لَا يَقْدِرُونَ» جملة فعلية فى موضع الحال و الواو عائد

إلى معنى الذى لأنه جنس لا إلى لفظه.

المعنى

ثم أكد تعالى ما قدمه بما ضرب من الأمثال فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا الله و رسوله «لا تُبْطِلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ» أى بالمنه على السائل و قيل بالمنه على الله «وَ الْأَذَى» بمعنى أذى صاحبها ثم ضرب تعالى مثلا لعمل المنان و عمل المنافق جميعا فإنهم إذا فعلا- الفعل على غير الوجه المأمور به فإنهما لا يستحقان عليه ثوابا و هذا هو معنى الإبطال و هو إيقاع العمل على غير الوجه الذى يستحق عليه الثواب فقال «كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ» هذا يدخل فيه المؤمن و الكافر إذا أخرج المال للرياء «وَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» هذا للكافر خاصة أى لا يصدق بوحديته الله و لا بالبعث و الجزاء و قيل أنه صفة للمنافق لأن الكافر معلن غير مرء و كل مرء كافر أو منافق «فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَيِّفٍ نَافٍ» أى حجر أملس «عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ» أى مطر عظيم القطر شديد الوقع «فَتَرَكَهُ صَيِّلًا» حجرا صلبا أملس شبه سبحانه فعل المنافق و المنان بالوصفا الذى أزال المطر ما عليه من التراب فإنه لا يقدر أحد على رد ذلك التراب عليه كذلك إذا دفع المنان صدقه و قرن بها المن فقد أوقعها على وجه لا- طريق له إلى استدراكه و تلافيه لوقوعها على الوجه الذى لا يستحق عليه الثواب فإن وجوه الأفعال تابعه لحدوث الأفعال فإذا فاتت فلا طريق إلى تلافيتها و ليس فى الآيه ما يدل على أن الثواب الثابت المستقر يبطل و يزول بالمن فيما بعد و لا بالرياء الذى يحصل فيما يستقبل من الأوقات على ما قاله أهل الوعيد «لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا» أى لا يقدر هؤلاء على نفقتهم و لا على ثوابها و لا- يعلمون أين النفقة و أين ثوابها و لا- يحصلون منها على شىء كما لا يحصل أحد على التراب أذهبه المطر عن الحجر فقد تضمنت الآيه و الآى التى قبلها الحث على الصدقة و إنفاق المال فى سبيل الخير و أبواب البر ابتغاء مرضاه الله و النهى عن المن و الأذى و الرياء و السمعه و النفاق و الخبر عن بطلان العمل بها و مما جاء فى معناه من الحديث ما

رواه ابن عباس عن النبى ص قال إذا كان يوم القيامة نادى مناد يسمع أهل الجمع أين الذين كانوا يعبدون الناس قوموا خذوا أجوركم ممن عملتم له فإنى لا أقبل عملا خالطه شىء من الدنيا و أهلها

و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال قال رسول الله من أسدى إلى مؤمن معروفا ثم آذاه بالكلام أو من عليه فقد أبطل الله صدقته ثم ضرب فيه مثلا فقال «كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ» إلى قوله «الْكَافِرِينَ»

و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) ما من شىء أحب إلى من رجل سلفت منى إليه يد أتبعته أختها و أحسنت ربها له لأنى رأيت منع الأواخر يقطع لسان شكر الأوائل

«وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» أى لا يثيب الكافرين

على أعمالهم إذ كان الكفر محبطاً لها و مانعاً من استحقاق الثواب عليها و إنما يشيب المؤمنون الذين يوقعون أعمالهم على الوجوه التي يستحق بها الثواب و قيل معناه لا يهديهم إلى الجنة بأعمالهم كما يهدى المؤمنون و قيل معناه لا يعطيهم ما يعطى المؤمنون من زياده الألفاظ و التوفيق.

سوره البقره (٢): آيه ٢٦٥

اشاره

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَ تَثْبِيثًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٦٥)

القراءه

قرأ عاصم و ابن عامر «بِرَبْوَةٍ» بفتح الراء و الباقون بضمها و روى فى الشواذ عن ابن عباس بكسر الراء و قرأ ابن كثير و نافع و أبو عمر و أكلها بالتخفيف و الباقون بالثقل.

اللغه

الربوه و الربوه و الربوه بالحركات الثلاث فى الراء و الرباوه الرابيه قال أبو الحسن و الذى نختاره ربوه بضم الراء و يؤيد هذا الاختيار قولهم ربا فى الجمع و الأكل المأكول يدل على ذلك قوله تعالى «تُؤْتَى أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ» أى ما يؤكل منها قال الأعشى:

جندك التالد الطريف من السادات

أهل القباب و الآكال

فالآكال جمع أكل مثل عنق و أعناق و الأكل الفعل و الأكله الطعمه و الأكله الواحده قال الشاعر:

فما أكله إن نلتها بغنيمه

و لا جوعه إن جعتها بغرام

ففتح الألف من الفعله بدلاله قوله و لا جوعه و إن شئت ضمنت و عنيت الطعام و قال أبو زيد أنه لذو أكل أى له حظ و رزق من الدنيا و ضعف الشىء مثله زائدا عليه و ضعفاه مثلاه زائدين عليه و قال قوم ضعف الشىء مثلاه و الطل المطر الصغار يقال أطلت السماء فهى مطله و روضه طله نديه و الطل إبطال الدم بأن لا يتأثر بصاحبه طل دمه فهو مطلول لأنه

بمنزله ما جاء عليه الطل فأذهبه فكأنه قيل غسله و الطلل ما شخص من الدار لأنه كموضع الندى بالطل لعماره الناس له خلاف المستوى القفر لأن الخصب حيث تكون الأبنية و صار الطلل اسما لكل شخص و الإطلال الإشراف على الشئ ء و ما بالناقه طل أى بها طرق و هو الشحم و طله الرجل امرأته و أصل الباب الطل المطر.

الإعراب

«ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ» مفعول له و تثبيتا معطوف عليه بربوه الجار و المجرور فى موضع الصفه لجنه و «أَصَابَهَا وَاِبِلٌ» فى موضع جر لأنها صفه بعد صفه و ضعفين حال من أكل قال الزجاج ارتفع طل على معنى «فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَاِبِلٌ» فالذى يصبها طل فعلى هذا يكون خبر مبتدأ محذوف و يجوز أن يكون فاعل فعل مقدر أى فيصيبها طل.

المعنى

«وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ» أى يخرجون «أَمْوَالَهُمْ» فى أعمال البر «ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ» أى طلبا لرضاء الله «وَتَثْبِيْتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ» بقوه اليقين و البصيره فى الدين عن سعيد بن جبير و السدى و الشعبى و قيل معناه أنهم يثبتون أين يضعون صدقاتهم عن الحسن و مجاهد و قيل معناه و توطينا لنفوسهم على الثبوت على طاعه الله عن أبى على الجبائى و اعترض على الحسن و مجاهد بأنه لم يقل و تثبيتا و ليس هذا بشئ ء لأنهم إذا ثبتوا أنفسهم فقد ثبتوا و قوله «كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ» معناه كمثل بستان لمرتفع من الأرض و إنما خص الربوه لأن نبتها يكون أحسن و ريعها أكثر من المستغل الذى يسيل الماء إليه و يجتمع فيه فلا يطيب ريعه أ لم تر إلى قول الأعشى:

ما روضه من رياض الحزن معشبه

خضراء جاد عليها مسبل هطل

فخص بها الحزن للمعنى الذى ذكرناه «أَصَابَهَا وَاِبِلٌ» أى أصاب هذه الجنه مطر شديد «فَأَتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ» أى فأعطت غلتها ضعفى ما تعطى إذا كانت بأرض مستغله و يحتمل أن يكون معناه مرتين فى كل سنه واحده كما قال سبحانه «تُوْتَى أَكْلَهَا كُلِّ حِينٍ بِأَذْنِ رَبِّهَا» و

معناه كل سته أشهر فيما روى

و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) معناه يتضاعف أجر من أنفق ماله ابتغاء مرضاه الله

«فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَاِبِلٌ» أى أصابها مطر لين أراد به أن خيرها لا يخلف على كل حال و لا يرى الغبار عليها على كل حال و إنما ارتفع فطل على تقدير فالذى يصبها طل «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» معناه عالم بأفعالكم فيجازيكم بحسبها و قيل عالم بالمرائى و المخلص و فيه ترغيب و ترهيب.

إشارة

أَيُّودُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢٦٦)

اللغة

الجنة البستان الكثير الشجر لأن الشجر يجنه بكثرته فيه و النخيل معروف و قيل أنه مأخوذ من نخل المنخل لاستخلاصه كاستخلاص اللباب بالنخل و النخل جمع نخله و هي شجره التمر و يذكر و يؤنث قال الله سبحانه كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ و أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ و الانتخال الاختيار و التخل التخير و أصل الباب النخل للدقيق و العنب ثمر الكرم و رجل عنب و عنب و رجل عنب عظيم الأنف و تحت نقيض فوق و

في الحديث لا تقوم الساعة حتى يظهر التحوت

أى الذين كانوا تحت أقدام الناس لا يشعر بهم ذلا و الأنهار جمع النهر و هو المجرى الواسع من مجارى الماء و الإصابه الوقوع على المقصد و الكبر حال زائده على مقدار آخر و الفرق بين الكبير و الكثير أن الكثير مضمن بعدد و ليس كذلك الكبير تقول دار واحده كبيره و لا يجوز كثيره و الضعيف يجمع على ضعفاء و ضعاف و الأعصار غبار يلتف بين السماء و الأرض كالتفاف الثوب فى العصر قال الشاعر:

(إن كنت ريحا فقد لاقت إعصارا)

و المعصرات السحب و الفكر جولان القلب بالخواطر يقال أفكر و فكر و تفكر بمعنى.

الإعراب

قوله «أَيُّودُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ» عطف عليه بماض فقال «وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ» قال الفراء يجوز ذلك فى يود لأنها تتلقى مره و بلو و مره بأن فجاز أن تقدر إحداهما مكان الأخرى لاتفاق المعنى فكأنه قال أ يود أحدكم لو كانت له جنة قال على بن عيسى و عندي أنه قد دل بأن على الاستقبال و يتضمن الكلام معنى لو على التمنى كأنه قال قيل أ يجب أحدكم متمنيا له و التمنى يقع على الماضى و المستقبل ألا- ترى أنه يصح أن يتمنى أن كان له ولد و يصح أن يتمنى أن يكون له ولد و المحبه لا تقع إلا على المستقبل و الفرق بين الموده و المحبه أن الموده قد تكون بمعنى التمنى نحو قولك أود لو قدم زيد بمعنى أتمنى لو قدم و لا يجوز أحب لو قدم و من فى قوله «مِنْ نَخِيلٍ» للتبيين و هو فى موضع رفع صفه لجنه. «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» جملة فى موضع رفع بكونها صفه لجنه إذا عادت الهاء إلى الجنة أو فى محل جر لكونها صفه لنخيل إذا عادت الهاء إلى نخيل.

«أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ» أى بستان «مِنْ نَخِيلٍ وَ أَغْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» أى يشتمل على النخيل و الأعناب و الأنهار الجارية «لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَ أَصَابُهُ الْكِبْرُ» أى و لحقه الشيخوخه و طعن فى السن «وَ لَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ» أى أولاد صغار ناقصو القوه «فَأَصَابَهَا» أى أصاب تلك الجنة «إِعْصَارٌ» أى ريح شديد تهب من الأرض نحو السماء مثل العمود و تسميها الناس الزوبعه «فِيهِ نَارٌ» أى فى ذلك الأعصار نار «فَاحْتَرَقَتْ» تلك الجنة و هذا مثل ضربه الله فى الحسره بسلب النعمه و اختلف فيه على وجوه (أحدها) أنه مثل المرائى فى النفقه لأنه ينتفع بها عاجلا- و ينقطع عنه آجلا أحوج ما يكون إليه عن السدى (و ثانيها) أنه مثل للمفرط فى طاعه الله تعالى بملاذ الدنيا يحصل فى الآخره على الحسره العظمى عن مجاهد و المراد به أن حاجته إلى الأعمال الصالحه كحاجه هذا الكبير الذى له ذريه ضعفاء إلى ثمار الجنة و قد احترقت فيكون أعظم حسره لأن الكبير الذى قد يئس من سعى الشباب فى كسبه فكان أضعف أملا و أشد حسره كذلك من لم يكن له فى الآخره عمل صالح يوصله إلى الجنة فحسرتة مثل ذلك (و ثالثها) أنه مثل للذى يختم عمله بفساد عن ابن عباس و كل هذه الوجوه تحتمله الآية «كَذَلِكَ» أى كهذا البيان الذى بين لكم فى أمر الصدقه و قصه إبراهيم و الذى مر على قريه و جميع ما سلف «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ» أى الدلالات التى تحتاجون إليها فى أمور دينكم «لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ» أى تنظرون و تفهمون.

سوره البقره (٢): آيه ٢٦٧

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَ مِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ لَا تَيْمَمُوا الْخَيْثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَ لَسِيْتُمْ بِأَخْدِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَنِّي حَمِيدٌ (٢٦٧)

القراءة

قرأ ابن كثير غير القواس «وَ لَا- تَيْمَمُوا» بتشديد التاء فيها و فى أخواتها و هى أحد و ثلاثون موضعا من القرآن و الباقون تيمموا بالتخفيف.

الحج

كلاهما بمعنى واحد كان ابن كثير رد الحرف الساقط فى القراءة الأخرى و أدغم لأنه كان فى الأصل تاءان تاء المخاطب و تاء الفعل فحذفت تاء الخطاب فى

اللغه

التيتم التعمد قال خفاف:

(فعمدا على عيني تيممت مالكا)

و قال الأعشى:

تيممت قيسا و كم دونه

من الأرض من مهمه ذى شزن

يقال أمت الشىء خفيفه و يممته و أممته و يممته و تيممته بمعنى أى قصدته و منه الإمام لأنه المقصود المعتمد و الإمام أيضا خيط البناء لأنه يمد و يعتمد بالبناء عليه و اليم لجه البحر لأنه يعتمد به البعيد من الأرض و اليمام الحمام لأنها تتعمد إلى أوكارها بحسن هدايتها و الخيىث الردىء من كل شىء و خبث الفضه و الحديد ما نفاه الكير لأنه ينفى الردىء و أصله الرداء و الإغماض فى البيع الحط من الثمن ليعب فيه و ذلك لإخفاء بعض الثمن بالحط له و الغموض الخفاء غمض يغمض فهو غامض و التغميض للعين أطباق الجفن و الغمض النوم و الغمض المطمئن من الأرض و أصل الباب الخفاء و الإغماض غمض البصر و أطباق جفن على جفن قال رؤبه:

أرق عيني عن الإغماض

برق سرى فى عارض نهاض

ثم صار عباره عن التسامح و التساهل فى البيع.

الإعراب

قال الفراء الأصل فى «أَنْ تُغْمِضُوا» أن مكسوره الهمزه لأن الكلام فى معنى الجزاء و هو إن أغمضتم بعض الإغماض أخذتموه و مثل إلاً أن يخافا ألاً يُقيما حُدودَ الله و أنكر ذلك المحققون قالوا أن هذه التى بمعنى المصدر نحو أن تأتيني خير لك و المعنى و لستم بأخديه إلا لإغماضكم فيه.

النزول

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنها نزلت فى أقوام لهم أموال من ربا الجاهليه و كانوا يتصدقون منها فنهاهم الله عن ذلك و أمر بالصدقه من الطيب الحلال

قيل إنها نزلت في قوم كانوا يأتون بالحشف فيدخلونه في تمر الصدقه عن علي (عليه السلام)

و البراء بن عازب و الحسن و قتاده.

ص: ١٧١

لما تقدم ذكر الإنفاق و بيان صفة المنفق و أنه يجب أن ينوى بالصدقه التقرب و أن يحفظها مما يبطلها من المن و الأذى بين تعالى صفة الصدقه و المتصدق عليه ليكون البيان جامعاً فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» خاطب المؤمنين «أَنْفِقُوا» أى تصدقوا «مِنْ طَيِّبَاتٍ مَا كَسَبْتُمْ» أى من حلال ما كسبتم بالتجاره عن ابن مسعود و مجاهد و قيل من خياره و جواده و نظيره قوله «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» و

روى عن عبيد بن رفاعه قال خرج علينا رسول الله ص فقال يا معشر التجار أنتم فجار إلا من اتقى و بر و صدق و قال بالمال هكذا و هكذا

و

قال (عليه السلام) تسعه أعشار الرزق فى التجاره و الجزء الباقي فى السابياء

و

روت عائشه عنه أنه قال أطيب ما أكل الرجل من كسبه و أن ولده من كسبه

و

قال سعيد بن عمير سئل النبى ص أى كسب الرجل أطيب قال عمل الرجل بيده و كل بيع مبرور

و

قال على (عليه السلام) من اتجر بغير علم ارتطم فى الربا ثم ارتطم

و اختلفوا فى ذلك على وجوه فقيل هذا أمر بالنفقه فى الزكاه عن عبيده السلماني و الحسن و قيل هو فى الصدقه المتطوع بها لأن المفروض من الصدقه له مقدار من القيمه إن قصر عنه كان ديناً عليه إلى أن يؤديه بتمامه و إن كان مال المزكى كله ردياً فجائز له أن يعطى منه عن الجبائى و قيل هو الأصح أنه يدخل فيه الفرائض و النوافل و المراد به الإنفاق فى سبيل الخير و أعمال البر على العموم و فيه دلالة على أن ثواب الصدقه من الحلال المكتسب أعظم منه من الحلال غير المكتسب و إنما كان ذلك لأنه يكون أشق عليه «وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ» أى و أنفقوا و أخرجوا من الغلات و الثمار مما يجب فيه الزكاه «وَلَا يَتَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ» أى لا تقصدوا الردى من المال أو مما كسبتموه أو أخرج الله لكم من الأرض فتنفقون منه و قيل المراد بالخبيث هاهنا الحرام و يقوى القول الأول قوله «وَلَسْتُمْ بِأَخْذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ» لأن الإغماض لا يكون إلا فى الشئ الردى و دون ما هو حرام و فيه قولان (أحدهما) أن معناه لا تتصدقوا بما لا تأخذونه من غمائمكم إلا بالمسامحه و المساهله فالإغماض هاهنا المساهله عن البراء بن عازب (و الآخر) أن معناه بما لا تأخذونه إلا أن تحطوا من الثمن فيه عن الحسن و ابن عباس و قتاده و مثله قول الزجاج و لستم بأخذه إلا فى و كس فكيف تعطونه فى الصدقه «وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ» عن صدقاتكم «حَمِيدٌ» أى

مستحق للحمد على نعمه و قيل مستحمد إلى خلقه بما يعطيهم من النعم أى مستدع لهم إلى ما يوجب لهم الحمد و قيل أنه
بمعنى الحامد أى أنه مع غناه

ص: ١٧٢

عنكم و عن صدقاتكم يقبلها منكم و يحمدكم عليها و حميد بهذا الموضع أليق من حليم كما أن حليما بالآيه المتقدمه أليق من حميد لأنه سبحانه لما أمر بالإنفاق من طيبات المكاسب بين أنه غنى عن ذلك و أنه يحمد فاعله إذا فعله على ما أمره به و معناه أنه يجازيه عليه.

سوره البقره (٢): آيه ٢٦٨

اشاره

الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦٨)

اللغه

الفقر الحاحه و هو ضد الغنى و الفقر لغه فيه يقال أفقره الله إفقارا و افتقر افتقارا لأن الفقر بمنزله كسر الفقار في تعذر المراد و الفقار عظام منتظمه فى النخاع تسمى خرز الظهر واحدها فقره و الإفقار إعاده الدابه لتركب ثم ترد و الفاقره الداهيه لأنها تكسر الفقار و يقال وعدته الخير و وعدته بالخير وعدا و عده و موعده و موعدا و موعودا و موعوده و الفرق بين الوعد و الوعيد أن الوعيد فى الشر خاصه و الوعد يصلح بالتقييد للخير و الشر معا غير أنه إذا أطلق اختص بالخير و كذلك إذ أبهم التقييد كما يقال وعدته بأشياء لأنه بمنزله المطلق و الفحشاء الفحش و الفاحش البخيل قال طرفه:

أرى الموت يعتام الكرام و يصطفى

عقيله مال الفاحش المتشدد

قال على بن عيسى الفحشاء المعاصى و إنما سمي البخيل فاحشا لأنه مسىء برده الأضياف و السؤال قال كعب:

أخى يا أخى لا فاحش عند بيته

و لا برم عند اللقاء هيبوب

. المعنى

ثم حذر تعالى من الشيطان المانع من الصدقه فقال «الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ» بالنفقه فى وجوه البر و بإنفاق الجيد من المال و قيل بتأديه الزكاه عليكم فى أموالكم «وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ» أى بالمعاصى و ترك الطاعات و قيل بالإنفاق من الردىء و سماه

فحشاء لأن فيه معصية الله تعالى فإن الغنى إذا ترك الإنفاق على وجه ذوى الحاجات من أقاربه و جيرانه أدى ذلك إلى التقاطع «وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ» أى يعدكم بالإنفاق من خيار المال أن يستر عليكم و يصفح عن عقوبتكم «وَفَضْلًا» أى و يعدكم أن يخلف عليكم خيرا من صدقتكم و يتفضل عليكم بالزيادة فى أرزاقكم و روى عن ابن عباس أنه قال اثنان من الله و اثنان من الشيطان فاللذان من الله المغفرة على المعاصى و الفضل فى الرزق و اللذان من الشيطان الوعد بالفقر و الأمر بالفحشاء و

روى عن ابن مسعود أنه قال للشيطان لمه و للملك لمه و روى مثله عن أبى عبد الله (عليه السلام)

ثم قال فلمه الشيطان وعده بالفقر و أمره بالفحشاء و لمه الملك أمره بالإنفاق و نهيه عن المعصية «وَاللَّهُ وَاسِعٌ» ذكرناه معناه فيما تقدم و قيل واسع معناه يعطى عن سعه بمعنى إن عطيته لا تضره و لا تنقص خزائنه «عَلِيمٌ» بمن يستحق العطيه و من لا يستحقها.

سورة البقرة (٢): آية ٢٦٩

إشارة

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَ مَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَ مَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٦٩)

القراءة

قرأ يعقوب من يؤت بكسر التاء و الباقون بفتحها.

الحجج

من كسر التاء فإنه أراد من يؤته الله الحكمة ففاعل يؤت الضمير المستكن فيه العائد إلى الله كما هو فى قوله «يُؤْتِ الْحِكْمَةَ» و يؤيد هذه القراءة قراءة الأعمش و من يؤته الله و حذف ضمير المفعول الذى هو الهاء العائد إلى من الذى هو للجزاء و هو فى موضع الرفع بالابتداء كما حذف الضمير العائد إلى الموصول فى نحو قوله «أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا» و الأولى أن يكون من على هذه القراءة موصولة لتكون بمعنى الذى لا بمعنى الجزء و أقول و بالله التوفيق يجوز أن يكون من للجزاء هاهنا و يكون فى موضع نصب بكونه مفعولا أولا ليؤتى و لزمه التقديم على الفعل مع كونه مفعولا لنيابته عن حرف الشرط الذى له صدر الكلام و مثله من فى قول زهير:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب

تمته و من تخطئ يعمر فيهم

و من قرأ «وَمَنْ يُؤْتِ» بفتح التاء فاسم ما لا يسم فاعله هو الضمير المستكن العائد إلى من و يؤت مجزوم بمن و الجزاء «فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا».

المعنى

ثم وصف تعالى نفسه فقال «يُؤْتِي الْحِكْمَةَ» أى يؤتى الله الحكمة «مَنْ يَشَاءُ» و ذكر فى معنى الحكمة وجوه قيل أنه علم القرآن ناسخه و منسوخه و محكمه و متشابهه و مقدمه و مؤخره و حلاله و حرامه و أمثاله عن ابن عباس و ابن مسعود و قيل هو الإصابه فى القول و الفعل عن مجاهد و قيل أنه علم الدين عن ابن زيد و قيل هو النبوه عن السدى و قيل هو المعرفه بالله تعالى عن عطاء و قيل هو الفهم عن إبراهيم و قيل هو خشيه الله عن الربيع و

قيل هو القرآن و الفقه عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و روى أيضا عن مجاهد و قيل هو العلم الذى تعظم منفعتة و تجل فائدته و هذا جامع للأقوال و قيل هو ما آتاه الله أنبياءه و أممهم من كتابه و آياته و دلالاته التى يدلهم بها على معرفتهم به و بدينه و ذلك تفضل منه يؤتية من يشاء عن أبى على الجبائى و إنما قيل للعلم حكمه لأنه يمتنع به عن القبيح لما فيه من الدعاء إلى الحسن و الزجر عن القبيح و

يروى عن النبى ص أنه قال إن الله آتانى القرآن و آتانى من الحكمة مثل القرآن و ما من بيت ليس فيه شىء من الحكمة إلا كان خرابا ألا فتفقها و تعلموا فلا تموتوا جهالا

«وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ» أى و من يؤت ما ذكرناه «فَقَدْ أُوتِيَ» أى أعطى «خَيْرًا كَثِيرًا وَ مَا يَدَّكُرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ» أى و ما يتعظ بآيات الله إلا- ذوو العقول فإن قيل لم عقد بأولى الألباب التذكر و كل مكلف ذو لب قيل لم تطلق على جميع المكلفين هذه الصفة لما فيها من المدحه فلذلك عقد التذكر بهم و هم الذين يستعملون ما توجه عقولهم من طاعه الله فى كل ما أمر به و دعا إليه و سمى العقل لبا لأنه أنفس ما فى الإنسان كما أن لب الثمره أنفس ما فيها.

سوره البقره (٢): آيه ٢٧٠

اشاره

وَ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٢٧٠)

اللغه

النذر هو عقد المرء على النفس فعل شىء من البر بشرط و لا ينعقد ذلك إلا بقوله لله على كذا و لا يثبت بغير هذا اللفظ و أصل النذر الخوف لأنه يعقد ذلك على نفسه خوف التقصير فى الأمر و منه نذر الدم و هو العقد على سفكه للخوف من مضره صاحبه قال عمرو بن معديكرب:

هم يندرون دمی و أنذر

إن لقيت بأن أشدا

يقال نذرت النذر أنذره و أنذره و منه الإنذار و هو الإعلام بموضع العدو و الخوف ليتقى و الأنصار جمع نصير مثل شريف و أشراف و النصير هو المعين على العدو.

الإعراب

ما بمعنى الذى و ما بعدها صلتها و العائد إليها ضمير المفعول المحذوف من أنفقتم تقديره و ما أنفقتموه و هو فى موضع رفع بالابتداء و خبره «فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ» و العائد إلى المبتدأ من الخبر الهاء فى يعلمه و لا يجوز أن يعود إلى النفقه لأنها مؤنثة و لا إلى النفقه و النذر لأن ذلك يوجب التثنيه و أقول يجوز أن يكون ما للجزاء و يكون منصوبا بأنفقتم و لا- يحتاج فيه إلى حذف المفعول فىكون التقدير أى شىء أنفقتم أو نذرتم و الفاء فى موضع الجزاء من نفقه الجار و المجرور فى محل نصب على الحال من أنفقتم أو نذرتم و الفاء فى موضع الجزاء من نفقه الجار و المجرور فى محل نصب على الحال من أنفقتم و ذو الحال ما.

المعنى

ثم عاد سبحانه إلى ذكر الإنفاق و الترغيب فيه فقال «وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ» أى ما تصدقتم به من صدقه مما فرض الله عليكم و قيل معناه ما أنفقتم فى وجوه الخير و سبل البر من نفقه واجبه أو مندوب إليها «أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ» أى ما أوجبتموه أنتم على أنفسكم بالنذر فوفيتم به من فعل بر مثل صلاه أو صوم أو صدقه و نحو ذلك «فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ» معناه يجازى عليه لأنه عالم فدل ذكر العلم على تحقيق الجزاء إيجازا للكلام «وَمَا لِلظَّالِمِينَ» أى ليس للواضعين النفقه و النذر فى غير موضعهما مثل أن ينفق رياء أو ضارارا أو شقاقا أو من مال مغصوب أو مأخوذ من غير حله أو بنذر فى معصيه أو يترك الوفاء به مع القدره عليه «مِنْ أَنْصَارٍ» من أعوان يدفعون عذاب الله عنهم.

سورة البقره (٢): آيه ٢٧١

إشارة

إِنْ تُبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ يُكْفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
(٢٧١)

القرءاءة

قرأ ابن عامر و أهل الكوفه غير عاصم فنعما هى بفتح النون و قرأ أهل المدينة غير ورش و أبو عمر و يحيى بكسر النون و سكون

العين وقرأ الباقون «فَنِعْمًا» بكسر

ص: ١٧٦

النون و العين و كذلك فى النساء نعماء يعظكم و قرأ أهل المدينه و الكوفه غير عاصم و نكفر بالنون و الجزم و قرأ ابن عامر و حفص بالياء و الرفع و الباقون بالنون و الرفع.

الحجه

من قرأ فنعما هى فحجته أن أصل الكلمه نعم فجاء بالكلمه على أصلها كما قال:

(نعم الساعون فى الأمر المبر)

و من قرأ فنعما بسكون العين لم يكن قوله مستقيماً عند النحويين لأن فيه الجمع بين ساكنين و الأول منهما ليس بحرف مد و لين و التقاء الساكنين إنما يجوز عندهم هناك نحو دابه و أصيم و تأمرونى لأن ما فى الحرف من المد يصير عوضاً من الحركه و قد أنشد سيويه شعراً قد اجتمع فى الساكنان على حد ما اجتمعا فى نعماء و هو:

كأنه بعد كلال الزاجر

و مسحه مر عقاب كاسر

و أنكروه أصحابه و لعل من قرأ به أخفى ذلك كأخذه بالإخفاء فى نحو بارئكم فظن السامع الإخفاء إسكاناً للطف ذلك فى السمع و خفائه و من قرأ «فنعماً» فإنه أتبع العين النون فراراً من الجمع بين ساكنين و اختار أبو عبيده قراءه أبى عمرو و

قال هى لغه النبى ص فى قوله لعمرو بن العاص نعماء المال الصالح للرجل الصالح

هكذا روى فى الحديث بسكون العين و قوله و نكفر من رفعه فعلى وجهين (أحدهما) أن يكون خبر المبتدأ المحذوف و تقديره و نحن نكفر عنكم (و الآخر) أن يكون كلاماً مستأنفاً مقطوعاً مما قبله و لا يكون الحرف العاطف للاشتراك و يكون لعطف جمله على جمله و أما من جزم فإنه يحمله على موضع «فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ» و مثله قراءه من قرأ من يضلل الله فلا هادى له و يذرهم لأن قوله «فَلا هادى له» فى موضع جزم مثل قوله «فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ» و أما الياء و النون فى قوله و نكفر فمن قال «وَ يُكْفَرُ» فلأن ما بعده على لفظ الأفراد و من قال و نكفر فإنه أتى بلفظ الجمع ثم أفرد كما أتى بلفظ الأفراد ثم جمع فى قوله تعالى «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» ثم قال «بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا».

اللغه

الفرق بين الصدقه و الزكاه أن الزكاه لا تكون إلا فرضاً و الصدقه قد تكون

فرضا وقد تكون نفلا و الإخفاء الستر و الخفى الإظهار خفا يخفيه خفيا أى أظهره قال امرئ القيس:

فإن تدفنوا الداء لا نخفه

و إن تبعثوا الحرب لا نقعد

و الخوافى من الريش ما دون القوادم لأنها تخفى بها و الخفيه عرين الأسد لأنه يختفى فيها و أصل الباب الستر و الإبداء و الإظهار و الإعلان نظائر و الإخفاء و الإسرار و الإغماض نظائر.

الإعراب

قوله «فَنِعْمًا هِيَ» تقديره أن تبدوا الصدقات فنعم شيئا إبدائها فما هاهنا نكره موصوفه و هى فى موضع نصب لأنه تفسير الفاعل المضمرة قبل الذكر فى نعم و الإبداء هو المخصوص بالمدح فحذف المضاف الذى هو الإبداء و أقيم المضاف إليه الذى هو ضمير الصدقات مقامه لما فى الكلام من الدلالة عليه و لأن الفعل المتقدم يدل على مصدره و لأن قوله «وَ إِنْ تُخْفُوها وَ تُؤْتُوها الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ» أى الإخفاء خير لكم فكما أن هنا ضمير الإخفاء كذلك يجب أن يكون ضمير الإبداء مرادا هناك.

المعنى

ثم ذكر تعالى صفة الإنفاق و رغب فيه بقوله «إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ» معناه أن تظهروا الصدقات و تعلنوها «فَنِعْمًا هِيَ» أى فنعم الشىء و نعم الأمر إظهارها و إعلانها أى ليس فى إبدائها كراهه «وَ إِنْ تُخْفُوها» أى تسروها «وَ تُؤْتُوها الْفُقَرَاءَ» أى تعطوها الفقراء و تؤدوها إليهم فى السر «فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ» أى فالإخفاء خير لكم و أبلغ فى الثواب و اختلفوا فى الصدقة التى يكون إخفاؤها أفضل من إبدائها فقيل أن صدقة التطوع إخفاؤها أفضل لأنه يكون أبعد من الرياء بإخفائها و أما المفروض فلا يدخله الرياء و يلحقه تهمه المنع بإخفائها فإظهارها أفضل عن ابن عباس و الثورى و كذا

رواه على بن إبراهيم بإسناده عن الصادق قال الزكاه بإخفائها المفروضه تخرج علانيه و تدفع علانيه و غير الزكاه إن دفعه سرا فهو أفضل

و قيل الإخفاء فى كل صدقه من زكاه و غيرها أفضل عن الحسن و قتاده و هو الأشبه بعموم الآيه «وَ يُكْفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ» معناه و نمحو عنكم خطيئاتكم و نغفرها لكم و من قرأ بالرفع فمعناه و نحن نكفر عنكم أو يكفر الله عنكم من سيئاتكم و دخلت من للتبويض و احتج به من قال المراد بالسيئات الصغائر فأما على مذهبا فاسقاط العقاب تفضل من الله فله أن يتفضل بإسقاط بعضه دون بعض فلو لم يدخل من لأفاد أنه يسقط جميع العقاب و قال بعضهم أن من زياده و قد يقال كل من طعمى و خذ من مالى مما شئت فيكون للتعميم و الأول أولى و مما جاء فى الحديث فى صدقه السر

قوله صدقه السر

تطفئ غضب الرب و تطفئ الخطيئه كما يطفئ الماء النار و تدفع سبعين بابا من البلاء

و

قوله سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العدل و الشاب الذى نشأ فى عباده الله تعالى و رجل قلبه يتعلق بالمساجد حتى يعود إليها و رجلاين تحاببا فى الله و اجتمعا عليه و تفرقا عليه و رجل دعتة امرأه ذات منصب و جمال فقال إنى أخاف الله تعالى و رجل تصدق بصدقه فأخفاها حتى لم تعلم يمينه ما تنفق شماله و رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه

و قوله تعالى: «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» معناه أنه تعالى عالم بما تعملونه فى صدقاتكم من إخفائها و إعلانها لا يخفى عليه شىء من ذلك فيجازيكم على جميعه.

سوره البقره (٢): آيه ٢٧٢

إشارة

لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَ مَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَ أَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٢٧٢)

الإعراب

«مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ» شرط و جزاء «وَ مَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ» قيل لفظه نفى و معناه النهى أى لا تنفقوا كقوله «لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» و قيل هى جملة مفيدة بنفسها معطوفة على ما قبلها و هو خبر على ظاهره و ابتغاء نصب لأنه مفعول له «وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ» شرط كالأول و لذلك حذف النون فى الموضعين.

النزول

كان المسلمون يمتنعون عن الصدقة على غير أهل دينهم فأنزل الله تعالى هذه الآية عن ابن عباس و ابن الحنفية و سعيد بن جبير و قيل كانت أسماء بنت أبى بكر مع رسول الله فى عمره القضاء فجاءتها أمها فتيله و جدتها تسألانها و هما مشركان فقالت لا أعطيكما شيئا حتى أستاذن رسول الله ص فإنكما لستما على دينى فاستأذنته فى ذلك فأنزل الله هذه الآية عن الكلبي.

المعنى

«لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ» قيل فى وجه اتصاله بما قبله و جوه (أحدها) أن معناه ليس عليك هداهم بمنع الصدقة عنهم لتحملهم به على الإيمان و هو نظير قوله «أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» عن ابن عباس و سعيد بن جبير و على هذا

شئت فيكون للتعميم و الأول أولى و مما جاء في الحديث في صدقه السر قوله صدقه السر يكون معناه الإباحة للتصدق عليهم بصدقه التطوع (و ثانيها) أن معناه ليس عليك هداهم بالحمل على النفقه في وجوه البر و سبل الخير عن الحسن و أبي على الجبائي و تقديره ليس عليك أن تهدي الناس إلى نيل الثواب و الجنه و إنما عليك أن تهديهم إلى الإيمان بأن تدلهم عليه و هذا تسليه للنبي لأنه كان يغتم بترك قبولهم منه و امتناعهم عن الإيمان لعلمه بما يؤول إليه أمرهم من العقاب الدائم فسلاه الله تعالى بهذا القول (و ثالثها) أن المراد ليس عليك أن تهدي الناس بعد أن دعوتهم و أذرتهم و بلغتهم ما أمرت بتبليغه و نظيره **إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ** و ليس المعنى ليس عليك أن تهديهم إلى الإيمان و الطاعة لأنه ما بعث إلا لذلك **«و لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ»** إنما علق الهدايه بالمشيئه لمن كان المعلوم منه أنه يصلح باللطف أى بلطف الله بزياده الهدى و التوفيق لمن يشاء عن الزجاج و أبى القاسم البلخي و أكثر أهل العلم و قيل معناه يهدي إلى طريق الجنه عن الجبائي **«و مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ»** أى ما تنفقوا فى وجوه البر من مال فلأنفسكم ثوابه و الغرض فيه الترغيب فى الإنفاق لأن الإنسان إذا علم أن منفعه إنفاقه عائده إليه مختصه به كان أسمح بالإنفاق و أرغب فيه و أحرص عليه و بذلك يفارق عطيه الله لأن المنفعه فى عطائه عائده إلى المعطى و مختصه به دون الله و معظم المنفعه فى عطيه العبد ترجع إليه و تختص به دون المعطى **«و مَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ»** أى إلا طلب رضوان الله و هذا إخبار من الله عن صفه إنفاق المؤمنين المخلصين المستجيبين لله و لرسوله أنهم لا ينفقون ما ينفقونه إلا طلبا لرضاء الله تعالى و قيل أن معناه النهى و إن كان ظاهره الخبر أى و لا تنفقوا إلا ابتغاء مرضاه الله و فى ذكر الوجه هنا قولان (أحدهما) أن المراد به تحقيق الإضافه لأن ذكر الوجه يرفع الإبهام أنه له و لغيره و ذلك أنك لما ذكرت الوجه و معناه النفس دل على أنك تصرف الوهم عن الاشتراك إلى تحقيق الاختصاص و كنت بذلك محققا للإضافه و مزيلا لإيهام الشركه (و الثانى) أنك إذا قلت فعلته لوجه زيد كان أشرف فى الذكر من فعلته له لأن وجه الشىء فى الأصل أشرف ما فيه ثم كثر حتى صار يدل على شرف الذكر من غير تحقيق وجه إلا- ترى أنك تقول وجه الرأى و وجه الأمر و وجه الدليل فلا تريد تحقيق الوجه و إنما تريد أشرف ما فيه من جهه شده ظهوره و حسن بيانه **«و مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ»** أى يوفر عليكم جزاؤه و ثوابه و التوفيه إكمال الشىء و إنما حسن إليكم مع التوفيه لأنها تضمنت معنى التأديه و قيل معناه تعطون جزاءه و افرا و افيا فى الآخره عن ابن عباس **«و أَنْتُمْ لَا تُظَلَّمُونَ»** بمنع ثوابه و لا بنقصان جزائه كقوله **آتَتْ أُكُلَهَا وَ لَمْ تَظَلِّمْ مِنْهُ شَيْئًا** أى لم تنقص.

إشارة

لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ
النَّاسَ إِحْفَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢٧٣)

القراءة

قرأ حمزه و عاصم و أبو جعفر و ابن عامر يحسبهم بفتح السين كل القرآن و الباقون بكسرها.

اللغة

قال أبو زيد حسبت الشيء أحسبه و أحسبه حسبانا و حسبت الشيء أحسبه حسابا و حسابه و حسبانا و أحسبت الرجل إحسابا إذا أطعمته و سقيته حتى يشبع و يروى و تعطيه حتى يرضى و الإحصار المنع عن التصرف لمرض أو حاجة أو مخافة و الحصر هو منع الغير و ليس كالأول لأنه منع النفس و قد تقدم تفسيره عند قوله «فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ» و الضرب المشى فى الأرض و السيماء العلامة التى يعرف بها الشيء و أصله الارتفاع لأنه علامه رفعت للظهور و منه السوم فى البيع و هو الزيادة فى مقدار الثمن للارتفاع فيه عن الحد و منه سوم الخسف للرفع فيه بتحميل ما يشق و منه سوم الماشيه إرسالها فى المرعى و التعفف ترك السؤال يقال عفف عن الشيء و تعفف عنه إذا تركه و منه قول رؤبه:

(فعف عن أسرارها بعد العسق)

أى تركها و الإلحاف الإلحاح فى المسألة قال الزجاج معنى ألحف شمل بالمسألة و هو مستغن عنها و اللحاف من هذا اشتقاقه لأنه يشمل الإنسان فى التغطية.

الإعراب

العامل فى قوله «لِلْفُقَرَاءِ» محذوف و تقديره النفقه للفقراء و قد تقدم ما يدل عليه و قال بعضهم هو مردود على اللام الأولى من قوله «وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلْأَنْفُسِكُمْ» قال على بن عيسى و هذا لا يجوز لأن بدل الشيء من غيره لا يكون إلا و المعنى يشتمل عليه و ليس كذلك ذكر النفس هاهنا لأن الإنفاق لها من حيث هو عائد إليها و للفقراء من حيث هو واصل إليهم و ليس من باب وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ شِئْتَ طَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا لأن الأمر لازم للمستطيع خاصة و لا يجوز أن يكون العامل فيه تنفقوا لأنه لا

يفصل بين العامل و المعمول فيه بالأجنبي كما لا يجوز كانت زيدا الحمى تأخذه «لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا» جملة في موضع الحال من أحصروا و ضربا مفعول يستطيع «يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ» في موضع الحال أيضا و ذو الحال الفقراء و إلحافا مصدر وضع موضع الحال من يسألون أى لا يسألون ملحقين و يجوز أن يكون مصدرا لأن الإلحاف سؤال على صفة.

النزول

قال أبو جعفر (عليه السلام) نزلت الآية في أصحاب الصفة

و كذلك رواه الكلبي عن ابن عباس و هم نحو من أربعمائه رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة و لا عشائر يأوون إليهم فجعلوا أنفسهم في المسجد و قالوا نخرج في كل سرية يبعثها رسول الله فحث الله الناس عليهم و كان الرجل إذا أكل و عنده فضل أتاهم به إذا أمسى.

المعنى

لما أمر سبحانه بالنفقة و رغب فيها بأبلغ وجوه الترغيب و بين ما يكمل ثوابها عقب ذلك بيان أفضل الفقراء الذين هم مصرف الصدقات فقال «لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» معناه النفقة المذكورة في هذه الآية و ما قبلها للفقراء الذين حسبوا و منعوا في طاعة الله أى منعوا أنفسهم من التصرف في تجاره للمعاش إما لخوف العدو من الكفار و إما للمرض و الفقر و إما للإقبال على العبادة و قوله «فِي سَبِيلِ اللَّهِ» يدل على أنهم حسبوا أنفسهم عن التقلب لاشتغالهم بالعبادة و الطاعة «لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا» أى ذهابا و تصرفا «فِي الْأَرْضِ» لبعض ما ذكرناه من المعانى و قيل لمنع أنفسهم من التصرف في تجاره أى ألزموا أنفسهم الجهاد في سبيل الله فلا يقع منهم التصرف لغيره و ليس معناه أنهم لا يقدرون عليه كما يقال أمرنى الأمير بالمقام في هذا الموضع فلا أستطيع أن أبرح منه أى لا- أبرح منه لإلزامى نفسى طاعة الأمير «يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ» أى يظنهم الجاهل بحالهم و باطن أمورهم «أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ» أى الامتناع من السؤال و التجميل في اللباس و الستر لما هم فيه من الفقر و سوء الحال طلبا لرضوان الله و طمعا في جزيل ثوابه «تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ» أى تعرف حالهم بالنظر إلى وجوههم لما يرى من علامه الفقر عن السدى و الربيع و قيل لما يرى من التخشع و الخضوع الذى هو شعار الصالحين عن مجاهد «لا يَسْتَيْلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا» قيل معناه أنهم لا يسألون الناس أصلا و ليس معناه أنهم يسألون من غير إلحاف عن ابن عباس و هو قول الفراء و الزجاج و أكثر أرباب المعانى و فى الآية ما يدل عليه و هو قوله «يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ» فى المسألة و لو كانوا يسألون لم يكن يحسبهم الجاهل أغنياء لأن السؤال فى الظاهر يدل على الفقر و قوله أيضا «تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ» و لو سألوا لعرفوا بالسؤال قالوا و إنما هو كقولك ما رأيت مثله و أنت لم ترد أن له

مثلا ما رأيته و إنما تريد أنه ليس له مثل فيرى فمعناه لم يكن سؤال فيكون إلحاح كقول الأعشى:

لا يغمز الساق من أين و من نصب

و لا يعض على شرسوفه الصفر

و معناه ليس بساقها أين و لا نصب فيغمزها ليس أن هناك أين و لا يغمز

و فى الحديث أن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده و يكره البؤس و التباؤس و يحب الحليم المتعفف من عباده و يبغض الفاحش البذى ء السائل الملحف

و عنه (عليه السلام) قال إن الله كره لكم ثلاثا قيل و قال، و كثره السؤال، و إضاعه المال، و نهى عن عقوق الأمهات و وأد البنات و عن منع و هات

و قال (عليه السلام) الأيدى ثلاث فيد الله العليا و يد المعطى التى تليه و يد السائل السفلى إلى يوم القيامة و من سأل و له ما يغنيه جاءت مسأله يوم القيامة كدوحا أو خموشا أو خدوشا فى وجهه قيل و ما غناه قال خمسون درهما أو عدلها من الذهب

«وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ» من مال و قيل معناه فى وجوه الخير «فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ» أى يجازيكم عليه.

سوره البقره (٢): آيه ٢٧٤

اشاره

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٤)

الإعراب

«سِرًّا وَعَلَانِيَةً» حالان من ينفقون و تقديره مسرين و معلنين فهما اسمان وضعا موضع المصدر «عِنْدَ رَبِّهِمْ» ظرف مكان و العامل فيه ما يتعلق به اللام من لهم.

النزول

قال ابن عباس

نزلت الآيه فى على (عليه السلام) كانت معه أربعة دراهم فتصدق بواحد نهارا و بواحد ليلا و بواحد سرا و بواحد علانيه و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام) و أبى جعفر (عليه السلام)

و روى عن أبى ذر و الأوزاعى أنها نزلت فى النفقه على الخيل فى سبيل الله و قيل هى عامه فى كل من أنفق ماله فى طاعه الله

على هذه الصفه و على هذا فإننا نقول الآيه نزلت فى على (عليه السلام) و حكمها سائر فى كل من فعل مثل فعله و له فضل السبق إلى ذلك.

المعنى

ثم بين سبحانه كيفية الإنفاق و ثوابه فقال «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً» فى هذه الحالات أى ينفقون على الدوام لأن هذه الأوقات معينه

ص: ١٨٣

للصدقات و لا وقت لها سواها «فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ» أتى بالفاء ليدل على أن الجزاء إنما هو من أجل الإنفاق في طاعة الله و لا يجوز أن يقال زيد فله درهم لأنه ليس فيه معنى الجزاء «وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ» من أهوال يوم القيامة و أفزاعها «وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» فيها و قيل لا خوف من فوت الأجر و نقصانه عليهم و لا هم يحزنون على ذلك.

سوره البقره (٢): آيه ٢٧٥

اشاره

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥)

اللغه

أصل الربا الزيادة من قولهم ربا الشيء ى يربو إذا زاد و الربا هو الزيادة على رأس المال و أربى الرجل إذا عامل فى الربا و منه

الحديث من أجبى فقد أربى

و أصل التخبط الخبط و هو الضرب على غير استواء خبطته أخبطه خبطا و الخبط ضرب البعير الأرض بيده و التخبط أيضا بمعناه يقال تخبط البعير الأرض إذا ضربها بقوائمها و يقال للذى يتصرف فى أمر و لا يهتدى فيه هو يخبط خبط عشواء قال زهير:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب

تمته و من تخطئ يعمر فيهم

و التخبط المس بالجنون و التخبل لأنه كالضرب على غير استواء فى الإدهاش و الخباط داء كالجنون لأنه اضطراب فى العقل يقال به خبطه من جنون و يقال بفلان مس و ألس و أولق أى جنون و السلوف التقدم يقال سلف يسلف سلوفا و منه الأمم السالفة أى الماضيه و السالفه أعلى العتق و الإسلاف الإعطاء قبل الاستحقاق يقال أسلفته إسلافا، و سلافه الخمر صفوها لأنه أول ما يخرج من عصيرها و العود الرجوع و عياده المريض

المصير إليه ليعرف خبره و العود من العيدان لأنه يعود إذا قطع و منه العود الذى يتبخر به و المعاد كل شىء إليه المصير و الآخرة معاد الناس و العاده تكرر الشىء مره بعد مره و العيد كل يوم مجمع عظيم لأنه يعود فى السنه أو الأسبوع و العائده الصله لأنها تعود بالنفع على صاحبها.

الإعراب

«كَمَا يَقُومُ» الكاف فى محل النصب على المصدر و الموصول حرف تقديره «لَا يَقُومُونَ» إلا مثل قيام «الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ» و «مِنَ الْمَسِّ» يتعلق بـيتخبط و من للتبيين.

المعنى

لما حث الله تعالى على الإنفاق و بين ما يحصل للمنفق من الأجر العاجل و الآجل عقبه بذكر الربا الذى ظنه الجاهل زياده فى المال و هو فى الحقيقة محق فى المال فقال «الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا» فى الدنيا «لَا يَقُومُونَ» يوم القيامة «إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ» معناه إلا- مثل ما يقوم الذى يصرعه الشيطان من الجنون فىكون ذلك أماره لأهل الموقف على أنهم أكله الربا عن ابن عباس و الحسن و سعيد بن جبير و قتاده و مجاهد و قيل إن هذا على وجه التشبيه لأن الشيطان لا يصرع الإنسان على الحقيقة و لكن من غلب عليه المره السود أو ضعف عقله ربما يخيل للشيطان إليه أموراً هائله و يوسوس إليه فيقع الصرع عند ذلك من فعل الله و نسب ذلك إلى الشيطان مجازاً لما كان ذلك عند وسوسته عن أبى على الجبائى و قيل يجوز أن يكون الصرع من فعل الشيطان فى بعض الناس دون بعض عن أبى الهذيل و ابن الإخشيد قالاً لأن الظاهر من القرآن يشهد به و ليس فى العقل ما يمنع منه و لا يمنع الله تعالى الشيطان عنه امتحاناً لبعض الناس و عقوبه لبعضهم على ذنب ألم به و لم يتب منه كما يتسلط بعض الناس على بعض فيظلمه و يأخذ ماله و لا يمنعه الله تعالى منه و يكون هذا علامه لآكلى الربا يعرفون بها يوم القيامة كما أن على كل عاص من معصيته علامه تليق به فيعرف بها صاحبها و على كل مطيع من طاعته أماره تليق به فيعرف بها صاحبها و ذلك معنى قوله تعالى «فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ» و

قال النبى فى شهداء أحد زملوهم بدمائهم و ثيابهم

و

قال (عليه السلام) يبعث أمتى يوم القيامة من قبورهم غراً محجلين من آثار الوضوء

و

روى عنه (عليه السلام) أنه لما قال أسرى بى إلى السماء رأيت رجالاً بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم فقلت من هؤلاء يا جبرائيل قال هؤلاء أكله الربا

و

رواه أصحابنا عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) لما أسرى بي إلى السماء رأيت أقواما يريد
أحدهم أن

ص: ١٨٥

يقوم ولا- يقدر عليه من عظم بطنه فقلت من هؤلاء يا جبرائيل قال هؤلاء «الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ» وإذا هم بسبيل آل فرعون يعرضون على النار غدوا و عشيا يقولون ربنا متى تقوم الساعة

و الوعيد فى الآيه متوجه إلى كل من أربى و إن لم يأكله و لكنه تعالى نبه بذكر الأكل على سائر وجوه الانتفاع بمال الربا و إنما خص الأكل لأنه معظم المقاصد من المال و نظيره قوله «لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ» و قوله «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا» الآيه و المراد بالأكل فى الموضوعين سائر وجوه الانتفاع دون حقيقته الأكل «ذَلِكَ» أى ذلك العقاب لهم «بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا» معناه بسبب قولهم إنما البيع الذى لا ربا فيه مثل البيع الذى فيه الربا قال ابن عباس كان الرجل منهم إذا حل دينه على غريمه فطالبه به قال المطلوب منه له زدى فى الأجل و أزيدك فى المال فيتراضيان عليه و يعملان به فإذا قيل لهم هذا ربا قالوا هما سواء يعنون بذلك أن الزيادة فى الثمن حال البيع و الزيادة فيه بسبب الأجل عند محل الدين سواء فذمهم الله به و ألحق الوعيد بهم و خطأهم فى ذلك بقوله «وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا» أى أحل الله البيع الذى لا ربا فيه و حرم البيع الذى فيه الربا و الفرق بينهما أن الزيادة فى أحدهما لتأخير الدين و فى الآخر لأجل البيع و أيضا فإن البيع بدل البدل لأن الثمن فيه بدل المثل و الربا زيادة من غير بدل للتأخير فى الأجل أو زيادة فى الجنس و المنصوص

عن النبى (صلى الله عليه و آله) تحريم التفاضل فى ستة أشياء الذهب و الفضة و الحنطة و الشعير و التمر و الملح

و قيل الزبيب

قال (عليه السلام) إلا مثلا بمثل يدا بيد من زاد و استزاد فقد أربى

لا- خلاف فى حصول الربا فى هذه الأشياء الستة و فى غيرها خلاف بين الفقهاء و هو مقيس عليها عندهم و عندنا أن الربا لا يكون إلا فيما يكال أو يوزن و أما عله تحريم الربا فقد قيل هى أن فيه تعطيل المعاش و الإجلاب و المتاجر إذا وجد المربى من يعطيه دراهم و فضلا بدراهم

و قال الصادق (عليه السلام) إنما شدد فى تحريم الربا لثلاث يمتنع الناس من اصطناع المعروف قرضا أو رفدا

«فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ» معناه فمن جاءه زجر و نهى و تذكير من ربه «فَأَنْتَهَى» أى فانزجر و تذكر و اعتبر «فَلَهُ مَا سَلَفَ» معناه فله ما أخذ و أكل من الربا قبل النهى لا يلزمه رده

قال الباقر (عليه السلام) من أدرك الإسلام و تاب مما كان عمله فى الجاهلية وضع الله عنه ما سلف

و قال السدى معناه له ما أكل و ليس عليه رد ما سلف فأما ما لم يقبض بعد فلا يجوز له أخذه و له رأس المال و قوله «جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ» و قال فى موضع آخر «قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ» لأن تأنيته غير حقيقى فإن الموعظة و الوعظ بمعنى واحد «وَ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ» معناه و أمره بعد مجىء الموعظة و التحريم و الانتهاء إلى الله إن شاء

عصمه عن أكله و ثبته في انتهاءه عنه و إن شاء خذله و قيل معناه و أمره في حكم الآخرة إلى الله تعالى إن لم يتب و هو غير مستحل له إن شاء عذبه بعدله و إن شاء عفا عنه بفضله و قيل معناه أمره إلى الله فلا يؤاخذ به بما سلف من الربا «وَمَنْ عَادَ» إلى أكل الربا بعد التحريم و قال ما كان يقوله قبل مجيء الموعظه من أن البيع مثل الربا «فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» لأن ذلك القول لا يصدر إلا من كافر مستحل للربا فلماذا توعد بعذاب الأبد و لا خلاف بين الفقهاء إن الربا محرم في النقد و النسيئة و قال بعض من تقدم لا ربا إلا في النسيئة و أما أهل الجاهلية فإنهم كانوا يربون بتأخير الدين عن محله إلى محل آخر بزياده فيه و لا خلاف في تحريمه و مما جاء في الحديث في الربا ما

روى عن علي (عليه السلام) أنه قال لعن رسول الله (صلى الله عليه و آله) في الربا خمسه آكله و موكله و شاهديه و كاتبه

و عنه (عليه السلام) قال إذا أراد الله بقرية هلاكها ظهر فيهم الربا

و عنه (عليه السلام) قال الربا سبعون بابا أهونها عند الله كالذي ينكح أمه

و روى جميل بن دراج عن أبي عبد الله قال درهم ربا أعظم عند الله من سبعين زنيه كلها بذات محرم في بيت الله الحرام.

سوره البقره (٢): آيه ٢٧٦

إشارة

يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦)

اللغة

المحق نقصان الشيء حالاً- بعد حال يقال محقه الله يمحقه محققاً فانمحق و امتحق أى هلك و تلف بذهابه حالاً بعد حال و المحاق آخر الشهر لانمحاق الهلال فيه و الأثيم المتماذى فى الإثم و الآثم الفاعل للإثم.

المعنى

ثم أكد سبحانه ما تقدم بقول «يَمْحَقُ اللَّهُ» أى ينقص الله «الرِّبَا» حالاً- بعد حال إلى أن يتلف المال كله و قال ابن عباس معناه يهلكه و يذهب ببركته و

قيل للصادق (عليه السلام) و قد يرى الرجل يربى فيكثر ماله فقال يمحق الله دينه و إن كثر ماله

و قال أبو القاسم البلخي يمحقه الله فى الدنيا بسقوط عدالته و الحكم بفسقه و التسميه بالفسق «و يُزِيهِ الصَّدَقَاتِ» أى و ينمى الصدقات و يزيدها بأن يثمر المال فى نفسه فى العاجل و بالأجر عليه و الثواب فى الأجل و ذلك بحسب الانتفاع بها و حسن النية فيها

وقد روى عن النبي (عليه السلام) أنه قال أن الله تعالى يقبل الصدقات و لا يقبل منها إلا الطيب و يريها لصاحبها كما يربى أحدكم مهره أو فصيله حتى أن اللقمه لتصير مثل أحد

و النكته فى الآيه أن المربى إنما يطلب بالربى زياده المال و مانع الصدقه إنما يمنعها لطلب زياده المال فبين الله سبحانه أن الربا سبب النقصان دون النماء و إن الصدقه سبب النماء دون النقصان «وَاللَّهُ لَا

ص: ١٨٧

يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ» الكفار فعال من الكفر و هو المقيم عليه المستمسك به المعتاد له و معناه و الله يبغض كل كفار لنعمته باستجلال الربا منهمك في غوايته متماد في إثمه بأكله و إنما لم يقل كل كافر لأنه إذا استحل الربا صار كافرا لأنه إذا كفر أكثر أكله للربا مع الاستحلال فقد ضم كفرا إلى كفر و إذا استحل الربا و لم يعقد عقد الربا لم يلحقه من المندمه ما يلحق من جمع بين الأمرين فالجامع بين الأمرين يستدعى من غضب الله ما لا يستدعيه أحد الأمرين

و روى عن النبي (صلى الله عليه و آله) أنه قال يأتي على الناس زمان لا يبقى أحد إلا أكل الربا فمن لم يأكله أصابه من غباره.

سوره البقره (٢): آيه ٢٧٧

إشاره

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧)

المعنى

هذه الآيه ظاهره المعنى و قد مر تفسيرها فيما مضى و إنما جمع بين هذه الخصال لا لأن الثواب لا يستحق على كل واحده منها إذ لو كان كذلك لكان فيه تصغير من كل واحده منها و لكن جمع بينها للترغيب فى الأعمال الصالحه و التفخيم لأمرها و التعظيم لشأنها أو لبيان أن الجمع بين هذه الخصال أعظم أجرا من الأفراد بواحد منها و نظيره قوله سبحانه وَ الَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَ لَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ الْآيَهُ فَجَمَعَ بَيْنَ هَذِهِ الْخِصَالِ فِي الْوَعِيدِ لِيُبَيِّنَ أَنَّ الْوَعِيدَ يَسْتَحِقُّ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا وَ لِلتَّحْذِيرِ عَنْ كُلِّ خِصْلَةٍ مِنْهَا لِأَنَّ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ مِنْ دَعَا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَرْطِ عَمَلٍ آخَرَ فِي اسْتِحْقَاقِ الْوَعِيدِ إِذْ لَوْ كَانَ الْوَعِيدُ إِنَّمَا يَسْتَحِقُّ بِمَجْمُوعِ تِلْكَ الْخِصَالِ لَكَانَ فِيهِ تَسْهِيلٌ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا وَ قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ أَمْثَالَ هَذِهِ الْآيَةِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ لَيْسَ مِنْ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ وَ لَا مَشْتَمَلًا عَلَيْهَا إِذْ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَا صَارَ لِعَظْفِهَا عَلَيْهِ مَعْنَى لِأَنَّ الشَّيْءَ لَا يَعْطِفُ عَلَى نَفْسِهِ فَإِنْ قَالُوا إِنَّ ذَلِكَ يَجْرَى مَجْرَى قَوْلِهِ «الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» * «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا» * فنقول إن الخلاف هاهنا كالخلاف هناك لأن التكذيب عندنا ليس بالكفر نفسه و إنما هو دلالة على الكفر و كذلك الصد عن سبيل الله و استدل بهذه الآيه و أمثالها فى بطلان التحابط لأنه تعالى ضمن الثواب بنفس هذه الخصال و لم يشترط أن لا يؤتى بما يحبطها فإن قالوا لا- بد من هذا الشرط كما أن الوعيد على الكفر لا بد أن يكون مشروطا بارتفاع التوبه فالجواب أن التوبه إنما صارت شرطا هناك لمكان إجماع المسلمين

لا لأن التوبه مسقطه للعقاب و إنما وعد الله تعالى بإسقاط العقاب عندها تفضلا منه سبحانه و لا إجماع على ما ادعوه من الشرط فى آيات الوعد فبان الفرق بين الأمرين.

سوره البقره (٢): الآيات ٢٧٨ الى ٢٧٩

اشاره

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِن تَتَّبِعُوا فَلَئِمَّ رُؤُسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَ لَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩)

القراءه

قرأ عاصم بروايه أبى بكر غير ابن غالب و البرجمى و حمزه فأذنوا بالمد و كسر الذال و الباقون «فَأَذَنُوا». و قرئ فى الشواذ لا تظلمون و لا تظلمون.

الحججه

قال سيويه آذنت أعلمت و أذنت و التأذين النداء و التصويت بالإعلام قال و بعض العرب يجرى آذنت مجرى أذنت الذى معناه التصويت و النداء قال أبو عبيده آذنتك بحرب فأذنت به تأذن إذنا أى علمت فمن قرأ «فَأَذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ» فقصر فالمعنى اعلّموا بحرب من الله و المعنى أنكم فى امتناعكم من وضع ذلك حرب من الله و رسوله و من قرأ فأذنوا فتقديره فاعلموا من لم ينته عن ذلك بحرب فالمفعول محذوف على قوله و إذا أمروا بإعلام غيرهم علموا هم أيضا لا- محاله ففى أمرهم بإعلام ما يعلمون هم أيضا أنهم حرب إن لم يمتنعوا عما نهوا عنه و ليس فى علمهم دلالة على إعلام غيرهم فهو فى الإبلاغ أكد.

الإعراب

«إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ» جواب الشرط محذوف تقديره إن كنتم مؤمنين فذروا ما بقى من الربا و موضع «لَا تَظْلِمُونَ» نصب على الحال من لكم و التقدير فلکم رءوس أموالکم غير ظالمين و لا مظلومين.

النزول

روى عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام) أن الوليد بن المغيرة كان يربى فى الجاهليه و قد بقى له بقايا على ثقيف فأراد خالد بن الوليد المطالبه بها بعد أن أسلم فنزلت الآيه

و قال السدى و عكرمه نزلت فى بقيه من الربا كانت للعباس و خالد بن الوليد و كانا

شريكين في الجاهليه يسلفان في الربا إلى بنى عمرو بن عمير ناس من ثقيف فجاء الإسلام و لهما أموال عظيمه في الربا فأنزل الله هذه الآيه

فقال النبي (صلى الله عليه و آله) على أن كل ربا من ربا الجاهليه موضوع و أول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب و كل دم من دم الجاهليه موضوع و أول دم أضعه دم ربيعه بن الحارث بن عبد المطلب

كان مرضعا في بنى ليث فقتله هذيل و قال مقاتل نزلت في أربعة إخوه من ثقيف مسعود و عبد ياليل و حبيب و ربيعه و هم بنو عمرو بن عمير بن عوف الثقفي و كانوا يداينون بنى المغيره و كانوا يربون فلما ظهر النبي (صلى الله عليه و آله) على الطائف و صالح ثقيفا أسلم هؤلاء الإخوه الأربعة فطلبوا رباهم من بنى المغيره و اختصموا إلى عتاب بن أسيد عامل رسول الله على مكه فكتب عتاب إلى النبي بالقصه فأنزل الله الآيه.

المعنى

ثم بين سبحانه حكم ما بقى من الربا فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ» في أمر الربا و في جميع ما نهاكم عنه «وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا» أى و اتركوا ما بقى من الربا فلا تأخذوه و اقتصروا على رءوس أموالكم و قوله «إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» معناه من كان مؤمنا فهذا حكمه فأما من ليس بمؤمن فإنه يكون حربا و قيل معناه إن كنتم مؤمنين بتحريم الربا مصدقين به و بما فيه من المفسده التى يعلمها الله «فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا» أى فإن لم تقبلوا أمر الله و لم تنقادوا له و لم تتركوا بقيه الربا بعد نزول الآيه بتركه «فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ» أى فأيقنوا و اعملوا بقتال من الله و رسوله و المعنى أيقنوا أنكم تستحقون القتل فى الدنيا و النار فى الآخرة لمخالفه أمر الله و رسوله و من قرأ فأذنوا فمعناه فاعلموا من لم ينته عن ذلك بحرب و معنى الحرب عداوه الله و عداوه رسوله و هذا إخبار بعظم المعصيه و روى عن ابن عباس و قتاده و الربيع أن من عامل بالربا استتابه الإمام فإن تاب و إلا قتله

و قال الصادق آكل الربا يؤدب بعد البيئه فإن عاد أدب و إن عاد قتل

«وَ إِنْ تُبْتِئْ» من استحلال الربا و أقررتم بتحريمه «فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوَالِكُمْ» دون الزيادة «لَا تَظْلِمُونَ» بأخذ الزيادة على رأس المال «وَ لَا تُظْلَمُونَ» بالنقصان من رأس المال.

سوره البقره (٢): آيه ٢٨٠

اشاره

وَ إِنْ كَانَ ذُو عُسْرِهِ فَنظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرِهِ وَ أَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠)

القراءه

قرأ أبو جعفر عسره بضم السين و الباقون «عُسْرِهِ» بإسكانها و هما لغتان و قرأ

زيد عن يعقوب ميسره بضم السين مضافا إلى الهاء و روى ذلك عن مجاهد و قرأ عاصم تصدقوا بتخفيف الصاد و الباقون بتشديدها و قد تقدم الكلام فى مثله فإن الأصل فى القراءتين تتصدقوا فخفض فى إحداهما بحذف إحدى التائين و فى الأخرى بالإدغام.

اللغة

النظره التأخير و هو اسم قام مقام الإنظار مثل أخره يقال بعته بأخره و بنظره أى بنسيئه و رأيت فلانا بأخره الناس أى فى آخرهم و الميسره و الميسور بمعنى اليسار و الغنى و السعه و ما روى من قراءه من قرأ إلى ميسره فلم يجزه البصريون لأن مفعل لا يجىء فى الأحاد إلا بالتاء و قد جاء فى الجمع قال جميل:

بشين الزمى لا إن لا إن لزمته

على كثره الواشين أى معون

و روى:

أبلغ النعمان عنى مالكا

أنه قد طال حبسى و انتظارى

و الأول جمع معونه و مالك جمع مألكه و هى الرساله و مثل هذا الذى نقل لا يتعد به سيبويه فربما أطلق القول و قال ليس فى الكلام كذا و إن كان قد جاء عليه حرف أو حرفان.

الإعراب

كان هذه هى التامه و هى التى تتم بفاعلها و يكتفى به و تقديره و إن وقع ذو عسره و قيل هى ناقصه محذوفه الخبر و تقديره و إن كان ذو عسره غريما لكم و كان يجوز لو قرئ و إن كان ذا عسره أى و إن كان الذى عليه الدين ذا عسره و روى ذلك فى الشواذ عن أبى فنظره مرفوعه لأنها خبر مبتدأ محذوف و الفاء فيه للجزاء و تقديره فالذى تعاملونه به نظره «وَأَنْ تَصِيَّدُوا» فى موضع رفع بأنه مبتدأ و خبره «خَيْرٌ لَكُمْ».

المعنى

لما أمر سبحانه بأخذ رأس المال من الموسر بين بعده حال المعسر فقال «وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرِهِ» معناه و إن وقع فى غرمائكم ذو عسره و يجوز أن يكون تقديره و إن كان غريما لكم ذو عسره «فَنَظَرَهُ» أى فالذى تعاملونه به نظره «إِلَى مَيْسَرِهِ» أى إلى وقت اليسار أى فالواجب نظره صيغه الخبر و المراد به الأمر أى فانظروه إلى وقت يساره و اختلف فى حد الإعسار

فروى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال هو إذا لم يقدر على ما يفضل من قوته و قوت عياله على الاقتصاد

و قال أبو على الجبائى هو التعذر بالإعدام أو بكساد المتاع

ص: ١٩١

أو نحوه و اختلف فى وجوب إنظار المعسر على ثلاثة أقوال (أحدها)

أنه واجب فى كل دين عن ابن عباس و الضحاك و الحسن و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام) و أبى عبد الله

(و ثانيها) أنه واجب فى دين الربا خاصة عن شريح و إبراهيم النخعى (و ثالثها) أنه واجب فى دين الربا بالآيه و فى كل دين بالقياس عليه

و قال الباقر (عليه السلام) «إلى ميسره» معناه إلى أن يبلغ خبره الإمام فيقضى عنه من سهم الغارمين إذا كان أنفقه فى المعروف

«وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ» معناه و أن تتصدقوا على المعسر بما عليه من الدين خير لكم «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» الخير من الشر و تميزون ما لكم عما عليكم و مما جاء فى معنى الآيه من الحديث

قوله (عليه السلام) من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله

و روى بريده عنه أنه قال من أنظر معسرا كان له بكل يوم صدقه

و فى هذه الآيه دلالة على أن الإنسان إن علم أن غريمه معسر حرم عليه حبسه و ملازمته و مطالبته بما له عليه و إنما يجب عليه إنظاره انتظارا ليساره و إن الصدقه برأس المال على المعسر خير و أفضل من انتظار يسره و روى عن ابن عباس و ابن عمر آخر ما نزلت من القرآن آى الربا.

سوره البقره (٢): آيه ٢٨١

اشاره

وَ اتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١)

القراءه

قرأ أبو عمرو و يعقوب بفتح التاء و الباقون بضمها.

الحجه

حجه أبى عمرو قوله إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ فَأَضَافَ الْمَصْدَرَ إِلَى الْفَاعِلِ فَهَذَا بِمَنْزِلِهِ تَرْجَعُونَ وَ آبَ مِثْلَ رَجَعَ وَ مِنْ حِجَّتِهِ قَوْلُهُ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ فَالْإِنَّا مَرَجِعُهُمْ.

الإعراب

يوما منصوب لأنه مفعول به ولا ينتصب على الظرف لأنه ليس المعنى اتقوا في هذا اليوم و قوله «تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ» جمله في موضع نصب بكونه صفة لقوله «يَوْمًا» و «تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ» في موضع نصب بأنه عطف على صفة يوم إلا أنه حذف منه فيه للدلالة الأول عليه.

النزول

هذا آخر آيه نزلت من القرآن و قال جبرائيل ضعها في رأس الثمانين و المائتين من البقره عن ابن عباس و السدى

قال المفسرون لما نزلت هذه الآيه إِنَّكَ مَيِّتٌ

ص: ١٩٢

وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص لِيَتَنَى أَعْلَمُ مَتَى يَكُونُ ذَلِكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى سُورَةَ النَّصْرِ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَسْكُتُ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ بَعْدَ نَزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ فَيَقُولُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَاتُوبُ إِلَيْهِ فَقِيلَ لَهُ إِنَّكَ لَمْ تَكُنْ تَقُولُهُ قَبْلَ هَذَا فَقَالَ أَمَا إِنْ نَفْسِي نَعِيَتْ إِلَى ثَم بَكَى بِكَاءٍ شَدِيدًا فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ تَبَكَى مِنَ الْمَوْتِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقْدَمُ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخُرُ قَالَ فَأَيْنَ هَوْلَ الْمُطَّلَعِ وَأَيْنَ ضَيْقَ الْقَبْرِ وَظَلَمَةَ اللَّحْدِ وَأَيْنَ الْقِيَامَةَ وَالْأَهْوَالَ

فَعَاشَ رَسُولُ اللَّهِ ص بَعْدَ نَزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ عَامًا تَامًا ثُمَّ نَزَلَتْ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ وَهَذِهِ السُّورَةُ آخِرُ سُورَةِ كَامِلَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ فَعَاشَ رَسُولُ اللَّهِ ص بَعْدَهَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ ثُمَّ لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ص إِلَى حِجَّةِ الْوَدَاعِ نَزَلَتْ عَلَيْهِ فِي الطَّرِيقِ يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ إِلَى آخِرِهَا فَسَمِيَتْ آيَةُ الصَّيْفِ ثُمَّ نَزَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ وَاقِفٌ بَعْرَفَةَ الْيَوْمِ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ الْآيَةَ فَعَاشَ بَعْدَهَا إِحْدَى وَثَمَانِينَ يَوْمًا ثُمَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِ آيَاتُ الرَّبِّ ثُمَّ نَزَلَتْ بَعْدَهَا «وَ اتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ» وَ هِيَ آخِرُ آيَةِ نَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ فَعَاشَ رَسُولُ اللَّهِ ص بَعْدَهَا إِحْدَى وَعِشْرِينَ يَوْمًا وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ تَسَعُ لَيْالٍ وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ وَمَقَاتِلُ سَبْعَ لَيْالٍ ثُمَّ مَاتَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ لِلَّيْلَتَيْنِ خَلْتَا مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ حِينَ بَزَغَتِ الشَّمْسُ وَرَوَى أَصْحَابُنَا لِلَّيْلَتَيْنِ بَقِيَّتَا مِنْ صَفَرِ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ مِنَ الْهَجْرَةِ وَلسنه واحده من ملك أردشير بن شيرويه بن أبرويز بن هرمز بن أنوشروان بنفسى هو ص حيا و ميتا.

المعنى

ثم حذر سبحانه المكلفين من بعد ما تقدم من ذكر آي الحدود والأحكام فقال «وَ اتَّقُوا يَوْمًا» معناه واحذروا يوما واحشوا يوما «تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ» تردون جميعا إلى جزاء الله ويقال إلى ملك الله لنفعمكم و ضرکم دون غيره ممن ملكه إياه في دار الدنيا وهو المراد بكل ما في القرآن من هذا اللفظ لأن الله سبحانه لا يغيب عن أحد ولا يغيب أحد عن علمه و ملكه و سلطانه و يدل عليه قوله وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثِهِ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَ إِنَّمَا خَصَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ لِأَنَّ النَّاسَ إِذَا حَشَرُوا انْقَطَعَ أَمْرُهُمْ وَ بَطَلَ مَلِكُهُمْ وَ لَا يَبْقَى لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ أَمْرٌ وَ لَا نَهَى كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ «ثُمَّ تُوفَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ» قيل فيه وجهان أحدهما توفي جزاء ما كسبت من الأعمال والثاني توفي ما كسبت من الثواب والعقاب لأن الكسب على وجهين كسب العبد لفعله و كسبه لما ليس من فعله كما يكسب المال «وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ» معناه لا ينقصون ما يستحقونه من الثواب ولا يزداد عليهم ما يستحقونه من العقاب.

اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيَمْلِكْ وَثِيَّةً بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَلُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَاحِبًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٨٢)

القراءه

قرأ حمزه وحده إن تضل بكسر الهمزة والباقون بفتحها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وقتيبة فتذكر بالتخفيف والنصب وقرأ حمزه فتذكر بالتشديد والرفع وقرأ الباقون «فتذكر» بالتشديد والنصب وقرأ عاصم وحده «تجارة حاضرة» بالنصب وقرأ الباقون بالرفع وقرأ أبو جعفر

و لا يضار بتشديد الراء و تسكينها و الباقون «لا يُضَارَّ» بالنصب و التشديد.

الحج

الوجه فى قراءه حمزه إن تضل إحداهما بكسر الهمزه و هو أنه جعل أن للجزاء و الفاء فى قوله «فَتَذَكَّرُ» جواب الجزاء و موضع الشرط و جزائه رفع بكونهما وصفا للمنكورين و هما المرأتان فى قوله «فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتَانِ» فقوله «فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتَانِ» خبر مبتدأ محذوف و تقديره فمن يشهد رجل و امرأتان و يجوز أن يكون رجل مرتفعا بالابتداء و امرأتان معطوفتان عليه و خبر الابتداء محذوف و تقديره فرجل و امرأتان يشهدون و قوله «مِمَّنْ تَرُضُونَ مِنَ الشُّهَدَاءِ» فيه ذكر يعود إلى الموصوفين الذين هم رجل و امرأتان و لا يجوز أن يكون فيه ذكر لشهيدى المتقدم ذكرهما لاختلاف إعراب الموصوفين ألا ترى أن شهيدى منصوبان و رجل و امرأتان إعرابها الرفع فإذا كان كذلك علمت أن الوصف الذى هو ظرف إنما هو وصف لقوله «فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتَانِ» دون من تقدم ذكرهما من الشهيدى و الشرط و جزاؤه وصف لقوله «وَ امْرَأَتَانِ» لأن الشرط جمله يوصف بها كما يوصل بها فى نحو قوله الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ اللّٰمِ التّى هى فى قوله «أَنْ تَضِلَّ» فيمن جعل أن جزاء فى موضع جزم و إنما حركت بالفتح لالتقاء الساكنين و لو كسرت للكسره قبلها لكان جائزا فى القياس و أما قوله «فَتَذَكَّرُ» فقياس قول سيبويه فى قوله تعالى وَ مَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَ الْآيِ التّى تلاها معها أن يكون بعد الفاء فى «فَتَذَكَّرُ» مبتدأ محذوف و لو أظهرته لكان فهما تذكر إحداهما الأخرى فالذكر العائد إلى المبتدأ المحذوف الضمير فى قوله «إِحْدَاهُمَا» و أما الأصل فى تذكر فهو من الذكر الذى هو ضد النسيان و ذكرت فعل يتعدى إلى مفعول واحد فإذا نقلته بالهمز أو ضعفت العين منه تعدى إلى مفعول آخر و ذلك نحو فرحته و أفرحته فمن قرأ «فَتَذَكَّرُ» كان ممن جعل بالتضعيف و من قرأ فتذكر كان ممن نقل بالهمزه و كلاهما سائغ و المفعول الثانى فى قوله «فَتَذَكَّرُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى» محذوف و المعنى فتذكر إحداهما الأخرى الشهاده التى تحملتها و أما قراءه الأكثرين و هو «أَنْ تَضِلَّ» بفتح الألف فإن يتعلق فيها بفعل مضمر دل عليه هذا الكلام و ذلك أحد ثلاثه أشياء الأول هو أن قوله «فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتَانِ» يدل على قولك و استشهدوا رجلا و امرأتين و على هذا فتقديره فليشهد رجل و امرأتان فتعلق أن إنما هو بهذا الفعل و الثانى ما قاله أبو الحسن و هو أن تقديره فليكن رجل و امرأتان و على هذا فيكون معناه فليحدث شهاده رجل و امرأتين حذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه و الثالث أن يضم خبر المبتدأ الذى هو فرجل و امرأتان أى فرجل و امرأتان يشهدون فيكون يشهدون العامل فى أن و موضع إضماره فيمن فتح الهمزه من أن تضل قبل أن و فيمن كسر أن بعد انقضاء الشرط بجزائه و أما موضع أن هذه فنصب و تقديره لأن تضل

إحداهما فتذكر فإن قيل فإن الشهاده إنما وقعت للذكر و الحفظ لا للضلال الذى هو النسيان فجوابه أن سيبويه قد قال أمر بالإشهاد لأن تذكر إحداهما الأخرى و إنما ذكر أن تضل لأنه سبب الإذكار كما يقال القائل أعدده أن يميل الحائط فأدعمه و هو لا- يطلب بذلك ميلان الحائط و لكنه أخبر بعله الدعم و سببه و قوله فتذكر أو «فَتَذَكَّرَ» بالنصب معطوف على الفعل المنصوب بأن و أما قراءه من قرأ إلا أن تكون تجاره حاضره بالرفع فالوجه فيها أن يكون كان بمعنى وقع و حدث فكأنه قال أ أن تقع تجاره حاضره مثل قوله وَ إِنْ كَانَ ذُو عُسْرِهِ و أما من نصب «تِجَارَةً حَاضِرَةً» فيكون على خبر كان و لم يخل اسم كان من أحد شيئين أحدهما أن يكون ما يقتضيه الكلام من الإشهاد و الارتهان قد علم من فحواه التبايع فأضمر التبايع لدلاله الحال عليه كما يقال إذا كان غدا فأتنى و الآخر أن يكون أضمر التجاره فكأنه قال إلا أن تكون التجاره تجاره حاضره و مثل ذلك قول الشاعر:

فدى لبنى ذهل بن شيبان ناقتى

إذا كان يوما ذا كواكب أشنعا

أى إذا كان اليوم يوما و أما قوله «لا- يُضَارُّ» فيه قولان (أحدهما) أن أصله لا- يضارر فأدغمت الراء فى الراء و فتحت لالتقاء الساكنين فيكون معناه لا- يكتب الكاتب إلا بالحق و لا يشهد الشاهد إلا بالحق (الثانى) أن أصله لا يضارر بفتح الراء الأولى فأدغمت فيكون المعنى لا يدع الكاتب على وجه يضر به و كذلك الشاهد و الأول أبين و أما قراءه أبى جعفر بتسكين الراء مع التشديد ففيه نظر و وجهه أنه أجرى الوصل مجرى الوقت كقولهم (ببازل و جنا أو عيهل) و قد تقدم أمثاله.

اللغة

تقول داينت الرجل مداينه إذا عاملته بدين أخذت منه أو أعطيته و تداين القوم أو الرجالان بمعناه قال الشاعر:

داينت أروى و الديون تقضى

فمطلت بعضا و أدت بعضا

و يقال دنت و أدنت إذا اقترضت و أدنت إذا أقرضت قال:

أدان و أنبأه الأولون

بأن المدان ملئ و وفى

و الإملاء و الإملاء يقال أمل عليه و أملى عليه بمعنى و البخس النقص ظلما يقال

بخسه حقه يبخره بخسا و «ثمن بخس» ناقص عن حقه و البخر فقوء العين لأنه إدخال نقص على صاحبها و السفية الجاهل و أصل السفه الخفه قال الشاعر:

تخاف أن تسفه أحلامنا

فتخمل الدهر مع الخامل

و إنما سمي الجاهل بالسفيه لخفه عقله و تقول من الإباء أبى يأبى و لم يأت مثله فى اللغة لأن فعل يفعل لا يأتى إلا أن يكون فى موضع العين من الفعل أو اللام حرف من حروف الحلق و القول فيه أن الألف من أبى أشبهت الهمزه فجاء يفعل منه مفتوحا لهذه العله و الضلال أصله الهلاك تقول العرب ضل الماء فى اللبن و منه قوله إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ و قيل أصله الذهاب بحيث لا يوجد و قيل و منه إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ و السأم الملل يقال سئم يسأم ساما إذا مل من الشىء و ضجر منه قال زهير:

سئمت تكاليف الحياه و من يعش

ثمانين حولا لا أبا لك يسأم

و أقسط أى أعدل و القسط العدل يقال أقسط إذا عدل و قسط يقسط قسوطا إذا جار و القسط الحصه.

المعنى

لما أمر سبحانه بإنظار المعسر و تأجيل دينه عقبه ببيان أحكام الحقوق المؤجله و عقود المدائنه فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا الله و رسوله «إِذَا تَدَايَيْتُمْ» أى تعاملتم و داین بعضكم بعضا «بِذَيْنٍ» قيل فيه قولان (أحدهما) أنه على وجه التأكيد و تمكين المعنى فى النفس كقوله تعالى وَ لَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ (و الآخر) أنه إنما قال بدين لأن تدايتم قد يكون بمعنى تجازيتم من الدين الذى هو الجزاء و قد يكون بمعنى تعاملتم بدين فقيده بالدين لتخليص اللفظ من الاشتراك «إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى» أى وقت مذکور معلوم بالتسميه قال ابن عباس إن الآيه وردت فى السلم خاصه و كان يقول أشهد أن الله أباح السلم المضمون إلى أجل معلوم و أنزل فيه أطول آيه من كتابه و تلاه هذه الآيه و ظاهر الآيه يقع على كل دين مؤجل سلما كان أو غيره و عليه المفسرون و الفقهاء «فَأَكْتَبُوهُ» معناه فاكتبوا الدين فى صك لثلا يقع فيه نسيان أو جحود و ليكون ذلك توثقه للحق و نظرا للذى له الحق و للذى عليه الحق و للشهود فوجه النظر للذى له الحق أن يكون حقه موثقا بالصك و الشهود فلا يضيع حقه و وجه النظر للذى عليه الحق أن يكون أبعد به من الجحود فلا يستوجب النقمه و العقوبه وجه النظر للشهود أنه إذا كتب بخطه كان ذلك أقوم للشهاده و أبعد من

السهو و أقرب إلى الذكر و اختلف فى هذا الأمر فقل هو مندوب إليه عن أبى سعيد الخدرى و الحسن و الشعبى و هو الأصح و عليه الأكثر و قيل هو فرض عن الربيع و كعب و يدل على صحه القول الأول قوله فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُوتِيَ أَمَانَتَهُ و المفهوم من هذا الظاهر فإن ائتمنه على ماله أن يأتتمه عليه ثم بين كيفية الكتابه فقال «وَلْيُكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ» يعنى و ليكتب كتاب المداينه أو البيع بين المتعاقدين كاتب بالقسط و الإنصاف و الحق لا يزيد فيه و لا ينقص منه فى صفه و لا مقدار و لا- يستبدل و لا- يكتب شيئاً يضر بأحدهما إلا بعلمه «وَلَا يَأْتِ كَاتِبٌ» أى و لا يمتنع كاتب من «أَنْ يَكْتُبَ» الصك على الوجه المأمور به «كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ» من الكتابه بالعدل و قيل كما فضله الله تعالى بتعليمه إياه فلا يبخل على غيره بالكتابه و اختلف فى الكتابه هل هى فرض أم لا فقل هى فرض على الكفايه كالجهاد و نحوه عن الشعبى و جماعه من المفسرين و اختاره الرمانى و الجبائى و جوز الجبائى أن يأخذ الكاتب و الشاهد الأجره على ذلك قال الشيخ أبو جعفر الطوسى و عندنا لا يجوز ذلك و الورق الذى يكتب فيه على صاحب الدين دون من عليه الدين و يكون الكتاب فى يده لأنه له و قيل واجب على الكاتب أن يكتب فى حال فراغه عن السدى و قيل واجب عليه أن يكتب إذا أمر عن مجاهد و عطا و قيل إن ذلك فى الموضع الذى لا يقدر فيه على كاتب غيره فيضر بصاحب الدين إن امتنع فإذا كان كذلك فهو فريضه و إن قدر على كاتب غيره فهو فى سعه إذا قام به غيره عن الحسن و قيل كان واجبا ثم نسخ بقوله «وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ» عن الضحاك «فَلْيُكْتُبْ» أمر للكاتب أى فليكتب الصك على الوجه المأمور به و كانت الكتبه على عهد رسول الله ص فيهم قله فلذلك أكد بقوله «فَلْيُكْتُبْ» إذ الجمع بين الأمر بالشىء و النهى عن تركه أدهى إلى فعله من الاقتصار على أحدهما ثم بين سبحانه كيفية الإملاء على الكاتب فقال سبحانه «وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ» يعنى المديون يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه فليكتب «وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ» أى الذى عليه الحق فى الإملاء «وَلَا يَبْخَسْ» أى و لا ينقص «مِنْهُ» أى من الحق «شَيْئًا» لا من قدره و لا من صفته ثم بين الله تعالى حال من لا يصح منه الإملاء فقال «فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَافِهًا» أى جاهلا بالإملاء عن مجاهد و قيل صغيرا طفلا عن السدى و الضحاك و قيل عاجزا أحمق عن ابن زيد «أَوْ ضَعِيفًا» أى ضعيف العقل من عته أو جنون و قيل شيخا خرفا «أَوْ لَا يَسْتِطِيعُ أَنْ يُمْلَأَ هُوَ» أى مجنوناً و قيل عيباً أخرس عن ابن عباس و قيل الأقرب أن يحمل على ثلاث صفات لكيلا يؤدي إلى التكرار ثم اختلف فى ذلك فقل السفيه المجنون و الضعيف الصغير و من لا يستطيع أن يمل الأخرس و نحوه ثم يدخل

فى كل واحد من هو فى معناه وقيل السفه المبذر والضعيف الصبى المراهق و من لا يستطيع أن يمل المجنون عن القاضى «فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ» قيل معناه فليملل ولى الذى عليه الحق إذا عجز عن الإملاء بنفسه عن الضحاك و ابن زيد و قيل معناه ولى الحق و هو الذى له الحق عن ابن عباس لأنه أعلم بدينه فيملى بالحق و العدل ثم أمر سبحانه بالإشهاد فقال «وَ اسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ» يعنى اطلبوا الشهود و أشهدوا على المكتوب رجلين من رجالكم أى من أهل دينكم و قال مجاهد معناه من الأحرار العالمين البالغين المسلمين دون العبيد و الكفار و الحره ليست بشرط عندنا فى قبول الشهاده و إنما اشترط الإسلام مع العدالة و به قال شريح و الليثى و أبو ثور و قيل هذا أمر للقضاء بأن يلتمسوا عند القضاء بالحق شهيدين من المدعى عند إنكار المدعى عليه فيكون السين فى الحالتين سين السؤال و الطلب «فَإِنْ لَمْ يَكُنَا رَجُلَيْنِ» يعنى فإن لم يكن الشهيدين رجلين «فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتَانِ» أى فليكن رجل و امرأتان أو فليشهد رجل و امرأتان «مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ» عدالته و هذا يدل على أن العدالة شرط فى الشهود و يدل أيضا على أنا لم نتعبد بإشهاد مرضيين على الإطلاق لقوله «مِمَّنْ تَرْضَوْنَ» و لم يقل من المرضيين لأنه لا طريق لنا إلى معرفه من هو مرضى عند الله تعالى و إنما تعبدنا بإشهاد من هو مرضى عندنا فى الظاهر و هو من نرضى دينه و أمانته و نعرفه بالستر و الصلاح «أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا» أى تنسى إحدى المرأتين «فَتَذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى» قيل هو من الذكر الذى هو ضد النسيان عن الربيع و السدى و الضحاك و أكثر المفسرين و التقدير فتذكر إحداها الأخرى الشهاده التى تحملتها و من قرأ فتذكر بالتخفيف من الإذكار فهو بهذا المعنى أيضا أى يقول لها هل تذكرين يوم شهدنا فى موضع كذا و بحضرتنا فلان أو فلانه حتى تذكر الشهاده و هذا لأن النسيان يغلب على النساء أكثر مما يغلب على الرجال و قيل هو من الذكر أى يجعلها كذكر من الرجال عن سفيان بن عيينه و الأول أقوى فإن قيل لم كرر لفظه إحداها و هلا قال فتذكرها الأخرى فجوابه على وجهين (أحدهما) أنه إنما كرر ليكون الفاعل مقدما على المفعول و لو قال فتذكرها الأخرى لكان قد فصل بين الفعل و الفاعل بالمفعول و ذلك مكروه (و الثانى) ما قاله حسين بن على المغربى إن معناه إن تضل إحدى الشهادات أى تضع النسيان فتذكر إحدى المرأتين الأخرى لئلا يتكرر لفظ إحداها بلا معنى و يؤيد ذلك أنه لا يسمى ناسى الشهاده ضالا و يقال ضلت الشهاده إذا ضاعت كما قال سبحانه قالوا ضلوا عنا أى ضاعوا منا ثم خاطب سبحانه الشهود فقال «وَ لَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا» و فى معناه ثلاثه أقوال (أحدها) أن معناه و لا يمتنع الشهداء إذا دعوا لإقامه الشهاده عن مجاهد و عطا و سعيد بن جبير

و هذا إذا كانوا عالمين بالشهادة على وجه لا يرتابون فيه و لم يخافوا من أدائها ضررا (و الثانى) أن معناه إذا دعوا لإثبات الشهادة و تحملها عن قتاده و الربيع (و الثالث) أن معناه إذا دعوا إلى إثبات الشهادة و إلى إقامتها عن ابن عباس و الحسن و عن أبى عبد الله (عليه السلام) و هو أولى لأنه أعم فائده «وَلَا تَشْتَمُوا» أى و لا تضجروا و لا تملوا «أَنْ تَكْتُبُوهُ» أى تكتبوا الحق «صَغِيرًا» كان الحق «أَوْ كَبِيرًا» و قيل إن هذا خطاب للشاهد و معناه لا تملوا أن تكتبوا الشهادة على الحق «إِلَى أَجَلِهِ» أى إلى أجل الدين و قيل معناه إلى أجل الشاهد أى إلى الوقت الذى تجوز فيه الشهادة و الأول أقوى «ذَلِكُمْ» الكتاب أو كتابه الشهادة و الصك «أَقْسَطُ» أى أعدل «عِنْدَ اللَّهِ» لأنه سبحانه أمر به و اتباع أمره أعدل من تركه «وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ» أى أصوب للشهادة و أبعد من الزيادة و النقصان و السهو و الغلط و النسيان و قيل معناه أحفظ للشهادة مأخوذ من القيام على الشىء بمعنى الحفاظ «وَأَذْنَى أَلَّا تَزْتَابُوا» أى أقرب إلى أن لا تشكوا فى مبلغ الحق و الأجل «إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً» معناه إلا أن تقع تجاره أى مداينه و مبايعه حاضره حاله يدا بيد و من قرأ بالنصب فمعناه إلا أن تكون التجاره تجاره «حَاضِرَةً تَدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ» أى تتناقلونها من يد إلى يد نقدا لا نسيئه «فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ» أى حرج و ضيق «أَلَّا تَكْتُبُوهَا» و معناه فليس عليكم إثم فى ترك كتابتها لأن الكتابه للوثيقه و لا يحتاج إلى الوثيقه إلا فى النسيئه دون النقد «وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ» أى و أشهدوا الشهود على بيعكم إذا تبايعتم و هذا أمر على الاستحباب و الندب عن الحسن و جميع الفقهاء. و قال أصحاب الظاهر الإشهاد فرض فى التبايع «وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ» أصله يضارر بكسر الراء الأولى عن الحسن و قتاده و عطا و ابن زيد فىكون النهى للكاتب و الشاهد عن المضاره فعلى هذا فمعنى المضاره أن يكتب الكاتب ما لم يمل عليه و يشهد الشاهد بما لم يستشهد فيه أو بأن يمتنع من إقامه الشهاده و قيل الأصل فيه لا يضارر بفتح الراء الأولى عن ابن مسعود و مجاهد فىكون معناه لا يكلف الكاتب الكتابه فى حال عذر و لا يتفرغ إليها و لا يضيق الأمر على الشاهد بأن يدعى إلى إثبات الشهاده و إقامتها فى حال عذر و لا يعنف عليهما قال الزجاج و الأول أبين لقوله «وَأِنْ تَفَعَّلُوا فإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ» فالفاسق أشبه بغير العدل و بمن حرف الكتاب منه بالذى دعا شاهدا ليشهد أو دعا كاتباً ليكتب و هو مشغول و قال غيره معناه و إن تفعلوا مضاره الكاتب و الشهيد فإن المضاره فى الكتابه و الشهاده فسوق بكم أى خروج عما أمر الله سبحانه به «وَأَتَّقُوا اللَّهَ» فيما أمركم به و نهاكم عنه «وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ» ما تحتاجون إليه من أمور دينكم «وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» أى عليم بذلك و بكل ما سواه من المعلومات و ذكر على بن إبراهيم بن هاشم فى تفسيره أن فى البقره خمسمائه حكم و فى

هذه الآية خاصة خمسة عشر حكما.

سورة البقرة (٢): آية ٢٨٣

إشارة

وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَيْفٍ وَ لَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَ لِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَ لَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَ مَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨٣)

القراءة

قرأ ابن كثير و أبو عمرو فرهن على وزن فعل و الباقون «فَرِهَانٌ» على وزن فعال.

الحجج

قال أبو على الرهن مصدر و لما نقل فسمى به كسر كما تكسر الأسماء و جمع على بناءين من أبنية الجموع و هو فعل و فعال و كلاهما من أبنية الكثير و قد يخفف العين من رهن كما خفف في رسل و كتب و مثل رهن و رهن سقف و سقف و قال الأعرابي:

آليت لا أعطيه من أبنائنا

رهننا فيفسدهم كمن قد أفسدا.

اللغة

يقال رهنت عند الرجل رهنا و رهنته رهنا و أنا أرهنه إذا وضعته عنده و رهنته ضيعه و قالوا أرهنته أيضا و فعلت فيه أكثر قال:

يراهنى فيرهنى بنيه

و أرهنه بنى بما أقول

قال الأصمعي من روى بيت ابن همام:

فلما خشيت أظايرهم

نجوت و أرهنتهم مالكا

فقد أخطأ إنما الرواية و أرهنتهم مالكا كما تقول وثبت إليه و أصك عينه و نهضت إليه و أخذ بشعره و تقول أرهنت لهم الطعام

أى أدمته لهم و أرهيته بمعناه و الطعام راهن و رآه و قد أرهنت فى ثمن السلعه إذا أسلفت فيه قال (عديه أرهنت فيها الدنانير) و
أما

قول النبى ص لا يغلق الرهن

فمعناه أن يقول الراهن أن جئتك بفكأكه إلى شهر و إلا فهو لك

ص: ٢٠١

بالدين فهذا باطل بلا خلاف.

المعنى

ثم ذكر سبحانه حكم الوثيقه بالرهن عند عدم الوثيقه بالإشهاد فقال «وَإِنْ كُنْتُمْ» أيها المتدائنون المتبايعون «عَلَى سَفَرٍ» أي مسافرين «وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا» للصك و لا- شهودا تشهدونهم «فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ» تقديره فالوثيقه رهن فيكون رهن خبر مبتدأ محذوف و يجوز أن يكون التقدير فرهان مقبوضه يقوم مقام الوثيقه بالصك و الشهود و القبض شرط فى صحه الرهن فإن لم يقبض لم ينعقد الرهن بالإجماع «فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا» أى فإن أمن صاحب الحق الذى عليه الحق و وثق به و ائتمنه على حقه و لم يستوثق منه بصك و لا- رهن «فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ» أى الذى عليه الحق «أَمَانَتَهُ» بأن لا يجحد حقه و لا يبخس منه شيئاً و يؤديه إليه و افايا وقت محله من غير مطل و لا تسويق و أراد بقوله «أَمَانَتَهُ» أى ما اوتمن فيه فهو مصدر بمعنى المفعول «وَ لِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ» معناه و ليتق الذى عليه الحق عقوبه الله ربه فيما اوتمن عليه بجحوده أو النقصان منه «وَ لَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ» يعنى بعد تحملها و هو خطاب للشهود و نهى لهم عن كتمان الشهاده إذا دعوا إليها «وَ مَنْ يَكْتُمْهَا» أى و من يكتم الشهاده مع علمه بالمشهود به و عدم ارتيابه فيه و تمكنه من أدائها من غير ضرر بعد ما دعى إلى إقامتها «فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ» أضاف الإثم إلى القلب و إن كان الآثم هو الجمله لأن اكتساب الإثم بكتمان الشهاده يقع بالقلب لأن العزم على الكتمان إنما يقع بالقلب و لأن إضافه الإثم إلى القلب أبلغ فى الذم كما أن إضافه الإيمان إلى القلب أبلغ فى المدح قال تعالى أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ «وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ» أى ما تسرونه و تكتمونونه «عَلِيمٌ»

و روى عن النبي ص أنه قال لا- ينقضى كلام شاهد زور من بين يدي الحاكم حتى يتبوأ مقعده من النار و كذلك من كتم الشهاده

و فى قوله تعالى «فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا» دلالة على أن الإشهاد و الكتابه فى المداينه ليسا بواجبين و إنما هو على سبيل الاحتياط و تضمنت هذه الآيه و ما قبلها من بدائع لطف الله تعالى و نظره لعباده فى أمر معاشهم و معادهم و تعليمهم ما لا يسعهم جهله ما فيه بصيره لمن تبصر و كفايه لمن تفكر.

سوره البقره (٢): آيه ٢٨٤

اشاره

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٨٤)

ص: ٢٠٢

قرأ ابن عامر و عاصم و أبو جعفر و يعقوب «فَيَغْفِرُ» «وَيُعَذِّبُ» بالرفع و قرأ الباقر بالجزم فيهما.

الحجه

قال أبو على وجه قول من جزم أنه اتبعه ما قبله و لم يقطعه منه و هذا أشبه بما عليه كلامهم ألا ترى أنهم يطلبون المشاكله و يلزمونها فمن ذلك إن ما كان معطوفا على جمله من فعل و فاعل و اشتغل عن الاسم الذى من الجملة التى يعطف عليها الفعل يختار فيه النصب و لو لم يكن قبله الفعل و الفاعل لا اختاروا الرفع و على هذا ما جاء فى التنزيل نحو قوله وَ كَلَّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ و قوله فَرِيقًا هَادِي و فَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ فكذلك ينبغى أن يكون الجزم أحسن ليكون مشاكلا لما قبله فى اللفظ و هذا النحو من طلبهم المشاكله كثير و من لم يجزم قطعه من الأول و قطعه منه على أحد وجهين إما أن يجعل الفعل خبرا لمبتدئ محذوف و إما أن يعطف جمله من فعل و فاعل على ما تقدمها.

المعنى

«لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ» اللام لام الملك أى له تصريف السموات و الأرض و ما فيهما و تدبيرهما لقدرته على ذلك و لأنه الذى أبدعهما و أنشأهما فجميع ذلك ملكه و ما ملكه يصرفه كما يشاء «وَ إِنْ تَبَدَّلُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ» و تعلنوه أى تظهروا ما فى أنفسكم من الطاعة و المعصية «أَوْ تُخْفَوْهُ» أى تكتموه «يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ» أى يعلم الله ذلك فيجازيكم عليه و قيل معناه إن تظهروا الشهاده أو تكتموها فإن الله يعلم ذلك و يجازيكم به عن ابن عباس و جماعه و قيل إنها عامه فى الأحكام التى تقدم ذكرها فى السوره خوفهم الله سبحانه من العمل بخلافها و قال قوم إن هذه الآيه منسوخه بقوله لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا و روى فى ذلك خبرا ضعيفا و هذا لا يصح لأن تكليف ما ليس فى الوسع غير جائز فكيف ينسخ و إنما المراد بالآيه ما يتناوله الأمر و النهى من الاعتقادات و الإرادات و غير ذلك مما هو مستور عنا فأما ما لا يدخل فى التكليف من الوسوس و الهواجس و ما لا يمكن التحفظ عنه من الخواطر فخارج عنه لدلاله العقل و

لقوله ص تجوز لهذه الأمه عن نسيانها و ما حدثت به أنفسها

فعلى هذا يجوز أن تكون الآيه الثانيه بينت للأولى و أزاله توهم من صرف ذلك إلى غير وجهه و ظن أن ما يخطر بالبال أو تتحدث به النفس مما لا يتعلق بالتكليف فإن الله يؤاخذ به و الأمر بخلاف ذلك و قوله «فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ» أى يغفر لمن يشاء منهم رحمه و فضلا «وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ» منهم ممن يستحق العقاب عدلا «وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» من المغفره و العذاب عن ابن عباس و لفظ الآيه

عام فى جميع الأشياء و القول فىما يخطر بالبال من المعاصى أن الله تعالى لا يؤاخذ به و إنما يؤاخذ بما يعزم الإنسان و يعقد قلبه عليه مع إمكان التحفظ عنه فىصير من أفعال القلب فىجازيه به كما فىجازيه بأفعال الجوارح و إنما فىجازيه جزاء العزم لا جزاء عين تلك المعصيه لأنه لم يباشرها و هذا بخلاف العزم على الطاعه فإن العازم على فعل الطاعه فىجازى على عزمه ذلك جزاء تلك الطاعه كما

جاء فى الأخبار أن المنتظر للصلاه فى الصلاه ما دام ينتظرها

و هذا من لطائف نعم الله تعالى على عباده.

النظم

ذكر فى كيفية اتصال هذه الآيه بما قبلها وجوه (أحدها) أنه لما فرغ من بيان الشرائع ختم السوره بالتوحيد و الموعظه و الإقرار بالجزاء (و الثانى) أنه لما قال و الله بكل شىء عليم اتبعه بأنه لا يخفى عليه شىء لأن له ملك السموات و الأرض عن أبى مسلم (و الثالث) أنه لما أمر بهذه الوثائق بين أنه إنما يعتد بها لأمر يرجع إلى المكلفين لا لأمر يرجع إليه فإن له ما فى السموات و ما فى الأرض.

سوره البقره (٢): آيه ٢٨٥

إشارة

آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥)

القراءة

قرأ أهل الكوفه غير عاصم و كتابه و الباقون «و كُتِبِهِ» على الجمع وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء و الباقون بالنون.

الحجج

من قرأ كتابه على الواحد ففيه وجهان (أحدهما) أنه بمعنى القرآن (و الثانى) أنه بمعنى الجنس فىوافق القراء الأخرى على الجمع و قد جاء المضاف من الأسماء بمعنى الكثره نحو قوله و إِنَّ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا*

و فى الحديث منعت العراق درهمها و قفيزها

فهذا يراد به الكثره كما يراد بما فيه لام التعريف و الاختيار فى الجمع ليشاكل ما قبله و ما بعده و لأن أكثر القراء عليه و من قرأ لا يفرق فعلى تقدير لا- يفرق الرسول أو كل لا- يفرق و النون على تقدير و قالوا لا- نفرق كقوله و لَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا

رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا أَيُّ وَيَقُولُونَ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا.

ص: ٢٠٤

«غُفْرَانُكَ» نصب على أنه بدل من الفعل المأخوذ منه فكأنه قيل اللهم اغفر لنا غفرانك و استغنى بالمصدر عن الفعل فى الدعاء فصار بدلا عنه معاقبا له.

المعنى

لما ذكر الله تعالى فرض الصلاة و الزكاه و أحكام الشرع و أخبار الأنبياء ختم السوره بذكر تعظيمه و تصديق نبيه ص بجميع ذلك فقال «آمَنَ الرَّسُولُ» أى صدق محمد ص «بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ» من الأحكام المذكوره فى السوره و غيرها «وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ» أى كل واحد منهم «آمَنَ بِاللَّهِ» أى صدق بإثباته و صفاته و نفى التشبيه عنه و تنزيهه عما لا- يليق به «وَمَلَائِكَتِهِ» أى و ملائكته و بأنهم معصومون مطهرون «وَكُتُبِهِ» أى و بأن القرآن و جميع ما أنزل من الكتب حق و صدق «وَرُسُلِهِ» و بجميع أنبيائه «لَا نَفَرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ» أى و يقولون لا- نفرق بين أحد من رسل الله فى الإيمان بأن تؤمن ببعض و تكفر ببعض كما فعله أهل الكتاب من اليهود و النصارى «وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا» معناه سمعنا قولك و أطعنا أمرك إذا جعلته راجعا إلى الله أو سمعنا قوله و أطعنا أمره إذا جعلته راجعا إلى النبى ص و قيل معناه سمعنا قول الله و قول الرسول سماع القائلين المطيعين و ذلك خلاف ما أخبر الله تعالى عن الكفار حيث قالوا سَمِعْنَا وَ عَصَيْنَا* «غُفْرَانُكَ رَبَّنَا» أى يقولون يا ربنا اغفر لنا و قيل معناه يقولون نسألك غفرانك «وَأِلَيْكَ الْمَصِيرُ» معناه إلى جزائك المصير فجعل مصيرهم إلى جزائه مصيرا إليه كقول إبراهيم إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّهْدِينِ و معناه إلى ثواب ربي أو إلى ما أمرنى به ربي و هذا هو إقرار بالبعث و النشور.

سوره البقره (٢): آيه ٢٨٦

اشاره

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ عَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَ لَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَ لَا تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَ اعْفُ عَنَّا وَ اغْفِرْ لَنَا وَ ارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦)

الوسع ما دون الطاقه و يسمى ذلك وسعا بمعنى أنه يسع الإنسان و لا يضيق عنه و أخطأنا أى كسبنا خطيئته و قال أبو عبيده أخطأ و خطئ لغتان و الفرق بين أخطأ و خطئ أن أخطأ قد يكون على وجه الإثم و غير الإثم فأما خطئ فالإثم لا غير قال الشاعر:

و الناس يلحون الأمير إذا هم

خطئوا الصواب و لا يلام المرشد

و الإصر فى اللغة الثقل قال النابغه:

يا مانع الضيم أن يغشى سراتهم

و الحامل الأصر عنهم بعد ما غرقوا

و كل ما عطفك على شىء من عهد أو رحم فهو أصر و جمعه آصار و يقال أصره يأصره إصرا و الاسم الأصر قال النابغه:

يا ابن الحواضن و الحاضنات

أ تنقض إصرك حالا فحالا

أى عهدك و الأصره صله الرحم للعطف لها قال الكميت:

نضحت أديم الود بينى و بينهم

بأصره الأرحام لو تتبلل

. المعنى

ثم بين سبحانه أنه فيما أمر و نهى لا يكلف إلا دون الطاقه فقال «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا» أى لا يأمر و لا ينهى أحدا إلا ما هو له مستطيع و قيل إن معنى قوله «إِلَّا وُسْعَهَا» إلا يسرها دون عسرها و لم يكلفها طاقتها و لو كلفها طاقتها لبلغ المجهود منها عن سفيان بن عيينه و هذا قول حسن و فى هذا دلالة على بطلان قول المجبره فى تجويز تكليف العبد ما لا يطيقه لأن الوسع هو ما يتسع له قدره الإنسان و هو فوق المجهود و استفراغ القدره و قال بعضهم إن معناه إلا ما يسعها و يحل لها و هذا خطأ لأن من قال لعبده لا- آمرك إلا بما أطلق لك أن تفعله لكان ذلك غيا منه و خطأ لأن نفس أمره إطلاق فكأنه قال لا أطلق لك و لا آمرك إلا- بما آمرك و قوله «لَهَا مَا كَسَبَتْ» معناه لها ثواب ما كسبت من الطاعات «و عَلَيَّهَا» جزاء «مَا اكْتَسَبَتْ» من السيئات و يجوز أيضا أن يسمى الثواب و العقاب كسبا من حيث حصلا بكسبه «رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا» قيل تقديره قولوا ربنا على جهه التعليم للدعاء عن الحسن و قيل تقديره يقولون ربنا على جهه الحكايه و الثناء «إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا» قيل فيه وجوه (أحدها) أن المراد بنسينا تركنا

كقوله تعالى «نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ» أى

ص: ٢٠٦

تركوا طاعته فتركهم من ثوابه وقوله «وَتَسُونَ أَنْفُسَكُمْ» ومنه قول الشاعر:

و لم أك عند الجود للجود قاليا

و لا كنت يوم الروع للطعن ناسيا

أى تاركا و المراد بأخطانا أذنبنا لأن المعاصى توصف بالخطأ من حيث أنها ضد الصواب و إن كان فاعلها متعمدا فكأنه تعالى أمرهم أن يستغفروا مما تركوه من الواجبات و مما فعلوه من المقبحات (و الثانى) معنى قوله «إِنْ نَسِينَا» إن تعرضنا لأسباب يقع عندها النسيان عن الأمر و الغفله عن الواجب أو أخطأنا أى تعرضنا لأسباب يقع عندها الخطأ و يحسن الدعاء بذلك كما يحسن الاعتذار منه (و الثالث) أن معناه لا تؤاخذنا أن نسينا أى إن لم نفعل فعلا يجب فعله على سبيل السهو و الغفله أو أخطأنا أى فعلنا فعلا يجب تركه من غير قصد و يحسن هذا فى الدعاء على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى و إظهار الفقر إلى مسألته و الاستعانه به و إن كان مأمونا منه المؤاخذة بمثله و يجرى ذلك مجرى قوله فيما بعد «و لا تُحْمَلْنَا ما لا طاقةَ لنا به» على أحد الأجوبه و قوله رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ و قد تقدم ذكر أمثاله (و الرابع) ما روى عن ابن عباس و عطاء أن معناه لا- تعاقبنا إن عصينا جاهلين أو متعمدين و قوله «رَبَّنَا وَ لا- تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصِيرًا» قيل فيه وجهان (أحدهما) أن معناه لا تحمل علينا عملا نعجز عن القيام به و لا تعذبنا بتركه و نقضه عن ابن عباس و قتاده و مجاهد و الربيع و السدى (و الثانى) أن معناه لا تحمل علينا ثقلا عن الربيع و مالك و عطاء يعنى لا تشدد الأمر علينا «كَمَا حَمَلْتُهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا» أى على الأمم الماضيه و القرون الخاليه لأنهم كانوا إذا ارتكبوا خطيئه عجلت عليهم عقوبتها و حرم عليهم بسببها ما أحل لهم من الطعام كما قال تعالى فَيُظْلَمَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ و أخذ عليهم من العهود و المواثيق و كلفوا من أنواع التكليف ما لم يكلف هذه الأمة تخفيفا عنها «رَبَّنَا وَ لا تُحْمَلْنَا ما لا طاقةَ لنا به» قيل فيه وجوه (أحدها) أن معناه ما يثقل علينا تحمله من أنواع التكليف و الامتحان مثل قتل النفس عند التوبه و قد يقول الرجل لأمر يصعب عليه إنى لا أطيقه (و الثانى) أن معناه ما لا طاقة لنا به من العذاب عاجلا و آجلا (و الثالث) أنه على سبيل التبعيد و إن كان تعالى لا- يكلف و لا- يحمل أحدا ما لا يطيقه كما ذكرنا قبل «وَ اغْفُ عَنَّا» ذنوبنا «وَ اغْفِرْ لَنَا» خطايانا أى استرها «وَ ارْحَمْنَا» بإنعامك علينا فى الدنيا و العفو

فى الآخرة و إدخال الجنة «أنت مؤلانا» أى ولينا و أولى بالتصرف فىنا و ناصرنا «فأنصُرنا على القوم الكافرين» أى أعنا عليهم بالقهر لهم و الغلبه بالحجه عليهم

و قد روى عن النبى ص أن الله سبحانه قال عند كل فصل من هذا الدعاء فعلت و استجبت و لهذا استحب الإكثار من هذا الدعاء

فى الحديث المشهور عن النبى ص أنه قال من قرأ الآيتين من آخر سورة البقره فى ليله كفتاه

أى كفتا قيام ليلته و عن عبد الله بن مسعود قال لما أسرى برسول الله ص انتهى به إلى صدره المنتهى و أعطى ثلثا الصلوات الخمس و خواتيم سورة البقره و غفر لمن لا يشرك بالله من أمته إلا المقححات

و عن ابن المنكدر رفعه إلى النبى ص قال فى آخر سورة البقره آيات إنهن قرآن و إنهن دعاء و إنهن يرضين الرحمن

و فى تفسير الكلبي بإسناده ذكره عن ابن عباس قال بينا رسول الله إذ سمع نقيضا يعنى صوتا فرفع رأسه فإذا باب من السماء قد فتح فنزل عليه ملك و قال إن الله يبشرك بنورين لم يعطهما نبيا قبلك فاتحه الكتاب و خواتيم سورة البقره لا يقرأهما أحد إلا أعطيته حاجته

و روى عن عبد الله بن مسعود أنه قال كان الرجل إذا تعلم سورة البقره جد فىنا أى عظم.

توضيح

هى كلها مدنيه عن ابن عباس و قتاده و مجاهد و جميع المفسرين عدد آياتها مائتان إلا آيه شامى و مائتان فى الباقيين خلافها فى سبع آيات عد الكوفى الم آيه و الإنجيل الثانى آيه و ترك و أنزل الفرقان و عد البصرى و رسولاً إلى بنى إسرائيل آيه و ترك الشامى التوراه و الإنجيل الأول و عد مقام إبراهيم هو و أبو جعفر و ترك أبو جعفر ممّا تُحِبُّونَ و عد أهل الحجاز حتّى تُنْفِقُوا ممّا تُحِبُّونَ.

فضلها

روى أبى بن كعب عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال من قرأ سورة آل عمران أعطى بكل آيه منها أماناً على جسر جهنم ، ابن عباس قال قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) من قرأ سورة آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه و ملائكته حتى تجب الشمس ، بريده قال قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) تعلموا سورة البقره و سورة آل عمران فإنهما الزهراوان و أنهما تظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف.

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٤)

إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٥)

توضيح

خمس آيات بلا خلاف إلا أن الكوفي عد «الم» آية و ترك «وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ» و غيرهم بالعكس من ذلك.

القراءه

قرأ أبو جعفر والأعشى و البرجمي عن أبي بكر عن عاصم الم الله بسكون الميم و قطع همزه الله و قرأ الباقرن موصولاً- و بفتح الميم و روى في الشواذ عن عمر بن الخطاب و ابن مسعود و إبراهيم النخعي و الأعمش و عن زيد بن علي بن الحسين و عن جعفر بن محمد الصادق و عن النبي (صلى الله عليه و آله) الحى القيام و روى عن الحسن الإنجيل بفتح الهمزه.

الحجه

قال أبو على اتفاق الجميع على إسقاط الألف الموصوله فى اسم الله تعالى دل على أن الميم ساكنه كما أن سائر حروف التهجى مبنيه على الوقف فلما التقت الميم الساكنه و لام التعريف حركت الميم بالفتح للساكن الثالث الذى هو لام التعريف و الدليل على أن التحريك للساكن الثالث و هو مذهب سيويه أن حروف التهجى يجتمع فيها الساكنان نحو حاء ميم عين سين قاف و ذلك أنها مبنيه على الوقف كما أن أسماء العدد كذلك فحركت الميم للساكن الثالث بالفتح كما حركت النون فى قوله مِنَ اللَّهِ بِالْفَتْحِ لِالتقاء الساكنين و أما من قطع الألف فكأنه قدر الوقف على الميم و استأنف فقطع الهمزه لابتدائه بها و أما القيام فقد قال ابن جنى أنه صفة على فيعال من قام يقوم و مثله من الصفه الغيداق و أصله من القيوم التقت الواو و الياء و سبقت الأولى بالسكون فقلبت الواو ياء و أدغم فيها الياء و قراءه الجماعة «الْقَيُّومُ» فيقول من هذا أيضا و أما الإنجيل بفتح الهمزه فمثال غير معروف النظير فى كلامهم لأنه ليس فى كلامهم أفعال بفتح الهمزه و لو كان أعجميا لكان فيه ضرب من الحجاج لكنهم عندهم عربى و هو أفعال من نجل ينجل إذا أثار و استخرج و منه نجل الرجل لولده لأنه استخرجهم من صلبه و من بطن امرأته قال الأعشى:

أنجب أزمان والداه به

إذ نجلاه فنعم ما نجلا

أى أنجب والداه أزمان إذ نجلاه ففصل بين المضاف الذى هو أزمان و بين المضاف

ص: ٢١٠

إليه الذى هو إذ كقولهم حينئذ و يومئذ بالفاعل وقيل له إنجيل لأن به يستخرج علم الحلال و الحرام كما قيل توراه و هى فوعله من روى الزند إذا قدح و أصله ووراه فأبدلت الواو التى هى الفاء تاء كما قالوا التجاه و التخمه و التكلان و التراث من الوجه و الوخامه و الوكل و الوراثه فهى من ورى الزند إذا ظهرت ناره و ذاك من نجل ينجل إذا استخرج لما فى الكتابين من معرفه الحلال و الحرام و كما قيل لكتاب نبينا (صلى الله عليه و آله) الفرقان لأنه فرق بين الحق و الباطل فالمعاني كما ترى معتنقه و كلها الإظهار و الإبراز و الفرق بين الأشياء و قال على بن عيسى النجل الأصل فكان الإنجيل أصل من أصول العلم و قال غيره النجل الفرع و منه قيل للولد نجل فكان الإنجيل فرع على التوراه يستخرج منها و قال ابن فضال هو من النجل و هو من السعه يقال عين نجلاء و طعنه نجلاء و كأنه قد وسع عليهم فى الإنجيل ما ضيق على أهل التوراه و كل محتمل.

الإعراب

مصدقا نصب على الحال و قوله «مِنْ قَبْلُ» أى من قبل إنزال الكتاب فلما قطعه عن الإضافة بناه على الضم و موضع هدى نصب على الحال من التوراه و الإنجيل أى هاديين و يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره هما هدى.

النزول

قال الكلبي و محمد بن إسحاق و الربيع بن أنس نزلت أوائل السوره إلى نيف و ثمانين آيه فى وفد نجران و كانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله (صلى الله عليه و آله) و فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم و فى الأربعة عشر ثلاثة نفر يؤول إليهم أمرهم العاقب أمير القوم و صاحب مشورتهم الذى لا يصدرن إلا عن رأيه و اسمه عبد المسيح و السيد ثمالهم و صاحب رحلهم و اسمه الأيهم و أبو حارثه بن علقمه أسقفهم و حبرهم و إمامهم و صاحب مدارسهم و كان قد شرف فيهم و درس كتبهم و كانت ملوك الروم قد شرفوه و مولوه و بنوا له الكنائس لعلمه و اجتهاده فقدموا على رسول الله (صلى الله عليه و آله) المدينة و دخلوا مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات جب و أردية فى جمال رجال بلحرت بن كعب يقول بعض من رآهم من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) ما رأينا وفدا مثلهم و قد حانت صلاتهم فأقبلوا يضربون بالناقوس و قاموا فصلوا فى مسجد رسول الله (صلى الله عليه و آله) فقالت الصحابه يا رسول الله هذا فى مسجدك فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله) دعوهم فصلوا إلى المشرق فتكلم السيد و العاقب رسول الله (صلى الله عليه و آله) فقال لهما رسول الله (صلى الله عليه و آله) أسلما قالا قد أسلما قبلك قال كذبتما يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولدا و عبادتكما الصليب و أكلكما الخنزير قالا إن لم يكن

ولد الله فمن أبوه و خاصموه جميعا فى عيسى فقال لهما النبى (صلى الله عليه و آله) أ لستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا و يشبه أباه قالوا بلى قال أ لستم تعلمون إن ربنا حى لا يموت و إن عيسى يأتى عليه الفناء قالوا بلى قال أ لستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شىء و يحفظه و يرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا قال أ لستم تعلمون إن الله لا يخفى عليه شىء فى الأرض و لا فى السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك إلا ما علم قالوا لا قال فإن ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء و ربنا لا يأكل و لا يشرب و لا يحدث قالوا بلى قال أ لستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعت كما تضع المرأة ولدها ثم غذى كما يغذى الصبى ثم كان يطعم و يشرب و يحدث قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فأنزل الله فيهم صدر سوره آل عمران إلى بضع و ثمانين آيه.

المعنى

إن الله تعالى لما ختم سوره البقره بذكر التوحيد و الإيمان افتتح هذه السوره بالتوحيد و الإيمان أيضا فقال «الم» و قد ذكرنا الاختلاف فيه و فى معناه و فى محله فى أول سوره البقره «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ» و قد ذكرنا ما فيه فى تفسير آيه الكرسي و روى عن ابن عباس أنه قال «الْحَيُّ الْقَيُّومُ» اسم الله الأعظم و هو الذى دعا به آصف بن برخيا صاحب سليمان (عليه السلام) فى حمل عرش بلقيس من سبأ إلى سليمان قبل أن يرتد إليه طرفه «نَزَّلَ عَلَيْكَ» يا محمد «الْكِتَابَ» يعنى القرآن «بِالْحَقِّ» فيه قولان (أحدهما) بالصدق فى إخباره (و الثانى) بالحق أى بما توجه الحكمة من الإرسال و هو حق من الوجهين «مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ» أى لما قبله من كتاب و رسول عن مجاهد و قتاده و الربيع و جمع المفسرين و إنما قيل لما بين يديه لما قبله لأنه ظاهر له كظهور الذى بين يديه و قيل فى معنى مصدقا هاهنا قولان (أحدهما) أن معناه مصدقا لما بين يديه و ذلك لموافقته لما تقدم الخبر به و فيه دلالة على صحه نبوته (صلى الله عليه و آله) من حيث لا يكون ذلك كذلك إلا و هو من عند الله علام الغيوب (و الثانى) أن معناه أن يخبر بصدق الأنبياء و بما أتوا به من الكتب و لا يكون مصدقا للبعض و مكذبا للبعض «وَ أَنْزَلَ التَّوْرَةَ» على موسى «وَ الْإِنْجِيلَ» على عيسى «مِنْ قَبْلُ» أى من قبل إنزال القرآن «هُدًى لِلنَّاسِ» مفعول له أى دلالة و بيانا و قيل يعنى به الكتب الثلاثة أى ليهتدى أهل كل كتاب بكتابه و أهل كل زمان بما أنزل فى زمانه و قيل إن «هُدًى لِلنَّاسِ» حال من الكتاب أى هاديا للناس «وَ أَنْزَلَ الْفُرْقَانَ» يعنى به القرآن و إنما كرر ذلك لما اختلفت دلالات صفاته و إن كانت لموصوف واحد لأن كل صفة فيها فائده غير فائده الأخرى فإن الفرقان هو الذى يفرق بين الحق

و الباطل فيما يحتاج إليه من أمور الدين في الحج و غيره من الأحكام و ذلك كله في القرآن و وصفه بالكتاب يفيد أن من شأنه أن يكتب

و روى عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال الفرقان هو كل آيه محكمه في الكتاب و هو الذي يصدق فيه من كان قبله من الأنبياء

و قيل المراد بالفرقان الهادله الفاصله بين الحق و الباطل عن أبي مسلم و قيل المراد به الحجه القاطعه لمحمد (صلى الله عليه و آله) على من حاجه في أمر عيسى و قيل المراد به النصر «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ» أى بحججه و دلالاته «لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ» لما بين حججه الداله على توحيدده و صدق أنبيائه عقب ذلك بوعيد من خالف فيه و جرده ليتكامل به التكليف «وَاللَّهُ عَزِيزٌ» أى قادر لا يتمكن أحد أن يمنعه من عذاب من يريد عذابه و أصل العزه الامتناع و منه أرض عزاز أى منيعه السلوك لصعوبتها و منه يقال من عز بز أى من غلب سلب لأن الغالب ممتنع عن الضيم فالله تعالى عزيز أى ممتنع من حيث أنه قادر لنفسه لا يعجزه شىء «ذُو انْتِقَامٍ» أى ذو قدره على الانتقام من الكفار لا يتهمياً لأحد منعه و الانتقام مجازاه المسمى ء على إساءته «إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ» لما ذكر سبحانه الوعيد على الإخلال بمعرفته مع نصب الأدله على توحيدده و صدق أنبيائه اقتضى أن يذكر أنه لا يخفى عليه شىء ء فيكون في ذلك تحذير من الاعتراض بالاستسرار بمعصيته لأن المجازى لا تخفى عليه خافيه فإن قيل لم قال «لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ» و لم يقل لا يخفى عليه شىء ء على وجه من الوجوه فيكون أشد مبالغه قلنا لأن الغرض أن يعلمنا أنه يعلم ما يستسر به في الأرض أو في السماء و الإفصاح بذكر ذلك أعظم في النفس و أهول في الصدر مع الدلاله على أنه عالم بكل شىء ء فإن قيل لم لم يقل أنه عالم بكل شىء ء في الأرض و السماء قلنا لأن الوصف بأنه لا يخفى عليه شىء ء يدل على أنه يعلمه من كل وجه يصح أن يعلم منه مع ما فيه من التصرف في العبارة وإنما لا- يخفى عليه شىء ء لأنه عالم لنفسه فيجب أن يعلم كل ما يصح أن يكون معلوما و ما يصح أن يكون معلوما لا نهايه له فلا يجوز أن يخفى عليه شىء ء بوجه من الوجوه.

سوره آل عمران (٣): آيه ٦

اشاره

هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦)

اللغه

التصوير جعل الشىء ء على صورده لم يكن عليها و الصوره هيئه يكون عليها الشىء ء في التأليف و أصلها من صاره يصوره إذا أماله لأنها مائله إلى هيئه بالشبه لها و الفرق

بين الصورة و الصيغه أن الصيغه عباره عما وضع فى اللغه ليدل على أمر من الأمور و ليس كذلك الصورة لأن دلالتها على جعل جاعل شيئا على بنيه و الأرحام جمع رحم و أصله الرحمه و ذلك لأنها مما يتراحم به و يتعاطف يقولون وصلتكم رحم و المشيئه هى الإراده.

الإعراب

كيف فى موضع نصب على المصدر تقديره أى نوع يشاء و جملة يشاء فى موضع الحال من يصور أى «يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ» أى يخلق صوركم فى الأرحام شائيا مريدا أى نوع أراده.

المعنى

«هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ» أى يخلق صوركم «فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ» على أى صوره شاء و على أى صفه شاء من ذكر أو أنثى أو صبيح أو دميم أو طويل أو قصير «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ» فى سلطانه «الْحَكِيمُ» فى أفعاله

و دلت الآيه على وحدانيه الله و كمال قدرته و تمام حكمته حيث صور الولد فى رحم الأم على هذه الصفه و ركب فيه من أنواع البدائع من غير آله و لا- كلفه و قد تقرر فى عقل كل عاقل إن العالم لو اجتمعوا على أن يخلقوا من الماء بعوضه و يصوروا منه صورهم فى حال ما يشاهدونه و يصرفونه لم يقدروا على ذلك و لا وجدوا إليه سبيلا فكيف يقدرون على الخلق فى الأرحام فتبارك الله أحسن الخالقين و هذا الاستدلال مروى عن جعفر بن محمد (عليه السلام).

سوره آل عمران (٣): آيه ٧

إشاره

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٧)

اللغه

المحكم مأخوذ من قولك أحكمت الشىء إذا ثقفته و أتقنته و أم الكتاب أصله و مكه أم القرى و يقال لعلم الجيش أم و أصله أمهه و لذلك يجمع على أمهات و قد يقال أمات أيضا و المتشابه الذى يشبه بعضه بعضا فيغمض أخذ من الشبه لأنه يشته به المراد و الزيف الميل و إزاعه إماله و التزايغ التمايل فى الأسنان و الابتغاء الطلب و الفتنة أصلها

الاختبار من قولهم فتنن الذهب بالنار أى اختبرته و قيل معناه خلصته و التأويل و التفسير و أصله المرجع و المصير من قولهم آل أمره إلى كذا يؤول أولاً إذا صار إليه و أولته تأويلاً إذا صيرته إليه قال الأعشى:

على أنها كانت تأول حبها

تأول ربعى السقاب فأصحابا

أى كان حبها صغيراً فآل إلى العظم كما آل السقب و هو الصغير من أولاد النوق إلى الكبر و الراسخون الثابتون يقال رسخ رسوخاً إذا ثبت فى موضعه و أرسخه غيره.

الإعراب

منه آياتٌ جملة من مبتدأٍ و خبر فى موضع النصب على الحال من أنزل و تقديره أنزل الكتاب محكماً و متشابهها «هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ» جملة فى موضع الرفع لكونها صفة لآيات و آخر عطف على آيات و هو صفة مبتدأٍ محذوف و تقديره و منه آياتٍ آخر و متشابهات صفة بعد صفة و آخر غير منصرف قال سيبويه أن آخر فارقت أخواتها و الأصل الذى عليه بناء أخواتها لأن آخر أصلها أن يكون صفة بالألف و اللام كما يقال الصغرى و الصغر فلما عدل عن مجرى الألف و اللام و أصل أفعل منك و هى مما لا تكون إلا- صفة منعت الصرف و قال الكسائى إنما لم تصرف لأنه صفة و هذا غلط لأن قولهم مال لبد و حطم منصرفان مع كونهما صفة و ابتغاء نصب لأنه مفعول له فى الموضعين و «كُلُّ مَنْ عِنْدِ رَبَّنَا» مبتدأ و خبر و هو اسم دال على المضاف إليه كثير فى الكلام حذف المضاف إليه منه عند البصريين و لا يجوزون إنا كلا فيها على الصفة و أجازه الكوفيون لأنه إنما حذف عندهم لدلالته عليه اسماً كان أو صفة و إنما بنى قبل على الغاية و لم بين كل و إن حذف من كل واحد منهما المضاف إليه لأن قبل ظرف يعرف و ينكر ففرق بين ذلك بالبناء الذى يدل على تعريفه بالمضاف إليه و الإعراب الذى يدل على تنكيره بالانفصال و ليس كذلك كل لأنه معرفه فى الأفراد دون نكره فأما ليس غير فمشبه بحسب لما فيه من معنى الأمر.

المعنى

لما تقدم بيان إنزال القرآن عقبه بيان كيفية إنزاله فقال «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ» يا محمد «الْكِتَابَ» أى القرآن «مِنْهُ» أى من الكتاب «آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ» أى أصل الكتاب «وَأُخْرٌ مُتَشَابِهَاتٌ» قيل فى المحكم و المتشابه أقوال (أحدها) أن المحكم ما علم المراد بظاهرة من غير قرينه تقترن إليه و لا- دلالة تدل على المراد به لوضوحه نحو قوله تعالى «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً» و «لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ»

و نحو ذلك مما لا يحتاج في معرفه المراد به إلى دليل و المتشابه ما لا يعلم المراد بظاهره حتى يقترن به ما يدل على المراد منه لالتباسه نحو قوله «وَ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ» فإنه يفارق قوله وَ أَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ لأن إضلال السامري قبيح و إضلال الله تعالى حسن و هذا معنى قول مجاهد المحكم ما لم تشبهه معانيه و المتشابه ما اشتبهت معانيه و إنما يقع الاشتباه في أمور الدين كالتوحيد و نفى التشبيه و الجور ألا- ترى أن قوله «ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ» يحتمل في اللغة أن يكون كاستواء الجالس على سريره و أن يكون بمعنى القهر و الاستيلاء و الوجه الأول لا- يجوز عليه سبحانه (و ثانيها) أن المحكم الناسخ و المتشابه المنسوخ عن ابن عباس (و ثالثها) إن المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهها واحدا و المتشابه ما يحتمل وجهين فصاعدا عن محمد بن جعفر بن الزبير و أبي علي الجبائي (و رابعها) إن المحكم ما لم تتكرر ألفاظه و المتشابه ما تكرر ألفاظه كقصه موسى و غير ذلك عن ابن زيد (و خامسها) إن المحكم ما يعلم تعيين تأويله و المتشابه ما لا يعلم تعيين تأويله كقيام الساعه عن جابر بن عبد الله و إنما وحد أم الكتاب و لم يقل هن أمهات الكتاب لوجهين (أحدهما) أنه على وجه الجواب كأنه قيل ما أم الكتاب فقال هن أم الكتاب كما يقال من نظير زيد فيقال نحن نظيره (و الثاني) إن الآيات بمجموعها أصل الكتاب و ليست كل آيه محكمه أم الكتاب و أصله لأنها جرت مجرى شىء واحد في البيان و الحكمه و مثله قوله «وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ» آيه و لم يقل آيتين لأن شأنهما واحد في أنها جاءت به من غير ذكر فلم تكن الآيه لها إلا- به و لا- له إلا- بها و لو أراد أن كل واحد منهما آيه على التفصيل لقال آيتين «فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ» أى ميل عن الحق و إنما يحصل الزيغ بشك أو جهل «فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ» أى يحتجون به على باطلهم «ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ» أى لطلب الضلال و الإضلال و إفساد الدين على الناس و قيل لطلب التلبس على ضعفاء الخلق عن مجاهد و قيل لطلب الشرف و المال كما سمي الله المال فتنه في مواضع من كتابه و قيل

المراد بالفتنه هاهنا الكفر و هو المروى عن أبي عبد الله

و قول الربيع و السدى «وَ ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ» و لطلب تأويله على خلاف الحق و قيل لطلب مده أكل محمد على حساب الجمل و ابتغاء معاقبه و يدل على ذلك قوله ذَلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا أى عاقبه و قول العرب تأول الشىء إذا انتهى و قال الزجاج معنى ابتغائهم تأويله أنهم طلبوا تأويل بعثهم و إحيائهم فأعلم الله أن ذلك لا يعلمه إلا الله و يدل على ذلك قوله هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ و اختلف في

الذين عنوا بهذا فقيل عنى به وفد نجران لما حاجوه فى أمر عيسى و سألوه فقالوا أ ليس هو كلمه الله و روحا منه فقال بلى فقالوا حسبنا فأنزل الله «فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ» يعنى أنهم قالوا أن الروح ما فيه بقاء البدن فأجروه على ظاهره و المسلمون يحملونه على أن بقاء البدن كان فى وقته به كما أن بقاء البدن بالروح و قد قامت الدلاله على أن القديم تعالى ليس بذى أجزاء و أعضاء و إنما يضاف الروح إليه تشريفا للروح كما يضاف البيت إليه ثم أنزل إنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ عن الربيع و قيل هم اليهود طلبوا علم أكل هذه الأمه و استخرجه بحساب الجمل عن الكلبي و قيل هم المنافقون عن ابن جريح و قيل بل كل من احتج بالمتشابه لباطله فالآيه فيه عامه كالحروريه و السبائيه عن قتاده «وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ» أى الثابتون فى العلم الضابطون له المتقنون فيه و اختلف فى نظمه و حكمه على قولين (أحدهما) أن الراسخون معطوف على الله بالواو على معنى أن تأويل المتشابه لا يعلمه إلا الله و إلا الراسخون فى العلم فإنهم يعلمونه «يَقُولُونَ» على هذا فى موضع النصب على الحال و تقديره قائلين «آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا» كقول ابن المفرغ الحميرى:

الريح تبكى شجوه

و البرق يلمع فى غمامه

أى و البرق يبكى أيضا لامعا فى غمامه و هذا قول ابن عباس و الربيع و محمد بن جعفر بن الزبير و اختيار أبى مسلم و هو

المروى عن أبى جعفر (عليه السلام) فإنه قال كان رسول الله أفضل الراسخين فى العلم قد علم جميع ما أنزل الله عليه من التأويل و التنزيل و ما كان الله لينزل عليه شيئا لم يعلمه تأويله و هو و أوصياؤه من بعده يعلمونه كله

و مما يؤيده هذا القول أن الصحابه و التابعين أجمعوا على تفسير جميع آى القرآن و لم نرهم توقفوا على شىء منه و لم يفسروه بأن قالوا هذا متشابه لا يعلمه إلا الله و كان ابن عباس يقول فى هذه الآيه أنا من الراسخين فى العلم و القول الآخر أن الواو فى قوله «وَ الرَّاسِخُونَ» او الاستئناف فعلى هذا القول يكون تأويل المتشابه لا يعلمه إلا الله تعالى و الوقف عند قوله «وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ» و يتدى «وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ» فيكون مبتدأ و خبرا و هذا قول عائشه و عروه بن الزبير و الحسن و مالك و اختيار الكسائي و الفراء و الجبائي و قالوا إن الراسخين لا يعلمون تأويله و لكنهم يؤمنون به فالآيه راجعه على هذا التأويل إلى العلم بمداه أكل هذه الأمه و وقت قيام الساعه و فناء الدنيا و وقت طلوع الشمس من مغربها و نزول

عيسى و خروج الدجال و نحو ذلك مما استأثر الله بعلمه و يكون التأويل على هذا القول بمعنى المتأول كقوله هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يعنى الموعود به و قوله «كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا» معناه المحكم و المتشابه جميعا من عند ربنا «وَمَا يَدَّبَّرُوا» أى و ما يتفكر فى آيات الله و لا- يرد المتشابه إلى المحكم «إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ» أى ذوو العقول فإن قيل لم أنزل الله تعالى فى القرآن المتشابه و هلا جعله كله محكما فالجواب أنه لو جعل جميعه محكما لا تكل الناس كلهم على الخير و استغنوا عن النظر و لكان لا- يتبين فضل العلماء على غيرهم و لكان لا- يحصل لهم ثواب النظر و إتعاب الخواطر فى استنباط المعانى و قال القاضى الماوردى قد وصف الله تعالى جميع القرآن بأنه محكم بقوله «الرَّكِيبُ أَحْكَمُ آيَاتِهِ» و وصف جميعه أيضا بأنه متشابه بقوله الله «نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا» فمعنى الأحكام الإتقان و المنع أى هو ممنوع بإتقانه و إحكام معانيه عن اعتراض خلل فيه فالقرآن كله محكم من هذا الوجه و قوله متشابه أى يشبه بعضه بعضا فى الحسن و الصدق و الثواب و البعد عن الخلل و التناقض فهو كله متشابه من هذا الوجه.

سوره آل عمران (٣): الآيات ٨ الى ٩

إشاره

رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَ هَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٩)

اللغه

الهبه تمليك الشىء من غير مئامنه و الهبه و النحله و الصله نظائر و فى لدن خمس لغات لدن و لدن بضم اللام و الدال و لدن بفتح اللام و الدال و لدن بفتح اللام و سكون الدال و كسر النون و لدن بحذف النون و الميعاد بمعنى الوعد كما إن الميقات بمعنى الوقت.

الإعراب

اللام فى قوله «لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ» معناه فى يوم و إنما جاز ذلك لما دخل الكلام من اللام فإن تقديره جامع الناس للجزاء فى يوم لا- ريب فيه فلما حذف لفظ الجزاء دخلت على ما يليه فأغنت عن فى لأن حروف الإضافه متواخيه لما يجمعها من معنى الإضافه و قد كان يجوز فتح أن فى قوله «إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ» على تقدير «جامع الناس ليومٍ لا ريب فيه» لأن الله لا يخلف الميعاد و لم يقرأ به.

«رَبَّنَا لَا تَرْغُ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا» هذه حكاية عن قول الراسخين في العلم الذين ذكرهم الله في الآية الأولى و ذكر في تأويله وجوه (أحدها) إن معناه لا تمنعنا لطفك الذى معه تستقيم القلوب فتميل قلوبنا عن الإيمان بعد إذ وفقتنا بألطفك حتى هديتنا إليك و هذا دعاء بالتثبيت على الهداية و الأمداد بالألطف و التوفيقات و يجرى مجرى قولهم اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا و المعنى لا تخل بيننا و بين من لا يرحمنا فيسلط علينا فكأنهم قالوا لا تخل بيننا و بين نفوسنا بمنعك التوفيق و الألفاظ عنا فنزيغ و نضل و إنما يمنع ذلك بسبب ما يكتسبه العبد من المعصية و يفرط فيه من التوبة كما قال فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ (و ثانيها) إن معناه لا تكلفنا من الشدائد ما يصعب علينا فعله و تركه فتزيغ قلوبنا بعد الهداية و نظيره فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا فَأَضَافُوا ما يقع من زيغ القلوب إليه سبحانه لأن ذلك يكون عند تشديده تعالى المحنة عليهم كما قال سبحانه فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (و ثالثها) ما قاله أبو على الجبائى إن المراد لا ترغ قلوبنا عن ثوابك و رحمتك و هو ما ذكره الله من الشرح و السعه بقوله يَشْرَحُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَ ذكر أن ضد هذا الشرح هو الضيق و الحرج اللذان يفعلان بالكفار عقوبه و من ذلك التطهير الذى يفعله فى قلوب المؤمنين و يمنع الكافرين كما قال تعالى أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ وَ من ذلك كتابته الإيمان فى قلوب المؤمنين كما قال أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَ ضد هذه الكتابة هى سمات الكفر التى فى قلوب الكافرين فكأنهم سألو الله أن لا يزيغ قلوبهم عن هذا الثواب إلى ضده من العقاب (و رابعها) أن الآية محمولة على الدعاء بأن لا يزيغ القلوب عن اليقين و الإيمان و لا يقتضى ذلك أنه تعالى سئل عما لو لا المسأله لجاز أن يفعله لأنه غير ممتنع أن يدعوه على سبيل الانقطاع إليه و الافتقار إلى ما عنده بأن يفعل ما نعلم أن يفعله و بأن لا يفعل ما نعلم أنه واجب أن لا يفعله إذا تعلق بذلك ضرب من المصلحه كما قال سبحانه «قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ» و قال «رَبَّنَا وَ آتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ» و قال حاكيا عن إبراهيم وَ لَا تَخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ فَإِنْ قِيلَ هَلَا جاز على هذا أن يقول (ربنا لا تظلمنا و لا تجر علينا) فالجواب إنما لم يجر ذلك لأن فيه تسخطا من السائل و إنما يستعمل ذلك فيمن جرت عادته بالجور و الظلم و ليس كذلك ما نحن فيه «وَ هَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً» أى من عندك لطفًا نتوصل به إلى الثبات على الإيمان إذ لا نتوصل إلى الثبات على الإيمان إلا بلطفك كما لا يتوصل إلى ابتدائه إلا بذلك و قيل نعمه «إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ» المعطى للنعمه الذى شأنه الهبه و العطيه «رَبَّنَا» أى و يقولون يا سيدنا و خالقنا «إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ»

للجزاء «لِيَوْمٍ» أى فى يوم «لا- رَبِّ فِيهِ» أى ليس فيه موضع ريب و شك لوضوحه و هذا يتضمن إقرارهم بالبعث «إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ» أى لا- يخلف الوعد و قيل هو متصل بما قبله من دعاء الراسخين فى العلم و إن خالف آخر الكلام أوله فى الخطاب و الغيبه فيكون مثل قوله حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ وَ تَقْدِيرَهُ فَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ لَا تَخْلَفُ مَا وَعَدْتَهُ وَ قيل أنه على الاستيناف و هو اختيار الجبائى فيكون إخبارا عن الله تعالى.

سوره آل عمران (٣): آيه ١٠

اشاره

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (١٠)

اللغه

الوقود الحطب و الوقود إيقاد النار.

المعنى

ثم بين تعالى حال الذين فى قلوبهم زيغ فقال «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا» بآيات الله و رسله «لَنْ تُغْنِيَ» أى لن تدفع «عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» قال أبو عبيده من هنا بمعنى عند و قال المبرد و هى على أصلها لا ابتداء الغايه و تقديره لن تغنى عنهم غنا ابتداء و انتهاء و قيل معناه من عذاب الله شيئا «وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ» أى حطب النار تتقد النار بأجسامهم كما قال فى موضع آخر حَصَبٌ جَهَنَّمَ.

سوره آل عمران (٣): آيه ١١

اشاره

كَذَّبَ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١١)

اللغه

الدأب العاده يقال دأب يدأب دأبا و دأبا إذا اعتاد الشىء و تمرن عليه و الدأب الاجتهاد يقال دأب فى كذا دأبا و دثوبا إذا اجتهد فيه و بالغ و نقل من هذا إلى العاده لأنه بالغ فيه حتى صار عاده له قال زهير:

لأرتحلن بالفجر ثم لأدثبن

إلى الليل إلا أن يعرجنى طفل

و الذنب و الجرم واحد يقال أذنب فهو مذنب و الذنب تلو الشىء يقال ذنبه يذنبه إذا تلاه و الذنوب الدلو لأنها تاليه للحبل فى الجذب و الذنوب النصيب لأنه كالدلو فى الأنعام و الذنوب الفرس الوافر شعر الذنب و أصل الباب التلو فالذنب الجرم لما يتلوه من استحقاق الذم كما أن العقاب سمى بذلك لأنه يستحق عقيب الذنب.

الإعراب

الكاف فى قوله «كَذَّبَ» متعلق بمحذوف و تقديره عادتهم كعاده آل فرعون فىكون الكاف فى موضع رفع بأنها خبر مبتدأ و لا يجوز أن يعمل فيها كفروا لأن صله الذين قد انقطعت بالخبر و لكن جاز أن يكون فى موضع نصب بوقود النار لأن فيه معنى الفعل على تقدير تنقد النار بأجسامهم كما تنقد بأجسام آل فرعون كذبوا جملة فى موضع الحال و العامل فيه المعنى فى دأب آل فرعون و قد مقدره معه.

المعنى

عاده هؤلاء الكفار فى التكذيب بك و بما أنزل إليك «كَذَّبَ آلِ فِرْعَوْنَ» أى كعاده آل فرعون فى التكذيب برسولهم و ما أنزل إليه عن ابن عباس و عكرمه و مجاهد و الضحاك و السدى و قيل معناه اجتهاد هؤلاء الكفار فى قهرك و إبطال أمرك كاجتهاد آل فرعون فى قهر موسى عن الأصم و الزجاج و قيل كعاده الله فى آل فرعون فى إنزال العذاب بهم بما سلف من إجرامهم و قيل كسنة آل فرعون عن الربيع و الكسائى و أبى عبيده و قيل كأمر آل فرعون و شأنهم عن الأخفش و قيل كحال آل فرعون عن قطرب «وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» يعنى كفار الأمم الماضيه «كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ» أى عاقبهم الله بذنوبهم و سمى المعاقبه مؤاخذه لأنها أخذ بالذنب فالأخذ بالذنب عقوبه «وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ» لمن يعاقبه.

سوره آل عمران (٣): آيه ١٢

إشارة

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَ تُخْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمِهَادُ (١٢)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم سيغلبون و يحشرون بالياء فيهما و الباقون بالتاء.

الحجج

من اختار التاء فلقوله قد كان لكم آية فأجرى الجميع على الخطاب و من اختار الياء فالتصريف فى الكلام و الانتقال من خطاب المواجهه إلى الخبر بلفظ الغائب و يؤيده قوله «قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ» «قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا» و قيل إن الخطاب لليهود و الضمير فى «سَتُغْلَبُونَ» للمشركين لأن اليهود أظهروا

السرور بما كان من المشركين يوم أحد فعلى هذا لا يكون إلا بالياء لأن المشركين غيب.

اللغة

الحشر الجمع مع سوق و منه يقال للنبي الحاشر لأنه يحشر الناس على قدميه كأنه يقدمهم و هم خلفه لأنه آخر الأنبياء فيحشر الناس في زمانه و ملته و جهنم اسم من أسماء النار و قيل أخذ من الجهنام و هى البئر البعيده القعر و المهاد القرار و هى الموضع الذى يتمهد فيه أى ينام فيه مثل الفراش.

النزول

روى محمد بن إسحاق بن يسار عن رجاله قال لما أصاب رسول الله قريشا ببدر و قدم المدينة جمع اليهود فى سوق قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر و أسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم و قد عرفتم أنى نبي مرسل تجدون ذلك فى كتابكم فقالوا يا محمد لا يغرنك أنك لقيت قوما أغمارا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصه أنا و الله لو قاتلناك لعرفت أنا نحن الناس فأنزل الله هذه الآية

و روى أيضا عن عكرمه و سعيد بن جبير عن ابن عباس و رواه أصحابنا أيضا و قيل نزلت فى مشركى مكه ستغلبون يوم بدر عن مقاتل و قيل بل نزلت فى اليهود لما قتل الكفار ببدر و هزموا قالت اليهود أنه النبى الأمى الذى بشرنا به موسى و نجده فى كتابنا بنعته و صفته و أنه لا- ترد له رايه ثم قال بعضهم لبعض لا- تعجلوا حتى تنظروا إلى وقعه أخرى فلما كان يوم أحد و نكب أصحاب رسول الله شكوا و قالوا لا و الله ما هو به فغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا و قد كان بينهم و بين رسول الله عهد إلى مده لم تنقض فنقضوا ذلك العهد قبل أجله و انطلق كعب بن الأشرف إلى مكه فى ستين راكبا فوافقوهم و أجمعوا أمرهم على رسول الله لتكونن كلمتنا واحده ثم رجعوا إلى المدينة فأنزل الله فيهم هذه الآية عن الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس.

المعنى

لما تقدم ذكر ما أصاب القرون الخاليه بالتكذيب للرسول من العذاب حذر هؤلاء من أن يحل بهم ما حل بأولئك فقال تعالى «قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا» إما مشركى مكه أو اليهود على ما تقدم ذكره «سَيُتَّعَلَّبُونَ» أى ستهزمون و تصيرون مغلوبين فى الدنيا «وَتُحْشَرُونَ» أى تجمعون «إلى جَهَنَّمَ» فى الآخرة و قد فعل الله ذلك فاليهود غلبوا بوضع الجزيه عليهم و المشركون غلبوا بالسيف و إذا قرئ سيغلبون بالياء فقد يمكن أن يكون المغلوبون و المحشورون من غير المخاطبين و أنهم قوم آخرون و يمكن أن يكونوا

إياهم قال الفراء يقال قل لعبد الله أنه قائم و أنك قائم و إذا قرئ بالتاء فلا يجوز أن يظن هذا فلا يكونون غير المخاطبين «وَبَشَّ الْمِهَادُ» أى بشس ما مهد لكم و بشس ما مهدتم لأنفسكم عن ابن عباس و قيل معناه بشس القرار عن الحسن و قيل بشس الفراش الممهد لهم و فى الآيه دلالة على صحه نبوه نبينا (صلى الله عليه و آله) لأن مخبره قد خرج على وفق خبره فدل ذلك على صدقه و لا- يكون ذلك على وجه الاتفاق لأنه بين أخبارا كثيره من الاستقبال فخرج الجميع كما قال فكما أن كل واحد منها كان معجزا إذ الله لا- يطلع على غيبه إلا- من ارتضى من رسول كذلك هذه الآيه و إذا ثبت صدقه على أحد الخبرين و هو أنهم سيغلبون ثبت صدقه فى الخبر الآخر و هو أنهم يحشرون إلى جهنم.

سوره آل عمران (٣): آيه ١٣

إشارة

قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتِي إِلَيْهِ فِي فِتْنَتِي إِلَيْهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ أُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَ اللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصِيرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ (١٣)

القراءة

قرأ أهل المدينة و البصرة عن أبى عمرو ترونهم بالتاء و الباقون بالياء و روى فى الشواذ عن ابن عباس يرونهم بضم الياء.

الحجج

قال أبو على (ره) من قرأ «يَرَوْنَهُمْ» بالياء فلا ين بعد الخطاب غيبه و هو قوله «فَتَهُ تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ أُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ» أى ترى الفئه المقاتله فى سبيل الله الفئه الكافره مثليهم و مما يؤكد الياء قوله «مِثْلَيْهِمْ» و لو كان على التاء لكان مثليكم و إن كان قد جاء و ما آتَيْتُمْ مَنْ زَكَاهِ تَرِيدُونَ وَجَهَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْغِفُونَ و رأيت هنا هى المتعديه إلى مفعول واحد و يدل على ذلك تقييده برأى العين و إذا كان كذلك كان انتصاب مثليهم على الحال لا على أنه مفعول ثان و أما مثل فقد يفرد فى موضع التشبيه و الجمع فمن الأفراد فى التشبيه قوله:

(و ساقيين مثل زبل و جعل)

و من إفراده على الجمع قوله إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ و من جمعه قوله ثُمَّ لَا- يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ و من قرأ ترونهم فللخطاب الذى قبله و هو قوله «قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ» ترونهم مثليهم فالضمير فى ترونهم للمسلمين و الضمير المنسوب للمشركين أى ترون أيها المسلمون المشركين مثلى المسلمين فأما قراءة ابن عباس يرونهم فوجهه ما قاله

ابن جنى أن أريت و أرى أقوى فى اليقين من رأيت تقول أرى أن سيكون كذا أى هذا غالب ظنى و أرى أن سيكون كذا أى أعلمه و أتحققه.

اللغة

قد ذكرنا معنى الفئه عند قوله كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً و الالتقاء و التلاقى و الاجتماع واحد و الأيد القوه و منه قوله تعالى «داوُدَ ذَا الْأَيْدِ» يقال أدته أيده أي قوته و أيده أيده أيده تأييدا بمعناه و العبره الآيه يقال اعتبرت بالشىء اعتبارا و عبره و العبور النفوذ من أحد الجانبين إلى الآخر و سميت الآيه عبره لأنه يعبر عنها من منزل العلم إلى منزل الجهل و المعتبر بالشىء تارك جهله و واصل إلى علمه بما رأى و العبارة الكلام يعبر بالمعنى إلى المخاطب و العبارة تفسير الرؤيا و التعبير وزن الدراهم و غيرها و العبره الدمعه و أصل الباب النفوذ.

الإعراب

قوله «فِئَةٌ» تحتمل ثلاثة أوجه من الإعراب الرفع على الاستئناف بتقدير منهم فئه كذا و أخرى كذا و الجر على البدل و النصب على الحال كقول كثير:

و كنت كذى رجلين رجل صحيحه

و رجل رمى فيها الزمان فشلت

أنشد بالرفع و الجر و قال ابن مفرغ:

و كنت كذى رجلين رجل صحيحه

و رجل رماها صائب الحدثان

فأما التى صحت فأزد شنوءه

و أما التى شلت فأزد عمان

و قال آخر:

إذا مت كان الناس صنفين شامت

و آخر مثن بالذى كنت أصنع

و لا يجوز أن يقول مررت بثلاثة صريع و جريح بالجر لأنه لم يستوف العده و يجوز بالرفع على تقدير منهم صريع و منهم جريح

فإن قلت مررت بثلاثه صريع و جريح و سليم جاز الرفع و الجر فإن زدت فيه اقتتلوا جاز الأوجه الثلاثه و القراءه بالرفع لا غير و قوله «رَأَى الْعَيْنِ» يجوز أن يكون مصدرا ليرى و العين فى موضع الرفع بأنه الفاعل و يجوز أن يكون ظرفا للمكان كما يقول ترونهم أمامكم.

النزول

نزلت الآية فى قصه بدر و كان المسلمون ثلاثمائه و ثلاثه عشر رجلا على

ص: ٢٢٤

عده أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر سبعة و سبعون رجلا من المهاجرين و مائتان و ستة و ثلاثون رجلا من الأنصار و كان صاحب لواء رسول الله (صلى الله عليه و آله) و المهاجرين على بن أبي طالب (عليه السلام) و صاحب رايه الأنصار سعد بن عباده و كانت الإبل فى جيش رسول الله (صلى الله عليه و آله) سبعين بعيرا و الخيل فرسين فرس للمقداد بن أسود و فرس لمرثد بن أبي مرثد و كان معهم من السلاح ستة أدرع و ثمانية سيوف و جميع من استشهد يومئذ أربعة عشر رجلا من المهاجرين و ثمانية من الأنصار و اختلف فى عده المشركين

فروى عن على (عليه السلام) و ابن مسعود أنهم كانوا ألفا

و عن قتاده و عروه بن الزبير و الربيع كانوا بين تسعمائة إلى ألف و كانت خيلهم مائة فرس و رأسهم عتبه بن ربيعة بن عبد شمس و كان حرب بدر أول مشهد شهده رسول الله (صلى الله عليه و آله) و كان سبب ذلك غير أبي سفيان.

المعنى

لما وعد سبحانه الظفر لأهل الإيمان بين ما فعله يوم بدر بأهل الكفر و الطغيان فقال «قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ» قيل الخطاب لليهود الذين نقضوا العهد أى كان لكم أيها اليهود دلاله ظاهره و قيل الخطاب للناس جميعا ممن حضر الوقعه و قيل للمشركين و اليهود آيه أى حجه و علامه و معجزه داله على صدق محمد (صلى الله عليه و آله) «فِي فِتْنَيْنِ اتَّقَتَا» أى فرقتين اجتمعتا ببدر من المسلمين و الكافرين «فِتْنَةٌ» فرقه «تُقَاتِلُ» تحارب «فِي سَبِيلِ اللَّهِ» فى دينه و طاعته و هم الرسول و أصحابه «وَ أُخْرَى» أى فرقه أخرى «كافِرَةٌ» و هم المشركون من أهل مكة «يَرَوْنَهُمْ مِثْلِيهِمْ» أى ضعفهم «رَأَى الْعَيْنِ» أى فى ظاهر العين و اختلف فى معناه فقيل معناه يرى المسلمون المشركين مثلى عدد أنفسهم قللهم الله فى أعينهم حتى رأوهم ستمائة و ستة و عشرين رجلا تقويه لقلوبهم و ذلك أن المسلمين قد قيل لهم فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ فَأَرَاهُمْ اللَّهُ عَدَدَهُمْ حسب ما حد لهم من العدد الذى يلزمهم أن يقدموا عليهم و لا يحجموا عنهم و قد كانوا ثلاثة أمثالهم ثم ظهر العدد القليل على العدد الكثير عن ابن مسعود و جماعه من العلماء و قيل أن الرؤيه للمشركين يعنى يرى المشركون المسلمين ضعفى ما هم عليه فإن الله تعالى قبل القتال قلل المسلمين فى أعينهم ليجترئوا عليهم و لا ينصرفوا فلما أخذوا فى القتال كثرهم فى أعينهم ليجنوا و قلل المشركين فى أعين المسلمين ليجترئوا عليهم و تصديق ذلك قوله تعالى «وَ إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّقَاتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَ يُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ» الآية و ذلك أحسن أسباب النصر للمؤمنين و الخذلان للكافرين و هذا قول السدى و إنما يتأتى هذا القول على قراءه من قرأ بالياء فأما قول من قرأ بالتاء فلا يحتمله إلا قول الأول على أن يكون الخطاب لليهود الذين لم يحضروا و هم المعنيون بقوله «قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ

وَتُحْشَرُونَ» و هم يهود بنى قينقاع فكأنه قال (ترون أيها اليهود المشركين مثلى المسلمين مع أن الله أظهرهم عليهم فلا تغتروا بكثر تكلم) و اختار البلخي هذا الوجه أو يكون الخطاب للمسلمين الذى حضروا الوقعه أى ترون أيها المسلمون المشركين مثلى المسلمين و قال الفراء يحتمل قوله «يَرَوْنَهُمْ مِثْلِيهِمْ» يعنى ثلاثه أمثالهم لأنك إذا قلت عندى ألف و أحتاج إلى مثلها فأنت تحتاج إلى ألفين لأنك تريد أحتاج إلى مثلها مضافا إليها لا بمعنى بدلا منها فكأنك قلت أحتاج إلى مثلها و إذا قلت أحتاج إلى مثلها فأنت تحتاج إلى ثلاثه آلاف فكذلك فى الآيه المعنى يرونهم مثليهم مضافا إليهم فذلك ثلاثه أمثالهم قال و المعجز فيه إنما كان من جهة غلبه القليل الكثير و أنكر هذا الوجه الزجاج لمخالفته لظاهر الكلام و ما جاء فى آيه الأنفال من تقليل الأعداد فإن قيل كيف يصح تقليل الأعداد مع حصول الرؤيه و ارتفاع الموانع و هل هذا إلا قول من جوز أن يكون عنده أجسام لا يدركها أو يدرك بعضها دون بعض قلنا يحتمل أن يكون التقليل فى أعين المؤمنين بأن يظنوهم قليلى العدد لا أنهم أدركوا بعضا دون بعض لأن العلم بما يدركه الإنسان جملة غير العلم بما يدركه مفصلا و لأننا قد ندرك جمعا عظيما بأسرهم و نشك فى أعدادهم حتى يقع الخلاف فى حرز عددهم فعلى هذا يكون الوجه تأويل تقليل الأعداد و قوله «وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ» النصر منه سبحانه على الأعداء يكون على ضربين نصر بالغلبه و نصر بالحجه فالنصر بالغلبه إنما كان بغلبه العدد القليل للعدد الكثير على خلاف مجرى العاده و بما أمدهم الله به من الملائكه و قوى به نفوسهم من تقليل العده و النصر بالحجه و هو وعده المتقدم بالغلبه لإحدى الطائفتين لا- محاله و هذا ما لا- يعلمه إلا- علام الغيوب «إِنَّ فِي ذَلِكَ» أى فى ظهور المسلمين مع قتلهم على المشركين مع كثرتهم و تقليل المشركين فى أعين المسلمين و تكثير المسلمين فى أعين المشركين «لَعِبْرَةٌ لِّأُولَى الْأَبْصَارِ» أى لذوى العقول كما يقال لفلان بصير بالأمر و لا يراد به الأبصار بالحواس الذى يشترك فيه سائر الحيوان.

سوره آل عمران (٣): آيه ١٤

إشارة

زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعَامِ وَ الْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤)

ص: ٢٢٦

الشهوات جمع شهوه و هي توقان النفس إلى المشتهى يقال اشتهى يشتهى شهوه و اشتهاه و الشهوه من فعل الله و لا يقدر عليها أحد من البشر و هي ضروريه فينا فإنه لا يمكننا دفعها عن نفوسنا و القناطير جمع قنطار و هو المال الكثير العظيم و أصله من الأحكام يقال قنطرت الشيء أحكمته و القنطر الداهيه و قيل أصله من القنطره و هو البناء المعقود للعبور و المقنطره المحصله من قناطير كقولهم دراهم مدرهمه أى مجعوله كذلك و دنانير مدره و قيل إنما ذكر المقنطره للتأكيد و قد يؤتى بالمفعول و الفاعل تأكيداً فالمفعول مثل قوله حَجْرًا مَحْجُورًا و نَسِيًا مَنَسِيًا و الفاعل كقولهم شعر شاعر و موت مائت و المراد بالجميع المبالغه و التأكيد و سميت الخيل خيلاً لا خيالها فى مشيها و الاختيار من التخيل لأنه يتخيل به صاحبه فى صورته من هو أعظم منه كبرا و المسومه من قولهم أسمت الماشيه و سومتها إذا رعتها و السيماء الحسن و السيمياء بمعناه قال الشاعر:

غلام رماه الله بالحسن يافعا

له سيمياء لا تشق على البصر

و السيمياء العلامه و هو أصل الباب و المآب المرجع من الأوب و هو الرجوع.

المعنى

ثم أنزل الله تعالى ما أخير به عن السبب الذى دعا الناس إلى العدول عن الحق و الهدى و الركون إلى الدنيا فقال «زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ» أى حب المشتهيات و لم يرد بها نفس الشهوه و لهذا فسرها بالنساء و البنين و غيرهما ثم اختلف فيمن زينها لهم فقيل الشيطان عن الحسن قال فو الله ما أجد أذم للدنيا ممن خلقها و قيل زينها الله تعالى لهم بما جعل فى الطباع من الميل إليها و بما خلق فيها من الزينه محنه و تشديدا للتكليف كما قال سبحانه إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا و قيل زين الله تعالى ما يحسن منه و زين الشيطان ما يقبح عن أبى على الجبائى ثم قدم سبحانه ذكر النساء فقال «مِنَ النَّسَاءِ» لأن الفتنه بهن أعظم و

قال النبى ص ما تركت بعدى فتنه أضر على الرجال من النساء و قال النساء جبايل الشيطان

و قال أمير المؤمنين (عليه السلام) المرأه شر كلها و شر ما فيها أنه لا بد منها و هي عقرب حلوه اللسع

ثم قال «وَ الْبَيْنِينَ» لأن جبههم يدعو إلى جمع الحرام

و قال النبى ص للأشعث بن قيس هل لك من ابنه حمزه من ولد قال نعم لى منها غلام و لوددت أن لى من جفنه من طعام أطعمها من معى من بنى جبله فقال لئن قلت ذاك إنهم لثمره القلوب و قره الأعين و إنهم مع ذلك لمجبنه مبخله محزنه

«وَ الْقَنَاطِيرِ» جمع قنطار و اختلف فى مقداره فقيل ألف و مائتا أوقيه عن معاذ بن جبل و أبى بن كعب و عبد الله بن عمر و قيل ألف و مائتا مثقال عن ابن عباس و الحسن و الضحاك و قيل ألف

دينار أو اثنا عشر ألف درهم عن الحسن بخلاف وقيل ثمانون ألفاً من الدراهم أو مائه رطل عن قتاده وقيل سبعون ألف دينار عن مجاهد و عطاء و قيل

هو ملء مسك ثور ذهباً عن أبي نضره و به قال الفراء و هو المروى عن أبي جعفر و أبي عبد الله

و «الْمُقَنْطَرَةُ» المضاعفة عن قتاده و قيل هي تسعة قناطير عن الفراء و قيل هي الأموال المنضد بعضها فوق بعض عن الضحاك و قيل الكاملة المجتمعه و قيل هي من الذهب و الفضة عن الزجاج و لا يصح قول من قال من الذهب خاصة لأن الله ذكر القنطار فيهما جميعاً و جميع الأقوال يرجع إلى الكثرة «وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ» قيل معناه الأفراس الراعيه عن سعيد بن جبير و ابن عباس و الحسن و الربيع و قيل هي الحسنه من السيمياء و هو الحسن عن مجاهد و عكرمه و السدى و قيل هي المعلمه عن قتاده و في روايه عن ابن عباس المعده للجهاد عن ابن زيد «وَ الْأَنْعَامِ» و هي جمع النعم و هي الإبل و البقر و الغنم من الضأن و المعز و لا يقال لجنس منها على الانفراد نعم إلا للإبل خاصة لأنها يغلب عليه جملة و تفصيلاً «وَ الْحَرْثِ» معناه الزرع هذه كلها محبيه إلى الناس كما ذكر الله تعالى ثم بين أن ذلك كله مما يتمتع به في الحياه ثم يزول عن صاحبه و المرجع إلى الله فأجدر بالإنسان أن يزهد فيه و يرغب فيما عند ربه فقال «ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» يعنى كل ما سبق ذكره مما يستمتع به في الحياه الدنيا ثم يفنى «وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ» يعنى حسن المرجع فالمآب مصدر سمي به موضع الإياب.

سورة آل عمران (٣): آيه ١٥

إشارة

قُلْ أَأَنْتُمْ خَيْرٌ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥)

القراءة

قرأ أبو بكر عن عاصم و رضوان بضم الراء كل القرآن و الباقر بكسر الراء.

الحجج

الرضوان مصدر فمن كسره جعله كالرثمان و الحرمان و من ضمه جعله كالرجحان و الشكران و الكفران.

منتهى الاستفهام فى «أَأُتْبِئُكُمْ» عند قوله «عِنْدَ رَبِّهِمْ» ثم استأنف «جَنَّاتٌ تَجْرِي» على تقدير الجواب كأنه قيل ما ذلك الخير قال هو جنات و قيل منتهى الاستفهام عند قوله «بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ» ثم ابتداء فقال «لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ» و يجوز فى العربيه فى بإعراب جنات الرفع و الجر فالجر على أن يكون آخر الكلام «عِنْدَ رَبِّهِمْ» و لا يجوز الجر على الوجه الآخر للفصل باللام كما لا يجوز أمرت لك بألفين و لأخيك مائتين حتى يقول بمائتين و لو قدمت فقلت و مائتين لأخيك لجاز و خالد بن نصب على الحال.

المعنى

لما صغر تعالى الدنيا و زهد فيها فى الآيه الأولى عظم الآخره و شرفها و رغب فيها فى هذه الآيه فقال «قُلْ» يا محمد لأمتك «أَأُتْبِئُكُمْ» أخبركم «بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ» بأنفع لكم مما سبق ذكره فى الآيه المتقدمه من شهوات الدنيا و لذاتها و زهراتها «لِلَّذِينَ اتَّقَوْا» ما حرم الله عليهم «عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» أى من تحت أشجارها الأنهار و على القول الآخر أخبركم بخير مما سبق «لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ» ثم ابتداء فقال «جَنَّاتٌ» أى ذلك الخير جنات تجرى من تحت أبنيتها الأنهار و بين الله بهذا أن أنهار الجنة جاريه أبدا ليست كأنهار الدنيا التى يجرى ماؤها تاره و ينقطع أخرى «خَالِدِينَ فِيهَا» أى مقيمين فى تلك الجنات «وَ أَزْوَاجٍ مُّطَهَّرَةٍ» من الحيض و النفاس و جميع الأقدار و الأدناس و الطبائع الذميمة و الأخلاق اللثيمة «وَ رِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ» و وراء هذه الجنات رضوان من الله «وَ اللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ» أى خبير بأفعالهم و أحوالهم.

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٦ الى ١٧

اشاره

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦) الصَّابِرِينَ وَ الصَّادِقِينَ وَ الْقَانِتِينَ وَ الْمُتَّقِينَ وَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ (١٧)

اللغه

المغفره هى الستر للذنوب برفع التبعه و الذنب و الجرم بمعنى واحد و الفرق بينهما أن أصل الذنب الاتباع فهو مما يتبع عليه العبد من قبيح عمله كالتبعه و الجرم أصله القطع فهو القبيح الذى ينقطع به عن الواجب و الفرق بين القول و الكلام أن القول فيه معنى الحكايه و ليس كذلك الكلام و الصابر الحابس نفسه عن جميع معاصى الله و المقيم على ما أوجب عليه من العبادات و الصادق المخبر بالشىء على ما هو به و القانت المطيع

و الأسحار جمع سحر و هو الوقت الذى قبل طلوع الفجر أصله الخفاء لخفاء الشخص فى ذلك الوقت و السحر منه أيضا لخفاء سببه و السحر الرئءه لخفاء موضعها.

الإعراب

يجوز فى موضع الذين الرفع و النصب و الجر للإتباع لِلَّذِينَ اتَّقَوْا و الرفع و النصب على المدح و كذلك باقى الصفات و يجوز أن يكون جرا على الصفه لِلَّذِينَ اتَّقَوْا.

المعنى

ثم وصف المتقين الذين سبق ذكرهم فى قوله لِلَّذِينَ اتَّقَوْا فقال «الَّذِينَ يَقُولُونَ» أى المتقين القائلين «رَبَّنَا إِنَّا آمَنَّا» أى صدقنا الله و رسوله «فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا» أى استرها علينا و تجاوزها عنا «وَقِنَا» أى و ادفع عنا «عَذَابَ النَّارِ» ثم وصفهم بصفات آخر و مدحهم و أثنى عليهم فقال «الصَّابِرِينَ» أى على فعل ما أمرهم الله به و ترك ما نهاهم عنه و إن شئت قلت الصابرين على الطاعه و عن المعصيه «وَالصَّادِقِينَ» فى إيمانهم و أقوالهم «وَالْقَانِتِينَ» قيل المطيعين عن قتاده و قيل الدائمين على الطاعه و العباده عن الزجاج و قيل القائمين بالواجبات عن القاضى «وَالْمُنْفِقِينَ» أموالهم فى سبيل الخير و يدخل فيه الزكاه المفروضه و التطوع بالإنفاق «وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِاللَّسْحَارِ»

المصلين وقت السحر عن قتاده و رواه الرضا عن أبيه (عليه السلام) عن أبي عبد الله (عليه السلام)

و قيل السائلين المغفره فى وقت السحر عن أنس و قيل المصلين صلاه الصبح فى جماعه عن زيد بن أسلم و قيل الذين ينتهى صلاتهم إلى وقت السحر ثم يستغفرونه و يدعون عن الحسن

و روى عن أبي عبد الله أن من استغفر الله سبعين مره فى وقت السحر فهو من أهل هذه الآيه

و روى أنس بن مالك عن النبى ص أنه قال إن الله عز و جل يقول إنى لأهم بأهل الأرض عذابا فإذا نظرت إلى عمار بيوتى و إلى المتهجدين و إلى المتحابين فى و إلى المستغفرين بالأسحار صرفته عنهم.

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٨ الى ١٩

إشاره

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلَائِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَ مَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩)

قرأ الكسائي أن الدين بفتح الألف و الباقون بالكسر قال الزجاج و روى عن ابن عباس قال إنه لا إله إلا هو بكسر الألف و القراءه «أنه» بالفتح.

الحجه

قال أبو على الوجه الكسر فى إن لأن الكلام الذى قبله قد تم و من فتح أن جعله بدلا و البدل و إن كان فى تقدير جملتين فإن العامل لما لم يظهر أشبه الصفه فإذا جعلته بدلا جاز أن تبدله من شيئين (أحدهما) من قوله «أنه لا إله إلا هو» فكان التقدير شهد الله أن الدين عند الله الإسلام فيكون البدل من الضرب الذى الشىء فيه هو هو و إن شئت جعلته من بدل الاشتمال لأن الإسلام يشتمل على التوحيد و العدل و إن شئت جعلته من القسط لأن الدين الذى هو الإسلام قسط و عدل فيكون من البدل الذى الشىء فيه هو هو و قال غيره إن الأولى و الثانية يجوز فى العرييه فتحهما جميعا و كسرهما جميعا و فتح الأولى و كسر الثانية و كسر الأولى و فتح الثانية فمن فتحهما أوقع الشهاده على أن الثانية و حذف الإضافه من الأولى و تقديره شهد الله أنه لا إله إلا هو أن الدين عند الله الإسلام و من كسرهما اعترض بالأولى على التعظيم لله تعالى به كما قيل لبيك إن الحمد و النعمه لك و كسر الثانية على الحكايه لأن معنى شهد معنى قال قال المؤرج شهد بمعنى قال فى لغه قيس عيلان و من فتح الأولى و كسر الثانية و هو الأجود و عليه أكثر القراء أوقع الشهاده على الأولى و استأنف الثانية و من كسر الأولى أو فتح الثانية اعترض بالأولى و أوقع الشهاده على الثانية.

اللغه

حقيقه الشهاده الإخبار بالشىء عن مشاهده أو ما يقوم مقام المشاهده و معنى الدين هاهنا الطاعه و أصله الجزاء و سميت الطاعه دينا لأنها للجزاء و منه الدين لأنه كالجزاء فى وجوب القضاء و الإسلام أصله السلم معناه دخل فى السلم و أصل السلم السلامه لأنها انقياد على السلامه و يصلح أن يكون أصله التسليم لأنه تسليم لأمر الله و التسليم من السلامه لأنه تأديه الشىء على السلامه من الفساد فالإسلام هو تأديه الطاعات على السلامه من الإدغال و الإسلام و الإيمان بمعنى واحد عندنا و عند المعتزله غير أن عندهم الواجبات من أفعال الجوارح من الإيمان و عندنا الإيمان من أفعال القلوب الواجبه و ليس من أفعال الجوارح و قد شرحناه فى أول البقره و الإسلام يفيد الانقياد لكل ما جاء به النبى ص من العبادات الشرعيه و الاستسلام به و ترك النكير عليه فإذا قلنا دين المؤمن هو الإيمان و هو الإسلام فالإسلام هو الإيمان و نظير ذلك قولنا الإنسان بشر و الإنسان حيوان على الصوره الإنسانيه فالحيوان على الصوره الإنسانيه بشر و الاختلاف ذهاب أحد النفسين إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر فهذا الاختلاف فى الأديان فأما الاختلاف فى الأجناس فهو امتناع

أحد الشئيين أن يسد مسد الآخر فيما يرجع إلى ذاته و البغى طلب الاستعلاء بالظلم و أصله من بغيت الحاجه إذا طلبتها.

الإعراب

قيل فى نصب قائما قولان (أحدهما) أنه حال من اسم الله تعالى مؤكده لأن الحال المؤكده يقع مع الأسماء فى غير الإشاره تقول أنه زيد معروفا و هو الحق مصدقا و شهد الله قائما بالقسط أى قائما بالعدل (و الثانى) أنه حال من هو من قوله «لا إله إلا هو» و بغيا نصب على وجهين (أحدهما) على أنه مفعول له و المعنى «وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» للبغى بينهم مثل حذر الشر و نحو ذلك و قيل أنه منصوب بما دل عليه و ما اختلف كأنه لما قيل «وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» دل على (و ما بغى الذين أوتوا الكتاب) فحمل بغيا عليه.

المعنى

لما قدم تعالى ذكر أرباب الدين أتبعه بذكر أوصاف الدين فقال «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» أى أخبر الله بما يقوم مقام الشهاده على وحدانيته من عجيب صنعته و بديع حكمته و قيل معنى شهد الله قضى الله عن أبى عبيده قال الزجاج و حقيقته علم الله و بين ذلك فإن الشاهد هو العالم الذى يبين ما علمه و منه شهد فلان عند القاضى أى بين ما علمه فالله تعالى قد دل على توحيدة بجميع ما خلق و بين أنه لا يقدر أحد أن ينشئ شيئا واحدا مما أنشأه «وَالْمَلَائِكَةُ» أى و شهدت الملائكه بما عاينت من عظيم قدرته «وَأُولُوا الْعِلْمِ» أى و شهد أولوا العلم بما ثبت عندهم و تبين من صنعه الذى لا يقدر عليه غيره و روى عن الحسن أن فى الآيه تقديمًا و تأخيرا و التقدير شهد الله أنه لا إله إلا هو «قَائِمًا بِالْقِسْطِ» و شهدت الملائكه أنه لا إله إلا هو قائما بالقسط و شهد أولوا العلم أنه «لا إله إلا هو» قائما بالقسط و القسط العدل الذى قامت به السماوات و الأرض و رواه أصحابنا أيضا فى التفسير و أولوا العلم هم علماء المؤمنين عن السدى و الكلبي و قيل معنى قوله «قَائِمًا بِالْقِسْطِ» أنه يقوم بإجراء الأمور و تدابير الخلق و جزاء الأعمال بالعدل كما يقال فلان قائم بالتدبير أى يجرى أفعاله على الاستقامه و إنما كرر قوله «لا إله إلا هو» لأنه بين بالأول أنه المستحق للتوحيد لا يستحقه سواه و بالثانى أنه القائم برزق الخلق و تدبيرهم بالعدل لا ظلم فى فعله «الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» من تفسيره و تضمنت الآيه الإبانة عن فضل العلم و العلماء لأنه تعالى قرن العلماء بالملائكه و شهادتهم بشهاده الملائكه و خصهم بالذكر كأنه لم يعتد بغيرهم و المراد بهذا العلم التوحيد و ما يتعلق به من علوم الدين لأن الشهاده وقعت عليه

و مما جاء فى فضل العلم و العلماء من الحديث

ما رواه جابر بن عبد الله عن النبى ص أنه قال ساعه من عالم يتكى على فراشه ينظر فى علمه خير من عباده العابد سبعين عاما.

و روى أنس بن مالك عنه ص قال تعلموا العلم فإن تعلمه لله حسنه و مدارسته تسبيح و البحث عنه جهاد و تعليمه من لا يعلمه صدقه و تذكره لأهله لأنه معالم الحلال و الحرام و منار سبيل الجنه و النار و الأنيس فى الوحشه و الصاحب فى الغربه و المحدث فى الخلوه و الدليل على السراء و الضراء و السلاح على الأعداء و القرب عند الغرباء يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قاده يقتدى بهم و يقتفى آثارهم و ينتهى إلى رأيهم و ترغب الملائكه فى خلتهم و بأجنتها تمسحهم و فى صلاتهم تستغفر لهم و كل رطب و يابس يستغفر لهم حتى حيطان البحار و هوامها و سباع الأرض و أنعامها و السماء و نجومها ألا و إن العلم حياه القلوب و نور الأبصار و قوه الأبدان يبلغ بالعبد منازل الأحرار و مجلس الملوك و الفكر فيه يعدل بالصيام و مدارسته بالقيام و به يعرف الحلال و الحرام و به توصل الأرحام و العلم إمام العمل و العمل تابعه يلهم السعداء و يحرم الأشقياء

و مما جاء فى فضل هذه الآيه

ما رواه أنس عن النبى ص قال من قرأ «شَهِدَ اللَّهُ» الآيه عند منامه خلق الله منها سبعين ألف خلق يستغفرون له إلى يوم القيامة

، الزبير بن العوام قال قلت لأدنون هذه العشييه من رسول الله ص و هى عشييه عرفه حتى أسمع ما يقوله فحبست ناقتى بين ناقه رسول الله و ناقه رجل كان إلى جنبه فسمعتة يقول «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» الآيه فما زال يرددتها حتى رفع.

غالب القطان قال أتيت الكوفه فى تجاره فنزلت قريبا من الأعمش فكنت أختلف إليه فلما كنت ذات ليله أردت أن انحدر إلى البصره قام من الليل يتهجى فمر بهذه الآيه «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» الآيه ثم قال الأعمش و أنا أشهد بما شهد الله به و استودع الله هذه الشهاده و هى لى عند الله وديعه «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» قالها مرارا قلت لقد سمع فيها شيئا فصليت معه و ودعته ثم قلت آيه سمعتك ترددها فما بلغك فيها؟ قال لا أحدثك بها إلى سنه فكتبت على بابه ذلك اليوم أقيمت سنه فلما مضت السنه قلت يا أبا محمد قد مضت السنه فقال

حدثنى أبو وائل عن عبد الله قال قال رسول الله ص يجاء بصاحبها يوم القيامة فتقول الله إن لعبدى هذا عهدا عندى و أنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدى هذا الجنه

و قال سعيد بن جبیر كان حول الكعبه ثلاثمائة و ستون صنما فلما نزلت «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» الآيه خررن سجدا و قوله «إِنَّ الدِّينَ» أى الطاعه «عِنْدَ اللَّهِ» هو «الإسلام» و قيل المراد بالإسلام التسليم لله و لأوليائه و هو التصديق

و روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) فى خطبه له أنه قال لأنسبن الإسلام نسبه لم ينسبها أحد قبلى الإسلام هو التسليم و التسليم هو اليقين

و اليقين هو التصديق و التصديق هو الإقرار و الإقرار هو الأداء و الأداء هو العمل رواه على بن إبراهيم فى تفسيره قال ثم قال إن المؤمن أخذ دينه عن ربه و لم يأخذه عن رأيه إن المؤمن يعرف إيمانه فى عمله و إن الكافر يعرف كفرانه بإنكاره أيها الناس دينكم دينكم فإن السيئه فيه خير من الحسنه فى غيره إن السيئه فيه تغفر و إن الحسنه فى غيره لا تقبل

«وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» معناه و ما اختلف اليهود و النصارى فى صدق نبوه محمد ص لما كانوا يجدونه فى كتبهم بنعته و صفته و وقت خروجه «إِلَّا مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ» بعد ما جاءهم للعلم ثم أخبر عن عله اختلافهم فقال «بَغْيًا بَيْنَهُمْ» أى حسدا و تقديره و ما اختلف الذين أوتوا الكتاب بغيا بينهم إلا من بعد ما جاءهم العلم و العلم المذكور يجوز أن يراد به البينات التى هى طرق العلم فيدخل فيه المبطلون من أهل الكتاب علموا أو لم يعلموا و يحتمل أن يراد به نفس العلم فلا يدخل فيه إلا من علم بصفه محمد ص و كتبه عنادا و قيل المراد بالذين أوتوا الكتاب اليهود و الكتاب التوراه لما عهد موسى (عليه السلام) إليهم و أقام فيهم يوشع بن نون و مضى ثلاثه قرون و اختلفوا عن الربيع و قيل المراد ب «الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» النصارى و الكتاب الإنجيل و اختلفوا فى أمر عيسى (عليه السلام) عن محمد بن جعفر بن الزبير و قيل خرج مخرج الجنس و معناه كتب الله المتقدمه و اختلفوا بعدها فى الدين عن الجبائى «وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ» أى بحججه و قيل بالتوراه و الإنجيل و ما فيهما من صفه محمد ص و قيل بالقرآن و ما دل عليه «فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ» أى لا يفوته شىء من أعمالهم و قيل معناه سريع الجزاء و حقيقه الحساب أن تأخذ ما لك و تعطى ما عليك.

سوره آل عمران (٣): آيه ٢٠

إشاره

فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٢٠)

القراءه

حذف عاصم و حمزه و الكسائى الياء من اتبعنى اجتزاء بالكسره و اتباعا للمصحف و أثبتها الباقون على الأصل.

الحجه

حذف الياء فى أواخر الآى أحسن لأنها تشبه القوافى و يجوز فى وسط الآى أيضا و أحسنها ما كان قبلها نون مثل قوله «وَمَنِ اتَّبَعَنِ» فإن لم يكن نون جاز أيضا نحو

قولك هذا غلام و ما أشبه ذلك و الأجود إثبات الباء و إن شئت أسكنت الباء و إن شئت فتحتها.

الإعراب

«وَمَنْ أَتَّبَعِنِ» فى محل الرفع عطفا على التاء فى قوله «أَسْلَمْتُ» و لم يؤكد الضمير فلم يقل أسلمت أنا و من اتبعن و لو قلت أسلمت و زيد لم يحسن إلا أن تقول أسلمت أنا و زيد و إنما جاز هنا لطول الكلام فصار طوله عوضا من تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل.

المعنى

لما قدم الله سبحانه ذكر الإيمان و الإسلام خاطب نبيه فقال «فَإِنْ حَاجُّوكَ» المعنى فإن حاجك و خاصك النصرارى و هم وفد نجران «فَقُلْ» يا محمد «أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ» و فيه وجهان (أحدهما) أن معناه انقذت لأمر الله فى إخلاص التوحيد له و الحجه فيه أنه ألزمهم على ما أقروا من أن الله خالقهم اتباع أمره فى أن لا يعبدوا إلا إياه (و الثانى) أن معناه عرضت عن كل معبود دون الله و أخلصت قصدى بالعباده إليه و ذكر الأصل الذى يلزم جميع المكلفين الإقرار به لأنه لا يتبعض فيما يحتاج إلى العمل عليه فى الدين الذى هو طريق النجاه من العذاب إلى النعيم و معنى وجهى هنا نفسى و أضاف الإسلام إلى الوجه لأن وجه الشىء أشرف ما فيه لأنه يجمع الحواس و عليه يظهر آيه الحزن و السرور فمن أسلم وجهه فقد أسلم كله و منه قوله كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ «وَمَنْ أَتَّبَعِنِ» أى و من اهتدى بى فى الدين من المسلمين فقد أسلموا أيضا كما أسلمت «وَقُلْ» يا محمد «لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» يعنى اليهود و النصرارى «وَالْمُؤْمِنِينَ» أى الذين لا- كتاب لهم عن ابن عباس و غيره و هم مشركو العرب و قد مر تفسير الأسمى و اشتقاقه عند قوله «مِنْهُمْ أُمَّيُونَ» «أَسْلَمْتُمْ» أى أخلصتم كما أخلصت لفظه لفظ الاستفهام و هو بمعنى التوقيف و التهديد فىكون متضمنا للأمر فىكون معناه أسلموا فإن الله تعالى أزاح العلل و أوضح السبل و نظيره فَهَلْ أَنْتُمْ مُتَّبِعُونَ أى انتهوا و هذا كما يقول الإنسان لغيره و قد وعظه بمواعظ أقبلت و عطى يدعوه إلى قبول الوعظ «فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا» إلى طريق الحق «وَإِنْ تَوَلَّوْا» أى كفروا و لم يقبلوا و أعرضوا عنه «فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ» معناه فإنما عليك أن تبلغ و تقيم الحجه و ليس عليك أن لا يتولوا «وَ اللَّهُ بِصِعَتِهِ بِالْعِبَادِ» معناه ها هنا أنه لا يفوته شىء من أعمالهم التى يجازيهم بها لأنه بصير بهم أى عالم بهم و بسرائرهم لا يخفى عليه خافيه و قيل معناه عالم بما يكون منك فى التبليغ و منهم فى الإيمان و الكفر.

سوره آل عمران (٣): الآيات ٢١ الى ٢٢

إشارة

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١)
أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٢)

قرأ حمزه يقاتلون بالألف و قيل إنما قرأها اتباعا لمصحف عبد الله بن مسعود لأن فيه و قاتلوا الذين يأمرون و الباقون «يَقْتُلُونَ» و هى القراءه الظاهره.

الإعراب

إنما دخلت الفاء فى قوله «فَبَشَّرَهُمْ» لشبهه الجزاء و إنما لم يجر ليت الذى يقوم فيكرمك و جاز أن الذى يقوم فيكرمك لأن الذى إنما دخلت الفاء فى خبرها لما فى الكلام من معنى الجزاء و ليت تبطل معنى الجزاء و ليس كذلك أن لأنها بمنزله الابتداء.

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر الاحتجاج على أهل الكتاب و حسن الوعد لهم أن أسلموا و شدة الوعيد إن أبوا فصل فى هذه الآيه كفرهم فقال «إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ» أى يجحدون حجج الله تعالى و بيناته «وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ» قيل هم اليهود

فقد روى عن أبى عبيده بن الجراح قال قلت يا رسول الله أى الناس أشد عذابا يوم القيامة فقال رجل قتل نبياً أو رجلاً أمر بمعروف أو نهى عن منكر ثم قرأ «وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ» ثم قال (عليه السلام) يا أبا عبيده قتلت بنو إسرائيل ثلاثه و أربعين نبياً من أول النهار فى ساعه واحده فقام مائه رجل و اثنا عشر رجلاً من عباد بنى إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف و نهوهم عن المنكر فقتلوا جميعاً من آخر النهار فى ذلك اليوم و هو الذى ذكره الله تعالى

«فَبَشَّرَهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» أى أخبرهم بأن لهم العذاب الأليم و إنما قال «فَبَشَّرَهُمْ» على طريق الاتباع و الاستعاره و البشاره تكون فى الخير دون الشر لأن ذلك لهم مكان البشاره للمؤمنين و لأنها مأخوذه من البشره و بشره الوجه تتغير بالسرور فى الخير و بالغم فى الشر و يقال كيف قال «فَبَشَّرَهُمْ» و إنما قتل الأنبياء أسلافهم بالجواب لأنهم رضوا بأفعالهم و اقتدوا بهم فأجملوا معهم و قيل معناه بشر هؤلاء بالعذاب الأليم لأسلافهم و قوله

«بِغَيْرِ حَقٍّ» لا يدل على أن في قتل النيبين ما هو حق بل المراد بذلك أن قتلهم لا يكون إلا بغير حق كقوله وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ وَ الْمَرَادُ بِذَلِكَ تَأْكِيدَ النَّفْيِ وَ الْمَبَالِغَةَ فِيهِ كَمَا يُقَالُ فَلَانَ لَا يَرْجَى خَيْرَهُ وَ الْغَرَضُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ لَا خَيْرَ عِنْدَهُ عَلَى وَجْهِ مِنَ الْوَجْهِ وَ كَمَا قَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ:

متفلق أنساؤها عن قاني

كالقرط صاو غيره لا يرضع

أى ليس له بقيه لبن فيرضع و على هذا فقد وصف القتل بما لا- بد أن يكون عليه من الصفه و هو وقوعه على خلاف الحق و كذلك الدعاء فى قوله تعالى «وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ» وصفه بأنه لا يكون إلا من غير برهان و قد استدل على بن عيسى بهذه الآيه على جواز إنكار المنكر مع خوف القتل و بالخبر الذى

رواه الحسن عن النبي ص أنه قال أفضل الجهاد كلمه حق عند سلطان جائر يقتل عليه

و هذا فيه نظر لأن من شرط حسن إنكار المنكر أن لا يكون فيه مفسده و متى أدى إلى القتل فقد انتفى عنه هذا الشرط فيكون قبيحا و الوجه فى الآيه و الأخبار التى جاءت فى معناها أن يغلب على الظن أن إنكار المنكر لا يؤدي إلى مفسده فيحسن ذلك بل يجب و إن تعقبه القتل لأنه ليس من شرطه أن يعلم ذلك بل يكفى فيه غلبه الظن «أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَ قَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ وَ الْأَمْرِينَ بِالْمَعْرُوفِ» «حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ» يريد بأعمالهم ما هم عليه من ادعائهم التمسك بالتوراه و إقامه شريعه موسى (عليه السلام) و أراد ببطانها فى الدنيا أنها لم تحقن دماءهم و أموالهم و لم ينالوا بها الثناء و المدح و فى الآخره أنهم لم يستحقوا بها مثوبه فصارت كأنها لم تكن لأن حبوط العمل عبارته عن وقوعه على خلاف الوجه الذى يستحق عليه الثواب و الأجر و المدح و حسن الذكر و إنما تحبط الطاعه حتى تصير كأنها لم تفعل إذا وقعت على خلاف الوجه المأمور به «وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ» يدفعون عنهم العذاب.

سوره آل عمران (٣): الآيات ٢٣ الى ٢٤

اشاره

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنْ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَ هُمْ مُعْرِضُونَ (٢٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَ عَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤)

ص: ٢٣٧

النصيب الحظ من الشئ ء و هو القسم المجعول لمن أضيف إليه و الدعاء استدعاء الفعل ثم قد يكون بصيغه الأمر و بالخبر و بالدلالة و الحكم و الخبر الذى يفصل الحق من الباطل مأخوذ من الحكمه و هى المنع و الغرور الأطماع فيما لا يصح غره يغره غرورا فهو مغرور و الغرور الشيطان لأنه يغر الناس و الغار الغافل لأنه كالمغتر و الغراره الدنيا تغر أهلها و الغر الغمر الذى لم يجرب الأمور و مصدره الغراره لأنه من شأنه أن يقبل الغرور و الغرر الخطر أخذ منه و الغر آثار طى الثوب اطوه على غره أى على آثار طيه و الغرزق الطائر فرخه و الافتراء الكذب و فرى فلان كذبا يفره فريه و الفرى الشق و فريه مفره أى مشقوقه و قد تفرى خرزها أى تشقق و فريت الأرض سرتها و قطعتها.

الإعراب

يدعون جملة فى موضع الحال من أوتوا «يَتَوَلَّى فَرِيْقٌ» جملة معطوفة على يدعون «وَهُمْ مُعْرِضُونَ» فى موضع نصب أيضا على الحال من يتولى أياما نصب على الظرف لأن مس النار يكون فى تلك الأيام و معدودات صفة الأيام.

المعنى

لما قدم تعالى ذكر الحجاج بين أنهم إذا عضتهم الحجة فروا إلى الضجة و أعرضوا عن المحجة فقال «أَلَمْ تَرَ» معناها ينته علمك «إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيْبًا» أى أعطوا نصيبا أى حظا «مِنَ الْكِتَابِ» يدعون إلى كتاب الله اختلف فيه فقيل معناه التوراه عن ابن عباس دعا إليها اليهود فأبوا لعلمهم بلزوم الحججه لهم لما فيه من الدلالات على نبوه محمد ص و صدقه و إنما قال أعطوا نصيبا من الكتاب لأنهم كانوا يعلمون بعض ما فيه و قيل معناه القرآن عن الحسن و قتاده دعوا إلى القرآن لأن ما فيه موافق لما فى التوراه من أصول الديانه و أركان الشريعة و فى الصفه التى تقدمت البشاره بها «لِيُحْكَمَ بَيْنَهُمْ» يحتمل ثلاثة أشياء (أحدها) أن معناه ليحكم بينهم فى نبوه محمد ص عن أبى مسلم و جماعه (و الثانى) أن معناه ليحكم بينهم فى أمر إبراهيم و أن دينه الإسلام (و الثالث) معناه ليحكم بينهم فى أمر الرجم

فقد روى عن ابن عباس أن رجلا- و امرأه من أهل خيبر زنيا و كانا ذوى شرف فيهم و كان فى كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما و رجوا أن يكون عند رسول الله

رخصه فى أمرهما فرفعوا أمرهما إلى رسول الله فحكم عليهما بالرجم فقال له النعمان بن أوفى و بحرى بن عمرو جرت عليهما يا محمد ليس عليهما الرجم فقال لهم رسول الله بينى و بينكم التوراه قالوا قد أنصفتنا قال فمن أعلمكم بالتوراه قالوا رجل أعور يسكن فذك يقال له ابن سوريا فأرسلوا إليه فقدم المدينة و كان جبرائيل قد وصفه لرسول الله فقال له رسول الله أنت ابن سوريا قال نعم قال أنت أعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال فدعا رسول الله بشىء من التوراه فيها الرجم مكتوب فقال له اقرأ فلما أتى على آيه الرجم وضع كفه عليها و قرأ ما بعدها فقال ابن سلام يا رسول الله قد جاوزها و قام إلى ابن سوريا و رفع كفه عنها ثم قرأ على رسول الله ص و على اليهود بأن المحصن و المحصنه إذا زنيا و قامت عليهما البيه رجما و إن كانت المرأه حبلى أنتظر بها حتى تضع ما فى بطنها فأمر رسول الله ص باليهوديين فرجما فغضب اليهود لذلك فأنزل الله تعالى هذه الآيه

«ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيْقٌ مِنْهُمْ» أى طائفه منهم عن الداعى «وَهُمْ مُعْرِضُونَ» عن اتباع الحق «ذَلِكَ» معناه شأنهم ذلك فهو خبر مبتدأ محذوف فالله تعالى بين العله فى إعراضهم عنه مع معرفتهم به و السبب الذى جرأهم على الجحد و الإنكار «بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ» أى لن تصيبنا النار «إِلَّا أَيَّاماً مَّعِيْدَاتٍ» و فيه قولان (أحدهما) أنها الأيام التى عبدوا فيها العجل و هى أربعون يوما عن الربيع و قتاده و الحسن إلا- أن الحسن قال سبعة أيام (و الثانى) أنهم أرادوا أياما منقطعه عن الجبائى «وَعَزَّوْهُمْ فِي دِينِهِمْ» أى أطمعهم فى غير مطمع «ما كانوا يفترون» أى افتراءهم و كذبهم و اختلفوا فى الافتراء الذى غرهم على قولين (أحدهما) قولهم نَحْنُ أُنْبَاءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ عَنْ قَتَادَةَ (و الآخر) قولهم «لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَّعِيْدَاتٍ» عن مجاهد و هذا لا يدل على خلاف ما نذهب إليه من جواز العفو و إخراج المعاقبين من أهل الصلاه من النار لأننا نقول أن عقاب من ثبت دوام ثوابه بإيمانه لا يكون إلا منقطعا و إن لم يحط علما بقدر عقابه و لا نقول أيام عقابه بعدد أيام عصيانه كما قالوا و بين القولين بون ظاهر.

سوره آل عمران (٣): آيه ٢٥

إشارة

فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٥)

اللغة

كيف موضوعه للسؤال عن الحال و معناه هاهنا التنبيه بصيغه السؤال على حال من يساق إلى النار و فيه بلاغه و اختصار شديد لأن تقديره أى حال يكون حال من اغتر

بالدعاوى الباطله حتى أداه ذلك إلى الخلود في النار و نظيره قول القائل (أنا أكرمك و إن لم تجىء فكيف إذا جئتني) معناه فكيف إكرامى لك إذا جئتني يريد عظم الإكرام و التقدير فكيف حالهم إذا جمعناهم أى فى وقت جمعهم لأنه خبر مبتدأ محذوف.

المعنى

ثم أكد سبحانه ما تقدم فقال «فَكَيْفَ» حالهم «إِذَا جَمَعْنَاهُمْ» أى وقت جمعهم و حشرهم «لِيَوْمٍ» أى لجزاء يوم «لَا رَيْبَ فِيهِ» لا شك فيه لمن نظر فى الأدله إذ ليس فيه موضع ريبه و شك و لو قال جمعناهم فى يوم لم يدل على الجزاء و اللام يدل على ذلك كما يقال جئته ليوم الخميس أى لما يكون فى يوم الخميس و لا يعطى جئته فى يوم الخميس هذا المعنى «وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ» فيه قولان (أحدهما) أن معناه و وفرت على كل نفس جزاء ما كسبت من ثواب أو عقاب (و الثانى) أعطيت ما كسبت أى اجتلبت بعملها من الثواب و العقاب كما يقال كسب فلان المال بالتجاره و الزراعه «وَهُمْ لَا يُظَلَّمُونَ» أى لا ينقصون عما استحقوه من الثواب و لا يزدون على ما استحقوه من العقاب.

سوره آل عمران (٣): الآيات ٢٦ الى ٢٧

اشاره

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَ تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ تُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَ تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ تُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ تَرزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧)

فضل الآيه

روى جعفر بن محمد (عليه السلام) عن أبيه عن آبائه عن النبي ص أنه قال لما أراد الله أن ينزل فاتحه الكتاب و آيه الكرسي و شَهِدَ اللَّهُ و «قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ» إلى قوله «بِغَيْرِ حِسَابٍ» تعلقن بالعرش و ليس بينهن و بين الله حجاب و قلن يا رب تهبطنا إلى دار الذنوب و إلى من يعصيك و نحن معلقات بالطهور و بالعرش فقال و عزتى و جلالى ما من عبد قرأكن فى دبر كل صلاه مكتوبه إلا أسكنته حظيره القدس على ما كان فيه و إلا نظرت إليه بعينى المكنونه فى كل يوم سبعين نظره و إلا قضيت له فى كل يوم سبعين حاجه أدناها

المغفرة و إلا أعدته من كل عدو و نصرته عليه و لا يمنعه دخول الجنة إلا أن يموت

و قال معاذ بن جبل احتبست عن رسول الله يوما لم أصل معه الجمعة فقال يا معاذ ما يمنعك عن صلاة الجمعة قلت يا رسول الله كان ليوحنا اليهودى على أوقيه من تبر و كان على أبى يرصدنى فأشفقت أن يجسنى دونك قال أ تحب يا معاذ أن يقضى الله دينك قلت نعم يا رسول الله قال «قُلِ اللَّهُمَّ مَا لِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكُ مَنْ تَشَاءُ» إلى قوله «بِغَيْرِ حِسَابٍ» يا رحمان الدنيا و رحيمها تعطى منهما ما تشاء و تمنع منهما ما تشاء اقض عنى دينى فإن كان عليك ملء الأرض ذهبا لأداه الله عنك.

القرءه

قرأ نافع و حمزه و الكسائى و حفص و يعقوب «الْمَيْتِ» بالتشديد و الباقون بالتخفيف.

الحجه

قال المبرد لا خلاف بين علماء البصره أنهما سواء و أنشد لابن رعاء الغسانى:

ليس من مات فاستراح بميت

إنما الميت ميت الأحياء

إنما الميت من يعيش كئيبا

كاسفا باله قليل الرجاء

فجمع بين اللغتين و ما مات و ما لم يميت فى هذا الباب يستويان فى الاستعمال و قال بعضهم الميت بالتشديد الذى لم يميت بعد و بالتخفيف الذى قد مات و الصحيح الأول ألا ترى أنه قل ما جاء:

و منهل فيه الغراب ميت

سقيت منه القوم و استقيت

فهذا قد مات.

اللغه

النزع قلع الشىء عن الشىء يقال نزع فلان إلى أخواله أى نزع إليهم بالشبه فصار واحدا منهم بشبهه لهم و النزاع الحنين إلى الشىء و النزوع عن الشىء الترك له الإيلاج الإدخال يقال أولجه فولج ولوجا و ولجا ولجه و الوليجه بطانه الرجل لأنه يطلعه على دخله أمره و التولج كناس الطبى لأنه يدخله و الولج و الولجه شىء يكون بين يدي فناء القوم.

اللهم بمعنى يا الله و الميم المشدده عند سيويه و الخليل عوض عن يا لأن يا لا يوجد مع الميم فى كلامهم فعلم أن الميم فى
آخر الكلمه بمنزله يا فى أولها

و الضمه التي في أولها ضمه الاسم المنادى المفرد و الميم مفتوحه لسكونها و سكون الميم التي قبلها و قال الفراء أصله يا الله أم بخير فألقت الهمزه و طرحت حركتها على ما قبلها و مثله هلم إنما أصله هل أم و اعترض على قول الخليل بأن الميم إنما تزداد مخففة في مثل فم و ابنم و بأنها اجتمعت مع يا في قول الشاعر:

و ما عليك أن تقولى كلما

سبحت أو صليت يا اللهم

اردد علينا شيخنا مسلما

و قال علي بن عيسى هذا ليس بشيء لأن الميم هاهنا عوض من حرفين فشددت كما قيل قمتن و ضربتن لما كانت النون عوضا من حرفين في قمتن أو ضربتموا فأما قمن و ذهبن فالنون هناك عوض عن حرف واحد و أما البيت فإنما جاز ذلك فيه لضروره الشعر و أما هلم فإن الأصل فيه أن حرف التنبيه و هي ها دخلت على لم عند الخليل و قوله «مَالِكُ الْمُلْكِ» أكثر النحويين على أنه منصوب بأنه منادى مضاف قال الزجاج و يحتمل أن يكون صفه من اللهم لأن اللهم بمنزله يا الله فيكون مثل قولك يا زيد ذا الجمه «تُوتِي الْمُلْكَ» فعل و فاعل و مفعول في موضع النصب على الحال و العامل فيه حرف النداء و ذو الحال اللهم أو مالك و «مَنْ تَشَاءُ» مفعول ثان و التقدير توتى الملك من تشاء أن توتيه و تنزع الملك ممن تشاء أن تنزعه منه و كذا الباء في «بِيَدِكَ الْخَيْرُ» مبتدأ و خبر في موضع الحال أيضا و العامل فيه توتى و تنزع و تعز و تذو و ذو الحال الضمير المستكن فيها.

النزول

قيل لما فتح رسول الله ص مكة و وعد أمته ملك فارس و الروم قال المنافقون و اليهود هيهات من أين لمحمد ص ملك فارس و الروم ألم يكفه المدينة و مكة حتى طمع في الروم و فارس و نزلت هذه الآية عن ابن عباس و أنس بن مالك و قيل أن النبي ص خط الخندق عام الأحزاب و قطع لكل عشره أربعين ذراعا فاحتج المهاجرون و الأنصار في سلمان الفارسي و كان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا و قال الأنصار سلمان منا

فقال النبي ص سلمان منا أهل البيت

قال عمرو بن عوف كنت أنا و سلمان و حذيفه و نعمان بن مقرن المزني و سته من الأنصار في أربعين ذراعا فحفرنا حتى إذا كنا بجب ذى ناب أخرج الله من بطن الخندق صخره مروه كسرت حديدنا و شقت علينا فقلنا يا سلمان أرق إلى رسول الله ص و أخبره خبر هذه الصخره فأما أن نعدل عنها فإن المعدل قريب و أما أن يأمرنا فيه بأمره فإننا لا نحب أن نجاوز خطه قال فرقي سلمان إلى رسول الله و هو ضارب عليه قبه تركيه فقال يا رسول الله خرجت صخره بيضاء مروه من بطن الخندق

فكسرت حديدنا و شقت علينا حتى ما يحتك فيها قليل و لا كثير فمرنا فيها بأمرك فإننا لا نحب أن نجاوز خطك قال فهبط رسول الله ص مع سلمان الخندق و التسعه على شفه الخندق فأخذ رسول الله ص المعول من يد سلمان فضربها به ضربه صدعها و برق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتى كان لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله ص تكبيره فتح و كبر المسلمون ثم ضربها رسول الله الثانيه فكسرها و برق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتى لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله تكبير فتح و كبر المسلمون و أخذ بيد سلمان و رقى فقال سلمان بأبي أنت و أمي يا رسول الله لقد رأيت شيئا ما رأيت منك قط فالتفت رسول الله ص إلى القوم و قال رأيتم ما يقول سلمان قالوا نعم يا رسول الله قال ضربت ضربتي الأولى فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحيره و مدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبرائيل أن أمتي ظاهره عليها ثم ضربت ضربتي الثانيه فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب و أخبرني جبرائيل أن أمتي ظاهره عليها ثم ضربت ضربتي الثالثه فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب و أخبرني جبرائيل أن أمتي ظاهره عليها فأبشروا فاستبشر المسلمون و قالوا الحمد لله موعده صدق وعدنا النصر بعد الحصر

فقال المنافقون ألا تعجبون يمينكم و بعدكم الباطل و يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيره و مدائن كسرى و أنها تفتح لكم و أنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق و لا تستطيعون أن تبرزوا فنزل القرآن و إِذ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا و أنزل الله في هذه القصة «قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ» الآية رواه الثعلبي بإسناده عن عمرو بن عوف.

المعنى

لما ذكر سبحانه مكائد أهل الكتاب علم رسوله محاجتهم و كيف يجيبهم إذا سألوا و أجابوا فقال «قُلِ» يا محمد «اللَّهُمَّ» يا الله «مَالِكِ الْمُلْكِ» مالك كل ملك و ملك فكل مالك دونك هالك و كل ملك دونك يهلك و قيل مالك العباد و ما ملكوا عن الزجاج و قيل مالك أمر الدنيا و الآخرة و قيل مالك النبوه عن مجاهد و سعيد بن جبیر «تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ» تعطى الملك من تشاء و فيه محذوف أى من تشاء أن تؤتیه «وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ» أن تنزعه منه كما تقول خذ ما شئت و دع ما شئت و معناه و تقطع الملك عن من تشاء أن تقطعه عنه على ما توجه الحكمة و تقتضيه المصلحه و اختلف في معناه فقيل

تؤتى الملك و أسباب الدنيا محمدا و أصحابه و أمته و تنزعه عن صنديد قريش و من الروم و فارس فلا- تقوم الساعه حتى يفتحها أهل الإسلام عن الكلبي و قيل تؤتى النبوه و الإمامه من تشاء من عبادك و توليه التصرف فى خلقك و بلادك و تنزع الملك على هذا الوجه من الجبارين بقهرهم و إزاله أيديهم فإن الكافر و الفاسق و إن غلب أو ملك فليس ذلك بملك يؤتیه الله لقوله تعالى «لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» و كيف يكون ذلك من إيتاء الله و قد أمر بقصر يده عنه و إزاله ملكه «و تُعْزُ مَنْ تَشَاءُ» بالإيمان و الطاعه «و تَذِلُّ مَنْ تَشَاءُ» بالكفر و المعاصى و قيل تعز المؤمن بتعظيمه و الثناء عليه و تذلل الكافر بالجزيه و السبى و قيل تعز محمدا و أصحابه و تذلل أبا جهل و إضرابه من المقتولين يوم بدر فى القلب و قيل تعز من تشاء من أوليائك بأنواع العزه فى الدنيا و الدين و تذلل من تشاء من أعدائك فى الدنيا و الآخره لأن الله تعالى لا يذل أوليائه و إن أفقرهم و ابتلاهم فإن ذلك ليس على سبيل الإذلال بل ليكرمهم بذلك فى الآخره يعزهم و يجعلهم غايه الإعزاز و الإجلال «بِيَدِكَ الْخَيْرُ» اللام للجنس أى الخير كله فى الدنيا و الآخره من قبلك و إنما قال «بِيَدِكَ الْخَيْرُ» و إن كان بيده كل شىء من الخير و الشر لأن الآيه تضمنت إيجاب الرغبه إليه فلا يحسن فى هذه الحاله إلا ذكر الخير لأن الترغيب لا يكون إلا فى الخير و هذا كما يقال أمر فلان بيد فلان «إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» أى قادر على جميع الأشياء لا يعجزك شىء تقدر على إيجاد المعدوم و إفناء الموجود و إعادته ما كان موجودا «تُورِثُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَ تُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ» قيل فى معناه قولان (أحدهما) أن معناه ينقص من الليل فيجعل ذلك النقصان زياده فى النهار و ينقص من النهار فيجعل ذلك النقصان زياده فى الليل على قدر طول النهار و قصره عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و عامه المفسرين (و الآخر) معناه يدخل أحدهما فى الآخره بإتيانه بدلا منه فى مكانه عن أبى على الجبائى «و تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ» أى من النطفه و هى ميتة بدليل قوله «و كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ» «و تُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ» أى النطفه من الحى و كذلك الدجاجه من البيضة و البيضة من الدجاجه عن ابن عباس و ابن مسعود و مجاهد و قتاده و السدى و قيل

أن معناه تخرج المؤمن من الكافر و الكافر من المؤمن عن الحسن و روى ذلك عن أبى جعفر (عليه السلام) و أبى عبد الله (عليه السلام)

«و تَزُوقُ مَنْ تَشَاءُ بغير حساب» معناه بغير تقدير كما يقال فلان ينفق بغير حساب لأن من عادته المقتر أن لا ينفق إلا بحساب ذكره الزجاج و قيل معناه بغير مخافه نقصان لما عنده فإنه لا نهايه لمقدوراته فما يؤخذ منها لا ينقصها و لا هو على حساب جزء من كذا كما يعطى الواحد منا العشره من المائه و المائه من الألف و قيل أن المراد بمن يشاء أن يرزقه،

أهل الجنة لأنه يرزقهم رزقا لا يتناوله الحساب و لا العد و لا الإحصاء من حيث أنه لا نهايه له و يطابقه قوله فَأَوْلِيكَ يَدْخُلُونَ
الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ.

سوره آل عمران (٣): آيه ٢٨

اشاره

لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاهُ وَ يُحَذِّرُكُمْ
اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٢٨)

القراءه

قرأ يعقوب و سهل تقيه و هو قراءه الحسن و مجاهد و الباقون «تُقَاهُ» و أمال الكسائي تقاه و قرأ نافع و حمزه بين التفخيم و الإماله
و الباقون بالتفخيم.

الحجه

الأجود فى تقاه التفخيم من أجل الحرف المستعلى و هو القاف و إنما جازت الإماله لتؤذن أن الألف منقلبه من الياء و تقاه وزنها
فعله نحو توده و تخمه فهما جميعا مصدرا اتقى تقيه و تقاه و اتقاء و تقوى و أصله وقاء إلا أن الواو المضمومه أبدلت تاء استثقالا
لها فإنهم يفرون من ضمه الواو إلى الهمزه و إلى التاء فأما التاء فلقربها من الواو مع أنها من حروف الزيادات و أما الهمزه فلأنها
نظيرتها فى الطرف الآخر من مخارج الحروف مع حسن زيادتها أولا- و التقيه الإظهار باللسان خلاف ما ينطوى عليه القلب
للخوف على النفس.

الإعراب

معنى من ابتداء الغايه من قوله «مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ» على تقدير لا- تجعلوا ابتداء الولايه مكانا دون المؤمنين لأن مكان المؤمن
الأعلى و مكان الكافر الأدنى كما تقول زيد دونك و لست تريد أن زيدا فى موضع مستقل أو أنه فى موضع مرتفع لكن جعلت
الشرف بمنزله الارتفاع و الخسه كالاستفال و قوله «فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ» من فى «مِنَ اللَّهِ» يتعلق بمحذوف و هو حال و
العامل فيه ما يتعلق به فى و تقديره فليس فى شىء من الله فمن الله فى موضع الصفه لشىء فلما تقدمه انتصب على الحال و قوله
«أَنْ تَتَّقُوا» فى محل الجر بباء محذوف أو فى محل نصب بحذف الباء على ما مر أمثاله.

المعنى

لما بين سبحانه أنه مالك الدنيا و الآخره و القادر على الإعزاز و الإذلال نهى المؤمنين عن موالاته من لا إعزاز عندهم و لا إذلال
من أعدائه ليكون الرغبه فيما عنده

و عند أوليائه المؤمنين دون أعدائه الكافرين فقال «لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ» أى لا ينبغي للمؤمنين أن يتخذوا الكافرين أولياء لنفوسهم و أن يستعينوا بهم و يلتجئوا إليهم و يظهروا المحبه لهم كما قال فى عده مواضع من القرآن نحو قوله «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» الآية و قوله «لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصَارَى أَوْلِيَاءَ وَ لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَ عَدُوِّكُمْ أَوْلِيَاءَ» و قوله «مَنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ» معناه يجب أن يكون الموالاته مع المؤمنين و هذا نهى عن موالاته الكفار و معاونتهم على المؤمنين و قيل نهى عن ملاطفه الكفار عن ابن عباس و الأولياء جمع الولي و هو الذى يلى أمر من ارتضى فعله بالمعونه و النصره و يجرى على وجهين (أحدهما) المعين بالنصره (و الآخر) المعان فقوله تعالى «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا» معناه معينهم بنصرته و يقال المؤمن ولي الله أى معان بنصرته و قوله «وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ» معناه من اتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين «فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ» أى ليس هو من أولياء الله و الله برىء منه و قيل ليس هو من ولايه الله تعالى فى شىء و قيل ليس من دين الله فى شىء ثم استثنى فقال «إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاءً» و المعنى إلا- أن يكون الكفار غالبين و المؤمنون مغلوبين فيخافهم المؤمن إن لم يظهر موافقتهم و لم يحسن العشره معهم فعند ذلك يجوز له إظهار مودتهم بلسانه و مداراتهم تقيه منه و دفعا عن نفسه من غير أن يعتقد ذلك و فى هذه الآيه دلالة على أن التقيه جائزه فى الدين عند الخوف على النفس و قال أصحابنا إنها جائزه فى الأحوال كلها عند الضروره و ربما وجبت فيها لضرب من اللطف و الاستصلاح و ليس تجوز من الأفعال فى قتل المؤمن و لأن يعلم أو يغلب على الظن أنه استفساد فى الدين قال المفيد أنها قد تجب أحيانا و تكون فرضا و يجوز أحيانا من غير وجوب و تكون فى وقت أفضل من تركها و قد يكون تركها أفضل و إن كان فاعلها معذورا و معفوا عنه متفضلا عليه بترك اللوم عليها و قال الشيخ أبو جعفر الطوسى (قده) ظاهر الروايات تدل على أنها واجبه عند الخوف على النفس و قد روى رخصه فى جواز الإفصاح بالحق عنده

و روى الحسن أن مسيلمه الكذاب أخذ رجلين من أصحاب رسول الله ص فقال لأحدهما أ تشهد أن محمدا رسول الله قال نعم قال أ فتشهد أنى رسول الله فقال نعم ثم دعا بالآخر فقال أ تشهد أن محمدا رسول الله قال نعم ثم قال أ فتشهد أنى رسول الله فقال إنى أصم قالها ثلاثا كل ذلك يجيبه بمثل الأول فضرب عنقه فبلغ ذلك رسول الله فقال أما ذلك المقتول فمضى على صدقه و يقينه و أخذ بفضله فهيننا له و أما الآخر فقبل رخصه الله فلا تبعه عليه

فعلى هذا تكون التقيه رخصه و الإفصاح بالحق فضيله و قوله «وَ يُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ» يعنى إياه فوضع نفسه مكان إياه و معناه و يحذركم

الله عقابه على اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين و على سائر المعاصى و ذكر "نَفْسَهُ" لتحقيق الإضافة كما يقال احذر الأسد أى صولته و افتراسه دون عينه «وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ» معناه و إلى جزاء الله المرجع و قيل إلى حكمه.

سوره آل عمران (٣): آيه ٢٩

إشارة

قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعَلِّمَهُ اللَّهُ وَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٩)

اللغة

الصدر معروف و هو أعلى مقدم كل شىء و الصدر الانصراف عن الماء بعد الرى و التصدير حسام الرجل لميله إلى الصدر و الصدار شبيهه بالبقيره تلبسها المرأه لأنه قصير يغطى الصدر و ما حاذاه.

الإعراب

«يُعَلِّمُهُ اللَّهُ» جزم لأنه جواب الشرط و إن كان الله يعلمه كان أو لم يكن و معناه يعلمه كائنا و لا يصح وصفه بذلك قبل أن يكون و رفع «وَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ» على الاستئناف.

المعنى

لما تقدم النهى عن اتخاذ الكفار أولياء خوفها من الإبطان بخلاف الإظهار فيما نهوا عنه فقال سبحانه «قُلْ» يا محمد «إِنْ تُخْفُوا» أى إن تستروا «مَا فِي صُدُورِكُمْ» يعنى ما فى قلوبكم و إنما ذكر الصدر لأنه محل القلب «أَوْ تُبْدُوهُ» أى تظهروه «يُعَلِّمُهُ اللَّهُ» فلا ينفعكم إخفاؤه و هو مع ذلك «يُعَلِّمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ» و إنما قال ذلك ليذكر بمعلوماته على التفصيل فيتم التحذير إذ كان من يعلم ما فى السماوات و ما فى الأرض على التفصيل يعلم الضمير «وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» فيقدر على أخذكم و مجازاتكم.

سوره آل عمران (٣): آيه ٣٠

إشارة

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحَضَّرًا وَ مَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَ بَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَ يُحِذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ اللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ (٣٠)

الأمد الغايه التي ينتهى إليها قال النابغه:

إلا لمثلك أو من أنت سابقه

سبق الجواد إذا استولى على الأمد

. الإعراب

فى انتصاب يوم وجوه (أحدها) أنه منصوب بيحذركم أى يحذركم الله نفسه يوم تجد (و الثانى) بالمصير تقديره إلى الله المصير يوم تجد (و الثالث) اذكر يوم تجد وقوله «ما عَمِلْتُ» ما هاهنا بمعنى الذى لأنه عمل فيه تجد فهى فى موضع نصب و يحتمل أن يكون مع ما بعدها بمعنى المصدر و تقديره يوم تجد كل نفس عملها بمعنى جزاء عملها محضرا منصوب على الحال من تجد إذا جعلته من الوجدان فإن جعلته من العلم فهو مفعول ثان و قوله «وَ مَا عَمِلْتُ مِنْ سُوءٍ» يصلح فيها معنى الذى و يقويه قوله «تَوَدُّ» بالرفع و لو كان بمعنى الجزاء لكان تود مفتوحا أو مكسورا و الرفع جائز على ضعف و أقول أن جواب لو هنا محذوف و تقدير الكلام تود أن بينها و بينه أمد بعيدا لو ثبت ذلك لأن لو يقتضى الفعل و لا يدخل على الاسم و أن مع اسمه و خبره بمنزله مصدر فيكون تقديره لو ثبت أن بينها و بينه أمد بعيدا فيكون فى ذكر فاعل الفعل المقدر بعد لو دلالة على مفعول تود المحذوف و فى لفظ تود دلالة على جواب لو هذا مما سنح لى الآن و هو واضح بحمد الله تعالى و منه.

المعنى

لما حذر العقاب فى الآيه المتقدمه بين وقت العقاب فقال «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ» فى الدنيا «مِنْ» طاعه و «خَيْرٍ مُّحْضَرًا» و نظيره قوله «وَ وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا» و «عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ» ثم اختلف فى كيفية وجود العمل محضرا فقول تجد صحائف الحسنات و السيئات عن أبى مسلم و غيره و هو اختيار القاضى و قيل ترى جزاء عملها من الثواب و العقاب فأما أعمالهم فهى أعراض قد بطلت و لا يجوز عليها الإعادة فيستحيل أن ترى محضره «وَ مَا عَمِلْتُ مِنْ سُوءٍ» معناه تجد كل نفس الذى عملته من معصيه محضرا «تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَ بَيْنَهُ» أى بين معصيتها «أَمَدًا بَعِيدًا» أى غايه بعيده أى تود أنها لم تكن فعلتها و قيل معناه مكانا بعيدا عن السدى و قيل ما بين المشرق و المغرب عن مقاتل «وَ يَحِذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ» قد مر ذكره «وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ» أى رحيم بهم قال الحسن و من تمام رأفته بهم أن حظرهم عقابه على معاصيه.

سوره آل عمران (٣): الآيات ٣١ الى ٣٢

إشارة

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٣٢)

المحبه هي الإرادة إلا- أنها تضاف إلى المراد تاره و إلى متعلق المراد أخرى تقول أحب زيدا و أحب إكرام زيد و لا تقول في الإرادة ذلك لأنك تقول أريد إكرام زيد و لا تقول أريد زيدا و إنما كان كذلك لقوه تصرف المحبه في موضع ميل الطباع الذى يجرى مجرى الشهوه فعملت تلك المعامله فى الإضافه و محبه الله تعالى للعبد هي إرادته ثوابه و محبه العبد لله هي إرادته لطاعته و قالوا أحببت فلانا فهو محبوب استغنوا به عن محب كما استغنوا بأحببت عن حبيت و قال عنتره:

و لقد نزلت فلا تظنى غيره

منى بمنزله المحب المكرم

فجاء به على الأصل و حكى الزجاج عن الكسائى حبيت من الثلاثى و قوله «وَ يَغْفِرُ لَكُمْ» لا- يجوز فى القياس إدغام الراء فى اللام كما جاز إدغام اللام فى الراء فى هل رأيت لأن الراء مكرره و لا يدغم الزائد فى الناقص للإخلال به و الطاعه اتباع الداعى فيما دعاه إليه بأمره أو إرادته و لذلك قد يكون الإنسان مطيعا للشيطان فيما يدعوه إليه و إن لم يقصد أن يطيعه لأنه إذا مال مع ما يجده فى نفسه من الدعاء إلى المعصيه فقد أطاع الداعى إليها.

النزول

قال محمد بن جعفر بن الزبير نزلت الآيتان فى وفد نجران من النصارى لما قالوا إنا نعظم المسيح حبا لله.

المعنى

ثم بين سبحانه أن الإيمان به لا يجدى إلا إذا قارنه الإيمان برسوله ص فقال «قُلْ» يا محمد «إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ» كما ترعمون «فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَ يُغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ» و قيل معناه إن كنتم تحبون دين الله فاتبعوا دينى يزدد لكم حبا عن ابن عباس و قيل إن كنتم صادقين فى دعوه محبه الله تعالى فاتبعوني فإنكم إن فعلتم ذلك أحبكم الله و يغفر لكم «وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» أى كثير المغفره و الرحمه «قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ» أى قل يا محمد إن كنتم تحبون الله كما تدعون فأظهروا دلاله صدقكم بطاعه الله و طاعه رسوله فذلك أماره صدق الدعوه «فَمَنْ تَوَلَّوْا» أى فإن أعرضوا عن طاعه الله و طاعه رسوله «فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ» معناه أنه يبغضهم و لا يريد ثوابهم فدل بالنفى

على الإثبات و ذلك أبلغ لأنه لو قال يبغضهم لجاز أن يتوهم أنه يبغضهم من وجه و يحبهم من وجه آخر كما يجوز أن يعلم الشىء من وجه و يجهل من وجه و فى هذا دلالة على بطلان مذهب المجبره لأنه إذا لم يحب الكافرين من أجل كفرهم و لم يرد ثوابهم لذلك فلا يريد إذا كفرهم لأنه لو أراد لم يكن نفى محبته لهم لكفرهم.

سوره آل عمران (٣): الآيات ٣٣ الى ٣٤

إشارة

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤)

اللغة

الاصطفاء الاختيار و الاجتباء نظائر و هو افتعل من الصفوه و هذا من أحسن البيان الذى يمثل به المعلوم بالمرئى و ذلك أن الصافى هو النقى من شائب الكدر فيما يشاهد فمثل الله تعالى خلوص هؤلاء القوم من الفساد بخلوص الصافى من شائب الأدناس و قد بينا معنى الآل فيما مضى عند قوله «وَ إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ» الآية و معنى الذرية و أصله عند قوله «مِنْ ذُرِّيَّتِي».*

الإعراب

يحتمل نصب ذرية على وجهين (أحدهما) أن يكون حالا- و العامل فيها اصطفى (و الثانى) أن يكون على البدل من مفعول اصطفى.

المعنى

«إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ» أى اختار و اجتبى «آدَمَ وَ نُوحًا» لنبوته «وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ» أى على عالمى زمانهم بأن جعل الأنبياء منهم و قيل اختار دينهم كقوله «وَ سَيِّئِلِ الْقَرْيَةِ» عن الفراء و قيل اختارهم بالتفضيل على غيرهم بالنبوه و غيرها من الأمور الجليلة التى رتبها الله لهم فى ذلك من مصالح الخلق و قيل اختار آدم بأن خلقه من غير واسطة و أسكنه جنته و أسجد له ملائكته و أرسله إلى الملائكة و الإنس و اختار نوحا بالنبوه و طول العمر و إجابته دعائه و غرق قومه و نجاته فى السفينه و اختار إبراهيم بالخله و تبريد النار و إهلاك نمروود و قوله «وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ» قيل أراد به نفس إبراهيم و نفس عمران كقوله «وَ بَقِيَّتُهُ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَ آلُ هَارُونَ» يعنى موسى و هارون و قيل آل إبراهيم أولاده إسماعيل و إسحاق و يعقوب و الأسباط و فيهم داود و سليمان

و يونس و زكريا و يحيى و عيسى و فيهم نبينا لأنه من ولد إسماعيل و قيل آل إبراهيم هم المؤمنون المتمسكون بدينه و هو دين الإسلام عن ابن عباس و الحسن و أما آل عمران فليل هم من آل إبراهيم أيضا كما قال «ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ» فهم موسى و هارون ابنا عمران و هو عمران بن يصر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب و قيل يعنى بآل عمران مريم و عيسى و هو عمران بن الهشم بن أمون من ولد سليمان بن داود و هو أبو مريم لأن آل الرجل أهل البيت الذى ينتسب إليه عن الحسن و وهب و فى قراءه أهل البيت و آل محمد (عليه السلام) على العالمين و قالوا أيضا أن آل إبراهيم هم آل محمد ص الذين هم أهله و يجب أن يكون الذين اصطفاهم الله تعالى مطهرين معصومين منزهين عن القبائح لأنه تعالى لا يختار و لا يصطفى إلا من كان كذلك و يكون ظاهره مثل باطنه فى الطهاره و العصمه فعلى هذا يختص الاصطفاء بمن كان معصوما من آل إبراهيم و آل عمران سواء كان نبيا أو إماما و يقال الاصطفاء على وجهين (أحدهما) أنه اصطفاه لنفسه أى جعله خالصا له يختص به (و الثانى) أنه اصطفاه على غيره أى اختصه بالتفضيل على غيره و على هذا الوجه معنى الآية فإن قيل كيف اختصهم الله بالتفضيل قبل العمل فالجواب أنه إذا كان المعلوم أن صلاح المكلفين لا يتم إلا بهم فلا بد من تقديم البشاره بهم و الإخبار بما يكون من حسن شمائلهم و أفعالهم و التشويق إليهم كما يكون من جلاله أقدارهم و زكاء خلالهم ليكون ذلك داعيا للناس إلى القبول منهم و الانقياد لهم و فى هذه الآية دلالة على تفضيل الأنبياء على الملائكة عليهم أجمعين الصلاه و السلام لأن العالمين يعم الملائكة و غيرهم من المخلوقين و قد فضلهم سبحانه و اختارهم على الكل و قوله «ذُرِّيَّةٌ» أى أولادا و أعقابا بعضها من بعض قيل معناه فى التناسل فى الدين و هو الإسلام أى دين بعضها من دين بعض كما قال المُنَافِقُونَ وَ الْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ أى فى التناسل و التعاضد على الضلال و هو قول الحسن و قتاده و قيل

بعضها من بعض فى التناسل و التوالد فإنهم ذرية آدم ثم ذرية نوح ثم ذرية إبراهيم و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

لأنه قال الذين اصطفاهم الله بعضهم من نسل بعض و اختاره أبو على الجبائى «وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» فيه قولان (أحدهما) أن معناه سميع لما تقوله الذرية عليم بما يضمرونه فلذلك فضلهم على غيرهم لما فى معلومه من استقامتهم فى أقوالهم و أفعالهم (و الثانى) أن معناه سميع لما تقوله امرأه عمران من النذر عليم بما تضرره و نبه بذلك على استحسان ذلك منها.

النظم

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنه لما وقعت المنازعه فى إبراهيم و عيسى و اختلف أقوال النصارى و اليهود فيهما بين تعالى أن من أطاع الرسول قال فيهما ما يقوله هو

وقيل أنه لما أمر بطاعه نبيه ص و أبي ذلك المشركون بين تعالى أنه كما اصطفاه لرسالته اصطفى من قبله من الأنبياء فلا وجه لإنكارهم رسالته.

سوره آل عمران (٣): الآيات ٣٥ الى ٣٦

إشاره

إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْمَأْثَمِ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦)

القرءاء

قرأ ابن عامر و أبو بكر عن عاصم و يعقوب

بما وضعت بضم التاء و روى عن على (عليه السلام)

و قرأ الباقر «وَضَعْتُ» على الحكايه.

الحججه

من قرأ بضم التاء جعله من كلام أم مريم و من قرأ بإسكان التاء جعل ذلك من قول الله تعالى و يقوى قول من أسكن التاء قوله «وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ» و لو كان من قول أم مريم لقات (و أنت أعلم بما وضعت) لأنها تخاطب الله تعالى.

اللغه

معنى المحرر فى اللغه يحتمل أمرين (أحدهما) المعتق من الحريه يقال حررته تحريراً أعتقته أى جعلته حراً (و الآخر) من تحرير الكتاب يقال حررت الكتاب تحريراً أى أخلصته من الفساد و أصلحته و التقبل أخذ الشئ على الرضا به كتقبل الهديه و أصل التقبل المقابله و أصل الوضع الحط وضعت المراه الولد بمعنى ولدت و الموضع مكان الوضع و الضعه الخساسه لأنها تضع من قدر صاحبها و الإيضاع فى السير الرفق فيه لأنه حط عن شدة الإسراع و الشيطان الرجيم مر تفسيرهما فى أول الكتاب.

الإعراب

فى موضع «إِذْ قَالَتْ» أقوال (أحدها) أنه نصب باذكر عن الأخفش و المبرد (و الثانى) أنه متعلق باصطفى آل عمران عن الزجاج (و الثالث) أنه متعلق بسميع عليم فيعمل فيه معنى الصفتين تقديره و الله مدرك لقولها و نيتها إذ قالت عن على بن عيسى (و الرابع) أن إذ زائده فلا موضع لها من الإعراب عن أبى عبيده و هذا خطأ عند البصريين

و محررا نصب على الحال من ما و تقديره نذرت لك الذى فى بطنى محررا و العامل فيه نذرت و قوله «أُنثى» نصب على الحال.

المعنى

لما ذكر سبحانه اصطفى آل عمران عقبه بذكر مريم بنت عمران فقال «إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ» و قد مضى القول فيه و اسمها حنه جده عيسى و كانتا أختين إحداهما عند عمران بن الهشم من ولد سليمان بن داود و قيل هو عمران بن ماثان عن ابن عباس و مقاتل و ليس بعمران أبى موسى و بينهما ألف و ثمانمائة سنه و كان بنو ماثان رءوس بنى إسرائيل و الأخرى كانت عند زكريا و اسمها أشياح و اسم أبيها قاقود بن قبيل فيحيى و مريم ابنا خاله «رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي» أى أوجبت لك بأن أجعل ما فى بطنى «مُحَرَّرًا» أى خادما للبيعه يخدم فى متعباتنا عن مجاهد و قيل محررا للعباده مخلصا لها عن الشعبى و قيل عتيقا خالصا لطاعتك لا- أستعمله فى مناعى و لا- أصرفه فى الحوائج عن محمد بن جعفر بن الزبير قالوا و كان المحرر إذا حرر جعل فى الكنيسة يقوم عليها و يكنسها و يخدمها لا يبرح حتى يبلغ الحلم ثم يخير فإن أحب أن يقيم فيه أقام و إن أحب أن يذهب ذهب حيث شاء قالوا و كانت حنه قد أمسك عنها الولد فدعت حتى أيست فينا هى تحت شجره إذ رأت طائرا يزق فرخا له فتحركت نفسها للولد فدعت الله أن يرزقها ولدا فحملت بمريم

و روى عن أبى عبد الله قال أوحى الله تعالى إلى عمران إنى واهب لك ذكرا مباركا يبرئ الأكمه و الأبرص و يحيى الموتى بإذن الله و جاعله رسولا إلى بنى إسرائيل فحدث امرأته حنه بذلك و هى أم مريم فلما حملت بها قالت «رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا»

«فَتَقَبَّلَ مِنِّي» أى نذرى قبول رضا «إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ» لما أقوله «الْعَلِيمُ» بما أنوى فلهذا صحت الثقة لى «فَلَمَّا وَضَعَتْهَا» قيل أن عمران هلك و هى حامل فوضعت بعد ذلك يعنى ولدت مريم و كانت ترجو أن يكون غلاما فلما وضعتها خجلت و استحييت و «قَالَتْ» منكسه رأسها «رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى» و قيل فيه قولان (أحدهما) إن المراد به الاعتذار من العدول عن النذر لأنها أنثى (و الآخر) إن المراد تقديم الذكر فى السؤال لها بأنها أنثى لأن سعيها أضعف و عقلها أنقص فقدم ذكرها ليصح القصد لها فى السؤال بقولها «وَ إِنِّي أُعِيدُهَا بِنُكْحٍ» «وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ» إخبار منه تعالى بأنه أعلم بوضعها لأنه هو الذى خلقها و صورها و على القراءه الأخرى و أنت يا رب أعلم منى بما وضعت «وَ لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى» لأنها لا تصلح لما يصلح الذكر له و إنما كان يجوز لهم التحرير فى الذكور دون الإناث لأنها لا تصلح لما يصلح له الذكر من التحرير لخدمه بيت المقدس لما يلحقها من الحيض و النفاس و الصيانه عن التبرج للناس و قال قتاده لم

يكن التحرير إلا في الغلمان فيما جرت به العاده و قيل أرادت أن الذكر أفضل من الأنثى على العموم و أصلح للأشياء و الهاء في قوله «وَصَّحَّتْهَا» كناية عن ما في قوله «ما في بطنى» و جاز ذلك لوقوع ما على مؤنث و يحتمل أن يكون كناية عن معلوم دل عليه الكلام «وَإِنِّي سَيَّمْتُهَا» أى جعلت اسمها «مَرْيَمَ» و هى بلغتهم العابده و الخادمه فيما قيل و كانت مريم أفضل النساء فى وقتها و أجلهن

و روى الثعلبى بإسناده عن أبى هريره أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال حسبك من نساء العالمين أربع مريم بنت عمران و آسيه بنت مزاحم امرأه فرعون و خديجه بنت خويلد و فاطمه بنت محمد

«وَإِنِّي أُعِيدُهَا بَكَ وَ ذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» خافت عليها ما يغلب على النساء من الآفات فقالت ذلك و قيل إنما استعادتتها من طعنه الشيطان فى جنبها التى لها يستهل الصبى صارخا فوقها الله تعالى و ولدها عيسى منه بحجاب

فقد روى أبو هريره أن النبى (صلى الله عليه و آله) قال ما من مولود إلا- و الشيطان يمسّه حين يولد فيستدل صارخا من مس الشيطان إياه إلا مريم و ابنها و قيل إنها استعادت من إغواء الشيطان الرجيم إياها

عن الحسن.

سوره آل عمران (٣): آيه ٣٧

إشاره

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَ أُنَبِّتُهَا نَبَاتًا حَسِينًا وَ كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧)

القراءه

قرأ أهل الكوفه «كفّلها» بالشديد و الباقون بالتخفيف و قرأ أهل الكوفه إلا أبا بكر «زَكَرِيَّا» مقصورا و الباقون بالمد و نصب زكرياء مع المد أبو بكر وحده و الباقون بالرفع.

الحجه

قال أبو على حجه من خفف كفّلها قوله تعالى أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ و «زَكَرِيَّا» مرتفع لأن الكفاله مسنده إليه و من شدد «كفّلها» ففاعله الضمير العائد إلى ربها من قوله «فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا» و صار زكريا مفعولا بعد تضعيف العين و المد و القصر فى زكريا لغتان.

اللغه

إنما جاء مصدر تقبلها على القبول دون التقبل لأن فيه معنى قبلها كما يقال

تكرم كرما لأن فيه معنى كرم و مثله «وَ أَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا» لأن فيه معنى فنت و قال أبو عمرو و لا نظير لقبول فى المصادر بفتح فاء الفعل و الباب كله مضموم الفاء كالدخول و الخروج و قال سيويه جاءت خمس مصادر على فعول بالفتح قبول و وضوء و طهور و ولوغ و وقود إلا أن الأكثر فى وقود الضم إذا أريد المصدر و أجاز الزجاج فى قبول الضم و القبيل الكفيل و هو الضامن يقال كفلته أكفله كفلا و كفولا و كفالا فأنا كافل إذا تكفلت مؤنثه و منه

الحديث و أنت خير المكفولين

أى أحق من كفل فى صغره و أرضع حتى نشأ و المكفول عنه فى الفقه هو الذى عليه الدين و المكفول له هو الذى له الدين و المكفول به هو الدين و الكفيل هو الذى ثبت عليه الدين و المحراب مقام الإمام من المسجد و أصله أكرم موضع فى المجلس و أشرفه و قال الزجاج هو المكان العالى الشريف قال:

ربه محراب إذا جثتها

لم ألقها أو أرتقى سلما

و يقال للمسجد أيضا محراب و منه ما يشاء من محارِبِ أى مساجد و قيل أنه أخذ من الحرب لأنه يحارب فيها الشيطان.

المعنى

«فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا» مع أنوثتها و رضى بها فى النذر الذى نذرته حنه للعباده فى بيت المقدس و لم يقبل قبلها أنثى فى ذلك المعنى و قيل معناه تكفل بها فى تربيتها و القيام بشأنها عن الحسن و قبوله إياها أنه ما عرتها عله ساعه من ليل أو نهار «بِقَبُولِ حَسَنٍ» أصله بتقبل حسن و لكنه محمول على قوله فتقبلها قبولاً حسناً و قيل معناه سلك بها طريق السعداء عن ابن عباس «وَ أَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا» أى جعل نشوءها نشوءاً حسناً و قيل سوى خلقها فكانت تنبت فى يوم ما ينبت غيرها فى عام عن ابن عباس و قيل أنبتها فى رزقها و غذائها حتى تمت امرأه بالغه تامه عن ابن جريج و قال ابن عباس لما بلغت تسع سنين صامت النهار و قامت الليل و تبتلت حتى غلبت الأحبار «وَ كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا» بالتشديد معناه ضمها الله إلى زكريا و جعله كفيلها فيقوم بها و بالتخفيف معناه ضمها زكريا إلى نفسه و ضمن القيام بأمرها و قالوا إن أم مريم أتت بها ملفوفه فى خرقة إلى المسجد و قالت دونكم النذيره فتنافس فيها الأحبار لأنها كانت بنت إمامهم و صاحب قربانهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها لأن خالتها عندي فقالت له الأحبار إنها لو تركت لأحق الناس بها لتركت لأمها التى ولدتها و لكننا نقترح عليها فتكون عند من خرج سهمه فانطلقوا و هم تسعه و عشرون رجلاً إلى نهر جار فألقوا أقلامهم فى الماء فارتزقوا زكريا و ارتفع فوق الماء و رسبت أقلامهم عن ابن إسحاق و جماعه و قيل بل ثبت قلم زكريا و قام فوق الماء كأنه فى طين

و جرت أقلامهم مع جريه الماء فذهب بها الماء عن السدى فسهمهم زكريا و قرعهم و كان رأس الأحبار و نبهم فذلك قوله «وَ كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا» و زكريا كان من ولد سليمان بن داود و فيه ثلاث لغات المد و القصر و زكري مشدد قالوا فلما ضم زكريا مريم إلى نفسه بنى لها بيتا و استرضع لها فقال محمد بن إسحاق ضمها إلى خالتها أم يحيى حتى إذا شبت و بلغت مبلغ النساء بنى لها محرابا فى المسجد و جعل بابه فى وسطها لا يرقى إليها إلا بسلم مثل باب الكعبه و لا يصعد إليها غيره و كان يأتيها بطعامها و شرابها و دهنها كل يوم «كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَحَدَّ عِنْدَهَا رِزْقًا» يعنى وجد زكريا عندها فأكفه فى غير حينها فأكفه الصيف فى الشتاء و فأكفه الشتاء فى الصيف غضا طريا عن ابن عباس و قتاده و مجاهد و السدى و قيل أنها لم ترضع قط و إنما كان يأتيها رزقها من الجنة عن الحسن «قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّنِي لَكِ هَذَا» يعنى قال لها زكريا كيف لك و من أين لك هذا كالمتعجب منه «قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» أى من الجنة و هذه تكرمه من الله تعالى لها و إن كان ذلك خارقا للعاده فإن عندنا يجوز أن تظهر الآيات الخارقة للعاده على غير الأنبياء من الأولياء و الأصفياء و من منع ذلك من المعتزله قالوا فيه قولين (أحدهما) أن ذلك كان تأسيسا لنبوه عيسى عن البلخى (و الآخر) أنه كان بدعاء زكريا لها بالرزق فى الجملة و كانت معجزه له عن الجبائى «إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ» تقدم تفسيره.

النظم

و وجه اتصالها بما تقدم أن يكون حكاية لقول مريم و على هذا يكون معنى قوله «بِغَيْرِ حِسَابٍ» الاستحقاق على العمل لأنه تفضل يبتدىء به من يشاء من خلقه و يحتمل أن يكون إخبارا من الله تعالى على الاستئناف.

سوره آل عمران (٣): الآيات ٣٨ الى ٣٩

إشارة

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَ هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ سَيِّدًا وَ حَصُورًا وَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (٣٩)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم فناده الملائكة على التذكير و الإمالة و الباقون «فَنَادَتْهُ» على التأنيث و قرأ ابن عامر و حمزه إن الله بكسر الهمزة و الباقون بفتحها و قرأ حمزه

و الكسائي يبشرك بفتح الياء و التخفيف و الباقون بضم الياء و التشديد.

الحج

من قرأ «فَنَادَتْهُ» بالثاء فلموضع الجماعه كما تقول هي الرجال و من قرأ فناداه فعلى المعنى و من فتح إن كان المعنى فنادته بأن الله فحذف الجار و أوصل الفعل فى موضع نصب على قياس قول الخليل فى موضع الجر و من كسر أضم القول كأنه نادته فقالت إن الله فحذف القول كما حذف فى قول من كسر فى قوله فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ و إضمار القول كثير و أما يبشرك فقال أبو عبيده يبشرك و «يُبَشِّرُكَ» واحد و قال الزجاج هذا من بشر يبشر إذا فرح و أصل هذه كله إن بشره الإنسان تنبسط عند السرور.

اللغة

الهبه تمليك الشىء من غير ثمن و السيد مأخوذ من سواد الشخص فقيل سيد القوم بمعنى مالك السواد الأعظم و هو الشخص الذى يجب طاعته لمالكة هذا إذا استعمل مضافا أو مقيدا فأما إذا أطلق فلا ينبغى إلا لله و الحصور الممتنع عن الجماع و منه قيل للذى يمتنع أن يخرج مع ندمائه شيئا للنفقه حصور قال الأخطل:

و شارب مريح بالكأس نادمنى

لا بالحصور و لا فيها بسوار

و يقال للذى يكتم سره حصور.

الإعراب

هنالك الأصل فيه الظرف من المكان نحو رأيتُه هنا و هناك و هنالك و الفرق أن هنا للتقريب و هنالك للتبعيد و هناك لما بينهما قال الزجاج و يستعمل فى الحال كقولك من هاهنا قلت كذا أى من هذا الوجه و فيه معنى الإشارة كقولك ذا و ذاك و زيدت اللام لتأكيد التعريف و كسرت لالتقاء الساكنين كما كسرت فى ذلك و إنما بنى لدن و لم بين عند و إن كان بمعناه لأنه استبهم استبهم الحروف لأنه لا يقع فى جواب أين كما يقع عند فى نحو قولهم أين زيد فيقال عندك و لا يقال لدنك و هو قائم جملة فى موضع الحال من الهاء فى نادته و قوله «يُصَيِّمِي فِي الْمِحْرَابِ» جملة فى موضع الحال من الضمير فى قائم و قوله «مُصَيِّدًا» نصب على الحال من يحيى و قوله «مِنَ الصَّالِحِينَ» من هاهنا لتبيين الصفه و ليس المراد التبويض لأن النبى لا يكون إلا صالحا.

المعنى

«هُنَالِكَ» أى عند ذلك الذى رأى من فأكفه الصيف فى الشتاء و فأكفه الشتاء فى الصيف على خلاف ما جرت به العادة «دَعَا

زَكَرِيَّا رَبَّهُ» قَالَ «رَبِّ هَبْ لِي

ص: ٢٥٧

مِنْ لَمَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً» أى طمع فى رزق الولد من العاقر على خلاف مجرى العاده فسأل ذلك و قوله «طَيِّبَةً» أى مباركه عن السدى و قيل صالحه تقيه نقيه العمل و إنما أنت طيبه و إنما سأل ولدا ذكرا على لفظ الذريه كما قال الشاعر:

أبو ك خليفه ولدته أخرى

و أنت خليفه ذاك الكمال

«إِنَّكَ سَيِّمِيعُ الدُّعَاءِ» بمعنى قابل الدعاء و مجيب له و منه قول القائل سمع الله لمن حمده أى قبل الله دعاءه و إنما قيل السامع للقابل المجيب لأن من كان أهلا- أن يسمع منه فهو أهل أن يقبل منه و من لا يعتد بكلامه فكلامه بمنزله ما لا يسمع «فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ» قيل ناداه جبرائيل عن السدى فعلى هذا يكون المعنى أن النداء أتاه من هذا الجنس كما يقال ركب فلان السفن و إنما ركب سفينه واحده و المراد جاءه النداء من جهه الملائكه و قيل نادته جماعه من الملائكه «وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ» أى فى المسجد و قيل فى محراب المسجد «أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى» سماه الله بهذا الاسم قبل مولده و اختلف فيه لم سمي يحيى فقيل لأن الله أحيا به عمر أمه عن ابن عباس و قيل أنه تعالى أحياه بالإيمان عن قتاده و قيل لأنه تعالى أحيا قلبه بالنبوه و لم يسم قبله أحد يحيى «مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ» أى مصدقا بعبسى و عليه جميع المفسرين و أهل التأويل إلا ما حكى عن أبى عبيده أنه قال بكتاب الله كما يقولون أنشدت كلمه فلان أى قصيده و إن طالت و إنما سمي المسيح كلمه الله لأنه حصل بكلام الله من غير أب و قيل إنما سمي به لأن الناس يهتدون به كما يهتدون بكلام الله كما سمي روح الله لأن الناس كانوا يحيون به فى أديانهم كما يحيون بأرواحهم و كان يحيى أكبر سنا من عيسى بسته أشهر و كلف التصديق به فكان أول من صدقه و شهد أنه كلمه الله و روحه و كان ذلك إحدى معجزات عيسى (عليه السلام) و أقوى الأسباب لإظهار أمره فإن الناس كانوا يقبلون قول يحيى لمعرفةهم بصدقه و زهده «وَسَيِّدًا» فى العلم و العباده عن قتاده و قيل فى الحلم و التقى و حسن الخلق عن الضحاك و قيل كريما على ربه عن ابن عباس و قيل فقيها عالما عن سعيد بن المسيب و قيل مطيعا لربه عن سعيد بن جبير و قيل مطاعا عن الخليل و قيل سيدا للمؤمنين بالرئاسه عليهم عن الجبائى و الجميع يرجع إلى أصل واحد و هو أنه أهل لتمليكه تدبير من يجب عليه طاعته لما هو عليه من هذه الأحوال «وَحَصُورًا»

و هو الذى لا يأتى النساء عن ابن عباس و ابن مسعود و الحسن و قتاده و هو المروى عن أبى عبد الله

و معناه أنه يحصر

نفسه عن الشهوات أى يمنعها وقيل الحصور الذى لا يدخل فى اللعب و الأباطيل عن المبرد وقيل هو العنين عن ابن المسيب و الضحاك و هذا لا- يجوز على الأنبياء لأنه عيب و ذم و لأن الكلام خرج مخرج المدح «و نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ» أى رسولا شريفا رفيع المنزله من جمله الأنبياء لأن الأنبياء كلهم كانوا صالحين و فى هذه الآية دلالة على أن زكريا إنما طمع فى الولد لما رأى تلك المعجزات و هو إن كان عالما بأنه تعالى يقدر على أن يخلق الولد من العاقر فقد كان يجوز أن لا يفعل ذلك لبعض التدبير فلما رأى خرق العاده بخلق الفاكهه فى غير وقتها قوى ظنه فى أنه يفعل ذلك إذا اقتضته المصلحه كما أن إبراهيم و إن كان عالما بأنه تعالى يقدر على إحياء الموتى سأل ذلك مشاهده ليتأكد معرفته و فيها دلالة على أن الولد الصالح نعمه من الله تعالى على العبد فلذلك بشره به.

سوره آل عمران (٣): آيه ٤٠

اشاره

قَالَ رَبِّ اَنْى يَكُونُ لِىْ غُلَامٌ وَّ قَدْ بَلَغَنِى الْكِبَرُ وَّ اَمْرَاتىْ عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اَللّٰهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (٤٠)

اللغه

العاقر من الرجال الذى لا يولد له و من النساء التى لا تلد يقال عقرت تعقر عقرا فهى عاقر قال عبيد:

أ عاقر مثل ذات رحم

أم غانم مثل من يخيب

و العقر ديه فرج المرأه إذا غصبت نفسها و بيضه العقر آخر بيضه و العقر محله القوم و العقر أصل كل شىء و يقال غلام بين الغلوميه و الغلومه و هو الشاب من الناس و الغلمه و الاغتلام شده طلب النكاح و سمي الغلام غلاما لأنه فى حال يطلب فى مثلها النكاح و الغيلم منبع الماء من الآبار لأنه يطلب الظهور.

المعنى

«قال» زكريا «رَبِّ» لله عز و جل لا- لجبرائيل «أَنْى يَكُونُ» أى من أين يكون و قيل كيف يكون «لِىْ غُلَامٌ» أى ولد «وَّ قَدْ بَلَغَنِى الْكِبَرُ» أى أصابنى الشيب و نالنى الهرم و إنما جاز أن تقول بلغنى الكبر لأن الكبر بمنزله الطالب له فهو يأتيه بحدوثه فيه و الإنسان أيضا يأتي الكبر بمرور السنين عليه و لو قلت بلغنى البلد بمعنى بلغت البلد لم يجز لأن البلد لا يأتيك أصلا و قال ابن عباس كان زكريا يوم بشر بالولد ابن

عشرين و مائه سنه و كانت امرأته بنت ثمان و تسعين سنه «وَأَمْرَأَتِي عَاقِرٌ» أى عقيم لا تلد فإن قيل لم راجع زكريا هذه المراجعة و قد بشره الله بأن يهب له ذريه طيبه بعد أن سأل ذلك قيل إنما قال ذلك على سبيل التعرف عن كيفية حصول الولد أ يعطيها الله إياه و هما على ما كانا عليه من الشيب أم يصرفهما إلى حال الشباب ثم يرزقهما الولد عن الحسن و يحتمل أن يكون اشتبه الأمر عليه أ يعطيه الولد من امرأته العجوز أم من امرأه أخرى شابه فقال الله «كَذَلِكَ» و تقديره كذلك الأمر الذى أنتما عليه و على تلك الحال «اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ» معناه يرزقك الله الولد منها فإنه هين عليه كما أنشأكما و لم تكونا شيئا فإنه تعالى قادر يفعل ما يشاء و قيل فيه وجه آخر و هو أنه إنما قال ذلك على سبيل الاستعظام لمقدور الله و التعجب الذى يحصل للإنسان عند ظهور آيه عظيمه كمن يقول لغيره كيف سمحت نفسك بإخراج ذلك المال النفيس من يدك تعجبا من جوده و قيل أنه قال ذلك على وجه التعجب من أنه كيف أجابه الله إلى مراده فيما دعا و كيف استحق ذلك و من زعم أنه إنما قال ذلك للوسوسه التى خالطت قلبه من قبل الشيطان أو خيلت إليه أن النداء كان من غير الملائكه فقد أخطأ لأن الأنبياء لا بد أن يعرفوا الفرق بين كلام الملك و وسوسه الشيطان و لا يجوز أن يتلاعب الشيطان بهم حتى يختلط عليهم طريق الأفهام.

سوره آل عمران (٣): آيه ٤١

إشاره

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَ اذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَ سَبِّحْ بِالعَشِيِّ وَ الْبُكْرِ (٤١)

الإعراب

فى وزن آيه فيه ثلاثه أقوال (أحدها) فعله إلا أنه شد من جهة إعلال العين مع كون اللام حرف عله و إنما القياس فى مثله إعلال اللام نحو حياه و نواه و نظيرها رايه و غايه و طايه (و الثانى) فعله و تقديره آييه إلا أنها قلبت كراهه التضعيف نحو طائى من طى (و الثالث) فاعله منقوصه قال على بن عيسى و هذا ضعيف لأن تصغيرها آييه و لو كانت فاعله لقالوا أوييه إلا أنه يجوز على ترخيم التصغير نحو فطيمه و الرمز للإيماء بالشفيتين و قد يستعمل فى الإيماء بالحاجب و العين و اليد و الأول أغلب و قال جوبه بن عابد:

كان تكلم الأبطال رمزا

و غمغمه لهم مثل الهرير

ص: ٢٤٠

و العشى من حين زوال الشمس إلى غروبها في قول مجاهد قال الشاعر:

فلا الظل من برد الضحى يستطيعه

و لا الفى ء من برد العشى يذوق

و العشاء من لادن غروب الشمس إلى أن يولى صدر الليل و العشاء طعام العشى و العشاء مقصورا ضعف العين و أصل الباب الظلمه و الإيثار من حين طلوع الفجر إلى وقت الضحى و أصله التعجيل بالشى ء يقال أبكر و بكر بكورا و منه الباكوره.

المعنى

ثم سأل الله تعالى زكريا علامه يعرف بها وقت حمل امرأته ليزيد في العباده شكرا و قيل ليتعجل السرور به عن الحسن ف «قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً» أى علامه لوقت الحمل و الولد فجعل الله تعالى تلك العلامه فى إمساك لسانه عن الكلام إلا إيماء من غير آفه حدثت فيه بقوله «قَالَ آيَتُكَ» أى قال الله و يحتمل أن يكون المراد قال جبرائيل آيتك أى علامتك «أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا» أى إيماء عن قتاده و قيل الرمز تحريك الشفتين عن مجاهد و قيل أراد به صوم ثلاثه أيام لأنهم كانوا إذا صاموا لم يتكلموا إلا- رمزا عن عطا «وَ اذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا» أى فى هذه الأيام الثلاثه و معناه أنه لما منع من الكلام عرف أنه لم يمنع من الذكر لله تعالى و التسبيح له و ذلك أبلغ فى الإعجاز «وَ سَبِّحْ» أى نزه الله و أراد التسبيح المعروف و قيل معناه صل كما يقال فرغت من سبحتى أى صلاتى «بِالْعِشِيِّ وَ الْإِبْكَارِ» فى آخر النهار و أوله.

سوره آل عمران (٣): الآيات ٤٢ الى ٤٣

اشاره

وَ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَ طَهَّرَكِ وَ اصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَ اسْجُدِي وَ ارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣)

المعنى

قدم تعالى ذكر امرأه عمران و فضل بنتها على الجملة ثم ذكر تفصيل تلك الجملة فقال «وَ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ» إذ هذه معطوفه على إذ فى قوله إذ قالت امرأت عمران أو يكون معناه اذكر إذ قالت الملائكه و قيل يعنى جبريل وحده «يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ» أى اختارك و أطف لك حتى تفرغت لعبادته و اتباع مرضاته و قيل معناه اصطفيك لولاده المسيح عن الزجاج «وَ طَهَّرَكِ» بالإيمان عن الكفر و بالطاعة عن المعصيه عن الحسن و سعيد بن جبير و قيل طهرتك من الأذناس و الأقدار التى تعرض للنساء

من الحيض و النفاس حتى صرت صالحه لخدمه المسجد عن الزجاج و قيل طهر ك من الأخلاق الذميمة و الطباع الرديه «وَ اضْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ»

أى على نساء عالمى زمانك لأن فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليها و على أبيها و بعلمها و بنيتها سيده نساء العالمين و هو قول أبى جعفر (عليه السلام)

و روى عن النبى (صلى الله عليه و آله) أنه قال فضلت خديجه على نساء أمتى كما فضلت مريم على نساء العالمين و قال أبو جعفر معنى الآيه اصطفاك من ذريه الأنبياء و طهر ك من السفاح اصطفاك لولاده عيسى (عليه السلام) من غير فحل

و خرج بهذا من أن يكون تكريرا إذ يكون الاصطفاء على معنيين مختلفين «يا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ» أى اعبديه و أخلصى له العباده عن سعيد بن جبير و قيل معناه أديمى الطاعه له عن قتاده و قيل أطبلى القيام فى الصلاه عن مجاهد «وَ اسْجُدْ وَ ارْكَعْ مَعَ الرَّاكِعِينَ» أى كما يعمل الساجدون و الراكعون لا أن يكون ذلك أمرا لها بأن تعمل السجود و الركوع معهم فى الجماعه و قدم السجود على الركوع لأن الواو لا- توجب الترتيب فإنها فى الأشياء المتغايره نظيره التشبيه فى المتماثله و إنما توجب الجمع و الاشتراك و قيل معناه و اسجدى لله شكرا و اركعى أى و صلى مع المصلين و قيل معناه صلى فى الجماعه عن الجبائى.

سوره آل عمران (٣): آيه ٤٤

اشاره

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٤٤)

اللغه

الأنباء الأخبار الواحد نبأ و الإيحاء هو إلقاء المعنى إلى الغير على وجه يخفى و الإيحاء الإرسال إلى الأنبياء تقول أوحى الله إليه أى أرسل إليه ملكا و الإيحاء الإلهام و منه قوله تعالى وَ أَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّخِيلِ وَ قوله بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا معناه ألقى إليها معنى ما أراد منها قال العجاج:

أوحى لها القرار فاستقرت

و شدها بالراسيات الثبت

و الإيحاء الإيماء قال:

فأوحت إلينا و الأنامل رسلها

و منه قوله تعالى فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَ عَشِيًّا أى أشار إليهم و الوحي الكتابه قال رؤبه:

لقدر كان وحاه الواحى

وقال:

(فى سور من ربنا موحىه)

. و القلم الذى يكتب به و القلم الذى يجال بين القوم كل إنسان و قلمه و هو القدح و القلم قص الظفر و مقالم الرمح كعوبه و أصله قطع طرف الشىء.

ص: ٢٦٢

قال أبو علي إذ في قوله «إِذْ يُلْقَوْنَ» متعلق بكننت و إذ في قوله إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ بعد يختصمون متعلق بيختصمون و يجوز أيضا أن يكون متعلقا بكننت كأنه قال و ما كنت لديهم إذ قالت الملائكة و هذا إنما يجوز عندي إذا قدرت إذ الثانيه بدلا من الأولى فإن لم تقدره هذا التقدير لم يجز و إنما يجوز البديل في هذا إذا كان وقت اختصاصهم وقت قول الملائكة ليكون البديل المبدل منه في المعنى.

المعنى

«ذَلِكَ» إشاره إلى ما تقدم ذكره من حديث مريم و زكريا و يحيى «مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ» أى من أخبار ما غاب عنك و عن قومك «نُوحِيهِ إِلَيْكَ» أى نلقيه عليك معجزه و تذكيرا و تبصره و موعظه و عبره و وجه الإعجاز فيه أن ما غاب عن الإنسان يمكن أن يحصل علمه بدراسه الكتب أو التعلم أو الوحي و النبى ص لم يشاهد هذه القصص و لا قرأها من الكتب و لا تعلمها إذ كان نشوءه بين أهل مكه و لم يكونوا أهل كتاب فوضح الله أن أوحى إليه بها و فى ذلك صحه نبوته «وَ مَا كُنْتُ» يا محمد «لَدَيْهِمْ» عندهم «إِذْ يُلْقَوْنَ أَقْلَامَهُمْ» التى كانوا يكتبون بها التوراه فى الماء على ما تقدم ذكره قبل و قيل أقلامهم أفداحهم للاقتراع جعلوا عليها علامات يعرفون بها من يكفل مريم على جهه القرعه «أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ» و فيه حذف أى لينظروا أيهم تظهر قرعته ليكفل مريم و هذا تعجيب من الله نبيه ص من شده حرصهم على كفاله مريم و القيام بأمرها عن قتاده و قيل هو تعجيب من تدافعهم لكفالتها لشده الأزمه التى لحقتهم حتى وفق لها خير الكفلاء لها زكريا «وَ مَا كُنْتُ لَمَدِيهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ» فيه دلالة على أنهم قد بلغوا فى التشاح عليها إلى حد الخصومه و فى وقت التشاح قولان (أحدهما) حين ولادتها و حمل أمها إياها إلى الكنيسه تشاحوا فى الذى يحضنها و يكفل تربيتها و هذا قول الأكثر و قال بعضهم كان ذلك وقت كبرها و عجز زكريا عن تربيتها و فى هذه الآية دلالة على أن للقرعه مدخلا فى تميز الحقوق

و قد قال الصادق (عليه السلام) ما تقارع قوم ففوضوا أمورهم إلى الله تعالى إلا خرج سهم المحق و قال أى قضيه أعدل من القرعه إذا فوض الأمر إلى الله تعالى يقول فساهاهم فكان من الممدحيين

و قال الباقر أول من سوهم عليه مريم ابنه عمران ثم تلا «وَ مَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقَوْنَ أَقْلَامَهُمْ» الآية و السهام سته ثم استهموا فى يونس ثم كان عبد المطلب ولد له تسعه بنين فنذر فى العاشر إن يرزقه الله غلاما أن يذبحه فلما ولد له عبد الله لم يقدر أن يذبحه و رسول الله فى صلبه فجاء بعشره من الإبل فساهاهم عليها و على عبد الله فخرجت السهام على عبد الله فزاد عشرا فلم

تزل السهام تخرج على عبد الله و يزيد عشرا فلما أن أخرجت مائه خرجت السهام على الإبل فقال عبد المطلب ما أنصفت ربي فأعاد السهام ثلاثا فخرجت على الإبل فقال الآن علمت أن ربي قد رضى بها فنحرها.

سوره آل عمران (٣): الآيات ٤٥ الى ٤٦

إشاره

إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥)
وَ يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلًا وَ مِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦)

القراءة

ذكرنا القراءة في «يُبَشِّرُكِ» و القول فيه.

اللغة

المسيح فعيل بمعنى مفعول و أصله أنه مسح من الأقدار و طهر و المسيح أيضا الذي أحد شقى وجهه ممسوح لا عين له و لا حاجب و لذلك سمى الدجال به و قيل المسيح عيسى بفتح الميم و التخفيف و هو الصديق و المسيح بكسر الميم و تشديد السين نحو الشرير الدجال عن إبراهيم النخعي و أنكره غيره قال الشاعر:

" إذ المسيح يقتل المسيحا "

و الوجيه الكريم على من يسأله فلا يرده لكرم وجهه عنده خلاف من يبذل وجهه للمسألة فيرد يقال وجه الرجل يوجه وجاهه و له وجاهه عند الناس و جاه أى منزله رفيعه و الكهل ما بين الشاب و الشيخ و منه اكتهل النبات إذا طال و قوى و المرأه كهله قال الشاعر:

و لا أعود بعدها كرياً

أمارس الكهله و الصيبا

و منه الكاهل ما فوق الظهر إلى ما يلي العنق و قيل الكهوله بلوغ أربع و ثلاثين سنه.

الإعراب

وجيها منصوب على الحال المعنى يبشرك الله بهذا الولد و جيهها و يكلم فى موضع النصب أيضا على الحال عطفاً على و جيهها و جائر أن يعطف بلفظ يفعل على فاعل لمضارعه يفعل فاعلا قال الشاعر:

بات يغشيها بعضب باتر

يقصد فى أسوقها و جائر

أى قاصد أسوقها و جائر و كهلا حال من يكلم.

المعنى

«إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ» قال ابن عباس يريد جبرائيل «يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ

ص: ٢٦٤

يُشْرِكُ» يخبرك بما يسرك «بِكَلِمَةٍ مِنْهُ» فيه قولان أحدهما أنه المسيح سماه كلمه عن ابن عباس و قتاده و جماعه من المفسرين و إنما سمي بذلك لأنه كان بكلمه من الله من غير والد و هو قوله كُنْ فَيَكُونُ يدل عليه قوله إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ الْآيَةَ و قيل سمي بذلك لأن الله بشر به في الكتب السالفه كما يقال الذي يخبرنا بالأمر إذا خرج موافقا لأمره قد جاء كلامي فمما جاء من البشاره به في التوراه أتانا الله من سيناء و أشرق من ساعير و استعلن من جبال فاران و ساعير هو الموضع الذي بعث منه المسيح و قيل لأن الله يهدى به كما يهدى بكلمته و القول الثاني أن الكلمه بمعنى البشاره كأنه قال بشاره منه ولد «اسمُهُ الْمَسِيحُ» فالأول أقوى و يؤيده قوله إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ و إنما ذكر الضمير في اسمه و هو عائد إلى الكلمه لأنه واقع على مذكر فذهب إلى المعنى و اختلف في أنه لم سمي بالمسيح فقيل لأنه مسح بالبركه و اليمن عن الحسن و قتاده و سعيد و قيل لأنه مسح بالتطهير من الذنوب و قيل لأنه مسح بدهن زيت بورك فيه و كانت الأنبياء تمسح به عن الجبائي و قيل لأنه مسح جبرائيل بجناحه وقت ولادته ليكون عوده من الشيطان و قيل لأنه كان يمسح رأس اليتامى لله و قيل لأنه كان يمسح عين الأعمى فيبصر عن الكلبي و قيل لأنه كان لا يمسح ذا عاهه بيده إلا برا عن ابن عباس في روايه عطا و الضحاك و قال أبو عبيده هو بالسريانيه مشيحا فعربته العرب «عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» نسبة إلى أمه ردا على النصراري قولهم إنه ابن الله «وَجِبَاهًا» ذا جاه و قدر و شرف «فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ» إلى ثواب الله و كرامته «وَ يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ» أى صغيرا و المهد الموضع الذي يمهد لنوم الصبي و يعنى بكلامه في المهد قوله إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ الْآيَةَ و وجه كلامه في المهد أنه تبرئه لأمه مما قذفت به و جلاله له بالمعجزه التي ظهرت فيه «وَ كَهْلًا» أى و يكلمهم كهلا- بالوحى الذى يأتيه من الله أعلمها الله تعالى أنه يبقى إلى حال الكهوله و فى ذلك إعجاز لكون المخبر على وفق الخبر و قيل إن المراد به الرد على النصراري بما كان فيه من التقلب فى الأحوال لأن ذلك مناف لصفه الإله «وَ مِنَ الصَّالِحِينَ» أى و من النبيين مثل إبراهيم و موسى و قيل إن المراد بالآيه و يكلمهم فى المهد دعاء إلى الله و كهلا بعد نزوله من السماء ليقتل الدجال و ذلك لأنه رفع إلى السماء و هو ابن ثلاث و ثلاثين سنه و ذلك قبل الكهوله عن زيد بن أسلم و فى ظهور المعجزه فى المهد قولان (أحدهما) أنها كانت مقرونه بنوه المسيح لأنه تعالى أكمل عقله فى تلك الحال و جعله نبيا و أوحى إليه بما تكلم به عن الجبائي و قيل كان ذلك على التأسيس و الإرهاص

لنبوته عن ابن الإخشيد و يجوز عندنا الوجهان و يجوز أيضا أن يكون معجزه لمريم تدل على طهارتها و براءه ساحتها إذ لا مانع من ذلك و قد دلت الأدله الواضحه على جوازه و إنما جحدت النصارى كلام المسيح فى المهد مع كونه آيه و معجزه لأن فى ذلك إبطالا لمذهبهم لأنه قال إني عبُد الله و هذا ينافى قولهم أنه ابن الله فاستمروا على تكذيب من أخبر أنه شاهده كذلك.

سوره آل عمران (٣): آيه ٤٧

إشاره

قَالَتْ رَبِّ أُنَى يُكُونُ لِي وَ لَدِّ وَ لَمْ يَمَسِّنِي بَشَرًا قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٧)

الإعراب

فيكون هاهنا لا يجوز فيه غير الرفع لأنه لا يصلح أن يكون جوابا للأمر الذى هو كن لأن الجواب يجب بوجود الأول نحو ائتنى فأكرمك و قم فأقوم معك و لا يجوز قم فيقوم لأنه يكون على تقدير قم فإنك إن تقم يقم و هذا لا معنى له و لكن الوجه الرفع على الإخبار بأنه سيقوم و يجوز فى قوله «يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» النصب عطفا على يقول.

المعنى

«قَالَتْ» مريم يا «رَبِّ أُنَى يُكُونُ» أى كيف يكون «لِي وَ لَدِّ وَ لَمْ يَمَسِّنِي بَشَرًا» لم تقل ذلك استبعادا و استنكارا بل إنما قالت استفهاما و استعظاما لقدرة الله لأن فى طبع البشر التعجب مما خرج عن المعتاد و قيل إنما قالت ذلك لتعلم أن الله تعالى يرزقها الولد و هى على حالتها لم يمسه بشر أو يقر لها زوجها ثم يرزقها الولد على مجرى العاده «قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ» أى يخلق ما يشاء مثل ذلك و هو حكاية ما قال لها الملك أى يرزقك الولد و أنت على هذه الحاله لم يمسه بشر «إِذَا قَضَى أَمْرًا» أى خلق أمرا و قيل إذا قدر أمرا «فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» و قيل فى معناه قولان (أحدهما) أنه إخبار بسرعه حصول مراد الله فى كل شىء أراد حصوله من غير مهله و لا معاناه و لا تكلف سبب و لا أداه و إنما كنى بهذا اللفظ لأنه لا يدخل فى وهم العباد شىء أسرع من كن فيكون (و الآخر) أن هذه الكلمه كلمه جعلها الله علامه للملائكه فيما يريد إحداثه و إيجاده لما فيه من المصلحه و الاعتبار و إنما استعمل لفظه الأمر فيما ليس بأمر هنا ليدل بذلك على أن فعله بمنزله فعل المأمور فى أنه لا كلفه فيه على الأمر.

إشارة

وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٤٨) وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَابْرَأُ الْمَأْكُمَةَ وَالمَأْبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٤٩)

توضيح

عد أهل الكوفة «التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ» آيه و لم يعدوا «بَنِي إِسْرَائِيلَ» لتنكر الاستئناف بأن المفتوحه و عد غيرهم «بَنِي إِسْرَائِيلَ» و لم يعدوا «الْإِنْجِيلَ» طلبوا تمام صفة المسيح لأن تقديره و معلما و رسولا.

القراءه

قرأ أهل المدينة و عاصم و يعقوب و سهل «وَيُعَلِّمُهُ» بالياء و الباقون بالنون و قرأ نافع إنى أخلق بكسر الألف و الباقون «أَنِّي» بالفتح و قرأ أهل المدينة و يعقوب طائرا و مثله فى المائده و أبو جعفر كهينه الطائر فيهما و الباقون «طَيْرًا» بغير ألف.

الحججه

من قرأ «وَيُعَلِّمُهُ» عطفه على قوله إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكُمْ و من قرأ و نعلمه جعله على نحو نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتِ و من فتح «أَنِّي أَخْلُقُ» جعلها بدلا من آيه كأنه قال و جئتكم بأنى أخلق لكم و من كسر احتمل وجهين (أحدهما) الاستئناف و قطع الكلام مما قبله (و الآخر) أنه فسر الآيه بقوله «أَنِّي أَخْلُقُ» كما فسر الوعد فى قوله وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِقَوْلِهِ لَهُمْ مَغْفِرَةً و فسر المثل فى قوله كَمَثَلِ آدَمَ بِقَوْلِهِ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ و هذا الوجه أحسن لأنه فى المعنى كمن فتح و أبدل من آيه و من قرأ طائرا أراد فيكون ما أنفخ فيه أو ما أخلقه طائرا فأفرد لذلك فسر أو أراد يكون كل واحد من ذلك طائرا كما قال فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً أَى اجلدوا كل واحد منهم.

اللغه

الحكمه و الحكم بمعنى و نظيره الذله و الذل و الطين معروف و طنت الكتاب جعلت عليه طينا لأختمه به و طينت البيت تطيينا و الهياه الحال الظاهره هاء فلان يهاء هيئه و النفخ معروف نفخ ينفخ نفخا و النفاخه للماء و الكمه العمى قال سويد بن أبى كاهل:

كمهت عيناه حتى ابيضتا

فهو يلحى نفسه لما نزع

و الادخار الافتعال من الدخر و جوز النحويون تذخرون بالذال.

الإعراب

موضع يعلمه يحتمل أن يكون نصبا بالعطف على وجيها و يحتمل أن يكون لا موضع له من الإعراب لأنه عطف على جملة لا موضع لها من الإعراب و هي قوله كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَقِيلَ هُوَ عَطْفٌ عَلَى نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَ هَذَا لَا يَجُوزُ لِأَنَّهَا تَخْرُجُ مِنْ مَعْنَى الْبَشَارَةِ لِمَرْيَمَ وَ رَسُولًا- نَصَبٌ عَلَى تَقْدِيرٍ وَ نَجْعَلُهُ رَسُولًا- فَحَذَفَ لِدَلَالَةِ الْبَشَارَةِ عَلَيْهِ وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَصْبًا عَلَى الْحَالِ عَطْفًا عَلَى وَجِيهَا لَا- أَنَّهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَكُونُ رَسُولًا بَلْ بِمَعْنَى أَنَّهُ يَرْسِلُ رَسُولًا وَ قَالَ الزَّجَاجُ الْمَعْنَى يَكْلِمُهُمْ رَسُولًا بِأَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ وَ لَوْ قُرَأَتْ بِالْكَسْرِ إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ لَكَانَ صَوَابًا وَ الْمَعْنَى يَقُولُ إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ وَ مَوْضِعُ «أَنْنِي أَخْلُقُ لَكُمْ» يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ خَفْضًا وَ رَفْعًا فَالْخَفْضُ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ آيِهِ وَ الرِّفْعُ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ قَبْلَ وَ «بِمَا تَأْكُلُونَ» جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ مَا هُنَا بِمَعْنَى الَّذِي أَيْ بِمَا تَأْكُلُونَهُ وَ تَذَخَّرُونَهُ وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى الْمَصْدَرِ أَيْ أَنْبِئْكُمْ بِأَكْلِكُمْ وَ ادْخَارِكُمْ وَ الْأَوَّلُ أَجُودٌ.

المعنى

«وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ» أَرَادَ الْكِتَابَةَ عَنْ ابْنِ جَرِيحٍ قَالَ أَعْطَى اللَّهُ عَيْسَى تِسْعَةَ أَجْزَاءَ مِنَ الْخَطِّ وَ سَائِرَ النَّاسِ جِزَاءً وَ قِيلَ أَرَادَ بِهِ بَعْضَ الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَنْبِيَائِهِ سِوَى التَّوْرَةِ وَ الْإِنْجِيلِ مِثْلَ الزَّبُورِ وَ غَيْرِهِ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الْجَبَائِي وَ هُوَ أَلْيَقُ بِالظَّاهِرِ «وَ الْحِكْمَةَ» أَيْ الْفِقْهَ وَ عِلْمَ الْحَلَالِ وَ الْحَرَامِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ

كما روى عن النبي ص أنه قال أوتيت القرآن و مثليه قالوا أراد به السنن

و قيل أراد بذلك جميع ما علمه من أصول الدين «وَ التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ» إِنْ قِيلَ لَمْ أَفْرَدَهُمَا بِالذِّكْرِ مَعَ دَخُولِهِمَا فِي الْحِكْمَةِ قِيلَ تَنْبِيْهَا عَنْ جَلَالِهِ مَوْضِعَهُمَا كَقَوْلِهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيْلَ وَ مِيكَالَ وَ قَطَعَ هَاهُنَا قِصَّةَ مَرْيَمَ وَ وِلَادَتِهَا وَ يَأْتِي تَمَامَ قِصَّتِهَا فِي سُورَةِ مَرْيَمَ وَ ابْتَدَأَ بِقِصَّةِ عَيْسَى فَقَالَ «وَ رَسُوْلًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيْلَ» وَ قَدْ ذَكَرْنَا تَقْدِيرَهُ وَ مَعْنَاهُ يَدُوْرُ عَلَيْهِ «أَنْنِي قَدْ جِئْتُكُمْ» أَيْ قَالَ لَهُمْ وَ كَلَّمَهُمْ لَمَّا بَعَثَ إِلَيْهِمْ بِأَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ «بِآيَةٍ» أَيْ بِدَلَالَةٍ وَ حُجَّةٍ «مِنْ رَبِّكُمْ» دَالَهُ عَلَى نُبُوْتِي ثُمَّ حَذَفَ الْبَاءَ فَوَصَلَ الْفِعْلَ «أَنْنِي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ» مَعْنَاهُ وَ هَذِهِ الْآيَةُ أَنِّي أَقْدِرُ لَكُمْ وَ أَصُوْرَ لَكُمْ مِنَ الطَّيْنِ مِثْلَ صُوْرَةِ الطَّيْرِ «فَأَنْفُخُ فِيهِ» أَيْ فِي الطَّيْرِ الْمَقْدَرِ مِنَ الطَّيْنِ وَ قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِيهَا أَيْ فِي الْهَيَاةِ الْمَقْدَرَةِ «فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ» وَ قُدْرَتُهُ وَ قِيلَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَ إِنَّمَا وَصَلَ قَوْلَهُ «بِإِذْنِ اللَّهِ» بِقَوْلِهِ «فَيَكُونُ طَيْرًا» دُونَ مَا قَبْلَهُ لِأَنَّ تَصَوْرَ الطَّيْنِ عَلَى هَيْئَةِ الطَّيْرِ وَ النْفَخُ فِيهِ مِمَّا يَدْخُلُ تَحْتَ مَقْدُوْرِ الْعِبَادَةِ فَمَا جَعَلَ الطَّيْنَ طَيْرًا حَتَّى يَكُونَ لِحْمًا وَ دَمًا وَ خَلَقَ الْحَيَاةَ فِيهِ فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ غَيْرُ اللَّهِ فَقَالَ «بِإِذْنِ اللَّهِ» لِيَعْلَمَ أَنَّهُ مِنْ فِعْلِهِ تَعَالَى وَ لَيْسَ

بفعل عيسى و فى التفسير أنه صنع من الطين كهيئته الخفاش و نفخ فيه فصار طائرا «وَ أَبْرِيءُ الْأَكْمَهَ» أى الذى ولد أعمى عن ابن عباس و قتاده و قيل هو الأعمى عن الحسن و السدى «وَ الْمَأْبُورِصَ» الذى به وضح و قال وهب و ربما اجتمع على عيسى من المرضى فى اليوم خمسون ألفا من أطاق منهم أن يبلغه بلغه و من لم يطق آتاه عيسى يمشى إليه و إنما كان يداويهم بالدعاء على شرط الإيمان «وَ أَحْيَى الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ» إنما أضاف الإحياء إلى نفسه على وجه المجاز و التوسع و لأن الله تعالى كان يحيى الموتى عند دعائه و قيل أنه أحيا أربعة أنفس عازر و كان صديقا له و كان قد مات منذ ثلاثه أيام فقال لأخته انطلقى بنا إلى قبره ثم قال اللهم رب السماوات السبع و رب الأرضين السبع إنك أرسلتني إلى بنى إسرائيل أدعوهم إلى دينك و أخبرهم بأنى أحى الموتى فأحى عازر فخرج من قبره و بقى و ولد له و ابن العجوز مر به مييتا على سريره فدعا الله عيسى (عليه السلام) فجلس على سريره و نزل عن أعناق الرجال و لبس ثيابه و رجع إلى أهله و بقى و ولد له و ابنه العاشر قيل له أ تحييها و قد ماتت أمس فدعا الله فعاشت و بقيت و ولدت و سام بن نوح دعا عليه باسم الله الأعظم فخرج من قبره و قد شاب نصف رأسه فقال قد قامت القيامة قال لا و لكنى دعوتك باسم الله الأعظم قال و لم يكونوا يشيرون فى ذلك الزمان لأن سام بن نوح قد عاش خمس مائه سنه و هو شاب ثم قال له مت قال بشرط أن يعيدنى الله من سكرات الموت فدعا الله ففعل و قال الكلبى كان يحيى الأموات بيا حى يا قيوم و إنما خص عيسى (عليه السلام) بهذه المعجزات لأن الغالب كان فى زمانه الطب فأراهم الله الآيات من جنس ما هم عليه لتكون المعجزه أظهر كما أن الغالب لما كان فى زمن موسى السحر أتاهم من جنس ذلك بما أعجزهم عن الإتيان بمثله و كان الغالب فى زمان نبينا ص البيان و البلاغه و الفصاحة فأراهم الله تعالى المعجزه بالقرآن الذى بهرهم ما فيه من عجائب النظم و غرائب البيان ليكون أبلغ فى باب الإعجاز بأن يأتى كلا من أمم الأنبياء بمثل ما هم عليه و يعجزون عن الإتيان بمثله إذ لو أتاهم بما لا يعرفونه لكان يجوز أن يخطر ببالهم أن ذلك مقدور للبشر غير أنهم لا يهتدون إليه «وَ أُتْبِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَ مَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ» أى أخبركم بالذى تأكلونه و تدخرونه كان يقول للرجل تغديت بكذا و كذا و رفعت إلى الليل كذا و كذا «إِنَّ فِي ذَلِكَ» أى فيما ذكرت لكم «لآيَةً» أى حجه و معجزه و دلاله «لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» بالله إذ كان

لا يصح العلم بمدلول المعجزه إلا لمن آمن بالله لأن العلم بالمرسل لا بد أن يكون قبل العلم بالرسول و في الآيه دلالة على أن عيسى (عليه السلام) كان مبعوثاً إلى جميع بني إسرائيل وقوله «أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ» يدل على أن العبد يحدث و يفعل و يخلق خلافا لقول المجبره لكن الخالق على الإطلاق هو الله تعالى.

سوره آل عمران (٣): الآيات ٥٠ الى ٥١

إشارة

وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَ لِأَحْلَلْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ (٥٠) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٥١)

اللغة

الفرق بين التصديق و التقليد أن التصديق لا يكون إلا فيما تبرهن عند صاحبه و التقليد قد يكون فيما لا يتبرهن و لهذا لا نكون مقلدين للنبي ص و إن كنا مصدقين له و الإحلال هو الإطلاق للفعل بتحسينه و التحريم هو حظر الفعل بتقييحه و الاستقامه خلاف الاعوجاج.

الإعراب

مصدقا نصب على الحال و تقديره و جئتكم مصدقا لأن أول الكلام يدل عليه و نظيره جئته بما يجب و معرفا له و لا يكون عطا لا- على وجيها و لا رسولا لقوله «لِما بَيْنَ يَدَيْ» و لم يقل لما بين يديه و قال أبو عبيده أراد بقوله «بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ» كل الذي حرم و يستشهد بقول لييد:

تراك أمكنه إذا لم أرضها

أو يعتلق بعض النفوس حمامها

قال معناه أو تعلق كل النفوس و أنكر الزجاج ذلك و قال معناه أو تعلق نفسى حمامها و خطأ أبا عبيده من وجهين (أحدهما) أن البعض لا يكون بمعنى الكل (و الثانى) أنه لا يجوز تحليل جميع المحرمات لأنه يدخل الكذب و الظلم و القتل فى ذلك.

المعنى

«وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ» أى لما أنزل قبلى من التوراه و ما فيه البشاره بى و من أرسل قبلى من الأنبياء «وَ لِأَحْلَلْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ» هذا معطوف على معنى قوله «مُصَدِّقًا» و تقديره و لأصدق ما بين يدي من التوراه و لأحل لكم كما تقول جئته

معتذرا و لأجل عطفه و قيل إن الذى أحل لهم لحوم الإبل و الشروب و بعض الطيور و الحيتان مما كان قد حرم على بنى إسرائيل عن قتاده و الربيع و ابن جريج و وهب و قيل أحل لكم السبت عن الكلبي «وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ» أى بحجه تشهد بصدقى «فَاتَّقُوا اللَّهَ» فى مخالفتى و تكذيبى «وَأَطِيعُوا» كما أمركم الله به «إِنَّ اللَّهَ رَبِّى وَ رَبُّكُمْ» أى مالكى و مالكمم و إنما قال ذلك ليكون حجه على النصارى فى قولهم الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ و المعنى لا تنسبونى إليه فأنا عبده كما أنكم عبيد له «فَاعْبُدُوهُ» وحده «هذا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ» أى دين الله أى عبادته دين مستقيم و قد استوفينا الكلام فى الرب و فى الصراط المستقيم فى سورة الحمد.

سوره آل عمران (٣): الآيات ٥٢ الى ٥٤

إشاره

فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ أَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٣) وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤)

اللغه

الإحساس الإدراك بالحاسه و الحس القتل لأنه يحس بألمه و الحس العطف لإحساس الرقه على صاحبه و الأنصار جمع نصير كالأشراف جمع شريف و أصل الحواري الحور و هو شده البياض و منه الحواري من الطعام لشده بياضه قال الحرث بن حلز:

فقل للحواريات يبكين غيرنا

و لا تبكنا إلا الكلاب النواج

يعنى النساء لبياضهن و الشاهد هو المخبر بالشىء عن مشاهده هذا حقيقه و قد يتصرف فيه فيقال البرهان شاهد بحق أى هو بمنزله المخبر به عن مشاهده و يقال هذا شاهد أى معد للشهاده و المكر الالتفاف و منه قولهم لضرب من الشجر مكر لالتفافه و الممكوره من النساء الملتفه الخلق و حد المكر حب يختدع به العبد لإيقاعه فى الضرر و الفرق بين المكر و الحيله أن الحيله قد تكون لإظهار ما يعسر من الفعل من غير قصد إلى الإضرار بالعبد و المكر حيله على العبد توقعه فى مثل الوهق.

الإعراب

قيل إن إلى بمعنى مع كقولهم الذود إلى الذود إبل أى مع الذود قال

الزجاج لا يجوز أن يقال أن بعض الحروف من حروف المعاني بمعنى الآخر وإنما معنى هذا أن اللفظ لو عبر عنه بمع أفاد هذا المعنى لا- أن إلى بمعنى مع لو قلت ذهب زيد إلى عمرو لم يجز أن يقول ذهب زيد مع عمرو لأن إلى غاية و مع يضم الشىء إلى الشىء و الحروف قد تتقارب فى الفائدة فيظن الضعيف العلم باللغه أن معناهما واحد من ذلك قوله تعالى وَ لَأَصْلَبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ و لو كانت على هاهنا لأدت هذه الفائدة و أصل فى إنما هو للوعاء و أصل على لما علا الشىء فقولك التمر فى الجراب لو قلت على الجراب لم يصح ذلك و لكن جاز فى جُذُوعِ النَّخْلِ لأن الجذع مشتمل على المصلوب لأنه قد أخذه من أقطاره و لو قلت زيد على الجبل أو فى الجبل يصلح لأن الجبل قد اشتمل على زيد فعلى هذا مجاز هذه الحروف.

المعنى

«فَلَمَّا أَحَسَّ» أى وجد و قيل أبصر و رأى و قيل علم «عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ» و أنهم لا يزدادون إلا إصرارا على الكفر بعد ظهور الآيات و المعجزات امتحن المؤمنين من قومه بالسؤال و التعريف عما فى اعتقادهم من نصرته ف «قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ» و قيل أنه لما عرف منهم العزم على قتله قال «مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ» و فيه أقوال (أحدها) أن معناه من أعوانى على هؤلاء الكفار مع معونه الله عن السدى و ابن جريج (و الثانى) أن معناه من أنصارى فى السبيل إلى الله عن الحسن لأنه دعاهم إلى سبيل الله (و الثالث) أن معناه من أعوانى على إقامة الدين المؤدى إلى الله أى إلى نيل ثوابه كقوله إني ذاهب إلى ربى سيهدى و مما يسأل على هذا أن عيسى إنما بعث للوعظ دون الحرب فلم استنصر عليهم فيقال لهم للجماعة من الكافرين الذين أرادوا قتله عند إظهار الدعوه عن الحسن و مجاهد و قيل أيضا يجوز أن يكون طلب النصره للتمكين من إقامة الحججه و لتمييز الموافق من المخالف «قَالَ الْخَوَارِيُّونَ» و اختلف فى سبب تسميتهم بذلك على أقوال (أولها) أنهم سموا بذلك لنقاء ثيابهم عن سعيد بن جبير (و ثانيها) أنهم كانوا قصارين يبيضون الثياب عن ابن أبى نجیح عن أبى أرطاه (و ثالثها) أنهم كانوا صيادين يصيدون السمك عن ابن عباس و السدى (و رابعها) أنهم كانوا خاصه الأنبياء عن قتاده و الضحاك و هذا أوجه لأنهم مدحوا بهذا الاسم كأنه ذهب إلى نقاء قلوبهم كنقاء الثوب الأبيض بالتحوير

و يروى عن النبى ص

و قال الحسن الحوارى الناصر و الحواريون الأنصار و قال الكلبى و أبو روق الحواريون أصفياء عيسى و كانوا اثنى عشر رجلا و قال عبد الله بن المبارك سموا حواريين لأنهم كانوا نورانيين عليهم أثر العباده و نورها و حسنهما كما قال تعالى سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ «نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ» معناه نحن أعوان الله على الكافرين من قومك أى أعوان رسول الله ص و أعوان دين الله «آمَنَّا بِاللَّهِ» أى صدقنا بالله أنه واحد لا شريك له «وَ أَشْهَدُ» يا عيسى «بِأَنَّ مُسَيِّمُونَ» أى لنا كن شهيدا عند الله أشهدوه على إسلامهم لأن الأنبياء شهداء على خلقه يوم القيامة كما قال تعالى وَ يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا* «رَبَّنَا» أى يا ربنا «آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ» على عيسى «وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ» أى اتبعناه «فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ» أى فى جملة الشاهدين بجميع ما أنزلت لنفوز بما فازوا به و ننال ما نالوا من كرامتك و قيل معناه و اجعلنا مع محمد ص و أمته عن ابن عباس و قد سماهم الله شهداء بقوله لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ أى من الشاهدين بالحق من عندك هذا كله حكاية قول الحواريين و روى أنهم اتبعوا عيسى و كانوا إذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده على الأرض سهلا كان أو جبلا فيخرج لكل إنسان منهم رغيفين يأكلهما و إذا عطشوا قالوا يا روح الله عطشنا فيضرب بيده على الأرض سهلا كان أو جبلا فيخرج ماء فيشربون قالوا يا روح الله من أفضل منا إذا شئنا أطعمتنا و إذا شئنا سقيتنا و قد آمننا بك و اتبعنا قال أفضل منكم من يعمل بيده و يأكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالكراء و قوله «وَ مَكْرُوا» يعنى كفار بنى إسرائيل الذين عناهم الله بقوله فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ الْآيَةَ و معناه دبروا لقتل عيسى (عليه السلام) «وَ مَكَرَ اللَّهُ» أى جازاهم على مكرهم و سمي المجازاه على المكر مكر كما قال الله تعالى اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ و جاء فى التفسير أن عيسى بعد إخراج قومه إياه من بين أظهرهم عاد إليهم مع الحواريين و صاح فيهم بالدعوة فهموا بقتله و تواطئوا على الفتك به فذلك مكرهم به و مكر الله بهم إلقاء الشبه على صاحبهم الذى أراد قتل عيسى حتى قتل و صلب و رفع عيسى إلى السماء و قال ابن عباس لما أراد ملك بنى إسرائيل قتل عيسى (عليه السلام) دخل خوخته و فيها كوه فرفعه جبرائيل من الكوه إلى السماء و قال الملك لرجل منهم خبيث أدخل عليه فاقتله فدخل الخوخه فألقى الله عليه شبه عيسى فخرج إلى أصحابه يخبرهم أنه ليس فى البيت فقتلوه و صلبوه و ظنوا أنه عيسى و قال وهب أسروه و نصبوا له خشبه ليصلبوه فأظلمت الأرض و أرسل الله الملائكة فحالوا بينه و بينهم فأخذوا رجلا- يقال له يهوذا و هو الذى دلهم على المسيح و ذلك أن عيسى جمع الحواريين تلك الليلة و أوصاهم ثم قال ليكفرن بى أحدكم قبل أن يصيح الديك و يبيعنى بدرهم

يسيره فخرجوا و تفرقوا و كانت اليهود تطلبه فأتى أحد الحواريين إليهم فقال ما تجعلوا لى أن أدلكم عليه فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها و دلهم عليه فألقى الله عليه شبه عيسى (عليه السلام) لما دخل البيت و رفع عيسى فأخذ فقال أنا الذى دلتكم عليه فلم يلتفتوا إلى قوله و صلبوه و هم يظنون أنه عيسى فلما صلب شبه عيسى (عليه السلام) و أتى على ذلك سبعة أيام قال الله عز و جل لعيسى اهبط على مريم لتجمع لك الحواريين و تبثهم فى الأرض دعاه فهبط و اشتعل الجبل نورا فجمعت له الحواريين فبثهم فى الأرض دعاه ثم رفعه الله سبحانه و تلك الليلة هى الليلة التى تدخن فيها النصارى فلما أصبح الحواريون حدث كل واحد منهم بلغه من أرسله عيسى (عليه السلام) إليهم فذلك قوله تعالى «وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ» أى أفضل المعاونين و قيل أنصف الماكرين و أعدلهم لأن مكرهم ظلم و مكره عدل و إنصاف و إنما أضاف الله المكر إلى نفسه على مزاجه الكلام كما قال فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ و الثانى ليس باعتداء و إنما هو جزاء و هذا أحد وجوه البلاغ كالمجانسه و المطابقه و المقابله فالمجانسه كقوله تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصَارُ و المطابقه كقوله «ما ذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا» بالنصب على مطابقه السؤال و المقابله نحو قوله «وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ وَ وُجُودٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَةٍ تَضُنُّ أَنْ يُفَعَّلَ بِهَا فَاقِرَةٌ».

سوره آل عمران (٣): آيه ٥٥

اشاره

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِنِّي فَاعِيكَ وَ رَافِعُكَ إِلَى وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ جَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٥٥)

الإعراب

العامل فى «إِذْ» قوله «وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ» إذ قال و يحتمل أن يكون تقديره ذاك إذ قال الله و تمثله ذاك واقع إذ قال الله ثم حذف واقع و هو العامل فى إذ و أقيمت إذ مقامه و «عيسى» فى موضع الضم لأنه منادى مفرد لكن لا يتبين فيه الإعراب لأنه منقوص و هو لا ينصرف لاجتماع العجمه و التعريف.

المعنى

لما بين سبحانه ما هم به قوم عيسى من المكر به و قتله عقبه بما أنعم عليه من لطف التدبير و حسن التقدير فقال «إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِنِّي فَاعِيكَ» و قيل فى

معناه أقوال (أحدها) أن المراد به إنى قابضك برفعك من الأرض إلى السماء من غير وفاه بموت عن الحسن و كعب و ابن جريج و ابن زيد و الكلبي و غيرهم و على هذا القول يكون للمتوفى تأويلان (أحدهما) إنى رافعك إلى وafia لم ينالوا منك شيئاً من قولهم توفيت كذا و استوفيته أى أخذته تاماً (و الآخر) إنى متسلمك من قولهم توفيت منه كذا أى تسلمته (و ثانيها) إنى متوفيك وفاه نوم و رافعك إلى فى النوم عن الربيع قال رفعه نائماً و يدل عليه قوله «وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ» أى يميتمكم لأن النوم أخو الموت و قال اللَّهُ يَتَوَفَّى الْمَأْنُفَسَ حِينَ مَوْتِهَا وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا الْآيَةَ (و ثالثها) إنى متوفيك وفاه نوم عن ابن عباس و وهب قالاً أماته الله ثلاث ساعات فأما النحويون فيقولون هو على التقديم و التأخير أى إنى رافعك و متوفيك لأن الواو لا توجب الترتيب بدلاله قوله فَكَيْفَ كَانَ عِذَابِي وَ نُذْرِي* و النذر قبل العذاب بدلاله قوله «وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا» و هذا مروى عن الضحاك و يدل عليه ما

روى عن النبى ص أنه قال إن عيسى بن مريم لم يمى و أنه راجع إليكم قبل يوم القيامة

و

قد صح عنه ص أنه قال كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم و إمامكم منكم رواه البخارى و مسلم فى الصحيح

فعلى هذا يكون تقديره إنى قابضك بالموت بعد نزولك من السماء و قوله «وَ رَافِعُكَ إِلَيَّ» فيه قولان (أحدهما) إنى رافعك إلى سمائى و سسمى رفعه إلى السماء رفعا إليه تفخيماً لأمر السماء يعنى رافعك لموضع لا يكون عليك إلا أمرى (و الآخر) أن معناه رافعك إلى كرامتى كما قال حكاية عن إبراهيم (عليه السلام) إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّهْدِينِ أَى إِلَى حَيْثُ أَمَرَنِي رَبِّي سَمَى ذَهَابَهُ إِلَى الشَّامِ ذَهَاباً إِلَى رَبِّهِ وَ قَوْلُهُ «وَ مُطَهَّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا» و فيه قولان (أحدهما) مطهرك بإخراجك من بينهم و إنجائك منهم فإنهم أرجاس جعل مقامه فيما بينهم كملاقاه النجاسه من حيث كان يحتاج إلى مجاورتهم و مجاراتهم (و الآخر) أن تطهيره منعه من كفر يفعلونه بالقتل الذى كانوا هموا به لأن ذلك رجس طهره الله منه عن الجبائى و قوله «وَ جَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» معناه و جعل الذين آمنوا بك فوق الذين كذبوا عليك و كذبوك فى العز و الغلبه و الظفر و النصره و قيل فى البرهان و الحججه و المعنى به النصرارى قال ابن زيد و لهذا لا ترى اليهود حيث كانوا إلا- أذل من النصرارى و لهذا أزال الملك عنهم و إن كان ثابتا فى النصرارى على بلاد الروم و غيرها فهم أعز منهم و فوقهم إلى يوم القيامة و قال الجبائى فيه دلالة على أنه لا يكون لليهود مملكه إلى يوم القيامة كما للروم و قيل المعنى به أمه محمد ص و إنما سماهم تبعاً و إن كانت لهم شريعته على حده لأنه وجد فيهم التبعيه صورته و معنى أما صورته فإنه يقال فلان يتبع فلانا إذا جاء بعده و أما معنى فلان نبينا ص كان

مصدقاً بعيسى و بكتابه و يقال لمن يصدق غيره أنه يتبعه على أن شريعته نبينا و سائر الأنبياء متحده فى أبواب التوحيد فعلى هذا هو متبع له إذ كان معتقدا اعتقاده و قائلًا- بقوله و هذا القول أوجه لأن فيه ترغيبا فى الإسلام و دلالة على أن أمه محمد ص يكونون ظاهرين إلى يوم القيامة و لأن من دعاه إليها لا يكون فى الحقيقة تابعا له «ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ» أى مصيركم «فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ» فأقضى بينكم «فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» من أمر عيسى.

سوره آل عمران (٣): الآيات ٥٦ الى ٥٨

إشارة

فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذُّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٥٦) وَ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٥٧) ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ (٥٨)

القراءة

قرأ حفص و رويس عن يعقوب فيوفيههم بالياء و الباقر بالنون.

الحجة

من قرأ بالنون فهو مثل «فَأَعَذُّبُهُمْ» و يحسنه قوله «ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ» و من قرأ بالياء فلأن ذكر الله قد تقدم فى قوله إذ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَ رَافِعُكَ أَوْ صَارَ مِنْ لَفْظِ الْخُطَابِ إِلَى الْغَيْبِ كَقَوْلِهِ فَأَوْلِيكَ هُمْ الْمُضْغِفُونَ بعد قوله وَ مَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاهٍ.

الإعراب

«نَتْلُوهُ عَلَيْكَ» فى موضع رفع بأنه خبر «ذَلِكَ» و يجوز أن يكون صلة لذلك و يكون ذلك بمعنى الذى فعلى هذا لا موضع لقوله «نَتْلُوهُ» و تقديره الذى نتلوه و قوله «مِنَ الْآيَاتِ» فى موضع رفع بأنه خبره و أنشدوا فى مثله:

عدس ما لعباد عليك إماره

نجوت و هذا تحملين طليق

تقديره و الذى تحملين طليق.

المعنى

«فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذُّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» عذابهم فى الدنيا إذلالهم بالقتل و الأسر و السبى و الخسف و الجزية و كل ما فعل على وجه

الاستخفاف والإهانة وفي الآخرة عذاب الأبد في النار «وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ» أي أعوان يدفعون عنهم عذاب الله تعالى «وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ» أي يوفر عليهم ويتمم «أُجُورَهُمْ» أي جزاء أعمالهم «وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» أي لا يريد تعظيمهم وإثابتهم ولا يرحمهم ولا يثني عليهم وهذه الآية حجه على من قال بالإحباط لأنه سبحانه وعد بتوفيه الأجر وهو الثواب والتوفيه منافيه للإحباط «ذَلِكَ» إشاره إلى الإخبار عن عيسى و زكريا ويحيى وغيرهم «نَتْلُوهُ عَلَيْكَ» نقرأه عليك و نكلمك به وقيل نأمر جبرائيل أن يتلوه عليك عن الجبائي «مِنَ الْآيَاتِ» أي من جملة الآيات والحجج الداله على صدق نبوتك إذا علمتهم بما لا- يعلمه إلا- قارئ كتاب أو معلم و لست بواحد منها فلم يبق إلا- أنك قد عرفته من طريق الوحي «وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ» القرآن المحكم وإنما وصفه بأنه حكيم لأنه بما فيه من الحكمة كأنه ينطق بالحكمة كما تسمى الدلالة دليلا لأنها بما فيها من البيان كأنها تنطق بالبيان والبرهان وإن كان الدليل في الحقيقة هو الدال.

سوره آل عمران (٣): الآيات ٥٩ الى ٦١

إشاره

إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦١)

اللغه

المثل ذكر سائر يدل على أن سبيل الثاني سبيل الأول و تعالوا أصله من العلو يقال تعاليت أتعالي أي جئت و أصله المجيء إلى ارتفاع إلا- أنه كثر في الاستعمال حتى صار بمعنى هلم و قيل في الابتغال قولان (أحدهما) أنه بمعنى الالتعان و افتعلوا بمعنى تفاعلوا كقولهم اشتوروا بمعنى تشاوروا مهله الله أي لعنه الله و عليه مهله الله أي لعنه الله (و الآخر) أنه بمعنى الدعاء بالهلاك قال لييد:

نظر الدهر إليهم فابتهل

أي دعا عليهم بالهلاك فالبلع كاللعن و هو المباعده عن رحمه الله عقابا على معصيته و لذلك لا

يجوز أن يلعن من ليس بعاص من طفل أو بهيم أو نحوهما.

الإعراب

قوله «خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ» لا موضع له من الإعراب لأنه لا يصلح أن يكون صفة لآدم من حيث هو نكره و لا يكون حالا له لأنه ماض فهو متصل فى المعنى غير متصل فى اللفظ بعلامه من علامات الاتصال فيكون الرفع على تقدير فهو يكون و «الْحَقُّ» رفع لأنه خبر مبتدأ محذوف و تقديره ذلك الإخبار فى أمر عيسى الحق من ربك فحذف ذلك لدلاله شاهد الحال عليه كما يقال الهلال و الله أى هذا الهلال و قيل الحق مبتدأ و خبره قوله «مِنْ رَبِّكَ».

النزول

قيل نزلت الآيات فى وفد نجران العاقب و السيد و من معهما قالوا لرسول الله هل رأيت ولدا من غير ذكر فنزل «إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ» الآيات فقرأها عليهم عن ابن عباس و قتاده و الحسن فلما دعاهم رسول الله إلى المباهله استنظروه إلى صبيحه عد من يومهم ذلك فلما رجعوا إلى رجالهم قال لهم الأسقف انظروا محمدا فى غد فإن غدا بولده و أهله فاحذروا مباهلتة و إن غدا بأصحابه فباهلوه فإنه على غير شىء فلما كان الغد جاء النبى ص آخذا بيد على بن أبى طالب (عليه السلام) و الحسن (عليه السلام) و الحسين (عليه السلام) بين يديه يمشيان و فاطمه (عليه السلام) تمشى خلفه و خرج النصارى يقدمهم أسقفهم فلما رأى النبى ص قد أقبل بمن معه سأل عنهم فقيل له هذا ابن عمه و زوج ابنته و أحب الخلق إليه و هذان ابنا بنته من على (عليه السلام) و هذه الجارية بنته فاطمه أعز الناس عليه و أقربهم إلى قلبه و تقدم رسول الله ص فجشا على ركبته قال أبو حارثه الأسقف جثا و الله كما جثا الأنبياء للمباهله فكح و لم يقدم على المباهله فقال السيد ادن يا أبا حارثه للمباهله فقال لا إنى لأرى رجلا- جريئا على المباهله و أنا أخاف أن يكون صادقا و لئن كان صادقا لم يحل و الله علينا الحول و فى الدنيا نصرانى يطعم الماء فقال الأسقف يا أبا القاسم إنا لا نباهلك و لكن نصالحك فصالحنا على ما ينهض به فصالحهم رسول الله ص على ألفى حله من حلل الأوقى قيمه كل حله أربعون درهما فما زاد أو نقص فعلى حساب ذلك و على عاربه ثلاثين درعا و ثلاثين رمحا و ثلاثين فرسا إن كان باليمن كيد و رسول الله ضامن حتى يؤديها و كتب لهم بذلك كتابا و روى أن الأسقف قال لهم إنى لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا- من مكانه لأزاله فلا تبتهلوا فتهلكوا و لا يبقى على وجه الأرض نصرانى إلى يوم القيامة و

قال النبى و الذى نفسى بيده لو لا عنونى لمسخوا قرده و خنازير و لاضطرم الوادى عليهم نارا و لما حال الحول

قالوا فلما رجع وفد نجران لم يلبث السيد و العاقب إلا يسيرا حتى رجعا إلى النبي و أهدى العاقب له حله و عصا و قدحا و نعلين و أسلما.

المعنى

ثم رد الله تعالى على النصارى قولهم فى المسيح أنه ابن الله فقال «إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ» أى مثل عيسى فى خلق الله إياه من غير أب كمثل آدم فى خلق الله إياه من غير أب و لا أم فليس هو بأبدع و لا أعجب من ذلك فكيف أنكروا هذا و أقروا بذلك ثم بين سبحانه كيف خلقه فقال «خَلَقَهُ» أى أنشأه «مِنْ تُرَابٍ» و هذا إخبار عن آدم و معناه خلق عيسى من الريح و لم يخلق قبل أحدا من الريح كما خلق آدم من التراب و لم يخلق قبله أحدا من التراب «ثُمَّ قَالَ لَهُ» أى لآدم و قيل لعيسى «كُنْ» أى كن حيا بشرا سويا «فَيَكُونُ» أى فكان فى الحال على ما أراد و قد مر تفسير هذه الكلمه فيما قبل فى سوره البقره مشروحا و فى هذه الآيه دلالة على صحه النظر و الاستدلال لأن الله احتج على النصارى و دل على جواز خلق عيسى من غير أب كخلقه آدم من غير أب و لا- أم «الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ» أى هذا هو الحق من ربك أضاف إلى نفسه تأكيدا و تعليلا- أى هو الحق لأنه من ربك «فَلَا تَكُنْ» أيها السامع «مِنَ الْمُتَمَتِّرِينَ» و قد مر تفسيره فى سوره البقره «فَمَنْ حَاجَّكَ» معناه فمن خصمك و جادللك يا محمد «فِيهِ» أى فى قصه عيسى «مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ» أى من البرهان الواضح على أنه عبدى و رسولى عن قتاده فى معناه و قيل فمن حاجك فى الحق و الهاء فى فيه عائده إلى قوله «الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ» «فَقُلْ» يا محمد لهؤلاء النصارى «تَعَالَوْا» إلى كلمه أى هلموا إلى حجه أخرى ماضيه فاصله تميز الصادق من الكاذب «نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ» أجمع المفسرون على أن المراد بأبنائنا الحسن و الحسين قال أبو بكر الرازى هذا يدل على أن الحسن و الحسين ابنا رسول الله و أن ولد الابنه ابن فى الحقيقه و قال ابن أبى علان و هو أحد أئمه المعتزله هذا يدل على أن الحسن و الحسين كانا مكلفين فى تلك الحال لأن المباهله لا تجوز إلا مع البالغين و قال أصحابنا إن صغر السن و نقصانها عن حد بلوغ الحلم لا- ينافى كمال العقل و إنما جعل بلوغ الحلم حدا لتعلق الأحكام الشرعيه و قد كان سنهما فى تلك الحال سنا لا يمتنع معها أن يكونا كاملى العقل على أن عندنا يجوز أن يخرق الله العادات للأئمه و يخصهم بما لا يشركهم فيه غيرهم فلو صح أن كمال العقل غير معتاد فى تلك السن لجاز ذلك فيهم إبانة لهم عن سواهم و دلالة على مكانهم من الله تعالى و اختصاصهم و مما يؤيده

من الأخبار قول النبي ص ابنائى هذان إمامان قاما أو قعدا

«وَ نِسَاءَنَا» اتفقوا على أن المراد به فاطمه (عليه السلام) لأنه لم يحضر المباهله غيرها من النساء و هذا يدل على تفضيل الزهراء على جميع

ما جاء فى الخبر أن النبى ص قال فاطمه بضعه منى يرببنى ما رابها و قال إن الله يغضب لغضب فاطمه و يرضى لرضائها

و

قد صح عن حذيفه أنه قال سمعت النبى ص يقول أتانى ملك فبشرنى أن فاطمه سيده نساء أهل الجنة أو نساء أمتى

و

عن الشعبى عن مسروق عن عائشه قالت أسر النبى إلى فاطمه شيئاً فضحكت فسألتها فقالت قال لى أ لا ترضين أن تكونى سيده نساء هذه الأمه أو نساء المؤمنين فضحكت لذلك

«وَنِسَاءكُمْ» أى من شئتم من نسائكم «وَأَنْفُسِنَا» يعنى عليا خاصه و لا يجوز أن يكون المعنى به النبى ص لأنه هو الداعى و لا يجوز أن يدعو الإنسان نفسه و إنما يصح أن يدعو غيره و إذا كان قوله «وَأَنْفُسِنَا» لا بد أن يكون إشاره إلى غير الرسول و جب أن يكون إشاره إلى على لأنه لا أحد يدعى دخول غير أمير المؤمنين على و زوجته و ولديه فى المباهله و هذا يدل على غايه الفضل و علو الدرجه و البلوغ منه إلى حيث لا يبلغه أحد إذ جعله الله نفس الرسول و هذا ما لا يدانيه فيه أحد و لا يقاربه و مما يعضده من الروايات

ما صح عن النبى إنه سأل عن بعض أصحابه فقال له قائل فعلى فقال ما سألتنى عن الناس و لم تسألنى عن نفسى

و

قوله لبريده الأسمى يا بريده لا تبغض عليا فإنه منى و أنا منه إن الناس خلقوا من شجر شتى و خلقت أنا و على من شجره واحده

و

قوله (عليه السلام) بأحد و قد ظهرت نكايته فى المشركين و وقايته إياه بنفسه حتى قال جبرائيل إن هذا لهي المواساه فقال يا جبرائيل أنه منى و أنا منه فقال جبرائيل و أنا منكما

«وَأَنْفُسِيَكُمْ» يعنى من شئتم من رجالكم «ثُمَّ نَبَّهْلُ» أى نتضرع فى الدعاء عن ابن عباس و قيل نلتعن فنقول لعن الله الكاذب «فَنَجْعِلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ» منا و فى هذه الآيه دلالة على أنهم علموا أن الحق مع النبى لأنهم امتنعوا عن المباهله و أقروا بالذل و الخزى لقبول الجزيه فلو لم يعلموا ذلك لباهلوه فكان يظهر ما زعموا من بطلان قوله فى الحال و لو لم يكن النبى ص متيقنا بنزول العقوبه بعدوه دونه لما أدخل أولاده و خواص أهله فى ذلك مع شدة إشفاقه عليهم.

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٢) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ (٦٣)

اللغة

القصص القصة و فعل بمعنى مفعول كالنقض و القبض و القصص جمع القصة و يقال اقتصصت الحديث و قصصته قصا و قصصا رويته على جهته و هو من اقتصصت

ص: ٢٨٠

الأثر أى اتبعته و منه اشتق القصاص و القصص الخبر الذى تتابع فيه المعانى و التولى عن الحق اعتقاد خلافه لأنه كالإدبار عنه بعد الإقبال عليه و أصل التولى كون الشىء يلى غيره من غير فصل بينه و بينه و الإفساد إيقاع الشىء على خلاف ما توجه الحكمة و الإصلاح إيقاعه على ما توجه الحكمة و الفرق بين الفساد و القبيح أن الفساد تغيير عن المقدار الذى تدعو إليه الحكمة و ليس كذلك القبيح لأنه ليس فيه معنى المقدار و إنما هو ما تزجر عنه الحكمة كما أن الحسن ما تدعو إليه الحكمة.

الإعراب

«ما مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ» دخول من فيه لعموم النفى لكل إله غير الله و إنما أفادت من هذا المعنى لأن أصلها لا ابتداء الغايه فدلّت على استغراق النفى لا ابتداء الغايه إلى انتهائها و قوله «لَهُوَ» يجوز أن يكون هو فصلاً و يسميه الكوفيون عماداً فلا يكون له موضع من الإعراب و يكون «الْقَصَصُ» خبر إن و يجوز أن يكون مبتدأ و القصص خبره و الجملة خبر إن.

المعنى

«إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ» معناه أن هذا الذى أوحينا إليك فى أمر عيسى (عليه السلام) و غيره لهو الحديث الصدق فمن خالفك فيه مع وضوح الأمر فهو معاند «وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ» أى و ما لكم أحد يستحق إطلاق اسم الإلهيه إلا الله و أن عيسى ليس بإله كما زعموا و إنما هو عبد الله و رسوله و لو قالوا ما إله إلا الله بغير «مِنْ» لم يفد هذا المعنى «وَأَنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ» أى القادر على الكمال «الْحَكِيمُ» فى الأقوال و الأفعال و التقدير و التدبير «فَإِنْ تَوَلَّوْا» أى فإن أعرضوا عن اتباعك و تصديقك و عما أتيت به من الدلالات و البيّنات «فَمَا يَنْ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ» أى بمن يفسد من خلقه فيجازيهم على إفسادهم و إنما ذكر ذلك على جهه الوعيد و إلا فإنه تعالى عليم بالمفسد و المصلح جميعاً و نظيره قول القائل لغيره أنا عالم بشرك و فسادك و قيل معناه أنه عليم بهؤلاء المجادلين بغير حق و بأنهم لا يقدمون على مباحثتك لمعرفةهم بنبوتك.

سوره آل عمران (٣): آيه ٦٤

اشاره

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَ لَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)

قال الزجاج معنى كلمه كلام فيه شرح قصه و إن طال و لذلك تقول العرب للقصيده كلمه، يروى أن حسان بن ثابت كان إذا قيل له أنشدنا قال هل أنشد كلمه الحويدره يعنى قصيدهته التى أولها:

بكرت سميّه غدوه فتمنع

و معنى سواء أى عدل و سوى بمعناه قال زهير:

أرونى خطه لا ضيم فيها

يسوى بيننا فيها السواء

فإن ترك السواء فليس بينى

و بينكم بنى حصن بقاء

و قيل سواء مستو هو مصدر وضع موضع اسم الفاعل و معناه إلى كلمه مستويه و هو عند الزجاج اسم ليس بصفه و إنما جر بتقدير ذات سواء و جوز نصبه على المصدر.

الإعراب

موضع «أَلَّا نَعْبُدَ» فيه وجهان (أحدهما) أن يكون فى موضع جر على البدل من «كَلِمَةٍ» فكأنه قال تعالوا إلى أن لا نعبد إلا الله (و الآخر) أن يكون فى موضع رفع على تقدير هى أن لا-نعبد إلا-الله و لو قرئ أن لا نعبد بالرفع كان أن هى المخففه من المثقله فكأنه قال أنه لا نعبد إلا الله كقوله «أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا» و على هذا يثبت النون فى الخط و يكون أن من العوامل فى الأسماء و على الأول يكون من العوامل فى الأفعال و لا يثبت فى الخط النون و لو قرئ أن لا نعبد إلا الله بالإسكان فأن مفسره كالتى فى قوله «أَنْ امشُوا و لا نعبد نهى».

النزول

قيل فى سبب نزول الآيه أقوال (أحدها) أنها نزلت فى نصارى نجران عن الحسن و السدى و ابن زيد و محمد بن جعفر بن الزبير (و ثانيها) أنها نزلت فى يهود المدينه عن قتاده و الربيع و ابن جريج و قد رواه أصحابنا أيضا (و ثالثها) أنها نزلت فى الفريقين من أهل الكتاب على الظاهر عن أبى على الجبائى و هذا أولى لعمومه.

المعنى

لما تم الحجاج على القوم دعاهم تعالى إلى التوحيد و إلى الاقتداء بمن اتفقوا أنه كان على الحق فقال «قُلْ» يا محمد «يا أَهْلَ

الْكِتَابِ تَعَالَوْا» أَي هَلُمُوا «إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ» أَي عَدْلٍ «بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ» أَي عَادِلُهُ لَا مِيلَ لَهَا كَمَا يُقَالُ رَجُلٌ عَدْلٌ أَي عَادِلٌ لَا مِيلَ فِيهِ
وَقِيلَ مَعْنَاهُ كَلِمَةٌ مَسْتَوِيَةٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ فِيهَا تَرَكَّ الْعِبَادَةَ لِغَيْرِ اللَّهِ وَهِيَ «أَلَّا نَعْبُدَ

ص: ٢٨٢

إِلَّا اللَّهَ» لِأَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَحِقُّ إِلَّا لَهُ «وَلَا تُشْرِكُ بِهِ» فِي الْعِبَادَةِ «شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ» اختلف في معناه فقيل معناه ولا يتخذ بعضنا عيسى ربا فإنه كان بعض الناس وقيل معناه أن لا نتخذ الأخبار أربابا بأن نطيعهم طاعه الأرباب لقوله «اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ»

و روى عن أبي عبد الله أنه قال ما عبدوهم من دون الله و لكن حرموا لهم حلالا و أحلوا لهم حراما فكان ذلك اتخاذهم أربابا من دون الله

و قد روى أيضا أنه لما نزلت هذه الآية قال عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله فقال ص أ ما كانوا يحلون لكم و يحرمون فتأخذون بقولهم فقال نعم فقال النبي ص هو ذاك

«فَإِنْ تَوَلَّوْا» أَى أَعْرَضُوا عَنِ الْإِقْرَارِ بِالْعُبُودِيَةِ وَ إِنْ أَحَدًا لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ غَيْرَهُ «فَقُولُوا» أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ مُقَابِلَهُ لِإِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْحَقِّ وَ تَجْدِيدًا لِلْإِقْرَارِ وَ مَخَالَفَتِهِمْ «أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» أَى مُخْلِصُونَ مَقْرُونٌ بِالتَّوْحِيدِ وَ قِيلَ مُسْتَسْلِمُونَ مُنْقَادُونَ لِمَا أَتَى بِهِ النَّبِيُّ وَ الْأَنْبِيَاءُ مِنَ اللَّهِ وَ قِيلَ مُقِيمُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَ هَذَا تَأْدِيبٌ مِنَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِ وَ تَعْلِيمٌ لَهُ كَيْفَ يَفْعَلُ عِنْدَ إِعْرَاضِ الْمَخَالَفِ بَعْدَ ظَهْوَرِ الْحُجَّةِ لِيَعْلَمَ الْمَبْطَلُ أَنَّ مَخَالَفَتَهُ لَا يُوَثِّرُ فِي حَقِّهِ وَ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ الْحَقَّ يَجِبُ اتِّبَاعَهُ مِنْ غَيْرِ اعْتِبَارِ بِالْقَلْبِ وَ الْكُثْرَةِ.

سورة آل عمران (٣): الآيات ٦٥ الى ٦٦

إشارة

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَ مَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَ الْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَ فَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجِّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٦٦)

القراءة

قرأ أهل الكوفة «ها أنتم» بالمد و الهمز وقرأ أهل المدينة و أبو عمرو بغير مد و لا همز إلا بقدر خروج الألف الساكنة وقرأ ابن كثير و يعقوب بالهمزة و القصر من غير مد على و زنها عنتم وقرأ ابن عامر بالمد دون الهمز.

الحجج

الكلام في المد و الهمز كثير و الوجه أن من حقق فعلى الأصل لأنهما حرفان ها و أنتم و من لم يمد و لم يهمز فللتخفيف من غير إخلال.

اللغة

الفرق بين الحجاج و الجدال أن الحجاج يتضمن إما حجة أو شبهة في

صوره الحججه و الجدال هو قتل الخصم إلى المذهب بحجه أو شبهه أو إيهام فى الحقيقه لأن أصله من الجدال و هو شده القتل و الحججه هى البيان الذى شهد بصحه المقال و هو و الدلاله بمعنى واحد.

الإعراب

«ها أَنتُمْ» للتنبيه و قد كثر التنبيه فى هذا و لم يكثر فى ها أنت لأن ذا مبهم من حيث يصلح لكل حاضر و المعنى فيه واحد بعينه مما يصلح له فقوى بالتنبيه لتحريك النفس على طلبه بعينه و ليس كذلك أنت لأنه لا يصلح لكل حاضر فى الجملة و إنما هو للمخاطب و خبر هؤلاء على أن أولاء بمعنى الذين و ما بعده صلته له.

النزول

قال ابن عباس و الحسن و قتاده إن أحبار اليهود و نصارى نجران اجتمعوا عند رسول الله فتنازعوا فى إبراهيم فقالت اليهود ما كان إلا يهوديا و قالت النصارى ما كان إلا نصرانيا فأنزل الله هذه الآيه.

المعنى

«يا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ» أى لم تنازعون و تجادلون فيه و تدعون أنه على دينكم «وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَ الْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ» أى من بعد إبراهيم «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» إن الإقامه على الدعوى من غير برهان غير جائزه فى العقل فكيف يجوز الإقامه على الدعوى بعد ما ظهر فسادها فإن قيل لو دل نزول التوراه و الإنجيل بعد إبراهيم على أنه لم يكن على اليهوديه و النصرانيه لوجب أن يدل نزول القرآن بعده على أنه لم يكن على الإسلام فالجواب أن الكل متفقون على أنه متمم باسم الإسلام غير أن اليهود ادعوا أن الإسلام هو اليهوديه و النصارى ادعوا أنه هو النصرانيه و التوراه و الإنجيل أنزلتا من بعد إبراهيم و اسمه فيهما اسم الإسلام و ليس فى واحد منهما أنه كان على دين اليهوديه و النصرانيه و أما القرآن و إن كان منزلا بعده ففيه وصف إبراهيم بدين الإسلام و نفى اليهوديه و النصرانيه عنه ففى هذا أوضح حججه على أنه كان مسلما و أن محمدا ص و أمته الذين لهم اسم الإسلام أولى به منهم و قد قيل إن اليهود اعتقدوا أن اليهودى اسم لمن تمسك بالتوراه و اعتقد شريعته و النصارى اعتقدوا أن النصرانى اسم لمن تمسك بالإنجيل و اعتقد شريعته فرد الله تعالى دعوى الفريقين و أخبر أن التوراه و الإنجيل ما أنزلا إلا من بعد إبراهيم فكيف يكون متمسكا بحكهما و أما نحن فلم ندع أن المسلم هو المتمسك بحكم القرآن إذ

الإسلام عبارته عن الدين دون أحكام الشريعة فوصفناه بالإسلام كما وصفه الله به فإن قيل فهل كان إبراهيم متمسكا بشرائع الإسلام كلها التي نحن عليها قلنا أنه كان متمسكا بدين الإسلام و ببعض أحكام شريعة نبينا ص لا بجميعها لأن من حكم الشريعة قراءه القرآن في الصلاة و لم يكن ذلك في شريعته و إنما قلنا أنه مسلم و إن كان متمسكا ببعض أحكام الشريعة لأن أصحاب النبي ص في بدو الإسلام كانوا مسلمون قبل استكمال الشرع و قبل نزول تمام القرآن و الواحد منا مسلم على الحقيقة و إن لم يعمل بجميع أحكام الشرعية «ها أنتم» يا معشر اليهود و النصارى و هو في الظاهر تنبيه على أنفسهم و المراد به التنبيه على حالهم إذ التنبيه إنما يكون فيما قد يغفل عنه الإنسان دون ما يعلمه «حاججتم» جادلتم و خاصتم «فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ» معناه حاججتم و لكم به علم لوجود اسمه في التوراه و الإنجيل «فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ» أى فلم تحاجون في دينه و شرعه و ليس لكم به علم لم ينكر الله تعالى عليهم محاجتهم فيما علموه و إنما أنكروا عليهم محاجتهم فيما لم يعلموا «وَ اللَّهُ يَعْلَمُ» شأن إبراهيم و دينه و كل ما ليس عليه دليل لأنه العالم لجميع المعلومات «وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» ذلك فلا تتكلموا فيه و لا تضيفوا إليه ما لا تعلمونه و اطلبوا علم ذلك ممن يعلمه.

سوره آل عمران (٣): الآيات ٦٧ الى ٦٨

إشارة

ما كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلدِّينِ أَتَّبِعُوهُ وَ هَذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٦٨)

اللغة

قد ذكرنا الأصل في اليهود و النصارى و الحنيف في سورة البقره و أولى الذى هو بمعنى أفعال من غيره لا يثنى و لا يجمع لأنه يتضمن معنى الفعل و المصدر على تقدير يزيد فضله على فضله فى أفضل منه و معنى قولنا هذا الفعل أولى من غيره أى بأن يفعل و قولنا زيد أولى من غيره معناه أنه على حال هو أحق بها من غيره و الاتباع جريان الثانى على طريقه الأول من حيث هو عليه كالمدلول الذى يتبع الدليل فى سلوك الطريق أو فى التصحيح لأنه إن صح الدليل صح المدلول عليه بصحته و كذلك المأموم الذى يتبع طريقه الإمام.

ثم كذب الله اليهود والنصارى فقال «ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً» نزه إبراهيم وبراءه عن اليهودية والنصرانية لأنهما صفتا ذم قد دل القرآن والإجماع على ذلك وهذا يدل على أن موسى أيضاً لم يكن يهودياً ولم يكن عيسى نصرانياً فإن الدين عند الله الإسلام واليهودية مله محرفه عن شرع موسى والنصرانية مله محرفه عن شرع عيسى فهما صفتا ذم جرتا على فرقتين ضاليتين «وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا» أى مائلاً عن الأديان كلها إلى دين الإسلام وقيل معناه مستقيماً فى دينه «مُسْلِماً» أى كائناً على دين الإسلام «وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» قيل إن هذا يتضمن كون اليهودية والنصرانية شركاً وقيل إن معناه لم يكن مشركاً على ما يدعيه مشركو العرب «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ» يعنى أن أحق الناس بنصره إبراهيم بالحججه أو بالمعونه «لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ» فى وقته و زمانه و تولوه بالنصره على عدوه حتى ظهر أمره و علت كلمته «وَهَذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا» يتولون نصرته بالحججه لما كان عليه من الحق و تبرئه كل عيب عنه أى هم الذين ينبغى لهم أن يقولوا إنا على دين إبراهيم و لهم ولايته «وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ» لأنه يتولى نصرتهم و المؤمن ولى الله لهذا المعنى بعينه و قيل لأنه يتولى نصره ما أمر الله به من الدين و إنما أفرد الله النبى ص بالذكر تعظيماً لأمره و إجلالاً لقدره كما أفرد جبرائيل و ميكائيل و قيل ليدخل فى الولاية و تعود إليه الكتابه فإن التقدير و الذين آمنوا به و فى هذه الآيه دلالة على أن الولاية تثبت بالدين لا بالنسب و يعضد ذلك

قول أمير المؤمنين إن أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاءوا به ثم تلا هذه الآيه و قال إن ولى محمد من أطاع الله و إن بعدت لحمته و إن عدو محمد من عصى الله و إن قربت قرابته

و روى عمر بن يزيد قال قال أبو عبد الله أ هم و الله من آل محمد قلت من أنفسهم جعلت فداك نعم و الله من أنفسهم قالها ثلاثاً ثم نظر إلى و نظرت إليه فقال يا عمر إن الله يقول فى كتابه إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ الْآيَهُ رَوَاهُ عَلَى بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبى عمير عن منصور بن يونس عنه.

سوره آل عمران (٣): آيه ٦٩

إشارة

وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٦٩)

اللغة

ودت أى تمت فلما كان بمعنى تمنى صلح للماضى و الحال و الاستقبال فلذلك جاز بلو و ليس كذلك المحبه و الإراده لأنهما لا يتعلقان إلا بالمستقبل فلا يجوز أن

يقال أرادوا لو يضلونكم لأن الإرادته يجرى مجرى الاستدعاء إلى الفعل أو مجرى العله فى ترتيب الفعل فأما التمنى فهو تقرير شىء فى النفس يستمتع بتقريره و الفرق بين ود لو تضله و بين ود إن تضله أن للاستقبال و ليس كذلك لو.

المعنى

ثم بين سبحانه أن هؤلاء كما ضلوا دعوا إلى الضلال فقال «وَدَّتْ» أى تمت و قيل أرادت «طَائِفَةٌ» أى جماعه «مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» أى من اليهود و النصارى و قيل من اليهود خاصه «لَوْ يُضِلُّوكُمْ» أى يهلكونكم بإدخالكم فى الضلال و دعائكم إليه و يستعمل الضلال بمعنى الهلاك نحو قوله «أَ إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ» و معناه هلكنا و بطلت صورنا «وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ» معناه لا يرجع وبال إضلالهم إلا على أنفسهم و لا يلحق ضرره إلا بهم فإن المسلمين لا يجيئونهم إلى ما يدعونهم إليه من ترك الإسلام إلى غيره من الأديان فيبقى عليهم إثم الكفر و وبال الدعاء إلى الكفر و قيل معناه و ما يهلكون إلا أنفسهم أى لا يعتد بما يحصل لغيرهم من الهلاك فى جنب ما يحصل لهم «وَمَا يَشْعُرُونَ» أى و ما يعلمون أن وبال ذلك يعود إليهم و قيل و ما يشعرون أن الله تعالى يدل المؤمنين على ضلالهم و إضلالهم و قيل و ما يشعرون أنهم ضلال لجهلهم عن أبى على الجبائى.

سوره آل عمران (٣): الآيات ٧٠ الى ٧١

اشاره

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٧٠) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَ تَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١)

الإعراب

لم أصله لما حذف الألف لاتصالها بالحرف الجار مع وقوعها ظرفا و لدلاله الفتحة عليها و كذلك بم و عم.

المعنى

ثم خاطب الله الفريقين فقال «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ» بما يتلى عليكم من «آيات الله» يعنى القرآن «وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ» أى تعلمون و تشهدون ما يدل على صحتها و وجوب الإقرار بها من التوراه و الإنجيل إذ فيهما ذكر النبى و الإخبار بصدق نبوته و بيان صفته و قيل يعنى بآيات الله ما فى كتبهم من البشاره بنبوته و أنهم تشهدون الحجاج

الداله على نبوته وقيل يعنى بالآيات ما فى كتبهم أن إبراهيم كان حنيفا مسلما و إن الدين هو الإسلام و أنتم تشهدون ذلك و قيل يعنى بها ما يتلى عليهم من غرائب أخبارهم التى علموا أنها فى كتبهم عن أبى مسلم و قيل يعنى بالآيات الحجج الداله على نبوه محمد (صلى الله عليه و آله) و أنتم تشهدون أن الأول لمعجزه يدل على صدق رساله و ثبوت النبوه و قيل و أنتم تشهدون إذا خلوتم بصحه دين الإسلام «يا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ» معناه لم تخلطون الحق بالباطل و فيه أقوال (أحدها) أن المراد به تحريفهم التوراه و الإنجيل عن الحسن و ابن زيد (و ثانيها) إن المراد به إظهارهم الإسلام و إبطانهم النفاق فى قلوبهم من اليهوديه و النصرانيه لأنهم تداعوا إلى إظهار الإسلام فى صدر النهار و الرجوع عنه فى آخره تشكيكا للناس عن ابن عباس و قتاده (و ثالثها) أن المراد به الإيمان بموسى و عيسى و الكفر بمحمد (و رابعها) أن المراد ما يعلمونه فى قلوبهم من أن محمدا أحق بما يظهرونه من تكذيبه عن الجبائى و أبى مسلم «وَ تَكْتُمُونَ الْحَقَّ» أى نبوه محمد (صلى الله عليه و آله) و ما وجدتموه فى كتبكم من نعته و البشاره به «وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» أنه حق و إنما نزلت هذه فى طائفه من علمائهم لأن الكتمان إنما يجوز على الطائفه القليله دون الكثيره و قيل معناه و أنتم تعلمون الأمور التى تصح بها التكليف و الأول أصح لما فى الآيه من الذم على الكتمان.

سوره آل عمران (٣): الآيات ٧٢ الى ٧٤

إشاره

وَ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ جَهَّ النَّهَارِ وَ أَكْفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢) وَ لَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٧٣) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٧٤)

القراءه

قرأ ابن كثير أن يؤتى أحد ممدودا و الباقون «أَنْ يُؤْتَى» بغير مد و استفهام.

قال أبو علي من قرأ «أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ» فتقديره لا- تؤمنوا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لمن تبع دينكم وقوله «قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ» اعتراض بين المفعول و فعله و إذا حذف الجار من أن كان على الخلاف يكون في قول الخليل جراً و في قول سيبويه نصباً فأما اللام في قوله «لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ» فلا يسهل أن تعلقه بتؤمنوا و أنت قد أوصلته بحرف آخر جار فتعلق بالفعل جارين كما لا يستقيم أن تعديه إلى مفعولين إذا كان يتعدى إلى مفعول واحد ألا ترى أن تعديه الفعل بالجار كتعديته بالهمز و تضعيف العين فكما لا- يتكرر هذان كذلك لا- يتكرر الجار فإذا لم يسهل تعليق المفعولين به حملته على المعنى و المعنى لا تقرؤا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لمن تبع دينكم كما تقول أقررت لزيد بألف فيكون اللام متعلقاً بالمعنى و لا تكون زائده على حد إن كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ و لكن يتعلق بالإقرار و إن شئت عملت الكلام على معنى الجحود فكأنه قال اجحدوا الناس إلا لمن تبع دينكم فيكون اللام على هذا زائده و قد تعدى آمن باللام في غير هذا قال الله تعالى «فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّتَهُ» و قال «آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ» و قال «يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ» فتعدى مره بالباء و مره باللام و وجه قراءة ابن كثير أن في موضع رفع بالابتداء لأنه لا يجوز أن يحمل على ما قبله من الفعل لقطع الاستفهام بينهما و خبره تصدقون به و تعترفون به و نحو ذلك مما دل عليه قوله «وَ لَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ» هذا على قول من قال أزيد ضربته و من قال أزيدا ضربته كان أن عنده في موضع نصب و يجوز أن يكون موضع أن نصباً على معنى تذكرون أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو تشيعون و يدل على ذلك قوله تعالى «أَتَحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ» فحديثهم بذلك إشاعه منهم و إفشاء و بسخ بعضهم بعضاً بالحديث لما علموه من أمر النبي (صلى الله عليه و آله) و عرفوه من وصفه فهذه الآيه في معنى قراءة ابن كثير و لعله اعتبرها في قراءته.

اللغة

الطائفة الجماعه و في أصلها قولان (أحدهما) أنه كالرفقه التي من شأنها أن تطوف البلاد في السفر الذي يقع عليه الاجتماع (و الآخر) أنها جماعه يستوى بها حلقه يطاف حولها و «وَجَهَ النَّهَارِ» أوله و سمي وجهاً لأنه أول ما يواجهك منه كما يقال لأول الثوب وجه الثوب و قيل لأنه كالوجه في أنه أعلاه و أشرف ما فيه قال الربيع بن زياد:

من كان مسروراً بمقتل مالك

فليات نسوتنا بوجه نهار

. النزول

قال الحسن و السدي تواطأ اثنا عشر رجلاً من أحبار يهود خيبر و قرى

عربيه و قال بعضهم لبعض ادخلوا فى دين محمد أول النهار باللسان دون الاعتقاد و أكفروا به آخر النهار و قولوا أنا نظرنا فى كتبنا و شاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك و ظهر لنا كذبه و بطلان دينه فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه فى دينه و قالوا أنهم أهل الكتاب و هم أعلم به منا فيرجعون عن دينهم إلى دينكم و قال مجاهد و مقاتل و الكلبي كان هذا فى شأن القبلة لما حولت إلى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الأشرف لأصحابه آمنوا بالله و بما أنزل على محمد (صلى الله عليه و آله) من أمر الكعبة و صلوا إليها أول النهار و ارجعوا إلى قبلتكم آخره لعلهم يشكون.

المعنى

لما ذكر تعالى صدرا من كيد القوم عقبه بذكر هذه المكيده الشديده فقال «وَقَالَتْ طَائِفَةٌ» أى جماعه «مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» أى بعضهم لبعض «آمَنُوا بِاللَّذَى أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا» يعنون النبى و أصحابه «وَوَجَّهَ النَّهَارَ وَ اكْفُرُوا آخِرَهُ» و اختلف فى معناه على أقوال (أحدها) أظهروا الإيمان لهم أول النهار و ارجعوا عنه فى آخره فإنه أحرى أن ينقلبوا عن دينهم عن الحسن و جماعه (و ثانيها) آمنوا بصلاتهم إلى الكعبة أول النهار و أكفروا آخره ليرجعوا بذلك عن دينهم عن مجاهد (و ثالثها) أظهروا الإيمان فى صدر النهار بما سلف لكم من الإقرار بصفه محمد (صلى الله عليه و آله) ثم ارجعوا فى آخره لتوهموهم أنه كان قد وقع غلط فى صفته «أَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» عن دينهم الإسلام عن ابن عباس و جماعه «وَلَا تُؤْمِنُوا» أى و لا تصدقوا «إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ» اليهوديه و قام بشرائعكم و هو عطف على ما مضى و اختلف فى معنى الآيه على أقوال (أحدها) أن معناه و لا تصدقوا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من العلم و الحكمه و البيان و الحججه إلا- لمن تبع دينكم من أهل الكتاب و قيل إنما قال ذلك يهود خبير ليهود المدينه لثلا- يعترفوا به فيلومونهم به لإقرارهم بصحته و قيل معناه لا تعترفوا بالحق إلا لمن تبع دينكم و قوله «أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ» لأنكم أصح دينا منهم فلا تكون لهم الحججه عليكم عند الله فيكون هذا كله من كلام اليهود و قوله «قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ» و «قُلْ إِنَّ الْفُضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ» كلام الله جوابا لليهود و ردا عليهم أى «قُلْ» يا محمد «إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ» و «قُلْ إِنَّ الْفُضْلَ بِيَدِ اللَّهِ» فلا ينبغي لهم أن ينكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتوا و هذا معنى الحسن و أبى على الفارسى (و ثانيها) أن يكون قوله «وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ» كلام اليهود و ما بعده من الله و يكون المعنى

«قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ» أيها المسلمون كقوله «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضَلُّوا» أي أن لا تضلوا و إن لا يحاجوكم عند ربكم لأنه لا- حجه لهم و يكون هدى الله بدلا من الهدى و الخبر أن لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم و هذا قول السدى و ابن جريج و قال أبو العباس المبرد أن لا ليست مما تحذف هاهنا و لكن الإضافة هنا معلومه فحذفت الأول و أقيمت الثانيه مقامه و المعنى «قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ» كراهه «أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ» أي مما خالف دين الله لأن الله لا يهدى من هو كاذب كفار فهدى الله بعيد من غير المؤمنين و كذلك تقدير قوله «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ كَرَاهَهُ أَنْ تَضَلُّوا» و قال قوم أن تقديره قل يا محمد أن الهدى إلى الخير هدى الله فلا تجحدوا أيها اليهود أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من النبوه «أَوْ» أن «يُحَاجُّوكُمْ» بذلك «عِنْدَ رَبِّكُمْ» إن لم تقبلوا ذلك منهم عن قتاده و الربيع و الجبائي و قيل «إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ» معناه أن الحق ما أمر الله به ثم فسر الهدى فقال «أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ» فالمؤتى هو الشرع و ما يحاج به هو العقل و تقدير الكلام أن هدى الله ما شرع أو ما عهد به فى العقل فهذه أربعة أقوال (و ثالثها) أن يكون الكلام من أول الآيه إلى آخرها لله تعالى و تقديره و لا تؤمنوا أيها المؤمنون إلا لمن تبع دينكم و هو دين الإسلام و لا تصدقوا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الدين فلا نبى بعد نبيكم و لا- شريعته بعد شريعتكم إلى يوم القيامة و لا تصدقوا بأن يكون لأحد حجه عليكم عند ربكم لأن دينكم خير الأديان و «إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ» و «إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ» فتكون الآيه كلها خطابا للمؤمنين من الله تعالى عند تلييس اليهود عليهم لثلا يزلوا و يدل عليه ما قاله الضحاک أن اليهود قالوا إنا نحاج عند ربنا من خالفنا فى ديننا فبين الله تعالى أنهم هم المدحضون المغلوبون و أن المؤمنين هم الغالبون و قوله «قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ» قيل يريد به النبوه و قيل الحجج التى أوتيتها محمد (صلى الله عليه و آله) و من معه و قيل نعم الدين و الدنيا و قوله «بِيَدِ اللَّهِ» أى فى ملكه و هو القادر عليه العالم بمحلّه «يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ» و فى هذه دلالة على أن النبوه ليست بمستحقه و كذلك الإمامه لأن الله سبحانه علقه بالمشيئه «وَ اللَّهُ وَاسِعٌ» الرحمه جواد و قيل واسع المقذور يفعل ما يشاء «عَلِيمٌ» بمصالح الخلق و قيل يعلم حيث يجعل رسالته «يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» مر تفسيره فى سوره البقره فى العشر التى بعد المائة و فى هذه الآيات معجزه باهره لنبينا إذ فيها إخبار عن سرائر القوم التى لا يعلمها إلا علام الغيوب و فيها دفع لمكائدهم و لطف للمؤمنين فى الثبات على عقائدهم.

إشارة

وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَ مِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيْنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) بلى مَنْ أَوْفَى بَعْهْدِهِ وَ اتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧٦)

القراءة

قرأ حمزه و أبو بكر عن عاصم يؤده بسكون الهاء و روى نحوه عن أبي عمرو و قرأ أبو جعفر و يعقوب بكسر الهاء مع الاختلاس و هو الصحيح من مذهب أبي عمرو و الباقون بالكسر و الإشباع.

الحجج

أما سكون الهاء فإن أكثر النحويين على أنه لا يجوز و غلط الزجاج الراوى فيه عن أبي عمرو قال و حكى سيبويه عنه و هو ضابط لمثل هذا أنه كان يكسر كسرا خفيفا و قال الفراء هذا مذهب لبعض العرب يسكنون الهاء إذا تحرك ما قبلها يقولون ضربته كما يسكنون ميم أنتم و قتمتم و أما الاختلاس فإنه للاكتفاء بالكسره عن الياء و أما الإشباع فعلى الأصل.

اللغة

القنطار قد ذكرنا الخلاف فى مقداره فى أول السوره و الدينار أصله دينار بنونين فقلبت إحدى النونين ياء لكثرة الاستعمال طلبا للخفه و جمعه دنانير و دمت و دمت لغتان مثل مت و مت و لكن من كسر الدال و الميم قال فى المضارع تمات و تدام و هى لغه أزد السراه و وفى و أوفى لغتان و أهل الحجاز يقولون أوفيت و أهل نجد يقولون وفيت.

الإعراب

الفرق بين أن تقول تأمنه بقنطار و بين أن تقول على قنطار أن معنى الباء إصاق الأمانة و معنى على استعلاء الأمانة و هما يتعاقبان فى هذا الموضع لتقارب المعنى كما تقول مررت به و مررت عليه و بلى يحتمل معنيين (أحدهما) الإضراب عن الأول على جهه الإنكار للأول و على هذا الوجه يكون «مَنْ أَوْفَى بَعْهْدِهِ» مكتفيه نحو قولك ما قدم زيد فيقال بلى أى بلى قد قدم زيد قال الزجاج ها هنا وقف تام ثم استأنف من أوفى إلى الآخرة

لأنهم لما «قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ» قيل بلى عليهم سبيل (الثانى) الإضراب عن الأول و الاعتماد على البيان الثانى و على هذا الوجه لا تكون مكتفيه و الفرق بين بلى و نعم أن بلى جواب النفى و نعم جواب الإثبات إنما جاز إماله بلى لمشابهتها الاسم من وجهين (أحدهما) أنه توقف عليها كما توقف على الاسم (و الآخر) أنها على ثلاثة أحرف و لذلك خالفت لا فى الإمالة.

النزول

عن ابن عباس قال يعنى بقوله «مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِقَنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ» عبد الله بن سلام أودعه رجل ألفا و مائتى أوقيه من ذهب فأداه إليه فمدحه الله سبحانه و يعنى بقوله «مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ» فنحاص بن عازورا و ذلك أن رجلا من قريش استودعه دينارا فخانه و فى بعض التفاسير أن الذى يؤدى الأمانة النصارى و الذين لا يؤدونه اليهود.

المعنى

ثم ذكر سبحانه معاييب القوم و أن فيهم من تخرج عن العيب فقال «وَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِقَنْطَارٍ» أى تجعله أمينا على قنطار أى مال كثير على ما قيل فيه من الأقوال التى مضى ذكرها فى أول السوره «يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ» عند المطالبه و لا يخون فيه «وَ مِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِدِينَارٍ» أى على ثمن دينار و المراد تجعله أمينا على قليل من المال «لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ» عند المطالبه و هم كفار اليهود بالإجماع «إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا» معناه إلا أن تلازمه و تتقاضاه عن الحسن و ابن زيد و قيل إلا أن تدوم قائما بالتقاضى و المطالبه عن قتاده و مجاهد و قيل إلا ما دمت عليه قائما بالاجتماع معه و الملازمه عن السدى قال «ما دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا» أى ملحا عن ابن عباس «ذَلِكَ» أى ذلك الاستحلال و الخيانه «بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ» هذا بيان العله التى كانوا لأجلها لا يؤدون الأمانة و يميلون إلى الخيانه أى قالت اليهود ليس علينا فى أموال العرب التى أصبناها سبيل لأنهم مشركون عن قتاده و السدى و قيل لأنهم تحولوا عن دينهم الذى عاملناهم عليه و ذلك أنهم عاملوا جماعه منهم ثم أسلم من له الحق و امتنع من عليه الحق من أداء الحق و قالوا إنما عاملناكم و أنتم على ديننا فإذا فارقتموه سقط حقكم و ادعوا أن ذلك فى كتبهم فأكذبهم الله فى ذلك بقوله «وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ» أنهم يكذبون لأن الله أمرهم بخلاف ما قالوا عن الحسن و ابن جريج و إنما سموهم أميين لعدم كونهم من أهل الكتاب أو لكونهم من مكه و هى أم القرى ثم الله تعالى رد عليهم قولهم فقال «بلى» و فيه نفى لما قبله و إثبات لما بعده كأنه قال ما أمر الله بذلك و لا أحبه و لا أراد بل أوجب الوفاء بالعهد و أداء الأمانة «مَنْ أَوْفَى بَعْثِهِ» يحتمل أن يكون الهاء فى

بعهده عائده على اسم الله فى قوله «وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ» فىكون معناه بعهد الله، و عهد الله إلى عباده أمره و نهيه، و يحتمل أن يكون عائده إلى من و معناه من أوفى بعهد نفسه لأن العهد يضاف تاره إلى العاهد و تاره إلى المعهود له «وَ اتَّقَى» الخيانه و نقض العهد «فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ» معناه فإن الله يحبه إلا أنه عدل إلى ذكر المتقين لىبين الصفه التى يجب بها محبه الله و هذه صفه المؤمن فكأنه قال و الله يحب المؤمنين و لا يحب اليهود

و روى عن النبى أنه قال لما قرأ هذه الآيه قال كذب أعداء الله ما من شىء كان فى الجاهليه إلا و هو تحت قدمى إلا الأمانه فإنها مؤداه إلى البر و الفاجر

و عنه قال ثلاث من كن فيه فهو منافق و إن صلى و صام و زعم أنه مؤمن من إذا حدث كذب و إذا وعد أخلف و إذا أوّمن خان

و عنه (صلى الله عليه و آله) قال من أوّمن على أمانه فأداها و لو شاء لم يؤدها زوجه الله من الحور العين ما شاء.

سوره آل عمران (٣): آيه ٧٧

إشاره

إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٧)

النزول

نزلت فى جماعه من أحبار اليهود أبى رافع و كنانه بن أبى الحقيق و حى بن الأخطب و كعب بن الأشرف كتموا ما فى التوراه من أمر محمد و كتبوا بأيديهم غيره و حلفوا أنه من عند الله لثلاث- تفوتهم الرياسه و ما كان لهم على أتابعهم عن عكرمه و قيل نزلت فى الأشعث بن قيس و خصم له فى أرض قام ليحلف عند رسول الله فلما نزلت الآيه نكل الأشعث و اعترف بالحق و رد الأرض عن ابن جريج و قيل نزلت فى رجل حلف يمينا فاجره فى تنفيق سلعه عن مجاهد و الشعبى.

المعنى

ثم ذكر تعالى الوعيد لهم على أفعالهم الخبيثه فقال «إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ» أى يستبدلون «بِعَهْدِ اللَّهِ» أى بأمر الله و ما يلزمهم الوفاء به و قيل معناه أن الذين يحصلون بنكث عهد الله و نقضه «وَ أَيْمَانِهِمْ» أى و بالأيمان الكاذبه «ثَمَنًا قَلِيلًا» أى عوضا نزرا و سماه قليلا لأنه قليل فى جنب ما يفوتهم من الثواب و يحصل لهم من

العقاب وقيل العهد ما أوجبه الله على الإنسان من الطاعة والكف عن المعصية وقيل هو ما فى عقل الإنسان من الزجر عن الباطل والانتقياد للحق «أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ» أى لا- نصيب وافر لهم فى نعيم الآخرة «وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ» فيه قولان (أحدهما) أنه لا يكلمهم بما يسرهم بل بما يسوءهم وقت الحساب لهم عن الجبائى (و الآخر) أنه لا يكلمهم أصلا و تكون المحاسبه بكلام الملائكه لهم بأمر الله إياهم استهانه بهم «وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» معناه لا يعطف عليهم و لا يرحمهم كما يقول القائل للغير أنظر إلى يريد ارحمنى و فى هذا دلالة على أن النظر إذا عدى بحرف إلى لا- يفيد الرؤيه لأنه لا- يجوز حملها هنا على أنه لا يراهم بلا- خلاف «وَلَا يُزَكِّيهِمْ» أى لا يطهرهم و قيل لا ينزلهم منزله الأذكىاء عن الجبائى و قيل لا يطهرهم من دنس الذنوب و الأوزار بالمغفره بل يعاقبهم و قيل لا يحكم بأنهم أذكىاء و لا يسميهم بذلك بل يحكم بأنهم كفره فجره عن القاضى «وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» مؤلم موجه

و فى تفسير الكلبي عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله يقول من حلف على يمين كاذبه ليقطع بها مال أخيه المسلم لقي الله تعالى و هو عليه غضبان و تلا هذه الآيه

و روى مسلم بن الحجاج فى الصحيح بإسناده من عده طرق عن أبى ذر الغفارى عن النبى (صلى الله عليه و آله) قال ثلاثه لا يكلمهم الله يوم القيامة و لا ينظر إليهم و لا يزكّيهم و لهم عذاب أليم المنان الذى لا يعطى شيئا إلا منه و المنفق سلطته بالحلف الفاجر و المسبل إزاره

و عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال من حلف على يمين صبر يقطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي الله و هو عليه غضبان أورده مسلم أيضا فى الصحيح.

سوره آل عمران (٣): آيه ٧٨

إشارة

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَ مَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ مَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (٧٨)

اللغة

أصل اللى الفتل من قولك لويت يده إذا فتلتها و منه لويت الغريم لويا و ليانا إذا مطلته حقه قال الشاعر:

تطيلين ليانى و أنت مليه

و أحسن يا ذات الوشاح التقاضيا

الحديث لى الواجد ظلم

و الألسنه جمع اللسان على التذكير كحمار و أحمره و يقال ألسن على التأنيث كعناق و أعنق و الفرق بين حسبت و زعمت أن زعمت يحتمل أن يكون يقينا و ظنا و حسبت لا يحتمل اليقين أصلا.

الإعراب

لفريقا نصب بأنه اسم أن و اللام للتأكيد دخلت على اسم أن إذا كان مؤخرا و لا يجوز إن لزيادا فى الدار لثلا يجتمع حرفا تأكيد كما لا يجوز دخول التعريف على التعريف فأما قولهم جاءنى القوم كلهم أجمعون فكلهم تأكيد للقوم و أجمعون تأكيد للكل.

النزول

قيل نزلت فى جماعه من أحبار اليهود كتبوا بأيديهم ما ليس فى كتاب الله من نعت النبى ص و غيره و أضافوه إلى كتاب الله و قيل نزلت فى اليهود و النصارى حرفوا التوراه و الإنجيل و ضربوا كتاب الله بعضه ببعض و ألحقوا به ما ليس منه و أسقطوا منه الدين الحنيف عن ابن عباس.

المعنى

«وَإِنَّ مِنْهُمْ» أى من أهل الكتاب و هو عطف على قوله «مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِطَارٍ «لَفَرِيقًا» أى طائفه «يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ» معناه يحرفون الكتاب عن جهته و يعدلون به عن القصد بألسنتهم فجعل الله تحريف الكتاب عن الجبهه ليا باللسان و هذا قول مجاهد و قتاده و ابن جريج و الربيع و قيل يفسرونه بخلاف الحق «لِتَحْسِبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ» أى لتظنوه أيها المسلمون من كتاب الله تعالى و ما هو من الكتاب المنزل على موسى و لكنهم يخترعونه و يبتدعونونه و يقولون هو من عند الله «وَ مَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» و فى هذا دليل على أن المعاصى ليست من عند الله و لا من فعله لأنها لو كانت من فعله لكانت من عنده على آكد الوجوه فلم يجز إطلاق النفى بأنها ليست من عند الله و كما لا يجوز أن يكون من الكتاب على وجه من الوجوه لإطلاق النفى بأنه ليست من الكتاب كله لا يجوز أن يكون من عند الله لإطلاق النفى بأنه ليس من عند الله «وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ» فى نسبتهم ذلك إلى الكتاب «وَ هُمْ يَعْلَمُونَ» إن ذلك كذب و قيل و هم يعلمون ما عليهم فى ذلك من العقاب.

سوره آل عمران (٣): الآيات ٧٩ الى ٨٠

إشارة

ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله و لكن كونوا ربائين بما كنتم تعلمون الكتاب و بما كنتم تدرسون (٧٩) و لا يأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون

(٨٠)

ص: ٢٩٦

قرأ ابن عامر و أهل الكوفه «تُعَلِّمُونَ» بالثشديد و الباقون تعلمون و قرأ عاصم غير الأعشى و البرجمى و حمزه و ابن عامر و يعقوب «وَلَا يَأْمُرُكُمْ» بنصب الرء و الباقون بالرفع.

الحجه

حجه من قال «تُعَلِّمُونَ» بالثشديد أن التعليم أبلغ فى هذا الموضع لأنه إذا علم الناس و لم يعمل بعلمه كان مع استحقاق الذم بترك عمله داخلا فى جملة من وبخ بقوله «أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ» و حجه من قرأ تعلمون أن العالم الدارس قد يدرك بعلمه و درسه مما يكون داعيا إلى التمسك بعلمه و العمل به ما لا يدركه العالم المعلم فى تدريسه و من قرأ يأمركم فعلى القطع من الأول أراد و لا يأمركم الله و من نصبه فعلى قوله «ما كان ليشر» أن «يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا» و مما يقوى الرفع ما روى فى حرف ابن مسعود يأمركم فهذا يدل على الانقطاع من الأول و مما يقوى النصب ما جاء فى السير أن اليهود قالوا للنبي ص يا محمد أ تريد أن نتخذك ربا فقال الله عز و جل «ما كان ليشر أن يؤتية الله الكتاب» و لا أن يأمركم.

اللغه

البشر يقع على القليل و الكثير فهو بمنزله المصدر مثل الخلق تقول هذا بشر و هؤلاء بشر كما تقول هذا خلق و هؤلاء خلق و إنما وقع المصدر على القليل و الكثير لأنه جنس الفعل فصار كأسماء الأجناس مثل الماء و التراب و نحوه و الربانى هو الرب يرب أمر الناس بتدبيره و إصلاحه إياه يقال رب فلان أمره ربابه و هو ربان إذا دبره و أصلحه و نظيره نعس ينعس و هو نعسان و أكثر ما يجىء فعلا من فعل يفعل فيكون العالم ربانيا لأنه بالعلم رب الأمر و يصلحه و قيل أنه مضاف إلى علم الرب و هو علم الدين الذى يأمره به إلا أنه غير فى الإضافه ليدل على هذا المعنى كما قيل فى الإضافه إلى البحرين بحرانى و كما

قيل للعظيم الرقبه رقبانى و للعظيم اللحيه لحيانى ف قيل لصاحب علم الدين الذى أمر به الرب ربانى.

النزول

قيل أن أبا رافع القرضى من اليهود و رئيس وفد نجران قال يا محمد أ تريد أن نعبدك و نتخذك إلها فقال معاذ الله أن أعبد غير الله أو آمر بعباده غير الله ما بذلك بعثنى و لا بذلك أمرنى فأنزل الله الآية عن ابن عباس و عطاء و قيل نزلت فى نصارى نجران عن الضحاك و مقاتل و قيل أن رجلا قال يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أ فلا نسجد لك قال لا ينبغى أن يسجد لأحد من دون الله و لكن أكرموا نبيكم و اعرفوا الحق لأهله فأنزل الله الآية.

المعنى

لما تقدم ذكر أهل الكتاب و أنهم أضافوا ما يتدينون به إلى الأنبياء نزههم الله عن ذلك فقال «ما كان لبشر» يعنى ما ينبغى لبشر كقوله «و ما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً» و «ما يكون لنا أن نتكلم بهذا» أى لا ينبغى و قيل لا يجوز معناه لبشر و لا يحل له «أن يؤتبه الله» أن يعطيه الله «الكتاب و الحكم و الثبوة» أى العلم أو الرساله إلى الخلق «ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله» أى اعبدونى من دونه أو اعبدونى معه عن الجبائى و قيل معناه ليس من صفه الأنبياء الذين خصهم الله لرسالته و اجتباهم لنبوته و أنزل عليهم كتبه و جعلهم حكماء علماء أن يدعوا الناس إلى عبادتهم و إنما قال ذلك على وجه التنزيه للنبي ص عن مثل هذا القول لا على وجه النهى و قوله «عباداً» هو من العباده قال القاضى و عبيد بخلافه لأنه بمعنى العبوديه و لا يمتنع أن يكونوا عباداً لغيره «و لكن كونوا ربانيين» فيه حذف أى لا ينبغى لهذا النبي أن يقول للناس اعبدونى و لكن ينبغى أن يقول لهم كونوا ربانيين و فيه أقوال (أحدها)

أن معناه كونوا علماء فقهاء عن على

و ابن عباس و الحسن (و ثانيها) كونوا علماء حكماء عن قتاده و السدى و ابن أبى رزين (و ثالثها) كونوا حكماء أتقياء عن سعيد بن جبير (و رابعها) كونوا مدبرى أمر الناس فى الولاية بالإصلاح عن ابن زيد (و خامسها) كونوا معلمين للناس من علمكم كما يقال أنفق بمالك أى أنفق من مالك عن الزجاج

و روى عن النبي أنه قال ما من مؤمن و لا مؤمنه و لا حر و لا مملوك إلا و لله عليه حق واجب أن يتعلم من العلم و يتفقه فيه

و قال أبو عبيده سمعت رجلا عالما يقول الربانى العالم بالحلال و الحرام و الأمر و النهى و ما كان و ما يكون و قال أبو عبيده لم تعرف العرب الربانى و هذا فاسد لأن القرآن نزل بلغتهم و روى عن محمد بن الحنفية أنه قال يوم مات ابن عباس مات ربانى هذه الأمه و قد ذكرنا اشتقاقه قبل «بما كنتم تعلمون الكتاب»

أى القرآن «وَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ» أى الفقهه و من قرأ بالتشديد أراد تعلمونه لسواكم فيفيد أنهم يعلمون و يعلمون غيرهم و التخفيف لا يفيد أكثر من كونهم عالمين و دخلت الباء فى قوله «بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ» لأحد ثلاثه أشياء إما أن يريد كونوا معلمى الناس بعلمكم كما يقال أنفقوهم بمالكم أو يريد كونوا ربانيين فى علمكم و دراستكم و وقعت الباء موقع فى أو يريد كونوا ممن يستحق أن يطلق له صفه عالم بعلمه على جهه المدح بأن تعملوا بما علمتم و ذلك أن الإنسان إنما يستحق الوصف بأنه عالم إذا عمل بعلمه و يدل عليه قوله «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» «وَلَا يَأْمُرُكُمْ» أى و لا يأمركم الله عن الزجاج و قيل و لا يأمركم محمد عن ابن جريج و قيل و لا يأمركم عيسى و من نصب الرء عطفه على «أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ» فمعناه و لا كان لهذا النبى أن يأمركم «أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا» أى آلهه كما فعله الصابئون و النصارى «أَيُّكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» ألف إنكار أصله الاستفهام و إنما استعمل فى الإنكار لأنه مما لو أقر به المخاطب لظهرت فضيحه فلذلك جاء على السؤال و إن لم يكن الغرض تعرف الجواب و معناه أن الله تعالى إنما يبعث النبى ص ليدعو الناس إلى الإيمان فلا يبعث من يدعو المسلمين إلى الكفر.

سوره آل عمران (٣): الآيات ٨١ الى ٨٢

إشارة

وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٨٢)

القراءة

قرأ حمزه وحده لما آتيتكم بكسر اللام و الباقون بفتحها و قرأ نافع آتيناكم على الجمع و الباقون «آتيتكم» على التوحيد.

الحج

الوجه فى قراءه حمزه لما آتيتكم بكسر اللام أنه يتعلق بالأخذ كان المعنى أخذ ميثاقهم لهذا و يكون ما على هذا موصوله و العائد إلى الموصول من الجملة المعطوفه على صلته و هى قوله «جاءكم رسولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ» مظهر بمنزله المضمرة و هى

قوله «لِما مَعَكُمْ» لأنه بمنزلة ما أوتوه من الكتاب و الحكمه فهذا يكون مثل قوله «إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَ يَصْرِفِ فَإِنَّ اللَّهَ لا- يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ» لأنه فى معنى لا يضيع أجرهم و يجوز أن يكون ما على هذه القراءة حرفا فيكون بمعنى المصدر قال أبو على و من فتح اللام فقال «لِما آتَيْتُكُمْ» فإن ما فيه يحتمل تأويلين (أحدهما) أن يكون موصوله (و الآخر) أن يكون للجزاء فمن قدر ما موصوله فالقول فيما يقتضيه قوله «ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّما مَعَكُمْ» من الراجع إلى الموصول ما تقدم ذكره فى قراءة حمزه و أما الراجع إلى الموصول من الجملة الأولى فالضمير المحذوف من الصلة تقديره لما آتيتكموه و اللام فى لما فيمن قدر ما موصوله لام ابتداء و هى المتلقية لما أجرى مجرى القسم من قوله «وَ إِذِ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ» و موضع ما رفع بالابتداء و الخبر «لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ» و لتؤمنن متعلق بقسم محذوف و المعنى و الله لتؤمنن به و الذكر الذى فى به يعود إلى الذى آتيتكموه الذى هو المبتدأ و نحوه قولك لعبد الله و الله لتأينيه و الذكر الذى فى لتنصرنه يعود إلى رسول الله المتقدم ذكره و إذا قدرت ما للجزاء كانت ما فى موضع نصب بأيتكم و آتيتكم فى موضع جزم بالشرط و جاءكم فى موضع جزم بالعطف على آتيتكم و اللام الداخلة على ما لا- يكون المتلقية للقسم و لكن يكون بمنزلة اللام فى لئن لم يئته المنافقون و المتلقية قوله «لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ» كما أنها فى قوله «لئن لم يئته المنافقون» قوله «لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ» و هذه اللام الداخلة على أن لا يعتمد القسم عليها فلذلك جاز حذفها تاره و إثباتها تاره كما قال «وَ إِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا» فيلحق هذه اللام إن مره و لا تلحق أخرى كما أن كذلك فى قوله و الله أن لو فعلت لفعلت و و الله لو فعلت لفعلت.

المعنى

لما تقدم ذكر النبيين عقبه سبحانه بذكر نبينا و ما أخذ من عهده عليهم أجمعين فقال «وَ إِذِ أَخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ» العامل فى إذ محذوف و تقديره و اذكر إذ أخذ الله و قيل هو عطف على ما تقدم من قوله «إِذِ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ»

و روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) و ابن عباس و قتاده أن الله أخذ الميثاق على الأنبياء قبل نبينا ص أن يخبروا أممهم بمبعثه و نعته و يبشروهم به و يأمرهم بتصديقه

و قال طاووس أخذ الله الميثاق على الأنبياء (عليه السلام) على الأول و الآخر فأخذ الله ميثاق الأول لتأمنن بما جاء به الآخر

و قال الصادق تقديره و إذ أخذ الله ميثاق أمم النبيين بتصديق نبيا و العمل بما جاءهم به و أنهم خالفوهم فيما بعد و ما وفوا به و تركوا كثيرا من شريعته و حرفوا كثيرا منها

و قوله «لِما آتَيْتُكُمْ» بفتح اللام إذا كانت ما موصوله فتقديره للذى آتيتكموه أى أعطيتكموه «مِنْ كِتَابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ» أى نبى و قيل يعنى محمد ص «مُصَدِّقٌ لِّما مَعَكُمْ» أى لما آتيتكم من الكتب

«لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ» أى لتؤمنن بالرسول و لتنصرنه أو يريد لتؤمنن بالذى آتيتكموه و لتنصرن الرسول و على هذا يكون المعنى أنه إنما أخذ الميثاق على الأنبياء ليصدق بعضهم بعضا و يأمر بعضهم بالإيمان ببعض و يكون النصره بالتصديق و الحجه و هو المروى عن الحسن و سعيد بن جبير و طاووس و إذا كانت ما للجزء فتقديره أى شىء آتيتكم و مهما آتيتكم من كتاب لتؤمنن فالشرط إيتاؤه إياهم الكتاب و الحكمه و مجىء الرسول و الجزء القسم و المقسم عليه و هو قوله «لَتُؤْمِنَنَّ بِهِ» فأغنى جواب القسم عن الجزء كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك و قوله «من كتاب» من هذه للتبيين لما نحو قولك ما عندك من ورق و عين و هذا خاتم من فضه و يكون على هذا تقديره أن الله تعالى قال لهم مهما أوتيكم كتابا و حكمه ثم يجيئكم به رسول مصدق لما معكم من ذلك الكتاب و الحكمه و الله لتؤمنن به و لتنصرنه فأقروا بذلك و أعطوا عليه موثيقهم و هذا أشبه بما ذكر

أن الميثاق أخذ على الأنبياء ليأخذوا على أممهم بتصديق محمد إذا بعث و يأمرهم بنصرته على أعدائه إن أدركوه و هو المروى عن على

و ابن عباس و قتاده و السدى و اختاره أبو على الجبائى و أبو مسلم و يكون معنى قوله «جاءكم» جاء أممكم و أتباعكم و إنما خرج الكلام على النبيين لأن ما لزمهم لزم أممهم و من قرأ لما آتيتكم بكسر اللام فالمعنى أخذ الله ميثاقهم لما أوتوه أى لأجل ما أوتوه من الكتاب و الحكمه و لأنهم الأفاضل و خيار الناس و يكون اللام للتعليل فيقتضى أن يكون الإيتاء سابقا لأخذ الميثاق و قوله «لَتُؤْمِنَنَّ» متعلق بأخذ الميثاق و هو فى الحاصل راجع إلى معنى الشرط و الجزء و قوله «وَ لَتَنْصُرُنَّهُ» أى البشاره للأمم به قال أى قال الله لأنبيائه «أَأَقْرَرْتُمْ» به و صدقتموه «وَ أَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي» معناه و قبلتم على ذلكم عهدى و نظيره إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ و قيل معناه و أخذتم العهد بذلك على أممكم «قَالُوا» أى قال الأنبياء و أممهم «أَقْرَرْنَا» بما أمرتنا بالإقرار به «قَالَ» الله «فَأَشْهَدُوا» بذلك على أممكم «وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ»

عليكم و على أممكم عن على

و قيل فاشهدوا أى فاعلموا ذلك أنا معكم أعلم عن ابن عباس و قيل معناه ليشهد بعضكم على بعض و قيل قال الله للملائكة اشهدوا عليهم فيكون ذلك كناية عن غير مذكور عن سعيد بن المسيب و هذه الآيه من مشكلات آيات القرآن و قد غاص النحويون فى وجوه إعرابها و تحقيقها و شقوا الشعر فى تدقيقها و لا تراها فى موضع أوجز لفظا و أكثر فائده و أشد تهذيبا مما ذكرته هنا و بالله التوفيق «فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكْ» أى فمن أعرض عن الإيمان بمحمد بعد هذه الدلالات و الحجج و بعد أخذ الميثاق على النبيين الذين سبق ذكرهم و المقصود بهذه الأمم دون النبيين لأنه قد مضى أزمانهم و جاز ذلك لأن أخذ الميثاق على

النبيين يتضمن الأخذ على أممهم

وقد روى عن علي (عليه السلام) أنه قال لم يبعث الله نبيا آدم و من بعده إلا أخذ عليه العهد لئن بعث الله محمدا و هو حي ليؤمنن به و لينصرنه و أمره بأن يأخذ العهد بذلك على قومه

«فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» و لم يقل الكافرون لأن المراد الخارجون في الكفر إلى أفحش مراتب الكفر بتمردهم و ذلك أن أصل الفسق الخروج عن أمر الله إلى حال توبقه و في الكفر ما هو أكبر كما أن فيما دون الكفر من المعاصي ما هو أكبر و ما هو أصغر بالإضافة إليه.

سورة آل عمران (٣): الآيات ٨٣ الى ٨٥

إشارة

أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبِغُونَ وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعًا وَ كَرْهًا وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣) قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ مَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَ مَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطِ وَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَ عِيسَىٰ وَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٨٤) وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)

القراءة

قرأ أبو عمرو و «يَبِغُونَ» بالياء و إليه ترجعون بالتاء مضمومه و قرأ بالياء فيهما ابن عباس و حفص و يعقوب و سهل و الباقون بالتاء فيهما جميعا.

الحج

من قرأ بالتاء فيهما فلأن أول الآية خطاب للنبي و من قرأ بالياء فعلى تقدير قل لهم «أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبِغُونَ» فجاء على لفظ الغيبة لأنهم غيب و قد تقدم القول في يرجعون و ترجعون.

الإعراب

«أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبِغُونَ» عطف جملة على جملة كما لو قيل أ و غير دين الله يبغون إلا أن الفاء رتبت فكأنه قيل أ بعد تلك الآيات غير دين الله يبغون و طوعا و كرها مصدران وقعا موقع الحال و تقديره طائعين و كارهين كما يقال أتانى ركضا أى راكضا و لا

يجوز أن تقول أتاني كلاما أى متكلما لأن الكلام ليس بضرب من الإتيان و الرخص ضرب منه.

النزول

عن ابن عباس قال اختصم أهل الكتاب إلى رسول الله ص فيما اختلفوا بينهم من دين إبراهيم كل فرقه زعمت أنهم أولى بدينه فقال النبي ص كلا الفريقين برىء من دين إبراهيم فغضبوا وقالوا والله ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فأنزل الله «أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ».

المعنى

لما بين سبحانه بطلان اليهوديه و سائر الملل غير الإسلام بين عقبيه أن من يبتغ غير دينه فهو ضال لا يجوز القبول منه فقال «أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ» أى أبعده هذه الآيات و الحجج يطلبون ديناً غير دين الله «وَلَهُ أَسْلِمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً» قيل فيه أقوال (أحدها) أن معناه أسلم من فى السماوات و الأرض بحاله الناطقه عنه الداله عليه عند أخذ الميثاق عليه عن ابن عباس (و ثانيها) أسلم أى أقر بالعبوديه و إن كان فيهم من أشرك بالعباده كقوله تعالى «وَلَيْتُنَّ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ» و معناه ما ركب الله فى عقول الخلائق من الدعاء إلى الإقرار له بالربوبيه ليتنبهوا على ما فيه من الدلاله عن مجاهد و أبى العاليه (و ثالثها) أسلم المؤمن طوعاً و الكافر كرها عند موته كقوله «فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا» عن قتاده و اختاره البلخى و معناه التخفيف لهم من التأخر عما هذه سبيله (و رابعها) أن معناه استسلم له بالانقياد و الذكر كقوله «قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا» أى استسلمنا عن الشعبى و الجبائى و الزجاج (و خامسها)

أن معناه أكره أقوام على الإسلام و جاء أقوام طائعين عن الحسن و هو المروى عن أبى عبد الله

قال كرها أى فرقا من السيف و قال الحسن و المفضل الطوع لأهل السماوات خاصه و أما أهل الأرض فمنهم من أسلم طوعاً و منهم من أسلم كرها «و إليه ترجعون» أى إلى جزائه تصيرون فيبادروا إلى دينه و لا تخالفوا الإسلام «قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ» خطاب للنبي ص و أمر له بأن يقول عن نفسه و عن أمته «آمَنَّا بِاللَّهِ» «وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا» الآية كما يخاطب رئيس قوم بأن يقول عن نفسه و عن رعيته و قد سبق معنى الآية فى سورة البقره فإن قيل ما معنى قوله «وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» بعد ما سبق من الإقرار بالإيمان على التفصيل قلنا معناه و نحن له مسلمون بالطاعه و الانقياد فى جميع ما أمر به و نهى عنه و أيضاً فإن أهل الملل المخالفه للإسلام كانوا يقولون كلهم بالإيمان و لكن

لم يقرؤا بلفظ الإسلام فلماذا قال «وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» (وَ مَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ) أى يطلب «دينًا» يدين به «فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ» بل يعاقب عليه و يدل عليه قوله «وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ» أى من الهالكين لأن الخسران ذهاب رأس المال و فى هذه الآية دلالة على أن من ابتغى الإسلام دينا يقبل منه فدل ذلك على أن الدين و الإسلام و الإيمان واحد و هى عبارات من معبر واحد.

سوره آل عمران (٣): الآيات ٨٦ الى ٨٩

اشاره

كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَ شَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَ جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٦) أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْنِهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَ الْمَلَائِكَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَ لَا هُمْ يُنظَرُونَ (٨٨) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَ أَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٨٩)

اللغه

الخلود فى اللغه طول المكث و لذلك يقال خلد فلان فى السجن و قيل للأتافى خوالد ما دامت فى مواضعها و إذا زالت لا يسمى خوالد و الفرق بين الخلود و الدوام أن الخلود يقتضى طول المكث فى نحو قولك خلد فلان فى الحبس و لا يقتضى ذلك الدوام و لذلك وصف سبحانه بالدوام دون الخلود إلا- أن خلود الكفار المراد به التأييد بلا خلاف بين الأمة و الإنظار التأخير للعبد لينظر فى أمره و الفرق بينه و بين الإمهال أن الإمهال هو تأخيره لتسهيل ما يتكلفه من عمله.

الإعراب

كيف أصله الاستفهام و المراد به هنا الإنكار لأنه لا تقع هذه الهدايه من الله أى لا يهديهم الله كقوله كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَ عِنْدَ رَسُولِهِ أى لا يكون قال الشاعر:

كيف نوما على الفراش و لما

يشمل الشام غاره شعواء

و إنما دخله معنى الإنكار مع أن أصله الاستفهام لأن المسئول يسأل عن أغراض مختلفه فقد يسأل للتعجيز عن إقامة البرهان و قد يسأل للتوبيخ مما يظهر من معنى الجواب فى السؤال و قد يسأل لما يظهر فيه من الإنكار و إنما عطف قوله «شَهِدُوا» و هو فعل على إيمانهم و هو اسم لأن الإيمان مصدر و المراد به الفعل و التقدير بعد أن آمنوا و شهدوا و أجمعين تأكيد للناس و دخلت الفاء فى قوله «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» لأنه يشبهه الجزاء إذ كان الكلام قد تضمن معنى إن تابوا فإن الله يغفر لهم و لا يجوز أن يكون فى موضع خبر الذين لأن الذين فى موضع نصب بالاستثناء من الجملة التى هى قوله «أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ» و لا يحمل على المنقطع مع حسن الاتصال لأنه الأصل فى الكلام و الأسبق إلى الأفهام.

النزول

قيل

نزلت الآيات فى رجل من الأنصار يقال له حارث بن سويد بن الصامت و كان قتل المحذر بن زياد البلوى غدرا و هرب و ارتد عن الإسلام و لحق بمكة ثم ندم فأرسل إلى قومه أن يسألوا رسول الله ص هل لى من توبه فسألوا فنزلت الآية إلى قوله «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا» فحملها إليه رجل من قومه فقال إنى لأعلم أنك لصدوق و رسول الله أصدق منك و أن الله أصدق الثلاثة و رجع إلى المدينة و تاب و حسن إسلامه عن مجاهد و السدى و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل نزلت فى أهل الكتاب الذين كانوا يؤمنون بالنبى ص قبل مبعثه ثم كفروا بعد البعثه حسدا و بغيا عن الحسن و الجبائى و أبى مسلم.

المعنى

لما بين تعالى أن الإسلام هو الدين الذى به النجاه بين حال من خالفه فقال «كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ» فيه وجوه (أحدها) أن معناه كيف يسلك الله بهم سبيل المهتدين بالإثابة لهم و الثناء عليهم و قد كفروا بعد إيمانهم - (و ثانيها) أنه على طريق التباعد كما يقال كيف أهديك إلى الطريق و قد تركته أى لا طريق يهديهم به إلى الإيمان إلا من الوجه الذى هداهم به و قد تركوه و لا طريق غيره - (و ثالثها) أن المراد كيف يهديهم الله إلى الجنة و يشيهم و الحال هذه و قوله «و شَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ» عطف على قوله «بَعْدَ إِيمَانِهِمْ» دون قوله «كَفَرُوا» و تقديره بعد أن آمنوا و شهدوا أن الرسول حق «و جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ» أى البراهين و الحجج و قيل القرآن و قيل جاءهم ما فى كتبهم من البشارة لمحمد «و اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» أى لا يسلك بالقوم الظالمين مسلك المهتدين و لا يشيهم و لا يهديهم إلى طريق الجنة لأن المراد الهدايه المختصه

بالمهتدين دون الهدايه العامه المراده فى قوله «وَ أَمَّا تَمُودٌ فَهَدَيْنَاهُمْ» و المراد بالإيمان هاهنا إظهار الإيمان دون الإيمان الذى يستحق به الثواب و ليس فى الآيه ما يدل على أنهم قد كانوا فى باطنهم مؤمنين مستحقين الثواب فزال ذلك بالكفر فلا متعلق للمخالف به «أُولَئِكَ جَزَاءُ هُمْ» على أعمالهم «أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ» و هى إبعاده إياهم من رحمته و مغفرته «وَ الْمَلَائِكَةُ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ» و هى دعاؤهم عليهم باللعه و بأن يبعدهم الله من رحمته «خَالِدِينَ فِيهَا» أى فى اللعه لخلودهم فيما استحقوا باللعه و هو العذاب و «لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ» و لا يسهل عليهم «وَ لَا هُمْ يُنظَرُونَ» أى و لا يمهلون للتوبه و لا يؤخر عنهم العذاب من وقت إلى وقت آخر و إنما نفى إظهارهم للتوبه و الإنابه لما علم من حالهم أنهم لا ينيبون و لا يتوبون كما قال وَ لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ عَلَى أَنْ التَّبِيه لَيْسَتْ بِوَاجِبَةٍ و إن علم أنه لو أبقاه لتاب و أناب عند أكثر المتكلمين «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَ أَصْلَحُوا» أى تابوا من الكفر و رجعوا إلى الإيمان و أصلحوا ضمائرهم و عزموا على أن يثبتوا على الإسلام و هذا أحسن من قول من قال و أصلحوا أعمالهم بعد التوبه و صلوا و صاموا فإن ذلك ليس بشرط فى صحه التوبه إذ لو مات قبل فعل الصالحات مات مؤمناً بالإجماع «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ» يغفر ذنوبهم «رَحِيمٌ» يوجب الجنه لهم و ذكر المغفره دليل على أن إسقاط العقاب بالتوبه تفضل منه سبحانه و أن ما لا يجوز المؤاخذه به أصلاً لا يجوز تعليقه بالمغفره و إن ما يعلق بالمغفره ما يكون له المؤاخذه به.

سوره آل عمران (٣): آيه ٩٠

إشارة

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (٩٠)

النزول

قيل نزلت فى أهل الكتاب الذين آمنوا برسول الله ص قبل مبعثه ثم كفروا به بعد مبعثه عن الحسن و قيل نزلت فى اليهود كفروا بعبسى و الإنجيل بعد إيمانهم بأنبيائهم و كتبهم ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد و القرآن عن قتاده و عطاء و قيل نزلت فى أحد عشر من أصحاب الحرث بن سويد لما رجع الحرث قالوا نقيم بمكه على الكفر ما بدا لنا فمتى ما أردنا الرجعه رجعنا فينزل فينا ما نزل فى الحرث فلما افتتح رسول الله ص مكه دخل فى الإسلام من دخل منهم فقبلت توبته فنزل فيمن مات منهم كافراً «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ» الآيه.

المعنى

لما تقدم ذكر التوبه المقبوله عقبه الله بما لا يقبل منها فقال «إِنَّ الَّذِينَ

كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا» قد ذكرنا الاختلاف في سبب نزوله و على ذلك يدور معناه و قيل كلما نزلت آيه كفروا بها فازدادوا كفرا إلى كفرهم «لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ» لأنها لم تقبل على وجه الإخلاص و يدل عليه قوله «وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ» و لو حققوا في التوبة لكانوا مهتدين و قيل لن تقبل توبتهم عند رؤيه البأس لأنها تكون في حال الإلجاء و معناه أنهم لا يتوبون إلا عند حضور الموت و المعايينه عن الحسن و قتاده و الجبائي و قيل لأنها أظهرت الإسلام توريه فأطلع الله تعالى رسوله على سرائرهم عن ابن عباس و قد دل السمع على وجوب قبول التوبه إذا حصلت شرائطها و عليه إجماع الأمة «وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ» عن الحق و الصواب و قيل الهالكون المعذبون.

سوره آل عمران (٣): آيه ٩١

إشارة

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَ لَوْ أَقْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٩١)

اللغة

الميل ء أصله الملاء و هو تطفيح الإناء و منه الملاء الأشراف لأنهم يملئون العين هيبه و جلاله و منه رجل ملى ء بالأمر و هو أملاً به من غيره فالميل ء اسم للمقدار الذي يملأ و الملو المصدر و الفديه البدل من الشى ء فى إزاله الأذيه و منه فداء الأسير لأنه بدل منه فى إزاله القتل و الأسر عنه إذا كسر مد و إذا فتح قصر تقول فدى لك أو فداء لك و يجوز قصر هذا الممدود للضروره و الافتداء افتعال من الفديه.

الإعراب

ذهبا منصوب على التمييز و إنما استحقq النصب لاشتغال العامل بالإضافه أو ما عاقبها من النون الزائده فجرى ذلك مجرى الحال فى اشتغال العامل بصاحبها و مجرى المفعول فى اشتغال العامل عنه بالفاعل و قوله «وَلَوْ أَقْتَدَى بِهِ» قال الفراء هذه الواو زائده و غلظه الزجاج لأن الكلام إذا أمكن حملة على فائده يحمل عليها و لا يحمل على الزيادة و قال إذا دخلت الواو فى مثل هذا كان أبلغ فى التأكيد كقولك لا- آتيك و إن أعطيتنى لأنها دخلت لتفصيل نفى القبول بعد الإجمال و لو جعلنا الواو زائده لأوهم ذلك أنه لا يقبل منه مل ء الأرض ذهبا فى الافتداء و يقبل فى غيره.

المعنى

«إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ» أى على كفرهم «فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ

أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا» أى مقدار ما يملأ الأرض من الذهب «وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ» بذله عوضا و معناه أن الكافر الذى يعتقد الكفر وإن أظهر الإيمان لا- ينفعه الإنفاق بمعنى أنه لا يوجب له الثواب و قيل معناه أنه لا يقبل منه فى الآخرة لو وجد إليه السبيل قال قتاده

يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له أ رأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا لكنت تفتدى به فيقول نعم فيقال له لقد سألت أيسر من ذلك فلم تفعل و رواه أيضا أنس عن النبى

«أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ» قد ذكرنا معناه.

سوره آل عمران (٣): آيه ٩٢

إشاره

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٩٢)

اللغه

البر أصله من السعه و منه البر خلافاً البحر و الفرق بين البر و الخير أن البر هو النفع الواصل إلى الغير مع القصد إلى ذلك و الخير يكون خيرا و إن وقع عن سهو و ضد البر العقوق و ضد الخير الشر.

المعنى

«لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ» أى لن تدركوا بر الله تعالى بأهل طاعته و اختلف فى البر هنا فقيل هو الجنه عن ابن عباس و مجاهد و قيل هو الطاعه و التقوى عن مقاتل و عطاء و قيل معناه لن تكونوا أبرارا أى صالحين أتقياء عن الحسن «حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» أى حتى تنفقوا المال و إنما كنى بهذا اللفظ عن المال لأن جميع الناس يحبون المال و قيل معناه ما تحبون من نفائس أموالكم دون أردالها كقوله تعالى: «وَلَا تَيْمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ» و قيل هو الزكاه الواجبه و ما فرضه الله فى الأموال عن ابن عباس و الحسن و قيل هو جميع ما ينفقه المرء فى سبيل الخيرات عن مجاهد و جماعه

و قد روى عن أبى الطفيل قال اشترى على (عليه السلام) ثوبا فأعجبه فتصدق به و قال سمعت رسول الله ص يقول من آثر على نفسه آثره الله يوم القيامة بالجنه و من أحب شيئا فجعله الله قال الله تعالى يوم القيامة قد كان العباد يكافئون فيما بينهم بالمعروف و أنا أكافيك اليوم بالجنه

و روى أن أبا طلحه قسم حائطا له فى أقاربه عند نزول هذه الآيه و كان أحب أمواله إليه فقال له رسول الله ص بخ بخ ذلك مال رابح لك

و جاء زيد بن حارثه بفرس له كان يحبها فقال هذه فى سبيل الله

فحمل عليها رسول الله ص أسامه بن زيد فكان زيدا وجد في نفسه و قال إنما أردت أن أتصدق به فقال رسول الله أما إن الله قد قبلها منك

و أعتق ابن عمر جاريه كان يحبها و تلا- هذه الآية و قال لو لا أنى لا أعود فى شىء جعلته الله تعالى لنكحتها و أضاف أبو ذر الغفارى ضيفا فقال للضيف إنى مشغول و إن لى إبلا فأخرج و أتنى بخيرها فذهب فجاء بناقه مهزوله فقال له أبو ذر خنتنى بهذه فقال وجدت خير الإبل فحلها فذكرت يوم حاجتكم إليه فقال أبو ذر إن يوم حاجتى إليه ليوم أوضع فى حفرتى مع أن الله يقول «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» و قال أبو ذر فى المال ثلاثه شركاء القدر لا يستأمرك أن يذهب بخيرها أو شرها منهلك أو موت و الوارث ينتظر ك أن تضع رأسك ثم يستاقها و أنت ذميم و أنت الثالث فإن استطعت أن لا تكون أعجز الثلاثة فلا تكن إن الله يقول «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» و إن هذا الجمل كان مما أحب من مالى فأحببت أن أقدمه لنفسى و قال بعضهم دلهم بهذه الآية على الفتوه فقال «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ» أى برى بكم إلا- بركم بإخوانكم و الإنفاق عليهم من مالكم و جاهكم و ما تحبون فإذا فعلتم ذلك نالكم برى و عطفى «وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ» جاء بالفاء على جواب الشرط و إن كان الله يعلم ذلك على كل حال و فيه وجهان (أحدهما) أن تقديره و ما تنفقوا من شىء فإن الله يجازيكم به قل أو كثر لأنه عليم لا- يخفى عليه شىء منه (و الآخر) أن تقديره فإنه يعلمه الله موجودا على الحد الذى تفعلونه من حسن النيه أو قبحها فإن قيل كيف قال سبحانه «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» و الفقير ينال الجنه و إن لم ينفق قيل الكلام خرج مخرج الحث على الإنفاق و هو مقيد بالإمكان و إنما أطلق على سبيل المبالغه فى الترغيب و الأولى أن يكون المراد لن تنالوا البر الكامل الواقع على أشرف الوجوه حتى تنفقوا مما تحبون

و روى عن ابن عمر أن النبى ص سئل عن هذه الآية فقال هو أن ينفق العبد المال و هو شحيح يأمل الدنيا و يخاف الفقر.

النظم

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنه لما ذكر فى الآية الأولى «فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا» وصل ذلك بقوله «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا» لئلا يودى امتناع غناء الفديه إلى الفتور فى الصدقه و ما جرى مجراها من وجوه الطاعه.

سوره آل عمران (٣): الآيات ٩٣ الى ٩٤

إشارة

كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاَّ لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ إِلاَّ- ما حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ فُلَّ فَمَاتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٣) فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩٤)

ص: ٣٠٩

الافتراء اقرار الكذب و أصله قطع ما قدر من الأديم يفريه فريا إذا قطعه و على للاستعلاء و معناه هنا إضافة الكذب إلى النبي ص من جهة أنه أمر بما لم يأمر به الله و أوجب ما لم يوجب الله و فرق بين من كذب عليه و كذب له لأن من كذب عليه يفيد أنه كذب فيما يكرهه و كذب له يجوز أن يكون فيما يريد.

النزول

أنكر اليهود تحليل النبي لحوم الإبل فقال كل ذلك كان حلالاً لإبراهيم فقالت اليهود كل شيء تحرمه فإنه محرم على نوح و إبراهيم و هلم جرا حتى انتهى إلينا فنزلت الآية عن الكلبي و أبي روق.

المعنى

«كُلُّ الطَّعَامِ» أى كل المأكولات «كَانَ حَلَالًا» أى كان حلالاً «لِبَنِي إِسْرَائِيلَ» و إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم «إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ» أى يعقوب «عَلَى نَفْسِهِ» اختلفوا فى ذلك الطعام فقيل أن يعقوب أخذه وجع العرق الذى يقال له عرق النساء فنذر إن شفاه الله أن يحرم العروق و لحم الإبل و هو أحب الطعام إليه عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و الضحاك و قيل حرم إسرائيل على نفسه لحم الجزور تعبدًا لله تعالى و سأل الله أن يجيز له فحرم الله ذلك على ولده عن الحسن و قيل حرم زائدتى الكبد و الكليتين و الشحم إلا- ما حملته الظهور عن عكرمه و اختلف فى أنه كيف حرمه على نفسه فقيل بالاجتهاد و قيل بالنذر و قيل بنص ورد عليه و قيل حرمه كما يحرم المستظهر فى دينه من الزهاد اللذة على نفسه «مَنْ قَبِلَ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ» معناه أن كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل قبل أن تنزل التوراه على موسى فإنها تضمنت تحريم بعض ما كان حلالاً لبني إسرائيل و اختلفوا فيما حرم عليهم و حالها بعد نزول التوراه فقيل أنه حرم عليهم ما كانوا يحرمونه قبل نزولها اقتداءً بأبيهم يعقوب (عليه السلام) عن السدى و قيل لم يحرم الله عليهم فى التوراه و إنما حرم عليهم بعد التوراه بظلمهم و كفرهم و كانت بنو إسرائيل إذا أصابوا ذنبا عظيما حرم الله عليهم طعاما طيبا و صب عليهم رجزا و هو الموت و ذلك قوله «فَبُظِّلَ مِنْ

الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أَحَلَّتْ لَهُمْ» عن الكلبي وقيل لم يكن شىء من ذلك حراما عليهم فى التوراه و إنما هو شىء حرموه على أنفسهم اتباعا لأبيهم و أضافوا تحريمه إلى الله تعالى عن الضحاك فكذبهم الله و قال «قُلْ» يا محمد «فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا» حتى يتبين أنه كما قلت لا كما قلت «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فى دعواكم فاحتج عليهم بالتوراه و أمرهم بالإتيان بها و إن لم يقرءوا ما فيها فإن كان فى التوراه أنها كانت حلالا للأنبياء و إنما حرمها إسرائيل فلم يجسروا على إتيان التوراه لعلمهم بصدق النبى ص و بكذبهم و كان ذلك دليلا ظاهرا على صحه نبوه نبينا محمد ص إذ علم بأن فى التوراه ما يدل على كذبهم من غير تعلم التوراه و قراءتها «فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ» أى فمن افترى الكذب على الله تعالى من بعد قيام الحجه و ظهور البيئه «فَأُولَئِكَ» هم المفترون على الله الكذب و «هُمْ الظَّالِمُونَ» لأنفسهم بفعل ما أوجب العقاب عليهم و إنما قال «مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ» مع أنه يستحق الوعيد بالكذب على الله على كل حال لأنه أراد بيان أنه إنما يؤاخذ به بعد إقامه الحجه عليه و من كذب فيما ليس بمحجوج فيه جرى مجرى الصبى الذى لا يستحق الوعيد بكذبه.

النظم

و وجه اتصال هذه الآيه بما قبلها أنها تفصيل للجمله المتقدمه فإنه ذكر الترغيب فى الإنفاق من المحبوب و الطعام مما يجب فرغب فيه و ذكر حكمه عن على بن عيسى و قيل أنه لما تقدم محاجتهم فى مله إبراهيم و كان فيما أنكروا على نبينا ص تحليل لحم الجزور و ادعوا تحريمه على إبراهيم (عليه السلام) و أن ذلك مذکور فى التوراه فأنزل الله هذه الآيه تكذيبا لهم.

سوره آل عمران (٣): آيه ٩٥

إشاره

قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٩٥)

اللغه

الاتباع لحاق الثانى بالأول لما له به من التعلق بالقوه للأول و الثانى يستمد منه و التابع ثان متدبر بتدبير الأول متصرف بتصريفه فى نفسه و أصل الحنيف الاستقامه و إنما وصف المائل القدم بأحنف تفاؤلا و قيل أصله الميل فالحنيف هو المائل إلى الحق فيما كان عليه إبراهيم من الشرع.

المعنى

ثم بين تعالى أن الصدق فيما أخبر به فقال «قُلْ صَدَقَ اللَّهُ» فى أن كُلى الطعام كان حلالا لىنى إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه و فى أن محمدا ص على دين

إبراهيم و أن دينه الإسلام «فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ» فى استباحه لحوم الإبل و ألبانها «حَنِيفًا» أى مستقيما على الدين الذى هو شريعته فى حجه و نسكه و طيب مأكله و تلك الشريعة هى الحنيفيه و قيل مائلا عن سائر الأديان الباطله إلى دين الحق «وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» برأ الله تعالى إبراهيم مما كان ينسبه اليهود و النصارى إليه بزعمهم أنهم على دينه و كذلك مشركو العرب و أخبر أن إبراهيم كان بريئا من المشركين و دينهم و الصحيح أن نبينا ص لم يكن متعبدا بشريعه من تقدم من الأنبياء و لكن وافقت شريعته شريعه إبراهيم فلذلك قال «فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ» و إلا فالله تعالى هو الذى أوحى بها إليه و أوجبها عليه و كانت شريعته له و إنما رغب الله فى شريعته الإسلام بأنها مله إبراهيم لأن المصالح إذا وافقت ما تسكن إليه النفس و يقبله العقل بغير كلفه كانت أحق بالرغبة فيها و كان المشركون يميلون إلى اتباع مله إبراهيم (عليه السلام) فلذلك خوطبوا بذلك.

سوره آل عمران (٣): الآيات ٩٦ الى ٩٧

إشارة

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير أبى بكر و أبى جعفر «حِجُّ الْبَيْتِ» بكسر الحاء و الباقون بفتحها.

الحج

قال سيويه حج حجا مثل ذكر ذكر فحج على هذا مصدر فهذا حجه لمن كسر الحاء و قال أبو زيد الحجج السنون واحدها حجه قال أبو على يدل على ذلك قوله ثمانى حجج قال الحجج من حج البيت الواحده قال سيويه " قالوا حجه أرادوا عمل سنه و لم يجيئوا بها على الأصل و لكنه اسم له " فقله لم يجيئوا بها على الأصل أراد أنه للدفعه من الفعل و لكن كسروه فجعلوه اسما لهذا المعنى كما قالوا غزاه لعمل وجه واحد و لم يجىء فيه الغزوه و كان القياس.

اللغة

أول الشىء ابتداءه و يجوز أن يكون المبتدأ له آخر و يجوز أن لا يكون آخر

له لأن الواحد أول العدد ولا -نهايه لآخره و نعيم أهل الجنة له أول و لا نهايه له و أصل بكه البك و هو الزحم يقال بكه يبكه بكا إذا زحمه و يباك الناس إذا ازدحموا فبكه مزدحم الناس للطواف و هو ما حول الكعبه من داخل المسجد الحرام و قيل سميت بكه لأنها تبك أعناق الجبابره إذا ألدوا فيها بظلم و لم يمهلوا و البك دق العنق و أما مكه فيجوز أن يكون اشتقاقها كاشتقاق بكه و إبدال الميم من الباء كقوله (ضربه لازب و لازم) و يجوز أن يكون من قولهم أمتك الفصيل ما فى ضرع الناقه إذا مص مصا شديدا حتى لا يبقى منه شىء و مك المشاش مكا إذا تمشش بفيه فسميت مكه بذلك لقله مائها و أصل البركه الثبوت من قولهم برك بروكا أو بركا إذا ثبت على حاله فالبركه ثبوت الخير بنموه و منه البركه شبه الحوض يمسك الماء لثبوته فيه و منه قول الناس تبارك الله لثبوته لم يزل و لا يزال وحده.

الإعراب

قوله تعالى «مُبَارَكًا» نصب على الحال بالظرف من ببكه على معنى الذى استقر ببكه مباركاً و يجوز أن يكون من الضمير فى وضع كأنه قيل وضع مباركاً و على هذا يجوز أن يكون قد وضع قبله بيت و لا يجوز فى التقدير الأول و أما رفع مقام إبراهيم فلأنه خبر مبتدأ محذوف و تقديره هى مقام إبراهيم عن الأخصش و قيل هو بدل من آيات عن أبى مسلم و «مَنْ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» فى موضع جر بدلا من الناس و هو بدل البعض من الكل.

النزول

قال مجاهد تفاخر المسلمون و اليهود فقالت اليهود بيت المقدس أفضل و أعظم من الكعبه لأنه مهاجر الأنبياء و الأرض المقدسه و قال المسلمون بل الكعبه أفضل فأنزل الله تعالى «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ».

المعنى

«إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ» أى بنى للناس و لم يكن قبله بيت مبنى و إنما دحيت الأرض من تحتها و هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق الله تعالى السماء و الأرض من تحتها و هو خلقه الله قبل الأرض بألفى عام و كانت زبده بيضاء على الماء عن مجاهد و قتاده و السدى

و روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال أنها كانت مهاه بيضاء يعنى دره بيضاء

و روى أبو خديجه عنه (عليه السلام) قال إن الله أنزله لآدم من الجنة و كان دره بيضاء فرفعه الله تعالى إلى السماء و بقى رأسه و هو بحيال هذا البيت يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إليه أبدا فأمر الله تعالى إبراهيم (عليه السلام) و إسماعيل (عليه السلام) ببناء البيت على القواعد

و قيل

معناه إن أول بيت وضع للعباده و لم يكن قبله بيت يحج إليه البيت الحرام و قد كانت قبله بيوت كثيره و لكنه أول بيت مبارك و

هدى وضع للناس عن على (عليه السلام)

ص: ٣١٣

والحسن وقيل أول بيت رغب فيه و طلب منه البركه مكه عن الضحاك و روى أصحابنا أن أول شىء خلقه الله من الأرض موضع الكعبه ثم دحيت الأرض من تحتها

و روى أبو ذر أنه سئل النبي (صلى الله عليه و آله) عن أول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس

«لَلَّذِي بَكَه» قيل

بكه المسجد و مكه الحرام كله يدخل فيه البيوت عن الزهري و ضميره بن ربيعه و هو المروى عن أبي جعفر (عليه السلام)

وقيل بكه بطن مكه عن أبي عبيده و قيل بكه موضع البيت و المطاف و مكه اسم البلده و عليه الأ-كثر و قيل بكه هي مكه و العرب تبدل الباء ميما مثل سبد رأسه و سمده عن مجاهد و الضحاك «مُبَارَكًا» يعنى كثير الخير و البركه و قيل مباركاً لثبوت العباده فيه دائماً حتى يحكى على أن الطواف به لا- ينقطع أبداً و قيل لأنه يضاعف فيه ثواب العباده عن ابن عباس و روى فيه حديثاً طويلاً- و قيل لأنه يغفر فيه الذنوب و يجوز حمله على الجميع إذ لا تنافى «وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ» أى دلالة لهم على الله تعالى لإهلا-كه كل من قصده من الجبابره كأصحاب الفيل و غيرهم و باجتماع الطبى فى حرمه مع الكلب و الذئب فلا ينفر عنه مع نفرته عنه فى غيره من البلاد و بانمحاق الجمار على كثره الرماه فلو لا أنها ترفع لكان يجتمع هناك من الحجاره مثل الجبال و باستئناس الطيور فيه بالناس و باستشفاء المريض بالبيت و بأن لا يعلوه طير إعظاما له إلى غير ذلك من الدلالات و قيل معناه أنهم يهتدون به إلى جهه صلاتهم أو يهتدون إلى الجنه بحجه و طوافه «فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ» أى دلالات واضحات و الهاء فى فيه عائد إلى البيت و روى عن ابن عباس أنه قرأ فيه آيه بينه مقام إبراهيم فجعل مقام إبراهيم وحده هو الآيه و قال أثر قدميه فى المقام آيه بينه و الأول عليه القراء و المفسرون أرادوا مقام إبراهيم و الحجر الأسود و الحطيم و زمزم و المشاعر كلها و أركان البيت و ازدحام الناس عليها و تعظيمهم لها و قد مضى ذكر مقام إبراهيم فى سوره البقره و

سئل الصادق (عليه السلام) عن الحطيم فقال هو ما بين الحجر الأسود و الباب قيل و لم سمى الحطيم قال لأن الناس يحطم بعضهم بعضا و هو الموضع الذى فيه تاب الله على آدم و قال (عليه السلام) إن تهياً لك أن تصلى صلاتك كلها الفرائض و غيرها عند الحطيم فافعل فإنه أفضل بقعه على وجه الأرض و بعده الصلاه فى الحجر أفضل

و روى عن أبي حمزه الثمالى قال قال لنا على بن الحسين أى البقاع أفضل فقلنا الله تعالى و رسوله و ابن رسوله أعلم فقال لنا أفضل البقاع ما بين الركن و المقام و لو أن رجلاً عمر ما عمر نوح فى قومه ألف سنه إلا خمسين عاماً يصوم النهار و يقوم الليل فى ذلك المكان ثم لقي الله تعالى بغير ولايتنا لا ينفعه ذلك شيئاً

و قال الصادق (عليه السلام) الركن اليمانى بابنا الذى ندخل منه الجنه

و روى أنه من روى من ماء زمزم أحدث له به شفاء و صرف عنه داء

قال

المفسرون و من تلك الآيات مقام إبراهيم (عليه السلام) و أمن الداخل فيه و أمن الوحوش من السباع الضاربه و أنه ما علا عبد على الكعبه إلا- عتق و إذا كان الغيث من ناحيه الركن اليماني كان الخصب باليمن و إذا كان من ناحيه الركن الشامي كان الخصب بالشام و إذا عم البيت كان في جميع البلدان و سائر ما ذكرناه قبل من الآيات و قوله «وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا» عطف على مقام إبراهيم و في مقام إبراهيم دلالة واضحة لأنه حجر صلد يرى فيه أثر قدميه و لا يقدر أحد أن يجعل الحجر كالطين إلا الله و روى عن ابن عباس أنه قال أن الحرم كله مقام إبراهيم و من دخل مقام إبراهيم يعنى الحرم كان آمنا و قيل فيه أقوال (أحدها) إن الله عطف قلوب العرب في الجاهليه على ترك التعرض لمن لاذ بالحرم و التجأ إليه و إن كثرت جريمته و لم يزد الإسلام إلا شدة عن الحسن (و ثانيها) أنه خير و المراد به الأمر و

معناه أن من وجب عليه حد فلاذ بالحرم لا يبايع و لا يشارى و لا يعامل حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحد عن ابن عباس و ابن عمر و هو المروى عن أبي جعفر (عليه السلام) و أبي عبد الله (عليه السلام)

و على هذا يكون تقديره و من دخله فأمنوه (و ثالثها) إن

معناه من دخله عارفا بجميع ما أوجبه الله عليه كان آمنا في الآخرة من العذاب الدائم و هو المروى عن أبي جعفر (عليه السلام)

و أجمعت الأمة على أن من أصاب فيه ما يوجب الحد أقيم عليه الحد فيه ثم لما بين الله فضيله بيته الحرام عقبه بذكر وجوب حجه الإسلام فقال «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» و معناه و لله على من استطاع إلى حج البيت سبيلا من الناس حج البيت أى من وجد إليه طريقا بنفسه و ماله و اختلف في الاستطاعة فقيل هى الزاد و الراحله عن ابن عباس و ابن عمر و قيل ما يمكنه معه بلوغ مكة بأى وجه يمكن عن الحسن و معناه القدره على الوصول إليه

و المروى عن أئمتنا أنه وجود الزاد و الراحله و نفقه من يلزمه نفقته و الرجوع إلى كفايه إما من مال أو ضياع أو حرفه مع الصحه فى النفس و تخليه السرب من الموانع و إمكان السير

«وَمَنْ كَفَرَ» معناه و من جحد فرض الحج و لم يره واجبا عن ابن عباس و الحسن «فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ» لم يتعبد لهم بالعباده لحاجته إليها و إنما تعبد لهم بها لما علم فيها من مصالحهم و قيل إن المعنى به اليهود فإنه لما نزل قوله «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا» فلن يقبل منه قالوا نحن مسلمون فأمرنا بالحج فلم يحجوا و على هذا يكون معنى «مَنْ كَفَرَ» من ترك الحج من هؤلاء فهو كافر و الله غنى عن العالمين و قيل المراد به كفران النعمة لأن امتثال أمر الله شكر لنعمة

و قد روى عن أبي أمامه عن النبى (صلى الله عليه و آله) أنه قال من لم يحبس حجه ظاهره من مرض حابس أو سلطان جائر و لم يحج فليمت إن شاء يهوديا و إن شاء نصرانيا

و روى عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال قال

رسول الله (صلى الله عليه وآله) الحج و العمره ينفيان الفقر و الذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد

و فى هذه الآيه دلالة على فساد قول من قال إن الاستطاعة مع الفعل لأن الله أوجب الحج على المستطيع و لم يوجب على غير المستطيع و ذلك لا يمكن إلا قبل فعل الحج.

النظم

وجه اتصال الآيه بما قبلها إن الله تعالى أمر أهل الكتاب باتباع مله إبراهيم و من ملته تعظيم بيت الله الحرام فذكر تعالى البيت و فضله و حرمة و ما يتعلق به فى قوله «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ».

سوره آل عمران (٣): الآيات ٩٨ الى ٩٩

إشاره

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ (٩٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبِعُونَهَا عَوجًا وَ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٩)

اللغه

البغية الطلب يقال بغيت الشىء أبغيه قال عبد بنى الحسحاس:

بغاك و ما تبغيه حتى وجدته

كأنك قد واعدته أمس موعدا

أى طلبك و ما تطلبه و يقال ابغنى بكذا بكسر الهمزة أى اطلبه لى و أصله ابغ لى فحذفت اللام لكثرة الاستعمال و إذا قلت أبغنى بفتح الهمزة فمعناه أعنى على طلبه و مثله احملنى و احمل لى و احلب لى و احلبنى أى أعنى على الحلبه و العوج بفتح العين ميل كل شىء منتصب نحو القناه و الحائط و بكسر العين هو الميل عن طريق الاستواء فى طريق الدين و فى القول و فى الأرض و منه قوله لا ترى فيها عوجاً و لا أمتاً.

الإعراب

«مَنْ آمَنَ» فى موضع نصب بأنه مفعول تصدون و الكنايه فى قوله «تَبِعُونَهَا» راجعه إلى السبيل.

المعنى

ثم عاد سبحانه الكلام إلى حجاج أهل الكتاب فقال مخاطباً للنبي يأمره بخطاب اليهود و النصارى و قيل اليهود خاصه «قُلْ يَا

أَهْلَ الْكِتَابِ» أَي قُلْ يَا مُحَمَّدَ لَهُم

ص: ٣١٦

«لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ» أى بالمعجزات التى أتاهها محمد (صلى الله عليه وآله) و العلامات التى وافقت فى صفته ما تقدمت البشاره به و سماهم أهل الكتاب و إن لم يعملوا به و لم يجز مثل ذلك فى أهل القرآن لوجهين (أحدهما) أن القرآن اسم خاص لكتاب الله تعالى و أما الكتاب فلا- ينبى عن ذلك بل يجوز أن يراد به يا أهل الكتاب المحرف عن وجهته (و الثانى) الاحتجاج عليهم بالكتاب لإقرارهم به فكأنه قيل يا من يقر بأنه من أهل كتاب الله لم تكفرون بآيات الله و اللفظ لفظ الاستفهام و المراد به التوبيخ و إنما جاز التوبيخ على لفظ الاستفهام من حيث أنه سؤال يعجز عن إقامه العذر فكأنه قال هاتوا العذر فى ذلك إن أمكنكم «وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ» أى حفيظ على أعمالكم محص لها ليجازيكم عليها قيل معناه مطلع عليها عالم بها مع قيام الحجه عليكم فيها و قال عز اسمه فى هذا الموضع «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ» و فى موضع آخر يا أَهْلَ الْكِتَابِ* لأنه تعالى خاطبهم فى موضع على جهه التلطف فى استدعائهم إلى الإيمان و أعرض عن خطابهم فى موضع آخر و أمر سبحانه نبيه استخفافا بهم لصددهم عن الحق «قُلْ» يا محمد «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصِدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ» أى لم تمنعون المؤمنين عن دين الإسلام الذى هو دين الله و سبيله و اختلف فى كيفية صددهم عن سبيل الله فقول أنهم كانوا يغرون بين الأوس و الخزرج بتذكيرهم الحروب التى كانت بينهم فى الجاهليه حتى تدخلهم الحميه و العصبية فينسلخون عن الدين عن زيد بن أسلم فعلى هذا يكون الآيه فى اليهود خاصة و قيل الآيه فى اليهود و النصارى و معناه لم تصدون بالكذب بالنبى (صلى الله عليه وآله) و إن صفته ليست فى كتبكم عن الحسن و قيل بالتحريف و البهت عن الأصم «تَبْغُونَهَا عِوَجًا» أى تطلبون لسبيل الله عوجا عن سمت الحق و هو الضلال فكأنه قال تبغونها ضلالا بالشبه التى تدخلونها على الناس و قيل معناه تطلبون ذلك السبيل لا على وجه الاستقامه أى على غير الوجه الذى ينبغى أن يطلب و قوله «وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ» فيه قولان- (أحدهما)- أن معناه أنتم شهداء بتقديم البشاره بمحمد فى كتبكم فكيف تصدون عنه من يطلبه و تريدون عدوله عنه- (و الآخر)- أن المراد و أنتم عقلاء كما قال أو أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ أَى عاقل و ذلك أنه يشهد الذى يميز به بين الحق و الباطل فيما يتعلق بالدين «وَمَا اللَّهُ بِعَاقِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» هذا تهديد لهم على الكفر.

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٠٠ الى ١٠١

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعِيدَ إِيْمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ وَ أَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَ فِيكُمْ رَسُولُهُ وَ مَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٠١)

الطاعة موافقه الإراده الجاذبه للفعل بالترغيب فيه و الإجابة موافقه الإراده الداعيه إلى الفعل و لذلك يجوز أن يكون الله مجيباً إلى عبده إذا فعل ما دعا العبد به و لم يجوز أن يكون مطيعاً له و أصل الاعتصام الامتناع و عصمه يعصمه إذا منعه و لا عاصمَ اليومَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ أَى و لا مانع و العصام الحبل لأنه يعتصم به و العصم الأوعال لامتناعها بالجبال.

النزول

نزلت فى الأوس و الخزرج لما أغرى قوم من اليهود بينكم بذكر حروبهم فى الجاهليه ليفتنوهم عن دينهم عن زيد بن أسلم و السدى و قيل نزل قوله «وَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ» فى مشركى العرب عن الحسن.

المعنى

ثم حذر المؤمنين عن قبول قولهم فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا الله و رسوله و هو خطاب للأوس و الخزرج و يدخل غيرهم من المؤمنين فى عموم اللفظ «إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» معناه إن تطيعوا هؤلاء اليهود فى قبول قولهم و إحياء الضغائن التى كانت بينكم فى الجاهليه «يُرُدُّوكُمْ بِعِدِّ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ» أى يرجعوكم كفارا بعد إيمانكم ثم أكد تعالى الأمر و عظم الشأن فقال «وَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ» أى و على أى حال يقع منكم الكفر «وَ أَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ» و هذا استبعاد أن يقع منهم الكفر مع معرفتهم بآيات الله و فيهم داع يدعوهم إلى الإيمان و قيل هو على التعجيب أى لا ينبغي لكم أن تكفروا مع ما يقرأ عليكم فى القرآن المجيد من الآيات الداله على وحدانيه الله و نبوه نبيه (صلى الله عليه و آله) «وَ فِيكُمْ رَسُولُهُ» يعنى محمداً ترون معجزاته و الكفر و إن كان فظيماً فى كل حال فهو فى مثل هذه الحاله أفضح و يجوز أن يكون المراد بقوله «وَ فِيكُمْ رَسُولُهُ» القوم الذين كان النبى (صلى الله عليه و آله) بين أظهرهم خاصه و يجوز أن يكون المراد به جميع أمته لأن آثاره و علاماته من القرآن و غيره فىنا قائمه باقيه و ذلك بمنزله وجوده فىنا حياً «وَ مَنْ يَعْتَصِمْ

بِاللَّهِ» أى يتمسك بكتابه و آياته و بدينه و قيل من يمتنع بالله عن سواه بأن يعبده لا يشرك به شيئاً و قيل من يمتنع عن الكفر و الهلاك بالإيمان بالله و برسوله «فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أى إلى طريق واضح قال قتاده فى هذه الآية علمان بيان كتاب الله و نبى الله فأما نبى الله فقد مضى و أما كتاب الله فأبقاه الله بين أظهركم رحمه منه و نعمه فيه حلاله و حرامه و طاعته و معصيته و قيل أنهم قد شاهدوا فى نفسه (صلى الله عليه و آله) معجزات كثيره منها أنه كان يرى من خلفه كما يرى من قدامه و منها أنه كان ينام عينه و لا- ينام قلبه و منها أن ظله لم يقع على الأرض و منها أن الذباب لم يقع عليه و منها أن الأرض كانت تبتلع ما يخرج منه و كان لا- يرى له بول و لا- غائط و منها أنه كان لا يطوله أحد و إن طال و منها أنه كان بين كتفيه خاتم النبوه و منها أنه كان إذا مر بموضع يعلمه الناس لطيبه و منها أنه كان يسطع نور من جبهته فى الليله المظلمه و منها أنه قد ولد مختوناً إلى غير ذلك من الآيات.

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٠٢ الى ١٠٣

اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَ لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَ لَا تَفَرَّقُوا وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَ كُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرِهِ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣)

اللغه

تقاه من وقيت قال الزجاج يجوز فيه ثلاثه أوجه تقاه و وقاه و أقاه حملة على قياس وجوه و أجوه و إن كان هذا المثال لم يجىء منه شىء على الأصل نحو تخمه و تكأه غير أنه حملة على الأكثر من نظائره و الحبل السبب الذى يوصل به إلى البغيه كالحبل الذى يتمسك به للنجاه من بئر أو نحوها و منه الحبل للأمان لأنه سبب النجاه قال الأعشى:

و إذا تجوزها حبال قبيله

أخذت من الأخرى إليك حبالها

و منه الحبل للحمل فى البطن و أصل الحبل المفتول قال ذو الرمه:

هل حبل خرقاء بعد اليوم مرموم

أم هل لها آخر الأيام تكليم

و شفا الشىء مقصور حرفه و يثنى شفوان و جمعه أشفاء و أشفى على الشىء أشرف عليه و أشفى المريض على الموت من ذلك.

الإعراب

قوله «وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» جملة فى موضع الحال و قوله «جَمِيعاً» نصب على الحال أيضا أى و اعتصموا فى حال اجتماعكم أى كونوا مجتمعين على الاعتصام لا تفرقوا أصله أى لا تفرقوا فحذف أحد التاءين كراهه لاجتماع المثليين و المحذوفه الثانيه لأن الأولى علامه للاستقبال و هو مجزوم بالنهى و علامه الجزم سقوط النون و قوله تعالى «فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا» الكنايه فى منها عادت إلى الحفره و ترك شفا و مثله قول العجاج:

طول الليالى أسرع فى نقضى

طوين طولى و طوين عرضى

فترك الطول و أخبر عن الليالى.

النزول

قال مقاتل افتخر رجلان من الأوس و الخزرج ثعلبه بن غنم من الأوس و أسعد بن زراره من الخزرج فقال الأوسى منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين و منا حنظله غسيل الملائكة و منا عاصم بن ثابت بن أفلح حمى الدين و منا سعد بن معاذ الذى اهتز عرش الرحمن له و رضى الله بحكمه فى بنى قريظه و قال الخزرجى منا أربعة أحكموا القرآن أبى بن كعب و معاذ بن جبل و زيد بن ثابت و أبو زيد و منا سعد بن عباده خطيب الأنصار و رئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا و تفاخرا و ناديا فجاء الأوس إلى الأوسى و الخزرج إلى الخزرجى و معهم السلاح فبلغ ذلك النبى (صلى الله عليه و آله) فركب حمارا و أتاهم فأنزل الله هذه الآيات فقرأها عليهم فاصطلحوا.

المعنى

لما نهى تعالى عن قبول أقوال الكافرين بين فى هذه الآيه ما يجب قبوله فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ» معناه و اتقوا عذاب الله أى احترسوا و امتنعوا بالطاعة من عذاب الله كما يحق فكما يجب أن يتقى ينبغى أن يحترس منه و ذكر فى قوله «حَقَّ تُقَاتِهِ» وجوه (أحدها)

إن معناه أن يطاع فلا يعصى و يشكر فلا يكفر و يذكر فلا ينسى عن ابن عباس و ابن مسعود و الحسن و قتاده و هو المروى عن
أبي عبد الله (عليه السلام)

(و ثانيها) أنه اتقاء جميع معاصيه عن أبي علي الجبائي (و ثالثها) أنه المجاهده فى

ص: ٣٢٠

الله تعالى و أن لا- تأخذه فيه لومه لائم و أن يقام له بالقسط فى الخوف و الأمن عن مجاهد ثم اختلف فيه أيضا على قولين (أحدهما)

أنه منسوخ بقوله «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» عن قتاده و الربيع و السدى و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله

(و الآخر) أنه غير منسوخ عن ابن عباس و طاووس و أنكر الجبائى نسخ الآية لما فيه من إباحه بعض المعاصى قال الرماني و الذى عندى أنه إذا وجه قوله «اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ» على أن يقوموا له بالحق فى الخوف و الأمن لم يدخل عليه ما ذكره أبو على لأنه لا- يمتنع أن يكون أوجب عليهم أن يتقوا الله على كل حال ثم أباح ترك الواجب عند الخوف على النفس كما قال إِيَّا مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ و قوله «وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» و قد ذكرنا فى سورة البقره أن معناه لا- تتركوا الإسلام و كونوا عليه حتى إذا ورد عليكم الموت صادفكم عليه و إنما كان بلفظ النهى عن الموت من حيث أن الموت لا بد منه و إنما النهى فى الحقيقه عن ترك الإسلام لأن لا- يهلكوا بالانقطاع عن التمكن منه بالموت إلا أنه وضع كلام موضع كلام على وجه التصرف و الإبدال بحسن الاستعاره و زوال اللبس

و روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) و أنتم مسلمون بالتشديد و معناه مستسلمون لما أتى به النبى (صلى الله عليه و آله) منقادون له

«وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ» أى تمسكوا به و قيل امتنعوا به من غيره و قيل فى معنى حبل الله أقوال (أحدها)

أنه القرآن عن أبى سعيد الخدرى و عبد الله و قتاده و السدى و يروى ذلك مرفوعا

(و ثانيها) أنه دين الله الإسلام عن ابن عباس و أبى زيد (و ثالثها)

ما رواه أبان بن تغلب عن جعفر بن محمد (عليه السلام) قال نحن حبل الله الذى قال «وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا»

و الأولى حملة على الجميع و الذى يؤيده

ما رواه أبو سعيد الخدرى عن النبى (صلى الله عليه و آله) أنه قال أيها الناس إني قد تركت فيكم حبلين إن أخذتم بهما لن تضلوا بعدى أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض و عترتى أهل بيتى ألا و إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض

«وَ لَا تَفَرُّوا» معناه و لا تتفرقوا عن دين الله الذى أمركم فيه بلزوم الجماعه و الائتلاف على الطاعه و أثبتوا عليه عن ابن مسعود و قتاده و قيل معناه لا تتفرقوا عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) عن الحسن و قيل عن القرآن بترك العمل به «وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ» قيل أراد ما كان بين الأوس و الخزرج من الحروب التى تطاولت مائه و عشرين سنه إلى أن ألف الله بين قلوبهم بالإسلام فزال تلك الأحقاد عن ابن عباس و قيل هو ما كان بين مشركى العرب من الطوائل عن الحسن و المعنى احفظوا نعمه الله و منته عليكم بالإسلام و بالائتلاف و رفع ما كان بينكم من التنازع و الاختلاف فهذا هو النفع الحاصل لكم فى العاجل مع ما أعد لكم من الثواب الجزيل فى الأجل «إِذْ كُنْتُمْ

أَعْدَاءَ فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ» بجمعكم على الإسلام و رفع البغضاء و الشحناء عن قلوبكم «فَأَصْرِيحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ» أى بنعمه الله «إِخْوَانًا» متواصلين و أحبابا متحابين بعد أن كنتم متحاربين متعادين و صرتم بحيث يقصد كل واحد منكم مراد الآخرين لأن أصل الأخ من توخيت الشيء إذا قصدته و طلبته «وَ كُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرِهِ مِنَ النَّارِ» أى و كنتم يا أصحاب محمد (صلى الله عليه و آله) على طرف حفرة من جهنم لم يكن بينها و بينكم إلا الموت فأنقذكم الله منها بأن أرسل إليكم رسولا و هداكم للإيمان و دعاكم إليه فنجوتم بإجابته من النار و إنما قال «فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا» و إن لم يكونوا فيها لأنهم كانوا بمنزلة من هو فيها من حيث كانوا مستحقين لدخولها قال أبو الجوزاء قرأ ابن عباس «وَ كُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرِهِ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا» و أعرابي يسمع فقال و الله ما أنقذهم منها و هو يريد أن يقحمهم فيها فقال ابن عباس اكتبوها من غير فقيه «كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ» أى مثل البيان الذى تلى عليكم يبين الله لكم الآيات أى الدلالات و الحجج فيما أمركم به و نهاكم عنه «لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» أى لكى تهتدوا إلى الحق و الصواب.

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٠٤ الى ١٠٥

إشارة

وَ لَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَ اخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥)

اللغة

الأمة اشتقاقها من الأم الذى هو القصد فى اللغة تستعمل على ثمانية أوجه منها الجماعه و منها اتباع الأنبياء لاجتماعهم على مقصد واحد و منها القدوه لأنه يأتى به الجماعه و منها الدين و المله كقوله «إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ» * و منها الحين و الزمان كقوله تعالى «وَ ادَّكَّرَ بِعِيدِ أُمَّةٍ» و إلى أُمَّةٍ مَعِيدُودَةٍ و منها القامه يقال رجل حسن الأمة أى القامه و منها النعمه و منها الأمة بمعنى الأم.

الإعراب

«مِنْكُمْ أُمَّةٌ» من هاهنا للتبعيض على قول أكثر المفسرين لأن الأمر بالمعروف و إنكار المنكر ليسا بفرضين على الأعيان و هما من فروض الكفايات فأى فرقه قامت بهما سقطا عن الباقيين و من قال إنهما من فروض الأعيان قال أن من هاهنا للتبيين و لتخصيص المخاطبه دون سائر الأجناس كقوله فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ و قول الشاعر:

أخو رغائب يعطيها و يسلبها

يأبى الظلامه منه النوفل الزفر

لأنه وصفه بإعطاء الرغائب و النوفل الكثير الإعطاء و الزفر الذى يحمل الأثقال.

المعنى

«وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ» أى جماعه «يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ» أى إلى الدين «وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ» أى بالطاعه «وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ» أى عن المعصيه «وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» أى الفائزون و قيل كل ما أمر الله و رسوله به فهو معروف و ما نهى الله و رسوله عنه فهو منكر و قيل المعروف ما يعرف حسنه عقلا أو شرعا و المنكر ما ينكره العقل أو الشرع و هذا يرجع فى المعنى إلى الأول

و يروى عن أبى عبد الله (عليه السلام) و لتكن منكم أئمه و كنتم خير أئمه أخرجت للناس

و فى هذه الآيه دلالة على وجوب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و عظم موقعهما و محلهما من الدين لأنه تعالى علق الفلاح بهما و أكثر المتكلمين على أنهما من فروض الكفايات و منهم من قال إنهما من فروض الأعيان و اختاره الشيخ أبو جعفر (ره) و الصحيح أن ذلك إنما يجب فى السمع و ليس فى العقل ما يدل على وجوبه إلا إذا كان على سبيل دفع الضرر و قال أبو على الجبائى يجب عقلا و السمع يؤكده

و مما ورد فيه ما رواه الحسن عن النبى ص قال من أمر بالمعروف و نهى عن المنكر فهو خليفة الله فى أرضه و خليفه رسول الله و خليفه كتابه

و عن دره ابنه أبى لهب قالت جاء رجل إلى النبى ص و هو على المنبر فقال يا رسول الله من خير الناس قال أمرهم بالمعروف و أنهاهم عن المنكر و أتقاهم لله و أرضاهم

و قال أبو الدرداء لتأمرن بالمعروف و لتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم و لا يرحم صغيركم و تدعو خياركم فلا يستجاب لهم و تستنصرون فلا تنصرون و تستغيثون فلا تغاثون و تستغفرون فلا تغفرون و قال حذيفه يأتى على الناس زمان لأن يكون فيهم جيفه حمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر ثم أمر سبحانه بالجماعه و ترك التفرق فقال سبحانه «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا» فى الدين و هم اليهود و النصارى «وَاخْتَلَفُوا» قيل معناه تفرقوا أيضا و ذكرهما للتأكيد و اختلاف اللفظين كقول الشاعر:

"متى أدن منه ينأ عنى و يبعد"

و قيل معناه كالذين تفرقوا بالعداوه و اختلفوا فى الديانه «مِنْ بَعِيدٍ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ» أى الحجج و الكتب و بين لهم الطرق «وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» عقوبه لهم

على تفرقهم و اختلافهم بعد مجىء الآيات و البينات و الآيه تدل على تحريم الاختلاف فى الدين و إن ذلك مذموم قبيح منهى عنه.

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٠٦ الى ١٠٧

اشاره

يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهُ وُجُوهُ وَّ تَسْوَدُّ وُجُوهُ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَّ أَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧)

الإعراب

العامل فى قوله «يَوْمَ» قوله عَظِيمٌ و تقديره عظيم عذابهم يوم تبيض وجوه و لا يجوز أن يكون العامل فيه عذاب لأنه موصوف قد فصلت صفه بينه و بين معموله لكن يجوز أن تعمل فيه الجملة لأنها فى معنى يعذبون كما يقال المال لزيد يوم الجمعة فالعامل الفعل و الجملة خلف منه و جواب أما فى قوله «فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ» فيقال لهم «أَكَفَرْتُمْ» فحذف لدلاله اسوداد الوجوه على حال التوبيخ حتى كأنه ناطق به و قد يحذف القول فى مواضع كثيره استغناء بما قبله من البيان كقوله «وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا» أى يقولون ربنا أبصرنا لدلاله تنكيس الرأس من المجرمين على سؤال الإقاله و مثله كثير.

المعنى

«يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهُ وُجُوهُ وَّ تَسْوَدُّ وُجُوهُ» أخبر سبحانه بوقت ذلك العذاب أى ثبت لهم العذاب فى يوم هذه صفته و إنما تبيض فيه الوجوه للمؤمنين ثوابا لهم على الإيمان و الطاعة و تسود فيه الوجوه للكافرين عقوبه لهم على الكفر و السيئات بدلاله ما بعده و هو قوله «فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ» أى يقال لهم أ كفرتم بعد إيمانكم و اختلف فيمن عنوا به على أقوال (أحدها) أنهم الذين كفروا بعد إظهار الإيمان بالنفاق عن الحسن (و ثانيها) أنهم جميع الكفار لإعراضهم عما وجب عليهم الإقرار به من التوحيد حين أشهدهم على أنفسهم أ لست بربكم قالوا بلى فيقول أ كفرتم بعد إيمانكم يوم الميثاق عن أبى بن كعب (و ثالثها) أنهم أهل الكتاب كفروا بالنبي ص بعد إيمانهم به أى

بِنَعْتِهِ وَصِفَتِهِ قَبْلَ مَبْعَثِهِ عَنِ عَكْرَمَةَ وَاخْتَارَهُ الزَّجَاجُ وَالْجَبَائِي (و رابعها)

أَنَّهُمْ أَهْلُ الْبَدْعِ وَالْأَهْوَاءِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَنِ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَ مِثْلَهُ عَنِ قَتَادَةَ

أَنَّهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْإِرْتِدَادِ

و يَرُوي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُرَدَّنَّ عَلَيَّ الْحَوْضُ مِنْ مِمَّنْ صَحِبَنِي أَقْوَامٌ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَهُمْ اخْتَلَجُوا دُونِي فَلَأَقُولَنَّ أَصْحَابِي أَصْحَابِي أَصْحَابِي فَيَقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ارْتَدَوْا عَلَيَّ أَعْقَابَهُمُ الْقَهْقَرِيُّ

ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ فَقَالَ أَبُو أَمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ هُمُ الْخَوَارِجُ

و يَرُوي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ

و الْأَلْفُ فِي «أَكْفَرْتُمْ» أَصْلُهُ الْإِسْتِفْهَامُ وَ الْمُرَادُ بِهِ هُنَا التَّقْرِيعُ أَيْ لَمْ كَفَرْتُمْ وَ قِيلَ الْمُرَادُ التَّقْرِيرُ أَيْ قَدْ كَفَرْتُمْ «فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ» أَيْ بِلَفْظِ الذُّوقِ عَلَى التَّوَسُّعِ وَ مَعْنَاهُ انظُرُوا مَا صَارَ إِلَيْهِ عَاقِبَتُكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ «بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ» أَيْ بِكَفْرِكُمْ «وَ أَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وَجُوهُهُمْ» وَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ «فَفِي رَحْمَتِ اللَّهِ» أَيْ ثَوَابِ اللَّهِ وَ قِيلَ جَنَّهُ اللَّهُ «هُمُ فِيهَا خَالِدُونَ» أَعَادَ كَلِمَةَ الظَّرْفِ وَ هِيَ قَوْلُهُ «فِيهَا» تَأْكِيدًا لِتَمَكِينِ الْمَعْنَى فِي النَّفْسِ وَ قِيلَ إِنَّمَا أَعَادَهَا لِأَنَّهُ دَلَّ بِقَوْلِهِ «فَفِي رَحْمَتِ اللَّهِ» عَلَى إِدْخَالِهِ إِيَّاهُمْ فِي الرَّحْمَةِ وَ بِقَوْلِهِ «هُمُ فِيهَا خَالِدُونَ» عَلَى خُلُودِهِمْ فِيهَا وَ سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى الثَّوَابَ رَحْمَةً وَ الرَّحْمَةَ نِعْمَةً يَسْتَحِقُّ بِهَا الشُّكْرَ وَ كُلَّ نِعْمَةٍ تَفْضُلٍ وَ الْوَجْهَ فِي ذَلِكَ أَنَّ سَبَبَ الثَّوَابِ الَّذِي هُوَ التَّكْلِيفُ تَفْضُلٌ فَيَكُونُ الثَّوَابُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ تَفْضُلًا وَ قِيلَ إِنَّمَا جَازَ أَنْ يَكُونَ تَفْضُلًا لِأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ إِجْزَاءِ الْوَعْدِ فِي أَنَّهُ تَفْضُلٌ مُسْتَحَقٌّ لِأَنَّ الْمُبْتَدِئَ بِهِ قَدْ كَانَ لَهُ أَنْ لَا يَفْعَلَهُ فَلَمَّا فَعَلَهُ وَجِبَ عَلَيْهِ الْوَفَاءُ بِهِ لِأَنَّ الْخَلْفَ قَبِيحٌ وَ هُوَ مَعَ ذَلِكَ تَفْضُلٌ لِأَنَّهُ جَرَّ إِلَيْهِ تَفْضُلًا وَ قَالَ بَعْضُهُمُ الْمُرَادُ بِابْيَضَاضِ الْوَجْهِ إِشْرَاقُهَا وَ إِسْفَارُهَا بِالسَّرُورِ بِنَيْلِ الْبَغْيَةِ وَ الظَّفَرِ بِالْمَنِيِّ وَ الْإِسْتِبْشَارِ بِمَا يَصِيرُ إِلَيْهِ مِنَ الثَّوَابِ كَقَوْلِهِ «وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ مُسْتَفْرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ» وَ الْمُرَادُ بِاسْوَدَادِهَا ظُهُورُ أَثَرِ الْحُزَنِ عَلَيْهَا لَمَّا يَصِيرُ إِلَيْهِ مِنَ الْعِقَابِ كَقَوْلِهِ «وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ» «وَ وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيَّهَا غَبْرَةٌ» وَ فِي هَذَا الْقَوْلِ عَدُولٌ عَنِ حَقِيقَةِ اللَّفْظِ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ وَ الْأَصْحَحُ الْأَوَّلُ.

سورة آل عمران (٣): الآيات ١٠٨ الى ١٠٩

إشارة

تَلَمَّكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ (١٠٨) وَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (١٠٩)

ص: ٣٢٥

«تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ» أى تلك التى قد جرى ذكرها حجج الله و علاماته و بيناته «تَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِّ» نقرأها عليك بالحق يا محمد ص و على أمتك و نذكرها لك و نعرفك إياها و نقصها عليك «بِالْحَقِّ» أى بالحكمه و الصواب «وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ» معناه لا- يظلمهم بأن يحملهم من العقاب ما لم يستحقوه أو ينقصهم من الثواب عما استحقوه و إنما يظلم من يظلم لجهله بقبح الظلم أو لحاجه إليه من دفع ضرر و جر نفع و تعالى الله عن صفه الجهل و الحاجه و سائر صفات النقص علوا كبيرا و كيف يجوز أن يظلم أحدا و هو الذى خلقهم و أنشأهم و ابتدعهم و آتاهم من النعم ما لا تسمو إليه هممهم و عرضهم بها لما هو أعظم منها قدرا و أجل خطرا و هو نعيم الآخرة ثم ذكر سبحانه وجه غناه عن الظلم فقال «وَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ» ملكا و ملكا و خلقا «وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» اختلفوا فى كيفية رجوع الأمل إلى الله تعالى فقيل أن الأمور تذهب بالفناء ثم يعيدها الله للمجازاه و قيل أن الله تعالى قد ملك عباده فى الدنيا أمورا و جعل لهم تصرفا و يزول جميع ذلك فى الآخرة و يرجع إليه كله كما قال لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ و فى وقوع المظهر موقع المضمرة فى قوله «وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» قولان (أحدهما) ليكون كل واحد من الكلامين مكتفيا بنفسه (و الآخر) ليكون أفخم فى الذكر و الموضع موضع التفضيم و ليس كقول الشاعر:

لا أرى الموت يسبق الموت شىء

نقص الموت ذا الغنى و الفقيرا

لأن البيت مفتقر إلى الضمير و الآيه مستغنيه عنه.

سورة آل عمران (٣): آيه ١١٠

إشارة

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَ أَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠)

المعنى

لما تقدم ذكر الأمر و النهى عقبه تعالى بذكر من تصدى للقيام بذلك و مدحهم ترغيبا فى الاقتداء بهم فقال «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» قيل فيه أقوال (أحدها) أن معناه أنتم خير أمة و إنما قال «كُنْتُمْ» لتقدم البشارة لهم فى الكتب الماضيه عن الحسن و يعضده ما

روى عن النبى ص أنه قال أنتم و فئتم سبعين أمة أنتم خيرها و أكرمها

(و ثانيها) أن المراد كنتم خير أمه عند الله في اللوح المحفوظ عن الفراء و الزجاج (و ثالثها) أن كان هاهنا تامه و «خَيْرَ أُمَّه» نصب على الحال و معناه وجدتم خير أمه و خلقتم خير أمه (و رابعها) أن كان مزیده دخولها كخروجها إلا أن فيها تأكيداً لوقوع الأمر لا- محاله لأنه بمنزله ما قد كان في الحقيقه فهى بمنزله قوله تعالى «وَ أَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ» و فى موضع آخر إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَتَرْتُمْ و نظيره قوله «وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» * لأن مغفرته المستأنفه كالماضيه فى تحقيق الوقوع (و خامسها) أن كان بمعنى صار كما فى قول الشاعر:

فخر على الألاء توسدته

و قد كان الدماء له خمارا

و معناه صرتم خير أمه خلقت لأمركم بالمعروف و نهيكم عن المنكر و إيمانكم بالله فتصير هذه الخصال على هذا القول شرطاً فى كونهم خيراً و قد روى عن بعض الصحابه أنه قال من أراد أن يكون خير هذه الأمة فليؤد شرط الله فيه من الإيمان بالله و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و اختلف فى المعنى بالخطاب فقيل هم المهاجرون خاصه عن ابن عباس و السدى و قيل نزلت فى ابن مسعود و أبى بن كعب و معاذ بن جبل و سالم مولى أبى حذيفه عن عكرمه و قيل أراد بهم أصحاب رسول الله ص خاصه عن الضحاك و قيل هو خطاب للصحابه و لكنه يعم سائر الأمة ثم ذكر مناقبهم فقال «تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ» بالطاعات «وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ» عن المعاصى و يسأل فيقال أن القبيح أيضا يعرف أنه قبيح فلم خص الحسن باسم المعروف و جوابه أن القبيح جعل بمنزله ما لا- يعرف لخموله و سقوطه و جعل الحسن بمنزله النبىه الجليل القدر يعرف لنباهته و علو قدره «وَ تَوَّابُونَ بِاللَّهِ» أى بتوحيده و عدله و دينه «وَ لَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ» أى لو صدقوا بالنبى ص و بما جاء به «لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ» أى لكان ذلك الإيمان خيراً لهم فى الدنيا و الآخرة لأنهم ينجون بها فى الدنيا من القتل و فى الآخرة من العذاب و يفوزون بالجنة «مِنْهُمْ» أى من أهل الكتاب «الْمُؤْمِنُونَ» أى المعترفون بما دلت عليه كتبهم من صفه نبينا و البشاره به كعبد الله بن سلام و أصحابه من اليهود و النجاشى و أصحابه من النصارى «وَ أَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ» أى الخارجون عن طاعه الله تعالى و إنما وصفهم بالفسق دون الكفر الذى هو أعظم لأن الغرض الإيدان بأنهم خرجوا عما يوجبه كتابهم من الإقرار بالحق فى نبوه نبينا و قيل لأنهم فى الكفار بمنزله الفساق العصاه لخروجهم إلى الحال

الفاحشه التي هي أشنع و أفضع.

سوره آل عمران (٣): الآيات ١١١ الى ١١٢

إشارة

لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذَىٰ وَ إِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلُوكُمْ فَأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصِرُونَ (١١١) ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحِجْلٍ مِنَ اللَّهِ وَ حِجْلٍ مِنَ النَّاسِ وَ بَأْوُ بَعْضٍ مِنَ اللَّهِ وَ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسِيكَنَهُ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكُمْ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ (١١٢)

الإعراب

«إِلَّا أَذَىٰ» استثناء متصل و قوله «أذى» في تقدير النصب و معناه لن يضرروكم إلا ضررا يسيرا فالأذى وقع موقع المصدر و قيل هو استثناء منقطع لأن الأذى ليس من الضرر كقوله «لَا يَدُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَ لَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَ غَسَاقًا» قال على بن عيسى هذا ليس بصحيح لأن الكلام إذا أمكن فيه الاستثناء الحقيقي لم يجز حمله على المنقطع و إن يقاتلوكم شرط و يولوكم جزاء و علامه الجزم فيهما سقوط النون و قوله «ثُمَّ لَا- يُنصِرُونَ» رفع على الاستئناف و لم يجزم على العطف لأن سبب التولية القتال و ليس كذلك منع النصر لأن سببه الكفر و لأن الرفع أشكل برءوس الآي المتقدمه و هو مع ذلك عطف جملة على جملة و العامل في الباء من قوله «بِحِجْلٍ مِنَ اللَّهِ» ضربت على معنى ضربت عليهم الدلة بكل حال إلا بحبل و قال الفراء العامل فيه محذوف و تقديره إلا أن يعتصموا بحبل من الله و أنشد:

رأتني بحبليها فصدت مخافه

و في الحبل روعاء الفؤاد فروق

أراد رأتنى أقبلت بحبليها فحذف الفاعل فى الباء و قال آخر:

ص: ٣٢٨

و لست مقيدا أنى بقيد

أراد أننى قيدت بقيد قال على بن عيسى ما ذكره الفراء ضعيف من وجهين (أحدهما) أن حذف الموصول عند البصريين لا يجوز لأنه إذا احتاج إلى الصلته تبيين عنه فالحاجه إلى البيان عنه بذكره أشد و إنما يجوز حذف الشىء للاستغناء عنه بدلاله غيره عليه و لو دل عليه لحذف مع صلته لأنه معها بمنزله شىء واحد و (الوجه الآخر) أن الكلام إذا صح معناه من غير حذف لم يجز تأويله على الحذف و قيل فى هذا الاستثناء أنه منقطع لأن الدله لازمه لهم على كل حال فجرى مجرى قوله و ما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأً فعامل الإعراب موجود و المعنى على الانقطاع و مثله لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً فكل انقطاع فيه إزاله الإبهام الذى يلحق الكلام فقوله «لا يسمعون فيها لغواً» قد يوهم أنهم من حيث لا يسمعون فيها لغواً لا يسمعون كلاماً فليل لذلك إلا سلاماً و كذلك قوله «و ما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً» قد يتوهم أنه لا يقتل مؤمن مؤمناً على وجه فقيل لذلك إلا خطأً و كذلك «ضربت عليهم الذلة» قد يتوهم أنه من غير جواز مواده فقيل إلا بخبل من الله و قيل إن الاستثناء متصل لأن عز المسلمين عز لهم بالذمه و هذا لا يخرجهم من الدله فى أنفسهم.

النزول

قال مقاتل أن رءوس اليهود مثل كعب و أبى رافع و أبى ياسر و كنانه و ابن صوريا عمدوا إلى مؤمنهم كعبد الله بن سلام و أصحابه فأنبوههم لإسلامهم فنزلت الآية.

المعنى

«لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذَى» وعد الله المؤمنين أنهم منصورون و أن أهل الكتاب لا يقدرن عليهم و لا ينالهم من جهتهم مضره إلا أذى من جهه القول ثم اختلفوا فى هذا القول فقيل هو كذبهم على الله و تحريفهم كتاب الله و قيل هو ما كانوا يسمعون المؤمنين من الكلام المؤذى «و إن يقاتلوكم» أى و أن يجاوزوا عن الإيذاء باللسان إلى القتال و المحاربه «يؤلوكم الأذبار» منهزمين «ثم لا ينصرون» أى ثم لا يعاونون لكفرهم ففى هذه الآية دلالة على صحه نبوه نبينا ص لوقوع مخبره على وفق خبره لأن يهود المدينه من بنى قريظه و النضير و بنى قينقاع و يهود خيبر الذين حاربوا النبى و المسلمين لم يثبتوا لهم قط و انهزموا و لم ينالوا من المسلمين إلا- بالسب و الطعن «ضربت عليهم الذلة» أى أثبت عليهم الذله و أنزلت بهم و جعلت محيطه بهم و هو استعاره من ضرب القباب و الخيام عن أبى مسلم و قيل معناه ألزموا الذله فثبتت فيه من قولهم ضرب فلان الضريبه على عبده أى ألزمها إياه قال الحسن ضربت الذله على اليهود فلا يكون لها منعه

أبداً وقيل معناه فرضت عليهم الجزية و الهوان فلا يكونون في موضع إلا بالجزية و لقد أدرکهم الإسلام و هم يؤدون الجزية إلى المجوس «أَيْنَ مَا تُقُفُوا» أى وجدوا و يقال أخذوا و ظفر بهم «إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ» أى بعهد من الله «وَ حَبْلِ مِنَ النَّاسِ» أى و عهد من الناس على وجه الذمه و غيرها من وجوه الأمان عن ابن عباس و مجاهد و الحسن و قتاده و سمي العهد حبلا لأنه يعقد به الأمان كما يعقد الشيء بالحبل «وَ بَأْوٍ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ» أى رجعوا بغضب الله الذى هو عقابه و لعنه و قيل معناه استوجبوا غضبا من الله «وَ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسِيكَةَ» أى الذلة لأن المسكين لا يكون إلا ذليلا فسمى الذلة مسكنه عن أبى مسلم و قيل المراد به الفقر لأن اليهود أبدا يتفارقون و إن كانوا أغنياء و قد ذكرنا تفسير ما بقى من الآيه فى سورة البقره.

النظم

وجه اتصال الآيه بما قبلها اتصال البشاره بالظفر لما تقدم أمر المحاربه لأن الأمر قد تقدم بإنكار المنكر و قيل إنه لما تقدم أن أكثرهم الفاسقون اتصل به ما يسكن قلوب المؤمنين من عاديتهم و يؤمن مضرتهم.

سوره آل عمران (٣): الآيات ١١٣ الى ١١٤

إشاره

لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَ هُمْ يَسْتَجِدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ يُأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَ أُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤)

اللغه

قيل فى واحد آناء قولان (أحدهما) إنى مثل نحى و الآخر إنى مثل معى قال الشاعر:

حلو و مر كعطف القدح مرته

بكل إنى قضاه الليل ينتعل

و حكى الأخصش أنو بالواو و المسارعه المبادره و هى من السرعه و الفرق بين السرعه و العجله أن السرعه هى التقدم فيما يجوز أن يتقدم فيه و هى محموده و ضدها الإبطاء و هو

مذموم و العجله هي التقدم فيما لا ينبغي أن يتقدم فيه و هي مذمومه و ضدها الأناه و هي محموده.

النزول

قيل سبب نزول هذه الآية أنه لما أسلم عبد الله بن سلام و جماعه قالت أخبار اليهود ما آمن بمحمد ص إلا شرارنا فأنزل الله «لَيْسُوا سَوَاءً» إلى قوله «مِنَ الصَّالِحِينَ» عن ابن عباس و قتاده و ابن جريج و قيل إنها نزلت في أربعين من أهل نجران و اثنين و ثلاثين من الحبشه و ثمانيه من الروم كانوا على عهد عيسى (عليه السلام) فصدقوا بمحمد ص عن عطاء.

المعنى

«لَيْسُوا سَوَاءً» اختلفوا في تقديره و القول الصحيح أن هذا وقف تام و قوله «مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ» ابتداء كلام و معناه ليس الذين ذكرنا من أهل الكتاب سواء أى ليس الذين آمنوا من أهل الكتاب «أُمَّةً قَائِمَةً» كعبد الله بن سلام و أصحابه و الذين لم يؤمنوا سواء فى الدرجه و المنزله ثم استأنف و بين افتراقهم فقال «مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةً قَائِمَةً» فحصل بهذا بيان الافتراق و هذا كما لو أخبر القائل عن قوم بخبر فقال بنو فلان يعملون كذا و كذا ثم قال ليسوا سواء فإن منهم من يفعل كذا و كذا و كذلك لو ذم قبيله بالبخل و الجبن فقال غيره ليسوا سواء منهم الجواد و منهم الشجاع فيكون منهم الجواد و منهم الشجاع ابتداء كلام و قال أبو عبيده هو على لغة أكلونى البراغيث و مثله قوله تعالى «ثُمَّ عَمُوا وَ صَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ» و قال الشاعر:

رأين الغوانى الشيب لاح بعارضى

فأعرضن عنى بالخدود النواضر

قال الزجاج و الرماني و ليس الأمر كما قال لأن ذكر أهل الكتاب قد جرى فأخبر الله أنهم غير متساويين و لأن هذه اللغة رديئه فى القياس و الاستعمال و قال الفراء المعنى منهم أمه قائمه و أمه غير قائمه اكتفاء بذكر أحد الفريقين كما قال أبو ذؤيب:

عصيت إليها القلب إنى لأمرها

مطيع فما أدرى أُرشد طلابها

و لم يقل أم غى و قال آخر:

أواك فلا أدرى أ هم هممته

و ذو الهم قدما خاشع متضائل

و لم يقل أم غيره لأن حاله فى التغير ينبئ أن الهم غيره أم غيره فعلى هذا يكون

رفع أمه على معنى الفعل و تقديره لا يستوى أمه هاديه و أمه ضاله و على القول الأول رفع بالابتداء و أنكر الزجاج هذا القول و قال ما بنا حاجه هنا إلى محذوف لأن ذكر الفريقين قد جرى في قوله مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَ أَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ثم قال لَيْسُوا سَوَاءً و لا يحتاج إلى أن يقدروا أمه غير قائمه و قد تقدم صفتهم في قوله يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ و قوله «أُمَّةٌ قَائِمَةٌ» فيه وجوه (أحدها) أن معناها جماعه ثابتة على أمر الله عن ابن عباس و قتاده و الربيع (و ثانيها) عادله عن الحسن و مجاهد و ابن جريج (و ثالثها) قائمه بطاعه الله عن السدى- (و رابعها) أن التقدير ذو أمه قائمه أى ذو طريقه مستقيمه عن الزجاج و أنشد للنابعه:

(و هل يأتى ذو أمه و هو طائع)

أى ذو طريقه من طرائق الدين قال على بن عيسى و هذا القول ضعيف لأنه عدول عن الظاهر و حكم بالحذف من غير دلالة «يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ» يقرءون كتاب الله و هو القرآن «آنَاءَ اللَّيْلِ» ساعاته و أوقاته عن الحسن و الربيع و قيل يعنى جوف الليل عن السدى و قيل أراد به وقت صلاه العتمه لأن أهل الكتاب لا يصلونها يعنى أنهم يصلون صلاه العتمه عن ابن مسعود و قيل إنه الصلاه ما بين المغرب و العشاء الآخرة عن الثورى و هى الساعه التى تسمى ساعه الغفله «وَهُمْ يَسْتَجِدُونَ» قيل أراد السجود المعروف فى الصلاه فعلى هذا يكون معناه و هم مع ذلك يسجدون و يكون الواو لعطف جمله على جمله و قيل معناه يصلون بغير السجود فعبر بالسجود عن الصلاه لأن السجود أبلغ الأركان فى التواضع عن الزجاج و الفراء و البلخى قالوا لأن القراءه لا تكون فى السجود و لا فى الركوع و على هذا يكون الواو للحال أى يتلون آيات الله بالليل فى صلاتهم و هو قول الجبائى أيضا «يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» أى بتوحيده و صفاته «وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» المتأخر عن الدنيا يعنى البعث يوم القيامة «وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ» بالإقرار بنبوه محمد ص «وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ» عن إنكار نبوته «وَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ» أى يبادرون إلى فعل الخيرات و الطاعات خوف الفوات بالموت و قيل معناه يعملون الأعمال الصالحه غير متساقلين فيها لعلمهم بجلاله موقعها و حسن عاقبتها «وَ أُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ» أى من جملتهم و فى عدادهم و هذا نفى لقولهم ما آمن به إلا شرارنا و فى هذه الآيه دلالة على عظم موقع صلاه الليل من الله تعالى

و قد صح عن النبى ص أنه قال ركعتان يركعهما العبد فى جوف الليل الأخير خير له من الدنيا و ما فيها و لو لا أنى أشق على أمتى لفرضتها عليهم

و قال أبو عبد الله إن البيوت التى يصلى فيها بالليل بتلاوه القرآن تضىء لأهل السماء كما تضىء نجوم السماء لأهل الأرض

و قال (عليه السلام) عليكم بصلاه الليل فإنها سنه نبيكم و دأب الصالحين قبلكم و مطرده الداء عن أجسادكم.

إشارة

وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (١١٥)

القراءة

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر بالياء فيهما و الباقر بالتاء إلا أبا عمرو فإنه كان يحير.

الحجج

وجه القراءة بالياء أن يكون كناية عن تقدم ذكره من أهل الكتاب ليكون الكلام على طريقه واحده و وجه التاء أنه خلطهم بغيرهم من المكلفين و يكون خطابا للجميع في أن حكمهم واحد.

الإعراب

«وَمَا يَفْعَلُوا» ما للمجازاه و يفعلوا مجزوم بالشرط و إنما جوزى بما و لم يجاز بكيف لأن ما أمكن من كيف لأنها تكون معرفه و نكره لأنها للجنس و كيف لا تكون إلا نكره لأنها للحال و الحال لا يكون إلا نكره لأنها للفائدة.

المعنى

«وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ» أى من طاعه «فلن تكفروه» أى لم يمنع عنكم جزاؤه و سمي منع الجزاء كفرا على الاتساع لأنه بمنزله الجحد و الستر له و معناه لا تجحد طاعتكم و لا تستر بمنع الجزاء و هذا كما يوصف الله تعالى بأنه شاكِر و حقيقه أنه يثبت على الطاعة ثواب الشاكِرين على النعمه فلما استعير للثواب الشكر استعير لنقيضه من منع الثواب الكفر لأن الشكر فى الأصل هو الاعتراف بالنعمه و الكفر ستر النعمه فى المنعم عليه بتضييع حقها «وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ» أى بأحوالهم فيجازيهم و إنما خص المتقين بالذكر و إن كان عليهما بالكل لأن الكلام اقتضى ذكر جزاء المتقين فنبه بذلك على أنه لا يضيع شىء من عملهم قل أم كثر لأن المجازى عليهم بكل ذلك و هذه الآيه تدل على أن شيئا من أعمال الخير و الطاعه لا يبطل البتة خلافا لقول من قال بالإحباط.

سوره آل عمران (٣): الآيات ١١٦ الى ١١٧

إشارة

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١٦) مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَ مَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَ لَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

يقال أغنى عنه إذا دفع عنه ضررا لولاه لنزل به و إذا قيل أغناه كذا عن كذا أفاد أن أحد الشئيين صار بدلا من الآخر فى نفي الحاجة و الغنى الاختصاص بما ينفى الحاجة فإن اختص بمال ينفى الحاجة فذلك الغنى بالجاء و الأصحاب و غير ذلك فأما الغنى فى صفات الله فهو اختصاصه بكونه قادرا على وجه لا يعجزه شىء و قولنا فيه أنه غنى معناه أنه لا تجوز عليه الحاجة أصحاب النار إنما سموا بذلك لملازمتهم فيها كما يقال هؤلاء أصحاب الصحراء إذا كانوا ملازمين لها و قد يقال أصحاب العقار بمعنى ملاكهم و أصحاب الرجل أتباعه و أعوانه و أصحاب العالم المتعلمون منه فالإضافات مختلفه و أصل المصاحبه الملازمه و النار أصله من النور و هو جسم لطيف فيه حراره و نور و اعتماد علوى و الريح واحده الرياح و منه الروح لدخول الريح الطيبه على النفس و كذلك الارتياح و التروح و الراحة من التعب و منه الروح لأنها كالريح فى اللطافه و منه الرائحة لأن الريح تحملها إلى الحس و الصر البرد الشديد و أصله من الصرير و هو الصوت قال الزجاج الصر صوت لهب النار التى كانت فى تلك الريح و يجوز أن يكون الصر صوت الريح الباردة الشديده و ذلك من صفات الشمال فإنها توصف بأن لها قعقه و الصره شدة الصباح.

المعنى

لما تقدم وصف المؤمنين عقبه سبحانه بيان حال الكافرين فقال «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ شَيْئًا» و إنما خص الأموال و الأولاد بالذكر لأن هذين معتمد الخلق و أعز الأشياء عليهم فإذا لم يغنيا عن الإنسان شيئا فغيرهما غناؤه أبعد «وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ» أى ملازموها «هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» أى دائمون ثم ضرب مثلا لإنفاقهم فقال «مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ» أى شبه ما ينفقون من أموالهم «فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» قيل هو ما ينفقون على الكفار فى عداوه الرسول و قيل هو ما أنفقه أبو سفيان و أصحابه بيدرو أحد لما تظاهروا على النبى ص و قيل هو ما أنفقه سفله اليهود على علمائهم و قيل هو مثل لجميع صدقات الكفار و نفقاتهم فى الدنيا عن مجاهد و فى الآيه حذف و تقديره مثل إهلاك ما ينفقون «كَمَثَلِ إِهْلَاكِ رِيحٍ» فيها صر فحذف الإهلاك لدلاله آخر الكلام عليه و فيه تقدير آخر مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح فيكون تشبيه ذلك الإنفاق من الحرث بالريح «فِيهَا صِرٌّ» قيل برد شديد عن ابن عباس و الحسن و قتاده و جماعه و قيل السموم الحاره القاتله عن ابن عباس أيضا «أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ» أى زرع قوم «ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» بالمعاصى فظلمهم

اقتضى هلاك حرثهم عقوبه لهم و قيل ظلموا أنفسهم بأن زرعوا فى غير موضع الزراعه أو فى غير وقتها فجاءت الريح «فَأَهْلَكَتْهُ»
تأديبا لهم من الله فى وضع الشىء غير موضعه الذى هو حقه «وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ» فى إهلاك زرعهم لأنهم استحقوا ذلك بظلمهم
و قيل فى قتلهم و سبيهم لأنهم استحقوا بكفرهم «وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» حيث فعلوا ما استحقوا به ذلك.

سوره آل عمران (٣): آيه ١١٨

اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَ مَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ
أَكْبَرَ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨)

اللغه

البطانه خاصه الرجل الذين يستبطنون أمره مأخوذه من بطانه الثوب الذى يلى البدن لقربه منه و هى نقيض الظهاره و يسمى بها
الواحد و الجمع و المذكر و المؤنث قال الشاعر:

أولئك خلصانى نعم و بطانتى

و هم عيبتى من دون كل قريب

«لَا يَأْلُونَكُمْ» أى لا يقصرون فى أمركم خبالا و لا يتركون جهدهم يقال ألا يألوا ألوا إذا فتر و ضعف و قصر و ما ألوته خيرا و شرا
أى ما قصرت فى فعل ذلك و قال امرؤ القيس:

و ما المرء ما دامت حشاشه نفسه

بمدرك أطراف الخطوب و لا ألى

أى مقصر فى الطلب و الخيال الشر و الفساد و منه الخبل بفتح الباء و سكونها للجنون لأنه فساد العقل و رجل مخبل الرأى أى
فاسد الرأى و منه الاستخبال طلب إعاره المال لفساد الزمان قال زهير:

هنالك إن يستخبلوا المال يخبلوا

و إن يسألوا يعطوا و إن ييسروا يغلوا

و أصل العنت المشقه عنت الرجل يعنت عنتا دخلت عليه المشقه و أكمه عنوت صعبه المسلك لمشقه السلوك فيها و أعنت
فلان فلانا حملة على المشقه الشديده فيما يطالبه فيه و منه قوله تعالى وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَكُمُ.

«مِنْ دُونِكُمْ» من للتبعيض و التقدير لا- تتخذوا بعض المخالفين في الدين بطانه و يجوز أن يكون لتبيين الصفه فكأنه قال لا تتخذوا بطانه من المشركين و هذا أولى لأنه أعم و لا يجوز أن يتخذ المؤمن الكافر بطانه على كل حال و قيل إن من هاهنا زائده و هذا غير حسن لأن الحرف إذا صح حمله في الفائده لا- يحكم فيه بالزياده و قوله «خَبَالًا» نصب بأنه المفعول الثاني لأن الألو يتعدى إلى مفعولين و يجوز أن يكون مصدرًا لأن المعنى يخلونكم خبالًا و موضع قوله «وَدُّوا مَا عَنَّتُمْ» يجوز أن يكون نصبا بأنه صفه لبطانه و يجوز أن يكون لا موضع له من الإعراب لأنه استئناف جملة و ما في قوله «ما عَنَّتُمْ» مصدرية و تقديره ودوا عنتكم.

النزول

نزلت في رجال من المسلمين كانوا يواصلون رجالا من اليهود لما كان بينهم من الصداقه و القرابه و الجوار و الحلف و الرضاع عن ابن عباس و قيل نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يصادقون المنافقين و يخالطونهم عن مجاهد.

المعنى

نهى الله المؤمنين عن موالاه الكفار و مخالطتهم خوف الفتنة منهم عليهم فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا «لا تَتَّخِذُوا بِطَانَهُ مِنْ دُونِكُمْ» أى لا- تتخذوا الكافرين أولياء و خواص من دون المؤمنين تفشون إليهم أسراركم و قوله «مِنْ دُونِكُمْ» أى من غير أهل ملتكم ثم بين تعالى العله في منع مواصلتهم فقال «لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا» أى لا يقصرون فيما يؤدى إلى فساد أمركم و لا يدعون جهدهم في مضررتكم و قال الزجاج لا يتقون في إلقاءكم فيما يضركم قال و أصل الخبال ذهاب الشىء و قوله «وَدُّوا مَا عَنَّتُمْ» معناه تمنوا إدخال المشقه عليكم و قيل تمنوا إضلالكم عن دينكم عن السدى و قيل تمنوا أن يعتتكم في دينكم أى يحملونكم على المشقه فيه عن ابن عباس و قوله «قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ» معناه ظهرت أماره العداوه لكم على ألسنتهم و فى فحوى أقوالهم و فلتات كلامهم «وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ» من البغضاء «أَكْبَرُ» مما يبسون بألسنتهم «قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ» أى أظهرنا لكم الدلالات الواضحات التى بها يتميز الولي من العدو «إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ» أى تعلمون الفضل بين الولي و العدو و قيل إن كنتم تعلمون مواضع الله و منافعها و قيل إن كنتم عقلاء فقد آتاكم الله من البيان الشافى.

سوره آل عمران (٣): آيه ١١٩

إشاره

هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَ لَا يُحِبُّونَكُمْ وَ تُوْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَ إِذَا لَقَّوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَ إِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَلَيْكُمْ الْآنَاْمِلَ مِنَ الْعِيْظِ قُلْ مُوتُوا بِعِيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩)

العض بالأسنان معروف و منه العض علف الأمصار لأن له مضغه فى العض يسمن عليها المال و رجل عض لزاز الخصم لأنه يعضه بالخصومه و الأنامل أطراف الأصابع و أصله النمل المعروف فهى مشبهه به فى الدقه و التصرف بالحركه و منه رجل نمل أى نمام لأنه ينقل الأحاديث الكرهه كنقل النمله فى الخفاء و الكثره.

الإعراب

قال الأزهرى يحتمل أن يكون أولاء منادى كأنه قال يا أولاء و قال غيره ها للتنبيه و أنتم مبتدأ و أولاء خبره و تحبونهم حال و قال الزجاج جائز أن يكون أولاء فى معنى الذين كأنه قال ها أنتم الذين تحبونهم و لا يحبونكم و جائز أن يكون تحبونهم حالا و تؤمنون عطف على يحبون و لا- يجوز أن يقول ها قومك أولاء لأن المضممر أحق بالهاء التى للتنبيه لأنه كالمبهم فى عموم ما يصلح له و ليس كذلك الظاهر.

المعنى

ثم بين سبحانه ما هم عليه من عداوه المؤمنين تأكيداً للنهى عن مصافاتهم فقال «ها أنتم أولاء تحبونهم» و قد مر ذكر معناه فى الإعراب و تقديره ها أنتم الذين تحبونهم أو ها أنتم أولاء محبين إذا قلنا أنه بمعنى الحال أى تنبهوا فى حال محبتكم إياهم و لا يحبونكم هم لما بينكم من مخالفه الدين و قيل تحبونهم لأنكم تريدون لهم الإسلام و تدعونهم إلى الجنة «و لا يحبونكم» لأنهم يريدون لكم الكفر و الضلال و فيه الهلاك «و تؤمنون بالكتاب كله» الكتاب واحد فى معنى الجمع لأنه أراد الجنس كما يقال كثر الدرهم فى أيدي الناس و يجوز أن يكون مصدراً من قولك كتبت كتاباً و المراد به كتب الله التى أنزلها على أنبيائه و فى إفراده ضرب من الإيجاز و إشعار بالتفصيل فى الاعتقاد و معناه إنكم تصدقون بها فى الجملة و التفصيل من حيث تؤمنون بما أنزل على إبراهيم و موسى و عيسى و محمد صلى الله عليه و عليهم و سائر الأنبياء و هم لا يصدقون بكتابكم «و إذا لقوكم قالوا آمناً» معناه إذا رأوكم قالوا صدقنا «و إذا خلوا» مع أنفسهم «عضوا عليكم الأنامل» أى أطراف الأصابع «من الغيظ» أى من الغضب و الحق لما يرون من ائتلاف المؤمنين و اجتماع كلمتهم و نصره الله إياهم و هذا مثل و ليس هناك عض كقول الشاعر:

إذا رأوني أطال الله غيظهم

عضوا من الغيظ أطراف الأباهيم

و قول أبي طالب:

(يعضون غيظا خلفنا بالأنامل)

«قُلْ» يا محمد لهم «مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ» صيغته صيغه الأمر و المعنى الدعاء فكأنه قال أماتكم الله بغيظكم و فيه معنى الذم لهم لأنه لا يجوز أن يدعى عليهم هذا الدعاء إلا و قد استحقوه بما أتوه من القبيح و قيل معناه دام هذا الغيظ لما ترون من علو كلمه الإسلام إلى أن تموتوا «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» أى بما يضمرونه من النفاق و الغيظ على المسلمين.

سوره آل عمران (٣): آيه ١٢٠

اشاره

إِنَّ تَمَسَّيَكُمْ حَسَنَةً تَسُوهُمْ وَإِنْ تُصَبِّكُم سَيِّئَةً يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (١٢٠)

القراءه

قرأ نافع و ابن كثير و أبو عمرو و يعقوب لا يضركم خفيفه مكسوره الضاد و الباقون مشدده مضمومه الضاد و الراء و قرأ الحسن و أبو حاتم تعملون بالتاء على الخطاب و القراءه المشهوره بالياء.

الحجه

من قرأ لا يضركم فهو من ضاره يضره ضيرا و من قرأ «لا يضرُّكُمْ» فهو من ضره يضر ضرا و الضير و الضر بمعنى واحد و قد جاء فى القرآن لا ضير و إذا مَسَّكُمْ الضُّرُّ* و «لا يضرُّكُمْ» أصله لا يضرركم نقلت ضمه الراء الأولى إلى الضاد و أدغمت فى الراء الثانيه بعد أن ضمت اتباعا لأقرب الحركات إليها و العرب تدغم فى موضع الجزم و أهل الحجاز يظهرن التضعيف قال الزجاج و هذه الآيه جاءت فيها اللغتان جميعا فقله «إِنَّ تَمَسَّيَكُمْ» على لغة أهل الحجاز و قوله «يَضُرُّكُمْ» على لغة غيرهم من العرب و يجوز لا يضركم و لا يضرركم فمن قال بالفتح فلأن الفتح خفيف يستعمل فى التقاء الساكنين فى التضعيف و من قال بالكسر فعلى أصل التقاء الساكنين.

اللغه

الكيد و المكيد المكر الذى يغتال به صاحبه من جهه حيله عليه ليقع فى مكروه به و أصله الشقه يقال رأيت فلانا يكيد بنفسه أى يقاسى المشقه فى سياق المنيه و منه المكائده لا يراد ما فيه من المشقه.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن حال من تقدم ذكرهم فقال «إِنَّ تَمَسَّسَكُمْ حَسَنَةٌ» أي تصبكم أيها المؤمنون نعمه من الله تعالى عليكم بها من ألفه أو اجتماع كلمه أو ظفر

ص: ٣٣٨

بالأعداء «تَسِيْرُهُمْ» أى تحزنهم «وَإِنْ تُصَبِّرْكُمْ سَيِّئَةٌ» أى محنه بإصابه العدو منكم لاختلاف الكلمه و ما يؤدى إليه من الفرقه «يَفْرَحُوا بِهَا» هذا قول الحسن و قتاده و الربيع و جماعه من المفسرين «وَإِنْ تَصْبِرُوا» على أذاهم و على طاعه الله تعالى و طاعه رسوله و الجهاد فى سبيله «وَ تَتَّقُوا» الله بالامتناع عن معاصيه و فعل طاعته «لَا يَضُرُّكُمْ» أيها الموحدون «كَيْدُهُمْ» أى مكر المنافقين و ما يحتالون به عليكم «شَيْئًا» أى لا قليلا و لا كثيرا لأنه تعالى ينصركم و يدفع شرهم عنكم «إِنْ الله بما تعملون محيط» أى عالم بذلك من جميع جهاته مقتدر عليه لأن أصل المحيط بالشىء هو المطيف به من حوالبه و ذلك من صفات الأجسام فلا يليق به سبحانه.

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٢١ الى ١٢٢

إشارة

وَ إِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١) إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢)

اللغة

التبوءه اتخاذ الموضع للغير يقال بوات القوم منازلهم و بوات لهم أيضا أى أوطنتهم و أسكنتهم إياها و تبوأوهم أى توطنوا و منه المباءه المراح لأنه رجوع إلى المستقر المتخذ و منه بوات بالذنب أى رجعت به محتملا له و الفشل الجبن يقال فشل ففشل فشلا و الفشل الرجل الضعيف.

الإعراب

العامل فى إذ محذوف و تقديره و اذكر إذ غدوت و قيل هو عطف على ما تقدم فى السوره من قوله قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئْتَيْنِ التَّقَاتِ أى فى نصره تلك الطائفه القليله على الطائفه الكثيره إذ غدا النبى ص عن أبى مسلم و قيل العامل فيه قوله مُحِيطٌ و تقديره و الله عالم بأحوالكم و أحوالهم إذ غدوت من أهلك و تبوى حال من غدوت.

المعنى

و اذكر يا محمد «إِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ» أى خرجت من المدينه غدوه «تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ» أى تهيبى للمؤمنين مواطن «لِلْقِتَالِ» و قيل معناه تجلسهم و تقعدهم فى مواضع القتال ليقفوا فيها و لا يفارقوها و اختلف فى أى يوم كان ذلك

فقيل يوم أحد عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و الربيع و السدى و ابن أبى إسحاق و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

و قيل كان يوم الأحزاب عن مقاتل و قيل يوم بدر عن الحسن «وَ اللَّهُ سَمِيعٌ» أى

يسمع ما يقوله النبي ص «عَلَيْمٌ» بما يضمرونه لأنهم اختلفوا فمنهم من أشار بالخروج و منهم من أشار بالمقام و فيه تركيه للزاكي و تهديد للغاوى و قيل سمع بقول المشيرين على النبي ص عليهم بضمائرهم و قيل سمع بجميع المسموعات عليهم بجميع المعلومات «إِذْ هَمَّتْ» أى قصدت و عزمت «طَائِفَتَانِ» أى فرقتان «مِنْكُمْ» أى من المسلمين «أَنْ تَفْشَلَا» أى تجبنا و

الطائفتان هما بنو سلمه و بنو حارثه حيان من الأنصار عن ابن عباس و جابر بن عبد الله و الحسن و قتاده و مجاهد و الربيع و أبى جعفر (عليه السلام) و أبى عبد الله (عليه السلام)

و قال الجبائى نزلت فى طائفه من المهاجرين و طائفه من الأنصار و كان سبب همهم بالفشل أن عبد الله بن أبى سلول دعاهما إلى الرجوع إلى المدينه عن لقاء المشركين يوم أحد فهما به و لم يفعلاه «وَ اللَّهُ وَبَيْنَهُمَا» أى ناصرهما روى عن جابر بن عبد الله أنه قال فينا نزلت و ما أحب إنها لم تكن لقوله «وَ اللَّهُ وَبَيْنَهُمَا» و قال بعض المحققين هذا هم خطره لا هم عظيمه لأن الله تعالى مدحهما و أخبر أنه وليهما و لو كان هم عظيمه و قصد لكان ذمهم أولى من مدحهم «وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» فى جميع أحوالهم و أمورهم.

ذكر غزوه أحد

عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال كان سبب غزوه أحد أن قريشا لما رجعت من بدر إلى مكة و قد أصابهم ما أصابهم من القتل و الأسر لأنه قتل منهم سبعون و أسر سبعون قال أبو سفيان يا معشر قريش لا تدعوا نساءكم يبكين على قتلاكم فإن الدمعه إذا خرجت أذهبت الحزن و العداوه لمحمد فلما غزوا رسول الله ص يوم أحد أذنوا لنسائهم فى البكاء و النوح و خرجوا من مكة فى ثلاثه آلاف فارس و ألفى راجل و أخرجوا معهم النساء فلما بلغ رسول الله ص ذلك جمع أصحابه و حثهم على الجهاد فقال عبد الله بن أبى سلول يا رسول الله لا نخرج من المدينه حتى نقاتل فى أزقتها فيقاتل الرجل الضعيف و المرأه و العبد و الأمه على أفواه السكك و على السطوح فما أرادها قوم قط فظفروا بنا و نحن فى حصوننا و دروبنا و ما خرجنا إلى عدو لنا قط إلا كان الظفر لهم علينا فقام سعد بن معاذ و غيره من الأوس فقالوا يا رسول الله ما طمع فينا أحد من العرب و نحن مشركون نعبد الأصنام فكيف يطمعون فينا و أنت فينا لا حتى نخرج إليهم فنقاتلهم فمن قتل منا كان شهيدا و من نجا منا كان قد جاهد فى سبيل الله فقبل رسول الله رأيه و خرج مع نفر من أصحابه يتبوءون موضع القتال كما قال تعالى «وَ إِذْ عَمَدُونَ مِنْ أَهْلِكَ» الآية و قعد عنه عبد الله بن أبى سلول و جماعه من الخزرج اتبعوا رأيه و وافت قريش إلى أحد و كان رسول الله عبا أصحابه و كانوا سبع مائه رجل و وضع عبد الله بن جبير فى خمسين من الرماه على باب الشعب و أشفق أن يأتى كمينهم من ذلك المكان فقال لعبد الله بن جبير و أصحابه أن

رأيتمونا قد هزمناهم حتى أدخلناهم مكة فلا تبرحوا من هذا المكان و إن رأيتموهم قد هزمونا حتى أدخلونا المدينة فلا تبرحوا و أزموا مراكزكم و وضع أبو سفیان خالد بن الوليد فى مائتى فارس كميناً و قال إذا رأيتمونا قد اختلطنا فاخرجوا عليهم من هذا الشعب حتى تكونوا وراءهم و عبا رسول الله أصحابه و دفع الرايه إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) و حمل الأنصار على مشركى قريش فانهزموا هزيمه قبيحه و وقع أصحاب رسول الله ص فى سوادهم و انحط خالد بن الوليد فى مائتى فارس على عبد الله بن جبير فاستقبلوهم بالسهم فرجع و نظر أصحاب عبد الله بن جبير إلى أصحاب رسول الله ص ينتهبون سواد القوم فقالوا لعبد الله بن جبير قد غنم أصحابنا و نبقى نحن بلا غنيمه فقال لهم عبد الله اتقوا الله فإن رسول الله ص قد تقدم إلينا أن لا نبرح فلم يقبلوا منه و أقبلوا ينسل رجل فرجل حتى أخلوا مراكزهم و بقى عبد الله بن جبير فى اثنى عشر رجلاً و كانت رايه قريش مع طلحه بن أبى طلحه العبدى من بنى عبد الدار فقتله على (عليه السلام) و أخذ الرايه أبو سعيد بن أبى طلحه فقتله على و سقطت الرايه فأخذها مسافع بن أبى طلحه فقتله على حتى قتل تسعه نفر من بنى عبد الدار حتى صار لواهم إلى عبد لهم أسود يقال له ثواب فانتهى إليه على (عليه السلام) فقطع يده اليمنى فأخذ اللواء باليسرى فضرب يسراه فقطعها فاعتنقها بالجذماوين إلى صدره ثم التفت إلى أبى سفیان فقال هل أعذرت فى بنى عبد الدار فضربه على رأسه فقتله و سقط اللواء فأخذتها عمره بنت علقمه الكنانيه فرفعتها و انحط خالد بن الوليد على عبد الله بن جبير و قد فر أصحابه و بقى فى نفر قليل فقتلهم على باب الشعب ثم أتى المسلمين من أدبارهم و نظرت قريش فى هزيمتها إلى الرايه قد رفعت فلاذوا بها و انهزم أصحاب رسول الله هزيمه عظيمه و أقبلوا يصعدون فى الجبال و فى كل وجه فلما رأى رسول الله الهزيمه كشف البيضه عن رأسه و قال إلى أنا رسول الله إلى أين تفرون عن الله تعالى و عن رسوله و كانت هند بنت عتبه فى وسط العسكر فكلما انهزم رجل من قريش دفعت إليه ميلاً و مكحله و قالت إنما أنت امرأه فاكتحل بهذا و كان حمزه بن عبد المطلب يحمل على القوم فإذا رأوه انهزموا و لم يثبت له أحد و كانت هند قد أعطت وحشياً عهداً لئن قتلت محمداً أو علياً أو حمزه لأعطينك كذا و كذا و كان وحشى عبداً لجبير بن مطعم حبشياً فقال وحشى أما محمد فلم أقدر عليه و أما على فرأيتة حذراً كثير الالتفات فلا مطعم فيه فكمنت لحمزه فرأيتة يهد الناس هذا فمر بى فوطئ على جرف نهر فسقط و أخذت حربتى فهزرتها و رميته بها فوقع فى خاصرته و خرجت من ثنته فسقط فأيتته فشقت بطنه و أخذت كبده و جئت

به إلى هند فقلت هذه كبد حمزه فأخذتها في فمها فلاكتها فجعله الله في فمها مثل الداعضة و هي عظم رأس الركبه فلفظتها و رمت بها فقال رسول الله ص فبعث الله ملكا فحملة و رده إلى موضعه قال فجاءت إليه فقطعت مذاكيره و قطعت أذنيه و قطعت يده و رجله و لم يبق مع رسول الله إلا أبو دجانة سماك بن خرشه و على فكلما حملت طائفه على رسول الله ص استقبلهم على فدفعهم عنه حتى تقطع سيفه فدفع إليه رسول الله ص سيفه ذا الفقار و انحاز رسول الله ص إلى ناحيه أحد فوقف و كان القتال من وجه واحد فلم يزل على (عليه السلام) يقاتلهم حتى أصابه في رأسه و وجهه و يديه و بطنه و رجله سبعون جراحه كذا أورده على بن إبراهيم في تفسيره فقال جبرائيل إن هذه لهي المواساه يا محمد فقال محمد أنه منى و أنا منه فقال جبرائيل و أنا منكما قال أبو عبد الله نظر رسول الله ص إلى جبرائيل بين السماء و الأرض على كرسى من ذهب و هو يقول لا سيف إلا ذو الفقار و لا فتى إلا على

و روى ابن أبى إسحاق و السدى و الواقدى و ابن جرير و غيرهم قالوا كان المشركون نزلوا بأحد يوم الأربعاء فى شوال سنه ثلاث من الهجره و خرج رسول الله إليهم يوم الجمعة و كان القتال يوم السبت للنصف من الشهر و كسرت ربايعه رسول الله ص و شج فى وجهه ثم رجع المهاجرون و الأنصار بعد الهزيمه و قد قتل من المسلمين سبعون و شد رسول الله بمن معه حتى كشفهم و كان الكفار مثلوا بجماعه و كان حمزه أعظم مثله و ضربت يد طلحه فشلت و سعد بن أبى وقاص كان يرمى بين يديه و هو (عليه السلام) يقول ارم فداك أبى و أمى.

النظم

لما أمر تعالى بالصبر فى قوله و إن تصبروا و تتقوا عقبه بنصره المسلمين يوم بدر و صبرهم على القتال ثم ذكر امتحانهم يوم أحد لما تركوا الصبر و قيل نظمهم و إن تصبروا ينصركم كما نصركم يوم بدر و إن لم تصبروا نزل بكم ما نزل يوم أحد حيث خالفتم أمر رسول الله ص و ذكر أبو مسلم أنه متصل بقوله قد كان لكم آية فى فئتین كما تقدم ذكره.

ص: ٣٤٢

إشارة

وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ (١٢٤) بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا وَ يَأْتُواكُم مِّنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) وَ مَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١٢٦)

القراءة

قرأ ابن عامر منزلين مشدده الزاى و قرأ الآخرون «مُنزَلِينَ» مخففه و قرأ ابن كثير و أبو عمرو و عاصم «مُسَوِّمِينَ» بكسر الواو و قرأ الباقون بفتحها.

الحج

حججه من قرأ «مُنزَلِينَ» بالتخفيف قوله وَ قَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَ لَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا وَ لَأَنَّ الْإِنزَالَ يعم التنزيل و غيره و حججه ابن عامر ما نُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ وَ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيهَا لَأَنَّ تَنَزَّلَ مطاوع نزل وَ لَوْ أَنَّ نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ مِنْ قَرَأَ «مُسَوِّمِينَ» بِالْكَسْرِ فَلَأَنَّهُمْ سَوْمُوا الْخَيْلَ وَ مِنْ قَرَأَ مُسَوِّمِينَ فَلَأَنَّهُمْ سَوْمُوا وَ قَالَ مُسَوِّمِينَ مُعَلِّمِينَ وَ يَكُونُ مَرْسَلِينَ مِنْ سَوْمِ الْخَيْلِ إِذَا أُرْسِلَهَا وَ مِنْهُ السَّائِمَةُ وَ قَالَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى أَنَّ اخْتِيَارَ الْكَسْرِ لِتَظَاهِرِ الْأَخْبَارِ بِأَنَّهُمْ سَوْمُوا خَيْلَهُمْ بِعَلَامِهِ وَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص سَوْمُوا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ قَدْ سَوَّمَتْ.

اللغة

بدر ما بين مكة و المدينة و قال الشعبي سمي بدرا لأن هناك ماء لرجل يسمى بدرا فسمى الموضوع باسم صاحبه و قال الواقدي هو اسم للموضع و كل شىء تم فهو بدر و سمي بدر السماء بدرا لتمامه و امتلائه و عين بدره ممتلئه يقال استكفيتها الأمر فكفانى و كفاك هذا الأمر أى حسبك و الفرق بين الاكتفاء و الاستغناء أن الاكتفاء هو الاقتصار على ما ينفى الحاجة و الاستغناء الاتساع فيما ينفى الحاجة و الأمداد هو إعطاء الشىء حالا بعد حال و المد فى السير هو الاستمرار عليه و امتد بهم السير إذا طال و استمر و أمددت الجيش بمدد و أمد الجرح فهو ممد إذا صارت فيه المده و مد النهر إذا جرى يقال مد النهر و مده نهر آخر و يقال مده فى الشر و أمده فى الخير و أصل الفور فور القدر فهو غليانها عند شدة الحمى و منه فوره الغضب لأنه كفور القدر و منه فارت العين بالماء إذا جاشت به و منه الفواره لأنها تفور بالماء كما تفور القدر بما فيها و منه جاء على الفور أى على ابتداء الحمى قبل أن تبرد عنه نفسه و قيل الفور القصد إلى الشىء بحده.

الإعراب

«وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ» فِي مَوْضِعِ نَصْبِ عَلَى الْحَالِ وَ «أَنْ يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ» فِي مَوْضِعِ

ص: ٣٤٣

رفع بأنه فاعل «أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ» إمدادكم وقوله «مِنْ فَوْرِهِمْ» هذا فى موضع جر صفة لفورهم وقوله «وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ» معطوف على قوله «بُشْرَى لَكُمْ» لأن تقديره لتبشروا به و لتطمئن.

المعنى

ثم بين الله تعالى ما فعله بهم من النصر يوم بدر فقال «وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ» أيها المؤمنون «بِبَدْرِ» بتقوية قلوبكم و بما أمدكم به من الملائكة و بإلقاء الرعب فى قلوب أعدائكم «وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ» أى ضعفاء عن المقاومه قليلو العدد قليلو العده جمع ذليل و روى عن ابن عباس أنه قال كان المهاجرون يوم بدر سبعة و سبعين رجلا و الأنصار مائتين و ستة و ثلاثين رجلا و الجميع ثلاثمائة و ثلاث عشر رجلا و كان المشركون نحوا من ألف رجل

و روى عن بعض الصادقين أنه قرأ و أنتم ضعفاء و قال لا يجوز وصفهم بأنهم أذله و فيهم رسول الله ص

و كان صاحب رايه رسول الله يوم بدر أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) و صاحب رايه الأنصار سعد بن عباده و قيل سعد بن معاذ «فَاتَّقُوا اللَّهَ» أى اجتنبوا معاصيه و اعملوا بطاعته «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» أى لتقوموا بشكر نعمته «إِذْ تَقُولُ» خطاب للنبي ص أى إذ تقول يا محمد للمؤمنين من أصحابك «أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ» هو إخبار بأن النبي ص قال لقومه أ لن يكفيكم يوم بدر أن جعل ربكم ثلاثه آلاف من الملائكة مددا لكم قال ابن عباس و الحسن و قتاده و غيرهم إن الأمداد بالملائكة كان يوم بدر و قال ابن عباس لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر و كانوا فى غيره من الأيام عده و مددا و قال الحسن كان جميعهم خمسة آلاف فمعناه يمددكم ربكم بتمام خمسة آلاف و قال غيره كانوا ثمانية آلاف فمعناه بخمسه آلاف آخر و قيل إن الوعد بالإمداد بالملائكة كان يوم أحد و عدهم الله المدد أن صبروا عن عكرمه و الضحاك «مُنزَلِينَ» أنزلهم الله من السماء إلى الأرض لنصرتكم «بلى» تصديق للوعد أى يفعل كما وعدكم و يزيدكم «إِنْ تَصْبِرُوا» معناه إن صبرتم على الجهاد و على ما أمركم الله (تعالى) «وَاتَّقُوا» معاصى الله و مخالفه رسوله ص «وَأَيُّتُوكُمْ» يعنى المشركين أن رجعوا إليكم «مِنْ فَوْرِهِمْ هذا» أى من وجههم هذا عن ابن عباس و الحسن و قتاده و الربيع و السدى و على هذا فإنما هو من فور الابتدار لهم و هو ابتداءه و قيل معناه من غضبهم هذا عن مجاهد و أبى صالح و الضحاك و كانوا قد غضبوا يوم أحد ليوم بدر مما لقوا فهو من فور الغضب و هو غليانه «يُمِدُّكُمْ رَبُّكُمْ» بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ» أى يعطكم مددا لكم و نصره و إنما قال ذلك لأن الكفار فى غزوه أحد ندموا بعد انصرافهم لم لم يغيروا المدينه و هموا بالرجوع

فأوحى الله إلى نبيه ص أن يأمر أصحابه بالتهيؤ للرجوع إليهم و قال لهم إِنْ يَمَسَّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ثم قال إن صبرتم على الجهاد و راجعتم الكفار أمدكم الله بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فأخذوا فى الجهاد و خرجوا يتبعون الكفار على ما كان بهم من الجراح فأخبر المشركين من مر برسول الله أنه خرج يتبعكم فخاف المشركون أن رجعوا أن تكون الغلبة للمسلمين و أن يكون قد التام إليهم من كان تأخر عنهم و انضم إليهم غيرهم ففسدوا نعيم بن مسعود الأشجعي حتى يصددهم بتعظيم أمر قريش و أسرعوا فى الذهاب إلى مكة و كفى الله المسلمين أمرهم و القصه معروفه و لذلك قال قوم من المفسرين إن جميعهم ثمانية آلاف و قال الحسن خمسة آلاف جميعهم منهم ثلاثة آلاف المنزليين على أن الظاهر يقتضى أن الأمداد بثلاثة آلاف كان يوم بدر لأن قوله إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ الْآيَةَ يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ الْآيَةِ ثم استأنف حكم يوم أحد فقال بلى إِنْ تَضَرَّبُوا وَ تَتَّقُوا وَ يَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا أَى إِنْ يَرْجِعُوا إِلَيْكُمْ بعد انصرافهم أمدكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين و هذا قول البلخي رواه عن عمرو بن دينار عن عكرمه قال لم يمدوا يوم أحد و لا بملك واحد و على هذا فلا تنافى بين الآيتين فمتى يسأل كيف لم يمدوا بالملائكة فى سائر الحروب فالجواب أن ذلك تابع للمصلحة فإذا علم الله فى إمدادهم المصلحة أمدهم و قوله «مُسَوِّمِينَ» بالكسر أى معلمين أعلموا أنفسهم و مسومين بالفتح سومهم الله أى أعلمهم قال ابن عباس و الحسن و قتاده و غيرهم كانوا أعلموا بالصوف فى نواصى الخيل و أذناؤها و قال عروه نزلت الملائكة يوم بدر على خيل بلق و عليهم عمائم صفر و

قال على و ابن عباس كانت عليهم عمائم بيض و أرسلوا أذناؤها بين أكتافهم

قال السدى معنى مسومين بالفتح مرسلين من الناقه السائمه أى المرسله فى المرعى «وَ مَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ» أى و ما جعل الله الأمداد و الوعد به فالهاء عائده على غير مذكور باسمه و هو معلوم بدلالته عليه لأن يمدد يدل على الأمداد و «بُشْرَى لَكُمْ» أى بشاره لكم لتستبشروا به و لتطمئن قلوبكم به أى و لتسكن قلوبكم فلا تخافوا كثره عدد العدو و قله عددكم «وَ مَا النَّصْرُ» أى و ما المعونه «إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» و معناه أن الحاجه إلى الله تعالى لازمه فى المعونه و إن أمدكم بالملائكة فلا استغناء لكم عن معونته طرفه عين فى تقويه قلوبكم و خذلان عدوكم بضعف قلوبهم إلى غير ذلك و قيل إن معناه و ما هذا النصر إلا بإمداد الملائكة إلا- من عند الله «الْعَزِيزِ» أى القادر على انتقامه من الكفار بأيدي المؤمنين «الْحَكِيمِ» فى تدبيره للمؤمنين و للعالمين و إنما قال ذلك ليعلمهم أن حربهم للمشركين إنما هو لإعزاز الدين و قيل العزيز المنيع باقتداره و الحكيم فى تدبيره للخلق.

قال المفسرون جميع ما غزا رسول الله بنفسه ستة وعشرون غزاه و أول غزاه غزاه غزاه الأبوء ثم غزوه بواط ثم غزوه العشيره ثم غزوه بدر الأولى ثم غزوه بدر الكبرى ثم غزوه بنى سليم ثم غزوه السويق ثم غزوه ذى أمر ثم غزوه أحد ثم غزوه الأسد ثم غزوه بنى النضير ثم غزوه ذات الرقاع ثم غزوه بدر الأخره ثم غزوه دومه الجندل ثم غزوه بنى قريظه ثم غزوه بنى لحيان ثم غزوه بنى قرد ثم غزوه بنى المصطلق ثم غزوه الحديبيه ثم غزوه خيبر ثم غزوه الفتح فتح مكه ثم غزوه حنين ثم غزوه الطائف ثم غزوه تبوك قاتل منها فى تسع غزوات غزوه بدر الكبرى و هو يوم الجمعة السابع عشر من رمضان سنة اثنتين من الهجره و أحد و هو فى شوال سنة ثلاث من الهجره و الخندق و بنى قريظه فى شوال سنة أربع و بنى المصطلق و بنى لحيان فى شعبان سنة خمس و خير سنة ست و الفتح فى رمضان ثمان و حنين و الطائف فى شوال سنة ثمان فأول غزوه غزاه بنفسه فقاتل فيها بدر و آخرها تبوك و أما عدد سراياه فست و ثلاثون سريره على ما عد فى مواضعه.

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٢٧ الى ١٢٨

إشارة

لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ (١٢٧) لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (١٢٨)

اللغة

الكبت الخزي و هو مصدر كبت الله العدو أى أخزاه و أذله و قال الخليل الكبت صرح الشىء على وجهه كبتهم الله فانكبتوا و حقيقه الكبت شده الوهن الذى يقع فى القلب و ربما صرع الإنسان لوجهه للخور الذى يدخله و الخائب المنقطع عما أمل و لا يكون الخيبة إلا- بعد الأمل لأنها امتناع نيل ما أمل و اليأس قد يكون قبل الأمل و قد يكون بعده و اليأس و الرجاء نقيضان يتعاقبان كتعاقب الخيبة و الظفر.

الإعراب

نصب «أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ» على وجهين أحدهما أن يكون عطفًا على ليقطع و يكون قوله «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» اعتراضًا بين المعطوف و المعطوف عليه كما تقول ضربت زيدا فافهم ذلك و عمرا و الآخر أن يكون أو بمعنى إلا أن فكأنه قال ليس لك من الأمر شىء إلا أن يتوب الله عليهم أو يعذبهم فيكون أمرك تابعا لأمر الله لرضاك بتدبيره فيهم.

«لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا» اختلف في وجه اتصاله بما قبله ف قيل يتصل بقوله «وَ مَا النَّصِيرُ إِلَّا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ» ومعناه أعطاكم الله هذا النصر و خصكم به ليقطع طائفه من الذين كفروا بالأسر و القتل و قيل هو متصل بقوله «وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ» أى و لقد نصركم الله ببدر ليقطع طرفا و قيل معناه ذلك التدبير ليقطع طرفا أى قطعه منهم و المعنى ليهلك طائفه منهم و قيل ليهدم ركنا من أركان الشرك بالقتل و الأسر و أما اليوم الذى قطع الله فيه الطرف من الذين كفروا فيوم بدر قتل فيه صناديدهم و رؤساءهم و قادتهم إلى الكفر فى قول الحسن و الربيع و قتاده و قيل هو يوم أحد قتل فيه منهم ثمانية عشر رجلا و إنما قال «لِيَقْطَعَ طَرَفًا» منهم و لم يقل ليقطع وسطا منهم لأنه لا يوصل إلى الوسط منهم إلا بقطع الطرف و لأن الطرف أقرب إلى المؤمنين فهو كما قال «قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ» «أَوْ يَكْتَبُهُمْ» معناه أو يخزيهم بالخيبه مما أملوا من الظفر بكم عن قتاده و الربيع و قيل معناه يردهم عنكم منهزمين عن الجبائى و الكلبى و قيل يصرعهم الله على و جوههم و قيل يصرعهم الله على و جوههم و قيل معناه يردهم عنكم منهزمين عن الجبائى و الكلبى و قيل يصرعهم الله على و جوههم و قيل يظفركم عليهم عن المبرد و قيل يلعنهم عن السدى و قيل يهلكهم عن أبى عبيده «فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ» لم ينالوا مما أملوا شيئا «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» قيل هو متصل بقوله «وَ مَا النَّصِيرُ إِلَّا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ» فيكون معناه نصركم الله ليقطع طرفا منهما و يكتبهم و ليس لك و لا- لغيرك من هذا النصر شىء عن أبى مسلم و قيل أنه اعتراض بين الكلامين و قوله «أَوْ يَتُوبَ» عليهم متصل بقوله «لِيَقْطَعَ طَرَفًا» فيكون التقدير ليقطع طرفا منهم أو يكتبهم أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم قد استحقوا العذاب و ليس لك أى ليس إليك من هذه الأربعة شىء و ذلك إلى الله تعالى و اختلف فى سبب نزوله فروى عن أنس بن مالك و ابن عباس و الحسن و قتاده و الربيع أنه لما كان من المشركين يوم أحد ما كان من كسر رباعيه الرسول و شجه حتى جرت الدماء على وجهه قال كيف يفلح قوم نالوا هذا من نبيهم (صلى الله عليه و آله) و هو مع ذلك حريص على دعائهم إلى ربهم فأعلمه الله أنه ليس إليه فلاحهم و أنه ليس إليه إلا أن يبلغ الرسالة و يجاهد حتى يظهر الدين و إنما ذلك إلى الله تعالى و كان الذى كسر رباعيته و شجه فى وجهه عتبه بن أبى وقاص فدعا عليه بأن لا يحول عليه الحول حتى يموت كافرا فمات كافرا قبل أن يحول الحول و أدمى وجهه رجل من هذيل يقال له عبد الله بن قمية فدعا عليه فكان حتفه أن سلط الله عليه تيسا فنطحه حتى قتله

و روى أنه كان يمسح الدم على وجهه و يقول اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون

فعلى هذا يمكن أن يكون على وجل من عنادهم و إصرارهم على الكفر فأخبره تعالى (أنه ليس إليه إلا- ما أمر به من تبليغ الرسالة و دعائهم إلى الهدى) و ذلك مثل قوله «لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا

يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» و قيل أنه استأذن ربه في يوم أحد في الدعاء عليهم فنزلت الآية فلم يدع عليهم بعذاب الاستيصال و إنما لم يؤذن له فيه لما كان في المعلوم من توبه بعض عن أبي على الجبائي و قيل أراد رسول الله (صلى الله عليه و آله) أن يدعو على المنهزمين عنه من أصحابه يوم أحد فنهاه الله عن ذلك و تاب عليهم و نزلت الآية «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» أى ليس لك أن تلعنهم و تدعو عليهم عن عبد الله بن مسعود و قيل لما رأى رسول الله (صلى الله عليه و آله) و المسلمون ما فعل بأصحابه و بعمه حمزه من المثله من جدد الأنوف و الأذان و قطع المذاكير قالوا لئن أدالنا الله منهم لنفعلن بهم مثل ما فعلوا بنا و لنمثلن بهم مثله لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط فنزلت الآية عن محمد بن إسحاق و الشعبي و قيل نزلت في أهل بئر معونه و هم سبعون رجلا من قراء أصحاب رسول الله و أميرهم المنذر بن عمرو بعثهم رسول الله (صلى الله عليه و آله) إلى بئر معونه في صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد ليعلموا الناس القرآن و العلم فقتلهم جميعا عامر بن الطفيل و كان فيهم عامر بن فهيره مولى أبى بكر فوجد رسول الله (صلى الله عليه و آله) من ذلك وجدا شديدا و قنت عليهم شهرا فنزل «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» عن مقاتل و الأصح أنها نزلت في أحد لأن أكثر العلماء عليه و يقتضيه سياق الكلام و إنما قال «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» مع أن له (صلى الله عليه و آله) أن يدعوهم إلى الله و يؤدى إليهم بتليغهم لأن معناه ليس لك شىء من أمر عقابهم و استيصالهم أو الدعاء عليهم أو لعنهم حتى تقع إنابتهم فجاء الكلام على الإيجاز لأن المعنى مفهوم لدلالة الكلام عليه و أيضا فإنه لا يعتد بما له (صلى الله عليه و آله) في تدبيرهم مع تدبير الله لهم فكأنه قال ليس لك من الأمر شىء على وجه من الوجوه و قوله «أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ» قيل في معناه وجهان أحدهما أو يظف لهم بما يقع معه توبتهم فيتوب عليهم بلطفه لهم و الآخر أو يقبل توبتهم إذا تابوا كقوله غَافِرِ الذَّنْبِ وَ قَابِلِ التَّوْبِ و لا يصح هذه الصفة إلا لله تعالى لأنه يملك الجزاء بالثواب و العقاب «أَوْ يُعَذِّبُهُمْ» أى يعذبهم الله تعالى إن لم يتوبوا «فَمَا لَهُمْ ظَالِمُونَ» أى مستحقون للعذاب بظلمهم و فى هذه الآية دلالة على أن ما يتعلق بالنصر و الظفر و قبول التوبه و التعذيب فإنما هو إلى الله و ليس للنبي (صلى الله عليه و آله) من ذلك شىء و إنما إليه الهدايه و الدعاء فكأنه قال لا ترفع عنهم السيف إلى أن يتوبوا فيتوب عليهم أو يقوموا على كفرهم فيعذبهم بظلمهم.

سوره آل عمران (٣): آيه ١٢٩

اشاره

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢٩)

ص: ٣٤٨

إنما ذكر لفظ ما لأنها أعم من من فإنها تتناول ما يعقل و ما لا يعقل لأنها تفيد الجنس و لو قال من فى السماوات لم يدخل فيه إلا العقلاء إلا أن يحمل على التغليب و ذلك ليس بحقيقه.

المعنى

لما قال تعالى «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ» عقب ذلك بأن الأمر كله له فقال «وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» ملكا و ملكا و خلقا و اقتدارا على الجميع يصرفهم كيف يشاء إيجابا و إفاء و إعاده «يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ» من المؤمنين ذنوبهم فلا يؤاخذهم بها و لا يعاقبهم عليها رحمه منه و فضلا «وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ» أى و يعذب الكافرين و من يشاء من مذنبى المؤمنين إن مات قبل التوبه عدلا و يدل عليه مفسرا قوله إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ* و لو لا ذلك لكنا نجوز العفو على الجميع عقلا- و قيل إنما أبهم الله الأمر بالتعذيب و المغفره فلم يبين من يغفر له و من يشاء تعذيبه ليقف المكلف بين الخوف و الرجاء فلا يأمن من عذاب الله تعالى و لا ييأس من رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ و يلتفت إلى هذا

قول الصادق لو وزن رجاء المؤمن و خوفه لاعتدلا

و قيل إنما علق الغفران أو العذاب بالمشيئه لأن المشيئه مطابقه للحكمه فلا يشاء إلا ما تقتضى الحكمه مشيئه و سئل بعضهم كيف يعذب الله عباده بالأجرام مع سعه رحمته فقال رحمته لا تغلب حكمته إذ لا تكون رحمته برقه القلب كما تكون الرحمه منا و عن ابن عباس قال معنى الآيه يغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء ممن لم يتب.

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٣٠ الى ١٣٢

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠) وَ اتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢)

المعنى

لما ذكر سبحانه أن له التعذيب لمن يشاء و المغفره لمن يشاء وصل ذلك بالنهاى عما لو فعلوا لاستحقوا عليه العذاب و هو الربا فقال تعالى «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا الله و رسوله «لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا» ذكر الأكل لأنه معظم الانتفاع و إن كان غيره

من التصرفات أيضا منهيها عنه و الرباء الزيادة على أصل المال بالتأخير عن الأجل الحال و قيل هو ربا الجاهليه عن عطا و مجاهد «أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً» قيل فى معناه قولان أحدهما أن يضاعف بالتأخير أجلا بعد أجل كلما آخر عن أجل إلى غيره زيد زياده على المال و الثانى معناه تضاعفون به أموالكم و يدخل فيه كل زياده محرمة فى المعامله من جهه المضاعفه و وجه تحريم الربا هو المصلحه التى علمها الله و ذكر فيه وجوه على وجه التقريب منها أنه للفصل بينه و بين البيع و منها أنه يدعو إلى العدل و يحض عليه و منها

أنه يدعو إلى مكارم الأخلاق بالإقراض و إنظار المعسر من غير زياده و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و إنما أعاد تحريم الربا مع ما سبق ذكره فى سوره البقره لأمرين أحدهما التصريح بالنهاى عنه بعد الإخبار بتحريمه لما فى ذلك من تصريح الخطر له و شدة التحذير منه و الثانى لتأكيد النهى عن هذا الضرب منه الذى يجرى على الأضعاف المضاعفه «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» أى اتقوا معاصيه و قيل اتقوا عقابه بترك معاصيه «لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» لكى تنجحوا بإدراك ما تأملونه و تفوزوا بثواب الجنه «وَ اتَّقُوا النَّارَ» أى اتقوا الأفعال الموجبه لدخول النار التى «أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ» أى هيئت و اتخذت للكافرين و الوجه فى تخصيص الكفار بإعداد النار لهم أنهم معظم أهل النار فهم العمده فى إعداد النار لهم و غيرهم من الفاسقين يدخلونها على وجه التبع فهو كقوله «أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ»* و معلوم أنه قد يدخلها غير المتقين من الأطفال و المجانين و قال الحسن تخصيص الكفار بإعداد النار لهم لا يمنع من مشاركته غيرهم إياهم كما أن تخصيص المرتدين بأسوداد الوجوه لا يمنع من مشاركته سائر الكفار إياهم و مثله فى القرآن كثير و الأصل أن تخصيص الشىء بالذكر لا يدل على أن ما عداه بخلافه «وَ أَطِيعُوا اللَّهَ» فيما أمركم به و أطيعوا الرسول فيما شرع لكم «لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» أى لكى ترحموا فلا- يعذبكم و مما يسأل على هذا أن يقال إذا كانت طاعه الرسول طاعه الله فما وجه التكرار فالجواب عنه شيثان (أحدهما) إن المقصد بها طاعه الرسول فيما دعا إليه مع القصد لطاعه الله (و الثانى) إنما قال ذلك ليعلم أن من أطاعه فيما دعا إليه فهو كمن أطاع الله فيسارع إلى ذلك بأمر الله.

النظم

و قد قيل فى وجه اتصال هذه الآيه بما قبلها قولان (أحدهما) لاتصال الأمر بالطاعه بالنهاى عن أكل الربا فكأنه قال و أطيعوا الله فيما نهاكم عنه من أكل الربا و غيره (و الثانى) ما قاله محمد بن إسحاق بن يسار أنه معاتبه للذين عصوا رسول الله

لما أمرهم به يوم أحد من لزوم مراكزهم فخالفوا و اشتغلوا بالغنيمه و كان ذلك سبب هزيمه أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله).

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٣٣ الى ١٣٤

اشاره

وَ سَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ الْكَآظِمِينَ الْغَيْظَ وَ الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)

القراءه

قرأ أهل المدينة و الشام سارعوا بغير واو و كذلك هو في مصاحفهم و الباقرن بالواو و كذلك هو في مصاحف مكه و العراق.

الحجه

و الفرق بينهما استئناف الكلام إذا كان بغير واو و وصلها بما تقدم إذا قرئ بواو لأنه يكون عطفاً على ما تقدم و يجوز أيضاً ترك الواو لأن الجملة الثانيه ملتبسه بالأولى مستغنيه بذلك عن عطفها بالواو كما جاء في التنزيل ثلاثه رابعهم كلبهم و قال سبعة و ثامنهم كلبهم.

اللغه

أصل الكظم شد رأس القربه عن ملئها تقول كظمت القربه إذ ملأتها ماء ثم شددت رأسها و فلان كظيم و مكظوم إذا كان ممتلئاً حزناً و كذلك إذا كان ممتلئاً غضباً لم ينتقم و كظم البعير إذا لم يجتر و الكظامه القناه التي تجرى تحت الأرض سميت بذلك لامتلأها تحت الأرض

و في غريب الحديث لأبي عبيده عن أوس بن أبي أوس أنه رأى النبي (صلى الله عليه و آله) أتى كظامه قوم فتوضأ و مسح على قدميه

و يقال أخذ بكظمه أى مجرى نفسه لأنه موضع الامتلاء بالنفس و الفرق بين الغيظ و الغضب إن الغضب ضد الرضا و هو إرادته العقاب المستحق بالمعاصى و لعنه و ليس كذلك الغيظ لأنه هيجان الطبع بتكره ما يكون من المعاصى و لذلك يقال غضب الله على الكفار و لا يقال اغتاظ منهم.

لما حذر الله تعالى عن الأفعال الموجهة للعقاب عقبه بالحث على الأفعال الموجهة للثواب فقال «وَسَارِعُوا» أى بادروا «إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ» باجتناّب معاصيه و معناه إلى الأعمال التي توجب المغفرة و اختلف في ذلك ف قيل سارعوا إلى الإسلام عن ابن عباس و قيل

إلى أداء الفرائض عن على بن أبى طالب (عليه السلام)

و قيل إلى الهجره عن أبى العاليه و قيل إلى التكبيره الأولى عن أنس بن مالك و قيل إلى أداء الطاعات عن سعيد بن جبير و قيل إلى الصلوات الخمس عن يمان و قيل إلى الجهاد عن الضحاک و قيل إلى التوبه عن عكرمه «وَجَنَّةٍ» أى و إلى جنه «عَرَضُهَا السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ» و اختلف في معناه على أقوال أحدها أن المعنى عرضها كعرض السماوات السبع و الأرضين السبع إذا ضم بعض ذلك إلى بعض عن ابن عباس و الحسن و اختاره الجبائى و البلخى و إنما ذكر العرض بالعظم دون الطول لأنه يدل على أن الطول أعظم من العرض و ليس كذلك لو ذكر الطول دون العرض و مثل الآيه قوله «مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بِعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ» و معناه إلا كخلق و بعث نفس واحده و قال الشاعر:

كان غدیرهم بجنوب سلی

نعام قاق فی بلد قفار

أى عذیر نعام و قال آخر:

حسبت بغام راحلتی عناقا

و ما هی و یب غیرک بالعناق

أى صوت عناق و ثانيها أن معناه ثمنها لو بیعت كثمن السماوات و الأرض لو بیعتا كما یقال عرضت هذا المتاع للبیع و المراد بذلك عظم مقدارها و جلاله قدرها و أنه لا یساویها شیء و إن عظم عن أبى مسلم الأصفهانی و هذا وجه ملیح إلا أن فيه تعسفا و ثالثها أن عرضها لم یرد به العرض الذى هو خلاف الطول و إنما أراد سعتها و عظمها و العرب إذا وصفت الشىء بالسعه و صفته بالعرض قال امرؤ القیس:

بلاد عریضه و أرض أریضه

مواقع عیث فی فضاء عریض

و قال ذو الرمه:

فأعرض فی المكارم و استظلالا

أى توسع فيها و يسأل فيقال إذا

ص: ٣٥٢

كانت الجنة عرضها كعرض السماء و الأرض فأين تكون النار فجوابه أنه

روى أن النبي (صلى الله عليه و آله) سئل عن ذلك فقال سبحانه الله إذا جاء النهار فأين الليل

و هذه معارضه فيها إسقاط المسأله لأن القادر على أن يذهب بالليل حيث شاء قادر على أن يخلق النهار حيث شاء و يسأل أيضا فيقال إذا كانت الجنة فى السماء فكيف يكون لها هذا العرض و الجواب أنه قيل أن الجنة فوق السماوات السبع تحت العرش عن أنس بن مالك و قيل إن الجنة فوق السماوات السبع و النار تحت الأرضين السبع عن قتاده و قيل إن معنى قولهم أن الجنة فى السماء أنها فى ناحيه السماء و جهه السماء لا أن السماء تحويها و لا ينكر أن يخلق الله فى العلو أمثال السماوات و الأرضين فإن صح الخبر أنها فى السماء الرابعه كان كما يقال فى الدار بستان لاتصاله بها و كونه فى ناحيه منها أو يشرع إليها بابها و إن كان أضعاف الدار و قيل أن الله يريد فى عرضها يوم القيامة فيكون المراد عرضها السماوات و الأرض يوم القيامة لا فى الحال عن أبى بكر أحمد بن على مع تسليم أنها فى السماء و قوله «أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ» أى المطيعين لله و لرسوله لاجتنابهم المقبحات و فعلهم الطاعات و يجوز لاحتجازهم بالطاعة عن العقوبه و إنما أضيفت إلى المتقين لأنهم المقصودون بها و إن دخلها غيرهم من الأطفال و المجانين فعلى وجه التبغ و كذلك حكم الفساق لو عفى عنهم و قيل معناه أنه لو لا المتقون لما خلقت الجنة كما يقال وضعت المائدة للأمر و هذا يدل على أن الجنة مخلوقه اليوم لأنها لا تكون معده إلا و هى مخلوقه «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَ الضَّرَّاءِ» صفه للمتقين و فى معنى السراء و الضراء قولان (أحدهما) أن معناه فى اليسر و العسر عن ابن عباس أى فى حال كثره المال و قلته (و الثانى) فى حال السرور و الاغتمام أى لا يقطعهم شىء من ذلك عن إنفاق المال فى وجوه البر «وَ الْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ» أى المتجرعين للغيظ عند امتلاء نفوسهم منه فلا ينتقمون ممن يدخل عليهم الضرر بل يصبرون على ذلك «وَ الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ» يعنى الصافحين عن الناس المتجاوزين عما يجوز العفو و التجاوز عنه مما لا يؤدى إلى الإخلال بحق الله تعالى و قيل العافين عن المملوكين «وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» أى من فعل ذلك فهو محسن و الله يحبه بإيجاب الثواب له و يحتمل أن يكون الإحسان شرطا مضموما إلى هذه الشرائط قال الثورى الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك فأما من أحسن إليك فإنه متاجره كنقد السوق خذ منى و هات.

فصل فأول ما عدد الله من أخلاق أهل الجنة السخاء و مما يؤيد ذلك من الأخبار

ما رواه أنس بن مالك عن النبي (صلى الله عليه و آله) أنه قال السخاء شجره فى الجنة أغصانها فى الدنيا

من تعلق بغصن من أغصانها قاداته إلى الجنة و البخل شجره في النار أغصانها في الدنيا فمن تعلق بغصن من أغصانها قاداته إلى النار

و قال علي (عليه السلام) الجنة دار الأسخياء

و قال (عليه السلام) السخى قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار و البخيل بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار

ثم عد تعالى بعد ذلك من أخلاق أهل الجنة كظم الغيظ و مما جاء فيه من الأخبار

ما رواه أبو أمامه قال قال رسول الله من كظم غيظه و هو قادر على إنفاذه ملأه الله يوم القيامة رضا و فى خبر آخر ملأه الله يوم القيامة أمانا و إيمانا

و قال أيضا كاظم الغيظ كضارب السيف فى سبيل الله فى وجه عدوه و ملأ الله قلبه رضا و فى خبر آخر ملأ الله قلبه يوم القيامة أمانا و أمانا

و قال (عليه السلام) ليس الشديد بالصرعه إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب

ثم ذكر «العافين عن الناس»

و روى أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال أن هؤلاء فى أمتى قليل إلا من عصم الله و قد كانوا كثيرا فى الأمم التى مضت

و فى هذا دليل واضح على أن العفو عن المعاصى مرغّب فيه مندوب إليه و إن لم يكن واجبا

و قال النبى (صلى الله عليه و آله) ما عفا رجل عن مظلّمه قط إلا زاده الله بها عزا

ثم ذكر سبحانه أنه يحب المحسنين و المحسن هو المنعم على غيره على وجه عار من وجوه القبح و يكون المحسن أيضا هو الفاعل للأفعال الحسنه من وجوه الطاعات و القربات

و روى أن جاريه لعلى بن الحسين جعلت تسكب عليه الماء ليتهاى للصلاه فسقط الإبريق من يدها فشجه فرفع رأسه إليها فقالت له الجاريه إن الله تعالى يقول «وَ الْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ» فقال لها قد كظمت غيظى قالت «وَ الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ» قال قد عفا الله عنك قالت «وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» قال اذهبي فأنت حره لوجه الله.

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٣٥ الى ١٣٦

إشاره

وَ الَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَ مَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَ لَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَ

هُم يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ نِعَمَ أَجْرٍ الْعَامِلِينَ (١٣٦)

اللغة

أصل الفاحشه الفحش و هو الخروج إلى عظيم القبح أو رأى العين فيه

ص: ٣٥٤

و لذلك قيل للطويل المفرط أنه لفاحش الطول و أفحش فلان إذا أفصح بذكر الفحش و الإصرار أصله الشد من الصره و الصر
شده البرد فكأنما هو ارتباط الذنب بالإقامه عليه و قيل أصله الثبات على الشىء و قال الحطيئه يصف الخيل:

عوابس بالشعث الكمأه إذا انتقوا

علالته بالمخصرات أصرت

أى إذا اختاروا بقيه جريها بالسياط ثبتت على جريها.

الإعراب

و الذين عطف على المتقين و قيل رفع على الاستئناف كأنه عطف جمله على جمله فعلى القول الأول هم فرقه واحده و على
القول الثانى هم فرقتان و يجوز أن يكون راجعا إلى الأولين و يكون محله رفعا على المدح و قوله «إِلَّا اللَّهَ» يرتفع الله حملا على
المعنى لا على اللفظ إذ ليس قبله جحد و تقديره و هل يغفر الذنوب أحد إلا الله أو هل رأى أحد يغفر الذنوب إلا الله و معناه لا
يغفر الذنوب إلا الله لأن الاستفهام قد يقع موقع النفي «وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ» المخصوص بالمدح محذوف و تقديره و نعم أجر
العاملين أجرهم.

النزول

روى أن قوما من المؤمنين قالوا يا رسول الله بنو إسرائيل أكرم على الله منا كان أحدهم إذا أذنب أصبحت كفاره ذنبه مكتوبه
على عتبه بابه (أجدع أنفك أو أذنك افعل كذا) فسكت رسول الله (صلى الله عليه و آله) فنزلت الآية فقال ألا أخبركم بخير من
ذلكم و قرأ عليهم هذه الآية

عن ابن مسعود و فى ذلك تسهيل لما كان قد شدد فيه على بنى إسرائيل إذ جعل الاستغفار بدلا منه و قيل نزلت فى نبهان التمار
أته امرأه تبتاع منه تمرا فقال لها إن هذا التمر ليس بجيد و فى البيت أجود منه و ذهب بها إلى بيته فضمها إلى نفسه فقبلها
فقال له اتق الله فتركها و ندم و أتى النبى (صلى الله عليه و آله) و ذكر له ذلك فنزلت الآية عن عطاء.

المعنى

«وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» اختلفوا فى الفاحشه و ظلم النفس فقيل الفاحشه الزنا و ظلم النفس سائر المعاصى
عن السدى و جابر و قيل الفاحشه الكبائر و ظلم النفس الصغائر عن القاضى عبد الجبار بن أحمد الهمدانى و قيل الفاحشه اسم
لكل معصيه ظاهره و باطنه إلا أنها لا تكاد تقع إلا على الكبيره عن على بن عيسى و قيل فعلوا فاحشه فعلا أو ظلموا أنفسهم قولاً
«ذَكَرُوا اللَّهَ» أى ذكروا وعيد الله فانزجروا عن المعصيه و استغفروا لذنوبهم فيكون من الذكر بعد النسيان و إنما مدحهم

لأنهم تعرضوا للذكر وقيل ذكروا الله بأن قالوا اللهم اغفر لنا ذنوبنا فإننا تبنا نادمين عليها مقلعين عنها وقوله «وَمَنْ يَغْفِرِ الذَّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ» من لطيف فضل الله تعالى و بليغ كرمه و جزيل منته و هو الغايه فى ترغيب العاصين فى التوبه و طلب المغفره و النهايه فى تحسين الظن للمذنبين و تقويه رجاء المجرمين و هذا كما يقول السيد لعبد و قد أذنب ذنبا اعتذر إلى و من يقبل عذرك سوى و إذا سئل أن العباد قد يغفر بعضهم لبعض الإساءه فالجواب أن الذنوب التى يستحق عليها العقاب لا يغفرها إلا الله و أيضا فإنه أراد سبحانه غفران الكبائر العظام و الإساءه من بعضنا إلى بعض صغيره بالإضافه إليها «وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا» أى لم يقيموا على المعصيه و لم يواظبوا عليها و لم يلزموها و قال الحسن هو فعل الذنب من غير توبه و هو قريب من الأول و ذلك لا يكفى فإن التوبه مجرد الاستغفار مع الإصرار و ذلك إن الاستغفار إنما يؤثر عند ترك الإصرار

و قد روى عن النبى (صلى الله عليه و آله) أنه قال لا صغيره مع الإصرار و لا كبيره مع الاستغفار

يعنى لا تبقى الكبيره كبيره مع التوبه و الاستغفار و لا تبقى الصغيره صغيره مع الإصرار و فى تفسير ابن عباس الإصرار السكون على الذنب بترك التوبه و الاستغفار منه و قوله «وَهُمْ يَعْلَمُونَ» يحتمل وجوها (أحدها) أن معناه و هم يعلمون الخطيئه ذاكرين لها غير ساهين و لا ناسين لأنه تعالى يغفر للعبد ما نسيه من ذنوبه و إن لم يتب منه بعينه عن الجبائى و السدى (و ثانيها) إن معناه و هم يعلمون الحجه فى أنها خطيئه فإذا لم يعلموا و لا طريق لهم إلى العلم به كان الإثم موضوعا عنهم كمن تزوج أمه من الرضاع و النسب و هو لا يعلم به فإذا لا- يأتى و هذا معنى قول ابن عباس و الحسن (و ثالثها) إن المراد و هم يعلمون إن الله يملك مغفره ذنوبهم عن الضحاك «أُولَئِكَ» إشاره إلى من تقدم وصفهم من المتقين الذين ينفقون فى السراء و الضراء إلى آخر الكلام أى هؤلاء «جَزَاؤُهُمْ» على أعمالهم و توبتهم «مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ» أى ستر لذنوبهم «وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا» قد مر تفسيرها فى سورة البقره «وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ» هذا يعنى ما وصفه من الجنات و أنواع الثواب و المغفره بستر الذنوب حتى تصير كأنها لم تعمل فى زوال العار بها و العقوبه عليها و الله تعالى متفضل بذلك لأن إسقاط العقاب عند التوبه تفضل منه و أما استحقاق الثواب بالتوبه فواجب لا- محاله عقلا لأنه لو لم يكن مستحقا بالتوبه لقبح تكليفه التوبه لما فيها من المشقه.

النظم

قيل إن الآيه اتصلت بما قبلها لأنها من صفه المتقين و قيل بل هما فرقتان بين تعالى أن الجنه للمتقين المنفقين فى السراء و الضراء إلى آخر الآيه و لمن عثر ثم تاب و لم يصر.

ص: ٣٥٦

إشارة

قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَ مَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨)

اللغة

السنة الطريقة المجعولة ليقتهى بها و من ذلك سنة رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال لبيد:

من معشر سنت لهم آباؤهم

و لكل قوم سنة و إمامها

و قال سليمان بن قته:

و إن الأولى بالطف من آل هاشم

تأسوا فسنوا للكرام التآسيا

و أصل السنة الاستمرار فى جهة يقال سن الماء إذا صبه حتى يفيض من الإناء و سن السكين بالمسن إذا أمره عليه لتحديده و منه السن واحد الأسنان لاستمرارها على منهاج و الأسنان لاستمرار الطعن به و السنن استمرار الطريق و العاقبه ما يؤدى إليها السبب المتقدم و ليس كذلك الآخرة لأنه قد كان يمكن أن تجعل هى الأولى فى العده و الموعظه ما يلين القلب و يدعو إلى التمسك بما فيه من الزجر عن القبيح و الدعاء إلى الجميل و قيل الموعظه هو ما يدعو بالرغبه و الرهبه إلى الحسنه بدلا من السيئه.

المعنى

لما بين سبحانه ما يفعله بالمؤمن و الكافر فى الدنيا و الآخرة بين أن ذلك عادته فى خلقه فقال «قَدْ خَلَتْ» أى قد مضت «مِنْ قَبْلِكُمْ» يا أصحاب محمد (صلى الله عليه و آله) و قيل هو خطاب لمن انهزم يوم أحد «سُنَنٌ» من الله فى الأمم السالفه إذا كذبوا رسله و جحدوا نبوتهم بالاستيصال و بقيه آثارهم فى الديار للاعتبار و الاتعاظ عن الحسن و ابن إسحاق و قيل سنن أى أمثال عن ابن زيد و قيل سنن أمم و السنة الأمه عن المفضل و قال الشاعر:

ما عاين الناس من فضل كفضلكم

و لا رأوا مثلكم فى سالف السنن

وقيل معناه أهل سنن وقيل معناه قد مضت لكل أمه سنه و منهاج إذا اتبعوها رضى الله عنهم عن الكلبي «فَسَيَرُوا فِي الْأَرْضِ
فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ» أى تعرفوا أخبار المكذبين و ما نزل بهم لتتعظوا بذلك و تنتهوا عن مثل ما فعلوه و لا تسلكوا
فى

ص: ٣٥٧

التكذيب و الإنكار طريقتهما فيحل بكم من العذاب ما حل بهم و أراد بالمكذبين الجاحدين للبعث و النشور و الثواب و العقاب جازاهم الله تعالى فى الدنيا بعذاب الاستيصال و فى الآخرة باليم العذاب و عظيم النكال «هذا» إشاره إلى القرآن «بَيَانٌ لِلنَّاسِ» أى دلالة و حجه لهم كافه عن الحسن و قتاده و قيل إشاره إلى ما تقدم من قوله «قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ» أى هذا الذى عرفتمكم بيان للناس عن ابن أبى إسحاق و اختاره البلخى و الطبرى «وَهُدَى» قال على بن عيسى الفرق بين البيان و الهدى إن البيان إظهار المعنى للغير كائنا ما كان و الهدى بيان لطريق الرشده ليسلك دون طريق الغى «وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ» و إنما خص المتقين به مع كونه بيانا و هدى و موعظه للناس كافه لأن المتقين هم المنتفعون به و المهتدون بهداه و المتعظون بمواعظه.

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٣٩ الى ١٤٠

إشاره

وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير حفص قرح بضم القاف فيهما و كذلك قوله (من بعد ما أصابهم القرح) و الباقر بفتح القاف.

الحجه

قال أبو على قرح و قرح مثل ضعف و ضعف و الكره و الكره و الدفء و الدفء و الشهد و الشهد قال أبو الحسن قرح يقرح قرحا و قرحا فهذا يدل على أنهما مصدران و من قال أن القرحة الجراحات بأعيانها و القرحة ألم الجراحات قبل ذلك منه إذا أتى فيه بروايه لأن ذلك مما لا يعلم بالقياس.

اللغه

الوهن الضعف و الوهن و الموهن ساعه تمضى فى الليل الأعلون واحده الأعلى و مؤنثه العليا و جمعه العليا و العلى و الفرق بين اللمس و المس أن اللمس لصوق بإحساس و المس لصوق فقط و الدوله الكره لفريق بنيل المراد و أدال الله فلانا من فلان إذا جعل الكره له عليه و تداول القوم الشىء إذا صار من بعضهم إلى بعض و ضم الدال فى الدوله و فتحها لغتان و قيل الضم فى المال و الفتح فى الحرب.

«وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ» جملة في موضع الحال كأنه قال لا تحزنوا عالين أى منصورين على الأعداء و يحتمل أن يكون لا موضع لها في الإعراب لأنها اعتراض بوعده مؤكداً وتقديره ولا تهنوا ولا تحزنوا إن كنتم مؤمنين و أنتم الأعلون مع ذلك وقوله «وَلْيَعْلَمَ اللَّهُ» العامل في اللام محذوف يدل عليه أول الكلام وتقديره وليعلم الله الذين آمنوا نداولها و يجوز أن يعمل فيه نداولها الذي في اللفظ وتقديره نداولها بين الناس بضروب من التدبير وليعلم الله الذين آمنوا.

النزول

قيل نزلت الآية تسلياً للمؤمنين لما نالهم يوم أحد من القتل والجراح عن الزهري وقواده وابن أبي نجيح و

قيل لما انهزم المسلمون في الشعب وأقبل خالد بن الوليد بخيل من المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل فقال النبي اللهم لا يعلن علينا اللهم لا قوه لنا إلا بك اللهم ليس يعبدك بهذه البلده إلا هؤلاء نفر فأنزل الله تعالى الآية

و تاب نفر رماه فصعدوا الجبل و رموا خيل المشركين حتى هزموهم و علا المسلمون الجبل فذلك قوله «وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ» عن ابن عباس و

قيل نزلت الآية بعد يوم أحد حين أمر رسول الله (صلى الله عليه و آله) أصحابه بطلب القوم و قد أصابهم من الجراح ما أصابهم و قال (صلى الله عليه و آله) لا يخرج إلا من شهد معنا بالأمس فاشتد ذلك على المسلمين فأنزل الله تعالى هذه الآية

عن الكلبي و دليله قوله تعالى «وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ» الآية.

المعنى

ثم حث الله تعالى المسلمين على النجدة و نهاهم عن الوهن و الحزن و وعدهم الغلبة في الحال و حسن العاقبة في المال فقال «وَلَا تَهِنُوا» أى و لا تضعفوا عن قتال عدوكم «وَلَا تَحْزَنُوا» بما يصيبكم في أموالكم و أبدانكم و قيل لا تضعفوا بما نالكم من الجراح و لا تحزنوا على ما نالكم من المصائب بقتل الإخوان و قيل لا تهنوا بما نالكم من الهزيمة و لا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمه «وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ» أى الظافرون المنصورون الغالبون عليهم في العاقبة و قيل أراد و أنتم الأعلون في المكان «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» معناه إن من كان مؤمناً يجب أن لا يهن و لا يحزن لثقتة بالله و يحتمل أن يكون معناه إن كنتم مصدقين بوعدي لكم بالنصره و الظفر على عدوكم فلا تهنوا و لا تحزنوا ثم أخذ سبحانه في تسليته المؤمنين فقال «إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ» معناه إن يصبكم جراح فقد أصاب القوم جراح مثله عن ابن عباس و قيل إن يصبكم ألم و جراح يوم أحد فقد أصاب القوم ذلك يوم بدر

و قال أنس بن مالك أتى رسول الله (صلى الله عليه و آله) بعلى (عليه السلام) يومئذ و فيه نيف و ستون جراحه من طعنه و ضربه و رميه فجعل رسول الله (صلى الله عليه و آله)

يمسحها و هي تلتئم بإذن الله كأن لم تكن

و عن ابن عباس قال لما كان يوم أحد صعّد أبو سفيان الجبل فقال رسول الله ص اللهم أنه ليس لهم أن يعلونا فمكث أبو سفيان ساعه و قال يوما بيوم و أن الأيام دول و إن الحرب سجال فقال (عليه السلام) أجيوبه فقالوا لا سواء قتلتنا في الجنة و قتلاكم في النار فقال لنا عزى و لا- عزى لكم فقال النبي (صلى الله عليه و آله) و الله مولانا و لا مولى لكم فقال أبو سفيان أعل هبل فقال (صلى الله عليه و آله) الله تعالى أعلى و أجل

«وَتَلْمَكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ» أى نصرفها مره لفرقه و مره عليها عن الحسن و قتاده و الربيع و السدى و ابن إسحاق و إنما يصرف الله الأيام بين المسلمين و بين الكفار بتخفيف المحنه عن المسلمين أحيانا و تشديدها عليهم أحيانا لا بنصره الكفار عليهم لأن الله لا ينصر الكفار على المسلمين لأن النصره تدل على المحبه و الله تعالى لا يحب الكافرين و إنما جعل الله الدنيا متقلبه لكيلا- يطمئن المسلم إليها و لتقل رغبته فيها أو حرصه عليها إذ تفنى لذاتها و يطعن مقيمها و يسعى للآخره التى يدوم نعيمها و إنما جعل الدوله مره للمؤمنين و مره عليهم ليدخل الناس فى الإيمان على الوجه الذى يجب الدخول فيه كذلك و هو قيام الحججه فإنه لو كانت الدوله أبدا للمؤمنين لكان الناس يدخلون فى الإيمان على سبيل اليمن و الفال على أن كل موضع حضره النبي (صلى الله عليه و آله) لم يخل من ظفر إما فى ابتداء الأمر و إما فى انتهائه و إنما لم يستمر ذلك لما بيناه و قوله «وَلِيُعَلِّمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا» المفعول الثانى ليعلم محذوف و تقديره و تلك الأيام نداولها بين الناس لوجوه من المصالح و ضروب من الحكمه و ليعلم الله الذين آمنوا متميزين بالإيمان من غيرهم و على هذا لا يكون يعلم بمعنى يعرف لأنه ليس المعنى أنه يعرف الذوات بل المعنى أنه يعلم تميزها بالإيمان و يجوز أن يكون المعنى ليعلم الله الذين آمنوا بما يظهر من صبرهم على جهاد عدوهم أى يعاملهم معاملة من يعرفهم بهذه الحال و إذا كان الله تعالى يعلمهم قبل إظهارهم الإيمان كما يعلمهم بعده فإنما يعلم قبل الإظهار أنهم سيميزون فإذا أظهروه علمهم متميزين و يكون التغير حاصلًا فى المعلوم لا فى العالم كما أن أحدنا يعلم الغد قبل مجيئه على معنى أنه سيجىء فإذا جاء علمه جائيا و علمه يوما لا غدا فإذا انقضى فإنما يعلمه الأمس لا يوما و لا غدا و يكون التغير واقعا فى المعلوم لا- فى العالم و قيل معناه و ليعلم أولياء الله الذين آمنوا و إنما أضاف إلى نفسه تفخيما و قيل معناه ليظهر المعلوم من صبر من يصبر و جزع من يجزع و إيمان من يؤمن و قيل ليظهر المعلوم من الإخلاص و النفاق و معناه ليعلم

الله المؤمن من المنافق فاستغنى بذكر أحدهما عن الآخر وقوله «وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ» قيل فيه قولان (أحدهما) إن معناه ليكرم بالشهادة من قتل يوم أحد عن الحسن و قتاده و ابن إسحاق (و الآخر) و يتخذ منكم شهداء على الناس بما يكون منهم من العصيان لما لكم فى ذلك من جلاله القدر و علو المرتبه و الشهداء يكون جمع شاهد و جمع شهيد عن أبى على الجبائى و إنما سموا شهداء لمشاهدتهم الأعمال التى يشهدون بها و أما فى جمع الشهيد فلأنهم بذلوا الروح عند شهود الوقعه و لم يفروا «وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» ظاهر المعنى و فائدته أنه تعالى بين أنه لا يمكن الظالمين منهم لمحبتهم لهم و لكن لأحد المعانى التى ذكرها و ليحص ذنوب المؤمنين كما قاله فيما بعد.

سوره آل عمران (٣): آيه ١٤١

إشارة

وَ لِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١)

اللغة

أصل التمحيص التخليص قال الخليل المحص الخلوص من العيب و محصته أمحصه محصا إذا خلصته من كل عيب و يقال اللهم محص عنا ذنوبنا أى أذهبها عنا لأنه تخليص الحسنات بتكفير السيئات و أصل المحق فناء الشىء حالا بعد حال و لهذا دخله معنى النقصان و انمحق الشىء انمحاقا و امتحق الشىء و تمحق إذا ذهب بركته حالا بعد حال و المحاق آخر الشهر لذهاب ضوء الهلال حالا بعد حال.

المعنى

ثم بين تعالى وجه المصلحه فى مداولة الأيام بين الناس فقال «وَ لِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا» قيل فى معنى الآيه أقوال (أحدها) «وَ لِيُمَحِّصَ اللَّهُ» أى و ليبلى الله الذين آمنوا «وَ يَمْحَقَ الْكَافِرِينَ» ينقصهم عن ابن عباس و مجاهد و السدى (و ثانيها) ليخلص الله ذنوب المؤمنين عن الزجاج- (و ثالثها)- ينجى الله الذين آمنوا من الذنوب بالابتلاء و يهلك الكافرين بالذنوب عند الابتلاء عن على بن عيسى و إنما قابل بين التمحيص و المحق لأن محص هؤلاء يهلكك ذنوبهم نظير محق أولئك يهلكك أنفسهم و هذه مقابله فى المعنى و فى هذه الآيه دلالة على أنه تعالى إنما يداول بين الناس لتمحيص ذنوب المؤمنين و محق الكافرين و إنما يمحصهم بالمداولة لشيئين- (أحدهما)- إن فى تخليتهم و تمكين الكافرين منهم تعريضا لهم للصبر الذى يستحقون به عظيم الأجر و يحط به عنهم كثيرا من أثقال الوزر- (و الثانى)- إن فى ذلك لطفًا لهم يعصمهم عن اقتراف نفوسهم الإثم.

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٤٢ الى ١٤٣

إشارة

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَ يَعْلَمِ الصَّابِرِينَ (١٤٢) وَ لَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ

تَلَقَّوهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (١٤٣)

ص: ٣٤١

الفرق بين التمنى والإرادة أن الإرادة من أفعال القلوب و التمنى قول القائل ليت كان كذا أو ليت لم يكن وقيل إن التمنى معنى فى القلب يطابق هذا القول و الصحيح هو الأول.

الإعراب

أم فى قوله «أَمْ حَسِبْتُمْ» هى المنقطعة و تقديره بل أ حسبتم و هو استفهام على وجه الإنكار و الفرق بين لم و لما أن لما جواب لقول القائل قد فعل فلان يريد به الحال و إذا قال فعل فجوابه لم يفعل لما كان أصلها لم مؤكدا بحرف كانت جوابا لما هو مؤكدا بحرف و قوله «وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ» نصب على الصرف عن العطف إذ ليس المعنى على نفى الثانى و الأول و إنما هو على نفى اجتماع الثانى و الأول و تقديره و إن يعلم فيكون منصوبا بإضمار أن و المعنى و لما يقع العلم بالجهاد و العلم بصبر الصابرين و روى عن الحسن أنه قرأ و يعلم الصابرين بالكسر عطفًا على الأول.

المعنى

لما حث الله على الجهاد و رغب فيه زاد فى البيان و الأخبار بأن الجنة لا تنال إلا بالبلوى و الاختبار فقال «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ» المراد به الإنكار أى أ ظننتم أيها المؤمنون أنكم تدخلون الجنة «وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمُ الصَّابِرِينَ» أى و لما يجاهد المجاهدون منكم فيعلم الله جهادهم و يصبر الصابرون منكم فيعلم صبرهم على القتال و إنما جاز «وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ» على معنى نفى الجهاد دون العلم لما فى ذلك من الإيجاز فى انتفاء جهادهم لأنه لو كان لعلمه و تقديره و لما لم يكن المعلوم من الجهاد الذى أوجب عليكم لأن المعنى مفهوم لا يشتبه «وَلَقَدْ كُنتُمْ» يا أصحاب محمد ص «تَمَنُّونَ الْمَوْتَ» أى تتمنون الموت فحذف إحدى التاءين للتخفيف و ذلك أن قوما ممن فاتهم شهود بدر كانوا يتمنون الموت بالشهادة بعد بدر قبل أحد فلما رأوه يوم أحد عرض كثير منهم عنه فانهزموا فعاتبهم الله على ذلك عن الحسن و مجاهد و الربيع و قتاده و السدى «مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ» الهاء فى تلقوه و رأيتموه راجعه إلى الموت أى من قبل أن تلقوا أسباب الموت و هو الحرب فقد رأيتموها لأن

الموت لا يرى و نحو ذلك قول الشاعر:

(و الموت تحت لواء آل محلم)

أى أسباب الموت و قيل الهاء راجعه إلى الجهاد «وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ» قيل أنه تأكيد للرؤية كما يقال رأيتته عيانا فرأيتته بعيني و سمعته بإذني لأن لا يتوهم رؤيه القلب و سمع العلم و قيل معناه و أنتم تتأملون الحال فى ذلك كيف هى فعلى هذا يكون النظر بمعنى الفكر و قيل معناه و أنتم تنظرون إلى محمد ص و فيه حذف أى فلم انهزمتم لأنه موضع عتاب فإن قيل كيف يتمنى قتل المشركين لهم لينالوا منزله الشهاده و هل يجوز ذلك قلنا ذلك لا يجوز لأن قتل المشركين لهم معصيه و لا يجوز تمنى المعاصى كما لا يجوز إرادتها و لا الأمر بها فإذا ثبت ذلك فإنما تمنوا الشهاده بالصبر على الجهاد إلى أن يقتلوا.

سوره آل عمران (٣): آيه ١٤٤

اشاره

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤)

اللغه

محمد أخذ من الحمد، و التحميد فوق الحمد فمعناه المستغرق لجميع المحامد لأن التحميد لا يستوجه إلا المستولى على الأمر فى الكمال فأكرم الله عز اسمه نبيه و حبيبه ص باسمين مشتقين من اسمه تعالى محمد ص و أحمد و إليه أشار حسان بن ثابت فى قوله:

نبى أتانا بعد بأس و فتره

من الدين و الأوثان فى الأرض تعبد

ألم تر أن الله أرسل عبده

برهانه و الله أعلى و أمجد

و شق له من اسمه ليجله

فدو العرش محمود و هذا محمد

. الإعراب .

إنما دخل حرف الاستفهام على حرف الشرط و تقديره أ تنقلبون إن مات أو قتل لأن الشرط لما انعقد به صار جملة واحده و
خبرا واحدا فكان بمنزله تقديم الاسم على الفعل فى الذكر إذا قيل أ زيد قام فكذلك تقديمه فى القسم و الاكتفاء بجواب
الشرط عن جواب القسم كما قال الشاعر:

حلفت له إن تدلج الليل لا يزل

أمامك بيت من بيوتى سائر.

ص: ٣٦٣

قال أهل التفسير سبب نزول هذه الآية أنه لما أرجف بأن النبي ص قد قتل يوم أحد و أشيع ذلك قال أناس لو كان نبيا لما قتل و قال آخرون نقاتل على ما قاتل عليه حتى نلحق به و ارتد بعضهم و انهزم بعضهم و كان سبب انهزامهم و تضعفهم إخلال الرماه لمكانهم من الشعب و كان رسول الله ص نهاهم عن الإخلال به و أمر عبد الله بن جبير و هو أخو خوات بن جبير على الرماه و هم خمسون رجلا- و قال لا- تبرحوا مكانكم فإننا لا نزال غالبين ما ثبتم بمكانكم و جاءت قريش على ميمنتهم خالد بن الوليد و على ميسرتهم عكرمه بن أبي جهل و معهم النساء يضربن بالدفوف و ينشدن الأشعار فقالت هند:

نحن بنات طارق

نمشى على النمارق

إن تقبلوا نعاتق

أو تدبروا نفارق

فراق غير وامق

و كان أبو عامر عبد عمرو بن الصيفى أول من لقيهم بالأحاييش و عييد أهل مكة فقالتهم قتالا شديدا و حميت الحروب فقال رسول الله من يأخذ هذا السيف بحقه و يضرب به العدو أو العبيد حتى ينحني فأخذه أبو دجانة سماك بن خرشه الأنصارى فلما أخذ السيف اعتم بعمامه حمراء و جعل يفتخر تبخترا و يقول:

أنا الذى عاهدنى خليلي

أن لا أقيم الدهر فى الكيول

أضرب بسيف الله و الرسول

فقال رسول الله ص إنها لمشييه يبغضها الله و رسوله إلا فى هذا الموضع ثم حمل النبي ص و أصحابه على المشركين فهزموهم و قتل على بن أبى طالب (عليه السلام) أصحاب اللواء كما تقدم بيانه و أنزل الله نصرته على المسلمين قال الزبير فرأيت هنداً و صواحبها هاربات مصعدات فى الجبال ناديه خدامهن ما دون أخذهن شىء فلما نظرت الرماه إلى القوم قد انكشفوا و رأوا النبي و أصحابه ينتهبون الغنيمه أقبلوا يريدون النهب و اختلفوا فقال بعضهم لا تتركوا أمر الرسول و قال بعضهم ما بقى من الأمر شىء ثم انطلق عامتهم و لحقوا بالعسكر فلما رأى خالد بن الوليد قله الرماه و اشتغال المسلمين بالغنيمه و رأى ظهورهم خاليه صاح

فى خيله من المشركين و حمل على أصحاب النبى ص من خلفهم فهزموهم و قتلوهم و رمى عبد الله بن قمية الحارثى رسول الله بحجر و كسر أنفه و رباعيته و شجه فى وجهه فأثقله و تفرق عنه أصحابه و أقبل يريد قتله فذبح مصعب بن عمير و هو صاحب رايه رسول الله يوم بدر و يوم أحد و كان اسم رايته العقاب عن رسول الله ص حتى قتل مصعب بن عمير قتله ابن قمية فرجع و هو يرى أنه قتل رسول الله ص و قال إنى قتلت محمداً و صاح صائح ألا إن محمداً قد قتل و يقال أن ذلك الصائح كان إبليس لعنه الله فانكف الناس و جعل رسول الله ص يدعو الناس و يقول إلى عباد الله فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً فحموه حتى كشفوا عنه المشركين و رمى سعد بن أبى وقاص حتى اندقت سيه قوسه و أصيبت يد طلحة بن عبيد الله فيبيست و أصيبت عين قتاده بن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله مكانها فعادت كأحسن ما كانت فلما انصرف رسول الله ص أدركه أبى بن خلف الجمحى و هو يقول لا نجوت إن نجوت فقال القوم يا رسول الله ألا يعطف عليه أحد منا فقال دعوه حتى إذا دنا منه و كان أبى قبل ذلك يلقى رسول الله فيقول عندى رمكه أعلفها كل يوم فرق ذره أقتلك عليها فقال رسول الله بل أنا أقتلك إن شاء الله فلما كان يوم أحد و دنا منه تناول رسول الله الحربه من الحرث بن الصمه ثم استقبله فطعنه فى عنقه و خدش خدشه فتدهده عن فرسه و هو يخور كما يخور الثور و هو يقول قتلنى محمد فاحتمله أصحابه و قالوا ليس عليك بأس قال بلى لو كانت هذه بريعه و مضر لقتلتهم أليس قال لى أقتلك فلو بزق على بعد تلك المقاله لقتلنى فلم يلبث إلا يوماً حتى مات قال و فشا فى الناس أن رسول الله قد قتل فقال بعض المسلمين ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبى فياخذ لنا أمانا من أبى سفيان و بعضهم جلسوا و ألقوا بأيديهم و قال أناس من أهل النفاق إن كان محمد قد قتل فألحقوا بدينكم الأول فقال أنس بن نضر عم أنس بن مالك يا قوم إن كان قد قتل محمد فرب محمد لم يقتل و ما تصنعون بالحياه بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله و موتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم إنى أعتذر إليك مما يقول هؤلاء يعنى المسلمين و أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء يعنى المنافقين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم أن رسول الله انطلق إلى الصخره و هو يدعو الناس فأول من عرف رسول الله كعب بن مالك قال عرفت عينيه تحت المغفر تزهران فناديت بأعلى صوتى يا معشر المسلمين أبشروا فهذا رسول الله فأشار إلى أن أسكت فانحازت إليه طائفه من أصحابه فلامهم النبى على الفرار فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا و أمهاتنا أتانا الخبر بأنك قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فأنزل الله تعالى «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ» الآية.

ثم بين سبحانه أنه لا ينبغي أن يترك أمر الله تعالى كان الرسول بين أظهرهم أو لم يكن فقال «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ» يعنى أنه بشر اختاره الله لرسالته إلى خلقه قد مضت قبله رسل بعثوا فأدوا الرساله و مضوا و ماتوا و قتل بعضهم و أنه يموت كما ماتت الرسل قبله فليس الموت بمستحيل عليه و لا القتل و قيل أراد أن أصحاب الأنبياء لم يرتدوا عند موتهم أو قتلهم فاقتدوا بهم ثم أكد ذلك فقال «أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ» معناه أ فإن أماته الله أو قتله الكفار ارتددتم كفارا بعد إيمانكم فسمى الارتداد انقلابا على العقب و هو الرجوع القهقري لأن الرده خروج إلى أقبح الأديان كما أن الانقلاب خروج إلى أقبح ما يكون من المشى و الألف فى قوله «أَفَإِنْ مَاتَ» ألف إنكار صورته صوره الاستفهام و مثله أ تختار الفساد على الصلاح و الخطأ على الصواب و فى قوله «مَاتَ أَوْ قُتِلَ» دلالة على أن الموت غير القتل لأن الشىء لا يعطف على نفسه فالقتل هو نقض بنيه الحياه و الموت فساد البنيه التى تحتاج إليها الحياه و قيل الموت معنى يصاد الحياه و الصحيح الأول «وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ» يعنى من يرتد عن دينه «فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا» لأنه لا يجوز عليه المضار بل مضرتة عائدته عليه لأنه مستحق للعقاب الدائم «وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» أى يثيب الله الشاكرين على شكرهم لنعم الله و اعترافهم بها و قيل المراد بالشاكرين المطيعين لأن الطاعات هى شكر الله على نعمه و هذا يتصل بما قبله اتصال الوعد بالوعيد لأن قوله «فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا» دليل على معنى الوعيد فكأنه قال من يرتد عاد ضرره عليه و من شكر و آمن فنفعه يعود إليه.

فصل فى ذكر ما جاء فى اسم محمد صلى الله عليه و آله

كانت كفار قريش يشتمون مذمما يعنون اسم النبى ص

فروى أبو هريره عن النبى ص قال أ لم تروا كيف صرف الله عنى لعن قريش و شتمهم يشتمون مذمما و أنا محمد

و فى مسند على بن موسى الرضا عن آباءه عن النبى ص أنه قال إذا سميتم الولد محمدا فأكرموه و أوسعوا له فى المجلس و لا تقبحوا له وجهها و ما من قوم كان لهم مشوره فحضر معهم من اسمه محمد أو أحمد فأدخلوه فى مشورتهم إلا خير لهم و ما من مائده وضعت فحضرها من اسمه محمد أو أحمد إلا قدس فى كل يوم ذلك المنزل مرتين

و عن أنس بن مالك قال كان النبى ص فى السوق فقال رجل يا أبا القاسم فالتفت إليه رسول الله فقال الرجل إنما أدعو ذاك فقال رسول الله تسموا باسمى و لا تكنوا بكينيتى

و عن أبى هريره قال قال رسول الله ص

لا تجمعوا بين اسمي و كنيتي أنا أبو القاسم الله يعطى و أنا أقسم

ثم رخص في ذلك لعلي (عليه السلام) و ابنه

و عن علي بن أبي طالب قال قال لي رسول الله ص أن ولد لك غلام نحلته اسمي و كنيتي.

سورة آل عمران (٣): آيه ١٤٥

إشارة

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَّ مَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَّ مَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَّ سَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ (١٤٥)

الإعراب

كتابا نصب على المصدر لفعل محذوف دل عليه أول الكلام مع العلم بأن كل ما يكون فقد كتبه الله فتقديره كتب الله ذلك كتابا و قال الأَخفش اللام في قوله «وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» منقوله عما دخل عليه في غيره و تقديره و ما كان لنفس لتموت أى لأن تموت.

المعنى

«وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» و معناه ما كان نفس لتموت إلا بإذن الله و مثله «مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَّلَدٍ» أى و ما كان الله ليتخذ ولدا و قوله «مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا» معناه ما كنتم لتنبتوا شجرها لأن إنبات الشجر لا يدخل تحت قدره البشر ففي الآيه إخبار بأن الموت لا يكون إلا بإذن الله و هذا تسليه عما لحق النفوس بموت النبي ص من جهة أنه بإذن الله و معناه أنه إن مات فإنما يموت بإذن الله و علمه كغيره من الناس فلا عذر لأحد في ترك دينه بعد موته و قيل أن فيه حضا على الجهاد من حيث لا يموت أحد إلا بإذن الله أى لا تتركوا الجهاد خشية القتل فإن ذلك لا يؤخر أجلا قد حضر و لا يقدم الجهاد أجلا- لم يحضر فلا- معنى للانهازم و قوله «بِإِذْنِ اللَّهِ» يحتمل أمرين (أحدهما) بعلم الله (و الثانى) بأمر الله و قال أبو على الجبائى فيه دلالة على أنه لا يقدر على الموت غير الله كما لا يقدر على ضده من الحياه غير الله و لو كان من مقدور غيره لم يكن بإذنه و قوله «كِتَابًا مُؤَجَّلًا» معناه كتب الله لكل حى أجلا و وقتا لحياته و وقتا لموته لا يتقدم و لا يتأخر و قيل حتما موقتا و حكما لازما مبرما «وَّ مَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا» قيل فى معناه أقوال (أحدها) أن المراد من عمل للدنيا لم نحرمه ما قسمنا له فيها من غير حظ فى الآخرة عن ابن إسحاق أى فلا يغتر بحاله فى الدنيا (و ثانيها) من أراد بجهاده ثواب الدنيا و هو النصيب من الغنيمه نُؤْتِهِ منها فيبين أن حصول الدنيا للإنسان ليس بموضع غبطه

لأنها مبدولة للبر و الفاجر عن أبي على الجبائي (و ثالثها) من تعرض لثواب الدنيا بعمل النوافل مع مواقعه الكبائر جوزى بها فى الدنيا دون الآخرة لإحباط عمله بفسقه و هذا على مذهب من يقول بالإحباط «و مَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا» أى و من یرد بالجهاد و أعماله ثواب الآخرة نُؤْتَهُ مِنْهَا فلا ینبغى لأحد أن یطلب بطاعاته غیر ثواب الله و مثله قوله تعالى «مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ» الآیه، و قریب منها

قول النبى ص من طلب الدنيا بعمل الآخرة فما له فى الآخرة من نصيب

و من فى قوله «مِنْهَا» یحتمل أن تكون زائده و یحتمل أن تكون للتبعیض لأنه إنما یرتفع الثواب على قدر العمل «و سَيَنْجِزِي الشَّاكِرِينَ» أى نعطيهم جزاء الشكر و فى تكراره قولان (أحدهما) أنه للتأكيد و للتنبیه على عظم منزله الشاكرين (و الثانى) أن معناه و سنجزى الشاكرين من الرزق فى الدنيا لثلاثتهم أن الشاكر یحرم ما یعطى الكافر من نعيم الدنيا عن ابن إسحاق

و روى أبان بن عثمان عن أبى جعفر (عليه السلام) أنه أصاب عليا (عليه السلام) يوم أحد ستون جراحه و أن النبى ص أمر أم سليم و أم عطية أن تداوياه فقالتا أنا لا نعالج منه مكانا إلا انفتق مكان آخر و قد خفنا عليه فدخل رسول الله ص و المسلمون یعودونه و هو قرحه واحده فجعل یمسحه بيده و یقول إن رجلا لقي هذا فى الله فقد أبلى و أعذر و كان القرع الذى یمسحه رسول الله ص یلتئم فقال على (عليه السلام) الحمد لله إذ لم أفر و لم أولى الدبر

فشكر الله له ذلك فى موضعين من القرآن و هو قوله «و سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» من الرزق فى الدنيا «و سَيَنْجِزِي الشَّاكِرِينَ» قال أبو على الجبائي و فى هذه الآیه دلالة على أن أجل الإنسان إنما هو أجل واحد و هو الوقت الذى یموت فيه لأنه لا ینقطع بالقتل عن الأجل الذى أخبر الله بأنه أجل لموته و قال ابن الإخشيد لا دليل فيه على ذلك لأن للإنسان أجلا یموت فيه لا محاله و أجلا هو موهبه من الله له و مع ذلك فلن یموت إلا عند الأجل الذى جعله الله أجلا لموته و الأقوى الأول.

النظم

اتصل قوله «و ما كان لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» بما قبله لأنه حث على الجهاد و قيل لأنه تسليه عما حق النفوس من الوجوم یموت النبى ص و قيل للبيان بأن حالهم لا یتخلف فى التكليف بأن یموت النبى ص فىنبغى أن یتمسك بأمره فى حياته و بعد وفاته.

ص: ٣٦٨

إشارة

وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَّنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٤٨)

القراءة

قرأ ابن كثير كائن على وزن كاعن و أبو جعفر يلين الهمزة و هو قراءة الحسن و الباقون «كأَيِّنْ» على وزن كعين و قرأ أهل البصره و ابن كثير و نافع قتل بضم القاف بغير ألف و هي قراءة ابن عباس و الباقون «قاتل» بالألف و هي قراءة ابن مسعود.

الحجج

أصل كائن أى دخلت عليه كاف التشبيه كما دخلت على ذا من كذا و على أن من كأن و كثر استعمال الكلمه فصارت ككلمه واحده فقلبت قلب الكلمه الواحده فصار كيان فحذفت الياء الثانيه كما حذفت فى كينونه فصار كيان مثل كيعن ثم أبدلت من الياء الألف كما أبدلت من طائى فصار كائن ثم لينت الهمزه على قراءة أبى جعفر قال الشاعر:

و كائن رددنا عنكم من مدجج

يجى ء أمام القوم يردى مقنعا

و قال آخر:

و كائن إليكم عاد من رأس فنيه

جنودا و أمثال الجبال كتائبه

و قد حذفت الياء من أى فى قول الفرزدق:

تنورت نسرا و المساكين أيهما

على من الغيث استهلته مواطره

و أما قتل فيجوز أن يكون مسندا إلى ضمير نبي و إذا أسند هذا إلى الضمير احتمل هذا «مَعَهُ رَبِّيُونَ» أمرين (أحدهما) أن يكون صفة لنبي فإذا قدرته هذا التقدير كان قوله

«رَبِّيُونَ» مرتفعا بالظرف بلا خلاف لأن الظرف إذا اعتمد على ما قبله جاز أن يرفع على مذهب سيبويه أيضا (و الآخر) ألا تجعله صفة و لكن حالا من الضمير في قتل و الأحسن أن يكون الاسم الذى أسند إليه قتل قوله «رَبِّيُونَ» فيكون على هذا التقدير قوله «مَعَهُ» متعلقا بقتل و على القيلتين الآخرين اللذين هما الصفة و الحال متعلقا فى الأصل بمحذوف و كذلك من قرأ «قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ» فهو يجوز فيه ما جاز فى قراءة من قرأ قتل و حجه من قرأ قتل قوله «أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ» و حجه من قرأ «قَاتَلَ» أن القاتل قد مدح كما يمدح المقتول قال تعالى «وَقَاتِلُوا وُقْتِلُوا» و من جعل قوله «مَعَهُ رَبِّيُونَ» صفة أضمر للمبتدأ الذى هو كآين خبرا و موضع الكاف الجاره هى فى كآين مع المجرور رفع كما أن موضع الكاف فى قوله كذا و كذا رفع و لا معنى للتشبيه فيها كما أنه لا معنى للتشبيه فى كذا و كذا.

اللغة

الوهن الضعف و قال «وَمَا ضَعُفُوا» من حيث إن انكسار الجسم بالخوف و غيره و الضعف نقصان القوة و الاستكانه أصلها من الكينه و هى الحال السيئه يقال فلان بات بكينه أى بنيه سوء و الإسراف مجاوزة المقدار و الإفراط بمعناه و ضدتهما التقتير و قيل الإسراف مجاوزة الحق إلى الباطل بزياده أو نقصان و الأول أظهر يقال أسرفت الشىء أى نسيت لأنه جاوزه إلى غيره بالسهو عنه.

المعنى

ثم أكد سبحانه ما تقدم بقوله «وَكَايُنْ مِنْ نَبِيِّ» أى و كم من رسول «قَاتَلَ» أى حارب أو قتل «مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ» ذكرنا تقديره فى الحجه و قيل فى ربيون أقوال (أحدها) أنهم علماء فقهاء صبر عن ابن عباس و الحسن (و ثانيها) أنهم جموع كثيرة عن مجاهد و قتاده (و ثالثها) أنهم منسوبون إلى الرب و معناه المتمسكون بعبادة الله عن الأئفش و قال غيره أنهم منسوبون إلى علم الرب (و رابعها)

أن الربيون عشره آلاف عن الزجاج و هو المروى عن أبى جعفر

(و خامسها) أن الربيون الأتباع و الربانيون الولاه عن ابن زيد و من أسند الضمير الذى فى قتل إلى نبي فالمعنى كم من قتل ذلك النبي و كان معه جماعه كثيره فقاتل أصحابه بعد «فَمَا وَهَنُوا» و ما فتروا و من أسند قتل إلى الربيين دون ضمير نبي فالمعنى ما وهن باقيتهم بعد ما قتل كثير منهم فى سبيل الله إلى هذا ذهب الحسن لأنه كان يقول لم يقتل نبي قط فى معركة و إلى الأول ذهب ابن إسحاق و قتاده و الربيع و السدى فعلى هذا يكون النبي المقتول و الذين معه لا يهنون،

بين الله سبحانه أنه لو قتل النبي كما أرجف بذلك يوم أحد لما أوجب ذلك أن يضعفوا و يهنوا كما لم يهن من

كان مع الأنبياء بقتلهم و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

وقيل معناه فما وهنوا بقتل نبيهم ولا ضعفوا عن عدوهم ولا استكانوا لما أصابهم فى الجهاد عن دينهم عن ابن عباس وقيل «فَمَا وَهَنُوا» أى فما جنبوا عن قتال عدوهم «وَ مَا ضَعُفُوا» أى ما فتروا «وَ مَا اسْتَكَانُوا» أى و ما خضعوا لعدوهم عن الزجاج «وَ اللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ» فى الجهاد قال ابن الأنبارى أى فقد كان واجبا عليكم أن تقاتلوا على أمر نبيكم لو قتل كما قاتل أمم الأنبياء بعد قتلهم و لم يرجعوا عن دينهم «وَ مَا كَانَ قَوْلُهُمْ» عند لقاء العدو «إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا» و المعنى ما كان قولهم إلا استغفارهم أى إلا- قولهم «رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا» و قوله «أَنْ قَالُوا» اسم كان و قولهم خبره و الضمير يعود إلى النبى و من معه على أحد القولين و إلى الربيبين فى قول الآخر و قوله «اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا» أى استرها علينا بترك عقابنا و مجازاتنا عليها «وَ إِسْرَافَنَا فى أَمْرِنَا» أى تجاوزنا الحد و تفريطنا و تقصيرنا، رغب الله تعالى أصحاب الرسول فى أن يقولوا هذا القول و لا يقولوا قولا يدل على الضعف فيطمع الأعداء فيهم «وَ تَبَّتْ أقدامنا» فى جهاد عدوك بتقوية القلوب و فعل الألفاظ التى معها تثبت الأقدام فلا تزول للانهازم و قيل معناه ثبتنا على الدين فتثبت به أقدامنا «وَ انصُرْنَا» على القوم و أعنا «عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ» بالقاء الرعب فى قلوبهم و إمدادنا بالملائكة ثم بين تعالى ما آتاهم عقيب دعائهم فقال «فَاتَاهُمُ اللَّهُ» يعنى الذين وصفهم أعطاهم الله «ثَوَابَ الدُّنْيَا» و هو نصرهم على عدوهم حتى ظفروا بهم و قهروهم و غلبوهم و نالوا منهم الغنيمه و حسن ثواب الآخرة و هو الجنة و المغفرة و يجوز أن يكون ما آتاهم فى الدنيا من الظفر و الفتح و النصر و أخذ الغنيمه ثوابا مستحقا لهم على طاعتهم لأن فى ذلك التعظيم لهم و الإجلال و لذلك تقول إن المدح على فعل الطاعة و التسميه بالأسماء الشريفة بعض الثواب و يجوز أن يكون أعطاهم الله ذلك تفضلا منه تعالى أو لما لهم فيه من اللطف فيكون تسميته بأنه ثواب مجازا و توسعا و الثواب هو النفع الخالص المستحق المقارن للتعظيم و التبجيل «وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» فى أقوالهم و أفعالهم و المحسن فاعل الحسن و قيل المحسن الذى يحسن إلى نفسه بطاعه ربه و قيل الذى يحسن إلى غيره.

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٤٩ الى ١٥٠

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَزِدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنَقَّلُوا خَاسِرِينَ (١٤٩) يٰلِئْلِئِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَ هُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (١٥٠)

اللغة

الطاعة موافقه الإراده المرغبه فى الفعل و بالترغيب ينفصل عن الإجابة و إن

كان موافقه الإراده حاصله و فى الناس من قال الطاعه هى موافقه الأمر و الأول أصح لأن من فعل ما يقتضى العقل وجوبه أو حسنه كان مطيعا لله و إن لم يكن هناك أمر.

الإعراب

يردوكم جزم لأنه جواب الشرط فتقلبوا عطف عليه و خاسرين نصب على الحال و بل حقيقته الإضراب عن الأول إلى الثانى.

النزول

قيل

نزلت فى المنافقين إذ قالوا للمؤمنين يوم أحد عند الهزيمة ارجعوا إلى إخوانكم و ارجعوا إلى دينهم عن على (عليه السلام) و قيل هم اليهود و النصارى عن الحسن و ابن جريج.

المعنى

ثم أمر سبحانه بترك الائتمار لمن ثبّطهم عن الجهاد من الكفار و قال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا الله و رسوله «إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا» أى إن أصغيتم إلى قول اليهود و المنافقين إن محمد ص قتل فارجعوا إلى عشائركم «يُرَدُّوْكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ» أى يرجعوكم كفارا كما كنتم «فَتَنَقَّلُوا» أى ترجعوا «خَاسِرِينَ» لأنفسكم فلا خسران أعظم من أن تبدلوا الكفر بالإيمان و النار بالجنة «بَلِ اللّٰهُ مَوْلَاكُمْ» أى لهو أولى بأن تطيعوه و هو أولى بنصرتكم «وَ هُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ» إنما قال ذلك و إن كان نصر غيره لا يعتد به مع نصره استظهارا فى الحججه أى إن اعتد بنصره غيره فهو خير ناصر لأنه لا يجوز أن يغلب و غيره يجوز أن يغلب و إن نصر فهو الناصر فى الحقيقه إن شاء أمدكم بأهل الأرض و إن شاء نصركم بإلقاء الرعب فى قلوب أعدائكم.

سوره آل عمران (٣): آيه ١٥١

اشاره

سَلِّقَىٰ فِى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللّٰهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطٰنًا وَ مَا وَاهُمُ النَّارُ وَ بُئْسَ مَثْوَىٰ الظَّالِمِينَ (١٥١)

القراءه

قرأ ابن عامر و أبو جعفر و الكسائى و يعقوب و أبو حاتم الرعب بضم العين و قد تقدم القول فى مثله.

اللغه

السلطان هنا معناه الحججه و البرهان و أصله القوه فسلطان الملك قوته

و السلطان البرهان لقوته على دفع الباطل و التسليط على الشىء التقويه على الشىء مع الإغراء به و السلاطه حده اللسان مع شده الصحب للقهه على ذلك مع إثثار فعله و السليط الزيت لقهه استعماله بحدته و الإلقاء أصله فى الأعيان يدل عليه قوله وَ أَلْقَى الْمَالِوَا حَ فَا لُقُوا حِبَالَهُمْ وَ استعمل فى غير عين اتساعا إذ ليس الرعب و كذلك قوله وَ أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَ مثل الإلقاء فى ذلك الرمى قال سبحانه الَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ أَى بِالزنا فهذا اتساع لأنه ليس بعين و كذلك قوله:

رمانى بأمر كنت منه و والدى

بريا و من حول الطوى رمانى

و المثوى المنزل و أصله من الثواء و هو طول الإقامة و أم المثوى ربه البيت و الثوى الضعيف لأنه مقيم مع القوم.

النزول

قال السدى لما ارتحل أبو سفيان و المشركون يوم أحد متوجهين إلى مكة قالوا بئس ما صنعنا قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركناهم ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك ألقى الله فى قلوبهم الرعب حتى رجعوا عما هموا به و ستأتى هذه القصة فيما بعد إن شاء الله فنزلت الآية.

المعنى

ثم بين سبحانه أن من جملة نصرته للمؤمنين إلقاءه الرعب فى قلوب المشركين فقال «سَيُنْزِلُ أَى سَنُقْذِفُ» «فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ» أَى الخوف و الفزع «بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ» أَى بشركهم بالله و قولهم عليه ما لا يجوز من الند و الشرك «مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا» أَى برهانا و حجه يعنى لم يجعل لهم فى ذلك حجه «وَ مَا أَوْاهُكُمْ» أَى مستقرهم «النَّارُ» يعذبون بها «وَ بئسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ» معناه و بئسَ مقام الظالمين النار و روى أن الكفار دخلوا مكة كالمنهزمين مخافة أن يكون لرسول الله و أصحابه الكره عليهم

و قال رسول الله ص نصرت بالرعب مسيرة شهر.

ص: ٣٧٣

اشاره

وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعِدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَتِنْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢)

اللغه

الحس القتل على وجه الاستئصال و أصله من الإحساس و منه هل تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ و سمي القتل حسا لأنه يبطل الحس و الفشل الجبن.

الإعراب

صدق يتعدى إلى مفعولين و جواب إذا في قوله «حَتَّى إِذَا فَتِنْتُمْ» قيل فيه وجهان (أحدهما) أنه محذوف و تقديره حتى إذا فشلت امتحنتم (و الثاني) أنه على زياده الواو و التقديم و التأخير و تقديره حتى إذا تنازعتم في الأمر فشلت عن الفراء و قال هذا كقوله فَلَمَّا أَسْلَمَا وَ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَ نَادَيْنَاهُ وَ مَعَنَاهُ نَادِيَاهُ وَ الْوَاوُ زِيَادَةٌ وَ حَتَّى إِذَا جَاؤَهَا وَ فَتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَ أَنْشَد:

حتى إذا قملت بطونكم

و رأيتم أبناءكم شبوا

و قلبتم ظهر المجن لنا

إن اللئيم العاجز الخب

و البصريون لا يجيزون هذا و يأولون جميع ما استشهد به على الحذف لأنه أبلغ في الكلام و أحسن.

النزول

ذكر ابن عباس و البراء بن عازب و الحسن و قتاده أن الوعد المذكور في الآية كان يوم أحد لأن المسلمين كانوا يقتلون المشركين حتى إذا أخل الرماه بمكانهم الذي أمرهم الرسول بالمقام عنده فأتاهم خالد من ورائهم و قتل عبد الله بن جبير و من معه و تراجع المشركون و قتل من المسلمين سبعون رجلا و نادى مناد قتل محمد ثم من الله على المسلمين فرجعوا و في ذلك نزلت الآية.

المعنى

ثم بين تعالى أنه صدقهم وعده فقال «وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ» معناه وفى الله لكم بما وعدكم من النصر على عدوكم فى قوله بلى إن تصبروا و اتقوا و يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم الآية و قيل كان الوعد

قول رسول الله للرماء لا تبرحوا هذا المكان فإننا لا نزال غالبين ما ثبتم مكانكم

«إِذْ تَحْسُونَهُمْ» أى تقتلونهم «بِإِذْنِهِ» أى بعلمه و قيل بلطفه لأن أصل الأذن هو الإطلاق فى الفعل و اللطف تيسير للفعل كما أن الأذن كذلك فحسن إجراء اسمه عليه «حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ» معناه جبنتم عن عدوكم و كففتم

ص: ٣٧٤

«وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ» أى اختلفتم «وَوَعَّيْتُمْ» أمر نبيكم فى حفظ المكان «مَنْ بَعِيدٍ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ» من النصره على الكفار و هزيمتهم و الظفر بهم و الغنيمه و أكثر المفسرين على أن المراد بالجميع يوم أحد و قال أبو على الجبائى معناه أن تحسونهم يوم بدر حتى إذا فشلتم يوم أحد و تنازعتم و عصيتهم يوم أحد من بعد ما أراكم ما تحبون يوم بدر و الأولى أن يكون حكايه عن يوم أحد على ما بيناه و جواب إذا هاهنا محذوف يدل الكلام عليه و تقديره حتى إذا فعلتم ذلك ابتلاكم و امتحنكم و رفع النصره عنكم «مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا» يعنى الغنيمه و هم الذين أدخلوا المكان الذى رتبهم النبى ص فيه و أمرهم بلزومه «وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ» أراد عبد الله بن جبير و من ثبت مكانه أى يقصد بجهاده إلى ما عند الله و روى عن ابن مسعود قال ما كنت أدرى أن أحدا من أصحاب رسول الله ص يريد الدنيا حتى نزلت فينا هذه الآية يوم أحد «ثُمَّ صَرَّفَكُمُ عَنْهُمْ» قد ذكرنا فى إضافه انصرافهم إلى الله سبحانه و وجوه (أحدها) أنهم كانوا فريقين منهم من عصى بانصرافه و منهم من لم يعص لأنهم قلوا بعد انهزام تلك الفرقة فانصرفوا بإذن الله لثلاثا يقتلوا لأن الله تعالى أوجب ثبات المائة للمائتين فإذا نقصوا لا يجب عليهم ذلك فجاز أن يذكر الفريقين بأنه صرفهم و عفا عنهم يعنى صرف بعضهم و عفا عن بعض عن أبى على الجبائى (و ثانيها) أن معناه رفع النصره عنكم و كلكم إلى أنفسكم بخلافكم للنبي ص فانهمتم عن جعفر بن حرب (و ثالثها) أن معناه لمن يأمركم بمعاودتهم من فورهم ليبتليكم بالمظاهره فى الإنعام عليكم و التخفيف عنكم عن البلخى و قوله «لِيَبْتَلِيَكُمْ» معناه ليختبركم أى يعاملكم معاملة المختبر مظاهره فى العدل و ذلك أنه تعالى إنما يجازى عباده على ما يفعلونه دون ما قد علمه منهم «وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ» أى صفح عنكم بعد أن خالفتم أمر الرسول و قيل عفا عنكم تتبعهم بعد أن أمركم بالتبع لهم عن البلخى قال لما بلغوا حمراء الأسد عفا عنهم فى ذلك.

و قال أبو على الجبائى هو خاص بمن لم يعص الله بانصرافه و الأولى أن يكون عاما فى الجميع فإنه لا يمتنع أن يكون الله تعالى قد عفا لهم عن المعصيه «وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» أى ذو من و نعمه عليهم بنعم الدنيا و الدين و قيل بغفران ذنوبهم و قيل بأن لا يستأصلهم كما فعل بمن كان قبلهم

و روى الواحدى بإسناده عن سهل بن سعد الساعدى قال خرج رسول الله يوم أحد و كسرت ربايعيته و هشمت البيضه على رأسه فكانت فاطمه بنته تغسل عنه الدم و على بن أبى طالب (عليه السلام) يسكب عليها بالمجن فلما رأت فاطمه أن الماء لا يزيد الدم إلا كثره أخذت قطعه حصير فأحرقته حتى إذا صار رمادا ألزمته الجرح فاستمسك الدم.

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٥٣ الى ١٥٤

إشارة

إِذْ تُضَيِّعُ جُدُونَ وَ لَا تُلَوُّونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ عَمَّا بَعِمَ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَ لَا مَا أَصَابَكُمْ وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣) ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنْكُمْ وَ طَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَ لِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَ لِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٥٤)

قرأ أهل الكوفه غير عاصم تغشى طائفه بالتاء و الباقون «يَغْشَى» بالياء وقرأ أهل البصره كله لله بالرفع و الباقون بالنصب.

الحجه

قال أبو علي حجه من قرأ «يَغْشَى» بالياء قوله إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً و النعاس هو الغاشى و لأن يغشى أقرب إلى النعاس فأسناد الفعل إليه أولى و يقال غشيتى النعاس و غلب على النعاس و لا يسهل غشيتى الأمنة و حجه من قرأ بالتاء أن النعاس و إن كان بدلا من الأمنة فليس المبدل منه فى طريق ما يسقط من الكلام يدللك على ذلك قولهم الذى مررت به زيد أبو عبد الله و قال:

و كأنه لهق السراه كأنه

ما حاجبيه مغير بسواد

فجعل الخبر على الذى أبدل منه و حجه من نصب كله أن كله بمنزله أجمعين فى

أنه الإحاطه و العموم فالوجه أن لا- يلى العوامل كما لا يليها أجمعون و حجه أبى عمرو فى رفعه كله و ابتداؤه به أنه و إن كان فى أكثر الأمر بمنزله أجمعين لعمومها فقد ابتدئ بها كما ابتدئ بسائر الأسماء نحو قوله وَ كُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا فابتدأ به فى الآيه.

اللغه

الفرق بين الإصعاد و الصعود أن الإصعاد فى مستوى من الأرض و الصعود فى ارتفاع يقال أصعدنا من مكه إذا ابتدأنا السفر منها و منه قول الشاعر:

هوإى مع الركب اليمانين مصعد

جنيب و جثمانى بمكه موثق

و روى عن الحسن أنه قرأ تصعدون بفتح التاء و العين و قال إنهم صعدوا فى الجبل فرارا و قال الفراء الإصعاد الابتداء فى كل سفر و الانحدار الرجوع عنه و لا- تلون أى لا- تعرجون على أحد كما يفعله المنهزم و لا يذكر هذه إلا فى النفى لا يقال لويت على كذا و أصله من لى العنق للالتفات و النعاس الوسن و ناقه نعوس توصف بالسماحه فى الدر.

الإعراب

قوله «إِذْ تُصَيِّعُ دُونَ» العامل فى إذ قوله وَ لَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ و اللام فى قوله «لِكَيْلَا تَحْزَنُوا» يتعلق به أيضا و قيل يتعلق بقوله «فَأَنَابَكُمْ» و لا- تحزنوا منصوب بكى و آمنه مفعول أنزل و نعاسا بدل منها و طائفه الأولى مفعول يغشى و طائفه الثانية مرفوعه بالابتداء و خبرها يظنون و «قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ» فى موضع رفع بالصفه و يجوز أن يكون قد أهتمهم أنفسهم خبرا و الواو فى طائفه واو الحال على تقدير يغشى النعاس طائفه فى حال ما أهمت طائفه منهم أنفسهم فالجمله فى موضع الحال و يجوز النصب على أن يجعل الواو واو العطف كما تقول ضربت زيدا و عمرا أكرمه فيكون منصوبا على إضمار فعل الذى قد ظهر تفسيره.

المعنى

ثم ذكر تعالى المنهزمين من أصحاب رسول الله يوم أحد فقال «إِذْ تُصَيِّعُ دُونَ» معناه و لقد عفا عنكم إذ تذهبون فى وادى أحد للانهازم فرارا من العدو عن قتاده و الربيع «وَلَا تَلُؤُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ» أى لا تقيمون على من خلفتم فى الحرب و لا تلتفتون إليهم و لا يقف أحد منكم على أحد «وَالرَّسُولُ» يعنى محمدا ص «يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ» أى يناديكم من ورائكم فيقول ارجعوا إلى عباد الله ارجعوا إلى أنا رسول الله يقال فلان جاء فى آخر الناس و آخره الناس و أخرى الناس إذا جاء خلفهم «فَأَنَابَكُمْ عَمَّا بَعَثَ» اختلف فيه على أقوال (أحدها) أن معناه جعل مكان ما ترجونه من الثواب أن غمكم بالهزيمة و ظفر المشركين بكم بغمكم رسول الله إذ عصيتموه و ضيعتم أمره فالغم

الأول لهم و الثاني للنبي ص و اختاره الزجاج (و ثانيها) أن معناه غما على غم أو غما مع غم أو غما بعد غم كما يقال نزلت بفلان و على فلان حتى فعل كذا و يقال ما نزلت بزيد حتى فعل أى مع زيد و أراد به كثره الغم بالندم على ما فعلوا و بما أصابهم من الشدائد و أنهم لا يدرون ما استحقوا به من عقاب الله (و ثالثها) أن الغم الأول القتل و الجراح و الثاني الإرجاف بقتل محمد ص عن قتاده و الربيع (و رابعها) أثابكم غما يوم أحد بغم ألحق المشركين يوم بدر عن الحسن و فى هذا القول نظر لأن ما لحق المشركين من الغم يوم بدر من جهه المسلمين إنما توجب المجازاه بالكرامه دون الغم (و خامسها) أن المراد غم المشركين بما ظهر من قوه المسلمين على طلبهم و خروجهم إلى حمراء الأسد فجعل هذا الغم عوضا عن غم المسلمين بما نيل منهم عن الحسين بن على المغربى و إنما قيل فى الغم ثواب لأن أصله ما يرجع إلى المجازاه على الفعل طاعه كان أو معصيه ثم كثر فى جزاء الطاعه فهو كما قال الشاعر:

و أرانى طربا فى إثرهم

طرب الواله أو كالمختبل

و قيل أنه مما وضع مكان غيره كقوله تعالى فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ* أى ضعه موضع البشاره فهو كما قال الشاعر:

أخاف زيادا إن يكون عطاؤه

أداهم سودا أو مدحرجه سمرا

«لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَ لَا مَا أَصَابَكُمْ» معناه فعل بكم هذا الغم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمه و لا تتركوا أمر النبى (صلى الله عليه و آله) و لئلا تحزنوا على ما أصابكم من الشدائد فى سبيل الله و ليكن غمكم بأن خالفتم النبى فقط و تقديره ليشغلكم حزنكم على سوء ما صنعتم عن الحزن على غيره و قيل معناه و لقد عفا عنكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم فإن عفو الله تعالى يذهب كل حزن «وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» فيه ترغيب فى الطاعه و ترهيب عن المعصيه ثم ذكر ما أنعم به عليهم بعد ذلك حتى تراجعوا و أقبلوا يعتذرون إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) فأنزل النعاس عليهم فى تلك الحاله حتى كانوا يسقطون على الأرض و كان المنافقون لا يستقرون حتى طارت عقولهم فقال «ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنًا نُعَاسًا» لفظ الإنزال توسع و معناه ثم وهب الله لكم أيها المؤمنون بعد ما نالكم من يوم أحد من الغم أمنه يعنى أمنا نعاسا أى نوما و هو بدل الاشتمال عن أمنه لأن النوم يشتمل على الأمن لأن الخائف لا ينام ثم ذكر سبحانه إن تلك الأمنه لم تكن عامه بل

كانت لأهل الإخلاص وبقى لأهل النفاق الخوف و السهر فقال «يَغْشَى طَائِفَةٌ مِنْكُمْ» يعنى المؤمنين ألقى عليهم النوم و كان السبب فى ذلك توعد المشركين لهم بالرجوع إلى القتال فقعد المسلمون تحت الجحف متهيئين للحرب فأنزل الله الأمانة على المؤمنين فناموا دون المنافقين الذين أزعجهم الخوف بأن يرجع الكفار عليهم أو يغيروا على المدينة لسوء الظن فطير عنهم النوم عن ابن إسحاق و ابن زيد و قتاده و الربيع «وَ طَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ» أى و جماعه قد شغلتهم أنفسهم و قيل حملتهم على الهم و منه قول العرب همك ما أهمك و معناه كان همهم خلاص أنفسهم و العرب تطلق هذا اللفظ على كل خائف و جل شغله هم نفسه عن غيره «يَظُنُّونَ بِإِلَهِهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ» أى يتوهمون أن الله لا- ينصر محمدا و أصحابه كظنهم فى الجاهليه و قيل كظن أهل الجاهليه و هم الكفار و المكذبون بوعد الله و وعيده فكان ظن المنافقين كظنهم و قيل ظنهم ما ذكر بعده من قوله «يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ» فهذا تفسير لظنهم يعنى يقول بعضهم لبعض هل لنا من النصر و الفتح و الظفر نصيب قالوا ذلك على سبيل التعجب و الإنكار أى أنطمع أن يكون لنا الغلبه على هؤلاء أى ليس لنا من ذلك شىء و قيل إن معناه إنا أخرجنا كرها و لو كان الأمر إلينا ما خرجنا عن الحسن و كان هذا القائل عبد الله بن أبى و معتب بن قشير و أصحابهما عن الزبير بن العوام و ابن جريج «قُلْ» يا محمد «إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ» ينصر من يشاء و يخذل من يشاء لا خاذل لمن نصره و لا ناصر لمن خذله و ربما عجل النصر و ربما أخره لضرب من الحكمة و لا يكون لوعده خلف و المراد بالأمر فى الموضوعين النصر «يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ» أى يخفون فى أنفسهم الشك و النفاق و ما لا يستطيعون إظهاره لك «يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ» أى من الظفر كما وعدنا «شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا» أى ما قتل أصحابنا شكا منهم فيما وعده الله تعالى نبيه من الاستعلاء على أهل الشرك و تكذيبا به «قُلْ» يا محمد لهم فى جواب ذلك «لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ» و منازلكم «لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ» قيل فيه قولان (أحدهما) أن معناه لو لزمتم منازلكم أيها المنافقون و المرتابون و تخلفتم عن القتال لخرج إلى البراز المؤمنون الذين فرض عليهم القتال صابرين محتسبين فيقتلون و يقتلون و التقدير و لو تخلفتم عن القتال لما تخلف المؤمنون (و الثانى) إن معناه لو كنتم فى منازلكم لخرج الذين كتب عليهم القتل أى كتب آجالهم و موتهم و قتلهم فى اللوح المحفوظ فى ذلك الوقت إلى مصارعهم و ذلك إن ما علم الله كونه فإنه يكون كما علمه لا محاله و ليس فى ذلك أن المشركين غير قادرين على ترك القتال من حيث علم الله ذلك منهم و كتبه لأنه كما علم

أنهم لا يختارون ذلك علم أنهم قادرون و لو وجب ذلك لوجب أن يكون تعالى قادرا على ما علم أنه لا يفعله و القول بذلك كفر «وَ لِيُبَيِّنَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ» أى يختبر الله ما فى صدوركم بأعمالكم لأنه قد علمه غيبا فيعلمه شهاده لأن المجازاه إنما تقع على ما علم مشاهده لا على ما هو معلوم منهم غير معمول عن الزجاج و قيل معناه ليعاملكم معامله المبتلين مظاهره فى العدل عليكم و قيل أنه عطف على قوله ثُمَّ صَرَّفَكُمْ عَنْهُمْ لِيُبَيِّنَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَ لِيَمْحَصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ» أى يخلص و قيل هذا خطاب للمنافقين أى يأمركم بالخروج فلا تخرجون فيظهر للمسلمين معاداتكم لهم و تنكشف أسراركم فلا يعدكم المسلمون من جملتهم و قيل معناه ليبتلى أولياء الله ما فى صدوركم كما فى قوله «الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» و قيل أنه عطف على قوله «أَمَنَّهُ نِعَاسًا» أى ليظهر عند هذه الأحوال موافقه باطنكم ظاهرهم «وَ لِيَمْحَصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ» أى يطهرها من الشك بما يريكم من عجائب صنعه و يخلص نياتكم و هذا التمحيص خاص للمؤمنين دون المنافقين «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» معناه أن الله لا يبتليكم ليعلم ما فى صدوركم فإن الله عليم بذلك و إنما ابتلاكم ليظهر أسراركم فيقع الجزاء على ما ظهر.

سوره آل عمران (٣): آيه ١٥٥

إشارة

إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَ لَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٥٥)

المعنى

ثم ذكر الله الذين انهزموا يوم أحد أيضا فقال «إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ» أى إن الذين ولوا الدبر على المشركين بأحد منكم أيها المسلمون عن قتاده و الربيع و قيل هم الذين هربوا إلى المدينة فى وقت الهزيمة عن السدى «يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ» جمع المسلمين و سيدهم رسول الله و جمع المشركين و رئيسهم أبو سفيان «إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ» أى طلب زلتهم عن القتيبي و قيل أزل و استزل بمعنى «بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا» من معاصيهم السالفه فلحقهم شؤمها و قيل استزلهم بمحبتهم للغنيمه مع حرصهم على تبقية الحياه عن الجبائى قال و فى ذلك الزجر عما يؤدى إلى الفتور فيما يلزم من الأمور و قيل استزلهم بذكر خطايا سلفت لهم فكرهوا القتل قبل إخلاص التوبه منها و الخروج من المظلمه فيها عن الزجاج «وَ لَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ» أعاد تعالى ذكر العفو تأكيداً لطمع المذنبين فى العفو و منعاً لهم عن اليأس و تحسينا لظنون المؤمنين «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ»

قد مر معناه و ذكر أبو القاسم البلخي أنه لم يبق مع النبي (صلى الله عليه و آله) يوم أحد إلا- ثلاثة عشر نفسا خمسة من المهاجرين و ثمانية من الأنصار فأما المهاجرون فعلى (عليه السلام) و أبو بكر و طلحة و عبد الرحمن بن عوف و سعد بن أبي وقاص و قد اختلف في الجميع إلا في على (عليه السلام) و طلحة

و قد روى عن عمر بن الخطاب أنه قال و رأيتني أصدع في الجبل كأنى أروى و لم يرجع عثمان من الهزيمة إلا بعد ثلاث فقال له النبي (صلى الله عليه و آله) لقد ذهبت فيها عريضه.

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٥٦ الى ١٥٨

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَشِيرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٦) وَ لَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) وَ لَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (١٥٨)

القراءة

قرأ ابن كثير و أهل الكوفة غير عاصم بما يعملون بالياء و الباقون بالتاء و قرأ نافع و أهل الكوفة غير عاصم متم بالكسر و وافقهم حفص في سائر المواضع إلا هاهنا و قرأ الباقون «مُتُّمْ» بضم الميم و قرأ «مِمَّا يَجْمَعُونَ» بالياء حفص عن عاصم و الباقون تجمعون بالتاء.

الحج

قال أبو على حجه من قرأ بالتاء قوله «لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا» و حجه من قرأ بالياء أن قبلها أيضا غيبة و هو قوله «وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ» و ما بعده فحمل الكلام على الغيبة و الأشهر الأقيس في «مُتُّمْ ضم الميم و الكسر شاذ في القياس و نحوه مما شذ فضل يفضل في الصحيح و أنشدوا:

ذكرت ابن عباس بدار ابن عامر

و ما مر من عمرى ذكرت و ما فضل

و أما «تجمعون» بالتاء فالمعنى على تجمعون أيها المقتولون فى سبيل الله أو المائتون و معنى الياء أنه لمغفره من الله خير مما يجمعه غيركم.

اللغه

الضرب فى الأرض السير فيها و أصله الضرب باليد و قيل هو الإيغال فى السير و غزى جمع غاز نحو ضارب و ضرب و طالب و طلب.

الإعراب

قوله «و قالوا لإخوانهم إذا ضربوا فى الأرض» وضع إذا موضع إذ لأحد أمرين إما لأنه متصل بلا- تكونوا كهؤلاء إذا ضرب إخوانهم فى الأرض و إما لأن (الذى) إذا كان مبهما غير موقت يجرى مجرى ما فى الجزاء فيقع الماضى فيه موضع المستقبل نحو إن الذين كفروا و يضهدون عن سبيل الله معناه يكفرون و يصدون و يجوز لأكرم من الذى أكرمك إذا زرته لإيهام الذى و لا يجوز لأكرم من هذا الذى أكرمك إذا زرته لتوقيت الذى من أجل الإشارة إليه بهذا و قوله «ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم» اللام فيه يتعلق بلا تكونوا أى لا تكونوا كهؤلاء الكفار فى هذا القول «ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم» دونكم و قيل أنه يتعلق بقوله «و قالوا لإخوانهم» فيكون لام العاقبه عن أبى على الجبائى و قوله «لئن قتلتم» استغنى عن جواب الجزاء فيه بجواب القسم فى قوله «لمغفرة من الله و رحمته خير مما يجمعون» و قد اجتمع شيان كل واحد منهما يحتاج إلى جواب و كان جواب القسم أولى بالذكر لأن له صدر الكلام مما يذكر فى حشوه و اللام فى قوله «و لئن قتلتم» تحتل أمرين (أحدهما) أن يكون خلفا من القسم و يكون اللام فى قوله «لإلى الله» جوابا كقولك (و الله إن تم أو قتلتم لتحشرون إلى الله) (و الثانى) أن تكون مؤكدا لما بعدها كما تؤكد أن ما بعدها و تكون الثانى جوابا لقسم محذوف و النون لا بد منها فى الفعل المضارع مع لام القسم لأن القسم أحق بالتأكيد من كل ما يدخله النون من جهة أن ذكر القسم دليل على أنه من مواضع التأكيد فإذا جازت فى غيره من الأمر و النهى و الاستفهام و العرض و الجزاء مع ما لزم فى القسم لأنه أحق بها من غيره و الفرق بين لام القسم و لام الابتداء إن لام الابتداء يصرف الاسم إليه فلا يعمل فيه ما قبلها نحو قد علمت لزبد خير منك و قد علمت أن زيدا يقوم و ليس كذلك لام القسم لأنها لا تدخل على الاسم و لا يكسر لها إن نحو قد علمت أن زيدا يقوم و يلزمها النون فى المستقبل.

المعنى

ثم نهى الله سبحانه المؤمنين عن الاقتداء بالمنافقين فى أقوالهم و أفعالهم

فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا» يريد عبد الله بن أبي سلول و أصحابه من المنافقين عن السدى و مجاهد و قيل هو عام «وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ» من أهل النفاق «إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ» أى سافروا فيها لتجاره أو طلب معاش فماتوا عن السدى و ابن إسحاق و إنما خص الأرض بالذكر لأن أكثر أسفارهم كان فى البر و قيل اكتفى بذكر البر عن ذكر البحر كقوله تعالى «سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ» و قيل لأن الأرض تشتمل على البر و البحر «أَوْ كَانُوا غُرَى» أى غزاه محاربين للعدو فقتلوا «لَوْ كَانُوا» مقيمين «عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَ مَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ» معناه قالوا هذا القول ليشبوا المؤمنين عن الجهاد فلم يقبل المؤمنون ذلك و خرجوا و نالوا العز و الغنيمه فصار حسره فى قلوبهم و اللام على هذا فى ليجعل لام العاقبه و قيل معناه و لا تكونوا كهؤلاء الكفار فى هذه المقاله لكى يجعل الله تلك المقاله سببا لإلزام الحسره و الحزن فى قلوبهم لما يحصل لهم من الخيبه فيما أملوا من الموافقه و لما فاتهم من عز الظفر و الغنيمه «وَاللَّهُ يُحِبُّ وَيُمِيتُ» أى هو الذى يحيى و يميت فى السفر و الحضر عند حضور الأجل لا مقدم لما أخر و لا مؤخر لما قدم و لا راد لما قضى و لا محيص عما قدر و هذا يتضمن منع الناس عن التخلف فى الجهاد خشيه القتل فإن الإحياء و الإمامته بيد الله سبحانه فلا حياه لمن قدر الله موته و لا موت لمن قدر الله حياته «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» أى مبصر و قيل عليم و هذا يتضمن الترغيب فى الطاعه و الترهيب عن المعصيه ثم حث سبحانه على الجهاد و بين أن الشهاده خير من أموال الدنيا المستفاده بأن قال «وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ» أيها المؤمنون «فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أى فى الجهاد «أَوْ مُتُّمَّ» قاصدين مجاهده الكفار استوجبتم «لَمَغْفِرَةً مِّنَ اللَّهِ وَ رَحْمَةً» و المغفره الصفح عن الذنوب و الرحمه الثواب و الجنه و هاتان «خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ» من الأموال و المقاصد الدنيويه و هذا يتضمن تعزیه المؤمنين و تسليتهم عما أصابهم فى سبيل الله و فيه تقويه لقلوبهم و تهوين للموت و القتل عليهم ثم قال «وَلَئِنْ مُتُّمَّ أَوْ قُتِلْتُمْ لِيَأْتِيَنَّكُمْ اللَّهُ بِخَيْرٍ» أى سواء متم أو قتلتم فإن مرجعكم إلى الله فيجزى كلا منكم كما يستحقه المحسن على إحسانه و المسىء على إساءته فأثروا ما يقربكم منه و يوجب لكم رضاه من العمل بطاعته و الجهاد فى سبيله و لا تركنوا إلى الدنيا و فى هذا المعنى البيت الذى

ينسب إلى الإمام الحسين بن على:

فإن تكن الأبدان للموت أنشئت

فقتل امرئ بالسيف فى الله أفضل

(سؤال) إن قيل كيف عادل بين مغفره الله و رحمته و بين حطام الدنيا مع تفاوت ما

بينهما ولا يقول أحد الدرہ خير من البعہ (فجوابه) إن الناس يؤثرون الدنيا على الآخرة حتى أنهم يتركون الجهاد في سبيل الله محبه للاستكثار من الدنيا وإيثارا للمقام فيها فعلى هذا جاز ذلك.

سوره آل عمران (٣): آيه ١٥٩

اشاره

فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَ شَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩)

اللغه

(الفظ الغليظ) الجافى القاسى القلب يقال منه فظت تفظ فظاظه و أنت فظ على وزن فعل إلا أنه أدغم كصب و الفظاظه خشونه الكلام و الافتظاظ شرب ماء الكرش لجفائه على الطباع فإن أصل الفظاظه الجفوه و الفظ ماء الكرش و الفض بالضاد تفريق الشىء و الانفضاض التفرق و شاورت الرجل مشاوره و شوارا و الاسم المشوره و قيل المشوره و فلان حسن الشوره و الصوره أى الهياه و اللباس و أنه لصير شير و هو حسن الشاره و معنى قولهم شاورت فلانا أظهرت فى الرأى ما عندى و ما عنده و شرت الدابه أشورها إذا امتحتها فعرقت هيئتها فى سيرها و شرت العسل و أشرته إذا أخذته من مواضع النحل و عسل مشور و مشار قال الشاعر:

كان القرنفل و الزنجيل

باتا بفيها و أريا مشورا

و قال عدى بن زيد:

و غناء يأذن الشيخ له

و حديث مثل ما ذى مشار

و العزم عقد القلب على الشىء تريد أن تفعله و العزيمه كذلك قال ابن دريد يقال عزمت عليك يعنى أقسمت عليك و التوكل إظهار العجز و الاعتماد على الغير و التوكل على الله هو تفويض الأمر إليه و الثقه بحسن تدبيره و أصله الاتكال و هو الاكتفاء فى فعل ما يحتاج إليه ممن يستند إليه و منه الوكاله لأنه عقد على الكفايه بالنيابه و الوكيل هو المتكل عليه بتفويض الأمر إليه.

«فَبِمَا رَحْمَةٍ» ما زائده بإجماع المفسرين و مثله قوله عَمَّا قَلِيلٍ جاءت ما مؤكده للكلام و دخولها تحسن النظم كدخولها لاتزان الشعر فى نحو قول عنترة:

يا شاه ما قنص لمن حلت له

حرمت على و وليتها لم تحرم

و قال الفرزدق:

ناديت أنك إن نجوت فبعد ما

يأس و قد نظرت إليك شعوب

و ذلك ليتمكن المعنى فى النفس فجرى مجرى التكرير.

المعنى

ثم بين سبحانه أن مساهله النبى ص إياهم و مجاوزته عنهم من رحمته تعالى حيث جعله لين العطف حسن الخلق «فَبِمَا رَحْمَةٍ» أى فبرحمه «مَنْ اللَّهُ لِنْتُ لَهُمْ» معناه أن لينك لهم مما يوجب دخولهم فى الدين لأنك تأتيتهم مع سماحه أخلاقك و كرم سجيته بالحجج و البراهين «وَلَوْ كُنْتَ» يا محمد «فَطَّأ» أى جافيا سىء الخلق «غَلِيظَ الْقَلْبِ» أى قاسى الفؤاد غير ذى رحمه و لا رأفه «لَمَانْفُضُوا مِنْ حَوْلِكَ» أى لتفرق أصحابك عنك و نفروا منك و قيل إنما جمع بين الفظاظه و الغلظه و إن كانتا متقاربتين لأن الفظاظه فى الكلام فنفى الجفاء عن لسانه و القسوه عن قلبه «فَاعْفُ عَنْهُمْ» ما بينك و بينهم «وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ» ما بينهم و بينى و قيل معناه فاعف عنهم فرارهم من أحد و استغفر لهم من ذلك الذنب «وَأَسْأَوْرُهُمْ فِي الْأَمْرِ» أى استخرج آراءهم و اعلم ما عندهم و اختلفوا فى فائده مشاورته إياهم مع استغنائه بالوحى عن تعرف صواب الرأى من العباد على أقوال (أحدها) أن ذلك على وجه التطيب لنفوسهم و التآلف لهم و الرفع من أقدارهم ليعينهم ممن يوثق بأقوالهم و يرجع إلى آرائهم عن قتاده و الربيع و ابن إسحاق (و ثانيها) أن ذلك لتقتدى به أمته فى المشاوره و لم يروها نقيصه كما مدحوا بأن أمرهم شورى يبينهم عن سفيان بن عيينه (و ثالثها) أن ذلك ليمتحنهم بالمشاوره ليمتيز الناصح من الغاش (و خامسها) أن ذلك فى أمور الدنيا و مكائد الحرب و لقاء العدو و فى مثل ذلك يجوز أن يستعين بآرائهم عن أبى على الجبائى «فَإِذَا عَزَمْتَ» أى فإذا عقدت قلبك على الفعل و إمضائه

و روى عن جعفر بن محمد و عن جابر بن يزيد فإذا عزم بالضم

فعلى هذا يكون معناه فإذا عزم لك و وفقتك و أرشدتك «فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ» أى فاعتمد على الله و ثق به و فوض أمرك إليه

«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ» يعنى الواثقين به و المعتمدين عليه و المنقطعين إليه الواكلين أمرهم إلى لطفه و تدبيره و فى هذه الآيه دلالة على اختصاص نبينا بمكارم الأخلاق و محاسن الأفعال و من عجيب أمره ص أنه كان أجمع الناس لدواعى الترفع ثم كان أدناهم إلى التواضع و ذلك أنه كان أوسط الناس نسبا و أوفرهم حسبا و أسخاهم و أشجعهم و أزكاهم و أفصحهم و هذه كلها من دواعى الترفع ثم كان من تواضعه أنه كان يرقع الثوب و يخصف النعل و يركب الحمار و يعلف الناضح و يجيب دعوه المملوك و يجلس فى الأرض و يأكل على الأرض و كان يدعو إلى الله من غير زئو و لا كهر و لا زجر و لقد أحسن من مدحه فى قوله:

فما حملت من ناقه فوق ظهرها

أبر و أوفى ذمه من محمد

و فى الآيه أيضا ترغيب للمؤمنين فى العفو عن المسيء و حثهم على الاستغفار لمن يذنب منهم و على مشاورة بعضهم بعضا فيما يعرض لهم من الأمور و نهيبهم عن الفظاظه فى القول و الغلظه و الجفاء فى الفعل و دعائهم إلى التوكل عليه و تفويض الأمر إليه و فيها أيضا دلالة على ما نقوله فى اللطف لأنه سبحانه نبه على أنه لو لا رحمته لم يقع اللين و التواضع و لو لم يكن كذلك لما أجابوه فبين أن الأمور المنفره منفيه عنه و عن سائر الأنبياء و من يجرى مجراهم فى أنه حجه على الخلق و هذا يوجب تنزيههم أيضا عن الكبائر لأن التنفير فى ذلك أكثر.

سوره آل عمران (٣): آيه ١٦٠

اشاره

إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٦٠)

المعنى

لما أمر الله سبحانه نبيه بالتوكل بين معنى وجوب التوكل عليه فقال «إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ» على من ناواكم «فَلَا غَالِبَ لَكُمْ» أى فلا يقدر أحد على غلبتكم و إن كثر عدد من يناوئكم و قل عددكم «وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ» أى يمنعكم معونته و يخل بينكم و بين أعدائكم بمعصيتكم إياه «فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ» الهاء عائده إلى اسم الله على الظن و المعنى على حذف المضاف و تقديره من بعد خذلانه يعنى أنه لا ناصر لكم ينصركم بعد خذلان الله إياكم و من هاهنا معناه التقرير بالنفى فى صورته الاستفهام أى لا

ص: ٣٨٦

ينصركم أحد من بعده و إنما تضمن حرف الاستفهام معنى النفي لأن جوابه يجب أن يكون بالنفي فصار ذكره يغنى عن ذكر جوابه و كان أبلغ لتقرير المخاطب فيه «وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» ظاهر المراد و تضمنت الآية الترغيب فى طاعه الله التى يستحق بها النصره و التحذير من معصيه الله التى يستحق بها الخذلان مع إيجاب التوكل عليه الذى يؤمن معه أن يكلمهم إلى أنفسهم فيهلكوا قال أبو على الجبائى و فى الآية دليل على أن من غلبه أعداء الله من الباغين لم ينصره الله لأنه لو نصره لما غلبوه و ذلك بحسب ما فى المعلوم من مصالح العباد مع تعريض المؤمنين لمنازل الأبرار بالصبر على الجهاد مع خوف القتل من حيث لم يجعل على أمان من غلبه الفجار و هذا إنما هو فى النصره بالغلبه فأما النصره بالحجه فإن الله نصر المؤمنين من حيث هداهم إلى طريق الحق بما نصب لهم من الأدله الواضحه و البراهين القاطعه و لو لا ذلك لما حسن التكليف و قال أبو القاسم البلخى المؤمنون منصورون أبداً إن غلبوا فهم المنصورون بالغلبه و إن غلبوا فهم المنصورون بالحجه و لا يجوز أن ينصر الله الكافر على وجه و قال الجبائى النصره بالغلبه ثواب لأنه لا يجوز أن ينصر الله الظالمين من حيث لا يريد استعلاءهم بالظلم على غيرهم و قال ابن الإخشيد ليس بصواب كيف تصرف الحال لأن الله تعالى أمرنا أن نصر الفئه المبعي عليها و قد لا تكون مستحقه للثواب فأما الخذلان فلا خلاف أنه عقاب و الخذلان هو الامتناع من المعونه على عدو فى وقت الحاجه إليها لأنه لو امتنع إنسان من معونه من يستغنى عن معونته لم يكن خاذلاً له.

سوره آل عمران (٣): آيه ١٦١

اشاره

وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَ وَ مَنْ يُغْلَلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦١)

القراءه

قرأ ابن كثير و أبو عمرو و عاصم «أَنْ يُغْلَ» بفتح الياء و ضم الغين و قرأ الباقون بضم الياء و فتح الغين.

الحجه

من قرأ «يُغْلَ» فمعناه يخون. يقال غل فى الغنيمه يغل إذا خان فيها و أغل بمعناه و قال النمر بن تولى:

جزى الله عنا جمره بنت نوفل

جزاء مغل بالأمانه كاذب

بما سألت عنى الوشاه ليكذبوا

على و قد أوليتها فى النوائب

و من قرأ يغل فمعناه على وجهين (أحدهما) ما كان لنبي أن يخون أى ينسب إلى الخيانه أى يقال له غللت كقولك أسقيته أى قلت له سقاك الله قال ذو الرمه:

و أسقيه حتى كاد مما أبته

تكلمنى أحجاره و ملاعبه

و قال الكميت:

و طائفه قد أكفرتنى بحبكم

و طائفه قالت مسىء و مذنب

أى نسبتنى إلى الكفر (و الآخر) ما كان لنبي أن يخان بمعنى يسرق منه و يؤخذ من الغنيمه التى حازها و يكون تخصيص النبي بذلك تعظيما للذنب قال أبو على الفسوى الحجه لمن قرأ «أَنْ يُعَلَّ» إنما جاء فى التنزيل من هذا النحو أسند الفعل فيه إلى الفاعل نحو ما كان لنا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ و ما كانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ و ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ و ما كانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا و ما كانَ اللَّهُ لِيُطَلِّعَكُمُ عَلَى الْغَيْبِ و لا- يكاد يقال ما كان لزيد أن يضرب و ما كان لزيد ليضرب فيسند الفعل فيه إلى المفعول به فكذلك قوله و ما كان لنبي أن يغل يسند الفعل فيه إلى الفاعل و يروى عن ابن عباس أنه قرأ «يُعَلُّ» فقيل له أن عبد الله قرأ يغل فقال ابن عباس بلى و الله و يقتل و روى عن ابن عباس أيضا أنه قال و قد كان النبي يقتل فكيف لا يخون.

اللغه

أصل الغلول من الغلل و هو دخول الماء فى خلل الشجر يقال انغل الماء فى أصول الشجر و الغلول الخيانه لأنها تجرى فى الملك على خفاء من غير الوجه الذى يحل كالغلل و منه الغل الحقد لأنه يجرى فى النفس كالغلل و منه الغليل حراره العطش و الغله كأنها تجرى فى الملك من جهات مختلفه و الغلاله لأنها شعار تحت البدن.

النزول

روى عن ابن عباس و سعيد بن جبير أنها نزلت فى قطيفه حمراء فقدت يوم بدر من المغنم فقال بعضهم لعل النبي ص أخذها و فى روايه الضحاك عنه أن رجلا- غل بمخيطة أى يابره من غنائم هوازن يوم حنين فنزلت الآيه و عن مقاتل أنها نزلت فى غنائم أحد حين ترك الرماه المركز طلبا للغنيمه و قالوا نخشى أن يقول رسول الله من أخذ شيئا فهو له و لا يقسم كما لم يقسم يوم بدر و وقعوا فى الغنائم فقال رسول الله أظننتم أنا نغل و لا- نقسم لكم فأنزل الله الآيه و قيل أنه قسم المغنم و لم يقسم للطلائع فلما قدمت

الطلائع قالوا أقسم الفىء و لم يقسم لنا فعرفه الله الحكم فنزلت الآية و قيل نزلت فى أداء الوحي كان النبى ص يقرأ القرآن و فيه عيب دينهم و سب آلهتهم فسألوه أن يطوى ذلك فأنزل الله الآية.

المعنى

لما قدم تعالى أمر الجهاد و ذكر بعده ما يتعلق به من حديث الغنائم و النهى عن الخيانه فيها فقال «و ما كان لِنَبِيِّ أَنْ يَغُلَّ» و تقديره و ما كان لنبى الغلول لأن أن مع الفعل بمعنى المصدر أى لا تجتمع النبوه و الخيانه و قيل معناه ما كان له أن يكتم شيئاً من الوحي عن ابن إسحاق و تقديره ما كان له أن يغل أمته فيما يودى إليهم و قيل اللام منقوله و تقديره ما كان النبى ليغل كقوله ما كان لله أن يتخذ من و لمد معناه ما كان الله ليتخذ ولدا و على القراءه الأخرى ما كان لنبى أن يخون أى يخونه أصحابه أو بمعنى يكتمونونه شيئاً من المغنم على ما مضى القول فيه و خصه بالذكر و إن كان لا- يجوز أن يغل غيره من إمام أو أمير للمسلمين لوجهين (أحدهما) لعظم خيانتة و أنها أعظم من خيانه غيره و هذا كقوله «فَأَجْتَبِئُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ» و إن كان اجتناب جميع الأرجاس واجبا (و الآخر) أن النبى إنما خص بالذكر لأنه القائم بأمر الغنائم فإذا حرمت الخيانه عليه و هو صاحب الأمر فحرمتها على غيره أولى و أجدر و قوله «وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» معناه أنه يأتى حاملا على ظهره كما

روى فى حديث طويل ألا لا يغلن أحد بعيرا فيأتى به على ظهره يوم القيامة له رغاء ألا لا يغلن أحد فرسا فيأتى به على ظهره له حمحمه فيقول يا محمد يا محمد فأقول قد بلغت قد بلغت لا أملك لك من الله شيئاً

عن ابن عباس و أبى حميد و أحمد الساعدى و ابن عمر و قتاده و قال الجبائى و ذلك ليفضح به على رءوس الأشهاد و قال البلخى فيجوز أن يكون ما تضمنه الخبر على وجه المثل كان الله إذا فضحه يوم القيامة جرى ذلك مجرى أن يكون حاملا له و له صوت

و قد روى فى خبر آخر أن النبى ص كان يأمر مناديا فينادى فى الناس ردوا الخيط و المخيط فإن الغلول عار و شنار يوم القيامة فجاء رجل بكبه شعر فقال إنى أخذتها لأخيط بردعه بعيرى فقال النبى ص أما نصيبى منها فهو لك فقال الرجل أما إذا بلغ الأمر هذا المبلغ فلا حاجه لى فيها

و الأولى أن يكون معناه و من يغلل يواف بما غل يوم القيامة فيكون حمل غلوله على عنقه أماره يعرف بها و ذلك حكم الله تعالى فى كل من وافى يوم القيامة بمعصيته لم يتب منها أو أراد الله تعالى أن يعامله بالعدل أظهر عليه من معصيته علامه تليق بمعصيته ليعلمه أهل القيامة بها و يعلموا سب استحقاقه العقوبه كما قال تعالى «فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ» و هكذا حكمه تعالى فى كل من وافى القيامة بطاعه فإنه تعالى يظهر من طاعته علامه يعرف

بها «ثُمَّ تُوفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ» أى يعطى كل نفس جزاء ما عملت تماما وافيًا «وَهُمْ لَا يُظَلِّمُونَ» أى لا ينقص أحد مقدار ما يستحقه من الثواب ولا يزداد أحد عن مقدار ما استحقه من العذاب و فى هذه الآية دلالة على فساد قول المجبره إن الله لو عذب أوليائه لم يكن ذلك منه ظلما لأنه قد بين أنه لو لم يوفها ما كسبت لكان ظلما.

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٦٢ الى ١٦٣

أشاره

أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَ مَأْوَاهُ جَهَنَّمَ وَ بئْسَ الْمَصِيرُ (١٦٢) هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٦٣)

اللغه

باء أى رجع يقال باء بذنبه بيوء بوء إذا رجع به و بوائه منزلا- أى هيأته له لأنه يرجع إليه و السخط من الله هو إرادته العقاب لمستحقه و لعنه و هو مخالف للغيب لأن الغيب هو هيجان الطبع و انزعاج النفس فلا يجوز إطلاقه على الله تعالى و المصير المرجع و يفرق بينهما بأن المرجع هو انقلاب الشىء إلى حال قد كان عليها و المصير انقلاب الشىء إلى خلاف الحال التى هو عليها نحو مصير الطين خزفا و لا يقال رجع الطين خزفا لأنه لم يكن قبل خزفا و الدرجه الرتبه و الدرجان مشى الصبى لتقارب الرتب و الترقى فى العلم درجه بعد درجه أى منزله بعد منزله كالدرجه المعروفه.

النزول

لما أمر رسول الله ص بالخروج إلى أحد قعد عنه جماعه من المنافقين و اتبعه المؤمنون فأنزل الله تعالى هذه الآية.

المعنى

لما بين تعالى أن كل نفس توفى جزاء ما كسبت من خير و شر عقبه بيان من كسب الخير و الشر فقال «أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ» و فيه أقوال (أحدها) أن معناه أ فمن اتبع رضوان الله فى ترك الغلول كمن باء بسخط من الله فى فعل الغلول عن الحسن و الضحاك و اختاره الطبرى لأنه أشبه بما تقدم (و ثالثها) أ فمن اتبع رضوان الله بالجهاد فى سبيله «كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ» فى الفرار منه رغبه عنه عن الزجاج و الجبائى و هذا الوجه يطابق ما سبق ذكره من سبب النزول «وَ مَأْوَاهُ جَهَنَّمَ» أى مصيره و مرجعه جهنم «وَ بئْسَ الْمَصِيرُ» أى المكان الذى صار إليه و المستقر و الآية استفهام و المراد به التقرير و الفرق بين الفريقين أى ليس من اتبع رضوان الله أى رضاه كمن باء بسخطه «هُم»

دَرَجَاتُ» أى هم ذوو درجات «عِنْدَ اللَّهِ» فالمؤمنون ذوو درجة رفيعة و الكافرون ذوو درجة خسيسه و قيل فى معناه قولان (أحدهما) أن المراد اختلاف مرتبى أهل الثواب و العقاب بما لهؤلاء من النعيم و الكرامه و لأولئك من العقاب و المهانه و عبر عن ذلك بدرجات مجازا و توسعا (و الثانى) أن المراد اختلاف مراتب كل من الفريقين فإن الجنة طبقات بعضها أعلى من بعض كما

جاء فى الخبر أن أهل الجنة ليرون أهل عليين كما يرى النجم فى أفق السماء

و النار دركات بعضها أسفل من بعض و مثله فى حذف المضاف قول ابن هرمة أنشده سيبويه:

أنصب للمنيه تعتر بهم

رجالى أم هم درج السيول

أى هم ذوو درج «وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ» أى عليم و فى هذا ترغيب للناس فى اتباع مرضاه الله تعالى و تحذيرهم عما يوجب سخطه و إعلام بأن أسرار العباد عنده علانيه و فيه توثيق بأنه لا يضيع عمل عامل لديه إذ لا يخفى شىء من ذلك عليه فيثيب على الطاعة و يعاقب على المعصيه.

سوره آل عمران (٣): آيه ١٦٤

اشاره

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (١٦٤)

اللغه

أصل المن القطع يقال منه يمنه إذا قطعه و المن النعمه لأنه يقطع بها عن البليه يقال من فلان على بكذا أى استنفذنى به مما أنا فيه و المن تكدير النعمه لأنه قطع لها عن وجوب الشكر عليها و المنه القوه لأنه يقطع بها الأعمال.

المعنى

ثم ذكر سبحانه عظيم نعمته على الخلق ببعثه نبينا فقال «لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ» أى أنعم الله «عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا» منهم خص المؤمنين بالذكر و إن كان ص مبعوثا إلى جميع الخلق لأن النعمه عليهم أعظم لاهتدائهم به و انتفاعهم ببيانه

ص: ٣٩١

و نظير ذلك ما تقدم بيانه من قوله هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ و قوله «مِنْ أَنْفُسِهِمْ» فيه أقوال (أحدها) أن المراد به من رهطهم يعرفون منشأه و صدقه و أمانته و كونه أميا لم يكتب كتابا و لم يقرأه ليعلموا أن ما أتى به وحي منزل و يكون ذلك شرفا لهم و داعيا إياهم إلى الإيمان (و ثانيها) أن المراد به أنه يتكلم بلسانهم فيسهل عليهم تعلم الحكمة منه فيكون خاصا بالعرب (و ثالثها) أنه عام لجميع المؤمنين و المراد بأنفسهم أنه من جنسهم لم يعث ملكا و لا جنيا و موضع المنه فيه أنه بعث فيهم من عرفوا أمره و خبروا شأنه و قوله «يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ» يعنى القرآن «و يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ» مضى بيانه فى سورة البقره «وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» يعنى أنهم كانوا فى ضلال ظاهر بين أى كفارا و كفرهم هو ضلالهم فأنقذهم الله بالنبي ص.

سوره آل عمران (٣): آيه ١٦٥

إشارة

أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٦٥)

الإعراب

إنما دخلت الواو فى «أَوْ لَمَّا» لعطف جملة على جملة إلا أنه تقدمها ألف الاستفهام لأن له صدر الكلام و إنما وصلت هذه الواو الكلام الثانى بالأول ليدل على تعلقه به فى المعنى و ذلك أنها وصلت التفریع على الخطيئة بالتذكير بالنعمة لفرقه واحده.

المعنى

ثم عاد الكلام إلى ذكر الجهاد فقال «أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا» أى حين أصابكم القتل و الجرح و ذلك ما أصاب المسلمين يوم أحد فإنه قتل من المسلمين سبعون رجلا و كانوا هم أصابوا من المشركين يوم بدر مثليها فإنهم كانوا قتلوا من المشركين سبعين رجلا و أسروا سبعين عن قتاده و عكرمه و الربيع و السدى أى و قد أصبتم أيها المسلمون يوم بدر مثليها و قيل قتلهم منهم ببدر سبعين و بأحد سبعين عن الزجاج و هذا ضعيف لأنه خلاف ما ذكره أهل السير فإنه لا خلاف بينهم أنه قتل منهم بأحد نفر يسير فقوله خلاف الجمهور «قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا» أى من أى وجه أصابنا هذا و نحن مسلمون و فينا رسول الله ص و ينزل عليه الوحي و هم مشركون و قيل إنهم إنما استنكروا ذلك لأنه وعدهم بالنصر من الله إن أطاعوه عن الجبائى و قوله «قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ» أى قل يا محمد ما أصابكم من الهزيمة و القتل من عند أنفسكم أى بخلافكم أمر ربكم و ترككم طاعه الرسول ص و فيه أقوال (أحدها) أن ذلك بمخالفتهم الرسول فى الخروج من

المدينه للقتال يوم أحد و كان النبي ص دعاهم إلى أن يتحصنوا بها و يدعوا المشركين إلى أن يقصدوهم فيها فقالوا كنا نمتنع من ذلك في الجاهليه و نحن الآن في الإسلام و أنت يا رسول الله نبينا أحق بالامتناع و أعز عن قتاده و الربيع (و ثانيها)

أن ذلك باختيارهم الفداء من الأسرى يوم بدر و كان الحكم فيهم القتل و شرط عليهم أنكم إن قبلتم الفداء قتل منكم في القابل بعدتهم فقالوا رضينا فإننا نأخذ الفداء و ننتفع به و إذا قتل منا فيما بعد كنا شهداء عن على (عليه السلام) و عبيده السلماني و هو المروى عن الباقر (عليه السلام)

(و ثالثها) أن ذلك بخلاف الرماه يوم أحد لما أمرهم رسول الله ص به من ملازمه مراكزهم «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» أى فهو قادر على نصركم فيما بعد و إن لم ينصركم فى الحال لمخالفتكم.

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٦٦ الى ١٦٧

إشارة

وَ مَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّتَى الْجَمْعَانِ فَيَاذَنِ اللَّهُ وَ لِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (١٦٦) وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ اذْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا- لَاتَّبِعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧)

الإعراب

الفاء إنما دخلت فى قوله «فَيَاذَنِ اللَّهُ» لأن خبر ما الذى بمعنى الذى يشبه جواب الجزاء لأنه معلق بالفعل فى الصلته كتعليقه بالفعل فى الشرط كقولك الذى قام فمن أجل أنه كريم أى لأجل قيامه صح أنه كريم و من أجل كرمه قام.

المعنى

«وَ مَا أَصَابَكُمْ» أيها المؤمنون «يَوْمَ التَّتَى الْجَمْعَانِ» جمع المسلمين و جمع المشركين يعنى يوم أحد من النكبه بقتل من قتل منكم «فَيَاذَنِ اللَّهُ» أى بعلم الله و منه قوله وَ أَدَانُ مِنْ اللَّهِ أى إعلام و قيل بتخليه الله بينكم و بينهم التى تقوم مقام الإطلاق فى الفعل برفع الموانع و التمكين من الفعل الذى يصح معه التكليف و قيل بعقوبه الله فإن الله تعالى جعل لكل ذنب عقوبه و كان ذلك عقوبه لهم من الله على ترك أمر رسول الله و لا- يجوز أن يكون المراد بالإذن هاهنا الإباحه و الإطلاق كما يقتضيه اللفظ لأن الله

لا- يبيح المعاصى ولا- يطلقها و قتل الكافر المسلم من أعظم المعاصى فكيف يأذن فيه «وَلْيُعَلِّمِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالَّذِينَ نَفَقُوا» معناه و ليميز المؤمنين من المنافقين لأن الله عالم بالأشياء قبل كونها فلا يجوز أن يعلم عند ذلك ما لم يكن عالما به إلا أن الله أجرى على المعلوم لفظ العلم مجازا أى ليظهر المعلوم من المؤمن و المنافق «قِيلَ لَهُمْ» أى للمنافقين «تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قالوا إن عبد الله بن أبى و المنافقين معه من أصحابه انخذلوا يوم أحد نحو من ثلثائه رجل و قالوا علام نقتل أنفسنا و قال لهم عبد الله بن عمرو بن حزام الأنصارى «تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» و اتقوا الله و لا تخذلوا نبيكم «أَوْ اذْفَعُوا» عن حريمكم و أنفسكم إن لم تقاتلوا فى سبيل الله و قيل معناه أقيموا معنا و كثروا سوادنا و هذا يدل على أن تكثير سواد المجاهدين معدود فى الجهاد و بمنزله القتال «قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبِعْنَاكُمْ» يعنى قال المنافقون لو علمنا قتالا لقاتلناهم قالوا ذلك إبلاء لعذرهم فى ترك القتال و الرجوع إلى المدينة فقال لهم أبعدهم الله، الله يغنى عنكم و قيل إنما القائل لذلك رسول الله يدعوهم إلى القتال عن الأ-صم «هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ» يعنى بإظهار هذا القول صاروا أقرب إلى الكفر إذ كانوا قبل ذلك فى ظاهر أحوالهم أقرب إلى الإيمان حتى هتكوا الستر فعلم المؤمنون منهم ما لم يعلموه و اللام بمعنى إلى يعنى هم إلى الكفر أقرب منهم إلى الإيمان كقوله تعالى «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا» أى إلى هذا «يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ» ذكر الأفواه تأكيدا لأن القول قد يضاف إليها و قيل إنما ذكر الأفواه فرقا بين قول اللسان و قول الكتاب و المراد به قولهم لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبِعْنَاكُمْ و إضمارهم أنه لو كان قتال لم يقاتلوا معهم و لم ينصروا النبى (صلى الله عليه و آله) و قيل معناه يقولون بأفواههم من التقرب إلى الرسول و الإيمان ما ليس فى قلوبهم فإن فى قلوبهم الكفر «وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ» أى بما يضمرونه من النفاق و الشرك.

سوره آل عمران (٣): آيه ١٦٨

اشاره

الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٦٨)

اللغه

الدرء الدفع يقال درأ عنه أى دفع عنه قال الشاعر:

ص: ٣٩٤

تقول إذا درأت لها وضيئي

أ هذا دينه أبدا و ديني

. الإعراب

موضع الذين يحتمل أن يكون نصبا على البدل من الضمير في يكتمون و يحتمل أن يكون رفعا على خبر الابتداء على تقديرهم الذين قالوا.

المعنى

«الَّذِينَ قَالُوا» يعنى المنافقين «لِإِخْوَانِهِمْ» فى النسب لا فى الدين يعنى عبد الله بن أبى و أصحابه قالوا فى قتلى أحد «وَقَعَدُوا» هم يعنى هؤلاء القائلون عن جابر و قتاده و السدى و الربيع «لَوْ أَطَاعُونَا» فى القعود فى البيت و ترك الخروج إلى القتال «مَا قُتِلُوا قُلٌّ» لهم يا محمد (صلى الله عليه و آله) «فَادْرُوا» أى فادفعوا «عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فى هذه المقالة و لا يمكنهم دفع الموت لأنه يجوز أن يدخل عليهم العدو فيقتلهم فى قعر بيوتهم و إنما ألزمهم الله دفع الموت عن أنفسهم بمقاتلتهم أنهم لو لم يخرجوا لم يقتلوا لأن من علم الغيب فى السلامه من القتل يجب أن يمكنه أن يدفع عن نفسه الموت فينبغى أن يدفعه هذا القائل فإنه أجدى عليه و فى هذا ترغيب فى الجهاد و بيان أن كل أحد يموت بأجله. فلا ينبغى أن يجعل ذلك عذرا فى القعود عن الجهاد لأن المجاهد ربما يسلم و القاعد ربما يموت فيجب أن يكون على الله التكلان.

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٦٩ الى ١٧١

اشاره

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَ فَضْلِهِ وَ أَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١)

القرءاء

قرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد و الباقون بالتخفيف و قرأ الكسائى وحده إن الله

ص: ٣٩٥

الحج

من قرأ «قُتِلُوا» بالتخفيف فالوجه فيه إن التخفيف يصلح للقليل و الكثير و وجه الفتح في أن أن المعنى و يستبشرون بأن الله لا يضع أجرهم و يتوفر ذلك عليهم و يوصله إليهم من غير نقص و بخس و وجه الكسر على الاستئناف.

اللغة

أصل البشارة من البشره لظهور السرور فيها و منه البشر لظهور بشرته و المستبشر من طلب السرور في البشارة فوجده و لحقت الشىء و ألحقته غيرى و قيل لحقت و ألحقت لغتان بمعنى واحد و جاء في الدعاء أن عذابك بالكفار ملحق بكسر الحاء أى لاحق و النعمة هى المنفعة التى يستحق بها الشكر إذا كانت خاليه من وجوه القبح لأن المنفعة على ضربين - (أحدهما) - منفعة اغترار و حيله - (و الآخر) - منفعة خالصه من شائبه الإساءه و النعمة تعظم بفعل غير المنعم كنعمة النبى (صلى الله عليه و آله) على من دعاه إلى الإسلام فاستجاب له لأن دعاءه أنفع من وجهين - (أحدهما) - حسن النيه فى دعائه إلى الحق ليستجيب له (و الآخر) بقصده الدعاء إلى حق يعلم أن يستجيب له المدعو و إنما يستدل بفعل غير المنعم على موضع النعمة فى الجلاله و عظم المنزله.

الإعراب

أحياء رفع بأنه خبر مبتدأ محذوف أى بل هم أحياء و لا يجوز نصب فيه بحال لأنه يصير التقدير فيه بل احسبهم أحياء و المراد بل أعلمهم أحياء و يرزقون فى موضع رفع صفة لأحياء و فرحين نصب على الحال من يرزقون و هو أولى من رفعه عطفاً على بل أحياء لأن نصب ينبنى عن اجتماع الرزق و الفرح فى حال واحده و لو رفع على الاستئناف لكان جائزاً و قال الخليل موضع «أَلَّا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ» جر بالباء على تقدير بأن لا خوف عليهم و قال غيره موضعه نصب على أنه بدل من قوله «بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا» و هو بدل الاشتمال مثل قوله يَسْتَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ.

النزول

قيل نزلت فى شهداء بدر و كانوا أربعة عشر رجلاً ثمانية من الأنصار و ستة من المهاجرين و قيل نزلت فى شهداء أحد و كانوا سبعين رجلاً أربعة من المهاجرين حمزه بن عبد المطلب و مصعب بن عمير و عثمان بن شماس و عبد الله بن جحش و سائرهم

و قال الباقر (عليه السلام) و كثير من المفسرين أنها تناول قتلى بدر و أحد معا

و قيل نزلت في شهداء بئر معونه و كان سبب ذلك

ما رواه محمد بن إسحاق بن يسار بإسناده عن أنس بن مالك و غيره قالوا قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة و كان سيد بنى عامر بن صعصعه على رسول الله المدينة و أهدى له هديه فأبى رسول الله (صلى الله عليه و آله) أن يقبلها و قال يا أبا براء لا أقبل هديه مشرك فأسلم إن أردت أن أقبل هديتك و قرأ عليه القرآن فلم يسلم و لم يعد و قال يا محمد إن أمرك هذا الذى تدعو إليه حسن جميل فلو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد فدعوتهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله) إنى أخشى عليهم أهل نجد فقال أبو براء أنا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك فبعث رسول الله (صلى الله عليه و آله) المنذر بن عمرو و أخا بنى ساعدة فى سبعين رجلا من خيار المسلمين منهم الحارث بن الصمه و حرام بن ملحان و عروه بن أسماء بن صلت السلمى و نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعى و عامر بن فهيره مولى أبى بكر و ذلك فى صفر سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد فساروا حتى نزلوا بئر معونه فلما نزلوا قال بعضهم لبعض أياكم يبلغ رساله رسول الله أهل هذه الماء فقال حرام بن ملحان أنا فخرج بكتاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) إلى عامر بن الطفيل فلما أتاهم لم ينظر عامر فى كتاب رسول الله فقال حرام يا أهل بئر معونه أنى رسول رسول الله إليكم و أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمدا رسول الله فآمنوا بالله تعالى و رسوله فخرج إليه رجل من كسر البيت برمح فضرب به فى جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال الله أكبر فزت و رب الكعبه ثم استصرخ عامر بن الطفيل بنى عامر على المسلمين فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه و قالوا لن نخفر أبا براء قد عقد لهم عقدا و جوارا فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم عصيه و رعلا و ذكوانا فأجابوه إلى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم فى رحالهم فلما رأوهم أخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد فإنهم تركوه و به رمق فارتث بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق و كان فى سرح القوم عمرو بن أميه الضمري و رجل من الأنصار أحد بنى عمرو بن عوف فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطير يحوم حول العسكر فقالوا و الله إن لهذا الطير لسانا فأقبلا لينظرا إليه فإذا القوم فى دمائهم و إذا الخيل التى أصابتهم واقفه فقال الأنصارى

لعمر بن أميه ما ذا ترى قال أرى أن نلحق برسول الله فنخبره الخبر فقال الأنصاري لكنى ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل و أخذوا عمرو بن أميه أسيرا فلما أخبرهم أنه من ضمير أطلقه عامر بن الطفيل و جز ناصيته و أعتقه عن رقبه زعم أنها كانت على أبيه فقدم عمرو بن أميه على رسول الله و أخبره الخبر فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله) هذا عمل أبى براء و قد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك أبا براء فشق عليه إخفار عامر إياه و ما أصاب رسول الله بسببه فقال حسان بن ثابت يحرض أبا براء على عامر بن الطفيل:

بنى أم البنين أ لم يرعكم

و أنتم من ذوائب أهل نجد

تهكم عامر بأبى براء

ليخفره و ما خطأ كعمد

ألا أبلغ ربيعه ذا المساعى

فما أحدثت فى الحدثن بعدى

أبو ك أبو الحروب أبو براء

و خالك ماجد حكم بن سعد

و قال كعب بن مالك:

لقد طارت شعاعا كل وجه

خفاره ما أجار أبو براء

بنى أم البنين أ ما سمعتم

دعاء المستغيث مع النساء

و تنويه الصريخ بلى و لكن

عرفتم أنه صدق اللقاء

فلما بلغ ربيعه بن أبى براء قول حسان و قول كعب حمل على عامر بن الطفيل و طعنه فخر عن فرسه فقال هذا عمل أبى براء إن مت قدمى لعمى و لا يتبعن سواى و إن عشت فسأرى فيه رأىى قال فأنزل الله فى شهداء بئر معونه قرآنا بلغوا قومنا عنا بأنا قد لقينا

ربنا فرضى عنا و رضينا عنه ثم نسخت و رفعت بعد ما قرأناها و أنزل الله تعالى «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» الآية.

المعنى

لما حكى الله سبحانه قول المنافقين فى المقتولين الشهداء تبيطا للمؤمنين عن جهاد الأعداء ذكر بعده ما أعد الله للشهداء من الكرامه و خصهم به من النعيم فى دار المقامه فقال «وَلَا تَحْسَبَنَّ» و الخطاب للنبي أو يكون على معنى لا تحسبن أيها السامع أو أيها الإنسان «الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أى فى الجهاد و فى نصره دين الله

ص: ٣٩٨

«أَمْوَاتًا» أى موتى كما مات من لم يقتل فى سبيل الله فى الجهاد «بَلْ أَحْيَاءٌ» أى بل هم أحياء وقد مر تفسيره فى سورة البقره عند قوله «وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ» الآية وقوله «عِنْدَ رَبِّهِمْ» فيه وجهان (أحدهما) أنهم بحيث لا يملك لهم أحد نفعاً ولا ضراً إلا ربهم وليس المراد بذلك قرب المسافه لأن ذلك من صفه الأجسام وذلك مستحيل على الله تعالى (و الآخر) أنهم عند ربهم أحياء من حيث يعلمهم كذلك دون الناس عن أبى على الجبائى

و روى عن ابن عباس و ابن مسعود و جابر أن النبى (صلى الله عليه و آله) قال لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى حواصل طير خضر ترد أنهار الجنة و تأكل من ثمارها

و روى عنه أنه قال لجعفر بن أبى طالب و قد استشهد فى غزاه موته رأيتة و له جناحان يطير بهما مع الملائكه فى الجنة

و أنكر بعضهم حديث الأرواح و قال الروح عرض لا- يجوز أن يتنعم و هذا لا يصح لأن الروح جسم رقيق هوائى مأخوذ من الريح و يدل على ذلك أنه يخرج من البدن و يرد إليه و هى الحساسه الفعاله دون البدن و ليست من الحياه فى شىء لأن ضد الحياه الموت و ليس كذلك الروح و هذا قول على بن عيسى «يُزْرَقُونَ» من نعيم الجنة غدوا و عشيا و قيل يرزقون النعيم فى قبورهم «فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» أى يسرون بما أعطاهم الله من ضرور نعمه فى الجنة و قيل فى قبورهم و قيل معناه فرحين بما نالوا من الشهاده و جزائها «وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ» أى يسرون بإخوانهم الذين فارقوهم و هم أحياء فى الدنيا على مناهجهم من الإيمان و الجهاد لعلمهم بأنهم إن استشهدوا لحقوا بهم و صاروا من كرامه الله إلى مثل ما صاروا هم إليه يقولون إخواننا يقتلون كما قتلنا فيصيبون من النعيم مثل ما أصبنا عن ابن جريج و قتاده و قيل أنه يؤتى الشهيد بكتاب فيه ذكر من تقدم عليه من إخوانه فيسر بذلك و يستبشر كما يستبشر أهل الغائب بقدمه فى الدنيا عن السدى و قيل معناه لم يلحقوا بهم فى الفضل إلا- أن لهم فضلا عظيما بتصدقهم و إيمانهم عن الزجاج «أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا- هُمْ يَحْزَنُونَ» أى يستبشرون بأن لا خوف عليهم و ذلك لأنه بدل من قوله «بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ» لأن الذين يلحقون بهم مشتملون على عدم الحزن فالاستبشار هنا إنما يقع بعدم خوف هؤلاء اللاحقين و معناه لا خوف عليهم فيمن خلفوه من ذريتهم لأن الله تعالى يتولاهم و لا هم يحزنون على ما خلفوا من أموالهم لأن الله قد أجزل ما عوضهم و قيل معناه لا خوف عليهم فيما يقدمون عليه لأن الله محص ذنوبهم بالشهاده و لا

هم يحزنون على مفارقه الدنيا فرحا بالآخرة «يَسْتَبِشِرُونَ» يعنى هؤلاء الذين قتلوا فى سبيل الله الذين وصفهم الله بأنهم يرزقون فرحين بما أتاهم الله من فضله «بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ» الفضل و النعمه عبارتان يعبر بهما عن معنى واحد قيل فى تكراره قولان (أحدهما) إن المراد أنها ليست نعمه على قدر الكفايه من غير مضاعفه السرور و اللذه فالنعمه ما استحقوه بطاعتهم و الفضل ما زادهم من المضاعفه فى الأجر (و الآخر) إنه للتأكيد و تمكين المعنى فى النفس و المبالغه «وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ» أى يوفر جزاءهم و إنما ذكر ذلك و إن كان غيرهم يعلم ذلك لأنهم يعلمونه بعلم الموت ضروره و إنما يعلمونه فى دار التكليف استدلالا و ليس الاستدلال كالمشاهده و لا الخبر كالمعانيه فإن مع الضروره و العيان يتضاعف سرورهم و يشتد ارتباطهم و فيه دلالة على أن الثواب مستحق و إن الله لا- يبطئه البتة و إن الإثابه لا- تكون إلا من قبله تعالى و لذلك أضاف نفي الإضاعة إلى نفسه و ما روى فى الأخبار من ثواب الشهداء أكثر من أن يحصى أعلاها إسنادا

ما رواه على بن موسى الرضا (عليه السلام) عن الحسين بن على (عليه السلام) قال بينما أمير المؤمنين يخطب و يحضهم على الجهاد إذ قام إليه شاب فقال يا أمير المؤمنين أخبرنى عن فضل الغزاه فى سبيل الله فقال كنت رديف رسول الله (صلى الله عليه و آله) على ناقته العضباء و نحن منقلبون عن غزوه ذات السلاسل فسألته عما سألتنى عنه فقال الغزاه إذا هموا بالغزو كتب الله لهم براه من النار فإذا تجهزوا لغزورهم باهى الله بهم الملائكه فإذا ودعهم أهلوهم بكت عليهم الحيطان و البيوت و يخرجون من الذنوب كما تخرج الحيه من سلخها و يوكل الله بكل رجل أربعين ملكا يحفظونه من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله و لا يعمل حسنه إلا ضعف له و يكتب له كل يوم عباده ألف رجل يعبدون الله ألف سنه كل سنه ثلاثمائة و ستون يوما اليوم مثل عمر الدنيا و إذا صاروا بحضره عدوهم انقطع علم أهل الدنيا عن ثواب الله إياهم فإذا برزوا لعدوهم و أشرعت الأسنه و فوقت السهام و تقدم الرجل إلى الرجل حفتهم الملائكه بأجنحتها يدعون الله بالنصره و التثبيت فينادى مناد الجنه تحت ظلال السيوف فتكون الطعنه و الضربه على الشهيد أهون من شرب الماء البارد فى اليوم الصائف و إذا زال الشهيد من فرسه بطعنه أو ضربه لم يصل إلى الأرض حتى يبعث الله إليه زوجته من الحور العين فتبشره بما أعد الله له من الكرامه فإذا وصل إلى الأرض تقول له الأرض مرحبا بالروح الطيب الذى أخرج من البدن الطيب أبشر فإن لك ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر و يقول الله عز و جل أنا خليفته فى أهله من أرضاهم فقد أرضانى و من أسخطهم فقد أسخطنى و يجعل الله روحه فى حواصل طير

خضر تسرح فى الجنه حىث ىشاء تأكل من ثمارها و تأوى إلى قنادىل من ذهب معلقه بالعرش و يعطى الرجل منهم سبعىن غرفه من غرف الفردوس سلوك كل غرفه ما بىن صنعاء و الشام ىملاً نورها ما بىن الخافقىن فى كل غرفه سبعون بابا على كل باب سبعون مصراعاً من ذهب على كل باب سبعون غرفه مسبله فى كل غرفه سبعون خىمه فى كل خىمه سبعون سرىرا من ذهب قوائمها الدر و الزبرجد مرموله بقضبان الزمرد على كل سرىر أربعون فراشا غلظ كل فراش أربعون ذراعاً على كل فراش زوجه من الحور العىن عرباً أتراباً فقال أخبرنى یا أمىر المؤمنىن عن العروبه فقال هى الغنجه الرضىه الشهىه لها سبعون ألف وصىف و سبعون ألف وصىفه صفر الحلى بىض الوجوه علىهن تیجان اللؤلؤ على رقابهن المنادىل بأىدهم الأکوبه و الأبارىق فإذا كان یوم القىامه فو الذى نفسى بىده لو كان الأنبىاء على طرىقهن لترجلوا لهم لما یرون من بهائهن حتى یأتوا إلى موائد من الجواهر فىقعدون علیها و ىشفع الرجل منهم فى سبعىن ألفاً من أهل بىته و جىرانه حتى أن الجارىن ىتخاصمان آیهما أقرب جواراً فىقعدون معى و مع إبراهىم على مائده الخلد فىنظرون إلى الله عز و جل فى كل یوم بکره و عشیاء.

سوره آل عمران (۳): الآىات ۱۷۲ الى ۱۷۴

اشاره

الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ (۱۷۲) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (۱۷۳) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسِ لَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (۱۷۴)

اللغه

استجاب و أجاب بمعنى و قىل استجاب طلب الإجابه و أجاب فعل الإجابه و القرح الجرح و أصله الخلوص من الكدر و منه ماء قراح أى خالص و القراح من الأرض ما خلص طىنه من السىخ و غىره و القرىحه خالص الطىبعه و اقترحت علىه كذا أى اشتهىته علىه لخلوصى على ما تتوق نفسه إليه كأنه قال استخلصته و فرس قارح طلع نابه لخلوصه عن

نقص الصغار ببلوغ تلك الحال و القرع الجراح لخلوص ألمه إلى النفس و الإحسان هو النفع الحسن و الإفضال النفع الزائد على أقل المقدار حسبنا الله أى كافينا الله و أصله من الحساب لأن الكفاية بحسب الحاجه و بحساب الحاجه و منه الحسابان و هو الظن و الوكيل الحفيظ و قيل هو الولي و أصله القيام بالتدبير فمعنى الوكيل فى صفات الله هو المتولى للقيام بتدبير خلقه لأنه مالكمهم الرحيم بهم و هو فى صفه غيره و إنما يعتد بالتوكيل.

الإعراب

موضع الذين يحتمل ثلاثه أوجه من الإعراب الجر على أن يكون نعتا للمؤمنين و الأحسن و الأشبه بالآيه أن يكون فى موضع الرفع على الابتداء و خبره الجملة التى هى «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَ اتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ» و يجوز النصب على المدح و تقديره أعنى الذين استجابوا إذا ذكروا و كذلك القول فى موضع الذين فى الآيه الثانية لأنهما نعت لموصوف واحد و قوله «لَمْ يَمَسَّ مِنْهُمْ سُوءٌ» فى موضع نصب على الحال و تقديره فانقلبوا بنعمه من الله و فضل سالمين و العامل فيه فانقلبوا.

النزول

لما انصرف أبو سفيان و أصحابه من أحد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرفهم عن المسلمين و تلاوموا فقالوا لا محمدا قتلهم و لا الكواعب أردفتم قتلتموهم حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركتموهم فارجعوا فاستأصلوهم فبلغ ذلك الخبر رسول الله ص فأراد أن يهرب العدو و يريهم من نفسه و أصحابه قوه فندب أصحابه للخروج فى طلب أبى سفيان و قال أ لا عصابه تشدد لأمر الله تطلب عدوها فإنها أنكأ للعدو و أبعده للسمع فانتدب عصابه منهم مع ما بهم من القراح و الجراح الذى أصابهم يوم أحد و نادى منادى رسول الله أ لا لا يخرجن أحد إلا من حضر يومنا بالأمس و إنما خرج رسول الله ص ليرهب العدو و ليلغهم أنه خرج فى طلبهم فيظنوا به قوه و إن الذى أصابهم لم يوهنهم من عدوهم فينصرفوا فخرج فى سبعين رجلا حتى بلغ حمراء الأسد و هى من المدينة على ثمانيه أميال

و ذكر على بن إبراهيم بن هاشم فى تفسيره أن رسول الله ص قال هل من رجل يأتينا بخبر القوم فلم يجبه أحد فقال أمير المؤمنين أنا آتيك بخبرهم قال اذهب فإن كانوا ركبوا الخيل و جنبوا الإبل فإنهم يريدون المدينة و إن كانوا ركبوا الإبل و جنبوا الخيل فإنهم يريدون مكة فمضى أمير المؤمنين (عليه السلام) على ما به من الألم و الجراح حتى كان قريبا من القوم فرآهم قد ركبوا الإبل و جنبوا الخيل فرجع و أخبر رسول الله ص بذلك فقال أرادوا مكة فلما دخل رسول الله المدينة نزل جبرائيل فقال يا محمد ص إن الله عز و جل يأمرك أن تخرج و لا يخرج معك إلا من به جراحه فأقبلوا يكمدون جراحاتهم و يداوونها فأنزل الله تعالى على نبيه ص «وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْتُمُونَ كَمَا تَأْمُونُونَ» فخرجوا

على ما بهم من الألم و الجراح حتى بلغوا حمراء الأسد

و روى محمد بن إسحاق بن يسار عن عبد الله بن خارجه بن زيد بن ثابت عن أبي السائب أن رجلا من أصحاب النبي ص من بنى عبد الأشهل كان شهد أحدا قال شهدت أحدا أنا و أخ لى فرجعنا جريحين فلما أذن مؤذن رسول الله ص بالخروج فى طلب العدو قلنا لا- تفوتنا غزوه مع رسول الله فو الله ما لنا دابه نركبها و ما منا إلا جريح ثقيل فخرجنا مع رسول الله ص و كنت أيسر جرحا من أخى فكنت إذا غلب حملته عقبه و مشى عقبه حتى انتهينا مع رسول الله ص إلى حمراء الأسد فمر برسول الله معبد الخزاعى بحمراء الأسد و كانت خزاعه مسلمهم و كافرهم عيبه رسول الله بتهامه صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئا و معبد يومئذ مشرك فقال يا محمد ص و الله لقد عز علينا ما أصابك فى قومك و أصحابك و لوددنا أن الله كان أعفأك فيهم ثم خرج من عند رسول الله ص حتى لقي أبا سفيان و من معه بالروحاء و أجمعوا الرجعه إلى رسول الله ص و قالوا قد أصبنا حد أصحابه و قادتهم و أشرفهم ثم رجعنا قبل أن نستأصلهم فلما رأى أبو سفيان معبدا قال ما وراك يا معبد قال محمد ص قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا و قد اجتمع عليه من كان تخلف عنه فى يومكم و ندموا على صنيعهم و فيه من الحق عليكم ما لم أر مثله قط قال ويلك ما تقول قال فأنا و الله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصى الخيل قال فو الله لقد أجمعنا الكره عليهم لنستأصلهم قال فأنا و الله أنهاك عن ذلك فو الله لقد حملنى ما رأيت على أن قلت أبياتا من شعر قال و ما قلت قال قلت:

كادت تهد من الأصوات راحلتى

إذ سألت الأرض بالجرد الأبايل

تردى بأسد كرام لا تنابله

عند اللقاء و لا خرق معازيل

فظلت عدوا أظن الأرض مائله

لما سموا برئيس غير مخذول

و قلت ويل لابن حرب من لقاءكم

إذا تغطمت البطحاء بالخيلى

إنى نذير لأهل السبل ضاحيه

لكل ذى إربه منهم و معقول

من جيش أحمد لا و خش تنابله

و ليس يوصف ما أثبت بالقييل

قال فثنى ذلك أبا سفيان و من معه و مر به ركب من عبد قيس فقال أين تريدون فقالوا

ص: ٤٠٣

نريد المدينة قال فهل أنتم مبلغون عنى محمدا رساله أرسلكم بها إليه و أحمل لكم إبلكم هذه زيبا بعكاظ غدا إذا وافتمونا قالوا نعم قال فإذا جئتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا الكره عليه و على أصحابه لنستأصل بقيتهم و انصرف أبو سفيان إلى مكة و مر الركب برسول الله و هو بحمراء الأسد فأخبره بقول أبي سفيان فقال رسول الله و أصحابه حسبنا الله و نعم الوكيل ثم انصرف رسول الله إلى المدينة بعد الثالثه و قد ظفر فى وجهه ذلك بمعونه ابن المغيره بن العاص و أبى قره الجمحى و هذا قول أكثر المفسرين و قال مجاهد و عكرمه نزلت هذه الآيات فى غزوه بدر الصغرى و ذلك أن أبا سفيان قال يوم أحد حين أراد أن ينصرف يا محمد موعد بيننا و بينك موسم بدر الصغرى القابل إن شئت فقال رسول الله ذلك بيننا و بينك فلما كان العام المقبل خرج أبو سفيان فى أهل مكة حتى نزل مجنه من ناحية الظهران ثم ألقى الله عليه الرعب فبدا له فلقى نعيم بن مسعود الأشجعى و قد قدم معتمرا فقال له أبو سفيان إنى واعدت محمدا و أصحابه أن نلتقى بموسم بدر الصغرى و أن هذه عام جذب و لا يصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر و نشرب فيه اللبن و قد بدا لى أن لا أخرج إليها و أكره أن يخرج محمد و لا أخرج أنا فيزيدهم ذلك جرأه فالحق بالمدينة فثبطهم و لك عندى عشره من الإبل أضعها على يد سهيل بن عمرو فأتى نعيم المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد أبى سفيان فقال لهم بئس رأى رأيكم أتوكم فى دياركم و قراركم فلم يفلت منكم إلا شريد فتريدون أن تخرجوا و قد جمعوا لكم عند الموسم فو الله لا يفلت منكم أحد فقال رسول الله ص و الذى نفسى بيده لأخرجن و لو وحدى فأما الجبان فإنه رجع و أما الشجاع فإنه تاهب للقتال و قال حسبنا الله و نعم الوكيل فخرج رسول الله فى أصحابه حتى وافوا بدر الصغرى و هو ماء لبنى كنانه و كانت موضع سوق لهم فى الجاهليه يجتمعون إليها فى كل عام ثمانية أيام فأقام ببدر ينتظر أبا سفيان و قد انصرف أبو سفيان من مجنه إلى مكة فسامهم أهل مكة جيش السوق و يقولون إنما خرجتم تشربون السوق و لم يلق رسول الله و أصحابه أحدا من المشركين ببدر و وافق السوق و كانت لهم تجارات فباعوا و أصابوا للدرهم درهمين و انصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين و قد روى ذلك أبو الجارود عن الباقر (عليه السلام).

المعنى

«الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ» أى أطاعوا الله فى أوامره و أطاعوا رسوله «مَنْ بَعِدَ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ» أى نالهم الجراح يوم أحد «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ» بطاعه رسول الله و إجابته إلى الغزو «وَ اتَّقُوا» معاصى الله لهم «أَجْرٌ عَظِيمٌ» أى ثواب جليل «الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ» فى المعنى بالناس الأول ثلاثة أقوال (أحدها) أنهم الركب الذين

دسهم أبو سفيان إلى المسلمين ليجنبوهم عند منصرفهم من أحد لما أرادوا الرجوع إليهم عن ابن عباس و ابن إسحاق و قد مضت قصتهم (و الثاني)

أنه نعيم بن مسعود الأشجعي و هو قول أبي جعفر و أبي عبد الله

(و الثالث) أنهم المنافقون عن السدي «إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ» المعنى به أبو سفيان و أصحابه عند أكثر المفسرين أى جمعوا جموعا كثيرة لكم و قيل جمعوا الآلات و الرجال و إنما عبر بلفظ الواحد عن الجميع فى قوله «قَالَ لَهُمُ النَّاسُ» لأمرين (أحدهما) أنه قد جاءهم من جهة الناس فأقيم كلامه مقام كلامهم و سمي باسمهم (و الآخر) أنه لتفخيم الشأن «فَأَخَشَوْهُمْ» أى خافوهم ثم بين تعالى أن ذلك القول زادهم إيمانا و ثباتا على دينهم و إقامه على نصره نبيهم بأن قال «فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» أى كافينا الله و ولينا و حفيظنا و المتولى لأمرنا و «نِعْمَ الْوَكِيلُ» أى نعم الكافى و المعتمد و الملجأ الذى يوكل إليه الأمور «فَأَنْقَلَبُوا» أى فرجع النبى و من معه من أصحابه «بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَ فَضْلٍ» أى بعافيه من سوء و تجاره رابحه «لَمْ يَمَسَّهِمْ سُوءٌ» أى قتل عن السدي و مجاهد و قيل النعمة هاهنا الثبوت على الإيمان فى طاعة الله و الفضل الربح فى التجاره عن الزجاج و قيل إن أقل ما يفعله الله فهو نعمه و ما زاد على ذلك فهو الموصوف بأنه فضل و الفرق بين النعمة و المنفعة أن النعمة لا تكون نعمة إلا إذا كانت حسنة و المنفعة قد تكون حسنة و قد تكون قبيحة و هذا لأن النعمة يستحق بها الشكر و لا يستحق الشكر بالقيح «وَ اتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ» بالخروج إلى لقاء العدو «وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ» على المؤمنين و قد تضمنت الآية التنبية على أن كل من دهمه أمره فينبغى أن يفرغ إلى هذه الكلمه

و قد صحت الروايه عن الصادق (عليه السلام) أنه قال عجبت لمن خاف كيف لا يفرغ إلى قوله «حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ» فإنى سمعت الله يقول بعقبها «فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَ فَضْلٍ لَمْ يَمَسَّهِمْ سُوءٌ»

و روى عن ابن عباس أنه قال آخر كلام إبراهيم (عليه السلام) حين ألقى فى النار «حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ» و قال نبيكم مثلها و تلا هذه الآية.

سوره آل عمران (٣): آيه ١٧٥

إشارة

إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَ خَافُوا مِنِّي إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٥)

الإعراب

كم من «ذَلِكُمْ» للخطاب لا- للضمير فلا- موضع لها من الإعراب و قوله «يُخَوِّفُ» يتعدى إلى مفعولين يقال خاف زيد القتال و خوفته القتال.

ثم ذكر أن ذلك التخويف و التثبيط عن الجهاد من عمل الشيطان فقال «إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ» و المعنى إنما ذلك التخويف الذى كان من نعيم بن مسعود من فعل الشيطان و بإغوائه و تسويله يخوف أولياءه المؤمنين قال ابن عباس و مجاهد و قتاده و يخوف المؤمنين بالكافرين و قال الزجاج و أبو على الفارسى و غيرهما أن تقديره و يخوفكم أولياءه أى من أوليائه بدلاله قوله «فَلَا تَخَافُوهُمْ وَ خَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» أى إن كنتم مصدقين بالله فقد أعلمتكم أنى أنصركم عليهم و مثله قوله لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا أَى لِيُنذِرَكُمْ بَأْسًا شَدِيدًا فلما حذف الجار نصبه و قيل معناه إن الشيطان يخوف المنافقين الذين هم أولياؤه و أنهم هم الذين يخافون من ذلك التخويف بأن يوسوس إليهم و يرهبهم و يعظم أمر العدو فى قلوبهم فيقعدها عن متابعه الرسول و المسلمون لا يخافونه لأنهم يثقون بالنصر الموعود و نظيره قوله إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ و الأول أصح.

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٧٦ الى ١٧٧

إشارة

وَ لَا يَخْزُنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ الْأَلَّ- يَجْعَلْ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٧٦) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٧)

القراءة

قرأ نافع فى جميع القرآن يحزن بضم الياء و كسر الزاى إلا قوله «لَا يَخْزُنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ» فإنه فتحها و ضم الزاى و قرأ الباقون فى جميع القرآن بفتح الياء و ضم الزاى و قرأ أبو جعفر عكس ما قرأ نافع فإنه فتح الياء فى جميع القرآن إلا قوله لَا يَخْزُنُهُمْ فإنه ضم الياء.

الحج

قال أبو على قال سيبويه تقول فتن الرجل و فتنته و حزن الرجل و حزنه و زعم الخليل إنك حيث قلت فتنته و حزنه لم ترد أن تقول جعلته حزينا و جعلته فاتنا كما إنك حين تقول أدخلته جعلته داخلا و لكنك أردت أن تقول جعلت فيه حزنا و فتنه كما تقول كحلته جعلت فيه كحلا و دهنته جعلت فيه دهنا فجئت بفعلته على حده و لم ترد بفعلته ها هنا تغيير قولك حزن و فتن و لو أردت ذلك لقلت أحزنته و أفتنته قال و قال بعض العرب

أفنت الرجل و أحزنته إذا جعلته فاتنا و حزينا فغيروا فعل قال أبو علي فهذا الذي حكيتة عن بعض العرب حجه نافع فأما قراءه لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ فيشبهه أن يكون اتبع فيه أثرا و أحب الأخذ بالوجهين.

الإعراب

قوله «شَيْئًا» نصب على أنه وقع موقع المصدر و يحتمل أن يكون نصبا بحذف الباء كأنه قال بشىء مما يضر به كما يقال ما ضررت زيدا شيئا من نقص مال و لا غيره.

المعنى

لما علم الله تعالى المؤمنين ما يصلحهم عند تخويف الشيطان إياهم خص رسوله بضرب من التعليم فى هذه الآية فقال «و لا يَحْزُنُكَ» أيها الرسول «الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ» يعنى المنافقين عن مجاهد و ابن إسحاق و قوما من العرب ارتدوا عن الإسلام عن أبي علي الجبائي «إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا» بكفرهم و نفاقهم و ارتدادهم لأن الله تعالى لا يجوز عليه المنافع و المضار و إنما قال ذلك على جهه التسليه لنيه ص لأنه كان يصعب عليه كفر هؤلاء و يعظم عليه امتناعهم عن الإيمان و لا يبعد أنه ربما كان يخطر بباله أن مسارعتهم إلى الكفر و امتناعهم عن الإيمان لتفريط حصل من قبله فآمنه الله من ذلك و أخبر أن ضرر كفرهم راجع إليهم و مقصور عليهم «يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِزًّا فِي الْآخِرَةِ» أى نصيبا فى الجنه و إذا كانت الإراده تتعلق بما يصح حدوثه و لا يتعلق بأن لا يكون الشىء فلا بد من حذف فى الكلام و معناه أنه يريد أن يحكم بحرمان ثوابهم الذى عرضوا له فى تكليفهم و أن يعاقبهم فى الآخرة على سبيل الجزاء لكفرهم و نفاقهم «و لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» هذا ظاهر المعنى و هذا يدل على بطلان مذهب المجبره لأنه تعالى نسب إليهم المسارعه إلى الكفر و إذا كان ذلك قد خلقه فيهم فكيف يصح نسبه إليهم ثم استأنف تعالى الإخبار بأن من اشترى الكفر بالإيمان و هم جميع الكفار بهذه الصفه فقال «إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ» أى استبدلوا الكفر بالإيمان و قد بينا فيما تقدم أن إطلاق لفظ الشراء على ذلك مجاز و توسع و إنما شبه استبدالهم الكفر بالإيمان بشراء السلعه بالثمن «لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا» إنما هذا لأنه إنما ذكر ذلك فى الآية الأولى على طريقه العله لما يجب من التسليه عن المسارعه إلى الضلاله و ذكر فى هذه الآية على وجه العله لاختصاص المضره بالعاصى دون المعصى و الفرق بين المضره و الإساءه إن الإساءه لا تكون إلا قبيحه و المضره قد تكون حسنه إذا كانت مستحقه أو على وجه اللطف أو فيها نفع يوفى عليها أو دفع ضرر أعظم منها «و لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» أى مؤلم.

إشارة

وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُضِلُّهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُضِلُّهُمْ لِيُزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٧٨)

القراءة

قرأ ابن كثير و أبو عمرو «وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا» وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ كُلَّهُنَّ بِالْبَاءِ وَ كَسْرِ السَّيْنِ وَ كَذَلِكَ فَلَا يَحْسِبَنَّهُمْ بَضْمَ الْبَاءِ وَ بِالْيَاءِ وَ كَسْرِ السَّيْنِ وَ قَرَأَ حَمَزُهُ كَلِمَةً بِالتَّاءِ وَ فَتْحَ السَّيْنِ وَ فَتْحَ الْبَاءِ مِنْ يَحْسِبَنَّهُمْ وَ قَرَأَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَ الشَّامَ وَ يَعْقُوبُ كُلَّهُمَا بِالْيَاءِ إِلَّا قَوْلَهُ فَلَا تَحْسِبَنَّهُمْ بِالتَّاءِ وَ فَتْحَ الْبَاءِ إِلَّا إِنْ أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَ يَعْقُوبُ كَسَرُوا السَّيْنِ وَ فَتَحَهَا الشَّامِيُّ وَ قَرَأَ عَاصِمٌ وَ الْكَسَائِيُّ وَ خَلْفَ كُلِّ مَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ بِالتَّاءِ إِلَّا حَرْفَيْنِ «وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا»، وَ لَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ فَإِنَّهُمَا بِالْيَاءِ غَيْرَ أَنْ عَاصِمًا فَتَحَ السَّيْنِ وَ كَسَرَهَا الْكَسَائِيُّ.

الحجج و الإعراب

من قرأ بالياء فالذين في هذه الآية في موضع الرفع بأنه فاعل و إذا كان الذين فاعلا و يقتضى حسب مفعولين أو ما يسد مسد المفعولين نحو حسبت أن زيدا منطلق و حسبت أن يقوم عمرو فقوله تعالى «أَنَّمَا نُضِلُّهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ» قد سد مسد مفعولين الذين يقتضيهما يحسبن " و ما " يحتمل أمرين (أحدهما) أن يكون بمعنى الذى فيكون تقديره لا يحسبن الذين كفروا أن الذى نمليه لهم خير لأنفسهم (و الآخر) أن يكون ما نملى بمنزلة الإملاء فيكون مصدرا و إذا كان مصدرا لم يقتض راجعا إليه و قال المبرد من قرأ «يَحْسِبَنَّ» بالياء فتح إن و يقبح الكسر مع الياء و هو جائز على قبحه لأن الحسبان ليس بفعل حقيقى فهو يبطل عمله مع إن المكسورة كما يبطل مع اللام كما يجوز حسبت لعبد الله منطلق يجوز على بعد حسبت أن عبد الله منطلق و قال أبو على الوجه فيه أن يتلقى بها القسم كما يتلقى بلام الابتداء و تدخل كل واحد منهما على الابتداء و الخبر فكأنه قال لا يحسبن الذين كفروا للآخره خيرا لهم و أما قراءه حمزه بالتاء من تحسبن و بفتح إن فقد خطأه البصريون فى ذلك لأنه يصير المعنى و لا تحسبن الذين كفروا إملاءنا و ذلك لا يصح غير أن الزجاج قال يجوز على البدل من الذين و المعنى و لا تحسبن إملاء للذين كفروا خيرا لهم و مثله فى الشعر:

و ما كان قيس هللكه هللك واحد

و لكنه بنيان قوم تهدما

قال أبو على لا- يجوز ذلك لأنك إذا أبدلت إن من الذين كفروا لمزمك أن تنصب خيرا من حيث كان المفعول الثانى و لم ينصبه أحد من القراء و إذا لم يصح البدل لم يجز

فيه إلا كسر أن على أن يكون إن وخبرها في موضع المفعول الثاني من تحسبن.

اللغة

الإملاء إطالة المده و الملى الحين الطويل و الملاً الدهر و الملوان الليل و النهار لطول تعاقبهما.

النزول

نزلت في مشركى مكه عن مقاتل و فى قريظه و النصير عن عطاء.

المعنى

ثم بين سبحانه أن إمهال الكفار لا ينفعهم إذا كان يؤدي إلى العقاب فقال «وَلَا يَحْسِبَنَّ» أى لا يظنن «الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ» أى إن إطالنا لأعمارهم و إمهالنا إياهم خير لهم من القتل فى سبيل الله بأحد لأن قتل الشهداء أداهم إلى الجنة و بقاء هؤلاء فى الكفر يؤديهم إلى العقاب ثم ابتداء سبحانه فقال «أَنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ» أى إنما نطيل عمرهم و نترك المعاجله لعقوبتهم «لِيَزِدُوا إِثْمًا» أى لتكون عاقبه أمرهم بازديادهم الإثم فيكون اللام لام العاقبه مثل اللام فى قوله فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَنًا و هم إنما أخذوه ليكون لهم سرورا و قره عين و لكن لما علم الله أنه يصير فى آخر أمره عدوا و حزنا قال كذلك و مثله فى قول الشاعر:

أموالنا لذوى الميراث نجمعها

و دورنا لخراب الدهر نبنينا

و قول الآخر:

ء أم سماك فلا تجزعى

فللموت ما تلد الوالده

و قول الآخر:

فللموت تغذو الوالدات سخالها

كما لخراب الدهر تبنى المساكن

و قول الآخر:

لدوا للموت و ابنوا للخراب

ولا يجوز أن يكون اللام لام الإرادة والغرض لوجهين (أحدهما) أن إرادته القبيح قبيحه و تلك عنه سبحانه منفيه (و الآخر) أنها لو كانت لام الإرادة لوجب أن يكون الكفار مطيعين لله تعالى من حيث فعلوا ما وافق إرادته و ذلك خلاف الإجماع و قد قال عز اسمه و ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ و ما أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ و ما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ و القرآن يصدق بعضه بعضا و على هذا فلا بد من تخصيص الآية فيمن علم منه أنه لا يؤمن لأنه لو كان فيهم من يؤمن لما توجه إليهم هذا الوعيد المخصوص و قال أبو القاسم البلخي معناه و لا يحسبن الذين كفروا أن إملأنا لهم رضا بأفعالهم و قبول لها بل هو شر لهم لأننا نملى لهم و هم يزدادون إثما يستحقون به العذاب الأليم و مثله و لَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَى ذرأنا كثيرا

من الخلق سيصيرون إلى جهنم بسوء أفعالهم وقد يقول الرجل لغيره وقد نصحه فلم يقبل نصحه ما زادك نصحي إلا شرا و
 وعطى إلا- فسادا ونظيره قوله حَتَّى أَنْسَوُكُمْ ذِكْرِي و معلوم أن الرسل ما أنسوهم ذكر الله على الحقيقه و ما بعثوا إلا للتذكير و
 التنبيه دون الإنساء مع أن الإنساء ليس من فعلهم فلا- يجوز إضافته إليهم و لكنه إنما أضيف إليهم لأن دعاءه إياهم لما كان لا
 ينجح فيهم و لا- يردهم عن معاصيهم فأضيف الإنساء إليهم و فى هذا المعنى قوله حكاية عن نوح فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا و
 روى عن أبى الحسن الأخفش و الإسكافى أنهما قالوا إن فى الآية تقديمًا و تأخيرًا و تقديره و لا يحسبن الذين كفروا أنما نملى
 لهم ليزدادوا إثما إنما نملى لهم خيرا لأنفسهم و هذا بعيد لأنه لو كان كذلك لوجب أن يكون إنما الأخيره مفتوحه الهمزه لأنها
 معمول ليحسبن على هذا القول و أن يكون إنما الأولى مكسوره الهمزه لأنها مبتدأ على هذا القول و التقديم و التأخير لا يغيران
 الإعراب عن استحقاقه و ذلك خلاف ما عليه القراءه لأن القراءه قد أجمعوا على كسر الثانيه و أكثرهم على فتح الأولى «وَلَهُمْ
 عَذَابٌ مُّهِينٌ» يهينهم فى نار جهنم.

سوره آل عمران (٣): آيه ١٧٩

إشارة

مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَأَمَّنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٩)

القراءة

قرأ أهل الحجاز و الشام و أبو عمرو و عاصم «حَتَّى يَمِيزَ» و لِيَمِيزَ بالتخفيف و الباقرن بالتشديد و ضم الياء الأولى.

الحججه

ماز يميز فعل متعد إلى مفعول واحد كما أن ميز فعل متعد إلى مفعول واحد و يقال مزته فلم يتميز و زلته فلم يتزل و التضعيف
 فى ميز ليس للتعدى و النقل كما أن التضعيف فى عوض ليس للنقل من عاض لأن متعد إلى مفعولين كما فى قول الشاعر:

عاضها الله غلاما بعد ما

شابت الأصداغ و الضرس نقد

فلو كان التضعيف فى عوض للنقل لتعدى إلى ثلاثة مفاعيل فعوض و عاض لغتان فى معنى واحد مثل ميز و ماز.

النزول

قيل أن المشركين قالوا لأبى طالب إن كان محمد صادقاً فليخبرنا من يؤمن منا و من يكفر فإن وجدنا مخبره كما أخبر آمنا به فذكر ذلك للنبي ص فأنزل الله هذه الآية عن السدى و الكلبى و قيل سأل المؤمنون أن يعطوا علامه يفرقون بها بين المؤمن و المنافق فنزلت الآية عن أبى العالیه و الضحاك.

المعنى

«ما كانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ» أى ليدع و معناه لا يدع الله المؤمنين «عَلَى ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ» يا أهل الكفر من الإبهام و اشتباه المخلص بالمنافق أى لم يكن يجوز فى حكم الله أن يذرهم على ما كنتم عليه قبل مبعث النبي بل يتبعكم «حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ» أى الكافر من المؤمن عن قتاده و السدى و قيل حتى يميز المنافق من المخلص يوم أحد على ما مضى شرحه عن مجاهد و ابن إسحاق و ابن جريج و قيل هو خطاب للمؤمنين و تقديره ما كان الله ليذركم يا معشر المؤمنين على ما أنتم عليه من التباس المؤمن بالمنافق و على هذا فيكون قد رجع من الخبر إلى الخطاب كقوله «حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ» و اختلف فى أنه بأى شىء يميز بين الخبيث و الطيب فقيل بالامتحان و تكليف الجهاد و نحوه مما يظهر به الحال كما ظهر يوم أحد بأن ثبت المؤمنون و تخلف المنافقون عن الجبائى و قيل بالآيات و الدلالات التى يستدل بها عليهم و قيل بأن ينصر الله المؤمنين و يكثرهم و يعز الدين و يذل الكافرين و المنافقين عن أبى مسلم و قيل بأن يفرض الفرائض فيثبت المؤمن على إيمانه و يتميز ممن ينقلب على عقبيه «وَ ما كانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ» أى ما كان الله ليظهر على غيبه أحدا منكم فتعلموا ما فى القلوب إن هذا مؤمن و هذا منافق «وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ» أى يختار من يشاء فيطلع على الغيب أى يوقفه على علم الغيب و يعرفه إياه «فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ» كما أمركم «وَ إِنْ تُؤْمِنُوا» أى تصدقوا «وَ تَتَّقُوا» عقابه بلزوم أمره و اجتناب نهيه «فَلَكُمْ» فى ذلكم «أَجْرٌ عَظِيمٌ» و قيل معناه يصطفى من رسله من يشاء ممن يصلح له و لا يطلع على الغيب عن السدى و فى هذه الآية دلالة على أنه يجوز أن يصلح جماعه لرسالته فيختار منهم من يشاء إما لأنه أصلح و بالتاديه أقوم و عن المنفردات أبعد و إما لأنهم قد تساوا فى جميع الوجوه فيختار من يشاء من بينهم لأن النبوه ليست مستحقة و لا جزاء و فيها

دلالة على أن الثواب مستحق بالإيمان والتقوى خلافا لمن قال أنه تفضل.

سوره آل عمران (٣): آيه ١٨٠

إشارة

وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ لِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٨٠)

القراءة

ذكرنا اختلاف القراءة فيه فمن قرأ «يَحْسِبَنَّ» بالياء فالذين يبخلون فاعل يحسبن و المفعول الأول محذوف من اللفظ لدلالة اللفظ عليه و هو مثل قولك من كذب كان شرا له أى كان الكذب شرا له و كذلك فى الآية «لَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» البخل «هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ» فدخلت هو فصلا لأن تقدم يبخلون بمنزله تقدم البخل و من قرأ بالتاء فالفاعل المخاطب و هو النبى و «الَّذِينَ يَبْخُلُونَ» مفعول أول لتحسبن و «خَيْرًا لَّهُمْ» المفعول الثانى و فى الكلام حذف تقديره و لا تحسبن يا محمد بخل الذين يبخلون خيرا لهم و هو فصل و إنما احتجت إلى هذا المحذوف ليكون المفعول الثانى هو الأول فى المعنى لأن هذه الأفعال إنما تدخل على المبتدأ و الخبر و إذا كان الخبر مفردا فيجب أن يكون هو المبتدأ فى المعنى و البخل هو منع الواجب لأنه توعد عليه و ذم به و أصله فى اللغة المشقة فى الإعطاء و قرأ ابن كثير و أبو عمرو و يعقوب يعملون بالياء كناية عن الذين يبخلون و الباقيون بالتاء على الخطاب.

المعنى

«وَلَا يَحْسِبَنَّ» الباخلون «الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» أى أعطاهم الله من الأموال فيبخلون بإخراج الحقوق الواجبه فيها ذلك البخل «هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ» و على القراءة الأخرى لا تحسبن أيها السامع أو لا تظنن يا محمد فالخطاب له و المراد غيره بخل الذين يبخلون خيرا لهم بل هو شر لهم أى ليس كذلك كما يظنون بل ذلك البخل شر لهم «سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» اختلف فى معناه فقيل

يجعل ما بخل به من المال طوقا فى عنقه و الآية نزلت فى مانعى الزكاه و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

و هو قول ابن مسعود و ابن عباس و السدى و الشعبى و غيرهم

و روى عن النبى ص أنه قال ما من رجل لا يؤدى الزكاه إلا جعل فى عنقه شجاع يوم القيامة ثم تلا

هذه الآيه و قال ما من ذى رحم يأتى ذا رحمه يسأله من فضل أعطاه الله إياه فيخل به عنه إلا أخرج الله له من جهنم شجاعا يتلمظ بلسانه حتى يطوقه و تلا هذه الآيه

و قيل معناه يجعل فى عنقه يوم القيامة طوقا من نار عن النخعى و قيل معناه يكلفون يوم القيامة أن يأتوا بما بخلوا به من أموالهم عن مجاهد و قيل هو كقوله «يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ» فمعناه أنه يجعل طوقا فيعذب بها عن الجبائى و قيل معناه أنه يعود عليهم وباله فيصير طوقا لأعناقهم كقوله «وَ كُلِّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ» عن ابن مسلم قال و العرب تعبر بالرقبه و العنق عن جميع البدن ألا ترى إلى قوله «فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ»* و يروى عن ابن عباس أيضا أن المراد بالآيه الذين يبخلون ببيان صفه محمد ص و الفضل هو التوراه التى فيها صفته و الأول أليق بسياق الآيه «وَ لِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» معناه يموت من فى السماوات و الأرض و يبقى تعالى هو جل جلاله لم يزل و لا يزال فيبطل ملك كل مالك إلا ملكه و قد تضمنت الآيه الحث على الإنفاق و المنع عن الإمساك من قبل أن الأموال إذا كانت بمعرض الزوال إما بالموت أو بغيره من الآفات فأجدر بالعاقل أن لا يبخل بإنفاقه و لا يحرص على إمساكه فيكون عليه وزره و لغيره نفعه «وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» هذا تأكيد للوعد و الوعيد فى إنفاق المال لإحراز الثواب و الأجر و السلامه من الإثم و الوزر.

النظم

الوجه فى اتصال الآيه بما قبلها هو أنهم كما بخلوا بالجهد بخلوا بالإنفاق و الزكاه عن على بن عيسى و قيل أنهم مع ما تقدم من أحوالهم كتموا أمر محمد ص و بخلوا ببيانه.

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٨١ الى ١٨٢

اشاره

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَ قَتَلْتَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ نَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٨١) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ (١٨٢)

القراءه

قرأ حمزه سيكتب بضم الياء و قتلهم بالرفع و يقول بالياء و قرأ الباقون

ص: ٤١٣

«سَنَكْتُبُ» بالنون و «قَتَلَهُمْ» بالنصب و «نَقُولُ» بالنون.

الحج

الوجه فى قراءه من قرأ «سَيَنَكْتُبُ» أن النون هاهنا بعد الاسم الموضوع للغيبه فهو مثل قوله «بَلِ اللّٰهُ مَوْلَاكُمْ» ثم قال «سَيَنَلْقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ» و لو قال سيكتب بالياء لكان فى الإفراد كقوله «وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ»* و قوله «كَتَبَ اللّٰهُ لَأَعْلَيْنَا أَنَا وَرُسُلِي» و قوله «وَوَقُولُ» معطوف على سنكتب و الوجه فى قراءه حمزه و قتلهم أنه عطف على ما قالوا و هو فى موضع رفع و من قال «وَوَقَلَهُمْ» فإنه عطفه على ما قالوا أيضا و هو فى موضع نصب بأنه مفعول به.

اللغة

يقال سمع يسمع سمعا إذا أدرك بحاسه الأذن و الله يسمع من غير إدراك بحاسه و السميع من هو على حاله يسمع لأجلها المسموعات إذا وجدت و السامع المدرك لذلك و قال المحققون أن الله تعالى سميع فيما لم يزل و سامع عند وجود المسموع و كونه سميعا بصيرا ليس بصفه زائده على كونه حيا و كونه مدركا بصفه زائده على كونه حيا و كونه سامعا مبصرا عالما بمعناه و قال أبو القاسم البلخى فائده كونه سميعا بصيرا أنه يعلم المسموعات و المبصرات و هو لا يثبت للقديم تعالى صفه الإدراك و قال الخليل كل ما نزل بإنسان من مكروه فقد ذاقه إلا أنه توسع

و جاء فى الخبر حتى تذوقى من عسيلته و يذوق من عسيلتك

كنى بذلك عن الجماع و هذا من الكنايات المليحة و الحريق النار و كذلك الحرق بفتح الراء و الحرق بسكونه المصدر لقولهم حرقت الشىء إذا بردته بالمبرد.

الإعراب

موضع الباء فى قوله «بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ» رفع لأنها فى موضع خبر المبتدأ و هو ذلك و هى متصله بالاستقرار كأنه قيل ذلك استقر بما قدمت أيديكم «وَأَنَّ اللّٰهَ» إنما فتح أن لأنه معطوف على ما عمل فيه الباء و تقديره و بأن الله فموضعه جر.

النزول

لما نزلت من ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّٰهَ قَرْضًا حَسَنًا* قالت اليهود أن الله فقير يستقرض منا و نحن أغنياء و قائله حى بن أخطب عن الحسن و مجاهد و قيل كتب النبى ص مع أبى بكر إلى يهود بنى قينقاع يدعوهم إلى إقامة الصلاة و إيتاء الزكاه و أن يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل أبو بكر بيت مدارسهم فوجد ناسا كثيرا منهم اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص بن عازورا فدعاهم إلى الإسلام و الصلاة و الزكاه فقال فنحاص إن كان ما تقول حقا فإن الله إذا لفقير و نحن أغنياء و لو كان غنيا لما استقرضنا أموالنا فغضب أبو بكر و ضرب وجهه فأنزل الله هذه الآية عن عكرمه و السدى و مقاتل و محمد بن إسحاق.

ثم ذكر سبحانه خصله أخرى من خصالهم الذميمة فقال «لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ

ص: ٤١٤

قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ» قيل معناه أدرك قولهم وقيل علم ذلك عن البلخي «إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ» أى ذو حاجة لأنه يستقرض منا «وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ» عن الحاجة وقد علموا أن الله لا يطلب القرض وإنما ذلك تلطيف فى الاستدعاء إلى الإنفاق وإنما قالوه تليسا على عوامهم وقيل معناه قالوا إن الله فقير لأنه يضيق علينا الرزق ونحن أغنياء لأننا نوسع الرزق على أهلينا «سَيَنْكُتُ مَا قَالُوا» قيل معناه سنحفظ ما قالوا وكنى بالكتابة عن الحفظ لأنه طريق إلى الحفظ وقيل تأمر بكتب ذلك فى صحائف أعمالهم وإنما يفعل ذلك مبالغه فى الزجر عن المعصية لأن المكلف إذا علم أن أفعاله وأقواله مكتوبه فى الصحائف وأنه لا بد من عرضها عليه و من قراءته على رءوس الأشهاد يوم التناد كان ذلك أبلغ له فى الزجر عن المأثم وأمنع عن ارتكاب الجرائم «وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ» أى و سنكتب قتل أسلافهم الأنبياء ورضى هؤلاء به فجازى كلا بفعله و فيه دلالة على أن الرضا بفعل القبيح يجرى مجراه فى عظم الجرم لأن اليهود الذين وصفوا بقتل الأنبياء لم يتولوا ذلك بأنفسهم وإنما ذموا بذلك لأنهم بمنزله من تولاه فى عظم الإثم «وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ» يعنى المحرق وإنما الفائدة فيه أن يعلم أن العذاب بالنار التى تحرق و هى الملتبه لأن ما لم تلتهب لا- يسمى حريقا وقد يكون العذاب بغير النار و يفيد قوله «ذُوقُوا» إنكم لا تتخلصون من ذلك يقال ذق هذا البلاء أى إنك لست بناج منه «ذَلِكَ» إشاره إلى ما سبق أى ذلك العقاب «بِمَا قَدَّمْتُمْ أُيُودِيَكُمْ» معناه بما كنتم عملتموه و جنيتموه على أنفسكم «وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» أى بأن الله لا- يظلم أحدا من عباده وإنما أضافه إلى اليد و إن كانت تكتسب الذنوب بجميع الجوارح لأن عامه ما يكسبه الإنسان إنما يكسبه بيده و لأن العاده قد جرت بإضافه الأعمال التى يلبسها الإنسان إلى اليد و إن كان اكتسبها بجارحه أخرى فجرى خطاب القديم تعالى على عادتهم و فى هذا دلالة على بطلان مذهب المجبره لأنه يدل على أنه لو وقع العقاب من غير جرم سلف من العبد لكان ظلما و ذلك على خلاف ما يذهبون إليه من أنه سبحانه يعذب الكفار من غير جرم سلف منهم و أنه يخلق فيهم الكفر ثم يعذبهم عليه لأنه لا ظلم أعظم من ذلك و إنما ذكر لفظ الظلام و هو للتكثير تأكيدا لنفى الظلم عنه.

إشارة

الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بَقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَ بِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٨٣) فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَ الزُّبُرِ وَ الْكِتَابِ الْمُنِيرِ (١٨٤)

القراءة

قرأ ابن عامر وحده و بالزبر بالباء و كذلك هي في مصاحف الشام كما في فاطر و الباقرين بغير باء.

الحج

من حذف فلأن واو العطف أغنت عن تكرار العامل و من أثبتها فإنما كرر العامل تأكيدا و كلاهما حسن.

اللغة

القربان مصدر على وزن عدوان و خسران تقول قربت قربانا و قد يكون اسما كالبرهان و السلطان و هو كل بر يتقرب به العبد إلى الله و الزبر جمع زبور و كل كتاب فيه حكمه فهو زبور قال امرؤ القيس:

لمن طلل أبصرته فشحجاني

كخط زبور في عسيب يمان

تقول زبرت الكتاب إذا كتبتة و زبرت الرجل إذا زجرتة و الزبره مجتمع الشعر على كتف الأسد و زبرت البئر إذا أحكمت طيها بالحجاره فهي مزبوره و الزبر العقل و إنما جمع بين الزبر و الكتاب و معناهما واحد لأن أصلهما يختلف هو كتاب بضم حروف بعضها إلى بعض و زبور لما فيه من الزجر على خلاف الحق و إنما سمي كتاب داود زبوراً لكثرة ما فيه من المواعظ و الزواجر.

الإعراب

«الَّذِينَ قَالُوا» محله جر ردا على الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ عَلَى تقدير و سمع قول الذين.

النزول

قيل نزلت الآية في جماعه من اليهود منهم كعب بن الأشرف و مالك بن الضيف و وهب بن يهودا و فنحاص بن عازورا قالوا يا محمد ص إن الله عهد إلينا في التوراه أن لا- تؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار فإن زعمت أن الله بعثك إلينا فنجننا به نصدقك فأنزل الله هذه الآية عن الكلبى و قيل إن الله أمر بنى إسرائيل في التوراه من

جاءكم يزعم أنه نبي فلا تصدقوه حتى يأتي بقربان تأكله النار حتى يأتيكم عيسى و محمد فإذا أتياكم فأمنوا بهما بغير قربان.

المعنى

ثم ذكر قولهم الآخر فقال «الَّذِينَ قَالُوا» لئيبهم «إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا» أى أمرنا و قيل أوصانا فى كتبه و على ألسن رسله «أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ» أى لا نصدق رسولا فيما يقول من أنه جاء به من عند الله تعالى «حَتَّى يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ» أى حتى يجيئنا بما يتقرب به إلى الله من صدقه أو بر تتقبل منه و قوله «تَأْكُلُهُ النَّارُ» بيان لعلامه التقبل فإنه كان علامه قبول قربانهم أن تنزل النار من السماء فتأكله و كان يكون ذلك دلالة على صدق المقرب فيما ادعاه عن ابن عباس «قُلْ» يا محمد لهؤلاء اليهود «قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِى» يعنى جاء أسلافكم «بِالْبَيِّنَاتِ» أى بالحجج الداله على صدقهم و صحه رسالتهم و حقيقه قولهم كما كنتم تقترحون و تطلبون منهم «و بِالَّذِى قُلْتُمْ» معناه و بالقربان الذى قلتم «فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ» أراد بذلك زكريا و يحيى و جميع من قتلهم اليهود من الأنبياء يعنى لم قتلتموهم و أنتم مقرون بأن الذى جاءوكم به من ذلك كان حجه لهم عليكم «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فيما عهد إليكم مما ادعيتموه و هذا تكذيب لهم فى قولهم و دلالة على عنادهم و على أن النبى ص لو أتاهم بالقربان المتقبل كما أرادوه لم يؤمنوا به كما لم يؤمن آباؤهم بالأنبياء الذين أتوا به و بغيره من المعجزات و إنما لم يقطع الله عذرهم بما سألوه من القربان الذى تأكله النار لعلمه تعالى بأن فى الإتيان به مفسده لهم و المعجزات تابعه للمصالح و لأن ذلك اقتراح فى الأدله على الله و الذى يلزم فى ذلك أن يزيح علتهم بنصب الأدله فقط «فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ» هذا تسليه للنبى ص فى تكذيب الكفار إياه و ذلك بأنه تعالى أخبر بأنه ليس بأول مكذب من الرسل بل كذب قبله رسل «جاءوا بالبَيِّنَاتِ» أى بالمعجزات الباهرات «و الزُّبُرِ» أى الكتب التى فيها الحكم و الزواجر «و الْكِتَابِ الْمُنِيرِ» قيل المراد به التوراه و الإنجيل لأن اليهود كذبت عيسى و ما جاء به من الإنجيل و حرفت ما جاء به موسى من صفه النبى ص و بدلت عهده إليهم فيه و النصرارى أيضا جحدت ما فى الإنجيل من نعمته و غيرت ما أمرهم به فيه و المنير الذى ينير الحق لمن اشتبه عليه و قيل المنير الهادى إلى الحق.

اشاره

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥)

اللغة

يقال لكل من نجا من هلكه و كل من لقي ما يغتبط به فقد فاز و تأويل فاز تباعد عن المكروه و لقي ما يحب و معنى قولهم مفازه للمهلكه التفرؤل و إنما المفازه المنجاه كما سموا اللذيع سليما و الأعمى بصيرا.

المعنى

ثم بين سبحانه أن مرجع الخلق إليه فيجازى المكذبين رسله على أعمالهم من حيث حتم الموت على جميع خلقه فقال «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» أى ينزل بها الموت لا محاله فكأنها ذاقته و قيل معناه كل نفس ذائقه مقدمات الموت و شدائده و سكراته كقوله تعالى «حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ» و على هذا جاء

قوله لقنوا أمواتكم شهادة أن لا إله إلا الله

و هذا الظاهر يدل على أن كل نفس تذوق الموت و إن كانت مقتوله و إن القتل لا ينفك عن الموت الذى هو فعل الله و قيل أن المراد بالموت هنا انتفاء الحياه و القتل قد انتفت الحياه منه و القتل فهو داخل فى الآيه «وَ إِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ» معناه و إنما تعطون جزاء أعمالكم و افياء «يَوْمَ الْقِيَامَةِ» إن خيرا فخييرا و ثوبا و إن شرا فشرا و عقابا فإن الدنيا ليست بدار جزاء و إنما هى دار عمل و الآخرة دار جزاء و ليست بدار عمل «فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ» أى بوعد عن نار جهنم و نجي عنها و أدخل الجنة «فَقَدْ فَازَ» أى نال المنيه و ظفر بالبغيه و نجا من الهلكه «وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ» معناه ما لذات الدنيا و شهواتها و زينتها إلا- متعه متعكموها الغرور و الخداع المضمحل الذى لا- حقيقه له عند الاختبار لأنكم تلتذون بها ثم أنها تعود عليكم بالرزايا و الفجائع و لا تركنوا إليها و لا تغتروا بها فإنها هى غرور و صاحبها مغرور و قيل متاع الغرور القوارير و هى فى الأصل ما لا بقاء له عن عكرمه و فى الآيه دلالة على أن أقل نعيم من الآخرة خير من نعيم الدنيا باسره و لذلك

قال (عليه السلام) موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا و ما فيها

و فيها دلالة على أن كل حى سيموت و لو لا ورود السمع بذلك لكان يجوز فى العقل أن يتصل حياتهم إلى وقت المجازاه و إذا قيل أليس من قولكم لا بد من القطع بين حال التكليف و حال المجازاه فجوابه أن ذلك القطع كان يجوز أن يحصل مع بقاء الحياه و فيها دلالة على أن المقتول يحصل فيه الموت و قد اختلف فى الموت قول أبى على و أبى هاشم فعند أبى على الموت معنى يضاد الحياه و عند أبى هاشم عدم الحياه فعلى كلا المذهبين يجوز حصوله فى المقتول.

اشاره

لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَ لَتَشِيعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَ إِن تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا
فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (۱۸۶)

ص: ۴۱۸

اللام في قوله «لَتَبْلُؤَنَّ» لام التأكيد وفيه معنى القسم والنون تأكيد للقسم وإنما ضمت الواو في لتبلون ولم تكسر لالتقاء الساكنين لأنها واو الضمير حركت بما كان يجب لما قبلها من الضم ومثله اشترؤا الضلالة باليهودي* ولو كانت الواو حرف الإعراب لفتحت نحو هل تغزون زيदा.

النزول

نزلت الآية في كعب بن الأشرف وكان يهجو النبي ص والمؤمنين ويحرض المشركين عليهم ويشب بنساء المسلمين فقال ص من لى بابن الأشرف فقال محمد بن سلمه أنا يا رسول الله فخرج هو وأبو نائلة مع جماعه فقتلوه غيلة و أتوا برأسه إلى النبي ص آخر الليل وهو قائم يصلى عن الزهري وقيل نزلت في فنحاص اليهودى سيد بنى قينقاع

لما بعث رسول الله أبا بكر إليه ليستمده و كتب إليه كتابا فلما قرأه قال قد احتاج ربكم إلى أن نمده فهم أبو بكر بضربه ثم ذكر النبي ص لا تفتاتن بشيء حتى ترجع فكف عنه

عن عكرمه ومقاتل.

المعنى

ثم بين تعالى أن الدنيا دار محنة و ابتلاء و أنها إنما زويت عن المؤمنين ليصبروا فيؤجروا فقال «لَتَبْلُؤَنَّ» أى لتوقع عليكم المحن و تلحقكم الشدائد «فِي أَمْوَالِكُمْ» بذهابها و نقصانها «وَأَنْفُسِكُمْ» أيها المؤمنون بالقتل و المصاب مثل ما نالكم يوم أحد و يقال بفرض الجهاد و غيره من الفرائض و القرب التي أمرنا بها و إنما سماه بلوى مجازا فإن حقيقه الاختبار و تجربته لا يجوز على الله لأنه العالم بالأشياء قبل كونها و إنما يفعل ذلك ليتميز المحق من المبطل عن أبي على الجبائي «وَلَتَسْمِعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ» يعنى اليهود و النصارى «وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا» يعنى كفار مكة و غيرهم «أَذَى كَثِيرًا» يعنى ما سمعوه من تكذيب النبي ص و من الكلام الذى يغمه «وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا» يعنى إن صبرتم على ذلكم و تمسكتم بالطاعة و لم تجزعوا عنده جزعا يبلغ الإثم «فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» أى مما بأن رشده و صوابه و وجب على العاقل العزم عليه و قيل من محكم الأمور.

إشارة

وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَ اشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَسَّ مَا يَشْتَرُونَ
(١٨٧)

القراءة

قرأ ابن كثير و أبو عمرو و أبو بكر عن عاصم لبيّنه بالياء و لا يكتُمونه بالياء أيضا و الباقيون بالتاء فيهما.

الحجّه

حجّه من قرأ بالتاء قوله «وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ» و الاتفاق عليه و كذلك قوله «وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ» و قد تقدم القول في ذلك و حجّه من قرأ بالياء أن الكلام حمل على الغيبه لأنهم غيب.

المعنى

ثم حكي سبحانه عنهم نقض الميثاق و العهود بعد حكايته عنهم التكذيب بالرسول فقال «وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» قيل أراد به اليهود خاصة و قيل أراد اليهود و النصارى و قيل أراد به كل من أوتى علما بشىء من الكتب «لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ» أى لتظهره للناس و الهاء عائده إلى محمد ص فى قول سعيد بن جبير و السدى لأن فى كتابهم إن محمدا رسول الله ص و إن الدين هو الإسلام و قيل الهاء عائده إلى الكتاب فيدخل فيها بيان أمر النبى ص لأنه فى الكتاب عن الحسن و قتاده «وَ لَا تَكْتُمُونَهُ» أى و لا تخفونه عند الحاجه «فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ» و معناه ضيعوه و تركوه وراء ظهورهم فلم يعلموا به و إن كانوا مقرين به عن ابن عباس و يقال لمن يطرح الشىء و لا يعبا به رماه بظهره قال الفرزدق:

تميم بن قيس لا تكونن حاجتى

بظهره و لا يعبا على جوابها

«وَ اشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا» أى استبدلوا بعهد الله عليه و مخالفته و ميثاقه عوضا يسيرا من حطام الدنيا يعنى ما حصلوه لأنفسهم من المأكله و الرشا و الهدايا التى أخذوها من تحوتهم «فَبَسَّ مَا يَشْتَرُونَ» أى بسّ الشىء ذلك إذ يستحقون به العذاب الأليم و إن كان نفعا عاجلا و دلت الآيه على وجوب إظهار الحق و تحريم كتمانها فيدخل فيه بيان الدين و الأحكام و الفتاوى و الشهادات و غير ذلك من الأمور التى يختص بها العلماء و روى الثعلبى

فى تفسيره ياسناده عن الحسن بن عماره قال أتيت الزهرى بعد أن ترك الحديث فالفيته على بابه فقلت إن رأيت أن تحدثنى فقال أو ما علمت أنى تركت الحديث فقلت إما أن تحدثنى وإما أن أحدثك فقال حدثنى فقلت

حدثنى الحكم بن عيينه عن نجم الجزار قال سمعت على بن أبى طالب (عليه السلام) يقول ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا

قال فحدثنى أربعين حديثاً.

سوره آل عمران (٣): آيه ١٨٨

اشاره

لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرُحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨٨)

القراءه

قد ذكرنا اختلاف القراءه فى «تَحْسَبَنَّ» و «تَحْسَبَنَّهُمْ» فيما قبل.

الحجه

قال أبو على من قرأ لا يحسبن بالياء فلا يحسبنهم فالذين فى موضع رفع بأنه فاعل يحسبن و لم يوقع يحسبن على شىء قال أبو الحسن لا- يعجبني قراءه من قرأ الأولى بالياء لأنه لم يوقعه على شىء و يرى أنه لم يستحسن أن لا يعدى حسب لأنه قد جرى مجرى اليمين فى نحو علم الله لأفعلن و لقد علمت لتأتين منيتي و ظنوا ما لهم من مَحِيصٍ فكما أن القسم لا يتكلم به حتى يعلق بالمقسم عليه فكذلك ظننت و علمت فى هذا الباب و أيضا فقد جرى فى كلامهم لغوا و ما جرى لغوا لا يكون فى حكم الجمل المفيده و من ثم جاء نحوه:

و ما خلت أبقى بيننا من موده

عراض المذاكى المسنقات القلايصا

و إنما هو و ما أبقى بيننا فالوجه فى هذه القراءه أنه لم يعد حسبت إلى مفعوليه اللذين يقتضيهما لأن حسبت فى قوله «فلا تَحْسَبَنَّ لَهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ» لما جعل بدلا من الأول و عدى إلى مفعوليه استغنى بهما عن تعديه الأول إليهما كما استغنى فى قوله:

بأى كتاب أو بآيه سنه

ترى حبههم عارا على و تحسب

بتعديده أحد الفعلين إلى المفعولين عن تعديده الآخر إليهما و الفاء زائده فالتقدير لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا بمفازة من العذاب و أما قراءه فلا تحسبنهم بضم الباء فإن فعل الفاعل الذى هو يحسبن تعدى إلى ضميره و حذفت واو الضمير لدخول النون الثقيله فإن قيل هلا لم تحذف الواو من تحسبون و أثبتها كما ثبتت فى تمود بالثوب أ تُحاجُّونى و نحو ذلك مما يثبت فيه التقاء الساكنين لما فى الساكن الأول من زياده المد التى تقوم مقام الحركه فالقول فيه أنه حذفت كما حذفت مع الخفيفه أ لا ترى أنك لو قلت لا تحسبن زيدا ذاهب لم يلزمك الحذف فأجرى الثقيله مجرى الخفيفه فى هذا و قوله «بِمَفَاذِهِ مِنَ الْعَذَابِ» فى موضع المفعول الثانى و فيه ذكر للمفعول الأول و فعل الفاعل فى هذا الباب يتعدى إلى ضمير نفسه نحو ظننتنى أخاك لأن هذه الأفعال لما كانت تدخل على المبتدأ و الخبر أشبهت أن و أخواتها فى دخولها على المبتدأ و الخبر كدخول هذه الأفعال عليهما و ذلك قولك ظننتنى ذاهبا كما تقول إنى ذاهب و مما يدل على ذلك قبح دخول النفس عليها لو قلت أظن نفسى تفعل كذا لم يحسن كما يحسن أظننى فاعلا فأما قراءه نافع و أبى جعفر و ابن عامر لا يحسبن بالياء «فَلَا تَحْسَبَنَّهْمُ» بالتاء و فتح الياء فمثل قراءه ابن كثير و أبى عمرو إلا فى قوله «فَلَا تَحْسَبَنَّهْمُ» و المفعولان اللذان يقتضيهما الحسابان فى قوله لا يحسبن الذين يفرحون محذوفاً لدلاله ما ذكر من بعد عليهما و لا يجوز البدل هنا كما جاز هناك لاختلاف الفعلين باختلاف فاعليهما و أما قراءه حمزه بالتاء فيهما فحذف المفعول الثانى الذى يقتضيه تحسبن لأن ما يجىء من بعد قوله «فَلَا تَحْسَبَنَّهْمُ بِمَفَاذِهِ مِنَ الْعَذَابِ» يدل عليه و يجوز أن يجعل تحسبنهم بدلا من تحسبن و الفاء زائده كما فى قوله (فإذا هلكت فعند ذلك فاجزعى).

النزول

نزلت فى اليهود حيث كانوا يفرحون بإجلال الناس لهم و نسبتهم إياهم إلى العلم عن ابن عباس و قيل نزلت فى أهل النفاق لأنهم كانوا يجمعون على التخلف عن الجهاد مع رسول الله ص فإذا رجعوا اعتذروا و أحبوا أن يقبل منهم العذر و يحمدا بما ليسوا عليه من الإيمان عن أبى سعيد الخدرى و زيد بن ثابت و قيل أتت يهود خيبر إلى النبى ص فقالوا نحن نعرفك و تؤمن بك و ليس ذلك فى قلوبهم فحمدهم المسلمون فنزلت فيهم الآية عن قتاده.

المعنى

ثم بين سبحانه خصله أخرى ذميمة من خصال اليهود فقال «لَا تَحْسَبَنَّ

الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا» أى الفارحون الذين يفرحون بالنفاق «وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحَمِّدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا» أى بالإيمان وقيل هم اليهود الذين فرحوا بكتمان أمر النبي ص وأحبوا أن يحمدوا بأنهم أئمه وليسوا كذلك وقد عرفت المعنى فى القراءة بالتاء والياء فى الحجة فلا معنى لإعادته وقال أبو القاسم البلخى

أن اليهود قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وأهل الصلاة والصوم وليسوا أولياء الله ولا أحباءه ولا أهل الصلاة والصوم ولكنهم أهل الشرك والنفاق وهو المروى عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام)

وقيل معناه أنهم يحبون أن يحمدوا على إبطالهم أمر محمد وتكذيبهم به والأقوى أن يكون المعنى بالآيه من أخبر الله عنهم أنه أخذ ميثاقهم فى أن يبينوا أمر محمد ولا يكتموا عليه وأكثر أهل التأويل وقوله «فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازِهِ مِنَ الْعَذَابِ» أى لا تظننهم بمنجاة وبعد من النار «وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» أى مؤلم موجه.

سوره آل عمران (٣): آيه ١٨٩

إشارة

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٨٩)

المعنى

لما ذكر سبحانه فى الآيه المتقدمه من فرح بمعصيه ركبها وأحب أن يحمد بما لم يفعله وأخبر أنه لا نجاه لهم من عذابه قال «وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» أى هو مالك ما فى السماوات والأرض بمعنى أنه يملك تدبيرهما وتصرفهما على ما يشاء من جميع الوجوه ليس لغيره الاعتراض عليه فكيف يطمع والحال هذه فى الخلاص منه «وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» فيه تنبيه على أنه قادر على إهلاك من أراد إهلاكه وعلى الإنشاء والإفناء كما يشاء.

ص: ٤٢٣

إشارة

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالاختلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعنا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤)

فضلها

روى الثعلبي في تفسيره بإسناده عن محمد بن الحنفية عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أن رسول الله ص كان إذا قام من الليل استاك ثم ينظر إلى السماء ثم يقول «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» إلى قوله «فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»

وقد اشتهرت الرواية عن النبي ص أنه لما نزلت هذه الآيات قال (ويل لمن لاكها بين فكيه و لم يتأمل ما فيها)

و ورد عن الأئمة من آل محمد ص الأمر بقراءة هذه الآيات الخمس وقت القيام بالليل للصلاة و في الضجعه بعد ركعتي الفجر

و روى محمد بن علي بن محبوب عن العباس بن معروف عن عبد الله بن المغيرة عن معاوية بن وهب قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) و ذكر أن النبي قال كان يؤتى بطهور فيخمر عند رأسه و يوضع سواكه تحت فراشه ثم ينام ما شاء الله فإذا استيقظ جلس ثم قلب بصره إلى السماء و تلا الآيات من آل عمران «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» الآيات ثم يستن و يتطهر ثم يقوم إلى المسجد فيركع أربع ركعات على قدر قراءته ركوعه يركع حتى يقال متى يرفع رأسه و يسجد حتى يقال متى يرفع رأسه ثم يعود إلى فراشه فينام ما شاء الله ثم يستيقظ فيجلس فيتلو الآيات من آل عمران و يعاب بصره في السماء ثم يستن و يتطهر و يقوم إلى المسجد فيصلى أربع ركعات كما ركع قبل ذلك ثم يعود إلى فراشه فينام ما شاء الله ثم يستيقظ فيجلس فيتلو الآيات من آل عمران و يقلب بصره في السماء ثم يستن و يتطهر و يقوم إلى المسجد فيوتر و يصلى ركعتين ثم يخرج إلى الصلاة.

اللغة

اللب العقل سمي به لأنه خير ما في الإنسان و اللب من كل شىء خير و خالصه سبحانه معناه تنزيها لك من أن تكون خلقتهما باطلا و براه مما لا يليق بصفاتك قال الشاعر:

سبحانه ثم سبحانا يعود له

و قبلنا سبح الجودى و الحجر

و الأبرار جمع بر و هو الذى بر الله بطاعته إياه حتى أرضاه و أصل البر الاتساع فالبر

الواسع من الأرض خلاف البحر و البر صله الرحم و البر العمل الصالح و البر الحنظه و أبر الرجل على أصحابه أى زاد عليهم.

الإعراب

«الَّذِينَ يَذْكُرُونَ» فى موضع جر صفه لأولى الألباب «قِيَامًا وَ قُعودًا» نصب على الحال و «عَلَى جُنُوبِهِمْ» أيضا فى موضع نصب على الحال و لذلك عطف على قياما و قعودا أى و مضطجعين لأن الظرف يكون حالا للمعرفه كما يكون نعتا للنكره لما فيه من معنى الاستقرار تقول مررت برجل على الحائط أى مستقر على الحائط و كذا مررت برجل فى الدار و تقول أنا أصير إلى فلان ماشيا و على الفرس فىكون موضع على الفرس نصبا على الحال من الضمير فى أصير و قوله «ما خَلَقْتَ هذا باطلا» أى يقولون ما خلقت هذا الخلق و لذلك لم يقل هذه و لا هؤلاء و باطلا نصب على أنه المفعول الثانى و قيل تقديره بالباطل و للباطل ثم نزع الحرف فوصل الفعل خبر إن فى قوله «إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ» جمله مركبه من الشرط و الجزاء و الأصل فىهما جملتان كل واحده منهما من فعل و فاعل لأن موضع من نصب بتدخل على أنه مفعول به و قوله «أَنْ آمِنُوا» يحتمل أن يكون أن هذه هى المفسره بمعنى أى و يحتمل أن يكون الناصبه للفعل لأنه يصلح فى مثله دخول الباء نحو ينادى بأن آمنوا.

المعنى

لما بين سبحانه بأن له ملك السماوات و الأرض عقبه ببيان الدلالات على ذلك فقال «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى فى إيجادهما بما فىهما من العجائب و البدائع «وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ» أى تعاقبهما و مجىء كل واحد منهما خلف الآخر «لآياتٍ» أى دلالات على توحيد الله و صفاته العلى «لِأُولَى الْأَلْبَابِ» أى لذوى البصائر و العقول و وجه الدلاله فى خلق السماوات و الأرض أن وجودهما متضمن بأعراض حادثه و ما لا ينفك عن الحادث فهو حادث مثله و المحدث لا بد له من محدث يحدثه و موجد يوجده فدل وجودهما و حدوثهما على أن لهما محدثا قادرا و دل إبداعهما بما فىهما من البدائع و الأمور الجاربه على غايه الانتظام و الاتساق على أن مبدعهما عالم لأن الفعل المحكم المنتظم لا يصح إلا من عالم كما أن الإيجاد لا يصح إلا من قادر و دل ذلك أيضا على أن صانعهما قديم لم يزل لأنه لو كان محدثا لاحتاج إلى محدث فيؤدى إلى التسلسل و وجه الدلاله فى تعاقب الليل و النهار أن فى ترادفهما على مقدار معلوم لا يزيدان عليه و لا ينقصان منه و نقصان كل واحد منهما عن الآخر فى حال و زيادته عليه فى حال و ازدياد أحدهما بقدر نقصان الآخر دلالة ظاهره على أن لهما صناعا قادرا حكيما لا يدركه عجز و لا

يلحقه سهو ثم وصف سبحانه أولى الألباب فقال «الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ» أى هؤلاء الذين يستدلون على توحيد الله بخلقه السماوات والأرض هم الذين يذكرون الله قائمين وقاعدين ومضطجعين أى فى سائر الأحوال لأن أحوال المكلفين لا تخلو من هذه الأحوال الثلاثة وقد أمروا بذكر الله تعالى فى جميعها وقيل معناه يصلون لله على قدر إمكانهم فى صحتهم وسقمهم فالصحيح يصلى قائما والسقيم يصلى جالسا وعلى جنبه أى مضطجعا فسمى الصلاة ذكرا رواه على بن إبراهيم فى تفسيره و لا- تنافى بين التفسيرين لأنه غير ممتنع وصفهم بالذكر فى هذه الأحوال وهم فى الصلاة وهو قول ابن جريج و قتاده «وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» أى ومن صفه أولى الألباب أن يتفكروا فى خلق السماوات والأرض ويتدبروا فى ذلك ليستدلوا به على وحدانيه الله تعالى و كمال قدرته و علمه و حكمته ثم يقولون «رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ» أى ما خلقت هذا الخلق عبثا و قيل بالباطل و للباطل بل خلقت لغرض صحيح و حكمه و مصلحه ليكون دليلا على وحدانيتك و حجه على كمال حكمتك ثم ينزهونه عن كل ما لا يليق بصفاته أو يلحق نقضا بذاته فيقولون «سُبْحَانَكَ» أى تنزيها لك عما لا يجوز عليك فلم تخلقهما عبثا و لا لعبا بل تعريضا للثواب و الأمن من العقاب «فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» بلطفك الذى يتمسك معه بطاعتك و فى هذه الآية دلالة على أن الكفر و القبائح و الضلال ليست خلقا لله لأن هذه الأشياء كلها باطله بلا خلاف و قد نفى الله تعالى ذلك بحكايته عن أولى الألباب الذين رضى أقوالهم بأنه لا باطل فيما خلقه فيجب بذاك القطع على أن القبائح كلها غير مضافه إليه و منفيه عنه تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم حكى عن أولى الألباب الذين وصفهم بأنهم أيضا يقولون «رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ» قيل فى وجوه (أحدها) أن معناه فضحته و أهنته فيكون منقولا من الخزى و نظيره قوله «وَلَا تُخْزُونَ فِي ضَيْفِي» (و ثانيها) قول المفضل أن معناه أهلكته و أنشد:

أخزى الإله من الصليب إلهه

و اللابسين ملابس الرهبان

(و ثالثها) أن معناه أحلته محلا و وقفته موقفا يستحيا منه فيكون منقولا من الخزايه التى معناها الاستحياء و قال ذو الرمة:

خزايه أدركته بعد جولته

من جانب الدف مخلوطا به الغضب

و اختلف أهل التأويل فى المعنى بهذه الآية فروى عن أنس بن مالك و سعيد بن المسيب و قتاده و ابن جريج أن الإخزاء يكون بالتأييد فى النار و هى خاصه بمن لا يخرج

منها و قال جابر بن عبد الله أن الخزي يكون بالدخول فيها و روى عنه عمرو بن دينار و عطاء أنه قال و ما أخزاه حين أحرقه بالنار و إن دون ذا لخزيا و هذا هو الأقوى لأن الخزي إنما هو هتك المخزي و فضيحته و من عاقبه الله على ذنوبه فقد فضحه و هذا غير منافي لما نذهب إليه من جواز العفو عن المذنبين لأن على قول من قال أن الخزي هو الخلود في النار فمن عفا الله عنه لا يكون أخزاه إن أدخله النار ثم أخرجها منها بعد استيفاء العقاب و على قول من أثبت الخزي بنفس الدخول فإنه و إن كان خزيا فليس كمثل خزي الكفار و يجوز حمل قوله «يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ» على كلا الوجهين و على قول من جعله من الخزايه التي هي الاستحياء فيكون إجزاء المؤمنين محموله على الاستحياء و إجزاء الكافرين على الإهانه و الخلود في النار قوله «وَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ» أى ليس لهم من يدفع عنهم عذاب الله على وجه المغالبه و القهر لأن الناصر هو الذى يدفع عن المنصور على وجه المغالبه و لا ينافى ذلك ما صحح من شفاعه النبي (صلى الله عليه و آله) و الأولياء لأهل الكبائر لأن الشفاعه على سبيل المسأله و الخضوع و التضرع إلى الله و ليست من النصرة فى شىء

و صح عن النبي (صلى الله عليه و آله) أنه قال ليصين أقواما شفع بذنوب أصابوها ثم يخرجون فيسميهم أهل الجنة الجهنميين رواه البخارى بإسناده فى الصحيح عن أنس بن مالك و فيما رواه أبو سعيد الخدرى عنه (عليه السلام) قال فيخرجون قد امتحشوا و عادوا حمما قال فيلقون فى نهر يقال له نهر الحياه قال فينبتون فيه كما تنبت الحبه فى جميل السيل و رواه البخارى و مسلم أيضا فى الصحيح

و ما روى فى مثل ذلك من الأخبار لا يحصى و هذا كما تراه صريح فى وقوع العفو عن مرتكبي الكبائر «رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا» قيل المنادى محمد عن ابن عباس و ابن مسعود و ابن جريج و اختاره الجبائى و قيل أنه القرآن عن محمد بن كعب القرظى و قتاده و اختاره الطبرى قال لأنه ليس يسمع كل أحد قول النبي (صلى الله عليه و آله) و لا يراه و القرآن سمعه من رآه و لم يره كما قال مخبرا عن الجن «إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ و لمن نصر القول الأول أن يقول من بلغه قول النبي (صلى الله عليه و آله) و دعوته جاز أن يقول سمعنا مناديا و إن كان فيه ضرب من التجوز و معنى قوله «سَمِعْنَا مُنَادِيًا» نداء مناد لأن المنادى لا يسمع و قوله «يُنَادِي لِلْإِيمَانِ» معناه إلى الإيمان كقوله «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا» و معناه إلى هذا و كقول الراجز:

أوحى لها القرار فاستقرت

و شدها بالراسيات الثبت

و مثله قوله «بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا» فالمعنى ربنا إننا سمعنا داعيا يدعو إلى الإيمان

والتصديق بك والإقرار بوحدانيتك واتباع رسولك واتباع أمره ونهيه وقوله «أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ» معناه بأن آمنوا بربكم فحذف الباء وقيل معناه قال لنا آمنوا بربكم «فَأَمَّنَّا» أى فصدقنا الداعى فيما دعا إليه من التوحيد والدين وأجبناه «فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا» معناه استرها علينا ولا تفضحنا بها يوم القيامة على رءوس الأشهاد بعقوبتك «وَكَفَّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا» معناه امحها بفضلك ورحمتك إيانا «وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ» معناه واقبضنا إليك فى جملة الأبرار واحشرنا معهم فإن قيل ما معنى قوله «وَكَفَّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا» وقد أغنى عنه قوله «فَأَغْفِرْ لَنَا» فالجواب عنه من وجهين (أحدهما) إن معناه اغفر لنا ذنوبنا ابتداء بلا توبه وكفر عنا إن تبنا والثانى إن معناه اغفر لنا ذنوبنا بالتوبه وكفر عنا باجتناب الكبائر من السيئات لأن الغفران قد يكون ابتداء ومن سبب والتكفير لا يكون إلا عند فعل من العبد والأول أليق بمذهبننا «رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ» هذه حكاية عمن تقدم وصفهم بأنهم يقولون أعطنا ما وعدتنا على لسان رسلك من الثواب «وَلَا تُخْزِنَا» أى لا تفضحنا أو لا تهلكنا «يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ» وهو كلام مستأنف بدلاله أنه كسر إن والمعنى أنك وعدت الجنة لمن آمن بك وأنت لا تخلف وععدك فإن قيل ما وجه المسأله فى إنجاز الوعد والمعلوم أنه يفعله لا محاله فالجواب عنه من وجوه (أحدها) إن ذلك على وجه الانقطاع إلى الله والتضرع له والتعبد كما قال «قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ» واختاره على بن عيسى والجباى (و الثانى) إن الكلام خرج مخرج المسأله والمراد الخبر أى توفنا مع الأبرار لتؤتينا ما وعدتنا به على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة لأنهم علموا أن ما وعد الله به حق ولا بد أن ينجزه (و الثالث) معناه السؤال والدعاء بأن يجعلهم ممن آتاهم ما وعدهم من الكرامه على ألسن رسله لا أنهم قد استحقوا منزله الكرامه عند الله فى أنفسهم وشهدوا ثم سألوه أن يؤتيهم ما وعدهم بعد علمهم باستحقاقهم عند أنفسهم لأنه لو كان كذا لكانوا قد زكوا أنفسهم وشهدوا بأنهم استوجبوا كرامه الله ولا يليق ذلك بصفه أهل الفضل من المؤمنين (و الرابع) أنهم إنما سألو ذلك على وجه الرغبة منهم إلى الله فى أن يؤتيهم ما وعدهم من النصر على أعدائهم من أهل الكفر وإعلاء كلمه الحق على الباطل ليعجل ذلك لهم لأنه لا يجوز أن يكونوا مع ما وصفهم الله به غير واثقين ولا على غير يقين أن الله لا يخلف الميعاد فرغبوا إليه فى تعجيل ذلك ولكنهم كانوا وعدوا النصر ولم يوقت لهم فى ذلك وقت فرغبوا إليه فى تعجيل ذلك لهم لما لهم فى ذلك من السرور بالظفر وهو اختيار الطبرى وقال الآيه مختصه بمن هاجر من أصحاب النبى الذين رغبوا فى تعجيل نصره على أعدائهم وقالوا لا صبر لنا على أناةك وحلمك وقوى ذلك بما بعد هذه الآيه

من قوله «فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ» الآيات و إلى هذا أوما أبو القاسم البلخي أيضا.

سوره آل عمران (٣): آيه ١٩٥

اشاره

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّمَّنْ ذَكَرَ أَوْ أُنْثِيَ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَمَّا كَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَمَّا دَخَلْتَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥)

القراءه

قرأ حمزه و الكسائي و خلف و قتلوا و قاتلوا بتقديم الفعل المبني للمفعول به على الفعل المبني للفاعل و التخفيف و قرأ الباقون بتقديم قاتلوا على قتلوا و شدد التاء من قتلوا ابن كثير و ابن عامر.

الحجه

أما تقديم قاتلوا على قتلوا فلأن القتال قبل القتل و حسن التشديد لتكرار الفعل فهو مثل مُفْتَحَ لَهُمُ الْأَبْوَابُ و من خفف «قتلوا» فلأن فعلوا يقع على الكثير و القليل و التشديد يختص بالكثير و أما تقديم قتلوا على قاتلوا فلأن المعطوف بالواو يجوز أن يكون أولا- في المعنى و إن كان مؤخرا في اللفظ و يمكن أن الوجه فيه أن يكون لما قتل منهم قاتلوا و لم يهنوا و لم يضعفوا للقتل الذي وقع بهم كقوله «فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

اللغه

الإضاعه الإهلاك ضاع الشىء يضيع ضياعا إذا هلك و أضاع و ضيع بمعنى و منه الضيعة للقريه و أما قولهم كل رجل و ضيعته فإن الضيعة هاهنا بمعنى الحرفه هاجر فاعل من الهجر و هو ضد الوصل يقال هاجر القوم من دار إلى دار أى تركوا الأولى للثانيه و تهجر الرجل أى تشبه بالمهاجرين.

الإعراب

من فى قوله «مَنْ ذَكَرَ أَوْ أُنْثِيَ» للتبيين و التفسير عن قوله «مِنْكُمْ» أى لا- أضيع عمل عامل منكم من الذكور و الإناث فهو بيان لجنس من أضيف إليه العمل و يقال

أنها مؤكده بمعنى النفي فى لا أضيع أى لا أضيع عمل ذكر و أنثى منكم و بعضكم مبتدأ و قوله «مِنْ بَعْضٍ» فى موضع رفع بأنه خبره و ثوابا مصدر مؤكد لأن معنى «وَلَأَدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ» و لأثيبنهم و مثله قوله «كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» لأن معنى قوله «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ» كتب الله عليكم هذا فكتاب الله مصدر مؤكد.

النزول

روى أن أم سلمه قالت يا رسول الله ما بال الرجال يذكرون فى الهجره دون النساء فأنزل الله هذه الآيه

قال البلخى نزلت الآيه و ما قبلها فى المتبعين للنبي (صلى الله عليه و آله) و المهاجرين معه ثم هى فى جميع من سلك سبلهم و حدا حدوهم من المسلمين.

المعنى

ثم عقب سبحانه دعوه المؤمنين بذكر الإجابة فقال «فَأَسِئْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ» أى أجاب المؤمنين الذين تقدم الخبر عنهم «أَنِّي لَا أُضِيعُ» أى بأنى لا- أبطل «عَمَلٍ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى» رجل أو امرأه «بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ» فى النصرة و الدين و الموالاه فحكمتى فى جميعكم حكم واحد فلا- أضيع عمل واحد منكم لاتفاقكم فى صفه الإيمان و هذا يتضمن الحث على مواظبه الأديعه التى فى الآيات المتقدمه و الإشاره إلى أنها مما تعبد الله تعالى بها و ندب إليها و ذلك لأنه تضمن الإجابة لمن دعا بها «فَالَّذِينَ هَاجَرُوا» إلى المدينة و فارقوا قومهم من أهل الكفر «وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ» أخرجهم المشركون من مكه «وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي» أى فى طاعتي و عبادتي و ديني و ذلك هو سبيل الله فتحملوا الأذى لأجل الدين «وَقَاتَلُوا» فى سبيل الله «وَقُتِلُوا» فيها «الَّذِينَ كَفَرُوا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ» يعنى لأمحونها و لأفضلن عليهم بعفوى و مغفرتى و رحمتى و هذا يدل على أن إسقاط العقاب تفضل من الله «وَلَمَّا دَخِلْتَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» أى من تحت أبنيتها و أشجارها «ثَوَابًا» أى جزاء لهم «مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» على أعمالهم «وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ» أى عنده من حسن الجزاء على الأعمال ما لا يبلغه وصف و اصف و لا يدركه نعت ناعت مما لا- رأت عين و لا- أذن سمعت و لا- خطر على قلب بشر و قيل حسن الثواب فى دوامه و سلامته عن كل شوب من النقصان و التكدير.

إشارة

لَا يَغُرَّنْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧) لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (١٩٨)

القراءة

قرأ يعقوب بروايه رويس و زيد لا- يغرنك و لا- يحطمنكم و لا- يستخفنك و إما نذهبن بك أو نرينك خفيفه فى الجميع و الباقون بالتشديد و قرأ أبو جعفر لكن الذين اتقوا بتشديد النون و الباقون «لكن» بالتخفيف.

اللغة

الغرور إيهام حال السرور فيما الأمر بخلافه فى المعلوم و ليس كل إيهام غرورا لأنه قد يتوهمه تخوفا فيحذر منه فلا يقال غره و الغرر نظير الخطر و الفرق بينهما أن الغرر قبيح كله لأنه ترك الجزم فيما يمكن أن يتوثق منه و الخطر قد يحسن على بعض الوجوه لأنه من العظم من قولهم رجل خطير أى عظيم و المتاع النفع الذى يتعجل به اللذه إما بوجود اللذه أو بما يكون به اللذه نحو المال الجليل و الملك و الأولاد و الإخوان و المهاد الذى يسكن فيه الإنسان و يفترشه و واحد الأبرار بر تقول بررت والدى فأنا بر و أصله برر و لكن الرء أدغمت للتضعيف.

الإعراب

بنى المضارع مع نون التأكيد لأنه بمنزلة ضم اسم إلى اسم كخمسه عشر و نحوه و متاع خبر مبتدأ محذوف و تقديره تقلبهم متاع قليل حذف المبتدأ لدلاله ما تقدمه عليه و بئس المهاد حذف المخصوص بالذم من الكلام لدلاله ما تقدمه عليه تقديره بئس المهاد جهنم و نزلا مصدر مؤكد أيضا مثل ما تقدم ذكره فى قوله «ثواباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» لأن خلودهم فى الجنة إنزالهم فيها فصار كأنه قال نزلوها نزلا و هو بمعنى أنزلوها إنزالا و قيل هو نصب على التفسير كما يقال هو لك هبه أو صدقه عن الفراء و «خالدين فيها» منصوب على الحال أى مقدر لهم الخلود فيها.

النزول

نزلت فى مشركى العرب و كانوا يتجرون و يتنعمون بها فقال بعض المسلمين أن أعداء الله فى العيش الرخى و قد هلكنا من الجوع فنزلت الآيه و قال الفراء كانت اليهود تضرب فى الأرض فتصيب الأموال فأنزل الله تعالى «لَا يَغُرَّنْكَ» الآيه.

المعنى

«لا- يَغُرَّنْكَ» يا محمد الخطاب له و المراد غيره و قيل معناه لا- يغرنك أيها الإنسان أو أيها السامع «تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا» أى

تصرفهم «فِي الْبِلَادِ» سالمين غانمين غير مؤاخذين بأجرامهم أعلم الله تعالى إن ذلك مما لا ينبغي أن يغطوا به لأن مأواهم و مصيرهم إلى النار بكفرهم و لا- خير بخير بعده النار و قوله «مَتَاعٌ قَلِيلٌ» معناه تصرفهم في البلاد و النعم متاع قليل أى يتنعمون بذلك قليلا ثم يزول و سماه متاعا لأنهم

ص: ٤٣١

متعوا به فى الدنيا «ثُمَّ مَا وَاهُمْ» أى مصيرهم و مرجعهم «جَهَنَّمَ وَ بئسَ المِهَادُ» أى ساء المستقر هى ثم أعلم تعالى أن من أراد الله و اتقاه فله الجنة فقال «لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ» لكن للاستدراك فىكون بخلاف المعنى المتقدم فمعناه ليس للكفار عاقبه خير إنما هى للمؤمنين المتقين الذين اتقوا ربهم بفعل الطاعات و ترك المعاصى «لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» بين سبحانه ما يصيرون إليه من النعيم المقيم فى دار القرار المعده للأبرار و النزل ما يعد للضيف من الكرامه و البر و الطعام و الشراب «وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ» من الثواب و الكرامه «خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ» مما يتقلب فيه الذين كفروا لأن ذلك عن قريب سيزول و ما عند الله تعالى دائم لا يزول و يروى عن عبد الله بن مسعود أنه قال ما من نفس بره و لا فاجره إلا و الموت خير لها من الحياه فأما الأبرار فقد قال الله «وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ» و أما الفجار فقال تعالى «وَ لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّنا نُمَلِّى لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنفُسِهِمْ» الآيه و قوله فى النفس الفاجره أن الموت خير لها إنما يعنى بذلك إذا كانت تدوم على فجورها.

سوره آل عمران (٣): آيه ١٩٩

اشاره

وَ إِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩٩)

اللغه

أصل الخشوع السهوله من قولهم الخشعه و هى السهوده فى الرمل كالربوه و الخاشع من الأرض الذى لا يهتدى له لأن الرمل يعنى آثاره و الخاشع الخاضع ببصره و الخشوع هو التذلل خلاف التصعب.

الإعراب

خاشعين نصب على الحال من الضمير فى يؤمن و هو عائد إلى من و قيل هو حال من الضمير فى «أُنزِلَ إِلَيْهِمْ» المجرور بالى و الأول أحسن.

النزول

اختلفوا فى نزولها فقبل نزلت فى النجاشى ملك الحبشه و اسمه أصحابه و هو بالعربيه عطيه و ذلك

أنه لما مات نعاه جبرائيل لرسول الله فى اليوم الذى مات فيه فقال

رسول الله أخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم قالوا و من؟ قال النجاشي فخرج رسول الله إلى البقيع و كشف له من المدينة إلى أرض الحبشه فأبصر سرير النجاشي و صلى عليه

فقال المنافقون انظروا إلى هذا يصلى على علع نصراني حبشى لم يره قط و ليس على دينه فأنزل الله هذه الآية عن جابر بن عبد الله و ابن عباس و أنس و قتاده و قيل نزلت فى أربعين رجلا من أهل نجران من بنى الحرث بن كعب و اثنين و ثلاثين من أرض الحبشه و ثمانيه من الروم كانوا على دين عيسى فأمنوا بالنبي (صلى الله عليه و آله) عن عطاء و قيل نزلت فى جماعه من اليهود كانوا أسلموا منهم عبد الله بن سلام و من معه عن ابن جريج و ابن زيد و ابن إسحاق و قيل نزلت فى مؤمنى أهل الكتاب كلهم لأن الآية قد تنزل على سبب و تكون عامه فى كل ما يتناوله عن مجاهد.

المعنى

لما ذم تعالى أهل الكتاب فيما تقدم وصف طائفه منهم بالإيمان و إظهار الحق و الصدق فقال «وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» أى من اليهود و النصارى «لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ» أى يصدق بالله و يقر بوحدانيته «وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ» أيها المؤمنون و هو القرآن «وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ» و هو التوراه و الإنجيل «خَاشِعِينَ لِلَّهِ» أى خاضعين له مستكينين له بالطاعه متذللين بها قال ابن زيد الخاشع المتذلل الخائف و قال الحسن الخشوع الخوف اللازم للقلب من الله «لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا» أى لا يأخذون عوضا يسيرا على تحريف الكتاب و كتمان الحق من الرشى و المأكل كما فعله غيرهم ممن وصفهم تعالى فى قوله «أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ»* بالهدى و لكن ينقادون إلى الحق يعملون بما أمرهم الله به و ينتهون عما نهاهم عنه ثم قال «أُولَئِكَ» يعنى هؤلاء الذين وصفناهم «لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ» معناه لهم ثواب أعمالهم و أجر طاعاتهم عند الله مذخور حتى يوفيهم الله يوم القيامة «إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ» وصف الحساب بالسرعه لأنه تعالى لا يؤخر الجزاء عمن يستحقه بطول الحساب لأنه لا يخفى عليه شىء من أعمالهم قبل أن يعملوها و بعد أن عملوها فلا حاجه به إلى إحصاء عدد فيقع فى الإحصاء إبطاء و قيل معناه أنه يحاسب كل الخلق معا فإذا حاسب واحدا فقد حاسب الجميع لأنه قادر على أن يكلمهم فى حاله واحده كل واحد بكلام يخصه لأنه القادر لنفسه عن أبى على الجبائى و إنما خص الله تعالى هذه الطائفه بالوعيد لبيان أن جزاء أعمالهم موفر عليهم و لا يضرهم كفر من كفر منهم.

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠)

اللغة

أصل الرباط ارتباط الخيل للعدو و الربط الشد و منه قولهم ربط الله على قلبه بالصبر ثم استعمل فى كل مقيم فى ثغر يدفع عن وراءه ممن أرادهم بسوء و الرباط أيضا اسم لما يشد به.

المعنى

لما حكى الله تعالى أحوال المؤمنين و الكافرين فيما تقدم حث بعد ذلك على الصبر على الطاعة و لزوم الدين فى الجهاد فى سبيل الله فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا الله و رسوله «اصْبِرُوا وَ صَابِرُوا وَ رَابِطُوا» اختلف فى معناه على وجوه (أحدها) إن المعنى اصبروا على دينكم أى أثبتوا عليه و صابروا الكفار و رابطوهم فى سبيل الله عن الحسن و قتاده و ابن جريج و الضحاك فعلى هذا يكون معناه اصبروا على طاعة الله و عن معاصيه و قاتلوا العدو و اصبروا على قتالهم فى الحق كما يصبرون على قتالكم فى الباطل و إنما أتى بلفظ صابروا هاهنا لأن فاعل إنما يأتى لما يكون بين اثنين و الرباط هو المرابطة فىكون بين اثنين أيضا يعنى أعدوا لهم من الخيل ما يعدونه لكم كقوله «وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ» (و ثانيها) إن المراد اصبروا على دينكم و صابروا وعدى إياكم و رابطوا عدوى و عدوكم عن محمد بن كعب القرظى (و ثالثها) أن المراد اصبروا على الجهاد عن زيد بن أسلم و قيل

إن معنى رابطوا أى رابطوا الصلوات و معناه انتظروها واحده بعد واحده لأن المرابطة لم تكن حينئذ روى ذلك عن على بن أبى طالب عليه أفضل الصلوات و أكمل التحيات

و عن جابر بن عبد الله و أبى سلمه ابن عبد الرحمن

و روى عن النبى (صلى الله عليه و آله) أنه سئل عن أفضل الأعمال فقال إسباغ الوضوء فى السبرات و نقل الأقدام إلى الجماعات و انتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط

و روى عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام) أنه قال معناه اصبروا على المصائب و صابروا على عدوكم و رابطوا عدوكم

و هو قريب من القول الأول و قوله «وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» معناه و اتقوا أن تخالفوا الله فيما يأمركم به لكى تفلحوا بنعيم الأبد و قيل معناه اتقوا عذاب الله بلزوم أمره و اجتناب نهيه لكى تظفروا و تفوزوا بنيل المنيه و درك البغيه و الوصول إلى النجاح فى الطلبه و ذلك حقيقه الفلاح و هذه الآيه تتضمن جميع ما يتناوله المكلف لأن قوله «اصْبِرُوا» يتناول لزوم العبادات و اجتناب المحرمات «وَ صَابِرُوا» يتناول ما يتصل بالغير كمجاهده الجن و الإنس و ما

هو أعظم منها من جهاد النفس «وَرَابِطُوا» يدخل فيه الدفاع عن المسلمين و الذب عن الدين «وَأَتَّقُوا اللَّهَ» يتناول الانتهاء عن جميع المناهى و الزواج و الائتمار بجميع الأوامر ثم يتبع جميع ذلك الفلاح و النجاح.

ص: ٤٣٥

سرشناسه: طبرسی، فضل بن حسن، ٤٦٨ - ٥٤٨ ق.

عنوان و نام پدیدآور: مجمع البیان فی تفسیر القرآن

تالیف ابوعلی الفضل بن الحسن الطبرسی

مصصح: هاشم رسولی

مصصح: فضل الله یزدی طباطبایی

مشخصات نشر: دارالمعرفه - بیروت - لبنان

مشخصات ظاهری: ١٠ ج.

یادداشت: عربی

موضوع: تفاسیر شیعه -- قرن ٦ ق.

ص: ١

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ٢

مجمع البيان فى تفسير القرآن

تأليف ابو على الفضل بن الحسن الطبرسى

مصصح: هاشم رسولى

مصصح: فضل الله يزدى طباطبايى

ص: ٣

(٤) سورة النساء مدنيه و آياتها ست و سبعون و مائه (١٧٦)

اشاره

[توضيح]

هى مدنيه كلها و قيل أنها مدنيه إلا قوله «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا» الآية و قوله «يَسِيْرَتُنَّكَ (فى النساء) قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ» إلى آخرها فإن الآيتين نزلتا بمكة

عدد آياتها

مائة و سبع و سبعون آيه شامى و ست كوفى و خمس فى الباقيـن

خلافها آيتان

«أَنْ تَصَلُّوا السَّبِيلَ» كوفى شامى «فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» شامى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأها فكأنما تصدق على كل مؤمن وورث ميراثا و أعطى من الأجر كمن اشترى محررا و برىء من الشرك و كان فى مشيئه الله من الذين يتجاوز عنهم

و روى عن عمر بن الخطاب أنه قال تعلموا سورة البقره و سورة المائده و سورة الحج و سورة النور فإن فيهن الفرائض و

روى العياشى بإسناده عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال من قرأ سورة النساء فى كل جمعه أو من من ضغطه القبر إذا أدخل فى قبره.

تفسيرها

لما ختم الله السوره التى ذكر فيها آل عمران بالأمر بالتقوى افتتح أيضا هذه السوره به إلا أن هناك خص به المؤمنين و عم به هاهنا سائر المكلفين فقال.

[سورة النساء (٤): آيه ١]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)

ص: ٤

قرأ أهل الكوفه تسئلون بتخفيف السين و الباقون بتشديدها و قرأ حمزه و الأرحام بالجر و الباقون بالنصب و قرئ في الشواذ و الأرحام بالرفع.

من خفف تسئلون أراد تتساءلون فحذف التاء من تتفاعلون لاجتماع حروف متقاربه و من شدد فقال «تَسَائِلُونَ» فإنه أدغم التاء في السين و حسن ذلك لاجتماعهما في أنهما من حروف طرف اللسان و أصول الثنايا و اجتماعهما في الهمس فخفف هنا بالإدغام كما خفف هناك بالحذف قال أبو على من نصب «الأَرْحَامَ» احتمل انتصابه و جهين (أحدهما) أن يكون معطوفا على موضع الجار و المجرور (و الآخر) أن يكون معطوفا على «اتَّقُوا» و تقديره و اتقوا الله و اتقوا الأرحام فصلوها و لا تقطعوها و أما من جر فإنه عطف على الضمير المجرور بالباء و هذا ضعيف في القياس و قليل في الاستعمال و ما كان كذلك فترك الأخذ به أحسن و إنما ضعف في القياس لأن الضمير قد صار عوضا مما كان متصلا بالاسم من التنوين فقبح أن يعطف عليه كما لا يعطف الظاهر على التنوين و يدل ذلك على أنه أجرى عندهم مجرى التنوين حذفهم الياء من المنادى المضاف إليها كحذفهم التنوين و ذلك قولهم يا غلام و هو الأكثر من غيره و وجه الشبه بينهما أنه على حرف كما أن التنوين كذلك و اجتماعهما في السكون و لأنه لا يوقف على الاسم منفصلا منه كما أن التنوين كذلك و المضمرة أذهب في مشابهه التنوين من المظهر لأنه قد يفصل بين المضاف و المضاف إليه إذا كان ظاهرا بالظروف و بغيرها نحو قول الشاعر:

كان أصوات من إيغالهن بنا

أواخر الميس أصوات الفراريج

و قول الآخر:

(من قرع القسي الكنائن)

و ليس المضمرة في هذا كالظاهر فلما كان كذلك لم يستجيزوا عطف الظاهر عليه لأن المعطوف ينبغي أن يكون مشاكلا للمعطوف عليه و قد جاء ذلك في ضروره الشعر أنشد سيبويه:

فاليوم قربت تهجونا و تشمتنا

فاذهب فما بك و الأيام من عجب

فعطف الأيام على موضع الكاف و قال آخر:

نعلق في مثل السوارى سيوفنا

و ما بينها و الكعب غوط نفافف

ص: ٥

فعطف الكعب على الهاء والألف في بينها و مثل ذلك لا يجوز في القرآن و الكلام الفصيح قال المازنى و ذلك لأن الثانى فى العطف شريك للأول فإن كان الأول يصلح أن يكون شريكا للثانى و إلا لم يصلح أن يكون الثانى شريكا فكما لا تقول مررت بزيد و ك كذلك لا تقول مررت بك و زيد و أما القراءه الشاذه فى رفع «الأرحام» فالوجه فى رفعه على الابتداء أى و الأرحام مما يجب أن تتقوه و حذف الخبر للعلم به.

اللغه

البث النشر يقال بث الله الخلق و منه قوله كَمَا لَفَّرَاشِ الْمَبْثُوثِ و بعضهم يقول أثب بمعناه بثتك سرى و أبثتك سرى لغتان و أصل الرقيب من الترقب و هو الانتظار و منه الرقيب لأن كل واحد منهما ينتظر موت صاحبه يقال رقب يرقب رقوبا و رقبه و رقبا فعلى هذا يكون الرقيب فعلا بمعنى الفاعل و هو الحافظ الذى لا يغيب عنه شى ء.

المعنى

ابتدأ الله سبحانه هذه السوره بالموعظه و الأمر بالتقوى فقال «يَا أَيُّهَا النَّاسُ» و هو خطاب للمكلفين من جميع البشر و قيل النداء إنما كان سائر كتب الله السالفه بيا أيها المساكين و أما فى القرآن فما نزل بمكه فالنداء بيا أيها الناس و ما نزل بالمدينه فمره بيا أيها الذين آمنوا و مره بيا أيها الناس «اتَّقُوا رَبَّكُمْ» معناه اتقوا معصيه ربكم أو مخالفه ربكم بترك ما أمر به و ارتكاب ما نهى عنه و قيل معناه اتقوا حقه أن تضيعوه و قيل اتقوا عقابه فكأنه قال يحق عليكم أن تتقوا عقاب من أنعم عليكم بأعظم النعم و هى أن خلقكم من نفس واحده و أوجدكم و من عظمت عنده النعمى فهو بالتقوى أولى و قيل إن المراد به بيان كمال قدرته فكأنه قال الذى قدر على أن خلقكم من نفس واحده فهو على عقابكم أقدر فيحق عليكم أن تتركوا مخالفته و تتقوا عقوبته و قوله «الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ» المراد بالنفس هنا آدم عند جميع المفسرين و إنما لم يقل نفس واحد بالتذكير و إن كان المراد آدم لأن لفظ النفس مؤنث بالصيغه فهو كقول الشاعر:

أبوك خليفه ولدته أخرى

و أنت خليفه ذاك الكمال

فأنت على اللفظ و لو قال من نفس واحد لجاز «وَ خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا» يعنى حواء (عليه السلام) ذهب أكثر المفسرين إلى أنها خلقت من ضلع من أضلاع آدم (عليه السلام) و

رووا عن النبى ص أنه قال خلقت المرأه من ضلع آدم (عليه السلام) إن أقمته كسرتها و إن تركتها و فيها عوج استمتعت بها

و

روى عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام) أن الله تعالى خلق حواء من فضل الطينه التى

خلق منها آدم و في تفسير على بن إبراهيم من أسفل أضلاعه

«وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا» أى نشر و فرق من هاتين النفسين على وجه التناسل رجالا «وَوَيْسَاءَ» و إنما من علينا تعالى بأن خلقنا من نفس واحده لأنه أقرب إلى أن يعطف بعضنا على بعض و يرحم بعضنا بعضا لرجوعنا إلى أصل واحد و لأن ذلك أبلغ فى القدره و أدل على العلم و الحكمة و قوله «وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ» قيل فى معناه قولان أحدهما أنه من قولهم أسألك بالله أن تفعل كذا و أنشدك بالله و بالرحم و نشدتك الله و الرحم و كذا كانت العرب تقول عن الحسن و إبراهيم و على هذا يكون قوله «وَالْأَرْحَامَ» عطفًا على موضع قوله به و المعنى إنكم كما تعظمون الله بأقوالكم فعظموه بطاعتكم إياه و الآخر أن معنى «تَسَاءَلُونَ بِهِ» تطلبون حقوقكم و حوائجكم فيما بينكم به «وَالْأَرْحَامَ»

معناه و اتقوا الأرحام أن تقطعوها عن ابن عباس و قتاده و مجاهد و الضحاك و الربيع و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

فعلى هذا يكون منصوبا عطفًا على اسم الله تعالى و هذا يدل على وجوب صله الرحم و يؤيده ما رواه

عن النبى ص أنه قال قال الله تعالى أنا الرحمن خلقت الرحم و شققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته و من قطعها بتته

و فى أمثال هذا الخبر كثره و صله الرحم قد تكون بقبول النسب و قد تكون بالإنفاق على ذى الرحم و ما يجرى مجراه و

روى الأصبغ بن نباته عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال أن أحدكم ليغضب فما يرضى حتى يدخل به النار فأيا رجل منكم غضب على ذى رحمه فليمسه فإن الرحم إذا مستها الرحم استقرت و إنها متعلقه بالعرش تقول و تنادى اللهم صل من وصلنى و اقطع من قطعنى

«إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» أى حافظا عن مجاهد و قيل الرقيب العالم عن ابن زيد و المعنى متقارب و إنما أتى بلفظه كان المفيده للماضى لأنه أراد أنه كان حفيظا على من تقدم زمانه من عهد آدم و ولده إلى زمان المخاطبين و عالما بما صدر منهم لم يعزب عنه من ذلك شىء.

[سوره النساء (٤): آيه ٢]

إشارة

وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا (٢)

اللغة

الحوب الإثم يقال حاب يحوب حوبا و حيابه و الاسم الحوب و روى عن الحسن أنه قرأ حوبا ذهب إلى المصدر و تحوب فلان من كذا إذا تخرج منه و نزلنا بحوبه من الأرض أى بموضع سوء و الحوبه الحزن و التحوب التحزن و الحوباء الروح.

لما أمر الله سبحانه بالتقوى و صله الأرحام عقبه باب آخر من التقوى و هو توفير حقوق اليتامى فقال «وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ» و هذا خطاب لأوصياء اليتامى أى أعطوهم أموالهم بالإنفاق عليهم فى حالة الصغر و بالتسليم إليهم عند البلوغ إذا أونس منهم الرشد و سماهم يتامى بعد البلوغ مجازا لأن

النبي ص قال لا يتم بعد احتلام

كما قالوا للنبي ص يتيم أبى طالب بعد كبره يعنون أنه رباه و كقوله سبحانه وَ أَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ أى الذين كانوا سحره «وَ لَا تَتَّبِعُوا الْخَيْثَ بِالطَّيِّبِ» معناه لا تستبدلوا ما حرمه الله تعالى عليكم من أموال اليتامى بما أحله الله لكم من أموالكم و اختلف فى صفة التبديل ف قيل كان أوصياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم و الرفيع منه و يجعلون مكانه الخسيس و الردى ء عن إبراهيم النخعى و السدى و سعيد بن المسيب و الزهرى و الربيع و الضحاك و قيل معناه لا تبدلوا الخيث بالطيب بأن تتعجلوا الحرام قبل أن يأتىكم الرزق الحلال الذى قدر لكم عن أبى صالح و مجاهد و قيل معناه ما كان أهل الجاهليه يفعلونه من أنهم لم يكونوا يورثون النساء و لا- الصغار بل يأخذة الكبار عن ابن زيد و أقوى الوجوه الأول لأنه إنما ذكر عقيب أموال اليتامى فيكون معناه لا- تأخذوا السمين و الجيد من أموالهم و تضعوا مكانهما المهزول و الردى ء فتحفظون عليهم عدد أموالهم و مقاديرها و تجحفون بهم فى صفاتها و معانيها و قوله «وَ لَا- تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ» أى مع أموالكم و معناه و لا تضيفوا أموالهم إلى أموالكم فتأكلوهما جميعا و يحتمل أن يكون معناه و لا تخلطوا الجيد من أموالهم بالردى ء من أموالكم فتأكلوها فإن فى ذلك إجحافا و إضرارا بهم فأما إذا لم يكن فى ذلك أضرار و لا ظلم فلا بأس بخلط مال اليتيم بماله

فقد روى أنه لما نزلت هذه الآية كرهوا مخالطة اليتامى فشق ذلك عليهم فشكوا ذلك إلى رسول الله ص فأنزل الله سبحانه وَ يَسِيئَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَ إِنَّ تَخَالطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فى الدين الآية عن الحسن و هو المروى عن السيدين الباقر (عليه السلام) و الصادق (عليه السلام)

«إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا» أى إثما عظيما.

إشارة

وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِسُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا (٣) وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا (٤)

[توضيح]

عد «أَلَّا تَعُولُوا» آية بالاتفاق و هذا مما يشكل و يعسر.

القراءة

قرأ أبو جعفر فواحد بالرفع و الباقون بالنصب.

الحجج

القراءة بالنصب على أنه مفعول به و تقديره فانكحوا واحده و من رفع فعلى أنه فواحد كافيه أو فواحد مجزيه كقوله فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتَانِ.

اللغة

الأقساط العدل و الإنصاف و القسط الجور و يقال ثناء و مثنى و ثلاث و مثلث و رباع و مربع و لم يسمع فيما زاد عليه مثل خماس و مخمس الأعشار في بيت الكميت و هو قوله:

و لم يستريثوك حتى رميت

فوق الرجال خصالا عشارا

و قال صخر الغي:

و لقد قتلتكم ثناء و موحدا

و تركت مره مثل أمس الدابر

و عال الرجل يعول عولا و عياله أى مال و جار و منه عول الفرائض لأن سهامها إذا زادت دخلها النقص قال أبو طالب:

(بميزان قسط وزنه غير عائل)

و عال يعيل عيله إذا احتاج قال الشاعر:

فما يدرى الفقير متى غناه

و ما يدرى الغنى متى يعيل

أى يفتقر فمن قال معنى قوله «أَلَّا تَعُولُوا» ألا تفتقروا فقد أخطأ لأنه من باب الياء كما ترى و من قال إن معناه لا تكثر عيالكم فقد أخطأ أيضا لأن ذلك يكون من الإعالة يقال أعال الرجل يعيل فهو معيل إذا كثر عياله و عال العيال إذا مانهم (من المثونه) و منه قوله ابدأ بمن تعول و قد حكى الكسائي عال الرجل يعول إذا كثر عياله و الصداق و الصداق و الصدقه و الصدقه المهر و النحله عطيه تكون على غير جهه المشامنه يقال نحلت الرجل إذا وهبت له نحله و نحلا- و سمي النحل نحلا- لأن الله نحل منها الناس العسل الذى فى بطونها و «هَنِيئًا» مأخوذ من هنأت

ص: ٩

البعير بالقطران فالهنىء شفاء من المرض كما أن الهناء الذى هو القطران شفاء من الجرب قال:

ما إن رأيت ولا سمعت به

كاليوم هانىء أيق جرب

متبدلا تبدو محاسنه

يضع الهناء مواضع النقب

يقال منه هنانىء الطعام ومرأنىء أى صار لىء دواء و علاجا شافيا و هنانىء و مرأنىء بالكسر و هى قليلة و تقول فى المستقبل يهنانىء و يمرانىء و يهننىء و يمرانىء و إذا أفردوا قالوا أمرانىء و لا- يقولون أهنانىء و قد مرؤ هذا الطعام مرأه و يقال هنأت القوم إذا علتهم و هنأت فلانا المال إذا وهبته له أهناء هنا و منه المثل إنما سميت هانئا لتهنىء أى لتعطىء.

الإعراب

قوله «ما طاب» ما هاهنا مصدرية عن الفراء أى فانكحوا الحلال و يروى عن مجاهد أيضا فانكحوا النساء نكاحا طيبا قال المبرد ما هاهنا للجنس كقولك ما عندك فالجواب رجل أو امرأه و قيل لما كان المكان مكان إبهام جاءت ما لما فيها من الإبهام كقول العرب خذ من عندى ما شئت و قوله «مثنى و ثلاث و رباع» بدل مما طاب و موضعه النصب و تقديره اثنتين اثنتين و ثلاثا ثلاثا و أربعا أربعا إلا أنه لا ينصرف لعلتين العدل و الصفه قال الزجاج أنه لا ينصرف لجهتين و لا أعلم أحدا من النحويين ذكرهما غير ما أنه معدول عن اثنتين اثنتين و ثلاث ثلاث و أنه عدل عن تأنيث و خطأه أبو على الفارسى فى ذلك و أورد عليه كلاما كثيرا يطول بذكره الكتاب ثم قال لو جاز أن يقول قائل إن مثنى و بابه معدول عن مؤنث لما جرى على النساء و واحدتهن مؤنثه لجاز لآخر أن يقول إن مثنى و بابه معدول عن مذكر لأنه أجرى صفه على أجنحه و واحدتها مذكر و إنما جرى على النساء من حيث كان تأنيثها و تأنيث الجمع و هذا الضرب من التأنيث ليس بحقيقى و إنما هو من أجل اللفظ فهو مثل النار و الدار و ما أشبه ذلك و قد جرت هذه الأسماء على المذكر الحقيقى قال صخر العىء:

منيت بأن تلاقينى المنايا

أحاد أحاد فى شهر حلال

و لكنما أهلىء بواد أنيسه

ذئاب تبغى الناس مثنى و موحد

جرى فيه مثنى و موحد على ذئاب و هو جمع مذكر و قال تميم بن أبى مقبل:

ترى النعرات الزرق تحت لبانه

أحاد و مثنى أصعقتها صواهلها

فأحاد و مثنى هنا حال من النعرات و قال أبو على فى القصريات إن مثنى و ثلاث و رباع حال من قوله «ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ» فهو كقولك جئتكَ ماشيا و راكبا و منحدرًا و صاعدا تريد أنك جئتته فى كل حال من هذه الأحوال و لست تريد أنك جئتته و هذه الأحوال لك فى وقت واحد و من قدرها على البدل من ما قال إنما جاءت الواو هنا و لم تأت أو لأنه على طريق البدل كأنه قال و ثلاث بدلا من مثنى و رباع بدلا من ثلاث و لو جاء بأو لكان لا يجوز لصاحب المثنى ثلاث و لا لصاحب الثلاث رباع و قوله «نَحْلَهُ» نصب على المصدر و قوله «نَفْسًا» نصب على التمييز كما يقال ضقت بهذا الأمر ذرعا و قررت به عينا و المعنى ضاق به ذرعى و قرت به عيني و لذلك وحد النفس لما كانت مفسره و النفس المراد به الجنس يقع على الواحد و الجمع كقول الشاعر:

بها جيف الحسرى فأما عظامها

فبيض و أما جلدها فصليب

و لم يقل جلودها و لو قال فإن طبن لكم أنفسا لجاز قوله «بِالْأَخْسِرِينَ أَعْمَالًا» إنما جمع لثلاث يتوهم أنه عمل يضاف إلى الجميع كما يضاف القتل إلى جماعه إذا رضوا به و من فى قوله «عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ» لتبيين الجنس لا للتبعيض لأنها لو وهبت المهر كله لجاز بلا خلاف و «هَنِيئًا مَرِيئًا» نصب على الحال.

النزول و النظم

اختلف فى سبب نزوله و كيفية نظم محصوله و اتصال فصوله على أقوال (أحدها)

أنها نزلت فى اليتيمه تكون فى حجر وليها فيرغب فى مالها و جمالها و يريد أن ينكحها بدون صداق مثلها فنها أن ينكحوهن إلا أن تقسطوا لهن فى إكمال مهور أمثالهن و أمروا أن ينكحوا ما سواهن من النساء إلى أربع عن عائشه و روى ذلك فى تفسير أصحابنا

و قالوا أنها متصله بقوله و يستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن و ما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن كما كتب لهن و ترغبون أن تنكحوهن فإن خفتن ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا الآيه و به قال الحسن و الجبائى و المبرد (و ثانيها) أنها نزلت فى الرجل منهم كان يتزوج الأربع و الخمس و الست و العشر و يقول ما يمنعنى أن أتزوج كما يتزوج فلان فإذا

فنى ماله مال على مال اليتيم الذى فى حجره فأنفقه فنهاهم الله عن أن يتجاوزوا الأربع لثلا يحتاجوا إلى أخذ مال اليتيم و إن خافوا ذلك مع الأربع أيضا اقتصروا على واحده عن ابن عباس و عكرمه (و ثالثها) أنهم كانوا يشددون فى أموال اليتامى و لا يشددون فى النساء ينكح أحدهم النسوه فلا يعدل بينهن فقال تعالى كما تخافون ألا تعدلوا فى اليتامى فخافوا فى النساء فانكحوا واحده إلى أربع عن سعيد بن جبير و السدى و قتاده و الربيع و الضحاك و فى إحدى الروايتين عن ابن عباس (و رابعها) أنهم كانوا يتخرجون من ولاية اليتامى و أكل أموالهم إيماناً و تصديقاً فقال سبحانه إن تخرجتم من ذلك فذلك تخرجوا من الزنا و انكحوا النكاح المباح من واحده إلى أربع عن مجاهد (و خامسها) ما قالها الحسن إن خفتم ألا تقسطوا فى اليتيمه المرباه فى حجركم فانكحوا ما طاب لكم من النساء مما أحل لكم من يتامى قربانكم مثنى و ثلاث و رابع و به قال الجبائى و قال الخطاب متوجه إلى ولى اليتيمه إذا أراد أن يتزوجها (و سادسها) ما قاله الفراء إن كنتم تتخرجون عن مؤاكلة اليتامى فتخرجوا من الجمع بين النساء و أن لا- تعدلوا بين النساء و لا- تتزوجوا منهن إلا- من تأمنون معه الجور قال القاضى أبو عاصم القول الأول أولى و أقرب إلى نظم الآيه و لفظها.

المعنى

«وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا» أى لا تنصفوا و لا تعدلوا يا معاشر أولياء اليتامى «فِي الْيَتَامَى» و ذكرنا معناه و الاختلاف فيه فى النزول «فَمَا نَكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ» أى ما حل لكم و لم يقل من طاب لكم لأن معناه فانكحوا الطيب «مِنَ النِّسَاءِ» أى الحلال منهن أى من اللاتى يحل نكاحهن دون المحرمات اللاتى ذكرن فى قوله حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ الْآيَه و يكون تقديره على القول الأول إن خفتم أن لا- تعدلوا فى نكاح اليتامى إن نكحتموهن فانكحوا البوالغ من النساء و ذلك أنه إن وقع حيف فى حق البوالغ أمكن طلب المخلص منهن بتطيب نفوسهن و التماس تحليلهن لأنهن من أهل التحليل و إسقاط الحقوق بخلاف اليتامى فإنه إن وقع حيف فى حقهن لم يمكن المخلص منه لأنهن لسن من أهل التحليل و لا من أهل إسقاط الحقوق و قوله «مَثْنَى وَ ثَلَاثَ وَ رُبَاعَ» معناها اثنتين اثنتين و ثلاثا ثلاثا و أربعا أربعا فلا يقال أن هذا يؤدى إلى جواز نكاح التسع فإن اثنتين و ثلاثه و أربعه تسعه لما ذكرناه فإن من قال دخل القوم البلد مثنى و ثلاث و رابع لا يقتضى اجتماع الأعداد فى الدخول و لأن لهذا العدد لفظا موضوعا و هو تسع فالعدول عنه إلى مثنى و ثلاث و رابع نوع من العى جل كلامه عن ذلك و تقدس و

قال الصادق (عليه السلام) لا يحل لماء الرجل أن يجرى فى أكثر من أربعه أرحام من الحرائر

«فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا» بين الأربع أو الثلاث فى القسم أو

النفقه و سائر وجوه التسويه «فَوَاحِدَةً» أى فتزوجوا واحده «أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» أى و اقتصروا على الإمام حتى لا تحتاجوا إلى القسم بينهن لأنهن لا- حق لهن فى القسم «ذَلِكَ» إشاره إلى العقد على الواحده مع الخوف من الجور فيما زاد عليها «أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا» أى أقرب أن لا- تميلوا و تجوروا عن ابن عباس و الحسن و قتاده و من قال معناه أدنى أن لا تكثر عيالكم فإنه مع ضعفه فى اللغة فى الآيه ما يبطله و هو قوله «أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» و معلوم أن ما يحتاج إليه من النفقه عند كثره الحرائر من النساء مثل ما يحتاج إليه عند كثره الإمام و قيل كان الرجل قبل نزول هذه الآيه يتزوج بما شاء من النساء و قوله «وَ اتُّوا النِّسَاءَ صِدْقَاتِهِنَّ نِحْلَهُ» معناه و أعطوا النساء مهورهن عطيه من الله و ذلك أن الله تعالى جعل الاستمتاع مشتركاً بين الزوجين ثم أوجب لها بإزاء الاستمتاع مهراً على زوجها فذلك عطيه من الله للنساء و قيل أراد بنحله فريضه مسماه عن قتاده و ابن جريج و قيل أراد بالنحله الدين كما يقال فلان ينتحل كذا أى يدين به ذكره الزجاج و ابن خالويه و اختلف فيمن خوطب بقوله «وَ اتُّوا النِّسَاءَ صِدْقَاتِهِنَّ نِحْلَهُ» فقيل هم الأزواج أمرهم الله بإعطاء المهر للمدخول بها كملاً و لغير المدخول بها على النصف على ما مر شرحه من غير مطالبه منهن و لا مخاصمه لأن ما يؤخذ بالمحاكمه لا يقال له نحله و هو قول ابن عباس و قتاده و ابن جريج و اختاره الطبرى و الجبائى و الرمانى و الزجاج و

قيل هم الأولياء لأن الرجل منهم كان إذا تزوج أيمه أخذ صداقها دونها فنهاهم الله عن ذلك عن أبى صالح و هو المروى عن الباقر (عليه السلام) رواه أبو الجارود عنه

و الأول أشبه بالظاهر «فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا» خطاب للأزواج معناه فإن طابت نفوسهن بهبه شىء من الصداق «فَكُلُوهُ» أى كلوا الموهوب لكم «هَنِيئًا مَّرِيئًا» فالهنىء الطيب المساغ الذى لا ينقصه شىء و المرىء المحمود العاقبه التام الهضم الذى لا يضر و لا يؤذى و فى

كتاب العياشى مرفوعاً إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه جاءه رجل فقال يا أمير المؤمنين إني يوجع بطني فقال أ لك زوجة فقال نعم قال استوهب منها شيئاً طيبه به نفسها من مالها ثم اشتر به عسلاً ثم اسكب عليه من ماء السماء ثم اشربه فإني سمعت الله تعالى يقول فى كتابه وَ نَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا وَ قَالَ يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ وَ قَالَ «فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا» فإذا اجتمعت البركه و الشفاء و الهنىء المرىء شفيت إن شاء الله

قال ففعل ذلك فشفى و قد استدل بعض الناس على وجوب التزويج بقوله «فَأَنْكِحُوا» من حيث إن ظاهر الأمر يقتضى الوجوب و هذا خطأ لأنه يجوز العدول عن الظاهر بدليل و قد قام الدليل على أن التزويج غير واجب.

إشارة

وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٥)

القراءة

قرأ نافع و ابن عامر قيما بغير ألف و الباقون «قياماً» بالألف.

الحجج

قال أبو الحسن في قيام ثلاث لغات قيام و قيم و قوام و هو الذى يقيمك قال لبيد:

أقتلك أم وحشيه مسبوعه

خذلت و هاديه الصوار قوامها

قال أبو على ليس قول من قال إن القيم جمع قيمه بشىء إنما القيم بمعنى القيام و هو مصدر يدل عليه قوله دِينًا قِيمًا فالقيمه التى هى معادله الشىء و مقاومته لا مذهب له ها هنا إنما المعنى دينا دائما ثابتا لا ينسخ كما نسخت الشرائع التى قبله فىكون مصدر وصف الدين به و لا وجه للجمع ها هنا و لا للصفه لقله مجىء هذا البناء فى الصفه ألا ترى أنه إنما جاء فى قولهم قوم عدى و مكان سوى و فعل فى المصادر كالشعب و الرضا و نحوهما أوسع فى الوصف فإذا كان كذلك حمل على الأكثر.

المعنى

لما أمر تعالى فيما تقدم بدفع مال الأيتام إليهم عقبه بذكر من لا يجوز الدفع إليه منهم و قال «وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ» أى لا تعطوا السفهاء «أَمْوَالَكُمُ» اختلف فى المعنى بالسفهاء على أقوال (أحدها)

أنهم النساء و الصبيان عن ابن عباس و سعيد بن جبیر و الحسن و الضحاک و أبى مالک و قتاده و رواه أبو الجارود عن أبى جعفر (عليه السلام)

قال ابن عباس إذا علم الرجل أن امرأته سفیهة مفسده للمال و علم أن ولده سفیهة يفسد المال لم ينبغ له أن يسلطهما على ماله (و ثانيها) أن المراد به النساء خاصه عن مجاهد و ابن عمر و

روى عن أنس ابن مالك قال جاءت امرأه سوداء جريه المنطق ذات ملح إلى رسول الله فقالت بأبى أنت و أمى يا رسول الله قل فىنا خيرا مره واحده فإنه بلغنى أنك تقول فىنا كل شر قال أى شىء قلت لكن قالت سميتنا السفهاء قال الله سماكن السفهاء فى كتابه قالت و سميتنا النواقص فقال و كفى نقصانا أن تدعن من كل شهر خمسه أيام لا تصلين فيها ثم قال أما يكفى إحداكن

أنها

ص: ١٤

إذا حملت كان لها كأجر المرابط في سبيل الله فإذا وضعت كانت كالمتشحط بدمه في سبيل الله فإذا أرضعت كان لها بكل جرعه كعتق رقبة من ولد إسماعيل فإذا سهرت كان لها بكل سهره تسهرها كعتق رقبة من ولد إسماعيل و ذلك للمؤمنات الخاشعات الصابرات اللاتي لا يكفرن العشير (لا يكفرن العشير نسخته) قال قالت السوداء يا له فضلا لو لا ما يتبعه من الشرط

(و ثالثها) أنها عام في كل سفية من صبي أو مجنون أو محجور عليه للتبذير و قريب منه ما

روى عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال إن السفية شارب الخمر و من جرى مجراه

و هذا القول أولى لعمومه و قوله «الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا» أى أموالكم التي جعلها الله قواما لمعاشكم و معادكم تقيمكم فتقومون بها قياما و قيل معناه ما تعطى ولدك السفية من مالك الذي جعله الله قواما لعيشك فيفسده عليك و تضطر إليه فيصير ربا عليك ينفق مالك عليك «وَ ارزُقُوهُمْ فِيهَا وَ اكْسُوهُمْ» اختلف في معناه فقيل يريد لا تؤتوهم أموالكم التي تملكونها و لكن ارزقوهم منها إن كانوا ممن يلزمكم نفقته و اكسوهم الآيه عن ابن عباس و الحسن و قتاده و مجاهد و قيل يريد لا تعط امرأتك و ولدك مالك فيكونوا هم الذين ينفقون عليك و أطعمهم من مالك و اكسهم عن السدى و ابن زيد و هذا أمر بإحراز المال و حسن سياسته كقوله وَ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ و يلتفت إليه قول

النبي ص نعم المال الصالح للرجل الصالح

و قيل عنى بقوله أموالكم أموالهم كما قال وَ لَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أى لا تؤتوا اليتامى أموالهم و ارزقوهم منها و اكسوهم عن سعيد بن جبير و الأولى حمل الآيه على العموم فلا يجوز أن تعطى المال السفية الذي يفسده و لا اليتيم الذي لا يبلغ و لا الذى بلغ و لم يؤنس منه الرشد و إنما تكون إضافة مال اليتيم إلى من له القيام بأمرهم ضربا من المجاز أو يكون التقدير لا تؤتوا السفهاء أموالكم التي بعضها لكم و بعضها لهم فيضيعوها و قد

روى أنه سئل الصادق (عليه السلام) عن هذا فقيل كيف يكون أموالهم أموالنا فقال إذا كنت أنت الوارث له

«وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا» أى تلتطفوا لهم فى القول و لا تخاشنوهم و قولوا لهم ما ينبههم على الرشد و الصلاح فى أمور المعاش و المعاد حتى إذا بلغوا كانوا على بصيره من ذلك و فى هذه الآيه دلالة على جواز الحجر على اليتيم إذا بلغ و لم يؤنس منه الرشد لأن الله منع من دفع المال إلى السفهاء و فيها أيضا دلالة على وجوب الوصيه إذا كانت الورثه سفهاء لأن ترك الوصيه و الحال هذه بمنزله إعطاء المال أهل السفه و إنما سمي الناقص العقل سفيتها لأن السفه خفه الحلم و لذلك سمي الفاسق أيضا سفيتها لأنه لا وزن له عند أهل الدين.

إشارة

وَ ابْتُلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَ بِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا وَ مَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَ مَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَ كَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا (٦)

اللغة

الإيناس الإبصار من قوله آنس من جانب الطور نارا أخذ من إنسان العين وهو حدقتها التي تبصر بها و أنست به أنسا ألفتة و فى قراءه عبد الله أحستم أى أحسستم بمعنى وجدتم فحذف إحدى السينين نحو قوله «فَطَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ» و أصل الإسراف تجاوز الحد المباح إلى ما لم يبح و ربما كان ذلك فى الإفراط و ربما كان فى التقصير غير أنه إذا كان فى الإفراط يقال منه أسرف يسرف إسرافا و إذا كان فى التقصير يقال سرف يسرف سرفا و يقال مررت بكم فسرفتكم يراد به سهوت عنكم و أخطأتكم قال الشاعر:

أعطوا هنيده تحذوها ثمانيه

ما فى عطائهم من و لا سرف

يريد أنهم يصيبون مواضع الإعطاء فلا يخطئونها و البدار المبادره و أصل ذلك الامتلاء و منه البدر القمر لامتلائه نورا و البدره لامتلائها بالمال و البيدر لامتلائه بالطعام و عين حدره بدره مكنتزه و الحسيب الكافى من قولهم أحسبني الشىء إذا كفانى و الحسيب من الرجال المرتفع النسب و قيل الحسيب بمعنى المحاسب.

الإعراب

«إِسْرَافًا» مصدر وضع موضع الحال و كذلك قوله «بِدَارًا» و موضع «أَنْ يَكْبُرُوا» نصب بالمبادره أى لا تأكلوا مسرفين و مبادرين كبرهم و قوله «بِالْمَعْرُوفِ» الجار و المجرور فى موضع نصب على الحال و «كَفَىٰ بِاللَّهِ» الباء مزيده و الجار و المجرور هنا فى موضع رفع بأنه فاعل كفى و «حَسِيبًا» منصوب على الحال أو التمييز و التقدير كفى الله فى حال الحساب.

المعنى

لما أمر الله بإيتاء الأيتام أموالهم و منع من دفع المال إلى السفهاء بين هنا

الحد الفاصل بين ما يحل من ذلك للولى و ما لا يحل فقال «وَ ابْتَلُوا الْيَتَامَى» هذا خطاب لأولياء اليتامى أمرهم الله أن يختبروا عقول اليتامى فى أفهامهم و صلاحهم فى أديانهم و إصلاحهم فى أموالهم و هو قول قتاده و الحسن و السدى و مجاهد و ابن عباس «حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ» معناه حتى يبلغوا الحد الذى يقدرّون معه على الوقوعه و ينزلون و ليس المراد بالبلوغ الاحتلام لأن فى الناس من لا يحتلم أو يتأخر احتلامه و هو قول أكثر المفسرين فمنهم من قال إذا كمل عقله و أونس منه الرشد سلم إليه ماله و هو الأولى و منهم من قال لا- يسلم إليه ماله و إن كان عاقلا حتى يبلغ خمس عشره سنه قال أصحابنا حد البلوغ أما كمال خمس عشره سنه أو بلوغ النكاح أو الإنبات و قوله «فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا» معناه فإن وجدتم منهم رشدا أو عرفتموه و اختلف فى معنى قوله «رُشْدًا» فقيل عقلا و دينا و صلاحا عن قتاده و السدى و قيل صلاحا فى الدين و إصلاحا فى المال عن الحسن و ابن عباس و قيل عقلا عن مجاهد و الشعبي قال لا يدفع إلى اليتيم ماله و إن أخذ بلحيته و إن كان شيخا حتى يؤنس منه رشد العقل و الأقوى أن يحمل على أن

المراد به العقل و إصلاح المال على ما قاله ابن عباس و الحسن و هو المروى عن الباقر

للإجماع على أن يكون كذلك لا يجوز عليه الحجر فى ماله و إن كان فاجرا فى دينه فكذلك إذا بلغ و هو بهذه الصفه و جب تسليم ماله إليه و فيه أيضا دلالة على جواز الحجر على العاقل إذا كان مفسدا لماله من حيث أنه إذا جاز أن يمنع المال عند البلوغ إذا كان مفسدا له فكذلك يجوز الحجر عليه إذا كان مفسدا له بعد البلوغ و هو المشهور فى أخبارنا و قوله «فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ» خطاب لأولياء اليتيم و هو تعليق لجواز الدفع بالشرطين البلوغ و إيناس الرشد فلا- يجوز الدفع قبلهما «وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا» أى بغير ما أباحه الله لكم و قيل معناه لا تأكلوا من مال اليتيم فوق ما تحتاجون إليه فإن لولى اليتيم أن يتناول من ماله قدر القوت إذا كان محتاجا على وجه الأجره على عمله فى مال اليتيم و قيل أن كل شىء من مال اليتيم فهو الأكل على وجه الإسراف و الأول أليق بمذهبنا فقد

روى محمد بن مسلم عن أحدهما قال سألته عن رجل بيده ماشيه لابن أخ له يتيم فى حجره أ يخلط أمرها بأمر ماشيته قال إن كان يليط حياضها و يقوم على مهنتها و يرد نادتها فليشرب من ألبانها غير منهك للحلبات و لا مضر بالولد

و قوله «وَ بَدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا» أى و مبادره لكبرهم معناه لا

تبادروا بأكل مالهم كبرهم و رشدهم حذرا أن يبلغوا فيلزمكم تسليم المال إليهم «وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ» أى من كان غنيا من الأولياء فليستعفف بماله عن أكل مال اليتيم و لا يأخذ لنفسه منه لا قليلا و لا كثيرا يقال استعف عن الشىء و عف عنه إذا امتنع منه و تركه «وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ» و

معناه من كان فقيرا فليأخذ من مال اليتيم قدر الحاجة و الكفايه على جهه القرض ثم يرد عليه ما أخذ منه إذا وجد عن سعيد بن جبير و مجاهد و أبى العاليه و الزهرى و عبيده السلمانى و هو مروى عن الباقر (عليه السلام)

و قيل معناه يأخذ قدر ما يسد به جوعته و يستر عورته لا على جهه القرض عن عطاء بن أبى رباح و قتاده و جماعه و لم يوجبوا أجره المثل لأن أجره المثل ربما كانت أكثر من قدر الحاجة و الظاهر فى روايات أصحابنا له أجره المثل سواء كان قدر كفايته أو لم يكن و سئل ابن عباس عن ولى يتيّم له إبل هل له أن يصيب من ألبانها فقال إن كنت تلوط حوضها و تهنأ جرباها أصبت من رسلها غير مضر بنسل و لا ناهك فى الحلب و الرسل اللبن و النهك المبالغه فى الحلب «فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ» و هذا خطاب أيضا لأولياء اليتيم أى إذا دفعتم إلى اليتامى أموالهم بعد البلوغ فاحتاطوا لأنفسكم بالإشهاد عليهم كى لا يقع منهم جحود و تكونوا أبعد من التهمه فانظر إلى حسن نظر الله لليتامى و للأوصياء و كمال لطفه بهم و رحمته لهم و إنعامه عليهم و كذلك نظره و لطفه بجميع عبادته فى أمور معاشهم و معادهم «وَ كَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا» أى شاهدا على دفع المال إليهم و كفى بعلمه و ثيقه و قيل محاسبا فاحذروا محاسبته فى الآخره كما تحذرون محاسبه اليتيم بعد البلوغ.

[سوره النساء (٤): آيه ٧]

إشارة

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (٧)

اللغة

الفرق بين الفرض و الوجوب أن الفرض يقتضى فرضا و ليس كذلك الوجوب لأنه قد يجب الشىء فى نفسه من غير إيجاب موجب و لذلك صح وجوب الثواب و العوض عليه تعالى و لم يجز أن يقال لذلك فرض و مفروض و أصل الفرض الثبوت فالفرض الحز فى سیه القوس حيث يثبت الوتر و الفرض ما أثبتته على نفسك من هبه أو صله و الفرض ما أعطيت

من غير قرض لثبوت تملكه و أصل الوجوب الوقوع يقال وجب الحائط وجوبا إذا وقع و سمعت وجبه أى وقع كالهده و وجب الحق وجوبا إذا وقع سبيه و وجب القلب وجيبا إذا خفق من فزع وقعه.

الإعراب

«نَصَبِيًّا مَفْرُوضًا» نصب على الحال لأن المعنى فرض للرجال نصيب ثم قال «نَصَبِيًّا مَفْرُوضًا» حالا مؤكدا و قيل هو اسم فى موضع المصدر كقولك قسما واجبا و فرضا لازما و لو كان اسما لا شائبه للمصدرية فيه لم يجز نحو قولك عندى حق درهما و يجوز لك عندى درهم هبه مقبوضه.

النزول

قيل كانت العرب فى الجاهليه يورثون المذكور دون الإناث فنزلت الآيه ردا لقولهم عن قتاده و ابن جريج و ابن زيد و قيل كانوا لا يورثون إلا من طاعن بالرماح و زاد عن الحرير و المال فقال تعالى مبينا حكم أموال الناس بعد موتهم بعد أن بين حكمها فى حال حياتهم.

المعنى

«لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ» أى حظ و سهم «مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَ الْأَقْرَبُونَ» أى من تركه الوالدين و الأقربين «وَ لِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَ الْأَقْرَبُونَ» أى و للنساء من قرابه الميت حصه و سهم من تركته «مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ» أى من قليل التركة و كثيرها «نَصِيبًا مَفْرُوضًا» أى حضا فرض الله تسليمه إلى مستوجبيه و مستحققيه لا محاله و هذه الآيه تدل على بطلان القول بالعصبه لأن الله تعالى فرض الميراث للرجال و للنساء فلو جاز منع النساء من الميراث فى موضع لجاز أن يجرى الرجال مجراهن فى المنع من الميراث و تدل أيضا على أن ذوى الأرحام يرثون لأنهم من جمله النساء و الرجال الذين مات عنهم الأقربون على ما ذهبنا إليه و هو مذهب أبى حنيفة أيضا و يدخل فى عموم اللفظ أيضا الأنبياء و غير الأنبياء فدل على أن الأنبياء يورثون كغيرهم على ما ذهبت إليه الفرقة المحقه.

[سوره النساء (٤): آيه ٨]

إشاره

وَ إِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَ الْيَتَامَىٰ وَ الْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٨)

لما بين سبحانه فيما تقدم حال من يرث بين هنا حال من لا يرث و اختلف الناس فى هذه الآيه على قولين (أحدهما)

أنها محكمه غير منسوخه عن ابن عباس و سعيد بن جبير و الحسن و إبراهيم و مجاهد و الشعبي و الزهرى و السدى و هو المروى عن الباقر

و اختاره البلخى و الجبائى و الزجاج و أكثر المفسرين و الفقهاء (و الآخر) أنها منسوخه بأى الموارث عن سعيد بن المسيب و أبى مالك و الضحاك و اختلف من قال أنها محكمه على قولين (أحدهما) أن الأمر فيها على الوجوب و اللزوم عن مجاهد و قال هو ما طابت به نفس الورثه و قال الآخرون أن الأمر فيها على الندب و قوله «وَ إِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ» معناه إذا شهد قسمه الميراث «أُولُوا الْقُرْبَى» أى فقراء قرابه الميت «وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينُ» أى و يتاماهم و مساكينهم يرجون أن تعودوا عليهم «فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ» أى أعطوهم من التركة قبل القسمه شيئاً و اختلف فى المخاطبين بقوله «فَارْزُقُوهُمْ» على قولين (أحدهما) أن المخاطب بذلك الورثه أمروا بأن يرزقوا المذكورين إذا كانوا لا- سهم لهم فى الميراث عن ابن عباس و ابن الزبير و الحسن و سعيد بن جبير و أكثر المفسرين و الآخر أن المخاطب بذلك من حضرته الوفاه و أراد الوصيه فقد أمر بأن يوصى لمن لا يرثه من المذكورين بشىء من ماله عن ابن عباس و سعيد بن المسيب و اختاره الطبرى «وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا» أى حسنا غير خشن و اختلف فيه أيضا فقال سعيد بن جبير أمر الله الولى أن يقول للذى لا يرث من المذكورين قولاً معروفاً إذا كانت الورثه صغاراً يقول إن هذا ليتامى صغار و ليس لكم فيه حق و لسنا نملك أن نعطيكم منه و قيل المأمور بذلك الرجل الذى يوصى فى ماله و القول المعروف أن يدعو لهم بالرزق و الغنى و ما أشبه ذلك و قيل الآيه فى الوصيه على أن يوصوا للقرابه و يقولوا لغيرهم قولاً معروفاً عن ابن عباس و سعيد بن المسيب و قد دلت الآيه على أن الإنسان قد يرزق غيره على معنى التملك فهو حجه على المجبره.

[سوره النساء (٤): الآيات ٩ الى ١٠]

اشاره

وَ لِيُخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَ لِيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً (٩) إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَ سَيَصْلُونَ سَعيراً (١٠)

ص: ٢٠

القراءه

قرأ ابن عامر و أبو بكر عن عاصم سيصلون بضم الياء و الباقون بفتحها.

الحجه

قال أبو على حجه من فتح الياء قوله اضِلُّوْهَا فَاصْبِرُوا و جَهَنَّمَ يَصِيْلُوْنَهَا و إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ و حجه من ضم الياء أنه من أصلاه الله النار كقوله فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا.

اللغه

ضعاف جمع ضعيف و ضعيفه و السديد السليم من خلل الفساد و أصله من سد الخلل تقول سدته أسده سدا و السداد الصواب و فيهم سداد من عوز بالكسر و سد السهم إذا قومه و السد الردم و صلى الرجل النار يصلها صلى و صلاء و صليا أى لزمها و أصلاه الله إصلاء و هو صال النار من قوم صلى و صالين و يقال صلى الأمر إذا قاسى حره و شدته قال العجاج:

(و صاليات للصلى صلى)

و قال الفرزدق:

و قاتل كلب الحى عن نار أهله

ليربض فيها و الصلا متكفف

و شاه مصليه أى مشويه و سعير بمعنى مسعوره مثل كف خضيب و السعر اشتعال النار و استعرت النار فى الحطب و منه سعر السوق لاستعارها به فى النفاق.

الإعراب

«ظُلْمًا» نصبه على المصدر لأن معنى قوله «يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى» يظلمونهم و يجوز أن يكون فى موضع الحال كقولهم جاءنى فلان ركضا أى يركض.

المعنى

لما أمر الله تعالى بالقول المعروف و نهاهم عن خلافه أمر بالأقوال السديده و الأفعال الحميده فقال «و لِيُخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا» فيه أقوال (أحدها) أنه كان الرجل إذا حضرته الوفاه قعد عنده أصحاب رسول الله (ص) فقالوا أنظر لنفسك فإن ولدك لا يغنون عنك من الله شيئا فيقدم جل ماله فقال و ليخش الذين لو تركوا من بعدهم أولادا صغارا «خافوا عليهم» الفقر و هذا نهى عن الوصيه بما يجحف بالورثه و أمر لمن حضر الميت عند الوصيه أن يأمره بأن يبقى لورثته و لا يزيد وصيته

على الثالث كما أن هذا القائل لو كان هو الموصى لأحب أن يحثه من حضره على حفظ ماله لورثته ولا يدعهم عالاه أى كما
تحبون ورثتكم فأحبوا ورثه غيركم و هذا معنى قول ابن عباس و سعيد بن جبير

ص: ٢١

و الحسن و قتاده و مجاهد و الضحاك (و ثانيها) إن الأمر فى الآيه لولى مال اليتيم يأمره بأداء الأمانه فيه و القيام بحفظه كما لو خاف على مخلفيه إذا كانوا ضعافا و أحب أن يفعل بهم عن ابن عباس أيضا فيكون معناه من كان فى حجره يتيم فليفعل به ما يحب أن يفعل بذريته من بعده و إلى هذا المعنى يؤول ما

روى عن موسى بن جعفر قال أن الله أوعد فى مال اليتيم عقوبتين ثنتين أما (إحداهما) فعقوبه الدنيا قوله «و لِيُخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا» الآيه قال يعنى بذلك ليخش أن أخلفه فى ذريته كما صنع بهؤلاء اليتامى

(و ثالثها) أنها وردت فى حرمان ذوى القربى أن يوصى لهم بأن يقول الحاضر لا- توصل لأقاربك و وفر على وراثتك و قوله «خَافُوا عَلَيْهِمْ» معناه خافوا من جفاء يلحقهم أو ظلم يصيبهم أو غضاظه أو ضعه «فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ» أى فليتنق كل واحد من هؤلاء فى يتامى غيره أن يجفوههم و يظلمهم و ليعاملهم بما يحب أن يعامل به يتاماه بعد موته و قيل فليتنقوا الله فى الإضرار بالمؤمنين «و لِيُقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا» أى مصيبا عدلا موافقا للشرع و الحق و قيل أنه يريد قولاً لا خلل فيه و قيل معناه فليخاطبوا اليتامى بخطاب حسن و قول جميل و فى معنى الآيه ما

روى عن النبى (ص) أنه قال من سره أن يزحزح عن النار و يدخل الجنة فليأته منيته و هو يشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله و يحب أن يأتى إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه

و

نهى رسول الله أن يوصى بأكثر من الثلث و قال و الثلث كثير

و

قال لسعد لأن تدع وراثتك أغنياء أحب إلى من أن تدعهم عاله يتكفون الناس

ثم أوعد الله آكلى مال اليتيم نار جهنم و قال «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا» أى ينتفعون بأموال اليتامى و يأخذونها ظلما بغير حق و لم يرد به قصر الحكم على الأكل الذى هو عبارته عن المضغ و الابتلاع و فائده تخصيص الأكل بالذكر أنه معظم منافع المال المقصوده فذكره الله تنبيها على ما فى معناه من وجوه الانتفاع و كذلك معنى قوله «و لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ و لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا و إنما علق الوعيد بكونه ظلما لأنه قد يأكله الإنسان على وجه الاستحقاق بأن يأخذ منه أجره المثل أو يأكل منه بالمعروف أو يأخذه قرضا على نفسه على ما تقدم القول فى ذلك فلا يكون ظلما فإن قيل إذا أخذه قرضا أو أجره المثل فإنما أكل مال نفسه و لم يأكل مال اليتيم فجوابه لا بل يكون أكلا مال اليتيم لكن لا على وجه يكون ظلما بأن ألزم عوضه على نفسه أو استحققه بالعمل و لو سلمنا ذلك لجاز أن يكون إنما ذكر كونه ظلما لضرب من التأكيد و البيان لأن أكل مال اليتيم لا يكون إلا ظلما و

سئل الرضا كم أدنى ما يدخل به أكل مال اليتيم تحت الوعيد فى هذه الآيه فقال قليله و كثيره واحد إذا كان من نيته أن لا يرده إليهم

و قوله «إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا» قيل فيه وجهان

ص: ٢٢

(أحدهما) إن النار ستلتهب من أفواههم و أسماعهم و آنفهم يوم القيامة ليعلم أهل الموقف أنهم آكله أموال اليتامى عن السدى و

روى عن الباقر أنه قال قال رسول الله (ص) يبعث ناس من قبورهم يوم القيامة تأجج أفواههم نارا فليل له يا رسول الله من هؤلاء فقرأ هذه الآيه

(و الآخر) أنه ذكر ذلك على وجه المثل من حيث أن من فعل ذلك يصير إلى جهنم فتمتلئ بالنار أجوافهم عقابا على أكلهم مال اليتيم كما قال الشاعر:

و إن الذى أصبحتم تحلبونه

دم غير أن اللون ليس بأحمرا

يصف أقواما أخذوا الإبل فى الديه يقول إنما تحلبون دم القتيل منها لا الألبان «و سَيَصِفُونَ سَيَعِيرًا» أى سيلزمون النار المسعره للإحراق و إنما ذكر البطون تأكيدا كما يقال نظرت بعينى و قلت بلسانى و أخذت يدي و مشيت برجلي و

روى الحلبي عن الصادق (عليه السلام) قال إن فى كتاب على بن أبى طالب أن من أكل مال اليتيم ظلما سيدرکه وبال ذلك فى عقبه من بعده و يلحقه وبال ذلك فى الآخرة أما فى الدنيا فإن الله يقول «و لِيُخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا» الآيه و أما فى الآخرة فإن الله يقول «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا» الآيه.

[سوره النساء (٤): آيه ١١]

اشاره

يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَ لِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُّسُ مِمَّا تَرَكَ إِذْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ الشُّدُّسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوَصِّي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَ أَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١)

قرأ أهل المدينة و إن كانت واحده بالرفع و الباقون بالنصب و قرأ حمزه و الكسائي فلأمه و فى إمها و نحوه بكسر الهمزه و الميم و حمزه بطون إمها تكم و بيوت إمها تكم بكسرهما و الكسائي بكسر الهمزه و فتح الميم و الباقون بضم الهمزه فى الجميع و قرأ ابن عامر و ابن كثير و أبو بكر عن عاصم يوصى بفتح الصاد فى الموضوعين و قرأ حفص الأولى بكسر الصاد و الثانى بالفتح و الباقون بكسرهما.

الحجه

الاختيار فى «واحد» النصب لأن التى قبلها لها خبر منصوب و هو قوله «فإن كن نساء» أى و إن كانت الورثه واحده و وجه الرفع إن وقعت واحده أو وجدت واحده أى إن حدث حكم واحده لأن المراد حكمها لا ذاتها و وجه قراءه حمزه و الكسائي فلأمه بكسر الهمزه إن الهمزه حرف مستثقل بدلاله تخفيفهم لها فأتبعوها ما قبلها من الكسره و الياء ليكون العمل فيها من وجه واحد و يقوى ذلك أنها تقارب الهاء و قد فعلوا ذلك بالهاء فى نحو عليه و به و من قرأ «يوصى» فلأن ذكر الميت قد تقدم فى قوله «فإن كان له إخوة فلأمه السدس» و من قرأ يوصى فإنما يحسنه أنه ليس بميت معين إنما هو شائع فى الجميع فهو فى المعنى يؤول إلى «يوصى».

الإعراب

«لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ» جمله من مبتدأ و خبر تفسير لقوله «يُوصِيكُمُ اللَّهُ» و إنما لم يقل للذكر مثل حظ الأنثيين بنصب لام مثل فيعدى قوله «يُوصِيكُمُ» إليه لأنه فى تقرير القول فى حكاية الجملة بعده فكأنه قال قال الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين و قوله الثلث و السدس و الربع و نحوها يجوز فيها التخفيف لثقل الضم فيقال ثلث و سدس و ربع و ثمن قال الزجاج و من زعم أن الأصل التخفيف فيها فنقل فخطأ لأن الكلام موضوع على الإيجاز لا على التثقيل و إنما قيل للأب و الأم أبوان تغليبا للفظ الأب و لا يلزم أن يقال فى ابن و ابنه ابنان لأنه يوهم فإن لم يوهم جاز ذلك ذكره الزجاج و «فَرِيضَةٌ» منصوب على التأكيد و الحال من قوله «لِأَبَوَيْهِ» و لهؤلاء الورثه ما ذكرنا مفروضا ففريضة مؤكده لقوله «يُوصِيكُمُ اللَّهُ» و يجوز أن يكون نصبا على المصدر من «يُوصِيكُمُ اللَّهُ» لأن معناه يفرض عليكم فريضه.

النزول

روى محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أنه قال مرضت فعادنى رسول الله و أبو بكر و هما يمشيان فأغمى على فدعا بماء فتوضأ ثم صبه على فأفقت فقلت يا رسول الله كيف أصنع فى مالى فسكت رسول الله فنزلت آيه المواريث فى

و قيل نزلت فى

عبد الرحمن أخى حسان الشاعر و ذلك أنه مات و ترك امرأه و خمسة إخوان فجاءت الورثة فأخذوا ماله و لم يعطوا امرأته شيئا فشكت ذلك إلى رسول الله فأنزل الله آية المواريث عن السدى و قيل كانت المواريث للأولاد و كانت الوصية للوالدين و الأقربين فنسخ الله ذلك و أنزل آية المواريث

فقال رسول الله إن الله لم يرض بملك مقرب و لا نبى مرسل حتى تولى قسم التركات و أعطى كل ذى حق حقه

عن ابن عباس.

المعنى

ثم بين تعالى ما أجمله فيما قبل من قوله لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ الآية بما فصله فى هذه الآية فقال «يُوصِيكُمُ اللَّهُ» أى يأمركم و يفرض عليكم لأن الوصية منه تعالى أمر و فرض يدل على ذلك قوله وَ لَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذِكْرِكُمْ وَصَاكُم بِهِ* و هذا من الفرض المحكم علينا «فِي أَوْلَادِكُمْ» أى فى ميراث أولادكم أو فى توريث أولادكم و قيل فى أمور أولادكم إذا تم ثم بين ما أوصى به فقال «لِلذَّكَرِ مِثْلُ مِثْلِ الْأُنثِيَيْنِ» أى للابن من الميراث مثل نصيب البنتين ثم ذكر نصيب الإناث من الأولاد فقال «فَمِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ» أى فإن كانت المتروكات أو الأولاد نساء فوق اثنتين «فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ» من الميراث ظاهر هذا الكلام يقتضى أن البنتين لا يستحقان الثلثين لكن الأمه أجمعت على أن حكم البنتين حكم من زاد عليهما من البنات و ذكر فى الظاهر وجوه (أحدها) إن فى الآية بيان حكم البنتين فما فوقهما لأن معناه فإن كن اثنتين فما فوقهما فلهن ثلثا ما ترك إلا أنه قدم ذكر الفوق على الاثنتين كما

روى عن النبى (ص) أنه قال لا تسافر المرأة سفرا فوق ثلاثة أيام إلا و معها زوجها أو ذو محرم لها

و معناه لا تسافر سفرا ثلاثة أيام فما فوقها (و ثانيها) ما قاله أبو العباس المبرد إن فى الآية دليلا على أن للبنتين الثلثين لأنه إذا قال «لِلذَّكَرِ مِثْلُ مِثْلِ الْأُنثِيَيْنِ» و كان أول العدد ذكرا و أنثى و للذكر الثلثان و للأنثى الثلث علم من ذلك أن للبنتين الثلثين ثم أعلم الله بأن ما فوق البنتين لهن الثلثان (و ثالثها) أن البنتين أعطيتا الثلثين بدليل لا يفرض لهما مسمى و الدليل قوله تعالى يَسْتَفْتُونَكَ فى النساء قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فى الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَ لَعْدٌ وَ لَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ فقد صار للأخت النصف كما أن للبنت النصف فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان و أعطيت الابنتان الثلثين كما أعطيت الأختان الثلثين و أعطيت جملة الأخوات الثلثين كما أعطيت البنات الثلثين و يدل عليه أيضا الإجماع على أن حكم البنتين حكم البنات فى استحقاق الثلثين إلا ما روى عن ابن عباس إن للبنتين النصف و إن الثلثين فرض الثلث من

البنات و حكى النظام فى كتاب النكت عن ابن عباس أنه قال للبنتين نصف و قيراط لأن للواحد النصف و للثلاث الثلثين فينبغى أن يكون للبنتين ما بينهما «وَ إِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً» أى و إن كانت المولوده أو المتروكه واحده «فَلَهَا النِّصْفُ» أى نصف ما ترك الميت ثم ذكر ميراث الوالدين فقال «وَ لِأَبَوَيْهِ» يعنى بالأبوين الأب و الأم و الهاء الذى أضيف إليه الأبوان كناية عن غير مذكور تقديره و لأبوى الميت «لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَوَلَدٌ» فلأب السدس مع الولد و كذلك الأم لها السدس معه ذكرا كان أو أنثى واحدا كان أو أكثر ثم إن كان الولد ذكرا كان الباقي له و إن كانوا ذكورا فالباقي لهم بالسويه و إن كانوا ذكورا و إناثا فللذكر مثل حظ الأنثيين و إن كانت بنتا فلها النصف بالتسميه و لأحد الأبوين السدس أو لهما السدسان و الباقي عند أئمتنا يرد على البنت و على أحد الأبوين أو عليهما على قدر سهامهم بدلاله قوله «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ» و قد ثبت أن قرابه الوالدين و قرابه الولد متساويه لأن الولد يتقرب إلى الميت بنفسه كما أن الوالدين يتقربان إليه بأنفسهما و ولد الولد يقوم مقام الولد للصلب مع الوالدين كل منهم يقوم مقام من يتقرب به و فى بعض هذه المسائل خلاف بين الفقهاء «فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ» يعنى للميت «وَوَلَدٌ» أى ابن و لا بنت و لا أولادهما لأن اسم الولد يعم الجميع «وَ وَرَثَةُ آبَوَاهُ فَلِأُمَّهِ الثُّلُثُ» و ظاهر هذا يدل على أن الباقي للأب و فيه إجماع

فإن كان فى الفريضة زوج فإن له النصف و للأم الثلث و الباقي للأب و هو مذهب ابن عباس و أئمتنا

و من قال فى هذه المسأله أن للأم ثلث ما يبقى فقد ترك الظاهر و كذلك إن كان بدل الزوج الزوجه فلها الربع و للأم الثلث و الباقي للأب و قوله «فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمَّهِ السُّدُسُ» قال أصحابنا إنما يكون لها السدس إذا كان هناك أب و يدل عليه ما تقدمه من قوله «وَ وَرَثَةُ آبَوَاهُ» فإن هذه الجملة معطوفه على قوله «فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَوَلَدٌ وَ وَرَثَةُ آبَوَاهُ فَلِأُمَّهِ الثُّلُثُ» و تقديره فإن كان له إخوه و ورثه أبواه فلأمه السدس و قال بعض أصحابنا أن لها السدس مع وجود الأخوه و إن لم يكن هناك أب و به قال جميع الفقهاء و اتفقوا على أن الأخوين يحجبان الأم من الثلث إلى السدس و قد روى عن ابن عباس أنه قال لا تحجب الأم عن الثلث إلى السدس بأقل من ثلاثه من الأخوه و الأخوات كما تقتضيه ظاهر الآيه و أصحابنا يقولون لا تحجب الأم عن الثلث إلى السدس إلا بالأخوين أو أخ و أختين أو أربع أخوات من قبل الأب و الأم أو من قبل الأب خاصه دون الأم و فى ذلك خلاف بين الفقهاء قالوا و العرب تسمى الإثنتين بلفظ الجمع فى كثير من كلامهم حكى سيويه أنهم يقولون وضعا رحالهما يريدون رحلى راحلتيهما و قال تعالى وَ كُنَّا لِحُكْمِهِمْ

شَاهِدِينَ يَعْنِي حَكْمَ دَاوُدَ وَ سَلِيمَانَ وَقَالَ قَتَادَةُ إِنَّمَا تَحْجِبُ الْأَخُوهُ الْأُمَّ مَعَ أَنَّهُمْ لَا يَرِثُونَ مِنَ الْمَالِ شَيْئًا مَعُونَهُ لِلْأَبِّ لِأَنَّ الْأَبَّ يَقُومُ بِنَفَقَتِهِمْ وَ نِكَاحِهِمْ دُونَ الْأُمِّ وَ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الْأَخُوهُ لِلْأُمِّ لَا يَحْجِبُونَ عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَصْحَابُنَا لِأَنَّ الْأَبَّ لَا يَلْزِمُهُ نَفَقَتُهُمْ بِلَا خِلَافٍ «مَنْ بَعْدَ وَصِيَّتِهِ يُوصَى بِهَا أَوْ ذَيْنِ» أَيْ تَقْسِمُ التَّرَكَةَ عَلَى مَا ذَكَرْنَا بَعْدَ قَضَاءِ الدِّيُونِ وَ إِقْرَارِ الوَصِيهِ وَ لَا خِلَافَ فِي أَنَّ الدِّينَ مَقْدَمٌ عَلَى الوَصِيهِ وَ المِيرَاثِ وَ إِنِ أَحَاطَ بِالْمَالِ فَأَمَّا الوَصِيهِ فَقَدْ قِيلَ إِنَّهَا مَقْدَمَةٌ عَلَى المِيرَاثِ وَ قِيلَ بِلِ الوَصِيِّ لَهُ شَرِيكَ الوَارِثِ لَهُ الثَّلَاثُ وَ لَهُمُ الثَّلَاثَانُ وَ قَدْ

رَوَى عَنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَنَّهُ قَالَ إِنَّكُمْ تَقْرَأُونَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الوَصِيهِ قَبْلَ الدِّينِ وَ إِنِ رَسُولُ اللَّهِ (ص) قَضَى بِالدِّينِ قَبْلَ الوَصِيهِ

وَ الِوَجْهَ فِي تَقْدِيمِ الدِّينِ عَلَى الوَصِيهِ فِي الْآيَةِ إِنْ لَفِظَ أَوْ إِنَّمَا هُوَ لِأَحَدِ الشَّيْئَيْنِ أَوْ الْأَشْيَاءِ وَ لَا يُوْجِبُ التَّرْتِيبَ فَكَأَنَّهُ قَالَ مِنْ بَعْدِ أَحَدِ هَذَيْنِ مَفْرَدًا أَوْ مَضْمُومًا إِلَى الْآخَرِ وَ هَذَا كَقَوْلِهِمْ جَالَسَ الحَسَنُ أَوْ ابْنَ سِيرِينَ أَيْ جَالَسَ أَحَدَهُمَا مَفْرَدًا أَوْ مَضْمُومًا إِلَى الْآخَرِ «آبَاؤُكُمْ وَ أُنْبَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا» ذَكَرَ فِيهِ وَجْهٌ (أَحَدُهَا) إِنْ مَعْنَاهُ لَا تَدْرُونَ أَيُّ هَؤُلَاءِ أَنْفَعُ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا فَتَعْطُونَهُ مِنَ المِيرَاثِ مَا يَسْتَحِقُّ وَ لَكِنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ الفَرَائِضَ عَلَى مَا هُوَ عِنْدَهُ حَكْمَهُ عَنِ المِجَاهِدِ (وَ ثَانِيهَا) إِنْ مَعْنَاهُ لَا تَدْرُونَ بِأَيِّهِمْ أَنْتُمْ أَسْعَدُ فِي الدُّنْيَا وَ الدِّينِ وَ اللَّهُ يَعْلَمُهُ فَاقْتَسَمُوهُ عَلَى مَا بَيْنَهُ مِنَ المَصْلَحَةِ فِيهِ عَنِ الحَسَنِ (وَ ثَالِثُهَا) إِنْ مَعْنَاهُ لَا تَدْرُونَ أَنْ نَفْعَكُمْ بِتَرْبِيَةِ آبَائِكُمْ لَكُمْ أَكْثَرُ أَمْ نَفْعُ آبَائِكُمْ بِخِدْمَتِكُمْ إِيَّاهُمْ وَ إِتْفَاقِكُمْ عَلَيْهِمْ عِنْدَ كِبَرِهِمْ عَنِ الجُبَّائِيِّ (وَ رَابِعُهَا) أَنْ المَعْنَى أَطَوَعَكُمْ اللَّهُ عِزُّ وَ جَلُّ مِنَ الآبَاءِ وَ الأَبْنَاءِ أَرْفَعَكُمْ دَرَجَةَ يَوْمَ القِيَامَةِ لِأَنَّ اللَّهَ يَشْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ بِبَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ فَإِنْ كَانَ الوَالِدُ أَرْفَعَ دَرَجَةً فِي الجَنَّةِ مِنْ وَلَدِهِ رَفَعَ اللَّهُ إِلَيْهِ وَلَدَهُ فِي دَرَجَتِهِ لِتَقَرُّ بِذَلِكَ عَيْنُهُ وَ إِنْ كَانَ الوَلَدُ أَرْفَعَ دَرَجَةً مِنْ وَالِدِهِ رَفَعَ اللَّهُ وَالِدَهُ إِلَى دَرَجَتِهِ لِتَقَرُّ بِذَلِكَ أَعْيُنُهُمْ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (وَ خَامِسُهَا) إِنْ المَرَادُ لَا تَدْرُونَ أَيُّ الوَارِثِينَ وَ المَوْرُوثِينَ أَسْرَعُ مَوْتًا فِيرِثُهُ صَاحِبُهُ فَلَا تَتَمَنَّوْنَ مَوْتَ المَوْرُوثِ وَ لَا تَسْتَعْجِلُوهُ عَنِ أَبِي مُسْلِمٍ «فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ» أَيْ فَرَضَ اللَّهُ ذَلِكَ فَرِيضَةً أَوْ كَمَا ذَكَرْنَا فِي الإِغْرَابِ «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا» أَيْ لَمْ يَزَلْ عَلِيمًا بِمَصَالِحِكُمْ حَكِيمًا فِيمَا يَحْكُمُ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذِهِ الأَمْوَالِ وَ غَيْرِهَا قَالَ الزَّجَاجُ فِي كَانَ هُنَا ثَلَاثَةٌ أَقْوَالٌ قَالَ سَبْيُوهُ كَانَ القَوْمُ شَاهَدُوا عِلْمًا وَ حَكْمَهُ وَ مَغْفِرَهُ وَ تَفَضُّلًا فَقِيلَ لَهُمْ أَنَّ اللَّهَ كَانَ كَذَلِكَ عَلَى مَا شَاهَدْتُمْ وَ قَالَ الحَسَنُ كَانَ عَلِيمًا بِالأَشْيَاءِ قَبْلَ خَلْقِهَا حَكِيمًا فِيمَا يَقْدِرُ تَدْبِيرَهُ مِنْهَا وَ قَالَ بَعْضُهُمُ الخَبْرُ مِنَ اللَّهِ فِي هَذِهِ الأَشْيَاءِ بِالمَضْيِ كَالخَبْرِ بِالاسْتِقْبَالِ وَ الحَالِ لِأَنَّ الأَشْيَاءَ عِنْدَ اللَّهِ فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ مَا مَضَى وَ مَا يَكُونُ وَ مَا هُوَ كَائِنٌ.

إشارة

وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يُكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوْصِيْنَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَ لَهِنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يُكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ تُوْصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّتِهِ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (١٢)

القراءة

روى فى الشواذ قراءة الحسن يورث بكسر الراء «كلاله» و قراه عيسى بن عمر الثقفى يورث و قرأ الحسن أيضا غير مضار وصيه مضاف.

الحج

كلاهما منقول من ورث فهذا من أورث و ذاك من ورث و فى كلتا القراءتين المفعولان محذوفان فكأنه قال يورث وارثه ماله و قد جاء حذف المفعولين جميعا قال الكمي:

بأى كتاب أم بأيه سنه

ترى حبهام عارا على و تحسب

فلم يعد تحسب و أما قوله «غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّتِهِ» فىعى به غير مضار من جهه الوصيه أو عند الوصيه كقول طرفه (بضه المتجرد) أى بضه عند تجردها و هذا كما يقال شجاع حرب و كريم مسأله أى شجاع عند الحرب و كريم عند المسأله.

اللغة

أصل الكلاله الإحاطه و منه الإكليل لإحاطته بالرأس و منه الكل لإحاطته

بالعدد فالكلالة تحيط بأصل النسب الذى هو الولد و الوالد و قال أبو مسلم أصلها من كل أى أعيبى فكأن الكلالة تناول الميراث من بعد على كلال و إعياء و قال الحسين بن على المغربى أصله عندى ما تركه الإنسان وراء ظهره مأخوذاً من الأكل و هو الظهر تقول العرب ولائى فلان إكله على وزن إطله أى ولائى ظهره و العرب تخبر بهذا الاسم عن جملة النسب و الوراثه قال عامر بن الطفيل:

و إنى و إن كنت ابن فارس عامر

و فى السر منها و الصريح المهذب

فما سودتنى عامر عن كلاله

أبى الله أن أسمو بأم و لا أب

و يروى عن وراثه و قال زياده بن زيد العذرى:

و لم أرث المجد التليد كلاله

و لم يأن منى فتره لعقيب

و يقال رجل كلاله و قوم كلاله و امرأه كلاله لا تشنى و لا تجمع لأنه مصدر.

الإعراب

ينتصب كلاله على أنه مصدر وضع موضع الحال و يكون كان التامه و يورث صفه رجل و تقديره إن وجد رجل موروث متكامل النسب و العامل فى الحال يورث و ذو الحال الضمير فى يورث و يجوز أن ينتصب كلاله على أنه خبر كان على أن يكون كان ناقصه قال الزجاج من قرأ يورث بكسر الراء فكلاله مفعول و من قرأ «يُورَثُ» فكلاله منصوب على الحال «غَيْرَ مُضَارٍّ» منصوب على الحال أيضا وصيه ينصب على المصدر أى يوصيكم الله بذلك وصيه.

المعنى

ثم خاطب الله الأزواج فقال «و لَكُمْ» أيها الأزواج «نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ» أى زوجاتكم «إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ» لا ذكر و لا أنثى و لا ولد «فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ» أى من ميراثهن «مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ» قد مر تفسيره «و لَهُنَّ» أى و لزوجاتكم «الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ» من الميراث «إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ» واحده كانت الزوجه أو اثنتين أو ثلاثا أو أربعا لم يكن لهن أكثر من ذلك «فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ» ذكر أو أنثى أو ولد «فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ» من الميراث واحده كانت الزوجه أو أكثر من ذلك «مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ تُوصُونَ بِهَا» أيها الأزواج «أَوْ دَيْنٍ» و قد مر فى ما مضى بيان ميراث الأزواج ثم ذكر ميراث ولد الأم فقال «و إِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً» اختلف فى معنى

الكلاله فقال جماعه من الصحابه و التابعين منهم أبو بكر و عمر و ابن عباس فى إحدى الروايتين عنه و قتاده و الزهرى و ابن زيد هو من عدا الوالد و الولد و فى الروايه الأخرى عن ابن عباس أنه من عدا الوالد و قال الضحاك و السدى أنه اسم للميت الذى يورث عنه و

المروى عن أئمتنا أن الكلاله الإخوه و الأخوات

و المذكور فى هذه الآيه من كان من قبل الأم منهم و المذكور فى آخر السوره من كان منهم من قبل الأب و الأم أو من قبل الآباء «أَوْ امْرَأَةً» هو عطف على قوله «وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ» معناه و إن كان رجل كلاله يورث ماله أو امرأه كلاله تورث مالها على قول من قال إن الميت نفسه يسمى كلاله و من قال إنه الحى الوارث فتقديره و إن كان رجل يورث فى حال تكلل نسبه به أو امرأه تورث كذلك و هو قول ابن عمر و أهل الكوفه و يؤيده ما

روى عن جابر أنه قال أتانى رسول الله و أنا مريض فقلت و كيف الميراث و إنما يرثنى كلاله فنزلت آيه الفرائض

فالكلاله فى النسب من أحاط بالميت و تكلله من الإخوه و الأخوات و الولد و الوالد ليسا بكلاله لأنهما أصل النسب الذى ينتهى إلى الميت و من سواهما خارج عنهما و إنما يشتمل عليهما بالأنساب من غير جهة الولاده فعلى هذا تكون الكلاله كالإكليل يشتمل على الرأس و يحيط به و ليس من أصله فإن الوالد و الولد طرفان للرجل فإذا مات الرجل و لم يخلفهما فقد مات عن ذهاب طرفيه فسمى ذهاب طرفيه كلاله و قوله «وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ» يعنى الأخ و الأخت من الأم «فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ» جعل للذكر و الأنثى هاهنا سواء و لا خلاف بين الأمه أن الإخوه و الأخوات من قبل الأم متساوون فى الميراث «مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ» مر بيانه «غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّتِهِ مِنَ اللَّهِ» منع الله من الضرر فى الوصيه أى غير موص و وصيه تضر بالورثه و قيل أراد غير مضار فى الميراث كره سبحانه الضرر فى الحياه و بعد الممات عن قتاده و تقديره لا يضار بعض الورثه بعضا و قيل هو أن يوصى بدين ليس عليه يريد بذلك ضرر الورثه فالضرر فى الوصيه راجع إلى الميراث و هو أن يضرب فى وصيته بماله أو بعضه لأجنبى أو يقر بدين لا حقيقه له دفعا للميراث عن وارثه أو يقر باستيفاء دين له فى مرضه أو يبيع ماله فى مرضه و استيفاء ثمنه لثلاث يصل إلى وارثه و جاء فى

الحديث أن الضرر فى الوصيه من الكبائر

«وَاللَّهُ عَلِيمٌ» بمصالح عبادته يحكم بما توجب الحكمة فى قسمه الميراث و الوصايا و غيرها «حَلِيمٌ» لا يعاجل العصاه بالعقوبه و يمن عليهم بالانتظار و المهله و فى هاتين الآيتين دلالة على تقدير سهام أصحاب الموارث و نحن نذكر من ذلك جمله موجزه منقوله عن أهل البيت دون غيرهم فإن الاختلاف فى مسائل الموارث بين الفقهاء كثير يطول بذكره الكتاب فمن

أرادته وجدته في مظانه: اعلم أن الإرث يستحق بأمرين نسب و سبب فالسبب الزوجيه و الولاء فالميراث بالزوجيه يثبت مع كل نسب و الميراث بالولاء لا يثبت إلا مع فقد كل نسب و أما النسب فعلى ضربين (أحدهما) أبو الميت و من يتقرب به (و الآخر) ولده و ولد ولده و إن سفل و المانع من الإرث بعد وجود سبب وجوبه ثلاثه الكفر و الرق و قتل الوارث من كان يرثه لو لا القتل و لا يمنع الأبوين و الولد و الزوج و الزوجات من أصل الإرث مانع ثم هم على ثلاثه أضرب (الأول) الولد يمنع من يتقرب به و من يجرى مجراه من ولد إخوته و أخواته عن أصل الإرث و يمنع من يتقرب بالأبوين و يمنع الأبوين عما زاد على السدس إلا على سبيل الرد مع البنت أو البنات و الأبوان يمنعان من يتقرب بهما أو بأحدهما و لا يتعدى منعهما إلى غير ذلك و الزوج و الزوجه لا- حظ لهما في المنع و ولد الولد و إن سفل يقوم مقام الولد الأدنى عند فقده في الإرث و المنع و يترتبون الأقرب فالأقرب و هذه سبيل ولد الإخوه و الأخوات و إن سفل عند فقد الإخوه و الأخوات مع الأجداد و الجدات ثم إن الميراث بالنسب يستحق على وجهين بالفرض و القرابه بالفرض ما سماه الله و لا- يجتمع في ذلك إلا من كانت قرابته متساويه إلى الميت مثل البنت أو البنات مع الأبوين أو أحدهما لأن كل واحد منهم يتقرب إلى الميت بنفسه فمتى انفرد أحدهم بالميراث أخذ المال كله بعضه بالفرض و الباقي بالقرابه و عند الاجتماع يأخذ كل واحد منهم ما سمي له و الباقي يرد عليهم على قدر سهامهم فإن نقصت التركة عن سهامهم لمزاحمه الزوج أو الزوجه لهم كان النقص داخلا- على البنت أو البنات دون الأبوين أو أحدهما و دون الزوج و الزوجه و يصح اجتماع الكلالتين معا لتساوى قرابتهما فإذا فضل التركة عن سهامهم يرد الفاضل على كلاله الأب و الأم أو الأب دون كلاله الأم و كذلك إذا نقصت عن سهامهم لمزاحمه الزوج أو الزوجه لهم كان النقص داخلا عليهم دون كلاله الأم و الزوج و الزوجه لا يدخل عليهم النقصان على حال فعلى هذا إذا اجتمع كلاله الأب مع كلاله الأم كان لكلاله الأم للواحد السدس و للاثنتين فصاعدا الثلث لا ينقصون منه و الباقي لكلاله الأب و لا يرث كلاله الأب مع كلاله الأب و الأم ذكورا كانوا أو إناثا فأما من يرث بالقرابه دون الفرض فأقواهم الولد للصلب ثم ولد الولد يقوم مقام الولد و يأخذ نصيب من يتقرب به ذكرا كان أو أنثى و البطن الأول يمنع من نزل عنه بدرجة ثم الأب يأخذ جميع المال إذا انفرد ثم من يتقرب به أما ولده أو والده أو من يتقرب بهما من عم أو عمه فالجد أب الأب مع الأخ الذي هو ولده في درجه و كذلك الجده مع الأخت فهم يتقاسمون المال للذكر مثل حظ الأنثيين و من له سببان يمنع من له سبب واحد و ولد الإخوه و الأخوات يقومون مقام

آبائهم و أمهاتهم فى مقاسمه الجد و الجده كما يقوم ولد الولد مقام الولد للصلب مع الأب و كذلك الجد و الجده و إن عليا يقاسمان الإخوه و الأخوات و أولادهم و إن نزلوا على حد واحد و أما من يرث بالقربان ممن يتقرب بالأم فهم الجد و الجده أو من يتقرب بهما من الخال و الخاله فإن أولاد الأم يرثون بالفرض أو بالفرائض دون القربان فالجد و الجده من قبلها يقاسمان الإخوه و الأخوات من قبلها و متى اجتمع قرابه الأب مع قرابه الأم مع استوائهم فى الدرجه كان لقربان الأم الثلث بينهم بالسويه و الباقي لقربان الأب للذكر مثل حظ الأنثيين و متى بعد إحدى القربان بدرجه سقطت مع التى هى أقرب سواء كان الأقرب من قبل الأب أو من قبل الأم إلا- فى مسأله واحده و هو ابن عم للأب فإن المال لابن العم هذه أصول مسائل الفرائض و لتفريعها شرح طويل دونه المشايخ فى كتب الفقه.

[سوره النساء (٤): الآيات ١٣ الى ١٤]

إشاره

تَلَمَّكَ حُدُودُ اللَّهِ وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَ مَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَ لَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٤)

القراءه

قرأ نافع و ابن عامر ندخله بالنون فى الموضعين و الباقيون بالياء.

الحججه

من قرأ بالياء فلأن ذكر الله قد تقدم فحمل الكلام على الغيبه و من قرأ بالنون عدل عن لفظ الغيبه إلى الإخبار عن الله بنون الكبرياء و يقوى ذلك قوله بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ ثُمَّ قَالَ سُنُّقَى.

اللغه

الحد الحاجز بين الشئيين و أصله المنع و الفصل و حدود الدار تفصلها عن غيرها و الفوز و الفلاح نظائر.

الإعراب

«خَالِدِينَ فِيهَا» نصب على الحال قال الزجاج و التقدير يدخلهم مقدرين الخلود فيها و الحال يستقبل بها تقول مررت برجل معه باز صائدا به غدا أى مقدر الصيد به

غدا و قوله «خالداً فيها» منصوب على أحد وجهين (أحدهما) الحال من الهاء في «يُدْخِلُهُ ناراً» و التقدير على ما ذكرناه (و الآخر) أن يكون صفة لقوله «ناراً» و هذا كما تقول زيد مرتت بدار ساكن فيها فيكون على حذف الضمير من ساكن هو فيها لأن اسم الفاعل إذا جرى على غير من هو له لم يتضمن الضمير كما يتضمنه الفعل و لو قلت يسكن فيها يجب إبرازه فتقول زيد مرتت بدار ساكن هو فيها.

المعنى

لما فرض الله فرائض الموارث عقبها بذكر الوعد فى الائتمار لها و الوعيد على التعدى لحدودها فقال «تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ» أى هذه التى بينت فى أمر الفرائض و أمر اليتامى حدود الله أى الأمكنه التى لا ينبغى أن تتجاوز عن الزجاج و اختلف فى معنى الحدود على أقوال (أحدها) تلك شروط الله عن السدى (و ثانيها) تلك طاعه الله عن ابن عباس (و ثالثها) تلك تفصيلات الله لفرائضه و هو الأقوى فىكون المراد هذه القسمة التى قسمها الله لكم و الفرائض التى فرضها الله لأحيائكم من أمواتكم فصول بين طاعه الله و معصيته فإن معنى حدود الله حدود طاعه الله و إنما اختصر لوضوح معناه للمخاطبين «وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» فيما أمر به من الأحكام و قيل فيما فرض له من فرائض الموارث «يُدْخِلُهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا» أى من تحت أشجارها و أبنتها «الأنهار» أى ماء الأنهار حذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه فى الموضعين «خَالِدِينَ فِيهَا» أى دائمين فيها «وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» أى الفلاح العظيم وصفه بالعظيم و لم يبين بالإضافة إلى ما ذا و المراد أنه عظيم بالإضافة إلى منفعه الحيازه فى التركة من حيث كان أمر الدنيا حقيراً بالإضافة إلى أمر الآخرة و إنما خص الله الطاعه فى قسمة الميراث بالوعد مع أنه واجب فى كل طاعه إذا فعلت لوجوبها أو لوجه وجوبها ليبين عن عظم موقع هذه الطاعه بالترغيب فيها و الترهيب عن تجاوزها و تعديها «وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» فيما بينه من الفرائض و غيرها «وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ» أى و يتجاوز ما حد له من الطاعات «يُدْخِلُهُ ناراً خالداً» أى دائماً «فِيهَا وَ لَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ» سماه مهيناً لأن الله يفعله على وجه الإهانه كما أنه يثيب المؤمن على وجه الكرامه و من استدل بهذه الآيه على أن صاحب الكبيره من أهل الصلاه مخلد فى النار و معاقب فيها لا محاله فقول به بعيد لأن قوله «وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ» يدل على أن المراد به من تعدى جميع حدود الله و هذه صفة الكفار و لأن صاحب الصغيره بلا خلاف خارج عن عموم الآيه و إن كان فاعلاً للمعصيه و متعدياً حداً من حدود الله و إذا جاز إخراجه بدليل جاز لغيره أن يخرج من عمومها من يشفع له النبى أو يتفضل الله عليه بالعمو

بدليل آخر و أيضا فإن التائب لا بد من إخراجه من عموم الآيه لقيام الدليل على وجوب قبول التوبه و كذلك يجب إخراج من يتفضل الله بإسقاط عقابه منها لقيام الدلاله على جواز وقوع التفضل بالعفو فإن جعلوا للآيه دلالة على أن الله لا يختار العفو جاز غيرهم أن يجعلها دلالة على أن العاصي لا يختار التوبه على أن فى المفسرين من حمل الآيه على من تعدى حدود الله و عصاه مستحلا لذلك و من كان كذلك لا يكون إلا كافرا.

[سوره النساء (٤): الآيات ١٥ الى ١٦]

إشاره

وَ اللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَأَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَهُ مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا (١٥) وَ الَّذِينَ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَاذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَ أَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا (١٦)

القراءه

قرأ ابن كثير و الذان يأتيناها بتشديد النون و كذلك فذانك و هذان أو هاتين و قرأ الباقون بتخفيف ذلك كله إلا أبا عمرو فإنه شدد فذانك وحدها.

الحجه

قال أبو على القول فى تشديد نون التثنيه أنه عوض عن الحذف الذى لحق الكلمه ألا ترى أن ذا قد حذف لامها و قد حذف الياء من اللذان فى التثنيه و اتفق اللذان و هذان فى التعويض كما اتفقا فى فتح الأوائل منهما فى التحقير مع ضمها فى غيرهما و ذلك فى نحو اللذيا و اللتيا و ذيا و تيا.

اللغه

اللاتى جمع التى و كذلك اللواتى قال:

من اللواتى و التى و اللاتى

زعمن أنى كبرت لداتى

و قد تحذف التاء من اللاتى فيقال اللاتى قال:

من اللاتى لم يحججن يبعين حسبه

و لكن ليقتلن البرىء المغفلا.

لما بين سبحانه حكم الرجال و النساء فى باب النكاح و الميراث بين حكم الحدود فيهن إذا ارتكبن الحرام فقال «و اللَّاتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ» أى يفعلن الزنا «مِنْ نِسَائِكُمْ» الحرائر فالمعنى اللاتى يزنين «فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَهُ مِنْكُمْ» أى من المسلمين يخاطب الحكام و الأئمة و يأمرهم بطلب أربعة من الشهود فى ذلك عند عدم الإقرار و قيل هو خطاب للأزواج فى نسائهم أى فأشهدوا عليهن أربعة منكم و قال أبو مسلم المراد بالفاحشه فى الآيه هنا الزنا أن تخلو المرأة فى الفاحشه المذكوره عنهن و هذا القول مخالف للإجماع و لما عليه المفسرون فإنهم أجمعوا على أن المراد بالفاحشه هنا الزنا «فَإِنْ شَهِدُوا» يعنى الأربعة «فَأَمْسِكُوهُنَّ» أى فاحبسوهن «فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ» أى يدركهن الموت فيمتن فى البيوت و كان فى مبدأ الإسلام إذا فجرت المرأة و قام عليها أربعة شهود حبست فى البيت أبدا حتى تموت ثم نسخ ذلك بالرجم فى المحصنين و الجلد فى البكرين «أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا» قالوا

لما نزل قوله الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ قال النبى ص خذوا عنى خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائه و تغريب عام و الثيب بالثيب جلد مائه و الرجم

و قال بعض أصحابنا إن من وجب عليه الرجم يجلد أولا- ثم يرجم و به قال الحسن و قتاده و جماعه من الفقهاء و قال أكثر أصحابنا إن ذلك يختص بالشيخ و الشيخه فأما غيرهما فليس عليه غير الرجم و

حكم هذه الآيه منسوخ عند جمهور المفسرين و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله

و قال بعضهم إنه غير منسوخ لأن الحبس لم يكن مؤبدا بل كان مستندا إلى غايه فلا يكون بيان الغايه نسخا له كما لو قال افعلوا كذا إلى رأس الشهر و قد فرق بين الموضعين فإن الحكم المعلق بمجىء رأس الشهر لا يحتاج إلى بيان صاحب الشرع بخلاف ما فى الآيه و قوله «وَ الذَّانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ» أى يأتیان الفاحشه و فيه ثلاثه أقوال (أحدها) أنهما الرجل و المرأة عن الحسن و عطا (و ثانيها) أنهما البكران من الرجال و النساء عن السدى و ابن زيد (و ثالثها) أنهما الرجلان الزانيان عن مجاهد و هذا لا يصح لأنه لو كان كذلك لما كان للتثنيه معنى لأن الوعد و الوعيد إنما يأتى بلفظ الجمع فيكون لكل واحد منهم أو بلفظ الواحد لدلالته على الجنس فأما التثنيه فلا- فائده فيها و قال أبو مسلم هما الرجلان يخلوان بالفاحشه بينهما و الفاحشه فى الآيه الأولى عنده السحق و فى الآيه الثانيه اللواط فحكم الآيتين عنده ثابت غير منسوخ و إلى هذا التأويل ذهب أهل العراق فلا حد عندهم فى اللواط و السحق و هذا بعيد لأن الذى عليه جمهور المفسرين أن الفاحشه فى آيه الزنا و أن الحكم فى الآيه منسوخ بالحد المفروض فى سورة النور ذهب إليه الحسن و مجاهد

و قتاده و السدى و الضحاك و غيرهم و إليه ذهب البلخى و الجبائى و الطبرى و قال بعضهم نسخها الحدود بالرجم أو الجلد و قوله «فَأَذُوهُمَا» قيل فى معناه قولان (أحدهما) هو التعيير باللسان و الضرب بالنعال عن ابن عباس (و الآخر) أنه التعيير و التويخ باللسان عن قتاده و السدى و مجاهد و اختلف فى الأذى و الحبس [فى الثيبين] كيف كان فقال الحسن كان الأذى أولاً و الآيه الأخيره نزلت من قبل ثم أمرت أن توضع فى التلاوه من بعد فكان الأول الأذى ثم الحبس ثم الجلد أو الرجم و قال السدى كان الحبس فى الثيبين و الأذى فى البكرين و قيل كان الحبس للنساء و الأذى للرجال و قال الفراء إن الآيه الأخيره نسخت الآيه الأولى و قوله «فَإِنْ تَابَا» أى رجعا عن الفاحشه «وَأَصْلَحَا» العمل فيما بعده «فَأَعْرَضُوا عَنْهُمَا» أى اصفحوا عنهما و كفوا عن أذاهما «إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا» يقبل التوبه عن عباده و يرحمهم قال الجبائى فى الآيه دلالة على نسخ القرآن بالسنه لأنها نسخت بالرجم أو الجلد و الرجم قد ثبت بالسنه و من لم يجوز نسخ القرآن بالسنه يقول إن هذه الآيه نسخت بالجلد فى الزنا و أضيف الرجم إليه زياده لا نسخاً و أما الأذى المذكور فى الآيه فغير منسوخ فإن الزانى يؤذى و يعنف على فعله و يذم به لكنه لم يقتصر عليه بل زيد فيه بأن أضيف الجلد أو الرجم إليه.

[سوره النساء (٤): الآيات ١٧ الى ١٨]

إشارة

إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧) وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ الْمَآءَ وَ لَآ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَ هُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٨)

اللغة

أصل التوبه الرجوع و حقيقتها الندم على القبيح مع العزم على أن لا يعود إلى مثله فى القبح و قيل يكفى فى حدها الندم على القبيح و العزم على أن لا يعود إلى مثله. أعتدنا قيل أن أصله أعددنا فالتاء بدل من الدال و قيل هو أفعالنا من العتاد و هو العده قال عدى بن

الرقاع:

تأتيه أسلاب الأعزّه عنوه

قسرا و يجمع للحروب عتاها

يقال للفرس المعد للحرب عتد و عتد.

الإعراب

موضع «الَّذِينَ يَمُوتُونَ» جر بكونه عطا على قوله «لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ» و تقديره و لا للذين يموتون.

المعنى

لما وصف تعالى نفسه بالتواب الرحيم بين عقيبه شرائط التوبه فقال «إِنَّمَا التَّوْبَةُ» و لفظه «إِنَّمَا» يتضمن النفي و الإثبات فمعناه لا توبه مقبوله «عَلَى اللَّهِ» أى عند الله إلا- «لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ» و اختلف فى معنى قوله «بِجَهَالَةٍ» على وجوه (أحدها) أن كل معصيه يفعلها العبد جهاله و إن كان على سبيل العمد لأنه يدعو إليها الجهل و يزينها للعبد عن ابن عباس و عطاء و مجاهد و قتاده و هو

المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام) فإنه قال كل ذنب عمله العبد و إن كان عالما فهو جاهل حين خاطر بنفسه فى معصيه ربه فقد حكى الله تعالى قول يوسف لإخوته هَيْلَ عِلْمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَ أَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ فنسبهم إلى الجهل لمخاطرتهم بأنفسهم فى معصيه الله

(و ثانيها) إن معنى قوله «بِجَهَالَةٍ» أنهم لا- يعلمون كنه ما فيه من العقوبه كما يعلم الشىء ضروره عن الفراء (و ثالثها) أن معناه أنهم يجهلون أنها ذنوب و معاص فيفعلونها إما بتأويل يخطئون فيه و إما بأن يفرطوا فى الاستدلال على قبحها عن الجبائى و ضعف الرمانى هذا القول لأنه بخلاف ما أجمع عليه المفسرون و لأنه يوجب أن لا يكون لمن علم أنها ذنوب توبه لأن قوله «إِنَّمَا التَّوْبَةُ» تفيد أنها لهؤلاء دون غيرهم و قال أبو العالیه و قتاده أجمعت الصحابه على أن كل ذنب أصابه العبد فهو جهاله و قال الزجاج إنما قال الجهاله لأنهم فى اختيارهم اللذه الفانيه على اللذه الباقيه جهال فهو جهل فى الاختيار و معنى «يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ» أى يتوبون قبل الموت لأن ما بين الإنسان و بين الموت قريب فالتوبه مقبوله قبل اليقين بالموت و قال الحسن و الضحاك و ابن عمر القريب ما لم يعاين الموت و قال السدى هو ما دام فى الصحه قبل المرض و الموت و

روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قيل له فإن عاد و تاب مرارا قال يغفر الله له قيل إلى متى

ص: ٣٧

و

فى كتاب من لا- يحضره الفقيه قال قال رسول الله ص فى آخر خطبه خطبها من تاب قبل موته بسنه تاب الله عليه ثم قال و إن السنه لكثيره من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه ثم قال و إن الشهر لكثير من تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه ثم قال و إن اليوم لكثير من تاب قبل موته بساعه تاب الله عليه ثم قال و إن الساعه لكثيره من تاب قبل موته و قد بلغت نفسه هذه و أهوى بيده إلى حلقة تاب الله عليه

و

روى الثعلبى بإسناده عن عباده بن الصامت عن النبى هذا الخبر بعينه إلا- أنه قال فى آخره و إن الساعه لكثيره من تاب قبل أن يغرغر بها تاب الله عليه

و

روى أيضا بإسناده عن الحسن قال قال رسول الله ص لما هبط إبليس قال و عزتك و جلالتك و عظمتك لا أفارق ابن آدم حتى تفارق روحه جسده فقال الله سبحانه و عزتى و عظمتى و جلالى لا أحجب التوبه عن عبدى حتى يغرغر بها

«أَوْلِيكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» أى يقبل توبتهم «وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا» بمصالح العباد «حَكِيمًا» فيما يعاملهم به «وَ لَيْسَتْ التَّوْبَةُ» التوبه المقبوله التى ينتفع بها صاحبها «لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ» أى المعاصى و يصرون عليها و يسوفون التوبه «حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ» أى أسباب الموت من معاينه ملك الموت و انقطع الرجاء عن الحياه و هو حال اليأس التى لا يعلمها أحد غير المحتضر «قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْمَانَ» أى فليس عند ذلك اليأس التوبه و أجمع أهل التأويل على أن هذه قد تناولت عصاه أهل الإسلام إلا ما روى عن الربيع أنه قال إنها فى المنافقين و هذا لا يصح لأن المنافقين من جمله الكفار و قد بين الكفار بقوله «وَ لَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَ هُمْ كُفَّارٌ» و معناه و ليست التوبه أيضا للذين يموتون على الكفر ثم يندمون بعد الموت «أَوْلِيكَ أَعْتَدْنَا» أى هيأنا «لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» أى موجعا و إنما لم يقبل الله تعالى التوبه فى حال اليأس و اليأس من الحياه لأنه يكون العبد هناك ملجأ إلى فعل الحسنات و ترك القبائح فىكون خارجا عن حد التكليف إذ لا يستحق على فعله المدح و لا الذم و إذا زال عنه التكليف لم تصح منه التوبه و لهذا لم يكن أهل الآخرة مكلفين و لا تقبل توبتهم و من استدل بظاهر قوله تعالى «أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» على وجوب العقاب لمن مات من مرتكبى الكبائر من المؤمنين قبل التوبه فالانفصال عن استدلاله أن يقال إن معنى إعداد العذاب لهم إنما هو خلق النار التى هى مصيرهم فالظاهر يقتضى استيجابهم لدخولها و ليس فى الآيه أن الله يفعل بهم ما يستحقونه لا محاله و يحتمل أيضا أن يكون «أَوْلِيكَ» إشاره إلى الذين يموتون و هم كفار لأنه أقرب إليه من قوله «لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ» و يحتمل أيضا أن يكون التقدير أعتدنا لهم العذاب إن عاملناهم بالعدل و لم نشأ العوف عنهم و تكون الفائده فيه إعلامهم ما

يستحقونه من العقاب و أن لا- يأمنوا من أن يفعل بهم ذلك فإن قوله وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ لا تتناول المشيئة فيه إلا المؤمنين من أهل الكبائر الذين يموتون قبل التوبه لأن المؤمن المطيع خارج عن هذه الجملة و كذلك التائب إذ لا خلاف في أن الله لا يعذب أهل الطاعات من المؤمنين و لا التائبين من المعصيه و الكافر خارج أيضا عن المشيئة لأخبار الله تعالى أنه لا يغفر الكفر فلم يبق تحت المشيئة إلا من مات مؤمنا موحدا و قد ارتكب كبيره لم يتب منها و قال الربيع إن الآيه منسوخه بقوله وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ لأنه حكم من الله و النسخ جائز في الأحكام كما جاز في الأوامر و النواهي و إنما يمتنع النسخ في الأخبار بأن يقول كان كذا و كذا ثم يقول لم يكن أو يقول في المستقبل لا يكون كذا ثم يقول يكون كذا و هذا لا يصح لأن قوله «أَعْتَدْنَا» وارد مورد الخبر فلا يجوز النسخ فيه كما لا يجوز في سائر الأخبار.

[سوره النساء (٤): آيه ١٩]

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا- يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَ عَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَ يَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١٩)

القراءة

قرأ حمزه و الكسائي كرها بضم الكاف هنا و في التوبه و الأحقاف و وافقهما عاصم و ابن عامر و يعقوب في الأحقاف و قرأ الباقون بفتح الكاف في جميع ذلك و قرأ بفاحشه مبينه بفتح الياء ابن كثير و أبو بكر عن عاصم و الباقون بكسر الياء و روى في الشواذ عن ابن عباس مبينه بكسر الياء خفيفه.

الحججه

الكره و الكره لغتان مثل الضعف و الضعف و الفقر و الفقر و الدف و الدف و قال سيبويه بين الشىء و بينته و أبان الشىء و أبنته و استبان الشىء و استبتته و تبين و تبنته و من أبيات الكتاب:

سل الهموم بكل معطى رأسه

تاج مخالط صهبه متعيس

ص: ٣٩

مغتال أحبله ميين عنقه

فى منكب زين المطى عرندس

و فى نوادر أبى زيد:

بينهم ذو اللب حين يراهم

بسيماهم بيضا لحاهم و أصلعا

و من كلامهم

قد بين الصبح لذى عينين.

اللغة

العضل التضيق بالمنع من التزويج و أصله الامتناع يقال عضلت الدجاجة ببيضتها إذا عسرت عليها و عضل الفضاء بالجيش الكثير إذا لم يمكن سلوكه لضيقه و منه الداء العضال الذى لا يبرأ و الفاحشه مصدر كالعاقبه و العافيه قال أبو عبيده الفاحشه الشنار و الفحش القبيح و المعاشره المصاحبه و هو من العشره.

الإعراب

«أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ» فى موضع رفع بأنه فاعل يحل و كرها مصدر وضع موضع الحال من النساء و العامل فى الحال تَرْتُوا «وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ» يجوز أن يكون أيضا نصبا بكونه معطوفا على تَرْتُوا و تقديره لا يحل لكم أن تَرْتُوا و لا أن تعضلوا و يجوز أن يكون مجزوما على النهى.

النزول

قيل أن أبا قيس بن الأسلت لما مات عن زوجته كبيشه بنت معن ألقى ابنه محصن بن أبى قيس ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها و لم يقربها و لم ينفق عليها فجاءت إلى النبى ص فقالت يا نبى الله لا أنا ورثت زوجى و لا أنا تركت فأنكح فنزلت الآية عن مقاتل و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

و

قيل كان أهل الجاهليه إذا مات الرجل جاء ابنه من غيرها أو وليه فورث امرأته كما يرث ماله و ألقى عليها ثوبا فإن شاء تزوجها بالصداق الأول و إن شاء زوجها غيره و أخذ صداقها فنهوا عن ذلك عن الحسن و مجاهد و روى ذلك أبو الجارود عن أبى جعفر (عليه السلام)

وقيل نزلت فى الرجل تكون تحته امرأه يكره صحبتها و لها عليه مهر فيطول عليها و يضارها لتفتدى بالمهر فنهوا عن ذلك عن ابن عباس و

قيل نزلت فى الرجل يحبس المرأة عنده لا حاجة له إليها و ينتظر موتها حتى يرثها عن الزهرى و روى ذلك عن أبى جعفر (عليه السلام)

أيضا.

ص: ٤٠

لما نهى الله فيما تقدم عن عادات أهل الجاهلية فى أمر اليتامى و الأموال عقبه بالنهى عن الاستئان بستتهم فى النساء فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» أى يا أيها المؤمنون «لَا يَحِلُّ لَكُمْ» أى لا يسعكم فى دينكم «أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ» أى نكاح النساء «كَرْهًا» أى على كره منهن و قيل ليس لكم أن تحبسوهن على كره منهن طمعا فى ميراثهن و قيل ليس لكم أن تسيئوا صحبتهن ليفتدين بما لهن أو بما سقتم إليهن من مهورهن أو ليمتن فترثوهن «وَلَا تَعْضُوهُنَّ» أى و أن لا تحبسوهن و قيل و لا تمنعهن عن النكاح «لَتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ» و اختلف فى المعنى بهذا النهى على أربعة أقوال (أحدها)

أنه الزوج أمره الله بتخليه سبيلها إذا لم يكن له فيها حجه و أن لا يمسكها إضرارا بها حتى تفتدى ببعض مالها عن ابن عباس و قتاده و السدى و الضحاك و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

(و ثانيها) أنه الوارث نهى عن منع المرأة من التزويج كما كان يفعله أهل الجاهلية على ما بيناه عن الحسن (و ثالثها) أنه المطلق أى لا يمنع المطلقة من التزويج كما كانت تفعله قريش فى الجاهلية ينكح الرجل منه المرأة الشريفه فإذا لم توافقه فارقتها على أن لا تتزوج إلا بإذنه و يشهد عليها بذلك و يكتب كتابا فإذا خطبها خاطب فإن أرضته أذن لها و إن لم تعطه شيئا عضلها فنهى الله عن ذلك عن ابن زيد (و رابعها) أنه الولى خوطب بأن لا يمنعها عن النكاح عن مجاهد و القول الأول أصح «إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ» أى ظاهره و قيل فيه قولان (أحدهما) أنه يعنى إلا أن يزني عن الحسن و أبى قلابه و السدى و قالوا إذا اطلع منها على زنيه فله أخذ الفديه (و الآخر) أن الفاحشه النشوز عن ابن عباس و

الأولى حمل الآيه على كل معصيه و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

و اختاره الطبرى. و اختلف فى هذا الاستثناء و هو قوله «إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ» من ما ذا هو فقيل هو من أخذ المال و هو قول أهل التفسير و قيل كان هذا قبل الحدود و كان الأخذ منهن على وجه العقوبه لهن ثم نسخ عن الأصم و قيل هو من الحبس و الإمساك على ما تقدم فى قوله فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ عن أبى على الجبائى و أبى مسلم إلا أن أبا على قال إنها منسوخه و أبى أبو مسلم النسخ «وَ عَاشَتْ زَوْهَنَّ بِالْمَعْرُوفِ» أى خالطوهن من العشره التى هى المصاحبه بما أمركم الله به من أداء حقوقهن التى هى النصفه فى القسم و النفقه و الإجمال فى القول و الفعل و قيل المعروف أن لا يضربها و لا يسىء القول فيها و يكون منبسط الوجه معها و قيل هو أن يتصنع لها كما تتصنع له «فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ» أى

كرهتم صحبتهن و إمساكهن «فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَ يَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ» أى فى ذلك الشىء و هو إمساكهن على كره منكم «خَيْرًا كَثِيرًا» من ولد يرزقكم أو عطف لكم عليهن بعد الكراهه و به قال ابن عباس و مجاهد فعلى هذا يكون المعنى إن كرهتموهن فلا تعجلوا طلاقهن لعل الله يجعل فيهن خيرا كثيرا و فى هذا حث للأزواج على حسن الصبر فيما يكرهون من الأزواج و ترغيبهم فى إمساكهن مع كراهه صحبتهن إذا لم يخافوا فى ذلك من ضرر على النفس أو الدين أو المال و يحتمل أن يكون الهاء عائدا إلى الذى تكرهونه أى عسى أن يجعل الله فيما تكرهونه خيرا كثيرا و المعنى مثل الأول و قيل المعنى و يجعل الله فى فراقكم لهن خيرا عن الأصم قال و نظيره وَ إِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَيِّئِهِ قَالَ الْقَاضِي وَ هَذَا بَعِيدٌ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَثَّ عَلَى الْإِسْتِمْرَارِ عَلَى الصَّحْبَةِ فَكَيْفَ يَحِثُّ عَلَى الْمَفَارِقَةِ.

[سوره النساء (٤): الآيات ٢٠ الى ٢١]

إشارة

وَ إِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَ آتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَ تَأْخُذُونَ بِبُهْتَانٍ وَ إِثْمًا مُبِينًا (٢٠) وَ كَيْفَ تَأْخُذُونَ وَ قَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَ أَخَذَنْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (٢١)

اللغة

القنطار مأخوذ من القنطرة و منه القنطر للداهيه لأنها كالقنطرة فى عظم الصورة و يقال قنطر فى الأمر يقنطر إذا عظمه بتكثير الكلام فيه من غير حاجه إليه و البهتان الكذب الذى يواجه به صاحبه على وجه المكابره له و أصله التحير من قوله فَبُهْتِ الَّذِي كَفَّرَ أى تحير لانقطاع حجته فالبهتان كذب يحير صاحبه لعظمه و الإفضاء إلى شىء هو الوصول إليه باللامسه و أصله من الفضاء و هو السعه فضا يفضو فضوا إذا اتسع.

الإعراب

«بُهْتَانًا» مصدر وضع موضع الحال و كذلك قوله «وَ إِثْمًا» و المعنى أ تأخذونه مباحتين و آثمين.

المعنى

لما حث الله على حسن مصاحبه النساء عند الإمساك عقبه بيان حال الاستبدال فقال مخاطبا للأزواج «وَ إِنْ أَرَدْتُمْ» أيها الأزواج «اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ» أى إقامه امرأه مقام امرأه «وَ آتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ» أى أعطيتم المطلقه التى تستبدلون بها غيرها

«قِطَارًا» أى مالا- كثيرا على ما قيل فيه من أنه ملاء- مسك ثور ذهباً أو أنه ديه الإنسان أو غير ذلك من الأقوال التى ذكرناها فى أول آل عمران «فَلا- تَأْخُذُوا مِنْهُ» أى من المؤتى أى المعطى «شَيْئًا» أى لا- ترجعوا فيما أعطيتموهن من المهر إذا كرهتموهن و أردتم طلاقهن «أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا» هذا استفهام إنكارى أى تأخذونه باطلا و ظلما كالظلم بالبهتان و قيل معناه أ تأخذونه بإنكار التمليك و سماه بهتاناً لأن الزوج إذا أنكر تمليكه إياها بغير حق استوجب المعطى لها فى ظاهر الحكم كان إنكاره بهتاناً و كذا «وَإِثْمًا مُّبِينًا» أى ظاهراً لا شك فيه و متى قيل فى الآيه لم خص حال الاستبدال بالنهى عن الأخذ مع أن الأخذ محرم مع عدم الاستبدال فجوابه أن مع الاستبدال قد يتوهم جواز الاسترجاع من حيث أن الثانية تقوم مقام الأولى فىكون لها ما أخذت الأولى فبين تعالى أن ذلك لا يجوز و أزال هذا الإشكال و المعنى إن أردتم تخليه المرأة سواء استبدلتم مكانها أخرى أم لم تستبدلوا فلا تأخذوا مما آتيتموها شيئاً «وَ كَيْفَ تَأْخُذُونَهُ» و هذا تعجيب من الله تعالى و تعظيم أى عجا من فعلكم كيف تأخذون ذلك منهن «وَ قَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ» و هو كناية عن الجماع عن ابن عباس و مجاهد و السدى و قيل المراد به الخلوه الصحيحه و إن لم يجامع فسمى الخلوه إفضاء لوصوله بها إلى مكان الوطء و كلا القولين قد رواه أصحابنا و فى تفسير الكلبي عن ابن عباس أن الإفضاء حصوله معها فى لحاف واحد جامعها أو لم يجامعها فقد وجب المهر فى الحالين «وَ أَخَذَنَ مِنْكُمْ مِيثاقًا غَلِيظًا» قيل فيه أقوال (أحدها)

أن الميثاق الغليظ هو العهد المأخوذ على الزوج حاله العقد من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان عن الحسن و ابن سيرين و الضحاك و قتاده و السدى و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

(و ثانيها) أن المراد به كلمه النكاح التى يستحل بها الفرج عن مجاهد و ابن زيد (و ثالثها)

قول النبى ص أخذتموهن بأمانه الله و استحلتتم فروجهن بكلمه الله

عن عكرمه و الشعبى و الربيع و قد قيل فى هاتين الآيتين ثلاثه أقوال (أحدها) أنهما محكمتان غير منسوختين لكن للزوج أن يأخذ الفديه من المختلعه لأن النشوز حصل من جهتها فالزوج يكون فى حكم المكره لا المختار للاستبدال و لا يتنافى حكم الآيتين و حكم آيه الخلع فلا- يحتاج إلى نسخهما بها و هو قول الأكثرين (و ثانيها) أنهما محكمتان و ليس للزوج أن يأخذ من المختلعه شيئاً و لا من غيرها لأجل ظاهر الآيه عن بكير بن بكر بن عبد الله المزنى (و الثالث) أن حكمهما منسوخ بقوله فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ عن الحسن.

إشارة

وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا (٢٢)

اللغة

النكاح اسم يقع على العقد و منه وَ أَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ و يقع على الوطء و منه الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً أَي لَا يَطَأُ بِالْحَرَامِ إِلَّا مِنْ يَطَاوَعَهُ وَ مِنْهُ

ملعون من نكح يده و ملعون من نكح بهيمه

قال الشاعر:

كبكر تشهى لذيد النكاح

و تفرع من صوله الناكح

و أصله الجمع و منه أنكحنا الفرا فسنرى و المقت بغض من أمر قبيح يرتكبه صاحبه يقال مقت الرجل إلى الناس مقاته و مقته الناس يمقته مقتا فهو مقيت و ممقوت و يقال أن ولد الرجل من امرأه أبيه كان يسمى المقتى و منهم أشعث بن قيس و أبو معيط جد الوليد بن عقبه.

الإعراب

«إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ» استثناء منقطع لأنه لا يجوز استثناء الماضي من المستقبل و نظيره لا تبع من مالى إلا ما بعت و لا تأكل إلا ما أكلت و منه لا- يَدُقُونَ فِيهَا الْمُوتَ إِلَّا الْمُوتَةَ الْأُولَى المعنى لكن ما قد سلف فلا جناح عليكم فيه و قال المبرد جاز أن يكون كان زائده فى قوله «إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً» فالمعنى أنه فاحشه و أنشد فى ذلك قول الشاعر:

فكيف إذا حللت بدار قوم

و جيران لنا كانوا كرام

قال الزجاج هذا غلط منه لأنه لو كان زائده لم يكن ينصب خبرها و الدليل عليه البيت الذى أنشده:

و جيران لنا كانوا كرام

و لم يقل كراما قال على بن عيسى إنما دخلت «كان» ليدل على أن ذلك قبل تلك الحال فاحشه أيضا كما دخلت فى قوله وَ

كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا وَقَوْلُهُ «وَسَاءَ سَبِيلًا» أَي بئس طريقًا ذلك الطريق فسيلا منصوب على التمييز و فاعل ساء مضمّر يفسره الظاهر و المخصوص بالذم محذوف.

النزول

قيل نزلت فيما كان يفعله أهل الجاهلية من نكاح امرأه الأب عن ابن عباس و قتاده و عكرمه و عطاء و قالوا تزوج صفوان بن أمية امرأه أبيه فاخته بنت الأسود بن المطلب

ص: ٤٤

و تزوج حصين بن أبي قيس امرأه أبيه كسيشه بنت معن و تزوج منظور بن ريان بن المطلب امرأه أبيه مليكه بنت خارجه قال أشعث بن سوار

توفى أبو قيس و كان من صالحى الأنصار فخطب ابنه قيس امرأه أبيه فقالت إني أعدك ولدا و أنت من صالحى قومك و لكنى آتى رسول الله ص فاستأمره فأتته فأخبرته فقال لها رسول الله ص ارجعى إلى بيتك فأنزل الله هذه الآية.

المعنى

لما تقدم ذكر شرائط النكاح عقبه تعالى بذكر من تحل له من النساء و من لا تحل فقال «و لا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ» أى لا- تتزوجوا ما تزوج آباؤكم و قيل ما وطأ آباؤكم من النساء حرم عليكم ما كان أهل الجاهليه يفعلونه من نكاح امرأه الأب عن ابن عباس و قتاده و عطاء و عكرمه و قيل أن تقديره لا تنكحوا نكاح آبائكم أى مثل نكاح آبائكم فيكون «ما نَكَحَ» بمنزله المصدر و تكون ما حرفا موصولا فعلى هذا يكون النهى عن حلائل الآباء و كل نكاح كان لهم فاسد و هو اختيار الطبرى و فى الوجه الأول يكون ما اسما موصولا يحتاج إلى عائد من صلته إليه قال الطبرى أن الوجه الثانى أجود لأنه لو أراد حلائل الآباء لقال لا تنكحوا من نكح آباؤكم و قد أجيب عن ذلك بأنه يجوز أن يكون ذهب به مذهب الجنس كما يقول القائل لا تأخذ ما أخذ أبوك من الإماء فيذهب به مذهب الجنس ثم يفسره بمن «إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ» فإنكم لا تؤاخذون به و قيل معناه إلا ما قد سلف فدعوه فهو جائز لكم قال البلخى و هذا خلاف الإجماع و ما علم من دين رسول الله ص و قيل معناه لكن ما سلف فاجتنبوه و دعوه عن قطرب و قيل إنما استثنى ما قد مضى ليعلم أنه لم يكن مباحا لهم «إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً» أى زنا «و مَقْتًا» أى بغضا يعنى يورث بغض الله و يجوز أن يكون الهاء فى إنه عائدا إلى النكاح بعد النهى فيكون معناه أن نكاح امرأه الأب فاحشه أى معصيه محرمة قبيحه و يجوز أن يكون عائدا إلى النكاح الذى كان عليه أهل الجاهليه أى أنه كان فاحشه قبل هذا و لا يكون كذلك إلا و قد قامت عليكم الحججه بتحريمه من قبل الرسل و الأول أقوى و هذا اختيار الجبائى قال و تكون السلامه مما قد سلف فى الإقلاع منه بالتوبه و الإبانه قال البلخى و ليس كل نكاح حرمه الله يكون زنا لأن الزنا فعل مخصوص لا يجرى على طريقه لازمه و لا- سنه جاريه و لذلك لا يقال للمشركين فى الجاهليه أولاد زنا و لا لأولاد أهل الذمه و المعاهدين أولاد زنا إذ كان ذلك عقدا بينهم يتعارفونه و قوله «و سَاءَ سَبِيلًا» أى بئس الطريق ذلك النكاح الفاسد و فى هذه الآية دلالة على أن كل من عقد عليها الأب من النساء تحرم على الابن دخل بها الأب أو لم يدخل و هذا إجماع فإن دخل بها الأب على وجه

السفاح فهل تحرم على الابن ففيه خلاف و عموم الآيه يقتضى أنه يحرم عليه لأن النكاح قد يعبر به عن الوطاء و هو الأصل فيه كما يعبر به عن العقد فينبغى أن تحمل اللفظ فى الآيه على الأمرين و امرأه الأب و إن علا- تحرم على الابن و إن سفل بلا خلاف.

[سوره النساء (٤): آيه ٢٣]

اشاره

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَ بَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَ خَالَاتُكُمْ وَ بَنَاتُ الْأَخِ وَ بَنَاتُ الْأُخْتِ وَ أُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَ أَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعِ وَ أُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَ رَبَائِبُكُمْ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَ حَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَضْلَابِكُمْ وَ أَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً (٢٣)

اللغه

الربائب جمع ربيبه و هى بنت زوجه الرجل من غيره سميت بذلك لتربيته إياها فهى فى معنى مربوبه نحو قتيله فى موضع مقتوله و يجوز أن تسمى ربيبه سواء تولى تربيتها أو لم يتول و سواء كانت فى حجره أو لم تكن لأنه إذا تزوج بأُمها فهو رابها و هى ربيته و العرب تسمى الفاعلين و المفعولين بما يقع بهم و يوقعونه يقولون هذا مقتول و إن لم يقتل بعد و هذا ذبيح و إن لم يذبح بعد إذا كان يراد ذبحه و قتله و كذلك يقولون هذا أضحية لما أعد للتضحيه و هذه قنوبه و حلوبه أى هى مما تقتب و تحلب و قد يقال لزواج المرأه ربيب ابن امرأته بمعنى أنه رابه كما يقال شهيد و خبير بمعنى شاهد و خابر و الحلائل جمع الحليله و هى بمعنى المحلله مشتقه من الحلال و الذكر حليل و جمعه أحله كعزيز و أعزه سميا بذلك لأن كل واحد منهما يحل له مباشره صاحبه و قيل هو من الحلول لأن كل واحد منهما يحال صاحبه أى يحل معه فى الفراش.

ص: ٤٦

ثم بين المحرمات من النساء فقال «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ» لا بد فيه من محذوف لأن التحريم لا يتعلق بالأعيان وإنما يتعلق بأفعال المكلف ثم يختلف باختلاف ما أضيف إليه فإذا أضيف إلى مأكول نحو قوله حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ فالمراد الأكل و إذا أضيف إلى النساء فالمراد العقد فالتقدير حرم عليكم نكاح أمهاتكم فحذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه لدلاله مفهوم الكلام عليه و كل امرأه رجعت نسبهك إليها بالولادة من جهة أبيك أو من جهة أمك بإناث رجعت إليها أو بذكور فهي أمك «وَبَنَاتُكُمْ» أى و نكاح بناتكم و كل امرأه رجعت نسبها إليك بالولادة بدرجة أو درجات بإناث رجعت نسبها إليك بذكور فهي بنتك «وَأَخَوَاتُكُمْ» هى جمع الأخت و كل أنثى ولدها شخص ولدك فى الدرجة الأولى فهى أختك «وَعَمَّاتُكُمْ» هى جمع العمه و كل ذكر رجعت نسبهك إليه فأخته عمته و قد تكون العمه من جهة الأم مثل أخت أبى أمك و أخت جد أمك فصاعدا «وَوَالِدَاتُكُمْ» و هى جمع الخاله و كل أنثى رجعت نسبها إليها بالولادة فأختها خالتك و قد تكون الخاله من جهة الأب مثل أخت أم أبيك أو أخت جده أبيك فصاعدا و إذا خاطب تعالى المكلفين بلفظ الجمع كقوله «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ» ثم أضاف المحرمات بعده إليهم للفظ الجمع فالآحاد تقع بإزاء الآحاد فكأنه قال حرم على كل واحد منكم نكاح أمه و من يقع عليها اسم الأم و نكاح بنته و من يقع عليها اسم البنت و كذلك الجميع «وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ» فهذا أيضا على ما ذكرناه جمع بإزاء جمع فيقع الآحاد بإزاء الآحاد و التحديد فى هؤلاء كالتحديد فى بنات الصلب و هؤلاء السبع هن المحرمات بالنسب و قد صح عن ابن عباس أنه قال حرم الله من النساء سبعا بالسبب و تلا الآية ثم قال و السابعه و لا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ثم ذكر سبحانه المحرمات بالسبب فقال «وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ» سماهن أمهات للحرمة و كل أنثى انتسبت إليها باللبن فهى أمك فالتى أرضعتك أو أرضعت امرأه أرضعتك أو رجلا أرضعت بلبانه من زوجته أو أم ولد له فهى أمك من الرضاعة و كذلك كل امرأه ولدت امرأه أرضعتك أو رجلا أرضعتك فهى أمك من الرضاعة «وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعِ» يعنى بنات المرضعه و هن ثلاث الصغيره الأجنبيه التى أرضعتها أمك بلبان أبيك سواء أرضعتها معك أو مع ولدها قبلك أو بعدك و الثانيه أختك لأمك دون أبيك و هى التى أرضعتها أمك بلبان غير أبيك و الثالثه أختك لأبيك دون أمك و هى التى أرضعتها زوجه

أبيك بلبن أبيك و أم الرضاعة و أخت الرضاعة لو لا الرضاعة لم تحرما فإن الرضاعة سبب تحريمهما و كل من تحرم بالنسب من اللاتي مضى ذكرهن تحرم أمثالهن بالرضاع

لقول النبي ص إن الله حرم من الرضاعة ما حرم من النسب

فثبت بهذا الخبر أن السبع من المحرمات بالنسب على التفصيل الذي ذكره محرمات بالرضاع و الكلام فى الرضاع يشتمل على ثلاثه فصول (أحدها) مداه الرضاع و قد اختلف فيها فقال أكثر أهل العلم لا يحرم إلا ما كان فى مداه الحولين و هو مذهب أصحابنا و به قال الشافعى و أبو يوسف و محمد و قال أبو حنيفة مداه الرضاع حولان و نصف و قال مالك حولان و شهر و اتفقوا على أن رضاع الكبير لا يحرم (و ثانيها) قدر الرضاع و قد اختلف فيه أيضا فقال أبو حنيفة إن قليله و كثيره يحرم و روى ذلك عن ابن عمر و ابن عباس و هو مذهب مالك و الأوزاعى و قال الشافعى إنما يحرم خمس رضعات و به قالت عائشه و سعيد بن جبير و قال أصحابنا لا يحرم إلا ما أنبت اللحم و شد العظم و إنما يعتبر ذلك برضاع يوم و ليله لا يفصل بينه برضاع امرأه أخرى أو بخمس عشره رضعه متواليات لا يفصل بينها برضاع امرأه أخرى و قال بعض أصحابنا المحرم عشر رضعات متواليات (و ثالثها) كيفيه الرضاع فعند أصحابنا لا يحرم إلا ما وصل إلى الجوف من الثدي فى المجرى المعتاد الذى هو الفم فأما ما يوجر أو يسعط أو يحقن به فلا يحرم بحال و لبن الميته لا حرمة له فى التحريم و فى جميع ذلك خلاف و قوله «وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ» أى حرم عليكم نكاحهن و هذا يتضمن تحريم نكاح أمهات الزوجات و جداتهن قريبن أو بعدن من أى وجه كن سواء كن من النسب أو من الرضاع و هن يحرمن بنفس العقد على البنت سواء دخل بالبنت أو لم يدخل لأن الله تعالى أطلق التحريم و لم يقيد بالدخول «وَرَبَائِكُمْ» يعنى بنات نساءكم من غيركم «اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ» و هو جمع حجر الإنسان و المعنى فى ضمانكم و تربيتكم و يقال فلان فى حجر فلان أى فى تربيته و لا خلاف بين العلماء أن كونهن فى حجره ليس بشرط فى التحريم و إنما ذكر ذلك لأن الغالب أنها تكون كذلك و هذا يقتضى تحريم بنت المرأه من غير زوجها على زوجها و تحريم بنت ابنها و بنت بنتها قربت أم بعدت لوقوع اسم الربيبه عليهن «مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ» و هذه نعت لأمهات الرباب لا غير لحصول الإجماع على أن الربيبه تحل إذا لم يدخل بأمها قال المبرد و اللاتى دخلتم بهن نعت للنساء اللواتى هن أمهات الرباب لا غير و الدليل على ذلك إجماع الناس على أن الربيبه تحل إذا لم يدخل بأمها و من أجاز أن يكون قوله «مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ» هو لأمهات نساءكم فيكون المعنى و أمهات نساءكم من نساءكم اللاتى دخلتم بهن و يخرج أن

يكون اللاتي دخلتم بهن لأمهات الربائب قال الزجاج و الدليل على صحه ذلك أن الخبرين إذا اختلفا لم يكن نعتهما واحدا لا يجيز النحويون مررت بنسائك و هربت من نساء زيد الظريفات على أن تكون الظريفات نعتا لهؤلاء النساء و هؤلاء النساء و

روى العياشى فى تفسيره بإسناده عن إسحاق بن عمار عن جعفر بن محمد عن أبيه (عليه السلام) قال إن عليا كان يقول الربائب عليكم حرام من الأمهات اللاتي قد دخلتم بهن كن فى الحجور أو فى غير الحجور

و الأمهات مبهمات دخل بالبنات أو لم يدخل بهن فحرموا ما حرم الله و أبهموا ما أبهم الله و اختلف فى معنى الدخول على قولين (أحدهما) أن المراد به الجماع عن ابن عباس (و الآخر) أنه الجماع و ما يجرى مجراه من المسيس و التجريد عن عطاء و هو مذهبا و فى ذلك خلاف بين الفقهاء «فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ» يعنى بأمر الربيبه «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ» أى لا إثم عليكم فى نكاح بناتهن إذا طلقتموهن أو متن «وَ حَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْيَابِكُمْ» أى و حرم عليكم نكاح أزواج أبنائكم ثم أزال الشبهه فى أمر زوجه المتبنى به فقال «الَّذِينَ مِنْ أَصْيَابِكُمْ» لثلا يظن أن زوجه المتبنى به تحرم على المتبنى و روى عن عطاء أن هذه نزلت حين نكح النبى امرأه زيد بن حارثه فقال المشركون فى ذلك فنزل «وَ حَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْيَابِكُمْ» و قوله «وَ مَا جَعَلَ أَذْيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ» و ما كان مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ و أما حلائل الأبناء من الرضاعه فمحرمات أيضا

بقوله إن الله حرم من الرضاعه ما حرم من النسب

«وَ أَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ» أى و حرم عليكم الجمع بين الأختين لأن أن مع صلتها فى حكم المصدر و هذا يقتضى تحريم الجمع بين الأختين فى العقد على الحرائر و تحريم الجمع بينهما فى الوطاء بملك اليمين فإذا وطئ إحداهما فقد حرمت عليه الأخرى حتى تخرج تلك من ملكه و هو قول الحسن و أكثر المفسرين و الفقهاء «إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ» استثناء منقطع و معناه لكن ما قد سلف لا يؤخذكم الله به و ليس المراد به أن ما قد سلف حال النهى يجوز استدامته بلا خلاف و قيل معناه إلا ما كان من يعقوب إذ جمع بين الأختين ليا أم يهوذا و راحيل أم يوسف عن عطاء و السدى «إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا» لا يؤخذكم الله بحكم ما قد سلف من هذه الأنكحه قبل نزول التحريم و كل ما حرم الله فى هذه الآيه فإنما هو على وجه التأييد سواء كن مجتمعات أو متفرقات إلا- الأختين فإنهما يحرمان على وجه الجمع دون الانفراد و يمكن أن يستدل بهذه الآيه على أن هؤلاء المحرمات من ذوات الأنساب لا يصح أن تملك واحده منهن لأن التحريم عام و المحرمات بالنسب أو السبب على وجه التأييد يسمون مبهمات لأنهن يحرم من جميع الجهات و هى مأخوذه من البهيم الذى لا

يخالط معظم لونه لون آخر يقال فرس بهيم لا شيه له «إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا» يغفر الذنوب «رَحِيمًا» يرحم العباد المؤمنين.

[سوره النساء (٤): آيه ٢٤]

اشاره

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصَنِينَ غَيْرِ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا تَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٢٤)

القراءه

قرأ الكسائي وحده و المحصنات و محصنات في سائر القرآن بكسر الصاد إلا- قوله «وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» فإنه فتح الصاد فيه و قرأ الباقون بفتح الصاد في كل القرآن و قرأ أهل الكوفه إلا أبا بكر و أبا جعفر و أحل لكم بالضم و كسر الحاء و قرأ الباقون بفتح الهمزه و الحاء.

الحجه

وقع الاتفاق على فتح العين من قوله «وَالْمُحْصَنَاتُ» في هذه الآيه و معناها النساء اللاتي أحصن بالأزواج و الإحصان يقع على الحره يدل عليه قوله الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْآيَةَ يعني الحرائر لأن من قذف غير حره لم يجلد ثمانين و يقع أيضا على العفه يدل عليه قوله «وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَتْ فَرْجَهَا» و قد فسر قوله «وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحِ الْمُحْصَنَاتِ» بالعفاف و يقع على التزويج كما في الآيه و يقع على الإسلام كما فسر من قرأ فإذا أحصن بفتح الهمزه بأسلمن و أصل الجميع المنع لأين الحره تمنع عن امتهان الرق و العفه حظر النفس عما حظره الشرع و التزوج في المرأه يحظر خطبتها التي كانت مباحه قبل و يمنع تصديها للتزويج و الإسلام يحظر الدم و المال اللذين كانا مباحين قبل الإسلام و من قرأ «وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ» قال بناء الفعل للفاعل أشبه بما قبله لأن معنى «كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» كتب الله عليكم كتابا و الله أحل لكم و من قرأ و أحل لكم

ص: ٥٠

قال أنه فى المعنى يؤول إلى الأول و فىه مراعاة ما قبله و هو قوله «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ».

اللغة

قال الأزهرى يقال للرجل إذا تزوج أحسن فهو محصن كقولهم الفج فهو ملفج و أسهب فهو مسهب إذا أكثر الكلام و كلام العرب كله على أفعل فهو مفعول و قال سيبويه حصنت المرأة حصنا فهي حصان مثل جبن جبنًا فهو جبان و قد قالوا حصناء كما قالوا علماء و الحصان الفحل من الأفراس و أحسن الرجل امرأته و أحصنت المرأة فرجها من الفجور و المسافحه و السفاح الزنا أصله من السفح و هو صب الماء لأنه يصب الماء باطلا- و سفح الجبل أسفله لأنه يصب الماء منه و قال الزجاج المسافحه و السفاح الزانيان لا يمتنعان من أحد فإذا كانت تزنى بواحد فهي ذات خدن.

الإعراب

«كِتَابَ اللَّهِ» نصب على المصدر من فعل محذوف و أصله كتب الله كتابا عليكم ثم أضمير الفعل لدلاله ما تقدم من الكلام عليه و هو قوله «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ» فإنه يدل على أن ما هو مذكور مكتوب عليهم فبقى كتاب الله عليكم ثم أضيف المصدر إلى الفاعل كما أضيف إلى المفعول فى قولهم ضرب زيد و مثل ذلك قوله صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي و على ذلك قول الشاعر:

ما إن يمس الأرض إلا جانب منه

و حرف الساق طى المحمل

لأن ما فى البيت يدل على أنه طيان فكان تقديره طوى طى المحمل و قال الزجاج يجوز أن يكون منصوبا على جهة الأمر و يكون المعنى أَلْزَمُوا كِتَابَ اللَّهِ و لا- يجوز أن يكون منصوبا بعلينكم لأن عليكم لا يجوز تقديم منصوبه و قوله «ما وراء ذلكم» ما اسم موصول فى موضع نصب بأنه مفعول على قراءه من قرأ و أحل لكم بفتح الهمزة و من قر «وَأَحْلَلَّ» بالضم فمحلله رفع و يجوز أن يكون محل «أَنْ تَبْتَغُوا» نصبا على البدل من ما إن كان منصوب الموضع أو رفعا إن كان محلله رفعا و يجوز أن يكون على حذف اللام من لأن تبتغوا على ما مر أمثاله فيما مضى فيكون مفعولا له محصنين نصب على الحال و ذو الحال الواو من تبتغوا «غَيْرَ»

ص: ٥١

مُسَافِحِينَ» صفه لمحصنين و فريضه نصب على المصدر و يجوز أن يكون مصدرا فى موضع الحال أى مفروضه.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم ذكرهن من المحرمات فقال «وَالْمُحْصِنَاتُ» أى و حرمت عليكم اللاتي أحصن «مِنَ النِّسَاءِ» و اختلف فى معناه على أقوال (أحدها) أن المراد به ذوات الأزواج «إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»

من سبى من كان له زوج عن على (عليه السلام)

و ابن مسعود و ابن عباس و مكحول و الزهرى و استدل بعضهم على ذلك بخبر أبى سعيد الخدرى أن الآيه نزلت فى سبى أوطاس و أن المسلمين أصابوا نساء المشركين و كان لهن أزواج فى دار الحرب فلما نزلت نادى منادى رسول الله ص ألا لا توطأ الجبالى حتى يضعن و لا غير الجبالى حتى يستبرئن بحيضه و من خالف فيه ضعف هذا الخبر بأن سبى أوطاس كانوا عبده الأوثان و لم يدخلوا فى الإسلام و لا يحل نكاح الوثنيه و أجيب عن ذلك بأن الخبر محمول على ما بعد الإسلام (و ثانيها) أن المراد به ذوات الأزواج إلى ما ملكت أيمانكم ممن كان لها زوج لأن بيعها طلاقها عن أبى بن كعب و جابر بن عبد الله و أنس و ابن المسيب و الحسن و قال ابن عباس طلاق الأمه يثبت بسته أشياء سببها و بيعها و عتقها و هبتها و ميراثها و طلاق زوجها و هو الظاهر من روايات أصحابنا و قال عمر بن الخطاب و عبد الرحمن بن عوف ليس بيع الأمه طلاقها بل طلاقها كطلاق الحره و إنما هو فى السبى خاصه لأن النبى ص خير بريره بعد ما أعتقتها عائشه و لو بانت بالعتق لم يصح تخييرها و قال الأولون أن زوج بريره كان عبدا و لو كان حرا لم يخيرها النبى ص (و ثالثها) أن المراد بالمحصنات العفائف إلا ما ملكت أيمانكم بالنكاح أو بالثمن ملكك استمتاع بالمهر و النفقه أو ملكك استخدام بالثمن عن أبى العاليه و سعيد بن جبير و عطاء و السدى «كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» يعنى كتب الله تحريم ما حرم و تحليل ما حلل عليكم كتابا فلا تخالفوه و تمسكوا به و قوله «وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ» أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ» قيل فى معناه أربعه أقوال (أحدها) أحل لكم ما وراء ذات المحارم من أقاربكم عن عطاء (و ثانيها) أن معناه أحل لكم ما دون الخمس و هى الأربع فما دونها أن تبتغوا بأموالكم على وجه النكاح عن السدى (و ثالثها) ما وراء ذلكم مما ملكت أيمانكم عن قتاده (و رابعها) أحل لكم ما وراء ذات المحارم و الزيادة على الأربع أن تبتغوا بأموالكم نكاحا أو ملك يمين و هذا الوجه أحسن الوجوه و لا- تنافى بين هذه الأقوال و معنى أن تبتغوا أن تطلبوا أو تلتمسوا بأموالكم أما شراء بئمن أو نكاحا بصداق عن ابن عباس

«مُحْصِيَاتٍ غَيْرِ مُسَافِحِينَ» أى متزوجين غير زانين وقيل معناه أعه غير زناه وقوله «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً» قيل المراد بالاستمتاع هنا درك البغيه والمباشره وقضاء الوطر من اللذه عن الحسن ومجاهد وابن زيد والسدى فمعناه على هذا فما استمتعتم أو تلذذتم من النساء بالنكاح فآتوهن مهورهن وقيل المراد به نكاح المتعه وهو النكاح المنعقد بمهر معين إلى أجل معلوم عن ابن عباس والسدى وابن سعيد وجماعه من التابعين وهو مذهب أصحابنا الإماميه وهو الواضح لأن لفظ الاستمتاع والتمتع وإن كان فى الأصل واقعا على الانتفاع والالتذاذ فقد صار يعرف الشرع مخصوصا بهذا العقد المعين لا سيما إذا أضيف إلى النساء فعلى هذا يكون معناه فمتى عقدتم عليهن هذا العقد المسمى متعه فآتوهن أجورهن ويدل على ذلك أن الله علق وجوب إعطاء المهر بالاستمتاع وذلك يقتضى أن يكون معناه هذا العقد المخصوص دون الجماع والاستلذاذ لأن المهر لا يجب إلا به وهذا وقد روى عن جماعه من الصحابه منهم أبى بن كعب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود أنهم قرءوا فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن وفى ذلك تصريح بأن المراد به عقد المتعه وقد أورد الثعلبى فى تفسيره عن حبيب بن أبى ثابت قال أعطانى ابن عباس مصحفا فقال هذا على قراءة أبى فرأيت فى المصحف فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى وبإسناده عن أبى نصره قال سألت ابن عباس عن المتعه فقال أ ما تقرأ سورة النساء فقلت بلى فقال فما تقرأ (فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى) قلت لا أقرؤها هكذا قال ابن عباس والله هكذا أنزلها الله تعالى ثلاث مرات وبإسناده عن سعيد بن جبير أنه قرأ (فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى) وبإسناده عن شعبه عن الحكم بن عتيبه قال سألته عن هذه الآية «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ» أ منسوخه هى قال الحكم

قال على بن أبى طالب لو لا أن عمر نهى عن المتعه ما زنى إلا شقى

وبإسناده

عن عمران بن الحصين قال نزلت آيه المتعه فى كتاب الله ولم تنزل آيه بعدها تنسخها فأمرنا بها رسول الله و تمتعنا مع رسول الله ص و مات ولم ينهنا عنها فقال بعد رجل برأيه ما شاء

و مما أورده مسلم بن حجاج فى الصحيح قال حدثنا الحسن الحلوانى قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال قال عطاء قدم جابر بن عبد الله معتمرا فجنناه فى منزله فسأله القوم عن أشياء ثم ذكروا المتعه فقال نعم استمتعنا على عهد رسول الله وأبى بكر وعمر و مما يدل أيضا على أن لفظ الاستمتاع فى الآية لا يجوز أن يكون المراد به الانتفاع والجماع أنه لو كان كذلك لوجب أن لا يلزم شىء من المهر من لا ينتفع من المرأه بشىء و قد علمنا أنه لو طلقها قبل الدخول لزمه

ص: ٥٣

نصف المهر و لو كان المراد به النكاح الدائم لوجب للمرأة بحكم الآية جميع المهر بنفس العقد لأنه قال «فَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ» أى مهورهن و لا- خلاف فى أن ذلك غير واجب و إنما تجب الأجره بكامله بنفس العقد فى نكاح المتعه و مما يمكن التعلق به فى هذه المسأله الروايه المشهوره عن عمر بن الخطاب أنه قال متعتان كانتا على عهد رسول الله حلالا و أنا أنهى عنهما و أعاقب عليهما فأخبر بأن هذه المتعه كانت على عهد رسول الله أضاف النهى عنها إلى نفسه لضرب من الرأى فلو كان النبى ص نسخها أو نهى عنها أو أباحها فى وقت مخصوص دون غيره لأضاف التحريم إليه دون نفسه و أيضا فإنه قرن بين متعه الحج و متعه النساء فى النهى و لا خلاف أن متعه الحج غير منسوخه و لا محرمة فوجب أن يكون حكم متعه النساء حكمها و قوله «و لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ» من قال أن المراد بالاستمتاع الانتفاع و الجماع قال المراد به لا حرج و لا إثم عليكم فيما تراضيتم به من زياده مهر أو نقصانه أو حط أو إبراء أو تأخير و قال السدى معناه لا جناح عليكم فيما تراضيتم به من استئناف عقد آخر بعد انقضاء مده الأجل المضروب فى عقد المتعه يزيدا الرجل فى الأجر و تزيده فى المده و هذا قول الإماميه و تظاهرت به الروايات عن أئمتهم «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا» بما يصلح أمر الخلق «حَكِيمًا» فيما فرض لهم من عقد النكاح الذى يحفظ الأموال و الأنساب.

[سوره النساء (٤): آيه ٢٥]

اشاره

وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحِ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْسَنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٥)

ص: ٥٤

قرأ أهل الكوفه غير حفص فإذا أحسن مفتوحه الهمزه و الباقون «أُحْصِنَ» بضم الهمزه و كسر الصاد.

اللغه

الطول الغناء و هو مأخوذ من الطول خلاف القصر شبه الغنى به لأنه ينال به معالى الأمور و التطول الإفضال بالمال و التطاول على الناس التفضل عليهم و كذلك الاستطاله و طال فلان فلانا كذا إذا فضله فى القدره يقال طاولته فطلته و لم يحل منه فلان بطائل أى بشىء له من أى فضل و طالت طولك و طيلك أى طالت مدتك قال الشاعر:

إننا محيوك فأسلم أيها الطلل

و إن بليت و إن طالت بك الطيل

و الطول الحبل قال طرفه:

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى

لكالطول المرخى و ثنيه باليد

و الفتى الشاب و الفتاه الشابه و الفتاه الأمه و إن كان عجوزا إلا أنها كالصغيره فى أنها لا توقر توقير الحره و الفتوه حاله الحداثه و منه الفتيا تقول أفتى الفقيه يفتى لأنه فى مسأله حادثه و الخدن الصديق و جمعه أخدان نحو ترب و أتراب و يستوى فيه المذكر و المؤنث و الواحد و الجمع و الخدين بمعناه و العنت الجهد و الشده و أكمه عنوت صعبه المرتقى قال المبرد العنت الهلاك.

المعنى

ثم بين تعالى نكاح الإماء فقال «وَمَنْ لَمْ يَشْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا» أى

لم يجد منكم غنى عن ابن عباس و سعيد بن جبیر و مجاهد و قتاده و السدى و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

«أَنْ يَنْكَحَ» أى يتزوج «الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ» أى الحرائر المؤمنات يعنى لم يقدر على شىء مما يصلح لنكاح الحرائر من المهر و النفقه «فَمَنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» أى فلينكح مما ملكت أيمانكم «مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ» أى إمائكم فإن مهور الإماء أقل و مؤنتهن أخف فى العاده و المراد به إماء الغير لأنه لا يجوز أن يتزوج الرجل بأمه نفسه بالإجماع و قيل إن المعنى من هوى الأمه فله أن يتزوجها و إن كان ذا يسار عن جابر و عطاء و إبراهيم و ربيعه و القول الأول هو الصحيح و عليه أكثر الفقهاء و فى الآيه دلالة على أنه لا

يجوز نكاح الأمه الكتابيه لأنه قيد جواز العقد عليهن بالإيمان بقوله «مِنْ قَتِيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ» و هذا مذهب مالك و الشافعي «وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ» أراد بهذا بيان أنه لم يؤخذ علينا إلا بأن نأخذ بالظاهر في هذا الحكم إذ لا سبيل لنا إلى الوقوف على حقيقه الإيمان و الله هو المنفرد بعلم ذلك و لا- يطلع عليه غيره فإنه العالم بالسرائر المطلع على الضمائر «بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ» قيل فيه قولان (أحدهما) أن المراد به كلكم ولد آدم فلا تستنكفوا من نكاح الإمام فإنهن من جنسكم كالحرائر (و الآخر) أن معناه كلكم على الإيمان و دينكم واحد فلا- ينبغي أن يعير بعضكم بعضا بالهجنه نهى الله عن عاده أهل الجاهليه في الطعن و التعيير بالإماء «فَأَنْكِحُوهُنَّ» يعنى الفتيات المؤمنات أى تزوجوهن «بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ» أى بأمر سادتهن و مواليهن و فى هذا دلالة على أنه لا يجوز نكاح الأمه بغير إذن مالكةا «وَ اتَّوَهُنَّ أُجُورَهُنَّ» أى أعطوا مالكةهن مهورهن «بِالْمَعْرُوفِ» أى بما لا- ينكر فى الشرع و هو ما تراضى عليه الأهلون و وقع عليه العقد و قيل معناه من غير مطل و ضرار «مُحْصِنَاتٍ» أى عفاف يريد تزوجوهن عفاف «غَيْرِ مُسَافِحَاتٍ» أى غير زوان و قيل معناه متزوجات غير زانيات و قد قرئ «مُحْصِنَاتٍ» و محصنات بفتح الصاد و كسرهما على ما مر ذكره فى الآيه الأولى «وَ لَا تُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ» أى أخلاء فى السر لأن الرجل منهم كان يتخذ صديقه فيزنى بها و المرأه تتخذ صديقا فتزنى به و روى عن ابن عباس أنه قال كان قوم فى الجاهليه يحرمون ما ظهر من الزنا و يستحلون ما خفى منه فنهى الله عن الزنا سرا و جهرا فعلى هذا يكون المراد بقوله «غَيْرِ مُسَافِحَاتٍ وَ لَا- مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ» غير زانيات لا- سرا و لا- جهرا «فَإِذَا أَحْصِنَّ» من قرأ بضم الهمزة معناه فإذا زوجن فأحصنهن أزواجهن و هو بمعنى تزوجن عن ابن عباس و سعيد بن جبير و مجاهد و قتاده و من قرأ بالفتح فمعناه أسلمن عن عمر بن الخطاب و ابن مسعود و إبراهيم و الشعبى و السدى و قال الحسن يحصنها الزوج و يحصنها الإسلام «فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ» أى زنين «فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصِنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ» أى نصف ما على الحرائر من حد الزنا و هو خمسون جلده نصف حد الحره و «ذَلِكَ» إشاره إلى نكاح الأمه عند عدم الطول «لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ» يعنى الزنا و هو أن يخاف أن تحمله شدة الشبق على الزنا فيلقى الحد فى الدنيا أو العذاب فى الآخرة و عليه أكثر المفسرين و قيل معناه لمن يخاف أن يهواه فيزنى بها و قيل معنى العنت الضرر الشديد فى الدين أو الدنيا لغلبة الشهوه و الأول أصح «وَ أَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ» معناه و صبركم عن نكاح الإمام و عن الزنا خير لكم و أن تصبروا مبتدأ و خير خبره «وَ اللَّهُ غَفُورٌ» لذنوب عباده

«رَجِيمٌ» بهم و فائدته أن من لم يصبر عما أمر بالصبر عنه ثم تاب غفر الله له و رحمه و استدلت الخوارج بهذه الآية على بطلان الرجم قالوا إن الرجم لا- يمكن تبعضه و قد قال «فَعَلَيْهِنَّ نِزْفٌ مَا عَلَى الْمُحْصِنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ» فعلمنا أن الرجم لا أصل له و الجواب عن ذلك إذا كان المراد بالمحصنات الحرائر سقط هذا القول و يدل على ذلك قوله في أول الآية «وَمَنْ لَمْ يَسْتِطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحِ الْمُحْصِنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ» و لا- شك أنه أراد بها الحرائر و العفائف لأن اللاتي لهن أزواج لا يمكن العقد عليهن على أن في الناس من قال أن المحصنات هنا المراد بها الحرائر دون العفائف لأنه لو كان مختصا بالعفائف لما جاز العقد على غيرهن و معلوم أن ذلك جائز هذا و الرجم أجمعت الأمة على أنه من أحكام الشرع و تواتر المسلمون بأن النبي ص رجم ماعز بن مالك الأسلمي و رجم يهوديا و يهوديه و لم يختلف فيه الفقهاء من عهد الصحابة إلى يومنا هذا فخلافا للخوارج في ذلك شاذ عن الإجماع فلا يعتد به.

[سوره النساء (٤): الآيات ٢٦ إلى ٢٨]

إشاره

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُبُلَ الدِّينِ مِنَ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) وَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الدِّينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَ خُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (٢٨)

الإعراب

ذكر في اللام من قوله «لِيُذَيِّبَ لَكُمْ» ثلاثه أقوال (أحدها) أن معناه أن و أن تأتي مع أمرت و أردت لأنها تطلب الاستقبال فلا يجوز أردت أن قمت فلما كانت أن في سائر الأفعال تطلب الاستقبال استوثقوا لها باللام و ربما جمعوا بين اللام و كى لتأكيد الاستقبال قال الشاعر:

أرادت لكيما لا ترى لى عثره

و من ذا الذى يعطى الكمال فيكمل

و هذا قول الكسائي و الفراء و أنكره الزجاج و أنشد:

ص: ٥٧

أردت لكيما يعلم الناس أنها

سراويل قيس و الوفود شهود

قال و لو كانت اللام بمعنى إن لم تدخل على كى كما لا تدخل إن على كى قال و مذهب سيويه و أصحابه إن اللام دخلت هنا على تقدير المصدر أى لإرادته البيان نحو قوله تعالى «إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ» أى إن كانت عبارتكم للرؤيا و كذلك قوله «لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَزْهَبُونَ» أى رهبتهم لربهم قال كثير:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما

تمثل لى لىلى بكل سبيل.

و القول الثالث إن بعض النحويين ضعف هذين الوجهين بأن جعل اللام بمعنى أن لم تقم به حجه قاطعه و حمله على المصدر يقتضى جواز ضربت لزيد بمعنى ضربت زيدا و هذا لا يجوز و لكن يجوز فى التقديم دون التأخير نحو لزيد ضربت و للرؤيا تَعْبُرُونَ و لأن عمل الفعل فى التقديم يضعف كعمل المصدر فى التأخير و لذلك لم يجز إلا فى المتصرف فأما رَدَفَ لَكُمْ فعلى تأويل ردف ما ردف لكم و على ذلك ما يريد لكم و كذلك قوله «وَ أَمْرًا لِنُسَلِّمَ» أى أمرنا بما أمرنا لنسلم و هذه الأقوال كلها مضطربة و الوجه الصحيح فيه أن مفعول يريد محذوف تقديره يريد الله تبصيركم لبيّن لكم.

المعنى

ثم بين تعالى بعد التحليل و التحريم أنه يريد بذلك مصالحنا و منافعنا فقال الله تعالى «يُرِيدُ اللَّهُ» ما يريد «لِيُبَيِّنَ لَكُمْ» أحكام دينكم و دنياكم و أمور معاشكم و معادكم «وَ يَهْدِيَكُمْ سُبُلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» فيه قولان (أحدهما) يهديكم إلى طريق الذين كانوا من قبلكم من أهل الحق و الباطل لتكونوا مقتدين بهم متبعين آثارهم لما لكم من المصلحة (و الآخر) سنن الذين من قبلكم من أهل الحق و الباطل لتكونوا على بصيره فيما تفعلون و تجتنبون من طرائقهم «وَ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ» أى و يقبل توبتكم و يقال يريد التوبه عليكم بالدعاء إليها و الحث عليها و تيسير السبيل إليها و فى هذا دلالة على بطلان مذهب المجبره لأنه بين تعالى أنه لا- يريد إلا- الخير و الصلاح «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» مر تفسيره «وَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ» أى يلفظ فى توبتكم أن وقع منكم ذلك و قيل يريد أن يوفقكم لها و يقوى دواعيكم إليها «وَ يُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ» فيه أقوال- (أحدها)- إن المعنى بذلك جميع المبطلين فإن كل مبطل متبع شهوه نفسه فى باطله عن ابن زيد- (و ثانيها)- إن المراد بذلك الزناه عن مجاهد- (و ثالثها)- أنهم اليهود و النصارى عن

السدى- (و رابعها)- إنهم اليهود خاصة إذ قالوا إن الأخت من الأب حلال في التوراه و القول الأول أقرب «أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا» أى تعدلوا عن الاستقامه عدولا بينا بالاستكثار من المعصيه و ذلك أن الاستقامه هى المؤديه إلى الثواب و الفوز من العقاب و الميل عنها يؤدى إلى الهلاك و استحقاق العذاب و إذا قيل لم كرر قوله تعالى «يَتُوبَ عَلَيْكُمْ» فجوابه أنه للتأكيد و أيضا فإن فى الأول بيان أنه يريد الهدايه و الإنابه و فى الثانى بيان إن إرادته خلاف إرادته أصحاب الأهواء و أيضا أنه أتى فى الثانى بأن ليزول الإبهام أنه يريد ليتوب و لا يريد أن يتوب و إنما قال تعالى «مَيْلًا عَظِيمًا» لأن العاصى يأنس بالعاصى كما يأنس المطيع بالمطيع و يسكن الشكل إلى الشكل و يألف به و لأن العاصى يريد مشاركه الناس إياه فى المعصيه ليسلم عن ذمهم و توبيخهم و نظيره قوله تعالى «وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا» و فى المثل من أحرق كدسه تمنى إحراق كدس غيره و على هذا جبلت القلوب «يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ» يعنى فى التكليف فى أمر النساء و النكاح بإباحه نكاح الإماء عن مجاهد و طاووس و يجوز أن يريد التخفيف بقبول التوبه و التوفيق لها و يجوز أن يريد التخفيف فى التكليف على العموم و ذلك أنه تعالى خفف عن هذه الأمه ما لم يخفف عن غيرها من الأمم الماضيه «وَ خُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا» فى أمر النساء و قله الصبر عنهن و قيل خلق الإنسان ضعيفا يستميله هواه و شهوته و يستشيطه خوفه و حزنه.

[سوره النساء (٤): الآيات ٢٩ الى ٣٠]

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَ ظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيه نَارًا وَ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠)

القراءة

قرأ أهل الكوفه تجاره نصباً و الباقون بالرفع.

ص: ٥٩

قال أبو علي من رفع فتقديره إلا أن تقع تجاره فلاستثناء منقطع لأن التجاره عن تراض ليس من أكل المال بالباطل و من نصب تجاره احتمال ضربين (أحدهما) إلا أن تكون التجاره تجاره عن تراض و مثل ذلك قول الشاعر:

" إذا كان يوما ذا كواكب أشنعا "

أى إذا كان اليوم يوما (و الآخر) إلا أن تكون الأموال أموال تجاره فحذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه فلاستثناء على هذا الوجه أيضا منقطع.

المعنى

لما بين سبحانه تحريم النساء على غير الوجوه المشروعه عقبه بتحريم الأموال فى الوجوه الباطله فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا الله و رسوله «لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ» ذكر الأكل و أراد سائر التصرفات و إنما خص الأكل لأنه معظم المنافع و قيل لأنه يطلق على وجوه الإنفاقات اسم الأكل يقال أكل ماله بالباطل و إن أنفقه فى غير الأكل و معناه لا يأكل بعضكم أموال بعض و فى قوله «بِالْبَاطِلِ» قولان (أحدهما)

أنه الربا و القمار و البخس و الظلم عن السدى و هو المروى عن الباقر

(و الآخر) إن معناه بغير استحقاق من طريق الأعواض عن الحسن قال و كان الرجل منهم يتخرج عن أن يأكل عند أحد من الناس بعد ما نزلت هذه الآية إلى أن نسخ ذلك بقوله فى سوره النور و ليس عليكم جناح أن تأكلوا من بيوتكم إلى قوله «أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً» و الأول هو الأقوى لأن ما أكل على وجه مكارم الأخلاق لا يكون أكلا باطلا (و ثالثها) إن معناه أخذه من غير وجهه و صرفه فيما لا- يحل له «إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً» أى مبايعه ثم وصف التجاره فقال «عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ» أى يرضى كل واحد منكما بذلك و قيل فى معنى التراضى فى التجاره قولان (أحدهما) أنه إمضاء البيع بالتفرق أو التخابير بعد العقد و هو قول شريح و الشعبى و ابن سيرين و مذهب الشافعى و الإماميه

لقوله (البيعان) بالخيار ما لم يتفرقا

أو يكون بيع خيار و ربما قالوا أو يقول أحدهما للآخر اختر (و الثانى) أنه البيع بالعقد فقط عن مالك و أبى حنيفه «وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ» فيه أربعة أقوال (أحدها) إن معناه لا يقتل بعضكم بعضا لأنكم أهل دين واحد و أنتم كنفس واحد كقوله (سلموا على أنفسكم) عن الحسن و عطا و السدى و الجبائى (و ثانيها) أنه نهى الإنسان عن قتل نفسه فى حال غضب أو ضجر عن أبى

القاسم البلخي (و ثالثها) إن معناه لا تقتلوا أنفسكم بأن تهلكوها بارتكاب الآثام و العدوان في أكل المال بالباطل و غيره من المعاصي التي تستحقون بها العذاب (و رابعها) ما

روى عن أبي عبد الله (عليه السلام) أن معناه لا تخاطروا بنفوسكم في القتال فتقاتلوا من لا تطيقونه

«إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا» أى لم يزل بكم رحيمًا و كان من رحمته أن حرم عليكم قتل الأنفس و إفساد الأموال «وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ» قيل إن ذلك إشارة إلى أكل الأموال بالباطل و قتل النفس بغير حق و قيل إشارة إلى المحرمات في هذه السورة من قوله «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا» و قيل إشارة إلى فعل كل ما نهى الله عز و جل عنه من أول السورة و قيل إلى قتل النفس المحرمه خاصه عن عطا «عُدْوَانًا وَ ظُلْمًا» قيل هما واحد و أتى بهما لاختلاف اللفظين كما قال الشاعر:

" و ألفى قولها كذبا و مينا "

و قيل العدوان تجاوز ما أمر الله به و الظلم أن يأخذ على غير وجه الاستحقاق و قيل إنما قيده بالعدوان و الظلم لأنه أراد به المستحلين «فَسَوْفَ نُضِلُّهُ نَارًا» أى نجعله صلى نار و نحرقه بها «وَ كَانَ ذَلِكَ» أى إدخاله النار و تعذيبه فيها «عَلَى اللَّهِ» سبحانه «يَسِيرًا» هينا لا يمنعه منه مانع و لا يدفعه عنه دافع و لا يشفع عنده إلا بإذنه شافع.

[سورة النساء (٤): آية ٣١]

إشاره

إِنْ تَجَنَّبْتُمْ كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَ نُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا (٣١)

القراءه

قرأ أبو جعفر و نافع مدخلا كريما مفتوحه الميم و قرأ الباقون «مُدْخَلًا» بالضم.

الحجه

قال أبو على من قرأ مدخلا يحتمل أن يكون مصدرا و أن يكون مكانا فإن حملته على المصدر أضمرت له فعلا دل عليه الفعل المذكور و تقديره ندخلكم فتدخلون مدخلا و إن حملته على المكان فتقديره ندخلكم مكانا كريما و هذا أشبه هنا لأن المكان قد وصف بالكريم فى قوله تعالى «وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ»* و من قرأ مدخلا فيجوز فيه أيضا أن يكون مكانا و أن يكون مصدرا.

اللغه

الاجتناب المباعده عن الشىء و تركه جانبا و منه الأجنبى و يقال ما يأتي فلان إلا عن جنبه أى بعد قال علقمه بن عبيده:

فلا تحرمنى نائلا عن جنباه

وإني امرؤ وسط القباب غريب

ص: ٦١

و قال الأعشى:

أتيت حريثا زائرا عن جنابه

فكان حريث عن عطائي جامدا

و التكفير أصله الستر.

المعنى

لما قدم ذكر السيئات عقبه بالترغيب فى اجتنابها فقال «إِنْ تَجْتَنَّبُوا» أى تتركوا جانباً «كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكْفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ» اختلف فى معنى الكبيره فقيل كل ما أوعده الله تعالى عليه فى الآخريه عقابا و أوجب عليه فى الدنيا حدا فهو كبيره و هو المروى عن سعيد بن جبير و مجاهد و قيل كل ما نهى الله عنه فهو كبيره عن ابن عباس و إلى هذا ذهب أصحابنا فإنهم قالوا المعاصى كلها كبيره من حيث كانت قبائح لكن بعضها أكبر من بعض و ليس فى الذنوب صغيره و إنما يكون صغيرا بالإضافة إلى ما هو أكبر منه و يستحق العقاب عليه أكثر و القولان متقاربان و قالت المعتزله الصغيره ما نقص عقابه عن ثواب صاحبه ثم أن العقاب اللازم عليه ينحبط بالاتفاق بينهم و هل ينحبط مثله من ثواب صاحبه فعند أبى هاشم و من يقول بالموازنه ينحبط و عند أبى على الجبائى لا ينحبط بل يسقط الأقل و يبقى الأكثر بحاله و الكبيره عندهم ما يكبر عقابه عن ثواب صاحبه قالوا و لا يعرف شىء من الصغائر و لا معصيه إلا و يجوز أن يكون كبيره فإن فى تعريف الصغائر إغراء بالمعصيه لأنه إذا علم المكلف أنه لا ضرر عليه فى فعلها و دعت الشهوه إليها فعلها و قالوا عند اجتناب الكبائر يجب غفران الصغائر و لا يحسن معه المؤاخذه بها و ليس فى ظاهر الآيه ما يدل عليه فإن معناه على ما رواه الكلبي عن ابن عباس إن تجتنبوا الذنوب التى أوجب الله فيها الحد و سمي فيها النار نكفر عنكم ما سوى ذلك من الصلاه إلى الصلاه و من الجمعة إلى الجمعة و من شهر رمضان إلى شهر رمضان و قيل معنى ذلك إن تجتنبوا كبائر ما نهيتهم عنه فى هذه السوره من المناكح و أكل الأموال بالباطل و غيره من المحرمات من أول السوره إلى هذا الموضع و تركتموه فى المستقبل كفرنا عنكم ما كان منكم من ارتكابها فيما سلف و لذا قال ابن مسعود كلما نهى الله عنه فى أول السوره إلى رأس الثلاثين فهو كبيره و يعضد هذا القول من التنزيل قوله «قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ» و قوله «وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ» «وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا» أى مكانا طيبا حسنا لا ينقصه شىء و قد ذكرنا المعنى فى القراءتين قبل فأما تفسير الكبائر الموبقه على ما وردت به الروايات فسنذكر منه جمله مقنعه و

روى عبد العظيم بن عبد الله الحسنى عن أبى جعفر محمد بن على عن أبيه

على بن موسى الرضا عن موسى بن جعفر (عليه السلام) قال دخل عمرو بن عبيد البصرى على أبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) فلما سلم و جلس تلا هذه الآيه «الَّذِينَ يَجْتَبِئُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ» * ثم أمسك فقال أبو عبد الله ما أسكتك قال أحب أن أعرف الكبائر من كتاب الله قال نعم يا عمرو أكبر الكبائر الشرك بالله لقول الله عز و جل «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ» و قال مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ و بعده اليأس من روح الله لأن الله يقول «لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ» ثم الأيمن من مكر الله لأن الله يقول «فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ» و منها عقوق الوالدين لأن الله تعالى جعل العاق جبارا شقيا فى قوله «وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَ لَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا» و منها قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق لأنه يقول «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا» الآيه و قذف المحصنات لأن الله يقول «إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» و أكل مال اليتيم ظلما لقوله «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا» الآيه و الفرار من الزحف لأن الله يقول «وَمَنْ يُؤَلَّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَ مَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَ بئس المصير» و أكل الربا لأن الله يقول «الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَتَّخِذُونَ الْإِسْلَامَ إِلَّا سَخِرَ مِنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ يُسَخَّرُونَ لَهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» الآيه و السحر لأن الله يقول «وَ لَقَدْ عَلَّمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ» و الزنا لأن الله يقول «وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ يُخَلَّدُ فِيهِ مُهَانًا» و اليمين الغموس لأن الله يقول «إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَ أَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ» الآيه و الغلول قال الله «وَ مَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» و منع الزكاه المفروضه لأن الله يقول «يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ» الآيه و شهاده الزور و كتمان الشهاده لأن الله يقول «وَ مَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ» و شرب الخمر لأن الله تعالى عدل بها عباده الأوثان و ترك الصلاة متعمدا أو شيئا مما فرض الله تعالى لأن رسول الله (ص) يقول من ترك الصلاة متعمدا فقد برىء من ذمه الله و ذمه رسوله و نقض العهد و قطيعه الرحم لأن الله يقول «أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ» قال فخرج عمرو و له

صراخ من بكائه و هو يقول هلك من قال برأيه و نازعكم فى الفضل و العلم

و

روى عن النبى (ص) أنه قال الكبائر سبع أعظمهن الإشراك بالله و قتل النفس المؤمنه و أكل الربا و أكل مال اليتيم و قذف المحصنه و عقوق الوالدين و الفرار من الزحف فمن لقي الله تعالى و هو برى ء منهن كان معى فى بحبوحه جنه مصاريعها من ذهب

و روى سعيد بن جبیر أن رجلا قال لابن عباس كم الكبائر؟ سبع هى قال هى إلى سبعمائه أقرب منها إلى سبع غير أنه لا كبيره مع استغفار و لا صغيره مع إصرار رواهما الواحدى فى تفسيره بالإسناد مرفوعا.

[سوره النساء (٤): آيه ٣٢]

إشاره

و لا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا لَهُمْ وَ لِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا لَهُنَّ وَ سَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٣٢)

القراءه

قرأ ابن كثير و الكسائى و سلوا الله بغير همز و كذلك كل ما كان أمرا للمواجه فى كل القرآن و الباقون بالهمز و لم يختلفوا فى وَ لَيْسَ سَأَلُوا مَا أَنْفَقُوا أَنَّهُ مَهْمُوزٌ.

الحجه

قال أبو على الهمز و ترك الهمز حسان فلو خفف الهمزه فى قوله «و لَيْسَ سَأَلُوا» لكان أيضا حسنا.

اللغه

التمنى هو قول القائل لما لم يكن ليته كان كذا و ليته لم يكن كذا لما كان و قال أبو هاشم فى بعض كلامه التمنى معنى فى القلب و من قال بذلك قال ليس هو من قبيل الشهو و لا من قبيل الإراده لأن الإراده لا تتعلق إلا بما يصح حدوثه و الشهو لا تتعلق بما مضى كالإراده و التمنى قد يتعلق بما مضى و أهل اللغه ذكروا التمنى فى أقسام الكلام.

النزول

قيل جاءت وافده النساء إلى رسول الله (ص) فقالت يا رسول الله أليس الله رب الرجال و النساء و أنت رسول الله إليهم جميعا فما بالناس يذكر الله الرجال و لا يذكرنا نخشى أن لا يكون فينا خير و لا لله فينا حجه فنزلت هذه الآية و قيل إن أم سلمه قالت يا رسول

الله يغزو الرجال و لا- تغزو النساء و إنما لنا نصف الميراث فليتنا رجال فنغزو و نبليغ ما يبلغ الرجال فنزلت الآية عن مجاهد و قيل لما نزلت آيه المواريث قال الرجال نرجو أن نفضل على النساء بحسناتنا في الآخره كما فضلنا عليهن في الميراث فيكون أجرنا على الضعف من

ص: ٦٤

أجر النساء وقالت النساء إنا نرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال في الآخرة كما لنا الميراث على النصف من نصيبهم في الدنيا فنزلت الآية عن قتاده والسدى.

المعنى

لما بين سبحانه حكم الميراث وفضل بعضهم على بعض في ذلك ذكر تحريم التمني الذي هو سبب التباغض فقال «وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ» أى

لا- يقل أحدكم ليت ما أعطى فلان من المال والنعمة والمرأة الحسناء كان لى فإن ذلك يكون حسداً ولكن يجوز أن يقول اللهم أعطنى مثله عن ابن عباس وهو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

وقيل إن المعنى لا- يجوز للرجل أن يتمنى إن لو كان امرأه و لا- للمرأة أن تتمنى إن لو كانت رجلاً لأن الله لا يفعل إلا ما هو الأصح فيكون قد تمنى ما ليس بأصلح أو ما يكون مفسده عن البلخي ويمكن أن يقال فى ذلك أنه يجوز ذلك بشرط أن لا يكون مفسده كما يقوله فى حسن السؤال سواء «لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا وَ لِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا» قيل فيه وجوه (أحدها) إن المعنى لكل حظ من الثواب على حسب ما كلفه الله من الطاعات بحسن تدييره فلا- تتمنوا خلاف هذا التدبير لما فيه من حرمان الحظ الجزيل عن قتاده (و ثانيها) إن لكل فريق من الرجال والنساء نصيباً مما اكتسب من نعيم الدنيا بالتجارات والزراعات وغير ذلك من أنواع المكاسب فينبغى أن يقنع كل منهم ويرضى بما قسم الله له (و ثالثها) إن لكل منهما نصيباً من الميراث على ما قسمه الله عن ابن عباس فالأكتساب على هذا القول بمعنى الإصابه والإحراز «وَسَيُلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ» معناه إن احتجتم إلى ما لغيركم وأعجبكم أن يكون لكم مثل ما له فاسألوا الله أن يعطيكم مثل ذلك من فضله بشرط أن لا يكون فيه مفسده لكم ولا لغيركم لأن المسأله لا تحسبن إلا كذلك وجاء فى

الحديث عن ابن مسعود عن النبي قال سلوا الله من فضله فإنه يحب أن يسأل و أفضل العباده انتظار الفرج

وقال سفيان بن عيينه لم يأمرنا بالمسأله إلا ليعطى «إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً» معناه أن الله عليم بكل شىء و لم يزل كذلك فيعلم ما تظهورونه و ما تضمرونه من الحسد و يقسم الأرزاق بين العباد على ما يعلم فيه من الصلاح و الرشاد فلا يتمنى أحدكم ما قسم لغيره فإنه لا يحصل من تمنيه إلا الغم و الإثم.

[سوره النساء (٤): آيه ٣٣]

إشارة

وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَ الَّذِينَ عَقَدْتُمْ أَيْمَانَكُمْ فَأَتَوْهُمْ نَصِيبُهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً (٣٣)

قرأ أهل الكوفه «عَقَدْتُ» بغير ألف و الباقون عاقدت بألف.

الحجه

قال أبو على الذكر الذى يعود من الصله إلى الموصول ينبغى أن يكون ضميرا منصوبا فالتقدير و الذين عاقدتهم أيمانكم فجعل الأيمان فى اللفظ هى المعاقده و المعنى على الحالفين الذين هم أصحاب الأيمان و المعنى و الذين عاقدت حلفهم أيمانكم فحذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه فعاقدت أشبه بهذا المعنى لأن لكل نفر من المعاقدين يمينا على المحالفه و من قال عقدت أيمانكم كان المعنى عقدت حلفهم أيمانكم فحذف الحلف و أقام المضاف إليه مقامه و الذين قالوا عاقدت حملوا الكلام على لفظ الإيمان لأن الفعل لم يسند إلى أصحاب الإيمان فى اللفظ إنما أسند إلى الإيمان.

اللغه

أصل المولى من ولى الشىء ء يليه ولايه و هو اتصال الشىء ء بالشىء ء من غير فاصل و المولى يقع على وجوه المعتق و المعتق و ابن العم و الورثه و الحليف و الولى و السيد المطاع و الأولى بالشىء ء و الأحق و هو الأصل فى الجميع فسمى المعتق مولى لأنه أولى بميراث المعتق و المعتق أولى بنصره المعتق من غيره و ابن العم أولى بنصره ابن عمه لقربته و الورثه أولى بميراث الميت من غيرهم و الحليف أولى بأمر محالفه للمحالفه التى جرت بينهما و الولى أولى بنصره من يواليه و السيد أولى بتدبير من يسوده من غيره و منه

الخبر أيما امرأه نكحت بغير إذن مولاها

أى من هو أولى بالعقد عليها و قال أبو عبيده فى قوله تعالى «النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ» معناه أى هى أولى بكم و أنشد بيت لبيد:

فغدت، كلا الفرجين تحسب أنه

مولى المخافه خلفها و أمامها

و الأيمان جمع اليمين و هو اسم يقع على القسم و الجارحه و القوه و الأصل فيه الجارحه و ذلك أنهم كانوا يضربون الصفقه للبيع و البيعه بأيمانهم ف يأخذ بعضهم بيد بعض على الوفاء و التمسك بالعهد ثم يتحالفون عليه فسمى القسم يمينا و قال:

إذا ما رايه رفعت لمجد

تلقاها عرابه باليمين

أى بالقوه.

الإعراب

قوله «مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ وَقَعَ مَوْجَ الصَّفَةِ لِقَوْلِهِ «مَوَالِي» أَيْ مَوَالِي كَائِنِينَ مِمَّا تَرَكَ أَيْ خَلْفَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ «وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ» مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ «الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ» فَيَكُونُ مَرْفُوعَ الْمَوْضِعِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ «مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ» مُتَعَلِّقًا بِفِعْلِ مَحْذُوفٍ وَتَقْدِيرُهُ مَوَالِي يَعْطُونَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَيَكُونُ «وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ» مُبْتَدَأً وَقَوْلُهُ «فَأَتَوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ» خَبْرُهُ.

المعنى

ثم عاد سبحانه إلى ذكر المواريث فقال «وَلِكُلِّ» واحد من الرجال والنساء «جَعَلْنَا مَوَالِي» أى ورثه هم أولى بميراثه عن السدى وقيل عصبه عن ابن عباس والحسن والأول أصح لقوله سبحانه فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي فَجَعَلَهُ مَوْلَى لِمَا يَرِثُ وَوَلِيًّا لَهُ لِمَا كَانَ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِهِ وَمَالِكًا لَهُ كَمَا يُقَالُ لِمَالِكِ الْعَبْدِ مَوْلَاهُ «مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ» أى يرثون أو يعطون مما ترك الوالدان «وَالْأَقْرَبُونَ» الموروثون «وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ» أى ويرثون مما ترك الذين عقدت أيمانكم لأن لهم ورثه أولى بميراثهم فيكون قوله «وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ» عطفا على قوله «الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ» «فَأَتَوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ» أى فأتوا كلا نصيبه من الميراث وهذا اختيار الجبائي وقال الحليف لم يؤمر له بشىء أصلا وقال أكثر المفسرين إن قوله «وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ» مقطوع من الأول فكأنه قال والذين عاقدت أيمانكم أيضا فأتوهم نصيبهم ثم اختلفوا فيه على أقوال (أحدها) أن المراد بهم الحلفاء عن قتاده وسعيد بن جبير والضحاك وقالوا إن الرجل فى الجاهلية كان يعاقد الرجل فيقول دمي دمك و حربى حربك و سلمى سلمك و ترثنى و أرثك و تعقل عنى و أعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف و عاقد أبو بكر مولى فورثه فذلك قوله «فَأَتَوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ» أى أعطوهم حظهم من الميراث ثم نسخ ذلك بقوله «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ»* وقال مجاهد معناه فأتوهم نصيبهم من النصر والعقل والرشد ولا ميراث فعلى هذا تكون الآية غير منسوخة و يؤيده قوله تعالى أَوْفُوا بِالْعُقُودِ وَ

قول النبي ص فى خطبه يوم فتح مكة ما كان من حلف فى الجاهلية فتمسكوا به فإنه لم يزد الإسلام إلا شدة و لا تحدثوا حلفا فى الإسلام

و

روى عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله قال شهدت حلف المطيبين و أنا غلام مع عمومى فما أحب أن لى حمر النعم و أنى أنكته

(و ثانيها) أن المراد بهم قوم آخى بينهم رسول الله من المهاجرين والأنصار حين قدموا المدينة و كانوا يتوارثون بتلك المؤاخاه ثم نسخ الله ذلك

بالفرائض عن ابن عباس و ابن زيد (و ثالثها) أنهم الذين كانوا يتبنون أبناء غيرهم فى الجاهليه و منهم زيد مولى رسول الله فأمروا فى الإسلام أن يوصوا لهم عند الموت بوصيه فذلك قوله «فَأَتَوْهُمْ نَصَبَ بَيْنَهُمْ» عن سعيد بن المسيب «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً» أى لم يزل عالماً بجميع الأشياء مطلعاً عليها جليها و خفيها.

[سوره النساء (٤): آيه ٣٤]

اشاره

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَ بِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَ اللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَ اهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَ اضْرِبُوهُنَّ فَإِنِ اطَّعْتُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً (٣٤)

القراءه

قرأ أبو جعفر وحده بما حفظ الله بالنصب و الباقون بالرفع و قرئ فى الشواذ فالصوالح قوانت قرأه طلحه بن مصرف.

الحججه

قوله حفظ الله يكون على حذف المضاف كأنه قال حفظ عهد الله أو دين الله كقوله تعالى «إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ» أى تنصروا دين الله و حذف المضاف كثير فى الكلام و الوجه فى قراءه من قرأ فالصوالح قوانت أن جمع التكسير يدل على الكثره و الألف و التاء موضوعتان للقله فهما على حد التشبيه بمنزله الزيدى من الواحد فيكون من الثلاث إلى العشره و الكثره أليق بهذا الموضع غير أن الألف و التاء قد جاء أيضا على معنى الكثره كقوله المُسْلِمِينَ وَ المُسْلِمَاتِ إِلَى قوله وَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَ الذَّاكِرَاتِ وَ الغرض فى الجميع الكثره لا ما هو لما بين الثلاثه إلى العشره و قال ابن جنى كان أبو على الفارسى ينكر الحكايه المرويّه عن النابغه و قد عرض عليه حسان شعره و أنه لما صار إلى قوله:

لنا الجففات الغر يلمعن بالضحي

و أسيافنا يقطرن من نجده دما

ص: ٦٨

قال له النابغه لقد قلت جفانك و سيوفك و هذا خبر مجهول لا أصل له لأن الله تعالى يقول وَ هُمْ فِي الْعُرْفَاتِ آمِنُونَ و لا يجوز أن يكون الغرف التي في الجنة من الثلاث إلى العشرة.

اللغه

يقال رجل قيم و قيام و قوام و هذا البناء للمبالغه و التكثير و أصل القنوت دوام الطاعه و منه القنوت في الوتر لطول القيام فيه و أصل النشوز الترفع على الزوج بخلافه مأخوذ من قولهم فلان على نشز من الأرض أى ارتفاع يقال نشزت المرأه تنشز و تنشز و الهجر الترك عن قلى يقال هجرت الرجل إذا تركت كلامه عن قلى و الهاجرته نصف النهار لأنه وقت يهجر فيه العمل و هجر الرجل البعير إذا ربطه بالهजार و أصل الضجوع الاستلقاء يقال ضجع ضجوعا و اضطجع اضطجاعا إذا استلقى للنوم و أضجعته أنا، و كل شىء أملتة فقد أضجعتة و البغيه الطلب يقال بغيت الضاله إذا طلبتها و قال الشاعر يصف الموت:

بغاك و ما تبغيه حتى وجدته

كأنك قد واعدته أمس موعدا

. الإعراب

الباء في قوله «بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ» وَ بِمَا أَنْفَقُوا» يتعلق بقوله «قَوَّامُونَ» و ما في الموضعين مصدرية لا تحتاج إلى عائذ إليها من صلتها لأنها حرف و قوله «بِمَا حَفِظَ اللَّهُ» أيضا يكون ما فيه مصدرية فيكون تقديره بأن يحفظهن الله و من قرأ «بِمَا حَفِظَ اللَّهُ» نصبا يكون ما اسما موصولا فيكون التقدير بالشىء الذى يحفظ الله أى يحفظ أمر الله.

النزول

قال مقاتل نزلت الآيه في سعد بن الربيع بن عمرو و كان من النقباء و فى امرأته حبيبه بنت زيد بن أبى زهير و هما من الأنصار و ذلك أنها نشزت عليه فلطمها فانطلق أبوها معها إلى النبی فقال أفرشته كريمتى فلطمها فقال النبی لتقتص من زوجها فانصرفت مع أبيها لتقتص منه فقال النبی ارجعوا فهذا جبرائيل أتانى و أنزل الله هذه الآيه فقال النبی ص (أردنا أمرا و أراد الله أمرا) و الذى أراد الله خير

و رفع القصاص و قال الكلبي نزلت فى سعد بن الربيع و امرأته خوله بنت محمد بن مسلمه و ذكر القصة نحوها و قال أبو روق نزلت فى جميله بنت عبد الله بن أبى و فى زوجها ثابت بن قيس بن شماس و ذكر قريبا منه.

المعنى

لما بين تعالى فضل الرجال على النساء ذكر عقبيه فضلهم فى القيام بأمر النساء فقال «الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ» أى قيمون على النساء مسلطون عليهن فى التدبير و التأديب و الرياضه و التعليم «بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ» هذا بيان سبب توليه

الرجال عليهن أى إنما ولاهم الله أمرهن لما لهم من زيادة الفضل عليهن بالعلم و العقل و حسن الرأى و العزم «وَمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ» عليهن من المهر و النفقه كل ذلك بيان عله تقويمهم عليهن و توليتهم أمرهن «فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ» أى مطيعات لله و لأزواجهن عن قتاده و الثورى و عطاء و يقال حافظات و يدل عليه قوله يا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ أى أقيمي على طاعته «حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ» يعنى لأنفسهن و فروجهن فى حال غيبه أزواجهن عن قتاده و عطاء و الثورى و يقال الحافظات لأموال أزواجهن فى حال غيبتهم راعيات بحقوقهم و حرمتهم و الأولى أن يحمل على الأمرين لأنه لا تنافى بينهما «بِمَا حَفِظَ اللَّهُ» أى بما حفظهن الله فى مهورهن و إلزام أزواجهن النفقه عليهن عن الزجاج و قيل بحفظ الله لهن و عصمته و لو لا أن حفظهن الله و عصمهن لما حفظن أزواجهن بالغيب «وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ» معناه فالنساء اللاتى تخافون نشوزهن بظهور أسبابه و أماراته و نشوز المرأة عصيانها لزوجها و استيلاؤها عليه و مخالفتها إياه و قال الفراء معناه تعلمون نشوزهن قال و قد يكون الخوف بمعنى العلم لأن خوف النشز العلم بموقعه «فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ» معناه فعظوهن أولا- بالقول و النصيحة فإن لم ينجح الوعظ و لم يؤثر النصح بالقول فاهجروهن فى المضاجع عن سعيد بن جبیر قال و عنى به الجماع إلا أنه ذكر المضاجع لاختصاص الجماع بها و قيل معناه فاهجروهن فى الفراش و المبيت و ذلك أنه يظهر بذلك حبهما للزوج و بغضها له فإن كانت مائله إليه لم تصبر على فراقه فى المضجع و إن كانت بخلاف ذلك صبرت عنه عن الحسن و قتاده و عطاء و إلى هذا المعنى يؤول

ما روى عن أبى جعفر قال يحول ظهره إليها

و فى تفسير الكلبي عن ابن عباس فعظوهن بكتاب الله أولا- و ذلك أن يقول اتقى الله و ارجعى إلى طاعتي فإن رجعت و إلا أغلظ لها القول فإن رجعت و إلا ضربها ضربا غير مبرح و قيل فى معنى غير المبرح أن لا يقطع لحما و لا يكسر عظما و

روى عن أبى جعفر أنه الضرب بالسواك

«فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ» أى رجعت إلى طاعتكم فى الائتمار لأمركم «فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا» أى لا تطلبوا عليهن عللا بالباطل و قيل سبيلا للضرب و الهجران مما أبيع لكم فعله عند النشوز عن أبى مسلم و أبى على الجبائى و قيل معناه لا تكلفوهن الحب عن سفيان بن عيينه فىكون المعنى إذا استقام لكم ظاهرهن فلا تعلقوا عليهن بما فى باطنهن «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا» أى متعاليا عن أن يكلف إلا الحق مقدار الطاقه. و العلو و الكبرياء من صفات الله و فائده ذكرهما هنا بيان انتصاره لهن و قوته على الانتصار إن هن ضعفن عنه و قيل المراد به أنه تعالى مع علوه و كبريائه لم يكلفكم إلا ما تطيقون فكذلك لا تكلفوهن إلا ما يطقن.

إشارة

وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٥)

اللغة

الشقاق الخلاف و العداوه و اشتقاقه من الشق و هو الجزء البائن فالمتشاقان كل واحد منهما فى شق غير شق صاحبه بالعداوه أى فى ناحيه و أصل التوفيق الموافقه و هى المساواه فى أمر من الأمور و التوفيق هو اللطف الذى يتفق عنده فعل الطاعات لمساواته فى الوقت و التوفيق بين نفسين هو الإصلاح بينهما و الاتفاق فى الجنس و المذهب المساواه بينهما و الاتفاق فى الوقوع كرميه من غير رام لمساواتهما نادرا.

الإعراب

أصل بين أن يكون ظرفا ثم استعمل اسما هنا بإضافه شقاق إليه كما قال هذا فراقُ بَيْنِي وَ بَيْنِكَ و قال وَ مِنْ بَيْنِنَا وَ بَيْنِكَ حِجَابٌ و كان فى الأصل فَإِنْ خِفْتُمْ أى خشيتم شقاقا بينهما.

المعنى

لما قدم الله الحكم عند مخالفه أحد الزوجين صاحبه عقبه بذكر الحكم عند التباس الأمر فى المخالفه فقال «وَإِنْ خِفْتُمْ» أى خشيتم و قيل علمتم و الأول أصح لأنه لو علم الشقاق يقينا لما احتيج إلى الحكامين «شِقَاقَ بَيْنِهِمَا» أى مخالفه و عداوه بين الزوجين «فَمَا بَعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا» أى وجهوا حكما من قوم الزوج و حكما من قوم الزوجه لينظرا فيما بينهما و الحكم القيم بما يسند إليه و اختلف فى المخاطب بإنفاذ الحكامين من هو

ف قيل هو السلطان الذى يترافع الزوجان إليه عن سعيد بن جبير و الضحاك و أكثر الفقهاء و هو الظاهر فى الأخبار عن الصادقين

و قيل أنه الزوجان و أهل الزوجين عن السدى و اختلفوا فى أن الحكامين هل لهما أن يفرقا بالطلاق إن رأياه أم لا فالذى

رواه أصحابنا عنهم أنه ليس لهما ذلك إلا بعد أن يستأمرهما و يرضيا بذلك

و

قيل إن لهما ذلك عن سعيد بن جبير و الشعبى و السدى و إبراهيم و رواه عن على (عليه السلام)

و من ذهب إلى هذا القول قال إن الحكامين و كيلان «إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا» يعنى الحكامين «يُوفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا» حتى يحكما بما فيه الصلاح و الضمير فى بينهما عائد إلى الحكامين عن ابن عباس و سعيد بن جبير و السدى و قيل إن يرد الحكمان إصلاحا بين

الزوجين يوفق الله بين الزوجين أى مؤلف بينهما و يرفع ما بينهما من العداوه و الشقاق «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا» بما يريد الحكمان من الإصلاح و الإفساد «خَيْرًا» بما فيه مصالحكم و منافعكم.

ص: ٧١

إشارة

وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦)

اللغة

الجار أصله من العدول يقال جاوره يجاوره مجاوره و جوار فهو مجاور له و جار له بعدوله إلى ناحيته في مسكنه من قولهم جار عن الطريق و جار السهم إذا عدل عن القصد و استجار بالله لأنه يسأله العدول به عن النار و الجار ذى القربى القريب و «الجارِ الْجُنُبِ» الغريب قال أبو على الجنب صفة على فعل مثل ناقه أجد و مشى سجع فالجنب المتباعد عن أهله يدللك على ذلك مقابله بقوله «وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ» و القربى من القرب كاليسرى من اليسر و أصل المختال من التخيل و هو التصور لأنه يتخيل بحاله مرح البطر و المختال الصلف التياه و منه الخيل لأنها تختال في مشيها أى تتبختر و الخول الحشم و الفخور الذى يعد مناقبه كبرا أو تطاولا و أما الذى يعددها اعترافا بالنعمة فيها فهو شكور غير فخور.

الإعراب

إحسانا نصب على المصدر كما تقول ضربا لزيد و تقديره أحسنوا بالوالدين إحسانا أو يكون نصبا على تقدير استوصوا بالوالدين إحسانا فيكون مفعولا به.

المعنى

لما أمر سبحانه بمكارم الأخلاق فى أمر اليتامى و الأزواج و العيال عطف على ذلك بهذه الخلال المشتمله على معانى الأمور و محاسن الأفعال فبدأ بالأمر بعبادته فقال «وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» أى وحدوه و عظموه و لا تشركوا فى عبادته غيره فإن العبادة لا تجوز لغيره لأنها لا تستحق إلا بفعل أصول النعم و لا يقدر عليها سواه تعالى «وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا» أى فاستوصوا بهما برا و إنعاما و إحسانا و إكراما و قيل إن فيه إضمار فعل أى و أوصاكم الله بالوالدين إحسانا «وَ بِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ» معناه أحسنوا بالوالدين

خاصه و بالقرابات عامه يقال أحسنت إليه و أحسنت به و أحسنوا إلى اليتامى بحفظ أموالهم و القيام عليها و غيرها من وجوه الإحسان و أحسنوا إلى المساكين فلا تضيعوهم و أعطوهم ما يحتاجون إليه من الطعام و الكسوه و سائر ما لا بد منه لهم «وَ الْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَ الْجَارِ الْجُنْبِ» قيل معناه الجار القريب في النسب و الجار الأجنبي الذي ليس بينك و بينه قرابه عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و الضحاك و ابن زيد و قيل المراد به الجار ذي القربى منك بالإسلام و الجار الجنب المشرك البعيد في الدين و

روى عن النبي ص أنه قال الجيران ثلاثة جار له ثلاثة حقوق حق الجوار و حق القرابه و حق الإسلام و جار له حقان حق الجوار و حق الإسلام و جار له حق الجوار المشرك من أهل الكتاب

و قال الزجاج و «الْجَارِ ذِي الْقُرْبَى» الذي يقاربك و تقاربه و يعرفك و تعرفه و «الْجَارِ الْجُنْبِ» البعيد و روى أن حد الجوار إلى أربعين دارا و يروى إلى أربعين ذراعا قال و لا يجوز أن يكون المراد بذى القربى من القرابه لأنه قد سبق ذكر القرابه و الأمر بالإحسان إليهم بقوله «وَ بَدَى الْقُرْبَى» و يمكن أن يجاب عنه بأن يقال هذا جائز و إن كان قد سبق ذكر القرابه لأن الجار إذا كان قريبا فله حق القرابه و الجوار و القريب الذي ليس بجار له حق القرابه حسب فحسن أفراد الجار القريب بالذكر «وَ الصَّاحِبِ بِالْجُنْبِ» في معناه أربعة أقوال (أحدها) أنه الرفيق في السفر عن ابن عباس و سعيد بن جبير و جماعه و الإحسان إليه بالمواساه و حسن العشره (و ثانيها) أنه الزوجه عن عبد الله بن مسعود و ابن أبي ليلى و النخعي (و ثالثها) أنه المنقطع إليك يرجو نفعك عن ابن عباس في إحدى الروايتين و ابن زيد (و رابعها) أنه الخادم الذي يخدمك و الأولى حملة على الجميع «وَ ابْنِ السَّبِيلِ» معناه صاحب الطريق و فيه قولان (أحدهما) أنه المسافر عن مجاهد و الربيع و قيل هو الضيف عن ابن عباس قال و الضيفه ثلاثه أيام و ما فوقها فهو معروف و كل معروف صدقه و

روى جابر عن النبي كل معروف صدقه و إن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق و أن تفرغ من دلوك في إناء أخيك

«وَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» يعنى به المماليك من العبيد و الإماء و ذكر اليمين تأكيدا كما يقال مشت رجلك و بطشت يدك فموضع ما من قوله «وَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» جر بالعطف على ما تقدم أى و أحسنوا إلى عبيدكم و إمائكم بالنفقة و السكنى و لا تحملوهم من الأعمال ما لا يطيقونه أمر الله عباده بالإحسان إلى هؤلاء أجمع «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ» أى لا يرتضى «مَنْ كَانَ مُخْتَالًا» فى مشيته «فَخُورًا» على الناس بكثرة المال تكبرا عن ابن عباس و إنما ذكرهما

لأنهما يأنفان من أقاربهم و جيرانهم إذا كانوا فقراء لا يحسنان عشرتهم و هذه آيه جامعه تضمنت بيان أركان الإسلام و التنبيه على مكارم الأخلاق و من تدبرها حق التدبر و تذكرها حق التذكر أغنته عن كثير من مواظب البلغاء و هدته إلى جم غفير من علوم العلماء.

[سوره النساء (٤): آيه ٣٧]

اشاره

الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (٣٧)

القرءاء

قرأ أهل الكوفه غير عاصم بالبخل* بفتح الباء و الخاء و كذلك فى سوره الحديد و الباقون «بِالْبُخْلِ» بالضم.

الحججه

قال سيبويه هما لغتان.

اللغه

البخل أصله مشقه الإعطاء و قيل فى معناه أنه منع الواجب لأنه اسم ذم لا يطلق إلا على مرتكب الكبيره و قيل هو منع ما لا ينفع منه و لا- يضر بذله و مثله الشح و ضده الجود و الأول أليق بالآيه لأنه تعالى نفى محبته عن من كان بهذه الصفه و قال على بن عيسى معناه منع الإحسان لمشقه الطباع و نقيضه الجود و معناه بذل الإحسان لانتفاء مشقه الطباع.

الإعراب

الذين يحتمل أن يكون موضعه نصباً من وجهين و أن يكون رفعا من وجهين فأما النصب فعلى أن يكون بدلا من فى قوله «لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ» و على الذم أيضا و أما الرفع فعلى الاستئناف بالذم على الابتداء و تكون الآيه الثانيه عطفاً عليها و يكون الخبر إن الله لا يظلم و على البدل من الضمير فى فخور.

المعنى

«الَّذِينَ يَبْخُلُونَ» أى يمنعون ما أوجب الله عليهم من الزكوات و غيرها و اختاره الجبائى و أبو مسلم و قيل معناه الذين يبخلون بإظهار ما علموه من صفه النبى ص عن ابن عباس و مجاهد و السدى و ابن زيد «وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ» و يأمرهم بذلك و قيل يأمرهم الأنصار بترك الإنفاق على رسول الله و على أصحابه عن ابن عباس و قيل يأمرهم بكتمان الحق «وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» أى و يجحدون ما آتاهم الله من اليسار و الثروه اعتذارا لهم فى البخل و قيل معناه يكتُمون ما عندهم من

العلم ببعث النبي و مبعثه و الأولي أن تكون الآيه عامه في كل من يبخل بأداء ما يجب عليه أداءه و يأمرون الناس به و عامه في كل من كتم فضلا آتاه الله تعالى من العالم و غيره و من أنواع النعم التي يجب إظهارها و يحرم

ص: ٧٤

كتمانها و قد ورد في

الحديث إذا أنعم الله تعالى على عبد نعمه أحب أن يرى أثرها عليه

«وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا» أعددنا للجاحدين ما أنعم الله عليهم عذابا يهانون فيه و يذلون فأضاف الإهانه إلى العذاب إذ كان يحصل به.

[سوره النساء (٤): الآيات ٣٨ الى ٣٩]

اشاره

وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا (٣٨) وَ مَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَ كَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا (٣٩)

اللغه

القرين أصله من الاقتران و منه القرن لأهل العصر لاقرانهم و القرن المقاوم في الحرب و القرين الصاحب المؤلف و قال عدى بن زيد:

عن المرء لا تسأل و أبصر قرينه

فإن القرين بالمقارن يقتدى

. الإعراب

إعراب الذين يحتمل أن يكون ما قلناه في الآيه المتقدمه و يحتمل أن يكون عطفا على الكافرين فكأنه قال و أعددنا للكافرين و للذين ينفقون أموالهم رياء الناس رياء مصدر وضع موضع الحال فكأنه قال ينفقون مرئين الناس و قرينا نصب على التفسير و موضع ذا من «ما ذا عَلَيْهِمْ» يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون مرفوعا لأنه في موضع الندى و تقديره و ما الذي عليهم لو آمنوا (و الثاني) أن يكون لا موضع له لأنه مع ما بمنزله اسم واحد و تقديره و أى شىء عليهم لو آمنوا.

المعنى

ثم عطف على ما تقدم بذكر المنافقين فقال «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ» أى مرءاه الناس «وَلَا يُؤْمِنُونَ» أى ولا يصدقون «بِاللَّهِ وَ لَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ» الذى فيه الثواب و العقاب جمع الله سبحانه فى الذم و الوعيد بين من ينفق ماله بالرياء و السمعه و من لم ينفق أصلا «وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا» أى صاحباً و خليلاً فى الدنيا يتبع أمره و يوافقه على الكفر و قيل يعنى فى القيامة و فى النار «فَسَاءَ قَرِينًا» أى بئس القرين الشيطان لأنه يدعو إلى المعصيه المؤديه إلى النار و قيل بئس القرين الشيطان حيث يتلاعنان و

یتباغضان

ص: ٧٥

فى النار «وَ مَا ذَا عَلَيْهِمْ» أى أى شىء عليهم «لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ» قطع الله سبحانه بهذا عذر الكفار فى العدول عن الإيمان و أبطل به قول من قال أنهم لا يقدرّون على الإيمان لأنه لا يحسن أن يقال للعاجز عن الشىء ما ذا عليك لو فعلت كذا فلا يقال للقصير ما ذا عليك لو كنت طويلاً و للأعمى ما ذا عليك لو كنت بصيراً و قيل معناه ما ذا عليهم لو جمعوا إلى إنفاقهم الإيمان بالله لينفعهم الإنفاق «وَ كَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا» يجازيهم بما يسرون إن خيراً فخييراً و إن شراً فشرّاً فلا ينفعهم ما ينفقون على جهه الرياء و فى الآيه دلالة أيضاً على أن الحرام لا يكون رزقاً من حيث أنه سبحانه حثهم على الإنفاق مما رزقهم و أجمعت الأمة على أن الإنفاق من الحرام محظور.

[سوره النساء (٤): آيه ٤٠]

إشارة

إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَ إِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَ يُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (٤٠)

القراءة

قرأ ابن كثير و نافع و إن تك حسنة بالرفع و الباقون بالنصب و قرأ ابن كثير و ابن عامر يضعفها بالتشديد و الباقون «يُضَاعِفْهَا» بالألف.

الحجج

من نصب «حَسَنَةً» فمعناه و إن تك زنه الذره حسنه أو أن تك فعلته حسنه و من رفعها فمعناه و إن يقع حسنه أو أن يحدث حسنه فيكون كان تامه لا تحتاج إلى خبر و يضاعف و يعنى واحد قال سيويه يجرى فاعلت و لا يراد به عمل اثنين و كذلك قولهم ناولته و عاقبته و عافاه الله قال و نحو ذلك ضاعفت و ضعفت و ناعمت و نعمت و هذا يدل على أنهما لغتان.

اللغة

الظلم هو الألم الذى لا نفع فيه يوفى عليه و لا دفع مضره أعظم منه عاجلاً و لا آجلاً و لا يكون مستحقاً و لا واقعا على وجه المدافعه و أصله وضع الشىء فى غير موضعه و قيل أصله الانتقاص من قوله و لم تظلم منه شيئاً فالظلم على هذا انتقاص الحق و الظلمه انتقاص النور بذهابه و سقاء مظلوم إذا شرب منه قبل أن يدرك و الظلم ذكر النعمان لأنه يضع الشىء فى غير موضعه من حيث يحضن غير بيضه و أصل المثلث الثقيل فالمثلث مقدار الشىء فى الثقل و الثقل ما ثقل من متاع السفر.

الإعراب

أصل تك تكون فحذفت الضمه للجزم لسكونها و سكون النون فأما سقوط

النون فلكثره الاستعمال فكأنهم أرادوا أن يجزموا الكلمه مره أخرى فلم يجدوا حركه يسقطونها فأسقطوا الحرف و قد ورد القرآن بالحذف و الإثبات قال سبحانه **إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا** و مثل تك قولهم لا أدري و لم أبل و الأصل لا أدري و لم أبال و لدن فى موضع جر و فيه لغات لد و لدن و لدى و لدا و المعنى واحد و معناه من قبله و لدن لما يليك و عند تكون لما يليك و لما بعد منك تقول عندى مال و إن كان بينك و بينه بعد و إذا أضفته إلى نفسك زدت فيه نونا أخرى ليسلم سكون النون تقول لدنى و لدنا و كذلك منى و منا.

المعنى

«**إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ**» أحدا قط «**مِثْقَالَ ذَرَّةٍ**» أى زنه ذره و هى النملة الحمراء الصغيره التى لا تكاد ترى عن ابن عباس و ابن زيد و هى أصغر النمل و قيل هى جزء من أجزاء الهباء فى الكوه من أثر الشمس و إنما لا يختار الله تعالى الظلم و لا يجوز عليه الظلم لأنه عالم بقبحه مستغن عنه و عالم بغناء عنه و إنما يختار القبيح من يختاره لجهله بقبحه أو لحاجته إليه لدفع ضرر أو لجر نفع أو لجهله باستغناؤه عنه و الله سبحانه منزه عن جميع ذلك و عن سائر صفات النقص و العجز و لم يذكر سبحانه الذره ليقصر الحكم عليها بل إنما خصها بالذكر لأنها أقل شىء مما يدخل فى وهم البشر «**وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا**» و معناه و إن تك زنه الذره حسنه يقبلها و يجعلها أضعافا كثيره و قيل يجعلها ضعفين عن أبى عبيده و قيل معناه يديمها و لا يقطعها و مثله قوله **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ** و كلتا الآيتين غايه فى الحث على الطاعة و النهى عن المعصيه و قوله «**وَ يُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ**» أى يعطه من عنده «**أَجْرًا عَظِيمًا**» أى جزاء عظيما و هو ثواب الجنه و فى هذه الآيه دلالة على أن منع الثواب و النقصان منه ظلم لأنه لو لم يكن كذلك لما كان لهذا الترغيب فى الآيه معنى و فيها أيضا دلالة على أنه سبحانه قادر على الظلم لأنه نزه نفسه عن فعل الظلم و تمدح بذلك فلو لم يكن قادرا عليه لم يكن فيه مدحه.

[سورة النساء (٤): الآيات ٤١ الى ٤٢]

إشارة

فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا (٤١) **يَوْمَئِذٍ يَكْفُرُونَ** وَ عَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَ لَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا (٤٢)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم تسوى مفتوحة التاء خفيفه السين و قرأ يزيد و نافع و ابن عامر بفتح التاء و تشديد السين و قرأ الباقون تسوى بضم التاء و تخفيف السين.

قال أبو علي قراءة نافع و ابن عامر لو تسوى معناه لو تتسوى فأدغم التاء فى السين لقربها منها و فى قراءة حمزه و الكسائى حذف التاء فالتاء اعتلت بالحذف كما اعتلت بالإدغام و أما «تَسَوَّى» فهى تفعل من التسويه.

الإعراب

كيف لفظها لفظ الاستفهام و معناه التوبيخ و تقديره كيف حال هؤلاء يوم القيامه و حذف لدلاله الكلام عليه و العامل فى كيف المبتدأ المحذوف فهو فى موضع الرفع بأنه خبر المبتدأ و لا يجوز أن يكون العامل فى كيف جئنا لأنه فى موضع جر بإضافه إذا إليه و المضاف إليه لا- يعمل فيما قبل المضاف كما لا تعمل الصله فيما قبل الموصول لأنه من تمام الاسم و «مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ» فى موضع نصب على الحال لأنه صفة شهيد فلما تقدمه انتصب على الحال و العامل فى إذا جوابه المحذوف لدلاله ما تقدمه عليه و شهيدا منصوب على الحال و العامل فى يومئذ يود و إنما عمل فى يومئذ يود بعد إذ و لم يجر ذلك فى «إِذَا جِئْنَا» لأنه لما أضيف يوم إلى إذ بطلت إضافته إلى الجملة و نون إذ ليدل على تمام الاسم.

المعنى

لما ذكر اليوم الآخر وصف حال المنكرين له فقال «فَكَيْفَ» أى فكيف حال الأمم و كيف يصنعون «إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ» من الأمم «بِشَهِيدٍ وَ جِئْنَا بِكَ» يا محمد «على هؤلاء» يعنى قومه «شَهِيداً» و هذا كما تقول العرب للرجل فى الأمر الهائل يتوقعه كيف بك إذا كان كذا يريد بذلك تعظيم الأمر و تهويله و تحذيره و تحذير الرجل عنه و إنذاره به و حثه على الاستعداد له و معنى الآيه أن الله يستشهد يوم القيامه كل نبى على أمته فيشهد لهم و عليهم و يستشهد نبينا على أمته و فى الآيه مبالغه فى الحث على الطاعة و اجتناب المعصيه و الزجر عن كل ما يستحى منه على رءوس الأشهاد لأنه يشهد للإنسان و عليه يوم القيامه شهود عدول لا- يتوقف فى الحكم بشهادتهم و لا- يتوقع القدرح فيهم و هم الأنبياء و المعصومون و الكرام الكاتبون و الجوارح و المكان و الزمان كما قال تعالى «وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ» و قال ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ و قال إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصِيرَ وَ الْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا و يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ و فى بعض الأخبار المكان و الزمان يشهدان على الرجل بأعماله فليتذكر العاقل هذه الشهاده ليستعد بهذه الحاله فكان قد وقعت و كان الشهاده قد أقيمت و

روى أن عبد الله بن مسعود قرأ هذه الآيه على النبى ص ففاضت عيناه

فإذا كان الشاهد تفيض عيناه لهول هذه المقاله و عظم هذه الحاله فما ذا لعمري ينبغى أن يصنع المشهود عليه «يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ

كَفَرُوا وَ عَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ» معناه لو تجعلون و الأرض سواء كما قال تعالى وَ يَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا وَ من التسويه قوله بلى قادرين على أَنْ نُسَوَّى بِنَائِهِ أى نجعلها صفيحه واحده لا- يفصل بعضها عن بعض فيكون كاللصف فيعجز لذلك عما يستعان عليه من الأعمال بالبنان و روى عن ابن عباس أن معناه يودون أن يمشى عليهم أهل الجمع يطئونهم بأقدامهم كما يطئون الأرض و على القول الأول فالمراد به أن الكفار يوم القيامة يودون أنهم لم يبعثوا و أنهم كانوا و الأرض سواء لعلمهم بما يصيرون إليه من العذاب و الخلود فى النار و

روى أيضا أن البهائم يوم القيامة تصير ترابا فيتمنى عند ذلك الكفار أنهم صاروا كذلك ترابا

و هذا لا يجيزه إلا من قال إن العوض منقطع و هو الصحيح و من قال إن العوض دائم لم يصحح هذا الخبر و قوله «وَ لَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا» قيل فيه أقوال (أحدها) أنه عطف على قوله «لَوْ تُسَوَّى» أى و يودون أن لو لم يكتموا الله حديثا لأنهم إذا سئلوا قالوا وَ اللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ فَتَشْهَدُ عَلَيْهِمْ جَوَارِحُهُمْ بِمَا عَمَلُوا فيقولون يا ليتنا كنا ترابا و يا ليتنا لم نكتم الله شيئا و ليس ذلك بحقيقته الكتمان فإنه لا يكتم شىء عن الله لكنه فى صورته الكتمان و هذا قول ابن عباس (و ثانيها) أنه كلام مستأنف و المراد به أنهم لا يكتمون الله شيئا من أمور دنياهم و كفرهم بل يعترفون به فيدخلون النار باعترافهم و إنما لا- يكتمون لعلمهم بأنه لا- ينفعهم الكتمان و إنما يقولون وَ اللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ فى بعض الأحوال فإن للقيامه مواطن و أحوالا فى مواطن لا يسمع كلامهم إلا همسا كما أخبر تعالى عنهم و فى مواطن ينكرون ما فعلوه من الكفر و المعاصى ظنا منهم أن ذلك ينفعهم و فى مواطن يعترفون بما فعلوه عن الحسن (و ثالثها) أن المراد أنهم لا يقدرّون على كتمان شىء من الله لأن جوارحهم تشهد عليهم بما فعلوه فالتقدير لا- تكتمه جوارحهم و إن كتموه (و رابعها) أن المراد ودوا لو تسوى بهم الأرض و أنهم لم يكونوا كتموا أمر محمد و بعثه عن عطا (و خامسها) أن الآيه على ظاهرها فالمراد و لا يكتمون الله شيئا لأنهم ملجئون إلى ترك القبائح و الكذب و قولهم وَ اللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ أى ما كنا مشركين عند أنفسنا لأنهم كانوا يظنون فى الدنيا أن ذلك ليس بشرك من حيث تقربهم إلى الله عن أبى القاسم البلخى.

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسِسْهُ حَتَّى يَبُوءَ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا (٤٣)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم أو لمستم بغير ألف هاهنا وفي المائدة وقرأ الباقون «لامستم» بألف.

الحجج

حججه من قرأ لمستم أن هذا المعنى جاء في التنزيل على فعلتم في غير موضع قال تعالى لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْسٌ وَلَمْ يَمَسْسِنِي بَشَرٌ* و
حججه من قرأ «لامستم» أن فاعل قد جاء في معنى فعل نحو عاقبت اللص وطارقت النعل.

اللغة

يقال قرب يقرب متعد وقرب يقرب لازم وقرب الماء يقربه إذا ورده وأصل السكر من السكر وهو سد مجرى الماء واسم
الموضع السكر فبالسكر ينسد طريق المعرفة وسكره الموت غشيته ورجل سكران من قوم سكارى وسكرى والمرأه سكرى
أيضا ويقال رجل جنب إذا أجنب ويستوى فيه المذكر والمؤنث الواحد والجمع يقال رجل جنب قوم جنب وامرأه جنب و
العابر من العبور يقال عبرت النهر والطريق عبورا إذا قطعتة من هذا الجانب إلى الجانب الآخر والغائط أصله المظمن من الأرض
يقال غائط وغيطان وكانوا يتبرزون هناك ليغيبوا عن عيون الناس ثم كثر ذلك حتى قالوا للحدث غائط وكنوا بالتغوط عن
الحدث في الغائط وقيل أنهم كانوا يلقون النجو في هذا المكان فسمى باسمه على سبيل المجاز والغوطه موضع كثير الماء و
الشجر بدمشق وقال مؤرج الغائط قراره من الأرض تحفها آكام تسترها والفعل منه غاط يغوط مثل عاد يعود واللمس يكون
باليد ثم اتسع فيه فأوقع على غيره وقالوا التمس وهو افتعل من اللمس فأوقع على ما لا يقع عليه اللمس قال:

العبد والهجين والفلنقس

ثلاثة فأيهم تلمس

أراد أيهم تطلب وملتمس المعروف طالبه وليس هنا مماسه ولا مباشره والتيمم القصد ومثله التأمم قال الأعشى:

تيممت قيسا و كم دونه

من الأرض من مهمه ذى شزن

و قال آخر:

(تيممت دارا و ييمن دارا)

و قد صار فى الشرع اسما لقصد مخصوص و هو أن يقصد الصعيد و يستعمل التراب فى أعضاء مخصوصه و الصعيد وجه الأرض من غير نبات و لا شجر و قال ذو الرمه:

كأنه بالضحي ترمى الصعيد به

ذبابه فى عظام الرأس خرطوم

و قال الزجاج الصعيد ليس هو التراب إنما هو وجه الأرض ترابا كان أو غيره و إنما سمي صعيدا لأنه نهايه ما يصعد إليه من باطن الأرض.

الإعراب

«وَأَنْتُمْ سِيَّكَارَى» جمله منصوبه الموضع على الحال و العامل فيه تقربوا و ذو الحال الواو من تقربوا و قوله «جُنُبًا» إنما انتصب لكونه عطفًا عليه و المراد به الجمع و عابرى سبيل منصوب على الاستثناء و تعلموا منصوب بإضمار أن و علامه النصب سقوط النون ثم إنه مع أن المضمرة فى موضع الجر بحتى و الجار و المجرور فى موضع النصب بكونه مفعول تقربوا و كذلك قوله «حَتَّى تَغْتَسِلُوا» و قوله «عَلَى سَفَرٍ» فى موضع نصب عطفًا على قوله «مَرَضَى» و تقديره أو مسافرين.

المعنى

لما أمر سبحانه فى الآيه المتقدمه بالعباده ذكر عقبيها ما هو من أكبر العبادات و هو الصلاه فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ» أى لا تصلوا و أنتم سكارى عن ابن عباس و سعيد بن جبير و مجاهد و ابن زيد و قيل معناه لا تقربوا أماكن الصلاه أى المساجد للصلاه و غيرها كقوله وَصَلَوَاتُ أَي مَوَاضِعِ الصَّلَوَاتِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ وَ سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيْبِ وَ الضَّحَّاكِ وَ عِكْرَمَةَ وَ الْحَسَنِ وَ يُؤَيِّدُ هَذَا قَوْلَهُ إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ فَإِنَّ الْعُبُورَ إِنَّمَا يَكُونُ فِي الْمَوْضِعِ دُونَ الصَّلَاةِ وَ قَوْلَهُ «وَأَنْتُمْ سِيَّكَارَى» أى نشاوى و اختلف فيه على قولين (أحدهما)

أن المراد به سكر الشراب عن ابن عباس و مجاهد و قتاده قالوا ثم نسخها تحريم الخمر و روى ذلك عن موسى بن جعفر (عليه السلام)

و قد يسأل عن هذا فيقال كيف يجوز نهى السكران فى حال السكر مع زوال العقل و أجيب عنه بجوابين (أحدهما) أنه قد يكون

سکران من غیر أن یرج من نقصان العقل إلى ما لا یحمل الأمر و النهی (و الآخر) أن النهی إنما ورد

ص: ۸۱

عن التعرض للسكر في حاله وجوب أداء الصلاة عليهم و أجاب أبو علي الجبائي بجواب ثالث و هو أن النهي إنما دل على إعادته الصلاة واجبه عليهم أن أدوها في حال السكر و قد سئل أيضا ف قيل إذا كان السكران مكلفا فكيف يجوز أن ينهى عن الصلاة في حال سكره مع أن عمل المسلمين على خلافه و أجيب عن ذلك بجوابين (أحدهما) أنه منسوخ (و الآخر) أنهم لم يؤمروا بتركها لكن أمروا بأن يصلوها في بيوتهم و نهوا عن الصلاة مع النبي ص في جماعته تعظيما له و توقيرا (القول الثاني)

أن المراد بقوله «وَأَنْتُمْ سُكَارَى» سكر النوم خاصة عن الضحاك و روى ذلك عن أبي جعفر (عليه السلام)

و يعضد ذلك

ما روته عائشه عن النبي ص أنه قال إذا نعس أحدكم و هو يصلى فليصرف لعله يدعو على نفسه و هو لا يدري

«حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ» أى حتى تميزوا ما تقولون من الكلام و قيل معناه حتى تحفظوا ما تتلون من القرآن و قوله «وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا» فى معناه قولان (أحدهما) أن المراد به لا تقربوا الصلاة و أنتم جنب إلا أن تكونوا مسافرين فيجوز لكم أدائها بالتييم و إن كان لا يرفع حكم الجنابه فإن التيمم و إن كان يبيح الصلاة فإنه لا يرفع الحدث عن على (عليه السلام) و ابن عباس و سعيد بن جبیر و مجاهد (و الآخر)

أن معناه لا- تقربوا مواضع الصلاة من المساجد و أنتم جنب إلا- مجتازين عن جابر و الحسن و عطاء و الزهرى و إبراهيم و هو المروى عن أبي جعفر (عليه السلام)

و «عَابِرِي سَبِيلٍ» أى مارين فى طريق حتى تغتسلوا من الجنابه و هذا القول الأخير أقوى لأنه سبحانه بين حكم الجنب فى آخر الآيه إذا عدم الماء فلو حملناه على ذلك لكان تكرارا و إنما أراد سبحانه أن يبين حكم الجنب فى دخول المساجد فى أول الآيه و يبين حكمه فى الصلاة عند عدم الماء فى آخر الآيه «وَأِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى» قيل نزلت فى رجل من الأنصار كان مريضا و لم يستطع أن يقوم فيتوضأ فالمرض الذى يجوز معه التيمم مرض الجراح و الكسر و القروح إذا خاف أصحابها من مس الماء عن ابن عباس و ابن مسعود و السدى و الضحاك و مجاهد و قتاده و قيل هو المرض الذى لا يستطيع معه تناول الماء و لا يكون هناك من يناوله عن الحسن و ابن زيد و كان الحسن لا يرخص للجريح التيمم و

المروى عن السيدين الباقر و الصادق (عليه السلام) جواز التيمم فى جميع ذلك

«أَوْ عَلَى سَبِيلٍ» معناه أو كنتم مسافرين «أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ» و هو كناية عن قضاء الحاجه قيل إن أو هاهنا بمعنى الواو كقوله سبحانه وَ أَرْسَلْنَا إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ بمعنى و جاء أحد منكم من الغائط و ذلك لأن المجىء من الغائط ليس من جنس المرض و السفر حتى يصح عطفه عليهما فإنهما سبب لإباحه التيمم و الرخصه و المجىء من الغائط سبب لإيجاب الطهاره «أَوْ لَمْ تَسْتُمْ النِّسَاءَ»

المراد به الجماع عن على

و ابن عباس و مجاهد و السدى و قتاده و اختاره أبو حنيفة و الجبائى و قيل المراد به اللمس باليد و غيرها عن عمر بن الخطاب و ابن مسعود و الشعبي و عطا و اختاره الشافعى و الصحيح الأول لأن الله سبحانه بين حكم الجنب فى حال وجود الماء بقوله «و لا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا» ثم بين عند عدم الماء حكم المحدث بقوله «أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ» فلا يجوز أن يدع بيان الحكم الجنب عند عدم الماء مع أنه جرى له ذكر فى الآيه و يبين فيه حكم المحدث و لم يجر له ذكر فعلمنا أن المراد بقوله «أَوْ لَامَسْتُمُ» الجماع ليكون بيانا لحكم الجنب عند عدم الماء و اللمس و الملامسه معناهما واحد لأنه لا يلمسها إلا و هى تلمسه و يروى أن العرب و الموالى اختلفوا فيه فقالت الموالى المراد به الجماع و قال العرب المراد به مس المرأة فارتفعت أصواتهم إلى ابن عباس فقال غلب الموالى المراد به الجماع و سمي الجماع لمسا لأن به يتوصل إلى الجماع كما يمسى المطر سماء و قوله «فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً» راجع إلى المرضى و المسافرين جميعا أى مسافر لا يجد الماء و مريض لا يجد من يوضؤه أو يخاف الضرر من استعمال الماء لأن الأصل أن حال المرض يغلب فيها خوف الضرر من استعمال الماء و حال السفر يغلب فيها عدم الماء «فَتَيَمَّمُوا» أى تعمدوا و تحروا و اقصدوا «صَيِّعِدًا» قال الزجاج لا أعلم خلافا بين أهل اللغة فى أن الصعيد وجه الأرض و هذا يوافق مذهب أصحابنا فى أن التيمم يجوز بالحجر سواء كان عليه تراب أو لم يكن «طَيِّبًا» أى طاهرا و قيل حلالا عن سفيان و قيل منبتا عن السبخه التى لا تنبت كقوله وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ «فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ» هذا هو التيمم الصعيد الطيب و اختلف فى كيفية التيمم على أقوال (أحدها) أنه ضربه لليدين إلى المرفقين و هو قول أكثر الفقهاء و أبى حنيفة و الشافعى و غيرهما و به قال قوم من أصحابنا (و ثانيها) أنه ضربه للوجه و ضربه لليدين من الزندين و إليه ذهب عمار بن ياسر و مكحول و اختاره الطبرى و هو مذهبنا فى التيمم إذا كان بدلا من الجنابه فإذا كان بدلا من الوضوء كفاه ضربه واحده يمسح بها وجهه من قصاص شعره إلى طرف أنفه و يديه من زنديه إلى أطراف أصابعهما و هو المروى عن سعيد بن المسيب (و ثالثها) أنه إلى الإبطين عن الزهرى «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا» يقبل منكم العفو لأن فى قوله التيمم بدلا من الوضوء تسهيل الأمر علينا و قيل عفوا كثير الصنفح و التجاوز «عَفْوًا» كثير الستر لذنوب عباده و فى الآيه دلاله على أن السكران لا تصح صلاته و قد حصل الإجماع على أنه يلزمه القضاء و لا يصح من السكران شىء من العقود كالنكاح و البيع و الشراء و غير ذلك و لا رفعها كالطلاق و العتاق و فى الطلاق خلاف بين الفريقين فعند أبى حنيفة يقع طلاقه و عند الشافعى لا يقع فى

أحد القولين فأما ما يلزم به الحدود و القصاص فعندنا أنه يلزمه جميع ذلك فيقطع بالسرقة و يحد بالقذف و الزنا لعموم الآيات المتناوله لذلك و لإجماع الطائفة عليه.

[سوره النساء (٤): الآيات ٤٤ الى ٤٥]

إشارة

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالَهَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضَلُّوا السَّبِيلَ (٤٤) وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَ كَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَ كَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا (٤٥)

[توضيح]

فى الكوفى عدوا «أَنْ تَضَلُّوا السَّبِيلَ» آيه و آيه واحده فى غيرهم.

اللغة

العداوه الإبعاد من حال النصره و ضدها الولايه و هى التقريب من حال النصره و أما البغض فهو إرادته الاستخفاف و الإهانه و ضدها المحبه و هى إرادته الإعظام و الكرامه و الكفايه بلوغ الغايه فى مقدار الحاجه كفى يكفى كفايه فهو كاف و الاكتفاء الاجتراء بالشىء دون الشىء و مثله الاستغناء و النصره الزيادة فى القوه للغلبه و مثلها المعونه و ضدها الخذلان و لا يكون ذلك إلا عقوبه لأن منع المعونه من يحتاج إليها عقوبه.

الإعراب

فى دخول الباء فى قوله «بِاللَّهِ» قولان (أحدهما) أنه لتأكيد الاتصال (و الثانى) أنه دخله معنى اكتفوا بالله ذكره الزجاج و موضعه رفع بالاتفاق.

النزول

نزلت فى رفاعه بن زيد بن السائب و مالك بن دخشم كانا إذا تكلم رسول الله (ص) لويًا لسانهما و عاباه عن ابن عباس.

المعنى

لما ذكر سبحانه الأحكام التى أوجب العمل بها وصلها بالتحذير مما دعا إلى خلافها فقال «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ» أى ألم ينته علمك إلى الذين أعطوا حظًا من علم الكتاب يعنى التوراه و هم اليهود عن ابن عباس «يَشْتُرُونَ الضَّلَالَهَ» أى يستبدلون الضلاله بالهدى و يكذبون النبى (ص) بدلا من التصديق و قيل كانت اليهود تعطى أبحارها كثيرا من أموالهم على ما كانوا يضعونه لهم فجعل ذلك اشتراء منهم عن أبى على الجبائى و قيل كانوا يأخذون الرشى عن الزجاج «و يُرِيدُونَ أَن تَضَلُّوا

السَّبِيلَ» أى يريد هؤلاء اليهود أن تزلوا أيها المؤمنون عن طريق الحق و هو الدين و الإسلام فتكذبوا بمحمد فتكونوا ضاللا و فى ذلك تحذير للمؤمنين أن يستنصحوأ أحدا من أعداء الدين فى شىء من أمورهم الدينيه و الدنيويه ثم أخبر سبحانه بأنه أعلم بعبادته اليهود فقال «وَاللَّهُ أَعْلَمُ

بَأَعِدَائِكُمْ» أيها المؤمنون فانتهاوا إلى إطاعتي فيما نهيتكم عنه من استنصاحهم في دينكم فإنني أعلم بباطنهم منكم و ما هو عليه من الغش و الحسد و العداوه لكم «وَ كَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَ كَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا» معناه إن ولايه الله لكم و نصرته إياكم تغنيكم عن نصره هؤلاء اليهود و من جرى مجراهم ممن تطمعون في نصرته.

[سوره النساء (٤): آيه ٤٦]

أشاره

مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَ يَقُولُونَ سَمِعْنَا وَ عَصَيْنَا وَ اسْمَعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَ رَاعِنَا لِيَّا بِاللِّسَانِ وَ طَعْنَا فِي الدِّينِ وَ لَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا وَ اسْمَعْ وَ انظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَ أَقْوَمَ وَ لَكِن لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (٤٦)

اللغه

أصل اللى الفتل يقال لويت العود ألويه ليا و لويت الغريم إذا مطلته و اللويه ما تتحف به المرأه ضيفها لتلوى بقلبه إليها و ألوى بهم الدهر إذا أفناهم و لوى البقل إذا اصفر و لم يستحكم بيسه و الألسنه جمع اللسان و هو آله الكلام و اللسان اللغه و منه قوله «وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ» و تقول لسنته ألسنه إذا أخذته بلسانك قال طرفه:

و إذا تلسنى ألسنها

إننى لست بموهون فقر

و أصل الطعن بالرمح و نحوه الطعن باللسان.

الإعراب

قيل فى من هاهنا و اتصاله و جهان (أحدهما) أنه تبين ل الذين أوتوا نصيباً من الكتاب فيكون العامل فيه أوتوا و هو فى صله الذين و يجوز أن لا يكون فى الصله كما تقول أنظر إلى نفر من قومك ما صنعوا (الثانى) أن يكون على الاستئناف و التقدير من الذين هادوا فريق يحرفون الكلم فألقى الموصوف لدلاله الصفه عليه كما قال ذو الرمه:

فظلوا و منهم دمه سابق له

و آخر يثنى دمه العين بالمهل

ص: ٨٥

و أنشد سيويه:

و ما الدهر إلا تارتان فمئهما

أموت و أخرى أبتغى العيش أكدح

و قال الفراء المحذوف من الموصول و التقدير من الذين هادوا من يحرفون الكلم كما يقولون منا يقول ذلك و منا لا يقوله قال و العرب تضر من فى مبتدأ الكلام بمن لأن من بعض لما هى منه كما قال تعالى «و ما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ وَ إِنِّ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا» و أنكر المبرد و الزجاج هذا القول قالا لأن من يحتاج إلى صله أو صفة تقوم مقام الصلة فلا يحسن حذف الموصول مع بقاء الصلة كما لا- يحسن حذف بعض الكلمه و «غَيْرِ مُسْمِعٍ» نصب على الحال و «راعنا» من نونها جعلها كلمه الأمر كقولك رويدا و هنيئا و من لم ينون جعلها من المراعاة كما تقول قاضنا. «لَيَّا» مصدر وضع موضع الحال و كذلك قوله «وَ طَعْنًا» و تقديره يلوون ألسنتهم ليا و يطعنون فى الدين طعنا إلا قليلا تقديره يؤمنون و هم قليل فيكون «قَلِيلًا» منتصبا على الحال و يجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف تقديره إيمانا قليلا كما قال الشاعر:

فالفيتة غير مستعب

و لا ذاكر الله إلا قليلا

يريد إلا ذكرا قليلا و سقط التنوين من ذاكر لاجتماع الساكنين.

المعنى

ثم بين صفة من تقدم ذكرهم فقال «مِنَ الَّذِينَ هَادُوا» أى ألم تر إلى الذين أتوا نصيبا من الكتاب من اليهود فيكون قوله «يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ» فى موضع الحال و إن جعلته كلاما مستأنفا فمعناه من اليهود فريق «يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ» أى يبدلون كلمات الله و أحكامه عن مواضعها و قال مجاهد يعنى بالكلم التوراه و ذلك أنهم كتموا ما فى التوراه من صفة النبى «وَ يَقُولُونَ سَمِعْنَا وَ عَصَيْنَا» معناه يقولون مكانه بألسنتهم سمعنا و فى قلوبهم عصينا و قيل معناه سمعنا قولك و عصينا أمرك «وَ اسْمَعُ غَيْرِ مُسْمِعٍ» أى و يقول هؤلاء اليهود للنبى اسمع منا غير مسمع كما يقول القائل لغيره إذا سبه بالقبيح اسمع لا أسمعك الله عن ابن عباس و ابن زيد و قيل بل تأويله اسمع غير مجاب لك و لا مقبول منك عن الحسن و مجاهد و هذا كله إخبار من الله عن اليهود الذين كانوا حوالى المدينة فى عصر النبى لأنهم كانوا يسبون و يؤذونه بالسبى ء من القول «وَ رَاعِنَا» قد ذكرنا معناه فى سورة البقره و قيل أنه كان سبأ للنبى تواضعوا عليه و يقال كانوا يقولون استهزاء و سخرية و يقال أنهم

كانوا يقولونه على وجه التجبر كما يقول القائل لغيره أنصت لكلامنا و تفهم عنا و إنما يكون هو من المراعاة التي هي المراقبه
 «لَيَّا بِالْسِتِّ نَتَيْهِمْ» أى تحريكاً منهم لألسنتهم بتحريف منهم لمعناه إلى المكروه «وَ طَعْنَا فِي الدِّينِ» أى وقيعه فيه «و لَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا
 سَمِعْنَا» قولك «وَ أَطَعْنَا» أمرك و قبلنا ما جئتنا به «وَ اسْمَعْ» منا «وَ انظُرْنَا» أى انتظرنا نفهم عنك ما تقول لنا «لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ» يعنى
 أنفع لهم عاجلاً- و آجلاً- «وَ أَقْوَمَ» أى أعدل و أصوب فى الكلام من الطعن و الكفر فى الدين «وَ لَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ» أى
 طردهم عن ثوابه و رحمته لسبب كفرهم ثم أخبر الله عنهم فقال «فَلَا يُؤْمِنُونَ» فى المستقبل «إِلَّا قَلِيلًا» منهم فخرج مخبره على وفق
 خبره فلم يؤمن منهم إلا عبد الله بن سلام و أصحابه و هم نفر قليل و يقال معناه لا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً أى ضعيفاً لا إخلص
 فيه و لكنهم عصموا دماءهم و أموالهم به و يجوز أن يكون المعنى فلا يؤمنون إلا بقليل مما يجب الإيمان به.

[سوره النساء (٤): آيه ٤٧]

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا
 أَصْحَابَ السَّبْتِ وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٤٧)

اللغة

الطمس هو عفو الأثر و الطامس و الدائر و الدارس بمعنى و الأدبار جمع دبر و أصله من الدبر يقال دبره يدبره دبرا فهو دابر إذا
 صار خلفه و الدابر التابع و قوله «وَ اللَّيْلُ إِذْ أَدْبَرَ» معناه تبع النهار و التدبير إحكام أدبار الأمور و هى عواقبها.

المعنى

ثم خاطب الله أهل الكتاب بالتخويف و التحذير فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» أى أعطوا علم الكتاب «آمِنُوا» أى صدقوا «بِمَا
 نَزَّلْنَا» يعنى بما نزلناه على محمد (ص) من القرآن و غيره من أحكام الدين «مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ» من التوراه و الإنجيل اللذين
 تضمنتا صفه نبينا (ص) و صحه ما جاء به «مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا» و اختلف فى معناه على أقوال (أحدها)
 أن معناه من قبل أن نمحو آثار وجوهكم حتى تصير كالأقفية و نجعل عيونها فى أقفيتها فتمشى القهقري عن ابن عباس و عطيه
 العوفى (و ثانيها)

إن المعنى أن نطمسها عن الهدى فنردها على أدبارها فى ضلالتها ذما لها بأنها لا تفلح أبداً عن الحسن و مجاهد و الضحاك و
 السدى و رواه أبو الجارود عن أبى جعفر (عليه السلام)

ص: ٨٧

(و ثالثها) أن معناه نجعل فى وجوههم الشعر كوجوه القروء عن الفراء و أبى القاسم البلخى و الحسين بن على المغربى (و رابعها) إن المراد حتى نمحو آثارهم من وجوههم أى نواحيهم التى هم بها و هى الحجاز الذى هو مسكنهم و نردها على أدبارها حتى يعودوا إلى حيث جاءوا و هو الشام و حمله على إجلاء بنى النضير إلى أريحا و أذرعات من الشام عن ابن زيد و هذا أضعف الوجوه لأنه ترك للظاهر. فإن قيل على القول الأول كيف أوعد سبحانه و لم يفعل فجوابه على وجوه أحدها أن هذا الوعيد كان متوجها إليهم لو لم يؤمن واحد منهم فلما آمن جماعه منهم كعبد الله بن سلام و ثعلبه بن شعبه و أسد بن ربيعة و أسعد بن عبيده و مخريق و غيرهم و أسلم كعب فى أيام عمر رفع العذاب عن الباقيين و يفعل بهم ذلك فى الآخرة على أنه سبحانه قال «أَوْ نَلْعَنُهُمْ كَمَا لَعَنَّا» و المعنى أنه يفعل أحدهما و قد لعنهم الله بذلك و ثانيها أن الوعيد يقع بهم فى الآخرة لأنه لم يذكر أنه يفعل بهم ذلك فى الدنيا تعجيلا للعقوبة ذكره البلخى و الجبائى و ثالثها أن هذا الوعيد باق منتظر لهم و لا بد من أن يطمس الله وجوه اليهود قبل قيام الساعة بأن يمسحها عن المبرد «أَوْ نَلْعَنُهُمْ» أى نخزيهم و نعدبهم عاجلا عن أبى مسلم و قيل معناه نمسخهم قرده «كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ» يعنى الذين اعتدوا فى السبت عن السدى و قتاده و الحسن و إنما قال سبحانه «نَلْعَنُهُمْ» بلفظ الغيبة و قد تقدم خطابهم لأحد أمرين إما للتصرف فى الكلام كقوله «حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ» فخاطب ثم قال وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَبِيئِهِ فكنى عنهم و أما لأن الضمير عائد إلى أصحاب الوجوه لأنهم فى حكم المذكورين «وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا» فيه قولان - (أحدهما) - إن كل أمر من أمور الله سبحانه من وعد أو وعيد أو خبر فإنه يكون على ما أخبر به عن الجبائى - (و الآخر) - إن معناه أن الذى يأمر به بقوله كن كائن لا محاله و فى قوله سبحانه «مَنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا» دلالة على أن لفظه قبل تستعمل فى الشىء أنه قبل غيره و لم يوجد ذلك لغيره و لا خلاف فى أن استعماله يصح و لذلك يقال كان الله سبحانه قبل خلقه.

[سوره النساء (٤): آيه ٤٨]

إشارة

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨)

اللغة

افترى اختلق و كذب و أصله من خلق الأديم يقال فريت الأديم أفريه فريا إذا قطعته على وجه الإصلاح و أفريته إذا قطعته على وجه الإفساد.

ص: ٨٨

«إِثْمًا عَظِيمًا» منصوب على المصدر لأن «افترى» بمعنى إثم و هذا كما تقول حمدته شكرا.

النزول

قال الكلبي نزلت في المشركين وحشى و أصحابه و ذلك أنه لما قتل حمزه و كان قد جعل له على قتله أن يعتق فلم يوف له بذلك فلما قدم مكة ندم على صنيعه هو و أصحابه فكتبوا إلى رسول الله (ص) إنا قد ندمنا على الذى صنعناه و ليس يمنعنا عن الإسلام إلا- أنا سمعناك تقول و أنت بمكة و الَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَ لَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ لَا يَزْنُونَ الْآيَاتِ وَ قد دعونا مع الله إليها آخر و قتلنا النفس التى حرم الله و زينا فلو لا هذه لاتبعناك فنزلت الآية «إِلَّا مَنْ تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا» الْآيَاتِ فبعث بهما رسول الله إلى وحشى و أصحابه فلما قرأهما كتبوا إليه أن هذا شرط شديد نخاف أن لا نعمل عملا- صالحا فلا نكون من أهل هذه الآية فنزلت «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ» الْآيَةَ فبعث بها إليهم فقرءوها فبعثوا إليه أنا نخاف أن لا نكون من أهل مشيئه فنزلت «يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا» فبعث بها إليهم فلما قرءوها دخل هو و أصحابه فى الإسلام و رجعوا إلى رسول الله (ص) فقبل منهم ثم قال لوحشى أخبرنى كيف قتلت حمزه فلما أخبره قال ويحك غيب شخصك عنى فالحق وحشى بعد ذلك بالشام و كان بها إلى أن مات و قال أبو مجلز عن ابن عمر قال نزلت فى المؤمنين و ذلك أنه لما نزلت «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا» الْآيَةَ قام النبى (ص) على المنبر فتلاها على الناس فقام إليه رجل فقال و الشرك بالله فسكت ثم قام إليه مرتين أو ثلاثا فنزلت «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ» الْآيَةَ هذه فى الزمر و هذه فى النساء و روى مطرف بن الشخير عن عمر بن الخطاب قال كنا على عهد رسول الله (ص) إذا مات الرجل منا على كبيره شهدنا بأنه من أهل النار حتى نزلت الآية فأمسكنا عن الشهادات.

المعنى

ثم أنه تعالى آيس الكفار من رحمته فقال «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ» معناه إن الله لا يغفر أن يشرك به أحد و لا يغفر ذنب الشرك لأحد و يغفر ما دونه من الذنوب لمن يريد قال المحققون هذه الآية أرجى آيه فى القرآن لأن فيها إدخال ما دون الشرك من جميع المعاصى فى مشيئه الغفران وقف الله المؤمنين الموحدين بهذه الآية بين الخوف و الرجاء و بين العدل و الفضل و ذلك صفة المؤمن و لذلك

قال الصادق (عليه السلام) لو وزن رجاء المؤمن و خوفه لاعتدلا

و يؤيده قوله سبحانه «وَ مَنْ يَقْتُطْ مِنْ

رَحْمَهُ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ وَفَلَا يَأْمُرُ مَكَرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْخَاسِرُونَ» و روى عن ابن عباس أنه قال ثمانى آيات نزلت فى سورة النساء خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس و غربت قوله سبحانه «يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَنَّ لَكُمْ، وَ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ، إِنْ تَجِدْتُمْ كِبَارًا مِمَّا تُنْهَوْنَ عَنْهُ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، وَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ يُجْزَ بِهِ،» «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ» فى الموضوعين، ما يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ و بيان وجه الاستدلال بهذه الآية على أن الله تعالى يغفر الذنوب من غير توبه أنه نفى غفران الشرك و لم ينف غفرانه على كل حال بل نفى أن يغفر من غير توبه لأن الأمة أجمعت على أن الله يغفر بالتوبه و إن كان الغفران مع التوبه عند المعتزله على وجه الوجوب و عندنا على وجه التفضل فعلى هذا يجب أن يكون المراد بقوله «وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ» أنه يغفر ما دون الشرك من الذنوب بغير توبه لمن يشاء من المذنبين غير الكافرين و إنما قلنا ذلك لأن موضوع الكلام الذى يدخله النفي و الإثبات و ينضم إليه الأعلى و الأدون أن يخالف الثانى الأول ألا ترى أنه لا يحسن أن يقول الرجل أنا لا أدخل على الأمير إلا إذا دعانى و أدخل على من دونه إذا دعانى و إنما يكون الكلام مفيدا إذا قال و أدخل على من دونه و إن لم يدعنى و لا معنى لقول من يقول من المعتزله إن فى حمل الآية على ظاهرها و إدخال ما دون الشرك فى المشيئه إغراء على المعصية لأن الإغراء إنما يحصل بالقطع على الغفران فأما إذا كان الغفران متعلقا بالمشيئه فلا إغراء فيه بل يكون العبد به واقفا بين الخوف و الرجاء على الصفة التى وصف الله بها عباده المرتضين فى قوله تعالى «يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَ طَمَعًا وَ يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَ يَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ» و بهذا وردت الأخبار الكثيره من طريق الخاص و العام و انعقد عليه إجماع سلف أهل الإسلام و من قال إن فى غفران ذنوب البعض دون البعض ميلا- و محاباه و لا- يجوز الميل و المحاباه على الله و جوابه أن الله متفضل بالغفران و للمتفضل أن يتفضل على قوم دون قوم و إنسان دون إنسان و هو عادل فى تعذيب من يعذبه و ليس يمنع العقل و لا الشرع من الفضل و العدل و من قال منهم أن لفظه «ما دُونَ ذَلِكَ» و إن كانت عامه فى الذنوب التى هى دون الشرك فإنما نخصها و نحملها على الصغائر أو ما يقع منه التوبه لأجل عموم ظاهر آيات الوعيد فجوابه أنا نعكس عليكم ذلك فنقول بل قد خصصوا ظاهر تلك الآيات لعموم ظاهر هذه الآية و هذا أولى لما روى عن بعض السلف أنه قال إن هذه الآية استثناء على جميع القرآن يريد به و الله أعلم جميع آيات الوعيد و أيضا فإن الصغائر تقع عندكم محبطة و لا تجوز المؤاخذة بها و ما هذا حكمه فكيف يعلق بالمشيئه فإن أحدا لا يقول إنى أفعل الواجب إن شئت و أرد

الوديعه إن شئت و قوله «وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ» أى فقد كذب بقوله إن العباده يستحقها غير الله و إثم «إِثْمًا عَظِيمًا» أى غير مغفور و جاءت الروايه

عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال ما فى القرآن آيه أرجى عندى من هذه الآيه.

[سوره النساء (٤): الآيات ٤٩ الى ٥٠]

اشاره

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٤٩) انْظُرْ كَيْفَ يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ كَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا (٥٠)

اللغه

التزكيه التطهير و التنزيه و قد يكون الوصف بالتطهير تزكيه و أصله من الزكاء و هو النمو يقال زكا الزرع يزكو زكاء و زكا الشىء إذا نما فى إصلاح و أصل الفتيل ما يفتل و هو لى الشىء و الفتيله معروفه و ناقه فتلاء إذا كان فى ذراعها فتل عن الجنب و الفتيل بمعنى المفتول و هو عباره عن الشىء الحقير قال النابغه:

يجمع الجيش ذا الألوف و يغزو

ثم لا يرزأ العدو فتيلًا

و النظر هو الإقبال على الشىء بالبصر و منه النظر بالقلب لأنه إقبال على الشىء بالقلب و كذلك النظر بالرحمه و النظر إلى الشىء التأمّل له و الانتظار الإقبال على الشىء بالتوقع و المناظره إقبال كل واحد على الآخر بالمحاجه و النظر مثل الشىء لإقباله على نظيره بالمماثله و الفرق بين النظر و الرؤيه أن الرؤيه هى إدراك المرئى و النظر الإقبال بالبصر نحو المرئى و لذلك قد ينظر و لا يراه و لذلك يجوز أن يقال لله تعالى أنه راء و لا يجوز أن يقال أنه ناظر.

الإعراب

فتيلًا منصوب على أنه مفعول ثان كقولك ظلمته حقه قال على بن عيسى و يحتمل أن يكون نصبا على التمييز كقولك تصببت عرقًا.

النزول

قيل

نزلت فى رجال من اليهود أتوا بأطفالهم إلى النبى فقالوا هل على هؤلاء من ذنب فقال لا- فقالوا و الله ما نحن إلا كهيتهم ما

عملناه بالنهار كفر عنا بالليل و ما

ص: ٩١

قيل نزلت في اليهود و النصارى حين قالوا نحن أبناء الله و أحبأؤه قالوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى عن الضحاك و الحسن و قتاده و السدى و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام).

المعنى

ثم ذكر تعالى تزكيه هؤلاء أنفسهم مع كفرهم و تحريفهم الكتاب فقال «أَلَمْ تَرَ» معناه أ لم تعلم و قيل أ لم تخبر و هو سؤال على وجه الإعلام و تأويله أعلم قصتهم أ لم ينته علمك «إِلَى» هؤلاء «الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ» أى يمدحونها و يصفونها بالزكاه و الطهاره بأن يقولوا نحن أزكيا و قيل هو تزكيه بعضهم بعضا عن ابن مسعود و إنما قال «أَنْفُسَهُمْ» لأنهم على دين واحد و هم كنفس واحده «بَلِ اللَّهُ يُرَكِّي مَنْ يَشَاءُ» رد الله ذلك عليهم و بين أن التزكيه إليه يزكى من يشاء أى يطهر من الذنب من يشاء و قيل معناه يقبل عمله فيصير زكيا و لا يزكى اليهود بل يعذبهم «وَلَا يُظَلِّمُونَ فِتْيَالًا» معناه لا يظلمون فى تعذيبهم و ترك تزكيتهم فتيا أى مقدار فتيل و ذكر الفتيل مثلا و اختلف فى معناه فقيل هو ما يكون فى شق النواه عن ابن عباس و مجاهد و عطا و قتاده و قيل الفتيل ما فى بطن النواه و النقىر ما على ظهرها و القطمير قشرها عن الحسن و قيل الفتيل ما فتلته بين إصبعيك من الوسخ عن ابن عباس و أبى مالك و السدى و فى هذه الآيه دلالة على تنزيه الله عن الظلم و إنما ذكر الفتيل ليعلم أنه لا يظلم قليلا و لا كثيرا «أَنْظُرْ» يا محمد «كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ» فى تحريفهم كتابه و قيل فى تزكيتهم أنفسهم و قولهم نحن أبناء الله و أحبأؤه و لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى عن ابن جريج «وَ كَفَى بِهِ» أى كفى هو «إِثْمًا مُّبِينًا» أى وزرا بينا و إنما قال «كَفَى بِهِ» فى العظم على جهه المدح أو الذم يقال كفى بحال المؤمن نيلا و كفى بحال الكافر خزيا فكأنه قال ليس يحتاج إلى حال أعظم منه و يحتمل أن يكون معناه كفى هذا إثما أى ليس يقصر عن منزله الإثم.

[سورة النساء (٤): الآيات ٥١ الى ٥٢]

اشاره

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هُؤْلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (٥١) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (٥٢)

الجبث لا- تصريف له فى اللغة العربيه و روى عن سعيد بن جبير أنه قال هو السحر بلغه أهل الحبشه و هذا يحمل على موافقه اللغتين أو على أن العرب أدخلوها فى لغتهم فصارت لغه لهم و اللعنه الإبعاد من رحمه الله عقابا على معصيته فلذلك لا يجوز لعن البهائم و لا- من ليس بعاقل من المجانين و الأطفال لأنه سؤال العقوبه لمن يستحقها فمن لعن بهيمه أو حشره أو نحو ذلك فقد أخطأ لأنه سأل الله تعالى ما لا يجوز فى حكمته فإن قصد بذلك الإبعاد على وجه العقوبه جاز.

الإعراب

سيلا- منصوب على التمييز كما تقول هذا أحسن منك و جها أولئك لفظه جمع واحده ذا فى المعنى كما يقال نسوه فى جمع امرأه و غلب على أولاء هاء للتنبيه و ليس ذلك فى أولئك لأن فى حرف الخطاب تنبيها للمخاطب و صار الكاف معاقبا للهاء التى للتنبيه فى أكثر الاستعمال.

النزول

قيل كان أبو برزه كاهنا فى الجاهليه فتنافس إليه ناس ممن أسلم فنزلت الآيه عن عكرمه و قيل و هو قول أكثر المفسرين أن كعب بن الأشرف خرج فى سبعين راكبا من اليهود إلى مكه بعد وقعه أحد ليحالفوا قريشا على رسول الله (ص) و ينقضوا العهد الذى كان بينهم و بين رسول الله فنزل كعب على أبى سفيان فأحسن مثواه و نزلت اليهود فى دور قريش فقال أهل مكه إنكم أهل كتاب و محمد صاحب كتاب فلا نأمن أن يكون هذا مكرما منكم فإن أردت أن نخرج معك فاسجد لهذين الصنمين و آمن بهما ففعل فذلك قوله «يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَ الطَّاغُوتِ» ثم قال كعب يا أهل مكه ليجىء منكم ثلاثون و منا ثلاثون فلصق أكبادنا بالكعبه فنعاهد رب البيت لنجهدن على قتال محمد ففعلوا ذلك فلما فرغوا قال أبو سفيان لكعب أنك امرؤ تقرأ الكتاب و تعلم و نحن أميون لا- نعلم فأينا أهدى طريقا و أقرب إلى الحق نحن أم محمد قال كعب أعرضوا على دينكم فقال أبو سفيان نحن نحرر للحجيج الكوماء و نسقيهم الماء و نقرى الضيف و نفك العانى و نصل الرحم و نعلم بيت ربنا و نطوف به و نحن أهل الحرم و محمد فارق دين آباءه و قطع الرحم و فارق الحرم و ديننا القديم و دين محمد الحديث فقال أنتم و الله أهدى سيلا مما عليه محمد (ص) فأنزل الله «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ».

فالمعنى بذلك كعب بن الأشرف وجماعه من اليهود الذين كانوا معه بين الله أفعالهم القبيحة وضمها إلى ما عدده فيما تقدم فقال «يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ» يعنى بهما الصنمين اللذين كانا لقريش و سجد لهما كعب بن الأشرف «وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا» أبى سفيان و أصحابه «هُؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا» محمد و أصحابه «سَبِيلًا» أى دينا عن عكرمه و جماعه من المفسرين و قيل إن المعنى بالآيه حيبى بن أخطب و كعب بن الأشرف و سلام بن أبى الحقيق و أبو رافع فى جماعه من علماء اليهود و الجبت الأصنام و الطاغوت تراجمه الأصنام الذين كانوا يتكلمون بالتكليب عنها عن ابن عباس و قيل الجبت الساحر و الطاغوت الشيطان عن ابن زيد و قيل الجبت السحر عن مجاهد و الشعبى و قيل الجبت الساحر و الطاغوت الكاهن عن أبى العالیه و سعيد بن جبیر و قيل الجبت إبليس و الطاغوت أولياؤه و قيل هما كلما عبد من دون الله من حجر أو صوره أو شيطان عن أبى عبيده و قيل الجبت هنا حيبى بن أخطب و الطاغوت كعب بن الأشرف عن الضحاك و بعض الروايات عن ابن عباس و المراد بالسبيل فى الآيه الدين و إنما سمي سبيلا لأنه كالطريق فى الاستمرار عليه ليؤدى إلى المقصود «أُولَئِكَ» إشاره إلى الذين تقدم ذكرهم «الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ» أى أبعدهم من رحمته و أخزاهم و خذلهم و أقصاهم «وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهَ» أى و من يلعنه الله «فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا» أى معينا يدفع عنه عقاب الله تعالى الذى أعده له و قيل فلن تجد له نصيرا فى الدنيا و الآخره لأنه لا يعتد بنصره من ينصره مع خذلان الله إياه.

[سوره النساء (٤): الآيات ٥٣ الى ٥٥]

إشاره

أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا (٥٣) أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (٥٤) فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَ كَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا (٥٥)

اللغه

النقير من النقر و هو النكت و منه المنقار لأنه ينقر به و الناقر الصور لأنه ينقر فيه بالنفخ المصوت و النقير خشبه ينقر و ينبذ فيها و انتقر اختص كما تختص بالنقر واحدا واحدا قال طرفه:

و الحسد تمنى زوال النعمه عن صاحبها لما يلحق من المشقه فى نيله لها و هو خلاف الغبطه لأن الغبطه تمنى مثل تلك النعمه لأجل السرور بها لصاحبها و لهذا صار الحسد مذموما و الغبطه غير مذمومه و قيل إن الحسد من إفراط البخل لأن البخل منع النعمه لمشقه بذلها و الحسد تمنى زوالها لمشقه نيل صاحبها فالعمل فىهما على المشقه بنيل النعمه و أصل السعير من السعر و هو إيقاد النار و استعرت النار أو الحرب أو الشر و سعرتها أو أسعرتها و السعر سعر المتاع و سعره تسعيرا و ذلك لاستعار السوق بحماها فى البيع و الساعور كالتنور.

الإعراب

أم هذه هى المنقطعه و ليست المعادله لهمزه الاستفهام التى تسمى المتصله و تقديره بل أ لهم نصيب من الملك و قال بعضهم إن همزه الاستفهام محذوفه من الكلام لأن أم لا تجى ء مبتدأه بها و تقديره أ هم أولى بالنبوه أم لهم نصيب من الملك فىلزم الناس طاعتهم و هذا ضعيف لأن حذف الهمزه إنما يجوز فى ضروره الشعر و لا ضروره فى القرآن و إذن لم يعمل فى يؤتون لأنها إذا وقعت بين الفاء و الفعل أو بين الواو و الفعل جاز أن تقدر متوسطه فتلقى كما يلغى ظنت و أخواتها إذا توسطت أو تأخرت لأن النيه به التأخير فالتقدير فلا يؤتون الناس نقيرا إذن لا يلبثون خلافاً لإلا قليلا إذن، و يجوز أن تقدر مستأنفه فتعمل مع حرف العطف و لو قرأ «فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ» لجاز لكن القراءه سنه متبعه و إذا لا تعمل فى الفعل النصب إلا بشروط أربه أن تكون جوابا لكلام و أن تكون مبتدأه فى اللفظ و أن لا يكون ما بعدها متعلقا بما قبلها و يكون الفعل بعدها مستقبلا.

المعنى

لما بين حكم اليهود بأن المشركين أهدى من النبى (ص) و أصحابه بين الله سبحانه إن الحكم ليس إليهم إذ الملك ليس لهم فقال «أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ» و هذا استفهام معناه الإنكار أى ليس لهم ذلك و قيل المراد بالملك هاهنا النبوه عن الجبائى أى أ لهم نصيب من النبوه فىلزم الناس اتباعهم و طاعتهم و قيل المراد بالملك ما كانت اليهود تدعيه من أن الملك يعود إليهم فى آخر الزمان و أنه يخرج منهم من يجدد ملتهم و يدعو إلى

دينهم فكذبهم الله تعالى «فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا» أى لو أعطوا الدنيا وملكها لما أعطوا الناس من الحقوق قليلا و لا كثيرا و فى تفسير ابن عباس لو كان لهم نصيب من الملك لما أعطوا محمدا و أصحابه شيئا و قيل أنهم كانوا أصحاب بساتين و أموال و كانوا لا يعطون الفقراء شيئا «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ» معناه بل يحسدون الناس و اختلف فى معنى الناس هنا على أقوال فقليل أراد به النبى (ص) حسدوه «عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» من النبوه و إباحه تسع نسوه و ميله إليهن و قالوا لو كان نبيا لشغلته النبوه عن ذلك فبين الله سبحانه إن النبوه ليست بيدع فى آل إبراهيم (عليه السلام) «فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ» يعنى النبوه و قد آتينا داود و سليمان المملكه و كان لداود تسع و تسعون امرأه و لسليمان مائه امرأه و قال بعضهم كان لسليمان ألف امرأه سبعمائه سريره و ثلاثمائه امرأه و كان لداود مائه امرأه فلا معنى لحسداهم محمدا على هذا و هو من أولاد إبراهيم (عليه السلام) و هم أكثر تزويجا و أوسع مملكه منه عن ابن عباس و الضحاك و السدى و قيل لما كان قوام الدين به صار حسدهم له كحسداهم لجميع الناس (و ثانيها)

إن المراد بالناس النبى (ص) و آله عن أبى جعفر (عليه السلام)

و المراد بالفضل فيه النبوه و فى آله الإمامه و

فى تفسير العياشى بإسناده عن أبى الصباح الكنانى قال قال أبو عبد الله (عليه السلام) يا أبا الصباح نحن قوم فرض الله طاعتنا لنا الأنفال و لنا صفو المال و نحن الراسخون فى العلم و نحن المحسودون الذين قال الله فى كتابه «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ» الآية

قال و المراد بالكتاب النبوه و بالحكمه الفهم و القضاء و بالملك العظيم افتراض الطاعه (و ثالثها) إن المراد بالناس محمد و أصحابه لأنه قد جرى ذكرهم فى قوله «هُؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا» و من فضله من نعمته عن أبى على الجبائى (و رابعها) إن المراد بالناس العرب أى يحسدون العرب لما صارت النبوه فيهم عن الحسن و قتاده و ابن جريج و قيل المراد بالكتاب التوراه و الإنجيل و الزبور و بالحكمه ما أوتوا من العلم و قوله «وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا» المراد بالملك العظيم النبوه عن مجاهد و الحسن و قيل المراد بالملك العظيم ملك سليمان عن ابن عباس و قيل ما أحل لداود و سليمان من النساء عن السدى و قيل الجمع بين سياسه الدنيا و شرع الدين «فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ» فيه قولان (أحدهما) إن المراد فمن أهل الكتاب من آمن بمحمد (ص) «وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ» أى أعرض عنه و لم يؤمن به عن مجاهد و الزجاج و الجبائى و وجه اتصال هذا المعنى بالآيه أنهم مع هذا الحسد و غيره من أفعالهم القبيحه فقد آمن بعضهم به (و الآخر) إن المراد به فمن أمه إبراهيم من آمن بإبراهيم و منهم من أعرض عنه كما أنكم فى أمر محمد كذلك و ليس ذلك بموهن أمره كما لم يكن

إعراضهم عن إبراهيم موهنا أمر إبراهيم «وَكَفَىٰ بِنَجْمِهِمْ سَعِيرًا» أى كفى هؤلاء المعرضين عنه فى العذاب النازل بهم عذاب جهنم نارا موقده إيقادا شديدا يريد بذلك أنه إن صرف عنهم بعض العذاب فى الدنيا فقد أعد لهم عذاب جهنم فى العقبى.

[سوره النساء (٤): الآيات ٥٦ الى ٥٧]

اشاره

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضَعَتْ جُلُودَهُمْ بَدَلًا لَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٦) وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ نُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا (٥٧)

اللغه

يقال أصليته النار إذا ألقته فيها و صليته صليا إذا شويته و شاه مصليه مشويه و الصلاء الشواء و صلى فلان بشر فلان و التبديل التغيير يقال أبدلت الشىء بالشىء إذا أزلت عينا بعين كما قال الشاعر:

" عزل الأمير بالأمر المبدل "

و بدلت بالتشديد إذا غيرت هيئته و العين واحده يقولون بدلت جبتى قميصا أى جعلتها قميصا ذكره المغربى و قد يكون التبديل بأن يوضع غيره موضعه قال الله يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ الظل أصله الستر لأنه يستر من الشمس قال رؤبه كل موضع تكون فيه الشمس و تزول عنه فهو ظل و فى ء و ما سوى ذلك فظل و لا يقال فيه فى ء و الظل الليل كأنه كالستر من الشمس و الظله الستره و الظليل الكنين.

المعنى

لما تقدم ذكر المؤمن و الكافر عقبه بذكر الوعد و الوعيد على الإيمان و الكفر فقال «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا» أى جحدوا حججنا و كذبوا أنبياءنا و دفعوا الآيات الداله على توحيدنا و صدق نبينا «سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا» أى نلزمهم نارا نحرقهم فيها و نعذبهم بها و دخلت سوف لتدل على أنه يفعل ذلك بهم فى المستقبل «كَلَّمًا نَضَعَتْ جُلُودَهُمْ بَدَلًا لَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا» قيل فيه أقوال (أحدها) إن الله تعالى يجدد لهم جلودا غير الجلود التى احترقت على ظاهر القرآن فى أنها غيرها عن قتاده و جماعه من أهل التفسير و اختاره على بن

ص: ٩٧

عيسى و من قال على هذا أن هذا الجلد المجدد لم يذنب فكيف يعذب من لا يستحق العذاب فجوابه أن المعذب الحى و لا اعتبار بالأطراف و الجلود و قال على بن عيسى إن ما يزداد لا يؤلم و لا- هو بعض لما يؤلم و إنما هو شىء يصل به الألم إلى المستحق له (و ثانيها) إن الله يجددها بأن يردّها إلى الحاله التى كانت عليها غير محترقه كما يقال جئتنى بغير ذلك الوجه إذا كان قد تغير وجهه من الحاله الأولى كما إذا انكسر خاتم فاتخذ منه خاتما آخر يقال هذا غير الخاتم الأول و إن كان أصلهما واحدا فعلى هذا يكون الجلد واحدا و إنما تتغير الأحوال عليه و هو اختيار الزجاج و البلخى و أبى على الجبائى (و ثالثها) إن التبديل إنما هو للسراييل التى ذكرها الله تعالى سِرَائِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ و سميت السراييل الجلود على سبيل المجاوره للزومها الجلود و هذا ترك للظاهر بغير دليل و على القولين الأخيرين لا يلزم سؤال التعذيب لغير العاصى فأما من قال إن الإنسان غير هذه الجملة المشاهده و أنه المعذب فى الحقيقه فقد تخلص من هذا السؤال و قوله «لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ» معناه ليجدوا ألم العذاب و إنما قال ذلك ليبين أنهم كالمبتدأ عليهم العذاب فى كل حاله فيحسون فى كل حاله ألما لكن لا كمن يستمر به الشىء فإنه يصير أخف عليه «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا» أى لم يزل منيعا لا- يدافع و لا- يمانع و قيل معناه أنه قادر لا يمتنع عليه إنجاز ما توعد به أو وعده «حَكِيمًا» فى تدبيره و تقديره و فى تعذيبه من يعذبه و روى الكلبي عن الحسن قال بلغنا أن جلودهم تنضج كل يوم سبعين ألف مره «و الَّذِينَ آمَنُوا» بكل ما يجب الإيمان به «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» أى الطاعات الصالحه الخالصه «سَيَدْخُلُهُمْ جَنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» أى من تحت أشجارها و قصورها الأنهار أى ماء الأنهار «خَالِدِينَ فِيهَا» أى دائمين فيها «أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ» طهرن من الحيض و النفاس و من جميع المعائب و الأدناس و الأخلاق الدنيه و الطبائع الرديه لا يفعلن ما يوحش أزواجهن و لا يوجد فيهن ما ينفر عنهن «و نَدْخُلُهُمْ» فى ذلك «ظِلًّا ظَلِيلًا» أى كنيئا ليس فيه حر و لا برد بخلاف ظل الدنيا و قيل ظلا دائما لا تنسخه الشمس كما فى الدنيا و قيل ظلا متمكنا قويا كما يقال يوم أيوم و ليل أليل و داهيه دهياء يصفون الشىء بمثل لفظه إذا أرادوا المبالغه.

إشاره

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا
بَصِيرًا (٥٨)

القراءة

قد ذكرنا الاختلاف بين القراء في نعما و وجوه قراءتهم و حججها في سوره البقره.

اللغه

يقال أديت الشىء تأديه و قد يوضع الأداء موضع التأديه فيقام الاسم مقام المصدر و السميع هو من كان على صفه يجب لأجلها أن يسمع المسموعات إذا وجدت و البصير من كان على صفه يجب لأجلها أن يبصر المبصرات إذا وجدت و السامع هو المدرك للمسموعات و المبصر هو المدرك للمبصرات و لهذا يوصف القديم فيما لم يزل بأنه سميع بصير و لا يوصف فى القدم بأنه سامع مبصر.

الإعراب

قوله «نِعْمًا يَعِظُكُمْ بِهِ» تقديره نعم شيئا شىء يعظكم به فيكون شيئا تبينا لاسم الجنس المضمرة الذى هو فاعل نعم و المخصوص بالمدح قد حذف و أقيمت صفته مقامه و قوله «نِعْمًا يَعِظُكُمْ بِهِ» جملة فى موضع رفع بأنه خبر أن.

المعنى

ثم أمر سبحانه بأداء الأمانة فقال «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا» قيل فى المعنى بهذه الآيه أقوال (أحدها)

أنها فى كل من اوتمن أمانه من الأمانات و أمانات الله أوامره و نواهيها و أمانات عباده فيما ياتمن بعضهم بعضا من المال و غيره عن ابن عباس و أبى بن كعب و ابن مسعود و الحسن و قتاده و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام)

(و ثانيها) إن المراد به و لاه الأمر أمرهم الله أن يقوموا برعايه الرعيه و حملهم على موجب الدين و الشريعه عن زيد بن أسلم و مكحول و شهر بن حوشب و هو اختيار الجبائى و رواه أصحابنا

عن أبى جعفر الباقر و أبى عبد الله الصادق قالا- أمر الله تعالى كل واحد من الأئمه أن يسلم الأمر إلى من بعده، و يعضده أنه سبحانه أمر الرعيه بعد هذا بطاعه و لاه الأمر

روى عنهم أنهم قالوا آيتان إحداهما لنا والأخرى لكم قال الله «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا» الآية ثم قال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» الآية

و هذا القول داخل فى القول الأول لأنه من جملة ما ائتمن الله عليه الأئمة الصادقين و لذلك

قال أبو جعفر (عليه السلام) إن أداء الصلاة و الزكاة و الصوم و الحج من الأمانة و يكون من جملتها الأمر لولاه الأمر بقسم الصدقات و الغنائم و غير ذلك مما يتعلق به حق الرعية

و قد عظم الله سبحانه أمر الأمانة بقوله «يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ» و قوله «لَا تَخُونُوا اللَّهَ

وَالرَّسُولَ» وقوله «وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ» الآية (و ثالثها) إنه خطاب للنبي (ص) برد مفتاح الكعبه إلى عثمان بن طلحه حين قبض منه المفتاح يوم فتح مکه و أراد أن يدفعه إلى العباس لتكون له الحجابہ و السقايه عن ابن جريج و المعول على ما تقدم و إن صح القول الأخير و الروايه فيه فقد دل الدليل على أن الأمر إذا ورد على سبب لا يجب قصره عليه بل يكون على عمومہ «وَ إِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ» أمر الله الولاه و الحكام أن يحكموا بالعدل و النصفه و نظيره قوله «يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ» و

روى أن النبي (ص) قال لعلي سو بين الخصمين في لحظك و لفظك

و

ورد في الآثار أن الصبيين ارتفعا إلى الحسن بن علي في خط كتبه و حكماه في ذلك ليحكم أي الخطين أجود فبصر به علي فقال يا بني أنظر كيف تحكم فإن هذا حكم و الله سائلك عنه يوم القيامة

«إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا يَعِظُكُمْ بِهِ» أي نعم الشئ ما يعظكم به من الأمر برد الأمانه و النهي عن الخيانه و الحكم بالعدل و معنى الوعظ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و قيل هو الأمر بالخير و النهي عن الشر «إِنَّ اللَّهَ كَانَ شَمِيعًا» بجميع المسموعات و «بَصِيرًا» بجميع المبصرات و قيل معناه عالم بأقوالكم و أفعالكم و أدخل كان تنبيها على أن هذه الصفه واجبه له فيما لم يزل.

[سوره النساء (٤): آيه ٥٩]

اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩)

المعنى

لما بدأ في الآيه المتقدمه بحث الولاه على تأديه حقوق الرعيه و النصفه و التسويه بين البريه ثناه في هذه الآيه بحث الرعيه على طاعتهم و الاقتداء بهم و الرد إليهم فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ» أي أَلزَمُوا طاعه الله سبحانه فيما أمركم به و نهاكم عنه «وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ» أي و أَلزَمُوا طاعه رسوله (ص) أيضا و إنما أفرد الأمر بطاعه الرسول و إن كانت طاعته مقترنه بطاعه الله مبالغه في البيان و قطعاً لتوهم من توهم أنه لا يجب لزوم ما ليس في القرآن من الأوامر و نظيره قوله «مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَ مَا آتَاكُمْ الرَّسُولَ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى» و قيل معناه أطيعوا الله في الفرائض

ص: ١٠٠

و أطيعوا الرسول في السنن عن الكلبي و الأول أصح لأن طاعة الرسول هي طاعة الله و امتثال أوامره امتثال أوامر الله و أما معرفه بأنه رسول الله فهي معرفه برسالته و لا يتم ذلك إلا بعد معرفه الله و ليست إحداهما هي الأخرى و طاعة الرسول واجبه في حياته و بعد وفاته لأن اتباع شريعته لازم بعد وفاته لجميع المكلفين و معلوم ضروره أنه دعا إليها جميع العالمين إلى يوم القيامة كما علم أنه رسول الله إليهم أجمعين و قوله «وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» للمفسرين فيه قولان (أحدهما) أنهم الأمراء عن أبي هريره و ابن عباس في إحدى الروايتين و ميمون بن مهران و السدي و اختاره الجبائي و البلخي و الطبري (و الآخر) أنهم العلماء عن جابر بن عبد الله و ابن عباس في الروايه الأخرى و مجاهد و الحسن و عطا و جماعه و قال بعضهم لأنهم الذين يرجع إليهم في الأحكام يجب الرجوع إليهم عند التنازع دون الولاه و أما أصحابنا فإنهم رووا

عن الباقر و الصادق (عليه السلام) أن أولى الأمر هم الأئمه من آل محمد

أوجب الله طاعتهم بالإطلاق كما أوجب طاعته و طاعه رسوله و لا يجوز أن يوجب الله طاعه أحد على الإطلاق إلا من ثبتت عصمته و علم أن باطنه كظاهره و أمن منه الغلط و الأمر بالقبيح و ليس ذلك بحاصل في الأمراء و لا العلماء سواهم جل الله عن أن يأمر بطاعه من يعصيه أو بالانقياد للمختلفين في القول و الفعل لأنه محال أن يطاع المختلفون كما أنه محال أن يجتمع ما اختلفوا فيه و مما يدل على ذلك أيضا أن الله تعالى لم يقرن طاعه أولى الأمر بطاعه رسوله كما قرن طاعه رسول بطاعته إلا و أولوا الأمر فوق الخلق جميعا كما أن الرسول فوق أولى الأمر و فوق سائر الخلق و هذه صفه أئمه الهدى من آل محمد (ص) الذين ثبتت إمامتهم و عصمتهم و اتفقت الأمة على علو رتبتهم و عدالتهم «فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ» معناه فإن اختلفتم في شىء من أمور دينكم فردوا التنازع فيه إلى كتاب الله و سننه الرسول و هذا قول مجاهد و قتاده و السدي و نحن نقول الرد إلى الأئمه القائمين مقام الرسول بعد وفاته هو مثل الرد إلى الرسول في حياته لأنهم الحافظون لشريعته و خلفاؤه في أمته فجزوا مجراه فيه ثم أكد سبحانه ذلك و عظمه بقوله «إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» فما أبين هذا و أوضحه «ذَلِكَ» إشاره إلى طاعه الله و طاعه رسوله و أولى الأمر و الرد إلى الله و الرسول «خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» أى أحمد عاقبه عن قتاده و السدي و ابن زيد قالوا لأن التأويل من آل يؤول إذا رجع و المال المرجع و العاقبه سمى تأويلا لأنه مآل الأمر و قيل معناه أحسن جزاء عن مجاهد و قيل خير لكم في الدنيا و أحسن عاقبه في الآخرة و قيل معناه أحسن من تأويلكم أنتم إياه من غير رد إلى أصل من كتاب الله و سنه نبيه عن الزجاج و هو الأقوى لأن الرد إلى الله

و رسوله و من يقوم مقامه من المعصومين أحسن لا- محاله من تأويل بغير حجه و استدلال بعضهم بقوله «فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ» على إن إجماع الأمة حجه بأن قالوا إنما أوجب الله الرد إلى الكتاب و السنه بشرط وجود التنازع فدل على أنه إذا لم يوجد التنازع لا يجب الرد و لا يكون كذلك إلا و الإجماع حجه و هذا الاستدلال إنما يصح لو فرض إن في الأمة معصوما حافظا للشرع فأما إذا لم يفرض ذلك فلا يصح لأن تعليق الحكم بشرط أو صفه لا يدل على إن ما عداه بخلافه عند أكثر العلماء فكيف اعتمدوا عليه هاهنا على أن الأمة لا- تجمع على شىء إلا- عن كتاب أو سنه و كيف يقال إنها إذا اجتمعت على شىء لا يجب عليها الرد إلى الكتاب و السنه و قد ردت إليهما.

[سوره النساء (٤): الآيات ٦٠ الى ٦١]

إشارة

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَ مَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَ إِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (٦١)

اللغة

الطاغوت ذو الطغيان على جهه المبالغه فى الصفه فكل من يعبد من دون الله فهو طاغوت و قد يسمى به الأوثان كما يسمى بأنه رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ و يوصف به أيضا كل من طغى بأن حكم بخلاف حكم الله و أصل الضلال الهلاك بالعدول عن الطريق المؤدى إلى البغيه لأنه ضد الهدى الذى هو الدلاله على الطريق المؤدى إلى البغيه و له تصرف كثير يرجع جميعه إلى هذه النكته ذكرناها فى سوره البقره عند قوله «وَ مَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ» و تعالوا أصله من العلو فإذا قلت لغيرك تعال فمعناه ارتفع إلى، و صددت الأصل فيه أن لا يتعدى تقول صددت عن فلان أصد بمعنى أعرضت عنه و يجوز صددت فلانا عن فلان بالتعدى لأنه دخله معنى منعه عنه و مثله رجعت أنا و رجعت غيرى لأنه دخله معنى رددته.

صدودا نصب على المصدر على وجه التأكيد للفعل كقوله «وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا» والمعنى أنه ليس ذلك على بيان مثل الكلام بل حكمه فى الحقيقة وقيل فى معنى تَكْلِيمًا أنه كلمه تكلما شريفا عظيما فيمكن تقدير مثل ذلك فى الآية أى يصدون عنك صدودا عظيما.

النزول

كان بين رجل من اليهود و رجل من المنافقين خصومه فقال اليهودى أحاكم إلى محمد لأنه علم أنه لا يقبل الرشوه ولا يجوز فى الحكم فقال المنافق لا بل بينى و بينك كعب بن الأشرف لأنه علم أنه يأخذ الرشوه فنزلت الآية عن أكثر المفسرين.

المعنى

لما أمر الله أولى الأمر بالحكم و العدل و أمر المسلمين بطاعتهم وصل ذلك بذكر المنافقين الذين لا يرضون بحكم الله و رسوله فقال «أَلَمْ تَرَ» أى أ لم تعلم وقيل أنه تعجب منه أى أ لم تتعجب من صنيع هؤلاء وقيل أ لم ينته علمك «إِلَى» هؤلاء «الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ» من القرآن «وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ» من التوراه و الإنجيل «يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ» يعنى كعب بن الأشرف عن ابن عباس و مجاهد و الربيع و الضحاک وقيل أنه كاهن من جهينه أراد المنافق أن يتحاكم إليه عن الشعبى و قتاده وقيل أراد به ما كانوا يتحاكمون فيه إلى الأوثان بضرب القداح عن الحسن و

روى أصحابنا عن السيدين الباقر (عليه السلام) و الصادق (عليه السلام) إن المعنى به كل من يتحاكم إليه ممن يحكم بغير الحق

«وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ» يعنى به قوله تعالى «فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا» «وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ» بما زين لهم «أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا» عن الحق نسب إضلالهم إلى الشيطان فلو كان الله قد أضلهم بخلق الضلاله فيهم على ما يقوله المجبره لنسب إضلالهم إلى نفسه دون الشيطان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ» أى المنافقين «تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ» فى القرآن من الأحكام «وَ إِلَىٰ الرَّسُولِ» فى حكمه «رَأَيْتَ» يا محمد «الْمُنَافِقِينَ يُضِلُّونَ عَنْكَ صُدُودًا» أى يعرضون عنك أى عن المصير إليك إلى غيرك إعراضا.

إشارة

فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاؤُكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّ أَرْدُنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (٦٣)

اللغة

الحلف القسم و منه الحليف لتحالفهم فيه على الأمر و أصل البلاغ البلوغ يقال بلغ الرجل بالقول يبلغ بلاغه فهو يبلغ إذا صار يبلغ بعبارة كثيرة مما في قلبه و يقال أحقق بلغ و بلغ إذا كان مع حماقته يبلغ حيث يريد و قيل معناه قد بلغ في حماقه.

الإعراب

موضع كيف رفع بأنه خبر مبتدأ محذوف و التقدير فكيف صنعهم إذا أصابتهم مصيبه فكأنه قال الإساءه صنعهم بالجرأه على كذبهم أم الإحسان صنعهم بالتوبه من جرمهم و يجوز أن يكون موضع كيف نصبا و تقديره كيف يكونوا أم مصرين أم تائبين يكونون و لو قلت أنه رفع على معنى كيف بك كأنه قال إصلاح بك أم فساد بك فيكون مبتدأ محذوف الخبر و يخلفون في موضع نصب على الحال و «إِنَّ أَرْدُنَا إِلَّا إِحْسَانًا» جواب القسم و إحسانا مفعول به أى أردنا إحسانا.

المعنى

ثم عطف تعالى على ما تقدم بقوله «فَكَيْفَ» صنيع هؤلاء «إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ» أى نالتهم من الله عقوبه «بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ» بما كسبت أيديهم من النفاق و إظهار السخط لحكم النبي «ثُمَّ جَاؤُكَ» يا محمد «يَخْلِفُونَ» يقسمون «بِاللَّهِ إِنَّ أَرْدُنَا إِلَّا إِحْسَانًا» أى ما أردنا بالتحاكم إلى غيرك إلا- التخفيف عنك فإننا نحتمك برفع الصوت فى مجلسك و تقتصر على من يتوسط لنا برضاء الخصمين دون الحكم المورث للضغائن فقوله «إِلَّا إِحْسَانًا» أى إحسانا إلى الخصوم «وَ تَوْفِيقًا» بينهم بالتماس التوسعه دون الحمل على مر الحكم و أراد بالتوفيق الجمع و التأليف و قيل توفيقا أى طلبا لما يوافق الحق و قيل إن المعنى بالآيه عبد الله بن أبى و المصيبه ما أصابه من الذل برجعته من غزوه بنى المصطلق و هى غزوه المريسيع حين نزلت سورة المنافقين فاضطر إلى الخشوع و الاعتذار و سندر ذلك إن شاء الله فى سورة المنافقين أو مصيبه الموت لما تضرع إلى رسول الله فى الإقاله و الاستغفار و أستوهبه ثوبه ليتقى به النار يقولون ما أردنا بالكلام بين الفريقين المتنازعين بنى المصطلق ذكره الحسين بن على المغربى و فى الآيه دلالة على أنه قد

تصيب المصيبة بما يكتسبه العبد من الذنوب ثم اختلف فى ذلك فقال أبو على الجبائى لا يكون ذلك إلا عقبه إلا فى التائب و قال أبو هاشم يكون ذلك لطفا و قال القاضى عبد الجبار قد يكون ذلك لطفا و قد يكون جزاء و هو موقوف على الدليل «أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ» من الشرك و النفاق و الخيانه «فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ» أى لا تعاقبهم «وَعِظْتُمْ» بلسانك «وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا» أى قل لهم إن أظهرتم ما فى قلوبكم من النفاق قتلتم فهذا هو القول البليغ لأنه يبلغ من نفوسهم كل مبلغ عن الحسن و قيل معناه فأعرض عن قبول الاعتذار منهم و عظمهم مع ذلك و خوفهم بمكاره تنزل بهم فى أنفسهم إن عادوا لمثل ما فعلوه عن أبى على الجبائى و فى قوله «وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا» دلالة على فضل البلاغه و حث على اعتمادها بأوضح بيان لكونها أحد أقسام الحكمة لما فيها من بلوغ المعنى الذى يحتاج إلى التفسير باللفظ الوجيز مع حسن الترتيب.

[سوره النساء (٤): آيه ٦٤]

إشارة

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا (٦٤)

الإعراب

ما فى قوله «وَمَا أَرْسَلْنَا» نافية فلذلك قال «مِنْ رَّسُولٍ» لأن من لا تزداد فى الإيجاب و زيادتها تؤذن باستغراق الكلام كقولك ما جاءنى من أحد و لو موضوعه للفعل لما فيها من معنى الجزاء تقول لو كان كذا لكان كذا و لا تأتى بعدها إلا أن خاصه و إنما أجزى فى أن خاصه أن تقع بعدها لأنها كالفعل فى إفاده التأكيد فموضع أن بعد لو مع اسمها و خبرها رفع بكونه فاعل الفعل المضممر بعد لو و تقديره لو وقع أنهم جاءوك وقت ظلمهم أنفسهم أى لو وقع مجيئهم.

المعنى

ثم لامهم سبحانه على ردهم أمره و ذكر أن غرضه من البعثه الطاعه فقال «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ» أى لم نرسل رسولا من رسلنا «إِلَّا لِيُطَاعَ» عنى به أن الغرض من الإرسال أن يطاع الرسول و يمتثل بما يأمر به و إنما اقتضى ذكر طاعه الرسول هنا أن هؤلاء المنافقين الذين يتحاكمون إلى الطاغوت زعموا أنهم يؤمنون به و أعرضوا عن طاعته فبين الله أنه لم يرسل رسولا إلا ليطاع و قوله «بِإِذْنِ اللَّهِ» أى بأمر الله الذى دل به على وجوب

طاعتهم و الأذن على وجوه (أحدها) يكون بمعنى اللطف كقوله «وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ»- (و ثانيها)- بمعنى التخليه كقوله تعالى «وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ»- (و ثالثها)- بمعنى الأمر كما فى الآيه «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» أى بخسوها حقها بإدخال الضرر عليها بفعل المعصيه من استحقاق العقاب و تفويت الثواب بفعل الطاعه و قيل ظلموا أنفسهم بالكفر و النفاق «جَاؤُكَ» تائبين مقبلين عليك مؤمنين بك «فَأَسْتَتَفَرُوا اللَّهَ» لذنوبهم و نزعوا عما هم عليه «وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمْ الرَّسُولُ» رجع من لفظ الخطاب فى قوله «جَاؤُكَ» إلى لفظ الغيبه جريا على عاده العرب المألوفه و استغفرت لهم يا محمد ذنوبهم أى سألت الله أن يغفر لهم ذنوبهم «لَوْحِدُوا اللَّهَ» هذا يحتمل معنيين- (أحدهما)- لوجدوا مغفره الله لذنوبهم و رحمته إياهم- (و الثانى)- لعلموا الله توابا رحيمًا و الوجدان يكون بمعنى العلم و بمعنى الإدراك فلا يجوز أن يكون على ظاهره هنا بمعنى الإدراك لأنه سبحانه غير مدرك فى نفسه «تَوَابًا» أى قابلا لتوبتهم «رَحِيمًا» بهم فى التجاوز عما قد سلف منهم و فى قوله «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ» أوكد دلالة على بطلان مذهب المجبره و القائلين بأن الله يريد أن يعصى أنبياءه قوم و يطيعهم آخرون و ذكر الحسن فى هذه الآيه إن اثنى عشر رجلا من المنافقين ائتمروا فيما بينهم و اجتمعوا على أمر مكيد لرسول الله فاتاه جبرائيل فأخبره بها

فقال (عليه السلام) إن قوما دخلوا يريدون أمرا لا ينالونه فليقوموا وليستغفروا الله وليعترفوا بذلك حتى أشفع لهم فلم يقوموا فقال رسول الله (ص) مرارا لا تقومون فلم يقيم أحد منهم فقال (ص) قم يا فلان قم يا فلان حتى عد اثنى عشر رجلا فقاموا و قالوا كنا عزمنا على ما قلت و نحن نتوب إلى الله من ظلمنا فاشفع لنا فقال الآن أخرجوا عنى أنا كنت فى أول أمركم أطيبت نفسا بالشفاعه و كان الله أسرع إلى الإجابة فخرجوا عنه حتى لم يرههم

و فى الآيه دلالة على أن مرتكب الكبيره يجب عليه الاستغفار فإن الله سيتوب عليه بأن يقبل توبته و يدل أيضا على أن مجرد الاستغفار لا يكفى مع كونه مصرا على المعصيه لأنه لم يكن ليستغفر لهم الرسول ما لم يتوبوا بل ينبغى أن يتوب و يندم على ما فعله و يعزم فى القلب على أن لا يعود أبدا إلى مثله ثم يستغفر الله باللسان ليتوب الله عليه.

[سوره النساء (٤): آيه ٦٥]

إشارة

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)

ص: ١٠٦

شجر الأمر شجرا و شجورا إذ اختلط و شاجره في الأمر إذا نازعه و تشاجروا فيه و كل ذلك لتداخل كلام بعضهم في بعض كتداخل الشجر بالتفافه و أصل الحرج الضيق و

في الحديث حدثوا عن بنى إسرائيل و لا حرج

أى لا ضيق و قيل لا إثم.

الإعراب

لا- دخلت في أول الكلام لأنها رد لكلام فكأنه قيل فليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا و هم يخالفون حكمك ثم استأنف القسم فقال «و رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ» و قيل إن لا هاهنا توطئه للنفي الذى يأتى فيما بعد لأن ذكر النفي في أول الكلام و آخره أوكد فإن النفي يقتضى أن يكون له صدر الكلام و قد اقتضى القسم أن يكون النفي فى الجواب و تسليما مصدر مؤكد و المصادر المؤكده بمنزله ذكر ك للفعل ثانيا و من حق التوكيد أن يكون محققا لما تذكره فى صدر كلامك فإذا قلت ضربت ضربا فمعناه أحدثت ضربا أحقه حقا.

النزول

قيل

نزلت فى الزبير و رجل من الأنصار خاصمه إلى النبى (ص) فى شراج من الحره كانا يسقيان بها النخل كلاهما فقال النبى للزبير اسق ثم أرسل إلى جارك فغضب الأنصارى و قال يا رسول الله لئن كان ابن عمك فتلون وجه رسول الله (ص) ثم قال للزبير اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر و استوف حقك ثم أرسل إلى جارك

و كان رسول الله (ص) أشار إلى الزبير برأى فيه السعه له و لخصمه فلما أحفظ رسول الله استوعب للزبير حقه فى صريح الحكم و يقال إن الرجل كان حاطب بن أبى بلتعه قال الراوى ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان القضاء يا أبا بلتعه قال قضى لابن عمته و لوى شذقه ففطن لذلك يهودى كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يزعمون أنه رسول الله ثم يتهمونه فى قضاء يقضى بينهم و أيم الله لقد أذنبنا مره واحده فى حياه موسى فدعانا موسى إلى التوبه فقال اقتلوا أنفسكم ففعلنا فبلغ قتلتنا سبعين ألفا فى طاعه ربنا حتى رضى عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس أما و الله إن الله ليعلم منى الصدق و لو أمرنى محمد أن أقتل نفسى لفعلت فأنزل الله فى شأن حاطب بن أبى بلتعه و ليه شذقه هذه الآية و قال الشعبى نزلت فى قصه بشر المنافق و اليهودى اللذين اختصما إلى عمر و قد مضى ذكرهما.

المعنى

ثم بين الله إن الإيمان إنما هو بالتزام حكم رسول الله و الرضاء به فقال «فَلا» أى ليس كما تزعمون أنهم يؤمنون مع محاكمتهم

إلى الطاغوت «وَرَبِّكَ لَا

ص: ١٠٧

يُؤْمِنُونَ» أقسم الله إن هؤلاء المنافقين لا يكونون مؤمنين و لا يدخلون في الإيمان «حَتَّى يُحَكِّمُوكُمْ» أى حتى يجعلوك حكاماً أو حاكماً «فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ» أى فيما وقع بينهم من الخصومه و التبس عليهم من أحكام الشريعة «ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ» أى فى قلوبهم «حَرْجًا» أى شكا فى أن ما قتله حق عن مجاهد و قيل إنما أى لا يأثمون بإنكار ذلك عن الضحاك و قيل ضيقاً بشك أو إثم عن أبى على الجبائى و هو الوجه «مِمَّا قَضَيْتَ» أى حكمت «وَيُسَيِّئُوا تَسْلِيمًا» أى ينقادوا لحكمك إذعانا لك و خضوعاً لأمرك و

روى عن الصادق (عليه السلام) أنه قال لو أن قوما عبدوا الله و أقاموا الصلاة و آتوا الزكاه و صاموا شهر رمضان و حجوا البيت ثم قالوا لشيء صنع رسول الله إلا صنع خلاف ما صنع أو وجدوا من ذلك حرجاً فى أنفسهم لكانوا مشركين ثم تلا هذه الآية.

[سوره النساء (٤): الآيات ٦٦ الى ٦٨]

إشارة

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا (٦٦) وَإِذَا لَا تَأْتِيهِمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) وَ لَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٦٨)

القراءة

قرأ ابن كثير و نافع و ابن عامر و الكسائى أن اقتلوا بضم النون أو أخرجوا بضم الواو و قرأ عاصم و حمزه بكسرهما و قرأ أبو عمرو بكسر النون و ضم الواو و قرأ ابن عامر وحده إلا قليلاً بالنصب و هو كذلك فى مصاحف أهل الشام و قرأ الباقون بالرفع.

الحج

قال أبو على أما فصل أبى عمرو بين الواو و النون فلأن الضم بالواو أحسن لأنها تشبه واو الضمير و الجمهور فى واو الضمير على الضم نحو لا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ و قال و إنما ضمت النون لأنها مكان الهمزة التى ضمت لضم الحرف الثالث فجعلت بمنزلتها و إن كانت منفصلة و فى الواو هذا المعنى و المعنى الذى أشرنا إليه من مشابهته واو الضمير و الضمه فى سائر هذه أحسن لأنها فى موضع الهمزة قال أبو الحسن و هى لغه حسنه و هى أكثر فى الكلام و أقيس و وجه قول من كسر أن هذه الحروف منفصلة من الفعل المضموم الثالث

و الهمزة متصله بها فلم يجرؤا المنفصل مجرى المتصل قال و الوجه فى قوله «إِلَّا» قليل الرفع على البدل فكأنه قال ما فعله إلا قليل فإن معنى ما أتانى أحد إلا زيد و ما أتانى إلا زيد واحد و من نصبه فإنه جعل النفى بمنزله الإيجاب فإن قولك ما أتانى أحد كلام تام كما أن جاءنى القوم كذلك فنصب مع النفى كما نصب مع الإيجاب.

الإعراب

لو يمتنع بها الشىء لامتناع غيره تقول لو أتانى زيد لأكرمته فالمعنى إن إكرامى امتنع لامتناع إتيان زيد فحقها أن يليها الفعل فالتقدير هنا لو وقع كتبنا عليهم و يجوز أن يكون أن الشديده كما نابت عن الاسم و الخبر فى قولك حسبت أن زيدا عالم نابت هنا عن الفعل و الاسم فيكون المعنى فى قوله «وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ» كالمعنى فى لو كتبنا عليهم.

و إذن دخلت هنا لتدل على معنى الجزاء و معنى إذن جواب و جزاء و هى تقع متقدمه و متوسطه و متأخره و إنما تعمل متقدمه خاصه إلا أن يكون الفعل بعدها للحال نحو إذن أظنك خارجا و اللام فى قوله «لَأَتَيْنَاهُمْ» و «لَهَدَيْنَاهُمْ» اللام التى تقع فى جواب لو كما تقع فى جواب القسم فى قول امرؤ القيس:

حلفت لها بالله حلفه فاجر

لناموا فما إن من حديث و لا صال

و الفرق بين لام الجواب و لام الابتداء إن لام الابتداء لا تدخل إلا على الاسم المبتدأ إلا فى باب إن خاصه فإنها تدخل على يفعل لمضارعه الاسم و تقول علمت إن زيدا ليقوم و علمت أن زيدا ليقوم فتكسر إن الأولى لأن علمت صارت متعلقه باللام فى ليقوم فإنها لام الابتداء أخرجت إلى الخبر لئلا يجتمع حرفان متفقان فى المعنى و تفتح أن الثانية لأنها لام الجواب فأعرفه فإنه من دقائق النحو و أسراره صراطا مفعول ثان لهديناهم.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن سرائر القوم فقال «وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا» أى أوجبنا «عَلَيْهِمْ» أى على هؤلاء الذين تقدم ذكرهم «أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ احْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ» كما أوجبنا على قوم موسى و ألزماهم ذلك فقتلوا أنفسهم و خرجوا إلى التيه «ما فَعَلُوهُ» أى ما فعله هؤلاء للمشقه التى لا- يتحملها إلا- المخلصون «إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ» قيل إن القليل الذى استثنى الله هو ثابت بن قيس بن شماس و قيل هو جماعه من أصحاب رسول الله قالوا و الله لو أمرنا لفعلنا فالحمد لله الذى عافانا و منهم عبد الله بن مسعود و عمار بن ياسر

فقال

النبي إن من أمتي لرجالاً الإيمان في قلوبهم أثبت من الجبال الرواسي

«وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ» أى ما يؤمرون به «لَكَانَ» ذلك «خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا» أى بصيره فى أمر الدين كنى عن البصيره بهذا اللفظ لأن من كان على بصيره من أمر دينه كان ذلك أسمى له إلى الثبات عليه و كان هو أقوى فى اعتقاد الحق و أدوم عليه ممن لم يكن على بصيره منه و قيل معناه أن قبولهم وعظ الله و وعظ رسوله فى أمور الدين و الدنيا أشد تثبیتاً لهم على الحق و الصواب و أمتع لهم من الضلال و أبعد من الشبهات كما قال «وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى» و قيل إن معناه و أكثر انتفاعاً بالحق لأن الانتفاع بالحق يدوم و لا يبطل لأنه يتصل بثواب الآخرة و الانتفاع بالباطل يبطل و يضمحل و يتصل بعقاب الآخرة قال البلخي معنى الآية لو فرض عليهم القتل أو الخروج من الديار لم يفعلوا فإذا لم يفرض عليهم ذلك فليفعلوا ما أمروا به مما هو أسهل عليهم منه فإن ذلك خير لهم و أشد تثبیتاً لهم على الإيمان و فى الدعاء

اللهم ثبتنا على دينك

و معناه الطف لنا ما ثبت معه عليه «وَ إِذَا لَأْتَيْنَاهُمْ» هذا متصل بما قبله أى و لو أنهم فعلوا ذلك لآتيناهم أى لأعطيناهم «مِنْ لَدُنَّا» أى من عندنا «أَجْرًا عَظِيمًا» لا يبلغ أحد كنهه و لا يعرف منتهاه و لا يدرك قصواه و إنما ذكر من لدنا تأكيداً بأنه لا يقدر عليه غيره و ليدل على الاختصاص فإن الأجر يجوز أن يصل إلى المثاب على يد بعض العباد فإذا وصل الثواب إليه بنفسه كان أشرف للعبد و أبلغ فى النعمه «وَلَهَيْدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا» أى و لثبتناهم مع ذلك على الطريق المستقيم و قيل معناه بما نفعه من الألطاف التى يثبتون معها على الطاعة و يلزمون الاستقامه و تقديره و وفقناهم للثبات على الصراط المستقيم و قيل معناه و لهديناهم فى الآخرة إلى طريق الجنة عن أبى على الجبائى قال و لا يجوز أن تكون الهدايه هنا الإرشاد إلى الدين لأنه سبحانه وعد بها المؤمن المطيع و لا يكون كذلك إلا و قد اهتدى.

[سوره النساء (٤): الآيات ٦٩ الى ٧٠]

إشاره

وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصُّدِّيقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَ كَفَى بِاللَّهِ عَليماً (٧٠)

ص: ١١٠

الصديق المداوم على التصديق بما يوجهه الحق وقيل الصديق الذي عادته الصدق وهذا البناء يكون لمن غلب على عادته فعل يقال لملازم السكر سكير و لملازم الشرب شريب و الشهداء جمع شهيد و هو المقتول فى سبيل الله و ليست الشهادة فى القتل الذى هو معصيه لكنها حال المقتول فى إخلاص القيام بالحق لله مقرا و داعيا إليه و هى من أسماء المدح و يجوز للمرء أن يتمناها و لا يجوز أن يتمنى قتل الكافر إياه لأنه معصيه و قيل الشهادة هى الصبر على ما أمر الله به من قتال عدوه فأما الصبر على الألم بترك الأنين فليس بواجب و ليس الأنين بممنوع عنه بل هو مباح إذا لم يقل ما يكرهه الله تعالى و الصالح من استقامت نفسه بحسن عمله و الرفيق الصاحب و هو مشتق من الرفق فى العمل و هو الارتفاق فيه و منه المرافقه و المرفق و المرفق من اليد بكسر الميم لأنه يرتفق به و قوله وَ يُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا أى رفقا يصلح به أمركم و الفضل فى أصل اللغة هو الزيادة على المقدار و قد استعمل فى النفع أيضا و أفعال الله تعالى كلها فضل و تفضل و إفضال لأنه لا يقتصر بالعبد على مقدار ما يستحق بمثل عمله فيما بين الناس بل هو يزيد عليه زيادات كثيرة و لا يجرى ذلك على طريق المساواة.

الإعراب

رفيضا نصب على التمييز و لذلك لم يجمع فكأنه قال حسن أولئك رفيقا و قيل أنه لم يجمع لأن المعنى حسن كل أحد منهم رفيقا كقوله سبحانه ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا* و قال الشاعر:

نصبين الهوى ثم ارتمين قلوبنا

بأعين أعداء و هن صديق

و قيل أنه نصب على الحال فإنه قد يدخل من فى مثله فإذا أسقطت من فالحال هو الاختيار لأنه من الصفات الداخلة فى أسماء الأجناس و يكون للتوحيد لما دخله من بمعنى حسن كل واحد منهم مرافقا و نظيره لله دره فارسا أى فى حال الفروسيه.

النزول

قيل

نزلت فى ثوبان مولى رسول الله ص و كان شديد الحب لرسول الله ص قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم و قد تغير لونه و نحل جسمه فقال ص يا ثوبان ما غير لونك فقال يا رسول الله ما بى من مرض و لا وجع غير أنى إذا لم أرك اشتقت إليك حتى ألقاك ثم ذكرت الآخر فأخاف أنى لا أراك هناك لأنى عرفت أنك ترفع مع النبيين و إنى إن أدخلت الجنة كنت

فى منزله أدنى من منزلتك و إن لم أدخل الجنة فذاك حتى لا أراك أبدا فنزلت الآية ثم قال ص و الذى نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه و أبويه و أهله و ولده و الناس أجمعين

و قيل إن أصحاب رسول الله ص قالوا ما ينبغى لنا أن نفارقك فإننا لا- نراك إلا- فى الدنيا و أما فى الآخرة فإنك ترفع فوقنا بفضلك فلا نراك فنزلت الآية عن قتاده و مسروق بن الأجدع.

المعنى

ثم بين سبحانه حال المطيعين فقال «وَ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ» بالانقياد لأمره و نهيه «وَ الرَّسُولَ» باتباع شريعته و الرضا بحكمه «فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» فى الجنة ثم بين المنعم عليهم فقال «مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصَّادِقِينَ» يريد أنه يستمتع برؤيه النبيين و الصديقين و زيارتهم و الحضور معهم فلا- ينبغى أن يتوهم من أجل أنهم فى أعلى عليين أنه لا يراهم و قيل فى معنى الصديق أنه المصدق بكل ما أمر الله به و بأخباره لا يدخله فى ذلك شك و يؤيده قوله «وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» (وَ الشُّهَدَاءِ) يعنى المقتولين فى الجهاد و إنما سمي الشهيد شهيدا لقيامه بشهادته الحق على جهة الإخلاص و إقراره به و دعائه إليه حتى قتل و قيل إنما سمي شهيدا لأنه من شهداء الآخرة على الناس و إنما يستشهدهم الله بفضلهم و شرفهم فهم عدول الآخرة عن الجبائى و قال الشيخ أبو جعفر (رض) هذا لا يصح على مذهبه فعنده لا يجوز أن يدخل الجنة إلا من هو عدل و الله سبحانه و قدس و عد من يطيعه بأنه يحشره مع هؤلاء و ينبغى أن يكون الموعود له غير الموعود بالكون معه إلا فيصير التقدير أنهم مع نفوسهم «وَ الصَّالِحِينَ» معناه صلحاء المؤمنين الذين لم تبلغ درجاتهم درجة النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالح الفاعل للصلاح الملازم له المتمسك به و يقال هو الذى صلحت حاله و استقامت طريقته و المصلح الفاعل لما فيه إصلاح و لذلك يجوز المصلح فى صفات الله تعالى و لا يجوز الصالح و إنما يقال رجل صالح أو مصلح لأنه يصلح نفسه و عمله «وَ حَسَنَ أَوْلِيكَ رَفِيقًا» معناه من يكون هؤلاء رفقاء له فأحسن بهم من رفيق أو فما أحسنهم من رفيق و قد مر معناه و إعرابه و

روى أبو بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال يا أبا محمد لقد ذكركم الله فى كتابه ثم تلا هذه الآية و قال فالنبي رسول الله ص و نحن الصديقون و الشهداء و أنتم الصالحون فتسموا بالصلاح كما سماكم الله تعالى

«ذَلِكَ» إشاره إلى أن الكون مع النبيين و الصديقين «الْفُضْلُ مِنَ اللَّهِ» تفضل به على من أطاعه «وَ كَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا» بالعصاه و المطيعين و المنافقين و المخلصين و من يصلح لمرافقه

هؤلاء و من لا يصلح لأنه يعلم خائنه الأعين و قيل معناه حسبك به علما بكيفية جزاء المطيعين على حقه و توفير الحظ فيه.

[سوره النساء (٤): آيه ٧١]

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا (٧١)

اللغة

الحذر و الحذر لغتان مثل الأذن و الأذن و المثل و المثل و النفر الخروج إلى الغزو و أصله الفرع نفر ينفر نفورا فرع و نفر إليه فرع من أمر إليه و نفر جماعه تفرع إلى مثلها و المنافره المحاكمه للفرع إليها فيما تختلف فيه و قيل إنما سميت بذلك لأنهم يسألون الحاكم عند التنافر أينا أعز نفرا و الثبات جماعات فى تفرقه واحدها ثبه قال أبو ذؤيب:

فلما اجتلاها بالأيام تحيرت

ثبات عليها ذلها و اكتئابها

و الأيام الدخان يصف العاسل و تدخينه على النحل و قد يجتمع الثبه ثبون و إنما جمع على الواو و إن كان هذا الجمع مختصا بما يعقل للتعويض عن النقص الذى لحقه لأن أصله ثبوه و مثله عضون و سنون و عزون فإن صغرت قلت ثبيات و سنيات لأن النقص قد زال.

الإعراب

ثبات منصوبه على الحال من انفروا و ذو الحال الواو و جميعا أيضا منصوب على الحال.

المعنى

ثم أمر الله سبحانه المؤمنين بمجاهده الكافر و التأهب لقتالهم فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ» قيل فيه قولان (أحدهما) أن معناه احذروا عدوكم بأخذ السلاح كما يقال للإنسان خذ حذرَكَ أى احذر (و الثانى)

أن معناه خذوا أسلحتكم سمي الأسلحه حذرا لأنها الآله التى بها يتقى الحذر و هو المروى عن أبى جعفر

و غيره و أقول إن هذا القول أصح لأنه أوفق بمقاييس كلام العرب و يكون من باب حذف المضاف و تقديره خذوا آلات حذرکم و أهب حذرکم فحذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه فصار خذوا حذرکم «فَانْفِرُوا» إلى قتال عدوكم أى أخرجوا إلى الجهاد «ثُبَاتٍ» أى جماعات فى تفرقه و معناه أخرجوا فرقه بعد فرقه فرقه فى جهه و فرقه أخرى فى جهه أخرى «أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا» أى مجتمعين فى جهه واحده إذا أوجب الرأى ذلك و

روى عن أبي جعفر (عليه السلام) أن المراد

ص: ١١٣

بالثبات السرايا و بالجميع العسكر.

[سوره النساء (٤): الآيات ٧٢ الى ٧٣]

اشاره

وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيَبْطِئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا (٧٢) وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧٣)

القراءة

قرأ أهل الكوفه غير حفص و نافع و أبو عمرو و ابن عامر غير هشام كأن لم يكن بالياء و الباقون «كأن لم تكن» بالتاء و روى فى الشواذ بالياء عن الحسن ليقولن بضم اللام و روى عن يزيد النحوى و الحسن فأفوز بالرفع.

الحججه

من قرأ بالياء فلائن التأنيث غير حقيقى و حسن التذكير للفصل الواقع بين الفاعل و الفعل و مثل التذكير و أخذ الذين ظلموا الصيحه فمن جاءه مؤعظه من ربه و فى موضع آخر قد جاء ثكم مؤعظه من ربكم فكلا الأمرين قد جاء التنزيل به و من قرأ ليقولن بالضم فإنه أعاد الضمير إلى معنى من مثل قوله و منهم من يستمعون إليك فإن قوله «لمن ليبطئن» لا يعنى به رجل واحد و إنما معناه أن هناك جماعه هذه صفتهم و أما من قرأ فأفوز فإنه على أن يتمنى الفوز فكأنه قال يا ليتنى أفوز و لو جعله جوابا لنصبه أى إن أكن معهم أفر.

اللغه

التبطئه التأخر عن الأمر يقال ما بطأ بك عنا أى ما أحرك عنا و مثله الإبطاء و هو إطاله مده العمل لقله الانبعاث و ضده الإسراع و هو قصر مده العمل للتدبير فيه و يقال بطأ فى مشيه يبطأ بطأ إذا ثقل.

الإعراب

اللام الأولى التى فى قوله «لمن» لام إن التى هى لام الابتداء بدلاله دخولها على الاسم و الثانيه التى فى «ليبطئن» لام القسم بدلاله دخولها على الفعل مع نون التأكيد و من موصوله بالجالب للقسم و تقديره و إن منكم لمن حلف بالله ليبطئن و إنما جاز صله من بالقسم و لم يجز بالأمر و النهى لأن القسم خبر يوضح الموصول كما يوضح الموصوف فى قولك مررت برجل لتكرمه لأنك خصصته بوقوع الإكرام به فى المستقبل من كل رجل غيره

ص: ١١٤

و ليس كذلك فى قولك مررت برجل أضر به لأنه لا يتخصص بالضرب فى الأمر كما يتخصص بالخبر "كان" خفت النون لأنك أردت كأنه حذف الهاء و صارت "لم" عوضا مما حذف منه قوله «كَأَنَّ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُ مَوَدَّةٌ» جملة اعترضت بين المفعول و فعله فإن قوله «يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ» فى موضع نصب بكونه مفعول يقولن كما أن قوله «قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا» فى موضع نصب بكونه مفعول قال و قوله «فَأَفُوزَ» منصوب على جواب التمنى بالفاء و انتصابه بإضمار أن فىكون عطف اسم على اسم و تقديره يا ليتنى كان لى حضور معهم ففوز و لو كان العطف على ظاهره لكان يا ليتنى معهم ففزت.

النزول

قيل أنها نزلت فى المؤمنين لأنه خاطبهم بقوله «وَ إِنَّ مِنْكُمْ» و قد فرق بين المؤمنين و المنافقين بقوله ما هم منكم و لا منهم و قال أكثر المفسرين نزلت فى المنافقين و إنما جمع بينهم فى الخطاب من جهة الجنس و النسب لا من جهة الإيمان و هو اختيار الجبائى.

المعنى

لما حث الله على الجهاد بين حال المتخلفين عنه فقال «وَ إِنَّ مِنْكُمْ» خاطب المؤمنين ثم أضاف المنافقين إليهم فقال «لَمَنْ لِيَبْطِئَنَّ» أى هم منكم فى الحال الظاهرة أو فى حكم الشريعة من حقن الدم و المناكحة و الموارثة و قيل منكم أى من عدادكم و دخلائكم و يبطئ و يبطئ بالتشديد و التخفيف معناهما واحد أى من يتأخر عن الخروج مع النبى ص «فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ» فيه من قتل أو هزيمه قال قول الشامت المسرور بتخلفه «قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا» أى شاهدا حاضرا فى القتال فكان يصيبنى ما أصابهم و

قال الصادق لو إن أهل السماء و الأرض قالوا قد أنعم الله علينا إذ لم نكن مع رسول الله لكانوا بذلك مشركين

«وَ لَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ» أى فتح أو غنيمه «لَيَقُولَنَّ» يتحسر و يقول يا ليتنى كنت معهم و قوله «كَأَنَّ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُ مَوَدَّةٌ» اعتراض يتصل بما تقدمه قال و تقديره قال قد أنعم الله على إذ لم أكن معهم شهيدا كأن لم تكن بينكم و بينه موده أى لا يعاضدكم على قتال عدوكم و لا- يراعى الذمام الذى بينكم عن أبى على الفارسى و قيل أنه اعتراض بين القول و التمنى و تقديره ليقولن «يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ» من الغنيمه «فَوْزًا عَظِيمًا» كأنه ليس بينكم و بينه موده أى يتمنى الحضور لا لنصرتكم و إنما يتمنى النفع لنفسه

وقيل إن الكلام فى موضعه من غير تقديم و تأخير و معناه و لئن أصابكم فضل من الله ليقولن هذا المبطئ قول من لا تكون بينه و بين المسلمين موده أى كأنه لم يعاقدكم على الإيمان و لم يظهر لكم موده على حال يا ليتنى كنت معهم أى يتمنى الغنيمه دون شهود الحرب و ليس هذا من قول المخلصين فقد عدوا التخلف فى إحدى الحالتين نقمه من الله و تمنوا الخروج معهم فى إحدى الحالتين لأجل الغنيمه و ليس ذلك من أمارات الموده و على هذا فيكون قوله «كَأَنَّ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُ مَوَدَّةٌ» فى موضع النصب على الحال و قال أبو على الجبائى أنه حكايه عن المنافقين قالوا للذين أقعدوهم عن الجهاد «كَأَنَّ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُ مَوَدَّةٌ» أى بين محمد موده فتخرجوا معه لتأخذوا معه من الغنيمه و إنما قالوا ذلك ليغضوا إليهم رسول الله «يا ليتنى كنت معهم» و هذا التمنى من قول المبطين القاعدى تمنوا أن يكونوا معهم فى تلك الغزوه «فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا» أى أصيب غنيمه عظيمة و أخذ حظا وافرا منها.

[سوره النساء (٤): آيه ٧٤]

إشارة

فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤)

اللغة

يقال شريت بمعنى بعت و اشتريت بمعنى ابتعت و يشرون يبيعون و قال يزيد ابن مفرغ:

و شريت بردا ليتنى

من بعد برد كنت هامه

و برد اسم غلامه.

الإعراب

«فَيُقَاتِلْ أَوْ يَغْلِبْ» عطف على «يُقَاتِلْ» و جواب الشرط «فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ».

المعنى

لما أخبر الله سبحانه فى الآيه الأولى إن قوما يتأخرون عن القتال أو يبطئون المؤمنين عنه حث فى هذه الآيه على القتال فقال «فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» هذا أمر من الله و ظاهر أمره يقتضى الوجوب أى فليجاهد فى سبيل الله أى فى طريق دين الله «الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ» أى الذين يبيعون الحياه الفانيه بالحياه الباقيه و يجوز يبيعون الحياه

الدنيا بنعيم الآخرة أى يبذلون أنفسهم و أموالهم فى سبيل الله بتوطين أنفسهم على الجهاد فى طاعة الله و بيعهم إياها بالآخرة هو استبدالهم إياها بالآخرة «وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أى يجاهد فى طريق دين الله و قيل فى طاعة ربه بأن يبذل ماله و نفسه ابتغاء مرضاته «فَيُقْتَلْ» أى يستشهد «أَوْ يَغْلِبْ» أى يظفر بالعدو و فيه حث على الجهاد فكأنه قال هو فائز بإحدى الحسينين إن غلب أو غلب «فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا» أى نعطيه أعلى أثمان العمل و قيل ثوابا دائما لا تنغىص فيه.

[سوره النساء (٤): آيه ٧٥]

إشارة

وَ مَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَ النِّسَاءِ وَ الْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَ اجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَ اجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا (٧٥)

اللغة

الولدان جمع ولد و ولد و ولدان مثل خرب و خربان و برق و برقان و وول و وولان و الأغلب على بابه فعال نحو جبال و جمال و قد ذكرنا القرية فى سورة البقره.

الإعراب

ما للاستفهام فى موضع رفع بالابتداء و لا- تقاتلون فى موضع نصب على الحال و تقديره أى شىء لكم تاركين للقتال و المستضعفين جر بالعطف على ما عملت فيه (فى) أى و فى المستضعفين و قال المبرد هو عطف على اسم الله و إنما جاز أن يجرى الظالم صفة على القرية و هو فى المعنى للأهل لأنها قويه على العمل لقربها من الفعل و تمكنها فى الوصفية بأنها تؤنث و تذكر و تشئ و تجمع بخلاف باب أفعل منك فلذلك جاز مررت برجل الظالم أبوه و لم يجر مررت برجل خير منه أبوه بل يقال مررت برجل منه خير منه أبوه لتكون الجملة فى موضع الجر.

المعنى

ثم حث سبحانه على تخليص المستضعفين فقال «وَ مَا لَكُمْ» أيها المؤمنون «لا- تُقَاتِلُونَ» أى أى عذر لكم فى ترك القتال مع اجتماع الأسباب الموجبه للقتال «فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أى فى طاعة الله و يقال فى دين الله و يقال فى نصره دين الله و يقال فى إعزاز دين الله و إعلاء كلمته «وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ» أى و فى المستضعفين أو فى سبيل

ص: ١١٧

المستضعفين أى نصره المستضعفين و قيل فى إعزاز المستضعفين و فى الذب عن المستضعفين «مِنَ الرِّجَالِ وَ النِّسَاءِ وَ الوِلْدَانِ» قيل يريد بذلك قوما من المسلمين بقوا بمكة و لم يستطيعوا الهجره منهم سلمه بن هشام و الوليد بن الوليد و عياش بن أبى ربيعه و أبو جندل ابن سهيل جماعه كانوا يدعون الله إن يخلصهم من أيدي المشركين و يخرجهم من مكة و هم «الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا» أى يقولون فى دعائهم ربنا سهل لنا الخروج من هذه القرية يعنى مكة عن ابن عباس و الحسن و السدى و غيرهم «الظَّالِمِ أَهْلُهَا» أى التى ظلم أهلها بافتتان المؤمنين عن دينهم و منعهم عن الهجره «وَ اجْعَلْ لَنَا بِالطَّاغُوتِ وَ تَأْيِيدِكَ «مِنْ لَدُنْكَ» أى من عندك «وَلِيًّا» يلى أمرنا بالكفايه حتى ينقذنا من أيدي الظلمه «وَ اجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا» ينصرنا على من ظلمنا فاستجاب الله تعالى دعاءهم فلما فتح رسول الله ص مكة جعل الله نبيه لهم وليا فاستعمل على مكة عتاب بن أسيد فجعله الله لهم نصيرا فكان ينصف الضعيف من الشديد فأغاثهم الله فكانوا أعز بها من الظلمه قبل ذلك و فى هذه الآيه دلالة على عظم موقع الدعاء من الله إبطال قول من يزعم أن العبد لا يستفيد بالدعاء شيئا لأن الله حكى عنهم أنهم دعوا و أجابهم الله و آتاهم سؤلهم و لو لا أنه استجاب دعاءهم لما كان لذكر دعائهم معنى.

[سوره النساء (٤): آيه ٧٦]

إشارة

الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦)

اللغة

الطاغوت قد مر ذكره و الكيد السعى فى فساد الحال على وجه الاحتيال تقول كاد يكيد كيدا فهو كائد إذا عمل فى إيقاع الضرر به على وجه الحيله فيه.

المعنى

ثم شجع المجاهدين و رغبهم فى الجهاد بقوله «الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أى فى طاعه الله و فى نصره دينه و إعلاء كلمته و ابتغاء مرضاته بلا عجب و لا صلف و لا طمع فى غنيمه «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ» و طاعته «فَقَاتِلُوا

أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ» يعنى جميع الكفار و هذا يقوى قول من قال إن الطاغوت الشيطان «إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا» دخلت كان هاهنا مؤكده لتدل على أن الضعف لكيد الشيطان لازم فى جميع الأحوال و الأوقات ما مضى منها و ما يستقبل و ليس هو عارضا فى حال دون حال و إنما وصف سبحانه كيد الشيطان بالضعف بالإضافة إلى نصره الله المؤمنين عن الجبائى و قيل لأنه أخبر بأنه سيظهر عليهم المؤمنين عن الحسن و قيل لضعف دواعى أولياء الشيطان إلى القتال إذ لا بصيره لهم و إنما يقاتلون بما تدعو إليه الشبهه و المؤمنون يقاتلون بما تدعو إليه الحجه.

[سوره النساء (٤): آيه ٧٧]

اشاره

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧٧)

القراءه

لا يظلمون بالياء مكى كوفى غير عاصم و الباقرن بالتاء.

الحجه

من قرأ بالياء فلما تقدم من ذكر الغيبه من قوله «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ» و من قرأ بالتاء فلأنه ضم إليهم فى الخطاب المسلمين فغلب الخطاب على الغيبه.

الإعراب

«إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ» إذا هذه ظرف مكان و هى بمنزله الفاء فى تعليقه الجملة بالشرط و تسمى ظرف المكان كما فى قول الشاعر:

و كنت أرى زيدا كما قيل سيدا

إذا إنه عبد القفا و اللهازم

فهى فى محل النصب بيخشون و الكاف فى خشيه الله فى محل النصب للمصدر و أشد معطوف عليه و خشيه منصوب على التمييز و هو مما انتصب بعد تمام الاسم للمصدر و لو لا

ص: ١١٩

النزول

قال الكلبي نزلت في عبد الرحمن بن عوف الزهري و المقداد بن الأسود الكندي و قدامه بن مظعون الجمحي و سعد بن أبي وقاص كانوا يلقون من المشركين أذى شديدا و هم بمكة قبل أن يهاجروا إلى المدينة فيشكون إلى رسول الله ص و يقولون يا رسول الله ائذن لنا في قتال هؤلاء فإنهم قد آذونا فلما أمروا بالقتال و بالمسير إلى بدر شق على بعضهم فنزلت هذه الآية.

المعنى

ثم عاد سبحانه إلى ذكر القتال و من كرهه فقال «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ» و هم بمكة «كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ» أى أمسكوا عن قتال الكفار فإنى لم أومر بقتالهم «وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ» أى فرض «عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ» و هم بالمدينة «إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ» أى جماعه منهم «يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ» أى يخافون القتل من الناس كما يخافون الموت من الله و قيل يخافون الناس أن يقتلوهم كما يخافون الله أن يتوفاهم و قيل يخافون عقوبه الناس بالقتل كما يخافون عقوبه الله «أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً» قيل إن أو هنا بمعنى الواو أى أشد خشيه و قيل إن أو هنا لإيهام الأمر على المخاطب و قد ذكرنا الوجوه فى مثل هذا عند ذكر قوله سبحانه أو أشد قسوة فى سورة البقره «وَ قَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ» قال الحسن لم يقولوا ذلك كراهيه لأمر الله و لكن لدخول الخوف عليهم بذلك على ما يكون من طبع البشر و يحتمل أن يكونوا قالوا ذلك استفهاما لا إنكارا و قال إنما قالوا ذلك لأنهم ركنوا إلى الدنيا و آثروا نعيمها و على الأقوال كلها فلو لم يقولوا ذلك لكان خيرا لهم «لَوْ لَا أَخَّرْتَنَا» أى هلا أخرتنا «إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ» و هو إلى أن نموت و على ألا نموت بآجالنا ثم أعلم الله تعالى أن الدنيا بما فيها من وجوه المنافع قليل فقال «قُلْ» يا محمد لهؤلاء «مَتَاعُ الدُّنْيَا» أى ما يستمتع به من منافع الدنيا «قَلِيلٌ» لا يبقى «وَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَ لَا تُظَلِّمُونَ فَتِيلًا» أى و لا تبخسون هذا القدر فكيف ما زاد عليه و الفتيل ما تفتله بيدك من الوسخ ثم تلقىه عن ابن عباس و قيل و ما فى شق النواه لأنه كالخيط المفتول.

إشارة

أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَّقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَّقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لَهُؤَلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٧٨)

القراءة

روى فى الشواذ أن طلحه بن سليمان قرأ يدر ككم الموت برفع الكاف.

الحجج

هذه القراءة ضعيفه على أن لها وجها و هو أن يكون على حذف الفاء فكأنه قال فيدر ككم الموت و مثله بيت الكتاب:

من يفعل الحسنات الله يشكرها

و الشر بالشر عند الله مثلان

أى فالله يشكرها.

اللغة

البروج جمع برج و أصله من الظهور يقال تبرجت المرأة إذا أظهرت محاسنها و البرج اتساع فى العين لظهور العين بالاتساع و المشيده المزينه بالشيده و هو الجص و الشيد رفع البناء يقال شاد بناءه يشيده إذا رفعه و إنما قيل للجص شيد لأنه مما يرتفع به البناء و يجوز أشاد الرجل بناءه إذا رفعه فأما فى الذكر فإنه أشاد بذكره لا غير و الفقه الفهم يقال فقه الرجل يفقه فقها و الاسم الفقيه و صار بعرف الاستعمال علما على علم الفقهاء من علوم الدين و فقه الرجل يفقه فقاهه إذا صار فقيها و التفقه تعلم الفقه.

الإعراب

أين من الظروف التى يجازى بها بتضمنها معنى إن و لا يلزمه ما تقول أين تكن أكن و أينما تكن أكن و هى تستغرق الأمكنه كما أن متى تستغرق الأزمنه و كتبت أينما هنا موصوله و فى قوله أين ما كنتم تدعون مفصولة لأن ما هاهنا مزيده و هنالك بمعنى الذى فوصلت هذه كما توصل الحروف و فصلت تيك كما تفصل الأسماء و «فما لهؤلاء» كثرت فى الكلام حتى توهموا أن اللام متصله بها و إنها حرف واحد ففصلوا اللام مما بعده فى بعض المواضع و وصلوها فى بعضها و لا يجوز الوقف على اللام لأنها اللام الجاره.

المعنى

ثم خاطبهم تعالى فقال «أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ» أينما كنتم من المواضع والأماكن ينزل بكم الموت و يلحقكم «وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ» قيل يعنى بالبروج القصور عن مجاهد و قتاده و ابن جريج و قيل قصور فى السماء بأعيانها عن السدى و الربيع و قيل المراد به بروج السماء و قيل البيوت التى فوق الحصون عن الجبائى و قيل الحصون و القلاع عن ابن عباس فهذه خمسة أقوال و المشيده المجصصه عن عكرمه و قيل المزينه عن

أبى عبده و قيل المطوله فى ارتفاع عن الزجاج وغيره «وَإِنْ تُصَبِّهُمُ حَسَنَةً يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» اختلف فى من حكى عنهم هذه مقاله فقيل هم اليهود قالوا ما زلنا نعرف النقص فى أثمارنا و مزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل عن الزجاج و الفراء فعلى هذا يكون معناه و إن أصابهم خصب و مطر قالوا هذا من عند الله و إن أصابهم قحط و جذب قالوا هذا من شؤم محمد كما حكى عن قوم موسى وَ إِنْ تُصَبِّهُمُ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَ مَنْ مَعَهُ ذَكَرَهُ الْبَلْخَى وَ الْجَبَائِى وَ هُوَ الْمَرُوى عَنِ الْحَسَنِ وَ ابْنِ زَيْدٍ وَ قِيلَ هُمُ الْمُنَافِقُونَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَ أَصْحَابُهُ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنِ الْقِتَالِ يَوْمَ أُحُدٍ وَ قَالُوا لِلَّذِينَ قَتَلُوا فِي الْجِهَادِ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا تَأْتُوا وَ مَا قُتِلُوا فَعَلَى هَذَا يَكُونُ مَعْنَاهُ إِنْ يَصِيبُهُمْ ظَفَرٌ وَ غَنِيمَةٌ قَالُوا هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ إِنْ يَصِيبُهُمْ مَكْرَهُهُ وَ هَزِيمَةٌ قَالُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ يَا مُحَمَّدُ بِسُوءِ تَدْبِيرِكَ وَ هُوَ الْمَرُوى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ قَتَادَةَ وَ قِيلَ هُوَ عَامٌ فِي الْيَهُودِ وَ الْمُنَافِقِينَ وَ هُوَ الْأَصْحَحُ وَ قِيلَ هُوَ حِكَايَةُ عَمَّنْ سَبَقَ ذَكَرَهُ قَبْلَ الْآيَةِ وَ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ وَ تَقْدِيرُهُ وَ إِنْ تَصَبَّ هُوَ لَاءُ حَسَنَةٍ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ «وَ إِنْ تُصَبِّهُمُ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ» قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَ قَتَادَةُ الْحَسَنَةُ وَ السَّيِّئَةُ السَّرَاءُ وَ الضَّرَاءُ وَ الْبُؤْسُ وَ الرِّخَاءُ وَ النِّعْمُ وَ الْمَصِيبَةُ وَ الْخَصْبُ وَ الْجَدْبُ وَ قَالَ الْحَسَنُ وَ ابْنُ زَيْدٍ هُوَ الْقَتْلُ وَ الْهَزِيمَةُ وَ الظَّفَرُ وَ الْغَنِيمَةُ «قُلْ» يَا مُحَمَّدُ «كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ» أَى جَمِيعٌ مَا مَضَى ذَكَرَهُ مِنَ الْمَوْتِ وَ الْحَيَاةِ وَ الْخَصْبِ وَ الْجَدْبِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ بِقَضَائِهِ وَ قَدْرِهِ وَ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى رَدِّهِ وَ دَفَعَهُ ابْتَلَى بِذَلِكَ عِبَادَهُ لِيَعْرِضَهُمْ لِثَوَابِهِ بِالشُّكْرِ عِنْدَ الْعَطِيَّةِ وَ الصَّبْرِ عَلَى الْبَلِيَّةِ «فَمَا لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ» أَى مَا شَأْنُ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ «لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا» أَى لَا يَقْرَبُونَ فَهْمَهُ مَعْنَى الْحَدِيثِ الَّذِى هُوَ الْقُرْآنُ لِأَنَّهُمْ يَبْعُدُونَ مِنْهُ بِأَعْرَاضِهِمْ عَنْهُ وَ كَفَرَهُمْ بِهِ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ لَا يَفْقَهُونَ حَدِيثًا أَى لَا يَعْلَمُونَ حَقِيقَتَهُ مَا يَخْبِرُهُمْ بِهِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مِنَ السَّرَاءِ وَ الضَّرَاءِ عَلَى مَا وَصَفْنَاهُ.

[سوره النساء (٤): آيه ٧٩]

اشاره

مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَ مَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَ أَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (٧٩)

الإعراب

رسولا منصوب بأرسلناك و إنما ذكره تأكيداً لأن أرسلناك دل على أنه رسول و شهيدا نصب على التمييز و معنى من فى قوله «مِنْ حَسَنَةٍ» و «مِنْ سَيِّئَةٍ» التبيين و لو قال إن أصابك من حسنة كانت من زائده لا معنى لها.

ص: ١٢٢

«ما أَصَابَكَ مِنْ حَسَبِهِ فَمَنْ اللَّهُ» قيل هذا خطاب للنبي والمراد به الأمة عن الزجاج وقيل خطاب للإنسان أى ما أصابك أيها الإنسان عن قتاده والجبائى قال و عنى بقوله «مِنْ حَسَبِهِ» من نعمه فى الدين و الدنيا فإنها من الله «وَ مَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئِهِ» أى من المعاصى «فَمَنْ نَفْسِكَ» وقيل عنى بالحسنه ما أصابهم يوم بدر من الغنيمه و بالسيئه ما أصابهم يوم أحد من الهزيمه عن ابن عباس قال أبو مسلم معناه لما جدوا فى القتال يوم بدر و أطاعوا الله آتاهم النصر و لما خالفوا يوم أحد خلى بينهم فهزموا و قيل الحسنه الطاعه و السيئه المعصيه عن أبى العاليه قال أبو القسم و هذا كقوله وَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا و قيل الحسنه النعمه و الرخاء و السيئه القحط و المرض و البلاء و المكاره و اللأواء و الشدائد التى تصيبهم فى الدنيا بسبب المعاصى التى يفعلونها و ربما يكون لطفاً و ربما يكون على سبيل العقوبه و إنما سماها «سَيِّئَةٍ» مجازاً لأن الطبع ينفر عنها و إن كانت أفعالاً حسنه غير قبيحه فيكون المعنى على هذا ما أصابك من الصحه و السلامه و سعه الرزق و جميع نعم الدين و الدنيا فمن الله و ما أصابك من المحن و الشدائد و الآلام و المصائب فبسبب ما تكسبه من الذنوب كما قال وَ مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ و قوله «فَمَنْ نَفْسِكَ» معناه فبذنبك عن الحسن و جماعه من المفسرين و فسره أبو القسم البلخى فقال ما أصاب المكلف من مصيبه فهى كفاره ذنب صغير أو عقوبه ذنب كبير أو تأديب وقع لأجل تفريط و قد

قال النبى ص ما من خدش بعود و لا اختلاج عرق و لا عثره قدم إلا بذنب و ما يعفو الله عنه أكثر

وقيل «فَمَنْ نَفْسِكَ» أى من فعلك و قال على بن عيسى و فى الآيه دلالة على أن الله لا يفعل الألم إلا على وجه اللطف أو العقاب دون مجرد العوض لأن المصائب إذا كانت كلها من قبل ذنب العبد فهى إما أن تكون عقوبه و إما أن تكون من قبل تأديب للمصلحه و قوله «وَ أَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا» معناه و من الحسنه إرسالك يا محمد و من السيئه خلافك يا محمد «وَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا» لك و عليك و قيل فى معنى اتصاله بما قبلها أن ما أصابهم فبشؤم ذنوبهم و إنما أنت رسول طاعتك طاعه الله و معصيتك معصيه الله لا يطير بك بل الخير كله فيك «وَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا» أى كفى الله و معناه حسبك الله شاهداً لك على رسالتك و قيل معناه كفى بالله شهيدا على عباده بما يعملون من خير و شر فعلى هذا يكون متضمنا للترغيب فى الخير و التحذير عن الشر.

إشارة

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (٨٠) وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُشِئُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (٨١)

القراءة

قرأ أبو عمرو بإدغام التاء في الطاء من بيت طائفه و به قرأ حمزه و الباقرن بالإظهار.

الحجج

إنما حسن إدغام التاء في الطاء للتقارب الذي بينهما بأنهما من حيز واحد و لم يحسن إدغام الطاء في التاء لأن الطاء تزيد على التاء بالإطباق فحسن إدغام الأنتقص صوتا من الحروف في الأزيد صوتا بحسب قبج إدغام الأزيد في الأنتقص و من بين و لم يدغم فلانفصال الحرفين و اختلاف المخرجين.

اللغة

قال المبرد التبيت كل شىء دبر ليلا قال عبيده بن هشام:

أتونى فلم أرض ما بيتوا

و كانوا أتونى لأمر نكر

و البيوت الأمر بيت عليه صاحبه مهتما به و البيات و التبيت أن يأتى العدو ليلا فأصل التبيت إحكام الأمر ليلا و أصل الوكيل القائم بما فوض إليه التدبير.

الإعراب

جواب الجزاء فى قوله «فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا» تقديره و من تولى فليس عليك بأس لأنك لم ترسل حفيظا عليهم و طاعه مبتدأ أى عندنا طاعه أو خبر مبتدأ محذوف أى أمرنا طاعه و لو نصبت على تطيع طاعه جاز.

المعنى

ثم رغب تعالى فى طاعه الرسول فقال «مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ» بين أن طاعته طاعه الله و إنما كانت كذلك لأنها و إن كانت طاعه للنبي من حيث وافقت إرادته المستدعية للفعل فإنها طاعه الله أيضا على الحقيقة إذ كانت بأمره و إرادته فأما الأمر

الواحد فلا يكون على الحقيقه من أمرين كما أن الفعل الواحد لا يكون من فاعلين «وَمَنْ تَوَلَّى» أى و من أعرض و لم يطع «فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا» أى حافظا لهم من التولى حتى يسلّموا عن ابن زيد قال فكان هذا أول ما بعث كما قال فى موضع آخر إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ثم أمر فيما بعد بالجهاد و قيل معناه ما أرسلناك حافظا لأعمالهم التى يقع الجزاء عليها فتخاف أن لا

تقوم بها لأننا نحن نجازيهم عليها و قيل حافظا لهم من المعاصى حتى لا تقع عن الجبائى و فى هذه الآيه تسليه للنبي فى تولى الناس عنه مع ما فيه من تعظيم شأنه بكون طاعته طاعه الله ثم بين أن المنافقين أظهروا طاعته و أضمروا خلافه بقوله «وَيَقُولُونَ طَاعَةً» يعنى به المنافقين عن الحسن و السدى و الضحاك و قيل المراد به المسلمون الذين حكى عنهم أنهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية يقولون أمرك طاعه كأنهم قالوا قابلنا أمرك بالطاعه «فَإِذَا بَرَزُوا» أى خرجوا «مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ» أى قدر جماعه منهم ليلا- «غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ» أى غير ما تقولون على جهه التكذيب عن الحسن و قتاده و قيل معناه غيروا بالليل و بدلوا ما قالوه بأن أضمروا الخلاف عليك فيما أمرتهم به و نهيتهم عنه عن ابن عباس و قتاده و السدى و قيل دبروا ليلا غير ما أعطوك نهارا عن أبى عبيده و القتيبي «وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ» فى اللوح المحفوظ ليجازيهم به و قيل يكتبه بأن ينزله إليك فى الكتاب عن الزجاج «فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ» أمر الله نبيه بالإعراض عنهم. و أن لا يسميهم بأعيانهم إبقاء عليهم و ستر لأموالهم إلى أن يستقر أمر الإسلام «وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ» أى فوض أمرك إليه و ثق به «وَكَفَى بِاللَّهِ وَكَيْلًا» أى حفيظا لما تفوضه إليه من التدبير.

[سوره النساء (٤): الآيات ٨٢ الى ٨٣]

اشاره

أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢) وَ إِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلَى أَوْلِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَ لَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا (٨٣)

اللغه

التدبر النظر فى عواقب الأمور و التدابر التقاطع لأن كل واحد يولى الآخر دبره بعداوته له و دبر القوم يدبرون دبارا هلكوا لأنهم يذهبون فى جهه الإدبار عن الغرض و الفرق بين التدبر و التفكير أن التدبر تصرف القلب بالنظر فى العواقب و التفكير تصرف القلب بالنظر فى الدلائل و الاختلاف هو امتناع أحد الشئيين أن يسد مسد الآخر فيما يرجع إلى ذاته كالسواد الذى لا يسد مسد البياض و كذلك الذهاب فى الجهات المختلفه و أصل الإذاعه

ص: ١٢٥

التفريق قال تبع لما ورد المدينة:

و لقد شربت على براجم شربه

كادت بباقيه الحياه تذيع

أى تفرق و براجم ماء بالمدينه كان يشرب منه فتشبت بحلقه علقه و ذاع الخبر ذيعا و رجل مذياع لا يستطيع كتمان خبر و أذاع الناس بما فى الحوض إذا شربوه و أذاعوا بالمتاع ذهبوا به و الإيداعه و الإشاعه و الإفشاء و الإعلان و الإظهار نظائر و ضده الكتمان و الإسرار و الإخفاء و أصل الاستنباط الاستخراج يقال لكل ما استخراج حتى يقع عليه رؤيه العين أو معرفه القلب قد استنبط و النبط الماء الذى يخرج من البئر أول ما تحفر و أنبط فلان أى استنبط الماء من طين حر و منه اشتقاق النبط لاستنباطهم العيون.

المعنى

«أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ» أى أفلا يتفكر اليهود و المنافقون فى القرآن إذ ليس فيه خلل و لا تناقض ليعلموا أنه حجه و قيل ليعلموا أنهم لا- يقدرّون على مثله فيعرفوا أنه ليس بكلام أحد من الخلق و قيل ليعرفوا اتساق معانيه و ائتلاف أحكامه و شهادته بعضه لبعض و حسن عباراته و قيل ليعلموا كيف اشتمل على أنواع الحكم من أمر بحسن و نهى عن قبيح و خبر عن مخبر صدق و دعاء إلى مكارم الأخلاق و حث على الخير و الزهد مع فصاحه اللفظ و جوده النظم و صحه المعنى فيعرفوا أنه خلاف كلام البشر و الأولى أن تحمل على الجميع لأن من تدبر فيه علم جميع ذلك «وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ» أى كلام غير الله أى لو كان من عند النبى أو كان يعلمه بشر كما زعموا «لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا» قيل فيه أقوال (أحدها) أن معناه لوجدوا فيه اختلاف تناقض من جهه حق و باطل عن قتاده و ابن عباس (و الثانى) اختلافًا فى الإخبار عما يسرون عن الزجاج (و الثالث) من جهه بليغ و مردول عن أبى على (و الرابع) تناقضا كثيرا عن ابن عباس و ذلك كلام البشر إذا طال و تضمن من المعانى ما تضمنه القرآن لم يخل من التناقض فى المعانى و الاختلاف فى اللفظ و كل هذه المعانى منفى عن كلام الله كما قال لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ وَ هذه الآيه تضمنت الدلاله على معان كثيره منها بطلان التقليد و صحه الاستدلال فى أصول الدين لأنه دعا إلى التفكير و التدبر و حث على ذلك و منها فساد قول من زعم أن القرآن لا يفهم معناه إلا بتفسير الرسول من الحشويه و غيرهم لأنه حث على تدبره ليعرفوه و يتبينوه و منها أنه لو كان من عند غيره لكان على وزن كلام عباده و لوجدوا الاختلاف فيه و منها أن المتناقض من الكلام لا يكون من فعل الله لأنه لو كان من فعله لكان من عنده لا من عند غيره و الاختلاف فى الكلام يكون على

ثلاثه أضرِب اختلاف تناقض و اختلاف تفاوت و اختلاف تلاوه و اختلاف التفاوت يكون في الحسن و القبح و الخطأ و الصواب و نحو ذلك مما تدعو إليه الحكمة و تصرف عنه و هذا الجنس من الاختلاف لا يوجد في القرآن البتة كما لا يوجد اختلاف التناقض و أما اختلاف التلاوه فهو ما يتلاوم في الجنس كاختلاف وجوه القرآن و اختلاف مقادير الآيات و السور و اختلاف الأحكام في الناسخ و المنسوخ فذلك موجود في القرآن و كله حق و كله صواب و استدل بعضهم بانتفاء التناقض عن القرآن على أنه من فعل الله بأن قال لو لم يكن ذلك دلالة لما أخبرنا الله به و لو لم يخبر بذلك لكان لقائل أن يقول أنه يمكن أن يتحفظ في الكلام و يهذب تهذيباً لا يوجد لذلك فيه شيء من التناقض و على هذا فلا يمكن أن يجعل انتفاء التناقض جهه إعجاز القرآن إلا بعد معرفه صحه السمع و صدق النبي ثم عاد تعالى إلى ذكر حالتهم فقال «وَ إِذَا جَاءَهُمْ» يعني هؤلاء الذين سبق ذكرهم من المنافقين و قيل هم الذين ذكرهم من ضعفه المسلمين «أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ» يريد ما كان يرجف به من الأخبار في المدينة أما من قبل عدو يقصدهم و هو الخوف أو من ظهور المؤمنين على عدوهم و هو الأمان «أَذَاعُوا بِهِ» أى تحدثوا به و أفسوه من غير أن يعلموا صحته كره الله ذلك لأن من فعل هذا فلا يخلو كلامه من كذب و لما يدخل على المؤمنين به من الخوف ثم قال «وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ» المعنى و لو سكتوا إلى أن يظهره الرسول «وَ إِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ»

قال أبو جعفر (عليه السلام) هم الأئمة المعصومون

و قال السدى و ابن زيد و أبو على و الجبائى هم أمراء السرايا و الولاة و قال الحسن و قتاده و غيرهم أنهم أهل العلم و الفقه الملازمون للنبي لأنهم لو سألوه عن حقيقه ما أرجفوا به لعلموه و اختاره الزجاج و أنكر أبو على الجبائى هذا الوجه و قال إنما يطلق أولوا الأمر على من له الأمر على الناس «لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ» أى لعلم ذلك الخبر الذين يستخرجونه عن الزجاج و قيل يتحسسونه عن ابن عباس و أبى العالیه و قيل يبتغونه و يطلبون علم ذلك عن الضحاک و قيل يسألون عنه عن عكرمه قال استنباطهم سؤالهم الرسول عنه و جميع هذه الأقوال متقاربه المعنى «مِنْهُمْ» قيل إن الضمير في «مِنْهُمْ» يعود إلى «أُولِي الْأَمْرِ» و هو الأظهر و قيل يعود إلى الفرقة المذكوره من المنافقين أو الضعفه «وَ لَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ» أى لو لا إيصال مواد الألفاف من جهه الله و قيل فضل الله الإسلام و رحمته القرآن عن ابن عباس و قيل فضل الله النبي و رحمته القرآن عن الضحاک و السدى و هو اختيار الجبائى و

روى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام) فضل الله و رحمته النبي و على

«لَا تَبْعُتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا» قيل فيه أقوال (أحدها) إن في الكلام تقديماً و تأخيراً و الاستثناء من قوله «أَذَاعُوا بِهِ» عن ابن عباس

فيكون معناه أذاعوا به إلا- قليلا و هو اختيار المبرد و الكسائي و الفراء و البلخي و الطبري قالوا و هذا أولى لأن الإذاعه أكثر من الاستنباط (و ثانيها) أن الاستثناء من قوله «لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ» إلا- قليلا و يكون تقديره و لو رده إلى الرسول و إلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه إلا قليلا عن أكثر أهل اللغه (و ثالثها) أن المراد «وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا» منكم على الظاهر من غير تقديم و لا تأخير و هذا كما اتبع الشيطان من كان قبل بعثه النبي إلا قليلا منهم لم يتبعوه و اهدوا بعقولهم لترك عباده الأوثان بغير رسول و لا كتاب و آمنوا بالله و وحدوه مثل قس بن ساعده و زيد بن عمرو بن نفيل و ورقه بن نوفل و البراء الشني و أبي ذر الغفاري و طلاب الدين و به قال الأنباري (و رابعها) أن معناه «وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ» بالنصره و الفتح مره بعد أخرى «لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ» فيما يلقي إليكم من الوسوس و الخواطر الفاسده المؤديه إلى الجبن و الفشل الموجه لضعف النيه و البصيره «إِلَّا قَلِيلًا» من أفاضل أصحاب رسول الله الذين هم أهل البصائر النافذه و العزائم الثابته و النيات الخالصه لا يياسون من رحمه الله و لا يشكون في نصرته و إنجاز وعده و إن أبطأ بعض الإبطاء و الله أعلم.

النظم

اختلف في وجه اتصال قوله «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ» بما قبله ف قيل إنه يتصل بقوله وَ يَقُولُونَ طَاعَةَ الْآيَةِ فَإِنَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى سِرَائِرِ الْمُنَافِقِينَ ثُمَّ بَيَّنَّ هُنَا أَنَّهُ مِنْ جِهَةِ عِلْمِ الْغُيُوبِ وَ لَوْ كَانَ مِنْ جِهَةِ غَيْرِهِ لَكَانَ الْمَخْبِرُ بِخِلَافِ الْخَبْرِ وَ قِيلَ أَنَّهُ يَتَّصِلُ بِقَوْلِهِ وَ أَرْسَلْنَاكَ لَمَّا بَيَّنَّ إِرسَالَهُ أَمْرًا بِتَدْبِيرِ مَعْجَزِهِ.

[سوره النساء (٤): آيه ٨٤]

اشاره

فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ اللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَ أَشَدُّ تَنْكِيلًا (٨٤)

اللغه

نكل به و ندد به و شرد به نظائر و أصله النكول و هو الامتناع للخوف يقال نكل عن اليمين و غيرها و النكال ما يمتنع به من الفساد خوفا من مثله من العذاب و النكل القيد.

ص: ١٢٨

ثم عاد تعالى إلى الأمر بالقتال فقال «فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قيل في الفاء قولان (أحدهما) أنه جواب لقوله وَ مَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا «فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» فيكون المعنى إن أردت الأجر العظيم فقاتل في سبيل الله (و الآخر) أن يكون متصلاً بقوله وَ مَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ «فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» عن الزجاج و وجهه أنه لا حظ لك في ترك القتال فتركه و الخطاب للنبي (ص) خاصة أمره الله أن يقاتل في سبيل الله وحده بنفسه و قوله «لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ» معناه لا- تكلف إلا- فعل نفسك فإنه لا ضرر عليك في فعل غيرك فلا تهتم بتخلف المنافقين عن الجهاد فإن ضرر ذلك عليهم «وَ حَرَّضِ الْمُؤْمِنِينَ» على القتال أى حثهم عليه «عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفَى بِأَسِ الدِّينِ كَفْرًا» أى يمنع شدة الكفار قال الحسن عسى من الله واجب و وجه ذلك إن إطماع الكريم إنجاز و إنما الإطماع تقويه أحد الأمرين على الآخر دون قيام الدليل على التكافؤ في الجواز و خروج عسى في هذا من معنى الشك كخروجها في قول القائل أطع ربك في كل ما أمرك به و نهاك عنه عسى أن تفلح بطاعتك «وَ اللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا» أى أشد نكايه في الأعداء منكم «وَ أَشَدُّ تَنْكِيلًا» أى عقوبه عن الحسن و قتاده و قيل التكيل الشهرة بالأمر الفاضحه عن أبى على الجبائى و قيل هو ما ينالهم على أيدي المسلمين من الإذلال و السبى و القتل و تخريب الديار و قيل هو الانتقام و الإهلاك.

[القصه]

قال الكلبي إن أبا سفيان لما رجع إلى مكة يوم أحد واعد رسول الله موسم بدر الصغرى و هو سوق تقوم في ذى القعدة فلما بلغ النبي الميعاد قال للناس أخرجوا إلى الميعاد فتأقلوا و كرهوا ذلك كراهه شديده أو بعضهم فأنزل الله هذه الآية فحرض النبي المؤمنين فتأقلوا عنه و لم يخرجوا فخرج رسول الله في سبعين راكبا حتى أتى موسم بدر فكفاهم الله بأس العدو و لم يوافقهم أبو سفيان و لم يكن قتال يومئذ و انصرف رسول الله بمن معه سالمين.

[سورة النساء (٤): آيه ٨٥]

أشاره

مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتِنًا (٨٥)

اللغة

أصل الشفاعه من الشفع الذى هو ضد الوتر فإن الرجل إذا شفع بصاحبه فقد

شفعه أى صار ثانيه و منه الشفيع فى الملك لأنه يضم ملك غيره إلى ملك نفسه و اختلفت الأمه فى كيفية شفاعه النبى يوم القيامه فقالت المعتزله و من تابعهم يشفع لأهل الجنه ليزيد الله درجاتهم و قال غيرهم من فرق الأمه بل يشفع لمذنبى الأمه ممن ارتضى الله دينهم ليسقط عقابهم بشفاعته و الكفل فى اللغه النصيب و أخذ من قولهم اكتفلت البعير إذا أدرت على سنامه كساء و ركبت عليه و إنما يقال ذلك لأنه لم يستعمل الظهر كله و إنما استعمل نصيب من الظهر و قال الأزهرى الكفل الذى لا يحسن ركوب الفرس و أصله الكفل و هو ردف العجز و منه الكفاله بالنفس و المال و الكفل المثل و المقيت أصله من القوت فإنه يقوته قوتا إذا أعطاه ما يمسك به رمقه و المقيت المقتدر لاقتداره على ذلك و أقات يقيت إقاته و ينشد للزبير بن عبد المطلب:

و ذى ضغن كفت النفس عنه

و كنت على مساءته مقيتا

فهذه لغه قريش.

المعنى

«مَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً» قيل فيه أقوال (أحدها) إن معناه من يصلح بين اثنين «يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا» أى يكن له أجر منها «وَمَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً سَيِّئَةً» أى يمشى بالنميمه «يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا» أى إثم منها عن الكلبي عن ابن عباس (و ثانيها) إن الشفاعه الحسنه و الشفاعه السيئه شفاعه الناس بعضهم لبعض عن مجاهد و الحسن قال ما يجوز فى الدين أن يشفع فيه فهو شفاعه حسنه و ما لا يجوز أن يشفع فيه فهو شفاعه سيئه قال و من يشفع شفاعه حسنه كان له فيها أجر و ثواب و إن لم يشفع لأن الله قال «وَمَنْ يَشْفَعُ» و لم يقل و من يشفع و يؤيد هذا

قوله (اشفعوا تؤجروا)

و

قوله (من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله فى ملكه و من أعان على خصومه بغير علم كان فى سخط الله حتى ينزع)

(و ثالثها) إن المراد بالشفاعه الحسنه الدعاء للمؤمنين و بالشفاعه السيئه الدعاء عليهم عن أبى على الجبائى قال لأن اليهود كانت تفعل ذلك فتوعدهم الله عليه (و رابعها) ما قاله بعضهم إن المراد بالشفاعه هنا أن يصير الإنسان شفع صاحبه فى جهاد عدوه فيحصل له من هذه الشفاعه نصيب فى العاجل من الغنيمه و الظفر و فى الآجل من الثواب المنتظر و إن صار شفعا له فى معصيه أو شر حصل له نصيب من المذمه فى العاجل و العقوبه فى الآجل و الكفل الوزر عن الحسن و قتاده و هو النصيب و الحظ عن السدى و الربيع و جميع أهل اللغه فكأنه النصيب من الشر «وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا» قيل فى معنى المقيت أقوال (أحدها) أنه المقتدر عن السدى و ابن

زيد (و ثانيها) الحفيظ الذي يعطى الشىء قدر الحاجه من الحفظ عن ابن عباس (و ثالثها) الشهيد عن مجاهد (و رابعها) الحسين عنه أيضا (و خامسها) المجازى عن أبي على الجبائى أى يجازى على كل شىء من الحسنات و السيئات.

النظم

وجه اتصال هذه الآيه بما قبلها أنه سبحانه لما قال «لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ» عقب ذلك بأن لك مع هذا فى دعاء المؤمنين إلى الحق ما للإنسان فى شفاعه صاحبه لخير يصل إلى المشفوع له لئلا يتوهم أن العبد من أجل أنه لا يؤخذ بعمل غيره لا يتزيد فعله يعمل غيره عن على بن عيسى و قيل الوجه فيه إن كل من طلب لغيره خيرا فوصل إليه حصل له نصيب منه و أنت قد طلبت لهم الخير حيث دعوتهم إلى الجهاد و حرصتهم عليه قال القاضى هذا أحسن ما قيل فيه.

[سوره النساء (٤): آيه ٨٦]

اشاره

وَ إِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّهِ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيْباً (٨٦)

اللغه

التحيه السلام يقال حيا يحيى تحيه إذا سلم قال الشاعر:

إنا محيوك يا سلمى فحيننا

و إن سقيت كرام الناس فأسقينا

و التحيه البقاء قال:

من كل ما نال الفتى

قد نلته إلا التحيه

يعنى الملك و إنما سمى بذلك لأن الملك يحيا بالسلام و الثناء الحسن و الحسين الحفيظ لكل شىء حتى لا يشذ منه شىء و الحسين الفعيل من الحساب الذى هو الإحصاء يقال حاسب فلان فلانا على كذا و هو حسيبه إذا كان صاحب حسابه و من قال الحسين الكافى فهو من قولهم أحسبى فلان الشىء إحسابا إذا كفانى و حسبى كذا أى كفانى و قال الزجاج معنى الحسين أنه يعطى كل شىء من العلم و الحفظ و الجزاء مقدار ما يحسبه أى يكفيه و منه قوله عطاءً حساباً أى كافياً.

المعنى

«وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّهِ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا» أمر الله المسلمين برد السلام على المسلم بأحسن مما سلم إن كان مؤمناً وإلا فليقل و عليكم ولا يزيد على ذلك فقوله «بِأَحْسَنَ مِنْهَا» للمسلمين خاصة و قوله «أَوْ رُدُّوْهَا» لأهل الكتاب عن ابن عباس فإذا

ص: ١٣١

قال المسلم السلام عليكم فقل و عليكم السلام و رحمه الله و إذا قال السلام عليكم و رحمه الله فقل و عليكم السلام و رحمه الله و بركاته فقد حييته بأحسن منها و هذا منتهى السلام و قيل إن قوله «أَوْ رُدُّوْهَا» للمسلمين خاصة أيضا عن السدى و عطا و إبراهيم و ابن جريج قالوا إذا سلم عليك المسلم فرد عليه بأحسن مما سلم عليك أو بمثل ما قال و هذا أقوى لما

روى عن النبي (ص) أنه قال إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا و عليكم

و

ذكر على بن إبراهيم فى تفسيره عن الصادقين (عليه السلام) أن المراد بالتحية فى الآية السلام و غيره من البر

و

ذكر الحسن أن رجلا دخل على النبي (ص) فقال السلام عليك فقال النبي (ص) و عليكم السلام و رحمه الله فجاءه آخر فقال السلام عليك و رحمه الله و بركاته فقال النبي (ص) و عليكم السلام و رحمه الله و بركاته فقل يا رسول الله زدت للأول و الثانى فى التحية و لم تزد فى الثالث فقال إنه لم يبق لى من التحية شيئا فرددت عليه مثله

و

روى الواحدى بإسناده عن أبى أمامه عن مالك بن التيهان قال قال رسول الله (ص) من قال السلام عليكم كتب له عشر حسنات و من قال السلام عليكم و رحمه الله كتب له عشرون حسنة و من قال السلام عليكم و رحمه الله و بركاته كتب له ثلاثون حسنة

«إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا» أى حفيظا عن مجاهد و قيل كافيا و قيل مجازيا عن ابن عباس و فى هذه الآية دلالة على وجوب رد السلام لأن ظاهر الأمر يقتضى الوجوب و قال الحسن و جماعه من المفسرين إن السلام تطوع و الرد فرض ثم الرد ربما كان من فروض الكفاية و قد يتعين بأن يخصه بالسلام و لا أحد عنده فيتعين عليه الرد.

النظم

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها إن المراد بالسلام المسالمة التى هى ضد الحرب فلما أمر سبحانه بقتال المشركين عقبه بأن قال من مال إلى السلم و أعطى ذاك من نفسه و حىي المؤمنين بتحية فاقبلوا منه.

[سوره النساء (٤): آيه ٨٧]

اشاره

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (٨٧)

الإعراب

اللام فى «لِيَجْمَعَنَّكُمْ» لام القسم و حديثا نصب على التمييز كما نقل من

ص: ١٣٢

أحسن من زيد فهما فهو استفهام فى اللفظ و تقرير فى المعنى.

المعنى

«اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» قد مر تفسيره «لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» أى ليعثنكم من بعد مماتكم و يحشرنكم جميعاً إلى موقف الحساب الذى يقضى فيه بين أهل الطاعة و المعصية و قال الزجاج معناه ليجمعنكم فى الموت و فى قبوركم «لَا رَيْبَ فِيهِ» أى لا شك فى هذا القول و إنما سُمى يوم القيامة لأن الناس يقومون فيه من قبورهم و فى التنزيل يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ «وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا» أى موعدا لا خلف لوعده و قيل معناه لا أحد أصدق من الله فى الخبر الذى يخبر به.

النظم

لما أمر تعالى و نهى فيما قبل بين بعده أنه الإله الذى لا يستحق العبادة سواه أى فاعملوا على حسب ما أوجه عليكم فإنه يجازيكم به ثم بين وقت الجزاء و قيل إنما اتصل بقوله «حَسْبِيَ» أى إنما الحسيب هو الله.

[سورة النساء (٤): آية ٨٨]

إشارة

فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنِينَ وَ اللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَ تَرِيدُونَ أَنْ نَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَ مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (٨٨)

اللغة

الإركاس الرد و منه قول أمية بن أبى الصلت:

فاركسوا فى حميم النار إنهم

كانوا عصاه و قالوا الإفكك و الزورا

قال الفراء يقال أركسهم و ركسهم و قد ذكر أن عبد الله و أبى بن كعب قراء ركسهم بغير ألف.

الإعراب

فتئين نصب على الحال كما تقول ما لك قائما و العامل فى الحال معنى الفعل الذى فى الظرف أعنى قوله لك.

النزول

اختلفوا فىمن نزلت هذه الآية فيه فقيل

نزلت فى قوم قدموا المدينة من مكة فأظهروا للمسلمين الإسلام ثم رجعوا إلى مكة لأنهم استوخموا المدينة فأظهروا الشرك ثم سافروا ببضائع المشركين إلى اليمامة فأراد المسلمون أن يغزوهم فاختلفوا فقال بعضهم لا نفعل فإنهم مؤمنون و قال آخرون أنهم مشركون فأنزل الله فيهم الآية عن مجاهد و الحسن و هو

ص: ١٣٣

وقيل نزلت في الذين تخلفوا عن أحد وقالوا لَوْ نَعَلَّمُ قِتَالًا لَأَتَّبَعْنَاكُمْ الْآيَةَ فاختلف أصحاب رسول الله فقال فريق منهم نقتلهم و قال آخرون لا نقتلهم فنزلت الآية عن زيد بن ثابت.

المعنى

ثم عاد الكلام إلى ذكر المنافقين فقال تعالى «فَمَا لَكُمْ» أيها المؤمنون صرتم «فِي» أمر هؤلاء «الْمُنَافِقِينَ فِتْنَتَيْنِ» أي فرقتين مختلفتين فمنكم من يكفرهم و منكم من لا يكفرهم «وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا» أي ردهم إلى حكم الكفار بما أظهروا من الكفر عن ابن عباس و قيل معناه أهلكهم بكفرهم عن قتاده و قيل خذلهم فأقاموا على كفرهم و ترددوا فيه فأخبر عن خذلانه إياهم بأنه أركسهم عن أبي مسلم «أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْتَدُوا» أي تحكموا بهدايه «مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ» أي حكم الله بضلاله و سماه ضالا و قيل معنى أضله الله خذله و لم يوفقه كما وفق المؤمنين لأنهم لما عصوا و خالفوا استحقوا هذا الخذلان عقوبه لهم على معصيتهم أي أ تريدون الدفاع عن قتالهم مع أن الله حكم بضلالهم و خذلهم و وكلهم إلى أنفسهم و قال أبو علي الجبائي معناه أ تريدون أن تهتدوا إلى طريق الجنة من أضله تعالى عن طريق الجنة و الثواب و طعن على القول الأول بأنه لو أراد التسميه و الحكم لقال من ضلل الله و هذا لا يصح لأن العرب تقول أكفرته و كفرته قال الكمي:

و طائفه قد أكفروني بحبكم

و طائفه قالوا مسيء و مذنب

و أيضا فإنه تعالى إنما وصف المؤمنين بهدائيتهم بأن سماهم مهتدين لأنهم كانوا يقولون أنهم مؤمنون فقال تعالى (لا تختلفوا فيهم و قولوا بأجمعكم أنهم منافقون) «وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا» معناه و من نسبه الله إلى الضلاله فلن ينفعه أن يحكم غيره بهدائيته كما يقال من جرحه الحاكم فلا ينفعه تعديل غيره و قيل معناه من يجعله الله في حكمه ضالا فلن تجد له في ضلالته حجه عن جعفر بن حرث قال و يدل على أنهم هم الذين اكتسبوا ما صاروا إليه من الكفر دون أن يكون الله تعالى اضطرهم إليه قوله على أثر ذلك «وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا» فأضاف الكفر إليهم.

إشارة

وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وُلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٨٩)

المعنى

ثم بين تعالى أحوال هؤلاء المنافقين فقال «وَدُّوا» أى ود هؤلاء المنافقون الذين اختلفتم فى أمرهم يعنى تمنوا «لَوْ تَكْفُرُونَ» أنتم بالله و رسوله «كَمَا كَفَرُوا» هم «فَتَكُونُونَ سَوَاءً» أى فتستونون أنتم و هم و تكونون مثلهم كفارا ثم نهى تعالى المؤمنين أن يوادوهم فقال «فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ» أى فلا تستنصروهم و لا تستنصحوهم و لا تستعينوا بهم فى الأمور «حَتَّى يُهَاجِرُوا» أى حتى يخرجوا من دار الشرك و يفارقوا أهلها المشركين بالله «فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أى فى ابتغاء دينه و هو سييله فيصيروا عند ذلك مثلكم، لهم ما لكم و عليهم ما عليكم و هذا قول ابن عباس و إنما سمي الدين سيلا و طريقا لأن من يسلكه أداه إلى النعمة و ساقه إلى الجنة «فَإِنْ تَوَلَّوْا» أى أعرضوا عن الهجرة فى سبيل الله عن ابن عباس «فَخُذُوهُمْ» أيها المؤمنون «وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» أى أين أصبتموهم من أرض الله من الحل و الحرم «وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وُلِيًّا» أى خيلا- «وَلَا نَصِيرًا» أى ناصرا ينصركم على أعدائكم.

إشارة

إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمَّ يُقَاتِلُوكُمْ وَ أَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا (٩٠)

اللغة

الحصر الضيق و كل من ضاقت نفسه عن شىء من فعل أو كلام يقال قد حصر و منه الحصر فى القراءة و الحصر اعتقال البطن و الاعتزال أن ينتحى الرجل عن الشىء يقال اعتزلت البيت و تعزلته قال الأوص:

يا بيت عاتكه الذى أتعزل

حذر العدى و به الفؤاد موكل

و سميت المعتزله معتزله لاعتزالهم مجلس الحسن البصرى بعد أن كانوا من أهله و ذلك أن واصل بن عطاء لما أظهر القول بالمنزله بين المنزلتين و تابعه عمرو بن عبيد على التدين به و وافقهم جماعه على هذا المذهب فآل الأمر بهم إلى الاعتزال للحسن البصرى و أصحابه فسامهم الناس معتزله و جرى عليهم ذلك الاسم.

الإعراب

«حَصَرَتْ صِدُورُهُمْ» فى موضع نصب على الحال و قد مضمره معه لأن الفعل الماضى لا يكون حالا حتى يكون معه قد إما مضمره أو مظهره فإن قد تقرب الماضى من الحال فتقديره جاء وكم قد حصرت صدورهم كما قالوا جاء فلان ذهب عقله أى قد ذهب عقله و يجوز أن يكون «حَصَرَتْ صِدُورُهُمْ» منصوب الموضع بأنه صفة لموصوف هو حال على تقدير جاء وكم قوم حصرت صدورهم فحذف الموصوف المنصوب على الحال و أقيم صفته مقامه و إنما جاز أن يكون هذا حالا لأنه بمنزله قولك أو جاء وكم موصوفين بحصر الصدور أو معروفين بذلك.

المعنى

لما أمر تعالى المؤمنين بقتال الذين لا يهاجرون عن بلاد الشرك و إن لم يوالوهم استثنى من جملتهم فقال «إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ» معناه إلا من وصل من هؤلاء إلى قوم بينكم و بينهم موادعه و عهد فدخلوا فيهم بالحلف أو الجوار فحكّمهم حكم أولئك فى حقن دمائهم و اختلف فى هؤلاء فالمروى

عن أبى جعفر (عليه السلام) أنه قال المراد بقوله تعالى «قَوْمٌ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ» هو هلال بن عويمر السلمى واثق عن قومه رسول الله فقال فى موادعته على أن لا تحيف يا محمد من أتانا و لا نحيف من أتاك

فنهى الله أن يتعرض لأحد عهد إليهم و به قال السدى و ابن زيد و قيل هم بنو مدلج و كان سراقه بن مالك بن جعشم المدلجى جاء إلى النبى بعد أحد فقال أنشدك الله و النعمه و أخذ منه ميثاقا أن لا يغزو قومه فإن أسلم قريش أسلموا لأنهم كانوا فى عقد قريش فحكّم الله فيهم ما حكم فى قريش ففيهم نزل هذا ذكره عمر بن شيبه ثم استثنى لهم حاله أخرى فقال «أَوْ جَاؤُكُمْ حَصَرَتْ صِدُورُهُمْ» أى ضاقت قلوبهم من «أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ» يعنى من قتالكم و قتال قومهم فلا عليكم و لا عليهم و

إنما عنى به أشجع فإنهم قدموا المدينة فى سبعمائه يقودهم مسعود بن دخله فأخرج إليهم النبى أحمال التمر ضيافه و قال نعم الشىء الهديه أمام الحاجه و قال لهم ما جاء بكم قالوا لقرب دارنا منك و كرهنا حربك و حرب قومنا يعنون بنى مضمره الذين بينهم و بينهم عهد لقلتنا فيهم فجننا لنوادعك فقبل النبى ذلك منهم و وادعهم فرجعوا إلى بلادهم ذكره على بن إبراهيم فى تفسيره

فأمر الله تعالى المسلمين أن لا

يتعرضوا لهؤلاء «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَدَّ لَطَهُمْ عَلَيْكُمْ» بتقوية قلوبهم فيجترءون على قتالكم وقيل هذا إخبار عما في المقدور و ليس فيه أنه يفعل ذلك بأن يأمرهم به أو يأذن لهم فيه ومعناه أنه يقدر على ذلك لو شاء لكنه لا يشاء ذلك بل يلقي في قلوبهم الرعب حتى يفرعوا أو يطلبوا المودعة و يدخل بعضهم في حلف من بينكم و بينهم ميثاق «فَلَقَاتِلُوكُمْ» أى لو فعل ذلك لقاتلوكم «فَإِنْ اِعْتَرَلُوكُمْ» يعنى هؤلاء الذين أمر بالكف عن قتالهم بدخولهم فى عهدكم أو بمصيرهم إليكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم «فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَ أَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ» يعنى صالحوكم و استسلموا لكم كما يقول القائل ألقى إليك قيادى و ألقى إليك زمامى إذا استسلم له و انقاد لأمره و السلم الصلح «فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا» يعنى إذا سالموكم فلا سبيل لكم إلى نفوسهم و أموالهم قال الحسن و عكرمه نسخت هذه الآية و التى بعدها و الآياتان فى سورة الممتحنة لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين إلى قوله «الظالمون» الآيات الأربع بقوله «فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» الآية.

[سوره النساء (٤): آيه ٩١]

أشاره

سَتَجِدُونَ آخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّمَا رُذِّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَرِلُوكُمْ وَ يُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَ يَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُدُّوهُمْ وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَ أُولَئِكَمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (٩١)

النزول

اختلف فى من عنى بهذه الآية فقليل نزلت فى أناس كانوا يأتون النبى فيسلمون رثاء ثم يرجعون إلى قريش فيرتكسون فى الأوثان بيتغون بذلك أن يأمنوا قومهم و يأمنوا نبى الله فأبى الله ذلك عليهم عن ابن عباس و مجاهد و قيل نزلت فى نعيم بن مسعود الأشجعى كان ينقل الحديث بين النبى و بين المشركين عن السدى و قيل نزلت فى أسد و غطفان عن مقاتل و

قيل نزلت فى عيينه بن حصين الفزارى و ذلك أنه أجذبت بلادهم فجاء إلى رسول الله و وادعه على أن يقيم بطن نخل و لا

ص: ١٣٧

يتعرض له و كان منافقا ملعونا و هو الذى سماه رسول الله الأحمق المطاع فى قومه و هو المروى عن الصادق.

المعنى

ثم بين تعالى طائفه أخرى منهم فقال «سَيَجِدُونَ آخِرِينَ» يعنى قوما آخرين غير الذين وصفتهم قبل «يُرِيدُونَ أَنْ يُأْمِنُوكُمْ» فيظهرون الإسلام «وَيَأْمِنُوا قَوْمَهُمْ» فيظهرون لهم الموافقه فى دينهم «كُلَّمَا رُذِّدُوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا» المراد بالفتنه هنا الشرك أى كلما دعوا إلى الكفر أجابوا و رجعوا إليه و الفتنة فى اللغة الاختبار و الإركاس الرد قال الزجاج أركسوا فيها اتكسوا فى عقدهم فالمعنى كلما ردوا إلى الاختبار ليرجعوا إلى الكفر رجعوا إليه «فَإِنْ لَمْ يَعْتَرِلُوكُمْ» أيها المؤمنون أى فإن لم يعتزل قتالكم هؤلاء الذين يريدون أن يأمنوكم و يأمنوا قومهم «وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ» يعنى و لم يستسلموا لكم فيعطوكم المقاده و يصلحوكم «وَلَمْ يَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ» عن قتالكم «فَخَذُواهُمْ» أى فأسروهم «وَأَقْتَلُوهُمْ حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ» أى وجدتموهم و أصبتموهم «وَأَوْلَيْتُمُ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مَبِينًا» أى حجه ظاهره و قيل عذرا بينا فى القتال و سميت الحجه سلطانا لأنه يتسلط بها على الخصم كما يتسلط بالسلطان.

[سوره النساء (٤): آيه ٩٢]

اشاره

وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَ دِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوًّا لَكُمْ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَ إِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٩٢)

اللغة

الخطأ خلاف الصواب و الفعل منه خطأ و أخطأ فى الأمر أى لم يصب الصواب و الخطأ و الخطاء بالفتح فيهما و الخطا و الخطاه بالتسكين فيهما و الخاطئه الذنب

ص: ١٣٨

و الفعل منه خطأ يخطأ إذا أذنب و التحرير تفعيل من الحره و هو إخراج العبد من الرق إلى الحره.

الإعراب

أجمع المحققون من النحويين على أن قوله «إِلَّا خَطَأً» استثناء منقطع من الأول على معنى ما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا البتة إلا أن يخطأ المؤمن و مثله قول الشاعر:

من البيض لم تظعن بعيدا و لم تطأ

على الأرض إلا ريط برد مرجل

و المعنى و لم تطأ على الأرض إلا أن تطأ ريط البرد إذ ليس ريط البرد من الأرض و قد مر ذكر ما قيل فى مثله فى سورة البقره عند قوله «إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ» و قال بعضهم إن الاستثناء متصل و المعنى لم يكن لمؤمن أن يقتل مؤمنا متعمدا و متى قتله متعمدا لم يكن مؤمنا فإن ذلك يخرج من الإيمان ثم قال «إِلَّا خَطَأً» أى فإن قتله له خطأ لا يخرج من الإيمان «فَتَحْرِيْرُ رَقَبِهِ» مبتدأ محذوف الخبر لدلاله الكلام عليه و موضع أن فى قوله «إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا» نصب لأن المعنى فعله ذلك إلا أن يصدقوا أى إلا- على أن يصدقوا ثم تسقط على و يعمل فيه ما قبله على معنى الحال فهو مصدر وقع موقع الحال و أصل يصدقوا يتصدقوا فأدغمت التاء فى الصاد لقرب مخرجهما و قيل إن فى قراءه أبى إلا أن يتصدقوا توبه من الله كقولهم فعلت ذلك حذر الشر عن الزجاج فيكون مفعولا له و قيل أنه بمعنى تاب الله بذلك عليكم توبه فيكون مصدرا مثل كتاب الله عليكم و قد مر ذكره.

النزول

نزلت فى عياش بن أبى ربيعه المخزومى أخى أبى جهل لأنه كان أسلم و قتل بعد إسلامه رجلا مسلما و هو لا يعلم إسلامه و المقتول الحارث بن يزيد بن أنسه العامرى عن مجاهد و عكرمه و السدى قال

قتله بالحره بعد الهجره و كان من أحد من رده عن الهجره و كان يعذب عياشا مع أبى جهل و هو المروى عن أبى جعفر

و

قيل نزلت فى رجل قتله أبو الدرداء كان فى سريره فعدل أبو الدرداء إلى شعب يريد حوجه فوجد رجلا من القوم فى غنم له فحمل عليه بالسيف فقال لا إله إلا الله فبدر فضربه ثم جاء بغنمه إلى القوم ثم وجد فى نفسه شيئا فأتى رسول الله فذكر ذلك له فقال رسول الله ألا شققت عن قلبه و قد أخبرك بلسانه فلم تصدقه قال كيف بى يا رسول الله فقال فكيف بلا إله إلا الله قال أبو الدرداء فتمنيت

إن ذلك اليوم مبتدأ إيماني فنزلت الآية عن ابن زيد.

المعنى

«وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً» معناه ما أذن الله ولا أباح لمؤمن فيما عهد إليه أن يقتل مؤمناً إلا أن يقتله خطأ عن قتاده وغيره وقيل معناه ما كان له كما ليس له الآن قتل مؤمن إلا أن يقع القتل خطأ وقيل تقديره و ما كان مؤمن ليقتل مؤمناً إلا خطأ كقوله «مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ» معناه ما كان الله ليتخذ ولداً وقوله «مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا» أى ما كنتم لتنبتوا شجرها وإنما قلنا إن معناه ما ذكرنا لأن الله لا يلحقه الأمر والنهى وإنبات الشجر لا يدخل تحت قدره العبد فلا يصح النهى عنه فمعنى الآية على ما وصفناه ليس من صفة المؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ وعلى هذا يكون الاستثناء متصلاً ومن قال إن الاستثناء منقطع قال قد تم الكلام عند قوله «أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا» ثم قال فإن كان القتل خطأً فحكمه كذا وإنما لم يحمل قوله «إِلَّا خَطَأً» على حقيقته الاستثناء لأن ذلك يؤدى إلى الأمر بقتل الخطأ أو إباحته ولا يجوز واحد منهما والخطأ هو أن يريد شيئاً فيصيب غيره مثل أن يرمى إلى غرض أو إلى صيد فيصيب إنساناً فيقتله وكذلك لو قتل رجلاً ظنه كافراً كما ظن عياش بن أبى ربيعة وأبو الدرداء على ما قلناه قبل «وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبِهِ مُؤْمِنَةٌ» أى فعلية إعتاق رقبه مؤمنه فى ماله خاصة على وجه الكفارة حقاً لله والرقبة المؤمنة هى البالغة التى آمنت و صلت و صامت فلا- يجزى فى كفارة القتل الطفل ولا الكافر عن ابن عباس والشعبي وإبراهيم والحسن و قتاده وقيل تجزى كل رقبه ولدت على الإسلام عن عطا والأول أقوى لأن لفظ المؤمن لا يطلق إلا على البالغ الملتزم للفرائض إلا- أن من ولد بين مؤمنين فلا- خلاف أنه يحكم له بالإيمان «وَدِيَّةٌ» أى و عليه و على عاقلته دية «مُسَلِّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ» أى إلى أهل القتل و المسلمة هى المدفوعة إليهم موفره غير منقصه حقوق أهلها منها تدفع إلى أهل القتل و المسلمة هى المدفوعة إليهم فتقسم بينهم على حسب حساب الميراث «إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا» يعنى إلا أن يتصدق أولياء القتل بالديه على عاقله القاتل و يتركوها عليهم «فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ» معناه فإن كان القتل من جملة قوم هم أعداء لكم يناصبونكم الحرب و هو فى نفسه مؤمن و لم يعلم قاتله أنه مؤمن فقتله و هو يظنه مشركاً «فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ» أى فعلى قاتله تحرير رقبه «مُؤْمِنَةٌ» كفارة و ليس فيه دية عن ابن عباس وقيل إن معناه إذا كان القتل فى عداد قوم أعداء و هو مؤمن بين أظهرهم و لم يهاجر فمن قتله فلا دية له و عليه تحرير رقبه مؤمنه فقط لأن الدية ميراث و أهله كفار لا يرثونه عن ابن

عباس فى روايه اخرى و إبراهيم و السدى و قتاده و ابن زيد «وَ إِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ» أى عهد و ذمه و ليسوا أهل حرب لكم «فَدِيَهُ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ» تلزم عاقله قاتله «وَ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ» أى

يلزم قاتله كفاره لقتله و هو المروى عن الصادق (عليه السلام)

و اختلف فى صفه هذا القتل أ هو مؤمن أم كافر فليل إنه كافر إلا أنه يلزم قاتله ديته بسبب العهد عن ابن عباس و الزهرى و الشعبى و إبراهيم النخعى و قتاده و ابن زيد و

قيل بل هو مؤمن يلزم قاتله الدية يؤديها إلى قومه المشركين لأنهم أهل ذمه عن الحسن و إبراهيم و رواه أصحابنا أيضا إلا أنهم قالوا تعطى ديته ورثته المسلمين دون الكفار

و لفظ الميثاق يقع على الذمه و العهد جميعا «فَمَنْ لَمْ يَجِدْ» أى لم يقدر على عتق الرقبه بأن لا يجد العبد و لا ثمنه «فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ» أى فعليه صيام شهرين «مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ» أى ليتوب الله به عليكم فتكون التوبه من فعل الله و قيل إن المراد بالتوبه هنا التخفيف من الله لأن الله إنما جوز للقاتل العدول إلى الصيام تخفيفا عليه و يكون كقوله تعالى «عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ» «وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا» أى لم يزل عليما بكل شىء «حَكِيمًا» فيما يأمر به و ينهى عنه و أما الدية الواجبه فى قتل الخطأ فمائه من الإبل إن كانت العاقله من أهل الإبل بلا خلاف و إن اختلفوا فى أسنانها

فليل هى أربع عشرون بنت مخاض و عشرون ابن لبون ذكر و ثلاثون بنت لبون و ثلاثون حقه و روى ذلك عن عثمان و زيد بن ثابت و رواه أصحابنا أيضا

و

قد روى أيضا فى أخبارنا خمس و عشرون بنت مخاض و خمس و عشرون بنت لبون و خمس و عشرون حقه و خمس و عشرون جذعه

و به قال الحسن و الشعبى و قيل إنها إخماس عشرون حقه و عشرون جذعه و عشرون بنت لبون و عشرون ابن لبون و عشرون بنت مخاض و هذا قول ابن مسعود و ابن عباس و الزهرى و الثورى و إليه ذهب الشافعى و قال أبو حنيفة هى إخماس أيضا إلا أنه جعل مكان ابن لبون ابن مخاض و به قال النخعى و روه أيضا عن ابن مسعود قال الطبرى هذه الروايات متكافئه و الأولى التخيير فأما الدية من الذهب فألف دينار و من الورق عشره آلاف درهم و هو الأصح و قيل اثنا عشر ألفا و ديه الخطأ تتأدى فى ثلاث سنين و لو خلىنا و ظاهر الآيه لقلنا أن ديه الخطأ على القاتل لكن علمنا بسنه الرسول و الإجماع أن الدية فى الخطأ على العاقله و هم الأخواه و بنو الأخواه و الأعمام و بنو الأعمام و أمم الأب و أبناءؤهم و الموالى و به قال الشافعى و قال أبو حنيفة يدخل الوالد و الولد فيها و يعقل القاتل و قد

روى ابن مسعود عن النبى أنه قال لا يؤخذ الرجل بجريه ابنه و لا الابن بجريه أبيه

و ليس إزام الدية للعاقله على سبيل مؤاخذه البرىء بالسقيم لأن ذلك ليس بعقوبه بل هو حكم شرعى تابع

للمصلحة وقد قيل إن ذلك على سبيل المؤاساه و المعاونه.

النظم

أنه تعالى ذكر الكفار و أمر بقتلهم ثم ذكر من كان بينهم و بين المسلمين عهد و منع من قتلهم ثم ذكر من نافع و حكم قتلهم ثم ذكر قتل المؤمن و وصل به ذكر أحكامه من ديه و غيرها.

[سوره النساء (٤): آيه ٩٣]

اشاره

وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣)

النزول

نزلت في مقيس بن صبابه الكناني وجد أخاها هشاما قتيلا في بني النجار فذكر ذلك لرسول الله (ص) فأرسل معه قيس بن هلال الفهري و قال له قل لبني النجار إن علمتم قاتل هشام فادفعوه إلى أخيه ليقتص منه و إن لم تعلموا فادفعوا إليه ديته فبلغ الفهري الرساله فأعطوه الديه فلما انصرف و معه الفهري وسوس إليه الشيطان فقال ما صنعت شيئا أخذت ديه أخيك فيكون سبه عليك اقتل الذي معك لتكون نفس بنفس و الديه فضل فرماه بصخره فقتله و ركب بعيرا و رجع إلى مكه كافرا و أنشد يقول:

قتلت به فهرا و حملت عقله

سراه بني النجار أرباب فارح

فأدركت ثاري و اضطجعت موسدا

و كنت إلى الأوثان أول راجع

فقال النبي لا أؤمنه في حل و لا حرم فقتل يوم الفتح رواه الضحاك و جماعه من المفسرين.

المعنى

لما بين تعالى قتل الخطي و حكمه عقبه بيان قتل العمد و حكمه فقال «وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا» أى قاصدا إلى قتله عالما بإيمانه و حرمة قتله و عصمه دمه و قيل معناه مستحلا لقتله عن عكرمه و ابن جريج و جماعه و قيل

معنى التعمد أن يقتله على دينه رواه العياشى بإسناده عن الصادق (عليه السلام)

«فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا» مقيما «فِيهَا وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ لَعَنَهُ» أبعده من الخير و طرده عنه على وجه العقوبه «وَ أَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا»

ظاهر

ص: ١٤٢

المعنى و صفه قتل العمد أن يقصد قتل غيره بما جرت العاده بأن يقتل مثله سواء كان بحديده حاده كالسلاح أو بخنق أو سم أو إحراق أو تغريق أو مواله ضرب بالعصا أو بالحجاره حتى يموت فإن جميع ذلك عمد يوجب القود و به قال إبراهيم و الشافعى و أصحابه و قال قوم لا يكون قتل العمد إلا بالحديد و به قال سعيد بن المسيب و طاووس و أبو حنيفه و أصحابه و أما القتل شبيه العمد فهو أن يضرب بعضا أو غيرها مما لم تجر العاده بحصول الموت عنده فيموت ففيه الدية مغلظه تلزم القاتل خاصه فى ماله دون العاقله و فى هذه الآيه و عيد شديد لمن قتل مؤمنا متعمدا حرم الله به قتل المؤمن و غلظ فيه و قال جماعه من التابعين الآيه اللينه و هى إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ* نزلت بعد الشديده و هى «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا» و قال أبو مجلز فى قوله «فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا»

فهى جزاؤه إن جازاه و يروى هذا أيضا عن أبى صالح و رواه أيضا العياشى بإسناده عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و

قد روى أيضا مرفوعا إلى النبى (ص) أنه قال هو جزاؤه إن جازاه

و روى عاصم بن أبى النجود عن ابن عباس فى قوله «فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ» قال هى جزاؤه فإن شاء عذبه و إن شاء غفر له و روى عن أبى صالح و بكر بن عبد الله و غيره أنه كما يقول الإنسان لمن يزره عن أمره إن فعلته فجزاؤك القتل و الضرب ثم إن لم يجازاه بذلك لم يكن ذلك منه كذبا و اعترض على هذا أبو على الجبائى فقال ما لا يفعل لا يسمى جزاء ألا ترى أن الأجير إذا استحق الأجره فالدرهم التى مع مستأجره لا تسمى بأنها جزاء عمله و هذا لا يصح لأن الجزاء عباره عن المستحق سواء فعل ذلك أو لم يفعل و لهذا يقال جزاء المحسن الإحسان و جزاء المسىء الإساءه و إن لم يتعين المحسن و المسىء حتى يقال أنه فعل ذلك به أو لم يفعل و يقال لمن قتل غيره جزاء هذا أن يقتل و إنما لا يقال للدرهم أنها جزاء الأجير لأن الأجير إنما يستحق الأجره فى الذمه لا فى دراهم معينه فللمستأجر أن يعطيه منها و من غيرها و من تعلق بهذه الآيه من أهل الوعيد فى أن مرتكب الكبيره لا بد أن يخلد فى النار فإننا نقول له ما أنكرت أن يكون المراد به من لا ثواب له أصلا بأن يكون كافرا أو يكون قتله مستحلا لقتله أو قتله لإيمانه فإنه لا خلاف أن هذه صفه من يخلد فى النار و يعضده من الروايه ما تقدم ذكره فى سبب نزول الآيه و أقوال الأئمه فى معناها و بعد فقد وافقنا على أن الآيه مخصوصه بمن لا يتوب و إن التائب خارج من عمومها و أما ما روى عن ابن عباس أنه قال لا توبه لقاتل المؤمن إلا إذا قتله فى حال الشرك ثم أسلم و تاب و به قال ابن مسعود و زيد بن ثابت فالأولى أن يكون هذا القول منهم محمولا على سلوك سبيل التغليظ فى القتل كما روى عن سفیان الثورى أنه سئل عن

توبه القاتل فقال أهل العلم إذا سئلوا قالوا لا توبه له و إذا ابتلى الرجل قالوا له تب و روى الواحدى بإسناده مرفوعا إلى عطا عن ابن عباس أن رجلا- سأله أ لقاتل المؤمن توبه فقال لا و سأله آخر أ لقاتل المؤمن توبه فقال نعم فقيل له فى ذلك فقال جاءنى ذلك و لم يكن قتل فقلت لا- توبه لك لكى لا يقتل و جاءنى هذا و قد قتل فقد قلت لك توبه لكى لا يلقى نفسه بيده إلى التهلكه و من قال من أصحابنا أن قاتل المؤمن لا يوفق للتوبه لا ينافى ما قلناه لأن هذا القول إن صح فإنما يدل على أنه لا يختار التوبه مع أنها لو حصلت لأزالت العقاب و إذا كان لا بد من تخصيص الآيه بالتوبه جاز أن يختص أيضا بمن تفضل عليه بالعفو و روى الواحدى بإسناده مرفوعا إلى الأصمعى قال جاء عمرو بن عبيد إلى أبى عمرو بن العلاء فقال يا أبا عمرو أ يخلف الله ما وعده فقال لا- قال أ فرأيت من أوعده على عمل عقابا أ يخلف الله وعده فيه فقال أبو عمرو من العجمه أتيت يا أبا عثمان أن الوعد غير الوعيد إن العرب لا تعد عارا و لا خلفا أن تعد شرا ثم لا تفعله يرى ذلك كرما و فضلا و إنما الخلف فى أن تعد خيرا ثم لا تفعله قال فأوجدنى هذا فى كلام العرب قال نعم سمعت قول الأول:

و إنى إن أوعدته أو وعدته

لمخلف إبعادى و منجز موعدى

و وجدنا فى الدعاء

المروى بالروايه الصحيحه عن الصادقين (عليه السلام) يا من إذا وعد وفى و إذا توعد عفا

و هذا يؤيد ما تقدم و قد أحسن يحيى بن معاذ فى هذا المعنى حيث قال الوعد حق و الوعيد حق فالوعد حق العباد على الله ضمن لهم إذا فعلوا كذا أن يعطيهم كذا و من أولى بالوفاء من الله و الوعيد حقه على العباد قال لا تفعلوا كذا فأعذبكم ففعلوا فإن شاء عفا و إن شاء عاقب لأنه حقه و أولاهما برنا العفو و الكرم أنه غفور رحيم و روى إسحاق بن إبراهيم قال سمعت قيس بن أنس يقول كنت عند عمرو بن عبيد فى بيته فأنشأ يقول يؤتى بى يوم القيامه فأقام بين يدى الله فيقول قلت أن القاتل فى النار فأقول أنت قلت «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا» الآيه فقلت له و ما فى البيت أصغر سنا منى أ رأيت أن لو قال لك فأنى قلت ف إنَّ الله لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ أَيْنَ علمت أنى لا أشاء أن أغفر لهذا قال فما استطاع أن يرد على شيئا.

ص: ١٤٤

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٩٤)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم فتثبتوا هنا في الموضوعين بالثاء والتاء وفي الحجرات وقرأ الباقون «فَتَبَيَّنُوا» بالثاء والنون في الجميع وقرأ أهل المدينة والشام وحمزه وخلف السلم بغير ألف وقرئ في بعض الروايات عن عاصم السلم بكسر السين وسكون اللام وقرأ الباقون «السَّلَامَ» بالألف و

روى عن أبي جعفر القارئ من بعض الطرق لست مؤمنا بفتح الميم الثانية وحكى أبو القاسم البلخي أنه قرأه محمد بن علي الباقر.

الحجج

قال أبو علي من قرأ فتثبتوا فحجته أن التثبث خلاف الإقدام والمراد به التأني وهو أشد اختصاصا بهذا الموضع وبيّن ذلك قوله «وَأَشَدُّ تَثَبُّتًا» أي أشد وقفا لهم عما وعظوا بأن لا يقدموا عليه ومن قرأ «فَتَبَيَّنُوا» فحجته أن التبيين قد يكون أشد من التثبث وقد جاء التبيين من الله والعجلة من الشيطان فمقابله التبيين بالعجلة دلالة على تقارب التثبث والتبيين قال الشاعر في موضع التوقف والزجر:

أزيد منا توعد يا ابن تيم

تبين أين تاه بك الوعيد

قال ومن قرأ «السَّلَامَ» احتمل ضربين (أحدهما) أن يكون بمعنى التحية أي ولا تقولوا لمن حياكم بتحية المسلمين إنما قالها تعوذا ولكن ارفعوا السيف عنه (و الآخر) أن يكون المعنى لا تقولوا لمن لا يقا تلکم لست مؤمنا قال أبو الحسن يقال فلان سلام إذا كان لا- يخالط أحدا ومن قرأ السلم أراد الانقياد والاستسلام إلى المسلمين ومنه قوله «وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ» أي استسلموا لأمره ولما يراد منهم ومن قرأ السلم بكسر السين فمعناه الإسلام مصدر أسلم أي صار سلما وخرج عن أن يكون حربا ومن قرأ مؤمنا فإنه من الأمان ومعناه لا تقولوا لمن استسلم لكم لسنا نؤمنكم.

اللغة

جميع متاع الدنيا عرض يقال إن الدنيا عرض حاضر ويقال لكل شيء ع يقل

لثبه عرض و منه العرض الذى هو خلاف الجوهر عند المتكلمين لأنه ما لا- يجب له من اللبث ما يجب للأجسام و العرض ما يعرض للإنسان من مرض أو غيره.

الإعراب

تبتغون فى موضع نصب على الحال من الواو فى تقولوا و الكاف من كذلك فى موضع نصب بكونه خبر كان من كنتم.

النزول

قيل نزلت فى أسامه بن زيد و أصحابه بعثهم النبى فى سريره فلقوا رجلا قد انحاز بغنم له إلى جبل و كان قد أسلم فقال لهم السلام عليكم لا إله إلا الله محمد رسول الله فبدر إليه أسامه فقتله و استاقوا غنمه عن السدى و روى عن ابن عباس و قتاده أنه لما نزلت الآية حلف أسامه أن لا يقتل رجلا قال لا إله إلا الله و بهذا اعتذر إلى على لما تخلف عنه و إن كان عذره غير مقبول لأنه قد دل الدليل على وجوب طاعه الإمام فى محاربه من حاربه من البغاه لا سيما و

قد سمع النبى يقول حربك يا على حربى و سلمك سلمى

و قيل نزلت فى محلم بن جثامه الليثى و كان بعثه النبى (ص) فى سريره فلقه عامر بن الأضبط الأشجعى فحياه بتحيه الإسلام و كان بينهما إحنة فرماه بسهم فقتله فلما جاء إلى النبى جلس بين يديه و سأله أن يستغفر له فقال (ص) لا غفر الله لك فانصرف باكيا فما مضت عليه سبعة أيام حتى هلك فدفن فلفظته الأرض

فقال (ص) لما أخبر به أن الأرض تقبل من هو شر من محلم صاحبكم و لكن الله أراد أن يعظم من حرمتكم

ثم طرحوه بين صدفى جبل و ألقوا عليه الحجارة فنزلت الآية عن الواقدى و محمد بن إسحاق بن يسار روياه عن ابن عمر و ابن مسعود و ابن حدرد و قيل كان صاحب السريه المقداد عن سعيد بن جبير و قيل أبو الدرداء عن ابن زيد.

المعنى

لما بين تعالى أحكام القتل و أنواعه عقب ذلك بالأمر بالثبث و التأنى حتى لا يفعل ما يعقب الندامه فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ» أى صرتم و سافرتم «فِي سَبِيلِ اللَّهِ» للغزو و الجهاد «فَتَبَيَّنُوا» أى ميزوا بين الكافر و المؤمن و بالثناء و التاء توقفوا و تأنوا حتى تعلموا من يستحق القتل و المعنيان متقاربان و المراد بهما لا- تعجلوا فى القتل لمن أظهر السلام ظنا منكم بأنه لا حقيقه لذلك «وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ» أى حياكم بتحيه أهل الإسلام أو من استسلم لكم فلم يقا تلکم مظهرا أنه من أهل ملتكم «لَسْتُمْ

ص: ١٤٦

مُؤْمِنًا» أى ليس لإيمانك حقيقه و إنما أسلمت خوفا من القتل أو لست بأمن «تَبْتَغُونَ» أى تطلبون «عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» يعنى الغنيمه و المال و متاع الحياه الدنيا الذى لا بقاء له «فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ» أى فى مقدوره فواضل و نعم و رزق إن أطعتموه فيما أمركم به و قيل معناه ثواب كثير لمن ترك قتل المؤمن «كَذَلِكَ كُنتُمْ مِنْ قَبْلُ» اختلف فى معناه فقيل كما كان هذا الذى قتلتموه مستخفيا فى قومه بدينه خوفا على نفسه منهم كنتم أنتم مستخفين بأديانكم من قومكم حذرا على أنفسكم عن سعيد بن جبير و قيل كما كان هذا المقتول كافرا فهداه الله كذلك كنتم كفارا فهداكم الله عن ابن زيد و الجبائي و قيل كذلك كنتم أذلاء و آحادا إذا سار الرجل منكم وحده خاف أن يختطف عن المغربى «فَمَنْ اللَّهُ عَلَيكُمْ» فيه قولان (أحدهما) فمن الله عليكم بإظهار دينه و إعزاز أهله حتى أظهرتم الإسلام بعد ما كنتم تكتمونونه من أهل الشرك عن سعيد بن جبير و قيل معناه فتاب الله عليكم «فَتَبَيَّنُوا» أعاد هذا اللفظ للتأكيد بعد ما طال الكلام و قيل الأول معناه تبينوا حاله و الثانى معناه تبينوا هذه الفوائد بضمائركم و اعرفوها و ابتغوها «إِنَّ اللَّهَ كَانَ» أى لم يزل «بِمَا تَعْمَلُونَ» أى بما تعملونه «خَيْرًا» عليما قبل أن تعملوه.

[سوره النساء (٤): الآيات ٩٥ الى ٩٦]

اشاره

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ وَ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَ كَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسَيْنَى وَ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَ مَغْفِرَةً وَ رَحْمَةً وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٩٦)

القراءه

قرأ أهل المدينة و الشام و الكسائي و خلف غير أولى الضرر بنصب الرءاء و الباقر بالرفع.

الحجه

فالرفع على أن يجعل غير صفه للقاعدین عند سيويه و كذلك قال فى غير المغضوب عليهم أنه صفه ل الذين أنعمت عليهم و منه قول لبيد:

و إذا جوزيت قرضا فاجزه

إنما يجزى الفتى غير الجمل

فغير صفه للفتى فعلى هذا يكون التقدير لا يستوى القاعدون الأصحاء و المجاهدون و النصب على الاستثناء من القاعدين و يستوى فعل يقتضى فاعلين فصاعدا فالتقدير لا يستوى القاعدون إلا أولى الضرر و المجاهدون قال الزجاج و يجوز أن يكون منصوبا على الحال فيكون المعنى لا- يستوى القاعدون فى حال صحتهم و المجاهدون كما تقول جاءنى زيد غير مريض أى صحيحا و يجوز فى غير الجر على أن يكون صفه للمؤمنين فى غير القراءه.

اللغه

الضرر النقصان و هو كلما يضر ك و ينقصك من عمى و مرض و عله و الدرجه المنزله و درجته إلى كذا أى رقيته إليه منزله بعد منزله و أدرجت الكتاب طويته منزله بعد منزله و درج الرجل مضى لسبيله لأنه صار إلى منزله الآخره و منه فلان أكذب من دب و درج أى أكذب الأحياء و الأموات.

الإعراب

درجه منصوب على أنه اسم وضع موضع المصدر أى تفضيلا بدرجة و كلاً- مفعول وعد و الحسنى مفعول ثان و درجات فى موضع نصب بدلا من قوله «أَجْرًا عَظِيمًا» و هو مفسر للأجر المعنى فضل الله المجاهدين درجات و مغفره و رحمه و يجوز أن يكون منصوبا على التأكيد لأجرا عظيما لأن الأجر العظيم هو رفع الدرجات من الله و المغفره و الرحمه كما تقول لك على ألف درهم عرفا مؤكدا لقولك لك على ألف درهم لأن قولك لك على ألف درهم هو اعتراف فكأنك قلت أعرفها عرفا و كأنه قيل غفر الله لهم مغفره و آجرهم أجرا عظيما لأن قوله «أَجْرًا عَظِيمًا» فيه معنى غفر و رحم و فضل.

النزول

نزلت الآيه فى كعب بن مالك من بنى سلمه و مراره بن ربيع من بنى عمرو بن عوف و هلال بن أميه من بنى واقف تخلفوا عن رسول الله يوم تبوك و عذر الله أولى الضرر و هو عبد الله بن أم مكتوم رواه أبو حمزه الثمالى فى تفسيره و

قال زيد بن ثابت كنت عند النبى حين نزلت عليه «لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» وَ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» و لم يذكر أولى الضرر فقال ابن أم مكتوم فكيف و أنا أعمى لا أبصر لتغشى النبى الوحى ثم سرى عنه فقال اكتب «لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ» فكتبتها.

لما حث سبحانه على الجهاد عقبه بما فيه من الفضل و الثواب فقال «لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» أى لا يعتدل المتخلفون عن الجهاد فى سبيل الله من أهل الإيمان بالله و برسوله و المؤثرون الدعه و الرفاهيه على مقاساه الحرب و المشقه بقاء العدو «غَيْرُ أَوْلَى الضَّرَرِ» أى إلا أهل الضرر منهم بذهاب أبصارهم و غير ذلك من العلل التى لا سبيل لأهلها إلى الجهاد للضرر الذى بهم «وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» و منهاج دينه لتكون كلمه الله هى العليا و المستفرغون جهدهم و وسعهم فى قتال أعداء الله و إعزاز دينه «بِأَمْوَالِهِمْ» إنفاقا لها فيما يوهن كيد الأعداء «وَأَنْفُسِهِمْ» حملا لها على الكفاح فى اللقاء «فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً» معناه فضيله و منزله «وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى» معناه و كلا الفريقين من المجاهدين و القاعدين عن الجهاد وعده الله الجنة عن قتاده و غيره من المفسرين و فى هذه دلالة على أن الجهاد فرض على الكفايه لأنه لو كان فرضا على الأعيان لما استحق القاعدون بغير عذر أجرا و قيل لأن المراد بالكل هنا المجاهد و القاعد من أولى الضرر المعذور عن مقاتل «وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ» من غير أولى الضرر «أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِنْهُ» أى منازل بعضها أعلى من بعض من منازل الكرامه و قيل هى درجات الأعمال كما يقال الإسلام درجة و الفقه درجة و الهجره درجة و الجهاد فى الهجره درجة و القتل فى الجهاد درجة عن قتاده و قيل معنى الدرجات هى الدرجات التسع التى درجها فى سوره براءه فى قوله «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ» «لِيُجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» فهذه الدرجات التسع عن عبد الله بن زيد «وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً» هذا بيان خلوص النعيم بأنه لا يشويه غم بما كان منه من الذنوب بل غفر له ذلك ثم رحمه بإعطائه النعم و الكرامات «وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا» لم يزل الله غفارا للذنوب صفوحا لعبيده من العقوبه عليها «رَحِيمًا» بهم متفضلا عليهم و قد يسأل فىقال كيف قال فى أول الآيه «فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً» ثم قال فى آخرها «وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ» و هذا متناقض الظاهر و أجيب عنه بجوابين (أحدهما) أن فى أول الآيه (فضل الله المجاهدين على القاعدين من أولى الضرر) درجة و فى آخرها (فضلهم على القاعدين غير

أولى الضرر) درجات فلا تناقض لأن قوله «وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى» يدل على أن القاعدين لم يكونوا عاصين و إن كانوا تاركين للفضل (و الثاني) ما قاله أبو علي الجبائي و هو أنه أراد بالدرجة الأولى علو المنزلة و ارتفاع القدر على وجه المدح لهم كما يقال فلان أعلى درجة عند الخليفة من فلان يريدون بذلك أنه أعظم منزله و بالثانية الدرجات فى الجنة التى يتفاضل بها المؤمنون بعضهم على بعض على قدر استحقاقهم و قال المغربى إنما كرر لفظ التفضيل لأن الأول أراد به تفضيلها فى الدنيا و أراد بالثانى تفضيلهم فى الآخرة و جاء فى

الحديث " إن الله فضل المجاهدين على القاعدين سبعين درجة " بين كل درجتين مسيره سبعين خريفا للفرس الجواد المضمير.

[سوره النساء (٤): الآيات ٩٧ الى ٩٩]

أشاره

إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَ سَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَ لَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَ كَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا (٩٩)

القراءه

روى فى الشواذ عن إبراهيم أنه قرأ إن الذين توفاهم الملائكه بضم التاء.

الحجه

قال ابن جنى معنى هذا كقولك إن الذين يعدون على الملائكه يردون إليهم يحتسبون عليهم فهو نحو من قولك أن المال الذى توفاه أمه الله أى يدفع إليها و يحتسب عليها كان كل ملك جعل إليه قبض نفس بعض الناس ثم تمكن من ذلك و توفيه.

اللغه

التوفى القبض و توفيت الشىء و استوفيته قبضته و الوفاه الموت لأن الميت تقبض روحه و التوفى الإحصاء قال الشاعر:

إن بنى أدرم ليسوا من أحد

ليسوا إلى قيس و ليسوا من أسد

و لا توفاهم قريش فى العدد

المعنى أحصاهم و المأوى المرجع من أوى إلى منزله يأوى أويا إذا رجع إلى منزله و الاستضعاف وجدان الشىء ضعيفا كالاستطراف و نحوه.

الإعراب

«تَوَفَّاهُمْ» إن شئت كان لفظه ماضيا فيكون مفتوحا لأن الماضى مبنى على الفتح و يجوز أن يكون مستقبلا فيكون مرفوعا على معنى توفاهم حذف التاء الثانية لاجتماع تائين و قد ذكرناه مشروحا فيما تقدم، «ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ» نصب على الحال و أصله ظالمين أنفسهم إلا أن النون حذفت استخفافا و هى ثابتة فى التقدير كما قال سبحانه هِدْيًا بِالْغَىِّ الْكَعْبَةِ أَي بِالْغَىِّ الْكَعْبَةِ، «فِيمَ» حذفت الألف من ما الاستفهام و هو فى موضع جر بفى و الجار مع المجرور فى موضع نصب لأنه خبر كان، و خبر إن قوله «قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ» أى قالوا لهم فحذف لهم لدلاله الكلام عليه و يقال خبر إن قوله «فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ» و يكون قالوا لهم فى موضع نصب بكونه صفة ل «ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ» لأنه نكرة المستضعفين نصب على الاستثناء من قوله «مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ» «إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ» «لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً» فى موضع نصب على الحال من «الْمُسْتَضْعَفِينَ».

النزول

قال أبو حمزه الثمالى بلغنا أن المشركين يوم بدر لم يخلفوا إذ خرجوا أحدا إلا صبيا أو شيخا كبيرا أو مريضا فخرج معهم ناس ممن تكلم بالإسلام فلما التقى المشركون و رسول الله نظر الذين كانوا قد تكلموا بالإسلام إلى قله المسلمين فارتابوا و أصيبوا فيمن أصيب من المشركين فنزلت فيهم الآية و هو المروى عن ابن عباس و السدى و قتاده و

قيل أنهم قيس بن الفاكه بن المغيرة و الحارث بن زمعه بن الأسود و قيس بن الوليد بن المغيرة و أبو العاص بن منبه بن الحجاج و على بن أمية بن خلف عن عكرمه و رواه أبو الجارود عن أبى جعفر (عليه السلام)

قال ابن عباس كنت أنا من المستضعفين و كنت غلاما صغيرا و ذكر عنه أيضا أنه قال كان أبى من المستضعفين من الرجال و أمى كانت من المستضعفات من النساء و كنت أنا من المستضعفين من الولدان.

المعنى

ثم أخبر تعالى عن حال من قعد عن نصره النبى (ص) بعد الوفاة فقال

ص: ١٥١

«إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمْ» أى قبض أرواحهم أو تقبض أرواحهم «الْمَلَائِكَةُ» الملائكة ملك الموت أو هو وغيره فإن الملائكة تتوفى و ملك الموت يتوفى والله يتوفى و ما يفعله ملك الموت أو الملائكة يجوز أن يضاف إلى الله إذ فعلوه بأمره و ما تفعله الملائكة جاز أن يضاف إلى ملك الموت إذ فعلوه بأمره «ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ» أى فى حال هم فيها ظالمو أنفسهم إذ بخسوها حقها من الثواب و أدخلوا عليها العقاب بفعل الكفر «قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ» أى قالت لهم الملائكة فيم كنتم أى فى أى شىء كنتم من دينكم على وجه التقرير لهم أو التوبيخ لفعلهم «قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ» يستضعفنا أهل الشرك بالله فى أرضنا و بلادنا بكثرة عددهم و قوتهم و يمنعوننا من الإيمان بالله و اتباع رسوله على وجه الاعتذار «قَالُوا» أى قالت الملائكة لهم «أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا» أى فتخرجوا من أرضكم و دوركم و تفارقوا من يمنعكم من الإيمان بالله و رسوله إلى أرض يمنعكم أهلها من أهل الشرك فتوحده و تعدوه و تتبعوا رسوله و روى عن سعيد بن جبیر أنه قال فى معناه إذا عمل بالمعاصى فى أرض فأخرج منها ثم قال تعالى «فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ» أى مسكنهم جهنم «وَسَاءَتْ» هى أى جهنم «مَصِيرًا» لأهلها الذين صاروا إليها ثم استثنى من ذلك فقال «إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ» الذين استضعفهم المشركون «مِنَ الرِّجَالِ وَ النِّسَاءِ وَ الْوِلْدَانِ» و هم الذين يعجزون عن الهجره لإعسارهم و قله حيلتهم و هو قوله «لَا يَشِيطُوعُونَ حِيلَةً وَ لَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا» فى الخلاص من مكه و قيل معناه لا يهتدون لسوء معرفتهم بالطريق طريق الخروج منها أى لا يعرفون طريقا إلى المدينة عن مجاهد و قتاده و جماعه من المفسرين «فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ» معناه لعل الله أن يعفو عنهم لما هم عليه من الفقر و يتفضل عليهم بالصفح عنهم فى تركهم الهجره من حيث لم يتركوها اختيارا «وَ كَانَ اللَّهُ عَفُورًا» أى لم يزل الله ذا صفح بفضلته عن ذنوب عباده بترك عقوبتهم على معاصيهم «عَفُورًا» أى ساترا عليهم ذنوبهم بعفوه لهم عنها

قال عكرمه و كان النبى يدعو عقيب صلاه الظهر اللهم خلص الوليد و سلمه بن هشام و عياش بن أبى ربيعه و ضعفه المسلمين من أيدي المشركين.

إشارة

وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٠)

اللغة

المهاجرة المفارقة و أصله من الهجر الذى هو ضد الوصل و المراغم المضطرب فى البلاد و المذهب و أصله من الرغام و هو التراب و معنى راغمت فلانا هاجرته و لم أبال رغم أنفه أى و إن لصق بالتراب أنفه و أرغم الله أنفه ألصقه بالتراب و قيل أصله الذل و الشده و المراغم المعادى الذى يروم إذلال صاحبه و منه

الحديث إذا صلى أحدكم فيلزم جبينه و أنفه الأرض حتى يخرج منه الرغم

أى حتى يذل و يخضع لله تعالى و فعلته على رغمه أى على ذله بما يكره و أرغم الله أنفه أذله و المراغم الموضع و المصدر من المراغمه قال:

إلى بلد غير داني المحل

بعيد المراغم و المضطرب

. النزول

قيل لما نزلت آيات الهجرة سمعها رجل من المسلمين و هو جندع أو جندب بن ضميره و كان بمكة فقال و الله ما أنا مما استثنى الله إني لأجد قوه و إني لعالم بالطريق و كان مريضاً شديداً المرض فقال لبنيه و الله لا أبيت بمكة حتى أخرج منها فإني أخاف أن أموت فيها فخرجوا يحملونه على سرير حتى إذا بلغ التنعيم مات فنزلت الآية عن أبي حمزة الثمالي و عن قتاده و عن سعيد بن جبير و قال عكرمه و خرج جماعه من مكة مهاجرين فلحقهم المشركون و فتنوهم عن دينهم فافتنوا فأنزل الله فيهم «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ» فكتب بها المسلمون إليهم ثم نزلت فيهم «ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ».

المعنى

ثم قال سبحانه «وَمَنْ يُهَاجِرْ» يعنى يفارق أهل الشرك و يهرب بدينه من وطنه إلى أرض الإسلام «فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أى فى منهاج دين الله و طريقه الذى شرعه لخلقه «يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً» أى متحولا من الأرض و سعه فى الرزق عن ابن عباس و الضحاك و الربيع و قيل مزحزا عما يكره و سعه من الضلالة إلى الهدى عن مجاهد و قتاده و قيل مهاجرا فسيحا متسعا مما

كان فيه من تضيق المشركين عليه «وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ» أخبر سبحانه إن من خرج من بلده مهاجرا من أرض الشرك فارا بدينه إلى الله ورسوله «ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ» قبل بلوغه دار الهجرة و أرض الإسلام «فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ» أى ثواب عمله و جزاء هجرته على الله تعالى «وَكَانَ اللَّهُ

ص: ١٥٣

غُفُوراً» أى ساترا على عباده ذنوبهم بالعفو عنهم «رَحِيمًا» بهم رفيقا و مما جاء فى معنى الآيه من

الحديث ما رواه الحسن عن النبى (ص) أنه قال من فر بدينه من أرض إلى أرض و إن كان شبرا من الأرض استوجب الجنة و كان رفيق إبراهيم و محمد (عليه السلام)

و

روى العياشى بإسناده عن محمد بن أبى عمير حدثنى محمد بن حليم قال وجه زراره بن أعين ابنه عبيدا إلى المدينة ليستخبر له خبر أبى الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) و عبد الله فمات قبل أن يرجع إليه عبيد ابنه قال محمد بن أبى عمير حدثنى محمد بن حكيم قال ذكرت لأبى الحسن (عليه السلام) زراره و توجيهه عبيدا ابنه إلى المدينة فقال إنى لأرجو أن يكون زراره ممن قال الله فيهم «وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ»

الآيه.

[سوره النساء (٤): آيه ١٠١]

اشاره

وَ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا (١٠١)

اللغه

فى قصر الصلاة ثلاث لغات قصرت الصلوات أقصرها و هى لغه القرآن و قصرتها تقصيرا و أقصرتها إقصارا و فتنت الرجل أفتنه فهو مفتون لغه أهل الحجاز و بنى تميم و ربيعه و أهل نجد كلهم و أسد يقولون أفتنت الرجل فهو فاتن و قد فتن فتونا إذا دخل فى الفتنة و إنما قال فى الكافرين أنهم عدو لأن لفظه فعول تقع على الواحد و الجماعات.

المعنى

«وَ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ» معناه إذا سرتم فيها أى سافرتم «فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ» أى حرج و إثم «أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ» فيه أقوال (أحدها)

إن معناه أن تقصروا من عدد الصلاة فتصلوا الرباعيات ركعتين عن مجاهد و جماعه من المفسرين و هو قول أكثر الفقهاء و هو مذهب أهل البيت (عليه السلام)

و قيل تقصر صلاة الخائف من صلاة المسافر و هما قصران قصر الأمن من أربع إلى ركعتين و قصر الخوف من ركعتين إلى

ركعه واحده عن جابر و مجاهد و قد رواه أيضا أصحابنا (و ثانيها) إن معناه القصر من حدود الصلاة عن ابن عباس و طاووس و هو الذي رواه أصحابنا في صلاة شدة الخوف و إنها تصلى إيماء و السجود أخفض من الركوع فإن لم يقدر على ذلك فالتسيح المخصوص كاف عن كل ركعه (و ثالثها) إن المراد بالقصر الجمع بين الصلاتين و الصحيح الأول «إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ

ص: ١٥٤

الَّذِينَ كَفَرُوا» يعنى خفتم فتنه الذين كفروا فى أنفسكم أو دينكم و قيل معناه إن خفتم أن يقتلكم الذين كفروا فى الصلاة عن ابن عباس و مثله قوله تعالى «عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَ مَلَأْتَهُمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ» أى يقتلهم و قيل معناه أن يعذبكم الذين كفروا بنوع من أنواع العذاب «إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عِدُوًّا مُّبِينًا» أى ظاهرى العداوه و فى قراءه أبى بن كعب فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة أن يفتنكم الذين كفروا من غير أن يقرأ «إِنْ خِفْتُمْ» و قيل إن معنى هذه القراءة أن لا يفتنكم أو كراهه أن يفتنكم كما فى قوله «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضَلُّوا» و ظاهر الآيه يقتضى أن القصر لا يجوز إلا عند الخوف لكنا قد علمنا جواز القصر عند الأيمن ببيان النبى و يحتمل أن يكون ذكر الخوف فى الآيه قد خرج مخرج الأعم و الأغلغ عليهم فى أسفارهم فإنهم كانوا يخافون الأعداء فى عامتها و مثله فى القرآن كثير و اختلف الفقهاء فى قصر الصلاة فى السفر فقال الشافعى هى رخصه و اختاره الجبائى و قال أبو حنيفة هو عزيمة و فرض و هذا مذهب أهل البيت

قال زراره و محمد بن مسلم قلنا لأبى جعفر ما تقول فى الصلاة فى السفر كيف هى و كم هى قال إن الله يقول «وَ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ» فصار التقصير واجبا فى السفر كوجوب التمام فى الحضر قالنا أنه قال لا جناح عليكم أن تقصروا من الصلاة و لم يقل افعل فكيف أوجب ذلك كما أوجب التمام قال أ و ليس قال تعالى فى الصفا و المروه «فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا» أ لا ترى أن الطواف واجب مفروض لأن الله تعالى ذكرهما فى كتابه و صنعهما نبىه و كذا التقصير فى السفر شىء صنع رسول الله و ذكره الله فى الكتاب قال قلت فمضى فى السفر أربعا أ يعيد أم لا قال إن كان قرئت عليه آيه التقصير و فسرت له فصلى أربعا أعاد و إن لم يكن قرئت عليه و لم يعلمها فلا إعاده عليه و الصلاة فى السفر كل فريضه ركعتان إلا المغرب فإنها ثلاث ليس فيها تقصير تركها رسول الله فى السفر و الحضر ثلاث ركعات و فى هذا الخبر دلالة على أن فرض المسافر مخالف لفرض المقيم و قد أجمعت الطائفة على ذلك و على أنه ليس بقصر و قد

روى عن النبى أنه قال فرض المسافر ركعتان غير قصر

و عندهم إن الخوف بانفراده موجب للقصر و فيه خلاف بين الفقهاء و ذهب جماعه من الصحابه و التابعين إلى أن الله عنى بالقصر فى الآيه قصر صلاة الخوف من صلاة السفر لا من صلاة الإقامة لأن صلاة السفر عندهم ركعتان تمام غير قصر فمنهم جابر بن عبد الله و حذيفة اليمان و زيد بن ثابت و ابن عباس و أبو هريره و كعب و كان من الصحابه قطعت يده يوم اليمامة و ابن عمر و سعيد بن جبير و السدى و أما حد السفر الذى يجب عنده القصر فعندنا ثمانية

فراسخ و قيل مسيره ثلاثه أيام بلياليها و هو مذهب أبى حنيفه و أصحابه و قيل سته عشر فرسخا ثمانيه و أربعين ميلا و هو مذهب الشافعى.

النظم

وجه اتصال الآيه بما قبلها أنه لما أمر بالجهاد و الهجره بين صلاه السفر و الخوف رحمه منه و تخفيفا لعباده.

[سوره النساء (٤): آيه ١٠٢]

اشاره

وَ إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَ لِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَ لْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصِ إِلَيْهَا فَلْيُصِرْ لَهَا مَعَكَ وَ لِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَ أَسْلِحَتَهُمْ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَ أَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَهُ وَاحِدَةً وَ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَ خُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (١٠٢)

اللغه

أسلحه جمع سلاح مثل حمار و أحمره و السلاح اسم لجمله ما يدفع به الناس عن أنفسهم فى الحروب مما يقاتل به خاصه لا يقال للدواب و ما أشبهها سلاح و الجناح الاسم من جنحت عن المكان إذا عدلت عنه و أخذت جانبا عن القصد و أذى مقصور يقال أذى فلان يأذى أذى مثل فرع يفرع فرعا.

الإعراب

و ليأخذوا القراءه على سكون اللام و الأصل و ليأخذوا بالكسر إلا أن الكسر يستثقل فيحذف استخفافا و كذلك فلتقم و لتأت و موضع أن تضعوا نصب أى لا إثم عليكم فى أن تضعوا فلما سقطت فى عمل ما قبل أن فيها و على المذهب الآخر يكون موضعها جرا بإضمار حرف الجر و إنما قال «طائفة أخرى» و لم يقل آخرون و قال «لَمْ يُصَلُّوا»

ص: ١٥٦

فليصلوا و لم يقل لم تصل فلتصل حملا للكلام تاره على اللفظ و أخرى على المعنى كما قال وَ إِنِ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا و لم يقل اقتتلا و مثله كثير.

المعنى

ثم ابتدأ تعالى ببيان صلاه الخوف فى جماعه فقال «وَ إِذَا كُنْتَ» يا محمد «فِيهِمْ» يعنى فى أصحابك الضارين فى الأرض الخائفين عدوهم أن يغزوهم «فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ» بحدودها و ركوعها و سجودها عن الحسن و قيل معناه أقمت لهم الصلاه بأن تؤمهم «فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ» أى من أصحابك الذين أنت فيهم «مَعَكَ» فى صلاتك و ليكن سائرهم فى وجه العدو و تقديره و لتقم طائفه منهم تجاه العدو و لم يذكر ما ينبغى أن تفعله الطائفه غير المصليه لدلاله الكلام عليه «وَ لِيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ» اختلف فى هذا فقيل المأمور بأخذ السلاح الطائفه المصليه مع رسول الله يأخذون من السلاح مثل السيف يتقلدون به و الخنجر يشدونه إلى دروعهم و كذلك السكين و نحو ذلك و هو الصحيح و قيل هم الطائفه التى بإزاء العدو دون المصليه عن ابن عباس «فَإِذَا سَجَدُوا» يعنى الطائفه التى تصلى معه و فرغوا من سجودهم «فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ» يعنى فليصيروا بعد فراغهم من سجودهم مصافين للعدو و اختلف فى الطائفه الأولى إذا رفعت رءوسهم من السجود و فرغت من الركعه كيف يصنعون فعندنا أنهم يصلون ركعه أخرى و يتشهدون و يسلمون و الإمام قائم فى الثانيه ثم ينصرفون إلى مواقف أصحابهم و يجىء الآخرون فيستفتحون الصلاه و يصلى بهم الإمام الركعه الثانيه حسب و يطيل تشهده حتى يقوموا فيصلوا بقيه صلاتهم ثم يسلم بهم الإمام فيكون للطائفه الأولى تكبيره الافتتاح و للثانيه التسليم و هو مذهب الشافعى أيضا و قيل إن الطائفه الأولى إذا فرغت من ركعه يسلمون و يمضون إلى وجه العدو و تأتى الطائفه الأخرى و يصلى بهم ركعه و هو مذهب مجاهد و جابر و من يرى أن صلاه الخوف ركعه واحده و قيل إن الإمام يصلى بكل طائفه ركعتين فيصلى بهم مرتين بكل طائفه مره عن الحسن و قيل إنه إذا صلى بالطائفه الأولى ركعه مضوا إلى وجه العدو و تأتى الطائفه الأخرى فيكبرون و يصلى بهم الركعه الثانيه و يسلم الإمام و يعودون إلى وجه العدو و تأتى الطائفه الأولى فيقضون ركعه بغير قراءه لأنهم لاحقون و يسلمون و يرجعون إلى وجه العدو و تأتى الطائفه الثانيه فيقضون ركعه بغير قراءه لأنهم مسبوقون عن عبد الله بن مسعود و هو مذهب أبى حنيفه «وَ لَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَيِّمُوا» و هم الذين كانوا بإزاء العدو «فَلْيُصَيِّمُوا مَعَكَ وَ لِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَ أَسْلِحَتَهُمْ» يعنى و ليكونوا حذرين من عدوهم متأهبين لقتالهم بأخذ الأسلحه أى آلات

الحرب و هذا يدل على أن الفرقة المأموره بأخذ السلاح فى الأول هم المصلون دون غيرهم «وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا» معناه تمنى الذين كفروا «لَوْ تَغْفُلُونَ» لو تعزلون «عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ» و تشتغلون عن أخذها تأهباً للقتال «وَأَمَّتِ كُفْرًا» أى و عن أمتعتكم التى بها بلاغكم فى أسفاركم فتسهون عنها «فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مِثْلَهُ وَاحِدَةً» أى يحملون عليكم حملة واحده و أنتم متشاغلون بصلاتكم فيصيون منكم غره فيقتلونكم و يستيحيون عسكركم و ما معكم المعنى لا تتشاغلوا بأجمعكم بالصلاه عند مواقفه العدو فيتمكن عدوكم من أنفسكم و أسلحتكم و لكن أقيموها على ما أمرتم به و من عاده العرب أن يقولوا ملنا عليهم بمعنى حملنا

قال العباس بن عباد بن نضله الأنصارى لرسول الله ليله العقبه الثانيه و الذى بعثك بالحق إن شئت لنميلن غدا على أهل منى بأسيافنا فقال رسول الله لم تؤمر بذلك

يعنى فى ذلك الوقت «وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِنْ مَطَرٍ» معناه لا حرج عليكم و لا إثم و لا ضيق إن نالكم أذى من مطر و أنتم مواقفو عدوكم «أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَى» يعنى إعلاء أو جرحى «أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ» إذا ضعفتن عن حملها لكن إذا وضعتموها فاحترسوا منهم «وَأُخَذُوا حِذْرًا» لئلا يميلوا عليكم و أنتم غافلون «إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا» مذلا يقون فيها أبدا و فى الآيه دلالة على صدق النبى و صحه نبوته و ذلك أنها نزلت و النبى بعسفان و المشركون بضجنان فتوافقوا فصلى النبى و أصحابه صلاه الظهر بتمام الركوع و السجود فهم المشركون بأن يغيروا عليهم فقال بعضهم إن لهم صلاه أخرى أحب إليهم من هذه يعنون صلاه العصر فأنزل الله عليه هذه الآيه فصلى بهم العصر صلاه الخوف و كان ذلك سبب إسلام خالد بن الوليد القصه و فيها دلالة أخرى

ذكر أبو حمزه فى تفسيره إن النبى غزا محاربا و بنى أنمار فهزمهم الله و أحرزوا الذرارى و المال فنزل رسول الله و المسلمون و لا يرون من العدو واحدا فوضعوا أسلحتهم و خرج رسول الله ليقضى حاجته و قد وضع سلاحه فجعل بينه و بين أصحابه الوادى فألى أن يفرغ من حاجته و قد درأ الوادى و السماء ترش فحال الوادى بين رسول الله و بين أصحابه و جلس فى ظل شجره فبصر به غورث بن الحارث المحاربي فقال له أصحابه يا غورث هذا محمد قد انقلع من أصحابه فقال قتلنى الله إن لم أقتله و انحدر من الجبل و معه السيف و لم يشعر به رسول الله إلا و هو قائم على رأسه و معه السيف قد سله من غمده و قال يا محمد من يعصمك منى الآن فقال الرسول الله فانكب العدو الله لوجهه فقام رسول الله فأخذ سيفه و قال يا غورث من يمنعك منى الآن قال لا أحد قال أ تشهد أن لا إله إلا الله و إنى عبد الله و رسوله قال لا و لكنى أعهد أن لا أقاتلك أبدا و لا أعين عليك عدوا فأعطاه

رسول الله سيفه فقال له غورث و الله لأنت خير منى قال (عليه السلام) إني أحق بذلك

و خرج غورث إلى أصحابه فقالوا يا غورث لقد رأيناك قائما على رأسه بالسيف فما منعك منه قال الله أهويت له بالسيف لأضربه فما أدرى من زلجنى بين كتفى فخررت لوجهى و خر سيفى و سبقنى إليه محمد و أخذه و لم يلبث الوادى أن سكن فقطع رسول الله إلى أصحابه فأخبرهم الخبر و قرأ عليهم «إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِنْ مَطَرٍ الْآيَةَ كُلَّهَا.

[سوره النساء (٤): آيه ١٠٣]

اشاره

فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَ قُعودًا وَ عَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا (١٠٣)

اللغة

اطمأن الشيء أى سكن و طأمنه و طمأنه سكنه و قد قيل اطمأن بالباء بمعنى اطمأن.

المعنى

«فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ» معناه فإذا فرغتم من صلاتكم أيها المؤمنون و أنتم مواقف عدوكم «فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَ قُعودًا» أى فى حال قيامكم و قعودكم «وَ عَلَى جُنُوبِكُمْ» أى مضطجعين فقوله «وَ عَلَى جُنُوبِكُمْ» فى موضع نصب عطفًا على ما قبله من الحال أى ادعوا الله فى هذه الأحوال لعله ينصركم على عدوكم و يظفركم بهم مثل قوله «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِتْنَةً فَاتَّبِعُوا وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» عن ابن عباس و أكثر المفسرين و قيل معناه فإذا أردتم الصلاة فصلوا قيامًا إذا كنتم أصحابًا و قعودًا إذا كنتم مرضى لا تقدر على القيام و على جنوبكم إذا لم تقدر على القعود عن ابن مسعود و روى أنه قال عقيب تفسير الآية لم يعذر الله أحدا فى ترك ذكره إلا-المغلوب على عقله «فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ» اختلف فى تأويله فقيل معناه فإذا استقررت فى أوطانكم و أقمت فى أمصاركم فأتوا الصلاة التى أذن لكم فى قصرها عن مجاهد و قتاده و قيل معناه إذا استقررت بزوال خوفكم فأتوا حدود الصلاة عن السدى و ابن زيد و مجاهد فى روايه أخرى «إِنْ

ص: ١٥٩

الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا» اختلف في تأويله ف قيل معناه

إن الصلاة كانت على المؤمنين واجبه مفروضه عن ابن عباس و عطيه العوفى و السدى و مجاهد و هو المروى عن الباقر و الصادق (عليه السلام)

و قيل معناه فرضا موقوتا أى منجما تؤدونها فى أنجمها عن ابن مسعود و قتاده و القولان متقاربان.

[سوره النساء (٤): آيه ١٠٤]

اشاره

وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَ تَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا
(١٠٤)

القراءه

روى فى الشواذ عن عبد الرحمن الأعرج أن تكونوا تألمون بفتح الألف.

الحجه

قال ابن جنى أن محموله على قوله «وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ لِأَنَّكُمْ تَأْلَمُونَ» فمن اعتقد نصب أن بعد حذف الجر عنها فإن هنا منصوبه الموضع و هى على مذهب الخليل مجروره الموضع باللام المراده و صارت أن لكونها حرفا كالعوض فى اللفظ من اللام.

اللفه

الوهن الضعف و هن فلائذ فى الأمر يهن و هنا و وهونا فهو واهن و الألم الوجع و الألم جنس من الأعراض يكون من فعل الله ابتداء و بسبب و قد يكون من فعل العباد بسبب و الرجاء قد يستعمل بمعنى الخوف نحو قول الشاعر:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها

و خالفها فى بيت نوب عوامل

قال أبو ذؤيب:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها

و خالفها فى بيت نوب عوامل

وقال الفراء نوب و نوب و هى النحل و قال تعالى «ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً» و المعنى لا تخافون لله عظمه و إنما استعمل على معنى الخوف لأن الرجاء أمل و قد يخاف أن لا يتم.

النزول

قيل نزلت فى الذهاب إلى بدر الصغرى لموعده أبى سفيان يوم أحد و قيل نزلت يوم أحد فى الذهاب خلف أبى سفيان و عسكره إلى حمراء الأسد عن عكرمه.

ص: ١٦٠

عاد الكلام إلى الحث على الجهاد فقال تعالى «وَلَا تَهِنُوا» أى و لا تضعفوا «فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ» أى فى طلب القوم الذين هم أعداء الله و أعداء المؤمنين من أهل الشرك «إِنَّ تَكُونُوا» أيها المؤمنون «تَأْلَمُونَ» مما ينالكم من الجراح منكم «فَأِنَّهُمْ» يعنى المشركون «يَأْلَمُونَ» أيضا مما ينالهم منكم من الجراح و الأذى «كَمَا تَأْلَمُونَ» أى مثل ما تألمون أنتم من جراحهم و أذاهم «وَتَرْجُونَ» أنتم أيها المؤمنون «مِنَ اللَّهِ» الظفر عاجلا- و الثواب آجلا- على ما ينالكم منهم «ما لا يَرْجُونَ» هم على ما ينالهم منكم أى و أنتم إن كنتم موقنين من ثواب الله لكم على ما يصيبكم منهم بما هم مكذبون به أولى و أحرى أن تصبروا على حربهم و قتالهم منهم على حربكم و قتالكم عن ابن عباس و قتاده و مجاهد و السدى «وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا» بمصالح خلقه «حَكِيمًا» فى تدبيره إياهم و تقديره أحوالهم قال ابن عباس و عكرمه.

[القصه]

قال ابن عباس و عكرمه لما أصاب المسلمين ما أصابهم يوم أحد و صعد النبي الجبل قال أبو سفيان يا محمد لنا يوم و لكم يوم فقال أجيبوه فقال المسلمون لا سواء قتالنا فى الجنة و قتالكم فى النار فقال أبو سفيان لنا عزي و لا عزي لكم فقال النبي قولوا الله مولانا و لا مولى لكم فقال أبو سفيان أعل هبل فقال النبي قولوا الله أعلى و أجل

فقال أبو سفيان موعدا و موعداكم يوم بدر الصغرى و نام المسلمون و بهم الكلوم و فيهم نزلت «إِنْ يَمْسَسِيكُمْ قَوْلٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَوْلٌ مِثْلُهُ الْآيَةَ» و فيهم نزلت «إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ» الآية لأن الله أمرهم على ما بهم من الجراح أن يتبعوهم و أراد بذلك إرهاب المشركين و خرجوا إلى حمراء الأسد و بلغ المشركين ذلك فأسرعوا حتى دخلوا مكة.

[سورة النساء (٤): الآيات ١٠٥ الى ١٠٦]

إشاره

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَ لَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥) وَ اسْتَغْفِرِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (١٠٦)

النزول

نزلت فى بنى أبيرق و كانوا ثلاثة إخوه بشر و بشير و مبشر و كان بشير يكنى أبا

ص: ١٦١

طعمه و كان يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله (ص) ثم يقول قاله فلان و كانوا أهل حاجه فى الجاهليه و الإسلام فنقب أبو طعمه على عليه رفاعه بن زيد و أخذ له طعاما و سيفا و درعا فشكا ذلك إلى ابن أخيه قتاده بن النعمان و كان قتاده بدريا فتجسسا فى الدار و سألا أهل الدار فى ذلك فقال بنو أبيرق و الله ما صاحبكم إلا لبيد بن سهل رجل ذو حسب و نسب فأصلت عليهم لبيد بن سهل سيفه و خرج إليهم و قال يا بنى أبيرق أ ترموننى بالسرق و أنتم أولى به منى و أنتم منافقون تهجون رسول الله و تنسبون ذلك إلى قريش لتبينن ذلك أو لأضعن سيفى فيكم فداروه و

أتى قتاده رسول الله فقال يا رسول الله إن أهل بيت منا أهل بيت سوء عدوا على عمى فخرقوا عليه له من ظهرها و أصابوا له طعاما و سلاحا فقال رسول الله انظروا فى شأنكم فلما سمع بذلك رجل من بطنهم الذى هم منه يقال له أسيد بن عروه جمع رجالا من أهل الدار ثم انطلق إلى رسول الله فقال إن قتاده بن النعمان و عمه عمدا إلى أهل بيت منا لهم حسب و نسب و صلاح و أبنوهم بالقبيح و قالوا لهم ما لا ينبغى و انصرف فلما أتى قتاده رسول الله بعد ذلك ليكلمه جبهه رسول الله جبهها شديدا و قال عمدت إلى أهل بيت حسب و نسب تأتيهم بالقبيح و تقول لهم ما لا ينبغى قال فقام قتاده من عند رسول الله و رجع إلى عمه و قال يا ليتنى مت و لم أكن كلمت رسول الله فقد قال لى ما كرهت

فقال عمه رفاعه الله المستعان فنزلت الآيات «إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ» إلى قوله «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ» فبلغ بشيرا ما نزل فيه من القرآن فهرب إلى مكة و ارتد كافرا فنزل على سلافه بنت سعد بن شهيد و كانت امرأه من الأوس من بنى عمرو بن عوف نكحت من بنى عبد الدار فهجاها حسان فقال:

فقد أنزلته بنت سعد و أصبحت

ينازعها جلد استها و تنازعه

ظننتم بأن يخفى الذى قد صنعتوما

و فينا نبى عنده الوحي واضعه

فحملت رحله على رأسها فألقته بالأبطح و قالت ما كنت تأتيني بخير أهديت إلى شعر حسان هذا قول مجاهد و قتاده بن النعمان و عكرمه و ابن جريج إلا- أن عكرمه قال إن بنى أبيرق طرحوا ذلك على يهودى يقال له زيد بن السهين فجاء اليهودى إلى رسول الله و جاء بنو أبيرق إليه و كلموه أن يجادل عنهم فهم رسول الله أن يفعل و أن يعاقب اليهودى فنزلت الآيه

و به قال ابن عباس و قال الضحاك

نزلت فى رجل من الأنصار استودع درعا فجدد صاحبها فخونه رجال من أصحاب النبى فغضب له قومه فقالوا يا نبى الله خون صاحبنا و هو مسلم أمين فعذره النبى و كذب عنه و هو يرى أنه برىء مكذوب عليه فأنزل الله فيه الآيات

و اختار الطبرى هذا الوجه قال لأن الخيانه إنما تكون فى الوديعه لا فى السرقة.

المعنى

ثم خاطب الله نبيه فقال «إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ» يا محمد «الْكِتَابَ» يعنى القرآن «بِالْحَقِّ» الذى يجب لله على عباده و قيل معناه أنك به أحق «لِتَحْكُمَ» يا محمد «بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ» أى أعلمك الله فى كتابه «وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا» نهاه أن يكون لمن خان مسلما أو معاهدا فى نفسه أو ماله خصيما يدافع من طاله عنه بحقه الذى خانه فيه و يخاصم ثم قال «وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ» أمره بأن يستغفر الله فى مخاصمته عن الخائن «إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا» يصفح عن ذنوب عباده المسلمين و يترك مؤاخذتهم بها و الخطاب و إن توجه إلى النبى من حيث خصم عمن رآه على ظاهر الإيمان و العدالة و كان فى الباطن بخلافه فالمراد بذلك أمته و إنما ذكر ذلك على وجه التأديب له فى أن لا يبادر بالخصام و الدفاع عن خصم إلا بعد أن يتبين وجه الحق فيه جل نبى الله عن جميع المعاصى و القبائح و قيل أنه لم يخاصم عن الخصم و إنما هم بذلك فعاتبه الله عليه.

النظم

وجه اتصال الآيه بما قبلها أنه لما تقدم ذكر المنافقين و الكافرين و الأمر بمجانبتهم عقب ذلك بذكر الخائنين و الأمر باجتناّب الدفع عنهم و قيل أنه تعالى لما بين الأحكام و الشرائع فى السوره عقبها بأن جميع ذلك أنزل بالحق.

ص: ١٦٣

إشاره

وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا (١٠٧) يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا (١٠٨) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا (١٠٩)

اللغة

المخاصمه و المجادله و المناظره و المحاجه نظائر و إن كان بينها فرق فإن المجادله هي المنازعه فيما وقع فيه خلاف بين اثنين و المخاصمه المنازعه بالمخالفه بين اثنين على وجه الغلظه و المناظره فيما يقع بين النظيرين و المحاجه في محاوله إظهار الحججه و أصل المجادله من الجدال و هو شده الفتل و رجل مجدول كأنه قد جدل أى فتل و الأجدل الصقر لأنه من أشد الطيور قوه و التبييت التدبير للشىء بالليل لأن ذلك يكون في وقت رواح الناس إلى بيوتهم.

الإعراب

ها للتنبيه و أعيدت في أولاء و المعنى ها أنتم الذين جادلتهم لأن هؤلاء و هذا يكونان في الإشاره للمخاطبين إلى أنفسهم بمنزله الذين و قد يكونان لغير المخاطبين بمنزله الذين نحو قول الشاعر:

عدس ما لعباد عليك إماره

أمنت و هذا تحمليين طليق

أى و الذى تحمليين طليق.

النزول

نزلت الآيات في القصة التى ذكرناها قبل.

المعنى

ثم نهى تعالى عن المجادله و الدفع عن أهل الخيانه مؤكدا لما تقدم فقال «وَلَا تُجَادِلْ» قيل الخطاب للنبي (ص) حين هم أن يبرئ أبا طعمه لما أتاه قوم ينفون عنه السرقة و قيل الخطاب له و المراد قومه و قيل تقديره و لا تجادل أيها الإنسان «عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ» أى يخونون أنفسهم و يظلمونها أراد من سرق الدرع و من شاركه في السرقة و الخيانه و قيل أنه أراد به قومه الذين مشوا معه إلى النبي و شهدوا له بالبراهه عما نسب إليه من السرقة و قيل أراد به السارق و قومه و من هو في معناهم و إنما

قال «يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ» و إن خانوا غيرهم لأن ضرر خيانتهم كأنه راجع إليهم لاحق بهم كما تقول لمن ظلم غيره ما ظلمت إلا نفسك و كقوله تعالى «إِنْ أَحْسَيتُمْ أَحْسَيتُمْ لِنَفْسِكُمْ» «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا» هو فعال الخيانه أى من كان كثير الخيانه و قد ألفها و اعتادها و قد يطلق الخوان على الخائن فى شىء واحد إذا عظمت تلك الخيانه و الأثيم فاعل الإثم و قيل معناه لا يجب

ص: ١٦٤

من كان خوانا إذا سرق الدرع و أثيما إذا رمى به اليهودى و قال ابن عباس فى معنى الآيه لا تجادل عن الذين يظلمون أنفسهم بالخيانة و يرمون بالخيانة غيرهم يريد به سارق الدرع ورمى بالسرقه اليهودى فصار خائنا بالسرقه أثيما فى رمية غيره بها «يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ» أى يكتمون عن الناس «وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ» يعنى الذين مشوا فى الدفع عن ابن أبيرق و معناه يتسترون عن الناس بمعاصيهم فى أخذ الأموال لثلا يفتضحوا فى الناس و لا يتسترون من الله و هو مطلع عليهم و قيل معناه يستحيون من الناس و لا يستحيون من الله و عليه معهم فيكون معناه يخفون الخيانة عن الناس و يطلبون إخفاءها حياء منهم و لا يتركونها حياء من الله و هو عالم بأفعالهم «إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ» أى يدبرون بالليل قولاً لا يرضاه الله و قيل يغيرون القول من جهته و يكذبون فيه و قيل أنه قول ابن أبيرق فى نفسه بالليل أرمى بهذا الدرع فى دار اليهودى ثم أحلف أنى برىء منه فيصدقنى المسلمون لأنى على دينهم و لا- يصدقون اليهودى لأنه ليس على دينهم و قيل إنه رمى بالدرع إلى دار لبيد بن سهل «وَ كَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا» قال الحسن حفيظاً لأعمالهم و قال غيره عالماً بأعمالهم لا يخفى عليه شىء منها و فى هذه الآيه تقرير بليغ لمن يمنعه حياء الناس و حشمتهم عن ارتكاب القبائح و لا يمنعه خشية الله عن ارتكابها و هو سبحانه أحق أن يراقب و أجدد أن يحذر و فيها أيضاً توبيخ لمن يعمل قبيحا ثم يقرف غيره به سواء كان ذلك الغير مسلماً أو كافراً «هَا أَنْتُمْ» خطاب للذابين عن السارق «هؤلاء» يعنى الذين «جَادَلْتُمْ» أى خاصمتم و دافعتم «عَنْهُمْ» عن الخائين «فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» استفهام يراد به النفى لأنه فى معنى التقرير و التوبيخ أى لا مجادل عنهم و لا شاهد على براءتهم بين يدى الله يوم القيامة و فى هذه الآيه النهى عن الدفع عن الظالم و المجادله عنه «أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا» أى من يحفظهم و يتولى معונتهم يعنى لا- يكون يوم القيامة عليهم و كيل يقوم بأمرهم و يخاصم عنهم و أصل الوكيل من جعل إليه القيام بالأمر و الله يسمى و كيلا بمعنى أنه القائم بالأمر و يقال أنه يسمى و كيلا بمعنى الحافظ و لا يقال أنه و كيل لنا و إنما يقال أنه و كيل علينا.

إشارة

وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا (١١٠) وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١١) وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَزِمْ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (١١٢)

اللغة

السوء القبيح الذى يواجهه صاحبه من ساءه يسوءه سوءا إذا واجهه بقبيح يكرهه و رجل سوء من شأنه أن يواجه الناس بالمكاره فأما السيئه فهي نقيض الحسنه، و يجد أصله من الوجدان و هو الإدراك يقال وجدت الضاله وجدانا إذا أدركتها بعد ذهابك عنها و وجدت وجودا علمت و الوجود ضد العدم لأنه يظهر بالوجود كظهوره بالإدراك و الكسب فعل يجر به نفع أو يدفع به ضرر و لذلك لا يوصف سبحانه به.

المعنى

ثم بين تعالى طريق التلافي و التوبه مما سبق منهم من المعصيه فقال «وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا» أى معصيه أو أمرا قبيحا «أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ» بارتكاب جريمه و قيل يعمل سوءا بأن يسرق الدرع أو يظلم نفسه بأن يرمى بها بريئا و قيل المراد بالسوء الشرك و بالظلم ما دون الشرك «ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ» أى يتوب إليه و يطلب منه المغفره «يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا» ثم بين الله تعالى أن جريمتهم و إن عظمت فإنها غير مانعه من المغفره و قبول التوبه إذا استغفروا و تابوا «وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ» ظاهر المعنى و نظيره لا- تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا «وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ» ظاهر المعنى و قيل عليما فى قضائه فيهم و قيل عليما بالسارق حكيما فى إيجاب القطع عليه ثم بين أن من ارتكب إثما ثم قذف به غيره كيف يعظم عقابه فقال «وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً» أى يعمل ذنبا على عمد أو غير عمد «أَوْ إِثْمًا» أى ذنبا تعمده و قيل الخطيئه الشرك و الإثم ما دون الشرك «ثُمَّ يَزِمُ بِهِ بَرِيئًا» ثم ينسب ذنبه إلى برىء و قيل البرىء هو اليهودى الذى طرح عليه الدرع عن الحسن و غيره و قيل هو لبيد بن سهل و قد مضى ذكرهما قبل و قوله «ثُمَّ يَزِمُ بِهِ بَرِيئًا» اختلف فى الضمير الذى هو الهاء فى به فقيل يعود إلى الإثم أى بالإثم و قيل إلى واحد منهما و قيل يعنى يكسبه «فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا» كذبا عظيما يتحير من عظمه «وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا مُّبِينًا» أى ذنبا ظاهرا بينا و فى هذه الآيات دلالة على أنه تعالى لا يجوز أن يخلق

أفعال خلقه ثم يعذبهم عليها لأنه إذا كان الخالق لها فهم براء منها فلو قيل أن الكسب مضاف إلى العبد فجوابه أن الكسب لو كان مفهوماً وله معنى لم يخرج العبد بذلك من أن يكون بريئاً لأنه إذا قيل أن الله تعالى أوجد الفعل وأحدثه وأوجد الاختيار في القلب والفعل لا يتجزى فقد انتفى عن العبد من جميع جهاته.

[سوره النساء (٤): الآيات ١١٣ الى ١١٤]

أشاره

وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضَمُّوكَ وَ مَا يُضَمُّونَ إِلَّا أَنْفُسِهِمْ وَ مَا يُضَمُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ ؕ وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (١١٣) لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤)

القراءه

قرأ فسوف يؤتیه بالياء أبو عمرو و حمزه و قتيبه و الكسائي و سهل و خلف و الباقون بالنون.

الحججه

من قرأ بالياء فلما تقدمه من قوله «وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَ أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَ مِنْ قَرَأَ بِالنُّونِ فَلَأَنَّهُ أَشْبَهَ بِمَا بَعْدَهُ مِنْ قَوْلِهِ نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَ نُصَلِّهِ جَهَنَّمَ».

اللغه

الهم ما هممت به و منه الهمه و الهمام الملك العظيم الهمه قال علي بن عيسى: النجوى هو الأسرار عند أهل اللغه و قال الزجاج: النجوى فى الكلام ما ينفرد به الجماعه أو الاثنان سرا كان أو ظاهرا و معنى نجوت الشىء فى اللغه خلصته و ألقيته يقال نجوت الجلد إذا ألقيته عن البعير أو غيره قال الشاعر:

ص: ١٦٧

فقلت انجوا منها نجا الجلد إنه

سيرضيكما منها سنام و غاربه

و نجوت فلانا إذا استنكته قال:

نجوت مجالدا فشممت منه

كريح الكلب مات حديث عهد

و أصله من النجوه و هو ما ارتفع من الأرض فالمراد بنجواهم ما يديرونه بينهم من الكلام و فلان نجى فلان أى مناجيه و القوم أنجيه.

الإعراب

«إِلَّا مَنْ أَمَرَ» يجوز أن يكون من فى موضع جر، المعنى إلا- فى نجوى من أمر و يجوز أن يكون استثناء ليس من الأول و يكون موضعها نصبا و يكون معناه لكن من أمر بصدقه أو معروف ففى نجواه خير و نصيب ابتغاء مرضاه الله لأنه مفعول له و يجوز أن يكون من أمر مجرور الموضع أيضا على اتباع لكثير بمعنى لا خير فى كثير إلا فيمن أمر بصدقه كما يقال لا خير فى القوم إلا نفر منهم و يكون النجوى هنا بمعنى المتناجين نحو قوله «وَ إِذْ هُمْ نَجْوَى» و يجوز أيضا أن يكون استثناء حقيقيا على تقدير لا خير فى نجوى الناس إلا نجوى من أمر و هذا أولى مما تقدم من الاستثناء المنقطع لأن حمل الكلام على الاتصال أولى إذا لم يخل بالمعنى.

النزول

قيل نزلت فى بنى أبيرق و قد مضت قصتهم عن أبى صالح عن ابن عباس و قيل نزلت فى وفد من ثقيف قدموا على رسول الله ص و قالوا يا محمد جئناك نبايعك على أن لا نكسر أصنامنا بأيدينا و على أن نمتع بالعزى سنه فلم يجبههم إلى ذلك و عصمه الله منه عن جويبير عن الضحاك عن ابن عباس.

المعنى

ثم بين سبحانه لطفه برسوله و فضله عليه إذ صرف كيدهم عنه و عصمه من الميل إليهم فقال «وَ لَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَ رَحْمَتُهُ» قيل فضل الله النبوه و رحمته نصرته إياه بالوحى و قيل فضله تأييده بالطفاه و رحمته نعمته عن الجبائى و قيل فضله النبوه و رحمته العصمه «لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ» لقصدت و أضمرت جماعه من هؤلاء الذين تقدم ذكرهم «أَنْ يُضِلُّوكَ» فيه أقوال (أحدها) أن المعنى بهم الذين شهدوا للخائنين من بنى أبيرق

بالبراءة عن ابن عباس و الحسن و الجبائى فيكون المعنى همت طائفه منهم أن يزيلوك عن الحق بشهادتهم للخائنين حتى أطلعك الله على أسرارهم (و ثانيها) أنهم وفد ثقيف الذين التمسوا من رسول الله ما لا يجوز و قد مضى ذكرهم عن ابن عباس أيضا (و ثالثها) أنهم المنافقون الذين هموا بإهلاك النبي و المراد بالإضلال القتل و الإهلاك كما في قوله تعالى إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ فَيَكُونُ الْمَعْنَى لَوْلَا حَفِظَ اللَّهُ تَعَالَى لَكَ وَ حِرَاسَتَهُ إِيَّاكَ لَهَمْتَ طَائِفَهُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ أَنْ يَقْتُلُوكَ وَ يَهْلِكُوكَ وَ مِثْلَهُ وَ هَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ «وَ مَا يُضَيِّتُ لُونًا إِلَّا أَنْفُسَهُمْ» أَيْ وَ مَا يَزِيلُونَ عَنِ الْحَقِّ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ قِيلَ مَا يَهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ مَعْنَاهُ أَنْ وَبَالَ مَا هَمُّوا بِهِ مِنَ الْإِهْلَاكِ وَ الْإِذْلَالِ يَعُودُ عَلَيْهِمْ حَتَّى اسْتَحَقُّوا الْعَذَابَ الدَّائِمَ «وَ مَا يُضَيِّتُ لُونَكَ مِنْ شَيْءٍ» أَيْ لَا يَضُرُّونَكَ بِكَيْدِهِمْ وَ مَكْرِهِمْ شَيْئًا فَإِنَّ اللَّهَ حَافِظُكَ وَ نَاصِرُكَ وَ مُسَدِّدُكَ وَ مُؤَيِّدُكَ «وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ» أَيْ الْقُرْآنَ وَ السُّنَّةَ وَ اتَّصَلَهُ بِمَا قَبْلَهُ أَنْ الْمَعْنَى كَيْفَ يَضِلُّونَكَ وَ هُوَ يَنْزِلُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَ يُوْحَىٰ إِلَيْكَ بِالْأَحْكَامِ «وَ عَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ» أَيْ مَا لَمْ تَعْلَمْ مِنَ الشَّرَائِعِ وَ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ الْأَوَّلِينَ وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعُلُومِ «وَ كَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا» قِيلَ فَضْلُهُ عَلَيْكَ مِنْذُ خَلَقَكَ إِلَى أَنْ بَعَثَكَ عَظِيمٌ إِذْ جَعَلَكَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَ سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ وَ أَعْطَاكَ الشَّفَاعَةَ وَ غَيْرَهَا ثُمَّ قَالَ «لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ» أَيْ أَسْرَارِهِمْ وَ مَعْنَى النُّجُوى لَا يَتِمُّ إِلَّا بَيْنَ اثْنَيْنِ فَصَاعِدًا كَالدَّعْوَى «إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَتِهِ» فَإِنْ فِي نَجْوَاهُ خَيْرًا «أَوْ مَعْرُوفٍ» يَعْنَى بِالْمَعْرُوفِ أَبْوَابَ الْبِرِّ لِاعْتِرَافِ الْعُقُولِ بِهَا وَ قِيلَ لِأَنَّ أَهْلَ الْخَيْرِ يَعْرِفُونَهَا «أَوْ إِصْلَاحِ بَيْنِ النَّاسِ» أَيْ تَأْلِيفِ بَيْنِهِمْ بِالْمُودَةِ وَ

قال على بن إبراهيم في تفسيره حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن حماد عن أبي عبد الله قال أن الله فرض التجمل في القرآن فقال قلت و ما التجمل في القرآن جعلت فداك قال أن يكون وجهك أعرض من وجه أخيك فتجمل له و هو قوله «لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَتِهِ أَوْ مَعْرُوفٍ»

الآية

قال و حدثني أبي رفعه إلى أمير المؤمنين أنه قال أن الله فرض عليكم زكاة جاهكم كما فرض عليكم زكاة ما ملكت أيديكم

«وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ» يَعْنَى مَا تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ «ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ» أَيْ لَطْلُبِ رِضَا اللَّهِ «فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ» أَيْ نَعْطِيهِ «أَجْرًا عَظِيمًا» أَيْ مَثُوبَةً عَظِيمَةً فِي الْكَثْرَةِ وَ الْمَنْزَلَةِ

ص: ١٦٩

و الصفه أما الكثره فلأنه دائم و أما المنزله فلأنه مقارن للتعظيم و الإجلال و أما الصفه فلأنه غير مشوب بما ينغصه و فى الآيه دلالة على أن فاعل المعصيه هو الذى يضر بنفسه لما يعود عليه من وبال فعله و فيها دلالة أيضا على أن الذى يدعو إلى الضلال هو المضل و على أن فاعل الضلال مضل لنفسه و على أن الدعاء إلى الضلال يسمى إضلالا.

[سوره النساء (٤): آيه ١١٥]

اشاره

وَ مَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَ نُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَ سَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥)

اللغه

الشقاق الخلاف مع العداوه و شق العصا أى فارق الجماعه و الشق النصف و أصله من الشق و هو القطع طولاً و سميت العداوه مشاقه لأن أحد المتعادين يصير فى شق غير شق الآخر من أجل العداوه التى بينهما و منه الاشتقاق فإنه قطع الفرع عن الأصل نوله من الولي و هو القرب يقال ولي الشىء يلىه إذا قرب منه و كل ما يليك أى ما يقاربك و الولي المطر الذى يلى الوسمى.

النزول

قيل نزلت فى شأن ابن أبى أبيرق سارق الدرع و لما أنزل الله فى تقريره و تقرير قومه الآيات كفر و ارتد و لحق بالمشركين من أهل مكه ثم نهب حائطا للسرقه فوقع عليه الحائط فقتله عن الحسن و قيل أنه خرج من مكه نحو الشام فنزل منزلا و سرق بعض المتاع و هرب فأخذ و رمى بالحجاره حتى قتل عن الكلبي.

المعنى

لما بين سبحانه التوبه عقبه بذكر حال الإصرار فقال «وَ مَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ» أى من يخالف محمدا و يعاده «مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ» أى ظهر له الحق و الإسلام و قامت له الحججه و صحت الأدله بثبوت نبوته و رسالته «وَ يَتَّبِعْ» طريقا «غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ» أى غير طريقهم الذى هو دينهم «نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ» أى نكله إلى من انتصر به و اتكل عليه من الأوثان و حقيقته نجعله يلى ما أعتمده من دون الله أى يقرب منه و قيل معناه نخلى بينه و بين ما اختاره لنفسه «وَ نُصَلِّهِ» أى نلزمه دخول «جَهَنَّمَ» عقوبه له على ما اختاره من الضلاله بعد الهدى «وَ سَاءَتْ مَصِيرًا» قد مر معناه و قد استدل بهذه الآيه على أن إجماع الأمة حجه لأنه تواعد على مخالفه سبيل المؤمنين كما تواعد على مشاقه الرسول و الصحيح أنه لا يدل على ذلك لأن ظاهر الآيه يقتضى إيجاب متابعه من هو مؤمن على الحقيقه ظاهرا و باطنا لأن من أظهر الإيمان لا يوصف بأنه مؤمن إلا مجازا فكيف يحمل ذلك

ص: ١٧٠

على إيجاب متابعه من أظهر الإيمان و ليس كل من أظهر الإيمان مؤمنا و متى حملوا الآية على بعض الأمة حملها غيرهم على من هو مقطوع على عصمته عنده من المؤمنين و هم الأئمة من آل محمد ص على أن ظاهر الآية يقتضى أن الوعيد إنما يتناول من جمع بين مشاقه الرسول و اتباع غير سبيل المؤمنين فمن أين لهم أن من فعل أحدهما يتناوله الوعيد و نحن إنما علمنا يقينا أن الوعيد إنما يتناول بمشاقه الرسول بانفرادها بدليل غير الآية فيجب أن يسندوا تناول الوعيد باتباع غير سبيل المؤمنين إلى دليل آخر.

[سوره النساء (٤): آيه ١١٦]

إشارة

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١١٦)

[توضيح]

قد مر تفسيره فيما تقدم و قوله «فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا» أى ذهب عن طريق الحق و الغرض المطلوب و هو النعيم المقيم فى الجنة ذهابا بعيدا لأن الذهاب عن نعيم الجنة يكون على مراتب أبعدها الشرك بالله.

[سوره النساء (٤): الآيات ١١٧ الى ١٢١]

إشارة

إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا (١١٧) لَعَنَهُ اللَّهُ وَ قَالَ لَاتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (١١٨) وَ لَأَضِلَّنَّهُمْ وَ لَأَمْنِيَنَّهُمْ وَ لَأَمْرَنَّهُمْ فَلَيْبَتِكُنَّ آذَانُ الْأَنْعَامِ وَ لَأَمْرَنَّهُمْ فَلْيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَ مَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا (١١٩) يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيَنَّهُمْ وَ مَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (١٢٠) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَ لَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا (١٢١)

القرءاء

القرءاء المشهوره «إِلَّا إِنَاثًا» و

روى فى الشواذ عن النبى إلا إثننا بالثاء قبل النون و إلا أنثا بالنون قبل الثاء روتهما عائشه

و روى عن ابن عباس إلا وثنا و إلا أنثا بضمتين و الثاء قبل النون و عن عطاء بن أبى رباح إلا أنثا الثاء قبل النون و هى ساكنه.

الحججه

أما أثن فجمع وثن و أصله وثن قلبت الواو همزه نحو أجوه فى وجوه و أعد فى وعد فأما أثن بسكون الثاء فهو كأسد بسكون السين و أما أثنًا بتقديم النون على الثاء فيمكن أن يكون جمع أنيث كقولهم سيف أنيث الحديد و يمكن أن يكون جمع إناث.

اللغه

المريد و المارد و المتمرد بمعنى و هو العاتى و الخارج عن الطاعه و المتملس منها يقال حائط ممرد أى مملس و شجره مرداء تناثر ورقها و منه سمي من لم تنبت له اللحيه أمرد أى أملس موضع اللحيه و مرد الرجل يمرد مرودا إذا عتا و خرج عن الطاعه و أصل اللعن البعد و منه قيل للطريد اللعين و أصل الفرض القطع و الفرضه الثلثه تكون فى النهر و الفرض الحز الذى يكون فى السواك و غيره يشد فيه الخيط و الفرض فى القوس الحز الذى يكون فيه الوتر و الفريضه ما أمر الله به العباد فجعله حتما عليهم قاطعا و أما قول الشاعر:

إذا أكلت سمكا و فرضا

ذهبت طولاً و ذهب عرضا

فالفرض هنا التمر و إنما سمي التمر فرضا لأنه يؤخذ فى فرائض الصدقه، التبتيك التشقيق و البتك القطع بتكته أبتكه تبتيكا و البتكه مثل القطعه البتك القطع قال زهير:

حتى إذا ما هوت كف الغلام له

طارت و فى كفه من ريشها بتك

و المحيص المعدل يقال حصت عنه أحيص حيصا و جضت أحيض جيصا بمعنى قال:

و لم ندر إن جضنا عن الموت جيصه

كم العمر باق و المدى متناول

روى باللغتين.

الإعراب

إن على أربعة أوجه (أحدها) أن إن النافيه كما فى الآيه «إِنْ يَدْعُونَ» أى ما يدعون (و الثانى) إن المخففه من الثقيله كما فى قوله وَ إِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً و يلزمها لام التأكيده (و الثالث) إن الجازمه كما فى قوله «وَ إِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا» (و الرابع) إن المزيده نحو ما أن جاءنى زيد:

و ما إن طینا جین و لکن

منایانا و دوله آخرینا

ص: ۱۷۲

«لَعَنَهُ اللَّهُ» جملة في موضع النصب بأنها صفة لقوله: «شَيْطَانًا» و اللام في «لَأَتَّخِذَنَّ» و ما بعده لام اليمين و إنما يدخل على جواب القسم لأنه المقسم عليه فعلى هذا يكون القسم هنا مضمرا في الجميع.

المعنى

لما ذكر في الآية المتقدمه أهل الشرك و ضلالهم ذكر في هذه الآية حالهم و فعالهم فقال «إِنْ يَدْعُونَ» أى ما يدعون هؤلاء المشركون و ما يعبدون «مِنْ دُونِهِ» أى من دون الله «إِلَّا إِنْثًا» فيه أقوال (أحدها) إلا أوثانا و كانوا يسمون الأوثان باسم الإناث اللات و العزى و مناه الثالثه الأخرى و إساف و نائله عن أبى مالك و السدى و مجاهد و ابن زيد و ذكر أبو حمزه الشمالى فى تفسيره قال كان فى كل واحد منهن شيطانه أنثى تتراءى للسدنه و تكلمهم و ذلك من صنع إبليس و هو الشيطان الذى ذكره الله فقال «لَعَنَهُ اللَّهُ» قالوا و اللات كان اسما لصخره و العزى كان اسما لشجره إلا أنهم نقلوهما إلى الوثن و جعلوهما علما عليهما و قيل العزى تأنيث الأعز و اللات تأنيث لفظ الله و قال الحسن كان لكل حى من العرب وثن يسمونه باسم العز تأنيث الأعز و اللات تأنيث لفظ الله و قال الحسن كان لكل حى من العرب وثن يسمونه باسم الأثنى (و ثانيها) أن المعنى إلا مواتا عن ابن عباس و الحسن و قتاده فعلى هذا يكون تقديره ما يعبدون من دون الله إلا جمادا و مواتا لا تعقل و لا تنطق و لا تضر و لا تنفع فدل ذلك على غايه جهلهم و ضلالهم و سماها إناثا لاعتقاد مشركى العرب الأنوثه فى كل ما اتضعت منزلته و لأن الإناث من كل جنس أرذله و قال الزجاج لأن الموات يخبر عنها بلفظ التأنيث تقول الأحجار تعجبني و لا تقول يعجبوننى و يجوز أن يكون إناثا سماها لضعفها و قله خيرها و عدم نصرها (و ثالثها) أن المعنى إلا ملائكة لأنهم كانوا يزعمون أن الملائكة بنات الله و كانوا يعبدون الملائكة عن الضحاك «وَ إِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا» أى ماردا شديدا فى كفره و عصيانه متماديا فى شركه و طغيانه يسأل عن هذا فيقال كيف نفى فى أول الكلام عبادتهم لغير الأوثان ثم أثبت فى آخره عبادتهم الشيطان فأثبت فى الآخر ما نفاه فى الأول أجاب الحسن عن هذا فقال أنهم لم يعبدوا إلا الشيطان فى الحقيقه لأن الأوثان كانت مواتا ما دعت أحدا إلى عبادتها بل الداعى إلى عبادتها الشيطان فأضيفت العباده إلى الشيطان بحكم الدعاء و إلى الأوثان لأجل أنهم كانوا يعبدونها و يدل عليه قوله

تعالى «وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ» أضافت الملائكة عبادتهم إلى الجن من قبل أن الجن دعوتهم إلى عبادة الملائكة وقال ابن عباس كان في كل واحد من أصنامهم التي كانوا يعبدونها شيطان مرید يدعو المشركين إلى عبادتها فلذلك حسن إضافه العباده إلى الأصنام وإلى الشيطان وقيل ليس في الآيه إثبات المنفى بل ما يعبدون إلا الأوثان وإلا الشيطان وهو إبليس «لَعَنَهُ اللَّهُ» أبعده الله عن الخير بإيجاب الخلود في نار جهنم «وَقَالَ» يعنى الشيطان لما لعنه الله «لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً» أى حظاً «مَفْرُوضاً» أى معلوماً عن الضحاک وقيل مقدرًا محدودًا وأصل الاتخاذ أخذ الشىء على وجه الاختصاص فكل من أطاعه فإنه من نصيبه و حزبه كما قال سبحانه «كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ» و

روى أن النبي قال فى هذه الآيه من بنى آدم تسعه و تسعون فى النار و واحد فى الجنة

و

فى روايه أخرى من كل ألف واحد لله و سائرهم للنار و لإبليس أوردهما أبو حمزه الشمالى فى تفسيره

و يقال كيف علم إبليس أن له أتباعا يتابعونه و الجواب علم ذلك من قوله «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَ مِمَّنْ تَبَعَكَ» و قيل أنه لما نال من آدم ما نال طمع فى ولده و إنما قال ذلك ظنا و يؤيده قوله تعالى وَ لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ «وَ لَأُضِلَّنَّهُمْ» هذا من مقاله إبليس يعنى لأضلنهم عن الحق و الصواب و إضلاله دعاؤه إلى الضلال و تسيبه له بجائله و غروره و وساوسه «وَ لَأَمْتِنَنَّهُمْ» يعنى أمينهم طول البقاء فى الدنيا فيؤثرون بذلك الدنيا و نعيمها على الآخرة و قيل معناه أقول لهم ليس وراءكم بعث و لا نشر و لا جنة و لا نار و لا ثواب و لا عقاب فافعلوا ما شئتم عن الكلبى و قيل معناه أمينهم بالأهواء الباطله الداعيه إلى المعصيه و أزين لهم شهوات الدنيا و زهراتها و أدعو كلا منهم إلى نوع يميل طبعه إليه فأصده بذلك عن الطاعة و ألقيه فى المعصيه «وَ لَأَمْرَنَّهُمْ فَلَيَبْتَكَنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ» تقديره و لأمرنهم بتبتيك آذان الأنعام فليبتكن أى ليشققن آذانهم عن الزجاج و

قيل ليقطعن الآذان من أصلها و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و هذا شىء قد كان مشركو العرب يفعلونه يجدهون آذان الأنعام و يقال كانوا يفعلونه بالبحيره و السائبه و سندكر ذلك فى سورة المائده إن شاء الله «وَ لَأَمْرَنَّهُمْ فَلَيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ» أى لأمرنهم بتغيير خلق الله فليغيرنه و اختلف فى معناه

فقيل يريد دين الله و أمره عن ابن عباس و إبراهيم و مجاهد و الحسن و قتاده و جماعه و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و يؤيده قوله سبحانه و تعالى «فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ» و أراد بذلك تحريم الحلال و تحليل الحرام و قيل أراد معنى الخصاء عن عكرمه و شهر بن حوشب و أبى

صالح عن ابن عباس و كرهوا الإخصاء فى البهائم و قيل أنه الوشم عن ابن مسعود و قيل إنه أراد الشمس و القمر و الحجاره عدلوا عن الانتفاع بها إلى عبادتها عن الزجاج «وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا» أى ناصرا و قيل ربا يطيعه «مَنْ دُونَ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا» أى ظاهرا و أى خسران أعظم من استبدال الجنه بالنار و أى صفقه أخسر من استبدال رضاء الشيطان برضاء الرحمن «يَعِدُّهُمْ» الشيطان أن يكون لهم ناصرا «وَيُؤْمِنُهُمْ» الأكاذيب و الأباطيل و قيل معناه يعدهم الفقر إن أنفقوا مالهم فى أبواب البر و يمينهم طول البقاء فى الدنيا و دوام النعيم فيها ليؤثروها على الآخره «وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا» أى لا يكون لما يعدهم و يمينهم أصل و حقيقه و الغرور إيهام النفع فيما فيه ضرر «أُولَئِكَ» إشاره إلى الذين اتخذوا الشيطان وليا من دون الله فاعتروا بغروره و تابعوه فيما دعاهم إليه «مَأْوَاهُمْ» مستقرهم جميعا «جَهَنَّمَ وَ لَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا» أى مخلصا و لا مهربا و لا معدلا.

[سوره النساء (٤): آيه ١٢٢]

اشاره

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَ عَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (١٢٢)

[توضيح]

قد مر تفسير صدر الآيه فى هذه السوره و قوله «وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا» و من أصدق من الله حديثا و نحوه بإشمام الزاى كوفى غير عاصم و رويس و الباقر بالصاد و قد ذكرنا الوجه عند ذكر الصراط فى الفاتحه و قوله «وَ عَدَّ اللَّهُ» نصب على المصدر و تقديره وعد الله ذلك وعدا فهو مصدر دل معنى الكلام الذى تقدم على فعله الناصب له و «حَقًّا» أيضا مصدر مؤكد لما قبله كأنه قال أحقه حقا و «قِيلًا» منصوب على التمييز كما يقال هو أكرم منك فعلا و معناه وعد الله ذلك وعدا حقا لا خلاف فيه «وَ مَنْ أَصْدَقُ» استفهام فيه معنى النفى أى لا أحد أصدق من الله قولا فيما أخبره و وعدا فيما وعده.

ص: ١٧٥

إشارة

لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٣) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ نَقِيرًا (١٢٤)

القراءة

(يدخلون الجنة بضم الياء هناك وفي مريم وحم مكى بصرى و أبو جعفر و أبو بكر و الباقون «يَدْخُلُونَ» بفتح الياء و ضم الخاء.

الحجج

حججه من قرأ «يَدْخُلُونَ» قوله «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ* ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ» و من قرأ يدخلون فلأنهم لا يدخلونها حتى يدخلوها.

اللغة

الأمانى جمع أمنيه و هى تقدير الأمن فى النفس على جهه الاستمتاع به و وزن أمنيه أفعوله من المنيه و أصله التقدير يقال منى له المانى أى قدر له المقدر و منه سميت المنيه و هى فعيله أى مقدره و النقيير النكته فى ظهر النواه كان ذلك نقر فيه.

الإعراب

اسم ليس مضمير لدلاله الكلام عليه و التقدير ليس الأمر بأمانيكم أى ليس الثواب بأمانيكم، و «لا يَجِدْ» مجزوم عطفا على الجزاء لا على الشرط و هو قوله «يُجْزَى» و الوقف عند قوله «أَهْلِ الْكِتَابِ» وقف تام ثم استؤنف الخبر بعدها بمن يعمل و من موضعه رفع بالابتداء على ما تقدم ذكر أمثاله و من فى قوله «مِنَ الصَّالِحَاتِ» مزيده و قيل هو للتبعيض لأن العبد لا يطبق جميعها و قيل أنه لتبيين الجنس و قال «وَهُوَ مُؤْمِنٌ» فوحد ثم قال «فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ» فجمع لأن من اسم مبهم موحد اللفظ مجموع المعنى فيعود الضمير إليه مره على اللفظ مره على المعنى.

النزول

قيل تفاخر المسلمون و أهل الكتاب فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم و كتابنا قبل كتابكم و نحن أولى بالله منكم فقال المسلمون نبينا خاتم النبيين و كتابنا يقضى على الكتب و ديننا الإسلام فنزلت الآية فقال أهل الكتاب نحن و أنتم سواء فأنزل الله الآية التى بعدها «وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ» ففلح المسلمون عن قتاده و الضحاك و قيل لما قالت اليهود نحن أبناء الله و أحبأوه و قال أهل الكتاب لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى نزلت الآية عن مجاهد.

لما ذكر سبحانه الوعد والوعيد قال عقيب ذلك «لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ» معناه ليس الثواب والعقاب بأمانيتكم أيها المسلمون عن مسروق والسدى وقيل الخطاب لأهل الشرك من قريش لأنهم قالوا لا نبعث ولا نعذب عن مجاهد وابن زيد «وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ» أى ولا بأمانى أهل الكتاب فى أنه لا يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وهذا يقوى القول الأخير على أنه لم يجر للمسلمين ذكر فى الأمانى وذكر أمانى الكفار قد جرى فى قوله «وَلَأَمَّتِيَّهُمْ هَذَا» وقد وعد الله المؤمنين فيما بعد بما هو غاية الأمانى «مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ» اختلف فى تأويله على أقوال (أحدها) أنه يريد بذلك جميع المعاصى صغائرهما وكبائرها وإن من ارتكب شيئا منها فإن الله سبحانه يجازيه عليها إما فى الدنيا وإما فى الآخرة عن عائشه و قتاده و مجاهد و

روى عن أبى هريره أنه قال لما نزلت هذه الآية بكينا و حزنا و قلنا يا رسول الله ما أبقت هذه الآية من شىء فقال أما و الذى نفسى بيده إنها لكما أنزلت و لكن أبشروا و قاربوا و سدّدوا أنه لا تصيب أحدا منكم مصيبه إلا كفر الله بها خطيئته حتى الشوكة يشاكها أحدكم فى قدمه رواه الواحدى فى تفسيره مرفوعا

و قال القاضى أبو عاصم القارئ العامرى فى هذا قطع لتوهم من توهم أن المعصيه لا تضر مع الإيمان كما أن الطاعه لا تنفع مع الكفر. (و ثانيها) أن المراد به مشركو قريش و أهل الكتاب عن الحسن و الضحاک و ابن زيد قالوا و هو كقوله «هَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ» (و ثالثها) أن المراد بالسوء هنا الشرك عن ابن عباس و سعيد بن جبیر «وَلَا يَجِدُ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا» معناه لا يجد هذا الذى يعمل سوءا من معاصى الله و خلاف أمره و ليا يلى أمره ينصره و يحامى عنه و يدفع عنه ما ينزل به من عقوبه الله و لا نصيرا أى ناصرا ينصره و ينجيه من عذاب الله و من استدلل بهذه الآية على المنع من جواز العفو عن المعاصى فإننا نقول له إن من ذهب إلى أن العموم لا ينفرد فى اللغه بصيغه مختصه به لا- يسلم أنها تستغرق جميع من فعل السوء بل يجوز أن يكون المراد بها بعضهم على ما ذكره أهل التأويل كابن عباس و غيره على أنهم قد اتفقوا على أن الآية مخصوصه فإن التائب و من كانت معصيته صغيره لا يتناولها العموم فإذا جاز لهم أن يخصصوا العموم فى الآية بالفريقين جاز لنا أن نخصصها بمن يتفضل الله عليه بالعفو و هذا بين و الحمد لله و قوله سبحانه «وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ» و إنما قال «وَهُوَ مُؤْمِنٌ» ليبين أن الطاعه لا تنفع من دون الإيمان «فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ

الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ نَقِيرًا» وعد الله تعالى بهذه الآيه جميع المكلفين من الرجال و النساء إذا عملوا الأعمال الصالحه أى الطاعات الخالصه و هم مؤمنون موحدون مصدقون نبيه بأن يدخلهم الجنة و يثبتهم فيها و لا يبخلهم شيئاً مما يستحقونه من الثواب و إن كان مقدار نقير فى الصغر و قد قابل سبحانه الوعيد العام فى الآيه التى قبل هذه الآيه بالوعد العام فى هذه الآيه ليقف المؤمن بين الخوف و الرجاء.

[سوره النساء (٤): الآيات ١٢٥ الى ١٢٦]

إشاره

وَمِنْ أَحْسَنِ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا- (١٢٥) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا (١٢٦)

اللغه

الخليل مشتق من الخله بضم الخاء التى هى المحبه أو من الخله بفتح الخاء التى هى الحاجه و إنما استعمل بمعنى الصداقه لأن كل واحد من المتصادقين يسد خلل صاحبه و قيل لأن كل واحد منهما يطلع صاحبه على أسراره فكأنه فى خلل قلبه و إنما استعمل فى الحاجه للاختلال الذى يلحق الفقير فيما يحتاج إليه و منه قول زهير:

و إن أتاه خليل يوم مسغه

يقول لا غائب مالى و لا حرم

و قال الأزهرى الخليل الذى خص بالمحبه يقال دعا فلان فخلل أى خص.

الإعراب

دينا منصوب على التمييز و هو مما انتصب بعد تمام الاسم و قوله «وَهُوَ مُحْسِنٌ» جملة فى موضع النصب على الحال و كذلك قوله «وَهُوَ مُؤْمِنٌ» فى الآيه التى قبل و حنيفا منصوب على الحال و ذو الحال الضمير فى اتبع و المضمر هو النبى ص و يجوز أن يكون حنيفا حالا من «مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ» و كان حقه أن يكون فيه الهاء لأن فعلا إذا كان بمعنى فاعل للمؤنث تثبت فيه الهاء إلا أنه قد جاء مجىء ناقه سديس و ربح حريق و يجوز أن يكون حالا- من إبراهيم و الحال من المضاف إليه عزيز و قد جاء ذلك فى الشعر قال النابغه:

قالت بنو عامر خالوا بنى أسد

يا بؤس للجهل ضرارا لأقوام

أى يا يؤس الجهل ضرارا و اللام مقمحه لتوكيد الإضافه و خليلا مفعول ثان لاتخذ.

المعنى

ثم بين سبحانه من يستحق الوعد الذى ذكره قبل فقال «وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا» و هو فى صورته الاستفهام و المراد به التقرير و معناه من أصوب طريقا و أهدي سيلا أى لا أحد أحسن اعتقادا «مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ» أى استسلم وجهه و المراد بقوله «وَجْهَهُ» هنا ذاته و نفسه كما قال تعالى: «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» و المعنى انقاد لله سبحانه بالطاعه و لنبيه ص بالتصديق و قيل معنى «أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ» قصده بالعباده وحده كما أخبر عن إبراهيم (عليه السلام) أنه قال وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ قِيلَ معناه أخلص أعماله لله أى أتى بها مخلصا لله فيها «وَهُوَ مُحْسِنٌ» أى فاعل للفعل الحسن الذى أمره الله تعالى و قيل معناه و هو محسن فى جميع أقواله و أفعاله و قيل أن المحسن هنا الموحد و

روى أن النبى ص سئل عن الإحسان فقال أن تعبد الله تعالى كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك

«وَ اتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ» أى افتدى بدينه و سيرته و طريقته يعنى ما كان عليه إبراهيم و أمر به بنيه من بعده و أوصاهم به من الإقرار بتوحيده و عدله و تنزيهه عما لا يليق به و من ذلك الصلاه إلى الكعبه و الطواف حولها و سائر المناسك «حَنِيفًا» أى مستقيما على منهاجه و طريقه و قد مر معنى الحنيف فى سورة البقره «وَ اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا» أى محبا لا خلل فى مودته لكمال خلته و المراد بخلته الله أنه كان مواليا لأولياء الله و معاديا لأعداء الله و المراد بخله الله تعالى له نصرته على من أراد به سوء كما أنقذه من نار نمرود و جعلها عليه بردا و سلاما و كما فعله بملك مصر حين راوده عن أهله و جعله إماما للناس و قدوه لهم قال الزجاج جازى أن يكون سمي خليل الله بأنه الذى أحبه الله بأن اصطفاه محبه تامه كامله و أحب الله هو محبه تامه كامله و قيل سمي خليلًا لأنه افتقر إلى الله و توكل عليه و انقطع بحوائجه إليه و هو اختيار الفراء و أبى القاسم البلخى و إنما خصه الله بهذا الاسم و إن كان الخلق كلهم فقراء إلى رحمته تشريفا له بالنسبه إليه من حيث أنه فقير إليه لا- يرجو لسد خلته سواء كما خص موسى بأنه كليم الله و عيسى بأنه روح الله و محمدا بأنه حبيب الله و قيل إنما سمي خليلًا لأنه سبحانه خصه بما لم يخص به غيره من إنزال الوحي عليه و غير ذلك من خصائصه و إنما خصه من بين سائر الأنبياء بهذا الاسم على المعنيين اللذين ذكرناهما و إن كان كل واحد من الأنبياء خليل الله فى زمانه لأنه سبحانه خصهم بالنبوه و قد

روى عن النبى ص أنه قال قد اتخذ الله صاحبكم خليلًا

يعنى نفسه و هذا الوجه اختيار أبى على الجبائى قال و كل ما تعبد الله به إبراهيم فقد تعبد به

نبينا ص و زاده أشياء لم يتعبد بها إبراهيم ص و مما قيل في وجه خله إبراهيم ما روى في التفسير

أن إبراهيم كان يضيف الضيفان و يطعم المساكين و إن الناس أصابهم جلد فارتحل إبراهيم إلى خليل له بمصر يلتمس منه طعاماً لأهله فلم يصب ذلك عنده فلما قرب من أهله مر بمفازه ذات رمل لينة فملاً غرائره من ذلك الرمل لثلاً يغم أهله برجوعه من غير مبره فحول الله ما في غرائره دقيقاً فلما وصل إلى أهله دخل البيت و نام استحياء منهم ففتحو الغرائر و عجنوا من الدقيق و خبزوا و قدموا إليه طعاماً طيباً فسألهم من أين خبزوا قالوا من الدقيق الذي جئت به من عند خليلك المصري فقال أما أنه خليلي و ليس بمصري فسماه الله سبحانه خليلاً رواه علي بن إبراهيم عن أبيه عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله (عليه السلام)

ثم بين سبحانه أنه إنما اتخذ إبراهيم خليلاً- لطاعته و مسارعتة إلى رضاه لا- لحاجه منه سبحانه إلى خلته فقال «وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» ملكاً و ملكاً فهو مستغن عن جميع خلقه و الخلق محتاجون إليه «وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا» يعنى لم يزل سبحانه عالماً بجميع ما يفعله عباده و معنى المحيط بالشيء أنه العالم به من جميع وجوهه.

[سوره النساء (٤): آيه ١٢٧]

اشاره

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَ تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوُلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَ مَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا (١٢٧)

اللفه

الاستفتاء و الاستقضاء بمعنى واحد يقال فأتيته و قاضيته قال الشاعر:

تعالوا نفاتيكم أ أعيا و فقعس

إلى المجد أدنى أم عشيره حاتم

ص: ١٨٠

هكذا أنشده الحسن بن علي المغربي و هو استفعال من الفتيا و هو الفتوى و أفتى فى المسأله بين حكمها.

الإعراب

«وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ» موضعه رفع بالابتداء تقديره الله يفتيكم فيهن «وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ» فى الكتاب أيضا يفتيكم فيهن و قال الفراء يجوز أن يكون موضعه جرا عطفا على المضمرة المجرور فى «فِيهِنَّ» و هذا بعيد لأن الظاهر لا يحسن عطفه على الضمير المجرور و قيل يجوز أن يكون عطفا على النساء فى قوله «وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ» أى و يستفتونك فيما يتلى عليكم و فى المستضعفين قال الواحدى قوله «فِي يَتَامَى النِّسَاءِ» قيل أن تقديره فى النساء اليتامى فأضيفت الصفه إلى الموصوف نحو قولك كتاب الكامل و مسجد الجامع و يوم الجمعة و هذا قول الكوفيين و عند المحققين لا- يجوز إضافه الصفه إلى الموصوف بل النساء هنا أمهات اليتامى أضيف إليهن أولادهن و أقول يجوز أيضا أن يضاف اليتامى إلى النساء إذا كن من جملتهن فيكون الإضافه بمعنى من كما يقال خيار النساء و شرار النساء و صغار النساء و هذا أشبه بما ينساق إليه معنى الآية «وَالْمُسْتَضْعَفِينَ» جر عطفا على يَتَامَى النِّسَاءِ «وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ» فى موضع جر أيضا و التقدير و ما يتلى عليكم من الآيات فى يتامى النساء و فى المستضعفين و فى أن تقوموا لليتامى بالقسط يفتيكم الله فيهن.

المعنى

ثم عاد كلام الله تعالى إلى ذكر النساء و الأيتام و قد جرى ذكرهم فى أول السوره فقال «وَيَسْتَفْتُونَكَ» أى يسألونك الفتوى و هو تبين المشكل من الأحكام «فِي النِّسَاءِ» و يستخبرونك يا محمد عن الحكم فيهن و عما يجب لهن و عليهن و إنما حذف ذلك لإحاطه العلم بأن السؤال فى أمر الدين إنما يقع عما يجوز و عما لا- يجوز و عما يجب و عما لا يجب «قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ» معناه قل يا محمد الله يبين لكم ما سألتم فى شأنهن «وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ» أى و يفتيكم أيضا ما يقرأ عليكم فى الكتاب أى القرآن و تقديره و كتابه يفتيكم أى يبين لكم الفرائض المذكوره «فِي يَتَامَى النِّسَاءِ» أى الصغار «اللَّاتِي» لم يبلغن و قوله «اللَّاتِي لا- تُؤْتُونَهُنَّ» أى لا- تعطونهن «مَا كُتِبَ لَهُنَّ» و اختلف فى تأويله على أقوال (أولها) أن المعنى و ما يتلى عليكم فى توريث صغار النساء و هو آيات الفرائض التى فى أول السوره و كان أهل الجاهليه لا يورثون المولود حتى يكبر و لا يورثون المرأه و كانوا

يقولون لا نورث إلا من قاتل و دفع عن الحریم فأنزل الله آیه المواريث فى أول السوره و هو معنى قوله

«لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ» أى من الميراث عن ابن عباس و سعيد بن جبیر و مجاهد و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

(و ثانيها) أن المعنى اللاتى لا تؤتونهن ما وجب لهن من الصداق و كانوا لا يؤتون اليتامى اللاتى يكون لهن من الصداق فنهى الله عن ذلك بقوله «وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مِنْ غَيْرِهِنَّ مَا طَابَ لَكُمْ» وقوله «وَ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ» هو ما ذكره فى أول السوره من قوله «وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا الْآيَةَ عَنْ عَائِشَةَ وَ هُوَ اخْتِيَارُ أَبِي عَلِيٍّ الْجَبَائِي وَ اخْتَارَ الطَّبْرِي الْقَوْلَ الْأَوَّلَ وَ اعترض على هذا القول بأن قال ليس الصداق مما كتب الله للنساء إلا بالنكاح فمن لم تنكح فلا صداق لها عند أحد (و ثالثها) أن المراد بقوله «لَا- تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ» النكاح الذى كتب الله لهن فى قوله «وَ أَنْكِحُوا الْيَتَامَى الْآيَةَ فَكَانَ الْوَلِيُّ يَمْنَعُهُنَّ مِنَ التَّرْوِيجِ عَنِ الْحَسَنِ وَ قَتَادَةَ وَ السَّدَى وَ أَبِي مَالِكٍ وَ إِبْرَاهِيمَ قَالُوا كَانَ الرَّجُلُ يَكُونُ فِي حَجْرِهِ الْيَتِيمَةَ بِهَا دِمَامُهُ وَ لَهَا مَالٌ وَ كَانَ يَرْغَبُ عَنِ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا وَ يَحْبِسَهَا طَمَعًا أَنْ تَمُوتَ فَيَرِثَهَا قَالَ السَّدَى وَ كَانَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيُّ لَهُ بِنْتُ عَمِّ عَمِيَاءَ دَمِيمَةٍ وَ قَدْ وَرِثَتْ عَنْ أَبِيهَا مَالًا فَكَانَ جَابِرٌ يَرْغَبُ عَنِ نِكَاحِهَا وَ لَا يَنْكِحُهَا مَخَافَةَ أَنْ يَذْهَبَ الزَّوْجُ بِمَالِهَا فَسَأَلَ النَّبِيَّ عَنْ ذَلِكَ فَزَلَّتْ الْآيَةُ وَ قَوْلُهُ «وَ تَزَعَّبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ» معناه على القول الأول و الثالث و ترغبون عن أن تنكحوهن أى عن نكاحهن و لا تؤتونهن نصيبهن من الميراث فيرغب فيهن غيركم فقد ظلمتموهن من وجهين و فى قول عائشه معناه و ترغبون فى أن تنكحوهن أى فى نكاحهن لجمالهن أو لمالهن «وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوَالِدَانِ» معناه و يفتيكم فى المستضعفين من الصبيان الصغار أن تعطوهم حقوقهم و كانوا لا- يورثون صغيرا من الغلمان و لا من الجوارى لأن ما يتلى عليكم فى باب اليتامى من قوله «وَ آتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ» يدل على الفتيا فى إعطاء حقوق الصغار من الميراث «وَ أَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ» أى و يفتيكم فى أن تقوموا لليتامى بالقسط فى أنفسهم و فى مواريتهم و أموالهم و تصرفاتهم و إعطاء كل ذى حق منهم حقه صغيرا كان أو كبيرا ذكرا كان أو أنثى و فيه إشاره إلى قوله سبحانه «وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى» الآية «وَ مَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ» أى مهما فعلتم من خير أيها المؤمنون من عدل و بر فى أمر النساء و اليتامى و انتهيتم فى ذلك إلى أمر الله و طاعته «فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا» أى لم يزل به عالما و لا يزال كذلك يجازيكم به و لا يضيع عنده شىء منه.

اشاره

وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٢٨)

القراءه

قرأ أهل الكوفه «أَنْ يُصْلِحَا» بضم الياء و كسر اللام و سكون الصاد و الباقون يصلحا بتشديد الصاد و فتح الياء و اللام.

الحجه

الأعراف فى الاستعمال يصلحا و زعم سيبويه أن بعضهم قرأ يُصْلِحَا فيصلحا يفتعلا و افتعل و تفاعل بمعنى و لذلك صحت الواو فى اجتوروا و اعتوروا لما كان بمعنى تجاوروا و تعاوروا فهذا حجه لمن قرأ أن يصلحا و من قرأ «يُصْلِحَا» فإن الإصلاح عند التنازع قد استعمل كما فى قوله سبحانه فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ و قوله «صُلْحًا» يكون مفعولا على قراءه من قرأ «يُصْلِحَا» كما تقول أصلحت ثوبا و من قرأ يصلحا فيجوز أن يكون صلحا مفعولا أيضا لأن تفاعل قد جاء متعديا و يجوز أن يكون مصدرا حذف زوائده كما قال:

(فإن تهلك فذلك كان قدرى)

أى تقديرى و يجوز أن يكون قد وضع المصدر موضع الاسم كما وضع الاسم موضع المصدر فى نحو قوله:

(باكرت حاجتها الدجاج بسحره)

و قوله:

(و بعد عطاءك المائه الرتاعا).

اللغه

النشوز مر ذكره فى هذه السوره و الشح إفراط فى الحرص على الشىء و يكون بالمال و غيره من الأعراض يقال هو شحيح بمودتك أى حريص على دوامها و لا يقال فى ذلك بخيل و البخل يكون بالمال خاصه قال الشاعر:

لقد كنت فى قوم عليك أشحه

بفقدك إلا أن من طاح طائح

يودون لو خاطوا عليك جلودهم

و هل يدفع الموت النفوس الشحائح

. الإعراب

«وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ» امرأه ارتفعت بفعل مضمر يفسره الفعل الظاهر بعدها و هو إضمار قبل الذكر على شريطه التفسير و تقديره و إن خافت لو قلت إن امرأه تخف ففرقت بين إن الجزاء و الفعل المستقبل فذلك قبيح لأن إن لا يفصل بينها و بين ما تجزم ذلك فى الشعر جازى فى إن و غيرها قال الشاعر:

فمتى واغل ينبهم يحيوه

و تعطف عليه كأس الساقى

فأما الماضى فإن غير عامله فى لفظه و إن لم تكن من حروف الجزاء فجاز أن يفرق بينها و بين الفعل فأما غير إن فالفصل يقبح فيه مع الماضى و المستقبل جميعا.

النزول

كانت بنت محمد بن سلمه عند رافع بن خديج و كانت قد دخلت فى السن و كانت عنده امرأه شابه سواها فطلقها تطليقه حتى إذا بقى من أجلها يسير قال إن شئت راجعتك و صبرت على الأثره و إن شئت تركتك قالت بل راجعنى و أصبر على الأثره فراجعها فذلك الصلح الذى بلغنا إن الله تعالى أنزل فيه هذه الآية عن أبى جعفر و سعيد بن المسيب و قيل خشيت سوده بنت زمعه أن يطلقها رسول الله فقالت لا تطلقنى و أجلسنى مع نساءك و لا تقسم لى و اجعل يومى لعائشه فنزلت الآية عن ابن عباس.

المعنى

لما تقدم حكم نشوز المرأة بين سبحانه تعالى نشوز الرجل فقال «وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ» أى علمت و قيل ظنت «مِنْ بَعْلِهَا» أى من زوجها «نُشُوزًا» أى استعلاء و ارتفاعا بنفسه عنها إلى غيرها إما لبغضه و إما لكراهته منها شيئا إما دمامتها و إما علو سننها أو غير ذلك «أَوْ إِعْرَاضًا» يعنى انصرافا بوجهه أو ببعض منافعه التى كانت لها منه و قيل يعنى بإعراضه عنها هجرانه إياها و جفاها و ميله إلى غيرها «فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا» أى لا حرج و لا

إثم على كل واحد منهما من الزوج و الزوجه «أَنْ يُضَيِّلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا» بأن تترك المرأة له يومها أو تضع عنه بعض ما يجب لها من نفقه أو كسوه أو غير ذلك لتستعطفه بذلك و تستديم المقام فى حباله «وَ الصُّلْحُ خَيْرٌ»

معناه و الصلح بترك بعض الحق خير من طلب الفرقة بعد الألفه هذا إذا كان بطييه من نفسها فإن لم يكن كذلك فلا يجوز له إلا ما يسوغ فى الشرع من القيام بالكسوه و النفقه و القسمه و إلا طلقها و بهذه الجملة قالت الصحابه و التابعون منهم على

و ابن عباس و عائشه و سعيد بن جبير و قتاده و مجاهد و غيرهم «وَ أَحْضَرَتِ الْمَأْنُفُسُ الشُّحَّ» اختلف فى تأويله ف قيل معناه و أحضرت أنفس النساء الشح على أنصبائهن من أنفس أزواجهن و أموالهن و أيامهن منهم عن ابن عباس و سعيد بن جبير و عطا و السدى و قيل معناه و أحضرت أنفس كل واحد من الرجل و المرأة الشح بحقه قبل صاحبه فشح المرأة يكون بترك حقها من النفقه و الكسوه و القسمه و غيرها و شح الرجل بإنفاقه على التى لا يريد لها و هذا أعم و به قال ابن وهب و ابن زيد «وَ إِنْ تُحْيِيْنَونَا» خطاب للرجال أى و إن تفعلوا الجميل بالصبر على ما تكرهون من النساء «وَ تَتَّقُوا» من الجور عليهن فى النفقه و الكسوه و العشره بالمعروف و قيل أن تحسنوا فى أقوالكم و أفعالكم و تتقوا معاصى الله «فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا» أى هو سبحانه خير بما يكون منكم فى أمرهن بحفظه لكم و عليكم حتى يجازيكم بأعمالكم.

[سوره النساء (٤): الآيات ١٢٩ الى ١٣٠]

إشارة

وَ لَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَ لَوْ حَرَضْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَ إِنْ تُصْلِحُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (١٢٩) وَ إِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِنْ سَعَتِهِ وَ كَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا (١٣٠)

اللغة

الاستطاعه و القوه و القدره نظائر و السعه خلاف الضيق و الواسع فى صفات القديم اختلف فى معناه و قيل أنه واسع العطاء أى المكرمه و قيل هو واسع الرحمه و يؤيده قوله تعالى «وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ» و قيل أنه واسع المقذور.

ص: ١٨٥

لما تقدم ذكر الشوز و الصلح بين الزوجين عقبه سبحانه بأنه لا يكلف من ذلك ما لا استطاع فقال «وَلَنْ تَسِيَّطِيْعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَ لَوْ حَرَضْتُمْ» أى لن تقدروا أن تسووا بين النساء فى المحبه و الموده بالقلب و لو حرصتم على ذلك كل الحرص فإن ذلك ليس إليكم و لا تملكونه فلا تكلفونه و لا تؤاخذون به عن ابن عباس و الحسن و قتاده و قيل معناه لم تقدروا أن تعدلوا بالتسويه بين النساء فى كل الأمور من جميع الوجوه من النفقه و الكسوه و العطيه و المسكن و الصحبه و البر و البشر و غير ذلك و المراد به أن ذلك لا يخفف عليكم بل يثقل و يشق لميلكم إلى بعضهن «فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ» أى فلا تعدلوا بأهوائكم عن من لم تملكوا محبه منهن كل العدول حتى يحملكم ذلكم على أن تجوروا على صواحبهها فى ترك أداء الواجب لهن عليكم من حق القسمه و النفقه و الكسوه و العشره بالمعروف

«فَتَيَدَّرُوها كَالْمُعَلَّقَةِ» أى تذروا التى لا تميلون إليها كالتى هى لا ذات زوج و لا أيم عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتاده و غيرهم و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله

و

ذكر على بن إبراهيم فى تفسيره أنه سأل رجل من الزنادقه أبا جعفر الأحول عن قوله سبحانه «فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً» ثم قال «وَلَنْ تَسِيَّطِيْعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَ لَوْ حَرَضْتُمْ» و بين القولين فرق قال فلم يكن عندى جواب فى ذلك حتى قدمت المدينة فدخلت على أبى عبد الله (عليه السلام) فسألته عن ذلك فقال أما قوله «فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا» فإنه عنى فى النفقه و أما قوله «وَلَنْ تَسِيَّطِيْعُوا أَنْ تَعْدِلُوا» فإنه عنى فى الموده فإنه لا يقدر أحد أن يعدل بين امرأتين فى الموده قال فرجعت إلى الرجل فأخبرته فقال هذا ما حملته من الحجاز

و

روى أبو قلابه عن النبى (ص) أنه كان يقسم بين نسائه و يقول اللهم هذه قسمتى فيما أملكك فلا تلمنى فيما تملكك و لا أملكك

قوله «وَ إِنْ تُضَيِّلِحُوا» يعنى فى القسمه بين الأزواج و التسويه بينهن فى النفقه و غير ذلك «وَ تَتَّقُوا» الله فى أمرهن و تتركوا الميل الذى نهاكم الله عنه فى تفضيل واحده على الأخرى «فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً» يستر عليكم ما مضى منكم من الحيف فى ذلك إذا تبتم و رجعتم إلى الاستقامه و التسويه بينهن و يرحمكم بترك المؤاخذة على ذلك و كذلك كان يفعل فيما مضى مع غيركم و

روى عن جعفر الصادق (عليه السلام) عن آباءه أن النبى (ص) كان يقسم بين نسائه فى مرضه فيطاف به بينهن

و

روى أن عليا كان له امرأتان فكان إذا كان يوم واحده لا يتوضأ فى بيت الأخرى

وكان معاذ بن جبل له امرأتان ماتتا في الطاعون فأقرع بينهما أيهما تدفن قبل الأخرى وقوله «وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كِلَا مِنْ سَعَتِهِ»
يعنى إذا أبى كل واحد من الزوجين مصلحه الآخر بأن تطالب المرأه بنصيبها من القسمه و النفقه

ص: ١٨٦

و الكسوه و حسن العشره و يمتنع الرجل من إجابتها إلى ذلك و يتفرقا حينئذ بالطلاق فإنه سبحانه يغنى كل واحد منهما من سعته أى من سعه فضله و رزقه «وَ كَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا» أى لم يزل واسع الفضل على العباد حكيمًا فيما يديرهم به و فى هذه الآيه دلالة على أن الأرزاق كلها بيد الله و هو الذى يتولاها بحكمته و إن كان ربما أجراها على يدى من يشاء من بريته.

[سوره النساء (٤): الآيات ١٣١ الى ١٣٢]

اشاره

وَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ لَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ إِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ كَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا (١٣١) وَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ كَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً (١٣٢)

المعنى

ثم ذكر سبحانه بعد إخباره بإغناء كل واحد من الزوجين بعد الافتراق من سعه فضله ما يوجب الرغبة إليه فى ابتغاء الخير منه فقال «وَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ» إخبارا عن كمال قدرته و سعه ملكه أى فإن من يملك ما فى السماوات و ما فى الأرض لا يتعذر عليه الإغناء بعد الفرقه و الإيناس بعد الوحشه ثم ذكر الوصيه بالتقوى فإن بها ينال خير الدنيا و الآخره فقال «وَ لَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ» من اليهود و النصارى و غيرهم «وَ إِيَّاكُمْ» أى و أوصيناكم أيها المسلمون فى كتابكم «أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ» و تقديره بأن اتقوا الله أى اتقوا عقابه باتقاء معاصيه و لا تخالفوا أمره و نهيه «وَ إِنْ تَكْفُرُوا» أى تجحدوا و صيته إياكم و تخالفوها «فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ» لا يضره كفرانكم و عصيانكم و هذه إشاره إلى أن أمره جميع الأمم بطاعته و نهيه إياهم عن معصيته ليس استكثارا بهم عن قله و لا استنصارا بهم عن ذله و لا استغناء بهم عن حاجه فإن له ما فى السماوات و ما فى الأرض ملكا و ملكا و خلقا لا يلحقه العجز و لا يعتريه الضعف و لا تجوز عليه الحاجه و إنما أمرنا و نهانا نعمه منه علينا و رحمه بنا «وَ كَانَ اللَّهُ غَنِيًّا» أى لم يزل سبحانه غير محتاج إلى خلقه بل الخلائق كلهم محتاجون إليه «حَمِيدًا» أى مستوجبا

للحمد عليكم بصنائعه الحميده إليكم و آلائه الجميله لديكم فاستديموا ذلك باتقاء معاصيه و المسارعه إلى طاعته فيما يأمركم به ثم قال «وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا» أى حافظا لجميعه لا يعزب عنه علم شىء منه و لا يؤوده حفظه و تدبيره و لا- يحتاج مع سعه ملكه إلى غيره و أما وجه التكرار لقوله «وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» فى الآيتين ثلاث مرات فقد قيل أنه للتأكيد و التذكير و قيل أنه للإبانه عن علل ثلاث (أحدها) بيان إيجاب طاعته فيما قضى به لأن له ملك السماوات و الأرض (و الثانى) بيان غناه عن خلقه و حاجتهم إليه و استحقاقه الحمد على النعم لأن له ما فى السموات و ما فى الأرض (و الثالث) بيان حفظه إياهم و تدبيره لهم لأن له ملك السماوات و الأرض.

[سوره النساء (٤): الآيات ١٣٣ الى ١٣٤]

إشاره

إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَ كَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا (١٣٣) مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ كَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (١٣٤)

المعنى

لما ذكر سبحانه غناه عن الخلق بأن له ملك السماوات و الأرض عقب ذلك بذكر كمال قدرته على خلقه و إن له الإهلاك و الإنجاء و الاستبدال بعد الإفناء فقال «إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ» يعنى أن يشأ الله يهلككم «أَيُّهَا النَّاسُ» و يفتنكم و قيل فيه محذوف أى إن يشأ أن يذهبكم يذهبكم أيها الناس «وَيَأْتِ بِآخَرِينَ» أى بقوم آخرين غيركم ينصرون نبيه و يوازرونه و

يروى أنه لما نزلت هذه الآية ضرب النبي يده على ظهر سلمان و قال هم قوم هذا

يعنى عجم الفرس «وَ كَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا» أى لم يزل سبحانه و لا- يزال قادرا على الإبدال و الإفناء و الإعاده ثم ذكر سبحانه عظم ملكه و قدرته بأن جزاء الدارين عنده فقال «مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا» أى الغنيمه و المنافع الدنيويه أخبر سبحانه عن أظهر الإيمان بمحمد (ص) من أهل النفاق يريد عرض الحياه الدنيا بإظهار ما أظهره من الإيمان بلسانه «فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ» أى يملك سبحانه الدنيا و الآخره فيطلب المجاهد الثوابين عند الله عن أبى على الجبائى و قيل أنه وعيد للمنافقين و ثوابهم فى الدنيا ما يأخذونه من الفىء و الغنيمه إذا شهدوا الحرب مع المسلمين و أمنهم على نفوسهم و أموالهم و ذراريتهم و ثوابهم فى الآخره النار «وَ كَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا» أى لم يزل على صفة يجب لأجلها أن

يسمع المسموعات و يبصر المبصرات عند الوجود و هذه الصفه هي كونه حيا لا آفه به و قيل إنما ذكر هذا ليبين أنه يسمع ما يقول المنافقون إذا خلوا إلى شياطينهم و يعلم ما يسرونه من نفاقهم.

[سوره النساء (٤): آيه ١٣٥]

اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانِ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥)

القراءه

قرأ ابن عامر و حمزه أن تلوا بضم اللام و واو واحده ساكنه و الباقون «تَلَوُوا» بواوین الأولى مضمومه و الثانيه ساكنه.

الحجه

من قرأ بواو واحده فحجته أن يقول أنه من الولايه و ولايه الشئ ء إقبال عليه و خلاف الإعراض عنه فيكون المعنى إن تقبلوا أو تعرضوا فإن الله خبير بأعمالكم يجازى المحسن المقبل بإحسانه و المسى ء المعرض بإعراضه و تركه الإقبال على ما يلزمه أن يقبل عليه قال و إذا قرأت «تَلَوُوا» فهي من اللى و اللى مثل الأعراض فيكون كالتكرير أ لا ترى أن قوله «لَوُوا رُؤْسَهُمْ وَ رَأَيْتَهُمْ يَصِيْدُونَ» معناه الإعراض و ترك الانقياد للحق و من قرأ «تَلَوُوا» من لوى فحجته أن يقول لا ينكر أن يتكرر اللفظان بمعنى واحد نحو قوله «فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ» و قول الشاعر:

(و هند أتى من دونها الناي و البعد)

و قول آخر:

(و ألقى قولها كذبا و مينا)

و قيل أن تلوا يجوز أن يكون تلوا و إن الواو التي هي عين همزت لانضمامها كما همزت في أدور ثم طرحت الهمزه و ألقيت حركتها على اللام التي هي فاء فصارت تلوا كما تطرح الهمزه في أدور و تلقى حركتها على الدال فتصير آدر.

اللغه

القسط و الأقساط العدل يقال أقسط الرجل إقساطا إذا عدل و أتى بالقسط و قسط الرجل يقسط قسوطا إذا جار و يقال قسط البعير يقسط قسطا إذا يبست يده و يد قسطاء أى يابسه فكان معنى أقساط أقام الشئ ء على حقيقته فى التعديل و كان قسط أى جار معناه يبس الشئ ء و أفسد جهته المستقيمه و القوام فعال من القيام و هو أن يكون عادته القيام و اللى

الدفع يقال لويت فلانا حقه إذا دفعته و مطلته و منه

الحديث لى الواجد ظلم

أى مطل الغنى جور.

الإعراب

شهداء نصب على الحال من الضمير فى قوله «قَوَّامِينَ» و هو ضمير «الَّذِينَ آمَنُوا» و يجوز أن يكون خبر كان على أن لها خبرين نحو هذا حلو حامض و يجوز أن يكون صفه لقوامين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما لم يقل به لأنه أراد فالله أولى بغناء الغنى و فقر الفقير لأن ذلك منه سبحانه و قيل إنما ثنى الضمير لأن أو فى هذا الموضع بمعنى الواو و قيل أنه لم يقصد غنيا بعينه و لا فقيرا بعينه فهو مجهول و ما ذلك حكمه يجوز أن يعود إليه الضمير بالتوحيد و التثنيه و قد ذكر أن فى قراءة أبى فالله أولى بهم و قيل إنما قال بهما لأنهما قد ذكرا كما قال وَ لَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فللكل واحد منهما و قيل إنما جاز ذلك لأنه أضمر فيه من خاصم على ما تذكره فى المعنى مشروحا و «أَنْ تَعْدِلُوا» يجوز أن يكون فى موضع نصب بأنه مفعول له أى هربا من أن تعدلوا و كراهه أن تعدلوا و يجوز أن يكون فى موضع جر على معنى فلا تتبعوا الهوى لتعدلوا.

المعنى

لما ذكر سبحانه أن عنده ثواب الدنيا و الآخرة عقبه بالأمر بالقسط و القيام بالحق و ترك الميل و الجور فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ» أى دائمين على القيام بالعدل و معناه و لتكن عادتكم القيام بالعدل فى القول و الفعل «شُهِدَاءَ لِلَّهِ» و هو جمع شهيد أمر الله تعالى عباده بالثبات و الدوام على قول الحق و الشهادة بالصدق تقربا إليه و طلبا لمرضاته و عن ابن عباس كونوا قوالين بالحق فى الشهادة على من كانت و لمن كانت من قريب أو بعيد «وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ» أى و لو كانت شهادتكم على أنفسكم «أَوِ الْوَالِدِينَ وَ الْأَقْرَبِينَ» أى على والديكم و على أقرب الناس إليكم فقوموا فيها بالقسط و العدل و أقيموا على الصحة و الحق و لا تميلوا فيها لغنى غنى أو لفقر فقير فإن الله قد سوى بين الغنى و الفقر فيما ألزمكم من إقامة الشهادة لكل واحد منهما بالعدل و فى هذا دلالة على جواز شهادة الولد لوالده و الوالد لولده و عليه و شهادة كل ذى قرابه لقرابه و عليه و إليه ذهب ابن عباس فى قوله أمر الله سبحانه المؤمنين أن يقولوا الحق و لو على أنفسهم أو آبائهم أو أبنائهم و لا يحابوا غنيا لغناه و لا مسكينا لمسكنته و قال ابن شهاب الزهرى كان سلف المسلمين على ذلك حتى دخل

الناس فيما بعدهم و ظهرت منهم أمور حملت الولاه على تهايمهم فتركت شهاده من يتهم و أما شهاده الإنسان على نفسه فيكون بالإقرار للخصم بإقراره له شهاده منه على نفسه و شهادته لنفسه لا تقبل «إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا» معناه أن يكن المشهود عليه غنيا أو فقيرا أو المشهود له غنيا أو فقيرا فلا يمنعكم ذلك عن قول الحق و الشهاده بالصدق و فائده ذلك أن الشاهد ربما امتنع عن إقامه الشهاده للغنى على الفقير لاستغناء المشهود له و فقر المشهود عليه فلا يقيم الشهاده شفقته على الفقير و ربما امتنع عن إقامه الشهاده للفقير على الغنى تهاونا للفقير و توقيرا للغنى أو خشيه منه أو حشمه له فبين سبحانه بقوله «فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا» إنه أولى بالغنى و الفقير و أنظر لهما من سائر الناس أى فلا تمتنعوا من إقامه الشهاده على الفقير شفقته عليه و نظرا له و لا من إقامه الشهاده للغنى لاستغنائاه عن المشهود به فإن الله تعالى أمركم بذلك مع علمه بغناء الغنى و فقر الفقير فراعوا أمره فيما أمركم به فإنه أعلم بمصالح العباد منكم «فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ» يعنى هوى الأنفس فى إقامه الشهاده فتشهدوا على إنسان الإحنه بينكم و بينه أو وحشه أو عصبية و تمتنعوا الشهاده له لأحد هذه المعانى و تشهدوا للإنسان بغير حق لميلكم إليه بحكم صداقه أو قرابه «أَنْ تَعْدِلُوا» أى لأن تعدلوا يعنى لأجل أن تعدلوا فى الشهاده قال الفراء هذا كقولهم لا تتبع هواك لترضى ربك أى كيما ترضى ربك و قيل أنه من العدول الذى هو الميل و الجور و معناه و لا تتبعوا الهوى فى أن تعدلوا عن الحق أو لأن تعدلوا عن الحق «وَ إِنْ تَلَّوْا» أى تمطلوا فى أداء الشهاده «أَوْ تُعْرِضُوا» عن أدائها عن ابن عباس و مجاهد و قيل إن الخطاب للحكام أى و إن تلوا أيها الحكام فى الحكم لأحد الخصمين على الآخر «أَوْ تُعْرِضُوا» عن أحدهما إلى الآخر عن ابن عباس و السدى و قيل

معناه «إِنْ تَلَّوْا» أى تبدلوا الشهاده «أَوْ تُعْرِضُوا» أى تكتموها عن ابن زيد و الضحاك و هو المروى عن أبى جعفر

«فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا» معناه أنه كان عالما بما يكون منكم من إقامه الشهاده أو تحريفها و الإعراض عنها و فى هذه الآيه دلالة على وجوب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و سلوك طريقه العدل فى النفس و الغير و قد روى عن ابن عباس فى معنى قوله «وَ إِنْ تَلَّوْا أَوْ تُعْرِضُوا» إنهما الرجلان يجلسان بين يدي القاضى فيكون لى القاضى و إعراضه لأحدهما عن الآخر.

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١٣٦)

القراءة

قرأ ابن كثير و ابن عامر و أبو عمرو أنزل بالضم و كسر الزاى و الباقون «نَزَّلَ» و «أَنْزَلَ» بفتحهما.

الحجج

من قرأ بالضم فحجته قوله سبحانه «لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ» و من قرأ «نَزَّلَ» و «أَنْزَلَ» فحجته «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ».

المعنى

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ» قيل فيه ثلاثه أقوال (أحدها) و هو الصحيح المعتمد عليه أن معناه يا أيها الذين آمنوا فى الظاهر بالإقرار بالله و رسوله آمنوا فى الباطن ليوافق باطنكم ظاهركم و يكون الخطاب للمنافقين الذين كانوا يظهرون خلاف ما يبطنون «وَ الْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ» و هو القرآن «وَ الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ» هو التوراه و الإنجيل عن الزجاج و غيره (و ثانيها) أن يكون الخطاب للمؤمنين على الحقيقة ظاهرا و باطنا فىكون معناه أثبتوا على هذا الإيمان فى المستقبل و داوموا عليه و لا تنتقلوا عنه عن الحسن و اختاره الجبائى قال لأن الإيمان الذى هو التصديق لا يبقى و إنما يستمر بأن يجدده الإنسان حالا بعد حال (و ثالثها) إن الخطاب لأهل الكتاب أمروا بأن يؤمنوا بالنبى و الكتاب الذى أنزل عليه كما آمنوا بما معهم من الكتب و يكون قوله «وَ الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ» إشاره إلى ما معهم من التوراه و الإنجيل و يكون وجه أمرهم بالتصديق بهما و إن كانوا مصدقين بهما أحد أمرين إما أن يكون لأن التوراه و الإنجيل فيهما صفات نبينا و تصديقه و تصحيح نبوته فمن لم يصدقه و لم يصدق القرآن لا- يكون مصدقا بهما لأن فى تكذيبه تكذيب التوراه و الإنجيل و أما أن يكون الله تعالى أمرهم بالإقرار بمحمد (ص) و بالقرآن و بالكتاب الذى أنزل من قبله و هو الإنجيل و ذلك لا يصح إلا بالإقرار بعيسى أيضا و هو نبى مرسل و يعضد هذا الوجه ما روى عن عبد الله بن عباس أنه قال إن الآيه نزلت فى مؤمنى أهل

الكتاب عبد الله بن سلام و أسد و أسيد ابني كعب و ثعلبه بن قيس و ابن أخت عبد الله بن سلام و يامين بن يامين و هؤلاء من كبار أهل الكتاب قالوا نؤمن بك و بكتابتك و بموسى و بالتوراه و عزيز و نكفر بما سواه من الكتب و بمن سواهم من الرسل ف قيل لهم بل آمنوا بالله و رسوله الآيه فآمنوا كما أمرهم الله «وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ» أى يجحده أو يشبهه بخلقه أو يرد أمره و نهيه «وَمَلَائِكَتِهِ» أى ينفهم أو ينزلهم منزله لا يليق بهم كما قالوا أنهم بنات الله «وَكُتِبَ» فيجحدها «وَرُسُلِهِ» فينكرهم «وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» أى يوم القيامة «فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا» أى ذهب عن الحق و بعد قصد السبيل ذهابا بعيدا و قال الحسن الضلال البعيد هو ما لا ائتلاف له و المعنى أن من كفر بمحمد و جحد نبوته فكأنه جحد جميع ذلك لأنه لا يصح إيمان أحد من الخلق بشىء مما أمر الله به بالإيمان به و بما أنزل الله عليه و فى هذا تهديد لأهل الكتاب و إعلام لهم إن إقرارهم بالله و وحدانيته و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر لا ينفعهم مع جحدهم نبوه محمد (ص) و يكون وجوده و عدمه سواء.

النظم

وجه اتصال هذه الآيه بما قبلها أن الله سبحانه لما بين الإسلام عقبه بالدعاء إلى الإيمان و شرائطه و قيل أنها تتصل بقوله «كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ» و القيام بالقسط هو الإيمان على الوجه المذكور.

[سوره النساء (٤): الآيات ١٣٧ الى ١٣٩]

اشاره

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أزدادوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَ لَا لِيُهْدِيَهُمْ سَبِيلًا (١٣٧) بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِئْتَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (١٣٩)

اللغه

أصل البشاره الخبر السار الذى يظهر به السرور فى بشره الوجه ثم يستعمل فى الخبر الذى يغم أيضا وضع إخبارهم بالعذاب موضع البشاره لهم و العرب تقول تحيتك الضرب و عتابك السيف أى تضع الضرب موضع التحيه و السيف موضع العتاب قال الشاعر:

ص: ١٩٣

و أصل العزه الشده و منه قيل للأرض الصلبيه الشديده عزاز و منه قيل عز على أن يكون كذا أى شد على و عز الشىء إذا صعب وجوده و اشتد حصوله و اعتز فلان بفلان إذا اشتد ظهره به و العزيز القوى المنيع بخلاف الدليل.

المعنى

ثم قال تعالى «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا» قيل فى معناه أقوال (أحدها) أنه عنى به الذين آمنوا بموسى ثم كفروا بعباده العجل و غير ذلك «ثُمَّ آمَنُوا» يعنى النصرارى بعباسى «ثُمَّ كَفَرُوا» به «ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا» بمحمد ص عن قتاده (و ثانيها) أنه عنى به الذين آمنوا بموسى ثم كفروا بعد موسى ثم آمنوا بعزير ثم كفروا بعباسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد ص عن الزجاج و الفراء (و ثالثها) أنه عنى به طائفه من أهل الكتاب أرادوا تشكيك نفر من أصحاب رسول الله فكانوا يظهرن الإيمان بحضرتهم ثم يقولون قد عرضت لنا شبهه أخرى فيكفرون ثم ازدادوا كفرا بالثبات عليه إلى الموت عن الحسن و ذلك معنى قوله تعالى «وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» (و رابعها) أن المراد به المنافقون آمنوا ثم ارتدوا ثم آمنوا ثم ارتدوا ثم ماتوا على كفرهم عن مجاهد و ابن زيد و قال ابن عباس دخل فى هذه الآيه كل منافق كان فى عهد النبى فى البحر و البر «لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ» بإظهارهم الإيمان فلو كانت بواطنهم كظواهرهم فى الإيمان لما كفروا فيما بعد «وَلَا لِيُهَيِّدِيَهُمْ سَبِيلًا» معناه و لا يهديهم إلى سبيل الجنه كما قال فيما بعد «وَلَا لِيُهَيِّدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ» و يجوز أن يكون المعنى أنه يخذلهم و لا يلفظ بهم عقوبه لهم على كفرهم المتقدم ثم قال «بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ» أى أخبرهم يا محمد «بِأَنَّ لَهُمْ» فى الآخره «عَذَابًا أَلِيمًا» أى وجيعا إن ماتوا على كفرهم و نفاقهم و فى هذه الآيه دلالة على أن الآيه المتقدمه نزلت فى شأن المنافقين و أنه الأصح من الأقوال المذكوره ثم وصف هؤلاء المنافقين فقال «الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ» أى مشركى العرب و قيل اليهود «أَوْلِيَاءَ» أى ناصرين و معينين و أخلاء «مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ» أى من غيرهم «أَيَّبَتَّغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ» أى يطلبون عندهم القوه و المنعه باتخاذهم هؤلاء أولياء من دون الإيمان بالله تعالى ثم أخبر سبحانه أن العزه و المنعه له فقال «فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا» يريد سبحانه أنهم لو آمنوا

مخلصين له و طلبوا الاعتزاز بالله تعالى و بدينه و رسوله و المؤمنين لكان أولى بهم من الاعتزاز بالمشركين فإن العزه جميعا لله سبحانه و من عنده يعز من يشاء و يذل من يشاء.

[سوره النساء (٤): آيه ١٤٠]

إشارة

وَ قَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (١٤٠)

القراءة

قرأ عاصم و يعقوب «نَزَّلَ» بالفتح و الباقون نزل بضم النون و كسر الزاى.

الحجج

و الوجه فى القراءة تين ما ذكرناه قبل.

الإعراب

إذا قرأت «نَزَّلَ» بالفتح فإن فى موضع نصب لأن تقديره نزل الله ذلك و إذا قرأت نزل فإن فى موضع الرفع و إن هذه هى المخففة من الثقيله.

النزول

كان المنافقون يجلسون إلى أحبار اليهود فيسخررون من القرآن فنهاهم الله تعالى عن ذلك عن ابن عباس.

المعنى

لما تقدم ذكر المنافقين و موالاتهم الكفار عقب ذلك بالنهى عن مجالستهم و مخالطتهم فقال «وَ قَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ» أى فى القرآن «أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا» أى يكفر بها المشركون و المنافقون و يستهزئون بها «فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ» أى مع هؤلاء المستهزئين الكافرين «حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ» أى حتى يأخذوا فى حديث غير الاستهزاء بالدين و قيل حتى يرجعوا إلى الإيمان و يتركوا الكفر و الاستهزاء و المنزل فى الكتاب هو قوله سبحانه فى سوره الأنعام «وَ إِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ» و فى هذا دلالة على تحريم مجالسه الكفار عند كفرهم بآيات الله و استهزائهم بها و على إباحه مجالستهم عند خوضهم فى حديث غيره و روى عن الحسن أن إباحه القعود مع الكفار عند خوضهم فى حديث آخر غير كفرهم و استهزائهم بالقرآن منسوخ بقوله تعالى «فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمَ الدُّكْرَى مَعَ

الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ «إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ» يعنى إنكم إذا جالستموهم على الخوض فى كتاب الله و الهزء به فأنتم مثلهم و إنما حكم بأنهم مثلهم لأنهم لم ينكروا عليهم مع قدرتهم على الإنكار و لم يظهروا الكراهه لذلك و متى كانوا راضين بالكفر كانوا كفارا لأن الرضا بالكفر كفر و فى الآيه دلالة على وجوب إنكار المنكر مع القدره و زوال العذر و إن من ترك ذلك مع القدره عليه فهو مخطئ آثم و فيها أيضا دلالة على تحريم مجالسه الفساق و المبتدعين من أى جنس كانوا و به قال جماعه من أهل التفسير و ذهب إليه عبد الله بن مسعود و إبراهيم و أبو وائل قال إبراهيم و من ذلك إذا تكلم الرجل فى مجلس يكذب فيضحك منه جلساؤه فيسخط الله عليهم و به قال عمر بن عبد العزيز و روى أنه ضرب رجلا صائبا كان قاعدا مع قوم يشربون الخمر و

روى العياشى بإسناده عن على بن موسى الرضا (عليه السلام) فى تفسير هذه الآيه قال إذا سمعت الرجل يجحد الحق و يكذب به و يقع فى أهله فقم من عنده و لا تقاعده

و روى عن ابن عباس أنه قال أمر الله تعالى فى هذه الآيه باتفاق و نهى عن الاختلاف و الفرقه و المراء و الخصومه و به قال الطبرى و البلخى و الجبائى و جماعه من المفسرين و قال الجبائى و أما الكون بالقرب منهم بحيث يسمع صوتهم و لا يقدر على إنكارهم فليس بمحذور و إنما المحذور مجالستهم من غير إظهار كراهيه لما يسمعه أو يراه قال و فى الآيه دلالة على بطلان قول نفاه الأعراض و قولهم ليس هاهنا شىء غير الأجسام لأنه قال «حَتَّى يَخُوضُوا فى حَيْدِثٍ غَيْرِهِ» فأثبت غيرا لما كانوا فيه و ذلك هو العرض «إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَ الْكَافِرِينَ فى جَهَنَّمَ جَمِيعاً» أى إن الله يجمع الفريقين من أهل الكفر و النفاق فى القيامة فى النار و العقوبه فيها كما اتفقوا فى الدنيا على عداوه المؤمنين و المظاهره عليهم.

[سوره النساء (٤): آيه ١٤١]

اشاره

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْنَةٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَ إِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَ نَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا (١٤١)

ص: ١٩٦

التربص الانتظار والاستحواذ الغلبه والاستيلاء يقال حاذ الحمار أته إذا استولى عليها و جمعها و كذلك حازها قال العجاج
يصف ثورا و كلابا

يحوذهن و له حوذى

و روى

يحوزهن و له حوزى

و استحوذ مما خرج عن أصله فمن قال أحاذ يحيد لم يقل إلا استحاذ يستحيد و من قال أحوذ كما قيل أحوذت و أطيت بمعنى
أخذت و أطيت فأخرجه على الأصل قال استحوذ و الأحوذى الحاذ المنكمش الخفيف فى أمره.

المعنى

قد وصف الله سبحانه المنافقين و الكافرين فقال «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمْ» أى ينتظرون لكم أيها المؤمنون لأنهم كانوا يقولون
سيهلك محمد ص و أصحابه فنستريح منهم و يظهر قومنا و ديننا «فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ» أى فإن اتفق لكم فتح و ظفر على
الأعداء «قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ» نجاهد عدوكم و نغزوهم معكم فأعطونا نصيبنا من الغنيمه فقد شهدنا القتال «وَ إِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ
نَصِيبٌ» أى حظ بإصابتهم من المؤمنين «قَالُوا» يعنى المنافقين أى قال المنافقون للكافرين «أَلَمْ نَشِيتْ حَوْذَ عَلَيْكُمْ» أى ألم نغلب
عليكم عن السدى و معناه ألم نغلبكم على رأيكم بالموالاه لكم «وَ نَمْنَعُكُمْ مِنْ» الدخول فى جملة «الْمُؤْمِنِينَ» و قيل معناه ألم
نبين لكم أنا على ما أنتم عليه أى ألم نضمكم إلى أنفسنا و نطلعكم على أسرار محمد ص و أصحابه و نكتب إليكم بأخبارهم
حتى غلبتم عليهم فاعرفوا لنا هذا الحق عليكم عن الحسن و ابن جريج «وَ نَمْنَعُكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» أى ندفع عنكم صوله المؤمنين
بتحدثنا إياهم عنكم و كوننا عيوننا لكم حتى انصرفوا عنكم و غلبتموهم «فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» هذا إخبار منه سبحانه
عن نفسه بأنه الذى يحكم بين الخلائق يوم القيامة و يفصل بينهم بالحق «وَ لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا» قيل فيه
أقوال (أحدها) أن المراد لن يجعل الله لليهود على المؤمنين نصرا و لا- ظهورا عن ابن عباس و قيل لن يجعل الله للكافرين على
المؤمنين سبيلا- بالحجه و إن جاز أن يغلبوهم بالقوه لكن المؤمنين منصورون بالدلاله و الحججه عن السدى و الزجاج و البلخى
قال الجبائى و لو حملناه على الغلبه لكان ذلك صحيحا لأن غلبه الكفار للمؤمنين ليس مما فعله الله فإنه لا يفعل القبيح و ليس
كذلك غلبه المؤمنين للكفار فإنه يجوز أن ينسب إليه سبحانه و قيل لن يجعل لهم فى الآخره عليهم سبيلا لأنه مذكور عقيب
قوله «فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» بين الله سبحانه أنه إن يثبت

لهم سبيل على المؤمنين فى الدنيا بالقتل و القهر و النهب و الأسر و غير ذلك من وجوه الغلبه فلن يجعل لهم يوم القيامه عليهم سيلا بحال.

[سوره النساء (٤): الآيات ١٤٢ الى ١٤٣]

اشاره

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَ هُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَآؤُنَ النَّاسَ وَ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (١٤٢)
مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (١٤٣)

القراءه

فى الشواذ قراءه عبد الله بن أبى إسحاق يراءون مثل يراعون و القراءه المشهوره «يُرَآؤُنَ» مثل يراعون و قراءه ابن عباس مذبذبين بكسر الذال الثانيه.

الحجه

قال ابن جنى يراءون يفعلون من رأيت و معناه يبصرون الناس و يحملونهم على أن يروهم يفعلون ما يتعاطون و هو أقوى من يراءون بالمد على يفاعلون لأن معناه يتعرضون لأن يروهم «يُرَآؤُنَ» معناه يحملونهم على أن يروهم قال الشاعر:

ترى و تراءى عند معقد غرزها

تهاويل من أجلاد هر مؤوم

و قوله «مُذَبِّبِينَ» مثل قول الشاعر:

(مسيره شهر للبريد المذبذب)

أى المهتز القلق الذى لا يثبت فى مكان فكذلك هؤلاء.

اللغه

يقال ذبذبتة فتذبذب أى حركته فتحرك فهو كتحريك شىء معلق قال النابغه:

ألم تر أن الله أعطاك سوره

ترى كل ملك دونها يتذبذب

.الإعراب

كسالى منصوب على الحال من الواو فى «قاموا» و مذبذبين نصب على الحال من المنافقين.

ص: ١٩٨

ثم بين سبحانه أفعالهم القبيحة فقال «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ» قد ذكرنا معناه فى أول البقره و على الجملة خداع المنافقين لله إظهارهم الإيمان الذى حقنوا به دماءهم و أموالهم و قيل معناه يخادعون النبى كما قال إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ فسمى مبايعه النبى مبايعه الله للاختصاص و لأن ذلك بأمره عن الحسن و الزجاج و معنى خداع الله إياهم أن يجازيهم على خداعهم كما قلناه فى قوله اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ و قيل هو حكمه بحقن دمائهم مع علمه باطنهم و قيل هو أن يعطيهم الله نورا يوم القيامه يمشون به مع المسلمين ثم يسلبهم ذلك النور و يضرب بينهم بسور عن الحسن و السدى و جماعه من المفسرين «وَ إِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى» أى متثاقلين «يُرَاوُونَ النَّاسَ» يعنى أنهم لا يعملون شيئا من أعمال العبادات على وجه القربه إلى الله و إنما يفعلون ذلك إبقاء على أنفسهم و حذرا من القتل و سلب الأموال و إذا رأهم المسلمون صلوا ليروهم أنهم يدينون بدينهم و إن لم يرههم أحد لم يصلوا و به قال قتاده و ابن زيد و

روى العياشى بإسناده عن مسعده ابن زياد عن أبى عبد الله عن آبائه أن رسول الله سئل فيم النجاه غدا قال النجاه أن لا تخادعوا الله فيخدعكم فإنه من يخادع الله يخدعه و نفسه يخدع لو شعر

فقيل له فكيف يخادع الله قال يعمل بما أمره الله ثم يريد به غيره فاتقوا الرياء فإنه شرك بالله إن المرأى يدعى يوم القيامه بأربعة أسماء يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر حبط عملك و بطل أجرك و لا خلاق لك اليوم فالتمس أجرك ممن كنت تعمل له «وَ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا» أى ذكرا قليلا- و معناه لا يذكرون الله عن نيه خالصه و لو ذكروه مخلصين لكان كثيرا و إنما وصف بالقله لأنه لغير الله عن الحسن و ابن عباس و قيل لا- يذكرون إلا- ذكرا يسيرا نحو التكبير و الأذكار التى يجهر بها و يتركون التسييح و ما يخافت به من القراءه و غيرها عن أبى على الجبائى و قيل إنما وصف الذكر بالقله لأنه سبحانه لم يقبله و كل ما رده الله فهو قليل «مُذَبِّذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ» أى مرددين بين الكفر و الإيمان يريد كأنه فعل بهم ذلك و إن كان الفعل لهم على الحقيقه و قيل معنى مذبذبين مطرودين من هؤلاء و من هؤلاء من الذب الذى هو الطرد و صفهم سبحانه بالحيره فى دينهم و أنهم لا يرجعون إلى صحه نيه لا مع المؤمنين على بصيره و لا مع الكافرين على جهاله و

قال رسول الله إن مثلهم مثل الشاه العايره بين الغنمين تتحير فتتنظر إلى هذه و هذه لا تدرى أيهما تتبع

«لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ» أى لا مع هؤلاء فى الحقيقه و لا مع هؤلاء

يظهرون الإيمان كما يظهره المؤمنون و يضمرون الكفر كما يضمره المشركون فلم يكونوا مع أحد الفريقين فى الحقيقة فإن المؤمنين يضمرون الإيمان كما يظهرونه و المشركون يظهرون الكفر كما يضمرونه «وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا» أى طريقا و مذهبا و قد مضى ذكر معنى الإضلال مشروحا فى سورة البقره عند قوله وَ مَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ فلا معنى لإعادته.

[سوره النساء (٤): الآيات ١٤٤ الى ١٤٦]

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا (١٤٤) إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ اعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَ أَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَ سَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (١٤٦)

القراءة

قرأ أهل الكوفه إلا أبا بكر الدرك بسكون الراء و الباقون بفتحها.

الحججه

هما لغتان كالنهر و النهر و الشمع و الشمع و القص و القصص.

اللغه

السلطان الحججه قال الزجاج و هو يذكر و يؤنث قالوا قضت عليك السلطان و أمرك به السلطان و لم يأت فى القرآن إلا مذكرا و قيل للأمير سلطان و معناه ذو الحججه و أصل الدرك الحبل الذى يوصل به الرشا و يعلق به الدلو ثم لما كان فى النار سفال من جهه الصوره و المعنى قيل له درك و درك و جمع الدرك أدراك و دروك و جمع الدرك أدرك.

المعنى

ثم نهى سبحانه عن موالاته المنافقين فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ» أى أنصارا «مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ» فتكونوا مثلهم «أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا» أى حججه ظاهره و هو استفهام يراد به التقرير و فيه دلالة على أن الله لا يعاقب أحدا إلا بعد قيام الحججه عليه و الاستحقاق و أنه لا يعاقب الأطفال بذنوب الآباء و أنه كان لا حججه له على الخلق لو لا معاصيهم قال الحسن معناه أريدون أن تجعلوا لله سبيلا

إلى عذابكم بكفركم و تكذيبكم «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» أى فى الطبقة الأسفل من النار فإن للنار طبقات و دركات كما أن للجنة درجات فيكون المنافق على أسفل طبقه منها لقبح عمله عن ابن كثير و أبى عبيده و جماعه و قيل إن المنافقين فى توابيت من حديد مغلقة عليهم فى النار عن عبد الله بن مسعود و ابن عباس و قيل إن الإدراك يجوز أن تكون منازل بعضها أسفل من بعض بالمسافة و يجوز أن يكون ذلك إخباراً عن بلوغ الغايه فى العقاب كما يقال إن السلطان بلغ فلانا الحضيض و بلغ فلانا العرش يريدون بذلك انحطاط المنزل و علوها لا المسافة عن أبى القاسم البلخى «وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيْرًا» و لا تجد يا محمد لهؤلاء المنافقين ناصراً ينصرهم فينقذهم من عذاب الله إذ جعلهم فى أسفل طبقه من النار ثم استثنى تعالى فقال «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا» من نفاقهم «وَأَصْلَحُوا» نياتهم و قيل ثبتوا على التوبه فى المستقبل «وَأَعْتَصَمُوا بِاللَّهِ» أى تمسكوا بكتاب الله و صدقوا رسله و قيل و ثقوا بالله «وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ» أى تبرأوا من الآلهه و الأنداد و قيل طلبوا بإيمانهم رحمه الله و رضاه مخلصين عن الحسن «فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ» أى فإنهم إذا فعلوا ذلك يكونون فى الجنة مع المؤمنين و محل الكرامه «وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا» سوف كلمه ترجمه و عده و إطماع و هى من الله إيجاب لأنه أكرم الأكرمين و وعد الكريم إنجاز و لم يشرط على غير المنافقين فى التوبه من الإصلاح و الاعتصام ما شرطه عليهم ثم شرط عليهم بعد ذلك الإخلاص لأن النفاق ذنب القلب و الإخلاص توبه القلب ثم قال «فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ» و لم يقل فأولئك المؤمنون أو من المؤمنين غيظاً عليهم ثم أتى بلفظ «سَوْفَ» فى أجر المؤمنين لانضمام المنافقين إليهم هذا إذا عنى به جميع المؤمنين من تقدم منه الكفر و من لم يتقدم و يحتمل أن يكون المراد به زياده الثواب لمن لم يسبق منه كفر و لا نفاق.

[سوره النساء (٤): آيه ١٤٧]

إشارة

ما يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَ آمَنْتُمْ وَ كَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا (١٤٧)

المعنى

خاطب سبحانه بهذه الآيه المنافقين الذين تابوا و آمنوا و أصلحوا أعمالهم فقال «ما يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ» أى ما يصنع الله بعذابكم و المعنى لا حاجه لله إلى عذابكم و جعلكم فى الدرک الأسفل من جهنم لأنه لا يجتلب بعذابكم نفعاً و لا يدفع به عن نفسه ضرراً إذ هما يستحيلان عليه «إِنْ شَكَرْتُمْ» أى أدبتم الحق الواجب لله عليكم و شكرتموه على نعمه «وَ آمَنْتُمْ» به و برسوله و أقرتم بما جاء به من عنده «وَ كَانَ اللَّهُ شَاكِرًا» يعنى لم

ص: ٢٠١

يزل سبحانه مجازيا لكم على الشكر فسمى الجزاء باسم المجزى عليه «عَلِيماً» بما يستحقونه من الثواب على الطاعات فلا يضيع عنده شىء منها عن قتاده وغيره وقيل معناه أنه يشكر القليل من أعمالكم ويعلم ما ظهر وما بطن من أفعالكم وأقوالكم و يجازيكم عليها وقال الحسن معناه أنه يشكر خلقه على طاعتهم مع غناه عنهم فيعلم بأعمالهم.

[سورة النساء (٤): الآيات ١٤٨ الى ١٤٩]

إشارة

لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَ كَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً (١٤٨) إِنَّ تَبَدُّوا خَيْراً أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوَاً قَدِيراً (١٤٩)

القراءة

القراءة على ضم الظاء من «ظَلِمَ» و روى عن ابن عباس و سعيد بن جبير و الضحاك و عطاء بن السائب و غيرهم إلا من ظلم بفتح الظاء و اللام.

الحجة

قال ابن جنى «ظَلِمَ» و ظلم جميعا على الاستثناء المنقطع أى لكن من ظلم فإن الله لا يخفى عليه أمره و دل عليه قوله «وَ كَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً» و موضع من نصب فى الوجهين جميعا قال الزجاج فيكون المعنى لكن المظلوم يجهر بظلامته تشكيا و لكن الظالم يجهر بذلك ظلما قال و يجوز أن يكون موضع من رفعا على معنى لا يحب الله أن يجهر بالسوء من القول إلا من ظلم فيكون من بدلا من معنى أحد و المعنى لا- يحب الله أن يجهر أحد بالسوء من القول إلا- المظلوم قال و فيها وجه آخر لا أعلم أحدا من النحويين ذكره و هو أن يكون على معنى لكن الظالم اجهروا له بالسوء من القول.

المعنى

«لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ» قيل فى معناه أقوال (أحدها) لا يحب الله الشتم فى الانتصار

«إِلَّا مَنْ ظَلِمَ» فلا بأس له أن ينتصر ممن ظلمه بما يجوز الانتصار به فى الدين عن الحسن و السدى و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

و نظيره وَ اتَّصِرُوا مِنْ بَعِيدٍ مَا ظَلَمْتُمْ قَالَ الْحَسَنُ وَ لَا يَجُوزُ لِلرَّجُلِ إِذَا قِيلَ لَهُ يَا زَانِي أَنْ يَقَابِلَ لَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الشَّتْمِ (و ثانيها) إن معناه لا يحب الله الجهر بالدعاء على أحد إلا أن يظلم إنسان

فيدعو على من ظلمه فلا- يكره ذلك عن ابن عباس و قريب منه قول قتاده و يكره رفع الصوت بما يسوء الغير إلا المظلوم يدعو على من ظلمه (و ثالثها) إن المراد لا يجب أن يذم أحدا أحد أو يشكوه أو يذكره بالسوء إلا أن يظلم فيجوز له أن يشكو من ظلمه و يظهر أمره و يذكره بسوء ما قد صنعه ليحذره الناس عن مجاهد و

روى عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه الضيف ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته فلا جناح عليه في أن يذكره بسوء ما فعله

«وَ كَانَ اللَّهُ سَيِّعِيًّا» لما يجهر به من سوء القول «عَلِيمًا» بصدق الصادق و كذب الكاذب فيجازى كلا بعمله و في هذه الآية دلالة على أن الرجل إذا هتك ستره و أظهر فسقه جاز إظهار ما فيه و قد جاء

في الحديث "قولوا في الفاسق ما فيه يعرفه الناس و لا غيبه لفاسق"

و فيها ترغيب في مكارم الأخلاق و نهى عن كشف عيوب الخلق و إخبار بتنزيه ذاته تعالى عن إرادته القبائح فإن المحبه إذا تعلقت بالفعل فمعناها الإراده ثم خاطب سبحانه جميع المكلفين فقال «إِنْ تُبْدُوا» أى تظهروا «خَيْرًا» أى حسنا جميلا من القول لمن أحسن إليكم شكرا على إنعامه عليكم «أَوْ تُخْفُوا» أى تتركوا إظهاره و قيل معناه إن تفعلوا خيرا أو تعزموا عليه و قيل يريد بالخير المال أى تظهروا صدقه أو تخفوها «أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ» معناه أو تصفحوا عمن أساء إليكم مع قدره على الانتقام منه فلا تجهروا له بالسوء من القول الذى أذنت لكم فى أن تجهروا به «فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوءًا» أى صفوحا عن خلقه يصفح لهم عن معاصيهم «قَدِيرًا» أى قادرا على الانتقام منهم و هذا حث منه سبحانه منه لخلقهم على العفو عن المسيء مع قدره على الانتقام و المكافاه فإنه تعالى مع كمال قدرته يعفو عنهم ذنوبا أكثر من ذنب من يسىء إليهم و قد تضمنت الآية التى قبلها إباحه الانتصاف من الظالم بشرط أن يقف فيه على حد الظلم و موجب الشرع.

النظم

الوجه فى اتصال هذه الآية بما قبلها أنه لما سبق ذكر أهل النفاق و هو الإظهار خلاف الإبطان بين سبحانه أنه ليس كلما يقع فى النفس يجوز إظهاره فإنه ربما يكون ظنا فإذا تحقق ذلك جاز إظهاره عن على بن عيسى.

ص: ٢٠٣

إشارة

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (١٥١) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٥٢)

القراءة

قرأ حفص «يُؤْتِيهِمْ» بالياء و الباقون نؤتيهم بالنون.

الحجة

حجة حفص قوله سَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ حجة من قرأ نؤتيهم قوله و آتيناها اجرا عظيما أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرًا.

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر المنافقين عقبه بذكر أهل الكتاب و المؤمنين فقال «إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ» من اليهود و النصارى «و يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ» أى يكذبوا رسل الله الذين أرسلهم إلى خلقه و أوحى إليهم و ذلك معنى إرادتهم التفريق بين الله و رسله «و يَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ» أى يقولون نصدق بهذا و نكذب بذاك كما فعل اليهود صدقوا بموسى و من تقدمه من الأنبياء و كذبوا بعبسى و محمد و كما فعلت النصارى صدقوا عيسى و من تقدمه من الأنبياء و كذبوا بمحمد «و يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا» أى طريقا إلى الضلالة التى أحدثوها و البدعة التى ابتدعوها يدعون جهال الناس إليه «أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا» أى هؤلاء الذين أخبرنا عنهم بأنهم يؤمنون ببعض و يكفرون ببعض هم الكافرون حقيقه فاستيقنوا ذلك و لا ترتابوا بدعوتهم أنهم يقرون بما زعموا أنهم مقرون به من الكتب و الرسل فإنهم لو كانوا صادقين فى ذلك لصدقوا جميع رسل الله و إنما قال تعالى «أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا» على وجه التأكيد لثلاث- يتوهم متوهم أن قولهم «نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ» يخرجهم من جنس الكفار و يلحقهم بالمؤمنين «وَأَعْتَدْنَا» أى أعددنا و هيأنا «لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا» يهينهم و يذلهم «وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ» أى صدقوا الله و وحدوه و أقروا بنبوه رسله «وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ» بل آمنوا بجمعهم «أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ» أى سنعطهم أجورهم و سمي الله الثواب اجرا دلالة على أنه مستحق أى

نعطيهم ثوابهم الذى استحقوه على إيمانهم بالله و رسله «وَ كَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً» أى لم يزل كان «غفوراً» لمن هذه صفتهم ما سلف لهم من المعاصى و الآثام «رَحِيماً» متفضلاً عليهم بأنواع الإنعام هادياً لهم إلى دار السلام.

[سوره النساء (٤): الآيات ١٥٣ الى ١٥٤]

اشاره

يَسْبُغُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَ آتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُبِيناً (١٥٣) وَ رَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَ قُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَ قُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَ أَخَذْنَا مِنْهُمُ مِيثَاقاً غَلِيظاً (١٥٤)

القراءه

قرأ أهل المدينة لا تعدوا بتسكين العين و تشديد الدال و روى ورش عن نافع لا تعدوا بفتح العين و تشديد الدال و قرأ الباقون «لا تَعْدُوا» خفيفه.

الحجه

من قرأ لا- تعدوا فأصله لا تعدوا فأدغم التاء فى الدال لتقاربهما و لأن الدال تزيد على التاء فى الجهر قال أبو على و كثير من النحويين ينكرون الجمع بين الساكنين إذا كان الثانى منهما مدغماً و لا يكون الأول حرف مد و لين نحو دابه و أصيم و تمود الثوب و يقولون أن المد يصير عوضاً من الحركه و قد قالوا ثوب بكر و جيب بكر فأدغموا المد الذى فىهما أقل من المد الذى يكون فىهما إذا كان حركه ما قبلهما منهما فإذا جاز ذلك مع نقصان المد الذى فيه لم يمنع أن يجمع بين الساكنين فى نحو لا تعدوا و يقوى ذلك جواز نحو أصيم و دويبه و مديق و من قرأ لا تعدوا فإن الأصل فيه لا تعدوا فسكن التاء ليدغمها فى الدال و نقل حركتها إلى العين الساكنه قبلها فصار لا تعدوا و من قرأ «لا تَعْدُوا» فهو لا تفعلوا مثل قوله تعالى

«إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ» و حجه الأولين و قوله «اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ».

اللغة

قال أبو زيد يقول عدا على اللص أشد العدو و العدوان و العدا و العدو إذا سرقك و ظلمك و عدا الرجل يعدو عدوا في الحضر، و قد عدت عينه عن ذلك أشد العدو تعدو، و عدا يعدو إذا جاوز يقال ما عدوت إن زرتك أى ما جاوزت ذلك.

الإعراب

قوله «جَهْرَةً» يجوز أن يكون صفة لقولهم أى قالوا جهره أى مجاهره أرنا الله و يجوز أن يكون على أرنا الله رؤيه ظاهره.

التنزل

روى أن كعب بن الأشرف و جماعه من اليهود قالوا يا محمد إن كنت نبيا فأتنا بكتاب من السماء جملة أى كما أتى موسى بالتوراه جملة فنزلت الآيه عن السدى.

المعنى

لما أنكر سبحانه على اليهود التفريق بين الرسل فى الإيمان عقبه بالإنكار عليهم فى طلبهم المحالات مع ظهور الآيات و المعجزات فقال «يَسْئَلُكَ» يا محمد «أَهْلُ الْكِتَابِ» يعنى اليهود «أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ» و اختلف فى معناه على أقوال (أحدها) أنهم سألوا أن ينزل عليهم كتابا من السماء مكتوبا كما كانت التوراه مكتوبه من عند الله فى الألواح عن محمد بن كعب و السدى (و ثانيها) أنهم سألوه أن ينزل على رجال منهم بأعينهم كتبا يأمرهم الله تعالى فيها بتصديقه و اتباعه عن ابن جريج و اختاره الطبرى (و ثالثها) أنهم سألوا أن ينزل عليهم كتابا خاصا لهم عن قتاده و قال الحسن إنما سألوا ذلك للتعنت و التحكم فى طلب المعجزات لا لظهور الحق و لو سألوه ذلك استرشادا لا عنادا لأعطاهم الله ذلك «فَقَعَدُ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ» أى لا يعظمن عليك يا محمد مسألتهم إياك إنزال الكتب عليهم من السماء فإنهم سألوا موسى يعنى اليهود أعظم من ذلك بعد ما أتاهم بالآيات الظاهره و المعجزات القاهره التى يكفى الواحد منها فى معرفه صدقه و صحه نبوته فلم يقنعهم ذلك «فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهُ جَهْرَةً» أى معاينه «فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ» أنفسهم بهذا القول و قد ذكرنا قصه هؤلاء و تفسير أكثر ما فى الآيه فى سوره البقره عند قوله «لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً» الآيه قوله «وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَ رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ» الآيه «ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ» أى عبدوه و اتخذوه إلها «مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ» أى الحجج الباهرات قد دل الله بهذا على جهل القوم و عنادهم «فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ» مع عظم جريمتهم و خيانتهم و قد أخبر الله بهذا عن سعه رحمته و مغفرته و تمام نعمته

و أنه لا- جريمه تضيق عنها رحمته و لا خيانه تقصر عنها مغفرته «وَ آتَيْنَا مُوسَىٰ» أى أعطينا «سُلْطَانًا مُّبِينًا» أى حجه ظاهره تبين عن صدقه و صحه نبوته «وَ رَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ» أى الجبل لما امتنعوا من العمل بما فى التوراه و قبول ما جاءهم به موسى «بِمِيثَاقِهِمْ» أى بما أعطوا الله سبحانه من العهد ليعملن بما فى التوراه و قيل معناه و رفعنا الجبل فوقهم بنقضهم ميثاقهم الذى أخذ عليهم بأن يعملوا بما فى التوراه و إنما نقضوه بعباده العجل و غيرها عن أبى على الجبائى و قال أبو مسلم إنما رفع الله الجبل فوقهم إظلالاً لهم من الشمس بميثاقهم أى بعهدهم جزاء لهم على ذلك و هذا القول يخالف أقوال المفسرين «وَ قُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا» يعنى باب حطه و قد مر بيانه هناك «وَ قُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِى السَّبْتِ» أى لا تتجاوزوا فى يوم السبت ما أبيع لكم إلى ما حرم عليكم عن قتاده قال أمرهم الله أن لا يأكلوا الحيتان يوم السبت و أجاز لهم ما عداه «وَ أَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا» أى عهداً وثيقاً و كيدا بأن يأتمروا بأوامره و ينتهوا عن مناهيه و زواجه.

[سوره النساء (٤): الآيات ١٥٥ الى ١٥٨]

اشاره

فَبِمَا نَقَضْتَهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَ كَفَرْتَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ قَتَلْتَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَ قَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥٥) وَ بِكُفْرِهِمْ وَ قَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) وَ قَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَ مَا قَتَلُوهُ وَ مَا صَلَبُوهُ وَ لَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَ إِنَّ الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَ مَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨)

اللغه

البهتان الكذب الذى يتحير فيه من شدته و عظمته و قد مر معنى المسيح فى سوره آل عمران يقال قتلت الشىء خبرا و علما أى علمته علما تاما و ذلك لأن القتل هو

التذليل و يكون كالدرس أنه من التذليل و منه الرسم الدارس لذته فقولك درست العلم بمعنى ذلته و يقال فى المثل قتل أرضا عالمها و قتل أرض جاهلها قال الأصمعى معناه ضبط الأمر من يعلمه و أقول معناه أن العالم يغلب أهل أرضه و الجاهل مغلوب مقهور كما أن الجاهل بالطريق لا يهتدى فيتردد فيه.

الإعراب

ما فى قوله «فِيمَا نَقَضِهِمْ» لغو أى فبنقضهم و معناه التوكيد أى فبنقضهم ميثاقهم حقا و الجالب للباء فى فبنقضهم و العامل فيه قيل أنه محذوف أى لعناهم و قيل العامل فيه قوله «حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ» و قوله «فَبَطَّلْنَا مِنَ الَّذِينَ» بدل من قوله (فبنقضهم) عن الزجاج و على هذا فقوله «بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ» إلى آخر الآيه اعتراض و كذلك قوله «وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ» إلى قوله «شَهِدًا» و قوله «عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» عطف بيان ركب مع ابن و جعل كاسم واحد لوقوع ابن بين علمين مع كونه صفة و الصفة ربما ركبت مع الموصوف فجعلنا- كاسم واحد نحو لا- رجل ظريف فى الدار و رسول الله صفة للمسيح أو بدل منه و «اتَّبَاعَ الظَّنِّ» منصوب على الاستثناء و هو استثناء منقطع و ليس من الأول فالمعنى ما لهم به من علم لكنهم يتبعون الظن.

المعنى

ثم ذكر سبحانه أفعالهم القبيحة و مجازاته إياهم بها فقال «فِيمَا نَقَضَ بِهِمْ» أى فبنقض هؤلاء الذين تقدم ذكرهم و وصفهم «مِيثَاقَهُمْ» أى عهودهم التى عاهدوا الله عليها أن يعملوا بها فى التوراه «وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ» أى جحودهم بأعلام الله و حججه و أدلته التى احتج بها عليهم فى صدق أنبيائه و رسله «وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ» بعد قيام الحجة عليهم بصدقهم «بِغَيْرِ حَقٍّ» أى بغير استحقاق منهم لذلك بكبيره أتوها أو خطيئه استوجبوا بها القتل و قد قدمنا القول فى أمثال هذا و إنه إنما يذكر على سبيل التوكيد فإن قتل الأنبياء لا يمكن إلا أن يكون بغير حق و هو مثل قوله «وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ» و المعنى أن ذلك لا يكون البتة عليه برهان «وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ» مضى تفسيره فى سورة البقره «بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ» قد شرحنا معنى الختم و الطبع عند قوله «خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ» «فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا» أى لا يصدقون قوله إلا تصديقا قليلا و إنما وصفه بالقله لأنهم لم يصدقوا بجميع ما كان يجب عليهم التصديق به و يجوز أن يكون الاستثناء من الذين نفى عنهم الإيمان فىكون المعنى إلا- جمعا قليلا فكأنه سبحانه علم أنه يؤمن من جملتهم جماعه قليله فيما بعد فاستثناهم من جمله من أخبر عنهم أنهم لا يؤمنون و به قال جماعه من المفسرين

مثل قتاده وغيره و ذكر بعضهم أن الباء في قوله «فِيمَا نَقَضْتَهُمْ» يتصل بما قبله و المعنى فأخذتهم الصاعقه بظلمهم و بنقضهم ميثاقهم و بكفرهم و بكذا و بكذا فتبع الكلام بعضه بعضا و قال الطبرى أن معناه منفصل مما قبله يعنى فهذه الأشياء لعناهم و غضبنا عليهم فترك ذكر ذلك لدلاله قوله «بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ» على معنى ذلك لأن من طبع على قلبه فقد لعن و سخط عليه قال و إنما قال ذلك لأن الذين أخذتهم الصاعقه كانوا على عهد موسى و الذين قتلوا الأنبياء و الذين رموا مريم بالبهتان العظيم و قالوا قتلنا عيسى كانوا بعد موسى بزمان طويل و معلوم أن الذين أخذتهم الصاعقه لم يكن ذلك عقوبه على رميهم مريم بالبهتان و لا على قولهم «إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ» فبان بذلك أن الذين قالوا هذه المقاله غير الذين عوقبوا بالصاعقه و هذا الكلام إنما يتجه على قول من قال أنه يتصل بما قبله و لا يتجه على قول الزجاج و هذا أقوى لأنه إذا أمكن إجراء الكلام على ظاهره من غير تقدير حذف فالأولى أن يحمل عليه و قوله «وَوَكُفِّرِهِمْ» أى بجحود هؤلاء لعيسى «وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا» أى أعظم كذب و أشنع و هو رميهم إياها بالفاحشه عن ابن عباس و السدى قال الكلبي مر عيسى برهط فقال بعضهم لبعض قد جاءكم الساحر ابن الساحره و الفاعل ابن الفاعله فحذفوه بأمه فسمع ذلك عيسى فقال اللهم أنت ربى خلقتنى و لم آتهم من تلقاء نفسى اللهم العن من سبنى و سب والدتى فاستجاب الله دعوته فمسخهم خنازير «وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ» يعنى قول اليهود أنا قتلنا عيسى بن مريم رسول الله حكاه الله تعالى عنهم أى رسول الله فى زعمه و قيل أنه من قول الله سبحانه لا على وجه الحكايه عنهم و تقديره الذى هو رسولى «وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ» و اختلفوا فى كيفية التشبيه فروى عن ابن عباس أنه قال لما مسخ الله تعالى الذين سبوا عيسى و أمه بدعائه بلغ ذلك يهوذا و هو رأس اليهود فخاف أن يدعو عليه فجمع اليهود فاتفقوا على قتله فبعث الله تعالى جبرائيل يمنعه منهم و يعينه عليهم و ذلك معنى قوله «وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» فاجتمع اليهود حول عيسى فجعلوا يسألونه فيقول لهم يا معشر اليهود إن الله تعالى يبغضكم فساروا إليه ليقتلوه فأدخله جبرائيل فى خوخه البيت الداخلى لها روزنه فى سقفها فرفعه جبرائيل إلى السماء فبعث يهوذا رأس اليهود رجلا من أصحابه اسمه طيطانوس ليدخل عليه الخوخه فيقتله فدخل فلم يره فأبطأ عليهم فظنوا أنه يقاتله فى الخوخه فألقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج على أصحابه قتلوه و صلبوه و قيل ألقى عليه شبه وجه عيسى و لم يلق عليه شبه جسده فقال بعض القوم أن الوجه وجه عيسى و الجسد جسد طيطانوس و قال بعضهم إن كان هذا

طيطانوس فأين عيسى و إن كان هذا عيسى فأين طيطانوس فاشتبه الأمر عليهم و قال وهب بن منبه أتى عيسى و معه سبعة من الحواريين فى بيت فأحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صيرهم الله كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم سحرتونا ليرزن لنا عيسى أو لنقتلنكم جميعا فقال عيسى لأصحابه من يشرى نفسه منكم اليوم بالجنة فقال رجل منهم اسمه سرجس أنا فخرج إليهم فقال أنا عيسى فأخذه و قتلوه و صلبوه و رفع الله عيسى من يومه ذلك و به قال قتاده و مجاهد و ابن إسحاق و إن اختلفوا فى عدد الحواريين و لم يذكر أحد غير وهب أن شبهه ألقى على جميعهم بل قالوا ألقى شبهه على واحد و رفع عيسى من بينهم قال الطبرى و قول وهب أقوى لأنه لو ألقى الشبه على واحد منهم مع قول عيسى أيكم يلقي شبهى فله الجنة ثم رأوا عيسى رفع من بينهم قال الطبرى لما اشتبه عليهم و لما اختلفوا فيه و إن جاز أن يشتبه على أعدائهم من اليهود الذين ما عرفوه لكن ألقى الشبه على جميعهم و كانوا يرون كل واحد منهم بصورة عيسى فلما قتل أحدهم اشتبه الحال عليهم و قال أبو على الجبائى إن رؤساء اليهود أخذوا إنسانا فقتلوه و صلبوه على موضع عال و لم يمكنوا أحدا من الدنو إليه فتغيرت حليته و قالوا قد قتلنا عيسى ليوهموا بذلك على عوامهم لأنهم كانوا أحاطوا بالبيت الذى فيه عيسى فلما دخلوه كان عيسى قد رفع من بينهم فخافوا أن يكون ذلك سببا لإيمان اليهود به ففعلوا ذلك و الذين اختلفوا فيه هم غير الذين صلبوه و إنما باقى اليهود و قيل إن الذى دلهم عليه و قال هذا عيسى أحد الحواريين أخذ على ذلك ثلاثين درهما و كان منافقا ثم أنه ندم على ذلك و اختلف حتى قتل نفسه و كان اسمه بودس زكريا بوطا و هو ملعون فى النصرارى و بعض النصرارى يقول أن بودس زكريا بوطا هو الذى شبه لهم فصلبوه و هو يقول لست بصاحبكم أنا الذى دللتكم عليه و قيل أنهم حسبوا المسيح مع عشره من أصحابه فى بيت فدخل عليهم رجل من اليهود فألقى الله تعالى عليه شبه عيسى و رفع عيسى فقتلوا الرجل عن السدى «وَإِنَّ الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ» قيل يعنى بذلك عامتهم لأن علماءهم علموا أنه غير مقتول عن الجبائى و قيل أراد بذلك جماعه اختلفوا فقال بعضهم قتلناه و قال بعضهم لم نقتله «مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ» أى لم يكن لهم بمن قتلوه علم لكنهم اتبعوا ظنهم فقتلوه ظنا منهم أنه عيسى و لم يكن به و إنما شكوا فى ذلك لأنهم عرفوا عده من فى البيت فلما دخلوا عليهم و فقدوا واحدا منهم التبس عليهم أمر عيسى و قتلوا من قتلوه على شك منهم فى أمر عيسى هذا على قول من قال لم يتفرق أصحابه حتى دخل عليهم اليهود و أما من قال تفرق أصحابه عنه فإنه يقول كان اختلافهم فى أن عيسى هل كان فى يمن بقى أو كان فى يمن

خرج اشتبه الأمر عليهم و قال الحسن معناه فاختلفوا فى عيسى فقالوا مره هو عبد الله و مره هو ابن الله و مره هو الله و قال الزجاج معنى اختلاف النصارى فيه أن منهم من ادعى أنه إله لم يقتل و منهم من قال قتل «و ما قتلوه يقيناً» اختلف فى الهاء فى «قتلوه» فقيل أنه يعود إلى الظن أى ما قتلوا ظنهم يقينا كما يقال ما قتله علما عن ابن عباس و جوير و معناه ما قتلوا ظنهم الذى اتبعوه فى المقتول الذى قتلوه و هم يحسبونه عيسى يقينا أنه عيسى و لا أنه غيره لكنهم كانوا منه على شبهه و قيل إن الهاء عائد إلى عيسى يعنى ما قتلوه يقينا أى حقا فهو من باب تأكيد الخبر عن الحسن أراد أن الله تعالى نفى عن عيسى القتل على وجه التحقيق و اليقين «بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ» يعنى بل رفع الله عيسى إليه و لم يصلبوه و لم يقتلوه و قد مر تفسيره فى سورة آل عمران عند قوله إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك و رافئك إلي «وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا» معناه لم يزل الله سبحانه منتقما من أعدائه حكيماً فى أفعاله و تقديراته فاحذروا أيها السائلون محمداً أن ينزل عليكم كتاباً من السماء حلول عقوبه بكم كما حل بأوائلكم فى تكذيبهم رسله عن ابن عباس و ما مر فى تفسير هذه الآيه من أن الله ألقى شبه عيسى على غيره فإن ذلك من مقدور الله بلا خلاف بين المسلمين فيه و يجوز أن يفعله الله سبحانه على وجه التغليظ للمحنه و التشديد فى التكليف و إن كان ذلك خارقاً للعادة فإنه يكون معجزاً للمسيح كما روى أن جبرائيل كان يأتي نبينا فى صورته دحية الكلبي و مما يسأل عن هذه الآيه أن يقال قد تواترت اليهود و النصارى مع كثرتهم و أجمعت على أن المسيح قد قتل و صلب فكيف يجوز عليهم أن يخبروا عن الشىء بخلاف ما هو به و لو جاز ذلك فكيف يوثق بشىء من الأخبار و الجواب أن هؤلاء دخلت عليهم الشبهه كما أخبر الله سبحانه عنهم بذلك فلم يكن اليهود يعرفون عيسى بعينه و إنما أخبروا أنهم قتلوا رجلاً قتل لهم أنه عيسى فهم فى خبرهم صادقون و إن لم يكن المقتول عيسى و إنما اشتبه الأمر على النصارى لأن شبه عيسى ألقى على غيره فأروا من هو على صورته مقتولاً مصلوباً فلم يخبر أحد من الفريقين إلا عما رآه و ظن أن الأمر على ما أخبر به فلا يؤدي ذلك إلى بطلان الأخبار بحال.

[سوره النساء (٤): آيه ١٥٩]

اشاره

وَ إِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (١٥٩)

ص: ٢١١

إن في قوله «وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» نافية و أكثر ما تأتي مع إلا و قد تأتي من غير إلا نحو قوله وَ لَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ أى فى الذى ما مكناكم فيه قال الزجاج المعنى و ما منهم أحد إلا ليؤمنن به و كذلك قوله وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا مَعْنَاهُ وَ مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَارِدُهَا وَ كَذَلِكَ وَ مَا مِنْهَا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ أى و منا أحد إلا له مقام و مثله قول الشاعر:

لو قلت ما فى قومها لم تيشم

يفضلها فى حسب و ميسم

أى ما فى قومها أحد يفضلها و ذهب الكوفيون إلى أن المعنى و ما من أهل الكتاب إلا- من ليؤمنن به و ما منكم إلا من هو واردها و ما منا إلا من له مقام و أهل البصرة لا يجيزون حذف الموصول و تبقية الصلة.

المعنى

ثم أخبر تعالى أنه لا- يبقى أحد منهم إلا- و يؤمن به فقال «وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ» اختلف فيه على أقوال (أحدها) أن كلا الضميرين يعودان إلى المسيح أى ليس يبقى أحد من أهل الكتاب من اليهود و النصارى إلا و يؤمنن بالمسيح قبل موت المسيح إذا أنزله الله إلى الأرض وقت خروج المهدي فى آخر الزمان لقتل الدجال فتصير الملل كلها مله واحده و هى مله الإسلام الحنيفيه دين إبراهيم عن ابن عباس و أبى مالك و الحسن و قتاده و ابن زيد و ذلك حين لا ينفعهم الإيمان و اختاره الطبرى قال و الآية خاصه لمن يكون منهم فى ذلك الزمان و

ذكر على بن إبراهيم فى تفسيره أن أباه حدثه عن سليمان بن داود المنقرى عن أبى حمزه الشمالى عن شهر بن حوشب قال قال الحجاج بن يوسف آيه من كتاب الله قد أعيته قوله «وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ» الآية و الله إنى لأمر باليهودى و النصرانى فيضرب عنقه ثم أرمقه بعينى فما أراه يحرك شفثيه حتى يحمل فقلت أصلح الله الأمير ليس على ما أولت قال فكيف هو قلت إن عيسى بن مريم ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا و لا يبقى أهل مله يهودى أو نصرانى أو غيره إلا و آمن به قبل موت عيسى و يصلى خلف المهدي قال ويحك أنى لك هذا و من أين جئت به قال قلت حدثنى به الباقر محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (عليه السلام) قال جئت و الله بها

من عين صافيه فقيل لشهر ما أردت بذلك قال أردت أن أغيظه

و ذكر أبو القاسم البلخي مثل ذلك و ضعف الزجاج هذا الوجه قال إن الذين يبقون إلى زمن عيسى من أهل الكتاب قليل و الآيه تقتضى عموم إيمان أهل الكتاب إلا أن جميعهم يقولون أن عيسى الذى ينزل فى آخر الزمان نحن نؤمن به (و ثانيها) أن الضمير فى به يعود إلى المسيح و الضمير فى موته يعود إلى الكتابى و معناه لا يكون أحد من أهل الكتاب يخرج من دار الدنيا إلا- و يؤمن بعيسى قبل موته إذا زال تكليفه و تحقق الموت و لكن لا- ينفعه الإيمان حينئذ و إنما ذكر اليهود و النصارى لأن جميعهم مبطلون. اليهود بالكفر به و النصارى بالغلو فى أمره و ذهب إليه ابن عباس فى روايه أخرى و مجاهد و الضحاك و ابن سيرين و جويسر قالوا و لو ضربت رقبتى لم تخرج نفسه حتى يؤمن (و ثالثها) أن يكون المعنى ليؤمنن بمحمد ص قبل موت الكتابى عن عكرمه و رواه أيضا أصحابنا و ضعف الطبرى هذا الوجه بأن قال لو كان ذلك صحيحا لما جاز إجراء أحكام الكفار عليهم إذا ماتوا و هذا لا يصح لأن إيمانهم بمحمد ص إنما يكون فى حال زوال التكليف فلا يعتد به و إنما ضعف هذا القول من حيث لم يجر ذكر لنا ص هاهنا و لا ضروره توجب رد الكنايه إليه و قد جرى ذكر عيسى فالأولى أن يصرف ذلك إليه «وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا» يعنى عيسى يشهد عليهم بأنه قد بلغ رسالات ربه و أقر على نفسه بالعبوديه و أنه لم يدعهم إلى أن يتخذوه إلهًا عن قتاده و ابن جريج و قيل يشهد عليهم بتصديق من صدقه و تكذيب من كذبه عن أبى على الجبائى و فى هذه الآيه دلالة على أن كل كافر يؤمن عند المعايينه و على أن إيمانه ذلك غير مقبول كما لم يقبل إيمان فرعون فى حال اليأس عند زوال التكليف و يقرب من هذا ما رواه الإماميه أن المحتضرين من جميع الأديان يرون رسول الله و خلفاءه عند الموت و يروون فى ذلك

عن على (عليه السلام) أنه قال للحارث الهمداني:

يا حار همدان من يميت يرني

من مؤمن أو منافق قبلا

يعرفنى طرفه و أعرفه

بعينه و اسمه و ما فعلا

فإن صحت هذه الروايه فالمراد برؤيتهم فى تلك الحال العلم بشمره ولايتهم و عداوتهم على اليقين بعلامات يجدونها من نفوسهم و مشاهده أحوال يدركونها كما قد روى أن الإنسان إذا عاين الموت أرى فى تلك الحاله ما يدل على أنه من أهل الجنة أو من أهل النار.

إشارة

فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّدِهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦١)

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم بقوله «فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا» أى من اليهود معناه فيما ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصى التى تقدم ذكرها وقد مضى فيما تقدم عن الزجاج أنه قال «فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا» بدل من قوله فبنقضهم ميثاقهم و ما بعده و العامل فى الباء قوله «حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ» و لكنه لما طال الكلام أجمل فى قوله «فَبِظُلْمٍ» ما ذكره قبل و أخبر أنه حرم على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذى واثقوا الله عليه و كفروا بآياته و قتلوا أنبياءه و قالوا على مريم بهتاناً عظيماً و فعلوا ما وصفه الله طيبات من المأكل و غيرها «أُحِلَّتْ لَهُمْ» أى كانت حلالاً لهم قبل ذلك فلما فعلوا ما فعلوا اقتضت المصلحة تحريم هذه الأشياء عليهم عن مجاهد و أكثر المفسرين و قال أبو على الجبائى حرم الله سبحانه هذه الطيبات على الظالمين منهم عقوبه لهم على ظلمهم و هى ما بين فى قوله تعالى «وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ» الآية «وَبِصَدِّدِهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا» أى و بمنعهم عباد الله عن دينه و سبيله التى شرعها لعباده صداً كثيراً و كان صداهم عن سبيل الله تقولهم على الله الباطل و ادعائهم أن ذلك عن الله و تبديلهم كتاب الله و تحريفهم معانيه عن وجوهه و أعظم من ذلك كله جحدهم نبوه محمد ص و تركهم بيان ما علموه من أمره لمن جهله من الناس عن مجاهد و غيره «وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا» أى ما فضل على رءوس أموالهم بتأخيرهم له عن محله إلى أجل آخر «وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ» أى عن الربا «وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ» أى بغير استحقاق و لا-استيجاب و هو ما كانوا يأخذونه من الرشى فى الأحكام كقوله «وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ» و ما كانوا يأخذونه من أثمان الكتب التى كانوا يكتبونها بأيديهم و يقولون هذا من عند الله و ما أشبه ذلك من المأكل الخبيثه عاقبهم الله تعالى على جميع ذلك بتحريم ما حرم عليهم من الطيبات «وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ» أى هياناً يوم القيامة لمن جحد الله أو الرسل من هؤلاء اليهود «عَذَابًا أَلِيمًا» أى مؤلماً موجعاً و اختلف فى أن التحريم هل كان

على وجه العقوبه أم لا فقال جماعه من المفسرين أن ذلك كان عقوبه و إذا جاز التحريم ابتداء على وجه المصلحه جاز أيضا عند ارتكاب المعصيه على وجه العقوبه و قال أبو على كان تحريمه عقوبه فيمن تعاطى ذلك الظلم و مصلحه في غيرهم و قال أبو هاشم إن التحريم لا يكون إلا للمصلحه و لما صار التحريم مصلحه عند إقدامهم على هذا الظلم جاز أن يقال حرم عليهم بظلمهم قال لأن التحريم تكليف يستحق الثواب بفعله و يجب الصبر على أدائه فهو معدود في النعم بخلاف العقوبات.

[سوره النساء (٤): آيه ١٦٢]

إشاره

لَكِنَّ الرّٰسِخُوْنَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَ الْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَ مَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَ الْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (١٦٢)

القراءه

قرأ حمزه وحده سيؤتيهم بالياء و الباقون بالنون.

الحجه

ذكرنا الوجه في ما قيل عند قوله «أولئك سوف نؤتيهم أجورهم».

الإعراب

اختلف في نصب المقيمين فذهب سيويوه و البصريون إلى أنه نصب على المدح على تقدير أعنى المقيمين الصلاه قالوا إذا قلت مررت بزید الكريم و أنت تريد أن تعرف زيدا الكريم من زيد غير الكريم فالوجه الجر و إذا أردت المدح و الثناء فإن شئت نصبت و قلت مررت بزید الكريم كأنك قلت اذكر الكريم و إن شئت رفعت فقلت الكريم على تقدير هو الكريم و قال الكسائي موضع المقيمين جر و هو معطوف على ما من قوله «بما أنزل إليك» أي و بالمقيمين الصلاه و قال قوم أنه معطوف على الهاء و الميم من قوله «منهم» على معنى «لكن الراسخون في العلم منهم» و من المقيمين الصلاه و قال آخرون أنه معطوف على الكاف من قبلك أي بما أنزل من قبلك و من قبل المقيمين الصلاه و قيل أنه معطوف على الكاف في إليك أو الكاف في قبلك و هذه الأقوال الأخيره لا تجوز عند البصريين لأنه لا يعطف بالظاهر على الضمير المجرور من غير إعادة الجار و قد شرحنا هذا في مبتدأ السوره عند قوله «و الأرحام» و أما ما روى عن عروه عن عائشه قال سألتها عن قوله «و المقيمين الصلاه» و عن قوله «و الصابئون» و عن قوله «إن هذان» فقالت يا ابن أختي هذا عمل

ص: ٢١٥

الكتاب أخطأوا في الكتاب و ما روى عن بعضهم أن في كتاب الله أشياء ستصلحها العرب بألسنتها قالوا و في مصحف ابن مسعود و المقيمون الصلاة فمما لا يلتفت إليه لأنه لو كان كذلك لم يكن لتعلمه الصحابه الناس على الغلط و هم القدوه و الذين أخذوه عن النبي ص.

المعنى

ثم ذكر سبحانه مؤمنى أهل التوراه فقال «لَكِنَّ الرِّاسِيَّ حُونَ فِي الْعِلْمِ» و الدين و ذلك أن عبد الله بن سلام و أصحابه قالوا للنبي ص إن اليهود لتعلم أن الذى جئت به حق و إنك لعندهم مكتوب فى التوراه فقالت اليهود ليس كما يقولون أنهم لا يعلمون شيئاً و أنهم يغرونك و يحدثونك بالباطل فقال الله تعالى «لَكِنَّ الرِّاسِيَّ حُونَ» الثابتون المبالغون «فِي الْعِلْمِ» المدارسون بالتوراه «مِنْهُمْ» أى من اليهود يعنى ابن سلام و أصحابه من علماء اليهود «وَ الْمُؤْمِنُونَ» يعنى أصحاب النبي من غير أهل الكتاب «يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ» يا محمد من القرآن و الشرائع أنه حق «وَ مَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ» من الكتب على الأنبياء و الرسل و قيل إنما استثنى الله تعالى من وصفهم ممن هداه الله لدينه و وفقه لرشده من اليهود الذين ذكرهم فيما مضى من قوله «يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ» إلى هاهنا فقال لكنهم لا يسألونك ما يسأل هؤلاء الجهال من إنزال الكتاب من السماء لأنهم قد علموا مصداق قولك بما قرءوا فى الكتب المنزله على الأنبياء و وجوب اتباعك عليهم فلا حاجه إلى أن يسألوك معجزه أخرى و لا دلالة غير ما علموا من أمرك بالعلم الراسخ فى قلوبهم عن قتاده و غيره «وَ الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ» إذا كان نصبا على الثناء و المدح على تقدير و اذكر المقيمين الصلاة و هم المؤتون الزكاه و يكون على هذا عطفا على قوله «الرِّاسِيَّ حُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَ الْمُؤْمِنُونَ» و المعنى و الذين يؤدون الصلاة بشرائطها و إذا كان جرا عطفا على ما أنزل أى يؤمنون بما أنزل إليك و ما أنزل من قبلك و المقيمين الصلاة فقيل إن المراد بهم الأنبياء أى و يؤمنون بالأنبياء المقيمين للصلاه و قيل المراد بهم الملائكه و إقامتهم للصلاه تسبيحهم ربهم و استغفارهم لمن فى الأرض أى و بالملائكه و اختاره الطبرى قال لأنه فى قراءه أبى كذلك و كذلك هو فى مصحفه و قيل المراد بهم الأئمه المعصومون «وَ الْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ» أى و المعطون زكاه أموالهم «وَ الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» بأنه واحد لا شريك له «وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» و بالبعث الذى فيه جزاء الأعمال «أُولَئِكَ» أى هؤلاء الذين وصفهم الله «سَيُؤْتِيهِمْ» أى سنعطهم «أَجْرًا» أى ثوابا و جزاء على ما كان منهم من طاعه الله و اتباع أمره «عَظِيمًا» أى جزيلا و هو الخلود فى الجنة.

إشارة

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطِ وَ عِيسَى وَ أَيُّوبَ وَ يُونُسَ وَ هَارُونَ وَ سُلَيْمَانَ وَ آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا (١٦٣)

القراءة

قرأ حمزه و خلف زبوراً بضم الزاى حيث وقعت و الباقون «زبوراً» بفتحها.

الحجج

زبوراً يجوز أن يكون جمع زبور بحذف الزيادة و مثله تخوم و تخوم و عدوب و عدوب و لا نظير لهذه الثلاثة و يجوز أن يكون جمع زبر بمعنى المزبور كقولهم ضرب الأمير و فسح اليمين.

اللغة

و الزبر أحكام العمل فى البئر خاصة يقال بئر مزبور أى مطويه بالحجاره و يقال ما لفلان زبر أى عقل و زبره من الحديد قطعه منه و جمعه زبر و زبرت الكتاب أزبره زبرا و زبرته أزبره زبرا أى كتبه.

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه بقوله «إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ» يا محمد قدمه فى الذكر و إن تأخرت نبوته لتقدمه فى الفضل «كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ» و قدم نوحاً لأنه أبو البشر كما قال و جعلنا ذريته هم الباقين و قيل لأنه كان أطول الأنبياء عمراً و كانت معجزته فى نفسه لبث فى قومه ألف سنه إلا خمسين عاماً لم يسقط له سن و لم تنقص قوته و لم يشب شعره و قيل لأنه لم يبلغ أحد منهم فى الدعوه مثل ما بالغ فيها و لم يقاس أحد من قومه ما قاساه و هو أول من عذبت أمته بسبب أن ردت دعوته «وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ» أى و أوحينا إلى النبيين من بعد نوح «وَ أَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ» أعاد ذكر هؤلاء بعد ذكر النبيين تعظيماً لأمرهم و تفخيماً لشأنهم «وَ الْأَسْبَاطِ» و هم أولاد يعقوب و قيل أن الأسباط فى ولد إسحاق كالعقبان فى ولد إسماعيل و قد بعث منهم عدده رسل كيوسف و داود و سليمان و موسى و عيسى فيجوز أن يكون أراد بالوحي إليهم الوحي إلى الأنبياء منهم كما تقول أرسلت إلى بنى تميم إذا أرسلت إلى وجوههم و لم يصح أن الأسباط الذين هم إخوه يوسف كانوا أنبياء «وَ عِيسَى وَ أَيُّوبَ وَ يُونُسَ وَ هَارُونَ وَ سُلَيْمَانَ» و قدم عيسى على أنبياء كانوا قبله لشده العناية

بأمره لغلو اليهود في الطعن فيه و الواو لا يوجب الترتيب «وَ آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا» أى كتابا يسمى زبورا و اشتهر به كما اشتهر كتاب موسى بالتوراه و كتاب عيسى بالإنجيل.

النظم

هذه الآيه تتصل بما قبلها من قوله «يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ» و هذا يدل على أنهم قد سألوه ما يدل على نبوته فأخبر سبحانه أنه أرسله كما أرسل من تقدمه من الأنبياء و أظهر على يده المعجزات كما أظهرها على أيديهم و قيل أن اليهود لما تلا النبي عليهم تلك الآيات قالوا ما أنزل الله على بشر من شىء بعد موسى فكذبهم الله بهذه الآيات إذ أخبر أنه قد أنزل على من بعد موسى من الذين سماهم و ممن لم يسمهم عن ابن عباس.

[سوره النساء (٤): الآيات ١٦٤ الى ١٦٥]

اشاره

وَ رُسُلًا قَدْ قَصَصْنَا لَهُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلُ وَ رُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (١٦٤) رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥)

الإعراب

«وَ رُسُلًا» منصوب من وجهين (أحدهما) أن يكون منصوبا بفعل مضمر يفسره الذى ظهر أى و قصصنا رسلا قد قصصناهم عليك كما تقول رأيت زيدا و عمرا أكرمته أى و أكرمت عمرا أكرمته و يجوز أن ينصب رسلا على معنى أوحينا لأن معنى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنَا أَرْسَلْنَاكَ مَوْحِينَ إِلَيْكَ وَ أَرْسَلْنَا رُسُلًا قَدْ قَصَصْنَا لَهُمْ عَلَيْكَ هَذَا قَوْلُ الرَّجَاجِ وَ قَالَ الْفَرَّاءُ أَنَّهُ عَلَى تَقْدِيرِ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَ إِلَى رُسُلٍ قَدْ قَصَصْنَا لَهُمْ عَلَيْكَ وَ رُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ فَلَمَّا حُذِفَ إِلَى نَصْبِ الْفِعْلِ، «رُسُلًا مُبَشِّرِينَ» منصوب على الحال و يجوز أن يكون منصوبا على المدح على تقدير أعنى رسلا مبشرين.

المعنى

ثم أجمل ذكر الرسل بعد تسميه بعضهم فقال «وَ رُسُلًا» أى و رسلا آخرين «قَدْ قَصَصْنَا لَهُمْ عَلَيْكَ» أى ما حكينا لك أخبارهم و عرفناك شأنهم و أمورهم من قبل قال بعضهم قصصهم عليه بالوحى فى غير القرآن «مِنْ قَبْلُ» ثم قصصهم عليه من بعد فى القرآن و قال بعضهم قصصهم عليه من قبل هؤلاء بمكة فى سورة الأنعام و فى غيرها لأن هذه

السورة مدنيه «وَرُسِيًّا لَمْ نَقْضِصِيْهُمُ عَلَيْكَ» هذا يدل على أن الله سبحانه أرسل رسلا كثيره لم يذكرهم فى القرآن و إنما قص بعضهم على النبى لفضيلتهم على من لم يقصهم عليه «وَكَلَّمَ اللّٰهُ مُوسَى تَكْلِيْمًا» فائدته أنه سبحانه كلم موسى بلا واسطه إبانه له بذلك من سائر الأنبياء لأن جميعهم كلمهم الله سبحانه بواسطه الوحي و قيل إنما قال «تَكْلِيْمًا» ليعلم أن كلام الله عز ذكره من جنس هذا المعقول الذى يشتق من التكليم بخلاف ما قاله المبطلون و روى أن رسول الله ص لما قرأ الآيه التى قبل هذه على الناس قالت اليهود فيما بينهم ذكر محمد ص النبيين و لم يبين لنا أمر موسى فلما نزلت هذه الآيه و قرأها عليهم قالوا أن محمدا قد ذكره و فضله بالكلام عليهم «رُسِيًّا مُبَشِّرِينَ» بالجنه و الثواب لمن آمن و أطاع «وَمُنذِرِينَ» بالنار و العقاب لمن كفر و عصى «لِنَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللّٰهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ» فيقولوا لم ترسل إلينا رسولا و لو أرسلت لآمنا بك كما أخبر سبحانه فى آيه أخرى بقوله «لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا» و فى هذه الآيه دلالة على فساد قول من زعم أن عند الله تعالى من اللطف ما لو فعله بالكافر لآمن لأنه لو كان كذلك لكان للكفار الحجة بذلك على الله تعالى قائمه فأما من لم يعلم من حاله أن له فى إنفاذ الرسل إليه لطفًا فالحجة قائمه عليه بالعقل و أدلته الداله على توحيده و عدله و لو لم يقم الحجة إلا بإنفاذ الرسل لفسد ذلك من وجهين (أحدهما) أن صدق الرسول لا يمكن العلم به إلا بعد تقدم العلم بالتوحيد و العدل فإن كانت الحجة عليه غير قائمه فلا طريق له إلى معرفه النبى ص و صدقه (و الثانى) أنه لو كانت الحجة لا تقوم إلا بالرسول لاحتاج الرسول أيضا إلى رسول آخر حتى تكون الحجة عليه قائمه و الكلام فى رسوله كالكلام فيه حتى يتسلسل و ذلك فاسد فمن استدل بهذه الآيه على أن التكليف لا يصح بحال إلا بعد إنفاذ الرسل فقد أبعد لما قلناه «وَ كَانَ اللّٰهُ عَزِيزًا» أى مقتدرا على الانتقام ممن يعصيه و يكفر به «حَكِيمًا» فيما أمر به عباده و فى جميع أفعاله.

[سوره النساء (٤): آيه ١٦٦]

إشاره

لَكِنِ اللّٰهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَ الْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَ كَفَى بِاللّٰهِ شَهِيدًا (١٦٦)

ص: ٢١٩

قيل أن جماعه من اليهود دخلوا على رسول الله ص فقال النبي لهم إني أعلم أنكم تعلمون أنى رسول الله فقالوا لا نعلم ذلك و لا نشهد به فأنزل الله تعالى هذه الآية.

المعنى

ثم قال سبحانه بعد إنكارهم و جحودهم «لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ» معناه إن لم يشهد لك هؤلاء بالنبوه فالله يشهد لك بذلك قال الزجاج و الشاهد هو المبين لما يشهد به و الله سبحانه يبين ما أنزل على رسوله ص بنصب المعجزات له و يبين صدقه بما يغنى عن بيان أهل الكتاب «أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ» معناه أنزل القرآن و هو عالم بأنك موضع لإنزاله عليك لقيامك فيه بالحق و دعائك الناس إليه و قيل معناه أنزل القرآن الذى فيه علمه عن الزجاج «وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ» بأنك رسول الله و إن القرآن نزل من عند الله «وَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا» معناه أن شهادة الله تكفى فى تثبيت المشهود به و لا يحتاج معها إلى شهادة و فى هذه الآية تسليه النبي على تكذيب من كذبه و لا- يصح قول من استدل على أن الله سبحانه عالم بعلم بما فى هذه الآية من قوله «أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ» لأنه لو أراد بالعلم ما ذهبوا إليه من كونه ذاتا سواه لوجب أن يكون آله له فى الإنزال كما يقال كتبت بالقلم و عمل النجار بالقدوم و لا خلاف أن العلم ليس بآله فى الإنزال.

[سوره النساء (٤): الآيات ١٦٧ الى ١٦٩]

اشاره

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا (١٦٧) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَ لَا لِيُهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٦٩)

المعنى

«إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا» بأنفسهم «وَ صَدُّوا» غيرهم «عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» عن الدين الذى بعثك الله به إلى خلقه «قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا» يعنى جاوزوا عن قصد الطريق جوازا شديدا و زالوا عن الحجة التى هى دين الله الذى ارتضاه لعباده و بعثك به إلى خلقه

زوالا- بعيدا عن الرشاد «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا» جحدوا رساله محمد «وَوَلَّوْا» محمدا بتكذيبهم إياه و مقامهم على الكفر على علم منهم بظلمهم أولياء الله حسدا لهم و بغيا عليهم «لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ» أى لم يكن الله ليغفو لهم عن ذنوبهم بترك عقابهم عليها «وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا» أى لا يهديهم إلى طريق الجنة لأن الهدايه إلى طريق الإيمان قد سبقت و عم الله بها جميع المكلفين «إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ» معناه لكن يهديهم طريق جهنم جزاء لهم على ما فعلوه من الكفر و الظلم «خَالِدِينَ فِيهَا» أى مقيمين فيها «أَيَّدًا وَ كَانَ ذَلِكَ» أى تخليد هؤلاء الذين وصفهم فى جهنم «عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا» لأنه إذا أراد ذلك لم يقدر على الامتناع منه أحدا.

النظم

و اتصال هذه الآيات بما قبلها اتصال النقيض على جهه المقابله لأن ما قبلها يتضمن الشهاده له بالنبوه تسليه له عما لحقه من تكذيب الكفار و هذه الآيات تتضمن تخير الكفار بذهابهم من الرشده.

[سوره النساء (٤): آيه ١٧٠]

اشاره

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧٠)

الإعراب

الباء فى قوله «بِالْحَقِّ» للتعديده كهمزته أفعل تقول جئت لى عمرو و أجاىنى زيد و جاء بى إلى عمرو و قوله «خَيْرًا لَكُمْ» قال الزجاج اختلفوا فى نصب خيرا فقال الكسائى انتصب بخروجه عن الكلام كقولهم لتقومن خيرا لك و انته خيرا لك فإذا كان الكلام ناقصا رفعوا فقالوا إن تنته خيرا لك قال الفراء انتصب هذا و قوله انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ لأنه متصل بالأمر و لم يقل هو و لا الكسائى من أى المنصوبات هو و لا شرحاه و قال الخليل و جميع البصريين أن هذا محمول على معناه لأنك إذا قلت انته خيرا لك فأنت تدفعه عن أمر و تدخله فى غيره كأنك قلت انته و ائت خيرا لك و أدخل فيما خيرا لك و أنشد سيبويه قول عمر بن أبى ربيعه:

فواعدته سرحتى مالك

أو الربى بينهما أسهلا

ص: ٢٢١

كأنه قال أتى مكانا أسهل.

المعنى

ثم عاد سبحانه إلى العظه و عم الخلق بذلك فقال «يا أَيُّهَا النَّاسُ» خطاب لجميع المكلفين و قيل خطاب للكفار «فَدَّ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ» يعنى محمد ص «بِالْحَقِّ» أى بالدين الذى ارتضاه الله لعباده و قيل

بولاية من أمر الله تعالى بولايته عن أبى جعفر (عليه السلام)

«مِنْ رَبِّكُمْ» أى من عند ربكم «فَأْمُنُوا» أى صدقوه و صدقوا ما جاءكم به من عند ربكم «خَيْرًا لَكُمْ» أى أتوا خيرا مما أنتم عليه من الجحود و التكذيب «وَ إِنْ تَكْفُرُوا» أى تكذبوه فيما جاءكم به من عند الله «فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى فإن ضرر ذلك يعود عليكم دون الله فإنه يملك ما فى السماوات و الأرض لا ينقص كفركم فيما كذبتم به نبيه شيئا من ملكه و سلطانه «وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا» بما أنتم صائرون إليه من طاعته أو معصيته «حَكِيمًا» فى أمره و نهيهِ إياكم و تدبيره فيكم و فى غيركم.

[سوره النساء (٤): آيه ١٧١]

إشارة

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ لَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ كَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (١٧١)

اللغة

أصل الغلو مجاوزه الحد يقال غلا فى الدين يغلو غلوا أو غلا بالجارية لحمها و عظمها إذا أسرعت الشباب و تجاوزت لداتها تغلو غلوا و غلاء قال الحرث بن خالد المخزومي:

خمصانه قلق موشحها

رؤد الشباب غلابها عظم

ص: ٢٢٢

و غلا بسهمه غلوا إذا رمى به أقصى الغايه و تغالى الرجلان تفاعلا من ذلك و أصل المسيح الممسوح سماه الله بذلك لتطهيره إياه من الذنوب و الأدناس التي تكون في الآدميين و قيل أنه سرياني و أصله مشيحا فعربت كما عربت أسماء الأنبياء و قيل أنه ليس مثل ذلك فإن إسحاق و يعقوب و إسماعيل و غيرها أسماء لا صفات و المسيح صفه و لا يجوز أن يخاطب الله خلقه في صفه شيء إلا بما يفهم و أما الدجال فإنه سمي المسيح لأنه ممسوح العين اليمنى أو اليسرى و

عيسى ممسوح البدن من الأدناس و الآثام كما روى عن النبي ص

. الإعراب

ثلاثه خبر مبتدأ محذوف دل عليه ظاهر الكلام و تقديره لا تقولوا هم ثلاثه و كذلك كل ما ورد من مرفوع بعد القول لا رافع معه ففيه إضمار اسم رافع لذلك الاسم و إنما جاز ذلك لأن القول حكاية و الحكايه تكون لكلام تام «أَنْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ» قد ذكرنا وجه النصب في خيرا فيما قبل و أن يكون في موضع نصب أي سبحانه من أن يكون فلما حذف حرف الجر وصل إليه الفعل فنصبه و قيل في موضع جر و قد مر نظائره.

المعنى

ثم عاد سبحانه إلى حجاج أهل الكتاب فقال «يا أَهْلَ الْكِتَابِ» قيل أنه خطاب لليهود و النصارى عن الحسن قال لأن النصارى غلت في المسيح فقالت هو ابن الله و بعضهم قال هو الله و بعضهم قال هو ثالث ثلاثه الأب و الابن و روح القدس و اليهود غلت فيه حتى قالوا ولد لغير رشده فالغلو لازم للفريقين و قيل للنصارى خاصه عن أبي على و أبي مسلم و جماعه من المفسرين «لا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ» أي لا- تفرطوا في دينكم و لا تجاوزوا الحق فيه «وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ» أي قولوا إنه جل جلاله واحد لا شريك له و لا صاحبه و لا ولد و لا تقولوا في عيسى أنه ابن الله أو شبهه فإنه قول بغير الحق «إِنَّمَا الْمَسِيحُ» و قد ذكرنا معناه و قيل سمي بذلك لأنه كان يمسح الأرض مشيا «عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» هذا بيان لقوله المسيح يعني أنه ابن مريم لا ابن الله كما يزعمه النصارى و لا- ابن أب كما تزعمه اليهود «رَسُولُ اللَّهِ» أرسله الله إلى الخلق لا- كما زعم الفرقتان المبطلتان «وَكَلِمَتُهُ» يعني أنه حصل بكلمته التي هي قوله كن عن الحسن و قتاده و قيل معناه أنه يهتدى به الخلق كما اهتمدوا بكلام الله و وحيه عن أبي على الجبائي و قيل معناه بشاره الله التي بشر بها مريم على لسان الملائكه كما قال و إذ قالت الملائكه يا مريم إن الله يبشرك بكلمه و هو المراد بقوله «أَلْقَاهَا

ص: ٢٢٣

إِلَى مَرْيَمَ» كما يقال أَلْقَيْتَ إِلَيْكَ كَلِمَةً حَسَنَةً أَيْ قُلْتَ وَقِيلَ مَعْنَى «أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ» خَلَقَهَا فِي رَحِمِهَا عَنِ الْجِبَائِي «وَرُوحٌ مِنْهُ» فِيهِ أَقْوَالٌ (أَحَدُهَا) أَنَّهُ إِنَّمَا سَمَاهُ رُوحًا لِأَنَّهُ حَدَّثَ عَنِ نَفْخَةِ جِبْرَائِيلَ فِي دَرَعِ مَرْيَمَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَ إِنَّمَا نَسَبَهُ إِلَيْهِ لِأَنَّهُ كَانَ بِأَمْرِهِ وَقِيلَ إِنَّمَا أَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ تَفْخِيمًا لِشَأْنِهِ كَمَا

قال الصوم لى و أنا أجزى به

و قد يسمى النفخ روحا و استشهد على ذلك بيت ذى الرمة يصف نارا:

فقلت له ارفعها إليك و أحيها

بروحك و اقتته لها قيته قدرا

و ظاهر لها من يابس الشخت و استعن

عليه الصبا و اجعل يديك لها سترا

و معنى أحيها بروحك أى بنفخك و يقال أقتت النار إذا أطعمتها حطبا (و الثانى) أن المراد به يحيى به الناس فى دينهم كما يحيون بالأرواح عن الجبائى فيكون المعنى أنه جعله نبيا يقتدى به و يستن بسنته و يهتدى بهداه (و الثالث) أن معناه إنسان أحياه الله بتكوينه بلا واسطه من جماع أو نطفه كما جرت العاده بذلك عن أبى عبيده (و الرابع) إن معناه و رحمه منه كما قال فى موضع آخر وَ أَيْدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ أَيْ بِرَحْمِهِ مِنْهُ فَجَعَلَ اللَّهُ عَيْسَى رَحِمَهُ عَلَى مَنْ آمَنَ بِهِ وَ اتَّبَعَهُ لِأَنَّهُ هَدَاهُمْ إِلَى سَبِيلِ الرِّشَادِ (و الخامس) أن معناه روح من الله خلقها فصورها ثم أرسلها إلى مريم فدخلت فى فيها فصيرها الله تعالى عيسى عن أبى العالیه عن أبى بن كعب (و السادس) إن معنى الروح هاهنا جبرائيل (عليه السلام) فيكون عطفها على ما فى ألقاها من ضمير ذكر الله و تقديره ألقاها الله إلى مريم و روح منه أى من الله أى جبرائيل ألقاها أيضا إليها «فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ» أمرهم الله بتصديقه و الإقرار بوحدانيته و تصديق رسله فيما جاءوا به من عنده و فيما أخبروهم به من أن الله سبحانه لا شريك له و لا صاحبه و لا ولد «وَ لَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ» هذا خطاب للنصارى أى لا تقولوا إلهنا ثلاثة عن الزجاج و قيل هذا لا يصح لأن النصارى لم يقولوا بثلاثة آلهه و لكنهم يقولون إله واحد ثلاثة أقانيم أب و ابن و روح القدس و معناه لا تقولوا الله ثلاثة أب و ابن و روح القدس و قد شبهوا قولهم جوهر واحد ثلاثة أقانيم بقولنا سراج واحد ثم تقول ثلاثة أشياء دهن و قطن و نار و شمس واحد و إنما هى جسم و ضوء و شعاع و هذا غلط بعيد لأننا لا نعنى بقولنا سراج واحد إنه شىء واحد بل هو أشياء على الحقيقة و كذلك الشمس كما تقول عشره واحد و إنسان واحد و دار واحد و إنما هى أشياء متغايره فإن قالوا إن الله شىء واحد و إله واحد حقيقة فقولهم ثلاثة متناقضه و إن قالوا أنه فى

الحقيقه أشياء مثل ما ذكرناه فى الإنسان و السراج و غيرهما فقد تركوا القول بالتوحيد و التحقوا بالمشبهه و إلا فلا واسطه بين الأمرين «انْتَهُوا» عن هذه المقاله الشنيعه أى امتنعوا عنها «خَيْراً لَكُمْ» أى اتوا بالانتهاء عن قولكم خيرا لكم مما تقولون «إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ» أى ليس كما تقولون أنه ثالث ثلاثه لأن من كان له ولد أو صاحبه لا يجوز أن يكون إلها معبودا و لكن الله الذى له الإلهيه و تحق له العباده إله واحد لا ولد له و لا شبه له و لا صاحبه له و لا شريك له ثم نزه سبحانه نفسه عما يقوله المبطلون فقال «سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ» و لفظه «سُبْحَانَهُ» تفيد التنزيه عما لا يليق به أى هو منزه عن أن يكون له ولد «لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ» ملكا و ملكا و خلقا و هو يملكها و له التصرف فيها و فيما بينهما و من جملة ذلك عيسى و أمه فكيف يكون المملوك و المخلوق ابنا للمالك و الخالق «وَ كَفَى بِاللَّهِ وَكَيْلًا» أى حسب ما فى السماوات و ما فى الأرض بالله قيما و مدبرا و رازقا و قيل معناه و كفى بالله حافظا لأعمال العباد حتى يجازيهم عليها فهو تسليه للرسول و وعيد للقائلين فيه سبحانه بما لا يليق به.

[سوره النساء (٤): الآيات ١٧٢ الى ١٧٣]

اشاره

لَنْ يَشْكُرَكَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَ لَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَ مَنْ يَشْكُرْكَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَ يَشْكُرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَ أَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَ اسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَ لَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لَا نَصِيرًا (١٧٣)

اللغه

الاستنكاف الأنفه من الشىء و أصله فى اللغه من نكفت الدمع إذا نحيته بإصبعك من خدك قال الشاعر:

فبانوا فلو لا ما تذكر منهم

من الحلف لم ينكف لعينك مدمع

ص: ٢٢٥

و درهم منكوف مبهرج ردى ء لأنه يمتنع من أخذه لرداءته و نكفت من الأمر بكسر الكاف بمعنى استنكفت أيضا حكاها أبو عمرو فتأويل «لَنْ يَسْتَنكِفَ» لن ينقبض و لم يمتنع و الاستكبار طلب الكبر من غير استحقاق و التكبر قد يكون باستحقاق فلذلك جاز فى صفة الله تعالى المتكبر و لا يجوز المستكبر.

النزول

روى أن وفد نجران قالوا للنبينا يا محمد لم تعيب صاحبنا قال و من صاحبكم قالوا عيسى (عليه السلام) قال و أى شىء أقول فيه قالوا تقول أنه عبد الله و رسوله فنزلت الآية.

المعنى

لما تقدم ذكر النصارى و الحكاياه عنهم فى أمر المسيح عقبه سبحانه بالرد عليهم فقال «لَنْ يَسْتَنكِفَ» أى لن يأنف و لم يمتنع «الْمَسِيحُ» يعنى عيسى (عليه السلام) من «أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَ لِمَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ» أى و لا- الملائكة المقربون يأنفون و يستكبرون عن الإقرار بعبوديته و الإذعان له بذلك و المقربون الذين قربهم تعالى و رفع منازلهم على غيرهم من خلقه «وَ مَنْ يَسْتَنكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ» أى من يأنف عن عبادته «وَ يَسْتَكْبِرُ» أى يتعظم بترك الإذعان لطاعته «فَسَيَحْشُرُهُمْ» أى فسيبعثهم «إِلَيْهِ» يوم القيامة «جَمِيعًا» يجمعهم لموعدهم عنده و معنى قوله «إِلَيْهِ» أى إلى الموضع الذى لا يملك التصرف فيه سواه كما يقال صار أمر فلان إلى الأمير أى لا يملكه غير الأمير و لا يراد بذلك المكان الذى فيه الأمير و استدل بهذه الآية من قال بأن الملائكة أفضل من الأنبياء قالوا إن تأخير ذكر الملائكة فى مثل هذا الخطاب يقتضى تفضيلهم لأن العادة لم تجر بأن يقال لن يستنكف الأمير أن يفعل كذا و لا الحارس بل يقدم الأدون و يؤخر الأعظم فيقال لن يستنكف الوزير أن يفعل كذا و لا السلطان و هذا يقتضى فضل الملائكة على الأنبياء و أجاب أصحابنا عن ذلك بأن قالوا إنما أخرج ذكر الملائكة عن ذكر المسيح لأن جميع الملائكة أفضل و أكثر ثوابا من المسيح و هذا لا يقتضى أن يكون كل واحد منهم أفضل من المسيح و إنما الخلاف فى ذلك و أيضا فإننا و إن ذهبنا إلى أن الأنبياء أفضل من الملائكة فإننا نقول مع قولنا بالتفاوت أنه لا تفاوت فى الفضل بين الأنبياء و الملائكة و مع التقارب و التدانى يحسن أن يقدم ذكر الأفضل ألا- ترى أنه يحسن أن يقال ما يستنكف الأمير فلان من كذا و لا الأمير فلان إذا كانا متساويين فى المنزلة أو متقاربين و إنما لا- يحسن أن يقال ما يستنكف الأمير فلان من كذا و لا الحارس لأجل التفاوت «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ» و يؤتيهم جزاء أعمالهم وعد الله

الذين يقرون بوحدانيته و يعملون بطاعته أنه يوفيههم أجورهم و يؤتيهم جزاء أعمالهم الصالحه و افيأ تاما «وَ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ» أى يزيدهم على ما كان وعدهم به من الجزاء على أعمالهم الحسنه و الثواب عليها من الفضل و الزيادة ما لم يعرفهم مبلغه لأنه وعد على الحسنه عشر أمثالها من الثواب إلى سبعين ضعفا و إلى سبعمائه و إلى الأضعاف الكثيره و الزيادة على المثل تفضل من الله تعالى عليهم «وَ أَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا» أى أنفوا عن الإقرار بوحدانيته «وَ اسْتَكْبَرُوا» أى تعظموا عن الإذعان له بالطاعه و العبوديه «فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» أى مؤلما موجعا «وَ لَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لَا نَصِيرًا» أى و لا يجد المستكفون المستكبرون لأنفسهم وليا ينجيهم من عذابه و ناصرا ينقذهم من عقابه.

[سوره النساء (٤): الآيات ١٧٤ الى ١٧٥]

إشارة

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ اعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَ فَضْلٍ وَ يَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا (١٧٥)

اللغة

البرهان الشاهد بالحق و قيل البرهان البيان يقال برهن قوله أى بينه بحجه و الاعتصام الامتناع و اعتصم فلان بالله أى امتنع من الشر به و العصمه من الله دفع الشر عن عبده و اعتصمت فلانا هيئت له ما يعتصم به و العصمه من الله تعالى على وجهين (أحدهما) بمعنى الحفظ و هو أن يمنع عبده كيد الكائدين كما قال سبحانه لنبيه ص وَ اللَّهُ يَعْصِي مُمْكَ مِنَ النَّاسِ (و الآخر) أن يلفظ بعبده بشىء يمتنع عنده من المعاصى.

الإعراب

«صِرَاطًا» انتصب على أنه مفعول ثان ليهديهم فهو على معنى يعرفهم صراطا و يجوز أن يكون حالا- من الهاء فى إليه بمعنى و يهديهم إلى الحق صراطا.

المعنى

لما فصل الله ذكر الأحكام التى يجب العمل بها ذكر البرهان بعد ذلك ليكون الإنسان على ثقه و يقين فقال «يَا أَيُّهَا النَّاسُ» و هو خطاب للمكلفين من سائر الملل الذين قص قصصهم فى هذه السوره «قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ» أى أتاكم حجه من الله يبرهن لكم عن صحه ما أمركم به و هو محمد لما معه من المعجزات القاهره الشاهده بصدقه و قيل هو القرآن «وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ» «نُورًا مُبِينًا» يبين لكم الحجه الواضحه و يهديكم إلى

ما فيه النجاه لكم من عذابه و أليم عقابه و ذلك النور هو القرآن عن مجاهد و قتاده و السدى و قيل

النور و لايه على (عليه السلام) عن أبي عبد الله (عليه السلام)

«فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ» أى صدقوا بوحدانيه الله و اعترفوا ببعث محمد ص «وَ اعْتَصَمُوا بِهِ» أى تمسكوا بالنور الذى أنزله على نبيه «فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ» أى نعمه منه هى الجنة عن ابن عباس «وَ فَضْلٍ» يعنى ما يبسط لهم من الكرامه و تضعيف الحسنات و ما يزداد لهم من النعم على ما يستحقونه «وَ يَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا» أى يوفقهم لإصابه فضله الذى يتفضل به على أوليائه و يسددهم لسلك منهج من أنعم عليه من أهل طاعته و اقتفاء آثارهم و الاهتداء بهديهم و الاستئناس بسنتهم و اتباع دينهم و هو الصراط المستقيم الذى ارتضاه الله منهجا لعباده.

[سوره النساء (٤): آيه ١٧٦]

اشاره

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَ لَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَ هُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَ إِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَ نِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٧٦)

اللغه

قد ذكرنا معنى الكلاله فى أول السوره و الاستفتاء السؤال عن الحكم و هو استفعال من الفتيا و يقال أفتى فى المسأله إذا بين حكمها فتوى و فتيا.

الإعراب

«يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ» يسأل عن أى الفعلين أعمل فى الكلاله و الجواب أن المعمل الثانى و هو «يُفْتِيكُمْ» و التقدير يستفتونك فى الكلاله قل الله يفتيكم فى الكلاله و إعمال الفعل الثانى هو الأجود و جاء عليه القرآن نحو قوله «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ» فأعمل يستغفر و لو أعمل تعالوا لقال تعالوا يستغفر لكم إلى رسول الله ص و منه قول طفيل:

ص: ٢٢٨

و كمتا مدماه كان متونها

جرى فوقها و استشعرت لون مذهب

فأعمل استشعرت و لو أعمل جرى لقال و استشعرت لون مذهب و مثل ذلك قول كثير:

قضى كل ذى دين فوفى غريمه

و عزه ممطول معنى غريمها

فأعمل وفى و لو أعمل قضى لقال قضى كل ذى دين فوفاه غريمه و هو كثير فى القرآن و الشعر و قوله «إِنَّ امْرَأً هَلَكَ» ارتفع امرؤ بإضمار فعل يفسره ما بعده و تقديره إن هلك امرؤ هلك و لا يجوز إظهاره لأن الثانى يعبر عنه و قوله «فَإِنْ كَانَتْ أَثْنَتَيْنِ» إنما ذكرت اثنتين و إن دلت الألف عليهما لأحد أمرين إما أن يكون تأكيداً للضمير كما تقول أنا فعلت أنا و إما أن يبين أن المطلوب فى ذلك العدد دون غيره من الصفات من صغر أو كبر أو عقل أو عدمه بل متى حصل العدد ثبت الميراث و هذا قول أبى على الفارسي و هو الصحيح و قوله «رِجَالًا وَ نِسَاءً» بدل من قوله «إِخْوَةً» و هو خبر كان و قوله «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضَمُّوا» فى أن ثلاثه أقوال (أحدها) أن المعنى أن لا تضلوا أضمر حرف النفى و تلخيصه لثلاثا تضلوا عن الكسائى و أنشد القطامى:

رأينا ما يرى البصراء فيها

فآلينا عليها أن تباعا

يريد أن لا تباع (و ثانيها) ما قاله البصريون أن المعنى كراهه أن تضلوا فهو على هذا فى موضع نصب بأنه مفعول له و مثله قول عمرو بن كلثوم:

فعلنا القرى أن تشتمونا

أى كراهه أن تشتمونا قالوا و لا يجوز أن يضمم لا لأنه حرف جاء لمعنى فلا يجوز حذفه و لكن يجوز أن تدخل لا فى الكلام مؤكده و هى لغو كقوله لَيْلًا يَغْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ و المعنى لأن يعلم و كقول الشاعر:

و ما ألوم البيض أن لا تسخرا

إذا رأين الشمط القفندرا

و المعنى أن تسخرا (و ثالثا) ما قاله الأخفش و هو أن مع الفعل بتأويل المصدر و موضع أن نصب يبين و تقديره يبين الله لكم الضلال لتجتنبوه.

اختلف في سبب نزول الآية

فروى عن جابر بن عبد الله أنه قال اشتكيت و عندى تسع أخوات لى أو سبع فدخل على النبى فنفخ فى وجهى فأفقت فقلت يا رسول الله ص أ لا- أوصى لأخواتى بالثلثين قال أحسن قلت الشطر قال أحسن ثم خرج و تركنى و رجع إلى فقال يا جابر إنى لا أراك ميتا من وجعك هذا و إن الله تعالى قد أنزل فى الذى لأخواتك فجعل لهن الثلثين قالوا و كان جابر يقول أنزلت هذه الآية فى

و عن قتاده قال إن الصحابه كان همهم شأن الكلاله فأنزل الله فيها هذه الآية و قال البراء بن عازب آخر سورة نزلت كامله براءه و آخر آيه نزلت خاتمه سورة النساء «يَسِّرْ تَفْتُونَك» الآية أورده البخارى و مسلم فى صحيحيهما و قال جابر نزلت بالمدينه و قال ابن سيرين نزلت فى مسير و كان فيه رسول الله ص و أصحابه و تسمى هذه الآية آيه الصيف و ذلك أن الله تعالى أنزل فى الكلاله آيتين إحداهما فى الشتاء و هى التى فى أول هذه السوره و أخرى فى الصيف و هى هذه الآية و

روى عن عمر بن الخطاب أنه قال سألت رسول الله ص عن الكلاله فقال يكفيك أو يجزيك آيه الصيف.

المعنى

لما بين سبحانه فى أول السوره بعض سهام الفرائض ختم السوره ببيان ما بقى من ذلك فقال «يَسِّرْ تَفْتُونَك» يا محمد أى يطلبون منك الفتيا فى ميراث الكلاله «قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ» أى يبين لكم الحكم «فِي الْكَلَالَةِ» و

هو اسم للإخوه و الأخوات عن الحسن و هو المروى عن أنمتنا (عليه السلام)

و قيل هى ما سوى الوالد و الولد عن أبى بكر و جماعه من المفسرين «إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ» قال السدى يعنى ليس له ولد ذكر و أنثى و هو موافق لمذهب الإماميه فمعناه إن مات رجل ليس له ولد و لا والد و إنما أضمرنا فيه الوالد للإجماع و لأن لفظه الكلاله ينبى عنه فإن الكلاله اسم للنسب المحيط بالميت دون اللصيق و الوالد لصيق الولد كما أن الولد لصيق الوالد و الأخوه و الأخوات المحيطون بالميت «وَلَهُ أُخْتٌ» يعنى و للميت أخت لأبيه و أمه أو لأبيه لأن ذكر أولاد الأم قد سبق فى أول السوره «فَلَهَا نِصْفٌ مَا تَرَكَ وَ هُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ» عنى به أن الأخت إذا كانت الميتة و لها أخ من أب و أم أو من أب فالمال كله له بلا خلاف إذا لم يكن هناك ولد و لا والد «فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ» يعنى إن كانت الأختان اثنتين «فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ» الأخ و الأخت من التركة «وَ إِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَ نِسَاءً» أى إخوه و أخوات مجتمعين لأب و أم أو لأب «فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ» و فى قوله سبحانه «إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَ لَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَ هُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ»

دلالة على أن الأخ أو الأخت لا يرثان مع البنت لأنه سبحانه شرط فى ميراث الأخ و الأخت

عدم الولد و الولد يقع على الابن و البنت بلا خلاف فيه بين أهل اللغه و ما روى من الخبر فى أن الأخوات مع البنات عصبه خبر واحد يخالف نص القرآن و إلى هذا الذى ذكرناه ذهب ابن عباس و هو المروى عن سادة أهل البيت (عليه السلام)

«يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ» أمور مواريتكم «أَنْ تَصَلُّوا» معناه كراهه أن تصلوا أو لثلا تصلوا أى لثلا تخطوا فى الحكم فيها و قيل معناه يبين الله لكم جميع الأحكام لتتهدوا فى دينكم عن أبى مسلم «وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» فائدته هنا بيان كونه سبحانه عالما بجميع ما يحتاج إليه عباده من أمر معاشهم و معادهم على ما توجه الحكمة و قد تضمنت الآية التى أنزلها الله فى أول هذه السوره بيان ميراث الولد و الوالد و الآيه التى بعدها بيان ميراث الأزواج و الزوجات و الأخوه و الأخوات من قبل الأم و تضمنت هذه الآية التى ختم بها السوره بيان ميراث الأخوه و الأخوات من الأب و الأم و الأخوه و الأخوات من قبل الأب عند عدم الأخوه و الأخوات من الأب و الأم و تضمن قوله سبحانه «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ»* أن تدانى القربى سبب فى استحقاق الميراث فمن كان أقرب رحما و أدنى قرابه كان أولى بالميراث من الأبعد و الخلاف بين الفقهاء فى هذه المسائل و فروعها مذكور فى كتب الفقه.

(٥) سورة المائدة مدنيه و آياتها عشرون و مائه (١٢٠)

اشاره

[توضيح]

هي مدنيه في قول ابن عباس و مجاهد و قال جعفر بن مبشر و الشعبي هي مدنيه كلها إلا قوله اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ فإنه نزل و النبي ص واقف على راحلته في حجه الوداع

عدد آياتها

هي مائه و عشرون آيه كوفي ثلاث و عشرون آيه بصرى و اثنتان و عشرون في الباقيين

اختلافها

ثلت بالعقود و يَغْفُوا عَنْ كَثِيرٍ غير الكوفي فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ بصرى.

فضلها

أبي بن كعب عن النبي ص قال من قرأ سورة المائدة أعطى من الأجر بعدد كل يهودى و نصرانى يتنفس في دار الدنيا عشر حسنات و محى عنه عشر سيئات و رفع له عشر درجات

و

روى العياشى بإسناده عن عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده عن علي (عليه السلام) قال كان القرآن ينسخ بعضه بعضا و إنما يؤخذ من أمر رسول الله ص بأخذه و كان من آخر ما نزل عليه سورة المائدة نسخت ما قبلها و لم ينسخها شيء و لقد نزلت عليه و هو على بغله شهباء و ثقل عليه الوحي حتى وقفت و تدلى بطنها حتى رأيت سرتها تكاد تمس الأرض و أغمى على رسول الله ص حتى وضع يده على رأس شبيه بن وهب الجمحي ثم رفع ذلك عن رسول الله فقرأ علينا سورة المائدة فعمل رسول الله ص و عملنا

و بإسناده

عن أبي الجارود عن أبي جعفر محمد بن علي (عليه السلام) قال من قرأ سورة المائدة في كل يوم خميس لم يلبس إيمانه بظلم و لا يشرك أبدا

و بإسناده

عن أبي حمزه الثمالي قال سمعت أبا عبد الله الصادق (عليه السلام) يقول نزلت المائدة كاملا و نزل معها سبعون ألف ملك.

تفسيرها

لما ختم الله سورة النساء بذكر أحكام الشريعة افتتح سورة المائدة أيضا

ص: ٢٣٢

بيان الأحكام و أجمل ذلك لقوله أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ثم أتبعه بذكر التفصيل فقال

[سوره المائدہ (۵): آیه ۱]

اشاره

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ
(۱)

القراءه

المشهور في القراءه «حُرْمٌ» بضمين و في الشواذ عن الحسن و يحيى بن وثاب حرم ساكنه الراء.

الحجه

و هذا كما يقال في رسل و كتب رسل و كتب قال ابن جنى في إسكان «حُرْمٌ» مزيه و ذلك أن الراء فيه تكرير فكادت الراء الساكنه لما فيها من التكرير تكون في حكم المتحرك كزياده الصوت بالتكرير نحو من زيادته بالحركه.

اللغه

يقال وفي بعهد وفاء و أوفى إيفاء بمعنى و أوفى لغه أهل الحجاز و هي لغه القرآن و العقود جمع عقد بمعنى معقود و هو أوكد العهود و الفرق بين العقد و العهد أن العقد فيه معنى الاستيثاق و الشد و لا يكون إلا بين متعاقدين و العهد قد ينفرد به الواحد فكل عهد عقد و لا يكون كل عقد عهدا و أصله عقد الشىء بغيره و هو وصله به كما يعقد الحبل و يقال أعقدت العسل فهو معقد و عقيد قال عنتره:

و كان ربا أو كحيفا معقدا

حش الوقود به جوانب قمقم

و البهيمه اسم لكل ذى أربع من دواب البر و البحر و قال الزجاج كل حى لا يميز فهو

ص: ۲۳۳

بهيمة و إنما سميت بهيمه لأنها أبهمت عن أن يميز و الحرم جمع حرام يقال رجل حرام و قوم حرم قال الشاعر:

فقلت لها فيئى إليك فإنى

حرام و إنى بعد ذاك لبيب

أى ملب.

الإعراب

موضع «ما يُتلى عَلَيْكُمْ» نصب بالاستثناء و «غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ» اختلف فيه فقيل إنه منصوب على الحال مما فى قوله «أَوْفُوا بِالْعُقُودِ» من ضمير «الَّذِينَ آمَنُوا» عن الأَخفش، و قيل إنه حال من الكاف و الميم فى قوله «أُحِلَّتْ لَكُمْ بِهِيمَهُ الْأَنْعَامُ» عن الكسائى، و قيل إنه حال من الكاف و الميم فى قوله «إِلَّا مَا يُتلى عَلَيْكُمْ» عن الربيع، «وَ أَنْتُمْ حُرْمٌ» جملة فى موضع الحال من «مُحِلِّي الصَّيْدِ»، و الصيد مجرور فى اللفظ منصوب فى المعنى و قال الفراء يجوز أن يكون «ما يُتلى عَلَيْكُمْ» فى موضع رفع كما يقال جاء إخوتك إلا زيد و قال الزجاج و هذا عند البصريين باطل لأن المعنى على هذا التأويل جاء إخوتك و زيد كأنه يعطف بإلا كما يعطف بلا و يجوز عند البصريين جاء الرجل إلا زيد على معنى جاء الرجل غير زيد فيكون إلا زيد صفة للنكرة أو ما قارب النكرة من الأجناس.

المعنى

خاطب الله سبحانه المؤمنين فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» و تقديره يا أيها المؤمنون و هو اسم تكريم و تعظيم «أَوْفُوا بِالْعُقُودِ» أى بالعهود عن ابن عباس و جماعه من المفسرين ثم اختلف فى هذه العهود على أقوال (أحدها) أن المراد بها العهود التى كان أهل الجاهلية عاهد بعضهم بعضها فيها على النصره و المؤازره و المظاهره على من حاول ظلمهم أو بغاهم سوء و ذلك هو معنى الحلف عن ابن عباس و مجاهد و الربيع بن أنس و الضحاك و قتاده و السدى (و ثانيها) أنها العهود التى أخذ الله سبحانه على عباده بالإيمان به و طاعته فيما أحل لهم أو حرم عليهم عن ابن عباس أيضا و فى روايه أخرى قال هو ما أحل و حرم و ما فرض و ما حد فى القرآن كله أى فلا تتعدوا فيه و لا تنكثوا و يؤيده قوله «الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ إِلَى قَوْلِهِ سُوءُ الدَّارِ (و ثالثها) أن المراد بها العقود التى يتعاقدها الناس بينهم و يعقدها المرء على نفسه كعقد الإيمان و عقد النكاح و عقد العهد و عقد البيع و عقد الحلف عن ابن زيد و زيد بن أسلم (و رابعها) أن ذلك أمر من الله لأهل الكتاب بالوفاء بما أخذ به ميثاقهم من العمل بما فى التوراه و الإنجيل فى تصديق نبينا و ما جاء به من عند الله عن ابن جريج و أبى صالح و أقوى هذه الأقوال قول ابن عباس إن المراد بها عقود الله التى أوجبها الله على العباد

فى الحلال و الحرام و الفرائض و الحدود و ىدخل فى ذلك جميع الأقوال الأخر فىجب الوفاء بجميع ذلك إلا ما كان عقدا فى المعاونه على أمر قبيح فإن ذلك محظور بلا خلاف ثم ابتداء سبحانه كلاما آخر فقال «أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ» و اختلف فى تأويله على أقوال (أحدها) أن المراد به الأنعام و إنما ذكر البهيمه للتأكيد كما يقال نفس الإنسان فمعناه أكلت لكم الأنعام الإبل و البقر و الغنم عن الحسن و قتاده و السدى و الربيع و الضحاك (و ثانيها) أن المراد بذلك

أجنه الأنعام التى توجد فى بطون أمهاتها إذا شعرت و قد ذكيت الأمهات و هى ميتة فذكاتها ذكاه أمهاتها عن ابن عباس و ابن عمر و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام)

(و ثالثها) أن بهيمه الأنعام وحشيتها كالظباء و بقر الوحش و حمر الوحش عن الكلبي و الفراء و الأولى حمل الآيه على الجميع «إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ» معناه إلا ما يقرأ عليكم تحريمه فى القرآن و هو قوله حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ الْآيَه عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتاده و السدى «غَيْرَ مُحَلَّى الصَّيْدِ وَ أَنْتُمْ حُرْمٌ» من قال أنه حال من «أَوْفُوا» فمعناه أوفوا بالعقود غير محلى الصيد و أنتم محرمون أى فى حال الإحرام و من قال أنه حال من «أُحِلَّتْ لَكُمْ» فمعناه «أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ» أى الوحشيه من الظباء و البقر و الحمر غير مستحلين اصطيادها فى حال الإحرام و من قال أنه حال من «يُتْلَى عَلَيْكُمْ» فمعناه أكلت لكم بهيمه الأنعام كلها إلا ما يتلى عليكم من الصيد فى آخر السوره غير مستحلين اصطيادها فى حال إحرامكم «إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ» معناه إن الله يقضى فى خلقه ما يشاء من تحليل ما يريد و تحريم ما يريد تحريمه و إيجاب ما يريد إيجابه و غير ذلك من أحكامه و قضاياه فافعلوا ما أمركم به و انتهوا عما نهاكم عنه فى قوله «أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ» دلالة على تحليل أكلها و ذبحها و الانتفاع بها.

اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (۲)

القراءه

قرأ ابن عامر و أبو بكر عن عاصم و إسماعيل عن نافع شنان بسكون النون الأولى في موضعين و الباقون «شَنَانٌ» بفتحها وقرأ ابن كثير و أبو عمرو إن صدوكم بكسر الهمزه و الباقون بفتحها.

الحجه

من قرأ «شَنَانٌ» بالفتح فحجته أنه مصدر و المصدر يكثر على فعلان نحو الضربان و الغليان و من قرأ شنان فحجته أن المصدر يجي ء على فعلان أيضا نحو الليان كقول الشاعر:

و ما العيش إلا ما تلذ و تشتهي

و إن لام فيه ذو الشنان و فندا

يدل على أن الشنان بالسكون أيضا فخفف الهمزه و ألقى حركتها على الساكن قبلها على القياس فيكون المعنى في القراءتين واحدا و قوله «إن أن» و إن كان ماضيا فإن الماضي قد يقع في الجزاء و ليس المراد على أن الجزاء يكون بالماضى و لكن المراد أن ما كان مثل هذا الفعل فيكون اللفظ على الماضي و المعنى على مثله كأنه يقول إن وقع مثل هذا الفعل يقع منكم كذا و على هذا حمل الخليل و سيبويه قول الفرزدق:

أ تغضب أن أذنا قتيبه حزتا

جهارا و لم تغضب لقتل ابن حازم

و على ذلك قول الشاعر:

إذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمه

و لم تجدى من أن تقرى به بدا

فانتفاء الولاده أمر ماض و قد جعله جزاء و الجزاء إنما يكون بالمستقبل فيكون المعنى أن تنتسب لا تجدني مولود لئيمه و جواب أن قد أغنى عنه ما تقدم من قوله «وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ» ، المعنى أن صدوكم عن المسجد الحرام فلا تكتسبوا عدوانا و من فتح «أَنْ صَيَّدُوكُمْ» فقولته بين لأنه مفعول له و التقدير و لا يجرمنكم شنان قوم لأن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا فإن الثانيه فى موضع نصب بأنه المفعول الثانى و أن الأولى منصوبه لأنه مفعول له.

الشعائر جمع شعيره و هى أعلام الحج و أعماله و اشتقاقها من قولهم شعر فلان بهذا الأمر إذا علم به و المشاعر المعالم من ذلك الإشعار الإعلام من جهة الحس و قيل الشعيره و العلامه و الآيه واحده و الحلال و الحل المباح و هو ما لا مزيه لفعله على تركه و الحرام و الحرم ضده و حريم البئر ما حولها لأنها تحرم على غير حافرها و الحرم الإحرام و أحرم الرجل صار محرما و أحرم دخل فى الشهر الحرام و رجل حرمى منسوب إلى الحرم و الهدى ما يهدى إلى الحرم من النعم و قلاند جمع قلاده و هى ما يقلد به الهدى و التقليد فى البدن أن يعلق فى عنقها شىء ليعلم أنها هدى و القلد السوار لأنها كالقلاده لليد، و الأم القصد يقال أمت كذا إذا قصدته و يمت بمعناه قال الشاعر:

إنى كذاك إذا ما ساءنى بلد

يممت صدر بعيرى غيره بلدا

و منه الإمام الذى يقتدى به و الأمة الدين لأنه يقصدوا الإمه بالكسر النعمه لأنها تقصد و يقال حلت من الإحرام تحل و الرجل حلال و قالوا أحرم الرجل فهو حرام و قيس و تميم يقولون أحل من إحرامه فهو محل و أحرم فهو محرم و الجرم القطع و الكسب «و لا يَجْرِمَنَّكُمْ» أى لا يكسبنكم و هو فعل يتعدى إلى مفعولين و قيل معناه لا يحملنكم عن الكسائى قال بعضهم يقال جرمنى فلان على أن صنعت كذا أى حملنى عليه و استشهدوا بقول الشاعر:

و لقد طعنت أبا عينه طعنه

جرمت فزاره بعدها أن يغضبوا

أى حملت و قيل معناه أحقت الطعنه لفزاره الغضب و قيل معناه كسبت فزاره الغضب و شئت الرجل أشناه شنا و شنا و شتانا و مشنا أبغضته و ذهب سيبويه إلى أن ما كان من المصادر على فعلان بالفتح لم يتعد فعله إلا أن يشذ شىء نحو شنتته شتانا قال سيبويه و قالوا لويته حقه ليانا على فعلان فعلى هذا يجوز أن يكون الشنآن مصدرا مثله و قال أبو زيد رجل شنان و امرأه شنانه مصروفان و يقال أيضا رجل شنان غير منصرف و امرأه شناء فقد جاء الشنآن مصدرا و وصفا و هما جميعا قليلان.

النزول

قال أبو جعفر الباقر (عليه السلام) نزلت هذه الآية فى رجل من بنى ربيعة يقال له الحطم

و قال السدى أقبل الحطم بن هند البكرى حتى أتى النبى ص وحده و خلف خيله خارج المدينة فقال إلى ما تدعو و قد كان النبى ص قال لأصحابه يدخل عليكم اليوم رجل من بنى ربيعة يتكلم بلسان شيطان فلما أجابه النبى ص قال أنظرنى لعلى أسلم و لى من أشاوره

فخرج من عنده فقال رسول الله ص لقد دخل بوجه كافر و خرج بعقب غادر فمر بسرح من سروح المدينة فساقه و انطلق به و هو يرتجز و يقول:

قد لفها الليل بسواق حطم

ليس براعى إبل و لا غنم

و لا بجزار على ظهر وضم

باتوا نياما و ابن هند لم ينم

بات يقاسيها غلام كالزلم

خدلج الساقين ممسوح القدم

ثم أقبل من عام قابل حاجا قد قلده هدايا فأراد رسول الله أن يبعث إليه فنزلت هذه الآية «وَلَا آمَنَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ» و هو قول عكرمه و ابن جريج و قال ابن زيد نزلت يوم الفتح فى ناس يأمنون البيت من المشركين يهلون بعمره فقال المسلمون يا رسول الله إن هؤلاء مشركون مثل هؤلاء دعنا نغير عليهم فأنزل الله تعالى الآية.

المعنى

ثم ابتدأ سبحانه بتفصيل الأحكام فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا الله و رسوله فيما أوجب عليهم «لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ» اختلف فى معنى شعائر الله على أقوال (أحدها) أن معناه لا تحلوا حرمة الله و لا تتعدوا حدود الله و حملوا الشعائر على المعالم أى معالم حدود الله و أمره و نهيه و فرائضه عن عطاء و غيره (و ثانيها) أن معناه لا تحلوا حرم الله و حملوا الشعائر على المعالم أى معالم حرم الله من البلاد عن السدى (و ثالثها) أن معنى شعائر الله مناسك الحج أى لا تحلوا مناسك الحج فتضيعوها عن ابن جريج و ابن عباس (و رابعها) ما روى عن ابن عباس أن المشركين كانوا يحجون البيت و يهدون الهدايا و يعظمون حرمه المشاعر و ينحرون فى حجهم فأراد المسلمون أن يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك (و خامسها) أن شعائر الله هى الصفا و المروه و الهدى من البدن و غيرها عن مجاهد و قال الفراء

كانت عامه العرب لا- ترى الصفا و المروه من شعائر الله و لا- يطوفون بينهما فنهاهم الله عن ذلك و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

(و سادسها) أن المراد لا- تحلوا ما حرم الله عليكم فى إحرامكم عن ابن عباس فى روايه أخرى (و سابعها) أن الشعائر هى العلامات المنصوبه للفرق بين الحل و الحرم نهاهم الله سبحانه أن يتجاوزوها إلى مكه بغير إحرام عن

أبى على الجبائي (و ثامنها) أن المعنى لا تحلوا الهدايا المشعرة أى المعلمه لتهدى إلى بيت الله الحرام عن الزجاج و الحسين بن على المغربى و اختاره البلخى و أقوى الأقوال هو القول الأول لأنه يدخل فيه جميع الأقوال من مناسك الحج و غيرها و حمل الآيه على ما هو الأعم أولى «وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ» معناه و لا تستحلوا الشهر الحرام بأن تقاتلوا فيه أعداءكم من المشركين كما قال تعالى «يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ» عن ابن عباس و قتاده و اختلف فى معنى الشهر الحرام هنا ف قيل هو رجب و كانت مضر تحرم فيه القتال و قيل هو ذو القعدة عن عكرمه و قيل هى الأشهر الحرم كلها نهاهم الله عن القتال فيها عن الجبائي و البلخى و هذا أليق بالعموم و قيل أراد به النسيء كقوله «إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ» عن القتيبي «وَلَا الْهَدْيَ» أى و لا تستحلوا الهدى و هو ما يهديه الإنسان من بعير أو بقره أو شاه إلى بيت الله تقربا إليه و طلبا لثوابه فيكون المعنى و لا تستحلوا ذلك فتغصبوه أهله و لا- تحلوا بينهم و بين أن تبلغوه محله من الحرم و لكن خلوهم حتى يبلغوا به المحل الذى جعله الله له و قوله «وَلَا الْقُلَائِدَ» معناه و لا تحلوا القلائد و فيه أقوال (أحدها) أنه عنى بالقلائد الهدى المقلد و إنما كرر لأنه أراد المنع من جل الهدى الذى لم يقلد و الهدى الذى قلد عن ابن عباس و اختاره الجبائي (و ثانيها) أن المراد بذلك القلائد التى كان المشركون يتقلدونها إذا أرادوا الحج مقبلين إلى مكة من لحاء السمر فإذا خرجوا منها إلى منازلهم منصرفين منها إلى المشعر عن قتاده قال كان فى الجاهليه إذا خرج الرجل من أهله يريد الحج يقلد من السمر فلا يتعرض له أحد و إذا رجع يقلد قلاده شعر فلا يتعرض له أحد و قال عطا أنهم كانوا يتقلدون من لحاء شجر الحرم يأمنون به إذا خرجوا من الحرم و قال الفراء أهل الحرم كانوا يتقلدون بلحاء الشجر و أهل غير الحرم كانوا يتقلدون بالصوف و الشعر و غيرهما (و ثالثها) أنه عنى به المؤمنين نهاهم أن ينزعوا شيئا من شجر الحرم يتقلدون به كما كان المشركون يفعلونه فى جاهليتهم عن عطا فى روايه أخرى و الربيع بن أنس (و رابعها) أن القلائد ما يقلد به الهدى نهاهم عن حلها لأنه كان يجب أن يتصدق بها عن أبى على الجبائي قال هو صوف يفتل و يعلق به على عنق الهدى و قال الحسن هو نعل يقلد بها الإبل و البقر و يجب التصديق بها إن كانت لها قيمه و الأولى أن يكون نهيا عن استحلال القلائد فدخل الإنسان و البهيمة أو يكون نهيا عن استحلال حرمه المقلد هديا كان ذلك أو إنسانا «وَلَا آمِينَ الْبَيْتَ» أى و لا

تحلوا قاصدين البيت «الحرام» أى لا تقاتلوهم لأنه من قاتل فى الأشهر الحرم فقد أحل فقال لا تحلوا قتال الآمين البيت الحرام أى القاصدين و البيت الحرام بيت الله بمكه و هو الكعبه سمى حراما لحرمة و قيل لأنه يحرم فيه ما يحل فى غيره و اختلف فى المعنى بذلك فمنهم من حمله على الكفار و استدل بقوله فيما بعد «و لا يجرمنكم شنآن قوم» الآية و منهم من حمله على من أسلم فكأنه نهى أن يؤخذ بعد الإسلام بذحل الجاهليه لأن الإسلام يجب ما قبله «يبتغون» أى يطلبون يعنى الذين يأمون البيت «فضلاً من ربهم و رضواناً» أى أرباحا فى تجارتهم من الله و إن يرضى عنهم بنسكهم على زعمهم فلا يرضى الله عنهم و هم مشركون و قيل يلتمسون رضوان الله عنهم بأن لا يحل بهم ما حل بغيرهم من الأمم من العقوبه فى عاجل دنياهم عن قتاده و مجاهد و قيل فضلا من الله فى الآخرة و رضوانا منه فيها و قيل فضلا فى الدنيا و رضوانا فى الآخرة و قال ابن عباس إن ذلك فى كل من توجه حاجا و به قال الضحاك و الربيع و اختلف فى هذا فليل هو منسوخ بقوله «فأقتلوا المشركين حيث وجدتموهم» عن أكثر المفسرين و

قيل لم ينسخ فى هذه السوره شىء و لا من هذه الآية لأنه لا يجوز أن يبتدأ المشركون فى الأشهر الحرم بالقتال إلا إذا قاتلوا عن ابن جريج و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام) و روى نحوه عن الحسن

و ذكر أبو مسلم أن المراد به الكفار الذين كانوا فى عهد النبى ص فلما زال العهد بسوره براهه زال ذلك الحظر و دخلوا فى حكم قوله تعالى «فلا يقربوا المسجد الحرام بعيد عامهم هذا» و قيل لم ينسخ من المائده غير هذه الآية «لا تحلوا شعائر الله و لا الشهر الحرام و لا الهدى و لا القلائد» عن الشعبي و مجاهد و قتاده و الضحاك و ابن زيد و قيل إنما نسخ منها قوله «و لا الشهر الحرام» إلى «آمين البيت الحرام» ذكر ذلك ابن أبى عروبه عن قتاده قال نسخها قوله «فأقتلوا المشركين حيث وجدتموهم» و قوله «ما كان للمشركين أن يعمرؤا مساجد الله» و قوله «إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعيد عامهم هذا» فى السنه التى نادى فيها على بالأذان و هو قول ابن عباس و قيل لم ينسخ من هذه الآية إلا القلائد عن ابن أبى نجیح عن مجاهد «و إذا حللتكم فاصطادوا» معناه إذا حللتكم من إحرامكم فاصطادوا فيها الصيد الذى نهيتم أن تحلوا فاصطادوه إن شتمتم حينئذ لأن السبب المحرم قد زال عند جميع المفسرين «و لا يجرمنكم» أى و لا يحملنكم و قيل لا يكسبنكم «شنآن قوم» أى بغضاء قوم «أن صدوكم» أى لأن صدوكم أى لأجل أنهم صدوكم «عن المسجد

الحرام» يعنى النبى و أصحابه لما صدوهم عام الحديبيه «أَنْ تَعْتَدُوا» و معناه لا يكسبنكم بغضكم قوما الاعتداء عليهم بصددهم إياكم عن المسجد الحرام قال أبو على الفارسى معناه لا تكتسبوا لبغض قوم عدوانا و لا تقترفوه هذا فيمن فتح أن و يوقع النهى فى اللفظ على الشنآن و المعنى بالنهى المخاطبون كما قالوا لا أرينك هاهنا و لا تموتنن إلاً و أنتنن مسليمون و من جعل «شَنَانٌ» صفه فقد أقام الصفه مقام الموصوف و يكون تقديره و لا يحملنكم بغض قوم و المعنى على الأول و من قرأ إن صدوكم بكسر الألف فقد مر ذكر معناه و «أَنْ تَعْتَدُوا» معناه أن تتجاوزوا حكم الله فيهم إلى ما نهاكم عنه نهى الله المسلمين عن الطلب بذحول الجاهليه عن مجاهد و قال هذا غير منسوخ و هو الأولى و قال ابن زيد و هو منسوخ «و تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوَى وَ لَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ» و هو استئناف كلام و ليس بعطف على تعدوا فيكون فى موضع نصب أمر الله عباده بأن يعين بعضهم بعضا على البر و التقوى و هو العمل بما أمرهم الله تعالى به و اتقاء ما نهاهم عنه و نهاهم أن يعين بعضهم بعضا على الإثم و هو ترك ما أمرهم به و ارتكاب ما نهاهم عنه من العدوان و هو مجاوزه ما حد الله لعباده فى دينهم و فرض لهم فى أنفسهم عن ابن عباس و أبى العالیه و غيرهما من المفسرين «و اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» هذا أمر منه تعالى بالتقوى و وعيد و تهديد لمن تعدى حدوده و تجاوز أمره يقول احذروا معصيه الله فيما أمركم به و نهاكم عنه فتستوجبوا عقابه و تستحقوا عذابه ثم وصف تعالى عقابه بالشده لأنه نار لا يطفأ حرها و لا يخمد جمرها نعوذ بالله منها.

اشاره

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقُ الْيَوْمِ الْيَوْمِ يَبْسُ الدِّينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاحْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصِهِ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣)

القراءة

روى فى الشواذ قراءة ابن عباس و أكيل السبع و عن الحسن و ما أكل السبع بسكون الباء و قراءة يحيى بن وثاب و إبراهيم غير متجانف لإثم.

الحج

قال ابن جنى الأكيه اسم للمأكول كالنطيحه و الأكيل للجنس و العموم يصلح للمذكر و المؤنث تقول مررت بشاه أكيل أى قد أكلها الأسد و نحوه و تقول و ما لنا طعام إلا الأكيه أى الشاه أو الجزور المعده للأكل و إن كانت قد أكلت فهى بلا هاء فأكيل السبع ما أكل بعضه السبع و السبع تخفيف للسبع قال حسان فى عتبه بن أبى لهب:

من يرجع العام إلى أهله

فما أكيل السبع بالراجع

و قوله «مُتَجَانِفٍ» و متجانف بمعنى و تفعل أبلغ من تفاعل فمتجانف بمعنى متميل و متأود و متجانف مثل متمايل و متأود.

اللغة

أصل الإهلال رفع الصوت بالشىء و منه استهلال الصبى و هو صياحه إذا سقط من بطن أمه و منه إهلال المحرم بالحج أو العمره إذا لى به قال ابن أحمز:

يهل بالفرقد ركبانا

كما يهل الراكب المعتمر

و سمي الهلال هلالاً لأنه يرفع الصوت عنده و يقال خنقه خنقا إذا ضغطه و منه المخنقه للقلاده و الوقذ شدة الضرب يقال وقذتها أقذها وقذا و أوقذتها إيقاذا إذا أثختها ضربا قال الفرزدق:

شغاره تقدّ الفصيل برجلها

فطاره لقوادم الأبقار

الردى الهلاك و التردى التهور و النطيحة المنطوحه نقل عن مفعول إلى فاعيل و إنما يثبت فيها الهاء و إن كان فاعيل بمعنى المفعول لا- تثبت فيه الهاء مثل لحيه دهين و عين كحيل و كف خضيب لأنها دخلت فى حيز الأسماء و قال بعض الكوفيين إنما تحذف الهاء من فاعيله بمعنى مفعوله إذا كانت صفه الاسم قد تقدمها مثل كف خضيب و عين كحيل فأما إذا حذفت الكف و العين و ما يكون فاعيله نعتا له و اجتروا بفاعيل أثبتوا فيه هاء التانيث ليعلم ثبوتها فيه أنها صفه

ص: ٢٤٢

لمؤنث فيقال رأينا كحيله و خضيبه و التذكيه فرى الأوداج و الحلقوم لما كانت فيه حياه و لا يكون بحكم الميت و أصل الذكاء فى اللغه تمام الشىء فمن ذلك الذكاء فى السن و الفم قال الخليل الذكاء أن يأتى فى السن على القروحه و هى فى ذات الحافر و هى البزوله فى ذات الخف و هى الصلوغه فى ذات الظلف و ذلك تمام استكمال القوه قال زهير:

يفضله إذا اجتهدا عليها

تمام السن منه و الذكاء

و فى المثل جرى المذكيات غلاب أى جرى المسان التى قد أسنت مغالبه يريد أن المسان يحتمل أن تؤخذ بالغلبه لفضل قوتها و الصغار لا تحمل على ذلك و تدارى و يروى غلاء و هى جميع غلوه أى هى تمتد امتدادا كما تريد و ليست كالجدع الذى لا علم له فيخرج فى أول شوط أقصى ما عنده من الحضر ثم هو مسبوق و معنى تمام السن النهايه فى الشباب فإذا نقص عن ذلك أو زاد فلا- يقال له الذكاء و الذكاء فى الفهم أن يكون تاما سريع القبول و ذكيت النار من هذا أى أتممت إشعالها و النصب الحجاره التى كانوا يعبدونها واحدها نصاب و جائز أن يكون واحدا و جمعه أنصاب و الأزام جمع زلم و زلم و هو القدح و الاستقسام طلب القسمه و القسم المصدر و القسم بالكسر النصيب و المخمصه شده ضمور البطن و هو مفعله مثل المجبئه و المبخله من خمص البطن و هو طيه و اضطماره من الجوع و شده السغب دون أن يكون مخلوقا كذلك قال النابغه:

و البطن ذو عكن خميص لين

و النحر تنفجه بثدى مقعد

لم يصفها بالجوع و إنما وصفها بلطافه طى البطن و أما قول الأعشى:

تبيتون فى المشتى ملاً بطونكم

و جاراتكم غرثى بيتن خمائصا

فمن الاضطمار من الجوع و المتجانف المتمايل للإثم المنحرف إليه من جنف القوم إذا مالوا و كل أعوج فهو أجنف.

المعنى

ثم بين سبحانه ما استثناه فى الآيه المتقدمه بقوله **إِلَّا مَا يُثَلَى**

عَلَيْكُمْ فَقَالَ مَخَاطِبًا لِلْمَكْلَفِينَ «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ» أَيْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ أَكْلَ الْمَيْتَةِ وَالْإِنْتِفَاعَ بِهَا وَهُوَ كُلُّ مَا لَهُ نَفْسٌ سَائِلَةٌ مِنْ دَوَابِّ الْبَرِّ وَطَيْرِهِ مِمَّا أَبَاحَ اللَّهُ أَكْلَهُ أَهْلِيهِمَا وَوَحْشِيهِمَا فَارْقَهُ رُوحَهُ مِنْ غَيْرِ تَذْكِيهِ وَقِيلَ الْمَيْتَةُ كُلُّ مَا فَارَقَتْهُ الْحَيَاةُ مِنْ دَوَابِّ الْبَرِّ وَطَيْرِهِ بِغَيْرِ تَذْكِيهِ فَقَدْ

رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سَمِيَ الْجَرَادُ وَالسَّمَكُ مَيْتًا فَقَالَ مَيْتَانِ مَبَاحَتَانِ الْجَرَادُ وَالسَّمَكُ

«وَالدَّمُ» أَيْ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ الدَّمَ وَكَانُوا يَجْعَلُونَهُ فِي الْمَبَاعِرِ وَيَشْوُونَهُ وَيَأْكُلُونَهُ فَأَعْلَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّ الدَّمَ الْمَسْفُوحَ أَيْ الْمَصْبُوبَ حَرَامٌ فَأَمَّا الْمَتَلَطَّخُ بِاللَّحْمِ فَإِنَّهُ كَاللَّحْمِ وَمَا كَانَ كَاللَّحْمِ مِثْلَ الْكَبِدِ فَهُوَ مَبَاحٌ وَ

أَمَّا الطَّحَالُ فَقَدْ رَوَوْا الْكِرَاهِيَةَ فِيهِ عَنِ عَلِيِّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

وَإِبْنُ مَسْعُودٍ وَأَصْحَابُهُمَا وَأَجْمَعَتِ الْإِمَامِيَّةُ عَلَى أَنَّهُ حَرَامٌ وَذَهَبَ سَائِرُ الْفُقَهَاءِ إِلَى أَنَّهُ مَبَاحٌ «وَلَحْمُ الْخَنْزِيرِ» وَإِنَّمَا ذَكَرَ لَحْمَ الْخَنْزِيرِ لِبَيِّنِ أَنَّهُ حَرَامٌ بَعِيْنُهُ لَا لِكَوْنِهِ مَيْتَةً حَتَّى أَنَّهُ لَا يَحِلُّ تَنَاوُلُهُ وَإِنْ حَصَلَ فِيهِ مَا يَكُونُ ذَكَاهُ لِغَيْرِهِ وَفَائِدُهُ تَخْصِيصُهُ بِالْحَرَمِ مَعَ مَشَارَكَةِ الْكَلْبِ إِيَّاهُ فِي التَّحْرِيمِ حَالُهُ وَجُودُ الْحَيَاةِ وَعَدْمُهَا وَكَذَلِكَ السَّبَاعُ وَالْمَسُوخُ وَمَا لَا يَحِلُّ أَكْلُهُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ أَنْ كَثِيرًا مِنَ الْكُفَّارِ اعْتَادُوا أَكْلَهُ وَالْفُؤَهَ أَكْثَرَ مِمَّا اعْتَادُوا فِي غَيْرِهِ «وَمَا أَهْلٌ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ» مَوْضِعٌ مَا رَفَعَ وَتَقْدِيرُهُ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ مَا أَهْلٌ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَقَدْ ذَكَرْنَا مَعْنَاهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ ذَبَائِحَ مَنْ خَالَفَ الْإِسْلَامَ لَا يَجُوزُ أَكْلُهُ لِأَنَّهُمْ يَذْكُرُونَ عَلَيْهِ اسْمَ غَيْرِ اللَّهِ لِأَنَّهُمْ يَعْنُونَ بِهِ مِنْ أَبَدٍ شَرَعَ مُوسَى أَوْ اتَّحَدَ بَعِيسَى أَوْ اتَّخَذَهُ ابْنًا وَذَلِكَ غَيْرُ اللَّهِ فَأَمَّا مَنْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ وَدَانَ بِالْتَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ وَالْجَبْرِ وَخَالَفَ الْحَقَّ فَعَنْدَنَا لَا يَجُوزُ أَكْلُ ذَبِيحَتِهِ وَفِيهِ خِلَافٌ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ «وَالْمُنْخَنِقَةُ» وَهِيَ الَّتِي يَدْخُلُ رَأْسُهَا بَيْنَ شَجَرَتَيْنِ مِنْ شَجَرَةٍ فَتَنْخَقُ وَتَمُوتُ عَنِ السَّدَى وَقِيلَ هِيَ الَّتِي تَخْنُقُ بِحَبْلِ الصَّائِدِ فَتَمُوتُ عَنِ الضَّحَاكِ وَقَتَادَةَ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَخْنُقُونَهَا فَيَأْكُلُونَهَا «وَالْمَوْقُودَةُ» وَهِيَ الَّتِي تَضْرِبُ حَتَّى تَمُوتَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ وَالسَّدَى «وَالْمَيْتَرْدِيَّةُ» وَهِيَ الَّتِي تَقَعُ مِنْ جَبَلٍ أَوْ مَكَانٍ عَالٍ أَوْ تَقَعُ فِي بَثْرِ فَتَمُوتُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ وَالسَّدَى وَتَمَى وَقَعُ فِي بَثْرِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى تَذْكِيَتِهِ جَازٍ أَنْ يَطْعَنَ وَيَضْرِبَ بِالسَّكِينِ فِي غَيْرِ الْمَذْبُوحِ حَتَّى يَبْرُدَ ثُمَّ يُؤْكَلُ «وَالنَّطِيحَةُ» وَهِيَ الَّتِي يَنْطَحُهَا غَيْرُهَا فَتَمُوتُ «وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ» أَيْ وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ مَا أَكَلَهُ السَّبُعُ بِمَعْنَى قَتَلِهِ السَّبُعُ وَهِيَ فَرِيْسَةُ السَّبُعِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ وَالضَّحَاكِ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ» يَعْنِي إِلَّا مَا أُدْرِكْتُمْ ذَكَاتُهُ فَذَكَيْتُمُوهُ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَمَوْضِعٌ مَا نَصَبَ بِالْإِسْتِثْنَاءِ وَ

رَوَى عَنِ السَّيِّدِينَ الْبَاقِرِ وَالصَّادِقِ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) أَنَّ

أدنى ما يدرك به الذكاه أن تدرکه يتحرك أذنه أو ذنبه أو تطرف عينه

و به قال الحسن و قتاده و إبراهيم و طاووس و الضحاك و ابن زيد و

اختلف فى الاستثناء إلى ما ذا يرجع فليل إلى جميع ما تقدم ذكره من المحرمات سوى ما لا يقبل الذكاه من الخنزير و الدم عن على (عليه السلام)

و ابن عباس و قيل هو استثناء من التحريم لا من المحرمات لأن الميتة لا ذكاه لها و لا الخنزير فمعناه حرمت عليكم سائر ما ذكر إلا ما ذكيتم مما أحله الله لكم بالتذكية فإنه حلال لكم عن مالك و جماعه من أهل المدينة و اختاره الجبائى و متى قيل ما وجه التكرار فى قوله «وَ الْمُؤْنَخِنَةُ وَ الْمُؤَقُّودَةُ» إلى آخر ما عدد تحريمه مع أنه افتتح الآيه «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ» و الميتة تعم جميع ذلك و إن اختلفت أسباب الموت من خنق أو ترد أو نطح أو إهلال لغير الله به أو أكل سبع فالجواب أن الفائدة فى ذلك أنهم كانوا لا يعدون الميتة إلا ما مات حتف أنفه من دون شىء من هذه الأسباب فأعلمهم الله سبحانه أن حكم الجميع واحد و أن وجه الاستباحه هو التذكية المشروعه فقط قال السدى إن ناسا من العرب كانوا يأكلون جميع ذلك و لا يعدونه ميتا إنما يعدون الميت الذى يموت من الوجع «وَ مَا ذُبِحَ عَلَى النُّصْبِ» يعنى الحجاره التى كانوا يعبدونها و هى الأوثان عن مجاهد و قتاده و ابن جريج يعنى و حرم عليكم ما ذبح على النصب أى على اسم الأوثان و قيل معناه و ما ذبح للأوثان تقربا إليها و اللام و على متعاقبان ألا ترى إلى قوله تعالى فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ بمعنى عليك و كانوا يقربون و يلطخون أوثانهم بدمائها قال ابن جريج ليست النصب أصناما إنما الأصنام ما تصور و تنقش بل كانت أحجارا منصوبه حول الكعبه و كانت ثلاثمائة و ستين حجرا و قيل كانت ثلاثمائة منها لخزاعه فكانوا إذا ذبحوا نضحوا الدم على ما أقبل من البيت و شرحوا اللحم و جعلوه على الحجاره فقال المسلمون يا رسول الله كان أهل الجاهليه يعظمون البيت بالدم فنحن أحق بتعظيمه فأنزل الله سبحانه لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَ لَا دِمَائُهَا الْآيَه «وَ أَنْ تَشْتَقِسُوا بِالْأَزْلَامِ» موضعه رفع أى و حرم عليكم الاستقسام بالأزلام و معناه طلب قسم الأرزاق بالقдах التى كانوا يتفاءلون بها فى أسفارهم و ابتداء أمورهم و هى سهام كانت للجاهليه مكتوب على بعضها أمرنى ربى و على بعضها نهانى ربى و بعضها غفل لم يكتب عليه شىء فإذا أرادوا سفرا أو أمرا يهتمون به ضربوا على تلك القдах فإن خرج السهم الذى عليه أمرنى ربى مضى الرجل فى حاجته و إن خرج الذى عليه نهانى ربى لم يمض و إن خرج الذى ليس عليه شىء أعادها فيبين الله تعالى أن العمل بذلك حرام عن الحسن و جماعه من المفسرين و

روى على بن إبراهيم فى تفسيره عن الصادقين (عليه السلام) أن الأزلام عشره سبعة لها أنصباء و ثلاثه لا أنصباء لها فالتى لها أنصباء

فإن لكم يوم الشعب منى

عذابا دائما لكم مقيما.

[سوره المائده (٥): الآيات ٣٨ الى ٤٠]

إشاره

وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨) فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَ أَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٩) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٠)

الإعراب

قال سيبويه و كثير من النحويين ارتفع السارق و السارقه على معنى و فيما فرض عليكم السارق و السارقه أى حكم السارق و السارقه و مثله قوله تعالى «الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِي فَاجْلِدُوا» وَ الذَّانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا قَالَ سيبويه و الاختيار فى هذا النصب فى العربيه كما تقول زيدا أضربه و أبت العامه القراءه إلا- بالرفع يعنى بالعامه الجماعه و قرأ عيسى بن عمرو السارق و السارقه و كذلك الزانيه و الزانى و قال أبو العباس المبرد الاختيار فيه الرفع بالابتداء لأن القصد ليس إلى واحد بعينه فليس هو مثل قولك زيدا فاضربه إنما هو كقولك من سرق فاقطع يده و من زنى فاجلده قال الزجاج و هذا القول هو المختار و إنما دخلت الفاء فى الخبر للشرط المنوى و ذكر فى قراءه ابن مسعود و السارقون و السارقات فاقطعوا أيماهم و إنما قال «أَيِّدِيَهُمَا» و لم يقل يديهما لأنه أراد يمينا من هذا و يمينا من هذه فجمع إذ ليس فى الجسد إلا يمين واحده قال الفراء و كل شىء مؤحد من خلق الإنسان إذا ذكر مضافا إلى اثنين فصاعدا جمع فليل قد هشت رءوسهما و ملأت ظهورهما و بطونهما ضربا و مثله قوله «إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا» قال و إنما اختير الجمع على التشبيه لأن أكثر ما يكون عليه الجوارح اثنان اثنان فى الإنسان كاليدين و الرجلين و اثنان من اثنين جمع لذلك يقال قطعت أرجلها و فقأت عيونهما فلما جرى الأكثر على هذا ذهب بالواحد إذا أضيف إلى اثنين مذهب الاثنين قال و يجوز التشبيه كقول الهذلى:

ص: ٢٤٦

لأنه الأصل و يجوز هذا أيضا فيما ليس من خلق الإنسان كقولك لللاثنين خليتما نساء كما و أنت تريد امرأتين قال و يجوز التوحيد أيضا لو قلت في الكلام السارق و السارقه فاقطعوا يمينهما جاز لأن المعنى اليمين من كل واحد منهما قال الشاعر:

(كلوا في بعض بطنكم تعيشوا)

و يجوز في الكلام أن تقول اثنتى برأس شاتين و برأسى شاه فمن قال برأس شاتين أراد الرأس من كل شاه منهما و من قال برأسى شاه أراد رأسى هذا الجنس قال الزجاج إنما جمع ما كان في الشىء منه واحد عند الإضافة إلى الاثنتين لأن الإضافة تبين أن المراد بذلك الجمع التثنيه لا الجمع و ذلك أنك إذا قلت أشبعت بطونهما علم أن للاثنين بطنين فقط و أصل التثنيه الجمع لأنك إذا تثيت الواحد فقد جمعت واحدا إلى واحد و ربما كان لفظ الجمع أخف من لفظ الاثنتين فيختار لفظ الجمع و لا يشتبه ذلك بالتثنيه عند الإضافة إلى اثنتين لأنك إذا قلت قلوبهما فالتثنيه فيهما قد أغتكتك عن تثنيه القلب قال و إن ثنى ما كان في الشىء منه واحد فذلك جائز عند جميع النحويين و أنشد:

(ظهراهما مثل ظهور الترسين)

فجاء باللغتين و هذا كما حكينا عن الفراء في قول الهذلي فتخالسا نفسيهما البيت و قوله «جزاء بما كسبنا» قال الزجاج انتصب جزاء بأنه مفعول له و كذلك «نكالنا من الله» و إن شئت كانا منصوبين على المصدر الذى دل عليه فاقطعوا لأن معنى فاقطعوا جازوهم و نكلوا بهم قال الأزهري تقديره لينكل غيره نكالا عن مثل فعله من نكل ينكل إذا جبن.

المعنى

لما ذكر تعالى الحكم فيمن أخذ المال جهارا عقبه بيان الحكم فيمن أخذ المال إسرا فقال «و السارق و السارقة» و الألف و اللام للجنس فالمعنى كل من سرق رجلا كان أو امرأه و بدأ بالسارق هنا لأن الغالب وجود السرقة في الرجال و بدأ في آيه الزنا بالنساء فقال الزانية و الزانى لأن الغالب وجود ذلك في النساء «فأقطعوا أيديهما» أى أيماهما عن ابن عباس و الحسن و السدى و عامه التابعين قال أبو على في تخطى المسلمين إلى قطع الرجل اليسرى بعد قطع اليمنى و تركهم قطع اليد اليسرى دلالة على أن اليد اليسرى لم ترد بقوله «فأقطعوا أيديهما» ألا ترى أنها لو أريدت بذلك لم يكونوا ليدعوا نص القرآن إلى غيره و هذا يدل على أن جمع اليد في هذه الآية على حد جمع القلب في قوله فقد

صَغَتْ قُلُوبُكُمْ و دلت قراءه عبد الله بن مسعود على أن المراد بالأيدى الأيمان قال العلماء أن هذه الآية مجمله في إيجاب القطع على السارق و بيان ذلك مأخوذ من السنه و اختلف في القدر الذى يقطع به يد السارق فقال أصحابنا يقطع في ربع دينار فصاعدا و هو مذهب الشافعى و الأوزاعى و أبى ثور

و رووا عن عائشه عن النبى أنه قال لا تقطع يد السارق إلا فى ربع دينار فصاعدا

و ذهب أبو حنيفه و أصحابه أنه يقطع فى عشره دراهم فصاعدا و احتجوا بما روى عن عطا عن ابن عباس أن أدنى ما يقطع فيه ثمن المجن قال و كان ثمن المجن على عهد رسول الله عشره دراهم و ذهب مالک أنه يقطع فى ثلاثه دراهم فصاعدا و

روى عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله (ص) قطع سارقا فى ثمنه مجن ثلاثه دراهم

و قال بعضهم لا تقطع الخمس إلا فى خمسه دراهم و اختاره أبو على الجبائى و قال لأنه بمنزله من منع خمسه دراهم من الزكاه فى أنه فاسق و قال بعضهم تقطع يد السارق فى القليل و الكثير و إليه ذهب الخوارج و احتجوا بعموم الآية و بما

روى عن النبى أنه قال لعن الله السارق يسرق البيضه فتقطع يده و يسرق الحبل فتقطع يده

و هذا الخبر قد طعن أصحاب الحديث فى سنده و ذكر أيضا فى تأويله أن المراد بالبيضه بيضه الحديد التى تغفر الرأس فى الحرب و بالحبل حبل السفينه و اختلف أيضا فى كيفية القطع فقال أكثر الفقهاء أنه إنما يقطع من الرسغ و هو المفصل بين الكف و الساعد ثم أن عند الشافعى تقطع يده اليمنى فى المره الأولى و رجله اليسرى فى المره الثانيه و يده اليسرى فى المره الثالثه و رجله اليمنى فى المره الرابعه و يجبس فى المره الخامسه و عند أبى حنيفه لا تقطع فى الثالثه و

قال أصحابنا أنه تقطع من أصول الأصابع و تترك له الإبهام و الكف و فى المره الثانيه تقطع رجله اليسرى من أصل الساق و يترك عقبه يعتمد عليها فى الصلاه فإن سرق بعد ذلك خلد فى السجن و هو المشهور عن على

و أجمعت الطائفه عليه و قد استدل على ذلك أيضا بقوله «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ» و لا شك فى أنهم إنما يكتبونه بالأصابع و لا-خلاف أن السارق إنما يجب عليه القطع إذا سرق من حرز إلا ما روى عن داود أنه قال يقطع السارق و إن سرق من غير حرز و الحرز فى كل شىء إنما يعتبر فيه حرز مثله فى العاده و حده عندنا كل موضع لم يكن لغير مالكة الدخول إليه و التصرف فيه إلا ياذنه «جَزَاءٌ بِمَا كَسَبَا» أى افعالوا ذلك بها مجازاه بكسبهما و فعلهما «نَكَالًا مِنَ اللَّهِ» أى عقوبه على ما فعلاه قال زهير:

و لو لا أن ينال أبا طريف

عذاب من خزيمة أو نكال

أى عقوبه «فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ» أى أفلح و ندم على ما كان منه من فعل الظلم بالسرقه «وَ أَصْلَحَ» أى و فعل الفعل الصالح الجميل «فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ» أى يقبل توبته بإسقاط العقاب بها عن المعصيه التى تاب منها و وصف الله بأنه يتوب على التائب فيه فائده عظيمه و هى أن فى ذلك ترغيبا للعاصى فى فعل التوبه و لذلك وصف نفسه تعالى بالتواب الرحيم و وصف العبد بأنه تواب و معناه أواب و هو من صفات المدح «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» فيه دلالة على أن قبول التوبه تفضل من الله «أَلَمْ تَعْلَمْ» قيل هو خطاب للنبي و المراد به أمته كقوله «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ وَ قِيلَ هُوَ خَطَابٌ لِلْمُكَلَّفِينَ وَ تَقْدِيرُهُ أَلَمْ تَعْلَمْ يَا إِنْسَانَ وَ إِنَّمَا يَتَّصِلُ هَذَا الْخَطَابُ بِمَا قَبْلَهُ اتِّصَالَ الْحِجَاجِ وَ الْبَيَانِ عَنْ صَحِّهِ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْوَعْدِ وَ الْوَعِيدِ وَ الْأَحْكَامِ وَ مَعْنَاهُ أَلَمْ تَعْلَمْ يَا إِنْسَانَ «أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى له التصرف فيهما بلا دافع و لا منازع «يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ» إذا كان مستحقا للعقاب «وَ يَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ» إذا عصاه و لم يتب لأنه إذا تاب فقد وعده تعالى بأنه لا يؤاخذ به بذلك بعد التوبه و عند أهل الوعيد يقبح منه أن يؤاخذ به بعد التوبه فعلى الوجهين مما لا تعلق لذلك بالمشيئة «وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» مر معناه.

[سوره المائده (٥): آيه ٤١]

اشاره

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَ لَمْ يُؤْمِنُوا قُلُوبُهُمْ وَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَ إِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَ مَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١)

ص: ٢٤٩

«سَيَّمَاْعُوْنَ لِلْكَذِبِ» أى قابلون له يقال لا تستمع من فلان قوله أى لا تقبل و منه سمع الله لمن حمده أى تقبل الله منه حمده و فيه وجه آخر و هو أن معناه أنهم يسمعون منك ليكذبوا عليك و السماع الجاسوس و الفتنه الاختبار و أصله التخليص من قولهم فتنت الذهب فى النار أى خلصته من الغش.

الإعراب

ارتفع سماعون لأنه خبر مبتدأ محذوف أى هم سماعون و يجوز أن يرتفع على معنى «وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ» فيكون مبتدأ على قول سيبويه و معمولا لمنهم على قول الأخفش تقديره و منهم فريق سماعون للكذب و قوله «لَمْ يَأْتُوكَ» فى موضع جر لأنه صفة لقوم و قوله «يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ» صفة لقوله «سَيَّمَاْعُونَ» فيكون موضعه رفعا و يجوز أن يكون موضعه نصبا على أنه حال من الضمير فى اسم الفاعل أى محرفين الكلم بمعنى مقدرين تحريفه أى يسمعون كلام النبى ص و يقدرون فى أنفسهم تحريف ما يسمعون كقولهم معه صقر صائدا به غدا و قوله «مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ» من باب حذف المضاف و التقدير من بعد وضعه كلامه مواضعه و لو قال فى معناه عن مواضعه لجاز لأن معناه متقارب كما يقال أتيتك بعد فراغى من الشغل و عن فراغى منه و لا يجوز أن يقول رميت بعد القوس بدلا من قولك رميت عن القوس لأن المعنى يختلف و ذلك أن عن لما عدا الشىء الذى هو كالسبب له و بعد إنما هو لما تأخر عن كون الشىء فما صح فيه معنى السبب و معنى التأخر جاز فيه الأمان و ما لم يصح فيه إلا أحد الأمرين لم يجز إلا أحد الحرفين.

النزول

قال الباقى (عليه السلام) و جماعه من المفسرين أن امرأه من خير ذات شرف بينهم زنت مع رجل من أشرفهم و هما محصنان فكرهوا رجمهما فأرسلوا إلى يهود المدينة و كتبوا إليهم أن يسألوا النبى عن ذلك طمعا فى أن يأتى لهم برخصه فانطلق قوم منهم كعب بن الأشرف و كعب بن أسيد و شعبه بن عمرو و مالك بن الصيف و كنانة بن أبى الحقيق و غيرهم فقالوا يا محمد أخبرنا عن الزانى و الزانية إذا أحصنا ما حدهما فقال و هل ترضون بقضائى فى ذلك قالوا نعم فنزل جبرائيل بالرجم فأخبرهم بذلك فأبوا أن يأخذوا به فقال جبرائيل اجعل بينك و بينهم ابن سوريا و وصفه له فقال النبى هل تعرفون شابا أمرد أبيض أعور يسكن فدكا يقال له ابن سوريا قالوا نعم قال فأى رجل هو فيكم قالوا أعلم يهودى بقى على ظهر الأرض بما أنزل الله على موسى قال فأرسلوا إليه ففعلوا فأتاهم عبد الله بن سوريا فقال له النبى إنى أنشدك الله الذى لا إله إلا هو الذى أنزل التوراه على موسى و فلق لكم البحر و أنجاكم و أغرق

آل فرعون و ظلل عليكم الغمام و أنزل عليكم المن و السلوى هل تجدون فى كتابكم الرجم على من أحصن قال ابن سوريا نعم و الذى ذكرتنى به لو لا خشيه أن يحرقنى رب التوراه إن كذبت أو غيرت ما اعترفت لك و لكن أخبرنى كيف هى فى كتابك يا محمد قال إذا شهد أربعة رهط عدول أنه قد أدخله فيها كما يدخل الميل فى المكحله و جب عليه الرجم قال ابن سوريا هكذا أنزل الله فى التوراه على موسى فقال له النبى فما ذا كان أول ما ترخصتم به أمر الله قال كنا إذا زنى الشريف تركناه و إذا زنى الضعيف أقمنا عليه الحد فكثر الزنا فى أشرفنا حتى زنى ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنى رجل آخر فأراد الملك رجمه فقال له قومه لا حتى ترجم فلانا يعنون ابن عمه فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع شيئا دون الرجم يكون على الشريف و الوضيع فوضعنا الجلد و التحميم و هو أن يجلد أربعين جلده ثم يسود وجوههما ثم يحملان على حمارين و يجعل وجوههما من قبل دبر الحمار و يطاف بهما فجعلوا هذا مكان الرجم فقالت اليهود لابن سوريا ما أسرع ما أخبرته به و ما كنت لما أتينا عليك بأهل و لكنك كنت غائبا فكرهنا أن نغتابك فقال أنه أنشدنى بالتوراه و لو لا ذلك لما أخبرته به فأمر بهما النبى فرجما عند باب مسجده و قال أنا أول من أحيا أمرك إذ أماتوه فأنزل الله فيه «يا أهل الكتاب قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَ يَغْفُوا عَنْ كَثِيرٍ» فقام ابن سوريا فوضع يديه على ركبتي رسول الله ثم قال هذا مقام العائذ بالله و بك أن تذكر لنا الكثير الذى أمرت أن تغفو عنه فأعرض النبى عن ذلك ثم سأله ابن سوريا عن نومه فقال تنام عيناى و لا ينام قلبى فقال صدقت و أخبرنى عن شبه الولد بأبيه ليس فيه من شبه أمه شىء أو بأمه ليس فيه من شبه أبيه شىء فقال أيهما علا و سبق ماء صاحبه كان الشبه له قال قد صدقت فأخبرنى ما للرجل من الولد و ما للمرأة منه قال فأغمى على رسول الله طويلا ثم خلى عنه محمرا وجهه يفيض عرقا فقال اللحم و الدم و الظفر و الشحم للمرأة و العظم و العصب و العروق للرجل قال له صدقت أمرك أمر نبى فأسلم ابن سوريا عند ذلك و قال يا محمد من يأتيك من الملائكة قال جبرائيل قال صفه لى فوصفه النبى ص فقال أشهد أنه فى التوراه كما قلت و إنك رسول الله حقا فلما أسلم ابن سوريا وقعت فيه اليهود و شتموه فلما أرادوا أن ينهضوا تعلق بنو قريظه ببنى النضير فقالوا يا محمد إخواننا بنو النضير أبونا واحد و ديننا واحد و نبينا واحد إذا قتلوا منا قتيلا لم يقدر و أعطونا ديتة سبعين وسقا من تمر و إذا قتلنا منهم

قتيلا- قتلوا القاتل و أخذوا منا الضعف مائه و أربعين وسقا من تمر و إن كان القتيل امرأه قتلوا بها الرجل منا و بالرجل منهم رجلين منا و بالعبد الحر منا و جراحاتنا على النصف من جراحاتهم فاقض بيننا و بينهم فأنزل الله فى الرجم و القصاص الآيات ..

المعنى

لما تقدم ذكر اليهود و النصرارى عقبه سبحانه بتسليه النبى ص و أمانه من كيدهم فقال «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا- يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ» أى لا- يغمك و قرئ لا- يحزنك و معناهما واحد «الَّذِينَ يُسَارِعُونَ» أى مسارعه الذين يسارعون «فِي الْكُفْرِ» أى يبادرون فيه بالإصرار عليه و التمسك به «مِنَ» المنافقين «الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا» أى و من اليهود «سَيَّمَاْعُونَ لِلْكَذِبِ» قيل هو كناية عن اليهود و المنافقين و قيل عن اليهود خاصة و المعنى سماعون قولك ليكذبوا عليك «سَيَّمَاْعُونَ» كلامك «لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ» ليكذبوا عليك إذا رجعوا أى هم عيون عليك لأنهم كانوا رسل خبير و أهل خبير لم يحضروا عن الحسن و الزجاج و اختاره أبو على و قيل معنى سماعون أى قائلون للكذب سماعون لقوم آخرين أرسلوهم فى قصه زان محصن فقالوا لهم إن أفتاكم محمد بالجلد فخذوه و إن أفتاكم بالرجم فلا تقبلوه لأنهم كانوا حرفوا حكم الرجم الذى فى التوراه عن ابن عباس و جابر و سعيد بن المسيب و السدى و قيل إنما كان ذلك فى قتيل منهم قالوا إن أفتاكم بالديه فاقبلوه و إن أفتاكم بالقود فاحذروه عن قتاده و قال أبو جعفر كان ذلك فى أمر بنى النضير و بنى قريظه «يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ» أى كلام الله «مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ» أى من بعد أن وضعه الله مواضعه أى فرض فروضه و أحل حلاله و حرم حرامه يعنى بذلك ما غيره من حكم الله فى الزنا و نقلوه من الرجم إلى أربعين جلده عن جماعه من المفسرين و قيل نقلوا حكم القتل من القود إلى الديه حتى كثر القتل فيهم عن قتاده و قيل أراد به تحريفهم التوراه بتحليلهم الحرام و تحريمهم الحلال فيها و قيل معناه يحرفون كلام النبى بعد سماعه و يكذبون عليه عن الحسن و أبى على الجبائى و كانوا يكتبون بذلك إلى خبير و كان أهل خبير حربا لرسول الله ص و هذه تسليه للنبى ص يقول أن اليهود كيف يؤمنون بك مع أنهم يحرفون كلام الله فى التوراه و يحرفون كلامك «يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَ إِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا» أى يقول يهود خبير ليهود المدينة إن أعطيتم هذا أى أن أمركم محمد بالجلد فاقبلوه و إن لم تعطوه يعنى الجلد أى إن أفتاكم محمد بالرجم فاحذروه عن الحسن معناه أن أوتيتم الديه فاقبلوه و

إن

أوتيم القود فلا تقبلوه «وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ» قيل فيه أقوال (أحدها) أن الفتنه العذاب أى من يرد الله عذابه كقوله تعالى «عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ» أى يعذبون وقوله «ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ» أى عذابكم عن الحسن و قتاده و اختاره الجبائى و أبو مسلم (و ثانيها) أن معناه من يرد الله هلا-كه عن السدى و الضحاك (و ثالثها) أن المراد من يرد الله خزيه و فضيحته بإظهار ما ينطوى عليه عن الزجاج (و رابعها) أن المراد من يرد الله اختياره بما يبتليه به من القيام بحدوده فيدع ذلك و يحرفه و الأصح الأول «فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» أى فلن تستطيع أن تدفع لأجله من أمر الله الذى هو العذاب أو الفضيحة أو الهلاك شيئاً «أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ» معناه أولئك اليهود لم يرد الله أن يطهر من عقوبات الكفر التى هى الختم و الطبع و الضيق قلوبهم كما طهر قلوب المؤمنين منها بأن كتب فى قلوبهم الإيمان و شرح صدورهم للإسلام عن الجبائى و الحسن و قيل معناه لم يرد الله أن يطهرها من الكفر بالحكم عليها أنها بريئة منه ممدوحه بالإيمان عن البلخى قال البلخى و هذا لا يدل على أنه سبحانه لم يرد منهم الإيمان لأن ذلك لا يعقل من تطهير القلب إلا على جهه التوسع و لأن قوله «لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ» يقتضى نفي كونه مريدا و ليس فيه بيان الوجه الذى لم يرد ذلك عليه و المراد بذلك أنه لم يرد تطهير قلوبهم مما يلحقها من الغموم بالذم و الاستخفاف و العقاب و لذلك قال عقيبه «لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» و لو كان أراد ما قاله المجبره لم تجعل ذلك ذما لهم و لا- عقبه بالذم و لا- جعله فى حكم الجزاء على ما لأ-جله عاقبهم و أراد ذلك منهم و الخزى الذى لهم فى الدنيا هو ما لحقهم من الذل و الصغار و الفضيحة بالزام الجزيه و إظهار كذبهم فى كتمان الرجم و إجلاء بنى النضير من ديارهم و خزى المنافقين باطلاع النبى على كفرهم.

اشاره

سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاؤُكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَصُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (۴۲) وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (۴۳)

القراءه

للسحت بضم السين و الحاء مكى بصرى و الكسائى و أبو جعفر و قرأ الباقون «لِلسُّحْتِ» بإسكان الحاء.

الحجه

قال أبو على السحت و السحت لغتان و يستمر التخفيف و التثقيل فى هذا النحو و هما اسم الشىء المسحوت كما أوقع الضرب على المضروب فى قولهم هذا الدرهم ضرب الأمير و الصيد على المصيد فى قوله «لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَ أَنْتُمْ حُرْمٌ».

اللغه

أصل السحت الاستئصال يقال سحته و أسحته أى استأصله و من أسحت قول الفرزدق:

و عض زمان يا ابن مروان لم يدع

من المال إلا مسحتا أو مجلف

و يقال للحالق أسحت أى استأصل و فلان مسحوت المعده إذا كان أכולا لا يشبع و أسحت ماله أفسده و أذهبه و الحكم هو فصل الأمر على وجه الحكمة فيما يفصل به و قد يفصل به لبيان أنه الحق و قد يفصل بإلزام الحق و الأخذ به كما يفصل الحاكم بين الخصوم بما يقطع الخصومه و يثبت القضييه، و التولى الانصراف عن الشىء و التولى عن الحق الترك له و هو خلاف التولى إليه لأنه الإقبال عليه و التولى له هو صرف النصره و المعونه إليه.

المعنى

ثم وصفهم تعالى فقال «سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ» قد مر تفسيره أعاد الله تعالى ذمهم على استماع الكذب أو قبوله تأكيدا و تشديدا و مبالغه فى الزجر عنه «أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ» أى يكثر الأكل للسحت و هو الحرام و

روى عن النبى ص أن السحت هو الرشوه فى الحكم

و هو المروى عن ابن مسعود و الحسن و

قيل السحت هو الرشوه فى الحكم و مهر البغى و كسب الحجام و عسيب الفحل و ثمن الكلب و ثمن الخمر و ثمن الميتة و حلوان الكاهن و الاستجعال فى المعصيه عن على (عليه السلام)

و روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أن السحت أنواع كثيره فأما الرشى فى الحكم فهو الكفر بالله

و قيل فى اشتقاق السحت أقوال

ص: ٢٥٤

(أحدها) أن الحرام إنما سمي سحنتا لأنه يعقب عذاب الاستئصال و البوار عن الزجاج (و ثانيها) أنه إنما سمي سحنتا لأنه لا بركة فيه لأهله فيهلك هلاك الاستئصال عن الجبائي (و ثالثها) أنه إنما سمي سحنتا لأنه القبيح الذى فيه العار نحو ثمن الكلب و الخمر فعلى هذا يسحت مروءة الإنسان عن الخليل «فَإِنْ جَاؤُكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ» أراد به اليهود الذين تحاكموا إلى النبي فى حد الزنا عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و قيل أراد بنى قريظه و بنى النضير لما تحكموا إليه فخيره الله تعالى بين أن يحكم بينهم و بين أن يعرض عنهم عن ابن عباس فى روايه أخرى و قتاده و ابن زيد و الظاهر فى روايات أصحابنا أن هذا التخيير ثابت فى الشرع للأئمه و الحكام و هو قول قتاده و عطاء و الشعبي و إبراهيم و قيل أنه منسوخ بقوله «وَأَنْ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَنِ الْحَسَنِ وَ مَجَاهِدٍ وَ عِكْرَمَةَ «وَ إِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ» أى عن الحكم بينهم «فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا» أى لا يقدرتون لك على ضرر فى دين أو دنيا فدع النظر بينهم أن شئت «وَ إِنْ حَكَمْتَ» أى و إن اخترت أن تحكم «فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ» أى العدل و قيل بما فى القرآن و شريعته الإسلام «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» أى العادلين «وَ كَيْفَ يُحْكُمُونَكَ» أى كيف يحكمك يا محمد هؤلاء اليهود فيهم فيرضون بك حكما «وَ عِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ» التى أنزلناها على موسى و هى التى يقرون بها أنها كتابى الذى أنزلته و أنه حق و إن ما فيه من حكمى يعلمونه و لا- يتناكرونه «فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ» أى أحكامه التى لم تنسخ عن أبى على و قيل عنى به الحكم بالرجم عن الحسن و قيل معناه فيها حكم الله بالقود عن قتاده «ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ» أى يتركون الحكم به جرأه على و فى هذا تعجيب للنبي و تقرير لليهود الذين نزلت الآيه فيهم فكأنه قال كيف تقرون أيها اليهود بحكم نبيى محمد مع إنكاركم نبوته و تكذيبكم إياه و أنتم تتركون حكمى الذى تقرون بوجوبه و تعترفون بأنه جاءكم من عندى و قوله «مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ» إشاره إلى حكم الله فى التوراه عن عبد الله بن كثير و قيل «مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ» أى من بعد تحكيمك أو حكمك بالرجم لأنهم ليسوا منه على ثقه و إنما طلبوا به الرخصه «وَ مَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ» أى و ما هم بمؤمنين بحكمك أنه من عند الله مع جحدهم نبوتك و قيل أن هذا إخبار من الله سبحانه عن أولئك اليهود أنهم لا يؤمنون بالنبي ص و بحكمه.

اشاره

إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّاتُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاحْشَوُا اللَّهَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)

القراءة

قرأ أهل البصره و أبو جعفر و إسماعيل عن نافع و اخشونى بياء فى الوصل و يعقوب يقف بالياء أيضا و الباقرن «وَ احْشَوْنَ» بغير ياء فى الوقف و الوصل.

الحجه

قال أبو على الإثبات حسن لأن الفواصل فى أنها أواخر الآى مثل القوافى فى أنها أواخر الأبيات فمما حذف منه الياء فى القوافى قول الأعشى:

فهل يمنعنى ارتيادى البلاد

من حذر الموت أن يأتين

و من شانى كاسف وجهه

إذا ما انتسبت له أنكرن.

اللغه

الربانيون فسرناه فيما مضى و هم العلماء البصراء بسياسه الأمور و تدبير الناس و الأحبار جمع حبر و هو العالم مشتق من التحبير و هو التحسين فالعالم يحسن الحسن و يقبح القبيح قال الفراء أكثر ما سمعت فيه حبر بالكسر.

الإعراب

الباء فى قوله «بِمَا اسْتُحْفِظُوا» يتعلق بالأحبار فكأنه قال العلماء بما استحفظوا و قال الزجاج تقديره يحكمون للتائبين من الكفر بما استحفظوا.

المعنى

لما بين الله تعالى أن اليهود تولوا عن أحكام التوراه وصف التوراه و ما أنزل فيها فقال «إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاهَ فِيهَا هُدًى» أى بيان للحق و دلالة على الأحكام «و نُورٌ» أى ضياء لكل ما تشابه عليهم و جلاء لما أظلم عليهم عن ابن عباس و قيل معناه «فِيهَا هُدًى» بيان للحكم الذى جاءوا يستفتون فيه النبى ص «و نُورٌ» بيان أن أمر النبى ص حق عن الزجاج «يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا» معناه يحكم بالتوراه النبيون الذين أذعنوا بحكم الله و أقروا به و نبينا داخل فيهم عن الحسن و قتاده و عكرمه و السدى و الزهرى و قال أكثرهم هو

ص: ٢٥٦

المعنى بذلك لما حكم فى رجم المحصن و هذا لا يدل على أنه كان متعبدا بشرع موسى لأن الله هو الذى أوجب ذلك بوحي أنزله عليه لا بالرجوع إلى التوراه فصار ذلك شرعا له و إن وافق ما فى التوراه و نبه بذلك اليهود على صحه نبوته من حيث أخبر عما فى التوراه من غامض العلم الذى قد التبس على كثير منهم و قد عرفوا جميعا أنه لم يقرأ كتابهم و لم يرجع فى ذلك إلى علمائهم فكان من دلائل صدقه ص و قيل يريد بالنبيين الأنبياء الذين كانوا بعد موسى و ذلك أنه كان فى بنى إسرائيل ألوف من الأنبياء بعثهم الله لإقامه التوراه يحدون حدودها و يحلون حلالها و يحرمون حرامها عن ابن عباس فمعناه يقضى بها النبيون الذين أسلموا من وقت موسى إلى وقت عيسى وصفهم بالإسلام لأن الإسلام دين الله فكل نبي مسلم و ليس كل مسلم نبياً و قوله «لِلَّذِينَ هَادُوا» أى تابوا عن الكفر عن ابن عباس و قيل لليهود و اللام فيه يتعلق بيحكم أى يحكمون بالتوراه لهم و فيما بينهم قال الزجاج و جاز أن يكون المعنى على التقديم و التأخير و تقديره إنا أنزلنا التوراه فيها هدى و نور للذين هادوا يحكم بها النبيون الذين أسلموا «وَالرَّبَّائِيُونَ» الذين علت درجاتهم فى العلم و قيل الذين يعملون بما يعلمون «وَالْأَخْبَارُ» العلماء الخيار عن الزجاج «بِمَا اسْتِخْفِظُوا» به أى بما استودعوا «مِنْ كِتَابِ اللَّهِ» عن ابن عباس و قيل بما أمروا بحفظ ذلك و القيام به و ترك تضييعه عن الجبائى «وَوَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ» أى و كانوا على حكم النبي فى الرجم أنه ثابت فى التوراه شهداء عن ابن عباس و قيل كانوا شهداء على الكتاب أنه من عند الله وحده لا شريك له عن عطاء «فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَ اَخْشَوْنَ» أى لا تخشوا يا علماء اليهود الناس فى إظهار صفه النبي محمد ص و أمر الرجم و اخشوني فى كتمان ذلك عن السدى و الكلبي و قيل الخطاب للنبي و أمته أى لا تخشوهم فى إقامه الحدود و إمضائها على أهلها كائنا من كان و اخشوني فى ترك أمرى فإن النفع و الضر بيدي عن الحسن «وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا» أى لا تأخذوا بترك الحكم الذى أنزلته على موسى أيها الأخبار عوضاً خسيساً و هو الثمن القليل نهاهم الله تعالى بهذا عن أكل السحت على تحريفهم كتاب الله و تغييرهم حكمه «وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ» معناه من كتم حكم الله الذى أنزله فى كتابه و أخفاه و حكم بغيره من رجم المحصن و القود «فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ» اختلف فى ذلك فمنهم من أجرى ظاهره على العموم عن ابن مسعود و الحسن و إبراهيم و منهم من خصه بالجاحد لحكم الله عن ابن عباس و منهم من قال هم اليهود خاصة عن الجبائى فإنه قال لا حجه للخوارج فيها من حيث هى خاصة فى اليهود و اختار على بن عيسى القول الأول و لذلك

يقول من حكم بغير ما أنزل الله مستحلا لذلك فهو كافر

و روى البراء بن عازب عن النبي ص أن قوله «وَمِنْ لَمَمٍ يَخُكُّكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ» و بعده «فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» و بعده «فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» كل ذلك في الكفار خاصة أورده مسلم في الصحيح

و به قال ابن مسعود و أبو صالح و الضحاك و عكرمه و قتاده.

[سوره المائده (٥): آيه ٤٥]

اشاره

وَ كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَ مَنْ لَمَّ يَخُكُّكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٤٥)

القراءه

قرأ الكسائي العين و ما بعده كله بالرفع وقرأ أبو جعفر و ابن كثير و ابن عامر و أبو عمر كلها بالنصب إلا قوله و الجروح قصاص فإنهم قرءوا بالرفع و الباقيون ينصبون جميع ذلك و كلهم ثقل الأذن إلا ناعفا فإنه خففها في كل القرآن.

الحجه

قال أبو علي حجه من نصب «الْعَيْنَ» و ما بعده أنه عطف ذلك كله على أن يجعل الواو للاشتراك في نصب أن و لم يقطع الكلام عما قبله كما فعل ذلك من رفع و أما من رفع بعد النصب فقال أن النفس بالنفس و العين بالعين فإنه يحتمل ثلاثه أوجه (أحدها) أن تكون الواو عاطفه جمله على جمله كما يعطف المفرد على المفرد (و الثاني) أنه حمل الكلام على المعنى لأنه إذا قال «وَ كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ» فمعناه قلنا لهم النفس بالنفس فحمل العين بالعين على هذا كما أنه لما كان المعنى في قوله «يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ» يمنحون كأسا من معين حمل حورا عينا على ذلك كأنه يمنحون كأسا و يمنحون حورا عينا و من ذلك قوله:

بادت و غير آيهن مع البلى

إلا رواكد جمرهن هباء

و مشجج أما سواء قذاله

فبدا و غيب ساره المعزاء

لما كان المعنى فى:

(بادت و غير آيهن إلا رواكد)

بها رواكد حمل مشججا عليه فكأنه قال هناك رواكد و مشجج و مثل هذا فى الحمل على المعنى كثير و أقول إن من هذا القبيل بيت الفرزدق الذى آخره إلا- مسحتا أو مجلف و قد ذكرناه قبل لأنه لما كان المعنى لم يبق من المال إلا مسحت حمل مجلفا عليه و الوجه الثالث أن يكون عطف قوله «وَ الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ» على الذكر المرفوع فى الظرف الذى هو الخبر و إن لم يؤكد المعطوف عليه بالضمير المنفصل كما أكد فى نحو قوله إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَ قَبِيلُهُ أَلَا- ترى أنه قد جاء لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَ لَا آبَاؤُنَا فلم يؤكد بالمنفصل كما أكد فى الآية الأخرى قال فَإِنْ قَلْتِ فَإِنْ لَا فِى قَوْلِهِ وَ لَا آبَاؤُنَا عوض من التأكيد لأن الكلام قد طال كما فى حضر القاضى اليوم امرأه قيل هذا إنما يستقيم أن يكون عوضا إذا وقع قبل حرف العطف فأما إذا وقع بعد حرف العطف فإنه لم يسد ذلك المسد و أما قوله «وَ الْجُرُوحَ قِصَاصٌ» فمن رفعه فإنه يحتمل هذه الوجوه الثلاثة التى ذكرناها و يجوز أن يستأنف الجروح قصاص استئناف إيجاب و ابتداء شريعة لا على أنه مكتوب عليهم فى التوراه و يقوى أنه من المكتوب عليهم فى التوراه نصب من نصب فقال «وَ الْجُرُوحَ قِصَاصٌ» و أما التخفيف فى الأذن فلعله مثل السحت و السحت و قد تقدم القول فى ذلك.

المعنى

ثم بين سبحانه حكم التوراه فى القصاص فقال «وَ كَتَبْنَا» أى فرضنا «عَلَيْهِمْ» أى على اليهود الذين تقدم ذكرهم «فِيهَا» أى فى التوراه «أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ» معناه إذا قتلت نفس نفسا أخرى عمدا فإنه يستحق عليه القود إذا كان القاتل عاقلا- مميزا و كان المقتول مكافئا للقاتل أما بأن يكونا مسلمين حرين أو كافرين أو مملوكين فأما إذا كان القاتل حرا مسلما و المقتول كافرا أو مملوكا ففى وجوب القصاص هناك خلاف بين الفقهاء و عندنا لا يجب القصاص و به قال الشافعى و قال الضحاك لم يجعل فى التوراه دية فى نفس و لا- جرح إنما كان العفو أو القصاص «وَ الْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَ الْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَ الْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَ السِّنَّ بِالسِّنِّ» قال العلماء كل شخصين جرى القصاص بينهما فى النفس جرى القصاص بينهما فى العين و الأنف و الأذن و السن و جميع الأطراف إذا تماثلا فى السلامه من الشلل و إذا امتنع القصاص فى النفس امتنع أيضا فى الأطراف «وَ الْجُرُوحَ قِصَاصٌ» هذا عام فى كل ما يمكن أن يقتص فيه مثل الشفتين و الذكر و الأثنين و اليدين و الرجلين و غيرهما و يقتص الجراحات بمثلها

الموضحه بالموضحه و الهاشمه بالهاشمه و المنقله بالمنقله إلا المأمومه و الجائفه فإنه لا قصاص فيهما و هى التى تبلغ أم الرأس و التى تبلغ الجوف فى البدن لأن فى القصاص فيهما تغرير بالنفس و أما ما لا يمكن القصاص فيه من رضه لحم أو فكه عظم أو جراحه يخاف منها التلف ففيه أروش مقدره و القصاص هنا مصدر يراد به المفعول أى و الجروح متقاصه بعضها ببعض و أحكام الجراحات و تفاصيل الأروش فى الجنائيات كثيره و فروعها جمه موضعها كتب الفقه «فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ» أى بالقصاص الذى وجب له تصدق به على صاحبه بالعفو و أسقطه عنه «فَهُوَ» أى التصدق «كَفَّارَةً لَهُ» أى للمتصدق الذى هو المجروح أو ولى الدم هذا قول أكثر المفسرين و

قيل إن معناه فمن عفا فهو مغفره له عند الله و ثواب عظيم عن ابن عمر و ابن عباس فى روايه عطاء و الحسن و الشعبى و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

قال يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما عفا من جراح أو غيره و

روى عباده بن الصامت أن النبى قال من تصدق من جسده بشىء كفر الله عنه بقدره من ذنوبه

و قيل إن الضمير فى له يعود إلى المتصدق عليه أى كفاره للمتصدق عليه لأنه يقوم مقام أخذ الحق منه عن ابن عباس فى روايه سعيد بن جبير و مجاهد و إبراهيم و زيد بن أسلم و على هذا فإن الجانى إذا عفا عنه المجنى عليه كان العفو كفاره لذنوب الجانى لا يؤخذ به فى الآخره و القول الأول أظهر لأن العائد فيه يرجع إلى مذكور و هو من و فى القول الثانى يعود إلى مدلول عليه و هو المتصدق عليه يدل عليه قوله «فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ» «وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» قيل هم اليهود الذين لم يحكموا بما أنزل الله و قيل هو عام فى كل من حكم بخلاف ما أنزل الله فيكون ظالما لنفسه بارتكاب المعصيه الموجه للعقاب و هذا الوجه يوجب أن يكون ما تقدم ذكره من الأحكام يجب العمل به فى شريعتنا و إن كان مكتوبا فى التوراه.

إشارة

وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَ نُورٌ وَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَ هُدًى وَ مَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٤٦) وَ لِيُحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَ مَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧)

القراءة

قرأ حمزه وحده و ليحكم بكسر اللام و نصب الميم و الباكون «وَلِيُحْكَمْ» بالجزم و سكون اللام على الأمر.

الحجج

حججه حمزه أنه جعل اللام متعلقا بقوله «وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ» فإن معناه و أنزلنا عليه الإنجيل فصار بمنزله أنزلنا عليك الكتاب ليحكم و حججه من قرأ بالجزم أنه بمنزله قوله وَ أَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فكما أمر النبي ص بذلك فكذلك أمروا به بالإنجيل.

اللغة

القفو اتباع الأثر يقال قفاه يقفوه و التففيه الاتباع يقال قففته بكذا أى اتبعته و إنما سميت قافيه الشعر قافيه لأنها تتبع الوزن و الآثار جمع الأثر و هو العلم الذى يظهر للحس و آثار القوم ما أبقوا من أعمالهم و المآثره المكرمه التى يآثرها الخلف عن السلف لأنها علم يظهر فضله للنفس و الأثير الكريم على القوم لأنهم يؤثرونه بالبر و منه الإيثار للاختيار فإنه إظهار فضل أحد العاملين على الآخر و قد مر تفسير الإنجيل فى أول آل عمران و الوعظ و الموعظه هى الزجر عما يكرهه الله إلى ما يحبه و التنبيه عليه.

الإعراب

قوله «بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا» نصب مصدقا على الحال و هدى رفع بالابتداء و فيه خبره قدم عليه و نور عطف على هدى و «مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ» نصب على الحال و ليس بتكرير لأن الأول حال لعيسى و بيان أنه يدعو إلى التصديق بالتوراه و الثانى حال من الإنجيل و بيان أن فيه ذكر التصديق بالتوراه و هما مختلفان و هو عطف على موضع قوله «فِيهِ هُدًى» لأنه نصب على الحال و تقديره آتينا الإنجيل مستقرا فيه هدى و نور مصدقا و هدى فى موضع نصب بالعطف على مصدقا و موعظه عطف على هدى و التقدير و هاديا و واعظا.

المعنى

لما قدم تعالى ذكر اليهود أتبعه بذكر النصارى فقال «وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ» أى و أتبعنا على آثارهم النبيين الذين أسلموا عن أكثر المفسرين و اختاره على بن عيسى و البلخى و قيل معناه على آثار الذين فرضنا عليهم الحكم الذى مضى ذكره عن الجبائى و

الأول أجود في العرييه و أوضح في المعنى «بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ» أى بعثناه رسولا من بعدهم

ص: ٢٤١

«مُصَيِّدًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ» أى لما مضى «مِنَ التَّوْرَةِ» التى أنزلت على موسى صدق بها و آمن بها و إنما قال لما مضى قبله لما بين يديه لأنه إذا كان يأتى بعده خلفه فالذى مضى قبله يكون قدامه و بين يديه «وَ آتِينَاهُ» أى و أعطينا عيسى الكتاب المسمى الإنجيل و المعنى و أنزلنا عليه «الْإِنْجِيلَ فِيهِ» يعنى فى الإنجيل «هُدًى» أى بيان و حجه و دلائل له على الأحكام «وَ نُورٌ» سماه نورا لأنه يهتدى به كما يهتدى بالنور «وَ مُصَيِّدًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ» يعنى الإنجيل يصدق بالتوراه لأن فيه أن التوراه حق و قيل معناه أنه تضمن و جوب العمل بالتوراه و أنه لم تنسخ و قيل معناه أنه أتى على النحو الذى وصف فى التوراه «وَ هُودًى» أى و دلالة و إرشادا و معناه و هاديا و راشدا «وَ مَوْعِظَةً» أى و اعظا «لِلْمُتَّقِينَ» يزرهم عن المعاصى و يدعوهم إلى الطاعة و إنما خص المتقين بالذكر لأنهم اختصوا بالانتفاع به و إلا- فإنه هدى لجميع الخلق «وَ لِيُحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ» هذا أمر لهم و قيل فى معناه قولان (أحدهما) أن تقديره و قلنا ليحكم أهل الإنجيل فيكون على حكاية ما فرض عليهم و حذف القول لدلاله ما قبله عليه من قوله «وَ قَفَيْنَا» كما قال تعالى «وَ الْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ» أى يقولون سلام عليكم (و الثانى) أنه تعالى استأنف أمر أهل الإنجيل على غير الحكاياه لأن أحكامه كانت حينئذ موافقه لأحكام القرآن لم تنسخ بعد عن أبى على الجبائى و القول الأول أقوى و هو اختيار على بن عيسى «بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ» أى فى الإنجيل «وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» قيل إن من هاهنا بمعنى الذى و هو خبر عن قوم معروفين و هم اليهود الذين تقدم ذكرهم عن الجبائى و قيل إن من للجزء أى من لم يحكم من المكلفين بما أنزل الله فهو فاسق لأن هذا الإطلاق يدل على أن المراد من ذهب إلى أن الحكمة فى خلاف ما أمر الله به فلهذا قال فيما قبل «فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ» فيكون معنى الفاسقين الخارجين عن الدين و جعلوا الكفر و الظلم و الفسق صفة لموصوف واحد و قيل أن الأول فى الجاحد و الثانى و الثالث فى المقر التارك.

اشارہ

وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَ مُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهَاجًا وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ لَكِنْ لِنُنَبِّئُكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (۴۸)

اللغة

أصل مهيمن مؤيمن فقلبت الهمزة هاء كما قيل فى أرقت الماء هرقت و قد صرف فقليل هيمن الرجل إذا ارتقب و حفظ و شهد يهيمن هيمنه فهو مهيمن و على هذا فيكون وزنه مفعيل مثل مسيطر و مبيطر و قال الأزهرى كان فى الأصل أيمن يؤيمن كما أن الأصل فى يفعل يؤفعل فعلى هذا يكون على وزن مؤفعل فقلبت الهمزة هاء و روى فى الشواذ مهيمنا بفتح الميم عن مجاهد، و الشرعه و الشريعة واحده و هى الطريقة الظاهره و الشريعة هى الطريقة التى توصل منه إلى الماء الذى فيه الحياه فقليل الشريعة فى الدين للطريق الذى توصل منه إلى الحياه فى النعيم و هى الأمور التى يعبد الله بها من جهه السمع قال الشاعر:

أ تنسوننى يوم الشريعة و القنا

بصفين من لباتكم تتكسر

يريد شريعة الفرات و الأصل فيه الظهور و يقال أشرعت القنا إذا أظهرت و شرعت فى الأمر شروعاً إذا دخلت فيه دخولا ظاهرا و الناس فيه شرع أى متساوون و المنهاج الطريق المستمر يقال طريق نهج و منهج أى بين قال الراجز:

من يك ذا شك فهذا فلج

ماء رواء و طريق نهج

و قال المبرد الشرعه ابتداء الطريق و المنهاج الطريق المستقيم قال و هذه الألفاظ إذا تكررت فلزياده فائده فيه و منه قول الحطيئه:

" و هند أتى من دونها الناي و البعد "

و قال و الناي لما قل بعده و قد جاء بمعنى واحد قال عنتره:

حييت من طلل تقادم عهده

أقوى و أقفر بعد أم الهيثم

و أقوى و أقفر بمعنى يقال نهجت لك الطريق و أنهجته فهو منهوج و نهج الطريق و أنهج

ص: ٢٦٣

إذا وضح و الاستباق يكون بين اثنين فصاعدا يجتهد كل منهم أن يستبق غيره قال تعالى وَ اسْتَبَقَا الْبَابَ يعنى يوسف و صاحبه تبادرا إلى الباب.

الإعراب

مصدقا حال من الكتاب و مهيمنا كذلك و قيل أنه حال من الكاف الذى هو خطاب للنبي ص و الأول أقوى لأجل حرف العطف لأنه قال «وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ» «مُصَدِّقًا» و «مُهَيِّمِنًا» و لا يجوز أن يعطف حال على حال لغير الأول لا تقول ضربت هند زيدا قاعدا و قائمه و لو قلت قائمه بغير واو لجاز و يجوز أن يكون عطفًا على مصدقا و يكون مصدقا حالا للنبي و الأول أظهر.

المعنى

لما بين تعالى نبوه موسى و عيسى عقب ذلك بيان نبوه محمد ص احتجاجا على اليهود و النصارى بأن طريقتهم كطريقتهم فى الوحى و المعجز فقال «وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ» يا محمد «الْكِتَابَ» يعنى القرآن «بِالْحَقِّ» أى بالعدل «مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ» يعنى التوراه و الإنجيل و ما فيهما من توحيد الله و عدله و الدلاله على نبوته و الحكم بالرجم و القود على ما تقدم ذكره و قيل المراد بالكتاب الكتب المنزله على الأنبياء و معنى الكتاب المكتوب كقولهم هذه الدراهم ضرب الأمير أى مضروبه عن أبى مسلم «وَ مُهَيِّمِنًا عَلَيْهِ» معناه و أمينا عليه شاهدا بأنه الحق عن ابن عباس و الحسن و قتاده و مجاهد و قيل مؤتمنا عن سعيد بن جبير و أبى عبيده و ابن جريح و هو قريب من الأول قال ابن جريح أمانه القرآن أن ما أخبر به الكتب أن كان موافقا للقرآن يجب التصديق به و إلا فلا- و قيل معناه و حافظا و رقبيا عليه عن الحسن و أبى عبيده قالوا و فيه دلالة على أن ما حكى الله أنه كتبه عليهم فى التوراه يلزمنا العمل به لأنه جعل القرآن مصدقا لذلك و شاهدا به «فَأَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ» يعنى بين اليهود بالقرآن فى الرجم على الزانين عن ابن عباس قال إذا ترفع أهل الكتاب إلى الحكام يجب أن يحكموا بينهم بحكم القرآن و شريعته الإسلام لأنه أمر من الله بالحكم بينهم و الأمر يقتضى الإيجاب و به قال الحسن و مسروق و قال الجبائى و هذا ناسخ للتخيير فى الحكم بين أهل الكتاب أو الإعراض عنهم و الترك «وَ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ» يريد فيما حرفوا و بدلوا من أمر الرجم عن ابن عباس «عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ» و يجوز أن يكون عن من صله معنى لا تتبع أهواءهم لأن معناه لا تزغ فكأنه قال لا تزغ عما جاءك باتباع أهوائهم و متى قيل كيف يجوز أن يتبع النبي أهواءهم مع كونه معصوما فالجواب أن النبي يجوز أن يرد عما يعلم أنه لا يفعله و يجوز أن يكون الخطاب له و المراد جميع الحكام «لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً

وَ مِنْهَاجاً» الخطاب للأُمم الثلاث أمه موسى و أمه عيسى و أمه محمد و لا يعنى به قوم كل نبى أ لا ترى أن ذكر هؤلاء قد تقدم فى قوله «إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ» الآيه ثم قال وَ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَالَ «أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ» ثم قال «لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً» فغلب المخاطب على الغائب شرعه أى شريعه فالتوراه شريعه و للإنجيل شريعه و للقرآن شريعه عن قتاده و جماعه من المفسرين و فى هذا دلالة على جواز النسخ على أن نبينا كان متعبدا بشريعه فقط و كذلك أمته و قيل الخطاب لأمه نبينا ص عن مجاهد و الأول أقوى لأنه سبحانه بين أن لكل نبى شريعه و منهاجا أى سيلا واضحا غير شريعه صاحبه و طريقته و يقوى ذلك قوله «وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً» و معناه و لو شاء الله لجمعكم على مله واحده فى دعوه جميع الأنبياء لا تبدل شريعه منها و لا تنسخ عن ابن عباس و قيل أراد به مشيئه القدره أى لو شاء الله لجمعكم على الحق كما قال وَ لَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا عن الحسن و قتاده «وَ لَكِنْ لِيُنَبِّئُكُمْ» أى و لكن جعلكم على شرائع مختلفه ليمتحنكم «فى ما آتاكم» أى فيما فرضه عليكم و شرعه لكم و قيل فيما أعطاكم من السنن و الكتاب و قال الحسين بن على المغربى المعنى لو شاء الله لم يبعث إليكم نبيا فتكونون متعبدين بما فى العقل و تكونون أمه واحده و لكن ليختبركم فيما كلفكم من العبادات و هو عالم بما يؤول إليه أمركم «فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ» أى بادروا فوت الحظ بالتقدم فى الخير و قيل معناه بادروا الفوت بالموت أو العجز و بادروا إلى ما أمرتكم به فإنى لا آمركم إلا- بالصالح عن الجبائى و قيل معناه سابقوا الأمم الماضيه إلى الطاعات و الأعمال الصالحه عن الكلبي و فى هذا دلالة على وجوب المبادره إلى أفعال الخيرات و يكون محمولا- على الواجبات و من قال إن الأمر على الندب حمله على جميع الطاعات «إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ» أى مصيركم «جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ» فيخبركم «بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» من أمر دينكم ثم يجازيكم على حسب استحقاقكم.

اشاره

وَ أَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَ اخِذْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصَيِّبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (۴۹) أَمْ فَحْكُمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (۵۰)

القراءة

قرأ ابن عامر وحده تبغون بالتاء و الباقون بالياء و روى في الشواذ قراءه يحيى بن يعمر و إبراهيم النخعي «أ فحكم الجاهليه يبغون» برفع الميم و قراءه الأعمش أ فحكم الجاهليه بفتح الحاء و الكاف و الميم.

الحجج

من قرأ «يَبْغُونَ» بالياء فلائن ما قبله غيبه «وَ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ» و من قرأ بالتاء فعلى تقدير قل لهم يا محمد أ فحكم الجاهليه تبغون و من قرأ أ فحكم الجاهليه فعلى نحو ما جاء في الشعر:

قد أصبحت أم الخيار تدعى

على ذنبا كله لم أصنع

أى لم أصنعه فيكون التقدير أ فحكم الجاهليه يبغونه فحذف العائد من الخبر كما يحذف من الصفه و الحال في قولهم الناس رجلان رجل أكرمت و رجل أهنت أى أكرمته و أهنته و مررت بهند يضرب زيد أى يضربها زيد و قوله «أ فحكم الجاهليه» فيكون بمعنى الشيعاء أى فحكام الجاهليه يبغون و جاز أن يقع المضاف جنسا كما جاء عنهم من قولهم منعت العراق قفيزها و درهمها ثم يرجع المعنى إلى قوله «أَمْ فَحْكُمَ الْجَاهِلِيَّةِ» لأنه ليس المراد هنا نفس الحكم فهو إذا على حذف المضاف و المراد أ فحكم حكم الجاهليه يبغون.

الإعراب

موضع «أَنْ أَحْكُمَ» نصب بالعطف على الكتاب و التقدير أنزلنا إليك الكتاب و أن احكم بينهم بما أنزل الله و وصلت أن بالأمر و إن كان لا يجوز صله الذى بالأمر لأن الذى اسم ناقص تجرى صلتة فى البيان عنه مجرى الصفه فى بيان النكره و لذلك لا بد لها من عائد يعود إليها كما أن الصفه لا بد لها من عائد يعود منها إلى الموصوف و ليس كذلك أن لأنها حرف و هى مع ما بعدها بمنزله شىء واحد فلما كان فى فعل الأمر معنى المصدر جاز وصل الحرف به على معنى مصدره و حكم نصب لأنه مفعول يبغون و حكما نصب على التمييز.

«وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ» إنما كرر سبحانه الأمر بالحكم بينهم لأمرين (أحدهما)

أنهما حكمان أمر بهما جميعاً لأنهم احتكموا إليه في

الزمن المحصن ثم احتكموا إليه في قتييل كان بينهم عن الجبائي و جماعه من المفسرين و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

(و الثانى) أن الأمر الأول مطلق و الثانى يدل على أنه منزل «وَ اخِذْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ» قيل فيه قولان: (أحدهما) أن معناه احذرهم أن يضلوك عن ذلك إلى ما يهوون من الأحكام بأن يطمعوك منهم فى الإجابة إلى الإسلام عن ابن عباس (و الثانى) إن معناه احذرهم أن يضلوك بالكذب على التوراه لأنه ليس كذلك الحكم فيها فإنى قد بينت لك حكمها عن ابن زيد و فى هذه الآيه دلالة على وجوب مجانبه أهل البدع و الضلال و ذوى الأهواء و ترك مخالطتهم «فَإِنْ تَوَلَّوْا» أى فإن أعرضوا عن حكمك بما أنزل الله «فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصَيِّبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ» قيل فى معناه أقوال (أحدها) أن معناه فاعلم يا محمد إنما يريد الله أن يعاقبهم ببعض إجرامهم، ذكر البعض و المراد به الكل كما يذكر العموم و يراد به الخصوص عن الجبائى، (و الثانى) أنه ذكر البعض تغليظا للعقاب و المراد أنه يكفى أن يؤاخذوا ببعض ذنوبهم فى إهلاكهم و التدمير عليهم (و الثالث) أنه أراد تعجيل بعض العقاب بما كان من التمرد فى الأجرام لأن عذاب الدنيا يختص ببعض الذنوب دون بعض و عذاب الآخرة يعم و قيل المراد بذلك إجلاء بنى النضير لأن علماءهم لما كفروا و كتموا الحق عوقبوا بالجلاء عن الحسن و قيل المراد بنو قريظه لما نقضوا العهد يوم الأحزاب عوقبوا بالقتل «وَ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ» هذا تسليه للنبي ص عن امتناع القوم من الإقرار بنبوته و الإسراع إلى إجابته بأن أهل الإيمان قليل و أهل الفسق كثير فلا ينبغى أن يعظم عليك ذلك ثم أنكروا عليهم فعملهم فقال «أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ» و المراد به اليهود عن مجاهد و اختاره الجبائى قال لأنهم كانوا إذا وجب الحكم على ضعفائهم ألزموهم إياه و إذا وجب على أقويائهم و أشرفهم لم يؤاخذوهم به فقليل لهم أ فحكم الجاهلية أى عبده الأوثان تطلبون و أنتم أهل الكتاب و قيل المراد به كل من طلب غير حكم الله فإنه يخرج منه إلى حكم الجاهلية و كفى بذلك أن يحكم بما يوجبه الجهل دون ما يوجبه العلم «وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا» أى لا أحد حكمه أحسن من حكم الله «لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ» أى عند قوم أقيمت اللام مقام عنه عن الجبائى و هذا جائز إذا تقاربت المعانى و ارتفع اللبس فإذا قيل الحكم لهم فلأنهم يستحسنونه و إذا قيل عندهم فلان عندهم العلم بصحته.

إشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (۵۱) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضِيبَهُمْ بِجُحَا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ (۵۲) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأُصِيبُوا خَاسِرِينَ (۵۳)

القراءة

قرأ ابن عامر و ابن كثير و نافع يقول بلا واو و الباقون بالواو و كلهم قرأ بضم اللام إلا أبا عمرو فإنه فتحها.

الحجج

من حذف الواو من قوله «وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا» فلائن في الجملة المعطوفة ذكرنا من المعطوف عليها و ذلك إن من وصف بقوله «يُسَارِعُونَ» إلى قوله «نَادِمِينَ» هم الذين قال فيهم «الَّذِينَ آمَنُوا أ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ» فلما صار في كل واحد من الجملتين ذكر من الأخرى حسن عطفها بالواو و بغير الواو كما أن قوله «سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَ يَقُولُونَ خَمْسَةً سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ» لما كان في كل واحد من الجملتين ذكر مما تقدم اكتفى بذلك عن الواو لأنها بالذکر و ملابسه بعضهما ببعض قد ترتبط إحداهما بالأخرى كما ترتبط بحرف العطف و يدللك على حسن دخول الواو قوله تعالى «وَ ثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ» فحذف الواو من «وَ يَقُولُ» كحذفها في هذه الآيه و إلحاقها كإلحاقها فيها و الوجه في قراءه أبي عمرو و يقول بالنصب أن يحمله على أن تكون «أَنْ يَأْتِيَ» بدلا من اسم الله كما كان أن أذكره بدلا من الهاء في أنسانيه من قوله «وَ مَا أَنْسَانِيَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أذْكَرَهُ» ثم يكون «وَ يَقُولُ» منصوبا عطفا على ذلك فكأنه قال عسى أن يأتي الله بالفتح «وَ يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا» و من رفع فحجته أن يعطف جملة على جملة لا مفردا على مفرد.

الاتخاذ هو الاعتماد على الشئ ء لإعداده لأمره و هو افتعال من الأخذ و أصله اتخاذ فأبدلت الهمزة تاء و أدغمتها فى التاء التى بعدها و مثله الاتعاد من الوعد و الأخذ يكون على وجوه تقول أخذ الكتاب إذا تناوله و أخذ القربان إذا تقبله و أخذه الله من مأمته إذا أهلكه و أصله جواز الشئ ء من جهه إلى جهه من الجهات و الأولياء جمع ولى و هو النصير لأنه يلى بالنصر صاحبه و الدائرة هاهنا الدوله التى تتحول إلى من كانت له عمن فى يده قال حميد الأرقط:

كنت حسبت الخندق المحفورا

يرد عنك القدر المقدورا

و دائرات الدهر أن تدورا

يعنى دول الدهر الدائره من قوم إلى قوم و عسى موضوعه للشك و هى من الله تعالى تفيد الوجوب لأن الكريم إذا أطمع فى خير يفعله فهو بمنزله الوعد به فى تعلق النفس به و رجائها له و لذلك حق لا يضيع و منزله لا تخيب و الفتح القضاء و الفصل و يقال للحاكم الفتح لأنه يفتح الحكم و يفصل به الأمر.

النزول

اختلف فى سبب نزوله و إن كان حكمه عاما لجميع المؤمنين فقال عطيه بن سعد العوفى و الزهرى لما انهزم أهل بدر قال المسلمون لأولياءهم من اليهود آمنوا قبل أن يصيبكم الله بيوم مثل يوم بدر فقال مالك بن ضيف أغركم أن أصبتم رهطا من قريش لا علم لهم بالقتال أما لو أمرونا العزيمه أن نستجمع عليكم لم يكن لكم يدان بقتالنا

فجاء عباده بن الصامت الخزرجى إلى رسول الله (ص) فقال يا رسول الله إن لى أولياء من اليهود كثيرا عددهم قويه أنفسهم شديده شوكتهم و إنى أبرأ إلى الله و رسوله من ولايتهم و لا-مولى لى إلا-الله و رسوله فقال عبد الله بن أبى لكنى لا-أبرأ من ولايه اليهود لأنى أخاف الدوائر و لا بد لى منهم فقال رسول الله (ص) يا أبا الحباب ما نفست به من ولايه اليهود على عباده بن الصامت فهو لك دونه قال إذا أقبل و أنزل الله الآيه

و قال السدى لما كانت وقعه أحد اشتدت على طائفه من الناس فقال رجل من المسلمين أنا ألحق بفلان اليهودى و أخذ منه أمانا و قال آخر أنا ألحق بفلان النصرانى ببعض أرض الشام فأخذ منه أمانا فنزلت الآيه و قال عكرمه نزلت فى أبى لبابه بن عبد المنذر حين قال لبنى قريظه إذا رضوا بحكم سعد أنه الذبح.

لما تقدم ذكر اليهود و النصارى أمر سبحانه عقيب ذلك بقطع موالاتهم و التبرؤ منهم فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصَارَى أَوْلِيَاءَ» أى لا تعتمدوا على الاستنصار بهم متوددين إليهم و خص اليهود و النصارى بالذكر لأن سائر الكفار بمنزلتها فى وجوب معاداتهم «بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ» ابتداء كلام أخبر سبحانه أن بعض الكفار ولى بعض فى العون و النصره و يدهم واحده على المسلمين و فى هذه دلالة على أن الكفر كله كالملة الواحدة فى أحكام المواريث لعموم قوله «بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ» و

قال الصادق لا تتوارث أهل ملتين و نحن نرثهم و لا يورثوننا

«وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ» أى من استنصر بهم و اتخذهم أنصارا «فَإِنَّهُ مِنْهُمْ» أى هو كافر مثلهم عن ابن عباس و المعنى أنه محكوم له حكمهم فى وجوب لعنه و البراءه منه و أنه من أهل النار «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» إلى طريق الجنه لكفرهم و استحقاقهم العذاب الدائم بل يضلهم عنها إلى طريق النار عن أبى على الجبائى و قيل معناه لا يحكم لهم بحكم المؤمنين فى المدح و الثناء و النصره على الأعداء «فَتَرَى» يا محمد «الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» أى شك و نفاق يعنى عبد الله بن أبى عن ابن عباس «يُسَارِعُونَ فِيهِمْ» أى فى موالاته اليهود و مناصحتهم و قيل فى معاونتهم على المسلمين و قيل موالاته اليهود و نصارى نجران لأنهم كانوا يمironهم عن الكلبي «يَقُولُونَ» أى قائلين و هو فى موضع الحال «نَخْشَى أَنْ تُصَيِّبَنَا دَائِرَةٌ» أى دوله تدور لأعداء المسلمين على المسلمين فنحتاج إلى نصرتهم عن مجاهد و السدى و قتاده و قيل معناه نخشى أن يدور الدهر علينا بمكروه يعنون الجذب فلا يمironنا عن الكلبي «فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنَا بِالْفَتْحِ» يعنى فتح مكه عن السدى و قيل بفتح بلاد المشركين عن الجبائى و قيل المراد بالقضاء الفصل عن قتاده و يجمع هذه الأقوال قول ابن عباس يريد بفتح الله تعالى لمحمد (ص) على جميع خلقه «أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ» فيه إعزاز للمؤمنين و إذلال للمشركين و ظهور الإسلام عن السدى و قيل هو إظهار نفاق المنافقين مع الأمر بقتالهم عن الحسن و الزجاج و قيل هو أمر دون الفتح الأعظم أو موت هذا المنافق عن الجبائى و قيل هو القتل و سبى الذرارى لبنى قريظه و الإجلال لبنى النضير عن مقاتل و هذا معنى قول ابن عباس «أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ» يريد فيه هلاكهم و هو يحتمل هلاك اليهود و هلاك المنافقين «فَيُصِيبُحُوا عَلَى مَا أَسِيرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ» أى فيصبح أهل النفاق على ما كان منهم من نفاقهم و ولايتهم لليهود

و دس الأخبار إليهم نادمين عن ابن عباس و قتاده و المعنى إذا فتح الله على المؤمنين ندم المنافقون و الكفار على تفويتهم أنفسهم ذلك و كذلك إذا ماتوا و تحققوا دخول النار ندموا على ما فعلوه فى الدنيا من الكفر و النفاق «و يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا الله و رسوله ظاهرا و باطنا تعجبا من نفاق المنافقين و اجترائهم على الله بالآيمان الكاذبه «أ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ» يعنى المنافقين حلفوا بالله «جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ» انتصب جهد لأنه مصدر أى جهدوا جهد أيمانهم قال عطا أى حلفوا بأغلظ الأيمان و أوكدها أنهم مؤمنون و معكم فى معاونتكم على أعدائكم و نصرتكم يريد أنهم حلفوا أنهم لأمثالكم فى الإيمان «حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ» أى ضاعت أعمالهم التى عملوها لأنهم أوقعوها على خلاف الوجه المأمور به و بطل ما أظهوره من الإيمان لأنه لم يوافق باطنهم ظاهرهم فلم يستحقوا به الثواب «فَأَصْبَحُوا» أى صاروا «خَاسِرِينَ» أى خسروا الدنيا و الآخرة أما الدنيا فليسوا من الأنصار و أما الآخرة فقرنهم الله مع الكفار عن ابن عباس و قيل مغبونين بأنفسهم و منازلهم فى الجنة إذا صاروا إلى النار و ورثها المؤمنون عن الكلبي.

[سوره المائده (٥): آيه ٥٤]

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَزِيدَ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤)

القراءة

قرأ أبو جعفر و نافع و ابن عامر يرتدد بدالين و الباقون بدال واحده مشدده.

الحج

حجه من أدغم أنه لما أسكن الحرف الأول ليدغمه فى الثانى و كان الثانى ساكنا حرك المدغم فيه لالتقاء الساكنين و هذه لغه بنى تميم و حجه من أظهر أن الحرف المدغم لا يكون إلا ساكنا و المدغم إذا كان ساكنا و المدغم فيه كذلك التقى ساكنان و التقاء الساكنين فى هذا النحو ليس من كلامهم فأظهر الحرف الأول و حركه و أسكن الثانى من

المثلين و هذه لغه أهل الحجاز.

اللغه

الذل بكسر الذال ضد الصعوبه و بضمها ضد العز يقال ذلول بين الذل من قوم أذله و ذليل بين الذل من قوم أذلاء و الأول من اللين و الانقياد و الثانى من الهوان و الاستخفاف و العزه الشده يقال عززت فلانا على أمره أى غلبته عليه و العزاز الأرض الصلبه و عز يعز الشىء إذا لم يقدر عليه و أصل الباب الامتناع.

المعنى

لما بين تعالى حال المنافقين و أنهم يتربصون الدوائر بالمؤمنين و علم أن قوما منهم يرتدون بعد وفاته أعلم أن ذلك كائن و إنهم لا ينالون أمانهم و الله ينصر دينه بقوم لهم صفات مخصوصه تميزوا بها من بين العالمين فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ» أى من يرجع منكم أى من جملتكم إلى الكفر بعد إظهار الإيمان فلن يضر دين الله شيئا فإن الله لا يخلى دينه من أنصار يحمونه «فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ» أى يحبهم الله و يحبون الله «أَذَلَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ» أى رحماء على المؤمنين غلاظ شداد على الكافرين و هو من الذل الذى هو اللين لا من الذل الذى هو الهوان قال ابن عباس تراهم للمؤمنين كالولد لوالده و كالعبد لسيده و هم فى الغلظه على الكافرين كالسبع على فريسته «يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» بالقتال لإعلاء كلمه الله و إعزاز دينه «وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ» فيما يأتون من الجهاد و الطاعات و اختلف فيمن وصف بهذه الأوصاف منهم ف قيل هم أبو بكر و أصحابه الذين قاتلوا أهل الرده عن الحسن و قتاده و الضحاك و قيل هم الأنصار عن السدى و قيل هم أهل اليمن عن مجاهد قال

قال رسول الله أتاكم أهل اليمن هم ألىن قلوبا و أرق أفئده الإيمان يمانى و الحكمه يمانيه

و

قال عياض بن غنم الأشعري لما نزلت هذه الآيه أوما رسول الله إلى أبى موسى الأشعري فقال هم قوم هذا

و قيل أنهم الفرس و

روى أن النبى (ص) سئل عن هذه الآيه ف ضرب بيده على عاتق سلمان فقال هذا و ذووه ثم قال لو كان الدين معلقا بالثريا لتناوله رجال من أبناء فارس

و قيل هم أمير المؤمنين على (عليه السلام) و أصحابه حين قاتل من قاتله من الناكثين و القاسطين و المارقين و روى ذلك عن عمار و حذيفه و ابن عباس و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام)

و يؤيد هذا القول أن النبى وصفه بهذه الصفات المذكوره فى الآيه فقال فيه و قد ندبه لفتح خيبر بعد أن رد عنها حامل الرايه إليه مره بعد أخرى و هو يجبن الناس و يجبنونه

لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرارا غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يده

ثم أعطاه إياه فأما الوصف باللين

ص: ٢٧٢

على أهل الإيمان و الشده على الكفار و الجهاد فى سبيل الله مع أنه لا يخاف فيه لومه لائم فمما لا يمكن أحدا دفع على عن استحقاق ذلك لما ظهر من شدته على أهل الشرك و الكفر و نكايته فيهم و مقاماته المشهوره فى تشييد المله و نصره الدين و الرأفه بالمؤمنين و يؤيد ذلك أيضا إنذار رسول الله (ص) قريشا بقتال على لهم من بعده حيث

جاء سهيل بن عمرو فى جماعه منهم فقالوا له يا محمد إن أرقاءنا لحقوا بك فارددهم علينا فقال رسول الله لتتتهين يا معاشر قريش أو ليعثن الله عليكم رجلا يضربكم على تأويل القرآن كما ضربتكم على تنزيله فقال له بعض أصحابه من هو يا رسول الله أبو بكر قال لا و لكنه خاصف النعل فى الحجره و كان على يخصف نعل رسول الله (ص)

و

روى عن على أنه قال يوم البصره و الله ما قوتل أهل هذه الآيه حتى اليوم

و تلا هذه الآيه و

روى أبو إسحاق الثعلبى فى تفسيره بالإسناد عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريره أن رسول الله قال يرد على قوم من أصحابى يوم القيامة فيجلون عن الحوض فأقول يا رب أصحابى أصحابى فيقال إنك لا علم لك بما أحدثوا من بعدك أنهم ارتدوا على أديبارهم القهقرى

و قيل أن الآيه عامه فى كل من استجمع هذه الخصال إلى يوم القيامة و ذكر على بن إبراهيم بن هاشم أنها نزلت فى مهدي الأمه و أصحابه و أولها خطاب لمن ظلم آل محمد و قتلهم و غصبهم حقهم و يمكن أن ينصر هذا القول بأن قوله تعالى «فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ» يوجب أن يكون ذلك القوم غير موجودين فى وقت نزول الخطاب فهو يتناول من يكون بعدهم بهذه الصفه إلى قيام الساعه «ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ» أى محبتهم لله و لين جانبهم للمؤمنين و شدتهم على الكافرين بفضل من الله و توفيق و لطف منه و منه من جهته «يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ» أن يعطيه من يعلم أنه محل له «وَ اللَّهُ وَاسِعٌ» أى جواد لا- يخاف نفاذ ما عنده «عَلِيمٌ» بموضع جوده و عطائه فلا يبذله إلا لمن تقتضى الحكمه إعطاءه و قيل معناه واسع الرحمه «عَلِيمٌ» بمن يكون من أهلها.

[سوره المائده (٥): الآيات ٥٥ الى ٥٦]

اشاره

إِنَّمَا وَدَّعْتُمْ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦)

ص: ٢٧٣

الولى هو الذى يلى النصره و المعونه و الولى هو الذى يلى تدبير الأمر يقال فلان ولى المرأه إذا كان يملك تدبير نكاحها و ولى الدم من كان إليه المطالبه بالقيود و السلطان ولى أمر الرعيه و يقال لمن يرشحه لخلافته عليهم بعده ولى عهد المسلمين قال الكميت يمدح عليا:

و نعم ولى الأمر بعد وليه

و منتجع التقوى و نعم المؤدب

و يروى الفتوى و إنما أراد ولى الأمر و القائم بتدبيره قال المبرد فى كتاب العبارة عن صفات الله أصل الولى الذى هو أولى أى أحق و مثله المولى و الركوع هو التواطؤ المخصوص قال الخليل كل شىء ينكب لوجهه فتمس ركبتة الأرض أو لا يمس بعد أن يطأى رأسه فهو راع و أنشد لبيد:

أخبر أخبار القرون التى مضت

أدب كأنى كلما قمت راع

و قال ابن دريد الراعي الذى يكبو على وجهه و منه الركوع فى الصلاة قال الشاعر:

و أفلت حاجب فوق العوالى

على شقا تركع فى الظراب

و قد يوصف الخاضع بأنه راع على سبيل التشبيه و المجاز لما يستعمله من التظامن و التواطؤ و على ذلك قول الشاعر:

لا تهين الفقير علك أن

تركع يوما و الدهر قد رفعه

و الحزب الطائفة و الجماعه و أصله من قولهم حزبه الأمر يحزبه إذا نابته و كل قوم تشابهت قلوبهم و أعمالهم فهم أحزاب و تحزب القوم إذا اجتمعوا و حمار حزابه مجتمع الخلق غليظ.

الإعراب

لفظه إنما مخصصه لما أثبت بعده نافية لما لم يثبت يقول القائل لغيره إنما لك عندى درهم فيكون مثل أن يقول أنه ليس لك عندى إلا درهم و قالوا إنما السخاء حاتم يريدون نفى السخاء عن غيره و التقدير إنما السخاء سخاء حاتم فحذف المضاف و المفهوم من قول القائل إنما أكلت رغيفا و إنما لقيت اليوم زيدا نفى أكل أكثر من رغيف

و نفى لقاء غير زيد و قال الأعشى:

و لست بالأكثر منهم حصى

و إنما العزه للكاثر

أراد نفى العزه عن ليس بكاثر و قوله «وَهُمْ رَاكِعُونَ» جملة فى موضع النصب على الحال من يؤتون أى يؤتون الزكاه راكعين كما يقال الجواد من وجود بماله و هو ضاحك و موضع من رفع بالابتداء و فى يتول ضمير يعود إلى من و هو مجزوم بالشرط و موضع الفاء مع ما بعده جزم لما فى ذلك من معنى الجزاء لأن تقديره فهو غالب و فى من معنى إن فلهذا جزم الفعل المضارع و معنى هذا الحرف الذى فى من مع الشرط و الجزاء فى موضع رفع بكونه خبر المبتدأ.

النزول

حدثنا السيد أبو الحمد مهدي بن نزار الحسنى القائى قال حدثنا الحاكم أبو القاسم الحسكاني (ره) قال حدثنى أبو الحسن محمد بن القاسم الفقيه الصيدلانى قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد الشعرانى قال حدثنا أبو على أحمد بن على بن رزين البياشاني قال حدثنى المظفر بن الحسين الأنصارى قال حدثنا السدى بن على الوراق قال حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني عن قيس بن الربيع عن الأعمش عن عبايه بن ربيعى قال بينا عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول قال رسول الله (ص) إذ أقبل رجل متعمم بعمامة فجعل ابن عباس لا يقول قال رسول الله ألا قال الرجل قال رسول الله فقال ابن عباس سألتك بالله من أنت فكشف العمامة عن وجهه و قال يا أيها الناس من عرفنى فقد عرفنى و من لم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى أنا جندب بن جنادة البدرى أبو ذر الغفارى سمعت رسول الله (ص) بهاتين و إلا- فصمتا و رأيت بهاتين و إلا- فعميتا يقول على قائد البرره و قاتل الكفره منصور من نصره مخذول من خذله أما إنى صليت مع رسول الله (ص) يوما من الأيام صلاة الظهر فسأل سائل فى المسجد فلم يعطه أحد شيئا فرفع السائل يده إلى السماء و قال اللهم اشهد أنى سألت فى مسجد رسول الله فلم يعطنى أحد شيئا و كان على راكعا فأوماً بخنصره اليمنى إليه و كان يتختم فيها فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره و ذلك بعين رسول الله (ص) فلما فرغ النبى (ص) من صلاته رفع رأسه إلى السماء و قال اللهم إن أخى موسى سألك فقال رَبِّ اشْرَحْ لى صَدْرى وَ يَسِّرْ لى أَمْرى وَ اخْلُصْ لى عَمْدَهُ مِنْ لِسَانى يَفْقَهُوا قَوْلى وَ اجْعَلْ لى وَزيراً مِنْ أَهْلِى هَارُونَ أَخى اشْدُدْ به أَرْزى وَ أَسْرِكْهُ فى أَمْرِى فَأَنْزَلت عليه قرآنا ناطقا «سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَ نَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا» اللهم و أنا

ص: ٢٧٥

محمد نبيك و صفيك اللهم فاشرح لي صدري و يسر لي أمري و اجعل لي وزيراً من أهلي علياً اشدد به ظهري قال أبو ذر فو
الله ما استتم رسول الله الكلمة حتى نزل عليه جبرائيل من عند الله فقال يا محمد اقرأ قال و ما اقرأ قال اقرأ «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ
رَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا» الآية

و روى هذا الخبر أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره بهذا الإسناد بعينه و روى أبو بكر الرازي في كتاب أحكام القرآن على ما حكاه
المغربي عنه و الرماني و الطبري

أنها نزلت في علي حين تصدق بخاتمه و هو راع و هو قول مجاهد و السدي و المروى عن أبي جعفر (عليه السلام) و أبي عبد
الله (عليه السلام)

و جميع علماء أهل البيت و قال الكلبي نزلت في عبد الله بن سلام و أصحابه لما أسلموا فقطعت اليهود موالاتهم فنزلت الآية و
في روايه عطا قال عبد الله بن سلام يا رسول الله أنا رأيت علياً تصدق بخاتمه و هو راع فنحن نتولاه

و قد رواه لنا السيد أبو الحمد عن أبي القاسم الحسكاني بالإسناد المتصل المرفوع إلى أبي صالح عن ابن عباس قال أقبل عبد الله
بن سلام و معه نفر من قومه ممن قد آمنوا بالنبي (ص) فقالوا يا رسول الله إن منازلنا بعيده و ليس لنا مجلس و لا متحدث دون
هذا المجلس و إن قومنا لما رأونا آمنا بالله و رسوله و صدقناه رفضونا و آلوا على نفوسهم أن لا يجالسونا و لا يناكحونا و لا
يكلمونا فشق ذلك علينا فقال لهم النبي (ص) «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ» الآية ثم أن النبي خرج إلى المسجد و الناس بين قائم و
راوع فبصر بسائل فقال النبي هل أعطاك أحد شيئاً فقال نعم خاتم من فضه فقال النبي (ص) من أعطاكه قال ذلك القائم و أوماً
بيده إلى علي فقال النبي (ص) على أي حال أعطاك قال أعطاني و هو راع فكبر النبي ثم قرأ «وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ
آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ»

فأنشأ حسان بن ثابت يقول في ذلك:

أبا حسن تفديك نفسي و مهجتي

و كل بطيء في الهدى و مسارع

أ يذهب مدحيك المحبر ضائعا

و ما المدح في جنب الإله بضائع

فأنت الذي أعطيت إذ كنت راعا

زكاه فدتك النفس يا خير راع

فأنزل فيك الله خير ولايه

و ثبتها مثنى كتاب الشرائع

و فى حديث إبراهيم بن الحكم بن ظهير أن عبد الله بن سلام أتى رسول الله مع رهط من قومه يشكون إلى رسول الله ما لقوا من قومهم فبينما هم يشكون إذ نزلت هذه الآية و أذن

ص: ٢٧٦

بلال فخرج رسول الله (ص) إلى المسجد و إذا مسكين يسأل فقال (عليه السلام) ما ذا أعطيت قال خاتم من فضه قال من أعطاكه قال ذلك القائم فإذا هو على قال على أى حال أعطاكه قال أعطانى و هو راع فكبّر رسول الله و قال «وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» الآية.

المعنى

ثم بين تعالى من له الولاية على الخلق و القيام بأمرهم و تجب طاعته عليهم فقال «إِنَّمَا وَئِيكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ» أى الذى يتولى مصالحكم و يتحقق تدبيركم هو الله تعالى و رسوله يفعله بأمر الله «وَ الَّذِينَ آمَنُوا» ثم وصف الذين آمنوا فقال «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ» بشرائها «وَ يُؤْتُونَ» أى و يعطون «الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ» أى فى حال الركوع و هذه الآية من أوضح الدلائل على صحته إمامه على بعد النبى بلا فصل و الوجه فيه أنه إذا ثبت أن لفظه «وَئِيكُمُ» تفيد من هو أولى بتدبير أموركم و يجب طاعته عليكم و ثبت أن المراد ب «الَّذِينَ آمَنُوا» على ثبت النص عليه بالإمامه و وضح و الذى يدل على الأول هو الرجوع إلى اللغة فمن تأملها علم أن القوم نصوا على ذلك و قد ذكرنا قول أهل اللغة فيه قبل فلا وجه لإعادته ثم الذى يدل على أنها فى الآية تفيد ذلك دون غيره أن لفظه إنما على ما تقدم ذكره تقتضى التخصيص و نفى الحكم عن عدا المذكور كما يقولون إنما الفصاحه للجاهليه يعنون نفى الفصاحه عن غيرهم و إذا تقرر هذا لم يجز حمل لفظه الولى على الموالاه فى الدين و المحبه لأنه لا تخصيص فى هذا المعنى لمؤمن دون مؤمن آخر و المؤمنون كلهم مشتركون فى هذا المعنى كما قال سبحانه «وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ» و إذا لم يجز حمله على ذلك لم يبق إلا- الوجه الآخر و هو التحقق بالأمر و ما يقتضى فرض الطاعه على الجمهور لأنه لا- محتمل للفظه إلا- الوجهان فإذا بطل أحدهما ثبت الآخر و الذى يدل على أن المعنى ب «الَّذِينَ آمَنُوا» هو على الروايه الوارده من طريق العامه و الخاصه بنزول الآية فيه لما تصدق بخاتمه فى حال الركوع و قد تقدم ذكرها و أيضا فإن كل من قال أن المراد بلفظه ولى ما يرجع إلى فرض الطاعه و الإمامه ذهب إلى أنه هو المقصود بالآيه و المتفرد بمعناها و لا أحد من الأمه يذهب إلى أن هذه اللفظه تقتضى ما ذكرناه و يذهب إلى أن المعنى بها سواه و ليس لأحد أن يقول أن لفظ «الَّذِينَ آمَنُوا» لفظ جمع فلا- يجوز أن يتوجه إليه على الانفراد و ذلك أن أهل اللغة قد يعبرون بلفظ الجمع عن الواحد على سبيل التفضيم و التعظيم و ذلك أشهر فى كلامهم من أن يحتاج إلى الاستدلال عليه و ليس لهم أن يقولوا أن المراد بقوله «وَ هُمْ رَاكِعُونَ» أن هذه شيمتهم و عاداتهم و لا يكون حالا لإيتاء الزكاه و ذلك لأن قوله

«يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ» قد دخل فيه الركوع فلو لم يحمل قوله «وَهُمْ رَاكِعُونَ» على أنه حال من يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ و حملناه على من صفتهم الركوع كان ذلك كالتكرار غير المفيد والتأويل المفيد أولى من البعيد الذي لا يفيد و وجه آخر في الدلالة على أن الولاية في الآيه مختصه أنه سبحانه قال «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ» فخاطب جميع المؤمنين و دخل في الخطاب النبي ص و غيره ثم قال «وَرَسُولُهُ» فأخرج النبي ص من جملتهم لكونهم مضافين إلى ولايته ثم قال «وَالَّذِينَ آمَنُوا» فوجب أن يكون الذي خوطب بالآيه غير الذي جعلت له الولاية و إلا- أدى إلى أن يكون المضاف هو المضاف إليه بعينه و إلى أن يكون كل واحد من المؤمنين ولي نفسه و ذلك محال و استيفاء الكلام في هذا الباب يطول به الكتاب فمن أراد فليطلبه من مظانه قال الواحدى و استدل أهل العلم بهذه الآيه على أن العمل القليل لا- يقطع الصلاة و إن دفع الزكاه إلى السائل فى الصلاة جائز مع نيه الزكاه «وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ بِالْقِيَامِ بطاعته «وَرَسُولَهُ» باتباع أمره «وَالَّذِينَ آمَنُوا» بالموالاه و النصره «فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ» أى جند الله عن الحسن و قيل أنصار الله «هُمْ الْغَالِبُونَ» الظاهرون على أعدائهم الظافرون بهم.

[سوره المائده (٥): آيه ٥٧]

اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (٥٧)

القراءة

قرأ أهل البصره و الكسائى و الكفار بالجر و قرأ الباقون بالنصب.

الحجه

حجه من قرأ بالجر أنه حمل الكلام على أقرب العاملين و هو عامل الجر و حجه من نصب أنه عطف على العامل الناصب فكأنه قال لا تتخذوا الكفار أولياء قال الزجاج يجوز فى «هُزُؤًا» أربعة أوجه إن شئت قلت هزؤا بضم الزاى و تحقيق الهمزه و هو الأصل و الأ-جود و إن شئت قلت هزوا و أبدلت من الهمزه واوا لانضمام ما قبلها و إن شئت قلت هزؤا ياسكان الزاى و تحقيق الهمزه فهذه الأوجه الثلاثه جيده يقرأ بهن و فيها وجه آخر لا يجوز القراءه به و هو أن يقول هزا مثل هدى و ذلك أنه يجوز إذا أردت تخفيف همزه هزءا أن تطرح

حركتها إلى الزاى كما تقول رأيت خبأ تريد خباء.

اللغة

الهزء السخريه و هو إظهار ما يلهى تعجبا مما يجرى قال الله تعالى «وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ» وقال الشاعر:

ألا هزئت و أعجبها المشيب

فلا نكر لديك و لا عجيب

يقال هزأ به هزأ و تهزأ و استهزأ و اللعب الأخذ على غير طريق الحق و مثله العبث و أصله من لعب الصبى يقال لعب يلعب إذا سأل لعبه لأنه يخرج إلى غير جهته فلذلك اللعاب يمر إلى غير جهه الصواب.

النزول

قيل كان رفاعه بن زيد بن التابوت و سويد بن الحرث قد أظهر الإسلام ثم نافقا و كان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت الآية عن ابن عباس.

المعنى

ثم أكد سبحانه النهى عن موالاته الكفار فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَ لَعِبًا» أى أظهروا الإيمان باللسان و استبتنوا الكفر فذلك معنى تلاءعبهم بالدين «مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ» يعنى اليهود و النصرارى «وَ الْكُفَّارَ» بالجر أى و من الكفار «أَوْلِيَاءَ» بطانه و أخلاء فيكون الهزء من الكتابى و من المشرك و المنافق و يدل على استهزاء المشركين قوله سبحانه «إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ» و يدل على استهزاء المنافقين قوله «وَ إِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ» و كل من ذكرنا من المشركين و المنافقين و من لم يسلم من اليهود و النصرارى يقع عليه اسم كافر يدل على ذلك قوله «لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ الْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ» فإذا وقع على المستهزئين اسم كافر حسن أن يكون قوله «وَ الْكُفَّارَ» تبيينا للاسم الموصول و هو الذى اتخذوا دينكم هزوا و لعبا كما كان قوله «مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ» تبيينا له و لو قال من الكفار فبين به لعم الجميع و لكن الكفار كان إطلاقه على المشركين أغلب فلذلك فصل بينهما و أما القراءه بالنصب فمعناه لا- تتخذوا المستهزئين من أهل الكتاب و لا تتخذوا الكفار أولياء «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» فى موالاتهم بعد النهى عنها «إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ» بوعده و وعيده أى ليس من صفات المؤمنين موالاته من يطعن فى الدين فمن كان مؤمنا غضب لإيمانه على من طعن فيه و كافأه بما يستحقه من

[سوره المائدہ (۵): آيه ۵۸]

اشاره

وَ إِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَ لَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (۵۸)

اللغه

النداء الدعاء بمد الصوت على طريقه يا فلان و أصله ندى الصوت و هو بعد مذهبه و صحه جرمه و منه قوله أناديك و لا أناجيك أى أعالئك النداء و لا أسر لك النجوى قال أبو ذهيل:

و أبرزتها من بطن مكه بعد ما

أصوات المنادى بالصلاه فأعتما

و أصل الباب الندو و هو الاجتماع يقال ندا القوم يندون ندوا أى اجتمعوا فى النادى و منه دار الندوه و ندى الماء لأنه يجتمع قليلا قليلا و ندى الصوت منه لأنه عن جرم الندى.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن صفه الكفار الذين نهى الله المؤمنين عن موالاتهم فقال «وَ إِذَا نَادَيْتُمْ» أيها المؤمنون «إِلَى الصَّلَاةِ» أى دعوتهم إليها «اتَّخَذُوهَا» أى اتخذوا الصلاه «هُزُوءًا وَ لَعِبًا» و قيل فى معناه قولان (أحدهما) أنهم كانوا إذا أذن المؤذن للصلاه تضاحكوا فيما بينهم و تغامزوا على طريق السخف و المجون تجهيلا- لأهلها و تنفيرا للناس عنها و عن الداعى إليها (و الآخر) أنهم كانوا يرون المنادى إليها بمنزله اللابعب الهازى ء بفعلها جهلا منهم بمنزلتها «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ» و قيل فيه قولان (أحدهما) أنهم لا يعقلون ما لهم فى إجابتهم لو أجابوا إليها من الثواب و ما عليهم فى استهزائهم بها من العقاب (و الثانى) أنهم بمنزله من لا عقل له يمنعه من القبائح و يردعه عن الفواحش قال السدى كان رجل من النصارى بالمدينه فسمع المؤذن ينادى أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمدا رسول الله فقال حرق الكاذب فدخلت خادمه له ليله بنار و هو نائم و أهله فسقطت بشراره فاحترق هو و أهله و احترق البيت.

[سوره المائدہ (۵): آيه ۵۹]

اشاره

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْفَمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَ مَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَ أَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (۵۹)

يقال نقم الأمر ينقم نقما و نقم ينقم إذا أنكره و الأول أكثر قال عبد الله بن قيس الرقيات:

ما نقموا من بنى أميه إلا

أنهم يحلمون إن غضبوا

و سمي العقاب نقمه لأنه يجب على ما ينكر من الفعل.

الإعراب

قوله «أَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ» فى موضع نصب و كذلك قوله «أَنَّ آمَنَّا بِاللَّهِ» و التقدير هل تنقمون منا إلا إيماننا و فسقكم.

النزول

قيل أن نفرا من اليهود أتوا رسول الله ص فسألوه عن من يؤمن به من الرسل فقال أو من بالله و ما أنزل إلى إبراهيم و إسماعيل و إسحاق إلى قوله «و نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» * فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته و قالوا و الله ما نعلم أهل دين قط أخطأ فى الدنيا و الآخرة منكم و لا دينا سرا من دينكم فأنزل الله الآية و ما بعدها.

المعنى

ثم أمر الله سبحانه رسوله بحجاجهم فقال «قُلْ» يا محمد «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا» أى هل تنكرون منا و قيل هل تسخطون منا و قيل هل تكرهون منا و المعانى متقاربه «إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ» فوجدناه و وصفناه بما يليق به من الصفات العلى و زهناه عما لا يجوز عليه فى ذاته و صفاته «وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا» من القرآن «وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ» على الأنبياء «وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ» قال الزجاج معناه هل تكرهون إلا- إيماننا و فسقكم أى إنما كرهتم إيماننا و أنتم تعلمون أنا على الحق لأنكم فسقتم بأن أقمتم على دينكم لمحبتكم الرئاسة و كسبكم بها الأموال و هذا معنى قول الحسن لفسقكم نقمتم علينا قال بعض أهل التحقيق فعلى هذا يجب أن يكون موضع أن فى قوله «وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ» نصبا بإضمار اللام على تأويل و لأن أكثركم فسقون و قيل لما ذكر تعالى ما نقمه اليهود عليهم من الإيمان بجميع الرسل و ليس هو مما ينقم ذكر فى مقابلته فسقهم و هو مما ينقم و مثل هذا يحسن فى الازدواج يقول القائل هل تنقم منى إلا أنى عفيف و أنك فاجر و إلا أنى غنى و أنك فقير فيحسن ذلك لإتمام المعنى بالمقابلة و معنى «فاسِقُونَ» خارجون عن أمر الله طلبا للرئاسة و حسدا على منزله النبوه و المراد بالأكثر من لم يؤمن منهم لأن قليلا من أهل الكتاب آمن و قيل فى قوله «وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ» قول آخر ذكره أبو على الجرجانى

صاحب النظم قال يجعله منظوما بقوله «آمَنَّا بِاللَّهِ» على تأويل آمنا بالله و بأن أكثركم فاسقون فيكون موضع أن جر بالباء و هذا وجه حسن.

[سوره المائده (٥): آيه ٦٠]

اشاره

قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مُتُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ وَ جَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَ الْخَنَازِيرَ وَ عَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَ أَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (٦٠)

القراءه

قرأ حمزه وحده و عبد الطاغوت بضم الباء و جر التاء و الباقون «وَ عَبَدَ الطَّاغُوتَ» بفتح الباء و نصب التاء و روى فى الشواذ قراءه الحسن و ابن هرمز مثوبه ساكنه التاء مفتوحه الواو و كذلك فى سوره البقره لمثوبه و قرأ ابن عباس و ابن مسعود و إبراهيم النخعى و الأعمش و أبان بن تغلب و عبد الطاغوت بضم العين و الباء و فتح الدال و خفض الطاغوت و قرأ أبى بن كعب عبدوا الطاغوت و روايه عكرمه عن ابن عباس و عبد الطاغوت بتشديد الباء و فتح الدال و قراءه أبى واقد و عباد الطاغوت و قراءه أبى جعفر الرؤاسى النحوى و عبد الطاغوت كقولك ضرب زيد لم يسم فاعله و قراءه عون العقبلى و ابن بريد و عابد الطاغوت و روايه علقمه عن ابن مسعود و عبد الطاغوت على وزن صرد فهذه عشر قراءات اثنتان منها فى السبعه.

الحجه

قال أبو على حجه حمزه فى قراءه و عبد الطاغوت أن يحمله على ما عمل فيه جعل كأنه و جعل منهم عبد الطاغوت و معنى جعل خلق كقوله «وَ جَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَ النُّورَ وَ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا» و ليس عبد لفظ جمع لأنه ليس من أبنيه الجموع شىء على هذا البناء و لكنه واحد يراد به الكثيره ألا- ترى أن فى الأسماء المفرده المضافه إلى المعارف ما لفظه لفظ الإفراد و معناه الجمع كما فى قوله «وَ إِنْ تَعِيدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا» و لأن بنا فعل يراد به المبالغه و الكثيره نحو يقظ و ندس فكان تقديره أنه قد ذهب فى عباد الطاغوت كل مذهب و تكرر ذلك منه و أما من فتح فقال «وَ عَبَدَ الطَّاغُوتَ» فإنه عطفه على بناء الماضى الذى فى الصله و هو قوله «لَعَنَهُ اللَّهُ» و أفرد الضمير فى عبد و إن كان المعنى فيه الكثيره لأن الكلام محمول على لفظه دون معناه و فاعله ضمير من كما أن فاعل الأمثله المعطوفه عليه ضمير من فأفرد لحمل ذلك جميعا على اللفظ و لو حمل الكل على المعنى أو البعض على اللفظ

و البعض على المعنى لكان مستقيماً و أما الوجه في «مَثُوبَةً» فإنه قد خرج على الأصل شاذاً قال أبو الفتح و مثله ما يحكى عنهم الفكاهه مقوده إلى الأذى و قياسهما مثابه و مقاده و مثله مزيد و قياسه مزاد إلا أن مزيداً علم و الأعلام قد يحتمل فيها ما يكره من الأجناس نحو محبب و مكوزه و مريم و مدين و رجاء بن حيوه و مثوبه مفعله و نظيرها المبطخه و المشرقه و أصل مثوبه مثوبه فنقلت الضمه من الواو إلى الثاء و مثلها معونه و قيل هي مفعوله مثل مقوله و مضافه على معنى المصدر قال الشاعر:

و كنت إذا جرى دعا لمضوفه

أشمر حتى ينصف الساق مثرى

قال و أما قوله عبد الطاغوت فهو جمع عبد و أنشد:

انصب العبد إلى آبائه

أسود الجلد و من قوم عبد

هكذا قال أبو الحسن و قال أحمد بن يحيى عبد جمع عابد كبازل و بزل و شارف و شرف و كذلك عبد جمع عابد و مثله عباد و عباد و يجوز أن يكون عباد جمع عبد و أما عبد الطاغوت و عبدوا الطاغوت فظاهر و أما عابد الطاغوت فهو واحد في معنى جماعه و كذلك و عبد الطاغوت لأنه كحطم و لبد كما أن عبد كحذر و فطن و وظف و عجز.

الإعراب

مثوبه نصب على التمييز كذلك هو خيرٌ ثواباً، موضع من يحتمل ثلاثه أوجه من الإعراب (أحدها) الجر على البدل و التقرير هل أنبئكم بمن لعنه الله و الثاني الرفع على خبر المبتدأ المحذوف أى هم من لعنه الله و الثالث النصب على البدل من موضع الجار و المجرور و التقدير أنبئكم أى هل أخبركم على من لعنه الله مكانا على التمييز.

المعنى

ثم أمر سبحانه نبيه ص أن يخاطبهم فقال «قُلْ» يا محمد لهؤلاء المستهزئين من الكفار و اليهود «هَلْ أُنبئُكُمْ» أى هل أخبركم «بِشَرِّ مَنْ ذَلِكُمْ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ» أى بشر مما نقتم من إيماننا ثواباً أى جزاء المعنى إن كان ذلك عندكم شراً فأنا أخبركم بشر منه عاقبه عند الله و قيل معناه هل أخبركم بشر من الذين طعنتم عليهم من المسلمين و إنما قال «بِشَرِّ مَنْ ذَلِكُمْ» و إن لم يكن فى المؤمنين شر على الإنصاف فى المخاطبه و المظاهره فى الحجاج كقوله «إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» «مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ»

ص: ٢٨٣

أى أبعده من رحمته «وَعَضِبَ عَلَيْهِ» بفسقه و كفره و غضبه عليه أراد به العقوبه و الاستخفاف به و قيل غضبه أن ضرب عليهم الذله و المسكنه و الجزيه أينما كانوا من الأرض «وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَ الْخَنَازِيرَ» أى مسخهم قرده و خنازير قال المفسرون يعنى بالقرده أصحاب السبت و بالخنازير كفار مائده عيسى و روى الوالى عن ابن عباس أن الممسوخين من أصحاب السبت لأن شبانهم مسخوا قرده و شيوخهم مسخوا خنازير «وَعَيْدَ الطَّاغُوتِ» قال الزجاج هو نسق على لعنه الله و من عبد الطاغوت و قال الفراء تأويله و جعل منهم القرده و من عبد الطاغوت فعلى هذا يكون الموصول محذوفاً و ذلك لا يجوز عند البصريين فالصحيح الأول و الطاغوت هنا الشيطان عن ابن عباس و الحسن لأنهم أطاعوه طاعه المعبود و قيل هو العجل الذى عبده اليهود عن الجبائى لأن الكلام كله فى صفتهم و لا تعلق فى هذه الآيه للمجبره لأن أكثر ما تضمنته الأخبار بأنه خلق من يعبد الطاغوت على قراءه حمزه أو غيره ممن قرأ عبادا أو عبداً و غير ذلك و لا شبهه فى أنه تعالى خلق الكافر و أنه لا خالق للكافر سواه غير أن ذلك لا يوجب أن يكون خلق كفره و جعله كافرا و ليس لهم أن يقولوا أنا نستفيد من قوله و جعل منهم من عبد الطاغوت أو عبد الطاغوت أنه خلق ما به كان عبداً كما نستفيد من قوله «وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَ الْخَنَازِيرَ» أنه جعل ما به كانوا كذلك و ذلك أنا إنما استفدنا ما ذكره لأن الدليل قد دل على أن ما به يكون القرد قردا و الخنزير خنزيرا لا يكون إلا من فعل الله و ليس كذلك ما به يكون الكافر كافرا فإنه قد دل الدليل على أنه يتعالى عن فعله و خلقه فافترق الأمران «أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا» أى هؤلاء الذين وصفهم الله بأنه لعنهم و غضب عليهم و أنهم عبدوا الطاغوت شر مكانا لأن مكانهم سقر و لا شر فى مكان المؤمنين و مثله أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا و قيل معناه أنهم شر مكانا فى عاجل الدنيا و آجل الآخرة ممن نعمتم من المؤمنين أما فى الدنيا فبالقتل و السبى و ضرب الذله و المسكنه عليهم و إزام الجزيه و أما فى الآخرة فبعذاب الأبد «وَ أَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ» أى أجوز عن الطريق المستقيم و أبعده من النجاه قال المفسرون فلما نزلت هذه الآيه عبر المسلمون أهل الكتاب و قالوا يا إخوان القرده و الخنازير فنكسوا رءوسهم و افتضحوا.

إشاره

وَ إِذَا جَاؤْكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَ قَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَ هُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ (٦١) وَ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ وَ أَكَلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٢) لَوْ لَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّائِيُّونَ وَ الْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَ أَكَلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (٦٣)

اللغه

الفرق بين الإثم و العدوان أن الإثم الجرم كائنا ما كان و العدوان الظلم و قد مر معنى السحت قبل و الصنع و العمل واحد و قيل الفرق بينهما أن الصنع مضمن بالجوده من قولهم ثوب صنيع و فلان صنيعه فلان إذا استخلصه على غيره و صنع الله لفلان أى أحسن إليه و كل ذلك كالفعل الجيد.

الإعراب

قد تدخل فى الكلام على وجهين إذا كانت مع الماضى قريبه من الحال و إذا كانت مع المستقبل دلت على التقليل و موضع الباء من قوله «وَ قَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَ هُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ» نصب على الحال لأن المعنى دخلوا كافرين و خرجوا كافرين لأنه لا يريد أنهم دخلوا يحملون شيئاً و هو كقولك خرج زيد بثيابه أى و ثيابه عليه يريد خرج لابسا ثيابه و مثله قول الشاعر:

و مستنه كاستنان الخروف

قد قطع الحبل بالمرود

أى و فيه المرود يعنى و هذه صفته و الفرق بين قولك متى جاء وكم و إذا جاء وكم إن متى يتضمن معنى إن الجزاء و يعمل فيه جاء وكم و لا يجوز أن يعمل فى إذا لأن إذا مضاف إلى ما بعده و المضاف إليه لا يعمل فى المضاف لأنه من تمامه لبس اللام فيه لام القسم و لا يجوز أن يكون لام الابتداء لأنها لا تدخل على الفعل إلا فى باب إن خاصة لأنها أخرت إلى الخبر لئلا يجتمع حرفان متفقان فى المعنى و قوله «لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» بدل على أن المدح و الذم يكونان بالأفعال لأنه بمنزله لبس العمل عملهم و ما يحتمل أمرين (أحدهما) أن تكون كافه كما تكون فى إنما زيد منطلق و ليتما عمرو قائم فلا يكون لها على هذا موضع (الثانى) أن يكون نكره موصوفه كأنه قيل لبس شيئاً كانوا يعملون و لو لا هاهنا بمعنى هلا قال على بن

عيسى و أصلها التقرير لوجوب الشىء عن الأول فنقلت إلى التحضيض على فعل الثانى من أجل الأول و إن لم يذكر لا و لا بد معها من لا لأنه دخلها معنى لم لا تفعل و متى قيل كيف تدخل لو لا على الماضى و هى للتحضيض و فى التحضيض معنى الأمر قيل لأنها تدخل للتحضيض و التويخ فإذا كانت مع الماضى فهو تويخ كقوله تعالى لَوْ لَا جَاؤُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ.

المعنى

ثم أخبر الله تعالى عن هؤلاء المنافقين بقوله «وَ إِذَا جَاؤُكُمْ» أيها المؤمنون «قَالُوا آمَنَّا» أى صدقنا «وَ قَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَ هُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ» قيل فيه قولان (أحدهما) أنهم دخلوا به على النبى ص و خرجوا به من عنده أى دخلوا و خرجوا كافرين و الكفر معهم فى كلتا حالتهم عن الحسن و قتاده (و الثانى) أن معناه و قد دخلوا به فى أحوالهم و خرجوا به إلى أحوال آخر كقولك هو يتقلب فى الكفر و يتصرف فيه و قوله و هم قد خرجوا به أكد الكلام بالضمير تعيينا إياهم بالكفر و تميزا لهم من غيرهم بهذه الصفة «وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ» معناه بما كانوا يكتُمون من نفاقهم إذا أظهروا بألسنتهم ما أضمروا خلافه فى قلوبهم ثم بين الله سبحانه أنهم يضمون إلى نفاقهم خصالا- آخر ذميمة فقال «وَ تَرَى» يا محمد «كَثِيرًا مِنْهُمْ» قيل المراد بالكثير رؤسائهم و علماءهم «يُسَارِعُونَ» يبادرون «فِي الْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ» قيل الإثم الكفر عن السدى و العدوان مجاوزة حدود الله و تعديها و قيل الإثم كل معصية و هو الأولى و العدوان الظلم أى يسارعون فى ظلم الناس و فى الجرم الذى يعود عليهم بالوبال و الخسران «وَ أَكَلِهِمْ الشُّحَّتَ» أى الرشوة فى الحكم عن الحسن و سماها سحتا لأنه يؤدى إلى الاستئصال و يقال لأنها تذهب بالبركة من المال قال أهل المعانى أكثر ما تستعمل المسارعة فى الخير كقوله تعالى «يُسَارِعُونَ» و فائده لفظه المسارعة و إن كان لفظ العجلة أدل على الذم أنهم يعملونه كأنهم محقون فيه و لذلك قال ابن عباس فى تفسيره و إنهم يجتءون على الخطأ «لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أى لبئس العمل عملهم «لَوْ لَا يَنْهَاهُمْ» أى هلا ينهاهم و الكناية فى هم تعود إلى الكثير «الرَّبَّائِيُونَ» أى العلماء بالدين الذين من قبل الرب على وجه تغير الاسم كما قالوا روحانى بالنسبة إلى الروح و بحرانى بالنسبة إلى البحر و قال الحسن الربانيون علماء أهل الإنجيل «وَ الْأَخْبَارُ» علماء أهل التوراه و قال غيره كلهم من اليهود لأنه يتصل بذكرهم «عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ» أى عن تحريفهم الكتاب و قيل عن كل ما

قالوه بخلاف الحق «وَأَكْلِهِمُ الشُّحَّتْ» أى الحرام و الرشوه «لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ» أى لبئس الصنع صنعهم حيث اجتمعوا على معصيه الله و أنذر سبحانه علماءهم بترك التكبر عليهم فيما ضيعوا منزلتهم فذم هؤلاء بمثل اللفظه التى ذم بها أولئك و فى هذه الآيه دلالة على أن تارك النهى عن المنكر بمنزله مرتكبه و فيه وجوب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر.

[سوره المائده (٥): آيه ٦٤]

اشاره

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَ لَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَ كُفْرًا وَ أَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَ الْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٦٤)

اللغه

اليد تذكر فى اللغه على خمسه أوجه الجارحه و النعمه و القوه و الملك و تحقيق إضافه الفعل فالنعمه فى قولهم لفلان عندى يد أشكرها أى نعمه قال عدى بن زيد:

و لن أذكر النعمان إلا بصالح

فإن له عندى يديا و أنعما

جمع يدا على يدي كالكليب و العبيد و حسن التكرار لاختلاف اللفظين و اليد للقوه فى نحو قوله تعالى أُولَى الْأَيْدِي وَ الْأَبْصَارِ أى ذوى القوى و العقول و أنشد الأصمعى للغوى:

فاعمد لما تعلقو فما لك بالذى

لا تستطيع من الأمور يدان

يريد ليس لك به قوه و على هذا ما ذكره سيبويه من قولهم لا يدين بها لك و معنى هذه التشبيه المبالغه فى نفى الاقتدار و القوه على الشىء و اليد بمعنى الملك فى نحو قوله الذى بيده عَقْدَةُ النَّكَاحِ أى يملك ذلك و هذه الضيعه فى يد فلان أى فى ملكه و اليد بمعنى التولى للشىء و إضافه الفعل فى نحو قوله تعالى لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِيَّ أى لما توليت خلقه تخصيصا لآدم و تشريفا له بهذا و إن كان جميع المخلوقات هو خلقها لا غير و تقول يدي لك رهن بالوفاء

ص: ٢٨٧

إذا ضمنت له شيئاً و كان معناه اجتهادى و طاقتى و تستعمل أيضا حيث تراد النصره و ذلك مثل ما جاء فى

الحديث و هم يد على من سواهم

أى نصرتهم واحده و كلمتهم مجتمعه على من تشق عصاهم قال أحمد بن يحيى بن تغلب اليد الجماعه و منه

الحديث و هم يد على من سواهم

و قد يستعار اليد للشىء الذى لا يد له تشبيها بمن له اليد قال ابن الأعرابى يد الدهر الدهر كله يقال لا آتية يد الدهر و يد المسند قال ذو الرمه:

أ لا طرقت مى هيوما بذكرها

و أيدى الثريا جنح فى المغارب

و أصل هذه الاستعاره لثعلبه بن صعير فى قوله:

ألقت ذكاء يمينها فى كافر

فجعل للشمس يدا فى المغيب لما أراد أن يصفها بالغروب ثم للبيد فى قوله:

حتى إذا ألقت يدا فى كافر

و أجن عورات الثغور ظلامها

و قد يستعار اليد فى مواضع كثيره يطول ذكرها و لما كان الجواد ينفق باليد و البخيل يمسك باليد عن الإنفاق أضافوا الجود و البخل إلى اليد فقالوا للجواد اليد و بسط البيان فياض الكف و للبخل كز الأصابع مقبوض الكف جعل الأنامل فى أشباه لهذا كثيره معروفه فى أشعارهم و أنكر الزجاج على من ذهب إلى أن معنى اليد فى الآية النعمه بأن قال إن هذا ينقضه قوله «بَلْ يَدَاؤُا مَبْسُوطَاتَانِ» فىكون المعنى بل نعمته مبسوطتان و نعم الله أكثر من أن تحصى قال أبو على الفارسى قوله نعمته مبسوطتان لا يدل على تقليل النعمه و على أن نعمته نعمتان تثنان و لكنه يدل على الكثره و المبالغه فقد جاء التثنيه و يراد به الكثره و المبالغه و تعداد الشىء لا المعنى الذى يشفع الواحد المفرد أ لا ترى إلى قولهم لبيك إنما هو إقامه على طاعتك بعد إقامه و كذلك سعديك إنما هو مساعده بعد مساعده و ليس المراد بذلك طاعتين اثنتين و لا مساعدتين فكذلك المعنى فى الآية أن نعمه متظاهره متتابعه فهذا وجه و إن شئت حملت المثنى على أنه تشبيه جنس لا تشبيه واحد مفرد و يكون أحد جنسى النعمه نعمه الدنيا و الآخر نعمه الآخره أو نعمه الدين فلا يكون التثنيه على هذا مرادا بها اثنتين و قد جاء تشبيه اسم

الجنس فى كلامهم مجيئا واسعا قال الفرزدق:

و كل رفيقى كل رحل و إن هما

تعاطى القنا قوما هما أخوان

فتأويل الرفيقين فى البيت العموم و الإشاعه أ لا ترى أنه لا يجوز أن يكون رفيقان اثنان لكل رحل و بعده فإذا كانوا قد استجازوا تشبيه الجمع الذى بنى للكثرة كقوله:

لأصبح القوم أوبادا و لم يجدوا

عند التفرق فى الهيجا جمالين

و قبله:

سعى عقالا فلم يترك لنا سبدا

فكيف لو قد سعى عمرو عقالين

و قول أبى النجم:

بين رماحى نهشل و عقيل

و نحو ما حكاه سيبويه من قولهم لقاحان سوداوان فإن تجوز تشبيه اسم الجنس أجدر لأنه على لفظ الواحد فالتشبيه فيه أحسن إذ هو أشبه بألفاظ الأفراد.

الإعراب

قال أبو على اعلم أن يدا كلمه نادره و وزنها فعل يدلک على ذلك قولهم أيد و جمعهم له على أفعل كأكلب و أنفس يدل على أنه فعل كما دل آباء و آخاء على أن وزن أب و أخ فعل و اللام منه الياء و هو من باب سلس و قلق لا يعلم لذلك فى الكلام نظير و الذى يدل على ذلك يدیت إليه يدا و لا يعلم فى الواو مثله أ لا ترى أنه لم يجىء مثل دعوت و قد جاء فى الأسماء ذلك و هو قولهم واو و أما قولهم ذهبوا أيادى سبأ إذا أرادوا الافتراق و قول ذى الرمه:

فيا لك من دار تحمل أهلها

أيادى سبأ بعدى و طال احتيالها

و هو فى موضع حال لأنه كقولك ذهبوا متفرقين و إذا كان كذلك لا يصلح إضافتها لأن سبأ معرفه فيكون المضاف إليه معرفه

فإذا كان معرفه وجب أن لا يكون حالا قال و الوجه فيها

ص: ٢٨٩

عندى أن لا يقدر فيها الإضافه و لكن يجعل الاسمان بمنزله اسم واحد كحضر موت فيمن لم يضيف و كان القياس أن يتحرك اللام من أيادى بالفتح فى موضع النصب إلا أنهم أسكنوه و لم يحركوه و شبهوه بالحالتين الأخيرتين و هذا الضرب قد اطرده الإسكان فقالوا معديكرب و قالى و بادى بدا فأسكنوا جميع ذلك.

المعنى

ثم أخبر الله تعالى بعظيم فريتهم فقال «وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ» أى مقبوضه عن العطاء ممسكه عن الرزق فنسبوه إلى البخل عن ابن عباس و قتاده و عكرمه و الضحاك قالوا إن الله كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالا و أخصبهم ناحيه فلما عصوا الله فى محمد ص و كذبوه كف الله عنهم ما بسط عليهم من السعه فقال عند ذلك فنحاص بن عازورا «يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ» و لم يقل إلى عنقه قال أهل المعانى إنما قال فنحاص و لم ينهه الآخرون و رضوا بقوله فأشركهم الله فى ذلك و قيل معناه يد الله مكفوفه عن عذابنا فليس يعذبنا إلا بما يير به قسمه قدر ما عبد آباؤنا العجل عن الحسن و قيل إنه استفهام و تقديره أ يد الله مغلوله عنا حيث قتر المعيشه علينا و قال أبو القاسم البلخى يجوز أن يكون اليهود قالوا قولاً و اعتقدوا مذهبا يؤدى معناه إلى أن الله يبخل فى حال و وجود فى حاله أخرى فحكى عنهم ذلك على وجه التعجيب منهم و التكذيب لهم و يجوز أن يكونوا قالوا ذلك على وجه الهزاء من حيث لم يوسع على النبى و على أصحابه و ليس ينبغى أن يتعجب من قوم يقولون لموسى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ و يتخذون العجل إلها أن يقولوا إن الله يبخل تاره و وجود أخرى و قال الحسين بن على المغربى حدثنى بعض اليهود بمصر أن طائفه منهم قالت ذلك «غَلَّتْ أَيْدِيَهُمْ» قيل فيه أقوال (أحدها) أنه على سبيل الإخبار أى غلت أيديهم فى جهنم عن الحسن و اختاره الجبائى و معناه شددت إلى أعناقهم و تأويله أنهم جوزوا على هذا القول بهذا الجزاء فعلى هذا يكون فى الكلام ضمير الفاء أو الواو و تقديره فغلت أيديهم أو و غلت لأن كلامهم قد تم و استؤنف بعده كلام آخر و من عاداتهم أنهم يحذفون فيما يجرى هذا المجرى و من ذلك قوله و إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَ تَتَّخِذُنَا هُزُؤًا و المراد فقالوا لأن كلام موسى قد تم (و ثانيها) أن يكون القول خرج مخرج الدعاء كما يقال قاتله الله عن أبى مسلم و على هذا فيكون معناه تعليمنا و توفيقنا على الدعاء عليهم كما علمنا الاستثناء فى غير هذا الموضع بقوله لَتَيَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

آمِينَ (و ثالثها) أن معناه جعلوا بخلاء و أزموا البخل فهم أبخل قوم فلا يلقى يهودى أبدا غير لثيم بخيل عن الزجاج «و لُعِنُوا بِمَا قَالُوا» أى أبعدها عن رحمه الله و ثوابه بسبب هذه المقالة و قيل عذبوا فى الدنيا بالجزية و فى الآخرة بالنار عن الحسن ثم رد الله عليهم بصد مقاتلتهم فقال «بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ» أى ليس الأمر على ما وصفوه بل هو جواد فليس لذكر اليد هنا معنى غير إفاده معنى الجود و إنما قال «يَدَاهُ» على التشبيه مبالغه فى معنى الجود و الإنعام لأن ذلك أبلغ فيه من أن يقول بل يده مبسوطة و يمكن أن يكون المراد باليد النعمه و يكون الوجه فى تشبيه النعمه أنه أراد نعم الدنيا و نعم الآخرة لأن الكل و إن كانت نعم الله فمن حيث اختصاص كل منهما بصفه تخالف صفه الآخر كأنهما جنسان و يمكن أن يكون تشبيه النعمه أنه أريد بهما النعم الظاهره و الباطنه كما قال تعالى وَ أَسْبِغْ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَ بَاطِنَةً و قيل إن المراد باليدين القوه و القدره عن الحسن و معناه قوته بالثواب و العقاب مبسوطتان بخلاف قول اليهود إن يده مقبوضه عن عذابنا «يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ» معناه يعطى كيف يشاء من يشاء من عباده و يمنع من يشاء من عباده لأنه متفضل بذلك فيفعل على حسب المصلحه «وَ لِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَ كُفْرًا» أى سيزدادون عند إنزال القرآن إليك طغيانا و كفرا و يريد بالكثير منهم المقيمين على الكفر و إنما ازدادوا كفرا لأنه كلما أنزل الله حكما و أخبرهم النبى ص به جحدوه و ازدادوا بذلك طغيانا و هو التمادى و المجاوزه عن الحد و كفرا انضم إلى كفرهم و هذا كما يقول القائل وعظتك فكانت موعظتى وبالا عليك و ما زادتك إلا شرا على معنى أنك ازددت عندها شرا و ذلك مشهور فى الاستعمال «وَ أَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعِدَاةَ وَ الْبُغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» أى بين اليهود و النصارى عن الحسن و مجاهد و قيل يريد به اليهود خاصه و قد مر تفسيره فى أول السوره عند قوله فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعِدَاةَ وَ الْبُغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ «كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ» أى لحرب محمد عن الحسن و مجاهد و فى هذا دلاله و معجزه لأن الله أخبره فوافق خبره المخبر فقد كانت اليهود أشد أهل الحجاز بأسا و أمنعهم دارا حتى أن قريشا كانت تعتضد بهم و الأوس و الخزرج تستبق إلى محالفتهم و تتكثرت بنصرتهم فأباد الله خضراءهم و استأصل شافتهم و اجتث أصلهم فأجلى النبى بنى النضير و بنى قينقاع و قتل بنى قريظه و شرد أهل خيبر و غلب على فذك و دان له أهل وادى القرى فمحا الله تعالى آثارهم صاغرين و قال قتاده معناه أن الله أذلهم ذلا لا يعزون بعده أبدا و إنما يطفى نار حربهم

بلطفه و بما يطلع نبيه عليه من أسرارهم و بما يمن به عليه من التأييد و النصر «وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا» بمعصيه الله و تكذيب رسله و مخالفه أمره و نهيه و اجتهادهم في محو ذكر النبي ص من كتبهم «وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ» العاملين بالفساد و المعاصي في أرضه.

[سوره المائده (٥): الآيات ٦٥ الى ٦٦]

اشاره

وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَ لَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥) وَ لَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّهٌ مُقْتَصِدَةٌ وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦)

اللغه

أصل التكفير التغطية و منه تكفر في السلاح و الاقتصاد الاستواء في العمل الذي يؤدي إلى الغرض و اشتقاقه من القصد لأن القاصد إلى ما يعرف مكانه فهو يمر على الاستقامه إليه خلاف الطالب المتحير في طلبه.

الإعراب

«سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ» يحتمل أن يكون ما مع ما بعدها بمنزله المصدر و يحتمل أن يكون بمعنى الذي و ما بعدها صلته لها و العائد محذوف.

المعنى

«وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ» يعني اليهود و النصارى «آمَنُوا» بمحمد ص «وَ اتَّقَوْا» الكفر و الفواحش «لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ» أى سترناها عليهم و غفرناها لهم «وَ لَأَدْخَلْنَاَهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ» ظاهر المعنى «وَ لَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ» أى عملوا بما فيهما على ما فيهما دون أن يحرفوا شيئاً منهما أو يغيروا أو يبدلوا كما كانوا يفعلونه و يحتمل أن يكون معناه عملوا بما فيهما بأن أقاموهما نصب أعينهم لئلا يزلوا فى شىء من حدودهما «وَ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ» يريد به القرآن عن ابن عباس و اختاره الجبائى و قيل المراد به كلما دل الله عليه من أمور الدين «لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ» بإرسال السماء عليهم مدرارا «وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ» بإعطاء الأرض خيرها و بركتها عن ابن عباس و قتاده و مجاهد و قيل المراد لأكلوا ثمار النخيل و الأشجار من فوقهم و الزرع من تحت أرجلهم و المعنى لتركوا فى

ديارهم و لم يجلووا عن بلادهم و لم يقتلوا فكانوا يتمتعون بأموالهم و زروعهم و ثمارهم و ما رزقهم الله من النعم و إنما خص سبحانه الأكل لأن ذلك معظم الانتفاع و فى هذا تأسيـف لليهود على ما فاتهم و اعتداد بسعه ما كانوا فيه من نعم الله عليهم و هو جواب تبخيلهم إياه فى قولهم يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ و قيل إن المعنى فى قوله «لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مَنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ» التوسعه كما يقال فلان فى الخير من قرنه إلى قدمه أى يأتية الخير من كل جهه يلتمسه منها و نظير هذه الآية قوله «وَ أَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» جعل الله تعالى التقوى من أسباب التوسعه فى الرزق «مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ» أى من هؤلاء قوم معتدلون فى العمل من غير غلو و لا تقصير قال أبو على الجبائى

و هم الذين أسلموا منهم و تابعوا النبى ص و به قال مجاهد و السدى و ابن زيد و هو المروى فى تفسير أهل البيت (عليه السلام)

و قيل يريد به النجاشى و أصحابه و قيل أنهم قوم لم يناصروا النبى مناصبه هؤلاء حكاة الزجاج و يحتمل أن يكون أراد به من يقر منهم بأن المسيح عبد الله و لا- يدعى فيه الإلهيه «وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَحْمِلُونَ» قبح عملهم أى أكثر هؤلاء اليهود و النصارى يعملون الأعمال السيئه و هم الذين يقيمون على الكفر و الجحود بالنبى ص.

[سوره المائده (٥): آيه ٦٧]

اشاره

يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَ اللَّهُ يَعْصِي مِمْكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧)

القرءه

قرأ نافع و ابن عامر و أبو بكر عن عاصم رسالاته على الجمع و الباقر «رِسَالَتُهُ» على التوحيد.

الحجه

قال أبو على حجه من جمع أن الرسل يرسلون بضروب من الرسائل كالتوحيد و الشرائع فلما اختلفت الرسائل حسن أن تجمع كما حسن أن تجمع أسماء الأجناس إذا اختلفت ألا- ترى أنك تقول رأيت تمورا كثيره نظرت فى علوم كثيره فتجمع هذه الأسماء إذا أردت ضرورها كما تجمع غيرها من الأسماء و حجه من أفرد هذه الأسماء أنها تدل على الكثره و إن لم تجمع كما تدل الألفاظ المصوغه للجمع فمما يدل على ذلك قوله لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَ ادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا فوق الاسم الشائع على الجميع كما يقع على

ص: ٢٩٣

الواحد فكذلك الرساله.

الإعراب

أرسل فعل يتعدى إلى مفعولين و يتعدى إلى الثاني منهما بالجار كقوله إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ وَ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى مَائِهِ أَلْفٍ وَ يجوز الاقتصار على أحدهما دون الآخر كقوله ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا وَ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا* وَ قَالَ فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ فَعَدَى إِلَى الثَّانِي وَ الأول مقدر فى المعنى و قال:

فأرسلها العراک و لم يذدها

و لم يشفق على نغص الدخال

المعنى خلى بين هذه الإبل و بين شربها و لم يمنعها من ذلك و أنشد أبو زيد:

لعمري لقد جاءت رساله مالك

إلى جسد بين العوائد مختبل

و الرساله هنا بمعنى الإرسال و المصدر فى تقدير الإضافه إلى الفاعل و المفعول الأول فى التقدير محذوف كما كان فى قوله فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ محذوفاً و التقدير رساله المالك زيدا إلى جسد و الجار و المجرور فى موضع نصب بكونه مفعولا ثانيا و المعنى إلى ذى جسد لأن الرساله لم تأت الجسد دون سائر المرسل إليه و هذا مثل قوله:

(و بعد عطائك المائه الرتاعا)

فى وضعه العطاء موضع الإعطاء و الرسول يكون بمعنى الرساله و يكون بمعنى المرسل فأما كونه بمعنى الرساله فكقول الشاعر:

لقد كذب الواشون ما بحت عنهم

بسر و لا أرسلتهم برسول

أى برساله و كونه بمعنى المرسل قوله وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ وَ مثله فى إنه فعول بمعنى مفعول قوله:

و ما زلت خيرا منك مذ عض كارها

بلحيك غادى الطريق ركوب

يريد أنه طريق مركوب مسلوک و العصمه المنع من عصام القربه و هو وكاؤها الذى تشد

به من سير أو خيط قال الشاعر:

و قلت عليكم مالكا إن مالكا

سيعصمكم إن كان في الناس عاصم

أى سيمنعكم و اعتصم فلان بفلان أى امتنع به.

المعنى

ثم أمر سبحانه نبيه بالتبليغ و وعده العصمه و النصره فقال «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ» و هذا نداء تشريف و تعظيم «بَلِّغْ» أى أوصل إليهم «ما أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنَّ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ» أكثر المفسرون فيه الأفاويل فقل إن الله تعالى بعث النبى ص برسالة ضاق بها ذرعا و كان يهاب قريشا فأزال الله بهذه الآيه تلك الهيبة عن الحسن و قيل يريد به إزاله التوهم من أن النبى ص كتم شيئا من الوحي للتقيه عن عائشه و قيل غير ذلك و

روى العياشى فى تفسيره بإسناده عن ابن عمير عن ابن أذينة عن الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس و جابر بن عبد الله قالا أمر الله محمدا ص أن ينصب عليا (عليه السلام) للناس فيخبرهم بولايته فتخوف رسول الله ص أن يقولوا حابى ابن عمه و أن يطعنوا فى ذلك عليه فأوحى الله إليه هذه الآيه فقام بولايته يوم غدير خم

و هذا الخبر بعينه قد حدثناه السيد أبو الحمد عن الحاكم أبى القاسم الحسكاني بإسناده عن ابن أبى عمير فى كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفصيل و التأويل و فيه أيضا بالإسناد المرفوع إلى

حيان بن على الغنوى عن أبى صالح عن ابن عباس قال نزلت هذه الآيه فى على (عليه السلام) فأخذ رسول الله ص بيده (عليه السلام) فقال من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه و عاد من عاداه

و قد أورد هذا الخبر بعينه

أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى فى تفسيره بإسناده مرفوعا إلى ابن عباس قال نزلت هذه الآيه فى على (عليه السلام) أمر النبى ص أن يبلغ فيه فأخذ رسول الله ص بيد على (عليه السلام) فقال من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه و عاد من عاداه

و قد اشتهرت الروايات

عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام) أن الله أوحى إلى نبيه ص أن يستخلف عليا (عليه السلام) فكان يخاف أن يشق ذلك على جماعه من أصحابه فأنزل الله تعالى هذه الآيه تشجيعا له على القيام بما أمره الله بأدائه

و المعنى أن تركت تبليغ ما أنزل إليك و كتمته كنت كأنك لم تبلغ شيئا من رسالات ربك فى استحقاق العقوبه و قال ابن

عباس معناه إن كتبت آيه مما أنزل إليك فما بلغت رسالته أى لم تكن ممتثلاً- بجمع الأمر «وَاللَّهُ يَعْصِي مُمْكَ مِنَ النَّاسِ» أى يمنعك من أن ينالوك بسوء «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» قيل فيه قولان (أحدهما) أن معنى الهدايه هنا أنه

ص: ٢٩٥

سبحانه لا يهديهم بالمعونه و التوفيق و الألطاف إلى الكفر بل إنما يهديهم إلى الإيمان لأن من هداه إلى غرضه فقد أعانه على بلوغه عن على بن عيسى قال و لا يجوز أن يكون المراد لا يهديهم إلى الإيمان لأنه تعالى هداهم إلى الإيمان بأن دلهم عليه و رغبتهم فيه و حذرهم من خلافه (و الآخر) أن المراد لا يهديهم إلى الجنة و الثواب عن الجبائي و في هذه الآية دلالة على صدق النبي ص و صحه نبوته من وجهين (أحدهما) أنه وقع مخبره على ما أخبر به فيه و في نظائره فدل ذلك على أنه من عند عالم الغيوب و السرائر (و الثاني) أنه لا يقدم على الإخبار بذلك إلا و هو يأمن أن يكون مخبره على ما أخبر به لأنه لا داعي له إلى ذلك إلا الصدق و

روى أن النبي ص لما نزلت هذه الآية قال لحراس من أصحابه كانوا يحرسونه منهم سعد و حذيفه ألحقوا بملاحقكم فإن الله تعالى عصمني من الناس.

[سورة المائدة (٥): آية ٦٨]

إشارة

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسِيْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُتَّقُوا التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَ لَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَ كُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٦٨)

النزول

قال ابن عباس جاء جماعه من اليهود إلى رسول الله ص فقالوا له أ لست تقر بأن التوراه من عند الله قال بلى قالوا فإننا نؤمن بها و لا نؤمن بما عداها فنزلت الآية.

المعنى

ثم أمر سبحانه النبي ص أن يخاطب اليهود فقال «قُلْ» يا محمد «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسِيْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ» من الدين الصحيح «حَتَّىٰ تُتَّقُوا التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ» أى حتى تقروا بالتوراه و الإنجيل و القرآن المنزل إلى جميع الخلق و قيل معناه حتى تقيموا التوراه و الإنجيل بالتصديق بما فيهما من البشاره بالنبي محمد ص و العمل بما يوجب ذلك فيهما و قيل معناه الأمر بإقامه التوراه و الإنجيل و ما فيهما و إنما كان ذلك قبل النسخ لهما عن الجبائي «وَ لَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَ كُفْرًا» مر تفسيره قبل «فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ» أى لا تحزن عليهم و هذه تسليه للنبي ص أى فلا تحزن فإن تكذيب الأنبياء عادتهم و دأبهم و قيل معناه لا تحزن على ذلك الكفر و تجاوز

الحد في الظلم منهم فإن ضرر ذلك عائد عليهم و قيل معناه لا تحزن على هلاكهم و عذابهم فذلك جزاؤهم بفعالهم.

[سوره المائده (٥): آيه ٦٩]

إشارة

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
(٦٩)

الإعراب

اختلف في وجه ارتفاع قوله «الصَّابِئُونَ» فقال الكسائي هو نسق على ما في «هادوا» قال الزجاج و هذا خطأ من جهتين (إحداهما) أن الصابئ على هذا القول يشارك اليهودي في اليهوديه و ليس كذلك فإن الصابئ غير اليهودي فإن جعل هادوا بمعنى تابوا من قوله إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ لا من اليهوديه و يكون المعنى تابوا هم و الصابئون فالتفسير جاء بغير ذلك لأن معنى «الَّذِينَ آمَنُوا» في هذه الآية إنما هو الإيمان بأفواههم ثم ذكر اليهود و النصارى فقال من آمن منهم بالله فله كذا فجعلهم يهودا و نصارى فلو كانوا مؤمنين لم يحتج إلى أن يقال من آمن منهم فلهم أجرهم و هذا قول الفراء و الزجاج في الإنكار عليه و الوجه الأخرى أن العطف على الضمير المرفوع من غير توكيد قبيح و إنما يأتي في ضروره الشعر كما قال عمر بن أبى ربيعه:

قلت إذ أقبلت و زهر تهادى

كنعاج الملاء تعسفن رملا

و قال الفراء أنه عطف على ما لم يتبين فيه الإعراب مع ضعف إن قال و هذا يجوز في مثل الذين و المضممر نحو إنى و زيد قائمان و لا يجوز إن زيدا و عمرو قائمان قال الزجاج و هذا غلط لأن إن تعمل النصب و الرفع و ليس في العربية ناصب ليس معه مرفوع لأن كل منصوب مشبه بالمفعول و المفعول لا- يكون بغير فاعل و كيف يكون نصب إن ضعيفا و هو يتخطى الظروف فتنصب ما بعدها نحو إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ و نصب إن من أقوى المنصوبات و قال سيبويه و الخليل و جميع البصريين أن قوله «و الصَّابِئُونَ» محمول على التأخير و مرفوع بالابتداء

ص: ٢٩٧

و المعنى أن الذين آمنوا و الذين هادوا من آمن منهم بالله إلى آخره و الصابئون و النصارى كذلك أيضا أى من آمن منهم بالله و اليوم الآخر فلا خوف عليهم و أنشدوا قول بشر بن حازم:

و إلا فاعلموا إنا و أنتم

بغاه ما بقينا فى شقاق

و المعنى فاعلموا إنا بغاه ما بقينا فى شقاق و أنتم أيضا كذلك و قول ضابئى البرجمى:

فمن يك أمسى بالمدينه رحله

فإنى و قيار بها لغريب

أى فإنى بها غريب و قيار كذلك و زعم سيبويه أن قوما من العرب يغلطون فيقولون إنهم أجمعون ذاهبون و إنك و زيد قائمان فجعل سيبويه هذا غلطا و جعله كقول الشاعر:

بدا لى إنى لست مدرك ما مضى

و لا سابق شيئا إذا كان جائيا.

المعنى

قد مضى تفسير هذه الآيه مشروحا فى سورة البقره و قد ذكرنا ها هنا أن المعنى بالذين آمنوا فى قول الزجاج هم المنافقون ثم ذكر بعد من آمن بالقلب و قيل إن من آمن محمول على اليهود و النصارى أى من آمن منهم و الذين آمنوا فى الابتداء محمول على ظاهره من حقيقه الإيمان و قيل إن من آمن يرجع إلى الجميع و يكون معناه من يستديم الإيمان و يستمر عليه.

[سوره المائده (٥): الآيات ٧٠ الى ٧١]

إشارة

لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلِّمًا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَ فَرِيقًا يَقْتُلُونَ (٧٠) وَ حَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَ صَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَ صَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٧١)

قرأ أبو عمرو و حمزه و الكسائي ألا تكون بالرفع و الباقون بالنصب و لم يختلفوا فى رفع «فِتْنَهُ».

الحجه

من قرأ ألا تكون فتنه بالرفع جعل أن مخففه من الثقيله و أضمر الهاء و جعل حسبوا بمعنى العلم و على هذا الوجه تثبت النون فى الخط و أما النصب فعلى أنه جعل أن الناصبه للفعل و لم يجعل حسبوا بمعنى العلم و على هذا الوجه تسقط النون من الخط.

اللغه

الهوى هو لطف محل الشىء من النفس مع الميل إليه بما لا ينبغى فلذلك غلب على الهوى صفه الذم و يقال هوى يهوى هوى و هوى يهوى هويًا إذا انحط من الهوى و أهوى بيده إذا انحط بها ليأخذ شيئًا و هاويه جهنم لأنها يهوى فيها و هم يتهاوون فى المهواه إذا سقط بعضهم على بعض و الفرق بين الهوى و الشهوه أن الشهوه تتعلق بالمدركات فيشتهى الإنسان الطعام و لا يهوى الطعام و الحسابان هو قوه أحد النقيضين فى النفس على الآخر و أصله الحساب فالنقيض القوى يحتسب به دون الآخر أى هو مما يحتسب و لا- يطرح و منه الحساب لأنه مما يحتسب و لا- يطرح لأجل الشرف و منه قولهم حسبك أى يكفيك لأنه بحساب الكفايه و منه احتساب الأجر لأنه فيما يحتسب و لا يلغى و الفتنة هاهنا العقوبه و أصله الاختبار و منه افتتن فلان بفلانه إذا هويها لأنه ظهر ما يطوى من خبره بها و فتنت الذهب بالنار إذا خلصته ليظهر خبره فى نفسه متميزًا من شائب غيره.

الإعراب

اللام فى لقد لام القسم و نصب فريقًا فى الموضوعين بأنه مفعول به قال أبو على الفارسي الأفعال على ثلاثة أضرب فعل يدل على ثبات الشىء و استقراره و ذلك نحو العلم و اليقين و التبيين و فعل يدل على خلاف الاستقرار و الثبات و فعل يجذب مره إلى هذا القبيل و مره إلى هذا القبيل فما كان معناه العلم وقع بعده أن الثقيله و لم يقع بعده الخفيفه الناصبه للفعل و ذلك أن الثقيله معناها ثبات الشىء و استقراره و العلم بأنه كذلك أيضا وقع عليه و استعمل معه كان وفقه و أن الناصبه للفعل لا تقع على ما كان ثابتًا مستقرًا فمن استعمال الثقيله بعد العلم قوله وَ يَعْلمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ أَلَمْ يَعْلَمَ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى لَأَن الباء زائده و أما ما كان معناه ما لم يثبت و لم يستقر فنحو أطمع و أخاف و أرجو و أخشى و نحو ذلك و يستعمل بعده الخفيفه الناصبه للفعل قال تعالى وَ الَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي وَ تَخَافُونَ

أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَخَشِينَا أَنْ يُزْهِقَهُمَا وَ أَمَا مَا يَجْذِبُ مَرَهُ إِلَى هَذَا الْبَابِ وَ مَرَهُ إِلَى هَذَا الْبَابِ فَنَحُو حَسِبْتَ وَ ظَنَنْتَ وَ زَعَمْتَ وَ هَذَا النَّحُو يَجْعَلُ مَرَهُ بِمَنْزِلِهِ أَرْجُو وَ أَطْمَعُ مِنْ حَيْثُ كَانَ أَمْرًا غَيْرَ مُسْتَقَرٍّ وَ مَرَهُ يَجْعَلُ بِمَنْزِلِهِ الْعِلْمُ مِنْ حَيْثُ يَسْتَعْمَلُ اسْتِعْمَالَهُ وَ مِنْ حَيْثُ كَانَ خِلَافَهُ وَ الشَّيْءُ قَدْ يَجْرِي مَجْرَى الْخِلَافِ نَحْوَ عِطْشَانٍ وَ رِيَانٍ فَأَمَّا اسْتِعْمَالُهُمْ إِيَّاهُ اسْتِعْمَالُ الْعِلْمِ فَهُوَ أَنَّهُمْ قَدْ أَجَابُوهُ بِجَوَابِ الْقَسْمِ حَكَى سَبِيحِيَّةً ظَنَنْتَ لَتَسْبِقُنِي وَ ظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ كَمَا قَالُوا وَ لَقَدْ عَلِمْتَ لَتَأْتِيَنَّكَ مِنِّي وَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا - رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ كُلُّهُمْ قَرَأَ «فِتْنَةً» بِالرَّفْعِ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا كَانَ بِمَنْزِلِهِ وَقَعَ وَ لَوْ نَصَبَ فَقِيلَ أَنْ لَا تَكُونَ فِتْنَةً عَلَى أَنْ لَا يَكُونُ قَوْلُهُ «فِتْنَةً» لَكَانَ جَائِزًا فِي الْعَرَبِيَّةِ وَ إِنَّمَا رَفَعُ لَاتِّبَاعِ الْأَثَرِ وَ إِنَّمَا حَسُنَ وَقُوعُ أَنْ الْخَفِيفَةُ مِنَ الشَّدِيدَةِ فِي قِرَاءَتِهِ مِنْ رَفَعٍ وَ إِنْ كَانَ بَعْدَهُ فَعَلَ لِدُخُولِ لَا وَ لَكُونَهَا عَوْضًا عَنْ حَذْفِ الضَّمِيرِ مَعَهُ وَ إِيْلَانِهِ مَا لَمْ يَكُنْ يَلِيهِ وَ لَوْ قُلْتَ عَلِمْتَ أَنْ تَقُولَ لَمْ يَحْسُنَ حَتَّى تَأْتِيَ بِمَا يَكُونُ عَوْضًا نَحْوَ قَدْ وَ لَا وَ السَّيْنِ وَ سَوْفَ كَمَا فِي قَوْلِهِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرَضِي فَإِنْ قُلْتَ قَدْ جَاءَ وَ أَنْ لَيْسَ لِلنَّاسِ إِلَّا مَا سَعَى فَلَمْ يَدْخُلْ بَيْنَ أَنْ وَ لَيْسَ شَيْءٌ فَإِنَّمَا جَاءَ هَذَا لِأَنَّ لَيْسَ يَفْعَلُ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَ أَمَا قَوْلُهُ «كَثِيرٌ مِنْهُمْ» فَيُرْتَفَعُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ (أَحَدُهَا) أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنَ الْوَاوِ فِي عَمُوا وَ صَمُوا (وَ الثَّانِي) أَنْ يَكُونَ خَبْرَ مُبْتَدَأٍ مَحذُوفٍ كَأَنَّهُ قَالَ ذُو الْعَمَى وَ الصَّمَمُ كَثِيرٌ مِنْهُمْ (وَ الثَّلَاثُ) أَنْ يَكُونَ عَلَى لُغَةِ أَكْلُونِي الْبِرَاغِيثِ وَ عَلَيْهِ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

يلوموننى فى اشتراء النخيل

أهلى فكلهم يعذل

و قال الفرزدق:

ألقيتا عيناك عند القفا

أولى فأولى لك ذا واقيه

و قال الهذلى:

و لكن ديافى أبوه و أمه

بحوران يعصرن السليط أقاربه.

المعنى

ثم أقسم سبحانه بأنه أخذ عليهم الميثاق فقال «لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ» يريد الإيمان المؤكده التى أخذها أنبياءهم عليهم فى الإيمان بمحمد و الإقرار به و قيل أخذ ميثاقهم على الإخلاص فى التوحيد و العمل بما أمر به و الانتهاء عما نهى عنه و التصديق برسله و البشاره بمحمد ص و وجه الاحتجاج عليهم بذلك و إن كان أخذ الميثاق

على آباءهم أنهم عرفوا ذلك في كتبهم و أقرؤا بصحته فالحجه لازمه لهم و عتب المخالفه يلحقهم كما يلحق آباءهم «وَ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ» أى مما لا تهوى أنفسهم أى بما لا يوافق مرادهم «فَرِيقًا كَذَّبُوا وَ فَرِيقًا يَقْتُلُونَ» أى كذبوا طائفه و قتلوا طائفه فإن قيل لم عطف المستقبل على الماضى فجوابه ليدل على أن ذلك من شأنهم ففيه معنى كذبوا و قتلوا و يكذبون و يقتلون مع أن قوله «يَقْتُلُونَ» فاصله يجب أن يكون موافقا لراءوس الآى و يمكن أن يقال التقدير فيه فريقا كذبوا لم يقتلوه و فريقا كذبوا يقتلون فيكون يقتلون صفه للفريق و لم يكن فيه عطف المستقبل على الماضى و على الجواب الأول لم يكن كذبوا و يقتلون صفه للفريق لأن التقدير كذبوا فريقا و يقتلون فريقا و قد ذكرنا تفسير الفريقين فى سوره البقره عند قوله «فَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ» وَ حَسِبْتُمْ» أى و ظنوا «أَلَّا تَكُونُ فِتْنَةً» أى عقوبه على قتلهم و تكذيبهم يريد و ظنوا أن الله لا يعذبهم عن عطاء عن ابن عباس و قيل حسب القوم أن لا يكون بليه عن قتاده و الحسن و السدى و قيل فتنه أى شده و قحط عن مقاتل و الكل متقارب و قيل و حسبوا فعلهم غير فاتن لهم و ذلك أنهم كانوا يقولون نحن أبناء الله و أحباؤه عن الزجاج و قيل معناه و قدروا أن لا- تقع بهم فتنه فى الإصرار على الكفر و ظنوا أن ذلك لا- يكون موبقا لهم عن ابن الأنبارى «فَعَمُوا وَ صَيَّمُوا» على التشبيه بالأعمى و الأصم لأنه لا يهتدى إلى طريق الرشد فى الدين لإعراضه عن النظر كما لا يهتدى هذا إلى طريق الرشد فى الدنيا لأجل عماه و صممه «ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» يريد أن فريقا منهم تابوا فتاب الله عليهم «ثُمَّ عَمُوا وَ صَيَّمُوا» أى عادوا إلى ما كانوا عليه يريد فلما انقضت تلك القرون و نشأت قرون آخر تخلقوا بأخلاق آباءهم فعموا عن الحق و صموا عن استماعه و قيل معناه لما تابوا دفع الله عنهم البلاء ثم صار «كَثِيرٌ مِنْهُمْ» كما كانوا و قيل أراد بكثير منهم من كان فى عصر نبينا ص «وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ» أى عليم بأعمالهم و هذا كالوعيد لهم.

اشاره

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (۷۲) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثٍ وَ مَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَ إِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (۷۳) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۷۴)

اللغه

الشرك أصله الاجتماع في الملك فإذا كان الملك بين نفسين فهما شريكان و كذلك كل شىء بين نفسين و لا يلزم على ذلك ما يضاف إلى كل واحد منهما منفردا كالعبد يكون ملكا لله و هو ملك للإنسان لأنه لو بطل ملك الإنسان لكان ملكا لله كما كان لم يزد في ملكه شىء لم يكن و المس هاهنا معناه ما يكون معه إحساس و هو حلوله فيه لأن العذاب لا يمس الحيوان إلا أحس به و قد يكون المس بمعنى اللمس.

الإعراب

قال الفراء «ثالثٌ ثلاثه» لا يكون إلا مضافا و لا يجوز التنوين في ثالث فينصب ثلاثه و كذلك قوله ثانياً اثنتين إذ هما في الغار لا يكون إلا مضافا لأن المعنى مذهب اسم كأنك قلت واحد من اثنين و واحد من ثلاثه و لو قلت أنت ثالث اثنين جاز الإضافة و جاز التنوين و نصب الاثنين و كذلك رابع ثلاثه لأنه فعل واقع و زاد الزجاج لهذا بيانا فقال لا يجوز في ثلاثه إلا الخفض لأن المعنى أحد ثلاثه فإن قلت ثالث اثنين أو رابع ثلاثه جاز الخفض و نصب أما نصب فعلى قولك كان القوم ثلاثه فربعتهم و أنا رابعهم عددا و من خفض فعلى حذف التنوين كما قال عز و جل هَيِّدِيَا بِالْعِ كَعْبِيهِ وَ تَقْدِيرُهُ بِالْغَا لِلْكَعْبِهِ وَ قَوْلُهُ «وَ إِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ» فيه دلالة على اعتماد القسم في مثل قوله وَ لَيْسَ جِئْتُهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ عَلَى الْفَعْلِ الثَّانِي دُونَ الْأَوَّلِ أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ كَانَ اعْتِمَادُ الْقِسْمِ عَلَى الْأَوَّلِ لَمَا حُذِفَ اللَّامُ مِنْ قَوْلِهِ «وَ إِنْ لَمْ يَنْتَهُوا» كما لم يحذف اللام الثانية في موضع و مثله في الشعر قول عارق الطائي:

فأقسمت لا أحتل إلا بصهوه

حرام على رمله و شقائه

فإن لم تغير بعض ما قد صنعتم

لأنتحين للعظم ذو أنا عارقه

فإن قيل لم لا يجوز أن يكون اعتماد القسم على اللام الأولى إلا أنها حذفت كما حذفت من قوله قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا فجوابه أن ذلك لا يجوز لأن اللام إنما حذفت من قَدْ أَفْلَحَ لطول الكلام لما اعترض بين القسم و المقسم عليه و لم يطل في هذا الموضع فيستجاز حذفها و إنما هذه اللام بمنزله أن في قولك و الله إن لو فعلت لفعلت تثبتها تاره و تحذفها أخرى و القسم لا يعتمد على هذه اللام كما لا يعتمد على أن هذه أنشد سيويه:

فأقسم أن لو التقينا و أنتم

لكان لكم يوم من الشر مظلم

فالذى أعتمد عليه أقسم قوله لكان دون أن ألا ترى أنك تقول أقسمت لو جئت لجئت فتحذف أن كما تحذف هذه اللام فهذه اللام من الزيادات التي إذا أدخلت أكدت و إذا سقطت لم يخل سقوطها بالكلام إلا أن زيادتها في القسم دون غيره كما أن إن تزداد في قولهم ما إن في النفي دون غيره و على هذا فيكون المعقود بالقسم في قولك لئن أتيتني لأكرمتك إنما هو لأكرمتك و لكن الشرط يكون كالاستثناء من هذه الجملة المعقوده بالقسم كأنك أردت أن تقسم على البتات أن تكرمه ثم بدا لك إذا أردت ذلك ثم علقت إكرامك إياه بإتيانه فصار التقدير و الله لأكرمتك إن آتيتني أى إن أتيتني لأكرمتك فاستغنيت عن ذكر الجزاء لتقدير تقديم ما يدل عليه فقولك لأن آتيتني متصل بما يدل عليه لأكرمتك من الجزاء هذا الاتصال و هذه الجملة قد لخصتها من كلام الشيخ أبى على.

المعنى

ثم عاد تعالى إلى ذكر النصارى فقال «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ» و هذا مذهب يعقوبيه منهم لأنهم قالوا إن الله اتحد بالمسيح اتحاد الذات فصارا شيئاً واحداً و صار الناسوت لاهوتا و ذلك قولهم إنه الإله «و قَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَ رَبَّكُمْ» أى خالقي و خالقكم و مالكي و مالكم و إني و إياكم عبیده «إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ» أى بأن يزعم أن غيره يستحق العباده مع ما ثبت أنه لا يقدر أحد على فعل ما يستحق به العباده سوى الله تعالى «فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» و التحريم هاهنا تحريم منع لا تحريم عباده و معناه فإن الله يمنعه الجنة «و مَأْوَاهُ» أى مصيره «النَّارُ» و هذا كله إخبار من المسيح لقومه «و ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ» معناه لا ناصر لهم يخلصهم مما هم فيه من أنواع العذاب ثم أقسم تعالى قسماً آخر فقال «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا

إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ» والقائلون بهذه المقالة جمهور النصارى من الملكانية و اليعقوبية و النسطورية لأنهم يقولون ثلاثه أقاليم جوهر واحد أب و ابن و روح القدس إله واحد و لا- يقولون ثلاثه آلهه و يمنعون من هذه العبارة و إن كان يلزمهم أن يقولوا ثلاثه آلهه فصح أن يحكى عنهم بالعبارة اللازمه و إنما قلنا أنه يلزمهم ذلك لأنهم يقولون الابن إله و الأب إله و روح القدس إله و الابن ليس هو الأب «و ما مِنْ إلهٍ إِلَّا إلهٌ وَاحِدٌ» أى ليس إله إلا إلهها واحدا و إنما دخلت من للتوكيد «وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ» أى و إن لم يرجعوا و يتوبوا عما يقولون من القول بالثلاث أقسم «لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» و إنما خص سبحانه الذين يستمرون على كفرهم لأنه علم أن بعضهم يؤمن عن أبى على الجبائى و الزجاج و قيل أنه عم بقوله «الَّذِينَ كَفَرُوا» الفريقين الذين قالوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ و الذين قالوا إن الله هو ثالث ثلاثه و الضمير عائد إلى أهل الكتاب و ليس فى هذا دلالة على أن فى أفعال الجوارح ما هو كفر لأنه إنما يتضمن أن من قال أنه ثالث ثلاثه فهو كافر و لا خلاف فى ذلك فإن من قال إن الكفر هو الجحود بالقلب قال إن فى أفعال الجوارح ما يدل على الكفر الذى هو الجحود مثل هذه المقالة و مثل السجود للصنم و غير ذلك فلا دلالة فى الآيه على ما قالوه «أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ» قال الفراء هذا أمر فى لفظ الاستفهام و قد يرد الأمر بلفظ الاستفهام كقوله «فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ» و إنما دخلت إلى لأن معنى التوبه الرجوع إلى طاعه الله لأن التائب بمنزله من ذهب عنها ثم عاد إليها «وَ يَسْتَعْفِفُونَ» الفرق بين التوبه و الاستغفار إن الاستغفار طلب المغفره بالدعاء و التوبه أو غيرهما من الطاعه، و التوبه الندم على المعصيه مع العزم على أن لا يعود إلى مثلها فى القبح و الاستغفار مع الإصرار على القبيح لا يصح «وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» يغفر الذنوب و يسترها رحمه منه لعباده و فى هذه الآيه تحريض على التوبه و حث على الاستغفار.

إشارة

مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧)

اللغة

الصديقه المبالغه فى الصدق و الصديق فعيل من أبنيه المبالغه كما يقال رجل سكت أى مبالغ فى السكوت يقال أفكه يأفكه أفكا إذا صرفه و الإفك الكذب لأنه صرف عن الحق و كل مصروف عن شىء مأفوك عنه قال ابن السكيت:

إن تك عن أحسن المروءه مأفوكا

ففى آخرين قد أفكوا

و قد أفكت الأرض إذا صرف عنها المطر و أرض مأفوكه لم يصبها مطر و المؤتفكات المتقلبات من الرياح لأنها صرفت عن وجهها و الملك القدره على تصريف ما للقادر عليه أن يصرفه فملك الضرر و النفع أخص من القدره عليهما لأن القادر قد يقدر من ذلك على ما له أن يفعل و قد يقدر منه على ما ليس له أن يفعله و النفع هو فعل اللذه و السرور أو ما أدى إليهما أو إلى أحدهما مثل الملاذ التى تحصل فى الحيوان و الصله بالمال و الوعد باللذه فإن جميع ذلك نفع لأنه يؤدى إلى اللذه، و الضرر هو فعل الألم و الغم أو ما يؤدى إليهما أو إلى واحد منهما كالآلام التى توجد فى الحيوان و كالقذف و السب لأن جميع ذلك يؤدى إلى الألم، و الأهواء أجمع هوى النفس مقصور لأنه مثل فعل و فعل جمعه أفعال.

الإعراب

انتصاب «غَيْرَ الْحَقِّ» على وجهين (أحدهما) أن يكون على الحال من دينكم فكأنه قال لا تغلوا فى دينكم مخالفين للحق (و الثانى) أن يكون منصوبا على الاستثناء بمعنى لا تغلوا فى دينكم إلا الحق فيكون الحق مستثنى من النهى عن الغلو فيه بأن يجوز الغلو فيما هو حق على معنى اتباعه.

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر مقالات النصارى عقبه بالرد عليهم و الحجاج لهم فقال

«مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ» أى ليس هو ياله «قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ» أى كما أن الرسل الذين مضوا قبله ليسوا بآلهه و إن أتوا بالمعجزات الباهرات فكذلك المسيح فمن ادعى له الإلهيه فهو كمن ادعى لهم الإلهيه لتساويهم فى المنزله «وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ» لأنها تصدق بآيات ربها و منزله ولدها و تصدقه فيما أخبرها به بدلاله قوله «وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا» عن الحسن و الجبائى و قيل سميت صديقه لكثرة صدقها و عظم منزلتها فيما تصدق به من أمرها «كَانَا يَا كِلَانِ الطَّعَامَ» قيل فيه قولان (أحدهما) أنه احتجاج على النصرارى بأن من ولده النساء و يأكل الطعام لا يكون إلهها للعباد لأن سييله سييلهم فى الحاجه إلى الصانع المدبر و المعنى أنهما كانا يعيشان بالغذاء كما يعيش سائر الخلق فكيف يكون إلهها من لا يقيمه إلا أكل الطعام و هذا معنى قول ابن عباس (و الثانى) إن ذلك كناية عن قضاء الحاجه لأن من أكل الطعام لا بد له من الحدث فلما ذكر الأكل صار كأنه أخبر عن عاقبه «انظُرْ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ» أمر سبحانه النبى (ص) و أمته بأن يفكروا فيما بين تعالى من الآيات أى الدلالات على بطلان ما اعتقدوه من ربوبيه المسيح ثم أمر بأن ينظر «ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ» أى كيف يصرفون عن الحق الذى يؤدى إليه تدبر الآيات فالنظر الأول إنما هو إلى فعله تعالى الجميل فى نصب الآيات و إزاحه العلل و النظر الثانى إلى أفعالهم القبيحه و تركهم التدبر للآيات ثم زاد تعالى فى الاحتجاج عليهم فقال «قُلْ» يا محمد «أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لَا نَفْعًا» أى أ توجهون عبادتكم إلى من لا يقدر لكم على النفع و الضر لأن القادر عليهما هو الله أو من يمكنه الله تعالى من ذلك و المستحق للعباده إنما هو القادر على أصول النعم و النفع و الضر و الخلق و الإحياء و الرزق و لا يقدر على ذلك غير الله فلا يستحق العباده سواه «وَ اللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ» لأقوالكم «الْعَلِيمُ» بضمائركم و فى هذا تحذير من الجزاء و استدعاء إلى التوبه ثم دعاهم إلى ترك الغلو فقال «قُلْ» يا محمد للنصارى فإنهم المخاطبون هنا و قال قوم أنه خطاب لليهود و النصرارى لأن اليهود غلوا أيضا فى تكذيب عيسى و محمد «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ» أى لا تتجاوزوا الحد الذى حده الله لكم إلى الإزدياد و ضده التقصير و هو الخروج عن الحد إلى النقصان و الزياده فى الحد و النقصان عنه كلاهما فساد و دين الله الذى أمر به هو بين الغلو و التقصير و هو الافتصار «غَيْرَ الْحَقِّ» أى مجاوزين الحق إلى الغلو و إلى التقصير فيفوتكم الحق و من قال إن الخطاب لليهود و النصرارى فغلوا نصرارى فى عيسى ادعاؤهم له الإلهيه و غلو اليهود فيه تكذبيهم له و نسبتهم إياه إلى أنه لغير رشده «وَ لَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ» قال

ابن عباس كل هوى ضلاله يعنى بالقوم الذين ضلوا من قبل رؤساء الضلاله من فريقى اليهود و النصارى و الآيه خطاب للذين كانوا فى عصر النبى (ص) نهوا أن يتبعوا أسلافهم فيما ابتدعوه بأهوائهم و أن يقلدوهم فيما هووا و الأهواء هاهنا المذاهب التى تدعو إليها الشهوه دون الحجه لأن الإنسان قد يستثقل النظر لما فيه من المشقه و يميل طبعه إلى بعض المذاهب فيعتقده و هو ضلال فيهلك به و الاتباع هو سلوك الثانى طريقه الأول على وجه الاقتداء به و قد يتبع الثانى الأول فى الحق و قد يتبعه فى الباطل و إنما يعلم أحدهما بدليل «وَأَضَلُّوا كَثِيرًا» يعنى به هؤلاء الذين ضلوا عن الحق أضلوا كثيرا من الخلق أيضا و نسب الإضلال إليهم من حيث كان بدعائهم و إغوائهم «وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ» قيل فى معناه قولان (أحدهما) أنهم ضلوا بإضلالهم غيرهم عن الزجاج (و الثانى) أنهم ضلوا من قبل بكفرهم بعبسى و أضلوا غيرهم من بعد بكفرهم بمحمد (ص) فلذلك كرر و معنى «سَوَاءِ السَّبِيلِ» مستقيم الطريق و قيل له سواء لاستمراره على استواء و قيل لأنه يستقيم بصاحبه إلى الجنه و الخلود فى النعيم.

[سوره المائده (٥): الآيات ٧٨ الى ٨٠]

إشاره

لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠)

اللغه

للتناهى هاهنا معنيان (أحدهما) أنه تفاعل من النهى أى كانوا لا ينهى بعضهم بعضا (و الثانى) أنه بمعنى الانتهاء يقال انتهى عن الأمر و تناهى عنه إذا كف عنه.

الإعراب

«لَبِئْسَ مَا» يجوز أن يكون ما هاهنا كافه لبئس كما تكف فى إنما و لكنما و بعد ما و ربما و اللام فيه للقسم و يجوز أن يكون اسما نكره فكأنه قال لبئس شيئا فعلوه كما تقول لبئس رجلا كان عندك و محل «أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» رفع كرفع زيد فى قولك لبئس رجلا

زيد فيكون مبتدأ و بئس و ما عملت فيه خبره أو يكون خبر مبتدأ محذوف كأنه لما قال بئس رجلا قيل من هو فقال زيد أي هو زيد و يجوز أن يكون محله نصبا على تأويل بئس الشيء ذلك لأن سخط الله عليهم.

المعنى

ثم أخبر تعالى عما جرى على أسلافهم فقال «لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ» قيل فى معناه أقوال (أحدها) أن معناه لعنوا على لسان داود فصاروا قرده و على لسان عيسى فصاروا خنازير و إنما خص عيسى و داود لأنهما أنبه الأنبياء المبعوثين من بعد موسى و لما ذكر داود أغنى عن ذكر سليمان لأن قولهما واحد عن الحسن و مجاهد و قتاده

و قال أبو جعفر الباقر (عليه السلام) أما داود فإنه لعن أهل إبله لما اعتدوا فى سبتهم و كان اعتداؤهم فى زمانه فقال اللهم ألبسهم اللعنه مثل الرداء و مثل المنطقه على الحقوين فمسخهم الله قرده فأما عيسى (عليه السلام) فإنه لعن الذين أنزلت عليهم المائده ثم كفروا بعد ذلك

(و ثانيها) ما قاله ابن عباس أنه يريد فى الزبور و فى الإنجيل و معنى هذا إن الله تعالى لعن فى الزبور من يكفر من بنى إسرائيل و فى الإنجيل كذلك فلذلك قيل «على لسان داود و عيسى» (و ثالثها) أن يكون عيسى و داود علما أن محمدا نبى مبعوث و لعنا من يكفر به عن الزجاج و الأول أصح و المراد أن الله أيسهم من المغفره مع الإقامه على الكفر لدعاء الأنبياء عليهم بالعقوبه و دعوتهم مستجابه و إنما ذكر اللعن على لسانهما إزاله للإيهام بأن لهم منزله بولاده الأنبياء تنجيهم من العقوبه «ذلك» إشاره إلى اللعن المتقدم ذكره «بما عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ» أى بمعصيتهم و اعتدائهم ثم بين تعالى حالهم فقال «كأنوا لا يتناهون عن منكر فعلوه» أى لم يكن ينهى بعضهم بعضا و لا- ينتهون أى لا- يكفون عما نهوا عنه قال ابن عباس كان بنو إسرائيل ثلاث فرق فرقه اعتدوا فى السبت و فرقه نهوهم و لكن لم يدعوا مجالستهم و لا- مؤاكلتهم و فرقه لما رأوهم يعتدون ارتحلوا عنهم و بقيت الفرقتان المعتديه و الناهيه المخالطه فلعنوا جميعا و لذلك

قال رسول الله (ص) لتأمرن بالمعروف و لتنهين عن المنكر و لتأخذن على يد السفية و لتأطرنه على الحق أطراً أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض و يلعنكم كما لعنهم

و إنما سمى القبيح منكراً لأنه ينكره العقل من حيث أن العقل يقبل الحسن و يعترف به و لا يأباه و ينكر القبيح و يأباه و ما ينكره العقل فهو الباطل و ما يقر به فهو الحق و قيل إن المراد بالمنكر هنا صيدهم السمك يوم السبت و قيل هو أخذهم

الرشى فى الأحكام وقيل أكلهم الربا و أثمان الشحوم ثم أقسم سبحانه فقال «لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ» أى بئس شيئاً فعلهم «ترى كثيراً منهم» أى من اليهود «يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا» يريد كفار مكة عنى بذلك كعب بن الأشرف و أصحابه حين استجاشوا المشركين على رسول الله و ذكرنا ذلك عند قوله وَ يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا

و قال أبو جعفر الباقر (عليه السلام) يتولون الملوك الجبارين و يزينون لهم أهواءهم ليصيبوا من دنياهم

و فى هذا توبيخ لأولئك القوم و تنبيه على سوء فعالهم و خبث عقائدهم «لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ» أى بئس ما قدموا من العمل لمعادهم فى الآخرة «أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» أى سخط الله عليهم «وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ» و ذهب ابن عباس و مجاهد و الحسن إلى أن هذه الآية فى المنافقين من اليهود و الكنايه فى قوله «مِنْهُمْ» عائده إليهم و يؤكده ما بعد هذه الآية.

[سوره المائده (٥): آيه ٨١]

اشاره

وَ لَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ النَّبِيِّ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُواهُمْ أَوْلِيَاءَ وَ لَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٨١)

المعنى

«وَ لَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» أى لو كانوا يصدقون الله «وَ النَّبِيِّ» محمد (ص) «وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِ» من القرآن و يعتقدون ذلك على الحقيقه كما يظهره «مِمَّا اتَّخَذُواهُمْ» يعنى الكافرين «أَوْلِيَاءَ» عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و قيل المراد بالنبي موسى و بما أنزل إليه التوراه فيكون المراد بهم اليهود الذين جاهروا بالعداوه لرسول الله و التولى للمشركين و يكون معنى الموالاه التناصر و المعاونه على محاربه النبي (ص) و معاداته و يجوز أن يكون يريد الموالاه على الحقيقه «وَ لَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ» وصفهم بالفسق و إن كان الكفر أبلغ فى باب الذم لأمرين (أحدهما) أنهم خارجون عن أمر الله و هذا المعنى لا يظهر بأن يصفهم بالكفر (و الآخر) أن الفاسق فى كفره هو المتمرد فيه و الكلام يدل على أنهم فاسقون فى كفرهم أى خارجون إلى التمرد فيه.

ص: ٣٠٩

إشاره

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَشْتَكِبُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤)

اللغه

قال الزجاج القسيس و القس من رؤساء النصارى فأما القس فى اللغه فهو النميمه و نشر الحديث يقال قس فلان الحديث قسا قال الفراء و يجمع القسيس قساوسه جمعه على مهالبه فكانت قساسسه فكسرت السينان فأبدلوا إحداهن واوا و القسوسه مصدر القس و القسيس و قد تكلمت العرب بهما و أنشد المازنى:

لو عرضت لأبلى قس

أشعث فى هيكله مندى

حن إليها كحنين الطس

و قال أميه:

لو كان منقلب كانت قساوسه

يحييهم الله فى أيديهم الزبر

و الرهبان جمع راهب مثل راكب و ركبان و فارس و فرسان و الرهبانيه مصدره و الترهب التبعيد فى صومعه و أصله من الرهبه المخافه و قال جرير:

رهبان مدين لو رأوك تنزلوا

و العصم من شعف الجبال الفادر

و قال بعضهم الرهبان يكون واحدا و جمعا فمن جعله واحدا جعله بناء على فعلان و أنشد:

لو عاينت رهبان دير فى القلل

لأنحدر الرهبان يمشى و نزل

ص: ٣١٠

و فيض العين من الدمع امتلاءها منه كفيض النهر من الماء و فيض الإناء و هو سيلانه من شدة امتلائه و فاض صدر فلان بسره و أفاض القوم من عرفات إلى منى إذا دفعوا و أفاضوا في الحديث إذا تدافعوا فيه و الدمع الماء الجارى من العين و يشبه به الصافى فيقال كأنه دمع و المدامع مجارى الدمع و شجه دامعه تسيل دما و الطمع تعلق النفس بما يقوى أن يكون من معنى المحبوب و نظيره الأمل و الرجاء و الطمع أن يكون معه الخوف أن لا يكون و الصالح هو الذى يعمل الصلاح فى نفسه فإن كان عمله فى غيره فهو مصلح فلذلك يوصف الله تعالى بأنه مصلح و لم يوصف بأنه صالح.

الإعراب

اللام فى «لَتَجِدَنَّ» لام القسم و النون دخلت ليفصل بين الحال و الاستقبال هذا مذهب الخليل و سيبويه و «عَدَاوَةٌ» منصوب على التمييز و «يَقُولُونَ رَبَّنَا» فى موضع نصب على الحال و تقديره قائلين ربنا و لا تؤمن فى موضع نصب على الحال تقديره أى شىء لنا تاركين الإيمان أى فى حال تركنا الإيمان و «مِنَ الْحَقِّ» معنى من تبيين الإضافة التى تقوم مقام الصفه كأنه قيل و الجائى لنا الذى هو الحق و قيل أنها للتبعض لأنهم آمنوا بالذى جاءهم على التفصيل.

النزول و القصه

نزلت فى النجاشى و أصحابه قال المفسرون ائتمرت قريش أن يفتنوا المؤمنين عن دينهم فوثبت كل قبيله على من فيها من المسلمين يؤذونهم و يعذبونهم فافتتن من افتتن و عصم الله منهم من شاء و منع الله رسوله بعمه أبى طالب

فلما رأى رسول الله ما بأصحابه و لم يقدر على منعهم و لم يؤمر بعد بالجهاد أمرهم بالخروج إلى أرض الحبشه و قال إن بها ملكا صالحا لا يظلم و لا يظلم عنده أحد فاخرجوا إليه حتى يجعل الله عز و جل للمسلمين فرجا

و أراد به النجاشى و اسمه أصحمة و هو بالحبشيه عطيه و إنما النجاشى اسم الملك كقولهم تبع و كسرى و قيصر فخرج إليها سرا أحد عشر رجلا و أربع نسوة و هم عثمان بن عفان و امرأته رقيه بنت رسول الله و الزبير بن العوام و عبد الله بن مسعود و عبد الرحمن بن عوف و أبو حذيفه بن عتبة و امرأته سهله بنت سهيل بن عمرو و مصعب بن عمير و أبو سلمه بن عبد الأسد و امرأته أم سلمه بنت أبى أميه و عثمان بن مظعون و عامر بن ربيعة و امرأته ليلى بنت أبى خيثمه و حاطب بن عمرو و سهل بن البيضاء فخرجوا إلى البحر و أخذوا سفينه إلى أرض الحبشه بنصف دينار و ذلك فى رجب فى السنه الخامسه من مبعث رسول الله و هذه هى الهجره الأولى ثم خرج جعفر بن أبى طالب و تتابع المسلمون إليها و كان

جميع من هاجر إلى الحبشه من المسلمين اثنين وثمانين رجلا سوى النساء والصبيان فلما علمت قريش بذلك وجهوا عمرو بن العاص وصاحبه عماره بن الوليد بالهدايا إلى النجاشي و إلى بطارقه ليردوهم إليهم و كان عماره بن الوليد شابا حسن الوجه و أخرج عمرو بن العاص أهله معه فلما ركبوا السفينه شربوا الخمر فقال عماره لعمرو بن العاص قل لأهلك تقبلني فأبى فلما انتشى عمرو دفعه عماره في الماء و نشب عمرو في صدر السفينه و أخرج من الماء و ألقى الله بينهما العداوه في مسيرهما قبل أن يقدا إلى النجاشي ثم وردا على النجاشي فقال عمرو بن العاص أيها الملك إن قوما خالفونا في ديننا و سبوا آلهتنا و صاروا إليك فردهم إلينا فبعث النجاشي إلى جعفر فجاءه فقال يا أيها الملك سلهم أ نحن عبيد لهم فقال لا بل أحرار قال فسلمهم أ لهم علينا ديون يطالبوننا بها قال لا- ما لنا عليكم ديون قال فلکم فی أعناقنا دماء تطالبونا بها قال عمرو لا قال فما تريدون منا أذيتونا فخرجنا من دياركم ثم قال أيها الملك بعث الله فينا نبيا أمرنا بخلع الأنداد و ترك الاستقسام بالأزلام و أمرنا بالصلاه و الزكاه و العدل و الإحسان و إيتاء ذى القربى و نهانا عن الفحشاء و المنكر و البغى فقال النجاشي بعث الله عيسى ثم قال النجاشي لجعفر هل تحفظ مما أنزل الله على نبيك شيئا قال نعم فقرا سورة مريم فلما بلغ قوله وَ هَزِيْ إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلِهِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا قال هذا و الله هو الحق فقال عمرو أنه مخالف لنا فرده إلينا فرفع النجاشي يده و ضرب بها وجه عمرو و قال اسكت و الله لئن ذكرته بعد بسوء لأفعلن بك و قال أرجعوا إلى هذا هديته و قال لجعفر و أصحابه امكثوا فإنكم سيوم و السيوم الآمنون و أمر لهم بما يصلحهم من الرزق فانصرف عمرو و أقام المسلمون هناك بخير دار و أحسن جوار إلى أن هاجر رسول الله و علا أمره و هادن قريشا و فتح خيبر فوافى جعفر إلى رسول الله بجميع من كانوا معه

فقال رسول الله لا أدري أنا بفتح خيبر أسر أم بقدم جعفر

و وافى جعفر و أصحابه رسول الله في سبعين رجلا- منهم اثنان و ستون من الحبشه و ثمانية من أهل الشام فيهم بحيراء الراهب فقرا عليهم رسول الله (ص) سورة يس إلى آخرها فبكوا حين سمعوا القرآن و آمنوا و قالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى فأنزل الله فيهم هذه الآيات و قال مقاتل و الكلبى كانوا أربعين رجلا اثنان و ثلاثون من الحبشه و ثمانية من أهل الشام و قال عطا كانوا ثمانين رجلا أربعون من أهل نجران من بنى الحرث بن كعب و اثنان و ثلاثون من الحبشه و ثمانية روميون من أهل الشام.

ثم ذكر تعالى معاداة اليهود للمسلمين فقال «لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عِدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا» وصف اليهود و المشركين بأنهم أشد الناس عداوة للمؤمنين لأن اليهود ظاهروا المشركين على المؤمنين مع أن المؤمنين يؤمنون بنبوه موسى و التوراه التى أتى بها فكان ينبغى أن يكونوا إلى من وافقهم فى الإيمان بنبيهم و كتابهم أقرب و إنما فعلوا ذلك حسدا للنبي (ص) «وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى» يعنى الذين قدمنا ذكرهم من النجاشى ملك الحبشه و أصحابه عن ابن عباس و سعيد بن جبير و عطا و السدى و الذين جاءوا مع جعفر مسلمين عن مجاهد «ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ» أى من النصارى «قِسِّيَّيْنَ» أى عبادا عن ابن زيد و قيل علماء عن قطرب و قيل إن النصارى ضيقت الإنجيل و أدخلوا فيه ما ليس فيه و بقى من علمائهم واحد على الحق و الاستقامه فهو قسيسا فمن كان على هداه و دينه فهو قسيس «وَرُهْبَانًا» أى أصحاب الصوامع «وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ» معناه أن هؤلاء النصارى الذين آمنوا لا يستكبرون عن اتباع الحق و الانقياد له كما استكبر اليهود و عباد الأوثان و أنفوا عن قبول الحق أخبر الله تعالى فى هذه الآيه عن عداوه مجاورى النبي (ص) من اليهود و موده النجاشى و أصحابه الذين أسلموا معه من الحبشه لأن الهجره كانت إلى المدينه و بها اليهود و إلى الحبشه و بها النجاشى و أصحابه ثم وصفهم فقال «وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ» من القرآن «تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ» أى لمعرفتهم بأن المتلو عليهم كلام الله و أنه حق «يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا» أى صدقنا بأنه كلامك أنزلته على نبيك «فَاكْتَبْنَا» أى فاجعلنا بمنزله من قد كتب و دون و قيل فاكتبنا فى أم الكتاب و هو اللوح المحفوظ «مَعَ الشَّاهِدِينَ» أى مع محمد و أمته الذين يشهدون بالحق عن ابن عباس و قيل مع الذين يشهدون بالإيمان عن الحسن و قيل مع الذين يشهدون بتصديق نبيك و كتابك عن الجبائى «وَ مَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ مَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ» معناه لأى عذر لا تؤمن بالله و هذا جواب لمن قال لهم من قومهم تعنيفا لهم لم آمنتم عن الزجاج و قيل أنهم قدروا فى أنفسهم كان سائلا سألهم عنه فأجابوا بذلك و الحق هو القرآن و الإسلام و وصفه بالمجىء مجازا كما يقال نزل و إنما نزل به الملك فكذلك جاء به الملك و قيل إن جاء بمعنى حدث نحو قوله جاءَتْ سَيِّكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ «وَ نَطْمَعُ» أى نرجو و نأمل «أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا» يعنى فى الجنة لإيماننا بالحق فحذف للدلاله الكلام عليه «مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ» المؤمنين من أمه محمد.

إشارة

فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٨٥) وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٨٦)

اللغة

أثابهم أى جازاهم و أصل الثواب الرجوع و الإحسان إيصال النفع الحسن إلى الغير و ضده الإساءة و هو إيصال الضرر القبيح إليه و ليس كل من كان من جهته إحسان فهو محسن مطلقا فالمحسن فاعل الإحسان بشرط أن يكون خاليا من وجود القبح و الجحيم النار الشديده الإيقاد و هو هنا اسم من أسماء جهنم و جحيم فلان النار إذا شدد إيقادها و يقال لعين الأسد جحمة لشده إيقادها قال:

" و الحرب لا يبقى لجاحمها التخيل و المراح "

. المعنى

«فَأَثَابَهُمُ» أى جازاهم «اللَّهُ بِمَا قَالُوا» أى بالتوحيد عن الكلبي و على هذا فإنما علق الثواب بمجرد القول لأنه قد سبق من وصفهم ما يدل على إخلاصهم فيما قالوه و هو المعرفة فى قوله مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ و البكاء المؤذن بحقيقه الإخلاص و استكانه القلب و معرفته و القول إذا اقترن به المعرفة و الإخلاص فهو الإيمان الحقيقى الموعود عليه الثواب و قيل إن المراد بما قالوا ما سألوا يعنى قوله فَأَكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ وَ نَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا الْآيَةَ عَنْ عطاء عن ابن عباس و على هذا فيكون القول معناه المسأله للجنة «جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا» مر تفسيره «وَ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ» أى المؤمنين عن الكلبي و الموحدين عن ابن عباس «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ» لما ذكر سبحانه الوعد لمؤمنيهم ذكر الوعيد لمن كفر منهم و كذب و أطلق اللفظ به ليكون لهم و لمن جرى مجراهم فى الكفر و إنما شرط فى الوعيد على الكفر التكذيب بالآيات و إن كان كل منهما يستحق به العقاب لأن صفه الكفار من أهل الكتاب أنهم يكذبون بالآيات فلم يصح هاهنا أو كذبوا لأنهم جمعوا الأمرين و ليس من شرط المكذب أن يكون عالما بأن ما كذب به صحيح بل إذا اعتقد أن الخبر كذب سمي مكذبا و إن لم يعلم أنه كذب و إنما يستحق به الذم لأنه جعل له طريق إلى أن يعلم صحه ما كذب به.

إشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٨٨)

النزول و القصه

قال المفسرون

جلس رسول الله يوما فذكر الناس و وصف القيامة فرق الناس و بكوا و اجتمع عشره من الصحابه فى بيت عثمان بن مظعون الجمحى و هم على و أبو بكر و عبد الله بن مسعود و أبو ذر الغفارى و سالم مولى أبى حذيفه و عبد الله بن عمر و المقداد بن الأسود الكندى و سلمان الفارسى و معقل بن مقرن و اتفقوا على أن يصوموا النهار و يقوموا الليل و لا يناموا على الفرش و لا يأكلوا اللحم و لا- الودك و لا- يقربوا النساء و الطيب و يلبسوا المسوح و يرفضوا الدنيا و يسيحوا فى الأرض و هم بعضهم أن يجب مذاكيره فبلغ ذلك رسول الله ص فأتى دار عثمان فلم يصادفه فقال لامرأته أم حكيم بنت أبى أميه و اسمها حواء و كانت عطاره أ حق ما بلغنى عن زوجك و أصحابه فكرهت أن تكذب رسول الله ص و كرهت أن تبدى على زوجها فقالت يا رسول الله إن كان أخبرك عثمان فقد صدقك فانصرف رسول الله فلما دخل عثمان أخبرته بذلك فأتى رسول الله ص هو و أصحابه فقال لهم رسول الله أ لم أنبئكم أنكم اتفقتم على كذا و كذا قالوا بلى يا رسول الله ص و ما أردنا إلا الخير فقال رسول الله إني لم أومر بذلك ثم قال إن لأنفسكم عليكم حقا فصوموا و أفطروا و قوموا و ناموا فإني أقوم و أنام و أصوم و أفطر و آكل اللحم و الدسم و آتى النساء و من رغب عن سنتى فليس منى ثم جمع الناس و خطبهم و قال ما بال أقوام حرّموا النساء و الطعام و الطيب و النوم و شهوات الدنيا أما إني لست آمركم أن تكونوا قسيسين و رهبانا فإنه ليس فى دينى ترك اللحم و لا النساء و لا اتخاذ الصوامع و إن سياحه أمتى الصوم و رهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله و لا تشركوا به شيئا و حجوا و اعتمروا و أقيموا الصلاة و آتوا الزكاه و صوموا رمضان و استقيموا يستقم لكم فإنما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فأولئك بقاياهم فى الديارات و الصوامع فأنزل الله الآيه

و روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال نزلت فى على و بلال و عثمان ابن مظعون فأما على (عليه السلام) فإنه حلف أن لا ينام بالليل أبدا إلا ما شاء الله و أما بلال فإنه حلف أن لا يفطر بالنهار أبدا و أما عثمان بن مظعون فإنه حلف أن لا ينكح أبدا.

المعنى

لما تقدم ذكر الرهبان و كانوا قد حرّموا على أنفسهم الطيبات نهى الله

المؤمنين عن ذلك فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» أى يا أيها المؤمنون «لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ» و هو يحتمل وجوها منها أن يريد لا تعتقدوا تحريمها و منها أن يريد لا تظهروا تحريمها و منها أن يريد لا تحرموها على غيركم بالفتوى و الحكم و منها أن يريد لا تجروها مجرى المحرمات فى شده الاجتناب و منها أن يريد لا تلتزموا تحريمها بنذر أو يمين فوجب حمل الآيه على جميع هذه الوجوه و الطيبات اللذيذات التى تشتهيها النفوس و تميل إليها القلوب و قد يقال الطيب بمعنى الحلال كما يقال يطيب له كذا أى يحل له و لا- يليق ذلك بهذا الموضع «وَلَا تَعْتَدُوا» أى لا تتعدوا حدود الله و أحكامه و قيل معناه لا تجبوا أنفسكم فسمى الخصاء اعتداء عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و الأول أعم فائده «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» معناه يبغضهم و يريد الانتقام منهم «وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ» لفظه أمر و المراد به الإباحه «حَلَالًا طَيِّبًا» أى مباحا لذيدا و يسأل هنا فيقال إذا كان الرزق كله حلالا- فلم قيد هاهنا فقال حلالا و الجواب أنه إنما ذكر حلالا على وجه التأكيد كما قال وَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا و قد أطلق الله تعالى فى موضع آخر على وجه المدح و هو قوله وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ* و قال ابن عباس يريد من طيبات الرزق اللحم و غيره «وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ» هذا استدعاء إلى التقوى بألطف الوجوه و تقديره أيها المؤمنون بالله لا تضيعوا إيمانكم بالتقصير فى التقوى فيكون عليكم الحسره العظمى و اتقوا فى تحريم ما أحل الله لكم و فى جميع معاصيه من يؤمنون و هو الله تعالى و فى هاتين الآيتين دلالة على كراهه التخلى و التفرد و التوحش و الخروج عما عليه الجمهور فى الفاعل و طلب الولد و عماره الأرض

و قد روى أن النبى ص كان يأكل الدجاج و الفالودج و كان يعجبه الحلواء الحلال و قال إن المؤمن حلو يحب الحلواه و قال إن فى بطن المؤمن زاويه لا يملؤها إلا الحلواء

و روى أن الحسن كان يأكل الفالودج فدخل عليه فرقد السبخى فقال يا فرقد ما تقول فى هذا فقال فرقد لا آكله و لا أحب أكله فأقبل الحسن على غيره كالمتعجب و قال لعاب النحل بلباب البر مع سمن البقر هل يعيبه مسلم.

اشاره

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَ لَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَ احْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (۸۹)

القراءة

قرأ ابن عامر وحده عاقدتم بروايه ابن ذكوان وقرأ أهل الكوفه غير حفص عاقدتم بالتخفيف و الباقر بالتشديد

و روى أن قراءه جعفر بن محمد (عليه السلام) تطعمون أهاليكم.

الحجّه

قال أبو على من قرأ «عَقَّدْتُمْ» مشدده القاف احتمل أمرين (أحدهما) أن يكون لتكثير الفعل (و الآخر) أن لا يراد به التكثير كما أن ضاعف لا يراد به فعل الاثني و من قرأ عاقدتم خفيفه جاز أن يراد به الكثير من الفعل و القليل إلا أن فعل يختص بالكثير كما أن الركبه يختص الحال التي يكون عليها الركوب و من قرأ عاقدتم احتمل أمرين (أحدهما) أن يكون يراد به عاقدتم كما أن عافاه الله و عاقبت اللص و طارقت النعل بمنزله فعلت فيكون على هذا قراءته كقراءه من خفف و يحتمل أن يراد بعاقدتم فاعلت الذي يقتضى فاعلين فصاعدا كأنه قال يؤاخذكم بما عاقدتم عليه اليمين و لما كان عاقد في المعنى قريبا من عاهد عداه بعلى كما يعدى عاهد بها قال وَ مَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ وَ اتسع فحذف الجار و وصل الفعل إلى المفعول ثم حذف من الصله الضمير الذي كان يعود إلى الموصول كما حذفه من قوله فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَ مثله قول الشاعر:

كأنه واضح الأقراب في لقح

أسمى بهن و عزته الأناصيل

إنما هو عزت عليه فاتسع و التقدير يؤاخذكم بالذى عاقدتم عليه الأيمان ثم عاقدتموه الأيمان فحذف الراجع و يجوز أن يجعل ما التي مع الفعل بمعنى المصدر فيمن قرأ عاقدتم و عاقدتم فلا يقتضى راجعا كما لا يقتضيه في قوله وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ وَ قوله فَالْيَوْمَ نَسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَ مَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ وَ أما قوله أهاليكم فإن أهالي كلياى كان واحدا أهلاه و ليلاه و أنشد ابن الأعرابى:

فى كل يوم ما و كل ليلاه

يا ويحه من جمل ما أشقاه

و من قال أهالى جمع أهلون فقد أبعد لأن هذا الجمع لا يكسر.

ص: ٣١٧

اللغو فى اللغة ما لا يعتد به قال الشاعر:

أو مائه تجعل أولادها

لغوا و عرض المائه الجلمد

أى الذى يعارضها فى قوه الجلمد يعنى بالمائه نوقا أى لا يعتد بأولادها و

لغو اليمين هو الحلف على وجه الغلط من غير قصد مثل قول القائل لا والله و بلى والله على سيق اللسان هذا هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام)

يقال عقدت الحبل و العهد و اليمين عقدا قال الحطيئه:

" قوم إذا عقدوا عقدا لجارهم "

البيت و قال فى بيت آخر:

" و إن عاهدوا أوفوا و إن عاقدوا شدوا "

و أعقدت العسل فهو معقد و عقيد و التحرير من الحريه قال الفرزدق:

أبنى غدانه إننى حررتكم

فوهبتكم لعطيه بن جعال

يريد أعتقتكم من ذل الهجا و لزوم العار.

النزول

قيل لما نزلت لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَكَيْفَ نَصْنَعُ بِأَيْمَانِنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ وَ

قيل نزلت فى عبد الله بن رواحه كان عنده ضيف فأخرت زوجته عشاها فحلف لا يأكل من الطعام و حلفت المرأة لا تأكل إن لم يأكل و حلف الضيف لا يأكل أن لم يأكلا فأكل عبد الله بن رواحه و أكلا معه فأخبر النبى ص بذلك فقال له أحسنت

عن ابن زيد.

«لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ» مضى الكلام فى لغو اليمين و حكمه فى سورة البقره و لا كفاره فيه عند أكثر المفسرين و الفقهاء إلا- ما روى عن إبراهيم النخعى أنه قال فيها الكفاره «وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ» إن جعلت ما موصوله فمعناه بالذى عقدتم و إن جعلته مصدرية فمعناه بعقدكم أو بتعقيدكم الأيمان أو بمعاقبتكم الأيمان و تفسيره أن يضم الأمر ثم يحلف بالله فيعقد عليه اليمين عن عطاء و قيل هو ما عقدت عليه قلبك و تعمدته عن مجاهد «فَكَفَّارَتُهُ» أى كفاره ما عقدتم إذا حنثتم و استغنى عن ذكره لأنه مدلول عليه لأن الأمة قد اجتمعت على أن الكفاره لا تجب إلا بعد الحنث «إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ» و اختلف فى مقدار ما يعطى كل مسكين فقال الشافعى مد من طعام و هو ثلثا من و قال أبو حنيفة نصف صاع من حنطه أو صاع من شعير أو تمر و كذلك سائر الكفارات و قال أصحابنا يعطى كل واحد مدين أو مدا و المد رطلان و ربع و يجوز أن يجمعهم على ما هذا قدره ليأكلوه

ص: ٣١٨

ولا يجوز أن يعطى خمسه ما يكفى عشره فإن كان المساكين ذكورا وإناثا جاز ذلك و لكن وقع بلفظ التذكير لأنه يغلب فى كلام العرب «مَنْ أَوْسَيْطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ» قيل فيه قولان (أحدهما) الخبز و الأدم لأن أفضله الخبز و اللحم و أدونه الخبز و الملح و أوسطه الخبز و السمن و الزيت (و الآخر) أنه الأوسط فى المقدار أى تعطيهم كما تعطى أهلَكَ فى العسر و اليسر عن ابن عباس «أَوْ كَسَوْتُهُمْ» قيل لكل واحد منهم ثوب عن الحسن و مجاهد و عطاء و طاووس و هو مذهب الشافعى و قال أبو حنيفة ما يقع عليه اسم الكسوه و الذى رواه أصحابنا أن لكل واحد ثوبين مئزرا و قميصا و عند الضروره يجزى قميص واحد «أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ» معناه عتق رقبه عبد أو أمه و الرقبه يعبر بها عن جملة الشخص و هو كل رقبه سليمه من العاهات صغيره كانت أو كبيره مؤمنه كانت أو كافره لأن اللفظه مطلقه مبهمه إلا أن المؤمن أفضل و هذه الثلاثه واجبه على التخيير و قيل إن الواجب منها واحد لا بعينه و فائده هذا الخلاف و الكلام فى شرحها و فى الأدله على صحه المذهب الأول مذكور فى أصول الفقه «فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصَةَ يَوْمِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ» معناه فكفارته صيام ثلاثه أيام فيكون صيام مرفوعا بأنه خبر المبتدأ أو فعليه صيام ثلاثه أيام فيكون صيام مرفوعا بالابتداء أو بالظرف و حد من ليس بواجد هو من ليس عنده ما يفضل عن قوته و قوت عياله يومه و ليلته و به قال الشافعى و يجب التسابع فى صوم هذه الأيام الثلاثه و به قال أبى و ابن عباس و مجاهد و قتاده و أكثر الفقهاء و فى قراءه ابن مسعود و أبى ثلاثه أيام متتابعات و اليمين على ثلاثه أقسام (أحدها) ما يكون عقدها طاعه و حلها معصيه و هذه تتعلق بحثها الكفاره بلا- خلاف و هو كما لو قيل و الله لا شربت خمرا (و الثانى) أن يكون عقدها طاعه و حلها طاعه كما يقال و الله لا صليت و هذا لا كفاره فى حثه عند أصحابنا و خالف سائر الفقهاء فى ذلك (و الثالث) أن يكون عقدها مباحا و حلها مباحا كما يقول و الله لا لبست هذا الثوب و هذه تتعلق بحثها كفاره بلا خلاف أيضا «ذَلِكَ» إشاره إلى ما تقدم ذكره من الكفاره «كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ» يعنى إذا حلفتُم و حنثتم لأن الكفاره لا- تجب بنفس اليمين و إنما تجب باليمين و الحنث و قيل تجب بالحنث بشرط تقدم اليمين و اختلف فىمن كفر بعد اليمين قبل الحنث فقال أبو حنيفة لا تجزى و قال الشافعى تجزى «وَ احْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ» قيل فى معناه قولان قال ابن عباس يريد لا- تحلفوا و قال غيره احفظوا أيمانكم عن الحنث فلا تحنثوا و هو اختيار الجبائى و هذا هو الأقوى لأن الحلف مباح إلا فى معصيه بلا خلاف و إنما الواجب ترك الحنث و فيه دلالة على أن اليمين فى المعصيه لا تنعقد لأنها لو انعقدت للزم حفظها و إذا كانت لا تنعقد فلا يلزم فيها الكفاره «كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ

لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» معناه كما بين أمر الكفار به و جميع الأحكام يبين لكم آياته و فروضه لتشكروه على تبيينه لكم أموركم و نعمه عليكم.

[سوره المائده (٥): الآيات ٩٠ الى ٩١]

اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (٩١)

اللغه

الخمير عصير العنب المشد و هو العصير الذي يسكر كثيره و سمي خمرا لأنها بالسكر تغطي على العقل و أصله في الباب التغطية من قولهم خمرت الإناء إذا غطيته و دخل في خمار الناس إذا خفي فيما بينهم و الميسر القمار كله من تيسير أمر الجزور بالاجتماع على القمار فيه و أصله من اليسر خلاف العسر و سميت اليد اليسرى تفاؤلا بتيسير العمل بها و قيل لأنها تعين اليد اليمنى فيكون العمل أيسر و الأنصاب الأصنام واحدا نصب و سمي ذلك لأنها كانت تنصب للعباده لها و الانتصاب القيام و منه النصب التعب عن العمل الذي ينتصب له و نصاب السكين لأنه ينصب فيه و مناصبه العدو الانتصاب لعداوته قال الأعشى:

و ذا النصب المنسوب لا تنسكنه

و لا تعبد الشيطان و الله فاعبدا

و الأزلام القداح و هي سهام كانوا يجيلونها للقمار و قد ذكرنا ما قيل فيها في أول السوره و الرجز بالزاي هو العذاب و أصل الرجز تتابع الحركات يقال ناقه رجزاء إذا كانت ترتعد قوائمها في ناحيه قال الزجاج الرجز في اللغه اسم لكل ما استقدر من عمل يقال رجز رجز و رجز يرجس إذا عمل عملا قبيحا و الرجز بفتح الراء شده الصوت يقال رعد رجاس شديد الصوت فكان الرجز الذي يقبح ذكره و يرتفع في القبح.

المعنى

ثم عطف الله تعالى على ما بين من الأحكام بالنهي عن أفعال أهل

ص: ٣٢٠

الجاهلية و النقل عنها إلى شريعته الإسلام فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ» مر معناهما فى سورة البقره قال ابن عباس يريد بالخمير جميع الأشربه التى تسكر

و قد قال رسول الله ص الخمير من تسع من البتع و هو العسل و من العنب و من الزبيب و من التمر و من الحنطه و من الذره و من الشعير و السلت و قال فى الميسر يريد القمار و هو فى أشياء كثيره

انتهى كلامه «وَ الْأَنْصَابُ وَ الْأَزْلَامُ» ذكرناهما فى أول السوره «رَجَسَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ» لا بد من أن يكون فى الكلام حذف و المعنى شرب الخمير و تناوله أو التصرف فيه و عباده الأنصاب و الاستقسام بالأزلام رجس أى خبيث من عمل الشيطان و إنما نسبها إلى الشيطان و هى أجسام من فعل الله لما يأمر به الشيطان فيها من الفساد فى أمر بشرب المسكر ليزيل العقل و يأمر بالقمار ليستعمل فيه الأخلاق الدنيه و يأمر بعباده الأصنام لما فيها من الشرك بالله و يأمر بالأزلام لما فيها من ضعف الرأى و الاتكال على الاتفاق

و قال الباقر (عليه السلام) يدخل فى الميسر اللعب بالشطرنج و النرد و غير ذلك من أنواع القمار حتى أن لعب الصبيان بالجوز من القمار

«فَأَجْتَنِبُوهُ» أى كونوا على جانب منه أى فى ناحيه «لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» معناه لكى تفوزوا بالثواب و فى هذه الآيه دلالة على تحريم الخمير و هذه الأشياء من أربعه أوجه (أحدها) أنه سبحانه وصفها بالرجس و هو النجس و النجس محرم بلا خلاف (و الثانى) أنه نسبها إلى عمل الشيطان و ذلك يوجب تحريمها (و الثالث) أنه أمر باجتنابها و الأمر يقتضى الإيجاب (و الرابع) أنه جعل الفوز و الفلاح فى اجتنابها و الهاء فى قوله «فَأَجْتَنِبُوهُ» راجعه إلى عمل الشيطان و تقديره فاجتنبوا عمل الشيطان و كل واحد من شرب الخمير و تعاطى القمار و اتخاذ الأنصاب و الأزلام من عمل الشيطان و يجوز أن تكون الهاء عائده إلى الرجس و الرجس واقع على الخمير و ما ذكره بعدها و قد قرن الله تعالى الخمير بعباده الأوثان تغليظا فى تحريمها و لذلك

قال الباقر (عليه السلام) مدمن الخمير كعابد الوثن

و فى هذا دلالة على تحريم سائر التصرفات فى الخمير من الشرب و البيع و الشراء و الاستعمال على جميع الوجوه ثم بين تعالى أنه إنما نهى عن الخمير لما يعلم فى اجتنابه من الصلاح و خير الدارين فقال «إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَ الْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ» قال ابن عباس يريد سعد بن أبى وقاص و رجلا من الأنصار كان مواخيا لسعد فدعاه إلى الطعام فأكلوا و شربوا نبيدا مسكرا فوقع بين الأنصارى و سعد مرء و مفاخره فأخذ الأنصارى لحي جمل فضرب به سعدا ففرز أنفه فأنزل

الله تعالى ذلك فيهما و المعنى يريد الشيطان إيقاع العداوة بينكم بالإغواء المزين لكم ذلك حتى إذا سكرتم زالت عقولكم و أقدمتم من القبائح على ما كان يمنعه منه عقولكم قال قتاده إن الرجل كان يقامر فى ماله و أهله فيقمر و يبقى حزينا سلبا فيكسبه ذلك العداوة و البغضاء «وَ يَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ» أى يمنعكم عن الذكر لله بالتعظيم و الشكر على آلائه «وَ عَنِ الصَّلَاةِ» التى هى قوام دينكم «فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ» صيغته الاستفهام و معناه النهى و إنما جاز فى صيغته الاستفهام أن يكون على معنى النهى لأن الله ذم هذه الأفعال و أظهر قبحها و إذا ظهر قبح الفعل للمخاطب ثم استفهم عن تركه لم يسعه إلا الإقرار بالترك فكأنه قيل له أ تفعله بعد ما قد ظهر من قبحه ما ظهر فصار المنتهى بقوله «فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ» فى محل من عقد عليه ذلك بإقراره و كان هذا أبلغ فى باب النهى من أن يقال انتهوا و لا تشرّبوا.

[سوره المائده (٥): آيه ٩٢]

إشارة

وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ احْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٩٢)

المعنى

لما أمر الله تعالى باجتنب الخمر و ما بعدها عقبه بالأمر بالطاعة له فيه و فى غيره فقال «وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ» و الطاعة هى امتثال الأمر و الانتهاء عن المنهى عنه و لذلك يصح أن يكون الطاعة طاعة الاثنين بأن يوافق أمرهما و إرادتهما «وَ احْذَرُوا» هذا أمر منه تعالى بالحدز من المحارم و المناهى قال عطاء يريد و احذروا سخطى و الحذر هو امتناع القادر من الشىء لما فيه من الضرر «فَإِن تَوَلَّيْتُمْ» أى فإن أعرضتم و لم تعملوا بما أمركم به «فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ» معناه الوعيد و التهديد كأنه قال فاعلموا أنكم قد استحققت العقاب لتوليكم عما أدى رسولنا إليكم من البلاغ المبين يعنى الأداء الظاهر الواضح فوضع كلام موضع كلام للإيجاز و لو كان الكلام على صيغته من غير هذا التقدير لا يصح لأن عليهم أن يعلموا ذلك تولوا أو لم يتولوا و ما فى قوله «أَنَّمَا» كافه لأن عن عملها.

[سوره المائده (٥): آيه ٩٣]

إشارة

لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَ آمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَ أَحْسَنُوا وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٩٣)

لما نزل تحريم الخمر و الميسر قالت الصحابه يا رسول الله ما تقول فى إخواننا الذين مضوا و هم يشربون الخمر و يأكلون الميسر فأنزل الله هذه الآيه عن ابن عباس و أنس بن مالك و البراء بن عازب و مجاهد و قتاده و الضحاك و قيل إنها نزلت فى القوم الذين حرموا على أنفسهم اللحوم و سلكوا طريق الترهيب كعثمان بن مظعون و غيره فبين الله لهم أنه لا جناح فى تناول المباح مع اجتناب المحرمات.

المعنى

«لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ» أى إثم و حرج «فِيمَا طَعِمُوا» من الخمر و الميسر قبل نزول التحريم و

فى تفسير أهل البيت (عليه السلام) فيما طعموا من الحلال

و هذه اللفظه صالحه للأكل و الشرب جميعا «إِذَا مَا اتَّقَوْا» شربها بعد التحريم «و آمَنُوا» بالله «و عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» أى الطاعات «ثُمَّ اتَّقَوْا» أى داموا على الاتقاء «و آمَنُوا» أى داموا على الإيمان «ثُمَّ اتَّقَوْا» بفعل الفرائض «و أَحْسَنُوا» بفعل النوافل و على هذا يكون الاتقاء الأول اتقاء الشرب بعد التحريم و الاتقاء الثانى هو الدوام على ذلك و الاتقاء الثالث اتقاء جميع المعاصى و ضم الإحسان إليه و قيل إن الاتقاء الأول هو اتقاء المعاصى العقلية التى تختص المكلف و لا تتعداه و الإيمان الأول هو الإيمان بالله تعالى و بما أوجب الله تعالى الإيمان به و الإيمان بقبح هذه المعاصى و وجوب تجنبها و الاتقاء الثانى هو اتقاء المعاصى السمعية و الإيمان بقبحها و وجوب اجتنابها و الاتقاء الثالث يختص بمظالم العباد و بما يتعدى إلى الغير من الظلم و الفساد و قال أبو على الجبائى إن الشرط الأول يتعلق بالزمان الماضى و الشرط الثانى يتعلق بالدوام على ذلك و الاستمرار على فعله و الشرط الثالث يختص بمظالم العباد ثم استدل على أن هذا الاتقاء يختص بمظالم العباد بقوله «أَحْسَنُوا» فإن الإحسان إذا كان متعديا و جب أن تكون المعاصى التى أمروا باتقائها قبله أيضا متعديه و هذا ضعيف لأنه لا تصريح فى الآيه بأن المراد به الإحسان المتعدى و لا يمتنع أن يريد بالإحسان فعل الحسن و المبالغة فيه و إن اختص الفاعل و لا يتعداه كما يقولون لمن بالغ فى فعل الحسن أحسنت و أجملت ثم لو سلم أن المراد به الإحسان المتعدى فلم لا يجوز أن يعطف فعل متعد على فعل لا يتعدى و لو صرح تعالى فقال و اتقوا القبائح كلها و أحسنوا إلى غيرهم لم يمتنع و لعل أبا على إنما عدل فى الشرط الثالث عن ذكر الأحوال لما ظن أنه لا يمكن فيه ما أمكن فى الأول و الثانى و هذا ممكن غير ممتنع بأن يحمل الشرط الأول على الماضى و الثانى على الحال و الثالث على المنتظر المستقبل و متى قيل أن المتكلمين عندهم لا واسطه بين

الماضى و المستقبل فإن الفعل إما أن يكون موجودا فيكون ماضيا و إما أن يكون معدوما فيكون مستقبلا و إنما ذكر الأحوال الثلاثة النحويون فجوابه أن الصحيح أنه لا- واسطه فى الوجود بين المعدوم و الموجود كما ذكرت غير أن الموجود فى أقرب الزمان لا يمتنع أن نسميه حالا و نفرق بينه و بين الغابر السالف و الغابر المنتظر و وجدت السيد الأجل المرتضى على بن الحسين الموسوى ذكر فى بعض مسائله أن المفسرين تشاغلوا بإيضاح الوجه فى التكرار الذى تضمنته هذه الآيه و ظنوا أنه المشكل فيها و تركوا ما هو أشد إشكالا من التكرار و هو أنه تعالى نفى الجناح عن الذين آمنوا و عملوا الصالحات فيما يطعمونه بشرط الاتقاء و الإيمان و عمل الصالحات و الإيمان و عمل الصالحات ليس بشرط فى نفى الجناح فإن المباح إذا وقع من الكافر فلا إثم عليه و لا وزر قال و لنا فى حل هذه الشبهه طريقتان (أحدهما) أن يضم إلى المشروط المصرح بذكره غيره حتى يظهر تأثير ما شرط فيكون تقدير الآيه ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا و غيره إذا ما اتقوا و آمنوا و عملوا الصالحات لأن الشرط فى نفى الجناح لا- بد من أن يكون له تأثير حتى يكون متى انتفى ثبت الجناح و قد علمنا أن باتقاء المحارم ينتفى الجناح فيما يطعم فهو الشرط الذى لا زياده عليه و لما ولى ذكر الاتقاء الإيمان و عمل الصالحات و لا تأثير لهما فى نفى الجناح علمنا أنه أضمر ما تقدم ذكره ليصح الشرط و يطابق المشروط لأن من اتقى المحارم فيما لا يطعم لا جناح عليه فيما يطعمه و لكنه قد يصح أن يثبت عليه الجناح فيما أخل به من واجب أو ضيعة من فرض فإذا شرطنا أنه وقع اتقاء القبيح ممن آمن بالله و عمل الصالحات ارتفع الجناح عنه من كل وجه و ليس بمنكر حذف ما ذكرناه لدلاله الكلام عليه فمن عادة العرب أن يحذفوا ما يجرى هذا المجرى و تكون قوه الدلاله عليه مغنيه عن النطق به و مثله قول الشاعر:

تراه كان الله يجدع أنفه

و عينيه إن مولاه تاب له وفر

لما كان الجدع لا- يليق بالعين و كانت معطوفه على الأنف الذى يليق الجدع به أضمر ما يليق بالعين من البخص و ما يجرى مجراه و الطريق الثانى هو أن يجعل الإيمان و عمل الصالحات هنا ليس بشرط حقيقى و إن كان معطوفا على الشرط فكأنه تعالى لما أراد أن يبين وجوب الإيمان و عمل الصالحات عطفه على ما هو واجب من اتقاء المحارم

لاشتراكهما فى الوجوب و إن لم يشتركا فى كونهما شرطا فى نفي الجناح فيما يطعم و هذا توسع فى البلاغه يحار فيه العقل استحسانا و استغرابا انتهى كلامه و قد قيل أيضا فى الجواب عن ذلك أن المؤمن يصح أن يطلق عليه بأنه لا جناح عليه و الكافر مستحق للعقاب مغمور فلا يطلق عليه هذا اللفظ و أيضا فإن الكافر قد سد على نفسه طريق معرفه التحريم و التحليل فلذلك خص المؤمن بالذكر و قوله «وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» أى يريد ثوابهم أو إجلالهم و إكرامهم و تجليلهم

و يروى أن قدامه بن مضعون شرب الخمر فى أيام عمر بن الخطاب فأراد أن يقيم عليه الحد فقال «لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا» الآيه فأراد عمر أن يدرأ عنه الحد فقال على أديروه على الصحابه فإن لم يسمع أحدا منهم قرأ عليه آيه التحريم فادرءوا عنه الحد و إن كان قد سمع فاستتبهوه و أقيموا عليه الحد فإن لم يتب و جب عليه القتل.

[سوره المائده (٥): الآيات ٩٤ الى ٩٥]

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَبْلُغْكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَ أَنْتُمْ حُرْمٌ وَ مَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بِالْغِ كَعْبِهِ أَوْ كَفَّارَةً طَعَامٌ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكِ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَ مَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٩٥)

القراءة

قرأ أهل الكوفة و يعقوب «فَجَزَاءٌ» منونا «مِثْلٌ» بالرفع و الباقون فجزاء مثل ما قتل بالإضافه و قرأ أهل المدينة و ابن عامر أو كفارهم بغير تنوين طعام على الإضافه و الباقون «أَوْ كَفَّارَةً» بالتنوين «طَعَامٌ» بالرفع و لم يختلفوا فى «مَسَاكِينَ» أنه جمع و روى فى الشواذ قراءة

ص: ٣٢٥

و قراءه محمد بن على الباقر (عليه السلام) و جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) يحكم به ذو عدل منكم.

الحجه

قال أبو على حجه من رفع المثل أنه صفة الجزاء و المعنى فعليه جزاء من النعم مماثل للمقتول و التقدير فعليه جزاء أى فاللازم له أو فالواجب عليه جزاء من النعم مماثل ما قتل من الصيد و قوله «مِنَ النَّعْمِ» على هذه القراءه صفة للنكره التى هى جزاء و فيه ذكر له و لا ينبغى إضافه جزاء إلى المثل لأن عليه جزاء المقتول لا جزاء مثله و لا جزاء عليه لمثل المقتول الذى لم يقتله و لا يجوز أن يكون قوله «مِنَ النَّعْمِ» على هذه القراءه متعلقا بالمصدر كما جاز أن يكون الجار متعلقا به كما فى قوله «جَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا» لأنك قد وصفت الموصول و إذا وصفته لم يجز أن تعلق به بعد الوصف شيئا كما أنك إذا عطف عليه أو أكدته لم يجز أن تعلق به شيئا بعد العطف عليه و التأكيد له فأما فى قراءه من أضاف الجزاء إلى مثل فإن قوله «مِنَ النَّعْمِ» يكون صفة الجزاء كما كان فى قول من نون و لم يصف صفة له و يجوز فيه وجه آخر لا- يجوز فى قول من نون و وصف و هو أن تقدره متعلقا بالمصدر و لا يجوز على هذا القول أن يكون فيه ذكر كما يتضمن الذكر لما كان صفة و إنما جاز تعلقا بالمصدر و لا يجوز على قول من أضاف لأنك لم تصف الموصول كما وصفته فى قول من نون فيمتنع تعلقه به و أما من أضاف الجزاء إلى مثل فإنه و إن كان عليه جزاء المقتول لا جزاء مثله فإنهم قد يقولون أنا أكرم مثلك يريدون أنا أكرمك فكذلك إذا قال «فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ» فالمراد جزاء ما قتل و إذا كان كذلك كانت الإضافه فى المعنى كغير الإضافه و لو قدرت الجزاء تقدير المصدر فأضفته إلى المثل كما تضيف المصدر إلى المفعول به لكان جائزا فى قول من جر مثلا على الاتساع الذى ذكرناه ألا ترى أن المعنى فجزاء مثل ما قتل على ما قرأه أبو عبد الرحمن أى يجازى مثل ما قتل و مثله قول الشاعر:

بضرب بالسيوف رءوس قوم

أزلنا هامهن على المقيبل

لما نون المصدر أعمله و أما الوجه فى قراءه من رفع «طَعَامٌ مَسَاكِينَ» أنه جعله عطفًا على الكفاره عطف بيان لأن الطعام هو الكفاره و لم يصف الكفاره إلى الطعام و من أضاف الكفاره

إلى الطعام فلأنه لما خير المكفر بين ثلاثه أشياء الهدى و الطعام و الصيام استجاز الإضافه لذلك فكأنه قال كفاره طعام لا كفاره هدى و لا صوم فاستقامت الإضافه و أما ذو عدل فقد قال أبو الفتح فيه أنه لم يوحد ذو لأن الواحد يكفى لكنه أراد معنى من أى يحكم به من يعدل و من يكون للثنين كما يكون للواحد كقوله:

" نكن مثل من يا ذئب يصطحبان "

و أقول إن هذا الوجه الذى ذكره ابن جنى بعيد غير مفهوم و

قد وجدت فى تفسير أهل البيت منقولاً عن السيدين (عليه السلام) أن المراد بذى العدل رسول الله ص و أولى الأمر من بعده

و كفى بصاحب القراءه خبراً بمعنى قراءته.

اللغه

البلاء الاختبار و الامتحان و أصله إظهار باطن الحال و منه البلاء النعمه لأنه يظهر به باطن حال المنعم عليه فى الشكر أو الكفر و البلى الخلوقة لظهور تقادم العهد فيه و الغيب ما غاب عن الحواس و منه الغيبه و هو الذكر بظهر الغيب بالقبيح و حرم جمع حرام و رجل حرام و محرم بمعنى و حلال و محل كذلك و أحرم الرجل دخل فى الشهر الحرام و أحرم أيضاً دخل فى الحرم و أحرم أهل بالحج و الحرم الإحرام و منه

الحديث كنت أطيّب النبي لحرمه

و أصل الباب المنع و سميت النساء حرماً لأنها تمنع و المحروم الممنوع الرزق و المثل و المثل و الشبه و الشبه واحد و النعم فى اللغه هى الإبل و البقر و الغنم و إن انفردت الإبل قيل لها نعم و إن انفردت البقر و الغنم لم تسم نعماً ذكره الزجاج قال الفراء العدل بفتح العين ما عادل الشىء من غير جنسه و العدل بالكسر المثل تقول عندى عدل غلامك أو شاتك إذا كانت شاه تعدل شاه أو غلام يعدل غلاماً فإذا أردت قيمته من غير جنسه فتحت فقلت عدل و قال البصريون العدل و العدل فى معنى المثل كان من الجنس أو غير الجنس و الوبال ثقل الشىء فى المكروه و منه قولهم طعام وبييل و ماء وبييل إذا كانا ثقيلين غير ناميين فى المال و منه قوله «فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً» أى ثقيلًا شديدًا و يقال لخشب القصار وبييل من هذا قال طرفه بن العبد:

فمرت كهاه ذات خيف جلاله

عقيله شيخ كالوبيل يلندد

. الإعراب

«لَيْبَلُو نَكْمٌ» هذه اللام لام القسم و من فى قوله «مِنَ الصَّيْدِ» للتبعيض

و يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون عنى صيد البر دون البحر (و الآخر) أن يكون لما عنى الصيد ما داموا فى الإحرام كان ذلك بعض الصيد و يجوز أن تكون من لتبيين الجنس كما تقول لامتحنك بشىء من الورق أى لامتحنك بالجنس الذى هو ورق كقوله «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ» و الأوثان كلها رجس فالمعنى اجتنبوا الرجس الذى هو وثن و أراد بالصيد المصيد بدلاله قوله «تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَ رِمَاحُكُمْ» و لو كان الصيد مصدرا يكون حدثا فلا يوصف بنيل اليد و الرمح و إنما يوصف بذلك ما لو كان عينا و قوله «بِالْغَيْبِ» فى محل النصب على الحال و المعنى من يخافه غائبا كما فى قوله «مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ»* و قوله «وَ أَنْتُمْ حُرْمٌ» فى موضع النصب على الحال «هَدِيًّا بِالْبَالِغِ الْكَعْبِيِّ» منصوب على الحال و المعنى مقدر أن يهدى قاله الزجاج قال و بالغ الكعبه لفظه لفظ معرفه و معناه النكره أى بالغ الكعبه و حذف التنوين استخفافا و أقول يعنى بذلك أن هذه الإضافة لفظيه غير محضه فيكون فى تقدير الانفصال و المضاف إليه و إن كان مجرورا فى اللفظ فهو منصوب فى المعنى لكن لما حذف التنوين من الأول طلبا للخفه انجر الثانى فى اللفظ و قوله «صِيَامًا» منصوب على التمييز و المعنى و مثل ذلك من الصيام و قوله «فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ» فيه إضمار مقدر كأنه قال و من عاد فهو ينتقم الله منه لأن الفاء لا تدخل فى جواب الشرط على الفعل إذا كان مستغنى عنه مع الفعل و يكون موضع الفاء مع ما بعدها جزما.

المعنى

لما تقدم فى أول السوره تحريم الصيد على المحرم مجملا- بين سبحانه ذلك هنا فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» خص المؤمنين بالذكر و إن كان الكفار أيضا مخاطبين بالشرائع لأنهم القابلون لذلك المتفوعون به و قيل لأنه لم يعتد بالكفار «لِيَبْلُغُوا اللَّهَ» أى ليختبرن الله طاعتكم عن معصيتكم «بِشَيْءٍ مِنْ الصَّيْدِ» أى بتحريم شىء من الصيد و إنما بعض لأنه عنى صيد البر خاصه عن الكلبى و قد ذكرناه قبل مفسرا و معنى الاختبار من الله أن يأمر و ينهى ليظهر المعلوم و يصح الجزاء قال أصحاب المعانى امتحن الله أمه محمد ص بصيد البر كما امتحن أمه موسى (عليه السلام) بصيد البحر «تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَ رِمَاحُكُمْ» قيل فيه أقوال (أحدها)

أن المراد به تحريم صيد البر و الذى تناله الأيدى فراخ الطير و صغار الوحش و البيض و الذى تناله الرماح الكبار من الصيد عن ابن عباس و مجاهد و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

(و ثانيها) أن المراد به صيد الحرم ينال بالأيدى و الرماح لأنه يأنس بالناس و لا ينفر منهم فيه كما ينفر فى الحل و ذلك آيه من آيات الله عن أبى على الجبائى (و ثالثها) أن

المراد به ما قرب من الصيد و ما بعد «لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ» معناه ليعاملكم معاملة من يطلب منكم أن يعلم مظاهره فى العدل و وجه آخر ليظهر المعلوم و هو أن يخاف بظهر الغيب فينتهى عن صيد الحرم طاعه له تعالى و قيل ليعلم وجود خوف من يخافه بالوجود لأنه لم يزل عالما بأنه سيخاف فإذا وجد الخوف علم ذلك موجودا و هما معلوم واحد و إن اختلفت العبارة عنه فالحدوث إنما يدخل على الخوف لا على العلم و قوله «بِالْغَيْبِ» معناه فى حال الخلوه و التفرد و قيل معناه أن يخشى عقابه إذا توارى بحيث لا يقع عليه الحس عن الحسن و قال أبو القاسم البلخى أن الله تعالى و إن كان عالما بما يفعلونه فيما لم يزل فإنه لا يجوز أن يثيبهم و لا يعاقبهم على ما يعلمه منهم و إنما يستحقون ذلك إذا علمه واقعا منهم على الوجه الذى كلفهم عليه فإذا لا بد من التكليف و الابتلاء «فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ» أى من تجاوز حد الله و خالف أمره بالصيد فى الحرم و فى حال الإحرام «فَلَهُ عَزَابٌ أَلِيمٌ» أى مؤلم ثم ذكر سبحانه عقيب ذلك ما يجب على ذلك الاعتداء من الجزاء فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ» اختلف فى المعنى بالصيد فقيل هو كل الوحش أكل أو لم يؤكل و هو قول أهل العراق و استدلوا

بقول على (عليه السلام):

صيد الملوك أرانب و ثعالب

فإذا ركبت فصيدى الأبطال

و هو مذهب أصحابنا رضى الله عنهم و قيل هو كل ما يؤكل لحمه و هو قول الشافعى «وَأَنْتُمْ حُرْمٌ» أى و أنتم محرمون بحج أو عمره و قيل معناه و أنتم فى الحرم قال الجبائى الآيه تدل على تحريم قتل الصيد على الوجهين معا و هو الصحيح و قال على بن عيسى تدل على الإحرام بالحج أو العمره فقط «وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا» قيل هو أن يتعمد القتل ناسيا لإحرامه عن الحسن و مجاهد و ابن زيد و ابن جريج و إبراهيم قالوا فأما إذا تعمد القتل ذاكرا لإحرامه فلا جزاء فيه لأنه أعظم من أن يكون له كفاره و قيل هو أن يتعمد القتل و إن كان ذاكرا لإحرامه عن ابن عباس و عطاء و الزهرى و هو قول أكثر الفقهاء

فأما إذا قتل الصيد خطأ أو ناسيا فهو كالمتعمد فى وجوب الجزاء عليه و هو مذهب عامه أهل التفسير و العلم و هو المروى عن أئمتنا (عليه السلام)

قال الزهرى نزل القرآن بالعمد و جرت السنه فى الخطأ «فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ» قد ذكرنا معناه فى القراءتين قال الزجاج و يجوز أن يكون المعنى فجزاء ذلك الفعل مثل ما قتل فىكون جزاء مبتدأ و مثل خبره و اختلف فى هذه المماثلة أ هى فى القيمة أو الخلقه فالذى عليه معظم أهل العلم أن المماثلة معتبره فى الخلقه

ففى النعامه بدنه و فى حمار

الوحش و شبهه بقره و فى الظبى و الأرنب شاه و هو المروى عن أهل البيت (عليه السلام)

و هو قول ابن عباس و الحسن و مجاهد و السدى و عطاء و الضحاك و غيرهم و قال إبراهيم النخعى يقوم الصيد قيمه عادله ثم يشتري بثمنه مثله من النعم فاعتبر المماثله بالقيمه و الصحيح القول الأول «يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ» قال ابن عباس يريد يحكم فى الصيد بالجزاء رجالان صالحان منكم أى من أهل ملتكم و دينكم فقيهان عدلان فينظران إلى أشبه الأشياء به من النعم فيحكمان به «هَيْدِيًّا بِالْبَيْتِ الْكَعْبِيِّ» أى يهديه هديا يبلغ الكعبه قال ابن عباس يريد إذا أتى مكه ذبحه و تصدق به و قال أصحابنا إن كان أصاب الصيد و هو محرم بالعمره ذبح جزاءه أو نحره بمكه قبله الكعبه و إن كان محرما بالحج ذبحه أو نحره بمنى «أَوْ كَفَّارَةً طَعَامٌ مَسَاكِينَ» قيل فى معناه قولان (أحدهما) أن يقوم عدله من النعم ثم يجعل قيمته طعاما و يتصدق به عن عطاء و هو الصحيح (و الآخر) أن يقوم الصيد المقتول حيا ثم يجعل طعاما عن قتاده «أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا» و فيه أيضا قولان (أحدهما) أن يصوم عن كل مد يقوم من الطعام يوما عن عطاء و هو مذهب الشافعى (و الآخر)

أن يصوم عن كل مدين يوما و هو المروى عن أئمتنا (عليه السلام)

و هو مذهب أبى حنيفه و اختلفوا فى هذه الكفارات الثلاث فقليل إنها مرتبه عن ابن عباس و الشعبي و السدى قالوا و إنما دخلت أو لأنه لا يخرج حكمه عن إحدى الثلاث و قيل أنها على التخيير عن ابن عباس فى روايه أخرى و عطاء و الحسن و إبراهيم و هو مذهب أبى حنيفه و الشافعى و كلا القولين رواه أصحابنا «لِيَلِدُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ» أى عقوبه ما فعله فى الآخره إن لم يتب و قيل معناه ليدوق و خامه عاقبه أمره و ثقله بما يلزمه من الجزاء فإن سأل سائل فقال كيف يسمى الجزاء وبالا و إنما هى عبادته فإذا كانت عبادته فهى نعمه و مصلحه فالجواب أن الله سبحانه شدد عليه التكليف بعد أن عصاه فثقل ذلك عليه كما حرم الشحم على بنى إسرائيل لما اعتدوا فى السبت فثقل ذلك عليهم و إن كان مصلحه لهم «عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَيَلَفَ» من أمر الجاهليه عن الحسن و قيل عفا الله عما سلف من الدفعه الأولى فى الإسلام أى قبل التحريم «وَ مَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ» أى من عاد إلى قتل الصيد محرما فالله سبحانه يكافيه عقوبه بما صنع و اختلف فى لزوم الجزاء بالمعاوده فقليل أنه لا جزاء عليه عن ابن عباس و الحسن و هو الظاهر فى روايات أصحابنا و قيل أنه يلزمه الجزاء عن عطاء و سعيد بن جبير و إبراهيم و به قال بعض أصحابنا «وَ اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ» معناه قادر لا يغلب

ذو انتقام ينتقم ممن يتعدى أمره و يرتكب نهيه.

[سوره المائدہ (۵): آیه ۹۶]

اشاره

أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَ طَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَ لِلسَّيَّارَةِ وَ حُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (۹۶)

اللغه

عنى بالبحر جميع المياه و العرب تسمى النهر بحرا و منه قوله ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ الْأغْلَبُ فِي الْبَحْرِ أَنْ يَكُونَ مَاءُهُ مَلْحًا وَ لَكِنْ إِذَا أُطْلِقَ دَخَلَ فِيهِ الْأَنْهَارُ وَ السَّيَّارَةُ الْمَسَافِرُونَ.

الإعراب

«مَتَاعاً» نصب على المصدر لأن قوله «أَحِلَّ لَكُمْ» يدل على أنه قد متعهم به كما أنه لما قال «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ» كان دليلاً على أنه كتب عليهم فقال كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ.

المعنى

ثم بين سبحانه ما يحل من الصيد و ما لا يحل فقال «أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ» أى أبيع لكم صيد الماء و إنما أحل بهذه الآيه الطرى من صيد البحر لأن العتيق لا خلاف فى كونه حلالاً عن ابن عباس و زيد بن ثابت و سعيد بن جبير و سعيد بن المسيب و قتاده و مجاهد «وَ طَعَامُهُ» يعنى طعام البحر ثم اختلف فيه فقيل يريد به ما قذفه البحر ميتا عن ابن عباس و ابن عمر و قتاده و قيل يريد به المملوح عن ابن عباس فى روايه أخرى و سعيد ابن المسيب و سعيد بن جبير و مجاهد و هو الذى يليق بمذهبنا و إنما سمي طعاماً لأنه يدخر ليطعم فصار كالمقتات من الأغذيه فيكون المراد بصيد البحر الطرى و بطعامه المملوح لأن عندنا لا يجوز أكل ما يقذف به البحر ميتا للمحرم و غير المحرم و قيل المراد بطعامه ما ينبت بمائه من الزرع و الثمار «مَتَاعاً لَكُمْ وَ لِلسَّيَّارَةِ» قيل معناه منفعه للمقيم و المسافر عن قتاده و ابن عباس و الحسن و قيل لأهل الأمصار و أهل القرى و قيل للمحل و المحرم «وَ حُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا»

هذا يقتضى تحريم الاصطياد فى حال الإحرام و تحريم أكل ما صاده الغير و به قال على

و ابن عباس و ابن عمر و سعيد بن جبير و قيل أن لحم الصيد لا يحرم على المحرم إذا صاده غيره عن عمر و عثمان و الحسن و الصيد قد يكون عباره عن الاصطياد فيكون مصدرًا و يكون عباره عن المصيد فيكون اسماً و يجب حمل الآيه على الأمرين و تحريم الجميع «وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» هذا أمر منه تعالى بأن يتقى جميع

معاصيه و يجتنب جميع محارمه لأن إليه الرجوع فى الوقت الذى لا يملك أحد فيه الضر و النفع سواه و هو يوم القيامه فيجازى المحسن بإحسانه و المسىء بإساءته.

[سوره المائده (٥): آيه ٩٧]

اشاره

جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَيْدَى وَالْقِلَابِدَ ذَلِكَ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٩٧)

القراءه

قرأ ابن عامر وحده قيما للناس بغير ألف و الباقون «قياما» بالألف.

الحجه

القيام مصدر كالصيام و العياذ و أما القيم فيجوز أن يكون مصدرا كالشع و يجوز أن يكون حذف الألف من القيام كما يقصر الممدود و هذا إنما يجوز فى الشعر دون حال السعه و إذا كان مصدرا فإنما أعل و لم يصحح كما صحح العوض و الحول لأن المصدر يعل إذا اعتل فعله لأن المصدر يجرى على فعله فإذا صح حرف العله فى الفعل صح فى مصدره نحو اللواذ و الجوار فإذا اعتل فى العقل اعتل فى مصدره نحو الصيام و القيام.

اللغه

سميت الكعبه كعبه لتربيعتها و إنما قيل للمربع كعبه لتتوء زواياه الأربع و الكعوبه التتوء و منه كعب الإنسان لتتوءه و كعبت المرأه إذا تنا ثديها و كعبت بمعناه و العرب تسمى كل بيت مربع كعبه و قيل سميت كعبه لانفرادها عن البنيان و هذا أيضا يرجع إلى الأول لأن المتفرد من البنيان كعبه لتتوءه من الأرض قال الرماني و البيت الحرام سمي بذلك لأن الله حرم أن يصاد صيده و أن يعضد شجره و أن يختلى خلاله و لأنه عظم حرمة و

فى الحديث مكتوب فى أسفل المقام إنى أنا الله ذو بكة حرمتها يوم خلقت السموات و الأرض و يوم وضعت هذين الجبلين و حففتها بسبعه أملاك حنفاء من جاءنى زائرا لهذا البيت عارفا بحقه مدعنا لى بالربوبيه حرمت جسده على النار

. المعنى

لما ذكر سبحانه حرمة الحرم عقبه بذكر البيت الحرام و الشهر الحرام فقال «جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ» أى جعل الله حج الكعبه أو نصب الكعبه «قياما»

لِلنَّاسِ» أى لمعايش الناس و مكاسبهم لأنه مصدر قاموا كان المعنى قاموا بنصبه ذلك لهم فاستتبت معاشهم بذلك و استقامت أحوالهم به لما يحصل لهم فى زيارتها من التجاره و أنواع البركه و لهذا قال سعيد بن جبير

من أتى هذا البيت يريد شيئاً للدنيا و الآخره أصابه و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و قال ابن عباس معناه جعل الله الكعبه أمناً للناس بها يقومون أى يأمنون و لولاها لفنوا و هلكوا و ما قاموا و كان أهل الجاهليه يأمنون به فلو لقى الرجل قاتل أبيه و ابنه فى الحرم ما قتله و قيل أن معنى قوله «قِياماً لِلنَّاسِ» أنهم لو تركوه عاماً واحداً لا يحجونه ما نوظروا أن يهلكوا عن عطاء

و رواه على بن إبراهيم عنهم (عليه السلام) قال ما دامت الكعبه يحج الناس إليها لم يهلكوا فإذا هدمت و تركوا الحج هلكوا

«وَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ» يعنى الأشهر الحرم الأربعة واحد فرد و ثلاثه سرد أى متتابعه فالفرد رجب و السرد ذو القعدة و ذو الحجه و المحرم و إنما خرج مخرج الواحد لأنه ذهب به مذهب الجنس و هو عطف على المفعول الأول لجعل كما يقال ظننت زيدا منطلقاً و عمراً «وَ الْهُدَىٰ وَ الْقَلَائِدَ» مر ذكرهما فى أول السوره و إنما ذكر هذه الجملة بعد ذكر البيت لأنها من أسباب حج البيت فدخلت فى جملته فذكرت معه و كان أهل الجاهليه لا يغزون فى أشهر الحرم و كانوا ينصلون فيها الأسنه و يتفرغ الناس فيها إلى معاشهم و كان الرجل يقلد بغيره أو نفسه قلاده من لحاء شجر الحرم فلا يخاف و كانوا قد توارثوه من دين إسماعيل (عليه السلام) فبقوا عليه رحمه من الله لخلقه إلى أن قام الإسلام فحجزهم عن البغى و الظلم و قال أبو بكر الأنبارى فقد حصل فى الآيه طريقان (أحدهما) أن الله تعالى من على المسلمين بأن جعل الكعبه صلاحاً لدينهم و دنياهم و قياماً لهم (و الثانى) أنه أخبر عما فعله من أمر الكعبه فى الجاهليه «ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» قد اعترض على هذا فقيل أى تعلق لهذا بقوله «جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِياماً لِلنَّاسِ» و الجواب عنه من وجوه (أحدها) أن فيما جعله الله تعالى فى البلد الحرام و الشهر الحرام من الآيات و الأعاجيب دلالة على أنه تعالى لا يخفى عليه شىء و ذلك أنه جعل الحرم أمناً يسكن فيه كل شىء فالظبى يأنس فيه بالسبع و الذئب ما دام فى الحرم فإذا خرج من الحرم خاف و طلبه السبع و هرب منه الظبى حتى يرجع إلى الحرم فإذا رجع إليه كف السبع عنه و كذلك الطير و الحمام يأنس بالإنسان فإذا خرج من الحرم خافه مع أمور كثيره و عجائب شهيره ذكرنا بعضها فى أول سوره آل عمران عند قوله «فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ» فيكون ما دبره الله من ذلك دالاً على أنه عالم بمصالح الخلق و بكل شىء (و ثانيها) أنه تعالى علم أن العرب يكونون أصحاب عداوات و طوائف

و أنهم يكونون حوالى الكعبه فلما خلق السموات و الأرض جعل الكعبه موضع أمن و عظم حرمتها فى القلوب و بقيت تلك الحرمه إلى يومنا هذا فلو لا كونه سبحانه عالما بالأشياء قبل كونها لما كان هذا التدبير وفقا للصالح (و ثالثها) أنه تعالى لما أخبر فى هذه السوره بقصه موسى و عيسى (عليه السلام) و التوراه و الإنجيل و ما فيهما من الأحكام و الأخبار و ذلك كله مما لم يشاهده نبينا محمد ص و لا أحد فى عصره قال فيما بعد «ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ» و معناه لو لا أنه سبحانه بكل شىء علم لما جاز أن يخبركم عنهم فقوله «ذَلِكَ» إشاره إلى ما أنبأهم به من علم الغيب و العلم بالكائنات.

[سوره المائده (٥): الآيات ٩٨ إلى ٩٩]

إشاره

اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩٨) مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٩٩)

اللغه

العلم ما اقتضى سكون النفس فإن شئت قلت هو اعتقاد الشىء على ما هو به عليه مع سكون النفس إلى ما اعتقده و الأول أوجز و لا يجوز أن يحد العلم بالمعرفه لأن المعرفه هى العلم فكيف يحد الشىء بنفسه و العلم يتناول الشىء على ما هو به و كذلك الرؤيه و الفرق بينهما أن العلم يتعلق بالمعلوم على وجوه و الرؤيه لا تتعلق بالمرئى إلا على وجه واحد و العلم معنى يحل القلب و الرؤيه ليست معنى على الحقيقه لكن للرائى صفه بكونه رائيا و العقاب هو الضرر المستحق المقارن للاستخفاف و الإهانه و لو اقتصرت على أن تقول هو الضرر المستحق لكان كافيا و كذلك لو قلت هو الضرر الذى يقارنه استخفاف و إهانه لكفى وإنما سمي عقابا لأنه يستحق عقيب الذنب الواقع من صاحبه و المغفره هى ستر الخطيئه برفع عقابها و أصل الرسول من الإرسال و هو الإطلاق يقال أرسل الطير إذا أطلقه و ترسل فى القراءه إذا تثبت و استرسل الشىء إذا تسلس و الرسل اللبن لاسترساله من الضرع و الفرق بين الإرسال و الإنباء أن الإنباء عن الشىء قد يكون من غير تحميل النبا و الإرسال لا يكون إلا بتحميل الرساله و البلاغ وصول المعنى إلى غيره و هو هاهنا وصول الإنذار إلى نفوس المكلفين و أصل البلاغ البلوغ و منه البلاغه و هى إيصال المعنى إلى النفس فى حسن صوره من اللفظ و البلاغ الكفايه لأنه يبلغ مقدار الحاجه.

لما تقدم بيان الأحكام عقبه سبحانه بذكر الوعد و الوعيد فقال «اعلموا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» لمن عصاه «وَ أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» لمن تاب و أناب و أطاع و جمع بين المغفرة و الرحمة ليعلم أنه لا يقتصر على وضع العقاب عنه بل ينعم عليه بفضلها و لما أنذر و بشر فى هذه الآيه عقبها بقوله «ما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ» أى ليس على الرسول إلا- أداء الرسالة و بيان الشريعة فأما القبول و الامتثال فإنه يتعلق بالمكلفين المبعوث إليهم «وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَ مَا تَكْتُمُونَ» أى لا- يخفى عليه شىء من أحوالكم التى تظهرونها و تخفونها و فيه غايه الزجر و التهديد و فى قوله سبحانه «اعلموا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» الآيه دلالة على وجوب معرفه العقاب و الثواب لكونهما لطفا فى باب التكليف.

[سوره المائده (٥): آيه ١٠٠]

إشاره

قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠٠)

اللغه

الاستواء على أربعة أقسام استواء فى المقدار و استواء فى المكان و استواء فى الذهاب و استواء فى الإنفاق و الاستواء بمعنى الاستيلاء راجع إلى الاستواء فى المكان لأنه تمكن و اقتدار و الخبيث أصله الردى ء مأخوذ من خبث الحديد و هو رديه بعد ما يخلص بالنار جيده ففى الحديد امتزاج جيد بردى و الإعجاب سرور بما يتعجب منه و العجب و الإعجاب و التعجب من أصل واحد و العجب مذموم لأنه كبر يدخل على النفس بحال يتعجب منها و عجب الذنب أصله و عجب الرمل أواخره لانفراده عن جملة كانفراد ما يتعجب به.

المعنى

لما بين سبحانه الحلال و الحرام بين أنهما لا يستويان فقال «قُلْ» يا محمد «لَا يَسْتَوِي» أى لا يتساوى «الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ» أى الحرام و الحلال عن الحسن و الجبائى و قيل الكافر و المؤمن عن السدى «وَ لَوْ أَعْجَبَكَ» أيها السامع أو أيها الإنسان «كثْرَةُ الْخَبِيثِ» أى كثره ما تراه من الحرام لأنه لا- يكون فى الكثير من الحرام بركه و يكون فى القليل من الحلال بركه و قيل إن الخطاب للنبي (ص) و المراد أمته «فَاتَّقُوا اللَّهَ» أى فاجتنبوا ما حرم الله عليكم «يا أُولِي الْأَلْبَابِ» يا ذوى العقول «لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» أى لتفلحوا و تفوزوا بالثواب العظيم و النعيم المقيم.

اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْئَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوِكُمْ وَإِن تَسئَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ
حَلِيمٌ (۱۰۱)

اللغة

أبدى الشىء إذا أظهره و بدا يبدو بدوا إذا ظهر و بدا له رأىه بداء إذا تغير رأىه لأنه ظهر له و الباديه خلاف الحاضره و البدو خلاف الحضرة من الظهور و منه قوله تعالى «وَيَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا عَمِلُوا وَ حَاقَ» الآية و لم يجىء فى أقوال العرب البداء بمعنى الندامه و تغير الرأى و إذا كان لفظ البداء يطلق على الله فالمراد به الإراده و الظهور دون ما يظن قوم من الجهال و عليه تشهد أقوال العرب و أشعارهم فمن ذلك:

قل ما بدا لك من زور و من كذب

حلمى أصم و أذنى غير صماء

و أمثال ذلك و الله أعلم.

الإعراب

«أشياء» فى موضع جر إلا أنها فتحت لأنها لا تنصرف قال الكسائى أشياء أشياء آخرها آخر حمراء و كثر استعمالها فلم تصرف و قد أجمع البصريون على أن قوله هذا خطأ و ألزموه أن لا يصرف أبناء و أسماء و قال الخليل أن أشياء اسم للجمع كان أصله شيئاً على فعلاء مثل الطرفاء و القصباء و الحلفاء فى أنها على لفظ الآحاد و المراد الجمع فاستثقلت الهمزتان بينهما ألف و ليس بحاجز قوى لأجل أنه ساكن و من جنس الهمزة ألا تراه يعود إليها إذا تحركت و استثقلت فقدموا الهمزة التى هى لام الفعل إلى أول الكلمه فقالوا أشياء و وزنها لفعاء كما قالوا فى أنوق أينق و فى أقوس قسى و هو مذهب سيويه و المازنى و جميع البصريين قالوا و الدلالة على أن أشياء اسم مفرد ما روى من تكسيرها على أشاوى كما كسروا صحراء على صحارى حيث كانت مثلها فى الأفراد و قال الأخفش أبو الحسن سعيد بن مسعدة و الفراء أصل أشياء أشياء على أفعلاء فحذفت الهمزة التى هى لام كما حذفت من قولهم سوائيه حيث قالوا سوايه و لزم حذفها فى أفعلاء لأمرين (أحدهما) تقارب الهمزة و إذا كانوا قد حذفوا الهمزة منفردة فإذا تكررت لزم الحذف (و الآخر) أن الكلمه جمع و قد يستثقل فى

الجمع ما لا يستثقل في الآحاد و وزن أشياء على هذا القول أفعاء و ذكروا أن المازنى ناظر الأخفش فى هذا الباب فسأله كيف تصغر أشياء فقال أشياء فقال له لو كانت أفعلاء لردت فى التصغير إلى واحدتها فقال شييات كما قالوا فى تصغير أصدقاء صديقات فقطع الأخفش فأجاب عنه أبو على الفارسى فقال أن أفعلاء فى هذا الموضع جاز تحقيرها و إن لم تحقر فى غير هذا الموضع لأنها صارت بدلا من أفعال بدلاله استجازتهم إضافة العدد القليل إليها كما أضيف إلى أفعال و يدل على كونها بدلا من أفعال تذكيرهم العدد المضاف إليها نحو ثلاثه أشياء فجاز تصغيرها كما يجوز تصغير أفعال و قوله «إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ» جملة شرطيه فى موضع جر بكونها صفه لأشياء.

النزول

اختلف فى نزولها

فقيل سأل الناس رسول الله (ص) حتى أحفوه بالمسألة فقام مغضبا خطيبا فقال سلونى فو الله لا تسألونى عن شىء إلا بينته لكم فقام رجل من بنى سهم يقال له عبد الله بن حذافه و كان يطعن فى نسبه فقال يا نبى الله من أبى فقال أبوك حذافه بن قيس فقام إليه رجل آخر فقال يا رسول الله أين أبى فقال فى النار فقام عمر بن الخطاب و قبل رجل رسول الله (ص) و قال إنا يا رسول الله حديثو عهد بجاهلييه و شرك فاعف عنا عفا الله عنك فسكن غضبه فقال أما و الذى نفسى بيده لقد صورت لى الجنه و النار آنفا فى عرض هذا الحائط فلم أر كاليوم فى الخير و الشر عن الزهرى و قتاده عن أنس

و قيل كان قوم يسألون رسول الله (ص) استهزاء مره و امتحانا مره فيقول له بعضهم من أبى و يقول الآخر أين أبى و يقول الآخر إذا ضلت ناقته أين ناقتى فأنزل الله عز و جل هذه الآيه عن ابن عباس و قيل

خطب رسول الله (ص) فقال إن الله كتب عليكم الحج فقام عكاشه بن محصن و قيل سراقه بن مالك فقال أ فى كل عام يا رسول الله فأعرض عنه حتى عاد مرتين أو ثلاثا فقال رسول الله ويحك و ما يؤمنك أن أقول نعم و الله لو قلت نعم لوجبت و لو وجبت ما استطعتم و لو تركتم لكفرتم فاتركونى كما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثره سؤالهم و اختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم و إذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه عن على بن أبى طالب (عليه السلام)

و أبى أمامه الباهلى و قيل نزلت حين سألوا رسول الله (ص) عن البحيره و السائبه و الوصيله و الحامى عن مجاهد.

المعنى

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ» خاطب الله المؤمنين و نهاهم عن المسأله عن أشياء لا يحتاجون إليها فى الدين إذا أبدت و أظهرت

سألت و حزنت و ذلك نحو ما مضى ذكره من الرجل الذى سأل عن أبيه و أشباه ذلك من أمور الجاهليه و قيل أن تقديره لا تسألوه عن أشياء عفا الله عنها إن تبد لكم تسؤم فقدم و آخر فعلى هذا يكون قوله «عَفَا اللَّهُ عَنْهَا» صفة لأشياء أيضا و معناه كف الله عن ذكرها و لم يوجب فيها حكما و كلام الزجاج يدل على هذا لأنه قال أعلم الله إن السؤال عن مثل هذا الجنس لا ينبغي أن يقع فإنه إذا ظهر فيه الجواب ساء ذلك و خاصة فى وقت سؤال النبى (ص) على وجه تبيين الآيات فهى الله عز و جل عن ذلك و اعلم أنه قد عفا عنها و لا وجه لمسأله ما عفا الله عنه و لعل فيه فضيحة على السائل إن ظهر و إلى هذا المعنى

أشار أمير المؤمنين (عليه السلام) فى قوله إن الله افترض عليكم فرائض فلا تضيعوها و حد لكم حدودا فلا تعتدوها و نهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها و سكت لكم عن أشياء و لم يدعها نسيانا فلا تتكلفوها

و قال مجاهد كان ابن عباس إذا سئل عن الشىء لم يجىء فيه أثر يقول هو من العفو ثم يقرأ هذه الآية «وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَيِّنْ لَكُمْ» معناه و إن ألححتم و سألتم عنها عند نزول القرآن أظهر لكم جوابها إذا لم تقصدوا التعنت على النبى محمد (ص) فلا تتكلفوا السؤال عنها فى الحال و قيل معناه و إن تسألوا عن أشياء حين ينزل القرآن تحتاجون إليها فى الدين من بيان محمد (ص) و نحو ذلك تكشف لكم و هذه الأشياء غير الأشياء الأولى إلا أنه قال «وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا» لأنه كان قد سبق ذكر الأشياء و قيل إن الهاء راجعه إلى الأشياء الأولى فبين لهم أنكم إن سألتم عنها عند نزول القرآن فى الوقت الذى يأتيه الملك بالقرآن يظهر لكم ما تسألون عنه فى ذلك الوقت فلا تسألوه و دعوه مستورا ثم قال «عَفَا اللَّهُ عَنْهَا» أى عفا الله عن تبعه سؤالكم و يكون تقديره عفا الله عن مسألتكم التى سلفت منكم مما كرهه النبى (ص) «وَ اللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ» فلا تعودوا إلى مثلها و هذا قول ابن عباس فى روايه عطا و أما على ما ذكرنا من أن قوله «عَفَا اللَّهُ» على التقديم فيكون تقدير الآية لا تسألوا عن أشياء ترك الله ذكرها و بيانها لأنكم لا تحتاجون إليها فى التكليف أن تظهر لكم تحزنكم و تغمكم و قال بعضهم أنها نزلت فيما سألت الأمم أنبياءها من الآيات و يؤيده الآية التى بعدها.

النظم

قيل فى اتصال هذه الآية بما قبلها و جوه (أحدها) أنه تتصل بقوله «تُفْلِحُونَ» لأن من الفلاح ترك السؤال عما لا يحتاج إليه (و ثانيها) أنه تتصل بقوله «مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ» فإنه يبلغ ما فيه المصلحة فلا تسألوه عما لا يعينكم (و ثالثها) أنها تتصل بقوله «وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَ مَا تَكْتُمُونَ» أى لا تسألوه فيظهر سرائركم.

اشاره

قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ (۱۰۲) مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرِهِ وَلَا سَائِبِهِ وَلَا وَصِيَلِهِ وَلَا حَامٍ وَلَا كِنٍّ الَّذِينَ كَفَرُوا
يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (۱۰۳)

اللغه

البحر الشق و بحرت أذن الناقه أبحرها بحرا إذا شقققتها شقا واسعا و الناقه بحيره و هي فعيله بمعنى المفعول مثل النطيحه و
الذبيحه و أصل الباب السعه و سمي البحر بحرا لسعته و فرس بحر واسع الجرى و

في الحديث أنه (عليه السلام) قال لفرس له وجدته بحرا

و السائبه فاعله من ساب الماء إذا جرى على وجه الأرض و يقال سيبت الدابه أى تركتها تسبب حيث شاءت و يقال للبعد يعتق و
لا ولاء عليه لمعتقه سائبه لأنه يضع ماله حيث شاء و أصله المخلاه و هي المسيبه و أخذت من قولهم سابت الحيه و انسابت إذا
مضت مستمره و الوصل نقيض الفصل و لعن رسول الله (ص) الواصله و هي التي تصل شعر المرأه بشعر آخر فالوصيله بمعنى
الموصوله كأنها وصلت بغيرها و يجوز أن يكون بمعنى الواصله لأنها وصلت أخاها و هذا أظهر في الآيه و أنشد أهل اللغه في
البحيره:

محرمه لا يأكل الناس لحمها

و لا نحن في شىء كذاك البحائر

و أنشدوا في السائبه:

و سائبه لله ما لى تشكرا

إن الله عافى عامرا و مجاشعا

و أنشدوا في الوصيله لتأبط شرا:

أجدك أما كنت في الناس ناعقا

تراعى بأعلى ذى المجاز الوصائلا

و أنشد في الحامى:

حماها أبو قابوس في غير كنهه

كما قد حمى أولاد أولاده الفحلا.

المعنى

ثم أخبر سبحانه أن قوما سألوا مثل سؤالهم فلما أجيبوا إلى ما سألوا كفروا فقال «فَدَّ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَتْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ»
و فيه أقوال (أحدها) أنهم قوم عيسى (عليه السلام) سألوه إنزال المائدة ثم كفروا بها عن ابن عباس (و ثانيها) أنهم قوم صالح
سألوه

ص: ٣٣٩

الناقة ثم عقروها و كفروا بها (و ثالثها) أنهم قريش حين سألو النبي (ص) أن يحول الصفا ذهابا عن السدى (و رابعها) أنهم كانوا سألو النبي (ص) عن مثل هذه الأشياء يعنى من أبى و نحوه فلما أخبرهم بذلك قالوا ليس الأمر كذلك فكفروا به فيكون على هذا نهيا عن سؤال النبي (ص) عن أنساب الجاهليه لأنهم لو سألو عنها ربما ظهر الأمر على خلاف حكمهم فيحملهم ذلك على تكذيبه عن أبى على الجبائى فإن قيل ما الذى يجوز أن يسأل عنه و ما الذى لا يجوز فالجواب إن الذى يجوز السؤال عنه هو ما يجوز العمل عليه فى الأمور الدينيه أو الدنيويه و ما لا يجوز العمل عليه فى أمور الدين و الدنيا لا يجوز السؤال عنه فعلى هذا لا يجوز أن يسأل الإنسان من أبى لأن المصلحه قد اقتضت أن يحكم على كل من ولد على فراش إنسان بأنه ولده و إن لم يكن مخلوقا من مائه فالمسأله بخلاف ذلك سفه لا يجوز ثم ذكر سبحانه الجواب عما سأله عنه و قيل إنه لما تقدم ذكر الحلال و الحرام بين حال ما يعتقد أهله الجاهليه من ذلك فقال «ما جعل الله من بحيره» يريد ما حرمها على ما حرمها أهل الجاهليه من ذلك و لا أمر بها و البحيره هى الناقه كانت إذا نتجت خمسه أبطن و كان آخرها ذكرا بحروا أذنها و امتنعوا من ركوبها و نحرها و لا- تطرد عن ماء و لا- تمنع من مرعى فإذا لقيها المعى لم يركبها عن الزجاج و قيل إنهم كانوا إذا نتجت الناقه خمسه أبطن نظروا فى البطن الخامس فإن كان ذكرا نحره فأكله الرجال و النساء جميعا و إن كانت أنثى شقوا أذنها فتلك البحيره ثم لا يجز لها وبر و لا- يذكر عليها اسم الله إن ذكيت و لا حمل عليها و حرم على النساء أن يذقن من لبنها شيئا و لا أن ينتفعن بها و كان لبنها و منافعها للرجال خاصه دون النساء حتى تموت فإذا ماتت اشتركت الرجال و النساء فى أكلها عن ابن عباس و قيل إن البحيره بنت السائبه عن محمد بن إسحاق «و لا سائبه» و هى ما كانوا يسيبونه فإن الرجل إذا نذر القدوم من سفر أو البرء من عله أو ما أشبه ذلك قال ناقتى سائبه فكانت كالبحيره فى أن لا ينتفع بها و أن لا تخلى عن ماء و لا تمنع من مرعى عن الزجاج و هو قول علقمه و قيل هى التى تسبب للأصنام أى تعتق لها و كان الرجل يسيب من ماله ما يشاء فيجىء به إلى السدنه و هم خدمه آلهتهم فيطعمون من لبنها أبناء السبيل و نحو ذلك عن ابن عباس و ابن مسعود و قيل إن السائبه هى الناقه إذا تابعت بين عشر إناث ليس فيهن ذكر سببت فلم يركبوها و لم يجزوا وبرها و لم يشرب لبنها إلا ضيف فما نتجت بعد ذلك من أنثى شق أذنها ثم يخلى سبيلها مع أمها و هى البحيره عن محمد بن إسحاق «و لا وصيله» و هى فى الغنم كانت الشاه إذا ولدت أنثى فهى لهم و إذا ولدت ذكرا جعلوه لآلهتهم فإن ولدت ذكرا و أنثى قالوا وصلت أخاها فلم

يذبحوا الذكر لآلهم عن الزجاج وقيل كانت الشاه إذا ولدت سبعة أبطن فإن كان السابع جديا ذبحوه لآلهم ولحمه للرجال دون النساء وإن كان عناقا استحيوها وكانت من عرض الغنم وإن ولدت في البطن السابع جديا وعنقا قالوا إن الأخت وصلت أخاها فحرمته علينا فحرما جميعا فكانت المنفعة واللبن للرجال دون النساء عن ابن مسعود ومقاتل وقيل الوصيلة الشاه إذا أتامت عشر إناث في خمسة أبطن ليس فيها ذكر جعلت وصيلة فقالوا قد وصلت فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور دون الإناث عن محمد بن إسحاق «و لا حام» وهو الذكر من الإبل كانت العرب إذا أنتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره فلا- يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا من مرعى عن ابن عباس وابن مسعود وهو قول أبي عبيدة والزجاج وقيل إنه الفحل إذا لقح ولد ولده قيل حمى ظهره فلا يركب عن الفراء أعلم الله أنه لم يحرم من هذه الأشياء شيئا وقال المفسرون

و روى ابن عباس عن النبي (ص) أن عمرو ابن لحي بن قمعه بن خندف كان قد ملك مكه و كان أول من غير دين إسماعيل و اتخذ الأصنام و نصب الأوثان و بحر البحيره و سيب السائبه و وصل الوصيله و حمى الحامى

قال رسول الله (ص) فلقد رأيت في النار يؤذى أهل النار ريح قصبه

و يروى يجر قصبه في النار

«و لَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ» هذا إخبار منه تعالى إن الكفار يكذبون على الله بادعائهم إن هذه الأشياء من فعل الله أو امره «و أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ» خص الأ- كثر بأنهم لا- يعقلون لأنهم أتباع فهم لا- يعقلون أن ذلك كذب و افتراء كما يعقله الرؤساء عن قتاده و الشعبي و قيل إن معناه أن أكثرهم لا يعقلون ما حرم عليهم و ما حلل لهم يعني أن المعاند هو الأقل منهم عن أبي على الجبائي و في هذه الآيه دلالة على بطلان قول المجبره لأنه سبحانه نفى أن يكون جعل البحيره و غيرها و عندهم أنه سبحانه هو الجاعل و الخالق له ثم بين أن هؤلاء قد كفروا بهذا القول و افتروا على الله الكذب بأن نسبوا إليه ما ليس بفعل له و هذا واضح.

[سوره المائده (٥): آيه ١٠٤]

إشارة

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَ إِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَ لَا يَهْتَدُونَ (١٠٤)

ص: ٣٤١

ثم أخبر سبحانه عن الكفار الذين جعلوا البحيره و غيرها و يفترون على الله الكذب من كفار قريش و غيرهم فقال «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْقُرْآنِ وَ اتَّبِعْ مَا فِيهِ وَ الْإِقْرَارَ بِصِحَّتِهِ «وَ إِلَىٰ الرَّسُولِ» وَ تصديقه و الاقتداء به و بأفعاله «قَالُوا» فى الجواب عن ذلك «حَسْبُنَا» أى كفانا «مَا وَحَّيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا» يعنى مذاهب آبائنا ثم أخبر سبحانه منكرا عليهم «أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ» أى أنهم يتبعون آباءهم فيما كانوا عليه من الشرك و عباده الأوثان و إن كان آباؤهم «لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا» من الدين «وَ لَا يَهْتَدُونَ» إليه و قيل فى معنى «لَا يَهْتَدُونَ» قولان (أحدهما) أنه يذمهم بأنهم ضلال (و الآخر) بأنهم عمى عن الطريق فلا يهتدون طريق العلم و فى هذه الآيه دلالة على فساد التقليد و أنه لا يجوز العمل فى شىء من أمور الدين إلا بحجه و فى هذه الآيه دلالة أيضا على وجوب المعرفة و أنها ليست بضرورية على ما قاله أصحاب المعارف فإنه سبحانه بين الحجاج عليهم فيها يعرفوا صحه ما دعاهم الرسول إليه و لو كانوا يعرفون الحق ضروره لم يكونوا مقلدين لآبائهم و نفى سبحانه عنهم الاهتداء و العلم معا لأن بينهما فرقا فإن الاهتداء لا يكون إلا عن حجه و بيان و العلم قد يكون ابتداء عن ضروره.

[سوره المائده (٥): آيه ١٠٥]

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥)

القرءاء

روى فى الشواذ عن الحسن لا يضركم و عن إبراهيم لا يضركم.

الحجه

و فى ذلك أربع لغات ضاره يضره و ضاره يضيره و ضره يضره و هى عربيه أعنى يفعل فى المضاعف متعديه و إنما جزم يضركم و يضركم لأنه جواب الأمر و هو قوله «عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ» و يجوز أن يكون لا هنا بمعنى النهى فيكون يضركم مجزوما به.

الإعراب

قال الزجاج «عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ» أجريت مجرى الفعل فإذا قلت عليك زيدا فتأويله أَلِمْ زيدا و «عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ» معناه أَلِمْوا أمر أنفسكم و قال غيره العرب تأمر من الصفات بعليك و عندك و دونك فتعديها إلى المفعول و تقيمها مقام الفعل فينتصب بها على الإعراب

تقول عليك زيدا كأنه قيل خذ زيدا فقد علاك أى أشرف عليك و عندك زيدا أى حضررك فخذة و دونك أى قرب منك فخذة و قد تقيم العرب غير هذه الأحرف مقام الفعل لكن لا تعديه إلى المفعول و ذلك نحو قولهم إليك عنى أى تأخر عنى و وراءك بمعناه قالوا و لا يجوز ذلك إلا فى الخطاب لو قلت عليه زيدا لم يجوز و قوله «لا يَضُرُّكُمْ» الأجود أن يكون إعرابه رفعا و يكون على وجه الخبر و يجوز أن يكون موضعه جزما و يكون الأصل لا يضرركم إلا أن الرء الأولى أدغمت فى الثانية فضمت الثانية لالتقاء الساكنين و يجوز فى العريه لا يضرركم بفتح الرء و لا يضرركم بكسرهما فالضم لاتباع الضم و الفتح للفتح و الكسر لأن أصل التقاء الساكنين الكسره و هذا النهى بلفظ غائب يراد به المخاطبون إذا قلت لا يضرركم كفر فلان فمعناه لا تعدن أنت كفره ضررا كما أنك إذا قلت لا أرينك هاهنا فالنهى فى اللفظ لنفسك فمعناه لمخاطبك و معناه لا تكونن هنا.

المعنى

لما بين الله سبحانه حكم الكفار الذين قلدوا آباءهم و أسلافهم و ركنوا إلى أديانهم عقبه بالأمر بالطاعة و بيان أن المطيع لا يؤاخذ بذنوب العاصى فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسِكُمْ» معناه احفظوا أنفسكم من ملبسه المعاصى و الإصرار على الذنوب عن الفراء و غيره و قيل معناه ألزموا أمر أنفسكم فإنما ألزمكم الله أمرها عن الزجاج و هذا موافق لما روى عن ابن عباس أن معناه أطيعوا أمرى و احفظوا وصيتى «لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ» أى لا يضرركم ضلال من ضل من آبائكم و غيرهم إذا كنتم مهتدين و يقال هل تدل هذه الآيه على جواز ترك الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و جوابه أن فى هذا وجوها (أحدها) أن الآيه لا تدل على ذلك بل توجب أن المطيع لربه لا يؤاخذ بذنوب العاصى (و ثانيها) إن الاقتصار على الاهتداء باتباع أمر الله إنما يجوز فى حال التقيه أو حال لا يجوز تأثير إنكاره فيها أو يتعلق بإنكاره مفسده

و روى أن أبا ثعلبه سأل رسول الله (ص) عن هذه الآيه فقال ائتمروا بالمعروف و تناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت دنيا مؤثره و شحا مطاعا و هوى متبعا و إعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخويصه نفسك و ذر الناس و عوامهم

(و ثالثها) إن هذه أو كد آيه فى وجوب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر لأن الله تعالى خاطب بها المؤمنين فقال «عَلَيْكُمْ أَنْفُسِكُمْ» يعنى عليكم أهل دينكم كما قال و لا تقتلوا أنفسكم لا يضرركم من ضل من الكفار و هذا قول ابن عباس فى روايه عطا عنه قال يريد يعظ بعضكم بعضا و ينهى بعضكم بعضا و يعلم بعضكم بعضا ما يقربه إلى الله و يبعده من الشيطان و لا

يضركم من ضل من المشركين و المنافقين و أهل الكتاب «إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا» أى مصيركم و مصير من خالفكم «فَيُبَيِّنُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» أى يجازيكم بأعمالكم و فى هذه غايه الزجر و التهديد و فى الآيه دلالة على فساد قول من قال إن الله يعذب الأطفال بذنوب الآباء و يعذب الميت ببقاء الحي عليه.

[سوره المائده (٥): آيه ١٠٦]

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذُوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْمَرَضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحِبُّسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيَقْسَمَانِ بِاللَّهِ إِنْ اَرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكُنتُمْ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ اللَّائِمِينَ (١٠٦)

القراءة

روى فى الشواذ عن الحسن و الشعبي و الأعرج شهادة بينكم و عن الأعرج أيضا شهادة بينكم بالنصب و روى عن على و الشعبي بخلاف و نعيم بن ميسره أنهم قرءوا شهادة الله بنصب شهادة و المد فى الله و هو قرءاء يعقوب و الشعبي بروايه روح و زيد و روى شهادة الله مقصوره عن الحسن و يحيى بن يعمر و سعيد بن جبير و الكلبي و الشعبي.

الحجج

أما قول شهادة بالرفع بينكم بالنصب فعلى نحو القراءة المشهوره «شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ» إلا أنه حذف التنوين فانجر الاسم و يجوز أن يكون المضاف محذوفا من آخر الكلام أى شهادة بينكم شهادة اثنين أى ينبغى أن تكون الشهادة المعتمده هكذا و أما شهادة بينكم بالنصب و التنوين فعلى إضمار فعل أى ليقم شهادة بينكم اثنان ذوا عدل و أما قوله «وَلَا نَكُنتُمْ شَهَادَةَ» فهو أعم من قرءاء الجماعه المشهوره «شَهَادَةَ اللَّهِ» بالإضافه و أما المد فى الله فعلى أن همزه الاستفهام صارت عوضا من حرف القسم و وقوا همزه الله من الحذف الذى كان يجب فيها من حيث كانت موصوله ثم فصل بين الهمزتين بألف كما فى قوله «الذَّكْرَيْنِ حَرَمَ أُمَّ اللَّائِمِينَ»* و أما الله مقصوره بالجر فعلى ما حكاه سيويه أن منهم من يحذف حرف القسم

و لا يعوض منه همزه الاستفهام فيقول الله لقد كان كذا و ذلك لكثرة الاستعمال و أما تقدير الكلام فعلى أنه يقول أ تقسم بالله
أى أ تقدم على هذا اليمين و هذا إنما يكون على وجه الإعظام لليمين و التهييب لها.

الإعراب

قال الزجاج شهادة بينكم) يرتفع من وجهين (أحدهما) أن يرتفع بالابتداء و يكون خبرها اثنان و المعنى شهادة هذا الحال شهادة
اثنين فيحذف شهادة و يقام اثنان مقامها (و الآخر) أن يكون التقدير و فيما فرض عليكم فى شهادة تكم أن يشهد اثنان فيرتفع
اثنان بشهادته و هو قول الفراء و اختار أبو على الفارسي القول الأول قال و اتسع فى بين فأضيف إليه المصدر و هذا يدل على قول
من قال إن الظرف يستعمل اسما فى غير الشعر أ لا ترى أنه قد جاء ذلك فى التنزيل و هو لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ بِالرَّفْعِ كَمَا جَاءَ فى
الشعر نحو قوله:

(فصادف بين عينيه الحبونا)

و أما قوله «حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ» فيجوز أن يتعلق بالشهادة فيكون معمولها و لا يجوز أن يتعلق بالوصية لأمرين (أحدهما) أن
المضاف إليه لا يعمل فيما قبل المضاف لأنه لو عمل فيه للزم أن يقدر وقوعه فى موضعه و إذا قدر ذلك لزم أن يقدم المضاف
إليه على المضاف و من ثم لم يجز القتال زيدا حين يأتى (و الآخر) أن الوصية مصدر فلا يتعلق به ما يتقدم عليه و أما قوله «حِينَ
الْوَصِيَّةِ اِثْنَانٍ» فلا- يجوز حملة على الشهادة لأنه إذا عمل فى ظرف من الزمان لم يعمل فى ظرف آخر منه و لكن يحمله على
أحد ثلاثه أوجه إما أن يتعلق بالموت كأنه يموت فى ذلك الحين و هذا إنما يكون على ما قرب منه كقوله «حَتَّى إِذَا حَضَرَ
أَحَدَهُمُ الْمَوْتَ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ» و هذا القول إنما يكون قبل الموت و إما أن يتعلق بحضر أى إذا حضر هذا الحين و إما أن
يكون محمولا على البدل من إذا لأن ذلك الزمان فى المعنى هو هذا الزمان فتبدله منه كما تبدل الشىء من الشىء إذا كان إياه
و قوله «مِنْكُمْ» صفة لقوله «اِثْنَانٍ» كما أن «ذَوَا عَدْلٍ» صفة لهما و فى الظرف ضميرهما و قوله «أَوْ آخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ» تقديره أو
شهادة آخرين من غيركم و «مِنْ غَيْرِكُمْ» صفة لآخرين كما كان منكم صفة لاثنين «إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فى الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ
الْمَوْتِ» اعتراض بين الصفة و الموصوف و علم به أن شهادة الآخرين اللذين هما من غير أهل ملتنا إنما يجوز فى السفر فاستغنى
عن جواب إن بما تقدم من قوله «أَوْ آخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ» لأنه و إن كان على لفظ الخبر فالمعنى على الأمر كان المعنى ينبغى أن

تشهدوا إذا ضربتم فى الأرض آخرين من غير أهل ملتكم و يجوز أيضا أن يستغنى عن جواب إذا فى قوله «إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ» بما تقدمها من قوله «شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ» فإن جعلت إذا بمنزله حين فلم تجعل له جوابا كان بمنزله الحين و ينتصب الموضع بالمصدر الذى هو شهاده بينكم كما تقدم و إن قدرت له جوابا كان قوله «شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ» يدل عليه و يكون موضع إذا فى قوله «إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ» نصبا بالجواب المقدر المستغنى عنه بقوله «شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ» لأن المعنى ينبغى أن تشهدوا و قوله «تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ» صفة ثانية لقوله «أَوْ آخِرَانِ» و قوله «مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ» يتعلق بتحسبونهما «فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ» الفاء لعطف الجملة على الجملة و إن شئت جعلت الفاء للجزاء كما فى قول ذى الرمة:

و إنسان عيني يحبس الماء مره

فيبدو و تارات يجم فيغرق

تقديره عندهم إذا حبس بدا فكذلك إذا حبستموهما أقسما و قوله «لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا» جواب ما يقتضيه قوله «فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ» لأن أقسم و نحوه يتلقى بما يتلقى به الأيمان و التقدير لا نشترى بتحريف شهادةتنا ثمنا أى ذا ثمن فحذف المضاف فى الموضعين و إنما ذكر الشهادة لأن الشهادة قول كما قال و إذا حَضَرَ الْقِسْمَةَ ثم قال فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ لما كان القسمه يراد به المقسوم ألا ترى أن القسمه التى هى إفراز الأنصباء لا يرزق منه و إنما يرزق من التركة المقسومه «وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى» التقدير و لو كان المشهود له ذا قربى و أضاف الشهادة إلى الله لأمره بإقامتها و نهيها عن كتمانها فى قوله «وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ» و قوله «مَنْ يَكْتُمُهَا فَإِنَّهُ آثَمُ قَلْبُهُ» هذا كله مأخوذ من كلام أبى على الفارسى و ناهيك به فارسا فى هذا الميدان نقابا يخبر عن مكنون هذا العلم بواضح البيان.

النزول

سبب نزول هذه الآيه

أن ثلاثه نفر خرجوا من المدينه تجارا إلى الشام تميم ابن أوس الدارى و أخوه عدى و هما نصرانيان و ابن أبى ماريه مولى عمرو بن العاص السهمى و كان مسلما حتى إذا كانوا ببعض الطريق مرض ابن أبى ماريه فكتب وصيته بيده و دسها فى متاعه و أوصى إليهما و دفع المال إليهما و قال أبلغا هذا أهلى فلما مات فتحا المتاع و أخذوا ما أعجبهما منه ثم رجعا بالمال إلى الورثه فلما فتش القوم المال فقدوا بعض ما كان قد خرج به صاحبهم فنظروا إلى الوصيه فوجدوا المال فيها تاما فكلموا تميما و صاحبه فقالا لا علم لنا به

ص: ٣٤٦

و ما دفعه إلينا أبلغناه كما هو فرفعوا أمرهم إلى النبي ص فنزلت الآية عن الواقدي عن أسامه ابن زيد عن أبيه و عن جماعه المفسرين و هو المروى عن أبي جعفر (عليه السلام).

المعنى

لما قدم الأمر بالرجوع إلى ما أنزل عقبه بذكر هذا الحكم المنزل فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» أى يا أيها المؤمنون «شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ» قيل فى معنى الشهاده هنا أقوال (أحدها) إنها الشهاده التى تقام بها الحقوق عند الحكام و قد تقدم ذكر ما قيل فى تقدير الآية على هذا المعنى و هو قول ابن عباس (و ثانيها) إنها بمعنى الحضور كما يقال شهدت وصيه فلان و منه قوله وَ لِيَشْهَدَ عِذَابُهُمَا طَائِفَةٌ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ فَيَكُونُ تَقْدِيرُهُ لِيَشْهَدَ كُمْ فى سفركم إذا حضركم الموت و أردتم الوصيه اثنان ذوا عدل منكم أى وصيان من أهل العداله جعلهما اثنين تأكيدا للأمر فى الوصيه عن ابن الأنبارى و هو قول سعيد بن جبیر و ابن زيد (و الثالث) إنها شهادة إيمان بالله إن ارتاب الورثه بالوصيين من قول القائل فى اللعان أشهد بالله أنى لمن الصادقين و الأول أقوى و أليق بالآيه و قال صاحب كتاب نظم القرآن شهاده مصدر بمعنى الشهود كما يقال رجل عدل و رضا و رجلان عدل و رضا ثم قدر حذف المضاف فيكون المعنى عدد شهود بينكم اثنان كقوله الْحُجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ أى وقت الحج أشهر و قال ابن جنى و يجوز أن يكون التقدير تقيموا شهاده بينكم اثنان فيكون على هذين القولين حذف المضاف من المبتدأ و على قول الزجاج و أبى على من الخبر «إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ» أى حضر أسباب الموت من مرض و غيره و قال الزجاج معناه أن الشهاده فى وقت الوصيه هى للموت ليس أن الموت حاضر و هو يوصى إنما يقول الموصى صحيحا كان أو غير صحيح إذا حضرنى الموت و إذا مت فافعلوا و اصنعوا «اِثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ» أى من أهل دينكم و ملتكم

«أَوْ آخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ» أى من غير أهل ملتكم عن ابن عباس و سعيد بن المسيب و سعيد بن جبیر و شريح و مجاهد و ابن سيرين و ابن زيد و إبراهيم و هو المروى عن الباقر و الصادق (عليه السلام)

فيكون أو هاهنا للتفصيل لا- للتخيير لأن المعنى أو آخران من غيركم إن لم تجدوا شاهدين منكم و قيل معناه ذوا عدل من عشيرتكم أو آخران من غير عشيرتكم عن الحسن و الزهرى و عكرمه و الأصم و قالوا لأن عشيره الموصى أعلم بأحواله من غيرهم و أجدر أن لا ينسوا ما شهدوا عليه و قالوا لا يجوز شهاده كافر فى سفر و لا حضر و اختاره الزجاج و ذهب جماعه إلى أن الآية كانت فى شهاده أهل الذمه فنسخت و قد بين أبو عبيده هذه الأقاويل ثم قال جل العلماء يتأولونها فى أهل الذمه و يرونها محكمه

و يقوى هذا القول تتابع الآثار فى سورة المائدة بقله المنسوخ و أنها من محكم القرآن و آخر ما نزل «إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ» و معناه فأصابكم الموت علم الله تعالى أن من الناس من يسافر فيصحبه فى سفره أهل الكتاب دون المسلمين و ينزل القريبه التى لا يسكنها غيرهم و يحضره الموت فلا يجد من يشهده من المسلمين فقال «أَوْ آخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ» أى من غير دينكم إن أنتم سافرتم فأصابتكم مصيبه الموت فالعدلان من المسلمين للحضر و السفر إن أمكن إيشادهما فى السفر و الذميان فى السفر خاصه إذا لم يوجد غيرهما ثم قال «تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ» المعنى

تحبسونهما من بعد صلاة العصر لأن الناس كانوا يحلفون بالحجاز بعد صلاة العصر لاجتماع الناس و تكاثرهم فى ذلك الوقت و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

و قتاده و سعيد بن جبير و غيرهم و قيل هى صلاة الظهر أو العصر عن الحسن و قيل بعد صلاة أهل دينهما يعنى الذميين عن ابن عباس و السدى و معنى تحبسونهما تقفونهما كما تقول مر بى فلان على فرس فحبس على دابته أى وقفه و قيل معناه تصبرونهما على اليمين و هو أن يحمل على اليمين و هو غير متبرع بها إن ارتبتم فى شهادتهما و شككتهم و خشيتهم أن يكونا قد غيرا أو بدلا أو كتما و خاننا و الخطاب فى تحبسونهما للورثه و يجوز أن يكون خطابا للقضاء و يكون بمعنى الأمر أى فاحبسوهما ذكره ابن الأنبارى و كان يقف على قوله «مُصِيبَةُ الْمَوْتِ» و يبتدى بقوله «تَحْسِبُونَهُمَا» و يحتمل أن يكون أراد به وصى الميت إذا ارتاب بهما الورثه و ادعوا أنهما استبدا بشىء من التركة فيصيران مدعى عليهما فيحلفان بالله «لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا» أى لا نشترى بتحريف الشهاده ثمننا و التقدير لا نشترى به ذا ثمن ألا ترى أن الثمن لا يشتري و إنما يشتري المبيع دون ثمنه و قيل إن الهاء فى به يعود إلى القسم بالله و قيل معناه لا نبيعه بعرض من الدنيا لأن من باع شيئاً فقد اشترى ثمنه و يريد لا نحابى فى شهادتنا أحداً «وَلَوْ كَانَ» المشهود له «ذَا قُرْبَى» خص ذا القربى بالذكر لميل الناس إلى أقربائهم و من يناسبونه «وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ» أى شهاده لزمنا أداؤها بأمر الله تعالى «إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَثِمِينَ» أى إنا إن فعلنا ذلك كنا من الآثمين.

إشارة

فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَاخْرَأْ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولِيَانِ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٧) ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (١٠٨)

القراءة

قرأ أبو بكر عن عاصم و حمزه و خلف و يعقوب استحق بضم التاء و الحاء الأولين جمع و قرأ حفص عن عاصم «اسْتَحَقَّ» بفتح التاء و الحاء «الأُولِيَانِ» بالألف تشبيه الأولى و قرأ الباقون استحق بضم التاء «الأُولِيَانِ» بالألف.

الحججه و الإعراب

قال الزجاج هذا الموضوع من أصعب ما فى القرآن فى الإعراب، و «الأُولِيَانِ» فى قول أكثر البصريين يرتفعان على البدل مما فى يقومان المعنى فليقم الأوليان بالميت مقام هذين الخائنين «فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا» فإذا ارتفع الأوليان على البدل فالذى فى استحق من الضمير معنى الوصيه المعنى فليقم الأوليان من الذين استحققت الوصيه و الإيضاء عليهم و جائز أن يرتفعا باستحق و يكون معناهما الأوليان باليمين أى بأن يحلفا من يشهد بعدهما فإن جاز شهاده النصرانيين كان الأوليان على هذا القول النصرانيين و الآخران من غير أهل بيت الميت و قال أبو على لا يخلو ارتفاعه من أن يكون على الابتداء و قد أخرج كأنه فى التقدير فالأوليان بأمر الميت آخران من أهله أو من أهل دينه يقومان مقام الخائنين اللذين عثر على خيانتهم كقولهم تميمى أنا أو يكون خبر مبتدأ محذوف كأنه قال فآخران يقومان مقامهما هما الأوليان أو يكون بدلا من الضمير الذى فى يقومان أو يكون مسندا إليه استحق و قد أجاز أبو الحسن فيه شيئا آخر و هو أن يكون الأوليان صفه لقوله «فَاخْرَأْ» من غيركم لأنه لما وصف آخران اختص فوصف لأجل الاختصاص الذى صار له مما يوصف به المعارف و معنى الأوليان الأوليان بالشهاده على وصيه الميت و إنما كانا أولى به ممن اتهم بالخيانة لأنهما أعرف بأحوال الميت و أموره و لأنهما من المسلمين أ لا ترى أن وصفهم بأنه استحق عليهم يدل على أنهم مسلمون لأن الخطاب من أول الآيه مصروف إليهم فأما ما يسند إليه استحق فلا يخلو من أن يكون الإيضاء أو الوصيه أو الإثم أو الجار

والمجرور و إنما جاز استحق الإثم لأن أخذه بأخذه إثم فسمى إثمًا كما سمي ما يؤخذ منا بغير حق مظلمه قال سيويه المظلّمه اسم ما أخذ منك فلذلك سمي هذا المأخوذ باسم المصدر فأما قوله «عَلَيْهِمْ» فيحتمل ثلاثة أضرب أحدها أن يكون على فيه بمنزله قولك استحق على زيد مال بالشهادة أى لزمه و وجب عليه الخروج منه لأن الشاهدين لما عثر على خيانتهم استحق عليهما ما ولياه من أمر الشهادة و القيام بها و وجب عليهما الخروج منها و ترك الولايه لها فصار إخراجهما منها مستحقا عليهما كما يستحق على المحكوم عليه الخروج مما وجب عليه هذا كلام أبى على و أقول إن الظاهر أن «الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمْ» فى الآيه ورثه الميت و المفهوم من كلام أبى على هذا أن الشاهدين اللذين من غيرنا هما المعنيان بذلك على ما قرره و الذى يصح فى نفسى أن التقدير من اللذين استحق عليهم الوصيه أو استحق عليهم الإيضاء هم عشيره الميت و الضرب الآخر أن يكون على فيه بمنزله من كأنه قال من اللذين استحق منهم الإثم و مثل هذا قوله إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ أَي من الناس و الثالث أن يكون على فيه بمنزله فى كأنه استحق فيهم و قام على مقام فى كما قام فى مقام على فى قوله «وَأَلْصَقْنَاكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ» و المعنى من اللذين استحق عليهم بشهادة الآخرين اللذين هما من غيرنا و أقول إن هذا المعنى أيضا إنما يلائم الضرب الأول و الذى يلائم هذا الضرب أن يقال المعنى من اللذين استحق فيهم الإثم أى بسببهم استحق الآخرا من غيرنا اللذان خانا فى الوصيه فيهما الإثم بخيانتهم و يمينهما الكاذبه ثم قال أبو على فإن قلت هل يجوز أن يسند استحق إلى الأوليان فالقول فى ذلك أنه لا يجوز لأن المستحق إنما يكون الوصيه أو شيئا منها و لا يجوز أن يستحقا فيسندا استحق إليهما و أما من قرأ من اللذين استحق عليهم الأولين على الجمع فهو نعت لجميع الورثه المذكورين فى قوله «مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمْ» تقديره من الأولين اللذين استحق عليهم الإيضاء أو الإثم و إنما قيل لهم الأولين من حيث كانوا أولين فى الذكر أ لا ترى أنه قد تقدم «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ» و كذلك «اثنانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ» و ذكرا فى اللفظ قبل قوله «أَوْ آخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ» و احتج من قرأ الأولين على من قرأ «الأُولِيَانِ» بأن قال أ رأيت إن كان الأوليان صغيرين أراد أنهما إن كانا صغيرين لم يقوما مقام الكبيرين فى الشهاده و لم يكونا لصغرهما أولى بالميت و إن كانا كبيرين كانا أولى به فيقسمان بالله أى يقسم الآخرا اللذان يقومان مقام الشاهدين اللذين هما آخرا من غيرنا و قوله «لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا» متلقى به فيقسمان بالله و من قرأ «اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأُولِيَانِ» فاستحق هاهنا بمعنى حق أى وجب فالمعنى فأخرا من اللذين وجب عليهم الإيضاء بتوصيه ميتهم و هم ورثته و قال أبو على تقديره من اللذين استحق

عليهم الأوليان بالميت وصيته التي أوصى بها إلى غير أهل دينه و المفعول محذوف و حذف المفعول فى نحو هذا كثير و قال الإمام المحمود الزمخشري معناه من الورثة الذين استحق عليهم الأوليان من بينهم بالشهادة أن يجردوهما للقيام بالشهادة و يظهروا بهما كذب الكاذبين و هذا أحسن الأقوال.

اللغة

عثر الرجل على الشئ ء يعثر عثورا إذا اطلع على أمر لم يطلع عليه غيره و أعثرت فلانا على أمر أطلعت عليه و منه قوله وَ كَذَلِكَ أَعَثَرْنَا عَلَيْهِمْ و أصله الوقوع بالشئ ء من قولهم عثر الرجل عثارا إذا وقعت إصبعه بشئ ء صدمته و عثر الفرس عثارا قال الأعشى:

بذات لوث عفرناه إذا عثرت

فالتعس أولى بها من أن يقال لعا

و العثر الغبار لأنه يقع على الوجه و غيره و العاثور حفره تحفر ليعثر بها الأسد فيصطاد و الاستحقاق و الاستيجاب قريان و استحق عليه كأنه ملك عليه حقا و حققت عليه القضاء حقا و أحققته إذا أوجبته و يكون حق بمعنى استحق.

النزول

قالوا لما نزلت الآية الأولى صلى رسول الله ص العصر و دعا تميم و عدى فاستحلفهما عند المنبر بالله ما قبضنا له غير هذا و لا كتمناه فحلى رسول الله ص سبيلهما به ثم اطلعوا على إناء من فضه منقوش بذهب معهما فقالوا هذا من متاعه فقالا اشتريناه منه و نسينا أن نخبركم به فرفعوا أمرهما إلى رسول الله ص فنزل قوله «فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا» إلى آخره فقام رجلا من أولياء الميت أحدهما عمرو بن العاص و الآخر المطلب بن أبى وداعة السهمى فحلفا بالله أنهما خانا و كذبا فدفعا الإناء إليهما و إلى أولياء الميت و كان تميم الدارى بعد ما أسلم يقول صدق الله و صدق رسوله أنا أخذت الإناء فأتوب إلى الله و أستغفره.

المعنى

ثم بين سبحانه الحكم بعد ظهور الخيانة من الوصيين أو الشاهدين فقال «فَإِنْ عُثِرَ» أى اطلع و ظهر «عَلَىٰ أَنَّهُمَا» أى الشاهدين عن ابن عباس و الوصيين عن سعيد ابن جبير «اسْتَحَقَّا» أى استوجبا «إِثْمًا» أى ذنبا بأيمانهما الكاذبه و خيانتهم و قصدهما فى

شهادتهما إلى غير الاستقامه و قيل معناه استحقا عقوبه إثم من قوله تعالى «إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ» أى بعقوبه إثم قتلى و عقوبه معاصيك المتقدمه عن الجبائي «فَأَخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا» أى مقام الشاهدين اللذين هما من غيرنا و قيل مقام الوصيين «مَنْ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلِيَانِ» المعنى ليقم الأوليان بالميت من اللذين استحققت عليهم الوصيه أو يكون التقدير فالأوليان بأمر الميت آخران من أهله يقومان مقام الخائنين اللذين عثر على خيانتهم و قد بينا ما قيل فيه و فى القراءتين الآخرين فيما قيل و يجوز أن يكون الأوليان بدلا من قوله «فَأَخْرَانِ» فقد يجوز إبدال المعرفه من النكره و معنى الأوليين الأقربان إلى الميت و يجوز أن يكون معناه الأوليان باليمين و إنما كانا أوليين باليمين لأن الوصيين ادعىا أن الميت باع الإناء فانتقل اليمين إلى الأوليين لأنهما صارا مدعى عليهما أن مورثهما باع الإناء و هذا كما لو أقر إنسان لآخر بدين و ادعى قضاءه حكم برد اليمين إلى الذى ادعى الدين لأنه صار مدعى عليه أنه استوفى و قيل معناه الأوليان بالشهاده من المسلمين عن ابن عباس و شريح «فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتِنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا» قيل إنه على الظاهر أى شهادتنا و قولنا فى وصيه صاحبنا أحق بالقبول و الصدق من شهادتهما و قولهما و قيل يريد به فيقولان و الله ليميننا خير من يمينهما عن ابن عباس و سميت اليمين هاهنا شهاده لأن اليمين كالشهاده على ما يحلف عليه أنه كذلك «وَمَا اعْتَدَيْنَا» أى و ما جاوزنا الحق فيما طلبناه من حقنا عن ابن عباس و قيل فيما قلناه من أن شهادتنا أحق من شهادتهما «إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ» تقديره إنا إن اعتدينا لمن جملة الظالمين لنفوسنا و هذه الآيه مع الآيه التى قبلها من أعوص آيات القرآن إعرابا و معنى و حكما و لست تجدهما فى شىء من مظانهما أوفر فائده و أغزر عائده و أجمع علما و أوجز لفظا و معنى مما لخصته لك و سقته إليك و بالله التوفيق ثم بين سبحانه وجه الحكمه فى استحلاف اليهود فقال «ذَلِكَ أَذْنَى» أى ذلك الإحلاف و الأقسام أو ذلك الحكم أقرب إلى «أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا» أى حقها و صدقها لا يكتمون شيئا و لا- يزيدون شيئا لأن اليمين تردع عن أمور كثيره لا- يرتدع عنها مع عدم اليمين «أَوْ يَخَافُوا» أى أقرب إلى أن يخافوا «أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُ» إلى أولياء الميت «بَعِيدَ أَيْمَانِهِمْ» فيحلفوا على خيانتهم و كذبهم فيفتضحوا و يغرما فربما لا- يحلفون كاذبين و يتحفظون فى الشهاده مخافه رد اليمين و الشهاده إلى المستحق عليهم «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» أن تحلفوا أيمانا كاذبه أو تخونوا أمانه «وَ اسْمَعُوا» المواعظه «وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» إلى ثوابه و جنته.

إشارة

يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١٠٩)

الإعراب

«يَوْمَ» ينتصب على تقدير و اتقوا يوم يجمع و يتصل بقوله وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اسْتَمِعُوا عَنِ الرَّجُلِ و قيل إنه يتعلق بقوله لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ عن المغربي و قيل إنه يتعلق بمحذوف على تقدير احذروا أو اذكروا ذلك اليوم.

المعنى

«يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ» هو كقوله «وَ اتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ» وإنما انتصب يوم على أنه مفعول به و لم ينتصب على الظرف لأنهم لم يؤمروا بالتقوى فى ذلك اليوم و المعنى اتقوا عقاب يوم يجمع الله فيه الرسل لأن اليوم لا يتقى و لا يحذر فحذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه «فَيَقُولُ» لهم «مَاذَا أُجِبْتُمْ» أى ما الذى أجابكم قومكم فيما دعوتموهم إليه و هذا تقرير فى صورته الاستفهام على وجه التوبيخ للمنافقين عند إظهار فضيحتهم على رؤوس الأشهاد «قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا» قيل فيه أقوال (أحدها) أن للقيامة أهوالاً حتى تزول القلوب من مواضعها فإذا رجعت القلوب إلى مواضعها شهدوا لمن صدقهم على من كذبهم يريد أنه عزبت عنهم أفهامهم من هول يوم القيامة فقالوا لا علم لنا عن عطاء عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و السدى و الكلبي و هو اختيار الفراء (و ثانيها) أن المراد لا علم لنا كعلمك لأنك تعلم باطنهم و أنا لا نعلم غيبهم و باطنهم و ذلك هو الذى يقع عليه الجزاء عن الحسن فى روايه أخرى و اختاره الجبائى و أنكر القول الأول و قال كيف يجوز ذهولهم من هول يوم القيامة مع قوله لا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْمَأْكُورُ و قوله لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ* و يمكن أن يجاب عن ذلك بأن الفرع الأكبر دخول النار و قوله «لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ»* إنما هو كالبشاره بالنجاه من أهوال ذلك اليوم مثل ما يقال للمريض لا بأس عليك و لا خوف عليك (و ثالثها) أن معناه لا حقيقه لعلنا إذ كنا نعلم جوابهم و ما كان من أفعالهم وقت حياتنا و لا تعلم ما كان منهم بعد وفاتنا و إنما الثواب و الجزاء يستحقان بما يقع به الخاتمه مما يموتون عليه عن ابن الأنبارى (و رابعها) أن المراد لا علم لنا إلا ما علمتنا فحذف لدلاله الكلام عليه عن ابن عباس فى روايه أخرى (و خامسها) أن المراد به تحقيق فضيحتهم أى أنت أعلم بحالهم منا و لا تحتاج فى ذلك إلى شهادتنا «إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ» إنما قال علام للمبالغه لا للتكثير و قيل أراد به تكثير المعلوم و المراد أنت تعلم ما غاب و ما بطن و نحن إنما

نعلم ما نشاهد و في هذه الآيه دلالة على إثبات المعاد و الحشر و النشر و ذكر الحاكم أبو سعيد في تفسيره أنها تدل على بطلان قول الإماميه إن الأئمة يعلمون الغيب و أقول إن هذا القول ظلم منه لهؤلاء القوم فإننا لا نعلم أحدا منهم بل أحدا من أهل الإسلام يصف أحدا من الناس بعلم الغيب و من وصف مخلوقا بذلك فقد فارق الدين و الشيعة الإماميه برآء من هذا القول فمن نسبهم إلى ذلك فالله فيما بينه و بينهم.

[سوره المائده (٥): آيه ١١٠]

إشارة

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ادْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالتَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْمَأْكَمَةَ وَ الْمَأْبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنَّا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١١٠)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير عاصم ساحر مبین بالألف و كذلك في سوره يونس و هود و الصف و قرأ ابن كثير و عاصم في سوره يونس لساحر مبین بالألف فقط و أهل المدينه و البصره و الشام «سِحْرٌ مُّبِينٌ» بغير ألف في جميع ذلك.

الحجه

من قرأ «إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ» جعله إشارة إلى ما جاء به كأنه قال ما الذي جئت به إلا سحر مبین و من قرأ إلا ساحر أشار إلى الشخص لا إلى الحديث الذي أتى به و كلاهما حسن لاستواء كل واحد منهما في أن ذكره قد تقدم غير أن الاختيار سحر لوقوعه على الحدث و الشخص أما وقوعه على الحدث فظاهر و أما وقوعه على الشخص فهو أن يراد به ذو سحر كما

جاءَ وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ أَي ذَا الْبِرِّ وَقَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ سِيرٌ وَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ وَقَدْ جَاءَ أَيْضًا فَاعِلٌ يَرَادُ بِهِ الْكَثْرَةُ فِي حُرُوفٍ لَيْسَتْ بِالْكَثِيرَةِ نَحْوَ عَائِذَا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا أَي عِيَاذًا وَ نَحْوَ الْعَافِيَةِ وَ لَمْ تَصْرُ هَذِهِ الْحُرُوفُ مِنَ الْكَثْرَةِ بِحَيْثُ يُقَاسُ عَلَيْهَا.

الإعراب

العامل في إذ يحتمل أمرين (أحدهما) الابتداء عطفا على قوله يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ ثم قال و ذلك إذ قال فيكون موضعه رفعا كما يقول القائل كأنك بنا قد وردنا بلد كذا و صنعنا فيه و فعلنا إذ صاح بك صائح فأجبتة و تركنتي (و الثاني) اذكر إذ قال الله فيكون موضعه نصبا «يا عيسى ابن مريم» يجوز أن يكون عيسى مضموما في التقدير فإنه منادى مفرد فيكون نداءين و تقديره يا عيسى يا ابن مريم أو تكون وصفت المضموم بمضاف فنصب المضاف كقول الشاعر:

" يا زبرقان أبا بني خلف "

و يجوز أن يكون عيسى مبنيا مع الابن على الفتح في التقدير لوقوع الابن بين علمين و هذا كما أنشد النحويون من قول الشاعر:

يا حكم بن المنذر بن الجارود

أنت الجواد بن الجواد بن الجواد

روى في حكم الضم و الفتح «تَكَلَّمُ النَّاسُ» في موضع نصب على الحال و كهلا عطف على موضع في المههد و هو جملة ظرفية في موضع نصب على الحال من تكلم فالمعنى مكلما الناس صغيرا و كبيرا.

المعنى

لما عرف سبحانه يوم القيامة بما وصفه به من جمع الرسل فيه عطف عليه بذكر المسيح فقال «إِذْ قَالَ اللَّهُ» و معناه إذ يقول الله في الآخرة و ذكر لفظ الماضي تقريبا للقيامه لأن ما هو آت فكان قد وقع «يا عيسى ابن مريم» و هذا إشارة إلى بطلان قول النصارى لأن من له أم لا يكون إلها «أذْكَرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَ عَلَيَّ وَالِدَتِكَ» أي اذكر ما أنعمت به عليك و على أمك و اشكره أفرد النعمة في اللفظ و يريد به الجمع كما قال تعالى «وَ إِنْ تَعِبُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْضُوهَا»* و إنما جاز ذلك لأنه مضاف فصلح للجنس ثم فسر نعمته بأن قال «إِذْ أَيْدُتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ» و هو جبرائيل (عليه السلام) و قد مضى تفسيره في سورة البقره عند قوله وَ أَيْدُتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ* «تَكَلَّمُ النَّاسُ فِي الْمَهْدِ وَ كَهَلًا» أي في حال ما كنت صبيا في المههد و في حال ما كنت كهلا و قال الحسن المههد حجر أمه «وَ إِذْ عَلَّمْتِكَ الْكِتَابَ» قيل الكتابه يعنى الخط «وَ الْحِكْمَةَ» أي العلم و الشريعة و قيل أراد الكتب فيكون الكتاب اسم جنس ثم فصله بذكر التوراه و الإنجيل فقال «وَ التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ إِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَتِهِ

الطَّيْرِ بِإِذْنِي» أى و اذكر ذلك أيضا إذ تصور الطين كهيئته الطير الذى تريد أى كخلقته و صورته و سماه خلقا لأنه كان يقدره و قوله «بِإِذْنِي» أى تفعل ذلك بإذنى و أمرى «فَتَنْفُخُ فِيهَا» أى تنفخ فيها الروح لأن الروح جسم يجوز أن ينفخه المسيح بأمر الله «فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي» و الطير يؤنث و يذكر فمن أنث فعلى الجمع و من ذكر فعلى اللفظ و واحد الطير طائر فيكون مثل ظاعن و ظعن و راكب و ركب و بين بقوله «فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي» أنه إذا نفخ المسيح فيها الروح قلبها الله لحما و دما و يخلق فيها الحياه فصارت طائرا بإذن الله أى بأمره و إرادته لا بفعل المسيح «و تَبْرَأُ» أى تصحح «الْأَكْمَه» الذى ولد أعمى «و الْأَبْرَص» من به برص مستحكم «بِإِذْنِي» أى بأمرى و معناه أنك تدعونى حتى أبرئ الأكمه و الأبرص و نسب ذلك إلى المسيح لما كان بدعائه و سؤاله «و إِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي» أى اذكر إذ تدعونى فأحيى الموتى عند دعائك و أخرجهم من القبور حتى يشاهدهم الناس أحياء و نسب ذلك إلى المسيح لما كان بدعائه «و إِذْ كَفَفْتُ بَيْنَ إِسْرَائِيلَ عَنْكَ» عن قتلك و أذيتك «إِذْ جِئْتَهُمْ» أى حين جئتهم «بِالْبَيِّنَاتِ» مع كفرهم و عنادهم و يجوز أن يكون تعالى كفهم عنه بالطفاه التى لا- يقدر عليها غيره و يجوز أن يكون كفهم بالمنع و القهر كما منع من أراد قتل نبينا و معنى جئتهم بالبينات أتيتهم بالحجج و المعجزات «فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا» و جحدوا نبوتك «مِنْهُمْ» أى من بنى إسرائيل «إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ» يعنون به عيسى و «سِحْرٌ مُّبِينٌ» يعنى به أن ما جاء به سحر ظاهر واضح و ينبغى أن يكون قوله سبحانه فى أول الآيه «إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي» يعنى أخبر بها قومك الذين كذبوا عليك ليكون حجه عليهم لأنهم ادعوا عليه أنه الله ثم عدد النعمه نعمه نعمه على ما بيناه.

[سوره المائده (٥): آيه ١١١]

اشاره

وَ إِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَ بِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَ أَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (١١١)

اللغه

الوحى إلقاء المعنى إلى النفس على وجه يخفى ثم ينقسم فيكون بإرسال الملك و يكون بمعنى الإلهام قال الشاعر:

الحمد لله الذى استقلت

بإذنه السماء و اطمانت

أوحى لها القرار فاستقرت

أى ألقى إليها و يروى:

" و حى لها القرار "

و الفرق بين أوحى و وحى من وجهين (أحدهما) أن أوحى بمعنى جعلها على صفه و وحى بمعنى جعل فيها معنى الصفه لأن أفعال

أصله التعديه و قيل إنهما لغتان و الحوارى خالصه الرجل و خلصاءه من الخبز الحوارى لأنه أخلص ليه من كل ما يشوبه و أصله الخلوص و منه حار يحور إذا رجع إلى حال الخلوص ثم كثر حتى قيل لكل راجع.

المعنى

ثم بين سبحانه تمام نعمته على عيسى فقال «وَ إِذِ أَوْحَيْتُ» أى و اذكر إذ أوحيت «إِلَى الْخَوَارِيِّينَ» أى ألهمتهم و قيل ألقيت إليهم بالآيات التى أريتهم إياها و مضى الكلام فى الحواريين فى سوره آل عمران و هم وزراء عيسى عن قتاده و أنصاره عن الحسن «أَنْ آمَنُوا بِى وَ بِرَسُولِى» أى صدقوا بى و بصفاتى و بعيسى أنه عبدى و نبى «قَالُوا» أى قال الحواريون «آمَنَّا» أى صدقنا «وَ اشْهَدُ» يا الله «بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ».

[سوره المائده (٥): الآيات ١١٢ الى ١١٣]

اشاره

إِذْ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَ تَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَ نَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَ نَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١٣)

القراءه

قرأ الكسائى وحده هل تستطيع بالتاء ربك بالنصب و الباقون «يَسْتَطِيعُ» بالياء «رَبُّكَ» مرفوع و أدغم الكسائى اللام فى التاء.

الحجه

وجه قراءه الكسائى أن المراد هل تستطيع سؤال ربك و ذكروا الاستطاعه فى سؤالهم لا لأنهم شكوا فى استطاعته و لكن كأنهم ذكروه على وجه الاحتجاج عليه منهم كأنهم قالوا إنك مستطيع فما يمنعك و مثل ذلك قولك لصاحبك أ تستطيع أن تذهب عنى فىانى مشغول أى اذهب لأنك غير عاجز عن ذلك و «أَنْ يُنَزَّلَ» على هذه القراءه متعلق بالمصدر المحذوف لا يستقيم الكلام إلا على تقدير ذلك ألا ترى أنه لا يصح أن تقول هل تستطيع أن يفعل غيرك فأن ينزل فى موضع نصب بأنه مفعول به و التقدير هل تستطيع أن تسأل ربك إنزال مائده من السماء علينا

و روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) ما يقارب هذا التقدير قال يعنى

هل تستطيع أن تدعو ربك

و أما إدغام اللام فى التاء فإنه حسن لأن أبا عمرو أدغم اللام فى التاء فى هَلْ تُؤَبِّبُ الْكُفَّارُ وَ التاء أقرب إلى اللام من التاء و الإدغام إنما يحسن فى المتقاربين و أنشد سيبويه:

فذر ذا و لكن هتعين متيما

على ضوء برق آخر الليل ناصب.

اللغة

الفرق بين الاستطاعه و القدره أن الاستطاعه انطباق الجوارح للفعل و القدره هى ما أوجب كون القادر عليه قادرا و لذلك لا يوصف تعالى بأنه مستطيع و يوصف بأنه قادر و المائده الخوان قال الأزهري فى تهذيب اللغة هى فى المعنى مفعوله و لفظها فاعله لأنها من العطاء و قد ماد زيد عمرا إذا أعطاه و قيل هى من ماد يمد إذا تحرك فهى فاعله و يقال مائده و ميده قال الشاعر:

و ميده كثيره الألوان

تصنع للإخوان و الجيران

و ماد به البحر يمد فهو مائد إذا تحرك به و ماد يمد إذا تبخرت و ماد أهله إذا مادهم و أصله الحركة.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن الحواريين و سؤالهم فقال «إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ» و العامل فى إذ قوله «أَوْحَيْتُ» و يحتمل أن يكون معناه و اذكر إذ قال الحواريون «يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء» قيل فيه أقوال (أحدها) أن يكون معناه هل يفعل ربك ذلك بمسألتك إياه ليكون علما على صدقك و لا يجوز أن يكونوا شكوا فى قدره الله تعالى على ذلك لأنهم كانوا عارفين مؤمنين و كأنهم سألوه ذلك ليعرفوا صدقه و صحه أمره من حيث لا يعرض عليهم فيه إشكال و لا شبهه و من ثم قالوا «وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُنَا» كما قال إبراهيم «وَ لَكِنْ لِيُطَمِّئِنَّ قَلْبِي» عن أبى على الفارسي (و ثانيها) أن المراد هل يقدر ربك و كان هذا فى ابتداء أمرهم قبل أن تستحكم معرفتهم بالله و لذلك أنكر عليهم عيسى (عليه السلام) فقال «اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ» لأنهم لم يستكمل إيمانهم فى ذاك الوقت (و ثالثها) أن يكون معناه هل يستجيب لك ربك و إليه ذهب السدى فى قوله يريد هل يطيعك ربك أن سأله و هذا على أن يكون استطاع بمعنى أطاع كما يكون استجاب بمعنى أجاب قال الزجاج يحتمل مسألة الحواريين عيسى (عليه السلام) المائده على ضربين: (أحدهما)

أن يكونوا أرادوا أن يزدادوا تشبثا كما قال إبراهيم «رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَيِّتِي» (و جائر) أن يكون مسألته المائدة قبل علمهم أنه أبرأ الأكمه والأبرص و أحيا الموتى «قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ» معناه اتقوا الله أن تسألوه شيئا لم تسأله الأمم قبلكم و قيل أن معناه الأمر بالتقوى مطلقا كما أمر الله المؤمنين بها في قوله «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ»* عن أبي على الفارسي و قيل أمرهم أن لا- يقترحوا الآيات و أن لا يقدموا بين يدي الله و رسوله لأن الله تعالى قد أراهم البراهين و المعجزات بإحياء الموتى و غيره مما هو أوكد مما سأله و طلبوه عن الزجاج «قالوا» أى قال الحواريون «نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا» قيل فى معناه قولان (أحدهما) أن تكون الإرادة التى هى من أفعال القلوب و يكون التقدير فيه نريد السؤال من أجل هذا الذى ذكرنا و الآخر أن يكون الإرادة هاهنا بمعنى المحبه التى هى ميل الطباع أى نحب ذلك «و تَطْمَئِنُّ قُلُوبُنَا» يجوز أن يكونوا قالوا و هم مستبصرون فى دينهم و معناه نريد أن نزداد يقينا و ذلك أن الدلائل كلما كثرت مكنت المعرفة فى النفس عن عطاء «و نَعْلَمُ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا» بأنك رسول الله و هذا يقوى قول من قال إن هذا كان فى ابتداء أمرهم و الصحيح أنهم طلبوا المعايين و العلم الضرورى و التأكيد فى الإعجاز «و نَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ» لله بالتوحيد و لك بالنبوه و قيل من الشاهدين لك عند بنى إسرائيل إذا رجعنا إليهم.

[سوره المائده (٥): الآيات ١١٤ الى ١١٥]

إشارة

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَ آخِرِنَا وَ آيَةً مِنْكَ وَ ارزُقْنَا وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١٤) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لَا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ (١١٥)

القراءة

قرأ أهل المدينة و الشام و عاصم «مُنَزَّلُهَا» بالتشديد و الباقون منزلها مخففة.

الحجة

يقوى التخفيف قوله «أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً» و الأولى أن يكون الجواب على وفق السؤال و الوجه فى التشديد أن نزل و أنزل بمعنى واحد.

ص: ٣٥٩

العيد اسم لما عاد إليك من شىء فى وقت معلوم حتى قالوا للخيال عيد و لما يعود إليك من الحزن عيد قال الأعشى:

فوا كبدى من لاجع الهم و الهوى

إذا اعتاد قلبى من أميمه عيدها

و قال الليث العيد كل يوم مجمع قال العجاج:

" كما يعود العيد نصرانى "

قال المفضل عادنى عيدى أى عادتى و أنشد:

" عاد قلبى من الطويله عيد "

و إنما قول تابط شرا:

" يا عيد ما لك من شوق و إبراق "

فإنه أراد الخيال الذى يعتاده.

الإعراب

«تَكُونُ لَنَا» فى موضع نصب صفه لمائده و لنا فى موضع الحال لأن تقديره تكون عيدا لنا فقوله «لَنَا» صفه لعيد فلما تقدمه انتصب على الحال و قوله «لِأَوَّلِنَا وَ آخِرِنَا» بدل من قوله «لَنَا».

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن سؤال عيسى (عليه السلام) إياه فقال «قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» عن قومه لما التمسوا منه و قيل أنه إنما سأل ربه ذلك حين أذن له فى السؤال «اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً» أى خوانا عليه طعام «مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً» قيل فى معناه قولان (أحدهما) نتخذ اليوم الذى تنزل فيه عيداً نعظمه نحن و من يأتى بعدنا عن السدى و قتاده و ابن جريج و هو قول أبى على الجبائى (و الثانى) أن معناه تكون عائده فضل من الله علينا و نعمه منه لنا و الأول هو الوجه «لِأَوَّلِنَا وَ آخِرِنَا» أى لأهل زماننا و من يجىء بعدنا و قيل معناه يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم عن ابن عباس «وَ آيَةٌ مِنْكَ» أى و دلالة منك عظيمه الشأن فى إزعاج قلوب العباد إلى الإقرار بمدلولها و الاعتراف بالحق الذى تشهد به ظاهرها تدل على توحيدك و صحه نبوه نبيك «وَ ارزُقْنَا» أى و اجعل ذلك رزقنا لنا و قيل معناه و ارزقنا الشكر عليها عن الجبائى «وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» و فى هذا دلالة على أن العباد قد يرزق بعضهم بعضاً لأنه لو لم يكن كذلك لم يصح أن يقال له سبحانه «أَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» كما لا يجوز أن يقال أنت

خير الآلهه لما لم يكن غيره إلهها «قال الله» مجيباً له إلى ما التمسه «إني منزلها» يعنى المائده «عليكم فمن يكفر بعد منكم» أى بعد إنزالها عليكم «فإني أعيذ به عذاباً لا أعيذ به أحداً من العالمين» قيل فى معناه أقوال (أحدها) أنه أراد عالمى زمانه فجحد القوم فكفروا بعد نزولها فمسخوا قرده و خنازير عن قتاده

و روى عن أبى الحسن موسى

ص: ٣٦٠

(و ثانيها) أنه أراد عذاب الاستئصال (و ثالثها) أنه أراد جنسا من العذاب لا يعذب به أحدا غيرهم و إنما استحقوا هذا النوع من العذاب بعد نزول المائدة لأنهم كفروا بعد ما رأوا الآيه التي هي من أزجر الآيات عن الكفر بعد سؤالهم لها فافتضت الحكمة اختصاصهم بفن من العذاب العظيم الموضع كما اختصت آيتهم بفن من الزجر العظيم الموضع.

[القصه]

اختلف العلماء فى المائدة هل نزلت أم لا فقال الحسن و مجاهد إنها لم تنزل و إن القوم لما سمعوا الشرط استعفوا عن نزولها و قالوا لا- نريدها و لا- حاجه لنا فيها فلم تنزل و الصحيح أنها نزلت لقوله تعالى «إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ» و لا يجوز أن يقع فى خبره الخلف و

لأن الأخبار قد استفاضت عن النبى ص و الصحابه و التابعين أنها نزلت

قال كعب أنها نزلت يوم الأحد و لذلك اتخذته النصارى عيدا و اختلفوا فى كيفية نزولها و ما عليها

فروى عن عمار بن ياسر عن النبى قال نزلت المائدة خبزا و لحما و ذلك لأنهم سألوا عيسى (عليه السلام) طعاما لا ينفد يأكلون منها قال فقيل لهم فإنها مقيمه لكم ما لم تخونوا و تخبأوا و ترفعوا فإن فعلتم ذلك عذبتم قال فما مضى يومهم حتى خبأوا و رفعوا و خانوا

و قال ابن عباس أن عيسى بن مريم قال لبنى إسرائيل صوموا ثلاثين يوما ثم اسألوا الله ما شئتم يعطيكم فصاموا ثلاثين يوما فلما فرغوا قالوا يا عيسى إنا لو عملنا لأحد من الناس فقضينا عمله لأطعمنا طعاما و إنا صمنا و جعنا فادع الله أن ينزل علينا مائدة من السماء فأقبلت الملائكة بمائده يحملونها عليها سبعة أرغفه و سبعة أحوات حتى وضعوها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

و روى عطاء بن السائب عن زاذان و ميسره قالا كانت إذا وضعت المائدة لبنى إسرائيل اختلف عليهم الأيدى من السماء بكل طعام إلا اللحم و روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أنزل على المائدة كل شىء إلا الخبز و اللحم و قال عطاء نزل عليها كل شىء إلا السمك و اللحم و قال عطيه العوفى نزل من السماء سمكه فيها طعم كل شىء و قال عمار و قتاده كان عليها ثمر من ثمار الجنة و قال قتاده كانت تنزل عليهم بكره و عشيا حيث كانوا كالمن و السلوى لبنى إسرائيل و قال يمان بن رثاب كانوا يأكلون منها ما شاءوا و روى عطاء بن أبى رباح عن سلمان الفارسى أنه قال و الله ما تبع عيسى شيئا من المساوى قط و لا انتهر

يتيما و لا قهقهه ضحكا و لا ذب ذبابا عن وجهه و لا أخذ على أنفه من شىء نتن قط و لا عبث قط و لما سأله الحواريون أن ينزل عليهم المائدة لبس صوفيا و بكى و قال «اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً» الآية فنزلت سفره حمراء بين غمامتين و هم ينظرون إليها و هى تهوى منقضة حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى و قال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها رحمه و لا تجعلها مثله و عقوبه و اليهود ينظرون إليها ينظرون إلى شىء لم يروا مثله قط و لم يجدوا ريحا أطيب من ريحه فقام عيسى فتوضأ و صلى صلاة طويلة ثم كشف المنديل عنها و قال بسم الله خير الرازقين فإذا هو سمكه مشويه ليس عليها فلوسها تسيل سيلا من الدسم و عند رأسها ملح و عند ذنبها خل و حولها من أنواع البقول ما عدا الكراث و إذا خمسه أرغفه على واحد منها زيتون و على الثانى غسل و على الثالث سمن و على الرابع جبن و على الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أ من طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة فقال عيسى ليس شىء مما ترون من طعام الدنيا و لا من طعام الآخرة و لكنه شىء افتعله الله بالقدره الغالبه كلوا مما سألتكم يمددكم و يزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية اليوم آيه أخرى فقال عيسى يا سمكه أحيى بإذن الله فاضطربت السمكه و عاد عليها فلوسها و شوكتها ففزعوا منها فقال عيسى ما لكم تسألون أشياء إذا أعطيتموها كرهتموها ما أخوفنى عليكم أن تعذبوا يا سمكه عودى كما كنت بإذن الله فعادت السمكه مشويه كما كانت فقالوا يا روح الله كن أول من يأكل منها ثم نأكل نحن فقال عيسى معاذ الله أن آكل منها و لكن يأكل منها من سألها فخافوا أن يأكلوا منها فدعا لها عيسى أهل الفاقه و الزمنى و المرضى و المبتلين فقال كلوا منها جميعا و لكم المهناً و لغيركم البلاء فأكل منها ألف و ثلاثمائة رجل و امرأه من فقير و مريض و مبتلى و كلهم شبعان يتجشى ثم نظر عيسى إلى السمكه فإذا هى كهيئتها حين نزلت من السماء ثم طارت المائدة صعدا و هم ينظرون إليها حتى توارت عنهم فلم يأكل منها يومئذ زمن إلا صح و لا مريض إلا أبرئ و لا فقير إلا استغنى و لم يزل غنيا حتى مات و ندم الحواريون و من لم يأكل منها و كانت إذا نزلت اجتمع الأغنياء و الفقراء و الصغار و الكبار يتراحمون عليها فلما رأى ذلك عيسى جعلها نوبه بينهم فلبثت أربعين صباحا تنزل ضحى فلا تزال منصوبه يؤكل منها حتى فاء الفىء طارت صعدا و هم ينظرون فى ظلها حتى توارت عنهم و كانت تنزل غبا يوما و يوما لا- فأوحى الله إلى عيسى اجعل مائدتى للفقراء دون الأغنياء فعظم

ذلك على الأغنياء حتى شكوا و شككوا الناس فيها فأوحى الله إلى عيسى إني شرطت على المكذبين شرطا أن من كفر بعد نزولها أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين فقال عيسى إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فمسخ منهم ثلثمائه و ثلاثه و ثلاثون رجلا- باتوا من ليلهم على فرشهم مع نساءهم فى ديارهم فأصبحوا خنازير يسعون فى الطرقات و الكناسات و يأكلون العذرة فى الحشوش فلما رأى الناس ذلك فرعوا إلى عيسى و بكوا و بكى على المسوخين أهلهم فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا

و فى تفسير أهل البيت (عليه السلام) كانت المائدة تنزل عليهم فيجتمعون عليها و يأكلون منها ثم ترتفع فقال كبارؤهم و مترفهم لا ندع سفلتنا يأكلون منها معنا فرفع الله المائدة ببغيهم و مسخوا قرده و خنازير.

[سورة المائدة (٥): الآيات ١١٦ الى ١١٨]

إشارة

وَ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمَّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَ لَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَ رَبَّكُمْ وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَ أَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَ إِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨)

اللغة

النفس تقع على وجوه فالنفس نفس الإنسان و غيره من الحيوان و هى التى إذا فارقتها خرج من كونه حيا و منه قوله «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ»* و النفس أيضا ذات الشىء الذى يخبر عنه كقولهم فعل ذلك فلان نفسه و النفس أيضا الإرادة كما فى قول الشاعر:

فنفساي نفس قالت انت ابن بجدل

تجد فرجا من كل غمى تهابها

ص: ٣٦٣

و نفس تقول اجهد بخائلك لا تكن

كخاضبه لم يغن شيئا خضابها

و قال النمر بن تولب:

أما خليلي فإنى لست معجله

حتى يؤامر نفسه كما زعما

نفس له من نفوس القوم صالحه

تعطى الجزيل و نفس ترضع الغنما

يريد أنه بين نفسين نفس تأمره بالجود و أخرى تأمره بالبخل و كنى برضاع الغنم عن البخل كما يقال لثيم راضع و النفس العين التي تصيب الإنسان

و روى أن رسول الله ص كان يرقى فيقول بسم الله أرقيك و الله يشفيك من كل داء هو فيك من كل عين عاين و نفس نافس و حسد حاسد

قال ابن الأعرابي النفوس الذى تصيب الناس بالنفس و ذكر رجلا فقال كان حسودا نفوسا كذوبا و قال ابن قيس الرقيات:

يتقى أهلها النفوس عليها

فعلى نحرها الرقى و التميم

و قال مضرس:

و إذا نموا صعدا فليس عليهم

منا الخيال و لا نفوس الحسد

و النفس الغيب يقال إنى لأعلم نفس فلان أى غيبه و على هذا تأويل الآيه و يقال النفس أيضا العقوبه و عليه حمل بعضهم قوله تعالى «و يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ» و الرقيب أصله من الترقب و هو الانتظار و معناه الحافظ و رقيب القوم حارسهم و الشهيد الشاهد لما يكون و يجوز أن يكون بمعنى العليم.

الإعراب

حقيقه إذ أن يكون لما مضى و هذا معطوف على ما قبله فكأنه قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ما ذا أجبتم و ذلك إذ يقول يا عيسى و قيل أنه تعالى إنما قال له ذلك حين رفعه إليه فيكون القول ماضيا عن البلخي و هذا قول السدى و الصحيح الأول لأن الله عقب هذه الآية بقوله هذا يوم يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ و أراد به يوم القيامة و إنما خرج هذا مخرج الماضي و هو للمستقبل تحقيقا لوقوعه كقوله تعالى «وَ نَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ» و مثله قوله «وَلَوْ تَرَى إِذِ فَرَغُوا فَلَا فَوْتَ» يريد إذ يفزعون و كذلك قوله «وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ» و قال أبو النجم:

«مِنْ دُونَ اللَّهِ» من زائده مؤكده للمعنى قوله «إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ» المعنى إن أكن الآن قلته فيما مضى و ليس كان فيه على المعنى لأن الشرط و الجزاء لا يقعان إلا فيما يستقبل و حرف الجزاء يغير معنى المضى إلى الاستقبال لا محاله هذا قول المحققين و قوله «أَنْ اعْتَبِدُوا اللَّهَ» ذكر فى محله وجوه (أحدها) النصب بدلا مما أمرتنى به (و الثانى) أن يكون مجرور الموضع بدلا من الهاء فى «بِهِ» (و الثالث) أن يكون أن مفسره لما أمر به بمعنى أى و على هذا فلا موضع لها من الإعراب.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من أمر المسيح فقال «وَ إِذْ قَالَ اللَّهُ» و المعنى إذ يقول الله يوم القيامة لعيسى «يا عيسى ابْنِ مَرْيَمَ أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمَّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونَ اللَّهِ» هذا و إن خرج مخرج الاستفهام فهو تفرير و تهديد لمن ادعى ذلك عليه من النصارى كما جرى فى العرف بين الناس أن من ادعى على غيره قولاً فيقال لذلك الغير بين يدي المدعى عليه ذلك القول أنت قلت هذا القول ليقول لا فيكون ذلك استعظاما لذلك القول و تكذيبا لقائله و ذكر فيه وجه آخر و هو أن يكون تعالى أراد بهذا القول تعريف عيسى أن قوما قد اعتقدوا فيه و فى أمه أنهما إلهان لأنه يمكن أن يكون عيسى لم يعرف ذلك إلا فى تلك الحال عن البلخى و الأول أصح و قد اعترض على قوله «إِلَهَيْنِ» فقيل لا يعلم فى النصارى من اتخذ مريم إلها و الجواب عنه من وجوه (أحدها) أنهم لما جعلوا المسيح إلها لزمهم أن يجعلوا والدته أيضا إلها لأن الولد يكون من جنس الوالده فهذا على طريق الإلزام لهم (و الثانى) أنهم لما عظموهما تعظيم الآلهة أطلق اسم الآلهة عليهما كما أطلق اسم الرب على الرهبان و الأحبار فى قوله «اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَ رُحَبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونَ اللَّهِ» لما عظموهم تعظيم الرب (و الثالث) أنه يحتمل أن يكون فيهم من قال بذلك و يعضد هذا القول ما حكاه الشيخ أبو جعفر عن بعض النصارى أنه قد كان فيما مضى قوم يقال لهم المريميه يعتقدون فى مريم أنها إله فعلى هذا يكون القول فيه كالقول فى الحكاياه عن اليهود و قولهم عَزَّيْزُ ابْنُ اللَّهِ «قَالَ» يعنى عيسى «سَيُبْحَاكَ» جل جلالك و عظمت و تعاليت عن عطاء و قيل معناه تنزيها لك و براءه مما لا يجوز عليك و قيل تنزيها لك من أن تبعث رسولا

يدعى إلهيه لنفسه و يكفر بنعمتك فجمع بين التوحيد و العدل ثم تبرأ من قول النصارى فقال «ما يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ» أى لا- يجوز لى أن أقول لنفسى ما لا يحق لى فأمر الناس بعبادتى و أنا عبد مثلهم و إنما تحق العباده لك لقدرتك على أصول النعم ثم استشهد الله تعالى على براءته من ذلك القول فقال «إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ» يريد أنى لم أقله لأنى لو كنت قلته لما خفى عليك لأنك علام الغيوب «تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَ لَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ» أى تعلم غيبى و سرى و لا أعلم غيبك و سرى عن ابن عباس و إنما ذكر النفس لمزواجه الكلام و العاده جاريه بأن الإنسان يسر فى نفسه فصار قوله «ما فى نَفْسِي» عباره عن الإخفاء ثم قال «ما فى نَفْسِكَ» على جهه المقابله و إلا- فالله منزه عن أن يكون له نفس أو قلب تحل فيه المعانى و يقوى هذا التأويل قوله تعالى «إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ» لأنه علل علمه بما فى نفس عيسى بأنه علام الغيوب و عيسى ليس كذلك فلذلك لم يعلم ما يختص الله بعلمه ثم قال حكايه عن عيسى فى جواب ما قرره تعالى عليه «ما قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَ رَبَّكُمْ» أى لم أقل للناس إلا- ما أمرتنى به من الإقرار لك بالعبوديه و إنك ربى و ربهم و إلهى و إلههم و أمرتهم أن يعبدوك وحدك و لا يشركوا معك غيرك فى العباده «وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا» أى شاهدا «ما دُمْتُ» حيا «فيهم» بما شاهدته منهم و علمته و بما أبلغتهم من رسالتك التى حملتها و أمرتنى بأدائها إليهم «فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي» أى قبضتنى إليك و أمتنى عن الجبائى و قيل معناه وفاه الرفع إلى السماء عن الحسن «كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبُ» أى الحفيظ «عليهم» عن السدى و قتاده «وَ أَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» أى أنت عالم بجميع الأشياء لا- تخفى عليك خافيه و لا يغيب عنك شىء قال الجبائى و فى هذه الآيه دلالة على أنه أمات عيسى و توفاه ثم رفعه إليه لأنه بين أنه كان شهيدا عليهم ما دام فيهم فلما توفاه الله كان هو الشهيد عليهم و هذا ضعيف لأن التوفى لا- يستفاد من إطلاقه الموت أ لا- ترى إلى قوله «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا» فبين أنه تعالى يتوفى الأنفس التى لم تمت «إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ» لا يقدر على دفع شىء من أنفسهم «وَ إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» فى تسليم الأمر لمالكه و تفويض إلى مدبره و تبرؤ من أن يكون إليه شىء من أمور قومه كما يقول الواحد منا إذا تبرأ من تدبير أمر من الأمور و يريد تفويضه إلى غيره هذا الأمر لا مدخل لى فيه فإن شئت فافعله و إن شئت فاتركه مع علمه و قطعه على أن أحد الأمرين لا يكون منه و قيل أن المعنى إن تعذبهم فياقتلهم على كفرهم و إن تغفر لهم فبتوبه كانت منهم

عن الحسن فكأنه اشترط التوبه و إن لم يكن الشرط ظاهرا فى الكلام و إنما لم يقل فإنك أنت الغفور الرحيم لأن الكلام لم يخرج مخرج السؤال و لو قال ذلك لأوهم الدعاء لهم بالمغفره على أن قوله «الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» أبلغ فى المعنى و ذلك أن المغفره قد تكون حكمه و قد لا- تكون و الوصف بالعزیز الحكيم يشتمل على معنى الغفران و الرحمه إذا كانا صوابين و يزيد عليهما باستيفاء معان كثيره لأن العزیز هو المنيع القادر الذى لا يضام و القاهر الذى لا يرام و هذا المعنى لا يفهم من الغفور الرحيم و الحكيم هو الذى يضع الأشياء مواضعها و لا- يفعل إلا الحسن الجميل فالمغفره و الرحمه إن اقتضتھما الحكمه دخلتا فيه و زاد معنى هذا اللفظ عليهما من حيث اقتضى وصفه بالحكمه فى سائر أفعاله.

[سوره المائدہ (۵): الآيات ۱۱۹ الى ۱۲۰]

اشاره

قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (۱۱۹) لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا فِيهِنَّ وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۱۲۰)

القراءه

قرأ نافع وحده يوم ينفع بالنصب و الباقون بالرفع.

الحججه

قال أبو على من رفع يوما جعله خبر المبتدأ الذى هو هذا و أضاف يوما إلى ينفع و الجملة التى هى من المبتدأ و الخبر فى موضع نصب بأنه مفعول القول كما تقول قال زيد عمرو أخوك و من قرأ هذا يوم ينفع احتمال أمرين (أحدهما) أن يكون مفعول قال تقديره قال الله هذا القصص أو هذا الكلام «يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ» فيوم ظرف للقول و هذا إشاره إلى ما تقدم ذكره من قوله «إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ» و جاء على لفظ الماضى و إن كان المراد به الآتى كما قال و نادى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ و نحو ذلك و ليس ما بعد قال حكاية فى هذا الوجه كما كان إياها فى الوجه الآخر و يجوز أن يكون المعنى على الحكايه و تقديره «قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ» أى هذا الذى اقتصصنا يقع أو يحدث يوم ينفع و خبر المبتدأ الذى هو هذا الظرف لأنه إشاره إلى حدث و ظروف الزمان تكون أخبارا عن الأحداث و الجملة فى موضع نصب بأنها فى موضع مفعول قال و لا يجوز أن تكون فى موضع رفع و قد فتح لأن المضاف

إليه معرب و إنما يكتسب البناء من المضاف إليه إذا كان المضاف إليه مبنيا و المضاف مبهما كما يكون ذلك فى هذا الضرب من الأسماء إذا أضيف إلى ما كان مبنيا نحو وَ مِنْ خِزْيِ يَوْمِيذٍ وَ مِنْ عَذَابِ يَوْمِيذٍ وَ صار فى المضاف البناء للإضافة إلى المبنى كما صار فيه الاستفهام للإضافة إلى المستفهم به نحو غلام من أنت و كما صار فيه الجزاء نحو غلام من تضرب اضرب و ليس المضارع فى هذا كالماضى فى نحو قوله:

على حين عاتبت المشيب على الصبا

فقلت أ لما أصح و الشيب وازع

لأن الماضى مبنى و المضارع معرب و إذا كان معربا لم يكن شىء يحدث من أجله البناء فى المضاف و الإضافة إلى الفعل نفسه فى الحقيقة لا إلى مصدره و لو كانت الإضافة إلى المصدر لم يبين المضاف لبناء المضاف إليه.

المعنى

لما بين عيسى بطلان ما عليه النصارى «قال الله» تعالى «هذا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ» يعنى ما صدقوا فيه فى دار التكليف لأن يوم القيامة لا تكليف فيه على أحد و لا يخبر أحد فيه إلا بالصدق و لا ينفع الكفار صدقهم فى يوم القيامة إذا أقروا على أنفسهم بسوء أعمالهم و قيل أن المراد بصدقهم تصديقهم لرسول الله تعالى و كتبه و قيل أنه الصدق فى الآخرة و أنه ينفعهم لقيامهم فيه بحق الله فعلى هذا يكون المراد به صدقهم فى الشهادة لأنبيائهم بالبلاغ «لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا» أى دائمين فيها فى نعيم مقيم لا يزول «رَضِيََ اللَّهُ عَنْهُمْ» بما فعلوا «وَ رَضُوا عَنْهُ» بما أعطاهم من الجزاء و الثواب «ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» هو ما يحصلون فيه من الثواب قال الحسن فازوا بالجنة و نجوا من النار ثم بين تعالى عظيم قدرته و اتساع مملكته فقال «لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا فِيهِنَّ» نزه تعالى نفسه عما قالت النصارى أن معه إلها فقال «لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» دون كل من سواه لقدرته عليه وحده و قيل أن هذا جواب لسؤال مضمرة فى الكلام كأنه قيل من يعطيهم ذلك الفوز العظيم فقيل الذى له ملك السماوات و الأرض و جمع السماوات و وحد الأرض تفخيما لشأن السماوات «وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» فهو يقدر على المعدومات بأن يوجدتها و على الموجودات بأن يعدمها و على كثير منها بأن يعيدها بعد الإفناء و على مقدرات غيره بأن يقدر عليها و يمنع منها و قيل معناه أنه قادر

علی کل شیء ۛ یصح أن یكون مقدورا له كقوله «خالقٌ كلُّ شیءٍ ۛ»* عن أبی علی الجبائی.

ص: ۳۶۹

سرشناسه: طبرسی، فضل بن حسن، ٤٦٨ - ٥٤٨ ق.

عنوان و نام پدیدآور: مجمع البیان فی تفسیر القرآن

تالیف ابوعلی الفضل بن الحسن الطبرسی

مصصح: هاشم رسولی

مصصح: فضل الله یزدی طباطبایی

مشخصات نشر: دارالمعرفه - بیروت - لبنان

مشخصات ظاهری: ١٠ ج.

یادداشت: عربی

موضوع: تفاسیر شیعه -- قرن ٦ ق.

ص: ١

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ٢

مجمع البيان فى تفسير القرآن

تأليف ابو على الفضل بن الحسن الطبرسى

مصحح: هاشم رسولى

مصحح: فضل الله يزدى طباطبايى

ص: ٣

اشاره

[توضيح]

هي مكيه عن ابن عباس غير ست آيات «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» إلى آخر ثلاث آيات «قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ» إلى آخر ثلاث آيات فإنهن نزلن بالمدينه و في روايه أخرى عنه غير ثلاث آيات «قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ» إلى آخر الثلاث و باقى السوره كلها نزلت بمكه و

روى عن أبى بن كعب و عكرمه و قتاده أنها كلها نزلت بمكه جمله واحده ليلا- و معها سبعون ألف ملك قد ملأوا ما بين الخافقين لهم زجل بالتسييح و التحميد فقال النبى ص سبحان الله العظيم و خر ساجدا ثم دعا الكتاب فكتبوها من ليلتهم و أكثرها حجاج على المشركين و على من كذب بالبعث و النشور.

عدد آياتها

هي مائه و خمس و ستون آيه كوفى ست بصرى شامى سبع حجازى (خلافها) أربع آيات «وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَ النُّورِ» حجازى «لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ» كوفى «كُنْ فَيَكُونُ» و «إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» غير الكوفى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال أنزلت على الأنعام جمله واحده يشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسييح و التحميد فمن قرأها صلى عليه أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آيه من الأنعام يوما و ليله

، جابر بن عبد الله الأنصارى عن النبى ص قال من قرأ ثلاث آيات من أول سورة الأنعام إلى قوله «وَيَعْلَمُ مَا تُكْسِبُونَ» و كل الله به أربعين ألف ملك يكتبون له مثل عبادتهم إلى يوم القيامة و ينزل ملك من السماء السابعه و معه مرزبه من حديد فإذا أراد الشيطان أن يوسوس أو يرمى فى قلبه شيئا ضربه بها إلى آخر الخبر

و روى

ص: ٤

العياشى بإسناده عن أبى بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال إن سورة الأنعام نزلت جملة واحده و شيعها سبعون ألف ملك فعظموها و بجلوها فإن اسم الله فيها فى سبعين موضعا و لو يعلم الناس ما فى قراءتها من الفضل ما تركوها ثم قال ع من كانت له إلى الله حاجة يريد قضاءها فليصل أربع ركعات بفاتحة الكتاب و الأنعام و ليقل فى صلاته إذا فرغ من القراءه يا كريم يا كريم يا كريم يا عظيم يا عظيم يا عظيم يا أعظم من كل عظيم يا سميع الدعاء يا من لا تغيره الليالى و الأيام صل على محمد و آل محمد و ارحم ضعفى و فقرى و فاقتى و مسكنتى يا من رحم الشيخ يعقوب حين رد عليه يوسف قره عينه يا من رحم أيوب بعد طول بلائه يا من رحم محمدا و من اليتم آواه و نصره على جابره قريش و طواغيتها و أمكنه منهم يا مغيث يا مغيث يا مغيث تقول ذلك مرارا فوالذى نفسى بيده لو دعوت الله بها ثم سألت الله جميع حوائجك لأعطاك

و

روى على بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن الحسين بن خالد عن أبى الحسن على بن موسى الرضا (عليه السلام) قال نزلت الأنعام جملة واحده شيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسييح و التهليل و التكبير فمن قرأها سبحوا له إلى يوم القيامة و روى أبو صالح عن ابن عباس قال من قرأ سورة الأنعام فى كل ليله كان من الآمنين يوم القيامة و لم ير النار بعينه أبدا.

تفسيرها

لما ختم الله سورة المائدة بآيه على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ افتتح سورة الأنعام بما يدل على كمال قدرته من خلق السماوات و الأرض و غيره فقال.

[سورة الأنعام (٦): الآيات ١ الى ٣]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجْلاً وَأَجْلاً مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (٢) وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (٣)

ص: ٥

العدل خلاف الجور و عدلت به غيره أى سويته به و عدلت عنه أى عرضت و عدلت الشىء فاعتدل أى قومته فاستقام و الأجل الوقت المضروب لانقضاء الأمد فأجل الإنسان وقت انقضاء عمره و أجل الدين محله و هو وقت انقضاء التأخير و أصله التأخير يقال أجله تأجيلا و عجله تعجيلا و الأجل نقيض العاجل و الامتراء الشك و أصله من مرأت الناقه إذا مسحت ضرعها لاستخراج اللبن و منه ماراه يماريه مرأه و مماراه إذا استخرج ما عنده بالمناظره فالامتراء استخراج الشبهه المشكله من غير حل.

المعنى

بدأ الله تعالى هذه السوره بالحمد لنفسه إعلاما بأنه المستحق لجميع المحامد لأن أصول النعم و فروعها منه تعالى و لأن له الصفات العلى فقال «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» يعنى اخترعهما بما اشتملا عليه من عجائب الصنعه و بدائع الحكمه و قيل إنه فى لفظ الخبر و معناه الأمر أى احمدا الله و إنما جاء على صيغه الخبر و إن كان فيه معنى الأمر لأنه أبلغ فى البيان من حيث أنه يجمع الأمرين و قد ذكرنا من معنى الحمد لله و تفسيره فى الفاتحه ما فيه كفايه «وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ» يعنى الليل و النهار عن السدى و جماعه من المفسرين و قيل الجنه و النار عن قتاده و إنما قدم ذكر الظلمات لأنه خلق الظلمه قبل النور و كذلك خلق السماوات قبل الأرض ثم عجب سبحانه ممن جعل له شريكا مع ما يرى من الآيات الداله على وحدانيته فقال «ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا» أى جحدوا الحق «بِرَبِّهِمْ يَغْدِلُونَ» أى يسوون به غيره بأن جعلوا له أندادا مأخوذ من قولهم ما أعدل بفلان أحدا أى لا نظير له عندى و قيل معنى يعدلون يشركون به غيره عن الحسن و مجاهد و دخول ثم فى قوله «ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا» دليل على معنى لطيف و هو أنه سبحانه أنكر على الكفار العدل به و عجب المؤمنين من ذلك و مثله فى المعنى قوله فيما بعد «ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ» و الوجه فى التعجب أن هؤلاء الكفار مع اعترافهم بأن أصول النعم منه و أنه هو الخالق و الرازق عبدوا غيره و نقضوا ما اعترفوا به و أيضا فإنهم عبدوا ما لا ينفع و لا يضر من الحجاره و الموات «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ» يعنى به آدم و المعنى أنشأ أباكم و اخترعه من طين و أنتم من ذريته فلما كان آدم أصلنا و نحن من نسله جاز أن يقول لنا خلقكم من طين «ثُمَّ قَضَى أَجَلًا» أى كتب و قدر أجلا و القضاء يكون بمعنى الحكم و بمعنى الأمر و بمعنى الخلق و بمعنى الإتمام و الإكمال «وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ» قيل فيه أقوال (أحدها) أنه يعنى بالأجلين أجل الحياه إلى الموت و أجل الموت إلى البعث و قيام الساعه عن الحسن و سعيد بن المسيب و قتاده

و الضحاك و اختاره الزجاج و روى أيضا عطاء عن ابن عباس قال قضى أجلا من مولده إلى مماته و أجل مسمى عنده من الممات إلى البعث لا- يعلم ميقاته أحد سواه فإذا كان الرجل صالحا واصلا لرحمه زاد الله له في أجل الحياه و نقص من أجل الممات إلى البعث و إذا كان غير صالح و لا واصل نقصه الله من أجل الحياه و زاد في أجل المبعث قال و ذلك قوله و ما يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَ لَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ (و ثانيها) أنه الأجل الذي يحيا به أهل الدنيا إلى أن يموتوا و أجل مسمى عنده يعنى الآخره لأنه أجل دائم ممدود لا آخر له و إنما قال مسمى عنده لأنه مكتوب فى اللوح المحفوظ فى السماء و هو الموضع الذى لا يملك فيه الحكم على الخلق سواه عن الجبائى و هو قول سعيد بن جبير و مجاهد (و ثالثها) أن أجلا يعنى به أجل من مضى من الخلق و أجل مسمى عنده يعنى به آجال الباقين عن أبى مسلم (و رابعها) أن قوله قضى أجلا عنى به النوم يقبض الروح فيه ثم يرجع إلى صاحبه عند اليقظه و أجل مسمى عنده هو أجل موت الإنسان و هو المروى عن ابن عباس و يؤيده قوله وَ يُرْسِلُ الْأَخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى و الأصل فى الأجل هو الوقت فأجل الحياه هو الوقت الذى يكون فيه الحياه و أجل الموت أو القتل هو الوقت الذى يحدث فيه الموت أو القتل و ما يعلم الله تعالى أن المكلف يعيش إليه لو لم يقتل لا يسمى أجلا حقيقه و يجوز أن يسمى ذلك مجازا و ما

جاء فى الأخبار من أن صله الرحم تزيد فى العمر و الصدقه تزيد فى الأجل و أن الله تعالى زاد فى أجل قوم يونس

و ما أشبه ذلك فلا مانع من ذلك و قوله «ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ» خطاب للكفار الذين شكوا فى البعث و النشور و احتجاج عليهم بأنه سبحانه خلقهم و نقلهم من حال إلى حال و قضى عليهم الموت و هم يشاهدون ذلك و يقرون بأنه لا محيص منه ثم بعد هذا يشكون و يكذبون بالبعث و من قدر على ابتداء الخلق فلا ينبغى أن يشك فى أنه يصح منه إعادتهم و بعثهم.

الإعراب

" هو " الأشبه أن يكون ضمير القصة و الحديث و تقديره الأمر الله يعلم فى السماوات و فى الأرض سركم و جهركم فالله مبتدأ و يعلم خبره و فى السماوات و فى الأرض فى موضع النصب بيعلم و سركم مفعوله أيضا و لا- يكون الظرف الذى هو الجار و المجرور منصوب الموضع بالمصدر و إن جعلنا الظرف متعلقا باسم الله جاز فى قياس قول من قال إن أصل الله الإلاه فيكون المعنى هو المعبود فى السماوات و فى الأرض يعلم و تقديره الأمر المعبود فى السماوات و فى الأرض يعلم سركم و جهركم و من جعل اسم الله بمنزله أسماء

الأعلام فلا يجوز أن يتعلق الظرف به إلا أن يقدر فيه ضرباً من معنى الفعل و يجوز أن يكون هو مبتدأ و الله خبره و العامل فى قوله «فِي السَّمَاوَاتِ وَ فِي الْأَرْضِ» اسم الله على ما قلناه و يجوز أن يكون خبراً بعد خبر.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال «وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ فِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ جَهْرَكُمْ» فيه وجوه على ما ذكرناه فى الإعراب فعلى التقدير الأول يكون معناه الله يعلم فى السماوات و فى الأرض سركم و جهركم و يكون الخطاب لجميع الخلق لأن الخلق إما أن يكونوا ملائكة فهم فى السماء أو بشرًا أو جنا فهم فى الأرض فهو سبحانه عالم بجميع أسرارهم و أحوالهم و متصرفاتهم لا يخفى عليه منها شىء و يقويه قوله «وَ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ» أى يعلم جميع ما تعلمونه من الخير و الشر فيجازيكم على حسب أعمالكم و على التقدير الثانى يكون معناه أن المعبود فى السماوات و فى الأرض أو المنفرد بالتدبير فى السماوات و فى الأرض يعلم سركم و جهركم فلا تخفى عليه منكم خافيه و يكون الخطاب لبنى آدم و إن جعلت اسم الله علما على هذا التقدير ثم عقلت به قوله «فِي السَّمَاوَاتِ وَ فِي الْأَرْضِ» لم يجز و إن علقته بمحذوف يكون خبر الله أو حالا عنه أوهم بأن يكون البارئ سبحانه فى محل تعالى عن ذلك علوا كبيرا و قال أبو بكر السراج أن الله و إن كان اسما علما فيه معنى الثناء و التعظيم الذى يقرب بهما من الفعل فيجوز أن يوصل لذلك بالمحل و تأويله و هو المعظم أو نحو ذا فى السماوات و فى الأرض ثم قال يعلم سركم و جهركم و مثل ذلك قوله سبحانه وَ هُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَ فِي الْأَرْضِ إِلَهُ قَالَ الزجاج فلو قلت هو زيد فى البيت و الدار لم يجز إلا أن يكون فى الكلام دليل على أن زيدا يدبر أمر البيت و الدار فيكون المعنى هو المدبر فى البيت و الدار و لو قلت هو المعتضد و الخليفة فى الشرق و الغرب أو قلت هو المعتضد فى الشرق و الغرب جاز و على مقتضى ما قاله أبو بكر و الزجاج يكون فى متعلقه بما دل عليه اسم الله و يكون هو الله مبتدأ و خبرا و المعنى و هو المنفرد بالإلهيه فى السماوات و فى الأرض لا إله فيهما غيره و لا مدبر لهما سواه و إن جعلت فى السماوات خبرا بعد خبر فيكون التقدير و هو الله و هو فى السماوات و فى الأرض يعنى أنه فى كل مكان فلا- يكون إلى مكان أقرب منه إلى مكان ثم أخبر سبحانه عن هذا المعنى مبينا لذلك مؤكدا له بقوله «يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ جَهْرَكُمْ» أى الخفى المكتوم و الظاهر المكشوف منكم «وَ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ» و المعنى يعلم نياتكم و أحوالكم و أعمالكم و هذا الترتيب الذى ذكرته فى معانى هذه الآيه التى استنبطتها من

وجوه الإعراب مما لم أسبق إليه و هو فى استقامه فصوله و مطابقه أصول الدين كما تراه لا غبار عليه و فيه دلالة على فساد قول من يقول بأن الله تعالى فى مكان دون مكان تعالى عن ذلك و تقدس و فى قوله «يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ جَهْرَكُمْ» دلالة على أنه عالم لنفسه لأن من كان عالماً بعلم لا يصح ذلك منه.

[سوره الأنعام (٦): الآيات ٤ الى ٥]

إشارة

وَ مَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤) فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٥)

الإعراب

من الأولى مزیده و هى التى تقع فى النفى لاستغراق الجنس و موضعه رفع و الثانیه للتبعيض.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن الكفار المذكورين فى أول الآية فقال «وَ مَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ» أى لا تأتيهم حجة «مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ» أى من حججه و بيناته كانشقاق القمر و آيات القرآن و غير ذلك من المعجزات «إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ» لا يقبلونها و لا يستدلون بها على ما دلهم الله عليه من توحيده و صدق رسوله «فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ» أى بالحق الذى أتاهم به محمد ص من القرآن و سائر أمور الدين «فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ» أى أخبار «مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» و المعنى أخبار استهزائهم و جزاؤه و هو عقاب الآخرة و قيل معناه سيعلمون ما يؤول إليه استهزائهم عن ابن عباس و الحسن و به قال الزجاج و معنى الاستهزاء إيهام التفخيم فى معنى التحقير.

[سوره الأنعام (٦): آية ٦]

إشارة

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَوْمٍ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمْكِنْ لَهُمْ وَ أَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِطْرَارًا وَ جَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَ أُنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا آخَرِينَ (٦)

القرن أهل كل عصر مأخوذ من أقرانهم فى العصر قال الزجاج و القرن ثمانون سنة و قيل سبعون سنة قال و الذى يقع عندى أن القرن أهل كل مده كان فيها نبى أو كان فيها طبقه من أهل العلم قلت السنون أو كثرت و الدليل عليه

قول النبى ص خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم

و التمكين إعطاء ما به يصح الفعل كائنا ما كان من آله و غيرها و الإقدار إعطاء القدره خاصه و مفعال من أسماء المبالغه يقال ديمه مدرار إذا كان مطرها غزيرا دارا و هذا كقولهم امرأه مذكار إذا كانت كثيره الولاده للذكور و كذلك مثنائ فى الإناث و أصل المدرار من در اللبن إذا أقبل على الحالب منه شىء كثير و درت السماء إذا أمطرت و الدر اللبن و يقال لله دره أى عمله و فى الدم لا در دره أى لا أكثر خيره.

الإعراب

كم نصب بأهلكنا لا بقوله «يَرَوْا» لأن الاستفهام له صدر الكلام فلا يعمل فيه ما قبله و هو تعليق و معنى التعليق أن الاستفهام أبطل عمل يرى فى اللفظ و قد عمل فى معناه و انتقل من الخبر إلى الخطاب فى قوله «ما لَمْ تُمْكِّنْ لَكُمْ» اتساعا فى الكلام و قد قال «مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ» و إنما لم يقل ما لم نمكنكم لأن العرب تقول مكنته و مكنت له كما تقول نصحتة و نصحت له.

المعنى

ثم حذرهم سبحانه ما نزل بالأمم قبلهم فقال «أَلَمْ يَرَوْا» أى أ لم يعلم هؤلاء الكفار «كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ» أى من أمه و كل طبقه مقترنين فى وقت قرن «مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ» ما لَمْ تُمْكِّنْ لَكُمْ» معناه جعلناهم ملوكا و أغنياء كأنه سبحانه أخبر النبى عنهم فى صدر الكلام ثم خاطبه معهم و قال ابن عباس يريد أعطيناهم ما لم نعطكم و المعنى وسعنا عليهم فى كثره العبيد و الأموال و الولايات و البسطه و طول العمر و نفاذ الأمر و أنتم تسمعون أخبارهم و ترون ديارهم و آثارهم «وَ أَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا» قال ابن عباس يريد به الغيث و البركه و السماء معناه المطر هنا «وَ جَعَلْنَا الْأَنْهَارَ» أى ماء الأنهار «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ» و لم يغن ذلك عنهم شيئا لما طغوا و اجترءوا علينا «وَ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ» أى خلقنا من بعد هلاكهم جماعه أخرى و فى هذه الآية دلالة على وجوب التفكير و التدبر و احتجاج على منكرى البعث بأن من أهلك من قبلهم و أنشأ قوما آخرين قادر على أن يفنى العالم و ينشئ عالما آخر و يعيد الخلق بعد الإفناء.

[سوره الأنعام (٦): آيه ٧]

إشارة

وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٧)

النزول

نزلت في نضر بن الحرث و عبد الله بن أبي أميه و نوفل بن خويلد قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله و معه أربعة من الملائكة يشهدون عليه أنه من عند الله و أنك رسول الله عن الكلبي.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن عنادهم فقال «وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ» يا محمد «كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ» أى كتابه فى صحيفه و أراد بالكتاب المصدر و بالقرطاس الصحيفه و قيل كتابا معلقا من السماء إلى الأرض عن ابن عباس «فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ» أى فعانوا ذلك معانينه و مسوه بأيديهم عن قتاده و غيره قالوا اللمس باليد أبلغ فى الإحساس من المعانينه و لذلك قال «فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ» دون أن يقول فعانوه «لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ» أخبر سبحانه أنهم يدفعون الدليل حتى لو أتاهم الدليل مدركا بالحس لنسبوا ذلك إلى السحر لعظم عنادهم و قساوه قلوبهم و فى هذه الآية دلالة على ما يقوله أهل العدل فى اللطف لأنه تعالى بين أنه إنما لم يفعل ما سأله حيث علم أنهم لا يؤمنون عنده.

[سوره الأنعام (٦): الآيات ٨ الى ١٠]

إشارة

وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَ لَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ (٨) وَ لَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَ لَلْبَشِيرِنا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ (٩) وَ لَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤْنَ (١٠)

اللغة

قال الزجاج قضى فى اللغة على ضروب كلها يرجع إلى معنى انقطاع الشىء و تمامه و قد ذكرنا معانى القضاء فى سوره البقره عند قوله إذا قضى أمراً فإنما يقول له كُنْ فَيَكُونُ يقال لبست الأمر على القوم ألبسه لبسا إذا شبهته عليهم و جعلته مشكلا قال ابن السكيت يقال لبست عليه الأمر إذا خلطته عليه حتى لا يعرف جهته و معنى اللبس منع النفس

من إدراك الشىء بما هو كالستر له و أصله من الستر بالثوب و هو لبس الثوب لأنه يستر النفس يقال لبست الثوب ألبسه لباسا و لبسا و الحيق ما يشتمل على الإنسان من مكروه فعله يقال حاق بهم يحيق حيقا و حيوقا و حيقانا بفتح الياء.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار أنهم «قَالُوا لَوْ لَا» أى هلا «أُنزِلَ عَلَيْهِ» أى على محمد «مَلَكٌ» نشاهده فنصده ثم أخبر تعالى عن عظم عنادهم فقال «وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا» على ما اقترحوه لما آمنوا به و اقتضت الحكمة استئصالهم و أن لا ينظرهم و لا يمهلهم و ذلك معنى قوله «لَقَضَىٰ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ» أى لأهلكوا بعذاب الاستئصال عن الحسن و قتاده و السدى و قيل معناه لو أنزلنا ملكا فى صورته لقامت الساعه أو وجب استئصالهم عن مجاهد ثم قال تعالى «وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا» أى لو جعلنا الرسول ملكا أو الذى ينزل عليه ليشهد بالرساله كما يطلبون ذلك «لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا» لأنهم لا يستطيعون أن يروا الملك فى صورته لأن أعين الخلق تحار عن رؤيه الملائكه إلا بعد التجسم بالأجسام الكثيفه و لذلك كانت الملائكه تأتى الأنبياء فى صوره الإنس و كان جبرائيل يأتى النبى ص فى صوره دحية الكلبي و كذلك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب و إتيانهم إبراهيم و لوطا فى صوره الضيفان من الآدميين «وَلَلْبَشِيرِنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ» قال الزجاج كانوا هم يلبسون على ضعفهم فى أمر النبى فيقولون إنما هذا بشر مثلكم فقال لو أنزلنا ملكا فأرأوا هم الملك رجلا- لكان يلحقهم فيه من اللبس مثل ما لحق ضعفهم منهم أى فإنما طلبوا حال لبس لا حال بيان و هذا احتجاج عليهم بأن الذى طلبوه لا يزيدهم بيانا بل يكون الأمر فى ذلك على ما هم عليه من الحيره و قيل معناه و لو أنزلنا ملكا لما عرفوه إلا بالتفكر و هم لا يتفكرون فيقولون فى اللبس الذى كانوا فيه فأضاف اللبس إلى نفسه لأنه يقع عند إنزاله الملائكه ثم قال سبحانه على سبيل التسليه لنبيه من تكذيب المشركين إياه و استهزائهم به «وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلِنا مِنْ قَبْلِكَ» يقول لقد استهزأت الأمم الماضيه برسولها كما استهزأ بك قومك فلست بأول رسول استهزئ به و لا هم أول أمه استهزأت برسولها «فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ» أى فحل بالساحرين منهم «ما كانوا به يَسْتَهْزِئُونَ» من وعيد أنبيائهم بعاجل العقاب فى الدنيا و قيل معنى حاق بهم أحاط بهم عن الضحاك و هو اختيار الزجاج أى أحاط بهم العذاب الذى هو جزاء استهزائهم فهو من باب حذف المضاف إذا جعلت ما فى قوله «ما كانوا به يَسْتَهْزِئُونَ» عباره عن القرآن و الشريعه و إن جعلت ما عباره عن العذاب الذى كان يوعدهم به النبى إن لم يؤمنوا استغثت عن تقدير

حذف المضاف و يكون المعنى فحاق بهم العذاب الذى كانوا يسخرون من وقوعه.

[سوره الأنعام (٦): الآيات ١١ الى ١٣]

إشاره

قُلْ سَيُرَوُّوا فِي الْأَرْضِ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١١) قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ
الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَ كُفْرَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢) وَلَهُ مَا سَيَكُنْ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣)

الإعراب

قال الأخفش «الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ» بدل من الكاف و الميم فى ليجمعنكم و قال الزجاج هو فى موضع رفع على الابتداء و خبره
«فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» لأن ليجمعنكم مشتمل على سائر الخلق الذين خسروا أنفسهم و غيرهم قال و اللام فى ليجمعنكم لام قسم فجاءت
أن يكون تمام الكلام كتب ربكم على نفسه الرحمة ثم استأنف فقال ليجمعنكم و المعنى و الله ليجمعنكم و جازت أن يكون
ليجمعنكم بدلا من الرحمة مفسرا لها لأنه لما قال كتب ربكم على نفسه الرحمة فسر رحمته بأنه يمهلهم إلى يوم القيامة ليتوبوا.

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال «قُلْ» يا محمد لهؤلاء الكفار «سَيُرَوُّوا فِي الْأَرْضِ» أى سافروا فيها «ثُمَّ أَنْظَرُوا» و النظر طلب
الإدراك بالبصر و بالفكر و بالاستدلال و معناه هنا فانظروا بأبصاركم و تفكروا بقلوبكم «كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ»
المستهزئين و إنما أمرهم بذلك لأن ديار المكذبين من الأمم السالفة كانت باقيه و أخبارهم فى الخسف و الهلاك كانت شائعه
فإذا سار هؤلاء فى الأرض و سمعوا أخبارهم و عاينوا آثارهم دعاهم ذلك إلى الإيمان و زجرهم عن الكفر و الطغيان ثم قال
«قُلْ» يا محمد لهؤلاء الكفار «لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» الله الذى خلقهما أم الأصنام فإن أجابوك فقالوا الله و إلا ف «قُلْ»
أنت «لِلَّهِ» أى ملكهما و خلقهما و التصرف فيهما كيف يشاء له «كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ» أى أوجب على نفسه الإنعام على خلقه
و قيل معناه أوجب على نفسه الثواب لمن أطاعه و قيل

أوجب على نفسه الرحمة بإنظاره عباده و إمهاله إياهم ليتداركوا ما فرطوا فيه و يتوبوا عن معاصيهم و قيل أوجب على نفسه الرحمة لأمه محمد بأن لا يعذبهم عند التكذيب كما عذب من قبلهم من الأمم الماضية و القرون الخالية عند التكذيب بل يؤخرهم إلى يوم القيامة عن الكلبى «لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» أى ليؤخرن جمعكم إلى يوم القيامة فيكون تفسيراً للرحمة على ما ذكرناه أن المراد به إمهال العاصى ليتوب و قيل إن هذا احتجاج على من أنكر البعث و النشور و يقول ليجمعنكم إلى اليوم الذى أنكرتموه كما تقول جمعت هؤلاء إلى هؤلاء أى ضمنت بينهم فى الجمع يريد بجمع آخركم إلى أولكم قرناً بعد قرن إلى يوم القيامة و هو الذى «لَا رَيْبَ فِيهِ» و قيل معناه ليجمعن هؤلاء المشركين الذين خسروا أنفسهم إلى هذا اليوم الذى يجحدونه و يكفرون به عن الأخفش و يسأل عن هذا فيقال كيف يحذر المشركين بالبعث و هم لا يصدقون به و الجواب أنه جار مجرى الإلزام و أيضاً فإنه تعالى إنما ذكر ذلك عقيب الدليل و يقال كيف نفى الريب مطلقاً فقال لا ريب فيه و الكافر مرتاب فيه و الجواب أن الحق حق و إن ارتاب فيه المبطل و أيضاً فإن الدلائل تزيل الشك و الريب فإن نعم الدنيا تعم المحسن و المسىء فلا بد من دار يتميز فيه المحسن من المسىء و أيضاً فقد صح أن التكليف تعريف للثواب و إذا لم يمكن إيصال الثواب فى الدنيا لأن من شأنه أن يكون صافياً من الشوائب فلا يكون مقترناً بالتكليف لأن التكليف لا يعرى من المشقة فلا بد من دار أخرى و أيضاً فإن التمكين من الظلم من غير انتصاف فى العاجل و إنزال الأمراض من غير استحقاق و لا إيفاء عوض فى العاجل توجب قضيه العقل فى ذلك أن يكون دار أخرى توفى فيها الأعواض و ينتصف من المظلوم للظالم «الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ» أى أهلكوها بارتكاب الكفر و العناد «فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» أى لا يصدقون بالحق و لما ذكر تعالى ملك السماوات و الأرض عقبه بذكر ما فيهما فقال «وَلَهُ مَا سَكَنَ» أى و له كل متمكن ساكن «فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» خلقاً و ملكاً و ملكاً و إنما ذكر الليل و النهار هنا و ذكر السماوات و الأرض فيما قبل لأن الأول يجمع المكان و الثانى يجمع الزمان و هما ظرفان لكل موجود فكأنه أراد الأجسام و الأعراض و على هذا فلا يكون السكون فى الآيه ما هو خلاف الحركة بل المراد به الحلول كما قال ابن الأعرابى إنه من قولهم فلان يسكن بلد كذا أى يحله و هذا موافق لقول ابن عباس و له ما استقر فى الليل و النهار من خلق و قيل معناه ما سكن فى الليل للاستراحة و تحرك فى النهار للمعيشه و إنما ذكر الساكن دون المتحرك لأنه أعم و أكثر و لأن عاقبه التحرك السكون و لأن النعمه فى السكون أكثر و الراحة فيه أعم و قيل أراد الساكن و المتحرك و تقديره

وله ما سكن و تحرك إلا أن العرب قد تذكر أحد وجهي الشئ ء و تحذف الآخر لأن المذكور ينبه على المحذوف كقوله تعالى «سَيَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ» و المراد الحر و البرد و متى قيل لما ذا ذكر السكون و الحركة من بين سائر المخلوقات فالجواب لما فى ذلك من التنبيه على حدوث العالم و إثبات الصانع لأن كل جسم لا ينفك من الحوادث التى هى الحركة و السكون فإذا لا بد من محرك و مسكن لاستواء الوجهين فى الجواز و لما نبه على إثبات الصانع عقبه بذكر صفة فقال «وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» و السميع هو الذى على صفة يصح لأجلها أن يسمع المسموعات إذا وجدت و هو كونه حيا لا آفه به و لذلك يوصف به فيما لم يزل و العليم هو العالم بوجوده التدابير فى خلقه و بكل ما يصح أن يعلم و إنما جعل الليل و النهار فى هذه الآيه كالمسكن لما اشتملا عليه لأنه ليس يخرج منهما شئ ء فجمع كل الأشياء بهذا اللفظ القليل الحروف و هذا من أفصح ما يمكن كما قال النابغه:

فإنك كالليل الذى هو مدركى و إن خلت إن المنتأى عنك واسع

فجعل الليل مدركا له إذ كان مشتملا عليه.

[سوره الأنعام (٦): الآيات ١٤ الى ١٥]

اشاره

قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ أَنْتَجِدُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٤) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥)

القراءه

روى فى الشواذ قراءه عكرمه و الأعمش و لا يطعم بفتح الياء و معناه و لا يأكل.

اللغه

الفطره ابتداء الخلقه قال ابن عباس ما كنت أدرى معنى الفاطر حتى احتكم

ص: ١٥

إلى أعرابيان فى بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أى ابتدأت حفرها و أصل الفطر الشق و منه إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ أى انشقت قال الزجاج فإن قال قائل كيف يكون الفطر فى معنى الخلق و الانفطار فى معنى الانشقاق قيل إنهما يرجعان إلى شىء واحد لأن معنى فطرهما خلقهما خلقا قاطعا.

الإعراب

غير نصب لأنه مفعول «أَتَّخِذُ وَلِيًّا» مفعول ثان و قوله «إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي» فيه وجهان أحدهما أنه اعتراض بين الكلام كما يكون الاعتراض بالأقسام فعلى هذا لا موضع له من الإعراب و الآخر أنه فى موضع نصب على الحال فكأنه قيل إنى أخاف عاصيا ربى عذاب يوم عظيم و يكون جواب الشرط محذوفا على الوجهين جميعا.

النزول

قيل إن أهل مكة قالوا لرسول الله يا محمد تركت مله قومك و قد علمنا أنه لا يحملك على ذلك إلا الفقر فإننا نجتمع لك من أموالنا حتى تكون من أغنانا فنزلت الآية.

المعنى

«قُلْ» يا محمد لهؤلاء المشركين الذين سبق ذكرهم «أَغْيِرَ اللَّهُ اتَّخِذُ وَلِيًّا» أى مالكا و مولى و ولى الشىء مالكة الذى هو أولى من غيره و المعنى لا- أتخذ غير الله و ليا إلا أن إخراجها على لفظ الاستفهام أبلغ من سائر ألفاظ النفى «فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى خالقهما و منشئهما من غير احتذاء على مثال «وَهُوَ يُطْعِمُ وَ لَا يُطْعَمُ» أى يرزق و لا- يرزق و المراد يرزق الخلق و لا يرزقه أحد و قيل إنما ذكر الإطعام لأن حاجه العباد إليه أشد و لأن نفيه عن الله أدل على نفيه بالمخلوقين لأن الحاجه إلى الطعام لا تجوز إلا على الأجسام و احتج سبحانه بهذا على الكفار لأن من خلق السماوات و الأرض و أنشأ ما فيهما و أحكم تدبيرها و أطعم من فيهما و هم فقراء إليه معلوم أنه الذى ليس كمثل شىء و هو القادر القاهر الغنى الحى فلا يجوز لمن عرف ذلك أن يعبد غيره «قُلْ» يا محمد «إِنِّي أُمِرْتُ» أى أمرنى ربى «أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ» أى استسلم لأمر الله و رضى بحكمه و قيل معناه أمرت أن كون أول من أخلص العباده من أهل هذا الزمان عن الكلبى و قيل أول من أسلم من أمتى و آمن بعد الفتره عن الحسن و إنما كان أول لأنه خص بالوحى و قيل معناه أن أكون أول من خضع و آمن و عرف الحق من قومى و أن أترك ما هم عليه من الشرك و نظيره قول موسى سُبْحَانَكَ تُبَّتْ إِلَيْكَ وَ أَنَا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ أى بأنك لا ترى ممن سألك أن تربه نفسك و قول السحرة إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ بأن هذا ليس بسحر و أنه

الحق أى أول المؤمنين من السحرة «وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» المعنى أمرت بالأمرين جميعاً أى أمرت بالإيمان و نهيت عن الشرك و تقديره و قيل لى لا تكونن من المشركين و صار أمرت بدلا من ذلك لأنه حين قال أمرت أخبر أنه قيل له ذلك فقوله «وَلَا تَكُونَنَّ» معطوف على ما قبله فى المعنى «قُلْ» يا محمد «إِنِّي أَخَافُ» قيل معناه أوقن و أعلم و قيل هو من الخوف «إِنَّ عَصِيَّتَ رَبِّي» بترك أمره و ترك نهيه و قيل بعباده غيره و قيل باتخاذ غيره وليا «عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» يعنى يوم القيامة و معنى العظيم هنا أنه شديد على العباد و عظيم فى قلوبهم.

[سوره الأنعام (٦): آيه ١٦]

إشاره

مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (١٦)

القرءاء

قرأ حمزه و الكسائى و خلف و يعقوب و أبو بكر عن عاصم من يصرف بفتح الياء و كسر الراء و الباقون «يُصْرِفُ» بضم الياء و فتح الراء.

الحججه

قال أبو على فاعل يصرف الضمير العائد إلى ربي و ينبغى أن يكون حذف الضمير العائد إلى العذاب و المعنى من يصرفه عنه و كذلك فى قرءاءه أبى فيما زعموا و ليس حذف هذا الضمير بالسهل و ليس بمنزله الضمير الذى يحذف من الصله لأن من جزاء و لا يكون صله على أن الضمير إنما يحذف من الصله إذا عاد إلى الموصول نحو أ هَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا وَ سَلَامًا عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى أى بعثهم و اصطفاهم و لا- يعود الضمير المحذوف هنا إلى موصول و لا إلى من التى للجزاء و إنما يرجع إلى العذاب فى قوله «عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» و ليس هذا بمنزله قوله وَ الْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَ الْحَافِظَاتِ لِأَنَّ هَذَا فِعْلٌ وَاحِدٌ قَدْ تَكَرَّرَ وَ عَدَى الْأَوَّلُ مِنْهُمَا إِلَى الْمَفْعُولِ فَعَلِمَ بَتَعْدِيهِ الْأَوَّلُ أَنَّ الثَّانِيَّ بِمَنْزِلَتِهِ وَ أَمَا قِرَاءَةُ «يُصْرِفُ» فَالْمَسْنَدُ إِلَيْهِ الْفِعْلُ الْمَبْنَى لِلْمَفْعُولِ ضَمِيرُ الْعَذَابِ الْمَتَقَدِّمِ ذَكَرَهُ وَ الذِّكْرُ الْعَائِدُ إِلَى الْمَبْتَدَأِ الَّذِي هُوَ مِنْ فِي الْقِرَاءَاتَيْنِ جَمِيعًا الضَّمِيرُ الَّذِي فِي عَنَهُ وَ مِمَّا يَقْوَى قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ يُصْرِفُ بِفَتْحِ الْيَاءِ أَنَّ مَا بَعْدَهُ مِنْ قَوْلِهِ «فَقَدْ رَحِمَهُ» مَسْنَدٌ إِلَى ضَمِيرِ اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَدْ اتَّفَقَ الْفِعْلَانِ فِي الْإِسْنَادِ إِلَى هَذَا الضَّمِيرِ وَ مِمَّا يَقْوَى ذَلِكَ أَيْضًا أَنَّ الْهَاءَ الْمَحذُوفَةَ مِنْ يُصْرِفُ لَمَّا كَانَتْ فِي حَيْزِ الْجَزَاءِ وَ كَانَ مَا فِي حَيْزِهِ فِي أَنَّهُ لَا يَتَسَلَطُ عَلَى مَا تَقَدَّمَهُ بِمَنْزِلَةِ مَا فِي الصَّلَةِ فِي أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَسَلَطَ عَلَى الْمَوْصُولِ حَسَنَ حَذْفِ الْهَاءِ مِنْهُ كَمَا حَسَنَ حَذْفِهَا مِنَ الصَّلَةِ.

المعنى

«مَنْ يُصْرِفُ» العذاب «عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ» الله يريد من غفر له فإنه

يشبه الله لا محاله و ذكر سبحانه الرحمه مع صرف العذاب لثلا يتوهم أنه ليس له إلا صرف العذاب عنه فقط «و ذَلِكَ الْفَوْزُ» أى الظفر بالبغيه «الْمُبِينُ» الظاهر البين و يحتمل أن يكون معنى الآيه أنه لا يصرف العذاب عن أحد إلا برحمه الله كما

روى أن النبي ص قال و الذى نفسى بيده ما من الناس أحد يدخل الجنة بعمله قالوا و لا أنت يا رسول الله قال و لا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمه منه و فضل و وضع يده على فوق رأسه و طول بها صوته رواه الحسن فى تفسيره.

[سوره الأنعام (٦): الآيات ١٧ الى ١٨]

إشاره

وَإِنْ يَمْسَسِيكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسِيكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١٨)

المعنى

ثم بين سبحانه أنه لا يملك النفع و الضر إلا هو فقال «وَإِنْ يَمْسَسِيكَ اللَّهُ بِضُرٍّ» أى إن يمسك بفقر أو مرض أو مكروه «فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ» أى لا مزيل و لا مفرج له عنك إلا هو و لا يملك كشفه سواه مما يعبه المشركون «وَإِنْ يَمْسَسِيكَ بِخَيْرٍ» أى و إن يصيبك بغنى أو سعه فى الرزق أو صحه فى البدن أو شىء من محاب الدنيا «فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ» من الخير و الضر «قَدِيرٌ» و لا يقدر أحد على دفع ما يريد له عباده من مكروه أو محبوب فإن قيل إن المس من صفات الأجسام فكيف قال «إِنْ يَمْسَسِيكَ اللَّهُ» قلنا الباء للتعديه و المراد أن أمسك الله ضرا أى جعل الضر يمسك فالفعل للضر و إن كان فى الظاهر قد أسند إلى اسم الله تعالى و الضر اسم جامع لكل ما يتضرر به من المكاره كما أن الخير اسم جامع لكل ما ينتفع به «وَهُوَ الْقَاهِرُ» و معناه القادر على أن يقهر غيره «فَوْقَ عِبَادِهِ» معنى فوق هاهنا قهره و استعلاؤه عليهم فهم تحت تسخيريه و تذليله بما علاهم به من الاقتدار الذى لا ينفك منه أحد و مثله قوله تعالى يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ يريد أنه أقوى منهم «وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ» معناه أنه مع قدرته عليهم لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمه و الخير العالم بالشىء و تأويله أنه العالم بما يصح أن يخبر به و الخير علمك بالشىء تقول لى به خبر أى علم و أصله من الخبر لأنه طريق من طرق العلم فإذا كان القاهر على ما ذكرناه بمعنى القادر صح وصفه سبحانه فيما لم يزل بأنه قاهر و قال بعضهم لا يسمى قاهرا إلا بعد أن يقهر غيره فعلى هذا

يكون من صفات الأفعال فلا يصح وصفه فيما لم يزل به.

[سوره الأنعام (٦): الآيات ١٩ الى ٢٠]

إشاره

قُلْ أَى شَىءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ أ إِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَهُ أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّى بَرىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (١٩) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠)

الإعراب

شهادته نصب على التمييز و من بلغ فى محل نصب بالإنذار و العائد إلى الموصول محذوف و أ إنكم كتب بالياء لأن الهمزة التى قبلها همزة تخفف بأن تجعل بين بين فإذا كانت مكسوره تجعل بين الهمزة و الياء فكتب بالياء «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ» رفع بالابتداء و يعرفونه خبره «الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ» رفع بكونه نعتا للذين الأولي و يجوز أن يكون رفعا بالابتداء و قوله «فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» خبره.

النزول

قال الكلبي أتى أهل مكة رسول الله ص فقالوا أ ما وجد الله رسولا غيرك ما نرى أحدا يصدقك فيما تقول و لقد سألنا عنك اليهود و النصرى فرعموا أنه ليس لك عندهم ذكر فأرنا من يشهد أنك رسول الله كما تزعم فأنزل الله تعالى هذه الآية.

المعنى

«قُلْ» يا محمد لهؤلاء الكفار «أَى شَىءٍ أَكْبَرُ» أى أعظم «شَهَادَةً» و أصدق حتى آتيتكم به و أدلكم بذلك على أنى صادق و قيل معناه أى شىء أكبر شهادته حتى يشهد لى بالبلاغ و عليكم بالتكذيب عن الجبائى و قيل معناه أى شىء أعظم حجه و أصدق شهادته عن ابن عباس فإن قالوا الله و إلف «قُلْ» لهم «اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ» يشهد لى بالرساله و النبوه و قيل معناه يشهد لى بتبليغ الرساله إليكم و تكذيبكم إياى «وَ أُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ» أى أنزل إلى حجه أو شهادته على صدقى «لِأُنذِرْكُمْ بِهِ» أى لأخوفكم به من عذاب الله تعالى «وَ مَنْ بَلَغَ» أى و لا خوف به من بلغه القرآن إلى يوم القيامة و

روى الحسن فى تفسيره

عن النبي ص أنه قال من بلغه أنى أدعو إلى أن لا إله إلا الله فقد بلغه

يعنى بلغته الحججه و قامت عليه و قال محمد بن كعب من بلغه القرآن فكأنما رأى محمدا و سمع منه و قال مجاهد حيث ما يأتى القرآن فهو داع و نذير و قرأ هذه الآيه و

فى تفسير العياشى قال أبو جعفر و أبو عبد الله (عليه السلام) من بلغ معناه من بلغ أن يكون إماما من آل محمد فهو ينذر بالقرآن كما أنذر به رسول الله ص

و على هذا فيكون قوله «وَمَنْ بَلَغَ» فى موضع رفع عطفا على الضمير فى أنذر و فى الآيه دلالة على أن الله تعالى يجوز أن يسمى شيئا لأن قوله «أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً» جاء جوابه «قُلِ اللَّهُ» و معنى الشىء إنه ما يصح أن يعلم و يخبر عنه فالله سبحانه شىء لا كالأشياء بمعنى أنه معلوم لا كالمعلومات التى هى الجواهر و الأعراض و الاشتراك فى الاسم لا يوجب التماثل و فى قوله «وَمَنْ بَلَغَ» دلالة على أنه خاتم الأنبياء و مبعوث إلى الناس كافة ثم قال سبحانه موبخا لهم قل يا محمد لهم «أَأَنْتُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنْ مَعَ اللَّهِ آلِهَةٌ أُخْرَى» هذا استفهام معناه الجحد و الإنكار و تقديره كيف تشهدون أن مع الله آلهة أخرى بعد وضوح الأدله و قيام الحججه بوحدانية الله تعالى و إنما قال «أُخْرَى» و لم يقل آخر لأن الآلهه جمع و الجمع مؤنث فهو كقوله وَ لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى و قوله فَمَا بِالْقُرُونِ الْأُولَى و لم يقل الأول ثم قال سبحانه لنبىه «قُلْ» أنت يا محمد «لَا أَشْهَدُ» بمثل ذلك و إن شهدتم بإثبات الشريك لله بعد قيام الحججه بوحدانية الله تعالى و الشاهد هو المبين لدعوى المدعى ثم قال «قُلْ» يا محمد لمن شهد أن معه آلهة أخرى «إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَ إِنِّى بَرىءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ» به و بعبادته من الأوثان و غيرها و لهذا قال أهل العلم يستحب لمن أسلم ابتداء أن يأتى بالشهادتين و يتبرأ من كل دين سوى الإسلام ثم ذكر سبحانه أن الكفار بين جاهل و معاند فقال «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ» و هذا مفسر فى سورة البقره «الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» مفسر فى هذه السوره فإن حملته على أنه صفه للذين الأولى فالمعنى به أهل الكتاب و إن حملته على الابتداء فإنه يتناول جميع الكفار و قال أبو حمزه الثمالى لما قدم النبي ص المدينة قال عمر لعبد الله بن سلام إن الله تعالى أنزل على نبىه ص أن أهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم كيف هذه المعرفة قال عبد الله بن سلام نعرف نبى الله بالنعته الذى نعتة الله إذا رأيناه فيكم كما يعرف أحدنا ابنه إذا رآه بين الغلمان و أيم الله الذى يحلف به ابن سلام لأنه بمحمد أشد معرفه منى بابنى فقال له كيف قال عبد الله عرفته بما نعتة الله لنا فى كتابنا فأشهد أنه هو فأما ابنى فإنى لا أدرى ما أحدثت أمه فقال قد وفقت و صدقت و أصبت.

إشارة

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢١) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا
أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٢٢)

القراءة

و يوم يحشرهم ثم يقول بالياء فيهما قراه يعقوب وحده و كذلك في الفرقان و فى سبأ و قرأ فى سائر القرآن بالنون و قرأ حفص هنا و فى يونس بالنون و فى سائر القرآن بالياء و قرأ أبو جعفر و ابن كثير فى الفرقان بالياء و فى سائر القرآن بالنون و قرأ الباقون بالنون فى جميع القرآن.

الحجج

من قرأ بالياء رده إلى الله فى قوله عَلَى اللَّهِ كَذِبًا و من قرأ بالنون ابتداء و الياء فى المعنى كالنون.

الإعراب

«يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ» العامل فيه محذوف على معنى و اذكر يوم نحشرهم و قيل إنه معطوف على محذوف كأنه قيل لا يفلح الظالمون أبدا و يوم نحشرهم و العائد إلى الموصول محذوف من «الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ» و تقديره تزعمون أنهم شركاء أو تزعمونهم شركاء فحذف مفعولى الزعم لدلاله الكلام و حاله السؤال عليه.

المعنى

ثم بين سبحانه ما يلزمهم من التوبيخ و التهجين بالإشراك فقال «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» معناه و من أكفر ممن اختلق على الله كذبا فأشرك به الآلهة عن ابن عباس و هذا استفهام معناه الجحد أى لا أحد أظلم منه لأن جوابه كذلك فاكتفى من الجواب بما يدل عليه «أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ» أى بالقرآن و بمحمد و معجزاته «إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ» أى لا يفوز برحمه الله و ثوابه و رضوانه و لا بالنجاه من النار الظالمون و الظالم هاهنا هو الكافر بنبوه محمد (صلى الله عليه و آله) المكذب بآياته الجاحد لها بقوله ما نصب الله آيه على نبوته «وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا» عنى بهم من تقدم ذكرهم من الكفار لأنه سبحانه يحشرهم يوم القيامة من قبورهم إلى موضع الحساب «ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ» اختلف فى وجه هذا السؤال فقيل إن المشركين إذا رأوا تجاوز الله تعالى عن أهل التوحيد قال بعضهم لبعض إذا سئلتهم فقولوا أنا موحدون فلما جمعهم الله قال لهم أين شركاءكم

ليعلموا أن الله يعرف أنهم أشركوا به في دار الدنيا وأنه لا ينفعهم الكتمان عن مقاتل و قيل إن المشركين كانوا يزعمون أن آلهتهم تشفع لهم عند الله فقيل لهم يوم القيامة «أَيْنَ شُرَكَائِكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ» أنها تشفع لكم توييخا لهم و تبكيئا على ما كانوا يدعونه عن أكثر المفسرين و إنما أضاف الشركاء إليهم لأنهم اتخذوها لأنفسهم و معنى تزعمون تكذبون قال ابن عباس و كل زعم في كتاب الله كذب و في هذه الآية دلالة واضحة على بطلان مذهب الجبر و على إثبات المعاد و حشر جميع الخلق.

[سوره الأنعام (٦): الآيات ٢٣ الى ٢٤]

إشارة

ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (٢٣) انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤)

القراءة

قرأ أهل المدينة و أبو عمرو و أبو بكر عن عاصم و خلف «ثُمَّ لَمْ تَكُنْ» بالتاء فتنتهم بالنصب و قرأ ابن كثير و ابن عامر و حفص عن عاصم «ثُمَّ لَمْ تَكُنْ» بالتاء أيضا «فِتْنَتُهُمْ» بالرفع و قرأ حمزه و الكسائي و يعقوب ثم لم يكن بالياء فتنتهم بالنصب و قرأ حمزه و الكسائي و خلف و الله ربنا بالنصب و قرأ الباقون بالجر.

الحجج

من قرأ «تَكُنْ» بالتاء فتنتهم بالنصب فإنه أنث «أَنْ قَالُوا» لما كان القول الفتنه في المعنى كما قال فله عَشْرُ أَمْثَالِهَا فَأَنْتَ الْأَمْثَالُ لِمَا كَانَتْ فِي الْمَعْنَى الْحَسَنَاتِ وَ مِمَّا جَاءَ فِي الشَّعْرِ قَوْلُ لَبِيدٍ:

فمضى و قدمها و كانت عاده منه إذا هي عردت أقدامها

فأنت الأقدام لما كانت العاده في المعنى قال الزجاج و يجوز أن يكون تأويل «إِلَّا أَنْ قَالُوا» إلا مقالتهم و من قرأ «لَمْ تَكُنْ» بالتاء «فِتْنَتُهُمْ» رفعا أثبت علامه التأنيث في الفعل المسند إلى الفتنه و الفتنه مؤنثه و على هذه القراءة يكون قوله «إِلَّا أَنْ قَالُوا» في موضع نصب بكونه خبر كان و من قرأ لم يكن بالياء فتنتهم نصبا فعلى أن قوله «أَنْ قَالُوا» اسم كان و الأولى و الأقوى أن يكون فتنتهم نصبا و «أَنْ قَالُوا» الاسم لأن أن إذا وصلت لم توصف فأشبهت بامتناع وصفها المضمرة

فكما أن المضمَر إذا كان مع المظهر كان، أن يكون المضمَر الاسم أحسن، فكذلك أن إذا كانت مع اسم غيرها كانت، أن يكون الاسم أولى و أما من قرأ «وَاللَّهِ رَبُّنَا» فإنه جعل الاسم المضاف وصفا للمفرد و مثل ذلك رأيت زيدا صاحبنا و قوله «ما كُنَّا مُشْرِكِينَ» جواب للقسم و من قرأ ربنا بالنصب فصل بالاسم المنادى بين القسم و المقسم عليه و الفصل به لا يمتنع و قد فصل بالنداء بين الصلة و الموصول لكثرة النداء فى الكلام و ذلك مثل قول الشاعر:

ذاك الذى و أبيك يعرف مالك و الحق يدفع ترهات الباطل

و يجوز أن يكون نصبه على المدح بمعنى أعنى ربنا و أذكر ربنا.

اللغة

قال الأزهري جماع الفتنة فى كلام العرب الامتحان مأخوذ من قولك فتنت الذهب و الفضة إذا أذبتهما بالنار و أحرقتهما و قد فتن الرجل بالمرأه و افتتن و قد فتنته المرأه و أفتنته قال الشاعر:

لئن فتنتنى لهى بالأمس أفتنت عقيلا فأمسى قد قلى كل مسلم

. الإعراب

العامل فى كيف قوله «كذَّبوا» و لا يجوز أن يعمل فيه أنظر لأن الاستفهام له صدر الكلام فلا يجوز أن يعمل فيه ما قبله.

المعنى

ثم بين سبحانه جواب القوم عند توجه التوبيخ إليهم فقال «ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ» اختلف فى معنى الفتنة هنا على وجوه (أحدها) إن معناه ثم لم يكن جوابهم لأنهم حين سألوا اختبر ما عندهم بالسؤال فلم يكن الجواب عن ذلك الاختبار إلا هذا القول (و ثانيها)

إن المراد لم يكن معذرتهم «إِلَّا أَنْ قَالُوا» عن ابن عباس و قتاده و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و هذا راجع إلى معنى الجواب (أيضا) (و ثالثها) ما قاله الزجاج أن تأويله حسن لطيف لا يعرفه إلا من عرف معانى الكلام و تصرف العرب فى ذلك و الله عز و جل ذكر فى هذه الآية الأفاصيص التى جرت من أمر المشركين و أنهم مفتنون بشركهم ثم أعلم أنه لم يكن افتنانهم بشركهم و إقامتهم عليه إلا أن تبرأوا منه و انتفوا منه فحلفوا أنهم ما

كانوا مشركين و مثل ذلك في اللغة أن ترى إنسانا يحب غاويا فإذا وقع في هلكه تبرا منه فتقول له ما كانت محبتك فلانا إلا أن افتتت منه فالفتنه هاهنا بمعنى الشرك و الافتتان بالأوثان و يؤيد ذلك ما رواه عطا عن ابن عباس قال فتننتهم يريد شركهم في الدنيا و هذا القول في التأويل يرجع إلى حذف المضاف لأن المعنى لم يكن عاقبه فتننتهم إلا البراءة منها بقولهم «وَاللَّهِ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ» و يسأل فيقال كيف يجوز أن يكذبوا في الآخرة و يحلفوا على الكذب و الدار ليست بدار تكليف و كل الناس ملجئون فيها إلى ترك القبيح لمشاهده الحقائق و زوال عوارض الشبه و الشكوك و لمعرفتهم بالله سبحانه ضروره و الجواب أن معناه ما كنا مشركين في الدنيا عند أنفسنا و في اعتقادنا و تقديرنا و ذلك أن المشركين في الدنيا يعتقدون كونهم مصيبين فيحلفون على هذا في الآخرة فعلى هذا يكون قولهم و حلفهم يقعان على وجه الصدق و قيل أيضا أنهم إنما يحلفون على ذلك لزوال عقولهم بما يلحقهم من الدهشه من أهوال القيامة ثم ترجع عقولهم فيقرون و يعترفون و يجوز أن ينسوا إشراكهم في الدنيا بما يلحقهم من الدهشه عند مشاهده تلك الأهوال «أَنْظُرْ» المعنى يقول الله تعالى عند حلف هؤلاء أنظر يا محمد «كَيْفَ كَذَّبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ» و هذا و إن كان لفظه لفظ الاستفهام فالمراد به التنبيه على التعجب منهم و معناه أنظر إلى إخباري عن افتراءهم كيف هو فإنه لا يمكن النظر إلى ما يوجد في الآخرة و إنما كذبهم الله سبحانه في قولهم و إن كانوا صادقين عند أنفسهم لأن الكذب هو الإخبار بالشيء لا على ما هو به علم المخبر بذلك أو لم يعلم فلما كان قولهم «ما كُنَّا مُشْرِكِينَ» كذبا في الحقيقة جاز أن يقال كذبوا على أنفسهم و قيل معناه أنظر كيف كذبوا على أنفسهم في دار الدنيا لا أنهم كذبوا في الآخرة لأنهم كانوا مشركين على الحقيقة و إن اعتقدوا أنهم على الحق عن الجبائي «وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ» أى ضلت عنهم أوثانهم التي كانوا يعبدونها و يفترون الكذب بقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله غدا فذهبت عنهم في الآخرة فلم يحدوها و لم ينتفعوا بها عن الحسن و قيل أنه عام في كل ما يعبد من دون الله تعالى أنها تضل عن عابديها يوم القيامة و لا تغني عنهم شيئا و اختلف أهل العدل في أن أهل الآخرة هل يجوز أن يقع منهم الكذب فالأصح أنه لا يجوز على ما قلناه و قال بعضهم يجوز ذلك لما يلحقهم من الدهش و الحيره في القيامة فإذا استقر أهل الجنة في الجنة و أهل النار في النار فحينئذ لا يجوز أن يقع منهم القبيح و الكذب و يكون جميعهم ملجئين إلى ترك القبيح و به قال أبو بكر بن الإخشيد و أصحابه و قال بعضهم أنه يجوز وقوعه منهم على جميع الأحوال.

إشارة

وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَ جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَ إِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاؤُكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥)

اللغة

الأكنه جمع كنان و هو ما وقى شيئا و ستره مثل عنان و أعنه قال الليث كل شىء وقى شيئا فهو كنانه و كنه و الفعل منه كننت و أكننت و الكنه امرأه الابن أو الأخ لأنها فى كنه و استكن الرجل من الحر و اكنن استتر و الوقر الثقل فى الأذن و الوقر بكسر الواو الحمل قال أبو زيد وقرت أذنه توقر وقرأ و قال الكسائى وقرت أذنه فهى موقوره قال الشاعر:

و كلام سىء قد وقرت أذنى منه و ما بى من صمم

و أساطير واحدها أسطوره و أسطاره مأخوذ من سطر الكتاب و هو سطر و سطر فمن قال سطر جمعه أسطارا و من قال سطر فجمعه فى القليل أسطر و الكثير سطور و قال رؤبه:

إنى و أسطار سطرنا سطرنا لقاتل يا نصر نصرنا نصرنا

و جمع أسطار أساطير قال الزجاج و تأويل السطر فى اللغة أن تجعل شيئا ممتدا مؤلفا و قال الأخفش أساطير جمع لا واحد له نحو أبابيل و مذاكير و قال بعضهم واحد الأبابل إيبيل بالتشديد و كسر الألف و الجدال الخصومه سمي بذلك لشدته و قيل أنه مشتق من الجداله و هى الأرض لأن أحدهما يلقى صاحبه على الأرض.

الإعراب

«أَنْ يَفْقَهُوهُ» موضعه نصب على أنه مفعول له المعنى لكراهه أن يفقهوه فلما حذف اللام نصبت الكراهه و لما حذف الكراهه انتقل نصبها إلى أن قاله الزجاج يريد أنه حذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه و «يُجَادِلُونَكَ» فى موضع نصب على الحال.

النزول

قيل أن نفرا من مشركى مکه منهم النضر بن الحارث و أبو سفیان بن حرب و الوليد بن المغيرة و عتبه بن ربيعه و أخوه شيبه و غيرهم جلسوا إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) و هو يقرأ القرآن فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال أساطير الأولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضيه فأنزل الله هذه الآية.

ثم وصف الله سبحانه حالهم عند استماع القرآن فقال «وَمِنْهُمْ» أى و من الكفار الذين تقدم ذكرهم «مَنْ يَشِيعُ إِلَيْكَ» يريد يستمعون إلى كلامك قال مجاهد يعنى قريشا «وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا» قد ذكرنا الكلام فيه فى سورة البقره عند قوله «خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ» وقال القاضى أبو عاصم العامرى أصح الأقوال فيه ما روى أن النبى (صلى الله عليه وآله) كان يصلى بالليل و يقرأ القرآن فى الصلاه جهرا رجاء أن يستمع إلى قراءته إنسان فيتدبر معانيه و يؤمن به فكان المشركون إذا سمعوه آذوه و منعوه عن الجهر بالقراءه فكان الله تعالى يلقى عليهم النوم أو يجعل فى قلوبهم أكنه ليقطعهم عن مرادهم و ذلك بعد ما بلغهم مما تقوم به الحجه و تنقطع به المعذره و بعد ما علم الله سبحانه أنهم لا ينتفعون بسماعه و لا يؤمنون به فشبه إلقاء النوم عليهم بجعل الغطاء على قلوبهم و بوقر آذانهم لأن ذلك كان يمنعهم من التدبر كالوقر و الغطاء و هذا معنى قوله تعالى «وَ إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَشْتُورًا» و هو قول أبى على الجبائى و يحتمل ذلك وجهها آخر و هو أنه تعالى يعاقب هؤلاء الكفار الذين علم أنهم لا يؤمنون بعقوبات يجعلها فى قلوبهم تكون موانع من أن يفهموا ما يسمعون و يحتمل أيضا أن يكون سمي الكفر الذى فى قلوبهم كنا تشبيها و مجازا و إعراضهم عن تفهم القرآن و قرا توسعا لأن مع الكفر و الإعراض لا- يحصل الإيمان و الفهم كما لا يحصلان مع الكن و الوقر و نسب ذلك إلى نفسه لأنه الذى شبه أحدهما بالآخر كما يقول أحدنا لغيره إذا أثنى على إنسان و ذكر مناقبه جعلته فاضلا و بالضد إذا ذكر مقابحه و فسقه يقول جعلته فاسقا و كما يقال جعل القاضى فلانا عدلا و كل ذلك يراد به الحكم عليه بذلك و الإبانة عن حاله كما قال الشاعر:

جعلتني باخلا كلا و رب منى إنى لأسمح كفا منك فى اللزب

و معناه سميتنى باخلا «وَ إِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا» يريد و أن يروا كل عبره لم يصدقوا بها عن ابن عباس و قيل معناه و إن يروا كل علامه و معجزه داله على نبوتك لا- يؤمنوا بها لعنادهم عن الزجاج و لو أجرى معنى الآية على ظاهرها لم يكن لهذا معنى لأن من لا يمكنه أن يسمع و يفقه لا يجوز أن يوصف بذلك و كان لا يصح أن يصفهم بأنهم كذبوا بآياته و غفلوا عنها و هم ممنوعون عن ذلك و الذى يزيل الإشكال أنه تعالى قال فى وصف بعض

الكفار «وَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسِيئًا كَأَنَّ لَمْ يَسْمَعْهَا» الآية و لو كان فى أذنيه وقر مانع عن السماع مزيل للقدره لكان لا معنى لقوله «كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقَرًّا» و لكان لا يستحق المذمه لأنه لم يعط آله السمع فكيف يذم على ترك السمع «حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ» يعنى أنهم إذا دخلوا عليك بالنهار يجيئون مجيئاً مخاصمين مجادلين رادين عليك قولك و لم يجيئوا مجيئاً من يريد الرشاد و النظر فى الدلاله الداله على توحيد الله و نبوه نبيه «يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن هَذَا» أى ما هذا القرآن «إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» أى أحاديث الأولين التى كانوا يسطرونها عن الضحاك و قيل معنى الأساطير الترهات و البسابس مثل حديث رستم و إسفنديار و غيره مما لا- فائده فيه و لا- طائل تحته و قال بعضهم أن جدالهم هذا القول منهم و قيل هو مثل قولهم أ تأكلون ما تقتلونه بأيديكم و لا تأكلون ما قتله الله تعالى.

[سوره الأنعام (٦): آيه ٢٦]

إشارة

وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ مَا يَشْعُرُونَ (٢٦)

اللغة

النأى البعد يقال نأيت عنه أنأى نأياً و منه أخذ النوى و هو الحاجز حول البيت لئلا يدخله الماء.

المعنى

ثم كنى عن الكفار الذين تقدم ذكرهم فقال «وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ» أى ينهون الناس عن اتباع النبى (صلى الله عليه و آله) و يتباعدون عنه فرارا منه عن ابن عباس و محمد بن الحنفية و الحسن و السدى و قيل معناه ينهون الناس عن استماع القرآن لئلا يقع فى قلوبهم صحته و يتباعدونهم عن استماعه عن قتاده و مجاهد و اختاره الجبائى و قيل عنى به أبا طالب بن عبد المطلب و معناه يمنعون الناس عن أذى النبى (صلى الله عليه و آله) و لا يتبعونه عن عطا و مقاتل و هذا لا يصح لأن هذه الآية معطوفه على ما تقدمها و ما تأخر عنها معطوف عليها و كلها فى ذم الكفار المعاندين للنبى (صلى الله عليه و آله) هذا و قد ثبت إجماع أهل البيت (عليه السلام) على إيمان أبى طالب و إجماعهم حجه لأنهم أحد الثقلين اللذين أمر النبى (صلى الله عليه و آله) بالتمسك بهما

بقوله إن تمسكتم بهما لن تضلوا

و يدل على ذلك أيضا ما

رواه ابن عمر أن أبا بكر جاء بأبيه أبى قحافه

يوم الفتح إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأسلم فقال (صلى الله عليه وآله) ألا تركت الشيخ فأتيه و كان أعمى فقال أبو بكر أردت أن يأجره الله تعالى و الذى بعثك بالحق لأنا كنت بإسلام أبي طالب أشد فرحا منى بإسلام أبي ألتمس بذلك قره عينك فقال (صلى الله عليه وآله) صدقت

و روى الطبرى بإسناده أن رؤساء قريش لما رأوا ذب أبى طالب عن النبى (صلى الله عليه وآله) اجتمعوا عليه و قالوا جئناك بفتى قريش جمالا و جودا و شهامه عماره بن الوليد ندفعه إليك و تدفع إلينا ابن أخيك الذى فرق جماعتنا و سفه أحلامنا فنقتله فقال أبو طالب ما أنصفتمونى تعطوننى ابنكم فاغذوه و أعطيكم ابنى فتقتلونه بل فليأت كل امرئ منكم بولده فأقتله و قال:

منعنا الرسول رسول المليك بيض تلالاً كلمع البروق

أذود و أحمى رسول المليك حمايه حام عليه شفيق

و أقواله و أشعاره المنبئه عن إسلامه كثيره مشهوره لا تحصى فمن ذلك قوله:

أ لم تعلموا أنا وجدنا محمدا نبيا كموسى خط فى أول الكتب

أ ليس أبونا هاشم شد أزره و أوصى بنيه بالطعان و بالحرب

و قوله من قصيده:

و قالوا لأحمد أنت امرؤ خلوف اللسان ضعيف السبب

ألا إن أحمد قد جاءهم بحق و لم يأتهم بالكذب

و قوله فى حديث الصحيفه و هو من معجزات النبى (صلى الله عليه وآله):

و قد كان فى أمر الصحيفه عبره متى ما يخبر غائب القوم يعجب

محا الله منها كفرهم و عقوقهم و ما نقموا من ناطق الحق معرب

و أمسى ابن عبد الله فينا مصدقا على سخط من قومنا غير معتب

و قوله فى قصيده يحض أخاه حمزه على اتباع النبى و الصبر فى طاعته:

صبرا أبا يعلى على دين أحمد و كن مظهرا للدين و فقت صابرا

فقد سرنى إذ قلت إنك مؤمن فكن لرسول الله فى الله ناصرا

و قوله من قصيده:

ص: ٢٨

أقيم على نصر النبي محمد أقاتل عنه بالقنا و القنابل

و قوله يحض النجاشي على نصر النبي:

تعلم مليك الحبش أن محمدا وزير لموسى و المسيح بن مريم

أتى بهدى مثل الذى أتيا به و كل بأمر الله يهدى و يعصم

و إنكم تتلونه فى كتابكم بصدق حديث لا حديث المرجم

فلا تجعلوا لله ندا و أسلموا و إن طريق الحق ليس بمظلم

و قوله فى وصيته و قد حضرته الوفاه:

أوصى بنصر النبي الخير مشهده عليا ابني و شيخ القوم عباسا

و حمزه الأسد الحامى حقيقته و جعفرأ أن يذودوا دونه الناسا

كونوا فدى لكم أمى و ما ولدت فى نصر أحمد دون الناس أتراسا

فى أمثال هذه الأبيات مما هو موجود فى قصائده المشهوره و وصاياها و خطبه يطول بها الكتاب على أن أبا طالب لم ينأ عن النبي (صلى الله عليه و آله) قط بل كان يقرب منه و يخالطه و يقوم بنصرته فكيف يكون المعنى بقوله «و يَنَّاؤْنَ عَنْهُ» «وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ» معناه ما يهلكون بنهيهم عن قبوله و بعدهم عنه إلا أنفسهم «وَمَا يَشْعُرُونَ» أى و ما يعلمون إهلاكهم إياها بذلك.

[سوره الأنعام (٦): الآيات ٢٧ الى ٢٨]

اشاره

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نَكَذَّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَأ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَ لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٢٨)

القراءه

قرأ «وَلَا نَكَذَّبُ» «وَنَكُونَ» بالنصب حفص عن عاصم و حمزه و يعقوب و قرأ ابن عامر «وَنَكُونَ» بالنصب و قرأ الباقون بالرفع فيهن.

ص: ٢٩

الحجج

قال أبو علي من قرأ بالرفع جاز فيه وجهان (أحدهما) أن يكون معطوفاً على «تُرَدُّ» فيكون قوله و لا نكذب و نكون داخلاً في التمني دخول «تُرَدُّ» فيه فعلى هذا تمنى الرد و أن لا- نكذب و الكون من المؤمنين و يحتمل الرفع وجهاً آخر و هو أن تقطعه من الأول و يكون التقدير يا ليتنا نرد و نحن لا نكذب و نكون و قال سيوييه هو على قولك فإننا لا نكذب كما يقول القائل دعنى و لا أعود أى فإنى ممن لا يعود فإنما يسألك الترك و قد أوجب على نفسه أن لا يعود ترك أو لم يترك و لم يرد أن يسألك أن تجمع له الترك و أن لا- يعود و حجه من نصب فقال «و لا نُكذِّبُ» «و نَكُونُ» أنه أدخل ذلك في التمني غير موجب لأن التمني غير موجب فهو كالاستفهام و الأمر و النهى فى انتصاب ما بعد ذلك كله من الأفعال إذا دخلت عليها الفاء أو الواو على تقدير ذكر المصدر من الفعل الأول كأنه فى التمثيل يا ليتنا يكون لنا رد و انتفاء التكذيب و الكون من المؤمنين و من رفع و لا نكذب و نصب «و نَكُونُ» فإن الفعل الذى هو لا نكذب يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون داخلاً فى التمني فيكون المعنى كالنصب (و الآخر) أن يخبر على البتات أن لا نكذب رد أو لم يرد و من نصبها جميعاً جعلهما داخليين فى التمني.

اللغة

يقال وقفت الدابة وقوفاً و وقف غيره يقفه وقفاً و حكى عن أبى عمرو أنه أجاز ما أوقفك هاهنا مع إخباره أنه لم يسمعه من العرب و بدا يبدو و بدوا إذا ظهر و فلان ذو بدوات إذا بدا له الرأى بعد الرأى و بدا لى فى هذا الأمر بداء و البداء لا يجوز على الله سبحانه لأنه العالم بجميع المعلومات لم يزل و لا يزال.

الإعراب

«و لَوْ تَرَى» جوابه محذوف و تقديره لرأيت أمراً هائلاً- و نحوه قوله تعالى «و لَوْ أَنْ قُزَّاناً سَيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ» يريد إسكان هذا القرآن و هذه الأجوبة إنما تحذف لتعظيم الأمر و تفخيمه و مثله قول امرئ القيس:

و جئتك لو شىء أتانا رسوله سواك و لكن لم نجد لك مدفعا

و تقديره لو أتانا رسول غيرك لما جئنا و يسأل فيقال لم جاز «و لَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا» و إذ هى للماضى و الجواب أن الخبر لصحته و صدق المخبر به صار بمنزله ما وقع.

المعنى

ثم بين سبحانه ما ينال هؤلاء الكفار يوم القيامة من الحسرة و تمنى الرجعة فقال «و لَوْ تَرَى» يا محمد أو يا أيها السامع «إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ» فهذا يحتمل ثلاثة أوجه

جائز أن يكون المعنى عاينوا النار و جائز أن يكونوا عليها و هي تحتهم قال الزجاج و الأجدود أن يكون معناه ادخلوها فعرفوا مقدار عذابها كما تقول في الكلام قد وقفت على ما عند فلان تريد قد فهمته و تبينته و هذا و إن كان بلفظ المضى فالمراد به الاستقبال و إنما جاز ذلك لأن كل ما هو كائن يوما مما لم يكن بعد فهو عند الله قد كان و أنشد في مثله:

ستندم إذ يأتي عليك رعيننا بأرعن جرار كثير صواهله

فوضع إذ موضع إذا و قد يوضع أيضا إذا موضع إذ كما قال الشاعر:

و ندمان يزيد الكأس طيبا سقيت إذا تعرضت النجوم

«فَقَالُوا» أى فقال الكفار حين عاينوا العذاب و ندموا على ما فعلوا «يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ» إلى الدنيا «وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا» أى بكتب ربنا و رسله و جميع ما جاءنا من عنده «وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» يعنى من جملة المؤمنين بآيات الله «بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ» اختلف فيه على أقوال (أحدها) أن معناه بل بدا لبعضهم من بعض ما كان علماؤهم يخفونه عن جهالهم و ضعفاءهم مما فى كتبهم فبدأ للضعفاء عنادهم (و ثانيها) أن المراد بل بدا من أعمالهم ما كانوا يخفونه فأظهره الله و شهدت به جوارحهم عن أبى روق (و ثالثها) إن المعنى ظهر للذين اتبعوا الغواه ما كان الغواه يخفونه عنهم من أمر البعث و الشورى لأن المتصل بهذا و له «و قَالُوا إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا» الآية عن الزجاج و هو قول الحسن (و رابعها) أن المراد بل بدا لهم وبال ما كانوا يخفونه من الكفر عن المبرد و كل هذه الأقوال بمعنى ظهرت فضيحتهم فى الآخرة و تهتكت أستارهم «وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ» أى لو ردوا إلى الدنيا و إلى حال التكليف كما طلبوه لعادوا إلى ما نهوا عنه من الكفر و التكذيب «وَأِنْهُمْ لَكَاذِبُونَ» و يسأل على هذا فيقال إن التمنى كيف يصح فيه الكذب و إنما يقع الكذب فى الخبر و الجواب أن من الناس من حمل الكلام كله على وجه التمنى و صرف الكذب إلى غير الأمر الذى تمنوه و قال إن معناه هم كاذبون فيما يخبرون به عن أنفسهم فى الدنيا من الإصابه و اعتقاد الحق أو يكون المعنى إنهم كاذبون أن خبروا عن أنفسهم بأنهم متى ردوا آمنوا و إن كان ما حكى عنهم من التمنى ليس بخبر و قد يجوز أن يحمل على غير الكذب الحقيقى بأن

يكون المراد أنهم تمنوا ما لا سبيل إليه فكذب أم لهم و تمنيههم و هذا مشهور فى كلام العرب يقولون كذبتك أملك لمن تمنى ما لم يدرك و قال الشاعر:

كذبتم و بيت الله لا تنكحونها بنى شاب قرناها تصر و تحلب

و قال آخر:

كذبتم و بيت الله لا تأخذونها مراغمه ما دام للسيف قائم

و المراد ما ذكرناه من الخيبة فى الأمل و التمنى فإن قيل كيف يجوز أن يتمنوا الرد إلى الدنيا و قد علموا أنهم لا يردون فالجواب عنه من وجوه (أحدها) إنا لا نعلم أن أهل الآخرة يعرفون جميع أحكام الآخرة و إنما نقول إنهم يعرفون الله معرفه لا يتخالجهم فيها الشك لما يشاهدونه من الآيات الملجئه لهم إلى المعارف و أما التوجع و التمنى للخلاص و الدعاء للفرج فيجوز أن يقع منهم ذلك عن البلخي (و ثانيها) أن التمنى قد يجوز فيما يعلم أنه لا يكون و لهذا قد يقع التمنى على أن لا يكون ما قد كان و أن لا يكون فعل ما قد فعله و تقضى وقته (و ثالثها) أنه لا مانع من أن يقع منهم التمنى للرد و لأن يكونوا من المؤمنين عن الزجاج و فى الناس من جعل بعض الكلام تمنيا و بعضه إخبارا و علق تكذيبهم بالخبر دون ليتنا و هذا إنما ينساق فى قراءه من رفع و لا نكذب و نكون على معنى فإننا لا نكذب بآيات ربنا و نكون من المؤمنين فيكونون قد أخبروا بما علم الله أنهم فيه كاذبون و إن لم يعلموا من أنفسهم مثل ذلك فلهذا كذبهم و ذكر أن أبا عمرو بن العلاء استدلل على قراءته بالرفع فى الجميع بأن قوله «وَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» فيه دلالة على أنهم أخبروا بذلك عن أنفسهم و لن يتمنوه لأن التمنى لا يقع فيه الكذب.

[سوره الأنعام (٦): الآيات ٢٩ الى ٣٠]

إشاره

وَ قَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَ مَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٢٩) وَ لَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَ رَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٠)

ص: ٣٢

ثم أخبر سبحانه عن الكفار الذين ذكروهم قبل هذه الآية وإنكارهم البعث والنشور والحشر والحساب فقال «وَقَالُوا إِن هِيَ» أى ما هى «إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا» عنوا بذلك أنه لا حياه لنا فى الآخرة وإنما هى هذه التى حينما بها فى الدنيا «وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ» أى لسنا بمبعوثين بعد الموت ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال «وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ وَقِفُوا عَلَى النَّارِ إِلَّا-وجها واحدا و هو أن المعنى عرفوا ربهم ضروره كما شىء من الوجوه التى ذكرناها فى قوله «وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ وَقِفُوا عَلَى النَّارِ إِلَّا-وجها واحدا و هو أن المعنى عرفوا ربهم ضروره كما يقال وقفته على كلام فلان أى عرفته إياه وقيل أيضا أن المعنى وقفوا على ما وعدهم ربهم من العذاب الذى يفعله بالكفار و الثواب الذى يفعله بالمؤمنين فى الآخرة و عرفوا صحه ما أخبرهم به من الحشر والحساب و يجوز أن يكون المعنى حبسوا على ربهم ينتظر بهم ما يأمرهم به و خرج الكلام مخرج ما جرت به العاده من وقوف العبد بين يدى سيده لما فى ذلك من الفصاحه و الإفصاح بالمعنى و التنبيه على عظم الأمر «قَالَ» أى يقول الله تعالى لهم و جاء على لفظ الماضى لأنه لتحققه كأنه واقع و قيل معناه تقول الملائكه لهم بأمر الله تعالى «أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ» كما قالت الرسل و هذا سؤال توبيخ و تفریع و قوله «هذا» إشاره إلى الجزاء و الحساب و البعث «قَالُوا» أى يقول هؤلاء الكفار مقرين بذلك مذعنين له «بلى» هو حق «وَرَبَّنَا» قسم ذكروه و أكدوا اعترافهم به «قَالَ» الله تعالى أو الملك بأمره «فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ» أى بكفركم و إنما قال ذوقوا لأنهم فى كل حال يجدون ذلك وجدان الذائق المذوق فى شدة الإحساس من غير أن يصيروا إلى حال من يشم بالطعام فى نقصان الإدراك.

[سوره الأنعام (٦): الآيات ٣١ الى ٣٢]

إشاره

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسِيرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ (٣١) وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٣٢)

القراءه

قرأ ابن عامر و لدار الآخرة بلام واحده و جر الآخرة على الإضافه و الباقون

بلامين و رفع «الْآخِرَةُ» و قرأ أهل المدينة و ابن ذكوان عن ابن عامر و يعقوب و سهل «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» بالتاء هاهنا و فى الأعراف و يوسف و ياسين و وافقهم حفص إلا فى ياسين و حماد و يحيى عن أبى بكر فى يوسف و قرأ الباقون جميع ذلك بالياء.

الحج

من قرأ «وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ» فلأن الآخرة صفة للدار يدل على ذلك قوله «وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّكَ مِنَ الدَّارِ الْآخِرَةِ لَهَا» الحيوان و تلك الدار الآخرة نجعلها و من أضاف دارا إلى الآخرة لم يجعل الآخرة صفة للدار فإن الشىء لا يضاف إلى نفسه لكنه جعلها صفة للساعة فكأنه قال و لدار الساعة الآخرة و جاز وصف الساعة بالآخرة كما وصف اليوم بالآخر فى قوله «وَأَرْجُوا اليَوْمَ الْآخِرَ» قال أبو على إنما حسن إضافة الدار إلى الآخرة و لم يقبح من حيث استقبح إقامه الصفة مقام الموصوف لأن الآخرة قد صارت كالأبطح و الأبرق أ لا ترى أنه قد جاء «وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّكَ مِنَ الدَّارِ الْآخِرَةِ» فاستعملت استعمال الأسماء و لم يكن مثل الصفات التى لم تستعمل استعمال الأسماء و مثل الآخرة فى أنها استعملت الأسماء قولهم الدنيا لما استعملت استعمال الأسماء حسن أن لا يلحق لام التعريف فى نحو قوله:

" فى سعى دنيا طال ما قد مدت "

و أما وجه القراءه بالياء فى أفلا- يعقلون فهو أنه قد تقدم ذكر الغيبه فى قوله «لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ» و وجه القراءه بالتاء أنه يصلح أن يكون خطابا متوجها إليهم و يصلح أن يكون المراد الغيب و المخاطبون فيغلب الخطاب.

اللغة

كل شىء أتى فجاءه فقد بغت يقال بغته الأمر بيغته بغته قال الشاعر:

ولكنهم باتوا و لم أخش بغته و أفضع شىء حين يفجأك البغت

و الحسره شده الندم حتى يحسر النادم كما يحسر الذى تقوم به دابته فى السفر البعيد و التفريط التقصير و أصله التقديم و الإفراط التقديم فى مجاوزه الحد و التفريط التقديم فى العجز و التقصير و الوزر الثقل فى اللغة و اشتقاقه من الوزر و هو الحبل الذى يعتصم به و منه قيل وزير كأنه يعتصم الملك به و مثله قوله تعالى «وَاجْعَلْ لِي وِزِيرًا مِنْ أَهْلِي» و يزرون يفعلون من وزر يزر وزرا إذا أثم و قيل وزر فهو موزور إذا فعل به ذلك و منه

الحديث فى النساء يتبعن جنازه قتيل لهن ارجعن موزورات غير مأجورات

و العامه تقول مأزورات

و العقل و النهى و الحجى متقاربه المعنى فالعقل الإمساك عن القبيح و قصر النفس و حبسها عن الحسن قال الأصمعى و بالدهناء خبراء يقال له معقله قال و تراها سميت معقله لأنها تمسك الماء كما يعقل الدواء البطن و النهى لا يخلو أن يكون مصدرا كالهدى أو جمعا كالظلم و هو فى معنى ثبات و حبس و منه النهى و التنهيه للمكان الذى ينتهى إليه الماء فيستنقع فيه لتسقله و يمنع ارتفاع ما حوله من أن يسيح على وجه الأرض و الحجى أصله من الحجو و هو احتباس و تمكث قال:

" فهن يعكفن به إذا حجا "

و حجيت بالشىء و تحجيت به يهمز و لا يهمز أى تمسكت عن الأزهرى قال أبو على فكان الحجى مصدر كالشبع و من هذا الباب الحجيا للغز لتمكث الذى يلقى عليه حتى يستخرجه.

الإعراب

يقال ما معنى الغايه فى قوله «حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ» و ما عامل الإعراب فيها و الجواب أن معناها منتهى تكذيبهم الحسره يوم القيامة و العامل فيها «كَذَّبُوا» أى كذبوا إلى أن ظهرت الساعه بغته فندموا حيث لا ينفعهم الندامه و يقال ما معنى دعاء الحسره و هى مما لا يعقل و الجواب أن العرب إذا اجتهدت فى المبالغه فى الإخبار عن أمر عظيم تقع فيه جعلته نداء فلفظه لفظ ما ينبه و المنبه غيره مثل قوله يا حَسِيرَةَ عَلَى الْعِبَادِ و قوله يا حَسِيرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ و يا وَيْلَتِي أَلَمْتُ و هذا أبلغ من أن تقول أنا أتحسر على التفريط قاله الزجاج و قال سيبويه إنك إذا قلت يا عجباه فكأنك قلت احضر و تعال يا عجب فإنه من أزمانك و تأويل يا حسرتاه انتبهوا على أننا قد حسرنا فخرج مخرج النداء للحسره و المعنى على النداء لغيرها تنبيها على عظم شأنها و قيل إنها بمنزله الاستغاثه فكأنه قيل يا حسرتنا تعالى فهذا أوانك كما يقال يا للعجب و قوله «سَاءَ مَا يَزُرُونَ» تقديره بئس الشىء شىء يزرونه و قد ذكرنا عمل نعم و بئس فيما مضى.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار فقال «قَدْ حَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ» يعنى بلقاء ما وعد الله به من الثواب و العقاب و جعل لقاءهم لذلك لقاء له تعالى مجازا عن ابن عباس و الحسن و قيل المراد بلقاء جزاء الله كما يقال للميت لقي فلان عمله أى لقي جزاء عمله و نظيره إلى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ «حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ» أى القيامة «بِعُتَّةٍ» أى فجأه من غير أن علموا وقتها «قَالُوا» عند معانيه ذلك اليوم و أهواله و تباين أحوال

أهل الثواب والعقاب «يا حسرتنا على ما فرطنا فيها» أى على ما تركنا وضيعنا فى الدنيا من تقديم أعمال الآخرة عن ابن عباس و قيل إن الهاء يعود إلى الساعه عن الحسن والمعنى على ما فرطنا فى العمل للساعه و التقدمه لها و قيل إن الهاء يعود إلى الجنه أى فى طلبها و العمل لها عن السدى يدل عليه ما

رواه الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد عن النبى ص فى هذه الآية قال يرى أهل النار منازلهم من الجنه فيقولون يا حسرتنا

و قال محمد بن جرير الهاء يعود إلى الصفقه لأنه لما ذكر الخسران دل على الصفقه و يجوز أن يكون الهاء يعود إلى معنى ما فى قوله «ما فرطنا» أى يا حسرتنا على الأعمال الصالحه التى فرطنا فيها فعلى هذا الوجه يكون ما موصوله بمعنى الذى و على الوجوه المتقدمه يكون ما بمعنى المصدر و يكون تقديره على تفريطنا «وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ» أى أثقال ذنوبهم «على ظُهُورِهِمْ» و قال ابن عباس يريد آثامهم و خطاياهم و قال قتاده و السدى إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن شىء صوره و أطيبه ريحا فيقول أنا عملك الصالح طال ما ركبتك فى الدنيا فاركنى أنت اليوم فذلك قوله يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدًا أى ركبانا و إن الكافر إذا خرج من قبره استقبله أقبح شىء صوره و أخبثه ريحا فيقول أنا عملك السىء طال ما ركبتنى فى الدنيا فأنا أركبك اليوم و ذلك قوله «وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ» و قال الزجاج هذا مثل جائز أن يكون جعل ما ينالهم من العذاب بمنزله أثقل ما يحمل لأن الثقل كما يستعمل فى الوزن يستعمل فى الحال أيضا كما تقول ثقل على خطاب فلان و معناه كرهت خطابه كراهه اشتدت على فعلى هذا يكون المعنى أنهم يقاسون عذاب آثامهم مقاساه تثقل عليهم و لا ترايلهم و إلى هذا المعنى

أشار أمير المؤمنين ع فى قوله تخففوا تلحقوا فإنما ينتظر بأولكم آخركم

«ألا- ساء ما يَزِرُونَ» أى بئس الحمل حملهم عن ابن عباس و قيل معناه ساء ما ينالهم جزاء لذنوبهم و أعمالهم السيئه إذ كان ذلك عذابا و نكالا- ثم رد عليهم قولهم ما هى إلا حياتنا الدنيا و بين سبحانه أن ما يتمتع به من الدنيا يزول و يبىد فقال «وَمَا الْحَيَاءُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ» أى باطل و غرور إذا لم يجعل ذلك طريقا إلى الآخرة و إنما عنى بالحياه الدنيا أعمال الدنيا لأن نفس الدنيا لا توصف باللعب و ما فيه رضا الله من عمل الآخرة لا يوصف به أيضا لأن اللعب ما لا يعقب نفعا و اللهو ما يصرف من الجدل إلى الهزل و هذا إنما يتصور فى المعاصى و قيل المراد باللعب و اللهو أن الحياه تنقضى و تفنى و لا تبقى فتكون لذه فانيه عن قريب كاللعب و اللهو «وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ» و ما فيها من أنواع النعيم و الجنان «خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ» معاصى الله لأنها باقيه دائمه لا يزول عنهم نعيمها و لا يذهب عنهم سرورها «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» إن ذلك كما

وصف لهم فيزهدوا في شهوات الدنيا و يرغبوا في نعيم الآخرة و يفعلوا ما يؤديهم إلى ذلك من الأعمال الصالحة و في هذه الآية تسليه للفقراء بما حرموا من متاع الدنيا و تقريع للأغنياء إذا ركنوا إلى حطامها و لم يعملوا غيرها.

[سوره الأنعام (٦): الآيات ٣٣ الى ٣٤]

إشاره

قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣) وَ لَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَ لَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ (٣٤)

القراءه

قرأ نافع ليحزنك بضم الياء و كسر الزاى و الباقون «لَيَحْزُنُكَ» بفتح الياء و ضم الزاى و

قرأ نافع و الكسائي و الأعشى عن أبى بكر لا يكذبونك خفيف و هو قراءه على (عليه السلام) و المروى عن جعفر الصادق (عليه السلام)

و الباقون «يُكذِّبُونَكَ» بفتح الكاف و التشديد.

الحجه

قال أبو على قال سيبويه قالوا حزن الرجل و حزنه و زعم الخليل إنك حيث تقول حزنه لم ترد أن تقول جعلته حزينا كما أنك حيث قلت أدخلته أردت جعلته داخلا- و لكنك أردت أن تقول جعلت فيه حزنا كما تقول كحلته جعلت فيه كحلا- و دهنته جعلت فيه دهنا و لم ترد بفعلته هنا تعدى قوله حزن و لو أردت ذلك لقلت أحزنته و حجه نافع إنه أراد أن يعدى حزن فنقله بالهمزه و الاستعمال فى حزنه أكثر منه فى أحزنته فإلى كثره الاستعمال ذهب عامه القراء و أما قوله «يُكذِّبُونَكَ» فمن ثقل فهو من فعلته إذا نسبته إلى الفعل مثل زنيته و فسقته نسبته إلى الزنا و الفسق و قد جاء فى هذا المعنى أفعلته قالوا أسقيته أى قلت له سقاك الله قال ذو الرمه:

و أسقيه حتى كاد مما أبته تكلمنى أحجاره و ملاعبه

فيجوز على هذا أن يكون معنى القراءتين واحدا و يجوز أن يكون «لا يُكذِّبُونَكَ» أى لا

يصادفونك كاذبا كما تقول أحمدته إذا أصبته محمودا و يدل على الوجه الأول قول الكميت:

و طائفه قد أكفرتنى بحبكم و طائفه قالت مسىء و مذنب

أى نسبتنى إلى الكفر قال أحمد بن يحيى كان الكسائى يحكى عن العرب أكذبت الرجل إذا أخبرت أنه جاءك بكذب و كذبتة إذا أخبرت أنه كذاب.

[المعنى]

ثم سلى سبحانه نبيه ص على تكذيبهم إياه بعد إقامه الحججه عليهم فقال «قَدْ نَعَلَمُ» نحن يا محمد «إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ» أى ما يقولون إنك شاعر أو مجنون أو أشباه ذلك «فَإِنَّهُمْ لَا يُكْذِبُونَكَ» دخلت الفاء فى أنهم لأن الكلام الأول يقتضيه كأنه قيل إذا كان قد يحزنك قولهم فاعلم أنهم لا يكذبونك و اختلف فى معناه على وجوه (أحدها) أن معناه لا يكذبونك بقلوبهم اعتقادا و إن كانوا يظهرون بأفواههم التكذيب عنادا و هو قول أكثر المفسرين عن أبى صالح و قتاده و السدى و غيرهم قالوا يريد أنهم يعلمون أنك رسول الله و لكن يجحدون بعد المعرفة و يشهد لهذا الوجه ما

روى سلام بن مسكين عن أبى يزيد المدنى أن رسول الله ص لقي أبا جهل فصافحه أبو جهل فقبل له فى ذلك فقال و الله إنى لأعلم إنه صادق و لكننا متى كنا تبعا لعبد مناف فأنزل الله هذه الآيه

و قال السدى التقى أحنس ابن شريق و أبو جهل بن هشام فقال له يا أبا الحكم أخبرنى عن محمد أ صادق هو أم كاذب فإنه ليس هاهنا أحد غيرى و غيرك يسمع كلامنا فقال أبو جهل ويحك و الله إن محمدا لصادق و ما كذب قط و لكن إذا ذهب بنو قصى باللواء و الحجاب و السقايه و الندوه و النبوه فما ذا يكون لسائر قريش (و ثانيها) أن المعنى لا يكذبونك بحجه و لا يتمكنون من إبطال ما جئت به ببرهان و يدل عليه ما

روى عن على (عليه السلام) إنه كان يقرأ «لَا يُكْذِبُونَكَ» و يقول إن المراد بها إنهم لا يأتون بحق هو أحق من حقاك

(و ثالثها) أن المراد لا يصادفونك كاذبا تقول العرب قاتلناكم فما أجيناكم أى ما أصبناكم جبناء قال الأعشى:

أثوى و قصر ليله ليزودا فمضى و أخلف من قتيله موعدا

أراد صادف منها خلف الوعد و قال ذو الرمه:

ص: ٣٨

أى وجد فتقا من السحاب و لا يختص هذا الوجه بالقراءه بالتخفيف دون التشديد لأن أفعلت و فعلت يجوزان فى هذا الموضع و أفعلت هو الأصل فيه ثم يشدد تأكيداً مثل أكرمت و كرمت و أعظمت و عظمت إلا أن التخفيف أشبه بهذا الوجه (و رابعها) أن المراد لا ينسبونك إلى الكذب فيما أتيت به لأنك كنت عندهم أمينا صدوقا و إنما يدفعون ما أتيت به و يقصدون التكذيب بآيات الله و يقوى هذا الوجه قوله «وَ لَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ» و قوله «وَ كَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَ هُوَ الْحَقُّ» و لم يقل و كذبك قومك و ما روى أن أبا جهل قال للنبي ص ما نتهمك و لا نكذبك و لكننا نتهم الذى جئت به و نكذبه (و خامسها) أن المراد أنهم لا يكذبونك بل يكذبوننى فإن تكذبيك راجع إلى و لست مختصا به لأنك رسول الله فمن رد عليك فقد رد على و من كذبك فقد كذبنى و ذلك تسليه منه سبحانه للنبي ص و قوله «وَ لَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ» أى بالقرآن و المعجزات يجحدون بغير حجه سفها و جهالا- و عنادا و دخلت الباء فى «بِآيَاتِ اللَّهِ» و الجحد يتعدى بغير الجار و المجرور لأن معناه هنا التكذيب أى يكذبون بآيات الله و قال أبو على الباء تتعلق بالظالمين و المعنى و لكن الظالمين برد آيات الله أو إنكار آيات الله يجحدون ما عرفوه من صدقك و أمانتك و مثله قوله سبحانه وَ آتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا أى ظلموا بردها أو الكفر بها ثم زاد سبحانه فى تسليه نبيه ص بقوله «وَ لَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَ أُوذُوا» أى صبروا على ما نالهم منهم من التكذيب و الأذى فى أداء الرساله «حَتَّى آتَاهُمْ» جاءهم «نَصِيرُنَا» إياهم على المكذبين و هذا أمر منه سبحانه لنبيه ص بالصبر على كفار قومه إلى أن يأتيه النصر كما صبرت الأنبياء «وَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ» معناه لا أحد يقدر على تكذيب خبر الله على الحقيقة و لا على إخلاف وعده و أن ما أخبر الله به أن يفعل بالكفار فلا بد من كونه لا محاله و ما وعدك به من نصره فلا- بد من حصوله لأنه لا يجوز الكذب فى إخباره و لا الخلف فى وعده و قال الكلبي و عكرمه يعنى بكلمات الله الآيات التى وعد فيها نصر الأنبياء نحو قوله كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنَّ أَنَا وَ رُسُلِي و قوله إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ «وَ لَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ» أى خبرهم فى القرآن كيف أنجيناهم و نصرناهم على قومهم قال الأخفش من هاهنا صلّه مزيده كما تقول أصابنا من مطر أى مطر

وقال غيره من النحويين لا- يجوز ذلك لأن من لا تزداد في الإيجاب و إنما تزداد في النفي و من هنا للتبعيض و فاعل جاء مضمراً يدل المذكور عليه و تقديره و لقد جاءك من نبي المرسلين نبأ فيكون المعنى أنه أخبره ع ببعض أخبارهم على حسب ما علم من المصالح و يؤيد ذلك قوله و مِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ.

[سورة الأنعام (٦): الآيات ٣٥ الى ٣٧]

إشاره

وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٥) إِنَّمَا يَشْتَرِي النَّجِيبُ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ وَ الْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٣٦) وَ قَالُوا لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٧)

اللغه

النفق سرب في الأرض له مخلص إلى مكان آخر و أصله الخروج و منه المنافق لخروجه من الإيمان إلى الكفر و منه النفقه لخروجها من اليد و السلم الدرج و هو مأخوذ من السلامه قال الزجاج لأنه الذي يسلمك إلى مصعدك و الاستجابه من الجوب و هو القطع و هل عندك جائبه خبر أى تجوب البلاد و الفرق بين يستجيب و يجيب أن يستجيب فيه قبول لما دعى إليه و ليس كذلك يجيب لأنه يجوز أن يجيب بالمخالفه كما أن السائل يقول أ توافق في هذا المذهب أم تخالف فيقول المجيب أخالف عن على بن عيسى و قيل إن أجاب و استجاب بمعنى.

الإعراب

جواب إن محذوف و تقديره إن استطعت ذلك فافعل قال الفراء و إنما تفعله العرب في كل موضع يعرف فيه معنى الجواب ألا ترى أنك تقول للرجل إن استطعت

أن تصدق إن رأيت أن تقوم معنا فترك الجواب للمعرفة به فإذا قلت إن تقم تصب خيرا فلا بد من الجواب لأن معناه لا يعرف إذا طرح الجواب.

المعنى

ثم بين سبحانه أن هؤلاء الكفار لا يؤمنون فقال مخاطبا لنبيه ص «وَإِنْ كَانَ كَبُرَ» أى عظم واشتد «عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ» و انصرفهم عن الإيمان و قبول دينك و امتناعهم من اتباعك و تصديقك «فَإِنْ اسْتِطَعْتَ» أى قدرت و تهيأ لك «أَنْ تَبْتَغِيَ» أى تطلب و تتخذ «نَفَقًا فِي الْأَرْضِ» أى سربا و مسكنا فى جوف الأرض «أَوْ سُلَّمًا» أى مصعدا «فِي السَّمَاءِ» و درجا «فَتَأْتِيهِمْ بآيَةٍ» أى حجه تلجئهم إلى الإيمان و تجمعهم على ترك الكفر فافعل ذلك و قيل فتأتيهم بآيه أفضل مما آتيناهم به فافعل عن ابن عباس يريد لا- آيه أفضل و أظهر من ذلك «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى» بالإلجاء و إنما أخبر عز اسمه عن كمال قدرته و أنه لو شاء لألجأهم إلى الإيمان و لم يفعل ذلك لأنه ينافى التكليف و يسقط استحقاق الثواب الذى هو الغرض بالتكليف و ليس فى الآيه أنه سبحانه لا- يشاء منهم أن يؤمنوا مختارين أو لا يشاء أن يفعل ما يؤمنون عنده مختارين و إنما نفى المشيئة لما يلجئهم إلى الإيمان ليتبين أن الكفار لم يغلوه بكفرهم فإنه لو أراد أن يحول بينهم و بين الكفر لفعل لكنه يريد أن يكون إيمانهم على الوجه الذى يستحق به الثواب و لا ينافى التكليف «فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ» قيل معناه فلا تجزع فى مواطن الصبر فيقارب حالك حال الجاهلين بأن تسلك سبيلهم عن الجبائى و قيل إن هذا نفى للجهل عنه أى لا تكن جاهلا بعد أن أتاك العلم بأحوالهم و أنهم لا يؤمنون و المراد فلا- تجزع و لا- تتحسر لكفرهم و إعراضهم عن الإيمان و غلظ الخطاب تبعيذا و زجرا عن هذه الحال ثم بين سبحانه الوجه الذى لأجله لا يجتمع هؤلاء الكفار على الإيمان فقال «إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ» و معناه إنما يستجيب إلى الإيمان بالله و ما أنزل إليك من يسمع كلامك و يصغى إليك و إلى ما تقرأه عليه من القرآن و يتفكر فى آياتك فإن من لم يتفكر و لم يستدل بالآيات بمنزله من لم يسمع كما قيل:

لقد أسمعت لو ناديت حيا و لكن لا حياه لمن تنادى

و قال الآخر:

"أصم عما ساءه سميع"

«وَالْمُوتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ» يريد أن الذين لا يصغون إليك من هؤلاء الكفار و لا يتدبرون فيما تقرأه عليهم و تبينه لهم من الآيات و الحجج بمنزله الموتى فكما أيست أن تسمع الموتى كلامك إلى أن يبعثهم الله فكذلك فأيس من

هؤلاء أن يستجيبوا لك و تقديره إنما يستجيب المؤمن السامع للحق فأما الكافر فهو بمنزله الميت فلا يجيب إلى أن يبعثه الله يوم القيامة فيلجئه إلى الإيمان و قيل معناه إنما يستجيب من كان قلبه حيا فأما من كان قلبه ميتا فلا ثم وصف الموتى بأنه يبعثهم و يحكم فيهم «ثُمَّ إِلَيْهِ» أى إلى حكمه «يُزَجُّونَ» و قيل معناه يبعثهم الله من القبور ثم يرجعون إلى موقف الحساب ثم عاد سبحانه إلى حكاية أقوال الكفار فقال عاطفا على ما تقدم «وَقَالُوا لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ» هذا إخبار عن رؤساء قريش لما عجزوا من معارضته فيما أتى به من القرآن اقترحوا عليه مثل آيات الأولين كعصا موسى و ناقه ثمود فقال سبحانه فى موضع آخر «أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ» و قال هاهنا «قُلْ» يا محمد «إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً» أى آية تجمعهم على هدى عن الزجاج و قيل آية كما يسألونها «وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» ما فى إنزالها من وجوب الاستئصال لهم إذا لم يؤمنوا عند نزولها و ما فى الاقتصار بهم على ما أوتوه من الآيات من المصلحة و قيل معناه و لكن أكثرهم لا يعلمون أن فيما أنزلنا من الآيات مقنعا و كفايه لمن نظر و تدبر و قد اعترضت الملحده على المسلمين بهذه الآية فقالوا أنها تدل على أن الله تعالى لم ينزل على محمد آية إذ لو نزلها لذكرها عند سؤال المشركين إياها فيقال لهم قد بينا أنهم التمسوا آية مخصوصه و تلك لم يؤتوها لأن المصلحة منعت عن إتيائها و قد أنزل الآيات الداله على نبوته من القرآن و آياتهم من المعجزات الباهره التى شاهدوها ما لو نظروا فيها أو فى بعضها حق النظر لعرفوا صدقه و صحه نبوته و قد بين فى آية أخرى أنه لو أنزل عليهم ما التمسوه لم يؤمنوا فقال «وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ» إلى قوله «ما كانوا ليؤمنوا» و فى موضع آخر «وَقَالُوا لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ» يعنى فى قدره الله ينزل منها ما يشاء و يسقط ما اعترضوا به.

[سوره الأنعام (٦): الآيات ٣٨ الى ٣٩]

إشاره

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ءِ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨) وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُغُرٌ و بُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأُ اللَّهُ يُضِلُّهُ و مَنْ يَشَأُ يُجْعَلُهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٩)

ص: ٤٢

الدابة كل ما يدب من الحيوان و أصله الصفة من دب يدب دبيبا إذا مشى مشيا فيه تقارب خطو و الدبوب و الديبوب النمام و

فى الحديث لا يدخل الجنة ديوب و لا قلاع

فالدبيوب النمام لأنه يدب بالنميمة و القلاع الواشى بالرجل ليققلعه قال الأزهرى تصغير الدابة دويبه الباء مخففة و فيها إشمام الكسر و

فى الحديث أيتكن صاحبه الجمل الأدب تنبجها كلاب الحوآب

أراد الأدب فأظهر التضعيف و هو الكثير الوبر و قد دب يدب دبيبا و الجناح إحدى ناحيتى الطير اللتين يتمكن بهما من الطيران فى الهواء و أصله الميل إلى ناحيه.

الإعراب

من مزيده و تأويله و ما دابه و يجوز فى غير القرآن «لا طائر يطير» بالرفع عطفًا على موضع من دابه و قوله «مِنْ شَيْءٍ» من زائده أيضا و تفيد التعميم أى ما فرطنا شيئا ما و صم و بكم كلاهما خبر الذين كقولهم هذا حلوا حامض و دخول الواو لا يمنع من ذلك فإنه بمنزلة قولك صم بكم.

المعنى

لما بين سبحانه أنه قادر على أن ينزل آيه عقبه بذكر ما يدل على كمال قدرته و حسن تدبيره و حكمته فقال «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ» أى ما من حيوان يمشى على وجه الأرض «وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ» جمع بهذين اللفظين جميع الحيوانات لأنها لا تخلو إما أن تكون مما يطير بجناحيه أو يدب و مما يسأل عنه أن يقال لم قال يطير بجناحيه و قد علم أن الطير لا يطير إلا بالجناح فالجواب أن هذا إنما جاء للتوكيد و رفع اللبس لأن القائل قد يقول طر فى حاجتى أى أسرع فيها و قال الشاعر:

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافات و وحدانا

و أنشد سيويه:

فطرت بمنصلى فى يعملات و دوامى الأيدى يخبطن السريحا

و قيل إنما قال بجناحيه لأن السمك تطير فى الماء و لا أجنحه لها و إنما خرج السمك

عن الطائر لأنه من دواب البحر و إنما أراد سبحانه ما فى الأرض و ما فى الجو «إِلَّا أُمَّمٌ» أى أصناف مصنفه تعرف بأسمائها
يشتمل كل صنف على العدد الكثير عن مجاهد «أَمْثَالُكُمْ» قيل أنه يريد أشباهكم فى إبداع الله إياها و خلقه لها و دلالتها على أن
لها صناعا و قيل إنما مثلت الأمم عن غير الناس بالناس فى الحاجة إلى مدبر يدبرهم فى أغذيتهم و أكلهم و لباسهم و نومهم و
يقظتهم و هدايتهم إلى مرادهم إلى ما لا يحصى كثره من أحوالهم و مصالحتهم و أنهم يموتون و يحشرون و بين هذه الآيه أنه
لا- يجوز للعباد أن يتعدوا فى ظلم شىء منها فإن الله خالقها و المنتصف لها «ما فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ» أى ما تركنا و قيل
معناه ما قصرنا و اختلف فى معنى الكتاب على أقوال (أحدها) إنه يريد بالكتاب القرآن لأنه ذكر جميع ما يحتاج إليه فيه من
أمر الدين و الدنيا إما مجملا- و إما مفصلا و المجمعل قد بينه على لسان نبيه ص و أمرنا باتباعه فى قوله «ما آتَاكُمْ الرَّسُولُ
فَخُذُوهُ وَ ما نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» و هذا مثل قوله تعالى «وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ» و يروى عن عبد الله بن مسعود أنه
قال ما لى لا لعن من لعنه الله فى كتابه يعنى الواشمه و المستوشمه و الواصله و المستوصله فقرأت المرأة التى سمعت ذلك منه
جميع القرآن ثم أتته و قالت يا ابن أم عبد تلوت البارحة ما بين الدفتين فلم أجد فيه لعن الواشمه فقال لو تلوتيه لوجدتية قال الله
تعالى «ما آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» و إن

مما أتانا رسول الله أن قال لعن الله الواشمه و المستوشمه

و هو قول أكثر المفسرين و هذا القول اختيار البلخي (و ثانيها) أن المراد بالكتاب هاهنا الكتاب الذى هو عند الله عز و جل
المشتمل على ما كان و يكون و هو اللوح المحفوظ و فيه آجال الحيوان و أرزاقه و آثاره ليعلم ابن آدم أن عمله أولى بالإحصاء
و الاستقصاء عن الحسن (و ثالثها) أن المراد بالكتاب الأجل أى ما تركنا شيئا إلا و قد أوحينا له أجلا ثم يحشرون جميعا عن أبى
مسلم و هذا الوجه بعيد «ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ» معناه يحشرون إلى الله بعد موتهم يوم القيامة كما يحشر العباد فيعوض الله تعالى
ما يستحق العوض منها و ينتصف لبعضها من بعض و فيما روه عن أبى هريره أنه قال يحشر الله الخلق يوم القيامة بهائم و
الدواب و الطير و كل شىء فى يبلغ من عدل الله يومئذ أن يأخذ للجما من القرناء ثم يقول كوني ترابا فلذلك يقول الكافر يا
ليتني كنت ترابا و

عن أبى ذر قال بينا أنا عند رسول الله ص إذ انتطحت عنزان فقال النبى ص أ تدرين فيما انتطحا فقالوا لا ندرى قال لكن الله
يدرى

و على هذا فإنما جعلت أمثالنا فى الحشر و الاقتصاص و اختاره الزجاج فقال يعنى أمثالكم فى أنهم يبعثون و يؤيده قوله «وَ إِذَا
 الْوُجُوهُ حُشِرَتْ» و معنى إلى ربهم إلى حيث لا- يملك النفع و الضر إلا- الله سبحانه إذ لم يمكن منه كما مكن فى الدنيا و
 استدلت جماعه من أهل التناسخ بهذه الآيه على أن البهائم و الطيور مكلفه لقوله «أُمَّمَّ أَمْثَالُكُمْ» و هذا باطل لأننا قد بينا أنها من
 أى وجه تكون أمثالنا و لو وجب حمل ذلك على العموم لوجب أن تكون أمثالنا فى كونها على مثل صورنا و هياتنا و خلقتنا و
 أخلاقنا و كيف يصح تكليف البهائم و هى غير عاقله و التكليف لا يصح إلا مع كمال العقل «وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا» أى بالقرآن
 و قيل بسائر الحجج و البينات «صُمْمٌ وَ بُكْمٌ» قد بينا معناهما فى سورة البقره «فِي الظُّلُمَاتِ» أى فى ظلمات الكفر و الجهل لا
 يهتدون إلى شىء من منافع الدين و قيل أراد صم و بكم فى الظلمات فى الآخرة على الحقيقه عقابا لهم على كفرهم لأنه
 ذكرهم عند ذكر الحشر عن أبى على الجبائى «مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ» هذا مجمل قد بينه فى قوله «وَ مَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ» «وَ
 يُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ» «وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى» «يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ» و المعنى من يشأ الله يخذله بأن
 يمنعه أطفاه و فوائده و ذلك إذا و اتر عليه الأدله و أوضح له الحجج فأعرض عنها و لم ينعم النظر فيها و يجوز أن يريد من يشأ
 الله إضلاله عن طريق الجنه و نيل ثوابها يضلله عنه «وَ مَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أى و من يشأ أن يرحمه و يهديه إلى
 الجنه يجعله على الصراط الذى يسلكه المؤمنون إلى الجنه.

[سوره الأنعام (٦): الآيات ٤٠ الى ٤١]

إشارة

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرِ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٠) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ
 إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَ تَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ (٤١)

القراءة

قرأ أهل المدينة أ رأيتكم و أ رأيتم و أ رأيت و أشباه ذلك بتخفيف الهمزة كل القرآن و قرأ الكسائى وحده أ رأيتكم و أ رأيت و
 أ رأيتم كل القرآن بترك الهمزة و قرأ الباقون بالهمز فى الجميع كل القرآن.

الحجج

قال أبو على من حقق الهمزة فوجه قراءته بين لأنه فعلت من الرؤيه فالهمزة

عين الفعل و من قرأ بألف في كل القرآن من غير همز على مقدار ذوق الهمزه فإنه يجعل الهمزه بين بين أى بين الألف و الهمزه و أما الكسائي فإنه حذف الهمزه حذفاً ألا ترى أن التخفيف القياسي فيها أن تجعل بين بين و هذا حذف الهمزه كما قالوا ويلمه و كما أنشد أحمد بن يحيى:

(إذن لم أقاتل فالبسوني برقعا)

و كقول أبي الأسود:

" يا با المغيره رب أمر معضل "

و مما جاء على ذلك قول الآخر:

أ رأيت إن جاءت به أملودا مرجلا و يلبس البرودا

و مما يقوى ذلك قول الشاعر:

و من رأى مثل معدان بن ليلي إذا ما النسع طال على المطيه.

الإعراب

«أَ رَأَيْتَكُمْ» الكاف فيه للخطاب مجردا و معنى الاسم مخلوع عنه لأنه لو كان اسما لوجب أن يكون الاسم الذى بعده فى قوله أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ و أَرَأَيْتَكَ زيدا ما صنع هو الكاف فى المعنى لأن رأيت يتعدى إلى مفعولين يكون الأول منهما هو الثانى فى المعنى و قد علمنا أنه ليس الكاف فى المعنى و إذا لم يكن اسما كان حرفا للخطاب مجردا من معنى الاسم كالكاف فى ذلك و هنالك و كالتاء فى أنت و إذا ثبت أنه للخطاب فالتاء فى أ رأيت لا يجوز أن يلحق الكلمه علامتان للخطاب كما لا يلحقها علامتان للتأنيث و لا علامتان للاستفهام فلما لم يجر ذلك أفردت التاء فى جميع الأحوال لما كان الفعل لا بد له من فاعل و جعل فى جميع الأحوال على لفظ واحد لأن ما يلحق الكاف من معنى الخطاب يبين الفاعلين فيخصص التأنيث من التذكير و التثنيه من الجمع و لو لحق علامه التأنيث و الجمع التاء لاجتمعت علامتان للخطاب ما يلحق التاء و ما يلحق الكاف فكان يؤدى إلى ما لا نظير له فرفض و هذا من كلام أبى على الفارسي و جواب إن من قوله «إِنَّ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ» الفعل الذى دخل عليه حرف الاستفهام كما تقول إن أتاك زيد أ تكرمه و موضع إن و جوابه نصب لأنه فى موضع مفعولى رأيت و قوله «إِنَّ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ» جوابه محذوف يدل عليه قوله «أَرَأَيْتَكُمْ» لأنه في معنى أخبروا فكأنه قال إن كنتم صادقين فأخبروا من تدعون عند نزول البلاء بكم.

المعنى

ثم أمر سبحانه نبيه بمحاجه الكفار فقال «قُلْ» يا محمد لهؤلاء الكفار «أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ» في الدنيا كما نزل بالأمم قبلكم مثل عاد و ثمود «أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ» أى القيامة قال الزجاج الساعه اسم للوقت الذى يصعق فيه العباد و اسم للوقت الذى يبعث فيه العباد و المعنى أو أتتكم الساعه التى وعدتم فيها بالبعث و الفناء لأن قبل البعث يموت الخلق كلهم «أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ» أى أ تدعون فيها لكشف ذلك عنكم هذه الأوثان التى تعلمون أنها لا تقدر أن تنفع أنفسها و لا غيرها أو تدعون الله الذى هو خالقكم و مالكم لكشف ذلك عنكم «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فى أن هذه الأوثان آلهه لكم احتج سبحانه عليهم بما لا يدفعونه لأنهم كانوا إذا مسهم الضر دعوا الله ثم قال «بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ» و بل استدراك و إيجاب بعد نفي أعلمهم الله تعالى أنهم إذا لحقتهم الشدائد فى البحار و البرارى و القفار يتضرعون إليه و يقبلون عليه و المعنى لا تدعون غيره بل تدعونه «فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ» أى يكشف الضر الذى من أجله دعوتهم إن شاء أن يكشفه «وَ تَنْسَوْنَ مَا تَشْرِكُونَ» أى تتركون دعاء ما تشركون من دون الله لأنه ليس عندهم ضرر و لا نفع عن ابن عباس و يكون العائد إلى الموصول محذوفا للعلم على تقدير ما تشركون به و قيل معناه إنكم فى ترككم دعاءهم بمنزله من قد نسيهم عن الزجاج و هو قول الحسن لأنه قال تعرضون عنه إعراض الناسى أى لليأس فى النجاه من مثله و يجوز أن يكون ما مع تشركون بمنزله المصدر فيكون بمنزله و تنسون شرككم.

إشارة

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤) فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥)

القراءة

قرأ أبو جعفر فتحنا بالتشديد فى جميع القرآن و وافقه ابن عامر إلا- قوله وَ لَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً وَ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً فَإِنَّهُ خَفَّفَهَا وَ وافقهما يعقوب فى القمر و قرأ الباقون فى جميع ذلك بالتخفيف إلا مواضع قد اختلفوا فيها سند كرها إن شاء الله إذا بلغنا إلى مواضعها.

الحج

من ثقل أراد التكثر و المبالغة و من خفف لم يرد ذلك.

اللغة

البأساء من البأس و الخوف و الضراء من الضر و قد يكون البأساء من البؤس، و التضرع التذلل يقال ضرع فلان لفلان إذا بزع له و سأله أن يعطيه و المبلس الشديد الحسره و قال الفراء المبلس المنقطع الحجج قال رؤبه:

و حضرت يوم الخميس الأخماس و فى الوجوه صفره و إبلاس

دابِر القوم الذى يدبرهم و يدبرهم لغتان و هو الذى يتلوهم من خلفهم و يأتى على أعقابهم و أنشد:

آل المهلب جز الله دابرههم أضحوا رمادا فلا أصل و لا طرف

و قال الأصمعى الدابر الأصل يقال قطع الله دابره أى أصله و أنشد:

فدى لكما رجلى و رحلى و ناقتى غداه الكلاب إذ تجز الدوابر

أى يقتل القوم فتذهب أصولهم فلا- يبقى لهم أثر و قال غيره دابر الأمر آخره و روى عن عبد الله أنه قال من الناس من لا يأتى الصلاة ألا دبريا بضم الدال يعنى فى آخر الوقت كذا يقول أصحاب الحديث قال أبو زيد الصواب دبريا بفتح الدال و الباء.

الإعراب

لولا للتحضيض و لا يدخل إلا على الفعل و معناه هلا تضرعوا «و لَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ» معطوف على تأويل الكلام الأول فإن في قوله (هلا تضرعوا) دلالة على أنهم لم يتضرعوا و قوله «بُعْتَهُ» مصدر وقع موقع الحال أى أخذناهم مباغتين.

ص: ٤٨

ثم أعلم الله سبحانه نبيه حال الأمم الماضية في مخالفه رسله و بين أن حال هؤلاء إذا سلكوا طريق المخالفه كحالهم فى نزول العذاب بهم فقال «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا» و هاهنا محذوف و تقديره رسلا «إِلَى أُمَّمٍ مِنْ قَبْلِكَ» فخالفوهم «فَأَخَذْنَاهُمْ» و حسن الحذف للإيجاز به و الاختصار من غير إخلال لدلاله مفهوم الكلام عليه «بِالْبَأْسَاءِ وَ الضَّرَّاءِ» يريد به الفقر و البؤس و الأسقام و الأوجاع عن ابن عباس و الحسن «لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ» و معناه لكى يتضرعوا و قال الزجاج لعل ترج و هذا الترجى للعباد، المعنى فأخذناهم بذلك ليكون ما يرجوه العباد منهم من التضرع كما قال فى قصه فرعون لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى قال سيويه المعنى اذها أنتما على رجائكما فالله عالم بما يكون من وراء ذلك أخبر الله تعالى أنه أرسل الرسل إلى أقوام بلغوا من القسوه إلى أن أخذوا بالشده فى أنفسهم و أموالهم ليخضعوا و يذلوا لأمر الله فلم يخضعوا و لم يتضرعوا و هذا كالتسليه للنبي (صلى الله عليه و آله) «فَلَوْ لَا إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسِينَا تَضَرَّعُوا» معناه فهلا تضرعوا إذ جاءهم بأسنا «وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ» فأقاموا على كفرهم فلم تنجع فيهم العظه «وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ» بالسوسه و الإغراء بالمعصيه لما فيها من عاجل اللذه «مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» يعنى أعمالهم و فى هذا حجه على من قال إن الله لم يرد من الكافرين الإيمان لأنه سبحانه بين أنه إنما فعل ذلك بهم ليتضرعوا و بين أن الشيطان هو الذى زين الكفر للكافر بخلاف ما قالت المجبره من أنه تعالى هو المزين لهم ذلك «فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ» أى تركوا ما وعظوا به عن ابن عباس و تأويله تركوا العمل بذلك و قيل تركوا ما دعاهم إليه الرسل عن مقاتل «فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ» أى كل نعمه و بركه من السماء و الأرض عن ابن عباس و قيل أبواب كل شىء كان مغلقا عنهم من الخير عن مقاتل و المعنى أنه تعالى امتحنهم بالشدائد لكى يتضرعوا و يتوبوا فلما تركوا ذلك فتح عليهم أبواب النعم و التوسعه فى الرزق ليرغبوا بذلك فى نعيم الآخره و إنما فعل ذلك بهم و إن كان الموضع موضع العقوبه و الانتقام دون الإكرام و الإنعام ليدعوهم ذلك إلى الطاعه فإن الدعاء إلى الطاعه يكون تاره بالعنف و تاره باللطف أو لتشديد العقوبه عليهم بالنقل من النعيم إلى العذاب الأليم «حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا» من النعم و اشتغلوا بالتلذذ و أظهروا السرور بما أعطوه و لم يروه نعمه من الله تعالى حتى يشكروه «أَخَذْنَاهُمْ» أى أحللنا بهم العقوبه «بِعَتَّةٍ» أى مفاجاه من حيث لا يشعرون «فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ» أى آيسون من النجاه و الرحمه عن ابن عباس و قيل أذله خاضعون عن البلخى و قيل متحIRON منقطعوا الحجه، و المعانى متقاربه و المراد بقوله «أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ» التكثير و التفخيم دون

التعميم و هو مثل قوله وَ أُوْتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ و المراد فتحنا عليهم أبواب أشياء كثيرة و آتيناهم خيرا كثيرا و

روى عن النبي (صلى الله عليه و آله) أنه قال إذا رأيت الله تعالى يعطى على المعاصى فإن ذلك استدراج منه ثم تلا هذه الآية

، و نحوه ما

روى عن أمير المؤمنين على ع أنه قال يا ابن آدم إذا رأيت ربك يتابع عليك نعمه فاحذره

«فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا» معناه فاستؤصل الذين ظلموا بالعذاب فلم يبق لهم عقب و لا نسل «وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» على إهلاك أعدائه و إعلاء كلمه رسله، حمد الله تعالى نفسه بأن استأصل شافتهم و قطع دابرههم لأنه سبحانه أرسل إليهم و أنظرهم بعد كفرهم و أخذهم بالبأساء و الضراء و اختبرهم بالمحنة و البلاء ثم بالنعمة و الرخاء و بالغ فى الإنذار و الإمهال و الإنظار فهو المحمود على كل حال و فى هذا تعليم للمؤمنين ليحمدوا الله تعالى على كفايته إياهم شر الظالمين و دلالة على أن هلاكهم نعمه من الله تعالى يجب حمده عليها و

روى على بن إبراهيم عن أبيه عن القاسم بن محمد عن سليمان بن داود المقرئ عن فضيل بن عياض عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال سألته عن الورع فقال الورع هو الذى يتورع عن محارم الله و يجتنب هؤلاء و إذا لم يتق الشبهات وقع فى الحرام و هو لا يعرفه و إذا رأى المنكر و لم ينكره و هو يقدر عليه فقد أحب أن يعصى الله و من أحب أن يعصى الله فقد بارز الله بالعداوة و من أحب بقاء الظالمين فقد أحب أن يعصى الله و أن الله حمد نفسه على إهلاك الظالمين فقال «فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

ص: ٥٠

إشارة

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَ أَبْصَارَكُمْ وَ خَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَيِّرُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (٤٦) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَعْتَهُ أَوْ جَهْرَةً هَيْلٌ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ (٤٧) وَ مَا نُزِيلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَ أَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٤٨) وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٤٩)

اللغة

صدف عن الشئ صدوفا إذا مال عنه و الصدف و الصدفة الجانب و الناحية و الصدف كل بناء مرتفع و

في الحديث كان (صلى الله عليه و آله) إذا مر بصدف مائل أسرع المشى

. الإعراب

«مَنْ إِلَهٌ» مبتدأ و خبر و غير صفة إله و هذه الجملة في موضع مفعولى أ رأيتم و من استفهام علق الفعل الذى هو أ رأيتم فلم يعمل في مفعولى لفظا و قوله «إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ» جوابه محذوف و تقديره فمن يأتيكم به إلا أنه أغنى عنه قوله «مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ» الذى هو مفعول أ رأيتم في المعنى و موضع الشرط و جوابه نصب على الحال كما تقول لأضربنه إن ذهب أو مكث فإن قولك إن ذهب أو مكث وقع موقع ذاهبا أو ماكثا و تقديره مقدر ذاهبا أو مكثه و يدل على أنه في موضع الحال مشابهته المفرد في أنه لا يستقل بنفسه كما تستقل الجمل و إن كان جملة في المعنى فإنه بدخول حرف الشرط قد صار بمنزلة المفرد في الحاجة إلى ما يستند إليه كما احتاج المفرد و يدل على قوه اتصاله بما قبله حاجته إلى ما قبله كما احتاج ما وقع موقعه إلى ما قبله و ليس شئ من الفضلات يقع الجملة موقعه غير الحال فثبت أنه في موضع منصوب هو حال فإن قيل إن الجزاء مقدر و الشرط المذكور في اللفظ مع الجزاء كلام مستقل و إنما كان هذا الاستدلال يسوغ لو كان الجزاء غير مقدر قيل الجزاء و إن كان مقدر لا حكم له لأنه لا يجوز إظهاره و إنما هو شئ يثبت من جهة التقدير فضعف أمره و لو جاز إظهاره لكان في موضع الحال و هذا مأخوذ من كلام أبى على الفارسى ذكره في القصریات مع كلام كثير في معناه قد دقق فيه و لم يسبق إليه و قوله «يَأْتِيكُمْ بِهِ» في موضع رفع بأنه صفة إله.

المعنى

ثم زاد سبحانه في الاحتجاج عليهم فقال «قُلْ» يا محمد لهؤلاء الكفار «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَ أَبْصَارَكُمْ» أى ذهب بهما فصرتم صما عميا «وَ خَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ» أى طبع عليها و قيل ذهب بعقولكم و سلب عنكم التمييز حتى لا تفهمون شيئا و إنما خص هذه الأشياء بالذكر لأن بها تتم النعمة دينا و دنيا «مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ» قال الزجاج هذه الهاء تعود إلى معنى الفعل، المعنى من إله غير الله يأتيكم بما أخذ منكم قال

و يجوز أن يكون عائدا إلى السمع و يكون ما عطف على السمع داخلا فى القصة معه إذا كان معطوفا عليه قال ابن عباس يريد لا يقدر هؤلاء الذين يعبدون أن يجعلوا لكم أسماعا و أبصارا و قلوبا تعقلون بها و تفهمون أى إن أخذها الله منكم فمن يردّها عليكم بين سبحانه بهذا أنه كما لا يقدر على ذلك غير الله فكذلك يجب أن لا تعبدوا سواه «انظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ» أى نبين لهم فى القرآن الآيات عن الكلبى و قيل تصريف الآيات توجيهها فى الجهات التى يظهرها أتم الإظهار و مره فى وجه النعمة و مره فى وجه الشده و قيل تصريف الآيات إحداثها داله على وجوه كما أن الآيه المعجزه تدل على فاعلها و على قدرته و علمه و على نبوه النبى (صلى الله عليه و آله) و صدقه «ثُمَّ هُمْ» أى الكفار «يَصْدِفُونَ» أى يعرضون عن تأمل الآيات و الفكر فيها و قيل إعراضهم عنها كفرهم بها و إنما قال أنظر لأنه تعالى عجب أولا من تتابع نعمه عليهم و ضرور دلائله من تصريف الآيات و أسباب الاعتبار ثم عجب ثانيا من إعراضهم عنها ثم زاد تعالى فى الحجاج فقال «قُلْ أَرَأَيْتُمْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ» أى أعلمتم «إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ» أى عذبكم الله بعد أعداره عليكم و إرساله الرسل «بِغْتَهُ» أى مفاجاه «أَوْ جَهْرَةً» أى علانيه و إنما قابل البغته بالجهره لأن البغته تتضمن معنى الخفيه لأنه يأتيهم من حيث لا يشعرون و قيل البغته أن يأتيهم ليلا- و الجهره أن يأتيهم نهارا عن الحسن «هَلْ يُهْلِكُ» أى لا يهلك بهذا العذاب «إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ» أى الكافرون الذين يكفرون بالله و يفسدون فى الأرض و قيل أنهم كانوا يستدعون العذاب فيبين أنه إذا نزل لا- يهلك به إلا- الكافرون فإن هلك فيه مؤمن أو طفل فإنما يهلك محنه و يعوضه الله على ذلك أعضاضا كثيره يصغر ذلك فى جنبها و المراد بذلك عذاب الدنيا دون عذاب الآخرة ثم بين سبحانه أنه لا يبعث الرسل أربابا يقدرّون على كل شىء يسألون عنه من الآيات و إنما يرسلهم لما يعلمه من المصالح فقال «وَمَا نُزِيلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ» ثم ذكر ثواب من صدقهم فى باقى الآيه و عقاب من كذبهم فى الآيه الثانيه فقال «فَمَنْ آمَنَ» أى صدق الرسل «وَأَصْلَحَ» أى عمل صالحا فى الدنيا «فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ» فى الآخرة «وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» كما يحزن أهل النار و قيل لا يحزنون على ما خلفوا وراءهم فى الدنيا «وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا» أى أدلّتنا و حججنا و قيل بمحمد (صلى الله عليه و آله) و معجزاته «يَمَسُّهُمْ الْعَذَابُ» يصيبهم العذاب يوم القيامة «بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ» أى بفسقهم و خروجهم عن الإيمان.

إشارة

قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنَّا أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَ
الْبَصِيرُ أَمْ فَلَا تَتَفَكَّرُونَ (٥٠)

اللغة

الخبزائن جمع الخزانة و هي اسم المكان الذي يخزن فيه الشيء و خزن الشيء ء إحرازه بحيث لا تناله الأيدي و منه خزن اللحم
خزنا إذا تغير لأنه يخبأ حتى ينتن.

المعنى

ثم أمر النبي (صلى الله عليه وآله) أن يقول لهم بعد اقتراحهم الآيات منه أنى لا- أدعى الربوبية و إنما أدعى النبوه فقال «قُلْ» يا
محمد «لَا أَقُولُ لَكُمْ» أيها الناس «عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ» يريد خزائن رحمه الله عن ابن عباس و قيل خزائن الله مقدوراته عن الجبائي
و قيل أرزاق الخلق حتى يؤمنوا طمعا في المال «وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ» الذي يختص الله بعلمه و إنما أعلم قدر ما يعلمني الله تعالى من
أمر البعث و النشور و الجنة و النار و غير ذلك و قيل عاقبه ما تصيرون إليه عن ابن عباس «وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ» لأنى إنسان
تعرفون نسبي يريد لا أقدر على ما يقدر عليه الملك و قد استدلل بهذا على أن الملائكة أفضل من الأنبياء و هذا بعيد لأن الفضل
الذي هو كثره الثواب لا- معنى له هاهنا و إنما المراد لا- أقول لكم إنى ملك فأشاهد من أمر الله و غيبه عن العباد ما تشاهده
الملائكة «إِنَّا أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ» يريد ما أخبركم إلا بما أنزله الله إلى عن ابن عباس و قال الزجاج أى ما أنبأتكم به من غيب
فيما مضى و فيما سيكون فهو بوحى من الله عز و جل ثم أمره سبحانه فقال «قُلْ» يا محمد لهم «هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَ الْبَصِيرُ» أى
هل يستوى العارف بالله سبحانه العالم بدينه و الجاهل به و بدينه فجعل الأعمى مثلا للجاهل و البصير مثلا للعارف بالله و بنبيه و
هذا قول الحسن و اختاره الجبائي و

فى تفسير أهل البيت هل يستوى من يعلم و من لا يعلم

و قيل معناه هل يستوى من صدق على نفسه و اعترف بحاله التى هو عليها من الحاجة و العبودية لخالقه و من ذهب عن البيان و
عمى عن الحق عن البلخي «أَمْ فَلَا- تَتَفَكَّرُونَ» فتتفكروا من أنفسكم و تعملوا بالواجب عليكم من الإقرار بالتوحيد و نفى التشبيه و
هذا استفهام يراد به الإخبار يعنى إنهما لا يستويان.

إشارة

وَ أَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٥١)

الإعراب

الهاء فى به يعود إلى ما من قوله ما يُوحى إِلَيَّ و ليس مع اسمه و خبره فى موضع نصب على الحال من يخافون كأنه قيل متخلين من ولى و شفيع.

المعنى

ثم أمر سبحانه بعد تقديم البيئات بالإنذار فقال «وَ أَنْذِرْ» أى عظ و خوف «بِهِ» أى بالقرآن عن ابن عباس و قيل بالله عن الضحاك «الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ» يريد المؤمنين يخافون يوم القيامة و ما فيها من شدة الأهوال عن ابن عباس و الحسن و قيل معناه يعلمون عن الضحاك و قيل يخافون أن يحشروا علما بأنه سيكون عن الفراء قال و لذلك فسره المفسرون يعلمون قال الزجاج المراد بهم كل معترف بالبعث من مسلم و كتابى و إنما خص الذين يخافون الحشر دون غيرهم و هو ينذر جميع الخلق لأن الذين يخافون الحشر الحججه عليهم أوجب لاعترافهم بالمعاد و

قال الصادق (ع) أنذر بالقرآن من يرجون الوصول إلى ربهم ترغيبهم فما عنده فإن القرآن شافع مشفع لهم

«لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ» أى غير الله «وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ» عن الضحاك و قال الزجاج إن اليهود و النصارى ذكرت أنها أبناء الله و أحبائه فأعلم الله عز اسمه أن أهل الكفر ليس لهم من دون الله ولى و لا شفيع و هذا الذى قاله ظاهر فى أهل الكفر و المفسرون على أن الآيه فى المؤمنين و يكون معنى قوله «لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ» على أن شفاعه الأنبياء و غيرهم للمؤمنين إنما تكون بإذن الله لقوله سبحانه مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى «لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ» كى يخافوا فى الدنيا و ينتهوا عما نهيتهم عنه عن ابن عباس.

إشارة

وَ لَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَ مَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢) وَ كَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَ هَؤُلَاءِ مِثْلُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (٥٣)

قرأ ابن عامر بالغدوه والعشى فى كل القرآن بواو والباقون «بِالْغَدَاهِ» بالألف.

الحجه

قال أبو على الوجه «بِالْغَدَاهِ» لأنها تستعمل نكره و تتعرف باللام فأما غدوه فمعرفه لم تنتكر و هو علم صيغ له قال سيبويه غدوه و بكره جعل كل واحد منهما اسما للجنس كما جعلوا أم حبين اسما لدابه معروفه قال و زعم يونس عن أبي عمرو و هو القياس إنك إذا قلت لقيته يوما من الأيام غدوه أو بكره و أنت تريد المعرفه لم تنون و هذا يقوى قراءه من قرأ «بِالْغَدَاهِ وَ الْعَشِيِّ» و وجه قراءه ابن عامر أن سيبويه قال زعم الخليل أنه يجوز أن تقول أتيتك اليوم غدوه و بكره فجعلهما بمنزله ضحوه و من حجه أن بعض أسماء الزمان جاء معرفه بغير ألف و لام نحو ما حكاه أبو زيد من قولهم لقيته فيه غير مصروف و الفينه بعد الفينه فألحق لام المعرفه ما استعمل معرفه و وجه ذلك أنه يقدر فيه التنكير و الشيع كما يقدر فيه ذلك إذا ثنى و ذلك مستمر فى جميع هذا الضرب من المعارف و مثل ذلك ما حكاه سيبويه من قول العرب هذا يوم اثنين مباركا و أتيتك يوم اثنين مباركا فجاء معرفه بلا ألف و لام كما جاء بالألف و اللام و من ثم انتصب الحال و مثل ذلك قولهم هذا ابن عرس مقبل أما أن يكون جعل عرسا نكره و إن كان علما و أما أن يكون أخبر عنه بخبرين.

الإعراب

«فَتَطْرُدُهُمْ» جواب للنفى فى قوله «مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَ مَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ» و قوله «فَتَكُونُ» نصب لأنه جواب للنهى و هو قوله «وَلَا تَطْرُدِ» أى لا تطردهم فتكون من الظالمين و قد بينا تقديره فى مواضع.

النزول

روى الثعلبى بإسناده عن عبد الله بن مسعود قال مر الملاء من قريش على رسول الله (صلى الله عليه و آله) و عنده صهيب و خباب و بلال و عمار و غيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد أ رضيت بهؤلاء من قومك أ فنحن نكون تبعاً لهم أ هؤلاء الذين من الله عليهم أطردهم عنك فلعلك إن طردتهم تبعناك فأنزل الله تعالى «وَلَا تَطْرُدِ» إلى آخره و قال سلمان و خباب فينا نزلت هذه الآية جاء الأقرع بن حابس التميمى و عينه بن حصين الفزارى و ذووهم من المؤلفه قلوبهم فوجدوا النبى (صلى الله عليه و آله) قاعدا مع بلال و صهيب و عمار و خباب فى ناس من ضعفاء المؤمنين فحقوقهم و قالوا يا رسول الله لو نحيت هؤلاء عنك حتى نخلو بك فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن يرونا مع هؤلاء الأعبد ثم إذا انصرفنا فإن شئت فأعدهم إلى مجلسك

فأجابهم النبي (صلى الله عليه و آله) إلى ذلك فقال له اكتب لنا بهذا على نفسك كتابا فدعا بصحيفه و أحضر عليا ليكتب قال و نحن قعود فى ناحيه إذ نزل جبرائيل (عليه السلام) بقوله «وَ لَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ» إلى قوله «أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ» فنحى رسول الله (صلى الله عليه و آله) الصحيفه و أقبل علينا و دنونا منه و هو يقول كتب ربكم على نفسه الرحمه فكننا نقعد معه فإذا أراد أن يقوم قام و تركنا فأنزل الله عز و جل «وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ» الآية قال فكان رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقعد معنا و يدنو حتى كادت ركبتنا تمس ركبته فإذا بلغ الساعه التى يقوم فيها قمنا و تركناه حتى يقوم و قال لنا الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أمرنى أن أصبر نفسى مع قوم من أمتى معكم المحيا و معكم الممات.

المعنى

ثم نهى سبحانه رسوله ع عن إجابته المشركين فيما اقترحوه عليه من طرد المؤمنين فقال «وَ لَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَ الْعَشِيِّ» يريد يعبدون ربهم بالصلاه المكتوبه يعنى صلاه الصبح و العصر عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتاده و قيل إن المراد بالدعاء هاهنا الذكر أى يذكرون ربهم طرفى النهار عن إبراهيم و روى عنه أيضا أن هذا فى الصلوات الخمس «يُرِيدُونَ وَجْهَهُ» يعنى يطلبون ثواب الله و يعملون ابتغاء مرضاه الله لا يعدلون بالله شيئا عن عطا قال الزجاج شهد الله لهم بصدق النيات و أنهم مخلصون فى ذلك له أى يقصدون الطريق الذى أمرهم بقصده فكأنه ذهب فى معنى الوجه إلى الجبهه و الطريق «مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَ مَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ» يريد ما عليك من حساب المشركين شىء و لا عليهم من حسابك شىء إنما الله الذى يثيب أوليائه و يعذب أعداءه عن ابن عباس فى روايه عطا و أكثر المفسرين يردون الضمير إلى الذين يدعون ربهم و هو الأشبه و ذكروا فيه وجهين (أحدهما) ما عليك من عملهم و من حساب عملهم من شىء عن الحسن و ابن عباس و هذا كقوله تعالى فى قصه نوح «إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ» و هذا لأن المشركين ازدروهم لفقرهم و حاجتهم إلى الأعمال الدينيه و هم برفع المشركين عليهم فى المجلس فليل له ما عليك من حسابهم من شىء أى لا يلزمك عار بعملهم «فَطَرُدُهُمْ» ثم قال «وَ مَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ» تأكيداً لمطابقه الكلام و إن كان مستغنى عنه بالأول (الوجه الثانى) ما عليك من حساب رزقهم من شىء فتملهم و تطردهم أى ليس رزقهم عليك و لا- رزقك عليهم و إنما يرزقك و إياهم الله الرازق فدعهم يدنوا منك و لا تطردهم «فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ» لهم بطردهم عن ابن زيد و قيل فتكون من

الضارين لنفسك بالمعصية عن ابن عباس قال ابن الأنباري عظم الأمر في هذا على النبي ص و خوف الدخول في جملة الظالمين لأنه كان قد هم بتقديم الرؤساء و أولى الأموال على الضعفاء مقدرًا أنه يستجر بإسلامهم إسلام قومهم و من لف لفهم و كان (صلى الله عليه و آله) لم يقصد في ذلك إلا- قصد الخير و لم ينوبه ازدراء بالفقراء فأعلمه الله إن ذلك غير جائز ثم أخبر الله سبحانه أنه يمتحن الفقراء بالأغنياء و الأغنياء بالفقراء فقال «وَ كَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ» أى كما ابتلينا قبلك الغنى بالفقير و الشريف بالوضيع ابتلينا هؤلاء الرؤساء من قريش بالموالى فإذا نظر الشريف إلى الوضيع قد آمن قبله حمى آنفا أن يسلم و يقول سبقنى هذا بالإسلام فلا يسلم و إنما قال سبحانه «فَتَنَّا» و هو لا يحتاج إلى الاختبار لأنه عاملهم معاملته المختبر «لِيَقُولُوا» هذه لام العاقبه المعنى فعلنا هذا ليصبروا و يشكروا فآل أمرهم إلى هذه العاقبه «أَ هَؤُلَاءِ مَنَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَنَ بَيْنَنَا» و الاستفهام معناه الإنكار كأنهم أنكروا أن يكونوا سبقوهم بفضيله أو خصوا بمنه و قال أبو على الجبائى المعنى فى «فَتَنَّا» شددنا التكليف على أشرف العرب بأن أمرناهم بالإيمان و بتقديمهم هؤلاء الضعفاء على نفوسهم لتقدمهم إياهم فى الإيمان و هذا أمر كان شاقا عليهم فلذلك سماه الله فتنه و قوله «لِيَقُولُوا» أى فعلنا هذا بهم ليقول بعضهم لبعض على وجه الاستفهام لا على وجه الإنكار أ هؤلاء من الله عليهم بالإيمان إذا رأوا النبى يقدم هؤلاء عليهم و ليرضوا بذلك من فعل رسول الله و لم يجعل هذه الفتنه و الشده فى التكليف ليقولوا ذلك على وجه الإنكار لأن إنكارهم لذلك كفر بالله و معصيه و الله سبحانه لا يريد ذلك و لا يرضاه و لأنه لو أراد ذلك و فعلوه كانوا مطيعين له لا عاصين و قد ثبت خلافه و قوله «أَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ» هذا استفهام تقرير أى أنه كذلك كقول جرير:

أ لستم خير من ركب المطايا و أندى العالمين بطون راح

و هذا دليل واضح على أن فقراء المؤمنين و ضعفاءهم أولى بالتقريب و التقدير و التعظيم من أغنيائهم و لقد

قال أمير المؤمنين على (عليه السلام) من أتى غنيا فتواضع لغناؤه ذهب ثلثا دينه.

[سوره الأنعام (٦): آيه ٥٤]

إشاره

وَ إِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَ أَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥٤)

ص: ٥٧

القراءه

قرأ أهل المدينة «أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ» بالفتح فإنه بالكسر وقرأ عاصم و ابن عامر و يعقوب «أَنَّهُ» «فَأَنَّهُ» بفتح الألف فيهما وقرأ الباقون إنه فإنه بالكسر فيهما.

الحجه

قال أبو علي من كسر فقال إنه من عمل جعله تفسيرا للرحمه كما أن قوله «لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ» تفسير للوعد و أما كسر فإنه غفور رحيم فلأن ما بعد الفاء حكمه الابتداء و من ثم حمل قوله فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ عَلَى إِرَادَةِ الْمَبْتَدَأِ بعد الفاء و حذفه و أما من فتح أن في قوله «أَنَّهُ» فإنه جعل أن الأولى بدلا من الرحمه كأنه قال «كتب ربكم على نفسه أنه من عمل» و أما فتحها بعد الفاء فعلى أنه أضمر له خبرا و تقديره فله أنه غفور رحيم أى فله غفرانه أو أضمر مبتدأ يكون أنه خبرا له أى فأمره أنه غفور رحيم و على هذا التقدير يكون الفتح فى قول من فتح أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ تقديره فله أن له نار جهنم إلا أن إضماره هنا أحسن لأن ذكره قد جرى فى قوله فَأَنَّ لَهُ و إن شئت قدرت فأمره أن له نار جهنم فيكون خبر هذا المبتدأ المضمرة و أما قراءه «كَتَبَ رَبُّكُمْ» «أَنَّهُ» فإنه فالقول فيها أنه أبدل من الرحمه ثم استأنف ما بعد الفاء.

اللغه

قال المبرد السلام فى اللغه أربعة أشياء مصدر سلمت سلاما و جمع سلامه و اسم من أسماء الله عز و جل و شجر فى قوله:

"إلا سلام و حرمل"

و معنى السلام الذى هو مصدر أنه دعاء للإنسان بأن يسلم من الآفات و السلام اسم الله تأويله ذو السلام أى الذى يملك السلام الذى هو التخلص من المكروه و أما السلام الشجر فهو شجر قوى سمي بذلك لسلامته من الآفات و السلام الحجاره سمي بذلك لسلامتها من الرخاوه و الصلح يسمى السلام و السلم لأن معناه السلامه من الشر و السلم الدلو التى لها عروه واحده لأنها أسلم الدلاء من الآفات.

النزول

اختلف فى من نزلت فيه هذه الآية ف قيل نزلت فى الذين نهى الله عز و جل

نبيه عن طردهم و كان النبي إذا رآهم بدأهم بالسلام و قال الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أبدأهم بالسلام عن
عكرمه و قيل نزلت في جماعه من الصحابه منهم حمزه و جعفر و مصعب بن عمير و عمار و غيرهم عن عطاء و قيل إن جماعه
أتوا رسول الله ص فقالوا إنا أصبنا ذنوبا كثيره فسكت عنهم رسول الله ص فنزلت الآية عن أنس بن مالك و

قيل نزلت في التائبين و هو المروى عن أبي عبد الله ع.

المعنى

ثم أمر سبحانه نبيه بتعظيم المؤمنين فقال «وَ إِذَا جَاءَكَ» يا محمد «الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ» أى يصدقون «بِآيَاتِنَا» أى بحججنا و براهيننا
«فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ» ذكر فيه وجوه (أحدها) أنه أمر نبيه ص أن يسلم عليهم من الله تعالى فهو تحية من الله على لسان نبيه ص عن
الحسن (و ثانيها) أن الله تعالى أمر نبيه ص أن يسلم عليهم تكرمه لهم عن الجبائى (و ثالثها) أن معناه أقبل عذرهم و اعترفهم و
بشرهم بالسلامه مما اعتذروا منه عن ابن عباس «كَتَبَ رَبُّكُمْ» أى أوجب ربكم «عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ» إيجابا مؤكدا عن الزجاج قال
إنما حوَّط الخلق بما يعقلون و هم يعقلون أن الشىء المؤخر إنما يحفظ بالكتاب و قيل معناه كتبه فى اللوح المحفوظ و قد
سبق بيان هذا فى أول السوره «أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ» قال الزجاج يحتمل الجهاله هاهنا وجهين (أحدهما) أنه عمله و
هو جاهل بمقدار المكروه فيه أى لم يعرف أن فيه مكروها (و الآخر) أنه علم أن عاقبته مكروهه و لكنه آثر العاجل فجعل جاهلا
بأنه آثر النفع القليل على الراحة الكثيره و العافيه الدائمه و هذا أقوى و مثله قوله سبحانه «إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ
بِجَهَالَةٍ» الآية و قد ذكرنا ما فيه هناك «ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَصْلَحَ» أى رجع عن ذنبه و لم يصر على ما فعل و أصلح عمله «فَأَنَّهُ
عَفُورٌ رَحِيمٌ».

[سوره الأنعام (٦): آيه ٥٥]

اشاره

وَ كَذَلِكَ نَفُصِّلُ الْآيَاتِ وَ لَتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ (٥٥)

القراءه

قرأ أهل المدينه «وَ لَتَسْتَبِينَ» بالتاء سبيل بالنصب وقرأ أهل الكوفه غير حفص و ليستبين بالياء «سَبِيلُ» بالرفع وقرأ زيد عن
يعقوب و ليستبين بالياء سبيل بالنصب وقرأ الباقون «وَ لَتَسْتَبِينَ» بالتاء «سَبِيلُ» بالرفع.

الحجه

من قرأ «لَتَسْتَبِينَ» بالتاء «سَبِيلُ» رفعا جعل السبيل فاعلا و أنه كما فى قوله قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي قال سيبويه استبان الشىء و استبتته و
من قرأ «وَ لَتَسْتَبِينَ» بالتاء سبيل نصبا ففى الفعل

ضمير المخاطب و سبيل مفعوله و هو على قولك استبنت الشىء و من قرأ بالياء «سَبِيلٌ» رفعا فالفعل مسند إلى السبيل إلا أنه ذكر كما فى قوله سبحانه يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا و المعنى و ليستين سبيل المؤمنين و سبيل المجرمين فحذف لأن ذكر إحدى السبيلين يدل على الآخر و مثله سِرَائِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ و لم يذكر البرد لدلاله الحر عليه و من قرأ بالياء و نصب اللام فتقديره و ليستين السائل سبيل المجرمين.

الإعراب

«كَذَلِكَ» الكاف فى موضع نصب بأنه مفعول نفضل و ذلك مجرور الموضع بإضافه الكاف إليه و يسأل ما المشبه و ما المشبه به فى قوله «وَ كَذَلِكَ» و فيه جوابان (أحدهما) التفصيل الذى تقدم فى صفه المهتدين و صفه الضالين شبه بتفصيل الدلائل على الحق من الباطل فى صفه غيرهم من كل مخالف للحق (و الثانى) أن المعنى كما فصلنا ما تقدم من الآيات لكم نفضله لغيركم.

المعنى

ثم عطف سبحانه على الآيات التى احتج بها على مشركى مكه و غيرهم فقال «وَ كَذَلِكَ» أى كما قدمناه من الدلالات على التوحيد و النبوه و القضاء «نُفَّصِلُ الْآيَاتِ» و هى الحجج و الدلالات أى نميزها و نبينها و نشرحها على صحتها قولكم و بطلان ما يقوله هؤلاء الكفار «وَ لَتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ» بالرفع أى ليظهر طريق من عاند بعد البيان إذا ذهب عن فهم ذلك بالإعراض عنه لمن أراد التفهم لذلك من المؤمنين ليجانبوها و يسلكوا غيرها و بالنصب ليعرف السامع أو السائل أو التعرف أنت يا محمد سبيلهم و سبيلهم يريد به ما هم عليه من الكفر و العناد و الإقدام على المعاصى و الجرائم المؤديه إلى النار و قيل إن المراد بسبيلهم ما عاجلهم الله به من الإذلال و اللعن و البراءه منهم و الأمر بالقتل و السبى و نحو ذلك و الواو فى «وَ لَتَسْتَبِينَ» للعطف على مضمرة محذوف و التقدير لتفهموا و لتستين سبيل المجرمين و المؤمنين و جاز الحذف لأن فيما أبقى دليلا على ما ألقى.

[سوره الأنعام (٦): آيه ٥٦]

إشارة

قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أُعْبَدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَ كُمْ قَدْ ضَلَلْتُمْ إِذَا مَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (٥٦)

القراءة

روى فى الشواذ عن يحيى بن وثاب ضللت بكسر اللام و القراء كلهم على فتحها.

الحجّه

و هما لغتان ضللت تضل و ضللت تضل قال أبو عبيده و اللغه الغالبه الفتح.

الإعراب

معنى من فى قوله «مِنْ دُونِ اللَّهِ» إضافه الدعاء إلى دون بمعنى ابتداء الغايه و معنى إذا الجزاء و المعنى قد ضللت إن عبدتها.

المعنى

ثم أمر الله سبحانه نبيه بأن يظهر البراءه مما يعبدونه فقال «قُلْ» يا محمد «إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» يعنى الأصنام التى تعبدونها و تدعونها آلهه «قُلْ» يا محمد «لَا أَتَّبِعْ أَهْوَاءَ كُمْ» فى عبادتها أى إنما عبدتموها على طريق الهوى لا على طريق البينه و البرهان عن الزجاج و قيل معناه لا أتبع أهواءكم فى طرد المؤمنين «قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا» أى إن أنا فعلت ذلك عن ابن عباس «وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ» الذين سلكوا سبيل الدين و قيل معناه و ما أنا من المهتدين النبين الذين سلكوا طريق الهدى.

[سوره الأنعام (٦): الآيات ٥٧ الى ٥٨]

إشاره

قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَ كَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَشْتَعِجُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَ هُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (٥٧) قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَشْتَعِجُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ (٥٨)

القراءه

قرأ أهل الحجاز و عاصم «يَقُصُّ الْحَقَّ» بالصاد و الباقون يقضى الحق.

الحجّه

حجّه من قرأ يقضى قوله وَ اللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ و حكى عن أبى عمرو أنه استدل بقوله «وَ هُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ» فى أن الفصل فى الحكم ليس فى القصص و حجّه من قرأ «يَقُصُّ» قوله وَ اللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ و قالوا قد جاء الفصل فى القول أيضا فى نحو قوله إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ و أما قوله «الْحَقَّ» فيحتمل أمرين يجوز أن يكون صفه مصدر محذوف تقديره يقضى القضاء الحق أو يقص القصص الحق و يجوز أن يكون مفعولا به مثل يفعل الحق كقوله:

و عليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوايغ تبع.

اللغة

البينه الدلاله التى تفصل بين الحق و الباطل و البيان هو الدلاله و قيل هو العلم الحادث و الاستعجال طلب الشىء فى غير وقته و الحكم فصل الأمر على التمام.

الإعراب

يقال لم قال كذبتم به و البينه مؤنثه قيل لأن البينه بمعنى البيان فالهاء كناية عن البيان عن الزجاج و قيل كناية عن الرب فى قوله «رَبِّي» و قوله «كَذَّبْتُمْ» قد مضمر معه لأنه فى موضع الحال و الحال لا يكون بالفعل الماضى إلا و معه قد إما مظهره أو مضمره.

المعنى

لما أمر النبى ص بأن يتبرأ مما يعبدونه عقب ذلك سبحانه بالبيان أنه على حجه من ذلك و بينه و أنه لا بينه لهم فقال «قُلْ» يا محمد لهؤلاء الكفار «إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي» أى على أمر بين لا متبع لهوى عن الزجاج و قال الحسن البينه النبوه أى على نبوه من جهه ربي و قيل على حجه من معجزه داله على نبوتى و هى القرآن عن الجبائى و قيل على يقين من ربي عن ابن عباس «وَ كَذَّبْتُمْ بِهِ» أى بما أتيتكم به من البيان يعنى القرآن «مَا عِنْدِي» أى ليس عندي «مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ» قيل معناه الذى تطلبونه من العذاب كانوا يقولونه يا محمد آتنا بالذى تعدنا و هذا كقوله «وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ» عن ابن عباس و الحسن و قيل هى الآيه التى اقترحوها عليه استعجلوه بها فأعلم الله تعالى أن ذلك عنده فقال «إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ» يريد أن ذلك عند ربي و عن ابن عباس يعنى ليس الحكم فى الفصل بين الحق و الباطل و فى إنزال الآيات إلا لله «يَقْضُ الْحَقُّ» أى يفصل الحق من الباطل و يقص الحق أى يقوله و يخبر به «وَ هُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ» لأنه لا يظلم فى قضاياه و لا يجوز عن الحق و هذا يدل على بطلان قول من يزعم أن الظلم و القبائح بقضائه لأن من المعلوم أن ذلك كله ليس بحق «قُلْ» يا محمد لهؤلاء الكفار «لَوْ أَنَّ عِنْدِي» أى برأى و إرادتى «مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ» من إنزال العذاب بكم «لَقَضَيْتِ الْأَمْرَ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ» أى لفرغ من الأمر بأن أهلككم فاستريح منكم غير أن الأمر فيه إلى الله تعالى «وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ» و بوقت عذابهم و ما يصلحهم و فى هذا دلالة على أنه سبحانه إنما يؤخر العقوبه لضرب من المصلحه إما لأن يؤمنوا أو لغير ذلك من المصالح فهو يدبر ذلك على حسب ما تقتضيه الحكمة.

إشاره

وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلمُهَا إِلَّا هُوَ وَ يَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَ الْبَحْرِ وَ مَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقِهِ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَ لَا حَبِّهِ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَ لَا رَطْبٍ وَ لَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٥٩) وَ هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَ يَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٦٠)

اللغة

المفاتيح جمع مفتاح فالمفتاح بالكسر المفتاح الذي يفتح به و المفتاح بفتح الميم الخزانة و كل خزانة كانت لصنف من الأشياء فهو مفتاح قال الفراء في قوله إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبِ بِهِ يَعْنِي خَزَائِنَهُ وَ التوفى قبض الشيء ء على التمام يقال توفيت الشيء ء و استوفيته بمعنى و الجرح العمل بالجرحه و الاجتراح الاكتساب.

الإعراب

«وَ لَا حَبِّهِ» تقديره و لا تسقط من حبه ثابته في ظلمات الأرض و لا رطب و لا يابس و قوله «إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ» الجار و المجرور في موضع الرفع لأنه خبر الابتداء تقديره إلا هو في كتاب مبين و لا بد من هذا التقدير لأنه لو لم يكن محمولا على هذا لوجب أن لا يعلمها في كتاب مبين و هو سبحانه يعلم ذلك في كتاب مبين و الاستثناء منقطع.

المعنى

لما ذكر سبحانه أنه أعلم بالظالمين بين عقبيه أنه لا يخفى عليه شيء من الغيب و يعلم أسرار العالمين فقال «وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلمُهَا إِلَّا هُوَ» معناه و عنده خزائن الغيب الذي فيه علم العذاب المستعجل به و غير ذلك لا يعلمها أحد إلا هو أو من أعلمه به و علمه إياه و قيل معناه و عنده مقدرات الغيب يفتح بها على من يشاء من عباده بإعلامه به و تعليمه إياه و تيسيره السبيل إليه و نصبه الأدله له و يغلق عن من يشاء بأن لا ينصب الأدله له و قال الزجاج يريد عنده الوصوله إلى علم الغيب و كل ما لا يعلم إذا استعلم يقال فيه افتح على و قال ابن عمر مفاتيح الغيب خمس ثم قرأ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ الْآيَةِ وَ قَالَ ابن عباس معناه

و عنده خزائن الغيب من الأرزاق و الأعمار و تأويل الآيه إن الله تعالى عالم بكل شىء من مبتدئات الأمور و عواقبها فهو يعجل ما تعجيله أصوب و أصلح و يؤخر ما تأخيره أصوب و أصلح و أنه الذى يفتح باب العلم لمن يريد من الأنبياء و الأولياء لأنه لا يعلم الغيب سواه و لا- يقدر أحد أن يفتح باب العلم به للعباد إلا الله «وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَ الْبَحْرِ» من حيوان و غيره و قال مجاهد البر القفار و البحر كل قريه فيها ماء «وَمَا تَشْقُطُ مِنْ رَقِّهِ إِلَّا يَعْلَمُهَا» قال الزجاج المعنى أنه يعلمها ساقطه و ثابتته و أنت تقول ما يجيئك أحد إلا- و أنا أعرفه فليس تأويله إلا و أنا أعرفه فى حال مجيئه فقط و قيل يعلم ما سقط من ورق الأشجار و ما بقى و يعلم كم انقلبت ظهرا لبطن عند سقوطها «وَلَا حَبَّ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ» معناه و ما تسقط من حبه من باطن الأرض إلا يعلمها و كنى بالظلمه عن باطن الأرض لأنه لا تدرك كما لا يدرك ما حصل فى الظلمه و قال ابن عباس يعنى تحت الصخره فى أسفل الأرضين السبع أو تحت حجر أو شىء «وَلَا رَطْبٌ وَ لَا يَابِسٌ» قد جمع الأشياء كلها فى قوله «وَلَا رَطْبٌ وَ لَا يَابِسٌ» لأن الأجسام كلها لا تخلو من أحد هذين و هو بمنزله قولك و لا مجتمع و لا مفترق لأن الأجسام لا تخلو من أن تكون مجتمعه أو متفرقه و قيل يريد ما ينبت ما لا ينبت عن ابن عباس و عنه أيضا أن الرطب الماء و اليابس الباديه و قيل الرطب الحى و اليابس الميت و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال الورقه السقط الحبه الولد و ظلمات الأرض الأرحام و الرطب ما يحيا و اليابس ما يغيض

«إِلَّا فِي كِتَابٍ» معناه و هو مكتوب فى كتاب «مُبِينٍ» أى فى اللوح المحفوظ و لم يكتبها فى اللوح المحفوظ ليحفظها و يدرسها فإنه كان عالما بها قبل أن كتبها و لكن ليعارض الملائكه الحوادث على ممر الأيام بالمكتوب فيه فيجدونها موافقه للمكتوب فيه فيزدادون علما و يقينا بصفات الله تعالى و أيضا فإن المكلف إذا علم أن أعماله مكتوبه فى اللوح المحفوظ تطالعها الملائكه قويت دواعيه إلى الأفعال الحسنه و ترك القبائح و قال الحسن هذا توكيد فى الزجر عن المعاصى و الحث على البر لأن هذه الأشياء التى لا ثواب فيها و لا عقاب إذا كانت محصاه عنده محفوظه فالأعمال التى فيها الثواب و العقاب أولى بالحفظ و قيل إن قوله «فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ» معناه أنه محفوظ غير منسى و لا مغفول عنه كما يقول القائل لغيره ما تصنعه عندى مسطور مكتوب و إنما يريد بذلك أنه حافظ له يريد مكافاته عليه و أنشد:

(إن لسلمى عندنا ديوانا)

عن البلخى قال الجرجانى صاحب النظم تم الكلام عند قوله «وَلَا يَابِسٌ» ثم استأنف خبرا آخر بقوله «إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ» يعنى و هو فى كتاب مبين أيضا لأنك لو جعلت قوله «إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ» متصلا بالكلام الأول لفسد المعنى و لما نبه سبحانه بهذه الآيه على أنه عالم لذاته من حيث

أنه لو كان عالما بعلم لوجب أحد ثلاثة أشياء كلها فاسده إما أن يكون له علوم غير متناهية و إما أن يكون معلوماته متناهية أو يتعلق علم واحد بمعلومات غير متناهية و كلها باطل بالدليل نبه في الآية التي تليها على أنه قادر لذاته من حيث أنه قادر على الإحياء و الإمامة فقال «وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ» أى يقبض أرواحكم عن التصرف عن ابن عباس و غيره و اختاره على بن عيسى و قيل معناه يقبضكم بالنوم كما يقبضكم بالموت فيكون كقوله «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا» الآية عن الزجاج و الجبائي «وَ يَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ» أى ما كسبتم من الأعمال على التفصيل بالنهار على كثرته و كثر تكلم و فيه إشارة إلى رحمته حيث يعلم مخالفتهم إياه ثم لا يعاجلهم بعقوبه و لا يمنهم فضله و رحمته «ثُمَّ يَبْعَثُكُم فِيهِ» أى ينبهكم من نومكم فى النهار عن الزجاج و الجبائي جعل انتباههم من النوم بعنا «لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى» معناه لتستوفوا آجالكم و ترتيب الآية و هو الذى يتوفاكم بالليل ثم يبعثكم فى النهار على علم بما تجرحون بالنهار ليقضى أجل مسمى فاللام تتصل بقوله «ثُمَّ يَبْعَثُكُم فِيهِ» إلا أنه قدم ما من أجله بعثنا بالنهار لأنه أهم و العناية به أشد عن على بن عيسى و معنى القضاء فصل الأمر على تمام و معنى قضاء الأجل فصل مدة العمر من غيرها بالموت و فى هذا حجه على النشأ الثانية لأن منزلتها بعد الأولى كمنزله اليقظه بعد النوم فى أن من قدر على أحدهما فهو قادر على الآخر «ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ» يريد إذا تمت المدة المضروبه لكل نفس نقله إلى الدار الآخرة و معنى إليه إلى حكمه و جزائه و إلى موضع ليس لأحد سواه فيه أمر «ثُمَّ يُنَبِّئُكُم» يخبركم «بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» أى بما غفلتم عنه من أعمالكم و فى هذه الآية دلالة على البعث و الإعادة نبه الله سبحانه على ذلك بالنوم و اليقظه فإن كلا منهما لا يقدر عليه غيره تعالى فأما ما يصح إعادته من الأشياء فالصحيح من مذهب أهل العدل فيه أن يكون الشىء من فعل القديم سبحانه القادر لذاته و أن يكون مما يبقى و أن لا يكون مما يتولد عن سبب.

إشارة

وَ هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَ هُمْ لَا يُفْرَطُونَ (٦١) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَ هُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ (٦٢)

القراءة

قرأ حمزه وحده توفاه و الباقون بالتاء و قرأ الأعرج يفرطون فى الشواذ.

الحجج

حججه من قرأ بالتاء قوله فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ وَقَالَتْ رُسُلُهُمْ وَ حججه حمزه أنه فعل متقدم مسند إلى مؤنث غير حقيقى و إنما التأنيث للجمع فهو مثل وَقَالَ نِسْوَةٌ وَ إن كانت الكتابه فى المصحف بالياء فليس ذلك بخلاف لأن الألف المماله قد كتبت بياء و قراءه الأعرج من أفرط فى الأمر إذا زاد فيه و قراءه العامه من فرط فى الأمر إذا قصر فيه فهو بمعنى لا- يقصرون فيما يؤمرون به من توفى من تحضره منيته و ذاك بمعنى لا- يزيدون على ذلك و لا- يتوفون إلا- من أمروا بتوفيه و نظيره قوله وَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ.

المعنى

ثم زاد سبحانه فى بيان كمال قدرته فقال «وَ هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ» معناه و الله المقتدر المستعلى على عباده الذى هو فوقهم لا بمعنى أنه فى مكان مرتفع فوقهم و فوق مكانهم لأن ذلك من صفه الأجسام و الله تعالى منزه عن ذلك و مثله فى اللغه أمر فلان فوق أمر فلان أى هو أعلى أمرا و أنفذ حكما و مثله قوله يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فالمراد به أنه أقوى و أقدر منهم و أنه القاهر لهم و يقال هو فوقه فى العلم أى أعلم منه و فوقه فى الجود أى أجود فعبّر عن تلك الزيادة بهذه العبارة للبيان عنها «وَ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً» عطف على صله الألف و اللام فى القاهر و تقديره و هو الذى يقهر عباده و يرسل عليكم حفظه أى ملائكه يحفظون أعمالكم و يحصونها عليكم و يكتبونها و فى هذا لطف للعباد لينزجروا عن المعاصى إذا علموا أن عليهم حفظه من عند الله يشهدون بها عليهم يوم القيامة «حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ» أى تقبض روحه «رُسُلُنَا» يعنى أعوان ملك الموت عن ابن عباس و الحسن و قتاده قالوا و إنما يقبضون الأرواح بأمره و لذلك أضاف التوفى إليه فى قوله قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ وَ قَالَ الزجاج يريد بالرسول هؤلاء الحفظه فىكون المعنى يرسلهم للحفظ فى الحياه و التوفيه عند مجىء الممات و حتى هذه هى التى تقع بعدها الجملة «وَ هُمْ لَا يُفْرَطُونَ» أى لا يضيعون عن ابن عباس و السدى و قيل لا يغفلون و لا يتوانون عن الزجاج و قال معنى التفريط تقدمه العجز فالمعنى أنهم لا يعجزون ثم بين سبحانه أن هؤلاء الذين تتوفاهم رسله يرجعون إليه فقال «ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ» أى إلى الموضع الذى لا- يملك الحكم فيه إلا هو «مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ» قد مر معناه عند قوله أَنْتَ مَوْلَانَا و الحق اسم من أسماء الله تعالى و اختلف فى معناه فقيل

المعنى أن أمره كله حق لا يشوبه باطل، و جد لا يجاوره هزل فيكون مصدرا وصف به نحو قولهم رجل عدل و فى قول زهير:

متى يشتجر قوم يقل سرواتهم هم بيننا فهم رضا و هم عدل

و قيل إن الحق بمعنى المحق كما قيل غياث بمعنى مغيث و قيل إن معناه الثابت الباقي الذى لا فناء له و قيل معناه ذو الحق يريد أن أفعاله و أقواله حق «ألا- لَهُ الْحُكْمُ» أى القضاء فيهم يوم القيامة لا يملك الحكم فى ذلك اليوم سواه كما قد يملك الحكم فى الدنيا غيره بتخليكه إياه «وَهُوَ أَسْرِعُ الْحَاسِبِينَ» أى إذا حاسب فحسابه سريع و قد مضى معناه فى سورة البقره عند قوله سَرِيعِ الْحِسَابِ و

روى عن أمير المؤمنين على (عليه السلام) أنه سأل كيف يحاسب الله الخلق و لا يرونه قال كما يرزقهم و لا يرونه

و

روى أنه سبحانه يحاسب جميع عباده على مقدار حلب شاه

و هذا يدل على أنه لا يشغله محاسبه أحد عن محاسبه غيره و يدل على أنه سبحانه يتكلم بلا لسان و لهوات ليصح أن يحاسب الجميع فى وقت واحد.

[سورة الأنعام (٦): الآيات ٦٣ الى ٦٤]

إشارة

قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَ خُفْيَةً لَّئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٣) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَ مِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ (٦٤)

القراءة

قرأ أبو بكر عن عاصم خفيه بكسر الخاء هنا و فى الأعراف و الباقون «خُفْيَةً» بالضم و قرأ قل من ينجيكم خفيه يعقوب و سهل و قرأ الباقون «يُنَجِّيكُمْ» و قرأ أهل الكوفة «لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ» بالألف إلا أن عاصما قرأ بالتفخيم و الباقون بالإمالة و قرأ غيرهم من القراء لئن أنجيتنا و قرأ أهل الكوفة و أبو جعفر و هشام عن ابن عامر «قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ» بالتشديد و الباقون ينجيكم بالتخفيف.

الحجة

أما خفيه فإن أبا عبيده قال خفيه أى تخفون فى أنفسكم و حكى غيره خفيه

ص: ٦٧

و خفيه لغتان و أما خيفه ففعله من الخوف انقلبت الياء عن الواو للكسره قال:

فلا تفعدن على زخه و تضمر فى القلب وجدا و خيفا

و هو جمع خيفه و أما قوله ينجيكم فإنهم قالوا نجا زيد فإذا نقل الفعل حسن نقله بالهمزه كما حسن نقله بالتضعيف و فى التنزيل فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ فَأَنْجَيْنَاهُ وَ الَّذِينَ مَعَهُ وَ نَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا فَاسْتَوَى الْقَرَاءَتَانِ فِي الْحَسَنِ فَأَمَّا مَنْ قَرَأَ «أَنْجَانًا» فَإِنَّهُ حَمَلَهُ عَلَى الْغَيْبِ لِأَنَّ مَا قَبْلَهُ «تَدْعُوهُ» وَ مَا بَعْدَهُ «قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ» وَ كِلَاهُمَا لِلْغَيْبِ وَ مَنْ قَرَأَ لئِنْ أَنْجَيْنَا فَإِنَّهُ وَاجِهٌ بِالْخَطَابِ وَ لَمْ يَرَاعَ مِنَ الْمَشَاكِلِ مَا رَاعَاهُ الْكُوفِيُّونَ.

الإعراب

تدعونه فى موضع نصب على الحال تقديره قل من ينجيكم داعين و قائلين لئِنْ أَنْجَيْنَا، تضرعا نصب بأنه حال أيضا من تدعونه و كذلك خفيه و المعنى تدعونه مظهرين الضراعه و مضمرين الحاجه إليه أو معلنين و مسرين.

المعنى

ثم عاد سبحانه إلى حجاج الكفار فقال «قُلْ» يا محمد لهؤلاء الكفار «مَنْ يُنَجِّيكُمْ» أى يخلصكم و يسلمكم «مِنْ ظُلْمَاتِ الْبُرِّ وَ الْبُحْرِ» أى من شدائدهما و أهوالهما عن ابن عباس قال الزجاج العرب تقول لليوم الذى تلقى فيه شدة يوم مظلم حتى أنهم يقولون يوم ذو كواكب أى قد اشتدت ظلمته حتى صار كالليل و أنشد:

بنى أسد هل تعلمون بلاءنا إذا كان يوم ذو كواكب أشهب

و قال آخر:

فدى لبنى ذهل بن شيبان ناقتى إذا كان يوما ذا كواكب أشنعا

و قال غيره أراد ظلمه الليل و ظلمه الغيم و ظلمه التيه و الحيره فى البر و البحر فجمع لفظه ليدل على معنى الجمع «تَدْعُوهُ» أى تدعون الله عند معانيه هذه الأهوال «تَضَرُّعًا وَ خُفْيَةً» أى علانية و سرا عن ابن عباس و الحسن و قيل معناه تدعونه مخلصين متضرعين تضرعا بألسنتكم و خفيه فى أنفسكم و هذا أظهر «لِئِنْ أَنْجَانَا» أى فى أى شدة وقعتتم قلتم

لئن أنجيتنا «مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ» لِإِنْعَامِكَ عَلَيْنَا وَ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ السَّنَةَ فِي الدُّعَاءِ التَّضَرُّعِ وَالْإِخْفَاءِ وَ قَدْ

رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ خَيْرُ الدُّعَاءِ الْخَفِيُّ وَ خَيْرُ الرِّزْقِ مَا يَكْفِي

وَ

مَرَّ بِقَوْمٍ رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالدُّعَاءِ فَقَالَ إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَ لَا غَائِبًا وَ إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا

«قُلْ» يَا مُحَمَّدُ «اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ» أَيْ يَنْعَمُ عَلَيْكُمْ بِالنَّجَاةِ وَ الْفَرَجِ وَ يَخْلُصُكُمْ «مِنْهَا» أَيْ مِنْ هَذِهِ الظُّلْمَاتِ «وَ مِنْ كُلِّ كَرْبٍ» أَيْ وَ يَخْلُصُكُمْ اللَّهُ مِنْ كُلِّ غَمٍّ «ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ» بِاللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْكُمْ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِنجَاءِ مِنْ كُلِّ كَرْبٍ وَ إِنْ خَفِيَ.

[سوره الأنعام (٦): آيه ٦٥]

إشارة

قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَ يُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَّرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (٦٥)

اللغة

لبست عليهم الأمر إذا لم ألبسه و خلطت بعضه ببعض و لبست الثوب ألبسه و اللبس اختلاط الأمر و اختلاط الكلام و لا بست الأمر خالطته و الشيع الفرق و كل فرقه شيعه على حده و شيعت فلانا اتبعته و التشيع هو الاتباع على وجه التدين و الولاء للمتبع و الشيعه صارت في العرف اسما لمتبعي أمير المؤمنين على (عليه السلام) على سبيل الاعتقاد لإمامته بعد النبي ص بلا فصل من الإماميه و الزيديه و غيرهم و لا يقع إطلاق هذه اللفظه على غيرهم من المتبعين سواء كان متبعهم محقا أو مبطلا إلا أن يسقط عنه لام التعريف و يضاف بلفظ من للتبعيض فيقال هؤلاء شيعه بنى العباس أو شيعه بنى فلان.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من الحجج التي حاج به الكافرين و نبه على الأعداء و الإنذار فقال «قُلْ» يَا مُحَمَّدُ لِهَؤُلاءِ الْكُفَّارِ «هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ» أَيْ يَرْسِلُ «عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ» قِيلَ فِيهِ وَجُوهٌ (أحدها) أَنْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ عَنَى بِهِ الصَّيْحَةَ وَ الْحِجَارَةَ وَ الطُّوفَانَ وَ الرِّيحَ كَمَا فَعَلَ بَعَادُ وَ ثَمُودُ وَ قَوْمُ شَعِيبٍ وَ قَوْمُ لُوطٍ أَوْ مِنْ

ص: ٦٩

تحت أرجلكم عنى به الخسف كما فعل بقارون عن سعيد بن جبير و مجاهد (و ثانيها) أن المراد بقوله «مِنْ فَوْقَكُمْ» أى من قبل كباركم أو من تحت أرجلكم من سفلتكم عن الضحاك (و ثالثها)

أن من فوقكم السلاطين الظلمه و من تحت أرجلكم العبيد السوء و من لا- خير فيه عن ابن عباس و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

«أَوْ يَلْبَسِيَكُمْ شَيْعًا» أى يخلطكم فرقا مختلفى الأهواء لا- تكونون شيعه واحده و قيل هو أن يكلهم إلى أنفسهم فلا يلفظ لهم اللطف الذى يؤمنون عنده و يخليهم من أطفاه بذنوبهم السالفه و

قيل عنى به يضرب بعضكم ببعض بما يلقىه بينكم من العداوه و العصبية و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

«وَأُذِيقَ بَعْضُكُمْ بِبِئْسَ بَعْضٍ» أى قتال بعض و حرب بعض و معناه يقتل بعضكم بعضا حتى يفنى بعضكم بعضا كما قال وَ كَذَلِكَ نُؤَلِّى بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ و

قيل هو سواء الجوار عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و قال الحسن التهديد بإنزال العذاب و الخسف يتناول الكفار و قوله «أَوْ يَلْبَسِيَكُمْ شَيْعًا» يتناول أهل الصلاه و

قال قال رسول الله ص سألت ربي أن لا يظهر على أمتى أهل دين غيرهم فأعطاني و سألته أن لا يهلكهم جوعا فأعطاني و سألته أن لا يجمعهم على ضلاله فأعطاني و سألته أن لا يلبسهم شيئا فمنعني

و

فى تفسير الكلبى أنه لما نزلت هذه الآيه قام النبى ص فتوضأ و أسبغ وضوءه ثم قام و صلى فأحسن صلاته ثم سأل الله سبحانه أن لا- يبعث على أمته عذابا من فوقهم و لا- من تحت أرجلهم و لا يلبسهم شيئا و لا يذيق بعضهم بأس بعض فتزل جبرائيل (عليه السلام) فقال يا محمد إن الله تعالى سمع مقاتلتك و إنه قد أجارهم من خصلتين و لم يجرهم من خصلتين أجارهم من أن يبعث عليهم عذابا من فوقهم أو من تحت أرجلهم و لم يجرهم من الخصلتين الأخرين فقال ص يا جبرائيل ما بقاء أمتى مع قتل بعضهم بعضا فقام و عاد إلى الدعاء فنزل الم أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لَا يُفْتَنُونَ الآيتين فقال لا بد من فتنه تبلى بها الأمة بعد نبينا ليتبين الصادق من الكاذب لأن الوحى انقطع و بقى السيف و افتراق الكلمه إلى يوم القيامة

و

فى الخبر أنه ص قال إذا وضع السيف فى أمتى لم يرفع عنها إلى يوم القيامة

و قال أبى بن كعب سيكون فى هذه الأمة بين يدي الساعة خسف و قذف و مسخ ثم أكد سبحانه الاحتجاج عليهم بقوله «أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَيِّرُ الْآيَاتِ» أى أنظر يا محمد كيف نرد الآيات و نظهرها مره بعد أخرى بوجوه أدلتها حتى تزول الشبهه «لَعَلَّهُمْ

يَفْقَهُونَ» أى لكى يعلموا الحق فيتبعوه و الباطل فيجتنبوه و إذا كان البعث فى الآيه محمولا على التسليط فالمراد به التمكين و رفع
الحيلولة

ص: ٧٠

دون أن يفعل سبحانه ذلك أو يأمر به تعالى الله عن ذلك و في هذه الآية دلالة على أنه سبحانه قادر على ما المعلوم أنه لا يفعله.

[سوره الأنعام (٦): الآيات ٦٦ الى ٦٧]

إشارة

وَ كَذَّبَ بِهٖ قَوْمُكَ وَ هُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (٦٦) لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٦٧)

المعنى

لما ذكر سبحانه تصريف الآيات قال عقيب ذلك «وَ كَذَّبَ بِهٖ» أى بما نصرف من الآيات عن الجبائى و البلخى و قال الأزهرى الهاء يعود إلى القرآن و هو قول الحسن و جماعه «قَوْمُكَ» يعنى قريشا و العرب «وَ هُوَ الْحَقُّ» أى القرآن أو تصريف الآيات حق بمعنى أنه يدل على الحق و أن ما فيه حق ثم بين سبحانه أن عاقبه تكذيبهم يعود عليهم فقال «قُلْ» يا محمد «لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ» أى لم أومر بمنعكم من التكذيب بآيات الله و أن أحفظكم من ذلك و أحول بينكم و بينه لأن الوكيل على الشىء هو القائم بحفظه و الذى يدفع الضرر عنه عن الجبائى و قيل معناه لست بحافظ لأعمالكم لأجازيكم بها إنما أنا منذر و الله سبحانه هو المجازى عن الحسن و قيل معناه لم أومر بحربكم و لا أخذكم بالإيمان كما يأخذ الموكل بالشىء الذى يلزم بلوغ آخره عن الزجاج «لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ» أى لكل خبر من أخبار الله و رسوله حقيقه كائنه إما فى الدنيا و إما فى الآخرة عن ابن عباس و مجاهد و قيل معناه لكل خبر قرار على غايه ينتهى إليها و يظهر عندها قال السدى استقر يوم بدر ما كان يعدهم من العقاب و سمي الوقت مستقرا لأنه ظرف للفعل الواقع فيه و قيل معناه لكل عمل مستقر عند الله حتى يجازى به يوم القيامة عن الحسن «وَ سَوْفَ تَعْلَمُونَ» فيه وعيد و تهديد لهم إما بعذاب الآخرة و إما بالحرب و أخذهم بالإيمان شاءوا أو أبوا و تقديره و سوف تعلمون ما يحل بكم من العذاب و حذف لدلالة الكلام عليه.

إشارة

وَ إِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَ إِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٦٨) وَ مَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَ لَكِنْ ذَكَرُوا لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٦٩)

القراءة

قرأ ابن عامر وحده ينسينك بالتشديد و الباقون «يُنْسِيَنَّكَ» بالتخفيف.

الحج

حجته من خفف قوله وَ مَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ وَ حجته ابن عامر أنه يجوز نقل الفعل بتضعيف العين كما يجوز نقله بالهمزة كما يقال عزمته و أعزمته.

الإعراب

ذكرى يجوز أن يكون في موضع نصب على معنى و لكن ذكروهم ذكرى و يجوز أن يكون في موضع رفع على أحد وجهين إما أن يكون على معنى و لكن الذى تأمروهم به ذكرى فيكون خبر المبتدأ و إما أن يكون عليكم ذكرى أى عليكم أن تذكروهم كما قال إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَ على هذا فيكون ذكرى مبتدأ.

النزول

قال أبو جعفر (عليه السلام) لما نزلت «فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» قال المسلمون كيف نصنع إن كان كلما استهزأ المشركون بالقرآن قمنا و تركناهم فلا ندخل إذا المسجد الحرام و لا نطوف بالبيت الحرام فأنزل الله سبحانه «وَ مَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ» أمرهم بتذكيرهم و تبصيرهم ما استطاعوا.

المعنى

ثم أمر سبحانه بترك مجالستهم عند استهزائهم بالقرآن فقال «وَ إِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا» خاطب النبي ص أى إذا رأيت هؤلاء الكفار و قيل الخطاب له و المراد غيره و معنى يخوضون يكذبون بآياتنا و ديننا عن الحسن و سعيد بن جبير و الخوض التخليط فى المفروضه على سبيل العبث و اللعب و ترك التفهم و التبيين «فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ» أى فاتركهم و لا تجالسهم «حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ» أى يدخلوا فى حديث غير الاستهزاء بالقرآن و إنما أمره ص بالإعراض عنهم لأن من حاج من هذه حاله فقد وضع الشىء غير موضعه و حط من قدر البيان و الحجاج «وَ إِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ» المعنى و إن أنساك الشيطان نهينا إياك عن الجلوس معهم و يسأل على هذا فيقال كيف أضاف النسيان إلى الشيطان و هو فعل الله تعالى و الجواب إنما

أضافه إلى الشيطان لأنه تعالى أجرى العاده بفعل النسيان عند الإعراض عن الفكر و تراكم الخواطر الرديه و الوسوس الفاسده من الشيطان فجاز إضافه النسيان إليه لما حصل عند فعله كما أن من ألقى غيره فى البرد حتى مات فإنه يضاف الموت إليه لأنه عرضه لذلك و كان كالسبب فيه «فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى» أى بعد

ص: ٧٢

ذكر كنهينا و ما يجب عليك من الإعراض عن الجبائي و قيل معناه بعد أن تذكركم بدعائك إياهم إلى الدين عن أبي مسلم فكأنه قال أعرض في حال اليأس و ذكر في حال الطمع «مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» يعنى في مجالس الكفار و الفساق الذى يظهرون التكذيب بالقرآن و الآيات و الاستهزاء بذلك و به قال سعيد بن جبير و السدى و اختاره البلخى و قال كان ذلك في أول الإسلام و كان يختص النبي ص و رخص للمؤمنين في ذلك لما عز الإسلام و كثر المسلمون نهوا عن مجالستهم و نسخت هذه الآية بقوله فلا- تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ قال الجبائي و في هذه الآية دلالة على بطلان قول الإماميه في جواز التقيه على الأنبياء و الأئمه و أن النسيان لا يجوز على الأنبياء و هذا القول غير صحيح و لا مستقيم لأن الإماميه إنما تجوز التقيه على الإمام فيما تكون عليه دلالة قاطعه توصل إلى العلم و يكون المكلف مزاح العله في تكليفه ذلك فأما ما لا يعرف إلا بقول الإمام من الأحكام و لا يكون على ذلك دليل إلا من جهته فلا يجوز عليه التقيه فيه و هذا كما إذا تقدم من النبي بيان في شىء من الأشياء الشرعيه فإنه يجوز منه أن لا يبين في حال أخرى لأتمته ذلك الشىء إذا اقتضته المصلحه أ لا ترى إلى ما

روى أن عمر بن الخطاب سأله عن الكلاله فقال يكفيك آيه السيف

و أما النسيان و السهو فلم يجوزهما عليهم فيما يؤدونه عن الله تعالى فأما ما سواه فقد جوزوا عليهم أن ينسوه أو يسهوا عنه ما لم يؤد ذلك إلى إخلال بالعقل و كيف لا يكون كذلك و قد جوزوا عليهم النوم و الإغماء و هما من قبيل السهو فهذا ظن منه فاسد و إن بعض الظن إثم «وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ» أى ليس على المؤمنين الذين اتقوا معاصى الله سبحانه من حساب الكفره شىء بحضورهم مجلس الخوض «وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ» أى نهوا عن مجالستهم ليزدادوا تقى و أمروا أن يذكروهم و ينبهوهم على خطاياهم لكى يتقى المشركون إذا رأوا إعراض هؤلاء المؤمنين عنهم و تركهم مجالستهم فلا يعودون لذلك عن أكثر المفسرين و قيل معناه ليس على المتقين من الحساب يوم القيامه مكروه و لا تبعه و لكنه أعلمهم أنهم محاسبون و حكم بذلك عليهم لكى يعلموا أن الله يحاسبهم فيتقوا عن البلخى فالهاء و الميم على الوجه الأول يعود إلى الكفار و فى الثانى إلى المؤمنين.

إشارة

وَ ذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَ لَهْوًا وَ عَرَّثْتُهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ ذَكَرَ بِهِ أَنْ تَبَسَّلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَ لَا شَفِيعٌ وَ إِنْ تَعِيدُوا كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٧٠)

اللغة

يقال أبسلته بجريرته أى أسلمته بها و المستبسل المستسلم الذى يعلم أنه لا يقدر على التخلص قال الشاعر:

و إبسالى بنى بغير جرم بعوناه و لا بدم مراق

أى إسلامى إياهم و البعو الجنايه قال الأخفش تبسل أى تجازى و قيل تبسل أى ترهن و المعانى متقاربه و هذا بسل عليك أى حرام عليك و جائز أن يكون أسد باسل من هذا أى إنه لا يقدر عليه و جائز أن يكون من الأول بمعنى أن معه من الإقدام ما يستبسل له قرنه و يقال أعط الراقى بسلته أى أجرته و تأويله أنه عمل فى الشىء الذى قد استبسل صاحبه معه و العدل الفداء و أصله المثل و الحميم الماء الحار أحم حتى انتهى غليانه و منه الحمام.

الإعراب

«أَنْ تَبَسَّلَ» فى موضع نصب بأنه مفعول و هو من باب حذف المضاف تقديره كراهيه أن تبسل و قوله «لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ» صفة لنفس و التقدير نفس عادمه وليا و شفيعا يكسبها أولئك الذين أفسلوا مبتدأ و خبر و قوله «لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ» يجوز أن يكون خبرا ثانيا لأولئك و يجوز أن يكون كلاما مستأنفا.

المعنى

ثم عاد تعالى إلى وصف من تقدم ذكرهم من الكفار فقال «وَ ذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَ لَهْوًا» أى دعهم و أعرض عنهم و إنما أراد به إعراض إنكار لأنه قال بعد ذلك «وَ ذَكَرَ» يريد دع ملاطفتهم و مجالستهم و لا تدع مذاكرتهم و دعوتهم و نظيره فى سوره النساء فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَ عَظَّمَهُمْ وَ عَرَّثْتُهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» يعنى به اغتروا بحياتهم «وَ ذَكَرَ بِهِ» أى عظ بالقرآن و قيل بيوم الدين و قيل بالحساب «أَنْ تَبَسَّلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ» أى لكى لا تسلم نفس للهلكه بما كسبت أى بما عملت عن الحسن و مجاهد و السدى و اختاره الجبائى و الفراء و قيل

إن معنى تبسل تهلكك عن ابن عباس وقيل تحبس عن قتاده وقيل تؤخذ عن ابن زيد وقيل تسلم إلى خزنه جهنم عن عطيه العوفى وقيل تجازى عن الأخفش «لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ» أى ناصر ينجيها من العذاب «وَلَا شَفِيعٌ» يشفع لها «وَإِنْ تَعِدِلْ كُلَّ عِدْلٍ» و إن تفد كل فداء «لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا» وقيل معناه و أن تقسط كل قسط فى ذلك اليوم لا يقبل منها لأن التوبه هناك غير مقبوله و إنما تقبل فى الدنيا «أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا» أى أهلكوا وقيل أسلموا للهلكه فلا مخلص لهم وقيل ارتهنوا وقيل جوزوا «بِمَا كَسَبُوا» أى بكسبهم و عملهم «لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ» أى ماء مغلى حار «وَعَذَابٌ أَلِيمٌ» مؤلم «بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ» أى بكفرهم يريد جزاء على كفرهم و اختلف فى الآيه ف قيل هى منسوخه بآيه السيف عن قتاده وقيل ليست بمنسوخه و إنما هى تهديد و وعيد عن مجاهد و غيره و فيها دلالة على الوعيد العظيم لمن كانت هذه سبيله من الاستهزاء بالقرآن و آيات الله و تحذير عن سلوك طريقتهم و قال الفراء ما من أمه إلا و لهم عيد يلعبون فيه و يلهون إلا أمه محمد ص فإن أعيادهم صلاه و دعاء و عباده.

[سوره الأنعام (٦): آيه ٧١]

إشارة

قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَ لَا يَضُرُّنَا وَ نُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَ أَمْرُنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٧١)

القراءة

قرأ حمزه وحده استهويه بألف مماله و الباقون «اسْتَهْوَتْهُ» بالتاء المعجمه من فوق.

الحججه

قال أبو على كلا المذهبين حسن قال الشاعر:

و كنا ورثناه على عهد تبع طويلا سواريه شديدا دعائمه.

اللغة

استهواه من قولهم هوى من حالق إذا تردى منه و يشبه به الذى زل عن

الطريق المستقيم كما أن قوله زل إنما هو في المكان قال:

(قام على منزعه زلخ فزل)

ثم يشبه به المخطئ في طريقته في مثل قوله فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ فَكَذَلِكَ هُوَى و أهواه غيره فيقال أهويته و استهويته بمعنى كما يقال أزله الشيطان و استزله بمعنى و كذلك استجابته بمعنى أجابه قال:

(فلم يستجبه عند ذاك مجيب)

و الحيران المتردد في أمر لا يهتدى إلى المخرج منه و الفعل منه حار يحار حيره و رجل حائر و حيران و قوم حيارى.

الإعراب

«كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ» في موضع نصب صفه لمصدر محذوف تقديره أ ندعو من دون الله دعاء مثل دعاء الذي استهوته الشياطين في الأرض حيران، و حيران نصب على الحال من مفعول استهوته، «لَهُ أَصْحَابٌ» وصف لحيران و يدعونه صفه لأصحاب أى أصحاب داعون له إلى الهدى قائلون له اثنا و هاهنا منتهى الكلام و قوله «أَمْرًا لِنُسْرِهِمْ» تقول العرب أمرتك لتفعل و أمرتك أن تفعل و أمرتك بأن تفعل فمن قال أمرتك بأن تفعل فالباء للإلصاق و المعنى وقع الأمر بهذا الفعل و من قال أمرتك أن تفعل حذف الجار و من قال أمرتك لتفعل المعنى أمرتك للفعل و قال الزجاج التقدير أمرنا كى نسلم قال الشاعر:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لى ليلى بكل سبيل

أى كى أنسى.

المعنى

ثم أمر سبحانه نبيه ص و المؤمنين بخطاب الكفار فقال «قُلْ» يا محمد لهؤلاء الكفار الذين يدعون إلى عبادة الأصنام أو قل أيها الإنسان أو أيها السامع «أَنْتَدُعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا» إن عبدناه «وَلَا يَضُرُّنَا» إن تركنا عبادته «وَأَنْتَرُدُّ عَلَيْنَا» هذا مثل يقولون لكل خائب لم يظفر بحاجته رد على عقبيه و نكص على عقبيه و تقديره أ نرجع القهقري في مشيتنا و المعنى أ نرجع عن ديننا الذى هو خير الأديان «بَعِيدٍ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْمَآرِضِ حَيْرَانَ» لا يهتدى إلى طريق و قيل معناه استغوته الغيلان فى المهامه عن ابن عباس و قيل معناه دعت الشياطين إلى اتباع الهوى و قيل أهلكته و قيل ذهبت به عن نبطويه و قيل أضلته عن أبى مسلم «لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى اثْنًا» أى إلى الطريق الواضح يقولون له اثنا و لا يقبل منهم و لا يصير إليهم لأنه قد تحير لاستيلاء الشيطان عليه

يهوى ولا يهتدى ثم أمره الله سبحانه فقال «قُلْ» لهؤلاء الكفار «إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى» أى دلالة الله لنا على توحيده و أمر دينه هو الهدى الذى يؤدى المستدل به إلى الصلاح و الرشاد فى دينه و هو الذى يجب أن نعمل عليه و نستدل به فلا نترك ذلك إلى ما تدعون إليه «وَ أَمْرُنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» معناه و أمرنا أن نسلم أمورنا و نفوضها إلى الله و نتوكل عليه فيها.

[سوره الأنعام (٦): الآيات ٧٢ الى ٧٣]

إشارة

وَ أَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ اتَّقُوهُ وَ هُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٧٢) وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَ لَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (٧٣)

الإعراب

يحتمل أول الآيه وجهين (أحدهما) أن يكون التقدير أمرنا لأن نسلم و لأن نقيم الصلاة (و الثانى) أن يكون محمولا على المعنى لأن معناه أمرنا بالإسلام و بإقامه الصلاة و موضع أن نصب لأن الباء لما سقطت أفضى الفعل فنصب عالم الغيب رفع لأنه نعت الذى فى قوله «وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ» و يحتمل أن يكون فاعل فعل يدل عليه الفعل المبني للمفعول به و هو قوله «يُنْفَخُ فِي الصُّورِ» و هذا كما يقولون أكل طعامك عبد الله و التقدير أكله عبد الله قال الشاعر:

ليبك يزيد ضارع لخصومه و مختبط مما تطيح الطوانح

كأن قيل من يبكيه قال يبكيه ضارع و الأول أجود.

المعنى

«وَ أَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ» هذا موصول بما قبله أى و قيل لنا أقيموا الصلاة «وَ اتَّقُوهُ» أى و اتقوا رب العالمين أى تجنبوا معاصيه فتنقوا عقابه «وَ هُوَ الَّذِي إِلَيْهِ

تُحْشَرُونَ» أى تجمعون إليه يوم القيامة فيجازى كل عامل منكم بعمله «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ» فيه قولان (أحدهما) أن معناه خلقهما للحق لا للباطل عن الحسن و الزجاج وغيرهما و معناه خلقهما حقا و صوابا لا باطلا و خطأ كما قال وَ مَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا وَأَدْخَلْنَا الْبَاءَ وَالْأَلْفَ وَاللَّامَ كَمَا أَدْخَلْنَا فِي نَظَائِرِهَا يَقُولُونَ فَلَانَ يَقُولُ بِالْحَقِّ بِمَعْنَى أَنَّهُ يَقُولُ حَقًّا لَا أَنَّ الْحَقَّ مَعْنَى غَيْرِ الْقَوْلِ بَلْ تَقْدِيرُهُ إِنْ خَلَقَهُمَا حَكْمُهُ وَ صَوَابٌ مِنْ حَكْمِ اللَّهِ وَ هُوَ مُوصُوفٌ بِالْحَكْمَةِ فِي خَلْقِهِمَا وَ خَلَقَ مَا سِوَاهُمَا مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ لَا- أَنَّ هُنَاكَ حَقًّا سِوَى خَلْقِهِمَا خَلَقَهُمَا بِهِ وَ الْقَوْلُ الْآخِرُ مَا قَالَهُ قَوْمٌ أَنَّ مَعْنَاهُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِكَلَامِهِ الْحَقِّ وَ هُوَ قَوْلُهُ اثْنِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا فَالْحَقُّ صِفَةٌ قَوْلُهُ وَ كَلَامُهُ وَالْأَوَّلُ هُوَ الصَّحِيحُ «وَ يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ» ذَكَرَ فِي نَصْبِ يَوْمٍ وَجْهٍ (أَحَدُهَا) أَنَّ يَكُونُ عَطْفًا عَلَى الْهَاءِ فِي قَوْلِهِ «وَ اتَّقَوْهُ» أَيْ وَ اتَّقُوا يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَ اتَّقُوا يَوْمًا لَا تَعْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا (وَ الثَّانِي) أَنَّ يَكُونُ عَلَى مَعْنَى وَ إِذْ ذَكَرَ يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ لِأَنَّ بَعْدَهُ وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَّرَ عَطْفًا عَلَى ذَلِكَ قَالَ الزَّجَاجُ وَ هُوَ الْأَجُودُ (الثَّالِثُ) أَنَّ يَكُونُ مَعْطُوفًا عَلَى السَّمَاوَاتِ وَ الْمَعْنَى وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ خَلَقَ يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ فَإِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ يَأْتِ بَعْدَ فُجُوبِهِ أَنَّ مَا أَنْبَأَ اللَّهُ بِكَوْنِهِ فَحَقِيقُهُ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ وَ أَمَا قَوْلُهُ «كُنْ فَيَكُونُ» فَقَدْ قِيلَ فِيهِ إِنَّهُ خَطَابٌ لِلصُّورِ وَ الْمَعْنَى يَوْمَ يَقُولُ لِلصُّورِ كُنْ فَيَكُونُ وَ مَا ذَكَرَ مِنَ الصُّورِ يَدُلُّ عَلَيْهِ وَ قِيلَ إِنْ قَوْلُهُ «كُنْ فَيَكُونُ» فِيهِ إِضْمَارٌ جَمِيعٌ مَا يَخْلُقُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، الْمَعْنَى وَ يَوْمَ يَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ وَ هَذَا إِذَا ذَكَرَ لِيَدُلَّ عَلَى سُرْعَةِ أَمْرِ الْبَعْثِ وَ السَّاعَةِ فَكَأَنَّهُ يَقُولُ وَ يَوْمَ يَقُولُ لِلخَلْقِ مَوْتُوا فَيَمُوتُونَ وَ انْتَشَرُوا فَيَنْتَشِرُونَ أَيْ لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَ لَا يَتَأَخَّرُ عَنْ وَقْتِ إِرَادَتِهِ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ وَ يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ «قَوْلُهُ الْحَقُّ» أَيْ يَأْمُرُ فَيَقَعُ أَمْرُهُ أَيْ مَا وَعَدُوا بِهِ مِنَ الثَّوَابِ وَ حَذَرُوا بِهِ مِنَ الْعِقَابِ وَ الْحَقُّ مِنْ صِفَةِ قَوْلِهِ وَ قَوْلُهُ فَاعِلٌ يَكُونُ كَمَا تَقُولُ قَدْ قَلْتَ فَكَانَ قَوْلُكَ وَ لَيْسَ الْمَعْنَى إِنَّكَ قَلْتَ فَكَانَ الْكَلَامُ إِذَا مَعْنَى إِنَّهُ كَانَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَ أَمَا عَلَى الْقَوْلِ الْمَتَقَدِّمِ فَيَكُونُ قَوْلُهُ مُبْتَدَأٌ وَ الْحَقُّ خَبْرُهُ وَ قَدْ ذَكَرْنَا تَفْسِيرَ قَوْلِهِ «كُنْ فَيَكُونُ» فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ مُسْتَقْصَى «وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ» قِيلَ فِي نَصْبِ يَوْمٍ هُنَا وَجْهٌ (أَحَدُهَا) أَنَّ يَكُونُ مُتَعَلِّقًا بِهِ الْمَلِكُ وَ تَقْدِيرُهُ أَنَّ الْمَلِكُ قَدْ وَجِبَ لَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ فَقَدْ خَصَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ بِأَنَّ الْمَلِكُ لَهُ فِيهِ كَمَا خَصَّهُ فِي قَوْلِهِ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ وَ الْوَجْهُ فِيهِ أَنَّهُ لَا- يَبْقَى مَلِكٌ مِنْ مَلَكَهَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا أَوْ تَغْلِبَ عَلَيْهِ بَلْ يَتَفَرَّدُ سُبْحَانَهُ بِالْمَلِكِ

(و الثاني) أن يكون «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ» مبنيا عن قوله «يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ» (و الثالث) أن يكون منصوبا بقوله «الْحَقُّ» و المعنى قوله الحق يوم ينفخ في الصور و الوجه في اختصاصه بذلك اليوم و إن كان قوله حقا في كل وقت ما بيناه في الوجه الأول و هو مثل قوله وَ الْمَأْمُرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ وَ لَا شَكَّ أَنْ الْأَمْرُ فِي كُلِّ وَقْتٍ لِلَّهِ تَعَالَى وَ الْمُرَادُ أَنْ ذَلِكَ الْيَوْمَ يَوْمَ لَا يَخَالَفُ اللَّهُ فِي أَوَامِرِهِ لِأَنَّهَا مَحْتَمَةٌ لَيْسَ فِيهَا تَخْيِيرٌ وَ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى مَعْصِيَتِهِ وَ أَمَّا الصُّورُ فَقِيلَ فِيهِ قَرْنٌ يَنْفَخُ فِيهِ إِسْرَافِيلُ عَ نَفْخَتَيْنِ فَتَفْنِي الْخَلَائِقَ كُلَّهُمْ بِالنَّفْخَةِ الْأُولَى وَ يَحْيُونَ بِالنَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ فَتَكُونُ النَّفْخَةُ الْأُولَى لِانْتِهَاءِ الدُّنْيَا وَ الثَّانِيَةِ لِابْتِدَاءِ الْآخِرَةِ وَ قَالَ الْحَسَنُ هُوَ جَمْعُ صَوْرِهِ كَمَا أَنَّ السُّورَ جَمْعُ سُورِهِ وَ عَلَى هَذَا فَيَكُونُ مَعْنَاهُ يَوْمَ يَنْفَخُ الرُّوحُ فِي الصُّورِ وَ يُؤَيِّدُ الْقَوْلَ الْأَوَّلَ مَا

رواه أبو سعيد الخدري عن النبي ص أنه قال كيف أنعم و قد التقم صاحب القرن القرن و حنا جبينه و أصغى سمعه ينتظر أن يؤمر فينفخ قالوا فكيف نقول يا رسول الله قال قولوا حسبنا الله و نعم الوكيل

و العرب تقول نفخ الصور و نفخ في الصور قال الشاعر:

لولا ابن جعده لم يفتح قهندزكم و لا خراسان حتى ينفخ الصور

«عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ» أَيْ يَعْلَمُ مَا لَا يَشَاهِدُهُ الْخَلْقُ وَ مَا يَشَاهِدُونَهُ وَ مَا لَا يَعْلَمُهُ الْخَلْقُ وَ مَا يَعْلَمُونَهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ «وَ هُوَ الْحَكِيمُ» فِي أَعْمَالِهِ «الْحَبِيرُ» الْعَالِمُ بِعِبَادِهِ وَ أَعْمَالِهِمْ.

[سورة الأنعام (٦): الآيات ٧٤ الى ٧٥]

إشارة

وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَ تَتَّخِذُ أَضْيَانًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَ قَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٧٤) وَ كَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥)

القراءة

القراءة الظاهرة «آزَرَ» بالفتح و قرأ يعقوب الحضرمي آزر بضم الراء و هو قراءة الحسن و ابن عباس و مجاهد و الضحاك.

ص: ٧٩

من قرأ بالفتح جعل آزر فى موضع جر بدلا من أبيه أو عطف بيان و من قرأ بالضم جعله منادى مفردا و تقديره يا آزر.

اللغة

الأصنام جمع صنم و الصنم ما كان صوره و الوثن ما كان غير مصور و الآلهه جمع إله مثل إزار و آزره و المبين هو البين الظاهر و الملكوت بمنزله الملك غير أن هذا اللفظ أبلغ لأن الواو و التاء تزدان للمبالغه و مثله الرغبوت و الرهبوت و وزنه فعلوت و فى المثل رهبوت خير من رحموت أى لأن ترهب خير من أن ترحم.

الإعراب

العامل فى إذ محذوف و تقديره و اذكر إذ قال و قيل أنه يتصل بقوله بَعِيدٍ إِذْ هَيْدَانَا اللَّهُ أَى و بعد إذ قال إبراهيم و الكاف فى كذلك كاف التشبيه و المعنى كما أرينا إبراهيم قبح ما كان عليه أبوه و قومه من المذهب كذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات و الأرض للاعتبار و قيل شبه رؤيه إبراهيم برؤيه محمد ص و المعنى كما أريناك يا محمد أرينا إبراهيم و قوله «وَ لِيَكُونَ» عطف على محذوف و تقديره نريه الملكوت ليستدل به و ليكون من الموقنين و قيل إنه جملة مستأنفه أى و ليكون من الموقنين أريناه فاللام يتعلق بأريناه المحذوف و قيل إن الواو زائده و معناه ليكون و هذا بعيد.

المعنى

«وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ» أى و اذكر إذ قال «لِأَبِيهِ آزَرَ» فيه أقوال (أحدها) أنه اسم أبى إبراهيم عن الحسن و السدى و الضحاك (و ثانيها) أن اسم أبى إبراهيم تاريخ قال الزجاج ليس بين النسابين اختلاف أن اسم أبى إبراهيم تاريخ و الذى فى القرآن يدل على أن اسمه آزر و قيل آزر عندهم ذم فى لغتهم كأنه قال و إذ قال إبراهيم لأبيه يا مخطئى فإذا كان كذلك فالاختيار الرفع و جائز أن يكون وصفاه له كأنه قال لأبيه المخطئى و قيل آزر اسم صنم عن سعيد بن المسيب و مجاهد قال الزجاج فإذا كان كذلك فموضعه نصب على إضمار الفعل كأنه قال و إذ قال إبراهيم لأبيه أ اتخذ آزر و جعل أصناما بدلا من آزر و أشباهه فقال بعد أن قال أ اتخذ آزر إلهها أ اتخذ أصناما آلهه و هذا الذى قال الزجاج يقوى ما قاله أصحابنا أن آزر كان جد إبراهيم لأمه أو كان عمه من حيث صح عندهم أن آباء النبى إلى آدم كلهم كانوا موحدين و اجتمعت الطائفة على ذلك

و روى عن النبى ص أنه قال لم يزل ينقلنى الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات حتى أخرجنى فى عالمكم هذا لم يدنسنى بدنس الجاهليه

و لو كان فى آباءه كافر لم يصف جميعهم بالطهاره مع قوله تعالى إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ و لهم فى ذلك أدله ليس هنا موضع ذكرها و قوله «أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً» استفهام المراد به الإنكار أى لا تفعل ذلك «إِنِّي أَرَاكَ وَ قَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ» عن الصواب «مُبِين» ظاهر و فى الآيه حث للنبي على محاجه قومه الذين دعوه إلى عباده الأصنام و الاقتداء بأبيه إبراهيم فيه و تسليه له بذلك «وَ كَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ» أى مثل ما وصفناه من قصه إبراهيم و قوله لأبيه ما قال نريه «مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى القدره التى تقوى بها دلالتها على توحيد الله تعالى و قيل معناه كما أريناك يا محمد أريناه آثار قدرتنا فيما خلقنا من الشمس و القمر و النجوم و ما فى الأرض من البحار و المياه و الرياح ليستدل بها و هذا معنى قول ابن عباس و قتاده و قيل يعنى بالملكوت آيات السماوات و الأرض عن مجاهد و قيل أن ملكوت السماوات و الأرض ما شاهدته من الحوادث الداله على أن الله سبحانه مالك لهما و الله المالك لهما و لكل شىء بنفسه لا يملكه سواه فأجرى الملكوت على المملوك الذى هو فى السماوات و الأرض مجازا عن أبى على الجبائى

و قال أبو جعفر (عليه السلام) كشط الله له عن الأرضين حتى رآهن و ما تحتهن و عن السماوات حتى رآهن و ما فيهن من الملائكة و حمله العرش

و روى أبو بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال لما رأى إبراهيم ملكوت السماوات و الأرض رأى رجلا يزنى فدعا عليه فمات ثم رأى آخر فدعا عليه فمات ثم رأى ثلاثة فدعا عليهم فماتوا فأوحى الله تعالى يا إبراهيم إن دعوتك مستجابة فلا تدع على عبادى فإنى لو شئت أن أميتهم بدعائك ما خلقتهم إني خلقت خلقى على ثلاثة أصناف صنف يعبدنى لا يشرك بى شيئا فأثيبه و صنف يعبد غيرى فليس يفوتنى و صنف يعبد غيرى فأخرج من صلبه من يعبدنى «وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ» أى من المتيقنين بأن الله سبحانه هو خالق ذلك و المالك له.

النظم

وجه اتصال الآيه بما قبلها أنه لما عاب دينهم و ذم آلهتهم و احتج عليهم بما سلف ذكره بين أنه دين إبراهيم و للناس ألف بدين الآباء لا سيما إذا كان الأب ذا قدر و قيل أنها تتصل بقوله «أَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا» إلى قوله «بَعِيدٌ إِذْ هَدَانَا» ثم قال و بعد أن قال إبراهيم كذا و كذا عن أبى مسلم.

إشارة

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩)

القراءة

قرأ أبو عمرو و ورش من طريق البخارى رثى كوكبا بفتح الراء و كسر الهمزة حيث كان و قرأ ابن عامر و حمزه و الكسائي و خلف و يحيى عن أبي بكر رثى بكسر الراء و الهمزة و قرأ الباقون بفتح الراء و الهمزة.

الحجة

ذكر أبو على الوجه فى قراءة من لم يمل و قراءه من أمال و أورد فى ذلك كلاما كثيرا تركنا ذكره خوف الإطالة.

اللغة

يقال جن عليه الليل و جنه الليل و أجنه الليل إذا أظلم حتى يستر بظلمته و يقال لكل ما ستر قد جن و أجن و منه اشتقاق الجن لأنهم استجنوا عن أعين الناس و قال الهذلى:

و ماء وردت قبيل الكرى و قد جنه السدف الأدهم

و يقال أجننت الميت و جننته إذا واريتها فى اللحد و أفل يأفل أفولا إذا غاب قال ذو الرمة:

مصايح ليست باللواتى يقودها نجوم و لا بالآفلات الدوالك

والبزوغ الطلوع يقال بزغت الشمس إذا طلعت و يسمى ثلاث ليال من أول الشهر الهلال ثم يسمى قمرا إلى آخر الشهر وإنما يسمى قمرا لبياضه و حمار أقرم أبيض و الحنيف المائل إلى الحق.

الإعراب

السؤال يقال لم قال «هذا رَبِّي» و لم يقل هذه كما قال «بازِعَةٌ» و الجواب أن التقدير هذا النور الطالع ربى ليكون الخبر و المخبر عنه جميعا على التذكير كما كان جميعا على التأنيث فى «رَأَى الشَّمْسَ بازِعَةً» و قال ابن فضال المجاشعى قوله «رَأَى الشَّمْسَ بازِعَةً» إخبار من الله تعالى و قوله «هذا رَبِّي» من كلام إبراهيم و الشمس مؤنثه فى كلام العرب و أما فى كلام ما سواهم فيجوز أن لا تكون مؤنثه و إبراهيم (عليه السلام) لم يكن عربيا فحكى الله تعالى كلامه على ما كان فى لغته و يقال لم أنت الشمس و ذكر القمر و الجواب أن تأنيثها تفخيم لها لكثرة ضيائها على حد قولهم نسابه و علامه و ليس القمر كذلك لأنه دونها فى الضياء و يقال لم دخلت الألف و اللام فيها و هى واحدة و لم تدخل فى زيد و عمرو قيل لأن شعاع الشمس يقع عليه اسم الشمس فاحتيج إلى التعريف إذا قصد إلى جرم الشمس أو إلى الشعاع على طريق الجنس أو الواحد من الجنس و ليس زيد و نحوه كذلك.

المعنى

لما تقدم ذكر الآيات التى أراها الله تعالى إبراهيم (عليه السلام) بين سبحانه كيف استدل بها و كيف عرف الحق من جهتها فقال «فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ» أى أظلم عليه و ستر بظلامه كل ضياء «رَأَى كَوْكَبًا» و اختلف فى الكوكب الذى رآه فقيل هو الزهره و قيل هو المشتري «قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ» أى غرب «قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ» و اختلف فى تفسير هذه الآيات على أقوال (أحدها) أن إبراهيم (عليه السلام) إنما قال ذلك عند كمال عقله فى زمان مهله النظر و خطوط خاطر الموجب عليه النظر بقلبه لأنه (عليه السلام) لما أكمل الله عقله و حرك دواعيه على الفكر و التأمل رأى الكوكب فأعظمه و أعجبه نوره و حسنه و قد كان قومه يعبدون الكواكب فقال هذا ربى على سبيل الفكر فلما أفل علم أن الأفول لا يجوز على الإله فاستدل بذلك على أنه محدث مخلوق و كذلك كانت حاله فى رؤيه القمر و الشمس فإنه لما رأى أفولهما قطع على حدوثهما و استحاله إلهيتهما و قال فى آخر كلامه «يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ» إلى آخره و كان هذا القول منه عقيب معرفته بالله تعالى و علمه بأن صفات المحدثين لا تجوز عليه و هذا اختيار أبى القاسم البلخى و غيره قال و زمان مهله النظر هى أكثر من ساعه و أقل من شهر و لا يعلم ما بينهما إلا

الله تعالى (و ثانيها) أنه إنما قال ذلك قبل بلوغه و لما قارب كمال العقل حر كته الخواطر فيما شاهده من هذه الحوادث فلما رأى الكوكب و نوره و إشراقه و زهوره ظن أنه ربه فلما أفل و انتقل من حال إلى حال قال لا أحب الآفلين «فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا» عند طلوعه و رأى كبره و إشراقه و انبساط نوره و ضيائه فى الدنيا «قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ» و صار مثل الكوكب فى الأفول و الغيوبه و علم أنه لا يجوز أن يكون ذلك صفه الإله «قَالَ لَيْتُنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي» إلى رشدى و لم يوفقنى و يطفب بى فى إصابه الحق من توحيده «لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ» بعباده هذه الحوادث «فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً» أى طالعها و قد ملأت الدنيا نورا و رأى عظمها و كبرها «قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ» من الكوكب و القمر «فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ» حينئذ لقومه «يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ» مع الله الذى خلقنى و خلقكم فى عبادته من آلهتكم فلما أكمل الله عقله و ضبط بفكره النظر فى حدوث الأجسام بأن وجدها غير منفكه من المعانى المحدثه و أنه لا بد لها من محدث قال حينئذ لقومه «إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ» أى نفسى «لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ حَنِيفًا» أى مخلصا مائلا عن الشرك إلى الإخلاص «وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ» و هذا اختيار أبى على الجبائى و يسأل عن القول الأول كيف قال (عليه السلام) هذا ربه مخبرا و هو غير عالم بما يخبر به و الإخبار بما لا يأمن المخبر أن يكون فيه كاذبا قبيح و الجواب عنه من وجهين (أحدهما) أنه لم يقل ذلك مخبرا و إنما قاله فارقا و مقدرًا على سبيل التأمل كما يفرض أحدنا إذا نظر فى حدوث الأجسام كونها قديمه ليتبين ما يؤدى إليه الفرض من الفساد و لا يكون بذلك مخبرا فى الحقيقة (و الآخر) أنه أخبر عن ظنه و قد يجوز أن يظن المتفكر فى حال فكره و نظره ما لا أصل له ثم يرجع عنه بالأدله.

(سؤال آخر) كيف تعجب إبراهيم (عليه السلام) من رؤيه هذه الأشياء تعجب من لم يكن رآها و كيف يجوز أن يكون مع كمال عقله لم يشاهد السماء و الكواكب و الجواب أنه لا يمتنع أن يكون (عليه السلام) ما رأى السماء إلا فى ذلك الوقت لأنه قد روى أن أمه كانت ولدته فى مغاره خوفا من أن يقتله نمرود و من يكون فى المغاره لا يرى السماء فلما قارب البلوغ و بلغ حد التكليف خرج من المغاره و رأى السماء و قد يجوز أيضا أن يكون قد رأى السماء قبل ذلك إلا أنه لم يفكر فى إعلامها لأن الفكر لم يكن واجبا عليه و حين كمل عقله فكر فى ذلك (و ثالثها) أن إبراهيم (عليه السلام) لم يقل «هذا ربي» على طريق الشك بل كان عالما موقنا أن ربه سبحانه لا يجوز أن يكون بصفه الكواكب و إنما قال ذلك على سبيل الإنكار على قومه و التنبيه لهم على أن

يكون إليها معبودا لا يكون بهذه الصفة الداله على الحدوث و يكون قوله «هذا رَبِّي» محمولا على أحد الوجهين إما على أنه كذلك عندكم و فى مذاهبكم كما يقول أحدنا للمشبه هذا ربه جسم يتحرك و يسكن و إما على أن يكون قال ذلك مستفهما و أسقط حرف الاستفهام للاستغناء عنه و قد كثر مجيء ذلك فى كلام العرب قال أوس بن حجر:

لعمرك لا أدري و إن كنت داريا شعيب بن سهم أم شعيب بن منقر

و قال الأخطل:

كذبتك عينك أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا

و قال عمرو بن أبي ربيعة:

ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد القطر و الحصى و التراب

أى أ تحبها؟ و قال آخر:

رفونى و قالوا يا خويلد لا ترع فقلت و أنكرت الوجوه هم هم

أى أ هم هم و روى عن ابن عباس أنه قال فى قوله «فَلَمَّا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ» معناه أ فلا اقتحم فحذف حرف الاستفهام (و رابعها) أنه (عليه السلام) إنما قال استخداعا للقوم يريهم قصور علمهم و بطلان عبادتهم لمخلوق جار عليه أعراض الحوادث فإنهم كانوا يعبدون الشمس و القمر و الكواكب و بعضهم يعبدون النيران و بعضهم يعبدون الأوثان فلما رأى الكوكب الذى كانوا يعبدونه قال لهم هذا ربى فى زعمكم كما قال «أَيَّنْ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ» فأضافه إلى نفسه حكاية لقولهم فكأنه قال لهم هذا ربى فى قولكم و قيل أنه نوى فى قلبه الشرط أى إن كان ربكم هذا الحجر كما تزعمون فهذا الكوكب و هذا القمر و الشمس ربى و لم يكن الحجر ربهم و لا الكوكب ربه و فى هذه الآيات دلالة على حدوث الأجسام و إثبات الصانع و إنما استدل إبراهيم بالأقول على حدوثها لأن حركتها بالأقول أظهر و من الشبهه أبعده

ص: ٨٥

و إذا جازت عليها الحركة و السكون فلا بد أن تكون مخلوقه محدثه و إذا كانت محدثه فلا بد لها من محدث و المحدث لا بد أن يكون قادرا ليصح منه الإحداث و إذا أحدثها على غايه الانتظام و الإحكام فلا بد أن يكون عالما و إذا كان قادرا عالما و جب أن يكون حيا موجودا و فيها تنبيه لمشركى العرب و زجر لهم عن عباده الأصنام و حث لهم على سلوك طريق أبيهم إبراهيم (عليه السلام) فى النظر و التفكير لأنهم كانوا يعظمون آباءهم فأعلمهم سبحانه أن اتباع الحق من دين إبراهيم الذى يقرون بفضله أوجب عليهم.

[القصة]

ذكر أهل التفسير و التاريخ أن إبراهيم (عليه السلام) ولد فى زمن نمرود بن كنعان و زعم بعضهم أن نمرود كان من ولاده كيكائوس و بعضهم قال كان ملكا برأسه و قيل لنمرود أنه يولد فى بلده هذه السنه مولود يكون هلاكه و زوال ملكه على يده ثم اختلفوا فقال بعضهم إنما قالوا ذلك من طريق التنجيم و التكهن و قال آخرون بل وجد ذلك فى كتب الأنبياء و قال آخرون رأى نمرود كان كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس و القمر فسأل عنه فعبر بأنه غلام يذهب ملكه على يده عن السدى فعند ذلك أمر بقتل كل ولد يولد تلك السنه و أمر بأن يعزل الرجال عن النساء و بأن يتفحص عن أحوال النساء فمن وجدت حبلى تحبس حتى تلد فإن كان غلاما قتل و إن كانت جارية خلعت حتى حبلت أم إبراهيم فلما دنت ولاده إبراهيم خرجت أمه هاربه فذهبت به إلى غار و لفته فى خرقه ثم جعلت على باب الغار صخره ثم انصرفت عنه فجعل الله رزقه فى إبهامه فجعل يمصها فتشخب لبنا و جعل يشب فى اليوم كما يشب غيره فى الجمعه و يشب فى الجمعه كما يشب غيره فى الشهر و يشب فى الشهر كما يشب غيره فى السنه فمكث ما شاء الله أن يمكث و قيل كانت تختلف إليه أمه فكان يمص أصابعه فوجدته يمص من أصبع ماء و من أصبع لبنا و من أصبع عسلا و من أصبع تمرا و من أصبع سمنا عن أبى روق و محمد بن إسحاق و لما خرج من السرب نظر إلى النجم و كان آخر الشهر فرأى الكوكب قبل القمر ثم رأى القمر ثم رأى الشمس فقال ما قال و لما رأى قومه يعبدون الأصنام خالفهم و كان يعيب آلهتهم حتى فشا أمره و جرت المناظرات.

[سوره الأنعام (٦): الآيات ٨٠ الى ٨١]

إشارة

وَ حَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَ تُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَ قَدْ هَدَانِ وَ لَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَ فَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) وَ كَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَ لَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١)

ص: ٨٦

قرأ أهل المدينة و ابن عامر فى روايه ابن ذكوان أ تحاجونى خفيفه النون و الباقون بالتشديد.

الحجه

قال أبو على لا نظير فى قول من شدد فأما وجه التخفيف فإنه حذف النون الثانيه لالتقاء النونين و التضعيف يكره فيتوصل إلى إزالته تاره بالحذف نحو علماء بنو فلان و تاره بالإبدال نحو لا أملاه حتى تفارقا نحو ديوان و قيراط فحذفوا النون الثانيه كراهه التضعيف و لا يجوز أن تكون المحذوفه الأولى لأن الاستثقال يقع بالتكرير فى الأمر الأعم و فى الأولى أيضا أنها دلالة الإعراب و إنما حذف الثانيه كما حذفها فى لىتى فى نحو قوله:

إذ قال لىتى أصادفه و يذهب بعض مالى

و قوله:

تراه كالثغام يعل مسكا يسوء الفاليات إذا فلىنى

فالمحذوفه المصاحبه للياء ليسلم سكون لام الفعل و ما يجرى مجراها أو حركتها و لا يجوز أن يكون المحذوفه الأولى لأن الفعل يبقى بلا فاعل كما لا تحذف الأولى فى أ تحاجونى لأنها للإعراب و يدل على أن المحذوفه الثانيه أنها حذف مع الجار أيضا فى نحو قوله:

قدنى من نصر الخبيبين قدى

و قد جاء حذف هذه النون فى كلامهم قال الشاعر:

أ بالموت الذى لا بد أنى ملاق لا أباك تخوفىنى

و قال:

ص: ٨٧

تذكرونا إذ نقاتلكم لا يضر معدما عدمه.

الإعراب

موضع أن يشاء نصب أى لا أخاف إلا مشيئه الله و هذا استثناء منقطع و قيل متصل و تقديره لا أخافهم إلا أن يشاء ربي إحياءهم و اقتدارهم و علما منصوب على التمييز.

المعنى

ثم ذكر سبحانه محاجه إبراهيم مع قومه فقال «وَ حَاجُّهُ قَوْمُهُ» أى خاصموه و جادلوه فى الدين و خوفوه من ترك عباده آلهمتهم «قَالَ» أى إبراهيم لهم «أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَ قَدْ هَدَانِ» أى وفقنى لمعرفة و لطف بى فى العلم بتوحيده و ترك الشرك و إخلاص العباده له «وَ لَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ» أى لا أخاف منه ضررا إن كفرت به و لا أرجو نفعاً إن عبدته لأنه بين صنم قد كسر فلم يدفع عن نفسه و نجم دل أقوله على حدوثه فكيف تحاجوننى و تدعوننى إلى عباده من لا يخاف ضره و لا يرجى نفعه «إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا» فيه قولان (أحدهما) أن معناه إلا أن يغلب الله هذه الأصنام التى تخوفوننى بها فيحييها و يقدرها فتضر و تنفع فيكون ضررها و نفعها إذ ذاك دليلا على حدوثها أيضا و على توحيد الله و على أنه المستحق للعباده دون غيره و أنه لا شريك له فى ملكه ثم أثنى على الله سبحانه فقال «وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا» أى هو عالم بكل شىء ثم أمرهم بالتذكر و التدبر فقال «أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ» و الثانى قول الحسن معناه لا أخاف الأوثان إلا أن يشاء ربي أن يعذبنى ببعض ذنوبى أو يشاء الإضرار بى ابتداء و الأول أجود ثم احتج (عليه السلام) عليهم و أكد الحجاج بقوله «وَ كَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ» أى كيف تلزموننى أن أخاف ما أشركتم به من الأوثان المخلوقه و قد تبين حالهم فى أنهم لا يضررون و لا ينفعون «وَ لَا تَخَافُونَ أَنْكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ» أى و لا تخافون من هو القادر على الضرر و النفع بل تجرؤون عليه بأن أشركتم أى جعلتم له شركاء فى ملكه و تعبدونهم من دونه و قيل معناه كيف أخاف شرككم و أنا منه برىء و الله تعالى لا يعاقبنى بفعلكم و أنتم لا تخافون و قد أشركتم به فيكون على هذا ما فى قوله «ما أشركتكم» مصدرية «ما لم ينزل به عليكم سلطاناً» أى حجه على صحته و هذا يدل على أن كل من قال قولا أو اعتقد مذهبا بغير حجه فهو مبطل «فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ» أ نحن و قد عرفنا الله بأدلته و وجهنا العباده نحوه أم أنتم و قد أشركتم بعباده غيره من الأصنام و لو أطرحتم العصبية و الحميه لما وجدتم لهذا الحجاج مدفعا «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» أى تستعملون عقولكم و علومكم فتميزون الحق من الباطل و الدليل من الشبهه.

إشارة

الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٨٢)

اللغة

قال الأصمعي الظلم فى اللغة وضع الشىء فى غير موضعه قال الشاعر يمدح قوما:

" هرت الشقاشق ظلامون للجزر "

يريد أنهم عرقبوها فوضعوا النحر غير موضعه و قال النابغه:

" و النوى كالحوض بالمظلومه الجلد "

يريد الأرض التى صرف عنها المطر و إنما سماها مظلومه لأنهم يتحوضون فيها حوضا لم يحكموا صنعه و لم يضعوه فى موضعه لكونهم مسافرين.

المعنى

لما تقدم قوله سبحانه فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ أى بأن يأمن من العذاب الموحد أم المشرك عقبه ببيان من هو أحق به فقال «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ» معناه الذين عرفوا الله تعالى و صدقوا به و بما أوجه عليهم و لم يخلطوا ذلك بظلم و الظلم هو الشرك عن ابن عباس و سعيد بن المسيب و قتاده و مجاهد و أكثر المفسرين و روى عن أبى بن كعب أنه قال ألم تسمع قوله سبحانه «إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» و هو المروى عن سلمان الفارسى و حذيفه بن اليمان

و روى عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الآية شق على الناس و قالوا يا رسول الله و أينا لم يظلم نفسه فقال ص أنه ليس الذى تعنون ألم تسمعوا إلى ما قال العبد الصالح يا بُنَى لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ

و قال الجبائى و البلخى يدخل فى الظلم كل كبيره تحبط ثواب الطاعة و قال البلخى و لو اختص الشرك على ما قالوه لوجب أن يكون مرتكب الكبيره إذا كان مؤمنا كان آمنا و ذلك خلاف القول بالإرجاء و هذا لا يلزم لأنه قول بدليل الخطاب و مرتكب الكبيره غير آمن و إن كان ذلك معلوما بدليل آخر «أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ» من الله بحصول الثواب و الأمان من العقاب «وَهُمْ مُهْتَدُونَ» أى محكوم لهم بالاهتداء إلى الحق و الدين و قيل إلى الجنة و اختلف فى هذه الآية فقيل أنه من تمام قول

إبراهيم (عليه السلام) وقيل إن هذا القول من الله تعالى على جهة فصل القضاء بذلك بين إبراهيم (عليه السلام) وقومه عن محمد بن إسحاق و ابن زيد و الجبائي.

[سوره الأنعام (٦): الآيات ٨٣ الى ٨٧]

إشاره

وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦) وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٨٧)

القراءه

قرأ أهل الكوفه و يعقوب «دَرَجَاتٍ» منونا و الباقون درجات من نشاء بالإضافه وقرأ أهل الكوفه غير عاصم و الليسع بتشديد اللام و فتحها و سكون الياء هاهنا و فى ص و الباقون «وَالْيَسَعَ» بسكون اللام و فتح الياء.

الحججه

من أضاف درجات ذهب إلى أن المرفوعه هى الدرجات لمن يشاء و من نون ذهب إلى أن المرفوع صاحب الدرجات و يقوى قراءه من أضاف قوله تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ فمن فضل على غيره فقد رفعت درجته عليه و يدل على قراءه من نون قوله «وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ» لأنه فى ذكر الرسل فأما قوله «وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا» فإنه فى الرتب و ارتفاع الأحوال فى الدنيا و اتضاعها لأن قبله نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياه الدنيا و أما من قرأ الليسع باللام فإن هذه اللام

زائده قال أبو علي اعلم أن لام المعرفة يدخل الأسماء على ضريين (أحدهما) للتعريف و الآخر زياده زيدت كما تزداد الحروف و التعريف على ضروب منها أن يكون إشاره إلى معهود بينك و بين المخاطب نحو الرجل إذا أردت به رجلا عرفتماه بعهد كان بينكما (و الآخر) أن يكون إشاره إلى ما فى نفوس الناس من علمهم للجنس فهذا الضرب و إن كان معرفه كالأول فهو مخالف له من حيث كان الأول قد علمه حسا و هذا لم يعلمه كذلك إنما يعلمه معقولا و أما نحو مررت بهذا الرجل فإنما أشير به إلى الشاهد الحاضر لا إلى غائب معلوم بعهد ألا ترى أنك تقول ذلك فيما لا عهد بينك فيه و بين مخاطبك و يدلك على ذلك قولك فى النداء يا أيها الرجل فتشير به إلى المخاطب الحاضر فأما نحو العباس و الحارث و الحسن فإنما دخلت الألف و اللام فيها على تنزيل أنها صفات جاريه على موصوفين و هذا، يعنى الخليل بقوله جعلوه الشىء بعينه فإذا لم ينزل هذا التنزيل لم يلحقوها الألف و اللام فقالوا حارث و عباس و على كلا المذهيين جاء ذلك فى كلامهم قال الفرزدق:

يقعدهم أعراق حذيم بعد ما رجا الهتم إدراك العلى و المكارم

و قال:

ثلاث مئين للملوك وفى بها ردائى و جلت عن وجوه الأهاتم

فجعل له مره اسما بمنزله أضحاه و أضاح و مره صفة بمنزله أحمر و حمر و جمع الأعشى بين الأمرين فى قوله:

أتانى وعيد الحوص من آل جعفر فيا عبد عمرو لو نهيت الأحاوصا

و أما قوله:

و التيم الأم من يمشى و الأمهم ذهل بن تيم بنو السود المدانيس

فإنه يحتمل أمرين يجوز أن يكون بمنزله العباس لأن التيم مصدر و المصادر قد أجريت مجرى

ص: ٩١

أسماء الفاعلين فوصف بها كما وصف بأسماء الفاعلين و جمع جمعها في نحو نور و أنوار و سليل و سوائل و على هذا قالوا الفضل في اسم رجل كأنهم جعلوه الشىء الذى هو خلاف النقص و الآخر أن يكون تيمى و تيم كزنجى و زنج فأما الألف و اللام في الليسع فلا- يخلو أن تكون زائده أو غير زائده فإن كانت غير زائده فلا يخلو أن يكون على حد الرجل إذا أردت به المعهود أو الجنس نحو **إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ** أو على دخولهما في العباس فلا- يجوز أن يكون على واحد من ذلك فثبت أنه زياده و مما جاءت اللام فيه زائده ما أنشده أحمد بن يحيى:

يا ليت أم العمرو كانت صاحبي مكان من أنشأ على الركائب

و مما جاءت الألف و اللام فيه زائده الخمسه العشر درهما حكاه أبو الحسن الأخفش أ لا ترى أنهما اسم واحد و لا يجوز أن يعرف اسم واحد بتعريفين كما لا يجوز أن يتعرف بعض الاسم دون بعض و ذهب أبو الحسن إلى أن اللام في اللات زائده لأن اللات معرفه فأما العزى فبمنزله العباس و قياس قول أبي الحسن هذا أن يكون اللام في اليسع أيضا زائده لأنه علم مثل اللات و ليس صفه و مما جاءت اللام فيه زائده قول الشاعر:

وجدنا الوليد بن يزيد مباركا شديدا بأعباء الخلافه كاهله

فأما من قال الليسع فإنه يكون اللام على حد ما في الحرث أ لا ترى أنه على وزن الصفات إلا أنه و إن كان كذلك فليس له مزيه على القول الآخر أ لا- ترى أنه لم يجىء في الأسماء الأعجميه المنقوله في حال التعريف نحو إسماعيل و إسحاق شىء على هذا النحو كما لم يجىء فيها شىء فيه لام التعريف فإذا كان كذلك كان الليسع بمنزله اليسع في أنه خارج عما عليه الأسماء الأعجميه المختصه المعربه.

الإعراب

«وَتِلْكَ حُجَّتُنَا» تلك مبتدأ و حجتنا خبره و الظاهر أن قوله «عَلَى قَوْمِهِ» من صله حجتنا أى و تلك حجتنا على قومه و إذا جعلت «آتَيْنَاهَا» من صفه حجتنا كان فصلا بين الصله و الموصول و ذلك لا يجوز فينبغى أن يكون متعلقا بمحذوف هذا الظاهر تفسير له كذا نقل عن أبي على الجبائى.

ثم بين سبحانه أن الحجج التي ذكرها إبراهيم (عليه السلام) لقومه آتاه إياها و أعطاه إياه بمعنى أنه هداه لها و أنه احتج بها بأمره فقال «وَتِلْكَ حُجَّتُنَا» أى أدلتنا «آتَيْنَاهَا» أى أعطيناها «إِبْرَاهِيمَ» و أخطرناها بباله و جعلناها حججا «عَلَى قَوْمِهِ» من الكفار حتى تمكن من إيرادها عليهم عند المحاجه «نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ» من المؤمنين الذين يصدقون الله و رسوله و يطيعونه و نفضل بعضهم على بعض بحسب أحوالهم فى الإيمان و اليقين «إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ» يجعل التفاوت بينهم على ما توجه حكمته و يقتضيه علمه و قيل معناه نرفع درجات من نشاء على الخلق بالاصطفاء للرساله «وَوَهَبْنَا لَهُ» أى لإبراهيم «إِسْحَاقَ» و هو ابنه من ساره «وَيَعْقُوبَ» ابن إسحاق «كُلًّا هَدَيْنَا» أى كل الثلاثة فضلنا بالنبوه كما قال سبحانه «وَوَحَّدَكَ ضَالًّا فَهَدَى» أى ذاهبا عن النبوه فهداك إليها و قيل معناه كلا هدينا بنيل الثواب و الكرامات عن الجبائى من الله سبحانه على إبراهيم بأن رزقه الولد و ولد الولد فإن من أفضل النعم على العبد أن يرزقه الله ولدا يدعو له بعد موته فكيف إذا رزق الولد و ولد الولد و هما نبيان مرسلان «وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ» أى من قبل هؤلاء «وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ» أى من ذريه نوح لأنه أقرب المذكورين إليه و لأن فيمن عددهم من ليس من ذريه إبراهيم و هو لوط و إلياس و قيل أرادوا من ذريه إبراهيم «داوُدَ» و هو داود بن أيشا «وَسُلَيْمَانَ» ابنه «وَأَيُّوبَ» و هو أيوب بن أموص بن رازج بن روم بن عيصا بن إسحاق ابن إبراهيم «وَيُوسُفَ» بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم «وَمُوسَى» بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب «وَهَارُونَ» أخاه و كان أكبر منه بسنه «وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» بنيل الثواب و الكرامات و قيل المراد به كما تفضلنا على هؤلاء الأنبياء بالنبوه فكذلك نتفضل على المحسنين بنيل الثواب و الكرامات «وَزَكَرِيَّا» و هو زكريا بن أذن بن برشيا «وَيَحْيَى» و هو ابنه «وَعِيسَى» و هو ابن مريم بنت عمران بن ياشهم بن أمون بن حزقيا «وَأِيلَاسَ» و اختلف فيه فقيل أنه إدريس كما قيل ليعقوب إسرائيل عن عبد الله بن مسعود و قيل هو إلياس بن بستر بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران نبي الله عن ابن إسحاق و قيل هو الخضر عن كعب «كُلُّ مَنِ الصَّالِحِينَ» أى من الأنبياء و المرسلين «وَأِسْمَاعِيلَ» و هو ابن إبراهيم «وَالْيَسَعَ» بن أخطوب بن العجوز «وَيُونُسَ» بن متى «وَلُوطًا» و هو لوط بن هارون بن أخى إبراهيم و قيل هو ابن أخته «وَكُلًّا» أى و كل واحد منهم «فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ» أى عالمى زمانه و من قال أن الهاء فى قوله «وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ» كناية عن إبراهيم قال أنه سمي ذريته إلى قوله «وَكَذَلِكَ نَجْزِي

المُحْسِنِينَ» ثم عطف قوله «وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى» على قوله «وَنُوحًا هَدَيْنَا» ولا يمتنع أيضا أن يكون غلب الأكثر الذين هم من نسل إبراهيم على أن الرواية التي جاءت عن ابن مسعود أن إلياس إدريس هو جد نوح إذا لم تضعف قول من قال إن الهاء كناية عن نوح فكذلك إذا لم يكن لوط من ذرية إبراهيم لم يضعف قول من قال إن الهاء كناية عن إبراهيم وقال الزجاج يجوز أن يكون من ذريته من ذرية نوح ويجوز أن يكون من ذرية إبراهيم لأن ذكرهما جميعا قد جرى و أسماء الأنبياء التي جاءت بعد قوله «وَنُوحًا» نسق على نوح وإذا جعل الله سبحانه عيسى من ذرية إبراهيم (عليه السلام) أو نوح ففي ذلك دلالة واضحة و حجه قاطعه على أن أولاد الحسن و الحسين (عليه السلام) ذرية رسول الله (صلى الله عليه و آله) على الإطلاق و إنهما ابنا رسول الله (صلى الله عليه و آله)

و قد صح في الحديث أنه قال لهما ع ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا

و قال للحسن (عليه السلام) أن ابني هذا سيد

و إن الصحابه كانت تقول لكل منهما و من أولادهما يا ابن رسول الله «وَمِنْ آبَائِهِمْ» يعنى و من آباء هؤلاء الأنبياء «وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَ إِخْوَانِهِمْ» جماعه فضلناهم و قال الزجاج معناه هدينا هؤلاء و هدينا بعض آبائهم و إخوانهم «وَأَجْتَبَيْنَاهُمْ» أى اصطفيناهم و اخترناهم للرساله و هو مأخوذ من جبيت الماء فى الحوض إذا جمعته «وَهَدَيْنَاهُمْ» أى سددناهم و أرشدناهم فاهتدوا «إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أى طريق بين لا اعوجاج فيه و هو الدين الحق.

[سوره الأنعام (٦): الآيات ٨٨ الى ٩٠]

إشاره

ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨) أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحُكْمَ وَ النَّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٩٠)

القرءاء

قرأ ابن عامر وحده اقتده بكسر الهاء مشبعه و الباقون «أَقْتَدِهِ» ساكنه الهاء إلا

ص: ٩٤

أن حمزه و الكسائي و يعقوب و خلفا يحذفون الهاء فى الوصل و يثبتونها فى الوقف و الباقون يثبتونها فى الوصل و الوقف.

الحج

قال أبو على الوجه الوقوف على الهاء لاجتماع الجمهور على إثباته و لا ينبغي أن يوصل و الهاء ثابتة لأن هذه الهاء فى السكت بمنزلة همزه الوصل فى الابتداء فى أن الهاء للوقف كما أن همزه الوصل للابتداء بالسكان فكما لا تثبت الهمزة فى الوصل كذلك ينبغي أن لا تثبت الهاء و وجه قراءة ابن عامر أن يجعل الهاء كناية عن المصدر لا التى تلحق الوقف و حسن إضماره لذكر الفعل الدال عليه و مثل ذلك قول الشاعر:

فجال على وحشيه و تخاله على ظهره سبا جديدا يمانيا

كأنه قال و تخال خيلا على ظهره سبا فعلى متعلق بمحذوف و التقدير ثابتا على ظهره و مثله قول الشاعر:

هذا سراقه للقرآن يدرسه و المرء عند الرشى إن يلحقها ذيب

فالهاء كناية عن المصدر و دل يدرسه على المدرس و لا يجوز أن يكون ضمير القرآن لأن الفعل قد تعدى إليه باللام فلا يجوز أن يتعدى إليه و إلى ضميره.

المعنى

ثم بين سبحانه إكرامه لأنبيائه (عليه السلام) ثم أمر من بعد بالاعتداء بهم فقال «ذَلِكَ» و هو إشاره إلى ما تقدم ذكره من التفضيل و الاجتباء و الهدايه و الاصطفاء «هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» ممن لم يسمهم فى هذه الآيات و الهدايه هنا هى الإرشاد إلى الثواب دون الهدايه التى هى نصب الأدله أ لا ترى إلى قوله «وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» و ذلك لا يليق إلا بالثواب الذى يختص المحسنين دون الدلاله التى يشترك بها المؤمن و الكافر و قوله «وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» يدل أيضا على ذلك

و معناه أنهم لو أشركوا لبطلت أعمالهم التي كانوا يوقعونها على خلاف الوجه الذى يستحق به الثواب لتوجيهها إلى غير الله تعالى و ليس فى ذلك دلالة على أن الثواب الذى استحقوه على طاعتهم المتقدمة يحبط إذ ليس فى ظاهر الآيه ما يقتضى ذلك على أننا قد علمنا بالدليل أن المشرك لا يكون له ثواب أصلاً و اجتمعت الأمه على ذلك «أُولَئِكَ» يعنى به من تقدم ذكرهم من الأنبياء «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ» أى أعطيناهم «الْكِتَابَ» أراد الكتب و وحد لأنه عنى به الجنس «وَالْحُكْمَ» معناه و الحكم بين الناس و قيل الحكمه «وَالنُّبُوَّةَ» أى الرساله «فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا» أى بالكتاب و الحكم و بالنبوه و «هُؤُلَاءِ» يعنى الكفار الذين جحدوا نبوه النبى (صلى الله عليه و آله) فى ذلك الوقت «فَقَدَّ وَكَلَّنَا بِهَا» أى بمراعاة أمر النبوه و تعظيمها و الأخذ بهدى الأنبياء «قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ» و اختلف فى المعنيين بذلك فقل عنى به الأنبياء الذين جرى ذكرهم آمنوا بما أتى به النبى (صلى الله عليه و آله) قبل وقت مبعثه عن الحسن و اختاره الزجاج و الطبرى و الجبائى و قيل عنى به الملائكه عن أبى رجاء العطاردى و قيل عنى به من آمن من أصحاب النبى (صلى الله عليه و آله) فى وقت مبعثه و قيل عنى بقوله «فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا» كفار قريش و بقوله «قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ» أهل المدينة عن الضحاك و اختاره الفراء و إنما قال «وَكَلَّنَا بِهَا» و لم يقل فقد قام بها قوم تشريفا لهم بالإضافة إلى نفسه و قيل معناه فقد ألزمتها قوما فقاموا بها و فى هذا ضمان من الله تعالى أن ينصر نبيه ص و يحفظ دينه «أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ» أى هداهم الله إلى الصبر «فَبِهْدَاهُمْ أَقْتَدَهُ» معناه اقتد بهم فى الصبر على أذى قومك و اصبر كما صبروا حتى تستحق من الثواب ما استحقوه و قيل معناه أولئك الذين قبلوا هدى الله و اهدوا بلطف الله الذى فعله بهم فاقتد بطريقتهم فى التوحيد و الأدله و تبليغ الرساله و الإشاره بأولئك إلى الأنبياء الذين تقدم ذكرهم عن ابن عباس و السدى و ابن زيد و قيل إلى المؤمنين الموكلين بحفظ دين الله لأنه فى ذكرهم عن الحسن و قتاده و على هذا فلم يتكرر لفظ الهدايه و فى القول الأول أعاد ذكر الهدايه لطول الكلام و يكون معنى قوله «فَبِهْدَاهُمْ أَقْتَدَهُ» اقتد بصبر أيوب و سخاء إبراهيم و صلابه موسى و زهد عيسى ثم فسر بعض ما يقتدى بهم فيه بقوله «قُلْ» يا محمد «لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا» أى لا أطلب منكم على تبليغ الوحي و أداء الرساله جعلاً كما لم يسأل ذلك الأنبياء قبلى فإن أخذ الأجر عليه ينفر الناس عن القبول «إِنْ هُوَ» أى ما هو «إِلَّا ذِكْرٌ» أى تذكيرا «لِلْعَالَمِينَ» بما يلزمهم إتيانه و اجتنابه و فى هذه الآيه دلالة على أنه لا يخلو كل زمان من حافظ للدين إما نبى أو إمام لقوله «فَقَدَّ وَكَلَّنَا بِهَا قَوْمًا» و أسند

التوكيل إلى نفسه وقد استدل قوم بالآيه على أن النبي (صلى الله عليه وآله) و أمته كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم إلا ما قام الدليل على نسخه و هذا لا يصح لأن الآيه قد وردت فيما اتفقوا عليه على ما تقدم ذكره و ذلك لا يليق إلا بالتوحيد و مكارم الأخلاق فأما الشرائع فإنها تختلف فلا يصح الاقتداء بجميع الأنبياء فيها و تدل الآيه على أن نبينا مبعوث إلى كافة العالمين و إن النبوه مختومه به و لذلك قال «إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرِي لِلْعَالَمِينَ».

[سوره الأنعام (٦): آيه ٩١]

إشاره

وَ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ؕ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَ هُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَأِيسَ تُبْدُونَهَا وَ تُخْفُونَ كَثِيرًا وَ عَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَ لَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١)

القراءه

قرأ ابن كثير و أبو عمرو يجعلونه قراطيس يبدونها و يخفون بالياء فيها و الباقرن بالتاء فى الجميع.

الحججه

من قرأ بالياء فلأن ما قبله «ما قدرُوا الله» على الغيبه و من قرأ بالتاء فعلى الخطاب من قوله «قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ» و قوله (فيما بعد) «وَ عَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا».

الإعراب

«حَقَّ قَدْرِهِ» منصوب على المصدر «تُبْدُونَهَا وَ تُخْفُونَ كَثِيرًا» يجوز أن يكون صفه لقراطيس لأن النكرات توصف بالجمل و يجوز أن يكون حالا- من ضمير الكتاب فى «تَجْعَلُونَهُ» على أن تجعل القراطيس الكتاب فى المعنى لأنه مكتوب فيها و إنما رفع قوله «يَلْعَبُونَ» لأنه لم يجعله جوابا لقوله «ذَرْهُمْ» و لو جعله جوابا لجزمه كما قال سبحانه «ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا» و موضع «يَلْعَبُونَ» نصب على الحال و التقدير ذرهم لاعبين فى خوضهم.

النزول

جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الضيف يخاصم النبي (صلى الله عليه وآله) فقال له النبي (صلى الله عليه وآله) أنشدك بالذى أنزل التوراه على موسى أ ما تجد فى التوراه إن الله سبحانه ييغض

الحبر السمين و كان سميها فغضب و قال ما أنزل الله على بشر من شىء فقال له أصحابه ويحك و لا موسى فنزلت الآية

عن سعيد بن جبير و قيل إن الرجل كان فنحاص بن عازورا و هو قائل هذه المقالة عن السدى و

قيل أن اليهود قالت يا محمد أنزل الله عليك كتابا قال نعم قالوا و الله ما أنزل الله من السماء كتابا فنزلت الآية

عن ابن عباس و فى روايه أخرى عنه أنها نزلت فى الكفار أنكروا قدره الله عليهم فمن أقر أن الله على كل شىء قدير فقد قدر الله حق قدره و قيل نزلت فى مشركى قريش عن مجاهد.

المعنى

لما تقدم ذكر الأنبياء و النبوه عقبه سبحانه بالتهجين لمن أنكر النبوه فقال «و ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» أى ما عرفوا الله حق معرفته و ما عظموه حق عظمتهم و ما وصفوه بما هو أهل أن يوصف به «إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ» أى ما أرسل الله رسولا و لم ينزل على بشر شيئا مع أن المصلحه و الحكمة تقتضيان ذلك و المعجزات الباهره تدل على بعثه كثير منهم ثم أمر سبحانه نبيه (صلى الله عليه و آله) فقال «قُلْ» يا محمد لهم «مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى» يعنى التوراه و إنما احتج بذلك عليهم لأن القائل لذلك من اليهود و من قال أن المعنى بالآيه مشركو العرب قال احتج عليهم بالأمر الظاهر ثم بين أن منزله محمد فى ذلك كمنزله موسى «نُوراً» أى يستضاء به فى الدين كما يستضاء بالنور فى الدنيا «و هُدًى لِلنَّاسِ» أى دلالة يهتدون به «تَجْعَلُونَهُ قَرَاتِيسٍ» أى كتبا و صحفا متفرقه و قال أبو على الفارسى معناه تجعلونه ذا قراطيس أى تودعونها إياها «تُبَيِّدُونَهَا وَ تُخْفُونَ كَثِيراً» أى تبدون بعضها و تكتمون بعضها و هو ما فى الكتب من صفات النبى (صلى الله عليه و آله) و الإشاره إليه و البشاره به «وَ عَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَ لَا آبَاؤُكُمْ» قيل إنه خطاب للمسلمين يذكرهم ما أنعم به عليهم عن مجاهد و قيل هو خطاب لليهود أى علمتم التوراه فضيعتموه و لم تنتفعوا به و قيل معناه علمتمم بالقرآن ما لم تعلموا عن الحسن «قُلْ» يا محمد «اللَّهُ» أى الله أنزل ذلك و هذا كما إن الإنسان إذا أراد البيان و الاحتجاج بما يعلم أن الخصم مقر به و لا يستطيع دفعه ذكر ذلك ثم تولى الجواب عنه بما قد علم أنه لا جواب له غيره «ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ» أى دعهم و ما يختارونه من العناد و ما خاضوا فيه من الباطل و اللعب و ليس هذا على إباحه ترك الدعاء و الإنذار بل على ضرب من التوعد و التهديد كأنه قال دعهم فسيعلمون عاقبه أمرهم.

إشارة

وَ هَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ لِيُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَ مَنْ حَوْلَهَا وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩٢)

القراءة

قرأ أبو بكر عن عاصم لينذر بالياء و الباقر بالتاء.

الحجج

من قرأ بالتاء يؤيد قراءة قوله «وَ أَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ» و «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ يَخْشَاهَا» و من قرأ بالياء جعل المنذر هو الكتاب و يؤيده قوله «وَ لِيُنذِرُوا بِهِ» و «إِنَّمَا أَنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ» فلا يمتنع إسناد الإنذار إليه على وجه التوسع.

الإعراب

«أَنْزَلْنَاهُ» جملة مرفوعة الموضع صفة لكتاب و مبارك أيضا صفة له.

المعنى

لما احتج سبحانه بإنزال التوراه على موسى ع بين أن سبيل القرآن سبيلها فقال «وَ هَذَا كِتَابٌ» يعنى القرآن «أَنْزَلْنَاهُ» من السماء إلى الأرض لأن جبرائيل (عليه السلام) أتى به من السماء «مُبَارَكٌ» و إنما سماه مباركاً لأنه ممدوح مستسعد به فكل من تمسك به نال الفوز عن أبى مسلم و قيل إن البركة ثبوت الخير على النماء و الزيادة و منه تبارك الله أى ثبت له ما يستحق به التعظيم لم يزل و لا- يزال فالقرآن مبارك لأن قراءته خير و العمل به خير و فيه علم الأولين و الآخرين و فيه مغفره للذنوب و فيه الحلال و الحرام و قيل البركة الزيادة فالقرآن مبارك لما فيه من زيادة البيان على ما فى الكتب المتقدمه لأنه ناسخ لا يرد عليه نسخ لبقائه إلى آخر التكليف «مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ» من الكتب كالتوراه و الإنجيل و غيرها من الحسن و تصديقه للكتب على وجهين (أحدهما) أنه يشهد بأنها حق (و الثانى) أنه ورد بالصفة التى نطقت بها الكتب المتقدمه «وَ لِيُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَ مَنْ حَوْلَهَا» يعنى بأم القرى مكة و من حولها أهل الأرض كلهم عن ابن عباس و هو من باب حذف المضاف يريد لتنذر أهل أم القرى و إنما سميت مكة أم القرى لأن الأرض دحيت من تحتها فكان الأرض نشأت منها و قيل لأن أول بيت وضع فى الدنيا وضع بمكة فكان القرى تنشأت

منها عن السدى وقيل لأن على جميع الناس أن يستقبلوها ويعظموها لأنها قبلتهم كما يجب تعظيم الأم عن الزجاج والجبائي «وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ» أى بالقرآن و يحتمل أن يكون كناية عن محمد ص لدلاله الكلام عليه «وَهُمْ عَلَى صِيْلَاتِهِمْ» أى على أوقات صلواتهم «يُحَافِظُونَ» أى يراعونها ليؤدوها فيها و يقوموا بإتمام ركوعها و سجودها و جميع أركانها و فى هذا دلالة على أن المؤمن لا يجوز أن يكون مؤمنا ببعض ما أوجهه الله دون بعض و فيها دلالة على عظم قدر الصلاة و منزلتها لأنه سبحانه خصها بالذكر من بين الفرائض و نبه على أن من كان مصدقا بالقيامه و بالنبى ص لا يخل بها و لا يتركها.

[سوره الأنعام (٦): آيه ٩٣]

إشارة

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَ كُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣)

اللغة

أصل الافتراء القطع من فريت الأديم أفریه فريا فكان الافتراء هو القطع على خبر لا حقيقه له و الفتره الغشيه و غمره كل شىء معظمه و غمرات الموت شدائده قال الشاعر:

الغمرات ثم ينجلينا و ثم يذهبن فلا يجينا

و أصله الشىء يغمر الأشياء فيغطيها و الهون بضم الهاء الهوان قال ذو الإصبع العدوانى:

ص: ١٠٠

اذهب إليك فما أُمى براعيه ترعى المخاض و لا أغضى على الهون
و الهون بفتح الهاء الدعه و الرفق و منه يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا قَالَ:

هونا كما لا يرد الدهر ما فاتا لا تهلكا أسفا فى إثر من ماتا

. الإعراب

«مَنْ قَالَ سَأُنزِلُ» فى موضع الجر على العطف كأنه قال و من أظلم ممن قال ذلك و جواب لو من قوله «وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فى
عَمَرَاتِ الْمَوْتِ» محذوف أى لرأيت عذابا عظيما.

النزول

اختلفوا فىمن نزلت هذه الآية ف قيل نزلت فى مسيلمه حيث ادعى النبوه إلى قوله «وَلَمْ يُوحِ إِلَيْهِ شَيْءٌ» و

قوله «سَيَأْتِيَنَّكُمْ مِثْلُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ» فى عبد الله بن سعد بن أبى سرح فإنه كان يكتب الوحي للنبي ص فكان إذا قال له اكتب عليما
حكيمًا كتب غفورا رحيمًا و إذا قال له اكتب غفورا رحيمًا كتب عليما حكيمًا و ارتد و لحق بمكه و قال إنى أنزل مثل ما أنزل
الله عن عكرمه و ابن عباس و مجاهد و السدى و إليه ذهب الفراء و الزجاج و الجبائى و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

و قال قوم نزلت فى ابن أبى سرح خاصة و قال قوم نزلت فى مسيلمه خاصة.

المعنى

لما تقدم ذكر نبوه النبي ص و إنزال الكتاب عليه عقبه سبحانه بذكر تهجين الكفار الذين كذبوه أو ادعوا أنهم يأتون بمثل ما
أتى به فقال «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» هذا استفهام فى معنى الإنكار أى لا أحد أظلم ممن كذب على الله فادعى
أنه نبي و ليس بنبي «أَوْ قَالَ أَوْحَى إِلَيَّ وَ لَمْ يُوحِ إِلَيْهِ شَيْءٌ» أى يدعى الوحي و لا- يأتية و لا يجوز فى حكمه الله سبحانه أن
يبعث كذابا و هذا و إن كان داخلا- فى الافتراء فإنما أفرد بالذكر تعظيما «وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ» قال الزجاج هذا
جواب لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا فادعوا ثم لم يفعلوا و بذلوا النفوس و الأموال و استعملوا سائر الحيل فى إطفاء نور الله و أبى
الله ألا أن يتم نوره و قيل المراد به عبد الله بن سعد بن أبى سرح أملى عليه رسول الله ص ذات يوم وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ
مِنْ طِينٍ إِلَى قَوْلِهِ «ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ» فجرى على لسان ابن أبى سرح فتبارك الله أحسن الخالقين فأملأه عليه و قال هكذا
أنزل فارتد عدو الله

وقال لئن كان محمد صادقاً فلقد أوحى إلي كما أوحى إليه و لئن كان كاذباً فلقد قلت كما قال و ارتد عن الإسلام و هدر رسول الله ص دمه فلما كان يوم الفتح جاء به عثمان و قد أخذ بيده و رسول الله ص فى المسجد فقال يا رسول الله اعف عنه فسكت رسول الله ص ثم أعاد فسكت ثم أعاد فسكت فقال هو لك فلما مر قال رسول الله لأصحابه أ لم أقل من رآه فليقتله فقال عباد بن بشر كانت عيني إليك يا رسول الله أن تشير إلى فأقتله فقال ص الأنبياء لا يقتلون بالإشارة ثم أخبر سبحانه عن حال هؤلاء فقال «وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ» أى فى شدائد الموت عند النزاع و قيل فى أشد العذاب فى النار «وَالْمَلَائِكَةُ» الذين يقبضون الأرواح و قيل يريد ملائكة العذاب «بِاسْمِ طُورِ أَيْدِيهِمْ» لقبض أرواحهم و قيل يبسطون أيديهم بالعذاب يضربون وجوههم و أذبارهم «أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ» أى يقولون أخرجوا أنفسكم من سكرات الموت إن استطعتم و صدقتم فيما قلتكم و ادعيتكم و قيل أخرجوا أنفسكم من أجسادكم عند معاينه الموت إرهاباً لهم و تغليظاً عليهم و إن كان إخراجها من فعل غيرهم و قيل على التأويل الأول يقولون لهم يوم القيامة أخرجوا أنفسكم من عذاب النار إن استطعتم أى خلصوها منه «الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ» أى عذاباً تلقون فيه الهوان «بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ» أى فى الدنيا «وَكُنْتُمْ عَنِ آيَاتِهِ تَشْتَكِبُونَ» أى تأنفون من اتباع آياته.

[سوره الأنعام (٦): آيه ٩٤]

إشارة

وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ تَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَ مَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُفِّ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَ ضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٩٤)

القرءاء

قرأ أهل المدينة و الكسائى و حفص «بَيْنَكُمْ» بالنصب و الباقون بالرفع.

الحجج

قال أبو على استعمال هذا الاسم على ضربين (أحدهما) أن يكون اسماً متصرفاً كالافتراق (و الآخر) أن يكون ظرفاً و المرفوع فى قرءاءه من قرأ لقد تقطع بينكم هو الذى كان ظرفاً ثم استعمال اسماً و الدليل على جواز كونه اسماً قوله وَ مِنْ بَيْنِنَا وَ بَيْنِكَ حِجَابٌ

و هذا فِرَاقٌ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ فلما استعمل اسما فى هذه المواضع جاز أن يسند إليه الفعل الذى هو تقطع فى قول من رفع و الذى يدل على أن هذا المرفوع هو الذى استعمل ظرفا أنه لا يخلو من أن يكون الذى كان ظرفا اتسع فيه أو يكون الذى هو مصدر فلا يجوز أن يكون المصدر لأن تقديره يكون لقد تقطع افتراقكم و هذا خلاف المعنى المراد لأن المراد لقد تقطع وصلكم و ما كنتم تتألفون عليه فإن قلت كيف جاز أن يكون بمعنى الوصل و أصله الافتراق و التمايز قيل إنه لما استعمل مع الشئيين المتلابسين فى نحو بينى و بينه شرکه و بينى و بينه رحم و صداقه صارت لاستعمالها فى هذه المواضع بمنزله الوصله و على خلاف الفرقه فلماذا قد جاء لقد تقطع بينكم بمعنى تقطع وصلكم فأما من نصب «بَيْنَكُمْ» ففيه مذهبان (أحدهما) أنه أضمر الفاعل فى الفعل و دل عليه ما تقدم من قوله «و ما نرى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمْ» لأن هذا يدل على التقاطع و ذلك المضمرة هو الوصل فكأنه قال لقد تقطع وصلكم بينكم و قد حكى سيبويه أنهم قالوا إذا كان غدا فأتنى و أضمر ما كانوا فيه من رخاء و بلاء لدلاله الحال عليه و المذهب الآخر أنه انتصب على شىء يراه أبو الحسن فإنه يذهب إلى أن معناه معنى المرفوع فلما جرى فى كلامهم منصوبا ظرفا تركوه على ما يكون عليه فى أكثر الكلام و كذلك يقول فى قوله يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ و قوله و أَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَ مِنَّا دُونَ ذَلِكَ و دون فى موضع رفع عنده و إن كان منصوب اللفظ كما يقال منا الصالح و منا الطالح.

اللغة

فرادى جمع فرد و فريد و فرد و العرب تقول فرادى و فراد فلا يصرفونها تشبيها بثلاث و رباع قال الشاعر:

ترى النعرات البيض تحت لبانه فراد و مشى أصعقتها صواهلة

و قال النابغه:

من وحش وجره موشى أكارعه طاوى المصير كسيف الصيقل الفرد

و مثل الفرادى الردافى و القرابى و التخويل الإعطاء و أصله تملك الخول كما أن

ص: ١٠٣

التمويل هو تملك الأموال و خوله الله أعطاه مالا- و فلان خولى مال و خال مال و خائل مال إذ كان يصلح المال و هم خول فلان أى أتباعه الواحد خائل و الزعم قد يكون حقا و قد يكون باطلا قال الشاعر:

يقول هلكتنا إن هلكت و إنما على الله أرزاق العباد كما زعم

و الين مصدر بأن يبين إذا فارق قال الشاعر:

بأن الخليط برامتين فودعوا أو كلما ظعنوا ليين تجزع

قال أبو زيد بأن الحى بينونه و بينا إذا ظعنوا و تباينوا أى تفرقوا بعد أن كانوا جميعا.

الإعراب

«فُرادى» نصب على الحال و «ما خَوَّلْنَاكُمْ» موصول و صله فى موضع نصب بأنه مفعول «تَرَكَتُمْ».

النزول

نزلت فى النضر بن الحرث بن كلده حين قال سوف يشفع لى اللات و العزى عن عكرمه.

المعنى

ثم بين سبحانه تمام ما يقال لهم على سبيل التوييح فقال «وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا» قيل هذا من كلام الله تعالى يخاطب به عباده إما عند الموت أو عند البعث و قيل هو من كلام الملائكة يؤدونه عن الله إلى الذين يقبضون أرواحهم «فُرادى» أى وحدانا لا مال لكم و لا خول و لا ولد و لا حشم عن الجبائى و قيل واحدا واحدا على حده عن الحسن و قيل كل واحد منهم منفردا من شريكه فى الغى و شقيقه عن الزجاج «كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ» أى كما خلقناكم فى بطون أمهاتكم فلا ناصر لكم و لا معين عن الجبائى و قيل معناه ما

روى عن النبى ص أنه قال تحشرون حفاه عراه غرلا

و الغرل هم القلف و

روى أن عائشه قالت لرسول الله ص حين سمعت ذلك و اسوأته أ ينظر بعضهم إلى سواه بعض من الرجال و النساء فقال ص لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ و يشغل بعضهم عن بعض

و قال الزجاج معناه كما بدأناكم أول مره أى يكون بعثكم كخلقكم «و تَرَكَتُمْ ما خَوَّلْنَاكُمْ» معناه ملكناكم فى الدنيا مما كنتم تتباهون به من الأموال «وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ» أى خلف ظهوركم فى الدنيا و المراد

تركتم الأموال و حملتم من الذنوب الأحمال و استمتع غيركم بما خلفتم و حوسبتم عليه فيا لها من حسره «و ما نرى معكم شفعاءكم» أى ليس معكم من كنتم تزعمون أنهم يشفعون لكم عند الله يوم القيامة و هى الأصنام «الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ» معناه زعمتم أنهم شركاؤنا فيكم و شفعاؤكم يريد و ما نفعكم عباده الأوثان التى كنتم تقولون إنها فيكم شركاء و إنها تشفع لكم عند الله تعالى و هذا عام فى كل من عبد غير الله و اعتمد غيره يرجو خيره و يخاف ضيره فى مخالفه الله تعالى «لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ» أى وصلكم و جمعكم و من قرأ بالنصب فمعناه لقد تقطع الأمر بينكم أو تقطع وصلكم بينكم «و ضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ» أى ضاع و تلاشى و لا- تدرون أين ذهب من جعلتم شفعاءكم من آلهتكم و لم تنفعكم عبادتها و قيل معناه ما تزعمون من عدم البعث و الجزاء قد حث الله سبحانه فى هذه الآيه على اقتناء الطاعات التى بها ينال الفوز و تدرك النجاه دون اقتناء المال الذى لا شك فى تركه و عدم الانتفاع به بعد الممات.

[سوره الأنعام (٦): الآيات ٩٥ الى ٩٦]

إشارة

إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ مُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٩٥) فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَ جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦)

القراءة

قرأ أهل الكوفة «و جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا» و الباقون و جاعل بالألف و الرفع الليل بالجر.

الحجج

وجه قول من قرأ و جاعل الليل أن قبله اسم فاعل و هو «فالِقُ الْحَبِّ» و «فالِقُ الْإِصْبَاحِ» ليكون فاعل المعطوف مثل فاعل المعطوف عليه ألا ترى أن حكم الاسم أن يعطف على اسم مثله لأن الاسم بالاسم أشبه من الفعل بالاسم و يقوى ذلك قولهم:

لبس عباءه و تقر عيني أحب إلى من لبس الشفوف

فنصب و تفر ليكون فى تقدير اسم يا ضممار أن فىكون قد عطف اسما على اسم و قوله:

و لو لا رجال من رزام و مازن و آل سبيع أو أسوك علقما

و من قرأ أو جعل فلأن اسم الفاعل الذى قبله بمعنى المضى فلما كان فاعل بمعنى فعل عطف عليه فعل لموافقته فى المعنى و يدللك على أنه بمنزله فعل أنه نزل منزلته فيما عطف عليه و هو قوله «و الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ حُسباناً» أ لا ترى أنه لما كان المعنى فعل حمل المعطوف على ذلك فنصب الشمس و القمر على فعل لما كان فاعل كفعل و يقوى ذلك قولهم هذا معطى زيد درهما أمس فالدرهم محمول على أعطى لأن اسم الفاعل إذا كان لما مضى لم يعمل عمل الفعل فإذا كان معط بمنزله أعطى كذلك جعل فالتق بمنزله فالتق لأن اسم الفاعل لما مضى فعطف عليه فعل لما كان بمنزلته.

اللغة

الفلق الشق يقال فلقه فانفلق و الفلق الصبح لأن الظلام ينفلق عنه و الفلق المطمئن من الأرض كأنه منشق عنها و الحب جمع حبه و هو كل ما لا يكون له نوى كالبر و الشعير و النوى جمع نواه و الإصباح و الصبح واحد و هو مصدر أصبحنا إصباحا و قد روى عن الحسن أنه قرأ فالتق الأصباح بالفتح يريد صبح كل يوم و ما قرأ به غيره و السكن الذى يسكن إليه و الحسبان جمع حساب مثل شهاب و شهبان و قيل هو مصدر حسبت الحساب أحسبه حسابا و حسبانا و حكى عن بعض العرب على الله حسابان فلان و حسبته أى حسابه و الحسبان بكسر الحاء جمع حسبانه و هى وساده صغيره و الحسبان و المحسبه مصدر حسبت فلانا عاقلا أحسبه و أحسبه.

الإعراب

النصب فى «الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ» مفعول فعل يدل عليه و قوله و جاعل الليل سكونا و تقديره و جعل الشمس و القمر حسبانا و حسبانا المفعول الثانى منه و لا- يجوز و جاعل الليل سكونا لأن اسم الفاعل إذا كان واقعا لم يعمل عمل الفعل و أضيف إلى ما بعده لا غير تقول هذا ضارب زيد أمس لا غير.

المعنى

ثم عاد الكلام إلى الاحتجاج على المشركين بعجائب الصنع و لطائف التدبير فقال سبحانه «إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوى» أى شاق الحبه اليابسه الميته فيخرج منها

النبات و شاق النواه اليابسه فيخرج منها النخل و الشجر عن الحسن و قتاده و السدى و قيل معناه خالق الحب و النوى و منشئهما و مبدئهما عن ابن عباس و الضحاك و قيل المراد به ما فى الحبه و النوى من الشق و هو من عجيب قدره الله تعالى فى استوائه عن مجاهد و أبى مالك «يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ مُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ» أى يخرج النبات الغض الطرى الخضر من الحب اليابس و يخرج الحب اليابس من النبات الحى النامى عن الزجاج و العرب تسمى الشجر ما دام غضا قائما بأنه حى فإذا يبس أو قطع أو قلع سموه ميتا و قيل معناه يخلق الحى من النطفه و هى موات و يخلق النطفه و هى موات من الحى عن الحسن و قتاده و ابن زيد و غيرهم و هذا أصح و قيل معناه يخرج الطير من البيض و البيض من الطير عن الجبائى و قيل معناه يخرج المؤمن من الكافر و الكافر من المؤمن «ذَلِكُمْ اللَّهُ» أى فاعل ذلك كله الله «فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ» أى تصرفون عن الحق و يذهب بكم عن هذه الأدله الظاهره إلى الباطل أ فلا تتدبرون فتعلمون أنه لا ينبغى أن يجعل لمن أنعم عليكم بخلق الحب و النوى و إخراج الزرع من الحب و الشجر من النوى شريك فى عبادته «فَالِقُ الْإِصْبَاحِ» أى شاق عمود الصبح عن ظلمه الليل و سواده عن أكثر المفسرين و قيل معناه خالق الصباح عن ابن عباس «وَ جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا» تسكنون فيه و تتودعون فيه عن ابن عباس و مجاهد و أكثر المفسرين به الله سبحانه على عظيم نعمته بأن جعل الليل للسكون و النهار للتصرف و دل بتعاقبهما على كمال قدرته و حكمته ثم قال «وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ حُسْبَانًا» أى جعلهما تجريان فى أفلاكهما بحساب لا يتجاوزانه حتى ينتهيا إلى أقصى منازلهما فتقطع الشمس جميع البروج الاثنى عشر فى ثلاثمائه و خمس و ستين يوما و ربع القمر فى ثمانيه و عشرين يوما و بنى عليهما الليالى و الأيام و الشهور و الأعوام كما قال سبحانه الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ و قال كُلُّ فِى فَلَكٍ يَسْبُحُونَ عن ابن عباس و السدى و قتاده و مجاهد أشار سبحانه بذلك إلى ما فى حسابانها من مصالح العباد فى معاملاتهم و توارىخهم و أوقات عباداتهم و غير ذلك من أمورهم الدينيه و الدنيويه «ذَلِكَ» إشاره إلى ما وصفه سبحانه من فلق الإصباح «وَ جَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ حُسْبَانًا» «تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ» الذى عز سلطانه فلا يقدر أحد على الامتناع منه «الْعَلِيمِ» بمصالح خلقه و تدييرهم.

إشاره

وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧) وَ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَ مُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (٩٨)

القراءة

قرأ ابن كثير و أبو عمرو و يعقوب بروايه روح و زيد فمستقر بكسر القاف و الباقون بفتح القاف.

الحجه

قال أبو علي من كسر القاف كان المستقر بمعنى القار فإذا كان كذلك وجب خبره أن يكون المضممر منكم أي فمنكم مستقر كقولك بعضكم مستقر أي مستقر في الأرحام و من فتح فليس على أنه مفعول ألا ترى أن استقر لا يتعدى و إذا لم يتعد لم بين منه اسم مفعول به و إذا لم يكن مفعولا به كان اسم مكان فالمستقر بمنزله المقر كما كان المستقر بمعنى القار و إذا كان كذلك جعلت الخبر المضممر لكم و التقدير فمستقر لكم و أما المستودع فإن استودع فعل يتعدى إلى مفعولين تقول استودعت زيدا ألفا و أودعت زيدا ألفا فاستودع مثل أودع كما أن استجاب مثل أجاب فالمستودع يجوز أن يكون الإنسان الذي استودع ذلك المكان و يجوز أن يكون المكان نفسه و من قرأ «فَمُسْتَقَرٌّ» بفتح القاف جعل المستودع مكانا ليكون مثل المعطوف عليه أي فلکم مكان استقرار و استيداع و من قرأ فمستقر فالمعنى منكم مستقر في الأرحام و منكم مستودع في الأصلاب فالمستودع اسم المفعول به فيكون مثل المستقر في أنه اسم لغير المكان.

المعنى

ثم ذكر سبحانه ما يقارب في المعنى الآيه المتقدمه فيما يدل على وحدانيته و عظيم قدرته فقال «وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ» أي خلق «لَكُمْ» أي لنفعمكم «النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا» أي بضوئها و طلوعها و مواضعها «فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ» لأن من النجوم ما يكون بين يدي الإنسان و منها ما يكون خلفه و منها ما يكون عن يمينه و منها ما يكون عن يساره و يهتدى بها في الأسفار و في البلاد و في القبله و أوقات الليل و إلى الطرق في مسالك البرارى و البحار و قال البلخي ليس في قوله «لِتَهْتَدُوا بِهَا» ما يدل على أنه لم يخلقها لغير ذلك بل خلقها سبحانه لأمر جليله عظيمه و من فكر في صغر الصغير منها و كبر الكبير و اختلاف مواقعها و مجاريها

و اتصالاتها و سيرها و ظهور منافع الشمس و القمر في نشوء الحيوان و النبات علم أن الأمر كذلك و لو لم يخلقها إلا للاهتداء لما كان لخلقها صغارا و كبارا و اختلافاتها في المسير معنى و في تفسير على بن إبراهيم بن هاشم أن النجوم آل محمد (عليه السلام) «قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ» أى بينا الحجج و البيئات «لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» أى يتفكرون فيعلمون «وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ» أى أبدعكم و خلقكم «مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ» أى من آدم (عليه السلام) لأن الله تعالى خلقنا جميعا منه و خلق أمنا حواء، من ضلع من أضلاعه و من علينا بهذا لأن الناس إذا رجعوا إلى أصل واحد كانوا أقرب إلى التواد و التعاطف و التآلف «فَمُسِدَّتَ قَرٌّ وَ مُسِدَّتَ دَعٌّ» قد مر ذكرهما في الحجج و اختلف في معناهما ف قيل مستقر في الرحم إلى أن يولد و مستودع في القبر إلى أن يبعث عن عبد الله بن مسعود و قيل مستقر في بطون الأمهات و مستودع في أصلاب الآباء عن سعيد بن جبير و عكرمه عن ابن عباس و قيل مستقر على ظهر الأرض في الدنيا و مستودع عند الله في الآخرة عن مجاهد و قيل مستقرها أيام حياتها و مستودعها حيث يموت و حيث يبعث عن أبي العالیه و قيل مستقر في القبر و مستودع في الدنيا عن الحسن و كان يقول يا ابن آدم أنت وديعه في أهلك و يوشك أن تلحق بصاحبك و أنشد قول لبيد:

و ما المال و الأهلون إلا وديعه و لا بد يوما أن ترد الودائع

و قال سليمان بن زيد العدوى في هذا المعنى:

فجع الأحبه بالأحبه قبلنا فالناس مفجوع به و مفجع

مستودع أو مستقر مدخلا فالمستقر يزوره المستودع

«قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ» أى بينا الحجج و ميزنا الأدله «لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ» مواقع الحجج و مواضع العبره و إنما خص الذين يعلمون و يفقهون لأنهم المنتفعون بها كما قال هُديّ لِلْمُتَّقِينَ و كرر قوله «قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ» حثا على النظر و تنبيهها على أن كلا مما ذكر آيه و دلالة تدل على توحيده و صفاته العلى.

إشارة

وَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَ جَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَ الزَّيْتُونِ وَ الرُّمَّانِ مُشْتَبِهًا وَ غَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَ يَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٩٩)

القراءة

قرأ أبو بكر عن عاصم بروايه أبي يوسف الأعشى و البرجمي و جنات بالرفع و هو قراءة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)

و عبد الله بن مسعود الأعمش و يحيى بن يعمر و قرأ الباقون «وَ جَنَّاتٍ» على النصب و قرأ حمزه و الكسائي و خلف ثمره بضميتين و كذلك كلوا مِنْ ثَمَرِهِ و في سورة ياسين ليأكلوا من ثمره و قرأ الباقون «ثَمَرِهِ» بفتحيتين في الجميع.

الحج

من قرأ «وَ جَنَّاتٍ» فإنه عطفها على قوله «خَضِرًا» أي فأخرجنا من الماء خضرا و جنات من أعناب و من قرأ و جنات بالرفع فإنه عطفها على «قِنْوَانٌ» لفظا و إن لم يكن من جنسها كقول الشاعر:

(متقلدا سيفا و رمحا)

و من قرأ «إِلَى ثَمَرِهِ» فالثمر جمع ثمره مثل بقره و بقر و شجره و شجر و من قرأ ثمره بضميتين فيحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون على ثمره و ثمر مثل خشبه و خشب و أكمه و أكم قال الشاعر:

نحن الفوارس يوم ديسقه المغشو الكمأه غوارب الأكم

و نظيره من المعتل قاره و قور و ناقه و نوق و ساحه و سوح قال الشاعر:

و كان سيان ألا يسرحوا نعما أو يسرحوه بها و اغبرت السوح

(و الآخر) أن يكون جمع ثمار على ثمر فيكون ثمر جمع الجمع.

اللغة

خضر بمعنى أخضر يقال أخضر فهو خضر و أخضر و أعور فهو عور و أعور و

ففي الحديث أن الدنيا حلوه خضره

أى غصه ناعمه و ذهب دمه خضرا مضرا أى باطلا و أخذ الشىء خضرا مضرا أى مجانا بغير ثمن و قيل غضا طريا و فلان أخضر
الجلده و أخضر المنكب أى ذو سعه و خصب و قال الفضل بن عباس بن عتبه بن أبى لهب:

ص: ١١٠

و أنا الأخضر من يعرفنى أخضر الجلده فى بيت العرب

من يساجلنى يساجل ماجدا يملأ الدلو إلى عقد الكرب

برسول الله و ابنى بنته و عباس بن عبد المطلب

و كتبيه خضراء إذا كان عليها سواد الحديد و العرب تسمى الأسود أخضر و يسمى سواد العراق سوادا لكثرة خضرته و متراكب متفاعل من الركوب و طلع النخل أول ما يبدو من ثمره و قد أطلع النخل و القنوان جمع قنو و هو العذق بكسر العين أى الكباسه و العذق بفتح العين النخلة و قنوان و قنوان بكسر القاف و ضمها لغتان و قنيان بالياء لغه تميم و دانيه قريبه المتناول و الينع النضج يقال ينع الثمر ينع و ينع و أينع إذا أدرك قال الشاعر:

فى قباب وسط دسكره حولها الزيتون قد ينع

و قيل إن الينع جمع يانع مثل صاحب و صحب و تاجر و تجر.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال «وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» يريد من السحاب و العرب تقول كل ما علاك فأظلك فهو سماء «فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ» و المعنى فأخرجنا بالماء الذى أنزلناه من السماء من غذاء الأنعام و الطير و الوحش و أرزاق بنى آدم ما يتغذون به و يأكلونه فينبتون عليه و ينمون و يريد بنبات كل شىء ما ينبت به كل شىء و ينمو عليه و يحتمل أن يكون المراد أخرجنا به جميع أنواع النبات ليكون كل شىء هو أصناف النبات كقوله إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ عن الفراء و الأول أحسن و إنما قال به لأنه سبحانه جعله سببا مؤديا إلى النبات لا مولدا له و قد كان يمكنه الإنبات بغيره فلا يقال أنه فعله بسبب مولد «فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ» أى من الماء و قيل من النبات «خَضِرًا» أى زرعاً رطباً أخضر و هو ساق السنبلة «نُخْرَجُ مِنْهُ» أى من ذلك الزرع الخضر «حَبًّا مُتْرَاكِبًا» قد تركب بعضه على بعض مثل سنبلة الحنطة و السمسم و غير ذلك «وَمِنَ النَّخْلِ» أى و نخرج من النخل «مِنْ طَلْعِهَا قَنَوَانٌ» أى أعذاق الرطب «دَائِيَةً» أى قريبه المتناول و لم يقل و منها قنوان بعيده لأن فى الكلام دليلا على البعيدة السحيقه من النخل قد كانت غير سحيقه

فاجترأ بذكر القرينه عن ذكر السحيقه كما قال سراييل تقيكم البرد لأن في الكلام دليل على أنها تقى البرد لأن ما يستر عن الحر يستر عن البرد عن الزجاج وقيل دانيه دنت من الأرض لكثرة ثمرها و ثقل حملها و تقديره و من النخل من طلعه ما قنوانه دانيه و إنما خص الطلع بالذكر لما فيه من المنافع و الأغذيه الشريفه التي ليست في أكمام الثمار «وَ جَنَاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ» يعنى و أخرجنا به أيضا جنات من أعناب أى بساتين من أعناب و من رفعه فتقديره و نخرج به جنات من أعناب «وَ الزَّيْتُونُ وَ الرُّمَّانُ» أى فأخرجنا به الزيتون و الرمان أى شجر الزيتون و الرمان و قرن الزيتون و الرمان لأنهما شجرتان تعرف العرب أن ورقهما يشتمل على الغصن من أوله إلى آخره قال الشاعر:

بورك الميت الغريب كما بورك نضج الرمان و الزيتون

و معناه أن ورقهما يشتمل على العود كله «مُشْتَبِهًا وَ غَيْرَ مُشَابِهٍ» أى مشتبهها شجره يشبه بعضه بعضا و غير متشابه فى الطعم و قيل مشتبهها ورقه مختلفا ثمره عن قتاده و قيل مشتبهها فى الخلق مختلفا فى الطعم و قيل مشتبهها ما كان من جنس واحد و غير متشابه إذا اختلف جنسه عن الجبائى و الأولى أن يقال أن جميع ذلك مشتبه من وجوه مختلف من وجوه فيدخل فيه جميع ما تقدم «انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ» أى انظروا إلى خروج الثمار نظر الاعتبار «وَ يَنْعِهِ» أى نضجه و معناه انظروا من ابتداء خروجه إذا أثمر إلى انتهائه إذا أينع و أدرك كيف تنتقل عليه الأحوال فى الطعم و اللون و الرائحة و الصغر و الكبر ليستدلوا بذلك على أن له صناعا مدبرا «إِنَّ فِي ذَلِكَُمْ لآيَاتٍ» أى إن فى خلق هذه الثمار و الزروع مع إتقان جواهرها أجناسا مختلفه لا يشبه بعضها بعضا لدلالات على أن لها خالقا قصدا إلى التمييز بينها قبل خلقها على علم بها و إنها تكونت بخلقه و تدبيره «لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» لأنهم بها يستدلون و بمعرفه مدلولاتها ينتفعون.

إشاره

وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ (١٠٠) بَدِيعِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
أَنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَهُ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١)

القراءة

قرأ أهل المدينة و خرقوا بالتشديد و الباقون «و خرقوا» بالتخفيف.

الحجّه

قال أحمد بن يحيى خرق و اخترق بمعنى و قال أبو الحسن الخفيفه أعجب إلى لأنها أكثر و المعنى فى القراءة تين كذبوا و قد روى فى الشواذ عن ابن عباس و حرفوا بالحاء و الفاء و هذا شاهد يكذبهم أيضا و مثله يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ*.

اللغة

البديع بمعنى المبدع و الفرق بين الإبداع و الاختراع أن الإبداع فعل ما لم يسبق إلى مثله و الاختراع فعل ما لم يوجد سبب له و لذلك يقال البدعه لما خالف السنه لأنه إحداث ما لم يسبق إليه و لا يقدر أحد على الاختراع غير الله تعالى لأن حده ما ابتدئ فى غير محل قدره عليه و القادر بقدره إما أن يفعل مباشرة و هو ما ابتدئ فى محل قدره أو متولدا و هو ما يوقع بحسب غيره و لا يقدر على الاختراع أصلا.

الإعراب

انتصاب الجن من وجهين (أحدهما) أن يكون مفعولا- أى جعلوا الجن لله شركاء و يكون شركاء مفعولا ثانيا كما قال وَ جَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِائًا (و الآخر) أن يكون الجن بدلا من شركاء و مفسرا له سبحانه نصب على المصدر كأنه قال تسبيحا له و بديع خبر مبتدئ محذوف تقديره هو بديع السماوات و يجوز أن يكون مبتدأ و خبره «أَنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ» و إنما تعدى بديع و هو فعيل لأنه معدول عن مفعول و الصفه تعمل عمل ما عدلت منه فإذا لم تكن معدوله لم تتعد نحو طويل و قصير.

المعنى

ثم رد سبحانه على المشركين و عجب من كفرهم مع هذه البراهين و الحجج و البيّنات فقال «وَ جَعَلُوا» يعنى المشركين «لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ» أخبر الله سبحانه أنهم اتخذوا معه آلهه جعلوهم له أندادا كما قال وَ جَعَلُوا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْجِنَّه نَسَبًا و أراد بالجن الملائكه و إنما سماهم جنا لاستتارهم عن الأعين و هذا كما قال جَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِائًا عن قتاده و السدى و قيل أن قريشا كانوا يقولون أن الله تعالى قد صاهر الجن فحدث بينهما الملائكه فيكون على هذا القول المراد به الجن

المعروف و قيل أراد بالجن الشياطين لأنهم أطاعوا الشياطين فى عباده الأوثان عن الحسن «وَوَخَّلَقَهُمْ» الهاء و الميم عائده إليهم
أى جعلوا للذى خلقهم شركاء لا يخلقون و يجوز أن يكون الهاء و الميم

ص: ١١٣

عائده على الجن فيكون المعنى و الله خلق الجن فكيف يكونون شركاء له و يجوز أن يكون المعنى و خلق الجن و الإنس جميعا و روى أن يحيى بن يعمر قرأ و خلقهم بسكون اللام أى و خلق الجن يعنى ما يخلقونه و يأفكون فيه و يكذبونه كأنه قال جعلوا الجن شركاءه و أفعالهم شركاء أفعاله أو شركاء له إذا عنى بذلك الأصنام و نحوها و قيل إن المعنى بالآيه المجوس إذ قالوا يزدان و أهرمن و هو الشيطان عندهم فنسبوا خلق المؤذيات و الشرور و الأشياء الضاره إلى أهرمن و جعلوه بذلك شريكا له و مثلهم الثنويه القائلون بالنور و الظلمه «وَ خَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَ بَنَاتٍ» أى اختلقوا و موهوا و افتروا الكذب على الله و نسبوا البنين و البنات إلى الله فإن المشركين قالوا الملائكه بنات الله و النصرارى قالوا المسيح ابن الله و اليهود قالوا عزيز ابن الله «بِغَيْرِ عِلْمٍ» أى بغير حجه و يجوز أن يكون معناه بغير علم منهم بما عليهم عاجلا- و آجلا- و يجوز أن يكون معناه بغير علم منهم بما قالوه على حقيقه لكن جهلا- منهم بالله و بعظمته تعالى «سُبْحَانَهُ» أى تنزيها له عما يقولون «وَ تَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ» من ادعائهم له شركاء و اختراقهم له بنين و بنات أى هو يجلب من أن يوصف بما وصفوه به و إنما صار اتخاذ الولد نقصا لأنه لا يخلو من أن يكون ولاده أو تبنيا و كلاهما يوجب التشبيه و من أشبه المحدث كان على صفه نقص

«يَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى مبدعهما و منشئهما بعلمه ابتداء لا من شىء و لا على مثال سبق و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

«أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ» أى كيف يكون له ولد و من أين يكون له ولد «وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً» أى زوجته و إنما يكون الولد من النساء فيما يتعارفونه «وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ» فى هذا نفى للصاحبه و الولد فإن من خلق الأشياء لا يكون شىء من خلقه صاحبه له و لا ولدا و لأن الأشياء كلها مخلوقه له فكيف يتعزز بالولد و يتكثر به «وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» يعلم الأشياء كلها موجودها و معدومها لا يخفى عليه خافيه و من قال أن فى قوله «وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ» دلالة على خلق أفعال العباد فجوابه أن المفهوم منه أنه أراد المخلوقات كما يفهم المأكولات من قول من قال أكلت كل شىء و المخلوقات كلها بما فيها من التقدير العجيب يضاف خلقها إليه سبحانه على أنه سبحانه قد نزه نفسه عن إفك العباد و كذبهم فلو كان خلقا له لما تنزه عنه.

إشارة

ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣)

اللغة

الوكيل على الشئ هو الحافظ له الذى يحوطه و يدفع الضرر عنه و إنما وصف سبحانه نفسه بأنه و كليل مع أنه مالك الأشياء لأنه لما كانت منافعها لغيره لاستحاله المنافع عليه و المضار صحت هذه الصفه له و قيل الوكيل من يوكل إليه الأمور يقال و كلت إليه هذا الأمر أى وليته تدبيره و المؤمن يتوكل على الله أى يفوض أمره إليه و الإدراك اللحاق يقال أدرك قتاده الحسن أى لحقه و أدرك الطعام نضج و أدرك الزرع بلغ منتهاه و أدرك الغلام بلغ و لحق حال الرجوليه و أدركته ببصرى لحقته ببصرى و تدارك القوم تلاحقوا و لا يكون الإدراك بمعنى الإحاطه لأن الجدار محيط بالدار و ليس بمدرك لها و البصر الحاسه التى تقع بها الرؤيه.

الإعراب

«خَالِقٌ كُلِّ شَيْءٍ» خبر مبتدأ محذوف و يجوز أن يكون صفه ربكم و كان يجوز نصبه على الحال لأنه نكرة اتصل بمعرفه بعد التمام.

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر الأدله على وحدانيته عقبه بتبنيه عباده على أنه الإله المستحق للطاعه و العباده و تعليمهم الاستدلال بأفعاله عليه فقال «ذَلِكُمْ» أى ذلك الذى خلق هذه الأشياء و دبر هذه التدابير لكم أيها الناس هو «اللَّهُ رَبُّكُمْ» أى خالقكم و مالككم و مدبركم و سيدكم «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ» أى كل مخلوق من الأجسام و الأعراض التى لا يقدر عليها غيره «فَاعْبُدُوهُ» لأنه المستحق للعباده «وَ هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ» أى حافظ و مدبر و حفيظ على خلقه فهو و كليل على الخلق و لا يقال و كليل لهم «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ» أى لا- تراه العيون لأن الإدراك متى قرن بالبصر لم يفهم منه إلا- الرؤيه كما أنه إذا قرن بآله السمع فليل أدركت بإذنى لم يفهم منه إلا- السماع و كذلك إذا أضيف إلى كل واحد من الحواس أفاد ما تلك الحاسه آله فيه فقولهم أدركته بسمى معناه وجدت طعمه و أدركته بأنفى معناه وجدت رائحته «وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ» تقديره لا تدركه ذوو الأبصار و هو يدرك ذوى الأبصار أى المبصرين و معناه أنه يرى و لا يرى و بهذا خالف سبحانه جميع الموجودات لأن منها ما يرى و يرى كالأحياء و منها ما يرى و لا يرى كالجمادات و الأعراض المدركه و منها ما لا يرى و لا يرى كالأعراض غير المدركه فالله تعالى خالف جميعها و تفرد بأن يرى و لا يرى و تمدح فى الآيه بمجموع الأمرين كما تمدح فى الآيه الأخرى بقوله وَ هُوَ يُطْعِمُ وَ لَا

روى العياشى بالإسناد المتصل أن الفضل بن سهل ذا الرياستين سأل أبا الحسن على بن موسى الرضا (عليه السلام) فقال أخبرني عما اختلف الناس فيه من الرؤيه فقال من وصف الله بخلاف ما وصف به نفسه فقال أعظم الفريه على الله «لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ» وهذه الأبصار ليست هي الأعين إنما هي الأبصار التي في القلوب لا يقع عليه الأوهام ولا يدرك كيف هو

«وَ هُوَ اللَّطِيفُ» قيل في معناه وجوه (أحدها) أنه اللطيف بعباده بسبوغ الإنعام غير أنه عدل عن وزن فاعل إلى فاعيل للمبالغه (و الثاني) أن معناه لطيف التدبير إلا أنه حذف لدلاله الكلام عليه- (و الثالث) أن اللطيف الذي يستقل الكثير من نعمه و يستكثر القليل من طاعه عباده (و الرابع) أن اللطيف الذي إذا دعوته لباك و إن قصدته آواك و إن أحببته أدناك و إن أطعته كافأك و إن عصيته عافاك و إن عرضت عنه دعاك و إن أقبلت إليه هداك (و الخامس) اللطيف من يكافى الوافى و يعفو عن الجافى (و السادس) اللطيف من يعز المفتخر به و يغنى المفتقر إليه (و السابع) اللطيف من يكون عطاؤه خيره و منعه ذخيره «الْخَيْرِ» العليم بكل شىء من مصالح عباده فيدبرهم عليها و بأفعالهم فيجازيهم عليها.

[سوره الأنعام (٦): الآيات ١٠٤ الى ١٠٥]

اشاره

قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَ مَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (١٠٤) وَ كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَ لِيُقُولُوا دَرَسْتَ وَ لِيُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١٠٥)

القراءه

قرأ ابن كثير و أبو عمرو دارست و قرأ ابن عامر و يعقوب و سهل درست بفتح السين و سكون التاء و الباقون «دَرَسْتَ» و فى قراءه عبد الله و أبى درس أى ليقولوا درس محمد و روى عن ابن عباس و الحسن درست.

الحجه

من قرأ دارست فمعناه أنك دارست أهل الكتاب و ذاكرتهم و يقويه قوله وَ أَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ و من قرأ «دَرَسْتَ» فحجته أن ابن مسعود قرأ درس فأسند الفعل فيه إلى الغيبه كما أسند إلى الخطاب و من قرأ درست فهو من الدروس الذى هو تعفى الأثر أى انمحت و يكون اللام فى «لِيُقُولُوا» على هذا بمعنى لكراميه أن يقولوا و لأن لا يقولوا أنها أخبار قد تقدمت فطال العهد بها و باد من كان يعرفها لأن تلك الأخبار لا تخلو من خلل فإذا سلم

الكتاب منه لم يكن لطاعن فيه مطعن و أما على القراءتين الأوليين فاللام فى ليقولوا كالتى فى قوله «لِيَكُونَ لَهُمْ عَيْدٌ وَحَزَنًا» و لم يلتقطوه لذلك كما لم يصرف الآيات ليقولوا درست و دارست و لكن لما قالوا ذلك أطلق على هذا للاتساع و أما قراءة ابن عباس درست ففيه ضمير الآيات و معناه درستها أنت يا محمد و يجوز أن يكون معناه عفت و تنوسيت فيكون كقوله إن هذا إلا أساطير الأولين.

اللغة

البصيره البينه و الدلاله التى يبصر بها الشىء على ما هو به و البصائر جمعها و البصيره مقدار الدرهم من الدم و البصره الترس و البصيره الثأر و الديه قال الشاعر:

جاءوا بصائرهم على أكتافهم و بصيرتى يعدو بها عتد و أى

أى أخذوا الديات فصارت عارا و بصيرتى على فرسى أطلب بها ثارى و قيل أراد ثقل دمائهم على أكتافهم لم يثأروا بها قال الأزهرى البصيره ما اعتقد فى القلب من تحقيق الشىء و الشقه تكون على الجنا و الإبصار الإدراك بحاسه البصر و الدرس أصله استمرار التلاوه و درس الأثر دروسا إذا انمحي لاستمرار الزمان به و درست الريح الأثر دروسا محته باستمرارها عليه.

الإعراب

«كَذَلِكَ» موضع الكاف نصب منه بكونه صفه للمصدر أى تصريفا مثل ذلك التصريف و اللام فى «وَلِيَقُولُوا» معطوف على محذوف تقديره ليجحدوا و ليقولوا درست و اللام لام العاقبه.

المعنى

ثم بين سبحانه أنه بعد هذه الآيات قد أزاح العله للمكلفين فقال «قَدْ جَاءَكُمْ» أيها الناس «بصائر» بينات و دلالات «مِنْ رَبِّكُمْ» تبصرون بها الهدى من الضلال و تميزون بها بين الحق و الباطل و وصف البينه بأنها جاءت تفخيما لشأنها كما يقال جاءت العافيه و انصرف المرض و أقبل السعد «فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ» أى من تبين هذه الحجج بأن نظر فيها حتى أوجبت له العلم فمنفعه ذلك تعود إليه و لنفسه نظر «وَمَنْ عَمِيَ» فلم ينظر فيها و صدف عنها «فَعَلَيْهَا» أى على نفسه وباله و بها أضر و إياها ضر فسمى

العلم و التبيين إحصارا و الجهل عمى مجازا و توسعا و فى هذا دلالة على أن المكلفين مخيرون فى أفعالهم غير مجبرين ثم أمر سبحانه نبيه بأن يقول لهم «وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ» أى لست أنا الرقيب على أعمالكم قال الزجاج معناه لست آخذكم بالإيمان آخذ الحفيظ عليكم و الوكيل و هذا قبل الأمر بالقتال فلما أمر النبي ص بالقتال صار حفيظا عليهم و مسيطرا على كل من تولى «وَكَذَلِكَ» أى و كما صرفنا الآيات قبل «نُصِرْتُ» هذه «الآيات» قال على بن عيسى و التصريف إجراء المعنى الدائر فى المعانى المتعاقبة لتجتمع فيه وجوه الفائده «وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ» ذلك يا محمد أى تعلمته من اليهود قال الزجاج و هذه اللام تسميها أهل اللغة لام الصيروره أى أن السبب الذى أدهم إلى أن قالوا درست هو تلاوه الآيات و كذلك درست أى درست أهل الكتابين و قارأتهم و ذاكرتهم عن الحسن و مجاهد و السدى و ابن عباس «وَلِيُنَبِّئَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» معناه لنبين الذى هذه الآيات داله عليه للعلماء الذين يعقلون ما نوره عليهم و إنما خصهم بذلك لأنهم انتفعوا به دون غيرهم.

[سوره الأنعام (٦): الآيات ١٠٦ الى ١٠٧]

إشارة

اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَاعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (١٠٦) وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَ مَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (١٠٧)

اللغة

الاتباع أن يتصرف الثانى بتصريف الأول و النبى كان يتصرف فى الدين بتصريف الوحي فلذلك كان متبعا و كذلك كل متدبر بتدبير غيره فهو متبع له و الإيحاء هو إلقاء المعنى إلى النفس على وجه يخفى و الإيعراض أصله الانصراف بالوجه إلى جهة العرض و منه:

و أعرضت اليمامة و اشمخرت كأسياف بأيدى مصلتينا

أى ظهرت كالظهور بالعرض و منه المعارضه لظهور المساواه بها كالظهور بالعرض

و الاعتراض المنع من الشىء الحاجز عنه عرضا و منه العرض الذى يظهر كالظهور بالعرض ثم لا يلبث و حد أيضا بأنه ما يظهر فى الوجود و لا يكون له لبث كلبث الجواهر.

المعنى

ثم أمر سبحانه نبيه ص باتباع الوحي فقال «اتَّبِعْ» أيها الرسول «مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» إنما أعاد سبحانه هذا القول لأن المراد ادعهم إلى أنه لا إله إلا هو عن الحسن و قيل معناه ما أوحى إليك من أنه لا إله إلا هو «وَ أَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ» قال ابن عباس نسخته آية القتال و قيل معناه اهجرهم و لا تخالطهم و لا تلاطفهم و لم يرد به الإعراض عن دعائهم إلى الله تعالى و حكمه ثابت «وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا» أى لو شاء الله أن يتركوا الشرك قهرا و إجبارا لاضطرهم إلى ذلك إلا أنه لم يضطرهم إليه بما ينافى أمر التكليف و أمرهم بتركة اختيارا ليستحقوا الثواب و المدح عليه فلم يتركوه فأتوا به من قبل نفوسهم و فى تفسير أهل البيت (عليه السلام) لو شاء الله أن يجعلهم كلهم مؤمنين معصومين حتى كان لا يعصيه أحد لما كان يحتاج إلى جنه و لا إلى نار و لكنه أمرهم و نهاهم و امتحنهم و أعطاهم ما له به عليهم الحجه من الآله و الاستطاعه ليستحقوا الثواب و العقاب «وَ مَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا» مراقبا لأعمالهم «وَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ» أى و لست بموكل عليهم بذلك و إنما أنت رسول عليك البلاغ و علينا الحساب و جمع بين حفيظ و وكيل لاختلاف معنى اللفظين فإن الحافظ للشىء هو الذى يصونه عما يضره و الوكيل على الشىء هو الذى يجلب الخير إليه.

[سوره الأنعام (٦): آيه ١٠٨]

إشارة

وَ لَا تَتَّبِعُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ عِدْوًا بَغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٠٨)

القراءة

قرأ يعقوب عدوا بضم العين و الدال و تشديد الواو و هو قراءة الحسن و أبى رجاء و قتاده و قرأ الباقون «عِدْوًا» بفتح العين و سكون الدال.

الحجه

العدو و العدو جميعا الظلم و التعدى للحق و مثلهما العدوان و العداة و إنما انتصب «عِدْوًا» لأنه مصدر فى موضع الحال.

السب الذكر بالقبيح و منه الشتم و الدم و أصله السبب كأنه يتسبب إلى ذكره بالقبيح و سبك الذى يسابك قال:

لا تسبني فلست بسبى إن سبى من الرجال الكريم

و قيل أصل السب القطع.

النزول

قال ابن عباس لما نزلت «إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ» الآية قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون ربك فنزلت الآية و قال قتاده كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فنهاهم الله عن ذلك لثلاثا يسبوا الله فإنهم قوم جهله.

المعنى

ثم نهى الله المؤمنين أن يسبوا الأصنام لما فى ذلك من المفسده فقال «وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» أى لا تخرجوا من دعوه الكفار و محتاجتهم إلى أن تسبوا ما يعبدونه من دون الله فإن ذلك ليس من الحجاج فى شىء «فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا» أى ظلما «بِغَيْرِ عِلْمٍ» و أنتم اليوم غير قادرين على معاقبتهم بما يستحقون لأن الدار دارهم و لم يؤذن لكم فى القتال و إنما قال من دون الله لأن المعنى يدعونه إلها و فى هذا دلالة على أنه لا ينبغى لأحد أن يفعل أو يقول ما يؤدى إلى معصيه غيره و

سئل أبو عبد الله (عليه السلام) عن قول النبى (صلى الله عليه و آله) أن الشرك أخفى من ديب النمل على صفوانه سوداء فى ليله ظلماء فقال كان المؤمنون يسبون ما يعبد المشركون من دون الله فكان المشركون يسبون ما يعبد المؤمنون فنهى الله المؤمنين عن سب آلهتهم لكيلا يسب الكفار إله المؤمنين فكان المؤمنون قد أشركوا من حيث لا يعلمون

«كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ» قيل فى معناه أقوال (أحدها) أن المراد كما زينا لكم أعمالكم زينا لكل أمة ممن قبلكم أعمالهم من حسن الدعاء إلى الله تعالى و ترك السب للأصنام و نهيناهم أن يأتوا من الأفعال ما ينفر الكفار عن قبول الحق عن الحسن و الجبائى و يسمى ما يجب على الإنسان أن يعلمه بأنه عمله كما تقول لولدك أو غلامك اعمل عملك أى ما ينبغى لك أن تفعله (و ثانيها) أن معناه و كذلك زينا لكل أمة عملهم بميل الطباع إليه و لكن قد عرفناهم الحق مع ذلك ليأتوا الحق و يجتنبوا الباطل (و ثالثها) أن المراد زينا عملهم بذكر ثوابه فهو كقوله «وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَ زَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَ كَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعِصْيَانَ» يريد حبب إليكم الإيمان بذكر ثوابه و مدح فاعليه على فعله و كره الكفر بذكر عقابه و ذم فاعليه على فعله و لم يرد سبحانه بذلك أنه زين عمل الكافرين لأن ذلك

يقتضى الدعاء إليه و الله تعالى ما دعا أحدا إلى معصيته لكنه نهى عنها و ذم فاعليها و قد قال سبحانه «و زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ»* و لا خلاف أن المراد بذلك الكفر و المعاصى و فى ذلك دلالة على أن المراد به فى الآيه تزيين أعمال الطاعة «ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ» أى مصيرهم «فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أى بأعمالهم من الخير و الشر نهى الله سبحانه فى هذه الآيه عن سب الأصنام لئلا يؤدى ذلك إلى سبه فإذا كان سبحانه لا يريد ما ربما يكون سببا إلى سبه فلاأن لا يريد سب نفسه أولى و أجدر و أيضا إذا لم يرد سب الأصنام إذا كان زياده فى كفر الكافرين فلاأن لا يريد كفرهم أخرى فبطل قول المجبره.

[سوره الأنعام (٦): الآيات ١٠٩ الى ١١٠]

إشارة

وَ أَفْسِدُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَ مَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩) وَ نُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَ أَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ نَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠)

القرءاء

قرأ ابن كثير و أهل البصره و أبو بكر عن عاصم و نصير عن الكسائى و خلف إنها بكسر الألف و قرأ الباقون «أَنَّهَا» بفتح الألف و قرأ ابن عامر و حمزه لا تؤمنون بالتاء و الباقون «لا يؤمنون» بالياء و فى الشواذ و يذرهم بالياء و الجزم قرءاه الأعمش.

الحجج

قال أبو على «وَ مَا يُشْعِرُكُمْ» ما فيه استفهام و فاعل «يُشْعِرُكُمْ» ضمير ما و لا يجوز أن يكون نفيًا لأن الفعل فيه يبقى بلا فاعل فإن قلت يكون ما نفيًا و يكون فاعل «يُشْعِرُكُمْ» ضمير اسم الله تعالى قيل ذلك لا يصح لأن التقدير يصير و ما يشعركم الله انتفاء إيمانهم و هذا لا يستقيم لأن الله قد أعلمنا أنهم لا يؤمنون بقوله «وَ لَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا» الآيه و إذا فسد أن يكون ما للنفي ثبت أنها للاستفهام فيكون اسما فيصير فى الفعل ضميره و يكون المعنى و ما يدريكم إيمانهم إذا جاءت فحذف المفعول و حذف المفعول كثير ثم قال إنهم لا يؤمنون مع مجىء الآيه فمن كسر الهمزه فإنه استأنف على القطع بأنهم لا يؤمنون و من فتح الهمزه جاز أن يكون «يُشْعِرُكُمْ» منقولاً من شعرت الشىء و شعرت به مثل دريته و دريت به فى أنه يتعدى مره بحرف

و مره بلا- حرف فإذا عديته بالحرف جاز أن يكون أن في قول من لم يجعلها بمعنى لعل في موضع جر لأن الكلام لما طال صار كالبدل منه و جاز أن يكون في موضع نصب و الوجه في هذه القراءة على تأويلين (أحدهما) أن يكون بمعنى لعل كقول الشاعر و هو دريد بن الصمه:

ذريني أطوف في البلاد لأنني أرى ما ترين أو بخيلا مخلدا

و قال:

هل أنتم عائجون بنا لأنا نرى العرصات أو أثر الخيام

و قال عدى بن زيد:

أ عاذل ما يدريك أن منيتي إلى ساعه في اليوم أو في ضحى الغد

أى لعل منيتي المعنى و ما يشعركم لعلها إذا جاءت لا يؤمنون و هذا ما فسره الخليل بقوله ائت السوق إنك تشتري لنا شيئا أى لعلك و قد جاء في التنزيل لعل بعد العلم قال سبحانه «و ما يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى» «و ما يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ» و التأويل الآخر الذى لم يذهب إليه الخليل و سيبويه أن يكون لا فى قوله «لا يُؤْمِنُونَ» زائده و التقدير و ما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون و مثل لا هذه فى كونها فى تأويل زائده و فى آخر غير زائده قول الشاعر:

أبى جوده لا البخل و استعجلت به نعم من فتى لا يمنع الجوع قاتله

يريد لا يمنع الجائع الخبز و ينشد أبى جوده لا البخل و لا البخل فمن نصب البخل جعلها زائده كأنه قال أبى جوده البخل و من قال لا- البخل أضاف لا- إلى البخل و وجه القراءة بالياء فى «يُؤْمِنُونَ» أن المراد بهم قوم مخصوصون بدلاله قوله وَ لَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ الْآيَةَ و ليس كل الكفار بهذه الصفة أى لا يؤمن هؤلاء المقسمون و وجه القراءة بالتاء أنه انصراف من الغيبة إلى الخطاب و المراد بالمخاطبين هم الغيب المقسمون الذين أخبر عنهم أنهم لا- يؤمنون و من قرأ و يذرهم فإنه أسكن المرفوع تخفيفاً.

ص: ١٢٢

الجهد بالفتح المشقة و الجهد بالضم الطاقه و قيل الجهد بالفتح المبالغه فقوله «جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ» أى بالغوا فى اليمين و اجتهدوا فيه و هو منصوب على المصدر لأنه مضاف إلى المصدر و المضاف إلى المصدر مصدر فإن الأيمان جمع اليمين و اليمين هى القسم و التقدير و أقسموا بالله جهد أقسامهم.

النزول

قالت قريش يا محمد تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر فينفجر منه اثنتا عشره عينا و تخبرنا أن عيسى كان يحيى الموتى و تخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقه فأتنا بآيه من الآيات حتى نصدقك فقال رسول الله ص أى شىء تحبون أن آتيكم به قالوا اجعل لنا الصفا ذهبا و ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم عنك أ حق ما تقول أم باطل و أرننا الملائكه يشهدون لك أو اثنتا بالله و الملائكه قبيلاء فقال رسول الله ص فإن فعلت بعض ما تقولون أ تصدقوننى قالوا نعم و الله لئن فعلت لنتبعنك أجمعين و سأل المسلمون رسول الله ص أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا فقام رسول الله ص يدعو أن يجعل الصفا ذهبا فجاءه جبرائيل (عليه السلام) فقال له إن شئت أصبح الصفا ذهبا و لكن إن لم يصدقوا عذبتهم و إن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله ص بل يتوب تائبهم فأنزل الله تعالى هذه الآيه عن الكلبى و محمد بن كعب القرظى..

المعنى

ثم بين سبحانه حال الكفار الذين سألوه الآيات فقال «وَأَقْسِيْمُوا» أى حلفوا «بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ» أى مجدين مجتهدين مظهرين الوفاء به «لئن جاءتهم آية» مما سألوه «ليؤمننَّ بها قُلْ» يا محمد «إِنَّمَا الْآيَاتُ» أى الأعلام و المعجزات «عِنْدَ اللَّهِ» و الله تعالى مالكها و القادر عليها فلو علم صلاحكم فى إنزالها لأنزلها «وَمَا يُشْعِرُكُمْ» الخطاب متوجه إلى المشركين عن مجاهد و ابن زيد و قيل هو متوجه إلى المؤمنين عن الفراء و غيره لأنهم ظنوا أنهم لو أجيبوا إلى الآيات لآمنوا «أَنَّهُا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ» قد مر معناه «وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَ أَبْصَارَهُمْ» أخبر سبحانه أنه يقلب أفئده هؤلاء الكفار و أبصارهم عقوبه لهم و فى كيفية تقلبيهما قولان (أحدهما) أنه يقلبهما فى جهنم على لهب النار و حر الجمر «كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ» فى الدنيا عن الجبائى قال و جمع بين صفتهم فى الدنيا و صفتهم فى الآخرة كما قال وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ يَعْزِفُ فِي الْآخِرَةِ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ يَعْزِفُ فِي الدُّنْيَا (و الآخر) أن المعنى نقل أفئدتهم و أبصارهم بالحيره التى تغم و تزعج النفس و قوله «كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ» قيل إنه متصل بما قبله و تقديره و أقسموا بالله ليؤمنن بالآيات و الله

تعالى قد قلب قلوبهم و أبصارهم و علم أن فيها خلاف ما يقولون يقال فلان قد قلب هذه المسألة و قلب هذا الأمر إذا عرف حقيقته و وقف عليه و ما يدريكم «أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا- يُؤْمِنُونَ» كما لم يؤمنوا بما أنزل الله من الآيات أول مره عن ابن عباس و مجاهد و قيل معناه لو أعيدوا إلى الدنيا ثانيه لم يؤمنوا به كما لم يؤمنوا به أول مره في الدنيا كما قال وَ لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ عن ابن عباس في روايه أخرى و قيل معناه يجازيهم في الآخره كما لم يؤمنوا به في الدنيا عن الجبائي و الهاء في به يحتمل أن يكون عائده على القرآن و ما أنزل من الآيات و يحتمل أن تكون عائده على النبي ص «وَ نَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ» أى نخليهم و ما اختاروه من الطغيان فلا نحول بينه و بينهم «يَعْمَهُونَ» يترددون في الحيره قال الحسين بن علي المغربي قوله «وَ نُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَ أَبْصَارَهُمْ» حشو بين الجملتين و معناه أنا نحيط علما بذات الصدور و خائنه الأعين أى نخبر قلوبهم فنجد باطنها بخلاف ظاهرها.

[سوره الأنعام (٦): آيه ١١١]

إشارة

وَ لَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَ كَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَ حَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (١١١)

القراءة

قرأ ابن كثير و أبو عمرو و يعقوب «قُبُلًا» بضممتين هاهنا و فى الكهف قبلًا بكسر القاف و فتح الباء و قرأ أبو جعفر هاهنا بكسر القاف و فى الكهف بالضم و قرأ نافع و ابن عامر قبلًا* بكسر القاف فى موضعين و قرأ أهل الكوفه بضم القاف فى السورتين.

الحجج

«قُبُلًا» يحتمل أن يكون جمع قبيل بمعنى الكفيل و يجوز أن يكون بمعنى الصنف كما فسر أبو عبيده و يجوز أن يكون بمعنى قبل أى مواجهه كما فسر أبو زيد فى قوله لقيت فلانا قبلا و قبلا و قبلا و مقابله و قبلا كله واحد و هو المواجهه فالمعنى فى القراءة تين على قوله واحد و إن اختلف اللفظان.

اللغة

الحشر الجمع مع سوق و كل جمع حشر.

المعنى

ثم بين سبحانه حالهم فى عنادهم و ترددهم فى طغيانهم و كفرهم فقال

«وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ» حتى يروهم عيانا يشهدون لنبينا بالرسالة «وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى» أى و أحيينا الموتى حتى كلموهم بالتوحيد و شهدوا لمحمد بالرسالة «وَحَشَرْنَا» أى جمعنا «عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ» أى كل آيه و قيل كل ما سألوه «قُبَلًا» أى معاينه و مقابله حتى يواجهوها عن ابن عباس و قتاده و معناه أنهم من شده عنادهم و تركهم الانقياد و الإذعان للحق يشكون فى المشاهدات التى لا- يشك فيها و مثله قوله «وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ» و قبلأ أى قبيلأ قبيلأ يعنى جماعه جماعه عن مجاهد هذا إذا حملت قبلأ- على جمع القبيل الذى هو الصنف و إنما كانت تبهر هذه الآيه لأنه ليس فى العرف أن يجتمع جميع الأشياء و تنحسر إلى موضع و قيل كفلاء عن الفراء و هذا الوجه فيه بعد لأنهم إذا لم يؤمنوا عند إنزال الملائكه إليهم و كلام الموتى فإن لا يؤمنوا بالكفاله أجدر إلا أن يكون المراد حشر كل شىء و فى الأشياء المحشوره ما لا ينطق فإذا نطق بالكفاله ما لا ينطق كان خارقا للعادة «ما كانوا ليؤمنوا» عند هذه الآيات

«إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ» أن يجبرهم على الإيمان عن الحسن و هو المروى عن أهل البيت (عليه السلام)

و المعنى أنهم قط لا- يؤمنون مختارين إلا أن يكرهوا «وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ» أن الله قادر على ذلك و قيل معناه يجهلون أنهم لو أوتوا بكل آيه ما آمنوا طوعا و قيل معناه يجهلون مواضع المصلحه فيطلبون ما لا فائده فيه و فى الآيه دلالة على أن الله سبحانه لو علم أنه إذا فعل ما اقترحوه من الآيات آمنوا لفعل ذلك و لكان ذلك من الواجب فى حكمته لأنه لو لم يجب ذلك لم يكن لتعليقه بأنه لم يظهر هذه الآيات لعلمه بأنه لو فعلها لم يؤمنوا معنى و فيها أيضا دلالة على أن إرادته محدثه لأن الاستثناء يدل على ذلك إذ لو كانت قديمه لم يجز هذا الاستثناء و لم يصح كما كان لا يصح لو قال ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يعلم الله و إلا أن يقدر الله لحصول هاتين الصفتين فيما لم يزل و متى قيل فلم لا يقال أنهم لم يؤمنوا لأنه سبحانه يعلم أنه لم يشأ فالقول فيه أنه لو كان كذلك لكان وقوع الإيمان منهم موقوفا على المشيئه سواء كانت الآيات أم لم تكن و فى هذا إبطال للآيات.

[سوره الأنعام (٦): الآيات ١١٢ الى ١١٣]

إشارة

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ (١١٢) وَ لَتَضَعِي إِلَيْهِ أَفئِدَهُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَ لِيَرْضَوْهُ وَ لِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ (١١٣)

ص: ١٢٥

فى الشواذ عن الحسن و لتصغى إليه و ليرضوه و ليقترفوا بسكون اللام فى الجمع و القراءه الظاهره بكسر اللام فى سائرهما.

الحجه

قال أبو الفتح هذه اللام هى الجاره أعنى لام كى و هى معطوفه على الغرور من قوله يُوجى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُوراً أَى للغرور و لأن «تصغى إليه أفيدته الذين لا- يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَ لِيَرْضَوْهُ وَ لِيَقْتَرِفُوا» إلا- أن إسكان هذه اللام شاذ فى الاستعمال على قوته فى القياس لأن هذا الإسكان إنما كثر عنهم فى لام الأمر نحو قوله تعالى «ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَ لِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَ لِيُطَوِّفُوا» و إنما أسكنت تخفيفاً لثقل الكسره فيها و فرقوا بينها و بين لام كى بأن لم يسكنوها و كأنهم إنما اختاروا السكون للام الأمر و التحريك للام كى من حيث كانت لام كى نائبه فى أكثر الأمر عن أن و هى أيضا فى جواب كان سيفعل إذا قلت ما كان ليفعل محذوفه مع اللام البته فلما نابت عنها قووها بإقرار حركتها فيها لأن الحرف المتحرك أقوى من الساكن و الأقوى أشبه بأن ينوب عن غيره من الأضعف.

اللغه

الزخرف المزين يقال زخرفه زخرفه إذا زينه و الزخرف كمال حسن الشىء و

فى الحديث أنه ص لم يدخل الكعبه حتى أمر بالزخرف فنحى

قيل كانت نقوش و تصاوير زينت الكعبه بها و قيل أراد بالزخرف الذهب و الغرور ما له ظاهر تحبه و فيه باطن مكروه و الشيطان غرور لأنه يحمل على محاب النفس و وراءه سوء العاقبه و بيع الغرر ما لا يكون على ثقه و صغوت إليه أصغى صغوا و صغوا و صغيت أصغى بالياء أيضا و أصغيت إليه إصغاء بمعنى قال الشاعر:

ترى السفينه به عن كل محكمه زيغ و فيه إلى التشبيه إصغاء

و يقال أصغيت الإناء إذا أملتة ليجتمع ما فيه و منه

الحديث كان رسول الله ص يصغى الإناء لله

و الأصل فيه الميل إلى الشىء لغرض من الأغراض و الاعتراف اكتساب الإثم و يقال

خرج يقترف لأهله أى يكتسب لهم و قارف فلان هذا الأمر إذا واقعه و عمله و قرف الذنب و اقترفه عمله و قرفه بما ادعاه عليه أى رماه بالريبه و قرف القرحة أى قشر منها و اقترف كذبا.

الإعراب

نصب عدوا على أحد وجهين إما أن يكون مفعول جعلنا و شياطين بدل منه و مفسر له و عدوا فى معنى أعداء و إما أن يكون أصله خبرا و يكون هنا مفعولا ثانيا لجعلنا على تقدير جعلنا شياطين الإنس و الجن عدوا أى أعداء و قوله «غُرُوراً» نصب على المصدر من معنى الفعل المتقدم لأن معنى إيهاء الزخرف من القول معنى الغرور فكأنه قال يغرون غرورا عن الزجاج و قيل أنه مفعول له عن ابن جنى و قيل نصب على البدل من زخرف عن أبى مسلم.

المعنى

ثم بين سبحانه ما كان عليه حال الأنبياء (عليه السلام) مع أعدائهم تسليه لنيبه ص فقال «وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ» أى و كما جعلنا لك شياطين الإنس و الجن أعداء كذلك جعلنا لمن تقدمك من الأنبياء و أممهم و قيل فى معنى قوله و جعلنا هنا وجوه (أحدها) أن المراد كما أمرناك بعداوه قومك من المشركين فقد أمرنا من قبلك بمعاداة أعدائهم من الجن و الإنس و متى أمر الله رسوله بمعاداة قوم من المشركين فقد جعلهم أعداء له و قد يقول الأمير للمبارز من عسكره جعلت فلانا قرنك فى المبارزه و إنما يعنى بذلك أنه أمره بمبارزته لأنه إذا أمره بمبارزته فقد جعل من يبارزه قرنا له (و ثانيها) أن معناه حكمنا بأنهم أعداء و أخبرنا بذلك لتعاملوهم معاملة الأعداء فى الاحتراز عنهم و الاستعداد لدفع شرهم و هذا كما يقال جعل القاضى فلانا عدلا و فلانا فاسقا إذا حكم بعداله هذا و فسق ذلك (و ثالثها) أن المراد خيلنا بينهم و بين اختيارهم العداوه لم نمنعهم عن ذلك كرها و لا جبرا لأن ذلك يزيل التكليف (و رابعها) أنه سبحانه إنما أضاف ذلك إلى نفسه لأنه سبحانه لما أرسل إليهم الرسل و أمرهم بدعائهم إلى الإسلام و الإيمان و خلع ما كانوا يعبدونه من الأصنام و الأوثان نصبوا عند ذلك العداوه لأنبيائه (عليه السلام) و مثله قوله سبحانه مخبرا عن نوح (عليه السلام) «فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا» و المراد بشياطين الإنس و الجن مرده الكفار من الفريقين عن الحسن و قتاده و مجاهد و قيل إن شياطين الإنس الذين يغوونهم و شياطين الجن الذين هم من ولد إبليس عن السدى و عكرمه و فى تفسير الكلبي عن ابن عباس أن إبليس جعل جنده فريقين فبعث فريقا منهم إلى الإنس و فريقا إلى الجن فشياطين الإنس و الجن أعداء الرسل و المؤمنين فيلتقى شياطين الإنس و شياطين الجن فى كل حين فيقول بعضهم لبعض أضللت صاحبي

بكذا فأصل صاحبك بمثلها فكذلك يوحي بعضهم إلى بعض

و روى عن أبي جعفر (عليه السلام) أيضا أنه قال إن الشياطين يلقى بعضهم بعضا فيلقى إليه ما يغوى به الخلق حتى يتعلم بعضهم من بعض

«يُوحَى» أى يوسوس و يلقى خفيه «بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ» أى المموه المزين الذى يستحسن ظاهره لا حقيقه له و لا أصل «عُزُورًا» أى يغرونهم بذلك غرورا أو ليغروهم بذلك «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ» أخبر سبحانه أنه لو شاء أن يمنعهم من ذلك جبرا و يحول بينهم و بينه لقدر على ذلك و لو حال بينهم و بينه لما فعلوه و لكنه خلى بينهم و بين أفعالهم إبقاء للتكليف و امتحانا للمكلفين و قيل معناه و لو شاء ربك ما فعلوه بأن ينزل عليهم عذابا أو آيه فتظل أعناقهم لها خاضعين «فَدَرَّهُمْ وَ مَا يَفْتَرُونَ» أى دعهم و افتراءهم الكذب فإنى أجازيهم و أعاقبهم أمر سبحانه نبيه ص بأن يخلى بينهم و بين ما اختاروه و لا يمنعهم منه بالقهر تهديدا لهم كما قال اغمّلوا ما شئتم دون أن يكون أمرا واجبا أو ندبا «وَلِتَصِيغِي إِلَيْهِ» أى و لتميل إلى هذا الوحي بزخرف القول أو إلى هذا القول المزخرف «أَفَيْتَهُ» أى قلوب «الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ» و العامل فى قوله «وَلِتَصِيغِي» قوله «يُوحَى» و لا يجوز أن يكون العامل فيه جعلنا لأن الله سبحانه لا يجوز أن يريد إصغاء القلوب إلى الكفر و وحى الشياطين إلا أن تجعلها لام العاقبه كما فى قوله فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَنًا عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ مَعْلُومٍ أَن كُلِّ مَنْ أَرَادُوا مِنْهُ الصَّغْوَ قَدْ صَغَى إِلَى كَلَامِهِمْ و لم يصح ذلك أيضا فى قوله «وَلِيَزْضُوهُ» وَ لِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ» لأنه غير معلوم حصول ذلك و على ما قلناه يكون جميع ذلك معطوفا بعضه على بعض و المراد بالأفئده أصحاب الأفئده و لكن لما كان الاعتقاد فى القلب و كذلك الشهوه أسند الصغو إلى القلب «وَلِيَزْضُوهُ» أى و ليرضوا ما أوحى إليهم من القول المزخرف «وَلِيَقْتَرِفُوا» أى و ليكتسبوا من الإثم و المعاصى «مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ» أى مكتسبون فى عداوه النبى ص و المؤمنين عن ابن عباس و السدى و قال أبو على الجبائى إن اللام فى قوله «وَلِتَصِيغِي» و ما بعده لام الأمر و المراد بها التهديد كما قال سبحانه «اغمّلوا ما شئتم» و استفزز من استطعت و هذا غلط فاحش لأنه لو كان كذلك لقال و لتصغ فحذف الألف و قال البلخى اللام فى و لتصغى لام العاقبه و ما بعده لام الأمر الذى يراد به التهديد و هذا جائز إلا أن فيه تعسفا فالأصح ما ذكرناه.

إشارة

أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١١٤)

القراءة

قرأ ابن عامر و حفص «مُنَزَّلٌ» بالتشديد و الباقون بالتخفيف.

الحجة

حجة التشديد قوله سبحانه تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ* و ما أشبهه و حجة التخفيف إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ* و ما أشبهه.

المعنى

ثم أمر الله سبحانه نبيه ص أن يقول لهؤلاء الكفار الذين مضى ذكرهم «أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى حَكْمًا» أى أطلب سوى الله حاكما و الحكم و الحاكم بمعنى واحد إلا أن الحكم أمدح لأن معناه من يستحق أن يتحاكم إليه فهو لا يقضى إلا بالحق و قد يحكم الحاكم بغير حق و المعنى هل يجوز لأحد أن يعدل عن حكم الله رغبة عنه أو هل يجوز أن يكون حكم سوى الله يساويه فى حكمه «وَهُوَ الَّذِي» يعنى و الله الذى «أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ» أى القرآن «مُفَصَّلًا» فصل فيه جميع ما يحتاج إليه و قيل فصل فيه بين الصادق و الكاذب فى الدين و قيل فصل بين الحلال و الحرام و الكفر و الإيمان عن الحسن و معنى التفصيل تبين المعانى بما ينفى التخليط المعمى للمعنى و ينفى أيضا التداخل الذى يوجب نقصان البيان عن المراد «وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ» يعنى بهم مؤمنى أهل الكتاب و الكتاب هو التوراه و الإنجيل و قيل يعنى بهم كبراء الصحابه و أصحاب بدر و الكتاب هو القرآن عن عطا «يَعْلَمُونَ أَنَّهُ» أى إن القرآن «مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ» يعنى ببيان الحق أى يعلمون أن كل ما فيه بيان عن الشىء على ما هو به فترغيبه و ترهيبه و وعده و وعيده و قصصه و أمثاله و غير ذلك جميعه بهذه الصفة و قيل إن معنى بالحق بالبرهان الذى تقدم لهم حتى علموه به «فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ» أى من الشاكين فى ذلك و الخطاب للنبي ص و المراد به للأمه و قيل الخطاب لغيره أى فلا تكن أيها الإنسان أو أيها السامع و قيل الخطاب له ص و المراد به الزيادة فى شرح صدره و يقينه و طمأنينه قلبه و تسكينه كقوله تعالى فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ.

إشارة

وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١١٥)

القراءة

«كَلِمَةُ رَبِّكَ» بالتوحيد عراقى غير أبى عمرو و الباقرن كلمات ربك.

الحجج

من قرأ «كَلِمَةُ رَبِّكَ» قال قد وقع المفرد على الكثره فلذلك أغنى عن الجمع قالوا إن زهيراً قال فى كلمته يعنون قصيدته و قال قس فى كلمته يعنون خطبته و من قرأ بالجمع فلأنه لما كان جمعاً فى المعنى جمعوا.

اللغة

التبديل وضع الشىء مكان غيره و الصدق الخبر الذى مخبره على وفق ما أخبر به و العدل ضد الجور و قيل إن أفعال الله تعالى كلها عدل لأنها كلها على الاستقامة و قيل إنما يوصف بذلك فيما يعامل به عباده.

الإعراب

«صِدْقًا وَعَدْلًا» نصب على التمييز و قيل إنهما مصدران انتصبا على الحال من الكلمه و تقدير ذلك صادق و عادله عن أبى على الفارسى و قد تقدم مثل هذا فيما مضى.

المعنى

ثم بين سبحانه صفه الكتاب المنزل فقال «وَتَمَّتْ» أى كملت على وجه لا يمكن أحداً الزيادة فيه و النقصان منه «كَلِمَةُ رَبِّكَ» أى القرآن عن قتاده و غيره و قيل معناه أنزلت شيئاً بعد شىء حتى كملت على ما تقتضيه الحكمة و قيل إن المراد بالكلمه دين الله كما فى قوله وَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا عن أبى مسلم و قيل المراد بها حجه الله على الخلق «صِدْقًا وَعَدْلًا» ما كان فى القرآن من الأخبار فهو صادق لا يشوبه كذب و ما فيه من الأمر و النهى و الحكم و الإباحه و الحظر فهو عدل «لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ» أى لا مغير لأحكامه عن قتاده لأنه و إن أمكن التغيير و التبديل فى اللفظ كما بدل أهل الكتاب التوراه و الإنجيل فإنه لا يعتد بذلك قال و قد تطلق الكلمه بمعنى الحكم قال سبحانه «وَ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ» أى حكم ربك و يقال عقوبه ربك و قال النبى ص فى صفه النساء إنهن هو أن عندكم استحللتم فروجهن بكلمه الله تعالى و قيل معناه أن القرآن محروس عن الزيادة و النقصان فلا مغير لشىء منه و ذلك أن الله تعالى ضمن حفظه فى قوله «وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» و لا يجوز أن يعنى بالكلمات الشرائع كما عنى بقوله «وَ صَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا» لأن الشرائع قد يجوز فيها النسخ و التبديل «وَ هُوَ السَّمِيعُ» لأقوالكم «الْعَلِيمُ» بضمائركم.

إشارة

وَإِنْ تُطِغْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّ لَوْ كَفَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (١١٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١١٧)

اللغة

الفرق بين الأكثر والأعظم أن الأعظم قد يوصف به واحد ولا يوصف بالأكثر واحد بحال ولهذا يقال في صفة الله تعالى عظيم وأعظم ولا- يوصف بأكثر وإنما يقال أكبر بمعنى أعظم والخرص الكذب يقال خرص يخرص خرصا وخرصا وخرصا وخرصا وخرصا وأصله القطع قال الشاعر:

ترى قصد المران فيهم كأنه تدرع خرصان بأيدي الشواطب

يعنى جريدا يقطع طولاً- ويتخذ منه الحصر وهو جمع الخرص ومنه خرص النخل يخرص خرصا إذا أحرزه والخرص حبه القرط إذا كانت منفردة والخرص العود لانقطاعه عن نظائره بطيب ريحه ولفظه أعلم إذا لم يذكر معها من فله معنيان (أحدهما) أعلم من الكل واجتزئ عن ذكر من كقولهم الله أكبر أى من كل شىء (و الثانى) بمعنى فاعل كقول الفرزدق:

إن الذى سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز و أطول

أى عزيز و طويل.

الإعراب

موضع «مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ» فيه وجوه (أحدها) أنه نصب على حذف الباء حتى يكون مقابلا لقوله «وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» (و الثانى) أن موضع من رفع بالابتداء و لفظها لفظ الاستفهام و المعنى أن ربك هو أعلم أى الناس يضل عن سبيله و هذا مثل قوله تعالى لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ عَنِ الزَّجَاجِ و فى هذه المسألة خلاف و سيأتى شرح ذلك فى موضعه إن شاء الله تعالى (و الثالث) أن موضعها نصب بفعل مضمّر يدل عليه قوله «أَعْلَمُ» فكأنه

قال إن ربك هو أعلم يعلم من يضل عن سبيله و صيغه أفعال من كذا لا تتعدى لأنها غير جارية على الفعل و لا معدوله عن الجارية على الفعل كما عدل ضروب عن ضارب و متجار عن تاجر عن أبي على الفارسي و زعم قوم أن أعلم هاهنا بمعنى يعلم كما قال حاتم الطائي:

فحالت طيئ من دوننا حلفا و الله أعلم ما كنا لهم خذلا

و قالت الخنساء:

أ لقوم أعلم أن جفنته تغدو غداه الريح أو تسرى

و هذا فاسد لأنه لا يطابق قوله وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ و لا يجوز أن يكون من فى موضع جر بإضافه أعلم إليه لأن أفعال لا يضاف إلا إلى ما هو بعضه و جل ربنا و تقدس عن أن يكون بعض الضالين و لا بعض المضلين.

المعنى

لما تقدم ذكر الكتاب بين سبحانه فى هذه الآيه أن من تبع غير الكتاب ضل و أضل فقال «وَ إِنْ تُطِيعْ» يا محمد خاطبه ص و المراد غيره و قيل المراد هو و غيره و الطاعة هى امتثال الأمر و موافقه المطيع المطاع فيما يريده منه إذا كان المريد فوقه و الفرق بينها و بين الإجابة أن الإجابة عامه فى موافقه الإبراده الواقعه موقع المسأله و لا- يراعى فيها الرتبة «أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ» يعنى الكفار و أهل الضلاله و إنما ذكر الأكثر لأنه علم سبحانه أن منهم من يؤمن و يدعو إلى الحق و يذب عن الدين و لكن هم الأقل و الأكثر الضلال «يُضْتَلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» أى عن دينه و فى هذا دلالة على أنه لا عبره فى دين الله و معرفه الحق بالقله و الكثره لجواز أن يكون الحق مع الأقل و إنما الاعتبار فيه بالحجه دون القله و الكثره «إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ» أى ما يتبع هؤلاء المشركون فيما يعتقدونه و يدعون إليه إلا الظن «وَ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ» أى ما هم إلا يكذبون و قيل معناه أنهم لا يقولون عن علم و لكن عن خرص و تخمين و قال ابن عباس كانوا يدعون النبي ص و المؤمنين إلى أكل الميتة و يقولون أ تأكلون ما قتلتم و لا تأكلون ما قتل ربكم فهذا ضلالهم «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ» خاطب سبحانه نبيه ص و إن عنى به جميع الأمم و يسأل فيقال كيف جاز فى صفه القديم سبحانه أعلم مع أنه سبحانه لا يخلو من أن يكون أعلم بالمعنى ممن يعلمه أو ممن لا يعلمه و كلاهما لا

يصح فيه أفعال و الجواب أن المعنى هو أعلم به ممن يعلمه لأنه يعلمه من وجوه لا يخفى على غيره و ذلك أنه يعلم ما يكون منه و ما كان و ما هو كائن إلى يوم القيامة على جميع الوجوه التي يصح أن يعلم الأشياء عليها و ليس كذلك غيره لأن غيره لا يعلم جميع الأشياء و ما يعلمه لا- يعلمه من جميع وجوهها و أما من هو غير عالم أصلا فلا يقال الله سبحانه أعلم منه لأن لفظه أعلم يقتضى الاشتراك فى العلم و زياده لمن وصف بأنه أعلم و هذا لا يصح فيمن ليس بعالم أصلا إلا مجازا «وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» المعنى أنه سبحانه أعلم بمن يسلك سبيل الضلال المؤدى إلى الهلاك و العقاب و من يسلك سبيل الهدى المفضى به إلى النجاه و الثواب و فى هذا دلالة على أن الضلال و الإضلال من فعل العبد خلاف ما يقوله أهل الجبر و على أنه لا يجوز التقليد و اتباع الظن فى الدين و الاغترار بالكثرة و

إلى هذا أشار أمير المؤمنين على (عليه السلام) حيث قال للحرث الهمداني يا حار الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف أهله.

[سوره الأنعام (٦): الآيات ١١٨ الى ١٢٠]

إشارة

فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (١١٨) وَ مَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ قَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرَّرْتُمْ إِلَيْهِ وَ إِنْ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٩) وَ ذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَ بَاطِنَهُ إِنْ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٢٠)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير حفص «فَصَّلَ لَكُمْ» بالفتح ما حرم بالضم و قرأ أهل المدينه و حفص و يعقوب و سهل «فَصَّلَ لَكُمْ ما حَرَّمَ» كليهما بالفتح و قرأ الباقر فصل لكم ما حرم بالضم فيهما و قرأ ابن كثير و أبو عمرو و يعقوب ليضلون بفتح الياء هنا و فى يونس ليضلوا عن سبيلك و فى إبراهيم ليضلوا عن سبيله و فى الحج ليضل عن سبيل الله و فى لقمان و الزمر

فى المواضع الستة وقرأ أهل الكوفه بضم الياء فى هذه المواضع وقرأ الباقون هنا و فى سورة يونس بفتح الياء و فى الأربعة بعد هذين الموضوعين بضم الياء.

الحج

حجه من ضم الفاء من فصل و الحاء من حرم قوله حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ فهذا تفصيل هذا العام المجمل بقوله حرم و هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا فمفصلاً يدل على فصل و حجه من قرأ فصل و حرم بفتح الفاء و الحاء قوله قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ و قوله أَنْتَلُّ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ و قوله الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا و حجه من ضم الياء من يضلون و يضلوا أنه يدل على أن الموصوف بذلك فى الضلاله أذهب و من الهدى أبعد ألا ترى أن كل مضل ضال و ليس كل ضال مضل لأن الضلال قد يكون مقصورا على نفسه لا يتعداه إلى سواه و من قرأ بفتح الياء فإنه يريد أنهم يضلون فى أنفسهم من غير أن يضلوا غيرهم من أتباعهم بامتناعهم من أكل ما ذكر اسم الله عليه و غير ذلك أى يضلون باتباع أهوائهم.

الإعراب و اللغه

«وَدَرُوا» الواو للعطف و إنما استعمل منه الأمر و المستقبل و لا يستعمل وذر و لا واذر أشعروا بذلك كراهيه الابتداء بالواو حتى لم يزيدوها هناك أصلا مع زيادتهم أخواتها و استغنوا فيها بترك و تارك و هذا كما استعملوا الماضى دون المستقبل و اسم الفاعل فى عسى و الظاهر الكائن على وجه يمكن إدراكه و الباطن هو الكائن على وجه يتعذر إدراكه و الكسب ما يفعل لاجتلاب النفع أو دفع الضرر و إنما يوصف به العبد دون الله تعالى لاستحاله النفع و الضرر عليه سبحانه و الكواسب الجوارح من الطير لأنها تكسب ما تنتفع به و قد بينا أن معنى الاقتراف الاكتساب.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من الكلام فقال «فَكُلُوا» ثم اختلف فى ذلك فقيل إنه لما ذكر المهتدين فكأنه قال و من الهدايه أن تحلوا ما أحل الله و تحرموا ما حرم الله فكلوا و قيل إن المشركين لما قالوا للمسلمين أ تأكلون ما قتلتم أنتم و لا تأكلوا ما قتل ربكم فكأنه قال سبحانه لهم أعرضوا عن جهلكم فكلوا و المراد به الإباحه و إن كانت الصيغه صيغه الأمر «مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ» يعنى ذكر اسم الله عند ذبحه دون الميته و ما ذكر عليه اسم الأصنام و الذكر هو قول بسم الله و قيل هو كل اسم يختص الله تعالى به أو صفه تختصه كقول

باسم الرحمان أو باسم القديم أو باسم القادر لنفسه أو العالم لنفسه و ما يجرى مجراه و الأول مجمع على جوازه و الظاهر يقتضى جواز غيره لقوله سبحانه «قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى» «إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ» بأن عرفتم و رسوله و صحه ما أتاكم به من عند الله فكلوا ما أحل دون ما حرم و فى هذه الآية دلالة على وجوب التسميه على الذبيحه و على أن ذبائح الكفار لا يجوز أكلها لأنهم لا يسمون الله تعالى عليها و من سمي منهم لا يعتقد وجوب ذلك حقيقه و لأنه يعتقد أن الذى يسميه و هو الذى أهدى شرع موسى أو عيسى فإذا لا يذكرون الله تعالى حقيقه «وَ مَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ» قد ذكرنا إعرابه فى سورة البقره عند قوله «وَ مَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ تَقْدِيرُهُ أَى شَيْءٍ لَكُمْ فِى أَنْ لَا تَأْكُلُوا فَيَكُونُ مَا لِلْإِسْتِفْهَامِ وَ هُوَ اخْتِيَارُ الزَّجَاجِ وَ غَيْرِهِ مِنَ الْبَصْرِيِّينَ وَ مَعْنَاهُ مَا الَّذِى يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عِنْدَ ذَبْحِهِ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ لَيْسَ لَكُمْ أَنْ لَا تَأْكُلُوا فَيَكُونُ مَا لِلنَّفْيِ «وَ قَدْ فَصَّلَ لَكُمْ» أَى بَيْنَ لَكُمْ «مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ» قِيلَ هُوَ مَا ذُكِرَ فِى سُورَةِ الْمَائِدَةِ مِنْ قَوْلِهِ «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ» الْآيَةَ وَ اعْتَرَضَ عَلَى هَذَا بِأَنَّ سُورَةَ الْمَائِدَةِ نَزَلَتْ بَعْدَ الْأَنْعَامِ بِمَدَّةٍ فَلَا يَصِحُّ أَنْ يَقَالَ أَنَّهُ فَصَّلَ إِلَّا أَنْ يَحْمَلَ عَلَى أَنَّهُ بَيْنَ عَلَى لِسَانِ الرَّسُولِ ص وَ بَعْدَ ذَلِكَ نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ وَ قِيلَ إِنَّهُ مَا فَصَّلَ فِى هَذِهِ السُّورَةِ فِى قَوْلِهِ قُلْ لَا أَجِدُ فِى مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا إِلَّا مَا اضْطُرُّرْتُمْ إِلَيْهِ» مَعْنَاهُ إِلَّا مَا خَفَّتْ عَلَى نَفْسِكُمْ الْهَلَاكُ مِنَ الْجُوعِ إِذَا تَرَكْتُمُ التَّنَاوُلَ مِنْهُ فَحِينَئِذٍ يَجُوزُ لَكُمْ تَنَاوُلُهُ وَ إِنْ كَانَ مِمَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ وَ اخْتَلَفَ فِى مَقْدَارِ مَا يَسُوعُ تَنَاوُلُهُ عِنْدَ الْإِضْطِرَارِ فَعِنْدَنَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَنَاوَلَ إِلَّا مَا يَمْسُكُ بِهِ الرَّمَقُ وَ قَالَ قَوْمٌ يَجُوزُ أَنْ يَشْبَعَ الْمَضْطَرُّ مِنْهَا وَ أَنْ يَحْمَلَ مِنْهَا مَعَهُ حَتَّى يَجِدَ مَا يَأْكُلُ وَ قَالَ الْجَبَائِثُ فِى هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ مَا يَكْرَهُ عَلَى أَكْلِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَجْنَاسِ يَجُوزُ أَكْلُهُ لِأَنَّ الْمَكْرَهَ يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ مِثْلَ الْمَضْطَرِّ «وَ إِنْ كَثِيرًا لِيُضْتَلَمُونَ بِأَهْوَائِهِمْ» أَى بِاتِّبَاعِ أَهْوَائِهِمْ وَ مِنْ قَرَأَ بِالضَّمِّ أَرَادَ أَنَّهُمْ يَضِلُّونَ أَشْيَاعَهُمْ فَحَذَفَ الْمَفْعُولَ بِهِ وَ فِى أَمْثَالِهِ كَثْرَةٌ وَ إِنَّمَا جَعَلَ النِّكَرَ اسْمًا أَنْ لَأَنَّ الْكَلَامَ إِذَا طَالَ احْتَمَلَ ذَلِكَ وَ دَلَّ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ «بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُؤْتَمِدِينَ» الْمُتَجَاوِزِينَ الْحَقَّ إِلَى الْبَاطِلِ وَ الْحَلَالِ إِلَى الْحَرَامِ «وَ ذَرُّوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَ بَاطِنَهُ» أَمْرٌ سَبَّحَانَهُ بِتَرْكِ الْإِثْمِ مَعَ قِيَامِ الدَّلَالَةِ عَلَى كَوْنِهِ إِثْمًا وَ نَهَى عَنِ ارْتِكَابِهِ سِرًّا وَ عِلَانِيَةً وَ هُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ وَ مَجَاهِدَ وَ الرَّبِيعِ بْنِ أَنْسَ وَ قِيلَ أَرَادَ بِالظَّاهِرِ أَعْمَالَ الْجَوَارِحِ وَ بِالْبَاطِنِ أَعْمَالَ الْقُلُوبِ عَنِ الْجَبَائِثِ وَ قِيلَ الظَّاهِرُ مِنَ الْإِثْمِ هُوَ الزُّنَا وَ الْبَاطِنُ هُوَ اتِّخَاذُ الْأَخْدَانِ عَنِ السُّدَى وَ الضَّحَّاكِ وَ قِيلَ ظَاهِرُ الْإِثْمِ أَمْرُ الْأَبِّ وَ بَاطِنُهُ الزُّنَا عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ وَ قِيلَ إِنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانَتْ تَرَى أَنَّ الزُّنَا إِذَا أَظْهَرَ كَانَ فِيهِ إِثْمٌ وَ إِذَا اسْتَسْرَ

به صاحبه لم يكن إنما ذكره الضحاك و الأصح القول الأول لأنه يعم الجميع «إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ» أى يعملون المعاصى التى فيها الآثام و يرتكبون القبائح «سَيُجْزَوْنَ» أى سيعاقبون «بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ» بما كانوا يكسبون و يرتكبون.

[سوره الأنعام (٦): آيه ١٢١]

إشارة

وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ إِنَّهُ لَفِسْقٌ وَ إِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَ إِن أَعْطَتْنَاهُمْ وَإِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)

المعنى

ثم أكد سبحانه ما تقدم بقوله «وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ» يعنى عند الذبح من الذبائح و هذا تصريح فى وجوب التسميه على الذبيحه لأنه لو لم يكن كذلك لكان ترك التسميه غير محرم لها «وَ إِنَّهُ لَفِسْقٌ» يعنى و إن أكل ما لم يذكر اسم الله عليه لفسق و فى هذا دلالة على تحريم أكل ذبائح الكفار كلهم أهل الكتاب و غيرهم من سمي منهم و من لم يسم لأنهم لا يعرفون الله تعالى على ما ذكرناه من قبل فلا يصح منهم القصد إلى ذكر اسمه فأما ذبيحه المسلم إذا لم يسم الله تعالى عليها فقد اختلف فى ذلك فقيل لا يحل أكلها سواء ترك التسميه عمدا أو نسيانا عن مالك و داود و روى ذلك عن الحسن و ابن سيرين و به قال الجبائى و قيل يحل أكلها فى الحالين عن الشافعى و

قيل يحل أكلها إذا ترك التسميه ناسيا بعد أن يكون معتقدا لوجوبها و يحرم أكلها إذا تركها متعمدا عن أبى حنيفة و أصحابه و هو المروى عن أئمتنا

«وَ إِنَّ الشَّيَاطِينَ» يعنى علماء الكافرين و رؤساءهم المتمردين فى كفرهم «لَيُوحُونَ» أى يؤمون و يشيرون «إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ» الذين اتبعوهم من الكفار «لِيُجَادِلُوكُمْ» فى استحلال الميتة قال الحسن كان مشركو العرب يجادلون المسلمين فيقولون لهم كيف تأكلون مما تقتلونهم أنتم و لا- تأكلون مما قتله الله و قتل الله أولى بالأكل من قتلكم فهذه مجادلتهم و قال عكرمة إن قوما من مجوس فارس كتبوا إلى مشركى قريش و كانوا أولياءهم فى الجاهليه أن محمدا و أصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله ثم يزعمون أن ما ذبحوه حلال و ما قتله الله حرام فوقع ذلك فى نفوسهم فذلك إباحاؤهم إليهم و قال ابن عباس معناه و إن الشياطين من الجن و هم إبليس و جنوده ليوحون إلى أولياءهم من الإنس و الوحى

إلقاء المعنى إلى النفس من وجه خفى و هم يلقون الوسوسة إلى قلوب أهل الشرك ثم قال سبحانه «وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ» أيها المؤمنون فيما يقولون من استحلال الميتة وغيره «إِنَّكُمْ» إذا «لَمْشِرْكُمْ» لأن من استحل الميتة فهو كافر بالإجماع و من أكلها محرما لها مختارا فهو فاسق و هو قول الحسن و جماعه المفسرين و قال عطا أنه مختص بدبائح العرب التي كانت تذبحها للأوثان.

[سوره الأنعام (٦): الآيات ١٢٢ الى ١٢٣]

إشاره

أَوْ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَوْمٍ أَكْبَرَ مُجْرِمِيهَا لِيُفَكِّرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (١٢٣)

القراءه

قرأ أهل المدينة و يعقوب ميتا بالتشديد و الباقون بالتخفيف.

الحججه

قال أبو عبيده الميتة تخفيف ميتة و معناهما واحد قال أبو الرعاء الغساني:

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

إنما الميت من يعيش كئيبا كاسفا باله قليل الرجاء

و المحذوف من الياءين الثانيه المنقلبه عن الواو و أعلت بالحذف كما أعلت بالقلب.

اللغه

الأكابر جمع الأكبر و قد قالوا الأكابره و الأصاغره كما قالوا الأساوره و الأحامره قال الشاعر:

ص: ١٣٧

إن الأحامره الثلاثة أهلكت ما لى و كنت بهن قدما مولعا

الخمير و اللحم السمين أحبه و الزعفران و قد أبيت مردعا

و أصل المكر القتل و منه جاريه ممكوره أى مفتله البدن فكان المكر معناه القتل إلى خلاف الرشد.

الإعراب

«أَوْ مَنْ» هذه همزه الاستفهام دخلت على واو العطف و هو استفهام يراد به التقرير و موضع الكاف فى قوله «وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَا» نصب معطوفه على ما قبلها و هو قوله «كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ» مجرميها يجوز أن يكون منصوبا على التقديم و التأخير تقديره جعلنا فى كل قريه مجرميها أكابر و يجوز أن يكون منصوبا بإضافه أكابر إليه.

النزول

الآيه الأولى قيل أنها نزلت فى حمزه بن عبد المطلب و أبى جهل بن هشام و ذلك أن أبى جهل آذى رسول الله ص فأخبر بذلك حمزه و هو على دين قومه فغضب و جاء و معه قوس فضرب بها رأس أبى جهل و آمن عن ابن عباس و

قيل إنها نزلت فى عمار بن ياسر حين آمن و أبى جهل عن عكرمه و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

و قيل نزلت فى عمر بن الخطاب عن الضحاک و قيل أنها عامه فى كل مؤمن و كافر عن الحسن و جماعه و هذا أولى لأنه أعم فائده فيدخل فيه جميع الأقوال المذكوره.

المعنى

ثم ذكر سبحانه مثل الفريقين فقال «أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ» أى كافرا فأحييناه بأن هديناه إلى الإيمان عن ابن عباس و الحسن و مجاهد شبه سبحانه الكفر بالموت و الإيمان بالحياه و قيل معناه من كان نطفه فأحييناه كقوله وَ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ «وَ جَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ» قيل فيه وجوه (أحدها) أن المراد بالنور العلم و الحكمه سمي سبحانه ذلك نورا و الجهل ظلمه لأن العلم يهتدى به إلى الرشاد كما يهتدى بالنور فى الطرقات (و ثانيها) أن المراد بالنور هنا القرآن عن مجاهد (و ثالثها) أن المراد به الإيمان عن ابن عباس «كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ» لم يقل سبحانه كمن هو فى الظلمات تقديره كمن مثله مثل من هو فى الظلمات يعنى به الكافر الذى هو فى ظلمه الكفر و قيل معناه كمن هو فى الظلمات الكفر «لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا» لكنه ذكره بلفظ المثل ليبين أنه بلغ فى الكفر و الحيره

غايه يضرب به المثل فيها و إنما سمي الله تعالى الكافر ميتا لأنه لا ينتفع بحياته و لا ينتفع غيره بحياته فهو أسوء حالا من الميت إذ لا يوجد من الميت ما يعاقب عليه و لا يتضرر غيره به و سمي المؤمن حيا لأن له و لغيره المصلحه و المنفعه في حياته و كذلك سمي الكافر ميتا و المؤمن حيا في عده مواضع مثل قوله «إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى»* و «لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا» و قوله «وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَ لَمَّا مَاتُوا» و سمي القرآن و الإيمان و العلم نورا لأن الناس يبصرون بذلك و يهتدون به من ظلمات الكفر و حيره الضلاله كما يهتدى بسائر الأنوار و سمي الكفر ظلمه لأن الكافر لا يهتدى بهداه و لا يبصر أمر رشده و هذا كما سمي الكافر أعمى في قوله «أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى» و قوله «وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَ الْبَصِيرُ»* «كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» وجه التشبيه بالكافر أن معناه زين لهؤلاء الكفر فعملوه مثل ما زين لأولئك الإيمان فعملوه فشبّه حال هؤلاء في التزيين بحال أولئك فيه كما قال سبحانه كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ* و روى عن الحسن أنه قال زين و الله لهم الشيطان و أنفسهم و استدلل بقوله «وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ» و قوله «زُيِّنَ» لا يقتضى مزينا غيرهم لأنه بمنزله قوله تعالى «أَنَّى يُضَيَّرُونَ» و «أَنَّى يُؤفَّكُونَ» و قول العرب أعجب فلان بنفسه و أولع بكذا و مثله كثير «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَارًا» أى مثل ذلك الذى قصصنا عليك زين للكافرين عملهم و مثل ذلك جعلنا فى كل قريه أكابر «مُجْرِمِيهَا» و جعلنا ذا المكر من المجرمين كما جعلنا ذا النور من المؤمنين فكل ما فعلنا بهؤلاء فعلنا بأولئك إلا أن أولئك اهدوا بحسن اختيارهم و هؤلاء ضلوا بسوء اختيارهم لأن فى كل واحد منهما الجعل بمعنى الصيروره إلا أن الأول باللفظ و الثانى بالتمكين من المكر و إنما خص أكابر المجرمين بذلك دون الأصاغر لأنه أليق بالاعتدال على الجميع لأن الأكابر إذا كانوا فى قبضه القادر فالأصاغر بذلك أجدر و اللام فى قوله «لِيُؤفَّكُوا فِيهَا» لام العاقبه و يسمى لام الصيروره كما فى قوله سبحانه «لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَنًا» و كما قال الشاعر:

فأقسم لو قتلوا مالكا لكنت لهم حيه راصده

و أم سماك فلا تجزعى فللموت ما تلد الوالده

«وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَ مَا يَشْعُرُونَ» لأن عقاب ذلك يحل بهم و لا يصح أن يمكر الإنسان بنفسه على الحقيقه لأنه لا يصح أن يخفى عن نفسه معنى ما يحتال به عليها و يصح أن يخفى ذلك عن غيره و فائده الآيه أن أكابر مجرميها لم يمكروا بالمؤمنين على وجه

المغالبة لله إذ هم كأنه سبحانه جعلهم ليمكروا و هذه مبالغه فى انتفاء صفه المغالبه.

[سوره الأنعام (٦): آيه ١٢٤]

إشارة

وَ إِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ (١٢٤)

القراءة

قرأ ابن كثير و حفص «رِسَالَتُهُ» على التوحيد و نصب التاء و الباقون رسالاته على الجمع.

الحج

من وحد فلأن رساله تدل على القله و الكثره لكونها مصدرا و من جمع فلما تكرر من رسالات الله سبحانه مره بعد أخرى.

اللغة

الأجرام الإقدام على القبيح بالانقطاع إليه لأن أصل الجرم القطع فكأنه قطع ما يجب أن يوصل من العمل و منه قيل للذنب الجرم و الجريمة و الصغار الذل الذى يصغر إلى المرء نفسه يقال صغر الإنسان يصغر صغارا و صغرا.

الإعراب

الله أعلم حيث يجعل رسالاته لا يخلو حيث هنا من أن يكون ظرفا متضمنا لحره أو غير ظرف فإن كان ظرفا فلا يجوز أن يعمل فيه أعلم لأنه يصير المعنى أعلم فى هذا الموضع أو فى هذا الوقت و لا- يوصف تعالى بأنه أعلم فى مواضع أو فى أوقات كما يقال زيد أعلم فى مكان كذا أو أعلم فى زمان كذا و إذا كان الأمر كذلك لم يجوز أن يكون حيث هنا ظرفا و إذا لم يكن ظرفا كان اسما و كان انتصابه انتصاب المفعول به على الاتساع و يقوى ذلك دخول الجار عليها فكان الأصل الله أعلم بمواضع رسالاته ثم حذف الجار كما قال سبحانه أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ* و فى موضع آخر أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ فمن يضل معمول فعل مضممر دل عليه أعلم و لا- يجوز أن يكون معمول أعلم لأن المعانى لا تعمل فى مواضع الاستفهام و نحوه إنما تعمل فيها الأفعال التى تلغى فتعلق كما تلغى و مثل ذلك فى أنه لا يكون إلا محمولا على فعل قوله:

(و أضرب منا بالسيوف القوانس)

فالقوانس منصوب

بفعل مضمّر دل عليه قوله اضرب لأن المعانى لا- تعمل فى المفعول به و مما جعل حيث فيه اسما متمكنا غير ظرف متضمن لمعنى فى قول الشاعر:

كان منها حيث تلوى المنطقا حقا نقا مالا على حقفى نقا

ألا ترى أن حيث هنا فى موضع نصب بكان و حقا نقا مرفوع بأنه خبره و قال القاضى أبو سعيد السيرافى فى شرح كتاب سيويه أن من العرب من يضيف حيث إلى المفرد فيجر ما بعدها و أنشد ابن الأعرابى بيتا آخره:

(حيث لى العمايم)

و أنشد أيضا أبو سعيد و أبو على فى إخراج حيث من حد الظرفيه بالإضافه إليها إلى حد الأسماء المحضه قول الشاعر يصف شيخا يقتل القمل:

يهز الهرايع عقده عند الخصى بأذل حيث يكون من يتدل

و من ذلك قول الفرزدق:

فمحن به عذبا رضابا غروبه رفاق و أعلى حيث ركب أعجف

و قوله «صِيغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ» قال الزجاج عند متصله بسيصيب أى سيصيبهم عند الله صغار و جاز أن يكون عند متصله بصغار فيكون المعنى سيصيب الذين أجموا صغار ثابت لهم عند الله و لا يصلح أن يكون من محذوفه من عند إنما المحذوف من عند فى إذا قلت زيد عند عمرو فالمعنى زيد فى حضره عمرو قال أبو على إذا قلت أن عند معمول لصغار لم تحتج إلى تقدير محذوف فى الكلام لكن نفس المصدر يتناوله و يعمل فيه و يكون التقدير أن يصغروا عند الله فلا وجه لتقدير ثابت فى الكلام فإن قدرت صغارا موصوفا بعند لم يكن عند معمولاً لصغار و لكن يكون متعلقاً بمحذوف فلا بد على هذا من تقدير ثابت و نحوه ما يكون فى الأصل صفه ثم حذف و أقيم الظرف مقامه للدلاله عليه و هذا كقولك و أنت تريد الصفه هذا رجل عندك فالمعنى ثابت عندك أو مستقر عندك و كلا الوجهين جائز.

نزلت في الوليد بن المغيرة قال والله لو كانت النبوه حقا لكنت أولى بها منك لأنى أكبر منك سنا وأكثر منك مالا وقيل نزلت في أبى جهل بن هشام قال زاحمنا بنى عبد مناف فى الشرف حتى إذا صرنا كفرسى رهان قالوا منا نبى يوحى إليه والله لا تؤمن به ولا تتبعه أبدا إلا أن يأتينا وحى كما يأتية عن مقاتل.

المعنى

ثم حكى سبحانه عن الأكابر الذين تقدم ذكرهم اقتراحاتهم الباطله فقال «وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ» أى دلالة معجزه من عند الله تعالى تدل على توحيدة و صدق نبيه ص «قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ» أى لن نصدق بها «حَتَّى تَأْتِي» أى نعطى آيه معجزه «مِثْلَ مَا أُوتِيَ» أى أعطى «رُسُلُ اللَّهِ» حسدا منهم للنبي ص ثم أخبر سبحانه على وجه الإنكار عليهم بقوله «اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ» أنه أعلم منهم و من جميع الخلق بمن يصلح لرسالاته و يتعلق مصالح الخلق ببعثه و أنه يعلم من يقوم بأعباء الرساله و من لا يقوم بها فيجعلها عند من يقوم بأدائها و يحتمل ما يلحقه من المشقه و الأذى على تبليغها ثم توعدهم سبحانه فقال «سَيَصِيبُ» أى سينال «الَّذِينَ أَجْرَمُوا» أى انقطعوا إلى الكفر و أقدموا عليه يعنى بهم المشركين من أكابر القرى الذين سبق ذكرهم «صَغَارًا عِنْدَ اللَّهِ» أى سيصيبهم عند الله ذل و هوان و إن كانوا أكابر فى الدنيا عن الزجاج و يجوز أن يكون المعنى سيصيبهم صغار معد لهم عند الله أو سيصيبهم أن يصغروا عند الله «وَ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ» فى الدنيا أى جزاء على مكرهم.

[سوره الأنعام (٦): آيه ١٢٥]

إشارة

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢٥)

القراءة

قرأ ابن كثير ضيقا بتخفيف الياء و سكونها هاهنا و فى الفرقان و الباقون بتشديدها و كسرها و قرأ أهل المدينة و أبو بكر و سهل حرجا بكسر الراء و الباقون بفتحها و قرأ ابن كثير يصعد بتخفيف الصاد و العين و سكون الصاد و قرأ أبو بكر يصاعد بتشديد الصاد و ألف بعدها و تخفيف العين و الباقون «يَصَّعَّدُ» بتشديد الصاد و العين و فتح الصاد.

الضيق و الضيق بمعنى مثل الميت و الميت و من فتح الرء من حرج فقد وصف بالمصدر كما قيل فى قمن و دنف و نحوهما من المصادر التى يوصف بها و من كسر الرء من حرج فهو مثل دنف و قمن و قراءه ابن كثير يصعد من الصعود و من قرأ «يَصْعَدُ» أراد يتصعد فأدغم و معنى يتصعد أنه يثقل الإسلام عليه فكأنه يتكلف ما يثقل عليه شيئاً بعد شىء كقولهم يتعفف و يتحرج و نحو ذلك مما يتعاطى فيه الفعل شيئاً بعد شىء و يصاعد مثل يصعد فى المعنى فهو مثل ضاعف و ضعف و ناعم و نعم و هما من المشقه و صعوبه الشىء و من ذلك قوله «يَسْئَلُكَ عَذَاباً صِغَاداً» و قوله «سَأَرْهَقُهُ صِغَاداً» أى سأغشيه عذاباً صعوداً و عقبه صعود أى شاقه و من ذلك قول عمر بن الخطاب ما تصعد فى شىء كما تصعد فى خطبه النكاح أى ما شق على شىء مشقتها.

اللغة

الحرج و الحرج أضيقت الضيق قال أبو زيد حرج عليه السحر يحرج حرجاً إذ أصبح قبل أن يتسحر و حرم عليه حرماً و هما بمعنى واحد و حرجت على المرأة الصلاة و حرمت بمعنى واحد و حرج فلان إذا هاب أن يتقدم على الأمر و قاتل فصبر و هو كاره و قد ذكرنا معانى الهداية و الهدى و الضلال و الإضلال فى سورة البقره و ما يجوز إسناده إلى الله تعالى من كلا الأمرين و ما لا يجوز عند قوله «وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ».

المعنى

لما تقدم ذكر المؤمنين و الكافرين بين عقبه ما يفعله سبحانه بكل من القبيلتين فقال «فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ» قد ذكر فى تأويل الآيه وجوه (أحدها) أن معناه «فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ» إلى الثواب و طريق الجنة «يَسْرَحُ صِغَادَهُ» فى الدنيا «لِلْإِسْلَامِ» بأن يثبت عزمه عليه و يقوى دواعيه على التمسك به و يزيل عن قلبه وساوس الشيطان و ما يعرض فى القلوب من الخواطر الفاسده و إنما يفعل ذلك لطفاً له و منا عليه و ثواباً على اهتدائه بهدى الله و قبوله إياه و نظيره قوله سبحانه «وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى» و «وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى» «وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً» يعنى و من يرد أن يضلّه عن ثوابه و كرامته يجعل صدره فى كفره ضيقاً حرجاً عقوبه له على ترك الإيمان من غير أن يكون سبحانه مانعاً له عن الإيمان و سألنا إياه القدره عليه بل ربما يكون ذلك سبباً داعياً له إلى الإيمان فإن من ضاق صدره بالشىء كان ذلك داعياً له إلى تركه و الدليل على أن شرح الصدر قد يكون ثواباً قوله سبحانه «أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ» الآيات و معلوم أن وضع الوزر و رفع الذكر يكون ثواباً على تحمل أعباء الرساله و كلفها فكذلك ما قرن به من شرح الصدر

و الدليل على أن الهدى قد يكون إلى الثواب قوله «وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ» و معلوم أن الهداية بعد القتل لا تكون إلا إلى الثواب فليس بعد الموت تكليف

و قد وردت الرواية الصحيحة أنه لما نزلت هذه الآية سئل رسول الله ص عن شرح الصدر ما هو فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له صدره و ينفسح قالوا فهل لذلك من أماره يعرف بها قال ص نعم الإنابة إلى دار الخلود و التجافي عن دار الغرور و الاستعداد للموت قبل نزول الموت

(و ثانيها) أن معنى الآية فمن يرد الله أن يشبته على الهدى يشرح صدره من الوجه الذى ذكرناه جزاء له على إيمانه و اهتدائه و قد يطلق لفظ الهدى و المراد به الاستداه كما قلناه فى قوله «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» «وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ» أى يخذله و يخلى بينه و بين ما يريد به لا اختياره الكفر و تركه الإيمان «يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا» بأن يمنع الألف التى ينشرح لها صدره لخروجه من قبولها بإقامته على كفره فإن قيل إنا نجد الكافر غير ضيق الصدر لما هو فيه و نراه طيب القلب على كفره فكيف يصح الخلف فى خبره سبحانه قلنا أنه سبحانه بين أنه يجعل صدره ضيقاً و لم يقل فى كل حال و معلوم من حاله فى أحوال كثيرة أنه يضيق صدره بما هو فيه من ورود الشبه و الشكوك عليه و عند ما يجازى الله تعالى المؤمن على استعمال الأدله الموصله إلى الإيمان و هذا القدر هو الذى يقتضيه الظاهر (و ثالثها) أن معنى الآية من يرد الله أن يهديه زياده الهدى التى وعداها المؤمن «يَشْرَحُ صَدْرَهُ» لتلك الزياده لأن من حقها أن تزيد المؤمن بصيره و من يرد أن يضل عن تلك الزياده بمعنى يذهب عنها من حيث أخرج هو نفسه من أن يصح عليه «يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا» لمكان فقد تلك الزياده لأنها إذا اقتضت فى المؤمن ما قلناه أوجب فى الكافر ما يضاده و يكون الفائده فى ذلك الترغيب فى الإيمان و الزجر عن الكفر و هذا التأويل قريب مما تقدمه و قد روى عن ابن عباس أنه قال إنما سمي الله قلب الكافر حرجاً لأنه لا يصل الخير إلى قلبه و فى روايه أخرى لا تصل الحكمة إلى قلبه و لا يجوز أن يكون المراد بالإضلال فى الآية الدعاء إلى الضلال و لا الأمر به و لا الإجماع الأمه على أن الله تعالى لا يأمر بالضلال و لا يدعو إليه فكيف يجبر عليه و الدعاء إليه أهون من الإجماع عليه و قد ذم الله تعالى فرعون و السامرى على إضلالهما عن دين الهدى فى قوله «وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَ مَا هَدَى» و قوله «وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ» و لا خلاف فى أن إضلالهما أمر و إجماع و دعاء و قد ذمهما الله تعالى عليه مطلقاً فكيف يتمدح بما ذم عليه غيره قوله «كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ» فيه وجوه (أحدها) أن معناه كأنه قد كلف أن يصعد إلى السماء إذا دعى إلى الإسلام من ضيق

صدره عنه أو كان قلبه يصعد في السماء نبوا عن الإسلام و الحكمه عن الزجاج (و ثانيها) أن معنى يصعد كأنه يتكلف مشقه في ارتقاء صعود و على هذا قيل عقبه عنوت و كؤود عن أبي على الفارسي قال و لا يكون السماء في هذا القول المظله للأرض و لكن كما قال سيويه القيدود الطويل في غير سماء أى في غير ارتفاع صعدا و قريب منه ما روى عن سعيد بن جبير أن معناه كأنه لا يجد مسلكا إلا صعدا (و ثالثها) أن معناه كأنما ينزع قلبه إلى السماء لشده المشقه عليه في مفارقه مذهبه «كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ» أى العذاب عن ابن زيد و غيره من أهل اللغه و قيل هو ما لا خير فيه عن مجاهد «عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ» و فى هذا دلالة على صحه التأويل الأول لأنه تعالى بين أن الإضلال المذكور فى الآيه كان على وجه العقوبه على الكفر و لو كان المراد به الإجبار على الكفر لقال كذلك لا يؤمن من جعل الله الرجس على قلبه و وجه التشبيه فى قوله «كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ» أنه يجعل الرجس على هؤلاء كما يجعل ضيق الصدر فى قلوب أولئك و أن كل ذلك على وجه الاستحقاق و

روى العياشى بإسناده عن أبى بصير عن خيثمه قال سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول أن القلب يتقلب من لدن موضعه إلى حنجرتة ما لم يصب الحق فإذا أصاب الحق قر ثم قرأ هذه الآيه.

[سوره الأنعام (٦): الآيات ١٢٦ الى ١٢٧]

إشارة

وَ هَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦) لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ هُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٧)

المعنى

ثم أشار تعالى إلى ما تقدم من البيان فقال «وَ هَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ» أى طريق ربك و هو القرآن عن ابن مسعود و الإسلام عن ابن عباس و إنما أضافه إلى نفسه لأنه تعالى هو الذى دل عليه و أرشد إليه «مُسْتَقِيمًا» لا اعوجاج فيه و إنما انتصب على الحال و إنما وصف الصراط الذى هو أدله الحق بالاستقامه مع اختلاف وجوه الأدله لأنها مع اختلافها تؤدي إلى الحق فكأنها طريق واحد لسلامه جميعها من التناقض و الفساد «قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ» أى بينها و ميزناها «لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ» و أصله يتذكرون خص المتذكرين بذلك لأنهم المتفوعون بالحجج كما قال هدى للمتقين «لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ» أى للذين تذكروا

و تدبروا و عرفوا الحق و تبعوه دار السلامه الدائمه الخالصة من كل آفه و بليه مما يلقاه أهل النار عن الزجاج و الجبائى و قيل أن السلام هو الله تعالى و دار الجنه عن الحسن و السدى «عِنْدَ رَبِّهِمْ» أى هى مضمونه لهم عند ربهم يوصلهم إليها لا محاله كما يقول الرجل لغيره لك عندى هذا المال أى فى ضمانى و قيل معناه لهم دار السلام فى الآخره يعطيهم إياها «وَهُوَ وَلِيُّهُمْ» يعنى الله يتولى إيصال المنافع إليهم و دفع المضار عنهم و قيل وليهم ناصرهم على أعدائهم و قيل يتولاهم فى الدنيا بالتوفيق و فى الآخره بالجزاء «بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» المراد جزاء بما كانوا يعملون من الطاعات فحذف لظهور المعنى فإن من المعلوم أن ما لا يكون طاعه من الأعمال فلا ثواب عليه.

[سوره الأنعام (٦): الآيات ١٢٨ الى ١٢٩]

إشارة

و يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٨) وَ كَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٢٩)

القراءة

قرأ حفص و روح «و يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ» بالياء و الباقون بالنون.

الحجج

من قرأ بالياء فلقوله عِنْدَ رَبِّهِمْ و النون كالياء فى المعنى و يقوى النون قوله «وَحَشَرْنَاهُمْ» و «نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى».

الإعراب

قال الزجاج «خَالِدِينَ فِيهَا» منصوب على الحال و المعنى النار مقامكم فى حال خلود دائم قال أبو على المثنوى عندى فى الآيه اسم للمصدر دون المكان لحصول الحال فى الكلام معملا فيها ألا ترى أنه لا يخلو من أن يكون موضعا أو مصدرا فلا يجوز أن يكون موضعا لأن اسم الموضع لا يعمل عمل الفعل لأنه لا معنى للفعل فيه و إذا لم يكن موضعا ثبت أنه مصدر و المعنى النار ذات إقامتكم فيها خالدين أى أهل أن تقيموا أو تثبوا خالدين فيها فالكاف و الميم فى المعنى فاعلون و إن كان فى اللفظ خفض بالإضافة.

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال «وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً» أى يجمعهم يريد جميع الخلق و قيل الإنس و الجن لأنه يتعقبه حديثهم و قيل يريد الكفار و انتصب اليوم بالقول المضمر لأن المعنى «وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً» يقول «يا مَعْشَرَ الْجِنِّ» أى يا جماعة الجن «قَدْ اسْتَكْتَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ» أى قد استكثرتم ممن أضللتموه من الإنس عن الزجاج و هو مأخوذ من قول ابن عباس معناه من إغواء الإنس و إضلالهم «وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ» أى متبعوهم «مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ» أى انتفع بعضنا ببعض و قد قيل فيه أقوال (أحدها) أن استمتاع الجن بالإنس أن اتخذهم الإنس قاده و رؤساء فاتبعوا أهواءهم و استمتع الإنس بالجن انتفاعهم فى الدنيا بما زين لهم الجن من اللذات و دعوهم إليه من الشهوات (و ثانيها) أن استمتاع الإنس بالجن أن الرجل كان إذا سافر و خاف الجن فى سلوك طريق قال أعوذ بسيد هذا الوادى ثم يسلك فلا يخاف و كانوا يرون ذلك استجاره بالجن و إن الجن تجيرهم كما قال الله تعالى وَ أَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً و استمتع الجن بالإنس أن الجن إذا اعتقدوا أن الإنس يتعوذون بهم و يعتقدون أنهم ينفعونهم و يضرونهم كان فى ذلك لهم سرور و نفع عن الحسن و ابن جريج و الزجاج و غيرهم (و ثالثها) أن المراد بالاستمتاع طاعه بعضهم لبعض و موافقه بعضهم بعضاً عن محمد بن كعب قال البلخى و يحتمل أن يكون الاستمتاع مقصوراً عن الإنس فيكون الإنس استمتع بعضهم بعضاً دون الجن و قوله «وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِى أَجَّلْتُمْ لَنَا» يعنى بالأجل الموت عن الحسن و السدى و قيل البعث و الحشر لأن الحشر أجل الجزاء كما أن الموت أجل استدراك ما مضى قال الجبائى و فى هذا دلالة على أنه لا أجل إلا واحد لأنه لو كان أجلاً لكان الرجل إذا اقتطع دون الموت بأن يقتل لم يكن بلغ أجله و الآيه تتضمن أنهم أجمع قالوا بلغنا أجلنا الذى أجلت لنا و قال على بن عيسى و غيره من البغداديين لا دلالة فى الآيه على ذلك بل لا يمتنع أن يكون للإنسان أجلاً (أحدهما) ما يقع فيه الموت (و الآخر) ما يقع فيه الحشر أو ما كان يجوز أن يعيش إليه «قَالَ» الله تعالى لهم «النَّارُ مَثْوَاكُمْ» أى مقامكم و الثواء الإقامة «خَالِدِينَ فِيهَا» أى دائمين مؤبدين فيها معذبين «إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ» و قيل فى معنى هذا الاستثناء أقوال (أحدها) ما روى عن ابن عباس أنه قال كان وعيد الكفار مبهما غير مقطوع به ثم قطع به لقوله تعالى «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ» (و ثانيها) أن الاستثناء إنما هو من يوم القيامة لأن قوله «وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً» هو يوم القيامة فقال «خَالِدِينَ فِيهَا» مذ يوم يبعثون إلا ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم و مقدار مدتهم فى محاسبتهم عن الزجاج قال

و جائز أن يكون المراد إلا ما شاء الله أن يعذبهم به من أضعاف العذاب (و ثالثها) أن الاستثناء راجع إلى غير الكفار من عصاه المسلمين الذين هم في مشيئة الله تعالى إن شاء عذبهم بذنوبهم بقدر استحقاقهم عدلا و إن شاء عفا عنهم فضلا (و رابعها) إن معناه إلا ما شاء الله ممن آمن منهم عن عطاء «إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ» أى محكم لأفعاله عليم بكل شىء و قيل حكيم فى عقاب من يختار أن يعاقبه و العفو عمن يختار أن يعفو عنه عليم بمن يستحق الثواب و بمقدار ما يستحقه و بمن يستحق العقاب و بمقدار ما يستحقه «وَ كَذَلِكَ نُؤَلِّى بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» الكاف للتشبيه أى كذلك المهمل بتخليه بعضهم عن بعض للامتحان الذى معه يصح الجزاء على الأعمال توليتنا بعض الظالمين بعضا بأن نجعل بعضهم يتولى أمر بعض للعقاب الذى يجرى على الاستحقاق عن على بن عيسى و قيل معناه أنا كما وكلنا هؤلاء الظالمين من الجن و الإنس بعضهم إلى بعض يوم القيامة و تبرأنا منهم فكذلك نكل الظالمين بعضهم إلى بعض يوم القيامة و نكل الأتباع إلى المتبوعين و نقول للأتباع قولوا للمتبوعين حتى يخلصوكم من العذاب عن أبى على الجبائى قال و الغرض بذلك إعلامهم أنه ليس لهم يوم القيامة ولى يدفع عنهم شيئا من العذاب و قال غيره لما حكى الله تعالى ما يجرى بين الجن و الإنس من الخصام و الجدل فى الآخرة قال و كذلك أى و كما فعلنا بهؤلاء من الجمع بينهم فى النار و توليه بعضهم بعضا نفعل مثله بالظالمين جزاء على أعمالهم و قال ابن عباس إذا رضى الله عن قوم ولى أمرهم خيارهم و إذا سخط على قوم ولى أمرهم شرارهم بما كانوا يكسبون من المعاصى أى جزاء على أعمالهم القبيحة و ذلك معنى قوله إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ و مثله ما

رواه الكلبي عن مالك بن دينار قال قرأت فى بعض كتب الحكمه أن الله تعالى يقول إني أنا الله مالك الملوك، قلوب الملوك بيدى فمن أطاعنى جعلتهم عليه رحمه و من عصانى جعلتهم عليه نقمه فلا- تشغلوا أنفسكم بسب الملوك و لكن توبوا إلى أعطفهم عليكم

و قيل معنى قوله نولى بعضهم بعضا نخلى بينهم و بين ما يختارونه من غير نصره لهم و قيل معناه نتابع بعضهم بعضا فى النار من الموالاه التى هى المتابعه أى يدخل بعضهم النار عقيب بعض عن قتاده.

إشارة

يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَ غَرَّتُهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَ شَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (١٣٠) ذَلِكُمْ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَ أَهْلِهَا غَافِلُونَ (١٣١) وَ لِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَ مَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٣٢)

القراءة

قرأ ابن عامر عما تعملون بالتاء و الباقون بالياء.

اللغة

الغفلة عن المعنى و السهو عنه و العزوب عنه نظائر و ضد الغفلة اليقظة و ضد السهو الذكر و ضد العزوب الحضور.

الإعراب

موضع «ذَلِكُمْ» يحتمل أن يكون رفعا على تقدير الأمر ذلك و يحتمل أن يكون نصبا على تقدير فعلنا ذلك و إن لم يكن أن هذه هي المخففة من الثقيلة و تقديره لأنه لم يكن كما في قول الشاعر:

في فتيه كسيوف الهند قد علموا أن هالك كل من يحفى و ينتعل

و أن المفتوحة لا بد لها من إضمار الهاء لأنه لا معنى لها في الابتداء و إنما هي بمعنى المصدر المبني على غيره و المكسورة لا تحتاج إلى الهاء لأنها تصح أن تكون حرفا من حروف الابتداء فلا يحتاج إلى إضمار و إنما لم يبين كل إذا حذف منه المضاف إليه كما بنى قبل و بعد لأن ما حذف منه المضاف إليه مثل قبل و بعد لم يكن في حال الإعراب على التمكن التام فإنه لا يدخله الرفع في تلك الحال فلما انضاف إلى ذلك نقصان التمكن بحذف المضاف إليه أخرج إلى البناء و ليس كذلك كل لأنه متمكن على كل حال فلذلك لم يبين.

المعنى

ثم بين عز و جل تمام ما يخاطب به الجن و الإنس يوم القيامة بأن يقول «يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ» و المعشر الجماعة التامة من القوم التي تشتمل على أصناف الطوائف و منه العره لأنها تمام العقد «أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ» هذا احتجاج عليهم بأن بعث إليهم الرسل إعدارا و إنذارا و تأكيدا للحجج عليهم و أما قوله «مِنْكُمْ» و إن كان خطابا لجميعهم و الرسل

من الإنس خاصة فإنه يحتمل أن يكون لتغليب أحدهما على الآخر كما قال تعالى «يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجَانُ» وإن كان اللؤلؤ يخرج من الملح دون العذب و كما يقال أكلت الخبز و اللبن و إنما يؤكل الخبز و يشرب اللبن و هو قول أكثر المفسرين و الزجاج و الرماني و قيل إنه أرسل رسل إلى الجن كما أرسل إلى الإنس عن الضحاك و قال الكلبي كان الرسل يرسلون إلى الإنس ثم بعث محمد ص إلى الإنس و الجن و قال ابن عباس إنما بعث الرسول من الإنس ثم كان يرسل هو إلى الجن رسولا من الجن و قال مجاهد الرسل من الإنس و النذر من الجن «يَقُصُّونَ» أى يتلون و يقرءون «عَلَيْكُمْ آيَاتِي» أى حجبى و دلائلى و بيناتى «وَ يُنذِرُونَكُمْ» أى يخوفونكم «لِقَاءِ يَوْمِكُمْ هَذَا» أى لقاء ما تستحقونه من العقاب فى هذا اليوم و حصولكم فيه يعنى يوم القيامة «قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا» بالكفر و العصيان فى حال التكليف و لزوم الحجج و انقطاع المعذرة و اعترافنا بذلك «وَ غَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا» أى تزينت لهم بظاهرها حتى اغتروا بها «وَ شَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ» فى الآخرة «أَنْهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ» فى الدنيا أى أقروا بذلك و شهدوا باستحقاقهم العقاب «ذَلِكَ» حكم الله تعالى «أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ» أى لأنه لم يكن ربك «مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَ أَهْلِهَا غَافِلُونَ» و هذا يجرى مجرى التعليل أى لأجل أنه لم يكن الله تعالى ليهلك أهل القرى بظلم يكون منهم حتى يبعث إليهم رسلا ينبهونهم على حجج الله تعالى و يذرونهم و يذكرونهم و لا يؤاخذهم بغيته و هذا إنما يكون منه تعالى على وجه الاستظهار فى الحجج دون أن يكون ذلك واجبا لأن ما فعلوه من الظلم قد استحقوا به العقاب و قيل معناه أنه تعالى لا يهلكهم بظلم منه على غفله منهم من غير تنبيه و تذكير عن الفراء و الجبائى و مثله قوله «وَ مَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَ أَهْلِهَا مُصْلِحُونَ» و فى هذا دلالة واضحة على أنه تعالى منزه عن الظلم و لو كان الظلم من خلقه لما صح تنزهه تعالى عنه «وَ لِكُلِّ» أى و لكل عامل طاعه أو معصيه «دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا» أى مراتب فى عمله على حسب ما يستحقه فيجازى عليه إن كان خيرا فخير و إن كان شرا فشر و إنما سميت درجات لتفاضلها كتفاضل الدرج فى الارتفاع و الانحطاط و إنما يعبر عن تفاضل أهل الجنة بالدرج و عن تفاضل أهل النار بالدرك إلا أنه لما جمع بينهم عبر عن تفاضلهم بالدرج تغليبا لصفه أهل الجنة «وَ مَا رَبُّكَ» يا محمد أو أيها السامع «بِغَافِلٍ» أى ساه «عَمَّا يَعْمَلُونَ» أى لا يشد شىء من ذلك عن عمله فيجازيهم على حسب ما يستحقونه من الجزاء و فى هذا تنبيه و تذكير للخلق فى كل أمورهم.

إشارة

وَ رَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ (١٣٣) إِنْ مَا تُوعَدُونَ لَمَاتٍ وَ مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (١٣٤) قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (١٣٥)

القراءة

قرأ أبو بكر عن عاصم مكاناتكم على الجمع و الباقون «مَكَانَتِكُمْ» على التوحيد و قرأ حمزه و الكسائي من يكون بالياء و الباقون بالتاء.

الحج

وجه قراءة «مَكَانَتِكُمْ» على التوحيد أنه مصدر و المصادر في أكثر الأمور مفردة و وجه الجمع أنه قد يجمع المصدر كقولهم الحلوم و الأحلام قال:

فأما إذا جلسوا في الندى فأحلام عاد و أيد هضم

و من قرأ من يكون بالياء فلائن العاقبه مصدر كالعافيه و تأنيثه غير حقيقي فمن أنث فهو كقوله «فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ» و من ذكر فكقوله وَ أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ و كلا الأمرين جائز.

اللغة

الإنباء الابتداء أنشأ الله الخلق إذا خلقهم و ابتدأهم و منه قولهم أنشأ فلان قصيده و النشأ الأحداث من الأولاد قال نصيب:

و لو لا أن يقال صبا نصيب لقلت بنفسى النشأ الصغار

و توعدون من الإيعاد و يحتمل أن يكون من الوعد و الوعد في الخير و الإيعاد في الشر و قال أبو زيد المكانه المنزله يقال رجل مكين عند السلطان من قوم مكنا و قد مكن مكانه.

الإعراب

الكاف في قوله «كَمَا أَنْشَأَكُمْ» في موضع نصب أى مثل ما أنشأكم و من في قوله «وَ يَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ» للبدل كقولهم أعطيتك من دينارك ثوبا أى مكان دينارك و بدله و من في قوله «مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ» لابتداء الغايه و ما في قوله «إِنْ مَا تُوعَدُونَ» بمعنى الذى و من في قوله

«مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ» فى موضع رفع بالابتداء و خبره «تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ» و تقديره أينا تكون له عاقبه الدار و يكون تعليقا و يحتمل أن يكون موضعه نصبا بتعلمون و يكون فى معنى الذى.

المعنى

لما أمر سبحانه بطاعته و حث عليها و رغب فيها بين أنه لم يأمر بها لحاجه لأنه يتعالى عن النفع و الضر فقال «وَرَبُّكَ» أى خالقك و سيدك «الغنى» عن أعمال عباده لا تنفعه طاعتهم و لا تضره معصيتهم لأن الغنى عن الشىء هو الذى يكون وجود الشىء و عدمه و صحته و فساده عنده بمنزله «ذُو الرَّحْمَةِ» أى صاحب النعمه على عباده بين سبحانه أنه مع غناه عن عباده ينعم عليهم و أن إنعامه و إن كثر لا- ينقص من ملكه و لا من غناه ثم أخبر سبحانه عن قدرته فقال «إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ» أى يهلككم و تقديره يذهبكم بالإهلاك «وَيَسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ» أى و ينشئ بعد هلاككم خلقا غيركم يكون خلفا لكم «كَمَا أَنْشَأَكُمْ» فى الأول «مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ» تقدموكم و هذا خطاب لمن سبق ذكره من الجن و الإنس و يحتمل أن يكون معناه و يستخلف جنسا آخر أى كما قدر على إخراج الجن من الجن و الإنس من الإنس فهو قادر على أن يخرج قوما آخر لا من الجن و لا من الإنس و فى هذه الآيه دلالة على أن خلاف المعلوم يجوز أن يكون مقدورا لأنه سبحانه بين أنه قادر على أن ينشئ خلقا خلاف الجن و الإنس و لم يفعل ذلك «إِنَّ مَا تُوعِدُونَ» من القيامة و الحساب و الجنة و النار و الثواب و العقاب و تفاوت أهل الجنة فى الدرجات و تفاوت أهل النار فى الدرجات «لَمَاتٍ» لا- محاله «وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ» بفائتين و يقال بسابقين و يقال بخارجين من ملكه و قدرته و الإعجاز أن يأتى الإنسان بشىء يعجز خصمه عنه و يقصر دونه فيكون قد جعله عاجزا عنه فعلى هذا يكون المعنى لستم بمعجزين الله سبحانه عن الإتيان بالبعث و العقاب «قُلْ» يا محمد لهم «يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ» أى على قدر منزلتكم و تمكنكم من الدنيا و معناه أثبتوا على ما أنتم عليه من الكفر و هذا تهديد و وعيد بصيغه الأمر و قيل على مكانتكم على طريقتكم و قيل على حالتكم عن الجبائى أى أقيموا على حالتكم التى أنتم عليها فإنى مجازيكم «إِنِّي عَامِلٌ» إخبار عن النبى ص أى عامل بما أمرنى الله تعالى به و قيل إخبار عن الله تعالى أى عامل ما وعدتكم به من البعث و الجزاء عن أبى مسلم و الأول الصحيح «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ» أى فستعلمون أينا تكون له العاقبه المحموده فى دار السلام عند الله تعالى و قيل المراد عاقبه دار الدنيا فى النصر عليكم «إِنَّهُ لَا

يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ» أى لا يظفر الظالمون بمطوبهم و إنما لم يقل الكافرون و إن كان الكلام فى ذكرهم لأنه سبحانه قال فى موضع آخر وَ الْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ وَ قَالَ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ.

[سوره الأنعام (٦): آيه ١٣٦]

إشارة

وَ جَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَ الْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَ هَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَ مَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (١٣٦)

القراءة

قرأ الكسائى بزعمهم بضم الزاى و هى قراءه يحيى بن ثابت و الأعمش و قرأ الباقون بفتح الزاى.

الحججه

القول فيه أنهما لغتان أو قيل إن الكسر أيضا لغه و مثله الفتك و الفتك و الود و الود و الود.

اللغه

الذره الخلق على وجه الاختراع و أصله الظهور و منه ملح ذرآنى و ذرآنى لظهور بياضه و الذرهأ ظهور الشيب قال:

(و قد علتنى ذرهأ بادى بدى)

و ذرئت لحيته إذا شاب و الحرث الزرع و الحرث الأرض التى تشار للزرع و الأنعام جمع النعم مأخوذ من نعمه الوطاء و لا يقال لذوات الحافر أنعام.

المعنى

ثم عاد الكلام إلى حجاج المشركين و بيان اعتقاداتهم الفاسده فقال سبحانه «وَ جَعَلُوا لِلَّهِ» أى كفار مكه و من تقدمهم من المشركين و جعل هنا بمعنى الوصف و الحكم «مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ» أى مما خلق من الزرع «وَ الْأَنْعَامِ» أى المواشى من الإبل و البقر و الغنم «نَصِيبًا» أى حظا و هاهنا حذف يدل الكلام عليه و هو و جعلوا للأوثان منه نصيبا «فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَ هَذَا لِشُرَكَائِنَا» يعنى الأوثان و إنما جعلوا الأوثان شركاءهم لأنهم جعلوا لها

ص: ١٥٣

نصيباً من أموالهم ينفقونه عليها فشاركوها في نعمهم «فَمَا كَانَ لَشُرْكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَ مَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرْكَائِهِمْ» قيل فى معناه أقوال (أحدها) أنهم كانوا يزرعون لله زرعاً وللأصنام زرعاً فكان إذا زكا الزرع الذى زرعه الله و لم يترك الزرع الذى زرعه للأصنام جعلوا بعضه للأصنام و صرفوه إليها و يقولون إن الله غنى و الأصنام أحوج و إن زكا الزرع الذى جعلوه للأصنام و لم يترك الزرع الذى زرعه لله لم يجعلوا منه شيئاً لله و قالوا هو غنى و كانوا يقسمون النعم فيجعلون بعضه لله و بعضه للأصنام فما كان لله أطعموه الضيفان و ما كان للصنم أنفقوه على الصنم عن الزجاج و غيره (و ثانيها)

أنه كان إذا اختلط ما جعل للأصنام بما جعل لله تعالى ردوه و إذا اختلط ما جعل للأصنام تركوه و قالوا الله أغنى و إذا تخرق الماء من الذى لله فى الذى للأصنام لم يسدوه و إذا تخرق من الذى للأصنام فى الذى لله سدوه و قالوا الله أغنى عن ابن عباس و قتاده و هو المروى عن أئمتنا (عليه السلام)

(و ثالثها) أنه كان إذا هلك ما جعل للأصنام بدلوه مما جعل لله و إذا هلك ما جعل لله لم يبدلوه مما جعل للأصنام عن الحسن و السدى «سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» أى ساء الحكم حكمهم هذا.

[سورة الأنعام (٦): آية ١٣٧]

إشارة

وَ كَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُرُدُّوهُمْ وَ لِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَ مَا يَفْتَرُونَ (١٣٧)

القرءاء

قرأ ابن عامر وحده زين بضم الزاى قتل بالرفع أولادهم بالنصب شركائهم بالجر و الباقون «زَيْنَ» بالفتح «قَتَلَ» بالنصب «أَوْلَادِهِمْ» بالجر و «شُرَكَائِهِمْ» بالرفع.

الحجج

شركائهم فى قرءاءه الأكثرين فاعل زين و قتل أولادهم مفعوله و لا يجوز أن يكون شركاء فاعل المصدر الذى هو قتل أولادهم لأن زين حينئذ يبقى بلا- فاعل و لأن الشركاء ليسوا قاتلين إنما هم مزينون القتل لهم و أضيف المصدر الذى هو قتل إلى المفعولين الذين هم الأولاد و حذف الفاعل و تقديره قتلهم أولادهم كما حذف ضمير الإنسان فى قوله لا يسألم الإنسان من دعاء الخير و المعنى من دعائه الخير و أما قرءاءه ابن عامر و كذلك زين فإنه أسند

زين إلى قتل و أعمل المصدر عمل الفعل و أضافه إلى الفاعل و نظير ذلك قوله وَ لَوْ لَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ فَاسْمَ اللَّهِ هنا فاعل كما أن الشركاء فى الآيه فاعلون و المصدر مضاف إلى الشركاء الذين هم فاعلون و المعنى قتل شركائهم أولادهم و تقديره أن قتل شركائهم أولادهم و فصل بين المضاف و المضاف إليه بمفعول به و المفعول مفعول المصدر و هذا قبيح فى الاستعمال قال أبو على و وجه ذلك على ضعفه أنه قد جاء فى الشعر الفصل قال الطرماح:

يظفن بحوزى المراتع لم ترع بواديه من قرع القسى الكنائن

و زعموا أن أبا الحسن أنشد:

" زج القلوص أبى مزاده "

فهو شاذ مثل قراءة ابن عامر و ذكر سيبويه فى هذه الآيه قراءة أخرى و هو قوله و كذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم و هو قراءة أبى عبد الرحمن السلمى فحمل الشركاء فيها على فعل مضمر غير هذا الظاهر كأنه لما قيل و كذلك زين قيل من زينه فقال زينه شركائهم و مثل ذلك قوله:

لييك يزيد ضارع لخصومه و مختبط مما تطيح الطوائح

كأنه لما قيل لبيك يزيد قبل من يبكيه فقال يبكيه ضارع.

اللغة

الإرداء الإهلاك و ردى يردى ردى إذا هلك و تردى تردى و المراده الحجر يتردى من رأس الجبل.

المعنى

ثم بين سبحانه خصله أخرى من خصالهم الذميمة فقال «وَ كَذَلِكَ» أى و كما جعل أولئك فى الحرث و الأنعام ما لا يجوز كذلك «زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» أى مشركى العرب «فَقَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ» يعنى الشياطين الذين زينوا لهم قتل البنات و وأدهن أحياء خيفه العيله و الفقر و العار عن الحسن و مجاهد و السدى و قيل إن المزيين لهم ذلك قوم كانوا يخدمون الأوثان عن الفراء و الزجاج و قيل هم الغواه من الناس و قيل كان السبب فى تزيين قتل البنات أن النعمان بن المنذر أغار

على قوم فسبى نساءهم و كان فيهن بنت قيس بن عاصم ثم اصطلحوا فأرادت كل امرأه منهن عشيرتها غير ابنه قيس فإنها أرادت من سبائها فحلف قيس لا يولد له بنت إلا وأدها فصار ذلك سنة فيما بينهم «لِيُزْدُوهُمْ» أى يهلكوهم و اللام لام العاقبه لأنهم لم يكونوا معاندين لهم فيقصدوا أن يردوهم عن أبى على الجبائى و قال غيره يجوز أن يكون فيهم المعاند فيكون ذلك على التغليب «وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ» أى يخلطوا عليهم و يدخلوا عليهم الشبهات فيه «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ» معناه و لو شاء أن يمنعهم من ذلك أو يضطرهم إلى تركه لفعل و لو فعل المنع و الحيلولة لما فعلوه و لكن كان يكون ذلك منافيا للتكليف «فَعَذَرَهُمْ وَ مَا يَفْتَرُونَ» أى اتركهم و دعهم و افتراءهم أى كذبهم على الله تعالى فإنه يجازيهم و فى هذا غايه الزجر و التهديد كما يقول القائل دعه و ما اختار و فى هذه الآية دلالة واضحة على أن تزيين القتل و القتل فعلهم و أنهم فى إضافه ذلك إلى الله سبحانه كاذبون.

[سوره الأنعام (٦): آيه ١٣٨]

إشارة

وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتٌ حَجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بَزَعْمِهِمْ وَ أَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَ أَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣٨)

القراءة

قرئ فى الشواذ حرج روى ذلك عن أبى بن كعب و ابن مسعود و ابن الزبير و الأعمش و عكرمه و عمرو بن دينار.

الحج

الحرج يمكن أن يؤول معناه إلى الحجر فإنهما يرجعان فى الأصل إلى معنى الضيق فإن الحرام سمي حجرا لضيقه و الحرج أيضا الضيق فعلى هذا يكون لغه فى حجر مثل جذب و جذب فهو من المقلوب.

اللغة

الحجر الحرام و الحجر العقل و فلائذ فى حجر القاضى من حجرت حجرا أى فى منع القاضى إياه من الحكم فى ماله و حجر المرأة و حجرها بالفتح و الكسر حضنها.

الإعراب

افتراء منصوب بقوله «لَا يَذْكُرُونَ» و هو مفعول له و يجوز أن يكون لا يذكرون بمعنى يفترون فكأنه قال يفترون افتراء.

ثم حكى سبحانه عنهم عقيدته أخرى من عقائدهم الفاسده فقال «وَقَالُوا» يعنى المشركين «هَذِهِ أَنْعَامٌ» أى مواش و هى الإبل و البقر و الغنم «وَوَحْيٌ» زرع «حِجْرٌ» أى حرام عنى بذلك الأنعام و الزرع الذين جعلوهما لآلهتهم و أوثانهم «لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَأَ بِزَعْمِهِمْ» أى لا يأكلها إلا من نشأ أن نأذن له فى أكلها و أعلم سبحانه أن هذا التحريم زعم منهم لا حجه لهم فيه و لا برهان و كانوا لا يحلون ذلك إلا لمن قام بخدمه أصنامهم من الرجال دون النساء «وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا» يعنى الأنعام التى حرموا الركوب عليها و هى السائبه و البحيره و الحام عن الحسن و مجاهد و قيل هى الحامى الذى حمى ظهره إذا ركب ولد ولده عندهم فلا يركب و لا يحمل عليه «وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا» قيل كانت لهم من أنعامهم طائفه لا يذكرون اسم الله عليها و لا فى شىء من شأنها عن مجاهد و قيل إنهم كانوا لا يحجون عليها عن أبى وائل و قيل هى التى إذا ذكوها أهلوا عليها بأصنامهم فلا يذكرون اسم الله عليها عن الضحاك «أَفْتِرَاءً عَلَيْهِ» أى كذبا على الله تعالى لأنهم كانوا يقولون إن الله أمرهم بذلك و كانوا كاذبين به عليه سبحانه «سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ» ظاهر المعنى.

[سوره الأنعام (٦): آيه ١٣٩]

إشاره

وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَّهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٣٩)

القراءه

قرأ ابن كثير «وَإِنْ يَكُنْ» بالياء ميته رفع وقرأ ابن عامر و أبو جعفر تكن بالتاء ميته رفع وقرأ أبو بكر عن عاصم تكن بالتاء «مَيْتَةً» نصب و الباقون «يَكُنْ» بالياء «مَيْتَةً» نصب و فى الشواذ قراءه ابن عباس بخلاف و قتاده و الأعرج خالصه بالنصب و قراءه سعيد بن جبیر خالصا و قراءه ابن عباس بخلاف و الزهرى و الأعمش خالص بالرفع و قراءه ابن عباس و ابن مسعود و الأعمش بخلاف خالصه مرفوع مضاف.

الحجه

وجه قراءه الأ-كثر أن يحمل على ما فيكون تقديره إن يكن ما فى بطون الأنعام ميته و وجه قراءه ابن كثير أنه لما لم يكن تأنيث الميته تأنيث ذوات الفروج جاز تذكير

الفعل كقوله فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ وَ يَكُونُ كَانَ تامه و تقديره إن وقع ميته و من أنت الفعل فكقوله سبحانه قَدْ جَاءَ تَكْم مَوْعِظَةٌ وَ وجه قراءه أبى بكر إن ما فى بطون الأنعام من الأنعام فلذلك أنثها و أما «خالصه» بالرفع على القراءه المشهوره فتقديره ما فى بطون الأنعام من الأنعام خالصة لنا أى خالص فأنت للمبالغه فى الخلوص كما يقال فلان خالصة فلان أى صفيه و المبالغ فى الصفاء و الثقه عنده و التاء فيه للمبالغه و ليكون أيضا بلفظ المصدر نحو العافيه و العاقبه و المصدر إلى الجنسيه فيكون أعم و أوكد و يدل على ذلك قراءه من قرأ خالص و أما من نصب خالصة و خالصة ففيه وجهان- (أحدهما) أن يكون حالا- من المضمر فى الظرف الذى جرى صله على ما فيكون كقولهم الذى فى الدار قائما زيد فيكون قوله «لِتُدْكَورِنَا» خبر المبتدأ الموصول (و الآخر) أن يكون حالا من ما على مذهب أبى الحسن فى إجازته تقديم الحال على العامل فيها إذا كان معنى بعد أن يتقدم صاحب الحال عليها كقولنا زيد قائما فى الدار و احتج بقوله سبحانه وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

المعنى

ثم حكى الله سبحانه عنهم مقاله أخرى فقال «وَقَالُوا» يعنى هؤلاء الكفار الذين تقدم ذكرهم «مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ» يعنى ألبان البحائر و السيب عن ابن عباس و الشعبى و قتاده و قيل أجنه البحائر و السيب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور دون النساء و ما ولد ميتا أكله الرجال و النساء عن مجاهد و السدى و قيل المراد به كليهما «خالصه لِدُكَورِنَا» لا يشركهم فيها أحد من الإناث من قولهم فلان يخلص العمل لله و منه إخلاص التوحيد و سمي الذكور من الذكر الذى هو الشرف و الذكر أشبه و أذكر من الأنثى «وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا» أى نسائنا «وَأِنْ يَكُنْ مَيْتَةً» معناه و أن يكن جنين الأنعام ميتة «فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ» أى الذكور و الإناث فيه سواء ثم قال سبحانه «سَيَجْزِيهِمْ وَصِيْفَهُمْ» أى سيجزيهم العقاب بوصفهم فلما أسقط الباء نصب وصفهم و قيل تقديره سيجزيهم جزاء وصفهم فحذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه عن الزجاج «إِنَّهُ حَكِيمٌ» فيما يفعل بهم من العقاب آجلا و فى إمهالهم عاجلا- «عَلِيمٌ» بما يفعلونه لا- يخفى عليه شىء منها و قد عاب الله سبحانه الكفار فى هذه الآيه من وجوه أربعه (أحدها) ذبحهم الأنعام بغير إذن الله (و ثانيها) أكلهم على ادعاء التذكية افتراء على الله (و ثالثها) تحليلهم للذكور و تحريمهم على الإناث تفرقه بين ما لا يفترق إلا بحكم من الله (و رابعها) تسويتهم بينهم فى الميتة من غير رجوع إلى سمع موثوق به.

إشاره

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٤٠)

القراءة

قرأ ابن كثير و ابن عامر قتلوا بتشديد التاء و الباقرن بالتخفيف.

الحجه

التشديد للتكثير و التخفيف يدل على القله و الكثره و قد تقدم بيان ذلك.

الإعراب

قوله «سَفَهًا» و «افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ» نصب على الوجهين اللذين ذكرناهما فى قوله افْتِرَاءً عَلَيْهِ.

المعنى

ثم جمع سبحانه بين الفريقين الذين قتلوا اولادهم و الذين حرّموا الحلال فقال «قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ» خوفا من الفقر و هربا من العار و معناه هلكت نفوسهم باستحقاقهم على ذلك عقاب الأبد و الخسران هلاك رأس المال «سَفَهًا» أى جهلا و تقديره سفهوا بما فعلوه سفها و الفرق بين السفه و النزق أن السفه عجله يدعو إليها الهوى و النزق عجله من جهه حده الطبع و الغيظ «بِغَيْرِ عِلْمٍ» و هذا تأكيد لجهلهم و ذهابهم عن الثواب «وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ» يعنى الأنعام و الحرث الذين زعموا أنها حجر عن الحسن و اعترض على بن عيسى على هذا فقال الأنعام كانت محرمة حتى ورد السمع فما قاله غير صحيح و هذا الاعتراض يفسد من حيث إن الركوب لا يحتاج إلى السمع و إن احتاج الذبح إليه لأن الركوب مباح إذا قام بمصالحها و لأن أكلها أيضا بعد الذبح مباح «افْتِرَاءً» أى كذبا «عَلَى اللَّهِ» سبحانه «قَدْ ضَلُّوا» أى ذهبوا عن طريق الحق بما فعلوه و حكموا بحكم الشياطين فيما حكموا فيه «وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ» إلى شىء من الدين و الخير و الرشاد و فى هذه الآيات دلالات على بطلان مذهب المجبره لأنه سبحانه أضاف القتل و الافتراء و التحريم إليهم و نزه نفسه عن ذلك و ذمهم على قتل الأطفال بغير جرم فكيف يعاقبهم سبحانه عقاب الأبد على غير جرم.

إشارة

وَ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَ غَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَ النَّخْلَ وَ الزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَ الزَّيْتُونَ وَ الرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَ غَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَ آتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَ لَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (١٤١)

القراءة

قرأ أهل البصرة و الشام و عاصم حصاده بالفتح و الباقون «حَصَادِهِ» بالكسر.

الحجج

هما لغتان قال سيبويه جاءوا بالمصادر حين أرادوا انتهاء الزمان على مثال فعال و ذلك الصرام و الجداد و الجرام و الجراز و القطاع و الحصاد و ربما دخلت اللغتان في بعض هذا فكان فيه فعال و فعال.

اللغة

الإنشاء إحداث الفعل ابتداء لا على مثال سبق و هو كالاتباع. و الاختراع هو إحداث الأفعال في الغير من غير سبب. و الخلق هو التقدير و الترتيب و الجنات و البساتين التي يجنها الشجر من النخل و غيره و الروضة الخضراء بالنبات و الزهر المشرقه باختلاف الألوان الحسنه و العرش أصله الرفع و منه سمي السرير عرشا لارتفاعه و العرش السقف و الملك و عرش الكرم رفع بعض أغصانها على بعض و العريش شبه الهودج يتخذ للمرأة و الإسراف مجاوزة الحد و قد يكون بالمجازة إلى الزيادة و قد يكون بالتقصير و هو أن يجاوز حد الحق و العدل قال الشاعر:

أعطوا هنيده يخذوها ثمانيه ما في عطائهم من و لا سرف

أى و لا تقصير و قيل معناه و لا إفراط.

الإعراب

«مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ» نصب على الحال من «أَنْشَأَ» و إنما انتصب على الحال و إن كان يؤكل بعد ذلك بزمان لأمرين (أحدهما) أن المعنى مقدر اختلاف أكله كما في قوله مررت برجل معه صقر صائدا به غدا أى مقدر الصيد به غدا (و الثانى) أن يكون معنى أكله ثمره الذى يصلح أن يؤكل منه.

المعنى

لما حكى سبحانه عن المشركين أنهم جعلوا بعض الأشياء للأوثان عقب ذلك البيان بأنه الخالق لجميع الأشياء فلا يجوز إضافه
شئ منها إلى الأوثان ولا تحليل ذلك ولا تحريمه إلا بإذنه فقال «وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ» أى خلق وابتدع لا على مثال «جَنَاتٍ» أى
بساتين فيها الأشجار المختلفه «مَعْرُوشَاتٍ» مرفوعات بالدعائم قيل هو ما عرشه الناس من

ص: ١٦٠

الكروم ونحوها عن ابن عباس و السدى و قيل عرشها أن يجعل لها حظائر كالحيطان عن أبي على قال و أصله الرفع و منه قوله تعالى «خَاوِيَةً عَلَى عُرُوشِهَا»* يعنى على أعاليها و ما ارتفع منها ما لم تندك فتسوى بالأرض «وَ غَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ» يعنى ما خرج من قبل نفسه فى البرارى و الجبال من أنواع الأشجار عن ابن عباس و قيل معناه غير مرفوعات بل قائمه على أصولها مستغنيه عن التعريش عن أبى مسلم «وَ النَّخْلَ وَ الزَّرْعَ» أى و أنشأ النخل و الزرع «مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ» أى طعمه و قيل ثمره و قيل هذا وصف للنخل و الزرع جميعا فخلق سبحانه بعضها مختلف اللون و الطعم و الرائحة و الصورة و بعضها مختلفا فى الصورة متفقا فى الطعم و بعضها مختلفا فى الطعم متفقا فى الصورة و كل ذلك يدل على توحيده و على أنه قادر على ما يشاء عالم بكل شىء «وَ الزَّيْتُونَ وَ الرُّمَانَ» أى و أنشأ الزيتون و الرمان «مُتَشَابِهًا» فى الطعم و اللون و الصورة «وَ غَيْرَ مُتَشَابِهٍ» فيها و إنما قرن الزيتون إلى الرمان لأنهما متشابهان باكتناز الأوراق فى أغصانها «كُلُّوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ» المراد به الإباحه و إن كان بلفظ الأمر قال الجبائى و جماعه هذا يدل على جواز الأكل من الثمر و إن كان فيه حق الفقراء «وَ آتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ» هذا أمر بإيتاء الحق يوم الحصاد على الجملة و الحق الذى يجب إخراجه يوم الحصاد فيه قولان (أحدهما) أنه الزكاه العشر أو نصف العشر عن ابن عباس و محمد بن الحنفية و زيد بن أسلم و الحسن و سعيد بن المسيب و قتاده و الضحاك و طاووس (و الثانى)

أنه ما تيسر مما يعطى المساكين عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه (عليه السلام)

و عطا و مجاهد و ابن عمر و سعيد بن جبير و الربيع بن أنس و روى أصحابنا أنه الضغث بعد الضغث و الحفنه بعد الحفنه و قال إبراهيم و السدى الآيه منسوخه بفرض العشر و نصف العشر لأن هذه الآيه مكيهه و فرض الزكاه إنما أنزل بالمدينه و لما روى أن الزكاه نسخ كل صدقه قالوا و لأن الزكاه لا تخرج يوم الحصاد قال على بن عيسى و هذا غلط لأن يوم حصاده ظرف لحقه و ليس للإيتاء المأمور به «وَ لَا تُسْرِفُوا» أى لا تجاوزوا الحد و فيه أقوال (أحدها) أنه خطاب لأرباب الأموال لا تسرفوا بأن تتصدقوا بالجميع و لا تبقوا للعيال شيئا كما فعل ثابت بن قيس بن شماس فإنه صرم خمسين نخلا و تصدق بالجميع و لم يدخل منه شيئا فى داره لأهله عن أبى العالىه و ابن جريج (و ثانيها) أن معناه و لا تقصروا بأن تمنعوا بعض الواجب و التقصير سرف عن سعيد بن المسيب (و ثالثها) أن المعنى لا تسرفوا فى الأكل قبل الحصاد كيلا يؤدى إلى

بخس حق الفقراء عن أبي مسلم (و رابعها) أن معناه لا تنفقوه في المعصية و لا تضعوه في غير موضعه و في جميع هذه الأقوال الخطاب لأرباب الأموال (و خامسها) أن الخطاب للأئمة و معناه لا تأخذوا ما يجحف بأرباب الأموال و لا تأخذوا فوق الحق عن ابن زيد (و سادسها) أن الخطاب للجميع بأن لا يسرف رب المال في الإعطاء و لا الإمام في الأخذ و صرف ذلك إلى غير مصارفه و هذا أعم فائده «إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ» ظاهر المعنى.

[سوره الأنعام (٦): الآيات ١٤٢ الى ١٤٤]

إشاره

وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَهُ وَفَرَشَاءَ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَ لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٤٢) ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَ مِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمَ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبُّونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٤٣) وَ مِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَ مِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمَ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٤٤)

القراءة

قرأ ابن كثير و ابن فليح و ابن عامر و أهل البصره المعز بفتح العين و الباقون بسكونها.

الحجه

قال أبو على من قرأ المعز فإنه جمع ماعز مثل خادم و خدم و حارس و حرس و طالب و طلب و قال أبو الحسن هو جمع على غير واحد و كذلك المعزى و حكى أبو زيد

الأمعوز و قالوا المعيز كالكلب و الضئين و من قرأ «المعز» فإنه جمع أيضا مثل صاحب و صحب و تاجر و تجر و راكب و ركب و أبو الحسن يرى هذا الجمع مستمرا و يرده في التصغير إلى الواحد فيقول في تحقير ركب رويكون و في تجر تويجرون و سبويه يراه اسما من أسماء الجموع و أنشد أبو عثمان في الاحتجاج لسبويه:

أخشى ركبيا أو رجلا عاديا

فتحقيره له على لفظه يدل على أنه اسم للجمع و أنشد:

و أين ركب واضعون رحالهم.

اللغة

الحمولة الإبل يحمل عليه الأثقال و لا واحد لها من لفظها كالركوبه و الجزوره و الحمولة بضم الحاء هي الأحمال و هي الحمول أيضا و إنما قيل للصغار فرش لأمرين (أحدهما) لاستواء أسنانها في الصغر و الانحطاط كاستواء ما يفرش (و الثاني) أنه من الفرش و هو الأرض المستوية التي يتوطأها الناس و الزوج يقع على الواحد الذي يكون معه آخر و على الاثنين كما يقال للواحد و الاثنين خصم و عدل و الاشتمال أصله الشمول يقال شملهم الأمر يشملهم و شملهم الأمر يشملهم شمولاً إذا عمهم و منه الشمال لشمولها على ظاهر الشيء و باطنه بقوتها و لطفها و من ذلك الشمول للخمر لاشتمالها على العقل و قيل لأن لها عصفه كعصفه الشمال.

الإعراب

حمولة عطف على جنات أي و أنشأ من الأنعام حمولة و اثنين محمول على أنشأ أيضا أي ثمانية أزواج اثنين من كذا و اثنين من كذا فثمانية أزواج بدل من حمولة و فرشا و اثنين من كذا و اثنين من كذا بدل من ثمانية أو عطف بيان و قوله «الذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ» دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل و فصل بينهما بالألف و لم تسقط همزة الوصل لثلاثي يلبس الاستفهام بالخبر و لو أسقطت لجاز لأن أم تدل على الاستفهام و على هذا الوجه أجاز سبويه أن يكون قول الشاعر:

فو الله ما أدري و إن كنت داريا شعيث بن سهم أو شعيث بن منقر

استفهاما فيكون تقديره أ شعيث و ما في قوله «أمّا» اشتملت في موضع نصب بكونه عطفًا على الأنثيين و إنما قال الأنثيين فثنى لأنه أراد من الضأن و المعز.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما عده فيما تقدم من عظيم الأنعام ببيان نعمته في

إنشاء الأنعام فقال «وَمِنَ الْأَنْعَامِ» أى و أنشأ من الأنعام «حَمُولَهُ وَفَوْشًا» قد قيل فيه أقوال (أحدها) أن الحمله كبار الإبل و الفرش صغارها عن ابن عباس و ابن مسعود بخلاف و الحسن بخلاف و مجاهد (و ثانيها) أن الحمله ما يحمل عليه من الإبل و البقر و الفرش الغنم عن الحسن فى روايه أخرى و قتاده و الربيع و السدى و الضحاك و ابن زيد (و ثالثها) أن الحمله كل ما حمل من الإبل و البقر و الخيل و البغال و الحمير و الفرش الغنم عن ابن عباس فى روايه أخرى فكأنه ذهب إلى أنه يدخل فى الأنعام الحافر على وجه التبع (رابعها) أن معناه ما ينتفعون به فى الحمل و ما يفترضونه فى الذبح فمعنى الافتراض الاضطجاع للذبح عن أبى مسلم قال و هو كقوله فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا و روى عن الربيع بن أنس أيضا أن الفرش ما يفرش ما يذبح أيضا (و خامسها) أن الفرش ما يفرش من أصوافها و أوبارها و يرجع الصفتان إلى الأنعام أى من الأنعام ما يحمل عليه و منها ما يتخذ من أوبارها و أصوافها ما يفرش و يبسط عن أبى على الجبائى «كُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ» أى استحلوا الأكل مما أعطاكم الله و لا تحرموا شيئا منها كما فعله أهل الجاهليه فى الحرث و الأنعام و على هذا يكون الأمر على ظاهره و يمكن أن يكون أراد نفس الأكل فىكون بمعنى الإباحه «وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ» مضى تفسيره فى سوره البقره ثم فسر تعالى الحمله و الفرش فقال «ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ» و تقديره و أنشأ ثمانية أزواج أنشأ «مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَ مِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ وَ مِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَ مِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ» وإنما أجمل ثم فصل المجمل لأنه أراد أن يقرر على شىء شىء منه ليكون أشد فى التوبيخ من أن يذكر ذلك دفعه واحده و معناه ثمانية أفراد لأن كل واحد من ذلك يسمى زوجا فالذكر زوج الأنثى و الأنثى زوج الذكر كما قال تعالى «أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ» و قيل معناه ثمانية أصناف من الضأن اثنين يعنى الذكر و الأنثى و من المعز اثنين الذكر و الأنثى و الضأن ذوات الصوف من الغنم و المعز ذوات الشعر منه و واحد الضأن ضائن كقولهم تاجر و تجر و الأنثى ضائنه و واحد المعز ماعز و

قيل أن المراد بالاثنتين الأهلى و الوحشى من الضأن و المعز و البقر و المراد بالاثنتين من الإبل العراب و البخاتى و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و إنما خص هذه الثمانية لأنها جميع الأنعام التى كانوا يحرمون منها ما يحرمونه على ما تقدم ذكره «قُلْ» يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يحرمون ما أحل الله تعالى «الَّذِينَ كَرِهُوا» من الضأن و المعز «حَرَّمَ» الله «أُمِّ الْأُنثِيَيْنِ» منهما «أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ» أى أم حرم ما اشتمل عليه رحم الأنثى من الضأن و الأنثى من

المعز و إنما ذكر الله سبحانه هذا على وجه الاحتجاج عليهم بين به فريتهم و كذبهم على الله تعالى فيما ادعوا من أن ما فى بطون الأنعام حلال للذكور و حرام على الإناث و غير ذلك مما حرموه فإنهم لو قالوا حرم الذكركين لزمهم أن يكون كل ذكر حراما و لو قالوا حرم الأنثيين لزمهم أن يكون كل أنثى حراما و لو قالوا حرم ما اشتمل عليه رحم الأنثى من الضأن و المعز لزمهم تحريم الذكور و الإناث فإن أرحام الإناث تشتمل على الذكور و الإناث فيلزمهم بزعمهم تحريم هذا الجنس صغارا و كبارا و ذكورا و إناثا و لم يكونوا يفعلون ذلك بل كان يخصون بالتحريم بعضا دون بعض فقد لزمهم الحجة ثم قال «نَبُّونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» معناه أخبرونى بعلم عما ذكرتموه من تحريم ما حرمتوه و تحليل ما حللتموه إن كنتم صادقين فى ذلك «وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ» هذا تفصيل لتمام الأزواج الثمانية «قُلْ» يا محمد «الذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ» الله منهما «أُمُّ الْأُنثِيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ» قد تقدم معناه «أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ» أى حضورا «إِذْ وَصَّأَكُمُ اللَّهُ بِهَذَا» أى أمركم به و حرمة عليكم حتى تضيفوه إليه و إنما ذكر ذلك لأن طريق العلم إما الدليل الذى يشترك العقلاء فى إدراك الحق به أو المشاهدة التى يختص بها بعضهم دون بعض فإذا لم يكن واحد من الأمرين سقط المذهب و المراد بذلك أعلمتموه بالسمع و الكتب المنزلة و أنتم لا تقرن بذلك أم شافهكم الله تعالى به فعلمتموه و إذا لم يكن واحد منهما فقد علم بطلان ما ذهبتم إليه «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» أى من أظلم لنفسه ممن كذب على الله و أضاف إليه تحريم ما لم يحرمه و تحليل ما لم يحلله «لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ» أى يعمل عمل القاصد إلى إضلالهم من أجل دعائه إياهم إلى ما لا يثق بصحته مما لا يأمن من أن يكون فيه هلاكهم و إن لم يقصد إضلالهم «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» إلى الثواب لأنهم مستحقون العقاب الدائم بكفرهم و ضلالهم.

[سوره الأنعام (٦): آيه ١٤٥]

اشاره

قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَ لَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤٥)

ص: ١٦٥

قرأ ابن كثير و حمزه تكون بالتاء «مَيْتَهُ» بالنصب و قرأ أبو جعفر و ابن عامر تكون بالتاء ميته بالرفع و الباقيون بالياء و نصب «مَيْتَهُ» و كلهم خففوا «مَيْتَهُ» غير أبي جعفر فإنه شددوها.

الحجج

قال أبو علي قراءة ابن كثير و حمزه محموله على المعنى كأنه قال إلا أن تكون العين و النفس ميته ألا ترى أن المحرم لا يخلو من جواز العبارة عنه بأحد هذه الأشياء و ليس قوله «إِلَّا أَنْ يَكُونَ» كقولك جاءني القوم لا- يكون زيدا و ليس زيدا في أن الضمير الذي يتضمنه من الاستثناء لا يظهر و لا يدخل الفعل علامه التانيث لأن الفعل إنما يكون عاريا من علامه التانيث و من أن يظهر معه الضمير إذا لم يدخل عليه أن فأما إذا دخله أن فعلى حكم سائر الأفعال و من قرأ بالياء و نصب «مَيْتَهُ» فإنه جعل فيه ضميرا مما تقدم و هو أقيس مما تقدم ذكره أى إلا- أن يكون الموجود ميته و من قرأ إلا- أن تكون ميته فألحق علامه التانيث الفعل كما ألحق فى قوله قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ و تقديره إلا أن تقع ميته.

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر ما حرمه المشركون عقبه ببيان المحرمات فقال «قُلْ» يا محمد لهؤلاء الكفار «لَا أجدُ فى ما أُوحىَ إِلَيَّ» أى أوحاه الله تعالى إلى شينا «مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ» أى على أكل يأكله «إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا» أى مصبوبا و إنما خص المصبوب بالذكر لأن ما يختلط باللحم منه مما لا يمكن تخليصه منه معفو عنه مباح «أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ» إنما خص الأشياء الثلاثة هنا بذكر التحريم مع أن غيرها محرم فإنه سبحانه ذكر فى المائدة تحريم المتخفه و الموقوذه و المترديه و غيرها لأن جميع ذلك يقع عليه اسم الميته فيكون فى حكمها فأجمل هاهنا و فصل هناك و أجود من هذا أن يقال أنه سبحانه خص هذه الأشياء بالتحريم تعظيما لحرمتها و بين تحريم ما عداها فى مواضع أخر إما بنص القرآن و إما بوحى غير القرآن و أيضا فإن هذه السوره مكيه و المائده مدنيه فيجوز أن يكون غير ما فى الآيه من المحرمات إنما حرم فيما بعد و الميته عباده عما كان فيه حياه فقدت من غير تذكيه شرعيه «فَإِنَّهُ رِجْسٌ» أى نجس و الرجس اسم لكل شىء مستقذر منفور عنه و الرجس أيضا العذاب و الهاء فى قوله «فَإِنَّهُ» عائد إلى ما تقدم ذكره فلذلك ذكره «أَوْ فَسَقًا» عطف على قوله «أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ» فلذلك نصبه «أَهْلًا لِيُغَيِّرَ اللَّهُ بِهِ» أى ذكر عليه اسم الأصنام و الأوثان و لم يذكر اسم الله عليه و سمي ما ذكر عليه اسم الصنم فسقا لخروجه عن أمر الله و أصل الإهلال رفع الصوت بالشىء و قد ذكرناه فى سوره المائده «فَمَنْ اضْطُرَّ» إلى تناول شىء مما ذكرناه «غَيْرَ بَاغٍ وَ لَا عَادٍ» قد سبق معناه فى سوره

البقره «فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» حكم بالرخصه كما حكم بالمغفره و الرحمه.

[سوره الأنعام (٦): الآيات ١٤٦ الى ١٤٧]

إشارة

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (١٤٦) فَإِنَّ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١٤٧)

اللغة

الظفر ظفر الإنسان وغيره و رجل أظفر إذا كان طويل الأظفار كما يقال أشعر لطويل الشعر و الحوايا المباعر قال الزجاج واحدها حاويه و حاوياء و حاويه و هي ما يحوى فى البطن فاجتمع و استدار.

الإعراب

موضع الحوايا يحتمل أن يكون رفعا عطفا على الظهور و تقديره أو ما حملت الحوايا و يحتمل أن يكون نصبا عطفا على ما فى قوله «إِلَّا مَا حَمَلَتْ» فأما قوله «أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ» فإن ما هذه معطوفه على ما الأولى «ذَلِكَ» يجوز أن يكون منصوب الموضع بأنه مفعول ثان لجزياناهم التقدير جزياناهم ذلك ببغيهم و لا يجوز أن يرفع بالابتداء لأنه يصير التقدير ذلك جزياناهم فيكون كقولهم زيد ضربت أى ضربته و هذا إنما يجوز فى ضروره الشعر.

المعنى

ثم بين سبحانه ما حرمه على اليهود فقال «وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا» أى على اليهود فى أيام موسى «حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ» اختلف فى معناه فقيل هو كل ما ليس بمنفرج الأصابع كالإبل و النعام و الإوز و البط عن ابن عباس و سعيد بن جبير و قتاده و مجاهد و قيل هو الإبل فقط عن ابن زيد و قيل يدخل فيه كل السباع و الكلاب و السنانير و ما يصطاد بظفره عن الجبائى و قيل كل ذى مخلب من الطير و كل ذى حافر من الدواب عن القتيبى و البلخى «وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا» أخبر سبحانه أنه كان حرم عليهم

شحوم البقر و الغنم من الثرب و شحم الكلى و غير ذلك مما فى أجوافها و استثنى من ذلك فقال «إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا» من الشحم و هو اللحم السمين فإنه لم يحرم عليهم «أَوْ الْحَوَايَا» أى ما حملته الحوايا من الشحم فإنه غير محرم عليهم أيضا و الحوايا هى المباعر عن ابن عباس و الحسن و سعيد بن جبير و قتاده و مجاهد و السدى و قيل هى بنات اللبن عن ابن زيد و قيل هى الأمعاء التى عليها الشحوم عن الجبائى «أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ» ذلك أيضا مستثنى من جملة ما حرم و هو شحم الجنب و الأليه لأنه على العصعص عن ابن جريج و السدى و قيل الأليه لم تدخل فى هذا لأنها لم تستثن عن الجبائى فكأنه لم يعتد بعظم العصعص قال الزجاج إنما دخلت أو هاهنا على طريق الإباحه كما قال سبحانه وَ لَا تُطْعَمُ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا وَ المعنى أن كل هؤلاء أهل أن يعصى فاعص هذا أو اعص هذا و أو بليغه فى هذا المعنى لأنك إذا قلت لا تطع زيدا و عمرا فجائز أن يكون نهيتنى عن طاعتهما فى حال معا فإن أطعت زيدا على حدته لم أكن عصيتك و إذا قلت لا تطع زيدا أو عمرا أو خالدًا فالمعنى أن هؤلاء كلهم أهل أن لا- يطاع فلا- تطع واحدا منهم و لا تطع الجماعة و مثله جالس الحسن أو ابن سيرين أو الشعبي «ذَلِكَ جَزَائِنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ» المعنى حرمتنا ذلك عليهم عقوبه لهم بقتلهم الأنبياء و أخذهم الربا و استحلالهم أموال الناس بالباطل فهذا بغيهم و هو كقوله فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَ قِيلَ بِغْيِهِمْ ظَلَمَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ فِى ارْتِكَابِهِمُ الْمُحْظُورَاتِ وَ قِيلَ إِنْ مَلُوكَ بَنَى إِسْرَائِيلَ كَانُوا يُمْنَعُونَ فقراءهم من أكل لحوم الطير و الشحوم فحرم الله ذلك ببغيهم على فقرائهم ذكره على بن إبراهيم فى تفسيره و يسأل فيقال كيف يكون التكليف عقوبه و هو تابع للمصلحه و تعريض للشواب و جوابه أنه إنما سمي جزاء و عقابا لأن عظيم ما فعلوه من المعاصى اقتضى تحريم ذلك و تغيير المصلحه فيه و لو لا عظم جرمهم لما اقتضت المصلحه ذلك «وَ إِنَّا لَصَادِقُونَ» أى فى الإخبار عن التحريم و عن بغْيِهِمْ و فى كل شىء و فى أن ذلك التحريم عقوبه لأوائلهم و مصلحه لمن بعدهم إلى وقت النسخ «فَإِنْ كَذَّبُوكَ» يا محمد فيما تقول «فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ» لذلك لا يعجل عليكم بالعقوبه بل يمهلكم «وَ لَا يُرَدُّ بِأُسْهُ» أى لا يدفع عذابه إذا جاء وقته «عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ» أى المكذبين.

إشارة

سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَيْلٌ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١٤٨) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩) قُلْ هَلَمْ شُهَدَاءُ كُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١٥٠)

اللغة

هلم قال الزجاج أنها هاء ضمت إليها لم وجعلتا كالكلمة الواحدة فأكثر اللغات أن يقال هلم للواحد والاثنين والجماعة بذلك جاء القرآن نحو قوله هَلُمَّ إِلَيْنَا ومعنى «هَلُمَّ شُهَدَاءَ كُمْ» هاتوا شهداءكم ومن العرب من يثنى ويجمع ويؤنث فيقول للمذكر هلم وللإثنين هلما وللجماعة هلموا وللمؤنث هلمى وللنساء هلمن وفتحت لأنها مدغمه كما فتحت رديا هذا في الأمر لالتقاء الساكنين ولا يجوز فيها هلم للواحد بالضم كما يجوز في رد الفتح والضم والكسر لأنها لا تتصرف قال أبو على هي في اللغة الأولى بمنزلة رويد و صه و مه ونحو ذلك من الأسماء التي سميت بها الأفعال وفي الأخرى بمنزلة رد في ظهور علامات الفاعلين فيها كما يظهر في رد و أما هاء اللاحق بها فهي التي للتنبيه لحقت أولا لأن لفظ الأمر قد يحتاج إلى استعطاف المأمور به واستدعاء إقباله على الأمر فهو لذلك يقرب من المنادى ومن ثم دخل حرف التنبيه في الأيا اسجدوا ألا ترى أنه أمر كما أن هذا أمر وقد دخل في جمل آخر نحو ها أَنْتُمْ هُوَ لَاءِ* فكما دخل في هذه المواضع كذلك لحقت في لم إلا أنه كثر الاستعمال معها فغير بالحذف لكثرة الاستعمال كأشياء تغير لذلك نحو لم أبل ولم أدر

المعنى

لما تقدم الرد على المشركين لاعتقاداتهم الباطلة رد عليهم سبحانه هنا مقاتلتهم الفاسده فقال «سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا» أى سيحتج هؤلاء المشركين فى إقامتهم على شركهم و فى تحريمهم ما أحل الله تعالى بأن يقولوا «لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا» أى لو شاء الله أن لا نعتقد الشرك و لا نفعل التحريم «وَلَا آبَاؤُنَا» و أراد منا خلاف ذلك ما أشركنا و لا آباؤنا «وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ» أى شيئاً من ذلك ثم كذبهم الله تعالى فى ذلك بقوله «كَذَلِكَ» أى مثل هذا التكذيب الذى كان من هؤلاء فى أنه منكر «كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» و إنما قال كذب بالشديد لأنهم بهذا القول كذبوا رسول الله ص فى قوله لهم أن الله سبحانه أمركم بتوحيده و ترك الإشراك به و ترك التحريم لهذه الأنعام فكانوا بقولهم إن الله تعالى أراد منا ذلك و شاءه و لو أراد غيره ما فعلناه مكذبين للرسول ع كما كذب من تقدمهم أنبياءهم فيما أتوا به من قبل الله تعالى «حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا» أى حتى نالوا عذابنا و قيل معناه حتى أصابوا العذاب المعجل و دل ذلك على أن لهم عذاباً مدخراً عند الله تعالى لأن الذوق أول إدراك الشىء «قُلْ» يا محمد لهم جواباً عما قالوه من أن الشرك بمشيئه الله تعالى «هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ» أى حجه تؤدى إلى علم و قيل معناه هل عندكم علم فيما تقولونه «فَتُخْرِجُوهُ لَنَا» أى فتخرجوا ذلك العلم أو تلك الحجة لنا بين سبحانه بهذا أنه ليس عندهم علم و لا حجه فيما يضيفونه إلى الله تعالى و إن ما قالوه باطل ثم أكد سبحانه الرد عليهم و تكذيبهم فى مقاتلتهم بقوله «إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ» أى ما تتبعون فيما تقولونه إلا الظن و التخمين «وَ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ» أى إلا تكذبون فى هذه المقالة على الله تعالى و فى هذه الآية دلالة واضحة على أن الله سبحانه لا يشاء المعاصى و الكفر و تكذيب ظاهر لمن أضاف ذلك إلى الله سبحانه هذا مع قيام الأدلة العقلية التى لا يدخلها التأويل على أنه سبحانه يتعالى عن إرادته القبيح و جميع صفات النقص علواً كبيراً «قُلْ» يا محمد إذا عجز هؤلاء عن إقامة حجه على ما قالوه «فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ» و الحجة البينه الصحيحة المصححة للأحكام و هى التى تقصد إلى الحكم بشهادته مأخوذة من حج إذا قصد و البالغه هى التى تبلغ قطع عذر المحجوج بأن تزيل كل لبس و شبهه عن نظر فيها و استدلل بها و إنما كانت حجه الله صحيحة بالغه لأنه لا يحتج إلا بالحق و بما يؤدى إلى العلم «فَلَوْ شَاءَ لَهَيَّدْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ» أى لو شاء لألجأكم إلى الإيمان و هداكم جميعاً إليه بفعل الإلجاء إلا أنه

لم يفعل ذلك و إن كان فعله حسنا لأن الإلجاء ينافي التكليف و هذه المشيئة بخلاف المشيئة المذكوره فى الآيه الأولى لأن الله تعالى أثبت هذه و نفى تلك و ذلك لا يستقيم إلا على الوجه الذى ذكرناه فالأولى مشيئة الاختيار و الثانية مشيئة الإلجاء و قيل أن المراد أنه لو شاء لهداكم إلى نيل الثواب و دخول الجنة ابتداء من غير تكليف و لكنه سبحانه لم يفعل ذلك بل كلفكم و عرضكم للثواب الذى لا- يحسن الابتداء بمثله و لو كان الأمر على ما قاله أهل الجبر من أن الله سبحانه شاء منهم الكفر لكانت الحجبه للكفار على الله تعالى من حيث فعلوا ما شاء الله تعالى و لكانوا بذلك مطيعين له لأن الطاعة هى امتثال الأمر المراد و لا يكون الحجبه لله تعالى عليهم على قولهم من حيث أنه خلق فيهم الكفر و أراد منهم الكفر فأى حجه له عليهم مع ذلك ثم بين سبحانه أن الطريق الموصل إلى صحه مذاهبهم مفسد غير ثابت من جهة حجه عقليه و لا سمعيه و ما هذه صفته فهو فاسد لا محاله فقال «قُلْ» يا محمد لهم «هَلُمُّ شُهَدَاءَكُمْ» أى أحضروا و هاتوا شهداءكم «الَّذِينَ يَشْهَدُونَ» بصحه ما تدعونه من «أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا» أى هذا الذى ذكر مما حرمه المشركون من البحيره و السائبه و الوصيله و الحرث و الأنعام و غيرها «فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ» معناه فإن لم يجدوا شاهدا يشهد لهم على تحريمها غيرهم فشهدوا بأنفسهم فلا تشهد أنت معهم و إنما نهاه عن الشهاده معهم لأن شهادتهم تكون شهاده بالباطل فإن قيل كيف دعاهم إلى الشهاده ثم قال فلا تشهد معهم فالجواب أنه أمرهم أن يأتوا بالعدول الذين يشهدون بالحق فإذا لم يجدوا ذلك و شهدوا لأنفسهم فلا ينبغى أن تقبل شهادتهم أو تشهد معهم لأنها ترجع إلى دعوى مجردة بعيده من الصواب و قيل أنه سبحانه أراد هاتوا شهداء من غيركم و لم يكن أحد غير العرب يشهد على ذلك لأنه كان للعرب شرائع شرعوها لأنفسهم «وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا» الخطاب للنبي ص و المراد أمته أى لا تعتقد مذهب من اعتقد مذهبه هوى و يمكن أن يتخذ الإنسان المذهب هوى من وجوه منها أن يهوى من سبق إليه فيقلده فيه و منها أن يدخل عليه شبهه فيتخيله بصوره الصحيح مع أن فى عقله ما يمنع منها و منها أن يقطع النظر دون غايته للمشقه التى تلحقه فيعتقد المذهب الفاسد و منها أن يكون نشأ على شىء و ألفه و اعتاده فيصعب عليه مفارقتة و كل ذلك متميز مما استحسنته بعقله «وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ» أى و لا- تتبع أهواء الذين لا- يؤمنون بالآخره إنما ذكر الفريقين و إن كانوا كلهم كفارا ليفصل وجوه كفرهم لأن منه ما يكون مع الإقرار بالآخره كحال أهل الكتاب و منه ما يكون مع الإنكار كحال عبده الأوثان «وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ» أى يجعلون له عدلا و هو المثل و فى الآيه دلالة على

فساد التقليد لأنه سبحانه طالب الكفار على صحه مذهبهم و جعل عجزهم عن الإتيان بها دلاله على بطلان قولهم و أيضا فإنه سبحانه أوجب اتباع الدليل دون اتباع الهوى.

[سوره الأنعام (٦): آيه ١٥١]

اشاره

قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَ لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ وَ لَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَّنَ وَ لَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١)

اللغه

تعالوا مشتق من العلو على تقدير أن الداعى فى المكان العالى و إن كان فى مستو من الأرض كما يقال للإنسان ارتفع إلى صدر المجلس و التلاوه مثل القراءه و المتلو مثل المقروء و التلاوه غير المتلو كما أن الحكايه غير المحكى فالمتلو و المحكى هو الكلام الأول و التلاوه و الحكايه هى الثانى منه على طريق الإيعاده و الإملاق الإفلاس من المال و الزاد و منه الملق و التملق لأنه اجتهاد فى تقرب المفلس للطمع فى العطيه و الفواحش جمع فاحشه و هو القبيح العظيم القبح و القبيح يقع على الصغير و الكبير لأنه يقال القرد قبيح الصوره و لا يقال فاحش الصوره و ضد القبيح الحسن و ليس كذلك الفاحش.

الإعراب

«ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ» فى موضع نصب بقوله «أَتْلُ» المعنى أتل الذى حرمه ربكم عليكم فىكون ما موصوله و جائز أن يكون فى موضع نصب بحرمة لأن التلاوه بمنزله القول فكأنه قال أقول أى شىء حرم ربكم عليكم أ هذا أم هذا فجائز أن يكون الذى تلاه عليهم قوله «إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا وَ يَكُونَ «أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ» منصوبه بمعنى طرح اللام أى أبين لكم الحرام لأن لا- تشركوا لأنهم إذا حرموا ما أحل الله فقد جعلوا غير الله فى القبول منه بمنزله الله سبحانه فصاروا بذلك شركين و يجوز أن يكون «أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» محمولا على المعنى فىكون المعنى أتل عليكم ألا تشركوا أى أتل عليكم تحريم الشرك و يجوز أن يكون على معنى أوصيكم أن لا تشركوا به شيئا لأن قوله «وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا» محمول على معنى أوصيكم

بالوالدين إحسانا هذا كله قول الزجاج و «تُشْرِكُوا» يجوز أن يكون منصوبا بأن و يكون لا للنفي و يجوز أن يكون مجزوما بلا على النهي و إذا كان منصوبا فيكون قوله «وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ» عطفا بالنهي على الخبر و جاز ذلك كما جاز في قوله «قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَ لَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» و قال جامع العلوم البصير الأصفهاني يجوز أن تقف على «عَلَيْكُمْ» ثم تبدئ بأن لا تشرکوا أى هو أن لا تشرکوا أى هو الإشراك أى المحرم الإشراك و "لا" زياده و يجوز أن يكون ما استفهما فيقف على قوله «رَبُّكُمْ» ثم يتبدئ فيقول «عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا» أى عليكم ترك الإشراك و هذا وقف بيان و تمام قوله «قُلْ تَعَالَوْا» عند قوله «بَلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ» لأن قوله «وَ أَنْ هَذَا صِرَاطِي» فيمن فتح معطوف على قوله «مَا حَرَّمَ» أى أتى هذا و هذا و من كسر فالتقدير (و قل إن هذا صراطي) و كذلك «ثُمَّ آتَيْنَا» أى و قل ثم آتينا و هذا كله داخل في التلاوه و القول.

المعنى

لما حكى سبحانه عنهم تحريم ما حرمه عقبه بذكر المحرمات فقال سبحانه «قُلْ» يا محمد لهؤلاء المشركين «تَعَالَوْا» أى أقبوا و ادنوا «أَتْلُ» أى اقرأ «مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ» أى منعكم عنه بالنهي ثم بدأ بالتوحيد فقال «أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» أى أمركم أن لا تشرکوا و لا فرق بين أن تقول لا تشرکوا به شيئا و بين أن تقول حرم ربكم عليكم أن تشرکوا به شيئا إذ النهي يتضمن التحريم و قد ذكرنا ما يحتمله من المعانى فى الإعراب و قد قيل أيضا أن الكلام قد تم عند قوله «حَرَّمَ رَبُّكُمْ» ثم قال «عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا» كقوله سبحانه «عَلَيْكُمْ أَنْفُسِكُمْ» «وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا» أى و أوصى بالوالدين إحسانا و يدل على ذلك أن فى حرم كذا معنى أوصى بتحريمه و أمر بتجنبه و لما كانت نعم الوالدين تاليه نعم الله سبحانه فى الرتبة أمر بالإحسان إليهما بعد الأمر بعبادة الله تعالى «وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِفْلَاقٍ» أى خوفا من الفقر عن ابن عباس و غيره «نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ» أى فإن رزقكم و رزقهم جميعا علينا «وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ» أى المعاصى و القبائح كلها «مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَّنَ» أى ظاهرها و باطنها عن الحسن و قيل أنهم كانوا لا يرون بالزنا فى السر بأسا و يمنعون منه علانية فنهى الله سبحانه عنه فى الحالتين عن ابن عباس و الضحاك و السدى و قريب منه

ما روى عن أبى جعفر (عليه السلام) أن ما ظهر هو الزنا و ما بطن هو المخالفة

و قيل أن ما ظهر أفعال الجوارح و ما بطن أفعال القلوب فالمراد ترك

المعاصى كلها و هذا أعم فائده «وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ» أعاد ذكر القتل و إن كان داخلا فى الفواحش تفخيما لشأنه و تعظيما لأمره و النفس المحرم قتلها هى نفس المسلم و المعاهد دون الحربى و الحق الذى يستباح به قتل النفس المحرم قتلها ثلاثه أشياء القود و الزنا بعد إحصان و الكفر بعد إيمان «ذَلِكُمْ» خطاب لجميع الخلق أى ما ذكر فى هذه الآيه «وَصَّاكُم بِهِ» أى أمركم به «لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» أى لكى تعقلوا ما أمركم الله تعالى به فتحللوا ما حلله لكم و تحرموا ما حرمه عليكم و دل قوله سبحانه «وَصَّاكُم بِهِ» على أن الوصيه مضمرة فى أول الآيه على ما قلناه و فى قوله سبحانه «أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» دلالة على أن التكليف قد يتعلق بأن لا يفعل كما يتعلق بالفعل و على أنه يستحق الثواب و العقاب على أن لا يفعل و هو الصحيح من المذهب.

[سوره الأنعام (٦): الآيات ١٥٢ الى ١٥٣]

إشارة

وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَ لَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَ بَعْدَ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَ صَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَ أَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَ لَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَ صَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)

القراءة

قرأ أهل الكوفه إلا أبا بكر تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع و الباقون بالتشديد و قرأ أهل الكوفه غير عاصم و إن هذا بكسر الهمزة و الباقون بفتحها و كلهم شدد النون إلا ابن عامر و يعقوب فإنهما قرءا إن بالتخفيف و كلهم سكن الياء من صراطى إلا ابن عامر فإنه فتحها و قرأ ابن عامر و ابن كثير صراطى بالسين و قرأ حمزه بين الصاد و الزاى.

الحجج

القراءتان فى تذكرون متقاربتان و الأصل تتذكرون فمن حذف التاء الأولى و من شدد أدغم التاء الثانية فى الذال و أما من فتح و إن هذا فإنه حملها على فاتبعوه

على قياس قول سيبويه فى قوله تعالى لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ وقوله وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ وقوله وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا فيكون على تقدير ولأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه و من خفف فقال و أن هذا فإن الخفيفه فى قوله يتعلق بما يتعلق به الشديده و موضع هذا رفع بالابتداء و خبره صراطى و فى أن ضمير القصة و الحديث و على هذه الشريطه يخفف و ليست المفتوحه كالمكسوره إذا خففت و على هذا قول الأعشى:

فى فتيه كسيوف الهند قد علموا إن هالك كل من يحفى و ينتعل

و الفاء التى فى قوله «فَاتَّبِعُوهُ» على قول من كسر إن عاطفه جمله على جمله و على قول من فتح أن زائده.

اللغة

الأشد واحدها شد مثل الأشر فى جمع شر و الأضر فى جمع ضر و الشد القوه و هو استحكام قوه الشباب و السن كما أن شد النهار هو ارتفاعه قال عنتره:

عهدى به شد النهار كأنما خضب البنان و رأسه بالعظم

وقيل هو جمع شده مثل نعمه و أنعم و قال بعض البصريين الأشد واحد فيكون مثل الآنك قال سيبويه الذكر و الذكر بمعنى و ذكر فعل يتعدى إلى مفعول واحد فإذا ضاعفت العين يعدى إلى مفعولين كما فى قوله:

يذكرنيك حنين العجول و نوح الحمامه تدعو هديلا

و يقول ذكره فتذكر فتفعل مطاوع فعل كما أن تفاعل مطاوع فاعل.

المعنى

ثم ذكر سبحانه تمام ما يتلو عليهم فقال «وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ» و المراد بالقرب التصرف فيه و إنما خص مال اليتيم بالذكر لأنه لا يستطيع الدفاع عن نفسه و لا عن ماله فيكون الطمع فى ماله أشد و يد الرغبة إليه أمد فأكد سبحانه النهى عن التصرف فى ماله و إن كان ذلك واجبا فى مال كل أحد «إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» أى بالخصله أو الطريقه الحسنى و لذلك أنث و قد قيل فى معناه أقوال (أحدها) أن معناه إلا بثمير ماله بالتجاره عن

مجاهد و الضحاك و السدى (و ثانيها) بأن يأخذ القيم عليه بالأكل بالمعروف دون الكسوه عن ابن زيد و الجبائي (و ثالثها) بأن يحفظ عليه حتى يكبر «حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ» اختلف فى معناه فقيل أنه بلوغ اللحم عن الشعبي و قيل هو أن يبلغ ثمانى عشره سنه و قال السدى هو أن يبلغ ثلاثين سنه ثم نسخها قوله حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ الآيه و قال أبو حنيفه إذا بلغ خمسا و عشرين سنه دفع المال إليه و قبل ذلك يمنع منه إذا لم يؤنس منه الرشد و قيل إنه لا- حد له بل هو أن يبلغ و يكمل عقله و يؤنس منه الرشد فيسلم إليه ماله و هذا أقوى الوجوه و ليس بلوغ اليتيم أشده مما يبيح قرب ماله بغير الأحسن و لكن تقديره و لا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن على الأبد حتى يبلغ أشده فادفعوا إليه بدليل قوله وَ لَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَ بِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا «وَ أَوْفُوا» أى أتموا «الْكَيْلَ وَ الْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ» أى بالعدل و الوفاء من غير بخس «لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا» أى إلا ما يسعها و لا يضيق عنه و معناه هنا أنه لما كان التعديل فى الوزن و الكيل على التحديد من أقل القليل بتعذر بين سبحانه أنه لا يلزم فى ذلك إلا الاجتهاد فى التحرز من النقصان «وَ إِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَ لَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى» أى فقولوا الحق و إن كان على ذى قرابه لكم و إنما خص القول بالعدل دون الفعل لأن من جعل عادته العدل فى القول دعاه ذلك إلى العدل فى الفعل و يكون ذلك من أكد الدواعى إليه و قيل معناه إذا شهدتم أو حكمتم فاعدلوا فى الشهاده و الحكم و إن كان المقول عليه أو المشهود له أو عليه قرابتك و هذا من الأوامر البليغه التى يدخل فيها مع قله حروفها الأقارير و الشهادات و الوصايا و الفتاوى و القضايا و الأحكام و المذاهب و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر «وَ بَعِّهْدِ اللَّهَ أَوْفُوا» قيل فى معنى عهد الله قولان (أحدهما) أن كل ما أوجبه الله تعالى على العباد فقد عهد إليهم بإيجابه عليهم و بتقديم القول فيه و الدلاله عليه (و الآخر) أن المراد به النذور و العهود فى غير معصيه الله تعالى و المراد أوفوا بما عاهدتم الله عليه من ذلك «ذَلِكُمْ» أى ذلك الذى تقدم ذكره من ذكر مال اليتيم و أن لا يقرب إلا بالحق و إيفاء الكيل و اجتناب البخس و التطفيف و تحرى الحق فيه على مقدار الطاقه و القول بالحق و الصدق و الوفاء بالعهد «وَ صَاكُمُ» الله سبحانه «بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» أى لكى تتذكروه و تأخذوا به فلا تطرحوه و لا تغفلوا عنه فتركوا العمل به و القيام بما يلزمكم منه «وَ أَنَّ هَذَا صِرَاطِى» أى و لأن هذا صراطى و من خفف فتقديره و لأنه هذا صراطى و من كسر أن فإنه استأنف قال ابن عباس يريد أن هذا دينى دين الحنيفيه أقوم الأديان و أحسنها و قيل يريدان ما ذكر فى هذه الآيات من الواجب و المحرم

صراطى لأن امتثال ذلك على ما أمر به يؤدى إلى الثواب و الجنة فهو طريق إليها و إلى النعيم فيها «مُسَدِّ تَقِيْمًا» أى فيما لا عوج فيه و لا- تناقض و هو منصوب على الحال «فَاتَّبِعُوهُ» أى اقتدوا به و اعملوا به و اعتقدوا صحته و أحلوا حلاله و حرموا حرامه «و لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ» أى طرق الكفر و البدع و الشبهات عن مجاهد و قيل يريد اليهوديه و النصرانيه و المجوسيه و عباده الأوثان عن ابن عباس «فَتَفَرَّقَ» و أصله فتفرق «بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ» أى فتشتت و تميل و تخالف بكم عن دينه الذى ارتضى و به أوصى و قيل عن طريق الدين «ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» أى لكى تتقوا عقابه باجتناب معاصيه قال ابن عباس هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شىء من جميع الكتب و هى محرمات على بنى آدم كلهم و هم أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة و من تركهن دخل النار و قال كعب الأحبار و الذى نفس كعب بيده إن هذا لأول شىء فى التوراه بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الآيات.

[سوره الأنعام (٦): الآيات ١٥٤ الى ١٥٥]

إشاره

ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَ تَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ ۚ وَ هَدَيْنَا وَ رَحْمَةً لِّعَلَّهِمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (١٥٤) وَ هَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَ اتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥)

القراءه

فى الشواذ قراءه يحيى بن يعمر على الذى أحسن بالرفع.

الحججه

قال ابن جنى هذا مستضعف الإعراب عندنا لأنه حذف المبتدأ العائد إلى الذى لأن تقديره على الذى هو أحسن و إنما يحذف من صله الذى الهاء المنصوبه بالفعل الذى هو صلتها نحو مررت بالذى ضربت أى ضربته و من المفعول بدله و طال الاسم بصلته فحذف الهاء لذلك و ليس المبتدأ بنيف و لا فضله فيحذف تخفيفاً لا سيما و هو عائد الموصول و على أن هذا قد جاء نحوه عنهم حكى سيويه عن الخليل أنه سمع ما أنا بالذى قائل لك شيئاً و سوء أى بالذى هو قائل لك و قال لم أر مثل الفتيان فى غير الأيام ينسون ما عواقبها أى ينسون الذى هو عواقبها و يجوز أن يكون ينسون معلقه كما علقوا نقيضتها التى هى يعلمون فيكون ما استفهاماً و عواقبها خبر ما كقولك قد علمت من أبوك و على الوجه الأول حمله أصحابنا و قال الزجاج تماماً منصوب بأنه مفعول له و كذلك تفصيلاً و ما بعده

و المعنى آتينا هذه العله أى للتمام و للتفصيل أنزلناه فى موضع رفع بأنه صفة كتاب.

المعنى

«ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ» قيل فى معنى ثم آتينا موسى الكتاب مع أن كتاب موسى قبل القرآن و ثم يقتضى التراخى وجوه (أحدها) أن فيه حذفاً و تقديره ثم قل يا محمد آتينا موسى الكتاب بدلاله قوله قُلْ تَعَالَوْا (و ثانيها) أن تقديره ثم أتى عليكم آتينا موسى الكتاب و يكون عطفاً على معنى التلاوه و المعنى قل تعالوا أتى ما حرم ربكم عليكم ثم أتى عليكم ما آتاه الله موسى عن الزجاج (و ثالثها) أنه عطف خبر على خبر لا عطف معنى على معنى و تقديره ثم أخبركم أنه أعطى موسى الكتاب و الذى قول الشاعر:

و لقد ساد ثم ساد أبوه ثم قد ساد قبل ذلك جده

(و رابعها) أنه يتصل بقوله فى قصه إبراهيم وَ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ فعد سبحانه نعمته عليه بما جعل فى ذريته من الأنبياء ثم عطف عليه بذكر ما أنعم عليه بما أتى موسى من الكتاب و النبوه و هو أيضاً من ذريته عن أبى مسلم و استحسنة المغربى «تماماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ» قيل فيه وجوه (أحدها) تماماً على إحسان موسى فكأنه قال ليكمل إحسانه الذى يستحق به كمال ثوابه فى الآخرة عن الربيع و الفراء (و ثانيها) تماماً على المحسنين عن مجاهد و قيل إن فى قراءه عبد الله تماماً على الذى أحسنوا فكأنه قال تماماً للنعمة على المحسنين الذين هو أحدهم و النون قد تحذف من الذين كما فى البيت:

و إن الذى حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد

و يجوز أن يكون الذى للجنس و يكون بمعنى من أحسن (و ثالثها) أن معناه تماماً على إحسان الله إلى أنبيائه عن ابن زيد (و رابعها) أن معناه تماماً لكرامته فى الجنة على إحسانه فى الدنيا عن الحسن و قتاده و قال قتاده تقديره من أحسن فى الدنيا تمت عليه كرامه الله فى الآخرة (و خامسها) أن معناه تماماً على الذى أحسن الله سبحانه إلى موسى بالنبوه و غيرها من الكرامه عن الجبائى (و سادسها) ما قاله أبو مسلم أنه يتصل بقصه إبراهيم فيكون المعنى تماماً للنعمة على إبراهيم و لجزائه على إحسانه فى طاعه ربه و ذلك من لسان الصدق الذى سأل الله سبحانه أن يجعله له و لفظه على تقتضى المضاعفه عليه و لو قال تماماً و لم يأت بقوله على

الذى أحسن لدل على نقصانه قبل تكميله «وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ» أى و بيانا لكل ما يحتاج إليه الخلق «وَهُدًى» أى و دلالة على الحق و الدين يهتدى بها إلى التوحيد و العدل و الشرائع «وَرَحْمَةً» أى نعمه على سائر المكلفين لما فيه من الأمر و النهى و الوعد و الوعيد و الأحكام «لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ» معناه لكى يؤمنوا بجزاء ربهم فسمى الجزاء لقاء الله تفضيماً لشأنه مع ما فيه من الإيجاز و الاختصار و قيل معنى اللقاء الرجوع إلى ملكه و سلطانه يوم لا يملك أحد سواه شيئاً «وَهَذَا كِتَابٌ» يعنى القرآن وصفه بهذا الوصف لبيان أنه مما ينبغى أن يكتب لأنه أجل الحكم «أَنْزَلْنَاهُ» يعنى أنزله جبرائيل إلى محمد ص فأضاف النزول إلى نفسه توسعاً «مُبَارَكٌ» و هو من يأتى من قبله الخير الكثير عن الزجاج فالبركة ثبوت الخير بزيادته و نموه و أصله الثبوت و منه براكاء القتال فى قوله:

و ما ينجى من الغمرات إلا براكاء القتال أو الفرار

و منه تبارك الله أى تعالى بصفه إثبات لا أول له و لا آخر و هذا تعظيم لا يستحقه غير الله تعالى «فَاتَّبِعُوهُ» أى اعتقدوا صحته و اعملوا به و كونوا من أتباعه «وَأَتَّقُوا» معاصى الله و مخالفته و مخالفه كتابه «لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» أى لكى ترحموا و إنما قال و اتقوا لعلكم ترحمون مع أنهم إذا اتقوا رحموا لا محاله لأمرين (أحدهما) أنه اتقوا على رجاء الرحمة لأنكم لا تدرن بما توافقون فى الآخرة (و الثانى) اتقوا لترحموا أى ليكن الغرض بالتقوى منكم طلب ما عند الله من الرحمة و الثواب.

[سوره الأنعام (٦): الآيات ١٥٦ الى ١٥٧]

إشارة

أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (١٥٦) أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُمْ مِنَ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَيَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ (١٥٧)

ص: ١٧٩

قال الزجاج أن تقولوا معناه عند البصريين كراهه أن تقولوا و هم لا يجيزون إضمار لا فلا يقولون جئت أن أكرمك أى لأن لا أكرمك و لكن يجوز فعلت ذلك أن أكرمك على إضمار محبه أن أكرمك أو كراهه أن أكرمك و يكون الحال ينبى عن الضمير و أو تقولوا نصب تقولوا بأنه معطوف على أن تقولوا أى أو كراهه أن تقولوا و أقول أراد أنه مفعول له على حذف المضاف و إقامه المضاف إليه مقامه و إذا كان حذف المضاف يطرد جوازه مع غير أن فلأن يجوز مع أن أجدر مع طول الكلام بالصله و قال الكسائى موضع أن تقولوا نصب باتقوا أى اتقوا يا أهل مكه أن تقولوا و «لَوْ أَنَا» فتحت أن بعد لو مع أنه لا يقع فيه المصدر لأن الفعل مقدر بعد لو فكأنه قيل لو وقع إلينا أنا أنزل الكتاب علينا إلا أن هذا الفعل لا يظهر من أجل طول أن بالصله و لا يحذف مع المصدر إلا فى الشعر قال:

لو غيركم علق الزبير بحبله أدى الجوار إلى بنى العوام.

المعنى

ثم بين سبحانه أنه إنما أنزل القرآن قطعاً للمعذرة و إزاحه للعله فقال «أَنْ تَقُولُوا» أى كراهه أن تقولوا يا أهل مكه أو لئلا تقولوا «إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا» أى جماعتين و هم اليهود و النصارى عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتاده و السدى و إنما خصهما بالذكر لشهرتهما و ظهور أمرهما أى أنزلنا عليكم هذا الكتاب لنقطع حججكم «وَ إِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسِهِمْ لَغَافِلِينَ» و المعنى إنا كنا غافلين عن تلاوه كتبهم و ما كنا إلا غافلين عن دراستهم و لم ينزل علينا الكتاب كما أنزل عليهم لأنهم كانوا أهله دوننا و لو أريد منا ما أريد منهم لأنزل الكتاب علينا كما أنزل عليهم «أَوْ تَقُولُوا» يا أهل مكه «لَوْ أَنَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ» فى المبادره إلى قبوله و التمسك به لأننا أجود أذهانا و أثبت معرفه منهم فإن العرب كانوا يدلون بجوده الفهم و دكاء الحدس و حده الذهن و قد يكون العارف بالشىء أهدي إليه من عارف آخر بأن يعرفه من وجوه لا يعرفها هو و بأن يكون ما يعرفه به أثبت مما يعرفه به الآخر ثم قال تعالى «فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ» أى حجه واضحة و دلاله ظاهره و هو القرآن «وَ هُدًى» يهتدى به الخلق إلى النعيم المقيم و الثواب العظيم «وَ رَحْمَةً» أى نعمه لمن اتبعه و عمل به «فَمَنْ أَظْلَمُ» لنفسه «مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ صَيَّدَ عَنْهَا» أى أعرض عنها غير مستدل بها و لا مفكر فيها عن ابن عباس و مجاهد و السدى و قتاده «سَيَنْجِزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ» أى شدة العذاب و هو ما أعده الله للكفار نعوذ بالله منه «بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ» أى جزاء بما كانوا يصدفون عن القرآن و من أتى به و هو محمد ص

و في هذا دلالة على أن إنزال القرآن لطف للمكلفين و أنه لو لم ينزله لكان لهم الحجة و إذا كان في منع اللطف عذر و حجه للمكلف فمنع قدره و خلق الكفر أولى بذلك فإن قيل فهل للذين ماتوا من قبل من خوطب بقوله «أَنْ تَقُولُوا» حجه و عذر قيل له إن عذر أولئك كان مقطوعا بالعقل و بما تقدم من الأخبار و الكتب و هؤلاء أيضا لو لم يأتهم الكتاب و الرسول لم يكن لهم حجه لكن الله تعالى لما علم أن المصلحة تعلقت بذلك فعله و لو علم مثل ذلك فيمن تقدم لأنزل عليهم مثل ما أنزل على هؤلاء و إذا لم ينزل عليهم علمنا أن ذلك لم يكن من مصالحهم.

[سورة الأنعام (٦): آية ١٥٨]

إشارة

هَيْلٌ يَنْظُرُونَ إِلَّا- أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَضِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٥٨)

القراءة

قرأ حمزه و الكسائي و خلف يأتهم بالياء هاهنا و في النحل و قرأ الباقون «تَأْتِيَهُمْ» بالتاء و قد مضى الكلام في أمثال ذلك.

المعنى

ثم توعدهم سبحانه فقال «هَلْ يَنْظُرُونَ» معناه ما ينتظرون يعني هؤلاء ذكرهم و قال أبو على الجبائي معناه هل تنتظر أنت يا محمد و أصحابك إلا هذا و هم و إن انتظروا غيره فذلك لا يعتد به من حيث ما ينتظرونه من هذه الأشياء المذكورة لعظم شأنها فهو مثل قوله «مَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَ كَمَا يُقَالُ تَكَلَّمَ فُلَانٌ وَ لَمْ يَتَكَلَّمْ إِذَا تَكَلَّمَ بِمَا لَا يَعْتَدُ بِهِ» «إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ» لقبض أرواحهم عن مجاهد و قتاده و السدى و قيل لأنزال العذاب و الخسف بهم و قيل لعذاب القبر «أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ» فيه أقوال (أحدها) أو يأتى أمر ربك بالعذاب فحذف المضاف و مثله و جاء رَبُّكَ عن الحسن و جاز هذا الحذف كما جاز في قوله إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ أَى أولياء الله و قال ابن عباس يأتى أمر ربك فيهم بالقتل (و ثانيها) أو يأتى ربك بجلال آياته فيكون حذف الجار فوصل الفعل ثم حذف المفعول لدلاله الكلام عليه و هو قيام الدليل فى العقل على أن الله سبحانه لا يجوز عليه الانتقال و لا يختلف عليه الحل

(و ثالثها) أن المعنى أو يأتي إهلاك ربك إياهم بعذاب عاجل أو آجل أو بالقيامه و هذا كقولنا قد نزل فلان ببلد كذا و قد أتاهم فلان أى قد أوقع بهم عن الزجاج «أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ» و ذلك نحو خروج الدابه أو طلوع الشمس من مغربها عن مجاهد و قتاده و السدى و

روى عن النبى ص أنه قال بادروا بالأعمال ستا طلوع الشمس من مغربها و الدابه و الدجال و الدخان و خويصه أحدكم أى موته و أمر العامه

يعنى القيامه «يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ» التى تضطرهم إلى المعرفه و يزول التكليف عندها «لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ» لأنه ينسد باب التوبه بظهور آيات القيامه و يضطر الله تعالى كل أحد إلى معرفته و معرفه المحسنات و المقبحات ضروره و يعرفه أنه إن حاول القبيح أو ترك الحسن حيل بينه و بينه فيصير ملحا إلى فعل الحسن و ترك القبيح «أَوْ كَسَيْتُ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا» عطف على قوله «آمَنْتُ» و قيل فى معناه أقوال (أحدها) أنه إنما قال ذلك على جهه التغليب لأن الأكثر مما ينتفع بإيمانه حينئذ من كسب فى إيمانه خيرا (و ثانيها) أنه لا ينفع أحدا فعل الإيمان و لا فعل خير فيه فى تلك الحال لأنها حال زوال التكليف و إنما ينفع ذلك قبل تلك الحال عن السدى فيكون معناه لا ينفعه إيمانه حينئذ و إن كسب فى إيمانه خيرا أى طاعه و برا لأن الإيمان و اكتساب الخير إنما ينفعان من قبل (و ثالثها) أنه الإبهام فى أحد الأمرين فالمعنى أنه لا ينفع فى ذلك اليوم إيمان نفس إذا لم تكن آمنت قبل ذلك اليوم أو ضمت إلى إيمانها أفعال الخير فإنها إذا آمنت قبل نفعها إيمانها و كذلك إذا ضمت إلى الإيمان طاعه نفعها أيضا يريد أنه لا ينفع حينئذ إيمان من آمن من الكفار و لا طاعه من أطاع من المؤمنين و من آمن من قبل نفعه إيمانه بانفراده و كذلك من أطاع من المؤمنين نفعته طاعته أيضا و هذا أقوى الأقوال و أوضحها «قُلِ انْتِظِرُوا» إتيان الملائكه و وقوع هذه الآيات «إِنَّا مُنْتَظِرُونَ» بكم وقوعها و فى هذه الآيه حث على المسارعه إلى الإيمان و الطاعه قبل الحال التى لا يقبل فيها التوبه و فيها أيضا حجه على من يقول إن الإيمان اسم لأداء الواجبات و للطاعات فإنه سبحانه قد صرح فيها بأن اكتساب الخيرات غير الإيمان المجرى لعطفه سبحانه كسب الخيرات و هى الطاعات فى الإيمان على فعل الإيمان فكأنه قال لا ينفع نفسا لم تؤمن قبل ذلك اليوم إيمانها ذلك اليوم و كذا لا ينفع نفسا لم تكن كاسبه خيرا فى إيمانها قبل ذلك كسبها الخيرات ذلك اليوم و قد عكس الحاكم أبو سعيد فى تفسيره الأمر فيه فقال هو خلاف ما يقوله المرجئه لأنه يدل على أن الإيمان بمجرد لا ينفع حتى يكون معه اكتساب الخيرات و لیت شعري كيف تدل الآيه على ما قاله و كيف حكم لنفسه على خصمه فيما الحكم فيه لخصمه عليه و هل هذا إلا عدول

عن سنن العدل و الإنصاف.

[سوره الأنعام (٦): آيه ١٥٩]

إشاره

إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (١٥٩)

القراءه

قرأ حمزه و الكسائي هاهنا و فى الروم فارقوا بالألف و هو المروى عن على ع

و الباقر «فَرَّقُوا» بالتشديد.

الحجه

قال أبو على من قرأ فرقوا فتقديره يؤمنون ببعض و يكفرون ببعض كما قال أفتؤمنون ببعض الكتاب و تكفرون ببعض و قال و يريدون أن يفرقوا بين الله و رسوله و يقولون نؤمن ببعض و نكفر ببعض و من قرأ فرقوا دينهم فالمعنى باينوه و خرجوا عنه و هو يؤول إلى معنى فرقوا ألا ترى أنهم لما آمنوا ببعضه و كفروا ببعضه فرقوه كله فخرجوا عنه و لم يتبعوه.

اللغه

الشيخ الفرق التى يمالئ بعضهم بعضا على أمر واحد مع اختلافهم فى غيره و قيل إن أصله من الظهور يقال شاع الخبر يشيع شيوعا ظهر و شيعت النار إذا ألقيت عليها الحطب فكأنك تظهرها و قال الزجاج أصله الاتباع يقال شاعكم السلام و أشاعكم السلام أى تبعكم السلام قال:

ألا يا نخله من ذات عرق برود الظل شاعكم السلام

و يقول آتيك غدا أو شيعه أى أو اليوم الذى تتبعه فمعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضا قال الكميت:

و ما لى إلا آل أحمد شيعه و ما لى إلا مشعب الحق مشعب

. المعنى

ثم عطف سبحانه على ما قدمه من الوعيد فقال «إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كَانُوا شِيَعًا» اختلف فى المعنيين بهذه الآية على أقوال (أحدها) أنهم الكفار و أصناف المشركين عن السدى و الحسن و نسختها آيه السيف (و ثانيها) أنهم اليهود و النصارى لأنهم يكفر بعضهم بعضا عن قتاده (و ثالثها)

أنهم أهل الضلالة و أصحاب الشبهات و البدع من هذه

ص: ١٨٣

الأمة رواه أبو هريره و عائشه مرفوعا و هو المروى عن الباقر (عليه السلام)

جعلوا دين الله أديانا لإكفار بعضهم بعضا و صاروا أحزابا و فرقا «لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ» هذا خطاب للنبي ص و إعلام له أنه ليس منهم في شىء و أنه على المباعده التامه من أن يجتمع معهم في معنى من مذاهبهم الفاسده و ليس كذلك بعضهم مع بعض لأنهم يجتمعون في معنى من المعانى الباطله و إن افرقوا في غيره فليس منهم في شىء لأنه برىء من جميعه و قيل إن معناه لست من مخالطتهم في شىء و إنما هو نهى النبي من مقاربتهم و أمر له بمباعدهتهم عن قتاده و قيل معناه لست من قتالهم في شىء ثم نسختها آيه القتال عن الكلبي و الحسن «إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ» في مجازاتهم على سوء أفعالهم و قيل أمرهم في الإنظار و الاستئصال إلى الله و قيل الحكم بينهم في اختلافهم إلى الله «ثُمَّ يُبْتَلُهُمْ» أى يخبرهم و يجازيهم «بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ» يوم القيامة فيظهر المحق من المبطل.

[سوره الأنعام (٦): آيه ١٦٠]

إشارة

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦٠)

القراءة

قرأ يعقوب عشر منون أمثالها برفع اللام و هو قراءة الحسن و سعيد بن جبير و الباقر «عَشْرُ» مضاف «أَمْثَالِهَا» مجرور.

الحجج

من قرأ عشر أمثالها فالمعنى له عشر حسنات أمثالها فيكون أمثالها صفة للموصوف الذى أضيف إليه عشر و من قرأ عشر أمثالها فيكون أمثالها صفة لعشر هذا قول الزجاج و حذف الموصوف و إقامه الصفه مقامه ضعيف عند المحققين و أكثر ما يأتى ذلك فى الشعر و الأولى أن يكون أمثالها غير صفه فى قوله «عَشْرُ أَمْثَالِهَا» بل يكون محمولا على المعنى فأنث الأمثال لما كان فى معنى الحسنات و حكى عن أبى عمرو أنه سمع أعرابيا يقول فلان لغوب جاءته كتابى فاحتقرها قال فقلت له أ تقول جاءته كتابى قال نعم أ ليس بصحيفه.

اللغه

الحسنه اسم للأعلى فى الحسن و دخول الهاء للمبالغه قال على بن عيسى دخول الهاء يدل على أنها طاعه أما واجب أو ندى و ليس كل حسن كذلك لأن فى الحسن ما هو مباح لا يستحق عليه مدح و لا ثواب و أقوى من ذلك أن يقال دخول لام التعريف فيها يدل على أنها المأمور بها لأنها لام العهد و الله سبحانه لا يأمر بالمباح.

لما ذكر سبحانه الوعيد على المعاصى عقبه بذكر الوعد و تضعيف الجزاء فى الطاعات فقال «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا» أى من جاء بالخصله الواحده من خصال الطاعه فله عشر أمثالها من الثواب «وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ» أى بالخصله الواحده من خصال الشر «فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا» و ذلك من عظيم فضل الله تعالى و جزيل إنعامه على عباده حيث لا يقتصر فى الثواب على قدر الاستحقاق بل يزيد عليه و ربما يعفو عن ذنوب المؤمن منا منه عليه و تفضلا و إن عاقب على قدر الاستحقاق عدلا و قيل المراد بالحسنه التوحيد و بالسيئه الشرك عن الحسن و أكثر المفسرين و على هذا فإن أصل الحسنات التوحيد و أسوء السيئات الكفر «وَهُمْ لَا يُظَلِّمُونَ» بالزياده على مقدار ما استحقوا من العقاب ثم اختلف الناس فى أن هذه الحسنات العشر التى وعددها الله من جاء بالحسنه هل يكون كلها ثوابا أم لا- فقال بعضهم لا يكون كلها ثوابا و إنما يكون الثواب منها الواحده و التسع الزائده تكون تفضلا و يؤيده قوله «لِيُؤَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ» فيكون على هذا معنى عشر أمثالها فى النعيم و اللذه لا فى عظيم المنزله و يجوز أن يكون التفضل مثل الثواب فى الكثره و اللذه و أن يميز منه الثواب بمقارنه التعظيم و الإجلال اللذين لولاهما لما حسن التكليف و هذا هو الصحيح و قال قوم لا- يجوز أن يساوى الثواب و التفضل على وجه فيكون على قولهم كل ذلك ثوابا قال الزجاج إن المجازاه من الله عز و جل على الحسنه بدخول الجنه شىء لا يبلغ وصف مقداره فإذا قال عَشْرُ أَمْثَالِهَا و قال كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٍ و قال فَيُضَاعَفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً فالمعنى فى هذا كله أن جزاء الله سبحانه على الحسنات على التضعيف للمثل الواحد الذى هو النهايه فى التقدير فى النفوس فيضاعف الله سبحانه ذلك بما بين عشره أضعاف إلى سبعمائه ضعف إلى أضعاف كثيره و قد قيل أيضا فى ذلك أن المعنى من جاء بالحسنه فله عشر أمثال المستحق عليها و المستحق لا يعلم مقداره إلا الله تعالى و ليس المراد أمثال ذلك فى العدد و هذا كما يقول الإنسان لأجيريه لك من الأجر مثل ما عملت أى مثل ما تستحقه بعملك و

قد وردت الروايه عن المعرور بن سويد عن أبى ذر قال حدثنى الصادق المصدق إن الله تعالى قال الحسنه عشر أو أزيد و السيئه واحده أو أغفر فالويل لمن غلبت آحاده أعشاره.

إشارة

قُلْ إِنِّي هِدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) قُلْ إِنَّ صِيَغَاتِي وَ نُسُكِي وَ مَحْيَايَ وَ مَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَ بِذَلِكَ أُمِرْتُ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)

القراءة

قرأ ابن عامر و أهل الكوفة «قِيمًا» مكسورة القاف خفيفه الياء و الباقون قِيمًا مفتوحة القاف مشدده الياء و قرأ أهل المدينة محيى ساكنه الياء و مماتى بفتحها و الباقون «مَحْيَايَ» بفتح الياء و «مَمَاتِي» ساكنه الياء.

الحج

من قرأ قِيمًا فالقيم هو المستقيم فيكون وصفا للدين كما أن التقدير في قوله دِينَ الْقِيمَةِ دين الملة القيمه لأن الملة هي مثل الدين و من قرأ قِيمًا فإنه مصدر كالصغر و الكبر إلا أنه لم يصحح كما صحح حول و عوض و كان القياس و لكنه شد كما شد نحو ثيره في جمع ثور و جِيَادٍ في جمع جواد و كان القياس الواو و قال الزجاج إنما اعتل قيم لأنه من قام فلما اعتل قام اعتل قيم لأنه جرى عليه و أما حول فإنه جار على غير فعل و أما إسكان الياء في محيى فإنه شاذ عن القياس و الاستعمال فإن الساكنين لا يلتقيان على هذا الحد و إذا كان ما قبلها متحركا نحو و مماتى فالفتح جائز و الإسكان جائز قال أبو علي و الوجه في محيى بسكون الياء مع شدوده ما حكى عن بعض البغداديين أنه سمع التقت حلقتا البطان بإسكان الألف مع سكون لام المعرفه و مثل هذا ما جوزه يونس في قوله أضربان زيد و أضربان زيدا و سيويه ينكر هذا من قول يونس و قال علي بن عيسى و لو وصله على نيه الوقف جاز كما فَبِهْدَاهُمْ أَقْتَدَهُ فَإِنَّمَا هَذِهِ الْهَاءُ فِي الْوَقْفِ كَمَا تَسْكُنُ تِلْكَ الْيَاءُ فِي الْوَقْفِ.

اللغة

الملة الشريعة مأخوذه من الإملاء كأنه ما يأتي به الشرع و يورده الرسول من الشرائع المتجدده فيمله على أمته ليكتب أو يحفظ فأما التوحيد و العدل فواجبان بالعقل و لا يكون فيهما اختلاف و الشرائع تختلف و لهذا يجوز أن يقال ديني دين الملائكة و لا يقال ملتي ملة الملائكة فكل ملة دين و ليس كل دين ملة و النسك العباده و رجل ناسك و منه النسيكه الذبيحه و المنسك الموضع الذي تذبح فيه النسائك قال الزجاج فالنسك كل ما تقرب به إلى الله تعالى إلا أن الغالب عليه أمر الذبح و قول الناس فلان ناسك ليس يراد به ذبح إنما يراد به أنه يؤدي المناسك أي يؤدي ما افترض عليه مما يتقرب به إلى الله.

الإعراب

دينا قال أبو علي يحتمل نصبه ثلاثه أضرب أحدها أنه لما قال هداني ربي إلى صراط مستقيم استغنى بجرى ذكر الفعل عن ذكره ثانيا فقال دينا قِيمًا كما قال اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ و إن شئت نصبته على اعرفوا

لأن هدايتهم إليه تعريف لهم فحمله على اعرفوا دينا قيما و إن شئت حملته على الاتباع كأنه قال اتبعوا دينا قيما و الزموه كما قال اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ قَالَ الزَّجَاجُ مَلَهُ إِبْرَاهِيمَ بَدَلَ مِنْ دِينَا قِيَمًا وَ حَنِيفًا مَنْصُوبًا عَلَى الْحَالِ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَ الْمَعْنَى هِدَانِي وَ عَرَفَنِي مَلَهُ إِبْرَاهِيمَ فِي حَالِ حَنِيفِيهِ.

المعنى

ثم أمر الله نبيه ص فقال «قُلْ» يا محمد لهؤلاء الكفار وللخلق جميعا «إِنِّي هَدَانِي» أى دلنى و أرشدنى «رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» و قيل أراد لطف لى ربي فى الاهتداء و وفقنى لذلك و قد بينا معنى الصراط المستقيم فى سورة الحمد «دِينًا قِيَمًا» أى مستقيماً على نهايه الاستقامه و قيل دائما لا ينسخ «مَلَهُ إِبْرَاهِيمَ» و إنما وصف دين النبى بأنه مله إبراهيم ترغيباً فيه للعرب لجلاله إبراهيم فى نفوسها و نفوس كل أهل الأديان و لانتساب العرب إليه و اتفاهم على أنه كان على الحق «حَنِيفًا» أى مخلصاً فى العباده لله عن الحسن و قيل مائلاً إلى الإسلام ميلاً لازماً لا رجوع معه من قولهم رجل أحنف إذا كان مائل القدم من خلقه عن الزجاج و قيل مستقيماً و إنما جاء أحنف على التفاؤل عن الجبائى «وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» يعنى إبراهيم كان يدعو إلى عباده الله و ينهى عن عباده الأصنام «قُلْ إِنَّ صِيْلَاتِي» قد فسرنا معنى الصلاه فيما تقدم «وَ نُسُكِي» أى ذبيحتى للحج و العمره عن سعيد بن جبير و مجاهد و قتاده و السدى و قيل نسكى دينى عن الحسن و قيل عبادتى عن الجبائى و الزجاج و إنما ضم الصلاه إلى أصل الواجبات من التوحيد و العدل لأن فيها التعظيم لله عند التكبير و فيها تلاوه القرآن الذى يدعو إلى كل بر و فيها الركوع و السجود و فيها الخضوع لله تعالى و التسبيح الذى هو التنزيه له «وَ مَحْيَايَ وَ مَمَاتِي» أى حياتى و موتى «لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» و إنما جمع بين صلاته و حياته و أحدهما من فعله و الآخر من فعل الله لأنهما جميعاً بتدبير الله و قيل معناه صلاتى و نسكى له عباده و حياتى و مماتى له ملكا و قدره عن القاضى و قيل إن عبادتى له لأنها بهدائته و لطفه و محيائى و مماتى له لأنه بتدبيره و خلقه و قيل معنى قوله «وَ مَحْيَايَ وَ مَمَاتِي لِلَّهِ» أن الأعمال الصالحه التى تتعلق بالحياه فى فنون الطاعات و ما يتعلق بالممات من الوصيه و الختم بالخيرات لله و فيه تنبيه على أنه لا- ينبغى أن يجعل الإنسان حياته لشهوته و مماته لورثته «لَا شَرِيكَ لَهُ» أى لا ثانى له فى الإلهيه و قيل لا شريك له فى العباده و فى الإحياء و الإماتة «وَ بِمَذَلِكُ أُمِرْتُ» أى و بهذا أمرنى ربي «وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» من هذه الأمه فإن إبراهيم كان أول المسلمين و من بعده تابع له فى الإسلام عن الحسن و قتاده و فيه بيان

فضل الإسلام و بيان وجوب اتباعه على الإسلام إذ كان ص أول من سارع إليه و لأنه إنما أمر بذلك ليتأسى به و يقتدى بفعله.

[سوره الأنعام (٦): الآيات ١٦٤ الى ١٦٥]

إشاره

قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ أَبْنِي رَبًّا وَ هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَ لَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١٦٤) وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَ رَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٦٥)

اللغه

الرب إذا أطلق أفاد المالك بتصريف الشىء بآتم التصريف و إذا أضيف ف قيل رب الدار و رب الضيعه فمعناه المالك لتصريفه بآتم تصريف العباد و أصله التربيه و هى تنشئه الشىء ء حالا بعد حال حتى يصير إلى الكمال و الفرق بين الرب و السيد أن السيد المالك لتدبير السواد الأعظم و الرب المالك لتدبير الشىء ء حتى يصير إلى الكمال مع إجراءاته على تلك الحال و يقال وزر يزر وزرا و وزر يوزر فهو موزور و أصله من الوزر الذى هو الملجأ فحال الموزور كحال الملتجئ إلى غير ملجأ و منه الوزير لأن الملك يلتجئ إليه فى الأمور و قيل إن أصله الثقل و منه قوله وَ وَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ و كلاهما محتمل و واحد الخلائف خليفه مثل صحيفه و صحائف و سفينه و سفائن و خلف فلان فلانا يخلفه فهو خليفته إذا جاء بعده.

الإعراب

فى نصب درجات ثلاثه أقوال (أحدها) أن يقع موقع المصدر فكأنه قال رفعه بعد رفعه (و الثانى) أنه إلى درجات فحذفت إلى كما حذفته فى قولك دخلت البيت و تقديره إلى البيت (و الثالث) أن يكون مفعولا من قولك ارتفع درجه و رفعته درجه مثل اكتسى ثوبا و كسوته ثوبا.

المعنى

لما أمر سبحانه نبيه ص ببيان الإخلاص فى الدين عقبه بأمره أن يبين لهم بطلان أفعال المشركين فقال «قُلْ» يا محمد لهؤلاء الكفار على وجه الإنكار «أَعْيَرَ اللَّهُ أَبْنِي رَبًّا وَ هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَ لَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١٦٤) وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَ رَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٦٥)

رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ» و تقديره أ يجوز أن أطلب غير الله ربا و أطلب الفوز بعبادته و هو مريبوب مثلى و أترك عباده من خلقنى و ربانى و هو مالك كل شىء و خالقه و مدبره و ليس بمريبوب أم هذا قبيح فى العقول و هو لازم لكم على عبادتكم الأوثان «وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا» أى لا- تكسب كل نفس جزء كل عمل من طاعه أو معصيه إلا عليها فعليها عقاب معصيتها و لها ثواب طاعتها و وجه اتصاله بما قبله أنه لا ينفعى فى ابتغاء رب غيره ما أنتم عليه من ذلك لأنه ليس بعذر لى فى اكتساب الإثم اكتساب غيرى له «و» لأنه «لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» أى لا يحمل أحد ذنب غيره و معناه و لا يجازى أحد بذنب غيره و قال الزجاج معناه لا تؤخذ نفس غير آثمه بإثم أخرى و قيل إن الكفار قالوا للنبي ص اتبعنا و علينا وزرك أن كان خطأ فأنزل الله هذا و فيه دلالة على فساد قول المجبره إن الله تعالى يعذب الطفل بكفر أبيه «ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ» أى مآلكم و مصيركم «فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» أى يخبركم بالحق فيما اختلفتم فيه فيظهر المحسن من المسىء «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلَائِفَ الْأَرْضِ» أخبر سبحانه أنه الذى جعل الخلق خلائف الأرض و معناه أن أهل كل عصر يخلف أهل العصر الذى قبله كلما مضى قرن خلفهم قرن يجرى ذلك على انتظام و اتساق حتى تقوم الساعة على العصر الأخير فلا يخلفه عصر و هذا لا يكون إلا من عالم مدير عن الحسن و السدى و جماعه و قيل المراد بذلك أمه نبينا محمد ص جعلهم الله تعالى خلفاء لسائر الأمم و نصرهم على سائر الخلق «وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ» فى الرزق عن السدى و قيل فى الصورة و العقل و العمر و المال و القوه و هذا أولى لأن الأول يدخل فيه و وجه الحكمة فى ذلك مع أنه سبحانه خلقهم ابتداء من غير استحقاق بعمل يوجب التفاضل بينهم ما فيه من الألفاظ الداعيه إلى الواجبات و الصارفه عن المقبحات لأن كل من كان غنيا فى ماله شريفا فى نسبه ربما دعاه ذلك إلى طاعه من يملكه رغبه فى امتاله و من كان على ضد ذلك ربما دعاه إلى طاعته رهبه من أمثاله و رجاء أن ينقله عن هذه الحال إلى حال جليله يغتبط عليها «لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ» أى ليختبركم فيما أعطاكم أى يعاملكم معاملة المختبر مظهره فى العدل و انتفاء من الظلم و معناه لينظر الغنى إلى الفقير فيشكر و ينظر الفقير إلى الغنى فيصبر و يفكر العاقل فى الأدله و يعمل بما يعلم «إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ» إنما وصف نفسه بذلك مع أن عقابه فى الآخره من حيث إن كل ما هو آت قريب فهو إذا سريع و قيل معناه أنه سريع العقاب بمن استحقه فى دار الدنيا فيكون تحذيرا لمواقع الخطيئه على هذه الجهه و قيل معناه أنه قادر على تعجيل العقاب فاحذروا معاجلته بالهلاك فى الدنيا

«وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ» قابل سبحانه بين العقاب و الغفران و لم يقابل بالثواب لأن ذلك أدعى إلى الإفلاح عما يوجب العقاب لأنه لو ذكر الثواب لجاز أن يتوهم أنه لمن لم يكن منه عصيان و قيل أنه سبحانه افتتح السوره بالحمد على نعمه تعليما و ختمها بالمغفره و الرحمه ليحمد على ذلك.

ص: ١٩٠

(٧) سورة الأعراف مكيه و آياتها ست و مائتان (٢٠٦)

اشاره

[توضيح]

هي مكيه و قد روى عن قتاده و الضحاك أنها مكيه غير قوله «وَسَيَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ» إلى قوله «بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ» فإنها نزلت بالمدينه

عدد آياتها

مائتان و ست آيات حجازى كوفى و خمس بصرى شامى.

* اختلافها

خمس آيات «المص» و «بَدَأْكُمْ تَعْوِدُونَ» كوفى «مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» بصرى شامى «ضِعْفًا مِنَ النَّارِ» و «الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ» حجازى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأ سورة الأعراف جعل الله بينه و بين إبليس سترا و كان آدم شفيعا له يوم القيامة

و

روى العياشى بإسناده عن أبى بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ سورة الأعراف فى كل شهر كان يوم القيامة من الذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون فإن قرأها فى كل يوم جمعه كان ممن لا يحاسب يوم القيامة

قال أبو عبد الله (عليه السلام) أما إن فيها آيا محكمه فلا تدعوا قراءتها و القيام بها فإنها تشهد يوم القيامة لمن قرأها عند ربه.

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة الأنعام بالرحمه افتتح هذه السوره بأنه أنزل كتابا فيه معالم الدين و الحكمه فقال.

ص: ١٩١

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المص (١) كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَيْدِرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِيُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٣)

القراءة

قرأ ابن عامر يتذكرون بياء و تاء و قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر «تَذَكَّرُونَ» خفيفه الذال و قرأ الباقون تذكرون بتشديد الذال و الكاف.

الحج

قال أبو علي من قرأ تذكرون مشدده أراد تتذكرون فأدغم التاء في الذال و إدغامها فيها حسن لأن التاء مهموسة و الذال مجهوره و المجهور أزيد صوتا و أقوى من المهموس فحسن إدغام الأنقص في الأزيد و لا يسوغ إدغام الأزيد في الأنقص ما في قوله «ما تَذَكَّرُونَ» موصوله بالفعل و هي معه منزله المصدر و المعنى قليلا تذكركم و لا ذكر في الصلة يعود إليها كما لا يكون في صله أن ذكر و من قرأ تذكرون فإنه حذف التاء التي أدغمها من شدد الذال و ذلك حسن لاجتماع ثلاثه أحرف متقاربه و يقوى ذلك قولهم اسطاع يسطيع فحذفوا أحد الثلاثه المتقاربه و من قرأ يتذكرون بياء و تاء فوجهه أنه مخاطبه النبي ص أى قليلا ما يتذكر هؤلاء.

اللغة

قد تقدم ذكر الحروف المقطعه في أوائل السور في أول سوره البقره و ذكرنا الأقوال في معانيها و إعرابها فلا معنى لإعادتها و بينا أن حروف الهجاء توصل على نيه الوقف فرقا بينها و بين ما يوصل للمعاني فعلى هذا متى سميت رجلا بالمص و جبت الحكايه و إن سميته بصاد أو قاف لم يجب ذلك لأن صاد و قاف لهما نظير في الأسماء المفرده مثل باب و نار و ليس كذلك «المص» لأنه بمنزله الجمله إذ ليس له نظير في المفرد و إنما عد الكوفيون «المص» آيه و لم يعدوا صاد لأن «المص» بمنزله الجمله مع أن آخره على ثلاثه أحرف بمنزله المردف فلما اجتمع هذان السببان و كل واحد منهما يقتضى عده عدوه و لم يعدوا المر لأن آخره لا يشبه المردف و لم يعدوا صاد لأنه بمنزله اسم مفرد و كذلك قاف و نون و من قال إن هذه الحروف في أوائل السور أسماء للسور فعلى قوله إنما سميت بها و لم تسم بالأسماء المنقوله لأنها تتضمن معاني أخر مضافه إلى التسميه و هو أنها فاتحه لما هو منها و أنها فاصله بينها و بين ما قبلها و لأنه يأتي من التأليف بعدها ما هو معجز مع أنه تأليف كتأليفها فهذه المعاني من أسرارها و الذكري مصدر ذكر يذكر تذكيرا فهي اسم للتذكير و فيه مبالغه و مثله الرجعي.

قال الزجاج أجمع النحويون على أن قوله «كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ» مرفوع بغير

ص: ١٩٢

هذه الحروف فالمعنى هذا كتاب أنزل إليك و من قال إن كتاب يرتفع بالمص و تقديره المص حروف كتاب يلزمه إضمار شيئين فيكون المعنى المص بعض حروف كتاب أنزل إليك فيكون قد أضمر المضاف و ما أضيف إليه و هذا ليس بجائز فإن قال قائل قد يقول أ ب ت ث ثمانية و عشرون حرفا و إنما ذكرت أربعة فمن أين جاز ذلك قيل قد صار اسم هذه الحروف كلها أ ب ت ث كما أنك تقول الحمد سبع آيات فالحمد اسم لجمله السوره و ليس اسم الكتاب الم و لا اسم القرآن طسم و هذا فرق بين قال و الذى اخترناه فى تفسير المص قول ابن عباس أن المص أنا الله أعلم و أفضل فيكون يرتفع بعض هذه الحروف ببعض و الجملة لا- موضع لها و قوله «فَلَا- يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرْجٌ» دخول الفاء فيه يحتمل وجهين (أحدهما) أن تكون عاطفه جملة على جملة و تقديره هذا كتاب أنزلناه إليك فلا يكن بعد إنزاله فى صدرك حرج و الآخر أن يكون جوابا و تقديره إذا كان أنزل إليك الكتاب لتندر به فلا يكن فى صدرك حرج منه فيكون محمولا على معنى إذا، و ذكرى قال الزجاج يصلح أن يكون فى موضع نصب و رفع و خفض فالنصب على قوله «أُنزِلَ إِلَيْكَ» لتندر به و لتذكر به ذكرى لأن فى الإنذار معنى التذكير و هذا كما يقال جئتكم للإحسان و شوقا إليك فيكون مفعولا له و أما الرفع فعلى تقدير و هو ذكرى و أما الخفض فعلى معنى لتندر فإن معنى لتندر لأن تنذر فيكون تقديره للإنذار و للذكرى قال على بن عيسى و هذا الوجه ضعيف لأنه لا يجوز أن يحمل الجر على التأويل كما لا يجوز مررت به و زيد.

المعنى

«المص» مضى تفسيره و ما قيل فيه «كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ» أى هذا الذى أوحيته إليك كتاب أنزل إليك أى أنزله الملائكة إليك بأمر الله تعالى «فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرْجٌ مِنْهُ» ذكر فى معناه أقوال (أحدها) ما ذكره الحسن أن معنى الحرج الضيق فمعناه و لا يضيقت صدرك لتشعب الفكر خوفا من أن لا تقوم بتبليغ ما أنزل إليك حق القيام فليس عليك أكثر من الإنذار (و ثانيها) أن معنى الحرج الشك عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و السدى فمعناه فلا يكن فى صدرك شك فيما يلزمك من القيام بحقه فإنما أنزل إليك لتندر به (و ثالثها) إن معناه فلا يضيقت صدرك من قومك أن يكذبوك و يجبهوك بالسوء فيما أنزل إليك كما قال سبحانه فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا عن الفراء و

قد روى فى الخبر أن الله تعالى لما نزل القرآن إلى رسول الله ص قال إني أخشى أن

يكدبني الناس و يثلغوا رأسي فيتركوه كالخبزه فأزال الله الخوف عنه بهذه الآيه

وقوله «لِتُنذِرَ بِهِ» أى بالقرآن قال الفراء و الزجاج و أكثر العلماء أنه على التقديم و التأخير و تقديره كتاب أنزل إليك لتنذر به «وَ ذِكْرِي لِلْمُؤْمِنِينَ» فلا- يكن فى صدرك حرج منه و قال آخرون هو متصل بقوله «فَلَا يَكُنْ فِي صِدْرِكَ حَرْجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ» أى كن على انشراح صدر بالإنذار و معناه التخوف بوعدده و وعيده و أمثاله و أمره و نهيه و ليذكروا بما فيه و إنما خص المؤمنين لأنهم المنتفعون به ثم خاطب الله سبحانه المكلفين فقال «اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ» و يحتمل أن يكون المراد قل لهم يا محمد اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم لأنه قال قبل لتنذر به و الاتباع تصرف الثانى بتصرف الأول و تدبره بتدبيره فالأول إمام و الثانى مؤتم و وجوب الاتباع فيما أنزل الله تعالى يدخل فيه الواجب و الندب و المباح لأنه يجب أن يعتقد فى كل منها ما أمر الله سبحانه به كما يجب أن يعتقد فى الحرام و وجوب اجتنابه «وَ لَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ» أى و لا تتخذوا غيره أولياء طيعونهم فى معصيه الله لأن من لا- يتبع القرآن صار متبعاً لغير الله من الشيطان و الأوثان فأمر سبحانه باتباع القرآن و نهى عن اتباع الشيطان ليعلموا أن اتباع القرآن اتباع له سبحانه «قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ» أى قليلاً يا معشر المشركين تذكركم و اتعاضكم و هذا استبطاء فى التذكر و خرج مخرج الخبر و المراد به الأمر فمعناه تذكروا كثيراً ما يلزمكم من أمر دينكم و ما أوجه الله عليكم و معنى التذكر أن يأخذ فى الذكر شيئاً بعد شىء مثل التفقه و التعلم.

[سوره الاعراف (٧): الآيات ٤ الى ٥]

إشارة

وَ كَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ (٤) فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٥)

الإعراب

كم لفظه موضوعه للتكثير و رب للتقليل و إنما كان كذلك لأن رب حرف و كم اسم و التقليل ضرب من النفي و كم يدخل فى الخبر بمعنى التكثير فأما فى الاستفهام فلا لأن الاستفهام موكول إلى بيان المجيب و إنما دخلها التكثير لأن استفهام العدد عن أن يظهر أو يضبط إنما يكون لكثرتة فى غالب الأمر و كم مبهمه قال الفرزدق:

ص: ١٩٤

فدل بكم على كثره العمات و الخالات و موضع كم فى الآيه رفع بالابتداء و خبرها أهلكتها و لو جعلتها فى موضع نصب جاز كما تقول فى قوله سبحانه «إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ» و الأول أجود و قيل فى دخول الفاء فى قوله «فَجَاءَهَا بِأَسْنَانًا» مع أن الفاء للتعقيب أقوال (أحدها) أهلكتها فى حكمنا فجاءها بأسنا (و الثانى) أهلكتها بإرسال ملائكة العذاب إليها فجاءها بأسنا (و الثالث) أنه مثل زرتنى فأكرمتنى فإن نفس الإكرام هى الزياره قال على بن عيسى و ليس هذا مثل ذلك لأن هذا إنما جاز لأنه قصد الزياره ثم الإ-كرام بها (و الرابع) أهلكتها فصح أنه جاءها بأسنا و قال الفراء إن الفاء هاهنا بمعنى الواو و رد عليه على بن عيسى بأنه نقل حرف عن معناه بغير دليل و ذلك لا يجوز و قوله «أَوْ هُمْ قَائِلُونَ» قال الفراء واو الحال مقدره فيه و تقديره أو و هم قائلون و إنما حذف استخفافا قال الزجاج و هذا لا يحتاج إلى ضمير الواو و لو قلت جاءنى زيد راجلا أو فهو فارس أو جاءنى زيد هو فارس لم يحتج إلى واو لأن الذكر قد عاد إلى الأول و معنى بياتا أى ليلا يقال بات بياتا حسنا و بيته حسنه و المصدر فى الأصل بات بيتا و إنما سمي البيت بيتا لأنه يصلح للمبيت فمعنى أو هم قائلون أى أو جاءهم بأسنا نهارا فى وقت القائله فأو دخلت هاهنا على وجه تصرف الشىء و وقوعه و أما مره كذا فهى فى الخبر هاهنا بمنزله أو فى الإباحه إذا قلت جالس الحسن و ابن سيرين أى كل واحد منهما أهل أن يجالس و أو هاهنا أحسن من الواو لأن الواو يتضمن اجتماع الشئيين لو قلت ضربت القوم قياما و قعودا لأوجب الواو أنك ضربتهم و هم على هاتين الحالتين و لو قلت ضربتهم قياما أو ضربتهم قعودا و لم تكن شاكا فإنما المعنى أنك ضربتهم مره على هذه الحال و مره على هذه الحال و أقول أن الأولى أن يكون بياتا مصدرا وضع موضع الحال فيكون بمعنى بائتين أو قائلين فيكون حالا- عن الهاء و الميم فى جاءهم و موضع أن قالوا الاختيار أن يكون رفعا و أن يكون دعواهم فى موضع نصب كقوله و ما كان جوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا و يجوز أن يكون فى موضع نصب و يكون الدعوى فى موضع رفع إلا أن الدعوى إذا كانت فى موضع رفع فالأكثر فى اللفظ فما كانت دعواهم كذا لأن الدعوى

مؤنثه و هي اسم لما تدعيه و تصلح أن تكون بمعنى الدعاء حكى سيبويه اللهم أشركنا في صالح دعوى المسلمين و أنشد:

(ولت و دعوها كثير صخبه)

أى دعاؤها.

المعنى

لما تقدم الأمر منه سبحانه للمكلفين باتباع القرآن و التحذير من مخالفته و التذكير عقب ذلك تذكيرهم ما نزل بمن قبلهم من العذاب و تحذيرهم أن ينزل بهم ما نزل بأولئك فقال «وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ» أى من أهل قريه فحذف المضاف لدلاله الكلام عليه «أَهْلَكْنَاهَا» بعذاب الاستتصال «فَجَاءَهَا بِأَسِينَا» أى عذابنا «بَيَاتًا» بالليل «أَوْ هُمْ قَائِلُونَ» أى فى وقت القيلولة و هي نصف النهار و أصله الراحة و منه الإقاله فى البيع لأنه الإراحه منه بالإعفاء من عقده و الأخذ بالشده فى وقت الراحة أعظم فى العقوبه فلذلك خص الوقتين بالذكر «فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسِينَا» أى لم يكن دعاء هؤلاء الذين أهلكتناهم عقوبه لهم على معاصيهم و كفرهم فى الوقت الذى جاءهم شده عذابنا «إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ» يعنى اعترافهم بذلك على نفوسهم و إقرارهم به و هذا القول كان منهم عند معايينه البأس و التيقن بأنه ينزل بهم و يجوز أن يكونوا قالوه حين لابسهم طرف منه و لم يهلكوا بعد و فى هذا دلالة على أن الاعتراف و التوبه عند معايينه البأس لا ينفع.

[سوره الأعراف (٧): الآيات ٦ الى ٩]

إشارة

فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (٦) فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَ مَا كُنَّا غَائِبِينَ (٧) وَ الْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يِظْلَمُونَ (٩)

اللغة

السؤال طلب الجواب بأدائه فى الكلام كما أن الاستخبار طلب الخبر بأدائه فى الكلام و القصص ما يتلو بعضه بعضا و منه المقص لأن قطعه يتلو بعضه بعضا و منه القصة من الشعر و القصة من الكتاب و منه القصاص لأنه يتلو الجنايه فى الاستحقاق و منه المقاصه فى الحق لأنه يسقط ماله قصاصا بما عليه و الوزن فى اللغة هو مقابله أحد الشئين

ص: ١٩٦

بالآخر حتى يظهر مقداره و قد استعمل فى غير ذلك تشبيها به فمنها وزن الشعر بالعروض و منها قولهم فلان يزن كلامه وزنا قال الأخطل:

و إذا وضعت أباك فى ميزانهم رجحوا و شال أبوك فى الميزان

و الحق وضع الشىء موضع على وجه تقتضيه الحكمة و قد استعمل مصدرا على هذا المعنى و صفة كما جرى ذلك فى العدل قال الله سبحانه ذلك بأن الله هو الحق فجرى على طريق الوصف و الثقل عبارته عن الاعتماد اللازم سفلا و نقيضه الخفه و هى الاعتماد اللازم علوا.

الإعراب

الفاء فى قوله «فَلَنَسْئَلَنَّ» عاطفه جملة على جملة و إنما دخلت الفاء و هى موجهة للتعقيب مع تراخى ما بين الأول و الثانى و ذلك يلىق بتم لتقريب ما بينهما كما قال سبحانه اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ و قال و ما أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصِيرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ و قال أ و لَمْ يَرِ الْإِنْسَانَ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ و إذا طرف المفاجاه و بينهما بعد " يومئذ " يجوز فيه الإعراب و البناء لأن إضافته إلى مبنى إضافه غير محضه تقربه من الأسماء المركبه و إضافته إلى الجملة تقربه من الإضافه الحقيقيه و نون إذ لأنه قد قطع عن الإضافه إذ من شأن التوين أن يعاقب الإضافه.

المعنى

و لما أندرهم سبحانه بالعذاب فى الدنيا عقبه بالإنذار بعذاب الآخرة فقال «فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَ لَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ» أقسم الله سبحانه أنه يسأل المكلفين الذين أرسل إليهم رسله و أقسم أيضا أنه يسأل المرسلين الذين بعثهم فيسأل هؤلاء عن الإبلاغ و يسأل أولئك عن الامتثال و هو تعالى و إن كان عالما بما كان منهم فإنما أخرج الكلام مخرج التهديد و الزجر ليتأهب العباد بحسن الاستعداد لذلك السؤال و قيل أنه يسأل الأمم عن الإجابة و يسأل الرسل ما ذا عملت أممهم فيما جاءوا به و قيل إن الأمم يسألون سؤال توبيخ و الأنبياء يسألون سؤال شهادة على الحق عن الحسن و أما فائده السؤال فأشياء منها أن يعلم الخلائق أنه سبحانه أرسل الرسل و أزاح العله و أنه لا يظلم أحدا و منها أن يعلموا أن الكفار استحقوا العذاب بأفعالهم و منها أن يزداد سرور أهل الإيمان بالثناء الجميل عليهم و يزداد غم

الكفار بما يظهر من أفعالهم القبيحة و منها أن ذلك لطف للمكلفين إذا أخبروا به و مما يسأل على هذا أن يقال كيف يجمع بين قوله تعالى «وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ وَقَوْلُهُ «فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ» فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ وَالجواب عنه من وجوه (أحدها) أنه سبحانه نفى أن يسألهم سؤال استرشاد و استعمال و إنما يسألهم سؤال تبيكيت و تقرير و لذلك قال عقيبه يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسَيِّمَاتِهِمْ وَ سؤال الاستعلام مثل قولك أين زيد و من عندك و هذا لا يجوز على الله سبحانه و سؤال التوبيخ و التقرير كمن يقول ألم أحسن إليك فكفرت نعمتي و منه قوله أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ وَ كقول الشاعر:

(أ طربا و أنت قنسى)

أى كبير السن و هذا توبيخ منه لنفسه أى كيف أطرب مع الكبير و الشيب و قد يكون السؤال للتقرير كقول الشاعر:

أ لستم خير من ركب المطايا و أندى العالمين بطون راح

أى أنتم كذلك و فى ضده قوله:

" و هل يصلح العطار ما أفسد الدهر "

أى لا يصلح و أما سؤال المرسلين فليس بتقرير و لا توبيخ لهم و لكنه توبيخ للكفار و تقرير لهم (و ثانيها) أنهم إنما يسألون يوم القيامة كما قال وَ قِفْوَهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ثم تنقطع مسألتهم عند حصولهم فى العقوبة و عند دخولهم النار فلا تنافى بين الخبرين بل هو إثبات للسؤال فى وقت و نفى له فى وقت آخر (و ثالثها) أن فى القيامة مواقف ففى بعضها يسأل و فى بعضها لا يسأل فلا تضاد بين الآيات و أما الجمع بين قوله فلا أنساب بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَ لَا يَتَسَاءَلُونَ وَ قَوْلُهُ «وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ» فهو أن الأول معناه لا يسأل بعضهم بعضا سؤال استخبار عن الحال التى جهلها بعضهم لتشاغلهم عن ذلك و لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه و الثانى معناه يسأل بعضهم بعضا سؤال تلاوم و توبيخ كما قال فى موضع آخر يَتَلَاوَمُونَ وَ كقوله «أ نَحْنُ صِدْدُكُمْ عَنِ الْهُدَى» الآيه و مثل ذلك كثير فى القرآن ثم بين سبحانه ما ذكرناه من أنه لا يسألهم سؤال استعمال بقوله «فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ» أى لنخبرنهم بجميع أفعالهم ليعلموا أن أعمالهم كانت محفوظه و ليعلم كل منهم جزاء عمله و أنه لا ظلم عليه و ليظهر لأهل الموقف أحوالهم «بِعَلْمٍ» قيل معناه نقص عليهم أعمالهم بأنا عالمون بها و قيل معناه بمعلوم كما قال

و لا يحيطون بشىء من علمه أى من معلومه و قال ابن عباس معنى قوله «فَلَنَقْصَنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ» ينطق عليهم كتاب أعمالهم كقوله تعالى «هَذَا كِتَابُنَا يُنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ» «وَ مَا كُنَّا غَائِبِينَ» عن علم ذلك و قيل عن الرسل فيما بلغوا و عن الأمم فيما أجابوا و ذكر ذلك مؤكدا لعلمه بأحوالهم و المعنى أنه لا يخفى عليه شىء «وَ الْوِزْنُ يُؤَمِّدُ الْحَقَّ» ذكر فيه أقوال (أحدها) أن الوزن عبارة عن العدل فى الآخرة و أن لا ظلم فيها على أحد عن مجاهد و الضحاك و هو قول البلخى (و ثانيها) أن الله ينصب ميزانا له لسان و كفتان يوم القيامة فتوزن به أعمال العباد الحسنات و السيئات عن ابن عباس و الحسن و به قال الجبائى ثم اختلفوا فى كيفية الوزن لأن الأعمال أعراض لا يجوز عليها الإعادة و لا يكون لها وزن و لا تقوم بأنفسها فقليل توزن صحائف الأعمال عن عبد الله بن عمر و جماعه و قيل يظهر علامات للحسنات و علامات للسيئات فى الكفتين فيراها الناس عن الجبائى و قيل يظهر للحسنات صورته حسنه و للسيئات صورته سيئه عن ابن عباس و قيل توزن نفس المؤمن و الكافر عن عبيد بن عمير قال يؤتى بالرجل العظيم الجته فلا يزن جناح بعوضه (و ثالثها) أن المراد بالوزن ظهور مقدار المؤمن فى العظم و مقدار الكافر فى الذله كما قال سبحانه فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا فَمَنْ أَتَى بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي يَثْقُلُ وَزْنَهُ أَى يعظم قدره فقد أفلح و من أتى بالعمل السيء الذى لا وزن له و لا قيمه فقد خسر عن أبى مسلم و أحسن الأقوال القول الأول و بعده الثانى و إنما قلنا ذلك لأنه اشتهر من العرب قولهم كلام فلان موزون و أفعاله موزونه يريدون بذلك أنها واقعه بحسب الحاجه لا تكون ناقصه عنها و لا زائده عليها زياده مضره أو داخله فى باب العبث قال مالك ابن أسماء الفزارى:

و حديث أذه هو مما ينعت الناعتون يوزن وزنا

منطق صائب و يلحن أحيانا و خير الحديث ما كان لحنا

أى يعرض فى الكلام و لا يصرح به و قيل أنه من اللحن الذى هو سرعه الفهم و الفطنه و على هذا فيكون معنى الوزن أنه قام فى النفس مساويا لغيره كما يقوم الوزن فى مرآه العين كذلك و أما حسن القول الثانى فلمراعاه الخبر الوارد فيه و الجرى على ظاهره «فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ» إنما جمع الموازين لأنه يجوز أن يكون لكل نوع من أنواع الطاعات يوم القيامة ميزان و يجوز أن يكون كل ميزان صنفا من أصناف أعماله و يؤيد هذا ما

جاء فى الخبر أن الصلاه ميزان فمن وفى استوفى

«فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» أى الفائزون بثواب الله «وَ مَنْ

خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ» بأن استحقوا عذاب الأبد «بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ» أى بجحودهم بما جاء به محمد ص من آياتنا و حججنا و الخسران ذهاب رأس المال و من أعظم رأس المال النفس فإذا أهلك نفسه بسوء عمله فقد خسر نفسه.

[سوره الأعراف (٧): الآيات ١٠ الى ١١]

إشاره

وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (١٠) وَ لَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (١١)

القراءه

قرأ كل القراء «مَعَايِشَ» بغير همز و روى بعضهم عن نافع معائش ممدودا مهموزا.

الحججه

قال أبو على معايش جمع معيشه و اعتل معيشه لأنه على وزن يعيش و زيادته زياده تختص الاسم دون الفعل فلم يحتج إلى الفصل بين الاسم و الفعل كما احتج إليه فيما كانت زيادته مشتركه نحو الهمزه فى أخاف و هو أخوف منك و موافقه الاسم لبناء الفعل توجب فى الاسم الاعتلال ألا ترى أنهم أعلوا بابا و نابا و يوم راح لما كان على وزن الفعل و صححوا نحو حول و غيبه و لومه لما لم تكن على مثال الفعل فمعيشه موافقه للفعل فى البناء ألا ترى أنه مثل يعيش فى الزنه و تكسيرها يزيل مشابهته فى البناء فقد علمت بذلك زوال المعنى الموجب للإعلال فى الواحد فى الجمع فلزم التصحيح فى التكسير لزوال المشابهه فى اللفظ و لأن التكسير معنى لا يكون فى الفعل إنما يختص به الاسم و إذا كانوا قد صححوا نحو الجولان و الهيمان مع قيام بناء الفعل فيه لما لحقه من الزيادة التى يختص بها الاسم فتصحيح قولهم معايش الذى قد زال مشابهه الفعل عنه فى اللفظ و المعنى لا إشكال فيه و فى وجوب العدل عن إعلاله و من أعل فهمز فمجازه على وجه اللفظ و هو أن معيشه على وزن مصيبه فتوهمها فعيله فهمزها كما همز مصائب و مثل ذلك مما يحمل على الغلط قولهم فى جمع مسيل أمسله فتوهموه فعيله و إنما هو مفعله و ذكر المحققون أن الهمزه فى هذه الياء إنما تكون إذا كانت زائده نحو صحيفه و صحائف و إنما يهزم الياء الزائده لأنه لا حظ لها فى الحركة و قد قربت من آخر الكلمه و لزمتها الحركة فأوجبوا فيها الهمزه و إذا جمعت مقاما قلت

و إني لقوام مقاوم لم يكن جرير و لا مولى جرير يقومها.

اللغة

التمكين إعطاء ما يصح به الفعل مع رفع المنع لأن الفعل كما يحتاج إلى القدره فقد يحتاج إلى آله و إلى دلالة و إلى سبب و يحتاج إلى ارتفاع المنع فالتمكين عباره عن جميع ذلك و الجعل إيجاد ما به يكون الشىء على خلاف ما كان عليه مثل أن تقول جعلت الساكن متحركا لأنك فعلت فيه الحركة و نظيره التصيير و جعل الشىء أعم من حدوثه لأنه قد يكون بحدوث غيره مما يتغير به و المعيشه ما يكون وصله إلى ما فيه الحياه من جهه المطعم و المشرب و الملبس، و الخلق إحداث الشىء على تقدير تقتضيه الحكمه و التصوير جعل الشىء على صوره من الصور و الصوره بنيه مقومه على هيئته ظاهره و السجود أصله الانخفاض و حقيقته وضع الجبهه على الأرض.

الإعراب

«قَلِيلًا» نصب بتشكرون و تقديره تشكرون قليلا و ما زائده و يجوز أن يكون ما مع ما بعدها بمنزله المصدر فيكون تقديره قليلا شكركم.

المعنى

ثم ذكر سبحانه نعمه على البشر بالتمكين فى الأرض و ما خلق فيها من الأرزاق مضافه إلى نعمه السابغه عليهم بإنزال الكتب و إرسال الرسل فقال «وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ» أى مكناكم من التصرف فيها و ملكناكموها و جعلناها لكم قرارا «وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ» أى ما تعيشون به من أنواع الرزق و وجوه النعم و المنافع و قيل يريد المكاسب و الإقذار عليها بالعلم و القدره و الآلات «قَلِيلًا ما تَشْكُرُونَ» أى ثم أنتم مع هذه النعم التى أنعمناها عليكم لتشكروا قد قل شكركم ثم ذكر سبحانه نعمته فى ابتداء الخلق فقال «وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ» قال الأَخفش ثم هاهنا فى معنى الواو و قال الزجاج و هذا خطأ لا يجيزه الخليل و سيبويه و جميع من يوثق بعلمه إنما ثم للشىء الذى يكون بعد المذكور قبله لا غير و إنما المعنى فى هذا الخطاب ذكر ابتداء الخلق أولا- فالمراد أنا بدأنا خلق آدم ثم صورناه فابتداء خلق آدم (عليه السلام) من التراب ثم وقعت الصوره بعد ذلك فهذا معنى «خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ» بعد الفراغ من خلق آدم فثم إنما هو لما بعد و هذا مروى عن الحسن و من كلام العرب فعلنا بكم كذا و كذا و هم يعنون أسلافهم و فى التنزيل «وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ» أى ميثاق أسلافكم و قد قيل فى ذلك

أقوال آخر منها أن معناه خلقنا آدم ثم صورناكم في ظهره ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم عن ابن عباس و مجاهد و الربيع و قتاده و السدى و منها أن الترتيب وقع في الإخبار فكأنه قال خلقناكم ثم صورناكم ثم أنا نخبركم إنا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم كما يقول القائل أنا راجل ثم أنا مسرع و هذا قول جماعه من النحويين منهم على بن عيسى و القاضي أبو سعيد السيرافي و غيرهما و على هذا فقد قيل إن المعنى خلقناكم في أصلاب الرجال ثم صورناكم في أرحام النساء عن عكرمه و قيل خلقناكم في الرحم ثم صورناكم بشق السمع و البصر و سائر الأعضاء عن يمان و قول الشاعر:

سألت ربيعه من خيرها أبا ثم أما فقالت ليه

فمعناه لنجيب أولا عن الأب ثم الأم و قوله «فَسَجِدُوا إِلَّا إِنْ لَيْسَ لَكُمْ يَكْفٍ مِنَ السَّاجِدِينَ» قد مضى الكلام فيه في سورة البقره.

[سوره الأعراف (٧): الآيات ١٢ الى ١٣]

إشارة

قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نارٍ و خلقتُه من طينٍ (١٢) قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فأخرج إناك من الصاغرين (١٣)

اللفه

الصاغر الذليل بصغر القدر يقال صغر يصغر صغرا و صغارا فهو صاغر إذا رضى بالضم و من الصغر ضد الكبر صغر يصغر قال ابن السكيت يقال فلان صغره ولد أبيه أى أصغرهم.

الإعراب

ما في قوله «ما منعك» مرفوع الموضع و المعنى أى شىء منعك و لا ملغى في قوله «ألا تسجد» المعنى ما منعك أن تسجد و مثله قوله سبحانه «لئنلا يعلم» و معناه لأن يعلم و قال الشاعر:

أبى جوده لا البخل و استعجلت به نعم من فتى لا يمنع الجود قاتله

قالوا معناه أبى جوده البخل و قال أبو عمرو بن العلاء الروايه أبى جوده لا البخل بالجر

و المعنى أبى جوده لا- التى تبخل الإنسان قال الزجاج و روى فيه وجها آخر حسنا و هو أن يكون لا- غير لغو و يكون البخل منصوبا بدلا من لا و المعنى أبى جوده لا التى هى البخل فكأنه قال أبى جوده البخل و قد قيل إنما دخل لا فى قوله «أَلَا تَسْجُدُ» لأن معناه ما دعاك إلى أن لا تسجد أو ما أحوجك إلى أن لا تسجد.

المعنى

ثم حكى سبحانه خطابه لإبليس حين امتنع من السجود لآدم بقوله «قَالَ» أى قال الله تعالى «مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ» أى ما دعاك إلى أن لا تسجد و ما اضطررك إليه أو ما منعك أن تسجد «إِذْ أَمَرْتُكَ» بالسجود لآدم «قَالَ» إبليس «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» و هذا الجواب غير مطابق لأنه كان يجب أن يقول معنى كذا لأن قوله «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ» جواب لمن يقول أيكما خير و لكن فيه معنى الجواب و يجرى ذلك مجرى أن يقول القائل لغيره كيف كنت فيقول أنا صالح و كان يجب أن يقول كنت صالحا لكنه جاز ذلك لأنه أفاد أنه صالح فى الحال مع أنه كان صالحا فيما مضى قال ابن عباس أول من قاس إبليس فأخطأ القياس فمن قاس الدين بشىء من رأيه قرنه الله بإبليس و قال ابن سيرين أول من قاس إبليس و ما عبدت الشمس و القمر إلا بالمقاييس و وجه دخول الشبهه على إبليس أنه ظن أن النار إذا كانت أشرف من الطين لم يجز أن يسجد الأشرف للأدون و هذا خطأ لأن ذلك تابع لما يعلم الله سبحانه من مصالح العباد و قد قيل أيضا أن الطين خير من النار لأنه أكثر منافع للخلق من حيث أن الأرض مستقر الخلق و فيها معاشهم و منها يخرج أنواع أرزاقهم و الخيرية إنما يراد بها كثرة المنافع دون كثرة الثواب لأن الثواب لا- يكون إلا- للمكلف المأمور دون الجماد «قَالَ» أى قال الله سبحانه لإبليس «فَاهْبِطْ» أى أنزل و انحدر «مِنْهَا» أى من السماء عن الحسن و قيل من الجنة و قيل معناه أنزل عما أنت عليه من الدرجة الرفيعة و المنزلة الشريفة التى هى درجة متبعي أمر الله سبحانه و حافظي حدوده إلى الدرجة الدنية التى هى درجة العاصين المضيعين أمر الله «فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ» عن أمر الله «فِيهَا» أى فى الجنة أو فى السماء فإنها ليست بموضع المتكبرين و إنما موضعهم النار كما قال «أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ» «فَأَخْرَجْ» من المكان الذى أنت فيه أو المنزلة التى أنت عليها «إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ» أى من الأذلاء بالمعصية فى الدنيا لأن العاصى ذليل عند من عصاه أو بالعذاب فى الآخرة لأن المعذب ذليل و هذا الكلام إنما صدر من الله سبحانه على لسان بعض الملائكة عن الجبائى و قيل إن إبليس رأى معجزه تدله على أن ذلك كلام الله و قوله

سبحانه «فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَّكِبَ فِيهَا» لا يدل على أنه يجوز التكبر في غير الجنة فإن التكبر لا يجوز على حال لأنه إظهار كبير النفس على جميع الأشياء وهذا في صفة العباد ذم وفي صفة الله سبحانه مدح إلا أن إبليس تكبر على الله سبحانه في الجنة فأخرج منها قسرا و من تكبر خارج الجنة منع من ذلك بالأمر والنهي.

[سوره الأعراف (٧): الآيات ١٤ الى ١٧]

إشاره

قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَأَنبِئَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧)

اللغه

الإنظار والإمهال والتأخير والتأجيل نظائر وبينها فروق و ضد الإمهال الإعجال و البعث الإطلاق في الأمر و الانبعاث الانطلاق و البعث و الحشر و النشر و الجمع نظائر.

الإعراب

«لَأَقْعُدَنَّ» جواب للقسم و القسم محذوف لأن غرضه بالكلام التأكيد و هو ضد قوله «ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ» فإنه حذف الجواب هناك و بقى القسم لأن الغرض تعظيم المقسم به و نصب «صِرَاطَكَ» على الحذف دون الظرف و تقديره على صراطك كما قيل ضرب زيد الظهر و البطن أى على الظهر و البطن قال الشاعر:

لذن بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب

و قال آخر:

كأنى إذا أسعى لأظفر طائرا مع النجم فى جو السماء يصوب

أى لأظفر على طائر.

ص: ٢٠٤

«قال» يعنى إبليس «أُنظِرْنِي» أى أمهلنى و أخرنى فى الأجل و لا- تمتنى «إلى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ» أى يبعث الخلق من قبورهم للجزاء و قيل معناه أنظرنى فى الجزاء إلى يوم القيامة فكأنه خاف أن يعاجله الله سبحانه بالعقوبه يدل عليه قوله «إلى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ» و لم يقل إلى يوم يموتون و معلوم أن الله تعالى لا يبقى أحدا حيا إلى يوم القيامة قال الكلبى أراد الخيىث أن لا يذوق الموت فى النفخه الأولى مع من يموت فأجيب بالإنظار إلى يوم الوقت المعلوم و هى النفخه الأولى ليدوق الموت بين النفختين و هو أربعون سنه و أما الوجه فى مسأله إبليس الإنظار مع علمه بأنه مطرود ملعون فعلمه بأنه سبحانه يظاهر إلى عباده بالنعم و يعمهم بالفضل و الكرم فلم يصرفه ارتكابه المعصيه عن المسأله و الطمع فى الإجابة «قال» أى قال الله سبحانه لإبليس «إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ» أى من المؤخرين «قال» إبليس لما لعنه الله و طرده ثم سأله الإنظار فأجابه الله تعالى إلى شىء منه «فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي» أى فبالذى أغويتنى قيل فى معناه أفعال (أحدها) أن معناه بما خيبتنى من رحمتك و جنتك كما قال الشاعر:

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره و من يغو لا يعدم على الغى لائما

أى من يخب (و ثانيها) أن المراد امتحنتنى بالسجود لآدم فغويت عنده فلذلك قال أغويتنى كما قال «فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ» (و ثالثها) أن معناه حكمت بغوايتى كما يقال أضللتنى أى حكمت بضاللتى عن ابن عباس و ابن زيد (و رابعها) أن معناه أهلكتنى بلعنك إياى كما قال الشاعر:

معطفه الأثناء ليس فضيلها برازئها درا و لا ميت غوى

أى و لا ميت هلاكا بالعود عن شرب اللبن و منه قوله «فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا» أى هلاكا و قالوا غوى الفصيل إذا فقد اللبن فمات و المصدر غوى مقصور (و خامسها) أن يكون الكلام على ظاهره من الغوايه و لا يبعد أن يكون إبليس قد اعتقد أن الله تعالى يغوى الخلق بأن يضلهم و يكون ذلك من جمله ما كان اعتقده من الشر «لَأَقْعُدَنَّ» أى لأجلسن «لَهُمْ» أى

لأولاد آدم «صِرَاطُكَ الْمُسْتَقِيمَ» أى على طريقك المستوى و هو طريق الحق لأصْدَنَهُمْ عنه بالإغواء حتى أصرَفَهُمْ إلى طريق الباطل كيدا لهم و عداوه و قول من قال إنه لو كان ما يفعل به الإيمان هو بعينه ما يفعل به الكفر لكان قوله «فَمَا أَغْوَيْتَنِي» مساويا لقوله فيما أصلحتنى يفسد بأن صفه الآله إذا وقع بها الكفر صفتها إذا وقع بها الإيمان و إن كانت الآله واحده كما أن السيف واحد و يصلح لأن يستعمل فى قتل المؤمن كما يصلح أن يستعمل فى قتل الكافر و لا يجب من ذلك أن تكون الصفتان واحده من أجل أنه واحد فلا- يمتنع أن يكون متى استعملت آله الإيمان فى الضلال و الكفر تسمى إغواء و إن استعمل فى الإيمان سميت هدايه و إن كان ما يصح به الإيمان هو بعينه ما يصح به الكفر و الضلال «ثُمَّ لَآتَيْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ» قيل فى ذلك أقوال (أحدها) أن المعنى من قبل دنياهم و آخرتهم و من جهة حسناتهم و سيئاتهم عن ابن عباس و قتاده و السدى و ابن جريج و تليخيه إنى أزين لهم الدنيا و أخوفهم بالفقر و أقول لهم لا جنه و لا نار و لا بعث و لا- حساب و أثبطهم عن الحسنات و أشغلهم عنها و أحب إليهم السيئات و أحثهم عليها قال ابن عباس و إنما لم يقل و من فوقهم لأن فوقهم جهة نزول الرحمه من السماء فلا- سبيل له إلى ذلك و لم يقل من تحت أرجلهم لأن الإتيان منه موحش (و ثانيها) أن معنى «مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ» و «عَنْ أَيْمَانِهِمْ» من حيث يبصرون و «مِنْ خَلْفِهِمْ» و «عَنْ شَمَائِلِهِمْ» من حيث لا يبصرون عن مجاهد (و ثالثها)

ما روى عن أبى جعفر (عليه السلام) قال «ثُمَّ لَآتَيْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ» معناه أهون عليهم أمر الآخرة «وَمِنْ خَلْفِهِمْ» أمرهم بجمع الأموال و البخل بها عن الحقوق لتبقى لورثتهم «وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ» أفسد عليهم أمر دينهم بتزيين الضلاله و تحسين الشبهه «وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ» بتحبيب اللذات إليهم و تغليب الشهوات على قلوبهم

و إنما دخلت من فى القدام و الخلف و عن فى اليمين و الشمال لأن فى القدام و الخلف معنى طلب النهايه و فى اليمين و الشمال الانحراف عن الجبهه «وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ» هذا إخبار من إبليس إن الله تعالى لا يجد أكثر خلقه شاكرين و قيل إنه يمكن أن يكون قد قال ذلك من أحد وجهين إما من جهة الملائكه بإخبار الله تعالى إياهم و إما عن ظن منه كما قال سبحانه «وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ» فإنه لما استنزل آدم ظن أن ذريته أيضا سيجيئونه لكونهم أضعف منه و القول الأول اختيار الجبائى و الثانى عن الحسن و أبى مسلم.

إشارة

قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨) وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩) فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١)

القراءة

فى الشواذ قراءة الزهرى مذوما على تخفيف الهمزة وقرأ أبو جعفر و شيبه سواتهما بتشديد الواو و هو قراءة الحسن و الزهرى و قرأ ابن محيظ عن هذى الشجرة.

الحج

الوجه فى تخفيف السوات أنه يحذف الهمزة و يلقى حركتها على الواو فيقال السوه و منهم من يقول السوه و هو أردأ اللغتين و أما هذى الشجرة فإنه الأصل فى الكلمة و إنما الهاء فى ذه بدل من الياء فى ذى و أما الياء اللاحقه بعد الهاء فى هذه و نحوه فزائده لحقت بعد الهاء تشبيها لها بهاء الإضمار فى نحو مررت بهى.

اللغة

الذام و الذيم أشد العيب يقال ذامه يذامه ذاما فهو مذوم و ذامه يذيم ذيما و ذاما فهو مذيم قال الشاعر:

صحبتك إذ عيني عليها غشاوه فلما انجلت قطعت نفسى أذيمها

و فى روايه ألومها و الدحر الدفع على وجه الهوان و الإذلال دحره يدحره دحرا و دحورا و الوسوسة الدعاء إلى أمر بصوت خفى كالهنيمه و الخشخشه قال رؤبه:

وسوس يدعو مخلصا رب الفلق سرا و قد أون تأوين العقق

تسمع للحلى وسواسا إذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل

و الإبداء الإظهار و هو جعل الشىء على صفه ما يصح أن يدرك و ضده الإخفاء و كل شىء أزيل عنه الساتر فقد أبدى و الموارد جعل الشىء وراء ما يستره و مثله المساتره و ضده المكاشفه و لم يهمز و ورى لأن الثانيه يده و لو لا ذلك لوجب همز الواو المضمومه و السواه الفرج لأنه يسوء صاحبه إظهاره و أصل القسم من القسمه قال أعشى بنى ثعلبه:

رضيى لبان ثدى أم تقاسما بأسحم داج عوض لا تفرق

و المقاسمه لا تكون إلا بين اثنين و القسم كان من إبليس لا من آدم فهو من باب عاقبت اللص و طارقت النعل و عافاه الله و قيل إن فى جميع ذلك معنى المقابله فالمعاقبه مقابله بالجزاء و كذلك المعافاه مقابله المرض بالسلامه و كذلك المقاسمه مقابله فى المنازعه باليمين و النصح نقيض الغش يقال نصحته أنصحته و هو إخلاص الفاعل ضميره فيما يظهر من عمله.

الإعراب

«لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ» اللام الأولى لام الابتداء و الثانيه لام القسم و من للشرط و هو فى موضع رفع بالابتداء و لا يجوز أن يكون هنا بمعنى الذى لأنها لا تقلب الماضى إلى الاستقبال و حذف الجزاء فى قوله «لَمَنْ تَبِعَكَ» لأن جواب القسم أولى بالذكر من حيث أنه فى صدر الكلام و لو كان القسم فى حشو الكلام لكان الجزاء أحق بالذكر من جواب القسم كقولك إن تأتى و الله أكرمك و يجوز أن تقول و الله لمن جاءك أضربه بمعنى لا أضربه و لم يجرز بمعنى لأضربه كما يجوز و الله أضرب زيدا لا أضرب و لا- يجوز بمعنى لأضربن لأن الإيجاب لا بد فيه من نون التأكيد مع اللام و إنما قال منكم على التغليب للخطاب على الغيبه و المعنى لأملأن جهنم منك و ممن تبعك منهم كما قاله فى موضع آخر و قوله «إِلَّا أَنْ تَكُونَا» تقديره إلا كراهه أن تكونا ملكين فحذف المضاف فهو فى موضع نصب بأنه مفعول له و قيل إن تقديره لأن لا تكونا ملكين فحذف لا و الأول الصحيح و قوله «إِنِّي لَكُما لَمِنَ النَّاصِحِينَ»

تقديره إني لكما ناصح ثم فسر ذلك بقوله «لِمَنْ النَّاصِحِينَ» و لا يكون قوله «لَكَمَا» متعلقا بالناصحين لأن ما فى الصلّه لا يجوز أن يتقدم على الموصول و مثله قوله وَ أَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ تقديره و أنا على ذلكم شاهد و بينه بقوله مِنَ الشَّاهِدِينَ.

المعنى

ثم بين سبحانه ما فعله إبليس من الإهانه و الإذلال و ما أتاه آدم من الإكرام و الإجلال بقوله «قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا» أى من الجنة أو من السماء أو من المنزله الرفيعه «مَيْدُومًا» أى مذمومًا عن ابن زيد و قيل معيبًا عن المبرد و قيل مهانا لعينا عن ابن عباس و قتاده «مَيْدُورًا» أى مطرودًا عن مجاهد و السدى «لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ» أى من بنى آدم معناه من أطاعك و اقتدى بك من بنى آدم «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ» أى منك و من ذريتك و كفار بنى آدم «أَجْمَعِينَ» و إنما جمعهم فى الخطاب لأنه لا يكون فى جهنم إلا إبليس و حزبه من الشياطين و كفار الإنس و ضلالهم الذين انقادوا له و تركوا أمر الله لاتباعه «وَايَا آدَمَ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ» هذا أمر بالسكنى دون السكون و إنما لم يقل و زوجتك لأن الإضافة إليه قد أعنت عن ذكره و أبانت عن معناه فكان الحذف أحسن لما فيه من الإيجاز من غير إخلال بالمعنى «فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا» أباح سبحانه لهما أن يأكلا من حيث شاءا و أين شاءا و ما شاء «وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ» بالأكل «فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ» أى من الباخسين نفوسهم الثواب العظيم و قد مضى تفسير هذه الآيه مشروحا فى سوره البقره «فَوَسْوَسَ لَهُمَا» أى لآدم و حواء «الشَّيْطَانُ» الفرق بين وسوس إليه و وسوس له أن معنى وسوس إليه أنه ألقى إلى قلبه المعنى بصوت خفى و معنى وسوس له أنه أوهمه النصيحة له فى ذلك «لِيُبْدِيَ لَهُمَا» أى ليظهر لهما «مَا وُورِيَ» أى ستر «عَنْهُمَا مِنْ سَوَآتِهِمَا» أى عوراتهما و هذا الظاهر يوجب أن يكون إبليس علم أن من أكل من هذه الشجره بدت عورته و أن من بدت عورته لا- يترك فى الجنة فاحتال فى إخراجهما منها بالوسوسه «وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ» أى عن أكل هذه الشجره «إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ» و المعنى أنه أوهمهما أنهما إذا أكلا من هذه الشجره تغيرت صورتها إلى صوره الملك و أن الله تعالى قد حكم بذلك و بأن لا تبديد حياتهما إذا أكلا منها و روى عن يحيى بن أبى كثير أنه قرأ ملكين بكسر اللام قال الزجاج قوله هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَ مُلْكِكَ لا يَبْلَى بدل على الملكين و أحبسه قد قرأ به و يحتمل أن يكون المراد بقوله «إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ» أنه أوهمهما أن المنهى عن تناول الشجره الملائكه خاصه و الخالدين دونهما فيكون كما يقول أحدنا لغيره ما نهيت

عن كذا إلا- أن تكون فلانا و إنما يريد أن المنهى إنما هو فلان دونك و هذا المعنى أوكد فى الشبهه و اللبس عليهما ذكره المرتضى قدس الله روحه «وَ قَاسَمَهُمَا» أى و حلف لهما بالله تعالى حتى خدعهما عن قتاده «إِنِّي لَكُما لَمِنَ النَّاصِحِينَ» أى المخلصين النصيحة فى دعائكما إلى التناول من هذه الشجره و لذلك تأكدت الشبهه عندهما إذ ظنا أن أحدا لا يقدم على اليمين بالله تعالى إلا صادقاً فدعاهما ذلك إلى تناول الشجره و استدل جماعه من المعتزله بقوله «إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ» على أن الملائكه أفضل من الأنبياء قالوا لأن إبليس رغبهما بالتناول من الشجره فى منزله الملائكه حتى تناولا و لا يجوز أن يرغب عاقل فى أن يكون على منزله دون منزلته فيحمله ذلك على معصيه الله و أجاب عنه المرتضى بأن قال ما أنكرتم أن تكون الآيه محموله على الوجه الثانى الذى ذكرناه دون أن يكون معناها أن ينقلبا إلى صفه الملائكه و إذا كانت الآيه محتمله لما ذكروه و أيضا فمما يرفع هذه الشبهه أن يقال ما أنكرتم أن يكونا رغباً فى أن ينقلبا إلى صفه الملائكه و خلقتهم لما رغبهما إبليس فى ذلك و لا تدل هذه الرغبه على أن الملائكه أفضل منهما فإن الثواب إنما يستحق على الطاعات دون الصور و الهيئات و لا يمتنع أن يكونا رغباً فى صور الملائكه و هيأتها و لا- يكون ذلك رغبه فى الثواب و لا الفضل ألا ترى أنهما رغباً فى أن يكونا من الخالدين و ليس الخلود مما يقتضى مزيه فى الثواب و لا الفضل.

إشاره

فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِمَا عَنِّيهِمَا مِنْ وَّرَقِ الْجَنَّةِ وَ نَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أ لَمْ أَنهَكُمَا عَن تَلَکُمَا الشَّجَرَةَ وَ أَقُل لَّکُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَکُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٢) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَ إِن لَّم تَغْفِرْ لَنَا وَ تَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) قَالَ اهْبُطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ لَكُمْ فِی الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٢٤) قَالَ فِیهَا تَحْيُوتٌ وَ فِیهَا تَمُوتُونَ وَ مِنْهَا تُخْرَجُونَ (٢٥)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم تخرجون بفتح التاء هاهنا و في الروم و الزخرف و الجاثية لا- يُخْرَجُونَ مِنْهَا* بفتح الياء و وافقهم يعقوب و سهل هاهنا و ابن ذكوان هاهنا و في الزخرف و قرأ الباقون جميع ذلك بضم التاء و الياء.

الحج

من قرأ بالفتح فحجته اتفاق الجميع في قوله إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون بفتح التاء و قوله إلى ربهم ينسألون يؤيده أيضا قوله كما يداكم تعودون و من قرأ بالضم فحجته قوله أ يعدكم أنكم إذا متتم و كنتم ترابا و عظاما أنكم مخرجون و قوله كذلك نخرج الموتى.

اللغة

دلاهما قيل أصله من تدليه الدلو و هو أن ترسلها في البئر و الغرور إظهار النصح مع إبطان الغش و أصل الغرطى الثواب يقال اطوه على غره أى على كسر طيه فالغرور بمنزلته لما فيه من إظهار حال و إخفاء حال و طفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل و مثله ظل يفعل و ابتداء يفعل و أخذ يفعل و الخصف أصله الضم و الجمع و منه خصف النعل و المخصف المثقب الذى يخصف به النعل و منه

قول النبي ص لكنه خاصف النعل في الحجره

يعنى عليا (عليه السلام) و الإخفاف سرعه العدو لأنه يقطعه بسرعه و البعض هو أحد قسمى العده فأحد قسمى العشره بعضها واحد قسمى الاثنتين كذلك و لا بعض للواحد لأنه لا ينقسم قال على بن عيسى العدو هو النائي بنصرته فى وقت الحاجه إلى معونته و الولى هو الدانى بنصرته فى وقت الحاجه إليها، و المستقر هو موضع الاستقرار و هو أيضا الاستقرار بعينه لأن المصدر يجىء على وزن المفعول و المتاع الانتفاع بما فيه عاجل استلذاذ و الحين الوقت قصيرا كان أو طويلا إلا أنه استعمل هنا على طول الوقت و ليس بأصل فيه.

المعنى

«فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ» أى أوقعهما فى المكروه بأن غرهما بيمينه و قيل معناه دلاههما من الجنة إلى الأرض و قيل معناه خذلهما و خلاهما من قولهم تدلى من الجبل أو السطح إذ أنزل إلى جهة السفلى عن أبى عبيده أى حطهما عن درجتها بغروره «فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ» أى ابتداء بالأكل و نالا منها شيئاً يسيراً و لذلك أتى بلفظه ذاقا عبارته عن أنهما تناولا شيئاً قليلاً من ثمره الشجره على خوف شديد لأن الذوق ابتداء الأكل و الشرب ليعرف الطعم و فى هذا دلالة على أن ذوق الشىء المحرم يوجب الذم فكيف استيفاؤه و قضاء الوطر منه «بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا» أى ظهرت لهما عوراتهما ظهر لكل واحد منهما عوره صاحبه قال

الكلبي فلما أكلا- منها تهافت لباسهما عنهما فأبصر كل واحد منهما سواه صاحبه فاستحيا «وَطَفِقَا يَخْصِمَا فَانِ غَلِيظًا مِنَ رِجِّ الْجَنَّةِ» أى أخذوا يجعلان ورقه على ورقه ليسترا سواتهما عن الزجاج وقيل معناه جعلوا يرقعان و يصلان عليهما من ورق الجنة و هو ورق التين حتى صار كهيئته الثوب عن قتاده و هذا إنما كان لأن المصلحه اقتضت إخراجهما من الجنة و إهباطهما إلى الأرض لا على وجه العقوبه فإن الأنبياء لا يستحقون العقوبه و قد مضى الكلام فيه فى سورة البقره «وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ» أى من تلك الشجره لكنه لما خاطب اثنين قال تلكما و الكاف حرف الخطاب «وَأَقْبَلَ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ» ظاهر المعنى «قالا» أى قال آدم و حواء لما عاتبهما الله سبحانه و وبخهما على ارتكاب النهى عنه «رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا» و معناه بخسناها الثواب بترك المندوب إليه فالظلم هو النقص و من ذهب إلى أنهم فعلا- صغيره فإنه يحمل الظلم على تنقيص الثواب إذا كانت الصغيره عنده تنقص من ثواب الطاعات فأما من قال إن الصغيره تقع مكفره من غير أن تنقص من ثواب فاعلمها شيئاً فلا يتصور هذا المعنى عنده و لا يثبت فى الآيه فائده و لا خلاف أن حواء و آدم لم يستحقا العقاب و إنما قال ذلك لأن من جل فى الدين قدمه كثر على يسير الزلل ندمه و قيل معناه ظلمنا أنفسنا بالنزول إلى الأرض و مفارقه العيش الرغد «وَأِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا» معناه و إن لم تستر علينا لأن المغفره هى الستر على ما تقدم بيانه «وَتَرْحَمْنَا» أى و لم تفضل علينا بنعمتك التى يتم بها ما فوتناه نفوسنا من الثواب و بضروب فضلك «لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» أى من جمله من خسر و لم يربح و الإنسان يصح أن يظلم نفسه بأن يدخل عليها ضرراً غير مستحق فلا يدفع عنها ضرراً أعظم منه و لا يجتلب به منفعه توفى عليه و لا يصح أن يكون معاقباً لنفسه «قَالَ اهْبُطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ» قد مر تفسيره فى سورة البقره «قَالَ» الله تعالى «فِيهَا تَحْيَوْنَ» أى فى الأرض تعيشون «وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَ مِنْهَا تُخْرَجُونَ» عند البعث يوم القيامه قال الجبائى فى الآيه دلالة على أن الله سبحانه يخرج العباد يوم القيامه من هذه الأرض التى حيوا فيها بعد موتهم و أنه يفنيها بعد أن يخرج العباد منها فى يوم الحشر و إذا أراد إفناءها زجرهم عنها زجره فيصيرون إلى أرض أخرى يقال لها الساهره و تفنى هذه كما قال فإذا هم بالساهره.

إشاره

يا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَ لِبَاسَ التَّقْوَى ذَلِكُمْ خَيْرٌ ذَلِكُمْ مِنَ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ (٢٦) يا بَنِي آدَمَ لا- يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ (٢٧) وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَحَيْدُنَا عَلَيْهَا آبَاءُنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ (٢٨)

القراءة

قرأ أهل المدينة و ابن عامر و الكسائي و لباس بالنصب و الباقون بالرفع.

الحجج

قال أبو علي أما النصب فلأنه حمل على أنزل أى أنزلنا عليكم لباسا و لباس التقوى و قوله «ذَلِكَ» على هذا مبتدأ و خبره «خَيْرٌ» و من رفع فقال «وَ لِبَاسَ التَّقْوَى» قطع اللباس من الأول و استأنف به فجعله مبتدأ و ذلك صفة أو بدل أو عطف بيان و من قال إن ذلك لغو لم يكن على قوله دلالة لأنه يجوز أن يكون على أحد ما ذكرنا و خير خبر اللباس و المعنى لباس التقوى خير لصاحبه إذا أخذ به و أقرب له إلى الله تعالى مما خلق له من اللباس و الرياش الذى يتجمل به و أضيف اللباس إلى التقوى كما أضيف فى قوله فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ إلى الجوع و الخوف.

اللغة

اللباس كل ما يصلح للبس من ثوب أو غيره من نحو الدرع و ما يغشى به البيت من نطع أو كسوه و أصله المصدر تقول لبسه يلبسه و لباسا و لبسا بكسر اللام قال الشاعر:

فلما كشفن اللبس عنه مسحنه بأطراف طفل زان غيلا موشما

و الغيل الساعد الريان الممتلىء و الريش و الأثاث متاع البيت من فراش أو دثار و قيل الريش ما فيه الجمال و منه ريش الطائر و قيل أنه المصدر من راشه يريشه ريشا و أنشد سيويه:

ريشى منكم و هواى معكم و إن كانت زيارتكم لماما

قال الزجاج الريش كل ما يستر الرجل فى جسمه و معيشته يقال تريش فلان أى صار له ما يعيش به و تقول العرب أعطيته رجلا يريشه أى بكسوته و قال أبو عبيده الريش و الرياش ما ظهر من اللباس و الفتنة الابتلاء و الامتحان يقال فتنت الذهب بالنار امتحنته و قلب فاتن أى مفتون قال الشاعر:

رخيم الكلام قطع القيام أمسى فؤادى بها فاتنا

القبيل الجماعه من قبائل شتى فإذا كانوا من أب و أم واحد فهم قبيله.

المعنى

لما ذكر سبحانه نعمته على بنى آدم فى تبوئه الدار و المستقر عقبه بذكر النعمة فى الملابس و الستر فقال «يا بَنِي آدَمَ» و هو خطاب عام لجميع أهل الأزمنه من المكلفين كما يوصى الإنسان ولده و ولد ولده بتقوى الله و يجوز خطاب المعدوم إذا كان من المعلوم أنه سيوجد و يتكامل فيه شروط التكليف «قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا» قيل إنه أنزل ذلك مع آدم و حواء حين أمرا بالانهباط عن الجبائى و هو الظاهر و قيل معناه أنه ينبت بالمطر الذى ينزل من السماء عن الحسن و قيل لأن البركات ينسب إلى أنها تأتي من السماء كقوله وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ عَنْ عَلَى بْنِ عيسى و قيل معنى أنزلنا عليكم أعطيناكم و وهبنا لكم و كل ما أعطاه الله تعالى لعبده فقد أنزله عليه ليس أن هناك علوا و سفلا و لكنه يجرى مجرى التعظيم كما يقال رفعت حاجتى إلى فلان و رفعت قضيتى إلى الأمير عن أبى مسلم و قيل معناه خلقنا لكم كما قال وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ عَنْ أبى على الفارسى «يُوارى سَوَاتِكُمْ» أى يستر عوراتكم «و ريشاً» أى أثاثا مما تحتاجون إليه و قيل مالا عن ابن عباس و مجاهد و السدى و قيل جمالا عن ابن زيد و قيل خصبا و معاشا عن الأخفش و قيل خيرا و كل ما قاله المفسرون فإنه يدخل فيه إلا أن كلا منهم خص بعض الخير

بالذكر «وَلِبَاسُ التَّقْوَى» هو العمل الصالح عن ابن عباس وقيل هو الحياء الذى يكسيكم التقوى عن الحسن وقيل هو ثياب النسك والتواضع إذا اقتصر عليه كلباس الصوف والخشن من الثياب عن الجبائي وقيل هو لباس الحرب والدرع والمغفر والآلات التى يتقى بها من العدو عن زيد بن على بن الحسين (عليه السلام) وأبى مسلم وقيل هو خشية الله تعالى عن عروه بن الزبير وقيل هو ستر العوره يتقى الله فيوارى عورته عن ابن زيد وقيل هو الإيمان عن قتاده والسدى ولا مانع من حمل ذلك على الجميع «ذَلِكَ خَيْرٌ» أى لباس التقوى خير من جميع ما يلبس «ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ» أى ذلك الذى خلقه الله وأنزله من حجج الله التى تدل على توحيده «لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ» معناه لكى يتفكروا فيها فيؤمنوا بالله و يصيروا إلى طاعته و ينتهوا عن معاصيه ثم خاطبهم سبحانه مره أخرى فقال «يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ» أى لا يضلنكم عن الدين ولا يصرفنكم عن الحق بأن يدعوكم إلى المعاصى التى تميل إليها النفوس و إنما صح أن ينهى الإنسان بصيغه النهى للشيطان لأنه أبلغ فى التحذير من حيث يقتضى أنه يطلبنا بالمكروه و يقصدنا بالعداوه فالنهي له يدخل فيه النهى لنا عن ترك التحذير منه «كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ» نسب الإخراج إليه لما كان بإغوائه و إن كان خروجهما بأمر الله تعالى و جرى ذلك مجرى ذمه لفرعون بأنه يذبح أبناءهم و إنما أمر بذلك و تحقيق الذم فيها راجع إلى فعل المذموم و لكنه يذكر بهذه الصفة لبيان منزلته فعله فى عظم الفاحشه «يَنْزِعُ عَنْهُمَا» عند وسوسته و دعائه لهما «لِبَاسِيَهُمَا» من ثياب الجنه و قيل كان لباسهما الظفر عن ابن عباس أى كان شبه الظفر و على خلقته و قيل كان لباسهما نورا عن وهب بن منبه «لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا» عوراتهما «إِنَّهُ» يعنى الشيطان «يَرَاكُمْ هُوَ وَ قَبِيلُهُ» أى نسله عن الحسن و ابن زيد يدل عليه قوله «أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي» و قيل جنوده و أتباعه من الجن و الشياطين «مَنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ» قال ابن عباس إن الله تعالى جعلهم يجرون من بنى آدم مجرى الدم و صدور بنى آدم مساكن لهم كما قال الذى يوشوس فى صدور الناس فهم يرون بنى آدم و بنو آدم لا يرونهم قال قتاده و الله إن عدوا يراكم من حيث لا تراه لشديد المئونته إلا من عصم الله و إنما قال ذلك لأننا إذا كنا لا نراهم لم نعرف قصدهم لنا بالكيد و الإغواء فينبغى أن نكون على حذر فيما نجده فى أنفسنا من الوسوس خيفه أن يكون ذلك من الشيطان و إنما لا يراهم البشر لأن أجسامهم شفافة لطيفه تحتاج رؤيتها إلى فضل شعاع و قال أبو الهذيل و أبو بكر بن الإخشيد يجوز أن يمكنهم الله تعالى فينكشفوا فيراهم حينئذ من يحضرهم و إليه ذهب على بن عيسى و قال إنهم ممكنون من ذلك و هو الذى نصره

الشيخ المفيد أبو عبد الله رحمه الله قال الشيخ أبو جعفر قدس الله روحه و هو الأقوى عندى و قال الجبائى لا يجوز أن يرى الشياطين و الجن لأن الله عز اسمه قال «لا- تَرَوْنَهُمْ» و إنما يجوز أن يروا فى زمن الأنبياء بأن يكشف الله أجسادهم على الأنبياء كما يجوز أن يرى الناس الملائكة فى زمن الأنبياء «إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا- يُؤْمِنُونَ» أى حكمنا بذلك لأنهم يتناصرون على الباطل كما قال وَ جَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِاثًا أَى حكموا بذلك حكما باطلا و إنما خص الذين لا- يؤمنون تنبيها على أنهم مع اجتهادهم لا- يتمكنون من خيار المؤمنين المتيقظين منهم و إنما يتمكنون من الكفره و الجهال و الفسقه الإغفال «وَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً» كنى به عن المشركين الذين كانوا يبدون سواآتهم فى طوافهم فكان يطوف الرجال و النساء عراه يقولون نطوف كما ولدتنا أمهاتنا و لا نطوف فى الثياب التى قارفنا فيها الذنوب و هم الحمس قال الفراء كانوا يعملون شيئا من سيور مقطعه يشدونهم على حقويهم يسمى حوفا و إن عمل من صوف يسمى رهطا و كانت تضع المرأه على قبلها النسعه فتقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله و ما بدا منه فلا أحله

يعنى الفرج لأن ذلك يستر سترأ تاما و فى الآيه حذف تقديره و إذا فعلوا فاحشه فنهوا عنها «قَالُوا وَ جَدْنَا عَلَيْهَا آباءنا» قيل و من أين أخذها آباؤكم قالوا «اللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا» أخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار أنهم إذا فعلوا ما يعظم قبحه اعتذروا لنفوسهم إنا وجدنا آباءنا يفعلونها و أن آباءهم فعلوا ذلك من قبل الله و قال الحسن إنهم كانوا أهل إجبار فقالوا لو كره الله ما نحن عليه لنقلنا عنه فلهذا قالوا «وَ اللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا» فرد الله سبحانه عليهم قولهم بأن قال «إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ» ثم أنكر عليهم من وجه آخر فقال «أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ ما لا- تَعْلَمُونَ» لأنهم إن قالوا لا لنقضوا مذهبهم و إن قالوا نعم افتضحوا فى قولهم قال الزجاج «أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ» معناه أ تكذبون عليه.

إشارة

قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩) فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (٣٠)

اللغة

أصل القسط العدل فإذا كان إلى جهة الحق فهو عدل و منه قوله إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ* وإذا كان إلى جهة الباطل فهو جور و منه قوله وَ أَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا و أصل الإخلاص إخراج كل شائب من الجنس و منه إخلاص الدين لله و هو توجيه العبادة إليه خالصا دون غيره و البداء فعل الشئ ء أول مره و العود فعله ثانی مره و قد يكون فعل أول خصله منه بدء كبدء الصلاة و بدء القراءة و بدأ و أبدأ لغتان و الفريق جماعه انفصلت من جماعه و الاتخاذ افتعال من الأخذ بمعنى إعداد الشئ ء لأمر من الأمور و الحسابان بمعنى الظن و هو ما قوى عند الظان كون المظنون على ما ظنه مع تجويزه أن يكون على غيره فبالقوه يتميز من اعتقاد التقليد و التبخيت و بالتجويز يتميز من العلم لأن مع العلم القطع.

الإعراب

«وَأَقِيمُوا» عطف على ما تقدم من قوله لا يُفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ فتقديره احذروا الشيطان و أقيموا وجوهكم عن أبي مسلم و قيل إن تقديره أمر ربي بالقسط و قل أقيموا و قوله «كَمَا يَدَأُكُمْ» قال أبو على الفارسي تقديره كما بدأ خلقكم ثم حذف المضاف و «تَعُودُونَ» معناه و يعود خلقكم ثم حذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه فصار المخاطبون فاعلين و «فَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ» نصبه ليعطف فعلا على فعل و تقديره و فريقا أضل فأضمر أضل لأنه قد فسره ما بعده فأغنى عن ذكره و نظيره قوله يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَ الظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا و قال الفراء فريقا منصوب على الحال من تعودون و فريقا الثاني عطف عليه و لو رفع على تقدير أحدهما كذا و الآخر كذا لجاز كما قال قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ التَّوَقَّاتِ فِيهِمَا تَقَاتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ أُخْرَىٰ كَافِرَةٌ.

المعنى

لما بين سبحانه أنه لا- يأمر بالفحشاء و هو اسم جامع للقبائح و السيئات عقبه بيان ما يأمر به من القسط و هو اسم جامع لجميع الخيرات فقال «قُلْ» يا محمد «أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ» أى بالعدل و الاستقامة عن مجاهد و السدى و أكثر المفسرين و قيل بالتوحيد عن الضحاك و قيل بلا إله إلا الله عن ابن عباس و قيل بجميع الطاعات و القرب عن أبي مسلم «وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ» قيل فيه وجوه (أحدها) أن معناه توجهوا إلى قبله كل مسجد فى الصلاة على استقامه عن مجاهد و السدى و ابن زيد (و ثانيها) أن معناه أقيموا

وجوهكم إلى الجبهه التي أمركم الله بالتوجه إليها في صلاتكم و هي الكعبه و المراد بالمسجد أوقات السجود و هي أوقات الصلاه عن الجبائى و غيره (و ثالثها) أن المراد إذا أدركتم الصلاه فى مسجد فصلوا و لا تقولوا حتى أرجع إلى مسجدى و المراد بالمسجد موضع السجود عن الفراء و هو اختيار المغربى (و رابعها) إن معناه قصدوا المسجد فى وقت كل صلاه أمر بالجماعه لها ندبا عند الأكثرين و حتما عند الأقلين (و خامسها) أن معناه أخلصوا وجوهكم لله تعالى فى الطاعه فلا تشاركوا به و ثنا و لا غيره عن الربيع «و اذعوه مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» و هذا أمر بالدعاء و التضرع إليه سبحانه على وجه الإخلاص أى ارغبوا إليه فى الدعاء بعد إخلاصكم له الدين و قيل معناه و اعبدوه مخلصين له الدين «كَمَا يَدَّأَكُم تَعُودُونَ» قيل فى وجه اتصاله بما قبله و جوه (أحدها) أن معناه و ادعوه مخلصين فإنكم مبعوثون و مجازون و إن بعد ذلك فى عقولكم فاعتبروا بالابتداء و اعلموا أنه كما بدأكم فى الخلق الأول فإنه يبعثكم فتعودون إليه فى الخلق الثانى (و ثانيها) أنه يتصل بقوله فيها تَحْيُونََ وَ فِيهَا تَمُوتُونََ وَ مِنْهَا تُخْرَجُونََ فقال «كَمَا يَدَّأَكُم تَعُودُونَ» أى فليس بعثكم بأشد من ابتداءكم عن الزجاج قال و إنما ذكره على وجه الحجاج عليهم لأنهم كانوا لا يقرون بالبعث (و ثالثها) أنه كلام مستأنف أى يعيدكم بعد الموت فيجازيكم عن أبى مسلم قال قتاده بدأكم من التراب و إليه تعودون كما قال مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَ فِيهَا نُعِيدُكُمْ وَ قِيلَ معناه كما بدأكم لا تملكون شيئاً كذلك تبعثون يوم القيامه و

يروى عن النبى ص أنه قال تحشرون يوم القيامه عراه حفاه غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا أنا كنا فاعلين

و قيل معناه تبعثون على ما متم عليه، المؤمن على إيمانه و الكافر على كفره عن ابن عباس و جابر «فَرِيقًا» أى جماعه «هَيْدَى» أى حكم لهم بالاهتداء بقبولهم للهدى أو لطف لهم بما اهتموا عنده أو هداهم إلى طريق الثواب كما تكرر بيانه فى مواضع «وَ فَرِيقًا حَقًّا» أى و جب «عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ» إذا لم يقبلوا الهدى أو حق عليهم الخذلان لأنه لم يكن لهم لطف ينشرح له صدورهم أو حق عليهم العذاب و الهلاك بكفرهم و يؤيد هذا القول الأخير أنه سبحانه ذكر الهدى و الضلال بعد العود و البعث ثم قال «إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» بين سبحانه أنه لم يبدأهم بالعقوبه و لكن جازاهم على عصيانهم و اتباعهم الشيطان و إنما اتخذوهم أولياء بطاعتهم لهم فيما دعوهم إليه «وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ» و معناه و هم مع ذلك يظنون أنهم فى ذلك على هدايه و حق.

إشارة

يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَن زِينَةُ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢)

القراءة

قرأ نافع وحده خالصة بالرفع و الباكون بالنصب.

الحجج

قال أبو علي من رفعه جعله خبر المبتدأ الذي هو «هي» و يكون «لِلَّذِينَ آمَنُوا» تبيينا للخصوص و لا شىء فيه على هذا و من قال هذا حلو حامض أمكن أن يكون «لِلَّذِينَ آمَنُوا» خبرا و خالصة خبر آخر و من نصب «خالصة» كان حالا- مما فى قوله «لِلَّذِينَ آمَنُوا» ألا- ترى أن فيه ذكرا يعود إلى المبتدأ الذى هو هى فخالصة حال عن ذلك الذكر و العامل فى الحال ما فى اللام من معنى الفعل و حجه من رفع أن المعنى هى تخلص للذين آمنوا يوم القيامة و إن شركهم فيها غيرهم من الكافرين فى الدنيا و من نصب فالمعنى عنده ثابتة للذين آمنوا فى حال خلوصها يوم القيامة لهم و انتصاب «خالصة» على الحال أشبه بقوله «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ آخِذِينَ» و نحو ذلك مما انتصب الاسم فيه على الحال بعد الابتداء و خبره و ما يجرى مجراه إذا كان فيه معنى فعل قال الزجاج من نصب «خالصة» فهو حال على أن العامل فى قولك «فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» فى تأويل الحال كأنك تقول هى ثابتة للمؤمنين مستقره فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة قال أبو علي قوله «فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» يحتمل ثلاثة أضرب (أحدها) أن يكون قل هى فى الحياة الدنيا للذين آمنوا خالصة على أن يكون خبر هى قوله «لِلَّذِينَ آمَنُوا» و يكون «فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» ظرفا و العامل فيه الظرف الذى هو قوله «لِلَّذِينَ آمَنُوا» و التقدير هى فى الحياة الدنيا للمؤمنين مقدار خلوصها يوم القيامة ففى هذا الوجه يجوز تقديرها مقدمه على اللام الجاره لأنه ظرف للذين آمنوا و الظروف و إن كان العامل فيها المعانى فإن تقديمها عليها جائز و إن لم يجز ذلك فى الأحوال و يحتمل أن يكون قوله «فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» متصلا بالصلة التى هى «آمَنُوا» و هى العاملة فيه و المعنى هى للذين آمنوا فى حياتهم أى للذين آمنوا و لم

يكفروا فيها خالصه فموضع فى على هذا نصب بآمنوا و يجوز أن يكون «فى الحياه الدُنْيا» فى موضع حال و صاحب الحال هو هى و العامل فى الحال معنى الفعل و هو قوله «لِلَّذِينَ آمَنُوا» و المعنى قل هى لهم مستقره فى الحياه الدنيا خالصه يوم القيامة و لا يجوز فى هذا الوجه و لا فى الوجه الذى قبله تقدير تقديم «فى الحياه» على قوله «لِلَّذِينَ آمَنُوا» أما فى الوجه الأول فلأن قوله «فى الحياه» صله الذين و لا يجوز تقديم الصله على الموصول و أما فى الوجه الآخر فلأنه فى موضع الحال و الحال لا يجوز تقديمها إذا كان العامل فيها معنى الفعل و هذا الوجه الثالث ذكره أبو إسحاق و أما قراءة من قرأ «خالِصَةً» بالنصب جعله منصوبا على الحال على أن العامل فى قوله «فى الحياه الدُنْيا» على تأويل الحال إلى آخر كلامه فينبغى أن تعلم أن من نصب «خالِصَةً» فى قراءة جاز أن يكون «فى الحياه الدُنْيا» ظرفا للذين آمنوا و العامل فيه معنى الفعل و جاز أن يكون متعلقا بآمنوا و ظرفا له و جاز أن يكون فى موضع الحال كما ذكر فالوجهان الأولان لا يحتاج معهما إلى تقدير شىء حتى تعلقه بما قبل أما إذا كان ظرفا للأمر الجاره فمعنى الفعل يعمل فيه كما تقول لك ثوب كل يوم و إذا كان من الصله فنفس الفعل الظاهر يعمل فيه فأما إذا جعلته حالا فإنه ينبغى أن تقدر فعلا و أو اسم فاعل يكون فى موضع الحال و يكون فى الحياه متعلقا به و لا يوهمنك قول أبى إسحاق الذى ذكرناه أنه يلزم أن يقدر قوله «فى الحياه الدُنْيا» فى تقدير الحال لا- غير إذا جعلت خالصه منصوبا على الحال فإن الوجهين الآخرين كل واحد منهما مع نصب «خالِصَةً» على الحال سائغ جائز.

المعنى

لما تقدم ذكر ما أنعم الله سبحانه على عباده من اللباس و الرزق أمرهم فى أثرها بتناول الزينه و التستر و الاقتصاد فى المأكل و المشرب فقال «يا بَنِي آدَمَ» و هو خطاب لسائر المكلفين

«خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ» أى خذوا ثيابكم التى تزينون بها للصلاه فى الجمعات و الأعياد عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام)

و قيل عند كل صلاه

روى العياشى بإسناده أن الحسن بن على ع كان إذا قام إلى الصلاه لبس أجود ثيابه ف قيل له يا ابن رسول الله لم تلبس أجود ثيابك فقال إن الله جميل يحب الجمال فأتجمل لربى و هو يقول «خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ» فأحب أن ألبس أجود ثيابى

و قيل معناه خذوا ما تسترون به عوراتكم و إنما قال ذلك لأنهم كانوا يتعرون من ثيابهم للطواف على ما تقدم بيانه و كان يطوف الرجال بالنهار و النساء بالليل فأمرنا بلبس الثياب فى الصلاه و الطواف عن جماعه من المفسرين و

قيل إن أخذ الزينه هو التمشط عند كل صلاه روى ذلك عن الصادق (عليه السلام)

«وَكُلُوا وَاشْرَبُوا»

صورته صورته الأمر و المراد الإباحه و هو عام فى جميع المباحات «وَلَا تُسْرِفُوا» أى لا تجاوزوا الحلال إلى الحرام قال مجاهد لو أنفقت مثل أحد فى طاعه الله لم تكن مسرفا و لو أنفقت درهما أو مدا فى معصيه الله لكان إسرافا و قيل معناه لا تخرجوا عن حد الاستواء فى زياده المقدار و قد حكى أن الرشيد كان له طيب نصرانى حاذق فقال ذات يوم لعلى بن الحسين بن واقد ليس فى كتابكم من علم الطب شىء و العلم علمان علم الأديان و علم الأبدان فقال له على قد جمع الله الطب كله فى نصف آيه من كتابه و هو قوله «كُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لَا تُسْرِفُوا» و جمع نبينا ص الطب فى

قوله المعده بيت الداء و الحميه رأس كل دواء و أعط كل بدن ما عودته

فقال الطيب ما ترك كتابكم و لا نبيكم لجالينوس طب و قيل معناه و لا تأكلوا محرما و لا باطلا على وجه لا يحل و أكل الحرام و إن قل إسراف و مجاوزه للحد و ما استقبجه العقلاء و عاد بالضرر عليكم فهو أيضا إسراف لا يحل كمن يطبخ القدر بماء الورد و يطرح فيها المسك و كمن لا يملك إلا دينار فاشترى به طيبا فتطيب به و ترك عياله محتاجين «إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ» أى يبغضهم لأنه سبحانه قد ذمهم به و لو كان بمعنى لا يحبهم و لا يبغضكم لم يكن ذما و لا مدحا و لما حث الله سبحانه على تناول الزينه عند كل مسجد و ندب إليه الأكل و الشرب و نهى عن الإسراف و كان قوم من العرب يحرمون كثيرا من هذا الجنس حتى أنهم كانوا يحرمون السمون و الألبان فى الإحرام و كانوا يحرمون السوائب و البحائر أنكر عز اسمه ذلك عليهم فقال «قُلْ» يا محمد «مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ» أى من حرم الثياب التى تتزين بها الناس مما أخرجها الله من الأرض لعباده و الطيبات من الرزق قيل هى المستلذات من الرزق و قيل هى و المحللات و الأول أظهر لخلوصها يوم القيامة للمؤمنين «قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ» قال ابن عباس يعنى أن المؤمنين يشاركون المشركين فى الطيبات فى الدنيا فأكلوا من طيبات طعامهم و لبسوا من جياذ ثيابهم و نكحوا من صالح نساءهم ثم يخلص الله الطيبات فى الآخرة للذين آمنوا و ليس للمشركين فيها شىء قال الفراء مجازاه هى للذين آمنوا مشتركه فى الدنيا و هى خالصه لهم فى الآخرة و هذا معنى قول ابن عباس و قيل معناه قل هى فى الحياه الدنيا للذين آمنوا غير خالصه من الهموم و الأحزان و المشقه و هى خالصه يوم القيامة من ذلك عن الجبائى «كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ» أى كما نميز لكم الآيات و ندلكم بها على منافعكم و صلاح

دينكم كذلك نفصل الآيات «لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» و في هذه الآية دلالة على جواز لبس الثياب الفاخرة و أكل الأَطعمه الطيبه من الحلال و

روى العياشى بإسناده عن الحسين بن زيد عن عمه عمر بن على عن أبيه زين العابدين بن الحسين بن على ع أنه كان يشتري كساء الخز بخمسين دينارا فإذا أصاف تصدق به و لا يرى بذلك بأسا و يقول «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ»

الآية و

بإسناده عن يوسف بن إبراهيم قال دخلت على أبى عبد الله (عليه السلام) و عليه جبه خز و طيلسان خز فنظر إلى فقلت جعلت فداك هذا خز ما تقول فيه فقال و ما بأس بالخز قلت فسدها إبريسم قال لا بأس به فقد أصيب الحسين (عليه السلام) و عليه جبه خز ثم قال إن عبد الله بن عباس لما بعثه أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى الخوارج لبس أفضل ثيابه و تطيب بأطيب طيبه و ركب أفضل مراكبه فخرج إليهم فوافقهم قالوا يا ابن عباس بينا أنت خير الناس إذ أتيتنا فى لباس الجبابره و مراكبهم فتلا هذه الآية «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ» إلى آخرها فالبس و تجمل فإن الله جميل يحب الجمال و ليكن من حلال

و فى الآية دلالة أيضا على أن الأشياء على الإباحه لقوله «مَنْ حَرَّمَ» فالسمع ورد مؤكدا لما فى العقل.

[سوره الأعراف (٧): الآيات ٣٣ الى ٣٤]

إشارة

قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَّنَ وَ الْإِثْمَ وَ الْبَغْيَ بغيرِ الْحَقِّ وَ أَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣) وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لَا يَسْتَقْدِمُونَ (٣٤)

اللغة

التحريم هو المنع من الفعل بإقامه الدليل على وجوب تجنبه و ضده التحليل و هو الإطلاق فى الفعل بالبيان على جواز تناوله و أصل التحريم المنع من قولهم حرم فلان الرزق حرمانا فهو محروم و أحرم بالحج و حرمة الرجل زوجته و الحرمات الجنائيات و المحرم القرابه التى لا يحل تزوجها و حريم الدار ما كان من حقوقها و الفواحش جمع فاحشه و هى أقبح القبائح و هى الكبائر و البغى الاستطاله على الناس و حده طلب التروؤس بالقهر من غير حق و أصله الطلب و ينبغى كذا أى هو أولى أن يطلب و السلطان و البرهان و البيان و الفرقان

نظائر و حدودها تختلف فالبيان إظهار المعنى للنفس كإظهار نقيضه و البرهان إظهار صحه المعنى و إفساد نقيضه و الفرقان إظهار تميز المعنى مما التبس به و السلطان إظهار ما يتسلط به على نقيض المعنى بالإبطال و الأمه الجماعه التى يعمها معنى و أصلها من أمه يومه إذا قصدته فالأمه الجماعه التى على مقصد واحد و الأجل الوقت المضروب لانقضاء المهل لأن بين العقد الأول الذى يضرب لنفس الأجل و بين الوقت الآخر مهلا مثل أجل الدين و أجل الرزق و أجل الوعد و أجل العمر.

المعنى

ثم بين سبحانه المحرمات فقال «قُلْ» يا محمد «إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ» أى جميع القبائح و الكبائر عن الجبائى و أبى مسلم «ما ظَهَرَ مِنْهَا وَ ما بَطَّنَ» أى ما عُن منها و ما خفى و قد ذكرنا ما قيل فيه فى سورة الأنعام و معناه لم يحرم ربه إلا الفواحش لما قد بينا قبل أن لفظه إنما محققه لما ذكرنا فيه لما لم يذكر فذكر القبائح على الإجمال ثم فصل للبيان فقال «وَ الْإِثْمَ وَ الْبَغْيَ» فكأنه قال حرم ربه الفواحش التى منها الإثم و منها البغى و منها الإشراك بالله و قيل إن الفواحش هى الزنا و هو الذى بطن منها و التعرى فى الطواف و هو الذى ظهر منها عن مجاهد و قيل هى الطواف فما ظهر منها طواف الرجال بالنهار و ما بطن طواف النساء بالليل و الإثم قيل هو الذنوب و المعاصى عن الجبائى و قيل الإثم ما دون الحد عن الفراء و قيل الإثم الخمر عن الحسن و أنشد الأخصش:

شربت الإثم حتى ضل عقلى كذاك الإثم يذهب بالعقول

و قال آخر:

نهانا رسول الله أن نقرب الخنا و أن نشرب الإثم الذى يوجب الوزرا

و البغى الظلم و الفساد و قوله «بِغْيِرِ الْحَقِّ» تأكيد كقوله وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ و قيل قد يخرج البغى من كونه ظلما إذا كان بسبب جائز فى الشرع كالقصاص «وَ أَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ» أى و حرم الشرك بالله «ما لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا» أى لم يقم عليه حجه و كل إشراك بالله فهو بهذه الصفة ليس عليه حجه و لا برهان «وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» أى و حرم القول على الله بغير علم ثم بين تعالى ما فيه تسليه النبى ص فى تأخير عذاب الكفار فقال «وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ» أى لكل جماعه و أهل عصر وقت لاستئصالهم عن الحسن و لم يقل لكل أحد لأن

ذكر الأمه يقتضى تقارب أعمار أهل العصر و وجه آخر و هو أنه يقتضى إهلاكهم فى الدنيا بعد إقامه الحجه عليهم بإتيان الرسل و قال الجبائى المراد بالأجل هنا أجل العمر الذى هو مده الحياه و هذا أقوى لأنه يعم جميع الأمم «فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ» أى لا- يتأخرون «سَاعَةً» عن ذلك الوقت «وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ» أى لا يتقدمون ساعه على ذلك الوقت و قيل معناه لا يطلبون التأخر عن ذلك الوقت للإياس عنه و لا يطلبون التقدم عليه و معنى «جَاءَ أَجْلُهُمْ» قرب أجلهم كما يقال جاء الصيف إذا قارب وقته.

[سوره الأعراف (٧): الآيات ٣٥ الى ٣٦]

إشاره

يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَى وَ أَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٥) وَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٦)

الإعراب

«إِمَّا» أصله إن الجزاء دخلت عليه ما و لدخولها دخلت النون الثقيله فى «يَأْتِيَنَّكُمْ» و لو قال إن يأتينكم لم يجر و قد شرحنا هذا فى سوره البقره و بيناه و قال سيبويه إن حتى و أما و إلا- لا يجوز فيهن الإماله لأن هذه الألفات ألزمت الفتح لأنها أواخر حروف جاءت لمعنى ففصل بينها و بين أواخر الأسماء التى فيها الألف نحو حبلى و هدى إلا- أن حتى كتبت بالياء لأنها على أربعة أحرف فأشبهت سكرى و أما التى للتخيير شبهت بأن التى ضمت إليها ما فكتبت بالألف و إلا كتبت بالألف لأنها لو كتبت بالياء لاشبهت إلى.

المعنى

لما تقدم ذكر النعم الدينويه عقبه بذكر النعم الدينيه «يَا بَنِي آدَمَ» هو خطاب يعم جميع المكلفين من بنى آدم من جاءه الرسول منهم و من جاز أن يأتية الرسول معطوف على ما تقدم «إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ» أى إن يأتكم «رُسُلٌ مِنْكُمْ» أى من جنسكم «يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي» أى يعرضونها عليكم و يخبرونكم بها «فَمَنْ اتَّقَى» إنكار الرسل و الآيات «وَ أَصْلَحَ» عمله و قيل فمن اتقى المعاصى و اجتنبها و التقوى اسم جامع لذلك و تقديره فمن اتقى منكم و أصلح «فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ» فى الدنيا «وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ» فى الآخرة «وَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا» أى حججنا «وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْهَا» أى عن قبولها «أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ»

الملازمون لها «هُم فِيهَا خَالِدُونَ» باقون فيها على وجه الدوام والتأييد.

[سوره الأعراف (٧): آيه ٣٧]

إشارة

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمُ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (٣٧)

اللغة

النيل وصول النفع إلى العبد إذا أطلق فإن قيد وقع على الضرر لأن أصله الوصول إلى الشيء من نلت أنال نيلا قال امرؤ القيس:

سماحه ذا و بر ذا و وفاء ذا و نائل ذا إذا صحا و إذا سكر

و التوفى قبض الشيء بتمامه يقال توفيته و استوفيته.

المعنى

ثم ذكر سبحانه وعيد المكذبين فقال «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» أى لا- أحد أظلم منه صورته صورته الاستفهام و المراد به الإخبار و إنما جاء بلفظ الاستفهام ليكون أبلغ «أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ» الداله على توحيده و نبوه رسله «أُولَئِكَ يَنَالُهُمُ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ» أى من العذاب إلا- أنه كنى عن العذاب بالكتاب لأن الكتاب ورد به كقوله «لَكِنَّ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ» عن الحسن و أبى صالح و قيل معناه ينالهم نصيبهم من العمر و الرزق و ما كتب لهم من الخير و الشر فلا يقطع عنهم رزقهم بكفرهم عن الربيع و ابن زيد و قيل ينالهم جميع ما كتب لهم و عليهم عن مجاهد و عطيه «حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا» يعنى الملائكة أى حتى إذا استوفوا أرزاقهم و جاءهم ملك الموت مع أعوانه «يَتَوَفَّوْنَهُمْ» أى يقبضون أرواحهم و قيل معناه حتى إذا جاءتهم الملائكة لحشرهم يتوفونهم إلى النار يوم القيامة عن الحسن «قَالُوا» يعنى الملائكة «أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» من الأوثان و الأصنام و المراد بهذا السؤال توبيخهم أى هلا دفعوا عنكم ما نزل بكم من

العذاب «قالوا» يعنى قال الكفار «ضَلُّوا عَنَّا» أى ذهبوا عنا و افتقدناهم فلا يقدرُونَ على الدفع عنا و بطلت عبادتنا إياهم «و شَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ» أى أقرّوا على نفوسهم بالكفر.

[سوره الأعراف (٧): الآيات ٣٨ الى ٣٩]

إشاره

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتَيْهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَعَفْوَ لَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ (٣٨) وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأَخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (٣٩)

القراءة

قرأ أبو بكر لا يعلمون بالياء و الباقون بالتاء.

الحجّه

وجه القراءة بالياء أنه حمل الكلام على كل لأنه و إن كان للمخاطبين فهو اسم ظاهر موضوع للغيه فحمل على اللفظ دون المعنى.

اللغه

الخلو انتفاء الشىء عن مكانه يقال خلا عن البيت و كذلك خلت بمعنى مضت لأنها إذا مضت بالهلاك فقد خلا مكانها منها الجن جنس من الحيوان مستترون عن أعين الناس لرقتهم يغلب عليهم التمرد فى أفعالهم كما يغلب على الملك أفعال الخير، و الضعف المثل الزائد على مثله فإذا قال القائل أضعف هذا الدرهم فمعناه اجعل معه درهما آخر لا ديناراً و كذلك إذا قال أضعف الاثنين فمعناه أجعلهما أربعة و حكى أن المضعف فى كلام العرب ما كان ضعفين و المضاعف ما كان أكثر من ذلك، و اداركوا أصله تداركوا فأدغمت التاء فى الدال و اجتلب ألف الوصل ليتمكن النطق بالساكن الذى بعده و معناه تلاحقوا.

المعنى

«قَالَ ادْخُلُوا» هذه حكاية قول الله تعالى للكفار يوم القيامة و أمره لهم

ص: ٢٢٦

بالدخول و يجوز أن يكون إخباراً عن جعله إياهم في جملة أولئك من غير أن يكون هناك قول كما قال كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ و المراد أنه جعلهم كذلك «فِي أُمَّمٍ قَدْ خَلَتْ» أى فى جملة أقوام و جماعات قد مضت «مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَ الْإِنْسِ» على الكفر «فِي النَّارِ» و قيل إن " فى " بمعنى مع أى ادخلوا مع أمم كافرهم «كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ» من هذه الأمم النار «لَعَنَتْ أُخْتَهَا» يعنى التى سبقتها إلى النار و هى أختها فى الدين لا فى النسب يريد أنهم يلعنون من كان قبلهم عن ابن عباس و قيل يلعن الأتباع القادة و الرؤساء إذا حصلوا فى العذاب بعد ما كانوا يتوادون فى الدنيا يقولون أنتم أوردتمونا هذه الموارد فلعنكم الله عن أبى مسلم «حَتَّى إِذَا أَدَارَكُوا» أى تلاحقوا و اجتمعوا «فِيهَا» أى فى النار «جَمِيعاً» أى كان هذا حالهم حتى اجتمعوا فيها فلما اجتمعوا فيها «قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ» أى قالت أخراهم دخولا النار و هم الأتباع لأولاهم دخولا و هم القادة و الرؤساء «رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا» أى شرعوا لنا أن نتخذ من دونك إلهاً عن ابن عباس و قيل معناه دعونا إلى الضلال و حملونا عليه و منعونا عن اتباع الحق قال الصادق ع يعنى أئمة الجور «فَأْتَيْهِمْ عَذَاباً ضِعْفًا مِنَ النَّارِ» أى فأعطيهم عذاباً مضاعفاً قال ابن مسعود أراد بالضعف هنا الحيات و الأفاعي و قيل أراد بأحد الضعفين عذابهم على الكفر و بالآخر عذابهم على الإغواء «قَالَ» الله تعالى «لِكُلِّ ضِعْفٍ» أى للتابع و المتبوع عذاب مضاعف لأنهم قد دخلوا فى الكفر جميعاً «وَ لَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ» أيها المضلون و المضلون ما لكل فريق منكم من العذاب «وَ قَالَتْ أَوْلَاهُمْ لِأَخْرَاهُمْ» أى قال المتبوعون للتابعين «فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ» أى تفاوت فى الكفر حتى تطلبوا من الله أن يزيد فى عذابنا و ينقص من عذابكم و قيل معناه قالت الأئمة السابقة للأئمة المتأخرة ما كان لكم علينا من فضل فى الرأى و العقل و قد بلغكم ما نزل بنا من العذاب فلم اتبعتمونا و قيل من فضل أى من تخفيف من العذاب «فَسَدُّوا أَلْبَابَ مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ» من الكفر باختياركم لا باختيارنا لكم.

إشارة

إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يُلَاجِ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (٤٠) لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٤١)

القراءة

قرأ حمزه و الكسائي و خلف لا يفتح بالياء و التخفيف و قرأ أبو عمرو بالتاء و التخفيف و قرأ الباقون بالتاء و التشديد و روى فى الشواذ عن ابن عباس و سعيد بن جبير و عكرمه و مجاهد و الشعبى و ابن الشخير حتى يلج الجمل بالضم و التشديد عن سعيد بن جبير فى روايه أخرى و عبد الكريم و حنظله الجمل بالضم و التخفيف و عن ابن عباس أيضا الجمل بضم الجيم و سكون الميم و الجمل بضميتين و عن ابن السماك الجمل بفتح الجيم و سكون الميم.

الحج

حجه من قرأ «لا- تُفْتَحُ» بالتشديد قوله جَنَاتٍ عِدْنٍ مُفْتَحَةٍ لَهُمْ الْأَبْوَابُ و حجه من خفف قوله فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ و أما الجمل بالضم و التشديد و الجمل بالتخفيف و كلاهما الجبل الغليظه من القنب و قيل هو جبل السفينه و قيل الحبال المجموعه و أما الجمل فيجوز أن يكون جمع جمل فيكون مثل أسد و أسد و وثن و وثن و كذلك المضموم أيضا كأسد و وثن قال ابن جنى و أما الجمل فيبعد أن يكون مخففا من جمل لخفه الفتحة و إن كان قد جاء عنهم قوله:

و ما كل مبتاع و لو سلف صفقه يراجع ما قد فاته برداد.

اللغة

السم بفتح السين و ضمها الثقب و منه السم القاتل لأنه ينفذ بلطفه فى مسام البدن حتى يصل إلى القلب فينقض بنيته و كل ثقب فى البدن لطيف فهو سم و سم و جمعه سموم و قال الفرزدق:

فنفست عن سمية حتى تنفسا و قلت له لا تخش شيئا و رائيا

يريد بسمية ثقبى أنفه و يجمع السم القاتل سماما و الخياط و المخيط الإبره كاللحاف و الملحف و القناع و المقنع و الإزار و المئزر و القرام و المقرم ذكره الفراء و جهنم اسم من أسماء النار و اشتقاقها من الجهومه و هى الغلظ و قيل أخذ من قولهم بئر جهنم أى بعيد قعرها، و المهاد الوطاء الذى يفترش و منه مهده الصبى و قد مهدت له هذا الأمر أى وطأته له، و الغواشى جمع غاشيه و هو كل ما يغشاك أى يسترك و منه غاشيه السرج و فلان يغشى فلانا أى يأتيه و يلابسه.

الإعراب

قال أبو على للنحويين فى نحو غواشى و جوابى قولان (أحدهما) مذهب سيبويه و الخليل و هو أن الياء حذفت حذفاً لا لالتقاء الساكنين فلما حذفت الياء انتقص الاسم عن الزنه التى كان التنوين يعاقبها و لا يجتمع معها فدخلها و إنما حذفت هنا الياء لا لالتقاء

ص: ٢٢٨

الساكنين كما يحذف حرف اللين في الوقف في نحو وَ اللَّيْلِ إِذَا يَسِيرٍ وَ ذَلِكُمْ مَا كُنَّا نَعْبُدُ وَ قد حذف في الوصل أيضا و كان الذى حسن ذلك الحذف أنها قد صارت بمنزلة الحركات لأنها قد صارت عوضا منها بدلاله تعاقبها و أنها تحذف في الموضع الذى تحذف فيه الحركه فلما قوى الحذف فيها و كثر و كان هذا الجمع خارجا عن الأبنيه الأول و بائنا لزم الحذف و القول الآخر ما حدث السراج عن المبرد عن المازنى قال ينظر يونس النحوى و أبو زيد و الكسائى إلى جوارى و بابه فما كان من الصحيح لا- يلحقه التنوين لم يلحقوه فى المعتل و ما كان يلحقه فى التنوين فى الصحيح الحقوه فى المعتل قال و الذى عليه البصريون هو القول الأول.

المعنى

ثم عاد الكلام إلى الوعيد فقال سبحانه «إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْهَا» أى تكبروا عن قبولها «لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ» أى لا- تفتح أبواب السماء لأرواحهم كما تفتح لأرواح المؤمنين عن ابن عباس و السدى و قيل لا تفتح لأعمالهم و لدعائهم عن الحسن و مجاهد و عن ابن عباس فى روايه أخرى و

روى عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام) أنه قال أما المؤمنون فترفع أعمالهم و أرواحهم إلى السماء فتفتح لهم أبوابها و أما الكافر فيصعد بعمله و روحه حتى إذا بلغ إلى السماء نادى مناد اهبطوا به إلى سجين و هو واد بحضرموت يقال له برهوت

و قيل لا تفتح لهم أبواب السماء لدخول الجنة لأن الجنة فى السماء عن الجبائى «وَ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ» أى حتى يدخل البعير فى ثقب الإبره و المعنى لا يدخلون الجنة أبدا و سئل ابن مسعود عن الجمل فقال هو زوج الناقه كأنه استجهل من سأله عن الجمل و هذا كما تقول العرب فى التباعد للشئ ء لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب و حتى يبيض القار و حتى يؤوب القارطان قال الشاعر:

إذا شاب الغراب أتيت أهلى و صار القار كاللبن الحليب

و قال آخر:

فرجى الخير و انتظرى إيابى إذا ما القارظ العنزى آبا

و تعليق الحكم بما لا يتوهم وجوده و لا يتصور حصوله تأكيد له و تحقيق لليأس من وجوده «وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ» أى و مثل ما جزينا هؤلاء نجزي سائر المجرمين

المكذبين بآيات الله تعالى «لَهُمْ» أى لهؤلاء «مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ» أى فراش و مضجع «وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ» مثل قوله لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلْمٌ مِنَ النَّارِ وقيل المراد به لحف و المعنى أن النار محيطة بهم من أعلاهم و أسفلهم «وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ» قال ابن عباس يريد الذين أشركوا به و اتخذوا من دونه إلهًا.

[سوره الأعراف (٧): الآيات ٤٢ الى ٤٣]

إشارة

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٤٢) وَ نَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَ مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْ لَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَ نُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣)

القرءاء

قرأ ابن عامر ما كنا لنهتدى بغير واو و كذلك فى مصاحف أهل الشام و الباقون مع الواو و قرأ أبو عمرو و حمزه و الكسائى أورثتموها مدغمه و كذلك فى الزخرف و قرأ الباقون «أُورِثْتُمُوهَا» غير مدغمه.

الحجج

قال أبو على وجه الاستغناء عن حرف العطف أن الجملة ملتبسه بما قبلها فأغنى التباسها به عن حرف العطف و قد تقدم ذكر أمثاله و من ترك الإدغام فى «أُورِثْتُمُوهَا» فلتباين المخرجين و كان الحرفين فى حكم الانفصال و إن كانا من كلمه واحده أ لا ترى أنهم لم يدغموا و لو شاء الله مَيَّا اقْتُلُوا و إن كانا مثلين لما لم يكونا لازمين أ لا ترى أن تاء افتعل قد يقع بعدها غير التاء فكذلك أورث قد يقع بعد التاء منها غير التاء فلا يجب الإدغام و وجه الإدغام أن التاء و التاء مهموستان متقاربتان فاستحسن الإدغام لذلك.

اللغه

الغل الحقد الذى ينغل بلطفه إلى صميم القلب و منه الغلول و هو الوصول بالحيله إلى دقيق الخيانه و منه الغل الذى يجمع اليدين و العنق بانغلاله فيهما و الصدر ما

يصدر من جهته التدبير و الرأى و منه قيل للرئيس صدر و الجريان انحدار المائع فالماء يجرى و الدم يجرى و كل ما يصح أن يجرى فهو مائع و النهر الواسع من مجارى الماء و منه النهار لاتساع ضيائه و النداء الدعاء بطريقه يا فلان.

الإعراب

«لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا» جملة فى موضع رفع بأنه خبر «الَّذِينَ آمَنُوا» و حذف العائد إلى المبتدأ فكأنه قيل منهم لا من غيرهم نحو قولهم السمن منوان بدرهم أى منوان منه و يجوز أن يكون اعتراضا ما بين المبتدأ و الخبر و يكون الخبر الجملة التى هى «أُولَئِكَ أَصِيحَابُ الْجَنَّةِ» و إذا كان اعتراضا فلا موضع له من الإعراب و «أَنْ تَلْكُمُ الْجَنَّةَ» يجوز أن يكون أن بمعنى أى لتفسير النداء فيكون المعنى نودوا على وجه التهنته بكلام هذا معناه و يجوز أن يكون مخففة من الثقيلة و الهاء مضمرة و التقدير بأنه تلکم الجنة قال الشاعر:

أكاشره و أعلم أن كلانا على ما ساء صاحبه حريص.

المعنى

لما تقدم وعيد الكفار بالخلود فى النيران أتبع ذلك بالوعد للمؤمنين بالخلود فى الجنان فقال «وَالَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا بآيات الله و اعترفوا بها و لم يستكبروا عنها «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» أى ما أوجه الله عليهم أو ندبهم إليه «لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا» التكليف من الله سبحانه هو إرادته ما فيه المشقة من الكلفة التى هى المشقة أى لا نلزم نفسا إلا قدر طاقتها و ما دونها لأن الوسع دون الطاقه و وجه اتصاله بما قبله بين إذا جعلته خبرا لأن معناه لا نكلف أحدا منهم من الطاعات إلا ما يقدر عليه و إذا كان اعتراضا بين الكلامين فكأنه لما وعد المؤمنين بالجنان و الكافرين بالنيران بين أنه لا يكلف أحدا منهم إلا ما فى وسعه و أن من استحق النار فمن نفسه أتى «أُولَئِكَ أَصِيحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» مقيمون «وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ» أى و أخرجنا ما فى قلوبهم من حقد و حسد و عداوه فى الجنة حتى لا يحسد بعضهم بعضا و إن رآه أرفع درجة منه «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ» قيل أنه فى موضع الحال أى يجرى ماء الأنهار من تحت أبنيتهم و أشجارهم فى حال نزعنا الغل من صدورهم و قيل هو استئناف «وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا» أى هदानا للعمل الذى استوجبنا به هذا الثواب بأن دلنا عليه و عرضنا له بتكليفه إيانا و قيل معناه هदानا لثبوت الإيمان فى قلوبنا و قيل لنزع الغل من صدورنا و قيل هदानا لمجاوزه الصراط و دخول الجنة «وَمَا كُنَّا

لِنَهْتِدَى» لما يصيرنا إلى هذا النعيم المقيم و الثواب العظيم «لَوْ لَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ» هذا اعتراف من أهل الجنة بنعمه الله سبحانه إليهم و منته عليهم فى دخول الجنة على سبيل الشكر و التلذذ بذلك لأنه لا تكليف هناك «لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ» و هذا إقرار منهم بأن ما جاءت به الرسل إليهم من جهه الله تعالى فهو حق لا شبهه فى صحته «وَنُودُوا» أى و يناديهم مناد من جهه الله تعالى و يجوز أن يكون ذلك خطابا منه سبحانه لهم «أَنْ تَلْكُمُ الْجَنَّةُ» أى هذه الجنة و إنما قال تلكم لأنهم وعدوا بها فى الدنيا فكأنه قيل لهم هذه تلكم التى وعدتم بها و يجوز أن يكونوا عاينوها فيقال لهم قبل أن يدخلوها إشاره إليها تكلم الجنة «أُورِثْتُمُوهَا» أى أعطيتموها إرثا و صارت إليكم كما يصير الميراث لأهله و قيل معناه جعلها الله سبحانه بدلا لكم كما كان أعده للكفار لو آمنوا و

روى عن النبى ص أنه قال ما من أحد إلا و له منزل فى الجنة و منزل فى النار فأما الكافر فيرث المؤمن منزله من النار و المؤمن يرث الكافر منزله من الجنة فذلك قوله «أُورِثْتُمُوهَا»

«بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» أى توحيدون الله و تقومون بفرائضه.

[سوره الاعراف (٧): الآيات ٤٤ الى ٤٥]

إشاره

وَ نَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ يَبْغُونَهَا عِوَجًا وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ (٤٥)

القراءه

قال الكسائى وحده نعم بكسر العين كل القرآن و الباقون بالفتح و قرأ أهل المدينه و البصره «أَنْ» مخففه «لَعْنَةُ اللَّهِ» بالرفع و الباقون أن مشدده لعنه الله بالنصب.

الحججه

قال الأَخفش نعم و نعم لغتان فالكسر لغه كنانه و هذيل و الفتح لغه باقى العرب و أن التى تقع بعد العلم إنما هى المشدده و المخففه عنها و «فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ» معناه أعلم معلم

«أَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ» و من خفف أن فعلى إرادته إضمار القصة و الحديث و تقديره أنه لعنه الله و مثله آخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ التقدير أنه و لا- تخفف أن هذه إلا و إضمار القصة و الحديث يراد معها و المكسورة إذا خففت لا يكون كذلك و الفصل بينهما أن المفتوحه موصوله و الموصوله تقتضى صلتها فصارت لاقتضائها أشد اتصالا بما بعدها من المكسورة فقدر بعدها الضمير الذى هو من جمله صلتها و ليست المكسورة كذلك.

الإعراب و اللغة

قال سيبويه نعم عده و تصديق فإذا استفهمت أجبت بنعم قال أبو على و الذى يريد به بقوله عده و تصديق أنه يستعمل عده و يستعمل تصديقا و ليس يريد أنه يجتمع التصديق مع العده ألا ترى أنه إذا قال أ تعطينى فقلت نعم كان عده و لا تصديق فى هذا و إذا قال قد كان كذا فقلت نعم فقد صدقته و لا عده فى هذا فليس هذا القول من سيبويه كقوله فى إذا أنها جواب و جزاء لأن إذا يكون جوابا فى الموضع الذى يكون فيه جزاء و قوله إذا استفهمت أجبت بنعم يريد إذا استفهمت عن موجب أجبت بنعم و لو كان مكان الإيجاب النفى لقلت بلى و لم تقل نعم كما لا تقول فى جواب الموجب بلى قال أ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بلى و «الَّذِينَ يَصِفُونَ» فى موضع جر بأنه صفة للظالمين و «عَوَجًا» يجوز أن يكون منصوبا بأنه مفعول به بمعنى يبغون لها العوج و يجوز أن يكون منصوبا على المصدر بمعنى يطلبون لها هذا الضرب من الطلب كما تقول رجع القهقرى أى رجع هذا الضرب من الرجوع و كذلك عدا البشكى و اشتمل الصما و العوج بالكسر يكون فى الطريق و فى الدين و بالفتح يكون فى الخلقه تقول فى ساقه عوج بفتح العين و فى دينه عوج بالكسر.

المعنى

ثم حكى سبحانه ما يجرى بين أهل الجنة و النار بعد استقرارهم فى الدارين فقال «وَ نَادَى» أى و سيناى «أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ النَّارِ» أى أهل الجنة أهل النار و إنما ذكره بلفظ الماضى لتحقيق المعنى جعل ما سيكون كأنه قد كان لأنه كائن لا محاله و ذلك أبلغ فى الردع «أَنْ قَدْ وَجِدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا» من الثواب فى كتبه و على ألسنه رسله «حَقًّا فَهَلْ وَجِدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ» من العقاب «حَقًّا» و إنما أضافوا الوعد بالجنة إلى نفوسهم لأن الكفار ما وعدهم الله بالجنة إلا بشرط أن يؤمنوا فلما لم يؤمنوا فكأنهم لم يوعدوا بالجنة و إنما سألوهم هذا السؤال لأن الكفار كانوا يكذبون المؤمنين فيما يدعون لأنفسهم من

الثواب و لهم من العقاب فهو سؤال توبيخ و شماته يريد به سرور أهل الجنة و حسره أهل النار «قَالُوا نَعَمْ» أى قال أهل النار وجدنا ما وعدنا ربنا من العقاب حقا و صدقا «فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ» أى نادى مناد بينهم أسمع الفريقين «أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ» أى غضب الله و سخطه و أليم عقابه على الكافرين لأنه وصف الظالمين بقوله «الَّذِينَ يَصِفُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ» أى يعرضون عن الطريق الذى دل الله سبحانه على أنه يؤدى إلى الجنة و قيل معناه يصرفون غيرهم عن سبيل الله أى دينه و الحق الذى دعا إليه «وَ يَتَّبِعُونَهَا عِوَجًا» قال ابن عباس معناه يصلون لغير الله و يعظمون ما لم يعظمه الله و قيل معناه يطلبون لها العوج بالشبه التى يلتبسون بها و يوهمون أنه يقدر فيها و هى معوجه عن الحق بتناقضها «وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ» أى بالدار الآخرة يعنى القيامة و البعث و الجزاء «كافِرُونَ» جاحدون و قيل فى المؤذن أنه مالك خازن النار و

روى عن أبى الحسن الرضا (عليه السلام) أنه قال المؤذن أمير المؤمنين على (عليه السلام) ذكره على بن إبراهيم فى تفسيره قال حدثنى أبى عن محمد بن فضيل عن الرضا (عليه السلام)

و

رواه الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده عن محمد بن الحنفية عن على ع أنه قال أنا ذلك المؤذن

و

ياسناده عن أبى صالح عن ابن عباس أن لعلى (عليه السلام) فى كتاب الله أسماء لا يعرفها الناس قوله «فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ» فهو المؤذن بينهم يقول ألا لعنة الله على الذين كذبوا بولايتى و استخفوا بحقى.

[سوره الأعراف (٧): الآيات ٤٦ الى ٤٧]

إشاره

وَ بَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَ عَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَ نَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَ هُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦) وَ إِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٧)

اللغه

الحجاب الحاجز المانع من الإدراك و منه قيل للضربير محبوب و حاجب الأمير و حاجب العير و الأعراف الأمكنه المرتفعه أخذ من عرف الفرس و منه عرف الديك و كل مرتفع من الأرض عرف لأنه بظهوره أعرف مما انخفض قال الشماخ:

و ظلت بأعراف تعالى كأنها رماح نحاهها وجهه الريح راكز

و قال آخر:

كل كناز لحمه نياف كالعلم الموفى على الأعراف

يعنى نشوزا من الأرض و السيماء العلامه و هى فعلى من سام إبله يسومها إذا أرسلها فى المرعى معلمه و هى السائمه و قيل إن وزنه عفى من وسمت فقلبت كما قالوا له جاه فى الناس و أصله وجه و كما قالوا اضمحل و امضحل و أرض خامه أى وخمه و فيه ثلاث لغات سيما و سيماء بالقصر و المد و سيمياء على زنه كبرياء قال الشاعر:

" له سيمياء ما يشق على البصر "

و التلقاء جهه اللقاء و هى جهه المقابله و لذلك كان ظرفا من ظروف المكان تقول هو تلقاءك نحو هو حذاءك و الأبصار جمع بصر و هو الحاسه التى يدرك بها المبصر و قد يستعمل بمعنى المصدر و يقال له بصر بالأشياء أى علم بها و هو بصير بالأمور أى عالم.

المعنى

ثم ذكر سبحانه الفريقين فى الجزاء فقال «وَيَبْتَهُمَا حِجَابٌ» أى بين الفريقين أهل الجنة و أهل النار ستر و هو الأعراف و الأعراف سور بين الجنة و النار عن ابن عباس و مجاهد و السدى و فى التنزيل فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَ ظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ و قيل الأعراف شرف ذلك السور عن الجبائى و قيل الأعراف الصراط عن الحسن بن الفضل «وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ» اختلف فى المراد بالرجال هنا على أقوال فقول إنهم قوم استوت حسناتهم و سيئاتهم فحالت حسناتهم بينهم و بين النار و حالت سيئاتهم بينهم و بين الجنة فجعلوا هناك حتى يقضى الله فيهم ما شاء ثم يدخلهم الجنة عن ابن عباس و ابن مسعود و ذكر أن بكر بن عبد الله المزنى قال للحسن بلغنى أنهم قوم استوت حسناتهم و سيئاتهم فضرب الحسن يده على فخذه ثم قال هؤلاء قوم جعلهم الله على تعريف أهل الجنة و النار يميزون بعضهم من بعض و الله لا أدرى لعل بعضهم معنا فى هذا البيت و قيل إن الأعراف موضع عال على الصراط عليه حمزه و العباس و على و جعفر يعرفون محبيهم ببياض الوجوه و مبغضيهم بسواد الوجوه عن الضحاك عن ابن عباس رواه الثعلبى بالإسناد فى تفسيره و قيل إنهم الملائكة فى صوره الرجال يعرفون أهل الجنة و النار و يكونون خزنه الجنة و النار

جميعا أو يكونون حفظه الأعمال الشاهدين بها فى الآخرة عن أبى مجلز وقيل إنهم فضلاء المؤمنين عن الحسن و مجاهد و قيل
إنهم الشهداء و هم عدول الآخرة عن الجبائى و

قال أبو جعفر الباقر (عليه السلام) هم آل محمد ع لا- يدخل الجنة إلا- من عرفهم و عرفوه و لا- يدخل النار إلا من أنكرهم و
أنكره

و

قال أبو عبد الله جعفر بن محمد ع الأعراف كثنان بين الجنة و النار فيقف عليها كل نبي و كل خليفه نبي مع المذنبين من أهل
زمانه كما يقف صاحب الجيش مع الضعفاء من جنده و قد سيق المحسنون إلى الجنة فيقول ذلك الخليفه للمذنبين الواقفين معه
انظروا إلى إخوانكم المحسنين قد سيقوا إلى الجنة فيسلم المذنبون عليهم و ذلك قوله «و نادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم»

ثم أخبر سبحانه أنهم لم يدخلوها و هم يطمعون يعنى هؤلاء المذنبين لم يدخلوا الجنة و هم يطمعون أن يدخلهم الله إياها
بشفاعه النبي و الإمام و ينظر هؤلاء المذنبون إلى أهل النار فيقولون «ربنا لا- تجعلنا مع القوم الظالمين» ثم ينادى أصحاب
الأعراف و هم الأنبياء و الخلفاء أهل النار مقرعين لهم ما أغنى عنكم جمعكم و ما كنتم تشتكبرون أ هؤلاء الذين أقسمتم يعنى أ
هؤلاء المستضعفين الذين كنتم تحقرونهم تستطيرون بدنياكم عليهم ثم يقولون لهؤلاء المستضعفين عن أمر من الله لهم بذلك
ادخلوا الجنة لا خوف عليكم و لا أنتم تحزنون و

يؤيده ما رواه عمر بن شيبه و غيره أن عليا (عليه السلام) قسيم النار و الجنة

و

رواه أيضا بإسناده عن النبي ص أنه قال يا على كانى بك يوم القيامة و بيدك عصا عوسج تسوق قوما إلى الجنة و آخرين إلى
النار

و

روى أبو القاسم الحسكاني بإسناده رفعه إلى الأصبح بن نباته قال كنت جالسا عند على (عليه السلام) فأتاه ابن الكوا فسأله عن
هذه الآية فقال ويحك يا ابن الكوا نحن نقف يوم القيامة بين الجنة و النار فمن ينصرنا عرفناه بسيماه فأدخلناه الجنة و من أبغضنا
عرفناه بسيماه فأدخلناه النار

و قوله «يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ» يعنى هؤلاء الرجال الذين هم على الأعراف يعرفون جميع الخلق بسيماهم يعرفون أهل الجنة
بسيماهم المطيعين و أهل النار بسيماهم العصاة «و نادوا أصحاب الجنة» يعنى هؤلاء الذين على الأعراف ينادون بأصحاب الجنة «أن
سلام عليكم» و هذا تسليم و تهنئه و سرور بما وهب الله لهم «لَمْ يَدْخُلُوهَا» أى لم يدخلوا الجنة بعد عن ابن عباس و ابن مسعود و
الحسن و قتاده «و هُمْ يَطْمَعُونَ» أن يدخلوها و قيل إن الطمع ها هنا طمع يقين مثل قول إبراهيم و الذى أطمع أن يعفّر لى خطيئتي
و هو قول الحسن و أبى على الجبائى «و إذا

صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ» يعنى أبصار الذين على الأعراف «تَلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ» إلى جهنم فنظروا إليهم وإنما قال صرفت أبصارهم لأن نظرهم نظر عداوه فلا ينظرون إليهم إلا إذا صرفت وجوههم إليهم «قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» أى لا تجمعنا وإياهم فى النار و روى أن فى قراءه عبد الله بن مسعود و سالم و إذا قلبت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا عائذا بك أن تجعلنا مع القوم الظالمين و روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام).

[سوره الأعراف (٧): الآيات ٤٨ الى ٤٩]

إشاره

وَ نَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَ مَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٤٨) أَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَ لَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٤٩)

اللغه

النداء امتداد الصوت و رفعه و نادى نظير دعا إلا أن الدعاء قد يكون بعلامه من غير صوت و لا كلام و لكن بإشاره تنبئ عن معنى تعال و لا يكون النداء إلا برفع الصوت و هو مشتق من الندى و الخوف توقع المكروه و هو ضد الأمن و هو الثقة بانتفاء المكروه.

الإعراب

«هَؤُلَاءِ» مبتدأ و خبره «الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ» و الأولى أن يكون «الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ» خبر مبتدأ محذوف التقدير أ هؤلاء هم الذين أقسمتم و قوله «لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ» جواب أقسمتم و هذا داخل فى صله الذين لأن الذين هنا وصل بالقسم و جوابه و لا يجوز أن يكون الذين صفة لهؤلاء من وجهين (أحدهما) أن المبهم لا يوصف إلا بالجنس (و الآخر) أنه يبقى المبتدأ بلا خبر.

المعنى

ثم بين سبحانه خطاب أصحاب الأعراف لأصحاب النار فقال «وَ نَادَى» أى و سينادى «أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا» من أصحاب النار «يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ» أى بصفاتهم يدعونهم بأساميهم و كناههم و يسمون رؤساء المشركين عن ابن عباس و قيل بعلاماتهم التى جعلها الله تعالى لهم من سواد الوجوه و تشويه الخلق و زرقه العين عن الجبائى و قيل بصورهم التى كانوا يعرفونهم بها فى الدنيا «قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ» الأموال

و العدد فى الدنيا «وَ مَا كُنْتُمْ تَشِيْرُوكِبْرُونَ» أى و استكباركم عن عباده الله و عن قبول الحق و قد كنا نصحناكم فاشتغلتم بجمع المال و تكبرتم فلم تقبلوا منا فأين ذلك المال و أين ذلك التكبر و قيل معناه ما نفعكم جماعتكم التى استندتم إليها و تجبركم عن الانقياد لأنبياء الله فى الدنيا عن الجبائى «أَهْؤَلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ» أى حلفتهم أنهم لا يصيبهم الله برحمه و خير و لا- يدخلون الجنة كذبتهم ثم يقولون لهؤلاء «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَ لَا أَنْتُمْ تَخْزَنُونَ» أى لا خائفين و لا محزونين على أكمل سرور و أتم كرامه و المراد بهذا تقرير الذين زروا على ضعفاء المؤمنين حتى حلفوا أنهم لا خير لهم عند الله و قد اضطربت أقوال المفسرين فى القائل لهذا القول فقال الأكثرون إنه كلام أصحاب الأعراف و قيل هو كلام الله تعالى و قيل كلام الملائكه و الصحيح ما ذكرناه لأنه المروى عن الصادق (عليه السلام).

[سوره الأعراف (٧): الآيات ٥٠ الى ٥١]

إشاره

وَ نَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَ لَعِبًا وَ غَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَ مَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٥١)

اللغه

الإفاضه إجراء المائع من علو و منه قولهم أفاضوا فى الحديث أى أخذوا فيه من أوله لأنه بمنزله أعلاه و أفاضوا من عرفات إلى المزدلفه صاروا إليها و اللهو طلب صرف الهم بما لا يحسن أن يطلب به و اللعب طلب المرح بما لا يحسن أن يطلب به و اشتقاقه من اللعب و هو المرور على غير استواء.

الإعراب

قال «أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ» ثم قال «حَرَّمَهُمَا» و لم يقل حرمه و إن كان التقدير أفيضوا أحد هذين لأنه جاء على قولهم جالس الحسن أو ابن سيرين فيجوز مجالستهما جميعا و قوله «الَّذِينَ اتَّخَذُوا» يجوز أن يكون فى موضع جر صفه للكافرين و يحتمل أن يكون رفعا بالابتداء فيكون إخبارا من الله تعالى على وجه الذم لهم.

ثم ذكر سبحانه كلام أهل النار و ما أظهره من الافتقار بدلا مما كانوا عليه من الاستكبار فقال «و نادى» أى و سنادى «أصحاب النار» و هم المخلدون فى النار و فى عذابها «أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء» أى صبوا علينا من الماء نسكن به العطش أو ندفع به حر النار «أو مما رزقكم الله» أى أعطاكم الله من الطعام عن السدى و ابن زيد «قالوا» يعنى أهل الجنة جوابا لهم «إن الله حرمهما على الكافرين» و يسأل فىقال كيف ينادى أهل الجنة و أهل النار و

أهل الجنة فى السماء على ما جاءت به الرواية

و أهل النار فى الأرض و بينهما أبعد الغايات من البعد و أجيب عن ذلك بأنه يجوز أن يزيل الله تعالى عنهم ما يمنع من السماع و يجوز أن يقوى الله أصواتهم فيسمع بعضهم كلام بعض «الذين اتخذوا دينهم لهواً و لعباً» أى أعدوا دينهم الذى أمرهم الله تعالى به للهو و اللعب دون التدين به و قيل معناه اتخذوا دينهم الذى كان يلزمهم التدين به و التجنب من محظوراته لعباً و لهواً فحرموا ما شاءوا و استحلوا ما شاءوا بشهواتهم «و غرتهم الحياة الدنيا» أى اغتروا بها و بطول البقاء فيها فكأن الدنيا غرتهم «فاليوم ننسأهم كما نسوا لقاء يومهم هذا» أى نتركهم فى العذاب كما تركوا التأهب و العمل للقاء هذا اليوم عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و قيل معناه تعاملهم معاملته المنسى فى النار فلا نجيب لهم دعوه و لا نرحم لهم عبره كما تركوا الاستدلال حتى نسوا العلم و تعرضوا للنسيان عن الجبائى «و ما كانوا بآياتنا يجحدون» ما فى الموضوعين بمعنى المصدر و تقديره كنسيانهم لقاء يومهم هذا و كونهم جاحدين لآياتنا و اختلف فى هذه الآية فقيل إن الجميع كلام الله تعالى على غير وجه الحكاياه عن أهل الجنة و تم كلام أهل الجنة عند قوله «حرمهما على الكافرين» و قيل إنه من كلام أهل الجنة إلى قوله «الحياة الدنيا» ثم استأنف تعالى الكلام بقوله «فاليوم ننسأهم».

إشارة

وَلَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٥٣)

اللغة

الكتاب صحيفه فيها حروف مسطوره تدل بتأليفها على معان مفهومه و التفصيل و التبيين و التقسيم نظائر ينظرون أى ينتظرون و الانتظار هو الإقبال على ما يأتى بالتوقع له و أصله الإقبال على الشىء بوجه من الوجوه و التأويل ما يؤول إليه حال الشىء و النسيان ذهاب المعنى عن النفس و اختلف المتكلمون فيه فقال أبو على الجبائى أنه معنى و قال أبو هاشم ليس بمعنى و إنما هو من قبيل السهو و قال القاضى هو ذهاب العلم الضرورى و إليه ذهب المرتضى.

الإعراب

«هُدًى وَرَحْمَةً» يجوز أن يكون حالا و يجوز أن يكون مفعولا له و قال أبو مسلم مصدر وضع موضع الحال و لو قرئ بالرفع على الاستئناف أو بالجر على البدل لجاز إلا أن القراءه بالنصب «فَيَشْفَعُوا» نصب لأنه جواب التمنى بالفاء و تقديره هل يكون لنا شفعا فشفاعه، «أَوْ نُرَدُّ» بالرفع على تقدير أو هل نرد فنعمل أى هل يكون لنا رد قال فعلم أى فعمل منا غير ما كنا عملناه.

المعنى

لما ذكر حال الفريقين بين سبحانه أنه قد أتاهم الكتاب و الحجه فقال «وَلَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِكِتَابٍ» و هو القرآن «فَصَّلْنَاهُ» بيناه و فسرناه «عَلَىٰ عِلْمٍ» أى و نحن عالمون به و لما كانت لفظه عالم مأخوذه من العلم جاز أن يذكر العلم ليدل به على العالم كما أن الوجود فى صفة الموجود كذلك «هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» أى دلالة ترشدهم إلى الحق و تنجيهم من الضلاله و نعمه على جميع المؤمنين لأنهم المنتفعون به «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ» أى هل ينتظرون إلا عاقبه لجزاء عليه و ما يؤول مغبه أمورهم إليه عن الحسن و قتاده و مجاهد و السدى و إنما أضاف إليهم مجازا لأنهم كانوا جاحدين لذلك غير متوقعين له و إنما كان ينتظر بهم المؤمنون لإيمانهم بذلك و اعترافهم به و قيل إن تأويله ما وعدوا به من البعث و النشور و الحساب و العقاب عن الجبائى «يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ» أى يوم يأتى عاقبه ما وعدوا به «يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ» أى يقول الذين تركوا العمل به ترك الناس له و أعرضوا

عنه عن مجاهد و الزجاج «قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ» اعترفوا بأن ما جاءت به الرسل كان حقا و الحق ما شهد بصحته العقل «فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءٍ فَيَشْفَعُوا لَنَا» تمنوا أن يكون لهم شفعاء يشفعون لهم في إزاله العقاب «أَوْ نُزِدُ» أى أو هل نرد إلى الدنيا «فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ» من الشرك و المعصيه «قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ» أى أهلكوها بالعذاب «وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانوا يَفْتَرُونَ» على الأصنام بقولهم إنها آلهه و إنها تشفع لنا.

[سوره الأعراف (٧): آيه ٥٤]

إشاره

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤)

القرءاء

قرأ أهل الكوفه غير حفص و يعقوب يغشى بالتشديد و كذلك فى الرعد و الباقون بالتخفيف و قرأ ابن عامر و الشمس و القمر و النجوم مسخرات كله بالرفع و الباقون بالنصب.

الحججه

قال أبو على غشى فعل متعد إلى مفعول واحد فإذا نقلته بالهمزه أو بتضعيف العين تعدى إلى مفعولين و قد جاء التنزيل بالأمرين قال فَعَشَّاهَا ما غَشَّى فما فى موضع نصب بأنه المفعول الثانى و قال فَأَغَشَّيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ فهذا منقول بالهمزه و المفعول الثانى محذوف و المعنى فأغشيناهم العمى أو فقد الرؤيه عنهم فإذا جاء التنزيل بالأمرين فكلا الفريقين قرأ بما جاء فى التنزيل و قوله «يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ» كل واحد من الليل و النهار منتصب بأنه مفعول به و الفعل قبل النقل غشى الليل و النهار و لم يقل يغشى النهار و الليل كما قال سِرَائِيلُ تَقِيكُمْ الْحَرَّ و لم يقل تقيكم البرد للعلم بذلك من الفحوى و مثل هذا لا يضيق و حجه من نصب «الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ» له حمله على خلق كما قال وَاسْتَجِدُّوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ و حجه ابن عامر قوله و سخر لكم ما فى السماوات و الأرض و مما فى السماء الشمس و القمر فإذا أخبر بتسخيرهما حسن الإخبار عنهما به كما أنك إذا قلت ضربت زيدا

استقام أن تقول زيد مضروب.

اللغة

قد بينا معنى الاستواء فى سورة البقره عند قوله **ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَ الْعَرْشِ السَّرِيرِ** و منه **وَ لَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ** و العرش الملك يقال ثل عرشه و العرش السقف و منه قوله **وَ هِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا** و الحثيث السير السريع بالسوق و أصل البركه الثبات و منه براكاء القتال.

الإعراب

قوله «**حَيْثُ**» يجوز أن يكون حالا- من الفاعل أو المفعول أو منهما جميعا و مثله قوله **فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ** فإن تحمله كذلك و مثله قول الشاعر:

متى ما تلقنى فردين ترجف روانف أليتيك و تستطارا.

المعنى

لما ذكر سبحانه الكفار و عبادتهم غير الله سبحانه احتج عليهم بمقدوراته و مصنوعاته و دلهم بذلك على أنه لا معبود سواه فقال مخاطبا لجميع الخلق «**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ**» أى إن سيدكم و مالكمكم و منشئكم و محدثكم هو الله «**الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ**» أى أنشأ أعيانها و أبدعها لا من شىء و لا على مثال ثم أمسكها بلا عماد يدعها «**وَ الْأَرْضِ**» أى و أنشأ الأرض أوجدها كذلك «**فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ**» أى فى مقدار ستة أيام من أيام الدنيا و لا شبهه أنه سبحانه يقدر على خلق أمثال ذلك فى لحظه و لكنه خلقهما فى هذه المده لمصلحه و رتبهما على أيام الأسبوع فابتدأ بالأحد و الإثنين و الثلاثاء و الأربعاء و الخميس و الجمعة فاجتمع له الخلق يوم الجمعة فلذلك سمى الجمعة عن مجاهد و قيل إن ترتيب الحوادث على إنشاء شىء بعد شىء على ترتيب أدل على كون فاعله عالما مدبرا يصرفه على اختياره و يجريه على مشيئته و قيل إنه سبحانه علم خلقه الثبوت و الرفق فى الأمور عن سعيد بن جبير «**ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ**» أى استوى أمره على الملك عن الحسن يعنى استقر ملكه و استقام بعد خلق السماوات و الأرض فظهر ذلك للملائكة و إنما أخرج هذا على المتعارف من كلام العرب كقولهم استوى الملك على عرشه إذا انتظمت أمور مملكته و إذا اختل أمر ملكه قالوا ثل عرشه و لعل ذلك الملك لا يكون له سرير و لا يجلس على سرير أبدا قال الشاعر:

إذا ما بنو مروان ثلت عروشهم و أودت كما أودت أياد و حمير

و قال:

إن يقتلوك فقد ثلثت عروشهم بعثبه بن الحارث بن شهاب

وقيل معناه ثم استوى عليه بأن رفعه عن الجبائى وقيل معناه ثم قصد إلى خلق العرش عن الفراء وجماعه واختاره القاضى قال دل بقوله ثم إن خلق العرش كان بعد خلق السماء والأرض و روى عن مالك بن أنس أنه قال الاستواء غير مجهول و كيفيته غير معلومه و السؤال عنه بدعه و روى عن أبى حنيفة أنه قال أمره كما جاء أى لا تفسروه «يُعْشَى» أى يلبس «اللَّيْلَ النَّهَارَ» يعنى يأتى بأحدهما بعد الآخر فيجعل ظلمه الليل بمنزله الغشاوه للنهار و لم يقل و يغشى النهار الليل لأن الكلام يدل عليه و قد ذكر فى موضع آخر يكور الليل على النهار و يكور النهار على الليل «يَطْلُبُهُ حَيْثُ» أى يتلوه فيدركه سريعا و هذا توسع يريد أنه يأتى فى أثره كما يأتى الشىء فى إثر الشىء طالبا له «وَ الشَّمْسِ وَ القَمَرِ وَ النُّجُومِ مَسِيَّخَاتٍ بِأَمْرِهِ» أى مذلات جاريات فى مجاريهن بتدبيره و صنعه خلقهن لمنافع العباد و من قرأ مسخرات بالنصب فإنه منصوب على الحال «أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَ الأَمْرُ» إنما فصل بين الخلق و الأمر لأن فائدتهما مختلفه لأنه يريد بالخلق أن له الاختراع و بالأمر أن له أن يأمر فى خلقه بما أحب و يفعل بهم ما شاء «تَبَارَكَ اللهُ» أى تعالى بالوحدانيه فيما لم يزل و لا يزال فهو بمعنى تعالى بدوام الثبات و قيل معناه تعالى عن صفات المخلوقين و المحدثين و قيل تعالى بدوام البركه أى البركه فى ذكر اسمه «رَبُّ العَالَمِينَ» أى خالقهم و مالكهم و سيدهم.

[سوره الأعراف (٧): الآيات ٥٥ الى ٥٦]

إشاره

ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَ خُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) وَ لَا تُفْسِدُوا فى الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَ ادْعُوهُ خَوْفًا وَ طَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦)

القرءه

قرأ أبو بكر عن عاصم خفيه بكسر الخاء و الباقون بضمها و هما لغتان.

اللغه

التضرع التذلل و هو إظهار الذل الذى فى النفس و مثله التخضع و منه التطلب لأمر من الأمور و أصل التضرع الميل فى الجهات ذلا- من قولهم ضرع الرجل يضرع ضرعا إذا مال بإصبعه يمينا و شمالا ذلا و خوفا و منه ضرع الشاه لأن اللبن يميل إليه و منه المضارعه

ص: ٢٤٣

للمشابهة لأنها تميل إلى شبه و الضريع نبت لا يسمن لأنه يميل مع كل داء و الخفيه خلاف العلانيه و الهمزه فى الإخفاء منقلبه عن الياء كما أن الهمزه فى الغناء منقلبه عن الياء بدلاله الغنيه و قالوا أخفيت الشىء إذا أظهرته قال الشاعر:

يخفى التراب بأظلاف ثمانيه فى أربع مسهن الأرض تحليل

و يمكن أن يكون أخفيت الشىء أى أزلت إظهاره و إذا أزلت إظهاره فقد كتمته كما أن أشكيت بهمعنى أزلت شكايته و الخفيه الإخفاء و الخيفه الخوف و الرهبه و الطمع توقع المحبوب و ضده اليأس و هو القطع بانتفاء المحبوب.

الإعراب

«تَضَرُّعاً وَ حُفْيَةً» مصدران وضعا موضع الحال أى ادعوه متضرعين و مخفين و قوله «خَوْفًا وَ طَمَعًا» فى موضع الحال أيضا أى خائفين عقابه و طامعين فى رحمته قال الفراء إنما ذكر قريب و لم يؤنث ليفصل بين القريب من القرابه و القريب من القرب قال الزجاج و هذا غلط لأن كل ما قرب فى مكان أو نسب فهو جار على ما يصيبه من التأنيث و التذكير و الوجه فى تذكيره هنا أن الرحمه و الغفران و العفو فى معنى واحد و كذلك كل تأنيث ليس بحقيقى و قال الأَخفش جائز أن يكون أراد بالرحمه هنا النظر فلذلك ذكره و مثله قول الشاعر:

يا أيها الراكب المزجى مطيته سائل بنى أسد ما هذه الصوت

أى ما هذه الصيحه و قول الآخر:

إن السماحه و المروءه ضمنا قبرا بمر و على الطريق الواضح.

المعنى

ثم أمر سبحانه بعد ذكره دلائل توحيده بدعائه على وجه الخشوع كافة عبيده فقال «ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَ حُفْيَةً» أى تخشعا و سرا عن الحسن قال بين دعوه السر و دعوه العلانيه سبعون ضعفا ثم قال إن كان الرجل لقد جمع القرآن و ما يشعر به جاره و إن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير و ما يشعر به الناس و إن كان الرجل ليصلى الصلاه الكثيره فى بيته و عنده الزور فلا يشعرن به و لقد تداركنا أقواما ما كان على الأرض من عمل يقدررون أن

يعملوه فى السر فىكون علانيه أبدا و لقد كان المسلمون يجتهدون فى الدعاء و ما يسمع لهم صوت إن كان إلا همسا بينهم و بين ربهم

و روى أن النبى ص كان فى غزاه فأشرفوا على واد فجعل الناس يهللون و يكبرون و يرفعون أصواتهم فقال ص يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم أما إنكم لا تدعون الأصم و لا غائبا إنكم تدعون سميحا قريبا إنه معكم

و قيل إن التصرع رفع الصوت و الخفيه السر أى ادعوه علانيه و سرا عن أبى مسلم و رواه على بن إبراهيم فى تفسيره «إنه لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» فى الدعاء قيل هو أن يطلب منازل الأنبياء فيجاوز الحد فى الدعاء عن أبى مجلز و قيل هو الصياح فى الدعاء عن ابن جريج و قيل معناه لا يحب المجاوزين الحد المرسوم فى جميع العبادات و الدعوات «و لا تُفْسِدُوا فى الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا» و معناه النهى عن قتل المؤمنين و إضلالهم و العمل بالمعاصى فى الأرض بعد أن أصلحها الله بالكتب و الرسل عن السدى و الحسن و الضحاك و الكلبي و قيل بعد أن أمر الله بالإصلاح فيها قال الحسن و إصلاحها اتباع أوامر الله تعالى فيها و روى عنه أيضا أنه قال لا تفسدوها بقتل المؤمن بعد إصلاحها ببقائه و قيل لا تفسدوها بالظلم بعد إصلاحها بالعدل و قيل معناه لا تعصوا فى الأرض فيمسك الله المطر و يهلك الحرث بمعاصيكم عن عطيه و على هذا فيكون معنى قوله «بَعْدَ إِصْلَاحِهَا» بعد إصلاح الله إياها بالمطر و الخصب

و روى ميسر عن أبى جعفر (عليه السلام) فى هذه الآية قال إن الأرض كانت فاسده فأصلحها الله بنبيه ص

«و اذْعُوهُ خَوْفًا وَ طَمَعًا» خوفا من عقابه و طمعا فى ثوابه و قيل خوفا من الرد و طمعا فى الإجابة و قيل خوفا من عدله و طمعا فى فضله عن ابن جريج و قيل معناه خوفا من النيران و طمعا فى الجنان عن عطا «إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» معناه أن إنعام الله قريب إلى فاعلى الإحسان و قيل إن رحمه الله أى ثوابه قريب من المطيعين عن سعيد بن جبير و قيل المراد بالرحمة المطر عن الأ-خفش و يؤيده قوله فَأَنْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا و الإنسان هو النفع الذى يستحق به الحمد و الإساءة هى الضرر الذى يستحق به الذم و من قال إن المراد بالمحسنين من خلصت أفعاله من الإساءة و كانت كلها حسنة فالظاهر لا- يقتضى ذلك بل الذى يقتضيه أن رحمه الله واصله إلى من فعل الإحسان و ليس فيه أنه لا- يصل إلى من جمع الإحسان و الإساءة و ذلك موقوف على الدلاله.

إشاره

وَ هُوَ الَّذِي يُزِيلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا نَقَالًا سَقْنَاهُ لِيَلِدَ مِيَّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٧) وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ الَّذِي حَبَّتْ لَّا يُخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ (٥٨)

القراءة

قرأ ابن كثير الريح واحده و نشرا مضمومه النون و الشين و قرأ أهل المدينة و البصره «الرِّيح» جمع نشر بضم النون و الشين حيث كان و قرأ أهل الكوفه غير عاصم الريح نشرا بفتح النون و سكون الشين و قرأ ابن عامر الريح نشرا بضم النون و سكون الشين و قرأ عاصم «الرِّيح بُشْرًا» بالباء ساكنه الشين و قرأ أبو جعفر إلا نكدا بفتح الكاف و الباقون بالكسر.

الحججه

قال أبو على اعلم أن الريح اسم على فعل و العين منه واو فانقلبت فى الواحد للكسر فأما فى الجمع القليل فصحت لأنه لا شىء فيه يوجب الإعلال إلا- ترى أن الفتحه لا- توجب إعلال هذه الواو فى نحو قوم و قول فأما فى الجمع الكثير فرياح انقلبت ياء للكسره التى قبلها و إذا كانت انقلبت فى نحو ديمه و ديم و حيله و حيل فأن تنقلب فى رباح أجدر لوقوع الألف بعدها و الألف تشبه الياء و الياء إذا تأخرت عن الواو أوجب فيه الإعلال و كذلك الألف لتشبهها بها و قد يجوز أن يكون الريح على لفظ الواحد و يراد به الكثيره كقولهم كثر الدرهم و الدينار و الشاه و البعير و إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ثم قال إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا و كذلك من قرأ الريح نشرا فأفرد و وصفه بالجمع فإنه حملة على المعنى و قد أجاز أبو الحسن ذلك و قال الشاعر:

فيها اثنتان و أربعون حلوبه سودا كخافيه الغراب الأسحم

و من نصب حملة على المعنى لأن المفرد يراد به الجمع و هذا وجه قراءه ابن كثير و قول من جمع الريح إذا وصفها بالجمع الذى هو نشرا أحسن لأن الحمل على المعنى ليس بكثير كالحمل على اللفظ و أما ما جاء

فى الحديث أن النبى ص كان يقول إذا هبت ريح اللهم اجعلها رياحا و لا تجعلها ريحا

فلأن عامه ما جاء فى التنزيل على لفظ الرياح للسقيا و الرحمه كقوله تعالى «وَ أَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ» و «يُزِيلُ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ» و ما جاء بخلاف ذلك جاء على الأفراد كقوله «فَأَهْلِكُوا بَرِيحٍ صَرَصَرٍ عَاتِيَةٍ» رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ قال

أبو عبيده نشر متفرقه من كل جانب و قال أبو زيد أنشر الله الموتى إنشارا إذا بعثها و أنشر الله الريح مثل أحيائها فنشرت هي أى حيت و الدليل على أن إنشار الريح إحيائها قول المرار الفقعى:

و هبت له ريح الجنوب و أحييت له ريده يحيى المياه نسيمها

و الريده و الريدانه الريح قال

(أودت به ريدانه صرصر)

و من قرأ نشرًا يحتمل ضربين يجوز أن يكون جمع ريح نشور و ريح ناشر و يكون على معنى النسب فإذا جعلته جميع نشور احتمل أمرين (أحدهما) أن يكون النشور بمعنى المنتشر كما أن الركوب بمعنى المركوب فكأن المعنى ريح أو رياح منشوره و يجوز أن يكون جمع نشور يراد به الفاعل مثل طهور و نحوه من الصفات و يجوز أن يكون نشرًا جمع ناشر كشاهد و شهد و نازل و نزل و قاتل و قتل قال الأعشى

(إننا لأمثالكم يا قومنا قتل)

و قول ابن عامر نشرًا يحتمل الوجهين (أحدهما) أن يكون على فعول و فاعل و خفف العين كما خفف فى كتب و رسل و يكون جمع فاعل كنازل و ينزل و عايط و عيط و أما من قرأ نشرًا فإنه يحتمل ضربين (أحدهما) أن يكون المصدر حالًا من الريح فإذا جعلته حالًا- منها احتمل أمرين (أحدهما) أن يكون النشر الذى هو خلاف الطى كأنها كانت بانقطاعها كالمطويه و يجوز على تأويل أبى عبيده أن تكون متفرقه فى وجوهها (و الآخر) أن يكون النشر الذى هو الحياه فى نحو قوله

(يا عجبًا للميت الناشر)

فإذا حملته على ذلك و هو الوجه كان المصدر يراد به الفاعل كما تقول أتانا ركضا أى راكضا و يجوز أن يكون المصدر يراد به المفعول كأنه يرسل الرياح إنشارا أى محياه فحذف الزوائد من المصدر كما قال عمر ك الله و كما قال

(و أن يهلك فذلك كان قدرى)

أى تقديرى (و الضرب الآخر) أن يكون نشرًا ينتصب انتصاب المصدر من باب صنع الله لأنه إذا قال يرسل الرياح دل هذا الكلام على تنشر الرياح نشرًا أو تنشر نشرًا من قوله

(كما تنشر بعد الطيه الكتب)

و من نشرت الريح كما ينشر الميت و قرأ عاصم «بُشْرًا» جمع بشير و بشر من قوله «يُرْسِلُ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ» أى تبشر بالمطر و الرحمه و جمع بشيرا على بشر ككتاب و كتب الوجه فى قراءه أبى جعفر نكدا أنه لغه فى نكد قال الزجاج و يجوز فيه و جهان آخران نكدا و نكدا إلا أنه لم يثبت بهما روايه.

الإقلال حمل الشيء بأسره حتى يقل في طاقه الحامل له بقوه جسمه يقال استقل بحمله استقلالاً وأقله إقلالاً و السحاب الغيم
الجارى فى السماء يقال سحبه فانسحب

ص: ٢٤٧

و السوق حث الشىء فى السير حتى يقع الإسراع فيه يقال ساقه و استاقه و البلد هو الأرض التى تجمع الخلق الكثير و البادية كالبلد للأعراب و نحوهم من الأكراد و النكد العسر الممتنع من إعطاء الخير على وجه البخل يقال نكد نكد نكد و نكدا فهو نكد و نكد و قد نكد إذا سئل فبخل قال الشاعر:

و أعط ما أعطيته طيبا لا خير فى المنكود و الناكد

. المعنى

لما أخبر الله سبحانه فى الآيه المتقدمه بأنه خلق السماوات و الأرض و ما فيها من البدائع عطف على ذلك بقوله «وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ» تعداد النعمه على بريته أى يطلقها و يجريها منتشره فى الأرض أو محييه للأرض أو مبشره بالغيث على ما تقدم بيانه قدام رحمته و هو المطر «حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ» أى حملت و قيل رفعت «سَحَابًا نِقَالًا» بالماء «سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ» أى إلى بلد ميت و موت البلد تعفى مزارعه و دروس مشاربه لا نبات فيه و لا زرع و لم يقل سقناها لأنه رده الضمير إلى لفظ السحاب و الرياح تجمع السحاب من المواضع المختلفه حتى إذا اتصل السحاب أنزل المطر «فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ» يجوز أن يكون فى الضمير فى به راجعا إلى البلد أى فأنزلنا بالبلد الماء و يجوز أن يكون راجعا إلى السحاب أى فأنزلنا بالسحاب الماء «فَأَخْرَجْنَا بِهِ» أى بهذا الماء المنزل أو بهذا البلد «مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ» يحتمل أن يكون من للتبعيض و يحتمل أن يكون لتبيين الجنس «كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى» أى كما أخرجنا الثمرات كذلك نخرج الموتى بأن نحيتها بعد موتها «لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» أى لكى تتذكروا و تتفكروا و تعتبروا بأن من قدر على إنشاء الأشجار و الثمار فى البلد الذى لا ماء فيه و لا زرع يريح يرسلها فإنه يقدر على إحياء الأموات بأن يعيدها إلى ما كانت عليه و يخلق فيها الحياه و القدره و استدل أبو القاسم البلخى بهذه الآيه على أن كثيرا من الأشياء يكون بالطبع قال لأن الله تعالى بين أنه يخرج الثمرات بالماء الذى ينزله من السماء ثم قال و لا ينبغي أن ينكر ذلك و إنما ينكر قول من يقول بقدم الطباع و أن الجهادات فاعله فأما من قال أن الله تعالى هو الفاعل لهذه الأشياء غير أنه يفعلها تاره مخترعه بلا وسائط و تاره يفعلها بوسائط فلا كراهه فى ذلك كما تقول فى السبب و المسبب و أنكى عليه هذا القول أكثر أهل العدل و قالوا إن الله سبحانه أجرى العاده بإخراج النبات عند إنزال المطر مع قدرته على إخراج ذلك من غير مطر لما تقتضيه الحكمة من وجوه المصالح الدينيه و الدنيويه ثم بين سبحانه حال الأرض التى يأتيها المطر فقال «وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ» معناه و الأرض الطيب ترابه «يَخْرُجُ نَبَاتُهُ» أى

زرّوعه خروجاً حسناً نامياً زاكياً من غير كد و لا عناء «بِإِذْنِ رَبِّهِ» بأمر الله تعالى و إنما قال «بِإِذْنِ رَبِّهِ» ليكون أدل على العظمه و نفوذ الإراده من غير تعب و لا نصب «وَ الَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا» أى و الأرض السبخه التى خبث ترابها لا يخرج ريعها إلا شيئاً قليلاً- لا- ينتفع به عن السدى و معناه إلا عسراً ممتنعاً من الخروج و لو أراد سبحانه أن يخرج من الأرض النكده أكثر مما يخرج من الأرض الطيبه لأمكنه إلا- أنه أجرى العاده بإخراجه من الأرض الطيبه ليكون ذلك باعثاً للإنسان على طلب الخير من مظانه و دلالة له على وجوب الاجتهاد فى الطاعات فإذا حمل نفسه على ابتغاء الخير اليسير الذى لا يدوم و ربما لا يحصل فإن يبتغى النعيم الدائم الذى لا- يفنى و لا- يبيد بالأعمال الصالحه أولى «كَذَلِكَ نُصَيِّرُ الْآيَاتِ» أى الدلالات المختلفه «لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ» معناه كما بينا هذا المثل نبين الدلالات للشاكرين و قيل كما صرفنا الآيات لكم بالإتيان بآيه بعد آيه و حجه بعد أخرى نصرّفها لقوم يشكرون الله على إنعامه عليهم و من إنعامه عليهم هدايته إياهم لما فيه نجاتهم و تبصيرهم سبيل أهل الضلال و أمره إياهم تجنب ذلك و العدول عنه و روى عن ابن عباس و مجاهد و الحسن أن هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن و الكافر فأخبر بأن الأرض كلها جنس واحد إلا أن منها طيبه تلين بالمطر و يحسن نباتها و يكثر ريعها و منها سبخه لا تنبت شيئاً فإن أنبت فما لا منفعه فيه و كذلك القلوب كلها لحم و دم ثم منها لين يقبل الوعظ و منها قاس جاف لا يقبل الوعظ فليشكر الله تعالى من لأن قلبه لذكراه.

إشارة

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٦٠) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَالٌّ وَلَا لَكُمْ إِلَهٌ غَيْرُهُ وَرَبِّيَ الرَّحْمَنُ الَّذِي فَخَّرْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣)

فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَ أَعْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٦٤)

القراءة

قرأ أبو جعفر و الكسائي من إله غيره بخفض الراء حيث وقع و الباقر بالرفع و قرأ أبو عمرو وحده أبلغكم بتخفيف اللام و الباقر بتشديدها.

الحجة

قال أبو علي وجه قراءة من جر أنه جعل غيرا صفة لإله على اللفظ و جعل لكم مستقرا أو جعله غير مستقر و أضم الخبر و الخبر ما لكم في الوجود أو في العالم أو نحو ذلك لا بد من هذا الإضمار إذا لم نجعل لكم مستقرا لأن الصفة و الموصوف لا يستقل بهما كلام و حجه من رفع قوله ما من إله إلا الله فكما أن قوله إله إلا الله بدل من قوله من إله كذلك قوله «غَيْرُهُ» يكون بدلا من قوله «مِنْ إِلَهٍ» و «غَيْرُهُ» يكون بمنزلة الاسم الذي بعد إلا و هذا الذي ذكرنا أولى أن يحمل عليه من أن يجعل غير صفة لإله على الموضوع فإن قلت ما تنكر أن يكون إله إلا الله صفة لقوله من إله على الموضوع كما كان قوله لو كان فيهما آلهة إلا الله صفة لآله قيل إن إلا بكونها استثناء أعرف و أكثر من كونها صفة و إنما جعلت صفة على التشبيه بغير فإذا كان الاستثناء أولى حملنا هل من خالق غير الله على الاستثناء من المنفى في المعنى لأن قوله هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ بمنزلة ما من خالق غير الله و لا بد من إضمار الخبر كأنه ما من خالق للعالم غير الله و يؤكد ذلك لا إله إلا الله فهذا استثناء من منى مثل لا أحد في الدار إلا زيد فأما قراءة حمزه و الكسائي هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ فعلى أن جعل غير صفة للخالق و أضمرا الخبر كما تقدم و الباقر جعلوه استثناء بدلا من المنفى و هو الأولى عندنا لما تقدم من الاستشهاد عليه من قوله ما من إله إلا الله* و «أَبْلُغُكُمْ» فالقول فيه أن بلغ يتعدى إلى مفعول في نحو بلغني الخبر فإذا نقلته تعدى إلى مفعولين و النقل يكون بالهمزة و بتضعيف العين و كلا- الأمرين جاء به التنزيل قال سبحانه يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ إِلَىٰ قَوْمِهِ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَقَالَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ وَلِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا.

اللغة

الملاء- الجماعة من الرجال خاصة و مثله القوم و نفر و الرهط عن الفراء و سموا بذلك لأنهم يملئون المحافل و القوم الجمع الذي يقوم بالأمر سموا بالمصدر و الإبلاغ

إيصال ما فيه بيان وإفهام ومنه البلاغه وهو إيصال المعنى إلى النفس بأحسن صورته من اللفظ والبلغ الذى ينشئ البلاغه لا الذى يأتي بها على وجه الحكاياه والفرق بين الإبلاغ والأداء أن الأداء إيصال الشئ على الوجه الذى يجب فيه ومنه فلان أدى الدين أداء وفلان حسن الأداء لما يسمع وحسن الأداء للقراءه والرسالات جمع رساله وهى جمله من البيان يحملها القائم بها ليؤديها إلى غيره والنصيحه إخلاص النيه من شائب الفساد فى المعامله والفلك والسفن يقع على الواحد وعلى الجمع وأصله الدور مشتق من قولهم فلنك ثدى الجاريه إذا استدار ومنه الفلكه والفلنك.

الإعراب

«يا قَوْمٍ» حذف ياء الإضافة لقوه النداء على التغيير حتى يحذف للترخيم فلما جاز أن يحذف فى غير النداء للاجتزاء بالكسره منها لزم أن يحذف فيه لاجتماع سببين فيها «لِكُنِّي» أصله لكننى حذف النون لاجتماع النونات ويجوز الإتمام فى غير القرآن لأنه الأصل وكذلك إني وكأنى فأما ليتنى فلا- يجوز فيه إلا- إثبات النون لأنه لم يعرض فيه عله الحذف وأما لعلى فيجوز فيه الوجهان لأن اللام قريبه من النون، «رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» من هنا لابتداء الغايه أى هو ابتدائى بالرساله وكل مبتدأ بفعل فذلك الفعل منه وأصل من أن يكون لابتداء الغايه.

المعنى

لما بين الله سبحانه الأدله على وحدانيته ذكر بعده حال من عاند وكذب رسله تسليه لنبينا محمد ص وتثبيتا له على احتمال الأذى من قومه وتحذيرا لهم عن الاقتداء بأولئك فينزل بهم ما نزل بهم وابتداء بقصه نوح فقال «لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ» اللام للقسمة وقد تأكيد للكلام وتقديره حقا أقول إنا حملنا نوحا رساله إلى قومه وتحميل الرساله تكليفه القيام بها وهى منزله جليله شريفه يستحق الرسول بتقبله إياها وقيامه بأعبائها من التعظيم والإجلال ما لا يستحق بغيره وهو نوح بن ملك بن متوشلخ بن أخنوخ النبي وهو إدريس (عليه السلام) وهو أول نبي بعد إدريس وقيل إنه كان نجارا وولد فى العام الذى مات فيه آدم (عليه السلام) قبل موت آدم فى الألف الأولى وبعث فى الألف الثانيه وهو ابن أربعمائيه وقيل بعث وهو ابن خمسين سنه وبعث فى قومه ألف سنه إلا خمسين عاما وكان فى تلك الألف ثلاثه قرون عايشهم وعمر فيهم وكان يدعوهم ليلا ونهارا فلا يزيدهم دعاؤه إلا فرارا وكان يضربه قومه حتى يغشى عليه فإذا أفاق قال اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون ثم شكاهم إلى الله تعالى ففرغت له الدنيا وعاش بعد ذلك تسعين سنه وروى أكثر من ذلك أيضا «فَقَالَ

يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ» أخبر سبحانه أنه أمرهم بعبادة الله وحده لأنه لا إله لهم غيره ولا معبود لهم سواه ثم أوعدهم على مخالفته فقال «إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» إنما قال أخاف و لم يقطع لأنه جوز أن يؤمنوا ثم ذكر سبحانه جوابهم فقال «قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ» أى الجماعة من قومه عن الجبائى وقيل الأشراف و الرؤساء الذين يملئون الصدور هيبا و جمالا عن أبى مسلم «إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» قيل معناه رؤيه القلب الذى هو العلم أى إنا لنعلمك فى ذهاب من الحق بين ظاهر لدعائك إيانا إلى ترك عبادة الأصنام و قيل معناه رؤيه البصر أى نراك بأبصارنا على هذه الحال و قيل أنه من الرأى الذى هو غالب الظن فكأنه قال إنا لنظنك «قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ» هذا إخبار عما أجابهم به نوح (عليه السلام) أى ليس بى عدول عن الحق و لا ذهاب عن الصواب يقال به ضلاله لأن معناه عرض به ذاك كما يقال به جنه و لا يجوز أن يقال به معرفه لأنها ليست مما يعرض لصاحبها و لكن يصح أن يقال به جوع و به عطش «وَلِكَيْنِي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» الذى يملك كل شىء «أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي» أى أودى إليكم ما حملنى ربي من الرسالات «وَأَنْصِيحُ لَكُمْ» فى تبليغ الرساله على وجهها من غير تغيير و لا زياده و لا نقصان «وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ» أى من صفات الله و توحيده و عدله و حكمته «ما لا تعلمون» و قيل أعلم من دين الله و قيل أعلم من قدرته و سلطانه و شده عقابه ما لا تعلمونه و الكل محتمل و قيل إنما قال ذلك لأن قوم نوح لم يسمعوا قط أن الله سبحانه عذب قوما و قد سمعت الأمم بعدهم هلاك من قبلهم ألا ترى أن هودا قال جعلكم خلفاء من بعد نوح و قال شعيب مثل ما أصاب قوم نوح «أَوْ عَجِبْتُمْ» هذه همزه استفهام دخلت على واو العطف على وجه الإنكار فبقيت الواو مفتوحة كما كانت فالكلام مستأنف من وجه متصل من وجه «أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ» أى لأن جاءكم بيان و قيل نبوه و رساله «مَنْ رَبُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ» أى على بشر مثلكم ليخوفكم العقاب إن لم تؤمنوا و قيل أن "على" هنا بمعنى مع أى مع رجل منكم تعرفون مولده و منشأه ليعلمكم بموضع المخافه و إنما أنكر عليهم التعجب لأنه ليس فى إرساله إليهم ليرشدهم إلى ما فيه صلاحهم موضع تعجب و إنما العجب من أعمال أمرهم كيف و وجوب الرساله إذا كان للخلق فيها مصلحة أمر قد اقتضته الحكمة و دل عليه العقل «وَلِتَتَّقُوا» أى و لتتقوا الشرك و المعاصى «وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» أى و لكى ترحموا و قال الحسن و لتتقوه رجاء أن يرحمكم «فَكَذَّبُوهُ» أى فكذبوا نوحا فيما دعاهم إليه «فَأَنْجَيْنَاهُ وَ الَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ» أى فخلصناه و الذين كانوا معه فى السفينه و هم المؤمنون من عذاب الغرق «وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا» أى و أهلكنا الذين

كذبوا بدلائلنا بالماء «إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ» عن الحق أى ذاهبين عنه جاهلين به يقال رجل عم إذا كان أعمى القلب و رجل أعمى فى البصر قال زهير:

و لكننى عن علم ما فى غد عمى.

[قصه نوح (عليه السلام)]

قد ذكرنا نسبه و كان من قصته ما

رواه الشيخ أبو جعفر بن بابويه بإسناده فى كتاب النبوه مرفوعا إلى أبى عبد الله (عليه السلام) قال لما بعث الله عز و جل نوحا دعا قومه علانيه فلما سمع عقب هبه الله بن آدم من نوح تصديق ما فى أيديهم من العلم و عرفوا أن العلم الذى فى أيديهم هو العلم الذى جاء به نوح صدقوه و سلموا له فأما ولد قابيل فإنهم كذبوه و قالوا إن الجن كانوا قبلنا فبعث الله إليهم ملكا فلو أراد أن يبعث إلينا لبعث إلينا ملكا من الملائكه

حنان بن سدير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال آمن مع نوح من قومه ثمانيه نفر

و

فى حديث و هب بن منبه أن نوحا (عليه السلام) كان أول نبى نبأه الله عز و جل بعد إدريس و كان إلى الأدمه ما هو دقيق الوجه فى رأسه طول عظيم العينين دقيق الساقين طويلا- جسيما دعا قومه إلى الله حتى انقرضت ثلاثه قرون منهم كل قرن ثلاثائه سنه يدعوهم سرا و جهرا فلا يزدادون إلا طغيانا و لا يأتى منهم قرن إلا كان أعتى على الله من الذين قبلهم و كان الرجل منهم يأتى بابنه و هو صغير فيقيمه على رأس نوح فيقول يا بنى إن بقيت بعدى فلا تطيعن هذا المجنون و كانوا يثورون إلى نوح فيضربونه حتى يسيل مسامعه دما و حتى لا يعقل شيئا مما يصنع به فيحمل فيرمى به فى بيت أو على باب داره مغشيا عليه فأوحى الله تعالى إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا- من آمن فعندها أقبل على الدعاء عليهم و لم يكن دعا عليهم قبل ذلك فقال رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ فَأَعْقَمَ اللَّهُ تَعَالَى أَصْلَابَ الرِّجَالِ وَ أَرْحَامَ النِّسَاءِ وَ لَبِثُوا أَرْبَعِينَ سَنَةً لا يُولَدُ لَهُمْ وَلَدٌ وَ قَحَطُوا فِي تِلْكَ الْأَرْبَعِينَ سَنَةَ حَتَّى هَلَكَتْ أَمْوَالُهُمْ وَ أَصَابَهُمُ الْجَهْدُ وَ الْبَلَاءُ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ نُوحٌ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا الْآيَاتِ فَأَعْذَرُوا إِلَيْهِمْ وَ أَنْذَرُوا فَلََمْ يَزِدَادُوا إِلَّا- كَفْرًا فَلَمَّا يَثُسُّ مِنْهُمْ أَقْصَرُ عَنْ كَلَامِهِمْ وَ دَعَائِهِمْ فَلَمْ يُؤْمِنُوا وَ قَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَ لا تَذَرُنَّ وَدًّا وَ لا سُوءًا الْآيَةِ يَعْنُونَ آلِهَتَهُمْ حَتَّى غَرَقَهُمُ اللَّهُ وَ آلِهَتَهُمُ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ خُرُوجِ نُوحٍ مِنَ السَّفِينَةِ وَ عَبَدَ النَّاسُ الْأَصْنَامَ سَمَوْا أَصْنَامَهُمْ بِأَسْمَاءِ أَصْنَامِ قَوْمِ نُوحٍ فَاتَّخَذَ أَهْلَ الْيَمَنِ يَغُوثَ وَ يَعُوقَ وَ أَهْلَ دُومَةَ الْجَنْدَلَ صَنَمَا سَمَوْهُ وَدًّا وَ اتَّخَذَتْ حَمِيرٌ صَنَمَا سَمَتْهُ نَسْرًا وَ هَذِيلٌ صَنَمَا سَمَوْهُ سَوَاعًا فَلَمْ يَزَالُوا يَعْبُدُونَهَا حَتَّى جَاءَ الْإِسْلَامَ

و سنذكر قصه السفينه و الغرق فى سورة هود إن

روى الشيخ أبو جعفر بن بابويه عن علي بن أحمد بن موسى قال حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي قال حدثنا سهل بن زياد الأدمي قال حدثنا عبد العظيم بن عبد الله الحسنى قال سمعت علي بن محمد (عليه السلام) يقول عاش نوح (عليه السلام) ألفين و خمسمائه سنه و كان يوما فى السفينه نائما فهبت ريح فكشفت عورته فضحكك حام و يافث و زجرهما سام و نهاهم عن الضحكك و كان كلما غطى سام ما يكشفه الريح كشفه حام و يافث فانتبه نوح فرآهم يضحكون فقال ما هذا فأخبره سام بما كان فرفع نوح يده إلى السماء يدعو فقال اللهم غير ماء صلب حام حتى لا يولد له إلا السودان اللهم غير ماء صلب يافث فغير الله ماء صلبيهما فجميع السودان من صلب حام حيث كانوا و جميع الترك و السقلا ب و يأجوج و مأجوج و الصين من يافث و جميع البيض سواهم من سام و قال نوح لحام و يافث جعل الله ذريتكما خولا لذريه سام إلى يوم القيامة لأنه بر بى و عققتمانى فلا زالت سمه عقوقكما لى فى ذريتكما ظاهره و سمه البر بى فى ذريه سام ظاهره ما بقيت الدنيا

قال الشيخ أبو جعفر بن بابويه القمى رحمه الله ذكر يافث فى هذا الخبر غريب لم أروه إلا من هذا الطريق و جميع الأخبار التى رويتها فى هذا المعنى فيها ذكر حام وحده و أنه ضحكك لما انكشفت عوره أبيه و أن ساما و يافث كانا فى ناحيه فبلغهما ما صنع فأقبلا و معهما ثوب و هما معرضان و ألقيا عليه الثوب و هو نائم فلما استيقظ أوحى الله عز و جل إليه الذى صنع حام فلعن حاما و دعا عليه و

روى إبراهيم بن هاشم عن علي بن الحكم عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله ع قال عاش نوح ألفى سنه و خمسمائه سنه منها ثمانمائه و خمسين قبل أن يبعث و ألف سنه إلا خمسين عاما و هو فى قومه يدعوهم و مائتى عام فى عمل السفينه و خمسمائه عام بعد ما نزل من السفينه و نضب الماء فمصر الأمصار و أسكن ولده البلدان ثم إن ملك الموت جاءه و هو فى الشمس فقال السلام عليك يا ملك الموت فقال جئت لأقبض روحك فقال له تدعنى أتحوّل من الشمس إلى الظل فقال له نعم قال فتحوّل نوح ثم قال له يا ملك الموت كان ما مر بى من الدنيا مثل تحولى من الشمس إلى الظل فامض لما أمرت به قال فقبض روحه (عليه السلام).

إشارة

وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهِهِ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَإِنَّا لَكُمْ ناصِحٌ أَمِينٌ (٦٨) أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٦٩)

قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبِدَ اللَّهَ وَخِيدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧٠) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَاوَاتِهِمَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (٧١) فَانجِئْنَا وَالدِّينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٧٢)

اللغة

السفاهه خفه الحلم و ثوب سفیه إذا كان خفيفا قال مؤرج السفاهه الجنون بلغه حمير و الفرق بين العجب و العجب أن العجب بضم العين عقد النفس على فضيله لها ينبغي أن يعجب منها و ليس كذلك العجب بفتح العين و الجيم لأنه قد يكون حسنا و فى المثل لا- خير فيمن لا يتعجب من العجب و أزدل منه المتعجب من غير عجب و خلفاء جمع خليفه و هو الكائن بدل غيره ليقوم مقامه فى تدبيره و هذا الجمع على التذكير لا- على اللفظ مثل ظريف و ظرفاء و جائز أن يجمع على خلائف على اللفظ مثل ظريفه و ظرائف و الآلاء النعم و فى واحدها أربع لغات إلى مثل معنى مثل قفا و ألى مثل حسى قال الأعشى:

أبيض لا يرهب الهزال ولا يقطع رحما ولا يخون إلى

و روى إلى أيضا وقيل أنه أراد بقوله إلا إلا بالتشديد فخففه و هو العهد و القرابه و الوقوع و السقوط و النزول نظائر و الرجس العذاب و قيل الرجس الرجز قلبت الزاى سينا كما قلبت السين تاء فى قول الشاعر:

ألا لحي الله بنى السعلات عمرو بن يربوع شرار النات

أى الناس:

" ليسوا بأعفاف ولا أكيات "

يريد أكياس.

الإعراب

انتصب «أخاهم هوداً» بقوله أَرْسَلْنَا فى أول الكلام لأن تفصيل القصص يقتضى ذلك و التقدير و أرسلنا إلى عاد أخاهم هودا و صرف هود لخفته كما صرفت جمل لخفتها «يا قوم» موضع قوم نصب لأنه نداء مضاف و لو وصفته لم يجز فى صفته إلا النصب قوله «وَ لَكِنِّي رَسُولٌ» استدرك بلكن لأن فيه معنى ما دعانى إلى أمركم السفه و لكن دعانى إليه أنى رسول.

المعنى

ثم عطف سبحانه على قصه نوح قصه هود فقال «وَ إِلَى عادٍ» و هو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح «أخاهم» يعنى فى النسب لا فى الدين «هوداً» و هو هود بن شالخ بن أرفحشد بن سام بن نوح (عليه السلام) عن محمد بن إسحاق و قيل هو هود بن عبد الله بن رياح بن جلوث بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عن غيره و كذا هو فى كتاب النبوه و إنما قال أخاهم لأنه أبلغ فى الحججه عليهم إذا اختار رساله إليهم من هو من قبيلتهم ليكونوا إليه أسكن و به آنس و عنه أفهم «قال» هود «يا قوم اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ» قد مر تفسيره «أَفَلَا تَتَّقُونَ» استفهام يراد به التقرير «قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ» قد مر تفسيره «إِنَّا لَنَرَاكَ» يا هود «فِي سَفَاهَةٍ» أى جهاله و معناه نراك سفيها إلا- أنه قال فى سفاهه على جهه المبالغه أى نراك منغمسا فى سفاهه «وَ إِنَّا لَنَنْظُرُكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ» أى كذبوه ظانين لا متيقنين عن الحسن و الزجاج و قيل إن المراد بالظن هنا العلم كما فى قول الشاعر:

فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج سراتهم فى الفارسى المسرد

و معناه أيقنوا «قال» هود «يا قوم لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ» أى لم يحملنى على هذا الإخبار

السفاهه «وَ لَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» هذا تعليم من الله تعالى بأن لا يقابل السفهاء بالكلام القبيح و لكن يقتصر الإنسان على نفى ما أضيف إليه عن النفس «أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي» أى نبوات ربي إنما قال رسالات هنا و فيما تقدم بلفظ الجمع لأن الرساله متضمنه لأشياء كثيره من الأمر و النهى و الترغيب و التهيب و الوعد و الوعيد و غير ذلك فأتى بلفظ يدل عليها و إذا قال رساله ربي بلفظ الواحد أتى بلفظه مشتمله على هذه الأشياء بطريق الإجمال «وَ أَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ» فيما أدعوكم إليه من طاعه الله و توحيده «أَمِينٌ» أى ثقه مأمون فى تأديه الرساله فلا- أكذب و لا- أغير عن الضحاك و الجبائى و قيل معناه كنت مأمونا فيكم فكيف تكذبوننى عن الكلبى «أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ» أى لا- عجب فى أن جاءكم نبوه و قيل معجزه و بيان «عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ» فى النسب نشأ بينكم و قيل إن معناه كيف تتعجبون من بعثه رجل منكم و لا تتعجبون من عباده حجر «لِيُنذِرَكُمْ لِيَخَوْفَكُمْ» «وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ» معناه و اذكروا نعمه الله عليكم بأن جعلكم سكان الأرض من بعد قوم نوح و هلا- كههم بالعصيان «وَ زَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضِئَةً» أى طولاً- و قوه عن ابن عباس و جماعه قال الكلبى كان أطولهم مائه ذراع و أقصرهم ستين ذراعا و قيل كان أقصرهم اثنى عشر ذراعا و

قال أبو جعفر الباقر (عليه السلام) كانوا كأنهم النخل الطوال و كان الرجل منهم ينحو الجبل بيديه فيهدم منه قطعه

و قيل معناه و زاد فى خلقكم بسطه فكانوا أطول من غيرهم بمقدار أن يمد الإنسان يده فوق رأسه باسطة «فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ» أى نعم الله «لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ» أى لكى تفوزوا بنعيم الدنيا و الآخره «قَالُوا أَ جِئْتَنَا يَا هود «لِنُعَيِّدَ اللَّهُ وَحِيدَهُ وَ نَذَرَ» عباده «ما كان يعبد آباؤنا» من الأصنام «فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا» من العذاب «إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» فى أنك رسول الله إلينا و فى نزول العذاب بنا لو لم نترك عباده الأصنام «قال» هود لقومه جوابا عما قالوه «فَسَدِّ وَقَعِ عَلَيْكُمْ» أى و جب عليكم و حل بكم لا محاله فهو كالواقع «مِنْ رَبِّكُمْ رَجِسٌ» أى عذاب «وَ عَصَبٌ» و الغضب من الله إرادته العذاب بمستحقه و مثله السخط «أُتْجَادِلُونَنِي» أى أ تناظروننى و تخاصموننى «فى أسماءٍ سميتُموها أنتم و آباؤكم» أى فى أصنام صنعتموها أنتم و آباؤكم و اخترعتم لها أسماء سميتُموها آلهه و ما فيها من معنى الإلهيه شىء و قيل معناه سميتهم لبعضها أنه يسقيهم المطر و لآخر أنه يأتيهم بالرزق و لآخر أنه يشفى المرضى و الآخر أنه يصحبهم فى السفر «ما نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ» أى حجه و برهان و بينه و عليكم البينه بما ادعيتم و سميتم و ليس على أن آتيكم بالبينه على ما تعبدون من دون الله بل ذلك عليكم و على أن آتيكم بسلطان مبين إن الله تعالى هو المعبود و لا معبود

سواه و إني رسوله «فَأْتِظُرُوا» عذاب الله فإنه نازل بكم «إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ» لنزوله بكم عن الحسن و الجبائي و المفسرين «فَأَنْجِنَاهُ وَ الَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا» أي فخلصنا هودا و الذين كانوا آمنوا معه من العذاب بإخراجنا إياهم من بينهم قبل إنزال العذاب بهم «وَ قَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا» أي و استأصلنا الذين كذبوا بحججنا بعذاب الاستئصال فلم يبق لهم نسل و لا ذريه «وَ مَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ» بالله و رسوله و إنما قال ذلك ليبين أنه كان المعلوم من حالهم أنه لو لم يهلكهم ما كانوا ليؤمنوا كما قال في موضع آخر وَ لَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَ مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا وَ فِي هَذِهِ آيَةٌ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ قَوْمَ هُودٍ اسْتَوْصَلُوا فَلَا عَقِبَ لَهُمْ.

[قصه هود]

جملة ما ذكره السدي و محمد بن إسحاق و غيرهما من المفسرين في قصة هود أن عادا كانوا ينزلون اليمن و كانت مساكنهم منها بالشحر و الأحقاف و هي رمال يقال لها رمل عالج و الدهناء و يبرين ما بين عمان إلى حضرموت و كان لهم زرع و نخل و لهم أعمار طويله و أجساد عظيمه و كانوا أصحاب أصنام يعبدونها فبعث الله تعالى إليهم هودا نبيا و كان من أوسطهم نسبا و أفضلهم حسبا فدعاهم إلى التوحيد و خلع الأنداد فأبوا عليه و كذبوه و آذوه فأمسك الله عنهم المطر سبع سنين و قيل ثلاث سنين حتى قحطوا و كان الناس في ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء أو جهد التجئوا إلى بيت الله الحرام بمكة مسلمهم و كافرهم و أهل مكة يومئذ العماليق من ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح و كان سيد العماليق إذ ذاك بمكة رجلا يقال له معاوية بن بكر و كانت أمه من عاد فبعث عاد وفدا إلى مكة ليستسقوا لهم فنزلوا على معاوية بن بكر و هو بظاهر مكة خارجا من الحرم فأكرمهم و أنزلهم و أقاموا عنده شهرا يشربون الخمر فلما رأى معاوية طول مقامهم و قد بعثهم قومهم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم شق ذلك عليه و قال هلك أحوالي و هؤلاء مقيمون عندي و هم ضيفي أستحي أن آمرهم بالخروج إلى ما بعثوا إليه و شكوا ذلك إلى قينتيه اللتين كانتا تغنيانهم و هما الجرادتان فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية بن بكر:

أ لا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يصبحنا غاما

ص: ٢٥٨

فيسقى أرض عاد إن عاداً قد أمسوا ما يبينون الكلاما

و إن الوحش تأتيهم جهارا و لا تخشى لعادى سهامها

و أنتم هاهنا فيما اشتهيتم نهاركم و ليحكم التماما

فقبح وفدكم من وفد قوم و لا لقوا التحيه و السلاما

فلما غنتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض إنما بعثكم قومكم يتغوثون بكم من هذا البلاء فادخلوا هذا الحرم و استسقوا لهم فقال رجل منهم قد آمن يهود سرا و الله لا تسقون بدعائكم و لكن إن أطعتم نبيكم سقيتم فزجروه و خرجوا إلى مكة يستسقون بها لعاد و كان قيل بن عنزر رأس وفد عاد فقال يا إلهنا إن كان هود صادقا فاسقنا فإننا قد هلكنا فأنشأ الله سبحانه سحابة ثلاثا بيضاء و حمراء و سوداء ثم ناداه من السماء يا قيل اختر لنفسك و لقومك فاختر السحابة السوداء التى فيها العذاب فساق الله سبحانه تلك السحابة بما فيها من النقمه إلى عاد فلما رأوها استبشروا بها و قالوا هذا عارضٌ مُمطرٌنا يقول الله عز و جل «بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ» فسخرها الله تعالى عليهم سبع ليال و ثمانيه أيام حسوما أى دائمه فلم تدع من عاد أحدا إلا-هلك و اعتزل هود و من معه من المؤمنين فى حظيره ما يصيبه و من معه إلا ما تلين عليه الجلود و تلتذ النفوس و إنها لتمر من عاد بالظعن ما بين السماء و الأرض و تدمغهم بالحجاره فأهلكتهم و

روى أبو حمزه الثمالى عن سالم عن أبى جعفر (عليه السلام) قال إن الله تبارك و تعالى بيت ريح مقفل عليه لو فتح لأذرت ما بين السماء و الأرض ما أرسل على قوم عاد إلا قدر الخاتم

و كان هود و صالح و شعيب و إسماعيل و نبينا ص يتكلمون بالعريه.

إشارة

وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ هَدْيَةٌ نَاقَةٌ لِلَّذِينَ هَدَاهُ اللَّهُ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ (٧٣) وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأْنَاكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَادْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٤) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسِلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٧٦) فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَاعْتُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧٧)

فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ (٧٨) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَهُ رَبِّي وَنَصِيحَتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (٧٩)

القراءة

قرأ ابن عامر وحده و قال الملاً بإثبات الواو و الباقون بغير الواو.

الحجج

قد تقدم القول في نحو هذا الواو و أن إثباتها حسن و حذفها حسن.

اللغة

البينه العلامة الفاصله بين الحق و الباطل من جهة شهادتها به و الناقه أصلها من التوطئه و التذليل يقال بغير منوق أى مدلل موطأ و تنوق في العمل جوده و الآيه و العبره و الدلاله و العلامة نظائر و التبوئه التمكين من المنازل يقال بوأته منزلاً إذا أمكنته منه لياوى إليه و أصله من الرجوع قال الشاعر:

و بوئت في صميم معشرها فتم في قومها مبوؤها

أى أنزلت و مكنت و القصور جمع قصر و هو الدار التى لها سور يكون به مقصوره و أصله القصر الذى هو الجعل على منزله دون منزله و منه القصير لأنه دون غيره و القصر الغايه

يقال قصر ك الموت لأنه قصر عليه و العثى الفساد يقال عثى يعثى و عاث يعيث بمعنى و العقر الجرح الذى يأتى على أصل النفس و هو من عقر الحوض: أصله قال امرؤ القيس:

(بإزاء الحوض أو عقره)

و العتو تجاوز الحد فى الفساد و الرجف الاضطراب يقال رجف بهم السقف يرجف رجوفا إذا اضطرب من تحتهم و أرجف الناس بالشىء إذا خاضوا فيه و اضطربوا و الجثوم البروك على الركبه يقال جثم يجثم جثوما قال جرير:

عرفت المنتأى و عرفت منها مطايا القدر كالحده الجثوم

. الإعراب

ثمود جاء مصروفا و غير مصروف فمن صرفه فعلى أنه اسم الحى مذكر و من ترك صرفه فعلى أنه اسم القبيله كما قال ألا إن ثمود كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعِيداً لَثُمُودَ فَصَرَفَ الْأَوَّلَ و لم يصرف الثانى آيه منصوب على الحال لأن معنى قوله «هذه ناقة الله» انظروا إلى هذه الناقة آيه أى علامه و تأكل فى موضع نصب على الحال أى آكله و مفسدين أيضا نصب على الحال و قوله «لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ» موضعه نصب بدل من قوله «لِلَّذِينَ اسْتَضَوْا بِحُفُورِهِمْ» و هو بدل البعض من الكل إلا أنه أعيد فيه حرف الجر و قوله «يا صالح ائتنا» إن وصلته همزته و إن ابتدأت به لم تهمز بل تقول ائتنا و إنما كان كذلك لأن أصله ائتنا بهمزتين فكرهوا اجتماعهما فقلبوا الثانى ياء لكسره ما قبلها و إذا وصل تسقط همزه الوصل فتظهر همزه الأصل.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم قصه صالح فقال «وَإِلَى ثُمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا» أى و أرسلنا إلى ثمود و ثمود هنا القبيله و هو ثمود بن عاثر بن إرم بن سام بن نوح و صالح من ولد ثمود «قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ» وحده «مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ» فتعبده «قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ» أى دلاله معجزه شاهده على صدقى «هذه ناقة الله لكم آية» أشار إلى ناقة بعينها أضافها إلى الله سبحانه تفضيلا و تخصيصا نحو بيت الله و قيل إنما أضافها إليه لأنها خلقها بلا واسطه و جعلها دلاله على توحيده و صدق رسوله لأنها خرجت من صخره ملساء تمخضت بها كما تتمخض المرأه ثم انفلقت عنها على الصفة التى طلبوها و كان لها

ص: ٢٦١

شرب يوم تشرب فيه ماء الوادى كله و تسقيهم اللبن بدله و لهم شرب يوم يخصهم لا تقرب فيه ماءهم عن السدى و ابن إسحاق و جماعه و قيل إنما أضافها إلى الله لأنه لم يكن لها مالك سواه تعالى عن الجبائي قال الحسن كانت ناقه من النوق و كان وجه الإعجاز فيها أنها كانت تشرب ماء الوادى كله فى يوم على ما شرحناه «فَذَرُّوْهَا» أى اتركوها «تَأْكُلُ فِى أَرْضِ اللَّهِ وَ لَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ» أى بعقر أو نحر «فَيَأْخُذْكُمْ» أى ينالكم «عَذَابٌ أَلِيمٌ» أى مؤلم «وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ» أى و اذكروا نعم الله تعالى عليكم فى أن أورثكم الأرض و مكنكم فيها من بعد عاد «وَ يَوْمَآكُمْ فِى الْمَأْرُضِ» أى أنزلكم فيها و جعل لكم فيها مساكن و بيوتا تأوون إليها و «تَتَّخِذُونَ مِنْ سِهْلِهَا قُصُورًا» و السهل خلاف الجبل و هو ما ليس فيه مشقه على النفس أى تبنون فى سهولها الدور و القصور و إنما اتخذوها فى السهول ليصيفوا فيها «وَ تَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا» قال ابن عباس كانوا يبنون القصور بكل موضع و ينحتون من الجبال بيوتا يسكنونها شتاء لتكون مساكنهم فى الشتاء أحصن و أدفأ و يروى أنهم لطول أعمارهم يحتاجون إلى أن ينحتوا بيوتا فى الجبال لأن السقوف و الأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم «فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ» أى نعم الله عليكم بما أعطاكم من القوه و طول العمر و التمكن فى الأرض «وَ لَا تَعْتَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ» أى و لا تضطربوا بالفساد فى الأرض و لا تبالغوا فيه «قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا» أى تعظموا و رفعوا أنفسهم فوق مقدارها بجحود الحق لأنفه من اتباع الرسول الداعى إليه «مِنْ قَوْمِهِ» أى من قوم صالح «لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا» أى للذين استضعفوهم من المؤمنين «لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ» إنما ذكره لئلا يظن بالمستضعفين أنهم كانوا غير مؤمنين لأنه قد يكون المستضعف مستضعفا فى دينه و لا يكون مؤمنا فأزال الله سبحانه هذه الشبهه «أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسِلًا مِنْ رَبِّهِ» أى هل تعلمون أن الله سبحانه أرسل صالحا «قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ» أى مصدقون «قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا» لهم حين سمعوا منهم الإيمان و الاعتراف بنبوه صالح «إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ» أى صدقتم به «كَافِرُونَ» جاحدون ثم أخبر سبحانه عما فعله المستكبرون بقوله «فَعَقَرُوا النَّاقَةَ» أى فنحروا الناقه قال الأزهرى العقر عند العرب قطع عرقوب البعير ثم جعل النحر عقرا لأن ناجر البعير يعقره ثم ينحره «وَ عَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ» أى تجاوزوا الحد فى الفساد و المعصيه «وَ قَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا» من العذاب على قتل الناقه فقد قتلناها «إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ» ثم أخبر سبحانه بما حل بهم من العذاب بقوله «فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ» أى الصيحه عن مجاهد و السدى و قيل الصاعقه و قيل الزلزله أهلكوا بها عن أبى مسلم و قيل كانت صيحه

زلزلت بها الأرض و أصل الرجفه الحركه المزعجه بشده الزعزعه «فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ» أى فى بلدهم و لذلك وحد و قيل يريد فى دورهم و إنما وحد لأنه أراد الجنس كقوله «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسِيرٍ» و قد ذكر فى موضع آخر ديارهم بالجمع «جَائِمِينَ» أى صرعى ميتين ساقطين لا حركه بهم و قيل كالرماد الجاثم لأنهم احترقوا بالصاعقه «فَتَوَلَّى عَنْهُمْ» صالح أى أعرض عنهم لأنه إنما كان يقبل عليهم لدعائهم إلى الإيمان «وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَهُ رَبِّي وَ نَصَحْتُ لَكُمْ» أى أدت النصح فى تبليغ الرساله «وَ لَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ» أى و لكنكم لا تحبون من ينصح لكم لأن من أحب إنسانا قبل منه.

[قصه صالح]

و كان من قصه صالح و قومه على ما ذكره أصحاب التواريخ أن عادا لما هلكت و تقضى أمرها عمرت ثمود بعدها و استخلفوا فى الأرض فكثروا و عمروا و كانوا فى سعه من معاشهم فعتوا على الله و أفسدوا فى الأرض و عبدوا غير الله فبعث الله إليهم صالحا و كان من أوسطهم نسبا و كانوا قوما عربا و

روى فى الخبر أنه لما بعث كان ابن ست عشره سنه فلبث فيهم يدعوهم إلى الله تعالى حتى بلغ عشرين و مائه سنه لا يجيبونه إلى خير و كان لهم سبعون صنما يعبدونها فلما رأى ذلك منهم قال لهم أنا أعرض عليكم أمرين إن شئتم فاسألونى حتى أسأل إلهي فيجيئكم فيما تسألون و إن شئتم سألت آلهتكم فإن أجابونى خرجت عنكم فقد شئتكم و شئتمنى قالوا قد أنصفت فاتعدوا ليوم يخرجون فيه فخرجوا بأصنامهم إلى عيدهم و أكلوا و شربوا فلما فرغوا دعوه فقالوا يا صالح سل فسألها فلم تجبه قال لا أرى آلهتكم تجيبنى فاسألونى حتى أسأل إلهي فيجيئكم الساعه فقالوا يا صالح أخرج لنا من هذه الصخره و أشاروا إلى صخره منفرده ناقه مخترجه جوفاء و براء و المخترجه ما شاكل البخت من الإبل فإن فعلت صدقناك و آمننا بك فسأل الله سبحانه ذلك صالح فانصدعت الصخره صدعا كادت عقولهم تطير منه ثم اضطربت كالمرأه يأخذها الطلق ثم انصدعت عن ناقه عشاء جوفاء و براء كما و صفوا لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله عظما و هم ينظرون ثم نتجت سقبا مثلها فى العظم فآمن به رهط من قومه و لم يؤمن من أكابرهم فقال لهم صالح هذه ناقه لها شرب و لكم شرب يوم معلوم

و قد بينا ذلك قبل فإذا كان يومها وضعت رأسها فى مائهم فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيه ثم ترفع رأسها فتفجج لهم فيحتلبون ما شاءوا من لبن فيشربون

ص: ٢٦٣

و يدخرون حتى يملئوا أوانيهم كلها قال الحسن بن محبوب حدثني رجل من أصحابنا يقال له سعيد بن يزيد قال أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة بين الجبلين و رأيت أثر جنيها فوجدته ثمانين ذراعا و كانت تصدر من غير الفج الذي منه وردت لا تقدر على أن تصدر من حيث ترد لأنه يضيق عنها فكانوا في سعه و دعه منها و كانوا يشربون الماء يوم الناقة من الجبال و المغارات فشق ذلك عليهم و كانت مواشيهم تنفر عنها لعظمتها فهموا بقتلها قالوا و كانت امرأه جميله يقال لها صدوف ذات مال من إبل و بقر و غنم و كانت أشد الناس عداوه لصالح فدعت رجلا من ثمود يقال له مصدع بن مهرج و جعلت له نفسها على أن يعقر الناقة و امرأه أخرى يقال لها عنيزه دعت قدار بن سالف و كان أحمر أزرق قصيرا و كان ولد زنا و لم يكن لسالف الذي يدعى إليه و لكنه ولد على فراشه و قالت له أعطيك أي بناتي شئت على أن تعقر الناقة و كان قدار عزيزا منيعا في قومه فانطلق قدار بن سالف و مصدع فاستغويا غواه ثمود فاتبعهما سبعة نفر و أجمعوا على عقر الناقة قال السدي و غيره أوحى الله تعالى إلى صالح إن قومك سيعقرون ناقتك فقال ذلك لقومه فقالوا ما كنا لنفعل قال صالح أنه يولد في شهركم هذا غلام يعقرها و يكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد لنا ابن في هذا الشهر إلا قتلناه فولد لتسعه منهم في ذلك الشهر فذبحوا أبناءهم ثم ولد للعاشر فأبى أن يذبح ابنه و كان لم يولد له قبل ذلك شيء و كان العاشر أزرق أحمر و نبت نباتا سريعا و كان إذا مر بالتسعه فأروه قالوا لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا فغضب التسعه على صالح لأنه كان سبب قتلهم أبناءهم فتقاسموا بالله لنبيته و أهله قالوا نخرج فيرى الناس أننا قد خرجنا إلى سفر فنأتى الغار فتكون فيه حتى إذا كان الليل و خرج صالح إلى مسجده أتيناه فقتلناه ثم رجعنا إلى الغار فكننا فيه ثم رجعنا فقلنا ما شهدنا مهلك أهله و إنا لصادقون فيصدقوننا يعلمون أننا قد خرجنا إلى سفرنا و كان صالح لا ينام معهم في القرية و يبيت في مسجد يقال له مسجد صالح فإذا أصبح أتاهم فوعظهم و إذا أمسى خرج إلى المسجد فبات فيه فانطلقوا فلما دخلوا الغار و أرادوا أن يخرجوا من الليل سقط عليهم الغار فقتلهم فانطلق رجال ممن اطلع على ذلك منهم فإذا هم رضح فرجعوا و جعلوا يصيحون في القرية أي عباد الله أ ما رضى صالح أن أمرهم بقتل أولادهم إذ قتلهم فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة و قال ابن إسحاق إنما كان تقاسم التسعه على تبييت صالح بعد عقر الناقة و إنذار صالح إياهم بالعذاب قال السدي و لما ولد قدار و كبر جلس مع أناس يصيبون من الشراب فأرادوا ماء يمزجون به شرابهم و كان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد ذلك عليهم فقال قدار هل لكم في أن أعقرها لكم قالوا

نعم وقال كعب كان سبب عقربهم الناقة أن امرأه يقال لها ملكاء كانت قد ملكت ثمودا فلما أقبل الناس على صالح و صارت الرئاسة إليه حسدته فقالت لامرأه يقال لها قطام و كانت معشوقه قدار بن سالف و لامرأه أخرى يقال لها قبال كانت معشوقه مصدع و كان قدار و مصدع يجتمعان معهما كل ليلة و يشربون الخمر فقالت لهما ملكاء إن أتاكما الليلة قدار و مصدع فلا تطيعاهما و قولاً لهما إن ملكاء حزينه لأجل الناقة و لأجل صالح فنحن لا نطيعكما حتى تعقرا الناقة فلما أتياهما قالتا هذه المقالة لهما فقالا نحن نكون من وراء عقربها قالوا فانطلق قدار و مصدع و أصحابهما السبعة فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء و قد كمن لها قدار في أصل صخره على طريقها و كمن لها مصدع في أصل أخرى فمرت على مصدع فرمى بسهم فانظم به عضله ساقها و خرجت عنيزه و أمرت ابنتها و كانت من أحسن الناس فأسفرت لقدار ثم زمزمته فشه على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت و رغت رغاء واحده و تحذر سقبها ثم طعن في لبتها فنحرها و خرج أهل البلده و اقتسموا لحمها و طبخوه فلما رأى الفصيل ما فعل بأمه ولى هاربا حتى صعد جبلا ثم رغا رغاء تقطع منه قلوب القوم و أقبل صالح فخرجوا يعتذرون إليه إنما عقربها فلان و لا ذنب لنا فقال صالح انظروا هل تدركون فصيلها فإن أدركتموه فعسى أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه في الجبل فلم يجدوه و كانوا عقروا الناقة ليله الأربعة فقال لهم صالح تمتعوا في داركم يعني في محللكم في الدنيا ثلاثة أيام فإن العذاب نازل بكم ثم قال يا قوم إنكم تصبحون غدا و وجوهكم مصفرة و اليوم الثاني تصبحون وجوهكم محمره و اليوم الثالث وجوهكم مسوده فلما كان أول يوم أصبحت وجوههم مصفرة فقالوا جاءكم ما قال لكم صالح و لما كان اليوم الثاني احمرت وجوههم و اليوم الثالث اسودت وجوههم فلما كان نصف الليل أتاهم جبرائيل (عليه السلام) فصرخ بهم صرخه خرقت أسماعهم و فلقت قلوبهم و صدعت أكبادهم و كانوا قد تحنطوا و تكفنوا و علموا أن العذاب نازل بهم فماتوا أجمعين في طرفه عين صغيرهم و كبيرهم فلم يبق الله منهم ناعيه و لا راغيه و لا شيئا يتنفس إلا أهلكه فأصبحوا في ديارهم موتى ثم أرسل الله إليهم مع الصيحة النار من السماء فأحرقتهم أجمعين فهذه قصتهم و في كتاب علي بن إبراهيم فبعث الله عليهم صيحه و زلزه فهلكوا و

روى الثعلبي بإسناده مرفوعا عن النبي ص قال يا علي أ تدرى من أشقى الأولين قال قلت لله و رسوله أعلم قال عاقر الناقة قال أ تدرى من أشقى الآخرين قال قلت لله و رسوله أعلم قال قاتلك

و

في روايه أخرى قال أشقى الآخرين من يخضب هذه من هذه و أشار إلى لحيته و رأسه

و

روى أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال لما مر النبي ص بالحجر في غزوه

تبوك قال لأصحابه لا يدخلن أحد منكم القريه و لا تشربوا من مائهم و لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم الذى أصابهم ثم قال أما بعد فلا تسألوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوها رسولهم الآيه فبعث الله لهم الناقه و كانت ترد من هذا الفج و تصدر من هذا الفج تشرب ماءهم يوم ورودها و أراهم مرتقى الفصيل حين ارتقى فى القاره فعتوا عن أمر ربهم فعقروها فأهلك الله من تحت أديم السماء منهم فى مشارق الأرض و مغاربها إلا رجلا واحدا يقال له أبو رغال و هو أبو ثقيف كان فى حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن و دفن معه غصن من ذهب و أراهم قبر أبى رغال فنزل القوم فابتدروه بأسياهم و حثوا عنه فاستخرجوا ذلك الغصن ثم قنع رسول الله ص رأسه و أسرع السير حتى جاز الوادى.

[سوره الأعراف (٧): الآيات ٨٠ الى ٨٤]

اشاره

و لوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشه ما سبقكم بها من أحد من العالمين (٨٠) إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون (٨١) و ما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون (٨٢) فأنجيناها و أهلها إلا امرأتها كانت من الغابرين (٨٣) و أمطرنا عليهم مطراً فانظرو كيف كان عاقبه المجرمين (٨٤)

القراءه

قرأ أهل المدينه و حفص و سهل هنا «إنكم لتأتون» و كذلك مذهبهم فى الاستفهامين يجتمعان يكتفون بالاستفهام الأول عن الثانى فى كل القرآن و هو مذهب الكسائى إلا- فى قصه لوط و الباقون بهمزين الثانى مكسوره و حققهما أهل الكوفه إلا أن حفصا يفصل بينهما بألف و ابن كثير و أبو عمرو و رويس يحققون الأولى و يلينون الثانى إلا أن أبا عمرو يفصل بينهما بالألف.

الحجه

قال أبو على كل واحد من الاستفهامين جمله مستقله لا يحتاج فى تمامها إلى شىء فمن ألحق حرف الاستفهام جمله نقلها به من الخبر إلى الاستخبار و من لم يلحقها

بقاها على الخبر فإذا كان كذلك فمن قرأ «إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ» جعله تفسيراً للفاحشه كما أن قوله لِلذَّكْرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ تفسير الوصيه.

اللغه

قال الزجاج لوط اسم غير مشتق لأن العجمي لا يشتق من العربي و إنما قال ذلك لأنه لم يوجد إلا علما في أسماء الأنبياء و قيل أنه مشتق من لطت الحوض إذا ألزقت عليه الطين و ملسته به و يقال هذا ألوط بقلبي من ذاك أى ألصق و الليطه القشر للصوقه بما اتصل به و الشهوه مطالبه النفس بفعل ما فيه اللذه و ليست كالإراده لأنها قد تدعو إلى الفعل من جهه الحكمه و الشهوه ضروريه فينا من فعل الله تعالى و الإراده من فعلنا يقال شهيت أشهى شهوه قال:

و أشعث يشهى النوم قلت له ارتحل إذا ما النجوم أعرضت و اسبكرت

فقام يجر البرد لو أن نفسه يقال له خذها بكفيك خرت

و الإسراف الخروج عن حد الحق إلى الفساد و الغابر الباقي قال الأعشى:

عض بما أبقى المواسى له من أمه فى الزمن الغابر

. الإعراب

إنما صرف لوطا لخفته بكونه على ثلاثه أحرف ساكن الأوسط فقاومت الخفه أحد السبيين و يجوز فى قوله «جَوَابَ قَوْمِهِ» الرفع إلا- أن الأ-جود النصب و عليه القراءه شهوه مصدر وضع موضع الحال و قوله «إِلَّا امْرَأَتَهُ» استثناء متصل لأنه يجوز أن تدخل الزوجه فى الأهل على التغليب فى الجمله دون التفصيل و لم يقل من الغابرات لأنه أراد أنها ممن بقيت مع الرجال و مطرا مصدر ذكر للتأكيد كقوله ضربه ضربا.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال «و لوطاً» أى و أرسلنا لوطا و قيل إن تقديره و اذكر لوطا قال الأخفش يحتمل المعنيين جميعا هاهنا و لم يحتمل فى قصه عاد و ثمود إلا أرسلنا لأن فيها ذكر إلى و هو لوط بن هاران بن تارخ ابن أخى إبراهيم الخليل ع و قيل إنه كان ابن خاله إبراهيم و كانت ساره امرأه إبراهيم أخت لوط «إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ» أى السيئه العظيمه القبح يعنى إتيان الرجال فى أدبارهم «مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ

ص: ٢٦٧

مِنَ الْعَالَمِينَ» قيل ما نزا ذكر على ذكر قبل قوم لوط عن عمرو بن دينار قال الحسن و كانوا يفعلون ذلك بالغرباء ثم بين تلك الفاحشه فقال «إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ» معناه أ تأتون الرجال فى أ دبارهم اشتها منكم أى تشتهونهم فتأتونهم و تتركون إتيان النساء اللاتى أباحها الله لكم «بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ» أى متجاوزون عن الحد فى الظلم و الفساد و مستوفون جميع المعايير إتيان الذكران و غيره «وَ مَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ» أى لم يجيبوه عما قال «إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ» قابلوا النصيح و الوعظ بالسفاهه فقالوا أخرجوا لوطا و من آمن به من بلدتكم و المراد بالقريه البلده كما قال أبو عمرو بن العلاء ما رأيت قرويين أفصح من الحسن البصرى و الحجاج يريد بالقروى من يسكن المدين «إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ» أى يتخرجون عن أ دبار الرجال فعابوهم بما يجب أن يمدحوا به عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و قيل معناه يتنزهون عن أفعالكم و طرائقكم «فَأَنْجَيْنَاهُ» أى فخلصنا لوطا من الهلاك «وَ أَهْلَهُ» المختصين به و أهل الرجل من يختص به اختصاص القرابه «إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ» أى من الباقين فى قومه المتخلفين عن لوط حتى هلكت لأنها كانت على دينهم فلم تؤمن به و قيل معناه كانت من الباقين فى عذاب الله عن الحسن و قتاده «وَ أَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا» أى أرسلنا عليهم الحجاره كالمطر كما قال فى آيه أخرى وَ أَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سَبْجِيلٍ «فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ» معناه تفكر و أنظر بعين العقل كيف كان مآل أمر المقترفين للسيئات و المنقطعين إليها و عاقبه فعلهم من عذاب الدنيا بالاستئصال قبل عذاب الآخرة بالخلود فى النار.

[قصه لوط مع قومه]

و جمله أمرهم

فيما روى عن أبى حمزه الشمالى و أبى بصير عن أبى جعفر أن لوطا لبث فى قومه ثلاثين سنه و كان نازلا فيهم و لم يكن منهم يدعوهم إلى الله و ينهاهم عن الفواحش و يحثهم على الطاعه فلم يجيبوه و لم يطيعوه و كانوا لا يتطهرون من الجنابه بخلاء أشحاء على الطعام فأعقبهم البخل الداء الذى لا دواء له فى فروجهم و ذلك أنهم كانوا على طريق السياره إلى الشام و مصر و كان ينزل بهم الضيفان فدعاهم البخل إلى أن كانوا إذا نزل بهم الضيف فضحوه و إنما فعلوا ذلك لتنكل النازله عليهم من غير شهوه بهم إلى ذلك فأوردهم البخل هذا الداء حتى صاروا يطلبونه من الرجال و يعطون عليه الجعل و كان لوط سخيا كريما يقرى الضيف إذا نزل به فنهوه عن ذلك و قالوا لا تقرين ضيفا جاء ينزل بك فإنك

ص: ٢٦٨

إن فعلت فضحنا ضيفك فكان لوط إذا نزل به الضيف كتم أمره مخافه أن يفضحه قومه و لما أراد الله سبحانه عذابهم بعث إليهم رسلا مبشرين و منذرين فلما عتوا عن أمره بعث الله إليهم جبرائيل (عليه السلام) فى نفر من الملائكه فأقبلوا إلى إبراهيم قبل لوط فلما رآهم إبراهيم ذبح عجلا سمينا فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم و أوجس منهم خيفه قالوا يا إبراهيم إنا رسل ربك و نحن لا نأكل الطعام إنا أرسلنا إلى قوم لوط و خرجوا من عند إبراهيم فوقفوا على لوط و هو يسقى الزرع فقال من أنتم قالوا نحن أبناء السبيل أضفنا الليله فقال لوط إن أهل هذه القرية قوم سوء ينكحون الرجال فى أدبارهم و يأخذون أموالهم قالوا قد أبطأنا فأضفنا فجاء لوط إلى أهله و كانت امرأته كافره فقال قد أتانى أضياف فى هذه الليله فاكتمى أمرهم قالت أفعل و كانت علامه بينها و بين قومها أنه إذا كان عند لوط أضياف بالنهار تدخن من فوق السطح و إذا كان بالليل توقد النار فلما دخل جبرائيل (عليه السلام) و الملائكه معه بيت لوط و ثبت امرأته على السطح فأوقدت نارا فأقبل القوم من كل ناحيه يهرعون إليه أى يسرعون و دار بينهم ما قصه الله تعالى فى مواضع من كتابه فضرب جبرائيل (عليه السلام) بجناحه على عيونهم فطمسها فلما رأوا ذلك علموا أنهم قد أتاهم العذاب فقال جبرائيل ع يا لوط اخرج من بينهم أنت و أهلك إلا امرأتك فقال كيف أخرج و قد اجتمعوا حول دارى فوضع بين يديه عمودا من نور و قال اتبع هذا العمود و لا يلتفت منكم أحد فخرجوا من القرية فلما طلع الفجر ضرب جبرائيل بجناحه فى طرف القرية فقلعها من تخوم الأرضين السابعة ثم رفعها فى الهواء حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم و صراخ ديوكهم ثم قلبها عليها و هو قول الله عز و جل «فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا» و ذلك بعد أن أمطر الله عليهم حجاره من سجيل و هلكت امرأته بأن أرسل الله عليها صخره فقتلها و قيل قلبت المدينه على الحاضرين منهم فجعل عاليها سافلها و أمطرت الحجاره على الغائبين فأهلكوا بها و قال الكلبي أول من عمل عمل قوم لوط إبليس الخبيث لأن بلادهم أخصبت فانتجعتها أهل البلدان فتمثل لهم إبليس فى صوره شاب ثم دعاهم إلى دبره فنكح فى دبره ثم عبثوا بذلك العمل فلما كثر ذلك فيهم عجت الأرض إلى ربها فسمعت السماء فعجت إلى ربها فسمع العرش فعج إلى ربه فأمر الله السماء أن تحصبهم و أمر الأرض أن تخسف بهم.

إشارة

وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨٥) وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (٨٦) وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٧)

اللغة

الإيفاء إتمام الشئ ء إلى حد الحق فيه و منه إيفاء العهد و هو إتمامه بالعمل به و الكيل تقدير الشئ ء بالمكيال حتى يظهر مقداره منه و الوزن تقديره بالميزان و المساحة تقديره بالذراع أو ما زاد عليه أو نقص و البخس النقص عن الحد الذى يوجبه الحق و الإفساد إخراج الشئ ء إلى حد لا ينتفع به بدلا من حال ينتفع بها و ضده الإصلاح و الصد الصرف عن الفعل بالإغواء فيه كما يصد الشيطان عن ذكر الله و عن الصلاة يقال صده عن الأمر يصد أى منعه العوج بكسر العين فى الدين و كل ما لا يرى و العوج بفتح العين فى العود و كل ما يرى كالحائط و غيره و الطائفة الجماعة من الناس و هو من الطوف مأخوذه من أنها تجتمع على الطواف.

الإعراب

مدین اسم للمدینه أو القبيله لا ينصرف للتعريف و التأنيث و جائز أن يكون أعجميا عن الزجاج «بِكُلِّ صِرَاطٍ» بمعنى على كل صراط و يجوز تعاقب الحروف الثلاثة هنا الباء و على و فى تقول لا تقعد بكل صراط و على كل صراط و فى كل صراط لأنه اجتمع معانى

الأحرف الثلاثة فيه فإن الباء للإلصاق و هو قد لاصق المكان و على للاستعلاء و هو قد علا المكان و فى للمحل و قد حل المكان و من آمن فى موضع نصب بأنه مفعول به أى و تصدون المؤمنين بالله و إنما قال «فَاصْبِرُوا» فجعل الصبر جزاء و هو لازم على كل حال لأن المعنى فسيقع جزاء كل فريق بما يستحقه من ثواب أو عقاب كأنه قال فأنتم مصبورون على حكم الله بذلك.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من القصص قصه شعيب فقال «وَإِلَى مَدْيَنَ» أى و أرسلنا إلى مدين «أَخَاهُمْ شُعَيْبًا» و قيل إن مدين ابن إبراهيم الخليل فنسبت القبيلة إليه قال عطاء هو شعيب بن توبه بن مدين بن إبراهيم و قال قتاده هو شعيب بن بويب قال ابن إسحاق هو شعيب بن ميكيل بن يشجب بن مدين بن إبراهيم و أم ميكيل بنت لوط و كان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه و هو أصحاب الأيكة و قال قتاده أرسل شعيب مرتين إلى مدين مره و إلى أصحاب الأيكة مره «قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتُكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ» قد مر تفسيره «فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزَانَ» أى أتموا ما تكيلونه على الناس بالمكيال و ما تزنونه عليهم بالميزان و معناه أدوا حقوق الناس على التمام فى المعاملات «وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ» أى لا تنقصوهم حقوقهم و قال قتاده و السدى البخس الظلم و منه المثل تحسبها حمقاء و هى باخس «وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا» يعنى لا تعملوا فى الأرض بالمعاصى و استحلال المحارم بعد أن أصلحها الله بالأمر و النهى و بعثه الأنبياء و تعريف الخلق مصالحهم و قيل لا- تفسدوا بأن لا تؤمنوا فيهلك الله الحرث و النسل «ذَلِكُمْ» الذى أمرتكم به «خَيْرٌ لَكُمْ» و أعود عليكم «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» أى مصدقين بالله و إنما علق خيريته بالإيمان و إن كان هو خيرا على كل حال من حيث إن من لا يكون مؤمنا بالله و عارفا بنبيه لم يمكنه أن يعلم أن ذلك خير له فكأنه قال لهم كونوا مؤمنين لتعلموا أن ذلك خير لكم و يمكن أن يكون المراد لا- ينفعكم إيفاء الكيل و الوزن إلا بعد أن تكونوا مؤمنين و قال الفراء لم يكن لشعيب معجزه على نبوته لأن الله تعالى لم يذكر له دلالة فى القرآن و هو غلط لأنه لا يجوز أن يخلق الله تعالى نبيا عن معجزه هذا و قد قال سبحانه «قَدْ جَاءتُكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا» فجاء بالفاء جوابا للجزاء و يجوز أن يكون له معجزات و إن لم تذكر فى القرآن كما أن أكثر آيات نبينا ص و معجزاته غير المذكوره فى القرآن و لم يوجب ذلك نفيها «وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ» قيل فى معناه أقوال (أحدها) أنهم كانوا يقعدون

على طريق من قصد شعيباً للإيمان به فيخوفونه بالقتل عن ابن عباس والحسن و قتاده و مجاهد (و ثانيها) أنهم كانوا يقطعون الطريق فنهاهم عن أبي هريره و عبد الرحمن بن زيد و يمكن أن يكونا أرادا به أنهم كانوا يقطعون الطريق على الناس عن قصد شعيب فيرجع إلى معنى القول الأول (و ثالثها) أن المراد لا تقعدوا بكل طريق من طرق الدين فتطلبونه له العوج بإيراد الشبه و تقولون لشعيب إنه كذاب فلا يفتننكم عن الدين و تتوعدونه «و تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ» أى تمنعون عن دين الله من أراد أن يؤمن به من الناس «و تَبْغُونَهَا عِوَجًا» الهاء راجعه إلى السبيل أى تبغون السبيل عوجاً عن الحق و هو أن تقولوا هذا كذب و هذا باطل و ما أشبه ذلك عن قتاده و قيل معناه تلتمسون لها الزبغ عن مجاهد و قيل معناه لا تستقيمون على طريق الهدى عن الحسن و قيل تريدون الاعوجاج و العدول عن القصد عن الزجاج «و اذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ» أى كثر عددكم قال ابن عباس و ذلك أن مدين بن إبراهيم تزوج بنت لوط فولدت حتى كثر أولادها قال الزجاج و جائز أن يكون كثركم جعلكم أغنياء بعد أن كنتم فقراء و جائز أن يكونوا غير ذوى مقدره و أقدار فكثرهم و جائز أن يكون عددهم قليلاً فكثرهم «و انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ» يعنى فكروا فى عواقب أمر عاد و ثمود و لوط و إنزال العقاب بهم و استئصال شافتهم و ما حل بهم من البوار «و إِنْ كَانَ طَائِفَةٌ» أى جماعه «مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ» أى صدقونى فى رسالتى و قبلوا قولى «و طَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا» لم يصدقونى «فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا» خاطب الطائفتين و معناه لا يغرنكم تفرق الناس عنى فإن جميل العاقبه لى و سيجزى الله كل واحد من الفريقين بما يستحقه على عمله فى الدنيا أو الآخرة دون الدنيا «و هُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ» لأنه لا يجوز عليه الجور و لا المحاباه فى الحكم و هذا وعيد لهم قال البلخى أمرهم فى هذه الآيه بالكف عما كانوا يفعلون من الصد عن الدين و الإبعاد عليه و الكف عنه خير و رشد و لم يأمرهم بالمقام على الكفر و فى ذلك دلالة على أنه ليس كل أفعال الكفار كفر و معصيه كما يذهب إليه بعض أهل النظر.

إشارة

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (٨٨) قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (٨٩)

اللغة

العود الرجوع و هو مصير الشىء إلى حال كان عليها و منه إعادة الله الخلق و تستعمل لفظه الإعادة فى الفعل مره ثانيه حقيقه و فى فعل مثله مجازا و كلاهما يسمى إعادة تقول أعدت الكتابه و القراءه و معناه فعلت مثله قال الزجاج يقال قد عاد على من فلان مكروه و إن لم يكن سبقه مكروه قبل ذلك و تأويله أنه قد لحقنى منه مكروه و قال الشاعر:

لأن كانت الأيام أحسن مره إلى فقد عادت لهن ذنوب

الافتراء مشتق من فرى الأديم و هو مثل الاختلاف و الافتعال و المله الديانه التى يجتمع على العمل بها فرقه عظيمه و الأصل فيه تكرار الأمر من قولهم طريق مليل إذا تكرر سلوكه حتى توطأ و منه الملل و هو تكرر الشىء على النفس حتى تضجر و المله الرماد الحار تدفن فيه الخبزه حتى تنضج لتكرار الحمى عليها و الفتح الحکم و الفاتح و الفتح الحاكم لأنه يفتح باب العلم الذى انغلق على غيره و فاتحته فى كذا أى قاضيته قال ابن عباس ما كنت أدرى ما الفتح حتى سمعت بنت سيف بن ذى يزن و قد جرى بينى و بينها كلام فقالت انطلق أفاتحك إلى القاضى أى أحاكمك إليه.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عما دار بينه و بين قومه فقال «قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ» أى رفعوا أنفسهم فوق مقدارها «لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا» أى نخرجنك و أتباعك من المؤمنين بك من بلدتنا التى هى وطنك و مستقرك «أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا» أو لترجعن إلى ملتنا التى كنا عليها لأنه كان عندهم و فى ظنهم أنه كان قبل ذلك على دينهم فلذلك أطلقوا لفظ العود و قد كان ع يخفى دينه فيهم و يحتمل أنهم أرادوا به قومه فأدخلوه معهم فى الخطاب و يحتمل أن يكون المراد به أو لتدخلن فى ديننا و طريقتنا لأن العود يذكر و يراد به الابتداء كما قاله الزجاج و يكون بمعنى الصيروره و مثله

تلك المكارم لا قعبان من لبن شييا بماء فعادا بعد أبوالا

و حقيقه المعنى أنا لا نمكنك من المقام فى بلدنا و أنت على غير ملتنا فأما أن تخرج من بلدتنا أو تدخل فى ملتنا «قال أ و لو كُنَّا كَارِهِينَ» أى قال شعيب لهم أ تعيدوننا فى ملتكم و تردوننا إليها و لو كنا كارهين للدخول فيها و المعنى إنا مع كراحتنا لذلك لما عرفناه من بطلانه لا نرجع فأدخل همزه الاستفهام على و لو و قيل المعنى إنكم لا تقدرّون على ردنا إلى دينكم على كره منا فيكون على هذا كارهين بمعنى مكرهين «فَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا» أى إن عدنا فى ملتكم بأن نحل ما تحلونه و نحرم ما تحرمونه و ننسبه إلى الله تعالى بعد إذ نجانا الله تعالى منها بأن أقام الدليل و الحجة على بطلانها و أوضح الحق لنا فقد اختلقنا على الله كذبا فيما دعوناكم إليه «و ما يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا» قيل فى معنى هذه المشيئة مع حصول العلم بأنه سبحانه لا يشاء عباده الأصنام أقوال (أحدها) أن المراد بالمله الشريعة و ليس المراد بها ما يرجع إلى الاعتقاد فى الله سبحانه و صفاته مما لا يجوز أن تختلف العبادة فيه و فى شريعتهم أشياء يجوز أن يتعبد الله تعالى بها فكأنه قال ليس لنا أن نعود فى ملتكم إلا أن يشاء الله أن يتعبدنا بها و ينقلنا إليها و ينسخ ما نحن فيه من الشريعة عن الجبائى و القاضى (و ثانيها) أنه سبحانه علق ما لا- يكون بما علم لأنه لا يكون على وجه التباعد كما قال و لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ و كقول الشاعر:

إذا شاب الغراب أتيت أهلى و صار القار كاللبن الحليب

فيكون المعنى كما لا يشاء الله عباده الأصنام و القبائح لأن ذلك لا يليق بحكمته فكذلك لا نعود فى ملتكم عن جعفر بن حرب (و ثالثها) أن المراد إلا أن يشاء الله أن يمكنكم من إكراهنا و يخلى بينكم و بينه فنعود إلى إظهارها مكرهين و يقوى هذا قوله «أ و لو كُنَّا كَارِهِينَ» (و رابعها) أن تعود الهاء التى فى قوله «فيها» إلى القرية لا إلى المله لأن ذكر القرية قد تقدم كما

أن ذكر المله تقدم فيكون تحقيق الكلام إنا سنخرج من قرابتكم و لا نعود فيها إلا أن يشاء الله بما ينجزه لنا من الوعد في الإظهار عليكم و الظفر بكم فنعود فيها (و خامسها) أن يكون المعنى إلا أن يشاء الله أن يردكم إلى الحق فنكون جميعا على مله واحده غير مختلفه لأنه لما قال حاكيا عنهم أو لتعودن في ملتنا كان معناه أو لنكونن على مله واحده غير مختلفه فحسن أن يقول من بعد إلا أن يشاء الله أن يجمعكم معنا على مله واحده فإن قيل فكان الله تعالى ما شاء أن يرجع الكفار إلى الحق قلنا بلى قد شاء ذلك إلا- أنه إنما شاء بأن يؤمنوا مختارين ليستحقوا الثواب و لم يشأ على كل حال إذ لو شاءه على كل حال جاز ألا يقع منهم ذلك فكأنه قال إن ملتنا لا تكون واحده أبدا إلا أن يشاء الله أن يلجئكم إلى الإيمان و الاجتماع معنا على ملتنا «وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا» انتصب علما على التمييز و تقديره وسع علم ربنا كل شىء فنقل الفعل إلى نفسه لما فيه من جزاله اللفظ و فخامه المعنى و قيل فى وجه اتصاله بما قبله إن المله إنما يتعبد بها على حسب ما فى المعلوم من المصلحه فالمعنى أنه سبحانه أحاط علمه بكل شىء فهو أعلم بما هو أصلح لنا فيتعبدنا به و قيل إن المراد به أنه عالم بما يكون منا من عود أو ترك «عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا» فى الانتصار منكم و فى كل أمورنا «رَبُّنَا افْتِيحَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ» هذا سؤال من شعيب و رغبه منه إلى الله فى أن يحكم بينه و بين قومه بالحق على سبيل الانقطاع إليه سبحانه و إن كان من المعلوم أن الله سيفعله لا محاله و قيل إن معناه اكشف بيننا و بين قومنا و بين أينا على حق و هذا استعجال منه للنصر «وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ» أى خير الحاكمين و الفاصلين.

[سوره الأعراف (٧): الآيات ٩٠ الى ٩٣]

إشارة

وَ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ (٩٠) فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصَابَهُمْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩١)
الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَعْنُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (٩٢) فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَ نَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ (٩٣)

ص: ٢٧٥

غنى بالمكان يغنى غنا و غنانا أقام به كأنه استغنى بذلك المكان عن غيره و المغانى المنازل و أصل الباب الغنى. قال حاتم طى
ع:

غنيا زمانا بالتصعلك و الغنى فكلا سقانه بكأسيهما الدهر

فما زادنا بغيا على ذى قرابه غنانا و لا أزرى بأحسابنا الفقر

و الأسى شده الحزن يقول أسى يأسى أسا و قال يقولون لا تهلك أسى و تجمل.

الإعراب

«إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرْتُمْ» جواب القسم و قد سد مسد جواب الشرط من قوله «لَئِنْ» و إذا هاهنا ملغاه لأنها وقعت حشو الكلام و ما بعدها يعتمد على ما قبلها «الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا» الأول فى موضع رفع بالابتداء و خبره «كَأَنَّ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا» و إنما أعيد مره ثانيه من غير كناية لتغليظ الأمر فى تكذيبهم شعيبا مع البيان أنهم الذين حصلوا على الخسران لا من نسبهه إلى ذلك من أهل الإيمان و هم فى قوله «هُمُ الْخَاسِرِينَ» فصل و إنما دخل الفصل مع أن المضمرة لا يوصف لأنه يحتاج فيه إلى التوكيد ليتمكن معناه فى النفس و إن الذى بعده من المعرفة لا يخرج منه ذلك من معنى الخبر و إن كان الأصل فى الخبر النكرة.

المعنى

ثم حكى الله سبحانه ما قالت الجماعة الكافره الجاحده بآيات الله فقال «وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ» أى من قوم شعيب الباقين منهم «لَئِنْ أَتَيْتُمْ شُعَيْبًا» فى دينه و تركتم دينكم انقيادا لأمره و نهيه لأن الاتباع هو طلب الثانى موافقه الأول فيما دعا إليه «إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرْتُمْ» و الخسران ذهاب رأس المال فكأنهم قالوا إن اتبعتموه كنتم بمنزله من ذهب رأس ماله و قيل خاسرون مغبونون عن ابن عباس و قيل هالكون «فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ» أى فأخذ قوم شعيب الزلزله عن الكلبى و قيل أرسل الله عليهم رمده و حرا شديدا فأخذ بأنفاسهم فدخلوا أجواف البيوت فدخل عليهم البيوت فلم ينفعهم ظل و لا ماء و أنضحهم الحر فبعث الله تعالى سحابه فيها ريح طيبه فوجدوا برد الريح و طيبها و ظل السحابه فتنادوا عليكم بها فخرجوا إلى البريه فلما اجتمعوا تحت السحابه ألهبها الله عليهم نارا و رجفت بهم الأرض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلى و صاروا رمادا و هو عذاب يوم الظله عن ابن عباس و غيره من المفسرين و قيل

بعث الله عليهم صيحه واحده فماتوا عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل إنه كان لشعيب قومان قوم أهلكوا بالرجفه و قوم هم أصحاب الظله «فَأَصْبَحُوا

فِي دَارِهِمْ» أَي مَنَازِلِهِمْ «جَائِمِينَ» أَي مَيِّتِينَ مَلْقِينَ عَلَى وَجْهِهِمْ «الَّذِينَ كَذَّبُوا شَعْبِيًّا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا» أَي كَأَنَّهُمْ لَمْ يَقيمُوا بِهَا قَط لَأَن المَهْلِك يَصِير كَأَن لَمْ يَكُن وَقِيل كَأَن لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا كَأَن لَمْ يَعيشُوا فِيهَا مُسْتغْنِينَ عَن قِتَادِهِ وَقِيل كَأَن لَمْ يَعمَرُوا فِيهَا عَن ابن عَبَّاس «الَّذِينَ كَذَّبُوا شَعْبِيًّا» عَاد اللفظ تَأَكِيدًا وَتَغْلِيظًا «كَانُوا هُمُ الخَاسِرِينَ» مَر مَعْنَاهُ بَين سَبْحَانِهِ أَنَّهُم الخَاسِرُونَ دُونَ مَن آمَنَ بِهِ «فَتَوَلَّى عَنْهُمْ» شَعِيبُ أَي أَعْرَضَ عَنْهُمْ لَمَّا رَأَى إقبَالَ العَذَابِ عَلَيْهِمُ إِعْرَاضَ الآيسِ مِنْهُمْ «وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِيسَالَاتِ رَبِّي» فِيمَا أَمَرَنِي فَلَمْ تُؤْمِنُوا «وَنَصِيحَتُ لَكُمْ» فَلَمْ يَقْبَلُوا وَ مَعْنَاهُ أَن مَا نَزَلَ بِكُمْ مِنَ البَلَاءِ وَ إِن كَانَ عَظِيمًا فَقَدْ اسْتَوْجَبْتُمْ ذَلِكَ بِجُنَايَتِكُمْ عَلَى أَنفُسِكُمْ «فَكَيْفَ آسَى» أَي فَكَيْفَ أَحْزَنَ «عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ» حَلَّ العَذَابَ بِهِمْ مَعَ اسْتِحْقَاقِهِمْ لَهُ وَقَوْلُهُ «فَكَيْفَ آسَى» وَ إِن كَانَ عَلَى لَفْظِ الاستِفْهَامِ فَالمَرادُ بِهِ النَفْيُ لِأَنَّ جِوابَهُ فِي هَذَا المَوْضِعِ لَا يَصِحُّ إِلَّا بِالنَفْيِ وَ إِنَّمَا يَدْخُلُهُ مَعْنَى الإِنْكارِ أَيْضًا لِهَذِهِ العِلَّةِ وَ هَذَا كَمَا قَالَ العِجَاجُ:

"أَطْرَبَا وَ أَنْتَ قَنْسَرِي

وَ هَذَا تَسَلُّ مِنَ شَعِيبٍ بِمَا يَذْكَرُ مِنْ حَالِهِ مَعَهُمْ فِي مَنَاصِحَتِهِ لَهُمْ وَ تَأْذِيَتِهِ رِسالَهُ رَبِّهِ إِلَيْهِمْ وَ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَأْسَى عَلَيْهِمْ مَعَ تَمَرْدِهِمْ فِي كُفْرِهِمْ وَ شَدِيدِ عَتْوِهِمْ قَالَ البَلْخِيُّ وَ فِي هَذَا دَلالَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَدْعُوَ لِلْكَافِرِ بِالْخَيْرِ وَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الحِزْنَ عَلَى هَلَاكِ الكَافِرِينَ وَ الظَّالِمِينَ.

[سوره الأعراف (٧): الآيات ٩٤ إلى ٩٥]

إشارة

وَ مَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبُأْسَاءِ وَ الضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (٩٤) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَ قالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَ السَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩٥)

اللغة

التبديل وضع أحد الشئيين مكان الآخر و أصل العفو الترك من قوله فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَمَعْنَى قَوْلِهِ «عَفَوْا» تَرَكَوا حَتَّى كَثُرُوا قَالَ:

وَ لَكِنَّا نَعِضُ السَّيْفَ مِنْهَا بِأَسْوَاقِ عَافِيَاتِ اللَّحْمِ كَوْمِ

ص: ٢٧٧

و البغته الفجأه و هى الأخذ على غره من غير تقدمه تؤذن بالنازله يقال بغته بيغته بغتا و بغته قال:

و أنكأ شىء حين يفجأك البغت

. الإعراب

أصل يضرعون يتضرعون فأدغمت التاء فى الضاد استطاله و إنما يدغم الناقص فى الزائد و لا يدغم الزائد فى الناقص لما فى ذلك من الإخلال به و هو فى موضع رفع بأنه خبر لعل و بغته مصدر وضع موضع الحال.

المعنى

ثم ذكر سبحانه بعد ما اقتصر من قصص الأنبياء و تكذيب أممهم إياهم و ما نزل بهم من العذاب سنه فى أمثالهم تسليه لنبينا ص فقال «و ما أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنَ الْقُرَى الَّتِي أَهْلَكْنَاهَا بِالْعَذَابِ وَقِيلَ فِي سَائِرِ الْقُرَى عَنِ الْجِبَائِي «مِنْ نَبِيٍّ» وَ هُوَ مِنْ يُؤدَى عَنَا بِلَا وَاسِطَةٍ مِنَ الْبَشَرِ فَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ «إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا» يَعْنِي أَهْلَ تِلْكَ الْقَرْيَةِ «بِالْبَأْسَاءِ وَ الضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ» أَيْ لِيَتَنَبَّهُوا وَيَعْلَمُوا أَنَّهُ مَقْدَمَةُ الْعَذَابِ وَيَتَضَرَّعُوا وَيَتُوبُوا عَنْ شُرْكَهُمْ وَ مَخَالَفَتِهِمْ وَيَعْنِي بِالْبَأْسَاءِ مَا نَالَهُمْ مِنَ الشَّدَةِ فِي أَنْفُسِهِمْ وَ بِالضَّرَّاءِ مَا نَالَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ وَقِيلَ إِنَّ الْبَأْسَاءَ الْجُوعَ وَ الضَّرَّاءَ الْأَمْرَاضَ وَ الشَّدَائِدَ عَنِ الْحَسَنِ وَقِيلَ إِنَّ الْبَأْسَاءَ الْجُوعَ وَ الضَّرَّاءَ الْفَقْرَ عَنِ السَّدَى «ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسِيَّةَ» أَيْ رَفَعْنَا السَّيِّئَةَ وَ وَضَعْنَا الْحَسَنَةَ مَكَانَهَا وَ السَّيِّئَةَ الشَّدَةُ وَ الْحَسَنَةَ الرِّخَاءُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ الْحَسَنِ وَ قِتَادِهِ وَ مَجَاهِدٍ وَ سَمِيَتْ سَيِّئَةً لِأَنَّهَا تَسُوءُ صَاحِبَهَا قَالَ الْجِبَائِيُّ جَرَى فِي هَذَا الْمَوْضِعِ عَلَى سَبِيلِ التَّوَسُّعِ وَ الْمَجَازِ «حَتَّى عَفَوْا» أَيْ كَثُرُوا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ مَجَاهِدٍ وَ السَّدَى وَقِيلَ سَمِنُوا عَنِ الْحَسَنِ وَقِيلَ أَعْرَضُوا عَنِ الشُّكْرِ عَنِ أَبِي مُسْلِمٍ «وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَ السَّرَّاءُ» أَيْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ هَكَذَا عَادَ الدَّهْرُ فَكُونُوا عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ كَمَا كَانَ آبَاؤُكُمْ كَذَلِكَ فَلَمْ يَنْتَقِلُوا عَنْ حَالِهِمْ فَتَنْتَقِلُوا «فَأَخَذْنَاهُمْ بِعَتَّةٍ» أَيْ فَجَأَهُ عِبْرَهُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ «وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» أَيْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْعَذَابَ نَازِلٌ بِهِمْ إِلَّا بَعْدَ حُلُولِهِ وَ حَقِيقَةُ الْمَعْنَى فِي الْآيَةِ أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ يَدْبِرُ خَلْقَهُ الَّذِينَ يَعْبُونَهُ بِأَنْ يَأْخُذَهُمْ تَارَهُ بِالشَّدَةِ وَ تَارَهُ بِالرِّخَاءِ فَإِذَا أَفْسَدُوا عَلَى الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا أَخَذَهُمْ فَجَأَهُ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ فِي الْحَسْرَةِ وَ أْبْلَغَ فِي الْعُقُوبَةِ نَعُودَ بِاللَّهِ مِنْ سَخَطِهِ.

ص: ٢٧٨

إشارة

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦) أَمْ مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أُنْ يَأْتِيهِمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ (٩٨) أَمْ آمَنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩)

القراءة

«أَوْ آمِنَ» بفتح الواو عراقى و ابن فليح و الباقر أو أمن بسكون الواو إلا أن ورشا قرأه على أصله فى إلقاء حركة الهمزة على الساكن قبلها فقال أ و من.

الحجة

قال أبو على أو حرف استعمل على ضربين (أحدهما) أن يكون بمعنى أحد الشئيين أو الأشياء فى الخبر و الاستفهام (و الآخر) أن يكون للإضراب عما قبلها فى الخبر و الاستفهام كما أن أم المنقطعه فى الاستفهام و الخبر كذلك فأما التى تكون لأحد الشئيين أو الأشياء فمثاله فى الخبر زيد أو عمرو ضربته و جاء زيد أو عمرو كما تقول أحدهما جاء و أحدهما ضربته و هى إذا كانت للإباحة كذلك أيضا و هو قوله جالس الحسن أو ابن سيرين و أما أو التى تجىء للإضراب بعد الخبر و الاستفهام فكقولك أنا أخرج ثم تقول أو أقيم أضربت عن الخروج و أثبت الإقامة كأنك قلت لا بل أقيم كما أنك فى قولك إنها لإبل أم شاه مضرب عن الأول و لا يقع بعد أو هذه إلا جملة و من ثم قال سيويوه فى قوله و لا تطع منهم آثما أو كفورا أنك لو قلت أو لا تطع كفورا انقلب المعنى و إنما كان ينقلب المعنى لأنه إذا قال لا تطع منهم آثما أو كفورا فكأنه قال لا تطع هذا الضرب و لا تطع هؤلاء فإنما لزمه أن لا يطيع واحدا منهما لأن كل واحد منهما فى معنى الآخر فى وجوب ترك طاعه له كما جاز له أن يجمع بين مجالسه الحسن و ابن سيرين لأن كل واحد منهما أهل للمجالسه و مجالسه كل واحد منهما كمجالسه الآخر و لو قال و لا تطع منهم آثما أو لا تطع كفورا كان بقوله أو لا تطع قد أضرب عن ترك طاعه الأول و كان يجوز أن يطيعه و فى جواز ذلك انقلاب المعنى و وجه قراءه من قرأ أو أمن أنه جعل أو للإضراب لا على أنه أبطل الأول و لكن كقوله الم تنزِيلُ

الْكِتَابِ ثُمَّ قَالَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ فَجَاءَ هَذَا لِيُبَيِّنُوا ضَلَالَتَهُمْ فَكَانَ الْمَعْنَى أَوْ أَمِنُوا هَذِهِ الضَّرُوبَ مِنْ مَعَاقِبَتِهِمْ وَالْأَخْذَ لَهُمْ وَإِنْ شِئْتَ جَعَلْتَهُ أَوْ الَّتِي فِي قَوْلِكَ ضَرَبْتَ زَيْدًا أَوْ عَمْرًا كَأَنَّكَ أَرَدْتَ أَنْ تَقُولَ إِحْدَى هَذِهِ الْعُقُوبَاتِ وَوَجْهَ قِرَاءَتِهِ مِنْ قِرَاءَةِ «أَوْ أَمِنَ» أَنَّهُ أَدْخَلَ هَمْزَهُ الْاسْتِفْهَامَ عَلَى حَرْفِ الْعَطْفِ كَمَا دَخَلَ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ أَمْ تُنَمُّ إِذَا مَا وَقَعَ وَقَوْلِهِ أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا وَمِنْ حِجِّهِ مِنْ قِرَاءَةِ ذَلِكَ أَنَّهُ أَشْبَهَ بِمَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ أَلَا تَرَى أَنْ قَبْلَهُ «أَوْ أَمِنَ أَهْلَ الْقُرَى» وَبَعْدَهُ «أَوْ أَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ» أَوْ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ فَكَمَا أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ عَطْفَ حَرْفٍ دَخَلَ عَلَيْهَا حَرْفُ الْاسْتِفْهَامِ كَذَلِكَ يَكُونُ «أَوْ أَمِنَ».

اللغة

البركات الخيرات الناميه و أصله الثبوت و الأمن و الثقة و الطمأنينه نظائر فى اللغة و ضد الأمن الخوف و ضد الثقة الريبه و ضد الطمأنينه الانزعاج و الأمن الثقة بالسلامه من الخوف و البأس العذاب و البؤس الفقر و الأصل الشده و رجل بئس شديد فى القتال و النوم نقيض اليقظه و هو سهو يغمر القلب و يغشى العين و يضعف الحس و ينافى العلم يقال نام الرجل ينام نوما و هو حسن النيمه إذا كان حسن هيئه النوم و رجل نومه بسكون الواو و إذا كان خسيسا لا يؤبه به و رجل نومه بفتح الواو إذا كان كثير النوم و النيم الفرو لأن من شأنه أن ينام فيه أو لأنه يغشى كما يغشى النوم و الضحى صدر النهار فى وقت انبساط الشمس و أصله الظهور من قولهم ضحا الشمس يضحو ضحوا و ضحوا و فعل ذلك الأمر ضاحيه إذا فعله ظاهرا و الأضحيه لأنها تذبح عند الضحى يوم العيد قال الخليل المكر الاحتيال بإظهار خلاف الإضمار و قيل إن أصل المكر الالتفاف و منه ساق ممكوره أى ملتفه حسنه قال ذو الرمه:

عجزاء ممكوره خمصانه قلق عنها الوشاح و ثم الجسم و القصب

و المكور شجر ملتف (يستن فى علقى و فى مكور) فمعنى قولك مكر فلان يمكر مكر التف تدييره على مكروه لصاحبه.

الإعراب

لو معناه تعليق الثانى بالأول الذى يجب الثانى بوجوبه و ينتفى بانتفائه على طريقه كان، و إن فيها هذا المعنى على طريقه يكون، و الفرق بينهم من تعلق الثانى

بالأول الذى يمكن أن يكون و يمكن أن لا يكون كقولك إن آمن هذا الكافر استحق الجواب و هذا مقدور و ليس كذلك لو لأنها قد تدخل على ما لا يمكن أن يكون كقولك لو كان الجسم سليماً لاستغنى عن صانع و إنما فتحت أن بعد لو لأنها وقعت فى الموضع الذى يختص بالفعل فإن لو ليس يدخل إلا على الفعل و أن مع اسمها و خبرها فى تأويل اسم مفرد فيكون تقديره لو وقع أن أهل القرى آمنوا فيكون أن مع ما بعدها فى موضع رفع بالفعل المقدر بعد لو و إنما دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف من قوله «أَفَأَمِنَ» «أَوْ أَمِنَ» مع أن الاستفهام للاستئناف و العطف بخلافه لأنهما إنما يتنافيان فى المفرد لأن الثانى إذا عمل فيه الأول كان من الكلام الأول و الاستئناف قد أخرجه من أن يكون منه و أما فى عطف جملة على جملة فيصح لأنه على استئناف جملة بعد جملة.

المعنى

ثم بين سبحانه أن كل من أهلكه من الأمم المتقدم ذكرهم إنما أتوا فى ذلك من قبل نفوسهم فقال «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى» التى أهلكناها بسبب جحودهم و عنادهم «آمَنُوا» و صدقوا رسلنا «وَاتَّقَوْا» الشرك و المعاصى «لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ» أى خيرات ناميه «مِنَ السَّمَاءِ» بإنزال المطر «وَوَ» من «الْأَرْضِ» بإخراج النبات و الثمار كما وعد نوح بذلك أمته فقال يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً الآيات و قيل بركات السماء إجابته الدعاء و بركات الأرض تيسير الحوائج «وَلَكِنْ كَذَّبُوا» الرسل «فَأَخَذْنَا مِنْهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» من المعاصى و المخالفة و تكذيب الرسل فحبسنا السماء عنهم و أخذناهم بالضيق عقوبه لهم على فعلهم «أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى» المكذبون لك يا محمد «أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا» أى عذابنا «بَيَاتاً» ليلاً «وَهُمْ نَائِمُونَ» فى فرشهم و منازلهم كما أتى المكذبين قبلهم «أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى» أى عذابنا نهاراً عند ارتفاع الشمس «وَهُمْ يَلْعَبُونَ» أى و هم فى غير ما ينفعهم أو يعود عليهم بنفع فإن من اشتغل بدنياه و أعرض عن آخرته فهو كاللاعب و المعنى بأهل القرى كل أهل قريه يقيم على معاصى الله فى كل وقت و زمان و إن نزلت بسبب أهل القرى الظالم أهلها المشركين فى زمن النبى ص و إنما خص سبحانه هذين الوقتين لأنه أراد أنه لا يجوز لهم أن يأمنوا ليلاً- و لا- نهاراً عن الحسن «أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ» أى أ فبعد هذا كله آمنوا عذاب الله أن يأتيهم من حيث لا يشعرون عن الجبائى قال دخلت الفاء للتعقيب و سمي العذاب مكرًا لتزوله بهم من حيث لا يعلمون كما أن المكر ينزل بالممكور به من جهة الماكر من حيث لا يعلمه و قيل إن مكر الله استدراجه إياهم بالصحة و السلامه و طول

العمر و تظاهر النعمه «فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ» يسأل عن هذا فيقال إن الأنبياء و المعصومين آمنوا مكر الله و ليسوا بخاسرين و جوابه من وجوه (أحدها) أن معناه لا يأمن مكر الله من المذنبين إلا القوم الخاسرون بدلاله قوله سبحانه إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (و ثانيها) أن معناه لا يأمن عذاب الله للعصاة إلا الخاسرون و المعصومون لا يأمنون عذاب الله للعصاة و لهذا سلموا من مواقع الذنوب (و ثالثها) لا- يأمن عقاب الله جهلا- بحكمته إلا- الخاسرون و معنى الآية الإبانة عما يجب أن يكون عليه المكلف من الخوف لعقاب الله تعالى ليسارع إلى طاعته و اجتناب معاصيه و لا يستشعر الأمن من ذلك فيكون قد خسر في دنياه و آخرته بالتهالك في القبائح.

[سوره الأعراف (٧): الآيات ١٠٠ الى ١٠٢]

إشارة

أَوْ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْمَآرِضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصِيبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠) تِلْكَ الْقُرَى نَقِصٌ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَ لَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (١٠١) وَ مَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَ إِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (١٠٢)

القراءة

قرأ يعقوب بروايه زيد أ و لم نهدي بالنون و كذلك في طه و السجده و به قرأ أبو عبد الرحمن السلمى و قتاده و الباقر بالياء.

الحجج

من قرأ نهدي بالنون فإنه للتعظيم و هذا يقوى أن المعنى فى قوله «أَوْ لَمْ يَهْدِ» بالياء أ و لم يبين الله سبحانه لهم دون أن يكون المعنى أ و لم يهد لهم مشيئنا أو اصطلامنا لمن أهلكتنا.

اللغة

القصص إتباع الحديث الحديث يقال فلان يقص الأثر أى يتبعه و منه المقص لأنه يتبع فى القطع إثر القطع و النبأ الخبر عن أمر عظيم الشأن و لذلك أخذ منه اسم نبي

الإعراب

نطبع ليس بمحمول على أصبناهم لأنه لو حمل عليه لكان و لطبعا و لكنه على الاستثناف أى و نحن نطبع، و «مِنْ عَهْدٍ» من هنا للتبعض لأنه إذا لم يوجد بعض العهد لم يوجد الجميع و الأولى أن تكون من مزیده للتعميم و استغراق الجنس و قيل إن أصلها لا ابتداء الغايه فدخلت على ابتداء الجنس إلى انتهائه، «وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ» إن هذه هى المخففه من الثقيله و إذا خففت جاز إلغاؤها من العمل و أن يليها الفعل لأنها حينئذ قد صارت خارجه من شبه الفعل.

المعنى

ثم أنكر سبحانه عليهم تركهم الاعتبار بمن تقدمهم من الأمم فقال «أَوْ لَمْ يَهْدِ» و هو استفهام يراد به التقرير أى لو لم يبين الله بالنون أو لم نبين عن ابن عباس و مجاهد و السدى و قيل معناه أو لم يهد ما تلونا من أبناء القرى و قيل تقديره أو لم يهد لهم مشيئتنا لأن قوله «أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ» فى موضع رفع بأنه فاعل يهدى «لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا» معناه الذين خلفوا فى الأرض من بعد أهلها الذين أهلكهم الله بتكذيبهم للرسل «أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ» يعنى أ و لم نبين إنا لو شئنا أهلكناهم بعقاب ذنوبهم كما أهلكنا الأمم الماضيه قبلهم «وَ نَطْبُحُ عَلَى قُلُوبِهِمْ» قد ذكرنا معنى الطبع و الختم فى أوائل سوره البقره «فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ» الوعظ و لا يقبلونه ثم أخبر سبحانه عن أهل القرى التى ذكرها و قص خبرها فقال «تِلْكَ الْقُرَى» و المخاطبه للنبي ص «نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا» لتتفكر فيها و تخبر قومك بها ليتذكروا و يعتبروا و يحذروا عن الإصرار على مثل حال أولئك المغترين بطول الإمهال فى النعم السابغه و المنن المتظاهره «وَ لَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ» أى الدلالات و الحجج و إنما أضاف الرسل إليهم مع أنهم رسل الله لأذن المرسل مالك الرساله و قد ملك العباد الانتفاع بها و الاهتداء بما فيها من البيان «فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ» معناه فما أهلكناهم إلا و قد كان فى معلومنا أنهم لا يؤمنون أبدا عن مجاهد قال و يريد بقوله «مِنْ قَبْلُ» من قبل الهلاك و هو بمنزله قوله «لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ» و قيل معناه إن عتوهم فى كفرهم و تمردهم فيه يحملهم على أن لا يتركوه إلى الإيمان فما كانوا ليؤمنوا بعد أن جاءتهم الرسل بالمعجزات بما كذبوا به من قبل رؤيتهم تلك البيئات عن الحسن و قيل معناه ما كان هؤلاء الخلف ليؤمنوا بما كذب به أوائلهم من الأمم و قال الأَخْفَشُ بما كذبوا معناه بتكذيبهم فجعل ما مصدرية «كَذَلِكَ يَطْبُحُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ» قيل إن الله سبحانه شبه

الكفر بالصدأ لأنه يذهب عن القلوب بحلاوه الإيمان و نور الإسلام كما يذهب الصدأ بنور السيف و صفاء المرآه و لما صاروا عند أمر الله لهم بالإيمان إلى الكفر جاز أن يضيف الله سبحانه الطبع إلى نفسه كما قال فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ و إن كانت السوره لم تزدهم ذلك عن جعفر بن حرب و البلخي و وجه التشبيه في الكاف و معناه أن دلالتة على أنهم لا يؤمنون كالطبع على قلوب الكافرين الذين في مثل صفتهم و قيل معناه كما دل الله لكم بالإخبار على أنهم لا يؤمنون فكذلك يدل للملائكة بالطبع على أنهم لا يؤمنون «وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ» أى ما وجدنا لأكثر المهلكين «مِنْ عَهْدٍ» أى من وفاء بعهد كما يقال فلان لا عهد له أى لا وفاء له بالعهد و ليس بحافظ للعهد و يجوز أن يكون المراد بهذا العهد ما أودع الله العقول من وجوب شكر المنعم و طاعه المالك المحسن و اجتناب القبائح و يجوز أن يكون المراد به ما أخذ على المكلفين على ألسنه الأنبياء أن يعبدوه و لا يشركوا به شيئاً و هو قول الحسن «وَأِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ» اللام و إن للتأكيد و المعنى و إنا وجدنا أكثرهم ناقضين للعهد مخلفين للوعد و يسأل فيقال كيف قال أكثرهم و كلهم فسقه و كيف يجوز أن يكون كافر غير فاسق و الجواب أنه قد يكون الكافر عدلاً في دينه غير مرتكب لما يحرم في طريقته فعلى هذا يكون المعنى و إن أكثرهم مع كفرهم فاسق في دينه غير لازم لمذهبه ناقض للعهد و قليل الوفاء بالوعد.

إشارة

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٠٣) وَ قَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٤) حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٠٥) قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٠٦) فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (١٠٧)

وَ نَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (١٠٨)

القراءة

قرأ نافع وحده حقيق على بتشديد الياء و الباقون بتخفيف الياء.

الحج

قال أبو علي حجه نافع في قوله «حَقِيقٌ عَلَى» و اتصاله بعلى من وجهين (أحدهما) أن حق الذي هو فعل يعدى بعلى قال فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا (و الآخر) أن حقيق بمعنى واجب فكما أن واجب يتعدى بعلى كذلك يتعدى حقيق به و من قرأ «حَقِيقٌ عَلَى» فجاز تعديته بعلى من الوجهين اللذين ذكرنا و قد قالوا هو حقيق بكذا فيجوز على هذا أن يكون على بمعنى الباء قال أبو الحسن كما وقعت الباء في قوله بِكُلِّ صِرَاطٍ تُؤَدُّونَ مَوْجِعَ عَلَى كَذَلِكَ وَقَعَتْ عَلَى هَذَا مَوْجِعَ الْبَاءِ.

اللغة

البعث الإرسال و هو في الأصل النقل باعتماد يوجب الإسراع في المشى فالبعث بعد الموت نقل إلى حال الحياه و البعث للأنبياء نقل بالإرسال عن حاله إلى حاله النبوه و العصا عود كالقضيب يابس و أصله الامتناع ببسه يقال عصى بالسيف يعصى إذا امتنع قال جرير:

تصف السيوف و غيركم يعصى بها يا بن القيون و ذاك فعل الصيقل

و يقال عصا بالسيف أى أخذه أخذ العصا و يقال لمن استقر بعد تنقل ألقى عصاه قال:

فألقت عصاها و استقرت بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

و ليست المعصيه بمشتقه من العصا لأن العصا من بنات الواو و المعصيه من بنات الياء قال:

فجاءت بنسج العنكبوت كأنه على عصويها سابرى مشبرق

و أصل ألقى من اللقاء الذى هو الاتصال فألقى عصاه أى أزال اتصالهما عما كان عليه و الثعبان الحيه الضخمه الطويله قال الفراء
الثعبان أعظم الحيات و هو الذكر و هو مشتق من ثعبت الماء أثعبه إذا فجرته و المثعب مع انفجار الماء فسمى الثعبان لأنه كعنق
الماء عند

ص: ٢٨٥

الانفجار و النزاع إزاله الشىء عن مكانه الملابس المتمكن فيه كنزع الرداء عن الإنسان و النزاع و القلع و الجذب نظائر.

الإعراب

موضع كيف فى قوله «كَيْفَ كَانَ» نصب لأنه خبر كان و تقديره أنظر أى شىء كان عاقبه المفسدين و موسى على وزن مفعول و الميم زائده لكثرة زيادتها أولا كالهمزه حتى صارت أغلب من زياده الألف أخيرا و أفعى على وزن أفعل لهذه العله و موسى لا ينصرف لأنه اسم أعجمى معرفه و موسى الحديد عربى إن سميت به رجلا لم تصرفه لأنه مؤنث و معرفه على أكثر من ثلاثه أحرف كما لو سميت به بعناق لم تصرفه و فرعون على وزن فعلون مثل برزون فالواو زائده لأنها جاءت مع سلامه الأصول الثلاثه و النون زائده للزومها و فرعون لا- ينصرف لأنه أعجمى معرفه عرب فى حال تعريفه لأنه نقل من الاسم العلم و لو عرب فى حال تنكره لانصرف كما ينصرف ياقوت فى اسم رجل، إلا الحق نصب بأنه مفعول القول على غير الحكايه بل على معنى الترجمة عن المعنى دون حكاية اللفظ، قوله «إِنْ كُنْتُ جِئْتُ بِآيَةٍ» قال أبو العباس المبرد إن هنا لم ينقل الماضى إلى معنى الاستقبال من أجل قوه كان لأنها أم الأفعال و لا يجوز ذلك فى غيرها و قال أبو بكر السراج المعنى أن تكن جئت بآيه أى أن صح ذلك قال إذا أمكن إجزاء الحرف على أصله لم يجر إخراج عنه و إن ينقل الفعل نقلين إلى الشرط و الاستقبال كما إن لم ينقل الفعل إلى النفى و الماضى و ضمير المخاطب فى كنت يرجع إلى المكنى و لا يجوز ذلك فى الذى لأن الذى غائب ببدنه أن يعود إليه ضمير الغائب و قد أجازوه إذا تقدمت كناية المتكلم فى نحو قول الشاعر:

و أنا الذى قتلت بكرا بالقنا و تركت تغلب غير ذات سنام

و نحو

ما روى عن أمير المؤمنين ع من قوله:

أنا الذى سمتنى أمى حيدرته أكيلىكم بالسيف كيل السندره

و على هذا يجوز أنت الذى ضربك عمرو و الوجه ضربه عمرو و قوله «فَأْتِ بِهَا» جاز وقوع الأمر فى جواب الشرط لأن فيه معنى إن كنت جئت بآيه فإنى ألزمتك أن تأتى بهذا فقد عاد إلى أنه وجب الثانى بوجوب الأول قوله «فَإِذَا هِيَ تُعْبَانُ مُبِينٌ» إذا هذه ظرف مكان و يسمى ظرف المفاجاه و هى بخلاف إذا التى هى ظرف زمان و فيها معنى الشرط و يعمل فيها جوابها

ص: ٢٨٦

و مثال إذا التي هي ظرف المكان قولهم خرجت فإذا الناس وقوف فإذا في موضع نصب بكونها ظرفا لوقوف و تقديره فبالحضره الناس وقوف فيجوز أن ينصب وقوفا على الحال لأن إذا ظرف مكان و ظروف المكان تكون إخبارا عن الجثث و هذه المسأله وقعت بين سيويه و الكسائي لما اجتمعا عند يحيى بن خالد البرمكى فيما رواه على بن سليمان الأخفش قال حدثنى أحمد بن يحيى ثعلب و محمد بن زيد المبرد قال- لما ورد سيويه بغداد شق أمره على الكسائي فأتى جعفر بن يحيى و الفضل بن يحيى فقال أنا وليكما و صاحبكما و هذا الرجل قد قدم ليذهب بمحلى فقالا له فاحتل لنفسك فإننا سنجمع بينكما فجمعا بينهما عند أبيهما و حضر سيويه وحده و حضر الكسائي و معه الفراء و على الأحمر و غيرهما من أصحابه فسألوه كيف تقول كنت أظن العقرب أشد لسعه من الزنبور فإذا هو هي أو فإذا هو إياها قال أقول فإذا هو هي فأقبل عليه الجمع فقالوا له أخطأت و لحت فقال يحيى هذا موضع مشكل أنتم إماما مصريكما فمن يحكم بينكما قال فقال الكسائي و أصحابه الأعراب الذين على الباب فأدخل أبو الجراح و من وجد معه ممن كان الكسائي و أصحابه يحملون عنهم فقالوا إنا نقول فإذا هو إياها و انصرف المجلس على أن سيويه أخطأ و حكموا عليه بذلك فأعطاه البرامكه و أخذوا له من الرشيد و بعثوا به إلى بلده فما لبث بعد هذا الأمر إلا يسيرا حتى مات و يقال أنه مات كمدا قال على بن سليمان و أصحاب سيويه إلى هذه الغايه لا اختلاف بينهم يقولون إن الجواب على ما قال سيويه فإذا هو هي و هذا موضع الرفع و هو كما قال على بن سليمان و ذلك أن النصب إنما يكون على الحال نحو خرجت فإذا الناس وقوفا جاز النصب هنا لأن وقوفا نكره و الحال لا يكون إلا نكره فإذا أضمرت بطل أمر الحال فإن المضمرة معرفه و المعرفه لا تكون حالا فوجب العدول عن النصب إلى الرفع كما تقول فإذا الناس وقوف.

المعنى

ثم عطف سبحانه بقصه موسى (عليه السلام) على ما تقدم من قصص الأنبياء (عليه السلام) فقال «ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ» أى من بعد الرسل الذين ذكرناهم أو من بعد الأمم الذين ذكرنا إهلاكهم «مُوسَى بِآيَاتِنَا» أى بدلائلنا و حججنا «إِلَى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ» أى أشراف قومه و ذوى الأمر منهم «فَطَلَّمُوا بِهَا» أى ظلموا أنفسهم بجحدها عن الحسن و الجبائى و قيل فظلموا بوضعها غير مواضعها فجعلوا بدل الإيمان بها الكفر و الجحود لأن الظلم وضع الشىء فى غير موضعه الذى هو حقه و لم يقل فذهب موسى (عليه السلام) فأدى إليهم رساله فكذبوه لأن

فى قوله «فَطَلَّمُوا بِهَا» دلالة عليه «فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ» يعنى ما آل إليه أمرهم فى الهلاك «وَ قَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ
 إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» هذه حكاية قول موسى لفرعون و ندائه له إني رسول إليك من قبل رب العالمين مبعوث إليك و
 إلى قومك قال وهب و كان اسم فرعون الوليد بن مصعب و هو فرعون يوسف و كان بين اليوم الذى دخل يوسف مصر و اليوم
 الذى دخلها موسى رسولا أربعين عام «حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ» قال الزجاج معناه حقيق على ترك القول على
 الله إلا- الحق و قال الإمام العلامة الزمخشري تقول أنا حقيق على قول الحق أى واجب على قول الحق أن أكون أنا قائله و القائم
 به و لا يرضى إلا مثلى ناطقا به و منه قول العرب فلان يدعيه العلم بالطرق فوق ما يدعى هو العلم بها و قال الفراء معناه حقيق بأن
 لا أقول على الله إلا الحق فيكون على بمعنى الباء كما تقول رميت السهم على القوس و بالقوس و جاءني فلان على حاله حسنه و
 بحاله حسنه و قيل معناه حريص على أن لا أقول على الله إلا الحق و ما فرضه على من الرساله عن أبي عبيده «قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ» أى
 بحجه و معجزه «مِنْ رَبِّكُمْ» أى أعطانيها ربكم «فَأَرْسَلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ» أى فأطلق بني إسرائيل من عقاب التسخير و خلهم
 يرجعوا إلى الأرض المقدسه و ذلك أن فرعون و القبط كانوا قد استعبدوا بني إسرائيل و اعتقلوهم للاستخدام فى الأعمال الشاقه
 مثل بناء المنازل و حمل الماء و نقل التراب و ما أشبه ذلك «قَالَ» فرعون «إِنْ كُنْتُ جِئْتُ بِآيَةٍ» أى حجه و دلالة تشهد لك على
 ما تقوله «فَأَتَتْ بِهَا إِنْ كُنْتُ مِنَ الصَّادِقِينَ» فى أنك رسول الله «فَأَلْقَى عَصَاهُ» الفاء فاء الجواب أى فكان جوابه لفرعون أن ألقى
 عصاه من يده «فَإِذَا هِيَ تُعْبَانُ مُبِينٌ» أى حيه عظيمه بين ظاهر أنه ثعبان بحيث لا يشتهه على الناس و لم يكن مما يخيل أنه حيه و
 ليس بحيه و قيل إن العصا لما صارت حيه أخذت قبه فرعون بين فكيها و كان ما بينهما ثمانون ذراعا فتضرع فرعون إلى موسى
 بعد أن وثب من سريره و هرب منها و أحدث و هرب الناس و دخل فرعون البيت و صاح يا موسى خذها و أنا أو من بك
 فأخذها موسى فعادت عصا عن ابن عباس و السدى و قيل و كان طولها ثمانين ذراعا «وَ نَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ» هناك
 قيل إن فرعون قال له هل معك آيه أخرى قال نعم فأدخل يده فى جيبه و قيل تحت إبطه ثم نزعها أى أخرجها منه و أظهرها
 فإذا هى بيضاء أى لونها أبيض نورى و لها شعاع يغلب نور الشمس و كان موسى (عليه السلام) آدم فيما يروى ثم أعاد اليد إلى
 كمه فعادت إلى لونها الأول عن ابن عباس و السدى و مجاهد سؤال. قيل كيف قال سبحانه هنا «فَإِذَا هِيَ تُعْبَانُ» و قال فى موضع
 آخر فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَ الثعبان الحيه العظيمه و الجان الحيه

الصغيره فاختلف الوصفان و القصه واحده و الجواب أن الآيتين ليستا إخبارا عن قصه واحده بل الحالتان مختلفتان و حاله التي كانت العصا بصفه الجان كانت فى ابتداء النبوه و حاله التي كانت بصفه الثعبان كانت عند لقائه فرعون و على هذا فلا سؤال و قد أجب أيضا عن ذلك بأنه شبهها بالجان لسرعه حركتها و نشاطها و خفتها مع أنها فى جسم الثعبان و كبر خلقه و هذا أبهر فى باب الإعجاز.

[حديث العصا]

قد ذكرنا نسب موسى (عليه السلام) فى سورة البقره و أما عصاه فقليل أنه أعطاه إياها ملك حين توجه إلى مدين و قيل إن عصا آدم من آس الجنه حين أهبط و كانت تدور بين أولاده حتى انتهت النوبه إلى شعيب فكانت ميراثا له مع أربعين عصا كانت لأبائه فلما استأجر شعيب موسى أمره بدخول بيت فيه العصى و قال له خذ عصا من تلك العصى فوَقعت تلك العصا بيد موسى فاستردها شعيب و قال خذ غيرها حتى فعل ذلك ثلاث مرات فى كل مره تقع يده عليها دون غيرها فتركها فى يده فى المره الرابعه فلما خرج من عنده متوجها إلى مصر و رأى نارا و أتى الشجره فناده الله تعالى أن يا موسى إني أنا الله و أمره بإلقائها فألقاها فصارت حيه فولى هاربا فناده الله سبحانه خذها و لا تخف فأدخل يده بين لحيها فعادت عصا فلما أتى فرعون ألقاها بين يديه على ما تقدم بيانه و قيل كان الأنبياء (عليه السلام) يأخذون العصا تجنبا من الخيلاء و

قال رسول الله ص تعصوا فإنها من سنن إخوانى المرسلين

و

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) قال رسول الله ص من خرج فى سفر و معه عصا من لوز مر و تلا- هذه الآية وَ لَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ إِلَى قَوْلِهِ وَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَ كَيْلٌ آمَنَهُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ سَبْعِ ضَارٍ وَ مِنْ كُلِّ لَصِ عَادٍ وَ مِنْ كُلِّ ذَاتِ حِمَى حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَ مَنْزِلِهِ وَ كَانَ مَعَهُ سَبْعَةٌ وَ سَبْعُونَ مِنَ الْمَعْقَبَاتِ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى يَرْجِعَ وَ يَضَعَهَا

و قيل إن أول من أخذ العصا عند الخطبه فى العرب قس بن ساعده

[سوره الأعراف (٧): الآيات ١٠٩ الى ١١٢]

إشاره

قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَا ذَا تَأْمُرُونَ (١١٠) قَالُوا أَرْجِهْ وَ أَخَاهُ وَ أَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (١١١) يَا تُوكَّ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (١١٢)

القرءاءه

قرأ أهل المدينه و الكسائى و خلف أوجه بكسر الهاء بغير همز بين الجيم و الهاء إلا أن نافعا و الكسائى و خلفا يشبعون كسره الهاء و لا يشبع أبو جعفر و قالون عن نافع بل

يكسران الهاء بغير همز بين الجيم والهاء وقرأ عاصم وحمزه «أَرْجِهَ» بغير همز و سكون الهاء وقرأ الباقون أَرْجِئَهُ بالهمز و ضم الهاء و في الشعراء مثله وقرأ بكل سحار بألف بعد الحاء كوفي غير عاصم هاهنا و في يونس وقرأ الباقون «سَاحِرٍ» بألف قبل الحاء في السورتين و لم يختلفوا في الشعراء أن الألف بعد الحاء هناك.

الحج

قال أبو علي أَرْجِئَهُ أفعله من الإرجاء و هو التأخير و لا بد من ضم الهاء مع الهمزة و لا يجوز غيره و أن لا يبلغ الواو أحسن لأن الهاء خفيه فلو بلغ بها الواو لكان كأنه جمع بين ساكنين و من قال أَرْجِئَهُ فألحق الواو فلأن الهاء متحركة و لم يلتق ساكنان لأن الهاء يفصل بينهما و لو كان مع الهاء حرف لين لكان وصلها بالواو أقبح نحو عليهو لاجتماع حروف متقاربه مع أن الهاء ليس بحاجز قوى و من قرأ أَرْجِئَهُ فوصل الهاء بياء فلأن هذه الهاء يوصل في الإدراج بواو و ياء نحو بهو و بهي و ضربهو و من قرأ «أَرْجِئَهُ» فلأن في أَرْجِئَهُ لغتين أَرْجِئَهُ و أَرْجِئَهُ فإذا قال «أَرْجِئَهُ» كان من أَرْجِئَهُ قال الزجاج زعم الحذاق بالنحو أن هذه الهاء لا يجوز إسكانها أعني هاء الإضمار و زعم بعض النحويين أن إسكانها جائز و أن هاء التانيث يجوز إسكانها و استشهد بيت مجهول و هو:

لما رأى أن لا دعه و لا شبع مال إلى أرطاه حقف فاضطجع

قال و هذا شعر لا يعرف قائله و الشاعر قد يجوز أن يخطئ و حجه من قرأ ساحر قوله فَأَلْقَى السَّحْرَةَ و لَعَلْنَا نَتَّبِعَ السَّحْرَةَ و السحرة جمع ساحر و كذلك قوله سَيَحْرُوا أَعْيَنَ النَّاسِ و حجه من قرأ سحار أنه قد وصفه بعليم و ذلك يدل على تناهيه فيه و حذقه به فحسن لذلك أن يذكروا بالاسم الدال على المبالغه في السحر.

اللغة

السحر لطف الحيله في إظهار أعجوبه توهم المعجزه و قال الأزهرى السحر صرف الشىء عن حقيقته إلى غيره و أصل السحر خفاء الأمر و السحر آخر الليل لخفاء الشخص ببقية ظلمته و السحر الرئى لخفاء أمرها و يقال سحر المطر الأرض إذا جادها فقطع

نباتها عن أصوله فقلب الأرض ظهرا لبطن بسرهما سحرا و الأرض مسحوره فشبه سحر الساحر بذلك لتخييله إلى من سحره أنه يرى الشىء بخلاف ما هو به.

الإعراب

«فَمَاذَا تَأْمُرُونَ» موضع ما يحتمل أن يكون رفعا و يكون ذا بمعنى الذى فىكون بمعنى فما الذى تأمرون و يحتمل أن يكون نصبا و يكون ما و ذا اسما واحدا و يكون بمعنى فأى شىء تأمرون و يأتوك مجزوم لأنه جواب الأمر و عامل الإعراب فيه محذوف و تقديره فإنك إن ترسل يأتوك و الباء فى قوله «بِكُلِّ سَاحِرٍ» يحتمل أن يكون بمعنى مع أى يأتون و معهم كل ساحر فىكون فى موضع الحال و يحتمل أن يكون للتعدية تقول ذهبت به و أذهبت به و أتيت به و أتيت به.

المعنى

ثم حكى سبحانه ما قاله أشراف قوم فرعون فقال «قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ» لمن دونهم فى الرتبة من الحاضرين «إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ» بالسحر «يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ» معناه يريد أن يستميل بقلوب بنى إسرائيل إلى نفسه و يتقوى بهم فيغلبكم بهم و يخرجوكم من بلدتكم «فَمَاذَا تَأْمُرُونَ» قيل أن هذا قول الأشراف بعضهم لبعض على سبيل المشورة و يحتمل أن يكون قالوا ذلك لفرعون و إنما قالوا تأمرون بلفظ الجمع على خطاب الملوكة و يحتمل أيضا أن يكون قول فرعون لقومه فيكون تقديره قال فرعون لهم فماذا تأمرون و هو قول الفراء و الجبائى «قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ» أى قالوا لفرعون أخره و أخاه هارون و لا تعجل بالحكم فيهما بشىء فتكون عجلتك حجه عليك عن الزجاج و قيل أخره أى أحبسه و الأول أصح لأنه كان يعلم أنه لا يقدر على حبسه مع ما رأى من تلك الآيات «وَأُرْسِلُ فِي الْمَدَائِنِ» التى حولك «حَاشِيَتَيْنِ» أى جامعين للسحره يحشرون من يعلمونه منهم عن مجاهد و السدى و قيل هم أصحاب الشرط أرسلهم فى حشر السحره و كانوا اثنين و سبعين رجلا عن ابن عباس «يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ» أى يحشرون إليك السحره ليجمعوا و يعارضوا موسى فيغلبوه.

إشارة

وَ جَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنكُم لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (١١٤) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّمَا أَن تُلْقَى وَ إِنَّمَا أَن نَكُونُ نَحْنُ الْمُتْلِقِينَ (١١٥) قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَ اسْتَرْهَبُوهُمْ وَ جَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦)

القراءة

قرأ أهل الحجاز و حفص «إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا» بهمزة واحدة على الخبر و قرأ إن بهمزتين محققين ابن عامر و أهل الكوفة غير حفص و قرأ أبو عمرو آءن بهمزة ممدودة و قرأ يعقوب غير زيد بهمزة غير ممدودة.

الحجة

قال أبو على الاستفهام أشبه بهذا الموضع لأنهم يستفهمون عن الأجر و ليسوا يقفون على أن لهم الأجر و يقوى ذلك إجماعهم فى الشعراء و ربما حذف همزة الاستفهام قال أبو الحسن فى قوله وَ تِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أن من الناس من يذهب إلى أنه على الاستفهام و قد جاء ذلك فى الشعر قال:

أفرح أن أرزأ الكرام و أن أورث ذودا شصائصا نبلا

و هذا أفصح من قوله:

و أصبحت فيهم آمنا لا كمعشر أتوني فقالوا من ربيعه أم مضر

لأن أم يدل على الهمزة.

الإعراب

نحن يحتمل أن يكون موضعه رفعا و يكون تأكيدا للضمير المتصل فى كنا و يحتمل أن يكون فصلا بين الخبر و الاسم و ضم حرف مع أنه يجوز الوقف عليه لأنه فى الوجوب نظير لا- فى النفى و إنما جاز الوقف على كل واحد منهما لأنه جواب لكلام يستغنى بدلالته عليه عما يتصل به و الواو فى قوله «وَ إِنكُم» و او العطف فكأنه قال لكم ذلك و إنكم لمن المقربين و هو فى مخرج الكلام كأنه معطوف على الحرف و كسرت الألف من إنكم لأنه فى موضع استئناف بالوعد و لم يكسر لدخول اللام فى الخبر لأنه لو لم يكن اللام لكأنه مكسورة و إنما دخلت أن فى قوله «إِنَّمَا أَن تُلْقَى» و لم تدخل فى إِنَّمَا يُعَذِّبُهُمْ وَ إِنَّمَا يُتُوبُ عَلَيْهِمْ لأن فيه معنى الأمر كأنه قال اختر إما أن تلقى أى إما إلقاءك و إما إلقاءنا فموضع أن نصب و يجوز أيضا

أن يكون التقدير إما إلقاءك مبدوء به و إما إلقاءنا فموضع أن على هذا يكون نصبا.

المعنى

«وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ» فى الكلام حذف كثير تقديره فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين يحشرون السحرة فحشروهم فجاء السحرة فرعون و كانوا خمسة عشر ألفا عن ابن إسحاق و قيل ثمانين ألفا عن ابن المنكدر و قيل سبعين ألفا عن عكرمه و قيل بضعه و ثلاثين ألفا عن السدى و قيل كانوا اثنين و سبعين ساحرا اثنان من القبط و هما رئيسا القوم و سبعون من بنى إسرائيل عن مقاتل و قيل كانوا سبعين عن الكلبي «قالوا» لفرعون إنما لم يقل فقالوا حتى يتصل الثانى بالأول لأن المعنى لما جاءوا قالوا فلم يصلح دخول الفاء على هذا الوجه «إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا» أى عوضا على عملنا و جزاء بالخير «إِنَّ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ» لموسى «قَالَ نَعَمْ» أى قال فرعون مجيبا لهم عما سأله نعم لكم الأجر «وَإِن كُنْتُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ» أى و إنكم مع حصول الأجر لكم لمن المقربين إلى المنازل الجليله و المراتب الخطيره التى لا يتخطى إليها العامه و لا يحظى بها إلا الخاصه و فى هذا دلالة على حاجه فرعون و ذلته لو استدل قومه به و أحسنوا النظر فيه لنفوسهم لأن من المعلوم أنه لم يحتج إلى السحرة إلا لعجزه و ضعفه «قالوا» يعنى قالت السحرة لموسى «يا موسى إِمَّا أَنْ تُلْقَى» ما معك من العصا أولا «وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ» لما معنا من العصى و الحبال أولا «قال» لهم موسى «أَلْقُوا» أنتم و هذا أمر تهديد و تقرير كقوله سبحانه اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ و قيل معناه ألقوا على ما يصح و يجوز لا على ما يفسد و يستحيل و قيل معناه إن كنتم محقين فآلقوا «فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ» أى فلما ألقى السحرة ما عندهم من السحر احتالوا فى تحريك العصى و الحبال بما جعلوا فيها من الزئبق حتى تحركت بحراره الشمس و غير ذلك من الحيل و أنواع التمويه و التلبيس و خيل إلى الناس أنها تتحرك على ما تتحرك الحيه و إنما سحروا أعين الناس لأنهم أروهم شيئا لم يعرفوا حقيقته و خفى ذلك عليهم لبعده منهم فإنهم لم يخلوا الناس يدخلون فيما بينهم و فى هذا دلالة على أن السحر لا حقيقه له لأنها لو صارت حيات حقيقه لم يقل الله سبحانه سحروا أعين الناس بل كان يقول فلما ألقوا صارت حيات و قد قال سبحانه أيضا يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى «وَاسْتَرْهَبُوهُمْ» أى استدعوا رهبتهم حتى رهبهم الناس عن الزجاج و قيل معناه ارهبوهم و أفرعوهم عن المبرد «وَ جَاءُ بِسِحْرِ عَظِيمٍ» وصف سحرهم بالعظم لبعده مرام الحيله فيه و شدة التمويه به فهو لذلك عظيم

الشأن عند من يراه من الناس و لأنه على ما ذكرناه في عدة السحره و كثرتهم كان مع كل واحد منهم عصا أو حبل فلما ألقوا و خيل إلى الناس أنها تسعى استعظموا ذلك و خافوه.

[سوره الأعراف (٧): الآيات ١١٧ إلى ١٢٢]

إشاره

وَ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَّعَ الْحَقُّ وَ بَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَ انْقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١١٩) وَ أَلْقَى السَّحْرَهُ سَاجِدِينَ (١٢٠) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَى وَ هَارُونَ (١٢٢)

القراءه

قرأ حفص عن عاصم «تَلْقَفُ» خفيفه في طه و الشعراء مثله و الباقون تلقف بتشديد القاف في جميعها.

الحجه

تلقف و تلقم واحد و أصله تتلقف فحذفت التاء التي للمطاوعه في تفعل و ثبت التاء التي للمضارعه و تلقف ساكنه اللام مضارع لقف يلقف لققا قال الشاعر:

أنت عصا موسى التي لم تزل تلقف ما يأفكه الساحر.

اللغه

الإفك قلب الشىء عن وجهه في الأصل و منه الإفك الكذب لأنه قلب المعنى عن جهه الصواب، أصل الوقوع السقوط كسقوط الحائط و الطائر و الوقعه النازله من السماء قال على بن عيسى الوقوع ظهور الشىء بوجوده نازلا إلى مستقره و الحق كون الشىء في موضعه الذى اقتضته الحكمة و الباطل الكائن بحيث يؤدي إلى الهلاك و هو نقيض الحق فإن الحق كون الشىء بحيث يؤدي إلى النجاه و الغلبه الظفر بالبعيه من العدو في حال المنازعه و الصاغر الذليل و الصغر و الصغار الذله يقال صغر الشىء يصغر صغرا و صغرا و صغارا إذا ذل و أصله صغر القدر.

الإعراب

«أَنْ أَلْقَى» يجوز أن يكون أن مع ما بعدها من الفعل بمنزله المصدر فيكون تقديره و أوحينا إلى موسى بأن ألقى أى بالإلقاء و يجوز أن يكون بمعنى أى لأنه تفسير ما أوحى

إليه «ما يَأْفِكُونَ» ما بمعنى الذى و تقديره تلقف ما يَأْفِكُونَ فيه أى تلقف المأفوك الذى حل فيه الإفك و مثله وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ وَ مَا تَعْمَلُونَ يعنى و ما تعملون فيه و «ما كانوا يَعْمَلُونَ» يحتمل أن تكون ما بمعنى المصدر أى و بطل عملهم و يحتمل أن يكون ما بمعنى الذى أى و بطل الحبال و العصى التى عملوا بها السحر و ما إذا كانت بمعنى المصدر لا تعمل فى الفعل كما يعمل إن فيه إذا كانت بمعنى المصدر لأن أن ينقل الفعل نقلين إلى المصدر و إلى الاستقبال و لا ينقله ما إلى الاستقبال تقول يعجبني ما تصنع الآن و يعجبني أن تصنع الخير و «هنا لك» دخلت اللام فيه ليدل على بعد المكان المشار إليه كما دخلت فى ذلك لبعد المشار إليه فهنا لما بعد قليلا و هنالك لما كان أشد بعدا و هو ظرف مبهم و فيه معنى الإشارة كما أن ذا مبهم و إنما دخلت كاف المخاطبه مع بعد الإشارة لتشعر بتأكيد معنى الإشارة إلى المخاطب ليتنبه على بعد المشار إليه من المكان. و البعيد أحق بعلامه التنبيه من القريب.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن نفسه فقال «وَ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى» أى ألقينا إليه من وجه لم يشعر به إلا هو «أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ» التى معك «فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ» معناه فألقاها فصارت ثعبانا فإذا هى تبتلع ما يكذبون فيه أنها حيات عن مجاهد «فَوَقَّعَ» أى ظهر «الْحَقُّ» و هو أمر موسى و صحه نبوته و معجزاته عن الحسن و مجاهد و قيل وقع الحق بأن صارت العصا حيه فى الحقيقة «وَ بَطَّلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أى بطل تمويهاتهم عن الجبائى و إنما ظهر ذلك لهم لأنهم لما رأوا تلك الآيات الباهره و المعجزات القاهره فى العصا علموا أنه أمر سماوى لا- يقدر عليه غير الله تعالى فمن تلك الآيات قلب العصا حيه و منها أكلها جبالهم و عصيهم مع كثرتها و منها فناء جبالهم و عصيهم فى بطنها إما بالفرق و إما بالفناء عند من جوزه و منها عودها عصا كما كانت من غير زياده و لا نقصان و كل من هذه الأمور يعلم كل عاقل أنه لا يدخل تحت مقدور البشر فاعترفوا بالتوحيد و النبوه و صار إسلامهم حجه على فرعون و قومه «فَعُلِّبُوا هُنَالِكَ» أى قهر فرعون و قومه عند ذلك المجمع و بهت فرعون و خلى سبيل موسى و من تبعه «وَ انْقَلَبُوا صَاغِرِينَ» أى انصرفوا أذلاء مقهورين «وَ أَلْقَى السَّحْرَهُ سَاجِدِينَ» يعنى أن السحره لما شاهدوا تلك الآيات و علموا أنها من عند الله تعالى آمنوا بالله تعالى و بموسى و سجدوا لله ألهمهم الله ذلك و قيل إن موسى و هارون سجدا لله تعالى شكرا له على ظهور الحق فاقتدوا بهما فسجدوا معهما و إنما قال ألقى على ما لم يسم فاعله ليكون فيه معنى إلقائهم ما رأوا من عظيم آيات الله بأن دعاهم إلى السجود لله و الخضوع له عزت

قدرته و أنهم لم يتمالكوا أنفسهم عند ذلك بأن وقعوا ساجدين و هذا كما يقال أعجب فلان بنفسه و إن كان أتى من قبله و ليس يفعل ذلك به غيره «قالوا آمنا» أى صدقنا «بِربِّ الْعَالَمِينَ» الذى خلق السماوات و الأرض و ما بينهما «رَبِّ مُوسَى وَ هَارُونَ» خصوصهما بالذكر بعد دخولهما فى جملة العلمين لأنهما دعوا إلى الإيمان بالله تعالى و لشريف ذكرهما و لتفضيلهما على غيرهما على طريق المدحه و التعظيم لهما و قيل إنهم فسروا سجودهم بأن قالوا آمنا برب العالمين لثلاثتهم متوهم أنهم سجدوا لفرعون ثم قالوا رب موسى و هارون لأن فرعون كان يدعى أنه رب العالمين فأزالوا به الإبهام لثلاثتهم الجهال أنهم عنوا بقولهم رب العالمين فرعون و قال على بن عيسى يجوز أن يقال إن الله سبحانه لم يزل ربا و لا مربوب كما جاز لم يزل سميعا و لا مسموع لأنها صفة غير جاريه على الفعل كما جرى صفة مالك على ملك يملك فالمقدور هو المملوك و لا يطلق الرب إلا على الله تعالى لأنه يقتضى أنه رب كل شىء يصح ملكه و يقال فى غيره رب الدار و رب الفرس و مثله خالق لا يطلق إلا عليه سبحانه و يقال فى غيره خالق الأديم.

[سوره الأعراف (٧): الآيات ١٢٣ الى ١٢٦]

إشارة

قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمْ بِهِ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤) قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (١٢٥) وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (١٢٦)

القراءة

قرأ حفص عن عاصم آمنتهم بهمزه واحده على الخبر حيث كان و الباقون بهمزتين على الاستفهام إلا أن أهل الكوفة إلا حفصا يحققون الهمزتين و غيرهم حققوا الأولى و لينوا الثانية و لم يفصل أحد بين الهمزتين بألف.

الحجج

وجه الخبر فيه أنه يخبرهم بإيمانهم على وجه التقرير لهم بإيمانهم و الإنكار

عليهم و وجه الاستفهام أنه على جهة التقرير و التوييح أيضا و من حقق الهمزتين فإنه على ما يراه من تحقيقهما و الهمزه الثانيه ممدوده لأن الألف المنقلبه عن الهمزه التي هي فاء من الأمن يتصل بها و من خفف الهمزه الثانيه فتخفيفها أن يجعلها بين بين.

اللغه

الصلب الشد على الخشبه و غيرها و أصله من صلابه الشىء و القراء كلهم على تشديد اللام من التصليب. الأزهرى يقال نقت على الرجل أنقم و نقت و الفصيح نقت. ابن الأعرابى النقمه العقوبه و الإنكار قال على بن عيسى النقمه ضد النعمه و الفرق بين النقمه و الإساءه أن النقمه قد تكون بحق جزاء على كفر النعمه و الإساءه لا تكون إلا قبيحه و المسىء مذموم لا محاله و الإفراغ صب ما فى الإناء أجمع حتى يخلو مشتق من الفراغ و الصبر حبس النفس عن إظهار الجزع و الصبر على الحق عز كما أن الصبر على الباطل ذل.

المعنى

ثم حكى سبحانه ما صدر عن فرعون عند إيمان السحره فقال سبحانه «قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ» أى أقررتم له بالصدق من «قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ» أى من قبل أن آمركم بإيمان و آذن لكم فى ذلك «إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُمْ فِي الْيَدَيْنِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا» أراد فرعون بهذا القول التلييس على الناس و إيهاهم أن إيمان السحره لم يكن عن علم و لكن لتواطؤ منهم ليذهبوا مالكم و ملككم و قيل معناه إن هذا لصنيع صنعتموه فيما بينكم و بين موسى فى مصر قبل خروجكم إلى هذا الموضع لتستولوا على مصر فتخرجوا منها أهلها «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» عاقبه أمركم و هذا وعيد لهم ثم بين الوعيد فقال «لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ» أى من كل شق طرفا قال الحسن هو أن يقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى و كذلك اليد اليسرى مع الرجل اليمنى «ثُمَّ لَأَصِلَنَّ لِبَنَاتِكُمْ أَجْمَعِينَ» أى لا أدع واحدا منكم إلا صلبته و قيل إن أول من قطع الرجل و صلب فرعون صلبهم فى جذوع النخل على شاطئ نهر مصر «قَالُوا» يعنى السحره جوابا لفرعون «إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ» أى راجعون إلى ربنا بالتوحيد و الإخلاص عن ابن عباس و الانقلاب إلى الله تعالى هو الانقلاب إلى جزائه و غرضهم بهذا القول التسلى فى الصبر على الشده لما فيه من المثوبه مع مقابله وعيده بوعيد أشد منه و هو عقاب الله «وَ مَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا» معناه و ما تطعن علينا و ما تكره منا

إلا- إيماننا بالله و تصديقنا بآياته التي جاءتنا قال ابن عباس معناه ما لنا عندك من ذنب و لا ركبنا منك مكروها تعذبنا عليه إلا إيماننا بآيات ربنا و هي ما أتى به موسى (عليه السلام) آمنوا بها أنها من عند الله لا يقدر على مثلها إلا هو «رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا» أى اصيب علينا الصبر عند القطع و الصلب حتى لا نرجع كفارا و المراد الطف لنا حتى نتصبر على عذاب فرعون و نتشجع عليه و لا- نفرع منه «و تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ» أى وفقنا للثبات على الإيمان و الإسلام إلى وقت الوفاة و قيل مسلمين مخلصين لله حتى لا يردنا البلاء عن ديننا قالوا فصلبهم فرعون من يومه فكانوا أول النهار كفارا سحره و آخر النهار شهداء برره و قيل أيضا إنه لم يصل إليهم و عصمهم الله منه.

[سوره الأعراف (٧): آيه ١٢٧]

إشارة

وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَ قَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ يَذَرَكَ وَ آلِهَتَكَ قَالَ سَنُقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَ نَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَ إِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (١٢٧)

القراءة

روى عن على بن أبى طالب ع و ابن عباس و ابن مسعود و أنس بن مالك و علقمه و غيرهم و يذرك و آلهتك و عن نعيم بن مسيره و الحسن بخلاف و يذرك بالرفع و عن الأشهب و يذرك بسكون الراء و القراءة المشهوره «و يَذَرَكَ وَ آلِهَتَكَ» و قرأ أهل الحجاز سنقتل أبناءهم بالتخفيف و الباقون «سَنُقْتِلُ» بالتشديد.

الحج

أما الإلاهه فإنه الربوبية و العباده فمن قرأ و إلهتك فمعناه و يذرك و ربوبيتك عن الزجاج و قيل عبادتك عن ابن جنى قال و منه سميت الشمس الآلهه و الإلهه لأنهم كانوا يعبدونها و من قرأ و يذرك بالرفع فإنه على الاستثناف أى و هو يذرك و أما من أسكن فقال و يذرك فإنه كقراءه أبى عمرو و إن الله يأمركم و قد مضى الكلام فى ذلك و من نصب «و يَذَرَكَ» فإنه على جواب الاستفهام بالواو فيكون المعنى أ يكون منك أن تذر موسى و أن يذرك و يجوز أن يكون عطفا على «لِيُفْسِدُوا» و من قرأ سنقتل بالتخفيف فإنه قد يقع ذلك على الكثير و غير الكثير و التثليل بهذا المعنى أخص و بالموضع أليق.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن قوم فرعون فقال سبحانه «و قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ» لما أسلم السحره تحريضا له على موسى «أ تَدْرُ مُوسَى وَ قَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ»

أى أتركهم أحياء ليظهروا خلافك و يدعوا الناس إلى مخالفتك ليغلبوا عليك فيفسد به ملكك و أمرك و قيل ليفسدوا فى الأرض بعباده غيرك و الدعاء إلى خلاف دينك و قيل ليفسدوا فيها بالغلبه عليها و أخذ موسى قومه منها و روى عن ابن عباس أنه لما آمن السحرة أسلم من بنى إسرائيل ستمائه ألف نفس و اتبعوه «وَ يَذَرُكَ وَ آلِهَتِكَ» قال الحسن كان فرعون يستعبد الناس و يعبد الأصنام بنفسه و كان الناس يعبدونها تقربا إليه و قال السدى كان يعبد ما يستحسن من البقر و روى أنه كان يأمرهم أيضا بعباده البقر و لذلك أخرج السامرى لهم عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا و قال هذا إِلَهُكُمْ وَ إِلَهُ مُوسَى و قال الزجاج كانت له أصنام يعبدها قومه تقربا إليه و من قرأ و آلِهَتِكَ قال كان فرعون يستعبد الناس بنفسه و لا يعبد شيئا و روى عن مجاهد أنه قال كان فرعون يعبد و لا يعبد «قَالَ» فرعون «سَيَقْتُلُ أَبْنَاءَهُمْ» الذين يكون فيهم النجده و القوه و يصلحون للقتال «وَ نَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ» أى بناتهم نستحيهن إذا لا يكون فيهن نجده و قوه للمهنه و الخدمه استذلالا لهن و إن كان فرعون قد انقطع طمعه عن قتل موسى و قومه فلم يقل سأقتل موسى و قومه لما رأى من علو أمره و عظم شأنه فانتقل إلى عذاب المستضعفين منهم و هم أبناء بنى إسرائيل و بناتهم ليوهم أنه يتم له ذلك فيهم أيضا «وَ إِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ» ظاهر المعنى.

[سوره الأعراف (٧): الآيات ١٢٨ الى ١٢٩]

إشارة

قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَ اصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨) قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَ مِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَ يَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٢٩)

المعنى

قال ابن عباس كان فرعون يقتل أبناء بنى إسرائيل فلما كان من أمر موسى ما كان أمر بإعادة القتل عليهم فشكا ذلك بنو إسرائيل إلى موسى فعند ذلك «قال موسى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ» فى دفع بلاء فرعون عنكم «وَ اصْبِرُوا» على دينكم و على أذى فرعون «إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» أى ينقلها إلى من يشاء نقل المواريث فيورثكن

ص: ٢٩٩

بعد إهلاك فرعون كما أورثها فرعون و هذا وعد لهم بحسن العقابه ليكون داعيا لهم إلى الصبر «وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» معناه تمسكوا بالتقوى فى الدنيا فإن حسن العقابه فى الدارين للمتقين و العقابه ما يؤدى إليه البادئه إلا أنه إذا قيل العقابه له فهو فى الخير و إذا قيل العقابه عليه فهو فى الشر كما يقال الدائره له و عليه و الدبره له و عليه «قَالُوا» أى قال بنو إسرائيل لموسى «أَوْذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا» أى عذبنا فرعون بقتل الأبناء و استخدام النساء قبل أن تأتينا بالرساله و قيل قبل أن جئتنا «وَ مِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا» أيضا و يتوعدنا و يأخذ أموالنا و يكلفنا الأعمال الشاقه فلم ننتفع بمجيئك و هذا يدل على أنه قد جرى فيهم القتل و التعذيب مرتين قال الحسن كان فرعون يأخذ الجزيه قبل مجىء موسى و بعده من بنى إسرائيل فهذا «قَالُوا أَوْذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَ مِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا» و هذا الذى قالوه إنما هو استبطاء منهم لما وعدهم موسى (عليه السلام) من النجاه من فرعون و قومه فجدد (عليه السلام) لهم الوعد عن الله تعالى ليتقوا به «قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ» قال الزجاج عسى طمع و إشفاق إلا أن ما يطمع الله فيه فهو واجب و هو معنى قول المفسرين عسى من الله واجب و معناه أوجب ربكم على نفسه أن يهلك عدوكم فرعون و قومه «وَ يَشِئْتُمْ خَلْفَكُمْ فِي الْأَرْضِ» أى يملككم ما كانوا يملكونه فى الأرض من بعدهم «فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ» أى فىرى ذلك بوقوعه منكم لأن الله تعالى لا يجازى عباده على ما يعلمه منهم إنما يجازيهم على ما يقع منهم عن الزجاج و قيل يعلم ذلك و معناه فيظهر معلومه أى يتليكم بالنعمة ليظهر شكركم كما ابتلاكم بالمحنه ليظهر صبركم و مثله و لَنْبَلُونَكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَ الصَّابِرِينَ وَ مَوْضِعَ كَيْفَ نَصَبَ وَ تَقْدِيرَهُ أَعْمَالًا حَسَنًا تَعْمَلُونَ أَمْ قَبِيحًا أَى شَاكِرِينَ كُنْتُمْ لِنِعْمَتِهِ أَمْ كَافِرِينَ وَ قَدْ حَقَّقَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ هَذَا الْوَعْدَ فَأُورِثَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَرْضَ مِصْرَ وَ نَوَاحِيهَا بَعْدَ أَنْ أَهْلَكَ عَدُوَّهُمْ.

[سوره الأعراف (٧): الآيات ١٣٠ الى ١٣١]

اشاره

وَ لَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَ نَقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠) فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣١)

القراءه

فى الشواذ قراءه الحسن ألا إنما طيرهم عند الله بغير ألف.

ص: ٣٠٠

الحجّه

الطير جمع طائر فى قول أبى الحسن و فى قول صاحب الكتاب الطائر اسم للجمع بمنزله الجامل و الباقر غير مكسر و روى عن قطرب أن الطير قد يكون واحدا كما أن الطائر واحد و يجوز أن يكون الطائر جمعا كالجمال أنشد ابن الأعرابى:
كأنه تهتان يوم ماطر على رءوس كرؤوس الطائر.

اللغه

العرب تقول أخذتهم السنه إذا كانت قحطه و يقال أسنت القوم إذا أجدبوا و إنما قيل للسنه المجدبه السنه و لم يقل للمخصبه لأنها نادره فى الانفراد بالجذب و النادر أحق بالانفراد بالذكر لانفراده بالمعنى الذى ندر به قالوا وجدنا البلاد سنين أى جدوبا قال:

و أموال اللثام بكل أرض تجحفها الجوائح و السنون
و قال آخر:

كان الناس إذ فقدوا عليا نعام جال فى بلد سنينا

أى فى بلد جذب و التطير الطيره من الشىء و هو التشاؤم به و اشتقاقه من الطير و طائر الإنسان عمله أخذ من ذلك لأن العرب كانت تزجر الطير فتنشام بالبارح و هو الذى يأتى من جهه الشمال و تتبرك بالسانح و هو الذى يأتى من قبل اليمين قال الشاعر:

زجرت لها طير الشمال فإن يكن هواك الذى تهوى يصبك اجتنابها

ثم كثر ذلك فسمى نصيب الإنسان طائره و يقال طار له من القسم كذا و كذا و أنشد ابن الأعرابى:

فإنى لست منك و لست منى إذا ما طار من مالى الثمين

يريد الزوجه إذا أخذ ثمنها من ماله.

المعنى

ثم بين سبحانه ما فعله آل فرعون و أقسم عليه فقال «وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ» اللام للقسم و قد يقرب الماضى من الحال لأنه إذا توقع كون أمر فقيل قد

كان دل على قربه من الحال و آل الرجل خاصته الذين يؤول أمره إليهم و أمرهم إليه و معناه و لقد عاقبنا قوم فرعون بالجدوب و القحوط «و نَقَصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ» أى و أخذناهم مع القحط و أجذاب الأرض بنقصان من الثمرات «لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ» أى يخافون فيوحدون الله فلم يتذكروا و قيل لكى يتفكروا فى ذلك و يرجعوا إلى الحق قال الزجاج إنما أخذوا بالضراء لأن أحوال الشده ترق القلوب و ترغب فيما عند الله ألا- ترى إلى قوله وَ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَدُو دُعَاءِ عَرِيضٍ و قيل معناه لكى تتذكروا أن فرعون لو كان إلها لما كان يستسلم لذلك الضر و فى هذه الآيه دلالة على بطلان مذهب المجبره فى أنه سبحانه يريد الكفر فإنه بين أنه أراد منهم التذكر و الرجوع إلى الله «فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ» يعنى الخصب و النعمه و السعه فى الرزق و السلامه و العافيه «قَالُوا لَنَا هَذِهِ» أى إنا نستحق ذلك على العاده الجاربه لنا من نعمنا و سعه أرزاقنا فى بلادنا و لم يعلموا أنه من عند الله سبحانه فيشكروه عليه و يؤدوا شكر النعمه فيه «وَ إِنْ تُصَبَّ بِهُمْ سَيِّئَةٌ» أى جوع و بلاء و قحط المطر و ضيق الرزق و هلاك الثمر و المواشى «يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَ مَنْ مَعَهُ» أى يتطيروا فأدغمت التاء فى الطاء و تفسيره يتشاءموا بهم عن الحسن و مجاهد و ابن زيد و قالوا ما رأينا شرا و لا أصابنا بلاء حتى رأيناكم «أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ» معناه ألا إنما الشؤم الذى يلحقهم هو الذى وعدوا به من العقاب عند الله يفعل بهم فى الآخره لا ما ينالهم فى الدنيا عن الزجاج و قيل إن معناه إن الله تعالى هو الذى يأتى بطائر البركه و طائر الشؤم من الخير و الشر و النفع و الضر فلو عقلوا لطلبوا الخير و السلامه من الشر من قبله و قال الحسن معناه ألا إن ما تشاءموا به محفوظ عليهم حتى يجازيهم الله يوم القيامة «وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» و لا يتفكرون ليعلموا.

[سوره الأعراف (٧): الآيات ١٣٢ الى ١٣٣]

إشاره

وَ قَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسِيَ حَرْنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (١٣٢) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَ الْجَرَادَ وَ الْقُمَّلَ وَ الضَّفَادِعَ وَ الدَّمَ آيَاتٍ مُفْصَلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَ كَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (١٣٣)

القراءه

فى الشواذ قراءه الحسن القمل بفتح القاف و سكون الميم و هو المعروف.

اللغه

الطوفان السيل الذى يعم بتعريفه الأرض و هو مأخوذ من الطوف فيها و قيل هو مصدر كالرجحان و النقصان قال الأخفش واحده طوفانه قال أبو عبيده الطوفان من السيل

ص: ٣٠٢

البعاق و من الموت الذريع و القمل كبار القردان قال أبو عبيده هو الحمنان واحدته حمنه و حمنانه.

الإعراب

مهما قال الخليل مه أصلها ما إلا أنهم أدخلوا عليها ما كما يدخلونها على حروف الجزاء يقولون أما و متى و ما فغيروا ألفها بأن أبدلوها هاء لثلاثا- يوهم التكرير و صار ما فيها مبالغه فى معنى العموم و قال غيره أصلها مه بمعنى اكفف دخلت على ما التى للجزاء و الفرق بين مهما و ما أن مهما خالصه للجزاء و فى ما الاشتراك لأنه قد يكون استفهاما تاره و بمعنى الذى أخرى و بمعان أخر و تأتتا مجزوم و علامه الجزم فيه الياء و إنما حذف الياء للجزم لأنه من حروف المد و اللين و هى مجانسه لحركات الإعراب و من شأن الجازم أن يحذف حركه فإذا لم يصادف حركه عمل فى نفس الحرف لثلاثا يتعطل من العمل و الضمير فى به يعود إلى مهما و تقديره أى شىء تأتتا به و الضمير فى بها يعود إلى آيه «آياتٍ مُفَصَّلَاتٍ» نصب على الحال.

المعنى

«وَقَالُوا» أى قال قوم فرعون لموسى «مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ» أى أى شىء تأتتا به من المعجزات «لِتَسِيحَرْنَا بِهَا» أى لتموه علينا بها حتى تنقلنا عن دين فرعون «فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ» أى مصدقين أشاروا بهذا القول إلى إصرارهم على الكفر و أنهم لا يصدقونه و إن أتى بجميع الآيات ثم زاد الله سبحانه فى الآيات تأكيداً لأمر موسى (عليه السلام) كما قال «فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ» اختلف فيه فقيل هو الماء الغالب الخارج عن العاده الهادم للبنيان و القالع للأشجار و الزروع عن ابن عباس و قيل هو الموت الذريع الجارف عن مجاهد و عطاء و قيل هو الطاعون بلغه أهل اليمن أرسل الله ذلك على أبنكار آل فرعون فى ليله فأقعصهن فلم يبق منهن إنسان و لا دابه عن وهب بن منبه و قيل هو الجدرى و هم أول من عذبوا به و بقى فى الأرض عن أبى قلابه و قيل هو أمر من الله تعالى طاف بهم عن ابن عباس رواه أبو ظبيان عنه ثم قرأ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَ هُمْ نَائِمُونَ «وَالْجَرَادَ» هو المعروف «وَالْقُمَّلَ» اختلف فيه فقيل هو الدبى و هو صغار الجراد الذى لا- أجنحه له و الجراد الطياره التى لها أجنحه عن ابن عباس و مجاهد و السدى و قتاده و الكلبي و قيل القمل بنات الجراد عن عكرمه و قيل القمل البراغيث و قيل دواب سود صغار عن سعيد بن جبير و الحسن و عطاء

الخراساني و لذلك قرأ الحسن و القمل و قيل هو السوس الذى يخرج من الحنطه عن سعيد بن جبير «وَ الضَّفَادِعُ وَ الدَّمَّ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ» أى معجزات مبيّنات ظاهرات و أدله واضحات عن مجاهد و قيل مفصلات أى بعضها منفصل عن بعض «فَأَسْتَكْبِرُوا» أى تكبروا عن قبول الحق و الإيمان بالله «وَ كَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ» عاصين كافرين.

[القصة]

قال ابن عباس و سعيد بن جبير و قتاده و محمد بن إسحاق بن يسار و

رواه على بن إبراهيم بإسناده عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام) دخل حديث بعضهم فى بعض قالوا لما آمنت السحرة و رجع فرعون مغلوبا و أبى هو و قومه إلا الإقامه على الكفر قال هامان لفرعون إن الناس قد آمنوا بموسى فانظر من دخل فى دينه فاحبسه فحبس كل من آمن به من بنى إسرائيل فتابع الله عليهم بالآيات و أخذهم بالسنين و نقص من الثمرات ثم بعث عليهم الطوفان فضرب دورهم و مساكنهم حتى خرجوا إلى البريه و ضربوا الخيام و امتلأت بيوت القبط ماء و لم يدخل بيوت بنى إسرائيل من الماء قطره و أقام الماء على وجه أرضيهم لا يقدرّون على أن يحرثوا فقالوا لموسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا المطر فنؤمن لك و نرسل معك بنى إسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الطوفان فلم يؤمنوا و قال هامان لفرعون لئن خليت بنى إسرائيل غلبك موسى و أزال ملكك و أنبت الله لهم فى تلك السنه من الكلاؤ و الزرع و الثمر ما أعشبت به بلادهم و أخصبت فقالوا ما كان هذا الماء إلا نعمه علينا و خصبا فأنزل الله عليهم فى السنه الثانيه عن على بن إبراهيم و فى الشهر الثانى عن غيره من المفسرين الجراد فجردت زروعهم و أشجارهم حتى كانت تجرد شعورهم و لحاهم و تأكل الأبواب و الثياب و الأمتعه و كانت لا تدخل بيوت بنى إسرائيل و لا يصيبهم من ذلك شىء فعجوا و ضجوا و جزع فرعون من ذلك جزعا شديدا و قال يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا الجراد حتى أخلى عن بنى إسرائيل فدعا موسى ربه فكشف عنه الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت و قيل إن موسى (عليه السلام) برز إلى الفضاء فأشار بعصاه نحو المشرق و المغرب فرجعت الجراد من حيث جاءت حتى كأن لم يكن قط و لم يدع هامان فرعون أن يخلى عن بنى إسرائيل فأنزل الله عليهم فى السنه الثالثه فى روايه على بن إبراهيم و فى الشهر الثالث عن غيره من المفسرين القمل و هو الجراد الصغار الذى لا أجنحه له و هو شر ما يكون و أخبثه فأتى على زروعهم كلها و اجتثها من أصلها فذهبت زروعهم و لحس الأرض كلها و قيل أمر موسى أن يمشى إلى كتيب أعفر بقرية من قرى مصر تدعى عين الشمس فأتاه فضربه بعصاه فانتال

ص: ٣٠٤

عليهم قملا فكان يدخل بين ثوب أحدهم فيعضه و كان يأكل أحدهم الطعام فيمتلئ قملا قال سعيد بن جبير القمل السوس الذى يخرج من الحبوب فكان الرجل يخرج عشره أجره إلى الرحى فلم يرد منها ثلاثه أقفزه فلم يصابوا ببلاء كان أشد عليهم من القمل و أخذت أشعارهم و أبشارهم و أشفار عيونهم و حواجبهم و لزمت جلودهم كأنه الجدرى عليهم و منعتهم النوم و القرار فصرخوا و صاحوا فقال فرعون لموسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا القمل لأكفن عن بنى إسرائيل فدعا موسى حتى ذهب القمل بعد ما قام عددهم سبعة أيام من السبت إلى السبت فنكتوا فأنزل الله عليهم فى السنه الرابعه و قيل فى الشهر الرابع الضفادع فكانت تكون فى طعامهم و شرابهم و امتلأت منها بيوتهم و أبنتهم فلا يكشف أحد ثوبا و لا إناء و لا طعاما و لا شرابا إلا وجد فيه الضفادع و كانت تثب فى قدورهم فتفسد عليهم ما فيها و كان الرجل يجلس إلى ذقنه فى الضفادع و يهم أن يتكلم فيشب الضفدع فى فيه و يفتح فاه لأكلته فيسبق الضفدع أكلته إلى فيه فلقوا منها أذى شديدا فلما رأوا ذلك بكوا و شكوا إلى موسى و قالوا هذه المره نتوب و لا- نعود فداع الله أن يذهب عنا الضفادع فإننا نؤمن بك و نرسل معك بنى إسرائيل فأخذ عهودهم و موثيقهم ثم دعا ربه فكشف عنهم الضفادع بعد ما أقام عليهم سبعا من السبت إلى السبت ثم نقضوا العهد و عادوا لكفرهم فلما كانت السنه الخامسه أرسل الله عليهم الدم فسال ماء النيل عليهم دما فكان القبطى يراه دما و الإسرائيلى يراه ماء فإذا شربه الإسرائيلى كان ماء و إذا شربه القبطى كان دما و كان القبطى يقول للإسرائيلى خذ الماء فى فيك و صبه فى فى فكان إذا صبه فى فم القبطى تحول دما و أن فرعون اعتراه العطش حتى أنه ليضطر إلى مضغ الأشجار الرطبه فإذا مضغها يصير ماؤها فى فيه دما فمكتوا فى ذلك سبعة أيام لا يأكلون إلا الدم و لا يشربون إلا الدم قال زيد بن أسلم الدم الذى سلط عليهم كان الرعاف فأتوا موسى فقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن لك و نرسل معك بنى إسرائيل فلما دفع الله عنهم الدم لم يؤمنوا و لم يخلوا عن بنى إسرائيل.

إشارة

وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشِفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَ لَنُؤْتِيَ لَكَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ (١٣٤) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْغُورَةِ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ (١٣٥) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ كَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٣٦)

اللغة

أصل الرجز الميل عن الحق و منه «و الرُّجْزُ فَاهْجُزٌ» يعنى عباده الوثن و العذاب رجز لأنه عقوبه على الميل عن الحق و الرجز رعه فى رجل الناقه لداء يلحقها تعدل به عن حق سيرها و الرجز ضرب من الشعر أخذ من رجز الناقه لأنه متحرك و ساكن ثم متحرك و ساكن فى كل أجزاءه فهو كالرعه فى رجل الناقه يتحرك بها ثم يسكن ثم يستمر على ذلك و النكث نقض العهد الذى يلزم الوفاء به و اليم البحر قال ذو الرمه:

دويه و دجى ليل كأنهما يم تراطن فى حافته الروم

و الغفله حال تعترى النفس تنافى الفطنه و اليقظه.

الإعراب

إذا ظرف المفاجاه على ما تقدم بيانه و ليست مضافه إلى الجملة بل هى بمنزله هناك و قد يكتفى بالاسم كما تقول خرجت فإذا زيد و فيه وقوع خلاف المتوقع منهم لأنه أتى منهم نقض العهد بدلا من الوفاء فكأنه فاجأ الرأى عجب من نكثهم و إذا هذه جواب لما و مثله قوله وَ إِن تَصِرْ بِهِمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ و لا يجوز أن يجاب الشرط بإذ لأن إذ لا يكون إلا للوقت الماضى و الجواب إنما يكون بعد الأول و لذلك يصلح فيه الفاء و لا يصلح الواو و حرف الجزاء إنما يقبل الفعل إلى الاستقبال دون الوقت.

المعنى

ثم أخير سبحانه عنهم أيضا فقال «وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ» أى العذاب عن الحسن و قتاده و مجاهد و هو ما نزل بهم من الطوفان و غيره و قيل هو الطاعون أصابهم فمات من القبط سبعون ألف إنسان و هو العذاب السادس عن سعيد بن جبير و مثله

ما روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه أصابهم ثلج أحمر و لم يروه قبل ذلك فماتوا فيه و جزعوا و أصابهم ما لم يعهدوه قبله

«قَالُوا» يعنى فرعون و قومه «يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ» أى

بما تقدم إليك أن تدعوه به فإنه يجيبك كما أجابك في آياتك و قيل بما عهد عندك أنا لو آمننا لرفع عنا العذاب و قيل بما عهد عندك من النبوه عن أبى مسلم فعلى هذا يكون الباء باء القسم و المعنى بحق ما آتاك الله من النبوه لما دعوت الله ليكشف هذا عنا «لَيْتَ كَشَفَتْ عَنَّا الرَّجْزَ» أى العذاب «لَتُؤْمِنَنَّ لَكَ» أى نصدقك فى أنك نبي أرسلك الله «وَلَتُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ» أى نطلقهم من الاستخدام و تكليف الأعمال الشاقه «فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ» أى فلما رفعنا عنهم العذاب «إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْغَوْهٖ» يعنى الأجل الذى عرفهم الله فيه و قيل هو الأجل المقدر عن الحسن «إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ» أى ينقضون العهد «فَأَتَتْكُمْ مِّنْهُم» أى فجزيناهم على سوء صنيعتهم بالعذاب ثم فسر ذلك العذاب فقال «فَأَعْرَفْنَاهُمْ فِي الَّيْمِ» أى البحر «بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا» أى فعلنا ذلك بهم جزاء بتكذيبهم آياتنا و حججنا و براهيننا الداله على صدق موسى و صحه نبوته و جحودهم لها «وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ» معناه أنه أنزل عليهم العذاب و كانوا غافلين عن نزول ذلك بهم و قيل معناه إنا عاقبناهم بتكذيبهم و تعرضهم لأسباب الغفله و عملهم عمل الغافل عنها فيكون وعيدا لهم على الإعراض عن الآيات.

[سوره الأعراف (٧): آيه ١٣٧]

إشاره

وَ أَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَ مَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَ تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسَيْنِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَ دَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَ مَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧)

القراءه

قرأ ابن عامر و أبو بكر يعرشون بضم الراء و الباقون بكسرها.

الحجه

هما لغتان فصيحتان و الكسر أفصح.

اللغه

قال أبو عبيده يعرشون يبنون يقال عرش مكه أى بناؤها.

الإعراب

يجوز أن يكون مشارق الأرض و مغاربها إنما انتصب بأنه مفعول أورثنا و يجوز أن يكون ظرفا على تقدير و أورثناهم الأرض فى مشارقها و مغاربها و قيل إنما انتصب مشارق الأرض و مغاربها على الظرف للاستضعاف و التقدير و أورثنا القوم الذين كانوا

يستضعفون فى مشارق الأرض و مغاربها التى باركنا فيها و على هذا فالهاء فى فيها يعود إلى التى و التى صفه للأرض المحذوفه و موضعها نصب بأورثنا.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال «وَأُورَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ» يعنى بنى إسرائيل فإن القبط كانوا يستضعفونهم فأورثهم الله بأن مكنهم و حكم لهم بالتصرف و أباح لهم ذلك بعد إهلاك فرعون و قومه القبط فكأنهم ورثوا منهم «مشارك الأَرْضِ وَ مَغَارِبِهَا» التى كانوا فيها يعنى جنات الأرض الشرق و الغرب منها يريد به ملك فرعون من أدناه إلى أقصاه و قيل هى أرض الشام و مصر عن الحسن و قيل هى أرض الشام و شرقها و غربها عن قتاده و قيل هى أرض مصر عن الجبائى قال الزجاج كان من بنى إسرائيل داود و سليمان ملكوا الأرض «الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا» بإخراج الزروع و الثمار و سائر صنوف النبات و الأشجار إلى غير ذلك من العيون و الأنهار و ضرورب المنافع «وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسَيْنِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ» معناه صح كلام ربك بإنجاز الوعد بإهلاك عدوهم و استخلافهم فى الأرض و إنما كان الإنجاز تماما للكلام بتمام النعمة به و قيل إن الكلمة الحسنى قوله سبحانه «وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ» إلى قوله «يَحْذَرُونَ» و قال الحسن و إن كانت كلمات الله سبحانه كلها حسنه لأنها وعد بما يحبون و قال الحسن أراد وعد الله لهم بالجنة «بِمَا صَبَرُوا» على أذى فرعون و قومه و تكليفهم إياهم ما لا يطيقونه من الاستعباد و الأعمال الشاقه «وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصِيْعُ فِيهِمْ وَ قَوْمُهُ» أى أهلكتنا ما كانوا يبنون من الأبنية و القصور و الديار «وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ» من الأشجار و الأعناب و الثمار و قيل يعرشون يسقفون من القصور و البيوت عن ابن عباس.

إشارة

وَ جَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْدَانِهِمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَؤُلَاءِ مُمْتَبِرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَ بَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩) قَالَ أَعْبَدُوا اللَّهَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ سَمَوَاتِهِ وَ هُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٤٠)

القراءة

يعكفون بكسر الكاف كوفى غير عاصم و الباقون بضم الكاف و هما لغتان.

اللغة

المجاوزه الإخراج عن الحد و جاز الوادى يجوز جوازا إذا قطعه و خلفه وراءه و جاوزه مجاوزه و اجتيازا و أصل البحر من السعة و منه البحيره لسعة شق أذنها و تبخر فى العلم إذا اتسع فيه و قوى تصرفه و عكف على الشىء و اظب عليه و لزمه و منه الاعتكاف و هو لزوم المسجد للعباده فيه و المتبر من التبار و هو الهلاك و منه التبر للذهب و سمي بذلك لأمرين (أحدهما) أن معدنه مهلكه (و الآخر) ما قاله الزجاج إنه يقال لكل إناء مكسر متبر و كسارته تبره.

الإعراب

«كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ» ما هذه كافه للكاف لأن ما بعدها جملة و قال البصير و هو واحد زماننا فى هذا الفن ما هاهنا مصدرية أى كما ثبت لهم آلهه وصلت بالظرف و ما ارتفع به كما يوصل بالمبتدأ و الخبر فى قوله:

" كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه "

و يجوز أن يكون بمعنى الذى و فى لهم ضمير يعود إليه و آلهه بدل من ذلك الضمير أو يرتفع بإضمار هى أى هى آلهه فحذف هى، و ما هم فيه موصول و صله فى موضع رفع بقيامه مقام الفاعل لقوله «مُتَبِّرٌ» و كذلك «ما كانوا يعملون» فاعل الباطل، «أَعْبَدُوا اللَّهَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ سَمَوَاتِهِ» بغير يتعدى إلى مفعولين و طلب يتعدى إلى مفعول واحد لأن معنى قولك بغاه الخير أعطاه الخير و ليس كذلك طلب لأنه غير مضمم بالمطلوب و على هذا فيكون إليها مفعولا به ثانيا و يكون غير منصوبا على الحال التى لو تأخرت كانت صفة للنكرة و تقديره أبغىكم إليها غير الله و قد يجوز أن يكون بمعنى أبغى لكم و يكون غير الله منصوبا بأنه مفعول أبغى و تقديره أطلب غير الله لكم معبودا فيكون إليها منصوبا على الحال.

المعنى

ثم أخبر الله سبحانه عن أحوال بنى إسرائيل فقال «وَ جَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ» أى قطعنا بهم «الْبَحْرَ» يعنى النيل نهر مصر بأن جعلنا

لهم فيه طرقا يابسه حتى عبروا ثم أغرقنا فرعون و قومه فيه «فَأْتُوا» أى فمروا «عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ» أى يقبلون عليها ملازمين لها مقيمين عندها يعبدونها قال قتاده كان أولئك القوم من لحم و كانوا نزولا بالرقه و قال ابن جريج كانت تماثيل بقر و ذلك أول شأن العجل «قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ» أى أنصب لنا شيئا نعبده كما لهم أوثان يعبدونها و هذا كفر ربما قاله الجاهل من قومه دون المؤمنين الأخيار و إنما قالوا ذلك لأن الإنسان يحن إلى ما يراه لغيره فيجب أن يكون له مثل ما لغيره و فى هذا دلالة على عظيم جهلهم بعد ما رأوا الآيات المترادفه

والمعجزات من حيث توهموا أنه يجوز عباده غير الله تعالى و لم يعرفوا أن المجهول لا يكون إلها و أن الأصنام لا تكون آلهه و يمكن أن يكونوا قد ظنوا أنه يجوز أن يتقرب إلى الله تعالى بعباده غيره و إن اعتقدوا أنه لا يشبه الأشياء و لا تشبهه و لم يكونوا مشبهه كما حكى الله سبحانه عن المشركين أنهم قالوا ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى «قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ» هذه حكاية عما أجابهم به موسى (عليه السلام) أى تجهلون ربكم و عظمته و صفاته و لو عرفتموه حق معرفته لما قلت هذا القول عن الجبائى و قيل تجهلون نعمه ربكم فيما صنع بكم عن ابن عباس «إِنَّ هَؤُلَاءِ» يعنى القوم الذين عبدوا الأصنام «مُتَّبِرٌ» أى مدمر مهلك «ما هُمْ فِيهِ» من عباده الأصنام «وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أى باطل عملهم لا يجدى عليهم نفعا و لا يدفع عنهم ضرا فكأنه بمنزله من لم يكن من هذا الوجه فالبطلان انتفاء المعنى بعدمه أو بأنه لا يصح معتقده فالأول كبطلان البناء بالهدم و الثانى كبطلان إله آخر مع الله لأنه لا يصح فى عدم و لا وجود «قَالَ» يعنى قال موسى لقومه بعد إزرائه على الأصنام و على من كان يعبدها «أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ» أى ألتمس و أطلب غير الله لكم فحذف حرف الجر فوصل الفعل بقوله وَ اخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ أَى من قومه «إِلَهَاءً» أى معبودا تعبدونه سوى الله «وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ» أى على عالمى زمانكم عن الحسن و الجبائى و قيل معناه و هو سبحانه خصكم بفضائل لم يعطها أحدا غيركم و هو أن أرسل إليكم رجلين منكم لتكونوا أقرب إلى القبول و خلصكم من أذى فرعون و قومه على أعجب وجه و أورثكم أرضهم و ديارهم و أموالهم.

[سوره الأعراف (٧): آيه ١٤١]

إشارة

وَ إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (١٤١)

القراءة

قرأ ابن عامر أنجاكم على لفظ الماضى و الباقون أنجيناكم و قرأ نافع وحده يقتلون بالتخفيف و الباقون «يُقْتَلُونَ» بالتشديد.

الحجج

قد مضى الكلام فى أمثال ذلك مره بعد أخرى فلا وجه للإطاله بإعادته.

المعنى

ثم خاطب الله سبحانه بنى إسرائيل الذين كانوا فى زمن النبى ص فقال لهم على وجه الامتنان عليهم بما أنعمه على أسلافهم «وَ إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ» أى و اذكروا إذ خلصناكم

«مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ» أى يولونكم إكراها و يحملونكم إذلالا- «سوء العذاب يُقتلون أبناءكم» أى يكثرون قتل أبنائكم «و يسيئون نساءكم» أى يستبقونهم للخدمه و المهنه «و فى ذلكم» أى و فى ما فعل بكم من النجاه «بلاء» أى نعمه «مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ» قدرها و قيل معناه فى تخليته إياكم و قوم فرعون ابتلاء عظيم و قد مضى تفسير هذه الآية فى سورة البقره.

[سوره الأعراف (٧): آيه ١٤٢]

أشاره

وَ واعدنا موسى ثلاثين ليله و أتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليله و قال موسى لأخيه هارون اخلفنى فى قومي و أصلح و لا تتبع سبيل المفسدين (١٤٢)

اللغه

الفرق بين الميقات و الوقت أن الميقات ما قدر ليعمل فيه عمل من الأعمال و الوقت وقت الشىء قدره و لذلك قيل مواقيت الحج و هى المواضع التى قدرت للإحرام فيها.

المعنى

ثم بين سبحانه تمام نعمته على بنى إسرائيل فقال «وَ واعدنا موسى ثلاثين ليله و أتممناها بعشر» و لم يقل أربعين ليله كما قاله فى سورة البقره لفائده زائده ذكر فيها وجوه (أحدها) أن العده كانت ذا القعدة و عشر ذى الحجه و لو قال أربعين ليله لم يعلم أنه كان الابتداء أول الشهر و لا أن الأيام كانت متواليه و لا أن الشهر شهر بعينه قاله الفراء و هو معنى قول مجاهد و ابن عباس و ابن جريج و مسروق و أكثر المفسرين (و ثانيها) أنه سبحانه واعد موسى ثلاثين ليله ليصوم فيها و يتقرب بالعباده ثم أتمت بعشر إلى وقت المناجاه و قيل هى العشر التى نزلت التوراه فيها و لذلك أفردت بالذكر (و ثالثها)

أن موسى (عليه السلام) قال لقومه إنى أتأخر عنكم ثلاثين يوما ليتسهل عليهم ثم زاد عليهم عشرا و ليس فى ذلك خلف لأنه إذا تأخر عنهم أربعين ليله فقد تأخر ثلاثين ليله قبلها عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام)

و قريب منه ما روى عن الحسن أن الموعد كان أربعين ليله فى الأصل فأجمل هناك و فصل هاهنا على وجه التأكيد «فتم ميقات ربه أربعين ليله» إنما قال هذا مع أن ما تقدمه دل على هذه العده للبيان

ص: ٣١١

والتفصيل الذى تسميه الكتاب الفذلكه و لو لم يذكره لجاز أن يتوهم أنه أتم الثلاثين بعشر منها على معنى كملنا الثلاثين بعشر حتى كملت ثلاثين كما يقال كملت العشره بدرهمين و قد مر معنى المواعده و الوعد فى سورہ البقره و قلنا أن أربعين هنا منصوب على الحال و تقديره معدوده أربعين ليله «وَقَالَ مُوسَى» وقت خروجه إلى الميقات «لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَفْنِي» أى كن خليفتى «فِي قَوْمِي وَ أَصْرِيح» فيما بينهم و أجر على طريقتك فى الصلاح و قيل معناه و أصلح فاسدهم فى حال غيبتى و قيل أصلحهم أى أحملهم على الطاعة «وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ» أى لا تسلك طريقه العاصين و لا تكن عوناً للظالمين و إنما أراد بذلك إصلاح قومه و إن كان المخاطب به أخاه و إنما أمر موسى (عليه السلام) أخاه هارون بأن يخلفه و ينوب عنه فى قومه مع أن هارون كان نبيا مرسلًا لأن الرئاسة كانت لموسى (عليه السلام) عليه و على أمته و لم يكن يجوز أن يقول هارون لموسى مثل ذلك و فى هذا دلالة على أن منزله الإمامه منفصله من النبوه و غير داخله فيها و إنما اجتمع الأمران لأنبياء مخصوصين لأن هارون لو كان له القيام بأمر الأمة من حيث كان نبيا لما احتاج فيه إلى استخلاف موسى إياه و إقامته مقامه.

[سوره الأعراف (٧): آيه ١٤٣]

إشارة

وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَ لَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَ خَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣)

القراءة

جعله دكا بالمد هاهنا و فى الكهف كوفى غير عاصم و وافقهم عاصم فى الكهف و الباقون «دكًا» بالقصر و التنوين فى الموضوعين.

الحجج

قال الزجاج «جَعَلَهُ دَكًّا» بالتنوين معناه جعله مدقوقًا مع الأرض و الدكاء و الدكاوات الروابى التى مع الأرض ناشزه عنها لا تبلغ أن تكون جبلا. قال أبو الحسن لما قال جعله فكأنه قال دكه و أراد جعله ذا دك و قال أبو عبيده «جَعَلَهُ دَكًّا» أى مندكا و ناقه دكاء ذاهبه

السنام كأنه جعله كالناقه الدكاء فبقى أكثره و الدك المستوى و أنشد للأغلب:

" هل غير غار دك غارا فانهدم "

و قال على بن عيسى دكا مستويا بالأرض يقال دكه يدكه دكا أى سحقه سحقا.

اللغة

التجلى الظهور و يكون تاره بالظهور و تاره بالدلالة قال الشاعر:

تجلى لنا بالمشرفيه و القنا و قد كان عن وقع الأسنه نائيا

أراد الشاعر أن تدبيره دل عليه و يقال للسيد هو ابن جلا أى لا يخفى أمره لشهرته و فى خطبه الحجاج (أنا ابن جلا و طلاع الثنايا متى أضع العمامه تعرفونى) قال سيويه جلا فعل ماض فكأنه قال أنا ابن الذى جلا أى أوضح و كشف.

المعنى

ثم ذكر سبحانه حديث الميقات فقال «وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا» معناه و لما انتهى موسى إلى المكان الذى وقتناه له و أمرناه بالمصير إليه لنكلمه و نزل عليه التوراه و يمكن أن يكون المراد بالميقات الزمان الذى وقته الله تعالى له أن يأتى ذلك المكان فيه فإن لفظ الميقات كما يقع على الزمان يقع على المكان كماواقيت الإحرام فإنها للأمكنه التى لا يجوز مجاوزتها لأهل الآفاق إلا- و هم محرمون «وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ» من غير سفير أو وحى كما كان يكلم الأنبياء على ألسنه الملائكه و لم يذكر من أى موضع أسمع كلامه و ذكر فى موضع آخر أنه أسمع كلامه من الشجره فجعل الشجره محلا- للكلام لأن الكلام عرض لا يقوم إلا بجسم و قيل إنه فى هذا الموضع أسمع كلامه من الغمام «قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ» أى أرنى نفسك أنظر إليك اختلف العلماء فى وجه مسأله (عليه السلام) الرؤيه مع علمه بأنه سبحانه لا يدرك بالحواس على أقوال (أحدها) ما قاله الجمهور و هو الأقوى إنه لم يسأل الرؤيه لنفسه و إنما سألها لقومه حين قالوا له لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً و لذلك قال (عليه السلام) لما أخذتهم الرجفه تَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الشُّفَهَاءُ مِنَّا فَأُضَافَ ذَلِكَ إِلَى السُّفَهَاءِ و يسأل على هذا فيقال لو جاز أن يسأل الرؤيه لقومه مع علمه باستحاله الرؤيه عليه تعالى لجاز أن يسأل لقومه سائر ما يستحيل عليه من كونه جسما و ما أشبه ذلك متى شكوا فيه و الجواب إنما صح السؤال فى الرؤيه لأن الشك فى جواز الرؤيه التى تقتضى كونه جسما يمكن معه معرفه السمع و أنه سبحانه حكيم صادق فى إخباره فيصح أن يعرفوا بالجواب الوارد من جهته تعالى استحاله ما شكوا فى صحته و جوازه و مع الشك فى كونه جسما لا يصح معرفه السمع من حيث إن

الجسم لا يجوز أن يكون غنيا ولا عالما بجميع المعلومات لا بد في العلم بصحة السمع من ذلك فلا يقع بجوابه انتفاع ولا علم وقال بعض العلماء إنه كان يجوز أن يسأل موسى لقومه ما يعلم استحالته أيضا وإن كان دلالة السمع لا تثبت قبل معرفته متى كان في المعلوم أن في ذلك صلاحا للمكلفين في دينهم غير أنه شرط أن يبين النبي في مسأله ذلك علمه باستحاله ما سأل عنه وأن غرضه في السؤال ورود الجواب ليكون لطفا (و ثانيها) أنه (عليه السلام) لم يسأل الرؤيه بالبصر ولكن سأل أن يعلمه نفسه ضروره بإظهار بعض أعلام الآخره التي تضطره إلى معرفه فتزول عنه الدواعى والشكوك ويستغنى عن الاستدلال فخفف المحنه عليه بذلك كما سأل إبراهيم (عليه السلام) رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنِّي كُنْتُ نَسِيًّا وَكَانَ عَرَفُ ذَلِكَ بِالْأَسْتِدْلَالِ وَالسُّؤَالِ وَإِنْ وَقَعَ بِلَفْظِ الرَّؤْيَةِ فَإِنَّ الرَّؤْيَةَ يَفِيدُ الْعِلْمَ كَمَا تَفِيدُ الْعِلْمَ الْإِدْرَاكَ بِالْبَصْرِ فَبَيْنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لَهُ أَنْ ذَلِكَ لَا يَكُونُ فِي الدُّنْيَا عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ الْبَلْخِيِّ (و ثالثها) أنه سأل الرؤيه بالبصر على غير وجه التشبيه عن الحسن والريبع والسدى وذلك لأن معرفه التوحيد تصح مع الجهل بمسأله الرؤيه ومعرفه السمع تصح أيضا معه وهذا ضعيف لأن الأمر وإن كان على ما ذكره فإن الأنبياء لا يجوز أن يخفى عليهم مثل هذا مع جلاله رتبهم وعلو درجاتهم «قَالَ لَنْ تَرَانِي» هذا جواب من الله تعالى ومعناه لا تراني أبدا لأن لن ينفي على وجه التأييد كما قال وَ لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا وَقَالَ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ «وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقْرَرَ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي» علق رؤيته باستقرار الجبل الذي علمنا أنه لم يستقر وهذه طريقه معروفه في استبعاد الشيء لأنهم يعلقونه مما يعلم أنه لا يكون ومتى قيل إنه لو كان الغرض بذلك التباعد لعلقه سبحانه بأمر يستحيل كما علق دخول الجنة بأمر مستحيل من ولوج الجمل في سم الخياط فجوابه أنه سبحانه علق جواز الرؤيه باستقرار الجبل في تلك الحال التي جعله فيها دكا وذلك مستحيل لما فيه من اجتماع الضدين «فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ» أى ظهر أمر ربه لأهل الجبل فحذف والمعنى أنه سبحانه أظهر من الآيات ما استدل به من كان عند الجبل على أن رؤيته غير جائزه وقيل معناه ظهر ربه بآياته التي أحدثها في الجبل لأهل الجبل كما يقال الحمد لله الذي تجلى لنا بقدرته فكل آيه يجددها الله سبحانه فكانه يتجلى للعباد بها فلما أظهر الآيه العجيبه في الجبل صار كأنه ظهر لأهله وقيل أن تجلى بمعنى جلى كقولهم حدث و تحدث و تقديره جلى ربه أمره للجبل أى أبرز في ملكوته للجبل ما تدكدك به و يؤيده

ما جاء في الخبر أن الله تعالى أبرز من العرش مقدار الخنصر فتدكدك به

وقال ابن عباس معناه ظهر نور ربه للجبل وقال الحسن لما ظهر وحى ربه للجبل «جَعَلَهُ ذَكًّا» أى مستويا بالأرض وقيل ترابا عن ابن عباس وقيل ساخ فى الأرض حتى فنى عن الحسن وقيل تقطع أربع قطع ذهبته نحو المشرق وقطعه ذهبته نحو المغرب وقطعه سقطت فى البحر وقطعه صارت رملا وقيل

صار الجبل سته أجبل وقعت ثلاثه بالمدينه و ثلاثه بمكه فالتى بالمدينه أحد و ورقان و رضوى و التى بمكه ثور و ثبير و حراء و روى ذلك عن النبى ص

«وَ خَرَّ مُوسَى صَيْعِقًا» أى سقط مغشيا عليه عن ابن عباس و الحسن و ابن زيد و لم يمت بدلاله قوله «فَلَمَّا أَفَاقَ» و لا يقال أفاق الميت و إنما عاش أو حى و أما السبعون الذين كانوا معه فقد ماتوا كلهم لقوله ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ و روى عن ابن عباس أنه قال أخذته الغشيه عشيه الخميس يوم عرفه و أفاق عشيه يوم الجمعة و فيه نزلت عليه التوراه و قيل معناه خر ميتا عن قتاده «فَلَمَّا أَفَاقَ» من صعقته و رجع إليه عقله «قَالَ سُبْحَانَكَ» أى تنزيها لك عن أن يجوز عليك ما لا يليق بك و قيل تنزيها لك من أن تأخذنى بما فعل السفهاء من سؤال الرؤيه «تُبْتُ إِلَيْكَ» من التقدم فى المسأله قبل الأذن فيها و قيل إنه قاله على وجه الانقطاع إلى الله سبحانه كما يذكر التسييح و التهليل و نحو ذلك من الألفاظ عند ظهور الأمور الجليله «وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ» بأنه لا يراك أحد من خلقك عن ابن عباس و الحسن

و روى مثله عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال معناه أنا أول من آمن و صدق بأنك لا ترى

و قيل معناه أنا أول المؤمنين من قومى باستعظام سؤال الرؤيه عن الجبائى و قيل أول المؤمنين بك من بنى إسرائيل عن مجاهد و السدى.

إشاره

قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَ بِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) وَ كَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَ تَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَ أْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (١٤٥)

القراءة

قرأ أهل الحجاز و روح برسالتى على التوحيد و الباقون «برسالاتى» على الجمع و قد مضى الكلام فيه.

اللغة

اللوح صحيفه مهياه للكتابه فيها و أصله من اللوح و هو اللمع يقال لاح يلوح إذا لمع و تالألأ و التلويح التضمير و لوحه السفر غيره تغييرا تبين عليه أثره لأن حاله يلوح بما نزل به و اللوح الهواء لأنه كاللامع فى هبويه فاللوح تلوح المعانى بالكتابه فيه و الموعظه التحذير بما يزجر عن القبيح و يبصر مواقع المخوف.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن عظيم نعمته على موسى بالاصطفاء و إجلال القدر و أمره إياه بالشكر بقوله «قال» أى قال الله سبحانه «يا موسى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ» أى اخترتك و اتخذتك صفوه و فضلتك «عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي» من غير كلام «وَ بِكَلَامِي» من غير رساله و خص الناس لأنه كلم الملائكه و لم يكلم أحدا من الناس بلا واسطه سوى موسى (عليه السلام) و قيل أنه سبحانه كلم موسى على الطور و كلم نبينا محمدا ص عند سدره المنتهى «فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ» أى تناول ما أعطيتك من التوراه و تمسك بما أمرتك «وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ» أى من المعترفين بنعمتى القائمين بشكرها على حسب مرتبتها فكلما كانت النعمه أعظم و أجل و جب أن تقابل من الشكر بما يكون أتم و أكمل الوجه و فى تشریف موسى (عليه السلام) بالاختصاص بالكلام إن ذلك نعمه عظيمه و منه جسيمه منه تعالى عليه لأنه كلمه و علمه الحكمه من غير واسطه بينه و بينه و من أخذ العلم من العالم المعظم كان أجل رتبه ممن أخذه ممن هو دونه «وَ كَتَبْنَا لَهُ» يعنى لموسى (عليه السلام) «فِي الْأَلْوَابِ» يريد ألواح التوراه عن ابن عباس و قيل كانت من خشب نزلت من السماء عن الحسن و قيل كانت من زمرد و طولها عشره أذرع عن ابن جريج و قيل كانت من زبرجده خضراء و ياقوته حمراء عن الكلبي و قيل إنهما كانا لوحين قال الزجاج و يجوز فى اللغه أن يقال للوحين ألواح و يجوز أن يكون ألواح و يجوز أن يكون ألواحا جمع أكثر من اثنين «مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» قال الزجاج أعلم الله سبحانه أنه أعطاه من كل شىء يحتاج إليه من أمر الدين مع ما أراه من الآيات «مَوْعِظَةً» هذا تفسير لقوله «كُلُّ شَيْءٍ» و بيان لبعض ما دخل تحته «وَ تَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ» يحتاج إليه فى الدين من الأوامر و النواهى و الحلال و الحرام و ذكر الجنة و النار و غير ذلك من العبر و الأخبار و تفصيلا أيضا تفسير لقوله «كُلُّ شَيْءٍ» «فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ» أى بجد و اجتهاد و قيل بصحه عزيمة و قوه قلب «وَ أْمُرْ قَوْمَكَ

يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا» أى بما فيها من أحسن المحاسن و هى الفرائض و النوافل فإنها أحسن من المباحات و قيل معناه يأخذ بالناسخ دون المنسوخ عن الجبائى و هذا ضعيف لأن المنسوخ قد خرج من أن يكون حسنا و قيل إن المراد بالأحسن الحسن و كلها حسن كقوله سبحانه وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَ كَقَوْلِهِ وَ لَعَدِ كُرَّ اللَّهُ أَكْبَرُ عَنْ قَطْرِب «سَيَأْرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ» يعنى سأريكم جهنم عن الحسن و مجاهد و الجبائى و المراد فليكن منكم على ذكر لتحذروا أن تكونوا منهم و هذا تهديد لمن خالف أمر الله و قيل يريد ديار فرعون بمصر عن عطيه العوفى و قيل معناه سأدخلكم الشام فأريكم منازل القرون الماضيه ممن خالفوا أمر الله لتعتبروا بها عن قتاده و فى تفسير على بن إبراهيم أن معناه يجيئكم قوم فساق يكون الدوله لهم.

[سوره الأعراف (٧): الآيات ١٤٦ الى ١٤٧]

أشاره

سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلاًّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا- ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ كَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٤٦) وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ لِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤٧)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير عاصم الرشد بفتح الراء و الشين و الباقون «الرُّشْدِ» بضم الراء و سكون الشين.

الحجه

هما لغتان و يحكى أن أبا عمرو فرق بينهما فقال الرشد الصلاح و الرشد فى الدين مثل قوله مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا وَ تَحَرَّوْا رُشْدًا فهذا فى الدين و قوله فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا وَ هُوَ فى إصلاح المال و الحفظ له و قد جاء الرشد فى غير الدين قال:

حنت إلى نعم الدهناء فقلت لها أمة بلالا على التوفيق و الرشد.

الرشد سلوك طريق الحق يقال رشد يرشد رشادا و رشد يرشد رشدا و رشدا و ضده الغى غوى يغوى غيا و غوايه و الجبوط سقوط العمل حتى يصير بمنزله ما لم يعمل و أصله الفساد من الحبط و هو داء يأخذ البعير فى بطنه من فساد الكلاء عليه و يقال حبطت الإبل تحبط حبطا إذا أصابها ذلك و إذا عمل الإنسان عملا على خلاف الوجه الذى أمر به يقال أحبطه.

المعنى

«سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ» ذكر فى معناه وجوه (أحدها) أنه أراد سأصرف عن نيل الكرامه المتعلقة بآياتى و الاعتزاز بها كما يناله المؤمنون فى الدنيا و الآخرة المستكبرين فى الأرض بغير الحق كما فعل بقوم موسى و فرعون فإن موسى كان يقتل من القبط و كان أحد منهم لا يجسر أن يناله بمكروه خوفا من الثعبان و عبر ببني إسرائيل البحر و غرق فيه فرعون و قومه عن أبى على الجبائى و الآيات على هذا التأويل يحتمل أن تكون سائر الأدله و يحتمل أن تكون معجزات الأنبياء و فى قوله «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا» بيان أن صرفهم عن الآيات مستحق بتكذيبهم (و ثانيها) أن معناه سأصرفهم عن زياده المعجزات التى أظهرها على الأنبياء (عليه السلام) بعد قيام الحججه بما تقدم من المعجزات التى ثبتت بها النبوه لأن هذا الضرب من المعجزات إنما يظهر إذا كان فى المعلوم أنه يؤمن عنده من لا- يؤمن بما تقدم من المعجزات فيكون الصرف بأن لا يظهرها جملة أو بأن يصرفهم عن مشاهدتها و يظهرها بحيث ينتفع بها غيرهم و هذا الوجه اختاره القاضى لأن ما بعده يليق به من قوله «وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ» إلى آخر الآيه (و ثالثها) أن معناه سأمنع الكذابين و المتكبرين آياتى و معجزاتى و أصرفهم عنها و أخص بها الأنبياء فلا أظهرها إلا عليهم و إذا صرفهم عنها فقد صرفها عنهم و كلا اللفظين يفيد معنى واحدا فليس لأحد أن يقول هلا قال سأصرف آياتى عن الذين يتكبرون و هذا يبطل قول من قال أن الله تعالى جعل النيل فى أمر فرعون فكان يجرى بأمره و يقف و ما شاكل ذلك (و رابعها) أن يكون الصرف معناه المنع من إبطال الآيات و الحجج و القدح فيها بما يخرجها عن كونها أدله و حججا و يكون تقدير الآيه إنى أصرف المبطلين و المكذبين عن القدح فى دلالاتى بما أؤيدها و أحكمها من الحجج و البيئات و يجرى ذلك مجرى قول أحدنا إن فلانا منع أعدائه بأفعاله الحميده و أخلاقه الكريمه من ذمه و تهجينه و أخرس ألسنتهم عن الطعن فيه و إنما يريد المعنى الذى ذكرناه و يكون على هذا قوله «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا» راجعا إلى ما قبله بلا فصل من قوله «وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا» و لا يرجع إلى قوله «سَأَصْرِفُ» (و خامسها) أن

المراد سأصرف عن إبطال آياتي و المنع من تبليغها هؤلاء المتكبرين بالإهلاك أو المنع من غير إهلاك فلا يقدر على القدر فيها ولا- على قهر مبلغها ولا- على منع المؤمنين من اتباعها والإيمان بها و هو نظير قوله «وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ» و يكون الآيات في هذا الوجه القرآن و ما جرى مجراه من كتب الله التي تحملتها الأنبياء ع و يكون قوله «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا» على هذا متعلقا أيضا بقوله «وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ» إلى ما بعده و معنى قوله «الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ» أى يرون لأنفسهم فضلا على الناس و حقا ليس لغيرهم مثله فيحملهم ذلك على ترك اتباع الأنبياء أنفه من الانقياد لهم و القبول منهم و قوله «بِغَيْرِ الْحَقِّ» تأكيد و بيان أن التكبر لا يكون إلا بغير الحق كقوله «وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ الْحَقِّ» و قد مضى ذكر أمثاله «وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ» أى كل حجه و دلاله تدل على توحيد الله و صحه نبوه أنبيائه «لَا يُؤْمِنُوا بِهَا» هذا إخبار من الله تعالى عن هؤلاء بعلمه فيهم أنهم لا يؤمنون به و بكتبه و رسله و بيان أنه إنما صرفهم عن آياته لذلك «وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا» يعنى إن يروا طريق الهدى و الحق لا يتخذوه طريقا لأنفسهم «وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَى» أى طريق الضلال «يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا» أى طريقا لأنفسهم و يميلون إليه و قيل الرشد الإيمان و الغى الكفر و قيل الرشد كل أمر محمود و الغى كل أمر قبيح مذموم «ذَلِكَ» إشاره إلى صرفهم عن الآيات و قيل إشاره إلى اتخاذهم طريق الغى و ترك طريق الرشد و تقديره أمرهم ذلك «بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا» أى بحججنا و معجزات رسلنا «وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ» أى لا يتفكرون فيها و لا يتعظون بها و المراد بالغفله هنا التشبيه لا الحقيقة مثل قوله سبحانه «صُمُّ بُكْمٌ عُمْىٌ» و ذلك أنهم لما أعرضوا عن الانتفاع بالآيات و التأمل فيها أشبهت حالهم حال من كان غافلا ساهيا عنها ثم بين سبحانه و عيّد المكذبين فقال «وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ لِقَاءِ الآخِرَةِ» يعنى القيامة و البعث و النشور «حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ» التى عملوها و لا- يستحقون بها مدحا و لا ثوابا لأنها وقعت على خلاف الوجه المأمور به فصارت بمنزلة ما لم يعمل «هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» صورته صورته الاستفهام و المراد به الإنكار و التوبيخ و معناه ليس يجزون إلا ما عملوه إن خيرا فخيروا و إن شرا فشرأ.

النظم

قيل فى وجه اتصال الآيه بما قبلها وجوه (أحدها) أنه تقدم ذكر المعجزات و ما رام فرعون من إبطالها فبين سبحانه بقوله «سَأُضِرُّهُ عَنْ آيَاتِي» أنه يمنع عن إبطال المعجزات فيتصل بما تقدم من قصه موسى و فرعون (و ثانيها) أنه لما تقدم ذكر معجزات

موسى نبه عقبيه على أنه سبحانه لا يظهر المعجزات على يد من ليس بنبي و أبان عن صدق موسى و محمد ع لمكان المعجزه (و ثالثها) أنه خطاب لموسى و زياده فى البيان عن إتمام ما وعده فى إهلاك أعدائه و صرفهم عن الاعتراض على آياته و معناه خذها آمننا من طعن الطاعنين فإنى سأصرف (و رابعها) أن الآيتين اعتراض بين قصه موسى و الخطاب لنبينا محمد ص و المراد أنه يصرف المتكبرين عن آياته كما صرف فرعون عن موسى.

[سوره الأعراف (٧): آيه ١٤٨]

اشاره

وَ اتَّخَذَ قَوْمٌ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَ كَانُوا ظَالِمِينَ (١٤٨)

القراءه

قرأ حمزه و الكسائى حليهم بكسر الحاء و اللام و قرأ يعقوب حليهم بفتح الحاء و سكون اللام و قرأ الباقون «حُلِيِّهِمْ» بضم الحاء و كسر اللام.

الحجه

من قرأ بضم الحاء فإنه جمع حلى نحو ثدى و ثدى و جمعه لأنه أضافه إلى جمع و من قرأ بكسر الحاء أتبع الكسره الكسره و كره الخروج من الضمه إلى الكسره و أجرى مجراه فى قسى و نحوه و من قرأ حليهم فلأنه اسم جنس يقع على القليل و الكثير.

اللغه

الاتخاذ اجتباء الشىء لأمر من الأمور فهؤلاء: اتخذوا العجل للعباده و الحلى ما اتخذ للزينه من الذهب و الفضة و يقال حلى الشىء فى عينى يحلى حلى و حلا فى فمى يحلو حلاوه. و حليت الرجل تحليه إذا وصفته بما ترى منه و تحلى بكذا تزين به و تحسن و الجسد جسم الحيوان مثل البدن و هو روح و جسد فالروح ما لطف و الجسد ما كثف و الجسم يقع على جسد الحيوان و غيره من الجمادات و الخوار صوت الثور و هو صوت غليظ و بناء فعال يدل على الآفه نحو الصراخ و السكات و العطاس.

الإعراب

موضع من حليهم نصب تقديره اتخذوا حليهم عجلا و جسدا بدل من عجل.

المعنى

ثم عاد الكلام إلى قصه بنى إسرائيل و ما أحدثوه عند خروج موسى (عليه السلام) إلى ميقات ربه فقال سبحانه «وَ اتَّخَذَ قَوْمٌ

مُوسَى» یعنی السامری و من جرى على طريقته وقيل يعني جميعهم لأن منهم من ساق العجل و منهم من عبده و منهم من لم ينكر و إنما أنكر

ص: ٣٢٠

ذلك القليل منهم فخرج الكلام على الغالب «مِنْ بَعْدِهِ» أى من بعد خروج موسى إلى الميقات عن الجبائى وغيره «مِنْ حَلِيَّتِهِمْ» التى استعاروها من قوم فرعون و كانت بنو إسرائيل بمنزله أهل الجزية فى القبط و كان لهم يوم عيد يتزينون فيه و يستعيرون من القبط الحلى فوافق ذلك عيدهم فاستعاروا حلى القبط فلما أخرجهم الله من مصر و غرق فرعون بقيت تلك الحلى فى أيديهم فاتخذ السامرى منها «عِجْلاً» و هو ولد البقره «جَسَدًا» أى مجسدا لا روح فيه و قيل لحما و دما عن وهب «لَهُ خُورًا» أى صوت و

روى فى الشواذ عن على (عليه السلام) جوار بالجيم و الهمزه

و هو الصوت أيضا و فى كيفية خوار العجل مع أنه مصوغ من ذهب خلاف فقيل أخذ السامرى قبضه من تراب أثر فرس جبرائيل (عليه السلام) يوم قطع البحر فقتل ذلك التراب فى فم العجل فتحول لحما و دما و كان ذلك معتادا غير خارق للعادة و جاز أن يفعل الله تعالى ذلك بمجرى العاده عن الحسن و قيل أنه احتال بإدخال الريح كما يعمل هذه الآلات التى تصوت بالحيل عن الزجاج و الجبائى و البلخى و إنما أضاف سبحانه الصوت إليه لأنه كان محله عند دخول الريح جوفه و كان السامرى عندهم مهيبا مطاعا فيما بينهم فأرجف أن موسى (عليه السلام) قد مات لما لم يرجع على رأس الثلاثين فدعاهم إلى عباده العجل فأطاعوه و لم يطيعوا هارون و عبدوا العجل على ما مر ذكره فى سوره البقره ثم أنكر سبحانه ذلك عليهم فقال «أَلَمْ يَرَوْا» أى أ لم يعلموا «أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ» بما يجدى عليهم نفعا أو يدفع عنهم ضررا «وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا» أى لا يهديهم إلى خير ليأتوه و لا إلى شر ليجتنبوه دل سبحانه بهذا على فساد ما ذهبوا إليه فإن من لا يتكلم فى خير و شر و لا يهدى إلى طريق فهو جماد لا ينفع و لا يضر فكيف يكون إلها معبودا «اتَّخَذُوهُ» أى اتخذوه إلها و عبدوه «وَ كَانُوا ظَالِمِينَ» باتخاذهم له إلها واضعين للعباده فى غير موضعها.

[سوره الأعراف (٧): آيه ١٤٩]

إشارة

وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَ رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَ يُعْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٤٩)

القراءة

لئن لم ترحمنا بالتاء ربنا بالنصب و تغفر لنا بالتاء كوفى غير عاصم و الباقون «يَرْحَمْنَا» «وَيُعْفِرُ لَنَا» بالياء «رَبُّنَا» بالرفع.

الحج

من قرأ بالياء جعل الفعل للغيبة و ارتفع ربنا به و يغفر لنا فيه ضمير ربنا و من

ص: ٣٢١

قرأ بالتاء ففيه ضمير الخطاب و ربنا نداء و حذف حرف التنبيه معه لأن عامه ما فى التنزيل حذف حرف التنبيه معه نحو قوله «رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي، رَبَّنَا وَ آتِنَا مَا وَعَدْتَنَا».

اللغه

معنى سقط فى أيديهم وقع البلاء فى أيديهم أى وجدوه وجدان من يده فيه يقال لذلك للنادم عند ما يجده مما كان خفى عليه و يقال سقط فى يده و أسقط فى يده و بغير ألف أفصح و قيل معناه صار الذى كان يضربه ملقى فى يده.

المعنى

ثم أخبر سبحانه أنهم ندموا على عباده العجل فقال «وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ» أى فلما لحقتهم الندامه «وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا» أى علموا ضلالهم عن الصواب و طريق الحق بعباده العجل حين رجع إليهم موسى و بين لهم ذلك «قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا» بقبول توبتنا «وَيَغْفِرَ لَنَا» ما قدمناه من عباده العجل «لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» باستحقاق العقاب قال الحسن إن كلهم عبدوا العجل إلا هارون بدلاله قول موسى «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِأَخِي» و لو كان هناك مؤمن غيرهما لدعا له و قال غيره إنما عبده بعضهم.

[سوره الأعراف (٧): الآيات ١٥٠ الى ١٥١]

اشاره

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَ مَا خَلَقْتُمُونِي مِنْ بَعِيدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَ أَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَ أَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَوْا سَبِيلَ غَفْوَنِي وَ كَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تَشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ وَ لَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥٠) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِأَخِي وَ أَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (١٥١)

القراءه

قرأ ابن عامر و أهل الكوفه عن عاصم ابن أم بالكسر هاهنا و فى طه و قرأ الباقون «ابْنَ أُمَّ» نصبا فى الموضعين و روى فى الشواذ عن مجاهد فلا تشمت بفتح التاء و الميم، الأعداء بالنصب و روى عن مجاهد أيضا فلا يشمت بالياء.

الحجه

من قرأ «ابْنَ أُمَّ» بالفتح فلكثره استعمالهم هذا الاسم قالوا يا ابن أم و يا ابن

عم جعلوهما اسما واحدا نحو خمسة عشر قال سيويه قالوا يا ابن أم و يا ابن عم فجعلوا ذلك بمنزله اسم لأن هذا أكثر في كلامهم من يا ابن أبي و يا غلام غلامى و من العرب من يقول يا ابن أمى يا ثبات الياء قال الشاعر:

يا ابن أمى و يا شقيق نفسى أنت خليتى لدهر شديد

و لأمر شديد قال أبو على بنى الاسمان على الفتح و الفتحة فى ابن ليست النصبه التى كانت تكون فى الاسم المضاف المنادى لكن بنى على الحركة التى كانت تكون للإعراب كما أن قولهم لا رجل كذلك و كما أن مكانك إذا أردت به الأمر لا تكون الفتحة فيه الفتحة التى كانت فيه و هو ظرف و لكنه على حد الفتحة فى رويدك فإن قال قائل فلم لا تقول أنها نصبت و المراد يا ابن أما فحذفت الألف كما حذفت ياء الإضافه فى غلامى قيل له ليس هذا مثله أ لا ترى أن من حذف الياء من يا غلام أثبتها فى يا غلام غلامى فلو كانت الألف مقدره فى يا ابن أم لم يكن تحذف كما لم تحذف فى قوله:

" يا بنت عما لا تلومى و اهجمى "

فالألف لا يحذف حيث يحذف الياء أ لا ترى أن من قال ما كنا نبغ و الليل إذا يسر فحذف الياء من الفواصل و ما أشبه الفواصل من الكلام التام لم يكن عنده فى نحو قوله «و اللَّيْلُ إِذَا يَعْشَى وَ النَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى» إلا الإثبات فإن قلت فقد حذف الألف فى نحو قوله:

" رهط ابن مرحوم و رهط ابن المعل "

يريد المعلى و أنشد أبو الحسن:

فلست بمدرک ما فأت منى بلهف و لا بليت و لا لو أنى

يريد بلهفى فحذف الألف فالقول فيه أن ذلك فى الشعر و لا يكون فى الاختيار و حال السعه و لا ينبغى أن يحمل قوله «ابن أم» على هذا و قياس من أجاز ذلك أن تكون فتحه الابن نصبه و الفتحة فى أم ليست كالتى فى عشر من خمسة عشر و لكن مثل الفتحة التى فى الميم من يا بنت عما قال الزجاج و من قرأ ابن أم بالكسر فإنه أضافه إلى نفسه بعد أن جعله اسما واحدا.

اللغة

الأسف الغضب الذى فيه تأسف على فوت ما سلف و الأسف الحزن و التلهف أيضا و يقال خلفه يخلفه بما يجب و بما يكره إذا عمل خلفه ذلك العمل و العجلة التقدم بالشىء قبل وقته و السرعة عمله فى أول وقته و لذلك صارت العجلة مذمومة و يقال عجلته أى سبقته و أعجلته استحثته و الشماته سرور العدو بسوء العاقبه يقال شمت به شماته

و أشمته إسماتا. عرضه لتلك الحال.

الإعراب

غضببان منصوب على الحال و هو فعلاَن مؤنثه فعلى نحو غضبان و غضبى و لا ينصرف لأن فيه الألف و النون المضارعين لألفى التأنيث فى حمراء.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عما فعله موسى (عليه السلام) حين رجع من مناجاه ربه و رأى عكوف قومه على عباده العجل فقال «وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا» أى حزينا عن ابن عباس و قيل الأسف الشديد الغضب عن أبى الدرداء و قيل معنى الغضب و الأسف واحد و إنما كررها للتأكيد و اختلاف اللفظين كما قال الشاعر:

" متى أدن منه ينأ عنى و يبعد "

عن أبى مسلم و قيل معناه غضبان على قومه إذ عبدوا العجل أسفا حزينا متلهفا على ما فاته من مناجاه ربه «قَالَ بِئْسَمَا خَلَقْتُمُونِي مِن بَعْدِي» أى بئسما عملتم خلفى و بئس الفعل فعلكم بعد ذهابى إلى ميقات ربى «أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ» أى ميعاد ربكم فلم تصبروا له عن ابن عباس و نحو هذا قال الحسن وعد ربكم الذى وعدنى من الأربعين ليله و ذلك أنهم قدروا أنه قد مات لما لم يأت على رأس ثلاثين ليله و قيل أَعْجَلْتُمْ بعباده العجل قبل أن يأتىكم أمر من ربكم عن الكلبي و قيل معناه استعجلتم وعد الله و ثوابه على عبادته فلما لم تنالوه عدلتم إلى عباده غيره عن أبى على الجبائى «وَأَلْقَى الْأَلْوَابِحَ» معناه أنه ألقاها لما دخله من شدة الغضب و الجزع على عباده قومه العجل عن ابن عباس و

روى عن النبى ص أنه قال يرحم الله أخى موسى (عليه السلام) ليس المخبر كالمعائن لقد أخبره الله بفتنه قومه و قد عرف أن ما أخبره ربه حق و أنه على ذلك لمتمسك بما فى يديه فرجع إلى قومه و رآهم فغضب و ألقى الألواح

و قد تقدم ذكر ما قيل فى الألواح «وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ» يعنى هارون «يَجْرُهُ إِلَيْهِ» قيل فى معناه وجوه (أحدها) أن موسى (عليه السلام) إنما فعل ذلك مستعظما لفعلهم مفكرا فيما كان منهم كما يفعل الإنسان بنفسه مثل ذلك عند الغضب و شدة الفكر فيقبض على لحيته و يعض على شفته فأجرى موسى (عليه السلام) أخاه هارون مجرى نفسه فصنع به ما يصنع الإنسان بنفسه عند حاله الغضب و الفكر عن أبى على الجبائى و هذا من الأمور التى تختلف أحكامها بالعادات فيكون ما هو إكرام فى موضع استخفافا فى غيره و يكون ما هو استخفاف فى موضع إكراما فى آخر (و ثانيها) أنه (عليه السلام) أراد أن يظهر ما اعتراه من الغضب على قومه لإكباره منهم ما صاروا إليه من الكفر و الارتداد فصدر ذلك منه للتألم بضلالهم و إعلامهم عظم الحال عنده لينزجروا عن مثله فى مستقبل الأحوال ذكره الشيخ المفيد أبو عبد الله بن النعمان (و ثالثها) أنه إنما جره إلى نفسه ليناجيه و يستبرئ حال القوم منه و لهذا أظهر هارون براءه نفسه و لما أظهر

هارون براءته دعا له و لنفسه (و رابعها) أنه لما رأى بهارون مثل ما به من الجزع و القلق أخذ برأسه متوجعا له مسكنا فكره هارون أن يظن الجهال ذلك استخفافا فأظهر براءته و دعا له موسى إزاله للتهمة (و خامسها) أنه أنكر على هارون ما بينه في طه من قوله «ما مَنَّكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ» الآية عن أبي مسلم «قَالَ» يعنى قال هارون «ابْنَ أُمَّ» قال الحسن و الله لقد كان أخاه لأبيه و أمه إلا أنه إنما نسبه إلى الأم لأن ذكر الأم أبلغ فى الاستعطاف «إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضُّعَفُونِي» يعنى أن القوم الذين تركتني بين أظهرهم اتخذوني ضعيفا «وَ كَادُوا يَقْتُلُونَنِي» أى هموا يقتلوني و قرب أن يقتلوني لشده إنكارى عليهم «فَلَا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ» أى لا تسرهم بأن تفعل ما يوهم ظاهره خلاف التعظيم «وَ لَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» أى لا تجعلني مع عبده العجل و من جملتهم فى إظهار الغضب و الموجد على «قَالَ» موسى حين تبين له ما نبه هارون عليه من خوف التهمه و دخول الشبهه على القوم «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِأَخِي» و هذا على وجه الانقطاع إلى الله سبحانه و التقرب إليه لا أنه كان وقع منه أو من أخيه قبيح كبير أو صغير يحتاج أن يستغفر منه فإن الدليل قد دل على أن الأنبياء لا يجوز أن يقع منهم شىء من القبيح و قيل أنه (عليه السلام) بين بهذا لبنى إسرائيل أنه لم يجر رأسه إليه لعصيان وجد منه و إنما فعله كما يفعل الإنسان بنفسه عند شدة غضبه على غيره عن الجبائى «وَ أَدْخَلْنَا فِي رَحْمَتِكَ» أى نعمتك و جنتك «وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» ظاهر المعنى و إنما يذكر فى آخر الدعاء لبيان شدة الرجاء من جهته فإن الابتداء بالنعمة يوجب الإتمام و سعه الرحمة تقتضى الزيادة فيها فيقال أرحم الراحمين لاستدعاء الرحمة من جهته كما يقال أجود الأجودين لاستدعاء الجود من قبله.

[سوره الأعراف (٧): الآيات ١٥٢ الى ١٥٤]

إشاره

إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ ذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ (١٥٢) وَ الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَ آمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٥٣) وَ لَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَ فِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَ رَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (١٥٤)

النول للقوق و أصله مد اليد إلى الشىء الذى يبلغه و منه قولهم نولك أن تفعل كذا أى ينبغي أن تفعله فإنه يلحقك خيره و سكت أى سكن و السكوت هو الإمساك عن الكلام بهيئه منافية بسببه و هو تسكين آله الكلام و إنما قيل سكت الغضب توسعا و مجازا لأنه لما كان بفورته دالا على ما فى نفس المغضوب عليه كان بمنزله الناطق بذلك فإذا سكتت تلك الفوره كان بمنزله الساكت عما كان متكلمًا به فالسكوت فى هذا الموضع أحسن من السكون لتضمنه معنى سكوتة عن المعاتبه مع سكون غضبه.

الإعراب

قال «لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ» و لا يجوز يرهبون لرهبهم لأنه إذا تقدم المفعول ضعف عمل الفعل فيه فصار بمنزله ما لا يتعدى فى دخول اللام عليه و قيل أنه إذا كان بمعنى من أجله جاز دخول اللام عليه تقدم أو تأخر كما قال تعالى «رَدِفَ لَكُمْ».

المعنى

ثم أوعدهم سبحانه فقال «إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ» فيه حذف أى اتخذوه إلهًا أو معبودًا من دون الله «سَيَسْأَلُهُمْ غَضَبٌ» أى سيلحقهم على عبادتهم إياه عقوبه «مِنْ رَبِّهِمْ» و إنما ذكر الغضب مع الوعيد بالنار لأنه أبلغ فى الزجر عن القبيح «وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» يعنى صغر النفس و المهانه قال الزجاج و الذله ما أمروا به من قتل أنفسهم و قيل أن الذله أخذ الجزيه و أخذ الجزيه لم يقع فىمن عبد العجل و إنما أراد استسلامهم للقتل «وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ» أى مثل هذا الوعيد و العذاب و الغضب نجزى الكاذبين و المتخربين و إنما سموا مفترين لأنهم عبدوا عجلا و قالوا أنه إله فكانوا كاذبين ثم عطف سبحانه على ذلك بقوله «وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ» أى الشرك و المعاصى «ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَ آمَنُوا» أى و استأنفوا عمل الإيمان و قيل معناه تابوا و آمنوا بأن الله قابل للتوبه «إِنَّ رَبَّكَ» يا محمد «مِنْ بَعْدِهَا» أى من بعد التوبه و قيل من بعد السيئات «لَعَفُورٌ» لذنوبهم «رَحِيمٌ» بهم «وَلَمَّا سَكَتَ» أى سكن «عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ» و قيل فى معناه زالت فوره غضبه و لم يزل الغضب لأن توبتهم لم تخلص و قيل معناه زال غضبه لأنهم تابوا «أَخَذَ الْأُلُوحَ» التى كانت فيها التوراه «وَفِي نُسَخَتِهَا» أى و فيما نسخ فيها و كتب عن الجبائى و أبى مسلم و قيل و فى نسختها التى كتبت و نسخت منها «هُدًى» أى دلالة و بيان لما يحتاج إليه من أمور الدين «وَرَحْمَةً» أى نعمه و منفعه «لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ» أى يخشون ربهم فلا يعصونه و يعملون بما فيها و فى الآيه دلالة على أنه يجوز

إلقاء التوراه للغضب الذى يظهر بإلقائها ثم أخذها للحكمه التى فيها من غير أن يكون إلقاؤها رغبه عنها.

[سوره الأعراف (٧): آيه ١٥٥]

إشاره

وَ اخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَ إِيَّائى أ تُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
السَّفَهَاءُ مِنَّا إِنَّ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَ تَهْدِى مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَئِينَا فَاعْفِرْ لَنَا وَ ارْحَمْنَا وَ أَنْتَ خَيْرُ الغَافِرِينَ (١٥٥)

اللغه

الاختيار إرادته ما هو خير يقال خيره بين أمرين فاختر أحدهما و الاختيار و الإيثار بمعنى واحد و الفتنه الكشف و الاختيار و قال
المسيب بن علس:

إذ تستبيك بأصلتى ناعم قامت لفتنته بغير قناع

أى لتكشفه و تبرزه.

الإعراب

و اختار موسى تقديره اختار موسى من قومه فحذف من فوصل الفعل فنصبه و إنما حذف من لدلاله الفعل عليه مع إيجاز اللفظ
قال الفرزدق:

و منا الذى اختير الرجال سماحه وجودا إذا هب الرياح الزعازع

و قال غيلان:

و أنت الذى اخترت المذاهب كلها بوهيين إذ ردت على الأباغر

و قال آخر:

فقلت له اخترها قلو صا سمينه و نابا علينا مثل نابك فى الحيا.

ص: ٣٢٧

ثم أخبر تعالى عن اختيار موسى من قومه عند خروجه إلى ميقات ربه فقال «وَ اخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا» و اختلف فى سبب اختياره إياهم و وقته فقيل أنه اختارهم حين خرج إلى الميقات ليكلمه الله سبحانه بحضرتهم و يعطيه التوراه فيكونوا شهداء له عند بنى إسرائيل لما لم يثقوا بخبره أن الله سبحانه يكلمه فلما حضروا الميقات و سمعوا كلامه تعالى سألوا الرؤيه فأصابتهم الصاعقه ثم أحياهم الله تعالى فابتدأ سبحانه بحديث الميقات ثم اعترض حديث العجل فلما تم عاد إلى بقية القصة و هذا الميقات هو الميعاد الأول الذى تقدم ذكره عن أبى على الجبائى و أبى مسلم و جماعه من المفسرين و هو الصحيح و رواه على بن إبراهيم فى تفسيره و قيل أنه اختارهم بعد الميقات الأول للميقات الثانى بعد عباده العجل ليعتذروا من ذلك «فَلَمَّا» سمعوا كلام الله قالوا أرنا الله جهره ف «أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ» و هى الرعدة و الحركة الشديده حتى كادت أن تبين مفاصلهم و خاف موسى عليهم الموت فبكى و دعا و خاف أن يتهمه بنو إسرائيل على السبعين إذا عاد إليهم و لم يصدقوه بأنهم ماتوا عن السدى و الحسن و قال ابن عباس أن السبعين الذين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهره فأخذتهم الصاعقه كانوا قبل السبعين الذين أخذتهم الرجفه و إنما أمر الله تعالى موسى أن يختار من قومه سبعين رجلا فاخترهم و برز بهم ليدعو ربهم فكان فيما دعوا أن قالوا اللهم أعطنا ما لم تعط أحد قبلنا و لا تعطيه أحدا بعدنا فكره الله ذلك من دعائهم فأخذتهم الرجفه و

رووا عن على بن أبى طالب (عليه السلام) أنه قال إنما أخذتهم الرجفه من أجل دعواهم على موسى قتل أخيه هارون و ذلك أن موسى و هارون و شبر و شبير ابني هارون انطلقوا إلى سفح جبل فنام هارون على سريره فتوفاه الله فلما مات دفنه موسى (عليه السلام) فلما رجع إلى بنى إسرائيل قالوا له أين هارون قال توفاه الله فقالوا لا بل أنت قتلته حسدنا على خلقه و لینه قال فاختراروا من شتمم فاختراروا منهم سبعين رجلا و ذهب بهم فلما انتهوا إلى القبر قال موسى يا هارون أقتلت أم مت فقال هارون ما قتلتى أحد و لكن توفانى الله فقالوا لن نعصى بعد اليوم فأخذتهم الرجفه و صعقوا

و قيل أنهم ماتوا ثم أحياهم الله و جعلهم أنبياء و قال وهب لم تكن تلك الرجفه موتا و لكن القوم لما رأوا تلك الهياه أخذتهم الرعدة فقلقلوا و رجفوا حتى كادت تبين منه مفاصلهم و تنقض ظهورهم فلما رأى ذلك موسى رحمهم و خاف عليهم الموت و اشتد عليه فقدهم و كانوا وزراءه على الخير سامعين له مطيعين فعند ذلك دعا و بكى و ناشد ربه فكشف الله عنهم تلك الرجفه و الرعدة فسكنوا و اطمأنوا و سمعوا كلام ربهم «قال» أى قال موسى «رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَ إِيَّائِي» أى لو شئت أهلكت هؤلاء السبعين من قبل هذا الموقف و أهلكتنى

معهم فالآن ما ذا أقول لبنى إسرائيل إذا رجعت إليهم «أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا» معناه النفي وإن كان بصورة الإنكار والمعنى أنك لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا فهذا نسألك رفع المحنة بالإهلاك عنا و ما فعله السفهاء هو عباده العجل ظن موسى أنهم أهلكوا لأجل عباده بنى إسرائيل العجل فهم السفهاء وقيل هو سؤال الرؤيه عن جماعه من المفسرين «إِنَّ هِيَ إِلَّا فَتَنَّاكَ» معناه إن الرجفه إلا اختبارك و ابتلاؤك و محتتك أى تشديدك التبعّد و التكليف علينا بالصبر على ما أنزلته بنا عن سعيد بن جبير و أبى العالیه و الربيع و مثله قوله «أَوْ لَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ» يعنى بذلك الأمراض و الأسقام التى شدد الله بها التبعّد على عباده و إنما سمي ذلك فتنه لأنه يشتد الصبر عليها و مثله «الْمَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ» أى لا ينالهم شدايد الدنيا و قيل أن المراد إن هى إلا عذابك عن ابن عباس و قد سمي الله العذاب فتنه فى قوله «يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ» أى يعذبون فكأنه قال ليس هذا الإهلاك إلا عذابك لهم بما فعلوه من الكفر و عباده العجل أو سؤالهم الرؤيه «تَضَلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ» أى تصيب بهذه الرجفه من تشاء و تصرفها عن تشاء عن ابن عباس و تقديره تهلك بها من تشاء و تنجى من تشاء و قيل معناه تضل بترك الصبر على فتنتك و ترك الرضا بها من تشاء عن نيل ثوابك و دخول جنتك و تهدي بالرضا بها و الصبر عليها من تشاء «أَنْتَ وَثِينَا» معناه أنت ناصرنا و الأولى بنا تحوطنا و تحفظنا «فَاعْفُزْ لَنَا وَ ارْحَمْنَا وَ أَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ» أى خير الساترين على عباده و المتجاوزين لهم عن جرمهم.

[سوره الأعراف (٧): آيه ١٥٦]

إشارة

وَ اَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا مُسْتَعِينُونَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَ يُوْتُونَ الزَّكَاةَ وَ الَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦)

القراءة

فى الشواذ قراءة الحسن و عمرو الأسوارى من أساء و القراءة المشهوره من

المعنى

هذا تمام ما قاله موسى في دعائه «وَ اَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً» سأل الله سبحانه أن يكتب لهم الحسنه في الدنيا و هي النعمه و إنما سميت النعمه حسنه و إن كانت الحسنه اسم الطاعه لله لأمرين (أحدهما) أن النعمه تتقبلها النفس كما أن الطاعه يتقبلها العقل و الآخر أنها ثمره الطاعه لله و إنما ذكر بلفظ الكتابه و لم يقل و اجعل لنا أو أوجب لنا لأن الكتابه أثبت و أدوم يقال كتب رزق فلان في الديوان فيدل ذلك على دوامه و ثبوته على مرور الأزمان «وَ فِي الآخِرَةِ» معناه و اكتب لنا في الآخرة حسنه أيضا كما في قوله «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ فِي الآخِرَةِ حَسَنَةً» و قيل الحسنه في الدنيا الثناء الجميل و في الآخرة الرفعه و قيل هي في الدنيا التوفيق للأعمال الصالحه و في الآخرة المغفره و الجنه «إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ» أى رجعنا بتوبتنا إليك و اليهود الرجوع «قال» الله تعالى مجيبا لموسى (عليه السلام) «عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ» ممن عصانى و استحققه بعصيانه و إنما علقه بالمشيئه لجواز الغفران في العقل «وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ» قال الحسن و قتاده إن رحمته في الدنيا وسعت البر و الفاجر و هي يوم القيامه للمتقين خاصه و قال عطيه العوفى وسعت كل شىء و لكن لا تجب إلا للذين يتقون و ذلك أن الكافر يرزق و يدفع عنه بالمؤمن لسعه رحمه الله للمؤمن فيعيش فيها فإذا صار في الآخرة وجبت للمؤمنين خاصه كالمستضىء بنار غيره إذا ذهب صاحب السراج بسراجه و قيل معناه أنها تسع كل شىء إن دخلوها فلو دخل الجميع فيها لوسعتهم إلا أن فيهم من لا يدخل فيها لضلاله و

في الحديث إن النبي ص قام في الصلاة فقال أعرابى و هو في الصلاة اللهم ارحمنى و محمدا و لا ترحم معنا أحدا فلما سلم رسول الله ص قال للأعرابى لقد تحجرت واسعا يريد رحمه الله عز و جل أورده البخارى في الصحيح

«فَسَأَلْتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ» أى فسأوهم لرحمتى للذين يتقون الشرك أى يجتنبونه و قيل يجتنبون الكبائر و المعاصى «وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ» أى يخرجون زكاه أموالهم لأنهم من أشق الفرائض و قيل معناه و يطيعون الله و رسوله عن ابن عباس و الحسن و إنما ذهبوا إلى تزكيه النفس و تطهيرها «وَ الَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ» أى بحججنا و بيناتنا يصدقون و روى عن ابن عباس و قتاده و ابن جريج إنها لما نزلت «وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ» قال إبليس أنا من ذلك الشىء فنزعها الله من إبليس بقوله «فَسَأَلْتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ» إلى آخر الآيه فقال اليهود و النصارى نحن نتقى و نؤتى الزكاه و نؤمن بآيات ربنا فنزعها منهم و جعلها لهذه الأمه بقوله «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ» الآيه.

إشارة

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧)

القراءة

قرأ ابن عامر وحده آصارهم على الجمع و الباقون «إِصْرَهُمْ» على التوحيد.

الحج

قال أبو علي الأصم مصدر يقع على الكثير مع أفراد لفظه يدل على ذلك قوله «إِصْرَهُمْ» فأضيف و هو مفرد إلى الكثيره و لا يجمع و قال رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا و قال يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ و لا يَزِيدُ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ فالوجه الإفراد كما أفرد في غير هذا الموضوع و جمعه ابن عامر كأنه أراد ضروبا من المأثم مختلفه فجمع لاختلافها و المصادر تجمع إذا اختلف ضروبها و إذا كانوا قد جمعوا ما يكون ضربا واحدا كقوله:

هل من حلوم لأقوام فينذرهم ما جرب الناس من عضى و تضيى

فأن يجمع ما يختلف من المأثم أجدر و يقوى ذلك قوله «وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَ أَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ» و الثقل مصدر كالشعب و الصغر و الكبير.

اللغة

قال الزجاج اختلف أهل اللغة فى معنى قوله «عَزَّرُوهُ» و فى قولهم عزرت فلانا أعزره و أعزره عزرا فليل معناه رددته و قيل معناه أعتته و قيل معناه لمته و يقال عزرتة بالتشديد نصرته و يقال منعت منه فمعنى عزروه منعوا أعداءه من الكفر به و قيل نصره و المعنى قريب لأن منع الأعداء منه نصرته و معنى عزرت فلانا إذا ضربته ضربا دون الحد أنه يمنعه بضربه إياه من معاودته مثل عمله و يجوز أن يكون من عزرتة أى رددته معناه فعلت به ما يردده عن المعصية.

قال الزجاج قوله «يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ» يجوز أن يكون على تقدير يجدونه مكتوبا عندهم أنه يأمرهم بالمعروف و يجوز أن يكون يأمرهم بالمعروف مستأنفا قال أبو علي لا وجه لقوله «يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا» أنه يأمرهم إن كان يعنى أن ذلك مراد لأنه لا شىء يدل على حذفه و لأننا لم نعلمهم حذفوا هذا فى شىء و تفسيره أن وجدت هنا هو المتعدى إلى مفعولين و مكتوبا مفعول ثان و المعنى يجدون ذكره مكتوبا عندهم فى التوراه أو اسمه فالمفعول الأول قام مقام المضاف إليه و إنما قلنا ذلك لأن المكتوب هو الاسم أو الذكر و المفعول الثانى فى هذا الباب يجب أن يكون الأول فى المعنى قال فأما قوله «يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ» فهو عندى تفسير لما كتب كما أن قوله «لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ»* تفسير لو عدهم و كما أن قوله «خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ» تفسير للمثل فإن قلت لم لا تجعله حالا من المفعول الأول فلأن ذلك ممتنع فى المعنى ألا ترى أن المعنى إذا كان يجدون ذكره أو اسمه مكتوبا لم يجوز أن يكون يأمرهم حالا- منه لأن الاسم و الذكر لا يأمران إنما يأمر المذكور و المسمى و لا يجوز أن يكون مما فى مكتوب من الضمير لأن الضمير هو المفعول الأول فى المعنى.

المعنى

ثم وصف سبحانه الذين يتقون بصفه أخرى فقال «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ» أى يؤمنون به و يعتقدون بنبوته يعنى نبينا محمد ص «الْأُمَّمِيِّ» ذكر فى معناه أقوال (أحدها) أنه الذى لا يكتب و لا يقرأ (و ثانيها) أنه منسوب إلى الأمه و المعنى أنه على جبله الأمه قبل استفاده الكتابه و قيل أن المراد بالأمه العرب لأنها لم تكن تحسن الكتابه (و ثالثها) أنه منسوب إلى الأم و المعنى أنه على ما ولدته أمه قبل تعلم الكتابه (و رابعها)

أنه منسوب إلى أم القرى و هى مكه و هو المروى عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام)

«الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَ الْإِنْجِيلِ» معناه يجدون نعته و صفته و نبوته مكتوبا فى الكتابين لأنه مكتوب فى التوراه فى السفر الخامس إنى سأقيم لهم نبيا من إخوتهم مثلك و أجعل كلامى فى فيه فيقول لهم كل ما أوصيه به و فيها أيضا مكتوب و أما ابن الأمه فقد باركت عليه جدا جدا و سيلد اثنى عشر عظيما و أخره لأمه عظيمه و فيها أيضا أنا الله من سيناء و أشرق من ساعير و استعلن من جبال فاران و فى الإنجيل بشاره بالفارقليط فى مواضع منها نعطيكم فارقليط آخر يكون معكم آخر الدهر كله و فيه أيضا قول المسيح للحواريين أنا أذهب و سيأتيكم الفارقليط روح الحق الذى لا يتكلم من قبل نفسه أنه نذيركم بجميع الحق و يخبركم بالأمر المزعمه و يمدحنى و يشهد لى و فيه أيضا أنه إذا جاء فند أهل العالم «يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَاهُمْ

عَنِ الْمُنْكَرِ» يجوز أن يكون هذا مكتوبا في التوراه و الإنجيل و يكون موصولا- بما قبله و بيانا لمن يكتب له رحمه الولا-يه و المحبه و يجوز أن يكون ابتداء من قول الله تعالى مدحا للنبي ص و المعروف الحق و المنكر الباطل لأن الحق معروف الصحه فى العقول و الباطل منكر الصحه فى العقول و قيل المعروف مكارم الأخلاق و صله الأرحام و المنكر عباده الأوثان و قطع الأرحام عن ابن عباس و هذا القول داخل فى القول الأول «وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ» معناه يبيح لهم المستلذات الحسنه و يحرم عليهم القبائح و ما تعافه الأنفس و قيل يحل لهم ما اكتسبوه من وجه طيب و يحرم عليهم ما اكتسبوه من وجه خبيث و قيل يحل لهم ما حرمه عليهم رهابينهم و أحبارهم و ما كان يحرمه أهل الجاهليه من البحائر و السوائب و غيرها و يحرم عليهم الميتة و الدم و لحم الخنزير و ما ذكر معها «وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ» أى ثقلهم شبه ما كان على بنى إسرائيل من التكليف الشديد بالثقل و ذلك أن الله سبحانه جعل توبتهم أن يقتل بعضهم بعضا و جعل توبه هذه الأمة الندم بالقلب حرمه للنبي ص عن الحسن و قيل الإصر هو العهد الذى كان الله سبحانه أخذه على بنى إسرائيل أن يعملوا بما فى التوراه عن ابن عباس و الضحاك و السدى و يجمع المعنيين قول الزجاج الإصر ما عقده من عقد ثقيل «وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ» معناه و يضع عنهم العهود التى كانت فى ذمتهم و جعل تلك العهود بمنزله الأغلال التى تكون فى الأعناق للزومها كما يقال هذا طوق فى عنقك و قيل يريد بالأغلال ما امتحنوا به من قتل نفوسهم فى التوبه و قرض ما يصيبه البول من أجسادهم و ما أشبه ذلك من تحريم السبت و تحريم العروق و الشحوم و قطع الأعضاء الخاطئه و وجوب القصاص دون الدية عن أكثر المفسرين «فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ» أى بهذا النبى و صدقوه فى نبوته «وَعَزَّوهُ» أى عظموه و وقروه و منعوا عنه أعداءه «وَنَصَّوهُ» عليهم «وَاتَّبَعُوا النُّورَ» معناه القرآن الذى هو نور فى القلوب كما أن الضياء نور فى العيون و يهتدى به الخلق فى أمور الدين كما يهتدون بالنور فى أمور الدنيا «الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ» أى أنزل عليه و قد يقوم مع مقام على كما يقوم على مقام مع و قيل معناه أنزل فى زمانه و على عهده و

يروى أن النبى ص قال لأصحابه أى الخلق أعجب إيماننا قالوا الملائكة فقال الملائكة عند ربهم فما لهم لا يؤمنون قالوا فالنبيون قال النبيون يوحى إليهم فما لهم لا- يؤمنون قالوا فنحن يا نبى الله قال أنا فيكم فما لكم لا تؤمنون إنما هم قوم يكونون بعدكم يجدون كتابا فى ورق فيؤمنون به فهو معنى قوله «وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ»

«أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» أى الظافرون بالمراد الناجون من العقاب الفائزون بالثواب.

إشارة

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨)

الإعراب

جميعا نصب على الحال من ضمير المخاطب الذى عمل حرف الإضافة فيه و العامل فى الحال معنى الفعل فى رسول الله إلا أنه لا يجوز أن يتقدم على حرف الإضافة لأنه قد صار بمنزلة العامل.

المعنى

ثم أمر الله سبحانه نبينا أن يخاطب جميع الخلق من العرب و العجم فقال «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ» أرسلنى «إِلَيْكُمْ جَمِيعًا» أدعوكم إلى توحيده و طاعته و اتباعى فيما أؤديه إليكم و إنما ذكر جميعا للتأكيد و ليعلم أنه مبعوث إلى الكافه «الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» معناه الذى له التصرف فى السماوات و الأرض من غير دافع و منازع «لَا إِلَهَ» أى لا معبود «إِلَّا هُوَ» و لا شريك له فى الإلهيه «يُحْيِي» الأموات «وَيُمِيتُ» الأحياء لا يقدر أحد على الإحياء و الإماتة سواه لأنه لو قدر أحد على الإماتة لقدر على الإحياء فإن من شأن القادر على الشىء أن يكون قادرا على ضده «فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ» يعنى لم يأمركم بالإيمان حتى آمن هو أولا و عليه زياده التكليف من أداء الرساله و بيان الشرائع و القيام بالدعوه «وَكَلِمَاتِهِ» أى يؤمن بكلماته من الكتب المتقدمه و الوحي و القرآن «وَ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» أى لكى تهتدوا إلى الثواب و الجنة.

إشارة

وَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعدِلُونَ (١٥٩) وَ قَطَعْنَا هُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَ ظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْعَمَامَ وَ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَ مَا ظَلَمُونَا وَ لَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١٦٠)

اللغة

قال الأزهرى السبط الفرقة لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث وقد جمع فقيل أسباط و اشتقاقها من سبط و هو شجر و الواحده سبطه و رجل سبط الشعر و امرأه سبطه و قد سبط شعره سبوطه و هو الذى لا جعوده فيه و رجل سبط الأصابع طويلها و سبط الكف سمحها و مطر سبط و سبط متدارك و سباطته سعتة و السبط فى كلام العرب خاصة الأولاد قال الزجاج قال بعضهم السبط القرن الذى يجىء بعد قرن و الصحيح أن الأسباط فى ولد إسحاق بمنزله القبائل فى ولد إسماعيل فولد كل ولد من أولاد يعقوب سبط و ولد كل ولد من أولاد إسماعيل قبيلة و إنما سموها هؤلاء بالقبائل و هؤلاء بالأسباط ليفصل بين ولد إسماعيل و ولد إسحاق (عليه السلام) و معنى القبيلة الجماعة و يقال للشجرة لها قبائل و كذلك الأسباط من السبط كأنه جعل إسحاق بمنزله شجره و جعل إسماعيل بمنزله شجره و كذلك يفعل النسابون فى النسب يجعلون الوالد بمنزله شجره و أولاده بمنزله أغصانها و يقال طوبى لفرع فلان و فلان من شجره صالحه فهذا معنى الأسباط و السبط.

الإعراب

«اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا» يعنى اثنتى عشره فرقه فحذف المميز و لذلك أنث و أسباطا بدل من اثنتى عشره تقديره و فرقناهم أسباطا و جعلناهم أسباطا و يجوز كسر الشين فى عشره و هو قراءه الأعمش و يحيى بن وثاب و أمما نعت الأسباط.

المعنى

ثم عاد الكلام إلى قصه بنى إسرائيل فقال سبحانه «وَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ» أى جماعه يدعون إلى الحق و يرشدون إليه «وَ بِهِ يَعدِلُونَ» أى و بالحق يحكمون و يعدلون فى حكمهم و اختلف فى هذه الأمه من هم على أقوال (أحدها)

أنهم قوم من وراء الصين و بينهم و بين الصين واد جار من الرمل لم يغيروا و لم يبدلوا عن ابن عباس و السدى و الربيع و الضحاك و عطاء و هو المروى عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام)

قالوا و ليس لأحد منهم مال دون صاحبه يمتطرون بالليل و يضحون بالنهار و يزرعون لا يصل إليهم منا أحد و لا منهم إلينا و هم على الحق قال ابن جريج بلغنى أن بنى إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم و كفروا

و كانوا اثنتى عشره سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا و اعتذروا و سألوا الله أن يفرق بينهم و بينهم ففتح الله لهم نفقا من الأرض فساروا فيه سنه و نصف سنه حتى خرجوا من وراء الصين فهم هناك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا و قيل إن جبرائيل انطلق بالنبي ص ليله المعراج إليهم فقرأ عليهم من القرآن عشر سور نزلت بمكته فأمنوا به و صدقوه و أمرهم أن يقيموا مكانهم و يتركوا السبت و أمرهم بالصلاه و الزكاه و لم يكن نزلت فريضه غيرهما ففعلوا قال ابن عباس و ذلك قوله وَ قُلْنَا مَنْ بَعْدِهِ لِيُنِي إِسْرَائِيلَ ائْتِكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا يعنى عيسى بن مريم يخرجون معه و روى أصحابنا أنهم يخرجون مع قائم آل محمد و روى أن ذا القرنين رآهم و قال لو أمرت بالمقام لسرنى أن أقيم بين أظهركم (و ثانيها) أنهم قوم من بنى إسرائيل تمسكوا بالحق و بشريعه موسى (عليه السلام) فى وقت ضلاله القوم و قتلهم أنبياءهم و كان ذلك قبل نسخ شريعتهم بشريعه عيسى (عليه السلام) فيكون تقدير الآيه و من قوم موسى أمه كانوا يهدون بالحق عن أبى على الجبائى و أنكر القول الأول و قال لو كانوا باقين لكانوا كافرين بجحد نبوه محمد ص و ليس هذا بشىء لأنه لا يمتنع أن يكون قوم لم يبلغهم دعوه النبي ص فلا يحكم بكفرهم و يمكن أن يكون بلغهم خبر النبوه و آمنوا (و ثالثها) أنهم الذين آمنوا بالنبي ص مثل عبد الله بن سلاء و ابن سوريا و غيرهما و

فى حديث أبى حمزه الثمالى و الحكم بن ظهير أن موسى (عليه السلام) لما أخذ الألواح قال رب إنى لأجد فى الألواح أمه هى خير أمه أخرجت للناس يأمرن بالمعروف و ينهون عن المنكر فاجعلهم أمتى قال تلك أمه أحمد قال رب إنى لأجد فى الألواح أمه هم الآخرون فى الخلق السابقون فى دخول الجنة فاجعلهم أمتى قال تلك أمه أحمد قال رب إنى لأجد فى الألواح أمه كتبهم فى صدورهم يقرءونها فاجعلهم أمتى قال تلك أمه أحمد قال رب إنى لأجد فى الألواح أمه يؤمنون بالكتاب الأول و بالكتاب الآخر و يقاتلون الأعور الكذاب فاجعلهم أمتى قال تلك أمه أحمد قال رب إنى لأجد فى الألواح أمه إذا هم أحدهم بحسنه ثم لم يعملها كتبت له حسنه و إن عملها كتبت له عشره أمثالها و إن هم بسيئه و لم يعملها لم يكتب عليه و إن عملها كتبت عليه سيئه واحده فاجعلهم أمتى قال تلك أمه أحمد قال رب إنى لأجد فى الألواح أمه هم الشافعون و هم المشفوع لهم فاجعلهم أمتى قال تلك أمه أحمد قال موسى رب اجعلنى من أمه أحمد ص قال أبو حمزه فأعطى موسى آيتين لم يعطوها يعنى أمه أحمد قال الله يا موسى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي

وَ بِكَلَامِي وَقَالَ «وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ» قَالَ فَرَضَى مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كُلَّ الرِّضَا

و

فِي حَدِيثٍ غَيْرِ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَرَأَ «وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ» هَذِهِ لَكُمْ وَقَدْ أَعْطَى اللَّهُ قَوْمَ مُوسَى مِثْلَهَا

«وَقَطَعْنَا لَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا» أَي وَفَرَقْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ فِرْقَةً أَسْبَاطًا يَعْنِي أَوْلَادَ يَعْقُوبَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَإِنَّهُمْ كَانُوا اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَكَانَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَوْلَادٌ وَنَسْلٌ فَصَارَ كُلُّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ سَبْطًا وَأُمَةً وَإِنَّمَا جَعَلَهُمْ سَبْحَانَهُ أُمَّةً لِيَتَمَيَّزُوا فِي مَشْرِبِهِمْ وَمَطْعَمِهِمْ وَيَرْجِعَ كُلُّ أُمَّةٍ مِنْهُمْ إِلَى رِئِيسِهِمْ فَيُخْفِ الْأَمْرَ عَلَى مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَلَا يَقَعُ بَيْنَهُمْ اخْتِلَافٌ وَتَبَاغُضٌ «وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ» أَي طَلَبُوا مِنْهُ السَّقْيَا «أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ» الْاِنْبِجَاسُ خُرُوجُ الْمَاءِ الْحَارِيِّ بِقَلْبِهِ وَالْاِنْفِجَارُ خُرُوجُهُ بِكَثْرَتِهِ وَكَانَ يَبْتَدِئُ الْمَاءَ مِنَ الْحَجَرِ بِقَلْبِهِ ثُمَّ يَتَسَّعُ حَتَّى يَصِيرَ إِلَى الْكَثْرَةِ فَلِذَلِكَ ذَكَرَ هَاهُنَا الْاِنْبِجَاسَ وَفِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ الْاِنْفِجَارَ وَالْآيَةَ إِلَى آخِرِهَا مَفْسُورَةٌ هُنَاكَ فَلَا مَعْنَى لِإِعَادَتِهِ.

[سورة الأعراف (٧): الآيات ١٦١ إلى ١٦٢]

إشارة

وَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَعْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (١٦١) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ (١٦٢)

القراءة

قَرَأَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَابْنَ عَامَرَ وَيَعْقُوبَ وَسَهْلَ تَغْفِرُ بِالتَّاءِ وَضَمِّهَا وَفَتْحَ الْفَاءِ وَبِالْقَوْنِ «نَعْفِرُ» بِالنُّونِ وَكَسَرَ الْفَاءَ وَقَرَأَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَيَعْقُوبَ وَسَهْلَ خَطِيئَاتِكُمْ عَلَى جَمْعِ السَّلَامَةِ وَرَفَعَ التَّاءَ وَقَرَأَ ابْنُ عَامَرَ خَطِيئَاتِكُمْ بِالتَّوْحِيدِ وَرَفَعَ التَّاءَ وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو خَطَايَاكُمْ بِغَيْرِ هَمْزٍ وَعَلَى جَمْعِ التَّكْسِيرِ وَبِالْقَوْنِ «خَطِيئَاتِكُمْ» عَلَى جَمْعِ السَّلَامَةِ وَكَسَرَ التَّاءَ.

الحجج

مِنْ قَرَأَ «نَعْفِرُ» بِالنُّونِ فَهُوَ عَلَى وَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ اذْخُلُوا نَعْفِرْ لَكُمْ أَي إِنْ دَخَلْتُمْ غَفَرْنَا وَالتِّي فِي الْبَقَرَةِ نَعْفِرُ وَ النُّونُ هُنَاكَ أَحْسَنُ لِقَوْلِهِ وَ إِذْ قُلْنَا وَ أَمَا قِرَاءَةُ مِنْ قَرَأَ تَغْفِرُ بِالتَّاءِ مَضْمُومَةٌ فَلِأَنَّهُ قَدْ اسْتَنَّادَ إِلَيْهَا خَطِيئَاتِكُمْ وَ هُوَ مُؤَنَّثٌ فَأَنْثَ وَ بَنَى الْفِعْلَ لِلْمَفْعُولِ وَ هُوَ أَشْبَهَ بِقَوْلِهِ «وَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ» وَ قَدْ مَضَى تَفْسِيرُ مِثْلِ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ فَلَا وَجْهَ لِإِعَادَتِهِ.

إشارة

وَ سِئَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِينَتُهُمْ يَوْمَ سَيِّئَتِهِمْ شُرْعًا وَ يَوْمَ لَا يَسْتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣) وَ إِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَنْتَفُونَ (١٦٤)

القراءة

قرأ حفص «مَعذِرَةٌ» بالنصب و الباقر بالرفع و روى فى الشواذ عن شهر ابن حوشب و أبى نهيك يعدون عن الحسن يسبتون بضم الياء.

الحج

من قرأ معذره بالرفع فتقديره موعظتنا معذره فيكون خبر مبتدأ محذوف و من قرأ بالنصب فعلى معنى نعتذر معذره و قال سيبويه لو قال رجل لرجل معذره إلى الله و إليك من كذا و كذا لنصب إلى معنى نعتذر و من قرأ يعدون أراد يعتدون فأسكن التاء ليدغمها فى الدال و نقل فتحها إلى العين فصار يعدون و من قرأ يسبتون فمعناه يدخلون فى السبت كما يقال أشهرنا دخلنا فى الشهر و أجمعنا دخلنا فى الجمعة و من فتح الياء أراد يفعلون السبت و يقيمون عمل يوم السبت فالسبت على هذا فعلهم يقول سبت يسبت سبتا إذا عظم يوم السبت.

اللغة

حيتان جمع حوت و أكثر ما يسمى العرب السمك الحيتان و النينان و عدا فلان يعدو عدوانا و عدا و عدوا و عدوا ظلم و أصله مجاوزة الحد و الشرع أصله الظهور و منه الشرع و الشريعة و هو الظاهر المستقيم من المذاهب و منه المشرع و الشريعة لكونهما فى مكان ظاهر من النهر و منه شراع السفينه لظهورها و المعذرة و العذرى و العذرة واحد مصدر عذرته أعذره و المعذر الذى له عذر صحيح و المعذر بالتحديد الذى لا عذر له و هو يريك أنه معذور و هو المقصر و المعتذر يقال لمن له عذر و لمن لا عذر له و قولهم من يعذرني معناه من يقوم بعذرى.

الإعراب

«إِذْ يَعْدُونَ» موضع إذ نصب على معنى سلهم عن عدوهم أى عن وقت ذلك «إِذْ تَأْتِيهِمْ» فى موضع نصب أيضا يعدون المعنى سلهم إذ عدوا فى وقت الإتيان شرعا

نصب على الحال من الحيتان و موضع الكاف من «كَذَلِكَ نَبَلُوهُمْ» نصب بنبلوهم و يحتمل أن يكون على «وَيَوْمَ لَا يَسْتَبِئُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ» أى لا تأتيهم شرعا فيكون الكاف فى موضع نصب على الحال من تأتيهم و يكون نبلوهم مستأنفا و القول الأول أجود و «لَمْ تَعْظُونَ» أصله لما و لكن هذه الألف تحذف مع حرف الجر يقول مم و فيم و علام و عم.

المعنى

ثم ابتدأ سبحانه بخبر آخر من أخبار بنى إسرائيل فقال مخاطبا لنبيه «وَسَأَلْتَهُمْ» أى استخبرهم يا محمد و هو سؤال توبيخ و تفرغ لا- سؤال استفهام «عَنِ الْقَوِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ» أى مجاوره البحر و قريبه من البحر على شاطئ البحر و هى إيله عن ابن عباس و قيل هى مدين عنه أيضا و قيل طبريه عن الزهرى «إِذْ يَعْبُدُونَ فِي السَّبْتِ» أى يظلمون فيه بصيد السمك و يتجاوزون الحد فى أمر السبت «إِذْ تَأْتِيهِمْ حَيَاتُهُمْ يَوْمَ سَيَتِيهِمْ شُرْعًا» أى ظاهره على وجه الماء عن ابن عباس و قيل متتابعه عن الضحاك و قيل رافعه رءوسها قال الحسن كانت تشرع إلى أبوابها مثل الكباش البيض لأنها كانت آمنه يومئذ «وَيَوْمَ لَا يَسْتَبِئُونَ لَا تَأْتِيهِمْ» أى و يوم لا- يكون السبت كانت تغوص فى الماء و اختلف فى أنهم كيف اصطادوا فليل إنهم ألقوا الشبكه فى الماء يوم السبت حتى كان يقع فيها السمك ثم كانوا لا يخرجون الشبكه من الماء إلى يوم الأحد و هذا تسبب محظوره و فى روايه عكرمه عن ابن عباس اتخذوا الحياض فكانوا يسوقون الحيتان إليها و لا يمكنها الخروج منها فيأخذونها يوم الأحد و قيل إنهم اصطادوها و تناولوها باليد فى يوم السبت عن الحسن «كَذَلِكَ نَبَلُوهُمْ» أى مثل ذلك الاختبار الشديد نختبرهم «بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ» أى بفسقهم و عصيانهم و على المعنى الآخر لا تأتيهم الحيتان مثل ذلك الإتيان الذى كان منها يوم السبت ثم استأنف فقال نبلوهم «وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ أَى جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ» أى من بنى إسرائيل الذين لم يصطادوا و كانوا ثلاثة فرق فرقه قانصه و فرقه ساكنه و اعظه فقال الساكتون للواعظين و الناهين «لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ» أى يهلكهم الله و لم يقولوا ذلك كراهيه لوعظهم و لكن لإياسهم عن أن يقبل أولئك القوم الوعظ فإن الأمر بالمعروف إنما يجب عند عدم الإياس من القبول عن الجبائى و معناه ما ينفع الوعظ ممن لا يقبل و الله مهلكهم فى الدنيا بمعصيتهم «أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا» فى الآخرة «قَالُوا» أى قال الواعظون فى جوابهم «مَعَذِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ» معناه موعظتنا إياهم معذره إلى الله و تأديه لفرضه فى النهى عن المنكر لئلا يقول لنا

لم لم تعظوهم «وَلَعَلَّهُمْ» بالو عظ «يَتَّقُونَ» و يرجعون.

[سوره الأعراف (٧): الآيات ١٦٥ الى ١٦٦]

إشارة

فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَيِّسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (١٦٦)

القراءة

قرأ أهل المدينة بعذاب بيس بكسر الباء غير مهموز على وزن فعل وقرأ ابن عامر بئس مهموز على وزن فعل أيضا وقرأ أبو بكر غير حماد بيئس على وزن فيعل و الباقون «بئس» على وزن فعيل و روى فى الشواذ عن ابن عباس بيئس على وزن فيعل و عن زيد بن ثابت بئس على وزن فعل و عن يحيى و السلمى بخلاف بئس و عن طلحة بن مصرف بيس و روى أيضا عن نافع و روى عن مجاهد بئس على وزن فاعل و عن الحسن بئس بكسر الباء و فتح السين.

الحجج

قال أبو على من قرأ «بئس» فإنه يحتمل أمرين أن يكون فعلا من بؤس ببؤس إذا كان شديد البأس فيكون مثل بعذاب شديد و أن يكون مصدرا على فعيل نحو النذير و النكير و قولهم:

" عذير الحى من عدوان كانوا جبه الأرض "

فوصف بالمصدر و التقدير بعذاب ذى بئس أى ذى بؤس و من قرأ بعذاب بئس فإنه جعل بئس الذى هو فعل اسما فوصف به و مثل ذلك

قوله إن الله ينهى عن قيل و قال

و مثله مذ شب إلى دب و مذ شب إلى دب فلما استعملت هذه الألفاظ أسماء و أفعالا فكذلك بئس جعله اسما بعد أن كان فعلا فصار وصفا و من قرأ بيئس فإنه يكون وصفا مثل ضيغم و حيدر و قال و لا يجوز كسر العين منه لأن فيعل بناء اختص به ما كان عينه ياء أو واو مثل طيب و سيد و لم يجىء مثل ضيغم و قد جاء فى المعتل فيعل أنشد سيبويه:

" ما بال عينك كالشعيب العين "

فينبغى أن يحمل بيئس ممن رواه على الوهم قال ابن جنى و إنما جاء فى الهمز لمشابتها حرفى العله و أما

بئس على فعل فإنه جاء على بئس الرجل بأسه إذا شجع فكأنه عذاب مقدم عليهم غير متأخر عنهم و يجوز أن يكون مقصوراً من بئس فيكون مثل أنق من أنيق و أما بئس في وزن جيش فكأنه أراد بئس فخفف الهمزه فصارت بين بين فلما قاربت الياء أسكنها طلباً للخفة فصارت في اللفظ ياء و نحو من ذلك قول ابن ميادة:

" و كان يومئذ لها حكمها "

أراد يومئذ فخفف و أما بائس فاسم الفاعل من بئس و أنكر أبو حاتم قراءه الحسن بئس و قال لو كان كذا لما كان بد معها من ماء بئس ما، كنعم ما.

اللغة

قال أبو زيد يقال بؤس الرجل يبؤس بأساً إذا كان شديد البأس و فى البؤس و هو الفقر بئس الرجل يبأس بؤساً و بأساً و البأساء الاسم و العتو الخروج إلى أفحش الذنوب و العاتى المبالغ فى المعاصى و الليل العاتى الشديد الظلمه و الخاسئ المطرود المبعد عن الخير من خسأت الكلب إذا أقصيته فحسأ أى بعد.

المعنى

«فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ» أى فلما ترك أهل هذه القرية ما ذكرهم الواعظون به و لم ينتهوا عن ارتكاب المعصيه بصيد السمك «أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ» أى خلصنا الذين ينهون عن المعصيه «وَ أَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا» أنفسهم «بِعَذَابٍ بَيِّسٍ» أى شديد «بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ» أى بفسقهم و ذلك العذاب لحقهم قبل أن مسخوا قرده عن الجبائى و لم يذكر حال الفرقة الثالثة هل كانت من الناجيه أم من الهالكة و روى عن ابن عباس فيهم ثلاثة أقوال (أحدها) أنه نجت الفرقتان و هلكت الثالثة و به قال السدى (و الثانى)

أنه هلكت الفرقتان و نجت الفرقة الناهيه و به قال ابن زيد و روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام)

(و الثالث) التوقيف فيه روى عن عكرمه قال دخلت على ابن عباس و بين يديه المصحف و هو يبكى و يقرأ هذه الآيه ثم قال قد علمت أن الله تعالى أهلك الذين أخذوا الحيتان و أنجى الذين نهوهم و لا أدرى ما صنع بالذين لم ينهوهم و لم يواقعوا المعصيه و هذه حالنا و اختاره الجبائى و قال الحسن إنه نجا الفرقة الثالثة لأنه ليس شىء أبلغ فى الأمر بالمعروف و الوعظ من ذكر الوعيد و هم قد ذكروا الوعيد فقالوا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً و قال قتل المؤمن أعظم و الله من أكل الحيتان «فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ» أى عن ترك ما نهوا عنه يعنى لم يتركوا ما نهوا عنه و تمردوا فى الفساد و الجراه على المعصيه و أبوا أن

يرجعوا عنها «قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً» أى جعلناهم قرده «خَاسِيَيْنَ» مبعدين مطرودين و إنما ذكر كن ليدل على أنه سبحانه لا يمتنع عليه شىء و أجاز الزجاج أن يكون قيل لهم ذلك بكلام سمعوه فيكون ذلك أبلغ فى الآيه النازله بهم و حكى ذلك عن أبى الهذيل قال قتاده صاروا قرده لها أذنان تعاوى بعد أن كانوا رجالا و نساء و قيل أنهم بقوا ثلاثة أيام ينظر إليهم الناس ثم هلكوا و لم يتناسلوا عن ابن عباس قال و لم يمكث مسخ فوق ثلاثة أيام و قيل عاشوا سبعة أيام ثم ماتوا عن مقاتل و قيل أنهم توالدوا عن الحسن و ليس بالوجه لأن من المعلوم أن القرده ليست من أولاد آدم كما أن الكلاب ليست منهم و

وردت الروايه عن ابن مسعود قال قال رسول الله ص إن الله تعالى لم يمسخ شيئا فجعل له نسلا و عقبا.

[القصة]

قيل كانت هذه القصة فى زمن داود (عليه السلام) و عن ابن عباس قال أمروا باليوم الذى أمرتم به يوم الجمعة فتركوه و اختاروا يوم السبت فابتلوا به و حرم عليهم فيه الصيد و أمروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا حتى لا يرى الماء من كثرتها فمكثوا كذلك ما شاء الله لا يصيدون ثم أتاهم الشيطان و قال إنما نهيتهم عن أخذها يوم السبت فاتخذوا الحياض و الشبكات فكانوا يسوقون الحيتان إليها يوم السبت ثم يأخذونها يوم الأحد و عن ابن زيد قال أخذ رجل منهم حوتا و ربط فى ذنبه خيطا و شده إلى الساحل ثم أخذه يوم الأحد و شواه فلاموه على ذلك فلما لم يأته العذاب أخذوا ذلك و أكلوه و باعوه و كانوا نحوا من اثنى عشر ألفا فصار الناس ثلاث فرق على ما تقدم ذكره فاعتزلتهم الفرقة الناهيه و لم تساكنهم فأصبحوا يوما و لم يخرج من العاصيه أحد فنظروا فإذا هم قرده ففتحوا الباب و دخلوا فكانت القرده تعرفهم و هم لا يعرفونها فجعلت تبكى فإذا قالوا لهم أ لم ننهكم قالت براءوسها أن نعم قال قتاده صارت الشبان قرده و الشيوخ خنازير.

ص: ٣٤٢

إشارة

وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبَعِثَنَّ عَلَيْهِمُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٦٧) وَ قَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَ مِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَ بَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَ السَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٦٨)

الإعراب

«وَ مِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ» دون فى موضع الرفع بالابتداء و لكنه جاء منصوبا لتمكنه فى الظرفيه و مثله على قول أبى الحسن لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ هُوَ فى موضع الرفع فجاء منصوبا لهذا المعنى و كذلك فى قوله يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ بين فى موضع رفع لقيامه مقام الفاعل و إن شئت كان التقدير و منهم جماعه دون ذلك فحذف الموصوف و قامت صفته مقامه.

المعنى

ثم خاطب سبحانه النبى فقال «وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ» معناه و اذكر يا محمد إذ أذن و أعلم ربك فإن تأذن و أذن بمعنى و قيل معناه تألى ربك أى أقسم القسم الذى يسمع بالأذن و قيل معناه قال ربك عن ابن عباس «لِيُبَعِثَنَّ عَلَيْهِمُ» أى على اليهود «إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ» أى من يذيقهم و يوليهم شدة العذاب بالقتل و أخذ الجزية منهم و

المعنى به أمه محمد ص عند جميع المفسرين و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

و هذا يدل على أن اليهود لا تكون لهم دولة إلى يوم القيامة و لا عز و أما معنى البعث هاهنا فهو الأمر و الإطلاق و المعونه و قيل معناه التخليه و إن وقع على وجه المعصيه كقوله سبحانه «أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوْرَهُمْ آزًا» «إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ» لمن يستوجه على الكفر و المعصيه «وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ» ظاهر المعنى و إنما قال سريع العقاب و إن كان العقاب مؤخرا إلى يوم القيامة لأن كل آت فهو قريب و قيل معناه سريع العقاب لمن شاء أن يعاقبه فى الدنيا «وَ قَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا» معناه فرقتهم فى البلاد فرقا مختلفه و جماعات شتى يعنى اليهود عن ابن عباس و مجاهد و إنما فرقهم بأن فرق دواعيهم حتى افترقوا فى البلاد و تفرقتهم ذل لهم بمنزله أخذ الجزية لأنهم لا يتعاونون و لا يتناصرون و قيل إنه فرقهم لما علم سبحانه من الصلاح لهم فى دينهم فصلح فريق و عصى فريق ثم أخبر سبحانه عنهم فقال «مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ» أى من هؤلاء الصالحون يعنى من بنى إسرائيل و هم الذين يؤمنون بالله و رسله و يطيعونه «وَ مِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ» أى دون الصالح فى الدرجه و المنزله و هم الذين امتثلوا بعض الأوامر دون بعض و عملوا بعض المعاصى و إنما وصفهم بما كانوا عليه قبل ارتدادهم و كفرهم و ذلك قبل أن يبعث فيهم عيسى (عليه السلام) و قيل معناه منهم المؤمنون بمحمد و عيسى ع و منهم الكافرون عن عطاء و مجاهد «وَ بَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَ السَّيِّئَاتِ» معناه اختبرناهم بالرخاء فى العيش و الخفض فى الدنيا و الدعه و السعه فى الرزق بالشدائد فى العيش و المصائب فى الأنفس و الأموال فكأنه قال بلوناهم بالنعم و النقم و الرخاء و الشده فإن

فعل النعم يقتضى الرغبه إلى الله تعالى فى ارتباطها و فعل النقم يقتضى الرغبه إلى الله تعالى فى كشفها «لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» أى لكى يرجعوا إلى الله تعالى و ينيبوا إلى طاعته و امتثال أمره و متى قيل كيف يصح الرجوع إلى أمر لم يكونوا عليه قط فالقول فيه أن الذهاب عن الشىء قد يقال له ارجع إليه أصر أى صر إليه كما أن من رأى غيره سالكا فى المهالك قد يقول له ارجع إلى الطريق المستقيم يريد به إخراجهم عن المهالك و قيل إن معناه لعلهم يرجعون إلى ما عليه أصل الفطره.

[سوره الأعراف (٧): الآيات ١٦٩ الى ١٧٠]

اشاره

فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَذْنَى وَ يَقُولُونَ سَيُعْفِرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَ دَرَسُوا مَا فِيهِ وَ الدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَ فَلَا تَعْقِلُونَ (١٦٩) وَ الَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (١٧٠)

القراءه

قرأ أبو بكر يمسكون بتسكين الميم و الباقون بفتحها و تشديد السين و هما بمعنى واحد و فى الشواذ قراءه السلمى و ادارسوا ما فيه أراد تدارسوا فأدغم.

اللغه

قال الزجاج يقال للقرن الذى يجىء فى إثر قرن خلف و الخلف ما أخلف عليك بدلا مما ذهب منك قال الفراء يقال هو خلف صدق و خلف سوء قال لبيد:

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم و بقيت فى خلف كجلد الأجر

قال على بن عيسى و قد يوضع أحدهما مكان الآخر قال حسان:

لنا القدم الأولى إليك و خلفنا لأولنا فى طاعه الله تابع

و الأغلب في الفتح أن يستعمل في المدح. و العرض ما يعرض و يقل لبثه و منه سمي العرض القائم بالجسم عرضا لأنه يعرض في الوجود و لا يجب له من اللبث ما يجب للأجسام و الدرس تكرير الشئ ء و يقال درس الكتاب إذا كرر قراءته و درس المنزل إذا تكرر عليه مرور الأمطار و الرياح حتى انمحي أثره و أمسك و مسك و تمسك و استمسك بالشئ ء بمعنى واحد أى اعتصم به.

الإعراب

«يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَذْنَى» في موضع نصب على الحال من الضمير في ورثوا و قوله «وَرِثُوا الْكِتَابَ» صفة لخلف «وَدَرَسُوا مَا فِيهِ» عطف على ورثوا و قوله «أَلَمْ يَأْخُذْ عَلَيْهِمْ» إلى قوله «إِلَّا الْحَقَّ» اعتراض بين ورثوا و درسوا و لا يجوز الوقف من أول الآية إلا على قوله «مَا فِيهِ» و خبر «الَّذِينَ يُمَسِّكُونَ» قوله «إِنَّا لَا نُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ» منهم فحذف منهم لدلاله الكلام عليه كما في قوله السمن منوان بدرهم و يحتمل أن يكون التقدير لا نضيع أجرهم لأن المصلحين هم الذين يمسكون بالكتاب في المعنى و يجوز أن يكون الخبر محذوفا و تقديره نعتيهم أجرهم لأننا لا نضيع أجر المصلحين فاستغنى بذكر العله عن ذكر المعلول.

المعنى

ثم ذكر سبحانه الأخلاف بعد ذكر الأسلاف فقال «فَخَلَفَ مِنْ بَإِيدِهِمْ خَلْفٌ» معناه فذهب أولئك و قام مقامهم قوم آخرون «وَرِثُوا الْكِتَابَ» يعنى التوراه فإن الميراث ما صار للباقي من جهه البادى «يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَذْنَى» معناه ما أشرف لهم من الدنيا أخذوه عن ابن عباس يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر و الفاجر و جميع متاع الدنيا عرض و قيل إنهم كانوا يرتشون و يحكمون بجور و قيل إنهم كانوا يرتشون و يحكمون بحق و كل ذلك عرض خسيس و أراد بقوله «هَذَا الْأَذْنَى» هذا العاجل و قيل أراد عرض هذا العالم الأدنى و هو الدار الفانيه «وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا» و هذا إخبار عن حرصهم على الدنيا و إصرارهم على الذنوب إذا أشرف لهم شئ ء من الدنيا أخذوه حلالا كان أو حراما و يتمنون على الله المغفره «وَأِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ» أى و إن وجدوا من الغد مثله أخذوه و هذا دليل على إصرارهم و أنهم تمنوا المغفره مع الإصرار و قيل معناه و إن جاءهم حرام من الرشوه و غيرها بعد ذلك أخذوه و استحلوه و لم يرتدعوا عنه عن ابن عباس و سعيد بن جبير و مجاهد و قيل معناه لا يشبعهم شئ ء عن الحسن «أَلَمْ يَأْخُذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ» معناه أ لم يؤخذ على هؤلاء المرتشين فى الأحكام القائلين سيغفر لنا إذا عوتبوا على ذلك الميثاق فى التوراه أن لا يكذبوا على الله تعالى و لا يضيفوا إليه إلا ما أنزله على رسوله

موسى (عليه السلام) فى التوراه من الوعد و الوعيد و غير ذلك و ليس فيها ميعاد المغفره مع الإصرار «وَدَرَسُوا مَا فِيهِ» أى و قرءوا ما فيه فهم ذاكرون لذلك و قيل إنه معطوف على قوله «وَرِثُوا الْكِتَابَ» و المعنى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب و درسوا ما فيه فضيعوه و تركوا العمل به «وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ» معناه ما أعدده الله لأوليائه فى الدار الآخرة من النعيم و الثواب للعاملين بطاعته خير للذين يجتنبون معاصى الله «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» من قرأ بالبلاء فمعناه أفلا يعقل هذه الطائفه و من قرأ بالتاء فمعناه قل لهم أفلا- تعقلون إن الأمر على ما أخبر الله به «وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ» أى يتمسكون به و الكتاب التوراه أى لا يحرفونه و لا يكتمونونه عن مجاهد و ابن زيد و قيل الكتاب القرآن و المتمسك به أمه محمد ص عن عطا «وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ» إنما خص الصلاة بالذكر لجلاله موقعها أو شدة تأكدها «إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُضِلِّينَ» أى لا نضيع جزاء عملهم و نثيبهم على ما يستحقونه.

[سوره الأعراف (٧): آيه ١٧١]

إشارة

وَ إِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَ ظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧١)

اللغة

التق قلع الشىء من الأصل و كل شىء قلعته ثم رميت به فقد نتقته و منه قيل للمرأة الكثيره الأولاد ناتق لأنها ترمى بالأولاد رميا هذا قول أبى عبيده و قيل أصل التق الرفع و منه امرأه ناتق لرفعها الأولاد و نتقت المرأة فهى ناتق و منتاق إذا كثر ولدها و هو قول ابن الأعرابى و قيل أصله الجذب يقال نتقت الغرب من البئر جذبته عن أبى مسلم و الظله كلما أظلك أى سترك من سقف أو سحابه أو جناح حائط.

المعنى

عاد الكلام إلى قوم موسى (عليه السلام) فقال سبحانه «وَ إِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ» معناه و اذكر يا محمد إذ قلعنا الجبل من صله فرفعناه فوق بنى إسرائيل و كان عسكر موسى (عليه السلام) فرسخا فى فرسخ فرفع الله الجبل فوق جميعهم «كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ» أى غمامه و قيل سقيفه عن عطا «وَ ظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ» أى علموا و أيقنوا عن الحسن و قيل معناه على ظاهره من الظن أى قوى فى نفوسهم ذلك عن الرمانى و الجبائى «خُذُوا» أى و قلنا لهم خذوا «مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ» أى خذوا ما ألزمناكم من أحكام كتابنا و فرائضه فاقبلوه بجد و اجتهاد منكم فى

كل أوان من غير تقصير و لا توان «وَ اذْكُرُوا مَا فِيهِ» من العهود و المواثيق التي أخذناها عليكم بالعمل بما فيه «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» أى لكى تتقوا ربكم و تخافوا عقابه و قد مضى تفسير هذه الآيه فى سورة البقره مشروحا.

[سوره الأعراف (٧): الآيات ١٧٢ الى ١٧٤]

إشارة

وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَ كُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٣) وَ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٧٤)

القراءة

قرأ ابن كثير و أهل الكوفه «ذُرِّيَّتَهُمْ» على التوحيد و الباقون ذرياتهم على الجمع و قرأ أبو عمرو أن يقولوا أو يقولوا بالياء و الباقون بالتاء.

الحجج

قال أبو على الذريه قد يكون جمعا و قد يكون واحدا فمما جاء فيه جمعا قوله «وَ كُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ» وَ ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ فَمَنْ أَفْرَدَ جَعَلَهُ جَمْعًا فَاسْتغْنَى عَنْ جَمْعِهِ لَوْ قَوَّعَهُ عَلَى الْجَمْعِ وَ مِمَّا جَاءَ فِيهِ وَاحِدًا قَوْلُهُ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ثُمَّ قَالَ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى وَ هَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَ أَمَا قِرَاءَةُ أَبِي عَمْرٍو أَن يَقُولُوا بِالْيَاءِ فَلَأَنَّ الَّذِي تَقْدِمُ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى الْغَيْبِ وَ مِنْ قِرَاءَةِ فَلَأَنَّهُ جَرَى فِي الْكَلَامِ خُطَابٌ أَيْضًا فَقَالَ «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ» وَ كَلَامُ الْوَجْهَيْنِ حَسَنٌ لِأَنَّ الْغَيْبَ هُمُ الْمَخَاطَبُونَ فِي الْمَعْنَى.

الإعراب

«مِنْ ظُهُورِهِمْ» بدل من قوله «مِنْ بَنِي آدَمَ» و المعنى أخذ ربك من ظهور بنى آدم ذريتهم و قد ذكرنا الذريه و ما قيل فى تقدير وزنها و اشتقاقها فيما تقدم و قوله «أَنَّ تَقُولُوا» تقديره كراهه أن تقولوا أو لثلا تقولوا و قد مضى الكلام فى أمثاله.

ثم ذكر سبحانه ما أخذ على الخلق من المواثيق بعقولهم عقيب ما ذكره من المواثيق التي في الكتب جمعا بين دلائل السمع و العقل و إبلاغا في إقامه الحجة فقال «وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ» أى و اذكر لهم يا محمد إذ أخرج ربك «مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ» أى من ظهور بنى آدم «ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى» اختلف العلماء من العام و الخاص فى معنى هذه الآيه و فى هذا الإخراج و الإشهاد على وجوه (أحدها) أن الله تعالى أخرج ذريه آدم من صلبه كهيته الذر فعرضهم على آدم و قال إني أخذ على ذريتك ميثاقهم أن يعبدونى و لا يشركوا بى شيئا و على أرزاقهم ثم قال لهم أ لست بربكم قالوا بلى شهدنا أنك ربنا فقال للملائكة اشهدوا فقالوا شهدنا و قيل إن الله تعالى جعلهم فهما عقلاء يسمعون خطابه و يفهمونه ثم ردهم إلى صلب آدم و الناس محبوبسون بأجمعهم حتى يخرج كل من أخرج الله فى ذلك الوقت و كل من ثبت على الإسلام فهو على الفطره الأولى و من كفر و جحد فقد تغير عن الفطره الأولى عن جماعه من المفسرين و رووا فى ذلك آثارا بعضها مرفوعه و بعضها موقوفه يجعلونها تأويلا للآيه و رد المحققون هذا التأويل و قالوا إنه مما يشهد ظاهر القرآن بخلافه لأنه تعالى قال «وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ» و لم يقل من آدم و قال «مِنْ ظُهُورِهِمْ» و لم يقل من ظهره و قال «ذُرِّيَّتَهُمْ» و لم يقل ذريته ثم أخبر تعالى بأنه فعل ذلك لثلا يقولوا إنهم كانوا عن ذلك غافلين أو يعتذروا بشرك آبائهم و إنهم نشأوا على دينهم و هذا يقتضى أن يكون لهم آباء مشركون فلا يتناول الظاهر ولد آدم لصلبه و أيضا فإن هذه الذريه المستخرجه من صلب آدم لا يخلو إما أن جعلهم الله عقلاء أو لم يجعلهم كذلك فإن لم يجعلهم عقلاء فلا يصح أن يعرفوا التوحيد و أن يفهموا خطاب الله تعالى و إن جعلهم عقلاء و أخذ عليهم الميثاق فيجب أن يتذكروا ذلك و لا ينسوه لأن أخذ الميثاق لا يكون حجه على المأخوذ عليه إلا أن يكون ذاكر له فيجب أن نذكر نحن الميثاق و لأنه لا يجوز أن ينسى الجمع الكثير و الجم الغفير من العقلاء شيئا كانوا عرفوه و ميزوه حتى لا يذكره واحد منهم و إن طال العهد ألا ترى أن أهل الآخره يعرفون كثيرا من أحوال الدنيا حتى يقول أهل الجنه لأهل النار أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا و لو جاز أن ينسوا ذلك مع هذا الكثره لجاز أن يكون الله تعالى قد كلف الخلق فيما مضى ثم أعادهم إما ليشبههم و إما ليعاقبهم و نسوا ذلك و ذلك يؤدى إلى التجاهل و إلى صحه مذهب التناسخيه و حكى عن على بن عيسى عن أبى بكر بن الإخشيد أنه جوز أن يكون خبر الذر صحيحا غير أنه قال ليس تأويل الآيه على ذلك و يكون فائدته أنه إنما فعل ذلك ليجروا على الأعراق الكريمة فى شكر النعمه و الإقرار لله تعالى

روى أنهم ولدوا على الفطره

و حكى أبو الهذيل فى كتاب الحجة أن الحسن البصرى و أصحابه كانوا يذهبون إلى أن نعيم الأطفال فى الجنة ثواب عن الإيمان فى الدر (و ثانيها) أن المراد بالآيه أن الله سبحانه أخرج بنى آدم من أصلاب آبائهم إلى أرحام أمهاتهم ثم رقاهم درجه بعد درجه و علقه ثم مضغه ثم أنشأ كلا منهم بشرا سويا ثم حيا مكلفا و أراهم آثار صنعه و مكنهم من معرفه دلائله حتى كأنه أشهدهم و قال لهم أ لست بربكم فقالوا بلى هذا يكون معنى أشهدهم على أنفسهم دلهم بخلقه على توحيدهم و إنما أشهدهم على أنفسهم بذلك لما جعل فى عقولهم من الأدله الداله على وحدانيته و ركب فيهم من عجائب خلقه و غرائب صنعه و فى غيرهم فكأنه سبحانه بمنزله المشهد لهم على أنفسهم فكانوا فى مشاهد ذلك و ظهوره فيهم على الوجه الذى أراده الله و تعذر امتناعهم منه بمنزله المعترف المقر و إن لم يكن هناك إشهاد صورته و حقيقته و نظير ذلك قوله تعالى فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ أئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ و إن لم يكن منه سبحانه قول و لا منهما جواب و مثله قوله تعالى شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكَفْرِ و معلوم أن الكفار لم يعترفوا بالكفر بألسنتهم لكنه لما ظهر منهم ظهورا لا يتمكنون من دفعه فكأنهم اعترفوا به و مثله فى الشعر:

و قالت له العينان سمعا و طاعة و حدرتا كالدرا لما يثقب

و كما يقول القائل جوارحى تشهد بنعمتكم و كما روى عن بعض الخطباء من قوله سل الأرض من شق أنهارك و غرس أشجارك و أبيع ثمارك فإن لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا و مثله كثير فى كلام العرب و أشعارهم و نظمهم و نثرهم و هو قول الرمانى و أبى مسلم و ابن الإخشيد (و ثالثها) أنه تعالى إنما عنى بذلك جماعه من ذريه آدم خلقهم و أكمل عقولهم و قررهم على ألسن رسله (عليه السلام) بمعرفته و بما يجب من طاعته فأقروا بذلك و أشهدهم على أنفسهم به لثلا يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو يقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل فقلدناهم فى ذلك فنبه سبحانه على أنه لا يعاقب من له عذر رحمه منه لخلقهم و كرما و هذا يكون فى قوم خاص من بنى آدم و لا يدخل جميعهم فيه لأن المؤمن لا يدخل فيه لأنه بين أن هؤلاء المأخوذ ميثاقهم كان لهم سلف فى الشرك و لأن ولد آدم لصلبه لم يؤخذوا من ظهور بنى آدم فقد خرجوا من ذلك و هذا اختيار الجبائى و القاضى و قوله «شَهِدْنَا» حكاية عن قول

الملائكة أنهم يقولون ذلك أى شهدنا لثلاثاً تقولوا ذكره الأزهري عن بعضهم و قال إن قوله «قالوا بلى» تمام الكلام و هذا خلاف الظاهر و ما عليه المفسرون لأن الكل قالوا شهدنا من قول من قال بلى و إن اختلفوا فى كيفية الشهادة على أن الملائكة لم يجر لها ذكر فى الآيه فيبعد أن يكون إخباراً عنهم «أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» معناه لثلاثاً يقولوا إذا صاروا إلى العذاب يوم القيامة «إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ» لم تنتبه عليه و لم تقم لنا حجه به و لم تكمل عقولنا فنفكر فيه «أَوْ تَقُولُوا» أى أو تقول قوم منهم «إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ» حين بلغوا و عقلوا «وَ كُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ» أى أطفالاً لا نعقل و لا نصلح للفكره و النظر و التدبر و على التأويل الأخير فمعناه أنى إنما قررتمكم بهذا لتواظبوا على طاعتي و تشكروا نعمتي و لا تقولوا يوم القيامة إنا كنا غافلين عما أخذ الله من الميثاق على لسان الأنبياء و تقولوا إنما أشرك آبؤنا من قبل فنشؤنا على شركهم احتجاجاً بالتقليد و تعويلاً عليه أى فقد قطعت حجتكم هذه بما قررتمكم به من معرفتى و أشهدتكم على أنفسكم بإقراركم بمعرفتكم إياى «أَفَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ» و معناه و لأن لا- تقولوا أفتهلكنا بما فعل آبؤنا من الشرك و تقديره إنا لا نهلككم بما فعلوه و إنما نهلككم بفعلكم أنتم «وَ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ» معناه إنا كما بينا لكم هذه الآيات كذلك نفضلها للعباد و نبينها لهم و تفضيل الآيات تمييزها ليتمكن من الاستدلال بكل واحده منها «وَ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» أى ليرجعوا إلى الحق من الباطل.

إشارة

وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَ لَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَ لَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْمَآرِضِ وَ اتَّبَعَ هِيَاةَ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتَرَّكَهُ يَلْهَثُ ذَلِكُمْ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ أَنْفُسِهِمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ (١٧٧) مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَ مَنْ يَضِلِّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٧٨)

اللغة

النبا الخبر عن الأمر العظيم و منه اشتقاق النبوه نبأه الله أى جعله نبيا و أخلد إلى كذا و خلد إليه سكن إليه و أخلد أكثر و أصله اللزوم على الدوام و رجل مخلد إذا أبطأ عنه الشيب و أخلد إلى الأرض لصق بها قال مالك بن نويرة:

بانباء حق من قبائل مالك و عمرو بن يربوع أقاموا فأخلدوا

اللهث أن يدلح الكلب لسانه من العطش و اللهات حر العطش و فى حديث سعيد بن جبير فى المرأه اللهثى إنما تظفر فى رمضان و قيل هو النفس الشديد من شدة الإعياء.

الإعراب

نصب مثلا لأنه تفسير الضمير فى ساء التى هى بمعنى بئس فىكون فعلا ماضيا غير متصرف و تقديره ساء المثل مثلا و فى الكلام حذف آخر و تقديره ساء المثل مثلا مثل القوم ثم حذف المثل الأول لدلاله المنصوب عليه و حذف الثانى لقيام المضاف إليه مقامه و لأن المعنى مفهوم.

المعنى

ثم أمر سبحانه نبيه ص أن يقرأ عليهم قصه أخرى من أخبار بنى إسرائيل فقال «وَ اتْلُ» أى و اقرأ «عَلَيْهِمْ» يا محمد «نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ» أى خبر الذى أعطيناه «آيَاتِنَا» أى حججنا و بيناتنا «فَانْسَلَخَ مِنْهَا» أى فخرج من العلم بها بالجهل كالشىء الذى ينسلخ من جلده «فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ» أى تبعه و تبع و اتبع بمعنى و قيل معناه لحقه الشيطان و أدركه حتى أضله «فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ» أى من الهالكين و قيل من الخائبيين عن الجبائى و اختلف فى المعنى به فقيل هو بلعام بن باعور عن ابن عباس و ابن مسعود و كان رجلا على دين موسى (عليه السلام) و كان فى المدينة التى قصدتها موسى و كانوا كفارا و كان عنده اسم الله الأعظم و كان إذا دعا الله تعالى به أجابه و قيل هو بلعم بن باعورا من بنى هاب بن لوط عن أبى حمزه الشمالى و مسروق قال أبو حمزه و بلغنا أيضا و الله أعلم أنه أميه بن أبى الصلت الثقفى الشاعر و روى ذلك عن عبد الله بن عمر و سعيد بن المسيب و زيد بن أسلم و أبى روق و كانت قصته أنه قرأ الكتب و علم أن الله سبحانه مرسل رسولا- فى ذلك الوقت و رجا أن يكون هو ذلك الرسول فلما

أرسل محمد ص حسده و مر على قتلى بدر فسأل عنهم فقبل قتلهم محمد فقال لو كان نبيا ما قتل أقباءه و استنشد رسول الله
أخته شعره بعد موته فأنشدته:

لك الحمد و النعماء و الفضل ربنا و لا شىء أعلى منك جدا و أمجد

ص: ٣٥١

ملك على عرش السماء مهيمن لعزته تعنو الوجوه و تسجد

و هي قصيده طويله حتى أتت على آخرها ثم أنشدته قصيدته التي فيها:

وقف الناس للحساب جميعا فشقى معذب و سعيد

و التي فيها:

عند ذى العرش تعرضون عليه يعلم الجهر و السرار الخفيا

يوم يأتي الرحمن و هو رحيم إنه كان وعده مأتيا

رب إن تعف فالمعافاه ظنى أو تعاقب فلم تعاقب برياً

فقال رسول الله ص آمن شعره و كفر قلبه و أنزل الله فيه قوله «وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ» الآية و قيل إنه أبو عامر بن النعمان بن صيفى الراهب الذى سماه النبى الفاسق و كان قد ترهب فى الجاهليه و لبس المسوخ فقدم المدينه فقال للنبي ص ما هذا الذى جئت به قال جئت بالحنيفيه دين إبراهيم قال فأنا عليها فقال ص لست عليها و لكنك أدخلت فيها ما ليس منها فقال أبو عامر أمات الله الكاذب منا طريدا وحيدا فخرج إلى أهل الشام و أرسل إلى المنافقين أن استعدوا السلاح ثم أتى قيصر و أتى بجند ليخرج النبى ص من المدينه فمات بالشام طريدا وحيدا عن سعيد بن المسيب و قيل المعنى به منافقوا أهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبى ص كما يعرفون أبناءهم و يكون معنى فانسلخ منها أعرض عن آيات الله و تركها فأتبعه الشيطان أى خذله الله و خلى بينه و بين الشيطان عن الحسن و ابن كيسان و قيل إنه مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى فأبى أن يقبله عن قتاده و

قال أبو جعفر (عليه السلام) الأصل فى ذلك بلعم ثم ضربه الله مثلا لكل مؤثر هو اه على هدى الله من أهل القبلة

و قيل أيضا فى الآيات التى أوتيتها أقوال أخر منها أن المراد بها المعجزات الداله على صدق الأنبياء فلم يقبلها و عرى عنها يعنى فرعون عن أبى مسلم فكأنه قال اتل عليهم نبأ فرعون إذ آتيناها الحجج الداله على صدق موسى فلم يقبلها و منها أن الآيات الإيمان و الهدى و الدين عن الحسن و منها أنها النبوه عن مجاهد و هذا لا يجوز لأن الأنبياء منزهون عن ذلك فإنهم حجج الله على خلقه «وَ لَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا» أى بتلك الآيات و الهاء فى رفعناه يعود إلى الذى أتاه الله بآياته فانسلخ منها معناه و لو شئنا لرفعنا منزلته بإيمانه و معرفته قبل أن يكفر و لكن بقيناه ليزداد الإيمان فكفر عن الجبائى و قيل معناه و لو شئنا لحلنا بينه و بين ما اختاره من المعصيه و هذا إخبار عن كمال

قدرته عن البلخي و الزجاج «وَلَكِنَّهُ أَخْلَمَدَ إِلَى الْمَأْرُضِ» أى ركن إلى الدنيا و مال إليها عن سعيد بن جبير و السدى و معناه و لكنه مال إلى الدنيا يايثار الراحة و الدعة فى لذه «وَأَتَّبَعَ هَوَاهُ» أى و انقاد لهواه فى الركون إلى الدنيا و اختيارها على الآخرة ثم ضرب له مثلا- فقال «فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ» معناه فصفتة كصفه الكلب أن طردته و شددت عليه يخرج لسانه من فمه و إن تركته و لم تطرده يخرج لسانه من فمه أيضا و تحمل عليه من الحمله لا من الحمل و المعنى إن واعظته فهو ضال و إن لم تعظه فهو ضال فى كل حال كما أن كل شىء يلهث فإنما يلهث فى حال الإعياء و الكلال إلا الكلب فإنه يلهث فى كل حال و مثله قوله سبحانه سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ و قيل إنما شبهه بالكلب فى الخسه و قصور الهمة و سقوط المنزله ثم وصف الكلب باللهث على عاده العرب فى تشبيههم الشىء بالشىء ثم يأخذون فى وصف المشبه به و إن لم يكن ذلك الوصف فى المشبه و ذلك يكثر فى كلامهم عن أبى مسلم و قيل شبهه بالكلب إذا أخرج لسانه لإيذائه الناس بلهائه حملت عليه أو تركته يقال لمن آذى الناس بلسانه فلان أخرج لسانه من الفم مثل الكلب و لهثه فى هذا الموضع صياحه و نباحه و قيل إن هذا مثل للذى يقرأ القرآن فلا يعمل به عن مجاهد «ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا» معناه ذلك صفه الذين يكذبون بآيات الله قال ابن عباس يريد أهل مكه كانوا يتمنون هاديا يهديهم و يدعوهم إلى طاعه الله فلما جاءهم من لا يشكون فى صدقه كذبوه فلم يهتدوا لما تركوا و لم يهتدوا لما دعوا بالرسول و الكتاب «فَأَقْصَصَ الْقَصَصَ» أى فاقصص عليهم أخبار الماضين «لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» فيعتبرون و لا- يفعلون مثل فعلهم حتى لا يحل بهم ما حل بهم ثم وصف الله تعالى بهذا المثل الذى ضربه و ذكره بأنه «سَاءَ مَثَلًا» أى بئس مثلا «الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا» و معناه بئس الصفه المضروب فيها المثل أو قبح حال المضروب فيه لأن المثل حسن و حكمه و صواب و إنما القبيح صفتهم «وَأَنْفُسِهِمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ» أى و إنما نقصوا بذلك أنفسهم و لم ينقصوا شيئا لأن عقاب ما يفعلونه من المعاصى يحل بهم و الله سبحانه لا يضره كفرهم و معصيتهم كما لا ينفعه إيمانهم و طاعتهم «مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِى» كتبت هاهنا بالياء ليس فى القرآن غيره بالياء و أثبت الياء هاهنا فى اللفظ جميع القراء و معناه من يهده الله إلى نيل الثواب كما يهدى المؤمن إلى ذلك و إلى دخول الجنة فهو المهتدى للإيمان و الخير عن الجبائى «وَمَنْ يُضْلِلْ» أى و من يضلله الله عن طريق الجنة و عن نيل الثواب عقوبه على كفره و فسقه «فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» خسروا الجنة و نعيمها و خسروا أنفسهم و الانتفاع بها و قيل

المهتدى هو الذى هداه الله فقبل الهدايه و أجاب إليها و الذى أضله الله هو الذى اختار الضلاله فخلى الله بينه و بين ما اختاره و لم يمنعه منه بالجبر عن البلخى.

[سوره الأعراف (٧): الآيات ١٧٩ الى ١٨١]

إشاره

وَ لَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَ لَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَ لَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩) وَ لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَ ذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠) وَ مِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَعدِلُونَ (١٨١)

القراءه

قرأ حمزه يلحدون بفتح الياء و الحاء حيث كان و وافقه الكسائى و خلف فى النحل و الباقون «يُلْحِدُونَ» بضم الياء و كسر الحاء.

الحجه

قال أبو الحسن لحدوا لحد لغتان و أُلحد فى الكلام أكثر قال الشاعر:

" ليس الإمام بالشحيح المُلحد "

و فى القرآن وَ مَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ.

اللغه

الذره و الإنشاء و الإحداث و الخلق نظائر قال على بن عيسى الاسم كلمه تدل على المعنى دلالة الإشاره و الفعل كلمه تدل على المعنى دلالة الإفاده و الصفه كلمه مأخوذه للمذكور من أصل من الأصول لتجرى عليه تابعه له و الإلحاد العدول عن الاستقامه و الانحراف عنها و منه اللحد الذى يحفر فى جانب القبر خلافاً الضريح الذى يحفر فى وسطه و روى أبو عبيده عن الأحمر لحدت جزت و ملت و ألحدت ماريت و جادلت أبو عبيده لحدت للميت و ألحدت بمعنى واحد.

الإعراب

اللام فى قوله «لِجَهَنَّمَ» لام العاقبه كما فى قوله فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ

لَهُمْ عَذَابٌ وَإِنَّمَا التَّقْوَةُ لِيَكُونَ لَهُمْ قَرَّةٌ عَيْنٍ كَمَا قَالَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنِي لِي وَ لَكَ وَ مِثْلُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

و أم سماك فلا تجزعى فلموت ما تلد الوالده

و قول الآخر:

و للموت تغذو الوالذات سخالها كما لخراب الدهر تبني المساكن

و قول الآخر:

أموالنا لذوى الميراث نجمعها و دورنا لخراب الدهر نبنينا

و قول الآخر:

يا أم وجره بعد الوجد و اعترفى فكل والده للموت ما تلد

قال على بن عيسى هي لام الإضافة تذكر مره على معنى العله و مره على معنى شبه العله.

المعنى

لما بين سبحانه أمر الكفار و ضرب لهم الأمثال عقبه بيان حالهم فى المصير و المال فقال «وَلَقَدْ ذَرَأْنَا» أى خلقنا «لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ» يعنى خلقناهم على أن عاقبتهم المصير إلى جهنم بكفرهم و إنكارهم و سوء اختيارهم و يدل على هذا المعنى قوله سبحانه «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالنَّاسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فَأَخْبِرْ أَنَّهُ خَلَقَهُمْ لِلْعِبَادَةِ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خَلْقُهُمُ لِلنَّارِ وَقَوْلُهُ «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ» وَ لَقَدْ صَيَّرْفَنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فِى نِظَائِرٍ لِّذَلِكَ لَا تَحْصِي وَ الْمُرَادُ فِى الْآيَةِ كُلِّ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ لَا- يَوْمَنُ وَ يَصِيرُ إِلَى النَّارِ «لَهُمْ قُلُوبٌ لَا- يَفْقَهُونَ بِهَا» الْحَقُّ لِأَنَّهُمْ لَا يَتَدَبَّرُونَ أَدْلَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَ بِنَاتِهِ «وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا» الرُّشْدُ «وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا» الْوَعظُ لِأَنَّهُمْ يَعْرَضُونَ عَنْ جَمِيعِ ذَلِكَ إِعْرَاضًا مِنْ لَيْسَتْ لَهُ آلَةُ الْإِدْرَاقِ وَ قَدْ مَرَّ تَفْسِيرُهُ فِى سُورَةِ الْبَقَرَةِ عِنْدَ قَوْلِهِ صُمُّ بِكُمْ عَمَى الْآيَةِ «أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ» أَيْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يَتَدَبَّرُونَ آيَاتِ اللَّهِ وَ لَا يَسْتَدْلُونَ بِهَا عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَ صَدَقَ أَنْبِيَائُهُ أَشْبَاهَ الْأَنْعَامِ وَ الْبَهَائِمِ الَّتِي لَا تَفْقَهُ وَ لَا تَعْلَمُ «بَلْ هُمْ أَضَلُّ» مِنَ الْبَهَائِمِ فَإِنَّمَا إِذَا زَجَرَتْ أَنْزَجَرَتْ وَ إِذَا أَرشَدَتْ إِلَى طَرِيقِ اهْتَدَتْ وَ هَؤُلَاءِ لِكُفْرِهِمْ وَ عَتْوِهِمْ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرَاتِ مَعَ مَا رَكِبَ اللَّهُ فِيهِمْ مِنَ الْعُقُوبِ الدَّالَّةِ عَلَى الرُّشَادِ الصَّارِفَةِ عَنِ الْفَسَادِ وَ لَمْ يَذَكَرْ بَلْ هَاهُنَا لِلرُّجُوعِ عَنِ الْأَوَّلِ وَ لَكِنْ لِلإِضْرَابِ عَنْهُ مَعَ بَقَائِهِ وَ قِيلَ إِنَّمَا قَالَ بَلْ هُمْ أَضَلُّ مِنَ الْأَنْعَامِ لِأَنَّ الْأَنْعَامَ لَمْ تَعْطِ آلَةَ الْمَعْرِفَةِ وَ التَّمْيِيزِ فَلَا تَلْحَقُهَا الْمَذْمَةُ وَ هَؤُلَاءِ أَعْطُوا آلَةَ الْمَعْرِفَةِ وَ التَّمْيِيزِ فَضَيَعُوهَا وَ لَمْ يَنْتَفِعُوا بِهَا وَ لِأَنَّ الْأَنْعَامَ وَ إِن لَمْ تَكُنْ مَطِيعَةً لَمْ تَكُنْ عَاصِيَةً

وهؤلاء عصاه فهم أسوأ حالا منها «أولئك هم الغافلون» عن آياتي و حججى و عن الاستدلال و الاعتبار بتدبرها و التفكير فيها دون البهائم التى هى مسخره مصرفه و قيل الغافلون عما يحل بهم فى الآخرة من العذاب «وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ» أخبر سبحانه أن له الأسماء الحسنى لحسن معانيها مثل الجواد و الرحيم و الرازق و الكريم و يقال إن جميع أسمائه داخله فيه و إنها كلها حسنه متضمنه لمعان حسنه فمنها ما يرجع إلى صفات ذاته كالعالم و القادر و الحى و الآله و القديم و السميع و البصير و منها ما هى صفات فعله كالخالق و الرزاق و المبدع و المحيى و المميت و منها ما يفيد التنزيه و نفى صفات النقص عنه كالغنى و الواحد و القدوس و نحو ذلك و قيل المراد بالحسنى ما مالت إليه النفوس من ذكر العفو و الرحمه دون السخط و النقمه «فَادْعُوهُ بِهَا» أى بهذه الأسماء الحسنى و دعاؤه بها أن يقال يا الله يا رحمن يا رحيم يا خالق السموات و الأرض و كل اسم لله سبحانه فهو صفة مفيده لأن اللقب لا يجوز عليه فإنه بمنزله الإشاره إلى الحاضر و

قد ورد فى الحديث أن الله تسعه و تسعين اسما مائه إلا واحده من أحصاها دخل الجنة إنه وتر يحب الوتر أورده مسلم فى الصحيح

«وَدَرُّوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ» أى دعوا الذين يعدلون بأسماء الله تعالى عما هى عليه فيسمون بها أصنامهم و يغيرونها بالزيادة و النقصان فاشتقوا اللات من الله و العزى من العزيز و منات من المنان عن ابن عباس و مجاهد و قيل إن معنى يلحدون فى أسمائه يصفونه بما لا يليق به و يسمونه بما لا يجوز تسميته به و هذا الوجه أعم فائده و يدخل فيه قول الجبائى أراد تسميتهم المسيح بأنه ابن الله و فى هذا دلالة على أنه لا يجوز أن يسمى الله تعالى إلا بما سمي به نفسه «سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» فى الآخرة و قيل فى الدنيا و الآخرة «وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ» أخبر سبحانه من جملة من خلقه جماعه و عصبه يدعون الناس إلى توحيد الله تعالى و إلى دينه و هو الحق يرشدونهم إليه «وَبِهِ يَعْدِلُونَ» أى و بالحق يحكمون و

روى ابن جريج عن النبى ص أنه قال هى لأمتى بالحق يأخذون و بالحق يعطون و قد أعطى القوم بين أيديكم مثلها

«وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ» و

قال الربيع بن أنس قرأ النبى ص هذه الآية فقال إن من أمتى قوما على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم

و

روى العياشى بإسناده عن أمير المؤمنين على (عليه السلام) أنه قال و الذى نفسى بيده لتفترق هذه الأمة على ثلاث و سبعين فرقه كلها فى النار إلا فرقه واحده «وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ» فهذه التى تنجو

و

روى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام) أنهما قالان نحن هم.

النظم

قيل في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها وجهان (أحدهما) أنه لما بين في

ص: ٣٥٦

الآية المتقدمة حال قوم من الكفار يغفلون عن الحق بين في هذه الآية أن من جملة ما خلق من يهدى إلى دينه بالحق و يحكم بالعدل و الآخر أنه يتصل بقوله «ذَرَأْنَا» فكأنه قال خلقنا قوما صفتهم كذا و كذا و قوما صفتهم كذا.

[سوره الأعراف (٧): الآيات ١٨٢ الى ١٨٦]

إشارة

وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٢) وَ أُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (١٨٣) أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ حَيْثُ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (١٨٤) أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ءِ وَ أَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (١٨٥) مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَ يَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٨٦)

القرءاء

قرأ أهل العراق «وَ يَذَرُهُمْ» بالياء و الجزم كوفى غير عاصم و الباقون و نذرهم بالنون و الرفع.

الحجج

من قرأ بالنون فالتقدير و إنا نذرهم و من قرأ بالياء رده إلى اسم الله تعالى أى و هو يذرهم و يكون مقطوعا عن الأول على الوجهين و لم يكن جوابا و من جزمه فإنه عطفه على موضع الفاء و ما بعده من قوله «فلا- هادى له» و مثله فى الحمل على الموضع قوله فأصدق و أكن لأنه لو لم يلحق الفاء لقل لو لا آخرتنى أصدق لأن معنى لو لا آخرتنى آخرنى أصدق و مثله قول الشاعر:

إنى سلكت فإننى لك ناصح و على انتقاصك فى الحياه و ازدد

و قول أبى داود:

فأبلونى بليتكم لعلى أصالحكم و أستدرج نوى

ص: ٣٥٧

حمل أستدرج على موضع الفاء المحذوفه من قوله فلعلى أصالحكم و موضعه جزم.

اللغه

الاستدرج أصله من الدرجه و هو أن يؤخذ قليلا قليلا و لا يباغت كما يرتقى الراقى الدرجه فيتدرج شيئا بعد شىء حتى يصل إلى العلو و قيل أصله من الدرج الذى يطوى فكأنه يطوى منزله بعد منزله كما يطوى الدرج و يقال درج القوم إذا مات بعضهم فى إثر بعض و الإملاء التأخير و الإمهال من الملى يقال مضى عليه ملى من الدهر و ملاوه من الدهر بضم الميم و فتحها و كسرهما أى قطعه منه و أصل الإملاء الاستمرار على العمل من غير لبث من أملت الكتاب و منه الملاء للفلاسه ذات الحر و السراب لاستطاله المكث فيه و المتين القوى و الشديد و أصله من المتن و هو اللحم الغليظ الذى عن جانب الصلب و هما متنان و الكيد و المكر واحد و الجنه الجنون و أصله الستر و الملكوت هو الملك الأعظم للمالك الذى ليس بمملوك.

المعنى

لما ذكر سبحانه المؤمنين بمحمد ص الهادين بالحق ذكر بعده المكذبين بآياته فقال «وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا» التى هى القرآن و المعجزات الداله على صدق النبى ص و كفروا بها «سَنَسِيحٌ تَدْرِيحُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ» إلى الهلكه حتى يقعوا فيه بغته كما قال سبحانه بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَهُ فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسِيحُ تَطْيَعُونَ رَدَّهَا و قال فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَهُ وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ و قيل يجوز أن يريد عذاب الآخره أى نقرهم إليه درجه درجه إلى أن يقعوا فيه و قيل هو من المدرجه و هى الطريق و درج إذا مشى سريعا أى سناخذهم من حيث لا يعلمون أى طريق سلكوا فإن الطريق كلها على و مرجع الجميع إلى و لا يغبنى غالب و لا يسبقنى سابق و لا يفوتنى هارب و قيل أنه من الدرج أى سنطويهم فى الهلاك و نرفعهم عن وجه الأرض يقال طويت فلانا و طويت أمر فلان إذا تركته و هجرته و قيل معناه كلما جددوا خطيئه جددنا لهم نعمه عن الضحاك و لا يصح قول من قال إن معناه نستدرجهم إلى الكفر و الضلال لأن الآيه وردت فى الكفار و تضمنت أنه يستدرجهم فى المستقبل فإن السين تختص المستقبل و لأنه جعل الاستدرج جزاء على كفرهم و عقوبه فلا بد من أن يريد معنى آخر غير الكفر و قوله «وَأُمْلِي لَهُمْ» معناه و أمهلهم و لا أعجلهم بالعقوبه فإنهم لا يفوتونى و لا يفوتونى عذابهم «إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ» أى عذابى قوى منيع لا يمنعه مانع و لا يدفعه دافع و سماه كيدا لنزوله بهم من حيث لا يشعرون و قيل أراد أن جزاء كيدهم متين و القول هو الأول «أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّهٍ» معناه أ و لم يتفكروا هؤلاء الكفار المكذبون بمحمد ص و نبوته فى

أقواله و أفعاله فيعلموا أنه ص ليس بمجنون إذ ليس فى أقواله و أفعاله ما يدل على الجنون و تم الكلام عند قوله «أ و لم يتفكروا» ثم ابتداء فقال «ما بصاحبيهم من جنه» أى ليس به جنون و ذلك

أن رسول الله ص صعد الصفا و كان يدعو قريشا فخذوا فخذوا إلى توحيد الله و يخوفهم عذاب الله

فقال المشركون إن صاحبهم قد جن بات ليل يصوت إلى الصباح فأنزل الله هذه الآية عن الحسن و قتاده «إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ» أى ما هو إلا معلم موضع المخافه ليتقى و لموضع الأمن ليجتنبى و معنى مبين بين أمره و قيل مبين لهم عن الله أمره فيهم ثم قال «أَوْ لَعَمْرُؤُا يَنْظُرُوا» معناه أ و لم يتفكروا «فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» و عجيب صنعهما فينظروا فيها نظر المستدل المعترف فيعترفوا بأن لهما خالقا مالكا و يستدلوا بذلك عليه «وَ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ» أى و ينظروا فيما خلق الله من أصناف خلقه فيعلموا بذلك أنه سبحانه خالق جميع الأجسام فإن فى كل شىء خلق الله عز و جل دلالة واضحة على إثباته و توحيدة «وَ أَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ» أى أ و لم يتفكروا و ينظروا فى أن عسى أن يكون قد قرب أجلهم و هو أجل موتهم فيدعوهم ذلك إلى أن يحتاطوا لدينهم و لأنفسهم مما يصيرون إليه بعد الموت من أمور الآخرة و يزهّدوا فى الدنيا و فيما يطلبونه من فخرها و شرفها و عزها و معناه لعل أجلهم قريب و هم لا يعلمون «فَبِأَيِّ حَيْدِثٍ بَعْدَهُ» أى بعد القرآن «يُؤْمِنُونَ» مع وضوح الدلالة على أنه كلام الله المعجز إذ لم يقدر أحد منهم أن يأتى بسوره مثله و سماه حديثا لأنه محدث غير قديم «مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ» قد ذكرنا معناه «و نذرهم فى طغيانهم يعمهون» معناه و تركهم فى ضلالتهم يتحيرون و العمه فى القلب كالعصى فى العين.

[سوره الأعراف (٧): آيه ١٨٧]

إشارة

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّئُهَا لَوْفِئِهَا إِلَّا هُوَ ثُقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٧)

اللغة

أيان معناه متى و هو سؤال عن الزمان على وجه الظرف للفعل قال الشاعر:

ص: ٣٥٩

أَيَانَ تَقْضَى حَاجَتِي إِيَانَا أَمَا تَرَى لِنَجْحِهَا إِيَانَا

و الساعه هاهنا الساعه التى يموت فيها الخلق و الإرساء الإثبات و مرسيتها مثبتها و رسا الشىء ىرسو فهو رأس إذا ثبت و أرساه غيره و الحفى المستقصى فى السؤال و أشفى فلان بفلان فى المسأله إذا أكثر عليه و ألح قال الأعشى:

فإن تسألنى عنى فى رب سائل حفى عن الأعشى به حيث أصعدا

و منه أشفى شاربه إذا استقصى أخذه و حفى الدابه تحفى حفى مقصورا إذا كثر عليها ألم المشى و الحفاء ممدودا المشى بغير نعل.

الإعراب

الكاف فى «يَشِيئُ لَوْلَاكَ» المفعول الأول و «عَنِ السَّاعَةِ» فى موضع المفعول الثانى و «أَيَانَ مُرْسَاهَا» يتعلق بمدلول السؤال و التقدير قائلين أَيَانَ مرساها. مرساها فى موضع رفع بالابتداء و أَيَانَ خبره و بغته مصدر فى موضع الحال من الضمير فى تأنيكم.

النزول

قيل جاء قوم من اليهود فقالوا يا محمد أخبرنا عن الساعه متى هى إن كنت نبيا فنزلت الآيه عن ابن عباس و قيل قالت قريش يا محمد متى الساعه فنزلت الآيه عن قتاده و الحسن.

المعنى

لما تقدم الوعيد بالساعه سألوا عن وقتها فقال تعالى «يَشِيئُ لَوْلَاكَ» يا محمد «عَنِ السَّاعَةِ» و هى الساعه التى يموت فيها الخلق عن الزجاج و قيل هى القيامة و هو وقت قيام الناس فى الحشر عن أكثر المفسرين و قيل هو وقت فناء الخلق عن الجبائى «أَيَانَ مُرْسَاهَا» أى متى وقوعها و كونها عن الزجاج و قيل مرساها منتهاها عن ابن عباس و قيل قيامها عن قتاده و السدى «قُلْ» يا محمد «إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي» أى إنما علم وقت قيامها و مجيئها عند الله تعالى لم يطلع عليه أحد من خلقه و إنما لم يخبر سبحانه بوقتها ليكون العباد على حذر منه فيكون ذلك أدعى لهم إلى الطاعة و أزرع عن المعصيه «لَا يُجَلِّئُهَا لَوْفَتِهَا إِلَّا هُوَ» أى لا يظهرها و لا يكشف عن علمها و لا- يبين وقتها إلا- هو فلا- يعلم أحد سواه متى يكون قبل وقتها و قيل معناه لا يأتى بها إلا هو عن مجاهد «تَقُلْتُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» ذكر فيه وجوه (أحداها) ثقل علمها على أهل السماوات و الأرض لأن من خفى عليه علم شىء كان

ثقيلا عليه عن السدى و غيره قال أبو على الفارسي أصل هذا قولهم أحطت به علما أى ذل لى فصرت لعلمى به غالبا عليه فخف على و لم يثقل كما يثقل ما لا تعلمه عليك (و ثانيها) أن معناه عظمت على أهل السماوات و الأرض صفتها لما يكون فيها من انتشار النجوم و تكوير الشمس و تسيير الجبال و غير ذلك عن الحسن و ابن جريج (و ثالثها) ثقل وقوعها على أهل السماوات و الأرض لعظمتها و شدتها و لما فيها من المحاسبه و المجازاه عن الجبائى و أبى مسلم و جماعه (و رابعها) أن المراد نفس السماوات و الأرض أى لا تطبق السماوات و الأرض حملها لعظمتها و شدتها عن قتاده و المعنى أنها لو كانت أحياء لثقل عليها تلك الأحوال من انفطار السماوات و انكدار النجوم و تسيير الجبال و غيرها «لا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً» أى فجأه لتكون أعظم و أهول «يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ خَفِيٌّ عَنْهَا» معناه يسألونك عنها كأنك حفى بها أى عالم بها قد أكثرت المسأله عنها عن مجاهد و الضحاك و أصله من أحفيت فى السؤال عن الشىء حتى علمته أى استقصيت فيه و روى عن ابن عباس أنه قرأ كأنك حفى بها فعلى هذا يكون الجار و المجرور الذى هو عنها محذوفا لدلاله الحال عليها كما يكون فى التقدير الأول يكون الجار و المجرور الذى هو بها محذوفا للدلاله عليها أيضا ألا ترى أنه إذا كان حفيا بها فلا بد أن يسأل عنها كما أنه إذا سأل عنها فليس ذلك إلا للحفاوه بها و قيل فيه معنى آخر و هو أن يكون تقديره يسألونك عنها كأنك حفى بهم أى بار بهم فرح بسؤالهم و الحفاوه فى المسأله هى البشاشه بالمسئول عنه و قيل معناه كأنك معنى بالسؤال عنها فسألت عنها حتى علمتها و على هذا فإن السؤال يوصل بعن فلما وضع قوله «خَفِيٌّ» موضع السؤال وصله بعن و تقديره كأنك حفى بالمسأله عنها أو تسأل عنها فتعلمها «قُلْ» يا محمد «إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ» لا يعلمها إلا هو و إنما أعاد سبحانه هذا القول لأنه وصله بقوله «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» و قيل أراد بالأول علم وقت قيامها و بالثانى علم كيفيتها و هيأتها و تفصيل ما فيها عن الجبائى قال و هذا يدل على بطلان قول الرافضه أن الأئمه منصوص عليهم بأعيانهم إمام بعد إمام إلى يوم القيامه لأنه لو كان كذلك لوجب أن يعلم آخر الأئمه أن القيامه تقوم بعده و ذلك خلاف قوله «قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ» و هذا ضعيف لأنه غير ممتنع أن يعلم آخر الأئمه أنه لا إمام بعده و إن لم يعلم وقت قيام الساعه لأنه لا يعلم وقت وفاته بعينه هذا إذا قيل إن الساعه وقت فناء الخلق أو موتهم و إذا قيل إن الساعه عباره عن وقت الحشر فقد زالت الشبهه لأنه إذا علم أنه يفنى الخلق بعده لا يجب أن يعلم متى يحشر الخلق على أنه قد

وردت الروايه أن التكليف يزول عند موت آخر الأئمه لظهور أشراف الساعه و أمارات قيامها نحو طلوع الشمس من

مغربها و خروج الدابه و غير ذلك

و مع هذا فيجوز أن لا يعلم وقت قيام الساعة.

[سوره الاعراف (٧): آيه ١٨٨]

اشاره

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَ مَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَ بَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١٨٨)

النزول

قيل إن أهل مكه قالوا يا محمد ألا- يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فتشتره فتربح فيه و بالأرض التي تريد أن تجذب فنرتحل منها إلى أرض قد أخصبت فأنزل الله هذه الآيه.

المعنى

«قُلْ» يا محمد «لَا- أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا- ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ» أن يملكني إياه فأملكه بتمليكه إياي «وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ» و هاهنا محذوف آخر و هو قوله و لا أعلم الغيب إلا ما شاء الله أن يعلمنيه و لو كنت أعلم الغيب لادخرت من السنه المخصبه للسنه المجديه و لاشرتيت وقت الرخص لأيام الغلاء و قيل معناه لاستكثرت من الأعمال الصالحه قبل اقتراب الأجل و لم أشتغل بغيرها و لاخترت الأفضل فالأفضل عن مجاهد و ابن جريج و قيل معناه لو كنت أعلم ما أسأل عنه من الغيب لاستكثرت من الخير أى لأ-جبت فى كل ما أسأل عنه من الغيب فى أمر الساعه و غيرها عن الزجاج «وَ مَا مَسَّنِيَ السُّوءُ» أى و ما أصابنى الضر و الفقر و قيل معناه و ما بى جنون كما تزعمون فيكون ابتداء و قيل معناه و ما مسنى التكذيب منكم لأنى إذا كنت عالما بكل شىء أجب عن كل ما أسأل عنه فتصدقوننى و لا تكذبوننى و قيل معناه و ما مسنى سوء من جهه الأعداء لأنى كنت أعلم ذلك فأتحرز منه «إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ» مخوف بالعذاب «وَ بَشِيرٌ» مبشر بالثواب «لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بذلك كقوله «إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذُّكْرَ» و إن كان ينذر غيرهم أيضا و فى قوله «إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ» دلالة على فساد مذهب المجبره لأن الأفعال كلها لو كانت مخلوقه لله لما صح الاستثناء منها لأن أحدا لا يملك عندهم شيئا و فى قوله «وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ» دلالة على أن القدره قبل الفعل لأنها لو كانت مع الفعل لما أمكنه الاستكثار من الخير إذا علم الغيب.

وجه اتصال الآيه بما قبلها أنه لما تقدم إجابته القوم بأنه لا يعلم الغيب عقبه بأن علم الغيب يختص به المالك للنفع و الضر و هو الله سبحانه عن أبي مسلم و قيل إن الآيه فى معنى جواب سؤالهم أيضا فكأنه قال إذا أنا لا أملك أن أسوق إلى نفسى نفعاً و لا أن أدفع عنها ضراً فكيف أعلم الغيب.

[سوره الاعراف (٧): الآيات ١٨٩ الى ١٩٣]

إشاره

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩٠) أَيْ يُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَ هُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَ لَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَ لَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (١٩٢) وَ إِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدْعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ (١٩٣)

القراءه

قرأ أهل المدينة و أبو بكر شركا بكسر الشين و التنوين على المصدر لا- على الجمع و هو قراءه الأ-عرج و عكرمه و الباقون «شُرَكَاء» بضم الشين و المد على الجمع و روى فى الشواذ قراءه يحيى بن يعمر فمرت به خفيفه و قرأ نافع لا- يتبعوكم و فى الشعراء يتبعهم بالتخفيف و الباقون «يَتَّبِعُوكُمْ» بالتشديد.

الحجه

من قرأ شركا فإنه حذف المضاف و تقديره جعلاً له ذا شرك أو ذوى شرك فالقراءتان على هذا يؤولان إلى معنى واحد فإن معنى جعلاً له شركاء جعلاً له ذوى شرك و الضمير فى له يعود إلى اسم الله و من قرأ فمرت به خفيفه فإنه ينبغى أن يكون أصله التشديد كقراءه الجماعه إلا أنه حذفه تخفيفاً لثقل التضعيف قالوا مست يده أى مسستها و قال أبو زيد:

أى أحسن به وقيل أنه من المريه أى شكت أى حملت أم لا وعن الحسن شكت أ غلام أم جاريه و روى أن عبد الله بن عمر قرأ فمارت به و هو من قولهم مار يemor إذا ذهب و جاء و قرأ ابن عباس فاستمرت به و معناه مرت به مكلفه نفسها ذلك لأن استفعل يأتي فى أكثر الأمر بمعنى الطلب و من قرأ لا يتبعوكم فإنه فى المعنى مثل القراءه الأخرى قال أبو زيد رأيت القوم فاتبعتهم اتباعا أى ذهبت معهم و اتبعتهم اتباعا إذا سبقوك فأسرعت نحوهم و تبعتهم مثل اتبعتهم فى المعنى اتبعهم تبعا.

المعنى

لما تقدم ذكر الله تعالى ذكر عقيبه ما يدل على وحدانيته فقال «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ» و الخطاب لبنى آدم «مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ» يعنى آدم (عليه السلام) «وَ جَعَلَ» أى و خلق «مِنْهَا زَوْجَهَا» يعنى حواء «لَيْسَ كُنَّ» آدم «إِلَيْهَا» و يأنس بها «فَلَمَّا تَغَشَّاهَا» أى فلما أصابها كما يصيب الرجل زوجته يعنى وطأها و جامعها «حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا» و هو الماء الذى حصل فى رحمها و كان خفيا «فَمَرَّتْ بِهِ» أى استمرت بالحمل على الخفه تقوم و تقعد و تجىء و تذهب كما كانت من قبل لم يمنعها ذلك الحمل عن شىء من التصرف «فَلَمَّا أَثْقَلَتْ» أى صارت ذات ثقل كما يقال أثمرت الشجره صارت ذات ثمر و قيل معناه دخلت فى الثقل كما يقال أصاف دخل فى الصيف و أشتى دخل فى الشتاء المعنى لما كبر الحمل فى بطنها و تحرك و صارت ثقيله به «دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا» يعنى آدم و حواء سألوا الله تعالى عند كبر الولد فى بطنها «لِئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا» أى أعطيتنا ولدا صالحا عن أبى مسلم و قيل نسلا صالحا أى معافى سليما صحيح الخلقه عن الجبائى و قيل بشرا سويا عن ابن عباس و قيل غلاما ذكرا عن الحسن «لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ» لنعمتك علينا قال الجبائى و إنما قالوا ذلك لأنهما أرادا أن يكون لهما أولاد يؤنسونهما فى الموضع الذى كانا فيه لأنهما كانا فردين مستوحشين و كان إذا غاب أحدهما عن الآخر بقى الآخر مستوحشا بلا مؤنس و يحتمل أيضا أن يكون أراد بقوله «صَالِحًا» مطيعا فاعلا للخير مصلحا غير مفسد «فَلَمَّا آتَاهُمَا» الله «صَالِحًا» كما التمساه «جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا» اختلف فى من يرجع

الضمير الذى فى جعلاً إليه على وجوه (أحدها) أنه يرجع إلى النسل الصالح أى المعافى فى الخلق و البدن لا فى الدين و إنما ثنى لأن حواء كانت تلد فى كل بطن ذكراً و أنثى يعنى أن هذا النسل الذين هم ذكر و أنثى جعلاً له شركاء فيما أعطاهما من النعمه فأضافا تلك النعم إلى الذين اتخذوهم آلهه مع الله تعالى من الأصنام و الأوثان عن الجبائى- (و ثانيها)- أنه يرجع إلى النفس و زوجها من ولد آدم لا- إلى آدم و حواء عن الحسن و قتاده و هو قول الأصم قال و يكون المعنى فى قوله «خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ» خلق كل واحد منكم من نفس واحده و لكل نفس زوج هو منها أى من جنسها كما قال سبحانه «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا» فلما تغشى كل نفس زوجها «حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا» و هو ماء الفحل «فَلَمَّا أَثَقَلَتْ» بمصير ذلك الماء لحما و دما و عظما (دعا الرجل و المرأه ربهما لئن آتيتنا صالحا) أى ذكرا سويا «لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ» و كانت عادتهم أن يثدوا البنات فلما أتاها معنى الأب و الأم صالحا جعلاً له شركاء فيما أتاها لأنها كانوا يسمون عبد العزى و عبد اللات و عبد مناف ثم رجعت الكنايه إلى جميعهم فى قوله «فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ» فالكنايه فى جميع ذلك غير متعلقه بآدم و حواء و لو كانت متعلقه بهما لقال عما يشركان و قال أبو مسلم تقدير الآيه هو الذى خلقكم و الخطاب لجميع الخلق من نفس واحده يعنى آدم و جعل من ذلك النفس زوجها و هى حواء ثم انقضى حديث آدم و حواء و خص بالذكر المشركين من أولاد آدم الذين سألوا ما سألوا و جعلوا له شركاء فيما آتاهم قال و يجوز أن يذكر العموم ثم يخص البعض بالذكر و مثله كثير فى الكلام قال تعالى «هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْمِكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ» فخطب الجماعه بالتسيير ثم خص راكب البحر بالذكر و كذلك هذه الآيه أخبرت عن جمله البشر بأنهم مخلوقون من آدم و حواء ثم عاد الذكر إلى الذى سأل الله تعالى ما سأل فلما أعطاه إياه ادعى له شركاء فى عطيته قال و جائز أن يكون عنى بقوله «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ» المشركين خصوصا إذا كان كل واحد من بنى آدم مخلوقا من نفس واحده و زوجها و ذكر قريبا من قول الأصم قال و قد يجىء مثله فى التنزيل و غيره قال سبحانه «وَ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ فَاجْلَدُوهُمْ» و المعنى فاجلدوا كل واحد منهم (و ثالثها) إن الضمير يرجع إلى آدم و حواء ع و يكون التقدير فى قوله «جَعَلَا لَهُ

شُرَكَاءَ» جعل أولادهما له شركاء فحذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه فصار جعلاً و هذا مثل قوله سبحانه «اتَّخَذْتُمْ الْعِجْلَ» (وَ إِذِ قَتَلْتُمْ نَفْسًا) و التقدير و إذ قتل أسلافكم نفساً و اتخذ أسلافكم العجل فحذف المضاف و على هذا الوجه تكون الكناية من أول الكلام إلى آخره راجعه إلى آدم و حواء و يقويه قوله سبحانه «فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ» (و رابعها) ما روت العامه أنه يرجع إلى آدم و حواء و أنهما جعلاً لله شريكاً في التسميه و ذلك أنهما أقاما زماناً لا يولد لهما فمر بهما إبليس و لم يعرفاه فشكوا إليه فقال لهما إن أصلحت حالكما حتى يولد لكما ولد أ تسميانه باسمي قالاً نعم و ما اسمك قال الحرث فولد لهم فسمياه عبد الحرث ذكره ابن فضال و قيل إن حواء حملت أول ما حملت فأتاها إبليس في غير صورته فقال لها يا حواء ما يؤمنك أن تكون في بطنك بهيمه فقالت لآدم لقد أتاني آت فأخبرني أن الذي في بطني بهيمه و إنى لأجد له ثقلاً فلم يزالا في هم من ذلك ثم أتاها فقال إن سألت الله أن يجعله خلقاً سوياً مثلك و يسهل عليك خروجه أ تسميه عبد الحرث و لم يزل بها حتى غرها فسمته عبد الحرث برضاء آدم و كان اسم إبليس عند الملائكه الحارث و هذا الوجه بعيد تأباه العقول و تنكره فإن البراهين الساطعه التي لا يصح فيها الاحتمال و لا يتطرق إليها المجاز و الاتساع قد دلت على عصمه الأنبياء ع فلا يجوز عليهم الشرك و المعاصي و طاعه الشيطان فلو لم نعلم تأويل الآيه لعلمنا على الجملة أن لها وجهاً يطابق دلالة العقل فكيف و قد ذكرنا الوجوه الصحيحه الواضحه في ذلك على أن الروايه الوارده في ذلك قد طعن العلماء في سندها بما هو مذكور في مواضعه و لا نحتاج إلى إثباته فإن الآيه تقتضى أنهم أشركوا الأصنام التي تخلق و لا تخلق لقوله «أُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَ هُمْ يُخْلَقُونَ» و في خبرهم أنهما أشركا إبليس اللعين فيما ولد لهما بأن سموه عبد الحرث و ليس في ظاهر الآيه لإبليس ذكر و حكي البلخي عن جماعه من العلماء أنهم قالوا لو صح الخبر لم يكن في ذلك إلا إشراكاً في التسميه و ليس ذلك بكفر و لا معصيه و اختاره الطبرى و

روى العياشى في تفسيره عنهم (عليه السلام) أنه كان شرهما شرك طاعه و لم يكن شرك عباده

و قوله «أُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَ هُمْ يُخْلَقُونَ» توبيخ و تعنيف للمشركين بأنهم يعبدون مع الله تعالى جماداً لا يخلق شيئاً من الأجسام و لا- ما يستحق به العباده و هم مع ذلك مخلوقون محدثون و لهم خالق خلقهم و إن خرج الكلام مخرج الاستفهام و لفظه ما إنما تستعمل فيما لا يعقل فدل ذلك على أن المراد بقوله «جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ» أنهم أشركوا الأصنام مع الله تعالى لا ما ذكروه من إشراك إبليس و إنما قال و هم يخلقون على لفظ العقلاء و إن كانت الأصنام جماداً لأنه أراد به الأصنام

و العابدين لها جميعا فغلب ما يعقل على ما لا- يعقل و يجوز أن يكون على أنهم يعظمونها تعظيم من يعقل و يصورونها على صوره من يعقل فكنى عنهم كما يكنى عن العقلاء كقوله وَ الشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ «و لا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصِيرًا وَ لا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ» أى و يشركون به و يعبدون من لا يستطيع نصر عابديه و لا نصر نفسه بأن يدفع عن نفسه من أراد به الضر و من هذه صورته فهو فى غايه العجز فكيف يكون إليها معبودا «وَ إِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لا يَتَّبِعُكُمْ» قيل معناه و إن دعوتهم الأصنام التى عبدوها إلى الهدى فإنها لا تقبل الهدى عن أبى على الجبائى بين بذلك ضعف أمرها بأنها لا تهدى غيرها و لا تهتدى بأنفسها و إن دعيت إلى الهدى و قيل معناه إن دعوتهم المشركين الذين أصروا على الكفر إلى دين الحق لم يؤمنوا و هو نظير قوله «سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا- يُؤْمِنُونَ» عن الحسن «سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ» أى سواء عليكم دعاؤهم و السكوت عنهم و إنما قال «أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ» و لم يقل أم صمتتم فيكون فى مقابل «أَدَعَوْتُمُوهُمْ» ليفيد الماضى و الحال فإن المقابلة كانت تدل على الماضى فحسب و صوره اللفظ تدل على معنى الحال و مثل قول الشاعر:

سواء عليك الفقر أم بت ليله بأهل القباب من نمير بن عامر.

[سوره الأعراف (٧): الآيات ١٩٤ الى ١٩٥]

إشارة

إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَثْمَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٩٤) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونِ (١٩٥)

القراءة

قرأ أبو جعفر وحده يبطشون هاهنا و فى القصص و الدخان بضم الطاء و الباقون بكسرها و قرأ هشام و يعقوب كيدونى بياء فى الوقف و الوصل و وافقهما أبو جعفر و أبو

ص: ٣٦٧

عمرو و إسماعيل فى الوصل و الباقون بغير ياء فى الحالين و قرأ تنظرونى بالياء فى الحالين يعقوب.

الحج

بطش يبطش و يبطش و الكسر أفصح و قال أبو على الفواصل من الكلام التام تجرى مجرى القوافى لاجتماعهما فى أن الفاصله آخر الآيه كما أن القافيه آخر البيت و قد أُلزما فى القوافى حذف هذه الآيات قال الأعشى:

فهل يمعنى ارتياد البلاد من حذر الموت أن يأتين

و الياء التى هى لام كذلك نحو قوله:

يلمس الأحلاس فى منزله بيديه كاليهودى المصل

و من أثبت فلأن الأصل الإثبات.

المعنى

ثم أتم سبحانه الحججه على المشركين بقوله «إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» يعنى الأصنام يريد تدعونهم آلهه «عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ» أى مخلوقه أمثالكم عن الحسن و قيل مملوكون أمثالكم عن الكلبي و قيل أمثالكم فى التسخير أى أنهم مسخرون مذلون لأمر الله عن الأَخفش و لما كانت الأصنام غير ممتنعه مما يريد الله بها كانت فى معنى العباد فإن التعييد التذليل و طريق معبد موطوء مسلوكة و منه قوله «وَ تِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ» أى ذللتهم و استخدمتهم ضروبا من الخدمه «فَادْعُوهُمْ» هذا الدعاء ليس الدعاء الأول و المراد به فادعوهم فى مهماتكم و لكشف الأسواء عنكم «فَلَيْسَ تَجِيبُوا لَكُمْ» هذه لام الأمر على معنى التعجيز و التهجين كما قال هاتوا بَرِّهَانَكُمْ «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» قال ابن عباس معناه فاعبدوهم هل يثبونكم أو يجاوزونكم إن كنتم صادقين إن لكم عندها منفعه و ثوبا أو شفاعه و نصره ثم فضل سبحانه بنى آدم عليهم فقال «أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا» أى لهؤلاء الأصنام أرجل يمشون بها فى مصالحكم «أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبِطُّشُونَ بِهَا» أى يأخذون بها فى الدفع عنكم و معنى البطش التناول و الأخذ بشده «أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا» أى ليس لهم هذه الحواس و لكم هذه الحواس فأنتم أفضل منهم فلو دعوتهم و عبدتم من له الحياه و منافعها لزمكم الدم و اللوم بذلك لأنها مخلوقه مربوبه فكيف تعبدون

من أنتم أفضل منه ثم زاد سبحانه في تهجينهم فقال «قُلْ» يا محمد «ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ» أى هذه الأوثان التى تزعمون أنها آلهه و تشركونها فى أموالكم و تجعلون لها حظا من المواشى و غيرها و توجهون عبادتكم إليها إشراكا بالله لها «ثُمَّ كِيدُونِ» بأجمعكم «فَلا تُنظِرُونِ» أى لا- تؤخرونى و معناه أن معبودى ينصرنى و يدفع كيد الكائدين عنى و معبودكم لا يقدر على نصركم فإن قدرتم على ضر فاجتمعوا أنتم مع أصنامكم و تظاهروا على كيدى و لا تمهلونى فى الكيد و الإضرار فإن معبودى يدفع كيدكم عنى.

[سوره الأعراف (٧): الآيات ١٩٦ الى ١٩٨]

أشاره

إِنَّ وَلىَّيَ اللّٰهُ الَّذِى نَزَلَ الْكِتَابَ وَ هُوَ يَتَوَلَّى الصّٰلِحِينَ (١٩٦) وَ الَّذِى تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَآ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَ لَآ أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ (١٩٧) وَ إِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَآ يَسْمَعُوا وَ تَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَ هُمْ لَآ يُبْصِرُونَ (١٩٨)

المعنى

ثم بين سبحانه بعد أن ناصر نبيه ص و حافظه فأمره أن يقول للمشركين «إِنَّ وَلىَّيَ» أى ناصرى و حافظى و دافع شركم عنى «اللّٰهُ الَّذِى نَزَلَ الْكِتَابَ» أى القرآن يؤيدنى بنصره كما أنزله على «وَ هُوَ يَتَوَلَّى الصّٰلِحِينَ» أى ينصر المطيعين له المجتنبين معاصيه تاره بالدفع عنهم و أخرى بالحجه «وَ الَّذِى تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ» آلهه «لَآ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ» أى لا يقدرون على أن ينصروكم و لا أن يدفعا عنكم «وَ لَآ أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ» كرر هذا لأن ما تقدم فإنه على وجه التقرير و التوبيخ و ما ذكره هنا فإنه على وجه الفرق بين صفه من يجوز له العباده و صفه من لا يجوز له العباده فكأنه قال أن من أعبده ينصرنى و من تعبدونه لا يقدر على نصركم و لا على نصر نفسه «وَ إِنْ تَدْعُوهُمْ» يعنى إن دعوتهم هؤلاء الذين تعبدونهم من الأصنام «إِلَى الْهُدَى» أى إلى الرشد و المنافع عن الجبائى و الفراء و قيل معناه و إن دعوتهم المشركين إلى الدين عن الحسن «لَآ يَسْمَعُوا» أى لا يسمعوا دعاءكم «وَ تَرَاهُمْ» فاتحه أعينهم نحوكم على ما صورتموهم عليه من الصور

وقال الجبائي جعل الله انفتاح عيونهم في مقابلتهم نظرا منهم إليهم مجازا لأن النظر تقليب الحدقه الصحيحه نحو المرئي طلبا لرؤيته و ذلك لا- يتأتى فى الجماد و يقال تناظر الحائطان إذا تقابلا و قيل معناه لا يقبلوا و منه سمع الله لمن حمده «و تَرَاهُمْ يُنظَرُونَ إِلَيْكَ وَ هُمْ لَا يُبْصِرُونَ» الحجة يعنى مشركى العرب عن الحسن و مجاهد و السدى.

[سوره الأعراف (٧): الآيات ١٩٩ الى ٢٠٠]

اشاره

خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩) وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠)

اللغه

قد مر ما قيل فى العفو عند قوله «قُلِ الْعَفْوَ» فى سوره البقره و العرف ضد النكر و مثله المعروف و العارفه و هو كل خصله حميده تعرف صوابها العقول و تطمئن إليها النفوس قال الشاعر:

" لا يذهب العرف بين الله و الناس "

و النزغ الإزعاج بالإغراء و أكثر ما يكون ذلك عند الغضب و أصله الإزعاج بالحركه نزغه ينزغه نزغا و قيل النزغ الفساد و منه نزغ الشيطان بينى و بين إخوتى أى أفسد قال الزجاج النزغ أدنى حركه تكون و من الشيطان أدنى وسوسه.

المعنى

لما أمر الله سبحانه نبيه (صلى الله عليه و آله) بالدعاء إليه و تبليغ رسالته علمه محاسن الأفعال و مكارم الأخلاق و الخصال فقال «خُذِ الْعَفْوَ» أى خذ يا محمد ما عفا من أموال الناس أى ما فضل من النفقه و كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) يأخذ الفضل من أموالهم ليس فيها شىء موقت ثم نزلت آيه الزكاه فصار منسوخا بها فإن هذه السوره مكيه عن ابن عباس و السدى و الضحاك و قيل معناه خذ العفو من أخلاق الناس و أقبل الميسور منها عن مجاهد و الحسن و معناه أنه أمره بالتساهل و ترك الاستقصاء فى القضاء و الاقتضاء و هذا يكون فى الحقوق الواجبه لله و للناس و فى غيرها و هو فى معنى

الخبر المرفوع أحب الله عبدا سمحا بائعا و مشتريا قاضيا و مقتضيا

و قيل هو العفو فى قبول العذر من المعتذر و ترك المؤاخذة بالإساءه و

روى أنه لما نزلت هذه الآيه سأل رسول الله ص جبرائيل عن ذلك فقال لا أدرى حتى أسأل العالم ثم أتاه فقال يا محمد إن الله يأمرك أن تعفو عن ظلمك و تعطى من حرمك و تصل من قطعك

«وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ» يعنى بالمعروف و هو كل ما حسن فى العقل فعله أو فى الشرع و لم يكن منكرا و لا قبيحا عند العقلاء و قيل

بكل خصله

ص: ٣٧٠

حميده «وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ» معناه و أعرض عنهم عند قيام الحجه عليهم و الإياس من قبولهم و لا تقابلهم بالسفه صيانه لقدرك فإن مجاوبه السفيه تضع عن القدر و لا يقال هذه الآيه منسوخه بآيه القتال لأنها عامه خص عنها الكافر الذى يحب قتله بدليل.

قال ابن زيد لما نزلت هذه الآيه قال النبى ص كيف يا رب و الغضب فنزل قوله «وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ»

و معناه يا محمد إن نالك من الشيطان وسوسه و نسخه فى القلب بما يسول للإنسان معناه إن عرض لك من الشيطان عارض عن ابن عباس و قيل معناه و إن منعك الشيطان عن شىء مما أمرتك من هذه الأشياء «فَأَشْتَعِدْ بِاللَّهِ» أى سل الله عز اسمه أن يعيدك منه «إِنَّهُ سَيَجْعِلُ» للمسموعات «عَلِيمٌ» بالخفيات و قيل سميع لدعائك عليم بما عرض لك و قيل أن النزغ أول الوسوسه و المس لا يكون إلا- بعد التمكن و لذلك فصل الله سبحانه بين النبى ص و غيره فقال للنبى ص «وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ» و قال للناس إذا مسهم طائفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ.

[سوره الاعراف (٧): الآيات ٢٠١ الى ٢٠٣]

اشاره

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (٢٠١) وَ إِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ (٢٠٢) وَ إِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ هُدًى وَ رَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٠٣)

القرءاء

قرأ أهل البصره و ابن كثير و الكسائى طيف بغير ألف و هو قرءاء النخعى و الأسود بن زيد و قرأ الباقون «طَائِفٌ» بالألف و قرأ أهل المدينه يمدونهم بضم الياء و كسر الميم و الباقون بفتح الياء و ضم الميم و فى الشواذ عن الجحدري يمدونهم و عن عيسى بن عمر يقصرون بفتح الياء و ضم الصاد.

الحجه

الطيف مصدر طاف الخيال يطيف طيفا إذا ألم به فى المنام فمعناه إذا مسهم خطره من الشيطان و يكون الطائف بمعناه فطيف كالخطره و طائف كالخاطر و الطيف

أكثر قال:

ألا يا لقومي لطيف الخيال أرق من نازح ذى دلال

و قال الأعشى:

و تصبح عن غب السرى و كأنما ألم بها من طائف الجن أولق

و قال أبو على عامه ما جاء فى التنزيل فيما يحمد و يستحب أمددت على أفعلت كقوله أَنَّمَا نُؤَمِّدُهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَ بَيْنَ وَ أَمْدَدْنَاَهُمْ بِفَاكِهِهِ وَ أَمْدَدُونَنِي بِمَالٍ وَ مَا كَانَ بِخِلافِهِ على مددت قال وَ يَمِيدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ فهذا يدل على أن الوجه فتح الياء كما ذهب إليه الأكثر و الوجه فى قراءه من قرأ يمدونهم أنه مثل فَبَشَّرَهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ* فَسَيَسِيرُهُ لِلْعُسَيْرِ وَ الله أعلم و يمدونهم يفاعلونهم منه أى يعاونونهم و قصر يقصر لغه فى أقصر يقصر و يقال أقصر عنه إذا تركه عن قدره و قصر عنه إذا ضعف عنه.

اللغة

الممسوس الذى به مس جن و الممسوس من المياها ما نالته الأيدى و الاجتباء افتعال من الجبايه و نظيره الاصطفاء و هو استخلاص الشىء للنفس قال على بن عيسى أصله الاستخراج و منه الجبايه الخراج و قيل أصله الجمع من جبيت الماء فى الحوض و الحوض جاييه لجمعها الماء قال الفراء اجبيت الكلام و اختلقته و ارتجلته إذا افتعلته من قبل نفسك قال أبو عبيده و اخترعته مثل ذلك قال أبو زيد هذه الحروف تقولها العرب للكلام يتدوؤه الرجل لم يكن أعده قبل ذلك فى نفسه و البصائر البراهين و الحجج جمع بصيره و البصائر أيضا طرائق الدم قال الأشعر الجعفى:

راحوا بصائرهم على أكتافهم و بصيرتى يعدو بها عتد و أى

أو البصيره الترس و جمعها بصائر قال الزجاج و جميع هذا معناه ظهور الشىء و تبيانه.

الإعراب

إذا الأولى ظرف زمان و يكون لها جواب بمنزله الجزاء و إذا الثانية ظرف مكان بمعنى المفاجاه كقولك خرجت فإذا زيد.

المعنى

ثم ذكر سبحانه طريقه المتقين إذا عرضت لهم وساوس الشياطين فقال

«إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا» الله باجتناب معاصيه «إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا» قيل معناه إذا وسوس إليهم الشيطان و أغراهم بمعصيته تذكروا ما عليهم من العقاب بذلك فيجتنبونه و يتركونه و هو معنى قول ابن عباس و السدى و قال الحسن يعنى إذا طاف عليهم الشيطان بوساوسه و قال سعيد بن جبير هو الرجل الذى يغضب الغضبه فيتذكر فيكظم غيظه و به قال مجاهد و روى عنه أيضا أنه قال هو الرجل يهيم بالذنب فيذكر الله فيتركه و قيل طائف غضب و طيف جنون و قيل معناه واحد «فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ» للرشد «وَ إِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ» معناه و إخوان المشركين من شياطين الجن و الإنس يمدونهم فى الضلال و المعاصى أى يزيدونهم فيه و يزينون لهم ما هم فيه «ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ» ثم لا يكفون يعنى الشيطان عن استغوائهم و لا يرحمونهم عن مجاهد و قتاده و قيل معناه و إخوان الشياطين من الكفار يمدهم الشياطين فى الغى ثم لا يقصر هؤلاء مع ذلك كما يقصر الذين اتقوا عن ابن عباس و السدى و الجبائى و قيل معناه ثم لا- يقصر الشياطين عن إغوائهم و لا- يقصرونهم عن ارتكاب الفواحش «وَ إِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا» معناه أنك يا محمد إذا جئتهم بآيه كذبوا بها و إذا أبطأت عنهم يقترحونها و يقولون هلا- جئتنا به من قبل نفسك فليس كل ما تقوله و حى من السماء عن قتاده و مجاهد و الزجاج و قيل معناه إذا لم تأتهم بآيه مقترحة قالوا هلا اخترتها من قبل نفسك فتسأل ربك أن يأتيك بها عن ابن عباس و الجبائى و أبى مسلم «قُلْ» يا محمد لهم «إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي» أى لست آتى بالآيات من عندى و إنما يفعلها الله تعالى و يظهرها على حسب ما يعلم من المصلحة فى ذلك لا- بحسب اقتراح الخلق و إنما أتبع الوحى و لا- أتعداه و ليس لى أن أسأله إنزال الآيات إلا بعد إذنه فى السؤال «هَذَا بَصَائِرٌ مِّنْ رَبِّكُمْ» هذا القرآن دلائل ظاهره و حجج واضحه و براهين ساطعه من ربكم يبصر الإنسان بها أمور دينه «وَ هُدًى وَ رَحْمَةٌ» أى و دلالة تهدى إلى الرشده و نعمه فى الدين و الدنيا «لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» خص المؤمنين بالذكر لأنهم المنتفعون بها دون غيرهم من الكفار و فى هذه الآيه دلالة على أن أفعال النبى ص و أقواله تابعه للوحى و أنه لا- يجوز أن يعمل بالرأى و القياس.

النظم

قيل إن هذه الآيه اتصلت بقوله «يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ» و تقديره و يسألونك عن الآيات فإذا لم تأتهم بها قالوا لولا اجتبيتها عن أبى مسلم و قيل اتصلت بما قبلها من قوله «وَ إِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ» و معناه يبقون فى الضلاله و إذا لم تأتهم بآيه يسألون عنها فقالوا كذا.

إشاره

وَ إِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ أَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤) وَ اذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَ خِيفَةً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَ الْأَصَالِ وَ لَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥) إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَ يُسَبِّحُونَهُ وَ لَهُ يَسْجُدُونَ (٢٠٦)

اللغه

الإنصات السكوت مع استماع قال ابن الأعرابي نصت و أنصت و انتصت استمع الحديث و سكت و أنصته و أنصت له و أنصت الرجل سكت و أنصته غيره عن الأزهرى و الأصال جمع أصل و أصل جمع أصيل فالأصال جمع الجمع و تصغيره أصيلان على إبدال النون و معناه العشيات و هو ما بين العصر إلى غروب الشمس.

الإعراب

«تَضَرُّعًا وَ خِيفَةً» مصدران و ضعا موضع الحال أى متضرعين و خائفين و «دُونَ الْجَهْرِ» عطف عليه فيجب أن يكون فى موضع الحال أى و غير رافعين أصواتكم حتى يبلغ حد الجهر.

المعنى

ثم أمر سبحانه بالاستماع للقرآن عند قراءته فقال «وَ إِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ أَنْصِتُوا» اختلف فى الوقت المأمور بالإنصات للقرآن و الاستماع له

فقيل إنه فى الصلاه خاصه خلف الإمام الذى يؤتم به إذا سمعت قراءته عن ابن عباس و ابن مسعود و سعيد بن جبیر و سعيد بن المسيب و مجاهد و الزهرى و روى ذلك عن أبى جعفر (عليه السلام)

قالوا و كان المسلمون يتكلمون فى صلاتهم و يسلم بعضهم على بعض و إذا دخل داخل فقال لهم كم صليتم أجابوه فنهوا عن ذلك و أمروا بالاستماع و قيل أنه فى الخطبه أمروا بالإنصات و الاستماع إلى الإمام يوم الجمعة عن عطا و عمرو بن دينار و زيد بن أسلم و قيل أنه فى الخطبه و الصلاه جميعا عن الحسن و جماعه قال الشيخ أبو جعفر قدس الله روحه و أقوى الأقوال الأول لأنه لا حال يجب فيها الإنصات لقراءة القرآن إلا حاله قراءه الإمام فى الصلاه فإن على المأموم الإنصات و الاستماع فأما خارج الصلاه فلا خلاف أن الإنصات و الاستماع غير واجب و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال يجب الإنصات للقرآن فى الصلاه و غيرها

و

فى كتاب العياشى بإسناده عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال قرأ ابن الكوا خلف أمير المؤمنين (عليه السلام) لَيْتَنُ أَشْرَكَتَ لِيَجْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ فَأَنْصَتَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام)

و

عن عبد الله بن أبى يعفور عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال قلت له الرجل يقرأ القرآن أ يجب على من سمعه الإنصات له و الاستماع قال نعم إذا قرئ عندك القرآن و جب عليك الإنصات و الاستماع

قال الزجاج و يجوز أن يكون فاستمعوا له و أنصتوا أى اعملوا بما فيه و لا تجاوزوا لأن معنى قول القائل سمع الله دعاءك أجاب الله دعاءك لأن الله سميع عليم و قال الجبائى أنها نزلت فى ابتداء التبليغ ليعلموا أو يتفهموا و قال أحمد بن حنبل أجمعت الأمة على أنها نزلت فى الصلاة «لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» أى لترحموا بذلك و باعتباركم به و اتعاظكم بمواعظه «وَ أَذْكَرُ رَبِّكَ فِى نَفْسِكَ» خطاب للنبي ع و المراد به عام و قيل هو خطاب لمستمع القرآن و المعنى و اذكر ربك فى نفسك بالكلام من التسييح و التهليل و التحميد و

روى زراره عن أحدهما (عليه السلام) قال معناه إذا كنت خلف الإمام تأتم به فأنصت و سبح فى نفسك يعنى فيما لا يجهر الإمام فيه بالقراءة

و قيل معناه و اذكر نعمه ربك بالتفكر فى نفسك و قيل أراد أذكره فى نفسك بصفاته العليا و أسمائه الحسنى «تَضَرُّعًا وَ خِيفَةً» يعنى بتضرع و خوف يعنى فى الدعاء فإن الدعاء بالتضرع و الخوف من الله تعالى أقرب إلى الإجابة و إنما خص الذكر بالنفس لأنه أبعد من الرياء عن الجبائى «وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ» معناه ارفعوا أصواتكم قليلا و لا تجهروا بها جهارا بليغا حتى يكون عدلا بين ذلك كما قال وَ لَا تَجْهَرُوا بِصَوْتِكُمْ وَ لَا تَخَافُتُمْ بِهَا وَ قيل أنه أمر للإمام أن يرفع صوته فى الصلاة بالقراءة مقدار ما يسمع من خلفه عن ابن عباس «بِالْعُدُوِّ وَ الْأَصَالِ» أى بالغدوات و العشيات عن قتاده و المراد به دوام الذكر و اتصاله و قيل إنما خص هذين الوقتين لأنهما حال فراغ القلب عن طلب المعاش فيكون الذكر فيهما ألصق بالقلب «وَ لَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ» عما أمرتك به من الدعاء و الذكر و قيل إن الآيه متوجهة إلى من أمر بالاستماع للقرآن و الإنصات و كانوا إذا سمعوا القرآن رفعوا أصواتهم بالدعاء عند ذكر الجنة أو النار عن ابن زيد و مجاهد و ابن جريج قال الجبائى و فى الآيه دليل على أن الذين يرفعون أصواتهم عند الدعاء و يجهرون به مخطئون و على خلاف الصواب ثم ذكر سبحانه ما يبعث إلى الذكر و يدعو إليه فقال «إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ» و هم الملائكة عن الحسن و غيره «لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ» معناه أنهم مع جلاله قدرهم و علو أمرهم يعبدون الله و يذكرونه و فائدته أنكم إن استكبرتم عن عبادته فمن هو أعظم حالا منكم

لا يستكبر عنها و إنما قال عند ربك تشريفا للملائكة بإضافتهم إلى نفسه و لم يرد به قرب المكان تعالى الله عن ذلك و تقدس و قيل معناه أنهم في المكان الذي شرفه الله تعالى و لا يملك عليهم الحكم إلا الله تعالى بخلاف البشر كما يقال عند الأمير كذا و كذا من الجند و المراد أنهم في حكمه و تحت أمره و عند فلان كذا من المال و لا يراد به أن ذلك بحضرتة و قال الزجاج من قرب من رحمه الله و فضله فهو عند الله أى هو قريب من فضله و إحسانه «و يُسَبِّحُونَهُ» أى ينزهونه عما لا يليق به «و لَهُ يَسْجُدُونَ» أى يخضعون و قيل يصلون و قيل يسجدون في الصلاة عن الحسن و لا خلاف أن هاهنا سجده و هى أول سجدة القرآن و اختلف في سجده التلاوه هل هى واجبه فعند أبى حنيفة واجبه و عند الشافعى سنه مؤكده و إليه ذهب أصحابنا.

(٨) سورة الأنفال مدنيه و آياتها خمس و سبعون (٧٥)

اشاره

[توضيح]

هى مدنيه عن ابن عباس و قتاده غير سبع آيات نزلت بمكه «وَ إِذِ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا» إلى آخرهن و قيل نزلت بأسرها فى غزاه بدر عن الحسن و عكرمه.

عدد آياتها

هى سبعون و سبع آيات شامى و ست حجازى بصرى و خمس كوفى

اختلافها

ثلاث آيات «ثُمَّ يُغْلَبُونَ» بصرى شامى «مَفْعُولًا» الأول غير الكوفى «بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِينَ» غير البصرى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص أنه قال من قرأ سورة الأنفال و براءه فأنا شفيع له و شاهد يوم القيامة أنه برى ء من النفاق و أعطى من الأجر بعدد كل منافق و منافقه فى دار الدنيا عشر حسنات و محى عنه عشر سيئات و رفع له عشر درجات و كان العرش و حملته يصلون عليه أيام حياته فى الدنيا

و

روى العياشى بإسناده عن أبى بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ الأنفال و براءه فى كل شهر لم يدخله نفاق أبدا و كان من شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) حقا و يأكل يوم القيامة من موائد الجنة معهم حتى يفرغ الناس من الحساب

و

عن محمد بن مسلم عن أبى جعفر (عليه السلام) قال فى سورة الأنفال جدع الأنوف

تفسيرها

لما قص الله سبحانه فى سورة الأعراف قصص الأنبياء و ختمها بذكر نبينا ص افتتح سورة الأنفال بذكره ثم ذكر ما جرى بينه و بين قومه فقال:

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١)

القراءة

قرأ ابن مسعود و سعد بن أبي وقاص و علي بن الحسين و أبو جعفر بن محمد بن علي الباقر و زيد بن علي و جعفر بن محمد الصادق ع و طلحه بن مصرف يسألونك الأنفال ..

الحجج

قال ابن جنى هذه القراءة بالنصب مؤديه عن السبب للقراءة الأخرى التى هى «عَنِ الْأَنْفَالِ» و ذلك أنهم إنما سألوه عنها تعرضا لطلبها و استعلاما لحالها هل يسوغ طلبها و هذه القراءة بالنصب أصرح بالتماس الأنفال و بيان عن الغرض فى السؤال عنها فإن قلت هل يحسن حملها على حذف حرف الجر كأنه قال يسألونك عن الأنفال فلما حذف عن نصب المفعول كقوله:

" أمرتك الخير فافعل ما أمرت به "

قيل هذا شاذ إنما يحمله الشعر فأما القرآن فيختار له أفصح اللغات و إن كان قد جاء و اختار موسى قَوْمَهُ و أَعْدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فإن الأظهر ما قدمناه.

اللغة

الأنفال جمع نفل و النفل الزيادة على الشئ ء يقال نفلتك كذا إذا زدته قال لبيد:

إن تقوى ربنا خير نفل و يأذن الله ريثى و عجل

و قيل النفل العطيه و نفلتك أعطيتك و النافله عطيه التطوع من حيث لا يجب و منه نوافل الصلاه و النوفل الرجل الكثير العطيه.

المعنى

«يَسْأَلُونَكَ» أى يسألك يا محمد جماعه من أصحابك «عَنِ الْأَنْفَالِ» اختلف المفسرون فى الأنفال ها هنا فقيل هى الغنائم التى غنمها النبى ص يوم بدر و هو المروى عن عكرمه عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و الضحاك و ابن زيد

وقيل هي أنفال السرايا عن الحسن بن صالح بن حي وقيل هي ما شذ عن المشركين إلى المسلمين من عبد أو جاريه من غير قتال أو ما أشبه ذلك عن عطا وقيل هو للنبي ص خاصة يعمل به ما شاء وقيل هو ما سقط من المتاع بعد قسمته الغنائم من الغرس و الزرع و الرمح عن ابن عباس في روايه أخرى و روى عنه أيضا أنه سلب الرجل و فرسه ينفل النبي ص من شاء و قيل هي الخمس الذي جعله الله لأهل الخمس عن مجاهد في روايه أخرى و

صحت الروايه عن أبي جعفر و أبي عبد الله ع أنهما قالوا إن الأنفال كل ما أخذ من دار الحرب بغير قتال و كل أرض انجلى أهلها عنها بغير قتال و يسميها الفقهاء فيئا و ميراث من لا وارث له و قطائع الملوك إذا كانت في أيديهم من غير غصب و الآجام و بطون الأودية و الأرضون الموات و غير ذلك مما هو مذكور في مواضعه و قالوا هي لله و للرسول و بعده لمن قام مقامه فيصرفه حيث شاء من مصالح نفسه ليس لأحد فيه شيء و قالوا أن غنائم بدر كانت للنبي ص خاصة فسألوه أن يعطيهم

و

قد صح أن قراءه أهل البيت (عليه السلام) يسألونك الأنفال

فقال الله تعالى «قُلْ» يا محمد «الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ» و كذلك ابن مسعود و غيره إنما قرءوا كذلك على هذا التأويل فعلى هذا فقد اختلفوا في كيفية سؤالهم النبي ص فقال هؤلاء إن أصحابه سألوه أن يقسم غنيمه بدر بينهم فأعلمهم الله سبحانه أن ذلك لله و لرسوله دونهم و ليس لهم في ذلك شيء و روى ذلك أيضا عن ابن عباس و ابن جريج و الضحاك و عكرمه و الحسن و اختاره الطبري و قالوا أن عن صله و معناه يسألونك الأنفال أن تعطيهم و يؤيد هذا القول قوله «فَاتَّقُوا اللَّهَ» إلى آخر الآيه ثم اختلف هؤلاء فقال بعضهم هي منسوخه بآيه الغنيمه و هي قوله «وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ» و قال بعضهم ليست بمنسوخه و هو الصحيح لأن النسخ يحتاج إلى دليل و لا تنافي بين هذه الآيه و آيه الخمس و قال آخرون أنهم سألو النبي ص عن حكم الأنفال و علمها فقالوا لمن الأنفال و تقديره يسألونك عن الأنفال لمن هي و لهذا جاء الجواب بقوله «قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ» و قال آخرون أنهم سألوه عن حال الغنائم و قسمتها و أنها حلال أم حرام كما كانت حراما على من قبلهم فبين لهم أنها حلال و اختلفوا أيضا في سبب سؤالهم فقال ابن عباس أن النبي ص قال يوم بدر من جاء بكذا فله كذا و من جاء بأسير فله كذا فتسارع الشبان و بقى الشيوخ

تحت الرايات فلما انقضى الحرب طلب الشبان ما كان قد نفلهم النبي ص به فقال الشيوخ كنا رداء لكم و لو وقعت عليكم الهزيمة لرجعتم إلينا و جرى بين أبي اليسر بن عمرو الأنصاري أخى بنى سلمه و بين سعد بن معاذ كلام فنزع الله تعالى الغنائم منهم و جعلها لرسوله يفعل بها ما يشاء فقسّمها بينهم بالسويه و قال عباده بن الصامت اختلفنا فى النفل و ساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله إلى رسوله فقسّمه بيننا على السواء و كان ذلك فى تقوى الله و طاعته و صلاح ذات البين و

قال سعد بن أبى وقاص قتل أخى عمير يوم بدر فقتلت سعيد بن العاص بن أميه و أخذت سيفه و كان يسمى ذا الكتيفه فجئت به إلى النبي ص و استوهبته منه فقال ليس هذا لى و لا لك اذهب فاطرحه فى القبض فطرحته و رجعت و بى ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخى و أخذ سلبى و قلت عسى أن يعطى هذا لمن لم يبيل بلانئى فما جاوزت إلا قليلا حتى جاءنى الرسول و قد أنزل الله «يَسْتَلُونَكَ» الآية فخفت أن يكون قد نزل فى شىء فلما انتهيت إلى رسول الله ص قال يا سعد إنك سألتنى السيف و ليس لى و أنه قد صار لى فاذهب فخذة فهو لك

و قال على بن طلحه عن ابن عباس كانت الغنائم لرسول الله ص خاصه ليس لأحد فيها شىء و ما أصاب سرايا المسلمين من شىء أتوه به فمن حبس منه إبره أو سلكا فهو غلول فسألوا رسول الله أن يعطيهم منها فنزلت الآية و قال ابن جريج اختلف من شهد بدرا من المهاجرين و الأنصار فى الغنيمه فكانوا ثلاثا فنزلت الآية و ملكها الله رسوله يقسمها كما أراه الله و قال مجاهد هى الخمس و ذلك أن المهاجرين قالوا لم يرفع منا هذا الخمس و لم يخرج منا فقال الله تعالى «قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ» يقسمانها كما شاء أو ينفلاين منها ما شاء أو يرضخان منها ما شاء فاتقوا الله باتقاء معاصيه و اتباع ما يأمركم به و ما يأمركم به رسوله و احذروا مخالفه أمرهما «وَ أَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ» و أى أصلحوا ما بينكم من الخصومه و المنازعه و قوله «ذَاتَ بَيْنِكُمْ» كناية عن المنازعه و الخصومه و الذات هى الخلقه و البنيه يقال فلان فى ذاته صالح أى فى خلقته و بنيته يعنى أصلحوا نفس كل شىء بينكم أو أصلحوا حال كل نفس بينكم و قيل معناه و أصلحوا حقيقه و صلحكم كقوله «لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ» أى وصلحكم و المراد كونوا مجتمعين على ما أمر الله و رسوله و كذلك معنى اللهم أصلح ذات البين أى أصلح الحال التى بها يجتمع المسلمون عن الزجاج و هذا نهى من الله تعالى عن الاختلاف فيما اختلفوا فيه من أمر الغنيمه يوم بدر عن ابن عباس و مجاهد و السدى «وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» أى أقبلوا ما أمرتم به فى الغنائم و غيرها عن الزجاج و معناه و أطيعوهما فيما يأمرانكم به

و ينهيانكم عنه «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» مصدقين للرسول فيما يأتیکم به من قبل الله كما تدعون و فى تفسیر الکلبى أن الخمس لم یکن مشروعاً یومئذ و إنما شرع یوم أحد و فیه أنه لما نزلت هذه الآیه عرف المسلمین أنه لا حق لهم فى الغنیمه و أنها لرسول الله فقالوا یا رسول الله سمعا و طاعه فاصنع ما شئت فنزل قوله «وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ» أى ما غنمتم بعد بدر و روى أن رسول الله قسم غنائم بدر عن بواء أى على سواء و لم یخمس.

[سوره الأنفال (۸): الآيات ۲ الى ۴]

إشارة

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (۲) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (۳) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (۴)

اللغة

الوجل و الخوف و الفرع واحد يقال وجل يوجل و يبجل و يأجل بالألف و يبجل أربع لغات حكاها سيبويه و أجودها يوجل قال الشاعر:

لعمرك ما أدرى و إنى لأوجل على أينا تغدو المنية أول

و التوكل هو الثقة بالله فى كل ما يحتاج إليه يقال و كلت الأمر إلى فلان إذا جعلت إليه القيام به و الوكيل القائم بالأمر لغيره.

الإعراب

حقاً منصوب بما دلت عليه الجملة التى هى قوله «أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ» و المعنى أحق ذلك حقاً.

المعنى

لما قال سبحانه إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بين صفة المؤمنین بقوله «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ» أى خافت تعظيماً له و ذلك إذا ذكر عندهم عقوبته و عدله و وعيده على المعاصى بالعقاب و اقتداره عليه فأما إذا ذكرت نعمه الله على عباده و إحسانه إليهم و فضله و رحمته عليهم و ثوابه على الطاعات اطمأنت قلوبهم و سكنت نفوسهم إلى عفو الله تعالى كما قال سبحانه «أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» فلا تنافى بين الآيتين إذ وردتا فى حالتين و وجه آخر و هو أن المؤمن ينبغى أن يكون من صفته أنه إذا نظر فى نعم الله عليه و منته لديه و عظيم مغفرته و رحمته اطمأن قلبه و حسن بالله ظنه و إذا ذكر عظيم معاصيه

بترك أوامره و ارتكاب نواهيه وجل قلبه و اضطربت نفسه و الوجل الخوف مع شدة الحزن و إنما يستعمل على الغالب فى القلب «وَ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا» معناه و إذا قرئ عليهم القرآن زادتهم آياته تبصره و يقينا على يقين عن الضحاك و قيل زادتهم تصديقا مع تصديقهم بما أنزل الله إليهم قبل ذلك عن ابن عباس و المعنى أنهم يصدقون بالأولى و الثانى و الثالث و كل ما يأتى من عند الله فيزداد تصديقهم «وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» أى يفوضون أمورهم إلى الله فيما يخافونه من السوء فى الدنيا و قيل فيما يرجونه من قبول أعمالهم فى الآخرة «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ» قد مر تفسيره فى سورة البقره و إنما خص الصلاة و الزكاه بالذكر لعظم شأنهما و تأكد أمرهما و ليكون داعيا إلى المواظبه على فعلهما «أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا» أى هؤلاء المستجمعون لهذه الخصال و الحائزون لهذه الصفات هم الذين استحقوا هذا الاسم على الحقيقة «لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ» يعنى درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم عن عطاء و قيل لهم أعمال رفيعة و فضائل استحقوها فى أيام حياتهم عن مجاهد «وَ مَغْفِرَةً» لذنوبهم «وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ» أى خطير كبير فى الجنة و قيل كريم دائم كثير لا يشوبه ضرر و لا يعتريه كدر و لا يخاف عليه فناء و لا نقصان و لا حساب من قولهم فلان كريم إذا كانت أخلاقه محموده و استدل من قال أن الإيمان يزيد و ينقص و أن أفعال الجوارح من الإيمان بهذه الآيات فقال أن الله تعالى نفى أن يكون المؤمن غير متصف بهذه الصفات بلفظه إنما فكأنه قال لا يكون أحد مؤمنا إلا أن يكون بهذه الصفات و الجواب عنه أن هذه الصفات خيار المؤمنين و أفاضلهم فكأنه قال إنما خيار المؤمنين من له هذه الأوصاف و ليس يمتنع أن يتفاضل المؤمنون فى الطاعات و إن لم يتفاضلوا فى الإيمان يدل على ذلك أن الإجماع حاصل على أن وجل القلب ليس بواجب و إنما هو من المندوبات و إن الصلاة قد تدخل فيها الفرائض و النوافل. و الإنفاق كذلك فعلمنا أن الإشاره بالآيه إلى خيار المؤمنين و أمثالهم فلا تدل إذا على أن من كان دونهم فى المنزله خارج عن الإيمان و قد قال ابن عباس أنه سبحانه أراد بذلك أن المنافق لا يدخل قلبه خشية الله عند ذكره و إن هذه الأوصاف المذكوره منتفيه عنه.

إشاره

كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَيِّتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٦) وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَهِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨)

اللغه

المجادله المنازعه الذى يفتل بها عن مذهب إلى مذهب سميت بذلك لشدته و أصل الجدل شده الفتل و منه الأجدل الصقر لشدته و زمام جدیل شديد الفتل و قيل أصله من الجداله و هى الأرض يقال طعنه فجعله أى أوقعه على الأرض فكان المتجادلين يريد كل واحد منهما أن يرمى بخصمه إلى الأرض و السوق الحث على المسير و الشوكه الحد يقال ما أشد شوكة بنى فلان و فلان شاك فى السلاح و شائك و شاك من الشكه و شاك مخفف مثل قولهم كبش صاف كثير الصوف مثل صائف قال الشاعر:

فتوهمونى أننى أنا ذاكم شاك سلاحى فى الحوادث معلم

و أصله من الشوك و دابر الأمر آخره و دابر الرجل عقبه و الحق وقوع الشىء فى موضعه الذى هو له فإذا اعتقد شىء بضروره أو حجه فهو حق لأنه وقع موقعه الذى هو له و عكسه الباطل.

الإعراب

الكاف فى قوله «كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ» يتعلق بما دل عليه قوله «قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ» لأن فى هذا معنى نزعها من أيديهم بالحق كما أخرجك ربك من بيتك بالحق و قيل تقديره قل الأنفال ثابت لله و الرسول ثبوتاً مثل ما أخرجك ربك أى هذا كائن لا محاله كما أن ذلك كان لا محاله و قيل إنه يتعلق بيجادلونك و تقديره يجادلونك بالحق كما كرهوا إخراجك من بيتك بالحق و قيل أنه يعمل فيه معنى الحق بتقدير هذا الذكر الحق كما أخرجك ربك من بيتك بالحق و قوله «أَنَّهَا لَكُمْ» فى موضع نصب على البدل من إحدى الطائفتين و تقديره يعدكم أن إحدى الطائفتين لكم و نظيره قوله «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا

المعنى

«كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ» يا محمد على التقدير الأول قل الأنفال لله ينزعها عنكم مع كراحتكم و مشقه ذلك عليكم لأنه أصلح لكم كما أخرجك ربك من بيتك مع كراهه فريق من المؤمنين ذلك لأن الخروج كان أصلح لكم من كونكم فى بيتكم و المراد بالبيت هنا المدينة يعنى خروج النبى ص منها إلى بدر و يكون معنى أخرجك ربك دعاك إلى الخروج و أمرك به و حملك عليه كما يقال أضربت زيدا عمرا فضربه و أما على التقدير الثانى و هو أن يكون اتصاله بما بعده فيكون معناه يجادلونك فى الحق كارهين له كما جادلوك يا محمد حين أخرجك ربك كارهين للخروج كرهوه كراهيه طباع فقال بعضهم كيف نخرج و نحن قليل و العدو كثير و قال بعضهم كيف نخرج على عمياء لا ندرى إلى العير نخرج أم إلى القتال فشبه جدالهم بخروجهم لأن القوم جادلوه بعد خروجهم كما جادلوه عند الخروج فقالوا هلا- أخبرتنا بالقتال فكنا نستعد لذلك فهذا هو جدالهم على تأويل مجاهد و أما على التقدير الثالث فمعناه أن هذا خير لكم كما أن إخراجك من بيتك على كراهيه جماعه منكم خير لكم و قريب منه ما

جاء فى حديث أبى حمزه الشمالى فالله ناصرك كما أخرجك من بيتك

و قوله «بِالْحَقِّ» أى بالوحى و ذلك أن جبرائيل (عليه السلام) أتاه و أمره بالخروج و قيل معناه أخرجك و معك الحق و قيل معناه أخرجك بالحق الذى وجب عليك و هو الجهاد «وَ إِنْ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» أى طائفه منهم «لِكَارِهِونَ» لذلك للمشقه التى لحقتهم «يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ» معناه يجادلونك فيما دعوتهم إليه بعد ما عرفوا صحته و صدقك بما ظهر عليك من المعجزات و مجادلتهم قولهم هلا أخبرتنا بذلك و هم يعلمون أنك لا تأمرهم عن الله إلا بما هو حق و صواب و كانوا يجادلون فيه لشده عليه يطلبون بذلك رخصه لهم فى التخلف عنه أو فى تأخير الخروج إلى وقت آخر و قيل معناه يجادلونك فى القتال يوم بدر بعد ما تبين صوابه و أنه مأمور به عن ابن عباس و قيل بعد ما تبين أنك يا محمد لا تصنع إلا ما أمرك الله به «كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ» معناه كان هؤلاء الذين يجادلونك فى لقاء العدو لشده القتال عليهم حيث لم يكونوا مستعدين له و لكراحتهم له من حيث الطبع كانوا بمنزله من يساق إلى الموت و هم يرونه عيانا و ينظرون إليه و إلى أسبابه «وَ إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ» يعنى و اذكروا و اشكروا الله إذ يعدكم الله إن إحدى الطائفتين لكم إما العير و إما النفير «وَ تَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوكَةِ تَكُونُ لَكُمْ» أى تودون أن يكون لكم العير

و صاحبها أبو سفيان بن حرب لثلاثا تلحقكم مشقه دون النفير و هو الجيش من قريش قال الحسن كان المسلمون يريدون العير و رسول الله يريد ذات الشوكه كنى بالشوكه عن الحرب لما فى الحرب من الشده عن قطرب و قيل ذات الشوكه ذات السلاح «و يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ» معناه و الله أعلم بالمصالح منكم فأراد أن يظهر الحق بلطفه و يعز الإسلام و يظفركم على وجوه قريش و يهلكهم على أيديكم بكلماته السابقه و عاداته فى قوله «وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ» و قوله لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ و قيل بكلماته أى بأمره لكم بالقتال «وَيَقْطَعُ دَابِرَ الْكَافِرِينَ» أى يستأصلهم فلا يبقى منهم أحدا يعنى كفار العرب «لِيُحِقَّ الْحَقَّ» أى إنما يفعل ذلك ليظهر الإسلام «وَيُبَيِّطَ الْبَاطِلَ» أى الكفر بإهلاك أهله «وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ» أى الكافرون و ذكر البلخي عن الحسن أن قوله «وَأِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ» الآية نزلت قبل قوله «كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ» و هى فى القراءه بعدها.

[قصه غزاه بدر]

قال أصحاب السير و ذكر أبو حمزه و على بن إبراهيم فى تفسيرهما دخل حديث بعضهم فى بعض أقبل أبو سفيان بعير قريش من الشام و فيها أموالهم و هى اللطيمه و فيها أربعون راكبا من قريش فندب النبى ص أصحابه للخروج إليها ليأخذوها و قال لعل الله أن يفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم و ثقل بعضهم و لم يظنوا أن رسول الله ص يلقى كيدا ولا حربا فخرجوا لا يريدون إلا أبا سفيان و الركب لا يرونها إلا غنيمه لهم فلما سمع أبو سفيان بمسير النبى ص استأجر ضمضم بن عمرو الغفارى فبعثه إلى مكه و أمره أن يأتى قريشا فيستنفرهم و يخبرهم أن محمدا ص قد تعرض لغيرهم فى أصحابه فخرج ضمضم سريعا إلى مكه و كانت عاتكه بنت عبد المطلب رأت فيما يرى النائم قبل مقدم ضمضم بن عمرو بثلاث ليال أن رجلا أقبل على بعير له ينادى يا آل غالب اغدوا إلى مصارعكم ثم وافى بجمله على أبى قبيس فأخذ حجرا فدهدهه من الجبل فما ترك دارا من دور قريش إلا أصابته منه فلذه فانتبهت فرعه من ذلك و أخبرت العباس بذلك فأخبر العباس عتبه بن ربيعة فقال عتبه هذه مصيبه تحدث فى قريش و فشت الرؤيا فيهم و بلغ ذلك أبا جهل فقال هذه نبيه ثانيه فى بنى عبد المطلب و اللات و العزى لنتظرن ثلاثه أيام فإن كان ما رأت حقا و إلا لنكتبن كتابا بيننا أنه ما من أهل بيت من العرب أكذب رجالا و نساء من بنى هاشم فلما كان اليوم الثالث أتاهم ضمضم يناديهم بأعلى الصوت يا آل غالب يا آل غالب اللطيمه اللطيمه العير العير أدركوا و ما أراكم تدركون أن محمدا و الصباه من أهل يثرب قد خرجوا

ص: ٣٨٥

يتعرضون لغيركم فتهيئوا للخروج و ما بقى أحد من عظماء قريش إلا أخرج مالا لتجهيز الجيش و قالوا من لم يخرج نهدم داره و خرج معهم العباس بن عبد المطلب و نوفل بن الحرث بن عبد المطلب و عقيل بن أبي طالب و أخرجوا معهم القيان يضربون الدفوف و خرج رسول الله ص فى ثلاثمائة و ثلاثه عشر رجلا فلما كان بقرب بدر أخذ عينا للقوم فأخبره بهم و فى حديث أبى حمزه بعث رسول الله ص أيضا عينا له على العير اسمه عدى فلما قدم على رسول الله ص فأخبره أين فارق العير نزل جبرائيل على رسول الله ص فأخبره بنفير المشركين من مكة فاستشار أصحابه فى طلب العير و حرب النفير فقام أبو بكر فقال يا رسول الله إنها قريش و خيلاؤها ما آمنت منذ كفرت و لا ذلت منذ عزت و لم تخرج على هيئه الحرب و فى حديث أبى حمزه قال أبو بكر أنا عالم بهذا الطريق فارق عدى العير بكذا و كذا و ساروا و سرنا فنحن و القوم على ماء بدر يوم كذا و كذا كانا فرسا رهان فقال ص اجلس فجلس ثم قام عمر بن الخطاب فقال مثل ذلك فقال ص اجلس فجلس ثم قام المقداد فقال يا رسول الله إنها قريش و خيلاؤها و قد آمننا بك و صدقنا و شهدنا أن ما جئت به حق و الله لو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا و شوك الهراس لخضناه معك و الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى (عليه السلام) فَادْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقَاتِلْ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ و لكننا نقول امض لأمر ربك فأنا معك مقاتلون فجزاه رسول الله ص خيرا على قوله ذاك ثم قال أشيروا على أيها الناس و إنما يريد الأنصار لأن أكثر الناس منهم و لأنهم حين بايعوه بالعقبه قالوا إنا براء من ذمتك حتى تصل إلى دارنا ثم أنت فى ذمتنا نمنعك مما نمنع أبناءنا و نساءنا فكان ص يتخوف أن لا يكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا على من دهمه بالمدينه من عدو أن ليس عليهم أن ينصروه خارج المدينه فقام سعد بن معاذ فقال بأبى أنت و أمى يا رسول الله كأنك أردتنا فقال نعم قال بأبى أنت و أمى يا رسول الله إنا قد آمننا بك و صدقناك و شهدنا أن ما جئت به حق من عند الله فمرنا بما شئت و خذ من أموالنا ما شئت و اترك منها ما شئت و الله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك و لعل الله عز و جل أن يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح بذلك رسول الله ص و قال سيروا على بركة الله فإن الله عز و جل قد وعدنى إحدى الطائفتين و لن يخلف الله وعده و الله لكأنى أنظر إلى مصرع أبى جهل بن هشام و عتبه بن ربيعة و شيبه بن ربيعة و فلان

و فلان و أمر رسول الله ص بالرحيل و خرج إلى بدر و هو بئر و في حديث أبي حمزه الثمالي بدر رجل من جهينه و الماء مأؤه
فإنما سمى الماء باسمه و أقبلت قريش و بعثوا عبيدها ليستقوا من الماء فأخذهم أصحاب رسول الله ص و قالوا لهم من أنتم قالوا
نحن عبيد قريش قالوا فأين العير قالوا لا علم لنا بالعير فأقبلوا يضربونهم و كان رسول الله ص يصلى فانفتل من صلاته و قال إن
صدقكم ضربتموهم و إن كذبوكم تركتموهم فأتوه بهم فقال لهم من أنتم قالوا يا محمد نحن عبيد قريش قال كم القوم قالوا لا
علم لنا بعددهم قال كم ينحرون في كل يوم من جزور قالوا تسعه إلى عشرة فقال رسول الله ص القوم تسعمائه إلى ألف رجل و
أمر ص بهم فحبسوا و بلغ ذلك قريشا ففزعوا و ندموا على مسيرهم و لقي عتبه بن ربيعة أبا البختري بن هشام فقال أما ترى هذا
البغي و الله ما أبصر موضع قدمي خرجنا لنمنع عيرنا و قد أفلتت فجئنا بغيا و عدوانا و الله ما أفلح قوم بغوا قط و لوددت أن ما في
العير من أموال بنى عبد مناف ذهبت و لم نسر هذا المسير فقال له أبو البختري إنك سيد من سادات قريش فسر في الناس و
تحمل العير التي أصابها محمد ص و أصحابه بنخله و دم ابن الحضرمي فإنه حليفك فقال له على ذلك و ما على أحد منا
خلاف إلا- ابن الحنظليه يعني أبا جهل فصر إليه و أعلمه أني حملت العير و دم ابن الحضرمي و هو حليفى و على عقله قال
فقصدت خباءه و أبلغته ذلك فقال أن عتبه يتعصب لمحمد فإنه من بنى عبد مناف و ابنه معه يريد أن يخذل بين الناس لا و
اللات و العزى حتى نقحم عليهم يثرب أو نأخذهم أسارى فندخلهم مكة و تتسامع العرب بذلك و كان أبو حذيفه بن عتبه مع
رسول الله ص و كان أبو سفیان لما جاز بالعير بعث إلى قريش قد نجى الله عيركم فارجعوا و دعوا محمدا و العرب و ادفعوه
بالراح ما اندفع و إن لم ترجعوا فردوا القيان فلحقهم الرسول فى الجحفة فأراد عتبه أن يرجع فأبى أبو جهل و بنو مخزوم و ردوا
القيان من الجحفة قال و فزع أصحاب رسول الله ص لما بلغهم كثره قريش و استغاثوا و تضرعوا فأنزل الله سبحانه إذ تَسْتَعِيثُونَ
رَبَّكُمْ و ما بعده.

إشاره

إِذْ تَسْتَعْثِنُونَ رَبَّكُمْ فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ (٩) وَ مَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَ لِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَ مَا النَّصِيرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠) إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَ يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَ يُمْسِكَ بِهَ عَنكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَ لِيُزِيلَ بِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَ يُثَبِّتَ بِهَ الْأَقْدَامَ (١١) إِذْ يُوحى رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سِئَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَ اضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢) ذَلِكِ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ مَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٣)

ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَ أَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ (١٤)

القراءة

قرأ أهل المدينة و يعقوب مردفين بفتح الدال و الباقون «مُرَدِّينَ» بكسر الدال و قرأ أهل المدينة يغشيكم بضم الياء و سكون الغين «النُّعَاسَ» بالنصب و قرأ ابن كثير و أبو عمرو يغشاكم بالألف و فتح الياء النعاس بالرفع و الباقون «يُغَشِّيكُمْ» بضم الياء و فتح الغين و التشديد «النُّعَاسَ» بالنصب و فى الشواذ قراءه الشعبى ما ليظهركم به ما بمعنى الذى.

الحججه

قال أبو على مردفين يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون مردفين مثلهم كما قالوا أردفت زيدا خلفى فيكون فى الآيه المفعول الثانى محذوفا (و الآخر) أن يكونوا جاءوا خلفهم تقول العرب بنو فلان يردفوننا أى يجيئون بعدنا و قال أبو عبيده مردفين جاءوا بعد، و ردفتى و أردفتى واحد قال الشاعر:

إذا الجوزاء أردفت الثريا ظننت بآل فاطمه الظنونا

و هذا الوجه كأنه أبين لقوله «إِذْ تَسْتَعْثِنُونَ رَبَّكُمْ» إلى قوله «مُرَدِّينَ» أى جئنا بعد استغاثتكم ربكم و إمداده إياكم بهم فمردفين على هذا صفة لألف و قال الزجاج معناه يأتون فرقه بعد فرقه و مردفين على أردفوا الناس أى أنزلوا بعدهم فيجوز على هذا أن يكون حالا من الضمير المنصوب فى ممدكم مردفين بألف من الملائكة و قرأ فى الشواذ مردفين

و مردفين و الأصل فيهما مرتدفين فأدغم التاء في الدال فلما التقى ساكنان حرك الراء لالتقاء الساكنين فضمت تاره اتباعا لضمه الميم و كسرت تاره لأن الساكن يحرك بالكسر و من قرأ يغشيكم و «يُغَشِّكُم» فلائنه أشبه بما بعده من قوله «و يُنَزَّلُ عَلَيْكُمْ» فكما أنه مسند إلى اسم الله فكذلك يغشى و يغشى و من قرأ يغشاكم فإنه أسند الفعل إلى النعاس كما في قوله أَمَنَّهُ نِعَاساً يَغْشَى، و أغشى و غشى معناهما واحد و قد جاء بهما التنزيل قال سبحانه «فَأَغْشَيْنَاهُمْ» و قال فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى و من قرأ ما ليظهركم به فإن ما هاهنا موصول و وصلتها حرف الجر بما بعده فكأنه قال ما للظهور كقولك كسوت الثوب الذى لدفع البرد و هذه اللام فى قراءه الجماعه «ماءً لِيُطَهَّرَكُمْ بِهِ» هى لام المفعول له و هى كقوله «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ» و يتعلق بنفس الفعل و اللام التى فى قراءه من قرأ ما ليظهركم به أى الذى للطهاره به فمتعلقه بمحذوف و فيها ضمير لتعلقها بالمحذوف.

اللغه

الرعب الخوف يقال رعبته أرعبته رعبا و رعبا و الرعب انزعاج النفس بتوقع المكروه و أصله التقطيع من قولهم رعبت السنام ترعبيا إذا قطعتة مستطيلا فالرعب تقطع حال السرور بضده من انزعاج النفس بتوقع المكروه و رعب السيل فهو راعب إذا امتلأ منه الوادى لأنه انقطع إليه من كل جهه و البنان الأطراف من اليدين و الرجلين و الواحد بنانه و يقال للإصبع بنانه و أصله اللزوم و أصله من أبت السحابه إبنانا إذا لزمت قال الشاعر:

ألا ليتنى قطعت منه بنانه و لاقيته فى البيت يقظان خادرا

الشقاق العصيان و أصله الانفصال يقال شقه فانشق و شاقه شقاقا إذا صار فى شق عدوه عليه و منه اشتقاق الكلام لأنه انفصال الكلمه عما تحتمل فى الأصل.

الإعراب

العامل فى إذ من قوله «إِذْ تَسِيَّ تَغِيثُونَ» قوله وَ يُبْطِلَ الْبَاطِلَ و قيل محذوف و تقديره و اذكروا إذ فعلى الوجه الأول يكون متصلا بما قبله و على الوجه الثانى يكون مستأنفا و الهاء فى جعله عائده إلى الأمداد لأنه معتمد الكلام و قيل عائده إلى الخبر بالمدد لأن تقديم ذلك إليهم بشاره على الحقيقه و قيل عائده إلى الإرداف و «أَمَنَّهُ» انتصب بأنه مفعول له و العامل فيه يغشى «إِذْ يُوحى» فى موضع نصب على معنى و ما جعله الله إلا- بشرى فى ذلك الوقت و يجوز أن يكون ذلك على تقدير و اذكروا إذ يغشيكم النعاس و إذ يوحى، «ذَلِكَمُ فُذُوقُهُ» تقديره

لأمر ذلكم فيكون خبر مبتدأ محذوف فيكون كما قال الشاعر:

وقائله خولان فانكح فتاتهم و أكرومه الحيين خلو كما هيا

أى هذه خولان و يجوز أن يكون ذلكم منصوب الموضع فيكون مثل قولهم زيذا فاضربه منصوبا بفعل مضمر يفسره الظاهر و كم فى ذلكم لا- موضع له من الإعراب لأنه حرف الخطاب و «أَنَّ لِلْكَافِرِينَ» يحتمل أن يكون موضعه نصبا و جرا و رفعا فالرفع بالعطف على ذلكم فكأنه قال الأمر ذلكم و أن للكافرين عذاب النار مع ذا و النصب بالعطف على قوله أَنِّي مَعَكُمْ و معناه إذ يوحى ربكم أن للكافرين و الجر على أن يكون معطوفا على قوله بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ و الرفع أليق بالظاهر و يشاقق بإظهار التضعيف مع الجزم لغه أهل الحجاز و غيرهم يدغم.

النزول

قال ابن عباس لما كان يوم بدر و اصطف القوم للقتال قال أبو جهل اللهم أولانا بالنصر فانصره و استغاث المسلمون فنزلت الملائكة و نزل قوله «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ» إلى آخره و

قيل إن النبي ص لما نظر إلى كثرة عدد المشركين و قله عدد المسلمين استقبل القبلة و قال اللهم أنجز لى ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الأرض فما زال يهتف ربه مادا يديه حتى سقط رداؤه من منكبىه فأنزل الله تعالى «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ» الآية عن عمر بن الخطاب و السدى و أبى صالح و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام) قال و لما أمسى رسول الله ص و جنه الليل ألقى الله على أصحابه النعاس و كانوا قد نزلوا فى موضع كثير الرمل لا يثبت فيه قدم فأنزل الله عليهم المطر رذاذا حتى لبد الأرض و ثبت أقدامهم و كان المطر على قريش مثل العزالي و ألقى الله فى قلوبهم الرعب كما قال الله تعالى «سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ».

المعنى

ثم ذكر سبحانه ما أتى المسلمين من النصر فقال «إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ» أى تستجيرون بربكم يوم بدر من أعدائكم و تسألونه النصر عليهم لقتلكم و كثرتهم فلم يكن لكم مفرع إلا التضرع إليه و الدعاء له فى كشف الضر عنكم و الاستغاثة طلب المعونه و الغوث و قيل معناه تستنصرونه و الفرق بين المستنصر و المستجير أن المستنصر طالب الظفر

والمستجير طالب الخلاص «فَاسْتَجَابَ لَكُمْ» والاستجابة هي العطية على موافقه المسأله فمعناه فأغاثكم و أجاب دعاءكم «أَنْتِي مُمِدُّكُمْ» أى مرسل إليكم مددا لكم «بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ» أى متبعين ألفا آخر من الملائكه لأن مع كل واحد منهم ردفا له عن الجبائى وقيل معناه مترادفين متتابعين و كانوا ألفا بعضهم فى إثر بعض عن ابن عباس و قتاده و السدى وقيل معناه بألف من الملائكه جاءوا على إثر المسلمين عن أبى حاتم «إِلَّا بُشْرَى وَ لَتَطْمِئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ» معناه و ما جعله الله الأمداد بالملائكه إلا بشرى لكم بالنصر و لتسكن به قلوبكم و تزول الوسوسه عنها و إلا- فملكك واحد كاف للتدمير عليهم كما فعل جبريل (عليه السلام) بقوم لوط فأهلكهم بريشه واحده و اختلف فى أن الملائكه هل قاتلت يوم بدر أم لا فليل ما قاتلت و لكن شجعت و كثرت سواد المسلمين و بشرت بالنصر عن الجبائى و قيل إنها قاتلت قال مجاهد إنما أمدهم بألف مقاتل من الملائكه فأما ما قاله سبحانه فى آل عمران بثلاثه آلاف و بخمسه آلاف فإنه للبشاره و قد ذكرنا هناك ما قيل فيه و روى عن ابن مسعود أنه سأله أبو جهل من أين كان يأتينا الضرب و لا- نرى الشخص قال من قبل الملائكه فقال هم غلبونا لا أنتم و عن ابن عباس أن الملائكه قاتلت يوم بدر و قتلت «وَمَا النَّصِيرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» معناه أنه لم يكن النصر من قبل الملائكه و إنما كان من قبل الله لأنهم عباده ينصر بهم من يشاء كما ينصر بغيرهم و يحتمل أن يكون المعنى ما النصر بكثره العدد و لكن النصر من عند الله ينصر من يشاء قل العدد أم كثر «إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ» لا- يمنع عن مراده «حَكِيمٌ» فى أفعاله يجريها على ما تقتضيه الحكمة «إِذْ يُغَشِّكُمُ النُّعَاسَ» قد ذكرنا تفسيره عند قوله ثم أنزل عليكم من بعيد الغم أمنه نعاساً و النعاس أول النوم قبل أن يثقل «أَمَنَةً» أى أماناً «مِنَهُ» أى من العدو و قيل من الله فإن الإنسان لا- يأخذه النوم فى حال الخوف فآمنهم الله تعالى بزوال الرعب عن قلوبهم كما يقال الخوف مسهر و الأيمن منيم و الأمانة الدعه التى تنافى المخافه و أيضا فإنه قواهم بالاستراحه على القتال من العدو «وَيُنزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» أى مطرا «لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ» و ذلك لأن المسلمين قد سبقهم الكفار إلى الماء فنزلوا على كتيب رمل و أصبخوا محدثين و مجنبيين و أصابهم الظمأ و وسوس إليهم الشيطان فقال إن عدوكم قد سبقكم إلى الماء و أنتم تصلون مع الجنابه و الحدث و تسوخ أقدامكم فى الرمل فمطهرهم الله حتى اغتسلوا به من الجنابه و تطهروا به من الحدث و تلبدت به أرضهم و أوحلت أرض عدوهم «وَيُذْهِبْ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ» أى وسوسته بما مضى ذكره عن ابن عباس و قيل معناه و يذهب عنكم وسوسته بقوله ليس لكم بهؤلاء طاقه عن ابن زيد و قيل معناه و يذهب عنكم

الجنابه التي أصابتكم بالاحتلام «وَلِيُزِيحَ عَلَى قُلُوبِكُمْ» أى و ليشد على قلوبكم و معناه يشجع قلوبكم و يزيدكم قوه قلب و سكون نفس و ثقه بالنصر «وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ» أى أقدامكم فى الحرب بتلبد الرمل عن ابن عباس و مجاهد و جماعه و قيل بالصبر و قوه القلب عن أبى عبيده و الهاء فى به ترجع إلى الماء المنزل و قيل إلى ما تقدم من الربط على القلوب «إِذْ يُوحَى رُبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ» يعنى الملائكه الذين أمد بهم المسلمين أى أنى معكم بالمعونه و النصره كما يقال فلان مع فلان على فلان و الإيحاء إلقاء المعنى على النفس من وجه يخفى و قد يكون بنصب دليل يخفى إلا- على من ألقى إليه من الملائكه «فَبَشِّرُوا الَّذِينَ آمَنُوا» يعنى بشروهم بالنصر و كان الملك يسير أمام الصف فى صوره الرجل و يقول أبشروا فإن الله ناصركم عن مقاتل و قيل معناه قاتلوا معهم المشركين عن الحسن و قيل ثبوتهم بأشياء تلقونها فى قلوبهم يقولون بها عن الزجاج «سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ» أى الخوف من أوليائى «فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ» يعنى الرؤوس لأنها فوق الأعناق قال عطا يريد كل هامه و جمجمه و جائز أن يكون هذا أمرا للمؤمنين و جائز أن يكون أمرا للملائكه و هو الظاهر قال ابن الأنبارى إن الملائكه حين أمرت بالقتال لم تعلم أين تقصد بالضرب من الناس فعلمهم الله تعالى «وَ اضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ» يعنى الأطراف من اليدين و الرجلين عن ابن عباس و ابن جريج و السدى و قيل يعنى أطراف الأصابع اكتفى الله به عن جمله اليد و الرجل عن ابن الأنبارى «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» معناه ذلك العذاب لهم و الأمر بضرب الأعناق و الأطراف و تمكين المسلمين منهم بسبب أنهم خالفوا الله و رسوله قال ابن عباس معناه حاربوا الله و رسوله ثم أوعده المخالف فقال «وَ مَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» فى الدنيا بالإهلاك و فى الآخرة بالتخليد فى النار «ذَلِكَمْ فَذُوقُوهُ» أى هذا الذى أعددت لكم من الأمر و القتل فى الدنيا فذوقوه عاجلا- «وَ أَنَّ لِلْكَافِرِينَ» آجلا فى المعاد «عَذَابَ النَّارِ» قال الحسن ذلكم حكم الله فذوقوه فى الدنيا و أن لكم و لسائر الكافرين فى الآخرة عذاب النار و معناه كونوا للعذاب كالذائق للطعام و هو طالب إدراك الطعام بتناول السير بالفم لأن معظم العذاب بعده.

[تمام القصة]

و لما أصبح رسول الله ص يوم بدر عبا أصحابه فكان فى عسكره فرسان فرس للزبير بن

العوام و فرس للمقداد بن الأسود و كان فى عسكره سبعون جملا كانوا يتعاقبون عليها و كان رسول الله ص و على بن أبى طالب (عليه السلام) و مرثد بن أبى مرثد الغنوى يتعاقبون على جمل لمرثد بن أبى مرثد و كان فى عسكر قريش أربعمائه فرس و قيل مائتا فرس فلما نظرت قريش إلى قله أصحاب رسول الله ص قال أبو جهل ما هم إلا أكله رأس لو بعثنا إليهم عبيدنا لأخذوهم أخذًا باليد فقال عتبه بن ربيعه أ ترى لهم كمينًا أو مددا فبعثوا عمير بن وهب الجمحى و كان فارسا شجاعا فجال بفرسه حتى طاف على عسكر رسول الله ص ثم رجع فقال ليس لهم كمين و لا مدد و لكن نواضح يثرب قد حملت الموت الناقع أ ما ترونهم خرسا لا يتكلمون و يتلمظون تلمظ الأفاعى ما لهم ملجأ إلا سيوفهم و ما أراهم يولون حتى يقتلوا و لا يقتلون حتى يقتلوا بعددهم فارتثوا رأيكم فقال له أبو جهل كذبت و جنبت فأنزل الله تعالى «وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا» فبعث إليهم رسول الله ص فقال يا معشر قريش إنى أكره أن أبدأ بكم فخلونى و العرب و ارجعوا فقال عتبه ما رد هذا قوم قط فأفلحوا ثم ركب جملا له أحمر فنظر إليه رسول الله ص و هو يجول بين العسكرين و ينهى عن القتال فقال ص إن يك عند أحد خير فعند صاحب الجمل الأحمر و إن يطيعوه يرشدوا و خطب عتبه فقال فى خطبته يا معشر قريش أطيعونى اليوم و اعصونى الدهر إن محمدا له إل و ذمه و هو ابن عمكم فخلوه و العرب فإن يك صادقا فأنتم أعلى عينا به و إن يك كاذبا كفتكم ذؤبان العرب أمره فغاظ أبا جهل قوله و قال له جنب و انتفخ سحرك فقال يا مصفر استه مثلى يجبن و ستعلم قريش أين الأُم و أجبن و أين المفسد لقومه و لبس درعه و تقدم هو و أخوه شيبه و ابنه الوليد و قال يا محمد أخرج إلينا أكفءنا من قريش فبرز إليهم ثلاثة نفر من الأنصار و انتسبوا لهم فقالوا ارجعوا إنما نريد الأكفء من قريش فنظر رسول الله ص إلى عبيده بن الحرث بن عبد المطلب و كان له يومئذ سبعون سنة فقال قم يا عبيده و نظر إلى حمزه فقال قم يا عم ثم نظر إلى على بن أبى طالب (عليه السلام) فقال قم يا على و كان أصغر القوم فاطلبوا بحقكم الذى جعله الله لكم فقد جاءت قريش بخيلائها و فخرها تريد أن تطفئ نور الله و يأبى الله إلا أن يتم نوره ثم قال يا عبيده عليك بعتبه بن ربيعه و قال لحمزه عليك بشيبه و قال لعلى (عليه السلام) عليك بالوليد فمروا حتى انتهوا إلى القوم فقالوا أكفء كرام فحمل عبيده على عتبه فضربه على رأسه ضربه فلقت هامته و ضرب عتبه عبيده على ساقه فأطنها فسقطا جميعا و حمل شيبه على حمزه فتضاربا بالسيفين حتى انثلما

و حمل أمير المؤمنين علي (عليه السلام) علي الوليد فضربه علي جبل عاتقه فأخرج السيف من إبطه قال علي لقد أخذ الوليد يمينه بيساره فضرب بها هامتي فظننت أن السماء وقعت علي الأرض ثم اعتنق حمزه و شبيهه فقال المسلمون يا علي أما ترى أن الكلب قد نهز عمك فحمل عليه علي (عليه السلام) ثم قال يا عم طأطئ رأسك و كان حمزه أطول من شبيهه فأدخل حمزه رأسه في صدره فضربه علي فطرح نصفه ثم جاء إلى عتبه و به رمق فأجهز عليه و في روايه أخرى أنه برز حمزه لعتبه و برز عبيده لشبيهه و برز علي (عليه السلام) للوليد فقتل حمزه عتبه و قتل عبيده شبيهه و قتل علي (عليه السلام) الوليد فضرب شبيهه رجل عبيده فقطعها فاستنفذه حمزه و علي و حمل عبيده حمزه و علي حتى أتيا به رسول الله ص فاستعبر فقال يا رسول الله أ لست شهيدا قال بلى أنت أول شهيد من أهل بيتي و قال أبو جهل لقريش لا تعجلوا و لا تبطروا كما بطر أبناء ربيعه عليكم بأهل يثرب فاجزروهم جزرا و عليكم بقريش فخذوهم أخذنا حتى ندخلهم مكه فنعرفهم ضلالتهم التي هم عليها و جاء إبليس في صورة سراقه بن مالك بن جشعم فقال لهم أنا جار لكم ادفعوا إلي رايتكم فدفعوا إليه رايه الميسره و كانت الرايه مع بني عبد الدار فنظر إليه رسول الله ص فقال لأصحابه غضوا أبصاركم و عضوا علي النواجذ و رفع يده فقال يا رب إن تهلك هذه العصابه لا تعبد ثم أصابه الغشي فسرى عنه و هو يسلمت العرق عن وجهه فقال هذا جبرائيل قد أتاكم بألف من الملائكه مردفين و روى أبو أمامه بن سهل بن حنيف عن أبيه قال لقد رأينا يوم بدر أن أحدنا يشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه من جسده قبل أن يصل إليه السيف قال ابن عباس حدثني رجل من بني غفار قال أقبلت أنا و ابن عم لي حتى أصدنا في جبل يشرف بنا علي بدر و نحن مشركان ننتظر الوقعه علي من تكون الدبره فيينا نحن هناك إذ دنت منا سحابه فسمعنا فيها جمجه الخيل فسمعت قائلا يقول أقدم حيزوم ثم قال فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه و أما أنا فكادت أهلك ثم تماسكت و

روى عكرمه عن ابن عباس أن النبي ص قال يوم بدر هذا جبرائيل أخذ برأس فرسه عليه أداء الحرب أوردته البخاري في الصحيح

قال عكرمه قال أبو رافع مولى رسول الله ص كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب و كان الإسلام قد دخلنا أهل البيت و أسلمت أم الفضل و أسلمت و كان العباس يهاب قومه و يكره أن يخالفهم و كان يكتنم إسلامه و كان ذا مال كثير متفرق في قومه و كان أبو لهب عدو الله قد تخلف عن بدر و بعث مكانه العاص بن هشام بن المغيره و كذلك صنعوا لم

يتخلف رجل إلا بعث مكانه رجلا فلما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كتبه الله و أخزاه و وجدنا في أنفسنا قوه و عزأ قال و كنت رجلا- ضعيفا و كنت أعمل القداح أنحتها في حجره زمزم فو الله إني لجالس فيها أنحت القداح و عندى أم الفضل جالسه و قد سرنا ما جاءنا من الخبر إذا أقبل الفاسق أبو لهب يجر رجله حتى جلس على طناب الحجره فكان ظهره إلى ظهرى فبينما هو جالس إذ قال الناس هذا أبو سفیان بن حرث بن عبد المطلب و قد قدم فقال أبو لهب هلم إلى يا ابن أخي فعندك الخبر فجلس إليه و الناس قيام عليه فقال يا ابن أخي أخبرنى كيف كان أمر الناس قال لا شىء و لله إن كان إلا أن لقيناهم فممنحناهم أكتافنا يقتلوننا و يأسروننا كيف شاءوا و أيم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجلا بيضا على خيل بلق بين السماء و الأرض ما تليق شيئا و لا يقوم لها شىء قال أبو رافع فرفعت طرف الحجره بيدي ثم قلت تلك الملائكه قال فرفع أبو لهب يده و ضرب وجهى ضربه شديده فتاورته و احتملنى فضرب بى الأرض ثم برك على يضربنى و كنت رجلا ضعيفا فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجره فأخذته فضربته ضربه فلقت رأسه شجه منكره و قالت تستضعفه إن غاب عنه سيده فقام موليا ذليلا فو الله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسه فقتله و لقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثا ما يدفناه حتى أنتن فى بيته و كانت قريش تتقى العدسه كما يتقى الناس الطاعون حتى قال لهما رجل من قريش ويحكما أ لا تستحيان أن أباكما قد أنتن فى بيته لا- تغيبانه فقالا إنا نخشى هذه القرحة قال فانطلقا فإنا معكما فما غسلوه إلا قذفا بالماء عليه من بعيد ما يمسونه ثم احتملوه فدفنوه بأعلى مكة إلى جدار و قذفوا عليه بالحجاره حتى واروه و روى مقسم عن ابن عباس قال كان الذى أسر العباس أبا اليسر كعب بن عمرو أخا بنى سلمه و كان أبو اليسر رجلا مجموعا و كان العباس رجلا جسيما فقال رسول الله ص لأبى اليسر كيف أسرت العباس يا أبا اليسر فقال يا رسول الله لقد أعانى عليه رجل ما رأيته قبل ذلك و لا بعده هيأته كذا و كذا فقال ص لقد أعانك عليه ملك كريم.

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْأُدْبَارَ (١٥) وَ مَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَ مَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَ بُئْسَ الْمَصِيرُ (١٦) فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَ لَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَ مَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَ لِيُنَبِّئَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٧)

اللغة

اللقاء الاجتماع على وجه المقاربه لأن الاجتماع قد يكون على غير وجه المقاربه فلا يكون لقاء كاجتماع الأعراض فى المحل الواحد و الزحف الدنو قليلا قليلا و التراجع التواني يقال زحف يزحف زحفا و أزحفت للقوم إذا دنوت لقتالهم و ثبت لهم قال الليث الزحف جماعه يزحفون إلى عدو لهم بمره و جمعه زحوف و التولية جعل الشىء يلى غيره يقال ولاه دبره إذا جعله يليه فهو يتعدى إلى مفعولين و منه ولاه البلد من ولايه الإمارة و تولى هو إذا قبل الولايه و أولاه نعمه لأنه جعلها تليه و التحرف الزوال عن جهه الاستواء إلى جهه الحرف و منه الاحتراف و هو أن يقصد جهه الحرف لطلب الرزق و المحارف المحدود عن جهه الرزق إلى جهه الحرف و منه حروف الهجاء لأنها أطراف الكلمه كحرف الجبل و نحوه و التحيز طلب حيز يتمكن فيه و الحيز المكان الذى فيه الجوهر و الفئه القطعه من الناس و هى جماعه منقطعه عن غيرها و ذكر الفئه فى هذا الموضع حسن جدا و هو من فأوت رأسه بالسيف إذا قطعت.

الإعراب

زحفا نصب على المصدر و هو فى موضع الحال لأن معناه متراجعين مجتمعين و متحرفا متحيزا منصوبان على الحال أيضا و يجوز أن يكون النصب فيهما على الاستثناء أى إلا أن يكون رجلا متحيزا أو أن يكون منفردا فينحاز ليكون مع المقاتله و يومئذ يجوز إعرابه و بناؤه فالأعراب لأنه متمكن أضيف على تقدير الإضافه الحقيقيه كقولك هذا يوم ذاك و أما البناء فلأنه أضيف إلى مبنى إضافه غير حقيقيه فأشبهه الأسماء المركبه.

المعنى

لما أمد الله سبحانه المسلمين بالملائكه و وعدهم النصر و الظفر بالكفار نهاهم عقبيه عن الفرار فقال سبحانه «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» قيل أنه خطاب لأهل بدر و قيل هو عام «إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا» أى متدانيين لقتالكم قال الزجاج معناه إذا واقفتموهم للقتال «فَلَا تُولُوهُمُ الْأُدْبَارَ» يعنى فلا تجعلوا ظهوركم مما يليهم أى فلا تنهزموا «وَ مَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ» أى و من يجعل ظهره إليهم يوم القتال و وجهه إلى جهه الانهزام و أراد بقوله «يَوْمَئِذٍ» ذلك الوقت و لم يرد به بياض النهار خاصه دون الليل «إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ» أى إلا تاركا موقفا إلى موقف آخر أصلح للقتال من الأول عن الحسن و قيل معناه إلا منعظا مستطردا كأنه

يطلب عوره يمكنه أصابته فيتحرف عن وجهه و يرى أنه يفر ثم يكر و الحرب كر و فر المسلمون يريدون العود إلى القتال ليستعين بهم «فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ» أى احتمل غضب الله و استحقه و قيل رجح بغضب من الله «وَمَا أَوَاهُ جَهَنَّمَ» أى مرجعه إلى جهنم «وَبِئْسَ الْمَصِيرُ» و أكثر المفسرين على أن هذا الوعيد خاص بيوم بدر خاصة و لم يكن لهم يومئذ أن ينحازوا لأنه لم يكن يومئذ فى الأرض فئه للمسلمين فأما بعد ذلك فإن المسلمين بعضهم فئه لبعض و هو قول أبى سعيد الخدرى و ابن عباس فى روايه الكلبى و الحسن و قتاده و الضحاك و

وردت الروايه عن ابن عمر قال بعثنا رسول الله ص فى سريره فلقوا العدو فجاجض الناس جيضه و أتينا المدينه ففتحانا بها و قلنا يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل أنتم العكارون و أنا فنتكم

و قيل إنه عام فى جميع الأوقات و إن من فر من الزحف إذا لم يزيدوا على ضعفى المسلمين لحقه الوعيد عن ابن عباس فى روايه أخرى و هو قول الجبائى و أبى مسلم ثم نفى سبحانه أن يكون المسلمون قتلوا المشركين يوم بدر فقال «فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَ لَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ» و إنما نفى الفعل عمن هو فعله على الحقيقه و نسبه إلى نفسه و ليس بفعل له من حيث كانت أفعاله تعالى كالسبب لهذا الفعل و المؤدى إليه من إقداره إياهم و معونته لهم و تشجيع قلوبهم و إلقاء الرعب فى قلوب أعدائهم و المشركين حتى قتلوا «وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ رَمَى» خطاب للنبي ذكر جماعه من المفسرين كابن عباس و غيره أن جبرائيل (عليه السلام) قال للنبي ص يوم بدر خذ قبضه من تراب فارمهم بها فقال رسول الله ص لما التقى الجمعان لعلى أعطنى قبضه من حصا الوادى فناوله كفا من حصا عليه تراب فرمى به فى وجوه القوم و قال شامت الوجوه فلم يبق مشرك إلا دخل فى عينه و فمه و منخرية منها شىء ثم ردفهم المؤمنون يقتلونهم و يأسرونهم و كانت تلك الرميه سبب هزيمة القوم و قال قتاده و أنس ذكر لنا أن رسول الله ص أخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بحصاه فى يمينه القوم و حصاه فى يسره القوم و حصاه بين أظهرهم و قال شامت الوجوه فانهمزوا فعلى هذا إنما أضاف الرمي إلى نفسه لأنه لا يقدر أحد غيره على مثله فإنه من عجائب المعجزات «وَلِيُعَلِّمَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسِينًا» أى و لينعم عليهم به نعمه حسنه أى فعل ذلك إنعاما على المؤمنين و الضمير فى منه راجع إلى النصر أى من ذلك النصر و يجوز أن يكون راجعا إلى الله تعالى «إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ» لدعائكم «عَلِيمٌ» بأفعالكم و ضمائركم و إنما

يقال للنعمه بلاء كما يقال للمضره بلاء لأن أصل البلاء ما يظهر به الأمر من الشكر و الصبر فيبتلى سبحانه عباده أى يختبرهم بالنعم ليظهر شكرهم عليها و بالمحن و الشدائد ليظهر عندها الصبر الموجب للأجر و البلاء الحسن هاهنا هو النصر و الغنيمه و الأجر و المثوبه.

النظم

و قيل فى وجه اتصال هذه الآيه بما قبلها وجهان (أحدهما) أنه سبحانه لما أمرهم بالقتال فى الآيه المتقدمه ذكر عقبيها أن ما كان من الفتح يوم بدر و قهر المشركين إنما كان بنصرته و معونته تذكير للنعمه عن أبى مسلم (و الآخر) أنهم لما أمروا بالقتال ثم كان بعضهم يقول أنا قتلت فلانا و أنا فعلت كذا نزلت الآيه على وجه التنبيه لهم لئلا يعجبوا بأعمالهم.

[سوره الأنفال (٨): الآيات ١٨ الى ٢١]

إشاره

ذِكْرُكُمْ وَ أَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ (١٨) إِنَّ تَسِيءَ تَفْتَحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَ إِنَّ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ إِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَ لَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئاً وَ لَوْ كَثُرَتْ وَ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (١٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَ أَنْتُمْ تَسْمِعُونَ (٢٠) وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَ هُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٢١)

القراءه

قرأ أهل الحجاز و أبو عمرو و يعقوب بروايه روح موهن بالتشديد غير منون، «كَيْدٍ» بالجر على الإضافة و قرأ الباقون موهن بالتنوين و التخفيف، كيد بالنصب و قرأ حفص عن عاصم «مُوهِنٌ» بالتخفيف، كيد بالنصب و قرأ أهل المدينه و ابن عامر و حفص «وَ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ» بفتح الألف و الباقون بكسر الألف.

الحجه

من قرأ «مُوهِنٌ» فإنه من أوهنته أى جعلته واهنا و من شدد فإنه من وهنته كما يقال فرح و فرحته و كلاهما حسن و من قرأ و إن الله بكسر الهمزه فإنه قطعته مما قبله و يقويه

أنهم زعموا أن في حرف عبد الله و الله مع المؤمنين و من فتح الهمزه فوجهه أن يكون على تقدير و لأن الله مع المؤمنين أى لذلك لن تغنى عنكم فتتكم.

اللغة

الاستفتاح طلب الفتح و هو النصر الذى تفتح به بلاد العدو و الفتح أيضا الحكم و يقال للقاضى الفتح و أصل الباب من الفتح الذى هو ضد الأغلاق و الانتهاء ترك الفعل لأجل النهى عنه يقال نهيته فانتهى و أمرته فائتمر.

الإعراب

ذلكم موضعه رفع و كذلك أن الله فى موضع رفع و التقدير الأمر ذلكم و الأمر أن الله موهن و كذلك الوجه فيما تقدم من قوله «ذَلِكُمْ فَذَوْقُوهُ وَ أَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ» و من قال أن ذلكم مبتدأ و فذوقوه خبره فقد أخطأ لأن ما بعد الفاء لا يكون خبر المبتدأ و لا يجوز زيد فمنطلق و لا زيد فاضربه إلا أن تضره هذا، تريد هذا زيد فاضربه.

المعنى

«ذَلِكُمْ» إشاره إلى بلاء المؤمنين خاطبهم سبحانه بعد أن أخبر عنهم و معناه الأمر ذلكم الإنعام أو ذلكم الذى ذكرت «وَ أَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ» بإلقاء الرعب فى قلوبهم و تفريق كلمتهم قال ابن عباس يقول إني قد أوهنت كيد عدوكم حتى قتلت جبارتهم و أسرت أشرفهم «إِنْ تَشَاءُ تَفْتَحُوا فَتَّحُوا فَجَاءَكُمْ الْفَتْحُ» قيل أنه خطاب للمشركين فإن أبا جهل قال يوم بدر حين التقى الفئتان اللهم أقطعنا للرحم و أتانا بما لا نعرف فانصر عليه عن الحسن و مجاهد و الزهري و الضحاك و السدى و فى حديث أبى حمزه قال أبو جهل اللهم ربنا ديننا القديم و دين محمد الحديث فأى الدينين كان أحب إليك و أرضى عندك فانصر أهله اليوم و على هذا فيكون معناه إن تستنصروا لأهدى الفئتين فقد جاءكم النصر أى نصر محمد و أصحابه و قيل أنه خطاب للمؤمنين عن عطا و أبى على الجبائى و معناه أن تستنصروا على أعدائكم فقد جاءكم النصر بالنبي ص قال الزجاج و يجوز أن يكون معناه أن تستحكموا و تستقضوا فقد جاءكم القضاء و الحكم من الله «وَ إِنْ تَنْتَهُوا» أى تمتنعوا من الكفر و قتال الرسول و المؤمنين «فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ إِنْ تَعُودُوا نَعُدْ» معناه و أن تعودوا أيها المشركون إلى قتال المسلمين نعد بأن ننصرهم عليكم و نأمرهم بقتالكم «وَ لَنْ تُغْنِي عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئاً» أى و لن تدفع عنكم جماعتكم شيئا «وَ لَوْ كَثُرَتْ وَ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ» بالنصر و الحفظ يمكنهم منكم و ينصرهم عليكم عن جماعه من المفسرين

وقيل معناه وإن تنتهوا أيها المسلمون عما كان منكم في الغنائم وفي الأسارى من مخالفه الرسول فهو خير لكم وإن تعودوا إلى ذلك الصنيع نعد إلى الإنكار عليكم و ترك نصرتكم و لن يغنى عنكم حينئذ جمعكم شيئا إذ منعناكم النصر عن عطا و الجبائي ثم أمر سبحانه بالطاعة التي هي سبب النصره فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» خص المؤمنين بطاعه الله و رسوله و إن كانت واجبه على غيرهم أيضا لأنه لم يعتد بغيرهم لإعراضهم عما وجب عليهم و يجوز أن يكون إنما خصهم إجلالا لقدرهم و يدخل غيرهم فيه على طريق التبع «وَ لَا تَوَلَّوْا عَنْهُ» أى و لا تعرضوا عن رسول الله ص «وَ أَنْتُمْ تَسْمِعُونَ» دعاءه لكم و أمره و نهيه إياكم عن ابن عباس و قيل معناه و أنتم تسمعون الحجة الموجهه لطاعه الله و طاعه الرسول عن الحسن «وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَ هُمْ لَا يَسْمِعُونَ» فى الكلام حذف و معناه و لا تكونوا كههم فى قولهم هذا المنكر فحذف المنهى عنه لدلاله الحال عليه و فى ذلك غايه البلاغه و معنى قولهم سمعنا و هم لا يسمعون أنهم سمعوه سماع عالم قابل له و ليسوا كذلك و السماع بمعنى القبول كما فى قوله سمع الله لمن حمده و هؤلاء الكفار هم المنافقون عن ابن إسحاق و مقاتل و ابن جريج و الجبائي و قيل هم أهل الكتاب من اليهود و قريظه و النظير عن ابن عباس و الحسن و قيل أنهم مشركو العرب لأنهم قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا عن ابن زيد.

[سوره الأنفال (٨): الآيات ٢٢ الى ٢٣]

إشارة

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (٢٢) وَ لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَ لَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ (٢٣)

اللغة

الشر إظهار السوء الذى يبلغ من صاحبه و هو نقيض الخير و قيل الشر الضرر القبيح و الخير النفع الحسن و قيل الشر الضرر الشديد و الخير النفع الكثير و هذا ليس بالوجه لأنه قد يكون ضررا ما لا يكون شرا بأن يعقب خيرا و أصل الشر الإظهار من قوله:

إذا قيل أى الناس شر قبيله أشارت كليب بالأكف الأصابع

و الدواب جمع دابه و هي ما دب على وجه الأرض إلا أنه تختص في العرف بالخيال.

المعنى

ثم ذم سبحانه الكفار فقال «إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ» أى شر من دب على وجه الأرض من الحيوان «عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ»
يعنى هؤلاء المشركين الذين لم ينتفعوا بما يسمعون من الحق و لا يتكلمون به و لا يعتقدونه و لا يقرون به فكأنهم صم بكم لا
يتفكرون أيضا فيما يسمعون فكأنهم لم ينتفعوا بعقولهم أيضا و صاروا كالدواب و

قال الباقر (عليه السلام) نزلت الآيه فى بنى عبد الدار لم يكن أسلم منهم غير مصعب بن عمير و حليف لهم يقال له سويبط

و قيل نزلت الآيه فى النضر بن الحارث بن كلده من بنى عبد الدار بن قصى «وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ» معناه و لو علم الله
فيهم قبولا للهدى و إقبالا على طلب الحق لأسمعهم ما يذهبون عن استماعه عن الحسن و قيل معناه لأسمعهم الجواب عن كل ما
سألوا عنه عن الزجاج و قيل معناه لأسمعهم قول قصى بن كلاب فإنهم قالوا أحى لنا قصى إن كلاب ليشهد بنبو تك عن الجبائى
«وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ» أى لأعرضوا و فى هذا دلالة على أن الله تعالى لا يمنع أحدا من المكلفين اللطف و إنما لا
يلطف لمن يعلم أنه لا ينتفع به.

[سوره الأنفال (٨): الآيات ٢٤ الى ٢٥]

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ وَ أَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤)
وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥)

القراء

قرأ أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) و زيد بن ثابت و أبو جعفر الباقر (عليه السلام) و الربيع بن أنس و أبو العالیه
لتصبن

و القراءه المشهوره «لَا تُصِيبَنَّ».

الحجه

قال ابن جنى معنى هاتين القراءتين ضدان كما ترى لأن إحداهما لتصيين الذين ظلموا خاصه و الأخرى لا تصيينهم و يمكن أن
يكون حذف الألف من لا- تصيين تخفيفا و اكتفى بالفتحه منها كما قالوا أم و الله ليكونن كذا فحذفوا ألف أما و ذهب أبو
عثمان فى قوله

يا أبت بفتح التاء أنه أراد يا أبتا فحذف الألف تخفيفا فإن قلت فهل يجوز أن نحمله على أنه أراد لتصيين ثم أشبع الفتحة فأنشأ عنها ألفا كقول عنتره:

" ينباع من ذفرى غضوب جسره "

أراد ينبع و مثله قول ابن هرمة:

فأنت من الغوائل حين ترمى و من ذم الرجال بمنتراح

أى بمنتراح قيل قوله تعالى فيما يليه «وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» أشبه بما ذكرناه و أما الوجه فى قوله «لَا تُصِيبَنَّ» فقد قال الزجاج زعم بعض النحويين إن هذا الكلام جزاء خبر و فيه طرف من النهى فإذا قلت أنزل عن الدابة لا تطرحك أو لا تطرحنك فهذا جواب الأمر بلفظ النهى و المعنى أنزل عنه لا تطرحك فإذا أتيت بالنون الخفيفة أو الثقيلة كان أوكد للكلام و مثله قوله تعالى «يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ» و المعنى إن تدخلوا لا يحطمنكم و يجوز أن يكون نهيا بعد أمر فيكون المعنى اتقوا فتنه ثم نهى بعده فقال «لَا تُصِيبَنَّ» الفتنه «الَّذِينَ ظَلَمُوا» أى لا تتعرضن الذين ظلموا لما ينزل بهم معه العذاب و يكون بمعنى يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم أنها أمرت بالدخول ثم نهتهم أن يحطمنهم سليمان فقالت لا يحطمنكم سليمان و جنوده فلفظ النهى لسليمان و معناه للنمل كما تقول لا أرينك هاهنا قال أبو على أنه حكى القول الأول على وجه احتمال الآيه كاحتمالها للقول الثانى فأما القول الثانى فقول أبى الحسن و لا يصح عندنا إلا قول أبى الحسن لأن قوله «لَا تُصِيبَنَّ» لا يخلو إما أن يكون جواب شرط و لا يجوز ذلك لأن دخول النون فيه يكون لضروره الشعر كما أنشده سيبويه:

" و مهما تشأ منه فزاره تمنعن "

و أما أن يكون نهيا بعد أمر فاستغنى عن استعمال حرف العطف معه لاتصال الجملة الثانیه بالأولى كما مضى ذكر أمثاله من قوله «ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَ أَوْلِيَّتِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»* و هذا هو الصحيح دون الأول قال و محال أن يكون جواب الأمر بلفظ النهى كما يستحيل أن يكون جواب الشرط بلفظ النهى لأن جواب الأمر فى الحقيقه جواب الشرط و لا يجوز أيضا أن يكون اللفظ لفظ النهى و المعنى معنى الجزاء لأذن الجزاء خبر فحكمه أن يكون على ألفاظ الأخبار و ألفاظ الأخبار لا تجىء على لفظ الأمر إلا فيما علمته من قولهم أكرم به و مما يدل على أنه ليس

بجزاء دخول النون فيه و النون لا تدخل فى الجزاء لما ذكرنا أنه خبر و لا يجوز دخول النون فى الخبر إلا فى ضروره الشعر نحو:

ربما أوفيت فى علم ترفعن ثوبى شمالات.

المعنى

ثم أمر سبحانه بطاعه الرسول ص فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ» أى أجبوا الله و الرسول فيما يأمرانكم به فأجابه الله و الرسول طاعتهما فيما يدعوان إليه «إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ» قيل فيه أقوال (أحدها) إن معناه إذا دعاكم إلى الجهاد و اللام فى معنى إلى قال القتيبى هو الشهاده فإن الشهداء أحياء عند الله تعالى و قال الجبائى أى دعاكم إلى إحياء أمركم و إعزاز دينكم بجهاد عدوكم مع نصر الله إياكم و هو معنى قول الفراء (و ثانيها) إن معناه إذا دعاكم إلى الإيمان فإنه حياه القلب و الكفر موته عن السدى و قيل إلى الحق عن مجاهد (و ثالثها) إن معناه إذا دعاكم إلى القرآن و العلم فى الدين لأن الجهل موت و العلم حياه و القرآن سبب الحياه بالعلم و فيه النجاه و العصمه عن قتاده (و رابعها) إن معناه إذا دعاكم إلى الجنه لما فيها من الحياه الدائمه و نعيم الأبد عن أبى مسلم «وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ» أى يحول بين المرء و بين الانتفاع بقلبه بالموت فلا يمكنه استدراك ما فأت فبادروا إلى الطاعات قبل الحيلولة و دعوا التسوييف عن الجبائى قال و فيه حث على الطاعه قبل حلول المانع و قيل معناه أنه سبحانه أقرب إليه من قلبه و هو نظير قوله وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ فَإِنِ الْحَائِلُ بَيْنَ الشَّيْءِ وَ غَيْرِهِ أَقْرَبُ إِلَى ذَلِكَ الشَّيْءِ مِنْ ذَلِكَ الْغَيْرِ عَنِ الْحَسَنِ وَ قَتَادَةَ قَالَا وَ فِيهِ تَحْذِيرٌ شَدِيدٌ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ يَمْلِكُ تَقْلِيلَ الْقُلُوبِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ كَمَا

جاء فى الدعاء يا مقلب القلوب و الأبصار

فكانهم خافوا من القتال فأعلمهم سبحانه أنه يبدل خوفهم أمنا بأن يحول بينهم و بين ما يتفكرون فيه من أسباب الخوف و

روى يونس بن عمار عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال أنه يحول بين المرء و قلبه معناه لا يستيقن القلب أن الحق باطل أبدا و لا يستيقن القلب أن الباطل حق أبدا و روى هشام بن سالم عنه ص قال معناه يحول بينه و بين أن يعلم أن الباطل حق أو ردهما العياشى فى تفسيره

و قال محمد بن إسحاق معناه لا يستطيع القلب أن يكتم الله شيئا و هذا فى معنى قول الحسن «وَ أَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» معناه و اعلموا

أنكم تحشرون أى تجمعون للجزاء على أعمالكم يوم القيامة إن خيرا فخير و إن شرا فشر «و اتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً» حذرهم الله تعالى من هذه الفتنة و أمرهم أن يتقوها فكأنه قال اتقوا فتنة لا تقربوها فتصيبنكم لأن قوله «لَا تُصِيبَنَّ» نهى مسوق على الأمر و لفظ النهى واقع على الفتنة و هو فى المعنى للمأمورين بالالتقاء كقوله «و لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» أى احذروا أن يدرككم الموت قبل أن تسلموا و اختلف فى معنى الفتنة هاهنا ف قيل هى العذاب أمر الله المؤمنين أن لا يقربوا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب و الخطاب لأصحاب النبى ص خاصة عن ابن عباس و الجبائى و قيل هى البلية التى يظهر باطن أمر الإنسان فيها عن الحسن قال و نزلت فى على و عمار و طلحة و الزبير و قد قال الزبير لقد قرأنا هذه الآية زمانا و ما أرانا من أهلها فإذا نحن المعنيون بها فخالفنا حتى أصابتنا خاصة و قيل نزلت فى أهل بدر خاصة فأصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا عن السدى و قيل هى الضلالة و افتراق الكلمه و مخالفه بعضهم بعضا عن ابن زيد و قيل هى الهرج الذى يركب الناس فيه بالظلم و يدخل ضرره على كل أحد ثم اختلف فى إصابه هذه الفتنة على قولين (أحدهما) أنها جاريه على العموم فتصيب الظالم و غير الظالم أما الظالمون فمعدبون و أما المؤمنون فممتحنون ممحصون عن ابن عباس و روى أنه سئل عنها فقال أبهموا ما أبهم الله (و الثانى) أنها تخص الظالم لأن الغرض منع الناس عن الظلم و تقديره و اتقوا عذابا يصيب الظلمه خاصه. و يقويه قراءه من قرأ لتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة باللام فإنه تفسيره على هذا المعنى و قيل إن لا فى قوله «لَا تُصِيبَنَّ» زائده و يجوز أن يقال إن الألف فى لا لإشباع الفتحة على ما تقدم ذكره قال أبو مسلم تقديره احذروا أن يخص الظالم منكم بعذاب أى لا تظلموا فإيتيكم عذاب لا ينجو منه إلا من زال عنه اسم الظلم «و اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» لمن لم يتق المعاصى و روى الثعلبى بإسناده عن حذيفه أنه قال أتتكم فتن كقطع الليل المظلم يهلك فيها كل شجاع بطل و كل راكب موضع و كل خطيب مصقع و فى

حديث أبى أيوب الأنصارى أن النبى ص قال لعمار يا عمار أنه سيكون بعدى هنأت حتى يختلف السيف فيما بينهم و حتى يقتل بعضهم بعضا و حتى يبرأ بعضهم من بعض فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا الأصلع عن يمينى على بن أبى طالب (عليه السلام) فإن سلك

الناس كلهم واديا و سلك على واديا فاسلك وادى على و خل عن الناس يا عمار أن عليا لا يردك عن هدى و لا يدلك على ردى يا عمار طاعه على طاعتي و طاعتي طاعه الله رواه السيد أبو طالب الهروى بإسناده عن علقمه و الأسود قالأ أتينا أبا أيوب الأنصارى الخبر بطوله

و

فى كتاب شواهد التنزيل للحاكم أبى القاسم الحسكانى و حدثنا عنه أبو الحمد مهدي بن نزار الحسنى حدثنى محمد بن القاسم بن أحمد قال حدثنا أبو سعيد محمد بن الفضيل بن محمد قال حدثنا محمد بن صالح العزمى قال حدثنا عبد الرحمن بن أبى حاتم قال حدثنا أبو سعيد الأشج عن أبى خلف الأحمر عن إبراهيم بن طهمان عن سعيد بن أبى عروبه عن قتاده عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية «وَ اتَّقُوا فِتْنَةً» قال قال النبى ص من ظلم عليا مقعدى هذا بعد وفاتى فكأنما جحد نبوتى و نبوه الأنبياء قبلى.

[سوره الأنفال (٨): آيه ٢٦]

اشاره

وَ اذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَضِيرِهِ وَ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٢٦)

اللغه

الذكر ضد السهو و هو إحضار المعنى للنفس و الاستضعاف طلب ضعف الشىء بتهوين حاله و التخطف الأخذ بسرعه انتزاع يقال تخطف و خطف و اختطف.

المعنى

ثم ذكر سبحانه حالهم السالفه فى القله و الضعف و إنعامه عليهم بالنصر و التأييد و التكثير فقال «وَ اذْكُرُوا» معشر المهاجرين «إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ» فى العدد و كانوا كذلك قبل الهجره فى ابتداء الإسلام «مُّسْتَضْعَفُونَ» يطلب ضعفكم بتوهين أمركم «فِي الْأَرْضِ» أى فى مكه عن ابن عباس و الحسن «تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ» أى يستلبكم المشركون من العرب إن خرجتم منها و قيل أنه يعنى بالناس كفار قريش عن قتاده و عكرمه و قيل فارس و الروم عن وهب «فَآوَاكُمْ» أى جعل لكم مأوى ترجعون إليه يعنى المدينه دار الهجره «وَ أَيَّدَكُمْ بِنَضِيرِهِ» أى قواكم «وَ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ» يعنى الغنائم أحلها لكم و لم يحلها لأحد قبلكم و قيل هى عامه فى جميع ما أعطاهم من الأطعمه اللذيذه «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» أى لكى تشكروا و المعنى قابلوا حالكم التى أنتم عليها الآن بتلك الحال المتقدمه ليتبين لكم موضع النعمه فتشكروا عليها.

ص: ٤٠٥

إشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧) وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٨)

اللغه

الخيانه منع الحق الذى قد ضمن التأديبه فيه و هى ضد الأمانه و أصلها أن تنقص من ائتمنك أمانته قال زهير:

بارزه الفقاره لم يخنها قطاف فى الركاب و لا خلاء

أى لم ينقص من فراحتها.

الإعراب

و تخونوا مجزوم على النهى و تقديره و لا- تخونوا عن الأ-خفش و هو فى معنى قول ابن عباس و قيل أنه نصب على الظرف مثل قول الشاعر:

لا تنه عن خلق و تأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

و هو فى معنى قول السدى.

النزول

قال عطا سمعت جابر بن عبد الله يقول أن أبا سفيان خرج من مكه فأتى جبرائيل (عليه السلام) النبى ص فقال أن أبا سفيان فى مكان كذا و كذا فاخرجوا إليه و اكنموا قال فكتب إليه رجل من المنافقين أن محمدا يريدكم فخذوا حذرکم فأنزل الله هذه الآيه و قال السدى كانوا يسمعون الشىء من النبى ص فيفشونه حتى يبلغ المشركين و

قال الكلبي و الزهرى نزلت فى أبى لبابه بن عبد المنذر الأنصارى و ذلك أن رسول الله ص حاصر يهود قريظه إحدى و عشرين ليله فسألوا رسول الله ص الصلح على ما صالح عليه إخوانهم من بنى النضير على أن يسيروا إلى إخوانهم إلى أذرعات و أريحا من أرض الشام فأبى أن يعطيهم ذلك رسول الله ص إلا- أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فقالوا أرسل إلينا أبا لبابه و كان مناصحا لهم لأن عياله و ماله و ولده كانت عندهم فبعثه رسول الله ص

فأتاهم فقالوا ما ترى يا أبا لبابه أ تنزل على حكم سعد بن معاذ فأشار أبو لبابه بيده إلى حلقه أنه الذبح فلا تفعلوا فأتاه جبرائيل (عليه السلام) فأخبره بذلك قال أبو لبابه فو الله ما زالت قدماى من مكانهما حتى عرفت أنى قد خنت الله و رسوله فنزلت الآية فيه فلما نزلت شد نفسه على ساريه من سواري المسجد و قال و الله لا- أذوق طعاما و لا- شرابا حتى أموت أو يتوب الله على فمكث سبعة أيام لا يذوق فيها طعاما و لا شرابا حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقبل له يا أبا لبابه قد تيب عليك فقال لا و الله لا- أحل نفسى حتى يكون رسول الله ص هو الذى يحلنى فجاءه فحله بيده ثم قال أبو لبابه أن من تمام توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب و إن انخلع من مالى فقال النبى ص يجزئك الثلث أن تصدق به و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله ع.

المعنى

ثم أمرهم الله سبحانه بترك الخيانة فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ» أى لا تخونوا الله بترك فرائضه و الرسول بترك سننه و شرائعه عن ابن عباس و قيل إن من ترك شيئا من الدين و ضيعه فقد خان الله و رسوله عن الحسن «وَ تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ» يعنى الأعمال التى ائتمن الله عليها العباد يعنى الفرائض التى يقول لا تنقصوها عن ابن عباس و قيل أنهم إذا خانوا الله و الرسول فقد خانوا أماناتهم عن السدى «وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» ما فى الخيانة من الذم و العقاب و قيل و أنتم تعلمون أنها أمانه من غير شبهه «وَ اعْلَمُوا» أى و تحققوا و أيقنوا «أَنْمَا أَمْوَالُكُمْ وَ أَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ» أى بليه عليكم ابتلاكم الله تعالى بها فإن أبا لبابه حمله على ما فعله ماله الذى كان فى أيديهم و أولاده الذين كانوا بين ظهرانيهم «وَ أَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ» لمن أطاعه و خرج إلى الجهاد و لم يخن الله و رسوله و ذلك خير من الأموال و الأولاد بين سبحانه بهذه الآية أنه يختبر خلقه بالأموال و الأولاد ليتبين الراضى بقسمه ممن لا يرضى به و إن كان سبحانه أعلم بهم من أنفسهم و لكن ليظهر الأفعال التى بها يستحق الثواب و العقاب و إلى هذا

أشار أمير المؤمنين على (عليه السلام) فى قوله لا يقولن أحدكم اللهم إنى أعوذ بك من الفتنة لأنه ليس أحد إلا و هو مشتمل على فتنة و لكن من استعاذ فليستعد من مضلات الفتن فإن الله تعالى يقول «وَ اعْلَمُوا أَنْمَا أَمْوَالُكُمْ وَ أَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ»

و قد روى هذا المعنى عن ابن مسعود أيضا.

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩)

المعنى

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» أى يا أيها المؤمنون «إِن تَتَّقُوا اللَّهَ» أى إن تتقوا عقاب الله باتقاء معاصيه و أداء فرائضه «يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا» أى هدايه و نورا فى قلوبكم تفرقون بها بين الحق و الباطل عن ابن جريج و ابن زيد و قيل معناه يجعل لكم مخرجا فى الدنيا و الآخرة عن مجاهد و قيل يجعل لكم نجاه عن السدى و قيل يجعل لكم فتحا و نصرا كما قال يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ عن الفراء و قيل يجعل لكم عزا فى الدنيا و ثوبا فى الآخرة و عقوبه و خذلانا لأعدائكم و ذلا و عقابا كل ذلك يفرق بينكم و بينهم فى الدنيا و الآخرة عن الجبائى «وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ» التى عملتموها «وَيَغْفِرْ لَكُمْ» ذنوبكم «وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» على خلقه بما أنعم عليهم من أنواع النعم فإذا ابتدأهم بالفضل العظيم من غير استحقاق كرما منه و جودا فإنه لا يمنعهم ما استحقوه بطاعتهم له و قيل معناه إذا ابتدأ بنعيم الدنيا من غير استحقاق فعليه إتمام ذلك بنعيم الآخرة باستحقاق و غير استحقاق.

النظم

قيل اتصلت الآية بأول السورة من الأمر بالجهاد و تقديره أن تتقوا الله و لم تخالفوه فيما أمركم به من الجهاد يجعل لكم فرقانا و قيل أنه لم أمر بالطاعة و ترك الخيانة بين بعده ما أعده لمن امتثل أمره فى الدنيا و الآخرة.

إشارة

وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْنِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠)

اللغة

المكر الميل إلى جهة الشر فى خفيه قال الأزهري المكر من الناس خب و خداع و من الله جزاء و أصل المكر الالتفاف من قولهم جاريه ممكوره قال ذو الرمة:

عجزاء ممكوره خمصانه قلق عنها الوشاح و تم الجسم و القصب

أى ملتفه و الفرق بين المكر و الغدر أن الغدر نقض العهد الذى يجب الوفاء به و المكر قد يكون ابتداء من غير عقد و الإثبات الحبس يقال رماه فأثبته أى حبسه مكانه و أثبته فى

الحرب إذا جرحه جراحه مثقله.

النزول

قال المفسرون أنها نزلت في قصه دار الندوه و ذلك أن نفرا من قريش اجتمعوا فيها و هى دار قصى بن كلاب و تأمروا فى أمر النبى ص فقال عروه بن هشام نتربص به ريب المنون و قال أبو البخترى أخرجوه عنكم تستريحوا من أذاه و قال أبو جهل ما هذا برأى و لكن اقتلوه بأن يجتمع عليه من كل بطن رجل فيضربوه بأسيا فهم ضربه رجل واحد فيرضى حينئذ بنو هاشم بالديه فصوب إبليس هذا الرأى و كان قد جاءهم فى صورته شيخ كبير من أهل نجد و خطأ الأولين فاتفقوا على هذا الرأى و أعدوا الرجال و السلاح و جاء جبرائيل (عليه السلام) فأخبر رسول الله ص فخرج إلى الغار و أمر عليا (عليه السلام) فبات على فراشه فلما أصبحوا و فتشوا عن الفراش وجدوا عليا و قد رد الله مكرهم فقالوا أين محمد فقال لا أدري فاقتصوا أثره و أرسلوا فى طلبه فلما بلغوا الجبل و مروا بالغار رأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو كان هاهنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاثا ثم قدم المدينة.

المعنى

«وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا» أى و أذكره إذ يحتال الكفار فى إبطال أمرك و يدبرون فى هلاكك و هم مشركو العرب منهم عتبه و شيبه ابنا ربيعه و النضر بن الحارث و أبو جهل بن هشام و أبو البخترى بن هشام و زمعه بن الأسود و حكيم بن حزام و أميه بن خلف و غيره «لِيُثْبِتُوكَ» أى ليقيدوك و يثبتوك فى الوثاق عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتاده و قيل ليثبتوك فى الحبس و يسجنوك فى بيت عن عطا و السدى و قيل معناه ليثخنوك بالجراحه و الضرب عن أبان بن تغلب و الجبائى و أبو حاتم و أنشد:

فقلت ويحك ما ذا فى صحيفتكم قالوا الخليفة أمسى مثبتا وجعا

«أَوْ يَفْتَأُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ» من مكة إلى طرف من أطراف الأرض و قيل أو يخرجوك على بعير و يطردونه حتى يذهب فى وجهه «وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللَّهُ» أى و يدبرون فى أمرك و يدبر الله فى أمرهم عن أبى مسلم و قيل و يحتالون فى أمرك من حيث لا تشعر فأحل الله بهم ما أراد من عذابه من حيث لا يشعرون عن الجبائى و قيل يمكرون و الله تعالى يجازيهم على مكرهم كما قال سبحانه وَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا «وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ» لأنه لا يمكر إلا ما هو حق و صواب و هو إنزال المكروه بمن يستحقه و العباد قد يمكرون مكرًا هو ظلم و باطل

و مكرهم الذى هو عدل لا- يبلغ فى المنفعه للمؤمنين مبلغ مكر الله فلذلك قال خير الماكرين و قيل معناه خير المجازين على المكر.

النظم

الآيه اتصلت بقوله «وَ اذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ» فتقديره و اذكروا تلك الحال و اذكروا ما مكر الكفار بمكه عن أبى مسلم و غيره و قيل إنها يتصل بما قبلها من قوله «إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا» يعنى يجعل لكم نجاه كما جعل للنبي ص و أصحابه النجاه من مكر مشركى قريش فاذكروا ذلك.

[سوره الأنفال (٨): الآيات ٣١ الى ٣٤]

اشاره

وَ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٣١) وَ إِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٢) وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ وَ مَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَعْفِفُونَ (٣٣) وَ مَا لَهُمْ إِلَّا- يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَ هُمْ يَصِيدُونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ مَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٤)

الإعراب

«هُوَ الْحَقُّ» هو فصل لا- محل له من الإعراب و يسميه الكوفيون عمادا و الحق منصوب بأنه خبر كان و يجوز فيه الرفع و لكن لم يقرأ به و اللام فى قوله «لِيُعَذِّبَهُمْ» لام الجحد و أصلها لام الإضافة و إنما دخلت فى النفى و لم تدخل فى الإيجاب لتعلق الخبر بحرف النفى كما دخلت الباء فى خبر ما و لم تدخل فى الإيجاب و موضع أن من قوله «أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ» نصب لأن تقديره و ما لهم فى أن لا يعذبهم الله أى شىء لهم فى ذلك لكن لما حذف الجار عمل معنى الفعل الذى هو الاستقرار و نحوه و إنما جاز الحذف مع إن و لم يجز

ص: ٤١٠

مع المصدر لطول الكلام بالصله اللازمه من الفعل و الفاعل و ليس كذلك المصدر.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن عناد هؤلاء الكفار و مباهتهم للحق فقال «وَ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا» من القرآن «قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا» أى أدركنا بآذاننا فإن السماع إدراك الصوت بحاسه الأذن «لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا» إنما قالوا ذلك مع ظهور عجزهم عن الإتيان بسوره مثله بعد التحدى عداوه و عنادا و قد تحمل الإنسان شده العداوه على أن يقول ما لا يعلم و قيل إنما قالوا ذلك لأنه لم ينقطع طمعهم من القدره عليه فى المستقبل إذ القرآن كان مركبا من كلمات جاريه على ألسنتهم فطمعوا أن يتأتى لهم فى ذلك المستقبل بخلاف صيروره العصا حيه فى أنه قد انقطع طمعهم عن الإتيان بمثله إذ جنس ذلك لم يكن فى مقدورهم «إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» معناه ما هذه إلا أحاديث الأولين تلوها علينا و كان قائل هذا النضر بن الحارث بن كده و أسر يوم بدر فقتله رسول الله ص و عقبه بن أبى معيط قال يا على على بالنضر أبغيه فأخذ على بشعره و كان رجلا جميلا له شعر فجاء به إلى النبى ص فقال يا محمد أسألك بالرحم بينى و بينك إلا أجرىتنى كرجل من قريش إن قتلتهم قتلتنى و إن فاديتهم فاديتنى فقال ص لا رحم بينى و بينك قطع الله الرحم بالإسلام قدمه يا على فاضرب عنقه فاضرب عنقه ثم قال يا على على بعقبه فأحضر فقال يا محمد ألم تقل لا- تصبر قريش أى لا- يقتلون صبورا فقال ص و أنت من قريش إنما أنت عليج من أهل صفوريه و الله لأنت فى الميلاد أكبر من أبيك الذى تدعى له قال فمن للصبية قال ص النار ثم قال حن قدح ليس منها قال سعيد بن جبير قتل رسول الله ص يوم بدر ثلاثه نفر من قريش صبورا المطعم بن عدى و النضر بن الحارث و عقبه بن أبى معيط «وَ إِذِ قَالُوا» أى و اذكر يا محمد إذ قالوا أى قال هؤلاء الكفار «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا» الذى جاء به محمد «هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ» دون ما نحن عليه «فَأَمْطَرْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ» كما أمطرته على قوم لوط «أَوْ اثْنَيْنَا بِعَذَابِ أَلِيمٍ» أى شديد مؤلم و القائل لذلك النضر بن الحارث أيضا عن سعيد بن جبير و مجاهد و روى فى الصحيحين أن هذا من قول أبى جهل و يسأل هاهنا فيقال لم طلبوا العذاب من الله بالحق و إنما يطلب بالحق الخير و الثواب و الأجر و الجواب أنهم كانوا يعتقدون أن ما جاء به النبى ص ليس بحق من الله و إذا لم يكن حقا لم يصبهم شىء و يقال لم قال أمطر من السماء و الأمطار لا يكون إلا من السماء و فى هذا جوابان (أحدهما) أنه يجوز أن يكون أمطار الحجاره من مكان عال غير السماء (و الثانى) أنه على طريق البيان بمن ثم قال سبحانه

«وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ» ذكر سبحانه سبب إمهالهم ومعناه وما كان الله يعذب أهل مكة بعذاب الاستئصال و أنت مقيم بين أظهرهم لفضلك و حرمتك يا محمد فإن الله تعالى بعثك رحمه للعالمين فلا يعذبهم إلا بعد أن يفعلوا ما يستحقون به سلب النعمة بإخراجك عنهم قال ابن عباس إن الله سبحانه لم يعذب قومه حتى أخرجوه منها «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ» معناه و ما كان الله يعذبهم بعد خروجك من مكة و ذلك أن النبي ص لما خرج من مكة بقيت فيها بقيه من المؤمنين لم يهاجروا بعذر و كانوا على عزم الهجرة فرفع الله العذاب عن مشركي مكة لحرمة استغفارهم فلما خرجوا أذن الله في فتح مكة عن ابن عباس و عطيه و الضحاك و اختاره الجبائي و قيل معناه و ما يعذبهم الله بعذاب الاستئصال في الدنيا و هم يقولون غفرانك ربنا و إنما يعذبهم على شركهم في الآخرة عن ابن عباس في روايه أخرى و يزيد بن رومان و أبي موسى و محمد بن مبشر و في تفسير علي بن إبراهيم لما

قال النبي ص لقريش إنى أقتل جميع ملوك الدنيا و أجرى الملك إليكم فأجيبوني إلى ما أدعوكم إليه تملكون بها العرب و تدين لكم العجم

فقال أبو جهل «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ» الآية حسدا لرسول الله ص ثم قال غفرانك اللهم ربنا فأنزل الله «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ» الآية و لما هموا بقتل رسول الله و أخرجوه من مكة أنزل الله سبحانه «وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَ هُمْ يُصِدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» الآية فعذبهم الله بالسيف يوم بدر و قتلوا و قيل معناه أنهم لو استغفروا لم يعذبوا و في ذلك استدعاء إلى الاستغفار عن ابن عباس في روايه أخرى و السدى و قتاده و ابن زيد قال مجاهد و في أصلاهم من يستغفر و قال عكرمه و هم يسلمون فأراد بالاستغفار الإسلام و

قد روى عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنه قال كان في الأرض أمانان من عذاب الله و قد رفع أحدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به و قرأ هذه الآية

و روى ذلك عن قتاده أيضا «وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ» معناه و لم لا يعذبهم الله و أى أمر يوجب ترك تعذيبهم «وَهُمْ يُصِدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» أى يمنعون عن المسجد الحرام أولياءه فحذف لأن ما بعده يدل عليه «وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ» أى و ما كان المشركون أولياء المسجد الحرام و إن سعوا فى عمارته «إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» معناه

و ما أولياء المسجد الحرام إلا المتقون عن الحسن و هو المروى عن أبي جعفر (عليه السلام)

و قيل معناه و ما كانوا أولياء الله إن أولياء الله إلا المتقون الذين يتركون معاصي الله و يجتنبونها و الأول أحسن و يسأل فيقال كيف يجمع بين الآيتين و فى الأولى نفى تعذيبهم و فى الثانية إثبات ذلك و جوابه على ثلاثة أوجه (أحدها) أن المراد

بالأول عذاب الاضطلام و الاستئصال كما فعل بالأمم الماضيه و بالثاني عذاب القتل بالسيف و الأسر و غير ذلك بعد خروج المؤمنين من بينهم (و الآخر) أنه أراد و ما لهم أن لا يعذبهم الله فى الآخره و يريد بالأول عذاب الدنيا عن الجبائى (و الثالث) أن الأول استدعاه للاستغفار يريد أنه لا يعذبهم بعذاب دنيا و لا آخره إذا استغفروا و تابوا فإذا لم يفعلوا عذبوا ثم بين أن استحقاقهم العذاب بصددهم الناس عن المسجد الحرام.

[سوره الأنفال (٨): آيه ٣٥]

إشارة

وَ مَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَ تَصْدِيهً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٥)

القرءاء

يروى فى الشواذ عن عاصم و ما كان صلاتهم بالنصب إلا مكاء و تصديه بالرفع و روى أيضا عن أبان بن تغلب.

الحجج

قال ابن جنى لسنا ندفع أن جعل اسم كان نكره و خبرها معرفه قبيح و إنما جاءت منه أبيات شاذه لكن من وراء ذلك ما أذكره و هو أن نكره الجنس تفيد مفاد معرفته أ لا تراك تقول خرجت فإذا أسد بالباب فتجد معناه فإذا الأسد بالباب و لا فرق بينهما و ذلك أنك فى الموضوعين لا تريد أسدا واحدا معينا و إنما تريد واحدا من هذا الجنس و إذا كان كذلك جاز هنا الرفع فى «مُكَاءً وَ تَصْدِيهً» جوازا قريبا كأنه قال و ما كان صلاتهم إلا هذا الجنس من الفعل و لا يكون مثل قولك كان قائم أخاك لأنه ليس فى قائم معنى الجنسيه و أيضا فإنه يجوز مع النفي ما لا يجوز مع الإيجاب أ لا تراك تقول ما كان إنسان خيرا منك و لا تجيز كان إنسان خيرا منك.

اللغه

المكاء الصفير و المكاء طائر يكون بالحجاز له صفير بالتشديد يقال مكا يمكو مكاء إذا صفر بفيه قال عنتره:

و حليل غانيه تركت مجدلا تمكو فريسته كشدق الأعلم

و التصديه التصفيق و هو ضرب اليد على اليد و منه الصدى صوت الجبل و نحوه.

ثم وصف سبحانه صلاتهم فقال «وَمَا كَانَ صِيْلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ» يعنى هؤلاء المشركين الصادين عن المسجد الحرام «إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً» قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت عراه يصفرون و يصفقون و صلاتهم معناه دعاؤهم أى يقيمون المكاء و التصديه مكان الدعاء و التسبيح و قيل أراد ليس لهم صلاه و لا-عباده و إنما يحصل منهم ما هو ضرب من اللهو و اللعب فالمسلمون الذين يطيعون الله و يعبدونه عند هذا البيت أحق بمنع المشركين منه و روى أن النبي ص كان إذا صلى فى المسجد الحرام قام رجلان من بنى عبد الدار عن يمينه فيصفران و رجلان عن يساره يصفقان بأيديهما فيخلطان عليه صلاته فقتلهم الله جميعا بدر و لهم يقول و لبقية بنى عبد الدار «فَذُوقُوا الْعَذَابَ» يعنى عذاب السيف يوم بدر عن الحسن و الضحاك و قيل عذاب الآخرة على هذا يكون فى الكلام حذف أى يقال لهم إذا عذبوا ذوقوا العذاب «بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ» بتوحيد الله.

[سوره الأنفال (٨): الآيات ٣٦ الى ٣٧]

إشارة

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسِيرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦) لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٣٧)

اللغة

الحسره الغم بما انكشف من فوت استدراك الخبيثه و أصله الكشف من قولهم حسر عن ذراعه يحسر حسرا و التمييز إخراج الشىء عما خالفه مما ليس منه و إلحاقه بما هو منه يقال ميزه يميزه و مازه و يميزه فامتاز و انماز الأزهرى الركم جمعك شيئا فوق شىء حتى تجعله ركاما مركوما مرتكما و هو المترابك بعضه فوق بعض.

النزول

قيل نزلت فى أبى سفيان بن حرب استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش يقاتل بهم النبي ص سوى من استجاشهم من العرب و فيهم يقول كعب بن مالك:

فجئنا إلى موج من البحر وسطهم أحابيش منهم حاسر و مقنع

عن سعيد بن جبیر و مجاهد و قيل نزلت فی المطعمین یوم بدر و كانوا اثنی عشر رجلا أبو جهل بن هشام و عتبه و شیبه ابنا ربیعہ بن عبد شمس و نبیه و منبه ابنا الحجاج و أبو البختری بن هشام و النضر بن الحارث و حکیم بن حزام و أبی بن خلف و زمعه بن الأسود و الحرث بن عامر بن نوفل و العباس بن عبد المطلب و کلهم من قریش و کان کل یوم یطعم واحد منهم عشر جزر و كانت النوبه یوم الهزیمه للعباس عن الکلبی و الضحاک و مقاتل و قيل لما أصیبت قریش یوم بدر و رجع فلهم إلى مکة مشی صفوان بن أمیه و عکرمة بن أبی جهل فی رجال من قریش أصیب آباؤهم و إخوانهم ببدر فکلموا أبا سفیان بن حرب و من كانت له فی تلک العیر من قریش تجاره فقالوا یا معشر قریش إن محمدا قد وترکم و قتل خيارکم بهذا المال الذی أفلت علی حربہ لعلنا أن ندرک منه ثارا بمن أصیب منا ففعلوا فأنزل الله فیهم هذه الآیه رواه محمد بن إسحاق عن رجاله.

المعنى

ثم ذکر سبحانه إنفاق المشرکین أموالهم فی معصیه الله تعالى فقال «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ» فی قتال الرسول و المؤمنین «لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» أى ليمنعوا بذلك الناس عن دين الله الذى أتى به محمد ص و إنما قال ليصدوا و إن كانوا لم يقصدوا ذلك من حيث لم يعلموا أن ذلك دين الله لأن فعلهم ذلك كان صدا عن دين الله و إن لم يقصدوا ذلك «فَسَيُنْفِقُونَهَا» معناه فسيقع منهم الإنفاق لها «ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسِيرَةً» معناه ثم ينكشف لهم و يظهر من ذلك الإنفاق ما يكون حسره عليهم من حيث أنهم لا ينتفعون بذلك الإنفاق لا فى الدنيا و لا فى الآخرة بل يكون وبالاً عليهم «ثُمَّ يُغْلَبُونَ» فى الحرب أى يغلبهم المؤمنون و فى هذا دلالة على صحه نبوه النبى ص لأنه أخبر بالشىء قبل كونه فوجد على ما أخبر به «وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ» أى يجمعون إلى النار بعد تحسرههم فى الدنيا و وقوع الظفر بهم و قتلهم و إنما أعاد قوله «وَالَّذِينَ كَفَرُوا» لأن جماعه ممن أنفقوا أسلموا بعد فخص منهم من مات على كفره بوعيد الآخرة «لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ» معناه ليميز الله نفاقه الكافرين من نفاقه المؤمنين «وَيَجْعَلِ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ» أى و يجعل نفاقه المشركين بعضها فوق بعض «فَيَرْكُمُهُ» أى فيجمعه «جَمِيعًا»

فى الآخرة «فَيَجْعَلُهُ فِى جَهَنَّمَ» فبعاقبهم به كما قال «يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ» الآيه وقيل معناه ليميز الله الكافر من المؤمن فى الدنيا بالغلبه و النصر و الأسماء الحسنه و الأحكام المخصوصه و فى الآخرة بالثواب و الجنه عن أبى مسلم وقيل بأن يجعل الكافر فى جهنم و المؤمن فى الجنه و يجعل الخبيث بعضه على بعض فى جهنم يضيقها عليهم فيركمه جميعا أى يجمع الخبيث حتى يصير كالسحاب المركوم بأن يكون بعضهم فوق بعض فى النار مجتمعين فيها فيجعله فى جهنم أى فيدخله جهنم «أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» قد خسروا أنفسهم لأنهم اشتروا بإنفاق الأموال فى المعصيه عذاب الله فى الآخرة.

[سوره الأنفال (٨): الآيات ٣٨ الى ٤٠]

إشاره

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ (٣٨) وَ قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩) وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَ نِعْمَ النَّصِيرُ (٤٠)

اللغه

الانتهاء الإقلاع عن الشىء لأجل النهى يقال نهاه عن كذا فانتهى و السنه و الطريقه و السيره نظائر قال:

فلا تجزعن من سنه أنت سرتها فأول راضى سنه من يسيرها

و السلوف التقدم و التولى عن الدين الذهاب عنه إلى خلافه و التولى فيه هو الذهاب إلى جهه الحق و متابعتة.

الإعراب

«وَ إِنْ تَوَلَّوْا» شرط و قوله «فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ» أمر فى موضع الجواب و إنما جاز ذلك لأن فيه معنى الخبر فكأنه قال فواجب عليكم العلم بأن الله مولاكم.

المعنى

ثم أمر سبحانه نبيه ص بدعائهم إلى التوبه و الإيمان فقال «قُلْ» يا محمد «لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا» أى يتوبوا عما هم عليه من الشرك و يمتنعوا منه «يُغْفَرُ لَهُمْ مَا قَدْ

سَلَفَ» أى ما قد مضى من ذنوبهم و قيل معناه إن ينتهوا عن المحاربه إلى الموادعه يغفر لهم ما قد سلف من المعاقبه «وَ إِنْ يُعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُيُتُّ الْأَوَّلِينَ» معناه و إن يعودوا إلى القتال و أصروا على الكفر فقد مضت سنه الله فى آبائكم و عادته فى نصر المؤمنين و كبت أعداء الدين و الأسر و الاسترقاق و إنما ذكر ذلك تحذيرا لهم و أضاف السنه إليهم لأنها كانت تجرى عليهم و قال سنه من قد أرسلنا فأضاف السنه إلى الرسل لأنها كانت تجرى على أيديهم ثم قال وَ لَا تَجِدُ لِسِنَّتِنَا تَحْوِيلًا فأضاف إلى نفسه لأنه هو المجرى لها «وَ قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ» هذا خطاب للنبي ص و المؤمنين بأن يقاتلوا الكفار حتى لا تكون فتنه أى شرك عن ابن عباس و الحسن و معناه حتى لا يكون كافر بغير عهد لأن الكافر إذا كان بغير عهد كان عزيزا فى قومه يدعو الناس إلى دينه فتكون الفتنه فى الدين و قيل حتى لا يفتن مؤمن عن دينه «وَ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ» أى و يجتمع أهل الحق و أهل الباطل على الدين الحق فيما يعتقدونه و يعملون به أى و يكون الدين حينئذ كله لله باجتماع الناس عليه و

روى زراره و غيره عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال لم يجىء تأويل هذه الآيه و لو قام قائمنا بعد سبرى من يدركه ما يكون من تأويل هذه الآيه و ليبلغن دين محمد ص ما بلغ الليل حتى لا يكون مشرك على ظهر الأرض كما قال الله تعالى «يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا»

«فَإِنْ انْتَهَوْا» عن الكفر «فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» معناه فإن رجعوا عن الكفر و انتهوا عنه فإن الله يجازيهم بأعمالهم مجازاه البصير بها باطنها و ظاهرها لا يخفى عليه منها شىء «وَ إِنْ تَوَلَّوْا» عن دين الله و طاعته «فَاعْلَمُوا» أيها المؤمنون «أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ» أى ناصركم و سيدكم و حافظكم «نِعْمَ الْمَوْلَى» أى نعم السيد و الحافظ «وَ نِعْمَ النَّصِيرُ» هو ينصر المؤمنين و يعينهم على طاعته و لا يخذل من هو ناصره.

إشارة

وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَىٰ وَ الْيَتَامَىٰ وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجُمُعَانِ وَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤١)

اللغة

الغنيمه ما أخذ من أموال أهل الحرب من الكفار بقتال و هى هبه من الله تعالى للمسلمين و الفى ء ما أخذ بغير قتال و هو قول عطاء و مذهب الشافعى و سفيان و هو المروى عن أئمتنا (عليه السلام)

و قال قوم الغنيمه و الفى ء واحد و ادعوا أن هذه الآيه ناسخه للتى فى الحشر من قوله «ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فليله و للرَسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَىٰ وَ الْيَتَامَىٰ وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ» الآيه و اليتيم الذى مات أبوه و هو صغير قبل البلوغ و كل حيوان يتيم من قبل أمه إلا الإنسان فإنه من قبل أبيه و المسكين الذى تحل له الصدقه و هو المحتاج الذى من شأنه أن تسكنه الحاجه عما ينهض به الغنى و ابن السبيل المسافر المنقطع به فى سفره و إنما قيل ابن السبيل لأن السبيل أخرجه إلى هذا المستقر كما أخرجه أبوه إلى مستقره.

الإعراب

«فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ» قيل فى فتح أن قولان (أحدهما) أن تقديره فعلى أن لله خمسه ثم حذف حرف الجر (و الآخر) أنه عطف على أن الأولى و حذف خبر الأولى لدلاله الكلام عليه و تقديره اعلموا أنما غنمتم من شىء ء يجب قسمته فاعلموا أن لله خمسه.

المعنى

ثم بين سبحانه حكم الغنيمه فقال سبحانه مخاطبا للمسلمين «وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ ء» أى مما قل أو كثر «فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَىٰ» اختلف العلماء فى كيفية قسمه الخمس و من يستحقه على أقوال (أحدها) ما ذهب إليه أصحابنا و هو

أن الخمس يقسم على ستة أسهم فسهم لله و سهم للرسول و هذان السهمان مع سهم ذى القربى للإمام القائم مقام الرسول ص و سهم ليتامى آل محمد و سهم لمساكينهم و سهم لأبناء سبيلهم لا يشركهم فى ذلك غيرهم لأن الله سبحانه حرم عليهم الصدقات لكونها أوساخ الناس و عوضهم من ذلك الخمس و روى ذلك الطبرى عن على بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) و محمد بن على الباقر (عليه السلام)

و روى أيضا عن أبى العالیه و الربيع أنه يقسم على ستة أسهم إلا أنهما قالوا سهم الله للكعبه و الباقي لمن ذكره الله و هذا القسم مما يقتضيه ظاهر الكتاب و يقويه و الثانى أن الخمس يقسم على خمسه أسهم و إن سهم الله و الرسول واحد و يصرف هذا السهم إلى الكراع و السلاح و هو المروى عن ابن عباس و إبراهيم و قتاده و عطاء و الثالث أن يقسم على أربعة أسهم سهم ذى

القربى لقرابه النبى ص و الأسهم الثلاثة لمن ذكروا بعد ذلك من سائر المسلمين و هو مذهب الشافعى و الرابع أنه يقسم على
ثلاثة

ص: ٤١٨

أسهم لأن سهم الرسول قد سقط بوفاته عندهم لأن الأنبياء لا يورثون فيما يزعمون و سهم ذى القربى قد سقط لأن أبا بكر و عمر لم يعطيا سهم ذى القربى و لم ينكر ذلك أحد من الصحابه عليهما و هو مذهب أبى حنيفه و أهل العراق و منهم من قال لو أعطى فقراء ذوى القربى سهما و الآخرون ثلاثه أسهم جاز و لو جعل ذوو القربى أسوه الفقراء و لا يفرد لهم سهم جاز و اختلف فى ذوى القربى فقيل هم بنو هاشم خاصه من ولد عبد المطلب لأن هاشما لم يعقب إلا منه عن ابن عباس و مجاهد و إليه ذهب أصحابنا و

قيل هم بنو هاشم بن عبد مناف و بنو المطلب بن عبد مناف و هو مذهب الشافعى و روى ذلك عن جبير بن مطعم عن النبى ص و قال أصحابنا أن الخمس واجب فى كل فائده تحصل للإنسان من المكاسب و أرباح التجارات و فى الكنوز و المعادن و الغوص و غير ذلك مما هو مذكور فى الكتب و يمكن أن يستدل على ذلك بهذه الآيه فإن فى عرف اللغه يطلق على جميع ذلك اسم الغنم و الغنيمه و نعود إلى تأويل الآيه قوله «فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ» قالوا افتتح الكلام بالله على جهة التيمن و التبرك لأن الأشياء كلها له عز و جل و المراد به مصروف إلى الجهات المقربه إلى الله تعالى و «لِلرَّسُولِ» قالوا كان للنبي ص سهم من خمسه أسهم يصرفه فى مئونه و ما فضل من ذلك يصرفه إلى الكراع و السلاح و المصالح «وَ لِذِي الْقُرْبَى» قال بعضهم سقط هذان السهمان بموت الرسول ص على ما ذكرناه قال الشافعى يصرف سهم الرسول إلى الخيل و الكراع فى سبيل الله و سهم ذى القربى لبنى هاشم و بنى المطلب يستحقونه بالاسم و النسب فيشترك فيه الغنى و الفقير و روى عن الحسن و قتاده أن سهم الله و سهم الرسول و سهم ذى القربى للإمام القائم من بعده ينفقه على نفسه و عياله و مصالح المسلمين و هو مثل مذهبنا «وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينَ وَ ابْنِ السَّبِيلِ» قالوا إن هذه الأسهم الثلاثه لجميع الناس و أنه يقسم على كل فريق منهم بقدر حاجتهم و قد بينا أن عندنا يختص باليتامى من بنى هاشم و مساكينهم و أبناء سييلهم «إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ» قال الزجاج يجوز أن يكون إن كنتم آمنتم معلقه بقوله فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى و نعم النصير إن كنتم آمنتم بالله «وَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَى عِبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجُمُعَانِ» أى فأيقنوا أن الله ناصركم إن كنتم قد شاهدتم من نصره ما قد شاهدتم و يجوز أن يكون «إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ» معناه «اعلموا أنما عنيتم من شئى ء فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ» يأمران فيه بما يريدان «إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ» فاقبلوا ما أمرتم به من الغنيمه و اعملوا به «وَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَى عِبْدِنَا» أى و آمنتم بما أنزلنا على محمد من القرآن و قيل من النصر و قيل من الملائكه أى علمتم أن ظفركم على عدوكم كان بنا «يَوْمَ الْفُرْقَانِ» يعنى يوم بدر لأن الله تعالى

فرق فيه بين المسلمين و المشركين بإعزاز هؤلاء و قمع أولئك «يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ» جمع المسلمين و هم ثلاثمائة و بضعه عشر رجلا- و جمع الكافرين و هم بين تسعمائه إلى ألف من صناديد قريش و رؤسائهم فهزموهم و قتلوا منهم زياده على السبعين و أسروا منهم مثل ذلك و كان يوم بدر يوم الجمعة لسبع عشره ليله مضت من شهر رمضان من سنه اثنتين من الهجره على رأس ثمانيه عشر شهرا و

قيل كان التاسع عشر من شهر رمضان و قد روى ذلك عن أبي عبد الله (عليه السلام)

«وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» قد مر تفسيره في سورة البقره و

في تفسير الثعلبي قال المنهال بن عمرو سألت على بن الحسين (عليه السلام) و عبد الله بن محمد بن علي عن الخمس فقالا هو لنا فقلت لعلي أن الله يقول «وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ» فقال يتامانا و مساكينا

و

روى العياشى بإسناده عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال كتب نجده الحرورى إلى ابن عباس يسأله عن موضع الخمس فكتب إليه ابن عباس أما الخمس فإننا نزعم أنه لنا و يزعم قومنا أنه ليس لنا فصبرنا

و

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال إن الله تعالى لما حرم علينا الصدقه أنزل لنا الخمس فالصدقه علينا حرام و الخمس لنا حلال و الكرامه لنا حلال.

ص: ٤٢٠

إشاره

إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافْتُمْ فِي الْمِيْعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢) إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَسَّدْتَ لَهُمْ وَلَنَنَازَعُنَّهُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٣) وَإِذْ يُرِيكِهِمْ وَهُمْ إِذِ التَّقَاتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٤٤)

القراءة

قرأ ابن كثير و أبو عمرو بالعدوه بكسر العين و الباقون بضمها و قرأ نافع و أبو بكر عن عاصم و البزى عن ابن كثير حيا بإظهار اليائين و الباقون «حَيَّ» بالإدغام.

الحجه

الكسر و الضم في العدو لغتان قال الراعى في الكسر:

و عينان حم مآقيهما كما نظر العدو الجؤذر

و قال أوس بن حجر في الضم:

و فارس لا يحل الحى عدوته و لو سراعاً و ما هموا بإقبال

و من أدغم حى فللزوم الحركة في الثانى فجرى مجرى ردوا إذا أخبروا عن جماعه قالوا حيوا فخففوا و قد جاء مدغماً نحو حيوا قال:

عيوا بأمرهم كما عيت بيضتها الحمامه

و من اختار الإظهار فلامتناع الإدغام في مضارعه و هو يحيا فأجرى الماضى على شاكلة المستقبل.

اللغه

العدوه شفير الوادى و للوادى عدوتان و هما جانباه و الجمع عدى و عدى و الدنيا تأنيث الأدنى من دنوت و القصوى تأنيث الأقصى و ما كان من النعوت على فعلى من بنات الواو فإن العرب تحوله إلى الياء نحو الدنيا و العليا استقلوا الواو مع ضم الأول إلا أن أهل الحجاز قالوا القصوى فأظهروا الواو و هو نادر و غيرهم يقولون القصيا و الأقصى الأبعد و القضا البعد و قصوت منه أقصو أى تباعدت و الركب جمع راكب مثل شارب و شرب و صاحب و سحب و العلو قرار تحته قرار و السفلى قرار فوجه قرار و

النوم ضرب من السهو يزول معه معظم الحس و المنام موضع النوم كالمضطجع موضع الاضطجاع و القله نقصان عن عدّه كما أن الكثره زياده على عدّه و الفشل ضعف من فرع و الفعل منه فشل يفشل و التنازع الاختلاف الذي يحاول كل واحد نزع صاحبه مما هو عليه و السلامه النجاه من الآفه و أسلم الإنسان دخل في السلامه و أسلمه إسلاما دفعه عن السلامه و سلمه إذا نجاه و استلم الحجر إذا طلب

ص: ٤٢١

لمسه على السلامه و الصدر الموضع الأجل يكون فيه القلب و صدر المجلس أجله لأنه موضع الرئيس و الالتقاء اجتماع الاتصال لأن الاجتماع قد يكون فى معنى من غير اتصال كاجتماع القوم فى الدار و إن لم يكن هناك اتصال و يقال للعسكرين إذا تصافا التقيا لوقوع العين على العين.

الإعراب

إنما نصب أسفل لأن تقديره بمكان أسفل أو فى مكان أسفل فهو فى موضع جر فهو غير منصرف و يجوز أن يكون منصوبا على الظرف على تقدير و الركب مكانا أسفل منكم قال الزجاج و يجوز أن ترفع أسفل على أنك تريد و الركب أسفل منكم أى أشد تسفلا.

المعنى

ثم بين سبحانه نصرته للمسلمين بيدر فقال سبحانه «إِذْ أَنْتُمْ» أيها المسلمون «بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا» قال ابن عباس يريد و الله قدير على نصركم و أنتم أذله إذ أنتم نزول بشفير الوادى الأقرب إلى المدينة «وَهُمْ» يعنى المشركين أصحاب النفير «بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى» أى نزول بالشفير الأقصى من المدينة «وَالرَّكْبُ» يعنى أبا سفيان و أصحابه و هم العير «أَسْفَلَ مِنْكُمْ» أى فى موضع أسفل منكم إلى ساحل البحر قال الكلبي كانوا على شط البحر بثلاثة أميال فذكر الله سبحانه مقاربه الفتتين من غير ميعاد و ما كان المسلمون فيه من قله الماء و الرمل الذى تسوخ فيه الأرجل مع قله العدد و العده و ما كان المشركون فيه من كثره العدد و العده و نزولهم على الماء و العير أسفل منهم و فيها أموالهم ثم مع هذا نصر المسلمين عليهم ليعلم أن النصر من عنده سبحانه «وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَمَآخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ» معناه لو تواعدتم أيها المسلمون للاجتماع فى الموضع الذى اجتمعتم فيه ثم بلغكم كثره عددهم مع قله عددكم لتأخرتم فنقضتم الميعاد عن ابن إسحاق و قيل معناه لاختلقتم بما يعرض من العوائق و القواطع فذكر الميعاد لتأكيد أمره فى الاتفاق و لو لا لطف الله مع ذلك لوقع على الاختلاف كما قال الشاعر:

جرت الرياح على محل ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد

«وَلِكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا» معناه و لكن قدر الله تعالى التقاءكم و جمع بينكم و بينهم على غير ميعاد منكم ليقضى الله أمرا كان كائنا لا محاله و هو إعزاز الدين و أهله و إذلال

الشرك و أهله و معنى ليقضى ليظهر قضاءه إذ الله تعالى قد قضى ما هو كائن و معنى قوله «مَفْعُولًا» أى واجبا كونه لا محاله يقال للأمر الكائن لا محاله هذا أمر مفروغ منه و قيل معناه لیتم أمرا كان فى علمه مفعولا لا محاله من إظهار الإسلام و إعلاء كلمته على عبده الأصنام «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْنِهِ وَ يُحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْنِهِ» أى فعل ذلك ليموت من مات منهم بعد قيام الحجة عليه بما رأى من المعجزات الباهرة للنبي ص و فى حروبه و غيرها و يعيش من عاش منهم بعد قيام الحجة عليه و قيل إن البينه هى ما وعد الله من النصر للمؤمنين على الكافرين صار ذلك حجة على الناس فى صدق النبي ص فيما أتاهم به من عند الله و قيل معناه ليهلك من ضل بعد قيام الحجة عليه فتكون حياه الكافر و بقاءه هلاكا له و يحيا من اهتدى بعد قيام الحجة عليه فيكون بقاء من بقى على الإيمان حياه له و قوله «عَنْ بَيْنِهِ» يعنى بعد بيان «وَ إِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ» لأقوالهم «عَلَيْكُمْ» بما فى ضمائرهم فهو يجازيهم بحسب ما يكون منهم «إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ» العامل فى إذ ما تقدم و تقديره أتاكم النصر إذ كنتم بشفير الوادى إذ يريكمهم الله و قيل العامل فيه محذوف و تقديره و اذكر يا محمد إذ يريكمهم الله أى يريك الله يا محمد هؤلاء المشركين الذين قاتلوكم يوم بدر «فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَ لَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَقْتُهُمْ وَ لَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ» معناه يريكمهم الله فى نومك قليلا لتخبر المؤمنين بذلك فيجترئ المؤمنون على قتالهم و هذا قول أكثر المفسرين و هذا جائز لأن الرؤيا فى النوم هى تصور يتوهم معه الرؤيه فى اليقظه و لا يكون إدراكا و لا- علما بل كثير مما يراه الإنسان فى نومه يكون تعبيره بالعكس مما رآه كما يكون تعبير البكاء ضحكا قال الرماني و يجوز أن يرى الله الشىء فى المنام على خلاف ما هو به لأن الرؤيا فى المنام تخيل للمعنى من غير قطع و إن جامعه قطع من الإنسان على المعنى و إنما ذلك على مثل ما يخيل السراب ماء من غير قطع على أنه ماء و لا يجوز أن يلهمه اعتقادا للشىء على خلاف ما هو به لأن ذلك يكون جهلا لا يجوز أن يفعله الله سبحانه و الرؤيا على أربعة أقسام رؤيا من الله عز و جل و لها تأويل و رؤيا من وساوس الشيطان و رؤيا من غلبه الأخطا و رؤيا من الأفكار و كلها أضغاث أحلام إلا الرؤيا من قبل الله تعالى التى هى إلهام فى المنام و رؤيا النبي ص هذه كانت بشاره له و للمؤمنين بالغلبه و قال الحسن معنى قوله «فِي مَنَامِكَ» فى موضع نومك أى فى عينك التى تنام بها و ليس من الرؤيا فى النوم و هو قول البلخى و هذا بعيد لأنه خلاف الظاهر «وَ لَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا» على ما كانوا عليه لجبنتم عن قتالهم و ضعفتم و لتنازعتن فى أمر القتال فكان يقول بعضكم نقاتلهم و بعض آخر يخالفونهم و يقول بعضكم لبعض تقدم أنت فى القتال و يتأخر هو

بنفسه «وَ لَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ» أى سلم المؤمنين عن الفشل و التنازع و اختلاف الكلمه و اضطراب الأمر بلطفه لهم و إحسانه إليهم حتى بلغوا ما أرادوه من عدوهم «إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» أى بما فى قلوبكم يعلم أنكم لو علمتم كثره عدوكم لرغبتم عن القتال «وَ إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّقَاتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا» الكاف و الميم كناية عن المؤمنين و الهاء و الميم كناية عن المشركين أضاف الرؤيا فى النوم إلى النبى ص لأن رؤيا الأنبياء لا تكون إلا حقا و أضاف رؤيه العين إليهم قتل الله المشركين فى أعين المؤمنين ليشتد بذلك طمعهم فيهم و جرأتهم عليهم و قتل المؤمنين فى أعين المشركين لئلا يتأهبوا لقتالهم و لا- يكثرثوا بهم فيظفر بهم المؤمنون و ذلك قوله تعالى «وَ يُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ» و قد وردت الروايه عن ابن مسعود قال قلت لرجل بجنبى أ تراهم سبعين رجلا فقال هم قريب من مائه و قد روى أن أبا جهل كان يقول خذوهم بالأيدى أخذا و لا تقاتلوهم و متى قيل كيف قتلهم الله فى أعينهم مع رؤيتهم لهم قالوا فالقول إنه يجوز أن يكون ذلك لبعض الأسباب المانعه من الرؤيه إما بغير أو ما شاكله فتخيلوهم بأعينهم قليلا من غير رؤيه عن الصحه لجمعهم و ذلك لطف من أطف الله تعالى «لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا» إنما كرره سبحانه مع ذكره فى الآيه الأولى لتكرر الفائدة لأن المعنى فى الآيه الأولى جمعكم من غير ميعاد ليقتضى الله أمرا مفعولا من الالتقاء على تلك الصفه و المعنى هنا أنه قتل كل فريق فى عين صاحبه ليقتضى أمرا كان مفعولا من إعزاز الدين بجهادكم و قيل أراد بالأول الوعد بالنصره يوم بدر و بالثانى الاستمرار على النصر و قيل إنما كرر للتأكيد و إنما قال كان مفعولا و المعنى يكون مفعولا فى المستقبل لتحقيق كونه لا محاله حتى صار بمنزله ما قد كان لعلمه سبحانه أنه كائن لا محاله «وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» مر معناه.

إشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَ اضْبِرُّوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَ رِئَاءَ النَّاسِ وَ يُصِئِدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧)

اللغه

الريح الدوله قال عبيد بن الأبرص:

كما حميناك يوم النعف من شطب و الفضل للقوم من ربح و من عدد

أى من عزه و دوله و البطر الخروج عن موجب النعمه من شكرها و أصل البطر الشق و منه البيطار لأنه يشق اللحم بالمبضع و الرياء إظهار الجميل ليرى مع إبطان القبيح.

الإعراب

«فَتَفَشَلُوا» منصوب بإضمار أن على معنى جواب النهى و لذلك عطف عليه «وَ تَذْهَبَ» «وَ يُصِئِدُونَ» فى محل نصب بالعطف على قوله «بَطْرًا وَ رِئَاءَ النَّاسِ» و هما مصدران وضعا موضع الحال و المعنى يبطرون و يراءون و يصدون و لا يجوز أن يكون عطفًا على خرجوا إذ لا يعطف مستقبل على ماض.

المعنى

ثم أمر سبحانه بالقتال و الثبات فى الحرب فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً» أى جماعه كافره «فَاثْبُتُوا» لقتالهم و لا تنهزموا و إنما أطلق الفئه لأن من المعلوم أن المؤمن لا يقاتل الفئه الكافره أو الباغيه فحذف للإيجاز «وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا» مستعين به على قتالهم و متوقعين النصر من قبله عليهم و قيل معناه و اذكروا ما وعدكم الله تعالى من النصر على الأعداء فى الدنيا و الثواب فى الآخرة ليدعوكم ذلك إلى الثبات فى القتال «لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» أى لكى تفلحوا و تنجحوا بالنصر و الظفر بهم و بالثواب عند الله يوم القيامه «وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» فيما يأمرانكم به «وَ لَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا» أى لا تنازعوا فى لقاء العدو و لا تختلفوا فيما بينكم فتجبنا عن عدوكم و تضعفوا عن قتالهم «وَ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ» معناه تذهب صوتكم و قوتكم و قال مجاهد نصرتمكم و قال الأخفش دولتكم و الريح هاهنا كناية عن نفاذ الأمر و جريانه على المراد تقول العرب هبت ربح فلان إذا جرى أمره على ما يريد و ركدت ريحه إذا أدبر أمره و قيل إن المعنى ربح النصر التى يبعثها الله مع من ينصره على من يخذله عن قتاده و ابن زيد و منه

قوله ص نصرت بالصبا و أهلكت عاد بالدبور

«وَاضْبِرُوا» على قتال الأعداء «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» بالنصر و المعونه «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا» أى بطرين
يعنى قريشا خرجوا من مكه ليحموا غيرهم فخرجوا معهم بالقيان و المعازف يشربون الخمر و تعزف عليهم القيان «وَرِثَاءَ النَّاسِ»
قيل أنهم كانوا يدينون بعباده الأصنام فلما أظهروا التقرب بذلك إلى الناس كانوا مرأئين و قيل إنهم وردوا بدرا ليروا

ص: ٤٢٥

الناس أنهم لا- يبالون بالمسلمين و فى قلوبهم من الرعب ما فيه فسمى الله سبحانه ذلك رثاء «وَيَصِدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ» أى و يمنعون غيرهم عن دين الله «وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ» أى عالم بأعمالهم فيجازيهم عليها و لا يخفى عليه منها شىء .

[القصة]

قال ابن عباس لما رأى أبو سفيان أنه أحرز غيره أرسل إلى قريش أن ارجعوا فقال أبو جهل و الله لا نرجع حتى نرد بدرا و كان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل عام فنقيم بها ثلاثا و ننحر الجزر و نطعم الطعام و نسقى الخمر و تعزف علينا القيان و تسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدا فوافوها فسقوا كؤوس المنايا و ناحت عليهم النوائح.

[سورة الأنفال (٨): آية ٤٨]

إشارة

وَ إِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَ قَالَ لَا- غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَ إِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئْتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَ قَالَ
إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤٨)

المعنى

«وَ إِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ» دخلت الواو عطفًا على حال المشركين فى خروجهم بطرا و رثاء الناس يعنى و فى وقت تزيين الشيطان أعمالهم و قيل أنه يعنى و اذكروا إذ زين الشيطان للمشركين أعمالهم أى حسنها فى نفوسهم و ذلك أن إبليس حسن لقريش مسيرهم إلى بدر لقتال النبى ص «وَ قَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ» أى لا يغلبكم أحد من الناس لكثرة عددكم و قوتكم «وَ إِنِّي» مع ذلك «جَارٌّ لَكُمْ» أى ناصر لكم و دافع عنكم السوء و قيل معناه و إنى عاقد لكم عقد الأمان من عدوكم من قوله وَ هُوَ يُجِيرُ وَ لَا- يُجَارُّ عَلَيْهِ «فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئْتَانِ» أى التقت الفرقتان «نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ» أى رجع القهقرى منهزما وراءه «وَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ» أى رجعت عما كنت ضمنت لكم من الأمان و السلامه لأنى أرى من الملائكة الذين جاءوا لنصر المسلمين ما لا ترون و كان إبليس يعرف الملائكة و هم كانوا يعرفونه «إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ» أى أخاف عذاب الله على أيدى من أراهم «وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ» لا- يطاق عقابه و قيل معناه إنى أخاف أن يكون قد حل الوقت الذى أنظرت إليه فإن الملائكة لا ينزلون إلا لقيام الساعة أو للعقاب و قال قتاده كذب عدو الله

ص: ٤٢٦

ما به من مخافه و لكنه علم أنه لا قوه له و لا منعه و ذلك عاده عدو الله لمن أطاعه حتى إذا التقى الحق و الباطل أسلمهم و تبرأ منهم و على هذا فيكون قوله «أرى ما لا ترون» معناه أعلم ما لا تعلمون و أخاف الله أن يهلكني فيمن يهلك و اختلف في ظهور الشيطان يوم بدر كيف كان فليل إن قريشا لما أجمعت المسير ذكرت الذى بينها و بين بنى بكر بن عبد مناف بن كنانه من الحرب و كاد ذلك أن يثنيهم فجاء إبليس فى جند من الشيطان فتبدى لهم فى صورته سراقه بن مالك بن جشعم الكنانى ثم المدلجى و كان من أشراف كنانه فقال لهم لا- غالب لكم اليوم من الناس و إنى جار لكم أى مجير لكم من كنانه كما قال الشاعر:

يا ظالمى أنى تروم ظلامتى و الله من كل الحوادث جارى

فلما رأى إبليس الملائكة نزلوا من السماء و علم أنه لا- طاقه لهم بهم نكص على عقبيه عن ابن عباس و السدى و الكلبي و غيرهم و

قيل أنه لما التقوا كان إبليس فى صف المشركين آخذاً بيد الحارث بن هشام فنكص على عقبيه فقال له الحارث يا سراقه أين اتخذ لنا على هذه الحاله فقال له إنى أرى ما لا ترون فقال و الله ما نرى إلا جعاسيس يثرب فدفع فى صدر الحرث و انطلق و انهزم الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس سراقه فبلغ ذلك سراقه فقال و الله ما شعرت بمسيركم حتى بلغنى هزيمتكم فقالوا إنك أتيتنا يوم كذا فحلف لهم فلما أسلموا علموا أن ذلك كان الشيطان عن الكلبي و روى ذلك عن أبى جعفر و أبى عبد الله ع

و قيل إن إبليس لا- يجوز أن يقدر على خلع صورته و لبس صورته سراقه و لكن الله تعالى جعل إبليس فى صورته سراقه علماً للنبي ص و إنما فعل ذلك لأنه علم أنه لو لم يدع المشركين إنسان إلى قتال المسلمين فإنهم لا يخرجون عن ديارهم حتى يقاتلهم المسلمون لخوفهم من بنى كنانه فصوره بصوره سراقه حتى تم المراد فى إعزاز الدين عن الجبائى و جماعه و قيل إن إبليس لم يتصور فى صورته الإنسان و إنما قال ذلك لهم على وجه الوسوسه عن الحسن و اختاره البلخي و الأول هو المشهور فى التفاسير و رأيت فى كلام الشيخ المفيد أبى عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (رض) أنه يجوز أن يقدر الله تعالى الجن و من جرى مجراهم على أن يجتمعوا و يعتمدوا ببعض جواهرهم على بعض حتى يتمكن الناس من رؤيتهم و يشبهوا بغيرهم من أنواع الحيوان لأن أجسامهم من الرقه على ما يمكن ذلك فيها و قد وجدنا الإنسان يجمع الهواء و يفرقه و يغير صور الأجسام الرخوه ضروباً من التغيير و أعيانها لم تزد و لم تنقص و قد استفاض الخبر بأن إبليس تراءى لأهل دار الندوه فى

صوره شيخ من أهل نجد و حضر يوم بدر فى صوره سراقه و أن جبرائيل (عليه السلام) ظهر لأصحاب رسول الله ص فى صوره دحيه الكلبي قال غير محال أيضا أن يغير الله تعالى صورهم و يكشفها فى بعض الأحوال فيراهم الناس لضرب من الامتحان.

[سوره الأنفال (٨): الآيات ٤٩ الى ٥١]

إشارة

إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٩) وَ لَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَ أَدْبَارَهُمْ وَ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ (٥١)

القراءة

قرأ ابن عامر وحده إذ تتوفى بتاءين و الباقون «يَتَوَفَّى» بالياء و التاء.

الحجج

من قرأ بالتاء فلاسناد الفعل إلى الملائكة و من قرأ بالياء فلأن التأنيث غير حقيقى.

الإعراب

العامل فى إذ يجوز أن يكون الابتداء و التقدير ذلك إذ يقول و يجوز أن يكون التقدير اذكر إذ يقول و جواب لو محذوف و تقديره لرأيت منظرا عظيما أو أمرا عجبيا و حذف الجواب هنا أو جز و أبلغ فإن ذكره يخص وجها واحدا و مع الحذف الاحتمال لوجوه كثيرة و موضع «بِما قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ» يحتمل وجهين من الإعراب (أحدهما) الرفع بكونه خبر ذلك (و الثانى) النصب بأن يكون متصلا بمحذوف و تقديره ذلك جزاؤكم بما قدمت أيديكم و أن الله ليس بظلام للعبيد يحتمل أن يكون محله نصبا بتقدير و بأن الله أو جرا على الخلاف فيه و يحتمل أن يكون محله رفعا بتقدير و ذلك أن الله كما تقول ذلك.

المعنى

«إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ» هذا يتعلق بما قبله معناه و إذ زين لهم الشيطان أعمالهم إذ يقول المنافقون فلذلك حذف الواو و هم الذين يبطنون الكفر و يظهرون الإيمان «وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» و هم الشاكون فى الإسلام مع إظهارهم كلمه الإيمان و قيل إنهم

فتيه من قريش أسلموا بمكه و احتبسهم آباؤهم فخرجوا مع قريش يوم بدر و هم قيس بن الوليد بن المغيرة و على بن أمية بن خلف و العاص بن منبه بن الحجاج و الحارث بن زمعه و أبو قيس بن الفاكهه بن المغيرة لما رأوا قله المسلمين قالوا «عَرَّ هُوَ لَاءِ دِينُهُمْ» أى غر المسلمين دينهم حتى خرجوا مع قتلهم لأجل دينهم إلى قتال المشركين مع كثرتهم و لم يحسنوا النظر لأنفسهم حين اغتروا بقول رسولهم فيبين الله تعالى أنهم هم المغرورون بقوله «وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» معناه و من يسلم لأمر الله و يثق به و يرض بفعله و إن قل عددهم فإن الله تعالى ينصرهم على أعدائهم و هو عزيز لا يغلب فكذلك لا يغلب من توكل عليه و هو حكيم يضع الأمور مواضعها على ما تقتضيه الحكمة «وَلَوْ تَرَىٰ» يا محمد «إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ» أى يقبضون أرواحهم عند الموت «يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَ أَدْبَارَهُمْ» يريد أستاذهم و لكن الله سبحانه كنى عنها عن سعيد بن جبير و مجاهد و قيل وجوههم ما أقبل منهم و أدبارهم ما أدبر منهم و المراد يضربون أجسادهم من قدامهم و من خلفهم و المراد به قتلى بدر عن ابن عباس و مجاهد و سعيد بن جبير و أكثر المفسرين و قيل معناه سيضربهم الملائكة عند الموت قال الرماني و هذا غلط لأنه الظاهر و

روى الحسن قال إن رجلا قال يا رسول الله إنى رأيت بظهر أبى جهل مثل الشراك فقال ص ذاك ضرب الملائكة

و

روى مجاهد أن رجلا قال للنبي ص إنى حملت على رجل من المشركين فذهبت لأضربه فندر فقال سبقك إليه الملائكة

«وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ» أى و يقول الملائكة للكفار استخفافا بهم و ذوقوا عذاب الحريق بعد هذا فى الآخرة و قيل إنه كان مع الملائكة يوم بدر مقامع من حديد كلما ضربوا المشركين بها التهب النار فى جراحاتهم فذلك قوله «وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ» «ذَلِكَ» أى ذلك العقاب لكم «بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ» أى بما قدمتم و فعلتم و إنما أضاف إلى اليد على التغليب لأن أكثر الأفعال تكون باليد و المراد بذلك بجنايتكم الكفر و المعاصى «وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» أى لا يظلم عباده فى عقوبتهم من حيث إنه إنما عاقبهم بجناياتهم على قدر استحقاقهم و فى هذا دلالة واضحة على بطلان مذهب المجبره فى أنه يخلق الكفر ثم يعذب عليه و أنه يجوز أن يعذب من غير ذنب و أن يأخذ بذنب غيره لأن هذا غايه الظلم و قد بالغ عز اسمه فى نفي الظلم عن نفسه بقوله «لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ».

ص: ٤٢٩

إشارة

كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٥٢) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعَيَّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُعَيَّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٥٣) كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَعْرَفْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَ كُلَّ كَانُوا ظَالِمِينَ (٥٤)

اللغة

الذباب العاده و الطريقه يقال ما زال ذلك دأبه و دينه و ديدنه قال الزجاج الذباب إدامه الفعل دأب يدأب فى كذا إذا دام عليه و هو دأب بفعل كذا أى يجرى فيه على عادته قال خدّاش بن زهير:

و ما زال ذاك الذباب حتى تخاذلت هوازن و أرفضت سليم و عامر

و التغيير تصيير الشىء على خلاف ما كان بما لو شوهده على خلاف ما كان.

الإعراب

كذاب: الكاف فى موضع رفع بأنه خبر المبتدأ كما يقول زيد خافك فموضع خلفك رفع بأنه خبر المبتدأ و لفظه نصب بالاستقرار و تقديره دأبهم كذاب آل فرعون لم يك أصله يكون فحذفت الواو للجزم ثم حذفت النون استخفافاً لكثرة الاستعمال مع أنه لا يقع بالحذف إخلالاً بالمعنى لأن كان و يكون أم الأفعال ألا ترى أن كل فعل فيه معناها لأنك إذا قلت ضرب فمعناه كان ضرب و يضرب معناه يكون يضرب فلما قويت بأنها أم الأفعال و كثر استعمالها احتمل الحذف و لم يحتل نظائرها ذلك مثل لم يصن.

المعنى

ثم بين سبحانه أن حال هؤلاء الكفار كحال الذين من قبلهم فقال «كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ» أى عادته هؤلاء المشركين فى الكفر بمحمد ص كعادته آل فرعون «وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» فى الكفر بالرسول و ما أنزل إليهم و قيل معناه عقوبه الله تعالى لهؤلاء الكفار كعقوبه لآل فرعون و آل فرعون أتباعه و الفرق بين آل فرعون و أصحاب فرعون أن لأصحاب مأخوذ من

الصحة و كثر فى الموافقه فى المذهب كما يقال أصحاب الشافعى و أبى حنيفة يراد به الموافقه فى المذهب و لا- يقال آل الشافعى إلا لمن يرجعون إليه بالنسب الأوكد الأقرب «كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ» كما كفر هؤلاء «فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ» أى فعاقبهم الله «بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ» أى قادر لا يقدر أحد على منعه عن إحلال العقاب بما يريد «شَدِيدُ الْعِقَابِ» لمن استحقه و لا يوصف الله سبحانه بأنه شديد لأن الشديد هو المتداخل على صعوبه تفككه و إنما وصف العقاب بالشده دون نفسه و شبه حال المشركين فى تكذيبهم بآيات الله بحال آل فرعون لأن تعجيل العقاب لهؤلاء بالإهلاك كتعجيله لأولئك بعذاب الاستئصال «ذَلِكَ» أى ذلك الأخذ و العقاب لهم «بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعْتَبِرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُعْزِرُوا مَا بَأْنَفْسِهِمْ» معناه بأن الله لم يكن يزيل نعمه أنعمها على قوم حتى يتغيروا هم عن أحوالهم المرضيه إلى أحوال لا- يجوز لهم أن يتغيروا إليها و هو أن يستبدلوا المعصيه بالطاعه و كفران النعمه بشكرها و قد يسلب الله تعالى النعمه على وجه المصلحه لا على وجه العقاب امتحانا لمصلحه يعلمها فى ذلك و لكن لا يسلبها بفعل النقمه على وجه العقاب إلا عمن استحق العقاب قال السدى النعمه التى أنعمها الله عليهم محمد ص أنعم الله به على قريش فكفروا به و كذبوه فنقله إلى الأنصار «وَ أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ» لأقوالهم «عَلِيمٌ» بضمائرهم و بكل شىء «كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» أى كعادتهم و طريقتهم فى التكذيب بآيات الله عادته هؤلاء «كَذَبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ» أى بحجه و بيناته «فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ» أى استأصلناهم «وَ أَعْرَفْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَ كُلَّ كَانُوا ظَالِمِينَ» أى كل هؤلاء المهلكين كانوا ظالمين لأنفسهم فلم نعاقب فريقا منهم إلا- عن استحقاق و إنما كرر قوله «كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ» لأنه أراد بالأول بيان حالهم فى استحقاق عذاب الآخره و فى الثانى بيان استحقاقهم لعذاب الدنيا و قيل إن فى الأول تشبيه حالهم بحال أولئك فى التكذيب و فى الثانى تشبيه حالهم بحالهم فى الاستئصال و قيل إن الأول فى أخذهم بالعذاب و الثانى فى كيفية العذاب و قيل إن آل فرعون كانوا على أحوال مختلفه فى المعصيه فبين مشاركه هؤلاء إياهم فى تلك الأحوال.

[سوره الأنفال (٨): الآيات ٥٥ الى ٥٦]

إشاره

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٥) الَّذِينَ عَاهَدتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْفُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (٥٦)

الإعراب

«فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» الفاء لعطف جمله على جمله و هو فى الصله كأنه قال

كفروا مصممين على الكفر فهم لا يؤمنون و إنما حسن عطف جملة اسميه على جملة فعليه لما فيها من التأديبه إلى معنى الحال و ذلك أن صاببتهم فى الكفر و إصرارهم عليه أدى إلى الحال فى أنهم لا- يؤمنون و قوله «ثُمَّ يَنْقُضُونَ» عطف المستقبل على الماضى لأن الغرض أن من شأنهم نقض العهد بعد مره فى مستقبل أوقاتهم بعد العهد إليهم.

المعنى

ثم ذم سبحانه الكفار فقال «إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ» أى شر من يدب على وجه الأرض فى معلوم الله أو فى حكم الله «الَّذِينَ كَفَرُوا» و استمروا على كفرهم «فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» هذا إخبار عن قوم من المشركين أنهم لا يؤمنون أبدا فخرج المخبر على وفق الخبر فماتوا مشركين ثم وصفهم الله فقال «الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ» أى من جملتهم و الضمير العائد إلى الذين محذوف أى الذين عاهدت منهم أى من المشركين و قيل إن من مزیده و إنما دخلت لأن معنى عاهدت أخذت العهد منهم و كما قال رَدِفَ لَكُمْ لأن معنى ردف قرب فعومل بما يعامل به و قيل معناه عاهدت معهم قال مجاهد أراد به يهود بنى قريظه فإنهم كانوا قد عاهدوا النبى ص على أن لا يضروا به و لا يمالئوا عليه عدوا ثم مالئوا عليه الأحزاب يوم الخندق و أعانوهم عليه بالسلاح و عاهدوا مره بعد أخرى فنقضوا فانتقم الله منهم «ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ» أى كلما عاهدتهم نقضوا العهد و لم يفوا به «وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ» نقض العهد و قيل لا يتقون عذاب الله تعالى.

[سوره الأنفال (٨): الآيات ٥٧ الى ٥٨]

إشارة

فَأَمَّا تَتَقَفَّنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ (٥٧) وَ إِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨)

اللغة

الثقف الظفر و الإدراك بسرعه و التشريد التفريق على اضطراب و الخيانة نقض العهد فيما اوتمن عليه و النبذ إلقاء الخبر إلى من لا يعلمه و السواء العدل قال الراجز:

فاضرب وجوه الغرر الأعداء حتى يجيبوك إلى السواء

أى إلى العدل و منه قيل للوسط سواء لاعتداله إلى الجهات قال حسان:

يا ويح أنصار النبى و رهطه بعد المغيب فى سواء الملحد

أى فى وسطه و قيل عنى بقوله «عَلَى سَوَاءٍ» على استواء فى العلم به.

الإعراب

إما تثقفن و إما تخافن دخلت نون التأكيد لما دخلت ما و لو لم يدخل ما لما حسن دخول النون لأن دخول ما كدخول القسم فى أنه علامه تؤذن أنه من مواضع تأكيد المطلوب من التصديق لأن النون يدخل لتأكيد المطلوب فيما يدل على الطلب و هى فى سته مواضع النهى و الأمر و الاستفهام و العرض و القسم و الجزاء مع ما.

المعنى

ثم حكم سبحانه فى هؤلاء الناقضين للعهود فقال لنبىه ص «فَإِمَّا تَثُقَفْنَهِمْ فِى الْحَرْبِ» معناه فأما تصادفهم فى الحرب أى إن ظفرت بهم و أدركتهم «فَشَرُّدٌ بِهِمْ مِّنْ خَلْفِهِمْ» أى فنكل بهم تنكيلا و أثر فيهم تأثيرا يشرد بهم من بعدهم و يطردهم و يمنعهم من نقض العهد بأن ينظروا فيهم فيعتبروا بهم فلا- ينقضوا العهد و يتفرقوا فى البلاد مخافة أن تعاملهم بمثل ما عاملتهم به و أن يحل بهم ما حل بهم و هذا معنى قول ابن عباس و الحسن و قتاده و سعيد بن جبير و السدى و قال الزجاج معناه افعل بهم فعلا من القتل تفرق بهم من خلفهم و قيل إن معنى شرد بهم سمع بهم بلغه قريش قال الشاعر:

أطوف فى النواطح كل يوم مخافة أن يشرد بى حكيم

«لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ» أى لكى يتذكروا و يتعظوا و ينزجروا عن مثل ذلك «وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً» معناه و إن خفت يا محمد من قوم بينك و بينهم عهد خيانه فيه لأن الخيانه إنما تكون بعد تقدم العهد و لم يظهر منهم نقض العهد بعد «فَأَنبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ» أى فألق إليهم ما بينك و بينهم من العهد و أعلمهم بأنك قد نقضت ما شرطت لهم لتكون أنت و هم فى العلم بالنقض على استواء و لا تبدأهم بالقتال من قبل أن تعلمهم بنقض العهد حتى لا ينسبوك إلى الغدر بهم فهذا معنى قوله «عَلَى سَوَاءٍ» و قيل معنى قوله «عَلَى سَوَاءٍ» على عدل أى إن كان بينك و بينهم عهد بغير مال فأعلمهم بأنك قد نقضت عهدهم و إن كان العهد على مال فرد المال عليهم ثم انقض العهد «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ» أى بنقضهم معناه فلا تخنهم بأن تبدأهم بالقتال من غير إعلامهم بنقض العهد قال الواقدى هذه الآية نزلت فى بنى قينقاع و بهذه الآية سار النبى ص إليهم.

إشارة

وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنْهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (٥٩) وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦٠) وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١)

القراءة

قرأ ابن عامر و أبو جعفر و حمزه و حفص «وَلَا- يَحْسِبَنَّ» بالياء و الباقون بالتاء و قرأ ابن عامر إنهم لا يعجزون بالفتح و الباقون «إِنَّهُمْ» بالكسر و قرأ رويس عن يعقوب ترهبون بالتشديد و الباقون «تُرْهَبُونَ» بالتخفيف و قرأ أبو بكر للسلم بكسر السين و الباقون بفتح السين.

الحج

من قرأ لا تحسبن بالتاء فالذين كفروا المفعول الأول و سبقوا جملة في موضع نصب بكونها المفعول الثاني و من قرأ «يَحْسِبَنَّ» بالياء فلا يخلو من أن يكون جعل الذين كفروا الفاعل و هذا لا يجوز لأن يحسبن لا بد له من مفعولين و لكنه محمول على أحد ثلاثة أشياء إما أن يكون فاعله النبي ص و تقديره و لا يحسبن النبي ص الذين كفروا سبقوا و إما أن يكون تقديره على حذف إن كأنه قال لا يحسبن الذين كفروا إن سبقوا فحذفت إن كما حذفتها في تأويل سيبويه في قوله أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ كَأَنَّهُ قَالَ أَفَعَيَّرَ عِبَادَتَهُ تَأْمُرُونِي قَالَ الزجاج و يقوى هذا الوجه أنها في حرف ابن مسعود أنهم سبقوا و إذا كانت كذلك فهو بمنزلة قولك حسبت أن أقوم و حسبت أقوم على حذف أن و إذا وجهته على هذا فقد سد أن سبقوا مسد المفعولين كما أن قوله الم أ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا كَذَلِكَ و إما أن يكون أضم المفعول الأول و تقديره و لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم سبقوا أو إياهم سبقوا و من قرأ «إِنَّهُمْ لَا- يُعْجِزُونَ» بكسر الألف يكون على الاستئناف كما أن قوله سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ منقطع من الجملة التي قبلها التي هي أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا

و من قرأ أنهم لا يعجزون جعله متعلقا بالجمله الأولى و تقديره لا تحسبنهم سبقوا لأنهم لا يفوتون و من قرأ ترهبون فلأن رهب يرهب رهبه يعدى تاره بالهمزه و تاره بالتشديد فيقال رهبتة و أرهبتة و أما السلم و السلم فلغتان و معناهما الصلح.

اللغه

السبق تقدم الشىء على طالب اللقوق به و الإعجاز إيجاد ما يعجز عنه و العجز معنى عند أبى على الجبائى و أبى القاسم البلخى و ليس بمعنى عند أبى هاشم و أصحابه بل هو عدم القدره و ذهب إليه المرتضى و الأعداد اتخاذ الشىء لغيره مما يحتاج إليه فى أمره و الاستطاعه معنى ينطاع بها الجوارح للفعل مع انتفاع المنع و الرباط شد أيسر من العقد يقال ربطه يربطه ربطا و رباطه مرابطه و رباطا و الإرهاب إزعاج النفس بالخوف و الجنوح الميل و منه جناح الطائر لأنه يميل به فى أحد شقيه و لا جناح عليه أى لا ميل إلى مآثم.

الإعراب

«لا- يُعْجِزُونَ» فتح النون هو القراءه و يجوز كسرهما على معنى لا- يعجزوننى و يحذف النون الأولى لاجتماع النونين كما قال الشاعر:

تراه كالثغام يعل مسكا يسوء الغاليات إذا فلينى

يريد فلينى «وَ آخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ» منصوب على تقدير و ترهبون آخرين و يجوز أن يكون على تقدير و أعدوا لهم الآخريين فيكون مجرورا عطفا على الهاء و الميم.

المعنى

لما تقدم الأمر بقتال الكفار عقبه سبحانه بوعد النصر و الأمر بالإعداد لقتالهم فقال «وَ لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا» معناه و لا تحسبن يا محمد أعداءك الكافرين قد سبقوا أمر الله و أعجزوه و أنهم قد فاتوك فإن الله سبحانه يظفر ك بهم كما وعدك و يظهر ك عليهم و السبق و الفوت بمعنى واحد و قيل معناه لا- تحسبن من أفلت من هذه الحرب إنه قد يسبق إلى الحياه عن الزجاج و الخطاب للرسول ص و المراد به غيره و قيل إنه إنما قاله تطيبا لقلبه فى الهارين كما طيب قلبه فى المقتولين و المأسورين و على القراءه بالياء فالمعنى لا- يحسبن الكافرون أنفسهم سابقين أو لا- يحسبن الكافرون أنهم سابقون «إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ» أى لا- يعجزون الله و لا- يفوتونه حتى لا- يبعثهم الله يوم القيامه عن الحسن و قيل معناه لا- يعجزونك عن الجبائى «وَ أَعَدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ» هذا أمر منه سبحانه بأن يعدوا السلاح قبل لقاء العدو و معناه و أعدوا للمشركين ما قدرتم عليه مما يتقوى به على القتال من الرجال و آلات الحرب و

روى عقبه بن عامر عن النبى ص أن القوه الرمى

و على هذا فيكون معناه أنه من القوه

وقيل إن القوه اتفاق الكلمه و الثقه بالله تعالى و الرغبه فى ثوابه و قيل القوه الحصون عن عكرمه «وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ» أى و من ربطها و اقتنائها للغزو و هى من أقوى عدد الجهاد و

روى عن النبى ص أنه قال ارتبطوا الخيل فإن ظهورها لكم عز و أجوافها كنز

وقيل إن القوه ذكور الخيل و الرباط و الإناث منها عن الحسن و عكرمه «تُرْهَبُونَ بِهِ» أى تخوفون بما تعدونه لهم «عِيدُوا اللَّهَ وَ عِيدُواكُمْ» يعنى مشركى مكه و كفار العرب «وَ آخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ» أى و ترهبون كفارا آخرين دون هؤلاء و اختلفوا فى الآخرين فقيل أنهم بنو قريظه عن مجاهد و قيل هم أهل فارس عن السدى و قيل هم المنافقون لا يعلم المسلمون أنهم أعداؤهم و هم أعداؤهم عن الحسن و ابن زيد «لَا تَعْلَمُونَهُمْ» معناه لا تعرفونهم لأنهم يصلون و يصومون و يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله و يختلطون بالمؤمنين «اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ» أى يعرفهم لأنه المطلع على الأسرار و قيل هم الجن و هو اختيار الطبرى قال لأن الأعداء دخل فيه جميع المتظاهرين بالعداوه فلم يبق إلا من لا يشاهد «وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أى فى الجهاد و فى طاعه الله «يُؤَوِّفُ إِلَيْكُمْ» أى يوفر عليكم ثوابه فى الآخره «وَ أَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ» أى لا- تنقصون شيئا منه «وَ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ» أى مالوا إلى الصلح و ترك الحرب «فَاجْنَحْ لَهَا» أى مل إليها و اقبلها منهم و إنما أنت لأن السلم بمعنى المسالمة «وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ» أى فوض أمرك إلى الله «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» لا تخفى عليه خافيه و قيل إن هذه الآيه منسوخه بقوله «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا» و الآيه الأخرى نزلتا فى سنه تسع فى سورة براءه و صالح الأخرى لعباد الأوثان و هذا هو الصحيح لأن قوله «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ» و الآيه الأخرى نزلتا فى سنه تسع فى سورة براءه و صالح رسول الله ص وفد نجران بعدها.

إشارة

وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَ أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣)

اللغة

الخدع و الخديعه إظهار المحبوب فى الأمر مع إبطان المكروه و التأييد التمكين من الفعل على أتم ما يصح فيه و الأيد القوه و التأليف الجمع على تشاكل و اختلف فى التأليف فأثبتة بعضهم معنى و نفاه بعضهم و الصحيح أنه معنى يحل محلين و لا يحصل من فعلنا إلا متولدا.

المعنى

ثم خاطب الله سبحانه نبيه ص فقال «وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ» معناه و إن يرد الذين يطلبون منك الصلح أن يخدعوك فى الصلح بأن يقصدوا بالتماس الصلح دفع أصحابك و الكف عن القتال حتى يقووا فيبدءوكم بالقتال من غير استعداد منكم «فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ» أى فإن الذى يتولى كفايتك الله «هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِينَ» أى هو الذى قواك بالنصر من عنده و أيدك بالمؤمنين الذين ينصرونك على أعدائك «وَ أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ» و أراد بتأليف القلوب ما كان بين الأوس و الخزرج من المعاداة و القتال فإنه لم يكن حيان من العرب بينهما من العداوه مثل ما كان بين هذين الحيين فألف الله بين قلوبهم حتى صاروا متوارين متحابين ببركه نبينا ص و قيل أراد كل متحابين فى الله عن مجاهد «لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ» أى لم يمكنك جمع قلوبهم على الألفه و إزاله ضغائن الجاهليه «وَ لَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ» بأن لطف لهم بحسن تدبيره و بالإسلام الذى هداهم إليه «إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» لا يمتنع عليه شىء يريد فعله و لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة قال الزجاج و هذا من الآيات العظام و ذلك أن النبى ص بعث إلى قوم أنفتهم شديده بحيث لو لطم الرجل من قبيله لطمه قاتل عنه قبيلته فألف الإيمان بين قلوبهم حتى قاتل الرجل أباه و أخاه و ابنه فأعلم الله سبحانه أن هذا ما تولاه منهم إلا هو.

إشاره

يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَ مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٦٤) يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (٦٥) الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَ عَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٦٦)

القراءة

إن يكن منكم مائه بالياء فيهما كوفي و الأول بالتاء بصرى «ضَعْفًا» بفتح الضاد كوفي إلا الكسائي و الباقر بضم الضاد و لكنهم سكنوا العين إلا أبا جعفر فإنه قرأ ضعفاء على وزن فعلاء.

الحجّه

من قرأ بالياء فإنه أراد به المذكور يدللك على ذلك قوله تعالى «يَغْلِبُوا» و قرأ أبو عمرو فإن تكن منكم مائه صابره بالتاء كما أنت صفة المائه و هى قوله «صابره» كذلك أنت الفعل و من قرأ الجميع بالتاء يحمله على اللفظ فاللفظ مؤنث و الضعف و الضعف لغتان كالفقر و الفقر.

اللغه

الاتباع موافقه الداعى فيما يدعو إليه من أجل دعائه و التحريض و الحض و الحث بمعنى و هو الترغيب فى الفعل بما يبعث على المبادره إليه و ضده التقتير و الصبر حبس النفس عما تنازع إليه من ضد ما ينبغى أن يكون عليه و ضده الجزع قال:

فإن تصبراً فالصبر خير مغبه و إن تجزعا فالأمر ما تريان

و التخفيف رفع المشقه بالخفه و الخفه نقيض الثقل و الخفه و السهوله بمعنى و الضعف نقصان القوه و هو من الضعف لأنه ذهاب ضعف القوه.

الإعراب

موضع «مَنْ اتَّبَعَكَ» رفع على معنى حسبك الله و أتباعك من المؤمنين و يحتمل أن يكون نصبا بمعنى و يكفى من اتبعك على التأويل لأن الكاف فى حسبك و فى موضع جر بالإضافه لكنه مفعول به فى المعنى فعطف على المعنى و مثله قوله تعالى إِنَّا مُنْجُوكَ وَ أَهْلَكَ و قال الشاعر:

إذا كانت الهيجاء و انشقت العصا فحسبك و الضحاك سيف مهند

الآن مبنى مع الألف و اللام لأنه خرج عن التمكن بشبه الحرف قال الزجاج عشرون لا يجوز إلا بكسر العين و زعم أهل اللغة أنه كسر أوله كما كسر أول اثنين لأن عشريين من عشره مثل اثنين من واحد و يدل عليه فتحهم ثلاثين كفتح ثلاثه و كسرهم تسعين ككسر تسعه.

المعنى

ثم أمر سبحانه بقتال الكفار و حث عليه بقوله «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَ مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» أى كافيك الله و يكفيك متبعوك من المؤمنين و قال الحسن معناه الله حسبك و حسب من اتبعك من المؤمنين أى يكفيك و يكفيهم قال الكلبي نزلت هذه الآية بالبيداء فى غزوه بدر قبل القتال «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ» أى ابعث المؤمنين «عَلَى الْقِتَالِ» و رغبتهم فيه بسائر أسباب التحريض و الترغيب من ذكر الثواب الموعود على القتال و بيان ما وعد الله لهم من النصر و الظفر و اغتنام الأموال «إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ» على القتال «يَعْلَبُوا مِائَتَيْنِ» من العدو «وَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَعْلَبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا» و اللفظ لفظ الخبر و المراد به الأمر و يدل على ذلك قوله فيما بعد «الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ» لأن التخفيف لا يكون إلا بعد التكليف «بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ» معناه ذلك النصر من الله تعالى لكم على الكفار و الخذلان للكفار بأنكم تفقهون أمر الله تعالى و تصدقونه فيما وعدكم من الثواب فيدعوكم ذلك إلى الصبر على القتال و الجدي و الكفار لا يفقهون أمر الله تعالى و لا يصدقونه فيما وعدكم من الثواب و لما علم الله تعالى أن ذلك يشق عليهم تغيرت المصلحه فى ذلك فقال «الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ» الحكم فى الجهاد من وجوب قتال العشره على الواحد و ثبات الواحد للعشره «وَ عَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا» أراد به ضعف البصيره و العزيمه و لم يرد ضعف البدن فإن الذين أسلموا فى الابتداء لم يكونوا كلهم أقوياء البدن بل كان فيهم القوى و الضعيف و لكن كانوا أقوياء البصيره و اليقين و لما كثر المسلمين و اختلط بهم من كان أضعف يقينا و بصيره نزل «الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ» «فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ» على القتال «يَعْلَبُوا مِائَتَيْنِ» من العدو «وَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ» صابره «يَعْلَبُوا أَلْفَيْنِ» منهم «بِإِذْنِ اللَّهِ» أى بعلم الله و قيل بأمره فأمر الله تعالى الواحد بأن يثبت لاثنين و تضمن النصره له عليهما و إنما لم يفصل و لم يأمر من كان قوى البصيره بأن يثبت لعشره و من كان ضعيف البصيره بأن يثبت لاثنين لأنهم كانوا يشهدون القتال مختلطين فكان لا يمكن التمييز بينهم و لو نص على من كان ضعيف البصيره كان فيه إيحاشهم و انكسار قلوبهم و زياده ضعفهم «وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ» أى معونه الله مع الصابرين و معناه و الله معين الصابرين و قيل إن هذه الآية نزلت

بعد الآية الأولى بـمده و إن قرن بينهما فى المصحف و هى ناسخه للأولى و المعتبر فى النسخ و المنسوخ بالنزول دون التلاوة و قال الحسن إن التغليظ كان على أهل بدر ثم جاءت الرخصة.

[سوره الأنفال (٨): الآيات ٦٧ الى ٦٩]

إشارة

ما كان لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُنْخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَوْ لَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨) فَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦٩)

القراءة

قرأ أبو جعفر أن تكون له بالباء أسارى و قرأ أهل الكوفة أن تكون له بالياء «أسرى» و الباقون «أَنْ يَكُونَ لَهُ» بالياء «أسرى».

الحجج

من قرأ بالياء فلأن الجمع مؤنث و من قرأ بالياء فلأنهم مذكرون فى المعنى و قد وقع الفصل بين الفعل و الفاعل قال أبو على و الأسرى أقيس من الأسارى لأن أسير فاعل بمعنى مفعول و ذلك يجمع على فعلى نحو جريح و جرحى و قتيل و قتلى و استمر هذا الجمع فى الباب و كثر حتى شبه به غيره مما ليس منه و لكن لموافقته مثل مرضى و هلكى و موتى و ذلك أن هذه أمور ابتلوا بها و أدخلوا فيها و هم لها كارهون فصار لذلك مشبها بفعال فى قول الخليل و إنما قالوا أسارى على التشبيه بكسالى كما قالوا كسلى على التشبيه بأسرى و قال الأزهرى الأسارى جمع الأسرى فهو جمع الجمع.

اللغة

الأسر الشد على المحارب بما يصير به فى قبضه الآخذ له و فلان مأسور أى مشدود و كانوا يشدون الأسير بالقد، و الإثخان فى الأرض تغليظ الحال بكثرة الفتل و الثخن و الغلظ و الكثافة نظائر و قد أثنخه المرض إذا اشتدت قوته عليه و أثنخه الجراح و العرض متاع

الدنيا سماه عرضا لقله لبثه و الفرق بين الحلال و المباح أن الحلال من حل العقد في التحريم و المباح من التوسعه في الفعل و إن اجتمعا في الحل و الطيب المستلذ و شبه الحلال به فسمى طيبا و اللذه نيل المشتهى.

الإعراب

الفاء في فكلوا دخلت للجزاء المعنى لقد أحللت لكم الغذاء فكلوا و حلالا طيبا منصوب على الحال.

المعنى

«ما كانَ لِنَبِيِّ» أى ليس له و لا- فى عهد الله إليه «أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى» من المشركين ليفديهم أو يمن عليهم «حَيْثَى يُشْخَنَ فِي الْأَرْضِ» أى حتى يبالغ فى قتل المشركين و قهرهم ليرتدع بهم من وراءهم و قال أبو مسلم الإثخان الغلبه على البلدان و التذليل لأهلها يعنى حتى يتمكن فى الأرض «تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا» هذا خطاب لمن دون النبى ص من المؤمنين الذين رغبوا فى أخذ الفداء من الأسرى فى أول وقته و رغبوا فى الحرب للغنيمه قال الحسن و ابن عباس يريد يوم بدر و يقول أخذتم الفداء من الأسرى فى أول وقعه كانت لكم من قبل أن تثخنوا فى الأرض و عرض الدنيا مال الدنيا لأنه بمعرض الزوال «وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ» أى تريدون عاجل الحظ من عرض الدنيا و الله يريد لكم ثواب الآخرة «وَاللَّهُ عَزِيزٌ» لا- يغلب أنصاره فاعملوا ما يريد منكم لينصركم «حَكِيمٌ» يجرى أفعاله على ما توجه الحكمة فصل سبحانه بين إرادته نفسه و إرادته عباده و لو كان ما أرادوه على ما قاله المجبره لم يصح هذا التفصيل «لَوْ لَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» قيل فى معناه أقوال (أحدها) لو لا ما مضى من حكم الله أن لا يعذب قوما حتى يبين لهم ما يتقون و أنه لم يبين لكم أن لا تأخذوا الفداء لعذبكم بأخذ الفداء عن ابن جريج (و ثانيها) لو لا- أن الله حكم لكم إباحه الغنائم و الفداء فى أم الكتاب و هو اللوح المحفوظ لمسكم فيما استحللتم قبل الإباحه عذاب عظيم فإن الغنائم لم تحل لأحد قبلكم عن ابن عباس (و ثالثها) لو لا كتاب من الله سبق و هو القرآن فآمنتتم به و استوجبتتم بالإيمان به الغفران لمسكم العذاب عن الجبائى قال و المراد به الصغائر (و رابعها) أن الكتاب الذى سبق قوله و ما كانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ وَ الْمَعْنَى لَوْ لَا مَا كَتَبَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ أَوْ فِي اللُّوحِ الْمُحْفُوظِ أَنَّهُ لَا يُعَذِّبُكُمْ وَ النَّبِيُّ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ لَعَذِّبُكُمْ «فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا» هذه إباحه منه سبحانه للمؤمنين أن يأكلوا مما غنموه من أموال المشركين «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» باتقاء معاصيه «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

[القصة]

كان القتلى من المشركين يوم بدر سبعين قتل منهم على بن أبى طالب ع

سبعة وعشرين و كان الأسرى أيضا سبعين و لم يؤسر أحد من أصحاب النبي ص فجمعوا الأسارى و قرنوهم فى الحبال و ساقوهم على أقدامهم و قتل من أصحاب رسول الله تسعة رجال منهم سعد بن خيثمه و كان من النقباء من الأوس و عن محمد بن إسحاق قال استشهد من المسلمين يوم بدر أحد عشر رجلا- أربعة من قريش و سبعة من الأنصار و قيل ثمانية و قتل من المشركين بضعة و أربعون رجلا- و عن ابن عباس قال لما أمسى رسول الله ص يوم بدر و الناس محبوسون بالوثاق بات ساهرا أول الليله فقال له أصحابه ما لك لا تنام فقال ص سمعت أنين عمى العباس فى وثاقه فأطلقوه فسكت فنام رسول الله ص و روى عبيده السلماني عن رسول الله ص أنه قال لأصحابه يوم بدر فى أسارى إن شئتم قتلتموهم و إن شئتم فاديتموهم و استشهد منكم بعدتهم و كانت الأسارى سبعين فقالوا بل نأخذ الفداء فنستمتع به و نتقوى به على عدونا و ليستشهد منا بعدتهم قال عبيده طلبوا الخيرتين كلتيهما فقتل منهم يوم أحد سبعون و فى كتاب على بن إبراهيم لما قتل رسول الله ص النضر بن الحارث و عقبه بن أبى معيط خافت الأنصار أن يقتل الأسارى فقالوا يا رسول الله قتلنا سبعين و هم قومك و أسرتك أتعزنا أصلهم فخذ يا رسول الله منهم الفداء و قد كانوا أخذوا ما وجدوه من الغنائم فى عسكر قريش فلما طلبوا إليه و سألوه نزلت الآية «ما كان لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى» الآيات فأطلق لهم ذلك و كان أكثر الفداء أربعة آلاف درهم و أقله ألف درهم فبعثت قريش بالفداء أولا فأولا فبعثت زينب بنت رسول الله ص من فداء زوجها أبى العاص بن الربيع و بعثت قلائد لها كانت خديجه جهزتها بها و كان أبو العاص ابن أخت خديجه فلما رأى رسول الله ص تلك القلائد قال رحم الله خديجه هذه قلائد هى جهزتها بها فأطلقه رسول الله ص بشرط أن يبعث إليه زينب و لا يمنعها من اللحوق به فعاهده على ذلك و وفى له و روى أن النبي ص كره أخذ الفداء حتى رأى سعد بن معاذ كراهيه ذلك فى وجهه فقال يا رسول الله هذا أول حرب لقينا فيه المشركين و الإثخان فى القتل أحب إلى من استبقاء الرجال و قال عمر بن الخطاب يا رسول الله كذبوك و أخرجوك فقدمهم و اضرب أعناقهم و مكن عليا من عقيل فيضرب عنقه و مكنى من فلان أضرب عنقه فإن هؤلاء أئمة الكفر و قال أبو بكر أهلك و قومك استأن بهم و استبقهم و خذ منهم فديه فيكون لنا قوه على الكفار قال ابن زيد فقال رسول الله ص لو نزل عذاب من السماء ما نجا منكم غير عمر و سعد بن معاذ و

قال أبو جعفر

ص: ٤٤٢

الباقر (عليه السلام) كان الفداء يوم بدر كل رجل من المشركين بأربعين أوقيه والأوقيه أربعون مثقالاً إلا العباس فإن فداءه كان مائه أوقيه و كان أخذ منه حين أسر عشرون أوقيه ذهباً فقال النبي ص ذلك غنيمه ففاد نفسك و ابني أخيك نوفلا و عقيلاً فقال ليس معى شىء فقال أين الذهب الذى سلمته إلى أم الفضل و قلت إن حدث بى حدث فهو لك و للفضل و عبد الله و قثم فقال من أخبرك بهذا قال الله تعالى فقال أشهد أنك رسول الله و الله ما أطلع على هذا أحداً إلا الله تعالى.

[سوره الأنفال (٨): الآيات ٧٠ الى ٧١]

إشاره

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٠) وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٧١)

القراءه

قرأ أبو جعفر و أبو عمرو من الأسارى و الباقون «مِنَ الْأَسْرَىٰ» و قد ذكرنا الفرق بين الأسارى و الأسارى فيما قبل.

المعنى

ثم خاطب الله سبحانه نبيه فقال «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ» من الأسارى إنما ذكر الأيدي لأن من كان فى وثاقهم فهو بمنزله من يكون فى أيديهم لاستيلائهم عليه «مِنَ الْأَسْرَىٰ» يعنى إسرائ بدر الذين أخذ منهم الفداء «إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا» أى إسلاماً و إخلاصاً أو رغبه فى الإيمان و صحه نيه «يُؤْتِكُمْ خَيْرًا» أى يعطكم خيراً «مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ» من الفداء إما فى الدنيا و الآخرة و إما فى الآخرة «وَيَغْفِرَ لَكُمْ» ذنوبكم «وَاللَّهُ غَفُورٌ» للذنوب «رَحِيمٌ» روى عن العباس بن عبد المطلب أنه قال نزلت هذه الآيه فى و فى أصحابى كان معى عشرون أوقيه ذهباً فأخذت منى فأعطانى الله مكانها عشرين عبداً كل منهم يضرب بمال كثير و أدناهم يضرب بعشرين ألف درهم مكان العشرين أوقيه و أعطانى زمزم و ما أحب أن لى بها جميع أموال أهل مكه و أنا أنتظر المغفره من ربي قال قتاده ذكر لنا أن نبي الله ص لما قدم عليه مال البحرين ثمانون ألفاً و قد توضعاً لصلاه الظهر فما صلى يومئذ حتى فرقه و أمر العباس أن يأخذ منه و يحثى فأخذ فكان العباس يقول هذا خير مما أخذ منا

و أرجو المغفرة «وَ إِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ» معناه و إن يرد الذين أطلقتمهم من الأسارى خيانتك بأن يعدوا حربا لك أو ينصروا عدوا عليك «فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ» بأن خرجوا إلى بدر و قاتلوا مع المشركين و قيل بأن أشركوا بالله و أضافوا إليه ما لا يليق به «فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ» أى فأمكنك منهم يوم بدر بأن غلبوا و أسروا و سيمكنك منهم ثانيا أن خانوك «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» معناه عليم بما يقولونه و بما فى نفوسهم و بجميع الأشياء حكيم فيما يفعله.

[سوره الأنفال (٨): آيه ٧٢]

إشارة

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هَاجَرُوا وَ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ الَّذِينَ آوَوْا وَ نَصَرُوا أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَ إِنْ اسْتَنْصَرُواكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصِيرُ إِلا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢)

القراءة

قرأ حمزه ولايتهم بكسر الواو و هو قراءة الأعمش و يحيى بن وثاب و الباقون «وَلَايَتِهِمْ» بفتح الواو.

الحجج

قال الزجاج من قرأ بالفتح فلأن الولاية من النصره و النسب بفتح الواو و الولاية التي بمنزله الإمارة مكسوره ليفصل بين المعنيين و قد يجوز كسر الواو لأن فى تولى بعض القوم بعضا جنسا من الصنائه و العمل و كل ما كان من جنس الصنائه فمكسور نحو الخياطة و الصياغة و قال أبو عبيده و أبو الحسن من ولايتهم مصدر المولى و أما فى السلطان فالولاية بكسر الواو و هى فى الأخرى لغه.

اللغة

الهجرة و المهاجرة فراق الوطن إلى غيره من البلاد و أصله من الهجر ضد الوصل و الجهاد تحمل المشاق فى قتال أعداء الدين من جهده الأمر جهدا و الإيواء ضم الإنسان غيره إليه بإنزاله عنده و تقريبه له يقال آواه يؤويه إيواء و أوى يأوى أويا و أويت معناه

رجعت إلى المأوى والولاية عقد النصره للموافقه فى الديانه.

النزول

قيل نزلت الآيه فى الميراث و كانوا يتوارثون بالهجره فجعل الله الميراث للمهاجرين و الأنصار دون ذوى الأرحام و كان الذى آمن و لم يهاجر و لم يرث من أجل أنه لم يهاجر و لم ينصر و كانوا يعملون بذلك حتى أنزل الله تعالى وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فَنَسَخْتِ هَذِهِ الْآيَةَ وَ صَارَ الْمِيرَاثُ لِدَوَى الْأَرْحَامِ الْمُؤْمِنِينَ وَ لَا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مَلْتِينَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ الْحَسَنِ وَ قَتَادَةَ وَ مُجَاهِدَ وَ السُّدَى.

المعنى

ثم ختم سبحانه السوره بإيجاب موالاه المؤمنين و قطع موالاه الكافرين فقال «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» بالله و رسوله و بما يجب الإيمان به «وَ هَاجَرُوا» من مكه إلى المدينه «وَ جَاهِدُوا» و قاتلوا العدو «بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أى فى طاعه الله و إعزاز دينه «وَ الَّذِينَ آوُوا» الرسول و المهاجرين بالمدينه أى جعلوا لهم مأوى و أسكنوهم منازلهم يعنى الأنصار «وَ نَصَرُوا» أى و نصرهم بعد الإيواء على أعدائهم و بذلوا المهج فى نصرتهم «أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ» أى هؤلاء بعضهم أولى ببعض فى النصره و إن لم يكن بينهم قرابه من أقربائهم من الكفار و قيل فى التوارث عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتاده و السدى و قيل فى التناصر و التعاون و الموالاه فى الدين عن الأصم و قيل فى نفوذ أمان بعضهم على بعض فإن واحدا من المسلمين لو أمن إنسانا نفذ أمانه على سائر المسلمين «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَهِجِرُوا» إلى المدينه «مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا» أى ما لكم من ميراثهم من شىء حتى يهاجروا فحينئذ يحصل بينكم التوارث فإن الميراث كان منقطعا فى ذلك الوقت بين المهاجرين و غير المهاجرين و

روى عن أبى جعفر (عليه السلام) أنهم كانوا يتوارثون بالمؤاخاه الأولى

و قيل معناه ما لكم من مولاتهم و نصرتهم من شىء أى ليس عليكم نصرتهم «وَ إِنْ اسْتَنْصَرْتُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ» معناه و إن طلبوا يعنى المؤمنين الذين لم يهاجروا منكم النصره لهم على الكفار و إعانتهم فى الدين فعليكم النصر و المعونه لهم و ليس عليكم نصرتهم فى غير الدين «إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ» معناه إلا أن يطلبوا منكم النصره لهم على قوم من المشركين بينكم و بينهم أمان و عهد يجب الوفاء به و لا تنصروهم عليهم لما فيه من نقض العهد «وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» أى بأعمالهم عليم لا يخفى عليه شىء منها.

إشاره

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَ فَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٣) وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هَاجَرُوا وَ جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ الَّذِينَ آوُوا وَ نَصَرُوا أَوْلِيَاءَكُمُ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤) وَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَ هَاجَرُوا وَ جَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧٥)

اللغة

الفتنة أصلها الامتحان ثم تستعمل في أشياء منها الكفر و الشرك و ذلك نحو قوله تعالى وَ الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَ قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ مِنْهَا الْعَذَابُ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى «جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ» و قوله «ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ» يعنى عذابكم بالتحريق بالنار و منها المعذرة في نحو قوله تعالى «ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ» أى معذرتهم و منها القتل في نحو قوله «إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يُفْتِنَكُمْ» أى يقتلكم و قوله عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِمْ أَنْ يُفْتِنَهُمْ وَ مِنْهَا الْهَرَجُ وَ الْإِبْتِلَاءُ عَلَى إِثْرِ الْبَلَاءِ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ وَ هُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَ لَقَدْ فْتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ هَذَا التَّفْصِيلُ مَأْخُذٌ مِنْ قَوْلِ الصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ). وَ الْكَرِيمُ فَاعِلُ الْكَرَمِ وَ الْكَرَمُ الْجُودُ الْعَظِيمُ وَ الشَّرْفُ قَالَ:

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيئا بماء فعادا بعد أبوإلا

و الرزق الكريم العظيم الواسع.

الإعراب

قوله فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ يجوز في العربيه فعليكم النصر على قولك عليك زيدا و لم يقرأ بها.

المعنى

ثم ذكر سبحانه و تعالى حكم الكافرين فقال «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ

بَعْضُ» أى بعضهم أنصار بعض عن ابن إسحاق و قتاده و قيل معناه بعضهم أولى ببعض فى الميراث عن ابن عباس و أبى مالك «إِلَّا تَفْعَلُوهُ» و تقديره إلا تفعلوا ما أمرتم به فى الآيه الأولى و الثانية و مخرجه مخرج الخبر و المراد به الأمر و تقديره إلا تفعلوا ما أمرتم به من التناصر و التعاون و التبرؤ من الكفار «تَكُنْ فِتْنَةٌ فِى الْأَرْضِ وَ فَسَادٌ كَبِيرٌ» على المؤمنين الذين لم يهاجروا و يريد بالفتنة هنا المحنة بالميل إلى الضلال و بالفساد الكبير ضعف الإيمان و قيل إن الفتنة هى الكفر لأن المسلمين إذا والوهم تجرؤوا على المسلمين و دعوهم إلى الكفر و هذا يوجب التبرؤ منهم و الفساد الكبير سفك الدماء عن الحسن و قيل معناه و إن لم تعلقوا التوارث بالهجرة و لم تقطعوه بعدمها أدى إلى فتنة فى الأرض باختلاف الكلمه و فساد عظيم بتقويه الخارج عن الجماعه عن ابن عباس و ابن زيد ثم عاد سبحانه إلى ذكر المهاجرين و الأنصار و مدحهم و الثناء عليهم فقال «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هَاجَرُوا وَ جَاهَدُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ» أى صدقوا الله و رسوله و هاجروا من ديارهم و أوطانهم يعنى من مكه إلى المدينة و جاهدوا مع ذلك فى إعلاء دين الله «وَ الَّذِينَ آوَوْا وَ نَصَرُوا» أى ضمواهم إليهم و نصروا النبى ص «أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا» أى أولئك الذين حققوا إيمانهم بالهجرة و النصره بخلاف من أقام بدار الشرك و قيل معناه أن الله حقق إيمانهم بالشاره التى بشرهم بها و لم يكن لمن لم يهاجر و لم ينصر مثل هذا و اختلفوا فى أن الهجرة هل تصح فى هذا الزمان أم لا فليل لا تصح لأن

النبى ص قال لا هجره بعد الفتح

و لأن الهجرة الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام و ليس يقع مثل هذا فى هذا الزمان لاتساع بلاد الإسلام إلا أن يكون نادرا لا- يعتد به و قيل إن هجره الأعراب إلى الأمصار باقيه إلى يوم القيامة عن الحسن و الأقوى أن يكون حكم الهجرة باقيا لأن من أسلم فى دار الحرب ثم هاجر إلى دار الإسلام كان مهاجرا و كان الحسن يمنع أن يتزوج المهاجر إلى أعرابيه و روى عن عمر بن الخطاب أنه قال لا تنكحوا أهل مكه فإنهم أعراب و إنما سمي الجهاد سبيل الله لأنه الطريق إلى ثواب الله فى دار كرامته «لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ» لا- يشوبه ما ينغصه و قيل الرزق الكريم هاهنا طعام الجنة لأنه لا- يستحيل فى أجوافهم نجوا بل يصير كالمسك ريحا «وَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ» أى من بعد فتح مكه عن الحسن و قيل معناه آمنوا من بعد إيمانكم «وَ هَاجَرُوا» بعد هجرتكم «وَ جَاهِدُوا مَعَكُمْ» أيها المؤمنون «فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ» أى مؤمنون مثلكم من جملتكم و حكمهم حكمكم فى وجوب موالا-تهم و موارثتهم و نصرتهم و إن تأخر إيمانهم و هجرتهم «وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ» معناه و ذوو الأرحام و القرابه بعضهم أحق بميراث بعضهم من غيرهم عن ابن عباس و الحسن و جماعه

المفسرين وقالوا صار ذلك نسخا لما قبله من التوارث بالمعاقده والهجره و غير ذلك من الأسباب فقد كانوا يتوارثون بالمؤاخاه
فإن النبي ص كان آخى بين المهاجرين و الأنصار «فِي كِتَابِ اللَّهِ» أى فى حكم الله عن الزجاج و قيل فى اللوح المحفوظ كما
فى قوله ما أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا و قيل فى القرآن و فى قوله «وَأُولُوا
الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ» دلالة على أن من كان أقرب إلى الميت فى النسب كان أولى بالميراث سواء كان ذا سهم أو غير
ذى سهم أو عصبه أو غير ذى عصبه و من وافقنا فى توريث ذوى الأرحام يستثنى أصحاب الفرائض و العصبه من الآيه و ذلك
خلاف الظاهر «إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» ظاهر المعنى و أكثر هذه السوره فى قصه بدر.

سرشناسه: طبرسی، فضل بن حسن، ٤٦٨ - ٥٤٨ ق.

عنوان و نام پدیدآور: مجمع البیان فی تفسیر القرآن

تالیف ابوعلی الفضل بن الحسن الطبرسی

مصصح: هاشم رسولی

مصصح: فضل الله یزدی طباطبایی

مشخصات نشر: دارالمعرفه - بیروت - لبنان

مشخصات ظاهری: ١٠ ج.

یادداشت: عربی

موضوع: تفاسیر شیعه -- قرن ٦ ق.

ص: ١

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ٢

مجمع البيان فى تفسير القرآن

تأليف ابو على الفضل بن الحسن الطبرسى

مصصح: هاشم رسولى

مصصح: فضل الله يزدى طباطبايى

ص: ٣

و هي مدنيه كلها و قال بعضهم غير آيتين «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ» إلى آخر السوره نزلت سنه تسع من الهجره و فتحت مكه سنه ثمان و حج رسول الله ص حجه الوداع سنه عشر و قال قتاده و مجاهد و هي آخر ما نزلت على النبي ص بالمدينه

هي مائه و تسع و عشرون آيه كوفي و ثلاثون في الباقيين

ثلاث آيات «بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» بصرى «عَذَابًا أَلِيمًا» شامى و «عَادٍ وَ ثَمُودَ» حجازى

سوره براءه سميت بذلك لأنها مفتتحة بها و نزلت بإظهار البراءه من الكفار- التوبه- سميت بذلك لكثره ما فيها من التوبه كقوله «وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ» «فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ» «ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا»- الفاضحه- عن سعيد بن جبیر قال قلت لابن عباس سوره التوبه فقال تلك الفاضحه ما زال ينزل حتى خشينا أن لا يبقى منهم أحد إلا ذكر و سميت بذلك لأنها فضحت المنافقين بإظهار نفاقهم- المبعثره- عن ابن عباس أيضا سماها بذلك لأنها تبعثر عن أسرار المنافقين أى تبحر عنها- المقشقشه- عن ابن عباس سماها بذلك لأنها تبرئ من آمن بها من النفاق و الشرك لما فيها من الدعاء إلى الإخلاص

و فى الحديث كان يقال لسورتى (قل يا أيها الكافرون) و (قل هو الله أحد) المقشقشتان سميتا بذلك لأنهما تبرئان من الشرك و النفاق

يقال قشقشه إذا برأه و تقشقش المريض من علته إذا أفاق و برأ منها- البحوث- عن أبى أيوب الأنصارى سماها بذلك لأنها تتضمن ذكر المنافقين و البحث عن سرائرهم- المدمدمه- عن سفيان بن عيينه أى المهلكه و منه قوله

«فَدَمِدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ» (الحافره) عن الحسن لأنها حفرت عن قلوب المنافقين ما كانوا يسترونه- المشيره- عن قتاده لأنها أثارت مخازيهم و مقابحهم- سورة العذاب- عن حذيفه بن اليمان لأنها نزلت بعذاب الكفار و روى عاصم عن زر بن حبيش عن حذيفه قال يسمونها سورة التوبه و هى سورة العذاب فهذه عشره أسماء.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأ سورة الأنفال و براءه فأنا شفيع له الخبر بتمامه

و قد مضى ذكره مع ما فى معناه فى أول الأنفال

و قد روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال الأنفال و البراءه واحد

و روى ذلك عن سعيد بن المسيب

و روى الثعلبى بإسناده عن عائشه عن رسول الله ص أنه قال ما نزل على القرآن إلا آيه آيه و حرفا حرفا خلا سورة البراءه و قل هو الله أحد فإنهما نزلتا على و معهما سبعون ألف صف من الملائكه كل يقول يا محمد استوص بنسبه الله خيرا

عله ترك التسميه- فى أولها قراءه و كتابه

للعلماء و المفسرين فيه أقوال- (أحدها)- أنها ضمت إلى الأنفال بالمقاربه فصارتا كسوره واحده إذ الأولى فى ذكر اليهود و الثانيه فى رفع اليهود عن أبى بن كعب- (و ثانيها)-

أنه لم ينزل بسم الله الرحمن الرحيم على رأس سورة براءه لأن بسم الله للأمان و الرحمه و نزلت براءه لرفع الأمان بالسيف عن على (عليه السلام)

و سفيان بن عيينه اختاره أبو العباس المبرد- (و ثالثها)- ما روى عن ابن عباس أنه قال قلت لعثمان بن عفان ما حملكم على أن عمدتهم إلى براءه و هى من المثين و إلى الأنفال و هى من المثاني فجعلتموهما فى السبع الطوال و لم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم

فقال كان النبى ص تنزل عليه الآيات فيدعو بعض من يكتب له فيقول له ضع هذه الآيات فى السوره التى يذكر فيها كذا و كذا

و كانت الأنفال من أول ما نزل من القرآن بالمدينه و كانت براءه من آخر ما نزل من القرآن و كانت قصتها شبيهه بقصتها فظننا أنها منها و قبض رسول الله ص و لم يبين أنها منها فوضعناهما فى السبع الطوال و لم نكتب سطر بسم الله الرحمن الرحيم و كانتا تدعيان القرينتين

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة الأنفال بإيجاب البراءة عن الكفار افتتح هذه السورة بأنه تعالى ورسوله بريثان منهم كما أمر المسلمين بالبراءة منهم فقال

ص: ٥

إشارة

بِرَاءةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١) فَسِيَّحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (٢)

اللغة

معنى البراءة انقطاع العصمة يقال برأ يبرأ براءة و تبرء تبرءا و أبرأه إبراء و السيح السير على مهل يقال ساح سباحا و سياحه و سيوحا و سيحانا و الإعجاز إيجاد العجز و العجز ضد القدره عند من أثبتته معنى و الإخزاء الإذلال بما فيه الفضيحة و العار و الخزي النكال الفاضح.

الإعراب

براءة ترفع على أنها خبر مبتدأ محذوف و تقديره هذه الآيات براءة و يحتمل أن يكون مبتدأ و خبره في الظرف و هو قوله «إلى الذين» و جاز أن يكون المبتدأ نكرة لأنها موصوفة و الأول أجود لأنه يدل على حضور المدرك كما تقول لمن تراه حاضرا حسن و الله أي هذا حسن.

المعنى

«بِرَاءةٍ مِنَ اللَّهِ» أي هذه براءة من الله «وَرَسُولِهِ» أي انقطاع للعصمة و رفع للأمان و خروج من العهود «إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» الخطاب للنبي ص و للمسلمين و المعنى تبرؤا ممن كان بينكم و بينهم عهد من المشركين فإن الله و رسوله بريان منهم قال الزجاج معناه قد برىء الله و رسوله من إعطائهم العهود و الوفاء لهم بهما إذ نكثوا و إذا قيل كيف يجوز أن ينقض النبي ص العهد فالقول فيه أنه يجوز أن ينقض ذلك على أحد ثلاثة أوجه إما أن يكون العهد مشروطا بأن يبقى إلى أن يرفعه الله تعالى بوحى و إما أن يكون قد ظهر من المشركين خيانه و نقض فأمر الله سبحانه بأن ينبذ إليهم عهدهم و إما أن يكون مؤجلا إلى مده فتتقضى المده و ينتقض العهد و قد

وردت الرواية بأن النبي ص شرط عليهم ما ذكرناه

و

روى أيضا أن المشركين كانوا قد نقضوا العهد أو هموا بذلك فأمره الله سبحانه أن ينقض عهدهم

ثم خاطب الله سبحانه المشركين فقال «فَسِيَّحُوا فِي الْأَرْضِ» أي سيروا في الأرض على وجه المهل و تصرفوا في حوائجكم آمنين من السيف «أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ» فإذا انقضت هذه المده و لم تسلموا انقطع العصمة عن دمائكم و أموالكم «وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ»

اللَّهِ» أَى غَیْرِ فَائِئِیْنِ عَنِ اللّهِ كَمَا یَفُوت مَا یَعْجِزُ عَنْهُ لِأَنَّكُمْ حَیْثُ كُنْتُمْ فِی سُلْطَانِ اللّهِ وَ مَلِكِهِ «وَ أَنَّ اللّٰهَ مُخْزِی الْكٰفِرِیْنَ» أَى
مَذَلَّهُمْ وَ مَهِیْنَهُمْ وَ اِخْتَلَفَ فِی هَذِهِ الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ

فَقِیْلَ كَانَ ابْتِدَآؤُهَا یَوْمَ النَّحْرِ إِلَى الْعَاشِرِ مِنْ شَهْرِ رَبِیْعِ الْآخِرِ عَنْ مِجَآهِدٍ وَ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرْظِیِّ وَ هُوَ الْمَرْوِیُّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللّٰهِ
(عَلِیْهِ السَّلَامُ)

وَ قِیْلَ إِنَّمَا ابْتِدَآءُ أَجْلِهِمُ الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةَ مِنْ أَوَّلِ شَوَّالٍ إِلَى آخِرِ الْمَحْرَمِ لِأَنَّ هَذِهِ الْآیَةَ نَزَلَتْ فِی شَوَّالٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ الزَّهْرِیِّ
قَالَ الْفَرَّاءُ كَانَتْ الْمُدَّةُ إِلَى آخِرِ الْمَحْرَمِ لِأَنَّهُ كَانَ فِیهِمْ

ص: ٦

من كانت مدته خمسين ليله و هو من لم يكن له عهد من النبي ص فجعل الله له ذلك و قيل إن من كان له عهد من النبي ص أكثر من أربعة أشهر حط إلى أربعة أشهر و من كان له عهد أقل منها رفع إليها عن الحسن و ابن إسحاق قيل كان ابتداء الأشهر الأربعة يوم النحر لعشرين من ذى القعدة إلى عشرين من شهر ربيع الأول لأن الحج فى تلك السنه كان فى ذلك الوقت ثم صار فى السنه الثانيه فى ذى الحجه و فيها حجه الوداع و كان سبب ذلك النسيء الذى كانوا يفعلونه فى الجاهليه على ما سيأتى بيانه إن شاء تعالى عن الجبائى.

[القصة]

أجمع المفسرون و نقله الأخبار

أنه لما نزلت براءة دفعها رسول الله ص إلى أبى بكر ثم أخذها منه و دفعها إلى على بن أبى طالب (عليه السلام) و اختلفوا فى تفصيل ذلك فقيل أنه بعثه و أمره أن يقرأ عشر آيات من أول هذه السوره و أن ينبذ إلى كل ذى عهد عهده ثم بعث عليا خلفه ليأخذها و يقرأها على الناس فخرج على ناقه رسول الله ص العضاء حتى أدرك أبابكر بذى الحليفه فأخذها منه

و

قيل أن أبابكر رجع فقال هل نزل فى شىء فقال ص لا إلا خيرا و لكن لا يؤدى عنى إلا أنا أو رجل منى

و

قيل أنه قرأ على براءة على الناس و كان أبو بكر أميرا على الموسم

عن الحسن و قتاده و

قيل أنه ص أخذها من أبى بكر قبل الخروج و دفعها إلى على (عليه السلام) و قال لا يبلغ عنى إلا أنا أو رجل منى

عن عروه بن الزبير و أبى سعيد الخدرى و أبى هريره و روى أصحابنا أن النبي ص و لاه أيضا الموسم و أنه حين أخذ البراءه من أبى بكر رجع أبو بكر

و روى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده عن سماك بن حرب عن أنس بن مالك أن رسول الله ص بعث ببراءه مع أبى بكر إلى أهل مكه فلما بلغ ذا الحليفه بعث إليه فرده و قال لا يذهب بهذا إلا رجل من أهل بيتى فبعث عليا (عليه السلام)

و روى الشعبى عن محرز بن أبى هريره عن أبى هريره قال كنت أنادى مع على حين أذن المشركين فكان إذا صحل صوته فيما ينادى دعوت مكانه قال فقلت يا أبت أى شىء كنتم تقولون قال كنا نقول لا يحج بعد عامنا هذا مشرك و لا يطوفن بالبيت عريان و لا يدخل البيت إلا مؤمن و من كانت بينه و بين رسول الله ص مده فإن أجله إلى أربعة أشهر فإذا انقضت الأربعة الأشهر فإن الله برىء من المشركين و رسوله

و روى عاصم بن حميد عن أبى بصير عن أبى جعفر (عليه السلام) قال خطب على (عليه السلام) الناس و اخترط

ص: ٧

سيفه فقال لا يطوفن بالبيت عريان و لا يحجن البيت مشرك و من كانت له مده فهو إلى مدته و من لم يكن له مده فمدته أربعه أشهر

و كان خطب يوم النحر و كانت عشرون من ذى الحجه و المحرم و صفر و شهر ربيع الأول و عشر من شهر ربيع الآخر و قال يوم النحر يوم الحج الأكبر

و ذكر أبو عبد الله الحافظ بإسناده عن زيد بن نفيح قال سألتنا عليا (عليه السلام) بأى شىء بعثت فى ذى الحجه قال بعثت بأربعه لا يدخل الكعبه إلا نفس مؤمنه و لا يطوف بالبيت عريان و لا يجتمع مؤمن و كافر فى المسجد الحرام بعد عامه هذا و من كان بينه و بين رسول الله ص عهد فعهدته إلى مدته و من لم يكن له عهد فأجله أربعه أشهر

و

روى أنه (عليه السلام) قام عند جمره العقبه و قال يا أيها الناس إني رسول الله إليكم بأن لا يدخل البيت كافر و لا يحج البيت مشرك و لا يطوف بالبيت عريان و من كان له عهد عند رسول الله فله عهده إلى أربعه أشهر و من لا عهد له فله مده بقيه الأشهر الحرم و قرأ عليهم سوره براءه

و

قيل قرأ عليهم ثلاث عشره آيه من أول براءه

و

روى أنه (عليه السلام) لما نادى فيهم أن الله برىء من المشركين أى من كل مشرك قال المشركون نحن نتبرأ من عهدك و عهد ابن عمك ثم لما كانت السنه المقبله و هى سنه عشر حج النبى ص حجه الوداع و قفل إلى المدينه و مكث بقيه ذى الحجه الحرم و المحرم و صفر و ليالى من شهر ربيع الأول حتى لحق بالله عز و جل.

[سوره التوبه (٩): الآيات ٣ الى ٤]

إشارة

وَ أَذَانُ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَ رَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ فاعلموا أنكم غير مؤمنون بالله و بشر الذين كفروا بعذاب أليم (٣) إلا الذين عاهدتكم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً و لم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين (٤)

القراءة

قرأ يعقوب بروايه روح و زيد و رسوله بالنصب و هى قراءة الحسن و ابن أبى

إسحاق و عيسى بن عمرو و قرأ سائر القراء «و رَسُولِهِ» بالرفع و فى الشواذ قراءه عكرمه و عطا لم ينقضوكم بالضاد المعجمه

الحجّه

من قرأ «و رَسُولِهِ» بالرفع فإنه على الابتداء و خبره محذوف و يدل عليه ما تقدمه و تقديره و رسوله أيضا برى ء منهم و يجوز أن يكون معطوفا على المضمر فى برى ء و حسن العطف عليه و إن كان غير مؤكد لأن قوله «مِنَ الْمُشْرِكِينَ» قام مقام التوكيد و ذكر سيبويه وجهها ثالثا و هو أن يكون معطوفا على موضع أن و هذا وهم منه لأن أن المفتوحه مع ما بعدها فى تأويل المصدر فقد تغيرت عن حكم المبتدأ و صارت فى حكم ليت و لعل و كان فى إحداثها معنى يفارق المبتدأ فكما لا يجوز العطف على مواضعهن فكذا لا يجوز العطف على موضع أن و إنما يجوز العطف على موضع إن المكسوره كما قال الشاعر:

فمن يك أمسى بالمدينه رحله فإنى و قيار بها لغريب

و لعل سيبويه توهم أنها مكسوره فحمل على موضعها فقد قرأ فى الشواذ إن الله برى ء بالكسر فلعله تأول على هذه القراءه و من نصب عطفه على اسم الله تعالى و على هذا فيكون خبره محذوفا أيضا و من قرأ لم ينقضوكم فمعناه لم ينقضوا أموركم و عهدكم.

اللغه

الأذان الإعلام يقال أذنته بكذا فأذن أى أعلمته فعلم و قيل إن أصله من النداء الذى يسمع بالأذن و معناه أوقعه فى أذنه و تأذن بمعنى آذن كما يقال تيقن و أيقن و المده و الزمان و الحين نظائر و أصله من مددت الشىء مدا فكأنه زمان طويل الفسحه و المده عند المتكلمين اسم للمعدود من حركات الفلكك و هو محدث.

الإعراب

و أذان عطف على براءه عن الزجاج و قيل إن تقديره عليكم أذان لأن فيه معنى الأمر فيكون مبتدأ و خبره محذوف عن على بن عيسى و يجوز أن يكون مبتدأ و الخبر قوله «أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ» على حذف الباء كأنه قال بأن الله و على الوجهين الأولين يكون موضع أن نصبا على أنه مفعول له و قوله «الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ» فى موضع نصب على الاستثناء و بشر معطوف على معنى الأذان أى أذن و بشر عن أبى مسلم.

المعنى

ثم بين سبحانه أنه يجب إعلام المشركين ببراءه منهم لثلاث ينسبوا المسلمين إلى الغدر قال «و أذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ» معناه و إعلام و فيه معنى الأمر أى أذنوا

الناس يعنى أهل العهد وقيل المراد بالناس المؤمن والمشرک لأن الكل داخلون فى هذا الإعلام وقوله «إِلَى النَّاسِ» أى للناس يقال هذا إعلام لك وإليك «يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ» فيه ثلاثة أقوال (أحدها)

أنه يوم عرفه عن عمر وسعيد بن المسيب وعطا وطاووس ومجاهد وروى ذلك عن على (عليه السلام) ورواه المسور بن مخزومه عن النبى ص

قال عطا الحج الأكبر الذى فيه الوقوف والحج الأصغر الذى ليس فيه وقوف وهو العمره (و ثانيها)

أنه يوم النحر عن على وابن عباس وسعيد بن جبير وابن زيد والنخعى ومجاهد والشعبى والسدى وهو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام) ورواه ابن أبى أوفى عن النبى ص

قال الحسن وسمى الحج الأكبر لأنه حج فيه المشركون والمسلمون ولم يحج بعدها مشرك (و ثالثها) أنه جميع أيام الحج عن مجاهد أيضا وسفيان فمعناه أيام الحج كلها كما يقال يوم الجمل ويوم صفين ويوم بعث يراد به الحين والزمان لأن كل حرب من هذه الحروب دامت أياما «أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» أى من عهد المشركين فحذف المضاف «وَرَسُولِهِ» معناه ورسوله أيضا برىء منه وقيل إن البراءة الأولى لنقض العهد والبراءة الثانية لقطع الموالاة والإحسان فليس بتكرار «فَإِنْ تُبْتِغُوا فَهَوْ خَيْرٌ لَكُمْ» معناه فإن تبتم فى هذه المدة أيها المشركون ورجعتم عن الشرك إلى توحيد الله فهو خير لكم من الإقامة على الشرك لأنكم تنجون به من خزي الدنيا وعذاب الآخرة «وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ» عن الإيمان وصبرتم على الكفر «فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ» أى لا تعجزونه عن تعذيبكم ولا تفوتون بأنفسكم من أن يحل بكم عذابه فى الدنيا وفى هذا إعلام بأن الإمهال ليس بعجز وإنما هو لإظهار الحججه والمصلحة ثم أوعدهم بعذاب الآخرة فقال «وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» أى أخبرهم مكان البشاره بعذاب موجه وهو عذاب النار فى الآخرة «إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» قال الفراء استثنى الله تعالى من براءته وبراءه رسوله من المشركين قوما من بنى كنانة وبنى ضمره كان قد بقى من أجلهم تسعه أشهر أمر بإتمامها لهم لأنهم لم يظاهروا على المؤمنين ولم ينقضوا عهد رسول الله ص وقال ابن عباس عنى به كل من كان بينه وبين رسول الله ص عهد قبل براءه وينبغى أن يكون ابن عباس أراد بذلك من كان بينه وبينه عقد هدنه ولم يتعرض له بعداوه ولا ظاهر عليه عدوا لأن النبى ص صالح أهل هجر وأهل البحرين وإيله ودومه الجندل

وله عهود بالصلح و الجزية و لم ينبذ إليهم بنقض عهد و لا حاربهم بعد و كانوا أهل ذمه إلى أن مضى لسييله ص و وفى لهم بذلك من بعده «ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوا شَيْئاً» معناه لم ينقصوكم من شروط الهدنه شيئاً و قيل معناه لم يضرؤكم شيئاً «وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحِداً» أى لم يعاونوا عليكم أيها المؤمنون أحداً من أعدائكم «فَاتَّبَعُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُيَدَّتِهِمْ» أى إلى انقضاء مدتهم التى وقعت المعاهده بينكم إليها «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ» لنقض العهود.

[سوره التوبه (٩): الآيات ٥ الى ٦]

إشاره

فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصِرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥) وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (٦)

اللغه

الانسلاخ خروج الشىء مما لابسه و أصله من سلخ الشاه و هو نزع الجلد عنها و سلخنا شهر كذا نسلخه سلخا و سلوخا و الحصر المنع من الخروج عن محيط و الحصر و الحبس و الأسر نظائر و المرصد الطريق و مثله المرقب و المربا و رصده يرصده رصدا.

الإعراب

قال أبو الحسن الأخفش قوله «كُلُّ مَرْصِدٍ» المعنى على كل مرصد فحذفت على و أنشد:

نغالى اللحم للأضياف نيا و نرخصه إذا نضج القدور

المعنى نغالى باللحم فحذفت الباء قال الزجاج «كُلُّ مَرْصِدٍ» ظرف كقولك ذهبت مذهبا و ذهبت طريقا و ذهبت كل طريق قال أبو على لا يحتاج فى هذا إلى تقدير على إذا كان المرصد اسما للمكان كما إنك إذا قلت ذهبت مذهبا و دخلت مدخلا إذا جعلت المذهب و المدخل اسمين للمكان لم يحتج إلى على و لا إلى تقدير حرف جر إلا أن أبا الحسن ذهب

ص: ١١

إلى أن المرصد اسم للطريق و إذا كان اسما للطريق كان مخصوصا و إذا كان مخصوصا وجب أن لا يصل الفعل الذى لا يتعدى إليه إلا- بحرف جر نحو قعدت على الطريق إلا أن يجىء فى ذلك اتساع نحو ما حكاه سيبويه من قولهم ذهب الشام و دخلت البيت و قد غلط أبو إسحاق الزجاج فى قوله «كُلَّ مَرَصِدٍ» ظرف كقولك ذهبت مذهبا و ذهبت طريقا فى أن جعل الطريق ظرفا كالمذهب و ليس الطريق بظرف لأنه مكان مخصوص و قد نص سيبويه على اختصاصه ألا ترى أنه حمل قول ساعده:

لدى بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب

على أنه قد حذف منه الحرف اتساعا كما حذف من ذهب الشام و إذا أثبت ذلك فالمرصد مثله أيضا فى الاختصاص و أن لا يكون ظرفا إذا كان اسما للطريق و قوله «أَحَدٌ» فأعرابه أنه مرفوع بفعل مضمر الذى ظهر تفسيره، المعنى و إن استجارك أحد قال الزجاج و من زعم أنه يرفع أحدا بالابتداء فقد أخطأ لأن إن الجزاء لا يتخطى ما يرفع بالابتداء و يعمل فيما بعده فلو أظهرت المستقبل لقلت إن أحد يقيم أكرمه و لا يجوز إن أحد يقيم زيد يقيم لا يجوز أن يرفع زيد بفعل مضمر الذى ظهر تفسيره و يجزم و إنما جاز فى إن لأن إن يلزمها الفعل و جواب الجزاء يكون بالفعل و غيره و لا يجوز أن تضم و تجزم بعد المبتدأ لأنك تقول هاهنا إن تأتني فزيد يقوم فالموضع موضع ابتداء قال أبو على اعلم أن جواب الشرط و إن كان بغير الفعل فالأصل فيه الفعل و الفاء و إذا واقعان موقع الفعل بدلاله أن قوله و يذرهم على قراءه من قرأ بالجزم فمحمول على الموضع من قوله فلا هادى له و أما قول أبو إسحاق لا- يجوز أن تضم و تجزم بعد المبتدأ و لعمرى أنه لا- يجوز أن يضم الفعل فيرفع الاسم الذى يرتفع بالابتداء بالفعل المضمر فى نحو قولك إن تأتني فزيد يقوم لأن الجزم لا يقع بعد المبتدأ و لكن لا يمتنع أن يقع الجزم بعد الفاعل فى الجزاء كما يقع فى الشرط لأن الجزاء موضع فعل كما أن الشرط موضع فعل فالمسألة التى منع أبو إسحاق إجازتها جائزه لا إشكال فى جوازها و هى قوله إن يقيم أحد زيد يقيم و قد نص سيبويه على إجازته ذلك قال الزجاج و إنما يجوز الفصل فى باب إن لأن إن أم الجزاء و لا يزول عنه إلى غيره فأما أخواتها فلا يجوز ذلك فيها إلا فى الشعر قال:

المعنى

ثم بين سبحانه الحكم فى المشركين بعد انقضاء المده فقال «فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ» قيل هى الأشهر الحرم المعروفه ذو القعده و ذو الحجه و المحرم و رجب ثلاثه سرد و واحد فرد عن جماعه و قيل هى الأشهر الأربعة التى حرم القتال فيها و جعل الله للمشركين أن يسيحوا فى الأرض آمنين على ما ذكرناه من اختلاف المفسرين فيها و على هذا فمنهم من قال معناه فإذا انسلخ الأشهر بانسلاخ المحرم لأن المشركين من كان منهم لهم عهد أمهلوا أربعه أشهر من حين نزلت براءه و نزلت فى شوال و من لا عهد لهم فأجلهم من يوم نزول النداء و هو يوم عرفه أو يوم النحر إلى تمام الأشهر الحرم و هى بقيه ذى الحجه و المحرم كله فيكون ذلك خمسين يوما فإذا انقضت هذه الخمسون يوما انقضت الأجلان و حل قتالهم سواء كان لهم عهد خاص أو عام و منهم من قال معناه إذا انسلخ الأشهر الأربعة التى هى عشرون من ذى الحجه و المحرم و صفر و شهر ربيع الأول و عشر من شهر ربيع الآخر إذ حرمت فيها دماء المشركين و جعلنا لهم أن يسيحوا فيها آمنين «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» أى فضعوا السيف فيهم حيث كانوا فى الأشهر الحرم و غيرها فى الحل أو فى الحرم و هذا ناسخ لكل آيه وردت فى الصلح و الإعراض عنهم «وَ خُذُوهُمْ» قيل فيه تقديم و تأخير و تقديره فخذوا المشركين حيث وجدتموهم و اقتلوهم و قيل ليس فيه تقديم و تأخير و تقديره فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم أو خذوهم و احصروهم على وجه التخيير فى اعتبار الأصلح من الأمرين و قوله «وَ احْصِرُوهُمْ» معناه و احبسوهم و استرقوهم أو فادوهم بمال و قيل و امنعوهم دخول مكة و التصرف فى بلاد الإسلام «وَ اقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ» أى بكل طريق و بكل مكان تظنون أنهم يمرون فيه و ضيقوا المسالك عليهم لتمكنوا من أخذهم و قوله «لَهُمْ» معناه لقتلهم و أسرهم «فَإِنْ تَابُوا» أى رجعوا من الكفر و انقادوا للشرع «وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوْا الزَّكَاةَ» أى قبلوا إقامة الصلاة و إيتاء الزكاه لأن عصمه الدم لا- تقف على إقامة الصلاة و أداء الزكاه ثبت أن المراد به القبول «فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ» أى دعوهم يتصرفون فى بلاد الإسلام لهم ما للمسلمين و عليهم ما عليهم و قيل معناه فخلوا سبيلهم إلى البيت أى دعوهم يحجوا معكم «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» و استدلووا بهذه الآيه على أن من ترك الصلاة متعمدا يجب قتله لأن الله تعالى أوجب الامتناع من قتل المشركين بشرط أن يتوبوا و يقيموا

الصلاه فإذا لم يقيموها وجب قتلهم «وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ» معناه و إن طلب أحد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم منك الأمان من القتل بعد الأشهر الأربعة ليسمع دعوتك و احتجاجك عليه بالقرآن فآمنه و بين له ما يريد و أمهله حتى يسمع كلام الله و يتدبره و إنما خص كلام الله لأن معظم الأدله فيه «ثُمَّ أبلغه مآمنه» معناه فإن دخل فى الإسلام نال خير الدارين و إن لم يدخل فى الإسلام فلا تقتله فتكون قد غدرت به و لكن أوصله إلى ديار قومه التى يأمن فيها على نفسه و ماله «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ» أى ذلك الأمان لهم بأنهم قوم لا يعلمون الإيمان و الدلائل فآمنهم حتى يسمعوا و يتدبروا و يعلموا و فى هذا دلالة على بطلان قول من قال المعارف ضروريه و فى الآيه دلالة على أن المتلو و المسموع كلام الله لأن الشرع و العرب جعلوا الحكايه كعين المحكى يقال هذا كلام سيبويه و شعر امرئ القيس و من ظن أن الحكايه تفارق المحكى لأجل هذا الظاهر فقد غلط لأن المراد ما ذكرناه.

[سوره التوبه (٩): الآيات ٧ الى ٨]

إشاره

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَ عِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧) كَيْفَ وَ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَقْبَلُوا فِيكُمْ إِلَّا وَ لَا ذِمَّةَ يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَ تَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَ أَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (٨)

القراءه

فى الشواذ قراءه عكرمه إيلا بياء بعد الهمزه.

الحججه

يمكن أن يكون أراد «إِلَّا» كقراءه الجماعه إلا- أنه أبدل اللام الأولى ياء لثقل الإدغام و لكسر الهمزه كما قالوا دينار و قيراط و الأصل دنار و قراط لقولهم دنانير و قراريط و قد جاء مع التضعيف وحده قال:

يا ليتما أمنا شالت نعماتها أيما إلى جنه أيما إلى نار.

الظهور العلو بالغلبه و أصله خروج الشىء إلى حيث يصح أن يدرك الرقبه و الانتظار و المراقبه و المراعاة و المحافظه نظائر و الرقبه الحافظ و الإيل العهد مأخوذ من الأليل و هو البريق يقال أل يؤول ألا إذا لمع و الآله الحربه للمعانها و أذن مؤلله مشبهه للحربه فى تحديدها قال الشاعر:

وجدناهم كاذبا إلهم و ذو الإل و العهد لا يكذب

و الإل القرايه قال حسان:

لعمرك إن إلك من قريش كإل السقب من رأل النعام

. المعنى

لما أمر سبحانه بنبد العهد إلى المشركين بين أن العله فى ذلك ما ظهر منهم من الغدر و أمر بإتمام العهد لمن استقام على الأمر فقال «كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَ عِنْدَ رَسُولِهِ» أى كيف يكون لهؤلاء عهد صحيح مع إضمارهم الغدر و النكث و هذا يكون على التعجب أو على الجحد و يدل عليه ما روى أن فى قراءه عبد الله كيف يكون عهد عند الله «و لا ذِمَّة» فأدخل الكلام لا لأن معنى الأول جحد أى لا يكون لهم عهد و قيل معناه كيف يأمر الله و رسوله بالكف عن دماء المشركين ثم استثنى سبحانه فقال «إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» أى فإن لهم عهدا عند الله لأنهم لهم يضمنوا الغدر بك و الخيانه لك و اختلف فى هؤلاء من هم فقبل هم قريش عن ابن عباس و

قبل هم أهل مكه الذين عاهدهم رسول الله يوم الحديبيه فلم يستقيموا و نقضوا العهد بأن أعانوا بنى بكر على خزاعه فضرب لهم رسول الله ص بعد الفتح أربعة أشهر يختارون أمرهم إما أن يسلموا و إما أن يلحقوا بأى بلاد شاءوا فأسلموا قبل الأربعة الأشهر

عن قتاده و ابن زيد و قيل هم من قبائل بكر بنو خزيمه و بنو مدلج و بنو ضميره و بنو الدئل و هم الذين كانوا قد دخلوا عهد قريش يوم الحديبيه إلى المده التى كانت بين رسول الله ص و بين قريش فلم يكن نقضها إلا قريش و بنو الدئل من بكر فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن له نقض إلى مدته و هذا القول أقرب إلى الصواب لأن هذه الآيات نزلت بعد نقض قريش العهد و بعد فتح مكه «فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ» معناه فما استقاموا لكم على العهد أى ما داموا باقين معكم على الطريقه المستقيمه فكونوا معهم كذلك «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ» للنكث و الغدر «كَيْفَ وَ إِنْ يَظْهَرُوا

عَلَيْكُمْ» هاهنا حذف و تقديره كيف يكون لهم عهد و كيف لا تقتلونهم و إنما حذفه لأن ما قبله من قوله كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ يدل على ذلك و مثله قول الشاعر يرثي أخا له قد مات:

و خبرتmani أنما الموت بالقرى فكيف و هاتا هضبه و قلب

أى فكيف مات و ليس بقريه و مثله قول الحطيئة:

فكيف و لم أعلمهم حدلوكم على معظم و لا أديمكم قدوا

أى و كيف تلو موننى على مدح قوم و تدمونهم فاستغنى عن ذكر ذلك لأنه جرى فى القصيده ما يدل على ما أضمره و معناه كيف يكون لهؤلاء عهد عند الله و عند رسوله و هم بحال إن يظهروا عليكم و يظفروا بكم و يغلبوكم «لا- يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَ لا ذِمَّةً» أى لا- يحفظوا و لا يراعوا فيكم قرابه و لا عهدا و الإل القرابه عن ابن عباس و الضحاك و العهد عن مجاهد و السدى و الجوار عن الحسن و الحلف عن قتاده و اليمين عن أبى عبيده و قيل أن الإل اسم الله تعالى عن مجاهد و روى أن أبا بكر قرئ عليه كلام مسيلمه فقال لم يخرج هذا من إل فأين يذهب بكم و من قال إن الإل هو العهد قال جمع بينه و بين الذمه و إن كان بمعناه لاختلاف معنى اللفظين كما قال:

" و ألقى قولها كذبا و مينا "

و قال:

" متى أدن منه ينأ عنى و يبعد "

«يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَ تَأْبَى قُلُوبُهُمْ» معناه يتكلمون بكلام الموالين لكم لترضوا عنهم و تأبى قلوبهم إلا العداوه و الغدر و نقض العهد «وَ أَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ» أى متمردون فى الكفر و الشرك عن ابن الإخشيد و قال الجبائى أراد كلهم فاسقون لكنه وضع الخصوص موضع العموم و قال القاضى معناه أكثرهم خارجون عن طريق الوفاء بالعهد و أراد بذلك رؤساءهم.

ص: ١٦

إشاره

اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصِيدُوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩) لَا- يَزُقِيُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا- وَلَا- ذَمَّةً وَ أَوْلِيكَ هُمْ الْمُعْتَدُونَ (١٠) فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَأَخِوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَ نُفِصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١١) وَ إِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَ طَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا- أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (١٢) أ- لَا- تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَ هُمْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَ هُمْ بِدُؤُكُمْ أَوْلَ مَرَّةٍ أ- تَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣)

القراءة

قرأ أهل الكوفة و الشام «أَيْمَةَ الْكُفْرِ» بهمزتين و قرأ الباقون أيمه بهمزه واحده و ياء بعدها و

قرأ ابن عامر لا إيمان بكسر الهمزة و رواه ابن عقده بإسناده عن عريف بن الوضاح الجعفي عن جعفر بن محمد (عليه السلام) و الباقون بفتحها.

الحج

قال أبو علي أئمه أصله أفعله واحدها إمام فإذا جمعته على أفعله ففيه همزه هي فاء الفعل و يزيد عليها همزه أفعله الزائدة فيجتمع همزتان و اجتماع الهمزتين في كلمة لا يستعمل بحقيقتهما قال الزجاج أصله أئمه و لكن الميمين لما اجتمعتا أدغمت الأولى في الثانية و ألقيت حركتها على الهمزة فصارت أئمه فأبدل النحويون من الهمزة المكسورة الياء قال و من قال هذا أوم من هذا كان أصله أم فجعلها واوا مفتوحة كما قالوا في جمع آدم أوادم قال أبو علي و من جمع بين الهمزتين في أئمه فحجته أن سيويه قال زعموا أن ابن أبي إسحاق كان يحقق الهمزتين في أناس معه و قد يتكلم ببعضه العرب و هو ردى ء و وجهه من القياس أن تقول أن الهمزة حرف من حروف الحلق كالعين و غيره و قد جمع بينهما في نحو كعاعه و كع يكع فكما جاز اجتماع العينين جاز اجتماع الهمزتين قال علي بن عيسى إنما جاز اجتماع الهمزتين هنا لثلا- يجتمع على الكلمة تغيران الإدغام و القلب مع خفه التحقيق لأجل ما بعده من السكون و على هذا تقول هذا أم من هذا بهمزتين قال و إنما قلبت الهمزة من أئمه دون حركة ما قبلها لأن الحركة إنما نقلت من الميم إلى الهمزة لبيان زنه الكلمة فلو ذهبت بقلبها على ما قبلها لكنت مناقضا للغرض فيها و أما قوله «لَا أَيْمَانَ لَهُمْ» فمن فتح الهمزة قال هو أشبه بالموضع فقد قال نَكُثُوا أَيْمَانَهُمْ و من كسرهما جعله مصدر آمنته إيماننا

خلاف خوفته ولا يريد مصدرا من الذى هو صدق فيكون تكرارا لدلاله ما تقدم من قوله فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ عَلَى أَنْ أَهْلَ الْكُفْرِ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ.

اللغة

الأيمان جمع يمين و هو القسم و الطعن الاعتماد بالعيب و أصله الطعن بالرمح و الإمام هو المتقدم للاتباع فالإمام فى الخير مهتد هاد و فى الشر ضال مضل و الهم مقارنة الفعل بالعزم من غير إيقاع له و قد ذموا بهذا الهم فيه دليل على العزم و قد يستعمل الهم على مقارنة العزم و البدء فعل الشىء من قبل غيره و هو فعل الشىء أولا و المره فعل لم يتكرر و هى الفعله من المر و المره و الدفعه و الكره نظائر.

المعنى

ثم بين سبحانه خصال القوم فقال «أَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَيَّرُوا عَنْ سَبِيلِهِ» و معناه أعرضوا عن دين الله و صدوا الناس عنه بشىء يسير نالوه من الدنيا و أصل الاشتراء استبدال ما كان من المتاع بالثمن و نقيضه البيع و هو العقد على تسليم المتاع بالثمن و معنى الفاء هنا أن اشتراءهم هذا أدهم إلى الصد عن الإسلام و هذا ورد فى قوم من العرب جمعهم أبو سفيان على طعامه ليستميلهم على عداوه النبى ص عن مجاهد و قيل ورد فى اليهود الذين كانوا يأخذون الرشا من العوام على الحكم بالباطل عن الجبائى «إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أى بئس العمل عملهم «لَا يَرْجُونَ فِي مَوْتِهِمْ إِلَّا وَ لَا ذِمَّةً» سبق معناه و الفائدة فى الإعادة أن الأول فى صفة الناقضين للعهد و الثانى فى صفة الذين اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا- و قيل إنما كرر تأكيدا «وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ» أى المجاوزون الحد فى الكفر و الطغيان «فَإِنْ تَابُوا» أى ندموا على ما كان منهم من الشرك و عزموا على ترك العود إليه و قبلوا الإسلام «وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوْا الزَّكَاةَ» أى قبلوهما و أدوهما عند لزومهما «فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ» أى فهم إخوانكم فى الدين فعاملوهم معاملة إخوانكم من المؤمنين «وَنُفِّصِلُ الْآيَاتِ» أى نبينها و نميزها بخاصه لكل واحده منها تتميز بها من غيرها حتى يظهر مدلولها على أتم ما يكون من الظهور فيها «لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» ذلك و يتبينونه دون الجهال الذين لا يتفكرون «وَأِنْ نَكُنُوا» أى نقضوا «أَيْمَانَهُمْ» أى عهودهم و ما حلفوا عليه «مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ» أى من بعد أن عقدوه «وَأَطَعْنَا فِي دِينِكُمْ» أى عابوه و قدحوا فيه «فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ» أى رؤساء الكفر و الضلاله و خصهم بالأمر بقتالهم لأنهم يضلون أتباعهم قال الحسن و أراد به جماعه الكفار و كل كافر إمام لنفسه فى الكفر و لغيره فى الدعاء إليه و قال ابن عباس و قتاده أراد به رؤساء قريش مثل الحرث بن هشام و أبى سفيان بن حرب و عكرمه بن أبى جهل و سائر رؤساء قريش الذين نقضوا العهد و كان حذيفه بن اليمان يقول لم يأت أهل

هذه الآية بعد و قال مجاهد هم أهل فارس و الروم و

قرأ على (عليه السلام) هذه الآية يوم البصره ثم قال أما و الله لقد عهد إلى رسول الله ص و قال لى يا على لتقاتلن الفئه الناكثه و الفئه الباغيه و الفئه المارقه

«إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ» من قرأ بفتح الهمزه فمعناه أنهم لا يحفظون العهد و اليمين كما يقال فلان لا عهد له أى لا وفاء له بالعهد و من قرأ بالكسر فمعناه لا تؤمنوهم بعد نكثهم العهد و يحتمل أن يكون معناه أنهم إذا آمنوا إنسانا لا يفون به و يحتمل أن يكون معناه أنهم كفروا فلا إيمان لهم «لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ» معناه قاتلوهم لينتهوا عن الكفر فإنهم لا ينتهون عنه بدون القتال و قيل معناه ليكن قصدكم فى قتالكم انتهاؤهم عن الشرك فإن قيل كيف نفى بقوله «لا أَيْمَانَ لَهُمْ» ما أثبتته بقوله «إِنْ نَكَّثُوا أَيْمَانَهُمْ قِيلَ لَهُ إِنْ الإِيمَانَ التى أثبتها هى ما حلفوا بها و عقدوا عليها و إنما نفاها من بعد لأنهم لم يفوا بها و لم يتمسكوا بموجبها «أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَ هُمُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ» الألف للاستفهام و المراد به التحضيض و الإيجاب و معناه هلا تقاتلونهم و قد نقضوا عهودهم التى عقدوها و اختلف فى هؤلاء ف قيل هم اليهود الذين نقضوا العهد و خرجوا مع الأحزاب و هموا بإخراج الرسول من المدينه كما أخرجه المشركون من مكه عن الجبائى و القاضى و قيل هم مشركو قريش و أهل مكه «وَ هُمْ بَدَأُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ» أى بدءوكم بنقض العهد عن ابن إسحاق و الجبائى و قيل بدءوكم بقتال حلفاء النبى ص من خزاعه عن الزجاج و قيل بدءوكم بالقتال يوم بدر و قالوا حين سلم العير لا- نصرف حتى نستأصل محمدا و من معه «أَتَخَشَوْنَهُمْ» أى أ تخافون أن ينالكم من قتالكم مكروه لفظه استفهام و المراد به تشجيع المؤمنين و فى ذلك غايه الفصاحه لأنه جمع بين التقرير و التشجيع «فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» المعنى لا- تخشوهم و لا- تتركوا قتالهم خوفا على أنفسكم منهم فإنه سبحانه أحق أن تخافوا عقابه فى ترك أمره بقتالهم إن كنتم مصدقين بعقاب الله و ثوابه أى إن كنتم مؤمنين فخشيته الله أحق بكم من خشية غيره و الله أعلم و أحكم.

[سوره التوبه (٩): الآيات ١٤ الى ١٥]

اشاره

قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَ يُخْزِهِمْ وَ يَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَ يَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (١٤) وَ يُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَ يَتُوبَ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٥)

القراءه

فى الشواذ قراءه الأعرج و ابن أبى إسحاق و عيسى الثقفى و عمرو بن عبيد و يتوب الله بالنصب و رويت عن أبى عمرو أيضا.

ص: ١٩

قال ابن جنى إذا نصب فالتوبه داخله فى جواب الشرط و إذا رفع فهو استئناف و تقديره فى النصب أن تقاتلوهم تكن هذه الأشياء كلها التى أحدها التوبه من الله على من يشاء و الوجه قراءة الجماعه على الاستئناف لأنه تم الكلام على قوله وَ يُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ثم استأنف فقال «وَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ» لأن التوبه منه سبحانه على من يشاء ليست مسببه عن قتالهم.

المعنى

ثم أكد سبحانه ما تقدم بأن أمر المسلمين بقتالهم و بشرهم بالنصر و الظفر عليهم فقال «قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ» قتلا و أسرا «وَ يُخْزِيهِمْ» أى و يذلهم «وَ يَنْصُرُكُمْ عَلَيْهِمْ» أى و يعنكم أيها المؤمنون عليهم «وَ يَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ» يعنى صدور بنى خزاعه الذين بيت عليهم بنو بكر عن مجاهد و السدى لأنهم كانوا حلفاء النبى ص «وَ يُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ» معناه و يكون ذلك النصر شفاء لقلوب المؤمنين التى امتلأت غيظا لكثرة ما نالهم من الأذى من جهتهم ثم استأنف سبحانه فقال «وَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ» أى و يقبل توبه من تاب منهم مع فرط تعديهم رحمه و فضلا «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» عليهم بتوبتهم إذا تابوا حكيم فى أمرهم بقتالهم إذا نكثوا قبل أن يتوبوا و يرجعوا لأن أفعاله كلها صواب و حكمه و فى هذا دلالة على نبوه نبينا ص لأنه وافق خبره المخبر.

النظم

و الوجه فى اتصال قوله «وَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ» بما قبله شيثان (أحدهما) البشاره بأن فيهم من يتوب و يرجع عن الكفر إلى الإيمان (و الآخر) بيان أنه ليس فى قتالهم اقتطاع لأحد منهم عن التوبه.

[سوره التوبه (٩): آيه ١٦]

إشاره

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَ لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لَا رَسُولِهِ وَ لَا الْمُؤْمِنِينَ وَ لِيَجْهَ وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٦)

اللغه

الحسبان قوه المعنى فى النفس من غير قطع و هو مشتق من الحساب لدخوله فيما يحتسب به و الترك ضد ينافى الفعل المبتدأ فى محل القدره عليه و يستعمل بمعنى أن لا يفعل كقوله وَ تَرَكَهُمْ فى ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ و الوليجه الدخيله فى القوم من غيرهم و البطانته مثله وليجه الرجل من يختص بدخله أمره دون الناس الواحد و الجمع فيه سواء و كل شىء دخل فى شىء ليس منه فهو وليجه قال طرفه:

فإن القوافي يتلجن موالجا تضايق عنه أن تولجه الإبر

. الإعراب

أم حرف عطف يعطف به الاستفهام و «أَمْ حَسِبْتُمْ» معطوف على ما تقدم من قوله أَلَا تَقَاتِلُونَ و هو من الاستفهام المعترض فى وسط الكلام فجعل نفي الفعل مع تقريب لوقوعه و لم يفعل نفي الفعل بعد إطماع فى وقوعه.

المعنى

ثم نبه سبحانه على جلاله موقع الجهاد فقال «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا» معناه أظننتم أيها المؤمنون أن تتركوا من دون أن تكلفوا الجهاد فى سبيل الله مع الإخلاص «وَلَمَّا يَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهِدُوا مِنْكُمْ» معناه و لما يظهر ما علم الله منكم فذكر نفي العلم و المراد نفي المعلوم تأكيداً للنفي و إلا- فإن الله عز اسمه عالم بما يكون قبل أن كان و بما لا يكون لو كان كيف كان يكون و تقديره أظننتم أن تتركوا و لم تجاهدوا «وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً» أى و لم يعلم الله الذين لم يتخذوا سوى الله و سوى رسوله و المؤمنين بطانه و أولياء يوالونهم و يفشون إليهم أسرارهم و قال الجبائي هو أن يكونوا منافقين و هو قول الحسن و فى هذه دلالة على تحريم موالاه الكفار و الفساق و الألف بهم «وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» أى عليم بأعمالكم فيجازيكم عليها.

النظم

وجه اتصال هذه الآيه بما قبلها أنه لما تقدم الأمر بالقتال عطف عليه بهذا الشرط و هو الإخلاص فى الجهاد على وجه قطع العصمه ليظهر الظفر و يستحق الثواب.

[سوره التوبه (٩): الآيات ١٧ الى ١٨]

اشاره

ما كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ (١٧) إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (١٨)

القراءه

قرأ أهل البصره و ابن كثير مسجد الله على الواحد و هو قراءه ابن عباس و سعيد بن جبير و مجاهد و الباقر «مَسَاجِدَ اللَّهِ».

حجه من أفرد أنه عنى به المسجد الحرام و حجه من جمع أنه عنى به المسجد الحرام و غيره من المساجد و يحتمل أن يكون أراد المسجد الحرام و إنما جمع لأن كل موضع منه مسجد يسجد عليه فيكون القراءتان بمعنى.

اللغة

الأصل فى المسجد هو موضع السجود فى العرف و يعبر به عن البيت المهيا لصلاه الجماعة فيه و العماره أن يجدد منه ما استرم من الأبنيه و منه اعتمر إذا زار لأنه يجدد بالزياره ما استرم من الحال.

المعنى

لما أمر الله سبحانه بقتال المشركين و قطع العصمه و الموالاه عنهم أمر بمنعهم عن المساجد فقال «ما كان للمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ» معناه لا ينبغى للمشركين أن يكونوا قواما على عماره مساجد الله و متولين لأمرها و ينبغى أن يعمرها المسلمون و قيل أن المراد بذلك المسجد الحرام خاصة و قيل هى عامه فى جميع المساجد «شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ» أى حال شهادتهم على أنفسهم بالكفر أو مع شهادتهم و اختلف فى العماره للمسجد فقيل هى بدخوله و نزوله كما يقال فلان يعمر مجلس فلان إذا أكثر غشيانه لأن المسجد تكون عمارته بطاعه الله و عبادته و قيل هى باستصلاحه و رم ما استرم منه لأنه إنما يعمر للعباده عن الجبائى و قيل هى بأن يكونوا من أهله أى لا ينبغى أن يترك المشركون فيكونوا أهل المسجد الحرام عن الحسن و اختلف فى شهادتهم على أنفسهم بالكفر كيف هى فقيل هى أن النصرانى يسأل ما أنت فيقول أنا نصرانى و اليهودى يقول أنا يهودى و كذلك المشرك إذا سئل ما دينك يقول مشرك لا- يقولها أحد غير العرب عن السدى و قيل معناه إن كلامهم يدل على كفرهم كما يقال فلان يدل على بطلان دعواه عن الحسن و قيل هى قولهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه و ما ملكك و قيل شهادتهم سجودهم لأصنامهم مع إقرارهم بأنها مخلوقه عن ابن عباس و معناه أنهم يشهدون على أنفسهم بأفعالهم و أحوالهم و من أظهر شيئا و بينه يقال قد شهد به «أَوْلَيْتَكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ» التى هى من جنس الطاعه من المؤمنين أى بطلت لأنهم أوقعوها على الوجه الذى لا يستحق لأجله الثواب عليها عند الله «وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ» أى مقيمون مؤبدون «إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ» و لفظه إنما لإثبات المذكور و نفى ما عداه فمعناه لا يعمر مساجد الله بزيارتها و إقامة العبادات فيها أو بنائها و رم المسترم منها إلا- «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» أى من أقر بوحدانية الله و اعترف بالقيامه «وَ أَقَامَ الصَّلَاةَ» بحدودها «وَ آتَى الزَّكَاةَ» أى أعطاهما إن وجبت عليه إلى مستحقها «وَ لَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ» أى لم يخف سوى الله أحدا من المخلوقين

و هذا راجع إلى قوله «أَتَخَشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ» أى إن خشيتموهم فقد ساوَيْتموهم فى الإِشْرَاقِ كما قال فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ الْآيَةَ «فَعَسَى أَوْلَاكُمْ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ» إلى الجنة و نيل ثوابها لأن عسى من الله واجبه عن ابن عباس و الحسن و فى ذكر الصلاة و الزكاة و غير ذلك بعد ذكر الإيمان بالله دلالة على أن الإيمان لا يتناول أفعال الجوارح إذ لو تناولها جاز عطف ما دخل فيه عليه و من قال إن المراد فيه التفصيل و زياده البيان فقد ترك الظاهر.

[سوره التوبه (٩): الآيات ١٩ الى ٢٢]

اشاره

أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَ عِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ جَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) الَّذِينَ آمَنُوا وَ هَاجَرُوا وَ جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَ أَوْلَاكُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَ رِضْوَانٍ وَ جَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٢)

القراءه

فى الشواذ

قراءه محمد بن على الباقر (عليه السلام) و ابن الزبير و أبى وجره السوارى و أبى جعفر السعدى القارى أ جعلتم سقاه الحاج و عمره المسجد الحرام

و قرأ الضحاك سقايه الحاج بالضم و عمره المسجد.

الحجه

أما سقاه فهو جمع ساق و عمره جمع عامر و أما «سِقَايَةَ» فقد قال ابن جنى فيه نظر و وجهه أن يكون جمعا جاء على فعال كعرق و عراق و رخل و رخال و ظر و ظوار و نوم

ص: ٢٣

و توأم و برى ء و براء و إنسان و إناس ثم أنت كما يؤنث من المجموع أشياء نحو حجاره و عيوره و كان من عدل عن قراءه الجماعة «سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَ عِمَارَةَ الْمَسْجِدِ» إلى هذا إنما هرب من أن يقابل الحدث بالجواهر و ذلك أن من آمن جوهر و سقايه و عماره مصدران فلا بد إذن من حذف المضاف أى أ جعلتم هذين الفعلين كفعل من آمن بالله فلما رأى أنه لا بد من حذف المضاف قرأ سقاه و عمره على ما مضى.

اللغة

السقايه آله تتخذ لسقى الماء و السقايه مصدر كالسقى أيضا و قيل إنهم كانوا يسقون الحجيج الماء و الشراب و بيت البئر سقايه أيضا و البشاره الدلاله على ما يظهر به السرور فى بشره الوجه كما يقال بشرته بشره بشرى و رضوان هو معنى يستحق بالإحسان و يدعو إلى الحمد على ما كان و يضاد سخط العصيان و النعيم مشتق من النعمه و هى اللين فأما النعمه بكسر النون فهى منفعه يستحق بها الشكر لأنها كنعمه العيش و أبدا للزمان المستقبل من غير آخر كما أن قط للماضى يقال ما رأيته قط و لا أراه أبدا و جمع الأبد آباد و أبود يقال لا أفعل ذلك أبد الأبيد و أبد الآبدين و تأبد المنزل أتى عليه و الأوابد الوحش سميت بذلك لطول أعمارها و قيل لم يموت وحشى حتف أنفه و إنما يموت بآفه و الآبده الداهيه.

النزول

قيل أنها نزلت فى على بن أبى طالب (عليه السلام) و العباس بن عبد المطلب و طلحه بن شيبه و ذلك أنهم افتخروا فقال طلحه أنا صاحب البيت و بيدى مفتاحه و لو أشاء بت فيه و قال العباس أنا صاحب السقايه و القائم عليها و

قال على (عليه السلام) ما أدرى ما تقولان لقد صليت إلى القبلة سته أشهر قبل الناس و أنا صاحب الجهاد

عن الحسن و الشعبى و محمد بن كعب القرظى و

قيل أن عليا (عليه السلام) قال للعباس يا عم ألا تهاجر و ألا تلحق برسول الله فقال أ لست فى أفضل من الهجره أ عمر المسجد الحرام و أسقى حاج بيت الله فنزلت «أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ»

عن ابن سيرين و مره الهمداني و

روى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده عن ابن بريده عن أبيه قال بينا شيبه و العباس يتفاخران إذا مر بهما على بن أبى طالب (عليه السلام) فقال بما ذا تتفاخران فقال العباس لقد أوتيت من الفضل ما لم يؤت أحد سقايه الحاج و قال شيبه أوتيت عماره المسجد الحرام فقال على (عليه السلام) استحييت لكما فقد أوتيت على صغرى ما لم تؤتيا فقالا و ما أوتيت يا على قال ضربت خراطيمكما بالسيف حتى آمتما بالله و رسوله فقام العباس مغضبا يجر ذيله حتى دخل على رسول الله ص و قال أ ما ترى إلى ما يستقبلنى به

على فقال ادعوا لى عليا فدعى له فقال ما حملك على ما استقبلت به عمك فقال يا رسول الله صدمته بالحق فمن شاء فليغضب و من شاء فليرض فنزل جبرائيل (عليه السلام) فقال يا محمد إن ربك يقرأ عليك السلام و يقول اتل عليهم «أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ» الآيات فقال العباس إنا قد رضينا ثلاث مرات

و فى تفسير أبى حمزه أن العباس لما أسر يوم بدر أقبل عليه أناس من المهاجرين و الأنصار فعيروه بالكفر و قطيعه الرحم فقال ما لكم تذكرون مساوئنا و تكتمون محاسننا قالوا و هل لكم من محاسن قال نعم و الله لنعمر المسجد الحرام و نحجب الكعبة و نسقى الحاج و نفك العانى فأنزل الله تعالى «مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا» إلى آخر الآيات.

المعنى

«أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَ عِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ» هذا استفهام معناه الإنكار أى لا تجعلوا و فيه حذف يدل الكلام عليه و تقديره أ جعلتم أهل سقايه الحاج و أهل عماره المسجد الحرام كمن آمن بالله حتى يكون مقابله الشخص بالشخص أو يكون تقديره أ جعلتم السقايه و العماره كإيمان من آمن بالله حتى تكون مقابله الفعل بالفعل و سقايه الحاج سقيهم الشراب قال الحسن و كان نبيذ زبيب يسقون الحاج فى الموسم بين الله سبحانه أنه لا- يقابل هذه الأشياء بالإيمان بالله «وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» و بالجهاد فى سبيله فإنه لا مساواه بين الأمرين «لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ» فى الفضل و الثواب «وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي» إلى طريق ثوابه «الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» كما يهدى إليه من كان عارفا به فاعلا لطاعته مجتنباً لمعصيته ثم ابتداء سبحانه فقال «الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا و اعترفوا بوحدانية الله «وَ هَاجَرُوا» أوطانهم التى هى دار الكفر إلى دار الإسلام «وَ جَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أى تحملوا المشاق فى ملاقاته أعداء الدين «بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ» من غيرهم من المؤمنين الذين لم يفعلوا هذه الأشياء «وَ أُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ» أى الظافرون بالبغيه «يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ» برحمه فى الدنيا على ألسنه الرسل و بما بين فى كتبه من الثواب الموعود على الجهاد «بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَ رِضْوَانٍ» فى الآخرة «وَ جَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ» أى دائم لا يزول و لا ينقطع «خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا» أى دائمين فيها مع كون النعيم مقيما لهم «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ» أى جزاء على العمل «عَظِيمٌ» أى كثير متضاعف لا يبلغه نعمه غيره من الخلق.

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٣) قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤)

القراءة

قرأ أبو بكر عن عاصم و عشيراتكم على الجمع و الباكون «و عَشِيرَتُكُمْ» على التوحيد.

الحج

من أفرد فلان العشيره يقع على الجمع و قال أبو الحسن العرب لا تجمع العشيره عشيرات و إنما تقول عشائر و من جمع فلان كل واحد من المخاطبين له عشيره.

اللغة

الاستحباب طلب المحبه و يجوز أن يكون استحب بمعنى أحب كما أن استحباب يكون بمعنى أجاب فيكون كأنه طلب محبه فوقع له و العشيره الجماعه ترجع إلى عقد واحد كالعشيره و منه المعاشره و الاقتراف اقتطاع الشئ من مكانه إلى غيره من قرفت القرحة إذا قشرتها و القرف القشر و التربص التثبت في الشئ حتى يجىء وقته و التربص و التثبت و التنظر و التوقف نظائر و نقيضه التعجل.

النزول

روى عن أبي جعفر و أبي عبد الله (عليه السلام) أنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعنه حيث كتب إلى قريش يخبرهم بخبر النبي ص لما أراد فتح مكة.

المعنى

ثم نهى الله سبحانه المؤمنين عن موالاه الكافرين و إن كانوا في النسب الأقربين فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ أَوْلِيَاءَ» و هذا في أمر الدين فأما في أمر الدنيا فلا بأس بمجالستهم و معاشرتهم لقوله سبحانه و صاحبهما في الدنيا مَعْرُوفًا قال ابن عباس لما أمر الله تعالى المؤمنين بالهجرة و أرادوا الهجرة فمنهم من تعلقت به زوجته و منهم من تعلق به أبواه و أولاده فكانوا يمنعونهم من الهجرة فيتركون الهجرة لأجلهم فبين

سبحانه أن أمر الدين مقدم على النسب و إذا وجب قطع قرابه الأبوين فالأ-جنبي أولى «إِنَّ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ» أى إن اختاروا الكفر و آثروه على الإيمان قال الحسن من تولى الشرك فهو مشرك و هذا إذا كان راضيا بشركه «وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ» فترك طاعه الله لأجلهم و أطلعهم على أسرار المسلمين «فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» نفوسهم و الباخسون حقها من الثواب لأنهم وضعوا الموالاه فى غير موضعها لأن موضعها أهل الإيمان «قُلْ» يا محمد لهؤلاء المتخلفين عن الهجره إلى دار الإسلام «إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ» الذين ولدوكم «وَأَبْنَاؤُكُمْ» الذى ولدتموهم و هم الأولاد الذكور «وَأِخْوَانُكُمْ» فى النسب «وَأَزْوَاجُكُمْ» اللاتى عقدتم عليهن عقده النكاح «وَعَشِيرَتُكُمْ» أى و أقاربكم «وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا» أى اكتسبتموها و أقطعتموها و جمعتموها «وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا» أى تخشون أنها تكسد إذا اشتغلتم بطاعه الله تعالى و الجهاد «وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا» أى مساكن اخترتموها لأنفسكم و يعجبكم المقام فيها «أَحَبَّ إِلَيْكُمْ» أى أثر فى نفوسكم و أقرب إلى قلوبكم «مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ» أى من طاعه الله و طاعه رسوله «وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ» أى و من الجهاد فى سبيل الله «فَتَرَبَّصُوا» أى انتظروا «حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ» أى بحكمه فيكم و قيل بعقوبتكم على اختياركم هذه الأشياء على الجهاد و طاعه الله إما عاجلا و إما آجلا و فيه وعيد شديد عن الحسن و الجبائى و قيل بفتح مكه عن مجاهد و قال بعضهم و هذا لا يصح لأن سوره براءه نزلت بعد فتح مكه «وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» مضى تفسيره.

[سوره التوبه (٩): الآيات ٢٥ الى ٢٧]

اشاره

لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَكَلْتُمْ مُدَبِّرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِ عَلَى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ أَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَ عَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٦) ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٧)

اللغه

الموطن الموضع الذى يقيم فيه صاحبه و هو مفعل من الوطن و استوطن

ص: ٢٧

بالمكان إذا اتخذها وطنا و حنين اسم واد بين مكه و الطاييف و الإعجاب السرور بما يتعجب منه و العجب السرور بالنفس و
الرحب السعه فى المكان و ضده الضيق و قولهم مرحبا معناه أتيت سعه و السكينه الطمأنينه و الأمنه و هى فعيله من السكون قال
الشاعر:

لله قبر عالها ما ذا أجن لقد أجن سكينه و وقارا

و الجنود الجموع التى تصلح للحروب.

الإعراب

مواطن لا- ينصرف لأنه جمع ليس على مثال الآحاد «وَيَوْمَ حُنَيْنٍ» أى و فى يوم حنين عطف على مواطن أى و نصركم فى يوم
حنين و إنما صرف حنينا لأنه اسم لمذكر و هو واد و لو ترك صرفه على أنه اسم للبقعه لجاز قال الشاعر:

نصروا نبيهم و شدوا أزرهم بحنين يوم تواكل الأبطال

و ما فى قوله «بِمَا رَحَّبْتُ» مصدرية أى برحبها و سعتها.

المعنى

لما تقدم أمر المؤمنين بالقتال ذكرهم بعده بما أتاهم من النصر حالا بعد حال فقال «لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ» اللام
للقسم فكأنه سبحانه أقسم بأنه نصر المؤمنين أى أعانهم على أعدائهم فى مواضع كثيرة على ضعفهم و قله عددهم حثا لهم على
الانقطاع إليه و مفارقه الأهلين و الأقربين فى طاعته و

ورد عن الصادقين (عليه السلام) إنهم قالوا كانت المواطن ثمانين موطنا

و

روى أن المتوكل اشتكى شكايه شديده فنذر أن يتصدق بمال كثير إن شفاه الله فلما عوفى سأل العلماء عن حد المال الكثير
فاختلفت أقوالهم فأشير عليه أن يسأل أبا الحسن على بن محمد بن على بن موسى (عليه السلام) و قد كان حبسه فى داره فأمر أن
يكتب إليه فكتب يتصدق بثمانين درهما ثم سأله عن العله فى ذلك فقرأ هذه الآية و قال عددنا تلك المواطن فبلغت ثمانين
موطنا

«وَيَوْمَ حُنَيْنٍ» أى و فى يوم حنين «إِذْ أَعْجَبَتْكُمُ كَثْرَتُكُمْ» أى سرتكم و صرتم معجبين بكثرتكم قال قتاده و كان سبب انهزام
المسلمين يوم حنين أن بعضهم قال حين رأى كثره المسلمين لن نغلب اليوم عن قله فانهزموا بعد ساعه و كانوا اثنى عشر ألفا و
قيل إنهم كانوا عشره آلاف و قيل ثمانيه آلاف و الأول أصح و أكثر فى الروايه «فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ

شَيْئًا» أى فلم يدفع عنكم كثر تكم سوءا «وَ ضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ» أى برحبتها و الباء بمعنى مع و المعنى ضاقت عليكم الأرض مع سعتها كما يقال أخرج بنا إلى موضع كذا أى معنا و المراد لم تجدوا من الأرض موضعا للفرار إليه «ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ» أى وليتم عن عدوكم منهزمين و تقديره وليتموهم أذباركم و انهزمتهم «ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ» أى رحمته التى تسكن إليها النفس و يزول معها الخوف «عَلَى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» حين رجعوا إليهم و قاتلوهم و قيل على المؤمنين الذين ثبتوا مع رسول الله على و العباس فى نفر من بنى هاشم عن الضحاک بن مزاحم و

روى الحسن بن على بن فضال عن أبى الحسن الرضا أنه قال السكينة ریح من الجنة تخرج طيبة لها صورة كصوره وجه الإنسان فتكون مع الأنبياء أورده العياشى مسندا

«وَ أَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا» أراد به جنودا من الملائكة و قيل إن الملائكة نزلوا يوم حنين بتقوية قلوب المؤمنين و تشجيعهم و لم يباشروا القتال يومئذ و لم يقاتلوا إلا يوم بدر خاصة عن الجبائى «وَ عَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا» بالقتل و الأسر و سلب الأموال و الأولاد «وَ ذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ» أى و ذلك العذاب جزاء الكافرين على كفرهم «ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ» ذكر سبحانه ثم فى ثلاثة مواضع متقاربه (الأول) «ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ» عطف على ما قبله من الفعل و هو قوله «ضَاقَتْ عَلَيْكُمْ» (و الثانى) «ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ» عطف على «وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ» (و الثالث) «ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ» عطف على «أَنْزَلَ» و إنما حسن عطف المستقبل على الماضى لأنه يشاكله فإن الأول تذكير بنعمه الله و الثانى وعد بنعمه الله و المعنى ثم يقبل الله توبه من تاب عن الشرك و رجع إلى طاعه الله و الإسلام و ندم على ما فعل من القبيح و يجوز أن يريد ثم يقبل الله توبه من انهزم من بعد هزيمته و يجوز أن يريد يقبل توبتهم عن إعجابهم بالكثرة و إنما علقه بالمشيئة لأن قبول التوبه تفضل من الله و لو كان واجبا على ما قاله أهل الوعيد لما جاز تعليقه بالمشيئة كما لا يجوز تعليق الثواب على الطاعه بالمشيئة و من خالف فى ذلك قال إنما علقها بالمشيئة لأن منهم من له لطف يصلح به و يتوب و يؤمن عنده و منهم من لا لطف له منه «وَ اللَّهُ غَفُورٌ» أى ستار للذنوب «رَحِيمٌ» بعباده.

[القصة]

ذكر أهل التفسير و أصحاب السير

أن رسول الله ص لما فتح مكة خرج منها متوجها إلى حنين لقتال هوازن و تقيف فى آخر شهر رمضان أو فى شوال من سنه ثمان من الهجره

و قد اجتمع رؤساء هوازن إلى مالك بن عوف النصرى و ساقوا معهم أموالهم و نساءهم و ذراريهم و نزلوا بأوطاس و قال كان دريد بن الصمه فى القوم و كان رئيس چشم و كان

ص: ٢٩

شيخا كبيرا قد ذهب بصره من الكبر فقال بأى واد أنتم قالوا بأوطاس قال نعم مجال الخيل لا حزن ضررس و لا سهل دهس مالى
أسمع رغاء البعير و نهيق الحمير و خوار البقر و ثغاء الشاه و بكاء الصبيان فقالوا إن مالك بن عوف ساق مع الناس أبناءهم و
أموالهم و نساءهم ليقاتل كل منهم عن أهله و ماله فقال دريد راعى ضان و رب الكعبه ثم قال ائتوني بمالك فلما جاءه قال يا
مالك إنك أصبحت رئيس قومك و هذا يوم له ما بعده رد قومك إلى عليا بلادهم و ألق الرجال على متون الخيل فإنه لا
ينفعك إلا رجل بسيفه و فرسه فإن كانت لك لحق بك من ورائك و إن كانت عليك لا تكون فضحت فى أهلك و عيالک
فقال له مالك إنك قد كبرت و ذهب علمك و عقلک و

عقد رسول الله ص لواءه الأ-كبر و دفعه إلى على بن أبى طالب (عليه السلام) و كل من دخل مکه برايه أمره أن يحملها و خرج
بعد أن قام بمکه خمسه عشر يوما و بعث إلى صفوان بن أميه فاستعار منه مائه درع فقال صفوان عاريه أم غصب فقال ص عاريه
مضمونه مؤداه فأعاره صفوان مائه درع و خرج معه و خرج من مسلمه الفتح ألفا رجل و كان (عليه السلام) دخل مکه فى عشره
آلاف رجل و خرج منها فى اثنى عشر ألفا و بعث رسول الله ص رجلا من أصحابه فانتهى إلى مالك بن عوف و هو يقول لقومه
ليصير كل رجل منكم أهله و ماله خلف ظهره و اكسروا جفون سيوفكم و أكمنوا فى شعاب هذا الوادى و فى الشجر فإذا كان فى
غشب الصبح فاحملوا حملة رجل واحد فهدوا القوم فإن محمدا لم يلق أحدا يحسن الحرب و لما صلى رسول الله ص بأصحابه
الغداه انحدر فى وادى حنين فخرجت عليهم كتائب هوازن من كل ناحيه و انهزمت بنو سليم و كانوا على المقدمه و انهزم ما
وراءهم و خلى الله تعالى بينهم و بين عدوهم لإعجابهم بكثرتهم و بقى على (عليه السلام) و معه الرايه يقاتلهم فى نفر قليل و مر
المنهزمون برسول الله ص لا يلوون على شىء و كان العباس بن عبد المطلب آخذ بلجام بغله رسول الله ص و الفضل عن يمينه
و أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب عن يساره و نوفل بن الحرث و ربيعة بن الحرث فى تسعه من بنى هاشم و عاشرهم أيمن
بن أم أيمن و قتل يومئذ و فى ذلك يقول العباس:

نصرنا رسول الله فى الحرب تسعه و قد فر من قد فر عنه فأقشعوا

و قولى إذا ما الفضل كر بسيفه على القوم أخرى يا بنى ليرجعوا

و عاشرنا لاقى الحمام بنفسه لما ناله فى الله لا يتوجع

و لما رأى رسول الله ص هزيمة القوم عنه قال للعباس و كان جهوريا صيتا اصعد هذا الظرب فناد يا معشر المهاجرين و الأنصار يا أصحاب سوره البقره يا أهل بيعه الشجره إلى أين تفرون هذا رسول الله فلما سمع المسلمون صوت العباس تراجعوا و قالوا لبيك لبيك و تبادر الأنصار خاصه و قاتلوا المشركين حتى قال رسول الله ص الآن حمى الوطيس:

" أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب "

و نزل النصر من عند الله تعالى و انهزمت هوازن هزيمة قبيحه فمروا فى كل وجه و لم يزل المسلمون فى آثارهم و مر مالك بن عوف فدخل حصن الطاييف و قتل منهم زهاء مائه رجل و أغنم الله المسلمين أموالهم و نساءهم و أمر رسول الله بالذرارى و الأموال أن تحدر إلى الجعرانه و ولى على الغنائم بدليل بن ورقاء الخزاعى و مضى ص فى أثر القوم فوافى الطاييف فى طلب مالك بن عوف فحاصر أهل الطاييف بقيه الشهر فلما دخل ذو القعدة انصرف و أتى الجعرانه و قسم بها غنائم حنين و أوطاس قال سعيد بن المسيب حدثنى رجل كان فى المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن و أصحاب رسول الله لم يقفوا لنا حلب شاه فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم حتى إذا انتهينا إلى صاحب البغله الشهباء يعنى رسول الله فتلقانا رجال بيض الوجوه فقالوا لنا شامت الوجوه ارجعوا فرجعنا و ركبوا أكتافنا فكانوا إياها يعنى الملائكه قال الزهرى و بلغنى أن شيبه بن عثمان قال استدبرت رسول الله ص يوم حنين و أنا أريد أن أقتله بطلحه بن عثمان و عثمان بن طلحه و كانا قد قتلا يوم أحد فأطلع الله رسوله على ما فى نفسى فالتفت إلى و ضرب فى صدرى و قال أعيدك بالله يا شيبه فأرعدت فرائصى فنظرت إليه هو أحب إلى من سمعى و بصرى فقلت أشهد أنك رسول الله و أن الله أطلعك على ما فى نفسى و قسم رسول الله الغنائم بالجعرانه و كان معه من سبى هوازن ستة آلاف من الذرارى و النساء و من الإبل و الشاه ما لا يدرى عدته

قال أبو سعيد الخدرى قسم رسول الله للمتألفين من قريش من سائر العرب ما قسم و لم يكن فى الأنصار منها شىء قليل و لا كثير فمشى سعد بن عباده إلى رسول الله فقال يا رسول الله أن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك فى قسمك هذه الغنائم فى قومك و فى سائر العرب و لم يكن

فيهم من ذلك شىء فقال ص فأين أنت من ذلك يا سعد فقال ما أنا إلا امرؤ من قومي فقال رسول الله فاجمع لى قومك فى هذه الحظيره فجمعهم فخرج رسول الله فقام فيهم خطيبا فحمد الله و أثنى عليه ثم قال يا معشر الأنصار أ و لم آتكم ضلالا فهداكم الله و عاله فأغناكم الله و أعداء فألف بين قلوبكم قالوا بلى يا رسول الله ثم قال أ لا تجيبونى يا معشر الأنصار فقالوا و ما نقول و بما ذا نجيبك المن لله و لرسوله فقال رسول الله أما و الله لو شئتم لقلتم فصدقتم جئنا طريدا فأويناك و عائلا فأسيناك و خائفا فأمناك و مخذولا فنصرناك فقالوا المن لله و لرسوله فقال رسول الله ص و جدتم فى أنفسكم يا معشر الأنصار فى لعاعه من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا و و كلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام أ فلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء و البعير و تذهبون برسول الله إلى رحالكم فو الذى نفسى بيده لو أن الناس سلكوا شعبا و سلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار و لو لا الهجره لكنت امرءا من الأنصار اللهم ارحم الأنصار و أبناء الأنصار و أبناء أبناء الأنصار فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم و قالوا رضينا بالله و رسوله قسما ثم تفرقوا

و

قال أنس بن مالك و كان رسول الله ص أمر مناديا فنادى يوم أو طاس أ لا لا توطأ الجبالى حتى يضعن و لا غير الجبالى حتى يستبرئن بحيضه ثم أقبلت وفود هوازن و قدمت على رسول الله ص بالجعرانه مسلمين فقام خطيبهم و قال يا رسول الله إنما فى الحظائر من السبايا خالاتك و حواضنك اللاتى كن يكفلنك فلو أنا ملكنا ابن أبى شمر أو النعمان بن المنذر ثم أصابنا منهما مثل الذى أصابنا منك رجونا عائدتهما و عطفهما و أنت خير الكفولين ثم أنشد أبياتا فقال ص أى الأمرين أحب إليكم السبى أو الأموال قالوا يا رسول الله خيرتنا بين الحسب و بين الأموال و الحسب أحب إلينا و لا نتكلم فى شاه و لا بعير فقال رسول الله ص أما الذى لبنى هاشم فهو لكم و سوف أكلم لكم المسلمين و أشفع لكم فكلموهم و أظهروا إسلامكم فلما صلى رسول الله ص الهاجره قاموا فتكلموا فقال النبى ص قد رددت الذى لبنى هاشم و الذى بيدي عليهم فمن أحب منكم أن يعطى غير مكره فليفعل و من كره أن يعطى فليأخذ الفداء و على فداؤهم فأعطى الناس ما كان بأيديهم منهم إلا قليلا من الناس سألوا الفداء و أرسل رسول الله ص إلى مالك بن عوف و قال إن جئتني مسلما رددت إليك أهلك و مالك و لك عندى مائه ناقة فخرج إليه من الطائف فرد عليه أهله و ماله و أعطاه مائه من الإبل و استعمله على من أسلم من قومه.

ص: ٣٢

اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَ إِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٨)

القراءة

فى الشواذ قراءة ابن السميعف أنجاس على الجمع و فى مصحف عبد الله ابن مسعود و إن خفتم عائله.

الحجه

قال ابن جنى هذا من المصادر التى جاءت على فاعله كالعاقبه و العافيه و اللاغيه.

اللغه

كل مستقذر نجس يقال رجل نجس و امرأه نجس و قوم نجس لأنه مصدر و إذا استعملت هذه اللفظه مع الرجس قيل رجس
نجس بكسر النون و العيله الفقر تقول عال يعيل إذا افتقر قال الشاعر:

و ما يدرى الفقير متى غناه و ما يدرى الغنى متى يعيل

. المعنى .

لما تقدم النهى عن ولايه المشركين أزال سبحانه ولايتهم عن المسجد الحرام و حظر عليهم دخوله فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا
الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ» معناه أن الكافرين أنجاس «فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا» أى فامنعوهم عن المسجد الحرام قيل
المراد به منعهم من دخول الحرم عن عطا قال و الحرم كله مسجد و قبله و العام الذى أشار إليه هو سنه تسع الذى

نادى فيه على (عليه السلام) بالبراءه و قال لا يحجن بعد هذا العام مشرك

و قيل المراد به منعهم من دخول المسجد الحرام على طريق الولايه للموسم و العمره و قيل منعوا من الدخول أصلا فى المسجد و
منعوا من حضور الموسم و دخول الحرم عن الجبائى و اختلف فى نجاسه الكافر فقال قوم من الفقهاء إن الكافر نجس العين و
ظاهر الآيه يدل على ذلك و روى عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب امنعوا اليهود و النصرارى من دخول مساجد المسلمين و أتبع
نهييه قول الله تعالى «إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ» الآيه و عن الحسن قال لا تصافحوا المشركين فمن صافحهم فليتوضأ و هذا يوافق ما
ذهب إليه أصحابنا من أن من صافح الكافر و يده رطبه و جب أن يغسل يده و إن كانت أيديهما يابستين مسحهما بالحائط و قال
آخرون إنما سماهم الله نجسا لخبث اعتقادهم و أفعالهم و أقوالهم و أجازوا للذمى دخول

المساجد قالوا إنما يمنعون من دخول مكة للحج قال قتاده سماهم نجسا لأنهم يجنبون و لا يغتسلون و يحدثون و لا يتوضئون فمنعوا من دخول المسجد لأن الجنب لا يجوز له دخول المسجد «وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً» أى فقرا و حاجه و كانوا قد خافوا انقطاع المتاجر بمنع المشركين عن دخول الحرم «فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ» أى فسوف يغنيكم الله من جهه أخرى إن شاء أن يغنيكم بأن يرغب الناس من أهل الآفاق فى حمل الميره إليكم رحمه منه و نعمه عليكم قال مقاتل أسلم أهل نجده و صنعاء و جرش من اليمن و حملوا الطعام إلى مكة على ظهور الإبل و الدواب و كفاهم الله تعالى ما كانوا يتخوفون و قيل معناه يغنيكم بالجزية المأخوذه من أهل الكتاب و قيل بالمطر و النبات و قيل بإباحه الغنائم و إذا سئل عن معنى المشيئه فى قوله «إِنْ شَاءَ» فالقول فيه أن الله تعالى قد علم أن منهم من يبقى إلى وقت فتح البلاد و اغتنام أموال الأكاسره فيستغنى و منهم من لا يبقى إلى ذلك الوقت فلهدا علقه بالمشيئه و قيل إنما علقه بالمشيئه ليرغب الإنسان إلى الله تعالى فى طلب الغنى منه و ليعلم أن الغنى لا يكون بالاجتهاد «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ» بالمصالح و تدبير العباد و بكل شىء «حَكِيمٌ» فيما يأمر و ينهى.

[سوره التوبه (٩): آيه ٢٩]

اشاره

قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩)

اللغه

الدين فى الأصل الطاعه قال زهير:

لئن حللت بجو فى بنى أسد فى دين عمرو و حالت بيننا فذك

و الجزيه فعله من جزى يجزى مثل القعده و الجلسه و هى عطيه مخصوصه و جزاء لهم على تمسكهم بالكفر عقوبه لهم عن على بن عيسى و الصغار و الذل و النكال الذى يصغر قدر صاحبه يقال صغر يصغر صغارا فهو صاغر.

ص: ٣٤

«عَنْ يَدٍ» فى موضع نصب على الحال أى نقدا كما يقال باعه يدا بيد.

النزول

قيل هذه الآية نزلت حين أمر رسول الله ص بحرب الروم فغزا بعد نزولها غزوه تبوك عن مجاهد وقيل هى على العموم.

المعنى

ثم بين الله سبحانه أن من الكفار من يجوز تبقيته بالجزية فقال «قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ» يعنى الذين لا يعترفون بتوحيد الله ولا يقرون بالبعث والنشور وهذا يدل على صحه ما يذهب أصحابنا إليه من أنه لا يجوز أن يكون فى جملة الكفار من هو عارف بالله وإن أقر باللسان وإنما يكونون معتقدين لذلك اعتقادا ليس بعلم لأنه صريح فى أن أهل الكتاب الذين يؤخذ منهم الجزية لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ومن قال إنه يجوز أن يكونوا عارفين بالله قال إن الآية خرجت مخرج الدم لهم لأنهم بمنزله من لا يقرب به فى عظم الجرم قال الجبائى لأنهم يضيفون إليه ما لا يليق به فكأنهم لا يعرفونه وإنما جمعت هذه الأوصاف لهم ولم يذكروا بالكفار من أهل الكتاب للتخريض على قتالهم لما هم عليه من صفات الدم التى توجب البراءة منهم والعداوة لهم «وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» موسى وعيسى (عليه السلام) من كتمان نعت محمد ص وقيل يعنى ما حرمه محمد ص «وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ» وقيل الحق هاهنا هو الله تعالى أى دين الله والعمل بما فى التوراه من اتباع نبينا (عليه السلام) وقيل الحق هو الله ودينه الإسلام عن قتاده وقيل معناه ولا يطيعون الله طاعه أهل الإسلام عن أبى عبيده وقيل معناه لا يعترفون بالإسلام الذى هو الدين الحق «مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» وصف الذين ذكرهم بأنهم من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى و قال أصحابنا إن المجوس حكمهم حكم اليهود والنصارى «حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ» أى نقدا من يده إلى يد من يدفعه إليه من غير نائب كما يقال كلمته فما بفم وقيل معناه عن قدره لكم عليهم وقهر لهم كما يقال كان اليد لفلان وقيل يد لكم عليهم ونعمه تسدونها إليهم بقبول الجزية منهم «وَهُمْ صَاغِرُونَ» أى ذليلون مقهورون يجرون إلى الموضع الذى يقبض منهم فيه بالعنف حتى يؤدوها وقيل هو أن يعطوا الجزية قائمين والآخذ جالس عن عكرمه.

إشارة

وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)

القراءة

قرأ عاصم و الكسائي و يعقوب و سهل «عُزَيْرٌ» منونا و الباقون عزيز ابن الله بغير تنوين و قرأ عاصم وحده «يُضَاهِئُونَ» بالهمزة و قرأ الباقون يضاھون بغير الهمزة.

الحجھ

قال أبو علي من نون عزيزا جعله مبتدأ و جعل ابنا خبره و إذا كان كذلك فلا بد من إثبات التنوين في حال السعه و الاختيار لأن عزيزا و نحوه ينصرف عجميا كان أو عربيا و أما من حذف التنوين فإنه حذفه على وجهين (أحدهما) أنه جعل الصفه و الموصوف بمنزله اسم واحد كما جعلهما كذلك في قوله لا رجل ظريف و حذف التنوين و لم يحرك لالتقاء الساكنين كما يحرك في زيد العاقل لأن الساكنين كأنهما التقيا في تضاعيف كلمه واحده فحذف الأول منهما و لم يحرك لكثرة الاستعمال و لا يجوز إثبات التنوين في هذا الباب إذا كان صفه و إن كان الأصل لأنهم جعلوا من الأصول المرفوضه كما أن إظهار الأول من المثليين في نحو ظنوا لا يجوز في الكلام فإذا كانا بمنزله اسم مفرد و المفرد لا يكون جمله مستقله بنفسها مفيده في هذا النحو فلا بد من إضمام جزء آخر يقدر انضمامه إليه ليتم جمله و يجعله الظاهر إما مبتدأ أو خبر مبتدأ فيكون التقدير صاحبنا أو نسينا أو نبينا عزيز ابن الله إن قدرت المضمرة المبتدأ و إن قدرت بعكس ذلك جاز فهذا أحد الوجهين و الوجه الآخر أن لا تجعلهما اسما واحدا و لكن يجعل الأول من الاسمين المبتدأ و الآخر الخبر فيكون المعنى فيه على هذا كالمعنى في إثبات التنوين و تكون القراءةان متفتحتين إلا أنك حذف التنوين لالتقاء الساكنين و على هذا ما يروى من قراءة بعضهم أحد الله الصمد فحذف التنوين لالتقاء الساكنين و قد جاء ذلك في الشعر كثيرا قال الشاعر:

حميد الذي أمج داره أخو الخمر ذو الشيبه الأصلح

و قال:

" و حاتم الطائي وهاب المثنى "

فأما «يُضَاهِئُونَ» فقد قال الزجاج أصل المضاهاه

المشابهة والأكثر تركب الهمزة و اشتقاقه من قولهم امرأه ضهياء و هى التى لا ينبت لها ثدى و قيل هى التى لا تحيض و معناها أنها قد أشبهت الرجال فى أنه لا ثدى لها و كذلك إذا لم تحض و ضهياء فعلاء الهمزة زائده كما زيدت فى شمال و غرقى البيض و لا نعلم الهمزة زيدت غير أول إلا فى هذه الأشياء و يجوز أن يكون فعلا و إن كانت بنيه ليس لها فى الكلام نظير قال أبو على ليس قوله «يُضَاهِؤْنَ» من امرأه ضهياء لأن هذه الهمزة زائده غير أصلية و ليس بفعيل لأنه لو كان إياه لكان مكسور الصدر و إنما أدخله فى هذا ما رامه من اشتقاق «يُضَاهِؤْنَ» و قد يجوز أن تجىء الكلمة من غير مشتقه و ذلك أكثر من أن يحصى.

اللغة

الحبر العالم الذى صنعته تحبير المعانى بحسن البيان عنها و هو الحبر و الحبر بفتح الحاء و كسرهما و الرهبان جمع الراهب و هو الخاشى الذى يظهر عليه لباس الخشيه و قد كثر استعماله على متنسكى النصارى.

المعنى

ثم حكى الله سبحانه عن اليهود و النصارى أقوالهم الشنيعة فقال «وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ» و قال ابن عباس القائل لذلك جماعه منهم جاءوا إلى النبى ص منهم سلام بن مشكم و نعمان بن أوفى و شاس بن قيس و مالك بن الضيف فقالوا ذلك قيل و إنما قال ذلك جماعه منهم من قبل و قد انقرضوا و إن عزيرا أسمى التوراه من ظهر قلبه و قد علمه جيرائيل (عليه السلام) فقالوا أنه ابن الله إلا- أن الله تعالى أضاف ذلك إلى جميعهم و إن كانوا لا يقولون ذلك اليوم كما يقال إن الخوارج يقولون بتعذيب أطفال المشركين و إنما يقوله الأزارقه منهم خاصة و يدل على أن هذا مذهب اليهود أنهم لم ينكروا ذلك لما سمعوا هذه الآية مع شده حرصهم على تكذيب الرسول ص «وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ» معناه أنهم اخترعوا ذلك القول بأفواههم لم يأتهم به كتاب و لا رسول و ليس عليه حجه و لا برهان و لا له صحة و قيل إنه لم يذكر القول مقرونا بالأفواه إلا- إذا كان ذلك القول زورا كقوله يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ «يُضَاهِؤْنَ» يشابهون عن ابن عباس و قيل يوافقون عن الحسن «قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا» يعنى عباد الأوثان فى عبادتهم اللات و العزى و مناه الثالثة الأخرى عن ابن عباس و مجاهد و الفراء و قيل فى عبادتهم الملائكة و قولهم إنهم بنات الله «مِنْ قَبْلِ» أى ضاهت النصارى قول اليهود من قبل فقالت النصارى المسيح ابن الله كما قالت اليهود عزير ابن الله عن قتاده و السدى و قيل شبه كفرهم بكفر الذين مضوا من الأمم

الكافره عن الحسن «قَاتَلَهُمُ اللَّهُ» أى لعنهم الله عن ابن عباس قال ابن الأنبارى المقاتله أصلها من القتل فإذا أخبر عن الله بها كانت بمعنى اللعنه لأن من لعنه الله فهو بمنزله المقتول الهالك «أَنْتَى يُؤْفَكُونَ» أى كيف يصرفون عن الحق إلى الإفك الذى هو الكذب فكأنه قال لأى داع مالوا إلى ذلك القول «اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ» أى علماءهم «وَرُهبَانَهُمْ» أى عبادهم «أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ»

روى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام) أنهما قالوا أما والله ما صاموا ولا صلوا ولكنهم أحلوا لهم حراما و حرموا عليهم حلالا فاتبعوهم و عبدوهم من حيث لا يشعرون

و

روى الثعلبى بإسناده عن عدى بن حاتم قال أتيت رسول الله ص و فى عنقى صليب من ذهب فقال لى يا عدى اطرح هذا الوثن من عنقك قال فطرحته ثم انتهيت إليه و هو يقرأ من سوره البراءه هذه الآيه «اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَ رُهبَانَهُمْ أَرْبَابًا» حتى فرغ منها فقلت له إنا لسنا نعبدهم فقال أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه و يحلون ما حرم الله فتستحلونه قال فقلت بلى قال فتلك عبادتهم

«وَ الْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ» أى اتخذوا المسيح إلها من دون الله «وَ مَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا» أى معبودا واحدا هو الله تعالى «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» أى لا تحق العباده إلا له و لا يستحق العباده سواه «سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ» أى عن شركهم و عما يقولونه و عما لا يليق به.

[سوره التوبه (٩): الآيات ٣٢ الى ٣٣]

إشارة

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣٣)

اللغة

الإطفاء إذهب نور النار ثم استعمل فى إذهب كل نور و الأفواه جمع فم و أصله فوه فحذفت الهاء و أبدلت من الواو ميماً لأنه حرف صحيح من مخرج الواو مشاكل لها و الإباء الامتناع مما طلب من المعنى قال الشاعر:

" و إن أرادوا ظلمنا أئينا "

أى منعنا من الظلم.

الإعراب

قوله «إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ» إنما دخلت إلا- لأن فى آييت ضربا من الجحد تقول آييت أن أفعل كذا فيكون معناه لم أفعل كذا قال

الشاعر:

و هل لى أم غيرها إن تركتها أبى الله إلا أن أكون لها ابنا

قال الزجاج فى الآيه حذف تقديره بأبى الله كل شىء إلا إتمام نوره قال ولا يكون

ص: ٣٨

الإيجاب جحدا و لو جاز ذلك على أن يكون فيه طرف من الجحد لجاز كرهت إلا- أخاك مثل أبيت إلا أن أبيت الحذف مستعمل معها.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى أنهم «يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِقُوا نُورَ اللَّهِ» وهو القرآن والإسلام عن أكثر المفسرين وقيل نور الله الدلالة والبرهان لأنهما يهتدى بهما كما يهتدى بالأنوار عن الجبائى قال و لما سمي سبحانه الحجج و البراهين أنوارا سمي معارضتهم لذلك إطفاء ثم قال «بِأَفْوَاهِهِمْ» لأن الإطفاء يكون بالأفواه و هو النفخ و هذا من عجيب البيان مع ما فيه من تصغير شأنهم و تضعيف كيدهم لأن الفم يؤثر فى الأنوار الضعيفه دون الأقباس العظيمة «وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ» معناه و يمنع الله إلا- أن يظهر أمر القرآن و أمر الإسلام و حجته على التمام و أصل الإباء المنع و الامتناع دون الكراهيه على ما ادعته المجبره و لهذا تقول العرب فلان يأبى الضيم و هو أبى الضيم و لا- مدحه فى كراهيه الضيم لأنه يستوى فيه القوى و الضعيف و إنما المدحه فى الامتناع أو المنع منه «وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» أى على كره من الكافرين «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ» محمدا و حمله الرسالات التى يؤديها إلى أمته «بِالْمُهْدَى» أى بالحجج و البينات و الدلائل و البراهين «وَدِينِ الْحَقِّ» و هو الإسلام و ما تضمنه من الشرائع التى يستحق عليها الجزاء بالثواب و كل دين سواه باطل يستحق به العقاب «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ» معناه ليعلى دين الإسلام على جميع الأديان بالحجه و الغلبه و القهر لها حتى لا يبقى على وجه الأرض دين إلا مغلوبا و لا يغلب أحد أهل الإسلام بالحجه و هم يغلبون أهل سائر الأديان بالحجه و أما الظهور بالغلبه فهو أن كل طائفة من المسلمين قد غلبوا على ناحيه من نواحي أهل الشرك و لحقهم قهر من جهتهم و قيل أراد عند نزول عيسى بن مريم لا يبقى أهل دين إلا أسلم أو أدى الجزية عن الضحاك و

قال أبو جعفر (عليه السلام) إن ذلك يكون عند خروج المهدي من آل محمد فلا يبقى أحد إلا أقر بمحمد

و هو قول السدى و قال الكلبي لا يبقى دين إلا ظهر عليه الإسلام و سيكون ذلك و لم يكن بعد و لا تقوم الساعه حتى يكون ذلك و

قال المقداد بن الأسود سمعت رسول الله ص يقول لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر و لا وبر إلا أدخله الله كلمه الإسلام إما بعز عزيز و إما بذل ذليل إما يعزهم فيجعلهم الله من أهله فيعزوا به و إما يذلهم فيدينون له

و قيل إن الهاء فى «لِيُظْهِرَهُ» عائده إلى الرسول ص أى ليعلمه الله الأديان كلها حتى لا يخفى عليه شىء منها عن ابن عباس «وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» أى و إن كرهوا هذا الدين فإن الله يظهره رغما لهم.

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصْعَدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٥)

اللغة

الكنز في الأصل هو الشيء الذي جمع بعضه إلى بعض و يقال للشيء المجتمع مكنتز و ناقه كناز اللحم مجتمعه قال نفطويه سمى الذهب ذهباً لأنه يذهب و لا يبقى و سميت الفضة فضة لأنها تنفض أى تتفرق فلا تبقى و حسبك بالاسمين دلالة على فئتهما و الإحماء جعل الشيء حاراً في الإحساس و هو فوق الإسخان و ضده التبريد يقال حمى يحمى حمى و أحماه غيره و الكى إلصاق الشيء الحار بالعضو من البدن

الإعراب

«الَّذِينَ يَكْتُمُونَ» موضعه نصب لأنه معطوف على اسم إن و يكون المعنى و إن الذين يكتنون الذهب و الفضة و لا- يأكلونها و يجوز أن يكون رفعا على الاستئناف و ذكر في قوله «وَلَا يُنْفِقُونَهَا» وجوه (أحدها) أنه أراد لا ينفقون الكنوز فرجع الضمير إلى ما دل عليه الكلام (و الثاني) أنه لما ذكر الذهب و الفضة دل على الأموال فكأنه قال و لا ينفقون الأموال (و الثالث) أن الذهب مؤنث و هو جمع واحده ذهبه و هذا الجمع الذي ليس بينه و بين واحده إلا الهاء يذكر و يؤنث ثم لما اجتمعا في التانيث و كان كل واحد منهما يؤخذ عن صاحبه في الزكاه على قول جمهور العلماء جعلهما كالشيء الواحد و رد الضمير إليهما بلفظ التانيث (و الرابع) أنه اكتفى بأحدهما عن الآخر للإيجاز و رد الضمير إلى الفضة لأنها أقرب إليه كما قال حسان:

إن شرخ الشباب و الشعر الأسود ما لم يعاص كان جنونا

و قد مر ذكر أمثاله فيما مضى

: المعنى

ثم بين سبحانه حال الأحبار و الرهبان فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ

الأخبارِ وَ الرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ» أى يأخذون الرشى على الحكم عن الحسن و الجبائى و أكل المال بالباطل تملكه من الجهات التى يحرم منها أخذه إلا- أنه لما كان معظم التصرف و التملك للأكل وضع الأكل موضع ذلك و قيل إن معناه يأكلون متاع أموال الناس من الطعام فكأنهم يأكلون الأموال لأنها ثمن المأكول كما قال الشاعر:

ذر الآكلين الماء لوما فما أرى ينالون خيرا بعد أكلهم الماء

أى ثمن الماء «وَ يَصِيءُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» أى يمنعون غيرهم عن اتباع الإسلام الذى هو سبيل الله التى دعاهم إلى سلوكها و عن اتباع محمد ص «وَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَ الفِضَّةَ وَ لَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أى يجمعون المال و لا يؤدون زكاته

فقد روى عن النبى ص أنه قال كل ما لم تؤد زكاته فهو كثر و إن كان ظاهرا و كل مال أدت زكاته فليس بكثر و إن كان مدفونا فى الأرض

و به قال ابن عباس و الحسن و الشعبى و السدى قال الجبائى و هو إجماع و

روى عن على (عليه السلام) ما زاد على أربعة آلاف فهو كثر أدى زكاته أو لم يؤد و ما دونها فهو نفقه

و تقدير الآيه و الذين يكتنون الذهب و لا ينفقونه فى سبيل الله و يكتنون الفضة و لا ينفقونها فى سبيل الله فحذف المعطوف من الأول لدلاله الثانى عليه كما حذف المفعول فى الثانى لدلاله الأول عليه فى قوله «وَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَ الذَّاكِرَاتِ» و تقديره و الذكاكرات الله و أكثر المفسرين على أن قوله «وَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ» على الاستئناف و أن المراد بذلك مانعوا الزكاه من هذه الأمه و قيل إنه معطوف على ما قبله و الأولى أن يكون محمولا- على العموم فى الفريقين «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» أى أخبرهم بعذاب موجه و

روى سالم بن أبى الجعد أن رسول الله ص لما نزلت هذه الآيه قال تبا للذهب تبا للفضه يكررها ثلاثا فشق ذلك على أصحابه فسأله عمر فقال يا رسول الله أى المال نتخذ فقال لسانا ذاكرا و قلبا شاكرا و زوجه مؤمنه تعين أحدكم على دينه

«يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ» أى يوقد على الكنوز أو على الذهب و الفضة فى نار جهنم حتى تصير نارا «فَتَكْوَى بِهَا» أى بتلك الكنوز المحماه و الأموال التى منعوا حق الله فيها بأعيانها «جِبَاهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ» و إنما خص هذه الأعضاء لأنها معظم البدن و كان أبو ذر الغفارى يقول بشر الكائزين بكى فى الجباه و كى فى الجنوب و كى فى الظهر حتى يلتقى الحر فى أجوافهم و فى هذا المعنى الذى أشار إليه أبو ذر خصت هذه المواضع بالكى لأن داخلها جوف بخلاف اليد و الرجل و قيل إنما خصت هذه المواضع بالعذاب لأن الجبهه محل الوسم لظهورها و الجنب محل الألم و الظهر محل الحدود و قيل لأن الجبهه محل السجود فلم تقم فيه بحقه و الجنب يقابل القلب الذى لم

يخلص في معتقده و الظهر محمل الأوزار قال «يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ» عن الماوردي و قيل لأن صاحب المال إذا رأى الفقير قبض جبهته و زوى عينيه و طوى عنه كشحه و ولاءه ظهره عن أبي بكر الوراق «هذا ما كَنَزْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ» أى يقال لهم فى حال الكى أو بعده هذا جزء ما كنزتم و جمعتم المال و لم تؤدوا حق الله عنها و جعلتموها ذخيره لأنفسكم «فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ» أى فذوقوا العذاب بسبب ما كنتم تكنزون أى تجمعون و تمنعون حق الله منه فحذف لدلاله الكلام عليه و

قال رسول الله ص ما من عبد له مال و لا يؤدى زكاته إلا جمع يوم القيامة صفائح يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى به جبهته و جنباه و ظهره حتى يقضى الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنه مما تعدون ثم يرى سبيله إما إلى الجنة و إما إلى النار أورده مسلم بن الحجاج فى الصحيح

و

روى ثوبان عن النبى ص قال من ترك كنزا مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يتبعه و يقول ويلك ما أنت فيقول أنا كنتك الذى تركت بعدك فلا يزال يتبعه حتى يلقيه يده فيقصمها ثم يتبعه سائر جسده

و روى الثعلبى بإسناده عن الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبى ذر قال أتيت رسول الله ص و هو فى ظل الكعبه فلما رآنى قد أقبلت قال هم الأخسرون و رب الكعبه هم الأخسرون و رب الكعبه قال فدخلنى غم و جعلت أنفوس و قلت هذا شىء حدث فى قال قلت من هم فداك أبى و أمى قال الأكثرون إلا من قال بالمال فى عباد الله هكذا و هكذا عن يمينه و شماله و من خلفه و قليل ما هم

و روى عن أبى ذر أنه قال من ترك بيضاء أو حمراء كوى به يوم القيامة

[سوره التوبه (٩): آيه ٣٦]

اشاره

إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (٣٦)

القراءه

قرأ أبو جعفر اثنا عشر و أحد عشر و تسعه عشر بسكون العين و الباقون بفتحها.

ص: ٤٢

الوجه فى ذلك أن الاسمين لما جعلـا كـالاسـم الواحد و بنى الأول منهما لأنه كصدر الاسم و الثانى منهما لتضمنه معنى واو العطف جعل تسكين أول الثانى دليلا على أنهما قد صارا كالاسم الواحد.

اللغة و الإعراب

كافه بمعنى الإحاطه مأخوذ من كافه الشىء و هى حرفه و إذا انتهى الشىء إلى ذلك كف عن الزيادة و أصل الكف المنع و منه المكفوف و هو الممنوع البصر و كافه نصب على المصدر و لا يدخل عليها الألف و اللام لأنه من المصادر التى لا تتصرف لوقوعه موقع معا و جميعا بمعنى المصدر الذى فى موضع الحال المؤكده فهو فى لزوم النكره نظير أجمعين فى لزوم المعرفه هذا قول الفراء و قال الزجاج كافه تنصب على الحال و هو مصدر على فاعله كالعافيه و العاقبه و هو فى موضع قاتلوا المشركين محيطين بهم باعتقاد مقاتلهم و لا يثنى و لا يجمع فلا يقال قاتلوهم كافات و لا كافين كما أنك إذا قلت قاتلوهم عامه لم تثن و لم تجمع و كذلك خاصه هذا مذهب النحويين.

المعنى

لما ذكر الله سبحانه و عيد الظالم لنفسه بكنز المال من غير إخراج الزكاه و غيرها من حقوق الله منه اقتضى ذلك أن يذكر النهى عن مثل حاله و هو الظلم فى الأشهر الحرم الذى يؤدى إلى مثل حاله أو شر منه فى المنقلب فقال «إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا» أى عدد شهور السنه فى حكم الله و تقديره اثنا عشر شهرا و إنما تعبد الله المسلمين أن يجعلوا سنينهم على اثنى عشر شهرا ليوافق ذلك عدد الأهله و منازل القمر دون ما دان به أهل الكتاب و الشهر مأخوذ من شهره الأمر لحاجه الناس إليه فى معاملاتهم و محل ديونهم و حجهم و صومهم و غير ذلك من مصالحهم المتعلقة بالشهور و قوله «فِي كِتَابِ اللَّهِ» معناه فيما كتب الله فى اللوح المحفوظ و فى الكتب المنزله على أنبيائه و قيل فى القرآن و قيل فى حكمه و قضائه عن أبى مسلم و قوله «يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ» متصل بقوله عِنْدَ اللَّهِ و العامل فيهما الاستقرار و إنما قال ذلك لأنه يوم خلق السماوات و الأرض أجرى فيها الشمس و القمر و بمسيرهما تكون الشهور و الأيام و بهما تعرف الشهور «مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ» أى من هذه الاثنى عشر شهرا أربعة أشهر حرم ثلاثه منها سرد ذو القعدة و ذو الحجه و المحرم و واحد فرد و هو رجب و معنى حرم أنه يعظم انتهاك المحارم فيها أكثر مما يعظم فى غيرها و كانت العرب تعظمها حتى لو أن رجلا لقي قاتل أبيه فيها لم يهجه لحرمتها و إنما جعل الله تعالى بعض هذه الشهور أعظم حرمة من بعض لما علم من المصلحه فى الكف عن الظلم فيها لعظم منزلتها و لأنه ربما أدى ذلك إلى ترك الظلم أصلا لانطفاء النائرة و انكسار

الحميه فى تلك المده فإن الأشياء تجر إلى أشكالها و شهور السنه المحرم سمي بذلك لتحريم القتال فيه و صفر سمي بذلك لأن مكه تصفر من الناس فيه أى تخلو و قيل لأنه وقع وباء فيه فاصفرت وجوههم و قال أبو عبيده سمي بذلك لأنه صفرت فيه أوطابهم عن اللبن و شهرا ربيع سميا بذلك لإنبات الأرض و إمرأها فيهما و قيل لارتباع القوم أى إقامتهم و جماديان سميتا بذلك لجمود الماء فيهما و رجب سمي بذلك لأنهم كانوا يرجونه أى يعظمونه يقال رجبته و رجبته بالتخفيف و التشديد قال الكميت:

و لا غيرهم أبغى لنفسى جنه و لا غيرهم ممن أجل و أرجب

و قيل سمي بذلك لترك القتال فيه من قولهم رجل أرجب إذا كان أقطع لا يمكنه العمل

و روى عن النبي ص أنه قال إن فى الجنه نهرا يقال له رجب مأؤه أشد بياضا من الثلج و أحلى من العسل من صام يوما من رجب شرب منه

و شعبان سمي بذلك لتشعب القبائل فيه عن أبى عمرو

و روى زياد بن ميمون أن النبي ص قال إنما سمي شعبان لأنه يشعب فيه خير كثير لرمضان و شهر رمضان سمي بذلك لأنه يرمض الذنوب

و قيل سمي بذلك لشده الحر و قيل إن رمضان من أسماء الله و شوال سمي بذلك لأن القبائل كانت تشول فيه أى تبرح عن أمكنتها و قيل لشولان النوق أذناها فيه و ذو القعدة سمي بذلك لعودهم فيه عن القتال و ذو الحجه لقضاء الحج فيه «ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ» أى ذلك الحساب المستقيم الصحيح لا ما كانت العرب تفعله من النسى ء و منه

قوله الكيس من دان نفسه

أى حاسبها و سمي الحساب دينا لوجوب الدوام عليه و لزومه كلزوم الدين و العباده و قيل معناه ذلك القضاء المستقيم الحق عن الكلبي و قيل معناه ذلك الدين تعبد به فهو اللازم «فَلَا تَظَلُّمُوا فِيهِنَّ» أى فى هذه الشهور كلها عن ابن عباس و قيل فى هذه الأشهر الحرم الأربعة عن قتاده و اختاره الفراء قال لأنه لو أراد الاثنى عشر شهرا لقال فيها «أَنْفُسِيكُمْ» بترك أوامر الله و ارتكاب نواهيها و إذا عاد الضمير إلى جميع الشهور فإنه يكون نهيا عن الظلم فى جميع العمر و إذا عاد إلى الأشهر الحرم ففائده التخصيص أن الطاعه فيها أعظم ثوابا و المعصيه أعظم عقابا و ذلك حكم الله فى جميع الأوقات الشريفه و البقاع المقدسه «وَ قَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً» أى قاتلوهم جميعا مؤتلفين غير مختلفين «كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً» أى جميعا كذلك فتكون كافه حالا عن المسلمين و يجوز أن تكون حالا من المشركين أى قاتلوا المشركين جميعا و لا تمسكوا منهم

بعهد و لا- ذمه إلا من كان من أهل الجزية و أعطاهها عن صغار و الظاهر هو الأول و قيل معناه قاتلوهم خلفا بعد سلف كما أنه يخلف بعضهم بعضا في قتالكم عن الأصم «وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ» بالنصره و الولايه و فى هذه الآيه دلالة على أن الاعتبار فى السنين بالشهور القمرية لا بالشمسية و الأحكام الشرعية معلقة بها و ذلك لما علم الله سبحانه فيه من المصلحة و لسهولة معرفه ذلك على الخاص و العام

[سوره التوبه (٩): آيه ٣٧]

اشاره

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَ يَحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤَاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٣٧)

القراءه

قرأ أبو جعفر النسى ء بالتشديد من غير همزه و

قرأ جعفر بن محمد (عليه السلام) و الزهرى النسى مخففا فى وزن الهدى بغير همز

و روى مثل ذلك أيضا عن شبل عن ابن كثير و الباقون «النسى ء» بالمد و الهمز و قرأ «يُضَلُّ» بضم الياء و فتح الضاد أهل الكوفه غير أبى بكر و قرأ يضل بضم الياء و كسر الضاد أوقيه من طريق ابن مقسم عن أبى عمرو و رويس عن يعقوب و الباقون يضل بفتح الياء و كسر الضاد.

الحجه

قال أبو على النسى ء مصدر كالنذير و النكير و عذير الحى و لا يجوز أن يكون فعلا بمعنى مفعول كما قاله بعض الناس لأنه إن حمل على ذلك كان معناه إنما المؤخر زياده فى الكفر و المؤخر الشهر و ليس الشهر نفسه بزياده فى الكفر و إنما الزياده فى الكفر تأخير حرمه الشهر إلى شهر آخر ليست له تلك الحرمة فأما نفس الشهر فلا و أما ما روى من النسى بالياء فذلك يكون على إبدال الياء من الهمزه و لا- أعلمها لغه فى التأخير كما أن أرجيت لغه فى أرجأت و ما روى من النسى بتشديد الياء فعلى تخفيف الهمزه و ليس هذا القلب مثل القلب فى النسى بالياء لأن النسى بتشديد الياء على وزن فعيل تخفيف قياسى كما أن مقروه فى مقروه تخفيف قياسى و ليس «النسى ء» كذلك و ذكر ابن جنى فيه ثلاثه أوجه (أحدها) أن يكون أراد النسى ء ثم خفف بأن أبدلت الهمزه ياء كما قال الشاعر:

أهبى التراب فوقه إهبايا

" أراد إهباء

(و الثاني) أن يكون فعلا من نسيت لأن الشئ ء إذا أخر فكأنه نسي (و الثالث) و فى الصيغه أن يكون أراد النسي ء على فعيل ثم خفف و أدغم فصار النسي ثم قصر فعلا بحذف يائه فصار نسي ثم أسكن عين فعل فصار نسي كما قيل فى سميح سميح و فى رطب رطب و فى جديب جديب فأما قوله «يُضَلُّ» فليس فى يضل إشكال و لا فى يضل لأن المضل لغيره ضال بفعله إضلال غيره فأما يضل فالمعنى فيه أن كبراءهم و أشرافهم يضلونهم بحملهم على هذا التأخير فى الشهور و قرئ فى الشواذ يضل بفتح الياء و الضاد و هذه لغه أعنى ضللت أضل

اللغة

قال أبو زيد نسات الإبل فى ظمئها يوما أو يومين أو أكثر من ذلك و المصدر النسي ء يقال نسات الإبل عن الحوض أنساها نساء إذا أخرتها عنه و المواطاه الموافقه يقال واطأ فى الشعر إذا قال بيتين على قافيه واحده و أوطأ مثله.

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر السنه و الشهر عقبه بذكر ما كانوا يفعلونه من النسي ء فقال «إِنَّمَا النَّسِيُّ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ» يعنى تأخير الأشهر الحرم عما رتبها الله سبحانه عليه و كانت العرب تحرم الشهور الأربعة و ذلك مما تمسكت به من مله إبراهيم و إسماعيل و هم كانوا أصحاب غارات و حروب فربما كان يشق عليهم أن يمكثوا ثلاثه أشهر متواليه لا يغزون فيها فكانوا يؤخرون تحريم المحرم إلى صفر فيحرمونه و يستحلون المحرم فيمكثون بذلك زمانا ثم يزول التحريم إلى المحرم و لا يفعلون ذلك إلا فى ذى الحجه قال ابن عباس و معنى قوله «زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ» أنهم كانوا أحلوا ما حرم الله و حرموا ما أحل الله قال الفراء و الذى كان يقوم به رجل من كنانه يقال له نعيم بن ثعلبه و كان رئيس الموسم فيقول أنا الذى لا أعاب و لا أخاب و لا يرد لى قضاء فيقولون نعم صدقت أنستنا شهرا أو أخر عنا حرمة المحرم و اجعلها فى صفر و أحل المحرم فيفعل ذلك و الذى كان ينساها حين جاء الإسلام جناده بن عوف بن أميه الكنانى قال ابن عباس و أول من سن النسي ء عمرو بن لحي بن قمعه بن خندف و قال أبو مسلم بن أسلم بل رجل من بنى كنانه يقال له القلمس كان يقول إنى قد نسات المحرم العام و هما العام صفران فإذا كان العام القابل قضينا فجعلناهما مجرمين قال شاعرهم:

" و ما ناسى الشهر القلمس "

و قال الكميت:

و نحن الناسئون على معد شهور الحل نجعلها حراما

و قال مجاهد كان المشركون يحججون فى كل شهر عامين فحجوا فى ذى الحجه عامين ثم حجوا فى المحرم عامين ثم حجوا فى صفر عامين و كذلك فى الشهور حتى وافقت الحجه

التي قبل حجه الوداع في ذى القعدة ثم حج النبي ص في العام القابل حجه الوداع فوافقت في ذى الحجه فذلك حين

قال النبي ص و ذكر في خطبته إلا و إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات و الأرض السنه اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثه متواليات ذو القعدة و ذو الحجه و المحرم و رجب مضر الذي بين جمادى و شعبان

أراد (عليه السلام) الأشهر الحرم رجعت إلى مواضعها و عاد الحج إلى ذى الحجه و بطل النسى ء «يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا» أى يضل بهذا النسى ء الذين كفروا و من قرأ بضم الباء فمعناه يضلون به غيرهم و إضلالهم أنهم فعلوا ذلك ليحللوا للناس الأشهر الحرم التي حرم الله القتال فيها و أوجب الحج في بعضها فيستحلون ترك الحج في الوقت الذي هو واجب فيه و يوجبونه في الوقت الذي لا يجب فيه و جوزوا ذلك عليهم حتى ضلوا باتباعهم «يُحِلُّونَهُ عَامًا وَ يُحَرِّمُونَهُ عَامًا» أى يجعلون الشهر الحرام حلالا إذا احتاجوا إلى القتال فيه و يجعلون الشهر الحلال حراما و يقولون شهر بشهر و إذا لم يحتاجوا إلى القتال لم يفعلوا ذلك «لِيُؤَاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ» معناه أنهم لم يحلوا شهرا من الحرم إلا حرموا مكانه شهرا من الحلال و لم يحرموا شهرا من الحلال إلا أحلوا مكانه شهرا من الحرم ليكون موافقه في العدد و ذلك المواطاه «زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ» أى زينت لهم أنفسهم أو زين لهم الشيطان سوء أعمالهم عن الحسن و قيل معناه استحسنوا ذلك بهواهم «وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» مر تفسيره.

[سوره التوبه (٩): الآيات ٣٨ الى ٣٩]

إشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨) إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَ يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَ لَا تَصْرُوهُ شَيْئًا وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩)

اللغه

النفر الخروج إلى الشىء لأمر هيج عليه و منه نفور الدابه يقال نفرت الدابه نفورا و نفر إلى الثغر نفرا و نفيرا و الثاقل تعاطى إظهار ثقل النفس و مثله التباطؤ و ضده التسرع و المتاع الانتفاع بما يظهر للحواس و منه قولهم تمتع بالرياض و المناظر الحسان و يقال للأشياء

ص: ٤٧

التي لها أثمان متاع تشبيها به و الاستبدال جعل أحد الشئيين بدل الآخر مع الطلب له.

الإعراب

«أَتَأَقْلَتُمْ» افاعلتم و أصله تفاعلتم أدغمت التاء فى التاء لمناسبتها لها ثم أدخلت ألف الوصل ليتمكن الابتداء بها و مثله أَدَارَكُوا و أتابع فى قول الشاعر:

تولى الضجيج إذا ما أشتاقها خصرا عذب المذاق إذا ما أتابع القبل

النزول

قالوا لما رجع رسول الله ص من الطائف أمر بالجهاد لغزوه الروم و ذلك فى زمان إدراك الثمار فأحبوا المقام فى المسكن و المال و شق عليهم الخروج إلى القتال و كان (عليه السلام) قلما خرج فى غزوه إلا كنى عنها و ورى بغيرها إلا غزوه تبوك لبعث شقتها و كثره العدو ليتأهب الناس فأخبرهم بالذى يريد فلما علم الله سبحانه تتأقل الناس أنزل الآية.

المعنى

ثم عاتب سبحانه المؤمنين فى التثاقل عن الجهاد فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ» أى إذا دعاكم رسول الله ص و قال لكم «انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أى أخرجوا إلى مجاهدته المشركين و هو هاهنا غزوه تبوك عن الحسن و مجاهد «أَتَأَقْلَتُمْ إِلَى الْمَأْرُضِ» أى تشاقلتم و ملتتم إلى الإقامة فى الأرض التى أنتم عليها قال الجبائى هذا الاستبطاء مخصوص بنفر من المؤمنين لأن جميعهم لم يتشاقلوا عن الجهاد فهو عموم أريد به الخصوص بدليل «أَرْضَتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ» هذا استفهام يراد به الإنكار و معناه آثرتم الحياة الدنيا الفانية على الحياة فى الآخرة الباقية فى النعيم الدائم «فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ» أى فما فوائد الدنيا و مقاصدها فى فوائد الآخرة و مقاصدها إلا قليل لانقطاع هذه و دوام تلك ثم عقبه سبحانه بالتهديد و الوعيد فقال «إِلَّا تَنْفِرُوا يَعْذِبُكُمْ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا» و معناه لا تخرجوا إلى القتال الذى دعاكم إليه الرسول و تقعدوا عنه يعذبكم الله عذابا أليما مؤلما فى الآخرة و قيل فى الدنيا «وَيَسْتَبْدِلْ» بكم «قَوْمًا غَيْرَكُمْ» لا يتخلفون عن الجهاد و قيل هم أبناء فارس عن سعيد بن جبيرة و قيل هم أهل اليمن عن أبى روق و قيل هم الذين أسلموا بعد نزول هذه الآية عن الجبائى «وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا» أى و لا تضروا الله بهذا القعود شيئا لأنه غنى لنفسه لا يحتاج إلى شىء عن الحسن و أبى على و قيل معناه و لا تضروا الرسول شيئا لأن الله عصمه من جميع الناس و ينصره بالملائكة أو بقوم آخرين من المؤمنين «وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» فهو القادر على الاستبدال بكم و على غير ذلك من الأشياء قال الزجاج و هذا وعيد شديد فى التخلف عن الجهاد.

إشارة

إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠)

القراءة

قرأ يعقوب وحده كلمة الله بالنصب والباقون بالرفع.

الحجج

من نصب عطفه على قوله «وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ» وجعل كلمة الله هي العليا» و من رفع استأنف و هو أبلغ لأنه يفيد أن كلمة الله هي العليا على كل حال.

الإعراب

«ثَانِيًا أَثْنَيْنِ» نصب على الحال و للعرب في هذا مذهبان (أحدهما) قولهم هذا ثانى اثنين و ثالث ثلاثة و رابع أربعة و خامس خمسة أى أحد اثنين و أحد ثلاثة و أحد أربعة و أحد خمسة (و الآخر) قولهم ثالث اثنين و خامس أربعة بمعنى أنه ثلث اثنين و خمس أربعة فالأول إضافة حقيقته محضه و الثانى إضافة غير محضه إذ هو فى تقدير الانفصال، «إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ» بدل من قوله «إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا» وضع أحد الزمانين فى موضع الآخر لتقاربهما.

المعنى

ثم أعلمهم الله سبحانه أنهم إن تركوا نصره رسوله لم يضره ذلك شيئاً كما لم يضره قله ناصريه حين كان بمكة و هم به الكفار فتولى الله نصره فقال «إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ» معناه إن لم تنصروا النبى ص على قتال العدو فقد فعل الله به النصر «إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا» من مكة فخرج يريد المدينة «ثَانِيًا أَثْنَيْنِ» يعنى أنه كان هو و أبو بكر «إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ» ليس معهما ثالث أى و هو أحد اثنين و معناه فقد نصره الله منفردا من كل شىء إلا من أبى بكر و الغار الثقب العظيم فى الجبل و أراد به هنا غار ثور و هو جبل بمكة «إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ» أى إذ يقول الرسول لأبى بكر «لَا تَحْزَنْ» أى لا تخف «إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» يريد أنه مطلع علينا عالم بحالنا فهو يحفظنا و ينصرنا

قال الزهرى لما دخل رسول الله ص و أبو بكر الغار أرسل الله زوجا من حمام حتى باضا

فى أسفل الثقب و العنكبوت حتى تنسج بيتا فلما جاء سراقه بن مالك فى طلبهما فرأى بيض الحمام و بيت العنكبوت قال لو دخله أحد لانكسر البيض و تفسخ بيت العنكبوت فانصرف و قال النبى ص اللهم أعم أبصارهم فعميت أبصارهم عن دخوله و جعلوا يضربون يمينا و شمالا حول الغار و قال أبو بكر لو نظروا إلى أقدامهم لرأونا

و

روى على بن إبراهيم بن هاشم قال كان رجل من خزاعه فيهم يقال له أبو كرز فما زال يقفو أثر رسول الله ص حتى وقف بهم باب الغار فقال لهم هذه قدم محمد ص هى و الله أخت القدم التى فى المقام و قال هذه قدم أبى قحافه أو ابنه و قال ما جازوا هذا المكان إما أن يكونوا قد صعدوا فى السماء أو دخلوا فى الأرض و جاء فارس من الملائكة فى صورته الإنس فوقف على باب الغار و هو يقول لهم اطلبوه فى هذه الشعاب فليس هاهنا و كانت العنكبوت نسجت على باب الغار و نزل رجل من قریش فبال على باب الغار فقال أبو بكر قد أبصرونا يا رسول الله فقال ص لو أبصرونا ما استقبلونا بعوراتهم

«فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ» يعنى على محمد ص أى ألقى فى قلبه ما سكن به و علم أنهم غير واصلين إليه عن الزجاج «وَ أَيْدَهُ» أى قواه و نصره «بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا» أى بملائكة يضربون وجوه الكفار و أبصارهم عن أن يروه عن الزجاج و قيل معناه قواه بملائكة يدعون الله تعالى له عن ابن عباس و قيل معناه و أعانه بالملائكة يوم بدر و أخبر الله سبحانه أنه صرف عنه كيد أعدائه و هو فى الغار ثم أظهر نصره بالملائكة يوم بدر عن مجاهد و الكلبي و قال بعضهم يجوز أن تكون الهاء التى فى عليه راجعه إلى أبى بكر و هذا بعيد لأن الضمائر قبل هذا و بعده تعود إلى النبى ص بلا خلاف و ذلك فى قوله «إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ» و فى قوله «إِذْ أَخْرَجَهُ» و قوله «لِصَاحِبِهِ» و قوله فيما بعد و «أَيْدَهُ» فكيف يتخللها ضمير عائد إلى غيره هذا و قد قال سبحانه فى هذه السوره «ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ» و قال فى سوره الفتح «فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ» و قد ذكرت الشيعة فى تخصيص النبى ص فى هذه الآيه بالسكينه كلاما رأينا الإضراب عن ذكره أخرى لثلا ينسبنا ناسب إلى شىء «وَ جَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى» معناه أن الله سبحانه جعل كلمتهم نازله دنيه و أراد به أنه سفلى و عيدهم للنبى ص و تخويفهم إياه و أبطله بأن نصره عليهم فعبّر عن ذلك بأنه جعل كلمتهم السفلى لا- أنه خلق كلمتهم «وَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا» أى هى المرتفعه المنصوره بغير جعل جاعل لأنها لا يجوز أن تدعو إلى خلاف الحكمه و قيل إن كلمه الكفار كلمه الشرك و كلمه الله هى كلمه التوحيد و هى قوله لا إله إلا الله فمعناه جعل

ص: ٥٠

كلمه الكفار السفلى بأن جعلهم أذله أسفلين و أعلى كلمه الله بأن أعز الإسلام و المسلمين «وَاللَّهُ عَزِيزٌ» فى انتقامه من أهل الشرك «حَكِيمٌ» فى تدبيره.

[سوره التوبه (٩): الآيات ٤١ الى ٤٣]

اشاره

انْفِرُوا خِفَافًا وَ ثِقَالًا وَ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤١) لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَ سَفَرًا قاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَ لَكِن بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢) عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعَنَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ تَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (٤٣)

القراءه

فى الشواذ قراءه الأعمش لو استطعنا بضم الواو و قد مضى الكلام فيه فى أوائل سوره البقره.

اللغه

القاصد السهل المقصد عن غير طول لأنه مما يقصد لسهولة و سمي العدل قصدا لأنه مما ينبغى أن يقصد و الشقه القطعه من الأرض التى يشق ركوبها على صاحبها لبعدها و يحتمل أن يكون من الشق الذى هو الناحيه من الجبل و يحتمل أن يكون من المشقه و الشقه السفر و المسافه و قریش يضمون الشين و قيس يكسرونها و قریش يضمون العين من بعدت و قيس يكسرونها.

المعنى

ثم أمر سبحانه بالجهد و بين تأكيد وجوبه على العباد فقال «انْفِرُوا» أى أخرجوا إلى الغزو «خِفَافًا وَ ثِقَالًا» أى شبانا و شيوخا عن الحسن و مجاهد و عكرمه و الضحاك و غيرهم و قيل نشاطا و غير نشاط عن ابن عباس و قتاده و قيل مشاغيل و غير مشاغيل عن الحكم و قيل أغنياء و فقراء عن أبى صالح و قيل أراد بالخفاف أهل العسره من المال و قله العيال و بالثقال أهل الميسره فى المال و كثره العيال عن الفراء و قيل معناه ركبانا و مشاه عن أبى عمرو و عطيه العوفى و قيل ذا صنعه و غير ذى صنعه عن ابن زيد و قيل عزابا و متأهلين عن يمان و الوجه أن يحمل على الجميع فيقال معناه أخرجوا إلى الجهد خف عليكم أو شق على أى

ص: ٥١

حاله كنتم لأن أحوال الإنسان لا تخلو من أحد هذه الأشياء «وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» و هذا يدل على أن الجهاد بالنفس و المال واجب على من استطاع بهما و من لم يستطع على الوجهين فعليه أن يجاهد بما استطاع «ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ» معناه أن الخروج و الجهاد بالنفس و المال خير لكم من الثاقل و ترك الجهاد إلى مباح «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» إن الله عز اسمه صادق في وعده و وعيده و قيل معناه إن كنتم تعلمون الخير في الجملة فاعلموا أن هذا خير قال السدي لما نزلت هذه الآية اشتد شأنها على الناس فنسخها الله تعالى بقوله «لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى» الآية «لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا» معناه لو كان ما دعوتهم إليه غنيمه حاضره «وَسَفَرًا قاصِدًا» أى قريبا هينا و قيل قاصدا أى ذا قصد نحو تأمر و لابن عن المبرد و قيل سهلا متوسطا غير شاق «لَا تَبُوكُوا» طمعا فى المال «وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ» أى المسافه يعنى غزوه تبوك أمروا فيها بالخروج إلى الشام «وَسَيُخَلِّفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ» معناه إن هؤلاء سيعتذرون إليك فى قعودهم عن الجهاد و يحلفون لو استطعنا و قدرنا و تمكنا من الخروج لخرجنا معكم ثم أخبر سبحانه أنهم «يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ» بما أسروه من الشرك و قيل باليمين الكاذبه و العذر الباطل لما يستحقون عليها من العقاب «وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» فى هذا الاعتذار و الحلف و فى هذه دلالة على صحه نبوه نبينا ص إذ أخبر أنهم سيحلفون قبل وقوعه فحلفوا و كان مخبره على ما أخبر به و فيه أيضا دلالة واضحة على أن القدره قبل الفعل لأن هؤلاء لا يخلو إما أن يكونوا مستطيعين من الخروج قادرين عليه و لم يخرجوا أو لم يكونوا قادرين عليه و إنما حلفوا لو أنهم قدروا فى المستقبل لخرجوا فإن كان الأول فقد ثبت أن القدره قبل الفعل و إن كان الثانى فقد كذبهم الله تعالى فى ذلك و بين أنه لو فعل لهم الاستطاعه لما خرجوا و فى ذلك أيضا وجوب تقدم القدره على المقدور فإن حملوا الاستطاعه على وجود الآله و عدّه السفر فقد تركوا الظاهر من غير ضروره فإن حقيقه الاستطاعه القدره على أنه لو كان عدم الآله و العده عذرا فى التأخر فعدم القدره أصلا أحرى و أولى أن يكون عذرا فيه ثم خاطب النبى ص بما فيه بعض العتاب فى إذنه لمن استأذنه فى التأخر عن الخروج معه إلى تبوك فقال «عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ» فى التخلف عنك قال قتاده و عمرو بن ميمون اثنان فعلهما النبى ص لم يؤمر بهما إذنه للمنافقين و أخذه الفداء من الأسارى فعاتبه الله كما تسمعون و هذا من لطيف المعاتبه بدأه بالعفو قبل

العتاب و هل كان هذا الأذن قبيحا أم لا قال الجبائي كان قبيحا و وقع صغيرا لأنه لا يقال فى المباح لم فعلته و هذا غير صحيح لأنه يجوز أن يقال فيما غيره أفضل منه لم فعلته كما يقول القائل لغيره إذا رآه يعاتب أخا له عاتبته و كلمته بما يشق عليه و إن كان يجوز له معاتبته بما يشق عليه و كيف يكون إذنه لهم قبيحا و قد قال سبحانه فى موضع آخر «فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِيُغْضِ شَأْنَهُمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتُمْ مِنْهُمْ» و قيل معناه أدام الله لك العفو لم أذنت لهؤلاء فى الخروج لأنهم استأذنوا فيه تملقا و لو خرجوا لأرادوا الخبال و الفساد و لم يعلم النبى ص ذلك من سريرتهم عن أبى مسلم «حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ تَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ» أى حتى تعرف من له العذر منهم فى التخلف و من لا عذر له فىكون إذنك لمن أذنت له على علم قال ابن عباس و ذلك لأن رسول الله ص لم يكن يعرف المنافقين يومئذ و قيل أنه (عليه السلام) إنما خيرهم بين الظعن و الإقامة متوعدا لهم و لم يأذن فاعتنم القوم ذلك و فى هذا إخبار من الله سبحانه أنه كان الأولى أن يلزمهم الخروج معه حتى إذا لم يخرجوا أظهر نفاقهم لأنه متى أذن لهم ثم تأخروا لم يعلم أ لنفاق كان تأخرهم أم لغيره و كان الذين استأذنوه منافقين و منهم جد بن قيس و معتب بن قشير و هما من الأنصار.

[سوره التوبه (٩): الآيات ٤٤ الى ٤٥]

إشارة

لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ وَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْمُتَّقِينَ (٤٤) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ ارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (٤٥)

المعنى

ثم بين سبحانه حال المؤمنين و المنافقين فى الاستئذان فقال «لَا يَسْتَأْذِنُكَ» أى لا يطلب منك الإذن فى القعود عن الجهاد معك بالمعاذير الفاسده و قيل معناه لا يستأذنك فى الخروج لأنه مستغن عنه بدعائك إلى ذلك بل يتأهب له عن أبى مسلم «الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ» و المعنى فى أن يجاهدوا فحذف فى فأفضى الفعل «وَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْمُتَّقِينَ» قال ابن عباس هذا تعبير للمنافقين حين استأذنوه فى القعود عن الجهاد و عذر للمؤمنين فى قوله «لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ» و المعنى أنه لم يخرجهم من صفه المتقين إلا لأنه علم أنهم ليسوا منهم «إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ»

فى التأخر عن الجهاد و التألف عن القتال معك و قىل فى الخروج لأن المناق إنما يستأذنك فى الخروج تملقا و لا يتأهب المؤمنون عن أبى مسلم «الذىن لا يؤمنون بالله» أى لا يصدقون به «و الأيوم الأخر» يعنى بالبعث و النشور «و ارتابت قلوبهم» أى اضطربت و شكت «فهم فى ريبهم يترددون» فهم فى شكهم يذهبون و يرجعون و التردد هو التصرف بالذهاب و الرجوع مرات متقاربه مثل التحير و أراد به المنافقين أى يتوقعون الإذن لشكهم فى دين الله و فيما وعد المجاهدين و لو أنهم كانوا مخلصين لوثقوا بالنصر و بثواب الله فبادروا إلى الجهاد و لم يستأذنوك فيه.

[سوره التوبه (٩): الآيات ٤٦ الى ٤٨]

اشاره

وَ لَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَ لَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاتِهِمْ فَتَبَطَّهْمُ وَ قِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٦) لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَ لَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَ فِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٤٧) لَقَدْ ابْتِغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَ قَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَ ظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَ هُمْ كَارِهُونَ (٤٨)

اللغه

العهده و الأهبه و الآله نظائر و الانبعث الانطلاق بسرعه فى الأمر و فلان لا ينبعث فى الحاجه أى ليس له نفاذ فيها و الشيط التوقيف عن الأمر بالتزهد فيه و مثله التريث و الخبال الفساد و الخبال الموت و الخبال الاضطراب فى الرأى و الخبل بسكون الباء و فتحها الجنون و الخبل فساد الأعضاء قال:

أبنى لىنى لستم بيد إلا يدا مخبوله العضد

و الأيضاع الإسراع فى السير قال امرؤ القيس:

ص: ٥٤

أرانا موضعين لحتم غيب و نسكر بالطعام و بالشراب

و ربما قالوا للراكب وضع بغير ألف و وضعت الناقه تضع وضعا و وضوعا و أوضعتها إضاعا قال:

يا ليتنى فيها جذع أخب فيها و أضع

خلالكم أى بينكم مشتق من التخلل و

فى الحديث تراصوا بين الصفوف لا يتخللكم الشياطين كأنها بنات حذف

و التقليل تصريف الشىء بجعل أعلاه أسفله و رجل حول قلب كأنه يقلب الآراء فى الأمور و يحولها.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن هؤلاء المنافقين فقال «وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ» مع النبى ص نصره له أو رغبه فى جهاد الكفار كما أراد المؤمنون ذلك «لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً» أى لاستعدوا للخروج عده و هى ما يعد لأمر يحدث قبل وقوعه و المراد لأخذوا أهبة الحرب من الكراع و السلاح لأن أماره من أراد أمرا أن يتأهب له قبل حدوثه «وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ» معناه و لكن كره الله خروجهم إلى الغزو لعلمه أنهم لو خرجوا لكانوا يمشون بالنميمة بين المسلمين و كانوا عيونا للمشركين و كان الضرر فى خروجهم أكثر من الفائدة «فَتَبَطَّوهُمْ» عن الخروج الذى عزموا عليه لا- عن الخروج الذى أمرهم به لأن الأول كفر و الثانى طاعه و لا ينبغى أن يقال كيف كره انبعاثهم بعد ما أمر به فى الآية الأولى لأنه إنما أمر بذلك على وجه الذب عن الدين و نيه الجهاد و كره ذلك على نيه التضريب و الفساد فقد كره غير ما أمر به و معنى تبطهم بطأ بهم و خذلهم لما يعلم منهم من الفساد «وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ» أى و قيل لهم اقعدها مع النساء و الصبيان و يحتمل أن يكون القائلون لهم ذلك أصحابهم الذين نهوهم عن الخروج مع النبى ص للجهاد و يحتمل أن يكون ذلك من كلام النبى ص لهم على وجه التهديد و الوعيد لا على وجه الإذن و يجوز أن يكون أيضا على وجه الإذن لهم فى القعود الذى عاتبه الله تعالى عليه إذ كان الأولى أن لا يأذن لهم ليظهر للناس نفاقهم قال أبو مسلم هذا يدل على

أن الاستئذان كان في الخروج و أن الإذن من النبي ص لهم كان في الخروج لأنه إذا كره الله سبحانه خروجهم و أراد قعودهم و أذن النبي ص في قعودهم فلا- عتب عليه و لكنهم استأذنوا في الخروج تملقا و إرادته للفساد فأذن النبي ص لهم فيه و لم يعلم ضمائرهم فعلم الله تعالى ذلك من نياتهم و منعهم من الخروج إذ كره خروجهم ثم بين سبحانه وجه الحكمة في كراهيه انبعاثهم و تشيبتهم عن الخروج فقال «لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا» معناه لو خرج هؤلاء المنافقون معكم إلى الجهاد ما زادوكم بخروجهم إلا شرا و فسادا و قيل غدرا و مكرا عن الضحاك و قيل يريد عجزا و جبنا عن ابن عباس أى أنهم كانوا يجبنونكم عن لقاء العدو بتهويل الأمر عليكم «وَ لَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ» أى لأسرعوا في الدخول بينكم بالتضريب و الإفساد و النميمة يريد و لسعوا فيما بينكم بالتفريق بين المسلمين و يكون تقديره و لأعدوا الإبل و سطكم و قيل معناه لأوضعوا إبلهم خلالكم يتخلل الراكب الرجلين حتى يدخل بينهما فيقول ما لا- ينبغي «يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ» بعدو الإبل و سطكم و معنى يبغونكم يبغون لكم أو فيكم أى يطلبون لكم المحنة باختلاف الكلمة و الفرقه و قيل معناه يبغونكم أن تكونوا مشركين و الفتنة الشرك عن الحسن و قيل معناه يخوفونكم بالعدو و يخبرونكم أنكم منهزمون و إن عدوكم سيظهر عليكم عن الضحاك «وَ فِيكُمْ سَيَمَاعُونَ لَهُمْ» أى و فيكم عيون للمنافقين ينقلون إليهم ما يسمعون منكم عن مجاهد و ابن زيد و قيل معناه و فيكم قائلون منهم عند سماع قولهم يريد ضعفه المسلمين عن قتاده و ابن إسحاق و جماعه «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ» أى بهؤلاء المنافقين الذين ظلموا أنفسهم لما أضمروا عليه من الفساد منهم عبد الله بن أبى و جد بن قيس و أوس بن قبطى ثم أقسم الله سبحانه فقال «لَقَدْ ابْتِغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ» اسم يقع على كل سوء و شر و المعنى لقد طلب هؤلاء المنافقون اختلاف كلمتكم و تشتيت أهوائكم و افتراق آرائكم من قبل غزوه تبوك أى فى يوم أحد حين انصرف عبد الله بن أبى بأصحابه و خذل النبي ص فصرف الله سبحانه عن المسلمين فتنتهم و قيل أراد بالفتنة صرف الناس عن الإيمان و إلقاء الشبهه إلى ضعفاء المسلمين عن الحسن و قيل أراد بالفتنة الفتك بالنبي ص فى غزوه تبوك ليله العقبه و كانوا اثنى عشر رجلا من المنافقين وقفوا على الشيه ليفتكوا بالنبي ص عن سعيد بن جبير و ابن جريج «وَ قَلَّبُوا لَمَكَ الْأُمُورِ» أى احتالوا فى توهين أمرك و إيقاع الاختلاف بين المؤمنين و فى قتلك بكل ما أمكنهم فيه فلم يقدرُوا عليه و قيل أنهم كانوا يريدون فى كيدته وجهها من التدبير فإذا لم يتم ذلك فيه تركوه و طلبوا المكيدة فى غيره فهذا تقليب الأمور عن أبى مسلم «حَتَّى

جاء الحقُّ» معناه حتى جاء النصر و الظفر الذى وعده الله به «وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ» أى دينه و هو الإسلام على الكفار على رغمهم «وَهُمْ كَارِهُونَ» أى فى حال كراهيتهم لذلك فهى جمله فى موضع الحال.

[سوره التوبه (٩): الآيات ٤٩ الى ٥٢]

إشاره

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٤٩) إِنَّ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤُهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ (٥٠) قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (٥١) قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بَأْيِدِنَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ (٥٢)

القراءه

القراءه المشهوره «لَنْ يُصِيبَنَا» و قرأ طلحه بن مصرف قل هل يصيبنا و كذلك هو فى مصحف ابن مسعود.

النزول

قيل

إن رسول الله ص لما استنفر الناس إلى تبوك قال انفروا لعلكم تغنمون بنات الأصفر فقام جد بن قيس أخو بنى سلمه بن بنى الخزرج فقال يا رسول الله ائذن لى و لا- تفتنى بنات الأصفر فإنى أخاف أن أفتن بهن فقال قد أذنت لك فأنزل الله تعالى «وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي»

الآيات عن ابن عباس و مجاهد

فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ص لبنى سلمه من سيدكم قالوا جد بن قيس غير أنه

ص: ٥٧

بخيل جبان فقال (عليه السلام) و أى داء أدوى من البخل بل سيدكم الفتى الأبيض الجعد بشر بن البراء بن المعرور

فقال فى ذلك حسان بن ثابت:

و قال رسول الله و القول لاحق بمن قال منا من تعدون سيدا

فقلنا له جد بن قيس على الذى نبخله فينا و إن كان أنكدا

فقال و أى الداء أدوى من الذى رميتم به جدا و إن كان أمجدا

و سود بشر بن البراء لجوده و حق لبشر ذى النداء أن يسودا

إذا ما أتاه الوفد أنهب ماله و قال خذوه إنه عائد غدا

المعنى

«و مِنْهُمْ» أى و من المنافقين «مَنْ يَقُولُ ائْتَدَنْ لِي» فى القعود عن الجهاد «و لَا تَفْتِنِّي» بنات الأصفر عن ابن عباس و مجاهد قال الفراء سميت الروم أصفر لأن حبشيا غلب على ناحيه الروم و كان له بنات قد أخذن من بياض الروم و سواد الحبشه فكن صفرا لعسا و قيل معناه لا- تؤثمنى أى لا- توقعنى فى الإثم بالعصيان لمخالفه أمرك بالخروج إلى الجهاد و ذلك غير متيسر لى عن الحسن و قتاده و الجبائى و الزجاج «أَلَا فِى الْفِتْنَةِ سَقَطُوا» معناه ألا فى العصيان و الكفر وقعوا بمخالفتهم أمرك فى الخروج و الجهاد و قيل معناه لا تعذبني بتكليف الخروج فى شدة الحر ألا قد سقطوا فى حر أعظم من ذلك و هو حر نار جهنم عن أبى مسلم و يدل عليه قوله «وَقَالُوا لَا- تَنْفِرُوا فِى الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا» «وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمْحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ» أى ستحيط بهم فلا مخلص لهم منها «إِنَّ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ» هذا خطاب من الله سبحانه للنبي ص و معناه أن تلك نعمه من الله و فتح و غنيمه يحزن المنافقون «وَأَنَّ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ» معناه و إن تصيبك شدة و نكبه و آفه فى النفس أو المال «يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ» أى أخذنا حذرنا و احترزنا بالقعود من قبل هذه المصيبة عن مجاهد و معناه أخذنا أمرنا من مواضع الهلكه فسلمنا مما وقعوا فيه «وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ» أى رجعوا إلى بيوتهم فرحين بما أصاب المؤمنين من الشدة «قُلْ» يا محمد لهم «لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا» أى كل ما يصيبنا من خير أو شر فهو ما كتبه الله فى اللوح المحفوظ من أمرنا و ليس على ما تظنون و تتوهمون من إهمالنا من غير أن يرجع أمرنا إلى تدبير عن الحسن و قيل معناه لن يصيبنا فى عاقبه أمرنا إلا ما كتب الله لنا فى القرآن من النصر الذى وعدنا و أنا نظفر بالأعداء فتكون النصره حسنى لنا أو نقتل فتكون

الشهادة حسنى لنا أيضا أى فقد كتب الله لنا ما يصيبنا و علمنا ما لنا فيه من الحظ عن الزجاج و الجبائى «هُوَ مَوْلَانَا» أى هو مالكننا و نحن عبيده و قيل هو ولينا و ناصرنا يحفظنا و يتولى حياطنا و دفع الضرر عنا «وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» هذا أمر من الله تعالى للمؤمنين بالتوكل عليه و الرضا بتدبيره و تقديره فليتوكل على الله المؤمنون «قُلْ» يا محمد لهؤلاء المنافقين «هَلْ تَرَبُّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ» معناه هل تنتظرون لنا إلا إحدى الخصلتين الحميدتين و النعمتين العظيمتين إما الغلبه و الغنيمه فى العاجل و إما الشهاده مع الثواب الدائم فى الآجل عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و غيرهم و هل و إن كان حرف الاستفهام فمعناه هنا التقرير بالتربص المؤدى صاحبه إلى كل ما كرهه من خيبه و فوز خصمه و من هلا-كه و نجاه خصمه و من شقوته و سعادته خصمه «وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ» أى و نحن نتوقع بكم «أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا» أى يوقع الله بكم عذابا من عنده يهلككم به أو بأن ينصرنا عليكم فيقتلكم بأيدينا «فَتَرَبَّصُوا» صورته صورته الأمر و المراد به التهديد كقوله «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ» لأنه لو كان أمرا لهم لكانوا فى تربصهم بالمؤمنين القتل مطيعين الله «إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ» أى منتظرون إما الشهاده و الجنه و إما الغنيمه و الأ-جر لنا و إما البقاء فى الذل و الخزى و إما الموت أو القتل مع المصير إلى النار لكم و هذه الآيه تفسير لقوله تعالى «قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا» و قيل معناه فتربصوا هلاكنا فإننا متربصون هلاككم و قيل تربصوا مواعيد الشيطان فى إبطال دين الله و نحن متربصون مواعيد الله فى إظهار دينه و نصره نبيه و استئصال مخالفيه.

إشارة

قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٣) وَ مَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ بِرَسُولِهِ وَ لَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَ هُمْ كُسَالَى وَ لَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَ هُمْ كَارِهُونَ (٥٤) فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَ لَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَ هُمْ كَافِرُونَ (٥٥)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم أن يقبل بالياء و الباقون بالتاء.

الحج

وجه القراءة بالتاء أن الفعل مسند إلى مؤنث في اللفظ و وجه الياء إن التانيث ليس بحقيقي فجاز أن يذكر كما جاء فمن جاءه موعظه.

اللغة

الطوع الانقياد بإرادته لم يحمل عليها و الكره فعل الشيء بكرهه حمل عليها المنع أمر يضاد الفعل و ينافيه و هو على وجهين منع أن يفعل و منع أن يفعل به فهو لاء منعوا من أن يفعل بهم قبول نفقتهم و الزهق الخروج بصعوبه و أصله الهلاك و كل هالك زاهق زهق زهق زهوقا و الزاهق من الدواب السمين الشديد السمن لأنه هالك بثقل بدنه في السير و الكر و الفر و زهق فلان بين أيدي القوم إذا ذهب سابقا لهم حتى يهلك منهم و الإعجاب السرور بما يتعجب منه يقال أعجبنى حديثه أي سرني.

الإعراب

«أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا» لفظ أمر و معناه معنى الشرط و الجزاء، المعنى إن أنفقتم طائعين أو مكرهين لن يتقبل منكم و مثله من الشعر قول كثير:

أسيئ بنا أو أحسنى لا ملومه لدينا و لا مقلبه إن تقلت

فلم يأمرها بالإساءة و لكن أعلمها إن أساءت أو أحسنت فهو على عهدا فكأنه قال إن أحسنت أو أسأت فلا تلامي قال الزجاج فإن قال قائل كيف يكون الأمر في معنى الخبر قيل له إذا كان في الكلام دليل عليه جاز كما يكون لفظ الخبر في معنى الأمر و الدعاء كقولك غفر الله لزيد و رحمه الله و معناه اللهم اغفر له و ارحمه و قوله «أَنْ تُقْبَلَ» في موضع نصب و تقديره من أن تقبل، و «أَنََّّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ» في موضع رفع، المعنى ما منعهم من قبول نفقاتهم إلا كفرهم و يجوز أن يكون التقدير و ما منعهم الله منه إلا لأنهم كفروا.

ثم بين سبحانه أن هؤلاء المنافقين لا ينتفعون بما ينفقونه مع إقامتهم على الكفر فقال «قُلْ» يا محمد لهؤلاء «أَنْفَقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً» أى طائعين أو مكرهين «لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ» معناه و إنما لم يتقبل منكم لأنكم كنتم متمردين عن طاعة الله و الله سبحانه إنما يتقبل من المؤمنين المخلصين «وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ» أى و ما يمنع هؤلاء المنافقين أن يثابوا على نفقاتهم إلا كفرهم بالله و برسوله و ذلك مما يحبط الأعمال و يمنع من استحقاق الثواب عليها «و لا

يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلاَّ وَهُمْ كَسَالَى» أى متثاقلين و المعنى لم يؤدوها على الوجه الذى أمروا أن يؤدوها على ذلك الوجه «و لا يُنْفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ» لذلك لأنهم إنما يصلون و ينفقون للرياء و التستر بالإسلام لا لابتغاء مرضاه الله تعالى و فى هذا دلالة على أن الكفار مخاطبون بالشرائع لأنه سبحانه ذمهم على ترك الصلاة و الزكاة و لو لا وجوبهما عليهم لم يذموا بتركهما «فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَ لا أَوْلَادُهُمْ» الخطاب للنبي ص و المراد جميع المؤمنين و قيل يريد لا تعجبك أيها السامع أى لا يأخذ بقلبك ما تراه من كثره أموال هؤلاء المنافقين و كثره أولادهم و لا تنظر إليهم بعين الإعجاب «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» قد ذكر فى معناه وجوه (أحدها) أن فيه تقدما و تأخيرا أى لا يسرك أموالهم و أولادهم فى الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة عن ابن عباس و قتاده فيكون الظرف على هذا متعلقا بأموالهم و أولادهم و مثله قوله تعالى «فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ» و التقدير فألقه إليهم فانظر ما ذا يرجعون ثم تول عنهم (و ثانيها) إن معناه إنما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا بالتشديد عليهم فى التكليف و أمرهم بالإنفاق فى الزكاة و الغزو فيؤدونها على كره منهم و مشقه إذ لا يرجون به ثوابا فى الآخرة فيكون ذلك عذابا لهم عن الحسن و البلخي (و ثالثها) إن معناه إنما يريد الله ليعذبهم بحفظها و المصائب فيها مع حرمان المنفعة بها عن ابن زيد (و رابعها) إن معناه إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الدنيا أى بسبب الأولاد و غنيمه الأموال عند تمكن المؤمنين من أخذها و غنمها فيتحسرون عليها فيكون ذلك جزاء على كفرهم عن الجبائي (و خامسها) إن المراد يعذبهم بجمعها و حفظها و حبها و البخل بها و الحزن عليها و كل هذا عذاب و كذلك خروجهم عنها بالموت لأنهم يفارقونها و لا يدرون إلى ما ذا يصيرون و اللام فى قوله «لِيُعَذِّبَهُمْ» يحتمل أن يكون بمعنى أن و يحتمل أن يكون لام العاقبه و التقدير إنما يريد الله أن يملى لهم فيها ليعذبهم «وَ تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ» أى تهلك و تذهب بالموت «وَ هُمْ كَافِرُونَ» جملة فى موضع الحال أى حال كونهم كافرين و الإرادة تعلقت بزهوق أنفسهم لا بالكفر و هذا كما تقول أريد أن أضربه و هو عاص فالإرادة تعلقت بالضرب لا بالعصيان.

[سوره التوبه (٩): الآيات ٥٦ الى ٥٧]

اشاره

وَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَ لَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (٥٦) لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَ هُمْ يَجْمَعُونَ (٥٧)

ص: ٦١

القراءه

قرأ يعقوب و سهل أو مدخلا بفتح الميم و سكون الدال و هو قراءه ابن أبى إسحاق و الحسن و الباقون «مُدَّخَلًا» و فى الشواذ قراءه مسلمه بن محارب و مدخلا بضم الميم و سكون الدال و قراءه الأعرج مدخلا بتشديد الدال و الخاء و قرأ أنس و هم يجمزون رواه الأعمش عنه.

الحجه

أما قوله «مُدَّخَلًا» فى القراءه المشهوره فأصله مدتخلا لكن التاء تبدل بعد الدال دالا لأن التاء مهموسه و الدال مجهوره و التاء و الدال من مكان واحد فكان الكلام من وجه أحد أخف و من قرأ مدخلا فهو من دخل يدخل مدخلا و من قرأ مدخلا فهو من أدخلته مدخلا قال:

الحمد لله ممسانا و مصبحنا بالخير صبحنا ربى و مسأنا

و من قرأ مدخلا بتشديد الدال و الخاء جعله متدخلا ثم أدغم التاء فى الدال و فى روايه الأعمش أنه سمع أنسا يقرأ يجمزون فقال و ما يجمزون قال يجمزون و يجمعون و يشتدون واحد.

اللغه

الفرق انزعاج النفس بتوقع الضرر و أصله من مفارقه الأموال حال الانزعاج و الملجأ الموضع الذى يتحصن فيه و مثله المعقل و الموئل و المعتصم و المعتمد. و المغارات جمع مغاره مفعله من غار الشىء فى الشىء يغور إذا دخل منه فى موضع يستتره و الغار النقب فى الجبل و المدخل المسلك الذى يتدسس بالدخول فيه و هو مفتعل و الجماع مضى المار مسرعا على وجهه لا يرد شىء عنه و قيل هو المشى بين الشئين قال مهلهل:

لقد جمحت جماحا فى دمائهم حتى رأيت ذوى أحسابهم خمدوا

و الجموح الراكب هواه قال:

خلعت عذارى جامحا ما يردنى عن البيض أمثال الدمى زجر زاجر

المعنى

ثم أظهر سبحانه سرا من أسرار القوم فقال «وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ» أى يقسم هؤلاء المنافقون أنهم لمن جملتكم أيها المؤمنون أى مؤمنون أمثالكم «وَمَا هُمْ مِنْكُمْ» أى ليسوا مؤمنين بالله كما أنتم كذلك «وَلِكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ» أى يخافون القتل

و الأسر إن لم يظهروا الإيمان «لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً» أى لو يجد هؤلاء المنافقون حرزا عن ابن عباس و قيل حصنا عن قتاده «أَوْ مَغَارَاتٍ» أى غيرانا فى الجبال عن ابن عباس و قيل سراديب عن عطا «أَوْ مُدْخَلًا» أى موضع دخول يأوون إليه عن الضحاك و قيل نفقا كنفق اليربوع عن ابن زيد و

قيل أسرابا فى الأرض عن ابن عباس و أبى جعفر (عليه السلام)

و قيل وجها يدخلونه على خلاف رسول الله ص عن الحسن «لَمَوْلُوا إِلَيْهِ» أى لعدلوا إليه و قيل لأعرضوا عنكم إليه «وَهُمْ يَجْمَعُونَ» أى يسرعون فى الذهاب إليه و معنى الآية أنهم من خبت دخلتهم و سوء سريرتهم و حرصهم على إظهار ما فى نفوسهم من النفاق و الكفر لو أصابوا شيئا من هذه الأشياء لآووا إليه ليجاهروا بما يضمرونه و أعرضوا عنك.

[سوره التوبه (٩): الآيات ٥٨ الى ٥٩]

اشاره

وَ مِنْهُمْ مَنْ يَلْمُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَشِيخُطُونَ (٥٨) وَ لَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ قَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ رَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ (٥٩)

القرءاء

قرأ يعقوب يلمزك بضم الميم و هى قرءاه الحسن و الأعرج و الباقر بكسر الميم.

اللغه

يقال لمزت الرجل لمزه و ألمزه إذا عبته و كذلك همزته قال الشاعر:

إذا لقيتك تبدى لى مكاشره و إن تغيت كنت الهامز اللمزه

و قيل الهمز العيب بكسر العين و غمزها أى يكسر عينه إذا غاب و اللمز العيب على وجه المساره و قيل لأعرابى أ تهمز الفأره قال الهر يهمزها فأوقع الهمز على الأكل و الهمز كاللمز.

النزول

عن أبى سعيد الخدرى قال بينا رسول الله ص يقسم قسما و قال ابن عباس كانت غنائم هوازن يوم حنين إذ جاءه ابن أبى ذى الخويصره التميمى

ص: ٦٣

و هو حرقوص بن زهير أصل الخوارج فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك و من يعدل إذا لم أعدل فقال عمر يا رسول الله ائذن لى فأضرب عنقه فقال النبي ص دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم و صيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فينظر فى قذذه فلا يوجد فيه شىء ثم ينظر فى رصافه فلا يوجد فيه شىء ثم ينظر فى نصله فلا يوجد فيه شىء قد سبق الفرت و الدم آيتهم رجل أسود فى إحدى ثدييه أو قال فى إحدى يديه مثل ثدى المرأة أو مثل البضعة تدردر يخرجون على فتره من الناس

و فى حديث آخر فإذا خرجوا فاقتلوهم ثم إذا خرجوا فاقتلوهم فنزلت «وَمِنْهُمْ مَن يَلْمِزُكَ» الآية قال أبو سعيد الخدرى أشهد أنى سمعت هذا من رسول الله ص و أشهد أن عليا (عليه السلام) حين قتلهم و أنا معه جىء بالرجل على النعت الذى نعتة رسول الله ص رواه الثعلبى بإسناده فى تفسيره

و قال الكلبي نزلت فى المؤلفه قلوبهم و هم المنافقون قال رجل منهم يقال له ابن الجواظ لم يقسم بالسويه فأنزل الله الآية و قال الحسن أتاه رجل و هو يقسم فقال أ لست تزعم أن الله تعالى أمرك أن تضع الصدقات فى الفقراء و المساكين قال بلى قال فما لك تضعها فى رعاها الغنم قال أن نبى الله موسى (عليه السلام) كان راعى غنم فلما ولى الرجل قال (عليه السلام) احذروا هذا و قال ابن زيد قال المنافقون ما يعطيها محمد إلا من أحب و لا يؤثر بها إلا هواه فنزلت الآية.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عنهم فقال «وَمِنْهُمْ» أى و من هؤلاء المنافقين «مَنْ يَلْمِزُكَ فى الصَّدَقَاتِ» أى يعيبك و يطعن عليك فى أمر الصدقات «فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا» أى من تلك الصدقات «رَضُوا» و أقروا بالعدل «وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ» أى يغضبون و يعيبون و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) أهل هذه الآية أكثر من ثلثى الناس

«وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» معناه و لو أن هؤلاء المنافقين الذين طلبوا منك الصدقات و عابوك بها رضوا بما أعطاهم الله و رسوله «وَقَالُوا» مع ذلك «حَسْبُنَا اللَّهُ» أى كافانا الله أو كافينا الله «سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ» أى سيعطينا الله من فضله و إنعامه و يعطينا رسوله مثل ذلك و قالوا «إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ» فى أن يوسع علينا من فضله فيغنيننا عن أموال الناس و قيل يعنى راغبون إليه فيما يعطينا من الثواب و يصرف عنا من العذاب و جواب أو محذوف و تقديره لكان خيرا لهم و أعود عليهم و حذف الجواب فى مثل هذا الموضع أبلغ على ما تقدم بيانه.

إشارة

إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ الْمَسَاكِينِ وَ الْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَ فِي الرِّقَابِ وَ الْغَارِمِينَ وَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠)

الإعراب

قال الزجاج فريضة منصوب على التوكيد لأن قوله إنما الصدقات لهؤلاء كقولك فرض الله الصدقات لهؤلاء.

المعنى

ثم بين سبحانه لمن الصدقات فقال «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ الْمَسَاكِينِ» و معناه ليست الصدقات التي هي زكاة الأموال إلا لهؤلاء و اختلف في الفرق بين الفقير و المسكين على قولين (أحدهما) أنهما صنف واحد و إنما ذكر الصنفان تأكيداً للأمر و هو قول أبي علي الجبائي و إليه ذهب أبو يوسف و محمد فقالا فيمن قال ثلث مالى للفقراء و المساكين و فلان إن فلان نصف الثلث و نصفه الآخر للفقراء و المساكين لأنهما صنف واحد و الآخر و هو قول الأكثرين أنهما صنفان و هو قول الشافعي و أبي حنيفة فإنه قال في المسألة المذكورة أن فلان ثلث الثلث و ثلثي الثلث للفقراء و المساكين ثم اختلف هؤلاء على أقوال فليل إن الفقير هو المتعفف الذى لا يسأل و المسكين الذى يسأل عن ابن عباس و الحسن و الزهرى و مجاهد ذهبوا إلى أن المسكين مشتق من المسكنه بالمسألة و روى ذلك عن أبي جعفر (عليه السلام) و قيل آت الفقير الذى يسأل و المسكين الذى لا يسأل و جاء فى الحديث ما يدل على ذلك

فقد روى عن النبى ص أنه قال ليس المسكين الذى يردده الأكله و الأكلتان و التمره و التمرتان و لكن المسكين الذى لا يجد غنيا فيغنيه و لا يسأل الناس شيئاً و لا يفطن به فيتصدق عليه

و قيل الفقير هو الزمن المحتاج و المسكين هو الصحيح المحتاج عن قتاده و قيل الفقراء المهاجرون و المساكين غير المهاجرين عن الضحاك و إبراهيم ثم اختلفوا من وجه آخر فليل إن الفقير أسوأ حالاً من المسكين فإن الفقير هو الذى لا شىء له و المسكين الذى له بلغه من العيش لا تكفيه و إليه ذهب الشافعي و ابن الأنبارى و احتجا بقوله تعالى «أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ» و بأن الفقير مشتق من فقار الظهر فكان الحاجه قد كسرت فقار ظهره و قيل إن المسكين أسوأ حالاً من الفقير الذى له بلغه من العيش و المسكين الذى لا شىء له و هو قول أبي حنيفة و القتيبي و ابن دريد و أئمه اللغه و أنشد يونس:

أما الفقير الذي كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبد

فسماه فقيرا وجعل له حلوبه و أجابوا عن السفينه بأنها كانت مشتركه بين جماعه و لكل واحد منهم الشىء اليسير و أيضا فإنه يجوز أن يكون سماهم مساكين على وجه الرحمه كما

جاء فى الحديث مساكين أهل النار

و قال الشاعر:

مساكين أهل الحب حتى قبورهم عليها تراب الذل بين المقابر

و قيل أنهم كانوا يعملون عليها فأضيفت إليهم «وَ الْعَامِلِينَ عَلَيْهَا» يعنى سعاه الزكاه و جباتها «وَ الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ» و كان هؤلاء قوما من الأشراف فى زمن النبى ص و كان يعطيهم سهما من الزكاه ليتألفهم به على الإسلام و يستعين بهم على قتال العدو ثم اختلف فى هذا السهم هل هو ثابت بعد النبى أم لا

ف قيل هو ثابت فى كل زمان عن الشافعى و اختاره الجبائى و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام) إلا أنه قال من شرطه أن يكون هناك إمام عادل يتألفهم على ذلك به

و قيل إن ذلك كان خاصا على عهد رسول الله ص ثم سقط بعده لأن الله سبحانه أعز الإسلام و قهر الشرك عن الحسن و الشعبى و هو قول أبى حنيفه و أصحابه «وَ فِي الرِّقَابِ» يعنى فى فك الرقاب من العتق و أراد به المكاتبين و أجاز أصحابنا أن يشتري منه عبد مؤمن إذا كان فى شدة و يعتق و يكون ولاؤه لأرباب الزكاه و هو قول ابن عباس و الحسن و مالك «وَ الْغَارِمِينَ» و هم الذين ركبتهم الديون فى غير معصيه و لا إسراف يقضى عنهم الديون «وَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» و هو الجهاد بلا خلاف و يدخل فيه عند أصحابنا جميع مصالح المسلمين و هو قول ابن عمر و عطا و هو اختيار البلخى و جعفر بن مبشر قالوا يبنى منه المساجد و القناطر و غير ذلك «وَ ابْنِ السَّبِيلِ» و هو المسافر المنقطع به يعطى من الزكاه و إن كان غنيا فى بلده ذا يسار و إنما سمي ابن السبيل للزومه الطريق فنسب إليه كما قال الشاعر:

أنا ابن الحرب ربتنى وليدا إلى أن شبت و اکتھلت لداتى

و قيل هو الضيف عن قتاده «فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ» أى مقدره واجبه قدرها الله و حتمها

«وَاللَّهُ عَلِيمٌ» بحاجه خلقه «حَكِيمٌ» فيما فرض عليهم و أوجب من إخراج الصدقات و غير ذلك.

[سوره التوبه (٩): الآيات ٤١ الى ٤٣]

اشاره

وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤١) يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنَّ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٤٢) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ (٤٣)

القراءه

قرأ عاصم فى روايه الأعمش و البرجمى عن أبى بكر قل أذن خير لكم بالضم و التنوين فيهما و هو قراءه الحسن و قتاده و عيسى بن عمر و غيرهم و قرأ الباقون «أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ» بالإضافه و قرأ نافع أذن خير ساكنه الذال فى كل القرآن و قرأ حمزه وحده و رحمه للذين آمنوا بالجبر و الباقون «وَرَحْمَةٌ» بالرفع.

الحجه

قال أبو على فى الآيه إذا خفت أو ثقلت فإنه يجوز أن يطلق على الجملة و إن كانت عباره عن جارحه منها كما قال الخليل فى الناب من الإبل إنه سميت به لمكان الناب البازل فسميت الجملة كلها به و قالوا للرئيس هو عين القوم و للرئيسه هو عينهم و يجوز فيه شىء آخر و هو أن الاسم يجرى عليه كالوصف له لوجود معنى ذلك الاسم فيه كقول جرير:

تبدو فتبدي جمالا زانه خفر إذا ترارات السود العناكيب

فأجرى العناكيب وصفا عليهن يريد أنهن من الحقاره و الدمامه كالعناكيب و قال آخر:

ص: ٤٧

فلو لا الله و المهر المفدى لأبت و أنت غربال الإهاب

فجعله غربالاً- لكثرة الخروق فيه من آثار الطعن و كذلك قوله هُوَ أُذُنٌ أُجْرَى عَلَى الْجَمَلِ اسْمُ الْجَارِحَةِ لِمَا أَرَادَ بِهِ مِنْ كَثْرَةِ اسْتِعْمَالِهِ لَهَا فِي الْإِصْغَاءِ بِهَا وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِعْلاً مِنْ أُذِنَ يَأْذِنُ أَذْناً إِذَا اسْتَمَعَ وَ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى «وَ أَذَنْتُ لِرَبِّهَا» أَيْ اسْتَمَعْتُ وَ قَوْلُهُ «أُذِّنُ لِي» أَيْ اسْتَمَعَ لِي وَ

فِي الْحَدِيثِ مَا أُذِنَ اللَّهُ لَشَيْءٍ كَأِذْنِهِ لِنَبِيِّ يَتَغْنَى بِالْقُرْآنِ

فعلى هذا يكون معناه أنه كثير الاستماع مثل أنف و سجع قال أبو زيد رجل أذن إذا كان يصدق بكل ما يسمع و قوله «أُذِّنُ خَيْرٌ لَكُمْ» بالإضافة و هو الأكثر في القراءه فمعناه أنه أذن خير أى مستمع خير و صلاح لكم و مصغ إليه لا مستمع شر و فساد من قرأ أذن خير لكم قال الزجاج معناه من يستمع منكم فيكون قريباً منكم قابلاً للعدر خير لكم قال أبو علي و من رفع «وَ رَحْمَةً» كان المعنى هو أذن خير لكم و رحمه جعله الرحمه لكثرة هذا المعنى فيه و على هذا «وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» وَ يَجُوزُ أَنْ يَقْدَرَ حَذْفُ الْمُضَافِ مِنَ الْمَصْدَرِ وَ إِمَّا الْجَرِّ فِي رَحْمَةِ فَعَلَى الْعَطْفِ عَلَى خَيْرٍ كَأَنَّهُ أُذِنَ خَيْرٌ وَ رَحْمَةٌ فَإِنْ قُلْتَ فِيكَونُ أُذِنَ رَحْمَةٌ فَإِنْ هَذَا لَا يَمْتَنِعُ لِأَنَّ الْأُذْنَ فِي مَعْنَى مُسْتَمِعٍ فِي الْأَقْوَالِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ فَكَأَنَّهُ مُسْتَمِعٌ رَحْمَةٌ فَجَازَ هَذَا كَمَا جَازَ مُسْتَمِعٌ خَيْرٌ أَلَا تَرَى أَنَّ الرَّحْمَةَ مِنَ الْخَيْرِ فَإِنْ قُلْتَ فَهَلَا اسْتَغْنَى بِشُمُولِ الْخَيْرِ لِلرَّحْمَةِ وَ غَيْرِهَا عَنْ تَقْدِيرِ عَطْفِ الرَّحْمَةِ عَلَيْهِ فَالْقَوْلُ فِيهِ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَمْتَنِعُ كَمَا لَا يَمْتَنِعُ «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ» ثُمَّ خَصَّ فَقَالَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَ إِنْ كَانَ قَوْلُهُ خَلَقَ يَعْمُ الْإِنْسَانَ وَ غَيْرَهُ فَكَذَلِكَ الرَّحْمَةُ إِذَا كَانَتْ مِنَ الْخَيْرِ لَمْ يَمْتَنِعْ أَنْ تَعَطْفَ فَتَخْصِصَ الرَّحْمَةَ بِالذِّكْرِ مِنْ ضَرْبِ الْخَيْرِ لِغَلْبِهِ مِنْ ذَلِكَ فِي وَصْفِهِ كَثْرَتُهُ كَمَا خَصَّصَ الْإِنْسَانَ بِالذِّكْرِ وَ إِنْ كَانَ الْخَلْقُ قَدْ عَمَهُ وَ غَيْرَهُ وَ الْبَعْدُ بَيْنَ الْجَارِ وَ مَا عَطْفَ عَلَيْهِ لَا يَمْنَعُ مِنَ الْعَطْفِ أَلَا تَرَى أَنَّ مِنْ قَرَأَ وَ قِيلَ يَا رَبِّ إِنَّمَا يَحْمِلُهُ عَلَيَّ وَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ عِلْمُ قَبْلِهِ.

اللغة

الفرق بين الأحق و الأصلح أن الأحق قد يكون من غير صفات الفعل كقولك زيد أحق بالمال و الأصلح لا يقع هذا الموقع لأنه من صفات الفعل و تقول الله أحق بأن يطاع و لا تقول أصلح و المحاده مجاوزه الحد بالمشاقه و هى و المخالفه و المجانبه و المعاداه نظائر و أصله المنع و المحاده ما يعترى الإنسان من النزق لأنه يمنعه من الواجب و الخزى الهوان و ما يستحى منه.

«أُذُنٌ خَيْرٌ» خبر مبتدأ محذوف و من لم يضيف جعل خيرا صفة لأذن و اللام فى قوله «يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ» على حد اللام فى قوله رَدَفَ لَكُمْ أو على المعنى لأن معنى يؤمن يصدق فعدى باللام كما عدى مصدقا به فى نحو قوله مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ* و قيل إنما دخلت اللام للفرق بين إيمان التصديق و إيمان الأمان قوله «فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ» يحتتمل أن يكون العامل فى أن أحد أمرين إما أن يكون على تقدير حذف الجار على معنى فلان له نار جهنم أو فبان له نار جهنم و إما أن يكون أعاد أن الأولى على التكرير للتوكيد بسبب طول الكلام عن الزجاج و أقول إن هذا على مذهب أبى الحسن و أبى على الفارسى يرتفع قوله «فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ» بظرف مضممر محذوف من هذا الموضع لطول الكلام و تقديره فله أن له نار جهنم و المعنى فله وجوب نار جهنم و يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف و التقدير فأمره أو و شأنه أن له نار جهنم و لا يجوز أن يرتفع بفعل مضممر لأن الفعل لا يقع بعد الفاء فى جواب الشرط و إنما يدخل الفاء فى جواب الشرط إذا كان مبتدأ أو خبرا أو جملة فعلية غير خبرية نحو قوله فَقَوْلِي إِنِّي نَذَرْتُ هَذَا مَذْهَبَ سَيِّبِيهِ قَالَ الزَّجَّاجُ وَ لَوْ قَرِئَ فَإِنَّ لَهُ بِكَسْرِ الِهْمَزَةِ عَلَى وَجْهِ الِاسْتِثْنَاءِ لَكَانَ جَائِزًا فَيَكُونُ كَقَوْلِكَ فله نار جهنم غير أنه لم يقرأ به أحد.

النزول

قيل نزلت فى جماعه من المنافقين منهم الجلاس بن سويد و شاس بن قيس و مخشى بن حمير و رفاعه بن عبد المنذر و غيرهم قالوا ما لا ينبغى فقال رجل منهم لا تفعلوا فإننا نخاف أن يبلغ محمدا ما تقولون فيوقع بنا فقال الجلاس بل نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول فإن محمدا أذن سامعه فأنزل الله الآية و قيل نزلت فى رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحرث و كان رجلا أدلم أحمر العينين أسفع الخدين مشوه الخلقه و كان ينم حديث النبى ص إلى المنافقين فقيل له لا تفعل فقال إنما محمدا أذن من حدثه شيئا صدقه نقول ما شئنا ثم نأتيه و نحلف له فيصدقنا و هو الذى

قال فيه النبى ص من أراد أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحرث

عن محمد بن إسحاق و غيره و قوله «يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ» الآية قيل أنها نزلت فى رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوه تبوك فلما رجع رسول الله ص من تبوك أتوا المؤمنين يعتذرون إليهم من تخلفهم و يعتلون و يحلفون فنزلت الآية عن مقاتل و الكلبي و قيل فى جلاس بن سويد و غيره من المنافقين قالوا لئن كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير و كان عندهم غلام من الأنصار يقال له عامر بن قيس فقال و الله إنما يقول محمد حق و أنتم شر من الحمير ثم أتى النبى ص فأخبره فدعاهم فسألهم

فحلفوا أن عامرا كذاب فنزلت الآية عن قتاده و السدى.

المعنى

ثم رجع سبحانه إلى ذكر المنافقين فقال «وَمِنْهُمْ» أى و من هؤلاء المنافقين «الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ» و الأذى قد يكون بالفعل و قد يكون بالقول و هو هنا بالقول «وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ» معناه أنه يستمع إلى ما يقال له و يصغى إليه و يقبله «قُلْ» يا محمد «أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ» أى هو أذن خير يستمع إلى ما هو خير لكم و هو الوحي و قيل معناه هو يسمع الخير و يعمل به و من قرأ أذن خير لكم فمعناه قل كونه أذنا أصلح لكم لأنه يقبل عذركم و يستمع إليكم و لو لم يقبل عذركم لكان شرا لكم فكيف تعيونه بما هو خير لكم و أصلح «يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ» معناه أنه لا يضره كونه آذنا فإنه أذن خير فلا يقبل إلا الخبر الصادق من الله و يصدق المؤمنين أيضا فيما يخبرونه و يقبل منهم دون المنافقين عن ابن عباس فأيمانه للمؤمنين تصديقه لهم على هذا القول و قيل يؤمن للمؤمنين أى يؤمنهم فيما يلقى إليهم من الأمان و لا- يؤمن للمنافقين بل يكونون على خوف و إن حلفوا «وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ» أى و هو رحمه لهم لأنهم إنما نالوا الإيمان بهدايته و دعائه إياهم «وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» فى الآخرة «يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ» أخبر سبحانه أن هؤلاء المنافقين يقسمون بالله أن الذى بلغكم عنهم باطل اعتذارا إليكم و طلبا لمرضاتكم «وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ» أى و الله و رسوله أحق و أولى بأن يطلبوا مرضاتهما «إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ» مصدقين بالله مقرين بنبوه نبيه محمد ص و تقديره و الله أحق أن يرضوه و رسوله أحق أن يرضوه فحذف للتخفيف و لدلاله الكلام عليه كما قال الشاعر:

نحن بما عندنا و أنت بما عندك راض و الرأى مختلف

و المعنى نحن بما عندنا راضون و أنت بما عندك راض ثم قال سبحانه على وجه التقرير و التوبيخ لهؤلاء المنافقين «أَلَمْ يَعْلَمُوا» أى و ما يعلموا «أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» أى من تجاوز حدود الله التى أمر المكلفين ألا يتجاوزوها و إنما قال ألم يعلم لمن لا- يعلم على وجه الاستبطاء لهم و التخلف عن عمله أى هلا- علموا بعد أن مكنوا من عمله و قيل هو أمر بالعلم أى يجب أن يعلموا بهذا الخبر و بالدلائل و قيل معناه ألم يخبرهم النبى ص بذلك عن الجبائى «فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا» أى دائما «ذَلِكَ الْخِزْيُ» أى الهوان و الذل «الْعَظِيمُ».

إشارة

يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ (٦٤) وَ لَيْسَ سَأَلْتَهُمْ لِيَقُولَنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَ نَلْعَبُ قُلْ أ بِاللَّهِ وَ آيَاتِهِ وَ رَسُولِهِ كُنْتُمْ تَشْتَهَرُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَهُ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٦٦)

القراءة

قرأ عاصم «إِنَّ نَعْفُ» و «نُعَذِّبُ» فيهما بالنون طائفة بالنصب و قرأ الباقون أن يعف بالياء و ضمها و فتح الفاء تعذب بالتاء و ضمها طائفة بالرفع.

الحجج

قال أبو علي حججه من قرأ «إِنَّ نَعْفُ» قوله ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ و من قرأ أن يعف فالمعنى معنى نعف و أما تعذب بالتاء فلأن الفعل فى اللفظ مسند إلى مؤنث ظاهر.

اللغة

الحذر إعداد ما ينفى الضرر و رجل حذر متحرز و رجل حذريان كثير الحذر شديد الفزع و المنافق الذى يظهر من الإيمان خلاف ما يبطنه من الكفر مشتق من نافقاء اليربوع لأنه يخفى بابا و يظهر بابا ليكون إذا أتى من أحدهما خرج من الآخر و الخوض دخول القدم فيما كان مائعا من الماء و الطين ثم كثر حتى استعمل فى غيره و اللعب فعل ما فيه سقوط المنزل لتعجل اللذه كفعل الصبى و لذلك قالوا ملاعب الأسنان أى أنه لشجاعته يقدم على الأسنان كفعل الصبى الذى لا يفكر فى عاقبه أمره و الاعتذار إظهار ما يقتضى العذر و الإجماع الانقطاع عن الحق إلى الباطل يقال جرم الثمر إذا صرمه و تجرمت السنه تصرمت.

النزول

قيل نزلت فى اثنى عشر رجلا وقفوا على العقبة ليفتكوا برسول الله ص عند رجوعه من تبوك فأخبر جبريل رسول الله ص بذلك و أمره أن يرسل إليهم و يضرب وجوه رواحلهم و عمار كان يقود دابه رسول الله ص و حذيفه يسوقها فقال لحذيفه اضرب وجوه رواحلهم فضربها حتى نجاهم فلما نزل قال لحذيفه من عرفت من القوم قال لم أعرف منهم أحدا فقال رسول الله ص إنه فلان و فلان حتى عدتهم كلهم فقال حذيفه أ لا تبعث إليهم فتقتلهم فقال أكره أن تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم عن ابن كيسان و روى عن

أبي جعفر الباقر (عليه السلام) مثله إلا أنه قال ائتمروا بينهم ليقتلوه

و قال بعضهم لبعض إن فطن نقول إنا كنا نخوض و نلعب و إن لم يفظن نقتله و

قيل إن جماعه من المنافقين قالوا فى غزوه تبوك يظن هذا الرجل أن يفتح قصور الشام و حصونها هيهات هيهات فأطلع الله نبيه ص على ذلك فقال احبسوا على الركب فدعاهم فقال لهم قلتم كذا و كذا فقالوا يا نبي الله إنما كنا نخوض و نلعب و حلفوا على ذلك فنزلت الآية «وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ» (إلخ)

عن الحسن و قتاده و

قيل كان ذلك عند منصرفه من غزوه تبوك إلى المدينة و كان بين يديه أربعة نفر أو ثلاثة يستهزءون و يضحكون واحدهم يضحك و لا- يتكلم فنزل جبريل و أخبر رسول الله ص بذلك فدعا عمار بن ياسر و قال أن هؤلاء يستهزءون بى و بالقرآن أخبرنى جبرائيل بذلك و لئن سألتهم ليقولن كنا نتحدث بحديث الركب فاتبعهم عمار و قال لهم مم تضحكون قالوا نتحدث بحديث الركب فقال عمار صدق الله و رسوله احترقتم أحرقكم الله فأقبلوا إلى النبي ص يعتذرون فأنزل الله تعالى الآيات

عن الكلبي و على بن إبراهيم و أبى حمزه و قيل إن رجلا- قال فى غزوه تبوك ما رأيت أكذب لسانا و لا أجبين عند اللقاء من هؤلاء يعنى رسول الله و أصحابه فقال له عوف بن مالك كذبت و لكنك منافق و أراد أن يخبر رسول الله ص بذلك فجاء و قد سبقه الوحى فجاء الرجل معتذرا و قال إنما كنا نخوض و نلعب ففيه نزلت الآية عن ابن عمر و زيد بن أسلم و محمد بن كعب و قيل أن رجلا من المنافقين قال يحدثنا محمد أن ناقه فلان بوادى كذا و كذا و ما يدريه ما الغيب فنزلت الآية عن مجاهد و قيل نزلت فى عبد الله بن أبى و رهطه عن الضحاك.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عنهم فقال «يَحِذِرُ الْمُنَافِقُونَ أَنَّ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ» فيه قولان (أحدهما) أنه إخبار بأنهم يخافون أن يفسوا سرائرهم و يحذرون ذلك عن الحسن و مجاهد و الجبائى و أكثر المفسرين و المعنى أنه يحذرون من أن ينزل الله عليهم أى على النبي و المؤمنين سورة تخبر عما فى قلوبهم من النفاق و الشرك و قد قيل إن ذلك الحذر إنما أظهره على وجه الاستهزاء لا على سبيل التصديق لأنهم حين رأوا رسول الله ص ينطق فى كل شىء عن الوحى قال بعضهم لبعض احذروا ألا ينزل وحى فيكم يتناجون بذلك و يضحكون عن أبى مسلم و قيل أنهم كانوا يخافون أن يكون (عليه السلام) صادقا فينزل عليه الوحى فيفتضحون عن الجبائى و قيل أنهم كانوا يقولون القول فيما بينهم ثم يقولون عسى الله أن لا يفسى علينا سرنا عن مجاهد (و الثانى) إن هذا اللفظ لفظه الخبر و معناه الأمر فهو كقولك ليحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تخبرهم بما فى قلوبهم من

النفاق و حسن ذلك لأن موضع الكلام على التهديد «قُلِ اسْتَهْزِؤُا» معناه قل يا محمد لهؤلاء المنافقين استهزءوا أى اطلبوا الهزاء و هو وعيد بلفظ الأمر «إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَخْتَدِرُونَ» أى مظهر ما تحذرون من ظهوره و المعنى أن الله يبين لنبيه باطن حالكم و نفاقكم «وَلَيْسَ سِيَّئَاتِهِمْ» عن طعنهم فى الدين و استهزائهم بالنبى ص و بالمسلمين «لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَ نَلْعَبُ» و اللام للتأكيد و القسم و معناه لقالوا كنا نخوض خوض الركب فى الطريق لا على طريق الجد و لكن على طريق اللعب و اللهو فكان عذرهم أشد من جرمهم «قُلْ» يا محمد «أَبِاللَّهِ وَ آيَاتِهِ» أى حججه و بيناته و كتابه «وَ رَسُولِهِ» محمد ص «كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ» ثم أمر الله سبحانه نبيه ص أن يقول لهؤلاء المنافقين «لَا تَعْتَدِرُوا» بالمعاذير الكاذبه «قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ» أى فإنكم بما فعلتموه قد كفرتم بعد أن كنتم مظهرين الإيمان الذى يحكم لمن أظهره بأنه مؤمن و لا- يجوز أن يكونوا مؤمنين على الحقيقة مستحقين للشواب ثم يرتدون على ما تقرر بالدليل و ذكر فى غير هذا الموضع أن المؤمن لا- يجوز أن يكفر «إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ» أى كافرين مصرين على النفاق هذا إخبار منه سبحانه أنه إن عفا عن قوم منهم إذا تابوا يعذب طائفه أخرى لم يتوبوا و أقاموا على النفاق و الطائفه اسم للجماعه على الحقيقة لأنه اسم لما يطيف بغيره و يحيط به و قد سمي الواحد طائفه على معنى أنها نفس طائفه و قد ورد القرآن بذلك فى قوله «وَ لَيَشْهَدُ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» فقد

ورد فى الآثار عن أئمتنا (عليه السلام) أن أقل من يحذر عذابهما واحد من المؤمنين فصاعدا

و

روى أن هاتين الطائفتين كانوا ثلاثه نفر فهذا اثنان و ضحك واحد و هو الذى تاب من نفاقه و اسمه مخشى بن حمير فعفا الله عنه.

ص: ٧٣

إشاره

الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمْ الْأَفْسِقُونَ (٦٧) وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُ لَهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٦٨) كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَ أَكْثَرَ أَمْوَالًا وَ أَوْلَادًا فَاسِيئَتِمْ تَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسِيئَتِمْ تَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسِيئْتُمْ لِلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَ خُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٩) أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَ عَادٍ وَ ثَمُودَ وَ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَ أَصْحَابِ مَدْيَنَ وَ الْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٧٠)

اللغة

الاستمتاع طلب المتعه و هى فعل ما فيه اللذه من المأكل و المشرب و المناكح و الخلاف النصيب سواء كان عاجلا أو آجلا و قال الزجاج النصيب الذى هو عند صاحبه وافر الحظ و المؤتفكات جمع مؤتفكه قد اتفكت بهم الأرض أى انقلبت.

الإعراب

موضع الكاف من قوله «كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» نصب أى وعدكم الله على الكفر به كما وعد الذين من قبلكم و الكاف فى قوله «كَمَا اسِيئْتُمْ» و «كَالَّذِي خَاضُوا» نصب بأنه صفة لمصدر محذوف و تقديره استمتعتم استمتعا مثل استمتعتمهم و خضتم خوضا مثل خوضهم قال جامع العلوم النحوى البصير «كَالَّذِي خَاضُوا» تقديره على قياس قول سيبويه كالذى خاضوا فيه فحذف فى فصار كالذى خاضوه ثم حذف الهاء و هو على قول يونس و الأخفش الذى مصدرى و التقدير كالخوض الذى خاضوا فيه و مثل هذا اختلافهم فى قوله ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ عَلَى قَوْلِ سَبِيحِيهِ تَقْدِيرُهُ يَبَشِّرُ اللَّهُ بِهِ عَلَى قَوْلِ يُونُسَ وَ الْأَخْفَشِ ذَلِكَ تَبَشِيرُ اللَّهِ عِبَادَهُ.

المعنى

ثم ذكر سبحانه أحوال أهل النفاق فقال «الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ» أى بعضهم من جملة بعض و بعضهم مضاف إلى بعض فى الاجتماع على النفاق و الشرك كما تقول أنا من فلان و فلان منى أى أمرنا واحد و كلمتنا واحده و قيل معناه بعضهم على دين بعض عن الكلبي و قيل بعضهم من بعض على لحوق مقت الله بهم جميعا عن أبى

مسلم «يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ» أى بالشرك و المعاصى «وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ» أى عن الأفعال الحسنه التى أمر الله بها و حث عليها «وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ» أى يمسكون أموالهم عن إنفاقها فى طاعه الله و مرضاته عن الحسن و قتاده و قيل معناه يمسكون أيديهم عن الجهاد فى سبيل الله عن الجبائى «نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ» أى تركوا طاعته فتركهم فى النار و ترك رحمتهم و إياهم عن الأصم و قيل معناه جعلوا الله كالمنسى حيث لم يتفكروا فى أن لهم صناعا يشبههم و يعاقبهم ليمنعهم ذلك عن الكفر و الأفعال القبيحه فجعلهم سبحانه فى حكم المنسى عن الثواب و ذكر ذلك لازدواج الكلام لأن النسيان لا يجوز عليه تعالى «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» أى الخارجون عن الإيمان بالله و رسوله و عن طاعته و قيل الفاسقون المترددون فى الشرك «وَعِدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ» أخبر سبحانه أنه وعد الذين يظهرون الإسلام و يطنون الكفر النار و كذلك الكفار و إنما فصل النفاق من الكفر و إن كان النفاق كفرا لبيّن الوعيد على كل واحد من الصنفين «خَالِدِينَ فِيهَا» أى دائمين فيها «هِيَ حَسْبُهُمْ» معناه نار جهنم و العقاب فيها كفايه ذنوبهم كما يقول عذبتك حسب ما فعلت و حسب فلان ما نزل به أى ذلك على قدر فعله «وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ» أى أبعدهم من جنته و خيره «وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ» أى دائم لا يزول «كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» أى وعدكم على النفاق و الاستهزاء كما وعد الذين من قبلكم من الكفار الذين فعلوا مثل فعلكم عن الزجاج و الجبائى و قيل معناه فعلكم كفعل الذين من قبلكم من كفار الأمم الخاليه «كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً» فى أبدانهم «وَأَكْثَرُ أَمْوَالًا وَ أَوْلَادًا» فلم ينفعهم ذلك شيئا و حل بهم عذاب الله تعالى «فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ» أى بنصيبهم و حظهم من الدنيا بأن صرفوها فى شهواتهم المحرمه عليهم و فيما نهاهم الله عنه ثم أهلكوا «فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ» أى فاستمتعتم أنتم أيضا بحظكم فى الدنيا كما استمتعوا هم «وَأَخْضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا» أى و خضتم فى الكفر و الاستهزاء بالمؤمنين كما خاض الأولون «أُولَئِكَ» الذين «حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ» التى تقع طاعه من المؤمنين مثل الإنفاق فى وجوه الخير و صلح الرحم و غيرها «فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» إذ لم يستحقوا عليها ثوابا فى الآخرة و لا تعظيما و تبيحيا فى الدنيا لكفرهم و شركهم «وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» خسروا أنفسهم و أهلكوها بفعل المعاصى المؤديه إلى الهلاك و وردت الروايه عن ابن عباس أنه قال فى هذه الآيه* ما أشبه الليله بالبارحه كالذين من قبلكم هؤلاء بنو إسرائيل شبهننا بهم لا أعلم إلا أنه قال و الذى نفسى بيده لتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم جحر ضب لدخلتموه و

روى مثل ذلك عن أبى هريره عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ص قال لتأخذن كما أخذت الأمم من قبلكم ذراعا بذراع و شبرا

بشبر و باعا بباع حتى لو أن أحدا من أولئك دخل جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله كما صنعت فارس و الروم و أهل الكتاب قال فهل الناس إلا هم

و قال عبد الله بن مسعود أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل سمتا و هديا تتبعون عملهم حذو القذة بالقذة غير أنى لا أدرى أ تعبدون العجل أم لا- و قال حذيفه المنافقون الذين فيكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ص قلنا و كيف قال أولئك كانوا يخفون نفاقهم و هؤلاء أعلنوه أورد ذلك جميعا الثعلبي فى تفسيره ثم قال سبحانه «أَلَمْ يَأْتِهِمْ» أى ألم يأت هؤلاء المنافقين الذين وصفهم «نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» أى خبر من كان قبلهم «قَوْمِ نُوحٍ وَ عَادٍ وَ ثَمُودَ وَ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَ أَصْحَابِ مَدْيَنَ» ذكر سبحانه الأمم الماضيه و القرون السالفه و أنه سبحانه أهلکها و دمر عليها لتكذيبها رسلها لئلا يأمنوا أن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك فأهلك سبحانه قوم نوح بالغرق و عادا قوم هود بالريح الصرصر و ثمود قوم صالح بالرجفه و قوم إبراهيم بسلب النعمه و هلاك نمرود و أصحاب مدين و هى البلده التى فيها قوم شعيب بعذاب يوم الظله و قيل إن مدين اسم نسبت البلد إليه و قد مر ذكره «وَ الْمُؤْتَفِكَاتِ» أى المنقلبات و هى ثلاث قرى كان فيها قوم لوط و لذلك جمعها بالألف و التاء عن الحسن و قتاده و قال فى موضع آخر وَ الْمُؤْتَفِكَهَ أَهْوَى فجاء بها على طريق الجنس أهلکهم الله بالخسف و قلب المدينه عليهم «أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ» أى بالحجج و المعجزات «فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ» أى ما يظلمهم الله بإهلاكهم «وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» أى و لكن عاقبهم باستحقاق إذ كذبوا رسل الله كما فعلتم فأهلكهم بكفرهم و عصيانهم.

إشاره

وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ يُطِيعُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) وَ عِدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ مَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَ رِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَ الْمُنَافِقِينَ وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَ بُئْسَ الْمَصِيرُ (٧٣)

اللغة

العدن و الإقامه و الخلود نظائر و منه المعدن و قال الأعشى:

فإن يستضيفوا إلى حكمه يضافوا إلى راجح قد عدن

و الرضوان مصدر رضى يرضى رضى و رضوانا و الجهاد ممارسه الأمر الشاق و أصله من الجهد.

المعنى

لما ذكر الله تعالى المنافقين و وصفهم بقبيح خصالهم اقتضت الحكمة أن يذكر المؤمنين و يصفهم بصد أوصافهم ليتصل الكلام بما قبله اتصال النقيض بالنقيض فقال «وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ» أى بعضهم أنصار بعض يلزم كل واحد منهم نصره صاحبه و موالاته حتى أن المرأة تهيب أسباب السفر لزوجها إذا خرج و تحفظ غيبه زوجها و هم يد واحده على من سواهم «يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ» و هو ما أوجب الله فعله أو رغب فيه عقلا أو شرعا «وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ» و هو ما نهى الله عن فعله و زهد فيه عقلا أو شرعا «وَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ يُطِيعُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» أى يداومون على فعل الصلاة و إخراج الزكاة من أموالهم و وضعها حيث أمر الله تعالى بوضعها فيه و يمتثلون طاعه الله و رسوله و يتبعون إرادتهما و رضاهما «أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ» أى الذين هذه صفتهم يرحمهم الله فى الآخرة «إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» أى قادر على الرحمة و العذاب واضع كل واحد منهما موضعه و فى الآيه دلالة على أن الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر من فروض الأعيان لأنه جعلهما من صفات جميع المؤمنين و لم يخص قوما منهم دون قوم «وَ عِدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» أى من تحت أشجارها الأنهار و الماء فيها «خَالِدِينَ فِيهَا وَ مَسَاكِنَ طَيِّبَةً» يطيب العيش فيها بناها الله تعالى من اللآلى و الياقوت الأحمر

و الزبرجد الأخضر لا أذى فيها و لا وصب و لا نصب عن الحسن «فِي جَنَّاتٍ عَٰدِنٍ» أى فى جنات إقامة و خلد و قيل هى بطنان الجنة أى وسطها عن ابن مسعود و قيل هى مدينة فى الجنة و فيها الرسل و الأنبياء و الشهداء و أئمة الهدى و الناس حولهم و الجنان حولها عن الضحاك و قيل إن عدنا أعلى درجة فى الجنة و فيها عين التسليم و الجنان حولها محدقه بها و هى مغطاه من يوم خلقها الله عز و جل حتى ينزلها أهلها الأنبياء و الصديقون و الشهداء و الصالحون و من شاء الله و فيها قصور الدر و اليواقيت و الذهب فتهب ريح طيبه من تحت العرش فتدخل عليهم كتبان المسك الأبيض عن مقاتل و الكلبي و

روى عن النبي ص أنه قال عدن دار الله التى لم ترها عين و لم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيين و الصديقين و الشهداء يقول الله عز و جل طوبى لمن دخلك

«وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ» رفع على الابتداء أى و رضا الله تعالى عنهم أكبر من ذلك كله قال الجبائي إنما صار الرضوان أكبر من الثواب لأنه لا- يوجد شىء منه إلا- بالرضوان و هو الداعى إليه الموجب له و قال الحسن لأن ما يصل إلى القلب من السرور برضوان الله أكبر من جميع ذلك و إنما رفع رضوان لأنه استأنفه للتعظيم كما يقول القائل أعطيتك و وصلتك ثم يقول و حسن رأى فيك و رضاي عنك خير من جميع ذلك «ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» أى ذلك النعيم الذى وصفت هو النجاح العظيم الذى لا- شىء أعظم منه ثم أمر سبحانه بالجهاد فقال «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ» بالسيف و القتال «وَالْمُنَافِقِينَ» و اختلفوا فى كيفية جهاد المنافقين فقول إن جهادهم باللسان و الوعظ و التخويف عن الجبائي و قيل جهادهم بإقامه الحدود عليهم و كان نصيبهم من الحدود أكثر و قيل هو بالأنواع الثلاثة بحسب الإمكان يريد باليد فإن لم يستطع باللسان فإن لم يستطع بالقلب فإن لم يقدر فليكفرهم فى وجوههم عن ابن مسعود و

روى فى قراءه أهل البيت جاهد الكفار بالمنافقين قالوا لأن النبي ص لم يكن يقاتل المنافقين. و إنما كان يتألفهم لأن المنافقين لا يظهر الكفر و علم الله تعالى بكفرهم لا يبيح قتلهم إذا كانوا يظهر الإيمان

«وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ» و معناه و أسمعهم الكلام الغليظ الشديد و لا ترق عليهم «وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ» أى منزلهم و مقامهم و مسكنهم جهنم يريد مأوى الفريقين «وَبَسَّ الْمَصِيرُ» أى بس المرجع و المأوى.

اشاره

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَ لَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَ كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَ هُمُومَا لَمْ يَنَالُوا وَ مَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَ إِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ مَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ (٧٤)

اللغه

الهم مقارنة الفعل بتقليبه في النفس تقول هم بالشئ ء يهم هما و ليس الهم من العزم في شئ ء إلا أن يبلغ نهايه القوه في النفس و النيل لحوق الأمر يقال نال ما اشتهى أو تمنى أى أدركه و نقم منه شيئاً أى أنكر قال:

ما نقموا من بنى أميه إلا أنهم يحلمون إن غضبوا

و الفضل الزيادة في الخير على مقدار ما و أما التفضل فهو الزيادة من الخير الذي كان للقادر عليه أن يفعله و أن لا يفعله.

النزول

اختلف في من نزلت فيه هذه الآيه

فقيل أن رسول الله ص كان جالسا في ظل شجره فقال إنه سيأتيكم إنسان فينظر إليكم بعينى الشيطان فلم يلبثوا أن طلع رجل أزرق فدعا رسول الله ص فقال علام تشتمنى أنت و أصحابك فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا فأنزل الله هذه الآيه

عن ابن عباس و

قيل خرج المنافقون مع رسول الله ص إلى تبوك فكانوا إذا خلا بعضهم ببعض سبوا رسول الله ص و أصحابه و طعنوا في الدين فنقل ذلك حذيفه إلى رسول الله ص فقال لهم ما هذا الذي بلغنى عنكم فحلفوا بالله ما قالوا شيئاً من ذلك

عن الضحاك و

قيل نزلت في جلاس بن سويد بن الصامت و ذلك أن رسول الله ص خطب ذات يوم بتبوك و ذكر المنافقين فسماهم رجسا و عابهم فقال الجلاس و الله لئن كان محمد صادقا فيما يقول فنحن شر من الحمير فسمعه عامر بن قيس فقال أجل و الله إن محمدا لصادق و أنتم شر من الحمير فلما انصرف رسول الله ص إلى المدينة أتاه عامر بن قيس فأخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب يا رسول الله فأمرهما رسول الله أن يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر فحلف بالله ما قال ثم قام عامر فحلف بالله لقد قاله ثم قال اللهم أنزل على نبيك الصادق منا الصادق فقال رسول الله ص و المؤمنون آمين فنزل جبرائيل (عليه السلام) قبل أن يتفرقا بهذه الآيه حتى بلغ «فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ» فقام الجلاس فقال يا رسول الله اسمع الله قد عرض على التوبه صدق عامر

بن قيس فيما قال لك لقد قتلته و أنا أستغفر الله

ص: ٧٩

و أتوب إليه فقبل رسول الله ص ذلك منه

عن الكلبي و محمد بن إسحاق و مجاهد و قيل نزلت في عبد الله بن أبي سلول حين قال لئن رجعتنا إلى المدينه لئخرجن الأعر منهن الأذل عن قتاده و

قيل نزلت في أهل العقبة فإنهم ائتمروا في أن يغتالوا رسول الله ص في عقبه عند مرجعهم من تبوك و أرادوا أن يقطعوا أنساع راحلته ثم ينخسوا به فأطلع الله تعالى على ذلك و كان من جملة معجزاته لأنه لا يمكن معرفه مثل ذلك إلا بوحي من الله تعالى فسار رسول الله ص في العقبة و عمار و حذيفه معه أحدهما يقود ناقته و الآخر يسوقها و أمر الناس كلهم بسلوك بطن الوادي و كان الذين هموا بقتله اثني عشر رجلا أو خمسة عشر رجلا على الخلاف فيه عرفهم رسول الله ص و سماهم بأسمائهم واحدا واحدا

عن الزجاج و الواقدي و الكلبي و القصة مشروحه في كتاب الواقدي و

قال الباقر (عليه السلام) كانت ثمانيه منهم من قريش و أربعة من العرب.

المعنى

ثم أظهر سبحانه أسرار المنافقين فقال «يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا» يعنى أنهم حلفوا كاذبين ما قالوا ما حكى عنهم ثم حقق عليهم ذلك و أقسم سبحانه بأنهم قالوا ذلك لأن اللام في «لَقَدْ قَالُوا» لام القسم و «كَلِمَةَ الْكُفْرِ» كل كلمه فيها جحد لنعم الله تعالى و كانوا يطعنون في الإسلام «وَ كَفَرُوا بِغَيْدِ إِسْلَامِهِمْ» أى بعد إظهار إسلامهم يعنى ظهر كفرهم بعد أن كان باطنا «وَ هَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا» قيل فيه ثلاثه أقوال (أحدها) أنهم هموا بقتل النبي ص ليله العقبه و التنفير بناقته عن الكلبي و مجاهد و غيرهما (و ثانيها) أنهم هموا بإخراج الرسول من المدينه فلم يبلغوا ذلك عن قتاده و السدى (و ثالثها) أنهم هموا بالفساد و التضريب بين أصحابه و لم ينالوا ذلك عن الجبائي «وَ مَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ» معناه أنهم عملوا بضد الواجب فجعلوا موضع شكر النعمه أن نقموها و بيانه أنهم نقموا فيما ليس بموضع للنقمه فإنه لم يكن للمسلمين ذنب ينقمونه منهم بل الله تعالى أباح لهم الغنائم و أغناهم بذلك فقابلوا النعمه بالكفران و كان من حقهم أن يقابلوها بالشكر و قد مر هذا المعنى عند قوله «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقَمُونَ مِنَّا» الآيه في سوره المائده و إنما لم يقل من فضلها لأنه لا يجمع بين اسم الله و اسم غيره في الكنايه تعظيما لله و لذلك

قال النبي ص لمن سمعه يقول من أطاع الله و رسوله فقد اهتدى و من عصاهما فقد غوى بشس خطيب القوم أنت فقال كيف أقول يا رسول الله ص قال قل و من يعص الله و رسوله

و هكذا القول في قوله سبحانه «وَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ» و قيل إنما لم يقل من فضلها لأن فضل الله سبحانه

منه و فضل رسول الله من فضل الله «فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَهُمْ» أى فإن يتب هؤلاء المنافقون و يرجعوا إلى الحق يكن ذلك خيرا لهم فى الدنيا و الآخرة فإنهم ينالون بذلك رضا الله و رسوله و الجنة «وَ إِنْ يَتَوَلَّوْا» أى يعرضوا عن الرجوع إلى الحق و سلوك الطريق المستقيم «يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا» مؤلما «فِي الدُّنْيَا» بما ينالهم من الحسرة و الغم و سوء الذكر «وَ» فى «الْآخِرَةِ» بعذاب النار «وَ مَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ» أى ليس لهم فى الأرض «مِنْ وَلِيٍّ» أى محب «وَ لَا نَصِيرٍ» ينصرهم و يدفع عنهم عذاب الله.

[سوره التوبه (٩): الآيات ٧٥ الى ٧٨]

اشاره

وَ مِنْهُمْ مَنَ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَ لَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَ تَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٧٧) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَ نَجْوَاهُمْ وَ أَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (٧٨)

اللغه

المعاهدهه هى أن تقول على عهد الله لأفعلن كذا فإنه يكون بذلك قد عقد على نفسه وجوب ما ذكره لأن الله تعالى قد حكم بذلك و قدر وجوبه عليه فى الشرع و البخل منع السائل لشده الإعطاء ثم صار فى الشرع لمنع الواجب لأن من منع الزكاه فهو بخيل قال الرماني لا يجوز أن يكون البخل منع الواجب لمشقه الإعطاء كما قال زهير:

إن البخل ملوم حيث كان و لكن الجواد على علاقته هرم

قال لأنه يلزم على ذلك أن يكون الجود هو بذل الواجب من غير مشقه الإعطاء و كان من قضى دينا عليه يكون جوادا لأنه أدى الواجب من غير مشقه و إنما قال زهير ما قاله لأن البخل

ص: ٨١

صفه نقص قال و من منع ما لا يضره بذله و لا ينفعه منعه مما تدعو إليه الحكمة فهو بخيل لأنه لا يقع المنع على هذه الصفه إلا لشده فى النفس و إن لم يرجع إلى ضرر إذ الشده من غير ضرر معقوله كما يصفون الجوره بأنها لئيمه لأجل الشده و أعقبه و أورثه و أداه نظائر و قد يكون أعقبه بمعنى جازاه قال النابغه:

فمن أطاع فأعقبه بطاعته كما أطاعك و أدله على الرشد

و من عصاك فعاقبه معاقبه تنهى الظلوم و لا تقعد على ضمد

و النجوى الكلام الخفى يقال ناجيته و تناجوا و انتجوا و فلان نجى فلان و الجمع أنجيه قال:

إنى إذا ما القوم كانوا أنجيه و اضطرب القوم اضطراب الأرشيه

و أصله من النجوى و هو البعد كان المتناجين قد تباعدا من غيرهما و قيل هو من النجوه أى المكان المرتفع الذى لا يصل إليه السيل فكأنهما رجعا حديثهما إلى حيث لا يصل إليه غيرهما.

الإعراب

معنى لما معنى إذا لأن لما الغالب عليها الجزاء و هى اسم يقع فى جواب متى يقال متى كان كذا فيقول السامع لما كان كذا و لما و لو لا- يكونان لما مضى بخلاف إن و إذا فإنهما لما يستقبل إلا أن لو لا على تقدير نفى و جوب الثانى لانتفاء الأول و لما يدل على وقوع الثانى لوقوع الأول. «فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ» المفعول الثانى محذوف تقديره فلما آتاهم ما تمنوه من فضله «لَتَصَدَّقَنَّ» أصله لتصدقن أدغمت التاء فى الصاد.

النزول

قيل نزلت فى ثعلبه بن حاطب و كان من الأنصار

فقال للنبي ص ادع الله أن يرزقنى مالا فقال يا ثعلبه قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه أ ما لك فى رسول الله أسوه حسنه و الذى نفسى بيده لو أردت أن تسير الجبال معى ذهبا و فضه لسارت ثم أتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا و الذى بعثك بالحق لئن رزقنى الله مالا لأعطين كل ذى حق حقه فقال ص اللهم ارزق ثعلبه مالا قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضافت

عليه المدينة فتحنى عنها فنزل واديا من أوديتها ثم كثرت نموا حتى تباعد عن المدينة فاشتغل بذلك عن الجمعه و الجماعة و بعث رسول الله ص إليه المصدق ليأخذ الصدقه فأبى و بخل و قال ما هذه إلا أخت الجزيه فقال رسول الله ص يا ويح ثعلبه يا ويح ثعلبه و أنزل الله الآيات عن أبى أمامه الباهلى

و روى ذلك مرفوعا و قيل إن ثعلبه أتى مجلسا من الأنصار فأشهدهم فقال لئن أتانى الله من فضله تصدقت منه و آتيت كل ذى حق حقه و وصلت منه القرابه فابتلاه الله فمات ابن عم له فورثه مالا- و لم يف بما قال فنزلت عن ابن عباس و سعيد بن جبير و قتاده و قيل نزلت فى ثعلبه بن حاطب و معتب بن قشير و هما من بنى عمرو بن عوف قال لئن رزقنا الله مالا لنصدقن فلما رزقهما الله المال بخلا به عن الحسن و مجاهد و قيل نزلت فى رجال من المنافقين نبتل بن الحارث و جد بن قيس و ثعلبه بن حاطب و معتب بن قشير عن الضحاک و قيل نزلت فى حاطب بن أبى بلتعه كان له مال بالشام فأبطأ عليه و جهد لذلك جهدا شديدا فحلف لئن آتاه الله ذلك المال ليصدقن فأتاه الله تعالى ذلك فلم يفعل عن الكلبي.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عنهم فقال «و مِنْهُمْ» أى من جمله المنافقين الذين تقدم ذكرهم «مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ» أى لئن أعطانا من رزقه «لَنَصَّدَّقَنَّ» أى لنصدقن على الفقراء «و لَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ» بإنفاقه فى طاعه الله و صلته الرحم و مؤاساه أهل الحاجه «فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ» أى أعطاهم ما اقترحوه و رزقهم ما تمنوه من الأموال «بَخِلُوا بِهِ» أى شحت نفوسهم عن الوفاء بالعهد و منعوا حق الله منه «و تَوَلَّوْا» عن فعل ما أمرهم الله به «و هُمْ مُعْرِضُونَ» عن دين الله تعالى «فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ» أى فأورثهم بخلهم بما أوجبوا الله تعالى على أنفسهم النفاق فى قلوبهم و أدهم إلى ذلك عن الحسن كأنهم حصلوا على النفاق بسبب البخل و هذا كمن يقول لابنه أعقبك صحبه فلان ترك التعلم و قيل معناه أعقبهم الله بذلك حرمان التوبه كما حرم إبليس عن مجاهد و أراد بذلك أنه دلنا على أنه لا يتوب كما دلنا من حال إبليس على أنه لا يتوب لأنه سلب عنه قدره التوبه «إِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ» أى يلقون جزاء البخل فذكر البخل و أراد به جزاءه كقوله سبحانه «أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ» و على القول الثانى فمعناه إلى يوم يلقون الله أى اليوم الذى لا يملك فيه النفع و الضر إلا الله تعالى و هذا إخبار من الله تعالى عن هؤلاء المنافقين أنهم يموتون على النفاق و كان ذلك معجزه للنبي ص لأنه خرج مخبره على وفق خبره «بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ» بين سبحانه أن هذا إنما أصابهم بفعلهم السيئ و هو إخلافهم الوعد و كذبهم «أَلَمْ يَعْلَمُوا» أى ألم يعلم هؤلاء المنافقون «أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ» أى ما يخفون فى أنفسهم

«وَنَجَوَاهُمْ» ما يتناجون به بينهم و هذا استفهام يراد به التوبيخ المعنى أنه يجب عليهم أن يعلموا ذلك «وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ» جمع غيب و هو كل ما غاب عن الأجسام و معناه يعلم كل ما غاب عن العباد و عن إدراكهم من موجود أو معدوم من كل وجه يصح أن يعلم منه لأن إلا- صيغه مبالغه و فى قوله «فَأَعْتَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ» الآية دلالة على أن بعض المعاصى قد يدعو إلى بعض بأنهم لما تهاونوا بأداء هذا الحق دعاهم ذلك إلى الثبات على النفاق إلى الممات و كذلك يدعو بعض الطاعات إلى بعض و على ذلك ترتيب الشرائع و فيه دلالة على أن الإخلاف و الخيانة و الكذب من أخلاق أهل النفاق و قد صح

فى الحديث عن النبى ص أنه قال للمنافق ثلاث علامات إذا حدث كذب و إذا وعد أخلف و إذا أوتمن خان.

[سوره التوبه (٩): الآيات ٧٩ الى ٨٠]

إشاره

الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩) اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا- تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٨٠)

اللغه

المطوع أصله المتطوع أدغمت التاء فى الطاء لأنها من مخرجها و الطاء أفضل منها بالاستعلاء و الإطباق و التطوع كل فعل يستحق المدح بفعله و لا يستحق الذم بتركه و نظيره النافله و الفضيله و الجهد و الجهد بمعنى و هو الحمل على النفس بما يشق و قيل بينهما فرق و الجهد بالفتح فى العمل و بالضم فى القوت عن الشعبى و قيل الجهد بالفتح المشقه و بالضم الطاعه عن القتيبى.

الإعراب

يجوز أن يكون موضع «الَّذِينَ يَلْمِزُونَ» جراً بأن يكون بدلا من الهاء و الميم فى قوله «وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ» و يحتمل أن يكون رفعا على الابتداء و خبره «سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ» و هذا أولى و قوله «فِي الصَّدَقَاتِ» من صله يلمزون و لا يكون من صله المطوعين لأنه فضل بينهما قوله «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» و «الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ» عطف على «الَّذِينَ يَلْمِزُونَ».

المعنى

ثم وصفهم الله بصفه أخرى فقال «الَّذِينَ يَلْمِزُونَ» أى يعيبون

«الْمُطَوِّعِينَ» المتطوعين بالصدقة «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» و يطعنون عليهم «فِي الصَّدَقَاتِ وَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ» أى و يعيون الذين لا يجدون إلا طاقتهم فيتصدقون بالقليل قيل أتاه عبد الرحمن بن عوف بصره من دراهم تملأ الكف و أتاه عقبه بن زيد الحارثى بصاع من تمر و قال يا رسول الله عملت فى النخل بصاعين فصاعا تركته لأهلى و صاعا أقرضته ربى و جاء زيد بن أسلم بصدقه فقال معتب بن قشير و عبد الله بن نبتل إن عبد الرحمن رجل يحب الرياء و يتغىى الذكر بذلك و إن الله غنى عن الصاع من التمر فعاثوا المكش بالرياء و المقل بالإقلال «فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ» أى فيستهزءون منهم «سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ» أى جازاهم جزاء سخريتهم حيث صاروا إلى النار «وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» أى موجه مؤلم و

روى عن النبى ص أنه سئل فقيل يا رسول الله أى الصدقة أفضل قال جهد المقل

«أَشِيَتْغَفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسِيَتْغَفِرُ لَهُمْ» صيغته صيغه الأمر و المراد به المبالغة فى الإياس من المغفرة بأنه لو طلبها طلب المأمور بها أو تركها ترك المنهى عنها لكان ذلك سواء فى أن الله تعالى لا يفعلها كما قال سبحانه فى موضع آخر سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسِيَتْغَفِرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَعْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ «إِنْ تَسْتَعْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ» الوجه فى تعليق الاستغفار بسبعين مره المبالغة لا العدد المخصوص و يجرى ذلك مجرى قول القائل " لو قلت لى ألف مره ما قبلت " و المراد إنى لا أقبل منك فكذلك الآيه و المراد بذلك فىها نفى الغفران جملة و قيل إن العرب تبالغ بالسبعه و السبعين و لهذا قيل للأسد السبع لأنهم تأولوا فيه لقوته أنها ضوعفت له سبع مرات و أما ما ورد

أن النبى ص قال و الله لأزيدن عن السبعين

فإنه خبر واحد لا يعول عليه و لا يتضمن أن النبى ص يستغفر للكفار و ذلك غير جائز بالإجماع و قد روى

أنه قال لو علمت أنه لو زدت على السبعين مره غفر لهم لفعلت

و يحتمل أن يكون النبى ص يرجو أن يكون لهم لطف يصلحون به فعزم على الاستغفار لهم فلما بين الله عز اسمه أنه ليس لهم لطف ترك ذلك و يحتمل أن يكون قد استغفر لهم قبل أن يعلم بكفرهم و نفاقهم و يحتمل أن يكون قد استغفر لهم قبل أن يخبر بأن الكافر لا يغفر له أو قبل أن يمنع منه و يجوز أن يكون استغفاره لهم واقعا بشرط التوبه من الكفر فمنعه الله منه و أخبره بأنهم لا يؤمنون أبدا فلا فائده فى الاستغفار لهم و الله أعلم بحقيقه الأمر «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ» معناه أن حرمان المغفرة لهم بكفرهم بالله و رسوله «وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» مر معناه.

إشارة

فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعِدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُفَاتِلُوا مَعِيَ عِيدًا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ (٨٣)

اللغة

المخلف المتروك خلف من مضى و مثله المؤخر عن مضى و الفرح ضد الغم و هو لذه في القلب بنيل المشتهى و مثله السرور و قال البصريون من المعتزله إن السرور و الغم يرجعان إلى الاعتقاد فالسرور اعتقاد وصول منفعة إليه في المستقبل أو دفع ضرر مظنون عنه أو معلوم و الغم اعتقاد وصول ضرر إليه في المستقبل أو فوت منفعة عنه و إليه ذهب المرتضى قدس الله روحه و الخلاف مصدر خالفته مخالفته و خلافاً و زعم أبو عبيده أن معناه بعد و أنشد:

عقب الربيع خلافهم فكأنما بسط الشواطب بينهن حصيرا

و الشواطب النساء يقددن الأديم بعد ما يقدرنه و الخالف كل من تأخر عن الشاخص و المتخلف بمعناه و الضحك حال تفتح و انبساط يظهر في وجه الإنسان عن تعجب مع فرح و البكاء حال تقبض يظهر عن غم في الوجه مع جرى الدموع على الخد.

الإعراب

خلاف نصب على المصدر بمعنى المفعول له إذا جعلته بمعنى المخالفه و إذا جعلته بمعنى خلف فهو نصب على الظرف «فَلْيَضْحَكُوا» إنما سكنت لام الأمر و لم تسكن لام الإضافه لأنها تؤذن بعملها للجر المناسب لها فلذلك ألزمت الحركه مع أن العوامل في الأسماء أقوى من العوامل في الأفعال «جَزَاءً» نصب على المصدر أى يجزون جزاء على أفعالهم التى اكتسبوها.

المعنى

ثم أخير سبحانه أن جماعه من المنافقين الذين خلفهم النبى ص و لم

يخرجهم معه إلى تبوك استأذنه في التأخر فأذن لهم فرحوا بقعودهم فقال «فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعِ دِيَارِهِمْ» أى بقعودهم عن الجهاد «خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ» أى بعده وقيل معناه لمخالفتهم النبي ص «وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» ظاهر المعنى «وَقَالُوا» أى قالوا للمسلمين ليصدوهم عن الغزو «لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ» أى لا تخرجوا إلى الغزو سراعا فى هذا الحر وقيل بل معناه قال بعضهم لبعض ذلك طلبا للراحة والصدع و عدولا عن تحمل المشاق فى طاعة الله و مرضاته «قُلْ» يا محمد لهم «نَارُ جَهَنَّمَ» التى وجبت لهم بالتخلف عن أمر الله تعالى «أَشَدُّ حَرًّا» من هذا الحر فهى أولى بالاحتراز و الحذر عنها إذ لا يعتد بهذا الحر فى جنب ذلك الحر «لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ» أوامر الله تعالى و وعده و وعيده «فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَ لْيَبْكُوا كَثِيرًا» هذا تهديد لهم فى صورته الأمر أى فليضحك هؤلاء المنافقون فى الدنيا قليلا لأن ذلك يفنى و إن دام إلى الموت و لأن الضحك فى الدنيا قليل لكثرة أحزانها و همومها و ليبكوا كثيرا فى الآخرة لأن ذلك يوم مقداره خمسين ألف سنة و هم فيه يبكون فصار بكاؤهم كثيرا «جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» من الكفر و النفاق و التخلف بغير عذر عن الجهاد قال ابن عباس إن أهل النفاق ليبكون فى النار عمر الدنيا فلا يرقأ لهم دمع و لا يكتحلون بنوم و

روى أنس بن مالك عن النبي ص أنه قال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا و لبكيتم كثيرا

«فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ» يا محمد أى فإن ردك الله من غزوتك هذه و سفرك هذا «إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ» أى من المنافقين الذين تخلفوا عنك و عن الخروج معك «فَأَسِيئَاتُ ذُنُوكَ لِلْخُرُوجِ» معك إلى غزوه أخرى «فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا» إلى غزوه «وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا» ثم بين سبحانه سبب ذلك فقال «إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ» أى عن غزوه تبوك «فَأَقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ» فى كل غزوه و اختلف فى المراد بالخالفين ف قيل معناه مع النساء و الصبيان عن الحسن و الضحاك و قيل مع الرجال الذين تخلفوا من غير عذر عن ابن عباس و قيل مع المخالفين قال الفراء يقال عبد خالف و صاحب خالف إذا كان مخالفا و قيل مع الخساس و الأدياء يقال فلان خالفه أهله إذا كان أدونهم و قيل مع أهل الفساد من قولهم خلف الرجل على أهله يخلف خلوفا إذا فسد و نبذ خالف أى فاسد و خلف فم الصائم إذا تغيرت ريحه و قيل مع المرضى و الزمنى و كل من تأخر لنقص عن الجبائى.

إشارة

وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (٨٤) وَلَا تُعْجِبَكَ أَمْوَالُهُمْ
وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٨٥)

الإعراب

مات جمله فى موضع جر صفة لأحد و تقديره على أحد ميت منهم و أبدا منصوب لأنه ظرف لقوله «تُصَلِّ» و إنما كسر أن من قوله «إِنَّهُمْ كَفَرُوا» و إن كان فى موضع التعليل لتحقيق الإخبار بأنهم على الصفة التى ذكرها.

المعنى

ثم نهى سبحانه نبيه ص عن الصلاة عليهم فقال «وَلَا تُصَلِّ» يا محمد «عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ» أى من المنافقين «مَاتَ أَبَدًا» أى بعد موته

فإنه (عليه السلام) كان يصلى عليهم و يجرى عليهم أحكام المسلمين

«وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ» أى لا تقف على قبره للدعاء

فإنه (عليه السلام) كان إذا صلى على ميت يقف على قبره ساعه و يدعو له فنهاه الله تعالى عن الصلاة على المنافقين و الوقوف على قبورهم و الدعاء لهم ثم بين سبحانه سبب الأمرين فقال «إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ» فما صلى رسول الله ص بعد ذلك على منافق حتى قبض

و فى هذه الآية دلالة على أن القيام على القبر للدعاء عباده مشروع و لو لا ذلك لم يخص سبحانه بالنهى عنه الكافر و

روى أنه ص صلى على عبد الله بن أبى و ألبسه قميصه قبل أن ينهى عن الصلاة على المنافقين

عن ابن عباس و جابر و قتاده و

قيل إنه ص أراد أن يصلى عليه فأخذ جبرائيل بثوبه و تلا عليه «وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ» الآية

عن أنس و الحسن و

روى أنه قيل لرسول الله لم وجهت بقميصك إليه يكفن فيه و هو كافر فقال إن قميصى لن تغنى عنه من الله شيئا و إنى أؤمل من الله أن يدخل بهذا السبب فى الإسلام خلق كثير فروى أنه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه يطلب الاستشفاء بثوب رسول الله ص

ذكره الزجاج قال و الأ-كثر فى الرواية أنه لم يصل عليه «وَلَا تُعْجِبِكَ أَمْوَالُهُمْ وَ أَوْلَادُهُمْ» الخطاب للنبي ص و المراد به الأمة

«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا» بما يلحقهم فيها من المصائب و الغموم و بما يأخذها منهم المسلمون على وجه الغنيمه و بما يشق عليهم من إخراجها فى الزكاه و الإنفاق فى سبيل الله مع اعتقادهم بطلان الإسلام فيشد عليهم فيكون ذلك عذابا لهم «و تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ» أى تهلك بالموت «وَهُمْ كَافِرُونَ» أى فى حال كفرهم و قد مضى تفسير مثل هذه الآيه و إنما كرر للتذكير فى موطنين مع بعد أحدهما عن الآخر

و يجوز أن يكون الآيتان فى فريقين من المنافقين فيكون كما يقول القائل لا- تعجبك حال زيد و لا تعجبك حال عمرو عن الجبائى.

[سوره التوبه (٩): الآيات ٨٦ الى ٨٩]

اشاره

وَ إِذَا أَنْزَلْتُ سُورَهُ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ جَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَ قَالُوا ذُرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ (٨٦) رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَ طَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَأُصِّبُوا مِنْهُمْ لَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ لَتُؤْتِنَا اللَّهُ مَغْرَبَ الْجَنَّةِ وَ نَجَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٨٧) لَكِنَّ الرُّسُلَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ وَ أَوْلِيَّكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَ أَوْلِيَّكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨٨) أَعِدَّ اللَّهُ لِلَّذِينَ آمَنُوا مَغْرَبَ الْجَنَّةِ وَ نَجَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٨٩)

اللغه

قال الزجاج الخوالف النساء لتخلفهن عن الجهاد و يجوز أن يكون جمع خالفه فى الرجال و الخالف و الخالفه الذى هو غير نجيب و لم يأت فى فاعل فواعل صفه إلا- فى حرفين قالوا فارس و فوارس و هالك و هالك و الطبع و الختم بمعنى واحد و الخيرات المنافع التى تسكن النفس إليها و تراح لها من النساء الحسان و غيرهن من نعيم الجنان واحدها خيره قال الشاعر:

و لقد طعنت مجامع الربلات ربلات هند خيره الملكات

و قال المبرد الخيرات الجوارى الفاضلات جمع خيره و قيل يجوز أن يكون خيره بالتشديد فخففت نحو هين و هين و الإعداد جعل الشئ مهيناً لغيره و أصله من العدد لأنه قد عدد الله جميع ما يحتاج إلى تقديره له من الأمور و مثله اتخاذ الأعتاد.

الإعراب

«أَنْ آمَنُوا» فى موضع نصب بحذف حرف الجر على تقدير بأن آمنوا أى

ص: ٨٩

بالإيمان ولا يجوز الحذف مع صريح المصدر.

المعنى

ثم بين سبحانه تمام أخبار المنافقين فقال «وَ إِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ» من القرآن على محمد ص «أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ» أى بأن آمنوا وهو خطاب للمؤمنين وأمر لهم بأن يدوموا على الإيمان و يتمسكوا به فى مستقبل الأوقات و يدخل فيه المنافق و يتناوله الأمر بأن يستأنف الإيمان و يترك النفاق «وَ جَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ» أى أخرجوا إلى الجهاد معه فكأنه قال آمنوا أنتم و ادعوا إلى الإيمان غيركم «اسْتَأْذِنَكَ» أى طلب الإذن منك فى القعود «أُولُوا الطَّوْلِ» أى أولوا المال و القدره و الغنى عن ابن عباس و غيره «مِنْهُمْ» أى من المنافقين «وَ قَالُوا ذَرْنَا» أى دعنا «نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ» أى المتخلفين عن الجهاد من النساء و الصبيان و إنما لحق هؤلاء الذم لأنهم أقوى على الجهاد «وَ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ» أى رضوا لنفوسهم أن يقعدوا مع النساء و الصبيان و المرضى و المقعدين «وَ طَبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ» ذكرنا معنى الطبع فيما تقدم قال الحسن هؤلاء قوم قد بلغوا الحد الذى من بلغه مات قبله «فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ» أوامر الله و نواهيته و لا- يتدبرون الأدله ثم مدح النبى ص و المؤمنين فقال سبحانه «لَكِنَّ الرُّسُولَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ» ينفقونها فى سبيل الله و مرضاته «وَ أَنْفُسِهِمْ» يقاتلون الكفار ثم أخبر سبحانه عما أعد لهم من الجزاء على انقيادهم لله و رسوله فقال «وَ أُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ» من الجنة و نعيمها و قيل الخيرات المنافع و المدح و التعظيم فى الدنيا و الثواب و الجنة فى الآخرة «وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» أى الظافرون بالوصول إلى البغية «أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ» أى هيا و خلق لهم «جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا» مضى تفسيره فى غير موضع «ذَلِكَ» إشاره إلى ما تقدم ذكره «الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» و الفوز النجاه من الهلكه إلى حال النعمه و سميت المهلكه مفازه تفاؤلا لها بالنجاه و إنما وصفه بالعظيم لأنه حاصل على وجه الدوام و بالإعزاز و الإجلال و الإكرام.

[سوره التوبه (٩): آيه ٩٠]

إشارة

وَ جَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَ قَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٠)

القراءة

قرأ يعقوب و قتيبه المعذرون بسكون العين و تخفيف الذال و هى قراءة ابن عباس و الضحاك و مجاهد و الباقون بفتح العين و تشديد الذال.

الحج

من قرأ بالتخفيف أراد الذين يأتون بالعدر و من قرأ بالتشديد احتمل أمرين

(أحدهما) أن يكون المراد المتعذرون كان لهم عذر أو لم يكن وإنما أدغم التاء في الذال لقرب مخرجهما (و الثاني) أنه أراد المقصرون من التعذير فالمعذر المقصر الذى يريك أنه معذور ولا عذر له و المعتذر يقال لمن عذر و لمن لا عذر له قال لبيد:

" و من يبك حولا كاملا فقد اعتذر "

أى أتى بعذر.

المعنى

لما تقدم حديث المخلفين صنف الله تعالى الأعراب منهم صنفين فقال سبحانه «و جاء الْمُعْذِرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ» أى المقصرون الذين يعتذرون و ليس لهم عذر عن أكثر المفسرين و قيل هم المعتذرون الذين لهم عذر و هم نفر من بنى غفار عن ابن عباس قال و يدل عليه قوله «و قَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» فعطف الكاذبين عليهم فدل ذلك على أن الأولين فى اعتذارهم صادقون و قيل معناه الذين يتصورون بصورة أهل العذر و ليسوا كذلك «لِيُؤْذَنَ لَهُمْ» فى التخلف عن الجائى «و قَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» أى و قعدت طائفه من المنافقين من غير أن اعتذروا و هم الذين كذبوا فيما كانوا يظهرونه من الإيمان «سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» قال أبو عمرو بن العلاء فى هذه الآية كلا الفريقين كان مسيئا جاء قوم فعذروا و جنح آخرون فقعدوا يريد أن قوما تكلفوا عذرا بالباطل و تخلف آخرون من غير تكلف عذر و إظهار عله جراه على الله و رسوله.

[سوره التوبه (٩): الآيات ٩١ الى ٩٣]

اشاره

لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَ لَا عَلَى الْمُرْضَى وَ لَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩١) وَ لَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ (٩٢) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَ هُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٩٣)

ص: ٩١

النصح إخلاص العمل من الغش و الحمل إعطاء المركوب من فرس أو بعير أو غير ذلك تقول حمله يحمله حملاً إذا أعطاه ما يحمل عليه قال:

ألا فتى عنده خفان يحملني عليهما إننى شيخ على سفر

و الفيض الجرى عن امتلاء من قولهم فاض الإناء بما فيه و الحزن ألم فى القلب بفوت أمر مأخوذ من حزن الأرض و هى الأرض الغليظة المسلك.

الإعراب

حزنا نصب لأنه مفعول له أى يكون للحزن و لا يجدوا منصوب بأن و موضع «أَلَّا يَجِدُوا» نصب تقديره لأن لا يجدوا حذف الجار فوصل الفعل.

النزول

قيل إن الآيه الأولى نزلت فى عبد الله بن زائده و هو ابن أم مكتوم و كان ضرير البصر جاء إلى رسول الله ص فقال يا نبى الله إننى شيخ ضرير خفيف الحال نحيف الجسم و ليس لى قائد فهل لى رخصه فى التخلف عن الجهاد فسكت النبى ص فأنزل الله الآيه عن الضحاك و قيل نزلت فى عائذ بن عمرو و أصحابه عن قتاده و الآيه الثانية نزلت فى البكائين و هم سبعة نفر منهم عبد الرحمن بن كعب و عتبه بن زيد و عمرو بن غنمه و هؤلاء من بنى النجار و سالم بن عمير و هرم بن عبد الله و عبد الله بن عمرو بن عوف و عبد الله بن معقل من مزينه

جاءوا إلى رسول الله ص فقالوا يا رسول الله احملنا فإنه ليس لنا ما نخرج عليه فقال لا أجد ما أحملكم عليه

عن أبى حمزه الشمالى و قيل نزلت فى سبعة نفر من قبائل شتى أتوا النبى ص فقالوا له احملنا على الخفاف و البغال عن محمد بن كعب و ابن إسحاق و قيل كانوا جماعه من مزينه عن مجاهد و قيل كانوا سبعة من فقراء الأنصار فلما بكوا حمل عثمان منهم رجلين و العباس بن عبد المطلب رجلين و يامين بن كعب النضرى ثلاثه عن الواقدى قال و كان الناس بتبوك مع رسول الله ص ثلاثين ألفاً منهم عشرة آلاف فارس.

المعنى

ثم ذكر سبحانه أهل العذر فقال «لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ» و هم الذين قوتهم ناقصه بالزمانه و العجز عن ابن عباس و قيل هم الذين لا يقدر على الخروج «وَلَا عَلَى الْمَرْضَى» و هم أصحاب العلل المانعه من الخروج «وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ» يعنى من ليست معه نفقه الخروج و آله السفر «حَرَجٌ» أى ضيق و جناح فى التخلف و ترك الخروج مع رسول الله ص «إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ» بأن يخلصوا العمل من الغش ثم قال سبحانه «مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ» أى ليس على من فعل الحسن الجميل فى

التخلف عن الجهاد طريق للتفريع في الدنيا و العذاب في الآخرة و قيل هو عام في كل محسن

ص: ٩٢

و الإحسان هو إيصال النفع إلى الغير لينتفع به من تعريه من وجوه القبح و يصح أن يحسن الإنسان إلى نفسه و يحمد على ذلك و هو إذا فعل الأفعال الجميله التي يستحق بها المدح و الثواب «وَاللَّهُ غَفُورٌ» أى ساتر على ذوى الأعذار بقبول العذر منهم «رَحِيمٌ» بهم لا- يلزمهم ما فوق طاقتهم ثم عطف عليه فقال «وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ» أى و لا- على الذين إذا جاءوك يسألونك مركبا يركبونه فيخرجون معك إلى الجهاد إذ ليس معهم من الأموال و الظهر ما يمكنهم الخروج به فى سبيل الله «قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ» أى لا أجد مركبا يركبونه و لا ما أسوى به أمركم «تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ» أى رجعوا عنك و أعينهم تسيل بالدمع لحزنهم أن لا- يجدوا ما يركبونه من الدواب و ينفقونه فى الطريق ليخرجوا معكم و لحرصهم على الخروج المعنى و ليس على هؤلاء أيضا حرج فى التخلف عن الجهاد و ليس عليهم سبيل للدم و العقاب «إِنَّمَا السَّبِيلُ» و الطريق بالعقاب و الحرج «عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَ هُمْ أَغْنِيَاءُ» أى يطلبون الإذن منك يا محمد فى المقام و هم مع ذلك أغنياء متمكنون من الجهاد فى سبيل الله «رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ» من النساء و الصبيان و من لا حراك به «وَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» قد تقدم بيانه.

[سوره التوبه (٩): الآيات ٩٤ الى ٩٦]

اشاره

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَ سَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٤) سَيُخَلِّفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٥) يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٩٦)

النزول

قيل نزلت الآيات فى جد بن قيس و معتب بن قشير و أصحابهما من

ص: ٩٣

المنافقين و كانوا ثمانين رجلا و لما قدم النبي ص المدينة راجعا من تبوك قال لا تجالسوهم و لا تكلموهم

عن ابن عباس و قيل نزلت فى عبد الله بن أبى حلف للنبي ص أن لا يتخلف عنه بعدها و طلب إلى النبي ص أن يرضى عنه عن مقاتل.

المعنى

ثم أخبر الله سبحانه عن هؤلاء القوم الذين تأخروا عن الخروج مع النبي ص فقال «يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ» من تأخرهم عنكم بالأباطيل و الكذب «إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ» أى إذا انصرفتم إلى المدينة من غزوه تبوك «قُلْ» يا محمد «لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ» أى لسنا نصدقكم على ما تقولون «قَدْ تَبَّأْنَا اللَّهَ مِنْ أَخْبَارِكُمْ» أى قد أخبرنا الله و أعلمنا من أخباركم و حقيقه أمركم ما علمنا به كذبكم و قيل إنه أراد به قوله سبحانه «لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا» الآية «وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ» أى سيعلم الله فيما بعد و رسوله عملكم هل تتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه و قيل معناه سيعلم الله أعمالكم و عزائمكم فى المستقبل و يظهر ذلك لرسوله فيعلمه الرسول بإعلامه إياه فيصير كالشىء المرئى لأن أظهر ما يكون الشىء أن يكون مرثيا كما علم ذلك فى الماضى فأعلم به الرسول «ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ» أى ترجعون بعد الموت إلى الله سبحانه الذى يعلم ما غاب و ما حضر و ما يخفى عليه السر و العلانية «فَيَبْئُتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» أى يخبركم بأعمالكم كلها حسنها و قبيحها فيجازيكم عليها أجمع «سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ» أى سيقسم هؤلاء المنافقون و المتخلفون فيما يعتذرون به إليكم أيها المؤمنون «إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ» إنهم إنما تخلفوا لعذر «لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ» أى لتصفحوا عن جرمهم و لا توبخوهم و لا تعنفوهم ثم أمر الله سبحانه نبيه ص و المؤمنين فقال «فَاعْرِضُوا عَنْهُمْ» أى إعرض رد و إنكار و تكذيب و مقت ثم بين عن سبب الإعراض فقال «إِنَّهُمْ رِجْسٌ» أى نجس و معناه أنهم كالشىء المنتن الذى يجب الاجتناب عنه فاجتنبوهم كما تجتنب الأنجاس «وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ» أى مصيرهم و مآلهم و مستقرهم جهنم «جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» أى مكافاه على ما كانوا يكسبونه من المعاصى «يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ» أى طلبا لمرضاتكم عنهم أيها المؤمنون «فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ» لجهلكم بحالهم «فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ» الخارجين من طاعته إلى معصيته لعلمه بحالهم و معناه أنه لا ينفعهم رضاكم عنهم مع سخط الله عليهم و ارتفاع رضاه عنهم و إنما قال سبحانه ذلك لئلا يتوهم أنه إذا رضى المؤمنون فقد رضى الله و المراد بذلك أنه إذا كان الله لا يرضى عنهم فينبغى لكم أيضا أن لا ترضوا عنهم و فى هذا دلالة على أن من طلب بفعله رضا الناس و لم يطلب رضا الله سبحانه فإن الله يسخط الناس عليه كما جاء فى

عن النبي ص أنه قال من التمس رضا الله بسخط الناس و أرضى عنه الناس بسخط الله سخط الله عليه و أسخط عليه الناس.

[سوره التوبه (٩): الآيات ٩٧ الى ٩٩]

اشاره

الأعراب أشدُّ كُفراً و نفاقاً و أجدرُ ألاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ ما أَنْزَلَ اللهُ على رَسُولِهِ و اللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٩٧) و مِنَ الأعرابِ مَنْ يَتَّخِذُ ما يُنْفِقُ مَغْرَماً و يَتَرَبَّصُّ بِكُمْ الدَّوائِرَ عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ و اللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٩٨) و مِنَ الأعرابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ و الأيَّامِ الأَخِرِ و يَتَّخِذُ ما يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللهِ و صَلَواتِ الرِّسُولِ أَلَا إِنَّها قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ في رَحْمَتِهِ إِنَّ اللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩٩)

القراءه

قرأ ابن كثير و أبو عمرو دائره السوء بضم السين و فى سوره الفتح مثله و الباقون بفتح السين و قرأ ورش و إسماعيل عن نافع قربه بضم الراء و الباقون «قُرْبَةٌ» بسكون الراء.

الحجه

قال أبو على الدائره لا تخلو إما أن تكون صنفه أو بمنزله العاقبه و العافيه و الصنفه أكثر فى الكلام فىنبغى أن يحمل عليها فالمعنى عليها أنها خله تحيط بالإنسان حتى لا يكون له منها مخلص و أضيفت إلى السوء أو إلى السوء على الوجهين على وجه التأكيد و الزيادة فى التبيين و لو لم تضاف لهذا المعنى منها كما أن نحو قوله شمس النهار كذلك و السوء الرداءه و الفساد و هو خلاف الصدق الذى فى قولك ثوب صدق و ليس الصدق من صدق اللسان كما أن السوء ليس من سؤته فى المعنى و إن كان اللفظ واحدا يدللك على ذلك أنك أضفته إلى ما لا يجوز عليه الصدق و الكذب فى الأخبار و أما دائره السوء بالضمه فكقولك دائره الهزيمه و دائره البلاء فاجتمعا فى جواز إضافه الدائره إليهما من حيث أريد بكل واحد منهما الرداءه و الفساد فمن قال «دائِرَةُ السَّوْءِ» فتقديره الإضافه إلى الرداءه و الفساد و من قال

دائرته السوء فتقديره دائره الضرر و المكروه من قولهم سؤته مساءه و مسائيه و المعنيان متقاربان قال أبو الحسن «دائره السوء» كما تقول رجل السوء و أنشد:

و كنت كذذب السوء لما رأى دما بصاحبه يوما أحال على الدم

و أما قوله «قُوبَهُ» فالأصل حركه الراء و الإسكان للتخفيف كما فى الرسل و الكتب و الأذن و الطنب و أما قربات فينبغى أن يثقل لأنه إذا ثقل ما أصله التخفيف نحو الظلمات و الغرفات فإن تقرر الحركه الثانيه فى الكلمه الواحده أجدر و مثل قولهم قربه و قربه يسره و يسره هده و هده حكاه محمد بن يزيد.

اللغه

رجل عربى إذا كان من العرب و إن سكن البلاد و رجل أعرابى إذا كان ساكنا فى الباديه و العرب صنفان عدنانيه و قحطانيه و الفضل للعدنانيه برسول الله ص و أجدر مأخوذ من جدر الحائط بسكون الدال و هو أصله و أساسه و المغرم و هو نزول نائبه بالمال من غير خيانه و أصله لزوم الأمر و منه قوله «إِنَّ عَيْدَابَهَا كَانَ غَرَامًا أَى لازما و حب غرام أَى لازم و الغريم يقال لكل واحد من المتدائنين للزوم أحدهما الآخر و غرمته كذا أَى ألزمته إياه فى ماله و التربص الانتظار و منه التربص بالطعام لزياده الأسعار و أصله التمسك بالشىء لعاقبه و الدوائر جمع دائره هى من حوادث الدهر و قيل الحال المنقلبه عن النعمه إلى البليه و الدائره الدوله و القربه هى طلب الثواب و الكرامه من الله تعالى بحسن الطاعه.

الإعراب

«أَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا» أن فى موضع نصب لأن الباء محذوفه و المعنى أجدر بترك العلم تقول أنت جدير أن تفعل و جدير بأن تفعل أى هذا الفعل ميسر لك و إذا حذف الباء لم يصلح إلا بأن و إن أثبت الباء صلح بأن و غيرها تقول أنت جدير بأن تقوم و جدير بالقيام و إنما صلح مع أن الحذف لأن أن يدل على الاستقبال فكأنهما عوض من المحذوف و «صَلَوَاتِ الرَّسُولِ» عطف على قوله «مَا يُنْفِقُ» و موضعه نصب و تقديره و يتخذ النفقه و صلوات الرسول و يتخذ قربات و قيل صلوات معطوف على قربات على معنى يطلبون بالإنفاق قربه الله و صلوات الرسول عن الجبائى.

المعنى

لما تقدم ذكر المنافقين بين سبحانه أن الأعراب منهم أشد فى ذلك و أكثر جهلا فقال «الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَ نِفَاقًا» يريد الأعراب الذين كانوا حول المدينه و إنما كان

كفرهم أشد لأنهم أقسى و أجفى من أهل المدن و هم أيضا أبعد من سماع التنزيل و إنذار الرسل عن الزجاج و معناه أن سكان البوادي إذا كانوا كفارا أو منافقين فهم أشد كفرا من أهل الحضر لبعدهم عن مواضع العلم و استماع الحجج و مشاهد المعجزات و بركات الوحي «وَأَجِدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ» أى و هم أحرى و أولى بأن لا يعلموا حدود الله فى الفرائض و السنن و الحلال و الحرام «وَاللَّهُ عَلِيمٌ» بأحوالهم «حَكِيمٌ» فيما يحكم به عليهم «وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا» أى و من منافقى الأعراب من يعد ما ينفق فى الجهاد و فى سبيل الخير مغرما لحقه لأنه لا يرجو به ثوبا «وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمْ الدَّوَائِرَ» أى و ينتظر بكم الدوائر أى صروف الزمان و حوادث الأيام و العواقب المذمومه قال الزجاج و الفراء كانوا يتربصون بهم الموت أو القتل فكانوا ينتظرون موت النبى ص ليرجعوا إلى دين المشركين و أكثر ما يستعمل الدائر فى زوال النعمة إلى الشده و العافيه إلى البلاء و يقولون كانت الدائر عليهم و كانت الدائر لهم ثم رد سبحانه ذلك عليهم فقال «عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ» أى على هؤلاء المنافقين دائره البلاء يعنى أن ما ينتظرون بكم هؤلاء حق بهم و هم المغلبون أبدا «وَاللَّهُ سَمِيعٌ» لمقالاتهم «عَلِيمٌ» بنياتهم لا يخفى عليه شىء من حالاتهم بين سبحانه من الأعراب المؤمنين فقال «وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» و منهم من يرجع إلى سلامه الاعتقاد فى التصديق بالله و بالقيامه و الجنة و النار «وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ» أى و يريد بنفقته فى الجهاد و غير ذلك من أعمال البر قربات جمع قربه و هى الطاعه أى طاعات عند الله و تعظيم أمره و رعايه حقه و قيل معناه يتقرب إلى الله بإنفاقه و يطلب بذلك ثوابه و رضاه «وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ» أى دعاؤه بالخير و البركه عن قتاده و قيل استغفاره عن ابن عباس و الحسن و معناه أنه يرغب فى دعاء النبى ص «أَلَا- إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ» معناه ألا أن صلوات الرسول قربه لهم تقربهم إلى ثواب الله و يجوز أن يكون المعنى إن نفقتهم قربه لهم إلى الله «سَيَدْخُلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ» هذا وعد منه سبحانه بأن يرحمهم و يدخلهم الجنة و فيه مبالغه بأن الرحمه غمرتهم و وسعتهم «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ» لذنوبهم «رَحِيمٌ» بأهل طاعته و هما من ألفاظ المبالغه فى الوصف بالمغفره و الرحمه.

إشارة

وَ السَّابِقُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠)

القراءة

قرأ يعقوب و الأنصار بالرفع و هي قراءة عمر بن الخطاب و الحسن و قتاده و القراء المشهوره «وَ الْأَنْصَارِ» بالجر و قرأ ابن كثير وحده من تحتها بزياده من و كذلك هو في مصاحف مكة و قرأ الباقر «تَحْتَهَا» بغير من و عليه سائر المصاحف و المعنى واحد.

الحج

من قرأ بالرفع عطفه على قوله «السَّابِقُونَ» و من قرأ بالجر عطفه على «الْمُهَاجِرِينَ» و أما قوله «وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ» فيجوز أن يكون معطوفا على الأنصار في رفعه و جره و يجوز أن يكون معطوفا على السابقين و أن يكون معطوفا على الأنصار أولى لقربه منه.

الإعراب

السابقون مبتدأ و الأولون صفته من المهاجرين تبين لهم «وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ» إن حملته على السابقين كان مرفوعا و إن حملته على الأنصار كان مجرورا و خبر الأسماء كلها «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ» و «أَعَدَّ لَهُمْ» عطف على رضى فالوقف على قوله «خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا».

النزول

قيل نزلت هذه الآية فيمن صلى إلى القبليتين عن سعيد بن المسيب و الحسن و ابن سيرين و قتاده و قيل نزلت فيمن بايع بيعه الرضوان و هي بيعه الحديبية عن الشعبي قال و من أسلم بعد ذلك و هاجر فليس من المهاجرين الأولين و قيل هم أهل بدر عن عطاء بن رباح و قيل هم الذين أسلموا قبل الهجرة عن الجبائي.

المعنى

لما تقدم ذكر المنافقين و الكفار عقبه سبحانه بذكر السابقين إلى الإيمان فقال «وَ السَّابِقُونَ الْأَوْلُونَ» أي السابقون إلى الإيمان و إلى الطاعات و إنما مدحهم بالسبق لأن السابق إلى الشيء يتبعه غيره فيكون متبوعا و غيره تابع له فهو إمام فيه و داع له إلى الخير بسبقه إليه و كذلك من سبق إلى الشر يكون أسوأ حالا لهذه العلة «مِنَ الْمُهَاجِرِينَ» الذين هاجروا من مكة إلى المدينة و إلى الحبشه «وَ الْأَنْصَارِ» أي و من الأنصار الذين سبقوا نظراءهم من أهل المدينة إلى الإسلام و من قرأ و الأنصار بالرفع لم

يجعلهم من السابقين و جعل السبق للمهاجرين خاصه «وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ» أى بأفعال الخير و الدخول فى الإسلام بعدهم و سلوك منهاجهم و يدخل فى ذلك من يجىء بعدهم إلى يوم القيامة «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ» أخبر سبحانه أنه رضى عنهم أفعالهم و رضوا عن الله سبحانه لما أجزل لهم من الثواب على طاعتهم و إيمانهم به و يقينهم «وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا» أى يبقون ببقاء الله منعمين «ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» أى الفلاح

العظيم الذى يصغر فى جنبه كل نعيم و فى هذه الآيه دلالة على فضل السابقين و مزيتهم على غيرهم لما لحقهم من أنواع المشقه فى نصره الدين فمنها مفارقه العشائر و الأقربين و منها مباينه المؤلف من الدين و منها نصره الإسلام و قله العدد و كثره العدو و منها السبق إلى الإيمان و الدعاء إليه و اختلف فى أول من أسلم من المهاجرين

فقيل إن أول من آمن خديجه بنت خويلد ثم على بن أبى طالب (عليه السلام)

و هو قول ابن عباس و جابر بن عبد الله و أنس و زيد بن أرقم و مجاهد و قتاده و ابن إسحاق و غيرهم

قال أنس بعث النبى ص يوم الإثنين و صلى على (عليه السلام) و أسلم يوم الثلاثاء

و

قال مجاهد و ابن إسحاق إنه أسلم و هو ابن عشر سنين و كان مع رسول الله ص أخذه من أبى طالب و ضمه إلى نفسه يريه فى حجره و كان معه حتى بعث نبيا

و

قال الكلبي أنه أسلم و له تسع سنين

و

قيل اثنتا عشره سنه

عن أبى الأسود قال السيد أبو طالب الهروى و هو الصحيح و

فى تفسير الثعلبى روى إسماعيل بن أياس بن عفيف عن أبيه عن جده عفيف قال كنت امرءا تاجرا فقدمت مكه أيام الحج فنزلت على العباس بن عبد المطلب و كان العباس لى صديقا و كان يختلف إلى اليمن يشتري العطر فيبيعه أيام الموسم فبينما أنا و العباس بمنى إذ جاء رجل شاب حين حلقت الشمس فى السماء فرمى ببصره إلى السماء ثم استقبل الكعبه فقام مستقبلا فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه فلم يلبث أن جاءت امرأه فقامت خلفهما فركع الشاب فركع الغلام و المرأه فخر الشاب ساجدا فسجدا معه فرفع الشاب فرفع الغلام و المرأه فقلت يا عباس أمر عظيم فقال أمر عظيم فقلت ويحك ما هذا فقال هذا ابن أخى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يزعم أن الله بعثه رسولا و أن كنوز كسرى و قيصر ستفتح عليه و هذا الغلام على بن أبى طالب و هذه المرأه خديجه بنت خويلد و زوجه محمد تابعاه على دينه و أيم الله ما على ظهر الأرض كلها أحد على هذا الدين غير هؤلاء

فقال عفيف الكندى بعد ما أسلم و رسخ الإسلام فى قلبه يا ليتنى كنت رابعا و

روى أن أبا طالب قال لعلى (عليه السلام) أى بنى ما هذا الدين الذى أنت عليه قال يا أبة آمنت بالله و رسوله و صدقته فيما جاء

به و صليت معه لله فقال له إن محمدا ص لا يدعو إلا إلى خير فالزمه

و

روى عبد الله بن موسى عن العلاء بن صالح عن المنهال بن عمرو عن عباده بن عبد الله قال سمعت عليا (عليه السلام) يقول أنا عبد الله و أخو رسوله و أنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدى إلا كذاب مفتر صليت قبل الناس بسبع سنين

و

فى مسند السيد أبى طالب الهروى مرفوعا إلى أبى أيوب عن النبى ص قال صلت الملائكه على و على على سبع سنين و ذلك أنه لم يصل فيها أحد غيرى و غيره

و قيل إن أول من أسلم بعد خديجه أبو بكر عن إبراهيم النخعى و قيل أول من أسلم بعدها زيد بن حارثه عن الزهرى و سليمان بن يسار و عروه بن الزبير و

روى

ص: ٩٩

الحاكم أبو القاسم الحسكاني يأسناده مرفوعا إلى عبد الرحمن بن عوف في قوله سبحانه «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ» قال هم عشره من قريش أولهم إسلاما على بن أبي طالب (عليه السلام).

[سوره التوبه (٩): الآيات ١٠١ الى ١٠٢]

إشارة

وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ (١٠١) وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٠٢)

اللغة

حول الشىء المحيط به من حال يحول إذا دار بالانقلاب و منه الحول للسنه و المحاله لأنها تدور فى المحور و المرد أصله الملاسه و منه صِيْرُوحٌ مُّمَرَّدٌ أى مملس و الأمرد الذى لا شعر على وجهه و المرداء الرمله التى لا تنبت شيئا ذكره على بن عيسى و قيل أصله الظهور و المارد الذى ظهر شره و شجره مرداء إذا تساقط ورقها فظهرت عيدانها و رجل أمرد لظهور مكان الشعر منه عن ابن عرفه و مرد الرجل يمرد مرودا إذا عتا و خرج من الطاعه واعيا خبثا و منه شَيْطَانٍ مَّارِدٍ و مَرِيدٍ و فى المثل تمرد مارد و عز الأبلق و هما حصنان.

الإعراب

«وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا» أى قوم مردوا فحذف الموصوف و يجوز أن يكون التقدير و من أهل المدينة منافقون مردوا على النفاق ففصل بين الصفه و الموصوف بالظرف و «آخَرُونَ اعْتَرَفُوا» معطوف على قوله «مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ» و كذلك و آخَرُونَ مُرْجُونَ و إن شئت قدرت و منهم آخرون.

المعنى

ثم عاد الكلام إلى ذكر المنافقين فقال سبحانه «وَمِمَّنْ حَوْلَكُم» أى و من جملة من حولكم يعنى حول مدينتكم «مِنَ الْأَعْرَابِ» و هم الذين يسكنون البدو إذا كانوا مطبوعين على العربية «مُنَافِقُونَ» يظهرن الإيمان و يطنون الكفر و قيل إنهم جهينه و مزينه و أسلم و أشجع و غفار و كانت منازلهم حول المدينة «وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ» أيضا منافقون و إنما حذف لدلاله الأول عليه «مَرَدُوا» عَلَى النِّفَاقِ» أى مرونا على النفاق و تجرءوا عليه عن الفراء و قيل معناه أقاموا عليه لم يتوبوا منه كما تاب غيرهم عن ابن زيد و أبان بن تغلب و قيل معناه

لجوا فيه و أبوا غيره عن ابن إسحاق و قيل فيه تقديم و تأخير و تقديره و ممن حولكم من الأعراب منافقون مردوا على النفاق و من أهل المدينة أيضا مثل ذلك عن الزجاج «لا تَعْلَمُهُمْ» يا محمد أى لا تعرفهم «نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ» أى نعرفهم «سَيُنْعَذِبُهُمْ مَرَّتَيْنِ» فيه أقوال (أحدها) أن معناه نعذبهم فى الدنيا بالفضيحة

فإن النبى ص ذكر رجالا منهم و أخرجهم من المسجد يوم الجمعة فى خطبته و قال أخرجوا فإنكم منافقون

و يعذبهم فى القبر عن ابن عباس و السدى و الكلبي و قيل مره فى الدنيا بالسبى و القتل و مره فى الآخرة بعذاب القبر عن مجاهد و روى حصيف عنه عذبوا بالجوع مرتين و قيل إحداهما أخذ الزكاه منهم و الأخرى عذاب القبر عن الحسن و قيل إحداهما غيظهم من أهل الإسلام و الأخرى عذاب القبر عن ابن إسحاق و قيل إن الأولى ضرب الملائكة وجوههم و أدبارهم عند قبض أرواحهم و الأخرى عذاب القبر و قيل إن الأولى إقامة الحدود عليهم و الأخرى عذاب القبر عن ابن عباس و كل ذلك محتمل غير أنا نعلم أن المرتين معا قبل أن يردوا إلى عذاب النار «ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ» أى يرجعون يوم القيامة إلى عذاب مؤبد فى النار «وَ آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ» يعنى من أهل المدينة أو من الأعراب آخرون أقروا بذنوبهم و ليس تراجع إلى المنافقين و الاعتراف الإقرار بالشىء عن معرفه «خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَ آخَرَ سَيِّئًا» يعنى أنهم يفعلون أفعالا جميلا و يفعلون أفعالا سيئه قبيحه و التقدير و عملا آخر سيئا «عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ» قال المفسرون عسى من الله واجبه و إنما قال عسى حتى يكونوا بين طمع و إشفاق فيكون ذلك أبعد من الاتكال على العفو و إهمال التوبه و فى هذا دلالة على بطلان القول بالإحباط لأنه لو صح الإحباط لكان أحد العاملين إذا طرأ على الآخر أحبطه و أبطله فلم يجتمعا فلا يكون لقوله «خَلَطُوا» معنى و قال بعض التابعين ما فى القرآن آيه أرجى لهذه الأمة من هذه الآيه و قد يستعمل لفظ الخلط فى الجمع من غير امتزاج يقال خلط الدرهم و الدنانير و قيل أنه يجرى مجرى قولهم استوى الماء و الخشب أى مع الخشب و قيل إن خلط بالتخفيف فى الخير و خلط بالتشديد فى الشر «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» هذا تعليل لقبول التوبه من العصاه أى لأنه غفور رحيم.

النزول

قال أبو حمزه الثمالى بلغنا أنهم ثلاثة نفر من الأنصار أبو لبابه بن عبد المنذر و ثعلبه بن وديعه و أوس بن حذام تخلفوا عن رسول الله ص عند مخرجه إلى تبوك فلما بلغهم ما أنزل الله فيمن تخلف عن نبيه أيقنوا بالهلاك و أوثقوا أنفسهم بسوارى المسجد فلم يزالوا كذلك حتى قدم رسول الله ص

ص: ١٠١

فسأل عنهم فذكر له أنهم أقسموا أن لا يحلون أنفسهم حتى يكون رسول الله ص يحلهم و قال رسول الله ص و أنا أقسم لا أكون أول من حلهم إلا- أن أوامر فيهم بأمر فلما نزل «عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ» عمد رسول الله ص إليهم فحلهم فانطلقوا فجاءوا بأموالهم إلى رسول الله فقالوا هذه أموالنا التي خلفتنا عنك فخذها و تصدق بها عنا قال (عليه السلام) ما أمرت فيها فنزل «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً»

الآيات و قيل أنهم كانوا عشرة رهط منهم أبو لبابه عن علي بن أبي طلحه عن ابن عباس و قيل كانوا ثمانية منهم أبو لبابه و هلال و كردم و أبو قيس عن سعيد بن جبير و زيد بن أسلم و قيل كانوا سبعة عن قتاده و قيل كانوا خمسة و

روى عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أنها نزلت في أبي لبابه و لم يذكر غيره معه و سبب نزولها فيه ما جرى منه في بنى قريظة حين قال إن نزلتم علي حكمه فهو الذبح

و به قال مجاهد و قيل نزلت فيه خاصة حين تأخر عن النبي ص في غزوه تبوك فربط نفسه بساريه علي ما تقدم ذكره عن الزهري

ثم قال أبو لبابه يا رسول الله إن من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب و أنا أنخلع من مالي كله قال يجزيك يا أبا لبابه الثلث و في جميع الأقوال أخذ رسول الله ص ثلث أموالهم و ترك الثلثين

لأن الله تعالى قال «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ» و لم يقل خذ أموالهم.

[سوره التوبه (٩): الآيات ١٠٣ الى ١٠٥]

اشاره

خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِهَا وَ صَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صِلَاتَكَ سَيَكُنْ لَهُمْ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَ يَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٠٤) وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ سَتَرْدُونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَيُبَيِّنُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير أبي بكر «إِنَّ صَلَاتَكَ» و في هود أ صَلَاتِكَ على التوحيد و قرأ الباقون أن صلواتك أ صلواتك على الجمع.

قال أبو علي الصلاة في اللغة الدعاء قال الأعشى في الخمر:

وقابلها الريح في دنها و صلى على دنها و ارتسم

فكان معنى «صَلِّ عَلَيْهِمْ» ادع لهم فإن دعاءك لهم تسكن إليه نفوسهم و تطيب به فأما قولهم صلى الله على رسوله و ملائحته فلا يقال فيه أنه دعاء لهم من الله تعالى كما لا يقال في نحو وَيَلُّ لِلْمُطَفِّينَ و نحوه أنه دعاء عليهم و لكن المعنى فيه أن هؤلاء ممن يستحق عندكم أن يقال فيهم هذا النحو من الكلام و كذلك قوله بل عجت و يسخرون فيمن ضم الياء و هذا مذهب سيويه فإذا كانت الصلاة مصدرا وقع على الجمع و المفرد على لفظ واحد كصوت الحمير فإذا اختلف جاز أن يجمع لاختلاف ضروبه كما قال إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ فَأَمَا من زعم أن الصلاة أولى لأن الصلاة للكثرة و الصلوات للقليل فلم يكن قوله متجها لأن الجمع بالتاء قد يقع على الكثير كما يقع على القليل كقوله «وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمُنُونَ» و قوله «إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِمَاتِ» و قوله «إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَ الْمُصَدِّقَاتِ» فقد يقع هذا الجمع على الكثير كما يقع على القليل.

الإعراب

قوله «تُطَهَّرُهُمْ» إنما ارتفع لأحد أمرين إما أن يكون صفة لصدقه و يكون التاء للتأنيث و يكون قوله «بِهَا» للتبيين و يكون التقدير صدقه مطهره و إما أن يكون التاء خطابا للنبي ص و التقدير فإنك تطهرهم بها فتكون صفة لصدقه أيضا و يكون الضمير في بها للصدقه الموصوفه و أما و تزكيهم فلا يكون إلا للخطاب و قيل أن تطهرهم يجوز أن يكون على الاستئناف و حمله على الاتصال أولى.

المعنى

ثم خاطب سبحانه النبي ص و أمره بأخذ الصدقه من أموالهم تطهيرا لهم و تكفيرا لسيئاتهم فقال «خُذْ» يا محمد «مِنْ أَمْوَالِهِمْ» أدخل من للتبعيض لأنه لم يجب أن يصدق بالجميع و إنما قال «مِنْ أَمْوَالِهِمْ» و لم يقل من مالهم حتى يشتمل على أجناس المال كلها و هذا يدل على وجوب الأخذ من سائر أموال المسلمين لاستوائهم في أحكام الدين إلا ما خصه الدليل «صَدَقَهُ» قيل أراد بها الأمر بأن يأخذ الصدقه من أموال هؤلاء التائبين تشديدا للتكليف و ليست بالصدقه المفروضه بل هي على سبيل الكفاره للذنوب التي أصابوها عن الحسن و غيره و قيل أراد بها الزكاه المفروضه عن الجبائي و أكثر أهل التفسير و هو الظاهر لأن حمله على الخصوص بغير دليل لا وجه له فيكون

أمرًا بأن يأخذ من المال كين للنصاب الزكاه من الورق إذا بلغ مائتي درهم و من الذهب إذا بلغ عشرين مثقالا و من الإبل إذا بلغت خمسا و من البقر إذا بلغت ثلاثين و من الغنم إذا بلغت أربعين و من الغلات و الثمار إذا بلغت خمسة أو ستة «تَطَهَّرُهُمْ وَ تَزَكِّيَهُمْ بِهَا» معناه تطهرهم تلك الصدقه عن دنس الذنوب و تزكيتهم أنت بها أى تنسبهم إلى الزكاه و تدعو لهم بما يصيرون به أزكيا و قيل معناه تطهرهم أنت و تزكيتهم أنت بها فيكون كلاله الفعلين مضافا إلى النبي ص «وَ صَلَّى عَلَيْهِمْ» هذا أمر من الله تعالى للنبي ص أن يدعو لمن يأخذ منه الصدقه و معناه ادع لهم بقبول صدقاتهم كما يقول الداعي آجرك الله فيما أعطيت و بارك لك فيما أبقيت و

روى عن النبي ص أنه كان إذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم و قال عبد الله بن أبي أوفى و كان من أصحاب الشجره فأتاه ابن أبي أوفى بصدقته فقال اللهم صل على آل أبي أوفى أورده البخارى و مسلم فى الصحيح

«إِنَّ صِيْلَاتِكَ سَيَكُنُّ لَهُمْ» أى أن دعواتك مما تسكن نفوسهم إليه و قيل رحمه لهم عن ابن عباس و قيل وقار و طمأنينه لهم أن الله قد قبل منهم عن قتاده و الكلبي و قيل تثبت لهم عن أبي عبيده «وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» يسمع دعاءك لهم و يعلم ما يكون منهم فى الصدقات «أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ» استفهام يراد به التنبيه على ما يجب أن يعلم فالمخاطب إذا رجع إلى نفسه و فكر فيما نبه عليه علم وجوبه و إنما وجب أن يعلم أن الله يقبل التوبه لأنه إذا علم ذلك كان ذلك داعيا إلى فعل التوبه و التمسك بها و المسارعه إليها و ما هذه صورته يجب العلم به ليحصل به الفوز بالثواب و الخلاص من العقاب و السبب فيه

أنهم لما سألوا النبي ص أن يأخذ من أموالهم ما يكون كفاره لذنوبهم امتنع من ذلك انتظارا لإذن من الله سبحانه فيه

فبين الله أنه ليس قبول التوبه إلى النبي ص و إن ذلك إلى الله عز اسمه فإنه الذى يقبلها «وَ يَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ» أى يتقبلها و يضمن الجزاء عليها قال الجبائى جعل الله أخذ النبي و المؤمنين للصدقات أخذا من الله على وجه التشبيه و المجاز من حيث كان بأمره و قد ورد الخبر

عن النبي ص أنه قال أن الصدقه تقع فى يد الله قبل أن تصل إلى يد السائل

و المراد بذلك أنها تنزل هذا التنزيل ترغيبا للعباد فى فعلها و ذاك يرجع إلى تضمن الجزاء عليها «وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» عطف على ما قبله و لذلك فتح أن و قد مر تفسيره «وَ قُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ» هذا أمر من الله سبحانه لنبيه أن يقول للمكلفين اعملوا ما أمركم الله به عمل من يعلم أنه مجازا على فعله فإن الله سيرى عملكم و إنما أدخل سين الاستقبال لأن ما لم يحدث لا يتعلق به

الرؤيه فكأنه قال كل ما تعملونه يراه الله تعالى و قيل أراد بالرؤيه هاهنا العلم الذى هو المعرفه و لذلك عداه إلى مفعول واحد أى يعلم الله تعالى ذلك فيجازيكم عليه و يراه رسوله أى يعلمه فيشهد لكم بذلك عند الله تعالى و يراه المؤمنون قيل أراد بالمؤمنين الشهداء و قيل أراد بهم الملائكه الذين هم الحفظه الذين يكتبون الأعمال و روى أصحابنا أن أعمال الأمه تعرض على النبى ص فى كل اثنين و خمسين فيعرفها و كذلك تعرض على أئمه الهدى (عليه السلام) فيعرفونها و هم المعنيون بقوله «وَ الْمُؤْمِنُونَ» و إنما قال «فَسَيَرَى اللَّهُ» مع أنه سبحانه عالم بالأشياء قبل وجودها لأن المراد بذلك أنه سيعلمها موجوده بعد أن علمها معدومه و كونه عالما بأنها ستوجد هو كونه عالما بوجودها إذا وجدت لا يتجدد حال له بذلك «وَ سَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ» أى سترجعون إلى الله الذى يعلم السر و العلانيه «فَيُنَبِّئُكُمْ» أى يخبركم «بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» و يجازيكم عليه.

[سوره التوبه (٩): آيه ١٠٦]

اشاره

وَ آخَرُونَ مُّرْجُونَ لِلَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠٦)

القرءه

قرأ أهل المدينة و الكوفه غير أبى بكر «مُرْجُونَ» بغير همز و الباقون مرجئون بالهمز.

الحجه

قال الأزهرى الإرجاء يهمز و لا يهمز أرجأت الأمر و أرجيته آخرته و أرجأت الحامل دنت لأن يخرج ولدها فهى مرجئ و مرجئه و أرجت بغير همز أيضا.

النزول

قال مجاهد و قتاده نزلت الآيه فى هلال بن أميه الواقفى و مراره بن الربيع و كعب بن مالك و هم من الأوس و الخزرج و كان كعب بن مالك رجل صدق غير مطعون عليه و إنما تخلف توانيا عن الاستعداد حتى فاته المسير و انصرف رسول الله ص فقال و الله ما لى من عذر و لم يعتذر إليه بالكذب فقال (عليه السلام) صدقت فمر حتى يقضى الله فيك و جاء الآخرا فقلنا مثل ذلك و صدقا فهى رسول الله ص عن مكالمتهم و أمر نساءهم باعترالهم حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت فأقاموا على ذلك خمسين ليله و بنى كعب خيمه على سلع يكون فيها وحده و قال فى ذلك:

ص: ١٠٥

أبعد دور بنى القين الكرام و ما شادوا على بنيت البيت من سعف

ثم نزلت التوبه عليهم بعد الخمسين فى الليل و هو قوله تعالى «وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا» الآية فأصبح المسلمون يتدرونهم و يبشرونهم قال كعب فجئت إلى رسول الله فى المسجد و كان (عليه السلام) إذا سر يستبشر كان وجهه فلقه قمر فقال لى و وجهه يبرق من السرور أبشر بخير يوم طلع عليك شرقة منذ ولدتك أمك قال كعب فقلت أ من عند الله أم من عندك يا رسول الله فقال من عند الله و تصدق كعب بثلث ماله شكرا لله على توبته.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما قبله من قوله «وَأَخْرَجُوا بِئْسَ الْأُمَّةَ قَوْمًا» فقال «وَأَخْرَجُوا مَرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ» أى مؤخرون موقوفون لما يرد من أمر الله تعالى فيهم «إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ» لفظه إما وقوع أحد الشيين و الله سبحانه عالم بما يصير إليه أمرهم و لكنه سبحانه خاطب العباد بما عندهم و معناه و لكن كان أمرهم عندكم على هذا أى على الخوف و الرجاء و هذا يدل على صحه مذهبا فى جواز العفو عن العصاه لأنه سبحانه بين أن قوما من العصاه يكون أمرهم إلى الله تعالى إن شاء عذبهم و إن شاء قبل توبتهم فعفا عنهم و يدل أيضا على أن قبول التوبه تفضل من الله سبحانه لأنه لو كان واجبا لما جاز تعليقه بالمشيئه «وَاللَّهُ عَلِيمٌ» بما يؤول إليه حالهم «حَكِيمٌ» فيما يفعل بهم.

ص: ١٠٦

إشارة

وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضَرَارًا وَ كُفْرًا وَ تَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ إِزْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَ لِيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) - لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَْسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ (١٠٨) أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩) - لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَهُ فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١١٠)

القراءة

قرأ أهل المدينة و ابن عامر الذين اتخذوا بغير واو و الباقون بالواو وقرأ نافع و ابن عامر أسس بضم الألف بنيانه بالرفع فى الموضوعين وقرأ الباقون «أَسَّسَ بُنْيَانَهُ» فيهما و فى الشواذ قراءة نصر بن عاصم أسس بنيانه على وزن فعل و قراءه نصر بن على أساس بنيانه وقرأ ابن عامر و حمزه و حماد و يحيى عن أبى بكر و خلف جرف بالتخفيف و الباقون «جُرْفٍ» بالثقل و

قرأ يعقوب و سهل إلى أن على أنه حرف الجر و هو قراءه الحسن و قتاده و الجحدري و جماعه و رواه البرقى عن أبى عبد الله وقرأ الباقون «إِلَّا أَنْ» مشدده اللام وقرأ أبو جعفر و ابن عامر و حمزه و حفص و سهل و رويس عن يعقوب «تَقَطَّعَ» بفتح التاء و التشديد وقرأ روح تقطع بضم التاء مخففا وقرأ الباقون تقطع بضم التاء مشددا.

الحج

من أثبت الواو فى «الَّذِينَ» عطفه على ما تقدم و التقدير و منهم الذين اتخذوا مسجدا و من حذف الواو ابتداء الكلام و أضمم الخبر بعده كما أضمم فى قوله «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» إلى قوله «وَ الْبَادِ» و المعنى فيه ينتقم منهم أو يعذبهم و نحو ذلك و حسن الحذف فى الموضوعين لطول الكلام بالمبتدأ و صلته و يجوز أن يكون على أن تضمم و منهم فىكون تقديره و منهم الذين اتخذوا كما أضممت الحرف مع الفعل فى قوله «فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ» أى فىقال لهم أ كفرتم و لا يجوز أن يكون الذين بدلا من قوله «وَ آخِرُونَ مُرْجُونَ» لأن المرشحين لأمر الله غير الذين اتخذوا مسجدا ضارا فلا يجوز أن يبدلوا منهم و من قرأ «أَسَّسَ بُنْيَانَهُ» بنى الفعل للفاعل كما أضاف البنيان إليه فى قوله «بُنْيَانَهُ» فالمصدر مضاف إلى الفاعل و البانى و المؤسس واحد و من بنى الفعل للمفعول به لم يبعد أن يكون فى المعنى كالأول لأنه إذا أسس بنيانه فىولى ذلك غيره بأمره كان كبنائه هو له فأما من قرأ أسس بنيانه فى الموضوعين و أساس بنيانه بالإضافة فإنهما بمعنى واحد و جمع الأس أساس كقفل و أفقال و جمع الأساس

آساس و أسس و أما «الجرف» فالأصل فيه ضم العين و الإسكان تخفيف و مثله الشغل و الشغل و الطنب و الطنب و من قرأ «إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ» فمعناه تبلى و تتقطع بالبلى أى لا تتلج قلوبهم بالإيمان أبدا و من قرأ تقطع بضم التاء فهو فى المعنى مثل الأول إلا أن الفعل أضيف إلى القطع المبلى للقلوب بالموت و فى الأول أسند إلى القلوب لما كانت هى الباليه و هذا مثل مات زيد و سقط الحائط و نحو ذلك مما أسند فيه الفعل إلى من حدث فيه و إن لم يكن منه و تقطع يسند الفعل فيه إلى المقطع المبلى و إن لم يذكر فى اللفظ فأسند الفعل الذى هو لغير القلوب فى الحقيقه إلى القلوب و من قرأ إلى أن تقطع فإنه جعله على الغايه و زعموا أن فى حرف إلى حتى الممات و هذا يدل على أنهم يموتون على نفاقهم فإذا ماتوا عرفوا بالموت ما كانوا تركوه من الإيمان و أخذوا به من الكفر.

اللغه

الضرار هو طلب الضرر و محاولته كما أن الشقاق محاوله ما يشق يقال ضاره مضاره و ضرارا و الإرصاء الارتقاب تقول رصده يرصده رصدا و أرصد له إرصادا قال الكسائى رصده رقبته و أرصدته أعدده و البنيان مصدر قال أبو على و هو جمع على حد شعيره و شعير لأنهم قالوا بنيانه فى الواحد قال أوس:

كبنياه القرى موضع رحلها و آثار نسعيها من الدف أبلق

و جاء بناء المصدر على هذا المثل فى غير هذا الحرف نحو الغفران و ليس ببيان جمع بناء لأن فعلانا إذا كان جمعا نحو كئبان و قضبان لم تلحقه تاء التانيث و قال أبو زيد يقال بنيت أبى بيا و بنيانا و بناء و بنيه و جمعها البنى قال:

بنى السماء فسواها ببنيتها و لم تمد بأطناب و لا عمد

فالبناء و البنيه مصدران و من ثم قوبل به الفراش فى قوله «جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَ السَّمَاءَ بِنَاءً» فالبناء لما كان رفعا للمبنى قوبل به الفراش الذى هو خلاف البناء و التقوى خصله من الطاعه يحترز بها من العقوبه و التقى صفه مدح لا تطلق إلا على مستحق الثواب و واو تقوى مبدله من الياء لأنها من وقيت و إنما أبدلت للفرق بين الاسم و الصفه فى الأبنيه مثل خزيا و شفا جرف الشىء و شفيره و جرفه نهايته فى المساحه و يثنى شفوان و جرف الوادى جانبه الذى ينحفر بالماء أصله و هو من الجرف و الاجتراف هو اقتلاع الشىء من أصله و هار

الجرف يهور هورا فهو هائر و تهور و انهيار و يقال أيضا هار يهار و هار أصله هائر و هو من المقلوب كما يقال لاث الشىء به إذا دار فهو لاث و الأصل لاث و كما قالوا شاكى السلاح أى شائك قال:

فتعرفونى إننى أنا ذاكم شاك سلاحى فى الحوادث معلم

و كما قال العجاج:

(لاث به الأشاء و العبرى)

أى مطيف و قال أبو على و الهمز من عائر منقلبه عن الواو لأنهم قالوا تهور البناء إذا تساقط و تداعى و فى الحديث سار الليله حتى انهيار الليل ثم سار حتى تهور فهذا فى الليل كالمثل و التشبيه بالبناء و الانهيار و الانهيار يتقاربان فى المعنى كما يتقاربان فى اللفظ.

الإعراب

قد ذكرنا إعراب قوله «وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا» فى الحججه و يجوز أن يكون مبتدأ و خبره «لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا» كما تقول و الذى يدعوك إلى الغى فلا تسمع الدعاء و تقديره فلا تسمع دعاءه و كذلك التقدير فى الآية لا تقم فى مسجدهم أبدا فحذف للاختصار و يجوز أن يكون خبر الذين قوله «أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ» أى أ فمن أسس بنيانه من هؤلاء أم من أسس من الذين اتخذوا ضرارا منصوب على أنه مفعول له و كذلك ما بعده و المعنى اتخذوه للضرار و الكفر و التفريق و الإرصاء فلما حذف اللام أفضى الفعل فنصب و يجوز أن يكون مصدرا محمولا على المعنى لأن اتخذهم المسجد على غير التقوى معناه ضراروا به ضرارا من أول يوم دخلت من فى الزمان و الأصل منذ و مذ هذا الأكثر استعمالا فى الزمان و من جائز دخولها أيضا لأنها الأصل فى ابتداء الغايه و التبعض و منه قول زهير:

لمن الديار بقنه الحجر أقوين من حجج و من شهر

و يروى من دهر و قد قيل إن المعنى من مر حجج و من مر شهر و «أَنْ تَقُومَ» فى موضع نصب أى أحق بأن تقوم فيه و «فِيهِ» منصوب الموضع بقوله «تَقُومَ» و فيه من قوله «فِيهِ رِجَالٌ» فى موضع رفع لأنه خبر مبتدأ مقدم عليه و المبتدأ رجال و لا يجوز أن يكون مرفوع الموضع بكونه وصفا لمسجد بل هو على الاستئناف و الوقف التام على قوله «أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ

فيه» ثم استؤنف الكلام فقيل «فيه رجال» و إنما قلنا ذلك لأنك لو جعلت الظرف الذى هو فيه وصفا لمسجد لكنت فصلت بين النكره و صفتها بالخبر الذى هو أحق و قوله «أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِّنَ اللَّهِ» قال أبو على القول فيه أنه يجوز أن تكون المعادله وقعت بين البانيين و يجوز أن يكون بين البنائين فإذا عادت بين البانيين كان المعنى المؤسس بنيانه متقيا خيرا أم المؤسس بنيانه غير متق لأن قوله «عَلَى شَفَا جُرْفٍ» يدل على أن بانيه غير متق لله تعالى و لا خاش له و يجوز أن يقدر حذف المضاف كأنه أبناه من أسس بنيانه متقيا خيرا أم بناء من أسس بنيانه على شفا جرف و البنيان مصدر أوقع على المبنى مثل الخلق إذا عنيت به المخلوق و ضرب الأمير إذا عنيت به المضروب و كذلك نسج اليمن يدللك على ذلك أنه لا يخلو من أن يراد به اسم الحدث أو اسم العين فلا يجوز أن يكون الحدث لأنه إنما يؤسس المبنى الذى هو عين و يبين ذلك أيضا قوله «عَلَى شَفَا جُرْفٍ» و الحدث لا يعلو شفا جرف و الجار فى قوله «عَلَى تَقْوَى مِّنَ اللَّهِ» و قوله «عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ» فى موضع نصب على الحال تقديره أفمن أسس بنيانه متقيا خيرا أم من أسس بنيانه غير متق أو معاقبا على بنائه و فاعل انهار البنيان أى انهار البنيان بالباني فى نار جهنم لأنه معصيه و فعل لما كرهه الله تعالى من الضرار و الكفر و التفريق بين المؤمنين و من أمال «هار» فقد أحسن لما فى الرأ من التكرير فكأنك لفظت براءين مكسورتين و بحسب كثره الكسرات تحسن الإماله و من لم يمل فلاذن ترك الإماله هو الأصل و قوله «إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ» موضع «أَنْ تَقَطَّعَ» نصب تقديره إلا على تقطع قلوبهم غير أن حرف الإضافة يحذف مع أن و لا يحذف مع المصدر و معنى إلا هاهنا حتى لأنه استثناء من الزمان المستقبل و الاستثناء منه منته إليه فاجتمعت مع حتى فى هذا الموضع على هذا المعنى.

النزول

قال المفسرون أن بنى عمرو بن عوف اتخذوا مسجدا قبا و بعثوا إلى رسول الله ص أن يأتيهم فأتاهم و صلى فيه فحسداهم جماعة من المنافقين من بنى غنم بن عوف فقالوا نبى مسجدا فنصلى فيه و لا نحضر جماعه محمد و كانوا اثنى عشر رجلا و قيل خمسه عشر رجلا منهم ثعلبه بن حاطب و معتب بن قشير و نبتل بن الحرث فبنوا مسجدا إلى جنب مسجد قبا

فلما فرغوا منه أتوا رسول الله ص و هو يتجهز إلى تبوك فقالوا يا رسول الله أنا قد بنينا مسجدا لذى العله و الحاجه و الليله المطيره و الليله الشاتيه و أنا نحب أن تأتينا فتصلى فيه لنا و تدعو بالبركه فقال ص إنى على جناح سفر و لو قدمنا أتيناكم إن شاء الله فصلينا لكم فيه فلما انصرف رسول الله من تبوك نزلت عليه الآية فى شأن المسجد

ثم ذكر سبحانه جماعه أخرى من المنافقين بنوا مسجدا للتفريق بين المسلمين و طلب الغوائل للمؤمنين فقال «وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا وَّ الْمَسْجِدَ مَوْضِعَ السُّجُودِ فِي الْأَصْلِ وَّ صَارَ بِالْعَرَفِ اسْمًا لِبَقْعِهِ مَخْصُوصَةً بَنِيَتْ لِلصَّلَاةِ فَلَا اسْمَ عَرَفِي فِيهِ مَعْنَى اللُّغَةِ «ضِرَارًا» أَيْ مُضَارَهُ يَعْنِي الضَّرْرَ بِأَهْلِ مَسْجِدِ قِبَا أَوْ مَسْجِدِ الرَّسُولِ ص لِيَقْلُ الْجَمْعُ فِيهِ «وَكُفْرًا» أَيْ لِإِقَامَةِ الْكُفْرِ فِيهِ وَقِيلَ أَرَادَ أَنَّهُ كَانَ اتَّخَذَهُمْ ذَلِكَ كُفْرًا بِاللَّهِ وَقِيلَ لِيَكْفُرُوا فِيهِ بِالطَّعْنِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ص وَّ الْإِسْلَامِ «وَوَيْفَرِيْقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ» أَيْ لِاخْتِلَافِ الْكَلِمَةِ وَّ إِبْطَالِ الْأَلْفَةِ وَّ تَفْرِيقِ النَّاسِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ص «وَوَيْفَرِيْقًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ» أَيْ أُرْصَدُوا ذَلِكَ الْمَسْجِدَ وَّ اتَّخَذُوهُ وَّ أَعْدَوْا لِأَبِي عَامِرِ الرَّاهِبِ وَهُوَ الَّذِي حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَّ كَانَ مِنْ قِصَّتِهِ أَنَّهُ كَانَ قَدْ تَرَهَّبَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَّ لَبَسَ الْمَسْوُوحَ فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ص الْمَدِينَةَ حَسَدَهُ وَّ حَزَبَ عَلَيْهِ الْأَحْزَابَ ثُمَّ هَرَبَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ إِلَى الطَّائِفِ فَلَمَّا أَسْلَمَ أَهْلَ الطَّائِفِ لَحِقَ بِالشَّامِ وَّ خَرَجَ إِلَى الرُّومِ وَّ تَنَصَّرَ وَهُوَ أَبُو حَنْظَلَةَ غَسِيلِ الْمَلَائِكَةِ الَّذِي قَتَلَ مَعَ النَّبِيِّ ص يَوْمَ أَحَدٍ وَّ كَانَ جَنْبًا فغسلته الملائكة و

سمى رسول الله ص أبا عامر الفاسق

و كان قد أرسل إلى المنافقين أن استعدوا و ابنوا مسجدا فإني أذهب إلى قيصر و آتى من عنده بجنود و أخرج محمدا من المدينة فكان هؤلاء المنافقون يتوقعون أن يجيئهم أبو عامر فمات قبل أن يبلغ ملك الروم «وَلِيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسَيْنِيَّ» معناه أن هؤلاء يحلفون كاذبين ما أردنا ببناء هذا المسجد إلا الفعل الحسنى من التوسعة على أهل الضعف و العلة من المسلمين فأطلع الله نبيه على فساد طويتهم و خبت سريرتهم فقال «وَاللَّهِ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» و كفى لمن يشهد الله سبحانه بكذبه خزيا

فوجه رسول الله ص عند قدومه من تبوك عاصم بن عوف العجلاني و مالك بن الدخشم و كان مالك من بنى عمرو بن عوف فقال لهما انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فأهدماه و حرقاه

و

روى أنه بعث عمار بن ياسر و وحشيا فحرقاه و أمر بأن يتخذ كناسه يلقى فيها الجيف

ثم نهى الله سبحانه أن يقوم في هذا المسجد فقال «لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا» أَيْ لَا تَصِلْ فِيهِ أَبَدًا يُقَالُ فُلَانٌ يَقُومُ بِاللَّيْلِ أَيْ يَصَلِّي ثُمَّ أَقْسَمَ فَقَالَ «لَمَسْجِدًا» أَيْ وَاللَّهِ لِمَسْجِدِ «أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى» أَيْ بَنِيَ أَصْلَهُ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ وَ طَاعَتِهِ «مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ» أَيْ مِنْذُ أَوَّلِ يَوْمٍ وَضَعُ أُسَاسِهِ عَنِ الْمَبْرَدِ «أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ» أَيْ أَوْلَى بِأَنْ تَصَلِيَ فِيهِ وَ اخْتَلَفَ فِي هَذَا

المسجد فقيل هو مسجد قبا عن ابن عباس و الحسن و عروه بن الزبير و قيل هو مسجد رسول الله ص عن زيد بن ثابت و ابن عمر و أبى سعيد الخدرى و

روى هو عن النبى ص قال هو مسجدى هذا

و قيل هو كل مسجد بنى للإسلام و أريد به وجه الله عن أبى مسلم ثم وصف المسجد و أهله فقال «فِيهِ» أى فى هذا المسجد الذى أسس على التقوى «رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا» أى يحبون أن يصلوا لله تعالى متطهرين بأبلغ الطهاره و قيل يحبون أن يتطهروا من الذنوب عن الحسن و قيل

يحبون أن يتطهروا بالماء عن الغائط و البول و هو المروى عن السيدين الباقر و الصادق (عليه السلام)

و

روى عن النبى ص أنه قال لأهل قبا ما ذا تفعلون فى طهركم فإن الله تعالى قد أحسن عليكم الثناء قالوا نغسل أثر الغائط فقال أنزل الله فيكم «وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ»

أى المتطهرين ثم قرر سبحانه الفرق بين المسجدين فقال «أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ» قد مضى بيانه و المراد أن الله تعالى شبه بنيانهم على نار جهنم بالبناء على جانب نهر هذا صفته فكما أن من بنى على جانب هذا النهر فإنه ينهار بناؤه فى الماء و لا يثبت فكذلك بناء هؤلاء ينهار و يسقط فى نار جهنم يعنى أنه لا يستوى عمل المتقى و عمل المنافق فإن عمل المؤمن المتقى ثابت مستقيم مبنى على أصل صحيح ثابت و عمل المنافق ليس بثابت و هو واه ساقط و الألف فى قوله «أَفَمَنْ» ألفت استفهام يراد به الإنكار هاهنا و ليس معنى خير فى الآية أفضل بل هو كما يقال هذا خير و هذا شر و قال الشاعر:

و الخير و الشر مقرونان فى قرن فالخير متبع و الشر محذور

و أما قوله «وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ» فإن معناه و افعلوا الأفضل و قوله «فَأَنْهَارَ بِهِ فِى نَارِ جَهَنَّمَ» أى يوقعه ذلك البناء فى نار جهنم «وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» مر بيانه و روى عن جابر بن عبد الله أنه قال رأيت المسجد الذى بنى ضرارا يخرج منه الدخان «لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِى بَنَوْا رِيبَهُ فِى قُلُوبِهِمْ» أى لا- يزال بناء المبنى الذى بنوه شكاً فى قلوبهم فيما كان من إظهار إسلامهم و ثباتا على النفاق و قيل إن معناه حزازه فى قلوبهم و قيل حسره فى قلوبهم يترددون فيها «إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ» معناه إلا أن يموتوا و المراد بالآيه أنهم لا- ينزعون عن الخطيئه و لا- يتوبون حتى يموتوا على نفاقهم و كفرهم فإذا ماتوا عرفوا بالموت ما كانوا تركوه من الإيمان و أخذوا به من الكفر و قيل معناه إلا أن يتوبوا توبه تتقطع بها قلوبهم ندما و أسفا على تفریطهم «وَاللَّهُ عَلِيمٌ» أى عالم بنيتهم فى بناء مسجد الضرار «حَكِيمٌ»

فى أمره بنقضه و المنع من الصلاه فيه.

[سوره التوبه (٩): الآيات ١١١ الى ١١٢]

اشاره

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعِندَ اللَّهِ حَقُّهُ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ الَّتِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير عاصم فيقتلون بضم الياء و يقتلون بفتح الياء و الباكون «فَيَقْتُلُونَ» بفتح الياء «وَيُقْتَلُونَ» بضمها و فى قراءه أبى و عبد الله بن مسعود و الأعمش التائبين العابدين بالياء إلى آخرها و روى ذلك عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام).

الحجه

قال أبو على من قرأ «فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ» فقدم الفعل المسند إلى الفاعل فلأنهم يقتلون أولا فى سبيل الله و يقتلون و لا يقتلون إذا قتلوا و من قدم الفعل المسند إلى المفعول به جاز أن يكون فى المعنى مثل الأول لأن المعطوف بالواو يجوز أن يراد به التقديم فإن لم يقدر فيه التقديم كان المعنى فى قوله «فَيَقْتُلُونَ» بعد قوله «يُقْتَلُونَ» بقتل من بقى منهم بعد قتل من قتل و أما الرفع فى قوله «التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ» فعلى القطع و الاستئناف أى هم التائبون و يكون على المدح و قيل أنه رفع على الابتداء و خبره محذوف بعد قوله «وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ» أى لهم الجنة أيضا عن الزجاج و قيل أنه رفع على البدل من الضمير فى يقتلون أى يقاتل التائبون و أما التائبين العابدين فيحتمل أن يكون جرا و أن يكون نصبا أما الجر فعلى أن يكون وصفا للمؤمنين أى من المؤمنين التائبين و أما النصب فعلى إضمار فعل بمعنى المدح كأنه قال أعنى و أمدح التائبين.

ص: ١١٣

السائح من ساح في الأرض يسيح سايحا إذا استمر في الذهاب و منه السيح الماء الجارى و من ذلك يسمى الصائم سائحا لاستمراره على الطاعة في ترك المشتهى.

الإعراب

وعدا نصب على المصدر لأن قوله «اشترى» يدل على أنه وعد و مثله صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ و فِطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا.

المعنى

لما تقدم ذكر المؤمنين و المنافقين عقب سبحانه بالترغيب في الجهاد فقال «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ» حقيقه الاشتراء لا تجوز على الله تعالى لأن المشتري إنما يشتري ما لا يملكه و هو عز اسمه مالك الأشياء كلها لكنه مثل قوله مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا في أنه ذكر لفظ الشراء و القرض تطفوا لتأكيد الجزاء و لما كان سبحانه ضمن الثواب على نفسه عبر عن ذلك بالاشتراء و جعل الثواب ثمنا و الطاعات مثمنا على ضرب من المجاز و أخبر أنه اشترى من المؤمنين أنفسهم يبدلونها في الجهاد في سبيل الله و أموالهم أيضا ينفقونها ابتغاء مرضاه الله على أن يكون في مقابله ذلك الجنة و روى عن الأعمش أنه قرأ بالجنة و هى قراءه عمر بن الخطاب و الجهاد قد يكون بالسيف و قد يكون باللسان و ربما كان جهاد اللسان أبلغ لأن سبيل الله دينه و الدعاء إلى الدين يكون أولا باللسان و السيف تابع له و لأن إقامة الدليل على صحه المدلول أولى و إيضاح الحق و بيانه أحرى و ذلك لا يكون إلا باللسان و قد

قال النبى ص يا على لأن يهدى الله على يديك نسمة خير مما طلعت عليه الشمس

و إنما ذكر سبحانه شراء النفس و المال لأن العبادات على ضربين بدنيه و ماليه و لا ثالث لهما و

يروى أن الله سبحانه تاجر المؤمنين فأغلى لهم الثمن فجعل ثمنهم الجنة

و

كان الصادق (عليه السلام) يقول أيا من ليست له همه أنه ليس لأبدانكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها

و أنشد الأصمعى للصادق (عليه السلام):

أثامن بالنفس النفيسه ربها فليس لها في الخلق كلهم ثمن

بها نشترى الجنات إن أنا بعتها بشىء سواها إن ذلكم غيب

إذا ذهبت نفسى بدنيا أصبتها فقد ذهب الدنيا و قد ذهب الثمن

«يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» هذا بيان للغرض الذى لأجله اشتراهم «فَيُقْتَلُونَ» المشركين «وَيُقْتَلُونَ» أى و يقتلهم المشركون يعنى أن الجنه عوض عن جهادهم سواء قتلوا أو قتلوا و من قرأ فيقتلون و يقتلون فهو المختار عن الحسن لأنه يكون تسليم النفس إلى المشتري أقرب و البائع إنما يستحق الثمن بتسليم المبيع «وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا» معناه إن

ص: ١١٤

إيجاب الجنة لهم وعد على الله حق لا شك فيه و تقديره وعدهم الله الجنة على نفسه وعدا حقا أى صدقا واجبا لا خلف فيه «فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ» وهذا يدل على أن أهل كل ملة أمروا بالقتال وعدوا عليه الجنة عن الزجاج «وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ» معناه لا أحد أوفى بعهده من الله لأنه يفي ولا يخلف بحال «فَاسْتَبَشِّرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ» فافرحوا بهذه المبايعه حتى ترى آثار السرور فى وجوهكم بسبب هذه المبايعه لأنكم بعتم الشىء من مالكمه و أخذتم ثمنه و لأنكم بعتم فانيا بياق و زائلا بدائم «وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» أى ذلك الشراء و البيع الظفر الكبير الذى لا يقاربه شىء ثم وصف الله سبحانه المؤمنين الذين اشترو منهم الأنفس و الأموال بأوصاف فقال «التَّائِبُونَ» أى الراجعون إلى طاعه الله و المنقطعون إليه النادمون على ما فعلوه من القبائح «العَابِدُونَ» أى الذين يعبدون الله وحده و يتذللون له بطاعته فى أوامره و نواهيه و قيل هم الذين أخذوا من أبدانهم فى ليلهم و نهارهم فعبدوا الله فى السراء و الضراء عن الحسن و قتاده «الْحَامِدُونَ» أى الذين يحمدون الله على كل حال عن الحسن و قيل هم الشاكرون لنعم الله على وجه الإخلاص له «السَّائِحُونَ» أى الصائمون عن ابن عباس و ابن مسعود و الحسن و سعيد بن جبیر و مجاهد و

روى مرفوعا عن النبي ص أنه قال سياحه أمتى الصيام

و قيل هم الذين يسيحون فى الأرض فيعتبرون بعجائب الله تعالى و قيل هم طلبه العلم يسيحون فى الأرض لطلبه عن عكرمه «الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ» أى المؤدودون للصلاه المفروضه التى فيها الركوع و السجود «الْمَامِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النََّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ» أدخل الواو هنا لأن الأمر بالمعروف يتضمن النهى عن المنكر فكأنهما شىء واحد و لأنه قرن النهى عن المنكر بالأمر بالمعروف فى أكثر المواضع فأدخل الواو ليدل على المقارنه «وَ الْحَافِظُونَ لِجُدُودِ اللَّهِ» أى و القائمون بطاعه الله عن ابن عباس يعنى الذين يؤدودون فرائض الله و أوامره و يجتنبون نواهيه لأن حدود الله أوامره و نواهيه و إنما أدخل الواو لأنه جاء و هو أقرب إلى المعطوف «وَ بَشَّرَ الْمُؤْمِنِينَ» هذا أمر النبي ص أن يبشر المصدقين بالله المعترفين بنبوته بالثواب الجزيل و المنزل الرفيعه خاصه إذا جمعوا هذه الأوصاف و قد روى أصحابنا أن هذه صفات الأئمه المعصومين (عليه السلام) لأنه لا يكاد يجمع هذه الأوصاف على تمامها و كمالها غيرهم و

لقى الزهرى على بن الحسين (عليه السلام) فى طريق الحج فقال له تركت الجهاد و صعوبته و أقبلت إلى الحج و الله سبحانه يقول «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْآيَةَ فَقَالَ (عليه السلام) له أتم الآيه الأخرى «التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ» إلى آخرها ثم قال إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحج.

إشارة

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣) وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّتْهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (١١٤)

اللغة

أصل الأواه من التأوه وهو التوجع والتحزن يقال تأوه تأوها و أوه تأويها قال المثقب العبدى:

إذا ما قمت أرحلها بليل تأوه آهه الرجل الحزين

و لو جاء منه فعل مصرفا لكان آه يئوه أوها مثل قال يقول قولاً و العرب تقول أوه من كذا بكسر الواو و تسكين الهاء قال:

فأوه بذكراها إذا ما ذكرتها و من بعد أرض دونها و سماء

و العامه تقول أوه و فيه خمس لغات أوه بسكون الواو و كسر الهاء و أو و آه بالتنوين و أوه و أوه.

المعنى

«ما كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ» و معناه ليس للنبي و المؤمنين أن يطلبوا المغفرة للمشركين الذين يعبدون مع الله إلها آخر و الذين لا- يوحده و لا يقرون بإلهيته «وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ» أى و لو كان الذين يطلبون لهم المغفرة أقرب الناس إليهم «مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ» أى من بعد أن يعلموا أنهم كفار مستحقون للخلود فى النار و فى تفسير الحسن أن المسلمين قالوا للنبي ص أ لا تستغفر لأبائنا الذين ماتوا فى الجاهلية فأنزل الله سبحانه هذه الآية و بين أنه لا ينبغى لنبي و لا- مؤمن أن يدعو لكافر و يستغفر له و قوله «ما كَانَ لِلنَّبِيِّ» أبلغ من أن يقول لا ينبغى للنبي لأنه يدل على قبحه و أن الحكمة تمنع منه و لو قال لا ينبغى لم يدل على أن

الحكمه تمنع منه و إنما كان يدل على أنه لا- ينبغي أن يختاره و معناه لم يجعل الله في دينه و لا- في حكمه أن يستغفروا للمشركين و لو دعته رقه القرابه و شفقه الرحم إلى الاستغفار لهم بعد ما ظهر أن لهم عذابا عظيما ثم بين سبحانه الوجه في استغفار إبراهيم لأبيه مع كونه كافرا سواء كان أباه الذي ولده أو جده لأمه أو عمه على ما رواه أصحابنا فقال «وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَاةٍ إِيَّاهُ» أى لم يكن استغفاره له إلا صادرا عن موعدة وعدها إياه و اختلف في صاحب هذه الموعدة هل هو إبراهيم و أبوه فقبل أن الموعدة كانت من الأب وعد بها إبراهيم أنه يؤمن أن استغفر له لذلك «فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ» و لا- يفى بما وعد «تَبَيَّرَ مِنْهُ» و ترك الدعاء له و هو المروى عن ابن عباس و مجاهد و قتاده إلا أنهم قالوا إنما تبين عداوته لما مات على كفره و قيل أن الموعدة كانت من إبراهيم قال لأبيه إنى أستغفر لك ما دمت حيا و كان يستغفر له مقيدا بشرط الإيمان فلما آيس من إيمانه تبرأ منه و هذا يوافق قراءة الحسن إلا عن موعدة وعدها أباه و يقويه قوله «إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ»

«إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ» أى دعاء كثير الدعاء و البكاء عن ابن عباس و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل الأواه الرحيم بعباد الله عن الحسن و قتاده و قيل هو الذى إذا ذكر النار قال أوه عن كعب و قيل الأواه المؤمن بلغه الحبشه عن ابن عباس و قيل الأواه الموقن المستيقن عن مجاهد و عكرمه و قيل الأواه العفيف عن النخعى و قيل هو الراجع عن كل ما يكره الله عز و جل عن عطا و

قيل هو الخاشع المتضرع رواه عبد الله بن شداد عن النبى ص

و قيل هو المسبح الكثير الذكر لله سبحانه عن عقبه بن عامر و قيل هو المتأوه شفقاً و فرقا المتضرع يقينا بالإيجابه و لزوما للطاعه عن أبى عبيده و قال الزجاج و قد انتظم قول أبى عبيده أكثر ما روى فى الأواه «حَلِيمٌ» يقال بلغ من حلم إبراهيم (عليه السلام) إن رجلا قد أذاه و شتمه فقال له هداك الله و قيل الحلیم السيد عن ابن عباس و أصله أنه الصبور على الأذى الصفوح عن الذنب.

النظم

لما تقدم ذكر الكفار و المنافقين و المنع من موالاتهم و الصلاة عليهم و القيام على قبرهم للدعاء لهم نهى عن دعائهم بعد موتهم و لما نهى الله النبى و المؤمنين عن الاستغفار للمشركين ذكر قصه إبراهيم و عذره فى الاستغفار لأبيه و أما قوله «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ» فإنما اتصل بما قبله بأنه إذا كان له صفه الرأفه و الرحمه يكون فى دعائه أخلص و على خلاص أقربائه من العذاب أحرص و مع ذلك تبرأ منه لما يئس من فلاحه.

إشارة

وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١٥) إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ (١١٦)

النزول

قيل مات قوم من المسلمين على الإسلام قبل أن تنزل الفرائض فقال المسلمون يا رسول الله إخواننا الذين ماتوا قبل الفرائض ما منزلتهم فنزل «وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا» الآية عن الحسن.

المعنى

«وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ» أى و ما كان الله ليحكم بضلاله قوم بعد ما حكم بهدايتهم «حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ» من الأمر بالطاعة و النهى عن المعصية فلا يتقون فعند ذلك يحكم بضلالتهم و قيل و ما كان الله ليعذب قوما فيضلهم عن الثواب و الكرامه و طريق الجنة بعد إذ هداهم و دعاهم إلى الإيمان حتى يبين لهم ما يستحقون به الثواب و العقاب من الطاعة و المعصية و قيل لما نسخ بعض الشرائع و قد غاب أناس و هم يعملون بالأمر الأول إذ لم يعلموا بالأمر الثانى مثل تحويل القبلة و غير ذلك و قد مات الأولون على الحكم الأول سئل النبى ص عن ذلك فأنزل الله الآية و بين أنه لا يعذب هؤلاء على التوجه إلى القبلة الأولى حتى يسمعوا بالنسخ و لا- يعملوا بالناسخ فحينئذ يعذبهم عن الكلبى «إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» يعلم جميع المعلومات حتى لا يشذ شىء منها عنه لكونه عالما لنفسه «إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» الملك اتساع المقدر لمن له السياسة و التدبير «يُحْيِي وَيُمِيتُ» أى يحيى الجماد و يميت الحيوان «وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ» أى ليس لكم سواه حافظ يحفظكم و ولى يتولى أمركم و لا ناصر ينصركم و يدفع العذاب عنكم.

النظم

وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها إن الله سبحانه لما حرم على المؤمنين أن يستغفروا للمشركين بين سبحانه أنه لا يأخذهم بذلك إلا- بعد أن يدلهم على تحريمه عن مجاهد و وجه اتصال الآية الثانية بما قبلها الحض على ما تقدم ذكره من جهاد المشركين ملوكهم و غير ملوكهم لأنهم عبيد من له ملك السماوات و الأرض يأمرهم بما يشاء و يدبرهم على ما يشاء عن على بن عيسى.

اشاره

لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَاعَةِ الْمُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُفٌ رَحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١١٨)

القراءة

قرأ حمزه و حفص عن عاصم «يَزِيغُ» بالياء و هي قراءة الأعمش و الباقر و جعفر بن محمد بن علي الباقون تزيغ بالتاء و القراءة المشهوره «الَّذِينَ خَلَفُوا» و

قرأ علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) و أبو جعفر محمد بن علي الباقر و جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) و أبو عبد الرحمن السلمى خالفوا

و قرأ عكرمه و زر بن حبيش و عمرو بن عبيد خلفوا بفتح الخاء و اللام خفيفه.

الحج

قال أبو علي يجوز أن يكون فاعل كاد أحد ثلاثة أشياء (الأول) أن تضمر فيها القصة و الحديث و يكون تزيغ الخبر و جاز ذلك فيها و إن كان الأصل في إضمار القصة إنما هو في الابتداء لأن الخبر لازم لكاد فأشبهه العوامل الداخلة على الابتداء للزوم الخبر له قال و لا يجوز ذلك في عسى لأن عسى قد يكون فاعله المفرد في كثير من الأمر فلا يلزمه الخبر كقوله عسى أن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ عسى أن تُحِبُّوا شَيْئًا وَ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ فإذا كان كذلك لم يحتمل الضمير الذي يحتمله كاد كما لم يحتمله سائر الأفعال التي تسند إلى فاعليها مما لا يدخل على المبتدأ (و الثاني) أن يضم في كاد ذكر مما تقدم لما كان النبي ص و المهاجرون و الأنصار قبلا واحدا و فريقا واحدا جاز أن يضم في كاد ما دل عليه ما تقدم ذكره من القبيل و الحزب و الفريق و نحو ذلك من الأسماء المفردة الداله على الجمع و قال منهم فحمله على المعنى مثل قوله آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ثم قال فلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ فكذلك فاعل كاد على هذا الوجه (الثالث) أن يكون فاعل كاد القلوب و تقديره من بعد ما كاد قلوب فريق منهم تزيغ و لكنه قدم تزيغ كما تقدم خبر كان و جاز تقديمه و أن كان فيه ذكر من القلوب و لم يمنع من حيث يمتنع إضمار قبل الذكر

لما كان النيه به التأخير كما لم يمتنع ضرب غلامه زيد لما كان التقدير به التأخير فأما من قرأ «يَزِيغُ» بالياء فيجوز أن يكون قد ذهب إلى أن في كاد ضمير الحديث فيرتفع قلوب بيزيغ فذكر و أن كان فاعله مؤنثا لتقدم الفعل و من قرأ تزيغ بالتاء جاز أن يكون ذهب إلى أن القلوب مرتفعه بكاد و جاز أن يكون الفعل المسند إلى القصة أو الحديث يؤنث إذا كان في الجملة التي يفسرها مؤنث كقوله «فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا» و جاز تأنيث هي التي هي ضمير القصة لذكر الأبصار المؤنثه في الجملة التي هي التفسير فكذلك يؤنث الذى فى كاد للذكر المؤنث فى الجملة المفسره فتقول كادت و تدغم التاء التي هي علامه التأنيث فى تاء تزيغ و تزيغ على هذا للقلوب و هي مرتفعه به و يجوز إلحاق التاء بكاد من وجه آخر و هي أن ترفع قلوب فريق بكاد فتلحقه علامه التأنيث من حيث كان مسندا إلى مؤنث و من قرأ «خُلْفُوا» فتأويله أقاموا و لم يبرحوا و من قرأ خالفوا فمعناه عائد إلى ذلك لأنهم إذا خالفوهم فأقاموا فقد خلفوا هناك.

اللغه

الزيغ ميل القلب عن الحق و منه قوله فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ و زاغت الشمس إذا مالت و زاغ عن الطريق جاز و عدل و التخليف تأخير الشىء عن مضى فأما تأخير الشىء عنك فى المكان فليس بتخليف و هو من الخلف الذى هو مقابل لجهته الوجه يقال خلفه أى جعله خلفه فهو مخلف و رحبت البلاد إذا اتسعت و الرحب السعه و منه مرحبا أى رحبت بلادك و أهلت و الضيق ضد السعه و الظن هنا بمعنى اليقين كما فى قول دريد بن الصمه:

فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج سراتهم فى الفارسي المسرد

النزول

نزلت الآيه الأولى فى غزاه تبوك و ما لحق المسلمين فيها من العسره حتى هم قوم بالرجوع ثم تداركهم لطف الله سبحانه

قال الحسن كان العشره من المسلمين يخرجون على بعير يعتقبونه بينهم يركب الرجل ساعه ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك و كان زادهم الشعير المسوس و التمر المدود و الإهاله السنخه و كان نفر منهم يخرجون ما معهم من التميرات بينهم فإذا بلغ الجوع من أحدهم أخذ التمره فلاكها حتى يجد طعمها ثم يعطيها

صاحبه فيمصها ثم يشرب عليها جرعه من ماء كذلك حتى يأتي على آخرهم فلا يبقى من التمره إلا النواه قالوا و كان أبو خيثمه عبد الله بن خيثمه تخلف إلى أن مضى من مسير رسول الله ص عشره أيام ثم دخل يوما على امرأتين له في يوم حار في عريشين لهما قد رتبناهما و بردتا الماء و هيأتا له الطعام فقام على العريشين و قال سبحان الله رسول الله قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر في الفتح و الريح و الحر و القر يحمل سلاحه على عاتقه و أبو خيثمه في ظلال بارده و طعام مهياً و امرأتين حسناوين ما هذا بالنصف ثم قال و الله لا أكلم واحده منكما كلمه و لا أدخل عريشا حتى ألحق بالنبى ص فأناخ ناضحه و اشتد عليه و تزود و ارتحل و امرأته تكلمانه و لا يكلمهما ثم سار حتى إذا دنا من تبوك قال الناس هذا راكب على الطريق فقال النبي ص كن أبا خيثمه أولى لك فلما دنا قال الناس هذا أبو خيثمه يا رسول الله فأناخ راحلته و سلم على رسول الله ص فقال (عليه السلام) أولى لك فحدثه الحديث فقال له خيرا و دعا له

و هو الذى زاغ قلبه للمقام ثم ثبته الله و أما الآية الثانية فإنها

نزلت فى شأن كعب بن مالك و مراره بن الربيع و هلال بن أميه و ذلك أنهم تخلفوا عن رسول الله ص و لم يخرجوا معه لا عن نفاق و لكن عن توان ثم ندموا فلما قدم النبي ص المدينة جاءوا إليه و اعتذروا فلم يكلمهم النبي ص و تقدم إلى المسلمين بأن لا يكلمهم أحد منهم فهجرهم الناس حتى الصبيان و جاءت نساؤهم إلى رسول الله ص فقلن له يا رسول الله نعتزلهم فقال لا و لكن لا يقربوكن

فضاقت عليهم المدينة فخرجوا إلى رءوس الجبال و كان أهاليهم يجيئون لهم بالطعام و لا يكلمونهم فقال بعضهم لبعض قد هجرنا الناس و لا يكلمنا أحد منهم فهلا- نتهاجر نحن أيضا ففرقوا و لم يتجمع منهم اثنان و بقوا على ذلك خمسين يوما يتضرعون إلى الله تعالى و يتوبون إليه فقبل الله تعالى توبتهم و أنزل فيهم هذه الآية.

المعنى

«لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ» أقسم الله تعالى فى هذه الآية لأن لام لقد لام القسم بأنه سبحانه قبل توبتهم و طاعتهم و إنما ذكر اسم النبي ص مفتاحا للكلام و تحسينا له و لأنه سبب توبتهم و إلا فلم يكن منه ما يوجب التوبه و

قد روى عن الرضا على بن موسى (عليه السلام) أنه قرأ لقد تاب الله بالنبي على المهاجرين و الأنصار الذين اتبعوه

فى الخروج معه إلى تبوك «فى ساعه العسیره» و هى صعوبه الأمر قال جابر يعنى عسره الزاد و عسره الظهر و عسره الماء و المراد بساعه العسره وقت العسره لأن الساعه تقع على كل زمان و قال عمر بن الخطاب أصابنا حر شديد و عطش فأمر الله سبحانه السماء بدعاء النبي ص فعشنا بذلك «مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ» عن الجهاد فهموا

بالانصراف من غزاتهم من غير أمر فعصمهم الله تعالى من ذلك حتى مضوا مع النبي ص «ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ» من بعد ذلك الزيف و لم يرد بالزيف هاهنا الزيف عن الإيمان «إِنَّهُ بِهِمْ رُؤُفٌ رَحِيمٌ» تداركهم برحمته و الرأفة أعظم من الرحمة «وَعَلَى الثَّالِثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا» قال مجاهد معناه خلفوا عن قبول التوبة بعد قبول توبه من قبل توبتهم من المنافقين كما قال سبحانه فيما مضى «وَ آخِرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ» و قال الحسن و قتاده معناه خلفوا عن غزوه تبوك لما تخلفوا هم و أما

قراءه أهل البيت (عليه السلام) خالفوا فإنهم قالوا لو كانوا «خَلَفُوا» لما توجه عليهم العتب و لكنهم خالفوا «حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ» أى برحبها

و ما هاهنا مصدرية و معناه ضاقت عليهم الأرض مع اتساعها و هذه صفة من بلغ غايه الندم حتى كأنه لا يجد لنفسه مذهبا و ذلك بأن النبي أمر الناس بأن لا يجالسوهم و لا يكلموهم كما مر ذكره لأنه كان نزلت توبه الناس و لم تنزل توبتهم و لم يكن ذلك على معنى رد توبتهم لأنهم كانوا مأمورين بالتوبه و لا- يجوز فى الحكمة رد توبه من يتوب فى وقت التوبه و لكن الله سبحانه أراد بذلك تشديد المحنة عليهم فى تأخير إنزال توبتهم و أراد بذلك استصلاحهم و استصلاح غيرهم لئلا يعودوا إلى مثله «وَ ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ» هذه عباره عن المبالغه فى الغم حتى كأنهم لم يجدوا لأنفسهم موضعا يخفونها فيه و قيل معنى ضيق أنفسهم ضيق صدورهم بالهم الذى حصل فيها «وَ ظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ» أى و أيقنوا أنه لا يعصمهم من الله موضع يعتصمون به و يلجئون إليه غيره تعالى و معناه علموا أنه لا معتصم من الله إلا به و أن لا ينجيهم من عذاب الله إلا التوبه «ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيُتُوبُوا» أى ثم سهل الله عليهم التوبه حتى تابوا و قيل ليتوبوا أى ليعودوا إلى حالتهم الأولى قبل المعصيه و قيل معناه ثم تاب على الثالثه و أنزل توبتهم على نبيه ص ليتوب المؤمنون من ذنوبهم لعلمهم بأن الله سبحانه قابل التوبه قال الحسن أما و الله ما سفكوا من دم و لا- أخذوا من مال و لا قطعوا من رحم و لكن المسلمين تسارعوا فى الشخوص مع رسول الله ص و تخلف هؤلاء و كان أحدهم تخلف بسبب ضيعة له و الآخر لأهله و الآخر طلبا للراحه ثم ندموا و تابوا فقبل الله توبتهم «إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ» أى الكثير القبول للتوبه «الرَّحِيمُ» بعباده.

النظم

اتصلت الآيه الأولى بقوله «التَّائِبُونَ» الآيه أثنى الله سبحانه عليهم هناك و بين فى هذه الآيه قبول توبتهم و رضاه عنه باتباعهم للنبي ص فى ساعه العسره عن أبى مسلم و قيل إنه سبحانه لما ذكر أن له ملك السماوات و الأرض و لا ناصر لأحد دونه بين عقبيه رحمته بالمؤمنين و رأفته بهم فى قبول توبتهم.

ص: ١٢٢

اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩)

القراءه

فى مصحف عبد الله و قراءه ابن عباس

من الصادقين و روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام).

اللغه

الصادق هو القائل بالحق العامل به لأنه صفة مدح و لا يطلق إلا على من يستحق المدح على صدقه.

المعنى

ثم خاطب الله سبحانه المؤمنين المصدقين بالله المقربين بنبوه نبيه ص فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ» أى اتقوا معاصى الله و اجتنبوا «و كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» الذين يصدقون فى أخبارهم و لا يكذبون و معناه كونوا على مذهب من يستعمل الصدق فى أقواله و أفعاله و صاحبوهم و رافقوهم كقولك أنا مع فلان فى هذه المسأله أى اقتدى به فيها و قد وصف الله الصادقين فى سوره البقره بقوله «وَ لَكِنَّ الْجَبْرَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ إِلَى قَوْلِهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» فأمر سبحانه بالاعتداء بهؤلاء الصادقين المتقين و قيل المراد بالصادقين هم الذين ذكرهم الله فى كتابه و هو قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ يَعْنَى حَمَزَه بِن عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ يَعْنَى عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام) و روى الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس قال «كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» مع على و أصحابه و

روى جابر عن أبى جعفر (عليه السلام) فى قوله «و كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» قال مع آل محمد ص

و قيل مع النبيين و الصديقين فى الجنه بالعمل الصالح فى الدنيا عن الضحاك و قيل مع محمد ص و أصحابه عن نافع و قيل مع الذين صدقت نياتهم و استقامت قلوبهم و أعمالهم و خرجوا مع رسول الله ص و لم يتخلفوا عنه عن ابن عباس و قيل إن معنى مع هنا معنى من فكأنه أمر بالكون من جمله الصادقين و يعضده قراءه من قرأ من الصادقين و المعنيان متقاربان هنا لأن مع للمصاحبه و من للتبويض فإذا كان من جملتهم فهو معهم و بعضهم و قال ابن مسعود لا يصلح من الكذب جد و لا هزل و لا أن يعد أحدكم صبيه ثم لا ينجز له اقرءوا إن شئتم هذه الآيه هل ترون فى الكذب رخصه.

إشارة

مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِطُّوهُمْ ظَمًا وَلَا نَصَبًا وَلَا مَخْمَصَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَّوَّنَ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عِدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢٠) وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢١)

اللغة

الرجبة طلب المنفعة يقال رغب فيه إذا طلب المنفعة به و رغب عنه إذا طلب المنفعة بتركه و الظمأ شدة العطش و النصب التعب و مثله الوصب قال النابغة:

كلينى لهم يا أميمه ناصب و ليل أقاسيه بطى ء الكواكب

و المخمصة المجاعة و أصله ضمور البطن للمجاعة و رجل خميص البطن و امرأه خمصانه ضامره البطن و الموطأ الأرض و الغيظ انتقاض المطيع بما يرى مما يسوؤه يقال غاظه يغیظه.

المعنى

لما قص الله سبحانه قصه الذين تأخروا عن الخروج مع النبي ص إلى غزوه تبوك ثم اعتذارهم عن ذلك و توبتهم منه و أنه قبل توبه من ندم على ما كان منه لرأفته بهم و رحمته عليهم ذكر عقيب ذلك على وجه التوبيخ لهم و الإذراء على ما كانوا فعلوه فقال «ما كان لأهل المدينة و من حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله» ظاهره خبر و معناه نهى مثل قوله ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله أى ما كان يجوز و ما كان يحل لأهل مدينة الرسول و من حولهم من سكان البوادي أن يتخلفوا عنه فى غزاه تبوك و غيرها بغير عذر و قيل إنه مزينه و جهينه و أشجع و غفار و أسلم «و لا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ» أى ما كان يجوز لهم و لجميع المؤمنين أن يطلبوا نفع نفوسهم بتوقيتها دون نفسه و هذه فريضه ألزمهم الله إياها لحق رسول الله ص فيما دعاهم إليه من الهدى الذى اهدوا به و خرجوا من ظلمه الكفر

إلى نور الإيمان وقيل معناه ولا يرضوا لأنفسهم بالخفض والبدعة ورسول الله في الحر والمشقه يقال رغبت بنفسى عن هذا الأمر أى ترفعت عنه بل عليهم أن يجعلوا أنفسهم وقايه للنبي ص «ذَلِكَ» أى ذلك النهى لهم والزجر عن التخلف «بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ» أى عطش «وَلَا نَصَبٌ» أى ولا تعب فى أبدانهم «وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أى ولا مجاعه وهى شدة الجوع فى طاعه الله «وَلَا يَطَّوُّنَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ» أى لا يضعون أقدامهم موضعا يغضب الكفار وطؤهم إياه يعنى دار الحرب فإن الإنسان يغظه ويغضبه إن يظأ غيره موضعه «وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا» أى ولا يصيبون من المشركين أمرا من قتل أو جراحه أو مال أو أمر يغمهم ويغضبهم «إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ» و طاعه رفيه «إِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ» أى الذين يفعلون الأفعال الحسنه التى يستحق بها المدح والثواب وفى هذا تحريض على الجهاد وأعمال الخير «وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً» أى ولا ينفقون فى الجهاد ولا فى غيره من سبل الخير والمعروف نفقه قليله ولا كثيره يريدون بذلك إعزاز دين الله ونفع المسلمين والتقرب بذلك إلى الله تعالى «وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا» أى ولا يجاوزون واديا «إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ» ثواب ذلك «لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أى يكتب طاعاتهم ليجزيهم عليها بقدر استحقاقهم ويزيدهم من فضله حتى يصير الثواب أحسن وأكثر من عملهم وقيل إن الأحسن من صفه فعلهم لأن الأعمال على وجوه واجب و مندوب و مباح و إنما يجازى على الواجب و المندوب دون المباح فيقع الجزاء على أحسن الأعمال وقيل معناه ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون قال ابن عباس يرضيهم بالثواب و يدخلهم الجنة بغير حساب والآيتان تدلان على وجوب الجهاد مع رسول الله ص و حظر التخلف عنه و قد اختلف فى ذلك فقليل المراد بذلك جميع من دعاه النبي ص إلى الجهاد وهو الصحيح وقيل المراد به أهل المدينه و من حولها من الأعراب ثم اختلف فيه من وجه آخر فقليل إنه خاص فى النبي ص ليس لأحد أن يتخلف عنه فى الجهاد إلا لعذر فأما غيره من الأئمه فيجوز التخلف عنه عن قتاده وقيل إن ذلك لأول هذه الأمه و آخرها من المجاهدين فى سبيل الله عن الأوزاعى وابن المبارك وقيل إن هذا كان فى ابتداء الإسلام وفى أهله قله فأما الآن و قد كثر الإسلام و أهله فإنه منسوخ بقوله «وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً» الآيه عن ابن زيد وهذا هو الأقوى لأنه لا خلاف أن الجهاد من فروض الكفايات فلو لزم كل أحد لصار من فروض الأعيان.

إشارة

وَ مَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْ لَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَ لِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَ لِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٢٣) وَ إِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَ هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (١٢٤) وَ أَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَ مَاتُوا وَ هُمْ كَافِرُونَ (١٢٥)

اللغة

التفقه تعلم الفقه و الفقه العلم بالشىء و فى حديث سلمان أنه قال لامرأه فقته أى علمت و فهمت فأما فقته بضم القاف فمعناه صارت فقيهه و قد اختص فى العرف بعلم الأحكام الشرعيه فيقال لكل عالم بها فقيه و قيل الفقه فهم المعانى المستنبطه و لذلك لا يقال الله سبحانه فقيهه و الحذر تجنب الشىء بما فيه من المضره قال الزجاج يقال غلظه و غلظه و غلظه ثلاث لغات قال أبو الحسن قراءه الناس بالكسر و هى العرييه و المراد بالمرض فى الآيه الشك فإنه فساد فى القلب يحتاج إلى العلاج كما أن الفساد فى البدن يحتاج إلى مداواه و مرض القلب أعضل و علاجه أعسر و دواؤه أعز و أطباؤه أقل.

الإعراب

«فَلَوْ لَا نَفَرَ» بمعنى هلا- نفر و هى للتحضيض إذا دخلت على الفعل فإذا دخلت على الاسم فمعناها امتناع الشىء لأجل وجود غيره، «لِيَتَفَقَّهُوا» أى ليتفقه باقوهم لأنه إذا نفر طائفه منهم تفقه من بقى منهم و إن شئت فمعناه ليتفقه كلهم لأنه من نفر منهم إذا رجع استعلم من بقى فصار كلهم فقهاء «وَ هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ» جملة فى موضع الحال و كذلك قوله «وَ هُمْ كَافِرُونَ».

النزول

قيل كان رسول الله ص إذا خرج غازيا لم يتخلف عنه إلا- المنافقون و المعذرون فلما أنزل الله تعالى عيوب المنافقين و بين نفاقهم فى غزاه تبوك قال المؤمنون و الله لا نتخلف عن غزاه يغزوها رسول الله ص و لا سريه أبدا فلما أمر رسول الله ص بالسرايا

إلى الغزو نفر المسلمون جميعا و تركوا رسول الله ص وحده فأُنزل الله سبحانه «وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا» الآية عن ابن عباس فى روايه الكلبى و قيل إنها نزلت فى ناس من أصحاب رسول الله ص خرجوا فى البوادر فأصابوا من الناس معروفا و خصبا و دعوا من وجدوا من الناس على الهدى فقال الناس و ما نراكم إلا و قد تركتم صاحبكم و جئتمونا فوجدوا فى أنفسهم فى ذلك حرجا و أقبلوا كلهم من البادية حتى دخلوا على النبى ص فأُنزل الله عز و جل هذه الآية عن مجاهد.

المعنى

لما تقدم الترغيب فى الجهاد بأبلغ أسباب الترغيب و تأنيب من تخلف عنه بأبلغ أسباب التأنيب بين فى هذه الآية موضع الرخصة فى تأخر من تأخر عنه فقال سبحانه «وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً» و هذا نفى معناه النهى أى ليس للمؤمنين أن ينفروا و يخرجوا إلى الجهاد بأجمعهم و يتركوا النبى ص فريدا و حيدا و قيل معناه ليس عليهم أن ينفروا كلهم من بلادهم إلى النبى ص ليتعلموا الدين و يضيعوا ما وراءهم و يخلوا ديارهم عن الجبائى «فَلَوْ لَا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فى الدين» اختلف فى معناه على وجوه (أحدها) أن معناه فهلا خرج إلى الغزو من كل قبيلة جماعه و يبقى مع النبى ص جماعه ليتفقهوا فى الدين يعنى الفرقة القاعدية يتعلمون القرآن و السنن و الفرائض و الأحكام فإذا رجعت السرايا و قد نزل بعدهم قرآن و تعلمه القاعدون قالوا لهم إذا رجعوا إليهم أن الله قد أنزل بعدكم على نبيكم قرآنا و قد تعلمناه فتعلمه السرايا فذلك قوله «وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ» أى و ليعلموهم القرآن و يخوفوهم به إذا رجعوا إليهم «لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ» فلا يعلمون بخلافه عن ابن عباس فى روايه الوالى و قتاده و الضحاك و

قال الباقى (عليه السلام) كان هذا حين كثر الناس فأمرهم الله أن تنفر منهم طائفه و تقيم طائفه للتفقه و أن يكون الغزو نوبا

(و ثانيها) أن التفقه و الإنذار يرجعان إلى الفرقة النافره و حثها الله تعالى على التفقه لترجع إلى المتخلفه فتحذرهما و معنى «لِيَتَفَقَّهُوا فى الدين» ليتبصروا و يتيقنوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين و نصره الدين و لينذروا قومهم من الكفار إذا رجعوا إليهم من الجهاد فيخبروهم بنصر الله النبى و المؤمنين و يخبروهم أنهم لا يدان لهم بقتال النبى و المؤمنين لعلمهم يحذرون أن يقاتلوا النبى ص فينزل بهم ما نزل بأصحابهم من الكفار عن الحسن و أبى مسلم قال أبو مسلم اجتمع للنافره ثواب الجهاد و التفقه فى الدين و إنذار قومهم (و ثالثها) أن التفقه راجع إلى النافره و التقدير ما كان لجميع المؤمنين أن ينفروا إلى النبى ص و يخلوا ديارهم و لكن لينفر إليه من كل ناحيه طائفه لتسمع كلامه و تتعلم الدين منه ثم ترجع إلى قومها فتبين لهم ذلك و تذرهم عن الجبائى قال و المراد بالنفر هنا الخروج لطلب العلم و إنما سمي

ذلك نفرا لما فيه من مجاهدته أعداء الدين قال القاضي أبو عاصم و في هذا دليل على اختصاص الغربه بالتفقه و أن الإنسان يتفقه في الغربه ما لا- يمكنه ذلك في الوطن ثم بين سبحانه ما يجب تقديمه فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ» أى قاتلوا من قرب منكم من الكفار الأقرب منهم فالأقرب في النسب و الدار و قال الحسن كان هذا قبل الأمر بقتال المشركين كافة و قال غيره هذا الحكم قائم الآن لأنه لا ينبغي لأهل كل بلد أن يخرجوا إلى قتال الأبعد و يدعوا الأقرب و الأدنى لأن ذلك يؤدي إلى الضرر و ربما يمنعهم ذلك عن المضى في وجهتهم إلا- أن يكون بينهم و بين الأقرب مواعده فلا بأس حينئذ بمجاوزه الأقرب إلى الأبعد على ما يراه المتولى لأمر المسلمين و لو قال سبحانه قاتلوا الأبعد فالأبعد لكان لا يصح لأنه لا حد للأبعد يبتدئ منه كما للأقرب و في هذا دلالة على أنه يجب على أهل كل ثغر الدفاع عن أنفسهم إذا خافوا على بيضه الإسلام و إن لم يكن هناك إمام عادل و قال ابن عباس أمروا أن يقاتلوا الأدنى فالأدنى من عدوهم مثل قريظه و النضير و خيبر و فدك و قال ابن عمر أنهم الروم لأنهم سكان الشام و الشام أقرب إلى المدينه من العراق و كان الحسن إذا سئل عن قتال الروم و الترك و الديلم تلا هذه الآيه «وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً» أى شجاعه عن ابن عباس و قيل شده عن مجاهد و قيل صبورا على الجهاد عن الحسن و المعنى و ليحسوا منكم بضد اللين و خلاف الرقه و هو العنف و الشده ليكون زجرا لهم «وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ» عن الشرك أى معينهم و ناصرهم و من كان الله ناصرهم لم يغلبه أحد فأما إذا نصره سبحانه بالحجه فإنه يجوز أن يغلب بالحرب لضرب من المحنه و شده التكليف ثم عاد الكلام إلى ذكر المنافقين فقال سبحانه «وَأِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً» فى القرآن «فَمِنْهُمْ» أى من المنافقين «مَنْ يَقُولُ» على وجه الإنكار أى يقول بعضهم لبعض «أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ» السوره «إِيمَانًا» و قيل معناه يقول المنافقون للمؤمنين الذين فى إيمانهم ضعف أيكم زادته هذه السوره إيمانا أى يقينا و بصيره «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا» معناه فأما المؤمنون المخلصون فزادتهم تصديقا بالفرائض مع إيمانهم بالله عن ابن عباس و وجه زياده الإيمان أنهم كانوا مؤمنين بما قد نزل من قبل و آمنوا بما أنزل الآن «وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ» أى يسرون و يبشر بعضهم بعضا قد تهللت وجوههم و فرحوا بنزولها «وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» أى شك و نفاق «فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ» أى نفاقا و كفرا إلى نفاقهم و كفرهم لأنهم يشكون فى هذه السوره كما شكوا فيما تقدمها من السوره فذلك هو الزيادة و سمي الكفر رجسا على وجه الظم له و أنه يجب تجنبه كما يجب تجنب الأرجاس و أضاف الزيادة إلى السوره لأنهم يزدادون عندها رجسا و مثله كفى بالسلامه داء و قول الشاعر:

" و حسبك داء أن تصح و تسلم "

«وَأَمَّا تَوَاتُوا»

ص: ١٢٨

وَهُمْ كَافِرُونَ» أَى و أءاهم شكهم فيما أنزل الله تعالى من السور إلى أن ماتوا على كفرهم و أبوا شر مآب.

[سوره التوبه (٩): الآيات ١٢٦ الى ١٢٩]

إشارة

أ و لا- يَرُونَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ (١٢٦) وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٢٧) لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ (١٢٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩)

القراءة

قرأ أ و لا- ترون بالتاء حمزه و يعقوب و هى قراءة أبى و القراءة المشهوره «مِنْ أَنْفُسِكُمْ» بضم الفاء و قرأ ابن عباس و ابن عليه و ابن محيصن و الزهرى

من أنفسكم بفتح الفاء و قيل إنها قراءة فاطمه (عليه السلام).

الحج

من قرأ بالتاء فهو خطاب للمؤمنين و من قرأ بالياء فهو تفریح للمنافقين بالإعراض عما يجب أن لا يعرضوا عنه من التوبه و الإقلاع عما هم عليه من النفاق و من قرأ من أنفسكم بفتح الفاء فمعناه من أشرفكم و من خياركم يقال هذا أنفوس المتاع أى أجوده و خياره و اشتقاقه من النفس و هى أشرف ما فى الإنسان.

اللغة

العزیز الشديد و العزیز فى صفات الله تعالى معناه المنیع القادر الذى لا يتعذر عليه فعل ما يريد و العزه امتناع الشىء بما يتعذر معه ما يحاول منه و هو على ثلاثه أوجه امتناع الشىء بالقدره أو بالقله أو بالصعوبه و العنت لقاء الشده و الأذى الذى يضيق به الصدر و عنت الدابه يعنت عنتا إذا حدث فى قوائمه كسر بعد جبر لا يمكنه معه الجرى فكأنه شق عليه الجرى و أكمه عنوت شاقه المصعد و حسبى الله أى كافى الله و هو من الحساب لأنه

تعالى يعطى بحسب الكفاية التى تغنى عن غيره و يزيد من نعمه ما لا يبلغ إلى حد و نهايه إذ نعمه دائمه و مننه متواتره متظاهره و التوكل تفويض الأمر إلى الله على الثقة بحسن تدبيره و كفايته.

الإعراب

«أَوْ لَا- يَرَوْنَ» الواو للعطف دخلت عليها همزه الاستفهام و يحتمل الرؤيه أن تكون المتعديه إلى مفعولين و أن تكون من رؤيه العين فإذا كانت المتعديه إلى المفعولين يسدان مسدهما و إن كانت من رؤيه العين يكون أبلغ «مَا عَسَيْتُمْ» ما مصدرية و تقديره عزيز عليه عنكم فهو فى موضع رفع بعزیز و قوله «لَا- إِلَهَ إِلَّا هُوَ» جملة فى موضع الحال و تقديره حسبى الله مستحقاً لإخلاص العباده و الإقرار بالوحدانية و جر القراء كلهم العظيم على أنه صفة العرش و لو قرئ بالرفع على أن يكون صفة لرب العرش لجاز.

المعنى

ثم نبه سبحانه على إعراض المنافقين عن النظر و التدبر لما ينبغى أن ينظروا و يتدبروا فيه فقال «أَوْ لَا يَرَوْنَ» أى أ و لا يعلم هؤلاء المنافقون و قيل معناه أ و لا- يبصرون «أَنَّهُمْ يُفْتِنُونَ» أى يمتحنون «فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ» أى دفعه أو دفعتين بالأمراض و الأوجاع و هو رائد الموت «ثُمَّ لَا- يَتُوبُونَ» أى لا- يرجعون عن كفرهم «وَلَا هُمْ يَدَّكُرُونَ» أى لا يتذكرون نعم الله عليهم و قيل يمتحنون بالجهاد مع رسول الله ص و ما يرون من نصره الله رسوله و ما ينال أعداؤه من القتل و السبى عن ابن عباس و الحسن و قيل بالقحط و الجوع عن مجاهد و قيل بهتك أستارهم و ما يظهر من خبث سرائرهم عن مقاتل و قيل بالبلاء و الجلاء و منع القطر و ذهاب الثمار عن الضحاك «وَ إِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةً نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ» معناه و إذا أنزلت سورة من القرآن و هم حضور عند النبى ص كرهوا ما يسمعون و نظر بعضهم إلى بعض نظراً يؤمنون به «هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ» وإنما يفعلون ذلك لأنهم منافقون يحذرون أن يعلم بهم فكأنهم يقول بعضهم لبعض «هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ» ثم يقومون فينصرفون و إنما يفعلون ذلك مخافة أن تنزل آية تفضحهم و كانوا لا يقولون ذلك بألسنتهم و لكن ينظرون نظر من يقول لغيره ذلك القول فكأنه يقول ذلك و قيل معناه أن المنافقين كان ينظر بعضهم إلى بعض نظر تعنت و طعن فى القرآن ثم يقولون هل يرانا أحد من المسلمين فإذا تحقق لهم أنه لا يراهم أحد من المسلمين بالغوا فيه و إن علموا أنهم يراهم واحد منهم كفوا عنه «ثُمَّ انصَرَفُوا» أى انصرفوا عن المجلس و قيل انصرفوا عن الإيمان به «صَيَّرَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ» عن الفوائد التى يستفيدها المؤمنون و السرور بها و حرموا الاستبشار بتلك الحال و قيل معناه صرف الله قلوبهم عن رحمته و ثوابه عقوبه لهم على انصرفهم عن الإيمان بالقرآن و عن مجلس

النبى ص و قيل إنه على وجه الدعاء عليهم أى خذلهم الله باستحقاقهم ذلك و دعاء الله على عباده وعيد لهم و إخبار بلحاق العذاب بهم عن أبى مسلم «بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ» أى ذلك بسبب أنهم لا يفقهون مراد الله بخطابه لأنهم لا ينظرون فيه ثم خاطب الله سبحانه جميع الخلق و أكد خطابه بالقسم فقال «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ» عنى بالرسول محمدا ص أى جاءكم رسول من جنسكم من البشر ثم من العرب ثم من بنى إسماعيل عن السدى و قيل إن الخطاب للعرب و ليس فى العرب قبيله إلا و قد ولدت النبى ص و له فيهم نسب عن ابن عباس و قيل معناه

أنه من نكاح لم يصبه شىء من ولاده الجاهليه عن الصادق (عليه السلام)

و روى ابن عباس عن النبى ص أنه قال ما ولدنى من سفاح أهل الجاهليه شىء ما ولدنى إلا نكاح كنيكاح الإسلام

و إنما من الله عليهم بكونه منهم لأنهم عرفوا مولده و منشأه و شاهدوه صغيرا و كبيرا و عرفوا حاله فى صدقه و أمانته و لم يعثروا على شىء يوجب نقضا فيه فبالحرى أن يكونوا أقرب إلى القبول منه و الانقياد له «عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ» معناه شديد عليه عنتكم أى ما يلحقكم من الضرر بترك الإيمان و قيل معناه شديد عليه ما أتمتم عن الكلبى و الضحاك و قيل ما أعتكم و ضرکم عن القتيبى و قيل ما هلكتم عليه عن ابن الأنبارى «حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ» معناه حريص على من لم يؤمن أن يؤمن عن الحسن و قتاده «بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ» قيل هما واحد و الرأفة شدة الرحمه و قيل رءوف بالمطيعين منهم رحيم بالمذنبين و قيل رءوف بأقربائه رحيم بأوليائه رءوف لمن رآه رحيم بمن لم يره و قال بعض السلف لم يجمع الله سبحانه لأحد من الأنبياء بين اسمين من أسمائه إلا- للنبى ص فإنه قال «بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ» و قال «إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرؤُفٌ رَحِيمٌ» «فَإِنْ تَوَلَّوْا» أى ذهبوا عن الحق و اتباع الرسول و ما يأمرهم به و أعرضوا عن قبوله و قيل معناه فإن تولوا عنك و عن الإقرار بنبوته «فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ» أى كفى الله فإنه القادر على كل شىء «إِلَّا إِلَهًا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ» و به وثقت و عليه اعتمدت و أمورى إليه فوضت «وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» خص العرش بالذكر تفخيما لشأنه و لأنه إذا كان رب العرش مع عظمه كان رب ما دونه فى العظم و قيل إن العرش عباره عن الملك و السلطان فمعناه رب الملك العظيم فى السماوات و الأرض عن أبى مسلم و قيل إن هذه الآيه آخر آيه نزلت من السماء و آخر سورة كامله نزلت سورة براءه و قال قتاده آخر القرآن عهدا بالسماء هاتان الآيتان خاتمه براءه.

اشاره

[توضيح]

هي مكيه في قول الأ-كثيرين و روى عن ابن عباس و قتاده إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينه «فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ» إلى آخرهن و قال ابن المبارك ألا «وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ» الآية فإنها نزلت في اليهود بالمدينه.

عدد آياتها

مائه و تسع آيات عند الجميع غير الشامي فإنه يقول و عشر آيات

اختلافها

ثلاث آيات «مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» و «شِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ» شامي «مِنَ الشَّاكِرِينَ» غير الشامي

فضلها

أبي بن كعب عن النبي ص قال من قرأها أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس و كذب به و بعدد من غرق مع فرعون

و

روى عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ سورة يونس في كل شهرين أو ثلاثه لم يخف عليه أن يكون من الجاهلين كان يوم القيامة من المقربين

تفسيرها

لما ختم الله سورة البراءه بذكر الرسول افتتح هذه السوره بذكره و ما أنزل عليه من القرآن فقال

ص: ١٣٢

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (١) أ كَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ (٢)

القراءة

قرأ الرب بإماله الراء أبو عمرو و أهل الكوفه غير عاصم إلا يحيى وقرأ الباقون بالتفخيم وقرأ لَسَاحِرٌ بالألف ابن كثير و أهل الكوفه وقرأ الباقون «لسحر» بكسر السين و بغير ألف.

الحجّه

قال أبو على من أمال فقال رأيا فلأنها أسماء لما تلفظ بها من الأصوات المنقطعه في مخارج الحروف كما أن غاق اسم للصوت الذى يصوته الغراب فجازت الإمالة فيها من حيث كانت اسما و لم تكن كالحروف التى يمتنع فيها الإمالة نحو ما و لا و ما أشبههما من الحروف فإن قلت إن الأسماء لا تكون على حرفين أحدهما حرف لين و إنما يكون على هذه الصفة الحروف نحو ما و لا فالقول إن هذه الأسماء لا يمتنع أن تكون على حرفين أحدهما حرف لين لأن التنوين لا يلحقها فيؤمن لامتناع التنوين من اللحاق لها أن تبقى على حرف واحد فإذا أمن ذلك لم يمتنع أن يكون الاسم على حرفين أحدهما حرف لين ألا ترى أنهم قد قالوا هذا شاه ف جاء على حرفين أحدهما حرف لين لما أمن لحاق التنوين له لاتصال علامه التانيث به و كذلك قولك رأيت رجلا ذا مال لاتصال المضاف إليه به و كذلك قولهم كسرت فأزيد قال و يدل على قول من قال «لسحر» قوله سبحانه قالوا هذا سِحْرٌ و إِنَّا بِهِ كَافِرُونَ و يدل على ساحر قوله و قَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ و قد تقدم قوله «أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ» فمن قرأ ساحر أراد الرجل و من قرأ سحر أراد الذى أوحى سحر.

اللغه

الآية العلامة التى تنبئ عن مقطع الكلام من جهه مخصوصه و القرآن مفصل بالآيات مضمن بالحكم النافيه للشبهات و الحكيم هاهنا بمعنى المحكم فعيل بمعنى مفعول قال الأعشى:

و غريبه تأتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها

و أنشد أبو عبيده لأبي ذؤيب:

يواعدنى عكاظ لئنزلنه و لم يشعر إذا أنى خليف

أى مخلف من أخلفته الوعد و قيل هو بمعنى الحاكم و دليله قوله لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ قال الأزهري القدم الشىء الذى تقدمه قدامك ليكون عده لك حتى تقدم عليه و قيل القدم المقدم كالنقض و القبض قال ابن الأعرابي القدم المتقدم فى الشرف و قال العجاج:

ذل بنو العوام عن آل الحكم و تركوا الملك لملك ذى قدم

و قال الأزهري فلان يمشى اليقدميه و التقدميه إذا تقدم فى الشرف و قال أبو عبيده و الكسائى كل سابق فى خير أو شر فهو عند العرب قدم و يقال الفلان قدم فى الإسلام و هو مؤنث يقال قدم حسنه قال حسان:

لنا القدم العليا إليك و خلفنا لأولنا فى طاعه الله تابع

و قال ذو الرمه:

لكم قدم لا ينكر الناس أنها مع الحسب العادى طمت على البحر

الإعراب

أضيفت آيات إلى الكتاب لأنها أبعاض الكتاب كما أن سوره أبعاضه و «أَنْ أَوْحَيْنَا» فى موضع رفع بأنه اسم كان و عجا خبره و اللام فى قوله «لِلنَّاسِ» يتعلق بمحذوف كان صفه لعجب فلما تقدم صار حالا كقوله:

"لعزه موحشا طلل قديم"

و إن شئت كان ظرفا لكان و «أَنْ أُنذِرِ» فى موضع نصب تقديره أوحينا بأن أنذر فحذف الجار فوصل الفعل و «أَنْ لَّهُمْ قَدَمٌ صِدْقٌ» كذلك موضعه نصب بقوله «وَبَشِّرِ» و لو قرئ إن لهم بالكسر لكان جائزا لأن البشاره فى معنى القول إلا أنه لم يقرأ به و أضيف قدم إلى صدق كما يقال مسجد الجامع.

المعنى

قد مضى الكلام فى معانى الحروف المعجمه المذكوره فى أوائل السور من قبل «تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ» معناه أن الآيات التى جرى ذكرها أو الآيات التى أنزلت على محمد ص هى آيات القرآن المحكم من الباطل الممنوع من الفساد لا كذب فيه

ولا اختلاف وقيل تلك أى هذه السور آيات الكتاب الحكيم أى اللوح المحفوظ و سماه محكما لأنه ناطق بالحكمه وقيل لأنه جمع العلوم والحكمه وقيل إنما وصف الكتاب بالحكيم لأنه دليل على الحق كالناطق بالحكمه ولأنه يؤدى إلى المعرفه التى تميز بها طريق الهلاك من طريق النجاه «أَ كَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ» هذه ألف استفهام المراد به الإنكار وقيل إن المراد بالناس هنا أهل مكه قالوا نعجب أن الله سبحانه لم يجد رسولا يرسله إلى الناس إلا يتييم أبى طالب و التقدير أ كان إبحاؤنا إلى رجل من الناس بأن يندرهم عجبا و معناه لما ذا تعجبون أن أوحينا إلى رجل منهم و ليس هذا موضع التعجب بل هو الذى كان يجب فعله عند كل العقلاء فإن الله تعالى لما أكمل لعباده عقولهم و كلفهم معرفته و أداء شكره و علم أنهم لا يصلحون و لا يقومون بذلك الإبداع يدعوهم إليه و منبه ينيهم عليه و جب فى الحكمه أن يفعل ذلك ثم بين سبحانه الوجه الذى لأجله بعث و ما الذى أوحى إليه فقال «أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ» أى أخبرهم بالعذاب و خوفهم به «وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ» أى عرفهم ما فيه الشرف و الخلود فى نعيم الجنه على وجه الإكرام و الإجلال لصالح الأعمال وقيل «أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ» أى أجرا حسنا و منزله رفيعه بما قدموا من أعمالهم عن ابن عباس و روى عنه أيضا أن المعنى سبقت لهم السعاده فى الذكر الأول و يؤيده قوله إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُونَ و قيل هو تقديم الله تعالى إياهم فى البعث يوم القيامه بيانه

قوله (عليه السلام) نحن الآخرون السابقون يوم القيامه

وقيل أن القدم اسم للحسنى من العبد و اليد اسم للحسنى من السيد للفرق بين السيد و العبد وقيل

إن معنى قدم صدق شفاعه محمد ص لهم يوم القيامه عن أبى سعيد الخدرى و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

«قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ» يعنون النبى أى قالوا هذا ساحر مظهر للسحر و ما أتى به سحر بين على اختلاف القراءتين و السحر فعل يخفى وجه الحيله فيه حتى يتوهم أنه معجز و هذا يدل على عجزهم عن معارضه القرآن و لذلك عدلوا إلى وصفه بالسحر.

اشاره

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣) إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعِدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٤)

القراءة

قرأ أبو جعفر المدني أنه يبدأ بفتح الهمزة و هو قراءه الأعمش و الباقون بكسرها.

الحجج

من قرأ أنه فتقديره وعد الله حقا لأنه يبدأ الخلق ثم يعيده أى من قدر على هذا الأمر العظيم فإنه غنى عن إخلاف الوعد و إن شئت كان تقديره وعد الله وعدا حقا إنه يبدأ الخلق فيكون فى محل النصب بالفعل الناصب لقوله وعدا قال ابن جنى و لا يجوز أن يكون إن منصوبه الموضع بنفس وعدا لأنه قد وصف بقوله «حَقًّا» و الصفه إذا جرت على موصوفها أذنت بتمامه و انقضاء أجزائه و لا يكون تاما إذا كان ما بعد الصفه من صلته فأما قول الحطيئة:

أزمت ياسا مبينا من نوالكم و لن ترى طاردا للحر كاليأس

فإن قوله من نوالكم ليس من صله يأس بل يتعلق بفعل يدل عليه قوله ياسا مبينا فكأنه قال فيما بعد يئست من نوالكم و قال الفراء من فتح جعله مفعول حقا كما فى قول الشاعر:

أ حقا عباد الله أن لست زائرا بشينه أو يلقى الثريا رقييها

اللغة

القسط العدل و منه القسط النصيب و القسط بفتح القاف الجور و القسط بفتح القاف و السين اعوجاج فى الرجلين و الحميم الماء الذى أسخن بالنار أشد إسخان قال المرقش الأصغر:

فى كل يوم لها مقطره فيها كباء معد و حميم

جميعاً نصب على الحال «وَعَدَ اللَّهُ» منصوب على المصدر لأن قوله «إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ» معناه الوعد بالرجوع وحقاً منصوب على أحق ذلك حقاً عن الزجاج و أضيف المصدر في قوله «وَعَدَ اللَّهُ» إلى الفاعل لما لم يذكر الفعل كما في قول كعب بن زهير:

تسعى الوشاه جنابها و قيلهم إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول

أى و يقولون قيلهم.

المعنى

«إِنَّ رَبُّكُمْ» أى خالقكم و منشئكم و مالك تدبيركم و تصريفكم من أمره و نهيهِ و الذى يجب عليكم عبادته «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ» أى اخترعهما و أنشأهما على ما فيهما من عجائب الصنعه و بدائع الحكمة «فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ» بلا زياده و نقصان مع قدرته على إنشائهما دفعه واحده و الوجه فيه أن فى ذلك مصلحه للملائكة و عبره لهم و لغيرهم إذا أخبروا عن ذلك و كذلك تصريف الإنسان حالاً بعد حال و إخراج الثمار و الأزهار شيئاً بعد شىء مع قدرته على ذلك فى أقل من لمح البصر لأن ذلك أبعد من توهم الاتفاق فيه «ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ» مر تفسيره فى سورة الأعراف و قيل إن العرش المذكور هنا هو السماوات و الأرض لأنهن من بنائه و العرش البناء و أما العرش المعظم الذى تعبد الله سبحانه الملائكة بالحفوف به و الإعظام له و عناء بقوله الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ فهو غير هذا و قيل إن ثم هنا بمعنى الواو و قيل إن ثم دخل على التدبير و تقديره أى ثم استوى عليه بإنشاء التدبير من جهته كما يستوى الملك على سرير ملكه بالاستيلاء على تدبيره فإن تدبير الأمور كلها ينزل من عند العرش و لهذا ترفع الأيدي فى دعاء الحوائج نحو العرش «يُدَبِّرُ الْأُمْرَ» أى يقدر و ينفذه على وجهه و يرتبه على مراتبه على أحكام عواقبه و هو مأخوذ من الدبور «مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ» إنما قال هذا و إن لم يجر ذكر للشفعاء لأن الكفار كانوا يقولون الأصنام شفعاؤنا عند الله فبين سبحانه أن الشفيع إنما يشفع عنده إذا أذن له فى الشفاعه و إذا كانت الأصنام لا تعقل فكيف تكون شافعه مع أنه لا يشفع عنده أحد من الملائكة و النبيين إلا بإذنه و أمره «ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ» أى إن الموصوف بهذه الصفات هو إلهكم «فَاعْبُدُوهُ» وحده لأنه لا إله لكم سواه و لا يستحق هذه الصفات غيره و لا تعبدوا الأصنام «أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» حثهم سبحانه على التذكر و التفكير فيما أخبرهم به و على تعرف صحته «إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً» المرجع يحتمل معنيين (أحدهما) أن يكونا بمعنى المصدر الذى هو الرجوع

(و الآخر) أن يكون بمعنى موضع الرجوع أى إليه موضع رجوعكم يكون إذا شاء «وَعِيدَ اللَّهِ حَقًّا» أى وعد الله تعالى ذلك عباده وعدا حقا صدقا «إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ» أى يبتدئ الخلق ابتداء ثم يعيدهم بعد موتهم «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» أى ليؤتيهم جزاء أعمالهم «بِالْقِسْطِ» أى بالعدل لا ينقص من أجورهم شيئا «وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ» أى ماء حار قد انتهى حره فى النار «وَعَذَابٌ أَلِيمٌ» و جميع «بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ» أى جزاء على كفرهم.

النظم

وجه اتصال هذه الآيه بما قبلها أنه قال أ كَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا قَالُوا و كيف لا نعجب و لا علم لنا بالمرسل فقال «إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ» و يجوز أن يكون على أنه لما قال أ كَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا و كان هذا حكما على الله سبحانه فكأنه قال أ فتحكمون عليه و هو ربكم قال الأ-صم و يحتمل أن يكون هذا ابتداء خطاب للخلق جميعا احتج الله بها على عباده بما بين من بدائع صنعه فى السماوات و الأرض و فى أنفسهم.

[سوره يونس (١٠): الآيات ٥ الى ٦]

إشارة

هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَ الْقَمَرَ نُورًا وَ قَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥) إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ (٦)

القرءاء

قرأ أهل البصره و ابن كثير و حفص و العجلى «يُفَصِّلُ» بالياء و الباقون نفضل بالنون.

الحججه

من قرأ بالياء فلأنه تقدم ذكر الله سبحانه فأضمره فى الفعل و من قرأ بالنون فمثل قوله تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا

اللغه

الجعل إيجاد ما به يكون الشىء على صفة لم يكن عليها و الضياء يجوز أن يكون جمع ضوء كسوط و سياط و حوض و حياض و يجوز أن يكون مصدر ضاء يضاء ضياء

ص: ١٣٨

و ضوءا مثل عاذ يعوذ عيادا و عودا و قام يقوم قياما و على أى الوجهين كان فالمضاف محذوف و تقديره جعل الشمس ذات ضياء و القمر ذا نور و يكون جعل النور و الضياء لكثرة ذلك فيهما و الاختلاف ذهاب كل واحد من الشئين في غير جهة الآخر فاختلف الليل و النهار ذهاب أحدهما في جهة الضياء و الآخر في جهة الظلام و الليل عباره عن وقت غروب الشمس إلى طلوع الفجر الثانى و ليله مثل تمر و تمره و النهار عباره عن اتساع الضياء من طلوع الفجر الثانى إلى غروب الشمس و النهار اليوم بمعنى واحد إلا أن فى النهار فائده اتساع الضياء.

المعنى

ثم زاد سبحانه فى الاحتجاج للتوحيد فقال «هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً» بالنهار «وَ الْقَمَرَ نُورًا» بالليل و الضياء أبلغ فى كشف الظلمات من النور و فيه صفة زائده على النور «وَ قَدَرَهُ مَنَازِلَ» أى و قدر القمر منازل معلومه «لِتَعْلَمُوا» به و بمنازله «عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسَابِ» و أول الشهر و آخره و انقضاء كل سنه و كميتها و جعل الشمس و القمر آيتين من آيات الله تعالى و فيهما أعظم الدلالات على وحدانيته تعالى من وجوه كثيره منها خلقها و خلق الضياء و النور فيهما و دورانهما و قربهما و بعدهما و مشارقهما و مغاربهما و كسوفهما و فى بث الشمس الشعاع فى العالم و تأثيرها فى الحر و البرد و إخراج النبات و طبخ الثمار و فى تمام القمر وسط الشهر و نقصانه فى الطرفين لىتميز أول الشهر و آخره من الوسط كل واحد من ذلك نعمه عظيمه من الله سبحانه على خلقه و لذلك قال «مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ» لأن فى ذلك منافع للخلق فى دينهم و دنياهم و دلائل على وحدانيه الله و قدرته و كونه عالما لم يزل و لا- يزال «يُفَصِّلُ الْآيَاتِ» أى يشرحها و بينها آيه آيه «لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» فيعطون كل آيه حظها من التأمل و التدبر و قيل إن المعنى فى قوله «وَ قَدَرَهُ مَنَازِلَ» الثنيه أى قدر الشمس و القمر منازل غير أنه وحده للإيجاز اكتفاء بالمعلوم كما مر ذكر أمثاله فيما تقدم و كما فى قول الشاعر:

رمانى بأمر كنت منه و والدى بريئا و من جول الطوى رمانى

فإن الشمس تقطع المنازل فى كل سنه و القمر يقطعها فى كل شهر فإنما يتم الحساب و تعلم الشهور و السنون و الشتاء و الصيف بمقاديرهما و مجاريهما فى تدويرهما «إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى فعله فيهما على ما يقتضيه الحكمة فى السماوات من الأفلاك و الكواكب السيارة و غير السيارة و فى الأرض من الحيوان و النبات و الجماد و أنواع الأرزاق و النعم «لآيَاتٍ» أى حججا و دلالات على وحدانيه الله

«لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ» معاصى الله و يخافون عقابه و خصهم بالذكر لاختصاصهم بالانتفاع بها.

[سوره يونس (١٠): الآيات ٧ الى ١٠]

اشاره

إِنَّ الَّذِينَ لَا- يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَ رَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ اطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (٧) أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٩) دَعَاؤُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَ آخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠)

القراءة

فى الشواذ قراءة ابن محيصن و يعقوب أن الحمد لله.

الحجة

و هذه القراءة تدل على أن قراءة الجماعة «أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ» إنما هو على أن أن مخففه من الثقيله كما فى قوله:

فى فتيه كسيوف الهند قد علموا أن هالك كل من يحفى و ينتعل

فيكون على تقدير أنه الحمد لله و لا يجوز أن تكون أن هنا زائده كما زيدت فى قوله:

و يوما توفينا بوجه مقسم كان ظبيه تعطو إلى وارق السلم

أى كظبيه.

اللغة

الغفله و السهو من النظائر و هو ذهاب المعنى عن النفس و نقيضه اليقظه

ص: ١٤٠

و الدعوى قول يدعى به إلى أمر و التحية التكرمه بالحال الجليله و لذلك يسمون الملك التحيه قال:

(من كل ما نال الفتى قد نلتها إلا التحيه)

و هو مأخوذ من قولهم أحياءك الله حياه طيبه.

المعنى

ثم إنه سبحانه أوعد الغافلين عن الأدله المتقدمه المكذبين بالمعاد فقال «إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا» أى لقاء جزائنا و معناه لا يطمعون فى ثوابنا و أضافه إلى نفسه تعظيما له و يحتمل أن يكون المعنى لا يخافون عقابنا كما يكون الرجاء بمعنى الخوف كما فى قول الهذلى:

إذا لسعت النحل لم يرج لسعها و خالفها فى بيت نوب عواسل

جعل سبحانه ملاقاته ما لا- يقدر عليه إلا- هو ملاقاته له كما جعل إتيان ملائكته إتيانا له فى قوله هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ تَفْخِيمًا لِلْأَمْرِ «وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا» أى متعوا بها و اختاروها فلا يعملون إلا لها و لا يجتهدون إلا لأجلها مع سرعه فنائها و لا يرجون ما وراءها «وَأَطَاعُوا نَوَا بِهَا» أى و سكنوا إلى الدنيا بأنفسهم و ركنا إليها بقلوبهم «وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ» أى ذاهبون عن تأملها فلا يعتبرون بها «أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ» أى مستقرهم النار «بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» من المعاصى ثم وعد سبحانه المؤمنين بعد ما أوعد الكافرين فقال «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا بالله و رسله «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» أى و أضافوا إلى ذلك الأعمال الصالحه «يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ» إلى الجنه «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ» أى تجرى بين أيديهم الأنهار و هم يرونها من علو كما قال سبحانه قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا و معلوم أنه لم يجعل السرى الذى هو الجدول تحتها و هى قاعده عليه و إنما أراد أنه جعله بين يديها و قيل معناه من تحت بساتينهم و أسرتهم و قصورهم عن الجبائى و قوله «بِإِيمَانِهِمْ» يعنى به جزاء على إيمانهم «دَعَاؤُهُمْ فِيهَا» أى دعاء المؤمنين فى الجنه و ذكرهم فيها أن يقولوا «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ» يقولون ذلك لا على وجه العباده لأنه ليس هناك تكليف بل يلتذون بالتسييح و قيل إنهم إذا مر بهم الطير فى الهواء يشتهونه قالوا سبحانك اللهم فيأتيهم الطير فيقع مشويا بين أيديهم و إذا قضاوا منه الشهوه قالوا الحمد لله رب العالمين فيطير الطير حيا كما كان فيكون مفتوح كلامهم فى كل شىء التسييح و مختتم كلامهم التحميد فيكون

التسييح فى الجنة بدل التسميه فى الدنيا عن ابن جريج «وَ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ» أى تحيتهم من الله سبحانه فى الجنة سلام و قيل معناه تحيه بعضهم لبعض فيها أو تحيه الملائكه لهم فيها سلام يقولون سلام عليك أى سلمتم من الآفات و المكاره التى ابتلى بها أهل النار و قد ذكرنا معنى قوله «وَ آخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» و ليس المراد أن ذلك يكون آخر كلامهم حتى لا يتكلموا بعده بشىء بل المراد أنهم يجعلون هذا آخر كلامهم فى كل ما ذكروه عن الحسن و الجبائى.

[سوره يونس (١٠): الآيات ١١ الى ١٢]

اشاره

وَ لَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١) وَ إِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢)

القراءه

قرأ ابن عامر و يعقوب لقضى بفتح القاف أجلهم منصوب و الباكون «لَقُضِيَ» على ما لم يسم فاعله «أَجْلُهُمْ» بالرفع.

الحججه

قال أبو على اللام فى قوله «لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ» جواب لو فى قوله «وَ لَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ» و المعنى و الله أعلم و لو يعجل الله للناس دعاء الشر أى ما يدعون به من الشر على أنفسهم فى حال ضجر أو بطر استعجاله إياهم بدعاء الخير فأضاف المصدر إلى المفعول فحذف الفاعل كقوله تعالى لا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ فى حذف ضمير الفاعل و التقدير و لو يعجل الله للناس الشر استعجالا مثل استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم قال أبو عبيده لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ معناه لفرغ من أجلهم و أنشد لأبى ذؤيب:

و عليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبع

و مثل ما أنشده قول الآخر:

قضيت أمورا ثم غادرت بعدها بواتق في أكمامها لم تفتق

و المعنى لفرغ من أجلهم و مدتهم المضروبه للحياه و إذا انتهت مدتهم المضروبه للحياه هلكوا و هذا قريب من قوله وَ يَدْعُ
الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَ كَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا و قالوا للميت مقضى كأنه قضى إذا مات و قضى فعل. التقدير استوفى أجله و
فرغ منه قال ذو الرمة:

إذا الشخص فيها هزه الآل أغمضت عليه كإغماض المقضى هجولها

المعنى أغمضت هجول هذه البلاد على الشخص الذى فيها فلم ير لغرقه فى الآل كإغماض المقضى و هو الميت و أما ما يتعلق به
الجار من قوله «لَقَضَى إِلَيْهِمْ» فكأنه لما كان معنى قضى فرغ و كان قولهم فرغ يتعدى بهذا الحرف فى قوله:

الآن فقد فرغت إلى نمير فهذا حين صرت لهم عذابا

و فى التنزيل سَيَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ أَمْكَنَ أَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ يَعْدَى بِاللَّامِ كَمَا يَعْدَى بِالِى وَ بِاللَّامِ فِي قَوْلِهِ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا
فلما كان معنى قضى فرغ تعلق بها إلى كذلك تعلق بقضى و وجه قراءه ابن عامر لقضى إليهم أجلهم على إسناد الفعل إلى
الفاعل أن الذكر قد تقدم فى قوله «وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ» فقال لقضى على هذا و من حجته فى ذلك قوله ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَ أَجَلٌ
مُسَيَّمٌ عِنْدَهُ فَهَذَا الْأَجْلُ الَّذِي فِي هَذِهِ الْآيَةِ هُوَ الْأَجْلُ الْمَضْرُوبُ لِلْمَحْيَا كَمَا أَنَّ الْأَجْلَ فِي قَوْلِهِ «لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ» كَذَلِكَ
فَكَمَا أَسْنَدَ الْفِعْلَ فِي الْأَجْلِ الْمَضْرُوبِ لِلْحَيَاةِ إِلَى الْفَاعِلِ فِي قَوْلِهِ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا عِنْدَ الْجَمِيعِ كَذَلِكَ أَسْنَدَهُ ابْنُ عَامِرٍ فِي قَوْلِهِ
لِقَضَى إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ إِلَى الْفَاعِلِ وَ لَمْ يَسْنَدَهُ إِلَى الْفِعْلِ الْمَبْنِيِّ لِلْمَفْعُولِ وَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَجْلَ فِي قَوْلِهِ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا أَجْلُ الْمَحْيَا
إِنَّ قَوْلَهُ وَ أَجَلٌ مُسَيَّمٌ عِنْدَهُ أَجْلُ الْبَعْثِ يَبِينُ ذَلِكَ قَوْلُهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ أَي أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمَشْرُوكُونَ تَشْكُونَ فِي الْبَعْثِ وَ مِنْ قَرَأَ
لقضى فبنى الفعل للمفعول به فلائنه فى المعنى مثل قول من بنى الفعل للفاعل.

قوله «لِجَنِّبِهِ» فى موضع نصب على الحال تقديره دعانا منبطحا لجنبه أو دعانا قائما و يجوز أن يكون تقديره إذا مس الإنسان الضر لجنبه أو مسه قاعدا أو مسه قائما دعانا و موضع الكاف من كذلك نصب على مفعول ما لم يسم فاعله أى زين للمسرفين عملهم مثل ذلك.

المعنى

ثم عاد الكلام إلى ذكر المائلين إلى الدنيا المطمئنين إليها الغافلين عن الآخرة فقال «وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ» أى إجابته دعوتهم فى الشر إذا دعوا به على أنفسهم و أهاليهم عند الغيظ و الضجر و استعجلوه مثل قول الإنسان رفعنى الله من بينكم و قوله لولده اللهم ألعنه و لا تبارك فيه «اسْتَعْجَالُهُمْ بِالْخَيْرِ» أى كما يعجل لهم إجابته الدعوه بالخير إذا استعجلوها «لَقَضَىٰ إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ» أى لفرغ من إهلا-كهم و لكن الله تعالى لا- يعجل لهم الهلاك بل يمهلهم حتى يتوبوا و قيل معناه و لو يعجل الله للناس العقاب الذى استحقوه بالمعاصى كما يستعجلونهم خير الدنيا و ربما أجيوا إلى ما سأله إذا اقتضت المصلحه ذلك لفنوا لأن بنيه الإنسان فى الدنيا لا تحتمل عقاب الآخرة بل لا تحتمل ما دونه و الله سبحانه يوصله إليهم فى وقته و سمي العقاب شرا من جهة المشقه و الأذى الذى فيه و فائدته أنه لو تعجلت العقاب لزال التكليف و لا يزول التكليف إلا بالموت و إذا عوجلوا بالموت لم يبق أحد «فَتَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ» أى فندع الذين لا يخافون البعث و الحساب يتحiron فى كفرهم و عدولهم عن الحق إلى الباطل و تمردهم فى الظلم. و العمه شده الحيره ثم أخبر سبحانه عن قله صبر الإنسان على الضرر و الشدائد فقال «وَ إِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ» أى المشقه و البلاء و المحنه من محن الدنيا «دَعَانَا لِجَنِّبِهِ» أى دعانا لكشفه مضطجعا «أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا» أى على أى حال كان عليها و اجتهد فى الدعاء و سؤال العافيه و ليس غرضه بذلك نيل ثواب الآخرة و إنما غرضه زوال ما هو من الألم و الشده و قيل إن تقديره و إذا مس الإنسان الضر مضطجعا أو قاعدا أو قائما دعانا لكشفه و فيه تقديم و تأخير «فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ» أى فلما أزلنا عنه ذلك الضرر و وهبنا له العافيه «مَرًّا» أى استمر على طريقته الأولى معرضا عن شكرنا «كَأَنَّ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ» أى كأن لم يدعنا قط لكشف ضره و لم يسألنا إزاله الألم عنه «كَذَلِكَ زَيْنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أى كما زين لهم الشيطان و أقرانهم الغواه ترك الدعاء عند الرخاء زينوا للمسرفين أى للمشركين عملهم عن الحسن و يحتمل أن يكون زين المسرفون بعضهم لبعض و إن لم يضيف التزيين إليهم فهو كقولهم فلان معجب بنفسه و قد حث الله سبحانه بهذه الآيه الذين منحوا الرخاء بعد الشده و العافيه بعد البليه على أن يتذكروا حسن صنع الله إليهم و جزيل نعمته عليهم و يشكروه على ذلك

و يسأله إدامه ذلك لديهم و نبه بذلك على وجوب الصبر عند المحنة احتسابا للأجر و ابتغاء للثواب و الذخر.

[سوره يونس (١٠): الآيات ١٣ الى ١٤]

إشارة

و لَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَ مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (١٣) ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٤)

اللغة

القرون جمع قرن و هو أهل عصر سموا بذلك لمقارنه بعضهم لبعض و منه قرن الشاه لمقارنته آخر بإزائه و القرن بكسر القاف هو المقاوم لقربنه فى الشده.

الإعراب

موضع كيف نصب بقوله «تَعْمَلُونَ» و تقديره لننظر أ خيرا تعملون أم شرا و لا يجوز أن يكون معمول ننظر لأن ما قبل الاستفهام لا يعمل فى ما بعده.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عما نزل بالأمم الماضيه من المثالات و حذر هذه الأمة عن مثل مصارعهم فقال «و لَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ» بأنواع العذاب «لَمَّا ظَلَمُوا» أنفسهم بأن أشركوا و عصوا «و جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ» أى بالمعجزات الظاهره و الدلالات الواضحه «و مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا» هذا إخبار بأن هذه الأمم إنما أهلكوا لما كانوا فى المعلوم أنهم لو بقوا لم يكونوا يؤمنون بالرسول الذين أتوهم و الكتب التى جاءوهم بها و استدل أبو على الجبائى بهذا على أن تبقية الكافر واجبه إذا كان المعلوم من حاله أنه يؤمن فيما بعد «كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ» أى كذلك نعذب القوم المشركين فى المستقبل إذا لم يؤمنوا بعد قيام الحجه عليهم و علمنا أنهم لا- يؤمنون و لا- يصلحون «ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ» يا أمه محمد «خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ» أى من بعد القرون التى أهلكناها و معناه أسكنناكم الأرض خلفهم «لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ» أى لنرى عملكم أين يقع من عمل أولئك أ تقتدون بهم فتستحقون من العقاب مثل ما استحقوه أم تؤمنون فتستحقون الثواب و إنما قال لننظر ليدل على أنه سبحانه يعامل العبد معاملة المختبر الذى لا- يعلم الشىء فيجازيه على ما يظهر منه دون ما قد علم أنه يفعله مظاهره فى العدل و النظر فى الحقيقه لا يجوز على الله تعالى لأنه

إنما يكون بالقلب و هو التفكير و بالعين و هو قلب الحدقه نحو المرئى التماسا لرؤيته مع سلامه الحاسه و أحد هذين لا يجوز عليه سبحانه و إنما يستعمل ذلك فى صفاته على وجه المجاز و الاتساع فإن النظر إنما هو لطلب العلم و هو سبحانه يعامل عباده معامله من يطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه.

[سوره يونس (١٠): الآيات ١٥ الى ١٧]

اشاره

وَ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا انْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِ نَفْسِي إِنَّهُ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَ لَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَ فَلَا تَعْقِلُونَ (١٦) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُنْجِرُونَ (١٧)

القراءه

فى روايه أبى ربيعه عن البزى عن ابن كثير و لأدراكم» فجعلها لاما دخلت على أدراكم و أمال فى أدراكم و أدراك فى جميع القرآن أبو عمرو و حمزه و الكسائى و خلف و روى فى الشواذ عن ابن عباس و الحسن و لا أدريكم به.

الحجه

قال أبو على حكى سيبويه دريته و دريت به و الأ-كثرفى الاستعمال بالباء و يبين ذلك قوله «وَ لَا أَدْرَاكُمْ» و لو جاء على اللغه الأ-خرى لكان و لا- أدراكموه و قال الدريره كالفطنه و الشعره و هى مصادر يراد بها ضرور من العلم أما الدريره فكالهداياه و الدلاله فكان الدريره التانى و التعمل لعلم الشىء و على هذا المعنى ما تصرف من هذه الكلمه أنشد أبو زيد:

فإن غزالك الذى كنت تدرى إذا شئت ليث خادر بين أشبل

و تدرى أى تختل و منه الدريره فى قول أكثر الناس الخمل الذى يستتر به الصايد من الوحش كأنه يختل به و داريت الرجل لاينته و خاتلته و إذا كان الحرف على هذا فالدارى فى وصف القديم سبحانه لا يسوغ فأما قول الراجز:

(لا هم لا أدرى و أنت الدارى)

فلا- يكون حجه فى جواز ذلك لأنه استجار ذلك لما تقدم من قوله لا أدرى كما جاز فَمَنِ اغْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ و إِنَّ تَسَخَّرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسَخَّرُ مِنْكُمْ و أيضا فإن الأعراب يذكرون أشياء يمتنع جوازها كما قالوا:

لا هم أن كنت الذى بعهدى و لم تغيرك الأمور بعدى

و قال الآخر:

" لو خافك الله عليه حرمة "

فأما الهمزة على ما حكى عن الحسن و غيره فلا- وجه له لأن الدرء الدفع قال ابن جنى يجوز أن يكون لها وجه و إن كان فيه ضعف صنعه و هو أن يكون أراد و لا أدريتمكم به ثم قلبت الياء ألفا لانفتاح ما قبلها و إن كانت ساكنة كقولهم فى يياس ياس و فى ييبس يابس و قال قطرب أن لغه عقيل فى أعطيتك أن يقولوا أعطاتك ثم همز الألف على لغه من قال فى الباز الباز و فى العالم و الخاتم و النابل العالم و الخاتم و النابل و من قرأ و لا أدريكم به فمعناه و لا علمكم الله تعالى به فيكون نفيًا للتلاوه و إثباتًا للعلم و على قراءه الجماعه يكون نفيًا للأمرين جميعًا.

اللغه

التلقاء جبهه مقابله الشىء إلا- أنه قد يستعمل ظرفا فيقال هو تلقاه كما يقال هو حذاءه و قبالتة و تجاهه و إزاءه و العمر بفتح العين و سكون الميم و العمر بضمهما البقاء و إذا استعمل فى القسم فالفتح لا غير

النزول

قيل نزلت فى خمسہ نفر عبد الله بن أميه المخزومى و الوليد بن مغيره و مكرز بن حفص و عمرو بن عبد الله بن أبى قيس العامرى و العاص بن عامر بن هاشم قالوا للنبي ص ائت بقرآن ليس فيه ترك عباده اللات و العزى و مناه و هبل و ليس فيه عيبها أو بدله تكلم به من تلقاء نفسك عن مقاتل و قيل نزلت فى المستهزئين قالوا يا محمد ائت بقرآن غير هذا فيه ما نسلكه عن الكلبى.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن مشركى قريش فقال «وَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا»

المنزله فى القرآن «بَيِّنَاتٍ» أى واضحات فى الحلال و الحرام و سائر الشرائع و هى نصب على الحال «قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا» أى لا يؤمنون بالبعث و النشور فلا يخشون عقابنا و لا يطمعون فى ثوابنا «أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا» الذى تتلوه علينا «أَوْ يَدَّبُّهُ» فاجعله على خلاف ما تقرؤه و الفرق بينهما أن الإتيان بغيره قد يكون معه و تبدله لا- يكون إلا- برفعه و قيل معنى قوله «يَدَّبُّهُ» غير أحكامه من الحلال أو الحرام أرادوا بذلك زوال الخطر عنهم و سقوط الأمر منهم و أن يخلى بينهم و بين ما يريدونه «قُلْ» يا محمد «مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي» أى من جهة نفسى و ناحيه نفسى و لأنه معجز فلا أقدر على الإتيان بمثله «إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ» أى ما أتبع إلا الذى أوحى إلى «إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي» فى اتباع غيره «عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ» أى يوم القيامة و من استدلل بهذه الآيه على أن نسخ القرآن بالسنة لا يجوز فقد أبعد لأنه إذا نسخ القرآن بالسنة و ما يقوله النبى ص فإنه يقوله بالوحى من الله فلم ينسخ القرآن و لم يبدله من قبل نفسه بل يكون تبدله من قبل الله تعالى و لكن لا يكون قرآنا و يؤيد ذلك قوله «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» «قُلْ» يا محمد «لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ» معناه لو شاء الله ما تلوت هذا القرآن عليكم بأن كان لا ينزله على «وَلَا أَذْرَاكُمْ بِهِ» أى و لا أعلمكم الله به بأن لا ينزله على فلا أقرؤه عليكم فلا تعلمونه «فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مَرْتَنَ قَبْلَتِهِ» أى فقد مكثت و أقمت بينكم دهرا طويلا- من قبل إنزال القرآن فلم أقرأه عليكم فلا- تعلمونه و لا ادعيت نبوه حتى أكرمنى الله تعالى به «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» أى أفلا- تتفكرون فيه بعقولكم فتعلموا أن المصلحه فيما أنزله الله تعالى دون ما تقرءونه قال على بن عيسى العقل هو العلم الذى يمكن به الاستدلال بالشاهد على الغائب و الناس يتفاضلون فيه بالأمر المتفاوت فبعضهم أعقل من بعض إذا كان أقدر على الاستدلال من بعض «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ» أى لا أحد أظلم ممن اخترع على الله «كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ» أى المشركون عن الحسن فإن قيل أليس من ادعى الربوبيه أعظم ظلما من المدعى للنبوه قلنا إن المراد بقوله «مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» من كفر بالله تعالى فقد دخل فيه من ادعى الربوبيه و غيره من أنواع الكفار فكأنه قال لا أحد أظلم من الكافر.

إشارة

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُبْتُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٨) وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٩) وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (٢٠)

القرءاءة

قرأ تشركون بالتاء أهل الكوفة غير عاصم وكذلك في النحل في موضعين وفي الروم والباقر كل ذلك بالياء.

الحجة

من قرأ بالتاء فلقوله «أَتُبْتُونَ اللَّهَ» ومن قرأ بالياء احتمل وجهين (أحدهما) على قل كأنه قيل له قل أنت سبحانه و تعالى عما يشركون و الوجه الآخر أن يكون هو سبحانه نزه نفسه عما أقروه فقال ذلك.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار فقال «وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ» أى و يعبد هؤلاء المشركون الأصنام التى لا يضرهم إن تركوا عبادتها و لا ينفعهم إن عبدوها فإن قيل كيف ذمهم على عباده الصنم الذى لا ينفع و لا يضر مع أنه لو نفع و ضر لكان لا يجوز أيضا عبادته قلنا عباده من لا يقدر على أصول النعم و إن قدر على النفع و الضر إذا كان قبيحا فمن لا يقدر على النفع و الضر أصلا من الجماد تكون عبادته أقبح و أشنع فلذلك خصه بالذكر «وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ» أخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار أنهم قالوا إنا نعبد هذه الأصنام لتشفع لنا عند الله و إن الله أذن لنا فى عبادتها و أنه سيسفعاها فينا فى الآخرة و توهموا أن عبادتها أشد فى تعظيم الله سبحانه من قصده تعالى بالعباده فجمعوا بين قبيح القول و قبيح الفعل و قبيح التوهم و قيل معناه هؤلاء شفعاؤنا فى الدنيا لإصلاح معاشنا عن الحسن قال لأنهم كانوا يقرون بالبعث بدلاله قوله و أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ «قُلْ أَتُبْتُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ» أمر سبحانه نبيه ص أن يقول لهم على وجه الإلزام أن تخبرون الله بما لا يعلم من حسن عباده الأصنام و كونها شافعه لأن ذلك لو كان صحيحا لكان

تعالى به عالما ففى نفى علمه بذلك نفى المعلوم و معناه أنه ليس فى السماوات و لا الأرض إله غير الله و لا أحد يشفع لكم يوم القيامة و قيل معناه أ تخبرون الله بشريك أو شفيع لا- يعلم شيئا كما قال وَ يَعْزُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا- يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ فَكَذَلِكَ وصفهم بأنهم لا يعلمون فى السماوات و الأرض شيئا «سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ» أى تنزه الله تعالى عن أن يكون له شريك فى استحقاق العبادة «وَ مَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا» فيه أقوال (أحدها) أن الناس كانوا جميعا على الحق و على دين واحد فاختلّفوا فى الدين الذى كانوا مجتمعين عليه ثم قيل أنهم اختلفوا على عهد آدم و ولده عن ابن عباس و السدى و مجاهد و الجبائى و أبى مسلم، و متى اختلفوا؟ قيل عند قتل أحد ابنه أخاه و قيل اختلفوا بعد موت آدم (عليه السلام) لأنهم كانوا على شرع واحد و دين واحد إلى زمن نوح و كانوا عشرة قرون ثم اختلفوا عن أبى روق و قيل كانوا على مله الإسلام من لدن إبراهيم (عليه السلام) إلى أن غيره عمرو بن لحي و هو أول من غير دين إبراهيم و عبد الصنم فى العرب عن عطاء و يدل على صحه هذه الأقوال قراءة عبد الله و ما كان الناس إلا أمة واحدة على هدى فاختلّفوا عنه (و ثانيها) أن الناس كانوا أمة واحدة مجتمعته على الشرك و الكفر عن ابن عباس و الحسن و الكلبي و جماعه ثم اختلف هؤلاء فقيل كانت أمة كافرته على عهد إبراهيم ثم اختلفوا فتنفروا فمنهم مؤمن و منهم كافر عن الكلبي و قيل كانت كذلك منذ وفاه آدم إلى زمن نوح عن الحسن و قيل أراد به العرب الذين كانوا قبل مبعث النبي ص فإنهم كانوا مشركين إلى أن بعث النبي ص فآمن به قوم و بقى آخرون على الشرك و

سئل على (عليه السلام) عن هذا فقيل كيف يجوز أن يطبق أهل عصر على الكفر حتى لا يوجد مؤمن يشهد عليهم و الله تعالى يقول فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ أُجِيبُوا عَنْ ذَلِكَ بأنه يجوز أن يكون أهل كل عصر و إن لم يخل عن مؤمنين يشهدون عليهم فربما يقلون فى عصر و إنما يتبع الاسم الأعم و على هذا يقال دار الإسلام و دار الكفر

و فى تفسير الحسن و ما كان الناس إلى مبعث نوح إلا مله واحدة كافرته إلا الخاصه فإن الأرض لا تخلو من أن يكون لله تعالى فيها حجه (و ثالثها) إن الناس خلقوا على فطره الإسلام ثم اختلفوا فى الأديان «وَ لَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ» من أنه لا يعاجل العصاه بالعقوبه إنعاما عليهم فى التأنى بهم «لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ» أى فصل بينهم «فِيَمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» بأن يهلك العصاه و ينجى المؤمنين لكنه أخرهم إلى يوم القيامة تفضلا منه إليهم و زياده فى الإنعام عليهم ثم حكى سبحانه عن هؤلاء الكفار فقال «وَ يَقُولُونَ لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ» أى هلا- أنزل على محمد آيه من ربه تضطر الخلق إلى المعرفه بصدقه فلا- يحتاجون معها إلى النظر و الاستدلال

و لم يطلبوا معجزه تدل على صدقه لأنه ص قد أتاهم بالمعجزات الداله على نبوته و إنما لم يلجئهم الله إلى ما التمسوه لأن التكليف يمنع من الاضطرار إلى المعرفه فإن الغرض بالتكليف التعريض للثواب و لو كانت المعرفه ضروره لما استحقوا ثوابا فكيف و كان يكون ذلك ناقضا للغرض «فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ» معناه فقل يا محمد إن الذى يعلم الغيب و يعلم مصالح الأمور قبل كونها هو الله العالم لنفسه يعلم الأشياء قبل كونها و بعد كونها لا تخفى عليه خافيه فيعلم ما فى إنزاله صلاح فينزله و يعلم ما ليس فى إنزاله صلاح فلا- ينزله و لذلك لا- يفعل الآيه التى اقترحوها فى هذا الوقت لما فى ذلك من حسن تدبير «فَأَنْتَظِرُوا» أى فانتظروا عقاب الله تعالى بالقهر و القتل فى الدنيا و العقاب فى الآخره «إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ» لأن الله تعالى وعدنى النصره عليكم و قيل معناه فانتظروا إذلال الكافرين فإنى منتظر إعزاز المؤمنين.

[سوره يونس (١٠): الآيات ٢١ الى ٢٣]

اشاره

وَ إِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرِعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ (٢١) هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَ فَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَ جَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٢) فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٣)

القراءه

قرأ روح و زيد عن يعقوب و سهل يمكرون بالياء و الباقون بالتاء و قرأ ينشركم

بالنون و الشين من النشر أبو جعفر و ابن عامر و الباقون «يُسَيِّرُكُمْ» بالسين و الياء من التسيير و قرأ حفص وحده «مَتَاع» بالنصب و الباقون بالرفع.

الحج

من قرأ يمكرون بالياء فلقوله «إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا» و من قرأ بالتاء فللخطاب أى قل لهم يا محمد إن رسل الله يكتبون ما تمكرون و من قرأ «يُسَيِّرُكُمْ» يقويه قوله فَاَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَ كُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَ قَوْلُهُ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ وَ يُقَالُ سَارَ الدَّابَّةُ وَ سِرْتَهُ وَ سِيرْتَهُ قَالَ:

(فلا تجز عن من سنه أنت سرتها)

و قال لييد:

فبينان حرب أن تبوء بحربه و قد يقبل الضيم الدليل المسير

و من قرأ ينشركم فحجته قوله وَ بَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَ نِسَاءً وَ قوله وَ مَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَ البث التفريق و النشر فى المعنى و أما «مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» فقد قال الزجاج من رفع فعلى وجهين (أحدهما) أن يكون «مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» خبرا لقوله «بَغْيُكُمْ» (و الآخر) أن يكون خبر المبتدأ «عَلَى أَنْفُسِكُمْ» و «مَتَاعَ الْحَيَاةِ» على إضمار هو و من نصب فعلى المصدر أى تتمتعون متاع الحياة الدنيا قال أبو على قوله «عَلَى أَنْفُسِكُمْ» يحتمل تأويلين (أحدهما) أن يكون متعلقا بالمصدر لأن فعله يتعدى بهذا الحرف أ لا ترى إلى قوله بَغْيٌ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ثم بغى عليه و إذا كان الجار من صلة المصدر كان الخبر «مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» فيكون معناه بغى بعضكم على بعض متاع الحياة فى الدنيا و ليس ما يقرب إلى الله و يجوز أن يكون متعلقا بمحذوف فيكون خبرا للمصدر و فيه ذكر يعود إليه فيكون كقولك الصلاة فى المسجد فيكون المصدر مضافا إلى الفاعل و مفعوله محذوفا و المعنى إنما بغى بعضكم على بعض بما يدل على أنفسكم و يكون كقوله وَ لَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ وَ من نصب احتمل النصب وجهين (أحدهما) أن يكون على من صلة المصدر و يكون الناصب لمتاع هو المصدر الذى هو البغى و يكون خبر المبتدأ محذوفا و حسن حذفه لطول الكلام و لأن بغىكم يدل على تبغون فيحسن الحذف لذلك و هذا الخبر لو أظهرته لكان يكون مكروه أو مذموم أو منهى عنه و نحو ذلك (و الآخر) أن يكون «عَلَى أَنْفُسِكُمْ» خبر المبتدأ فيكون متاع منصوبا على وجهين (أحدهما) تتمتعون متاعا فيدل انتصاب المصدر عليه (و الآخر) أن يضم تبغون لأن ما يجرى مجرى ذكره قد تقدم كأنه لو أظهره لكان تبغون متاع الحياة الدنيا فيكون مفعولا له

و لا يجوز أن يتعلق المصدر بالمصدر فى قوله «إِنَّمَا بَغْيُكُمْ» و قد جعلت " على " خبرا لقوله «إِنَّمَا بَغْيُكُمْ» لفصلك بين الصله و الموصول.

اللغه

التسيير التحريك فى جهه تمتد كالسير الممدود و البر الأرض الواسعه التى تقطع من بلد إلى بلد و منه البر لاتساع الخير به و البحر مستقر الماء الواسع حتى لا يرى من وسطه حافته و الفلك السفن و سميت فلکا لدورانها فى الماء و أصله الدور و منه فلکه المغزل و تفلک ثدى الجاربه إذا استدار و الفلك يكون جمعا و واحدا و هو هاهنا جمع و العاصف الريح الشديده و عصفت الريح فهى عاصف و عاصفه قال:

حتى إذا عصفت ریح مززعجه فيها قطار و رعد صوته زجل

الإعراب

جواب إذا الأولى فى إذا الثانيه و إنما جعل إذا جوابا لكونها بمعنى الجملة لما فيها من معنى المفاجاه و هى ظرف مكان و هو كقوله «وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ» و معناه إن تصبهم سيئه قنطوا و إذا أذقنا الناس رحمه مكروا و جرین بهم ابتداء الكلام خطاب و بعد ذلك إخبار عن غائب لأن كل من أقام الغائب مقام من يخاطبه جاز له أن يرده إلى الغائب قال كثير:

أسيئى بنا أو أحسنى لا ملومه لدينا و لا مقلبه إن تقلت

و قال عنتره:

شطت مزار العاشقين فأصبحت عسرا على طلابك ابنه مخرم

و قوله «فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَنْغُونَ» المعنى فلما أنجاهم بغوا

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن ذميم فعالهم فقال «وَ إِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً» يريد بالناس الكفار فهو عموم يراد به الخصوص «مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّنُّهُمْ» أى راحه و رخاء بعد شدة و بلاء و حقيقه الذوق فيما له طعم يوجد إنما يكون طعمه بالفم و إنما قال أذقناهم الرحمه

ص: ١٥٣

على طريق البلاغ لهشده إدراك الحاسه إياها «إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا» أى فهم يحتالون لدفع آياتنا بكل ما يجدون السبيل إليه من شبهه أو تخليط فى مناظره أو غير ذلك من الأمور الفاسده و قال مجاهد مكرهم استهزاؤهم و تكذيبهم «قُلْ» يا محمد لهم «اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا» أى أقدر جزاء على المكر و معناه أن ما يأتيهم من العقاب أسرع مما أتوه من المكر أى أوقع فى حقه و قيل أن مكره سبحانه إنزاله العقوبه بهم من حيث لا يشعرون «إِنَّ رُسُلَنَا» يعنى الملائكه الحفظه «يَكْتُبُونَ ما تَمْكُرُونَ» أى ما تدبرون من سوء التدبير و فى هذا غايه الزجر و التهديد من وجهين (أحدهما) أنه يحفظ مكرهم (و الآخر) أنه أقدر على جزائهم و أسرع فيه ثم امتن الله سبحانه على خلقه بأن عدد نعمه التى يفعلها بهم فى كل حال فقال «هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ» أى يمكنكم من المسير فى البر و البحر بما هيا لكم من آيات السير و هى خلق الدواب و تسخيرها لكم لتركبوها فى البر و تحملوا عليها أثقالكم و هيا السفن فى البحر و إرسال الرياح المختلفه التى تجرى بالسفن فى الجهات المختلفه «حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ» خص الخطاب براكب البحر أى إذا كنتم راكبي السفن فى البحر «وَ جَرَيْنَ بِهِمْ» أى و جرت السفن بالناس لما ركبوها عدل عن الخطاب إلى الإخبار عن الغائب تصرفا فى الكلام على أنه يجوز أن يكون خطابا لمن كان فى تلك الحال و إخبارا لغيرهم من الناس «بَرِيحٍ طَيِّبَةٍ» أى بريح لينه يستطيبونها «وَ فَرِحُوا بِهَا» أى سروا بتلك الريح لأنها تبلغهم مقصودهم عن أبى مسلم و قيل فرحوا بالسفينه حيث حملتهم و أمتعهم «جاءتها رِيحٌ عاصِفٌ» أى جاءت للسفينه ريح عاصف شديد الهبوب الهائله «وَ جاءهمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ» من البحر و الموج اضطراب البحر و معناه و جاء راكبي البحر الأمواج العظيمه من جميع الوجوه «وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ» أى أيقنوا أنهم دنوا من الهلاك و قيل غلب على ظنهم أنهم سيهلكون لما أحاط بهم من الأمواج «دَعَوْا اللَّهَ» عند هذه الشدائد و الأهوال و التجأوا إليه ليكشف ذلك عنهم «مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» أى على وجه الإخلاص فى الاعتقاد و لم يذكروا الأوثان و الأصنام لعلمهم بأنها لا تنفعهم هاهنا شيئا و قالوا «لَيْسَ أَنْجِيَّتَنَا» يا رب «مِنْ هَذِهِ» الشده «لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ» أى من جمله من يشكرك على نعمك و قوله «جاءتها رِيحٌ عاصِفٌ» جواب قوله «إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ» و قوله «دَعَوْا اللَّهَ» جواب قوله «وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ» «فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ» أى خلصهم الله تعالى من تلك المحن «إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْمَأْرَضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ» أى يعملون فيها بالمعاصى و الفساد و يشتغلون بالظلم على الأنبياء و على المسلمين «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» أى بغى بعضكم على بعض و ما ينالونه به متاع فى الدنيا و إنما تأتونه لحبكم

العاجله و إيثارها على ما يقرب إلى الله تعالى من الطاعات و قد مر بيانه قبل «ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ» فى الآخرة «فَنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» أى نخبركم بأعمالكم لأننا أثبتناها عليكم و هى كلمه تهديد و وعيد.

النظم

قيل إنما اتصل قوله «هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ» الآيه بما قبله لأنه تفسير لبعض ما أجمل فى الآيه المتقدمه التى هى قوله «وَ إِذَا أَدْفَنَّا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُمْ» عن أبى مسلم و قيل إنه يتصل بما تقدم فى السوره من دلائل التوحيد فكأنه قال إلهكم الذى جعل الشمس ضياء و القمر نورا و هو الذى يسيركم.

[سوره يونس (١٠): الآيات ٢٤ الى ٢٥]

اشاره

إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَ الْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَ أَزْيَنْتْ وَ ظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤) وَ اللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢٥)

القراءه

فى الشواذ قراءه الأعرج و الشعبى و أبى العالىه و نصر بن عاصم و الحسن بخلاف و ازينت و قراءه أبى عثمان و ازيانت.

الحججه

أما «أَزْيَنْتْ» فأصله تزينت فأدغمت التاء فى الزاى و سكنت الزاى فاجتلبت لها ألف الوصل و أما ازينت فإنه على أفعلت أى جاءت بالزينه و ازينت أجود فى العريبه لأن ازينت الأجود فيه أزانت مثل أقال و أباع و أما ازيانت فوزنه افعالت و أصله ازيانت مثل ادهامت و اسودت إلا أنه كره التقاء الساكنين فحركت الألف فانقلبت همزه كقول كثير:

و للأرض أما سودها فتجلت بياضا و أما بيضا فادهامت

الزخرف كمال حسن الشىء و يقال زخرفته أى حسنته و منه زخرفت الجنة لأهلها أى زينت بأحسن الألوان و غنى بالمكان أقام به و المغانى المنازل قال النابغه:

غنت بذلك إذ هم لك جيره منها بعطف رساله و تودد

و الدعاء طلب الفعل بما يقع لأجله و الداعى إلى الفعل خلاف الصارف عنه و الفرق بين الدعاء و الأمر أن فى الأمر ترغيباً فى الفعل و زجراً عن تركه و له صيغه تنبئ عنه و الدعاء ليس كذلك و كلاهما طلب و أيضاً فإن الأمر يقتضى أن يكون المأمور دون الأمر فى الرتبة و الدعاء يقتضى أن يكون فوقه.

المعنى

لما تقدم ما يوجب الترغيب فى الآخرة و التزهيد فى الدنيا عقبه سبحانه بذكر صفه الدارين فقال «إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» أى صفه الحياه الدنيا أو شبه الحياه الدنيا فى سرعه فنائها و زوالها «كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ» و هو المطر «فَاخْتَلَطَ بِهِ» أى بذلك المطر «نَبَاتُ الْأَرْضِ» لأن المطر يدخل فى خلل النبات فيختلط به و قيل معناه فاختلط بسببه بعض النبات بالبعض فاختلط ما يأكل الناس بما يأكل الأنعام و ما يقتات بما يتفكه ثم فصل ذلك فقال «مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ» كالجوب و الثمار و البقول «وَّ الْأَنْعَامُ» كالحشيش و سائر أنواع المراعى و قد قيل فى المشبه و المشبه به فى الآيه أقوال (أحدها) أنه تعالى شبه الحياه الدنيا بالماء فيما يكون به من الانتفاع ثم الانقطاع (و ثانيها) أنه شبهها بالنبات على ما وصفه من الاغترار به ثم المصير إلى الزوال عن الجبائى و أبى مسلم (و ثالثها) أنه تعالى شبه الحياه الدنيا بحياه مقدره على هذه الأوصاف «حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا» أى حسنها و بهجتها بأنواع الألوان و أجناس النبات و غير ذلك «وَّ أَزْيَّنَتْ» أى تزينت فى عين رائيها «وَّ ظَنَّ أَهْلُهَا» أى مالكتها «أَنَّهَمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا» أى على الانتفاع بها و معناه بلغت المبلغ الذى ظن أهلها أنهم يحصدونها و يقدرون على غلتها أو إدامتها «أَتَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا» أى أتاه عذابنا من برد أو برد و قيل معناه أتاه حكمنا و قضاؤنا بإهلاكها و إتلافها «فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا» أى محصوده و معناها مقطوعه مقلوعه ذاهبه يابسه «كَأَنَّ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ» أى كأن لم تقم على تلك الصفه بالأمس و معناه كأن لم تكن و لم توجد من قبل «كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» أى مثل ذلك نميز الآيات لقوم يتفكرون فيها فيعتبرون بها و لما بين سبحانه أن الدنيا تنقطع و تفنى بالموت كما يفنى هذا النبات بفنون

الآفات و نبه على التوقع لزوالها و التحرز عن الاغترار بأحوالها رغب عقيبه فى الآخره فقال «وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ» قيل إن السلام و هو الله تعالى فإن الله تعالى يدعو إلى داره و داره الجنة عن الحسن و قتاده و قيل دار السلام الدار التى يسلم فيها من الآفات عن الجبائى و السلام و السلامه واحد مثل الرضاع و الرضاعه قال:

تحيا بالسلامه أم بكر و هل لك بعد رهطك من سلام

و قيل سميت الجنة دار السلام لأن أهلها يسلم بعضهم على بعض و الملائكه تسلم عليهم و يسلم ربهم عليهم فلا يسمعون إلا سلاما و لا يرون إلا سلاما و يعضده قوله «تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ» و ما أشبهه «وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» قيل يهدى من يشاء إلى الإيمان و الدين الحق بالتوفيق و التيسير و الألفاف و قال الجبائى يريد به نصب الأدله لجميع المكلفين دون الأطفال و المجانين و قيل معناه يهدى من يشاء فى الآخره إلى طريق الجنة الذى يسلكه المؤمنون و يعدل عنه الكافرون إلى النار.

[سوره يونس (١٠): الآيات ٢٦ الى ٢٧]

اشاره

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَ زِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦) وَ الَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧)

القرءه

قرأ ابن كثير و الكسائى و يعقوب و سهل قطعاً ساكنه الطاء و الباقون «قِطْعًا» بفتحها.

الحجه

القطع جمع قطعه من الليل و القطع الجزء من الليل الذى فيه ظلمه.

اللغه

الرهق لحاق الأمر و منه راهق الغلام إذا لحق بالرجال و رهقه فى الحرب أدركه قال الأزهرى الرهق اسم من الإرهاق و هو أن يحمل الإنسان على ما لا يطيقه و منه سَأْرَهَقُهُ

ص: ١٥٧

صُعُوداً و الكسب اجتلاب النفع و الجزاء المكافاه و القتر الغبار و القتره الغبره و القطار الدخان و منه الإقتار فى المعيشه.

الإعراب

«جَزَاءٌ سَيِّئَةٍ» فى ارتفاعه وجهان (أحدهما) أن يكون مبتدأ و خبره بمثلها على زياده الباء فى قول أبى الحسن لأنه وجد فى مكان آخر وَ جَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا و يجوز أن يكون الباء متعلقه بخبر محذوف تقديره جزاء سيئه كائن بمثلها كما تقول إنما أنا بك و أمرى بيدك و ما أشبه ذلك (و الآخر) أن يكون فاعلا بإضمار فعل تقديره استقر لهم جزاء سيئه بمثلها ثم حذف استقر فبقى لهم جزاء سيئه بمثلها ثم حذف لهم لدلاله الكلام على أن هذا مستقر لهم و يجوز أن يكون «جَزَاءٌ سَيِّئَةٍ» مبتدأ و الخبر محذوف تقديره لهم جزاء سيئه بمثلها أو جزاء سيئه بمثلها كائن هذا قد أجازه أبو الفتح و قوله «وَ تَرَهَّقُهُمْ» عطف على كسبوا و جاز أن يفصل بينهما بقوله «جَزَاءٌ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا» لأنه من الاعتراض الذى يبين الأول و يسدده و يثبته مظلما قال أبو على إن أجرته على قطع ساكنه الطاء فيحتمل نصبه على وجهين (أحدهما) أن يكون صفة لقطع على قياس قوله «وَ هَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ» وصفت الكتاب بالمفرد بعد ما وصفته بالجملة و أجرته على النكرة (و الآخر) أن يكون حالا من الذكر الذى فى الظرف يعنى قوله «مِنَ اللَّيْلِ» و إن أجرته على قطع مفتوحه الطاء لم يكن صفة له و لا حالا من الذكر الذى فى قوله «مِنَ اللَّيْلِ» و لكن يكون حالا من الليل و العامل فى الحال ما يتعلق به من الليل و هو الفعل المختزل و مثل ذلك فى إرادته الوصف بالسواد قول الشاعر:

و دويه مثل السماء اعتسفتها و قد صبغ الليل الحصى بسواد

أى سودتها الظلمه و قال غيره يجوز أن يكون مظلما صفة لقطع على قول الشاعر:

لو أن مدحه حتى تشرن أحدا أحيا أباكن يا ليلي الأماديح

المعنى

ثم بين سبحانه أهل دار السلام فقال «لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى» و معناه للذين أحسنوا العمل و أطاعوا الله تعالى فى الدنيا جزاء لهم على ذلك الحاله الحسنى و المنزله الحسنى و هى الحاله الجامعه للذات و النعيم على أكمل ما يكون و أفضل ما يمكن و هو تأنيث الأحسن «وَ زِيَادَةٌ» ذكر فى ذلك وجوه (أحدها) أن الحسنى الثواب المستحق

و الزيادة التفضل على قدر المستحق على طاعاتهم من الثواب و هى المضاعفه المذكوره فى قوله «فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا» عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتاده (و ثانيها)

الزيادة هى إن ما أعطاهم الله تعالى من النعم فى الدنيا لا يحاسبهم به فى الآخرة عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام)

(و ثالثها)

أن الزيادة غرفه من لؤلؤه واحده لها أربعة أبواب عن على (عليه السلام)

وقيل الزيادة ما يأتيهم فى كل وقت من فضل الله مجددا (و رابعها) أن الزيادة هى النظر إلى وجه الله تعالى و روى ذلك عن أبى بكر و أبى موسى الأشعري و غيرهما و قد بين الله سبحانه الزيادة فى موضع آخر بقوله لِيُؤَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ «و لا يَزْهِقُ وُجُوهُهُمْ قَتْرًا و لا ذَلَّةً» أى لا يلحق وجوههم سواد عن ابن عباس و قتاده و قيل غبار و لا ذله أى هوان و قيل كآبه و كسوف عن قتاده و

روى الفضيل بن يسار عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام) قال قال رسول الله ص ما من عين تفرقت بمائها إلا حرم الله ذلك الجسد على النار فإن فاضت من خشية الله لم يرهق ذلك الوجه قتر و لا ذله

«أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» مر معناه «و الَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ» أى اكتسبوها و ارتكبوها «جَزَاءً سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا» أى لهم جزاء كل سيئه بمثلها يعنى يجوزون بمثل أعمالهم أى قدر ما يستحق عليها من غير زياده لأن الزيادة على قدر المستحق من العقاب ظلم و ليس كذلك الزيادة على قدر المستحق من الثواب لأن ذلك تفضل يحسن فعله ابتداء فالمثل هنا مقدار المستحق من غير زياده و لا نقصان «و تَزَهَّقُهُمْ ذُلٌّ» أى يلحقهم هوان و ذل لأن العقاب يقارنه الإهانة و الإذلال «ما لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ» أى ما لهم من حافظ و مانع يدفع عقاب الله عنهم «كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا» أى كأنما ألبست وجوههم ظلمة الليل و المراد وصف وجوههم بالسواد كقوله سبحانه وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُسْوَدَّةٌ «أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» ظاهر المراد.

ص: ١٥٩

اشاره

وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فَزَيْلَنَا بَيْنَهُمْ وَ قَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِبَانًا تَعْبُدُونَ (٢٨)
فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (٢٩) هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ
وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٣٠)

القراءه

قرأ تتلوا بالتاء أهل الكوفه غير عاصم و روح و زيد عن يعقوب و الباقون «تَبْلُوا» بالتاء.

الحجه

قال أبو علي من قرأ «تَبْلُوا» فمعناه تختبر من قولهم البلاء ثم الثناء أى الاختبار للمثنى عليه ينبغى أن يكون قبل الثناء ليكون الثناء عن علم بقدر ما يوجبه و معنى اختبارها ما أسلفت أنه إن قدم خيرا أو شرا جوزى عليه كما قال فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ إِلَى آخِرِهِ وَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَ غير ذلك من الآى و من قرأ تتلوا فإنه من التلاوه التى هى القراءه دليله قوله «فَأُولَئِكَ يَفْرَوْنَ كِتَابَهُمْ» و قوله «أَقْرَأُ كِتَابَكَ» و يكون تتلو من قولهم تلا الفريضة النفل إذا أتبعها النفل قال:

على ظهر عادى كان أرومه رجال يتلون الصلاه قيام

فيكون المعنى تتبع كل نفس ما أسلفت من حسنه أو سيئه قال:

قد جعلت دلوى تستليني و لا أحب تبع القرين

أى تستتبعنى من ثقلها

اللغه

التزييل التفريق مأخوذه من قولهم زلت الشىء عن مكانه أزيله و زيلته للكثرة من هذا إذا نحته عن مكانه و زايلت فلانا إذا فارقت هنالک أى فى ذلك المكان و هو ظرف فهنا للقریب و هنالک للبعید و هناك لما بينهما قال زهير:

هنالك إن يستخبلوا المال يخبلوا و أن يسألوا يعطوا و إن ييسروا يغلوا

و الإسلاف تقديم أمر لما بعده فمن أسلف الطاعة لله جوزى بالثواب و من أسلف المعصيه جوزى بالعقاب.

جميعاً نصب على الحال "مكانكم" قال الزجاج هو منصوب على الأمر والمعنى انتظروا مكانكم حتى يفصل بينكم والعرب تتوعد فتقول مكانك وانتظرنى وهى كلمه جرت على الوعيد و أقول أن الصحيح عند المحققين أن مكانك و دونك من أسماء الأفعال فيكون مكانكم هاهنا اسماً لألزموا مبنيًا على الفتح و ليس بمنصوب نصب الظروف و كم لا محل له من الإعراب إذ هو حرف الخطاب و أتم رفع تأكيد للضمير فى مكانكم و شركاؤكم عطف عليه و هذا كما تقول فى قولهم عليك زيدا أن الكاف حرف الخطاب لا محل له من الإعراب و على هاهنا اسم الفعل و ليس بحرف و «فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً» قال الزجاج شهيدا منصوب على التمييز إن شئت و إن شئت على الحال. إن كنا إن بمنزله ما النفى أى ما كنا عن عبادتكم إلا غافلين قاله الزجاج و أقول الصحيح أن إن هذه هى المخففه من الثقيله و إذا كانت مخففه من الثقيله يلزمها اللام ليفرق بينها و بين النافيه و التقدير إنا كنا عن عبادتكم غافلين و هنالك منصوب بتبلى إلا أنه غير متمكن و اللام زائده كسرت لالتقاء الساكنين.

المعنى

و لما تقدم ذكر الجزاء بين سبحانه وقت الجزاء فقال «وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً» أى نحشر الخلائق أجمعين أى نجتمعهم من كل أوب إلى الموقف «ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا» فى عبادتهم مع الله غيره و فى أموالهم فقالوا هذا لله و هذا لشركائنا «مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَ شُرَكَاءُكُمْ» أى أثبتوا و ألزموا مكانكم أنتم مع شركائكم يعنى الأوثان فقد صحبتموهم فى الدنيا فاصحبوهم فى المحشر و قيل معناه أثبتوا حتى تسألوا كقوله «وَقَفُّوهُمْ إِنْهُمْ مَسْئُولُونَ» «فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ» أى فميزنا و فرقنا بينهم فى المسأله فسألنا المشركين على حده لما عبدتم الأصنام و سألنا الأصنام على حده لما عبدتم و بأى سبب عبدتم و هذا سؤال تقرير و تبكىت عن الحسن و مثله و إِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ بِأَى ذَنْبٍ قُتِلَتْ و قيل معناه فزيلنا بينهم و بين الأوثان فتبرأ منهم الشركاء و انقطعت أسبابهم «وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيانَا تَعْبُدُونَ» أى يحييهم الله و ينطقهم فقالوا ما كنا نشعر بأنكم إيانا تعبدون عن مجاهد و قيل إن شركاءهم من كانوا يعبدونهم من الشياطين و قيل هم الملائكة الذين كانوا يعبدونهم من دون الله و فى كيفية جحدهم لعبادتهم إياه قولان (أحدهما) أنهم يقولون ذلك على وجه إهانتهم بالرد عليهم أى ما اعتذرنا بذلك لكم (و الآخر) إن المراد أنكم لم تعبدونا بأمرنا و دعائنا و لم يرد أنهم لم يعبدوهم أصلاً لأن ذلك كذب لا يجوز أن يقع فى الآخرة لكونهم ملجئين إلى ترك القبيح عن الجبائى و هذه الآيه نظير قوله «إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا» الآيه «فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً» أى فاصلاً للحكم «بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ» أيها المشركون «إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ» مر معناه و هذا إذا كان المراد به الملائكة فإنهم عما ادعوه غافلون لأنهم

لم يشعروا بذلك ولا أمروا به وإن كان المراد الأصنام فلم يكن لها حس ولا علم وهذا غاية في إلزام الحجة اختاروا للعبادة من لم يدعهم إليها ولم يشعر بها «هُنَالِكَ تَبْلُغُوا كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسَلَفَتْ» أى فى ذلك المكان وفى تلك الحال وفى ذلك الوقت تجرب وتعلم كل نفس ما قدمت من خير أو شر وترى جزاءه على القراءه بالتاء معناه تقرأ كل نفس جزاء عملها و جزاء ما قدمته «وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ» أى و ردوا إلى جزاء الله و إلى الموضع الذى لا- يملك أحد فيه الحكم إلا الله الذى هو مالكهم و سيدهم و خالقهم و الحق صفه لله تعالى و هو القديم الدائم الذى لا يفنى و ما سواه يبطل و قيل الحق هو الذى يكون معنى اللفظ حاصله له على الحقيقة فالله جل جلاله هو الحق لأن معنى الإلهيه حاصل له على الحقيقة «وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ» أى بطل و هلك عنهم ما كانوا يدعون به بافتراءهم من الشركاء مع الله تعالى.

[سوره يونس (١٠): الآيات ٣١ الى ٣٣]

إشارة

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ مَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ مَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَا ذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصِرُّونَ (٣٢) كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣)

القراءة

قرأ أهل المدينة و ابن عامر كلمات هاهنا و فى آخرها على الجمع و كذلك فى سورة المؤمن و الباقون على التوحيد.

الحجة

قال أبو على من قرأ على التوحيد احتمل وجهين (أحدهما) أن يكون جعل ما أوعده به الفاسقون كلمه و إن كانت فى الحقيقة كلمات لأنهم قد يسمون القصيده كلمه و الخطبه كلمه (و الآخر) أن يكون «كَلِمَةُ رَبِّكَ» التى يراد بها الجنس قد أوقعت على بعض الجنس كما أوقع اسم الجنس على بعضه فى قوله «وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ

" بطن شريان يعوى عنده الذيب "

فأما من جمع فإنه جعل الكلم التي توعدوا بها كل واحده منها كلمه ثم جمع فقال «كلمات» و كلاهما وجه.

الإعراب

«كَذَلِكَ حَقَّتْ» الكاف فى موضع نصب أى مثل أفعالهم جازاهم ربك و قوله «أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» بدل من كلمه ربك أى حقيق عليهم أنهم لا يؤمنون و يجوز أن يكون على تقدير حقت عليهم الكلمه لأنهم لا يؤمنون و يكون الكلمه ما وعدوا به من العقاب.

المعنى

ثم قرر سبحانه أدله التوحيد و البعث عليهم فقال «فَعَلْ» يا محمد لهؤلاء الكفار «مَنْ يَزُوقُكُمْ» أى من يخلق لكم الأرزاق «مِنَ السَّمَاءِ» بإنزال المطر و الغيث «وَ» من «الْأَرْضِ» بإخراج النبات و أنواع الثمار و الرزق فى اللغه هو العطاء الجارى يقال رزق السلطان الجند إلا أن كل رزق فإن الله هو الرزاق به لأنه لو لم يطلقه على يد ذلك الإنسان لم يجىء منه شىء فلا يطلق اسم الرزاق إلا على الله تعالى و يقيد فى غيره كما لا يطلق اسم الرب إلا عليه و يقيد فى غيره فيقال رب الدار و رب الضيعه و لا يجوز أن يخلق الله حيوانا يريد تبقيته إلا و يرزقه لأنه إذا أراد بقاءه فلا بد له من الغذاء «أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ» معناه أم من يملك أن يعطيكم الأسماع و الأبصار فيقويها و ينورها و لو شاء لسلب نورها و حسها «وَ مَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ» قيل معناه و من يخرج الإنسان من النطفه و النطفه من الإنسان و قيل معناه و من يخرج الحيوان من بطن أمه إذا ماتت أمه و يخرج غير التام و لا البالغ حد الكمال من الحى و قيل معناه و من يخرج المؤمن من الكافر و الكافر من المؤمن «وَ مَنْ يُدَبِّرُ الْأُمْرَ» أى و من الذى يدبر جميع الأمور فى السماء و الأرض على ما توجه الحكمة «فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ» أى فسيعرفون بأن الله تعالى يفعل هذه الأشياء و أن الأصنام لا تقدر عليها «فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ» أى فقل لهم عند اعترافهم بذلك أ فلا تتقون عقابه فى عباده الأصنام و فى الآيه دلالة على التوحيد و على حسن المحاجه فى الدين لأنه سبحانه حاج به المشركين و فيها دلالة على أنهم كانوا يقرون بالخالق و إن كانوا مشركين فإن جمهور العقلاء يقرون بالصانع سوى جماعه قليله من ملحده الفلاسفه و من أقر بالصانع على هذا صنفان موحد يعتقد أن الصانع واحد لا يستحق العباده غيره و مشرك و هم ضربان

فضرب جعلوا لله شريكا في ملكه يضاده و يناوئه و هم الثنويه و المجوس ثم اختلفوا فمنهم يثبت لله شريكا قديما كالمانويه و منهم من يثبت شريكا محدثا كالمجوس و ضرب آخر لا يجعل لله شريكا في حكمه و ملكه و لكن يجعل له شريكا في العباده يكون متوسطا بينه و بين الصانع و هم أصحاب المتوسطات ثم اختلفوا فمنهم من جعل الوسائط من الأجسام العلويه كالنجوم و الشمس و القمر و منهم من جعل المتوسط من الأجسام السفليه كالأصنام و نحوها تعالى الله عما يقول الزائغون عن سبيله علوا كبيرا «فَذَلِكُمْ اللَّهُ» ذلك إشاره إلى اسم الله تعالى الذى وصفه فى الآيه الأولى بأنه الذى يرزق الخلق و يخرج الحى من الميت و يخرج الميت من الحى و الكاف و الميم للمخاطبين و هم جميع الخلق أخبر سبحانه أن الذى يفعل هذه الأشياء «رَبُّكُمْ الْحَقُّ» الذى خلقكم و معبودكم الذى له معنى الإلهيه و يحق له العباده دون غيره من الأصنام و الأوثان «فَمَا ذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ» استفهام يراد به التقرير على موضع الحجه إذا لا يجد المجيب محيدا عن الإقرار به إلا بذكر ما لا يلتفت إليه و المراد به ليس بعد الذهاب عن الحق إلا الوقوع فى الضلال لأنه ليس بينهما واسطه فإذا ثبت أن عباده ما سواه باطل و ضلال «فَأَنَّى تُصِرُّونَ» أى فكيف تعدلون عن عبادته مع وضوح الدلاله على أنه لا- معبود سواه «كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» معناه أن الوعيد من الله تعالى للكفار بالنار فى الصحه كالقول بأنه ليس بعد الحق إلا- الضلال و قيل إن معناه مثل انصرافهم عن الإيمان و جبت العقوبه لهم أى جازاهم ربهم بمثل ما فعلوا من الانصراف و هذا فى قوم علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون و معناه سبق علم ربك فى هؤلاء أنهم لا- يؤمنون و قيل معنى قوله «أَنَّهُمْ لا- يُؤْمِنُونَ» أو لأنهم لا- يؤمنون أى و جبت العقوبه عليهم لذلك.

إشارة

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتَى تُؤْفَكُونَ (٣٤) قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٥) وَمَا يُتَّبَعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٣٦)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم «أمن لا يهدى» ساكنه الهاء خفيفه الدال وقرأ أهل المدينة غير ورش يهدى ساكنه الهاء مشدده الدال وقرأ أبو عمرو وابن كثير وابن عامر وروح وزيد عن يعقوب يهدى بفتح الياء والهاء وتشديد الدال إلا أن أبا عمرو أشار إلى فتحه الهاء من غير إشباع وقرأ عاصم غير حماد ويحيى ورويس عن يعقوب «يَهْدِي» بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال وقرأ حماد ويحيى عن أبي بكر عن عاصم يهدى بكسر الياء والهاء والتشديد.

الحج

قوله «يَهْدِي» ويهدى ويهدى أصل جميعها يهتدى يفتعل وإن اختلفت ألفاظها أدغموا التاء في الدال لمقاربتها لها فإنهما من حيز واحد ثم اختلفوا في تحريك الهاء فمن قرأ يهدى ألقى حركة الحرف المدغم وهو التاء على الهاء ومن قرأ «يَهْدِي» بكسر الهاء فإنه حرك الهاء بالكسر لالتقاء الساكنين ومن سكن الهاء جمع بين الساكنين ومن أشم الهاء ولم يسكن فالإشمام في حكم التحريك ومن كسر الياء مع الهاء أتبع الياء ما بعدها من الكسره وهو ردى لثقل الكسر في الياء.

الإعراب

قوله «فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» ما مبتدأ ولكم خبره وكيف منصوب بقوله «تَحْكُمُونَ» «لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا» يجوز أن يكون قوله «شَيْئًا» مفعول يغنى ويجوز أن يكون في موضع مصدر أى لا- يغنى من الحق غناء وكذا قيل في قوله «لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَفْسٍ شَيْئًا» قالوا هو مفعول تجزى وقالوا هو مصدر أى جزاء وكذلك قوله «وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» قالوا هو مفعول تشرکوا وقالوا هو مصدر أى لا تشرکوا به إشراكا وكذلك قوله «يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا».

المعنى

ثم احتج سبحانه عليهم في التوحيد باحتجاج آخر فقال «قُلْ» يا محمد لهؤلاء المشركين «هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ» أى هل من هذه الأصنام التى جعلتموها شركاء لله فى العباده وقيل الذين جعلتموهم شركاء فى أموالكم كما قال وهذا لِشُرَكَائِنَا من يبدأ الخلق بالإنشاء بعد أن لم يكن وهو الشأه الأولى ثم يعيده فى

النشأه الثانيه «قُلِ اللّٰهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ» معناه فإن قالوا ليس من شركائنا من يقدر عليه أو سكتوا فقل أنت لهم الله هو الذى يبدأ الخلق بأن ينشئه على غير مثال ثم يفنيه ثم يعيده يوم القيامة «فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ» أى كيف تصرفون عن الحق و تقلبون عن الإيمان ثم استأنف الحجاج فقال سبحانه «قُلْ» يا محمد «هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ» أى هل من هذه الأصنام من يهدى الناس إلى الرشد و ما فيه الصلاح و النجاه و الخير بدلاله ينصبها و حجه يظهرها فلا بد من أن يجيبوا بلا ف «قُلْ» أنت لهم «اللَّهُ» هو الذى «يَهْدِي لِلْحَقِّ» إلى طريق الرشاد يقال هديت إلى الحق و هديت للحق بمعنى واحد «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ» معناه أفمن يهدى غيره إلى طريق التوحيد و الرشد «أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ» أمره و نهيه «أَمَّنْ لَا يَهْدِي» أحدا «إِلَّا أَنْ يُهْدَى» أو لا يهتدى هو إلا أن يهدى و الأصنام لا تهتدى و لا تهدى أحدا و إن هديت لأنها موات من حجاره و نحوها و لكن الكلام نزل على أنها إن هديت اهتدت لأنهم لما اتخذوها آلهه عبر عنها كما يعبر عن من يعقل و وصفت بصفه من يعقل و إن لم يكن فى الحقيقه كذلك ألا ترى إلى قوله سبحانه «وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ» و قوله «إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ» و إنما هن موات ألا ترى أنه قال «فَادْعُوهُمْ فَلَيْسَ تَجِيبُوا لَهُمْ» «أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا» الآيه و كذلك قوله «إِنَّ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَ لَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ» فأجرى عليه اللفظ كما يجرى على من يعلم و على هذا فقوله «إِلَّا أَنْ يُهْدَى» إلا بمنزله حتى فكأنه قال أمن لا يهتدى حتى يهدى أم من لا يعلم حتى يعلم و من لا يستدل على شىء حتى يدل عليه و إن كان لو دل أو علم لم يستدل و لم يعلم و لو هدى لم يهتد بين الله سبحانه بذلك جهلهم و قله تمييزهم فى تسويتهم من لا يعلم و لا يقدر بالله القادر و العالم و قال البلخى لا يهدى و لا يهتدى بمعنى واحد يقال هديته فهدى أى اهتدى و قيل إن المراد بذلك الملائكه و الجن لأنهم يهتدون إذا هدوا و قيل المراد به الرؤساء و المضلون الذين يدعون إلى الكفر و قيل إن المعنى فى قوله «لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى» لا يتحرك إلا أن يحرك و لا ينتقل إلا أن ينقل كقول الشاعر:

" حيث تهدى ساقه قدمه "

أى يحمل و قيل معناه إلا أن يركب الله فيه آله التمييز و الهدايه و يرزقه فهما و عقلا فإن هدى حينئذ اهتدى «فَمَا لَكُمْ» قال الزجاج هذا كلام تام كأنه قال أى شىء لكم فى عبادته من لا يضر و لا ينفع «كَيْفَ تَحْكُمُونَ» هذا تعجيب من حالهم أى كيف تقضون بأن هذه الأصنام آلهه و أنها تستحق

العبادة وقيل كيف تحكمون لأنفسكم بما لا توجه الحجه و لا تشهد بصحته الأدله «و ما يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا» أى ليس يتبع أكثر هؤلاء الكفار إلا ظنا الظن الذى لا يجدى شيئا من تقليد آباءهم و رؤسائهم «إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا» لأن الحق إنما ينتفع به من علمه حقا و عرفه معرفه صحيحه و الظن يكون فيه تجويز أن يكون المظنون على خلاف ما ظن فلا يكون مثل العلم «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ» من عباده غير الله تعالى فيجازيهم عليه و فيه ضرب من التهديد.

[سوره يونس (١٠): الآيات ٣٧ الى ٤٠]

اشاره

وَ مَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧)
أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنْ اسْتَلَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَ لَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٣٩) وَ مِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَ رَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ (٤٠)

اللغه

القرآن عباره عن هذا الكلام الذى هو فى أعلى طبقات البلاغه مع حسن النظام و الجزاله، و التفصيل و التقسيم و التمييز نظائر و ضده التليس و التخليط و السوره جملته منزله محيطه بآيات الله كإحاطه سور البناء بالبناء و الاستطاعه حاله للحي تنطاع بها الجوارح للفعل و هى مأخوذه من الطوع و القدره مأخوذه من القدر فهى معنى يمكن أن يوجد بها الفعل و ألا يوجد لتقصير قدره عن ذلك المعنى.

الإعراب

«وَ مَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ» أى لأن يفترى و يجوز أن يكون

المعنى ما كان هذا القرآن افتراء فيكون مصدرا فى موضع نصب بأنه خبر كان و تصديق عطف عليه أى و لكن كان تصديق الذى بين يديه «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ» أم هذه هى المنقطعه و تقديره بل أ يقولون و كيف فى موضع نصب على أنه خبر كان.

المعنى

ثم رد الله سبحانه على الكفار قولهم انْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلْتَهُ و قولهم إن النبى ص افترى هذا القرآن فقال «وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى» أى افتراء «مِنْ دُونِ اللَّهِ» فأقام أن مع الفعل مقام المصدر بل هى وحى من الله و متلقى منه «وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ» من الكتب كما قال فى موضع آخر مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ* و هذه شهاده من الله بأن القرآن صدق و شاهد لما تقدم من التوراه و الإنجيل و الزبور بأنها حق و من وجه آخر هو شاهد لها من حيث إنه مصداق لها على ما تقدمت البشاره به فيها و قيل معناه تصديق الذى بين يديه فى المستقبل من البعث و النشور و الحساب و الجزاء «وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ» أى تبين المعانى المجمله فى القرآن من الحلال و الحرام و الأحكام الشرعيه و قيل معناه و بيان الأدله التى تحتاجون إليها فى أمور دينكم «لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» أى لا شك فيه أنه نازل من عند الله و أنه معجز لا يقدر أحد على مثله و هذا غايه فى التحدى «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ» هذا تقرير على موضع الحججه بعد مضى حجه أخرى و تقديره بل أ يقولون افتراه هذا فألزمهم على الأصل الفاسد إمكان أن يأتوا بمثله و «قُلْ» لهم «فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ» أى مثله فى البلاغه لأنكم من أهل لسانه فلو قدر على ذلك لقدرتم أنتم أيضا عليه فإذا عجزتم عن ذلك فاعلموا أنه ليس من كلام البشر و أنه منزل من عند الله عز اسمه و قيل «بِسُورَةٍ مِثْلِهِ» أى بسوره مثل سوره منه و قال مثله لأنه إنما التمس من هذا شبه الجنس «وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ» أى و ادعوا من قدرتم عليه من دون الله و استعينوا به للمعاضده على المعارضه بسوره مثله «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فى أن هذا القرآن مفترى من دون الله و هذا أيضا غايه فى التحدى و التعجيز «بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ» أى بما كذبوا و لم يعلموه من جميع وجوهه لأن فى القرآن ما يعلم المراد منه بدليل و يحتاج إلى الفكر فيه و الرجوع إلى الرسول فى معرفه مراده و ذلك مثل المتشابهة بالكفار لما لم يعرفوا المراد بظاهره كذبوا به و قيل معناه بل كذبوا بما لم يحيطوا علما بكيفيه نظمه و ترتيبه و هذا كما أن الناس يعرفون ألفاظ الشعر و الخطب و معانيها و لا يمكنهم إبداعها لجهلهم بنظمها و ترتيبها و قال الحسن معناه بل كذبوا بالقرآن من غير علم ببطلانه و قيل معناه بل كذبوا بما فى القرآن من الجنه و النار و البعث و النشور و الثواب و العقاب «وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ» أى لم يأتهم بعد حقيقه ما وعد فى الكتاب مما يؤول إليه أمرهم من العقوبه و قيل معناه إن فى القرآن أشياء لا يعلموه هم و لا- يمكنهم معرفته إلا بالرجوع إلى

النبي ص فلم يرجعوا إليه و كذبوا به فلم يأتهم تفسيره و تأويله فيكون معنى الآية بل كذبوا بما لم يدركوا علمه من القرآن و لم يأتهم تفسيره و لو راجعوا فيه رسول الله ص لعلموه و

روى عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال إن الله خص هذه الأمة بآيتين من كتابه أن لا يقولوا إلا ما يعلمون و أن لا يردوا ما لا يعلمون ثم قرأ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ الْآيَةَ و قرأ «بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ» الْآيَةَ

و قيل أن من هنا أخذ

أمير المؤمنين على (عليه السلام) قوله الناس أعداء ما جهلوا

و أخذ

قوله قيمه كل امرئ ما يحسنه

من قوله عز و جل «فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ» و أخذ

قوله تكلموا تعرفوا

من قوله وَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ «كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» أى مثل تكذيب هؤلاء كذبت الأمم السالفه رسلها «فَانظُرْ» يا محمد «كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ» أى كما كان عاقبه أولئك الهلاك كذلك يكون عاقبه هؤلاء ثم أخبر سبحانه أن من جمله هؤلاء الذين كذبوا بالقرآن و نسبوه إلى الافتراء من سيؤمن به فى المستقبل و يصدق بأنه من عند الله و منهم من يموت على كفره فقال «وَ مِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ» و أراد سبحانه أنه إنما لا يهلكهم فى الحال لما يعلم فى تبقيتهم من الصلاح و قيل معناه و منهم من يؤمن بالقرآن فى نفسه و يعلم صحته إلا أنه يعاند و يظهر من نفسه خلاف ما يعلمه و منهم من هو شاك فيه فكأنه قال و منهم معاندون و منهم شاكون «وَ رَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ» أى بمن يدوم على الفساد و يعلم من يتوب.

[سوره يونس (١٠): الآيات ٤١ الى ٤٤]

اشاره

وَ إِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَ لَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَ أَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (٤١) وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَ فَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَ لَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ (٤٢) وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَ فَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَ لَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ (٤٣) إِنْ اللَّهُ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَ لَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٤)

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال «وَ إِنْ كَذَّبُوكَ» يا محمد و لم يصدقوك

و ردوا عليك قولك «فَقُلْ» لهم «إلى عَمَلِي» فإن كنت كاذبا فوباله على «وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ» أى و لكم جزاء عملكم «أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُوا وَ أَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ» نظيره قوله قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ إلى آخر السوره و هذا وعيد لهم من الله تعالى كقوله اَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ و نحوه و قيل إن هذه الآيه منسوخه بآيه القتال و قيل أنه لا تنافى بين هذه الآيه و آيه القتال لأنها براءه و وعيد و ذلك لا ينافى الجهاد «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ» معناه و من جمله هؤلاء الكفار من يستمع إليك يا محمد و الاستماع طلب السمع فهم كانوا يطلبون السمع للرد لا للفهم فلذلك لزمهم الادم إذا سمعوه على هذا الوجه كأنهم صم لم يستمعوه حيث لم ينتفعوا به «أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّمَّ» هذا خطاب للنبي ص بأنه لم يقدر على إسماع الصم «وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ» قال الزجاج معناه و لو كانوا جهالا و هذا مثل قول الشاعر:

" أصم عما ساءه سميع "

«وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ» أى و من جملتهم من ينظر إليك يا محمد فلم يخبر بلفظ الجمع هنا لأنه حمله على اللفظ و قال «مَنْ يَسْتَمِعُونَ» فأخبر بلفظ الجمع حملا على المعنى أى ينظر إلى أفعالك و أقوالك لا نظر الحقيقه و العبره بل نظر العاده فلا ينتفع بنظره «أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمَى وَ لَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ» أى فكما أنك لا تقدر أن تبصر العمى فتنتفعهم به كذلك لا تقدر أن تنفع بما تأتى به من الأدله من ينظر إليها و لا يطلب الانتفاع بها و قوله «أَفَأَنْتَ» استفهام المراد به النفى و قيل إن معنى الآيتين و منهم من يستمع إلى كلامك استماع الطعن و التعنت و ينظر إلى أدلتك نظر الطاعن القادح فيها المكذب بها الراد عليها فلا تقدر أن تنفعهم بمثل هذا الاستماع و النظر «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَ لَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ» قد تمدح سبحانه فى هذه الآيه بأنه لا يظلم أحدا من الناس شيئا بأن ينقص من حسناتهم و جزاء طاعته و لكنهم ينقصون أنفسهم و يظلمونها بارتكاب ما نهى الله عنه من القبائح و المعنى هنا أن الله تعالى لا يمنح أحدا الانتفاع بما كلفهم الانتفاع به من القرآن و الأدله و لكنهم يظلمون أنفسهم بترك النظر فيه و الاستدلال به و تقويتهم أنفسهم الثواب عليها و إدخالهم عليها العقاب فى الآيه دلالة على أنه سبحانه لا يفعل الظلم فبطل قول المجبره فى إضافه كل ظلم إلى خلقه و إرادته.

النظم

قيل فى اتصال الآيه الأولى بما قبلها أنه سبحانه لما بين دلائل التوحيد و النبوات فعاندوا و كذبوا أمر فيما بعد بقطع العصمه عنهم و الوعيد لهم و أما الآيه الأخيره و هى قوله «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا» فالوجه فى اتصالها بما قبلها أنها تتصل بقوله «فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ» يعنى أنهم استحقوا ذلك الهلاك و العذاب بأفعالهم و ما ظلمناهم

ص: ١٧٠

وقيل إنها اتصلت بقوله «وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ» «وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ» فكأنه قال إن الله لا يمنعهم الانتفاع بما كلفهم بل مكثهم و بين لهم و هداهم و أزاح علتهم و لكن ظلموا هم أنفسهم بترك الانتفاع به عن الجبائى و أبى مسلم و قيل أنه لما تقدم ذكر الوعد و الوعيد بين سبحانه أنه لا يظلمهم أى لا ينقص من حسناتهم و لا يزيد فى سيئاتهم.

[سوره يونس (١٠): الآيات ٤٥ الى ٤٧]

أشاره

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَ مَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (٤٥) وَ إِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ (٤٦) وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَ هُمْ لَا يظْلَمُونَ (٤٧)

القراءه

قرأ حفص عن عاصم «وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ» بالياء و الباقون بالنون.

الحجه، و الإعراب

قال أبو على يحتمل قوله «كَأَنْ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ» ثلاثه أوجه (أحدها) أن يكون صفه (و الآخر) أن يكون صفه للمصدر المحذوف (و الثالث) أن يكون حالا من الضمير فى نحشروهم فإذا جعلته صفه ليوم احتمال ضربين من التأويل (أحدهما) أن يكون التقدير كأن لم يلبثوا قبله إلا ساعه فحذفت الكلمه لدلاله المعنى عليها و مثل ذلك فى حذف هذا النحو منه قوله فإذا بَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَى أمسكوهن قبله و كذلك قوله يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ* أَى يتربصن بعدهم و يجوز أن يكون المعنى كأن لم يلبثوا قبله فحذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه ثم حذفت الهاء من الصفه كقولك الناس رجالان رجل أهنتم و رجل أكرمتهم و مثل هذا فى حذف المضاف و إقامه الصفه المضاف إليه مقامه قوله «تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَ هُوَ واقعٌ بِهِمْ» التقدير و جزاؤه واقع بهم فحذف المضاف و إن جعلته صفه للمصدر كان على هذا التقدير الذى وصفناه و بمثله و إن جعلته حالا من الضمير المنصوب لم يحتج إلى حذف شىء من اللفظ لأن الذكر من الحال قد عاد إلى ذى الحال و المعنى نحشروهم مشابيه أحوالهم أحوال من لم

ص: ١٧١

يلبث إلا ساعه و إما يوم نحشرم فإنه يصلح أن يكون معمولاً لأحد شيئين (أحدهما) أن يكون معمول يتعارفون (و الآخر) أن يكون يوم نحشرم لما دل عليه قوله «كَأَنَّ لَمْ يَلْبَثُوا» فإذا جعلته معمولاً لقوله «يَتَعَارَفُونَ» انتصب يوم على وجهين (أحدهما) أن يكون ظرفاً معناه يتعارفون في هذا اليوم (و الآخر) أن يكون مفعولاً - على السعه على قوله يا سارق الليلة أهل الدار و معنى يتعارفون يحتمل أمرين (أحدهما) أن يكون المعنى مده إمامتهم التي وقع حشرهم بعدها و حذف المفعول للدلالة عليه كما حذف في مواضع كثيرة و عدى تفاعل كما يعدى في قوله تخاطأت النبل أحشائه أو يكون أعمل الفعل الذي دل عليه يتعارفون ألا - ترى أنه قد دل على يستعملون و يتعرفون و تعرفوا مده اللبث ها هنا كما تعرفوها في قوله قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ و الآخر في التعارف ما جاء من قوله وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فتعارفهم يكون على أحد هذين الوجهين فعلى هذا يكون قوله و يوم نحشرم معمول يتعارفون و الآخر أن يكون يوم نحشرم معمول ما دل عليه قوله «كَأَنَّ لَمْ يَلْبَثُوا» ألا ترى أن المعنى تشابه أحوالهم أحوال من لم يلبث فيعمل في الظرف هذا المعنى و لا يمتنع المعنى من أن يعمل في الظرف و أن تقدم الظرف عليه كقولهم أكل يوم لك ثوب و إذا حملته على هذا لم يجز أن يكون صفة للمصدر لأن الموصوف الذي هو المصدر موضعه بعد الفعل تقديره يوم نحشرم حشراً كأن لم يلبثوه أو لم يلبثوا قبله و الصفة لا يتقدم عليها ما تعمل فيه و لا يجوز أيضاً أن تجعله صفة ليوم على هذا لأن الصفة لا تعمل في الموصوف ألا ترى أن الصفة شرح للموصوف كما أن الصلة لا تعمل في الموصول لذلك فإن قلت فإذا قدرت كأن لم يلبثوا على تقدير الحال من الضمير هل يجوز أن يكون يوم معمولاً له فإن ذلك لا يجوز لأن العامل في الحال يحشر أو نحشر و قد أضيف اليوم إليه و لا يجوز أن يعمل في المضاف المضاف إليه و لا ما يتعلق بالمضاف إليه لأن ذلك يوجب تقديمه على المضاف ألا ترى أنه لم يجز القتال زيدا حين يأتي و إذا جعلت يتعارفون العامل في يوم نحشرم لم يجز أن يكون صفة ليوم على أنك كأنك و صفت اليوم بقوله «كَأَنَّ لَمْ يَلْبَثُوا» و يتعارفون فوصفت يوم نحشرم بجملتين لم يجز أن يكون معمولاً لقوله «يَتَعَارَفُونَ» لأن الصفة لا تعمل في الموصوف و جاز وصف اليوم بالجمل و إن أضيف لأن الإضافة ليست بمحضه فلم تعرفه و يدل على النون في نحشرم قوله سبحانه وَ حَشَرْنَاَهُمْ وَ قَوْلِهِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى و يدل على الياء قوله لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ كِلِ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَجْرِي مَجْرَى الْآخِرِ.

ثم بين سبحانه حالهم يوم الجمع فقال «وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ» أى يجمعهم من كل مكان إلى الموقف «كَأَنَّ لَمْ يَلْبَثُوا» فى الدنيا «إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ» أى كأنهم لم يلبثوا فى الدنيا إلا ساعه من النهار و معناه أنهم استقلوا أيام الدنيا فإن المكث فى الدنيا و إن طال كان بمنزله مكث ساعه فى جنب الآخره عن الضحاك و جماعه و قيل استقلوا أيام مقامهم فى الدنيا لقله انتفاعهم بأعمارهم فيها فكأنهم لم يلبثوا إلا يوما فيها لقله فائدتها و قيل إنهم استقلوا مده لبثهم فى القبور عن ابن عباس و قد دل الله سبحانه بذلك على أنه لا- ينبغى لأحد أن يغتر بطول ما يأمله من البقاء فى الدنيا إذا كان عاقبته إلى الزوال «يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ» معناه أن الخلق يعرف بعضهم بعضا فى ذلك الوقت كما كانوا فى الدنيا كذلك و قيل معناه يعرف بعضهم بعضا ما كانوا عليه من الخطأ و الكفر قال الكلبى يتعارفون إذا خرجوا من قبورهم ثم تنقطع المعرفه إذا عاينوا العذاب و يتبرأ بعضهم من بعض «قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ» أى بقاء جزاء الله «وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ» للحق قال الحسن معناه خسروا أنفسهم لأنهم لم يكونوا مهتدين فى الدنيا و لو كانوا مهتدين فى الدنيا لم يخسروا أنفسهم و معناه أنهم خسروا الدنيا حين صرفوها إلى المعاصى و خسروا نعيم الآخره حين فوتوها على أنفسهم بمعاصيهم «وَأِمَّا تُرِيتَكَ» يا محمد فى حياتك «بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ» أى نعد هؤلاء الكفار من العقوبه فى الدنيا قالوا و منها وقعه بدر «أَوْ تَتَوَفَّيَنَّكَ» أى نميتك قبل أن ينزل ذلك بهم و ينزل ذلك بهم بعد موتك «فَالَيْنَا مَرْجِعُهُمْ» أى إلى حكمنا مصيرهم فى الآخره فلا يفوتوننا و قيل إن الله سبحانه وعد نبيه ص أن ينتقم له منهم إما فى حياته أو بعد وفاته و لم يحده بوقت فقال إن ما وعدناه حقا لا محاله «ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ» أى عليم بأفعالهم حافظ لها فهو يوفيهم عقاب معاصيهم «وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ» أى لكل جماعه على طريقه واحده و دين واحد كأمه محمد و أمه موسى و عيسى (عليه السلام) رسول بعثه الله إليهم و حملة الرساله التى يؤديها إليهم «فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ» هاهنا حذف و إضمار و التقدير فإذا جاء رسولهم و بلغ الرساله فكذبه قومه و صدقه آخرون «فَضِيحَىٰ بَيْنَهُمْ» فيهلك المكذبون و ينجو المؤمنون و قيل معناه فإذا جاء رسولهم يشهد عليهم يوم القيامة عن مجاهد و قيل فى الدنيا بما أذن الله له من الدعاء عليهم قضى بينهم أى فصل بينهم الأمر على الحتم «بِالْقِسْطِ» أى بالعدل «وَهُمْ لَا يُظَلِّمُونَ» أى لا ينقصون عن ثواب طاعاتهم و لا يزدادون فى عقاب سيئاتهم.

إشارة

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٨) قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٤٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ (٥٠) أَلَمْ تَرَ إِذَا مَا وَقَعَ آمْنْتُمْ بِهِ آلَانَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (٥١) ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (٥٢)

اللغة

الوعد خبر بما يعطى من الخير والوعيد خبر بما يعطى من الشر هذا إذا فصل فإن أجمل وقع الوعد على الجميع والنفع هو اللذة والسرور وما أدى إليهما أو إلى واحد منهما والضرر الألم والغم وما أدى إليهما أو إلى واحد منهما والأجل هو الوقت المضروب لوقوع أمر كأجل الدين وأجل الإنسان.

الإعراب

متى سؤال عن الزمان وأين سؤال عن المكان. بيانا منصوب على الظرف وقوله «ما ذا يَسْتَعْجِلُ» يجوز أن يكون ما في موضع رفع وذلك إذا كان ذا بمعنى الذى والمعنى ما الذى يستعجل منه المجرمون فىكون ما مبتدأ والذى خبره ويجوز أن يكون فى موضع نصب وذلك إذا جعلت ما وذا اسما واحدا والمعنى أى شىء يستعجل منه المجرمون من العذاب أو من الله فىكون مفعول يستعجل وجواب إن أتاكم محذوفاً وتقدير الكلام أ رأيتم ما ذا يستعجل من العذاب المجرمون إن أتاكم عذابه بيانا أو نهارة أو وقع أن أتاكم فى وسط الكلام موقع الاعتراض ومعنى ما ذا يستعجل هاهنا الإنكار أى ليس فى العذاب شىء يستعجل به وجاء فى صيغته الاستفهام لأنه لا جواب لصاحبه يصح له وقوله «تُمْ» دخلت ألف الاستفهام على ثم التى للعطف لتدل على أن معنى الجملة الثانية بعد الأولى مع أن للألف صدر الكلام والعامل فى إذا قوله «آمَنْتُمْ بِهِ» وقوله «آلَانَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ» تقديره آلَانَ به تؤمنون.

المعنى

لما وعد سبحانه المكذبين بين عقبيه أنهم إذا استعجلوا ذلك على سبيل التكذيب والرد فقال «وَيَقُولُونَ» أى ويقول هؤلاء المشركون «مَتَى هَذَا الْوَعْدُ» الذى تعدنا به من البعث وقيام الساعة وقيل من العذاب «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فى ذلك «قُلْ» يا محمد

جوابا لهم «لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً» أى لا أقدر لنفسي على ضرر أو نفع «إلا ما شاء الله» أن يملكنى أو يقدرنى عليه فكيف أقدر لكم لأنى إذا لم أقدر على ذلك كنت عن إنزال العذاب و عن معرفه وقته أعجز أو يكون معناه إذا لم أملك لنفسي شيئا من ذلك إلا ما ملكنيه الله تعالى فكيف أملك تقديم القيامة و تعجيل العقوبه قبل الوقت المقدر له «لكل أمه أجل» أى لكل أمه فى عذابها على تكذيب الرسل وقت معلوم «إذا جاء أجلهم فلا يسأخرون ساعه ولا يستقدمون» فلا يتأخرون عن ذلك الوقت و لا يتقدمون عليه بل يهلكهم فى ذلك الوقت بعينه «قل» يا محمد لهؤلاء المكذبين المستعجلين بالعذاب «أرايتم» أى أعلمتم «إن أتاكم عذاب الله «بياتاً» أى ليلاً «أو نهاراً» ما ذا يسئتعجل منه المجرمون» و هذا استفهام معناه التقطيع و التهويل كما يقول الإنسان لمن هو فى أمر يستوخم عاقبته ما ذا تجنى على نفسك و هذا جواب لقولهم متى هذا الوعد و

قال أبو جعفر الباقر (عليه السلام) يريد بذلك عذاباً ينزل من السماء على فسقه أهل القبلة فى آخر الزمان و نعوذ بالله منه

«أثم إذا ما وقع آمنتم به» هذا استفهام معناه الإنكار و تقديره أ حين وقع بكم العذاب المقدر الموقت آمنتم به أى بالله فى وقت اليأس و قيل بالقرآن و قيل بالعذاب الذى كنتم تنكرونه فيقال لكم الآن تؤمنون و قد اضطررتم لحلوله «وقد كنتم به» أى بالعذاب «تسئتعجلون» من قبل مكذبين مستهزئين و قال الحسن معناه ثم إنكم ستؤمنون به عند وقوع العذاب فلا ينفعكم إيمانكم و نظيره آمان و قد عصيت قبيل «ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد» أى ثم يقال يوم القيامة للذين ظلموا أنفسهم ذوقوا عذاب الدوام فى الآخرة بعد عذاب الدنيا «هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون» معناه أنكم قد دعيتم و هديتم و بين لكم الأدله و أزيحت عنكم العله فأبيتم إلا- التماذى فى الكفر و الانهماك فى الغى فذوقوا جزاء أعمالكم و إنما شبهوا بالذائق و هو الذى يطلب الطعم بالفم لأنه أشد إحساسا و قيل لأنهم يتجرعون العذاب بدخوله أجوافهم.

إشارة

وَ يَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَ رَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ وَ مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (٥٣) وَ لَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَ أَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٥٤) أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ الْإِنِّ وَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٥) هُوَ يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٥٦)

اللغة

الاستنباء طلب النبا الذي هو الخبر و الافتداء إيقاع الشيء بدل غيره لدفع المكروه به يقال فداه يفديه فديه و فداء و افتداه افتداء و فاداه مفاداه.

الإعراب

إلا كلمه تستعمل فى التنبيه و أصلها لا دخل عليها حرف الاستفهام تقريراً و تذكيراً فصارت تنبيهاً و كسرت إن بعد ألا لأن ألا يستأنف ما بعدها لينبه بها على معنى الابتداء و لذلك وقع بعدها الأمر و الدعاء كقول امرئ القيس:

" ألا أنعم صباحاً أيها الطلل البالي "

المعنى

«وَ يَسْتَنْبِئُونَكَ» يا محمد أى يطلبون منك أن تخبرهم «أَحَقُّ هُوَ» أى أحق ما جئت به من القرآن و النبوه و الشريعة و قيل أحق ما تعدنا من البعث و القيامة و العذاب عن الجبائى «قُلْ» يا محمد «إِي وَ رَبِّي» أى نعم و حق الله «إِنَّهُ لَحَقُّ» لا شك فيه «وَ مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ» أى بسابقين فائتين و هذا الاستخبار يحتمل أن يكون إنما وقع منهم على وجه التعريف و الاستفهام و يحتمل أن يكون وقع على وجه الاستهزاء «وَ لَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ» أى أشركت بالله عن ابن عباس و قيل ظلمت بكل ما يسمى ظلماً «ما فى الأرض» من الأموال «لَافْتَدَتْ بِهِ» من هول ما يلحقها من العذاب «وَ أَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ» أى أخفوا الندامة أى أسرو الندامة رؤساء الضلاله من الأتباع و السفله و قيل أسروا الندامة أى أخلصوها و الندامة الحسره على ما كان يتمنى أنه لم يكن و قيل أسروا أى أظهروا عن أبى عبيده و الجبائى و قال الأزهري و هذا غلط لأن ما يكون بمعنى الإظهار يكون بالشين المنقطه من فوق «وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ» أى فصل بينهم بالعدل «وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ» فيما يفعل بهم من العقاب لأنهم جنوه على أنفسهم و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال إنما أسروا الندامة و هم فى النار كراهيه لشماته الأعداء على أنفسهم

«أَلَا- إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى له ملك السماوات و الأرض و ما فيهما فلا يقدر أحد على منعه من إحلال العقاب بمملوكه المستحق له «أَلَا إِنَّ وَ وَعَدَ اللَّهُ» بإحلال العقاب بالمجرمين «حَقًّا وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» صحه ذلك لجهلهم به تعالى و بصحه ما أتى به النبى ص «هُوَ يُحْيِي» أى يحيى الخلق بعد كونهم أمواتاً «وَ يُمِيتُ» أى يميتهم بعد أن كانوا أحياء «وَ إِلَيْهِ

تُرْجَعُونَ» يوم القيامة فيجازيهم على أعمالهم قال الجبائي و في هذه

ص: ١٧٦

الآية دلالة على أنه لا يقدر على الحياه إلا الله تعالى لأنه تعالى تمدح بكونه قادرا على الإحياء و الإمامته.

النظم

وجه اتصال الآيه الأولى بما قبلها أن قوله «وَيَسْتَنْبِئُونَكَ» عطف على و يستعجلونك المعنى أنهم يستعجلونك و يقولون متى تكون القيامة و العذاب أو يستخبرونك أ حق ما تقول من كونه و وجه اتصال قوله «أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» بما قبله اتصال الإثبات بالنفي و تقديره ليس للظالم ما يفتدى به بل جميع الملك له تعالى و قيل أنه يتصل بما قبله بمعنى أن من يملك السموات و الأرض يقدر على إيقاع ما توعد به و وجه اتصال قوله «أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» بما قبله أنه إذا خلق السموات و الأرض لا للعبث بل لمنافع الخلق فلا يجوز عليه خلف الوعد و أيضا فإن من صفه الخالق أن يكون عالما لذاته غنيا غير محتاج و الخلف كذب قبيح و لا بد للفعل من داع و الداعي إلى القبيح إما الجهل بقبحه أو الحاجه إليه فإذا لا يجوز الخلف عليه إذ لا داعي له إليه.

[سوره يونس (١٠): الآيات ٥٧ الى ٥٨]

اشاره

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَ هُدًى وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَ بَرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨)

القراءه

قرأ أبو جعفر و ابن عامر «فَلْيَفْرَحُوا» بالياء تجمعون بالتاء و

قرأ يعقوب بروايه رويس فلتفرحوا و تجمعون بالتاء فيهما جميعا و روى ذلك عن النبي ص

و أبي بن كعب و الحسن و فى روايه زيد عن يعقوب فلتفرحوا بالتاء «يَجْمَعُونَ» بالياء و روى ذلك عن ابن عباس و قتاده و جماعه و الباقر بالياء فيهما جميعا.

الحجه

قال أبو على قوله «بِفَضْلِ اللَّهِ وَ بَرَحْمَتِهِ» الجار فيه يتعلق بمضمرة استغنى عن ذكره لدلاله ما تقدم عليه و هو قوله «قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ» كما أن قوله «أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» قيل يتعلق الظرف فيه بمضمرة يدل عليه ما تقدم من الفعل و كذلك قوله «أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» فاما قوله «فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا» فإن الجار فى قوله «فَبِذَلِكَ» يتعلق بفليرحوا لأن هذا الفعل اتصل بالياء قال و فرحوا بها و قال و فرحت بما قد كان من سيديكما فأما الفاء فى قوله «فَلْيَفْرَحُوا» فزياده يدل على ذلك أن المعنى فافرحوا بذلك و مثل هذه الآيه

" و إذا هلكت فعند ذلك فاجزعي "

فالفاء فى قوله فاجزعى زياده كما كانت الفاء فى قوله «فَلْيَفْرَحُوا» زياده و لا تكون الزياده الاولى لأن الظرف إنما يتعلق باجزعى فأما من قرأ فلتفرحوا بالتاء فإنه اعتبر الخطاب الذى قبل و هو قوله «قَدْ جَاءَ تَكُمْ مَوْعِظَةٌ» و زعموا أنها فى حرف أبى فافرحوا قال أبو الحسن و زعموا أنها لغه و هى قليله نحو لنضرب و أنت تخاطب فأما من قرأ هو خير مما تجمعون بالتاء فعلى أنه عنى المخاطبين و الغيب جميعا إلا- أنك غلبت المخاطبه على الغيبه و من قرأ بالياء كان المعنى فافرحوا بذلك أيها المؤمنون أى أفرحوا بفضل الله و رحمته فإن ما آتاكموه من الموعظه شفاء لما فى الصدور تلج اليقين النفس بالإيمان و سكون النفس إليه خير مما يجمعه غيركم من أعراض الدنيا ممن فقد هذه الحال التى حزتموها.

المعنى

لما تقدم ذكر القرآن و ما فيه من الوعد و الوعيد عقبه سبحانه بذكر جلاله موقع القرآن و عظم محله فى باب الأدله فقال «يا أَيُّهَا النَّاسُ» خطاب لجميع الخلق و تنبيه لهم و يقال أنه خطاب لقريش «قَدْ جَاءَ تَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ» يعنى القرآن و الموعظه بيان ما تجب أن يحذر عنه و يرغب فيه و قيل هى ما يدعو إلى الصلاح و يزجر عن الفساد «وَ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ» الشفاء معنى كالدواء لإزالة الداء فداء الجهل أضر من داء البدن و علاجه أعسر و أطبأؤه أقل و الشفاء منه أجل و الصدر موضع القلب و هو أجل موضع فى البدن لشرف القلب «وَ هُدًى» أى و دلالة تؤدى إلى معرفه الحق «وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ» أى و نعمه لمن تمسك به و عمل بما فيه و خص المؤمنين بالذكر و إن كان القرآن موعظه و رحمه لجميع الخلق لأنهم الذين انتفعوا به و وصف الله سبحانه القرآن فى هذه الآيه بأربع صفات بالموعظه و الشفاء لما فى الصدور و بالهدى و الرحمه «قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَ بِرَحْمَتِهِ» معناه قل يا محمد بإفضال الله و بنعمته فإنه يجوز إطلاق الفاضل على الله تعالى فوضع الفضل فى موضع الإفضال كما وضع النبات فى قوله «وَ اللَّهُ أُنْبِتُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا» فى موضع الإنبات و قيل أن الفضل إلى الله بمعنى الملك كما يضاف العبد إليه بأنه مالك له «فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ» قال الزجاج قوله «فَبِذَلِكَ» بدل من قوله بِفَضْلِ اللَّهِ وَ بِرَحْمَتِهِ و هو يدل على أنه يعنى به القرآن أى فبذلك فليفرح الناس لأنه خير لكم يا أصحاب محمد مما يجمعه هؤلاء الكفار من الأموال و معنى الآيه قل لهؤلاء الفرحين بالدنيا المعتدين بها الجامعين لها إذا فرحتم بشىء فافرحوا بفضل الله عليكم و رحمته لكم بإنزال هذا القرآن و إرسال محمد إليكم فإنكم تحصلون بهما نعيما دائما مقيما هو خير لكم من هذه الدنيا الفانيه و قيل فضل الله هو القرآن

و رحمته الإسلام عن أبي سعيد الخدرى و الحسن و

روى أنس عن النبى ص أنه قال من هداه الله للإسلام و علمه القرآن ثم شكى الفاقه كتب الله عز و جل الفقر بين عينيه إلى يوم
القيامة ثم تلا «قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَ بِرَحْمَتِهِ» الآية

و قيل فضل الله الإسلام و رحمته القرآن عن قتاده و مجاهد و غيرهما

قال أبو جعفر الباقر (عليه السلام) فضل الله رسول الله ص و رحمته على بن أبى طالب (عليه السلام)

و رواه الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس.

[سوره يونس (١٠): الآيات ٥٩ الى ٦١]

اشاره

قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَ حَلَالًا- قُلْ أَللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ (٥٩) وَ مَا ظَنُّ الَّذِينَ
يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (٦٠) وَ مَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَ مَا تَتْلُوا
مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَ لَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَ مَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي
السَّمَاءِ وَ لَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَ لَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦١)

القراءة

قرأ الكسائي و ما يعزب بكسر الزاى هنا و فى سيبا و هو قراءة الأعمش و يحيى بن وثاب و قرأ الباقون بضم الزاى و قرأ حمزه و
خلف و يعقوب و سهل و لا أصغر و لا أكبر بالرفع و الباقون بفتحها.

الحججه

«يَعْزُبُ» و يعزب لغتان صحيحتان و من فتح الزاى من «أَصْيَغَرَ» و «أَكْبَرَ» فلأن أفعال فى الموضعين فى موضع جر على تقدير ما
يعزب عن ربك من مثقال ذره و لا مثقال أصغر من ذلك و لا أكبر و إنما فتح لأنه غير منصرف و إنما منع الصرف لأن الفعل
إذا اتصل به " من " كان صفة و إذا كان صفة لم ينصرف فى النكرة و من رفع حملة على موضع الجار و المجرور الذى هو مِنْ
مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فإنه فى موضع رفع كما كانا فى قوله وَ كَفَى بِاللَّهِ وَ يجوز رفعه من جهة

أخرى على الابتداء و يكون الخبر قوله «إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ».

اللغة

الشأن اسم يقع على الأمر و الحال تقول ما شأنك و ما بالك و ما حالك و الإفاضه الدخول فى العمل على جهه الانصباب إليه مأخوذ من فيض الإناء إذا انصب الماء من جوانبه و منه قوله أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ أى تفرقتم كتفرق الماء الذى ينصب من الإناء و العزوب الذهاب عن المعلوم و ضده حضور المعنى للنفس و تعزب إذا انفرد عن أهله.

الإعراب

ما فى قوله «ما أَنْزَلَ اللَّهُ» فى موضع نصب بأنزل و يكون بمعنى أى فى الاستفهام و يحتمل أن يكون ما بمعنى الذى فىكون نصبا برأيتهم.

المعنى

ثم أمر سبحانه نبيه ص أن يخاطب كفار مكة فقال «قُلْ» يا محمد لهم «أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ» فجعله حالاً «فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَ حَلَالاً» أى جعلتم بعضه حراماً و بعضه حلالاً يعنى ما حرموا من السائبه و البحيره و الوصيله و نحوها مما حرموا من زروعهم و إنما قال «أَنْزَلَ اللَّهُ» لأن أرزاق العباد من المطر الذى ينزله الله «قُلْ» يا محمد لهم «أَلَلَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ» و معناه أنه لم يأذن لكم فى شىء من ذلك بل أنتم تكذبون فى ذلك على الله سبحانه «وَ مَا ظَنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» معناه أى شىء يظن الذين يكذبون على الله أنه يصيبهم يوم القيامة على افتراءهم على الله أى لا ينبغى أن يظنوا أن يصيبهم على ذلك إلا العذاب الشديد و العقاب الأليم «إِنَّ اللَّهَ لَعَدُوٌّ فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ» بما فعل بهم من ضرور الإنعام «وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ» نعمه و يجحدونها و هذا الكلام خرج مخرج التفریع على افتراء الكذب و إن كان فى صوره الاستفهام و تقديره أ يوديهم افتراؤهم الكذب إلى خير أم شر و قيل أن معنى قوله «لَعَدُوٌّ فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ» أنه لم يضيق عليهم بالتحريم كما ادعيتم ذلك عليه و قيل معناه أنه ل ذو فضل على خلقه بترك معاجله من افتراء الكذب بالعقوبه فى الدنيا و إمهاله إياهم إلى يوم القيامة ثم بين سبحانه أن إمهاله إياهم ليس لجهل بحالهم فقال «وَ مَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ» أى ما تكون أنت يا محمد فى حال من الأحوال و فى أمر من أمور الدين من تبليغ الرساله و تعليم الشريعة و غير ذلك «وَ مَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ» أى و ما تقرأ من الله من قرآن و قيل من الكتاب من قرآن و القرآن يقع على القليل و الكثير منه و قيل أن الهاء تعود إلى الشأن أى و ما تلو من الشأن من قرآن «وَ لَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً» أى و لا تعمل أنت و أمتك من عمل إلا كنا عالمين به شاهدين عليكم به «إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ» أى تدخلون فيه و تخوضون فيه «وَ مَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ» أى و ما يبعد و ما

يغيب عن علم ربك و رؤيته و قدرته «مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ» أى وزن نمله صغيره «فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي السَّمَاءِ وَ لَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ» من وزن نمله «وَ لَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ» أى فى كتاب بينه الله فيه قبل أن خلقه و هو اللوح المحفوظ و قيل أراد به كتاب الحفظه الذى كتبه الملائكه السفرة و حفظوه و

قال الصادق (عليه السلام) كان رسول الله ص إذا قرأ هذه الآية بكى بكاء شديدا.

النظم

قيل فى اتصال الآيه الأولى بما قبلها أنها اتصلت بقوله «قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ» فإذا قرءوا أنه الرزاق قيل لهم أ جعلتم ما رزقكم بعضه حراما و بعضه حلالا عن أبى مسلم و قيل لما وصف القرآن بأنه هدى و رحمه و أمرهم بالتمسك بما فيه عقبه بذكر مخالفتهم لما جاء فى القرآن و تحريمهم ما أحل الله.

[سوره يونس (١٠): الآيات ٦٢ الى ٦٥]

إشارة

أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤) وَ لَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦٥)

اللغة

الخوف و الفزع و الجزع نظائر و هو إزعاج القلب لما يتوقع من المكروه و الأمن ضده و الحزن غلظ الهم مأخوذ من الحزن و هى الأرض الغليظة و السرور ضده و البشرى الخبر مما يظهر سروره فى بشره الوجه و البشاره مثلها و العزه شدة الغلبه من عزه يعزه إذا غلبه و منه قولهم إذا عز أخوك فهن يعنى إذا غلبك و لم تقاومه فلن له و عز الشىء يعز بفتح العين إذا اشتد و يعز بكسرها إذا صار عزيزا لا يوجد فكأنه اشتد وجوده.

الإعراب

«الَّذِينَ آمَنُوا» يحتمل موضعه ثلاثه أوجه من الإعراب (الأول) النصب على أنه صفة أولياء الله (و الثانى) الرفع على المدح (و الثالث) الرفع على الابتداء و خبره «لَهُمُ الْبُشْرَى» فإن جعلت «الَّذِينَ آمَنُوا» صفة لم تقف على يحزنون بل تقف على يتقون و إن

جعلته مبتدأ وقفت على يحزنون دون يتقون لأن لهم البشرى خبر عنهم و البشرى يرتفع بالظرف على الأقوال الثلاثة «و لا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعاً» كسرت أن للاستئناف بالتذكير لما ينفي الحزن و لا يجوز أن يكون كسرت لأنها وقعت بعد القول لأنه يصير حكاية عنهم و أن النبي ص يحزن لذلك و هذا كفر و يجوز فتحها على تقدير اللام كأنه قال و لا يحزنك قولهم لأن العزة لله جميعاً و قد غلظ القتيبي في هذا فزعم أن فتحها يكون كفراً و ليس الأمر كما ظنه فإنها إذا كانت معموله للقول لم يجوز و إذا تعلق بغير القول جاز سواء فتحت أو كسرت و مثل الفتح قول ذى الرمة:

فما هجرتك النفس يا مى أنها قلتك و لكن قل منك نصيبها

و لكنهم يا أملح الناس أولعوا بقول إذا ما جئت هذا جنيها

و قال القتيبي عند ذكر هذه المسألة إذا قلت هذا قاتل أخى بالتنوين دل على أنه لم يقتل و إذا قلت هذا قاتل أخى بحذف التنوين دل على أنه قتل و هذا غلط بإجماع من النحويين لأن التنوين قد تحذف و أنت تريد الحال و الاستقبال قال الله تعالى هَٰذَا بَالِغُ الْكُفْبِ يَرِيدُ بِالْغَا الْكُفْبِ وَ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ أَى ستدوق.

المعنى

«ألا- إن أولياء الله لا- خوفٌ عليهم» بين سبحانه أن المطيعين لله الذين تولوا القيام بأمره و تولاهم سبحانه بحفظه و حياطته لا خوف عليهم يوم القيامة من العقاب «و لا- هم يحزنون» أى لا- يخافون و اختلف فى أولياء الله فقليل هم قوم ذكرهم الله بما هم عليه من سيماء الخير و الإخبات عن ابن عباس و سعيد بن جبير و

قيل هم المتحابون فى الله ذكر ذلك فى خبر مرفوع

و قيل هم الذين آمنوا و كانوا يتقون و قد بينهم فى الآية التى بعدها عن ابن زيد و

قيل أنهم الذين أدوا فرائض الله و أخذوا بسنن رسول الله و تورعوا عن محارم الله و زهدوا فى عاجل هذه الدنيا و رغبوا فيما عند الله و اكتسبوا الطيب من رزق الله لمعايشهم لا يريدون به التفاخر و التكاثر ثم أنفقوه فيما يلزمهم من حقوق واجبه فأولئك الذين يبارك الله لهم فيما اكتسبوا و يثابون على ما قدموا منه لآخرتهم و هو المروى عن على بن الحسين (عليه السلام)

و قيل هم الذين توالى أفعالهم على موافقه الحق «الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا بالله و اعترفوا بوحدانيته «وَ كَانُوا يَتَّقُونَ» مع ذلك معاصيه «لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ» فيه أقوال (أحدها) أن البشرى فى الحياه الدنيا هى ما بشرهم الله تعالى به فى

القرآن على الأعمال الصالحة ونظيره قوله «وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ» وقوله «يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ» الآية عن الزجاج والفراء (و ثانيها) أن البشارة في الحياه الدنيا بشاره الملائكه (عليه السلام) للمؤمنين عند موتهم ب ألا تخافوا و لا تحزنوا و أبشروا بالجنه عن قتاده و الزهري و الضحاك و الجبائي (و ثالثها)

أنها في الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن لنفسه أو ترى له و في الآخره بالجنه و هي ما يبشرهم الملائكه عند خروجهم من القبور و في القيامة إلى أن يدخلوا الجنه يبشرونهم بها حالا بعد حال و هو المروى عن أبي جعفر (عليه السلام) و روى ذلك في حديث مرفوع عن النبي ص

و

روى عقبه بن خالد عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال يا عقبه لا يقبل الله من العباد يوم القيامة إلا هذا الدين الذى أنتم عليه و ما بين أحدكم و بين أن يرى ما تقر به عينه إلا أن يبلغ نفسه إلى هذه و أوماً بيده إلى الوريد الخبر بطوله ثم قال أن هذا فى كتاب الله و قرأ «الَّذِينَ آمَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ» الآية

و قيل أن المؤمن يفتح له باب إلى الجنه فى قبره فيشاهد ما أعد له فى الجنه قبل دخولها «لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ» أى لا خلف لما وعد الله تعالى به من الثواب و لا خلاف فى قوله بوضع كلمه أخرى مكانها بدلا منها لأنها حق و الحق لا خلف فيه بوجه «ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» أى ذلك الذى سبق ذكره من البشارة فى الحياه الدنيا و فى الآخره هى النجاه العظيمه التى يصغر فى جنبها كل شىء «وَ لَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ» ظاهره النهى و المراد به التسليه للنبي ص عن أقوالهم المؤديه و هو مثل قولهم لا رأيتك هاهنا أى لا تكن هاهنا فمن كان هاهنا رأيتك و كذلك المراد بالآيه لا تعباً بأذاهم فمن عبا به آذاهم «إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً» فيمنعهم منك بعزته و يدفع أذاهم عنك بقدرته و قيل معناه لا يحزنك قولهم إنك ساحر أو مجنون فسينصرك الله عليهم و سيدلهم و ينتقم منهم لك فإنه عزيز قادر عليه «هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» يسمع أقوالهم و يعلم ضمائرهم فيجازيهم عليها و يدفع عنك شرهم و يرد كيدهم و ضرهم.

النظم

وجه اتصال الآيه الأولى بما قبلها أنه لما تقدم ذكر المؤمن و الكافر بين عقبيه أن أولياءه لا خوف عليهم و قيل لما ذكر أنه يحصى أعمال خلقه بشر من تولاها و ذكر ما أعد لهم و وجه اتصال قوله «وَ لَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ» بما تقدم أنه يتصل بقوله «وَ إِنَّ كَذَّبُوكَ» فلا يحزنك قولهم» و قل لى عملى و لكم عملكم و قيل أنه يتصل بما قبله فكأنه قال إذا كنت من أولياء الله و من أهل البشارة فلا ينبغى أن تحزن بطعن من يطعن عليك و وجه اتصال قوله «هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» بما قبله أنه يسمع قولهم و يجازيهم فلا يحزنك ذلك.

ص: ١٨٣

اشاره

أَلَا- إِنَّ لِلَّهِ مَیْنٌ فِی السَّمَاوَاتِ وَ مَیْنٌ فِی الْأَرْضِ وَ مَا یَتَّبِعُ الَّذِیْنَ یَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنَّ یَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ إِنَّ هُمْ إِلَّا یَحْزُنُونَ (٦٦) هُوَ الَّذِی جَعَلَ لَكُمُ اللَّیْلَ لِتَسْكُنُوا فِیهِ وَ النَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِی ذَٰلِكَ لَآیَاتٍ لِّقَوْمٍ یَسْمَعُونَ (٦٧)

اللغة

الفرق بین الجعل و الفعل إن جعل الشیء ٤ يكون یاحداث غیره كجعل الطین خزفا و لا- يكون فعله إلا یاحداثه و الفرق بین الجعل و التخییر إن تخییر الشیء ٤ لا يكون إلا بتصییره على خلاف ما كان و جعله يكون بتصییره على مثل ما كان كجعل الإنسان نفسه ساكنا على استدامه الحال و إنما قال «وَ النَّهَارَ مُبْصِرًا» و إنما یبصر فیه تشبیها و مجازا و استعاره فیه صفه الشیء ٤ بسببه على وجه المبالغه كما یقال سر كاتم و لیل نائم و مثله قول جریر:

لقد لمتنا أم غیلان فی السرى و نمت و ما لیل المطی بنائم

و قال رؤبه:

" قد نام لیلی و تجلی همی "

المعنى

لما سلی الله سبحانه نبیه ص بقوله «وَ لَا یَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ» فإنهم لا یفوتوننی بین بعد ذلك ما یدل على صحته فقال «أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِی السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِی الْأَرْضِ» یعنی العقلاء و إذا كان له ملك العقلاء فما عداهم تابع لهم و إنما خص العقلاء تفخیما «وَ مَا یَتَّبِعُ الَّذِیْنَ یَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ» یحتمل ما هاهنا وجهین (أحدهما) أن يكون بمعنى أى شیء ٤ فكأنه قال و أى شیء ٤ یتبع الذین یدعون من دون الله شركاء تقییحا لفعلهم (و الآخر) أن يكون نافیة أى و ما یتبعون شركاء فیه الحقیقه و یحتمل وجهها ثالثا و هو أن يكون ما بمعنى الذی و يكون منصوبا بالعطف على من و يكون التقدير و الذی یتبع الأصنام الذین یدعونهم من دون الله شركاء فحذف العائد من الصله و شركاء حال من ذلك المحذوف و إن جعلت ما نفیا فقوله «شُرَكَاءَ» یتصب یدعونه و العائد إلى الذین الواو فیه یدعون و يكون قوله «إِنَّ یَتَّبِعُونَ» مكررا لطول الكلام و تقف فیه هذا القول على قوله «وَ مَنْ فِی الْأَرْضِ» و فیه ذلك القول على قوله «شُرَكَاءَ» «إِنَّ یَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ» أى لیس یتبعون فیه اتخاذهم مع الله شركاء إلا الظن لتقلیدهم أسلافهم فیه ذلك أو لشبهه دخلت علیهم بأنهم

يتقربون بذلك إلى الله تعالى «وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ» أى و ليسوا إلا- كاذبين بهذا الاعتقاد و القول «هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ» معناه أن الذى يملك من فى السموات و من فى الأرض هو الذى خلق لكم الليل لسكونكم و لأن يزول التعب و الكلال عنكم بالسكون فيه «وَ النَّهَارَ مُبْصِرًا» أى و جعل النهار مبصرًا مضيئًا تبصرون فيه و تهتدون به فى حوائجكم بالأبصار «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ» أى لحججا و دلالات على توحيد الله سبحانه من حيث لا يقدر على ذلك غيره «لِقَوْمٍ يَشِيعُونَ» الحجج سماع تدبر و تفهم و تعقل.

[سوره يونس (١٠): الآيات ٦٨ الى ٧٠]

أشاره

قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٨) قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (٦٩) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٧٠)

الإعراب

متاع خبر مبتدأ محذوف و تقديره ذاك أو هو متاع و قوله «لَا يُفْلِحُونَ» وقف تام و يجوز أن يكون متاع مبتدأ محذوف الخبر و تقديره لهم متاع.

المعنى

ثم حكى الله سبحانه عن صنف من الكفار أنهم أضافوا إليه اتخاذ الولد و هم طائفتان (إحداهما) كفار قريش و العرب فإنهم قالوا الملائكة بنات الله (و الأخرى) النصارى الذين قالوا المسيح ابن الله فقال سبحانه «قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا» و إنما قال «قَالُوا» و إن لم يكن سبق ذكرهم لأنهم كانوا بحضره النبى ص و كان يعرفهم و تصح الكنايه عن المعلوم كما تصح عن المذكور «سُبْحَانَهُ» أى تنزيها له عما قالوا «هُوَ الْغَنِيُّ» عن اتخاذ الولد ثم بين سبحانه الوجه فيه فقال «لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» و معناه إذا كان له ما فى السموات و ما فى الأرض ملكا و ملكا و خلقا فهو الغنى عن اتخاذ الولد لأن الإنسان إنما

يتخذ الولد ليتقوى به من ضعف أو ليستغنى به من فقر و الله سبحانه منزه عن ذلك و إذا استحال اتخاذ الولد حقيقه عليه سبحانه استحال عليه اتخاذ الولد على وجه التبنى «إِنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا» أى ما عندكم من حجه و برهان بهذا «أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» هذا توبيخ من الله سبحانه لهم على قولهم ذلك ثم بين سبحانه الوعيد لهم على ذلك فقال «قُلْ» يا محمد «إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ» أى يكذبون «عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ» باتخاذ الولد و غير ذلك «لَا يُفْلِحُونَ» أى لا يفوزون بشىء من الثواب و أصل الافتراء من القطع من فريت الأديم أى قطعته فمعناه يقطعون الكذب الذى يكذبون به على الله تعالى و قوله «مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا» معناه لهم متاع فى الدنيا يتمتعون به أياما قلائل ثم تنقضى و قوله «ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ» أى ثم إلى حكمنا مصيرهم «ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ» و هو عذاب النار «بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ» أى بكفرهم.

[سوره يونس (١٠): الآيات ٧١ الى ٧٣]

إشاره

وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَ تَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَ شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقضُوا إِلَيَّ وَ لَا تُنظِرُونِ (٧١) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢) فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَ جَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَ أَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (٧٣)

القراءه

قرأ يعقوب وحده و شركاؤكم بالرفع و هو قراءه الحسن و ابن أبى إسحاق و أبى عبد الرحمن السلمى و عيسى الثقفى و قرأ الباقون «وَ شُرَكَاءَكُمْ» بالنصب و فى الشواذ قراءه

ص: ١٨٦

الأعرج و عاصم و الجحدري و الزهري فاجمعوا أمركم مفتوحه الميم موصوله الهمزه من جمع.

الحجه

من قرأ «فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَ شُرَكَاءَكُمْ» بالرفع رفعه على العطف على الضمير فى أجمعوا و ساغ عطفه على الضمير من غير توكيد من أجل طول الكلام بقوله «أَمْرَكُمْ» و إذا جاز فى قوله سبحانه «ما أَشْرَكْنَا وَ لا آباؤُنَا» إن نكتفى من طول الكلام بلا و إن كانت بعد حرف العطف كان الاكتفاء من التوكيد بما هو أطول من لا و هو أيضا قبل الواو كما أن التوكيد لو ظهر لكان قبلها أخرى فلو قال قائل قم و زيد كان أقبح من أن يقول قمت و زيد و ذلك لأن المعطوف عليه فى قم و زيد ضمير مستكن لا لفظ له فهو أضعف من ضمير المخاطب أو المتكلم فى قمت لأن له لفظا و هو التاء و قمت و زيد أضعف من قمنا و زيد لأن "نا" من قمنا أتم لفظا من التاء فى قمت و أما «شُرَكَاءَكُمْ» بالنصب فقد قيل فيه أنه منصوب على إضمار فعل كأنه قيل و ادعوا شركاءكم قالوا و كذا هو فى مصحف أبى و قيل تقديره فاجمعوا أمركم و أجمعوا شركاءكم لأن أجمعوا يدل عليه و ذهب المحققون إلى أنه مفعول معه و تقديره مع شركائكم كما أنشد سيبويه:

فكونوا أنتم و بنى أبيكم مكان الكليتين من الطحال

و يقال أجمعت الأمر و جمعت الأمر و أجمعت على الأمر أى عزمت عليه قال المؤرج أجمعت الأمر أفصح من أجمعت عليه قال أبو الهيثم أجمع أمره إذا جعله جمعا بعد ما كان متفرقا قال:

" هل أغدون يوما و أمرى مجمع "

اللغه

الغمه ضيق الأمر الذى يوجب الحزن و الغمه و الكربه و الضغطة و الشده نظائر و نقيضه الفرجه و قيل غمه مغطى تغطيه خبره مأخوذ من غم الهلال إذا حال دون رؤيته غيم.

المعنى

ثم أمر الله سبحانه نبيه ص أن يقرأ عليهم أخبار نوح فقال «وَ اتُّلِّ عَلَيْهِمْ نَبَأُ نُوحٍ» أى خبره «إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ» الذين بعث إليهم «يا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي» أى شق و عظم عليكم إقامتى بين أظهركم «وَ تَذَكِّرِي» أى وعظى و تنبيهى إياكم «بِآيَاتِ اللَّهِ» أى بحججه و بيناته على صحه التوحيد و العدل و النبوه و المعاد و بطلان ما تدِينون به و فى الكلام حذف هو قوله و عزتمت على قتلى و طردى من بين أظهركم «فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ» جعله

جواب الشرط مع أنه متوكل عليه في جميع أحواله ليبين لهم أنه متوكل في هذا التفصيل لما في إعلانه ذلك من زجرهم عنه لأن الله تعالى يكفيه أمرهم ومعناه فإلى الله فوضت أمري و به وثقت إن يكفيني أمركم «فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَ شُرَكَاءَكُمْ» معناه فاعزموا على أمركم مع شركائكم و اتفقوا على أمر واحد من قتلى و طردى و لا تضطربوا فيه فتختلف أحوالكم فيما تلقونى به و هذا تهديد فى صورته الأمر و قيل معناه اعزموا على أمركم و ادعوا شركاءكم فبين (عليه السلام) إنه لا يرتدع عن دعائهم و عيب آلهتهم مستعينا بالله عليهم واثقا بأنه سبحانه يعصمه منهم و قيل أراد بالشركاء الأوثان التى كانوا يعبدونها من دون الله و قيل أراد من شاركهم فى دينهم «ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً» أى لا- يكن أمركم عليكم غما و حزنا بأن ترددوا فيه و قيل معناه ليكن أمركم ظاهرا مكشوفاً و لا يكونن مغطى مبهما مستورا من غممت الشىء إذا سترته و قيل معناه لا تأتوه من غير أن تتشاوروا و من غير أن يجتمع رأيكم عليه لأن من حاول أمرا من غير أن يعلم كيف يتأتى ذلك كان أمره غمه عليه «ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَ لَا تُنظِرُونِ» أى انهضوا إلى فاقتلونى إن وجدتم إليه سيلا- و لا تؤخرونى و لا تمهلونى عن ابن عباس و قيل معنى اقضوا إلى افعلوا ما تريدون و ادخلوا إلى لأنه بمعنى أفرغوا من جميع حيلكم كما يقال خرجت إليك من العهده و قيل معناه توجهوا إلى و روى عن بعضهم أنه قرأ ثم أفضوا إلى أى أسرعوا إلى من الفضاء لأنه إذا صار إلى الفضاء تمكن من الإسراع و هذا كان من معجزات نوح (عليه السلام) لأنه كان وحيدا مع نفر يسير و قد أخبر بأنهم لا يقدرون على قتله و على أن ينزلوا به سواء لأن الله تعالى ناصره و حافظه عنهم «فَإِن تَوَلَّيْتُمْ» أى ذهبتم عن الحق و اتباعه و لم تقبلوه و لم تنظروا فيه «فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ» أى لا أطلب منكم أجرا على ما أؤديه إليكم من الله فيثقل ذلك عليكم و قيل معناه إن عرضتم عن قبول قولى لم يضرنى لأنى لم أطلع فيما لكم فيفوتنى ذلك بتوليكم عنى و إنما يعود الضرر عليكم «إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ» أى ما أجرى إلا- على الله فى القيام بأداء الرساله «وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» أى أمرنى الله بأن أكون من المستسلمين لأمر الله بطاعته ثقة بأنها خير ما يكتسبه العباد «فَكَذَّبُوهُ» يعنى أنهم كذبوا نوحا أى نسبوه إلى الكذب فيما يذكره من أنه نبي الله و إن الله بعثه إليهم ليدعوهم إلى طاعته «فَنَجَّيْنَاهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ» أى فى السفينه «وَ جَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ» أى جعلنا الذين نجوا مع نوح خلفاء لمن هلك بالغرق و قيل أنهم كانوا ثمانين نفسا و قال البلخى يجوز أن يكون أراد جعلناهم رؤساء فى الأرض «وَ أَعْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا» أى أهلكنا باقى أهل الأرض أجمع لتكذيبهم لنوح (عليه السلام) «فَانظُرْ» أيها السامع «كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ» أى المخوفين بالله و عذابه أى كيف أهلكهم الله

إشارة

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ (٧٤) ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ (٧٦) قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (٧٧) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمْ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٧٨)

القراءة

روى حماد و يحيى عن أبي بكر و زيد عن يعقوب و يكون لكما الكبرياء بالياء و الباقون بالتاء.

الحج

الوجه في الياء أن تأنيث الكبرياء غير حقيقي و قد فصل أيضا بينه و بين الفعل و من قرأ بالتاء فلأن لفظه لفظ التأنيث.

اللغة

الإجرام اكتساب السيئه و أصله القطع و اللفت الصرف عن الأمر يقال لفته يلفته لفتا و امرأه لفوت ذات زوج لها ولد من غيره لأنها تلفت إلى ولدها عنقها.

المعنى

ثم بين سبحانه قصه من بعثه بعد نوح فقال «ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ» أى من بعد نوح و إهلاك قومه «رُسُلًا» يريد إبراهيم و هودا و صالحا و لوطا و شعيبا «إِلَى قَوْمِهِمْ» الذين كانوا فيهم بعد أن تناسلوا و كثروا «فَجَاؤُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ» أى فأتوهم بالبراهين و المعجزات الداله على صدقهم الشاهده بنبوتهم «فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ» أى لم يكونوا ليصدقوا يعنى أولئك الأقوام الذين بعث إليهم الرسل بما كذبت به أوائلم الذين هم قوم نوح أى كانوا مثلهم فى الكفر و العتو و قيل معناه لم يكن منهم من يؤمن من بعد هذه الآيات بما كذبوا به من قبلها بل كانت الحالتان سواء عندهم قبل البيئات و بعدها عن

أبى مسلم و البلخي «كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ» أى نجعل على قلوب الظالمين لنفوسهم الذين تعدوا حدود الله سمه و علامه على كفرهم يلزمهم الدم بها و يعرفهم بها الملائكه كما فعلنا ذلك بقلوب هؤلاء الكفار و قد مر معانى الطبع و الختم فيما تقدم «ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ» أى من بعد الرسل أو من بعد الأمم «مُوسَى وَ هَارُونَ» (عليه السلام) نبين مرسلين «إِلَى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ» أى و رؤساء قومه «بِآيَاتِنَا» أى بأدلتنا و معجزاتنا «فَأَسَيْتَكْبَرُوا» عن الانقياد لها و الإيمان بها «وَ كَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ» عاصين لربهم مستحقين للعقاب الدائم «فَلَمَّا جَاءَهُمْ» أى جاء قوم فرعون «الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا» يعنى ما أتى به موسى من المعجزات و البراهين «قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ» أى ظاهر «قَالَ مُوسَى» لهم «أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا» أى أ تقولون لمعجزاته سحر و السحر باطل و المعجز حق و هما متضادان «وَ لَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ» أى لا يظفرون بحجه و لا يأتون على ما يدعونه بينه و إنما هو تمويه على الضعفه «قَالُوا» يعنى قال فرعون و قومه لموسى «أَجِئْنَا لِتُلْفِتْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا» أى لتصرفنا عن ذلك «وَ تَكُونَ لَكُمْ الْكِبْرِيَاءُ» أى الملك عن مجاهد و قيل العظمه و السلطان و الأصل إن الكبرياء استحقاق صفه الكبر فى أعلى المراتب «فِي الْأَرْضِ» أى فى أرض مصر و قيل أراد اسم الجنس و المراد به الإنكار و إن كان اللفظ لفظ الاستفهام تعلقوا بالشبهه فى أنهم على رأى آبائهم و إن من دعاهم إلى خلافه فظاهر أمره أنه يريد التأمير عليهم فلم يطيعوه «وَ مَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ» أى بمصدقين فيما تدعيانه من النبوه.

[سوره يونس (١٠): الآيات ٧٩ الى ٨٢]

إشارة

وَ قَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (٧٩) فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَهُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُّلقُونَ (٨٠) فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨١) وَ يُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨٢)

القرءاء

قرأ أهل الكوفه غير عاصم بكل سحار بالتشديد و الباقون «ساحر» على وزن فاعل و قرأ أبو جعفر و أبو عمرو السحر بقطع الألف و مدها على الاستفهام و الباقون «السَّحْرُ» موصوله على الخبر.

ص: ١٩٠

قد بينا الوجه في سحار و ساحر في سوره الأعراف و أما قوله «السَّحْرُ» فإن ما في قوله «ما جِئْتُمْ بِهِ» في موضع رفع بالابتداء و جئتم في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ و الكلام استفهام و السحر بدل من ما المبتدأ و لزم أن يلحق السحر الاستفهام لساوى المبدل منه في أنه استفهام ألا ترى أنه ليس في قولك السحر استفهام و على هذا قالوا كم مالكم أ عشرون أم ثلاثون فجعلت العشرون و الثلاثون بدلا من كم و ألحقت أم لأنك في قولك كما درهما ما لك مدع أن له مالا كما أنك في قولك أ عشرون أم ثلاثون ما لك مدع أحد الشئيين و لا يلزم أن تضمر للسحر خبرا على هذا لأنك إذا أبدلت من المبتدأ صار في موضعه و صار ما كان خبرا لما أبدلت منه في موضع خبر البدل و من قرأ «ما جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ» كان ما في قوله موصولا و جئتم به الصلة و الهاء المجروره عائده على الموصول و خبر المبتدأ الذى هو الموصول السحر و مما يقوى هذا الوجه ما زعموا أنه في حرف عبد الله ما جئتم به سحر فعلى هذا يكون تقديره الذى جئتم به السحر و على الوجه الأول و هو أن يكون ما استفهاما فتقديره أى شىء جئتم السحر و أما وجه الاستفهام مع علم موسى أنه سحر فإنه مثل قوله «أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ» فى أنه للتقرير.

المعنى

«وَقَالَ فِرْعَوْنُ» حكى الله سبحانه عن فرعون أنه حين أعجزه المعجزات التى ظهرت لموسى (عليه السلام) و لم يكن له فى دفعها حيله قال لقومه «اتَّبُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ» بالسحر بليغ فى عمله و إنما طلب فرعون كل ساحر ليتعاونوا على دفع ما أتى به موسى و حتى لا يفوته شىء من السحر بتأخر بعضهم و إنما فعل ذلك للجهل بأن ما أتى به موسى من عند الله و ليس بسحر و بعد ذلك علم أنه ليس بسحر فعائد كما قال سبحانه «لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ» و قيل أنه علم أنه ليس بسحر و لكنه ظن أن السحر يقاربه مقاربه تشبيه «فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةُ» الذين طلبهم فرعون و أمر بإحضارهم و موسى حاضر «قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ» و فى الكلام حذف يدل عليه الظاهر و تقديره فلما أتوه بالسحره و بالحبال و العصى قال لهم موسى «أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ» أى اطرحوا ما جئتم به و قيل معناه افعلوا ما أنتم فاعلون و هذا ليس بأمر بالسحر و لكنه قال ذلك على وجه التحدى و الإلزام أى من كان عنده ما يقاوم المعجزات فليلقه و قيل أنه أمر على الحقيقة بالإلقاء ليظهر بطلانه و إنما لم يقتصر على قوله «أَلْقُوا» لأنه أراد ألقوا جميع ما أنتم ملقون فى المستأنف فلو اقتصر على ألقوا ما أفاد هذا المعنى و الإلقاء إخراج الشىء عن اليد إلى جهة الأرض و يشبه بذلك قولهم ألقى عليه مسأله و ألقى عليه رداه «فَلَمَّا أَلْقُوا» أى

فلما أَلْقَتِ السَّحْرَهُ سَحَرَهُمْ «قَالَ مُوسَى» لَهُمْ «مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ» أَى الذى جِئْتُمْ بِهِ مِنَ الحِجَالِ وَ العِصَى السَّحَرِ أَدْخَلَ عَلَيْهِ الأَلْفَ وَ اللامَ للعهد لأنهم لما قالوا لما أتى به موسى أنه سحر قال (عليه السلام) ما جئتم به هو السحر عن الفراء «إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ» أَى سَيَبْطِلُ هَذَا السَّحْرَ الذى فعلتموه «إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ» معناه إن الله لا يهيبى عمل من قصد إفساد الدين و لا يمضيه و يبطله حتى يظهر الحق من الباطل و المحق من المبطل «وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ» أَى يظهر الله الحق و يحققه و يثبتته و ينصر أهله «بِكَلِمَاتِهِ» قيل فى معناه أقوال (أحدها) أن معناه بوعده موسى (عليه السلام) و كان وعده النصر فأنجز وعده عن الحسن (و ثانيها) أن معناه بكلامه الذى يتبين به معانى الآيات التى أتاها نبيه عن الجبائى (و ثالثها) بما سبق من حكمه فى اللوح المحفوظ بأن ذلك سيكون «وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ» ظهور الحق و إبطال الباطل و فى هذه الآية دلالة على أنه تعالى ينصر المحقين كلهم فى حقهم و ذلك على وجهين (أحدهما) بالحجة فهذه نصره مستمره على كل حال (و الثانى) بالغلبه و القهر و هذا يختلف بحسب المصلحه لأن المصلحه قد تكون بالتخليه تاره و بالحيلولة أخرى.

[سوره يونس (١٠): الآيات ٨٣ الى ٨٦]

اشاره

فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِمْ أَنْ يُفْتَنَهُمْ وَ إِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ المُسْرِفِينَ (٨٣) وَ قَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ (٨٤) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٨٥) وَ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ القَوْمِ الكَافِرِينَ (٨٦)

اللغه

الذريه الجماعه من نسل القبيله و قد تقدم القول فى أصلها و وزنها و الفتنة أصلها البليه و هى معامله تظهر الأمور الباطنه يقال فتنت الذهب إذا أحرقتة بالنار ليظهر الخلاص و قوله «يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ» أَى يحرقون لما فيه من إظهار حالهم فى

ص: ١٩٢

الضلال و قوله «وَ الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنْ الْقَتْلِ» معناه التعذيب للرد عن الدين لما فيه من إظهار النصره أشد.

الإعراب

«يا قَوْم» حذفته منه ياء الإضافة اجتزاء بالكسره منها و هو فى النداء أحسن من إثباتها لقوه النداء على التغيير و الفاء فى قوله «فَقَالُوا» فاء العطف و جواب الأمر كما تقول قال السائل كذا فقال المجيب كذا و إنما جازت الفاء فى الجواب و لم تجز الواو لأن الفاء تترتب من غير مهله فهى موافقه لمعنى وجوب الثانى بالأول و ليس كذلك الواو.

المعنى

ثم بين سبحانه من آمن من قوم موسى (عليه السلام) فقال «فَمَا آمَنَ لِمُوسَى» أى لم يصدق موسى فى ما ادعى من النبوه مع ما أظهره من المعجزات الظاهره «إِلَّا ذُرِّيَّةً مِنْ قَوْمِهِ» أى أولاد من قوم فرعون و قيل أراد من قوم موسى (عليه السلام) و هم بنو إسرائيل الذين كانوا بمصر و اختلف من قال بالأول فقول أنهم قوم كانت أمهاتهم من بنى إسرائيل و آباؤهم من القبط فاتبعوا أمهاتهم و أخوالهم عن ابن عباس و قيل أنهم أناس يسير من قوم فرعون منهم امرأه فرعون و مؤمن آل فرعون و جاريه و امرأه هى مشاطه امرأه فرعون عن عطيه عن ابن عباس و قيل أنهم بعض أولاد القبط لم يستجب آباؤهم موسى و اختلف من قال بالثانى فقول هم جماعه من بنى إسرائيل أخذهم فرعون لتعلم السحر و جعلهم من أصحابه فآمنوا بموسى عن الجبائى و قيل أراد مؤمنى بنى إسرائيل و كانوا ستمائه ألف و كان يعقوب دخل مصر منهم باثنين و سبعين إنسانا فتوالدوا حتى بلغوا ستمائه ألف و إنما سماهم ذريه على وجه التصغير لضعفهم عن ابن عباس فى روايه أخرى و قال مجاهد أراد بهم أولاد الذين أرسل إليهم موسى من بنى إسرائيل لطول الزمان هلك الآباء و بقى الأبناء «عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ» يعنى آمنوا و هم خائفون من معره فرعون «وَ مَلَأْتَهُمْ» و من أشرفهم و رؤسائهم قال الزجاج و إنما جاز أن يقال «وَ مَلَأْتَهُمْ» لأن فرعون ذو أصحاب يأتمرون له و قيل أن الضمير فى «مَلَأْتَهُمْ» راجع إلى الذريه لأن آباءهم كانوا من القبط و كانوا يخافون قومهم من القبط أن يصرفوهم عن دينهم و يعذبوهم «أَنْ يَفْتِنَهُمْ» أى يصرفهم عن الدين يعنى أن يمتحنهم لمحنه لا يمكنهم الصبر عليها فيصرفون عن الدين و كان جنود فرعون يعذبون بنى إسرائيل فكان خوفهم منه و منهم «وَ إِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ» أى مستكبر باغ طاغ فى أرض مصر و نواحيها «وَ إِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ» أى من المجاوزين الحد فى العصيان لأنه ادعى الربوبيه و أسرف فى القتل و الظلم و الإسراف التجاوز عن الحد فى كل شىء «وَ قَالَ مُوسَى» لقومه الذين آمنوا به «يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ» كما تظهرون «فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ» أى فأسندوا

أموركم إليه إن كنتم مسلمين على الحقيقة و إنما أعاد قوله «إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ» بعد قوله «إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ» ليتبين المعنى باجتماع الصفتين التصديق و الانقياد أى إن كنتم آمنتم بالله فاستسلموا لأمره و فائده الآية بيان وجوب التوكل على الله عند نزول الشده و التسليم لأمره ثقة بحسن تدبيره و انقطاعا إليه «فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا» أخبر سبحانه عن حسن طاعتهم له و أنهم قالوا أسندنا أمورنا إلى الله واثقين «رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» أى لا تمكن الظالمين من ظلمنا بما يحملنا على إظهار الانصراف عن ديننا عن مجاهد و قيل معناه ربنا لا تظهر علينا فرعون و قومه فيفتن بنا الكفار و يقولوا لو كانوا على الحق لما ظفروا عليهم عن الحسن و أبى مجاز و

روى زراره و محمد بن مسلم عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام) أن معناه لا تسلطهم علينا فتفتنهم بنا

«وَنَجِّنَا» و خلصنا «بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ» أى من قوم فرعون و استعبادهم إيانا و أخذهم جماعتنا بالأعمال الشاقة و المهن الخسيسه.

[سوره يونس (١٠): الآيات ٨٧ الى ٨٩]

إشارة

وَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَ اجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَ اقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٨٧) وَ قَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَ مَلَأَهُ زِينَةً وَ أَمْوَالًا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلَّهُمْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَ اشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرْوُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٨٨) قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَ لَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨٩)

القراءة

قرأ ابن عامر و لا تتبعان خفيفه النون و الباوق بالتشديد.

الحج

من قرأ بالنون الشديده كسرهما لوقوعها بعد ألف التثنيه فأشبهت نون الاثنين فى رجلان و لم يعتد بالنون الساكنه قبلها لسكونها و خفتها فصارت المكسوره كأنها وليت الألف و من قرأ بالتخفيف فإنه يمكن أن يكون خفف الثقيله للتضعيف كما خففوا رب و إن

ص: ١٩٤

و نحوهما إلا أنه حذف الأولى من المثلين كما أبدلوا الأولى من المثلين في نحو قيراط و دينار و لزم ذلك في هذا الموضع لأن الحذف لو لحق الثانيه للزم التقاء الساكنين على هذا الحد غير مأخوذ به عند العامه و إن شئت كان على لفظ الخبر و المعنى الأمر كقوله «يَتَرَبِّصَنَّ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ» و «لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا» أى لا ينبغي ذلك و إن شئت جعلته حالا من استقيما و التقدير استقيما غير متبعين و يدل على ذلك قول الشاعر:

فلا أسقى و لا يسقى شريبى و يرويه إذا أوردت مائى

و كقول الفرزدق:

بأيدى رجال لم يشيموا سيوفهم و لم تكثر القتلى بها حين سلت

اللغة

«تَبَوَّءَ» أى اتخذها يقال تبوأ لنفسه بيتا أى اتخذها و بوأت له بيتا أى اتخذته له و يقال أن تبوء و بوء بمعنى أى اتخذ بيتا مثل بدل و تبدل و خلص و تخلص قال أبو على تبوء فعل يتعدى إلى مفعولين و اللام فى قوله «لِقَوْمِكُمْ» كالتى فى قوله «رَدِفَ لَكُمْ» و يقوى ذلك قوله «وَ إِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ» فدخلت اللام على غير المطاوع كما دخلت على المطاوع فى قوله «تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمْ» و الطمس محو الأثر يقال طمس عينه أطمسها طمسا و طموسا و طمست الريح آثار الديار و الطمس تغير إلى الدثور و الدروس قال كعب بن زهير:

من كل نضاخه الذفرى إذا عرقت عرضتها طامس الأعلام مجهول

الإعراب

مصر غير منصرف لأنه مؤنث معرفه و لو صرفت لخفتها كما تصرف هند لكان جائزا و ترك الصرف أقيس و قوله «بُيُوتًا» مفعول به و ليس بظرف مكان لاختصاصه و البيوت هنا كالغرف فى قوله تعالى لَتَبُوْتَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا «فَلَا يُؤْمِنُوا» يحتمل وجهين من الإعراب النصب و الجزم فأما النصب ففيه وجهان (أحدهما) أن يكون على جواب صيغه الأمر بالفاء (و الآخر) أن يكون عطفًا على ليضلوا أى ليضلوا فلا يؤمنوا و هذا قول المبرد

و على هذا فيكون قوله «رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَ اشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ» اعتراضاً و أما الجزم فيكون على وجه الدعاء عليهم و تقديره فلا آمنوا و مثله قول الأعشى:

فلا ينسط من بين عينيك ما انزوى و لا تلقنى إلا و أنفك راغم

المعنى

«وَ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَ أَخِيهِ» أى أمرناهما «أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا» أى اتخذنا لمن آمن بكما بمصر يعنى البلده المعروفه ببيوتا تسكنونها و تأوون إليها «وَ اجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبَلَهُ» اختلف فى ذلك فقيل لما دخل موسى مصر بعد ما أهلك الله فرعون أمروا باتخاذ مساجد يذكر فيها اسم الله تعالى و أن يجعلوا مساجدهم نحو القبلة أى الكعبه و كانت قبلتهم إلى الكعبه عن الحسن و نظيره فى بُيُوتِ الَّذِينَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ الْآيَةَ و قيل أن فرعون أمر بتخريب مساجد بنى إسرائيل و منعهم من الصلاه فأمروا أن يتخذوا مساجد فى بيوتهم يصلون فيها خوفاً من فرعون و ذلك قوله «وَ اجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبَلَهُ» أى صلوا فى بيوتكم لتأمنوا من الخوف عن ابن عباس و مجاهد و السدى و غيرهم و قيل معناه اجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضاً عن سعيد بن جبير «وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ» أى أديموها و واطبوا على فعلها «وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» بالجنه و ما وعد الله تعالى من الثواب و أنواع النعيم و الخطاب لموسى (عليه السلام) عن أبى مسلم و قيل الخطاب لمحمد ص «وَ قَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَ مَلَأَهُ» أى أعطيت فرعون و قومه «زِينَةً» يتزينون بها من الحلى و الثياب و قيل الزينه الجمال و صحه البدن و طول القامه و حسن الصورة «وَ أَمْوَالًا» يتعظمون بها «فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» و إنما أعطاهم الله تعالى ذلك للإنعام عليهم مع تعريه من وجود الاستفساد «رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ» اللام للعاقبه و المعنى و عاقبه أمرهم أنهم يضلون عن سبيلك و لا يجوز أن يكون لام الغرض لأننا قد علمنا بالأدله الواضحه أن الله سبحانه لا يبعث الرسول ليأمر الخلق بالضلال و لا يريد أيضاً منهم الضلال و كذلك لا يؤتيهم المال ليضلوا و قيل معناه لئلا يضلوا عن سبيلك فحذفت لا كقوله شَهَدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أى لئلا تقولوا و حذف ذلك لدلاله العقل عليه و قيل أنه لام الدعاء و المعنى ابتلهم بالبقاء على ما هم عليه من الضلال و إنما قال ذلك لعلمه بأنهم لا يؤمنون من طريق الوحي و فائدته إظهار التبرؤ منهم كما يلعب إبليس و يدل عليه أنه أعاد قوله «رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ» فدل ذلك على أنه أراد به الدعاء عليهم و المراد بالطمس على الأموال تغييرها عن جهتها إلى جهه لا- ينتفع بها قال مجاهد و قتاده و عامه أهل التفسير صارت جميع أموالهم حجاره حتى السكر و الفانيد

«وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ» معناه ثبتهم على المقام ببلدهم بعد إهلاك أموالهم فيكون ذلك أشد عليهم وقيل معناه أمتهم بعد سلب أموالهم وأهلكهم وقيل أنه عباره عن الخذلان والطبع «فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ» قد ذكرنا وجوهه وقيل معناه أنهم لا يؤمنون إيمان إلجاء حتى يروا العذاب وهم مع ذلك لا يؤمنون إيمان أصلاً ثم أخبر سبحانه أنه أجاب لهما الدعوه فقال «قَالَ» أى قال الله تعالى لموسى و هارون «فَدَّ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا» و الداعى كان موسى (عليه السلام) لأنه كان يدعو و كان هارون يؤمن على دعائه فسامهما داعيين عن عكرمه و الربيع و أبى العالیه و أكثر المفسرين و لأن معنى التأمين اللهم استجب هذا الدعاء «فَأَسْتَجِيبَا» أى فاثبتنا على ما أمرتما من دعاء الناس إلى الإيمان بالله تعالى و الإنذار و الوعظ قال ابن جريج

مكث فرعون بعد هذا الدعاء أربعين سنه و روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام)

«وَلَا تَتَّبِعَنَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» نهاهما سبحانه عن أن يتبعوا طريقه من لا يؤمن بالله و لا يعرفه و لا يعرف أنبياءه (عليه السلام).

[سوره يونس (١٠): الآيات ٩٠ الى ٩٢]

إشارة

وَ جَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَ جُنُودُهُ بَغْيًا وَ عِدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) أَلَمْ آتَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُنْكَرِينَ (٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَيْدِنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (٩٢)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم آمنت إنه بكسر الألف و الباقون أنه بالفتح و روى عن أبى جعفر و نافع الآن بإلقاء حركة الهمزة على اللام و حذف الهمزة و قرأ نجيحك خفيفه قتيبه و يعقوب و سهل و الباقون «نُجِّيكَ» بالتشديد و فى الشواذ قراءة أبى بن كعب و محمد بن السميع نجيحك بالحاء.

الحجج

قال أبو على من قرأ «آمَنْتُ أَنَّهُ» بالفتح فلأن هذا الفعل يصل بحرف الجر فى

نحو يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ فلما حذف حرف الجر وصل الفعل إلى أن فصار في موضع نصب أو جر على الخلاف في ذلك و من قرأ آمنت إنه بالكسر حملة على القول المضممر كأنه قال آمنت و قلت إنه و إضمار القول في هذا النحو كثير و قال علي بن عيسى من كسر إنه جعله بدلا من آمنت و من فتح جعله معمول آمنت و أما الآن فإن لام المعرفة إذا دخلت على كلمه أولها الهمزه فخففت الهمزه كان في تخفيفها وجهان (أحدهما) أن يلقي حركتها على اللام و تقر همزه الوصل فيقال الحمر و قد حكى ذلك سيويه و حكى أبو الحسن أن أناسا يقولون لحمر فيحذفون الهمزه التي للوصل قال:

فقد كنت تخفى حب سمراء حقه فبح لأن منها بالذى أنت بائح

فأسكن الحاء لما كانت اللام متحركه و لو لم يعتد بالحركه كما لم يعتد بها في الوجه الأول لحرك الحاء بالكسر كما يحرك في بح اليوم و «نَجَّيْكَ» و ننجيك في معنى واحد أى نلقيك على نجوه من الأرض قال أوس بن حجر:

فمن بنجوته كمن بعقوته و المستكن كمن يمشى بقرواح

و القرواح حيث لا- ماء و لا- شجر و من قرأ ننجيك بالحاء فإنه نفعلك من الناحيه أى نجعلك في ناحيه و منه نحيث الشىء فتحنى أى باعدته فتباعده فصار في ناحيه قال الحطيئه:

تنحى فاجلسى منى بعيدا أراح الله منك العالمينا

اللغه

المجاوزه الخروج عن الحد من إحدى الجهات الأربع و الاتباع طلب اللحاق بالأول اتبعه اتباعا و تبعه بمعنى و حكى أبو عبيده عن الكسائي أنه قال إذا أريد أنه أتبعهم خيرا أو شرا قالوا بقطع الهمزه و إذا أريد به أنه اقتدى بهم و اتبع أثرهم قالوا بتشديد التاء و وصل الهمزه و البغى طلب الاستعلاء بغير حق و العدو و العدوان الظلم و النجوه الأرض التي لا يعلوها السيل و أصلها من الارتفاع.

الإعراب

مفعول له و قيل إنهما مصدران في موضع الحال أى في حال البغى و العدوان الآن فصل بين الزمان الماضى و المستقبل مع أنه إشاره إلى الحاضر و لهذا

بنى كما بنى ذا و عرف الآن بالألف و اللام و أمس يتضمن حرف التعريف لأن ما مضى بمنزله المضمرة فى المعنى فى أنه ليس له صورة و الحاضر فى معنى المصرح فى صفة الصورة و العامل فى قوله «آلآن» محذوف و تقديره الآن آمنت.

المعنى

ثم بين سبحانه مآل آل فرعون و قومه فقال «وَ جَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ» أى عبرنا بهم البحر حتى جاوزوه سالمين بأن يبسنا لهم البحر و فرقنا لهم الماء اثنى عشر فرقا «فَأَتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَ جُنُودُهُ بَغْيًا وَ عِدْوًا» أى لبيغوا عليهم و يظلموهم و ذلك أن الله سبحانه لما أجاب دعاء موسى أمره بإخراج بنى إسرائيل من مصر ليلا فخرج و تبعهم فرعون و جنوده مشرقين حتى انتهوا إلى البحر و أمر الله سبحانه موسى (عليه السلام) فضرب البحر بعصاه فانفلق اثنى عشر فرقا و صار لكل سبط طريق يابس فارتفع بين كل طريقين الماء كالجبل و صار فى الماء شبه الخروق فجعل بعضهم ينظر إلى بعض فلما وصل فرعون بجنوده إلى البحر رأوا البحر بتلك الهياه فهابوا دخول البحر و كان فرعون على حصان أدهم فجاء جبرائيل (عليه السلام) على فرس و ديق و خاض البحر و ميكائيل يسوقهم فلما شم أدهم فرعون ريح فرس جبريل (عليه السلام) انسل خلفه فى الماء و اقتحمت الخيول خلفه فلما دخل آخرهم البحر و هم أولهم أن يخرج انطبق الماء عليهم «حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ» أى وصل إليه الغرق و أيقن بالهلاك «قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ» و كان ذلك إيمان إلهى لا يستحق به الثواب فلم ينفعه إيمانه «آلآنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ» قيل فيه إضمار أى قيل له الآن آمنت حين لا ينفع الإيمان و لا يقبل لأنه حال الإلجاء «وَ قَدْ عَصَيْتَ» بترك الإيمان فى حال ما ينفعك الإيمان فهلا آمنت «قَبْلُ» و ذلك «وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ» فى الأرض بقتل المؤمنين و ادعاء الإلهيه و أنواع الكفر و اختلف فى قائل هذا القول فقيل قاله جبريل (عليه السلام) و قيل ذلك كلام الله تعالى قاله له على وجه الإهانه و التوبيخ و كان ذلك معجزه لموسى (عليه السلام) و

روى على بن إبراهيم بن هاشم بإسناده عن الصادق (عليه السلام) قال ما أتى جبريل رسول الله ص إلا- كئيبا حزينا و لم يزل كذلك منذ أهلك الله فرعون فلما أمر الله سبحانه بنزول هذه الآية نزل و هو ضاحك مستبشر فقال له حبيبي جبريل ما أتيتنى إلا و بينت الحزن فى وجهك حتى الساعة قال نعم يا محمد لما غرق الله فرعون «قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ» فأخذت حمأه فرضعتها فى فيه ثم قلت له «آلآنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ» ثم خفت أن تلحقه الرحمة من عند الله فيعذبني على ما فعلت فلما كان الآن و أمرنى أن أؤدى إليك ما قلته أنا لفرعون آمنت و علمت أن ذلك

«فَالْيَوْمَ تُنْجِيكَ بِدِينِكَ» اختلف في معناه فقال أكثر المفسرين معناه لما أغرق الله فرعون و قومه أنكروا بعض بنى إسرائيل غرق فرعون و قالوا هو أعظم شأننا من أن يغرق فأخرجه الله حتى رأوه فذلك قوله «فَالْيَوْمَ تُنْجِيكَ» أى نلقيك على نجوه من الأرض و هى المكان المرتفع بيدنك أى بجسدك من غير روح و ذلك أنه طفا عريانا و قيل معناه نخلصك من البحر و أنت ميت و البدن الدرع قال ابن عباس كانت عليه درع من ذهب يعرف بها فالمعنى نرفعك فوق الماء بدرعك المشهوره ليعرفوك بها «لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً» أى لتكون نكالا لمن خلفك فلا يقولوا مثل مقاتلك عن الكلبى و قيل أنه كان يدعى أنه رب فيبين الله أمره و أنه عبد و فيه من الآيه أنه غرق مع القوم و أخرج هو من بينهم و كان ذلك آيه عن الزجاج «وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ» يعنى أن كثيرا من الناس عن التفكير فى دلالاتنا و التدبر لحججنا و بيناتنا غافلون أى ذاهبون.

[سوره يونس (١٠): آيه ٩٣]

إشارة

وَ لَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صِدْقٍ وَ رَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٩٣)

الإعراب

المبوء يجوز أن يكون مصدرا و يجوز أن يكون مكانا و يكون المفعول الثانى من بوأ على هذا محذوفا كما حذف من قوله «وَ بَوَّأَكُمْ فِي الْمَأْرُضِ» و يجوز أن ينتصب المبوء نصب المفعول به على الاتساع و إن كان مصدرا فقد أجاز ذلك سيبويه فى قوله أما الضرب فأنت ضارب.

المعنى

ثم بين سبحانه حال بنى إسرائيل بعد إهلاك فرعون فقال «وَ لَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صِدْقٍ» أخبر سبحانه عن نعمه عليهم بعد أن أنجاهم و أهلكت عدوهم يقول مكناهم مكانا محمودا و هو بيت المقدس و الشام و إنما قال «مُبَوَّأً صِدْقٍ» لأن فضل ذلك المنزل على غيره من المنازل كفضل الصدق على الكذب و قيل معناه أنزلناهم فى موضع خصب و أمن يصدق فيما يدل عليه من جلاله النعمة و قال الحسن يريد به مصر و ذلك أن موسى عبر ببني إسرائيل البحر ثانيا و رجع إلى مصر و تبوأ مساكن آل فرعون و قال الضحاك هو الشام و مصر «وَ رَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ» أى مكناهم الأشياء اللذيذه و هذا يدل على سعه أرزاق

بنى إسرائيل «فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ» معناه فما اختلفوا فى تصديق محمد ص يعنى اليهود كانوا مقرين به قبل مبعثه حتى جاءهم العلم و هو القرآن الذى جاء به محمد ص عن ابن عباس و قال الفراء العلم محمد ص لأنه كان معلوما عندهم بنعته فلما جاءهم اختلفوا فى تصديقه فكفر به أكثرهم و قيل أن معناه فما اختلف بنو إسرائيل إلا من بعد ما جاءهم العلم بالحق على يد موسى و هارون فإنهم كانوا مطبقين على الكفر قبل مجىء موسى فلما جاءهم آمن به بعضهم و ثبت على الكفر بعضهم فصاروا مختلفين «إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» هذا إخبار منه تعالى بأنه الذى يتولى الحكم بينهم يوم القيامة فى الأمور التى يختلفون فيها فإن مع بقاء التكليف لا يرتفع الخلاف.

[سوره يونس (١٠): الآيات ٩٤ الى ٩٧]

إشارة

فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسِئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٩٤) وَ لَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٩٥) إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا- يُؤْمِنُونَ (٩٦) وَ لَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٩٧)

القراء

قد تقدم اختلاف القراء فى كلمه و كلمات و الوجه فى ذلك.

اللغة

الامتراء طلب الشك مع ظهور الدليل و هو من مرى الضرع و هو مسحه ليدر فلا معنى لمسحه بعد دروره بالحليب.

الإعراب

النون فى قوله «فَلَا تَكُونَنَّ» نون التأكيد و هى لا تدخل فى غير الواجب لأنك لا تقول أنت تكونن و دخلت فى القسم على هذا الوجه لأنه يطلب بالقسم التصديق و إنما بنى الفعل مع نون التأكيد لأنها ركبت مع الفعل على تقدير كلمتين كل واحده مركبه مع الأخرى مع أن الأولى ساكنه و اقتضت حركه بناء لالتقاء الساكنين، «وَ لَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ» قال الأخفش أنت كل لأنها مضافه إلى مؤنث و لفظه كل للمذكر و المؤنث سواء و الرؤيه فى الآيه رؤيه العين

ص: ٢٠١

لأنها تعدت إلى مفعول واحد و العذاب و إن كان أليما و هو لا يصح أن يرى فإنه ترى أسبابه فهو بمنزله ما يرى.

المعنى

ثم بين سبحانه صحه نبوه محمد ص فقال «فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ» اختلف المفسرون فى معناه على أقوال أولها قال الزجاج إن هذه الآية قد كثر سؤال الناس عنها و خوضهم فيها و فى السوره ما يدل على بيانها فإن الله سبحانه يخاطب النبى ص و ذلك الخطاب شامل للخلق فالمعنى فإن كنتم فى شك فاسألوا و الدليل عليه قوله فى آخر السوره يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ الْآيَةَ فأعلم الله سبحانه أن نبيه (عليه السلام) ليس فى شك و مثل هذا قوله «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ» فقال طَلَّقْتُمُ و الخطاب للنبى ص وحده و هذا مذهب الحسن و ابن عباس و أكثر أهل التأويل و

روى عن الحسن و قتاده و سعيد بن جبير أنهم قالوا إن النبى ص لم يشك و لم يسأل و هو المروى أيضا عن أبى عبد الله (عليه السلام)

(و ثانيها) أن الخطاب لرسول الله ص و إن لم يشك و علم الله سبحانه أنه غير شاك و لكن الكلام خرج مخرج التقرير و الأفهام كما يقول القائل لعبدته إن كنت عبدى فأطعنى و لأبيه إن كنت والدى فتعطف على و لولده إن كنت ابنى فبرنى يريد بذلك المبالغه و ربما خرجوا فى المبالغه ما يستحيل كقولهم بكت السماء لموت فلان أى لو كان تبكى سماء على ميت لبكت عليه و كذلك هاهنا يكون المعنى لو كنت ممن يشك فشككت «فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ» عن الفراء و غيره (و ثالثها) أن المعنى فإن كنت أيها المخاطب أو أيها السامع فى شك مما أنزلنا إليك على لسان نبينا محمد ص فيكون الخطاب لغيره (و رابعها) ما ذكره الزجاج أنه يجوز أن يكون فى معنى ما فيكون المعنى ما كنت فى شك مما أنزلنا إليك «فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ» أى لسنا نريد بأمرك أن تسأل لأنك شاك و لكن لترداد إيماننا كما قال إبراهيم (عليه السلام) حين قال له أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَ لَكِنْ لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي فَالزيادة فى التعريف ليست مما يبطل صحه العقيدة و إنما أمر سبحانه بسؤال أهل الكتاب مع جحد أكثرهم لنبوته فيه قولان (أحدهما) أنه أمره بأن يسأل مؤمنى أهل الكتاب كعبد الله بن سلام و كعب الأحبار و تميم الدارى و أشباههم عن ابن عباس و مجاهد و الضحاك (و الآخر) أن المراد سلهم عن صفة النبى ص المبشر به فى كتبهم ثم أنظر فيما وافق تلك الصفة و هذا القول أقوى لأن هذه السوره مكيه و ابن سلام و غيره إنما أسلموا بالمدينه و

قال الزهرى إن هذه الآية نزلت فى السماء فإن صح ذلك فقد كفى المثونه و رواه أصحابنا أيضا عن أبى عبد الله (عليه السلام)

وقيل أيضا أن المراد بالشك الضيق و الشده بما يعانیه من نعتهم و أذاهم أى إن ضقت ذرعا بما تلقى من أذى قومك «فَسِدِّئِلِ الَّذِينَ يَفْرُونَ الْكِتَابَ مِنْ قِبَلِكَ» كيف صبر الأنبياء على أذى قومهم فاصبر كذلك «لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ» يعنى بالحق القرآن و الإسلام «فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُثْمِرِينَ» أى الشاكين «وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ» أى من جمله من يجحد آيات الله و لا يصدق بها «فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ» أى فإنك إن فعلت ذلك كنت من الخاسرين و لم يقل من الكافرين لأن الإنسان قد علم شده تحسره و تأسفه على خسران ماله فكيف إذا خسر دينه و نفسه «إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ» معناه أن الذين أخبر الله عنهم بغير شرط أنهم لا- يؤمنون نفى الإيمان عنهم و لم ينف عنهم القدره عليه فإن نفى الفعل لا- يكون نفيا للقدره عليه كما أن الله سبحانه نفى عن نفسه مغفره المشركين و لم يكن ذلك نفيا لقدرته على مغفرتهم و قيل معناه إن الذين وجب عليهم سخط ربك عن قتاده و قيل معناه وجب عليهم وعيد ربك «وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ» أى كل معجزه و دلاله مما يقترحونها «حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ» الموجه فيصيروا ملجئين إلى الإيمان و فى هذا إعلام بأن هؤلاء الكفار لا لطف لهم فى المعلوم يؤمنون عنده إيمان اختيار.

[سوره يونس (١٠): آيه ٩٨]

إشارة

فَلَوْ لَا- كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ مَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ (٩٨)

الإعراب

لو لا- بمعنى هلا- و هى تستعمل على وجهين (أحدهما) التحضيض (و الآخر) التأنيب كقولك فى التحضيض هلا تأتى زيدا لحاجتك و فى التأنيب هلا امتنعت من الفساد الذى دعيت إليه قال الشاعر:

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم بنى ضوطرى لو لا الكمى المقنعا

أى هلا- تعقرون الكمى و «كَانَتْ قَرْيَةٌ» كان هذه هى التامة لا تحتاج إلى خبر و آمنت فنفعها إيمانها صفة لقرية فإن الجمل قد تقوم مقام الصفة للنكرة و إلا- قوم يونس استثناء متصل واقع على المعنى لا- على ظاهر اللفظ فكأنه قال هلا آمن أهل قريه و الجميع مشتركون فى هذا العتاب و قوم يونس مستثنى من الجميع و مثل هذا الاستثناء فى قوله تعالى فَلَوْ لَا كَانَ مِنْ

ص: ٢٠٣

الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّتِهِ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَ قَالَ الزَّجَّاجُ «إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ» استثناء منقطع و تقديره لكن قوم يونس لما آمنوا و مثله قول النابغه:

وقفت فيها أصيلا لا أسائلها عيت جوابا و ما بالربع من أحد

إلا أوارى لأيا ما أبينها و النوى كالحوض بالمظلومه الجلد

و حكى الفراء فى البيت لا أن ما أبينها و قال جمع الشاعر بين ثلاثه أحرف فى النفى لا و إن و ما و قرأ بعضهم يونس و يوسف بكسر النون و السين أراد أن يجعل الاسمين عربيين مشتقين من آسف و آنس و هو شاذ.

المعنى

لما ذكر سبحانه أن إيمان فرعون لم يقبل عند معاينه العذاب وصل ذلك بذكر إيمان قوم يونس قبل نزول العذاب فقال «فَلَوْ لَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ» قيل إن معناه فهلا كان أهل قريه آمنوا فى وقت ينفعهم إيمانهم أعلم الله سبحانه أن الإيمان لا ينفع عند وقوع العذاب و لا عند حضور الموت الذى لا يشك فيه و لكن قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم العذاب عن الزجاج قال و قوم يونس لم يقع بهم العذاب إنما رأوا الآيه التى تدل على العذاب فمثلهم مثل العليل الذى يتوب فى مرضه و هو يرجو العافيه و يخاف الموت و قيل إن معناه لم يكن فيما خلا أن يؤمن أهل قريه بأجمعهم حتى لا يشذ منهم أحد إلا قوم يونس فهلا كانت القرى كلها هكذا عن الحسن و قيل معناه فما كانت قريه آمنت فنفعها إيمانها يريد بذلك لم يكن هذا معروفا لأمه من الأمم كفرت ثم آمنت عند نزول العذاب و كشف عنهم أى لم أفعل هذا بأمه قط إلا قوم يونس «لَمَّا آمَنُوا» عند نزول العذاب كشف عنهم العذاب بعد ما تدلى عليهم و هو قوله «كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» عن قتاده و ابن عباس و فى روايه عطاء و قيل إنه أراد بقوله «فَلَوْ لَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ» قوم ثمود فإنه قد جاءهم العذاب يوما فيوما كما جاء قوم يونس إلا أن قوم يونس استدركوا ذلك بالتوبه و أولئك لم يستدركوا فوصف أهل القريه بأنهم سوى قوم يونس ليعرفهم به بعض التعريف إذ

كان أخبر عنهم على سبيل الإخبار عن النكره عن الجبائي و هذا الذي ذكره إنما كان يصح لو كان «إِلَّا قَوْمٌ يُؤْنَسُ» مرفوعا فكان يكون صفه لقريه أو بدلا منه على معنى هلا- كان قوم قريه آمنوا إلا قوم يونس و لم يقرأ أحد من القراء بالرفع «وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ» و هو وقت انقضاء آجالهم.

[القصة]

و كان من قصه يونس على ما ذكره سعيد بن جبير و السدى و وهب و غيرهم أن قوم يونس كانوا بنينوى من أرض الموصل و كان يدعوهم إلى الإسلام فأبوا فأخبرهم أن العذاب مصبحهم إلى ثلاث إن لم يتوبوا فقالوا إنا لم نجرب عليه كذبا فانظروا فإن بات فيكم تلك الليلة فليس بشيء و إن لم يبت فاعلموا أن العذاب مصبحكم فلما كان في جوف الليل خرج يونس من بين أظهرهم فلما أصبحوا يغشاهم العذاب قال وهب أغامت السماء غيما أسود هائلا يدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشى مدينتهم و اسودت سطوحهم و قال ابن عباس كان العذاب فوق رؤوسهم قدر ثلثي ميل فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم فلم يجدوه فخرجوا إلى الصعيد بأنفسهم و نسائهم و صبيانهم و دوابهم و لبسوا المسوح و أظهروا الإيمان و التوبه و أخلصوا النيه و فرقوا بين كل والده و ولدها من الناس و الأنعام فحن بعضها إلى بعض و علت أصواتها و اختلطت أصواتها بأصواتهم و تضرعوا إلى الله عز و جل و قالوا آمنا بما جاء به يونس فرحمهم ربهم و استجاب دعاءهم و كشف عنهم العذاب بعد ما أظلمهم قال عبد الله بن مسعود بلغ من توبه أهل نينوى أن يرادوا المظالم بينهم حتى كان الرجل ليأتي الحجر و قد وضع عليه أساس بنيانه فيقتلعه و يرده و روى عن أبي مخلص أنه قال لما غشى قوم يونس العذاب مشوا إلى شيخ من بقيه علمائهم فقالوا له لقد نزل بنا العذاب فما ترى قال قولوا يا حي حين لا حي و يا حي محي الموتى و يا حي لا إله إلا أنت فقالوها فانكشف عنهم العذاب و

روى عن علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن جميل قال قال أبو عبد الله (عليه السلام) كان فيهم رجل اسمه مليخا عابد و آخر اسمه روبيل عالم و كان العابد يشير على يونس بالدعاء عليهم و كان العالم ينهاه و يقول له لا تدع عليهم فإن الله يستجيب لك و لا يحب هلاك عباده فقبل يونس قول العابد فدعا عليهم فأوحى الله تعالى إليه أنه يأتيهم العذاب في شهر كذا في يوم كذا فلما قرب الوقت خرج يونس من بينهم مع العابد و بقى العالم فيهم فلما كان اليوم الذي نزل بهم العذاب قال لهم العالم أفرعوا إلى الله فلعله يرحمكم و يرد العذاب عنكم فاخرجوا إلى المفازه و فرقوا بين النساء و الأولاد و بين سائر الحيوان و أولادها ثم ابكوا و ادعوا ففعلوا فصرف عنهم العذاب و كان قد نزل بهم و قرب منهم و مر يونس على

ص: ٢٠٥

وجهه مغاضبا كما حكى الله تعالى عنه حتى انتهى إلى ساحل البحر فإذا سفينه قد شحنت و أرادوا أن يدفعوها فسألهم يونس أن يحملوه فحملوه فلما توسطوا البحر بعث الله عليهم حوتا عظيما فحبس عليهم السفينه فتساهموا فوقع من بينهم السهم على يونس فأخرجوه فألقوه في البحر فالتقمه الحوت و مر به في الماء

وقيل إن الملاحين قالوا نقترع فمن أصابته القرعه ألقيناه في الماء فإن هاهنا عبدا عاصيا أبقا فوقع القرعه سبع مرات على يونس فقام و قال أنا العبد الآبق و ألقى نفسه في الماء فابتلعه الحوت فأوحى الله إلى ذلك الحوت لا تؤذ شعره منه فإنى جعلت بطنك سجنه و لم أجعله طعامك فلبث في بطنه ثلاثه أيام و قيل سبعة أيام و قيل أربعين يوما

و قد سأل بعض اليهود أمير المؤمنين عليا (عليه السلام) عن سجن طاف أقطار الأرض بصاحبه فقال له يا يهودى هو الحوت الذى حبس يونس فى بطنه فدخل فى بحر قلزم حتى خرج إلى بحر مصر ثم سار منها إلى بحر طبرستان ثم خرج من الدجله

قال عبد الله بن مسعود ابتلع الحوت حوت آخر فأهوى به إلى قرار الأرض و كان فى بطنه أربعين ليله فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين فاستجاب الله له فأمر الحوت فنبذه على ساحل البحر و هو كالفرخ المتمتع فأنبت الله عليه شجره من يقطين فجعل يستظل تحتها و وكل الله به و علا يشرب من لبنها فيست الشجره فبكى عليها فأوحى الله تعالى إليه تبكى على شجره يبست و لا تبكى على مائه ألف أو يزيدون أردت أن أهلكهم فخرج يونس فإذا هو بسلام يرعى فقال من أنت قال من قوم يونس قال إذا رجعت إليهم فأخبرهم أنك لقيت يونس فأخبرهم الغلام و رد الله عليه بدنه و رجع إلى قومه و آمنوا به و قيل إنه (عليه السلام) أرسل إلى قوم غير قومه الأولين

[سوره يونس (١٠): الآيات ٩٩ الى ١٠٠]

إشارة

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً فَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩) وَ مَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ يَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٠)

القراءه

قرأ و نجعل بالنون حماد و يحيى عن أبى بكر و الباقون بالياء.

من قرأ بالنون فإنه ابتداء بالإخبار عن الله و من قرأ بالياء فلأنه تقدم ذكر الله تعالى فكفى عنه.

اللغه

المشيئه و الإراده و الإيثار و الاختيار نظائر و إنما يختلف عليها الاسم بحسب مواقعها على ما بين فى موضعه قال على بن عيسى النفس خاصه الشىء التى لو بطل ما سواها لم يبطل ذلك الشىء و نفسه و ذاته واحد إلا أنه قد يؤكد بالذات و النفس مأخوذه من النفاسه.

الإعراب

كلهم تأكيد لمن و جميعا نصب على الحال.

المعنى

لما تقدم أن إيمان الملجأ غير نافع بين سبحانه أن ذلك لو كان ينفع لأكره أهل الأرض عليه فقال «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ» يا محمد «لَمَأْمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ» أى لآمن أهل الأرض «كُلُّهُمْ جَمِيعاً» و معناه الإخبار عن قدره الله تعالى و أنه يقدر على أن يكره الخلق على الإيمان كما قال «إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ» و لذلك قال بعد ذلك «أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» و معناه أن لا- ينبغى أن تريد إكراههم على الإيمان مع أنك لا- تقدر عليه لأن الله تعالى يقدر عليه و لا يريد له لأنه ينافى التكليف و أراد بذلك تسليه النبي ص و تخفيف ما يلحقه من التحسر و الحرص على إيمانهم عنه و فى هذا أيضا دلالة على بطلان قول المجبره أنه تعالى لم يزل كان شائيا و لأنه لا يوصف بالقدره على أن يشاء لأنه تعالى أخبر أنه لو شاء لقدر لكنه لم يشأ فلذلك لم يوجد و لو كانت مشيئه أزلية لم يصح تعليقها بالشرط فصح أن مشيئته فعلية أ لا ترى أنه لا يصح أن يقال لو علم سبحانه و لو قدر كما صح أن يقال لو شاء و لو أراد «وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» معناه أنه لا يمكن أحد أن يؤمن إلا بإطلاق الله تعالى له فى الإيمان و تمكينه منه و دعائه إليه بما خلق فيه من العقل الموجب لذلك و قيل إن إذنه هاهنا أمره كما قال يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ عن الحسن و الجبائى و حقيقه الإذن إطلاقه فى الفعل بالأمر و قد يكون الأذن بالإطلاق فى الفعل برفع التبعه و قيل إن إذنه هنا علمه أى لا تؤمن نفس إلا بعلم الله من قولهم أذنت لكذا إذا سمعته و علمته و أذنته أعلمته فيكون خيرا من علمه سبحانه لجميع الكائنات و يجوز أن يكون بمعنى إعلام الله المكلفين بفضل الإيمان و ما يدعوهم إلى فعله و يبعثهم عليه «وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ» معناه و يجعل العذاب على الذين لا يتفكرون حتى يعقلوا فكأنهم لا عقول لهم عن قتاده و ابن زيد و قيل معناه و يجعل الكفر عليهم أى يحكم عليهم بالكفر و يذمهم عليه عن الحسن و قيل الرجس الغضب

و السخط عن ابن عباس و قال الكسائي الرجس التنن و الرجز و الرجس واحد قال أبو علي و كان الرجس على ضربين (أحدهما) أن يكون في معنى العذاب (و الآخر) أن يكون بمعنى القدر و النجس أى يحكم بأنهم رجس كما قال سبحانه إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ.

[سوره يونس (١٠): الآيات ١٠١ الى ١٠٣]

اشاره

قُلْ أَنْظَرُوا مَا ذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا تُعْنَى الْآيَاتِ وَ النُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠١) فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (١٠٢) ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٣)

القراءه

قرأ الكسائي بروايه نصير و يعقوب بروايه روح و زيد ثم ننجى رسلنا خفيفه و روى عن روح التشديد أيضا فيه و الباقون «نُنَجِّي» بالتشديد وقرأ الكسائي و حفص عن عاصم و يعقوب و سهل «نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ» خفيفه و الباقون ننجى بالتشديد.

الحججه

حجه من قال ننجى قوله فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ و حجه من قال «نُنَجِّي» قوله وَ نَجِّينَا الَّذِينَ آمَنُوا و كلاهما حسن قال الشاعر:

و نجنى ابن هند سابح ذو غلاله أجش هزيم و الرماح دوان

اللغه

النظر طلب الشىء من جهه الفكر كما يطلب إدراكه بالعين و النذر جمع نذير و هو صاحب النذاره و الانتظار هو الثبات لتوقع ما يكون من الحال تقول انتظرنى حتى ألحقك و لو قلت توقعنى لم تكن قد أمرته بالثبات و المثل فى الجنس ما سد أحدهما مسد صاحبه فيما يرجع إلى ذاته و المثل فى غير الجنس ما كان على معنى يقربه من غيره كقربه من جنسه كتشبيه أعمال الكفار بالسراب و النجاه مأخوذه من النجوه و هى الارتفاع عن الهلاك و كذلك السلامه مأخوذه من إعطاء الشىء من غير نقيصه أسلمته إليه إذا أعطيته سالما من غير آفه.

وجه التشبيه فى كذلك أن نجاه من بقى من المؤمنين كنجاه من مضى فى أنه حق على الله واجب لهم و يحتمل أن يكون العامل فى كذلك ننجى الأول و تقديره ننجى رسلنا و الذين آمنوا كذلك الإنجاء و يحتمل أن يكون العامل فيه ننجى الثانى و حقا نصب على المصدر أى يحق حقا و قيل إنه نصب على الحال و إن كان لفظه لفظ المصدر عن أبى مسلم قال جامع العلوم النحوى الضرير و يجوز أن ينصب حقا بدلا من كذلك أو وصفا و لا يجوز أن ينصب كذلك و حقا جميعا بقوله «نُنَجِّى رُسُلَنَا» لأن الفعل الواحد لا يعمل فى مصدرين و لا فى حالين و لا فى استثناءين و لا فى مفعولى معهما و قد بين ذلك فى موضعه فإن جعلت كذلك من صله ننجى و جعلت حقا من صله قوله «نُنَجِّى الْمُؤْمِنِينَ» أى ننجى المؤمنين حقا كان الوقف على كذلك.

المعنى

ثم بين سبحانه ما يزيد فى تنبيه القوم و إرشادهم فقال «قُلْ» يا محمد لمن يسألك الآيات «انظُرُوا ما ذا فى السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» من الدلائل و العبر من اختلاف الليل و النهار و مجارى النجوم و الأفلاك و ما خلق من الجبال و البحار و أنبت من الأشجار و الثمار و أخرج من أنواع الحيوانات فإن النظر فى أفرادها و جملة ما يدعو إلى الإيمان و إلى معرفه الصانع و وحدانيته و علمه و قدرته و حكمته «وَ ما تُغْنِي الآياتُ وَ النُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ» معناه و ما تغنى هذه الدلالات و البراهين الواضحه مع كثرتها و ظهورها و لا الرسل المخوفه عن قوم لا ينظرون فى الأدله تفكرا و تدبرا و لا يريدون الإيمان و قيل ما تغنى معناه أى شىء تغنى عنهم من اجتلاب نفع أو دفع ضرر إذا لم يستدلوا بها فيكون ما للاستفهام و كان الحسن إذا قرأ هذه الآية هتف بها و قال و ما تغنى الحجج عن قوم لا يقبلونها و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) لما أسرى برسول الله ص جبريل بالبراق فركبها فأتى بيت المقدس فلقى من لقى من الأنبياء ثم رجع فأصبح يحدث أصحابه إني أتيت بيت المقدس و لقيت إخوانى من الأنبياء فقالوا يا رسول الله كيف أتيت بيت المقدس الليله قال جاءنى جبرائيل بالبراق فركبتها و آيه ذلك أنى مررت بعير لأبى سفيان على ماء لبني فلان و قد أضلوا جملا لهم أحمر و هم فى طلبه فقال القوم بعضهم لبعض إنما جاءه راكب سريع و لكنكم قد أتيتم الشام و عرفتموها فاسألوه عن أسواقها و أبوابها و تجارها فاسألوه عن ذلك و كان ص إذا سئل عن الشىء لا يعرفه شق ذلك عليه حتى يرى ذلك فى وجهه قال فيينا هو كذلك إذا أتاه جبرائيل (عليه السلام) فقال يا رسول الله هذه الشام قد رفعت لك فالتفت رسول الله ص فإذا هو بالشام فقالوا له أين بيت فلان و مكان كذا فأجابهم فى كل ما سألوه عنه فلم يؤمن منهم إلا قليل و هو قول الله تعالى «وَ ما تُغْنِي

الآيات وَ النَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ» ثم قال أبو عبد الله (عليه السلام) فنعوذ بالله أن لا نؤمن بالله آمنا بالله و رسوله

«فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ» معناه فهل ينتظر هؤلاء الذين أمروا بالإيمان فلم يؤمنوا و بالنظر فى الأدله فلم ينظروا إلا-العذاب و الهلاك فى مثل الأيام التى هلك من قبلهم من الكفار فيها قال قتاده أراد به وقائع الله فى عاد و ثمود و قوم نوح و عبر عن الهلاك بالأيام كما يقال أيام فلان يراد به أيام دولته و أيام محنته و اللفظ لفظ الاستفهام و المراد به النفى و تقديره ليس ينتظرون إلا ذاك «قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ» أى قل يا محمد لهم فانظروا ما وعدنا الله من العذاب فإنى منتظر معكم من جميع المنتظرين لما وعد الله به «ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا» من بينهم و نخلصهم من العذاب وقت نزوله و قيل من شرور أعدائهم و مكرهم «كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ» قال الحسن معناه كنا إذا أهلكنا أمه من الأمم الماضيه نجينا نبهم و نجينا الذين آمنوا به أيضا كذلك إذا أهلكنا هؤلاء المشركين نجيناك يا محمد و الذين آمنوا بك و قيل معناه «كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا» أى واجبا علينا من طريق الحكمة «نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ» من عذاب الآخره كما ننجيهم من عذاب الدنيا و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) لأصحابه ما يمنعكم من أن تشهدوا على من مات منكم على هذا الأمر أنه من أهل الجنة أن الله تعالى يقول «كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ».

[سوره يونس (١٠): الآيات ١٠٤ الى ١٠٧]

إشاره

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٤) وَ أَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَ لَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٥) وَ لَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَ لَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) وَ إِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَ إِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٠٧)

اللغه

الشك و قوف فى المعنى و نقيضه كمن يشك فى كون زيد فى الدار فإنه لا

ص: ٢١٠

يكون لإحدى الصفتين عنده مزيه على الأخرى فيقف و هو معنى غير الاعتقاد عند أبي على الجبائي و أبي هاشم ثم رجع عنه أبو هاشم و قال ليس بمعنى و هو اختيار القاضى و التوفى قبض الشىء على التمام و الإقامة نصب الشىء و نقيضه الإضجاج و أقام بالمكان استمر فيه كاستمرار القيام فى جهة الانتصاب و المماسه و المطابقه و المجامعه نظائر و ضدها المباينه و الكشف رفع الساتر المانع من الإدراك فكان الضر هاهنا ساتر يمنع من إدراك الإنسان.

الإعراب

«إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكِّ» شرط و جوابه فى قوله «فَلَا أَعْبُدُ» و إنما صح ذلك لأن معناه إن كنتم فى شك فلا تطمعوا فى تشكيكى حتى أعبد غير الله كعبادتكم.

المعنى

ثم أمر سبحانه نبيه ص بالبراءه عن كل معبود سواه فقال «قُلْ» يا محمد لهؤلاء الكفار «بِأَيِّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكِّ مِنْ دِينِي» أحق هو أم لا «فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» لشككم فى دىنى «وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُمْ» أى يقدر على إماتتكم و هذا يتضمن تهديدا لهم لأن وفاه المشركين ميعاد عذابهم التى قيل كيف قال إن كنتم فى شك من دىنى مع اعتقادهم بطلان دىنه فجوابه من وجوه (أحدها) أن يكون التقدير من كان شاكا فى أمرى فهذا حكمه (و الثانى) أنهم فى حكم الشاك للاضطراب الذى يجدونه فى أنفسهم عند ورود الآيات (و الثالث) أن فيهم من كان شاكا فغلب ذكرهم «وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» أى و أمرنى ربه أن أكون من المصدقين بالتوحيد و إخلاص العباده له «وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ» هذا عطف على ما قبله فكأنه قال و قيل لى و أقم وجهك «لِلدِّينِ» أى استقم فى الدين بإقبالك على ما أمرت به من القيام بأعباء الرساله و تحمل أمر الشريعة بوجهك و قيل معناه و أقم وجهك فى الصلاه بالتوجه نحو الكعبه «حَنِيفًا» أى مستقيما فى الدين «وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» هذا نهى عن الإشراك مع الله سبحانه غيره فى العباده «وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ» إن أطعته «وَلَا يَضُرُّكَ» إن عصيته و تركته أى لا تدعه إلها كما يدعوا المشركون الأوثان آلهه و إنما قال «ما لا ينفَعُكَ وَ لا يَضُرُّكَ» مع أنه لو نفع و ضر لم تحسن عبادته أيضا لأمرين (أحدهما) أن معناه ما لا ينفَعُكَ نفع الإله و لا يضرُّكَ ضرره (و الثانى) أنه إذا كان عبادته غير الله ممن يضر و ينفَعُ قبيحه فعباده من لا يضر و لا ينفَعُ أقبح «فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ» معناه فإن خالفت ما أمرت به من عبادته غير الله كنت ظالما لنفسك بإدخالك الضرر الذى هو العقاب عليها و هذا الخطاب و إن كان متوجها إلى النبى ص فى الظاهر فالمراد به أمته «وَأِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ» معناه و إن أحل الله بك ضرا من بلاء أو شدة أو مرض «فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ» أى لا يقدر أحد على كشفه غيره كأنه سبحانه

لما بين أن غيره لا ينفَع ولا يضر عقبه بيان كونه قادرا على النفع والضرر «وَإِنْ يُرِذِّكَ بِخَيْرٍ» من صحه جسم و نعمه و خصب و نحوها «فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ» أى لا يقدر على منعه أحد و تقديره و إن يردك خيرا و يجوز فيه التقديم و التأخير يقال فلان يردك بالخير و يريد بك الخير «يُصِيبُ بِهِ» أى بالخير «مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» فيعطيه على ما تقتضيه الحكمة و يعلمه من المصلحه «وَهُوَ الْغَفُورُ» لذنوب عباده «الرَّحِيمُ» بهم.

[سوره يونس (١٠): الآيات ١٠٨ الى ١٠٩]

اشاره

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (١٠٨) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (١٠٩)

المعنى

ثم ختم الله سبحانه السوره بالموعظه الحسنه تسليه للنبي ص و الوعد للمؤمنين و الوعيد للكافرين فقال عز اسمه «قُلْ» يا محمد مخاطبا للمكلفين «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ» و هو القرآن و دين الإسلام و الأدله الداله على صحته و قيل يريد بالحق النبي ص و معجزاته الظاهره «فَمَنْ اهْتَدَى» بذلك بأن نظر فيه و عرفه حقا و صوابا «فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ» معناه فإن منافع ذلك من الثواب و غيره يعود عليه «وَمَنْ ضَلَّ» عنه و عدل عن تأمله و الاستدلال به «فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا» أى على نفسه لأنه يجنى عليها «وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ» أى و ما أنا بحفيظ لكم عن الهلاك إذا لم تنظروا أنتم لأنفسكم و لم تعلموا بما يخلصها كما يحفظ الوكيل مال غيره و المعنى أنه ليس على إلا البلاغ و لا يلزمنى أن أجعلكم مهتدين و إن أنجيكم من النار كما يجب على من وكل على متاع أن يحفظه من الضرر «وَ اتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَ اصْبِرْ» على أذى الكافرين و تكذيبهم «حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ» بينك و بينهم بإظهار دينه و إعلاء أمره «وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ» لأنه لا يحكم إلا بالعدل و الصواب.

(١١) سورة هود مكيه و آياتها ثلاث و عشرون و مائه (١٢٣)

اشاره

[توضيح]

هى مكيه كلها فى قول الأكترين و قال قتاده إلا آيه و هو قوله «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ» فإنها نزلت بالمدينه.

عدد آياتها

هى مائه و ثلاث و عشرون آيه كوفى و آيتان شامى و المدنى الأول و آيه فى الباقيين

اختلافها

سبع آيات «بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ» كوفى «فِي قَوْمٍ لُّوطٍ» غير البصرى «مِنْ سَجِيلٍ» مكى شامى و المدنى الأخير «كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» حجازى «مَنْصُودٍ» و «إِنَّا عَامِلُونَ» عراقى شامى و المدنى الأول مختلفين عراقى شامى

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأها أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح و كذب به و هود و صالح و شعيب و لوط و إبراهيم و موسى و كان يوم القيامة من السعداء

و

روى الثعلبى بإسناده عن أبى إسحاق عن أبى جحيفه قال قيل يا رسول الله قد أسرع إليك الشيب قال شيبتنى هود و أخواتها

و

فى روايه أخرى عن أنس بن مالك عن أبى بكر قال قلت يا رسول الله عجل إليك الشيب قال شيبتنى هود و أخواتها الحاقه و الواقعه و عم يتساءلون و هل أتاك حديث الغاشيه

و

روى العياشى عن الحسن بن على الوشاء عن ابن سنان عن أبى جعفر (عليه السلام) قال من قرأ سورة هود فى كل جمعه بعثه الله يوم القيامة فى زمرة النبيين و حوسب حسابا يسيرا أو لم تعرف له خطيئه عملها يوم القيامة

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة يونس بذكر الوحي في قوله وَ اتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ افتح هذه السوره ببيان ذلك الوحي فقال

ص: ٢١٣

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٢) وَ أَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٣) إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤)

اللغة

الإحكام منع الفعل من الفساد والحكمه المعرفه بما يمنع الفعل من الفساد والنقص و بما يميز القبيح من الحسن و الفاسد من الصحيح و الحكيم فى صفات الله سبحانه يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون بمعنى محكم فهو فعيل بمعنى مفعول أى محكم أفعاله فيكون على هذا من صفات فعله فلا- يوصف به فيما لم يزل (و الثانى) أن يكون بمعنى عليم فيكون من صفات ذاته فيوصف بأنه حكيم لم يزل.

الإعراب

قال الزجاج كتاب مرفوع بإضمار هذا كتاب و قال بعضهم كتاب خبر الر و هذا غلط لأن «كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ» ليس هو الر وحدها و «أَلَّا تَعْبُدُوا» فى موضع نصب تقديره فصلت آياته لأن لا تعبدوا و يحتمل أن يكون على تقدير أمركم بأن لا تعبدوا فلما حذف الباء وصل الفعل فنصبه «وَ أَنْ اسْتَغْفِرُوا» معطوف عليه و معنى إلا فى قوله «إِلَّا اللَّهَ» إيجاب للمذكور بعدها ما نفى عن كل ما سواه من العباده و هى التى تفرغ عامل الإعراب لما بعدها يمتنعكم جزم جواب لقوله «وَ أَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ» «وَ إِنْ تَوَلَّوْا» يريد تولوا فحذف إحدى التاءين تخفيفا و ابن كثير يدغم التاء الأولى فى الثانية و يشدد.

المعنى

قد بينا تفسير «الر» و الأفاويل التى فيها فى أول البقره فلا- معنى لإعادته «كِتَابٌ» يعنى القرآن أى هو كتاب «أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ» ذكر فيه وجوه (أحدها) أن

معناه «أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ» فلم ينسخ منها شىء كما نسخت الكتب و الشرائع «ثُمَّ فَصَّلَتْ» ببيان الحلال و الحرام و سائر الأحكام عن ابن عباس (و ثانيها) أن معناه «أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ» بالأمر و النهى «ثُمَّ فَصَّلَتْ» بالوعد و الوعيد و الثواب و العقاب عن الحسن و أبى العاليه (و ثالثها) «أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ» جمله ثم فرقت فى الإنزال آيه بعد آيه ليكون المكلف أمكن من النظر و التدبر عن مجاهد (و رابعها) أحكمت فى نظمها بأن جعلت على أبلغ و جوه الفصاحه حتى صار معجزا ثم فصلت بالشرع و البيان المفروض فكأنه قيل محكم النظم مفصل الآيات عن أبى مسلم (و خامسها) أتقت آياته فليس فيها خلل و لا باطل لأن الفعل المحكم ما قد أتقنه فاعله حتى لا يكون فيه خلل ثم فصلت بأن جعلت متتابعه بعضها إثر بعض «مِنْ لَمَدُنْ حَكِيمٍ» أى إن هذا الكتاب أتاكم من عند حكيم فى أحواله و تدابيرهِ «خَبِيرٍ» أى عليم بأحوال خلقه و مصالحهم و فى هذه الآيه دلالة على أن كلام الله سبحانه محدث لأنه وصفه بأنه أحكمت آياته ثم فصلت و الإحكام من صفات الأفعال و كذلك التفصيل ثم قال «مِنْ لَمَدُنْ حَكِيمٍ» و هذه الإضافة لا تصح إلا فى المحدث لأن القديم يستحيل أن يكون صادرا من غيره و قوله «أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ» معناه أنزل هذا الكتاب ليأمركم «أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ» و لكى لا- تعبدوا إلا- الله كما يقال كتبت إليك أن لا تخرج من الدار و أن لا تخرج بالنصب و الجزم «إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَ بَشِيرٌ» هذا إخبار من النبى ص أنه مخوف من مخالفه الله و عصيانه باليم العقاب مبشر على طاعه الله بجزيل الثواب «وَ أَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ» و معناه اطلبوا المغفره و اجعلوها غرضكم ثم توصلوا إليها بالتوبه و قيل معناه استغفروا ربكم من ذنوبكم ثم توبوا إليه فى المستأنف متى وقعت منكم المعصيه عن الجبائى و قيل إن ثم هاهنا بمعنى الواو عن الفراء و هذا لأن الاستغفار و التوبه واحد فتكون التوبه تأكيدا للاستغفار «يُمَتِّعُكُمْ مَتَاعًا حَسِينًا إِلَىٰ أَحْتِلِ مَسِيَّتِي» يعنى أنكم متى استغفرتموه و تبتم إليه يمتعكم فى الدنيا بالنعم السابغه فى الخفض و الدعه و الأمن و السعه إلى الوقت الذى قدر لكم أجل الموت فيه و قال الزجاج يريد بيقينكم و لا يستأصلكم بالعذاب كما استأصل أهل القرى الذين كفروا «وَ يُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ» قيل إن الفضل بمعنى التفضيل و الإفضال أى و يعطى كل ذى إفضال على غيره بمال أو كلام أو عمل بيد أو رجل جزاء إفضاله فيكون الهاء فى فضله عائدا إلى ذى الفضل و قيل إن معناه يعطى كل ذى عمل صالح فضله أى ثوابه على قدر عمله فإن من كثرت طاعاته فى الدنيا زادت درجاته فى الجنه و على هذا فالأولى أن تكون الهاء فى فضله عائدا إلى اسم الله تعالى «وَ إِنْ تَوَلَّوْا» أى أعرضوا عما أمروا به و قيل معناه و إن تتولوا أنتم أى تعرضوا فحذف إحدى التاءين و لذلك شدد ابن كثير فى روايه البزى عنه «فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ

يَوْمَ كَبِيرٍ» أى كبير شأنه و هو يوم القيامة و هذا الخوف ليس فى معنى الشك بل هو فى معنى اليقين أى فقل لهم يا محمد إني أعلم أن لكم عذابا عظيما و إنما وصف اليوم بالكبير لعظم ما فيه من الأهوال «إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ» أى فى ذلك اليوم إلى حكم الله مصيركم لأن حكم غيره يزول فيه و قيل معناه إليه مصيركم بأن يعيدكم للجزاء «وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» يقدر على الإعادة و البعث و الجزاء فاحذروا مخالفته.

[سوره هود (١١): آيه ٥]

إشارة

أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَ مَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٥)

القرءاء

روى عن ابن عباس بخلاف و مجاهد و يحيى بن يعمر و عن على بن الحسين و أبى جعفر محمد بن على و زيد بن على و جعفر بن محمد (عليه السلام) يثنونى صدورهم على مثال يفعوعل

و عن ابن عباس أيضا يثنون و عن مجاهد يثثن و روى ذلك أيضا عن عروه الأعشى.

الحج

أما يثنونى على مثال يفعوعل فهو من أمثله المبالغة تقول أعشب البلد فإذا كثر ذلك قلت اعشوشب و كذلك احلولى و اخشوشب و اخشوشن و أما يثنون و يثثن فقد قال ابن جنى إنهما من لفظ الثن و هو ما هس و ضعف من الكلاء و أنشد أبو زيد:

تكفى اللقوح أكله من ثن

يثثن بالهمزة أصله يثنان فحركت الألف لسكونها و سكون النون الأولى فانقلبت همزة و أما «يَثْنُونَ» فأصله يثنونن فلزم الإدغام لتكرير العين إذا كان غير ملحق فأسكنت النون الأولى و نقلت كسرتها إلى الواو و أدغمت النون فى النون فصار يثنون.

اللغة

أصل الثنى العطف تقول ثنيته عن كذا أى عطفته و منه الاثنان لعطف أحدهما على الآخر فى المعنى و منه الثناء لعطف المناقب فى المدح و منه الاستثناء لأنه عطف عليه بالإخراج منه و الاستخفاء طلب خفاء الشىء يقال استخفى و تخفى بمعنى و كذلك استغشى

أرعى النجوم و ما كلفت رعيتهما و تاره أتغشى فضل أطمارى

الإعراب

ألا معناها التنبيه و لا حظ لها فى الإعراب و ما بعدها مبتدأ.

النزول

قيل نزلت فى الأحنس بن شريق و كان حلو الكلام يلقي رسول الله ص بما يحب و ينطوى بقلبه على ما يكره عن ابن عباس و روى العياشى بإسناده عن أبى جعفر (عليه السلام) قال أخبرنى جابر بن عبد الله أن المشركين إذا مروا برسول الله ص طأطأ أحدهم رأسه و ظهره هكذا و غطى رأسه بثوبه حتى لا يراه رسول الله ص فأنزل الله هذه الآية.

المعنى

لما تقدم ذكر القرآن بين سبحانه فعلهم عند سماعه فقال «ألا إِنَّهُمْ» يعنى الكفار و المنافقين «يَتَّوَنَ صُدُورَهُمْ» أى يطوونها على ما هم عليه من الكفر عن الحسن و قيل معناه يحنون صدورهم لكيلا يسمعوا كلام الله سبحانه و ذكره عن قتاده و قيل يتنونها على عداوة النبى ص عن الفراء و الزجاج و قيل إنهم إذا عقدوا مجلسا على معاداة النبى ص و السعى فى أمره بالفساد انضم بعضهم إلى بعض و ثنى بعضهم صدره إلى صدر بعض يتناجون «لَيْسَتْخَفُوا مِنْهُ» أى ليخفوا ذلك من الله تعالى على القول الأخير فإنهم كانوا قد بلغ من شدة جهلهم بالله أن ظنوا أنهم إذا ثنوا صدورهم على سبيل الإخفاء لم يعلم الله تعالى أسرارهم و على الأقوال الأخر معناه ليستروا ذلك عن النبى ص «ألا حينَ يَشْتَعُشُونَ ثِيَابَهُمْ» معناه أنهم يتغطون بثيابهم ثم يتفاوضون فيما كانوا يدبرونه على النبى ص و على المؤمنين فيكتمونه عن ابن عباس فبين الله سبحانه أنه «يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَ ما يُعْلِنُونَ» وقت ما يتغطون بثيابهم و يجعلونها غشاء فوقهم لا بمعنى أنه يتجدد له العلم فى حال استعشائهم بالثوب بل هو عالم بذلك فى الأزل «إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» يريد بما فى النفوس عن ابن عباس و بحقيقته ما فى القلوب من المضمرات و قيل إنه كنى باستعشاء ثيابهم عن الليل لأنهم يتغطون بظلمته كما يتغطون بثيابهم.

إشارة

وَ مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَ مُسْتَوْدَعَهَا كُلُّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٦) وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَ لَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّا نَكُفِّرُكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٧) وَ لَئِنْ أَخْرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّهٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ إِلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤْنَ (٨)

اللغة

الدابة الحي الذي من شأنه أن يدب و قد صار في العرف مختصا بنوع من الحيوان و قد ورد القرآن بها على الأصل في قوله «وَ مَا مِنْ دَابَّةٍ»، و اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ.

الإعراب

اللام في قوله لئن لام القسم و لا يجوز أن يكون لام الابتداء لأنها دخلت على أن التي للجزاء و لام الابتداء إنما هي للاسم أو ما ما ضارع الاسم في باب إن و جواب الجزاء مستغنى عنه بجواب القسم لأنه إذا جاء في صدر الكلام غلب عليه كما أنه إذا تأخر و توسط الغي و «يَوْمَ يَأْتِيهِمْ» نصب على الظرف من مصروف أى ليس يصرف العذاب عنهم يوم يأتيهم العذاب.

المعنى

«وَ مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ» أى ليس من دابة تدب على وجه الأرض و يدخل فيه جميع ما خلقه الله تعالى على وجه الأرض من الجن و الإنس و الطير و الأنعام و الوحوش و الهوام «إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا» أى إلا و الله سبحانه يتكفل برزقها و يوصله إليها على تقتضيه المصلحه و توجهه الحكمة «وَ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَ مُسْتَوْدَعَهَا» أى يعلم موضع قرارها و الموضع الذى أودعها فيها و هو أصلاب الآباء و أرحام الأمهات عن مجاهد و قيل مستقرها حيث تأوى إليه من الأرض و مستودعها حيث تموت و تبعث منه عن ابن عباس و الربيع و قيل مستقرها ما يستقر عليه عملها و مستودعها ما يصير إليه «كُلُّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ» هنا إخبار منه سبحانه أن جميع ذلك مكتوب في كتاب ظاهر و هو اللوح المحفوظ و إنما أثبت سبحانه ذلك مع أنه عالم لذاته لا يعزب عن علمه شىء من مخلوقاته لما فيه من اللطف للملائكة أو لمن يخبر بذلك «وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ» هذا إخبار منه سبحانه عن

نفسه بأنه أنشأهما في هذا المقدار من الزمان مع قدرته على أن يخلقهما في مقدار لمح البصر و الوجه في ذلك أنه سبحانه أراد أن يبين بذلك أن الأمور جاريه في التدبير على منهاج الحكمة منشأه على ترتيب لما في ذلك من المصلحه و المراد بقوله «سِتِّهِ أَيَّامٍ» ما مقداره مقدار سته أيام لأنه لم يكن هناك أيام بعد فإن اليوم عباره عما بين طلوع الشمس و غروبها «وَ كَانَ عَزَّشُهُ عَلَى الْمَاءِ» في هذا دلالة على أن العرش و الماء كانا موجودين قبل خلق السموات و الأرض و كان الماء قائما بقدره الله تعالى على غير موضع قرار بل كان الله يمسكه بكمال قدرته و في ذلك أعظم الاعتبار لأهل الإنكار و قيل إن المراد بقوله «عَزَّشُهُ» بناؤه يدل عليه قوله وَ مِمَّا يَعْرِشُونَ أى يبنون و المعنى و كان بناؤه على الماء فإن البناء على الماء أبدع و أعجب عن أبى مسلم «لِيُبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» معناه أنه خلق الخلق و دبر الأمور ليظهر إحسان المحسن فإنه الغرض في ذلك أى ليعاملكم معاملة المبتلى المختبر لثلا- يتوهم أنه سبحانه يجازى العباد على حسب ما في معلومه أنه يكون منهم قبل أن يفعلوه و في قوله «أَحْسَيْنُ عَمَلًا» دلالة على أنه قد يكون فعل حسن أحسن من حسن آخر لأن حقيقه لفظه أفعل يقتضى ذلك «وَ لَئِنْ قُلْتَ» يا محمد لهم «إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ» للحساب و الجزاء «لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ» أى ليس هذا القول إلا- تمويه ظاهر لا حقيقه له و من قرأ سحر فالمراد ليس هذا يعنون النبى ص إلا ساحر قال الجبائى و فى الآيه دلالة على أنه كان قبل خلق السموات و الأرض الملائكه لأن خلق العرش على الماء لا وجه لحسنه إلا أن يكون فيه لطف لمكلف يمكنه الاستدلال به فلا بد إذا من حى مكلف و قال على بن عيسى لا يمتنع أن يكون فى الأخبار بذلك مصلحه للمكلفين فلا يجب ما قاله الجبائى و هو الذى اختاره المرتضى قدس الله روحه «وَ لَئِنْ أَخْرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّه مَعْدُودَةٍ» معناه و لئن أخرنا عن هؤلاء الكفار عذاب الاستئصال إلى أجل مسمى و وقت معلوم و الأمه الحين كما قال سبحانه وَ اذْكَرْ بَعِيدَ أُمَّهٍ وَ هو قول ابن عباس و مجاهد و قيل «إِلَى أُمَّهٍ» أى إلى جماعه يتعاقبون فيصرون على الكفر و لا يكون فيهم من يؤمن كما فعلنا بقوم نوح عن على بن عيسى و قيل معناه إلى أمه بعد هؤلاء نكلفهم فيعصون فتقتضى الحكمة إهلاكهم و إقامة القيامة عن الجبائى و

قيل إن الأمه المعدوده هم أصحاب المهدي (عليه السلام) فى آخر الزمان ثلاثمائة و بضعه عشر رجلا كعده أهل بدر يجتمعون فى ساعه واحده كما يجتمع قزح الخريف و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام)

«لَيَقُولَنَّ» على وجه الاستهزاء «ما يَحْبِسُهُ» أى أى شىء يؤخر هذا العذاب عنا إن كان حقا «أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ» أى إن هذا العذاب الذى يستبطنونه إذا

نزل بهم فى الوقت المقدر لا يقدر أحد على صرفه عنهم إذا أراد الله أن يأتيهم به ولا يتمكن من إذهابه عنهم إذا أراد الله أن يأتيهم به «و حاق بهم ما كانوا به يستهزؤون» أى و نزل بهم الذى كانوا يسخرون به من نزول العذاب و يحققونه.

النظم

وجه اتصال الآيه الأولى بما قبلها أنه لما قال سبحانه «يَعْلَمُ مَا يُسْتَهْرُؤُونَ وَ مَا يُعْلِنُونَ» قال عقبيه و كيف يخفى على الله سر هؤلاء و هو يرزقهم و إذا وصل إلى كل واحد رزقه و لم ينسه فليعلم أنه يعلم سره و قوله «وَ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَ مُسْتَوْدَعَهَا» يدل على ما ذكرنا ثم زاده بيانا بقوله «وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ» الآيه فإن أصل الخلق التقدير الذى لا يختل بالنقصان و الزيادة و ذلك لا يتم إلا من العالم لذاته.

[سوره هود (١١): الآيات ٩ الى ١١]

اشاره

وَ لَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيُؤْسُ كَفُورٌ (٩) وَ لَئِنْ أَذَقْنَا نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (١٠) إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ (١١)

اللغه

الذوق تناول الشىء بالفم لإدراك الطعم و سمي الله سبحانه إحلال اللذات بالإنسان إذاقه لسرعه زوالها تشبيها بما يذاق ثم يزول كما قيل:

" أحلام نوم أو كظل زائل "

و النزع قلع الشىء عن مكانه و اليئوس فعول من يئس و اليأس القطع بأن الشىء المتوقع لا يكون و نقيضه الرجاء و النعماء إنعام يظهر أثره على صاحبه و الضراء مضره تظهر الحال بها لأنهما أخرجتا مخرج الأحوال الظاهره مثل حمراء و عيناء مع ما فيهما من المبالغه و الفرح و السرور من النظائر و هو انفتاح القلب بما يلتذ به و ضده الغم و الصحيح أن الغم السرور من جنس الاعتقادات و ليسا بجنسين من الأعراض و من الناس من قال إنهما جنسان و الفخور الذى يكثر فخره و هو التناول بتعديد المناقب و هى صفه ذم إذا أطلقت لما فيها من التكبر على من لا يجوز أن يتكبر عليه.

الإعراب

اللام فى «لَئِنْ» لتوطيه القسم و ليست للقسم و التقدير و الله لئن أذقنا الإنسان منا رحمه إنه ليئوس فإنه جواب القسم الذى هيأته اللام إلا أنه مغن عن جواب الشرط و واقع موقعه و مثله قول الشاعر:

لئن عاد لى عبد العزيز بمثلها و أمكننى منها إذا لا أقبلها

أى و الله لا- أقبلها و لو كانت جواب أن لكان لا أقبلها الذين صبروا فى موضع نصب على الاستثناء من الإنسان لأنه اسم الجنس فهو كقوله «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا» و قال الزجاج و الأخفش أنه استثناء ليس من الأول و المعنى لكن الذين صبروا و الأول قول الفراء.

المعنى

ثم بين سبحانه حال الإنسان فيما قابل به نعمه من الكفر فقال «وَلَيْتُنَّ أَذْقُوا الْإِنْسَانَ مِثْلَ نَجَسٍ» أى أحللتنا به نعمه من الصحة و الكفايه و السعه من المال و الولد و غير ذلك من نعم الدنيا «ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ» أى سبلنا تلك النعمه عنه إذا رأينا المصلحه فيه «إِنَّهُ لَيُؤَسُّ» أى قنوط و هو الذى سنته و عادته اليأس «كَفُورٌ» و هو الذى عادته كفران النعمه و معنى الآيه مصروف إلى الكفار الذين هذه صفتهم لجهلهم بالصانع الحكيم الذى لا يعطى و لا يمنع إلا لما تقتضيه الحكمة من وجوه المصالح «وَلَيْتُنَّ أَذْقْنَاهُ» أى أحللتنا به و أعطيناها «نِعْمَاءَ بَعِيدَةً مَسْتَه» أى بعد بلاء أصابته «لَيَقُولَنَّ» عند نزول النعماء به «ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي» أى ذهب الخصال التى تسوء صاحبها من جهه نفور طبعه عنه و هو هاهنا بمعنى الشدائد و الآلام و الأمراض عنى فلا تعود إلى و لا يؤدى شكر الله عليها «إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ» يفرح به و يفخر به على الناس فلا- يصبر فى المحنه و لا- يشكر عند النعمه «إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا» معناه إلا الذين قابلوا الشده بالصبر و النعمه بالشكر «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» أى واطبوا على الأعمال الصالحه «أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ» و هو الجنة.

[سوره هود (١١): الآيات ١٢ الى ١٤]

اشاره

فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَ ضَائِقٌ بِهِ صِدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٢) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٣) فَإِلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٤)

ص: ٢٢١

ضائق و ضيق بمعنى واحد إلا أن ضائق هاهنا أحسن لوجهين (أحدهما) أنه عارض (و الآخر) أنه أشكل بقوله «تارك» و الكنز المال المدفون سمي بذلك لاجتماعه و كل مجتمع من لحم و غيره مكتنز و صار في الشرع اسم ذم لكل مال لا يخرج منه حق الله تعالى من الزكاه و غيره و إن لم يكن مدفونا و افترى و اختلق و اخترق و خلق و خرص و خرق إذا كذب و الاستجابة في الآيه طلب الإجابة بالقصد إلى فعلها و يقال استجاب و أجب بمعنى واحد و الفرق بين الإجابة و الطاعة إن الطاعة موافقه الإرادة الجاذبه إلى الفعل برغبه أو رهبه و الإجابة موافقه الداعى إلى الفعل من أجل أنه دعا به.

الإعراب

«أَنْ يَقُولُوا» في موضع نصب بأنه مفعول له و تقديره كراهه أن يقولوا فحذف المضاف و قيل «أَنْ يَقُولُوا» في موضع جر بدلا من الهاء في قوله «ضائقٌ بِهِ صِدْرُكَ» «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ» أم هذه منقطعه ليست بالمعادله و تقديره بل أ يقولون افتراه و هو تقرير بصوره الاستفهام.

النزول

روى عن ابن عباس أن رؤساء مكة من قريش أتوا رسول الله ص فقالوا يا محمد إن كنت رسولا فحول لنا جبال مكة ذهبا أو اثنتا بملائكه يشهدون لك بالنبوه فأنزل الله تعالى «فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ» الآيه

و

روى العياشى بإسناده عن أبى عبد الله (عليه السلام) أن رسول الله ص قال لعلى (عليه السلام) إني سألت ربي أن يؤاخي بينى و بينك ففعل و سألت ربي أن يجعلك وصيى ففعل فقال بعض القوم و الله لصاع من تمر فى شن بال أحب إلينا مما سأل محمد ربه فهلا سأله ملكا يعضده على عدوه أو كنزا يستعين به على فاقته فنزلت الآيه.

المعنى

ثم أمر سبحانه رسوله بالثبات على الأمر و حثه على حجاج القوم بما يقطع العذر فقال «فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ» أى و لعلك تارك بعض القرآن و هو ما فيه سب آلهتهم و لا- تبلغهم إياه دفعا لشرهم و خوفا منهم «وَ ضَائِقٌ بِهِ صِدْرُكَ» أى و لعلك يضيق صدرك مما يقولونه و بما يلحقك من أذاهم و تكذيبهم و قيل باقتراحاتهم «أَنْ يَقُولُوا» أى كراهه أن يقولوا أو مخافه أن يقولوا «لَوْ لَا- أَنْزَلَ عَلَيْهِ كَنْزًا» من المال «أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ» يشهد له فليس قوله «فَلَعَلَّكَ» على وجه الشك بل المراد به النهى عن ترك أداء الرساله و الحث على أدائها كما يقول أحدنا لغيره و قد علم من حاله أنه يطيعه و لا يعصيه و يدعوه غيره إلى عصيانه لعلك تترك ما أمرك به لقول فلان و إنما يقول ذلك ليؤيس من يدعوه إلى ترك أمره فمعناه لا تترك بعض ما يوحى إليك و لا يضق صدرك بسبب مقاتلتهم هذه «إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ» أى منذر «وَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ» أى حفيظ يجلب النفع إليه و يدفع الضرر عنه «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ» معناه بل أ يقولون اختلق القرآن و اخترعه و أتى به من عند نفسه و قيل إن

هاهنا محذوفاً و تقديره أ يكذبونك فيما أتيتهم به من القرآن أم يقولون افتريته على ربك و حذف لدلاله ما أبقى على ما ألقى و على هذا فيكون أم هذه هي متصله «قُلْ» يا محمد لهم «فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ» أى إن كان هذا مفترى على الله كما زعمتم فأتوا أنتم بعشر سور مثله فى النظم و الفصاحة مفتريات على زعمكم فإن القرآن نزل بلغتكم و قد نشأت أنا بين أظهركم فإن لم يمكنكم ذلك فاعلموا أنه من عند الله تعالى و هذا صريح فى التحدى و فيه دلالة على جهه إعجاز القرآن و أنها هي البلاغه و الفصاحة فى هذا النظم المخصوص لأنه لو كان جهه الإعجاز غير ذلك لما قنع فى المعارضه بالافتراء و الاختلاق لأن البلاغه ثلاث طبقات فأعلى طبقاتها معجز و أدناها و أوسطها ممكن فالتحدى فى الآيه إنما وقع فى الطبقة العليا منها و لو كان وجه الإعجاز الصرفه لكان الركيك من الكلام أبلغ فى باب الإعجاز و المثل المذكور فى الآيه لا يجوز أن يكون المراد به مثله فى الجنس لأن مثله فى الجنس يكون حكايته فلا يقع بها التحدى و إنما يرجع ذلك إلى ما هو متعارف بين العرب فى تحدى بعضهم بعضاً كما اشتهر من مناقصات امرئ القيس و علقمه و عمرو بن كلثوم و الحرث بن حلزة و جرير و الفرزدق و غيرهم و قوله «وَ ادْعُوا مَنِ اسْتِطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» معناه ادعوهم ليعينوكم على معارضه القرآن إن كنتم صادقين فى قولكم إنى افتريته و يريد بقوله «مَنِ اسْتِطَعْتُمْ» من خالف نبينا محمداً من جميع الأمم و هذا غاية ما يمكن فى التحدى و المحاجه و فيه الدلالة الواضحه على إعجاز القرآن لأنه إذا ثبت أن النبى ص تحداهم به و أوعدهم بالقتل و الأسر بعد أن عاب دينهم و آلهتهم و ثبت أنهم كانوا أحرص الناس على إبطال أمره حتى بذلوا مهجهم و أموالهم فى ذلك فإذا قيل لهم افتروا أنتم مثل هذا القرآن و أدحضوا حجته و ذلك أيسر و أهون عليكم من كل ما تكلفتموه فعدلوا عن ذلك و صاروا إلى الحرب و القتل و تكلف الأمور الشاقه فذلك من أدل الدلائل على عجزهم إذ لو قدروا على معارضته مع سهوله ذلك عليهم لفعلوه لأن العاقل لا يعدل عن الأمر السهل إلى الصعب الشاق مع حصول الغرض بكل واحد منهما فكيف و لو بلغوا غايه أمانيتهم فى الأمر الشاق و هو قتله ص لكان لا يحصل غرضهم من إبطال أمره فإن المحقق قد يقتل فإن قيل لم ذكر التحدى مره بعشر سور و مره بحديث مثله فالجواب أن التحدى إنما يقع بما يظهر فيه الإعجاز من منظوم الكلام فيجوز أن يتحدى مره بالأقل و مره بالأكثر «فَالَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ» قيل أنه خطاب للمسلمين و المراد فإن لم يجبكم هؤلاء الكفار إلى الإتيان بعشر سور مثله معارضه لهذا القرآن «فَاعْلَمُوا» أيها المسلمون «أَنَّمَا أُنزِلَ الْقُرْآنَ بِعِلْمِ اللَّهِ» عن مجاهد و اختاره الجبائى و قيل هو خطاب للكفار و تقديره فإن لم يستجب لكم من تدعونهم

إلى المعاونه و لم يتهياً لكم المعارضه فقد قامت عليكم الحججه و قيل إن الخطاب للرسول ص أى فإن لم يجيبوك و ذكره بلفظ الجمع تفخيماً و الغرض التنبيه على إعجاز القرآن و أنه المنزل من عند الله سبحانه على نبيه ص و ذكر فى قوله «يَعْلَمُ اللَّهُ» وجوه (أحدها) أن معناه إن الله عالم به و بأنه حق منزل من عنده (و ثانيها) أن معناه بعلم الله مواقع تأليفه فى علو طبقته و أنه لا يقدر أحد على معارضته (و ثالثها) أنه أنزله الله على علم بترتيبه و نظمه و لا يعلم غيره ذلك «وَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» أى و اعلموا أنه لا إله إلا هو لأن مثل هذا المعجز لا يقدر عليه إلا الله الواحد الذى لا إله إلا هو «فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» أى هل أنتم بعد قيام الحججه عليكم بما ذكرناه من كلام الله مستسلمون منقادون لتوحيده و هذا استفهام فى معنى الأمر مثل قوله فَهَلْ أَنْتُمْ مُتَّبِعُونَ.

[سوره هود (١١): الآيات ١٥ الى ١٦]

إشارة

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ زَيَّنَّا نُوْفَّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَ هُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أَوْلَيْكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَ حَبَطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَ بَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦)

القراءة

روى فى الشواذ قراءة أبى و ابن مسعود و باطلا ما كانوا يعملون.

الحججه

الوجه فيه أن يكون باطلا- منصوبا يعملون و ما زيده للتوكيد فكأنه قال و باطلا كانوا يعملون و مثله قوله أ هُوَ لَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ.

اللغه

الزينة تحسين الشىء بغيره من لبسه أو حليه أو هيئه يقال زانه يزينه زينه و زينه يزينه تزينا و التوفيه تأديه الحق على تمام و البخس نقصان الحق و كل ظالم باخس لأنه يظلم غيره بنقصان حقه و فى المثل " تحسبها حمقاء و هى باخس ". الإعراب

قال الفراء كان هذه هنا زائده و تقديره من يرد الحياه الدنيا و قال غيره معناه إن يصح أنه كان كقوله سبحانه إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ و لا- يجوز مثل ذلك فى غير كان لأنها أم الأفعال قال أبو على الشرط و الجزاء لا يقعان إلا فيما يستقبل فحرف الجزاء يحيل معنى الماضى إلى الاستقبال لا محاله و لو جاز وقوع الماضى بعدها على معناها لما جزمت ألا ترى أن لو لم تجزم و إن كان فيها معنى الشرط و الجزاء لوقوع الماضى بعدها على بابه نحو لو جتتى أمس لأكرمتهك.

«مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا» أى زهرتها و حسن بهجتها و لا يريد الآخرة «نُوفٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا» أى نوفر عليهم جزاء أعمالهم فى الدنيا تاما «وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ» أى لا ينقصون شيئا منه و اختلف فى معناه فقيل إن المراد به المشركون الذين لا يصدقون بالبعث يعملون أعمال البر كصلة الرحم و إعطاء السائل و الكف عن الظلم و إغاثة المظلوم و الأعمال التى يحسنها العقل كبناء القناطير و نحوه فإن الله يعجل لهم جزاء أعمالهم فى الدنيا بتوسيع الرزق و صحة البدن و الإمتاع بما حولهم و صرف المكاره عنهم عن الضحاك و قتاده و ابن عباس و يقال إن من مات منهم على كفره قبل استيفاء العوض وضع الله عنه فى الآخرة من العذاب بقدره فأما ثواب الآخرة فلا حظ لهم فيه و قيل المراد به المنافقون الذين كانوا يغزون مع النبى ص للغنيمه دون نصره الدين و ثواب الآخرة جازاهم الله تعالى على ذلك بأن جعل لهم نصيبا فى الغنيمه عن الجبائى و قيل إن المراد به أهل الرياء فإن من عمل عملا من أعمال الخير يريد به الرياء لم يكن لعمله ثواب فى الآخرة و مثله قوله تعالى «وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ» و

فى الحديث أن النبى ص قال بشروا أمتى بالنساء و التمكين فى الأرض و من عمل منهم عملا للدنيا لم يكن له نصيب فى الآخرة «أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ» ظاهر المراد «وَ حَبِطَ مَا صَبَّغُوا فِيهَا» فلا يستحقون عليه ثوابا لأنهم أوقعوه على خلاف الوجه المأمور بإيقاعه عليه «وَ بَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أى بطل أعمالهم التى عملوها غير الله تعالى و هذا يحقق ما ذهبنا إليه من أن الإحباط عبارته عن إبطال نفس العمل بأن يقع على غير الوجه الذى يستحق به الثواب و

ذكر الحسن فى تفسيره أن رجلا من أصحاب النبى ص خرج من عند أهله فإذا جاريه عليها ثياب و هيئه فجلس عندها فقامت فأهوى بيده إلى عارضها فمضت فأتبعها بصره و مضى خلفها فلقى حائط فخمش وجهه فعلم أنه أصيب بذنبه فأتى رسول الله ص فذكر له ذلك فقال أنت رجل عجل الله عقوبه ذنبك فى الدنيا أن الله تعالى إذا أراد بعبد شرا أمسك عنه عقوبه ذنبه حتى يوافى به يوم القيامة و إذا أراد به خيرا عجل له عقوبه ذنبه فى الدنيا.

النظم

وجه اتصال الآيه بما قبلها أنه سبحانه لما قال «فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» فكان قائلا إن أظهرنا الإسلام لسلامه المال و النفس يكون ما ذا فقال من أراد الدنيا دون الآخرة سواء أرادها بإظهار الإسلام أو أرادها بسائر المساعى فسيبيله هذا.

إشارة

أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١٧) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٨) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَعْمَلُونَ عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (١٩) أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَعْجِلُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ (٢٠) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢١)

لَا جَزْمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ (٢٢)

اللغة

البينة الحجة الفاصلة بين الحق والباطل والعرض إظهار الشيء بحيث يرى للتوقيف على حاله يقال عرضت الكتاب على فلان و عرضت الجند ومعنى العرض على الله أنهم يقفون في المقام الذي يريه العباد للمطالبه بالأعمال فهو كالعرض عليه سبحانه و الأشهاد جمع شاهد فهو كصاحب وأصحاب وقيل جمع شهيد كشريف وأشراف والعوج العدول عن طريق الصواب يقال في الدين عوج بالكسر وفي العصا عوج بالفتح فرقا بين ما يرى ولا يرى فجعلوا السهل للسهل والصعب للصعب أعنى الفتح والكسر والإعجاز الامتناع عن المراد بما لا يمكن معه إيقاعه و حقيقه الاستطاعة القوه التي تنطاع بها الجارحه

للفعل و لذلك لا يقال في الله تعالى إنه مستطيع و أصل الجرم القطع و لا جرم تقديره لا قطع قاطع عن ذا إلا أنه أكثر حتى صار كالمثل و هو قول الشاعر:

و لقد طعنت أبا عينه طعنه جرت فزاره بعدها أن يغضبوا

أى قطعتهم إلى الغضب فروايه الفراء في فزاره النصب و المعنى كسبتهم أن يغضبوا و روى غيره يرفعها بمعنى أن الفعل لها.

الإعراب

«فَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ» خبره محذوف و تقديره أ فمن كان على بيته من ربه و على الأوصاف التي ذكرتها كمن لا بينه له و مثله حذف جواب لو في قوله:

و أقسم لو شىء أانا رسوله سواك و لكن لم نجد لك مدفعا

و «كِتَابُ مُوسَى» عطف على قوله «وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ» أى و كان يتلوه كتاب موسى من قبله و نصب «إِمَامًا وَ رَحْمَةً» على الحال لأن كتاب موسى معرفه و قوله «وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ» كرر قوله «هُمْ» مرتين كما قال «أَيَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَ كُنْتُمْ تُرَابًا وَ عِظَامًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ» كرر أنهم مرتين و وجهه أنه لما طال الكلام كرر مره أخرى للتوكيد، «لا-جَزَمَ» قال سيبويه جرم فعل ماض و لا-رد لقولهم كقوله «وَتَصِفُ أَلْسِنَتَهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسَيْنَى لا جَزَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ» قال لا أى ليس لهم الجنة ثم قال جرم أى كسبهم قولهم أَنَّ لَهُمُ الْحُسَيْنَى أَنَّ لَهُمُ النَّارَ، و قيل جرم بمعنى وجب أى وجب أن لهم النار.

المعنى

«أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ» استفهام يراد به التقرير و تقديره هل الذى كان على برهان و حجه من الله و المراد بالبينه هنا القرآن و المعنى بقوله «أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتِهِ» النبى ص و قيل المعنى به كل محق يدين بحجه و بينه لأن من يتناول العقلاء و قيل هم المؤمنون من أصحاب محمد ص عن الجبائى «وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ» أى و يتبعه من يشهد بصحته منه و اختلف فى معناه فقيل الشاهد جبرائيل (عليه السلام) يتلو القرآن على النبى ص من الله تعالى عن ابن عباس و مجاهد و الزجاج و قيل

شاهد من الله تعالى محمد ص و روى ذلك عن الحسين بن على (عليه السلام)

و ابن زيد و اختاره الجبائى و قيل شاهد منه لسانه أى يتلو القرآن بلسانه عن محمد بن على أ عنى ابن الحنفية و الحسن و قتاده و قيل

الشاهد منه على بن أبى طالب (عليه السلام) يشهد للنبى ص و هو منه و هو المروى عن أبى جعفر و على بن موسى

الرضا (عليه السلام) و رواه الطبري بإسناده عن جابر بن عبد الله عن علي (عليه السلام)

وقيل الشاهد ملك يحفظه ويسدده عن مجاهد وقيل بينه من ربه حجه من عقله وأضاف البينه إليه تعالى لأنه ينصب الأدله العقلية والشرعية و يتلوه شاهد منه يشهد بصحته وهو القرآن عن أبي مسلم «وَمِنْ قَوْلِهِ» أى و من قبل القرآن لأنه مدلول عليه فيما تقدم من الكلام وقيل معناه و من قبل محمد ص «كِتَابُ مُوسَى» يتلوه أيضا فى التصديق لأن النبى ص بشر به موسى فى التوراه «إماماً» يؤتم به فى أمور الدين «وَرَحْمَةً» أى و نعمه من الله تعالى على عباده وقيل معناه ذا رحمه أى سبب الرحمه لمن آمن به «أَوْلِيَّكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ» معناه أولئك الذين هم على بينه من ربهم يؤمنون بالقرآن وقيل بمحمد ص و تقدير الآيه أ فمن كان على بينه من ربه و بصيره كمن ليس على بينه و لا بصيره إلا أنه اختصر وقيل تقديره أ فمن كان على بينه من ربه و يتلوه شاهد منه على صدقه و يتقدمه شاهد فآمن بهذا كله كمن أراد الحياه الدنيا وزينتها و لم يؤمن ثم أخبر عنه فقال «أَوْلِيَّكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ» و قوله «وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالِنَارُ مَوْعِدُهُ» معناه و من يكفر بالقرآن أو بمحمد ص من مشركى العرب و فرق الكفار كاليهود و النصارى و غيرهم فالنار موعده و مصيره و مستقره و

فى الحديث أن النبى ص قال لا يسمع بى أحد من الأمه لا يهودى و لا نصرانى ثم لم يؤمن بى إلا كان من أصحاب النار

«فَلَا تَكُ فِى مَرْبِيهِ» أى فى شك «مِنْهُ» الخطاب للنبى ص و المراد جميع المكلفين وقيل إن تقديره لا تك أيها الإنسان أو أيها السامع فى مريه من ربك أى من أمره و إنزاله «إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ» الهاء راجع إلى القرآن وقيل إلى محمد ص وقيل معناه أن الخير الذى أخبرتك به حق من عند الله تعالى «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ» بصحته و صدقه لجهلهم بالله تعالى و جحدهم لنبوه نبيه ص «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» أى لا أحد أظلم منه إلا أنه خرج مخرج الاستفهام ليكون أبلغ «أَوْلِيَّكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ» يوم القيامة أى يوقفون موقفا يراهم الخلائق للمطالبه بما عملوا و يسألون عن أعمالهم و يجازون عليها «وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ» يعنى الملائكه يشهدون على العباد و هم الحفظه عن مجاهد وقيل هم الأنبياء عن الضحاك وقيل هم شهداء كل عصر من أئمه المؤمنين «هُؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ» أى كذبوا على رسل ربهم و وأضافوا إلى الله ما لم ينزله «أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ» هذا ابتداء خطاب من الله تعالى وقيل هو من كلام الأشهاد و معناه ألا لعنه الله على الذين ظلموا أنفسهم بإدخال الضرر عليها و غيرهم بإحلال الآلام عليهم و لعنه الله إبعاده من رحمته ثم وصف سبحانه الظالمين الذين لعنهم فقال «الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ» أى يغيون الخلق و يصرفونهم عن دين الله و قد يكون ذلك بإلقاء الشبهه إليهم و قد يكون أيضا بالترغيب و التهيب و الإطماع

والتهديد و غير ذلك و إنما جاز تمكين الصاد عن سبيل الله من هذا الفساد لأنه مكلف بالامتناع منه و ليس فى منعه لطف بأن ينصرف عن الفساد إلى الصلاح فهو كشهوه القبيح الذى به يصح التكليف «وَيُغْوِنَهَا عِوَجًا» أى و يطلبون لسبيل الله زيغا عن الاستقامة و عدولا عن الصواب و قيل إن بغيهم العوج هى زيادتهم و نقصانهم فى الكتاب ليتغير الأدله و لا يستقيم صفه النبى ص كما كان يفعلها اليهود و قيل هى إيرادهم الشبهه و كتمانهم المراد و تحريفهم التأويل «وَهُمْ بِالْآخِرَةِ» أى بالقيامه و البعث و النشور و الثواب و العقاب «هُمْ كَافِرُونَ» أى جاحدون غير مقرين «أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ» أخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار الذين وصفهم بأن عليهم لعنه الله و أنهم الذين يصدون عن سبيل الله بأنهم لم يكونوا فائتين فى الأرض هربا فيها من الله تعالى إذا أراد إهلاكهم كما يهرب الهارب من عدو قد جد فى طلبه و إنما خص الأرض بالذكر و إن كانوا لا يفوتون الله و لا يخرجون عن قبضته على كل حال لأن معاقل الأرض هى التى يهرب إليها البشر و يعتصمون بها عند المخاوف فكأنه سبحانه نفى أن يكون لهؤلاء الكفار عاصم منه و مانع من عذابه «وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ» معناه أنه ليس لهم من ولى و لا ناصر ينصرونهم و يحمونهم من الله سبحانه مما يريد إيقاعه بهم فى الدنيا من المكاره و فى الآخرة من أنواع العذاب «يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ» قيل فى معناه وجوه (أحدها) أنه لا يقتصر بهم على عذاب الكفر بل يعاقبون عليه و على سائر المعاصى كما قال فى موضع آخر زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ (و ثانيها) أن معناه أنه كلما مضى ضرب من العذاب يعقبه ضرب آخر من العذاب مثله أو فوجه كذلك دائما مؤبدا و كل ذلك على قدر الاستحقاق (و ثالثها) أنه يضاعف العذاب على رؤسائهم لكفرهم و ظلمهم أنفسهم و لدعائهم الاتباع إليه و هو عذاب الضلال و عذاب الصد عن الدين «مَا كَانُوا يَسْتِطِيعُونَ السَّمْعَ وَ مَا كَانُوا يُبْصِرُونَ» فيه وجوه (أحدها) يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون و بما كانوا يستطيعون الأبصار فلا يبصرون عنادا و ذهابا عن الحق فأسقطت الباء عن الكلام كما فى قول الشاعر:

نغالى اللحم للأضياف نيا و نبذله إذا نضج القدور

أراد نغالى باللحم عن الفراء و البلخى و هذا وجه رابع من معنى قوله «يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ» (و ثانيها) أنه لاستثقالهم استماع آيات الله و كراحتهم تذكرها و تفهمها جروا مجرى

من لا يستطيع السمع و إن أبصارهم لم تنفعهم مع إعراضهم عن تدبر الآيات فكأنهم لم يبصروا و مما يجرى هذا المجرى قول الأعشى:

ودع هريره إن الركب مرتحل و هل تطيق وداعا أيها الرجل

و قد علمنا أن الأعشى كان يقدر على الوداع و إنما نفى الطاعة عن نفسه من حيث الكراهيه و الاستثقال (و ثالثها) أنه إنما عنى بذلك آلهتهم و أوثانهم و تقدير الكلام أولئك الكفار و آلهتهم لم يكونوا معجزين فى الأرض يضاعف لهم العذاب و قال مخبرا عن الآلهه «ما كانوا يَشْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَ ما كانوا يُبْصِرُونَ» و روى ذلك عن ابن عباس و فيه أدنى بعد (و رابعها) أن ما هنا ليست للنفى بل تجرى مجرى قولهم لأواصلنك ما لا يح نجم و المعنى أنهم معذبون ما داموا أحياء «أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ» من حيث فعلوا ما استحقوا به العقاب فهلكوا فذلك خسران أنفسهم و خسران النفس أعظم الخسران لأنه ليس عنها عوض «وَ ضَلَّ عَنْهُمْ ما كانوا يَفْتَرُونَ» مضى بيانه مرارا «لا جرم» قال الزجاج لا نفى لما ظنوا أنه ينفعهم كان المعنى لا ينفعهم ذلك جرم «أَنَّهُمْ فى الْمآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسِرُونَ» أى كسب ذلك الفعل لهم الخسران و قال غيره معناه لا بد و لا محاله أنهم و قيل معناه حقا و يستعمل فى أمر يقطع عليه و لا يرتاب فيه أى لا شك أن هؤلاء الكفار هم أخسر الناس فى الآخرة.

النظم

اتصلت الآيه الأولى بقوله قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ و المراد أنهم إذا لم يأتوا بذلك فقل لهم أ فمن كان على بينه كمن لا يكون معه بينه و قيل اتصلت بقوله مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا أى من كان مجتهدا فى الدين كمن كان همه الحياه الدنيا و زينتها و وجه اتصال الآيه الثانيه و هى قوله «وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» أنه سبحانه أراد أن يبين حال العاقل و الغافل فكأنهم قالوا و ما يضرنا أن لا نعرف ذلك فأجيبوا بأن من لا يعرف الله لا يأمن أن يكذب على الله و من أظلم ممن كذب على الله.

[سوره هود (١١): الآيات ٢٣ الى ٢٤]

اشاره

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ أُخْتَبُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٣) مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَ الْأَصْمَى وَ الْبَصِيرِ وَ السَّمِيعِ هَلْ يَشْتَوِيَانِ مَثَلًا أَ فَلَآ تَذَكَّرُونَ (٢٤)

ص: ٢٣٠

الإخبات للطمانينه و أصله الاستواء من الخبت و هو الأرض المستويه الواسعه فكان الإخبات خشوع مستمر على استواء فيه و المثل قول سائر يشبه فيه حال الثانى بحال الأول و العمى عباره عن فساد آله الرؤيه و ليس بمعنى يضاد الأبصار و كذلك الصمم عباره عن فساد آله السمع لأن الصحيح إن الإدراك أيضا ليس بمعنى.

المعنى

لما تقدم ذكر الكفار و ما أعد الله لهم من العذاب عقبه سبحانه بذكر المؤمنين فقال «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا الله و رسوله و اعتقدوا وحدانيته «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» التى أمرهم الله تعالى بها و رغبهم فيها «وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ» أى أنابوا و تضرعوا إليه عن ابن عباس و قيل معناه اطمأنوا إلى ذكره عن مجاهد و قيل خضعوا له و خشعوا إليه عن قتاده و الكل متقارب و قيل إن معناه أختبوا لربهم فوضع إلى موضع اللام كما قال سبحانه أوحى لها بمعنى أوحى إليها و قال يُنَادِي لِلْإِيمَانِ «أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» ظاهر المعنى ثم ضرب سبحانه مثلا للمؤمنين و الكافرين فقال «مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ» أى مثل فريق المسلمين كالبصير و السميع و مثل فريق الكافرين كالأعمى و الأصم لأن المؤمن ينتفع بحواسه لاستعماله إياها فى الدين و الكافر لا ينتفع بها فصارت حواسه بمنزله المعدوم و إنما دخل الواو ليعين أن حال الكافر كحال الأعمى على حده و كحال الأصم على حده و حال من يكون قد جمع بين الصفتين جميعا «هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا» أى هل يستوى حال الأعمى الأصم و حال البصير السميع عند عاقل فكما لا تستوى هاتان الحالتان عند العقلاء كذلك لا تستوى حال الكافر و المؤمن «أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» أى أفلا تتفكرون فى ذلك فتسلموا صحه ما ذكرناه.

إشارة

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٥) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ أَلِيمٍ (٢٦) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ (٢٧) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَ أَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ (٢٨)

القراءة

قرأ نافع و ابن عامر و عاصم و حمزه «إِنِّي لَكُمْ» بكسر الهمزة و الباقون أنى بفتحها و قرأ أبو عمرو و نصر عن الكسائي بادئ الرأى بالهمزة و قرأ الباقون «بَادِي الرَّأْيِ» بالياء غير مهموز و قرأ أهل الكوفة غير أبى بكر «فَعُمِّيَتْ» بضم العين و تشديد الميم و الباقون فعميت بفتح العين مخففا.

الحجج

قال أبو على من فتح أنى فإنه يحملها على أرسلنا أى أرسلناه بأنى لكم نذير مبين فإن قيل لو كان محمولا عليه لكان أنه لأن نوحا اسم للغيبه قيل هذا لا يمتنع لأن الخطاب بعد الغيبه فى نحو هذا سائغ أ لا ترى قوله «وَ كَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَا حِ» ثم قال «فَخُذْهَا بِقُوِّهِ» و من كسر فالوجه فيه أنه حملة على القول المضممر لأنه مما قد أضمر كثيرا فى القرآن قال سبحانه «وَ الْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ» أى يقولون سلام و قال «وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى» أى قالوا ما نعبدهم فإن قلت فهلا رجحت قراءه من قرأ إن على قراءه من كسر لأن قوله «أَنْ لَا تَعْبُدُوا» محمول على الإرسال و إذا فتحت إن كان أشكل بما بعدها لحملها جميعا على الإرسال يقال لك إن من كسر قال يجوز أن يكون قوله «إِنِّي لَكُمْ» و ما بعده محمولا على الاعتراض بين المفعول و ما يتصل به مما بعده كما كان فى قوله «قُلْ إِنْ أَلْهَدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ» اعتراضا بينهما فى قوله «وَ لَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ» فكذلك قوله «إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ» لأن التقدير و لقد أرسلنا نوحا إلى قومه أن لا تعبدا إلا الله و أما قوله «بَادِي الرَّأْيِ» فقد حكى أبو على عن الجبائى أنه قال يقال أنت بادية الرأى يريد ظاهر الرأى لا يهمز بادية و بادئ الرأى مهموز فمن لم يهمز أراد أنت فيما بدا من الرأى أى أنت ظاهر الرأى و من همز أراد أنت أول الرأى و مبتدؤه قال أبو على المعنى فيمن قال بادية الرأى بلا همز فجعله من بدا الشىء إذا ظهر أى ما اتبعك إلا-الأراذل فيما ظهر لهم من الرأى إن لم يتعقبوه ينظر فيه و لا-يبين لهم و من همز أراد اتبعوك فى أول الأمر من غير أن يتبعوا الرأى بفكر و رويه فيه و هاتان الكلمتان يتقاربان فى المعنى لأن الهمزة فى اللام معناها ابتداء الشىء و أوله و اللام إذا كانت واوا كان المعنى الظهور و ابتداء الشىء يكون ظهورا و إن كان الظهور قد يكون ابتداء و غير ابتداء فلذلك

يستعمل كل واحد مكان الآخر و جاز في اسم الفاعل أن يكون ظرفا كما جاز في فعيل نحو قريب و ملئ ء لأن فاعلا و فعلا يتعاقبان على المعنى نحو عالم و عليم و شاهد و شهيد و حسن ذلك إضافته إلى الرأى و قد أجزوا المصدر أيضا في إضافته إليه فى قولهم أما جهد رأى فإنى منطلق فهذا لا يكون إلا ظرفا و فعل إذا كان مصدرا و فاعل قد يتفقان فى أشياء و قد يجوز فى قول من همز فقال بادية الرأى إذا خفف الهمز أن يقول بادية الرأى فيقلب الهمزة ياء لانكسار ما قبلها فيكون كقولهم مير فى جمع ميره و ذيب فى جمع ذيبه و العامل فى هذا الظرف هو قولك اتبعك التقدير ما اتبعك فى أول رأيهم أو فيما ظهر من رأيهم إلا أرادنا فأخر الظرف و أوقع بعد إلا الظرف و لو كان بدل الظرف غيره لم يجوز ألا ترى أنك لو قلت ما أعطيت أحدا إلا زيدا درهما فأوقعت بعد إلا اسمين لم يجوز لأن الفعل أو معنى الفعل فى الاستثناء يصل إلى ما انتصب به بتوسط الحرف و لا يصل الفعل بتوسط الحرف إلى أكثر من مفعول ألا ترى أنك إذا قلت استوى الماء و الخشبه فنصبت الخشبه لم يجوز أن تتبعه اسما آخر تنصبه فكذلك المستثنى إذا ألحقته إلا و أوقعت بعدها اسما مفردا لم يجوز أن تتبعه آخر و لو قلت ما ضرب القوم إلا بعضهم بعضا لم يجوز و تصحيحها ما ضرب القوم أحدا إلا بعضهم بعضا تبدل الاسمين بعد إلا من الاسمين قبلها قال جامع العلوم البصير النحوى إن أبا على حمل «بَادِي الرَأْيِ» هنا على أنه ظرف لما قبله ثم رجع عن مثله فى قوله «وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ» فحمله على فعل آخر دل عليه يكلمه على تقدير أو يكلمه الله من وراء حجاب قال و الظرف فى الآيتين عندنا محمول على الفعل قبل إلا لأن الظرف قد يكتفى فيه برائحه الفعل انتهى كلامه و أقول إن ما قاله فيه نظر لأن أبا على قال فى تلك الآية لا يعمل ما قبل الاستثناء إذا كان كلاما تاما فيما بعده و ليس ما قبل إلا فى هذه الآية كلاما تاما فإن قوله «الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا» فاعل لقوله «اتَّبَعَكَ» فلذلك فرق بين الموضوعين رجع كلام أبى على و أما تحقيق الهمزة و تخفيفها فى الرأى فأهل تحقيق الهمزة يخففونها و أهل التخفيف يبذلون منها الألف و كذلك ما أشبهه من نحو البأس و الرأس و الفأس و من قرأ فعميت بالتخفيف يقوى قوله اجتماعهم على التخفيف فى قوله سبحانه «فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ» و هذه مثلها و يجوز فى قوله «فَعَمِيَتْ» أمران أحدهما أن يكون عموهم عنها الآن و الرحمة لا- تعمى و إنما يعنى عنها فيكون كقولهم أدخلت القلنسوه فى رأسى و نحو ذلك مما يقلب إذا لم يكن فيه إشكال و فى التنزيل فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفًا وَعْدِهِ رُسُلُهُ و قال الشاعر:

ترى الثور فيها مدخل الظل رأسه و سائرته باد إلى الشمس أجمع

و الآخر أن يكون بمعنى خفيت كقول الشاعر:

و مهمه أطرافه فى مهمه أعمى الهدى بالحائرين العمه

أى خفى الهدى لأن الهدى ليس بذى جارحه تلحقها هذه الآفه و من هذا يقال للسحاب العماء لإخفائه ما يخفيه كما قيل له الغمام و من هذا قول الشاعر:

" و لكننى عن علم ما فى غد عم "

قال و قولهم أتانى صكه عمى إذا أتى فى الهاجره و شده الحر يحتمل عندنا تأويلين (أحدهما) أن يكون المصدر أضيف إلى العمى كما قالوا ضرب التلف أى الضرب الذى يحدث عنه التلف (و الآخر) أن يكون عمى تصغير أعمى على وجه الترخيم و أضيف المصدر إلى المفعول به كقولك من دعاء الخير و التقدير صكه الحر الأعمى و المعنى أن الحر من شدته كأنه يعمى من أصابه و المصدر فى الوجهين ظرف نحو مقدم الحاج و خفوق النجم و من قرأ «فَعَمَّيْتُ» اعتبر قراءه أبى و الأعمش فعماهما عليكم و إسناد الفعل إلى المفعول به فى عميت قريب من عمى هنا فى المعنى.

اللغه

الردل الخسيس الحقيق من كل شىء و الجمع أرذل ثم يجمع على أرذل كقولك كلب و أكلب و أكالب و يجوز أن يكون جمع الأردل فيكون مثل أكابر جمع الأ-كبر و الرأى الرؤيه من قوله «يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ» أى رؤيه العين و الرأى أيضا ما يراه الإنسان فى الأمر و جمعه آراء.

الإعراب

«أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ» يحتمل أن يكون موضع تعبدوا من الإعراب نصبا بأن و يحتمل أن يكون جزما بالنهى و قوله «عَذَابَ يَوْمِ أَلِيمٍ» يجوز أن يكون تقديره يوم أليم عذابه فحذف المضاف الذى هو عذاب و أقيم المضاف إليه الذى هو الضمير مقامه فاستكن فى أليم و يجوز أن يكون وصف اليوم بالألم لأن الألم فيه يقع و يجوز فى غير القراءه أليما فيكون صفة لعذاب و قوله «اتَّبَعَكَ» و فاعله الذى هو «الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يَنْزِلُوا» فى موضع نصب بأنه مفعول ثان لنريك إن كان بمعنى نعلمك و فى موضع الحال إن كان من رؤيه العين و قوله «أَنْ تَلْزِمُوا كُفْرَهُمْ» فيه ثلاث ضمائر ضمير المتكلم و ضمير المخاطب و ضمير الغائب فجاءت على أحسن ترتيب بدأ بالمتكلم لأنه أخص بالفعل ثم بالمخاطب ثم بالغائب و لو أتى بالمنفصل لجاز لتباعده من العامل بما فرق بينه و بينه فأشبه ما ضربت إلا إياك و ما ضربنى إلا

أنت و أجاز الفراء أن نلزمكموها بتسكين الميم جعله بمنزله عضد و عضد و كبد و كبد و لا يجوز ذلك عند البصريين و إنما يجيزون ذلك في ضروره الشعر كقول امرئ القيس:

فاليوم أشرب غير مستحقب إثمًا من الله و لا واغل

و كقول الآخر:

و ناع يخبرنا بمهلك سيد تقطع من وجد عليه الأنامل

و قول الآخر:

" إذا عوججن قلت صاحب قوم "

يريد صاحب قوم.

المعنى

لما تقدم ذكر الوعد و الوعيد و الترغيب و التهيب عقب ذلك سبحانه بذكر أخبار الأنبياء تأكيداً لذلك و تخويفاً للقوم و تسليه للنبي ص و بدأ بقصه نوح (عليه السلام) فقال «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ» و قد مر بيانه «أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ» أى أنذرهم أن لا- تعبدوا إلا- الله عن الزجاج يريد لأن توحدوا الله و تتركوا عباده غيره و بدأ بالدعاء إلى الإخلاص فى العباده و قيل أنه دعاهم إلى التوحيد لأنه من أهم الأمور إذ لا يصح شىء من العبادات إلا بعد التوحيد «إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ» إنما قال أخاف مع أن عقاب الكفار مقطوع عليه لأنه لم يعلم ما يؤول إليه عاقبه أمرهم من إيمان أو كفر و هذا لطف فى الاستدعاء و أقرب إلى الإجابة فى الغالب «فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ» أى من قوم نوح لنوح (عليه السلام) «ما نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا» ظنا منهم أن الرسول إنما يكون من غير جنس المرسل إليه و لم يعلموا أن البعثه من الجنس قد تكون أصلح و من الشبهه أبعده «وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يُكْفِرُوا بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ» أى لم يتبعك الملائه و الأشراف و الرؤساء منا و إنما اتبعك أخسأؤنا الذين لا- مال لهم و لا- جاه «بَادِيَ الرَّأْيِ» أى فى ظاهر الأمر و الرأى لم يتدبروا ما قلت و لم يتفكروا فيه و قال الزجاج معناه اتبعوك فى الظاهر و باطنهم على خلاف ذلك و من قرأ بالهمز فالمعنى أنهم اتبعوك ابتداء الرأى أى حين ابتدأوا ينظرون و لو فكروا لم يتبعوك و قيل معناه إن فى مبتدأ وقوع الرؤيه عليهم يعلم أنهم أرادنا و أسافلنا «وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ» أى و ما نرى لك و لقومك علينا من فضل فإن الفضل إنما يكون فى كثره المال و المنزله فى الدنيا و الشرف فى النسب و إنما قالوا ذلك لأنهم جهلوا طريقه الاستدلال و لو استدلو بالمعجزات الداله على نبوته لعلموا أنه نبي و إن من آمن به مؤمن و من خالفه كافر

و عرفوا حقيقه الفضل و هكذا عاده أرباب الدنيا يستحقرون أرباب الدين إذا كانوا فقراء و يستردلونهم و إن كانوا هم الأكرمين الأفضلين عند الله سبحانه «بَلْ نُنَبِّئُكُمْ كَاذِبِينَ» هذا تمام الحكايه عن كفار قوم نوح قالوه لنوح و من آمن به «قَالَ» نوح لقومه «يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِنْ رَبِّي» أى على برهان و حجه يشهد بصحه النبوه و هى المعجزه و قال ابن عباس على بينه أى على يقين و بصيره و معرفه من ربوبيه ربي و عظمته و اختلف فى قول نوح (عليه السلام) هذا أنه جواب عما ذا فقيل أنه جواب عن قولهم «بَلْ نُنَبِّئُكُمْ كَاذِبِينَ» فكأنه قال إن تظنوني كاذبا فما تقولون لو كنت على خلافه و على حجه من ربي و اوضحه ألا تصدقوننى و قيل بل هو جواب عن قولهم «ما نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا» أى و إن كنت بشرا فما ذا تقولون إذا أتيتكم بحجه داله على صدقى ألا- تصدقوننى و فيه بيان أن الرساله إنما تظهر بالمعجزه فلا معنى لاعتبار البشريه و قيل هو جواب عن قولهم «ما نَرَاكَ إِلَّا الَّذِيْنَ هُمْ أَرَادُوا» فكأنه قال إنهم اعتصموا بالله و بما آتاهم من البينه و الرحمه فنالوا بذلك الرفعه و الفضل و أنتم قنعتم بالدنيا الدنيه الفانيه فأنتم فى الحقيقه الأراذل لا هم و قيل هو جواب عن قولهم «وَ مَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ» فكأنه قال لا تتبعوا المال و الجاه فإن الواجب اتباع الحجه و الدلاله و يجوز أن يكون جوابا عن جميع ذلك «وَ آتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ» رد عليهم بهذا جميع ما ادعوه و الرحمه و النعمه هى هاهنا النبوه أى و أعطانى نبوه من عنده «فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ» أى خفيت عليكم لقله تدبركم فيها «أَنْزَلْنَاهَا وَ أَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ» أى أ تريدون منى أن أكرهكم على المعرفه و ألجئكم إليها على كره منكم هذا غير مقدور لى و الهاء كناية عن الرحمه فيدخل فيها النبوه و الدين و سائر النعم و قيل معناه أن نلزمكم قبولها فحذف المضاف و يجوز أن يكون الهاء كناية عن البينه و يكون المراد أن على أن أدلكم بالبينه و ليس على أن اضطركم إلى معرفتها.

إشارة

وَ يَا قَوْمِ لَا - أَشْرَيْتُمْ عَلَى اللَّهِ مَا لَا - إِنِ اجْرَى إِلَّا - عَلَى اللَّهِ وَ مَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَ لَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٩) وَ يَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٣٠) وَ لَا - أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَ لَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَ لَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَ لَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٣١)

اللغة

الطرد الإبعاد على وجه الهوان و تطارد الأقوال حمل بعضها على بعض و الازدراء الاحتقار افتعال من الزرايه يقال زريت عليه إذا عبته و أزرت به إذا قصرت به قال الشاعر:

رأوه فازدروه و هو خرق و ينفع أهله الرجل القبيح

و لم يخشوا مقاتله عليهم و تحت الرغوه اللبن الصريح

المعنى

ثم أنكر نوح استئصالهم التكليف و العاقل إنما يستثقل الأمر إذا أزمته مئونه ثقله فقطع هذا العذر بقوله «وَ يَا قَوْمِ لَا أَشْرَيْتُمْ عَلَى اللَّهِ مَالًا» أى لا أطلب منكم على دعائكم إلى الله أجرا فتمتنعون من إجابتي خوفا من أخذ المال «إِنِ اجْرَى إِلَّا عَلَى اللَّهِ» أى ما ثوابى و ما أجرى فى ذلك إلا على الله «وَ مَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا» أى لست أطرده المؤمنين من عندى و لا أبعدهم على وجه الإهانه و قيل أنهم كانوا سألوه طردهم ليؤمنوا له أنه من أن يكونوا معهم على سواء عن ابن جريج و الزجاج «إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ» و هذا يدل على أنهم سألوه طردهم فأعلمهم أنه لا - يطردهم لأنهم ملاقوا ربهم فيجازى من ظلمهم و طردهم جزائه من العذاب عن الزجاج و قيل معناه أنهم ملاقوا ثواب ربهم فكيف يكونون أراذل و كيف يجوز طردهم و هم لا يستحقون ذلك عن الجبائى «وَ لَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ» الحق و أهله و قيل معناه تجهلون أن الناس إنما يتفاضلون بالدين لا بالدنيا و قيل تجهلون فيما تسألون من طرد المؤمنين «وَ يَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ» معناه من يمنعنى من عذاب الله إن أنا طردت المؤمنين فكانوا خصمائى عند الله فى الآخرة «أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» أى أفلا تتفكرون فتعلمون أن الأمر على ما قلته و فرق على بن عيسى بين التفكير و التذكر بأن التذكر طلب معنى قد كان حاضرا للنفس و التفكير طلب معرفه الشىء بالقلب و إن لم يكن حاضرا للنفس و ليست النصره المذكوره فى الآيه من الشفاعه فى شىء لأن النصره هى المنع على وجه المغالبه و القهر و الشفاعه هى المسأله على وجه الخضوع فلا دلالة فى الآيه على نفى الشفاعه

للمذنبين على ما قاله بعضهم «وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ» هذا تمام الحكاياه عما قاله نوح لقومه ومعناه إني لا أرفع نفسي فوق قدرها فأدعى أن عندي مقدرات الله تعالى فأفعل ما أشاء وأعطى ما أشاء وأمنع من أشاء عن الجبائي وأبي مسلم وقيل خزائن الله مفاتيح الله في الرزق وهذا جواب لقولهم ما نراك إلا بشراً مثلنا أو قولهم وما نرى لكم علينا من فضل «وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ» أي ولا أدعى علم الغيب حتى أدلكم على منافعكم ومضاركم وقيل لا أعلم الغيب فأعلم ما تسرونه في نفوسكم فيكون جواباً لقولهم إن هؤلاء الذين آمنوا بك اتبعوك في ظاهر ما ترى منهم أي فسيلى قبول إيمانهم الذي ظهر لى ولا يعلم ما يضمرونه إلا الله تعالى «وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ» فأخبركم بخبر السماء من قبل نفسي وإنما أنا بشر لا أعلم الأشياء من غير تعليم الله تعالى وقيل معناه لا- أقول إني روحاني غير مخلوق من ذكر وأنثى بل أنا بشر مثلكم خصنى الله بالرسالة «وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ» أي لا أقول لهؤلاء المؤمنين الذين تستقلونهم وتستخفونهم وتحقرهم أعينكم لما ترون عليهم من زى الفقراء «لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا» أي لا- يعطيهم الله فى المستقبل خيراً على أعمالهم ولا يثيبهم عليها بل أعطاهم الله كل خير فى الدنيا من التوفيق و يعطيهم كل خير فى الآخرة من الثواب «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ» أي بما فى قلوبهم من الإخلاص وغيره «إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ» إن طردتهم، تكذبا لظاهر إيمانهم أو قلت فيهم غير ما أعلم.

[سوره هود (١١): الآيات ٣٢ الى ٣٥]

إشارة

قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٢) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (٣٣) وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٣٤) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرَمُونَ (٣٥)

اللغة

الجدال و المجادله المقابله بما يفتل الخصم من مذهبه بحجه أو شبهه و هو من الجدال شده الفتل و يقال للصقر أجدل لأنه من أشد الجوارح و الجدال و المرء بمعنى غير

ص: ٢٣٨

أن المرء مذموم لأنه مخاصمه في الحق بعد ظهوره كمرى الضرع بعد دروره و ليس كذلك الجدال و الفرق بين الحجاج و الجدال أن المطلوب بالحجاج ظهور الحجه و المطلوب بالجدال الرجوع عن المذهب و الإعجاز هو الفوت بالهرب و الفرق بين افتراء الكذب و قول الكذب أن قول الكذب قد يكون على وجه تقليد الإنسان فيه لغيره و أما افتراء الكذب فهو افتعاله من قبل نفسه و أجرم و جرم بمعنى قال:

طريد عشيره و رهين ذنب بما جرمت يدي و جنى لساني

المعنى

ثم حكى الله سبحانه جواب قوم نوح عما قاله لهم فقال «قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا» أى خاصمتنا و حاججتنا «فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا» أى زدت فى مجادلتنا على مقدار الكفايه و فى بعض الروايات عن ابن عباس فأكثرت جدلنا و المعنى واحد «فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا» من العذاب «إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» فى أن الله تعالى يعذبنا على الكفر أى فلسنا نؤمن بك و لا نقبل منك «قَالَ» نوح «إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ» أى لا يأتى بالعذاب إلا الله سبحانه متى شاء لا يقدر عليه غيره فإن شاء عجل و إن شاء أخر «وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ» أى لا تفوتونه بالهرب «وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ» ذكر فى تأويله وجوه (أحدها) إن كان الله يريد أن يخيبكم من رحمته بأن يحرمكم ثوابه و يعاقبكم لكفركم به فلا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم و قد سمي الله سبحانه العقاب غيا بقوله فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا و يشهد بصحة ما قلناه قول الشاعر:

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره و من يغو لا يعدم على الغي لائما

و لما خيب الله سبحانه قوم نوح من رحمته و ثوابه و أعلم الله نوحا (عليه السلام) بذلك فى قوله «لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ» قال لهم لا ينفعكم نصحي مع إثاركم ما يوجب خيبتكم و العذاب الذى جره إليكم قبيح أفعالكم و إذا طرأ شرط على شرط كان الثانى مقديما على الأول فى المعنى و إن كان مؤخرا فى اللفظ و التقدير و لا ينفعكم نصحي إن كان الله يريد أن يغويكم إن أردت أن أنصح لكم (و ثانيها) أن المعنى إن كان الله يريد عقوبه إغوائكم الخلق و إضلالكم إياهم أى يريد عقوبتكم على ذلك و من عاده العرب أن تسمى العقوبه باسم الشىء المعاقب عليه كما فى قوله سبحانه «وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا وَ مَكْرُوهًا وَ مَكْرَ اللَّهُ وَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ» و قد مر فيما مضى أمثال ذلك (و ثالثها) أن معناه إن كان الله يريد أن يهلككم فلا ينفعكم نصحي عند نزول العذاب بكم و إن قبلتم قولى و آمنتتم لأن الله تعالى

حكم بأن لا يقبل الإيمان عند نزول العذاب عن الحسن و قد حكى عن العرب أنهم قالوا أغويت فلانا بمعنى أهلكته و يقال غوى الفصيل إذا فسد من كثره شرب اللبن (و رابعها) أن قوم نوح كانوا يعتقدون أن الله تعالى يضل عباده عن الدين و أن ما هم عليه بإرادة الله و لو لا ذلك لغيره و أجبرهم على خلافه فقال لهم نوح على وجه التعجب من قولهم و الإنكار لذلك أن نصحي لا ينفعكم إن كان القول كما تقولون و هذا هو المحكى عن جعفر بن حرب و إنما شرط النصح بالإرادة فى قوله «إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصِيحَ لَكُمْ» مع وقوع هذا النصح استظهارا فى الحجة عليهم لأنهم ذهبوا إلى أنه ليس بنصح فقال لو كان نصحا ما نفع من لا يقبله و لا يجوز أن يكون المراد بالإغواء فى الآيه فعل الكفر أو الدعاء إلى الكفر و الحمل عليه على ما يعتقده المجبره لقيام الأدله على أن خلق الكفر و إرادته من أقبح القبائح كالأمر به و كما لم يجر أن يأمر به فكذلك لا يجوز أن يفعله و يريد و لأنه لو جاز منه الإضلال لجاز منه أن يبعث من يدعو إلى الضلال و يظهر المعجزات على يده و فى هذا ما فيه «هُوَ رَبُّكُمْ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» أى هو خالقكم و رازقكم و إلى حكمه و تدبيره تصيرون فيجازيكم على أعمالكم «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ» قيل إنه يعنى بذلك محمدا ص و المراد أ يؤمن كفار محمد ص بما أخبرهم به محمد ص من نبأ قوم نوح (عليه السلام) أم يقولون افتراه محمد ص من تلقاء نفسه ف «قُلْ» لهم يا محمد «إِنْ افْتَرَيْتُهُ» و اختلقته كما تزعمون «فَعَلَىٰ إِجْرَامِي» أى عقوبه جرمى لا تؤخذون به «وَ أَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ» أى لا أؤخذ بجرمكم عن مقاتل و قيل يعنى به نوحا (عليه السلام) و أنه يقول على الله الكذب عن ابن عباس.

النظم

و وجه اتصال هذه الآيه بما قبلها على القول الأول أنها تتصل بقوله «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَآتُوا بَعْشَرَ سُورِ مِثْلِهِ».

ص: ٢٤٠

إشارة

وَ أَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) وَ اضْمِئِغِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَ وَحِينَا وَ لَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ (٣٧) وَ يَصْنَعِ الْفُلْكَ وَ كَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَ يَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٣٩)

اللغة

الابتئاس حزن فى استكانه و أنشد أبو عبيده:

ما يقسم الله أقبل غير مبتئس منه و أقعد كريما ناعم البال

و هو افتعال من البؤس و قد يكون البؤس بمعنى الفقر أيضا و الصنع جعل الشىء موجودا بعد أن كان معدوما و مثله الفعل و ينفصلان من الحدوث من حيث إن الصنعه يقتضى صنعا و الفعل يقتضى فاعلا من حيث اللفظ و ليس كذلك الحدوث لأنه يفيد تجدد الوجود لا غير و الصنعه الحرفه التى يكتسب بها و الفلك السفينه و يكون واحدا و جمعا و السخريه إظهار خلاف الإبطان على وجه يفهم منه استضعاف العقل و منه التسخير التذليل يكون استضعافا بالقهر و الفرق بين السخريه و اللعب أن فى السخريه خديعه و استنقاصا و لا- يكون إلا- بحيوان و قد يكون اللعب بجماد و الحلول النزول للمقام و هو من الحل خلاف الارتحال و حلول العرض وجوده فى الجوهر من غير شغل حيز و المصحح للحلول التحيز.

الإعراب

سوف ينقل الفعل من الحال إلى الاستقبال مثل السين سواء إلا أن فيه معنى التسوييف و هو تعليق النفس بما يكون من الأمور من يأتيه قيل فى من هذه قولان (أحدهما) أن يكون بمعنى أى فكأنه قال أينما يأتيه عذاب يخزيه (و الآخر) أن يكون بمعنى الذى و المعنى واحد و من إذا كانت للاستفهام استغنت عن الصلّه كما استغنت كيف و كم عن الصلّه و إذا كانت بمعنى الذى فلا بد لها من الصلّه لأن البيان مطلوب من المسئول دون السائل.

المعنى

«وَ أَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ» أعلم الله سبحانه نوحا أنه لن يؤمن به أحد من قومه فى المستقبل «فَلَا تَبْتَئِسْ» أى لا تغتم و لا تحزن «بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ» و العقل لا يدل على أن قوما لا يؤمنون فى المستقبل و إنما طريق ذلك السمع فلما علم أن أحدا منهم لا يؤمن فى ما بعد و لا من نسلهم دعا عليهم فقال رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَ لَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا فلما أراد الله سبحانه إهلاكهم أمر نبيه باتخاذ السفينه له و لقومه فقال «وَ اضْمِئِغِ الْفُلْكَ» أى أعمل السفينه لتركبها أنت و من آمن بك «بِأَعْيُنِنَا» أى بمرأى منا عن ابن عباس و التأويل بحفظنا

إياك حفظ الرائي لغيره إذا كان يدفع الضرر عنه و ذكر الأعين لتأكيد الحفظ و قيل أراد بالأعين الملائكة الموكلين بك و بحضرتهم و هم ينظرون بأعينهم إليك و إنما أضاف ذلك إلى نفسه إكراما و تعظيما لهم و قوله «وَ وَحِينَا» معناه و على ما أوحينا إليك من صفتها و حالها عن أبي مسلم و قيل المراد بوحينا إليك أن اصنعها و ذلك أنه (عليه السلام) لم يعلم صنعه الفلك فعلمه الله تعالى عن ابن عباس أى فإننا نوحى إليك بما تحتاج إليه من طوله و عرضه و هيأته «وَ لَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ» أى لا- تسألنى العفو عن هؤلاء الذين كفروا من قومك و لا تشفع لهم فإنهم مغرقون عن قريب و هذا غايه فى الوعيد كما يقول الملك لوزيره لا تذكر حديث فلان بين يدي و قيل إنه عنى به امرأته و ابنه و إنما نهاه عن ذلك ليصونه عن سؤال ما لا يجاب إليه و ليصرف عنه مآثم الممالأه للطغاه «وَ يَصْنَعُ الْفُلْكَ» أى و جعل نوح (عليه السلام) يصنع الفلك كما أمره الله تعالى و قيل و أخذ نوح فى صنعه السفينه بيده فجعل ينحتها و يسويها و أعرض عن قوله «وَ كَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ» أى كلما اجتاز به جماعه من أشراف قومه و رؤسائهم و هو يعمل السفينه هزوا من فعله و قيل إنهم كانوا يقولون له يا نوح صرت نجارا بعد النبوه على طريق الاستهزاء و قيل إنما كانوا يسخرون من عمل السفينه لأنه كان يعملها فى البر على صفه من الطول و العرض و لا ماء هناك يحمل مثلها فكانوا يتضحكون و يتعجبون من عمله «قَالَ» أى كان يقول لهم «إِنْ تَسِخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسِخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسِخَرُونَ» و المراد أن تستجهلونا فى هذا الفعل فإننا نستجهلكم عند نزول العذاب بكم كما تستجهلونا عن الزجاج و قيل معناه فإننا نجازيكم على سخريتكم عند الغرق و الهلاك و أراد به تعذيب الله إياهم فسمى الجزاء باسم المجزى به و يحتمل أن يريد فإننا نسخر منكم بعد الغرق على وجه الشماته لا- على وجه السفه «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» أينا أحق بالسخرية أو تعلمون عاقبه سخريتكم «مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ» هذا ابتداء كلام من نوح و الأظهر أن يكون متصلا بما قبله أى فسوف تعلمون أينا يأتيه عذاب يهينه و يفضحه فى الدنيا و يكون يخزيه صفه العذاب «وَ يَجِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ» أى و ينزل عليه عذاب دائم فى الآخرة.

[القصة]

قال الحسن كان طول السفينه ألف ذراع و مائتى ذراع و عرضها ستمائه ذراع و قال قتاده كان طولها ثلاثمائة ذراع و عرضها خمسين ذراعا و ارتفاعها ثلاثين ذراعا و بابها فى عرضها و قال ابن عباس كانت ثلاث طبقات طبقه للناس و طبقه للأنعام و الدواب و طبقه للهوام و الوحش و جعل أسفلها للوحوش و السباع و الهوام و أوسطها للدواب و الأنعام و ركب هو و من معه فى الأعلى مع ما يحتاج إليه من الزاد و كانت من خشب الساج و

روت عائشه عن

ص: ٢٤٢

النبى ص أنه قال مكث نوح فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى الله تعالى حتى إذا كان آخر زمانهم غرس شجره فعظمت و ذهبت كل مذهب فقطعها و جعل يعمل على سفينته و قومه يمرون عليه فيسألونه فيقول أعمل سفينه فيسخرن منه و يقولون تعمل سفينه على البر فكيف تجرى فيقول سوف تعلمون فلما فرغ منها و فار التنور و كثر الماء فى السكك خشيت أم صبي عليه و كانت تحبه جدا شديدا فخرجت إلى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء خرجت به حتى بلغت ثلثيه فلما بلغها الماء خرجت به حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بيديها حتى ذهب بها الماء فلو رحم الله منهم أحدا لرحم أم الصبي

و

روى على بن إبراهيم عن أبيه عن صفوان عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال لما أراد الله إهلاك قوم نوح عقم أرحام النساء أربعين سنة فلم يلد لهم مولود و لما فرغ نوح من اتخاذ السفينه أمره الله تعالى أن ينادى بالسريانيه أن يجمع إليه جميع الحيوانات فلم يبق حيوان إلا و قد حضر فأدخل من كل جنس من أجناس الحيوان زوجين ما خلا الفأر و السنور و إنهم لما شكوا إليه سرقين الدواب و القدر دعا بالخنزير فمسح جبينه فعطس فسقط من أنفه زوج سنور و كان الذين آمنوا به من جميع الدنيا ثمانين رجلا

و

فى حديث آخر إنهم شكوا إليه العذره فأمر الله الفيل فعطس فسقط الخنزير

و

روى الشيخ أبو جعفر فى كتاب النبوه بإسناده عن حنان بن سدير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال آمن مع نوح من قومه ثمانيه نفر.

ص: ٢٤٣

إشارة

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (٤٠) وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (٤١) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَأُوَىٰ إِلَىٰ جِبَلٍ يَْعَصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣)

القراءة

قرأ حفص عن عاصم «مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ» منونا وفي المؤمنين كذلك وقرأ الباقون من كل زوجين مضافا وقرأ أهل الكوفة غير أبي بكر «مَجْرَاهَا» بفتح الميم و الباقون بضم الميم و اتفقوا على ضم الميم في «مُرْسَاهَا» إلا ما يرى في الشواذ عن ابن محيصة أنه فتح الميم فيهما وقرأ عاصم «يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا» بفتح الياء و الباقون بالكسر و

روى عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) و أبي جعفر محمد بن علي و جعفر بن محمد (عليه السلام) و عروه بن الزبير و نادى نوح ابنه

و روى عن عكرمه ابنها و عن السدي ابنها و عن ابن عباس ابنه على الوقف.

الحج

الوجه في قراءه حفص ما قاله أبو الحسن إن الاثنين زوجان قال الله تعالى «وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ» و المرأه زوج الرجل و الرجل زوجها قال و قد يقال للاثنين هما زوج قال لييد:

من كل محفوف يظل عصبه زوج عليه كله و قرامها

قال أبو علي من قرأ «مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ» كان قوله «اِثْنَيْنِ» مفعول الحمل و المعنى احمل من الأزواج إذا كانت اثنين اثنين زوجين فالزوجان في قوله من كل زوجين يراد بهما الشياخ و ليس يراد بهما الناقص عن الثلاثة و مثل ذلك قول الشاعر:

فاعمد لما يعلو فما لك بالذي لا تستطيع من الأمور يدان

إنما يريد تشديد انتفاء قوته عنه و تكثيره و يبين هذا المعنى قول الفرزدق:

و كل رفيقى كل رحل و إن هما تعاطى القنا قوما هما أخوان

فرفيقان اثنان لا يكونان رفيقى كل رحل و إنما يريد الرفقاء إذا كانوا رفيقين و من نون فقال «مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ» فحذف المضاف

إليه من كل و نون فالمعنى من كل شىء و من كل زوج

ص: ٢٤٤

زوجين اثنين فيكون انتصاب اثنين على أنه صفة لزوجين فإن قلت فالزوجان قد فهم أنهما اثنان فكيف جاز وصفهما بقوله «اثنين» وإنما جاز ذلك للتأكيد والتشديد كما قال لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ وقد جاء في غير هذا من الصفات ما مصرفه إلى التأكيد كقولهم أمس الدابر و نَفَخَهُ وَاِحِدَهُ و نَعَجَهُ وَاِحِدَهُ قَالَ وَ مَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى قَالَ أَبُو عَلِيٍّ وَ يَجُوزُ فِي قَوْلِهِ «بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَ مُرْسَاهَا» أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنْ شَيْئَيْنِ مِنَ الضَّمِيرِ الَّذِي فِي قَوْلِهِ «ارْكَبُوا» وَ مِنَ الضَّمِيرِ الَّذِي فِيهَا فَإِنْ جَعَلْتَ قَوْلَهُ «بِسْمِ اللَّهِ» خَبْرَ مُبْتَدَأٍ مُقَدَّمًا فِي قَوْلٍ مِنْ لَمْ يَرْفَعْ بِالظَّرْفِ أَوْ جَعَلْتَ قَوْلَهُ «مَجْرَاهَا» مَرْتَفَعًا بِالظَّرْفِ لَمْ يَكُنْ قَوْلُهُ «بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا» إِلَّا جَمَلُهُ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنَ الضَّمِيرِ الَّذِي فِيهَا وَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الضَّمِيرِ الَّذِي فِي قَوْلِهِ «ارْكَبُوا» لِأَنَّهُ لَا ذِكْرَ فِيهَا يَرْجِعُ إِلَى الضَّمِيرِ أَلَّا تَرَى أَنَّ الظَّرْفَ فِي قَوْلٍ مِنْ رَفَعَ بِالظَّرْفِ قَدْ ارْتَفَعَ بِهِ الظَّاهِرُ وَ فِي قَوْلٍ مِنْ رَفَعَ فِي هَذَا النِّحْوِ بِالابْتِدَاءِ قَدْ جَعَلَ فِي الظَّرْفِ ضَمِيرَ الْمُبْتَدَأِ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ خَلَّتِ الْجَمَلَةُ مِنْ ذِكْرِ يَعُودُ إِلَى ذِي الْحَالِ مِنَ الْحَالِ وَ إِذَا خَلَا مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا حَالًا مِنَ الضَّمِيرِ الَّذِي فِيهَا وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِسْمِ اللَّهِ حَالًا مِنَ الضَّمِيرِ الَّذِي فِي قَوْلِهِ «ارْكَبُوا» عَلَى أَنْ لَا يَكُونَ الظَّرْفُ خَبْرًا عَنِ الْأَسْمِ الَّذِي هُوَ مَجْرِيهَا عَلَى مَا كَانَ فِي الْوَجْهِ الْأَوَّلِ وَ يَكُونَ حَالًا مِنَ الضَّمِيرِ عَلَى حَدِّ قَوْلِكَ خَرَجَ بِثِيَابِهِ وَ رَكِبَ فِي سِلَاحِهِ وَ الْمَعْنَى رَكِبَ مُسْتَعِدًّا بِسِلَاحِهِ وَ مَتَلْبَسًا بِثِيَابِهِ وَ فِي التَّنْزِيلِ وَ قَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَ هُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ فَكَانَ الْمَعْنَى ارْكَبُوا مَتَبَرِّكِينَ بِاسْمِ اللَّهِ وَ مَتَمَسِّكِينَ بِذِكْرِ اسْمِ اللَّهِ وَ يَكُونَ فِي بِاسْمِ اللَّهِ ذِكْرٌ يَعُودُ إِلَى الْمَأْمُورِينَ فَإِنْ قُلْتَ فَكَيْفَ يَكُونُ اتِّصَالُ الْمَصْدَرِ الَّذِي هُوَ مَجْرِيهَا بِالْكَلَامِ عَلَى هَذَا فَإِنَّهُ يَكُونُ مُتَعَلِّقًا بِمَا فِي بِاسْمِ اللَّهِ مِنْ مَعْنَى الْفِعْلِ وَ جَازَ تَعَلُّقُهُ بِهِ لِأَنَّهُ يَكُونُ ظَرْفًا عَلَى نَحْوِ مُقَدِّمِ الْحَاجِّ وَ خَفُوقِ النِّجْمِ كَأَنَّهُمْ مَتَبَرِّكِينَ بِهَذَا الْأَسْمِ أَوْ مَتَمَسِّكِينَ بِهِ فِي وَقْتِ الْجَرِيِّ أَوْ الْإِجْرَاءِ وَ الرَّسْوِ أَوْ الْإِرْسَاءِ عَلَى حَسَبِ الْخِلَافِ بَيْنَ الْقِرَاءِ فِيهِ وَ لَا يَكُونُ الظَّرْفُ مُتَعَلِّقًا بِارْكَبُوا لِأَنَّ الْمَعْنَى لَيْسَ عَلَيْهِ أَلَّا تَرَى أَنَّ الْمَعْنَى لَا يَرَادُ ارْكَبُوا فِيهَا فِي وَقْتِ الْجَرِيِّ وَ الثَّبَاتِ إِنَّمَا الْمَعْنَى ارْكَبُوا الْآنَ مَتَبَرِّكِينَ بِاسْمِ اللَّهِ فِي الْوَقْتَيْنِ اللَّذَيْنِ لَا يَنْفَكُ الرَّاكِبُونَ فِيهَا مِنَ الْإِجْرَاءِ وَ الْإِرْسَاءِ لَيْسَ يَرَادُ ارْكَبُوا وَقْتِ الْجَرِيِّ وَ الرَّسْوِ فَمَوْضِعُ مَجْرِيهَا نَصَبٌ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ بِأَنَّهُ ظَرْفٌ عَمَلٌ فِيهِ الْمَعْنَى وَ فِي الْوَجْهِ الْأَوَّلِ رَفَعَ بِالابْتِدَاءِ أَوْ بِالظَّرْفِ وَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ فِي الْوَجْهِ الْأَوَّلِ رَفَعَ وَ إِنْ كَانَ ذَلِكَ الْفِعْلُ الَّذِي كَانَ يَتَعَلَّقُ بِهِ لَا يُعْتَبَرُ بِهِ الْآنَ قَوْلُ الشَّاعِرِ أَنْشَدَهُ الْأَصْمَعِيُّ:

وَأَبَى أَنْتَ وَ فُوكَ الْأَشْنَبُ كَأَنَّمَا ذَرَّ عَلَيْهِ الزَّرْنَبُ

و حجه من فتح مجريها قوله «و هي تجرى بهم» و لو كان مجريها لكان و هي تجريهم و حجه من ضم إن جرت بهم و أجرتهم يتقاربان في المعنى يقال جرى الشيء و أجرته و جريت به و أما قوله «يا بُنَيَّ» فقد قال أبو علي الكسري في الياء الوجه في يا بني وذلك أن اللام من ابن ياء أو واو حذفت في ابن كما حذفت في اسم و اثنين فإذا حقرت ألحقت ياء التحقير فلزم أن ترد اللام الذي حذفت لأنك لو لم تردها لوجب أن تحرك بالتحقير بحركات الإعراب و تعاقبها عليها و هي لا تحرك أبدا بحركة الإعراب و لا- غيرها ألا- ترى أن من حذف الهمزة الساكن ما قبلها في نحو الخبء لم يفعل ذلك في الهمز نحو أفياس إنما يبدل من الهمزة ياء و يدغم فيها ياء التحقير كما يفعل ذلك مع ياء خطيه و واو مقروه و نحو ذلك من حروف المد التي لا تتحرك فإذا تبينت أن ياء التحقير أجريت هذا المجري علمت أنها لا تتحرك كما لا تتحرك حروف المد التي أجريت بالتحقير مجراها فلو لم ترد اللام مع ياء التحقير و جعلتها محذوفه في التحقير كما حذفتها في التكبير للزم الياء التي للتحقير الانقلاب كما لزم سائر حروف الإعراب فيبطل دلالتها على التحقير كما أن الألف في التكسير لو حركتها لبطلت دلالتها على التكسير و لذلك رددت اللام فإذا رددت اللام و أضفتها إلى نفسك اجتمعت ثلاث ياءات الأولى منها التي للتحقير و الثانية لام الفعل و الثالثة التي للإضافة تقول هذا بني فإذا ناديت جاز فيها وجهان إثبات الياء و حذفها فمن قال يا عبادي فأثبت فقياس قوله أن يقول بنبي و من قال يا عباد قال يا بني فحذف الياء التي للإضافة و أبقى الكسره داله عليها و هذا الوجه هو الجيد عندهم و من قرأ «يا بُنَيَّ» بالفتح فالقول فيه أنه أراد به الإضافة كما أرادها في قوله يا بني إذا كسر الياء التي هي لام الفعل كأنه قال يا بنبي يا إثبات ياء الإضافة ثم أبدل من الكسره الفتحة و من الياء الألف فصار يا بنيا كما قال الشاعر:

" يا بنت عما لا تلومي و اهجمي "

ثم حذف الألف كما كان حذف الياء في يا بني و قد حذفت الياء التي للإضافة إذا أبدلت الألف منها أنشد أبو الحسن:

فلست بمدرك ما فأت مني بلهف و لا بليت و لا لو أني

إنما هو بلهفا قال أبو عثمان و وضع الألف مكان الياء في الإضافة مطرد و أجاز يا زيدا أقبل إذا أردت الإضافة فقال و على هذا قراءه من قرأ يا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ و يا قَوْمِ لا أَسْئَلُكُمْ و أنشد:

" و هل جزع أن قلت و ابتهما "

و أما من قرأ و نادى نوح ابنه فإنه أراد ابنها كما روى عن

عكرمه و المعنى ابن امرأته لأنه قد جرى ذكرها فى قوله سبحانه «وَأَهْلَكَ» فحذف الألف تخفيفا كما قلنا فى بنى بالفتح و يا أبت و أما قراءة السدى ابناه فإنه يريد به الندبه و هو على الحكايه أى قال له يا ابناه و وا ابناه فأما ابنه بالسكون فعلى ما جاء فى نحو قوله:

" و مطواى مشتاقان له أرقان".

اللغة

الفور الغليان و أصله الارتفاع فار القدر يفور فورا و فورا و فورانا ارتفع ما فيه بالغليان و منه قولهم فعل ذلك من فوره أى من قبل أن يسكن و الإرساء إمساك السفينه بما تقف عليه يقال أرساها الله فرست قال عنتره:

فصبرت نفسا عند ذلك حره ترسو إذا نفس الجبان تطلع

و الموج جمع موجه و هى قطعه عظيمه ترتفع عن جملة الماء الكثير و العصمه المنع.

الإعراب

حتى متعلقه بقوله وَ اضْيَعِ الْفُلْمَكَّ بِأَعْيُنِنَا لا- عاصم ركب عاصم مع لا- فبنى لأنهما بالتركيب صارا كاسم واحد و قيل إنه بنى لتضمنه معنى من لأن هذا جواب هل من عاصم و حق الجواب أن يكون وفق السؤال فكان يجب أن يقول لا من عاصم إلا أن من حذف و تضمن الكلام معناه فبنى الاسم لذلك و هذا وجه حسن و اليوم خبر و العامل فيه المحذوف لا قوله عاصم لأنه لو عمل فيه عاصم لصار من صلته فكان يجب تنوينه لأنه يشبه المضاف كما تقول لا ضاربا زيدا فى دارك و لم يقرأ أحد لا عاصما اليوم و قيل أن خبره قوله «مِنْ أَمْرِ اللَّهِ» و التقدير لا ذا عصمه كائن من أمر الله فى اليوم و اليوم معمول الظرف و إن تقدم عليه كما جاز كل يوم لك ثوب و لا يجوز أن يتعلق اليوم بنفس أمر لأن أمرا مصدر فلا يتقدم عليه ما فى صلته و من رحم فيه ثلاثه أقوال (أحدها) أن يكون استثناء منقطعا لأن التقدير إلا من رحمه الله فيكون من مفعولا و استثناء من عاصم و عاصم فاعل فكأنه قال لكن من رحمه الله معصوم (و ثانيها) أن يكون المعنى لا عاصم إلا من رحمتنا فكأنه قال لا عاصم إلا الله (و الثالث) أن عاصم هاهنا بمعنى معصوم و تقديره لا- معصوم من أمر الله إلا- من رحمه الله و قد يأتى فاعل بمعنى مفعول كقوله فى عَيْشِهِ رَاضِيَهُ أى مرضيه و ماءٍ دَافِقٍ أى مدفوق و قال الحطيئة:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها و اقعدي فإنك أنت الطاعم الكاسى

أى المكسو و على القولين الأخيرين يكون الاستثناء متصلا و قال ابن كيسان لما قال «لا عاصِم» كان معناه لا معصوم لأن فى نفى العاصم نفى المعصوم ثم قال «إِلَّا مَنْ رَحِمَ» فاستثناه على المعنى فيكون متصلا.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن إهلاك قوم نوح فقال «حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا» و المعنى فذلك حاله و حالهم حتى إذا جاء قضاؤنا بنزول العذاب «وَ فَارَ التَّنُّورُ» بالماء أى ارتفع الماء بشده اندفاع و فى التنور أقوال (أولها) أنه تنور الخابزه و أنه تنور كان لآدم فار الماء منه علامه لنوح (عليه السلام) إذ نبع الماء من موضع غير معهود خروجه منه عن ابن عباس و الحسن و مجاهد ثم اختلف فى ذلك فقال قوم أن التنور كان فى دار نوح (عليه السلام) بعين ورده من أرض الشام و قال قوم بل

كان فى ناحيه الكوفه و هو المروى عن أئمتنا (عليه السلام)

و

روى المفضل بن عمر عن أبى عبد الله (عليه السلام) فى حديث طويل قال كان التنور فى بيت عجوز مؤمنه فى دير قبله ميمنه مسجد الكوفه قال قلت فكيف كان بدء خروج الماء من ذلك التنور قال نعم إن الله أحب أن يرى قوم نوح آيه ثم أن الله سبحانه أرسل عليهم المطر يفيض فيضا و فاض الفرات فيضا و فاضت العيون كلها فيضا فغرقهم الله و أنجى نوحا و من معه فى السفينه فقلت فكم لبث نوح فى السفينه حتى نضب الماء فخرجوا منها فقال لبث فيها سبعة أيام بلياليها فقلت له إن مسجد الكوفه لقديم فقال نعم و هو مصلى الأنبياء و لقد صلى فيه رسول الله ص حين أسرى به إلى السماء قال له جبرائيل (عليه السلام) يا محمد هذا مسجد أبيك آدم و مصلى الأنبياء فانزل فصل فيه فنزل فصلى فيه ثم أن جبرائيل (عليه السلام) عرج به إلى السماء

و

فى روايه أخرى أن السفينه استقلت بما فيها فجرت على ظهر الماء مائه و خمسين يوما بلياليها

و

روى أبو عبيده الحذاء عن أبى جعفر (عليه السلام) قال مسجد كوفان وسطه روضه من رياض الجنة الصلاه فيه بسبعين صلاه صلى فيه ألف نبى و سبعون نبيا فيه فار التنور و جرت السفينه و هو سره بابل و مجمع الأنبياء (عليه السلام)

(و ثانيها) أن التنور وجه الأرض عن ابن عباس و الزهرى و عكرمه و اختاره الزجاج و يؤيده قوله «وَ فَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا» (و ثالثها)

أن معنى قوله «وَ فَارَ التَّنُّورُ» طلع الفجر و ظهرت أمارات دخول النهار و تقضى الليل من قولهم نور الصبح تنويرا و روى ذلك عن على (عليه السلام)

(و رابعها) أن التنور أعلى الأرض و أشرفها و المعنى نبع الماء من الأمكنه المرتفعه فشبّهت بالتناير لعلوها عن قتاده (و خامسها)
أن فار التنور معناه اشتد غضب الله عليهم و وقعت نقمته بهم كما تقول العرب حمى الوطيس إذا اشتد الحرب و فار قدر القوم إذا
اشتد حربهم قال الشاعر:

ص: ٢٤٨

تفور علينا قدرهم فنذيمها و نفاها عنا إذا حميها غلا

يريد بالقدر الحرب و نذيمها نسكنها و هذا أبعد الأقوال من الأثر و حمل الكلام على الحقيقه التي تشهد بها الروايه أولى «قلنا
أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ» أى قلنا لنوح (عليه السلام) لما فار الماء من التنور احمل فى السفينه من كل جنس من الحيوان
زوجين أى ذكر و أنثى و قد ذكرنا المعنى فى حجه القراءتين «وَأَهْلَكَ» أى و احمل أهلك و ولدك «إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ»
أى من سبق الوعد بإهلاكه و الإخبار بأنه لا يؤمن و هى امرأته الخائنه و اسمها واغله و ابنها كنعان «وَمَنْ آمَنَ» أى و احمل فيها
من آمن بك من غير أهلك ثم أخبر سبحانه فقال «وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ» أى إلا نفر قليل و هم ثمانون إنسانا فى قول الأكثرين
و قيل اثنان و سبعون رجلا و امرأه و بنوه الثلاثه و نساؤهم فهم ثمانيه و سبعون نفسا و حمل معه جسد آدم (عليه السلام) عن
مقاتل و قيل عشره أنفس عن ابن إسحاق و

قيل ثمانيه أنفس عن ابن جريج و قتاده و روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل سبعة أنفس عن الأعمش و كان فيهم بنوه الثلاثه سام و حام و يافث و ثلاث كنانن لهم فالعرب و الروم و فارس و أصناف
العجم ولد سام و السودان من الحبش و الزنج و غيرهم ولد حام و الترك و الصين و الصقالبه و يأجوج و مأجوج ولد يافث «و
قال اركبوا فيها» أى و قال نوح لمن آمن معه اركبوا فى السفينه و فى الكلام حذف تقديره فلما فار التنور و وقف نوح على ما
دله الله عليه من هلاك الكفار قال لأهله و قومه «ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا» أى متبركين باسم الله أو قائلين بسم الله
وقت إجرائها و وقت إرسائها أى إثباتها و حبسها و قيل معناه بسم الله إجراؤها و إرسائها و قد ذكرنا تفسيره فى الحجه و قال
الضحاك كانوا إذا أرادوا أن تجرى السفينه قالوا بسم الله مجريها فجرت و إذا أرادوا أن تقف السفينه قالوا بسم الله مرسيتها
فوقفت «إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ» هذا حكايه عما قاله نوح لقومه و وجه اتصاله بما قبله أنه لما ذكرت النجاه بالركوب فى السفينه
ذكرت النعمه بالمغفره و الرحمه لتجتلبا بالطاعه كما اجتلبت النجاه بركوب السفينه «وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ» معناه أن
السفينه كانت تجرى بنوح و من معه على الماء فى أمواج كالجبال فى عظمها و ارتفاعها و دل بتشبيها بالجبال على أن ذلك لم
يكن موجا واحدا بل كان كثيرا و روى عن الحسن إن الماء ارتفع فوق كل شىء و فوق كل جبل ثلاثين ذراعا و قال غيره
خمسه عشر ذراعا و قيل أن سفينه نوح سارت لعشر مضيمن من رجب فسارت سته أشهر حتى

طافت الأرض كلها لا تستقر في موضع حتى أتت الحرم فطافت بموضع الكعبة أسبوعاً و كان الله سبحانه رفع البيت إلى السماء ثم سارت بهم حتى انتهت إلى الجودي و هو جبل بأرض الموصل فاستقرت عليه اليوم العاشر من المحرم و

روى أصحابنا عن أبي عبد الله (عليه السلام) أن نوحاً ركب السفينه في أول يوم من رجب فصام و أمر من معه أن يصوموا ذلك اليوم و قال من صام ذلك اليوم تباعدت عنه النار مسيره سنه

«و نادى نُوحٌ ابْنَهُ» كنعان و قيل أن اسمه يأم «و كَانَ فِي مَعْرَلٍ» أى فى قطعه من الأرض غير القطعه التى كان نوح فيها حين ناداه و قيل معناه كان فى ناحيه من دين أبيه أى قد اعتزل دينه و كان نوح يظن أنه مسلم فلذلك دعاه و قيل كان فى معزل من السفينه «يا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَ لَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ» دعا ابنه إلى أن يركب معه فى السفينه ليسلم من الغرق قال الحسن كان ينافق أباه فلذلك دعاه و قال أبو مسلم دعاه بشرط الإيمان و معناه يا بنى آمن بالله ثم اركب معنا و لا تكن على دين الكافرين و على القول الأول يكون معناه لا- تتخلف مع الكافرين فتغرق معهم فأجابه ابنه «قَالَ سَأْوِي إِلَى جَبَلٍ» أى سأرجع إلى مأوى من جبل «يَعْصِي مَنِي مِنَ الْمَاءِ» أى يمنعنى من آفات الماء «قَالَ» نوح «لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ» أى لا مانع و لا دافع اليوم من عذاب الله إلا من رحمه الله بإيمانه فأمن بالله يرحمك الله «وَ حَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ» أى فصار «مِنَ الْمُغْرَقِينَ».

[سوره هود (١١): آيه ٤٤]

إشارة

وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَ يَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَ غِيضَ الْمَاءِ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَ قِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤)

اللفه

البلع إجراء الشىء فى الحلق إلى الجوف و الإقلاع إذهاب الشىء من أصله حتى لا يرى له أثر يقال أفلعت السماء إذا ذهب مطرها حتى لا يبقى شىء منه و أفلع عن الأمر إذا تركه رأساً.

المعنى

ثم بين سبحانه الحال بعد انتهاء الطوفان فقال «و قِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ» أى قال الله سبحانه للأرض انشفى ماءك الذى نبعت به العيون و اشربى ماءك حتى لا يبقى على وجهك شىء منه و هذا إخبار عن ذهاب الماء عن وجه الأرض بأوجز مده فجرى مجرى أن قيل لها ابلعى فبلعت «و يَا سَمَاءُ أَقْلِعِي» أى و قال تعالى للسماء يا سماء أمسكى

ص: ٢٥٠

عن المطر و هذا إخبار عن إقشاع السحاب و انقطاع المطر فى أسرع زمان فكأنه قال لها أقلعى فأقلعت «وَوَ غِيضَ الْمَاءِ» أى ذهب به عن وجه الأرض إلى باطنه و المعنى و نشفت الأرض ماءها و يقال أن الأرض ابتلعت جميع مائها و ماء السماء لقوله «وَوَ غِيضَ الْمَاءِ» و يقال لم تبتلع ماء السماء لقوله «أَبْلَعِي مَاءَكِ» و

إن ماء السماء صار بحارا و أنهارا و هو المروى عن أئمتنا (عليه السلام)

«وَوَقُضِيَ الْأَمْرُ» أى وقع إهلاك الكفار على التمام و فرغ من الأمر و قيل و قضى الأمر بنجاه نوح و من معه «وَأَسْبِتَتْ عَلَى الْجُودَى» أى استقرت السفينه على الجبل المعروف قال الزجاج هو بناحية آمد و قال غيره بقرب جزيره الموصل قال زيد بن عمرو بن نفيل:

سبحانه ثم سبحانا يعود له و قبله سبح الجودى و الجمد

و قال أبو مسلم الجودى اسم لكل جبل و أرض صلبه و

فى كتاب النبوه مسندا إلى أبى بصير عن أبى الحسن على بن موسى بن جعفر (عليه السلام) قال كان نوح لبث فى السفينه ما شاء الله و كانت مأموره فخلقى سبيلها فأوحى الله إلى الجبال إنى واضع سفينه نوح على جبل منكن فتناولت الجبال و شمخت و تواضع الجودى و هو جبل بالموصل فضرب جؤجؤ السفينه الجبل فقال نوح عند ذلك يا ماريا أتقن و هو بالعرييه يا رب أصلح

و

فى روايه أخرى يا رهمان أتقن

و تأويله يا رب أحسن و قيل أرسى السفينه على الجودى شهرا «وَوَقِيلَ بُعْدًا لِلظَّالِمِينَ» أى قال الله تعالى ذلك و معناه أبعده الله الظالمين من رحمته لإيرادهم أنفسهم مورد الهلاك و إنما انتصب على المصدر و فيه معنى الدعاء و يجوز أن يكون هذا من قول الملائكه أو من قول نوح و المؤمنين و فى هذه الآيه من بدائع الفصاحه و عجائب البلاغه ما لا يقارب كلام البشر و لا يدانيه منها أنه خرج مخرج الأمر و إن كانت الأرض و السماء من الجمد ليكون أدل على الاقتدار و منها حسن تقابل المعنى و ائتلاف الألفاظ و منها حسن البيان فى تصوير الحال و منها الإيجاز من غير إخلال إلى غير ذلك مما يعلمه من تدبره و له معرفه بكلام العرب و محاوراتهم و يروى أن كفار قريش أرادوا أن يتعاطوا معارضه القرآن فعكفوا على لباب البر و لحوم الضأن و سلاف الخمر أربعين يوما لتصفو أذهانهم فلما أخذوا فيما أرادوا سمعوا هذه الآيه فقال بعضهم لبعض هذا كلام لا يشبهه شىء من الكلام و لا يشبه كلام المخلوقين و تركوا ما أخذوا فيه و افترقوا.

إشارة

وَ نَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْئَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَ تَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٤٧) قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَ بَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَ عَلَى أُمَّةٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَ أُمَّةٍ سَنُنَتُّهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٨) تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَ لَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (٤٩)

القراءة

قرأ الكسائي و يعقوب و سهل إنه عمل غير صالح على الفعل و نصب غير و الباقون «عَمَلٌ» اسم مرفوع منون غير بالرفع و قرأ ابن كثير فلا تسئلن مشددة النون مفتوحة و قرأ أبو عمرو و يعقوب و سهل فلا تسئلني خفيفه النون مثبته الياء و قرأ أهل الكوفه خفيفه النون بغير ياء و قرأ أهل المدينة غير قالون فلا تسئلني مشددة النون مثبته الياء و قرأ ابن عامر و قالون فلا تسئلن مشددة النون مكسورة بغير ياء.

الحجج

قال أبو علي من قرأ «إِنَّهُ عَمَلٌ» فنون فالمراد أن سؤالك ما ليس لك به علم عمل غير صالح و يحتمل أن يكون الضمير في أنه لما دل عليه قوله اذْكَبْ مَعْنَا وَ لَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ فيكون تقديره إن كونك مع الكافرين و انحيازك إليهم و تركك الركوب معنا و الدخول في جملتنا عمل غير صالح و يجوز أن يكون الضمير لابن نوح كأنه جعل عملا غير صالح كما يجعل الشيء الشيء لكثرة ذلك منه كقولهم الشعر زهير أو يكون المراد إنه ذو عمل غير

صالح فحذف المضاف و من قرأ إنه عمل غير صالح فيكون في المعنى كقراءه من قرأ «إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ» و هو يجعل الضمير لابن نوح و تكون القراءتان متفتحتين في المعنى و إن اختلفتا في اللفظ و من ضعف هذه القراءه بأن العرب لا تقول هو يعمل غير حسن حتى يقولوا عمل غير حسن فالقول فيه أنهم يقيمون الصفه مقام الموصوف عند ظهور المعنى فيقول القائل قد فعلت صوابا و قلت حسنا بمعنى فعلت فعلا صوابا و قلت قولاً حسناً قال عمر بن أبي ربيعة:

أيها القائل غير الصواب آخر النصح و أقلل عتابي

و قال أيضا:

و كم من قتيل ما يبا به دم و من غلق رهن إذا لفه مني

و من مالى عينيه من شىء غيره إذا راح نحو الجمره البيض كالدمى

أراد و كم من إنسان قتيل و نظائره كثيره و من قرأ فلا تسئلن بفتح اللام و لم يكسر النون عدى السؤال إلى مفعول واحد في اللفظ و المعنى على التعدى إلى مفعول ثان و من كسر النون هاهنا فإنه يدل على تعديه السؤال إلى مفعولين (أحدهما) اسم المتكلم و الآخر اسم الموصول و حذف النون المتصله بياء المتكلم لاجتماع النونات كما حذف النون من قولهم إني كذلك و كما حذف النون من قوله:

"يسوء الغاليات إذا فلينى"

و أما إثبات الياء فى الوصل فهو الأصل و حذفها أخف و الكسره تدل عليها.

الإعراب

قوله «ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ» يحتمل قوله به فى الآية وجهين (أحدهما) أن يكون كقوله:

"كان جزائى بالعصا أن أجلدا"

إذا قدمت بالعصا و كقوله «وَ كَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ» و «إِنِّي لَكُمَا لِمِنَ النَّاصِحِينَ» «وَ أَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ» و زعم أبو الحسن أن ذلك إنما يجوز فى حروف الجر و التقدير فيه التعليق بمضمرة يفسره هذا الذى ظهر بعد و إن كان لا يجوز تسلطه عليه و مثل ذلك قوله يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ فانصب يَوْمَ يَرَوْنَ بما دل عليه لا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ و لا يجوز لما بعد لا هذه أن يتسلط على يَوْمَ

يَرُونَ وَ كَذَلِكَ إِنِّي لَكَمَا لَمَنِ النَّاصِحِينَ متعلق بما دل عليه النصح المظهر و التقدير إني ناصح لكما لمن الناصحين و كذلك به فى قوله «مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ» يتعلق بما يدل عليه قوله علم الظاهر و إن لم يجز أن يعمل فيه و الوجه الآخر أن يكون متعلقا بالمستقر و هو العامل فيه كتعلق الظرف بالمعاني كما تقول ليس لك فيه رضا فيكون به فى الآيه بمنزله فيه و العلم يراد به العلم المتيقن الذى يعلم به الشئ على الحقيقة ليس العلم الذى يعلم به الشئ على ظاهره كالذى فى قوله «فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ» و نحو ما يعلمه الحاكم بشهادة الشاهدين و إقرار المقر بما يدعى و نحو ذلك مما يعلم به العلم الظاهر الذى يسع الحاكم الحكم بالشئ معه «تَلَمَّكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ» تلك مبتدأ و من أنباء الغيب الخبر و «نُوحِيهَا إِلَيْكَ» خبر ثان و إن شئت كان فى موضع الحال أى تلك كائنه من أنباء الغيب موحا إليه و إن شئت كان تلك مبتدأ و نوحيتها الخبر و الجار من صله نوحيتها أى تلك نوحيتها إليك من أنباء الغيب و لا يجوز أن يكون من زياده على تقدير تلك أنباء الغيب لأنها لا تزداد فى الموجب و يجوز على قول الأخصش.

المعنى

ثم حكى سبحانه تمام قصه نوح (عليه السلام) فقال «وَ نَادَى نُوحٌ رَبَّهُ» نداء تعظيم و دعاء «فَقَالَ رَبِّ إِنِّي ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَ إِنِّي وَعْدِكَ الْحَقُّ» معناه يا مالكي و خالقي و رازقي وعدتني بتنجية أهلي و إن ابني من أهلي و إن وعدك الحق لا خلف فيه فنجيه إن كان ممن وعدتني بنجاته «وَ أَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ» فى قولك و فعلك «قَالَ» الله سبحانه «يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ» و قد قيل فى معناه أقوال (أحدها) أنه كان ابنه لصلبه و المعنى أنه ليس من أهلك الذين وعدتكم بنجاتهم معك لأن الله سبحانه قد استثنى من أهله الذين وعده أن ينجيهم من أراد إهلاكهم بالغرق فقال إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ عن ابن عباس و سعيد بن جبير و الضحاك و عكرمه و اختاره الجبائي (و ثانيها) أن المراد بقوله «لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ» أنه ليس على دينك فكأن كفره أخرجه عن أن يكون له أحكام أهله عن جماعه من المفسرين و هذا كما

قال النبي (عليه السلام) سلمان منا أهل البيت

و إنما أراد على ديننا و

روى على بن مهزيار عن الحسن بن على الوشاء عن الرضا (عليه السلام) قال قال أبو عبد الله (عليه السلام) أن الله تعالى قال لنوح «إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ» لأنه كان مخالفا له و جعل من اتبعه من أهله

و يؤيد هذا التأويل أن الله سبحانه قال على طريق التعليل «إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ» فبين أنه إنما خرج عن أحكام أهله لكفره و سوء عمله و روى عن عكرمه أنه قال كان ابنه و لكنه كان مخالفا له فى العمل و النية فمن ثم قيل «إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ» (و ثالثها) أنه لم يكن ابنه على الحقيقة و إنما ولد على فراشه فقال

(عليه السلام) إنه ابني علي ظاهر الأمر فأعلمه الله تعالى أن الأمر بخلاف الظاهر ونبهه على خيانه امرأته عن الحسن و مجاهد و هذا الوجه بعيد من حيث أن فيه منافاه القرآن لأنه تعالى قال وَ نَادَى نُوحٌ ابْنَهُ و لأن الأنبياء يجب أن ينزهوا عن مثل هذه الحال لأنها تعير و تشين و قد نزه الله أنبياءه عما دون ذلك توقيرا لهم و تعظيما عما ينفر من القبول منهم و روى عن ابن عباس أنه قال ما زنت امرأه نبي قط و كانت الخيانه من امرأه نوح أنها كانت تدل علي أضيافه (و رابعها) أنه كان ابن امرأته و كان ربيبه و يعضده قراءه من قرأ ابنه بفتح الهاء و ابنها و المعتمد المعول عليه في تأويل الآيه القولان الأولان «إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ» قد ذكرنا الوجه في القراءتين و اختار المرتضى (رض) في تأويله أن التقدير أن ابنك ذو عمل غير صالح و استشهد علي ذلك بقول الخنساء:

ما أم سقب علي بو تطيف به قد ساعدتها علي التحنان أظنار

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبال و إدبار

أرادت فإنما هي ذات إقبال و إدبار قال و من قال أن المعنى إن سؤالك إياي ما ليس لك به علم عمل غير صالح فإن من امتنع من أن يقع علي الأنبياء شىء من القبائح يدفع ذلك فإذا قيل له فلم قال «فَلَا تَسْتَيْلِنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ» و كيف قال نوح «رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْرِكَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ» قال لا يمتنع أن يكون نهى عن سؤال ما ليس لك به علم و إن لم يقع منه و إن يكون تعوذ من ذلك و إن لم يوقعه كما نهى الله سبحانه نبيه عن الشرك في قوله لئن أشركت ليحبطن عملك و إن لم يجز وقوع ذلك منه و إنما سأل نوح (عليه السلام) نجاه ابنه بشرط المصلحه لا علي سبيل القطع فلما بين الله تعالى أن المصلحه في غير نجاته لم يكن ذلك خارجا عما تضمنه السؤال و قوله «إِنِّي أَعْظُكَ» أى أحذرك و الوعظ الدعاء إلى الحسن و الزجر عن القبيح علي وجه الترغيب و التهيب «أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ» معناه لا- تكن منهم قال الجبائي يعني إني أعظك لئلا تكون من الجاهلين و لا شك أن وعظه سبحانه يصرف عن الجهل و ينزه عن القبيح «قال» نوح عند ذلك «رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْرَكَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ» أى أعتصم بك أن أسألك ما لا أعلم أنه صواب و أنك تفعله و معنى

العباد بالله الاعتصام به طلباً للنجاه و معناه هاهنا الخضوع و التذلل لله سبحانه ليوقفه و لا يكله إلى نفسه و إنما حذف يا من قوله «رَبِّ» و أثبتته في قوله «يا نُوحُ» لأن ذلك نداء تعظيم و هذا نداء تنبيه فوجب أن يأتي بحرف التنبيه «وَاللَّا تَغْفِرُ لِي وَ تَزْحَمْنِي أَكُنُّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» إنما قال ذلك على سبيل التخشع و الاستكانة لله تعالى و إن لم يسبق منه ذنب ثم حكى الله سبحانه ما أمر به نوحا حين استقرت السفينه على الجبل بعد خراب الدنيا بالطوفان فقال «قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ» أى أنزل من الجبل أو من السفينه «بِسَلَامٍ مِنَّا» أى بسلامه منا و نجاه و قيل بتحيه و تسليم منا عليك «وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ» أى و نعم دائمه و خيرات ناميه ثابتة حالا بعد حال عليك «وَعَلَى أُمَّمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ» يعنى الأمم الذين كانوا معه فى السفينه من المؤمنين و الأمة الجماعه الكثيره المتفقه على مله واحده و قيل معناه و على أُمم من ذريه من معك و قيل يعنى بالأمم سائر الحيوان الذين كانوا معه لأن الله تعالى جعل فيها البركه «وَأُمَّمٌ سَيَنْتُمُّهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ» معناه أنه يكون من نسلهم أُمم ستمتعهم فى الدنيا بضروب من النعم فيكفرون و نهلكهم ثم يمسه بعد الهلاك عذاب مؤلم و إنما ارتفع أُمم لأنه استأنف الإخبار عنهم و روى عن الحسن أنه قال هلكت المتمتعون فى الدنيا لأن الجهل يغلب عليهم و الغفله فلا يتفكرون إلا فى الدنيا و عمارتها و ملاذها ثم أشار سبحانه إلى ما تقدم ذكره من أخبار قوم نوح فقال «تِلْكَ» أى تلك الأنباء «مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ» أى من أخبار ما غاب عنك معرفته و لو قال ذلك كان جائزا لأن المصادر قد يبنى عنها بالتذكير كما يبنى بالتأنيث يقولون قدم فلان ففرحت بها أى بقدمته و فرحت به أى بقدمه «نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَ لَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا» أى أن هذه الأخبار التى أعلمناكها لم تكن تعلمها أنت و لا قومك من العرب يعرفونها من قبل إيحائنا إليك لأنهم لم يكونوا أهل كتاب و سير و قيل من قبل هذا القرآن و بيان القصص فيه «فَاصْبِرْ» أى فاصبر على القيام بأمر الله و على أذى قومك يا محمد كما صبر نوح على أذى قومه و هذا أحد الوجوه التى لأجلها كرر الله قصص الأنبياء (عليه السلام) ليصبر النبي ص على ما كان يقاسيه من أمور الكفار الجهال حالا بعد حال «إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ» أى إن العاقبه المحموده و خاتمه الخير و النصره للمتقين كما كانت لنوح (عليه السلام).

إشارة

وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (۵۰) يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ (۵۱) وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (۵۲) قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (۵۳) إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (۵۴)

مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ (۵۵) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ اللَّهِ رَبِّي وَرَبُّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِئَتِهَا إِنْ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (۵۶) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (۵۷) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَا هُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (۵۸) وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (۵۹)

وَ اتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (۶۰)

اللغة

الفطر الشق عن أمر الله كما ينفطر الورق عن الشجر و منه فطر الله الخلق لأنه بمنزله ما شق عنه فظهر. المدرار الدار الكثير المتتابع على قدر الحاجة إليه دون الزائد

المفسد المضمر و مفعال للمبالغه كقولهم معطار و مقدم و اعتراك من قولهم عراه يعروه إذا أصابه قال الشاعر:

(من القوم يعروه اجترأ و مأثم)

و الفرق بين الإنظار و التأخير إن الإنظار إمهال لينظر صاحبه فى أمره و التأخير خلاف التقديم و الناصيه قصاص الشعر و أصله الاتصال من قولهم مفازه تناصى مفازه إذا كانت الأخيره متصله بالأولى قال " فى ء تناصيها بلا دفى ء " و قال أبو النجم:

إن يمس رأسى أشمط العناصى كأنما فرقه المناصى

أى يجاذب ليتصل به فى مره العنيد العاتى الطاغى عند يعند عنودا إذا تجبر و عند عن الأمر إذا حاد عنه فهو عاند و عنود.

الإعراب

أخاهم نصب بتقدير أرسلنا كأنه قال و أرسلنا إلى عاد أخاهم و هوذا عطف بيان و عاد مصروف لأن المراد به الحى و قد يقصد به القبيله فلا يصرف قال:

لو شهد عاد فى زمان عاد لا بترها مبارك الجلال

" غيره " من ضم الرء حمل الصفه على الموضع و من جره حمله على اللفظ قوله «إِنْ نَقُولُ إِلَّا اغْتِرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ» قال صاحب كتاب كشف الجامع النحوى إن حرف نفى لحقت " نقول " فنفت جميع القول إلا- قولاً- واحداً و هو قولهم «اغْتِرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ» و التقدير ما نقول قولاً- إلا هذه المقاله و الفعل يدل على المصدر و على الظرف و على الحال و يجوز أن يذكر الفعل ثم يستثنى من مدلوله ما دل عليه من المصادر و الظروف و الأحوال فنقول اعتراك مستثنى من المصدر الذى دل عليه نقول كقوله تعالى «أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى» فنصب موتتنا على الاستثناء لأنه مستثنى من ضروب الموت الذى دل عليه قوله بِمَبْتَلِينَ و مما جاء من ذلك فى الظروف قوله «وَيَوْمَ يَخْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ» فساعه استثناء مما دل عليه يلبثوا من الأوقات و مما جاء من ذلك فى الحال قوله «ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيَّنَ مَا تَقْفُوا إِلَّا بِحِجْلِ مِنَ اللَّهِ» التقدير ضربت عليهم الذله فى جميع الأحوال أينما ثقفوا إلا متمسكين بحبل أى بعهد من الله انتهى كلامه و قوله «فَإِنْ تَوَلَّوْا»

تقديره فإن تتولوا فحذف إحدى التاءين لدلاله الكلام عليه و قوله «بُعْدًا لِعَادٍ» منصوب على المصدر أى أبعدهم الله بعدا فوقع بعدا موقع إبعاد كما وقع نبات موقع إنبات فى قوله «وَ اللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا».

المعنى

ثم عطف سبحانه قصه هود على قصه نوح فقال «وَ إِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا» أراد أخاهم فى النسب دون الدين «قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحده و أطيعوه دون الأصنام «مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ» دخول من يفيد التعميم نفى أن يكون لهم معبود يستحق العباده غير الله عز اسمه «إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ» أى ما أنتم إلا كاذبون فى قولكم إن الأصنام آلهه «يَا قَوْمِ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا» أى لست أطلب منكم على دعائى لكم إلى عباده الله جزاء «إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي» أى ليس جزائى إلا- على الله الذى خلقنى «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» عنى ما أقول لكم فتعلمون أن الأمر على ما أقوله «وَ يَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ» قد بينا وجه تقديم الاستغفار على التوبه فى أول هذه السوره «يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا» أى يرسل المطر عليكم متابعا متواترا دارا و قيل أنهم كانوا قد أجذبوا فوعدهم هود أنهم إن تابوا أخصبت بلادهم و أمرعت و هادهم و أثمرت أشجارهم و زكت ثمارهم بنزول الغيث الذى يعيشون به و هذا مثل قوله وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ «وَ يَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ» فسرت القوه هنا بالمال و الولد و الشده و كل ذلك مما يتقوى به الإنسان قال على بن عيسى يريد عزا إلى عزتكم بكثره عددكم و أموالكم و قيل قوه فى إيمانكم إلى قوه أبدانكم «وَ لَا تَتَوَلَّوْا» عما أدعوكم إليه «مُجْرِمِينَ» أى مشركين كافرين «قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ» أى بحجه و معجزه تبين صدقك «وَ مَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ» أى لسنا بتاركى عباده الأصنام لأجل قولك و قيل إن عن جعلت مكان الباء فمعناه بقولك «وَ مَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ» أى مصدقين و إنما حملهم على دفع البينه مع ظهورها أشياء منها تقليد الآباء و الرؤساء و منها إتمامهم لمن جاء بها حيث لم ينظروا فيها و منها أنه دخلت عليهم الشبهه فى صحتها و منها اعتقادهم لأصول فاسده دعتهم إلى جحدها و إنما حملهم على عباده الأوثان أشياء منها اعتقادهم إن عبادتها تقربهم إلى الله زلفى و منها أن الشيطان ربما ألقى إليهم أن عبادتها تحظيهم فى الدنيا و منها أنهم ربما اعتقدوا مذهب المشبهه فاتخذوا الأوثان على صورته عندهم فعبدوها «إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ» هذا تمام الحكايه عن قوم هود جوابا لهود و المعنى لسنا نقول

فيك إلا أنه أصابك بعض آلهتنا بسوء فخبيل عقلك لشمك لها و سبك إياها ذهب إليه ابن عباس و مجاهد «قال» أي قال هود لقومه «إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَ أَشْهَدُوا» أي و أشهدكم أيضا بعد إشهاد الله «أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ» أي إن كنتم تزعمون أن آلهتكم عاقبتني لطعني عليها فإني على بصيره في البراءة مما تشركونه مع الله من آلهتكم التي تزعمون أنها أصابتنى بسوء و إنما أشهدهم على ذلك و إن لم يكونوا أهل شهادة من حيث كانوا كفارا فساقا إقامه للحجة عليهم لا لتقوم الحجة بهم فقال هذا القول إعدارا و إنذارا و قيل إنه أراد بقوله «أَشْهَدُوا» و اعلموا كما قال شَهِدَ اللَّهُ أَي عَلَّمَ اللَّهُ «فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ» أي فاحتالوا و اجتهدوا أنتم و آلهتكم في إنزال مكروه بي ثم لا تمهلوني قال الزجاج و هذا من أعظم آيات الأنبياء أن يكون الرسول وحده و أمته متعاونه عليه فيقول لهم كيدوني فلا يستطيع واحد منهم ضره و كذلك قال نوح لقومه فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَ شُرَكَاءَكُمْ الْآيَةَ و قال نبينا ص فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا و مثل هذا القول لا يصدر إلا عمن هو واثق بنصر الله و بأنه يحفظه عنهم و يعصمه منهم ثم ذكر هود (عليه السلام) هذا المعنى فقال «إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَ رَبِّكُمْ» أي فوضت أمري إلى الله سبحانه متمسكا بطاعته تاركا لمعصيته و هذا هو حقيقه التوكل على الله سبحانه «مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذَةٌ بِنَاصِيَتِهَا» أي ما من حيوان يدب على وجه الأرض إلا و هو مالك لها يصرفها كيف يشاء و يقهرها و جعل الآخذ بالناصية كناية عن القهر و القدره لأن من أخذ بناصية غيره فقد قهره و أذله «إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أي أنه سبحانه مع كونه قاهرا على عدل فيما يعامل به عباده و المعنى أنه يعدل و لا- يجوز و قيل معناه إن ربي في تدبير عباده على طريق مستقيم لا- عوج فيه و لا اضطراب فهو يجري على سبيل الصواب و يفعل ما يقتضيه الحكمة «فَإِنْ تَوَلَّوْا» هذا حكاية عما قاله هود (عليه السلام) لقومه و المعنى فإن تولوا و يجوز أن يكون حكاية عما قاله سبحانه لهود و المعنى فإن تولوهم «ف» قل لهم «قَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ» أي ليس ذلك لتقصير مني في إبلا-غكم و إنما هو لسوء اختياركم في إعراضكم عن نصحي فقد أبلغتكم جميع ما أوحى إلي «وَ يَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ» أي و يهلككم ربي بكفركم و يستبدل بكم قوما غيركم يوحدونه و يعبدونه «وَ لَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا» يعني إذا استخلف غيركم فجعلهم بدلا منكم لا تقدرتون له على ضرر و قيل معناه لا تضرونه بتوليكم و إعراضكم شيئا و لا ضرر عليه في إهلاككم لأنه لم يخلقكم لحاجه منه إليكم «إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ» يحفظه من الهلاك إن شاء و يهلكه إذا شاء و قيل معناه إن ربي يحفظني عنكم و عن أذاكم و قيل معناه إن ربي على كل شىء من أعمال عباده حفيظ حتى يجازيهم عليها «وَ لَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا» بهلاك عاد «نَجَّيْنَا هُودًا وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ»

من الهلاك وقيل أنهم كانوا أربعة آلاف «بِرَحْمَةٍ مِنَّا» أى بما أريناهم من الهدى والبيان عن ابن عباس وقيل «بِرَحْمَةٍ مِنَّا» أى بنعمه منا وهى النجاه أى أنجيناهم برحمه ليعلم أنه عذاب أريد به الكفار لا اتفاق وقع «وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ» أى كما نجيناهم من عذاب الدنيا نجيناهم من عذاب الآخرة والغليظ الثقيل العظيم و يحتمل أن يكون هذا صفه للعذاب الذى عذب به قوم هود ثم ذكر سبحانه كفر عاد فقال «وَتَلَمَّكَ» أى وتلك القبيله «عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ» يعنى معجزات هود الداله على صحه نبوته «وَعَصَوْا رُسُلَهُ» إنما جمع الرسل و كان قد بعث إليهم هود لأن من كذب رسولا واحدا فقد كفر بجميع الرسل ولأن هودا كان يدعوهم إلى الإيمان به و بمن تقدمه من الرسل و بما أنزل عليهم من الكتب فكذبوا بهم جميعا فلذلك عصوهم «وَأَتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ» أى و اتبع السفله و السقاط الرؤساء وقيل إن الجبار من يقتل و يضرب على غضبه و العنيد الكثير العناد الذى لا يقبل الحق «وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً» أى و أتبع عادا بعد إهلاكهم فى الدنيا بالإبعاد عن الرحمه فإن الله تعالى أبعدهم من رحمته و تبعه المؤمنین بالدعاء عليهم باللعن «وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ» أى و فى يوم القيامة يبعدون من رحمه الله كما بعدوا فى الدنيا منها و يلعنون بأن يدخلوا النار فإن اللعنه الدعاء بالإبعاد من قولك لعنه إذا قال عليه لعنه الله و أصله الإبعاد من الخير «ألا» ابتداء و تنبيه «إِنَّ عاداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ» أراد بربهم فحذف الباء كما قالوا أمرتك الخير أى بالخير «ألا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ» أى أبعدهم الله من رحمته فبعدوا بعدا.

إشارة

وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا
إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (۶۱) قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا
تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (۶۲) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا
تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ (۶۳) وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَدَرُّوْهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ
(۶۴) فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرِ مَكْدُوبٍ (۶۵)

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَ مِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (۶۶) وَ أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا
الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (۶۷) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ (۶۸)

القراءة

قرأ أهل المدينة غير إسماعيل و الكسائي و البرجمي و الشموني عن أبي بكر عن عاصم و من خزي يومئذ بفتح الميم هاهنا و
عذاب يومئذ في المعارج و الباقر بكسر الميم على الإضافة و قرأ حمزه و حفص عن عاصم و يعقوب «أَلَا إِنَّ ثَمُودَ» غير منون
في جميع القرآن و قرأ الباقر ثمودا بالتنوين هاهنا و في الفرقان و العنكبوت و النجم لأنه مكتوب بالألف في هذه المواضع و
أبو بكر عن عاصم يقرأ وَ ثَمُودَ فِي وَ النجم بغير تنوين و ينون الباقي و روى عنه البرجمي و محمد بن غالب عن الأعشى في و
النجم بالتنوين أيضا و قرأ الكسائي وحده أَلَا بَعْدَا لَثَمُودَ بِالْجَرِّ وَ التَّنْوِينِ وَ الْبَاقُونَ «لِثَمُودَ» بفتح الدال.

الحجج

قال أبو علي قوله و من خزي يومئذ يوم في قوله يومئذ ظرف فتحت أو كسرت في المعنى إلا أنه اتسع فيه فجعل اسما كما اتسع
في قوله «بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ» فأضيف المكر إليهما و إنما هو فيهما فكذلك العذاب و الخزي و الفزع في قوله مِنْ فَرَعٍ يَوْمِئِذٍ
أضفن إلى اليوم و المعنى على أن ذلك كله في اليوم كما أن المكر في الليل و النهار يدللك على ذلك قوله «وَ لَعَذَابُ الْآخِرَةِ
أَخْزَى» و قوله «لَا- يَحْزُنُهُمُ الْفَرَعُ الْأَكْبَرُ» و قوله «فَفَرَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ» و قوله «رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ
أَخْزَيْتَهُ» و أما من

كسر الميم من يومئذ فلأن يوما اسم معرب فأضيف إليه ما أضيف من العذاب و الخزي و الفرع فانجر بالإضافة و لم يفتح اليوم فتبنيه لإضافته إلى المبني لأن المضاف منفصل من المضاف إليه و لا- يلزمه الإضافة فلما لم يلزم الإضافة المضاف لم يلزم فيه البناء يدللك على ذلك أنك تقول ثوب خز و دار زيد فلا يجوز فيه إلا الإعراب و إن كان الاسمان جعلتا بمعنى الحرف فلم يلزمها البناء كما يلزم ما لا- ينفك منه معنى الحرف نحو أين و كيف و متى فلما لم يبين المضاف للإضافة و إن كان قد عمل الحرف من حيث كان غير لازم كذلك لم يبين يوم للإضافة إلى إذ لأن إضافته لم تلزم كما لم يبين المضاف و إن كان قد عمل في المضاف إليه بمعنى اللام أو بمعنى من لما لم تلزم الإضافة و أما من فتح فقال من عذاب يومئذ و من خزي يومئذ ففتح مع أنه في موضع جر فلأن المضاف يكتسى من المضاف إليه التعريف و التنكير و معنى الاستفهام و الجزاء في نحو غلام من تضرب و غلام من تضرب أضربه و النفي في نحو قولهم ما أخذت باب دار أحد فلما كان يكتسى من المضاف إليه هذه الأشياء اكتسى منه الإعراب و البناء أيضا إذا كان المضاف من الأسماء الشائعة نحو يوم و حين و مثل و يشبه بهذا الشيع الأسماء الشائعة المبنيه نحو أين و كيف و لو كان المضاف مخصوصا نحو رجل و غلام لم يكتس منه البناء كما اكتسى منه الأسماء الشائعة فمما جاء من ذلك قوله:

على حين عاتبت المشيب على الصبا و قلت أ لما أصح و الشيب وازع

و من ذلك قوله «إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ» فمثل في موضع رفع في قول سيبويه و قد جرى وصفا على النكرة إلا أنه فتح للإضافة إلى ما و من ذلك قول الشاعر:

و تداعى مدخره بدم مثل ما أثمر حماض الجبل

لما أضاف مثل إلى المبني و كان اسما شائعا بناه و لم يعربه و ذهب أبو عثمان إلى أنه جعل مثلا مع ما بمنزلة اسم واحد فبنى مثلا- على الفتح و لا- دلالة قاطعه على هذا القول في هذا البيت و إن كان ما ذهب إليه مستقيما فأما الكسره في إذ فلالتقاء الساكنين و ذلك إن إذ من حكمها أن تضاف إلى الجملة من الابتداء و الخبر فلما اقتطعت عنها الإضافة نونت ليدل التنوين على أن المضاف إليه قد حذف فكسرت الذال لسكونها و سكون التنوين و قال في صرف ثمود و ترك صرفه أن هذه الأسماء التي تجرى على القبائل و الأحياء على ضروب (أحدها) أن يكون اسما للحى و الأب (و الآخر) أن يكون اسما للقبيلة (و الثالث) أن يكون الغالب عليه الأب و الحى و القبيلة (و الرابع) أن يستوى ذلك في الاسم فيجرى على الوجهين و لا

يكون لأحد الوجهين مزيه على الآخر فى الكثره فمما جاء على أنه اسم الحى قولهم ثقيف و قريش و كل ما لا يقال فيه بنو فلان و أما ما جاء اسما للقبيله فنحو تميم قالوا تميم بنت مر قال سيبويه سمعناهم يقولون قيس ابنه غيلان و تميم صاحبه ذلك و قالوا تغلب ابنه وائل قال:

لولا فوارس تغلب ابنه وائل نزل العدو عليك كل مكان

و أما ما غلب عليه اسم الحى أو القبيله فقد قالوا بأهله بن أعصر و قالوا يعصر و بأهله اسم امرأه قال سيبويه و لكنه جعل اسم الحى و مجوس لم يجعل إلا- اسم القبيله و تميم أكثرهم يجعله اسم القبيله و منهم من يجعله اسم الأب فأما ما استوى فيه أن يكون اسما للقبيله و أن يكون اسما للحى فقال سيبويه هو ثمود و سبأ فهما مره للقبيلتين و مره للحيين و كثرتهما سواء قال و عاداً وَ ثَمُودَ و قال «ألا- إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ» و قال «وَ آتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ» فإذا استوى فى ثمود أن يكون مره للقبيله و مره للحى فلم يكن لحمله على أحد الوجهين مزيه فى الكثره فمن صرف فى جميع المواضع كان حسنا و من لم يصرف فى جميع المواضع كان حسنا و كذلك أن صرف فى موضع و لم يصرف فى موضع آخر إلا أنه لا ينبغى أن يخرج عما قرأت به القراء فإن القراءه سنه متبعه و من ذلك قول الشاعر:

كسا الله حى تغلب ابنه وائل من اللؤم أظفارا بطى ء نصولها

فقال حى ثم قال ابنه وائل فجمع بين الحى و القبيله و أما قوله:

أولئك أولى من يهود لمدحه إذا أنت يوما قلتها لم تؤنب

فقد قامت الدلاله على أن يهود استعملت على أنها للقبيله و ليس للحى فى قوله أولئك أولى من يهود لأن يهود لو كان للحى لصرف و أنشد أبو الحسن:

فرت يهود و أسلمت جيرانها صمى لما فعلت يهود صمام

و كذلك جاء فى الحديث تقسم يهود و مثل يهود فى هذا مجوس فى قول الشاعر:

"كنار مجوس تستعر استعاراً"

ألا ترى أنه لو كان للحى دون القبيله لأنصرف.

الإِنشاء إيجاد ابتداء من غير استعانه بشىء من الأسباب و أنشأ فلان حديثاً أو شعراً و الاستعمار جعل القادر يعمر الأرض كعمارته الدار و منه العمرى فى الفقه و هو أن يقول أعطيتك هذه الدار عمرى أو عمرك و المس و اللمس بمعنى و فرق على بن عيسى بينهما بأن المس قد يكون بين جمادين و اللمس لا يكون إلا بين حيين لما فيه من الإدراك و الجثوم السقوط على الوجه و قيل هو القعود على الركبة و غنى بالمكان إذا أقام به و المعنى المنزل قال النابغة:

غنت بذلك إذ هم لك جيره منها بعطف رساله و تودد

و أصل الغنى الاكتفاء و منه الغنى بالمال و الغناء بالمد الصوت الذى يكتفى به و الغناء الاكتفاء بحال الشىء و منه غنى بالمكان لاكتفائه بالإقامة فيه.

الإعراب

أ رأيتم لا مفعول له هاهنا لأنه معلق كما يعلق إذا دخل الجملة لام الابتداء فى مثل قوله قد رأيت لزيد خير منك فكذلك الجزاء و جواب أن الأولى الفاء و جواب أن الثانية محذوف و تقديره إن عصيته فمن ينصرنى إلا أنه استغنى بالأول فلم يظهر و من ينصرنى صورته صورته الاستفهام و معناه النفى فكأنه قال فلا ناصر لى من الله إن عصيته و إنما جاز إلغاء رأيت هنا لأنها دخلت على جملة قائمه بنفسها من جهة أنها تفيد لو انفردت عن غيرها و هو يتعلق بمعناها دون تفصيل لفظها و قوله «فَيَأْخُذْكُمْ» جواب النهى بالفاء و لذلك نصبه و تقديره لا يقع منكم مسها بسوء فأن يأخذكم عذاب قريب أى فأخذ عذاب عاجل إياكم و أيام أصله أيوم قلبت الواو ياء و أدغمت الياء الأولى فيها.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ذلك قصه صالح فقال «وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا» و كان ثمود بوادى القرى بين المدينة و الشام و كان عاد باليمن عن الجبائى ف «قال» لهم صالح «يا قوم اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ» مضى تفسيره «هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ» أى ابتداء خلقكم من الأرض لأنه خلق آدم من الأرض و مرجع نسبكم إليه «وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا» أى جعلكم عمار الأرض بأن مكنكم من عمارتها و أحوجكم إلى السكنى فيها و قيل معناه و أعمرها لكم مدة أعماركم من العمرى عن مجاهد و قيل معناه و أطال فيها أعماركم عن الضحاك قال و كانت أعمارهم من ألف سنة إلى ثلاثمائة سنة و قيل معناه أمركم من عمارتها بما تحتاجون إليه من المساكن و الزراعات و غرس الأشجار و فى هذا دلالة على فساد قول من حرم المكاسب لأنه سبحانه امتن على عباده بأن مكنهم من عماره الأرض

و لو كان ذلك محرماً لم يكن لذلك وجه «فَاسْتَتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ» أى فاستغفروه من الشرك و الذنوب ثم دوموا على التوبه «إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ» برحمته لمن وحده «مُجِيبٌ» لمن دعاه «قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا» أى كنا نرجو منك الخير لما كنت عليه من الأحوال الجميله قبل هذا القول فالآن يسنا منك و من خيرك بإبداعك ما أبدعت و قيل معناه كنا نرجو ك و نظنك عوناً لنا على ديننا «أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا» استفهام معناه الإنكار كأنهم أنكروا أن ينهى الإنسان عن عباده ما عبده آبؤه «وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ» من الدين «مُرِيبٌ» موجب للريبه و التهمه إذ لم يكن آبؤنا فى جهاله و ضلاله «قَالَ» صالح لهم «يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي» مر بيانه فيما قبل «وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً» أى و أعطانى الله منه نعمه و هى النبوه «فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ» أى فمن يمنع عذاب الله عنى إن عصيته مع نعمته على «فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ» أى ما تزيدوننى بقولكم «أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا» غير نسبتى إياكم إلى الخساره و التخسير مثل التفسير و التفجير قال ابن الأعرابى يريد غير تخسير لكم لا- لى و قال ابن عباس ما تزيدوننى إلا- بصيره فى خسارتكم و قيل معناه إن أحببتم إلى ما تدعوننى إليه كنت بمنزله من يزداد الخسران «وَإِذَا قَوْمٌ نَاقَهُ اللَّهُ لُكُومًا آيَةً» أشار إلى ناقته التى جعلها الله معجزته لأنه سبحانه أخرجها لهم من جوف صخره يشاهدونها على تلك الصفه و خرجت كما طلبوه و هى حامل و كانت تشرب يوماً جميع الماء فتفرد به و لا- ترد الماء معها دابه فإذا كان يوم لا ترد فيه وردت الوارده كلها الماء و هذا أعظم آيه و معجزه و انتصب آيه على الحال من ناقه الله فكانه قال انتبهوا إليها فى هذه الحال و المعنى إن شككتم فى نبوتى فهذه الناقه معجزه لى و أضافها إلى الله تشريفاً لها كما يقال بيت الله «فَدَرُّوْهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ» أى فاتركوها فى حال أكلها فتكون «تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ» جمله منصوبه الموضع على الحال و يجوز أن يكون مرفوعاً على الاستئناف و المعنى فإنها تأكل فى أرض الله من العشب و النبات «وَإِذَا تَمَسُّوْهَا» أى لا تصيبوها «بِسُوءٍ» قتل أو جرح أو غيره «فَيَأْخُذْكُمْ» إن فعلتم ذلك «عَذَابٌ قَرِيبٌ» أى عاجل فيهلككم «فَعَقَرُوْهَا» أى عقرها بعضهم و رضى به البعض و إنما عقرها أحمر ثمود و ضربت به العرب المثل فى الشؤم «فَقَالَ» صالح «تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ» أى تلذذوا بما تريدون من المدركات الحسنه من المناظر و الأصوات و غيرها مما يدرك بالحواس فى بلادكم ثلاثة أيام ثم يحل بكم العذاب بعد ذلك و يقال للبلاد دار لأنها تجمع أهلها كما تجمع الدار أهلها و منه قولهم ديار ربيعه و ديار مضر و قيل «فِي دَارِكُمْ» يعنى دار الدنيا و قيل معنى قوله «تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ» عيشوا فى بلدكم و عبر عن الحياه بالتمتع لأن الحى يكون متمتعاً

بالحواس قالوا لما عقرت الناقة سعد فصليها الجبل و رغا ثلاث مرات فقال صالح لكل رغوهُ أجل يوم فاصفرت ألوانهم أول يوم ثم احمرت فى الغد ثم اسودت اليوم الثالث فهو قوله «ذَلِكَ وَعِيدٌ غَيْرٌ مَّكَذُوبٍ» أى إن ما وعدتكم به من العذاب و نزوله بعد ثلاثه أيام وعد صدق لا كذب فيه و

روى جابر بن عبد الله الأنصارى أن رسول الله ص لما نزل الحجر فى غزوه تبوك قام فخطب الناس و قال يا أيها الناس لا تسألوا نبيكم الآيات فهؤلاء قوم صالح سألوا نبيهم أن يبعث لهم الناقة و كانت ترد من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم ورودها و يحلبون من لبنها مثل الذى كانوا يشربون من مائها يوم غبها فعتوا عن أمر ربهم «فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ» و كان وعدا من الله غير مكذوب ثم جاءتهم الصيحة فأهلك الله من كان فى مشارق الأرض و مغاربها منهم إلا رجلا كان فى حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله تعالى يقال له أبو رغال قيل له يا رسول الله من أبو رغال قال أبو ثقيف

«فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا» مر تفسيره فى قصه عاد «وَ مِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ» قال ابن الأنبارى هذا معطوف على محذوف تقديره نجيناهم من العذاب و «مِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ» أى من الخزى الذى لزمهم ذلك اليوم و الخزى العيب الذى تظهر فضيخته و يستحى من مثله «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ» أى القادر على ما يشاء «الْعَزِيزُ» الذى لا يمتنع عليه شىء و لا يمنع عما أَرَادَهُ «وَ أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ» قيل إن الله سبحانه أمر جبرائيل فصاح بهم صيحه ماتوا عندها و يجوز أن يكون الله تعالى خلق تلك الصيحة التى ماتوا عندها «فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ» أى منازلهم «جَائِمِينَ» أى ميتين واقعين على وجوههم و يقال جائمين أى قاعدين على ركبهم و إنما قال «فَأَصْبَحُوا» لأن العذاب أخذهم عند الصباح و قيل أتتهم الصيحة ليلا فأصبحوا على هذه الصفة و العرب تقول عند الأمر العظيم و سوء صباحاه «كَأَنَّ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا» أى كأن لم يكونوا فى منازلهم قط لانقطاع آثارهم بالهلاك إلا ما بقى من أجسادهم الداله على الخزى الذى نزل بهم «أَلَا إِنَّ تَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِتَمُودَ» قد سبق تفسيره.

إشارة

وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرِى قَالُوا سَلاماً قَالَ سَلاماً فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَى أُرِيدِيَهُمْ لاءِ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لاءِ تَخَفُ إِنَّا أُرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحَكْتُ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١) قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَ هَذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (٧٣)

فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَ جَاءَتْهُ الْبَشْرِى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٤) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (٧٥) يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (٧٦)

القراءه

قرأ حمزه و الكسائى قال سلم بكسر السين و سكون اللام هنا و فى الذاريات و قرأ الباقون «قال سَلامٌ» و قرأ «يعقوب» بالنصب ابن عامر و حمزه و حفص عن عاصم و قرأ الباقون يعقوب بالرفع و فى الشواذ قراءه الأعمش و هذا بعلى شيخ بالرفع.

الحجه

قال أبو على أخبر أبو إسحاق عن محمد بن يزيد قال السلام أربعة أشياء منها مصدر سلمت و السلام شجر قال "الإسلام و حرم" و السلام جمع سلامه و السلام اسم من أسماء الله تعالى و قوله دارُ السَلامِ يحتمل أن يكون مضافه إلى الله تعظيماً لها و يحتمل أن يكون دار السلامه من العقاب فمن حصل فيها كان على خلاف من وصف بقوله وَ يَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ و أما انتصاب قوله «سَلاماً» فلأنه لم يحك شيئاً تكلموا به فيحكى كما يحكى الجمل و لكن هو معنى ما تكلمت به الرسل كما أن القائل إذا قال لا إله إلا الله فقلت حقا أو قلت إخلاصاً أعملت القول فى المصدرين لأنك ذكرت معنى ما قال و لم تحك

نفس الكلام الذى هو جملة تحكى فكذلك نصب سلاما فى قوله «قالوا سِلاماً» لما كان معنى ما قيل و لم يكن نفس المقول بعينه فأما قوله وَ إِذَا خَاطَبْتَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً قال سيويه زعم أبو الخطاب أن مثله يريد قولك سبحان الله الذى تفسيره براءه الله من السوء و قولك للرجل سلاما تريد مسلما منك لا أبتلى بشىء من أمرك فعلى هذا المعنى وجه ما فى الآية قال و زعم أن قول أمية:

سلامك ربنا فى كل فجر بريئا ما يعيبك الذموم

على قوله براءتك ربنا من كل سوء و أما قوله «قال سِلاماً» فسلام مرفوع لأنه من جملة الجملة المحكية و التقدير فيه سلام عليكم فحذف الخبر كما حذف من قوله فَصَبْرٌ جَمِيلٌ أى صبر جميل أمثل أو يكون المعنى أمرى سلام و شأنى سلام كما أن قوله فَصَبْرٌ جَمِيلٌ يصلح أن يكون المحذوف منه المبتدأ و مثل ذلك قوله فَاصْبِرْ فَخَ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ على حذف المبتدأ الذى سلام خبره و أكثر ما يستعمل سلام بغير ألف و لام و ذلك لأنه فى معنى الدعاء فهو مثل قولهم خير بين يديك و لما كان فى معنى المنصوب أستجير فيه الابتداء بالنكرة فمن ذلك قوله قال سِلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَعْفِرُ لَكَ رَبِّى وَقَالَ وَالْمَلَأِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بابٍ سِلامٌ عَلَيْكُمْ وَقَالَ سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فى الْعَالَمِينَ سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَ سَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى وَقَدْ جَاءَ بِالْألفِ وَ اللامِ قال سبحانه وَ السَلامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى وَ السَلامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَ زعم أبو الحسن أن فى العرب من يقول سلام عليكم و منهم من يقول السلام عليكم فالذين ألقوا الألف و اللام حملوه على المعهود و الذين لم يلحقوه حملوه على غير المعهود و زعم أن منهم من يقول سلام عليكم فلا- ينون و حمل ذلك على وجهين (أحدهما) أنه حذف الزيادة من الكلمة كما يحذف الأصل من نحو قولك لم يك و لا- أدر و يوم يأت (و الآخر) أنه لما كثر استعمال هذه الكلمة و فيه الألف و اللام حذف منه لكثرة الاستعمال كما حذف من اللهم فقالوا:

لا هم إن عامر الفجور قد حبس الخيل على يعمور

و أما من قال سلم فإن سلما يحتمل أمرين (أحدهما) أن يكون بمعنى سلام فيكون المعنى أمرنا سلم أو سلم عليكم و يكون سلم فى الآية بمعنى سلام كقولهم حل و حلال و حرم و حرام فيكون على هذا قراءة من قرأ «سَلاماً» و سلم بمعنى واحد و إن اختلف اللفظان (و الآخر) أن يكون سلم خلاف العدو و الحرب لأنهم لما كفوا عن تناول ما قدمه إليهم فنكرهم و أوجس الخيفة منهم قال أنا سلم و لست بحرب و لا

عدو فلا تمتنعوا من تناول طعامي كما يمتنع من تناول طعام العدو و من قرأ و من وراء إسحاق يعقوب بالرفع كان رفعه بالابتداء أو بالظرف في قول من رفع به و من فتح فقال يعقوب احتمل ثلاثه أضرب (أحدها) أن يكون يعقوب في موضع جر أي فبشرناها بإسحاق و يعقوب قال أبو الحسن و هذا أقوى لأنها بشرت بهما قال و في أعمالها ضعف لأنك فصلت بين الجار و المجرور بالظرف (و الآخر) أن تحمله على موضع الجار و المجرور كقوله:

إذا ما تلاقينا من اليوم أو غدا

و كقراءه من قرأ و حورا عينا بعد يطاق عليهم بكذا و مثله:

(و لسنا بالجبال و لا الحديد)

(و الثالث) أن يحمل على فعل مضمرة كأنه قال فبشرناها بإسحاق و وهبنا له يعقوب فأما الأول فقد نص على سبويه على فتح مثله نحو مررت بزيد أول من أمس و أمس عمرو و كذلك قال أبو الحسن لو قلت مررت بزيد اليوم و أمس عمرو لم يحسن و أما الحمل على الموضع على حد مررت بزيد و عمرو فالفعل فيه أيضا قبيح كما قبح الحمل على الجر و ذلك أن الفعل يصل بحرف العطف و حرف العطف هو الذي يشرك في الفعل و به يصل الفعل إلى المفعول به كما يصل بحرف الجر و لو قال مررت بزيد قائما بجعل الحال من المجرور لم يجز التقديم عند سبويه لأن الجار هو الموصول للفعل فكما قبح التقديم عنده لضعف الجار العامل كذلك الحرف العاطف مثل الجار في أنه يشرك في الفعل كما يوصل الجار الفعل و ليس نفس الفعل العامل في الموضعين جميعا و إذا كان كذلك قبح الفصل بالظرف في العطف على الموضع و قبح أيضا الفصل في الرفع و النصب كما قبح في الجر لأن العاطف فيهما مثله في الجار و ليس العامل في نفس الرفع و النصب كما أن العامل فيما بعد حرف العطف ليس الجار إنما يشركه فيه العاطف و قد جاء ذلك في الشعر قال الأعشى:

يوما تراها كشه أرديه الخمس و يوما أديمها نفلا

ففصل بالظرف بين المشترك في النصب و ما أشركه فيه فإذا قبح الفصل في الحمل على الموضع كما قبح الفصل في الحمل على الجار فينبغي أن يحمل قراءه من قرأ «يَعْقُوبُ» بالنصب على فعل آخر مضمرة يدل عليه بشرنا كما تقدم و لا يحمل على الوجهين الآخرين و أما الرفع في قوله شيخ ففيه وجوه (أحدها) أن يكون بعلى خبر المبتدأ و شيخ بدل من بعلى فيكون كأنه قال هذا شيخ (و الآخر) أن يكون شيخ خبر مبتدأ محذوف و يكون هذا بعلى كلاما تاما يحسن الوقف عليه (و الثالث) أن يكون بعلى بدلا من هذا و هذا و شيخ هو الخبر فيكون تقديره

بعلى شيخ (و الرابع) أن يكون بعلى و شيخ جميعا خيرا عن هذا كقولك هذا حلو حامض أى قد جمع الحلاوه و الحموضه فكذلك هاهنا تقديره هذا جمع البعوله و الشيخوخه قال ابن جنى و هنا وجه خامس لكنه على قياس مذهب الكسائى و ذلك أنه يعتقد فى خير المبتدأ أبدا أن فيه ضميرا و إن لم يكن مشتقا من الفعل نحو زيد أخوك و هو يريد النسب فإذا كان كذلك فقياس مذهبه أن يكون شيخ بدلا من الضمير فى بعلى لأنه خبر عن هذا

اللغه

العجل ولد البقره و العجول لغه فيه و جمعه العجاجيل و سمي بذلك لتعجيل أمره بقرب ميلاده و الحنيذ المشوى و هو المحنون فعيل بمعنى مفعول يقال حنذه يحنذه حنذا قال العجاج:

" و رهبا من حنذه أن تهرجا "

يعنى الحمر الوحشيه قال الزجاج الحنيذ المشوى بالحجاره و قيل الحنيذ المشوى حتى يقطر و العرب تقول احند هذه الفرس أى اجعل عليه الحبل حتى يقطر عرقا و قيل الحنيذ المشوى فقط و قيل هو السميظ و يقال نكرته و أنكرته بمعنى واحد و نكرته أشد مبالغه و هى لغه هذيل و الحجاز و أنكرته لغه تميم قال الأعشى و جمع بين اللغتين:

و أنكرتنى و ما كان الذى نكرت من الحوادث إلا الشيب و الصلعا

و قال أبو ذؤيب:

فنكرنه فنفرن فامترست به هو جاء هاديه و هاد جرشع

و الإيجاس الإحساس و أوجس و توجس أى أحس قال ذو الرمه:

و قد توجس ركزا مغفر ندس بنبأه الصوت ما فى سمعه كذب

و يقال أوجس خوفا أى أضممر و البعل الزوج و أصله القائم بالأمر يقولون للنخل الذى يستغنى بماء السماء عن سقى الأنهار و العيون بعل لأنه قائم بالأمر فى استغنائه عن تكلف السقى له و منه قيل للرب و الصاحب بعل و العجب يجرى على المصدر و على المتعجب منه تقول هذا أمر عجب و لا يجوز العجب من أمر الله تعالى لأنه يجب أن يعلم أنه قادر على كل

شىء من الأجناس لا يعجزه شىء و ما عرف سببه لا يتعجب منه و المجيد الكريم يقال مجد الرجل يمجد مجاده إذا كرم قال الشاعر:

رفعت مجد تميم يا هلال لها رفع الطرف على العليا بالعمد

و الروع الإفزاز يقال راعه يروعه إذا أفزعه قال عنتره:

ما راعنى إلا حموله أهلها وسط الديار تسف حب الخمخم

و ارتاع ارتياعا إذا خاف و الروع بضم الراء النفس يقال ألقى فى روعى أى فى نفسى و سميت بذلك لأنها موضع الروع و الرد و الدفع واحد و نقيضه الأخذ و الفرق بين الرد و الدفع إن الدفع قد يكون إلى جهة القدم و الخلف و الرد لا يكون إلا إلى جهة الخلف

الإعراب

«فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ» أى ما أقام حتى جاء بعجل و «أَنْ جَاءَ» فى موضع نصب بوقوع لبث عليه كأنه قال فما أبطأ عن مجيئه بعجل فلما حذف حرف الجر وصل الفعل و قال الفراء و يحتمل أن يكون موضعه رفعا بأن نجعل أن جاء فاعل لبث فكأنك قلت فما لبث مجيئه بعجل و ألف يا ويلتى يحتمل أن يكون ألف ندبه و يحتمل أن يكون ياء الإضافة فانقلبت ألفا و معناه الإيذان بورود الأمر العظيم كما تقول العرب يا للدواهى أى تعالى فإنه من أحيانك لحضور ما حضر من إشكالك و يجوز الوقف عليه بغير هاء و الاختيار فى الكلام أن يوقف عليه بالهاء يا ويلتاه قال الزجاج أما المصحف فلا يخالف و لا يوقف عليه فإن اضطر واقف إلى أن يقف وقف عليه بغير هاء بالاختيار و أما الهمزتان فى قوله «أَأَلِّمُ» ففيه ثلاثه أوجه إن شئت خففت الأولى و حققت الثانية فقلت يا ويلتى ألد و إن شئت حققت الأولى و خففت الثانية و هو الاختيار فقلت يا ويلتى أ ألد و إن شئت حققتهما جميعا فقلت أ ألد و شيئا منصوب على الحال قال الزجاج الحال هاهنا نصبها من لطيف النحو و ذلك أنك إذا قلت هذا زيد قائما فإن كنت تقصد أن تخبر من لا يعرف زيدا أنه زيد لم يجز أن تقول هذا زيد قائما لأنه يكون زيدا ما دام قائما فإذا زال عن القيام فليس بزيد و إنما تقول للذى يعرف زيدا هذا زيد قائما فيعمل فى الحال التنبيه و المعنى انتبه لزيد فى حال قيامه أو أشير لك إلى زيد فى حال قيامه لأن هذا إشاره إلى ما حضر و قال غيره إن شئت جعلت العامل فيه معنى التنبيه و إن شئت جعلت العامل فيه معنى الإشاره و إن شئت عملت فيه مجموعهما و كذا ما جرى مجراه

تقول هذا زيد مقبلا- ولا- يجوز مقبلا- هذا زيد لأن العامل ليس بفعل محض فإن قلت ها مقبلا ذا زيد و جعلت العامل معنى الإشارة لم يجز و إن جعلت العامل معنى التنبية جاز. يجادلنا فى موضع نصب لأنه حكاية حال قد مضت و إلا فالجيد أن تقول لما قام قمت و يضعف أن تقول لما قام أقوم و على هذا فيكون جواب لما محذوفا لدلاله الكلام عليه و يكون تقديره قلنا إن إبراهيم لحليم أو نادينه يا إبراهيم أعرض عن هذا و يجوز أن يكون تقديره أخذ يجادلنا و أقبل يجادلنا و يجوز أن يكون لما كان شرطا للماضى وقع المستقبل فيه فى معنى الماضى كما إن أن لما كان شرطا للمستقبل وقع الماضى فيه فى معنى المستقبل

المعنى

ثم ذكر سبحانه قصه إبراهيم و لوط فقال سبحانه «وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا» يعنى الملائكة و إنما دخلت اللام لتأكيد الخبر و معنى قد هاهنا أن السامع لقصص الأنبياء يتوقع قصه بعد قصه و قد للتوقع فجاءت لتؤذن أن السامع فى حال توقع و اختلف فى عدد الرسل فقيل كانوا ثلاثة جبرائيل و ميكائيل و إسرافيل عن ابن عباس و قيل كانوا أربعة

عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال و الرابع اسمه كرويل

و قيل كانوا تسعة عن الضحاك و قيل أحد عشر عن السدى و كانوا على صور الغلمان أتوا «إِبْرَاهِيمَ» الخليل (عليه السلام) «بِالبُشْرَى» أى بالبشارة بإسحاق و نبوته و أنه يولد له يعقوب عن الحسن و السدى و الجبائى و

روى عن أبى جعفر (عليه السلام) أن هذه البشارة كانت بإسماعيل (عليه السلام) من هاجر

و قيل البشارة بهلاك قوم لوط «قَالُوا سَلَامًا» هذه حكاية ما قال رسل الله تعالى لإبراهيم (عليه السلام) أى سلمنا سلاما بمعنى الدعاء له و قيل معناه أصبت سلاما إذا أعطاك الله سلاما أى سلامه كما يقال أهلا و مرحبا و كان تحية من الملائكة لإبراهيم (عليه السلام) ف «قال» إبراهيم مجيبا لهم «سَلَامٌ» و قد مر تفسيره «فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ» أى لم يتوقف حتى جاءهم على عادته فى إكرام الأضياف و تقديم الطعام إليهم بعجل مشوى لأنه توهم أنهم أضياف لكونهم على صوره البشر و كان إبراهيم يحب الضيفان فجاءوه على أحسن الوجوه إليه و صار لذلك من السنه أن يعجل للضيف الطعام و قيل إن معنى حنيذ نضيج بالحجارة المحماه فى خد من الأرض عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و قيل إن الحنيذ ما حفرت له فى الأرض ثم غمته و هو فعل أهل البادية عن الفراء و قيل حنيذ مشوى يقطر ماؤه عن ابن عطية «فَلَمَّا رَأَى» إبراهيم «أَيْدِيَهُمْ» يعنى أيدي الملائكة «لَا تَصِلُ إِلَيْهِ» أى إلى العجل «نَكَرَهُمْ» أى أنكرهم «وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً» أى أضمر منهم خوفا و اختلف فى سبب الخوف فقيل إنه لما رآهم شبانا أقوياء و كان ينزل طرفا من البلد و كانوا يمتنعون من تناول طعامه لم يأمن أن يكون ذلك لبلاء و ذلك أن أهل ذلك الزمان إذا أكل بعضهم طعام بعض

أمنه صاحب الطعام على نفسه و ماله و لهذا يقال تحرم فلان بطعامنا أى أثبت الحرمة بيننا بأكله الطعام و قيل إنه ظنهم لصوصا يريدون به سوء أو قيل إنه ظن أنهم ليسوا من البشر و أنهم جاءوا لأمر عظيم و قيل علم أنهم ملائكة فخاف أن يكون قومه المقصودين بالعذاب حتى «قالوا» له «لا تخف» يا إبراهيم «إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ» بالعذاب و الإهلاك لا إلى قومك و قيل إنهم دعوا الله فأحيا العجل الذى كان ذبحه إبراهيم و شواه فطفر و رعى فعلم حينئذ أنهم رسل الله «وَ امْرَأَتُهُ» ساره بنت هاران بن ياحور بن ساروع بن أرعوى بن فالغ و هى ابنة عم إبراهيم «قَائِمَةٌ» من وراء الستر تسمع كلام الرسل و كلام إبراهيم عن وهب و قيل إنها كانت بنت خالته و قيل كانت قائمه تخدم الرسل و إبراهيم جالس معهم عن مجاهد و قيل كانت قائمه تصلى و كان إبراهيم جالسا و فى قراءه ابن مسعود و امرأته قائمه و هو جالس «فَضَّحَكَتْ» قيل هو الضحك المعروف الذى يعترى الإنسان للفرح و قد يكون للتعجب فضحكت تعجبا من غفله قوم لوط مع قرب نزول العذاب بهم عن قتاده و قيل تعجبا من امتناعهم عن الأكل و خدمتها إياهم بنفسها و لهذا يقال (و شر الشدائد ما يضحك) و قالت عجبا لأضيافنا نخدمهم بأنفسنا تكرمه لهم و هم لا يتناولون من طعامنا و قيل ضحكت لأنها قالت لإبراهيم اضمم لوطا ابن أختك إليك فإنى أعلم أنه سينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما أتى الأمر على ما توهمت عن الزجاج و

قيل تعجبا و سرورا من البشاره بإسحاق لأنها كانت قد هرمت و هى ابنة ثمان و تسعين سنه أو تسع و تسعين سنه و كان قد شاخ زوجها و كان ابن تسع و تسعين أو مائه سنه و قيل مائه و عشرين سنه و لم يرزق لهما ولد فى حال شبابهما و على هذا فيكون فى الكلام تقديم و تأخير و تقديره فبشرناها بإسحاق و يعقوب فضحكت بعد البشاره و روى ذلك عن أبى جعفر (عليه السلام)

«فَبَشَّرْنَاها بِإِسْحَاقَ» أى بابتن يسمى إسحاق نبيا «وَ مِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ» يعنى و من بعد إسحاق يعقوب و قيل الورا و ولد الولد عن ابن عباس أى فبشرناها بنبى بين نبين و هو إسحاق أبوه نبى و ابنه نبى و قيل إن

ضحكت بمعنى حاضت عن مجاهد و روى عن الصادق (عليه السلام) أيضا

يقال ضحكت الأرنب أى حاضت و الضحك بفتح الضاد الحيض و فى لغة أبى الحرث بن كعب ضحكت النخلة إذا أخرجت الطلع أو البسر و الضحك الطلع و أنشد بعضهم فى الضحك بمعنى الحيض قول الشاعر:

و ضحك الأرنب فوق الصفا كمثل دم الجوف يوم اللقا

قال الفراء و لم أسمع من ثقه و الوجه فيه أن يكون على طريق الكناية قال الكمي:

«قالت» ساره «يا وَيْلَتِي أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ» أى هذا شىء عجيب أن ألد و قد شخت من زوج شيخ و لم تشك فى قدره الله تعالى و لكن إنما قالت ذلك لكونه خارجا عن العاده كما ولى موسى مدبرا حين انقلبت عصاه حيه حتى قيل له أقبل و لا تخف و إلا فهى كانت عارفه بأن الله تعالى يقدر على ذلك و لم ترد بقولها يا ويلتى الدعاء على نفسها بالويل و لكنها كلمه تجرى على أفواه النساء إذا طرأ عليهن ما يتعجبن منه و قيل إنها لم تتعجب من قدره الله و لكنها أرادت أن تعرف هل تتحول شابه أم تلد على تلك الحال و كل ذلك عجب «و هذا بَعْلِي شَيْخًا» أى هذا الذى تعرفونه بعلى و هو شيخ «إِنَّ هَذَا» الذى بشرت به «لَشَيْءٌ عَجِيبٌ قَالُوا» أى قالت الملائكه لها حين تعجبت من أن تلد بعد الكبر «أَتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ» و معنى الاستفهام هاهنا التنبيه و التوقيف أى أتعجبين من أن يفعل الله تعالى ذلك بك و لزوجك «رَحِمْتُ اللَّهَ وَ بَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ» أى ليس هذا موضع تعجب لأن التعجب إنما يكون من الأمر الذى لا يعرف سببه و نعمه الله تعالى و كثره خيراته الناميه الباقيه عليكم و هذا يحتمل أن يكون إخبارا عن ثبوت ذلك لهم و تذكيرا بنعمه الله و بركاته عليهم و يحتمل أن يكون دعاء لهم بالرحمه و البركه من الملائكه فقالوا رحمه الله و بركاته عليكم يا أهل البيت كما يقال أتعجب من كذا بارك الله فيك و يرحمك الله و يعنى بأهل البيت أهل بيت إبراهيم (عليه السلام) و إنما جعلت ساره من أهل بيته لأنها كانت ابنه عمه و لا دلالة فى الآيه على أن زوجه الرجل من أهل بيته على ما قاله الجائى و

روى أن أمير المؤمنين (عليه السلام) مر بقوم فسلم عليهم فقالوا و عليك السلام و رحمه الله و بركاته عليكم أهل البيت و مغفرته و رضوانه فقال (عليه السلام) لهم لا تجاوزوا بنا ما قالت الملائكه لأئينا إبراهيم (عليه السلام) «رَحِمْتُ اللَّهَ وَ بَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ»

«إِنَّهُ حَمِيدٌ» أى محمود على أفعاله و قيل الحميد الذى يحمده عباده على الطاعات «مَجِيدٌ» أى كريم و هو المبتدئ بالعطيه قبل الاستحقاق و قيل معناه واسع القدره و النعمه عن أبى مسلم و روى أن ساره قالت لجبرائيل (عليه السلام) ما آيه ذلك فأخذه بيده عودا يابسافلواه بين أصابعه فاهتز أخضر عن السدى «فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ» أى الخوف و الفرع الذى دخله من الرسل «وَ جَاءَتْهُ الْبَشْرَى» بالولد «يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ» أى يجادل رسلنا و يسائلهم فى قوم

لوط و تلك المجادله أنه قال لهم إن كان فيها خمسون من المؤمنين أ تهلكونهم قالوا لا قال فأربعون قالوا لا فما زال ينقص و يقولون لا حتى قال فواحد قالوا لا فاحتج عليهم بلوط و قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه و أهله عن قتاده و قيل إنه جادلهم و قال بأى شىء استحقوا عذاب الاستئصال و هل ذلك واقع لا محاله أم هو تخويف ليرجعوا إلى الطاعة بأى شىء يهلكون و كيف يجىء الله المؤمنين عن الجبائى و لما سألهم مستقص سمي ذلك السؤال جدالا لأنه خرج الكشف عن شىء غامض «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ» مر معناه فى سورة براءه «مُنِيبٌ» راجع إلى الله تعالى فى جميع أموره متوكل عليه و فى هذا إشاره إلى أن تلك المجادله من إبراهيم (عليه السلام) لم تكن من باب ما يكره لأنه مدحه بالحلم و بأن ذلك كان فى أمر يتعلق بالرحمه و رقه القلب و الرفاهه و ذلك لأنه رأى الخلق الكثير فى النار فتأوه لهم «يا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا» هو حكاية ما قالت الملائكه لإبراهيم (عليه السلام) فإنها نادته بأن قالت يا إبراهيم أعرض عن هذا القول و هذا الجدل فى قوم لوط و انصرف عنه بالذكر و الفكر «إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ» بالعذاب فهو نازل لا محاله «وَإِنَّهُمْ لَأَبْغَاءٌ بِآيَاتِ اللَّهِ الْكُبْرَى وَالَّذِينَ لَأُولَئِكَ لَئِيمٌ فَعَصَوْا وَآمَنُوا فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» يعنى غير مدفوع عنهم أى لا يقدر أحد على رده عنهم.

إشارة

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصَيْبٌ (٧٧) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَعْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (٧٨) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِيبَكَ لِئَ يَصِيبُوا إِلَيْكَ فَاسْرِبِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِئَةٌ بِمَا آصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١)

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (٨٢) مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣)

القراءة

في الشواذ قراءة سعيد بن جبیر والحسن بخلاف وعيسى الثقفي ومحمد بن مروان هن أطهر لكم بالنصب والقراءة المشهورة «أَطْهَرُ» بالرفع وقراءة شيبه أو أوى بالنصب والقراءة العامه بالرفع وقرأ أهل الحجاز فأسر بأهلك و أن أسر موصوله الهمزه و الباقون فأسر و أن أسر بقطع الهمزه العامه حيث كان وقرأ ابن كثير و أبو عمرو إلا امرأتك بالرفع والباقون بالنصب.

الحجج

أما قوله هن أطهر لكم فإن سيويه ضعف هذه القراءة وقال فيها اجتبي ابن مروان في لحنه قال ابن جنى وإنما صح ذلك عنده لأنه ذهب إلى أنه جعل هن فصلاً وليست بين أحد الجزئين اللذين هما مبتدأ وخبر ونحو ذلك نحو ظننت زيدا هو خيراً منك وكان زيد هو العالم ويجوز أن يكون بناتي هن جمله من مبتدأ وخبر في موضع الخبر لهؤلاء كقولك زيد أخوك هو وأن يكون أطهر حالاً من هن أو من بناتي والعامل فيه معنى الإشاره كقولك هذا زيد هو قائماً ومن قرأ أو أوى بالنصب فيكون تقديره لو أن لي بكم قوه أو أويا إلى ركن شديد ويكون منتصباً بإضمار أن وعليه بيت الكتاب:

فلو لا رجال من كرام أعزه و آل سبيع أو أسواك علقما

والتقدير أو أن أسوك فكأنه قال أو إياك مسألتي و من قرأ فأسر بأهلك بإثبات الهمزه في اللفظ أو بغير الهمزه فإن سرى و أسرى معناهما سار ليلاً قال النابغه:

أسرت عليه من الجوزاء ساريه تزجى الشمال عليه جامد البرد

و يروى سرت وقال امرؤ القيس:

سریت بهم حتی تکل مطیهم و حتی الجیاد ما یقذن بأرسان

ص: ۲۷۷

و قال سبحانه «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ» و من قرأ إلا امرأتك نصبا فإنه جعل الكلام قبله مستقلا بنفسه فنصب مع النفي كما ينصب مع الإيجاب و الوجه الأقيس الرفع على البدل من أحد لأن معنى ما أتاني أحد إلا زيد ما أتاني إلا زيد فكما اتفقوا فيما أتاني إلا- زيد على الرفع و كان ما أتاني أحد إلا زيد بمنزلته و بمعناه اختاروا الرفع مع ذكر أحد و مما يقوى ذلك أنهم فى الكلام و أكثر الاستعمال يقولون ما جاءنى إلا امرأه فيذكرون حملا على المعنى و لا يكادون يؤثنون ذلك إلا فى الشعر كما فى قول الشاعر:

(فما بقيت إلا الضلوع الجراشع)

و قول ذى الرمة:

(و ما بقيت إلا النحيه و الألواح و العصب)

و زعموا أن فى حرف عبد الله أو أبى فأسير بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك و ليس فيه و لا يَلْتَفِتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ و هذا يقوى قول من نصب.

اللغة

أصل سى ء بهم سوى ء بهم من السوء فأسكنت الواو و نقلت كسرتها إلى السين و يقال سؤته فسى ء كما يقال شغلته فشغل و سررته فسر و الفرق بين السوء و القبيح أن السوء ما يظهر مكروهه لصاحبه و القبيح ما ليس للقادر عليه أن يفعل و يقال ضاق فلان بأمره ذرعا إذا لم يجد من المكروه فى ذلك الأمر مخلصا و العصيب الشديد فى الشر خاصة و أصله من الشد يقال عصبت الشى ء أى شدته و عصبت فخذ الناقه لتدر و ناقه عسوب و يوم عصيب و عصبب كأنه التف على الناس بالشر أو يكون التف شره بعضه ببعض قال الشاعر:

فإنك إن لم ترض بكر بن وائل يكن لك يوم بالعراق عصيب

و قال عدى بن زيد:

و كنت لزاز خصمك لم أعرد و قد سلوكك فى يوم عصيب

و قال الراجز:

يوم عصيب يعصب الأبطالا عصب القوى السلم الطوالا

و الإهراع الإسراع فى المشى قال مهلهل:

فجاءوا يهرعون و هم أسارى تقودهم على رغم الأنوف

و قال صاحب العين الإهرع السوق الحثيث قال أبو مسلم و القرآن بالسوق أشبه و الركن معتمد البناء بعد الأساس و ركنا الجبل جانباه قال الراجز:

يأوى إلى ركن من الأركان فى عدد طيس و مجديان

و الشده تجمع يصعب معه التفكك و قد تكون الشده تقبضا يعسر معه التحلل و القطع القطعه العظيمه تمضى من الليل و قيل نصف الليل كأنه قطع نصفين و الالتفات افتعال من اللفت و هو اللى يقال لفت فلانا عن رأيه أى صرفته و امرأه لفوت لها ولد من غير زوجها و كأنها تلفت إلى ولدها و

منه الحديث فى صفة النبى ص أنه كان إذا التفت التفت معا

أى كان لا يلوى عنقه يمنه و يسره و السجيل فارسى معرب أى سنك و كل حجاره و طين و قال أبو عبيده هو الحجاره الشديده و أنشد لابن مقبل:

و رجه يضربون البيض ضاحيه ضربا تواصى به الأبطال سجينا

و سجين و سجيل بمعنى واحد و العرب تعاقب بين النون و اللام فقلبت النون هاهنا لاما و قيل إنه مشتق من أسجلته أى أعطيته فتقديره أنها من مثل العطيه فى الإدرار و قيل إنه من السجل و هو الدلو العظيمه فتقديره أنها من مثل السجل فى الإرسال و قيل إنه من أسجلته إذا أرسلته و كأنها مرسله عليهم و قيل إنه من السجل و هو الكتاب فكأنها سجلت لهم و المراد كتب الله عليهم إن عليهم أن يعذبهم بها و المنضود من نضدت الشىء بعضه على بعض و المسومه من السيماء و هى العلامه و منه السائمه و هى المرسله فى المرعى و ذلك أن الإبل السائمه تختلط فى المرعى فيجعل عليها السيماء لتمييزها.

الإعراب

«يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ» فى موضع نصب على الحال من قبل و من بعد مبنيان على الضم فإذا أضيفا أعربا «لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً» جواب لو محذوف بدل الكلام عليه و تقديره لحلت بينهم و بينكم «إِنَّهُ مُصِّبُهَا مَا أَصَابَهُمْ» الهاء فى أنه ضمير الشأن و الحديث و مصيبيها مبتدأ و ما أصابهم موصول و صله فى موضع الرفع بكونه فاعل مصيبيها و قد سد مسد خبر المبتدأ «مِنْ سَجِيلٍ» فى موضع نصب بكونه صفة لحجاره أى كائنه من سجيل مسومه صفة أخرى لحجاره و يجوز أن يكون نصبا على الحال من الضمير المستكن فى منضود.

ثم أخبر سبحانه عن إتيان الملائكة لوطا بعد خروجهم من عند إبراهيم (عليه السلام) و ما جرى بينهم و بين قوم لوط فقال «وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا أَي لَمَا جَاءُوهُ فِي صِفَةِ الْآدَمِيِّينَ «سَيِّءَ بِيهِمْ» أَي سَاءَهُ مَجِيئُهُمْ لِأَنَّهُ خَافَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَوْمِهِ «وَوَضَّاقَ بِهِمْ ذُرْعًا» أَي ضَاقَ بِمَجِيئِهِمْ ذُرْعَهُ أَي قَلْبَهُ لَمَا رَأَى لَهُمْ مِنْ جَمَالِ الصُّورَةِ وَ حَسَنِ الشَّارِهِ وَ قَدْ دَعُوهُ إِلَى الضِّيَافَةِ وَ قَوْمِهِ كَانُوا يَسَارِعُونَ إِلَى أَمْثَالِهِمْ بِالْفَاحِشَةِ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ ضَاقَ بِحِفْظِهِمْ مِنْ قَوْمِهِ ذُرْعَهُ حَيْثُ لَمْ يَجِدْ سَبِيلًا إِلَى حِفْظِهِمْ وَ كَانَ قَدْ عَلِمَ عَادَةَ قَوْمِهِ مِنَ الْمِيلِ إِلَى الذُّكُورِ وَ قَدْ أَتَوْهُ فِي صُورَةِ الْغُلَمَانِ الْمَرْدِ وَ أَصْلُهُ أَنَّ الشَّيْءَ إِذَا ضَاقَ ذُرْعَهُ لَمْ يَتَسَّعْ لَهُ مَا اتَّسَعَ فَاسْتَعَارَ ضَيْقَ الذَّرْعِ عِنْدَ تَعَذُّرِ الْإِمْكَانِ كَمَا اسْتَعَارَ الْإِتْسَاعَ «وَ قَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ» أَي هَائِلٌ شَدِيدٌ كَثِيرُ الشَّرِّ التَّفِ الشَّرِّ فِيهِ بِالشَّرِّ وَ إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُمْ رَسُلُ اللَّهِ وَ خَافَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَوْمِهِ أَنْ يَفْضَحُوهُمْ وَ

قال الصادق (عليه السلام) جاءت الملائكة لوطا و هي في زراعه قرب القرية فسلموا عليه و رأى هيئته حسنه عليهم ثياب بيض و عمائم بيض فقال لهم المنزل فتقدمهم و مشوا خلفه فقال في نفسه أى شىء صنع آتى بهم قومي و أنا أعرفهم فالتفت إليهم فقال إنكم لتأتون شرارا من خلق الله و كان قد قال الله لجبرائيل لا تهلكهم حتى يشهد عليهم ثلاث مرات فقال جبرائيل (عليه السلام) هذه اثنتان ثم مشى فلما بلغ باب المدينة التفت إليهم فقال إنكم لتأتون شرارا من خلق الله فقال جبرائيل هذه الثالثة ثم دخل و دخلوا معه حتى منزله فلما رأتهم امرأته رأته هيئته حسنه فصعدت فوق السطح فصفقت فلم يسمعوا فدخنت فلما رأوا الدخان أقبلوا يهرعون

فذلك قوله «وَ جَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ» أَي يَسْرِعُونَ فِي الْمَشْيِ لَطَلْبِ الْفَاحِشَةِ عَنِ قِتَادِهِ وَ مَجَاهِدِ وَ السَّدْيِ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ يَسَاقُونَ وَ لَيْسَ هُنَاكَ سَائِقٌ غَيْرُهُمْ فَكَانَ بَعْضُهُمْ يَسُوقُ بَعْضًا عَنِ أَبِي مُسْلِمٍ وَ الْهَاءُ فِي إِلَيْهِ كُنَايَةٌ عَنِ لُوطٍ «وَ مِنْ قَبْلُ» أَي وَ مِنْ قَبْلِ إِيْتِيَانِ الْمَلَائِكَةِ وَ قِيلَ وَ مِنْ قَبْلِ مَجِيئِهِمْ لُوطًا إِلَى ضِيْفَانِهِ وَ قِيلَ مِنْ قَبْلِ مَجِيئِهِمْ إِلَى دَارِهِ عَنِ الْجَبَائِثِ وَ قِيلَ إِنَّهُ مِنْ قَبْلِ بَعْثِهِ لُوطًا إِلَيْهِمْ «كَأَنَّا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ» أَي يَعْمَلُونَ الْفَوَاحِشَ مَعَ الذُّكُورِ «قَالَ» لُوطٌ «يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطَهَرُ لَكُمْ» مَعْنَاهُ أَنَّ لُوطًا لَمَّا هَمَّ بِأَضْيَافِهِ وَ جَاهَرُوا بِذَلِكَ فَأَلْقُوا جِلْبَابَ الْحِيَاءِ فِيهِ عَرَضَ عَلَيْهِمْ نِكَاحَ بَنَاتِهِ وَ قَالَ هُنَّ أَحْلَى لَكُمْ مِنَ الرِّجَالِ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْحَلَالِ وَ اخْتَلَفَ فِي ذَلِكَ فَقِيلَ أَرَادَ بَنَاتَهُ لِصَلْبِهِ عَنِ قِتَادِهِ وَ قِيلَ أَرَادَ النِّسَاءَ مِنْ أُمَّتِهِ لِأَنَّهُنَّ كَالْبَنَاتِ لَهُ فَإِنَّ كُلَّ نَبِيٍّ أَبُو أُمَّتِهِ وَ أَزْوَاجَهُ أُمَّهَاتُهُمْ عَنِ مَجَاهِدٍ وَ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ وَ اخْتَلَفَ أَيْضًا فِي

كيفية عرضهن فقيل بالتزويج و كان يجوز في شرعه تزويج المؤمنه من الكافر و كذا كان يجوز أيضا في مبتدأ الإسلام و قد زوج النبي ص بنته من أبي العاص بن الربيع قبل أن يسلم ثم نسخ ذلك و قيل أراد التزويج بشرط الإيمان عن الزجاج و كانوا يخطبون بناته فلا يزوجهن منهم لكفرهم و قيل إنهم كان لهم سيدان مطاعان فيهم فأراد أن يزوجهما بنتيه زعوراء و رتباء «فَاتَّقُوا اللَّهَ» أى فاتقوا عقاب الله فى مواقعه المذكور «وَلَا تُخْزُونَ فِي ضَيْفِي» أى لا تلزمونى عارا و لا تلحقوا بى فضيحه و لا تخجلونى بالهجوم على أضيافى فإن الضيف إذا نزل به معره لحق عارها للمضيف «أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ» أى أليس فى جملتكم رجل قد أصاب الرشد فيعمل بالمعروف و ينهى عن المنكر و يزجر هؤلاء عن قبيح فعلهم و يجوز أن يكون رشيد بمعنى مرشد أى يرشدكم إلى الحق «قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكُمْ مِنْ حَقٍّ» هذا جواب قوم لوط حين عرض عليهم بناته و دعاهم إلى النكاح المباح أى ما لنا فى بناتك من حابه لأن ما لا يكون للإنسان فيه حابه فإنه يرغب عنه كما يرغب عما لا حق له فيه فلذلك قالوا من حق و قيل معناه ما لنا فيهن من حق لأننا لا نتزوجهن و كانوا يقرون بأن من لم يتزوج بامرأه فإنه لا حق له فيها عن الجبائى و ابن إسحاق فالقول الأول محمول على المعنى و القول الثانى على ظاهر اللفظ «وَأَنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ» أى تعلم ميلنا إلى الغلمان دون النساء فلما لم يقبلوا الموعظه تأسف لوط على فقد تمكنه من دفاعهم بأن «قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً» أى منعه و قدره و جماعه أتقوى بها عليكم فأدفعكم عن أضيافى «أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ» أو أنضم إلى عشيره منيعه تنصرنى و شيعة تمنعنى لدفعتمكم و لكن لا يمكننى أن أفعل ذلك

قال الصادق (عليه السلام) فقال جبرائيل لو يعلم أى قوه له قال فكابروه حتى دخلوا البيت فصاح به جبرائيل أن يا لوط دعهم يدخلوا فلما دخلوا أهوى جبرائيل بإصبعه نحوهم فذهبت أعينهم و هو قوله فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ

قال قتاده ذكر لنا أن الله تعالى لم يبعث نبيا بعد لوط إلا فى عز من عشيرته و منعه من قومه و

روى عن النبى ص أنه قال رحم الله أخى لوطا كان يأوى إلى ركن شديد و هو معونه الله تعالى

و لما رأت الملائكة ما لقيه لوط من قومه «قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ» أرسلنا لهلا- كههم فلا- تغتم «لَنْ يَصْتُمُوا إِلَيْكَ» أى لا ينالونك بسوء أبدا «فَأَشِيرُ بِأَهْلِكَ» أى سر بأهلك ليلا و قال السدى لم يؤمن بلوط إلا ابتاه «بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ» أى فى ظلمه الليل عن ابن عباس و قيل بعد طائفه من الليل عن قتاده و قيل فى نصف من الليل عن الجبائى «وَلَا يَلْتَفَتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ» قيل فى معناه وجوه (أحدها) لا ينظر أحد منكم وراءه عن مجاهد كأنهم تعبدوا بذلك للنجاه بالطاعة فى هذه العباده (و الثانى) لا يلتفت أحد منكم إلى ماله و لا متاعه بالمدينه و ليس معنى يلتفت من الرؤيه عن الجبائى كأنه أراد فى أن النظر إليهم عبره

فلم ينهوا عنها (و الثالث) أن معناه و لا يتخلف منكم أحد عن ابن عباس (و الرابع) أنه أمرهم أن لا يلتفتوا إذا سمعوا الوجهه و الهده «إِلَّا أَمْرًا تَكَّ» و قيل إنها التفتت حين سمعت الوجهه فقالت يا قوماه فأصابها حجر فقتلها و قيل إلا امرأتك معناه لا تسر بها «إِنَّهُ مُصَّيَّبٌ مَا أَصَابَهُمْ» أى يصيبها من العذاب ما أصابهم أمره أن يخلفها فى المدينه «إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ» لما أخبر الملائكه لوطا بأنهم يهلكون قوم لوط قال لهم أهلكوهم الساعه لضيق صدورهم بهم و شده غيظه عليهم فقالوا إن موعد إهلاكهم الصبح لم يجعل الصبح ظرفا و جعله خبر إن لأن الموعد هو الصبح و إنما قالوا له «أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ» تسليه له و قيل إنه إنما قال لهم أهلكوهم. ذلك و فى هذا دلالة على أن الله سبحانه إنما يهلك من يهلكه عند انقضاء مدته و إن ضاق صدر الغير به و يجوز أن يكون قد جعل الصبح ميقات إهلاكهم لأن النفوس فيه أودع و الناس فيه أجمع «فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا» فيه أقوال (أحدها) جاء أمرنا الملائكه بإهلاك قوم لوط (و الثانى) جاء العذاب كأنه قيل كن على التعظيم على طريق المجاز كما قال الشاعر:

فقلت له العينان سمعا و طاعه و حدرنا كالدر لما يثقب

و على هذا فالأمر هو نفس العذاب (و الثالث) جاء أمرنا بالعذاب «جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا» أى قلبنا القرية أسفلها أعلاها فإن الله تعالى أمر جبرائيل (عليه السلام) فأدخل جناحه تحت الأرض فرفعها حتى سمع أهل السماء صياح الديكه و نباح الكلاب ثم قلبها ثم خسف بهم الأرض فهم يتجلبلون فيها إلى يوم القيامة فعلى هذا يكون معنى جعلنا جعل بأمرنا و إنما أضافه إلى نفسه لأنه أمره به «وَ أَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً» أى و أمطرنا على القرية أى على الغائبين منها حجاره عن الجبائى و قيل أمطرت الحجاره على تلك القرية حين رفعها جبرائيل و قيل إنما أمطرت عليهم الحجاره بعد أن قلبت قريتهم تغليظا للعقوبه و قيل كانت أربع مدائن و هى المؤتفكات سدوم و عاموراء و دوما و صبوايم و أعظمها سدوم و كان لوط يسكنها قال أبو عبيده يقال مطر فى الرحمه و أمطر فى العذاب «مِنْ سَجِيلٍ» أى سنك كل عن ابن عباس و سعيد بن جبير بين بذلك صلابتها و مباينتها للبرد و أنها ليست من جنس ما جرت به عادتهم فى سقوط البرد من الغيوم و قيل إن السجيل الطين عن قتاده و عكرمه و يؤيده قوله لُنزِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةٌ مِنْ طِينٍ و روى عن عكرمه أيضا أنه بحر معلق فى الهواء بين الأرض و السماء

منه أنزلت الحجارة وقال الضحاك هو الآجر وقال الفراء هو طين قد طبخ حتى صار بمنزله الأرحاء وقال كان أصل الحجارة طينا فشدت عن الحسن وقيل إن السجيل سماء الدنيا عن ابن زيد فكانت تلك الحجارة منزله من السماء الدنيا «مَنْصُودٍ» هو من صفه سجيل أى نضد بعضها على بعض حتى حجرا عن الربيع وقيل مصفوف فى تتابع أى كان بعضها فى جنب بعض عن قتاده وقيل يتبع بعضها بعضا عن ابن عباس «مُسَوَّمَةٌ» هى من صفه الحجارة أى معلمه جعل فيها علامات تدل على أنها معده للعذاب وقيل مطوقه بها نضخ من حمرة عن قتاده وعكرمه وقيل كان مكتوبا على كل حجره منها اسم صاحبها عن الربيع وقيل عليها سيماء لا تشاكل حجاره الأرض عن ابن جريج وقيل مختومه عن الحسن والسدى وقيل مشهوره «عِنْدَ رَبِّكَ» أى فى علم ربك وقيل فى خزائن ربك التى لا يملكها غيره ولا يتصرف فيها أحد إلا بأمره «وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ» أى و ما تلك الحجارة من الظالمين من أمتك يا محمد ببعيد أراد بذلك إرهاب قريش وقال قتاده ما أجاز الله منها ظالما بعد قوم لوط فاتقوا الله و كونوا منه على حذر وقيل يعنى بذلك قوم لوط يريد أنها لم تكن تخطئهم و ذكر أن حجرا بقى معلقا بين السماء والأرض أربعين يوما يتوقع به رجلا من قوم لوط كان فى الحرم حتى خرج منه فأصابه قال قتاده و كانوا أربعة آلاف ألف.

إشاره

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ (٨٤) وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٥) بَقِيَتْ لِلَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (٨٦) قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصِلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٧) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيْنِهِ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسِينًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفُكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَاطُمْ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتِطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨)

وَإِلَىٰ قَوْمٍ لَا يَجْرِمُكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصَِّبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (٨٩) وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ (٩٠) قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَا رَهْطًاكَ لَرَجْمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (٩١) قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُّحِيطٌ (٩٢) وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (٩٣)

وَ لَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَ أَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصَابَهُمْ فِي دِيَارِهِمْ جاثمين (٩٤) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ (٩٥)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير أبي بكر «أ صلاتُكَ» بغير واو على التوحيد و الباقون

أصلواتك بالواو على الجمع و في الشواذ قراءه السلمى بعدت ثمود بضم العين.

الحج

أما بعد فيكون في الخير و الشر و مصدره البعد و بعد في الشر خاصة و مصدره البعد و منه أبعده الله فإنه منقول من بعد لأنه دعاء عليه و قراءه السلمى متفقه الفعل مع مصدره و إنما السؤال عن قراءه الجماعه ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود و طريق ذلك أن يكون البعد بمعنى اللعنه فيكون أبعده الله بمعنى لعنه الله و منه قوله:

ذعرت به القطا و نفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين

أى المبعد فالإبعاد للشئ ء نقص له فقد التقى معنى بعد معنى بعد من هنا.

اللغه

الوزن تعديل الشئ ء بغيره فى الخفه و الثقل بآله التعديل و إذا قيل شعر موزون فمعناه معدل بالعروض و التوفيق من الصواب إلا أنه اختص بهذا الاسم ما اتفق وقوع الصواب عنده و ليس ذلك جنسا بعينه و إنما هو بحسب ما يعلم الله تعالى و إنما لم يكن الموفق للطاعه إلا- الله تعالى لأن أحدا لا- يعلم ما يتفق عنده الطاعه من غير تعليم سواه سبحانه و الشقاق و المشاقه المباعده بالعداوه إلى جانب المباينه و شقها و الفقه فهم الكلام على ما تضمنه من المعنى و قد صار علما لضرب من علوم الدين و هو علم بمدلول الدلائل السمعيه و أصول الدين علم بمدلول الدلائل العقليه و الرهط عشيره الرجل و قومه و أصله الشد و الترهيط شده الأكل و منه الرهطاء جحر اليربوع لشده و توسيعه لينجى فيه ولده و الرجم الرمى بالحجاره و الأعز الأقوى الأمتع و الأعز نقيض الأذل و الظهري جعل الشئ ء وراء الظهر حتى ينساه و يقال لكل من لا يعبأ بأمر قد جعل فلان هذا الأمر بظهر قال:

تميم بن قيس لا تكونن حاجتى بظهر فلا يعيا على جوابها

. الإعراب

«أَوْ أَنْ نَفْعِلَ» موضع أن نصب على معنى أو تأمر ك أن نترك أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء فهو معطوف على ما يعبد آباؤنا و التقدير أ صلواتك تأمر ك أن نترك عباده آباؤنا أو نفعل ما نشاء فى أموالنا و لا يجوز أن يكون قوله «أَنْ نَفْعِلَ» معطوفا على قوله «أَنْ نَتْرُكَ» لأن المعنى يصير فاسدا و أو هنا بمنزلتها فى قولك جالس الحسن أو ابن سيرين و قوله إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا و لم يقل به و موضع من فى قوله «مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَ مَنْ هُوَ كَاذِبٌ» له

ص: ٢٨٥

وجهان من الإعراب (أحدهما) أن يكون معلقا بقوله تَعْلَمُونَ فيكون استفهاما و تقديره فسوف تعلمون من المخزى و من الكاذب و يجوز أن يكون من هو كاذب على هذا بمعنى الذى هو كاذب و يكون معطوفا على الهاء من يخزيه أى و يخزى الذى هو كاذب (و الثانى) أن يكون من فى قوله «مَنْ يَأْتِيهِ» بمعنى الذى و يكون من هو كاذب عطفا عليه و ادخلوا هو فى قوله «مَنْ هُوَ كاذِبٌ» لأنهم لا- يقولون من قائم و لا من قاعد و إنما يقولون من قام و من يقوم و من القائم و من القاعد و قد ورد ذلك فى الشعر قال الشاعر:

من شارب مريح بالكأس نادمنى لا بالحصور و لا فيها بسوار

«كَأَنَّ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا» يحتمل أن يكون كان مخففة من الثقيله أن يضمم فيها كما يضمم فى أن من قوله وَ آخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ و يجوز أن يكون أن التى تنصب الفعل و يكون مع الفعل بمعنى المصدر.

المعنى

ثم عطف سبحانه قصه شعيب على ما تقدمها من قصص الأنبياء (عليه السلام) فقال «وَ إِلَى مَدْيَنَ» أى و أرسلنا إلى أهل مدين «أَخَاهُمْ شُعَيْبًا» فحذف أهل و أقام مدين مقامه و مدين اسم القبيله أو المدينة التى كانوا فيها فلذلك لم ينصرف عن الزجاج و قيل مدين بن إبراهيم نسبوا إليه «قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ» قد سبق تفسيره «وَ لَا تَتَّقُوا الْمِكْيَالَ وَ الْمِيزَانَ» أى و لا- تنقصوا حقوق الناس بالتطفيف عند الكيل و الوزن «إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ» أى برخص السعر و الخصب عن ابن عباس و الحسن و المعنى أنه حذرهم الغلاء و هو زيادة السعر و زوال النعمة و حلول النقمه إن لم يتوبوا و قيل أراد بالخير المال و زينه الدنيا عن قتاده و ابن زيد و الضحاك و المعنى إنى أراكم فى كثره الأموال و سعه الأرزاق فلا حاجه بكم إلى نقصان الكيل و الوزن «وَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ» وصف اليوم بالإحاطه بمعنى أنه يحيط عذابه بجميع الكفار و لا يفلت منه أحد منهم و أراد يوم القيامة عن الجبائى و هو من صفه العذاب على الحقيقه لأن اليوم محيط بعذابه بدلا من إحاطته بنعمته و ذلك أظهر فى الوصف و أهول فى النفس «وَ يَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَ الْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ» أى أوفوا حقوق الناس فى المكيلايت و الموزونات بالمكيال و الميزان بالعدل «وَ لَا تَبْخَسُوا النَّاسَ» أى و لا تنقصوا الناس «أَشْيَاءَهُمْ» أى أموالهم فى معاملاتهم «وَ لَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ» أى و لا تسعوا بالفساد و لا تضربوا فى الأرض «بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ

مُؤْمِنِينَ» البقيه بمعنى الباقي أى ما أبقي الله تعالى لكم من الحلال بعد إتمام الكيل و الوزن خير من البخس و التطفيف و شرط الإيمان فى كونه خيرا لهم لأنهم إن كانوا مؤمنين بالله عرفوا صحه هذا القول عن ابن عباس و قيل معناه إبقاء الله النعيم عليكم خيرا لكم مما يحصل من النفع بالتطفيف عن ابن جبير و قيل معناه طاعه الله خير لكم من جميع الدنيا لأنها يبقى ثوابها أبدا و الدنيا تفنى عن الحسن و مجاهد و يؤيده قوله وَ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا الْآيَهُ و قيل بقيه الله رزق الله عن الثورى «وَ مَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ» أى و ما أنا بحافظ نعم الله تعالى عليكم أن يزيلها عنكم و إنما يحفظها الله عليكم فاطلبوا بقاء نعمه بطاعته و قيل معناه و ما أنا بحافظ لأعمالكم و إنما يحفظها الله فيجازيكم عليها و قيل معناه و ما أنا بحافظ عليكم كيحكم و وزنكم حتى توفوا الناس حقوقهم و لا تظلموهم و إنما على أن أنهاكم عنه «قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا» إنما قالوا ذلك لأن شعيبا (عليه السلام) كان كثير الصلاة و كان يقول إذا صلى إن الصلاة رادعه عن الشر ناهيه عن الفحشاء و المنكر فقالوا أ صلاتك التى تزعم أنها تأمر بالخير و تنهى عن الشر أمرتك بهذا عن ابن عباس و قيل معناه أ دينك يأمرك بترك دين السلف عن الحسن و عطا و أبى مسلم قالوا كنى عن الدين بالصلاه لأنها من أجل أمور الدين و إنما قالوا ذلك على وجه الاستهزاء «أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ» معناه أ صلاتك تأمرك بترك عبادته ما يعبد آباؤنا أو بترك فعل ما نشاء فى أموالنا من البخس و التطفيف «إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ» قيل إنهم قالوا ذلك على وجه الهزاء و التهكم و أرادوا به ضد ذلك أى السفیه الغاوى عن ابن عباس و قيل إنهم قالوا ذلك على التحقيق أى إنك أنت الحليم فى قومك فلا يليق بك أن تخالفهم و الحليم الذى لا يعاجل بالعقوبه مستحقها و الرشيد المرشد «قَالَ» شعيب «يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنِهِ مِنْ رَبِّي» مر تفسيره «وَ رَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسِينًا» قيل إن الرزق الحسن هاهنا النبوه و قيل معناه هداىى لدينه و وسع على رزقه و كان كثير المال عن الحسن و قيل كل نعمه من الله سبحانه فهو رزق حسن و فى الكلام حذف أى أ فأعدل مع ذلك عما أنا عليه من عبادته و إنما حذف للدلاله ما أبقاه على ما ألقاه «وَ مَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ» أى لست أنهاكم عن شىء و أدخل فيه و إنما أختار لكم ما أختاره لنفسى و معنى ما أخالفكم إليه أى ما أقصده بخلافكم إلى ارتكابه عن الزجاج و هذا فى معنى قول الشاعر:

لا تنه عن خلق و تأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم.

و قيل معناه و ما أريد اجترار منفعه إلى نفسى بما أنهاكم عنه أى لا آمركم بترك التطفيف فى الكيل و الوزن لتكون منفعه ما يحصل بالتطفيف لى «إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ» أى لست

أريد بما أمركم به و أنهاكم عنه إلا إصلاح أموركم في دينكم و دنياكم «مَا اسْتِطَعْتُ» أي ما قدرت عليه و تمكنت منه «وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ» معناه و ليس توفيقى فى امتثال ما أمركم به و الانتهاء عما أنهاكم عنه إلا بالله فلا يوفق غيره أى و ليس ما أفعله بحولى و قوتى بل بمعونه الله و لطفه و تيسيره «عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ» و التوكل على الله الرضا بتسديره مع تفويض الأمور إليه و التمسك بطاعته «وَإِلَيْهِ أُنِيبُ» أى و إليه أرجع فى المعاد عن مجاهد و قيل إليه أرجع بعملى و نيتى عن الحسن و معناه إني أعمل أعمالى كلها لوجه الله «وَ يَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي» أى لا يكسبنكم خلافى و معاداتى «أَنْ يُصِيبَكُمْ» عذاب العاجله عن الزجاج و قيل معناه لا تحملنكم عداوتى على مخالفه ربكم فيصيبكم من العذاب مثل ما أصاب من قبلكم عن الحسن و كان سبب هذه العداوه دعاؤه لكم إلى مخالفه الآباء و الأجداد فى عباده الأوثان و ما يثقل عليهم من الإيفاء فى الكيل و الميزان «مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ» من الهلاك بالغرق «أَوْ قَوْمَ هُودٍ» بالريح العقيم «أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ» بالرجفه «وَ مَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِنْكُمْ بَعِيدٍ» أى هم قريب منكم فى الزمان الذى بينه و بينكم عن قتاده و قيل معناه أن دارهم قريبه من داركم فيجب أن تتعظوا بهم «وَ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ» أى اطلبوا المغفره من الله ثم توصلوا إليها بالتوبه و قيل معناه استغفروا للماضى و اعزموا فى المستقبل و قيل استغفروا ثم دوموا على التوبه قيل استغفروا فى العلانيه ثم أضمروا الندامه فى القلب عن الماضى «إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ» بعباده فيقبل توبتهم و يعفو عن معاصيهم «وَدُودٌ» أى محب لهم و معناه يريد لمنافعهم و قيل معناه متودد إلى عباده بكثره إنعامه عليهم و قيل ودود بمعنى الواد أى يودهم إذا أطاعوه و

روى عن النبى ص أنه قال كان شعيب خطيب الأنبياء

«قَالُوا» أى قال قوم شعيب له حين سمعوا منه الوعظ و التخويف «يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ» أى ما نفهم عنك معنى كثير من كلامك و قيل معناه لا نقبل كثيرا منه و لا نعمل به و هذا كقولك إذا أمرك إنسان بشىء لا تريد أن تفعله لا أعلم ما تقول و أنت تعلم ذلك أى لا أفعله و إنما قالوا ذلك بعد ما ألزمهم الحجه «وَ إِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا» أى ضعيف البدن عن الجبائى و قيل ضعيف البصر عن سفيان و قيل أعمى و كان شعيب أعمى عن قتاده و سعيد بن جبير قال الزجاج و حمير تسمى المكفوف ضعيفا و هذا كما قيل ضرير أى قد ضر بذهاب بصره و كذلك قد ضعف بذهاب بصره و كف عن التصرف و هذا القول ليس بسديد لأن قوله «فِينَا» يردده ألا ترى أنه لو قيل إنا لنراك فينا أعمى لم يكن كلاما لأن الأعمى قد يكون أعمى فيهم و فى غيرهم و قيل ضعيفا أى مهينا عن الحسن و اختلف فى أن النبى ص هل يجوز أن يكون أعمى فقيل لا يجوز لأن ذلك ينفر و قيل يجوز أن لا يكون فيه تنفير و يكون بمنزله سائر العلل و الأمراض «وَ لَوْ لَا

رَهْطُكَ لَرَجْمَاكَ» أى لو لا- رحمه عشيرتك و قومك لقتلناك بالحجاره و قيل معناه لשתمناك و سببناك «وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ» أى لم ندع قتلك لعزتك علينا و لكن لأجل قومك قال الحسن و كان شعيب فى عز من قومه و كان من أشرفهم و ما بعث نبي بعد لوط إلا- فى عز من قومه «قَالَ» شعيب «يَا قَوْمِ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ» أى أ عشيرتى و قومى أعظم حرمه عندكم من الله فتركون أذى لأجل عشيرتى و لا تتركونه لله الذى بعثنى إليكم «وَأَتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا» أى اتخذتم الله وراء ظهوركم يعنى نسيتموه فالهاء عائده إلى الله عن ابن عباس و الحسن و قيل الهاء عائده إلى ما جاء به شعيب عن مجاهد و المعنى و نبذتم ما أرسلت به إليكم وراء ظهوركم و قيل الهاء عائده إلى أمر الله عن الزجاج أى نبذتم أمر الله وراء ظهوركم و تركتموه «إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ» أى محص لأعمالكم لا يفوته شىء منها و قيل معناه خبير بأعمالكم فيجازيكم بها عن الحسن «وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ» أى اعملوا على حالتكم هذه و المكانه الحال التى يتمكن بها صاحبها من عمل و هذا تهديد فى صوره الأمر و تقديره كأنكم إنما أمرتم بأن تكونوا على هذه الحال من الكفر و الطغيان و فى هذا نهايه الخزى و الهوان و قيل معناه اعملوا على ما يمكنكم أى اعملوا أنتم على ما تقولون و أعمل أنا على ما أقول و قيل معناه اعملوا على ما أنتم عليه من دينكم و نحوه و قوله لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِي دِينٌ وَ فى هذا دلالة على أنه آيس من قومه «إِنِّي عَامِلٌ» على ما أمرنى ربي و قيل إنى عامل على ما أنا عليه من الإنذار «سَوْفَ تَعْلَمُونَ» أينا المخطئ الجانى على نفسه و قيل معناه سوف يتبين لكم و تعلمون فى عاقبه الأمر «مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ» أى يهينه و يفضحه و يظهر الكاذب من الصادق و تقديره «وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ» يخزى بعذاب الله فحذف «وَأَرْتَقِيُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ» أى انتظروا ما وعدكم ربكم من العذاب إنى معكم منتظر حلول العذاب بكم و قيل معناه انتظروا العذاب و اللعنه و أنا أنتظر الرحمة و الثواب و النصره عن ابن عباس و قيل معناه انتظروا مواعيد الشيطان و أنا أنتظر مواعيد الرحمن و

روى عن على بن موسى الرضا (عليه السلام) أنه قال ما أحسن الصبر و انتظار الفرج أ ما سمعت قول العبد الصالح «وَأَرْتَقِيُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ»

«وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا» مضى تفسيره «وَ أَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ» صاح بهم جبرئيل صيحه فماتوا «فَأَضِيَبُحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ كَأَنَّ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا» مضى تفسيره قبل «أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ» ألا بعدوا من رحمه الله بعدا كما بعدت ثمود و قيل ألا هلاكا لهم كما هلكت ثمود و تقديره ألا أهلكهم الله فبعدوا بعدا قال البلخي يجوز أن تكون الصيحه صيحه على الحقيقه كما روى و يجوز أن تكون ضربا من العذاب أهلكهم الله به و اصطلمهم تقول العرب صاح الزمان بهم

إذا هلكوا و قال امرؤ القيس:

فدع عنك نهبا صيح في حجراته و لكن حديث ما حديث الرواحل

و معنى صيح في حجراته أذهب و أهلك قالوا و إنما شبه حالهم بحال ثمود خاصة لأنهم أهلكوا بالصيحة كما أهلكت ثمود بمثل ذلك مع الرجفة.

[سوره هود (١١): الآيات ٩٦ الى ١٠٣]

اشاره

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَ سُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٩٦) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَ مَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧) يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَ بئسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ (٩٨) وَ اتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَهُ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ (٩٩) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَ حَصِيدٌ (١٠٠)

وَ مَا ظَلَمْنَاهُمْ وَ لَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَ مَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١) وَ كَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرَىٰ وَ هِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَ ذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ (١٠٣)

اللغه

يقال قدمت القوم أقدمهم قدما إذا مشيت أمامهم و اتبعوك الأزهرى قدم يقدم و تقدم و قدم و أقدم و استقدم بمعنى و الورد ورود الماء الذى يورد و الإبل الواردة و الجمع أوراد

ص: ٢٩٠

الإيراد إيجاب الورود في الماء أو ما يقوم مقامه قال الشاعر:

يرد المياه حضيره و نفيضه ورد القطاه إذا أسمال التبع

و قال لبيد:

فوردنا قبل فراط القطا إن من وردى تغليس النهل

و أصل الورود الإشراف على الدخول و ليس بالدخول قال عنتره:

فلما وردن الماء زرقا جمامه وضعن عصى الحاضر المتخيم

و الرفع العون على الأمر يقال رفته يرفده رفدا و رفدا بفتح الراء و كسرهما قال الزجاج كل شىء جعلته عوناً لشيء أو أسندت به شيئاً فقد رفدته به يقال عمدت الحائط و أسندته و أرفدته و رفدته بمعنى واحد و يقال رفته و أرفده إذا أعطاه و الاسم الرفع لأن العطاء عون المعطى و الحصيد بمعنى المحصود و الحصد قطع الزرع من الأصل و هذا زمن الحصاد بفتح الحاء و كسرهما و يقال حصدهم بالسيف إذا قتلهم و تبيب من تبت يده أى خسرت قال جرير:

عرا به من بقيه قوم لوط ألا تبا لما فعلوا تبابا

و الفرق بين العذاب و الألم أن العذاب استمرار الألم و قال عبيد:

و المرء ما عاش فى تكذيب طول الحياه له تعذيب

. المعنى

ثم عطف سبحانه قصه موسى (عليه السلام) على ما تقدم من قصص الأنبياء فقال «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا» أى بحججنا و معجزاتنا الداله على نبوته «وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ» أى و حجه ظاهره مخلصه من تلبيس و تمويه على أتم ما يمكن فيه و السلطان و إن كان فى معنى الآيات فإنما عطفه عليها لأن الآيات حجج من وجه الاعتبار العظيم بها و السلطان حجه من جهه القوه العظيمه على المبطل و كل عالم له حجه يقهر بها شبهه من نازعه من أهل الباطل فله سلطان و قد قيل إن سلطان الحجه أنفذ من سلطان المملكه و السلطان متى كان محققا

ص: ٢٩١

حجه وجب اتباعه و إذا كان بخلافه لا يجب اتباعه قال الزجاج السلطان إنما سمي سلطاناً لأنه حجه الله في أرضه و اشتقاقه من السليط الذى يستضاء به «إِلَى فِرْعَوْنَ وَ مَلَأَهُ» أى قومه و قيل أشرف قومه الذين تملأ الصدور هيبتهم «فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ» و تركوا أمر الله تعالى «وَ مَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ» أى مرشد و معناه ما هو بهاد لهم إلى رشد و لا قائد إلى خير فأمر فرعون كان على ضد هذه الحال لأنه داع إلى الشر و صاد عن الخير و فى هذا دلالة على أن لفظه الأمر مشترك بين القول و الفعل و المراد هاهنا و ما فعل فرعون برشيد «يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» يعنى أن فرعون يمشى بين يدى قومه يوم القيامة على قدميه حتى يهجم بهم على النار كما كان يقدمهم فى الدنيا يدعوهم إلى طريق النار و إنما قال «فَأُورِدَهُمْ» على لفظ الماضى و المراد به المستقبل لأن ما عطفه عليه من قوله «يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» يدل عليه عن الجائى و قيل إنه معطوف على قوله «فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ» «وَ بِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ» أى بئس الماء الذى يردونه عطاشاً لإحياء نفوسهم النار إنما أطلق سبحانه على الناس اسم الورد المورود ليطابق ما يرد عليه أهل الجنة من الأنهار و العيون و قيل معناه بئس المدخل المدخول فيه النار و قيل بئس الشىء الذى يرده النار و قيل بئس النصيب المقسوم لهم لنار و إنما أطلق بلفظ بئس و إن كان عدلاً حسناً لما فيه من البؤس و الشدة «وَ أُتْبِعُوا فِي هَذِهِ» يعنى ألحقوا فى الدنيا «لَعْنَةً» و هى الغرق «وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» يعنى و لعنه يوم القيامة و هى عذاب الآخرة و قيل معناه أتبعهم الله فى الدنيا لعنه بإبعادهم من الرحمة و أتبعهم الأنبياء و المؤمنون بالدعاء عليهم باللعنة و يتبعهم الله اللعنة فى القيامة حتى لا تفارقهم اللعنة حيث كانوا قال ابن عباس من ذكرهم لعنهم «بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ» أى بئس العطاء المعطى النار و اللعنة و إنما سماه رفداً لأنه فى مقابله ما يعطى أهل الجنة من أنواع النعيم و قال قتاده ترافدت عليهم لعنتان من الله لعنه فى الدنيا و لعنه فى الآخرة و سأل نافع بن الأزرق ابن عباس عن قوله «بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ» قال هو اللعنة بعد اللعنة و قال الضحاك اللعنتان اللتان أصابتهما رفدت إحداهما الأخرى «ذَلِكَ» أى ذلك النبأ «مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى» أى من أخبار البلاد «نَقُضَهُ عَلَيْكَ» أن نذكره لك و نخبرك به تذكره و تسليه لك يا محمد «مِنْهَا قَائِمٌ وَ حَصِيدٌ» أى من تلك الديار معمور و خراب قد أتى عليه الإهلاك و لم يعمر فيما بعد و قيل معناه منها قائم على بنائه لم يذهب أصلاً و إن كان خالياً من أهله و حصيد قد خرب و ذهب و اندرس أثره كالشئء المحصود عن قتاده و أبى مسلم و قيل منها قائم ينظرون إليها و حصيد قد هلك و باد أهله عن ابن عباس «وَ مَا ظَلَمْنَاهُمْ» بإهلاكهم «وَ لَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» بأن كفروا و ارتكبوا ما استحقوا به الهلاك فكان ذلك ظلمهم لأنفسهم «فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمْ» أى أوثانهم «الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ

اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ» أى عذاب ربك وقيل أمر ربك بإهلاكهم «وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ» أى غير تخسير عن مجاهد و قتاده و المعنى لم يزيدوهم شيئاً غير الهلاك و الخسار و إنما أضاف الإهلاك إلى الأصنام لأنها السبب فى ذلك و لو لم يعبدوها لم يهلكوا و إنما قال «يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» لأنهم كانوا يسمونها آلهه و يطلبون الحوائج منها كما يطلبها الموحدون من الله «وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ» أى و كما ذكر من إهلاك الأمم و أخذهم بالعذاب أخذ ربك «إِذَا أَخَذَ الْقُرَى» أى أخذ أهلها و هو أن ينقلهم إلى العقوبه و الهلاك «وَ هِيَ ظَالِمَةٌ» من صفه القرى و هو فى الحقيقه لأهلها و سكانها و نحوه و كَمَ قَصِيْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً

و فى الصحيحين عن النبى ص أنه قال إن الله تعالى يمهل الظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ هذه الآيه «إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ»

معناه إن أخذ الله سبحانه الظالم مؤلم شديد الألم «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً» أى إن فيما قصصنا عليك من إهلاك من ذكرناه على وجه العقوبه لهم على كفرهم لعبه و تبصره و علامه عظيمه «لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ» أى لمن خشى عقوبه الله يوم القيامه و خص الخائف بذلك لأنه هو الذى ينتفع به بالتدبر و التفكير فيه «ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ» أى يجمع فيه الناس كلهم الأولون و الآخرون منهم للجزاء و الحساب و الهاء فى له راجعه إلى اليوم «وَ ذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ» أى يشهده الخلائق كلهم من الجن و الإنس و أهل السماء و أهل الأرض أى يحضره و لا يوصف بهذه الصفه يوم سواه و فى هذا دلاله على إثبات المعاد و حشر الخلق.

[سوره هود (١١): الآيات ١٠٤ الى ١٠٨]

إشاره

وَ مَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ (١٠٤) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمَنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِى النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَ شَهيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَ أَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِى الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ (١٠٨)

ص: ٢٩٣

قرأ يعقوب و ما يؤخره بالياء و الباقون بالنون و قرأ «يَوْمَ يَأْتِ» بغير ياء ابن عامر و أهل الكوفه غير الكسائي و الباقون يأتي بإثبات الياء و قرأ أهل الكوفه غير أبي بكر «سُعِدُوا» بضم السين و الباقون سعدوا بالفتح.

الحججه

من قرأ يؤخره بالياء فإنه رده إلى قوله أَخَذُ رَبُّكَ و من قرأ بالنون فإنه ابتداء و الياء فى المعنى كالنون و قوله «يَوْمَ يَأْتِ» قال الزجاج الذى يختاره النحويون يوم يأتي و هذيل يحذف هذه الياءات كثيرا و قد حكى سيبويه و الخليل إن العرب تقول لا أدر فتحذف الياء و تجتزئ بالكسره إلا أنهم يزعمون أن ذلك لكثرة الاستعمال قال أبو على من أثبت الياء فى الوصل و الوقف فهو القياس البين و أما من حذفها فى الوقف إذا قال «يَوْمَ يَأْتِ» فلأنها و إن لم تكن فى فاصله أمكن أن نشبهها بالفاصله لأن هذه الياء تشبه الحركات المحذوفه فى الوصل بدلاله أنهم حذفوها حذفوا الحركه فكما أن الحركه تحذف فى الوقف فكذلك ما أشبهها من هذه الحروف كان فى حكمها فأما من حذفها فى الوصل و الوقف فلأنه جعلها فى الوصل و الوقف بمنزله ما استعمل محذوفا مما لم يكن ينبغى فى القياس أن يحذف نحو لم يكن و لا أدر و مثله قول الشاعر:

كفاك كف لا تبقى درهما جودا و أخرى تعطى بالسيف الدما

حذف الياء من تعطى و ليس هنا ما يوجب حذفها و أما قوله «سُعِدُوا» فقد قال أبو على حكى سيبويه سعد يسعد سعادته فهو سعيد و ينبغى أن يكون غير متعد كما أن خلافه الذى هو شقى كذلك و إذا كان كذلك كان ضم السين مشكلا إلا أن يكون سمع فيه لغه خارجه عن القياس أو يكون من باب فعل و فعلته نحو غاص الماء و غصته و حزن و حزنه و لعلمهم استشهدوا على ذلك بقولهم مسعود و أنه يدل على سعد و لا دلالة قاطعه فى ذلك لأنه يجوز أن يكون مثل أجنه الله فهو مجنون و أحبه فهو محبوب فالمفعول جاء فى هذا على أنه حذف الزيادة عنه كما حذف من اسم الفاعل فى نحو قوله وَ أَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ يعنى ملاقح فجاء على حذف الزيادة فعلى هذا يكون أصله أسعد فحذف الزائد و من الحذف قول الشاعر:

" يخرجن من أجواز ليل غاض "

يريد مغض.

الشقاء و الشقاوه و الشقوه بمعنى و الياء فى شقى منقلبه عن واو و السعاده ضد الشقاوه و الزفير أول نهاق الحمار و الشهيق آخر نهاقه قال رؤبه:

حشرج فى الجوف سهيلا أو شهق حتى يقال ناهق و ما نهق

و الزفير ترديد النفس مع الصوت من الحزن حتى تنتفخ الضلوع و أصل الزفير الشده من قولهم للشديد الخلق مزفور و الزفر الحمل على الظهر خاصه لشدته و الزفر السيد لأنه يطبق حمل الشدائد و زفرت النار إذا سمع لها صوت من شده توقدها و الشهيق صوت فظيع يخرج من الجوف بمد النفس و أصله الطول المفرط من قولهم جبل شاهق و الخلود الكون فى الأمر أبدا و الدوام البقاء أبدا و لهذا يوصف سبحانه بأنه دائم و لا يوصف بأنه خالد و الجذ القطع يقال جذه يجذه و جذ الله دابرههم قال النابغه:

تجذ السلوقى المضاعف نسجه و توقد بالصفاح نار الجباحب

و يقال جذها جذ البعير الصليانه و هى نبت.

الإعراب

«يَوْمَ يَأْتِ» لا- يخلو أن يكون فاعل يأتى ضمير اليوم المضاف إلى يأتى و اليوم المتقدم ذكره فلا يجوز أن يكون فاعله ضمير اليوم الذى أضيف إلى يأتى لأنك لا تقول جئتك يوم يسيرك سروره إياك و يكون الهاء عائده إلى يوم فيصير اليوم مضافا إلى الفعل المسند إلى ضميره و إنما تعرف الفعل فيه بالفاعل فيكون كأنك إنما عرفت اليوم بنفسه و نظير ذلك قولك هذا يوم حره و يوم برده و الهاء لليوم و هذا غير جائز و كذلك لا يجوز أن تضيف الظرف إلى جملة معرفه بضميره و إن كانت من مبتدأ و خبر مثل أن تقول آتيك يوم ضحوته بارده و ليله أولها مطير فإن نونت فقلت آتيك يوما ضحوته بارده أو ليله أولها مطير جاز لأنه خرج بالتنوين عن حد الإضافة و هذا قول أبى عثمان المازنى و إذ قد ثبت ذلك فقد ثبت أن فى يأتى ضمير اليوم المتقدم ذكره فى قوله ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ أى يوم يأتى هذا اليوم الذى تقدم ذكره لا تكلم نفس فالיום فى قوله «يَوْمَ يَأْتِ» يراد به الحين و البرهه و ليس على وضح النهار و قوله «لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ» يجوز أن يكون هذه

الجملة حالا- من الضمير فى يأتى و يجوز أن يكون صفه ليوم المضاف إلى يأتى لأن يوم مضاف إلى يأتى و الفعل نكره فلا تتعرف يوم بالإضافه إليه فجاز أن يوصف بالجملة كما توصف النكرات بالجملة و المعنى لا- تكلم فيه نفس فحذف فيه أو حذف الحرف و أوصل الفعل إلى المفعول ثم حذف الضمير من الفعل الذى هو صفه كما يحذف من الصلة و مثل ذلك قولهم الناس رجلاين رجل أكرمت و رجل أهنت و إذا جعلته حالا من الضمير فى يأت و جب أن تقدر فيه أيضا ضميرا يعود إلى ذى الحال و تقديره غير متكلم فيه هذا كله قول أبى على و أقول أن الأظهر أن قوله «يَوْمَ يَأْتِ» ظرف لقوله «لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ» و معمول له و هذا الوجه لا يحتاج فيه إلى تقدير محذوف كما فى الوجهين اللذين ذكرناهما فيكون أولى و إنما يضاف يوم إلى الفعل لأنه اسم زمان و الفعل يناسب الزمان من حيث أنه لا يخلو منه و إنما يتصرف بتصرفه و أنه لا يكون حادثا إلا وقتا كما أن الزمان لا يبقى و قوله «لَا تَكَلَّمُ» أى لا تتكلم فحذف إحدى التاءين كما فى قول الشاعر:

و العين ساكنه على أطلانها عودا تأجل بالفضاء بهامها

أى تتأجل و عطاء منصوب بما دل الكلام عليه فكأنه قال أعطاهم النعيم عطاء.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن اليوم المشهود و هو يوم القيامة فقال «وَمَا تُؤَخِّرُهُ» أى و ما تؤخر هذا اليوم «إِلَّا لِلْأَجَلِ مَعْدُودٍ» و هو أجل قد عده الله تعالى لعلمه أن صلاح الخلق فى إدامه التكليف عليهم إلى ذلك الوقت و فيه إشاره إلى قربه لأن ما يدخل تحت العد فكان قد نفذ و إنما قال لأجل و لم يقل إلى أجل لأن اللام يدل على الغرض و أن الحكمه اقتضت تأخيره و إلى لا يدل على ذلك «يَوْمَ يَأْتِ» أى حين يأتى القيامة و الجزاء «لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ» أى لا يتكلم أحد فيه إلا بإذن الله تعالى و أمره و معناه أنه لا يتكلم فيه إلا بالكلام الحسن المأذون فيه لأن الخلق ملجئون هناك إلى ترك القبائح فلا يقع منهم فعل القبيح و أما ما هو غير قبيح فإنه مأذون فيه عن الجبائى و الأظهر أن يقال معناه أنه لا يتكلم أحد فى الآخرة بكلام نافع من شفاعه و وسيله إلا بإذنه فإن قيل كيف يجمع بين هذه الآيه و بين قوله «هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ وَ لَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ» و قوله «فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ

و لا- جِائًا» على أنه سبحانه قال فى موضع آخر وَ قَفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ و هل هذا إلا- ظاهر التناقض فالجواب أن يوم القيامة يشتمل على مواقف قد أذن لهم فى الكلام فى بعض تلك المواقف و لم يؤذن لهم فى الكلام فى بعضها عن الحسن و قيل أن معنى قوله لا- يَنْطِقُونَ أنهم لا- ينطقون لحجه و إنما يتكلمون بالإقرار بذنوبهم و لوم بعضهم بعضا و طرح بعضهم الذنوب على بعض و هذا كما يقول القائل لمن تكلم بكلام كثير فارغ عن الحجة ما تكلمت بشىء و لا نطقت بشىء فسمى من يتكلم بما لا حجة فيه غير متكلم كما قال سبحانه صُمْ بُكُمْ عُمَى و هم كانوا يسمعون و يتكلمون و يبصرون إلا أنهم فى أنهم لا يقبلون الحق و لا- يتأملون بمنزلة الصم البكم العمى و كلا- الوجهين حسن و أما قوله فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَ لا جَانٌّ فمعناه أنهم لا يسألون عن ذنوبهم للتعرف من حيث أن الله سبحانه علم أعمالهم و إنما يسألون سؤال توبيخ و تقرير و تقرير لإيجاب الحجة عليهم كما فى قوله وَ قَفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ فأثبت سبحانه سؤال التقرير فى آيه و نفى سؤال التعرف و الاستعلام فى أخرى فلا تناقض و قوله «فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ سَعِيدٌ» إخبار منه سبحانه بأنهم قسمان أشقياء و هم المستحقون للعقاب و سعداء و هم المستحقون للثواب و الشقاء قوه أسباب البلاء و السعادة قوه أسباب النعمه و الشقى من شقى بسوء عمله فى معصية الله و السعيد من سعد بحسن عمله فى طاعة الله و الضمير فى قوله «فَمِنْهُمْ» يعود إلى الناس فى قوله ذَلِكْ يَوْمَ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ و قيل إنه يعود إلى نفس فى قوله «لا- تَكَلَّمْ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ» لأن النفس اسم الجنس «فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ» يعنى أن الذين شقوا باستحقاقهم العذاب جزاء على أعمالهم القبيحة داخلون فى النار و إنما وصفوا بالشقاوة قبل دخولهم النار لأنهم على حال تؤديهم إلى دخولها و أما ما

روى عن النبى ص أنه قال الشقى من شقى فى بطن أمه

فإن المراد بذلك أن المعلوم من حاله أنه سيشقى بارتكاب القبائح التى تؤديه إلى عذاب النار كما يقال لابن الشيخ الهرم أنه يتيم بمعنى أنه سيئتم «لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَ شَهِيْقٌ» قال الزجاج الزفير و الشهيق من أصوات المكرويين المحزونين و الزفير من شديد الأنين و قبيحه بمنزله ابتداء صوت الحمار و الشهيق الأنين الشديد المرتفع جدا بمنزله آخر صوت الحمار و عن ابن عباس قال يريد ندامه و نفسا عاليا و بكاء لا ينقطع «خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ» اختلف العلماء فى تأويل هذا فى الآيتين و هما من المواضع المشكله فى القرآن و الإشكال فيه من وجهين (أحدهما) تحديد الخلود بمدى دوام السماوات و الأرض (و الآخر) معنى الاستثناء بقوله «إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ» فالأول فيه أقوال (أحدها) أن المراد ما دامت السماوات و الأرض مبدلتين أى ما دامت سماء الآخرة و أرضها

و هما لا يفنيان إذا أعيدا بعد الإفناء عن الضحاك و الجبائي (و ثانيها) أن المراد ما دامت سماوات الجنه و النار و أرضهما و كل ما علاك فأظلك فهو سماء و كل ما استقر عليه قدمك فهو أرض و هذا مثل الأول أو قريب منه (و ثالثها) أن المراد ما دامت الآخرة و هي دائمه أبدا كما أن دوام السماء و الأرض في الدنيا قدر مده بنائها عن الحسن (و رابعها) أنه لا يراد به السماء و الأرض بعينها بل المراد التباعد فإن للعرب ألفاظا للتباعد في معنى التأييد يقولون لا أفعل ذلك ما اختلف الليل و النهار و ما دامت السماء و الأرض و ما نبت النبت و ما أظت الإبل و ما اختلف الجره و الدره و ما ذر شارق و في أشباه ذلك كثره ظنا منهم أن هذه الأشياء لا- تتغير و يريدون بذلك التأييد لا- التوقيت فخطبهم سبحانه بالمتعارف من كلامهم على قدر عقولهم و ما يعرفون قال عمرو بن معديكرب:

و كل أخ مفارقه أخوه لعمر أبيك إلا الفرقدان

و قال زهير:

ألا لا أرى على الحوادث باقيا و لا خالدا إلا الجبال الرواسيا

و إلا السماء و النجوم و ربنا و أيامنا معدوده و اللياليا

لأنه توهم أن هذه الأشياء لا تفنى و تخلد و أما الكلام في الاستثناء فقد اختلف فيه أقوال العلماء على وجوه (أحدها) أنه استثناء في الزيادة من العذاب لأهل النار و الزيادة من النعيم لأهل الجنه و التقدير إلا ما شاء ربك من الزيادة على هذا المقدار كما يقول الرجل لغيره لى عليك ألف دينار إلا الألفين اللذين أقرضتكهما وقت كذا فالألفان زياده على الألف بغير شك لأن الكثير لا- يستثنى من القليل عن الزجاج و الفراء و على بن عيسى و جماعه و على هذا فيكون إلا بمعنى سوى أى سوى ما شاء ربك كما يقال ما كان معنا رجل إلا زيد أى سوى زيد (و ثانيها) أن الاستثناء واقع على مقامهم في المحشر و الحساب لأنهم حينئذ ليسوا في جنه و لا نار و مده كونهم في البرزخ الذى هو ما بين الموت و الحياه لأنه تعالى لو قال خالد بن خالد فيها أبدا و لم يستثن لظن الظان أنهم يكونون في النار و الجنه من لدن نزول الآيه أو

من بعد انقطاع التكليف فحصل للاستثناء فائده عن المازنى وغيره واختاره البلخى فإن قيل كيف يستثنى من الخلود فى النار ما قبل الدخول فيها فالجواب أن ذلك جائز إذا كان الإخبار به قبل دخولهم فيها (و ثالثها) أن الاستثناء الأول يتصل بقوله «لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَ شَهِيْقٌ» و تقديره إلا ما شاء ربك من أجناس العذاب الخارجة عن هذين الضريين و لا يتعلق الاستثناء بالخلود و فى أهل الجنة يتصل بما دل عليه الكلام فكأنه قال لهم فيها نعيم إلا ما شاء ربك من أنواع النعيم و إنما دل عليه قوله «عَطَاءٌ غَيْرَ مَحْدُوذٍ» عن الزجاج (و رابعها) أن يكون إلا بمعنى الواو أى و ما شاء ربك من الزيادة عن الفراء و استشهد على ذلك بقول الشاعر:

و أرى لها دارا بأغدره السيدان لم يدرس لها رسم

إلا رمادا هامدا دفعت عنه الرياح خوالد سحم

قال و المراد بإلا الواو هاهنا و إلا كان الكلام متناقضا و هذا القول قد ضعفه محققو النحويين (و خامسها) أن المراد ب «الَّذِينَ شَقُّوا» من أدخل النار من أهل التوحيد الذين ضموا إلى إيمانهم و طاعتهم ارتكاب المعاصى فقال سبحانه أنهم معاقبون فى النار إلا- ما شاء ربك من إخراجهم إلى الجنة و إيصال ثواب طاعتهم إليهم و يجوز أن يريد ب «الَّذِينَ شَقُّوا» جميع الداخلين إلى جهنم ثم استثنى بقوله «إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ» أهل الطاعات منهم ممن استحق الثواب و لا بد أن يوصل إليه و تقديره إلا ما شاء ربك أن يخرج به بتوحيده من النار و يدخله الجنة و قد يكون ما بمعنى من قال سبحانه سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ* و قالت العرب عند سماع الرعد سبحان ما سبحت له و أما فى أهل الجنة فهو استثناء من خلودهم أيضا لما ذكرناه لأن من ينقل إلى الجنة من النار و خلد فيها لا بد فى الإخبار عنه بتأييد خلوده أيضا من استثناء ما تقدم فكأنه قال خالد بن خالد فيها إلا ما شاء ربك من الوقت الذى أدخلهم فيه النار قبل أن ينقلهم إلى الجنة فما فى قوله «ما شاء رَبُّكَ» هاهنا على بابه و الاستثناء من الزمان و الاستثناء فى الأول من الأعيان و «الَّذِينَ شَقُّوا» على هذا القول هم الذين سعدوا بأعيانهم و إنما أجرى عليهم كل لفظ فى الحال الذى تليق به فإذا أدخلوا النار و عوقبوا فيها فهم من أهل الشقاء و إذا نقلوا منها إلى الجنة فهم من أهل السعادة و هذا قول ابن عباس و جابر بن عبد الله و أبى سعيد الخدرى و قتاده و السدى و الضحاك و جماعه من المفسرين و روى أبو روق عن الضحاك عن

ابن عباس قال «الَّذِينَ شَقُّوا» ليس فيهم كافر وإنما هم قوم من أهل التوحيد يدخلون النار بذنوبهم ثم يتفضل الله عليهم فيخرجهم من النار إلى الجنة فيكونون أشقياء في حال سعادة في حال أخرى وقال قتاده الله أعلم بمشيئته ذكر لنا أن ناسا يصيبهم سفع من النار بذنوبهم ثم يدخلهم الله الجنة برحمته يسمون الجهنميين وهم الذين أنفذ فيهم الوعيد ثم أخرجوا بالشفاعة قال و

حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله ص قال يخرج قوم من النار قال و لا تقول ما يقوله أهل حروراء

و هذا القول هو المختار المعول عليه (و سادسها) أن تعليق ذلك بالمشيئة على سبيل التأكيد للخلود و التباعد للخروج لأن الله تعالى لا يشاء إلا تخليدهم على ما حكم به فكأنه تعليق لما لا يكون بما لا يكون لأنه لا يشاء أن يخرجهم منها (و سابعا) ما قاله الحسن أن الله سبحانه استثنى ثم عزم بقوله «إِنَّ رَبُّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ» أنه أراد أن يخلدهم و قريب منه ما قاله الزجاج و غيره أنه استثناء تستثنيه العرب و تفعله كما تقول و الله لأضربن زيدا إلا أن أرى غير ذلك و أنت عازم على ضربه و المعنى فى الاستثناء على هذا إنى لو شئت أن لا أضربه لفعلت (و ثامنها) قال يحيى بن سلام البصرى أنه يعنى بقوله «إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ» ما سبقهم به الذين دخلوا قبلهم من الفريقين و احتج بقوله تعالى وَ سَيَقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا و سَيَقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا قال إن الزمره تدخل بعد الزمره فلا بد أن يقع بينهما تفاوت فى الدخول و الاستثناء أن على هذا من الزمان (و تاسعها) أن المعنى خالدون فى النار دائمون فيها مده كونهم فى القبور ما دامت السماوات و الأرض فى الدنيا و إذا فنيتا و عدمتا انقطع عقابهم إلى أن يبعثهم الله للحساب و قوله «إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ» استثناء وقع على ما يكون فى الآخرة أورده الشيخ أبو جعفر قدس الله روحه و قال ذكره قوم من أصحابنا فى التفسير (و عاشرها) أن المراد إلا ما شاء ربك أن يتجاوز عنهم فلا يدخلهم النار و الاستثناء لأهل التوحيد عن أبى مجلز قال هى جزاؤهم و إن شاء سبحانه تجاوز عنهم و الاستثناء يكون على هذا من الأعيان «وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا» أى سعدوا بطاعه الله و انتهائهم عن المعاصى «فَفِي الْجَنَّةِ» يكونون فى الجنة «خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ» أى مده دوام السماوات و الأرض «إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ» يتأتى فيه جميع ما ذكرناه فى الاستثناء من الخلود فى النار إلا ما مضى ذكره من جواز إخراج بعض الأشقياء من تناول الوعيد لهم و إخراجهم من النار بعد دخولهم فيها فإن ذلك لا يتأتى هاهنا لإجماع الأمة على أن من استحق الثواب فلا بد أن يدخل الجنة و أنه لا يخرج منها بعد دخوله فيها «عَطَاءً غَيْرَ مَجْدُودٍ» أى غير مقطوع.

إشارة

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْْبُدُونَ هَؤُلَاءِ مَا يَعْْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَ إِنَّا لَمُؤَفَّقُهُمْ نَصْرَهُمْ غَيْرِ مَنْقُوصٍ (١٠٩) وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَ لَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ وَ إِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (١١٠) وَ إِنَّا كَلَّمْنَا لِيُؤْفِقَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١١) فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَ مَنْ تَابَ مَعَكَ وَ لَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢)

القراءة

قرأ أبو جعفر و ابن عامر و حمزه و حفص «وَ إِنَّا كَلَّمْنَا» بتشديد النون و الميم و قرأ أهل البصره و الكسائي و خلف «وَ إِنَّا كَلَّمْنَا» بتشديد النون لما بتخفيف الميم و قرأ نافع و ابن كثير و إن كلا خفيفه النون لما خفيفه الميم و قرأ أبو بكر عن عاصم و إن كلا خفيفه النون «لَمَّا» مشدده الميم و فى الشواذ قراءة الزهرى و سليمان بن أرقم لما بالتونين و قرأه ابن مسعود و إن كل بالرفع إلا ليوفينهم.

الحجج

قال أبو على من قرأ و إن كلا- لما بتشديد إن و تخفيف لما فوجهه بين و هو أنه نصب كلا- بأن و أن يقتضى أن يدخل على خبرها أو اسمها لام فدخلت هذه اللام و هى لام الابتداء على الخبر فى قوله «لَمَّا» و قد دخلت فى الخبر لام الأخرى و هى التى تلقى بها القسم و يختص بالدخول على الفعل و يلزمها فى أكثر الأمر إحدى النونين فلما اجتمعت اللامان و اتفقتا فى تلقى القسم وافقتا فى اللفظ فصل بينهما بما كما فصلوا بين إن و اللام فدخلت ما لهذا المعنى و إن كانت زائده لتفصل كما جلبت النون و إن كانت زائده فى نحو فَأَمَّا تَرِينٌ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا و كما صارت عوضاً من الفعل فى قولهم إما لا بالإماله و فى قوله:

أبا خراشه أما أنت ذا نفر فإن قومي لم يأكلهم الضبع

و يلي هذا الوجه في البيان قول من خفف إن و نصب كلا و خفف لما قال سيبويه حدثنا من نثق به أنه سمع من العرب من يقول أن عمرا لمنطلق قال و أهل المدينة يقرءون و إن كلا لما جميع لدينا محضرون يخففون و ينصبون كما قالوا:

" كأن ثدييه حقان "

و وجه النصب بها مع التخفيف من القياس أن إن مشبهه في نصبها بالفعل و الفعل يعمل محذوفا كما يعلم غير محذوف و ذلك في نحو لم يك زيد منطلقا «فلا- تك في مزيه» و كذلك لا- أدر فأما من خفف أن و نصب كلا و ثقل لما فقراءته مشكله و ذلك أن إن إذا نصب بها و إن كانت مخففة كانت بمنزلة مثقله و لما إذا شددت كانت بمنزلة إلا و كذلك قراءه من شدد لما و ثقل أن مشكله و ذلك أن إن إذا ثقلت و إذا خفت و نصب بها فهي في معنى الثقيله فكما لا يحسن تثقيل إن زيدا إلا منطلق كذلك لا- يحسن تثقيل إن و تثقيل لما فأما مجىء لما في قولهم نشدتك الله لما فعلت و إلا فعلت فقال الخليل الوجه لتفعلن كما تقول أقسمت عليك لتفعلن و أما دخول إلا و لما فلأن المعنى الطلب فكأنه أراد ما أسألك إلا فعل كذا و لم يذكر حرف النفي في اللفظ و إن كان مرادا كما جاء في قولهم شر أهر ذا ناب أى ما أهره إلا شر و ليس فى الآيه معنى نفي و لا طلب فإن قال قائل لمن ما فادغم النون فى الميم بعد ما قبلها ميمًا فإن ذلك لا يسوغ ألا ترى أن الحرف المدغم إذا كان قبله ساكن نحو قوم مالك لم يقو الإدغام فيه على أن يحرك الساكن الذى قبل الحرف المدغم فإذا لم يجز ذلك فيه و كان التغيير أسهل من الحذف فإن لا يجوز الحذف الذى هو أذهب فى باب التغيير من تحرك الساكن أجدر على أن فى هذه السوره ميمات اجتمعت فى الإدغام أكثر مما كان يجتمع فى لمن ما و لم يحذف منها شىء و ذلك قوله على أمم مَمَّنْ مَعَكَ فإذا لم يحذف شىء من هذا فإن لا يحذف ثم أجدر و قد روى أنه قد قرأ و إن كلا لما منونا كما قال وَ تَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَمَّا فوصف بالمصدر فإن قال أن لما فيمن ثقل إنما هو لما هذه وقف عليها بالألف ثم أجرى فى الوصل مجرى الوقف فذلك مما يجوز فى الشعر و وجه الإشكال فيه أبين من هذا الوجه و قد حكى عن الكسائى أنه قال لا أعرف وجه التثقيب فى لما و لم يبعد فيما قال و لو خفف مخفف أن و رفع كلا- بعدها لجاز تثقيب لما مع ذلك على أن يكون المعنى ما كل إلا ليوفينهم فيكون ذلك كقوله وَ إِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا و لكان ذلك أبين من النصب فى كل و التثقيب للما و ينبغى أن يقدر المضاف إليه كل نكره ليحسن وصفه بالنكره و لا يقدر إضافته إلى معرفه فيمتنع أن يكون لما وصفاله و لا يجوز أن يكون حالا لأنه لا شىء فى الكلام عاملا فى الحال هذا كله كلام

أبى على و قال غيره فى معنى لما بالتشديد أربعة أوجه (أحدها) قول الفراء أنها بمعنى لمن ما فحذفت إحدى الميمات الثلاث على ما تقدم ذكره و أنشد الفراء:

و إنى لما أصدر الأمر وجهه إذا هو أعيأ بالسبيل مصادره.

(و الثانى) أنها بمعنى إلا كقولهم سألتك لما فعلت بمعنى إلا فعلت عن الزجاج و قال الفراء هذا لا يجوز إلا فى اليمين كما قاله أبو على (و الثالث) أنها مخففه شددت للتأكيد عن المازنى قال الزجاج هذا لا- يجوز لأنه إنما يجوز تخفيف المشدد عند الضروره فأما تشديد المخفف فلا يجوز بحال (و الرابع) أنها من لمت الشىء إذا جمعته إلا أنها بنيت على فعلى فلم تصرف مثل ترى فكأنه قال و إن كلا- جميعا ليوفينهم و يدل عليه قراءة الزهرى لما بالتنوين و قال ابن جنى تقديره هذا و إن كلا ليوفينهم ربك أعمالهم لما أى توفيه جامعه لأعمالهم جميعا و محصلا لأعمالهم تحصيلا فهو كقولك قياما لأقومن و ذكر الشيخ على ابن أبى الطيب رحمه الله عليه فيه وجهها آخر فقال هاهنا محذوف و تقديره و إن كلا لما عملوا ليوفينهم ربك أعمالهم و الحذف فى الكلام كثير قال الشاعر:

إذا قلت سيروا إن ليلى لعلها جرى دون ليلى مائل القرن أعضب

و المراد لعلها تلقانى أو تصلنى أو نحو هذا فهذا وجه خامس فأما إذا خفت إن فانتصاب كلا مع حمل أن على النفى مشكل و قد ذكر فيه أن يكون التقدير و إن هم إلا ليوفينهم كلا أو و إن هم أعنى كلا إلا ليوفينهم و هذان الوجهان مرغوب عنهما و على الجملة فإن تشديد الميم من لما مع تشديد إن و تخفيفه مشكل عند المحققين إذ لا يتأتى فى لما هذه معنى لم و لا معنى الحين و لا معنى إلا و لا يعرف لها معنى سوى هذه و من قرأ و إن كل إلا ليوفينهم فمعناه ما كل إلا و الله ليوفينهم كقولك ما زيد إلا لأضربنه أى ما زيد إلا مستحق لأن يقال فيه هذا و يجوز أن يكون مخففه من الثقيله و إلا زائده كما فى قول الشاعر:

أرى الدهر إلا منجنونا بأهله و ما طالب الحاجات إلا معللا

أى أرى الدهر منجنونا بأهله و على ذلك تأولوا بيت ذى الرمه:

حراجيج ما تنفك إلا مناخه على الخسف أو يرمى بها بلدا قفرا

اللغة

المريه بكسر الميم و ضمها الشك مع ظهور الدلالة للثمه و هى مأخوذه من مرى ضرع الناقه ليدر بعد دروره و النصيب الحظ و هو القسم المجمعول له و منه أنصباء الورثه و الاختلاف ذهاب كل واحد إلى جهه غير جهه الآخر و هو على وجهين اختلاف النقيضين و هذا لا يجوز أن يصححا معا فإن أحدهما مبطل لصاحبه و الآخر اختلاف الجنسين كاختلاف المجتهدين فى جهه القبله فهذا يجوز أن يصححا معا و الاستقامه الاستمرار فى جهه واحده و أن لا يعدل يمينا و شمالا و الطغيان تجاوز المقدار فى الفساد.

الإعراب

«وَمَنْ تَابَ» موصول و وصله فى موضع رفع بالعطف على الضمير المستكن فى استقم و يجوز أن يكون معطوفا على التاء من أمرت و يكون التقدير فى الأول استقم أنت و من تاب معك و فى الثانى كما أمرت أنت و من تاب معك و يجوز أن يكون من تاب منصوب الموضع بكونه مفعولا معه.

المعنى

«فَلَا تَكُ فِي مَرْيَةٍ» أى فى شك «مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ» من دون الله تعالى أنه باطل و أنهم يصيرون بعبادتهم إلى عذاب النار «مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ» يعنى ما يعبدون غير الله تعالى إلا على جهه التقليد كما كان آباؤهم كذلك «وَإِنَّا لَمُؤَفَّفُوهُمْ نَصِيحَتَهُمْ» أى إنا لمعطوهم جزاء أعمالهم و عقاب أعمالهم و افا «غَيْرَ مَنقُوصٍ» عن مقدار ما استحقوه آيسهم سبحانه بهذا القول عن العفو و قيل معناه أنا نعطيهم ما يستحقونه من العقاب بعد أن نوفيهم ما حكمنا لهم به من الخير فى الدنيا عن ابن زيد «وَلَقَدْ آتَيْنَا» أى أعطينا «مُوسَى الْكِتَابَ» يعنى التوراه «فَاخْتَلَفَ فِيهِ» يريد أن قومه اختلفوا فيه أى فى صحه الكتاب الذى أنزل عليه و أراد بذلك تسليه النبى ص عن تكذيب قومه إياه و جردهم للقرآن المنزل عليه فبين أن قوم موسى كذلك فعلوا بموسى فلا تحزن لذلك و لا تغتم له «وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ» أى لو لا خبر الله السابق بأنه يؤخر الجزاء إلى يوم القيامة لما علم فى ذلك من المصلحه «لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ» أى لعجل الثواب و العقاب لأهله و قيل معناه لفصل الأمر على التمام بين المؤمنين و الكافرين بنجاه هؤلاء و هلاك أولئك «وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ» يعنى إن الكافرين لفى شك من وعد الله و وعيده مرىب و الرىب أقوى الشك و قيل معناه إن قوم موسى لفى شك من نبوته «وَإِنَّ كَلِمًا» من الجاحدين و المخالفين و قيل إن كلا من الفريقين المصدق و المكذب جميعا «لَمَّا لِيُؤَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ» أى يعطيهم ربك جزاء أعمالهم و افا تاما إن خيرا فخير و إن شرا فشر «إِنَّهُ بِمَا

يَعْمَلُونَ خَيْرًا» يعنى إنه عليم بأعمالكم و بما استحققتم من الجزاء عليها لا يخفى عليه شىء من ذلك «فَأَسَدِ تَقِيمَ» يا محمد «كَمَا أُمِرْتُ» أى استقم على الوعد و الإنذار و التمسك بالطاعة و الأمر بها و الدعاء عليها و الاستقامه هو أداء الأمور به و الانتهاء عن المنهى عنه كما أمرت فى القرآن «وَمَنْ تَابَ مَعِيَ كَمَا أُمِرْتُ» أى و ليستقم من تاب معك من الشرك كما أمروا عن ابن عباس و قيل معناه و من رجح إلى الله و إلى نبيه فليستقم أيضا أى، فليستقم المؤمنون و قيل استقم أنت على الأداء و ليستقيموا على القبول «وَلَا تَطْغَوْا» أى لا تجاوزوا أمر الله بالزيادة و النقصان فخرجوا عن حد الاستقامه و قيل معناه و لا تطغينكم النعمه فخرجوا عن حد الاستقامه عن الجبائى و قيل معناه لا تعصوا الله و لا تخالفوه «إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» أى عليم بأعمالكم لا تخفى عليه منها خافيه و

روى الواحدى بإسناده عن إبراهيم بن أدهم عن مالك بن دينار عن أبى مسلم الخولانى عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله ص لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا و صتمتم حتى تكونوا كالأوتاد ثم كان الاثنان أحب إليكم من الواحد لم تبلغوا حد الاستقامه

و قال ابن عباس ما نزل على رسول الله ص آيه كانت أشد عليه و لا أشق من هذه الآيه و لذلك

قال لأصحابه حين قالوا له أسرع إليك الشيب يا رسول الله شيبتنى هود و الواقعه.

النظم

وجه اتصال الآيه الأولى بما قبلها أنه لما قص نبأ الأمم و إهلاكهم بكفرهم أخبر عقيب ذلك عن بطلان ما كانوا عليه و أنه يوفيههم جزاء أعمالهم و قيل أنه سبحانه بين فيما قبل اختلاف الأمم على أنبيائهم تكذبا لهم ثم بين فى هذه الآيه أن خلاف هؤلاء كخلاف أولئك خلاف كفر لا خلاف اجتهاد عن أبى مسلم و كذلك اتصال الآيه الثانية فإنه بين فيها أن تكذيب هؤلاء الكفار بالذى آتيناك كتكذيب أولئك بالكتاب الذى آتيناه موسى.

ص: ٣٠٥

إشارة

وَلَا تَزْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ (١١٣) وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَ زُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ (١١٤) وَ اصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١١٥) فَلَوْ لَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّتِهِ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَ كَانُوا مُجْرِمِينَ (١١٦) وَ مَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَ أَهْلِهَا مُصْلِحُونَ (١١٧)

القراءة

قرأ أبو جعفر «و زُلْفًا» بضم اللام و الباقون بفتح اللام.

الحج

من قرأ زلفا بفتح اللام فإنه جمع زلفه و هى المنزلة قال العجاج:

ناج طواه الأين مما وجفا طى الليالى زلفا فزلفا

و من قرأ بضم اللام فإنه واحد مثل الحلم و جائز أن يكون جمعا على زليف من الليل فيكون مثل قريب و قرب قال الزجاج و الزلف بالفتح أجود فى الجمع و ما علمت أن زليفا يستعمل فى الليل و هو منصوب على الظرف.

اللغة

الركون إلى الشىء هو السكون إليه بالمحبه له و الإنصات إليه و نقيضه النفور عنه و الصبر حبس النفس عن الخروج إلى ما لا يجوز من ترك الحق و ضده الجزع قال:

فإن تصبرا خير مغبه و إن تجزعا فالأمر ما تريان

و هو مأخوذ من الصبر المر لأنه يجرع مراره الحق بحبس النفس عن الخروج إلى المشتهى و مما يعين على الصبر شيان (أحدهما) العلم بما يعقب من الخير فى كل وجه و عاده النفس له (و الثانى) استشعار ما فى لزوم الحق من العز و الأجر بطاعه الله و البقيه ما بقى من الشىء بعد ذهابه و هو الاسم من الإبقاء و يقال فى فلان بقيه أى فضل مما يمدح به و خير كأنه قيل بقيه خير من الخير الماضى و أترفوا أى عودوا الترفه بالنعيم و اللذه و ذلك إن الترفه عاده النعمه قال:

تهدى رءوس المترفين الضداد إلى أمير المؤمنين الممتاد

أى المسئول و إنما قيل للمتعم مترف لأنه مطلق له لا يمنع من تنعمه.

الإعراب

«فَتَمَسَّكُمْ» منصوب لأنه جواب النهى بالفاء و تقديره لا يكن منكم ركون إلى الظالمين فمس النار إياكم «ثُمَّ لَا تُنْصِرُونَ» ارتفع تنصرون على الاستثناف. «طَرَفِي النَّهَارِ» منصوب على الظرف و زلفا معطوف عليه. «إِلَّا قَلِيلًا» استثناء منقطع بمعنى لكن عن الزجاج تقديره لكن قليلا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد.

المعنى

ثم نهى الله سبحانه عن المداهنه فى الدين و الميل إلى الظالمين فقال «وَلَا تَزْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا» أى و لا تميلوا إلى مشركين فى شىء من دينكم عن ابن عباس و قيل لا تداهنوا الظلمه عن السدى و ابن زيد و قيل إن الركون إلى الظالمين المنهى عنه هو الدخول معهم فى ظلمهم و إظهار الرضا بفعالهم أو إظهار موالاتهم فأما الدخول عليهم أو مخالطتهم و معاشرتهم دفعا لشرهم فجائز عن القاضى و قريب منه ما

روى عنهم (عليه السلام) إن الركون الموده و النصيحة و الطاعه

«فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ» أى فيصيبكم عذاب النار «وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ» أى ما لكم سواه من أنصار يدفعون عنكم عذاب الله و فى هذا بيان أنهم متى خالفوا هذا النهى و سكنوا إلى الظالمين نالتهم النار و لم يكن لهم ناصر يدفع عنهم عقوبه لهم على ذلك «ثُمَّ لَا تُنْصِرُونَ» أى لا تنصرون فى الدنيا على أعدائكم لأن نصر الله نوع من الثواب فيكون للمطيعين «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ» أى أدها و ائت بأعمالها على وجه التمام فى ركوعها و سجودها و سائر فروضها و قيل معناه أعملها على استواء و قيل آدم على فعلها «طَرَفِي النَّهَارِ وَ زُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ» قيل أراد بطرفى النهار صلاه الفجر و المغرب و بزلف من الليل صلاه العشاء الآخره و الزلف أول ساعات الليل عن ابن عباس و ابن زيد قالوا و ترك ذكر الظهر و العصر لأحد أمرين إما لظهورهما فى أنهما صلاتا النهار فكأنه قال و أقم الصلاه طرفى النهار مع المعروفه من صلاه النهار و

إما لأنهما مذكورتان على التبع للطرف الأخير لأنهما بعد الزوال فهما أقرب إليه و قد قال سبحانه أقم الصلاه لمدلوك الشمس إلى غسق الليل و دلوك الشمس زوالها و هذا القول هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

و قيل صلاه طرفى النهار الغداه و الظهر و العصر و صلاه زلف الليل المغرب و العشاء الآخره عن الزجاج و به قال مجاهد و الضحاك و محمد بن كعب القرظى و الحسن قالوا لأن طرف الشىء من الشىء و صلاه المغرب ليست من النهار

قال الحسن قال رسول الله ص المغرب

و قيل أراد بطرفى النهار صلاه الفجر و صلاه العصر «إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ» قيل فى معناه إن الصلوات الخمس تكفر ما بينها من الذنوب لأنه عرف الحسنات بالألف و اللام و قد تقدم ذكر الصلاه عن ابن عباس و أكثر المفسرين و

ذكر الواحدى بإسناده عن حماد بن سلمه عن على بن زيد عن أبى عثمان قال كنت مع سلمان تحت شجره فأخذ غصنا يابساً منها فهزه حتى تحات ورقه ثم قال يا أبا عثمان ألا تسألنى لم أفعل هذا قلت و لم تفعله قال هكذا فعله رسول الله ص و أنا معه تحت شجره فأخذ منها غصنا يابساً فهزه حتى تحات ورقه ثم قال ألا تسألنى يا سلمان لم أفعل هذا قلت و لم فعلته قال إن المسلم إذا توضع فأحسن الوضوء ثم صلى الصلوات الخمس تحات خطاياها كما يتحات هذا الورق ثم قرأ هذه الآية «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ» إلى آخرها

و بإسناده

عن أبى أمامه قال بينما رسول الله ص فى المسجد و نحن قعود معه إذ جاءه رجل فقال يا رسول الله إنى أصبت حدا فأقمه على فقال هل شهدت الصلاه معنا قال نعم يا رسول الله قال فإن الله قد غفر لك حدك أو قال ذنبك

و بإسناده

عن الحرث عن على بن أبى طالب (عليه السلام) قال كنا مع رسول الله ص فى المسجد ننتظر الصلاه فقام رجل فقال يا رسول الله إنى أصبت ذنبا فأعرض عنه فلما قضى النبى ص الصلاه قام الرجل فأعاد القول فقال النبى ص أ ليس قد صليت معنا هذه الصلاه و أحسنت لها الطهور قال بلى قال فإنها كفاره ذنبك

و

روى أصحابنا عن ابن محبوب عن إبراهيم الكرخى قال كنت عند أبى عبد الله (عليه السلام) إذ دخل عليه رجل من أهل المدينه فقال له من أين جئت ثم قال له تقول جئتك من هاهنا و هاهنا لغير معاش تطلبه و لا بعمل آخر تكسبه أنظر بما ذا تقطع يومك و ليلتك و اعلم أن معك ملكا كريما موكلا بك يحفظ عليك ما تصنع و يطلع على سررك الذى تخفيه من الناس فاستحيا لا تستحقرن سيئه فإنها ستسوؤك يوما و لا تحقرن حسنه و إن صغرت عندك و قلت فى عينك فإنها ستسرك يوما و اعلم أنه ليس شىء أضر عاقبه و لا أسرع ندامه من الخطيئه و أنه ليس شىء أشد طلبا و لا أسرع دركا للخطيئه من الحسنه أما إنها لتدرك الذنب العظيم القديم المنسى عند عامله فتجتذبه و تسقطه و تذهب به بعد إثباته و ذلك قول الله سبحانه «إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ»

و

رووا عن أبى حمزه الثمالى قال سمعت أحدهما ع يقول إن عليا ع أقبل على الناس فقال آيه آيه فى كتاب الله أرجى عندكم

فقال بعضهم «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ» الآية فقال حسنه و ليست إياها و قال بعضهم وَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ قَالَ حسنه و ليست إياها و قال بعضهم «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ» قال حسنه و ليست إياها و قال بعضهم «وَ الَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً» الآية قال حسنه و ليست إياها قال ثم أحجم الناس فقال ما لكم يا معشر المسلمين فقالوا لا و الله ما عندنا شىء قال سمعت حبيبي رسول الله ص يقول أرجى آية فى كتاب الله «وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرْفِي النَّهَارِ» و قرأ الآية كلها قال يا على و الذى بعثنى بالحق بشيرا و نذيرا إن أحدكم ليقوم من وضوئه فتساقط عن جوارحه الذنوب فإذا استقبل الله بوجهه و قلبه لم يفتل و عليه من ذنوبه شىء كما ولدته أمه فإن أصاب شيئا بين الصلاتين كان له مثل ذلك حتى عد الصلوات الخمس ثم قال يا على إنما منزله الصلوات الخمس لأمتى كنهر جار على باب أحدكم فما يظن أحدكم لو كان فى جسده درن ثم اغتسل فى ذلك النهر خمس مرات أ كان يبقى فى جسده درن فكذلك و الله الصلوات الخمس لأمتى

و قيل «إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ» معناه إن الدوام على فعل الحسنات يدعو إلى ترك السيئات فكأنها يذهبن بها و قيل إن المراد بالحسنات التوبة فإنها تذهب السيئات بأن تسقط عقابها لأنه لا خلاف فى أن العقاب يسقط عند التوبة «ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ» يعنى إن ما ذكره من إن الحسنات تذهب السيئات فيه تذكروا و موعظه لمن تذكر به و فكر فيه «وَ اصْبِرْ» قيل معناه اصبر على الصلاة كما قال وَ أَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَ اصْبِرْ عَلَيْهَا «فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ» أى المصلين عن ابن عباس و قيل معناه اصبر يا محمد على أذى قومك و تكذيبهم إياك و على القيام بما افترضته عليك و على أداء الواجبات و الامتناع عن المقبحات فإن الله لا يهمل جزاء المحسنين على إحسانهم و لا يبطله بل يكافئهم عليه أكمل الثواب «فَلَوْ لَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ» أى هلا- كان و إلا كان و معناه النفى و تقديره لم يكن من القرون من قبلكم قوم باقون «يَنْهَوْنَ عَنِ الْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ» أى كان يجب أن يكون منهم قوم بهذه الصفة مع إنعام الله تعالى عليهم بكمال العقل و بعثه الرسل إليهم و إقامة الحجج لهم و هذا تعجب و توبيخ لهؤلاء الذين سلكوا سبيل من قبلهم فى الفساد نحو عاد و ثمود و القرون التى عدها القرآن و أخبر بهلاكها أى إن العجب منهم كيف لم تكن من جملتهم بقيه فى الأرض يأمرن فيها بالمعروف و ينهون عن المنكر و كيف اجتمعوا على الكفر حتى استأصلهم الله بالعذاب و أنواع العقوبات لكفرهم بالله و معاصيهم له و قيل «أُولُوا بَقِيَّةٍ» معناه ذوو دين و خير و قيل معناه ذوو بركة و قيل ذوو تمييز و طاعة «إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ» المعنى إن قليلا منهم كانوا ينهون عن الفساد و هم الأنبياء و الصالحون الذين آمنوا مع الرسل فأنجيناهم من العذاب

الذى نزل بقومهم و إنما جعلوا هذا الاستثناء منقطعاً لأنه إيجاب لم يتقدم فيه صيغه النفي و إنما تقدم تهجين خرج مخرج السؤال و لو رفع لجاز فى الكلام «وَ اتَّبِعِ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَرُوا فِيهِ» أى و اتبع المشركون ما عودوا من النعم و التمتع و إثارة اللذات على أمور الآخرة و اشتغلوا بذلك عن الطاعات «وَ كَانُوا» أى و كان هؤلاء المتعمون البطرون «مُجْرِمِينَ» مصرين على الجرم و فى الآيه دلالة على وجوب النهى عن المنكر لأنه سبحانه ذمهم بترك النهى عن الفساد و أخبر بأنه أنجى القليل منهم لنهيهم عن ذلك و نبه على أنه لو نهى الكثير كما نهى القليل لما هلكوا ثم أخبر سبحانه أنه لم يهلك إلا بالكفر و الفساد فقال «وَ مَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَ أَهْلُهَا مُصِلِحُونَ» و ذكر فى تأويله وجوه (أحدها) إن المعنى و ما كان ربك ليهلك القرى بظلم منه لهم و لكن إنما يهلكهم بظلمهم لأنفسهم كما قال إنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا الْآيَةَ (و ثانيها) إن معناه لا يؤاخذهم بظلم واحد منهم مع أن أكثرهم مصلحون و لكن إذا عم الفساد و ظلم الأكترون عذبهم (و ثالثها) أنه لا يهلكهم بشركهم و ظلمهم لأنفسهم و هم يتعاطون الحق بينهم أى ليس من سبيل الكفار إذا قصدوا الحق فى المعاملة أن يهلكهم الله بالعذاب عن ابن عباس فى روايه عطا و الواو فى قوله «وَ أَهْلُهَا» واو الحال و

روى عن النبى ص أنه قال «وَ أَهْلُهَا مُصِلِحُونَ» ينصف بعضها بعضهم.

النظم

وجه اتصال قوله تعالى «فَلَوْ لَا - كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ» الآيه بما قبلها أنه تعالى لما ذكر إهلاك الأمم الماضيه و القرون الخاليه عقب ذلك بأنهم أتوا فى إهلاكهم من قبل نفوسهم و لو كان فيهم مؤمنون يأمرن بالصلاح و ينهون عن الفساد لما استأصلناهم رحمه منا و لكنهم لما عمهم الكفر استحقوا عذاب الاستئصال.

ص: ٣١٠

إشارة

وَ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ لَآ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (۱۱۸) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَ لِمَ لِكَ خَلَقَهُمْ وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ (۱۱۹) وَ كَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِمَّنْ أَنبَأَ الرُّسُلَ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَ جَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَ مَوْعِظَةٌ وَ ذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (۱۲۰) وَ قُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (۱۲۱) وَ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (۱۲۲) وَ لِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهَا فَاَعْبُدْهُ وَ تَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَ مَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (۱۲۳)

القراءة

قرأ «يُرْجَعُ الْأُمُورُ» بضم الياء و فتح الجيم و كسرهما نافع و حفص و الباقون يرجع بفتح الياء و قرأ عما تعملون بالتاء هنا و في آخر النمل أهل المدينة و الشام و يعقوب و حفص و الباقون بالياء.

الحج

من ضم الياء من «يُرْجَعُ» فلقوله «ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ» و المعنى رد أمرهم إلى الله و من فتح الياء فلقوله «وَ الْأُمُورُ يُؤْمَرُ» لِلَّهِ و المعنيان متقاربان و من قرأ بالتاء في «تَعْمَلُونَ» جعل الخطاب للنبي ص و أمته و هو أعم فائده و من قرأ بالياء وجهه إلى من تقدم ذكره من الكفار و فيه ضرب من التهديد.

اللغة

القصص الخبر عن الأمور بما يتلو بعضه بعضاً لأنه من قصه يقصه إذا اتبع أثره لأنه يتبع أثر من يخبر عنه و النبأ الخبر بما فيه عظيم الشأن يقولون لهذا الأمر نبأ و التثيت تمكين إقامة الشيء من الثبوت يقال ثبته بتسكينه و ثبته بتمكينه و ثبته بالدلالة على ثبوته و ثبته بالخبر عن وجوده و الفؤاد القلب مأخوذ من المفتاد و هو المشوى قال:

كأنه خارجاً من جنب صفحته سفود شرب نسوه عند مفتاد

و المكانة الطريقة التي يتمكن من العمل عليها و له مكانه عند السلطان أى جاه و قدر و الانتظار طلب الإدراك لما يأتى من الأمر لأنه من النظر و الفرق بين الانتظار و الترجى أن الترجى للخير خاصه و الانتظار فى الخير و الشر.

الإعراب

«إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ» قال الزجاج هو استثناء على معنى لكن و تقديره لكن من رحم ربك فإنه غير مختلف و قوله «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ» جواب القسم و تقديره يمينا لأملأن كما تقول حلفى لأضربنك و بدا لى لأضربك و كل فعل كان تأويله كتأويل بلغنى أو قيل

لى أو انتهى إلى فإن اللام و إن يصلحان فيه فتقول بدا لى لأضربنك و بدا لى أن أضربك و لو قيل

ص: ٣١١

و تمت كلمه ربك أن يملأ جهنم كان صوابا و «كَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ» نصب على المصدر و تقديره و كل القصص نقص عليك و قيل أنه نصب على الحال فقدم الحال قبل العامل كما تقول كلا ضربت القوم و يجوز أن يكون نصبا على أنه مفعول به و تقديره و كل الذى يحتاج إليه نقص عليك و يكون «مَا نُبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ» بدلا منه قاله الزجاج و قوله «إِنَّا عَامِلُونَ» «إِنَّا مُتَتَّظِرُونَ» لو دخلت الفاء فقال فإننا لأفاد أن الثانى لأجل الأول و حيث لم يدخل لم يفد ذلك.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن كمال قدرته فقال «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً» أى على مله واحده و دين واحد فيكونون مسلمين صالحين عن قتاده و ذلك بأن يلجئهم إلى الإسلام بأن يخلق فى قلوبهم العلم بأنهم لو راموا غير ذلك لمنعوا منه لكن ذلك ينافى التكليف و يبطل الغرض بالتكليف لأن الغرض به استحقاق الثواب و الإلجاء يمنع من استحقاق الثواب فلذلك لم يشأ الله ذلك و لكنه شاء أن يؤمنوا باختيارهم ليستحقوا الثواب و قيل معناه لو شاء ربك لجعلهم أمه واحده فى الجنة على سبيل التفضل لكنه اختار لهم أعلى الدرجتين فكلفهم ليستحقوا الثواب عن أبى مسلم و قيل معناه لو شاء لرفع الخلاف فيما بينهم «وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ» فى الأديان بين يهودى و نصرانى و مجوسى و غير ذلك عن مجاهد و قتاده و عطا و الأعمش و الحسن فى إحدى الروايتين عنه و فى الرواية الأخرى عنه أنهم مختلفون فى الأرزاق و الأحوال و لتسخير بعضهم لبعض و قيل معناه يخلف بعضهم بعضا فى الكفر تقليدا من غير نظر فإن قولك خلف بعضهم بعضا و قولك اختلفوا سواء كما أن قولك قتل بعضهم بعضا و قولك اقتتلوا سواء عن أبى مسلم «إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ» من المؤمنين فإنهم لا-يختلفون و يجتمعون على الحق عن ابن عباس و المعنى لا-يزالون مختلفين بالباطل إلا من رحمهم الله بفعل اللطف لهم الذى يؤمنون عنده و يستحقون به الثواب فإن من هذه صورته ناج من الاختلاف بالباطل «وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ» اختلف فى معناه فقيل يريد و للرحمة خلقهم عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و الضحاك و هذا هو الصحيح و اعترض على ذلك بأن قيل لو أراد الله ذلك لقال و لتلك خلقهم لأن الرحمة مؤنثة و هذا باطل لأن تأنيث الرحمة غير حقيقى فإذا ذكر فعلى معنى التفضل و الإنعام و قد قال سبحانه هذا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي و إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ و مثله قول امرئ القيس:

برهره روده رخصه كخزعوبه البانه المنفطر

و لم يقل المنفطره لأنه ذهب إلى الغصن و قال:

قامت تبكيه على قبره من لى من بعدك يا عامر

تركتنى فى الدار غربه قد ذل من ليس له ناصر

و لم يقل ذات غربه لأنه أراد شخصا ذا غربه.

و قالت الخنساء:

فذلك يا هند الرزیه فاعلمى و نيران حرب حين شب و قودها

أراد الرزء و فى أمثال ذلك كثره على أن قوله «إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ» كما يدل على الرحمه يدل أيضا على أن يرحم فلا يمتنع أن يكون المراد لأن يرحموا خلقهم و قيل إن المعنى و لاختلاف خلقهم و اللام للعاقبه يريد أن الله خلقهم و علم أن عاقبتهم تؤل إلى الاختلاف المذموم كما قال وَ لَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ عَنِ الْحَسَنِ وَ عَطَا وَ مَالِكُ وَ لَا يَجُوزُ عَلَى هَذَا أَنْ يَكُونَ اللَّامُ لِلْغَرَضِ لِأَنَّهُ تَعَالَى لَا يَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ مِنْهُمْ الْاِخْتِلَافَ الْمَذْمُومَ إِذْ لَوْ أَرَادَ ذَلِكَ مِنْهُمْ لَكَانُوا مُطِيعِينَ لَهُ فِي ذَلِكَ الْاِخْتِلَافِ لِأَنَّ الطَّاعَةَ حَقِيقَتُهَا مُوَافَقَةُ الْإِرَادَةِ وَ الْأَمْرُ وَ لَوْ كَانُوا كَذَلِكَ لَمَا اسْتَحَقُّوا عِقَابًا وَ أَمَا إِذَا حَمَلَ مَعْنَى الْاِخْتِلَافِ عَلَى مَا قَالَهُ أَبُو مُسْلِمٍ فَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ اللَّامُ لِلْغَرَضِ وَ قِيلَ إِنَّ ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى اجْتِمَاعِهِمْ عَلَى الْإِيمَانِ وَ كَوْنِهِمْ فِيهِ أُمَّهُ وَاحِدَةٌ وَ لَا مَحَالَةَ أَنْ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ لِهَذَا خَلْقِهِمْ وَ يُؤَيِّدُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ وَ قَالَ الْمُرْتَضَى قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ قَدْ قَالَ قَوْمٌ أَنَّ مَعْنَى الْآيَةِ وَ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ أَنْ يَدْخُلَ النَّاسُ بِأَجْمَعِهِمُ الْجَنَّةَ فَيَكُونُوا فِي وَصُولِ جَمِيعِهِمْ إِلَى النِّعَمِ أُمَّهُ وَاحِدَةٌ لِفِعْلٍ وَ أَجْرُوا هَذِهِ الْآيَةَ مَجْرَى قَوْلِهِ وَ لَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى فِي أَنَّهُ أَرَادَ هُدًى إِلَى طَرِيقِ الْجَنَّةِ فَعَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لَفْظُهُ ذَلِكَ إِشَارَةً إِلَى إِدْخَالِهِمْ أَجْمَعِينَ الْجَنَّةَ لِأَنَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا خَلَقَهُمْ لِلْمَصِيرِ إِلَيْهَا وَ الْوَصُولِ إِلَى نِعْمَتِهَا «وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ» أَيْ وَصَلَ وَحْيُهُ وَ وَعِيدُهُ الَّذِي لَا خَلْفَ فِيهِ بِتَمَامِهِ إِلَى عِبَادِهِ وَ قِيلَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صَدَقًا بِأَنَّ وَقَعَ مَخْبَرُهَا عَلَى مَا أَخْبَرَ بِهِ عَنِ الْجَبَائِثِ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ وَجِبَ قَوْلِ رَبِّكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ قِيلَ مَضَى حُكْمُ رَبِّكَ عَنِ الْحَسَنِ «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ» بِكُفْرِهِمْ «وَ كَلَّا» أَيْ وَ كَلَّ الْقَصَصِ «نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ» (أَيْ مِنْ أَخْبَارِهِمْ) «مَا نُبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ» أَيْ مَا نَقُوِي بِهِ قَلْبَكَ وَ نَطِيبُ بِهِ نَفْسَكَ وَ نَزِيدُكَ بِهِ ثَبَاتًا عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِنذَارِ وَ الصَّبْرِ عَلَى أَذَى قَوْمِكَ الْكُفَّارِ «وَ جَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ» أَيْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ الْحَسَنِ وَ مُجَاهِدٍ وَ قِيلَ فِي هَذِهِ

الدنيا عن قتاده وقيل في هذا الأبناء عن الجبائي و الحق الصدق من الأنباء و الوعد و الوعيد و قيل معناه و جاءك في ذكر هذه الآيات التي ذكرت قبل هذا الموضع الحق في أن الخلق يجازون بانصبائهم في قوله و إِنَّا لَمَوْفُوهُم نَصِيْبُهُمْ وَ إِنَّا كَلَّا لَمَّا لَيُؤْفِقِيْنَهُمْ و قد جاء في القرآن كله الحق و لكنه ذكرها هنا توكيدا و ليس إذا قيل قد جاءك في هذا الحق و جب أن يكون لم يأتك الحق إلا- فيه و لكن بعض الحق أوكد من بعض عن الزجاج «وَ مَوْعِظَةٌ» أى و جاءك موعظه تعظ الجاهلين بالله و تزجر الناس عن المعاصى «وَ ذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ» تذكرهم الآخرة «وَ قُلْ» يا محمد «لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ» هذا مثل قوله اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ «إِنَّا عَامِلُونَ» على ما أمرنا الله تعالى به و قد مر تفسير هذه الآية فيما مضى «وَ انْتِظِرُوا» أى توقعوا ما يعدكم ربكم على الكفر من العقاب «إِنَّا مُنْتَظِرُونَ» ما يعدنا على الإيمان من الثواب و قيل انتظروا ما يعدكم الشيطان من الغرور إنا منتظرون ما يعدنا ربنا من النصر و العلو عن ابن جريج «وَ لِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» معناه و لله علم ما غاب فى السماوات و الأرض لا يخفى عليه شىء منه عن الضحاك و قيل معناه و الله مالك ما غاب فى السماوات و الأرض و قيل معناه و لله خزائن السماوات و الأرض عن ابن عباس و وجدت بعض المشايخ ممن يتسم بالعدوان و التشنيع قد ظلم الشيعة الإماميه فى هذا الموضع من تفسيره فقال هذا يدل على أن الله سبحانه يختص بعلم الغيب خلافا لما تقول الرافضة أن الأئمة يعلمون الغيب و لا شك أنه عنى بذلك من يقول بإمامه الاثنى عشر و يدين بأنهم أفضل الأنام بعد النبى ص فإن هذا دأبه و ديدنه فيهم يشنع فى مواضع كثيرة من كتابه عليهم و ينسب الفضائح و القبائح إليهم و لا نعلم أحدا منهم استجاز الوصف بعلم الغيب لأحد من الخلق فإنما يستحق الوصف بذلك من يعلم جميع المعلومات لا بعلم مستفاد و هذه صفة القديم سبحانه العالم لذاته لا يشركه فيها أحد من المخلوقين و من اعتقد أن غير الله سبحانه يشركه فى هذه الصفة فهو خارج عن مله الإسلام فأما ما نقل عن أمير المؤمنين ع و رواه عنه الخاص و العام من الإخبار بالغائبات فى خطب الملاحم و غيرها مثل

قوله يومئذ به إلى صاحب الزنج كأنى به يا أحنف و قد سار بالجيش الذى ليس له غبار و لا لجب و لا قعقه لجم و لا سهيل خيل يثرون الأرض بأقدامهم كأنها أقدام النعام و قوله يشير إلى مروان أما إن له إمره كلعقه الكلب أنفه و هو أبو الأ-كبش الأربعة و ستلقى الأمه منه و من ولده موتا أحمر

و ما نقل من هذا الفن عن أئمة الهدى ع من أولاده مثل

ما قاله أبو عبد الله (عليه السلام) لعبد الله بن الحسن و قد اجتمع هو و جماعه من العلويه و العباسيه ليبياعوا ابنه محمدا و الله ما هى إليك و لا إلى ابنيك و لكنها لهم و أشار إلى العباسيه و إن ابنيك

لمقتولان ثم نهض و توكأ على يد عبد العزيز بن عمران الزهري فقال له أ رأيت صاحب الرداء الأصفر يعنى أبا جعفر المنصور قال نعم فقال إنا والله نجده يقتله

فكان كما قال و مثل

قول الرضا (عليه السلام) بورك قبر بطوس و قبران ببغداد فقل له قد عرفنا واحدا فما الآخر فقال ستعرفونه ثم قال قبرى و قبر هارون هكذا و ضم إصبعيه

و

قوله فى القصة المشهوره لأبى حبيب النبأحى و قد ناوله قبضه من التمر لو زادك رسول الله ص لزدناك

و

قوله فى حديث على بن أحمد الوشاء حين قدم مرو من الكوفة معك حله فى السفط الفلانى دفعتهإى إلك ابنتك و قالت اشتر لى بثمانها فيروزجا

و الحديث مشهور إلى غير ذلك مما روى عنهم ع فإن جميع ذلك متلقى عن النبى ص مما أطلع الله عليه فلا معنى لنسبه من روى عنهم هذه الأخبار المشهوره إلى أنه يعتقد كونهم عالمين للغيب و هل هذا إلا سبب قبيح و تضليل لهم بل تكفير لا يرتضيه من هو بالمذاهب خبير و الله يحكم بينه و بينهم و إليه المصير «وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهُ» أى إلى حكمه يرجع فى المعاد كل الأمور لأن فى الدنيا قد يملك غيره بعض الأمر و النهى و النفع و الضر «فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ» يريد أن من له ملك السماوات و الأرض و إليه يرجع جميع الأمور فحقيق أن يعبد و يتدلل له و يتوكل عليه و يوثق به «وَ مَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ» أى بساه «عَمَّا تَعْمَلُونَ» أى عن أعمال عباده بل هو عالم بها و مجاز كلا منهم عليها ما يستحقه من ثواب و عقاب فلا يحزنك يا محمد إعراضهم عنك و تركهم القبول منك و روى عن كعب الأخبار أنه قال خاتمه التوراه خاتمه هود.

ص: ٣١٥

(١٢) سورة يوسف مكيه و آياتها إحدى عشره و مائه (١١١)

إشاره

[توضيح]

مكيه و قال المعدل عن ابن عباس غير أربع آيات نزلن بالمدينه ثلاث من أولها و الرابعه «لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَّائِلِينَ».

عدد آياتها

مائه و إحدى عشره آيه بالإجماع.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال علموا أرقاء كم سورة يوسف فإنه أيما مسلم تلاها و علمها أهله و ما ملكت يمينه هون الله تعالى عليه سكرات الموت و أعطاه القوه أن لا يحسد مسلما

و

روى أبو بصير عن أبى عبد الله ع قال من قرأ سورة يوسف فى كل يوم أو فى كل ليله بعثه الله يوم القيامة و جماله مثل جمال يوسف و لا يصيبه فزع يوم القيامة و كان من خيار عباد الله الصالحين و قال فيها إنها كانت فى التوراه مكتوبه

و

روى إسماعيل بن أبى زياد عن أبى عبد الله عن أبيه عن آبائه ع قال قال رسول الله ص لا تنزلوا نساءكم فى الغرف و لا تعلموهن الكتابه و لا تعلموهن سورة يوسف و علموهن الغزل و سورة النور.

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة هود بذكر قصص أنباء الرسل افتتح هذه السوره بأن من تلك القصص قصه يوسف (عليه السلام) و إخوته و أنها من أحسن القصص فقال

ص: ٣١٦

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (٣)

الإعراب

«قُرْآنًا عَرَبِيًّا» فيه وجهان (أحدهما) قرآنا انتصب بأنه بدل من الهاء في أنزلناه فكأنه قال إنا أنزلنا قرآنا (و الثاني) أنه توطئه للحال لأن عربيا حال وهذا كما تقول مررت بزید رجلا= صالحا فتنصب صالحا على الحال وتجعل رجلا توطئه للحال وقوله «بما أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ» القرآن نصب و إنه وصف لمعمول أوحينا وهو هذا أو بدل أو عطف بيان قال الزجاج ويجوز الجر والرفع جميعا في الكلام وإن لم يقرأ بهما أما الجر فعلى البدل مما أوحينا إليك أي بهذا القرآن و أما الرفع فعلى ترجمه أوحينا إليك كان قائلا قال ما هو فقيل هذا القرآن.

المعنى

«الر» قد سبق الكلام فيه في أول البقره و إنما لم يعد آيه لأنه على حرفين و لا يشاكل رءوس الآي و عد طه آيه لأنه يشبه رءوس الآي «تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ» قيل في معنى الإشاره بتلك وجوه (أحدها) أنه إشاره إلى ما سيأتي من ذكرها على وجه التوقع لها (و الثاني) أنه إشاره إلى السوره أي سوره يوسف آيات الكتاب المبين (و الثالث) أن معناه هذه الآيات تلك الآيات التي وعدتم بها في التوراه كما قال «الم ذَلِكَ الْكِتَابُ» عن الزجاج و «الْمُبِينِ» المظهر لحلال الله و حرامه و المعاني المراده فيه عن مجاهد و قتاده و المبين و المبين واحد و البيان هو الدلاله «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ» يعنى القرآن أي أنزلنا هذا الكتاب و قيل أنزلنا خبر يوسف و قصته عن الزجاج قال لأن علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر و عن قصه يوسف (عليه السلام) فقال «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا» على مجارى كلام العرب في محاوراتهم و

روى ابن عباس عن النبي ص قال أحب العرب لثلاث لأنى عربى و القرآن عربى و كلام أهل الجنه عربى

«لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» أي لتعلموا جميع معانيه و تفهموا ما فيه و قيل معناه لتعلموا أنه من عند الله إذ كان عربيا و عجزتم عن الإتيان بمثله و فى هذه الآيه دلاله على أن كلام الله سبحانه محدث و أنه غير الله لأنه وصفه بالانزال و بأنه عربى و لا يوصف بذلك القديم سبحانه «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ» أي نبين لك أحسن البيان عن الزجاج و هذا كقولهم صمت أحسن الصيام قمت أحسن القيام

مما يكون انتصابه على أنه قائم مقام المصدر فالمعنى نبين لك أحسن تبيين و أحسن إيضاح «بما أوحينا إليك» أى بوحينا إليك «هذا القرآن» ودخلت الباء لتبيين القصص إذ القصص تكون قرآنا و غير القرآن و القصص هاهنا بوحى القرآن و قيل إنما سمي القرآن أحسن القصص لأنه بلغ النهايه فى الفصاحه و حسن المعانى و عدوبه الألفاظ مع التلاؤم المنافى للتنافر و التشاكل بين المقاطع و الفواصل و قيل لأنه ذكر فيه أخبار الأمم الماضيه و أخبار الكائنات الآتية و جميع ما يحتاج إليه العباد إلى يوم القيامه بأعذب لفظ و تهذيب فى أحسن نظم و ترتيب و قيل أراد بأحسن القصص قصه يوسف وحدها لأنها تتضمن من الفوائد و النكت و الغرائب ما لا يتضمنه غيرها و لأنها تمتد امتداد لا يمتد غيرها مثله و قوله «أَحْسَنَ الْقَصَصِ» يدل على أن الحسن يتفاضل و يتعاضم لأن لفظه أفعل حقيقتها ذلك و إنما يتعاضم بكثرة استحقاق المدح عليه و يسأل عن هذا فيقال هل يجوز أن يسمى الله سبحانه قاصا فيقال لا لأنه فى العرف إنما يستعمل فيمن تمسك بطريقه مخصوصه و هذا كما أنه سبحانه لا يسمى معلما و لا مفتيا و إن وصف نفسه بأنه علم القرآن و بأنه يفتيكم فى النساء و قوله «وَ إِنْ كُنْتَ مِنْ قَلِيلٍ لِمَنْ الْغَافِلِينَ» معناه و ما كنت من قبل أن أوحينا إليك هذا القرآن أو من قبل نزول القرآن عليك إلا من الغافلين عن الحكم التى فى القرآن لا تعلم شيئا منها و قيل من الغافلين عن قصه يوسف و عن الحكم التى فيها.

[سوره يوسف (١٢): الآيات ٤ الى ٦]

اشاره

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤) قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٥) وَ كَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَ يُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَ يُتِّمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ عَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦)

ص: ٣١٨

قرأ أبو جعفر و ابن عامر يا أبت بفتح التاء و الباقون بكسرها و ابن كثير وقف على الهاء يا أبه و الباقون بالتاء و روى فى الشواذ عن أبى جعفر و نافع و طلحه بن سليمان أحد عشر بسكون العين و القراءه بفتحها و قرأ الكسائى إلا أبا الحرث و قتيبه بإماله رؤياك و الرؤيا فى جميع القرآن و روى أبو الحرث عنه فتح «رُؤْيَاكَ» و إماله الباقى و قتيبه أمال للرؤيا تعبرون فقط و قرأ خلف فى اختياره بإماله ما فيه ألف و لام و الباقون بالتفخيم و خفف الهمزه فى جميع ذلك أبو جعفر و ورش و شجاع و الترمذى إلا أن أبا جعفر يدغم الواو فى الياء فيجعلها ياء مشدده.

الحجه

قال الزجاج من قرأ «يا أبت» بكسر التاء فعلى الإضافه إلى نفسه و حذف الياء لأن ياء الإضافه تحذف فى النداء و أما إدخال تاء التأنيث فى الأب فإنما دخلت فى النداء خاصه و المذكر قد يسمى باسم فيه علامه التأنيث و يوصف بما فيه تاء التأنيث فالاسم نحو نفس و عين و الصفه نحو غلام يفعه و رجل ربه فلزمت التاء فى الأب عوضا من ياء الإضافه و الوقف عليها يا أبه بالهاء و إن كانت فى المصحف بالتاء و زعم الفراء أنك إذا كسرت وفتت بالتاء لا غير و إذا فتحت وفتت بالتاء و الهاء و لا فرق بين الكسر و الفتح و أما يا أبت بالفتح فعلى أنه أبدل من ياء الإضافه ألفا ثم حذفت الألف كما يحذف ياء الإضافه و بقيت الفتحه قال أبو على من فتح فله وجهان (أحدهما) أن يكون مثل يا طلحه أقبل و وجه قول من قال يا طلحه إن هذا النحو من الأسماء التى فيها تاء التأنيث أكثر ما يدعى مرخما فلما كان كذلك رد التاء المحذوفه فى الترخيم إليه و ترك الآخر يجرى على ما كان يجرى عليه فى الترخيم من الفتح فلم يعتد بالهاء و أقحمها و الوجه الآخر أن يكون أراد يا أبتا فحذف الألف كما يحذف التاء فتبقى الفتحه داله على الألف كما أن الكسره تبقى داله على الياء و الدليل على قوه هذا الوجه كثره ما جاءت هذه الكلمه على هذا الوجه كقول الشاعر:

" و هل جزع أن قلت و ابتاهما "

و قول الأعشى:

و يا أبتا لا تزل عندنا فإننا نخاف بأن تخترم

و قول رؤبه:

" يا أبتا عليك أو عساكا "

فلما كثرت هذه الكلمه فى كلامهم ألزموها القلب و الحذف على أن أبا عثمان قد رأى ذلك مطردا فى جميع هذا الباب و أما وقف ابن كثير على الهاء فلاذن التاء التى للتأنيث يبدل منها الهاء فى الوقف فيغير الحرف بذلك فى الوقف كما غير التنوين إذا انفتح ما قبله بأن أبدل منه الألف و من قرأ أحد عشر بسكون العين قال ابن جنى سبب ذلك عندى أن الاسمين لما جعلوا كالاسم الواحد و بنى الأول منهما لأنه كصدر

الاسم من عجزه جعل تسكين أول الثانى دليلا على أنهما قد صارا كالاسم الواحد و كذلك بقيه العدد إلى تسعه عشر إلا اثنى عشر و اثنتى عشر فإنه لا يسكن العين لسكون الألف و الياء قبلها قال الزجاج الرؤيا فيها أربع لغات رؤيا بالهمزة و روي بالواو من غير همز و ريا على الإدغام و ريا بكسر الراء قال أبو على الرؤيا مصدر كالبشرى و السقيا و البقيا و الشورى إلا أنه لما صار اسما لهذا التخيل فى المنام جرى مجرى الأسماء كما أن درا لما كثر فى كلامهم فى قولهم لله درك جرى مجرى الأسماء و خرج من حكم الأعمال فلا- يعمل واحد منهما أعمال المصادر و مما يقوى خروجه عن أحكام المصادر تكسيرهم لها رؤى فصار بمنزله ظلم و المصادر فى الأ- كثر لا- تكسر و الرؤيا على تحقيق الهمز فإن خفت قلبتها فى اللفظ واوا و لم تدغم الواو فى الياء و إن كانت قد تقدمتها ساكنه كما تقلب فى نحو طى ء و لى لأن الواو فى تقدير الهمزة فهى لذلك غير لازمه، فلا يقع الاعتماد بها و قد كسرا و لها قوم فقالوا ريا فهؤلاء قلبوا الواو قلبا على غير وجه التخفيف و من ثم كسروا الفاء كما كسروا من قولهم قرن ألوى و قرون لى.

اللغة

الرؤيا تصور المعنى فى المنام على توهم الإبصار و ذلك أن العقل مغمور بالنوم فإذا تصور الإنسان المعنى توهم أنه يراه و الكيد طلب الحيلة و اللام فى «فَيَكِيدُوا لَكَ» لام التعديه كما تقول قدمت لك طعاما و قدمت إليك طعاما و شكرت لك و شكرتك يقال كاده يكيد كيدا و كاده و كاد له و الاجتباء اختيار معالى الأمور للمجتبى و أصله من جببت الماء فى الحوض إذا جمعته.

الإعراب

تقدير العامل فى إذ يجوز أن يكون اذكر كأنه قال اذكر إذ قال يوسف قال الزجاج و يجوز أن يكون على نقص عليك إذ قال و قد غلط فى هذا لأن الله تعالى لم يقص على نبيه ص هذا القصص فى وقت قول يوسف (عليه السلام) و كوكبا منصوب على التمييز و قوله «رَأَيْتُهُمْ» كسر الرؤيه توكيدا و لأن الكلام قد طال و المعنى رأيت أحد عشر كوكبا و الشمس و القمر لى ساجدين و لم يقل ساجدات لأنه لما وصف هذه الأشياء بالسجود كما يوصف الآدميون بذلك أجرى فعلها مجرى فعل العقلاء و كما قال «يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ» و موضع الكاف من قوله «وَ كَذَلِكَ» نصب و المعنى و مثل ما رأيت يجتبيك ربك و يعلمك.

المعنى

ثم ابتداء سبحانه بقصه يوسف (عليه السلام) فقال «إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ» يعقوب (عليه السلام) و هو إسرائيل الله و معناه عبد الله الخالص ابن إسحاق نبى الله بن إبراهيم خليل الله و

فى الحديث أن النبى ص قال الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن

«يا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَ الشَّمْسَ وَ القَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ» أى رأيت فى منامى قال ابن عباس إن يوسف (عليه السلام) رأى فى المنام ليله الجمعة ليله القدر أحد عشر كوكبا نزلن من السماء فسجدن له و رأى الشمس و القمر نزلا من السماء فسجدا له قال فالشمس و القمر أبواه و الكواكب إخوته الأحد عشر و قال السدى الشمس أبوه و القمر خالته و ذلك أن أمه راحيل قد ماتت و قال ابن عباس الشمس أمه و القمر أبوه و قال وهب كان يوسف رأى و هو ابن سبع سنين أن أحد عشر عصا طوالا- كانت مركوزه فى الأرض كهيئه الدائره و إذا عصا صغيره تثب عليها حتى اقتلعتها و غلبتها فوصف ذلك لأبيه فقال له إياك أن تذكر هذا لإخوتك ثم رأى و هو ابن اثنتى عشره سنه أن أحد عشر كوكبا و الشمس و القمر سجدت لها فقصها على أبيه فقال له «لا تَقْضُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ» الآية و قيل أنه كان بين رؤياه و بين مصير أبيه و إخوته إلى مصر أربعون سنه عن ابن عباس و أكثر المفسرين و قيل ثمانون سنه عن الحسن و لما طال الكلام كرر رؤيتهم و أعاده للتأكيد و قيل أراد بالرؤيا الأولى رؤيه الأعيان و الأشخاص و بالرؤيه الثانيه رؤيه سجودهم و اختلف فى معنى هذا السجود فقيل إنه السجود المعروف على الحقيقه لتكرمه لا لعبادته و قيل معناه الخضوع له عن الجبائى كما قال الشاعر:

" ترى الأكم فيه سجدا للحوافر "

و هذا ترك الظاهر و يقال إن إخوته لما بلغهم رؤياه قالوا ما رضى أن يسجد له إخوته حتى يسجد له أبواه «قال» يعقوب «يا بُنَيَّ لا- تَقْضِصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ» أى لا تخبرهم بذلك «فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا» أى فيحسدوك أو يقابلوك بما فيه هلاكك و ذلك أن رؤيا الأنبياء وحى و علم يعقوب أن إخوه يوسف يعرفون تأويلها و يخافون علو يوسف عليهم فيحسدونه و يبغونه الغوائل «إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ» أى ظاهر العداوه فيلقى بينهم العداوه و يحملهم على إنزال المكروه بك «وَ كَذَلِكَ» أى كما أراك هذه الرؤيا تكرمه لك و بين أن إخوتك يخضعون لك أو يسجدون لك «يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ» أى يصطفيك ربك و يختارك للنبوه عن الحسن و قيل الحسن الخلق و الخلق «وَ يُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ» قيل معناه و يعلمك من تعبير الرؤيا لأن فيه أحاديث الناس عن رؤياهم و سماه تأويلا- لأنه يؤول أمره إلى ما رأى فى المنام عن قتاده و قال ابن زيد كان أعب الناس للرؤيا و قيل معناه و يعلمك عواقب الأمور بالنبوه و الوحى إليك فتعلم الأشياء قبل كونها معجزه لك لأنه أضاف التعليم إلى الله و ذلك لا يكون إلا بالوحى عن أبى مسلم و قيل تأويل أحاديث الأنبياء و الأمم يعنى كتب الله و دلائله على توحيده و المشروع من شرائعه و أمور

دينه عن الحسن و الجبائي و التأويل في الأصل هو المنتهى الذى يؤول إليه المعنى و تأويل الحديث فقهه الذى هو حكمه لأنه إظهار ما يؤول إليه أمره مما يعتمد عليه و فائدته «وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ» بالنبوه لأنها منتهى نعيم الدنيا و قيل إتمام النعمه هو أن يحكم بدوامها على تخليصها من شائب بها فهذه النعمه التامه و خلوصها مما ينقصها و لا يطلب ذلك إلا من الله تعالى لأنه لا يقدر عليها سواه و قيل معناه و يتم نعمته عليك بأن يحوج إخوتك إليك حتى تنعم عليهم بعد إساءتهم إليك «وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ» أى و على إخوتك بأن يشتمهم على الإسلام و يشرفهم بمكانك و يجعل فيهم النبوه و قيل يتم نعمته عليهم بإنقاذهم من المحن على يديك «كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْحَاقَ» أى كما أتم النعمه على إبراهيم بالخله و النبوه و النجاه من النار و على إسحاق بأن فداه عن الذبح بذبح عظيم عن عكرمه و قال إنه الذبيح و قيل بإخراج يعقوب و أولاده من صلبه عن أكثر المفسرين قالوا و ليس هو الذبيح و إنما الذبيح إسماعيل «إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ» بمن يصلح للرساله «حَكِيمٌ» فى اختيار الرسل و قيل عليم بأحوال خلقه حكيم فى قضاياه.

[سوره يوسف (١٢): الآيات ٧ الى ١٠]

إشارة

لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَّائِلِينَ (٧) إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَتُهُ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٨) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعِيدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَ أَلْقُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (١٠)

القراءة

قرأ ابن كثير آيه للسائلين و الباقون «آيات» و قرأ أهل المدينة غيابات الجب و الباقون «غِيَابَتِ الْجُبِّ» و فى الشواذ قراءة الأعرج غيابات مشدده و قراءة الحسن غيبه الجب و قرأ أهل المدينة و الكسائى ميين اقتلوا بضم التنوين و الباقون بالكسر.

الحجه

قال أبو على من قرأ آيه على الأفراد جعل شأنه كله آيه و يقويه قوله وَ جَعَلْنَا

ص: ٣٢٢

ابن مزيّم و أمّه آيّه فكل واحد منهما على انفراده يجوز أن يقال فيه آيه فأفرد مع ذلك و من جمع جعل كل حال من أحواله آيه على أن المفرد المنكر في الإيجاب يقع دالا على الكثره كما يقع كذلك في غير الإيجاب قال الشاعر:

فقتلا بتقتيل و ضربا بضر بكم جزاء العطاش لا ينام من الثأر

و أما الغيايه فكل شىء غيب شيئا عن أبى عبيده و أنشد:

فإن أنا يوما غيبتنى غيايه فسيروا بسيرى فى العشيره و الأهل

و الجب الركيه التى لم تطو فمن أفرد فالوجه فيه أن الجب لا يخلو من أن يكون له غيايه واحده أو غيايات و غيايه المفرد يجوز أن يعنى به الجمع كما يعنى به الواحد و من جمع فإنه يجوز أن يكون له غيايه واحده فجعل كل جزء منها غيايه كقولهم شابت مفارقه و بئر ذو غيايتين و يجوز أن يكون للبئر عمده غيايات فجمع لذلك و أما غيايات بالتشديد فيكون اسما جاء على فعاله كما جاء التيار للموج و الفياد لليوم الذكر و الفخار للخزف و غير ذلك و أما غيبه فيجوز أن يكون حدثا على فعله من غاب فيكون بمعنى الظلمه و يجوز أن يكون موضعا على فعله و أما من ضم التنوين فلأنه التقى الساكنان التنوين و القاف فى اقتلوا و لزم تحريك الأول منهما فحركه بالضم ليتبع الضمه الضم كما قيل سر و مد و من كسر التنوين فإنه لم يتبع الضم كما أن من قال مد لم يتبع و كسر الساكن على ما يجرى عليه أمر تحريك الساكن فى الأمر الشائع.

اللغه

الآيه و العلامه و العبره نظائر و العصبه الجماعه التى يتعصب بعضها لبعض و يقع على جماعه من عشره إلى خمس عشر و قيل ما بين العشره إلى الأربعين و لا واحد له من لفظه كالقوم و الرهط و النفر و الفرق بين المحبه و الشهوه إن الإنسان يحب ولده و لا يشتهيه بأن يميل طبعه إليه و يرق عليه و يريد له الخير و الشهوه منازعه النفس إلى ما فيه اللذه و إنما سمي البئر جبا لأنه قطع عنها ترابها حتى بلغ الماء من غير طى و منه الم محبوب قال الأعشى:

و إن كنت فى جب ثمانين قامه و رقيت أسباب السماء بسلم

و كل ما غيب شيئا عن الحس بكونه فيه فهو غيايه فغيايه البئر شبه لحف أو طاق فوق ما

البئر و السياره الجماعه المسافرون لأنهم يسرون فى البلاد و قيل هم ماره الطريق و الالتقاط تناول الشىء من الطريق و منه اللقطه و اللقيط و معناه أن يجده من غير أن يحسبه يقال وردت الماء التقاطا إذا وردته من غير أن تحسبه.

الإعراب

العامل فى قوله «إِذْ قَالُوا» اذكر و تقديره اذكر إذ قالوا ليوسف و يحتمل أن يكون العامل فيه ما فى الآية التى قبله من قوله «لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ» إذ قالوا و اللام فى قوله «لِيُوسُفَ» جواب القسم تقديره و الله ليوسف و أخوه أحب إلى أبينا منا، «يَخْلُ لَكُمْ» جواب الأمر و «تَكُونُوا» جزم لأنه معطوف عليه و روى عن الحسن تلتقطه بعض السياره بالثناء و هذا كما يقال أذهبت بعض أصابعه و قال الشاعر:

طول الليالى أسرع فى نقضى طوين طولى و طوين عرضى

فقال أسرع و طوين لتأنيث الليالى و لم يحمله على طول و هو مذكر.

المعنى

ثم أنشأ سبحانه فى ذكر قصه يوسف فقال «لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَائِلِينَ» و معناه لقد كان فى حديث يوسف و إخوته عبر للسائلين عنهم و أعاجيب فمنها أنهم نالوه بالأذى و دبروا فى قتله و اجتمعوا على إلقائه فى البئر للحسد مع أنهم أولاد الأنبياء فصصح عنهم ع لما ممكنه الله منهم و أحسن إليهم و لم يعيرهم بما كان منهم و هذا خارج عن العاده و فيه عبره لمن اعتبر فيها فى منافع الدين و منها الفرج بعد الشده و المنحه بعد المحنه و منها الدلاله على صحه نبوه نبينا محمد ص لأنه (عليه السلام) لم يقرأ كتابا فعلم أنه لم يأت ذلك إلا من جهة الوحي فهو بصيره للذين سألوه أن يخبرهم بذلك و معجزه داله على صدقه و إخوته هم أولاد يعقوب و كان ليعقوب اثنا عشر ولدا لصلبه و كانوا أولاد عله عن الجبائى و قيل أسماؤهم روبييل و هو أكبرهم و شمعون و لاوى و يهودا و ريالون و يشجر و أمهم ليا بنت ليان و هى ابنه خاله يعقوب ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب أختها راحيل فولدت له يوسف و بنيامين و قيل ابن يامين و ولد له من سريتين له اسم إحداهما زلفه و الأخرى بلهه أربعة بنين دان و نفتالى و حاد و آشور و كانوا اثنى عشر ثم أخبر سبحانه عما قالت إخوه يوسف حين سمعوا منام يوسف و تأويل يعقوب إياه فقال «إِذْ قَالُوا» أى قال بعضهم لبعض «لِيُوسُفَ وَ أَخُوهُ» لأبيه و أمه بنيامين «أَحَبُّ إِلَيْنَا» يعقوب «مِنَّا» و ذلك أن يعقوب (عليه السلام) كان شديد الحب ليوسف و كان يوسف من أحسن الناس وجها و كان

يعقوب يؤثره على أولاده فحسدوه ثم رأى الرؤيا فصار حسدهم له أشد وقيل إنه (عليه السلام) كان يرحمه و آخاه و يقربهما لصغرهما فاستثقلوا ذلك و

روى أبو حمزه الثمالي عن زين العابدين (عليه السلام) أن يعقوب كان يذبح كل يوم كبشا فيتصدق به و يأكل هو و عياله منه و أن سائلا مؤمنا صواما اعتر باباه عشيه جمعه عند أوان إفطاره و كان مجتازا غربيا فهتف على بابه و استطعمهم و هم يسمعون فلم يصدقوا قوله فلما يئس أن يطعموه و غشيه الليل استرجع و استعبر و شكوا جوعه إلى الله تعالى و بات طاويا و أصبح صائما صابرا حامدا لله و بات يعقوب و آل يعقوب بطانا و أصبحوا و عندهم فضله من طعامهم فابتلاه الله سبحانه بيوسف (عليه السلام) و أوحى إليه أن استعد لبلاني و ارض بقضائي و اصبر للمصائب فرأى يوسف الرؤيا فى تلك الليلة

و الحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة و روى ذلك عن ابن عباس أو قريب منه «و نَحْنُ عُصْبَةٌ» معناه و نحن جماعه يتعصب بعضنا لبعض و يعين بعضنا بعضا أى فنحن أنفع لأبينا و قيل يعنى و نحن عصبه لا يعجزنا الاحتيال عليه «إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» أى فى ذهاب عن طريق الصواب الذى هو التعديل بيننا فى المحبه و قيل معناه أنه فى خطأ من الرأى فى أمور الأولاد و التدبير الدنيوى و نحن أقوم بأمور مواشيه و أمواله و سائر أعماله و لم يريدوا به الضلال عن الدين لأنهم لو أرادوا ذلك لكانوا كفارا و ذلك خلاف الإجماع و لأنهم بالاتفاق كانوا على دينه و كانوا يعظمونه غاية التعظيم و لذلك طلبوا محبته و أصل الضلال العدول و كل من ذهب عن شىء و عدل عنه فقد ضل و أكثر المفسرين على أن إخوه يوسف كانوا أنبياء و قال بعضهم لم يكونوا أنبياء لأن الأنبياء لا يقع منهم القبائح و قال المرتضى قدس الله روحه لم يقم لنا الحجه بأن إخوه يوسف الذين فعلوا ما فعلوه كانوا أنبياء و لا يمتنع أن يكون الأسباب الذين كانوا أنبياء غير هؤلاء الإخوه الذين فعلوا بيوسف ما قصه الله تعالى عنهم و ليس فى ظاهر الكتاب أن جميع إخوه يوسف و سائر الأسباب فعلوا بيوسف ما حكاه الله من الكيد و قيل يجوز أن يكون هؤلاء الإخوه فى تلك الحال لم يكونوا بلغوا الحلم و لا توجه إليهم التكليف و قد يقع ممن قارب البلوغ من الغلمان مثل هذه الأفعال و يعاتب على ذلك و يلام و يضرب و هذا الوجه قول البلخي و الجبائي و يدل عليه قوله نرتع و نلعب و

روى أبو جعفر بن بابويه رحمه الله فى كتاب النبوه بإسناده عن محمد بن إسماعيل بن بزيع عن حنان بن سدير قال قلت لأبى جعفر أ كان أولاد يعقوب أنبياء فقال لا و لكنهم كانوا أسباطا أولادا لأنبياء و لم يفارقوا الدنيا إلا سعداء تابوا و تذكروا ما صنعوا

و قال الحسن كانوا رجالا- بالغين و وقعت ذلك منهم صغيره ثم أخبر سبحانه عنهم أنهم قال بعضهم لبعض «اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا» أى اطرحوه فى أرض بعيده عن أبيه فلا يهتدى إليه و قيل معناه فى أرض تأكله السباع أو يهلك بغير ذلك

«يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ» عن يوسف و تخلص لكم محبته و المعنى أنكم متى قتلتموه أو طرحتموه فى أرض أخرى خلا- لكم أبوكم و حن عليكم «وَ تَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ» أى و تكونوا من بعد قتل يوسف أو غيبته قوما تائبين و المعنى أنكم إذا فعلتم ذلك و بلغتكم أغراضكم تبتم مما فعلتموه و كنتم من جملة الصالحين الذين يعملون الصالحات و هذا يدل على أنهم رأوا ذلك ذنباً يصح التوبه منه عن جماعه من المفسرين و قيل معناه و تكونوا قوما صالحين فى أمر دنياكم أى يعود حالكم مع أبيكم إلى الصلاح عن الحسن و متى يسأل هاهنا على قول من جعلهم غير بالغين فقال أ ليس يدل هذا القول منهم على بلوغهم لعلمهم بالوعيد فالجواب أن المراهق قد يجوز أن يعلم ذلك خاصة إذا كان مر بى فى حجر الأنبياء.

و من أولادهم و اختلف فيمن قال ذلك من إخوته فقال وهب قاله شمعون و قال مقاتل قاله روبين ثم أخبر سبحانه عن واحد من جملة القوم بقوله «قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ» أى من إخوه يوسف «لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَ أَلْقُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ» أى القوه فى قعر البئر يتناوله بعض ماره الطرق و المسافرين فيذهب به إلى ناحيه أخرى و القائل لذلك روبين و هو ابن خاله يوسف عن قتاده و ابن إسحاق و كان أحسنهم رأياً فيه فنهاهم عن قتله و قيل هو يهوذا و كان أقدمهم فى الرأى و الفضل و أسنهم عن الأصم و الزجاج و

قيل هو لاوى رواه على بن إبراهيم فى تفسيره

و اختلفوا فى ذلك الجب فقيل هو بئر بيت المقدس عن قتاده و قيل بأرض الأردن عن وهب و قيل بين مدين و مصر عن كعب و قيل على ثلاث فراسخ من منزل يعقوب عن مقاتل «إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ» معناه إن كنتم فاعلين شيئاً مما تقولون فى يوسف فليكن هذا فعلكم فإنه دون القتل الصريح و قال ابن عباس يريد أن أضمرتم ما تريدون و قيل للحسن أ يحسد المؤمن فقال ما أنساك حديث بنى يعقوب.

[سوره يوسف (١٢): الآيات ١١ الى ١٢]

إشارة

قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَ إِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (١١) أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَزْتَعِ وَ يَلْعَبُ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٢)

القراءه

قرأ أبو جعفر و الحلوانى عن قالون لا تأمنا مشدده النون بلا شمه و قرأ الباقون بالإشمام و هو الإشاره إلى النون المدغمه بالضمه و هو اختيار أبى عبيده و قرأ أبو جعفر و نافع يرتع و يلعب بالياء فيهما و كسر العين من يرتع و قرأ ابن كثير نرتع و نلعب بالنون فيهما و كسر العين و قرأ أبو عمرو و ابن عامر نرتع و نلعب بالنون فيهما و جزم العين و قرأ أهل الكوفه و رويس عن يعقوب «يَزْتَعِ وَ يَلْعَبُ» بالياء فيهما و جزم العين و قرأ روح و زيد عن يعقوب نرتع

ص: ٣٢٦

بالنون و جزم العين «وَيَلْعَبُ» بالياء و قد روى ذلك عن أبي عمرو و هو قراءه الأعرج و إبراهيم النخعي و فى الشواذ قراءه العلاء بن سيبه يرتع بالياء و كسر العين رفعا و قراءه أبي رجا يرتع و يلعب.

الحج

قال الزجاج يجوز فى «تَأْمَنًا» أربعة أوجه إشمام النون مع الإدغام. الضم و هو الذى حكاه ابن مجاهد عن الفراء و الإشعار بالضمه و الإدغام من غير إشمام لأن الحرفين من جنس واحد و «تَأْمَنًا» بالإظهار و رفع النون الأولى لأن النونين من كلمتين و «تَمْنَا» بكسر التاء لأن ماضيه على فعل كما قالوا تعلم و نعلم و هى قراءه يحيى بن وثاب و هذه القراءه مخالفه للمصحف و إن كانت فى العربية جائزه و أما قوله يرتع و يلعب فقد قال أبو على قراءه من قرأ يرتع بالنون و كسر العين و «يَلْعَبُ» بالياء حسن لأنه جعل الارتفاع و القيام على المال لمن بلغ و جاوز الصغر و أسند اللعب إلى يوسف لصغره و لا لوم على الصغير فى اللعب و الدليل على صغر يوسف قول إخوته «وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» و لو كان كبيرا لم يحتج إلى حفظهم و يدل على ذلك قول يعقوب و أخافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذُّبُّ و إنما يخاف الذئب على من لا دفاع به من شيخ كبير أو من صبي صغير قال:

أصبحت لا أحمل السلاح و لا أملك رأس البعير إن نفرا

و الذئب أخشاه إن مررت به وحدى و أخشى الرياح و المطرا

و أما الارتفاع فهو افتعال من رعيت مثل شويت و اشتويت و كل واحد منهما متعد إلى مفعول به قال الأعشى:

ترعى السفح فالكثيب فذا قار ففروض القطا فذات الرمال

و قال آخر:

رعت بأرض البهمى جميما و بسره و صمعاء حتى آنفثها نصالها

و قد يستقيم أن يقال يرتع و إنما يرتع إبلهم فيما قال أبو عبيده و وجه ذلك أنه كان الأصل يرتع إبلنا ثم حذف المضاف و أسند الفعل إلى المتكلمين فصار يرتع و كذلك يرتعى على يرتعى إبلنا ثم حذف المضاف فيكون يرتع و قال أبو عبيده يرتع نلهو و قد تكون هذه

الكلمه على غير معنى اللهو و لكن على معنى النيل من الشىء كقولهم فى المثل الصيد و الرتعه و كان على هذا النيل و التناول مما يحتاج إليه الحيوان و قد قال الأعشى:

(صدر النهار يراعى ثيره رتعا)

و على هذا القول قالوا رأيت مرتع إبلك لمرادها الذى فيه فهذا لا يكون على اللهو لأنه جمع ثور راتع أو رتوع فأما من قرأ نرتع و نلعب بالنون فيكون نرتع على يرتع إبلنا أو على أننا ننال مما يحتاج إليه و ينال معنا و أما نلعب فحكى أن أبا عمرو قيل له كيف يقولون نلعب و هم أنبياء فقال لم يكونوا يومئذ أنبياء فلو صحت هذه الحكايه عنه و صح عنده هذا التاريخ و إلا فقد قال الشاعر:

جدت جداد بلاعب و تقشعت غمرات قالت ليته حيران

فكان اللاعب هاهنا الذى لم يتشمر فى أهله فدخله بعض الهويننا فهذا أسهل من الوجه الذى قوبل به الحق و

قد روى عن النبى ص أنه قال لجابر فهلا بكرا تلاعبها و تلاعبك

فهذا كأنه يتشاغل بمباح و تنفس و جمام من الجد و قد روى عن بعض السلف أنه كان إذا أكثر النظر فى مسائل الفقه قال احمضوا فليس هذا اللعب كاللعب فى قوله «وَلَيْتُ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَ نَلْعَبُ» و أما من قرأ بالياء فيهما فإن كان يرتع من اللهو كما فسره أبو عبيده فلا يمتنع أن يخبر به عن يوسف لصغره كما لا يمتنع أن ينسب إليه اللعب لذلك و إن كان يرتع من النيل من الشىء فذلك لا يمتنع عليه أيضا فوجههما بين و هذا أبين من قول من قال و نلعب بالنون لأنهم سألوا إرساله ليتنفس بلعبه و لم يسألوا إرساله ليلعبوا هم و أما من قرأ «و يلعب» بالرفع فإنه جعله استثناء أى هو ممن يلعب كقولك زرنى أحسن إليك أى أنا ممن يحسن إليك و أما من قرأ «يرتع» فمعناه يرتع إبله فحذف المفعول كما قال الحطيئه:

منعمه تصون إليك منها كصونك من رداء شرعى

أى تصون الحديد و قال الشنفرى:

كان لها فى الأرض نسيا تقصه على أمها و إن تكلمك تبت

أى تقطع حديثها خفرا و حياء.

المعنى

ثم بين سبحانه أنهم عند اتفاق آرائهم فيما تأمروا فيه من أمر يوسف كيف

سألوا أباهم ف «قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف» أى ما لك لا تثق بنا و لا تعتمدا فى أمر يوسف «وَإِنَّا لَهُ لَناصِحُونَ» أى مخلصون فى إرادته الخير به و فى هذا دلاله على أنه ع كان يأبى عليهم أن يرسله معهم «أَرْسَلُهُ مَعَنَا غَدًا» أى إلى الصحراء نرتع و نلعب الجزم على جواب الأمر و المعنى أن ترسله معنا نرتع و نلعب أى نذهب و نجى ء و ننشط و نلهو عن الكلبى و الضحاك و قيل نتحافظ فيحفظ بعضنا بعضنا و نلهو عن مجاهد و قيل نرعى و نتصرف و الرتع هو التردد يمينا و شمالا عن ابن زيد و أرادوا به اللعب المباح مثل الرمى و الاستباق بالأقدام و

قد روى أن كل لعب حرام إلا ثلاثة لعب الرجل بقوسه و فرسه و أهله

«وَإِنَّا لَهُ» أى ليوسف «لَحَافِظُونَ» أى نحفظه لنرده إليك و قيل نحفظه فى حال لعبه و قال مقاتل هاهنا تقديم و تأخير و ذلك إن إخوه يوسف قالوا له أرسله فقال أبوهم «إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ» الآية فحينئذ قالوا «يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف و إِنَّا لَهُ لَناصِحُونَ» و إذا صح الكلام من غير تقديم و تأخير فلا معنى لحمله عليه قال الحسن جعل يوسف فى الجب و هو ابن سبع عشرة سنه و كان فى البلاد إلى أن وصل إليه أبوه ثمانين سنه و لبث بعد الاجتماع ثلاثا و عشرين سنه و مات و هو ابن مائه و عشرين سنه و قيل أنه كان ليوسف يوم ألقى فى الجب عشر سنين و قيل كان له اثنتا عشرة سنه و قيل كان ابن سبع سنين أو تسع و جمع بينه و بين أبيه و هو ابن أربعين سنه عن ابن عباس و غيره و فى الآيات دلاله على ظهور حسدهم ليوسف لأنه كان يحرسه منهم و يمنعه عن الخروج معهم و لا يأمنهم عليه.

إشارة

قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَ أَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذُّبُّ وَ أَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذُّبُّ وَ نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ (١٤) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَ أَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٥) وَ جَاؤُا بِأَهْمٍ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَ تَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذُّبُّ وَ مَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَ لَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧)

وَ جَاؤُا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (١٨)

اللغة

الذئب أصله الهمز و إن خفت جاز و قراءه الكسائي و خلف و أبو جعفر و ورش و الأعشى و اليزيدى بتخفيف الهمزة فى المواضع الثلاث و الباقرن بالهمز و جمع الذئب أذؤب و ذئاب و ذؤبان و تذائب الريح أت من كل جهة و حزنت و أحزنت لغتان و الحزن ألم القلب بفراق المحبوب و الشعور إدراك الشىء بمثل الشعره فى الدقه و منه المشاعر فى البدن و المجىء و المصير إلى الشىء واحد و قد يكون المصير بالانقلاب كمصير الطين خزفا و قد يكون بمعنى الانتقال و العشاء آخر النهار و منه اشتق الأعشى لأنه يستضىء ببصر ضعيف و يقال العشاء أول ظلام الليل و يقال العشى من زوال الشمس إلى الصباح و العشاء من صلاه المغرب إلى العتمه و الاستباق افتعال من سبق و استبقا تبادرا حتى يظهر الأقوى و منه المسابقه و هو على ثلاثه أوجه سباق بالرمى و ذلك جائز بالاتفاق و سباق على الخيل و الإبل و ذلك جائز عندنا و سباق على الأقدام و ذلك غير جائز بعوض و به قال الشافعى و عند أبى حنيفة يجوز بعوض و بلا عوض و به قال قوم من أصحابنا و كذلك القول فى الصراع و دم كذب أى مكذوب فيه و هو مصدر وصف به و قيل إن تقديره بدم ذى كذب قال الفراء يجوز أن يقع المصدر موقع المفعول كما يقع المفعول موقع المصدر فى مثل قول الشاعر:

حتى إذا لم يتركوا لعظامه لحما و لا لفؤاده معقولا

و لم يجزه سيبويه و قال المفعول لا يكون مصدرا و يتأول قولهم خذ ميسوره و دع معسوره و قال يعنى به خذ ما يسر له و دع ما عسر عليه و كذلك ليس لفؤاده معقول أى ما يعقل به و روى عن عائشه أنها قرأت بدم كذب بالبدال أى دم طرى و التسويل تزيين النفس ما ليس بحسن و قيل هو تقدير معنى فى النفس على الطمع فى تمامه.

الإعراب

اللام فى قوله «لَئِنْ» هى اللام التى يتلقى بها القسم و «إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ» جواب القسم «فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ» جواب لما محذوف و تقديره عظمت فنتتهم أو كبر ما قصدوا له و الكوفيون يقولون الواو فى «وَ أَجْمَعُوا» مقحمه و تقديره أجمعوا و لا يجوز البصريون إقحام الواو و قالوا لم يثبت ذلك بحجه و لا قياس و مما أنشده الكوفيون فى ذلك قول الشاعر:

حتى إذا قملت بطونكم و رأيتم أبناءكم شيوا

ص: ٣٣٠

و قلبتم ظهر المجن لنا إن اللئيم العاجز الخب

و قول امرئ القيس:

فلما أجزنا ساحه الحى و انتحى بنا بطن خبت ذى حفاف عقنقل

قالوا أراد انتحى و البصريون يحملون الجميع على حذف الجواب و قوله «يَبْكُونُ» فى موضع نصب على الحال و «عِشَاءً» منصوب على الظرف و جائز أن يكون «وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» من صله قوله «لَتَكْتَبَنَّهَمْ» و جائز أن يكون من صله «وَأَوْحَيْنَا» أى نبأناه بالوحى و هم لا- يشعرون أنه نبي قد أوحى إليه و «نَسِيَتِيقُ» فى موضع نصب على الحال و «فَصَبْرٌ جَمِيلٌ» مرفوع على أحد وجهين على أنه خبر مبتدأ محذوف و تقديره فشأنى صبر جميل أو فصبرى صبر جميل و هو قول قطرب أو على أنه مبتدأ محذوف الخبر و التقدير فصبر جميل أمثل و أنشد:

شكا إلى جملى طول السرى يا جملى ليس إلى المشتكى

صبر جميل فكلانا مبتلى

و يجوز فى غير القرآن فصبرا جميلا و روى ذلك عن أبى و يكون معناه فاصبرى يا نفس صبرا جميلا قال ذو الرمة:

ألا إنما مى فصبرا بليه و قد يبتلى الحر الكريم فيصبر

و قال الآخر:

أبى الله أن يبقى لحي بشاشه فصبرا على ما شاءه الله لى صبرا.

المعنى

ثم أخبر سبحانه أنهم لما أظهروا النصح و الشفقة على يوسف هم يعقوب أن يبعثه معهم و حثهم على حفظه ف «قالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي» أى يغمنى «أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ» و تغييوه عنى و قيل معناه يحزننى مفارقتة إياى «وَأَخَافُ» عليه إذا ذهبتم به إلى الصحراء

ص: ٣٣١

«أَنْ يَأْكُلَهُ الذُّبُّ وَ أَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ» فهذه جمله فى موضع الحال و تقديره أخاف أن يأكله الذئب فى حال كونكم ساهين عنه مشغولين ببعض أشغالكم قالوا و كانت أرضهم مذأبه و كانت الذئاب ضاربه فى ذلك الوقت و قيل أن يعقوب رأى فى منامه كان يوسف قد شد عليه عشره أذؤب ليقتلوه و إذا ذئب منها يحمى عنه فكأن الأرض انشقت فدخل فيها يوسف فلم يخرج منها إلا بعد ثلاثة أيام فمن ثم قال فلقتهم العله و كانوا لا يدرون و

روى عن النبى ص أنه قال لا تلقنوا الكذب فيكذبوا فإن بنى يعقوب لم يعلموا أن الذئب يأكل الإنسان حتى لقتهم أبوهم

و هذا يدل على أن الخصم لا ينبغي أن يلحق حجه و قيل أنه خاف عليه أن يقتلوه فكفى عنهم بالذئب مسأيره لهم قال ابن عباس سماهم ذئابا «قالوا لئن أكله الذئب و نحن عصبه» أى جماعه متعاضدون متناصرون نرى الذئب قد قصده و لا نمنعه منه «إننا إذا لخاسرئون» أى نكون كالذين تذهب عنه رءوس أموالهم على رغم منهم و قيل معناه إنا إذا عجزه ضعفه قال الحسن و الله لقد كانوا أخوف عليه من الذئب و قيل معناه إنا إذا لمضيعون بلغه قيس عيلان عن المؤرج و هاهنا حذف و التقدير أنه أرسله معهم إجابته لما سأله ليؤدى ذلك إلى الألفه و المحبه «فلما ذهبوا به و أجمعوا» أى عزموا جميعا «أن يجعلوه فى غيابة الجب» أى قعر البئر و اتفقت دواعيهم عليه فإن من دعاه داع واحد إلى الشىء لا يقال فيه أنه أجمع عليه فكأنه مأخوذ من اجتماع الدواعى و يدل الألف و اللام على أنه كان بئرا معروفه معهوده عندهم تجميعها السياره و قيل أنهم طلبوا بئرا قليله الماء تغيبه و لا تغرقه فجعلوه فيها و قيل بل جعلوه فى جانب منها و قيل أن يعقوب أرسله معهم فأخرجوه مكرما فلما وصلوا إلى الصحراء أظهروا له العداوه و جعلوا يضربونه و هو يستغيث بواحد واحد منهم فلا يغيثه و كان يقول يا أبتاه فهموا بقتله فمنعهم يهوذا منه و

قيل منعهم لاوى رواه بعض أصحابنا عنهم ع

فانطلقوا به إلى الجب فجعلوا يدلونه فى البئر و هو يتعلق بشفير البئر ثم نزعوا قميصه عنه و هو يقول لا تفعلوا ردوا على القميص أتوارى به فيقولون ادع الشمس و القمر و الأحد عشر كوكبا يؤنسك فدلوه فى البئر حتى إذا بلغ نصفها ألقوه إرادته أن يموت و كان فى البئر ماء فسقط فيه ثم آوى إلى صخره فقام عليها و كان يهوذا يأتيه بالطعام عن السدى و قيل إن الجب أضاء له و عذب ماؤه حتى أغناه عن الطعام و الشراب و قيل كان الماء كدرا فصفا و عذب و وكل الله به ملكا يحرسه و يطعمه عن مقاتل و قيل إن جبرائيل كان يؤنسه و قيل إن الله تعالى أمر بصخره حتى ارتفعت من أسفل البئر فوقف يوسف عليها و هو عريان و

كان إبراهيم الخليل (عليه السلام) حين ألقى فى النار جرد من ثيابه و قذف فى النار عريانا فأتاه جبرائيل (عليه السلام) بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه و كان ذلك عند إبراهيم (عليه السلام) فلما مات ورثه إسحاق فلما

مات إسحاق ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص فى تعويد و علقه فى عنقه فكان لا يفارقه فلما ألقى فى البئر عريانا جاءه جبرائيل و كان عليه ذلك التعويد فأخرج منه القميص فألبسه إياه و روى ذلك مفضل بن عمر عن الصادق (عليه السلام) قال و هو القميص الذى وجد يعقوب ريحه و لما فصلت العير من مصر و كان يعقوب بفلسطين فقال إني لأجد ريح يوسف

و

فى كتاب النبوه عن الحسن بن محبوب عن الحسن بن عماره عن مسمع أبى سيار عن الصادق (عليه السلام) قال لما ألقى إخوه يوسف يوسف فى الجب نزل عليه جبرائيل فقال له يا غلام من طرحك هنا فقال إخوتى لمنزلتى من أبى حسدونى و لذلك فى الجب طرحونى فقال أ تحب أن تخرج من هذا الجب قال ذلك إلى إله إبراهيم و إسحاق و يعقوب فقال له جبرائيل فإن إله إبراهيم و إسحاق و يعقوب يقول لك قل اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا- إله إلا أنت بديع السماوات و الأرض يا ذا الجلال و الإكرام أن تصلى على محمد و آل محمد و أن تجعل لى فى أمرى فرجا و مخرجا و ترزقنى من حيث أحتسب و من حيث لا أحتسب فجعل الله له من الجب يومئذ فرجا و مخرجا و من كيد المرأه مخرجا و آتاه ملك مصر من حيث لم يحتسب

و روى على بن إبراهيم أن يوسف (عليه السلام) قال فى الجب يا إله إبراهيم و إسحاق و يعقوب ارحم ضعفى و قلله حيلتى و صغرى و قوله «وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ» يعنى إلى يوسف (عليه السلام) قال الحسن أعطاه الله النبوه و هو فى الجب و البشاره بالنجاه و الملك «لَتَبْنِيَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا» أى لتخبرنهم بقبيح فعلهم بعد هذا الوقت يريد ما ذكره سبحانه فى آخر السوره من قوله «هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَ أَخِيهِ» «وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» أنك يوسف و كان الوحي إليه كالوحي إلى سائر الأنبياء و قال مجاهد و قتاده أوحى الله إليه و نبأه و هو فى الجب و كان فيما أوحى إليه أن اكنم حالكم و اصبر على ما أصابك فإنك ستخبر إخوتك بما فعلوا بك فى وقت لا يعرفونك و قيل يريدوهم لا يشعرون بأنه أوحى إليه و قيل إن معنى قوله «لَتَبْنِيَهُمْ» لتجازينهم على فعلهم تقول العرب للرجل يتوعده بمجازاه سوء فعله لأنبئتك و لأعرفنك أى لأجازينك و قيل أراد بذلك أنهم لما دخلوا مصر عرفهم يوسف و هم له منكرون فأخذ الصاع و نقره فطن فقال إن هذا الجام ليخبرنى أنه كان لكم أخ من أبيكم ألقىتموه فى الجب و بعتموه بثمان بخص فهذا معنى قوله «لَتَبْنِيَهُمْ بِأَمْرِهِمْ» هذا عن ابن عباس ثم بين سبحانه حالهم حين رجعوا إلى أبيهم فقال «وَجَاؤُا أَبَاهُمْ» يعنى و انقلب إخوه يوسف إلى أبيهم «عِشَاءً» أى ليلا أو فى آخر النهار ليلسوا على أبيهم و ليكونوا أجراً على الاعتذار

«يَكُونُ» و إنما أظهروا البكاء ليوهموا أنهم صادقون و فى هذا دلالة على أن البكاء لا يوجب صدق دعوى الباكي فى دعواه قال السدى لما سمع بكاءهم فزع فقال ما بالكم «قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتِيقُ» أى نشئت و نعدو على الإقدام لننظر أينأ أعدى و أسبق لصاحبه عن الجبائى و السدى و قيل معناه نتصل و نترامى فننظر أى السهام أسبق إلى الغرض عن الزجاج و فى قراءه عبد الله نتصل «و تَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا» أى تركناه عند الرحل ليحفظه «فَأَكَلَهُ الذُّبُّ وَ مَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا» أى ما أنت بمصدق لنا «و لَوْ كُنَّا صَادِقِينَ» جواب لو محذوف أى و لو كنا صادقين ما صدقتنا لاتهامك لنا فى أمر يوسف و دل الكلام عليه و لم يصفوه بأنه لا- يصدق الصادق لأن المعنى لا يصدقهم لاتهامه لهم و سوء ظنه بهم لما ظهر له من أمارات حسدهم ليوسف و شدة محبته ليوسف «و جَاؤُ عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ» معناه أن إخوه يوسف جاءوا أباهم و معهم قميص يوسف ملطخا بدم فقالوا له هذا دم يوسف حين أكله الذئب و قيل أنهم ذبحوا سخله و جعلوا دمها على قميصه عن ابن عباس و مجاهد و قيل ظيبا و لم يمزقوا ثوبه و لم يخطر ببالهم أن الذئب إذا أكل إنسانا فإنه يمزق ثوبه و قيل إن يعقوب قال لهم أرونى القميص فأروه إياه فقال لهم لما رأى القميص صحيحا يا بنى و الله ما عهدت كاليوم ذنبا أحلم من هذا أكل ابنى و لم يمزق قميصه عن الحسن و روى أنه ألقى ثوبه على وجهه و قال يا يوسف لقد أكلك ذئب رحيم أكل لحمك و لم يشق قميصك و معنى قوله «بِدَمٍ كَذِبٍ» مكذوب عليه أو فيه كما يقال ماء سكب أى مسكوب و شراب صب أى مصبوب قال الشاعر:

تظل جيادهم نوحا عليهم مقلده أعتتها صفونا

أراد نائحه عليهم و قيل أنه كان فى قميص يوسف ثلاث آيات حين قد من دبر و حين ألقى على وجه أبيه فارتد بصيرا و حين جاءوا عليه بدم كذب فتنبه يعقوب على أن الذئب لو أكله لمزق قميصه عن الشعبى و قيل أنه لما قال لهم يعقوب ذلك قالوا بل قتله اللصوص فقال (عليه السلام) فكيف قتلوه و تركوا قميصه و هم إلى قميصه أحوج منهم إلى قتله «قَالَ يَلِ سَيَوْلَتْ لَكُمْ أَنْفُسِكُمْ أَمْراً» أى قال يعقوب لهم إذا اتهمهم فى يوسف لم يأكله الذئب و لم يقتله اللصوص و لكن زينت لكم أنفسكم أمرا علمتموه عن قتاده و قيل سهل بعضكم لبعض أمرا فى يوسف غير الذى فعلتموه حتى سهل عليكم فقتلتموه عن أبى مسلم و الجبائى و إنما رد يعقوب

عليهم بوحى من الله عز اسمه وقيل كان ذلك حدسا بصائب رأيه و صادق ذهنه «فَصَبْرٌ جَمِيلٌ» أى فصبرى صبر جميل لا جزع فيه ولا شكوى إلى الناس وقيل فصبر جميل أحسن وأولى من الجزع الذى لا يغنى شيئاً وقيل إنما يكون الصبر جميلاً إذا قصد به وجه الله تعالى وفعل للوجه الذى وجب فلما كان الصبر فى هذا الموضع واقعا على الوجه المحمود صح وصفه بذلك ذكره المرتضى قدس الله روحه وقيل إن البلاء نزل يعقوب على كبره و بيوسف على صغره بلا ذنب كان منهما فأكب يعقوب على حزنه و انطلق يوسف فى رقه و كل ذلك بعين الله يرى و يسمع حتى أتى بالمخرج و كل ذلك امتحان «وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ» أى بالله أستعين على دفع ما تصفون أو به أستعين على تحمل مراره الصبر عليه و مكث يوسف فى الجب ثلاثة أيام.

[سوره يوسف (١٢): الآيات ١٩ الى ٢٠]

إشارة

وَ جَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩) وَ شَرَّوهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَ كَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ (٢٠)

القراءة

قرأ أهل الكوفة «يا بُشْرَى» بألف بغير ياء إلا أن حمزه و الكسائى و خلف يميلون الرء و عاصم لا يميل و الباقون يا بشرى يا ثبات الياء و إثبات الألف و فى الشواذ قراءه الجحدري و ابن أبى إسحاق و الحسن يا بشرى.

الحجج

قال أبو على من قرأ يا بشرى فأضاف إلى الياء التى للمتكلم كان للألف التى هى حرف الإعراب عنده موضعان من وجهين (أحدهما) أن الألف فى موضع نصب من حيث كان نداء مضافا (و الآخر) أن يكون فى موضع كسر من حيث كان بمنزله حرف الإعراب الذى فى غلامى و الدليل على استحقاقها لهذا الموضع قولهم كسرت فى فلو لا- أن حرف الإعراب الذى ولى ياء الإضافة فى موضع كسر ما كسرت الفاء من فى فلما كسرت كما كسرت من قولهم بفيك و كما فتحت من قولهم رأيت فاك لما كانت فى موضع الفتحة التى فى قولك رأيت غلامك و انضمت فى قولك هذا فوك لا تبعه الضمه المقدره فيها كالتى فى قولك هذا غلامك كذلك كسرت فى قولهم كسرت فى و هذا يدل على أنه ليس يعرب من مكانين أ لا ترى أنها تبعت حرکه غير الإعراب فى قولك كسرت فى يا هذا كما تبعت

حركه الإعراب فى رأيت فاك و من قال «يا بُشْرِى» احتمال وجهين (أحدهما) أن يكون فى موضع ضم مثل يا رجل لاختصاصه بالنداء (و الآخر) أن يكون فى موضع نصب و ذلك لأنك لأنك أشعت النداء و لم تختص به كما فعلت فى الوجه الأول فصار كقوله يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ إلا أن التثوين لم يلحق «بُشْرِى» لأنها لا تنصرف فأما من قرأ يا بشرى فإن تلك لغه هذيل قال أبو ذؤيب:

سبقوا هوى و أعنقوا لسيلهم فتخرموا و لكل جنب مهجع

و قال آخر:

يطوف بى عكب فى معد و يطعن بالصمله فى قفيا

فإن لم تتأرا لى من عكب فلا رويتما أبدا صديا

و أمثاله كثيره.

اللغه

الوارد الذى يتقدم الرفقه إلى الماء لىسقى و تقول أدليت الدلو إذا أرسلتها فى البئر لتمامها و دلوتها إذا أخرجتها ملى و البضاعه قطعه من المال تجعل للتجاره من بضعت الشىء إذا قطعت و منه المبضع لأنه يبضع به العرق و الشرى البيع قال الشاعر:

" و شريت بردا لىتنى من بعد برد كنت هامه "

و الثمن بدل الشىء من العين أو الورق و يقال فى غيرهما أيضا مجازا و البخس النقص من الحق يقال بخسه فى الكيل أو الوزن إذا نقصه من حقه فىهما.

الإعراب

قال الزجاج معنى النداء فى «يا بُشْرِى» و ما فى معناها مما لا يجب و لا يعقل فإنه على تنبيه المخاطبين و توكيد القصه إذا قلت يا عجباه فكأنك قلت أعجبوا يا أيها العجب هذا من حينك و كذلك إذا قلت يا بشرى فكأنك قلت أبشروا يا أيتها البشرى هذا من إبانك و بضاعه منصوب على الحال و تقديره و أسروه جاعليه بضاعه و دراهم فى موضع جر بأنه بدل

ص: ٣٣٦

من ثمن و معدوده صفه الدراهم و «كَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ» فيه ليست من صله الزاهدين و المعنى و كانوا من الزاهدين ثم بين فى أى شىء زهدوا فقال فيه فكأنه قال زهدوا فيه و هذا فى الظروف جائز و لا يجوز ذلك فى المفعولات لو قلت كنت زيدا من الضاربين لم يجز لأن زيدا من صله الضاربين و لا تتقدم الصله على الموصول.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن حال يوسف بعد إلقائه فى الجب فقال «وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ» أى جماعه ماره قالوا و إنما جاءت من قبل مدين يريدون مصر فأخطأوا الطريق فانطلقوا يهيمون على غير الطريق حتى نزلوا قريبا من الجب و كان الجب فى قفره بعيدة عن العمران و إنما هو للرعاة و المجتازه و كان مأوه ملحا فعذب و قيل كان الجب بظهر الطريق «فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ» أى فبعثوا من يطلب لهم الماء يقال بعثوا رجلا- يقال له مالك بن زعر ليطلب لهم الماء «فَأَذَلَّى دَلْوُهُ» أى أرسل دلوه فى البئر ليستقى فتعلق يوسف (عليه السلام) بالجبل فلما خرج إذا هو بسلام أحسن ما يكون من الغلمان

قال النبى ص أعطى يوسف شطر الحسن و النصف الآخر لسائر الناس

و قال كعب الأخبار و كان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العين مستوى الخلق أبيض اللون غليظ الساقين و العضدين خميص البطن صغير السره و كان إذا تبسم رأيت النور فى ضواحه و إذا تكلم رأيت فى كلامه شعاع النور يلتهب عن ثناياه و لا يستطيع أحد وصفه و كان حسنه كضوء النهار عند الليل و كان يشبه آدم (عليه السلام) يوم خلقه الله عز و جل و صوره و نفخ فيه من روحه قبل أن يصيب المعصيه و يقال أنه ورث ذلك الجمال من جدته ساره و كانت قد أعطيت سدس الحسن فلما رآه المدلى «قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ» عن قتاده و السدى و قيل أنه نظر فى البئر لما ثقل عليه الدلو فرأى يوسف (عليه السلام) فقال هذا غلام فأخرجوه عن الجبائى و قيل أن بشرى رجل من أصحابه ناداه عن السدى «وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً» أى و أسر يوسف الذين وجدوه من رفقائهم من التجار مخافه أن يطلبوا منهم الشركه معهم فى يوسف فقالوا هذا بضاعه لأهل الماء دفعوه إلينا لنبيعه لهم عن مجاهد و السدى و قيل معناه و أسر إخوته يكتمون أنه أخوهم فقالوا هو عبد لنا قد أبق و اختفى منا فى هذا الموضع و قالوا له بالعبرانيه لئن قلت أنا أخوهم قتلناك فتابعهم على ذلك لئلا يقتلوه عن ابن عباس «وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ» أى بما يعمل إخوه يوسف «وَشَرُّهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ» أى باعوه بثمن ناقص قليل عن عكرمه و الشعبى و قيل حرام لأن ثمن الحر حرام عن الضحاك و مقاتل و السدى و سمي الحرام بخسا لأنه لا بركه فيه فهو منقوص البركه «دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ» أى قليله و ذكر العدد عباره عن القله و

قيل أنهم كانوا لا يزنون من الدراهم ما دون الأوقيه و كانوا يزنون الأوقيه و هى

الأربعون فما زاد عليها و كانت الدراهم عشرين درهما عن ابن عباس و ابن مسعود و السدى و هو المروى عن على بن الحسين (عليه السلام) قال و كانوا عشره فاقسموها درهمين درهمين

و قيل كانت اثنين و عشرين درهما عن مجاهد و قيل كانت أربعين درهما عن عكرمه و قيل

ثمانيه عشر درهما عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و اختلف فيمن باعه فقيل أن إخوه يوسف باعوه و كان يهوذا منتبذا ينظر إلى يوسف فلما أخرجوه من البئر أخبر إخوته فأتوا مالكا و باعوه منه عن ابن عباس و مجاهد و أكثر المفسرين و قيل باعه الواجدون بمصر عن قتاده و قيل أن الذين أخرجوه من الجب باعوه من السياره عن الأصم و الأصح الأول و ذكر أبو حمزه الثمالى فى تفسيره قال فلم يزل مالك بن زغر و أصحابه يتعرفون من الله الخير فى سفرهم ذلك حتى فارقوا يوسف ففقدوا ذلك قال و تحرك قلب مالك ليوسف فأتاه فقال أخبرنى من أنت فانتبه له يوسف و لم يكن مالك يعرفه فقال أنا يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم فألزمه مالك و بكى و كان مالك رجلا عاقرا لا يولد له فقال ليوسف لو دعوت ربك أن يهب لى ولدا فدعا يوسف ربه أن يجعل له ولدا و يجعلهم ذكورا فولد له اثنا عشر بطنا فى كل بطن غلامان «وَ كَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ» قيل يعنى به أن الذين اشتروه كانوا من الزاهدين فى شرائه لأنهم وجدوا علامه الأحرار و أخلاق أهل البر و النبيل فلم يرغبوا فيه مخافه أن يلحقهم تبعه فى استعباده و قيل معناه و كانوا من الزاهدين فى نفس يوسف لم يشروه للفجور و إنما اشتروه للربح و قيل المراد به الذين باعوه من إخوته كانوا غير راغبين فى يوسف و لا فى ثمنه و لكنهم باعوه حتى لا يظهر ما فعلوا به و كان قصدهم تبيعه و قيل كانوا من الزاهدين فى يوسف لأنهم لم يعرفوا موضعه من الله سبحانه و كرامته عليه و لا- تنافى بين هذه الأقوال فيجوز حمل الآيه على جميعها و قيل إن الذين باعوه بمصر كانوا من الزاهدين فى ثمنه لأنهم علموا أنه لقطه و ليست ببضاعه.

[سوره يوسف (١٢): الآيات ٢١ الى ٢٢]

أشاره

وَ قَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَ كَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَ لِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَ اللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢١) وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَ عِلْمًا وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٢٢)

ص: ٣٣٨

الثواء الإقامه و المثوى موضع الإقامه و الإكرام إعطاء المراد على جهه الإعظام و هو يتعاضم فأعلاه منزله ما يستحق بالنبوه و أدناه ما يستحق بخصله من الطاعات و أشد جمع لا- واحد له و قيل هو واحد و إن كان على وزن الجمع فهو مثل الآنك و هو الرصاص و قيل أنه جمع واحده شد كما أن واحد الأشر شر قال الشاعر:

هل غير أن كثر الأشر و أهلكت حرب الملوك أكاثر الأموال

. الإعراب

مصر لا ينصرف لأنه مؤنث معرفه و «أَنْ يَنْفَعَنَا» فى موضع رفع لكونه فاعل عسى و عسى هذه تامه لأنها تمت بفاعلها و اللام فى قوله «وَلِنُعَلِّمَهُ» محموله على تقدير دبرنا ذلك لنمكنه و لنعلمه.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن حال يوسف بعد أن بيع فقال «وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ» أى اشترى يوسف «مِنْ مِصْرَ» أى من أهل مصر «لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ» أى مقام يوسف و موضع نزوله أى هيئى له موضعا كريما شريفا و تقدير الآيه فحملوه إلى مصر و باعوه و حذف ذلك للدلاله عليه و كان المشتري خازن فرعون مصر و خليفته و صاحب جنوده و اسمه قطفير و كان لا يأتى النساء و قيل أن اسمه أظفير و كان يلقب بالعزير و من كان بمكانه يسمى بالعزير و من يسمى بالعزير ممن لم يكن بمكانه نزع لسانه فلما عبر يوسف رؤيا الملك سمي العزير و جعل مكان العزير و كان باعه مالك بن زعر منه بأربعين دينارا و زوج نعل و ثوبين أبيضين عن ابن عباس و قيل أنه عرضه على البيع فى سوق مصر فترايدوا حتى بلغ ثمنه وزنه ورقا و مسكا و حريرا عن وهب فاشتراه العزير بهذا الثمن و قال لامرأته راعيل و لقبها زليخا «أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا» أى عسى أن نبيعه فنربح على ثمنه «أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا» فإنه لا ولد لنا و إنما قال ذلك لما رأى على يوسف من الجمال و العقل و الهدايه فى الأمور و على هذا فالعزير هو خازن الملك و خليفته و الملك هو الريان بن الوليد رجل من العماليق و قيل أن هذا الملك لم يمت حتى آمن و اتبع يوسف على دينه ثم مات و يوسف بعده حتى فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى أن يقبل و قال ابن عباس

العزير ملك مصر و كذلك هو فى حديث على بن الحسين ع

«وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ» أى كما أنعمنا على يوسف بالسلامه و الخروج من الجب مكانه فى الأرض بأن عطفنا عليه قلب الملك الذى اشتراه حتى صار بذلك متمكنا من الأمر و النهى فى الأرض التى كان يستولى عليها الملك و هى أرض مصر «وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ» و قد مضى معناه فى أول السوره «وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ» أى على أمر يوسف يحفظه و يرزقه حتى يبلغه ما قدر له من الملك و النبوه

و لا يكله إلى غيره و قيل معناه و الله غالب على أمر نفسه لا يعجزه شىء من تدبيره و أفعاله فهو الفاعل لما يشاء كيف يشاء «وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» إن الله غالب على أمر نفسه أو أمر يوسف و قيل معناه لا يعلمون ما يصنع الله يوسف و ما يؤول إليه حاله «وَ لَمَّا بَلَغَ» يوسف «أَشُدَّهُ» أى منتهى شبابه و قوته و كمال عقله و قيل الأشد من ثمانى عشره سنه إلى ثلاثين سنه عن ابن عباس و قيل أن أقصى الأشد أربعون سنه و قيل ستون سنه و هو قول الأكثرين و يؤيده

الحديث من عمره الله ستين سنه فقد أعذر إليه

و قيل أن ابتداء الأشد من ثلاث و ثلاثين سنه عن مجاهد و كثير من المفسرين و قيل من عشرين سنه عن الضحاك «آتَيْنَاهُ حُكْمًا» أى أعطيناه القول الفصل الذى يدعو إلى الحكمه «وَ عِلْمًا» و هو تبين الشىء على ما هو به بما يحل فى القلب عن على بن عيسى و قيل الحكم النبوه و العلم الشريعة عن ابن عباس و قيل الحكم الدعاء إلى دين الله و العلم علم الشرع و قيل أراد الحكم بين الناس و العلم بوجوه المصالح فإن الناس كانوا إذا تحاكموا على العزيز أمره بأن يحكم بينهم لما رأى من عقله و أصابته فى الرأى و قيل هو العلم و العمل به و هو الحكم «وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» أى مثل ما جزينا يوسف بصبره نجزي كل من أحسن أى فعل الأفعال الحسنه من الطاعات و قيل أن المحسنين الصابرون على النوائب عن الضحاك و قيل هم المؤمنون عن ابن عباس و قيل أراد محمدا ص أى كما فعلنا بيوسف و أعطيناه الملك بعد مقاساته البلاء و الشده كذلك نفعل بك يا محمد عن ابن جريج.

[سوره يوسف (١٢): آيه ٢٣]

إشارة

وَ رَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَ غَلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَ قَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣)

القراءة

قرأ أهل المدينة و الشام هيت لك بكسر الهاء و فتح التاء و قرأ ابن كثير هيت لك بفتح الهاء و ضم التاء و قرأ الباقر «هَيْتَ لَكَ» بفتح الهاء و التاء و

روى عن على (عليه السلام) و أبى رجاء و أبى وائل و يحيى بن وثاب هت لك بالهمزة و ضم التاء

و روى ذلك على خلاف فيه عن ابن عباس و عن عكرمه و مجاهد و قتاده و روى عن ابن عباس أيضا هيت لك بفتح الهاء و كسر التاء و روى ذلك عن أبى الأسود و ابن أبى إسحاق و ابن محيصن و عيسى الثقفى و روى أيضا عن ابن عباس هيت لك أيضا.

الحجج

قال الزجاج فى هيت لك لغات أجددها هيت لك بفتح الهاء و التاء قال الشاعر:

أبلغ أمير المؤمنين أخوا العراق إذا أتينا

إن العراق و أهله عنق إليك فهيت هيتا

أى فأقبل و تعال و حكى قطرب أنه أنشده بعض أهل الحجاز لطفه:

ليس قومى بالأبعدين إذا ما قال داع من العشيره هيت

هم يجيون ذا هلم سراعاً كالأبايل لا تغادر بيتا

فهذا شاهد لابن كثير و كلها أسماء سمي بها الفعل بمنزله صه و مه و أيه و الحركات فى أواخرها لالتقاء الساكنين و أما الفتح فلائن قبل التاء ياء فهو كما قيل أين و كيف و الكسر لأن الأصل فى التقاء الساكنين حركة الكسر و أما الضم فلأنها فى معنى الغايات كأنها قالت دعائى لك فلما حذف الإضافة و تضمنت هيت معناها بنيت على الضم كما بنيت حيث و منذ و أما هئت بالهمزة و ضم التاء ففعل تقول هئت أهيب هيته أى تهيأت و قالوا أيضاً هئت أهاء كخفت أخاف و أما هيت لك ففعل صريح كقولك أصلحت لك و اللام تتعلق بنفس هيت و هيت و هيت و هتت كما يتعلق بنفس هلم فى قولك هلم لك.

اللغة

المراوده المطالبه بأمر بالرفق و اللين ليعمل به و منه المرود لأنه يعمل به و لا يقال فى المطالبه بدين راوده و أصله من راد يرود إذا طلب المرعى و فى المثل الرائد لا- يكذب أهله و هو فى الآيه كناية عما تريده النساء من الرجال و التخليق إطباق الباب بما يعسر فتحه و إنما شدد ذلك لتكثير الأغلاق أو للمبالغة فى الإيثاق.

الإعراب

«مَعَاذَ اللَّهِ» نصب على المصدر على تقدير أعوذ بالله معاذاً تقول عذت بالله عوداً و معاذاً و عياداً و معاذه.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن امرأه العزيز و ما همت به فقال «وَ رَاوَدْتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ» أى و طالبت يوسف المرأه التى كان يوسف فى بيتها عن نفسه و هى زليخا و المعنى طلبت منه أن يواقعها «وَ غَلَقَتِ الْأَبْوَابَ» على نفسها و عليه بابا بعد باب قالوا

و كانت سبعة أبواب و قيل أراد باب الدار و باب البيت «وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ» أى هلم لك عن ابن عباس و الحسن و معناه أقبل و بادر إلى ما هو مهيا لك «قَالَ» يوسف «مَعَاذَ اللَّهِ» أى أعتصم بالله و أستجير به مما دعوتنى إليه و تقديره عيادا بالله أن أجيب إلى هذا فكان (عليه السلام) أظهر الآباء و سأل الله سبحانه أن يعيده و يعصمه من فعل ما دعته إليه «إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ» الهاء عائده إلى زوجها عند أكثر المفسرين و معناه أن العزيز زوجك مالكي أحسن تربيتي و إكرامى و بسط يدي و رفع منزلتى فلا أخونه و إنما سماه ربا لما كان ثبت له عليه من الرق فى الظاهر و قيل أن الهاء عائد إلى الله سبحانه و المعنى أن الله ربي رفع من محلى و أحسن إلى و جعلنى نبيا فلا أعصيه أبدا «إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ» دل بهذا على أنه لو فعل ما دعته إليه لكان ظالما و فى هذه الآيه دلالة على أن يوسف لم يهم بالفاحشه و لم يردّها بقبیح لأن من هم بالقبیح لا يقول مثل ذلك.

[سوره يوسف (۱۲): آیه ۲۴]

اشاره

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (۲۴)

القراءه

قرأ أهل المدينة و الكوفه المخلصين بفتح اللام و الباقون بكسر اللام فى جميع القرآن.

الحجه

قال أبو على حجه من كسر اللام قوله أَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ و من فتح اللام فيكون بنى الفعل للمفعول به و يكون معناه و معنى من كسر اللام واحد فإذا أخلصوا دينهم فهم مخلصون و إذا أخلصوا فهم مخلصون.

اللغه

الهم فى اللغه على وجوه منها العزم على الفعل كقوله تعالى «إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ» أى أرادوا ذلك و عزموا عليه و منه قول ضابغى البرجمى:

هممت و لم أفعل و كدت و ليتنى تركت على عثمان تبكى حلائله

و قول حاتم طى ء:

و لله صعلوك يشاور همه و يمضى على الأيام و الدهر مقدا

و قول الخنساء:

ص: ۳۴۲

و فضل مرداسا على الناس جملة و إن كل هم همه فهو فاعله

و منها خطور الشىء بالبال و إن لم يقع العزم عليه كقوله «إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَ اللَّهُ وَبِئْسَ مَا كَانُ يَفْعَلُ» يعنى أن الفشل خطر
ببالهم و لو كان الهم هاهنا عزمًا لما كان الله وليهما لأن العزم على المعصية معصيه و لا يجوز أن يكون الله ولى من عزم على
الفرار عن نصره نبيه (عليه السلام) و يقوى ذلك قول كعب بن زهير:

فكم فيهم من فارس متوسع و من فاعل للخير إن هم أو عزم

ففرق بين الهم و العزم و منها أن يكون بمعنى المقاربه قالوا هم فلان أن يفعل كذا أى كاد يفعله قال ذو الرمة:

أقول لمسعود بجرعاء مالك و قد هم دمعى أن تلج أوائله

و الدمع لا يجوز عليه العزم و معناه كاد و قارب و قال أبو الأسود الدئلى:

و كنت متى تهمم يمينك مره لتفعل خيرا تفتفيها شمالكا

و على هذا جاء قوله جداراً يُريدُ أن ينقُصَ أى يكاد و قال الحارثى:

يريد الرمح صدر أبى براء و يرغب عن دماء بنى عقيل

و منها الشهوه و نيل الطباع يقول القائل فيما يشتهي و يميل طبعه إليه هذا أهم الأشياء إلى و فى ضده ليس هذا من همى و إذا
كانت معانى الهم فى اللغه مختلفه يجب أن ينفى عن نبي الله يوسف (عليه السلام) ما لا- يليق به و هو العزم على القبيح لأن
الدليل قد دل على أن الأنبياء لا يجوز المعاصى و القبائح عليهم و أجزنا عليهم ما سواه من معانى الهم لأن كل واحد من ذلك
يليق بحاله.

المعنى

«وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِهَا لَوْ لَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ» اختلف العلماء فيه على قولين (أحدهما) أنه لم يوجد من يوسف ذنب كبير و
لا صغير (و الآخر) أنه وجد منه العزم على القبيح ثم انصرف عنه فأما الأولون فإنهم اختلفوا فى تأويل الآية على وجوه (أحدها)
أن الهم فى ظاهر الآية قد تعلق بما لا- يصح تعلق العزم به على الحقيقة لأنه قال «وَ لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِهَا» فعلق الهم بهما و
ذاتهما لا- يجوز أن يرادا و يعزم عليهما لأن الموجود الباقي لا يصح أن يراد و يعزم عليه فإذا حملنا الهم فى الآية على العزم فلا
بد من تقدير أمر

محذوف يتعلق العزم به و قد أمكن أن نعلق عزمه (عليه السلام) بغير القبيح و نجعله متناولا لضربها أو دفعها عن نفسه فكأنه قال و لقد همت بالفاحشه منه و أرادت ذلك و هم يوسف (عليه السلام) بضربها و دفعها عن نفسه كما يقال هممت بفلان أى بضربه و إيقاع مكروه به و على هذا فيكون معنى رؤيه البرهان أن الله سبحانه أراه برهانا على أنه إن أقدم على ما هم به أهلكه أهلها أو قتلوه أو ادعت عليه المرأوده على القبيح و قدفته بأنه دعاها إليه و ضربها لامتناعها منه فأخبر سبحانه أنه صرف عنه السوء و الفحشاء اللذين هما القتل و ظن اقتراف الفاحشه به و يكون التقدير لو لا أن رأى برهان ربه لفعل ذلك و يكون جواب لو لا محذوف كما حذف فيه قوله تعالى «وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَوْفٌ رَحِيمٌ» و قوله «كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ» أى لو لا فضل الله لهلكتم و لو تعلمون علم اليقين لم يلهكم التكاثر و مثله قول امرئ القيس:

و لو أنها نفس تموت سويه و لكنها نفس تساقط أنفسا

يريد فلو أنها نفس تموت سويه لنقضت و فنيت فحذف الجواب تعويلا على أن الكلام يقتضيه و على هذا يكون جواب لو لا محذوف يدل عليه قوله «وَهَمَّ بِهَا» و لا يجوز أن يكون قوله «وَهَمَّ بِهَا» جوابا لـ «وَلَوْ لَا» لأن جواب لو لا لا يتقدم عليه (و ثانيها) أن يحمل الكلام على التقديم و التأخير و يكون التقدير و لقد همت به و لو لا أن رأى برهان ربه لهم بها و لما رأى برهان ربه لم يهم بها و يجرى ذلك مجرى قولهم قد كنت هلكت لو لا أنى تداركتك و قد كنت قلت لو لا أنى خلصتك و المعنى لو لا تداركى لهلكت و لو لا تخليصى إياك لقتلت و إن كان لم يقع هلاكك و قتل و مثله قول الشاعر:

فلا يدعنى قومي ليوم كريهه لئن لم أعجل ضربه أو أعجل

و قال آخر:

فلا يدعنى قومي صريحا لحره لئن كنت مقتولا و يسلم عامر

و فى القرآن إِنْ كَادَتْ لَتُبْدَىٰ بِهِ لَوْلَا أَنَّ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا وَ هَذَا الْوَجْهَ اخْتَارَهُ أَبُو مُسْلِمٍ وَ هُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْأَوَّلِ وَ (ثالثها) أن معنى قوله «هَمَّ بِهَا» اشتهاها و مال طبعه إلى ما دعته إليه و قد يجوز أن تسمى الشهوه هما على سبيل التوسع و المجاز و لا قبح فى الشهوه لأنها من فعل الله

تعالى وإنما يتعلق القبح بالمشتهى وقد روى هذا التأويل عن الحسن قال أما همها فكان أخبث الهم وأما همه فما طبع عليه الرجال من شهوه النساء وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال همها القصد و همه أنه تمناها أن تكون زوجته له و على هذا الوجه فيجب أن يكون قوله «لَوْ لَا- أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ» متعلقا بمحذوف أيضا كأنه قال لو لا- أن رأى برهان ربه لعزم أو فعل (سؤال) قالوا إن قوله «وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَ هَمَّ بِهَا» خرجا مخرجا واحدا فلم جعلتهم همها به متعلقا بالقبيح و همه بها متعلقا بغير القبيح و جوابه أن الظاهر لا يدل على ما تعلق به الهم ففيهما جميعا وإنما أثبتنا همها به متعلقا بالقبيح لشهادته القرآن و الآثار به و لأنها ممن يجوز عليه فعل القبيح و الشاهد لذلك من الكتاب قوله وَ رَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَ قَوْلَهُ وَ قَالَ نِسْوَةٌ فِي الْيَدَيْنِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ وَ قَوْلَهُ حَكَايَهُ عَنْهَا الْآنَ خَصِيْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ وَ لَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَ الشاهد من الآثار إجماع المفسرين على أنها همت بالمعصية و الفاحشه و أما يوسف فقد دلت الأدلة العقلية التي لا- يتطرق إليها الاحتمال و المجاز على أنه لا يجوز أن يفعل القبيح و لا- يعزم عليه فأما الشاهد من القرآن على أنه ما هم بالفاحشه فقوله سبحانه «كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَ الْفَحْشَاءَ» و قوله ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَ غير ذلك من قوله قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ وَ العزم على الفاحشه من أكبر السوء و أما الفرقه الأخرى فإنهم قالوا فيه ما لا يجوز نسبه إلى الأنبياء فقال بعضهم إنه قعد بين رجلها و حل تكة سراويله و قال بعضهم حل السراويل حتى بلغ الثن و جلس منها مجلس الرجل من امراته و قد نزهه الله سبحانه عن ذلك كله بقوله «كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَ الْفَحْشَاءَ» و أمثال ذلك مما عددناه فأما البرهان الذي رآه فقد اختلف فيه على وجوه (أحدها) أنه حجه الله سبحانه في تحريم الزنا و العلم بالعذاب الذي يستحقه الزاني عن محمد بن كعب و الجبائي (و ثانيها) أنه ما آتاه الله سبحانه من آداب الأنبياء و أخلاق الأصفياء في العفاف و صيانه النفس عن الأذناس عن أبي مسلم (و ثالثها)

أنه النبوه المانعه من ارتكاب الفواحش و الحكمه الصارفه عن القبائح روى ذلك عن الصادق (عليه السلام)

(و رابعها)

أنه كان في البيت صنم فألقت المرأه عليه ثوبا فقال (عليه السلام) أن كنت تستحين من الصنم فأنا أحق أن أستحي من الواحد القهار عن علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام)

(و خامسها) أنه اللطف الذي لطف الله تعالى به في تلك الحال أو قبلها فاختر عنده الامتناع عن المعاصي و هو ما يقتضى كونه معصوما لأن العصمه هي اللطف الذي يختار عنده التنزه عن القبائح و الامتناع من فعلها و يجوز أن يكون الرؤيه هاهنا بمعنى العلم كما يجوز أن يكون بمعنى الإدراك فأما ما ذكر في البرهان من الأشياء

البعيده بأن قيل إنه سمع قائلًا- يقول يا ابن يعقوب لا تكونن كالطير له ريش فإذا زنا ذهب ريشه و قيل أنه رأى صورته يعقوب
 عاضا على أنامله و قيل أنه رأى كفا بدت فيما بينهما مكتوبا عليها النهى عن ذلك فلم ينته فأرسل الله سبحانه جبرئيل (عليه
 السلام) و قال أدرك عبدى قبل أن يصيب الخطيئه فرآه عاضا على إصبعه فكل هذا سوء ثناء على الأنبياء مع أن ذلك ينافى
 التكليف و يقتضى أن لا يستحق على الامتناع من القبيح مدحا و لا ثوبا و هذا من أقبح القول فيه (عليه السلام) «كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ
 عَنْهُ السُّوءَ» أى كذلك أريناه البرهان لنصرف عنه السوء أى الخيانه «وَ الْفَحْشَاءَ» أى ركوب الفاحشه و قيل السوء الإثم و
 الفحشاء الزنا «إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ» أى المصطفين المختارين للنبوه و بكسر اللام المخلصين فى العباده و التوحيد أى من
 عبادنا الذين أخلصوا الطاعه لله و أخلصوا أنفسهم له و هذا يدل على تنزيه يوسف و جلاله قدره عن ركوب القبيح و العزم عليه.

[سوره يوسف (١٢): الآيات ٢٥ الى ٢٩]

اشاره

وَ اسْتَبَقَا الْبَابَ وَ قَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَ أَلْفَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
 (٢٥) قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَ شَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَ هُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَ إِنْ كَانَ
 قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَ هُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨)
 يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَ اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩)

القراءة

فى الشواذ قراءة ابن يعمر و ابن أبى إسحاق و نوح القارئ من قبل و من دبر بثلاث ضمات من غير تنوين.

ص: ٣٤٦

قال ابن جنى ينبغى أن يكونا غايتين كقوله تعالى لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ كأنه يريد و قدت قميصه من دبره و إن كان قميصه قد من قبله فلما حذف المضاف إليه أعنى الهاء و هى مراده صار المضاف غايه بعد ما كان المضاف إليه غايه له.

القد شق الشىء طولاً مثل قد الأديم يقال قدّه يقده قداه فهو مقدود إذا كان ذاهباً فى الطول على استواء و

فى الحديث كانت ضربات على بن أبى طالب ع أبكاراً كان إذا اعتلى قد و إذا اعترض قط

و القد بكسر القاف السير المقطوع طولاً و الإلقاء المصادفه قال ذو الرمه:

و مطعم الصيد هبال لبغيته ألقى أباه بذاك الكسب يكتسب

أى وجد أباه و الكيد طلب الشىء بما يكرهه كما طلبت المرأه يوسف بما يكرهه و يأباه و الخطيئه العدول عما تدعو إليه الحكمة إلى ما تزجر عنه و يقال لصاحبه خطأ يخطأ خطأ فهو خاطئ إذا وقع ذلك منه عن قصد فإن وقع من غير قصد قيل أخطأ المقصد فهو مخطئ فأصل الخطأ العدول عن الغرض الحكيمى بقصد أو غير قصد قال أميه:

عبادك يخطئون و أنت رب بكفيك المنايا و الحنوم

. الإعراب .

إنما عطف قوله «عِذَابٌ أَلِيمٌ» على الفعل لأن تقديره إلا السجن أو عذاب و من فى قوله «قَمَدٌ مِنْ دُبُرٍ» و «مِنْ قُبُلٍ» لابتداء الغايه لأن ابتداء القد كان منها و من فى قوله «مِنَ الْكَاذِبِينَ» للتبعيض لأنه بعض الكاذبين و لم يقل و شهد شاهد أنه إن كان لأنه ذهب مذهب القول فى الحكايه كما أن قوله يُوصِيكُمُ اللَّهُ فى أولادِكُمْ كذلك و التقدير يوصيكم الله أن المال لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ و قوله «إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ» قال أبو العباس المبرد معناه إن يكن و جاز ذلك فى كان لأنها أم الباب كما جاز فى التعجب ما كان أحسن زيدا و لم يجز ما أصبح أحسنه و قال أبو بكر السراج أن يكن بمعنى أن يصبح قد قميصه من دبر و قوله «فَلَمَّا رَأَى» الرؤيه هاهنا تحتل أمرين (أحدهما) أن تكون بمعنى رؤيه العين فلا تكون رؤيه العين رؤيه للقد و يكون قوله «قَدٌّ مِنْ دُبُرٍ» فى موضع الحال و إنما يكون رؤيه للقميص (و الآخر) أن يكون بمعنى العلم و تكون رؤيه للقد و إنما قال من الخاطئين و لم يقل من الخاطئات لتغليب المذكر على المؤنث.

«وَاسْتَبَقَا الْبَابَ» يعنى تبادرا الباب أى طلب كل واحد من يوسف و امرأه العزيز السبق إلى الباب أما يوسف فإنه كان يقصد أن يهرب منها و من ركوب الفاحشه و أما هى فإنما كانت تطلب يوسف لتقضى حاجتها منه و تقصد أن تغلق الباب و تمنعه من الخروج و تراوده ثانيا عن نفسه «وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ» أى لحقت يوسف فجذبت قميصه و شقته طولا من خلفه لأن يوسف كان هاربا و هى تعدو من خلفه و قيل إن يوسف رأى الأبواب قد انفتحت فعلم أن الصواب هو الخروج فخرج هاربا و قيل بل أخذ بفتح الأبواب و أدركته فتعلقت بقميصه من خلفه فشقته «وَ أَلْفَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ» أى فلما خرجا وجدا زوجها عند الباب و سماه سيدها لأنه مالک أمرها «قَالَتْ مَا جِزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسَيِّجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» يعنى أن المرأه سبقت بالكلام لتورك الذنب على يوسف فقالت لزوجها ليس جزاء من أراد بأهلك خيانه إلا أن يسجن أو أن يضرب بالسياط ضربا وجيعا عن ابن عباس قالوا و لو صدق حبها لم تقل ذلك و لآثرته على نفسها و لكن حبها إياه كان شهوه «قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي» لما ذكرت المرأه ذلك لم يجد يوسف بدا من تنزيه نفسه بالصدق و لو كفت عن الكذب عليه لكف ع عن الصدق عليها فقال هى التى طالبتنى بالسوء الذى نسبتنى إليه «وَ شَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا» قال ابن عباس و سعيد بن جبیر أنه صبى فى المهد و قيل كان الصبى ابن أخت زليخا و هو ابن ثلاثة أشهر و روى عن ابن عباس أيضا فى روايه أخرى و عن الحسن و قتاده و عكرمه أنه شهد رجل حكيم من أهلها بترئه يوسف و اختاره الجبائى قال لو كان طفلا- لكان قوله معجزا لا يحتاج معه إلى البيان و قيل كان الرجل ابن عم زليخا و كان جالسا مع زوجها عند الباب عن السدى «إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا» أى شق «مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ» المرأه «وَ هُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ» فيما قال يعنى يوسف لأنه كان هو القاصد و هى الدافعه «وَ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ» أى من خلف «فَكَذَبَتْ» المرأه «وَ هُوَ» أى يوسف «مِنَ الصَّادِقِينَ» لأنه الهارب و هى الطالبه و هذا أمر ظاهر و استدلال صحيح «فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ» أى فلما رأى زوجها قميص شق من خلف عرف خيانه المرأه ف «قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِ كُنَّ إِنَّ كَيْدَ كُنَّ عَظِيمٌ» و قيل هو من قول الشاهد و إنما وصف كيدهن بالعظم لأنها حين فاجأت زوجها عند الباب لم يدخلها دهش و لم تتحير فى أمرها و وركت الذنب على يوسف (عليه السلام) و لأن قليل حيل النساء أسبق إلى قلوب الرجال من كثير حيل الرجال «يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا» يعنى أن الشاهد قال ليوسف يا يوسف أمسك عن هذا الحديث أى عن ذكرها حتى لا يفشو فى البلد عن ابن عباس و قيل إنما قاله زوجها و قيل معناه لا تلتفت يا يوسف إلى هذا الحديث و لا تذكره على سبيل طلب البراءه فقد ظهرت براءتك عن أبى مسلم

و الجبائى ثم أقبل على زليخا فقال «وَ اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ» أى سلى زوجك أن لا يعاقبك على ذنبك «إِنَّكَ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ» أى من المذنبين و قيل إنه لم يكن غيورا سلبه الله الغيره لطفًا منه بيوسف حتى كفى شره و لذلك قال ليوسف أعرض عن هذا و اقتصر على هذا القدر و قيل معناه استغفري الله من ذنبك و توبى إليه فإن الذنب كان منك لا من يوسف فإنهم كانوا يعبدون الله تعالى مع عبادتهم الأصنام.

[سوره يوسف (١٢): الآيات ٣٠ الى ٣٥]

إشارة

وَ قَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٠) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَ أَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَ آتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِتْرًا مِّنْهُنَّ سِتْرًا مِّنْهُنَّ وَ قَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْنَّ فَلَمَّا رَأَتْهُ أَكْبَرْتَهُ وَ قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَ لَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَ لَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرْتُهُ لَيَسْجُنَّ وَ لَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّاعِرِينَ (٣٢) قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَ إِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصِيبُ إِلَيْهِنَّ وَ أَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٤)

ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسُجْنَتَهُ حَتَّىٰ جِئَ (٣٥)

القراءه

روى عن على (عليه السلام) و عن على بن الحسين و محمد بن على و جعفر بن

ص: ٣٤٩

محمد (عليه السلام) و عن الحسن بخلاف و يحيى بن يعمر و قتاده بخلاف و مجاهد بخلاف و ابن محيصن قد شعفها بالعين

و روى عن أبى جعفر متكأ بغير همز مشدد التاء و الباقر متكأ بالهمزة و التشديد و روى فى الشواذ قراءة مجاهد متكأ خفيفه ساكنه التاء و روى ذلك عن ابن عباس و قرأ أبو عمر و حاشى الله و الباقر «حاشَ لِلَّهِ» و روى عن ابن مسعود و أبى بن كعب حاش الله و عن الحسن حاش الإله و فى روايه أخرى عنه حاش لله بسكون الشين و قرأ يعقوب وحده السجى أحب إلى بفتح السين و الباقر بكسرها.

الحج

قال الزجاج معنى شعفها بالعين ذهب بها كل مذهب مشتق من شعفات الجبال أى رءوس الجبال يقال فلان مشعوف بكذا أى قد ذهب به الحب أقصى المذاهب و قال ابن جنى معناه وصل حبه إلى قلبها فكاد يحرقه لحدته و أصله من البعير يهنأ بالقطران فتصل حراره ذلك إلى قلبه قال امرؤ القيس:

لتقتلنى و قد شعفت فؤادها كما شعف المهنوءه الرجل الطالى

و أما القراءه المشهوره «شَعَفَهَا» بالعين فمعناه أنه خرق شغاف قلبها و هو غلافه فوصل إلى قلبها و أما المتكأ فهو ما يتكأ عليه الطعام أو شراب أو حديث و أصله موتكأ مفتعل من وكات مثل مؤترن من الوزن و أما من قرأ متكأ فيجوز أن يكون مفتعلا من قوله:

إذ شرب المرصه قال أو كى على ما فى سقائك قد روينا

يقال أو كيت السقا إذا شدته و أما متكأ فإنهم قالوا المتك الأترج واحده متكه و قيل هو الزماورد و أما حجه أبى عمرو فى قوله حاشى لله فقول الشاعر:

حاشى أبى ثوبان إن به ضنا عن الملحاه و الشتم

و قال أبو على لا يخلو قولهم «حاشَ لِلَّهِ» من أن يكون الحرف الجار فى الاستثناء كما ذكرناه فى البيت أو فاعلا من قولهم حاش يحاشى و لا-يجوز أن يكون حرف الجر لأن حرف الجر لا يدخل على مثله و لأن الحرف لا يحذف إذا لم يكن فيها تضعيف فإذا بطل ذلك ثبت

أنها فاعل مأخوذ من الحشاء الذى هو الناحيه و المعنى أنه صار فى حشاء أى فى ناحيه مما قذف به و فاعله يوسف و المعنى بعد عن هذا الذى رمى به لله أى لخوفه من الله و مراقبته أمره و من حذف الألف فكما حذف من لم يك و لا أدر و إذا أريد به حرف الجر يقال حاشا و حاش و حشا ثلاث لغات قال الشاعر:

حشا رهط النبى فإن فيهم بحورا لا تقطعها الدلاء

و أما من قرأ حاش الله فعلى أصل اللغه يكون حرف جر كما جاء فى البيت:

" حاشى أبى ثوبان "

و أما حاش الإله فمحذوف من حاشا تخفيفا و هو كقولك حاش المعبود و منه قول الشاعر:

لعن الإله و زوجها معها هند الهنود طويله الثعل

و أما حاش الله فضعيف لالتقاء الساكنين فيه و لإسكان الشين بعد حذف الألف و لا موجب لذلك و أما من فتح السين من السجن فجعله مصدرا و معناه أن أسجن أحب إلى و من كسر فعلى اسم المكان و المعنى نزول السجن أحب إلى.

اللغه

العزیز المنيع بقدرته عن أن يضام فى أمره و سمي بذلك لأنه كان ملكا ممتعا بملكه و اتساع مقدرته و قال أبو داود:

دره غاص عليها تاجر جلبت عند عزيز يوم طل

و الفتى الغلام الشاب و المرأه فتاه قال أبو مسلم و الزجاج و تسمى العرب العبد فتى و المكر الفتل بالحيه إلى ما يراد من الطلبه و جاريه ممكوره الساقين أى مفتوله الساقين و اعتدت مأخوذه من العتاد و مثله أعدت و المتكأ الوساده و هو النمرق الذى يتكأ عليه و قيل هو الأترج و أنكر ذلك أبو عبيده قال و لا يمتنع أن يقال قد كان فى ذلك المجلس فواكه و أترج فأما أن يعرف ذلك من هذا القول فلا و الإكبار الإعظام و الإجلال و قال قوم معنى أكبرنه أنهم حضن حين رأينه و أنشدوا قول الشاعر:

يأتى النساء على أطهارهن و لا تأتى النساء إذا أكبرن إكبارا

و أنكر ذلك أبو عبيده و قال لا نعرف ذلك فى اللغه و لكنه يجوز أن يكن قد حضن من

شده إعظامهن إياه و البيت مصنوع لا يعرفه العلماء بالشعر و السجن المنع عن التصرف بالسجن سجن يسجن سجننا و الاعتصام الامتناع عن طلب المعصية و الاستعصام طلب العصمه من الله تعالى و الصاغرين من الصغار صغر يصغر صغارا و هو الذل و الهوان و الصبارة القلب يقال صبا يصبو صبا فهو صاب قال:

إلى هند صبا قلبى و هند مثلها يصبى

و قال:

صبا صبوه بل لج و هو لجوج و زالت له بالأنعمين حدوج

. الإعراب

«وَقَالَ نِسْوَةٌ» إنما حذف فيه حرف التأنيث لأنه تأنيث جمع و تأنيث الجمع تأنيث لفظ يبطل تأنيث المعنى لأنه لا يجتمع فى اسم واحد تأنيثان و كذلك يبطل تذكير المعنى فى رجال و إذا صار كذلك جاز فيه الحمل على اللفظ و الحمل على المعنى فيؤنث و يذكر و قوله «ما هذا بَشَرًا» نصب بشرا على مذهب أهل الحجاز فى إعمال ما عمل ليس فى رفع الاسم و نصب الخبر فأما بنو تميم فلا يعملونها قال:

لستان ما أنوى و ينوى بنو أبى جميعا فما هذان مستويان

تمنوا لى الموت الذى يشعب الفتى و كل فتى و الموت يلتقيان

و روى عن الحسن أنه قرأ ما هذا بشر أى ليس هو بمملوك و هو شاذ و ذلكن كن للخطاب لا للضمير فلا موضع له من الإعراب و الاسم ذا و هو فى موضع رفع على الابتداء و «الَّذِي لُؤْمِنْتَنِي فِيهِ» موصول و صله فى موضع خبره و «لَيْكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ» هذه النون الخفيفة التى يتلقى بها القسم و إذا وقفت عليها وقفت بالألف تقول و ليكونا و هى بمنزلة التنوين الذى يوقف عليه بالألف فى نحو قولك رأيت رجلا قال الأعشى:

و صل على حين العشيات و الضحى و لا تعبد الشيطان و الله فاعبدا

أى فاعبدن فأبدل فى الوقف من النون ألفا ثم بدا لهم فاعله مصدر مضمرة على تقدير بدا لهم بداء و قد أظهره الشاعر فى قوله:

لعلك و الموعود حق لقاءه بدا لك من تلك القلوص بداء

ص: ٣٥٢

و لا يجوز أن يكون ليسجنه فى موضع الفاعل لأن الجملة لا تكون فاعلا.

المعنى

ثم ذكر سبحانه شياخ هذه القصة فقال «وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ» أى جماعه من النساء فى المصر الذى كان فيه الملك و زوجته و يوسف «امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ» أى امرأه العزيز تدعو مملوكها إلى نفسها ليفجر بها «قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا» أى أحبته حبا دخل شغاف قلبها «إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» أى فى خطأ بين و ذهاب عن طريق الرشده بدعائها مملوكها إلى الفجور بها قال الكلبى هن أربع نسوه امرأه ساقى الملك و امرأه الخباز و امرأه صاحب الدواب و امرأه صاحب السجن و قال مقاتل كن خمسا و زاد امرأه الحاجب «فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ» أى لما سمعت المرأه بتغييرهن إياها و قصدهن إشاعه أمرها و سماه مكرأ لأن قصدهن من هذا القول كان أن تريهن يوسف لما وصف لهن من حسنه فخالف ظاهر الكلام باطنه فسمى ذلك مكرأ و قيل لأنها أظهرت لهن حبهما إياه و استكتمتهن ذلك فأظهرنه فسمى ذلك مكرأ «أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ» فاستضافتهن قال وهب اتخذت مأدبه و دعت أربعين امرأه منهن «وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا» أى و أعدت لهن و سائد يتكين عليها عن ابن عباس و الاتكاء الميل إلى أحد الشقين و قيل أراد بقوله «مُتَّكًا» الطعام من قول العرب اتكأنا عند فلان أى أطمعنا عنده و أصله أن من دعى إلى طعام يعد له المتكأ فيسمى الطعام متكأ على الاستعاره و قال الضحاك كان ذلك الطعام الزماورد و قال عكرمه هو كل ما يجز بالسكين لأنه يؤكل فى الغالب على متكأ و قال سعيد بن جبیر أنه كل طعام و شراب على عمومه و به قال الحسن و أما المتك فقد قيل فيه أنه الأترج على ما تقدم بيانه و قال السدى بل هو المجلس و كل شىء يجز بالسكين يقال له متك «وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِينًا» أى و أعطت كل واحده من تلك النسوه سكيناً لتقطع به الفواكه و الأترج على ما هو العاده بين الناس «وَقَالَتِ الْخُرُوجَ عَلَيْهِنَّ» أى و قالت امرأه الملك ليوسف (عليه السلام) و كانت قد أجلسته غير مجلسهن فأمرته بالخروج عليهن فى هياته إما للخدمه و إما للسلام أو ليرينه و لم يكن يتهيأ له أن لا يخرج لأنه بمنزله العبد لها عن الزجاج «فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أُكْبِرْتَهُ» أى أعظمته و تحيرن فى جماله إذ كان كالقمر ليله البدر «وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ» بتلك السكاكين على جهه الخطأ بدل قطع الفواكه فما أحسن إلا بالدم و لم يجدن ألم القطع لإشغال قلوبهن بيوسف (عليه السلام) عن مجاهد و المعنى جرحن أيديهن و هذا مستعمل فى الكلام تقول للرجل قد قطعت يدي تريد قد خدشتها و قيل إنهن ابن أيديهن حتى ألقينها عن قتاده «وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ» و حاشى لله أى صار يوسف فى حشاى ناحيه مما قذف به أى لم يلبسه و المعنى بعد يوسف عن هذا الذى رمى به الله أى لخوفه و مراقبته أمر الله هذا قول أكثر المفسرين قالوا هذا تنزيه ليوسف عما رمت به امرأه العزيز و قال آخرون هذا تنزيه له

من شبه البشر لفرط جماله و يدل على هذا سياق الآية «ما هذا بشراً إن هذا إلاً مَلَكٌ كَرِيمٌ» أى رفع الله منزلته عن منزله البشر فنعوذ بالله أن نقول إنه بشر و معناه أنه منزّه أن يكون بشراً و ليس صورته صورة البشر و لا خلقتة خلقه البشر و لكنه ملك كريم لحسنه و لطافته و

روى عن أبى سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله ص و هو يصف يوسف حين رآه فى السماء الثانية رأيت رجلاً صورته صورة القمر ليله البدر قلت يا جبريل من هذا قال هذا أخوك يوسف

و قيل معناه ليس هذا إلا ملك كريم فى عفته قال الجبائى و هذا يدل على أن الملك أفضل من بنى آدم لأنهن ذكرن من هو فى نهايه الفضل و لم ينكر الله تعالى ذلك عليهن و هذا من ركيك الاستدلال لأنه سبحانه إنما حكى عن النساء إعظامهن ليوسف حين رأين جماله و بعده عن السوء فشبهه بالملك و لم يقصدن كثره الثواب الذى هو حقيقه الفضل و إنما لم ينكره سبحانه عليهن لأنه علم أنهن لم يقصدن فى كلامهن ما حملة عليه الجبائى على أن الظاهر يقتضى أنهن نفين أن يكون يوسف من البشر و قطعن على أنه ملك و هذا كذب و لم ينكره الله سبحانه عليهن لما علم من أنهن يقصدن بذلك تشبيه حاله بحال الملائكه «قالت» امرأه العزيز للنسوة التى عدلنها على محبتها ليوسف «فَدَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِنِي فِيهِ» أى هذا هو ذلك الذى لمتننى فى أمره و فى حبه و شعفى به جعلت إعظامهن إياه عذراً لها و المعنى هذا الذى أصابكن فى رؤيته مره واحده ما أصابكن من ذهاب العقل فكيف عدلتننى فى حبي إياه و أنا أنظر إليه آناء ليلى و نهارى ثم اعترفت ببراءه يوسف و أقرت على نفسها فقالت «وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ» أى امتنع عنه و قيل معناه امتنع بالله و سأله العصمه من فعل القبيح و فى هذا دلالة على أن يوسف لم يقع منه قبح ثم توعدهت بإيقاع المكروه به إن لم يطعها فيما تدعوه إليه فقالت «وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيَسِيْبَنَّ وَ لَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّاغِرِينَ» أى و إن لم يجبنى إلى ما أدعوه إليه ليحبس فى السجن و ليكون من الأذلاء فلما رأى يوسف إصرارها على ذلك و تهديدها له اختار السجن على المعصيه ف «قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ» معناه يا رب إن السجن أحب إلى و أسهل على مما يدعوننى إليه من الفاحشه و فى هذا دلالة على أن النسوة دعونه إلى مثل ما دعته إليه امرأه العزيز و

فى حديث أبى حمزه الثمالى عن على بن الحسين (عليه السلام) أن النسوة لما خرجن من عندها أرسلت كل واحده منهن إلى يوسف سرا من صاحبتة تسأله الزياره

و قيل إنهن قلن له أطع مولاتك و اقض حاجتها فإنها المظلومه و أنت ظالم و قيل إنهن لما رأين يوسف استأذن امرأه العزيز بأن تخلو كل واحده منهن به و تدعوه إلى ما أرادته منه إلى طاعتها فلما خلون به دعتة كل واحده منهن إلى نفسها فلذلك قال مما يدعوننى إليه و يسأل فيقال كيف قال يوسف السجن أحب إلى مما يدعوننى

إليه ولا يجوز أن يراد السجن الذى هو المكان و إن عنى به السجن الذى هو المصدر فإن السجن معصيه كما أن ما دعونه إليه معصيه فلا يجوز أن يريده فالجواب أنه لم يرد المحبه التى هى الإراده و إنما أراد أن ذلك أخف على و أسهل و وجه آخر أن المعنى لو كان مما أريده لكان إرادتى له أشد و قيل إن معناه توطيئى النفس على السجن أحب إلى من توطيئى النفس على الزنا عن أبى على الجبائى «وَأَلَّا تَصْرِفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ» بِالطَّفْكَ لَأَن كِيدَهُنَّ قَدْ وَقَعَ وَ حَصَلَ «أَصْبُ إِلَيْهِنَّ» أَمَلُ إِلَيْهِنَّ أَوْ إِلَى قَوْلِهِنَّ بِهِوَإَى وَ الصَّبُوهُ لَطْفَهُ الْهُوَى «وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ» أَى الْمُسْتَحْقِينَ لَصَفِهِ الذَّمُّ بِالْجَهْلِ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ أَكُنْ بِمَنْزِلَةِ الْجَاهِلِينَ فِى فَعْلَى «فَأَسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ» أَى فَأَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فِيمَا دَعَاهُ فَعَصَمَهُ مِنْ مَكْرَهُنَّ فَإِن قِيلَ مَا مَعْنَى سُؤَالِ يُوسُفَ اللَّطْفِ مِنَ اللَّهِ وَ هُوَ عَالِمٌ بِأَنَّ اللَّهَ يَفْعَلُهُ لَا مَحَالَهُ فَالْجَوَابُ أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ تَتَعَلَّقَ الْمَصْلُحَةُ بِاللَّطْفِ عِنْدَ الدَّعَاءِ الْمَجْدُدِ وَ مَتَى قِيلَ كَيْفَ عِلْمُ أَنَّهُ لَوْ لَا- اللَّطْفِ لِرُكْبِ الْفَاحِشَةِ وَ إِذَا وَجَدَ اللَّطْفُ امْتِنَعَ قَلْنَا لِمَا وَجَدَ فِى نَفْسِهِ مِنَ الشَّهْوَةِ وَ عِلْمُ أَنَّهُ لَوْ لَا- لَطْفَ اللَّهِ لَا رَتَكَبَ الْقَبِيحِ وَ عِلْمُ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ يَعْصَمُ أَنْبِيََاءَهُ بِاللَّطْفِ وَ أَنَّ مِنْ لَا- يَكُونُ لَهُ لَطْفٌ لَا- يَبْعَثُهُ اللَّهُ نَبِيًّا قَالَ الْجَبَائِيُّ فِى الْآيَةِ دَلَالَهُ عَلَى جَوَازِ الدَّعَاءِ بِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ يَكُونُ لِأَنَّ يُوسُفَ كَانَ عَالِمًا بِأَنَّهُ إِنْ كَانَ لَهُ لَطْفٌ فَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِهِ وَ مَعَ هَذَا سَأَلَهُ ذَلِكَ وَ لَا تَدُلُّ الْآيَةَ عَلَى مَا قَالَهُ لِمَا قَلْنَا مِنْ أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ سَأَلَهُ لِتَجْوِيزِهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ لَطْفٌ عِنْدَ الدَّعَاءِ وَ لَوْ لَمْ يَدْعُ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لَطْفًا فَمَا سَأَلَ إِلَّا- مَا جُوزَ أَنْ لَا يَكُونَ لَوْ لَمْ يَدْعُ «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» أَى السَّمِيعُ لِدَعَاءِ الدَّاعِي الْعَلِيمِ بِإِخْلَاصِهِ فِى دَعَائِهِ وَ بِمَا يَصْلُحُهُ مِنَ الْإِجَابَةِ أَوْ يَفْسُدُهُ «ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ» أَى ظَهَرَ لَهُمْ «مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ» وَ إِنَّمَا لَمْ يَقُلْ لَهُمْ مَعَ تَقْدِيمِ ذِكْرِ النَّسْوَةِ لِأَنَّهُ أَرَادَ بِهِ الْمَلِكُ وَ قِيلَ أَرَادَ بِهِ زَلِيخًا وَ أَعْوَانَهَا فَعَلَبَ الْمَذْكُورَ وَ أَرَادَ بِالْآيَاتِ الْعَلَامَاتِ الدَّالَّةَ عَلَى بَرَاءَةِ يُوسُفَ وَ هِيَ قَدْ الْقَمِيصُ مِنْ دُبُرِهِ وَ جِزَ الْأَيْدَى عَنِ قَتَادِهِ وَ غَيْرِهِ وَ قِيلَ يَرِيدُ بِالْآيَاتِ الْعَلَامَاتِ الدَّالَّةَ عَلَى الْإِيَّاسِ مِنْهُ وَ قَوْلُهُ «بَدَأَ» فَاعْلَهُ مَضْمُورٌ وَ تَقْدِيرُهُ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ بَدَاءً «لَيْسَ جُنَّتُهُ حَتَّى جِينِ» وَ دَلَّ لَيْسَ جُنَّتُهُ عَلَيْهِ فَإِنَّ السَّجْنَ هُوَ الَّذِي بَدَأَ لَهُمْ قَالَ السَّدَى وَ ذَلِكَ أَنَّ الْمَرْأَةَ قَالَتْ لَزَوْجِهَا إِنْ هَذَا الْعَبْدُ قَدْ فَضَحَنِي فِى النَّاسِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يَخْبِرُهُمْ أَنِّي رَاوَدْتُهُ عَنِ نَفْسِهِ وَ لَسْتُ أَطِيقُ أَنْ أَعْتَذِرَ بَعْدَرِي فَأَمَّا أَنْ تَأْذُنَ لِي فَأَخْرَجَ وَ أَعْتَذَرَ وَ إِمَّا أَنْ تَحْبِسَهُ كَمَا حَبَسْتَنِي فَحْبَسَهُ بَعْدَ عِلْمِهِ بِبَرَاءَتِهِ وَ قِيلَ إِنْ الْغَرَضُ مِنَ الْحَبْسِ أَنْ يَظْهَرَ لِلنَّاسِ أَنَّ الذَّنْبَ كَانَ لَهُ لِأَنَّهُ إِذَا يَحْبَسُ الْمَجْرِمَ وَ قِيلَ كَانَ الْحَبْسُ قَرِيبًا مِنْهَا فَأَرَادَتْ أَنْ يَكُونَ بِقَرْبِهَا حَتَّى إِذَا أَشْرَفَتْ عَلَيْهِ رَأَتْهُ وَ قَوْلُهُ «حَتَّى جِينِ» قِيلَ إِلَى سَبْعِ سَنِينَ عَنِ عِكْرَمَةَ وَ قِيلَ إِلَى خَمْسِ سَنِينَ عَنِ الْكَلْبِيِّ وَ قِيلَ إِلَى وَقْتِ يَنْسَى حَدِيثَ الْمَرْأَةِ مَعَهُ وَ يَنْقَطِعُ فِيهِ عَنِ النَّاسِ خَبْرَهُ عَنِ الْجَبَائِيِّ.

إشارة

وَ دَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبْنَأُ
بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٣٦) قَالَ لَا- يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي
تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا- يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) وَ اتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ
نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكُمْ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَ عَلَى النَّاسِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٣٨)

اللغة

قال الزجاج كانوا يسمون المملوك فتى فجائر أن يكون الفتيان حديثين أو شيخين و قال غيره يقال لعبد فتى و للأمه فتاه و

فى الحديث لا يقولن أحدكم عبدى و أمتى و لكن فتاى و فتاتى

و التأويل الخبر عما حضر بما يؤول إليه أمره فيما غاب و لذلك قال قبل أن يأتىكما تأويل القرآن ما يؤول إليه من المعنى أى يرجع إليه و التعليم تفهيم الدلالة المؤديه إلى العلم بالمعنى و قد يكون الإعلام بالمعنى فى القلب و الاتباع اقتفاء الأثر و هو طلب اللحاق بالأول.

الإعراب

هم الثانيه دخلت للتوكيد لأنه لما دخل بينهما قوله «بِالْآخِرَةِ» صارت الأولى كالملغاه و صار الاعتماد على الثانيه كما قال وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ وَ كما قال أَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَ كُنْتُمْ تُرَابًا وَ عِظَامًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن حال يوسف (عليه السلام) فى الحبس فقال «وَ دَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ» و التقدير فسجن يوسف و دخل معه السجن فتيان أى شابان حدثان و قيل إنهما مملوك كان لملك مصر الأكبر و اسمه وليد بن ريان و كان أحدهما صاحب شرابه و الآخر

صاحب طعامه فمضى إليه أن صاحب طعامه يريد أن يسمه و ظن أن الآخر ساعده على ذلك و مالأه عليه عن قتاده و السدى «قالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا» هو من رؤيا المنام كان يوسف (عليه السلام) لما دخل السجن قال لأهله إنى أعبى الرؤيا فقال أحد العبدین لصاحبه هلم فلنجره فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيئا عن ابن مسعود و قيل بل رؤياهما على صحه و حقيقه و لكنهما كذبا فى الإنكار عن مجاهد و الجبائى و

قيل إن المصلوب منهما كان كاذبا و الآخر صادقا عن أبى مجلز و رواه على بن إبراهيم أيضا فى تفسيره عنهم (عليه السلام)

و المعنى قال أحدهما و هو الساقى رأيت أصل حبله عليها ثلاثه عنقيد من عنب فجنيتها و عصرتها فى كأس الملك و سقيته إياها و تقديره أعصر عنب خمر أى العنب الذى يكون عصيره خمرا فحذف المضاف قال الزجاج و ابن الأنبارى العرب تسمى الشىء باسم ما يؤول إليه إذا وضح المعنى و لم يلتبس يقولون فلان يطبخ الآجر و يطبخ الدبس و إنما يطبخ اللبن و العصير و قال قوم إن بعض العرب يسمون العنب خمرا حكى الأصمعى عن المعتمر بن سليمان أنه لقي أعرابيا معه عنب فقال له ما معك قال خمر و هو قول الضحاك فيكون معناه أنى أعصر عنبا و روى فى قراءة عبد الله و أبى جميعا إنى رأيتنى أعصر عنبا «و قالَ الْأَخْرَجِيُّ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ» معناه و قال صاحب الطعام إنى رأيت كان فوق رأسى ثلاث سلال فيها الخبز و ألوان الأطمعه و سباع الطير تنهش منه «بَبْنُا بَتَأْوِيلِهِ» أى أخبرنا بتعبيره و ما يؤول إليه أمره «إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» أى تؤثر الإحسان و الأفعال الجميله قال الضحاك

كان إذا ضاق على رجل مكانه وسع له و إن احتاج جمع له و إن مرض قام عليه و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و قال الزجاج جاء فى التفسير أنه كان يعين المظلوم و ينصر الضعيف و يعود العليل قال و قيل «مِنَ الْمُحْسِنِينَ» أى ممن يحسن تأويل الرؤيا قال و هذا دليل على أن أمر الرؤيا صحيح و أنها لم تزل فى الأمم السالفه و

فى الحديث أن الرؤيا جزء من ستة و أربعين جزءا من النبوه

و تأويله أن الأنبياء يخبرون بما سيكون و الرؤيا تدل على ما سيكون فىكون المعنى فى الآيه إنا نعلمك أو نظنك ممن يعرف تعبير الرؤيا و من ذلك

قول أمير المؤمنين (عليه السلام) قيمه كل امرئ ما يحسنه

و قال أبو مسلم نراك من المحسنين إلينا إن فسرت لنا الرؤيا و هو قول ابن أبى إسحاق ثم ذكر لهما يوسف (عليه السلام) ما يدل على أنه عالم بتفسير الرؤيا «قال لا يأتىكما طعامٌ تُرزقانه» فى منامكما «إِلَّا تَبَأْتُكُمَا بَتَأْوِيلِهِ» فى اليقظه «قَبَلْ أَنْ يَأْتِيَكُمَا» التأويل و ذلك أنه كره أن يخبرهما بالتأويل لما على أحدهما فيه من البلاء فأعرض عن سؤالهما و أخذ فى غيره عن السدى و ابن إسحاق و قيل إنه إنما قدم هذا ليعلم ما خصه الله تعالى به من النبوه و ليقبلا عنه فقال لا يأتىكما طعام من منزلكما إلا أخبرتكما بصفه ذلك الطعام و كيفيته قبل أن يأتىكما كما

قال عيسى بن مريم (عليه السلام) وَ أَتَّبِعُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَ مَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ عن الحسن و الجبائي «ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي» كأنهما قالوا له كيف عرفت تأويل الرؤيا و لست بكاهن و لا عراف فأخبرهما أنه رسول الله و أنه تعالى علمه ذلك و تعليمه تعالى قد يكون بأن يفعل العلم فى قلبه و قد يكون بالوحى و قد يكون بنصب الأدله التى يدرك بها العلم «إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ» معناه أنه لا يستحق هذه الرتبة الخطيره إلا المؤمنون المخلصون و إنى تركت طريقه قوم لا- يؤمنون فلذلك خصنى الله بهذه الكرامه «وَ اتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي» أى شريعته آبائى «إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ» أى لا- ينبغى لنا و نحن معدن النبوه و أهل بيت الرساله أن ندين بغير التوحيد «ذَلِكَ» أى التمسك بالتوحيد و البراءه من الشرك و قيل النبوه و العلم «مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا» بأن خصنا بها «وَ عَلَى النَّاسِ» أيضا بإرسالنا إليهم و اتباعهم إيانا و اهتدائهم بنا «وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ» نعم الله تعالى و قد كان يوسف (عليه السلام) فيما بينهم زمانا و لم يحك الله سبحانه أنه دعا إلى الدين و كانوا يعبدون الأصنام لأنه لم يطمع منهم فى الاستماع و القبول فلما رأهم عارفين بإحسانه مقبلين عليه رجا منهم القبول منه فدعاهم إلى التوحيد على ما أمر الله سبحانه له فى قوله اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ و قد روى أن صاحبه السجن قال له لقد أحببناك حين رأيناك فقال لا تحببنا فو الله ما أحببنا أحد إلا دخل على من حبه بلاء أحببنا عمى فنسبت إلى السرقة و أحببنا أبى فألقيت فى الحب و أحببنا امرأه العزيز فألقيت فى السجن.

إشارة

يا صاحِبِي السَّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠) يا صاحِبِي السَّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمْ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَ أَمَا الْآخَرُ فَيُضِيبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (٤١) وَ قَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاءُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ (٤٢)

اللغة

الصاحب الملازم لغيره على وجه الاختصاص و هو خلاف ملازمه الاتصال و منه أصحاب الشافعي و أصحاب أبي حنيفة و أصحاب النبي ص لملازمتهم له و كونهم معه فى حروبه و صاحب السجن هما الملازمان له بالكون فيه و القيم المستقيم و أصله من قام يقوم و الاستفتاء طلب الفتيا و البضع القطعة من الدهر و أصله من القطع و البضعة القطعة من اللحم و منه

الحديث فاطمه بضعه منى يؤذيني من آذاها

. المعنى

«يا صاحِبِي السَّجْنِ» هذا حكاية نداء يوسف للمستفتين له عن تأويل رؤياهما أى يا ملازمى السجن «أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ» أى أأملاك متباينون من حجر و خشب لا تضر و لا تنفع خير لمن عبدها أم الله الواحد القهار الذى إليه الخير و الشر و النفع و الضر و هذا ظاهره الاستفهام و المراد به التقرير و إلزام الحجج و القاهر هو القادر الذى لا يمتنع عليه شىء ما «مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ» ابتداء بخطاب اثنين ثم خاطب بلفظ الجمع لأنه قصد جميع من هو فى مثل حالهما و قيل إنه خطاب لجميع من فى الحبس و معناه أن هذه الأصنام التى تعبدونها من دون الله و سميتوها بأسماء يعنى الأرباب و الآلهة هى أسماء فارغة عن المعانى لا حقيقه لها ما أنزل الله من حجة بعبادتها «إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ» أى ما الحكم و الأمر إلا لله فلا يجوز العبادة و الخضوع و التذلل إلا لله «أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ» أى و قد أمركم أن لا تعبدوا غيره «ذَلِكَ» أى ذلك الذى بينت لكم من توحيده و عبادته و ترك عباده غيره «الدِّينُ الْقَيِّمُ» أى الدين المستقيم الذى لا عوج فيه «وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» قال ابن عباس ما للمطيعين من الثواب و للعاصين من العقاب و قيل لا يعلمون صحه ما أقوله لعدولهم عن النظر و الاستدلال ثم عبر (عليه السلام) رؤياهما فقال «يا صاحِبِي السَّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمْ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا» بدأ بما هو الأهم و هو الدعاء إلى توحيد الله و عبادته و إظهار معجزته ثم بتعبير رؤيا الساقى فروى أنه قال أما العناقيد الثلاثة فإنها ثلاثة أيام تبقى فى السجن ثم يخرجك الملك اليوم الرابع و تعود إلى ما كنت عليه و أجرى على مالكة صفه الرب لأنه عبده فأضافه إليه كما

يقال رب الدار و رب الضيعة «وَأَمَّا الْآخِرُ فَيُصَلَّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ» يريد بالآخر صاحب الطعام روى أنه قال بس ما رأيت أما السلال الثلاث فإنها ثلاثه أيام تبقى فى السجن ثم يخرجك الملك فيصلبك فتأكل الطير من رأسك فقال عند ذلك ما رأيت شيئا و كنت ألعب فقال يوسف «قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ» أى فرغ من الأمر الذى تسألان و تطلبان معرفته و ما قلته لكما فإنه نازل بكما و هو كائن لا محاله و فى هذا دلالة على أنه كان يقول ذلك على جهه الإخبار عن الغيب بما يوحى إليه لا كما يعبر أحدنا الرؤيا على جهه التأويل «وَقَالَ» يوسف «لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا» معناه للذى علم من طريق الوحي أنه ناج أى متخلص كما فى قوله تعالى إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهٗ هذا قول الأكثرين و اختيار الجبائى و قال قتاده للذى ظنه ناجيا لأنه لا يحكم بصدقه فيما قصه من الرؤيا و الأول أصح «اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ» أى اذكرنى عند سيدك بأنى محبوس ظلما «فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ» يعنى أنسى الشيطان يوسف ذكر الله تعالى فى تلك الحال حتى استغاث بمخلوق فالتمس من الناجى منهما أن يذكره عند سيده و كان من حقه أن يتوكل فى ذلك على الله سبحانه

«فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ» أى سبع سنين عن ابن عباس و روى ذلك عن على بن الحسن (عليه السلام) و أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل معناه فأنسى الشيطان الساقى ذكر يوسف عند الملك فلم يذكره حتى لبث فى السجن عن الحسن و محمد بن إسحاق و الجبائى و أبى مسلم و على هذا فتقديره فأنساه الشيطان ذكر يوسف عند ربه و قد

روى عن النبى ص أنه قال عجبت من أخى يوسف (عليه السلام) كيف استغاث بالمخلوق دون الخالق

و

روى أنه (عليه السلام) قال لو لا كلمته ما لبث فى السجن طول ما لبث

يعنى قوله «اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ» ثم بكى الحسن و قال إنا إذا أنزل بنا أمر فزعنا إلى الناس و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال جاء جبرائيل (عليه السلام) فقال يا يوسف من جعلك أحسن الناس قال ربي قال فمن حبيك إلى أبيك دون إخوانك قال ربي قال فمن ساق إليك السياره قال ربي قال فمن صرف عنك الحجاره قال ربي قال فمن أنقذك من الجب قال ربي قال فمن صرف عنك كيد النسوه قال ربي قال فإن ربك يقول ما دعاك إلى أن تنزل حاجتك بمخلوق دونى البث فى السجن بما قلت بضع سنين

و عنه فى روايه أخرى قال فبكى يوسف عند ذلك حتى بكى لبيكائه الحيطان فتأذى بيكائه أهل السجن فصالحهم على أن يبكى يوما و يسكت يوما فكان فى اليوم الذى يسكت أسوأ حالا

و القول فى ذلك أن الاستعانه بالعباد فى دفع المضار و التخلص من المكاره جائز غير منكر و لا قبيح بل ربما يجب ذلك و كان نبينا ص يستعين فيما ينوبه بالمهاجرين و الأنصار و غيرهم و لو كان قبيحا لم يفعله فلو صحت هذه الروايات فإنما عوتب يوسف ع فى ترك عادته الجميله فى الصبر و التوكل على الله سبحانه

فى كل أموره دون غيره وقتا ما ابتلاء و تشديدا و إنما كان يكون قبيحا لو ترك التوكل على الله سبحانه و اقتصر على غيره و فى هذا ترغيب فى الاعتصام بالله تعالى و الاستعانه به دون غيره عند نزول الشدائد و إن جاز أيضا أن يستعان بغيره و اختلف فى البضع فقال بعضهم البضع ما بين الثلاث إلى الخمس عن أبى عبيده و قيل إلى السبع عن قطرب و قيل إلى التسع عن الأصمعى ذكره الزجاج و قول قطرب مروى عن مجاهد و قول الأصمعى مروى عن قتاده و قال ابن عباس و هو ما دون العشره و أكثر المفسرين على أن البضع فى الآيه سبع سنين قال الكلبي و هذه السبع سوى الخمسه التى كانت قبل ذلك و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال علم جبرائيل (عليه السلام) يوسف فى حبسه فقال قل فى دبر كل صلاه فريضه اللهم اجعل لى فرجا و مخرجا و ارزقنى من حيث أحتسب و من حيث لا أحتسب

و

روى شعيب العفرقوفى عنه (عليه السلام) قال لما انقضت المده و أذن له فى دعاء الفرج وضع خده على الأرض ثم قال اللهم إن كانت ذنوبى قد أخلقت وجهى عندك فإنى أتوجه إليك بوجه آبائى الصالحين إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب ففرج الله عنه قال فقلت له جعلت فداك أ ندعو نحن بهذا الدعاء فقال ادعوا بمثله اللهم إن كانت ذنوبى قد أخلقت عندك وجهى فإنى أتوجه إليك بوجه نبيك نبى الرحمه و على و فاطمه و الحسن و الحسين و الأئمه (عليه السلام).

ص: ٣٦١

إشارة

وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ
 إِنَّ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ (٤٣) قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ (٤٤) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّهِ أَنَا
 أُبْتِكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ
 يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ
 (٤٧)

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَ
 فِيهِ يَعْصِرُونَ (٤٩)

القراءة

قرأ حفص دأبا بفتح الهمزة و الباقون بسكونها و قرأ تعصرون بالتاء أهل الكوفة غير عاصم و الباقون بالياء و في الشواذ قراءة ابن
 عباس و ابن عمر بخلاف و الضحاك و قتاده و زيد بن علي (عليه السلام) و ادكر بعد أمه بالهاء و قراءة الأشهب العقيلي بعد إمه
 بكسر الهمزة و

قرأ جعفر بن محمد (عليه السلام) و سيع سنابل و قرأ أيضا ما قربتم و قرأ هو و الأ-عرج و عيسى بن عمر و فيه يعصرون بياء
 مضمومه و صاد مفتوحه.

الحج

قال أبو علي انتصب «دأبا» بما دل عليه تزرعون و فيه علاج و دؤوب فكأنه قال تدأبون فانتصب دأبا به لا بالمضمر و لعل الفتح
 لغه فيه فيكون كشمع و شمع و نهر و نهر و «يَعْصِرُونَ» يحتمل أمرين أحدهما أن يكون من العصر الذي يراد به الضغط الذي
 يلحق ما فيه دهن أو ماء نحو الزيتون و السمسم و العنب ليخرج ذلك منه و هذا يمكن أن يكون تأويل الآيه عليه لأن من
 المتأولين من يحكى أنهم لم يعصروا أربع عشر سنة زيتا و لا-عنا فيكون المعنى تعصرون للخصب الذي أتاكم كما كنتم
 تعصرون أيام الخصب من قبل الجذب الذي دفعتم إليه و يكون يعصرون من العصر الذي هو الالتجاء إلى ما يقدر به من النجاه
 قال ابن مقبل:

و صاحبي صهوه مستوهل زعل يحول بين حمار الوحش و العصر

أى يحول بينه و بين الملجأ الذي يقدر به النجاه و قال أبو زيد الطائي:

صاديا يستغيث غير مغاث و لقد كان عصره المنجود

قال أبو عبيده يعصرون ينجون و أنشد للبيد:

ص: ٣٦٢

فبات و أسرى القوم آخر ليلهم و ما كان وقافا بدار معصر

فأما من قال «يَعَصِرُونَ» بالياء فإنه جعل الفاعلين الناس لأن ذكرهم قد تقدم و من قرأ بالتاء وجه الخطاب إلى المستفتين الذين قالوا أفتنا و يجوز أن يريدهم و غيرهم إلا أنه غلب الخطاب على الغيبة كما يغلب التذكير على التأنيث و أما الأمه فهو النسيان يقال أمه يأمه إذا نسي أنشد أبو عبيده:

أمهت و كنت لا أنسى حديثا كذاك الدهر يؤذى بالعقول

و الأمه النعمه فيكون المراد بعد أن أنعم عليه بالنجاه و أما يعصرون بضم الياء فيجوز أن يكون من العصره و العصر للنجاه و يجوز أن يكون من عصرت السحابه ماءها عليهم و

فى كتاب على بن إبراهيم عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال قرأ رجل على أمير المؤمنين على (عليه السلام) هذه الآيه فقال يعصرون بالياء و كسر الصاد فقال ويحك و أى شىء يعصرون أ يعصرون الخمر فقال الرجل يا أمير المؤمنين فكيف أقرأها قال عام فيه يغاث الناس و فيه يعصرون مضمومه الياء مفتوحه الصاد أى يمطرون بعد سنى المجاعه

و يدل عليه قوله وَ أَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا.

اللغه

الملك القادر الواسع المقدور الذى إليه السياسه و التدبير و الرؤيا ما يراه النائم و يرجع إلى الاعتقاد ثم يكون على وجوه منها ما يكون من الله تعالى و ملائكته و هو الذى له تعبير و تأويل و منها ما يكون من الشيطان و لا تأويل له و منها ما يكون من جهه النائم و اعتقاداته أو يكون بقيه اعتقاد كان اعتقده و العجف ذهاب السمن و الذكر أعجف و الأنثى عجفاء و جمعها عجاف و لا يجمع أفعال على فعال إلا هذا و العبر و التعبير تفسير الرؤيا و هو من عبور النهر و نحوه و الأضغاث الأحلام الملتبسه و الضغث الحزمه من كل شىء و قال الترمذى الضغث ملء اليد من الحشيش و منه وَ حُذِّبِيْدِكَ ضِيْعَةً أَي قبضه و الفعل منه أضغث و قيل الضغث خلط قش المد و هو غير متشاكل و لا متلائم فشبهوا به تخليط المنام و الأحلام جمع حلم و هو الرؤيا فى النوم و يقال حلم يحلم حلما و احتلم فهو حالم و الحلم بكسر الحاء ضد الطيش و هو الأناة و كان أصل حلم النوم من هذا لأنه حال أناة و سكون و تأويل الرؤيا تفسير ما يؤول إليه معناه و تأويل كل شىء تفسير ما يؤول إليه معنى الكلام و الادكار افتعال من الذكر و أصله اذتكار لكن التاء أبدل منها الدال و أدغمت الدال فى الدال و يجوز اذكر بالذال أيضا إلا أن

الأجود الدال و هو طلب الذكر و نظيره الاستذكار و التذكر و الأمه الجماعه تؤم أمرا و الأمه المده و هى الجمله من الحين و الصديق الكثير التصديق للحق و قيل هو الكثير الصدق و فعيل بناء المبالغه و الكثره و الفتيا الجواب عن حكم المعنى و قد يكون الجواب عن نفس المعنى فلا- يكون فتيا و الزرع إلقاء البذر فى الأرض للنبات و منه المزارعه بالثلث أو الربع و تسمى المخابره أيضا و هى مأخوذه من فعل أهل خيبر و الدأب العاده يقال دأب يدأب دأبا و يقال دأب فى عمله يدأب دعوبا اجتهد و أدأبته أنا إدأبا و ذر و دع بمعنى، لم يجىء منهنما لفظه الماضى استغنى عن ذلك بترك و الشده و الصلابه و الصعوبه نظائر و قيل الشده تكون فى سبعة أصناف فى العقد و المد و الزمان و الغضب و الألم و الشراب و البدن و الإحصان مثل الإحراز أحصنه إحصانا جعله فى حرز و الغوث هو نفع يأتى على شده حاجه ينقى المضره و منه الغيث المطر الذى يأتى فى وقت الحاجه قال الأزهرى غاث الله البلاد يغيثها و قد غيشت الأرض فهى مغيثه و مغيوثه و الغيث الكلاء ينبت من ماء السماء و جمعه غيوث و الغياث أصله الواو و منه الغوث و غوث تغويثا إذا قال وا غوثاه من يغيثنى و يغات يحتمل أن يكون من الواو و يحتمل أن يكون من الياء.

الإعراب

«إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ» هذه اللام دخلت للتبيين المعنى إن كنتم تعبرون ثم بين باللام فقال للرؤيا عن الزجاج و هذه اللام تزداد فى المفعول به إذا تقدم على الفعل تقول عبرت الرؤيا و للرؤيا عبرت و قد جاء مثله فى قوله لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ و قد جاء فيما ليس بمقدم من المفعول نحو قوله رَدَفَ لَكُمْ و آخر لا ينصرف لأنه صرف عن جهه صواحبه التى جاءت بالألف و اللام و هذه جاءت خاصه بغير ألف و لام فكأنها عدلت عن وجهها تقول هذه النسوه الوسط و الكبر و لا تقول وسط و كبر و تقول نسوه آخر فلما خالفت أخواتها ترك صرفها و موضعها فى الآيه الرابعه جر تقديره و فى آخر أضغاث أحلام تقديره هى أضغاث أحلام " يوسف " و المراد به يا يوسف و يجوز حذف حرف النداء فى المنادى المفرد العلم تقول يا زيد أقبل و زيد أقبل قال:

محمد تفد نفسك كل نفس إذا ما خفت من أمر وبال

و يروى تبالا أراد يا محمد.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن سبب نجاه يوسف من السجن و هو أنه لما قرب الفرج رأى الملك رؤيا هالته و أشكل تعبيرها على قومه حتى عبرها يوسف فقال سبحانه «وَقَالَ

الْمَلِكِ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ» يعنى و قال ملك مصر و هو الوليد بن ريان و العزيز وزيره و فيما رواه الأكثرون إنى أرى فى منامى سبع بقرات سمان «يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ» أى سبع بقرات آخر «عِجَافٌ» أى مهازِيل فدخلت السمان فى بطون المهازِيل حتى لم أر منهن شيئاً «و سَبْعٌ سُيُوبَاتٍ خُضِرٍ» أى و أرى فى منامى سبع سنبلات قد انعقد حبها «و أُخْرٌ» أى و سبعا آخر «يَابِسَاتٍ» قد احتصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها «يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ» أى جمع الأشراف و قيل جمع السحرة و الكهنة و قص رؤياه عليهم و قال يا أيها الأشراف أو الجماعة «أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ» أى عبروا ما رأيت فى منامى و بينوا لى الفتوى فيه و هو حكم الحادثه «إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ» معناه إن كنتم عابرين للرؤيا و قيل إن اللام تفيد معنى إلى أى إن كنتم توجهون العبارة إلى الرؤيا «قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ» أى هذه أباطيل أحلام عن الكلبي و قيل تخاليط أحلام عن قتاده و المعنى هذا منامات كاذبه لا يصح تأويلها «وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ» التى هذه صفتها «بِعَالَمِينَ» و إنا نعلم تأويل ما يصح و كان جهل الملأ بتأويل رؤيا الملك سبب نجاه يوسف لأن الساقى تذكر حديث يوسف فجتا بين يديه و قال يا أيها الملك إنى قصصت أنا و صاحب الطعام على رجل فى السجن منامين فخبير بتأويلهما و صدق فى جميع ما وصف فإن أذنت مضيت إليه و أتيتك من قبله بتفسير هذه الرؤيا فذلك قوله «وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّه أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ» عن الكلبي و قوله «وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّه» معناه تذكر شأن يوسف و ما وصاه به بعد حين من الدهر و زمان طويل عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتاده و هاهنا حذف يدل الكلام عليه و هو فأرسلون إلى يوسف فأرسل فأتى يوسف فى السجن و قال له «يُوسُفُ» أى يا يوسف «أَيُّهَا الصِّدِّيقُ» أى الكثير الصدق فيما تخبر به «أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ» إلى قوله «يَابِسَاتٍ» فإن الملك رأى هذه الرؤيا و اشتبه تأويلها «لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ» يعنى الملك و أصحابه و العلماء الذين جمعهم لتعبير رؤياه «لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ» فضلك و علمك فيخرجوك من السجن و قيل لعلهم يعرفون تأويل رؤيا الملك «قَالَ» يوسف فى جوابه معبرا و معلما أما البقرات السبع العجاف و السنابل السبع اليابسات فالسنون الجذبه و أما السبع السمان و السنابل السبع الخضر فإنهن سبع سنين مخصبات ذوات نعمه و أنتم تزرعون فيها فذلك قوله «تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا» أى فازرعوا سبع سنين متواليه عن ابن عباس أى زراعته متواليه فى هذه السنين على عادتك فى الزراعه سائر السنين و قبل دأبا أى بجد و اجتهاد فى الزراعه و يجوز أن يكون حالا فيكون معناه تزرعون دائبين «فَمَا حَصَيْدُكُمْ» من الزرع «فَعَدْرُوهُ» اتركوه «فِي سُيُوبِهِ» لا تذروه و لا تدوسوه «إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ» و إنما أمرهم بذلك ليكون أبقى و أبعد من الفساد يعنى أن ما

أردتم أكله فدوسوه و اتركوا الباقي فى السنبل و قيل إنما أمرهم بذلك لأن السنبل لا يقع فيه سوس و لا يهلك و إن بقى مده من الزمان و إذا صفى أسرع إليه الهلاك «ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعُ شِدَادٍ» أى سبع سنين مجدبات صعاب تشد على الناس «يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ» معناه تأكلن فيها ما قدمتم فى السنين المخصبه لتلك السنين و إنما أضاف الأكل إلى السنين لأنه يقع فيها كما قال الشاعر:

نهارك يا مغرور سهو و غفله و ليلك نوم و الردى لك لازم

و سعيك فيما سوف تكره غبه كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

و قيل أراد بالأكل الإفناء و الإهلاك كما يقال أكل السير لحم الناقه أى ذهب به قال زيد بن أسلم كان يوسف يصنع طعام اثنين فيقربه إلى رجل فيأكل نصفه حتى كان ذات يوم قربه إليه فأكله كله فقال هذا أول يوم من السبع الشداد «إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ» معناه إلا- شيئًا قليلًا- مما تحرزون و تدخرون «ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ» معناه ثم يأتى من بعد هذه السنين الشداد عام فيه يمطر الناس من الغيث و قيل يغاثون من الغوث و الغياث أى ينقذون و ينجون من القحط «و فِيهِ يَعْصِرُونَ» الثمار التى تعصر فى الخصب كالعنب و الزيت و السمسم عن ابن عباس و مجاهد و قتاده ينجون من الجذب من العصر و العصر و الاعتصار الالتجاء قال عدى بن زيد:

لو بغير الماء حلقى شرق كنت كالغصان بالماء اعتصارى

و هذا القول من يوسف إخبار بما لم يسألوه منه و لم يكن فى رؤيا الملك بل هو مما أطلعه الله تعالى عليه من علم الغيب ليكون من آيات نبوته (عليه السلام) قال البلخى و هذا التأويل من يوسف يدل على بطلان قول من يقول إن الرؤيا على ما عبرت أولاً لأنهم كانوا قالوا هى أضغاث أحلام فلو كان ما قالوه صحيحا لكان يوسف لا يتأولها.

إشارة

وَ قَالَ الْمَلَائِكَةُ اتُّونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلُهُ مَا بِالِالنِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (٥٠) قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنِ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٥٢) وَمَا أُبْرِي نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥٣)

القراءة

قرأ ما بال النسوة بضم النون الأعشى و البرجمى عن أبى بكر عن عاصم و الباقون بكسر النون و هما لغتان و قد تقدم ذكر قراءة أبى عمرو حاشا لله بالألف و مر بيانه.

اللغة

الخطب الأمر الذى يعظم شأنه فيخاطب الإنسان فيه صاحبه يقال هذا خطب جليل قال الزجاج حصحص الحق اشتقاقه من الحصه أى بانث حصه الحق و جهته من حصه الباطل و قال غيره هو مكرر من قولهم حص شعره إذا استأصل قطعه و أزاله عن الرأس فيكون معناه انقطع الحق عن الباطل بظهوره و بيانه و مثله كبوا و كبكبوا و كف الدمع و كفكفه فهو زياده تضعيف دل عليه الاشتقاق قال:

قد حصت البيضة رأسى فما أطعم يوما غير تهجاع

و حصحص البعير بثفثاته فى الأرض إذا حرك حتى تستبين آثارها فيه قال حميد:

و حصحص فى صم الحصى ثفثاته و رام القيامة ساعه ثم صمما

و الكيد الاحتيال سرا لإيصال الضرر إلى الغير.

الإعراب

ذلك مرفوع بالابتداء و إن شئت على خبر الابتداء كأنه قال أمرى ذلك و موضع «ما رَجِمَ رَبِّي» نصب على الاستثناء.

ثم أخبر سبحانه عن إخراج يوسف من السجن فقال «وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهِ» و في الكلام حذف يدل ظاهره عليه و هو فلما رجع صاحب الشراب و هو رسول الملك إلى الملك بجواب يوسف و تعبيره رؤياه «قَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِنِي بِهِ» أى بيوسف الذى عبر رؤياى «فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ» أى لما جاء يوسف رسول الملك فقال له أجب الملك أبى يوسف أن يخرج مع الرسول حتى تبين براءته مما قذف به و «قَالَ» للرسول «ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ» أى سيدك و هو الملك «فَسَيِّئَلُهُ مَا بِالْنُّسُوءِ» أى ما حالهن و ما شأنهن و المعنى فاسأل الملك أن يتعرف حال النسوة «اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ» ليعلم صحه براءته و لم يفرد امرأه العزيز بالذكر حسن عشره منه و رعايه أدب لكونها زوجة الملك أو زوجة خليفه الملك فخلطها بالنسوة و قيل أنه أرادهن دونها لأنهن الشهادات له عليها ألا ترى أنها قالت الآن حصحص الحق و هذا يدل على أن النسوة كن ادعين عليه نحو ما ادعته امرأه العزيز قال ابن عباس لو خرج يوسف يومئذ قبل أن يعلم الملك بشأنه ما زالت فى نفس العزيز منه حاله يقول هذا الذى راود امرأتى و قيل أشفق يوسف من أن يراه الملك بعين مشكوك فى أمره متهم بفاحشه فأحب أن يراه بعد أن يزول عن قلبه ما كان فيه و

روى عن النبى ص أنه قال لقد عجبت من يوسف و كرمه و صبره و الله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف و السمان و لو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشرط أن يخرجونى من السجن و لقد عجبت من يوسف و صبره و كرمه و الله يغفر له حين أتاه الرسول فقال ارجع إلى ربك و لو كنت مكانه و لبثت فى السجن ما لبثت لأسرعت الإجابة و بادرتهم الباب و ما ابتغيت العذر إنه كان لحليما ذا أناة

«إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ» أى إن الله عالم بكيدهن قادر على إظهار براءته و قال إن سيدى الذى هو العزيز عليم بكيدهن استشده فيما علم من حاله عن أبى مسلم و الأول هو الوجه «قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ» معناه أن الرسول رجع إلى الملك و أخبره بما قاله يوسف (عليه السلام) فأرسل إلى النسوة و دعاهن و قال لهن ما شأنكن و ما أمركن إذا طلبتن يوسف عن نفسه و دعوته إلى أنفسكن «قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ» هذه كلمه تنزيه أى نزهن يوسف مما اتهم به فقلن معاذ الله و عياذا بالله من هذا الأمر و ما علمنا عليه من سوء و خيانه و ما فعل شيئا مما نسب إليه و اعترفن ببراءته و بأنه حبس مظلوما «قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصِيَ حَصَّ الْحَقُّ» أى ظهر و تبين و حصل على أمكن و جوهه عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و كان معناه انقطع الحق عن الباطل بظهوره و بيانه «أَنَا رَاوَدْتُهُ عَن نَّفْسِهِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ» فى قوله هى راودتنى عن نفسى اعترفت بالكذب على نفسها فيما اتهم يوسف به و إنما حملها على الصدق انقطاع طمعها منه فجمع الله ليوسف فى إظهار براءته و نزاهته عما قذف به بين الشهاده و الإقرار حتى لا يبقى موضع شك

«ذَلِكَ لِيَعْلَمَ» هذا من كلام يوسف أى ذلك الذى فعلت من ردى رسول الملك إليه فى شأن النسوة ليعلم الملك أو العزيز «أنى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ» فى زوجته أى فى حال غيبته عنى عن الحسن و مجاهد و قتاده و الضحاك و أبى مسلم و اتصل كلام يوسف بكلام امرأه العزيز لظهور الدلالة على المعنى و نظيره قوله تعالى وَ جَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا أَذَلَّةً وَ كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ وَ قوله يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ وَ هو من كلام الملائم- ثم قال فما ذا تَأْمُرُونَ وَ هو حكاية عن قول فرعون قال الفراء و هذا من أغمض ما يأتى فى الكلام أن يحكى عن واحد ثم يعدل إلى شىء آخر من قول آخر لم يجر له ذكر و قيل بل هو من كلام امرأه العزيز أى ذلك الإقرار ليعلم يوسف أنى لم أخنه فى غيبته بتوريك الذنب عليه و إن خنته بحضرتة و عند مشاهدته عن الجبائى «وَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ» أى لا يهديهم فى كيدهم و مكرهم «وَ مَا أُبْرِي نَفْسِي» هذا من كلام يوسف عند أكثر المفسرين و قيل بل هو من كلام امرأه العزيز عن الجبائى أى ما أبرئ نفسى عن السوء و الخيانة فى أمر يوسف «إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ» أى كثيره الأمر بالسوء و الشهوة قد تدعو الإنسان إلى المعصية و الألف و اللام للجنس فيكون المعنى أن كل النفوس كذلك و يجوز أن يكون للعهد فيكون المعنى أن نفسى بهذه الصفة «إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي» أى إلا من رحمه الله تعالى فعصمه بأن لطف له فيكون ما بمعنى من كقوله ما طاب لَكُمْ و يجوز أن يكون معناه إلا مده ما عصم ربي و من قال إنه من كلام يوسف قال إنه أراد الدعاء و المنازعة و الشهوة و لم يرد العزم على المعصية أى لا أبرئ نفسى مما لا تعرى منه طباع البشر و إنما امتنعت عن الفاحشه بحول الله و لطفه و هدايته لا بنفسى قال الحسن إنما قال و ما أبرئ نفسى لأنه كره أن يكون قد زكى نفسه «إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ» بعباده «رَحِيمٌ» بهم.

إشارة

وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَمَدِينًا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ (٥٥) وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٧)

القراءة

قرأ ابن كثير حيث نشاء بالنون و الباقون بالياء.

الحجج

قال أبو علي من قرأ بالياء فيشاء مسند إلى الغائب كما أن يتبوا كذلك و يقوى ذلك قوله و أَوْرَثْنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَمَا أَنْ قَوْلُهُ نَشَاءُ وَفِي لِفَعْلِ الْمَتَّبِعِينَ كَذَلِكَ قَوْلُهُ «حَيْثُ يَشَاءُ» وَفِي لِقَوْلِهِ «يَتَّبِعُونَ» وَ مِنْ قَرَأَ بِالنُّونِ فَإِنَّهُ عَلَى أَحَدٍ وَجْهَيْنِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ أَسْنَدُ الْمَشِيئَةِ إِلَيْهِ وَ هُوَ لِيُوسُفَ فِي الْمَعْنَى لِأَنَّ مَشِيئَتَهُ لَمَّا كَانَتْ بِقُوَّتِهِ وَ إِقْدَارِهِ عَلَيْهِ جَازَ أَنْ يَنْسَبَ إِلَى اللَّهِ وَ إِنْ كَانَتْ لِيُوسُفَ فِي الْمَعْنَى كَمَا قَالَ سَبْحَانَهُ وَ مَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ رَمَى فَأُضِيفَ الرَّمَى إِلَى اللَّهِ لَمَّا كَانَ بِقُوَّتِهِ وَ إِنْ كَانَ الرَّمَى لِلنَّبِيِّ ص وَ الْآخِرُ أَنْ يَكُونَ الْمَوْضِعُ الْمَتَّبِعُ مَوْضِعَ نَسْكَ وَ قَرَبَ فَالْمَكْتُ فِيهِ قَرَبَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ يَشَاءُ وَ يَرِيدُهُ فَأَمَّا اللَّامُ فِي قَوْلِهِ «مَكَّنَّا لِيُوسُفَ» وَ قَوْلِهِ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَدِّ التِّي فِي قَوْلِهِ رَدِفَ لَكُمْ وَ لِلرَّءْيَا تَغْيِيرُونَ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ وَ لَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَ قَوْلُهُ «يَتَّبِعُونَ» فِي مَوْضِعِ نَصْبِ عَلَى الْحَالِ تَقْدِيرُهُ مَكَّنَاهُ مَتَّبِعًا حَيْثُ يَشَاءُ وَ أَمَا قَوْلُهُ «حَيْثُ يَشَاءُ» فَيَحْتَمِلُ مَوْضِعَهُ أَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ بِأَنَّهُ ظَرْفٌ وَ الْآخِرُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ بِأَنَّهُ مَفْعُولٌ بِهِ وَ يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ هَذَا الْوَجْهِ قَوْلُ الشَّمَاخِ:

و حلاءها عن ذى الأراكه عامر أخو الحضر يرضى حيث تكبو النواحر.

اللغة

الاستخلاص طلب خلوص الشئ من شائب الاشتراك كأنه يريد أن يكون خالصا له و في حديث سلمان الفارسي (رض) أنه كاتبه أهله على أربعين أوقيه خلاص أى ما أخلصته النار من الذهب و كذلك الخلاصه، و المكين من المكانه و أصله التمكن فى الأمر يقال مكن مكانه فهو مكين إذا كان له قدر و جاه يتمكن بهما مما يروم و التبوء اتخاذ منزل يرجع إليه و أصله من باء يبوء إذا رجع.

المعنى

«وَقَالَ الْمَلِكُ أَتْتُونِي بِهِ» معناه أن الملك لما تبين له أمانه يوسف وبراءته من السوء و علمه أمر بإحضاره فقال اتنوني به
«أَسَدِي تَخْلِصُهُ لِنَفْسِي» أي أجعله خالصا لنفسي أرجع إليه في تدبير مملكتي و أعمل على إشارته في مهمات أموري «فَلَمَّا كَلَّمَهُ»
هاهنا حذف معناه فلما جاء الرسول يوسف و دعاه خرج من السجن و دخل على الملك و كلمه

ص: ٣٧٠

و عرف فضله و أمانته و عقله لأنه استدل بكلامه على عقله و بعفته على أمانته «قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ» أى إنك عندنا ذو مكانه متمكن فى المنزل و القدر نافذ القول و الأمر ظاهر الأمانه مأمون ثقه قال ابن عباس يريد مكنتك من ملكى و جعلت سلطانك فيه كسلطانى و ائتمنتك فيه قال الكلبي أن رسول الملك جاءه فقال له قم فإن الملك يدعوك و ألق ثياب السجن عنك و البس ثيابا جددا فأقبل يوسف و تنظف من درن السجن و لبس ثيابه و أتى الملك و هو يومئذ ابن ثلاثين سنه فلما رآه الملك شابا حدث السن قال يا غلام هذا تأويل رؤياى و لم يعلمه السحره و لا الكهنه قال نعم فأقعه قدامه و قص عليه رؤياه و روى أن يوسف لما خرج من السجن دعا لأهله و قال اللهم اعطف عليهم بقلوب الأخيار و لا تعم عليهم الأخبار فلذلك يكون أصحاب السجن أعرف الناس بالأخبار فى كل بلده و كتب على باب السجن هذا قبور الأحياء و بيت الأحزان و تجربه الأصدقاء و شماته الأعداء قال وهب و لما وقف بباب الملك قال حسبى ربي من دنياى و حسبى ربي من خلقه عز جاره و جل ثناؤه و لا إله غيره و لما دخل على الملك قال اللهم إنى أسألك بخيرك من خيره و أعوذ بك من شره و شر غيره و لما نظر إليه الملك سلم عليه يوسف بالعريه فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان عمى إسماعيل ثم دعا له بالعبرانيه فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان آبائى قال وهب و كان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلما كلم يوسف بلسان أجابه بذلك اللسان فأعجب الملك ما رأى منه فقال له إنى أحب أن أسمع رؤياى منك شفاها فقال يوسف نعم أيها الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب غر حسان كشف لك عنهن النيل فطلعن عليك من شاطئه تشخب أخلافهن لبنا فبيننا تنظر إليهن و يعجبك حسنهن إذ نضب النيل فغار ماؤه و بدأ يبسه فخرج من حمته و وحله سبع بقرات عجاف شعث غير مقلصات البطون ليس لهن ضرور و لا أخلاف و لهن أنياب و أضراس و أكف كأكف الكلام و خراطيم كخراطيم السباع فاختلفن بالسمان فافتستهن افتراس السبع فأكلن لحومهن و مزقن جلودهن و حطمن عظامهن و تمششن مخهن فبيننا أنت تنظر و تتعجب إذا سبع سنابل خضر و آخر سود فى منبت واحد عروقهن فى الثرى و الماء فبيننا أنت تقول فى نفسك أنى هذا و هؤلاء خضر مثمرات و هؤلاء سود يابسات و المنبت واحد و أصولهن فى الماء إذ هبت ريح فذرت الأرفات من اليابسات السود على الثمرات الخضر فاشتعلت فيهن النار و أحرقتهن و صرن سودا متغيرات فهذا آخر ما رأيت من الرؤيا ثم انتبهت من نومك مذعورا فقال الملك و الله ما شأن هذه الرؤيا و إن كانت عجبا بأعجب مما سمعته منك فما ترى فى رؤياى أيها الصديق فقال يوسف أرى أن تجمع الطعام و تزرع زرا كثيرا

فى هذه السنين المخصبه وبنى الأهراء و الخزائن فتجمع الطعام فيها بقصبه و سنبله ليكون قصبه و سنبله علفا للدواب و تأمر الناس فيرفعون من طعامهم الخمس فيكفيك من الطعام الذى جمعه لأهل مصر و من حولها و يأتيك الخلق من النواحي فيمتارون منك بحكمك و يجتمع عندك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد ذلك فقال الملك و من لى بهذا و من يجمعه و يبيعه و يكفى الشغل فيه فعند ذلك «قال» يوسف «اجعلنى على خزائن الأرض للعهد دون الجنس يعنى اجعلنى على خزائن أرضك حافظا و واليا و اجعل تدبيرها إلى ف «إِنِّي حَفِيزٌ» أى حافظ لما استودعتنى لحفظه عن أن تجرى فيه خيانه «عَلِيمٌ» بمن يستحق منها شيئا و من لا يستحق فأضعها مواضعها عن قتاده و ابن إسحاق و الجبائى و قيل حفيظ عليم أى كاتب حاسب عن وهب و قيل حفيظ للتقدير فى هذه السنين الجدبه عليم بوقت الجوع حين يقع عن الكلبى و قيل حفيظ للحساب عالم بالألسن و ذلك أن الناس يفتدون من كل ناحيه و يتكلمون بلغات مختلفه عن السدى و فى هذا دلالة على أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بالفضل عند من لا يعرفه فإنه عرف الملك حاله ليقيمه فى الأمور التى فى إيالتها صلاح العباد و البلاد و لم يدخل بذلك تحت قوله سبحانه فلا- تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ قالوا فقال الملك و من أحق به منك فولاه ذلك و قيل أن الملك الأ- كبر فوض إليه أمر مصر و دخل بيته و عزل قطفير و جعل يوسف مكانه و قيل إن قطفير هلك فى تلك الليالى فزوج الملك يوسف راعيل امرأه قطفير العزيز فدخل بها يوسف فوجدها عذراء و لما دخل عليها قال أ ليس هذا خيرا مما كنت تريدين و ولدت له أفرائيم و ميسا و استوثق ليوسف ملك مصر و قيل أنه لم يتزوجها يوسف و أنها لما رأته فى موكبه بكت و قالت الحمد لله الذى جعل الملوكة بالمعصيه عبيدا و العبيد بالطاعة ملوكا فضمها إليه و كانت من عياله حتى ماتت عنده و لم يتزوجها و فى تفسير على بن إبراهيم بن هاشم قال لما مات العزيز و ذلك فى السنين الجدبه افتقرت امرأه العزيز و احتاجت حتى سألت الناس فقالوا لها ما يضررك لو قعدت للعزيز و كان يوسف يسمى العزيز و كل ملك كان لهم سموه بهذا الاسم فقالت أستحى منه فلم يزالوا بها حتى قعدت له فأقبل يوسف فى موكبه فقامت إليه زليخا و قالت سبحان من جعل الملوكة بالمعصيه عبيدا و العبيد بالطاعة ملوكا فقال لها يوسف أنت تيكى قالت نعم و كان اسمها زليخا فقال لها هل لك فى قالت دعنى بعد ما يئست أ تهزأ بى قال لا قالت نعم قال فأمر بها فحولت إلى منزله و كانت هرمة فقال لها يوسف أ لست فعلت بى كذا و كذا قالت يا نبى الله لا تلمنى

فإني بليت في بلاء لم يبيل به أحد قال و ما هو قالت بليت بحبك و لم يخلق الله لك نظيرا في الدنيا و بليت بأنه لم تكن بمصر
امرأه أجمل منى و لا أكثر مالا منى و بليت بزواج عنين فقال لها يوسف فما حاجتك قالت تسأل الله أن يرد على شبابى فسأل الله
فرد عليها فتزوجها و هى بكر و

روى عن ابن عباس عن رسول الله ص أنه قال رحم الله أخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزائن الأرض لولاه من ساعته و
لكنه آخر ذلك سنه

قال ابن عباس فأقام فى بيت الملك سنه فلما انصرفت السنه من يوم سأل الإمارة دعاه الأمير فتوجه و رداه بسيفه و أمر بأن يوضع
له سرير من ذهب مكمل بالدر و الياقوت و يضرب عليه كله من إستبرق ثم أمره أن يخرج متوجا لونه كالثلج و وجهه كالقمر
يرى الناظر وجهه فى صفاء لون و وجهه فانطلق حتى جلس على السرير و دانت له الملوكة فعدل بين الناس فأحبه الرجال و النساء
و ذلك قوله عز اسمه «وَ كَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ» أى و مثل ذلك الإنعام الذى أنعمنا عليه أقدرا يوسف على ما يريد
فى الأرض يعنى أرض مصر «يَتَّبِعُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ» أى يتصرف فيها حيث يشاء و ينزل منها حيث يشاء «نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ»
أى نخص بنعم الدين و الدنيا من نشاء «وَ لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ» أى المطيعين و قيل الصابرين عن ابن عباس و قيل أنه دعا
الملك إلى الإسلام فأسلم عن مجاهد و غيره قالوا و أسلم أيضا كثير من الناس فهذا فى الدنيا «وَ لَأَجْرُ الْآخِرَةِ» أى ثواب الآخرة
«خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ» لخلوصه عن الشوائب و الأقدار و فى هذه إشاره إلى أنه سبحانه يؤتى يوسف فى الآخرة من
الثواب و الدرجات ما هو خير مما آتاه الله فى الدنيا من الملك و النعمه (سؤال) قالوا كيف جاز ليوسف أن يطلب الولايه من
قبل الكفره الظلمه و جوابه لأنه علم أنه يتمكن بذلك من الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و وضع الحقوق مواضعها و قد
جعل الله سبحانه جميع ذلك له من جهه كونه نبيا إماما و كان يفعل ذلك من قبل الله تعالى و إنما سأل الولايه ليتمكن من
الأمر التى له أن يفعلها و أيضا فإنه علم أنه سبب يتوصل به إلى الدعاء إلى الخير و إلى رؤيه والديه و إخوته و فى الآيه دلالة
على أن ذلك التمكين و الملك و التدبير كان بلطف الله سبحانه و فضله و فيها دلالة أيضا على جواز تولى القضاء من جهه
الباغى و الظالم إذا يتمكن بذلك من إقامة أحكام الدين و فى قوله «يَتَّبِعُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ» دلالة على أن تصرفه كان باختياره
من غير رجوع إلى الملك و أنه صار بحيث لا أمر عليه و

فى كتاب النبوه بالإسناد عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن على بن بنت إلياس قال سمعت الرضا (عليه السلام) يقول
و أقبل يوسف على جمع الطعام فجمع فى السبع السنين المخصبه فكبسه فى الخزائن فلما مضت تلك السنون و أقبلت المجدبه
أقبل يوسف على بيع الطعام فباعهم فى السنه الأولى بالدرهم

و الدنانير حتى لم يبق بمصر و ما حولها دينار و لا درهم إلا صار فى مملكه يوسف و باعهم فى السنه الثانيه بالحلى و الجواهر حتى لم يبق بمصر و ما حولها حلى و لا- جوهر إلا صار فى مملكته و باعهم فى السنه الثالثه بالدواب و المواشى حتى لم يبق بمصر و ما حولها دابه و لا ماشيه إلا صارت فى مملكته و باعهم فى السنه الرابعه بالعبيد و الإماء حتى لم يبق بمصر عبد و لا أمه إلا صار فى مملكته و باعهم فى السنه الخامسه بالدور و العقار حتى لم يبق بمصر و ما حولها دار و لا عقار إلا صار فى مملكته و باعهم فى السنه السادسه بالمزارع و الأنهار حتى لم يبق بمصر و ما حولها نهر و لا مزرعه إلا صار فى مملكته و باعهم فى السنه السابعه بربابهم حتى لم يبق بمصر و ما حولها عبد و لا حر إلا صار عبد يوسف فملك أحرارهم و عبيدهم و أموالهم و قال الناس ما رأينا و لا سمعنا بملك أعطاه الله من الملك ما أعطى هذا الملك حكما و علما و تدبيرا ثم قال يوسف للملك أيها الملك ما ترى فيما خولنى ربي من ملك مصر و أهلها أشر علينا برأيك فإنى لم أصلحهم لأفسدهم و لم أنجهم من البلاء لأكون بلاء عليهم و لكن الله تعالى أنجاهم على يدي قال له الملك الرأى رأيك قال يوسف إنى أشهد الله و أشهدك أيها الملك إنى قد أعتقت أهل مصر كلهم و رددت عليهم أموالهم و عبيدهم و رددت عليك أيها الملك خاتمك و سريرك و تاجك على أن لا تسير إلا بسيرتى و لا تحكم إلا بحكمى قال له الملك إن ذلك لزينى و فخرى أن لا أسير إلا بسيرتك و لا أحكم إلا بحكمك و لولاك ما قويت عليه و لا اهتديت له و لقد جعلت سلطانا عزيزا لا يرام و أنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أنك رسوله فأقم على ما وليتك فإنك لدينا مكين أمين

و قيل إن يوسف (عليه السلام) كان لا- يمتلئ شبعاً من الطعام فى تلك الأيام المجده فليل له تجوع و بيدك خزائن الأرض فقال (عليه السلام) أخاف أن أشبع فأنسى الجياع.

إشارة

وَ جَاءَ إِخْوَهُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَ هُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (٥٨) وَ لَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفَى الْكَفِيلَ وَ أَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (٥٩) فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَ لَا تَقْرُبُونِ (٦٠) قَالُوا سِنْرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَ إِنَّا لَفَاعِلُونَ (٦١) وَ قَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٦٢)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر «لِفِتْيَانِهِ» و الباقر لفتيته.

الحجج

قال أبو على الفتيه جمع فتى فى العدد القليل و الفتيان فى الكثير و مثل فتيه إخوه و ولده فى جمع أخ و ولد و نيره و قيعه فى جمع نار و قعاق و مثل فتيان برقان و خربان فى جمع برق و خرب و جيران و تيجان فى جمع جار و تاج و قد يقوم البناء الذى للقليل مقام الذى للكثير و كذلك يقوم الكثير مقام القليل حيث لا قلب و لا إعلال و ذلك نحو أرجل و أقدام و أرسان و فى الكثير قولهم ثلاثه شسوع فإذا فعل ذلك فيما لا إعلال فيه فأن يرفض فيما يؤدي إلى الإعلال و القلب أولى.

اللغة

جهاز البيت متاعه و جهزت فلانا هيأت جهاز سفره و منه جهاز المرأه و الرحال أراد به الأوعيه واحدها رحل و جمعها القليل أرحل قال ابن الأنبارى يقال للوعاء رحل و للمسكن رحل و أصله الشىء المعد للرحيل من وعاء المتاع و مركب البعير و حلس و رسن.

المعنى

ثم أخبر سبحانه أنه لما تمكن يوسف بمصر و أصاب الناس ما أصابهم من القحط و قصدوا مصر نزل بآل يعقوب ما نزل بالناس فجمع يعقوب بنيه و قال لهم بلغنى أنه يباع الطعام بمصر و أن صاحبه رجل صالح فاذهبوا إليه فإنه سيحسن إليكم إن شاء الله فتجهزوا و ساروا حتى وردوا مصر فدخلوا على يوسف فذلك قوله «وَ جَاءَ إِخْوَهُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَ هُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ» أى جاءوا ليمتاروا من مصر كما أمتار غيرهم و دخلوا عليه و هم عشره و أمسك ابن يامين أخا يوسف لأمه فعرّفهم يوسف و أنكره قال ابن عباس و كان بين أن قذفوه فى الجب و بين أن دخلوا عليه أربعين سنه فلذلك أنكره و لأنهم رأوه ملكا جالسا على السرير عليه ثياب الملوك و لم يكن يخطر ببالهم أنه يصير إلى تلك الحاله و كان يوسف ينتظر قدومهم عليه فكان أثبت لهم فلما نظر إليهم يوسف و كلموه بالعبرانيه قال لهم من أنتم و ما أمركم فإنى أنكر شأنكم و فى تفسير على بن إبراهيم فلما جهزهم و أعطاهم و أحسن إليهم فى الكيل قال لهم من أنتم قالوا نحن قوم من أرض الشام رعاه أصابنا الجهد فجتنا نمتار فقال

لعلكم عيون جئتم تنظرون عوره بلادی فقالوا لا و الله ما نحن بجواسيس و إنما نحن إخوه بنو أب واحد و هو يعقوب بن إسحاق
بن إبراهيم خليل الرحمن و لو تعلم

ص: ٣٧٥

بأبينا لكرمنا عليك فإنه نبي الله و ابن أنبيائه و إنه لمحزون قال و ما الذى أحزنه فلعل حزنه إنما كان من قبل سفهكم و جهلكم قالوا يا أيها الملك لسنا بسفهاء و لا جهال و لا أتاه الحزن من قبلنا و لكنه كان له ابن كان أصغرنا سنا و أنه خرج يوما معنا إلى الصيد فأكله الذئب فلم يزل بعده حزينا كثيرا باكيا فقال لهم يوسف كلكم من أب و أم قالوا أبونا واحد و أمهاتنا شتى قال فما حمل أباكم على أن سرحكم كلكم ألا حبس واحدا منكم يستأنس به قالوا قد فعل حبس منا واحدا و هو أصغرنا سنا لأنه أخو الذى هلك من أمه فأبونا يتسلى به قال فمن يعلم أن الذى تقولونه حق قالوا يا أيها الملك إنا ببلاد لا يعرفنا أحد فقال يوسف فأتوني بأخيكم الذى من أبيكم إن كنتم صادقين و أنا أَرْضَى بِذَلِكَ قالوا إن أبانا يحزن على فراقه و سنراوده عنه قال فدعوا عندي رهينه حتى أتوني بأخيكم فاقترعوا بينهم فأصابت القرعة شمعون و قيل أن يوسف اختار شمعون لأنه كان أحسنهم رأيا فيه فخلفوه عنده فذلك قوله «وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ» يعنى حمل لكل رجل منهم بعيرا بعدتهم «قَالَ اتُّونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ» يعنى ابن يامين «أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ» أى لا أبخس الناس شيئا و أتم لهم كيلهم «وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ» أى المضيفين مأخوذ من النزول و هو الطعام و قيل خير المنزلين للأموال منازلها فتدخل فيه الضيافة و غيرها مأخوذ من المنزل و هو الدار «فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي» أى ليس لكم عندي طعام أكيله عليكم و المراد بالكيل المكيل «وَلَا تَقْرُبُونِ» أى و لا تقربوا دارى و بلادى خلط ع الوعد بالوعيد «قَالُوا سَيَرَاوُدُ عَنْهُ أَبَاهُ» أى نطلبه و نسأله أن يرسله معنا قال ابن عباس معناه نستخدعه عنه حتى يخرج معناه «وَأَنَا لَفَاعِلُونَ» ما أمرتنا به قال و كان يوسف أمر ترجمانا يعرف العبرانية أن يكلمهم و كان لا يكلمهم بنفسه ليشبه عليه فيانهم لو عرفوه ربما كانوا يهيمون فى الأرض حياء من أبيهم فيتركون خدمته و كان فى معرفتهم إياه مفسده «وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ» أى قال يوسف لعبيده و غلمانة الذين يكيلون الطعام عن قتاده و غيره و قيل لأعوانه اجعلوا ثمن طعامهم و ما كانوا جاءوا به فى أوعيتهم و قيل كانت بضاعتهم النعال و الأدم و قيل كانت الورق عن قتاده «لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ» أى لعلمهم يعرفون متاعهم إذا رجعوا إلى أهلهم «لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» بعد ذلك لطلب الميره مره أخرى و إنما فعل ذلك ليعرفوا أن يوسف إنما فعل ذلك إكراما لهم ليرجعوا إليه و قيل أنه خاف أن لا يكون عندهم من الورق ما يرجعون به مره أخرى عن الكلبي و قيل أنه رأى لؤما أخذ ثمن الطعام من أبيه و إخوته مع حاجتهم إليه فرده عليهم من حيث لا يعلمون تفضلا و كرما و قيل فعل ذلك لأنه علم أن ديانتهم و أمانتهم تحملهم على رد بضاعتهم إذا وجدوها فى رحالهم و لا يعرفون أن الملك أمر

بذلك فيرجعون ليردوا ذلك عليه و متى قيل كيف لم يعرفهم يوسف نفسه مع علمه بشده حزن أبيه و قلقه و احتراقه على ألم فراقه فالجواب أنه لم يؤذن له فى التعريف استتماما للمحنه عليه و على يعقوب و لما علم الله تعالى من الحكمه و الصلاح فى تشديد البليه تعريضا للمنزله السنيه و قيل إنما لم يعرفهم بنفسه لأنهم لو عرفوه ربما لم يرجعوا إليه و لم يحملوا أخاه إليه و الأول هو الوجه الصحيح.

[سوره يوسف (١٢): الآيات ٤٣ الى ٤٤]

أشاره

فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسَلْنَا مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٤٣) قَالَ هَيْلًا آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمُنْتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٤٤) وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ (٤٥) قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٤٦)

القراءه

قرأ يكتل بالياء أهل الكوفه غير عاصم و الباقون بالنون و قرأ «خَيْرٌ حَافِظًا» بالألف أهل الكوفه غير أبى بكر و الباقون حفظا بغير ألف و فى الشواذ قراءه علقمه و يحيى ردت إلينا بكسر الراء.

الحججه

قال أبو على يدل على النون فى نكتل قوله «وَ نَمِيرُ أَهْلَنَا وَ نَحْفَظُ أَخَانَا وَ نَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ» ألا ترى أنهم إنما يميرون أهلهم بما يكتالون فيكون نكتل مثل نمير و أيضا فإذا قالوا نكتل جاز أن يكون أخوهم داخلا معهم و إذا كان بالياء لم يدخلوهم فيه و زعموا أن

فى قراءه عبد الله نكتل بالنون و كان النون لقولهم منع منا الكيل لغيبه أخينأ فأرسله نكتل ما منعناه لغيته و وجه الياء أنه يكتل حملة كما نكتال نحن أحمالنا و وجه من قرأ خير حفظا أنه قد ثبت من قوله وَ نَحْفَظُ أَخَانَا و قوله «وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» أنهم قد أضافوا إلى أنفسهم حفظا فالمعنى على الحفظ الذى نسبهوا إلى أنفسهم و إن كان منهم تفريط فى حفظهم ليوسف كما أن قوله أَيِّنَ شُرَكَائِي لم يثبت لله شريكا و إنما المعنى على الشركاء الذين نسبتموهم إلى فكذلك المعنى على الحفظ الذى نسبهوا إلى أنفسهم و إن كان منهم تفريط فيه فإذا كان كذلك كان المعنى فالله خير حفظا من حفظكم الذى نسبتموه إلى أنفسكم و إن كان منكم فيه تفريط و إضافه خير إلى حفظ محال و لكن تقول حفظ الله خير من حفظكم و من قرأ «حافظاً» فيكون حافظاً منتصباً على التمييز دون الحال كما كان حفظاً كذلك و لا يستحيل الإضافة فى فالله خير حافظ و خير الحافظين كما يستحيل فى خير حفظاً فإن قلت فهل كان ثم حافظ كما ثبت أنه كان حفظ لما قدمته فالقول أنه قد ثبت أنه كان ثم حافظ لقوله «وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» و لقوله يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ فتقول حافظ الله خير من حافظكم كما كان حفظ الله خير من حفظكم لأن الله سبحانه حافظه كما أن له حفظاً فحافظه خير من حافظكم كما كان حفظه خيراً من حفظكم و تقول هو أحفظ حافظ كما تقول هو أرحم راحم لأنه سبحانه من الحافظين كما كان من الراحمين و أما قوله «رُدَّتْ» فإن فعل من المضاعف و المعتل العين يجىء على ثلاثه أوجه عندهم لغة فاشيه و أخرى تليها و ثالثها قليله فأقوى اللغات فى المضاعف ضم أوله كشد و عد و رد ثم يليه الإشمام هو بين ضم الأول و كسره ثم قوله شد و رد بإخلاص الكسره و هو الأقل و أقوى اللغات فى المعتل العين كسر أوله نحو قيل و بيع ثم يليه الإشمام بين الضمه و الكسره و الثالثه إخلاص الضمه نحو قول و بوع و أنشد لذى الرمه:

دنا البين من مى فردت جمالها و هاج الهوى تقويضها و احتمالها.

اللغة

يقال كلت فلانا أى أعطيته الشىء كيلا و اكتلت عليه أخذت منه و الأمن اطمئنان القلب إلى سلامه الأمر يقال أمنه يأمنه أمنا و الميره الأطمعنه التى تحمل من بلد إلى بلد و يقال مرتهم أميرهم ميرا إذا أتيتهم بالميره و مثله امترتهم امتيارا قال:

بعثتك مائراً فمكثت حولاً متى يأتى غياثك من يغيث

. الإعراب

قال الزجاج حفظاً منصوب على التمييز و «حافظاً» على الحال و يجوز أن

ص: ٣٧٨

يكون «حافظاً» على التمييز و ما فى قوله «ما نَبَغِي» استفهام موضعه نصب و المعنى أى شىء تريد و يكون المراد به الجحد و يجوز أن يكون ما أيضا نفيا كأنهم قالوا ما نبع شيئا و موضع أن يحاط بكم نصب و المعنى إلا الإحاطه بكم أى تمتنوا من الإتيان به إلا- لهذا و هذا يسمى مفعولا له قال الزجاج و إلا هذه بمعنى تحقيق الجزاء تقول ما تأتينا إلا لأخذ الدراهم و إلا أن تأخذ الدراهم.

المعنى

«فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ» قيل أنهم لما دخلوا على يعقوب و سلموا عليه سلاما ضعيفا فقال لهم يا بنى ما لكم تسلمون سلاما ضعيفا و ما لى لا- أسمع فيكم صوت شمعون فقالوا يا أبانا إنا جئناك من عند أعظم الناس ملكا و لم ير الناس مثله حكما و علما و خشوعا و سكينه و وقارا و لئن كان لك شبيه فإنه يشبهك و لكننا أهل بيت خلقنا للبلاء إنه اتهمنا و زعم أنه لا يصدقنا حتى ترسل معنا بابتن يامين برسالة منك إليه ليخبره من حزنك و ما الذى أحزنك و عن سرعه الشيب إليك و ذهاب بصرك و قوله «مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ» معناه منع منا فيما يستقبل إن لم تأته بأخينا لقوله فلا كيل لكم عندى «فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا» ابن يامين «نَكْتَلُ» أى نأخذ الطعام بالكيل إن أرسلته اكنلنا و إلا فمنعنا الكيل و من قرأ يكتل بالياء فالمعنى يأخذ أخونا ابن يامين و قر بعير يكتال له «وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» من أن يصيبه سوء و مكروه «قَالَ» يعقوب «هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمَّتْكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ» أى لا آمنكم على ابن يامين فى الذهاب به إلا كأمنى على يوسف ضمنت لى حفظه ثم ضيعتموه أو أهلكتموه أو غيبتموه عنى و إنما قرعهم بحديث يوسف و إلا فقد كان يعلم أنهم فى هذه الحال لا يفعلون ما لا يجوز «فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا» أى حفظ الله خير من حفظكم «وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» يرحم ضعفى و كبر سنى و يردده على و

ورد فى الخبر أن الله سبحانه قال فبغزتى لأردنهما إليك من بعد ما توكلت على

«وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ» يعنى أوعيه الطعام «وَوَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبَغِي» أى ما نطلب فى منع أخينا عنه و قيل معناه ما نطلب بما أخبرناك عن ملك مصر الكذب و قيل معناه أى شىء نطلب وراء هذا أوفى لنا الكيل ورد علينا الثمن عن قتاده و أراد أن تطيب نفس يعقوب فيبعث ابنه معهم و تم الكلام ثم قالوا ابتداء «هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا» أى فلا ينبغى أن نخاف على أخينا ممن قد أحسن إلينا هذا الإحسان و قيل المراد ما نريد منك دراهم تعطيناها نرجع بها إليه بل تكفينا فى الرجوع إليه بضاعتنا هذه فإن الملك إذا فعلنا ما أمرنا به فى أخينا يفى بما وعدنا و أرسله معنا «وَ نَمِيرُ أَهْلَنَا» أى نجلب إليهم الطعام «وَ نَحْفَظُ أَخَانَا» فى السفر حتى نرده إليك

«وَنَزِدَاكَ كَيْلًا بَعِيرٍ» لأجله لأنه كان يكال لكل رجل وقر بعير «ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ» أى ذلك كيل سهل أى يسهل على الذى يمضى إليه عن الزجاج والمعنى أنه هين على الملك لا يصعب عليه ولا يظهر فى ماله وقيل معناه إن الذى جئناك به كيل قليل لا يقنعنا فحتاج أن نضيف إليه كيل بعير أخينا عن الجبائى وقيل يسير على من يكتاله لا مئونه فيه ولا مشقه عن الحسن وهذا كله تنبيه منهم على وجه الصواب فى إرساله معهم فلما رأى يعقوب (عليه السلام) رده البضاعه و تحقق عنه إكرام الملك إياهم و عزم على إرسال ابن يامين معهم «قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ» أى تعطوننى ما يوثق به من يمين أو عهد من الله «لَتَأْتِنَنِي بِهِ» أى لتردنه إلى قال ابن عباس يعنى حق تحلفوا لى بحق محمد خاتم النبيين ص و سيد المرسلين أى لا تغدروا بأخيكم و لتأتينى به اللام فيه لجواب القسم «إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ» أى إلا أن تهلكوا جميعا عن مجاهد وقيل إلا أن تغلبوا حتى لا تطيقوا ذلك عن قتاده والمعنى إلا أن يحال بينكم وبينه حتى لا تغدروا على الإتيان به عن الزجاج «فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ» أى أعطوه عهدهم و حلفوا له بحق محمد و منزلته من ربه عن ابن عباس «قَالَ» يعقوب «اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ» أى شاهد حافظ إن أخلفتم انتصف لى منكم و فى هذا دلالة على وجوب التوكل على الله سبحانه فى جميع المهمات و التفويض إليه فى كل الأمور و فيها دلالة أيضا على أن يعقوب (عليه السلام) إنما أرسل ابن يامين معهم لأنه علم أنهم لما كبروا ندموا على ما كان فرط منهم فى أمر يوسف و لم يصروا على ذلك و لهذا وثق بهم و إنما غيرهم بحديث يوسف حثا لهم على حفظ أخيهم.

[سوره يوسف (١٢): الآيات ٦٧ الى ٦٨]

اشاره

وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَ مَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ؕ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ عَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧) وَ لَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ؕ إِلَّا حَاجَهُ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَ إِنَّهُ لَدُوٌّ عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦٨)

ص: ٣٨٠

الغنى الكفاه في المال لأنه اكتفى به و ربما مد لضروره الشعر و الغناء بكسر الغين المد من الصوت يقال منه غنى يغنى غناء و الغناء بالفتح و المد الكفاهيه و غنى عن كذا فهو غان و غنى القوم في دراهم أقاموا و المغانى المنازل لأنهم اكتفوا بها و الغانيه المرأه لأنها تكتفى بزوجه عن غيره أو بجمالها عن التزين.

المعنى

«و» لما تجهزوا للمسير «قال» يعقوب «يا بَيْتِي لَا تَدْخُلُوا» مصر «مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَ ادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ» خاف عليهم العين لأنهم كانوا ذوى الجمال و هيئه و كمال و هم إخوه أولاد رجل واحد عن ابن عباس و الحسن و قتاده و الضحاك و السدى و أبى مسلم و قيل خاف عليهم حسد الناس إياهم و إن يبلغ الملك قوتهم و بطشهم فيحبسهم أو يقتلهم خوفا على ملكه عن الجبائى و أنكر العين و ذكر أنه لم يثبت بحجه و جوزه كثير من المحققين و

رووا فيه الخبر عن النبى ص أن العين حق و العين تستنزل الحائق

و الحائق المكان المرتفع من الجبل و غيره فجعل (عليه السلام) العين كأنها تحط ذروه الجبل من قوه أخذها و شده بطشها و

ورد فى الخبر أنه ع كان يعوذ الحسن و الحسين ع بأن يقول أعينذ كما بكلمات الله التامه من كل شيطان و هامه و من كل عين لأمه

و

روى أن إبراهيم (عليه السلام) عوذ ابنه و إن موسى عوذ ابنى هارون بهذه العوده

و

روى أن بنى جعفر بن أبى طالب كانوا غلمانا بيضا فقالت أسماء بنت عميس يا رسول الله إن العين إليهم سريعه أفاسترقى لهم من العين فقال ص نعم

و

روى أن جبرائيل (عليه السلام) رقى رسول الله و علمه الرقيه و هى بسم الله أرقيك من كل عين حاسد الله يشفيك

و

روى عن النبى ص أنه قال لو كان يسبق القدر لسبقته العين

ثم اختلفوا فى وجه الإصابه بالعين فروى عن عمرو بن بحر الجاحظ أنه قال لا- ينكر أن ينفصل من العين الصائبه إلى الشىء المستحسن أجزاء لطيفه فتتصل به و تؤثر فيه فيكون هذا المعنى خاصيه فى بعض الأعين كالخواص فى الأشياء و قد اعترض على ذلك بأنه لو كان كذلك لما اختص ذلك ببعض الأشياء دون بعض و لأن الأجزاء تكون جواهر و الجواهر متماثله و لا يؤثر بعضها فى بعض و قال أبو هاشم أنه فعل الله بالعاده لضرب من المصلحه و هو قول القاضى و رأيت فى شرح هذا للشريف الأجل الرضى الموسوى قدس الله روحه كلاماً أحببت إيرادَه فى هذا الموضع قال إن الله تعالى يفعل المصالح بعباده على حسب ما يعلمه من الصلاح لهم فى تلك الأفعال التى يفعلها فغير ممتنع أن يكون تغييره نعمه زيد مصلحه لعمرو و إذا كان يعلم من حال عمرو أنه لو لم يسلب زيدا نعمته أقبل على الدنيا بوجهه و نأى عن الآخره بعطفه و إذا

سلب نعمه زيد للعله التي ذكرناها عوضه فيها و أعطاه بدلا منها عاجلا أو آجلا فيمكن أن يتأول قوله (عليه السلام) العين حق على هذا الوجه على أنه

قد روى عنه (عليه السلام) ما يدل على أن الشئ ء إذا عظم في صدور العباد وضع الله قدره و صغر أمره

و إذا كان الأمر على هذا فلا ينكر تغيير حال بعض الأشياء عند نظر بعض الناظرين إليه و استحسانه له و عظمه في صدره و فخامته في عينه كما

روى أنه قال لما سبقت ناقته العضباء و كانت إذا سوبق بها لم تسبق ما رفع العباد من شئ ء إلا وضع الله منه

و يجوز أن يكون ما أمر به المستحسن للشئ ء عند رؤيته من تعويذه بالله و الصلاه على رسول الله ص قائما في المصلحه مقام تغيير حاله الشئ ء المستحسن فلا يغير عند ذلك لأن الرائي لذلك قد أظهر الرجوع إلى الله تعالى و الإعاضه به فكأنه غير راكن إلى الدنيا و لا معتبر بها انتهى كلامه رضى الله عنه «و ما أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ءِ» أى و ما أَدْفَعُ مِنْ قِضَاءِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ءِ أَنْ كَانَ قَدْ قَضَى عَلَيْكُمْ الْإِصَابَةَ بِالْعَيْنِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ «إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ» فهو القادر على أن يحفظكم من العين أو من الحسد و يردكم على سالمين «و عَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ» أى و ليفوضوا أمورهم إليه و ليثقوا به «و لَمَّا دَخَلُوا» مصر «مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ» أى من أبواب متفرقه كما أمرهم يعقوب و قيل كان لمصر أربعة أبواب فدخلوها من أبوابها الأربعة متفرقين «ما كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ءِ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قِضَاهَا» أى لم يكن دخولهم مصر كذلك يغنى عنهم أو يدفع عنهم شيئا أراد الله تعالى إيقاعه بهم من حسد أو إصابه عين و هو (عليه السلام) كان عالما أنه لا ينفع حذر من قدر و لكن كان ما قاله لبنيه حاجه في قلبه فقضى يعقوب تلك الحاجه أى أزال به اضطراب قلبه لأن لا يحال على العين مكروه يصيبهم و قيل معناه أن العين لو قدر أن تصيبهم لأصابتهم و هم متفرقون كما تصيبهم مجتمعين عن الزجاج قال و حاجه استثناء ليس من الأول بمعنى لكن حاجه «و إِنَّهُ لَمَذُوعِلْمٌ» أى ذو يقين و معرفه بالله «لَمَّا عَلَّمْنَاهُ» أى لأجل تعليمنا إياه عن مجاهد مدحه الله سبحانه بالعلم و المعنى أنه حصل له العلم بتعليمنا إياه و قيل و أنه لذو علم لما علمناه أى يعلم ما علمناه فيعمل به لأن من علم شيئا و لا يعمل به كان كمن لا- يعلم فعلى هذا يكون اللام فى قوله «لَمَّا عَلَّمْنَاهُ» كاللام فى قوله «لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ» «و لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» مرتبه يعقوب فى العلم عن الجبائى و قيل لا يعلم المشركون ما ألهم الله أولياءه عن ابن عباس.

إشارة

وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٩) فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رِجْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (٧٠) قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَهُدُونَ (٧١) قَالُوا نَذِقُكَ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٢) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (٧٣)

قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ (٧٤) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٥) فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦)

القراءة

في الشواذ قراءة أبي رجاء صواع الملك بفتح الصاد وقراءة أبي عبد الله بن عوف صوع بضم الصاد بغير ألف وقراءة يحيى بن يعمر صوغ بفتح الصاد والغين معجمه وقراءة أبي هريره ومجاهد بخلاف صاع الملك والقراءة المشهوره «صُوعَ الْمَلِكِ» وقراءة الحسن من وعاء أخيه بضم الواو وقراءة سعيد بن جبير إعاء أخيه بالهمزه وقرأ يعقوب وسهل يرفع ويشاء بالياء والباقون بالنون وقرأ أهل الكوفه درجات بالتونين والباقون بغير تنوين وفي الشواذ قراءة ابن مسعود فوق كل ذي عالم عليم.

[الحجه] الصواع و الصاع و الصوع واحد و هو مكيال و أما الصوع فمصدر وضع موضع اسم المفعول أى المصوع و هو مثل الخلق و الصيد بمعنى المخلوق و المصيد و من قرأ إعاء فأصله وعاء أبدلت الواو المكسوره همزه كما قالوا فى وساده إساده و فى وجاح للستر أجاح و من قرأ وعاء بالضم فإنه يكون لغه و الهمزه فيه أقيس كما قالوا أعد فى وعدوا

وجوه فى وجوه و من قرأ «دَرَجَاتٍ» بالتونين فإن من يكون فى موضع نصب على معنى نرفع من نشاء درجات و من قرأها بغير تنوين فإن من يكون فى موضع جر بالإضافة و قال ابن جنى إن قراءه من قرأ و فوق كل ذى عالم عليم يحتمل ثلاثة أوجه أحدها أن يكون من باب إضافة المسمى إلى الاسم أى و فوق كل شخص يسمى عالما أو يقال له عالم عليم مثل قول الكميت:

إليكم ذوى آل النبى تطلعت نوازع من قلبى ظماء و ألب

أى إليكم يا آل النبى أى يا أصحاب هذا الاسم الذى هو آل النبى و عليه قول الأعشى:

فكذبوها بما قالت فصبحهم ذو آل حسان يزجى الموت و الشرعا

أى صبحهم الجيش الذى يقال له آل حسان و الوجه الثانى أن يكون عالم مصدرا كالباطل و غيره و الثالث أن يكون على مذهب من اعتقد زياده ذى فكأنه قال و فوق كل عالم عليم.

اللغة

يقال أوى إلى منزله يأوى أويا إذا صار إليه و آويته أنا إيواء و الابتئاس الاغتمام و اجتلاب البؤس و الحزن و السقايه الإناء التى يسقى منها و هو من السقى و قيل السقايه و الصواع واحد و الأذان و التأذين واحد و هو النداء يسمع بالأذن و يقال أذنته بالشىء أى أعلمته و أذنته أكثرت إعلامه و العير القافله من الحمير و قيل هو القافله التى فيها الأجمال و الأصل للحمير ثم كثر فسمى كل قافله عيرا و قيل العير الإبل السائره المركوبه و الجمع عيران و الحمل بالكسر لما انفصل و بالفتح لما اتصل و جمعه أحمال و حمول و الزعيم و الكفيل و الضمين نظائر و الزعيم أيضا القائم بأمر القوم و هو الرئيس قالت ليلى الأخيلية:

حتى إذا رفع اللواء رأيته تحت اللواء على الخميس زعيما

. الإعراب

«تَاللَّهِ» معناه و الله إلا أن التاء تختص باسم الله لا يجوز تالرحمن و تربي و هو بدل من الواو كما أبدل من الواو فى تراث و تجاه و تخمه «قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ» ذكر فى إعرابه وجهان (أحدهما) أن يكون «جَزَاؤُهُ» مبتدأ و «مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ» الخبر و يكون المعنى

ص: ٣٨٤

جزاء السرقة الإنسان الموجود فى رحله السرقة و يكون قوله «فَهُوَ جَزَاؤُهُ» جملة اخرى ذكرت زياده فى الإيبانه كما يقال جزء السارق القطع فهو جزاؤه زياده فى البيان و على هذا تكون من موصوله و يكون تقديره استرقاق الذى وجد فى رحله السرقة فحذف المضاف (و الآخر) أن يكون جزاؤه مبتدأ و «مَنْ وَجِدَ فى رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ» جملة شرطيه فى موضع الخبر و العائد على المبتدأ الأول من الجملة الأولى «جَزَاؤُهُ» من قوله «فَهُوَ جَزَاؤُهُ» فكأنه قال فهو هو أى فهو الجزء و الإظهار هاهنا أحسن لثلا يقع فى الكلام لبس قال الزجاج إن العرب إذا فحمت أمر الشىء جعلت العائده إليه إعاده اللفظ بعينه و أنشد:

لا أرى الموت يسبق الموت شىء نغص الموت ذا الغنى و الفقيرا

و على هذا فيكون المعنى قالوا جزء السرقة إن وجد فى رحل رجل منا فالموجود فى رحله السرقة جزاؤه استرقاق و قال صاحب الكشف تقديره جزء المسروق من وجد فى رحله أى إنسان وجد الصاع فى رحله فمن نكره و هو مبتدأ ثان و قوله «وَجِدَ فى رَحْلِهِ» صفة لمن و قوله «فَهُوَ جَزَاؤُهُ» خبر لمن و الجملة خبر قوله «جَزَاؤُهُ» و التقدير جزاؤه إنسان وجد فى رحله الصاع فهو هو إلا أنه وضع الظاهر موضع المضمرة قال و ليس فى التنزيل من نكره إلا فى هذا الموضع و موضع الكاف من «كَذَلِكَ كِدْنَا» نصب بأنه صفة مصدر محذوف و موضع «أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ» نصب لما سقطت الباء أفضى الفعل إليها فنصب و التقدير إلا بمشيئته الله.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن دخولهم عليه فقال «وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ» أى لما دخل أولاد يعقوب على يوسف ضم إليه أخاه من أبيه و أمه ابن يامين و أنزله معه عن الحسن و قتاده و

قيل أنهم لما دخلوا عليه قالوا هذا أخونا الذى أمرتنا أن نأتيك به فقال أحسنتم ثم أنزلهم و أكرمهم ثم أضافهم و قال ليجلس كل بنى أم على مائده فجلسوا فبقى ابن يامين قائما فردا فقال له يوسف ما لك لا تجلس قال إنك قلت ليجلس كل بنى أم على مائده و ليس لى فيهم ابن أم فقال يوسف أ فما كان لك ابن أم قال بلى قال يوسف فما فعل قال زعم هؤلاء أن الذئب أكله قال فلما بلغ من حزنك عليه قال ولد لى أحد عشر ابنا كلهم اشتقت له اسما من اسمه فقال له يوسف أراك قد عانقت النساء و شممت الولد من بعده قال ابن يامين إن لى أبا صالحا و قد قال لى تزوج لعل الله يخرج منك ذرية تثقل الأرض بالتسبيح فقال له يوسف تعال فاجلس معى على مائدتى فقال إخوه يوسف لقد فضل الله يوسف و أخاه حتى أن الملك قد أجلسه معه على مائدته روى ذلك عن الصادق (عليه السلام)

«قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ» أى أطلعه على أنه أخوه و قيل أنه قال أنا أخوك مكان أخيك الهالك و لم يعترف له بالنسبه و لم

يطلعه على أنه أخوه ولكنه أراد أن يطيب نفسه «فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أى فلا- تسكن و لا- تحزن لشيء سلف من إخوتك إليك عن وهب و السدى «فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ» أى فلما أعطاهم ما جاءوا لطلبه من الميره و كال لهم الطعام الذى جاءوا لأجله و جعل لكل منهم حمل بعير و يسمى حمل التاجر جهازا «جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ» معناه أمر حتى جعل الصاع فى متاع أخيه و إنما أضاف الله تعالى ذلك إليه لوقوعه بأمره و قيل إن السقايه هى المشربه التى كان يشرب منها الملك ثم جعل صاعا فى السنين الشداد القحاط يكال به الطعام و

قيل كان من ذهب عن ابن زيد و روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل كان من فضه و ذهب عن ابن عباس و الحسن و قيل كان من فضه مرصعه بالجواهر عن عكرمه ثم ارتحلوا و انطلقوا «ثُمَّ أَدَنَّ مُؤَدَّنٌ» أى نادى مناد مسمعا معلما «أَيَّتْهَا الْعَيْرُ» أى القافله و التقدير يا أهل العير و قيل كانت القافله من الحمير عن مجاهد «إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ» قيل إنما قال ذلك بعض من فقد الصاع من قوم يوسف من غير أمره و لم يعلم بما أمر به يوسف من جعل الصاع فى رحالهم عن الجبائى و قيل إن يوسف أمر المنادى بأن ينادى به و لم يرد به سرقة الصاع و إنما عنى به إنكم سرقتم يوسف عن أبيه و ألقيتموه فى الجب عن أبى مسلم و قيل إن الكلام يجوز أن يكون خارجا مخرج الاستفهام كأنه قال أ إنكم لسارقون فأسقط همزه الاستفهام كما فى قول الشاعر:

كذبتك عينك أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالاً.

و يؤيده ما

روى هشام بن الحكم عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال ما سرقوا و لا كذب

و متى قيل كيف جاز ليوسف (عليه السلام) أن يحزن والده و إخوته بهذا الصنيع و يجعلهم متهمين بالسرقة فالجواب إن الغرض فيه التسبب إلى احتباس أخيه عنده و يجوز أن يكون ذلك بأمر الله تعالى و روى أنه أعلم أخاه بذلك ليحمله طريقا إلى التمسك به و إذا كان إدخال هذا الحزن سببا مؤديا إلى إزاله غموم كثيره عن الجميع و لا شك أنه يتعلق به المصلحه فقد ثبت جوازه فأما التعريض للتهمه بالسرقة فغير صحيح لأن وجود السقايه فى رحله يحتمل أمورا كثيره غير السرقة فعلى هذا من حملة على السرقة مع علمه بأنهم أولاد الأنبياء توجهت اللائمه عليه «قالوا» أى قال أصحاب العير «وَ أَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ» أى على أصحاب يوسف «ما ذا تَفْقِدُونَ» أى ما الذى فقدتموه من متاعكم «قالوا نَفَقِدُ صُوعَ الْمَلِكِ» أى صاعه

ص: ٣٨٦

و سقايته «و لِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ» أى و قال المنادى من جاء بالصاع فله حمل بعير من الطعام «وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ» أى كفيل ضامن «قَالُوا» أى قال إخوه يوسف «تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ» أيها القوم «مَا جِئْنَا لِنَفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ» قط و إنما أضافوا العلم إليهم بذلك مع أنهم لم يعلموه لأن معنى هذا القول إنكم قد ظهر لكم من حسن سيرتنا و معاملتنا معكم مره بعد أخرى ما تعلمون به أنه ليس من شأننا السرقة و قيل إنهم قالوا ذلك لأنهم ردوا البضاعة التى وجدوها فى رحالهم مخافه أن يكون قد وضع ذلك بغير إذن يوسف أى فإذا كنا تخرجنا عن هذا فقد علمتم أننا لا نسرق لأن من رد ما وجد لا يكون سارقا عن الكلبى و قيل إنهم لما دخلوا مصر وجدوهم قد شدوا أفواه دوابهم كى لا تتناول الحرث و الزرع و فى هذا دلالة على أن ما فعله إخوه يوسف به إنما كان فى حال الصغر و عدم كمال العقل لنفيهم عن أنفسهم الفساد الذى هو ضد الصلاح «قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ» أى قال الذين نادوهم فما جزاء السرقة «إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ» فى قولكم إنا لم نسرق و ظهرت السرقة و قيل معناه فما جزاء من سرق «قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ» أى قال إخوه يوسف جزاء السرقة السارق و هو الإنسان الذى وجد المسروق فى رحله و قد بينا تقديره فيما قبل و معناه إن السنه فى بنى إسرائيل و عند الملك كان استرقاق السارق عن الحسن و السدى و ابن إسحاق و الجبائى و كان يسترق سنه و قيل كان حكم السارق فى آل يعقوب أن يستخدم و يسترق على قدر سرقة و فى دين الملك الضرب و الضمان عن الضحاك و قيل إن يوسف سألهم ما جزاء السارق عندكم فقالوا أن يؤخذ بسرقة «كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ» أى مثل ما ذكرنا من الجزاء نجزي السارقين يعنى إذا سرق و استرق و قيل إن ذلك جواب يوسف (عليه السلام) لقول إخوته إن جزاء السارق استرقاقه «فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ» أى بدأ يوسف فى التفتيش بأوعيتهم لإزالة التهمة «ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا» يعنى السقايه «مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ» و إنما بدأ بأوعيتهم لأنه لو بدأ بوعاء أخيه لعلموا أنه هو الذى جعلها فيه و إنما قال استخرجها لأنه أراد به السقايه و حيث قال «و لِمَنْ جَاءَ بِهِ أَرَادَ بِهِ الصَّاع» و قيل إن الصاع يذكر و يؤنث قالوا فأقبلوا على ابن يامين و قالوا له فضحتنا و سودت وجوهنا متى أخذت هذا الصاع فقال وضع هذا الصاع فى رحلى الذى وضع الدراهم فى رحالكم «كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ» أى مثل ذلك الكيد أمرنا يوسف ليكيد بما يتهيأ له أن يحبس أخاه ليكون ذلك سببا لوصول خبره إلى أبيه أى ألهمنا يوسف هذا الكيد و الحيله فجازيناهم على كيدهم بيوسف أى كما فعلوا فى الابتداء فعلنا بهم و قيل إن معنى كدنا صنعنا ليوسف عن ابن عباس و قيل ألهمنا عن الربيع و قيل دبرنا ليوسف بدلاله قوله «وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ» على أنه سبحانه علم من صلاح

هذا التدبير ما لم يعلمه غيره عن القتيبي «ما كان ليأخذ أخاه في دين المليك إلا أن يشاء الله» أي ما كان يمكنه أن يأخذ أخاه في حكم الملك و قضاؤه و أن يحبسه إذ لم يكن ذلك من حكم ملك مصر و أهله عن قتاده و قيل في دين الملك في سلطانه عن ابن عباس و قيل في عاداته في جزاء من سرق أن يستعبد و قيل إنه كان عادلا و لو لا هذه الحيله لما كان يمكنه من أخذ أخيه إلا أن يشاء الله أن يجعل ليوسف عذرا فيما فعل و قيل إلا أن يشاء الله أن يأمره بذلك لأنه كان لا يمكنه أن يقول هذا أخي و كان لا يمكنه حبسه من غير حيله لأنه كان يكون فعله ظلما و كان من سنه آل يعقوب أن يسترق و في حكم الملك و أهل مصر أن يضرب و يعزم و حبسه يوسف على قولهم و التزم حكمهم الذي جرى على لسانهم مبالغه في نفي السرقة عن أنفسهم و كان ذلك مراده و قد شاء الله لأنه بأمره عن الحسن و إنما سماه كيذا لأنه لو لا هذا السبب لم يتهيا له أخذه و الكيد ما يفعله فاعله ليوصل به إلى غيره ضررا من حيث لا يعلمه أو لينال منه شيئا من غير أن يعلمه «نَزَفَعَ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ» بالعلم و النبوه كما رفعنا درجه يوسف على إخوته و قيل بالتقوى و التوفيق و العصمه و الألفاف الجميله «وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ» يعني أن كل عالم فإن فوّه عالما أعلم منه حتى ينتهي إلى الله تعالى العالم بجميع المعلومات لذاته فيقف عليه و لا يتعداه و في هذا دلالة على بطلان قول من يقول إن الله سبحانه عالم بعلم قديم لأنه لو كان كذلك لكان فوّه عليم على ما يقتضيه الظاهر.

إشارة

قَالُوا إِنَّ يَسِيرَ قَدْ سَرِقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَ لَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٧)
 قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٧٨) قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا
 عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ (٧٩) فَلَمَّا اسْتَيْسَأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَ مِنْ
 قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَ هُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٠)

اللغة

اليأس قطع الطمع من الأمر يقال يئس يئس و أيس يئس لغه و استفعل مثل استئس و استأيس و روى أبو ربيعه عن البري عن ابن كثير استئسوا منه و استئس الرسل و يئس و استئس بمعنى مثل سخر و استسخر و عجب و استعجب و النجى القوم يتناجون الواحد و الجمع فيه سواء قال سبحانه «وَ قَرَّبْنَا نَجِيًّا» و إنما جاز ذلك لأنه مصدر وصف به و المناجاة المساره و أصله من النجوه و هو المرتفع من الأرض فإنه رفع السر من كل واحد إلى صاحبه فى خفيه و النجوى يكون اسما و مصدرا قال سبحانه و إِذْ هُمْ نَجْوَى أَى يتناجون و قال فى المصدر إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ وَ جمع النجى أنجيه قال:

"إنى إذا ما القوم كانوا أنجيه"

و برح الرجل براحا إذا تنحى عن موضعه.

الإعراب

قوله «فَأَسْرَرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَ لَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ» قال الزجاج هذا إضمار على شريطه التفسير لأن قوله تعالى «أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا» بدل من ها فى أسرها و المعنى فأسرها يوسف فى نفسه قوله «أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا» قال أبو على أن الإضمار على شريطه التفسير يكون على ضربين (أحدهما) أن يفسر بفرد نحو نعم رجلا زيد فقولك رجلا تفسير للرجل الذى هو فاعل نعم و قد أضمر (و الآخر) أن يفسر بجملة و أصل هذا يقع فى الابتداء كقوله فإذا هى شاخصه أبصار الذين كفروا و قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ المعنى القصة أبصار الذين كفروا شاخصه و الأمر الله أحد ثم تدخل عوامل المبتدأ عليه نحو كان و أخواتها و إن و أخواتها فينتقل هذا الضمير من الابتداء بها كما ينتقل سائر المبتدئات كقوله إِنَّهُ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ و قول الشاعر:

" و ليس منها شفاء الداء مبدول "

و الذى ذهب أبو إسحاق فيه إلى أنه مضمرة على شريطه التفسير ليس بمبتدأ فيلزمه التفسير بالجملة أ لا ترى أنها فضله مذكوره بعد فعل و فاعل و هو قوله أسر فإذا كان مابينا لما أصله المبتدأ لم يجوز أن يفسر تفسيره و أيضا فإن المضمرة على شريطه التفسير لا- يكون إلا- متعلقا بالجملة التى يفسرها و لا- يكون منقطعاً عنها و لا متعلقاً بجملة غيرها و ما ذكره أبو إسحاق فالتفسير فيه

منفصل عن الجملة التي فيها الضمير الذي

ص: ٣٨٩

زعم أنه إضمار على شريطه التفسير فخرج بذلك عما يكون عليه الإضمار قبل التفسير فإن قلت فعلى م تحمل الضمير في «فَأَسْرَهَا» قلنا يحتمل أن يكون إضمارا للإجابة كأنهم لما قالوا «إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ» أسر يوسف إجابتهم في نفسه ولم يبيدها لهم في الحال و جاز إضمار ذلك لأنه دل ما تقدم من مقالاتهم عليه و جاز أن يكون إضمارا للمقاله كأنه أسر يوسف مقالاتهم لأن القول و المقاله واحد و يكون معنى المقاله المقول كما أن الخلق عباره عن المخلوق أى أكنها في نفسه و أوعاها و لم يطرحها إرادته للتويخ عليها و المجازاه بها انتهى تلخيص كلام أبى على و قوله «شَيْخًا» صفه الأب و الكبير صفه الشيخ و «مَعَاذَ اللَّهِ» منصوب على المصدر و العرب تقول معاذ الله و معاذه الله و عوذنا الله و عوذه الله و عياذ الله و يقولون اللهم عائذا بك أى أدعوك عائذا بك و أن تأخذ في موضع نصب و المعنى أعوذ بالله من أخذ أحد إلا من وجدنا متاعنا عنده فلما سقطت من أفضى الفعل فنصب عن الزجاج و قوله «إِنَّا إِذَا لَطَالِمُونَ» فيه معنى الجزاء أى إن أخذنا غيره فنحن ظالمون و نجيا نصب على الحال و ما فى قوله «مَا فَرَطْتُمْ» لغو أى و من قبل فرطتم و يجوز أن تكون مصدرية فى موضع رفع بمعنى تفريطكم واقع من قبل فيكون «مَا فَرَطْتُمْ فِي يُوسُفَ» فى موضع رفع بالابتداء و من قبل خبره و يجوز أن يكون فى موضع نصب عطفًا على أن، فيكون المعنى ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا و تفريطكم فى يوسف و يحكم عطف على يأذن و يجوز أن يكون بمعنى إلا أن أى لن أبرح الأرض إلا أن يحكم الله لى.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن إخوه يوسف أنهم «قَالُوا» ليوسف «إِنْ يَسْرِقْ» ابن يامين «فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ» من أمه «مِنْ قَبْلُ» فليست سرقة بامر بديع فإنه اقتدى بأخيه يوسف و اختلف فيما وصفوه به من السرقة على أقوال

ف قيل إن عمه يوسف كانت تحضنه بعد وفاه أمه و تحبه حبا شديدا فلما ترعرع أراد يعقوب أن يسترده منها و كانت أكبر ولد إسحاق و كانت عندها منطقه إسحاق و كانوا يتوارثونها بالكبر فاحتالت و جاءت بالمنطقه و شدتها على وسط يوسف و ادعت أنه سرقتها و كان من سنتهم استرقاق السارق فحبسته بذلك السبب عندها عن ابن عباس و الضحاك و الجبائي و قد روى ذلك عن أئمتنا (عليه السلام)

و قيل إنه سرق صنما لجده من قبل أمه فكسره و ألقاه على الطريق عن سعيد بن جبير و قتاده و ابن زيد و قيل إنه سرق دجاجة كانت فى بيت يعقوب أو بيضه فأعطاه سائلا- فعيروه بها عن سفيان بن عيينه و مجاهد «فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ» أى فأخفى يوسف تلك الكلمه التى قالوها «وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ» أى لم يظهرها «قَالَ أَنْتُمْ سَرَرْتُمْ مَكَانًا» فى السرقة لأنكم سرقتم أخاكم من أبيكم «وَ اللَّهُ

أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُ فُون» أى و الله أعلم أ سرق أخ له أم لا عن الزجاج و يكون المعنى أنتم أسوأ حالا من يوسف فإنه لم يكن له صنيع فى المنطقه و كان يتصدق بإذن أبيه و لم تكونوا براء مما عاملتموه به و قيل معناه أنتم شر صنيعا بما أقدمتم عليه من ظلم أخيكم و عقوق أبيكم فأنتم شر مكانا عند الله منه أى أسر هذه المقاله فى نفسه ثم جهر بقوله «وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُ فُون» قال الحسن لم يكونوا أنبياء فى ذلك الوقت و إنما أعطوا النبوه بعد ذلك و الصحيح عندنا أنهم لم يكونوا أنبياء لأن النبى عندنا لا يجوز أن يقع منه فعل القبيح أصلا و قال البلخى إنهم كذبوا فى هذا القول و لم يصح أنهم كانوا أنبياء و جوز أن يكون الأسباط غيرهم أو أن يكونوا من أولادهم «قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ» أى بدلا عنه إنما قالوا هذا لما علموا أنه استحقه فسألوه أن يأخذ عنه بدلا شفقه على والدهم و رفقوا فى القول على وجه الاسترحام و معناه كبيرا فى السن و قيل كبيرا فى القدر لا يحبس ابن مثله «إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» إلى الناس و قيل من المحسنين إلينا فى الكيل و رد البضاعه و فى الضيافه و نحن نأمل هذا منك لإحسانك إلينا و قيل إن فعلت هذا فقد أحسنت إلينا فأجابهم يوسف بأن «قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ» أى أعود بالله أن آخذ البرىء بجرم السقيم و قال من وجدنا متاعنا عنده و لم يقل من سرق تحرزا من الكذب «إِنَّا إِذَا لَطَّالِمُونَ» أى لو فعلنا ذلك لكننا ظالمين و فى هذا دلالة على أن آخذ البرىء بالمجرم ظلم و من فعله كان ظالما و الله يتعالى و يجلس عن ذلك علوا كبيرا «فَلَمَّا اسْتِئْذِنُوا مِنْهُ» أى فلما يسئ إخوه يوسف من يوسف أن يجيبهم إلى ما سألوه من تخليه سبيل ابن يامين معهم «خَلَصُوا نَجِيًّا» أى انفردوا عن الناس من غير أن يكون معهم من ليس منهم يتناجون فيما يعملون فى ذهابهم إلى أبيهم من غير أخيهم و يتدبرون فى أنهم يرجعون أم يقيمون و تلخيصه اعتزلوا عن الناس متناجين و هذا من ألفاظ القرآن التى هى فى الغايه القصوى من الفصاحه و الإيجاز فى اللفظ مع كثره المعنى «قَالَ كَبِيرُهُمْ» و هو رويين و كان أسنهم و هو ابن خاله يوسف و هو الذى نهى إخوته عن قتله عن قتاده و السدى و الضحاك و كعب و قيل شمعون و هو كبيرهم فى العقل و العلم لا- فى السن و كان رئيسهم عن مجاهد و قيل يهوذا و كان أعقلهم عن وهب الكلبي و قيل لاوى عن محمد بن إسحاق و عن على بن إبراهيم بن هاشم «أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ» أراد به الوثيقه التى طلبها منهم يعقوب حين قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتننى به فذكرهم ذلك «وَ مِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ» أى قصرتم فى أمره و كنتم قد عاهدتم أباكم أن تردوه إليه سالما فنقضتم العهد «فَلَنْ أُبْرِحَ الْأَرْضَ» أى لا أزال بهذه الأرض و لا أزول عنها و هى أرض مصر «حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي» فى البراح و الرجوع إليه «أَوْ

يَحْكَمَ اللَّهُ لِي» بالخروج و ترك أخى هاهنا و قيل بالموت و قيل بما يكون عذرا لنا عند أبينا عن أبى مسلم و قيل بالسيف حتى أحارب من حبس أخى عن الجبائى «وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ» لا- يحكم إلا- بالحق قالوا إنه قال لهم أنا أكون هاهنا و احملا أنتم الطعام إليهم فأخبروهم بالواقعه.

[سوره يوسف (١٢): الآيات ٨١ الى ٨٧]

إشاره

ارْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَ مَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَ مَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (٨١) وَ سَأَلَ الْقُرَيْبَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَ الْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَ إِنَّا لَصَادِقُونَ (٨٢) قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٨٣) وَ تَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسِيفُ عَلَىٰ يَوْسُفَ وَ ابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ (٨٤) قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُونَ تَذَكَّرْ يَوْسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥)

قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَ حُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَ أَعْلَمَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٦) يَا بَنِيَّ ادْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يَوْسُفَ وَ أَخِيهِ وَ لَا تَيَأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (٨٧)

القراءه

فى الشواذ قراءه ابن عباس سرق بضم السين و تشديد الراء و كسرهما و قراءه الحسن و قتاده و عمر بن عبد العزيز من روح الله بضم الراء.

ص: ٣٩٢

الحجّه

معنى سرق بضم السين نسب إلى السرقة فيكون من باب فسقه و فجره و شجعه إذا نسبه إلى هذه الخلال و أما روح الله فيمكن أن يكون من الروح الذى هو من عند الله و بلطفه و هدايته و نعمته.

اللغه

القرية الأرض الجامعه لمساكن كثيره و أصله من القرى و هو الجمع يقال قرية الماء فى الحوض و نظيره البلده و المدينه و العير قد مضى ذكر معناه و الكظم اجتراع الحزن و هو أن يمسكه فى قلبه و لا يبثه إلى غيره و يقال ما زلت أفعل كذا و ما فتئت أفعله أفأفتأ فتأ قال أوس بن حجر يصف حرباً:

فما فتأت خيل ثوب و تدعى و يلحق منها لاحق و تقطع

و الحرض المشرف على الهلاك يقال رجل حرض و حارض أى فاسد فى جسمه و عقله و منه حرضته على كذا أمرته به لأنه إذا خالف الأمر فكأنه هلك و أحرصه أى أفسده قال العرجى:

إنى امرؤ لىج بى حب فأحرصنى حتى بليت و حتى شفنى السقم

و الحرض لا يثنى و لا يجمع لأنه مصدر و الشكوى صفة ما عنده من البلوى يقال شكوته إلى فلان شكوى و شكايه و شكواء فأشكاني أى أعتبني من شكواى و أشكاني أيضاً أخرجنى إلى الشكوى و البث الهم الذى لا يقدر صاحبه على كتمانته فيبثه أى يفرقه و كل شىء فرفته فقد بثته و منه قوله وَ بَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ التحسس طلب الشىء بالحاسه و التجسس نظيره و

فى الحديث لا تحسسوا و لا تجسسوا

و قيل إن معناه واحد و نسق أحدهما على الآخر لاختلاف اللفظتين كقول الشاعر:

"متى أدن منه ينأ عنى و يبعد"

و قيل التجسس بالجيم البحث عن عورات الناس و بالحاء الاستماع لحديث قوم و سئل ابن عباس عن الفرق بينهما قال لا يبعد أحدهما عن الآخر التحسس فى الخير و التجسس فى الشر و الروح و الراحه و الروح و الرحمه و أصل الباب من الريح التى تأتي بالرحمه.

الإعراب

«سَيَبُلُ الْقَرْيَةَ» أى أهل القرية و أهل العير فحذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه «يا أسيفى» معناه يا حسرتى و الأصل يا أسفى إلا- أن ياء الإضافة يجوز أن يبدل ألفا لخفه الألف و الفتحة و يجوز أن يكون ألف الندبه و يكون معناه لبيان أن الحال

حال حزن

ص: ۳۹۳

فكانه قال يا أسف هذا من أوانك وقوله «عَلَى يُوسُفَ» من صله المصدر «تَفْتُوًا» معناه لا تفتا حذف حرف النفي لعلم السامع به كما فى قول امرئ القيس:

فقلت يمين الله أبرح قاعدا و لو ضربوا رأسى لديك و أوصالى

و إنما جاز ذلك لأنه لا يجوز فى القسم تالله تفعل حتى تقول تالله لتفعلن أو تقول لا تفعل.

المعنى

ثم أخبر سبحانه أنه قال كبيرهم فى السن أو فى العلم «ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ» فى الظاهر «و ما شهّدنا» عندك بهذا «إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا» أى بما شهدنا من أن الصاع استخرج من رحله فى الظاهر و بين بهذا أنهم لم يكونوا قاطعين على أنه سرق و قيل معناه ما شهدنا عند يوسف أن السارق يسترق إلا بما علمنا أن الحكم ذلك و لم نعلم أن ابنك سرق أم لا إلا أنه وجد الصاع عنده فحكم بأنه السارق فى الظاهر و إنما قالوا ذلك حين قال يعقوب (عليه السلام) لهم ما يدرى الرجل أن السارق يؤخذ بسرقة و يسترق و إنما علم ذلك بقولكم «و ما كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ» أى إننا لم نعلم الغيب حين سألناك أن تبعث ابن يامين معنا و لم ندر أن أمره يؤول إلى هذا و إنما قصدنا به الخير و لو علمنا ذلك ما ذهبنا به عن مجاهد و قتاده و الحسن قال على بن عيسى علم الغيب هو علم من لو شاهد الشىء لشاهده بنفسه لا بأمر يستفيدة و العالم بهذا المعنى هو الله وحده جل اسمه و قيل معناه ما كنا لسر هذا الأمر حافظين و به عالمين فلا ندرى أنه سرق أم كذبوا عليه و إنما أخبرناك بما شاهدنا عن عكرمه و قيل معناه ما كنا لغيب ابنك حافظين أى إننا كنا نحفظه فى محضره و إذا غاب عنا ذهب عن حفظنا يعنون أنه سرق ليلا و هم نيام و الغيب هو الليل بلغه حمير عن ابن عباس قال أى إننا لم نعلم ما كان يصنع فى ليله و نهاره و مجيئه و ذهابه «و سَيَلَّ الْقَرْيَةَ» أى أهل القرية «الَّتِي كُنَّا فِيهَا» و القرية مصر عن ابن عباس و الحسن و قتاده و معناه سل من شئت من أهل مصر عن هذا الأمر فإن هذا الأمر شائع فيهم يخبرك به من سألته و إنما قالوا ذلك لأن بعض أهلها كانوا قد صاروا إلى الناحية التى كان فيها أبوهم و العرب تسمى الأمصار و المدائن قرى «و الْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا» أى و سل أهل القافلة التى قدمنا فيها و كانوا من أرض كنعان من جيران يعقوب و إنما حذف المضاف للإيجاز و لأن المعنى مفهوم و قيل إنه ليس فى الكلام حذف لأن يعقوب (عليه السلام) نبي صاحب معجز

يجوز أن تكلمه القرية و العير على وجه خرق العاده و إنما قالوا ذلك لأنهم كانوا أهل تهمة عند يعقوب «وَإِنَّا لَصَادِقُونَ» فيما أخبرناك به «قَالَ بَيْلٌ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسِيْكُمْ أَمْرًا» هاهنا حذف كثير يدل الحال عليه تقديره فلما رجعوا إلى أبيهم و قصوا عليه القصة بطولها قال لهم ما عندى أن الأمر على ما تقولونه بل سولت لكم أنفسكم أمرا فيما أظن «فَصَبْرٌ جَمِيلٌ» أى فأمرى صبر جميل لا جزع منه «عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا» أى عسى الله أن يأتينى بيوسف و ابن يامين و روبيل أو شمعون أو لاوى أو يهوذا «إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ» بعباده «الْحَكِيمُ» فى تدبير الخلق «وَ تَوَلَّى عَنْهُمْ» أى انصرف و أعرض عنهم بشده الحزن لما بلغه خبر حبس ابن يامين و هاج ذلك وجده بيوسف لأنه كان يتسلى به «وَ قَالَ يَا أَسِيفِي عَلَى يُوْسُفَ» أى يا طول حزنى على يوسف عن ابن عباس و روى عن سعيد بن جبير أنه قال لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم يعط الأنبياء قبلهم «إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» و لو أعطيتها الأنبياء لأعطيتها يعقوب إذ يقول «يَا أَسِيفِي عَلَى يُوْسُفَ وَ ابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ» و البكاء و لما كان البكاء من أجل الحزن أضاف بياض البصر إليه و

سئل الصادق (عليه السلام) ما بلغ من حزن يعقوب على يوسف قال حزن سبعين حرى ثكلى قيل كيف و قد أخبر أنه يرد عليه فقال أنسى ذلك

و قيل إنه عمى ست سنين عن مقاتل و قيل إنه أشرف على العمى فكان لا يرى إلا شيئا يسيرا «فَهُوَ كَظِيمٌ» و الكظيم هاهنا بمعنى الكاظم و هو المملوء من الهم و الحزن الممسك للغيظ لا يشكوه لأهل زمانه و لا يظهره بلسانه و لذلك لقب موسى بن جعفر (عليه السلام) الكاظم لكثرة ما كان يتجرع من الغيظ و الغم طول أيام خلافته لأبيه فى ذات الله تعالى و قال ابن عباس و هو المغموم المكروب «قَالُوا» أى قال ولد يعقوب لأبيهم «تَاللَّهِ تَفْتَنُوا تَذَكُرُ يُوْسُفَ» أى لا تزال تذكر يوسف «حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا» أى دنفا فاسد العقل عن ابن عباس و ابن إسحاق و قيل قريبا من الموت عن مجاهد و قيل هرما باليا عن قتاده و الضحاك «أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ» أى الميتين و إنما قالوا ذلك إشفافا عليه و تعطفوا و رحمه له و قيل إنهم قالوا ذلك تبرما ببيكائه إذ تنغص عيشهم بذلك «قَالَ» يعقوب فى جوابهم «إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي» أى همى عن ابن عباس و قيل حاجتى عن الحسن «وَ حُزْنِي إِلَى اللَّهِ» المعنى إنما أشكو حزنى و حاجتى و اختلال حالى و انتشارها إلى الله فى ظلم الليالى و أوقات خلواتى لا إليكم و قيل البث ما أبداه و الحزن ما أخفاه و

روى عن النبى ص أن جبرائيل أتاه فقال يا يعقوب إن الله يقرأ عليك السلم و يقول أبشر و ليفرح قلبك فو عزتى لو كانا ميتين لنشرتهما لك اصنع طعاما للمساكين فإن أحب عبادى إلى المساكين أ و تدرى لم أذهب بصرك و قوست ظهرك لأنكم ذبحتم شاه و أتاكم مسكين و هو صائم فلم تطعموه شيئا فكان يعقوب بعد ذلك إذا أراد الغذاء أمر مناديا ينادى ألا

من أراد الغذاء من المساكين فليتغذ مع يعقوب و إذا كان صائما أمر مناديا فنأدى أأا- من كان صائما فليفطر مع يعقوب رواه الحاكم أبو عبد الله الحافظ فى صحيفه

«وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» أى و أعلم صدق رؤيا يوسف و أعلم أنه حى و أنكم ستسجدون له كما اقتضاه رؤياه عن ابن عباس و قيل و أعلم من رحمه الله و قدرته ما لا تعلمون عن عطاء و

فى كتاب النبوه بالإسناد عن سدير الصيرفى عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام) قال إن يعقوب دعا الله سبحانه فى أن يهبط عليه ملك الموت فأجابه فقال ما حاجتك قال أخبرنى هل مر بك روح يوسف فى الأرواح فقال لا فعلم أنه حى فقال «يا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَ أَخِيهِ» ابن يامين

و قيل إنهم لما أخبروه بسيره الملك قال لعله يوسف عن السدى فلذلك قال «يا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَ أَخِيهِ» ابن يامين أى استخبروا من شأنهما و اطلبوا خبرهما و انظروا أن ملك مصر ما اسمه و على أى دين هو فإنه ألقى فى روعى أن الذى حبس ابن يامين هو يوسف و إنما طلبه منكم و جعل الصاع فى رحله احتيالا فى حبس أخيه عند نفسه «وَلَا تَيَأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ» أى لا تقنطوا من رحمته عن ابن عباس و قتاده و الضحاك و قيل من الفرج من قبل الله عن ابن زيد و المعنى لا تيأسوا من الروح الذى يأتى به الله «إِنَّهُ لَا يَيْئَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ» قال ابن عباس يريد أن المؤمن من الله على خير يرجوه فى الشدائد و البلاء و يشكره و يحمده فى الرخاء و الكافر ليس كذلك و فى هذا دلالة على أن الفاسق الملى لا يأس عليه من رحمه الله بخلاف ما يقوله أهل الوعيد.

سؤال

كيف خفى إخبار يوسف على يعقوب فى المده الطويله مع قرب المسافه و كيف لم يعلمه يوسف بخبره لتسكن نفسه و يزول وجده.

الجواب

قال الجبائى العله فى ذلك أنه حمل إلى مصر فبيع من عزيز فألزمه داره ثم لبث فى السجن بضع سنين فانقطعت أخبار الناس عنه فلما تمكن احتال فى إيصال خبره بأبيه على الوجه الذى أمكنه و كان لا يأمن لو بعث رسولا إليه أن لا يمكنه إخوته من الوصول إليه و قال المرتضى قدس الله روحه يجوز أن يكون ذلك له ممكنا و كان عليه قادرا لكن الله سبحانه أوحى إليه بأن يعدل عن اطلاعه على خبره تشديدا للمحنه عليه و لله سبحانه أن يصعب التكليف و أن يسهله.

ص: ٣٩٦

إشارة

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعِهِ مُضَاعًا مُزْجَاهٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨) قَالَ هَيْلَ عِلْمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢)

اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ (٩٣)

القراءة

قرأ أبو جعفر و ابن كثير إنك لأنت يوسف بكسر الهمزة و قرأ نافع و يعقوب غير زيد و سهل أنك بفتح الهمزة غير ممدود و قرأ أبو عمرو و قالون عن نافع و زيد عن يعقوب أنك بالمد و قرأ الباقون «أِنَّكَ» بهمزيين و فى الشواذ قراءه أبى إنك أو أنت يوسف و قرأ ابن كثير وحده من يتقى بياء فى الوصول و الوقف و الباقون بغير ياء فىهما.

الحج

يدل على الاستفهام قوله «أَنَا يُوسُفُ» و إنما أجابهم عما استفهموا عنه قال أبو الحسن فى قوله «وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ» أنه على الاستفهام كأنه قال أو تلك نعمه فيجوز أن يكون من قرأ أنك على هذا فيكون القراءتان متفقتين و قلما يحذف حرف الاستفهام فأما فى القراءات فإنه يعجز على مذهبه فى اجتماع الهمزتين و قد تقدم القول فى ذلك و أما قراءه أبى فيكون على حذف خبر إن كأنه قال إنك لغير يوسف أو أنت يوسف قال ابن جنى فكأنه قال بل أنت يوسف فلما خرج مخرج التوقف قال أنا يوسف و قد جاء عنهم حذف خبر إن قال الأعشى:

إن محلا و إن مرتحلا و إن فى السفر إذ مضوا مهلا

أراد أن لنا محلا و أن لنا مرتحلا قال أبو علي قوله من يتقى لا يحمل على نحو قول الشاعر:

" أ لم يأتيك و الأنباء تنمى "

لأن هذا و نحوه إنما يجىء فى الشعر و لكن تجعل من موصوله فيكون بمنزله الذى يتقى و يحمل المعطوف على المعنى لأن من يتقى، إذا كان من منزله الذى، بمنزله الجزء الجازم بدلاله أن كل واحد منهما يصلح دخول الفاء فى جوابه فإذا اجتمعا فى ذلك جاز أن يعطف عليه كما يعطف على الشرط المجزوم لكونه بمنزله فيما ذكرناه و مثل ذلك قوله فَأَصْدَقَ وَ أَكُنْ حَمَلتَ وَ أَكُنْ على موضع الفاء و مثله قول من قرأ و يذرهم فى طغيانهم جزما و يجوز أن تقدر الضمه فى قوله «وَ يَصِيْبُ» و تحذفها للاستخفاف كما يخفف نحو عضد و سبع و جاز هذا فى حركة الإعراب كجوازه فى حركة البناء و زعم أبو الحسن أنه سمع رسلنا لديهم يكتبون بإسكان اللام من رسلنا و يقوى ذلك قراءة من قرأ و يتقه أ لا ترى أنه جعل تقه بمنزله كتف و علم فأسكن فكذاك يسكن على هذا و يصبر.

اللغة

الإزجاء فى اللغة السوق و الدفع قليلا و منه قوله يزجى سحابا قال النابغة:

و هبت الريح من تلقاء ذى أرل تزجى مع الليل من صرادها صرما

و فلان يزجى العيش أى يدفع بالقليل و يكتفى به قال الأعشى:

الواهب المائه الهجان و عبدها عوذا يزجى خلفها أطفالها

أى يدفع و قال آخر:

" و حاجه غير مزجاه من الحاج "

و إنما قيل «بِبِضَاعِهِ مُزْجَاهٍ» لأنها يسيره ناقصه و إنما يجوز ذلك على دفع من أخذها و المن النعمة و أصله القطع لأنها تقطع المنعم عليه من حال بؤسه و الإيثار تفضيل أحد الشئيين على الآخر و نظيره الاختيار و الاجتباء و نقيضه الإيثار عليه و أصله من الأثر فإنه يؤثر من له أثر جميل و الأثر الإخبار يقال أثر يَأْثُرُ و المأثره المكرمه لأنها تؤثر و الخطأ ضد الصواب يقال خطأ الرجل يخطأ خطأ و خطأ فهو خاطئ و أخطأ بخطأ إخطاء فهو مخطئ قال امرؤ القيس:

يا لهف هند إذ خطئن كاهلا القاتلين الملك الحاحلا

التثريب التوبيخ يقال ثرب و أثرب و ثرب عن ابن الأعرابي و قيل التثريب اللوم و الإفساد و التقرير بالذنب قال أبو عبيده و أصله الإفساد و أنشد:

ف عفوت عنهم عفو غير مشرب و تركتهم لعقاب يوم سرمد

و قال ثعلب ثرب و أثرب فلان على فلان أى عدد عليه ذنوبه و قال أبو مسلم هو مأخوذ من الثرب و هو شحم الجوف فكأنه موضوع للمبالغة فى اللوم و التعنيف و البلوغ بذلك إلى أقصى غاياته.

الإعراب

«هَلْ عَلِمْتُمْ» استفهام و المراد به التقرير ما فعلتم بيوسف تقديره أى شىء فعلتم بيوسف فكان ما فى موضع نصب و الجملة معلقه بعلمتم و قوله «فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ» فى موضع الجزم بأنه جواب الشرط و ذكر المحسنين ناب عن الضمير العائد إلى من لأن الاتقاء و الصبر فى معنى الإحسان فكأنه قال لا يضيع جزاءه، «لَأَنْتَ يُوسُفُ» هذه لام الابتداء و أنت مبتدأ و يوسف خبره و الجملة خبر أن و يجوز أن يكون أنت فصلا كما علمت فيما تقدم و قوله «لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ» تثريب نكره مفردة مبنية مع لا على الفتح و لا يجوز أن يتعلق عليكم به إذ لو كان كذلك لكان مشتبهها بالمضاف من حيث يكون عاملا فيما بعده و يكون عليكم من تمامه و كان يجب أن يكون منصوبا منونا كما تقول لا مرورا بزید عندك و إذا عرفت هذا فإن عليكم هاهنا فيه وجهان (أحدهما) أن يكون فى موضع الخبر على تقدير لا تثريب يثبت عليكم أو ثابت عليكم ثم حذف ذلك و انتقل الضمير منه إلى عليكم حيث سد مسده (و الآخر) أن يتعلق بمضمر ذلك المضمر وصف لتثريب و على هذا فيجوز فيه وجهان (أحدهما) أن يكون فى محل رفع تقديره لا تثريب ثابت عليكم كما تقول لا رجل ظريف (و الآخر) أن يكون فى محل نصب تقديره لا تثريب ثابتا عليكم كما تقول لا- رجل ظريفا ثم حذف الصفه و قام الظرف مقامه و يكون اليوم على هذا الوجه خبر لا و على الوجه الأول يجوز أن يكون خبرا بعد خبر و يجوز أن يكون متعلقا بالضمير الذى فى الخبر و يجوز أن يكون قد تم الكلام عند قوله عليكم و تعلق اليوم بما بعده فيكون تقديره اليوم يغفر الله لكم و هذا اختيار الأخفش و هكذا الكلام فى قوله «لَا رَبِّبَ فِيهِ».

و لما قال يعقوب لبيه اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَ أَخِيهِ خَرَجُوا إِلَى مِصْرَ «فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ» أَى عَلَى يوسف «قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَ أَهْلَنَا الضَّرُّ» أَى أَصَابْنَا وَ مَنْ يَخْتَصُّ بِنَا الْجُوعَ وَ الْحَاجَةَ وَ الشَّدَةَ مِنْ السَّنِينِ الشَّدَائِدِ الْقَحَاطِ وَ قِيلَ أَنَّهُمْ شَكُوا مَا نَالَهُمْ مِنْ هَلَاقٍ مُوَاشِيَهُمْ وَ الْبَلَاءِ الَّذِى أَصَابَهُمْ «وَ جِئْنَا بِبِضَاعِهِ مُزْجَاهٍ» أَى نِدَافِعَ بِهَا الْأَيَّامِ وَ نَتَقُوتَهَا وَ لَيْسَتْ مِمَّا يَتَسَّعُ بِهِ وَ قِيلَ رَدِيئُهُ لَا تُؤْخَذُ إِلَّا- بُوَكْسٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ الْجَبَائِىِّ وَ قِيلَ قَلِيلُهُ عَنِ الْحَسَنِ وَ مُجَاهِدٍ وَ قَتَادَةَ وَ ابْنَ زَيْدٍ وَ أَبِي مُسْلِمٍ وَ اخْتَلَفَ فِي تَلْكَ الْبِضَاعَةِ فَقِيلَ كَانَتْ دِرَاهِمَ رَدِيئِهِ زِيُوفًا لَا تَنْفَقُ فِي ثَمَنِ الطَّعَامِ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ قِيلَ كَانَتْ خَلْقَ الْغَرَارِهِ وَ الْحَبْلِ وَرِثَ الْمَتَاعِ عَنْ ابْنِ أَبِي مَلِيكَةَ عَنْهُ وَ قِيلَ كَانَتْ مَتَاعَ الْأَعْرَابِ الصُّوفِ وَ السَّمَنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَرِثِ وَ قِيلَ الصُّنُوبِ وَ الْحَبَةِ الْخَضْرَاءِ عَنْ الْكَلْبِيِّ وَ مِقَاتِلٍ وَ قِيلَ دِرَاهِمَ فَسُولٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ وَ قِيلَ كَانَتْ أَقْطَا عَنْ الْحَسَنِ وَ قِيلَ النَّعَالِ وَ الْأَدَمِ عَنْ الضَّحَّاكِ وَ عَنْهُ أَيْضًا أَنَّهَا سُوبِقُ الْمَقْلِ «فَأَوْفٍ لَنَا الْكَيْلُ» كَمَا كُنْتَ تُوْفَى فِي السَّنِينِ الْمَاضِيَةِ وَ لَا تَنْظُرُ إِلَى قَلْبِهِ بِضَاعَتَنَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ «وَ تَصَدَّقْ عَلَيْنَا» أَى سَامَحْنَا بِمَا بَيْنَ النَّقْدِيِّينَ وَ سَعَرْنَا بِالرَّدَى ء كَمَا تَسْعَرُ بِالْجَيْدِ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ تَصَدَّقْ عَلَيْنَا بِرَدِّ أَخِينَا عَنْ ابْنِ جَرِيحٍ وَ الضَّحَّاكِ «إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ» أَى يَثِيبُهُمْ عَلَى صَدَقَاتِهِمْ بِأَفْضَلِ مِنْهَا

فِي كِتَابِ النَّبُوهِ بِالْإِسْنَادِ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ أَبِي إِسْمَاعِيلَ الْفَرَّاءِ عَنْ طَرِبَالٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي خَبَرٍ طَوِيلٍ أَنَّ يَعْقُوبَ كَتَبَ إِلَى يوسفَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِلَى عَزِيزِ مِصْرَ وَ مَظْهَرَ الْعَدْلِ وَ مَوْفَى الْكَيْلِ مِنْ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ صَاحِبِ نَمْرُودِ الَّذِى جَمَعَ لَهُ النَّارَ لِیَحْرِقَهُ بِهَا فَجَعَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ بَرْدًا وَ سَلَامًا وَ أَنْجَاهُ مِنْهَا أَخْبَرَكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ أَنَا أَهْلُ بَيْتٍ لَمْ يَزَلِ الْبَلَاءُ إِلَيْنَا سَرِيعًا مِنْ اللَّهِ لِيَلْبُونَا عِنْدَ السَّرَّاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ أَنَّ الْمَصَائِبَ تَتَابَعَتْ عَلَى عِشْرِينَ سَنَةً أَوْلَاهَا أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنٌ سَمِيئُهُ يوسفَ وَ كَانَ سَرُورِي مِنْ بَيْنِ وَلَدِي وَ قَرَّةَ عَيْنِي وَ ثَمَرَةَ فُؤَادِي وَ أَنَّ إِخْوَتَهُ مِنْ غَيْرِ أُمِّهِ سَأَلُونِي أَنَّ أُبْعَثَهُ مَعَهُمْ يَرْتَعُ وَ يَلْعَبُ فَبِعَثْتُهُ مَعَهُمْ بِكَرِهِ فَجَاءُونِي عِشَاءً يَبْكُونَ وَ جَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بَدْمٍ كَذَبٍ وَ زَعَمُوا أَنَّ الذُّبَّ أَكَلَهُ فَاشْتَدَّ لِفَقْدِهِ حَزْنِي وَ كَثُرَ عَنِ فِرَاقِهِ بِكَائِي حَتَّى ابْيَضَّتْ عَيْنَايَ مِنَ الْحَزَنِ وَ أَنَّهُ كَانَ لَهُ أَخٌ وَ كُنْتُ بِهِ مَعْجَبًا وَ كَانَ لِي أُنَيْسَا وَ كُنْتُ إِذَا ذَكَرْتُ يوسفَ ضَمَمْتُهُ إِلَى صَدْرِي فَسَكَنَ بَعْدَ مَا أَجِدُ فِي صَدْرِي وَ أَنَّ إِخْوَتَهُ ذَكَرُوا لِي أَنَّكَ سَأَلْتَهُمْ عَنْهُ وَ أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَأْتُوكَ بِهِ فَإِنْ لَمْ يَأْتُوكَ بِهِ مَنَعْتَهُمُ الْمِيرَةَ فَبِعَثْتُهُ مَعَهُمْ لِيَمْتَارُوا لَنَا قَمَحًا فَرَجَعُوا إِلَيَّ وَ لَيْسَ هُوَ مَعَهُمْ وَ ذَكَرُوا أَنَّهُ سَرَقَ مَكْيَالَ الْمَلِكِ وَ نَحْنُ أَهْلُ بَيْتٍ لَا نَسْرِقُ وَ قَدْ حَبَسْتَهُ عَنِي

و فجعتنى به و قد اشتد لفراقه حزنى حتى تقوس لذلك ظهرى و عظمت به مصيبتى مع مصائب تتابعت على فمى على بتخليه سيله و إطلاقه من حبسك و طيب لنا القمح و أسمح لنا فى السعرا و أوف لنا الكيل و عجل سراح آل إبراهيم قال فمضوا بكتابه حتى دخلوا على يوسف فى دار الملك و «قالوا يا أئها العزيز مسنا و أهلنا الضرا» إلى آخر الآيه و تصدق علينا بأخينا ابن يامين و هذا كتاب أينا يعقوب إليك فى أمره يسألك تخليه سيله فمى به علينا فأخذ يوسف كتاب يعقوب و قبله و وضع على عينيه و بكى و انتحب حتى بلت دموعه القميص الذى عليه ثم أقبل عليهم و «قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف و أخيه»

و معناه أنه قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف من إذلاله و إبعاده عن أبيه و إلقائه فى البئر و الاجتماع على قتله و بيعه بثمان و كس و ما فعلتم بأخيه من إفراده عن يوسف و التفريق بينهما حتى صار ذليلا فيما بينكم لا يكلمكم إلا كما يكلم الذليل العزيز و إنما لم يذكر أباه يعقوب مع عظم ما دخل عليه من الغم لفراقه تعظيما له و رفعا من قدره و علما أن ذلك كان بلاء له ليزداد به علو الدرجة و رفعه المنزلة عند الله تعالى قال ابن الأنبارى هذا استفهام يعنى به تعظيم القصة و معناه ما أعظم ما ارتكبتم و ما أقبح ما أتيتم من قطيعه الرحم و تضييع حقه كما يقول الرجل هل تدرى من عصيت و فى هذه الآيه مصداق قوله لئنبتنهم بأمرهم هذا و هم لا يشعرون و قوله «إذ أنتم جاهلون» أى صبيان عن ابن عباس و قيل شبان عن الحسن و معناه فعلتم ذلك حين كنتم جاهلين جاهليه الصبى فى عنفوان الشباب حين يغلب على الإنسان الجهل و لم ينسبهم إلى الجهل فى حال الخطاب لأنهم كانوا تائبين ناديين فى تلك الحال و كان هذا تلقينا لهم لما يعتذرون به إليه و هذا هو الغايه فى الكرم إذ صفح عنهم و لقنهم وجه العذر و «قالوا أإنك لآنت يوسف» قيل أن يوسف لما قال لهم هل علمتم الآيه تبسم فلما أبصروا ثناياه و كانت كاللؤلؤ المنظوم شبهوه بيوسف و «قالوا» له «أإنك لآنت يوسف» عن ابن عباس و قيل رفع التاج عن رأسه فعرفوه «قال أنا يوسف» أظهر الاسم و لم يقل أنا هو تعظيما لما وقع به من ظلم إخوته فكأنه قال أنا المظلوم المستحل منه المحرم المراد قتله فكفى ظهور الاسم من هذه المعانى عن ابن الأنبارى قال و لهذا قال «و هذا أخى» لأن قصده و هذا المظلوم كظلمى «قد من الله علينا» بالاجتماع بعد طول الفرقة و قيل من الله علينا بكل خير فى الدنيا و الآخرة «إنه من يتق الله و يصبره» على المصائب و عن المعاصى «فإن الله لا يضيع أجر المحسنين» أى أجر من كان هذا حاله و الضياع ذهاب الشىء من غير عوض «قالوا تالله» أى أقسموا بالله سبحانه «لقد آثرك الله علينا» أى فضلك و اختارك الله علينا بالحلم و العلم و العقل و الحسن و الملك «و إن كنا لخاطئين» أى ما كنا إلا مخطئين آثمين فيما فعلنا و هذا

يدل على أنهم ندموا على ما فعلوا و لم يصروا عليه «قال» يوسف «لا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ» أى لا تعير و لا توبخ و لا تقرع عليكم الآن فيما فعلتم «يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ» ذنوبكم فإنى أستغفر الله لكم «وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» فى عفوه عنكم ما تقدم من ذنوبكم و قيل فى صنيعه بى حتى جعلنى ملكا و قيل أراد باليوم الزمان فتدخل فيه الأوقات كلها كما قال الشاعر:

فاليوم يرحمنا من كان يغبطنا و اليوم تتبع من كانوا لنا تبعا.

و قيل إن الكلام قد تم عند قوله «لا- تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ» ثم ابتداء بقوله «الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ» و هو دعاء لهم «أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقَوُّهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا» قيل أنه (عليه السلام) لما عرفهم نفسه سألهم عن أبيه فقال ما فعل أبى بعدى قالوا ذهب عيناه فقال اذهبوا بقميصى هذا و اطرحوه على وجهه يعد مبصرا كما كان من قبل قال ابن عباس «يَأْتِ بَصِيرًا» يرتد بصيرا و يذهب البياض الذى على عينيه «وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ» إذا عاد بصيرا و هذا كان معجزا منه إذ لا- يعرف أنه يعود بصيرا بإلقاء القميص على وجهه إلا بالوحي و قيل أن يوسف قال إنما يذهب بقميصى من ذهب به أولا فقال يهوذا أنا ذهبت به و هو ملطخ بالدم فأخبرته أنه أكله الذئب قال فاذهب بهذا أيضا و أخبره أنه حى و أفرحه كما حزنه فحمل القميص و خرج حافيا حاسرا حتى أتاه و كان معه سبعة أرغفه و كانت مسافه بينهما ثمانين فرسخا فلم يستوف الأرقفه فى الطريق و قد ذكرنا شأن القميص من قبل و

روى أيضا الواحدى بإسناده يرفعه إلى أنس بن مالك عن رسول الله ص قال أن نمرود الجبار لما ألقى إبراهيم فى النار نزل إليه جبرائيل بقميص من الجنة و طنفسه من الجنة فألبسه القميص و أقعده على الطنفسه و قعد معه يحدثه فكسا إبراهيم ذلك القميص إسحاق و كساه إسحاق يعقوب و كساه يعقوب يوسف فجعله فى قصبه من فضه و علقها فى عنقه فألقى فى الجب و القميص فى عنقه فذلك قوله «أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا»

و قال ابن عباس أخرج لهم قصبه من فضه كانت فى عنقه لم يعلم بها إخوته فيها قميص و هو الذى نزل به جبرائيل على إبراهيم و ذكر القصة و قال مجاهد أمره جبرائيل أن أرسل إليه قميصك فإن فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى و لا سقيم إلا صح و عوفى.

إشارة

وَلَمَّا فَصَّيَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ (٩٤) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (٩٥) فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَدَ بِصَعِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٩٦) قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ (٩٧) قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٩٨)

اللغة

الفصل أصله القطع و منه قيل للحاكم فيصل لأنه يقطع الأمور و التنفيذ تضعيف الرأى قال:

يا صاحبي دعا لومى و تنفيذى فليس ما فأت من أمر بمردود

و الفند ضعف الرأى و قيل إن أصله الفساد قال النابغه:

إلا سليمان إذ قال المليك له قم فى البريه فأحدها عن الفند

أى امنعها عن الفساد.

المعنى

«وَلَمَّا فَصَّيَلَتِ الْعِيرُ» أى لما خرجت القافلة و انفصلت من مصر متوجهه نحو الشام «قَالَ أَبُوهُمْ» يعقوب لأولاد أولاده الذين كانوا عنده «إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ»

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال وجد يعقوب ريح قميص يوسف حين فصلت العير من مصر و هو بفلسطين من مسيره عشر ليال

وقيل من مسيره ثمانى ليال عن ابن عباس و قيل من ثمانين فرسخا عن الحسن و قيل مسيره شهر عن الأصم قال ابن عباس هاجت ريح فحملت بريح قميص يوسف إلى يعقوب و ذكر فى القصة أن الصبا استأذنت ربها فى أن تأتى يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتية البشير بالقميص فأذن لها فأتته بها و لذلك يستروح كل محزون بريح الصبا و قد أكثر الشعراء من ذكرها فمن ذلك قولهم:

فإن الصبا ريح إذا ما تنسمت على نفس مهموم تجلت همومها

و قول أبى الصخر الهذلى:

إذا قلت هذا حين أسلو يهيجنى نسيم الصبا من حيث يطلع الفجر

وقوله «لَوْ لَا أَنْ تُفَنِّدُونِ» معناه لو لا أن تسفهونى عن ابن عباس و مجاهد و قيل لو لا أن تضعفونى فى الرأى عن ابن إسحاق و قيل لو لا أن تكذبونى و الفند الكذب عن سعيد بن جبیر و السدى و الضحاك و روى ذلك أيضا عن ابن عباس و قيل لو لا أن تهرمونى عن الحسن و قتاده أى تقولون أنه شيخ قد هرم و خرف و ذهب عقله و تقديره إنى أقطع أنها ريح يوسف لو لا- أن تفندون «قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ» أى قالوا له إشفاقا عليه و ترحما إنك لفى ذهابك القديم عن الصواب فى حب يوسف (عليه السلام) و أنه كان عندهم أن يوسف قد مات منذ سنين و لم يريدوا بذلك الضلال عن الدين و إنما أرادوا به المبالغة فى حب يوسف و الأمانى الفاسده فيما كان يرجو من عوده بعد موته عن قتاده و الحسن و قيل معناه إنك لفى شقائك القديم عن مقاتل و فى هذا دلالة على أن لفظ القديم قد يطلق فى اللغه على المتقدم فى الوجود «فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ» و هو يهوذا عن ابن عباس و فى روايه أخرى عنه أنه مالك بن ذعر «أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا» أى ألقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب فعاد بصيرا قال الضحاك عاد إليه بصره بعد العمى و قوته بعد الضعف و شبابه بعد الهرم و سروره بعد الحزن فقال للبشير ما أدرى ما أثيبك به هون الله عليك سكرات الموت «قال» يعقوب لهم «أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» أى إنى كنت أعلم أن الله يصدق رؤيا يوسف و يكشف الشدائد عن أنبيائه بالصبر و كنتم لا تعلمون ذلك قال الحسن كان الله سبحانه أعلمه بحياته و لم يعلمه بمكانه «قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ» فيما فعلنا «قال» يعقوب «سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»

إنما لم يستغفر لهم فى الحال لأنه أخرهم إلى سحر ليله الجمعه عن ابن عباس و طاووس و روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل أخرهم إلى وقت السحر لأنه أقرب إلى إجابته الدعاء عن ابن مسعود و إبراهيم التيمى و ابن جريج و روى أيضا عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل أنه كان يستغفر لهم كل ليله جمعه فى نيف و عشرين سنه عن وهب و قيل أنه كان يقوم و يصف أولاده خلفه عشرين سنه يدعو و يؤمنون على دعائه و استغفاره لهم حتى نزل قبول توبتهم و

روى أن جبرائيل (عليه السلام) علم يعقوب هذا الدعاء يا رجاء المؤمنين لا تخيب رجائى و يا غوث المؤمنين أغثنى و يا عون المؤمنين أعنى و يا حبيب التوابين تب على و استجب لهم.

إشاره

فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبْوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مَصِيرًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ (٩٩) وَرَفَعَ أَبْوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠٠) رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَوَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَ هُمْ يَمْكُرُونَ (١٠٢)

الإعراب

دخول من في قوله «مِنَ الْمُلْكِ» و «مِنَ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ» جائز أن يكون للتبعيض فيكون المراد آتيتني بعض الملك و علمتني بعض تأويل الأحاديث و جائز أن يكون لتبيين هذا الجنس من سائر الأجناس فيكون المعنى آتيتني الملك و علمتني التأويل عن الزجاج قال و قوله «تُوتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَ تَتَرَعُّ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ» يدل على أن من هاهنا لتبيين الجنس و مثله قوله «فَاجْتَبِئُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ» أي الرجس الذي هو وثن، «فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» منصوب على وجهين (أحدهما) أن يكون على الصفة لقوله «رَبِّ» لأن المعنى يا ربي فهو نداء مضاف في موضع نصب فيكون «فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ» صفة له و جائز أن ينتصب على أنه نداء ثان على تقدير يا فاطر السماوات و ذلك في موضع رفع بالابتداء و يكون خبره «مِنَ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ» و يكون «نُوحِيهِ إِلَيْكَ» خبرا ثانيا و إن شئت جعلت نوحيه هو الخبر و جعلت ذلك في معنى الذي و قوله «مِنَ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ» صلته.

«فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ» هاهنا حذف تقديره فلما خرج يعقوب و أهله من أرضهم و أتوا مصر دخلوا على يوسف و

فى حديث ابن محبوب بإسناده عن أبى جعفر (عليه السلام) أن يعقوب قال لولده تحملوا إلى يوسف من يومكم هذا بأهلكم أجمعين فساروا إليه و يعقوب معهم و خاله يوسف أم يامين فحثوا السير فرحا و سرورا تسعه أيام إلى مصر فلما دخلوا على يوسف فى دار الملك اعتنق أباه و قبله و بكى و رفعه و رفع خالته على سرير الملك ثم دخل منزله و اكتحل و ادهن و لبس ثياب العز و الملك فلما رأوه سجدوا جميعا إعظاما له و شكرا لله عند ذلك و لم يكن يوسف فى تلك العشرين سنة يدهن و لا يكتحل و لا يتطيب حتى جمع الله بينه و بين أبيه و إخوته

و قيل أن يوسف بعث مع البشير مائتى راحله مع ما يحتاج إليه فى السفر و سألهم أن يأتوه بأهلهم أجمعين فلما دنا يعقوب من مصر تلقاه يوسف فى الجند و أهل مصر فقال يعقوب يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك ثم تلاقيا قال الكلبى على يوم من مصر فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه بدأ يعقوب بالسلام فقال السلام عليك يا مذهب الأحران

و فى كتاب النبوه بالإسناد عن محمد بن أبى عمير عن هشام بن سالم عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال لما أقبل يعقوب إلى مصر خرج يوسف ليستقبله فلما رآه يوسف هم بأن يترجل له ثم نظر إلى ما هو فيه من الملك فلم يفعل فلما سلم على يعقوب نزل عليه جبرائيل فقال له يا يوسف إن الله جل جلاله يقول منعك أن تنزل إلى عبدى الصالح ما أنت فيه ابسط يدك فبسطها فخرج من بين أصابعه نور فقال ما هذا يا جبرائيل قال هذا أنه لا يخرج من صلبك نبى أبدا عقوبه بما صنعت بيعقوب إذ لم تنزل إليه

و قوله «أَوَى إِلَيْهِ أَبُوَيْهِ» أى ضمهما إليه و أنزلهما عنده و قال أكثر المفسرين أنه يعنى بأبويه أباه و خالته فسمى الخاله أما كما سمي العم أبا فى قوله «وَإِلَهُ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ» و ذلك أن أمه كانت قد ماتت فى نفاسها بآبن يامين فتزوجها أبوه و قيل يريد أباه و أمه و كانا حين عن ابن إسحاق و الجبائى و قيل أن راحيل أمه نشرت من قبرها حتى سجدت له تحقيقا للرؤيا عن الحسن «وَ قَالَ» لهم قبل دخولهم مصر «ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ» و الاستثناء يعود إلى الأمن و إنما قال آمنين لأنهم كانوا فيما خلا يخافون ملوك مصر و لا يدخلونها إلا بجوازهم قال وهب أنهم دخلوا مصر و هم ثلاثة و سبعون إنسانا و خرجوا مع موسى و هم ستمائة ألف و خمس مائة و بضع و سبعون رجلا «وَ رَفَعَ أَبُوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ» أى رفعهما على سرير ملكه إعظاما لهما و العرش السرير الرفيع عن ابن عباس و الحسن و قتاده «وَ خَرُّوا لَهُ سُجَّدًا» أى انحطوا على وجوههم و كانت تحيه الناس بعضهم لبعض يومئذ السجود و الانحاء و التكفير عن قتاده و لم يكونوا نهوا عن السجود لغير الله فى شريعتهم فأعطى الله تعالى هذه الأمة السلام و هى

تحية أهل الجنة عجلها لهم قال أعشى بن ثعلبه:

فلما أتانا بعيد الكرى سجدنا له و رفعنا العمارا.

و كان من سنه التعظيم يومئذ أن يسجد للمعظم عن الزجاج و قيل كان سجودهم كهينه الركوع كما يفعل الأعاجم عن الكلبي و قيل إن السجود كان لله تعالى شكرا له كما يفعله الصالحون عند تجدد النعم و الهاء فى قوله «لَهُ» عائده إلى الله تعالى أى

سجدوا لله تعالى على هذه النعمه و توجهوا فى السجود إليه كما يقال صلى للقبلة و يراد به استقبالها عن ابن عباس و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

قال على بن إبراهيم و حدثنى محمد بن عيسى بن عبيد بن يقطين أن يحيى بن أكثم سأل موسى بن محمد بن على بن موسى مسائل فعرضها على أبى الحسن على بن محمد (عليه السلام) فكان إحداها أن قال أخبرنى أ سجد يعقوب و ولده ليوسف و هم أنبياء فأجاب أبو الحسن ع أما سجود يعقوب و ولده فإنه لم يكن ليوسف و إنما كان ذلك منهم طاعه الله و تحية ليوسف كما أن السجود من الملائكة لآدم كان منهم طاعه الله و تحية لآدم فسجد يعقوب و ولده و يوسف معهم شكرا لله تعالى لاجتماع شملهم ألم تر أنه يقول فى شكره فى ذلك الوقت «رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ» الآية الخبر بتمامه

«وَقَالَ» يوسف «يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ» أى هذا تفسير رؤياى و تصديق رؤياى التى رأيتها «مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا» أى صدقا فى اليقظه و قيل كان بين الرؤيا و تأويلها ثمانون سنه عن الحسن و قيل سبعون سنه عن عبد الله بن شوذب و قيل أربعون سنه عن سلمان الفارسى و عبد الله بن شداد و قيل اثنتان و عشرون سنه عن الكلبي و قيل ثمانى عشره سنه عن ابن إسحاق قال ابن إسحاق و ولد ليوسف من امرأه العزيز أفرايم و ميثا و رحمه امرأه أيوب و كان بين يوسف و بين موسى أربعمائنه سنه «وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ» أى و قد أحسن ربي إلى حيث أخرجنى من السجن و أنعم على به «وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ» أى من البادية فإنهم كانوا يسكنون البادية و يرعون أغنامهم فيها فكانت مواشيهم قد هلكت فى تلك السنين بالقحط فأغناهم الله تعالى بمصيرهم إلى يوسف و إنما بدأ (عليه السلام) بالسجن فى تعداد نعم الله دون إخراجه من الجب كرما لثلا يبدأ بصنيع إخوته به و قيل لأن نعم الله تعالى فى إخراجه من السجن كانت أكثر و لأن السجن طالت مدته و كثرت محنته «مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَ بَيْنَ إِخْوَتِي» أى من بعد أن أفسد الشيطان بينى و بين إخوتى و حرش بينى و بينهم و قال ابن عباس معناه دخل بيننا بالحسد «إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ» أى لطيف فى

تدبير عباده يدبر أمرهم على ما يشاء و يسهل لهم العسير و بلطفه حصلت هذه النعم علينا من الاجتماع و غيره قال الأزهرى اللطيف من أسماء الله سبحانه معناه الرفيق بعباده يقال لطف فلان بفلان لطفًا إذا رفق و قال غيره اللطيف الذى يوصل إليك إربك فى رفق و قيل اللطيف العالم بدقائق الأمور «إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ» بجميع الأشياء «الْحَكِيمُ» فى كل التدابير و

فى كتاب النبوه بالإسناد عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال قال يعقوب ليوسف يا بنى حدثنى كيف صنع بك إخوتك قال يا أبه دعنى فقال أقسمت عليك ألا أخبرتنى فقال له أخذونى و أعددونى على رأس الجب ثم قالوا لى انزع قميصك فقلت لهم إنى أسألكم بوجه أبى يعقوب أن لا تنزعوا قميصى و لا تبدوا عورتى فرفع فلان السكين على و قال انزل فصاح يعقوب فسقط مغشيا عليه ثم أفاق فقال له يا بنى كيف صنعوا بك فقال يوسف إنى أسألك بآله إبراهيم و إسماعيل و إسحاق إلا أعفيتنى قال فتركه

و

روى أيضا أن يوسف قال ليعقوب (عليه السلام) يا أبه لا تسألنى عن صنيع إخوتى بى و سل عن صنع الله بى

قال أبو حمزه بلغنا أن يعقوب عاش مائه و سبعا و أربعين سنه و دخل مصر على يوسف و هو ابن مائه و ثلاثين سنه و كان عند يوسف بمصر سبع عشره سنه و قال ابن إسحاق أقام يعقوب بمصر أربعا و عشرين سنه ثم توفى و دفن بالشام و قال سعيد بن جبير نقل يعقوب إلى بيت المقدس فى تابوت من ساج و وافق ذلك يوم مات عيصو فدفنا فى قبر واحد فمن ثم ينقل اليهود موتاهم إلى بيت المقدس و ولد يعقوب و عيصو فى بطن واحد و دفنا فى قبر واحد و كان عمرهما جميعا مائه و سبعا و أربعين سنه ثم رجع يوسف إلى مصر بعد أن دفن أباه فى بيت المقدس عن وصيه منه إليه و عاش بعد أبيه ثلاثا و عشرين سنه و كان أول رسول فى بنى إسرائيل ثم مات و أوصى أن يدفن عند قبور آبائه و قيل دفن بمصر ثم أخرج موسى عظامه فحمله حتى دفنه عند أبيه و قيل أفضت النبوه بعده إلى روبييل ثم إلى يهوذا و

فى كتاب النبوه بالإسناد عن محمد بن مسلم عن أبى جعفر (عليه السلام) قال قلت له كم عاش يعقوب مع يوسف بمصر قال عاش حولين قلت فمن كان الحجه لله فى الأرض يعقوب أم يوسف قال كان يعقوب الحجه و كان الملك ليوسف فلما مات يعقوب حمله يوسف فى تابوت إلى أرض الشام فدفنه فى بيت المقدس فكان يوسف بعد يعقوب الحجه قلت و كان يوسف رسولا نبيا قال نعم أ ما تسمع قوله عز و جل «وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ»

و

بالإسناد عن أبى خالد عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال دخل يوسف السجن و هو ابن اثنتى عشره سنه و مكث فيها ثمانى عشره سنه و بقى بعد خروجه ثمانين سنه فذلك مائه سنه و عشر سنين

قالوا و لما جمع الله سبحانه ليوسف شمله و أقر له عينه و أتم له رؤياه و وسع عليه فى ملك الدنيا و نعيمها علم أن ذلك لا يبقى له و لا يدوم فطلب من الله سبحانه نعيما لا يفنى و تاقت نفسه إلى الجنه

فتمنى الموت و دعا به و لم يتمن ذلك نبي قبله و لا بعده تمنى أحد فقال «رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ» أى أعطيتنى ملك النبوه و ملك مصر «وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ» أى تأويل الرؤيا «فَاطَرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» أى خالق السماوات و الأرض و منشئهما لا على مثال سبق «أَنْتَ وَلِيِّى» أى ناصرى و مدبرى و حافظى «فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» تتولى فيهما إصلاح معاشى و معادى «تَوَفَّنِي مُسْلِمًا» قال ابن عباس ما تمنى نبي تعجيل الممات إلا يوسف لما انتظمت أسباب مملكته اشتاق إلى ربه و قيل معناه ثبتنى على الإيمان إلى وقت الممات و أمتنى مسلما «وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ» أى بأهل الجنة من الأنبياء و الأولياء و الصديقين و قيل لما جمع الله سبحانه بينه و بين أبويه و إخوته أحب أن يجتمع مع آبائه فى الجنة فدعا بهذا الدعاء و المعنى ألحقنى بهم فى ثوابهم و درجاتهم قيل فتوفاه الله تعالى بمصر و هو نبي فدفن فى النيل فى صندوق من رخام و ذلك أنه لما مات تشاح الناس عليه كل يحب أن يدفن فى محلته لما كانوا يرجون من بركته فرأوا أن يدفنوه فى النيل فيمر الماء عليه ثم يصل إلى جميع مصر فيكون كلهم فيه شركاء و فى بركته شرعا سواء فكان قبره فى النيل إلى أن حملة موسى (عليه السلام) حين خرج من مصر ثم عاد سبحانه بعد تمام القصة إلى خطاب النبي ص فقال «ذَلِكَ» أى الذى قصصت عليك من قصه يوسف يا محمد «مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ» أى من جملة أخبار الغيب «نُوحِيهِ إِلَيْكَ» على ألسنه الملائكة لتخبر به قومك و يكون دلاله على إثبات نبوتك و معجزه داله على صدقك «وَمَا كُنْتَ لَمَدِّيهِمْ» أى و ما كنت يا محمد عند أولاد يعقوب «إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ» إذ عزموا على إلقاءه فى البئر و اجتمعت آراؤهم عليه «وَهُمْ يَمْكُرُونَ» أى يحتالون فى أمر يوسف حتى ألقوه فى الجب عن الجبائى و قيل يمكرون بيوسف عن ابن عباس و الحسن و قتاده.

إشارة

وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣) وَمَا تَسْتَأْتِلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (١٠٤) وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٦) أَلَمْ نَأْمُرُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٠٧)

القراءة

فى الشواذ قراءة عكرمه و عمرو بن فائد و الأرض يمرون عليها بالرفع و قراءة السدى و الأرض نصبا و القراءة المشهورة بالجر.

الحجج

من رفع أو نصب وقف على السماوات ثم ابتداء و الأرض فالرفع على الابتداء و الجملة بعدها خبره و العائد إلى المبتدأ الهاء من عليها و الضمير فى عنها عائد إلى الآيه و أما النصب فبفعل مضمر تقديره و يطئون الأرض و يؤيد ذلك قراءة ابن مسعود يمشون عليها فلما أضمر الفعل الناصب فسر به بقوله «يَمُرُّونَ عَلَيْهَا» و من جر الأرض على قراءة القراء فإن شاء وقف على الأرض و إن شاء وقف آخر الآيه.

اللغة

الحرص طلب الشىء باجتهاد فى إصابته و العالم الجماعه من الحيوان التى من شأنها أن تعلم مأخوذ من العلم و قيل لما حواه الفلك عالم على سبيل التبع للحيوان الذى ينتفع به و هو مخلوق لأجله و الغاشيه المجمله للشىء بانبساطها عليه و غشيه يغشاه إذا غطاه و الغشاء الغطاء و البغته الفجأه و هى مجىء الشىء من غير توقع.

الإعراب

و كأين فى معنى كم و أصلها أى دخلت عليها الكاف و بغته مصدر وضع موضع الحال تقول لقيته بغته و فجاءه.

المعنى

لما تقدم ذكر الآيات و المعجزات التى لو تفكروا فيها عرفوا الحق من جهتها فلم يتفكروا بين عقبيها أن التقصير من جهتهم حيث رضوا بالجهل و ليس من جهته سبحانه لأنه نصب الأدله و البينات و لا من جهتك لأنك دعوتهم فقال «وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ» أى و ليس أكثر الناس بمصدقين و لو حرصت على إيمانهم و تصديقهم و اجتهدت فى دعائهم إليه و إرشادهم إليه لأن حرص الداعى لا يغنى شيئاً إذا كان المدعو لا يجيب «وَمَا تَسْتَأْتِلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ» أى و لا تسألهم على تبليغ الرساله و بيان الشريعة اجرا فيصدهم ذلك عن القبول و يمنعهم من الإيمان و يثقل عليهم ما يلزمهم من الغرامه فأعذارهم

منقطعه «إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ» أى ما القرآن إلا موعظه و عبره و تذكير للخلق أجمعين فلست بنذير لهؤلاء خاصة «وَكَأَيُّنْ مِنْ آيِهِ» أى كم من حجه و دلاله «فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» تدل على وحدانيه الله تعالى من الشمس و القمر و النجوم فى السماء و من الجبال و الشجر و ألوان النبات و أحوال المتقدمين و آثار الأمم السالفه فى الأرض «يَمُرُّونَ عَلَيْهَا» و يبصرونها و يشاهدونها «وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ» أى هم عن التفكير فيها و الاعتبار بها

معرضون لا- يتفكرون فيها يعنى الكفار «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ» اختلف فى معناه على أقوال (أحدها) أنهم مشركو قريش كانوا يقرون بالله خالقا و محييا و مميتا و يعبدون الأصنام و يدعونها آلهه مع أنهم كانوا يقولون الله ربنا و إلهنا يرزقنا فكانوا مشركين بذلك عن ابن عباس و الجبائى (و ثانيها)

إنها نزلت فى مشركى العرب إذ سألوا من خلق السماوات و الأرض و ينزل المطر قالوا الله ثم هم يشركون و كانوا يقولون فى تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه و ما ملكك عن الضحاك (و ثالثها) أنهم أهل الكتاب آمنوا بالله و اليوم الآخر و التوراه و الإنجيل ثم أشركوا بإنكار القرآن و إنكار نبوه نبينا محمد ص عن الحسن و هذا القول مع ما تقدمه رواه دارم بن قبيصه عن على بن موسى الرضا عن أبيه عن جده عن أبى عبد الله (عليه السلام)

(و رابعها) أنهم المنافقون يظهرون الإيمان و يشركون فى السر عن البلخى (و خامسها) أنهم المشبهه آمنوا فى الجملة و أشركوا فى التفصيل و روى ذلك عن ابن عباس (و سادسها)

أن المراد بالإشراك شرك الطاعه لا- شرك العباده أطاعوا الشيطان فى المعاصى التى يرتكبونها مما أوجب الله عليها النار فأشركوا بالله فى طاعته و لم يشركوا بالله شرك عباده فيعبدون معه غيره عن أبى جعفر (عليه السلام)

و

روى عن أبى عبد الله أنه قول الرجل لو لا فلان لهلكت و لو لا فلان لضاع عيالى جعل الله شريكا فى ملكه يرزقه و يدفع عنه فقيل له لو قال لو لا أن من على بفلان لهلكت فقال لا بأس بهذا و فى روايه زراره و محمد بن مسلم و حمران عنهما (عليه السلام) أنه شرك النعم

و

روى محمد بن الفضيل عن أبى الحسن الرضا (عليه السلام) قال أنه شرك لا يبلغ به الكفر

«أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ» أى أفأمن هؤلاء الكفار أن يأتيهم عذاب من الله سبحانه يعمهم و يحيط بهم و هى من غاشيه السرج لأنها تعمه بالسر و إنما أتى بلفظه التأنيث على تقدير العقوبه أى عقوبه مجلله لجميعهم عن ابن عباس و قيل هو عذاب الاستئصال عن مجاهد و أبى مسلم و قيل هى الصواعق و القوارع عن الضحاك «أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ» يعنى القيامة «بَغْتَةً» أى فجأه على غفله منهم «وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» بقيامها قال ابن عباس تهجم الصيحه بالناس و هم فى أسواقهم.

إشارة

قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَلَمْ يَسْأَلُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لِمَ دَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَ فَلَا تَعْقِلُونَ (١٠٩)

القراءة

قرأ حفص عن عاصم «إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ» بالنون حيث كان وقرأ الباقون يوحى بالياء وفتح الحاء «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» ذكرنا الخلاف فيه فى سورة الأنعام.

الحج

قال أبو على الوجه فى النون قوله «إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ» و الوجه فى الياء قوله «وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ» وَقُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ.

اللغة

السبيل الطريق و هو المكان المهيا للسلوك و دين الإسلام طريق يؤدى إلى الجنة و السبيل يذكر و يؤنث قال:

فلا تبعد فكل بنى أناس سيصبح سالكا تلك السبيلا

و البصيره ما يبصر به الشىء أى يعرف و السير المرور الممتد فى جهه و منه السير واحد السيور لامتداده فى جهه.

المعنى

ثم أمر سبحانه نبيه ص أن يبين للمشركين ما يدعو إليه فقال «قُلْ» يا محمد لهم «هَذِهِ سَبِيلِي» أى طريقى و سنتى و منهاجى عن ابن زيد و قيل معناه هذه الدعوه التى أدعو إليها دينى و طريقى عن مقاتل و الجبائى ثم فسر ذلك بقوله «أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ» أى أدعوكم أيضا إليه من آمن بى و يذكر بالقرآن و المواعظه و ينهى عن معاصى الله قال ابن الأنبارى و يجوز أن يتم الكلام عند قوله «أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ» ثم ابتداء و قال «عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي» و هذا معنى قول ابن عباس أنه يعنى أصحاب محمد كانوا على أحسن طريقه «وَسُبْحَانَ اللَّهِ» معناه تنزيها لله عما أشركوا و تقديره قل هذه سبيلى و قل سبحانه الله و قيل أنه اعتراض بين الكلامين و الواو فيه مثل قولك قال الله و هو منزه عن الشركاء سبحانه الله «وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ» الذين اتخذوا مع الله ندا و كفوا و ولدا و فى هذه الآية دلالة على فضل الدعاء إلى الله سبحانه و إلى توحيده و عدله و يعضد ذلك

الحديث عنه ص أنه قال العلماء أمناء الرسل على

ص: ٤١٢

و فيها دلالة أيضا على أنه (عليه السلام) كان يدعو إلى الله في كل أوقاته و إن كان بين الشرائع في أوقات ما و فيها دلالة أيضا على أن الواجب في السعى أن يكون على ثقة و بصيره و دلالة قاطعه و ذلك يوجب فساد التقليد «و ما أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى» بين سبحانه أنه إنما أرسل الرسل من أهل الأمصار لأنهم أرجح عقلا و علما من أهل البوادي لبعده أهل البوادي عن العلم و أهله عن قتاده و قال الحسن لم يبعث الله نبيا قط من أهل البادية و لا من الجن و لا من النساء و ذلك أن أهل البادية يغلب عليهم القسوه و الجفاء و أهل الأمصار أحد فطنا «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ» أى أفلم يسر هؤلاء المشركون المنكرون لنبوتك يا محمد في الأرض «فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» من الأمم المكذبين لرسولهم و كيف أهلكهم الله بعذاب الاستئصال فيعتبروا بهم و يحذروا مثل ما أصابهم «وَأَلَمَدَارُ الْأَخْرَجِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا» يقول هذا صنعنا بأهل الإيمان و الطاعة في دار الدنيا إذ أهلكنا عدوهم و نجيناهم من شرهم و لدار الآخرة خير لهم من دار الدنيا و نعيمها و

روى أبو سعيد الخدرى عن النبي ص أنه قال لشبر من الجنة خير من الدنيا و ما فيها

قال الزجاج قال الله سبحانه في غير هذا الموضع الدَّارُ الْآخِرَةُ. فالآخرة نعت للدار لأن لجميع الخلق دارين الدار التي خلقوا فيها و هي الدنيا و الدار الآخرة هي التي يعادون فيها خلقا جديدا فإذا قال دار الآخرة فكأنه قال دار الحال الآخرة لأن للناس حالين حال الدنيا و حال الآخرة و مثل هذا في الكلام الصلاة الأولى و صلاة الأولى فمن قال الصلاة الأولى جعل الأولى نعتا للصلاة و من قال صلاة الأولى أراد صلاة الفريضة الأولى و الساعه الأولى «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» أى أفلا يفهمون ما قيل لهم فيعلمون.

[سورة يوسف (١٢): الآيات ١١٠ الى ١١١]

إشارة

حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصِيرُنَا فَنَجَّىٰ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠) لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)

القرءاء

قرأ أهل الكوفة و أبو جعفر

«كُذِّبُوا» بالتخفيف و هي قرءاءه على و زين العابدين

و زيد بن علي و ابن عباس و ابن مسعود و سعيد بن جبير و عكرمه و الضحاك و الأعمش و غيرهم و قرأ الباقر كذبوا بالتشديد و هي قراءة عائشه و الحسن و عطا و الزهري و قتاده و روى عن ابن عباس بخلاف و مجاهد بخلاف كذبوا بالتخفيف و فتح الذال و الكاف و قرأ عاصم و ابن عامر و يعقوب و سهل «فَنَجَّى مَنْ نَشَاءُ» بنون واحده و تشديد الجيم و فتح الياء و قرأ الباقر فننجي من نشاء بنونين و تخفيف الجيم و سكون الياء و في الشواذ عن ابن محيصن فنجا بفتح النون و الجيم و التخفيف و عن عيسى الثقفي و لكن تصديق الذى بين يديه و تفصيل كل شىء و هدى و رحمه برفع الأحرف الثلاثة و القراءة بنصبها.

الحجه

قال أبو علي الضمير فى ظنوا فى قول من شدد كذبوا للمرسل تقديره ظن الرسل أى تيقنوا أو ظنوا الظن الذى هو حسابان و معنى كذبوا تلقوا بالكذب كقولهم جبنته خطأته و تكذيبهم إياهم يكون بأن يلقوا بذلك كقولهم له و إن نَظُنُّكَ لِمَنْ الْكَاذِبِينَ أو بما يدل عليه و إن خالفه فى اللفظ و من حجه التثقيب قوله «فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ» و قوله «فَكَذَّبُوا رُسُلِي» و قوله «إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ» و أما من خفف فقال كذبوا فهو من قولهم كذبتك الحديث أى لم أصدقك و فى التنزيل وَ قَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَ رُسُولَهُ و قياسه إذا اعتبر الخلاف أن يتعدى إلى مفعولين كما تعدى صدق فى قوله «لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رُسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ» و قال الأعشى:

فصدفته و كذبتة و المرء ينفعه كذابه

قال سيبويه كذب يكذب كذبا و قالوا كذابا فجاءوا به على فعال و قد خففه الأعشى و قال ذو الرمة:

و قد حلفت بالله ميه ما الذى أقول لها إلا الذى أنا كاذبه

و الضمير الذى فى قوله «وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا» للمرسل إليهم و ظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به من أنهم إن لم يؤمنوا أنزل بهم العذاب و إنما ظنوا ذلك لما شاهدوه من إمهال الله إياهم و إملائه لهم فإن قلت كيف يجوز أن يحمل الضمير فى ظنوا على أنه للمرسل إليهم الرسل و الذين قد تقدم ذكرهم الرسل دون المرسل إليهم قيل إن ذلك لا يمتنع لأن ذكر الرسل يدل على المرسل إليهم لمقاربه إحدى الاسمين الآخر و لما فى لفظ الرسل من

الدلالة على المرسل إليهم و قد قال الشاعر:

أمنك البرق أرقبه فهاجا فبت أخاله دهما خلجا

أى بت أخال الرعد صوت دهم فأضمر الرعد و لم يجر له ذكر لدلالة البرق عليه لمقاربه لفظ كل واحد منهما للآخر و فى التنزيل سِرَابِيلٌ تَقِيكُمْ الْحَرَّ و استغنى عن ذكر البرد لدلالة الحر عليه و إن شئت قلت أن ذكرهم قد جرى فى قوله «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ» فيكون الضمير للذين من قبلهم من مكذبي رسل الله فإن ذهب ذهاب إلى أن المعنى ظن الرسل أن الذى وعد الله سبحانه أممهم على لسانهم قد كذبوا به فقد أتى عظيما لا يجوز أن ينسب مثله إلى الأنبياء و لا إلى صالحى عباد الله تعالى و كذلك من زعم أن ابن عباس ذهب إلى أن الرسل قد ضعفوا فظنوا أنهم قد أخلفوا لأن الله تعالى لا يخلف الميعاد حدثنا أحمد بن محمد قال حدثنا المؤمل قال حدثنا إسماعيل بن عليه عن أبى المعلى عن سعيد بن جبیر فى قوله «حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا» قال إن الرسل يئسوا من قومهم أن يؤمنوا و أن قومهم ظنوا أن الرسل قد كذبوا فيما قالوا لهم أتاهم نصر الله عند ذلك و أما قوله «فَنَجَّيْنَا مَن نَّشَاءُ» فإن ننجى حكاية للحال لأن القصة مما قد مضى و إنما حكى فعل الحال كما كانت عليه كما أن قوله «رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ» جاء على الحكاية للحال الكائنه و من ذلك قوله «وَ كَلَّبَهُمْ بِالْوَصِيدِ» فلو لا حكاية الحال لم يعمل اسم الفاعل لأنه إذا مضى اختص و صار معهودا فخرج بذلك من شبه الفعل أ لا ترى أن الفعل لا يكون معهودا فكما أن اسم الفاعل إذا وصف أو حقر لم يعمل عمل الفعل لزوال شبه الفعل عنه بالاختصاص الذى يحدثه فيه التحقير و الوصف كذلك إذا كان ماضيا و أما النون الثانيه من ننجى فهى مخفاه مع الجيم و كذلك النون مع سائر حروف الفم لا تكون إلا مخفاه قال أبو عثمان تبيينها معها لحن و للنون مع الحروف ثلاث أحوال الإدغام و الإخفاء و البيان و إنما تدغم إذا كانت مع مقاربهها كما يدغم سائر المقاربه فيما يقاربه و الإخفاء فيها مع حروف الفم التى لا تقاربهها و البيان فيها مع حروف الحلق فأما حذف النون الثانيه من الخط فيشبهه أن يكون لكراهه اجتماع المثليين فيه أ لا ترى أنهم كتبوا مثل العليا و الدنيا و يحيا و نحو ذلك بالألف فلو لا اجتماعها مع الياء لكتبت بالياء كما كتبت حبلى و يخشى و ما لم يكن فيه ياء من هذا النحو بالياء فكأنهم لما كرهوا اجتماع المثليين فى الخط حذفوا النون و قوى ذلك أنه لا يجوز فيها إلا الإخفاء و لا يجوز فيها البيان فأشبهه بذلك الإدغام لأن

الإخفاء لا يبين فيه الحرف المخفى كما أن الإدغام لا يبين فيه الحرف المدغم بيانه فى غير الإدغام فلما وافق النون المدغم فى هذا الوجه أستجيز حذفه من الخط و من ذهب إلى أن النون الثانيه مدغمه فى الجيم فقد غلط لأنها ليست مثل الجيم و لا مقاربه لها و إذا خلا الحرف من هذين الوجهين لم يدغم فيما اجتمع معه و من قرأ فنجى فإنه أتى على لفظ الماضى لأن القصه ماضيه و يقوى ذلك أنه عطف عليه فعل مسند إلى المفعول به و هو قوله «وَلَا يُرَدُّ بِأُسَيْنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ» و لو كان ننجى مسندا إلى الفاعل كقول من خالفه لكان لا نرد بأسنا أشبه ليكون مثل المعطوف عليه و من قرأ «تَصَدَّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ» و ما بعده بالرفع فيكون التقدير لكن هو تصديق الذى بين يديه و تفصيل كل شىء فحذف المبتدأ و بقى الخبر.

اللغه

استئس بمعنى يش كأنه طلب اليأس لعلمه بامتناع الأمر و البأس الشده و هو شده الأمر على النفس و منه البؤس الفقر و منه لا بأس عليك و القصص الخبر يتلو بعضه بعضا من أخبار من تقدم و العبره الدلاله التى تعبر إلى البغيه و الأبواب العقول واحدها لب و إنما سمي بذلك لأنه أنفس شىء فى الإنسان و لب كل شىء خياره.

المعنى

ثم أخبر سبحانه و تعالى عن حال الرسل مع أممهم تسليه للنبي ص فقال «حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ» و هاهنا حذف يدل الكلام عليه و تقديره إنا أخرنا العقاب عن الأمم السالفه المكذبه لرسنا كما أخرناه عن أمتك يا محمد حتى إذا بلغوا إلى حاله يأس الرسل عن إيمانهم و تحقق يأسهم بإخبار الله تعالى إياهم «وَوَظَّنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا» أى تيقن الرسل أن قومهم كذبوهم تكذيبا عاما حتى أنه لا يصلح واحد منهم عن عائشه و الحسن و قتاده و أبى على الجبائى و من خفف فمعناه ظن الأمم أن الرسل كذبوهم فيما أخبروهم من نصر الله إياهم و إهلاك أعدائهم عن ابن عباس و ابن مسعود و سعيد بن جبير و مجاهد و ابن زيد و الضحاك و أبى مسلم و قيل يجوز أن يكون الضمير فى ظنوا راجعا إلى الرسل أيضا و يكون معناه و علم الرسل أن الذين وعدوهم الإيمان من قومهم أخلفوهم أو كذبوا فيما أظهروه من الإيمان و روى أن سعيد بن جبير و الضحاك اجتمعا فى دعوه فسل سعيد بن جبير فى هذه الآيه كيف يقرأها فقال «وَوَظَّنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا» بالتخفيف بمعنى و ظن المرسل إليهم أن الرسل كذبوهم فقال الضحاك ما رأيت كاليوم قط لو رحلت فى هذه إلى اليمن لكان قليلا و روى أبى مليكه عن ابن عباس قال كانوا بشرا فضعفوا و يئسوا و ظنوا أنهم قد أخلفوا ثم تلا قوله تعالى «حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ» الآيه و هذا بعيد و قد بينا ما فيه

«جاءَهُمْ» أى جاء الرسل «نَصِيْرُنَا» حين يأسوا بإرسال العذاب على الكفار «فَنَجَّيْ مَنْ نَشَاءُ» أى نخلص من نشاء من العذاب عند نزوله و هم المؤمنون «وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا» أى عذابنا «عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ» أى المشركين «لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ» أى فى قصص يوسف و إخوته «عِبْرَةٌ» أى فكره و بصيره من الجهل و موعظه و هو ما أصابه (عليه السلام) من ملك مصر و الجمع بينه و بين أبويه و إخوته بعد إلقائه فى الحب و بيعه و حبسه و قيل فى قصصهم عبره لأن نبينا ص لم يقرأ كتابا و لا سمع حديثا و لا خالط أهله ثم حدثهم به فى حسن معانيه و براعه ألفاظه و مبانيه بحيث لم يرد عليه أحد من ذلك شيئا فهذا من أدل الدلائل على صدقه و صحه نبوته «لِأُولَى الْأَلْبَابِ» أى لذوى العقول «مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى» أى ما كان ما أداه محمد أو أنزل عليه حديثا يختلق كذبا «وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ» أى و لكن كان تصديق الكتب الذى بين يديه لأنه جاء كما بشر به فى الكتب عن الحسن و قتاده «وَتَفْصِيْلَ كُلِّ شَيْءٍ» أى و بيان كل شىء يحتاج إليه من الحلال و الحرام و شرائع الإسلام «وَهُدًى» أى و دلالة «وَرَحْمَةً» أى و نعمه ينتفع بها المؤمنون علما و عملا- «لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» إنما خصهم بذلك لأنهم المنتفعون به دون غيرهم و بالله التوفيق و العصمه و هو حسنا و نعم الوكيل.

سرشناسه: طبرسى، فضل بن حسن، ٤٦٨ - ٥٤٨ ق.

عنوان و نام پديدآور: مجمع البيان فى تفسير القرآن

تاليف ابو على الفضل بن الحسن الطبرسى

مصصح: هاشم رسولى

مصصح: فضل الله يزدى طباطبايى

مشخصات نشر: دارالمعرفه - بيروت - لبنان

مشخصات ظاهرى: ١٠ ج.

يادداشت: عربى

موضوع: تفاسير شيعه -- قرن ٦ ق.

ص: ١

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ٢

مجمع البيان فى تفسير القرآن

تأليف ابو على الفضل بن الحسن الطبرسى

مصصح: هاشم رسولى

مصصح: فضل الله يزدى طباطبايى

ص: ٣

(١٣) سورة الرعد مدنيه و آياتها ثلاث و أربعون (٤٣)

اشاره

[توضيح]

مكيه كلها عن ابن عباس و عطاء و قال الكلبي و مقاتل مكيه إلا آخر آيه منها نزلت في عبد الله بن سلام و قال سعيد بن جبير كيف تكون هذه الآيه نزلت في عبد الله بن سلام و السوره كلها مكيه و قال الحسن و عكرمه و قتاده إنها مدنيه إلا آيتين نزلتا بمكه و لَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ و ما بعدها.

عدد آياتها

أربعون و سبع آيات شامى و خمس بصرى أربع حجازى ثلاث كوفى.

اختلافها

خمس آيات لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ الظُّلُمَاتُ وَ النُّورُ غير الكوفى الْأَعْمَى وَ الْبَصِيرُ وَ سُوءَ الْحِسَابِ* شامى مِنْ كُلِّ بَابٍ عراقى شامى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأ سورة الرعد أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد كل سحاب مضى و كل سحاب يكون إلى يوم القيامة و كان يوم القيامة من الموفين بعهد الله تعالى

و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) من أكثر قراءة الرعد لم يصبه الله بصاعقه أبدا و إن كان مؤمنا أدخل الجنة بغير حساب و شفيع فى جميع من يعرفه من أهل بيته و إخوانه.

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة يوسف بذكر قصص الأنبياء افتتح هذه السوره بأن جميع ذلك آيات الكتاب و أن الذى أنزله هو الحق تعالى فقال:

ص: ٤

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المر تَلَمَّكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١) اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢)

[توضيح]

و لم يعد أحد «المر» آيه و عد الكوفيون طه و حم* آيه لأن طه مشاكله لرءوس الآى التى بعدها بالألف مع أنه لا يشبه الاسم المفرد كما أشبه صاد و قاف و نون لأنها بمنزله باب و نوح.

اللغة

العمد و العمد جميعا بمعنى واحد و هما جمع عمود و عماد إلا أن عمدا جمع عمود و عماد و عمدا اسم للجمع و مثله أديم و آدم و إهاب و أهب و أفيق و أفق.

الإعراب

الذى أنزل يجوز أن يكون موضعه رفعا على الابتداء و يجوز أن يكون موضعه بالعطف على آيات الكتاب و يكون الحق مرفوعا على إضمار هو و يجوز أن يكون فى موضع جر بالعطف على الكتاب و تقديره تلك آيات الكتاب و آيات الذى أنزل إليك من ربك و يكون الحق مرفوعا على الإضمار و يجوز أن يكون الحق مجرورا صفة للذى إذا جعلته عطفا على الكتاب و لكنه لم يقرأ به أحد من القراء.

المعنى

«المر» قد فسرناه فى أول البقره و بينا ما قيل فيه و

روى أن معناه أنا الله أعلم و أرى

«تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ» أى هذه السوره هى آيات الكتاب التى تقدم الوعد بها ليست بمفتريات و لا بسحر و الكتاب القرآن عن ابن عباس و الحسن و قيل إن الكتاب عباره عن التوراه و الإنجيل عن مجاهد و قتاده و يكون تقديره تلك الأخبار التى قصصتها عليك آيات التوراه و الإنجيل و الكتب المتقدمه و الآيات الدلالات العجيبه المؤديه إلى المعرفة بالله سبحانه و أنه لا يشبه

الأشياء و لا تشبهه «وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ» يعنى و هذا القرآن الذى أنزل إليك من ربك هو الحق فاعتصم بالله و
اعمل بما فيه و على القول الأول فإنه وصف القرآن بصفتين إحداهما بأنه كتاب و الأخرى بأنه منزل «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
يُؤْمِنُونَ» أى لا يصدقون بأنه منزل و أنه حق مع وضوحه «اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا» لما ذكر الله سبحانه أنهم لا
يؤمنون عرف الدليل الذى يوجب التصديق بالخالق و يريد بالعمد

السوارى و الدعائم و قيل فيه قولان (أحدهما) أن المراد رفع السماوات بغير عمد و أنتم ترونها كذلك عن ابن عباس و الحسن و قتاده و الجبائى و أبى مسلم و هو الأصح قال ابن عباس يعنى ليس من دونها دعامة يدعمها و لا فوقها علاقه تمسكها قال الزجاج و فى ذلك من القدر و الدلاله ما لا شىء أوضح منه لأن السماء محيطه بالأرض متبريه منها بغير عمد (و الآخر) أن يكون ترونها من نعت العمد فيكون المعنى بغير عمد مرثيه فعلى هذا تعمدتها قدره الله عز و جل و روى ذلك عن ابن عباس و مجاهد «ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ» قد مضى تفسيره و إذا حملنا الاستواء على معنى الملك و الاقتدار فالوجه فى إدخال ثم فيه و لم يزل سبحانه كذلك أن المراد اقتداره على تصريفه و تقليبه و إذا كان كذلك فلا يكاد القديم سبحانه يوصف به إلا و قد وجد نفس العرش «وَسَيَخْرُ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ» أى ذللهما لمنافع خلقه و مصالح عباده و «كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى» أى كل واحد منهما يجرى إلى وقت معلوم و هو فناء الدنيا و قيام الساعه التى تكور عندها الشمس و يخسف القمر و تنكدر النجوم عن الحسن و قال ابن عباس أراد بالأجل المسمى درجاتهما و منازلهما التى ينتهيان إليها و لا يجاوزانها و للشمس مائه و ثمانون منزلا تنزل كل يوم منزلا- حتى ينتهى إلى آخر منازلها «يُدَبِّرُ الْأَمْرَ» أى يدبر الله كل أمر من أمور السماوات و الأرض و أمور الخلق على وجه توجيه الحكمة و تقتضيه المصلحه «يُفَضِّلُ الْآيَاتِ» أى يأتى بآيه فى إثر آيه فصلا مميزا بعضها عن بعض ليكون أمكن للاعتبار و التفكير و قيل معناه يبين الدلائل بما يحدثه فى السماوات و الأرض «لَعَلَّكُمْ يَلْقَاءَ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ» أى لكى توقنوا بالبعث و النشور و تعلموا أن القادر على هذه الأشياء قادر على البعث بعد الموت و فى هذا دلالة على وجوب النظر المؤدى إلى معرفه الله تعالى و على بطلان التقليد و لو لا ذلك لم يكن لتفصيل الآيات معنى.

إشاره

وَ هُوَ الَّذِي مَدَّ الْمَرْضَ وَ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَ أَنْهَاراً وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغِشِّي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَ فِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَ جَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَ زُرُوعٌ وَ نَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَ غَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَ نُفَضَّلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤)

القراءة

قد ذكرنا الاختلاف في قوله «يُغِشِّي اللَّيْلَ النَّهَارَ» في سوره الأعراف وقرأ ابن كثير و أبو عمر و يعقوب و حفص «وَ زُرُوعٌ وَ نَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَ غَيْرُ صِنَوَانٍ» جميعها بالرفع و الباقر بالجر في الجميع وقرأ حفص صنوان بضم الصاد و كذلك روايه الحلواني عن القواس وقرأ الباقر بكسر الصاد و في الشواذ قراءه الحسن و قتاده صنوان وقرأ «يُسْقَى» بالياء ابن عامر و زيد و رويس عن يعقوب وقرأ الباقر تسقى بالتاء وقرأ أهل الكوفه غير عاصم و روح عن يعقوب و يفضل بالياء و الباقر بالنون.

الحجه

قال أبو علي من رفع قوله «وَ زُرُوعٌ» فتقديره و في الأرض زرع و نخيل صنوان فجعله محمولاً- على قوله وَ فِي الْأَرْضِ قِطْعٌ وَ لم يجعله محمولاً- على ما في الجنات من الأعناب و الجنة على هذا تقع على الأرض التي فيها الأعناب دون غيرها كما تقع على الأرض التي فيها الأعناب و النخيل دون غيرهما و يقوى ذلك قول زهير

كان عيني في غربي مقتله من النواضح تسقى جنه سحفا

فالمعنى تسقى نخيل جنه فأما من قرأ بالجر فإنه حمل النخيل و الزرع على الأعناب فكأنه قال جنات من أعناب من زرع و نخيل و الدليل على أن الأرض إذا كان فيها النخل و الكرم و الزرع سميت جنه قوله «جَعَلْنَا لِأَيْدِيهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَ حَفَفْنَاهُمَا بِنَخِيلٍ وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعاً» فكما سميت الأرض ذات العنب و النخل و الزرع جنه كذلك يكون النخيل و الزرع محمولين على الأعناب فتكون الجنة من هذه الأشياء و يقوى ذلك قوله.

أقبل سيل جاء من أمر الله يحدد حرد الجنة المغله

و الغله إنما هي ما يكال بالقفيز في أكثر الأمر قال و الصنوان فيما يذهب إليه أبو عبيده

صفه للنخيل و المعنى أن يكون من أصل واحد ثم يتشعب من الرؤوس فيصير نخلا و نخلين قال و قال «يُسقى بِماءٍ واحدٍ» لأنها تشرب من أصل واحد وَ نُفْضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ وَ هِيَ التمر و أجاز غيره أن يكون الصنوان من صفه الجنات و كأنه يكون يراد به فى المعنى ما فى الجنات و إن جرى على لفظ الجنات و على هذا يجوز أن ترفع و إن جررت النخيل لأن الجنات مرفوعة و لم يحك هذا فى قراءه السبعه و أما الكسره التى فى صنوان فليست التى كانت فى صنو كما أن الكسره التى فى قنو ليست فى قنوان لأن تلك قد حذفت فى التكسير و عاقبتها الكسره التى يجتلبها التكسير و كذلك الكسره التى فى هجان و أنت تريد الجمع ليست الكسره التى كانت فى الواحد و لكنه مثل الكسره التى فى ظراف إذا جمعت عليه ظريفا و أما من ضم الصاد من صنوان فإنه جعله مثل ذئب و ذؤبان و ربما تعاقب فعلان و فعلان على البناء الواحد نحو حش و حشان و حشان و أما صنوان بفتح الصاد فليست من أمثله الجمع المكسر فإن صح ذلك فإنه يكون اسما للجمع لا مثالا له من أمثله التكسير فيكون بمنزله الجامل و السامر و مثله قولهم السعدان و الضمران فى الجمع و من قرأ تسقى بالتاء فالمراد تسقى هذه الأشياء و من قرأ بالياء حملة على الزرع وحده.

المعنى

لما ذكر سبحانه و تعالى فى الآيه من نعمائه و آلائه على عباده فى رفع السماوات و تسخير الشمس و القمر و دل بذلك على وحدانيته عقبه بذكر الأرض و ما فيها من الآيات فقال «وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ» أى بسطها طولا و عرضا ليتمكن الحيوانات من الثبات فيها و الاستقرار عليها «وَ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ» أى جبالا ثابتة لتمسك الأرض و لو أراد أن يمسكها من غير جبال لفعل إلا أنه أمسكها بالرواسي لأن ذلك أقرب إلى أفهام الناس و ادعى لهم إلى الاستدلال و النظر «وَ أَنهَاراً» أى و شق فيها أنهارا تجرى فيها المياه و لو لا الأنهار لضاع أكثر المياه و لما أمكن الشرب و السقى «وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ» أى و جعل فى الأرض من كل الثمرات لمأكلهم و مطعمهم صنفين أسود و أبيض و حلوا و حامضا و صيفيا و شتويا و رطبا و يابسا عن ابن عباس و قيل الزوج قد يكون واحدا و قد يكون اثنين يقال زوج نعل و زوج نعلين عن أبى عبيده و إنما قال اثنين للتأكيد و الزوج فى الحيوانات عباره عن الذكر و الأنثى و فى الثمار عباره عن لونين و قال الماوردى: واحد الزوجين ذكر و أنثى كفحول النخل و إنائها و كذلك كل جنس من النبات و إن خفى الزوج الآخر حلو و حامض أو عذب و مالح أو أبيض و أسود أو أحمر و أصفر فإن كل جنس من النبات ذو نوعين فصارت كل ثمره زوجين هما أربعه أنواع «يُعْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ» أى يلبس ظلمه الليل ضياء النهار عن الحسن و قيل يدخل الليل فى النهار و النهار فى الليل عن ابن عباس و قيل معناه يأتى بالليل

ليذهب بضيء النهار ويستره ليسكن الحيوانات فيه و يأتي بضيء النهار ليمحو ظلام الليل و ينصرف الناس فيه لمعايشهم «إِنَّ فِي ذَلِكَ» أى فيما سبق ذكره «لآياتٍ» أى لدلالات واضحات على وحدانيه الله تعالى «لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» فيها فيستدلون منها على أن لهم صناعا «وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ» أى أبعاض متقاربات مختلفات فى التفاضل منها جبل صلب و لا ينبت شيئا و منها سهل حر ينبت و منها سبخه لا تنبت عن ابن عباس و مجاهد و الضحاك بين الله سبحانه باختلاف هذه الأرضين مع تجاورها و تقارب بعضها من بعض فى الهياه و المنظر أنه قادر على كل شىء من الأصناف المختلفه و المؤتلفه و قيل إنها متجاورات بعضها عامر و بعضها غير عامر عن الزجاج «وَجَنَّاتٌ» أى بساتين «مِنْ أَعْنَابٍ وَ زُرْعٌ وَ نَخِيلٌ صِنَوَانٌ» أى نخلات من أصل واحد «وَ غَيْرُ صِنَوَانٍ» أى نخلات من أصول شتى عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و الصنوا الأصل يقال هذا صنوه أى أصله عن ابن الأنبارى و قيل إن الصنوان النخله تكون حولها النخلات و غير صنوان النخل المتفرق عن البراء بن عازب و سعيد بن جبير و قيل الصنوا المثل و الصنوان الأمثال و منها

قوله ص عم الرجل صنوا أبيه

عن الجبائى «يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ» أى يسقى ما ذكرناه من القطع المتجاوره و الجنات و النخيل المختلفه بماء الأنهار أو بماء السماء «و يفضل بعضها على بعض فى الأكل» أى و يفضل الله و من قرأ بالنون فالمعنى نفضل نحن بعضها على بعض فى الطعم و اللون و الطبع مع أن البئر واحده و الشرب واحد و الجنس واحد حتى يكون بعضها حامضا و بعضها حلوا و بعضها مرا فلو كانت بالطبع لما اختلف ألوانها و طعومها مع كون الأرض و الماء و الهواء واحدا و فى هذا أوضح دلالة على أن لهذه الأشياء صناعا قادرا أحدثها و أبدعها و دبرها على ما تقتضيه حكمته و الأكل الثمر الذى يؤكل «إِنَّ فِي ذَلِكَ» أى فى اختلاف ألوانها و طعومها عن ابن عباس و قيل إن فيما تقدم ذكره «لآياتٍ» أى حججا و دلالات «لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» دلائل الله تعالى و يتفكرون فيها و يستدلون بها و

روى عن جابر قال: سمعت النبي ص يقول لعلى (عليه السلام) الناس من شجر شتى و أنا و أنت من شجره واحده ثم قرأ «وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَ جَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ» الآية.

ص: ٩

إشارة

وَإِنْ تَعَجَّبْتَ فَعَجَبْتَ قَوْلُهُمْ أِذَا كُنَّا تُرَابًا أَوْ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أَوْلِيكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأَوْلِيكَ الْآغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأَوْلِيكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٥) وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَدُوٌّ مَغْفِرٌ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ (٦) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (٧)

القراءة

قرأ أبو جعفر إذا كنا بغير استفهام إنا بهمزة واحدة مطولة وكذلك يفعل بكل استفهامين يجتمعان في القرآن يستفهم بالثاني و لا يستفهم بالأول إلا في سورة الصافات والواقعه و أما نافع و يعقوب و سهل فإنهم يستفهمون بالأول بهمزة واحدة غير مطولة و لا يستفهمون بالثاني إلا- في سورة النمل و العنكبوت إلا أن قالون عن نافع و زيدا عن يعقوب يمدان الهمزة مثل أبي جعفر و الكسائي أيضا يستفهم بالأول و لا يستفهم بالثاني إلا في سورة النمل غير أنه يهمز بهمزيين و ابن عامر مثل أبي جعفر لا يستفهم في إذا كل القرآن إلا في سورة الواقعه فإنه يستفهم في أ إذا و أ إنا جميعا بهمزيين همزتين بينهما مد آ إنا يهمز ثم يمد ثم يهمز على وزن عاعنا و لا يجمع بين استفهامين إلا هاهنا و في سورة النمل يستفهم أ إذا بهمزيين أ إنا بنونين و الكسائي مثله في هذا الموضع و أبو عمرو يستفهم فيهما جميعا و في جميع أشباههما بهمزة واحدة مطولة و ابن كثير يستفهم فيهما جميعا بهمزة واحدة غير مطولة و عاصم و حمزة و خلف يستفهمون فيهما بهمزيين همزتين كل القرآن و خالف ابن كثير و حفص عن عاصم في حرف واحد في العنكبوت و سندكره هناك إن شاء الله.

الحجة

قال أبو علي: من استفهم في الجملتين فموضع إذا نصب بفعل مضمر يدل على قوله «أَنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ» لأن هذا الكلام يدل على نبعث و نحشر فكأنه قال أ نبعث إذا كنا ترابا و من لم يدخل الاستفهام في الجملة الثانية كان موضع إذا أيضا نصبا بما دل عليه قوله «أَنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ» فكأنه قال أ نبعث إذا كنا ترابا و ما بعد أن في أنه لا يجوز أن يعمل فيما قبله بمنزلة الاستفهام فكما قدرت هذا الناصب لإذا مع الاستفهام لأن الاستفهام لا يعمل فيما قبله كذلك تقدره في أن لأن ما بعدها أيضا لا يعمل فيما قبلها و من قرأ إذا كنا من غير استفهام أ إنا ينبغي أن يكون على مضمر كما حل من تقدم على ذلك لأن ما بعد الاستفهام منقطع مما قبله.

اللغة

العجب و التعجب هجوم ما لا يعرف سببه على النفس و الغل طوق تشد به

اليد إلى العنق و الاستعجال طلب التعجيل بالأمر و التعجيل تقديم الأمر قبل وقته و السيئه خصله تسوء النفس و نقيضها الحسنه و هى خصله تسر النفس و المثالات العقوبات واحدها مثله بفتح الميم و ضم الثاء و من قال فى الواحد مثله بضم الميم و سكون الثاء قال فى الجمع مثلات بضميتين نحو غرفه و غرفات و قيل فى جمعها مثلات و مثلات أيضا قال الشاعر:

و لما رأونا باديا ركبانا على موطن لا يخلط الجد بالهزل

رووه بفتح الكاف فى ركبات.

المعنى

لما تقدم ذكر الأدله على أنه سبحانه قادر على الإنشاء و الإيعاده عقبه بالتعجب من تكذيبهم بالبعث و النشور فقال «وَ إِنْ تَعْجَبْ» يا محمد من قول هؤلاء الكفار فى إنكارهم البعث مع إقرارهم بابتداء خلق الخلق فقد وضعت التعجب موضعه لأن هذا قول عجب و معناه عجب للمخلوقين فإن معنى العجب فى صفات الله لا يجوز لأن العجب أن يشتبه عليه سر أمره فيستطرفه «فَعَجِبْتُ قَوْلَهُمْ» أى فقولهم عجب «أَ إِذَا كُنَّا تُرَابًا أَوْ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ» أى أبعث و نعاد بعد ما صرنا ترابا هذا مما لا يمكن و هذا منهم نهايه فى الأعجوبه فإن الماء إذا حصل فى الرحم استحال علقه ثم مضغه ثم لحما فإذا مات و دفن استحال ترابا فإذا جاز أن يتعلق الإنشاء بالاستحاله الأولى فلم لا يجوز تعلقه بالاستحاله الثانيه و سمي الله تعالى الإيعاده خلقا جديدا و اختلف المتكلمون فيما يصح عليه الإيعاده فقال بعضهم كلما يكون مقدورا للقديم سبحانه خاصه و يصح عليه البقاء يصح عليه الإيعاده و لا يصح الإيعاده على ما لا يقدر على جنسه غيره تعالى و هذا قول أبى على الجبائى و قال آخرون كلما كان مقدورا له و هو مما يبقى يصح عليه الإيعاده و هو قول أبى هاشم و من تابعه فعلى هذا يصح إيعاده أجزاء الحياه ثم اختلفوا فيما يجب إيعادته من الحى فقال أبو القاسم البلخى يعاد جميع أجزاء الشخص و قال أبو هاشم يعاد الأجزاء التى بها يتميز الحى من غيره و يعاد التأليف ثم رجع عن ذلك و قال تعاد الحياه مع البنيه و قال القاضى أبو الحسن تعاد البنيه و ما عدا ذلك يجوز فيه التبديل و هذا هو الأصح «أُولَئِكَ» المنكرون للبعث «الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ» أى جحدوا قدره الله تعالى على البعث «وَ أُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ» فى الآخره و قيل أراد به أغلال الكفر أى كفرهم أغلال فى أعناقهم «وَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» مضى تفسيره «وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ» أى يستعجلوك يا محمد هؤلاء المشركون «بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ» أى بالعذاب قبل الرحمه عن ابن عباس و مجاهد أى بالعقاب الذى توعدوا به على التكذيب قبل الثواب الذى وعدوا به على الإيمان و ذلك حين قالوا فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ

السَّمَاءِ وَقِيلَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ الَّذِي تُوَعِّدُهُمْ بِهِ قَبْلَ الْإِحْسَانِ بِالْإِنْظَارِ فَإِنْ أَنْظَرَ مِنْ وَجِبَ عَلَيْهِ الْعِقَابُ إِحْسَانٌ إِلَيْهِ كَمَا أَنْذَرَ مِنْ وَجِبَ عَلَيْهِ الدِّينَ وَ سَمَّاها سَيِّئَةً لِأَنَّها جِزَاءُ السَّيِّئَةِ «وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ» أَي مَضَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ «الْمَثَلَاتُ» أَي الْعُقُوبَاتُ الَّتِي يَقَعُ بِهَا الْإِعْتِبَارُ وَ هُوَ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْمَسْخِ وَالْخَسْفِ وَالْغُرُقِ وَ قَدْ سَلَكَ هَؤُلَاءُ طَرِيقَتَهُمْ فَكَيْفَ يَتَجَسَّرُونَ عَلَى اسْتَعْجَالِهَا وَ قِيلَ هِيَ الْعُقُوبَةُ الْفَاضِحَةُ الَّتِي تَسِيرُ بِهَا الْأَمْثَالُ وَ تَقْدِيرُهُ وَ قَدْ خَلَّتِ الْمَثَلَاتُ بِأَقْوَامٍ أَوْ خَلَا أَصْحَابُ الْمَثَلَاتِ فَحُذِفَ الْمُضَافُ «وَ إِنَّ رَبَّكَ لَمَعْدُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ» قَالَ الْمُرْتَضَى (رَه) فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى جَوَازِ الْمَغْفِرَةِ لِلْمُذْنِبِينَ مِنْ أَهْلِ الْقَبْلَةِ لِأَنَّهُ سَبَّحَانَهُ دَلَّنَا عَلَى أَنَّهُ يَغْفِرُ لَهُمْ مَعَ كَوْنِهِمْ ظَالِمِينَ لِأَنَّ قَوْلَهُ «عَلَى ظُلْمِهِمْ» إِشَارَةٌ إِلَى الْحَالِ الَّتِي يَكُونُونَ عَلَيْهَا ظَالِمِينَ وَ يَجْرَى ذَلِكَ مَجْرَى قَوْلِ الْقَائِلِ أَنَا أُوْدُ فُلَانًا عَلَى غَدْرِهِ وَ أَصْلُهُ عَلَى هَجْرِهِ «وَ إِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ» لَمَنْ اسْتَحَقَّهُ وَ

رَوَى عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيْبِ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ لَا عَفْوُ اللَّهِ وَ تَجَاوُزُهُ مَا هُنَا أَحَدًا الْعَيْشُ وَ لَوْ لَا وَعِيدُ اللَّهِ وَ عِقَابُهُ لَا تَكَلُّوا كُلَّ وَاحِدٍ

وَ تَلَا مَطْرَفٌ يَوْمًا هَذِهِ الْآيَةَ فَقَالَ لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ قَدْرَ رَحْمَةِ اللَّهِ وَ عَفْوِ اللَّهِ وَ تَجَاوُزِ اللَّهِ لَقَرَّتْ أَعْيُنُهُمْ وَ لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ قَدْرَ عَذَابِ اللَّهِ وَ بَأْسِ اللَّهِ وَ نِكَالِ اللَّهِ وَ نَقْمِ اللَّهِ مَا رَقَا لَهُمْ دَمْعٌ وَ لَا قَرَّتْ أَعْيُنُهُمْ بِشَيْءٍ «وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ» مِثْلَ النَّاقَةِ وَ الْعَصَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ قَالَ الزُّجَاجُ طَلَبُوا غَيْرَ الْآيَاتِ الَّتِي أَتَى بِهَا فَالْتَمَسُوا مِثْلَ آيَاتِ مُوسَى وَ عِيسَى فَأَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ وَ الْمَعْنَى أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ بَيْنَ سَوْءِ طَرِيقَتِهِمْ فِي اقْتِرَاحِ الْآيَاتِ كَمَا فِي قَوْلِهِ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنْجِرَ لَنَا مِنَ الْمَأْرُضِ يَنْبُوْعًا إِلَى قَوْلِهِ أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَ الْمَلَائِكَةِ قَبِيْلًا وَ كَمَا قَالُوا اجْعَلِ الصِّفَا لَنَا ذَهَبًا حَتَّى نَأْخُذَ مِنْهُ مَا نَشَاءُ وَ إِنَّمَا لَمْ يَظْهَرَ اللَّهُ تَعَالَى تِلْكَ الْآيَاتِ لِأَنَّهُ لَوْ أَجَابَ أَوْلِيَاءُكَ لِاقْتِرَاحِ قَوْمٍ آخَرُونَ آيَةَ أُخْرَى وَ كَذَلِكَ كُلُّ كَافِرٍ فَكَانَ يُؤَدِي إِلَى غَيْرِ نَهَائِهِ «إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» فِيهِ أَقْوَالٌ (أَحَدُهَا) أَنَّ مَعْنَاهُ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ أَي مَخُوفٌ وَ هَادٍ لِكُلِّ قَوْمٍ وَ لَيْسَ إِلَيْكَ أَنْزَالُ الْآيَاتِ عَنِ الْحَسَنِ وَ أَبِي الضُّحَى وَ عَكْرَمَةُ وَ الْجَبَائِثِيُّ وَ عَلَى هَذَا فَيَكُونُ أَنْتَ مُبْتَدَأٌ وَ مُنْذِرٌ خَبْرُهُ وَ هَادٍ عَطْفٌ عَلَى مُنْذِرٍ وَ فَصْلٌ بَيْنَ الْوَاوِ وَ الْمَعْطُوفِ بِالظَّرْفِ (وَ الثَّانِي) أَنَّ الْمُنْذِرَ هُوَ مُحَمَّدٌ وَ الْهَادِي هُوَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ وَ الضُّحَاكِ وَ مُجَاهِدٍ (وَ الثَّلَاثُ) أَنَّ مَعْنَاهُ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ يَا مُحَمَّدُ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ نَبِيٌّ يَهْدِيهِمْ وَ دَاعٍ يَرشُدُهُمْ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةِ أُخْرَى وَ قَتَادَةَ وَ الزُّجَاجَ وَ ابْنَ زَيْدٍ (وَ الرَّابِعُ) أَنَّ الْمُرَادَ بِالْهَادِي كُلَّ دَاعٍ إِلَى الْحَقِّ وَ فِي رِوَايَةِ أُخْرَى

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ الْآيَةُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا الْمُنْذِرُ وَ عَلَى الْهَادِي مِنْ بَعْدِي يَا عَلِيُّ بَكَ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ

وَ

رَوَى الْحَاكِمُ أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَكَانِيُّ فِي كِتَابِ شَوَاهِدِ التَّنْزِيلِ بِالإِسْنَادِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ ظَهْرٍ عَنْ أَبِيهِ

عن حكم بن جبير عن أبي بردة الأسلمي قال دعا رسول الله ص بالطهور و عنده على بن أبي طالب فأخذ رسول الله بيد على بعد ما تطهر فألزمها بصدره ثم قال إنما أنت منذر ثم ردها إلى صدر على ثم قال و لكل قوم هاد ثم قال إنك مناره الأنام و غايه الهدى و أمير القرى و أشهد على ذلك أنك كذلك

و على هذه الأقوال الثلاثة يكون هاد مبتدأ و لكل قوم خبره على قول سيوييه و يكون مرتفعا بالظرف على قول الأخفش.

[سورة الرعد (١٣): الآيات ٨ الى ١١]

إشارة

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَ مَا تَزْدَادُ وَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (٨) عَالِمٌ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ (٩) سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَرَ الْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ بِهِ وَ مَنْ هُوَ مُسِيخٌ خَفِيفٌ بِاللَّيْلِ وَ سَارِبٌ بِالنَّهَارِ (١٠) لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ (١١)

القراءة

فى الشواذ قراءة أبى البرهسم له معاقب من بين يديه و رقباء من خلفه يحفظونه بأمر الله و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) له معقبات من خلفه و رقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله

و

روى عن على (عليه السلام) و ابن عباس و عكرمه و زيد بن على يحفظونه بأمر الله.

الحجج

يجب أن يكون معاقب تكسير معقبه غير أنه لما حذف أحد القافين عوض منها الياء و قوله يحفظونه بأمر الله فمعناه يحفظونه مما يحاذره بأمر الله و المفعول هنا محذوف

قال ابن جنى و أما قراءه الجماعه «يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ» فتقديره له معقبات من أمر الله يحفظونه مما يخافه فمن على هذا مرفوعه الموضع لأنها صفة للمرفوع الذى هو معقبات و ليس هذا على معنى يحفظونه من أمر الله أن ينزل به لأنه لو كان كذلك لكانت منصوبه الموضع كقولك حفظت زيدا من الأسد و الذى ذكرته رأى أبى الحسن فإن قلت فهلا كان تقديره على يحفظونه من أمر الله بأمر الله و يستدل على إرادته الباء هنا بقراءه على (عليه السلام) يحفظونه بأمر الله و جاز أن يكون يحفظونه بأمر الله لأن هذه المصائب كلها فى علم الله و بإقداره فاعليها عليها فيكون هذا كقولك هربت من قضاء الله بقضاء الله قيل تأويل أبى الحسن اذهب فى الاعتداد عليهم و ذلك لأنه سبحانه و كل بهم من يحفظهم من حوادث الدهر و مخاوفه التى لا يعتد عليهم بتسليطها عليهم فهذا أسهل طريقا و أرسخ فى الاعتداد بالنعمة عليهم عرفا.

اللغة

الغيض ذهاب المائع فى جهه العمق و غاضت المياه نقصت و غيضته نقصته قال:

غيضن من عبراتهن و قلن لى ما ذا لقيت من الهوى و لقينا

المتعالى و العالى واحد و تعالى أى جل عن كل ثناء و قيل المتعالى المقتدر على وجه يستحيل أن يساويه غيره و السارب السارى الجارى بسرعه و السرب بفتح السين و الراء الماء السائل من المزاده قال ذو الرمه:

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلى مفريه سرب

و قيل السارب الذاهب فى الأرض و منه قول قيس بن الحطيم:

(إنى سربت و كنت غير سروب)

و يقال خلل سربه أى طريقه و المعقبات المتناوبات التى يخلف كل واحد منها صاحبه و يكون بدلا منه و أصل التعقيب أن يكون الشىء عقيب آخر و المعقب الطالب دينه مره بعد مره قال الشاعر:

حتى تهجر فى الرواح وهاجها طلب المعقب حقه المظلوم

و منه العقاب لأنه يستحق عقيب الجرم و العقاب لأنها تعقب الصيد تطلبه مره بعد مره و قيل إن واحد المعقبات معقب و الجمع معقبه و معقبات جمع الجمع كما قالوا رجالات عن الفراء.

الإعراب

ما فى قوله «ما تَحْمِلُ» و «ما تَغِيضُ» و «ما تَزْدَادُ» استفهاميه و موضعها نصب بالفعل الذى بعدها معناه أى شىء تحمل و الجملة معلقه بيلم قال الزجاج «سواءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَّ الْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ بِهِ» موضع من رفع بسواء و كذلك من الثانيه يرتفعان جميعا بسواء لأن سواء يطلب اثنين تقول سواء زيد و عمرو فى معنى ذو سواء لأن سواء مصدر فلا يجوز أن يرتفع ما بعده إلا على الحذف تقول عدل زيد و عمرو و المعنى ذو عدل زيد و عمرو لأن المصادر ليست بأسماء الفاعلين و إنما ترفع الأسماء أو صافها فإذا رفعتها المصادر فهى على الحذف كما قالت الخنساء.

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هى إقبال و إدبار

أى ذات إقبال و إدبار و كذلك زيد إقبال و إدبار و هذا مما كثر استعماله أعنى سواء فجرى مجرى أسماء الفاعلين و يجوز أن يرتفع على أن يكون فى موضع مستوى إلا- أن سيويه يستقبح ذلك لا يجيز مستو زيد و عمرو لأن أسماء الفاعلين عنده إذا كانت نكرة لا يبتدأ بها لضعفها عن الفعل فلا يبتدأ بها و يجريها مجرى الفعل.

المعنى

«اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى» أى يعلم ما فى بطن كل حامل من ذكر أو أنثى تام أو غير تام و يعلم لونه و صفاته «وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ» أى يعلم الوقت الذى تنقصه الأرحام من المده التى هى تسعه أشهر «وَمَا تَزْدَادُ» على ذلك عن أكثر المفسرين و قال الضحاك الغيض النقصان من الأجل و الزيادة ما يزداد على الأجل و ذلك أن النساء لا يلدن لأجل واحد و قيل يعنى بقوله «ما تَغِيضُ الْأَرْحَامُ» الولد الذى تأتى به المرأة لأقل من سته أشهر و ما تزداد الولد الذى تأتى به المرأة لأقصى مده الحمل عن الحسن و قيل معناه ما تنقص الأرحام من دم الحيض و هو انقطاع الحيض و ما تزداد بدم النفاس بعد الوضع عن ابن عباس بخلاف و ابن زيد «وَكُلُّ شَيْءٍ» أى و كل شىء من الرزق أو الأجل أو ما سبق ذكره من الحمل «عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ» أى بقدر واحد لا يجاوزه و لا يقصر عنه على ما توجه الحكمة «عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ» أى عالم بما غاب عن حس العباد و بما يشاهده العباد لا يغيب عنه

شئ و قيل عالم بالمعدوم و الموجود و الغيب هو المعدوم و قيل عالم السر و العلانيه عن الحسن و الأولي أن يحمل على العموم و يدخل في هاتين الكلمتين كل معلوم نبه سبحانه بذلك على أنه عالم بجميع المعلومات الموجودات منها و المعدومات منها «الكبير» و هو السيد الملك القادر على جميع الأشياء و قيل هو الذي كل شئ ء دونه لكمال صفاته و لكونه عالما لذاته قادرا لذاته حيا لذاته و قيل هو الذي كبر عن شبه المخلوقين «المُتَعَالِ» و هو الذي علا كل شئ ء بقدرته فلا يساويه قادر و قيل هو المنزه عما لا يجوز عليه في ذاته و فعله و عما يقوله المشركون «سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ بِهِ» معناه سواء عند الله و في علمه من أسر القول في نفسه و أخفاه و من أعلنه و أبداه و لم يضمه في نفسه «وَ مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَ سَارِبٌ بِالنَّهَارِ» أى و من هو مستتر متوار بالليل و من هو سالك في سره أى في مذهبه ماض في حوائجه بالنهار معناه أنه يرى ما أخفته ظلمه الليل كما يرى ما أظهره ضوء النهار بخلاف المخلوقين الذين يخفى عليهم الليل أحوال أهله و قال الحسن معناه و من هو مستتر بالليل و من هو مستتر بالنهار و صحح الزجاج هذا القول لأن العرب تقول انسرب الوحش إذا دخل في كناسه «لَهُ مُعَقَّبَاتٌ» اختلف في الضمير الذى فى له على وجوه (أحدها) أنه يعود إلى من فى قوله «مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ بِهِ» (و الآخر) أنه يعود إلى اسم الله تعالى و هو عالم الغيب و الشهاده (و ثالثها) أنه يعود إلى النبي ص فى قوله «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ» عن ابن زيد و اختلف فى المعقبات على أقوال (أحدها) أنها الملائكة يتعاقبون تعقب ملائكة الليل ملائكة النهار و ملائكة النهار ملائكة الليل و هم الحفظه يحفظون على العبد عمله عن الحسن و سعيد بن جبير و قتاده و مجاهد و الجبائى و قال الحسن

هم أربعة أملاك يجتمعون عند صلاة الفجر و هو معنى قوله إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا و قد روى ذلك عن أئمتنا (عليه السلام)

أيضا (و الثانى)

أنهم ملائكة يحفظونه من المهالك حتى ينتهوا به إلى المقادير فيحيلون بينه و بين المقادير عن على (عليه السلام)

و ابن عباس و قيل هم عشره أملاك على كل آدمى يحفظونه (و الثالث) أنهم الأمراء و الملوك فى الدنيا الذين يمنعون الناس عن المظالم و تكون لهم الأحراس و الشرط و المواكب يحفظونه عن عكرمه و الضحاك و روى أيضا عن ابن عباس و تقديره و من هو سارب بالنهار له أحراس و أعوان قدر أنهم يحرسونه و لم يتجه إحراسه من الله «مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَ مَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ» أى يطوفون به كما يطوف الموكل بالحفظه و قيل يحفظون ما تقدم من عمله و ما تأخر إلى أن يموت فيكتبونه عن الحسن و قيل يحفظونه من وجوه المهالك و المعاطب و من الجن و الإنس و الهوام و قال ابن عباس يحفظونه مما لم يقدر نزوله فإذا جاء المقدر بطل الحفظ و قيل من أمر الله أى بأمر الله عن الحسن و مجاهد و الجبائى و روى ذلك عن

ابن عباس و هذا كما يقال هذا الأمر بتدبير فلان و من تدبير فلان و قيل معناه يحفظونه عن خلق الله فتكون من بمعنى عن كما فى قوله وَ آمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ أَى عن خوف قال كعب: لو لا- أن الله وكل بكم ملائكه يذبون عنكم فى مطعمكم و مشربكم و عوراتكم لتخطفنكم الجن «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ» من النعمه و الحال الجميله «حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» من الطاعه فيعصون ربهم و يظلم بعضهم بعضا قال ابن عباس إذا أنعم الله على قوم فشكروها زادهم و إذا كفروها سلبهم إياها و إلى هذا المعنى

أشار أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله إذا أقبلت عليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقله الشكر

«وَ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا» أى عذابا و إنما سماه سوءا لأنه يسوء «فَلَا مَرَدَّ لَهُ» أى لا مدفع له و قيل معناه إذا أراد الله بقوم بلاء من مرض و سقم فلا مرد لبلائه «وَ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ» يلى أمرهم و يمنع العذاب عنهم.

النظم

اتصلت الآيه الأولى بقوله «وَ إِنْ تَعَجَبْ» الآيه فإنه احتجاج للبعث و المعنى أن من كان بهذه الصفه فى القدره و العلم فإنه يقدر على البعث و قيل إنها اتصلت بقوله «وَ يَسِّرْ تَعَجُّلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ» و قوله «لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةً مِنْ رَبِّهِ» يعنى أن من يعلم غوامض الأمور فهو أعلم بالمصالح و لو علم الصلاح فى إنزال العذاب أو الآيه لفعل عن البلخى و أبى مسلم و قوله «لَهُ مُعَقَّبَاتٌ» يتصل بقوله «وَ سَارِبٌ بِالنَّهَارِ» عن الجبائى و قيل يتصل بقوله «عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ» و «يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى» أى كما يعلمهم جعل عليهم حفظه يحفظونهم و قيل يتصل بقوله «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ» يعنى أنه (عليه السلام) محفوظ بالملائكه و اتصل قوله «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ» إلى آخره بقوله «وَ يَسِّرْ تَعَجُّلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ» [بالعذاب] يعنى أنه لا ينزل العذاب إلا بمن يعلم من جهتهم التغير حتى لو علم أن فيهم من يؤمن فى المستقبل أو يعقب مؤمنا لا ينزل العذاب و قيل بل اتصلت بالسارب بمعنى أنه إذا أتى بالمعصيه بطل به حفظه و حاق به عقابه و قيل بل هو على الإطلاق و العموم.

إشارة

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ السَّحَابَ الثَّقَالَ (١٢) وَيَسْبِغُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (١٣) لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كِبَاسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (١٤) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (١٥)

القراءة

في الشواذ قراءة الأعرج شديد المحال بفتح الميم وقراءة أبي مجلز بالغدو والإيصال.

الحجج

قال ابن جنى المحال مفعول من الحيله قال أبو زيد يقال ما له حيله ولا محاله فيكون تقديره شديد الحيله وتفسيره قوله سبحانه سَنَسِيخُ الْجِبَالَ تَدْرِيحًا وَمَنْ جِبَالُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وقوله وَمَكْرُوهًا وَمَكْرُوهًا وَمَكْرُوهًا وَمَكْرُوهًا والإيصال مصدر أصلنا أي دخلنا في وقت الأصيل ونحن موصلون.

اللغة

يقال أراه يريه إراءه وهو أن يجعله على صفة الرؤيه بإظهار المرثى له أو يجعله على صفة يرى والسحاب جمع سحابه ولذلك قال الثقال ولو قيل الثقل لجاز والصواعق جمع صاعقه وهي نار تسقط من السماء والرعد والبرق ذكرنا معناهما في أول البقره والمحال الأخذ بالعقاب هاهنا فقال ماحله ماحله ومحالا إذا قاواه حتى يتبين أيهما أشد ومحلته به محلا قال الأعشى:

فرع نبع يهتز في غصن المجد غزير الندى شديد المحال

والاستجابه والإجابه بمعنى غير أن في الاستجابه معنى الطلب قال

(فلم يستجبه عند ذاك مجيب)

والظلال جمع الظل وهو ستر الشخص ما بإزائه والظل الظليل وهو ستر الشمس اللازم وأما الفىء فهو الذى يرجع بعد ذهاب ضوئه ومنه الظله لسترها والآصال جمع أصل وأصل جمع أصل وهو جمع الجمع مأخوذ من الأصل فكأنه أصل الليل الذى ينشأ منه وهو ما بين العصر إلى مغرب الشمس وقد يقال فى جمعه أصائل قال أبو ذؤيب:

لعمري لأنت البيت أكرم أهله وأقعد فى أفنائه بالأصائل

خوفا وطمعا لا ينتصبان على الغرض لأن ما ينتصب لذلك يجب أن يكون فاعله و فاعل الفعل الأول واحدا و هاهنا الخائف و الطامع ليسا بالذى يرى البرق و هما فى قوله **يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَ طَمَعًا** ينتصبان على الغرض لأن الخائف و الطامع هناك هو الداعى فأعلمه فإنه جيد مفيد و المعنى هاهنا يخوفكم بما يريكم خوفا و يطمعكم طمعا فالمصدر وقع موقع الحال «**وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ**» جاز أن تكون هذه الواو واو الحال أى يصيب بها من يشاء فى حال جدالهم فى الله لأنه جاء فى التفسير أن رجلا جاء إلى النبى ص فجادله فقال يا محمد مم ربك أ من نحاس أم من حديد أم من لؤلؤ أم من ياقوت أم من ذهب أم من فضة فأرسل الله عليه صاعقه ذهب بقحفه و هو قول أنس بن مالك و مجاهد و يجوز أن يكون لما تمم الله أوصاف ما يدل على توحيده و قدرته قال بعد ذلك «**وَهُمْ يُجَادِلُونَ**» و الكاف من قوله «**كَبَّاسِطِ كَفَيْهِ**» يتعلق بصفه مصدر تقديره إلا استجابته كائنه كاستجابته باسط كفيه إلى الماء هذا إذا كان الكاف حرفا و إذا كان اسما محضا فالتقدير إلا استجابته مثل استجابته باسط كفيه إلى الماء فلا يكون فى الكاف ضمير أى كما يستجيب الماء باسط كفيه إليه و اللام فى قوله «**لِيُبَلِّغَ فَاةً**» يتعلق باسط كفيه «**وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ**» أى ما الماء ببالغ فاه و قيل ما فوه ببالغ الماء و قيل ما باسط كفيه إلى الماء ببالغ الماء و طوعا و كرها مصدران وضعا موضع الحال.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن كمال قدرته فقال «**هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبُرْقَ خَوْفًا وَ طَمَعًا**» أى تخويفا و إطماعا فأقام الخوف و الطمع مقام التخويف و الإطماع و ذكر فيه وجوه (أحدها) أن المعنى خوفا من الصواعق التى يكون معها و طمعا فى الغيث الذى يزيل القحط عن الحسن و أبى مسلم (و الثانى) خوفا للمسافر من أن يضل الطريق فلا يمكنه المسير و طمعا للمقيم فى نمو الزرع و الخير الكثير عن قتاده و الضحاك و الجبائى (الثالث) خوفا لمن يخاف ضر المطر لأنه ليس كل بلد ينتفع فيه بالمطر و طمعا لمن يرجو الانتفاع به عن الزجاج «**وَ يُنْشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ**» أى و يخلق السحاب الثقال بالماء يرفعها من الأرض فيجريها فى الجو «**وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ**» تسبيح الرعد دلالة على تنزيه الله تعالى و وجوب حمده فكأنه هو المسبح و قيل إن الرعد هو الملك الذى يسوق السحاب و يزرجه بصوته و هو يسبح الله تعالى و يحمده و

روى عن النبى ص أنه قال إن ربكم سبحانه يقول لو أن عبادى أطاعونى لأسقيتهم المطر بالليل و أطلعت عليهم الشمس بالنهار و لم أسمعهم صوت الرعد و كان ص إذا سمع صوت الرعد قال سبحان من يسبح الرعد بحمده

و كان ابن عباس يقول

روى سالم بن عبد الله عن أبيه قال كان رسول الله ص إذا سمع الرعد و الصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك و لا تهلكنا بعذابك و عافنا قبل ذلك

و قال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان الذى يسبح الرعد بحمده و الملائكة من خيفته و هو على كل شىء قدير فإن أصابته صاعقه فعلى ديته «وَأَلْمَلَيْتُكَ مِنْ خَيْفَتِهِ» أى و يسبح الملائكة من خيفه الله تعالى و خشيته قال ابن عباس إنهم خائفون من الله تعالى ليس كخوف ابن آدم لا يعرف أحدهم من على يمينه و من على يساره و لا يشغله عن عباده الله طعام و لا شراب و لا شىء «وَأُزِيلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ» و يصرفها عن من يشاء إلا أنه حذف و

روى عن أبى جعفر الباقر أن الصواعق تصيب المسلم و غير المسلم و لا تصيب ذاكرا

«وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ» يعنى أن هؤلاء الجهال مع مشاهدتهم لهذه الآيات يخاصمون أهل التوحيد و يحاولون قتلهم عن مذاهبهم بجدهم لأن معنى الجدال قتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج

روى الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس أنه عنى بذلك أربد بن قيس أخا لبيد بن ربيعة العامري لأمه و عامر بن طفيل و ذلك أنهما أتيا النبي ص يجادلانه و يريدان الفتك به و كان عامر أوصى إلى أربد إذا رأيتنى أكلمه فدر من خلفه فاضربه بالسيف فجعل عامر يخاصم رسول الله ص و يراجعه الكلام فدار أربد خلف رسول الله ص ليضربه فاخترط من سيفه شبرا ثم حبسه الله عنه فلم يقدر على سله و جعل عامر يؤمى إليه فالتفت رسول الله ص فرأى أربدا و ما يصنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فأرسل الله على أربد صاعقه فى يوم صاح صائف فأحرقته و ولى عامر هاربا و قال يا محمد دعوت ربك فقتل أربدا و الله لأملأنها عليك خيلا- جردا و فتيانا مردا و لأربطن بكل نخله فرسا فقال ص الله يمنعك من ذلك فنزل بيت امرأه من سلول و خرج على ركبته فى الوقت غده عظيمه فكان يقول غده كغده البعير و موت فى بيت سلوليه حتى قتله و فى ذلك يقول لبيد بن ربيعة يرثى أخاه أربدا:

أخشى على أربد الحتوف و لا أرهب نوء السماك و الأسد

فجعنى البرق و الصواعق بالفارس يوم الكريهه النجد

«وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ» أى شديد الأخذ عن على (عليه السلام)

و قيل شديد القوه عن قتاده و مجاهد و قيل شديد النقمه عن الحسن و قيل شديد القدره و العذاب عن الزجاج و قيل شديد الكيد للكفار عن الجبائى «لَهُ دَعْوَةٌ الْحَقُّ» أى لله سبحانه دعوه الحق و اختلف فى معنى

دعوه الحق على أقوال (أحدها) أنها كلمه الإخلاص شهاده أن لا إله إلا الله عن ابن عباس و قتاده و ابن زيد (و الثانى) أن الله تعالى هو الحق فدعاؤه دعوه الحق و من دعاه دعا الحق عن الحسن (و الثالث) أنها الدعوه التى يدعى بها الله على إخلاص التوحيد عن الجبائى و المعنى أن من دعاه على جهه الإخلاص فهو يجيبه فله سبحانه من خلقه دعوه الحق «و الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ» أى و الذين يدعوههم المشركون من دون الله لحاجاتهم من الأوثان و غيرها «لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَ مَا هُوَ بِبَالِغِهِ» هذا مثل ضربه الله لكل من عبد غير الله و دعاه رجاء أن ينفعه يقول إن مثله كمثل رجل بسط كفيه إلى الماء من مكان بعيد ليتناوله و يسكن به غلته و ذلك الماء لا يبلغ فاه لبعده المسافه بينهما فكذلك ما كان يعبده المشركون من الأصنام لا يصل نفعها إليهم و لا يستجيب دعاءهم عن ابن عباس و قيل كباسط كفيه إلى الماء أى كالذى يدعى الماء بلسانه و يشير إليه بيده فلا يأتيه الماء عن مجاهد و قيل كالذى يبسط كفيه إلى الماء ليلبغ فمات قبل أن يبلغ الماء فاه عن الحسن و قيل إنه تمثيل العرب لمن يسعى فيما لا يدركه فيقول هو كالقابض على الماء عن أبى عبيده و البلخى و أبى مسلم قال الشاعر:

فأصبحت مما كان بينى و بينها من الود مثل القابض الماء باليد

و قال الآخر

فإنى و إياكم و شوقا إليكم كقابض ماء لم تسعه أنامله

«وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ» أى ليس دعاءهم الأصنام من دون الله إلا فى ذهاب عن الحق و الصواب و قيل فى ضلال عن طريق الإجابة و النفع ثم بين سبحانه كمال قدرته و سعه مملكته فقال «وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» يعنى الملائكه و سائر المكلفين «طَوْعاً وَ كَرْهاً» اختلف فى معناه على قولين (أحدهما) أن معناه أنه يجب السجود لله تعالى إلا أن المؤمن يسجد له طوعاً و الكافر يسجد له كرهاً بالسيف عن الحسن و قتاده و ابن زيد (و الثانى) أن المعنى و لله يخضع من فى السماوات و الأرض إلا- أن المؤمن يخضع له طوعاً و الكافر يخضع له كرهاً لأنه لا يمكنه أن يمتنع من الخضوع لله لما يحل به من الآلام و الأسقام عن الجبائى «وَضَلَالُهُمْ» أى و يسجد ظلالمهم لله «بِالْعُدُوِّ وَ الْأَصَالِ» أى العشيات قيل إن المراد بالظل الشخص فإن من يسجد يسجد ظلله معه قال الحسن يسجد ظل الكافر و لا يسجد الكافر و معناه عند أهل التحقيق أنه يسجد شخصه دون قلبه لأنه لا يريد بسجوده عباده ربه من حيث إنه يسجد للخوف و قيل إن الظلال على ظاهرها و المعنى فى

سجودها تمايلها من جانب إلى جانب و انقيادها بالتسخير بالطول و القصر.

[سوره الرعد (١٣): آيه ١٦]

اشاره

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَ فَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَ
الْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَ النُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ الْوَاحِدُ
الْقَهَّارُ (١٦)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير حفص أم هل يستوى الظلمات بالياء و الباقون بالتاء.

الحجه

من قرأ بالتاء فإنه مسند إلى مؤنث لم يفصل بينه و بين فاعله بشىء كقوله وَ قَالَتِ الْيَهُودُ وَ قَالَتِ الْأَعْرَابُ وَ قد جاء فى مثل ذلك التذكير كقوله وَ قَالَ نِسْوَةٌ وَ من قرأ بالياء فإنه مؤنث غير حقيقى.

المعنى

لما بين سبحانه فى الآيه الأولى أنه المستحق للعباده و أن له من فى السماوات و الأرض عقبه بما يجرى مجرى الحجه على ذلك فقال «قُلْ» يا محمد لهؤلاء الكفار «مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى من مدبرهما و مصرفهما على ما فيهما من البدائع فإذا استعجم عليهم الجواب و لا يمكنهم أن يقولوا الأصنام ف «قُلْ» أنت لهم رب السماوات و الأرض و ما بينهما من أنواع الحيوان و النباتات و الجماد «اللَّهُ» فإذا أقروا بذلك «قُلْ» لهم على وجه التبكيه و التوبيخ لفعالهم «أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ» توجهون عبادتكم إليهم فالصوره الاستفهام و المراد به التقرير ثم بين أن هؤلاء الذين اتخذوهم من دونه أولياء «لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا» و من لا يملك لنفسه ذلك فالأولى و الأخرى أن لا يملك لغيره و من كان كذلك فكيف يستحق العباده و إذا قيل كيف يكون هو السائل و المجيب و الملزم بقوله «قُلْ أَ فَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ» فالجواب أنه إذا كان القصد بالحجاج ما بينه من بعد من بعد لم يمتنع ذلك فكأنه قال الله الخالق فلما ذا اتخذتم من دون الله أولياء لأن الأمر

الظاهر الذى لا- يجب الخصم إلا به لا يمتنع أن يبادر السائل إلى ذكره ثم يورد الكلام عليه تفاديا من التطويل و يكون تقدير الكلام أ ليس الله رب السماوات و الأرض فلم اتخذتم من دونه أولياء ثم ضرب لهم سبحانه مثلا بعد إلزام الحجة فقال «قُلْ هَلْ يَشِيْتَوَى الْأَعْمَى وَ الْبَصِيرُ» أى كما لا يستوى الأعمى و البصير كذلك لا يستوى المؤمن و الكافر لأن المؤمن يعمل على بصيره و يعبد الله الذى يملك النفع و الضر و الكافر يعمل على عمى و يعبد من لا يملك النفع و الضر ثم زاد فى الإيضاح فقال «أَمْ هَلْ تَشِيْتَوَى الظُّلُمَاتُ وَ النُّورُ» أى هل يستوى الكفر و الإيمان أو الضلالة و الهدى أو الجهل و العلم «أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ» أى هل جعل هؤلاء الكفار لله شركاء فى العبادة خلقوا أفعالا- مثل خلق الله تعالى من الأجسام و الألوان و الطعوم و الأراييح و القدره و الحياه و غير ذلك من الأفعال التى يختص سبحانه بالقدره عليها «فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ» أى فاشتبه لذلك عليهم ما الذى خلق الله و ما الذى خلق الأوثان فظنوا أن الأوثان تستحق العبادة لأن أفعالها مثل أفعال الله فإذا لم يكن ذلك مشتبهها إذ كان ذلك كله لله تعالى لم يبق شبهه أنه الإله لا يستحق العبادة سواه ف «قُلْ» لهم «اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ» يستحق به العبادة من أصول النعم و فروعها «وَ هُوَ الْوَاحِدُ» و معناه أنه يستحق من الصفات ما لا يستحقه غيره فهو قديم لذاته قادر لذاته عالم لذاته حتى لذاته غنى لا مثل له و لا شبه و قيل الواحد هو الذى لا يتجزأ و لا يتبعض و قيل هو الواحد فى الإلهيه لا ثانى له فى القدم «الْقَهَّارُ» الذى يقهر كل قادر سواه و لا يمتنع عليه شىء و استدلت المجبره بقوله الله تعالى خالق كل شىء على أن أفعال العباد مخلوقه لله لأن ظاهر العموم يقتضى دخول أفعال العباد فيه و بقوله «أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ» قالوا لأنه أنكر أن يكون خالق خلق كخلقه و أجيب عن ذلك بأن الآيه وردت حجه على الكفار إذ لو كان المراد ما قالوا لكان فيها لهم على الله لأنه إذا كان الخالق لعبادتهم الأصنام هو الله فلا يتوجه التوييح إلى الكفار و لا يلحقهم اللوم بذلك بل يكون لهم أن يقولوا إنك خلقت فينا ذلك فلم توبخنا على فعل فعلته فينا فيبطل حينئذ فائده الآيه و أيضا فإن أكثر أصحابنا لا يطلقون على غيره سبحانه أنه يخلق أصلا فضلا عن أن يقولوا إنه يخلق كخلق الله و لكن يقولون إن العباد يفعلون و يحدثون و معنى الخلق عندهم ال-اختراع و لا يقدر العباد عليه و من جوز منهم إطلاق لفظ الخلق فى أفعال العباد فإنه يقول إنه سبحانه إنما نفى أن يكون أحد يخلق مثل خلقه و نحن لا نقول ذلك لأن خلق الله اختراع و إبداع و أفعال غيره مفعوله فى محل القدره عليها مباشرة أو متولدا فى الغير بسبب حال فى محل القدره و لا يقدر على اختراع الأفعال فى الغير على وجه من الوجوه إلا الله سبحانه الذى أبداع السماوات و الأرض

و ما فيهما و ينشئ الأجناس من الأعراض التي لا يقدر عليها غيره فكيف يشبه الخلق مع هذا التمييز الظاهر على أن عندهم كل حركه هي كسب للعبد و فعل لله تعالى و لا يتميز فقد حصل التشابه هنا و نحن نقول إن أحدنا يفعل بقدره محدثه يفعلها الله تعالى فيه و الله يفعل لكونه قادرا لذاته فالفرق و التمييز ظاهر فعلمنا أن المراد بقوله «خالق كل شئ ء» ما قدمناه من أنه خالق كل شئ ء يستحق لخلقه العباده.

[سوره الرعد (١٣): الآيات ١٧ الى ١٨]

اشاره

أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلِيِّهِ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ
كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
(١٧) لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ
الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٨)

القراءه

قرأ أهل الكوفه إلا أبا بكر «يُوقِدُونَ» بالياء و الباقون بالتاء.

الحجه

قال أبو على من قرأ بالتاء فلما قبله من الخطاب و هو قوله «قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ» و يجوز أن يكون خطابا عاما يراد به الكافه كان المعنى و مما توقدون عليه أيها الموقدون زيد مثل زيد الماء الذي يحمله السيل و من قرأ بالياء فلأن ذكر الغيبه قد تقدم في قوله «أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ» و يجوز أن يراد به جميع الناس و يقوى ذلك قوله «وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ» فكما أن الناس يعم المؤمنين و الكافرين كذلك الضمير في يوقدون و قال «وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ» فجعل الظرف متعلقا بيوقدون لأنه قد يوقد على ما ليس في النار كقوله فَأَوْقَدُ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطَّيْنِ فهذا إيقاد يقال على ما ليس في النار و إن كان يلحقه وهجها و لهبها.

الوادي سفح الجبل العظيم المنخفض الذي يجتمع فيه ماء المطر و منه اشتقاق الديه لأنه جمع المال العظيم الذي يؤدي عن القليل و القدر اقتران الشئ بغيره من غير زياده و لا- نقصان و الوزن يزيد و ينقص فإذا كان مساويا فهو القدر و قرأ الحسن بقدرها بسكون الدال و هما لغتان يقال أعطى قدر شبر و قدر شبر و المصدر بالتخفيف لا غير و هم يختصمون في القدر معا بالسكون و الحركة قال:

ألا يا لقوم للنوائب و القدر و للأمر يأتي المرء من حيث لا يدري

و الاحتمال رفع الشئ على الظهر بقوه الحامل له و يقال علا صوته على فلان فاحتمله و لم يغضبه و الزبد و ضر الغليان و هو خبث الغليان و منه زبد القدر و زبد السيل و الجفاء ممدود مثل الغناء و أصله الهمز يقال جفا الوادي جفاء قال أبو زيد: يقال جفأت الرجل إذا صرعته و أجفأت القدر بزبدها إذا ألقيت زبدها عنها قال الفراء: كل شئ ينضم بعضه إلى بعض فإنه يجى على فعال مثل الحطام و القماش و الغناء و الجفاء و الإيقاد إلقاء الحطب في النار و استوقدت النار و اتقدت و توقدت و المتاع ما تمتعت به و المكث الكون في المكان على مرور الزمان يقال مكث و مكث و تمكث أى تلبث.

الإعراب

قال جامع العلوم البصير قوله «في النَّارِ» متعلق بمحذوف في موضع الحال من الضمير المجرور بقوله «عَلَيْهِ» أى و مما توقدون عليه ثابتا في النار «ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ» أى مبتغين حليه فهو مصدر في موضع الحال من الضمير في يوقدون و لا يجوز أن يكون قوله «في النَّارِ» من صله يوقدون لأن المعنى ليس على ذلك فالمعنى أنهم يوقدون على الذهب في حال كونه في النار فافهمه من كلام أبي على و لم يهتد إليه غيره و قوله «زَبَدٌ» مبتدأ و مثله نعت له و الظرف الذي هو قوله «مِمَّا يُوقَدُونَ» خبره على قول سيبويه و هو مرتفع بالظرف على قول الأخفش و موضع جفاء نصب على الحال أى يذهب على هذه الحالة قال الشاعر

إذا أكلت سمكا و فرضا ذهب طولا و ذهب عرضا

أى ذهب على هذه الحالة و الفرض نوع من التمر.

المعنى

ثم ضرب سبحانه مثلين للحق و الباطل (أحدهما) الماء و ما يعلوه من الزبد (و الآخر) ما توقد عليه النار من الذهب و الفضة و غيرهما و ما يعلوه من الزبد على ما رتبته فقال «أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» أى مطرا «فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا» يعنى فاحتمل الأنهار الماء كل نهر بقدره الصغير على قدر صغره و الكبير على قدر كبره فسالت كل نهر بقدره عن

الحسن و قتاده و الجبائي و قيل بقدرها بما قدر لها من مائها عن الزجاج «فَاخْتَمَلَ السَّيْلُ زَبْدًا رَابِيًا» أى طافيا عاليا فوق الماء شبه سبحانه الحق و الإسلام بالماء الصافى النافع للخلق و الباطل بالزبد الذاهب باطلا و قيل إنه مثل القرآن النازل من السماء ثم تحتل القلوب حظها من اليقين و الشك على قدرها فالماء مثل اليقين و الزبد مثل الشك عن ابن عباس ثم ذكر المثل الآخر فقال «وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ» و هو الذهب و الفضة و الرصاص و غيره مما يذاب «ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ» أى طلب زينه يتخذ منه كالذهب و الفضة «أَوْ مَتَاعٍ» معناه أو ابتغاء متاع ينتفع به و هو مثل جواهر الأرض يتخذ منها الأواني و غيرها «زَيْدٌ مِثْلُهُ» أى مثل زيد الماء فإن هذه الأشياء التى تستخرج من المعادن و توقد عليها النار لتمييز الخالص من الخبيث لها أيضا زيد و هو خبثها «كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَ الْبَاطِلَ» أى مثل الحق و الباطل و ضرب المثل تسييره فى البلاد حتى يتمثل به فى الناس «فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً» أى باطلا- متفرقا بحيث لا- ينتفع به «وَ أَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ» هو الماء الصافى و الأعيان التى ينتفع لها «فَيَمُكُّهُ فِي الْأَرْضِ» فينتفع به الناس فمثل المؤمن و اعتقاده كمثل هذا الماء المنتفع به فى نبات الأرض و حياه كل شىء به و كمثل نفع الذهب و الفضة و سائر الأعيان المنتفع بها و مثل الكافر و كفره كمثل هذا الزبد الذى يذهب جفاء و كمثل خبث الحديد و ما تخرجه النار من وسخ الذهب و الفضة الذى لا ينتفع به «كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ» للناس فى أمر دينهم قال قتاده هذه ثلاثه أمثال ضربها الله تعالى فى مثل واحد شبه نزول القرآن بالماء الذى ينزل من السماء و شبه القلوب بالأوديه و الأنهار فمن استقصى فى تدبره و تفكر فى معانيه أخذ حظا عظيما منه كالنهر الكبير الذى يأخذ الماء الكثير و من رضى بها أداه إلى التصديق بالحق على الجملة كان أقل خطأ منه كالنهر الصغير فهذا مثل ثم شبه الخطوات و وساوس الشيطان بالزبد يعلو على الماء و ذلك من خبث التربه لا- عين الماء كذلك ما يقع فى النفس من الشكوك فمن ذاتها لا من ذات الحق يقول فكما يذهب الزبد باطلا و يبقى صفوه الماء كذلك يذهب مخايل الشك هباء باطلا و يبقى الحق فهذا مثل ثان و المثل الثالث قوله «وَ مِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ» إلى آخره فالكفر مثل هذا الخبث الذى لا ينتفع به و الإيمان مثل الماء الصافى الذى ينتفع به و تم الكلام عند قوله «يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ» ثم استأنف بقوله «لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى» عن الحسن و البلخى و قيل بل يتصل بما قبله لأن معناه أن الذى يبقى مثل الذين استجابوا لربهم و الذى يذهب جفاء مثل الذى لا يستجيب و المراد به للذين استجابوا دعوه الله و آمنوا به و أطاعوه الحسنى و هى الجنة عن الحسن و الجبائي و قيل معناه الخصلة الحسنى و حاله الحسنى و هى صفة الثواب و الجنة أيضا عن أبى مسلم «وَ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ» أى لله فلم يؤمنوا به «لَوْ

أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتِدَاؤًا بِهِ» أى جعلوا ذلك فديته أنفسهم من العذاب لم يقبل ذلك منهم «أولئك لهم سوء الحساب» قيل فيه أقوال (أحدها) أن سوء الحساب أخذهم بذنوبهم كلها من دون أن يغفر لهم شىء منها عن إبراهيم النخعي و يؤيد ذلك

ما جاء فى الحديث و من نوقش الحساب عذب

فيكون سوء الحساب المناقشه (و الثانى) هو أن يحاسبوا للتقريع و التوبيخ فإن الكافر يحاسب على هذا الوجه و المؤمن يحاسب ليسر بما أعد الله تعالى له عن الجبائى (و الثالث)

هو أن لا يقبل لهم حسنه و لا يغفر لهم سيئه عن الزجاج و روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام)

(و الرابع) أن سوء الحساب هو سوء الجزاء فسمى الجزاء حسابا لأن فيه إعطاء المستحق حقه «و ماؤهم جهنم» أى مصيرهم إلى جهنم «و بنس المهاد» أى و بنس ما مهدوا لأنفسهم و المهاد الفراش الذى يوطأ لصاحبه و تسمى النار مهادا لأنها موضع المهاد لهم.

[سوره الرعد (١٣): الآيات ١٩ الى ٢٤]

إشارة

أَقَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٩) الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَ لَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَ الَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يَخْشُونَ رَبَّهُمْ وَ يَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَ الَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَ عَلَانِيَةً وَ يَدْرُونَ بِالْحَسَنَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَ مَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَ أَزْوَاجِهِمْ وَ ذُرِّيَّتِهِمْ وَ الْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣)

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤)

اللغة

الألباب العقول و لب الشىء أجل ما فيه و أخلصه و أجوده و لب الإنسان عقله لأنه أجل ما فيه و لب الخلة قلبها و الميثاق العهد الواقع على إحكام و الوصل ضم الثانى إلى

ص: ٢٧

الأول من غير فاصله و الخوف و الخشيہ و الفرع نظائر و هو انزعاج النفس بما لا يأمن منه من الضرر و السوء و ورود ما يشق على النفس و الحساب إحصاء ما على العامل و له و هو هاهنا إحصاء ما على المجازى و له و السر هو إخفاء المعنى فى النفس و منه السرور لأنه لذه تحصل للنفس و منه السرير لأنه مجلس سرور و الدرء الدفع و العدن الإقامة الطويله و عدن بالمكان يعدن عدنا و منه المعدن و الصلاح استقامه الحال و المصلح من فعل الصلاح الذى يدعو إليه العقل و الشرع و الصالح المستقيم الحال فى نفسه و العقبى فعلى من العاقبه و هو الانتهاء الذى يؤدى إليه الابتداء من خير أو شر.

الإعراب

موضع الذين يوفون رفع لأنه صفة لقوله أولوا الألباب و قيل إنه صفة لمن يعلم و ابتغاء نصب لأنه مفعول له و جنات عدن بدل من عقبى و من صلح موضعه رفع عطفًا على الواو فى قوله «يَدْخُلُونَهَا» و جائز أن يكون نصبا بأنه مفعول معه كما تقول قد دخلوا و زيدا أى مع زيد و الباء فى قوله «بِمَا صَبَرْتُمْ» يتعلق بمعنى سلام لأنه دل على السلامه لكم بما صبرتم و يحتمل أن يتعلق بمحذوف على تقدير هذه الكرامه لكم بما صبرتم و ما فى قوله «بِمَا صَبَرْتُمْ» مصدرية تقديره بصبركم و قيل إنه بمعنى الذى كأنه قال بالذى صبرتم على فعل طاعاته و تجنب معاصيه.

المعنى

ثم بين سبحانه الفرق بين المؤمن و الكافر فقال «أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ» يا محمد «مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى» عنه أخرج الكلام مخرج الاستفهام و المراد به الإنكار أى لا يكونان مستويين فإن الفرق بينهما هو الفرق بين الأعمى و البصير لأن المؤمن يبصر ما فيه رشده فيتبعه و الكافر يتعمى عن الحق فيتبع ما فيه هلاكه «إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ» أى إنما يتفكر فيه و يستدل به ذوو العقول و المعرفه قال على بن عيسى و فى هذا حث على طلب العلم و إلزام له لأنه إذا كانت حال الجاهل كحال الأعمى و حال العالم كحال البصير و أمكن هذا الأعمى أن يستفيد بصرا فما الذى يقعه عن طلب العلم الذى يخرج عن حال العمى بالجهل إلى حال البصير «الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَ لَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ» أى يؤدون ما عهد الله إليه و ألزمهم إياه عقلا و سمعا فالعهد العقلى ما جعله فى عقولهم من اقتضاء صحه أمور و فساد أمور آخر كاقضاء الفعل للفاعل و إن الصنائع لا بد أن ترجع إلى صانع غير مصنوع و إلا- أدى إلى ما لا يتناهى و إن للعالم مدبرا لا يشبهه و العهد الشرعى ما أخذه النبى ص على المؤمنين من الميثاق المؤكد باليمين أن يطيعوه و لا- يعصوه و لا- يرجعوا عما التزموه من أوامر شرعه و نواهيه و إنما كرر ذكر الميثاق و إن دخل جميع الأوامر و النواهي فى لفظ العهد لثلا يظن ظان أن ذلك خاص فيما بين العبد و ربه فأخبر أن ما بينه و بين العباد من المواثيق كذلك فى الوجوب و لزوم و قيل إنه كرهه تأكيدا «وَ الَّذِينَ يَصِلُونَ مَا

أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ» قيل المراد به الإيمان بجميع الرسل و الكتب كما فى قوله «لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ» و قيل هو صله محمد و موازرتة و معاونتة و الجهاد معه عن الحسن و قيل هو صله الرحم عن ابن عباس و

روى أصحابنا أن أبا عبد الله (عليه السلام) لما حضرته الوفاة قال أعطوا الحسن بن الحسين بن على بن الحسين و هو الأفتس سبعين دينارا فقالت له أم ولد له أ تعطى رجلا حمل عليك بالشفرة فقال لها ويحك أ ما تقرئين قوله تعالى «وَالَّذِينَ يَصِّمُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ» الآية

و قيل هو ما يلزم من صله المؤمنين بأن يتولاهم و ينصروهم و يذبوا عنهم و يدخل فيه صله الرحم و غير ذلك عن الجبائى و أبى مسلم و

روى جابر عن أبى جعفر (عليه السلام) قال قال رسول الله ص بر الوالدين و صله الرحم يهونان الحساب ثم تلا هذه الآية

روى محمد بن الفضيل عن موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) فى هذه الآية قال صله آل محمد ص معلقه بالعرش تقول اللهم صل من وصلنى و اقطع من قطعنى و هى تجرى فى كل رحم

و

روى الوليد بن أبان عن أبى الحسن الرضا (عليه السلام) قال قلت له هل على الرجل فى ماله سوى الزكاة قال نعم أين ما قال الله «وَالَّذِينَ يَصِّمُونَ» الآية

«وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ» أى و يخافون عقاب ربهم فى قطعها «وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ» قد بينا ما قيل فيه و

روى هشام بن سالم عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال سوء الحساب أن يحسب عليهم السيئات و لا يحسب لهم الحسنات و هو الاستعصاء

و

روى حماد بن عثمان عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال لرجل يا فلان ما لك و لأخيك قلت جعلت فداك لى عليه شىء فاستقصيت حقى عنه قال أبو عبد الله (عليه السلام) أخبرنى عن قول الله سبحانه «وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ» أ تراهم خافوا أن يجور عليهم أو يظلمهم لا و الله و لكن خافوا الاستقصاء و المداقه

«وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ» أى الذين صبروا على القيام بما أوجه الله عليهم و على بلاء الله من الأمراض و العقوبه و غير ذلك و عن معاصى الله سبحانه لطلب ثواب الله تعالى لأن ابتغاء وجه الله هو ابتغاء الله و ابتغاء الله يكون ابتغاء ثوابه تقول العرب فى تعظيم الشىء هذا وجه الرأى و هذا نفس الرأى للرأى المعظم فكذلك وجه ربهم هو نفسه المعظم فلا شىء أعظم منه و لا شىء يساويه فى العظم و قيل إن ذكر الوجه هنا عبارته عن الإخلاص و ترك الرياء «وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ» أى أدوها بحدودها و قيل داموا على فعلها «وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً» أى ظاهرا و باطنا «وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ» أى يدفعون بفعل الطاعة

المعصية قال ابن عباس يدفعون بالعمل الصالح السيئ من العمل كما

روى عن النبي ص أنه قال لمعاذ بن جبل إذا عملت سيئه فاعمل بجنبها حسنه تمحها

وقيل معناه يدفعون إساءه من أساء إليهم بالإحسان و العفو و لا يكافئون كقوله سبحانه «ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ» عن قتاده و
ابن زيد و القتيبي قال الحسن إذا حرموا أعطوا و إذا

ص: ٢٩

ظلموا عفووا وإذا قطعوا وصلوا و قيل معناه يدفعون بالتوبه معره الذنب عن ابن كيسان «أُولَئِكَ» يعنى أن هؤلاء الذين هذه صفاتهم «لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ» أى ثواب الجنة فالدار الجنة و ثوابها عقباها التى هى العاقبه المحموده عن ابن عباس و الحسن ثم وصف الدار فقال «جَنَّاتٌ عَدْنٍ» أى بساتين إقامه تدوم و لا تفنى و قيل هى الدرجه العليا و سكانها الشهداء و الصديقون عن ابن عباس و قيل هى مدينه فى الجنة فيها الأنبياء و الأئمه و الشهداء عن الضحاك و قيل قصر من ذهب لا يدخله إلا نبى أو صديق أو شهيد أو حاكم عدل عن الحسن و عبد الله بن عمر ثم بين سبحانه ما يتكامل به سرورهم من اجتماع قومهم معهم فقال «يَدْخُلُونَهَا وَ مَنْ صَلَّحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَ أَزْوَاجِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ» أى أولادهم يعنى من آمن منهم و صدق بما صدقوا به و ذلك أن الله سبحانه جعل من ثواب المطيع سروره بما يراه فى أهله من إلحاقهم به فى الجنة كرامه له كما قال ألحقنا بهم ذريتهم عن ابن عباس و مجاهد «وَ الْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ» من أبواب الجنة الثمانيه و قيل من كل باب من أبواب البر كالصلاه و الزكاه و الصوم و قيل من أبواب قصورهم و بساتينهم بالتحية من الله سبحانه و التحف و الهدايا عن ابن عباس و يقولون «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ» و القول محذوف لدلاله الكلام عليه و السلام و التحيه و البشاره منهم بالسلامه و الكرامه و انتفاء كل أمر تشوبه مضره أى سلمكم الله من الأهوال و المكاره بصبركم على شدائد الدنيا و محنها فى طاعه الله تعالى «فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ» أى نعم عاقبه الدار ما أنتم فيه من الكرامه.

إشارة

وَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (۲۵) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ وَ فَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (۲۶) وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ (۲۷) الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (۲۸) الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَ حُسْنُ مَا بَ (۲۹)

اللغة

الإنباه الرجوع إلى الحق بالتوبه انتاب فلان القوم أتاهم مره بعد مره و يقال ناب ينوب نوبه إذا رجع مره بعد مره و طوبى فعلى من الطيب و هو تأنيث الأطيب و لم يغيروا طوبى بأن يقولوا طيبى كما قالوا ضيزى فقلبوا الواو ياء و الضمه كسره لأن طوبى اسم و ضيزى صفة فرقوا بين الاسم و الصفة.

الإعراب

«الَّذِينَ آمَنُوا» فى موضع نصب ردا على من. المعنى يهدى إليه الذين آمنوا و ألا- حرف تنبيه و ابتداء و حسن ما ب عطف على طوبى لأن طوبى فى موضع رفع.

المعنى

لما ذكر سبحانه الذين يوفون بعهد الله و وصفهم بالصفات التى يستحقون بها الجنه عقبه بذكر من هو على خلاف حالهم فقال «وَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ» قد ذكرنا معنى عهد الله و ميثاقه و صله ما أمر الله به أن يوصل «وَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ» بالدعاء إلى غير الله عن ابن عباس و قيل بقتال النبى ص و المؤمنين عن الحسن و قيل بالعمل فيها بمعاصى الله و الظلم لعباده و إخراج بلاده و هذا أعم «أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ» و هى الإبعاد من رحمه الله و التباعد من جنته «وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ» أى عذاب النار و الخلود فيها «اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ» أى يوسع الرزق على من يشاء من عباده بحسب ما يعلم من المصلحه و يضيقه على آخرين إذا كانت المصلحه فى التضييق «وَ فَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا» أى فرحوا بما أتوا من حطام الدنيا فرح البطر و نسوا فناءه و بقاء أمر الآخرة و تقديره و فرح الذين بسط لهم فى الرزق فى الحياه الدنيا «وَ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ» أى ليست هذه الحياه الدنيا بالإضافه إلى الحياه الآخرة إلا قليل ذاهب لأن هذه فانيه و تلك دائمه باقيه عن مجاهد و قيل إنه مذكور على وجه التعجب أى عجباً لهم أن فرحوا بالدنيا الفانيه و تركوا النعيم الدائم و الدنيا فى جنب الآخرة متاع لا خطر له و لا بقاء له مثل القدح و القصعه و القدر يتمتع به زماناً ثم ينكسر عن ابن عباس «وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ» أى هلا- أنزل على محمد معجزه من ربه يقترحها و يجوز أنهم لم يتفكروا فى الآيات المنزل فاعتقدوا أنه لم ينزل عليه آيه و لم يعتدوا بتلك الآيات فقالوا هذا القول جهلاً منهم بها «قُلْ» يا محمد «إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ» عن طريق

الجنة بسوء

ص: ٣١

أفعاله و عظم معاصيه و قد مضى القول فى وجوه الإضلال و الهدى فلا معنى لإعادته «وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ» أى رجع إليه بالطاعة «الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ» معناه الذين اعترفوا بتوحيد الله على جميع صفاته و نبوه نبيه و قبول ما جاء به من عند الله و تسكن قلوبهم بذكر الله و تأنس إليه و الذكر حصول المعنى للنفس و قد يسمى العلم ذكرا و القول الذى فيه المعنى الحاضر للنفس أيضا يسمى ذكرا و قد وصف الله المؤمن هاهنا بأنه يطمئن قلبه إلى ذكر الله و وصفه فى موضع آخر بأنه إذا ذكر الله وجل قلبه لأن المراد بالأول أنه يذكر ثوابه و إنعامه و آلاءه التى لا تحصى و أياديه التى لا تجازى فيسكن إليه و بالثانى أنه يذكر عقابه و انتقامه فيخافه و يوجل قلبه «أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» و هذا حث للعباد على تسكين القلب إلى ما وعد الله به من النعيم و الثواب و الطمأنينه إليه فإن وعده سبحانه صادق و لا شىء تطمئن النفس إليه أبلغ من الوعد الصادق و هو اعتراض وقع بين الكلامين إذا كان قوله «الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ» فى موضع رفع بالابتداء و يكون قوله «الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» بدلا منه و قوله «طُوبَى لَهُمْ وَ حَسُنَ مَا أَجَبَ» جملة فى موضع الرفع بأنه خبر المبتدأ و إذا كان الذين آمنوا الأول فى موضع نصب على ما تقدم ذكره فيكون «الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» مبتدأ مستأنفا و طوبى لهم خبره و معناه أن الذين يؤمنون بالله و يعلمون ما يجب عليهم من الطاعات «طُوبَى لَهُمْ» و فيه أقوال (أحدها) أن معناه فرح لهم و قره عين عن ابن عباس (و الثانى) غبطه لهم عن الضحاك (و الثالث) خير لهم و كرامه عن إبراهيم النخعى (و الرابع) الجنة لهم عن مجاهد (و الخامس) معناه العيش المطيب لهم عن الزجاج و الحال المستطابه لهم عن ابن الأنبارى لأنه فعلى من الطيب و قيل أطيّب الأشياء لهم و هو الجنة عن الجبائى (و السادس) هنيئا بطيب العيش لهم (السابع) حسنى لهم عن قتاده (الثامن) نعم ما لهم عن عكرمه (التاسع) طوبى لهم دوام الخير لهم (العاشر)

أن طوبى شجره فى الجنة أصلها فى دار النبى ص و فى دار كل مؤمن منها غصن عن عبيد بن عمير و وهب و أبى هريره و شهر بن حوشب و رواه عن أبى سعيد الخدرى مرفوعا و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام) قال لو أن راكبا مجدا سار فى ظلها مائه عام ما خرج منها و لو أن غرابا طار من أصلها ما بلغ أعلاها حتى يبيض هرما ألا فى هذا فارغبوا إن المؤمن نفسه منه فى شغل و الناس منه فى راحة إذا جن عليه الليل فرش وجهه و سجد لله يناجى الذى خلقه فى فكاك رقبته ألا فكهدا فكونوا

و

روى على بن إبراهيم عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن على بن رثاب عن أبى عبيده الحذاء عن أبى عبد الله (عليه السلام) كان رسول الله ص يكثر تقبيل فاطمه (عليه السلام) فأنكرت عليه بعض نسائه ذلك فقال ص إنه لما أسرى بى إلى السماء دخلت الجنة

و أدنانى جبرائيل (عليه السلام) من شجره طوبى و ناولنى منها تفاحه فأكلتها فحول الله ذلك فى ظهرى ماء فهبطت إلى الأرض و
واقعت خديجه فحملت بفاطمه فكلما اشتقت إلى الجنه قبلتها و ما قبلتها إلا وجدت رائحه شجره طوبى فهى حوراء إنسيه

و

روى الثعلبى بإسناده عن الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس قال طوبى شجره أصلها فى دار على (عليه السلام) فى الجنه و فى
دار كل مؤمن منها غصن و رواه أبو بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و

روى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده عن موسى بن جعفر (عليه السلام) عن أبيه عن آبائه (عليه السلام) قال سئل رسول
الله ص عن طوبى قال شجره أصلها فى دارى و فرعها على أهل الجنه ثم سئل عنها مره أخرى فقال فى دار على (عليه السلام)
فقيل فى ذلك فقال إن دارى و دار على فى الجنه بمكان واحد

«وَحُسْنُ مَا بَ» أى و لهم حسن ما ب أى مرجع.

النظم

وجه اتصال قوله «اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ» الآية بما قبله أنه بين أن نقضهم للعهد إنما كان لحب الرئاسة و المنافسه فى
الدنيا و زهدهم فى المنافسه و أخبر بأنه يبسط الرزق لمن يرى صلاحه فيه و يرزق مقدار الكفايه من علم أن صلاحه فيه ثم لما
ذكر سبحانه سوء عاقبه الكفار عقب ذلك بذكر ما اقترحوه من الآيات و ترك تفكرهم فيما أنزل من الآيات الخارقه للعادات
فقال «وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ» و لما استعجلوا العذاب بين سبحانه أنه يضل من يشاء أى يهلك من يشاء
معجلا و يؤخر عذاب من يشاء عن أبى مسلم قال و المراد بقوله «آيَةٌ» آيات العذاب و قيل إنهم لما اقترحوا الآيات بين أنهم إنما
لم يجابوا إلى ذلك لأن فى المعلوم أنهم لا يؤمنون و أنه يهلكهم.

ص: ٣٣

إشارة

كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّهٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ (٣٠) وَلَا تَأْتِي السَّمَاءُ بِجِبَالٍ أَوْ قَطَعَتْ بِهَا الْأَرْضُ أَوْ كَلَّمَ بِهَا الْمَوْتَى يَلِ اللَّهُ الْأَمْرَ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَتَّسِقِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصَِّبُهُمْ بِمَا صَدَّعُوا قَارِعَةً أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٣١)

القراءة

قرأ على و ابن عباس و على بن الحسين (عليه السلام) و زيد بن علي و جعفر بن محمد و ابن أبي مليكة و عكرمه و الجحدري و أبو يزيد المزني أ فلم يتبين و القراءة المشهورة «يَتَّسِقِ».

الحجج

قال ابن جنى: هذه القراءة فيها تفسير قوله «أَفَلَمْ يَتَّسِقِ الَّذِينَ آمَنُوا» و روى عن على بن عياش أنها لغة فخذ من النخع قال:

ألم يئأس الأقسام أنى أنا ابنه و إن كنت عن أرض العشيرة نائيا

و قال سحيم بن وثيل:

أقول لأهل الشعب إذ يأسرونى ألم يئأسوا أنى ابن فارس زهدم

و روى إذ ييسرونى أى يقسموننى أى ألم يعلموا قال و يشبه عندى أن يكون هذا أيضا راجعا إلى معنى اليأس و ذلك أن المتأمل للشئى ء المتطلب لعلمه ذاهب بفكره فى جهات تعرفه إياه فإذا ثبت نفسه على شئى ء اعتقده و أضرب عما سواه فلم ينصرف إليه كما ينصرف اليائس عن الشئى ء عنه و لا يلتفت إليه هذا طريق الصنعة فيها.

اللغة

المتاب التوبه تاب يتوب توبا و متابا و التوبه الفعله الواحده و التسيير تصيير الشئى ء بحيث يسير يقال سار يسير سيرا و سيره غيره و التقطيع تكثير القطع و القطع تفصيل المتصل و الحلول حصول الشئى ء فى الشئى ء كحصول العرض فى الجوهر و حصول الجوهر فى الوعاء و الأصل الأول و الثانى مشبه به و القارعه الشديده من شدائد الدهر و منه سميت القيامه قارعه و أصله من القرع و هو الضرب و مقارعه الأبطال ضرب بعضهم بعضا و قوارع القرآن الآيات التى من قرأها أمن من الشيطان كأنها تضرب الشياطين إذا

قرئت.

النزول

نزلت الآية الأولى في صلح الحديبيه حين أرادوا كتاب الصلح فقال رسول

ص: ٣٤

الله ص لعلی (علیه السلام) اکتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو و المشركون ما نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة يعنون مسيلمه الكذاب أکتب باسمك اللهم و هكذا كان أهل الجاهليه يكتبون ثم قال رسول الله ص اکتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال مشرکو قريش لئن كنت رسول الله ثم قاتلناک و صددناک لقد ظلمناک و لكن اکتب هذا ما صالح محمد بن عبد الله فقال أصحاب رسول الله ص دعنا نقاتلهم قال لا- و لكن اکتبوا كما يريدون فأنزل الله عز و جل «كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ الْآيَةَ

عن قتاده و مقاتل و ابن جريج و قيل نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي ص اسجدوا للرحمن قالوا و ما الرحمن عن الضحاك عن ابن عباس و نزلت الآيه الأخرى في نفر من مشرکی مکه منهم أبو جهل بن هشام و عبد الله بن أبي أميه المخزومي جلسوا خلف الكعبه ثم أرسلوا إلى النبي ص فأتاهم فقال له عبد الله بن أميه إن سرک أن نتبعک فسير لنا جبال مکه بالقرآن فأذهبها عنا حتى تنفسخ فإنها أرض ضيقه و اجعل لنا فيها عيونا و أنهارا حتى نغرس و نزرع فلست كما زعمت أهون على ربک من داود (عليه السلام) حيث سخر له الجبال تسبیح معه أو سخر لنا الريح فركبها إلى الشام فنقضى عليها مسيرتنا و حوائجنا ثم نرجع من يومنا فقد كان سليمان سخرت له الريح فكما زعمت لنا فلست أهون على ربک من سليمان و أحي لنا جدک قصيا أو من شئت من موتانا لنسأله أ حق ما تقول أم باطل فإن عيسى (عليه السلام) كان يحيى الموتى و لست بأهون على الله منه فأنزل الله سبحانه «وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا» الآيه.

المعنى

لما ذكر سبحانه النعمه على من تقدم ذكره بالثواب و حسن المآب عقبه بذكر النعمه على من أرسل إليه النبي ص فقال «كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ» أى كما أنعمنا على المذكورين بالثواب في الجنة أنعمنا على المرسل إليهم بإرسالك و قيل إن معنى التشبيه أنا كما أرسلنا الأنبياء في الأمم قبلك أرسلناك «فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ» أى في جماعه قد مضت من قبلها قرون و جماعات «لِتَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ» بين الغرض في إرساله و هو أن يقرأ عليهم القرآن ليتدبروا آياته و يتعظوا بها «وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ» أى و قريش يكفرون بالرحمن أى و يقولون قد عرفنا الله و لا ندرى ما الرحمن كما أخبر عنهم بأنهم قالوا و ما الرحمن أنسجد لما تأمرنا عن الحسن و قتاده و قيل معناه أنهم يجحدون بالوحدانيه «قُلْ» يا محمد «هُوَ رَبِّي» أى الرحمن الذى أنكرتموه ربي أى خالقي و مدبرى «لا- إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ» أى إليه فوضت أمرى متمسكا بطاعته راضيا بحكمه «وَإِلَيْهِ مَتَابٌ» أى مرجعى و قيل معناه إلى الرحمن توبتى «وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ» أى تجعل به الجبال سائره فأذهبت من مواضعها و قلعت من أماكنها «أَوْ قُطِعَتْ بِهِ

الأرض» أى شققت فجعلت أنهارا و عيونا «أَوْ كَلَّمَ بِهِ الْمَوْتَى» أى أحيى به الموتى حتى يعيشوا و يتكلموا و حذف جواب لو لأن فى الكلام دليلا- عليه و التقدير لكان هذا القرآن لعظم محله و علو أمره و جلاله قدره قال الزجاج و الذى أتوهم و قد قاله بعضهم أن المعنى لو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى لما آمنوا و دليله قوله «وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ» إلى قوله «ما كانوا ليؤمنوا» و حذف جواب لو يكثر فى الكلام قال امرؤ القيس:

فلو أنها نفس تموت سويه و لكنها نفس تساقط أنفسا

و هو آخر القصيده و قال:

و جدك لو شىء أانا رسوله سواك و لكن لم نجد لك مدفعا

«بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا» معناه أن جميع ما ذكر من تسيير الجبال و تقطيع الأرض و إحياء الموتى و كل تدبير يجرى هذا المجرى لله لأنه لا- يملكه سواه و لا- يقدر عليه غيره و لكنه لا- يفعل لأن فيما أنزل من الآيات مقنعا و كفايه للمنصفين و الأمر ما يصح أن يؤمر به و ينهى عنه و هو عام و أصله الأمر نقيض النهى «أَفَلَمْ يَيَّأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا» أى أفلم يعلموا و يتبينوا عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتاده و سعيد بن جبیر و أبى مسلم و قيل معناه أفلم يعلم الذين آمنوا علما يأسوا معه من أن يكون غير ما علموه عن الفراء و قيل معناه أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء الذين وصفهم الله عز و جل بأنهم لا يؤمنون عن الزجاج قال لأنه قال «أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا» أى أن الله لو أراد أن يهدى الخلق كلهم إلى جنته لهداهم لكنه كلفهم لينالوا الثواب بطاعتهم على وجه الاستحقاق و قيل أراد به مشيئة الإلجاء أى لو أراد أن يلجئهم إلى الاهتداء لقدر على ذلك لكنه ينافى التكليف و يبطل الغرض به «وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَبَّحُوا» من كفرهم و أعمالهم الخبيثة «قَارِعَةً» أى نازله و داهيه تفرعهم و مصيبه شديده من الحرب و الجذب و القتل و الأسر عليهم على جهه العقوبه للتنبيه و الزجر و قيل أراد بالقارعه سرايا النبى ص كان يبعثها إليهم و قيل أراد بذلك ما مر ذكره من حديث أربد و عامر «أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ» و قيل إن التاء فى تحل للتأنيث و المعنى أو تحل تلك القارعه قريبا من دارهم فتجاوزهم حتى يحصل لهم المخافه منه عن الحسن

وقتاده و أبى مسلم و الجبائى و قيل إن التاء للخطاب و المعنى أ و تحل أنت يا محمد بنفسك قريبا من دارهم «حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ» أى ما وعد الله من فتح مكة عن ابن عباس قال و هذه الآية مدنيه و قيل حتى يأتى يوم القيامة عن الحسن «إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ» ظاهر المعنى.

النظم

اتصلت الآية الأخرى بقوله «و يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ» و التقدير أن مثل هذا القرآن أنزل عليهم و هم يطلبون آيات أخر عن الجبائى و قيل اتصلت بقوله «كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ» الآية لأن المفهوم من قوله «لِتَتْلُوا عَلَيْهِمْ» أنه قرأ عليهم القرآن و أنهم كفروا به.

[سورة الرعد (١٣): الآيات ٣٢ الى ٣٤]

إشارة

و لَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلِكَ مِنْ قَبْلِكَ فَاْمَلَيْتَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٣٢) أ فَمَنْ هِيَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِيْظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَ صَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ لَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (٣٤)

القراءة

قرأ أهل الكوفة و يعقوب «و صُدُّوا» بضم الصاد و كذلك فى حم المؤمن و الباقون و صدوا بفتح الصاد.

الحجج

قال أبو الحسن: صد و صددته مثل رجع و رجعته قال:

صدت كما صد عما لا يحل له ساقى نصارى قبيل الفصح صوام

قال عمرو بن كلثوم:

صددت الكأس عنا أم عمرو و كان الكأس مجراها اليمين

و حجه من أسند الفعل إلى الفاعل قوله «الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» * و فى موضع آخر يُصَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ و صَدُّوكُمْ عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ * فلما أسند الفعل إلى الفاعل فى هذه الآية فكذلك فى هذه الآية أى صدوا الناس عن النبى ص و من بنى الفعل للمفعول به جعل فاعل الصد غواتهم و العتاه منهم فى كفرهم و قد يكون على نحو ما يقال صد فلان عن الخير و صد عنه بمعنى أنه لم يفعل خيرا و لا يراد به أن مانعا منعه.

اللغة

الاستهزاء طلب الهزاء و الهزاء إظهار خلاف الإضمار للاستصغار و الإملاء التأخير و هو من الملاوه و الملوان الليل و النهار قال ابن مقبل:

ألا يا ديار الحى بالسبعان ألح عليها بالبلى الملوان

و قال فى التهنئة البس جديدا و تمل حبيبا أى لتطل أيامك معه و الواقى المانع فاعل من الوقايه و هو الحجر بما يدفع الأذى و المكروه.

المعنى

ثم عزى سبحانه نبيه ص فقال «وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ بِرُسُلِنا مِنْ قَبْلِكَ» كما استهزأ هؤلاء بك «فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا» أى فأمهلتهم و أطلت مدتهم ليتوبوا و لتتم عليهم الحجه «ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ» أى أهلكتهم و أنزلت عليهم عذابي «فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ» أى فكيف حل عقابي بهم و هو إشاره إلى تفخيم ذلك العقاب و تعظيمه ثم عاد سبحانه إلى الحجاج مع الكفار «أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ» معناه أفمن هو قائم بالتدبير على كل نفس و حافظ كل نفس أعمالها يجازيها و قيل أفمن هو قائم عليها برزقها و حفظها و الدفع عنها كمن ليس بهذه الصفات من الأصنام التى لا تنفع و لا تضر و يدل على هذا المحذوف قوله «وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ» يعنى أن هؤلاء الكفار جعلوا لله شركاء فى العبادة من الأصنام التى لا تقدر على شىء مما ذكرنا «قُلْ» يا محمد «سَمُّوهُمْ» أى سموهم بما يستحقون من الصفات و إضافه الأفعال إليهم إن كانوا شركاء لله كما يوصف الله بالخالق و الرازق و المحيى و المميت و يعود المعنى إلى أن الصنم لو كان إلها لتصور منه أن يخلق الرزق فيحسن حينئذ أن يسمى بالخالق و الرازق و قيل سموهم بالأسماء

التي هي صفاتهم ثم انظروا هل تدل صفاتهم على جواز عبادتهم و اتخذهم آلهه و قيل معناه أنه ليس لهم اسم له مدخل في استحقاق الإلهيه و ذلك استحقاق لهم و قيل سموهم ما ذا خلقوا و هل ضرروا أو نفعوا و هو مثل قوله «أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ» عن الحسن «أَمْ تُبْتَوْنَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ» هذا استفهام منقطع مما قبله أي بل أ تخبرون الله بشريك له في الأرض و هو لا- يعلمه على معنى أنه ليس و لو كان لعلم «أَمْ بَظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ» أي أم تقولون مجازا من القول و باطلا- لا- حقيقه له عن مجاهد و قتاده و الضحاك و على هذا فالمعنى أنه كلام ظاهر ليس له في الحقيقه باطن و معنى فهو كلام فقط و قيل أم بظاهر كتاب أنزل الله تعالى سميت الأصنام آلهه فبين أنه ليس هاهنا دليل عقلي و لا- سمعي يوجب استحقاق الأصنام الإلهيه عن الجبائي ثم بين سبحانه بطلان قولهم فقال «يَلْزُمُ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ» أي دع ذكر ما كنا فيه زين الشيطان لهم الكفر لأن مكرهم بالرسول كفر منهم عن ابن عباس و قيل بل زين لهم الرؤساء و الغواه كذبهم و زورهم «وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ» أي و صدوا الناس عن الحق أو صدوا بأنفسهم عن الحق و عن دين الله «وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ» سبق معناه في مواضع «لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» بالقتل و السبي و الأسر و قيل بالمصائب و الأمراض «وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ» أي أعظم و أبلغ في الشده على النفس لدوامه و خلوصه و كثرته «وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ» أي ما لهم من دافع يدفع عنهم عذاب الله تعالى.

[سوره الرعد (١٣): الآيات ٣٥ الى ٣٧]

اشاره

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكْلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (٣٥) وَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مآبُ (٣٦) وَ كَذَلِكَ أَنْزَلْنَا حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ (٣٧)

ص: ٣٩

الأنهار جمع نهر و نهر كفرد و أفراد و جمل و أجمال و النهر المجرى الواسع من مجارى الماء على وجه الأرض و أصله الاتساع و منه النهار لاتساع الضياء فيه و أنهرت الدماء وسعت مجراها و قال:

" ملكت بها كفى فأنهت فتقها "

أى وسعته و الأكل بضم الهمزة المأكول و الأحزاب جمع الحزب و هم الجماعة التى تقوم بالنائبه يقال تحزب القوم إذا صاروا حزبا و حزبهام الأمر يحزبهام أى نالهم بمكروه.

الإعراب

«مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي» فيه أقوال (أحدها) أنه بمعنى الشبه و خبره محذوف و تقديره مثل الجنة التى هى كذا أجل مثل (و الثانى) أن تقديره فيما نقص عليكم مثل الجنة أو مثل الجنة فيما نقص عليكم فهو مرفوع أيضا على الابتداء و خبره محذوف و هو قول سيوييه و اختاره أبو على الفارسي (و الثالث) إن معناه صفه الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الأنهار فتجرى من تحتها الأنهار مع ما بعده خبر المبتدأ الذى هو مثل الجنة قالوا و قوله سبحانه «وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى» معناه الصفه العليا و لم يرتض أبو على هذا القول.

المعنى

لما تقدم ذكر ما أعد الله للكافرين عقبه سبحانه بذكر ما أعد للمؤمنين فقال «مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ» أى شبهها عن مقاتل و قيل صفتها و صورتها عن الحسن قال ابن قتيبه المثل الشبه فى أصل اللغة ثم قد يصير بمعنى صورته أى و صفته يقال مثلت لك كذا أى صورته و وصفته و قيل إن مثل مقحم و التقدير الجنة التى وعد المتقون «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكُلُهَا دَائِمٌ» يعنى أن ثمارها لا تنقطع كثمار الدنيا و ظلها لا يزول و لا تنسخه الشمس عن الحسن و قيل معناه نعيمها لا ينقطع بموت و لا آفه عن ابن عباس و قيل لذتها فى الأفواه باقيه عن إبراهيم التيمي «و ظِلُّهَا» أيضا دائم لا يكون مره شمسا و مره ظلا كما يكون فى الدنيا «تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا» أى تلك الجنة عاقبه المتقين فالطريق إليها التقوى «و عُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ» أى و عاقبه أمر الكفار النار و لما تقدم ذكر الوعد و الوعيد أخبر سبحانه عن المتقين و الكافرين فقال «و الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ» يريد أصحاب النبى ص الذين آمنوا به و صدقوه أعطوا القرآن و فرحوا بإنزاله «و مِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ» يعنى اليهود و النصرارى و المجوس أنكروا بعض معانيه و ما يخالف أحكامهم عن الحسن و قتاده و مجاهد و قيل الذين آتيناهم الكتاب هم الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام و أصحابه فرحوا بالقرآن لأنهم يصدقون به و الأحزاب بقيه أهل الكتاب و سائر المشركين عن ابن عباس قال لأن عبد الله بن سلام

و أصحابه أساءهم قله ذكر الرحمن فى القرآن مع كثره ذكره فى التوراه فأنزل الله «قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ» ففرحوا بذلك وكفر المشركون بالرحمن وقالوا ما نعرف الرحمن إلا-رحمن اليمامة و يريد بالأحزاب الذين تحزبوا على رسول الله ص بالمعاداه و من ينكر بعضه يعنى ذكر الرحمن و هو قوله «وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ» «قُلْ» يا محمد «إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَ لَا أُشْرِكَ بِهِ» أى أمرت أن أوجه عبادتى إلى الله و لا أشرك به فى عبادته أحدا «إِلَيْهِ ادْعُوا» يعنى إلى الله أو إلى الإقرار بتوحيده و صفاته و توجيه العباده إليه وحده أدعو «وَ إِلَيْهِ مَأْبٍ» أى إليه مرجعى و مصيرى أى أرجع و أصير إلى حيث لا يملك الضر و النفع إلا هو وحده فإنه لا يملك يوم القيامة الأمر أحدا من عباده كما ملكهم فى الدنيا «وَ كَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا» أى كما أنزلنا الكتب إلى من تقدم من الأنبياء بلسانهم أنزلنا إليك حكمه عربيه أى جاريه على مذاهب العرب فى كلامهم يعنى القرآن فالحكم هاهنا بمعنى الحكمه كما فى قوله «وَ آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا» و قيل إنما سماه حكما لما فيه من الأحكام فى بيان الحلال و الحرام و سماه عربيا لأنه أتى به نبي عربى «وَ لَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ» خطاب للنبي ص و المراد به الأمه أى لئن واقفت و طلبت أهواء الذين كفروا و الأهواء جمع الهوى و هو ميل الطباع إلى شىء بالشهوه «بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ» بالله تعالى لأن ما آتيناك من الدلالات و المعجزات موجب للعلم الذى يزول معه الشبهات «مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ» أى ناصر يعينك عليه و يمنعك من عذابه «وَ لَا وَاقٍ» يقيقك منه «مِنْ وَلِيٍّ» فى موضع رفع و من مزیده.

[سوره الرعد (١٣): الآيات ٣٨ الى ٤٠]

اشاره

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَ جَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَ ذُرِّيَّةً وَ مَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَهُ بَآيَةٍ إِلَّا يَأْذِنَ اللَّهُ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٍ (٣٨) يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَ يُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩) وَ إِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَ عَلَيْنَا الْحِسَابُ (٤٠)

القراءة

قرأ أهل البصره و ابن كثير و عاصم «يُثَبِّتُ» بالتخفيف و قرأ الباقون يثبت بالتشديد.

قال أبو علي: المعنى يمحو ما يشاء و يشبهه فاستغنى بتعديه الأول من الفعلين عن تعديه الثاني و مثل ذلك و الحافظين فُوجَهُمْ وَ الحافظاتِ وَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَ الذَّاكِرَاتِ وَ زعم سيبويه إن من العرب من يعمل الأول من الفعلين و لا يعمل الثاني فى شىء من كلامهم كقولهم متى رأيت أو قلت زيدا منطلقا قال الكميت:

بأى كتاب أم بأيه سنه ترى حبههم عارا على و تحسب

فلم يعمل الثانى و هذا و الله أعلم فيما يحتمل النسخ و التبديل من الشرائع الموقوفه على المصالح على حسب الأوقات فأما غير ذلك فلا يمحو و لا يبدل و حجه من قال يثبت قوله وَ أَشَدَّ تَثْبِيثًا وَ حجه من قرأ «يُثْبِتُ» ما

روى عن عائشه كان رسول الله ص إذا صلى صلاه أثبتها

و قوله «ثَابِتٌ» لأن ثبت مطاوع أثبت.

النزول

قال ابن عباس: عبروا رسول الله ص بكثره تزويج النساء و قالوا لو كان نبيا لشغلته النبوه عن تزويج النساء فنزلت الآيه «وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ».

المعنى

«وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ» يا محمد «وَ جَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَ ذُرِّيَّةً» أى نساء و أولادا أكثر من نسائك و أولادك و كان لسليمان (عليه السلام) ثلاث مائه امرأه مهيره و سبعمائه سريه و لداود (عليه السلام) مائه امرأه عن ابن عباس أى فلا ينبغى أن يستنكر منك أن تتزوج و يولد لك و

روى أن أبا عبد الله (عليه السلام) قرأ هذه الآيه ثم أوما إلى صدره فقال نحن و الله ذريه رسول الله ص

«وَ مَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» أى لم يكن لرسول يرسله الله أن يجىء بآيه و دلاله إلا بعد أن يأذن فى ذلك و يطلق له فيه «لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ» ذكر فيه وجوه (أحدها) أن معناه لكل أجل مقدر كتاب أثبت فيه و لا تكون آيه إلا بأجل قد قضاه الله فى كتاب على وجه ما يوجب التدبير فالآيه التى اقترحوها لها وقت أجله الله لا على شهواتهم و اقتراحاتهم عن البلخي (و الثانى) لكل أمر قضاه الله كتاب كتبه فيه فهو عنده كأجل الحياه و الموت و غير ذلك عن أبى على الجبائى (و الثالث) أنه من المقلوب و المعنى لكل كتاب ينزل من السماء أجل ينزل فيه عن ابن عباس و الضحاك و معناه لكل كتاب وقت يعمل به فلتتوراه وقت و للإنجيل وقت و كذلك القرآن «يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ» قيل فى المحو و الإثبات أقوال (أحدها) إن ذلك فى الأحكام من الناسخ

و المنسوخ عن ابن عباس و قتاده و ابن زيد و ابن جريج و هو اختيار أبي على الفارسي (و الثاني) أنه يمحو من كتاب الحفظه المباحات و ما لا- جزء فيه و يثبت ما فيه الجزء من الطاعات و المعاصي عن الحسن و الكلبي و الضحاک عن ابن عباس و الجبائي (و الثالث) أنه يمحو ما يشاء من ذنوب المؤمنين فضلا فيسقط عقابها و يثبت ذنوب من يريد عقابه عدلا عن سعيد بن جبیر (الرابع) أنه عام في كل شيء فيمحو من الرزق و يزيد فيه و من الأجل و يمحو السعاده و الشقاوه و يثبتهما عن عمر بن الخطاب و ابن مسعود و أبي وائل و قتاده و أم الكتاب أصل الكتاب الذي أثبت فيه الحادثات و الكائنات و

روى أبو قلابه عن ابن مسعود أنه كان يقول اللهم أن كنت كتبتني في الأشقياء فامحني من الأشقياء و أثبتني في السعداء فإنك تمحو ما تشاء و تثبت و عندك أم الكتاب و روى مثل ذلك عن أئمتنا (عليه السلام) في دعواتهم المأثوره

و

روى عكرمه عن ابن عباس قال هما كتابان كتاب سوى أم الكتاب يمحو الله منه ما يشاء و يثبت و أم الكتاب لا يغير منه شيء و رواه عمران بن حصين عن النبي ص

و

روى محمد بن مسلم عن أبي جعفر قال سألته عن ليله القدر فقال ينزل الله فيها الملائكه و الكتب إلى السماء الدنيا فيكتبون ما يكون من أمر السنه و ما يصيب العباد و أمر ما عنده موقوف له فيه المشيئه فيقدم منه ما يشاء و يؤخر ما يشاء و يمحو و يثبت و عنده أم الكتاب

و

روى الفضيل قال سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول العلم علمان علم ملائكته و رسله و أنبياءه و علم عنده مخزون لم يطلع عليه أحد يحدث فيه ما يشاء

و

روى زراره عن حمران عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال هما أمران موقوف و محتوم فما كان من محتوم أمضاه و ما كان من موقوف فله فيه المشيئه يقضى فيه ما يشاء

(و الخامس) أنه في مثل تقشير الأرزاق و المحن و المصائب يثبت في أم الكتاب ثم يزيله بالدعاء و الصدقه و فيه حث على الانقطاع إليه سبحانه (و السادس) إنه يمحو بالتوبه جميع الذنوب و يثبت بدل الذنوب حسنات يبينه قوله «إِلَّا مَنْ تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ» عن عكرمه (و السابع)

أنه يمحو ما يشاء من القرون و يثبت ما يشاء منها كقوله «ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ» و قوله «كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ» و روى ذلك عن علي (عليه السلام)

(و الثامن) إنه يمحو ما يشاء يعنى القمر و يثبت يعنى الشمس و بيانه فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً عَنِ السَّيِّدِ وَ أَمَّ الْكِتَابَ هُوَ اللَّوْحَ الْمَحْفُوظَ الَّذِي لَا يَغْيِرُ وَ لَا يَبْدُلُ لِأَنَّ الْكِتَابَ الْمُنزَلَ انْتَسَخَتْ مِنْهُ فَالْمَحْوُ وَ الْإِثْبَاتُ إِنَّمَا يَقَعُ فِي الْكِتَابِ الْمُنْتَسَخِ لَا فِي أَصْلِ الْكِتَابِ عَنْ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ وَ قِيلَ إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ سَأَلَ كَعْبًا عَنْ أَمِّ الْكِتَابِ فَقَالَ عِلْمُ اللَّهِ مَا هُوَ خَالِقٌ وَ مَا خَلَقَهُ عَامِلُونَ فَقَالَ لَعَلَّمَهُ كُنْ كِتَابًا فَكَانَ كِتَابًا وَ قِيلَ إِنَّمَا سُمِّيَ أَمُّ الْكِتَابِ لِأَنَّهُ الْأَصْلُ الَّذِي كُتِبَ فِيهِ أَوْ سَيَكُونُ كَذَا وَ كَذَا لِكُلِّ

مَا

ص: ٤٣

يكون فإذا وقع كتب أنه قد كان ما قيل إنه سيكون و الوجه في ذلك ما فيه من المصلحه و الاعتبار لمن تفكر فيه من الملائكه الذين يشاهدونه إذا قابلوا ما يكون بما هو مكتوب فيه و علموا أن ما يحدث على كثرته قد أحصاه الله تعالى و علمه قبل أن يكون مع أن ذلك أهول في الصدور و أعظم في النفوس حتى كان من تصوره و فكر فيه شاهدا له «وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ» يا محمد «بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ» أي نعد هؤلاء الكفار من نصر المؤمنين عليهم بتمكينك منهم بالقتل و الأسر و اغتنام الأموال «أَوْ تَتَوَفَّيَنَّكَ» أي و نقبضنك إلينا قبل أن نريك ذلك و بين بهذا أنه يكون بعض ذلك في حياته و بعضه بعد وفاته أي فلا تنتظر أن يكون جميع ذلك في أيام حياتك و أن يكون مما لا بد أن تراه «فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَ عَلَيْنَا الْحِسَابُ» أي عليك أن تبلغهم ما أرسلناك به إليهم و تقول بما أمرناك بالقيام به و علينا حسابهم و مجازاتهم و الانتقام منهم إما عاجلا و إما آجلا و في هذه دلالة على أن الإسلام سيظهر على سائر الأديان و يبطل الشرك في أيامه و بعد وفاته و قد وقع المخبر به على وفق الخبر.

النظم

اتصلت الآيه الأولى بما تقدمها من قولهم «لَوْ لَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ» فبين سبحانه أنه بشر كما أن الرسل الذين كانوا قبله كانوا بشرا و البشر لا يقدر على الآيات بل إنما يأتي سبحانه بها إذا اقتضت المصلحه ذلك عن أبي مسلم و قيل إنه لما تقدم ذكر إرساله بين سبحانه أنه أرسل قبله بشرا كما أرسله فحاله مثل حالهم عن القاضي و إنما اتصلت الآيه الثانيه بقوله «لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ» لأن الظاهر اقتضى أن يكون كل مكتوب لا يجوز محوه فبين سبحانه أنه يمحو ما يشاء و يثبت لثلاثا يتوهم أن المعصيه مثبتة مع التوبه كما أنها كذلك قبل التوبه عن علي بن عيسى و قيل لما نزلت «وَ مَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» قالت قريش ما نراك يا محمد تملك شيئا فلقد فرغ من الأمر فأنزل هذه الآيه تخويفا و وعيدا لهم إنا لو شئنا أحدثنا من أمرنا ما شئنا و نمحو و نثبت في ليله القدر ما نشاء من أرزاق الناس و مصائبهم عن مجاهد و إنما اتصل قوله «وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ» الآيه بما قبله من وعيد الله بالعذاب فبين سبحانه أنه يفعل ذلك لا محاله إما في حياته أو بعد وفاته بشاره له و قيل إنه لما تقدم أن لكل أجل كتابا بين أن لعذابهم وقتا سيفعله فيه لا محاله إما في حياته أو بعد وفاته.

إشارة

أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُضُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤١) وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ (٤٢) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسِيًّا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (٤٣)

القراءة

قرأ أهل الحجاز و أبو عمرو و سيعلم الكافر على لفظ الواحد و الباقر «الْكُفَّارُ» على الجمع و فى الشواذ

قراه النبى ص و على و ابن عباس و سعيد بن جبير و عكرمه و ابن أبى إسحاق و الضحاك و الحكم بن عيينه و من عنده علم الكتاب

بكسر الميم و الدال و قراه على و الحسن و ابن السميع و من عنده علم الكتاب.

الحج

قال أبو على العلم فى قوله «وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ» هو المتعدى إلى مفعولين بدلاله تعليقه و وقوع الاستفهام بعده تقول علمت لمن الغلام فتعلقه مع الجار كما تعلقه مع غيره فى نحو فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ و موضع الجار مع المجرور نصب من حيث سد الكلام الذى هو فيه مسد المفعولين لا من حيث حكمت فى نحو مررت بزيد بأن موضعه نصب و لكن اللام الجاره كانت متعلقه فى الأصل بفعل فكان مثل علمت بمن تمر فى أن الجار يتعلق بالمرور و الجملة التى هى منها فى موضع نصب و قد علق الفعل عنها فأما من قرأ الكافر فإنه جعل الكافر اسما شائعا كالإنسان فى قوله «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ» و زعموا أن لا ألف فيه و هذا الحذف إنما يقع فى كل فاعل نحو خالد و صالح و لا يكاد الحذف فى فعال و زعموا أن فى بعض الحروف و سيعلم الذين كفروا فهذا يقوى الجمع و قد جاء فاعل يراد به اسم الجنس أنشد أبو زيد:

إن تبخلى يا جمل أو تعتلى و تصبى فى الطاعن المولى

فهذا إنما يكون فى الكسره و ليس المراد على كل كافر واحد و الجمع الذى هو الكفار المراد فى الآيه لا إشكال فيه فأما من قرأ و من عنده علم الكتاب فمعناه و من فضله و لطفه أم الكتاب و من قرأ من عنده علم الكتاب فالمعنى مثل ذلك إلا أن الجار هاهنا يتعلق بعلم و فى الأول بمحذوف و علم الكتاب مبتدأ و مرفوع بالظرف على ما تقدم ذكره فى قوله «وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ».

اللغة

النقص أخذ الشىء من الجملة ثم يستعمل فى نقصان المنزله و الطرف منتهى

الشيء و هو موضع من الشيء ليس وراءه ما هو منه و أطراف الأرض نواحيها و التعقيب رد الشيء بعد فصله و منه عقب العقاب على صيده إذا رد الكرور عليه بعد فصله عنه و منه قول لبيد:

" طلب المعقب حقه المظلوم "

و المكر القتل عن البغيه بطريق الحيله و الشهيد و الشاهد واحد إلا أن فى شهيد مبالغه و الشهاده البينه على صحه المعنى من طريق المشاهده.

الإعراب

«نَنْقُضُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا» جملة منصوبه الموضع على الحال و كذلك قوله «لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ» و الباء فى قوله «كَفَى بِاللَّهِ» زائده قال على بن عيسى دخلت لتحقيق الإضافه من وجهين جهه الفاعل و جهه حرف الإضافه و ذلك أن الفعل لما جاز أن يضاف إلى غير فاعله بمعنى أنه أمر به أزيل هذا الاحتمال بهذا التأكيد و نظيره فى تأكيد الإضافه قوله «لِإِذَا خَلَقْتَ يَدَيَّ».

المعنى

ثم ذكر سبحانه ما يكون للكفار كالبينه على الاعتبار فقال «أَو لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُضُهَا» أى نقصدها «مِنْ أَطْرَافِهَا» و اختلف فى معناه على أقوال (أحدها) أ و لم ير هؤلاء الكفار أننا نقص أطراف الأرض بإماتة أهلها و مجازة نقص أهلها من أطرافها كقوله «وَ سَأَلِ الْقَرْيَةَ» أى أ فلا يخافون أن نفعل مثل ذلك بهم عن ابن عباس و قتاده و عكرمه (و ثانيها)

نقصها بذهاب علمائها و فقهاءها و خيار أهلها عن عطا و مجاهد و البلخي و روى نحو ذلك عن ابن عباس و سعيد بن جبير و عن أبي عبد الله (عليه السلام)

قال عبد الله بن مسعود موت العالم ثلثه فى الإسلام لا يسدها شىء ما اختلف الليل و النهار (و ثالثها) أن المراد نقصد الأرض نقصها من أطرافها بالفتوح على المسلمين معناه فنقص من أهل الكفر و نزيد فى المسلمين يعنى ما دخل فى الإسلام من بلاد الشرك عن الحسن و الضحاك و مقاتل قال الضحاك أ و لم ير أهل مكة أنا نفتح لمحمد ص ما حولها من القرى و قال الزجاج: علم الله تعالى أن بيان ما وعد المشركون من قهرهم قد ظهر أى أ فلا يخافون أن نفتح لمحمد أرضهم كما فتحنا له غيرها و قد روى ذلك أيضا عن ابن عباس قال القاضى و هذا القول أصح لأنه يتصل بما وعده من إظهار دينه و نصرته (و رابعها) أن معناه أ و لم يروا ما يحدث فى الدنيا من الخراب بعد العماره و الموت بعد الحياه و النقصان بعد الزيادة عن الجبائى «وَ اللَّهُ يَحْكُمُ» أى يفصل الأمر «لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ» و لا راد لقضائه عن ابن عباس و معناه لا يعقب أحد حكمه بالرد و النقص «هُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ» أى سريع

المجازاه على أفعال العباد على الطاعات بالثواب و على المعاصى بالعقاب ثم بين سبحانه أن مكرهم يضمحل عند نزول العذاب بهم فقال «وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» يريد أن الكفار الذين كانوا قبل هؤلاء قد مكروا بالمؤمنين و احتالوا فى كفرهم و دبروا فى تكذيب الرسل بما فى وسعهم فأبطل الله مكرهم كذلك يبطل مكر هؤلاء «فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا» أى له الأمر و التدبير جميعا فيرد عليهم مكرهم بنصب الحجج لعباده و قيل معناه فالله يملك الجزاء على المكر عن أبى مسلم و قيل يريد بالمكر ما يفعل الله تعالى بهم من المكروه عن الجبائى «يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ» فلا يخفى عليه ما يكسبه الإنسان من خير و شر لأنه عالم بجميع المعلومات و قيل يعلم ما يمكرونه فى أمر الرسول فيبطل أمرهم و يظهر أمره و دينه «وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقِبِيَ الدَّارِ» هذا تهديد لهم بأنهم سوف يعلمون من تكون له عاقبه الجنه حين يدخل المؤمنون الجنه و الكافرون النار و قيل معناه و سيعلمون لمن العاقبه المحموده لكم أم لهم إذا أظهر الله دينه «وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا» لك يا محمد «لَسْتَ مُرْسِلًا» من جهه الله تعالى إلينا «قُلْ» لهم «كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ» أى كفى الله شاهدا بينى و بينكم بما أظهر من الآيات و أبان من الدلالات على نبوتى «وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ» قيل فيه أقوال (أحدها) أن من عنده علم الكتاب هو الله عن الحسن و الضحاك و سعيد بن جبير و اختاره الزجاج قال و يدل عليه قراءه من قرأ و من عنده علم الكتاب (و الثانى) إن المراد به مؤمنوا أهل الكتاب منهم عبد الله بن سلام و سلمان الفارسى و تميم الدارى عن ابن عباس و قتاده و مجاهد و اختاره الجبائى و أنكر الأولون هذا القول بأن قالوا السوره مكيه و هؤلاء أسلموا بعد الهجره (و الثالث)

إن المراد به على بن أبى طالب و أئمه الهدى (عليه السلام) عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام)

و

روى عن بريد بن معاويه عن أبى عبد الله أنه قال إيانا عنى و على أولنا و أفضلنا و خيرنا بعد النبى ص

و

روى عنه عبد الله بن كثير أنه وضع يده على صدره ثم قال عندنا و الله علم الكتاب كملا

و يؤيد ذلك ما روى عن الشعبى أنه قال ما أحد أعلم بكتاب الله بعد النبى من على بن أبى طالب (عليه السلام) و من الصالحين من أولاده و روى عن عاصم بن أبى النجود عن أبى عبد الرحمن السلمى قال ما رأيت أحدا أقرأ من على بن أبى طالب (عليه السلام) للقرآن و روى أبو عبد الرحمن أيضا عن عبد الله بن مسعود قال لو كنت أعلم أن أحدا أعلم بكتاب الله منى لأتيته قال فقلت له فعلى و قال أ و لم آته.

(١٤) سورة إبراهيم مكيه و آياتها ثنتان و خمسون (٥٢)

إشاره

[توضيح]

قال ابن عباس و قتاده و الحسن هى مكيه إلا آيتان نزلتا فى قتلى بدر من المشركين «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَدُّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا» إلى قوله «وَبَشِّرِ الْقَرَارُ».

عدد آياتها

خمس و خمسون آيه شامى أربع حجازى آيتان كوفى آيه بصرى.

اختلافها

سبع آيات «إِلَى النُّورِ» فى الموضوعين حجازى و شامى «وَعَادٍ وَ ثَمُودَ» حجازى بصرى و «بِخَلْقِ جَدِيدٍ» كوفى شامى و المدنى الأول و «فَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ» غير المدنى الأول و «اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ» غير البصرى «عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ» شامى.

فضلها

أبى بن كعب قال قال رسول الله ص من قرأ سورة إبراهيم (عليه السلام) و الحجر أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام و بعدد من لم يعبدها

و

روى عيينه بن مصعب عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ سورة إبراهيم و الحجر فى ركعتين جميعا فى كل جمعه لم يصبه فقر و لا جنون و لا بلوى.

تفسيرها

لما ختم الله سورة الرعد بإثبات الرساله و إنزال الكتاب افتتح هذه السوره ببيان الغرض فى الرساله و الكتاب فقال:

ص: ٤٨

عَالِمِ الْغَيْبِ وَ مَنْ قَطَعَ وَ رَفَعَ جَعَلَ قَوْلَهُ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ خَبْرًا لِقَوْلِهِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَ مَنْ جَرَّ أَجْرَى عَالِمِ

ص: ٤٩

الغيب صفة على الأول و على هذا يجوز مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ أَى إِن شئت جعلت هذا صفة لقوله مِنْ مَرْقَدِنَا و أضمرت خبرا لقوله مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ و إن شئت جعلت قوله هذا ابتداء و مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ خبرا.

اللغة

العزیز القادر على الأشياء الممتنع بقدرته من أن يضام و الحمید المحمود على كل حال و الاستحباب طلب محبه الشئ ء بالتعرض لها و المحبه إرادته منافع المحبوب و قد يستعمل بمعنى ميل الطباع و الشهوه و البغیه و الابتغاء الطلب.

المعنى

«الر» قد ذكرنا معانى الحروف المقطعه فى أوائل السور و ذكرنا اختلاف الأقاويل فيه فى أول البقره «كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ» يعنى القرآن نزل به جبرئيل (عليه السلام) من عند الله تعالى أى هذا كتاب منزل إليك يا محمد ص ليس بسحر و لا بشعر «لِتُخْرِجَ النَّاسَ» أى جميع الخلق «مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» أى من الضلاله إلى الهدى و من الكفر إلى الإيمان «بِإِذْنِ رَبِّهِمْ» أى بإطلاق الله ذلك و أمره به و فى هذا دلالة على أنه سبحانه يريد الإيمان من جميع المكلفين لأن اللام لام الغرض و لا يجوز أن يكون لام العاقبه لأنه لو كان ذلك لكان الناس كلهم مؤمنين و المعلوم خلافه ثم بين سبحانه ما النور فقال «إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ» أى يخرجهم من ظلمات الكفر إلى طريق الله المؤدى إلى معرفه الله المنيع فى سلطانه المحمود فى فعاله و نعمه التى أنعم بها على عباده «اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ» أى له التصرف فيهما على وجه لا اعتراض عليه «وَ وَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» أخبر أن الويل للكافرين الذين يجحدون نعم الله و لا يعترفون بوحدانيته من عذاب تتضاعف الأمه ثم وصف الكافرين بقوله «الَّذِينَ يَشْتَهُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ» أى يختارون المقام فى هذه الدنيا العاجله على الكون فى الآخرة و إنما دخلت على لهذا المعنى و ذمهم سبحانه بذلك لأن الدنيا دار انتقال و فناء و الآخرة دار مقام و بقاء «وَ يَصْطَلِدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» أى يمتنعون غيرهم من اتباع الطريق المؤدى إلى معرفه الله و يجوز أن يريد أنهم يعرضون بنفوسهم عن اتباعها «وَ يَتَّبِعُونَهَا عِوَجًا» أى يطلبون للطريق عوجا أى عدولا عن الاستقامه و السبيل يذكر و يؤنث و قيل معناه يلتمسون الدنيا من غير وجهها لأن نعمه الله لا تستمد إلا بطاعته دون معصيته «أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ» أى فى عدول عن الحق بعيد عن الاستقامه و الصواب.

[سورة إبراهيم (١٤): الآيات ٤ الى ٦]

إشارة

وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ ذَكَّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٥) وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَ يُسَيِّتُونَكُمْ نِسَاءَكُمْ وَ فِي ذَلِكَمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (٦)

التذكير التعريض للذكر الذى هو خلاف السهو و الصبار كثير الصبر.

الإعراب

أن أخرج يحتمل أن تكون أن بمعنى أى على وجه التفسير و يصلح أن تكون أن التى توصل بالأفعال إلا- أنها وصلت هاهنا بالأمر و التأويل الخير كما تقول أنت الذى فعلت و المعنى أنت الذى فعل «يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ» جملة فى موضع الحال.

المعنى

ثم بين سبحانه أنه إنما يرسل الرسل إلى قومهم بلغتهم ليكون أقرب إلى الفهم و أقطع للعدر فقال «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ» أى لم يرسل فيما مضى من الأزمان رسولا إلا بلغه قومه حتى إذا بين لهم فهموا عنه و لا يحتاجون إلى من يترجمه عنه و قد أرسل الله تعالى نبينا محمدا ص إلى الخلق كافة بلسان قومه و هم العرب بدلاله قوله «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَ نَذِيرًا» قال الحسن امتن الله على نبيه محمد ص أنه لم يبعث رسولا إلا إلى قومه و بعثه خاصة إلى جميع الخلق و به قال مجاهد و قيل إن معناه أنا كما أرسلناك إلى العرب بلغتهم لتبين لهم الدين ثم أنهم يبينونه للناس كذلك أرسلنا كل رسول بلغه قومه ليظهر لهم الدين ثم استأنف فقال «فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ» عن طريق الجنة إذا كانوا مستحقين للعقاب «وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» إلى طريق الجنة و قيل يلطف لمن يشاء ممن له لطف و يضل عن ذلك من لا لطف فمن تفكر و تدبر اهتدى و ثبته الله و من أعرض عنه خذله الله «وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» ظاهر المعنى ثم ذكر سبحانه إرساله

موسى فقال «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا» أى بالمعجزات و الدلالات «أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ» أى بأن أخرج قومك «مِنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ» مر معناه أى أمرناه بذلك و إنما أضاف الإخراج إليه لأنهم بسبب دعائه خرجوا من الكفر إلى الإيمان «وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ» قيل فيه أقوال (أحدها) أن معناه و أمرناه بأن يذكر قومه وقائع الله فى الأمم الخالية و إهلاك من أهلك منهم ليحذروا ذلك عن ابن زيد و البلخى و يعضده قول عمرو بن كلثوم:

و أيام لنا غر طوال عصينا الملك فيها أن ندينا

فيكون المعنى الأيام التى انتقم الله فيها من القرون الأولى (و الثانى)

أن المعنى ذكرهم بنعم الله سبحانه فى سائر أيامه عن ابن عباس و أبى بن كعب و الحسن و مجاهد و قتاده و روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام)

(و الثالث) أنه يريد بأيام الله سننه و أفعاله فى عباده من إنعام و انتقام و كنى بالأيام عنهما لأنها ظرف لهما جامع لكل منهما عن أبى مسلم و هذا جمع بين القولين المتقدمين «إِنَّ فِي ذَلِكَ» التذكير «لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ» أى دلالات لكل من كان عادته الصبر على بلاء الله و الشكر على نعمائه و إنما جمع بينهما لأن حال المؤمن لا يخلو من نعمه يجب شكرها أو محنه يجب الصبر عليها فالشكر و الصبر من خصال المؤمنين فكأنه قال لكل مؤمن و لأن التكليف لا يخلو من الصبر و الشكر «وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ» و التقدير و اذكر يا محمد إذ قال موسى لهم «اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ» أى فى الوقت الذى أنجاكم «مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ» أى يذيقونكم «سُوءَ الْعَذَابِ وَ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ» أى يستبقونهن أحياء للاسترقاق «وَ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ» و الآيه مفسره فى سوره البقره قال الفراء: و إنما دخلت الواو هنا للعطف لأنهم كانوا يعذبون أنواعا من العذاب سوى الذبح فجاز العطف فإذا حذف الواو كان يذبحون تفسيرا للعذاب.

إشارة

وَ إِذِ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَ لَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧) وَ قَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ (٨) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَ عَادٍ وَ ثَمُودَ وَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَ قَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَ إِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٩) قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَ فِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ يُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (١٠)

اللغة

التأذن الإعلام يقال أذن و تأذن و مثله أوعد و توعد قال الحارث بن حلزة:

آذنتنا بينها أسماء رب ثاو يمل منه الثواء

و النبأ الخبر عما يعظم شأنه لهذا الأمر نبأ عظيم أى شأن و نبأ الله محمدا و تنبأ مسيلمه الكذاب ادعى النبوه و الريب أخبث الشك و المريب المتهم و هو الذى يأتى بما فيه التهمه يقال أراب يريب إذا أتى بما يوجب الريبه.

الإعراب

قوم نوح و ما بعده مجرور بأنه بدل من قوله «الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» و فاطر مجرور بأنه صفة لله فى قوله «أَفِى اللَّهِ شَكٌّ» و من فى قوله «مِنْ ذُنُوبِكُمْ» للتبعيض و قيل إن من زائده عن أبى عبيده و أنكر سيبويه زيادتها فى الإيجاب.

المعنى

لما تقدم ذكر النعمة أتبعه سبحانه بذكر ما يلزم عليها من الشكر فقال «وَ إِذِ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ» التقدير و اذكر إذ أعلم ربكم عن الحسن و البلخى و قيل معناه و إذ قال لكم ربكم

عن ابن عباس وقيل أخبر ربكم عن الجبائي «لَيْتَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» أى لئن شكرتم لى على نعمتى لأزيدنكم فى النعم «وَلَيْتَ كَفَرْتُمْ» أى جحدتم نعمتى «إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ» لمن كفر نعمتى و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) فى هذه الآيه أيما عبد أنعمت عليه نعمه فأقر بها بقلبه و حمد الله عليها بلسانه لم ينفذ كلامه حتى يأمر الله له بالزياده

«وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا» أى تجحدوا نعم الله سبحانه «أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا» من الخلق لم تضروا الله شيئاً و إنما يضركم ذلك بأن تستحقوا عليه العقاب «فَإِنَّ اللَّهَ» سبحانه «لَغَنِيٌّ» عن شكركم «حَمِيدٌ» فى أفعاله و قد يكون كفر النعمه بأن يشبه الله بخلقه أو يجور فى حكمه أو يرد على نبي من أنبيائه فإن الله سبحانه قد أنعم على خلقه فى جميع ذلك بأن أقام الحجج الواضحه و البراهين الساطعه على صحته و عرض بالنظر فيها للثواب الجزيل «أَلَمْ يَأْتِكُمْ» قيل إن هذا الخطاب متوجه إلى أمه نبينا ص فذكرت بأخبار من تقدمها من الأمم و قيل إنه من قول موسى (عليه السلام) لأنه متصل به فى الآيه المتقدمه و المعنى أ لم يجئكم «نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» أى أخبار من تقدمكم «قَوْمِ نُوحٍ وَ عَادٍ وَ ثَمُودَ وَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ» أى لا يعلم تفاصيل أحوالهم و عددهم و ما فعلوه و فعل بهم من العقوبات إلا الله قال ابن الأنبارى: إن الله تعالى أهلك أمما من العرب و غيرها فانقطعت أخبارهم و عفت آثارهم فليس يعرفهم أحد إلا الله و كان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآيه قال كذب النسابون و قيل إن النبي ص كان لا يجاوز فى انتسابه معد بن عدنان فعلى هذا يكون قوله «وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ» مبتدأ و خبرا «جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ» أى بالأدله و الحجج و الأحكام و الحلال و الحرام «فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ» اختلفوا فى معناه على أقوال (أحدها) أن معناه عضوا على أصابعهم من شده الغيظ لأنه ثقل عليهم مكان الرسل عن ابن مسعود و ابن عباس و الجبائي (و ثانيها) أن معناه جعلوا أيديهم فى أفواه الأنبياء تكذبا لهم و ردا لما جاءوا به فالضمير فى أيديهم للكفار و فى أفواههم للأنبياء فكأنهم لما سمعوا وعظ الأنبياء و كلامهم أشاروا بأيديهم إلى أفواه الرسل تسكيتا لهم عن الحسن و مقاتل (و ثالثها) أن معناه وضعوا أيديهم على أفواههم مومنين بذلك إلى الرسل أن اسكتوا عما تدعوننا إليه كما يفعل الواحد منا مع غيره إذا أراد تسكيتة عن الكلبى فيكون على هذا القول الضميران للكفار (و رابعها) أن كلام الضميرين للرسل أى أخذوا أيدي الرسل فوضعوها على أفواههم ليسكتوهم و يقطعوا كلامهم فيسكتوا عنهم لما يسوا منهم هذا كله إذا حمل معنى الأيدي و الأفواه على الحقيقيه و من حملها على التوسع و المجاز فاختلفوا فى معناه فليل المراد باليد ما نطقت به الرسل من الحجج و المعنى فردوا حججهم من حيث جاءت لأن الحجج تخرج من الأفواه عن أبى مسلم و قيل إن المعنى ردوا

ما جاءت به الرسل و كذبوهم عن مجاهد و قتاده و قيل معناه تركوا ما أمروا به و كفوا عن قبول الحق عن أبى عبده و الأخفش قال القتيبي: و لم يسمع أحد أن العرب تقول رد يده فى فيه بمعنى ترك ما أمر به و إنما المعنى أنهم عضوا على الأيدى حنقا و غيظا كقول الشاعر:

" يردون فى فيه عشر الحسود "

يعنى أنهم يغيظون الحسود حتى يعض على أصابعه العشر و قال آخر:

قد أفنى أنامله أزمه فأضحى يعض على الوظيفا

و قيل المعنى ردوا بأفواههم نعم الرسل أى وعظهم و بيانهم فوقع فى موقع الباء عن مجاهد قال الفراء: أنشدنى بعضهم:

و أرغب فيها عن لقيط و رهطه و لكننى عن سنبس لست أرغب

قال أراد أرغب بها يعنى بنتا له يقول أرغب بها عن لقيط و قبيلته «و قالوا إنا كفرنا» أى جحدنا «بما أرسلمتم به» أى برسالاتكم «و إنا لفي شك مما تدعوننا إليه» من الدين «مريب» متهم أى يوقنا فى الريب بكم أنكم تطلبون الرئاسه و تفترون الكذب «قالت رسلهم» حينئذ لهم «أفى الله شك» مع قيام الأدله على وحدانيته و صفاته «فاطر السماوات و الأرض» أى خالقهما و منشئهما لا يقدر على ذلك غيره فوجب أن يعبد وحده و لا يشرك به من لا يقدر على اختراع الأجسام «يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم» أى يدعوكم إلى الإيمان به لينفعكم لا يضركم و قال من ذنوبكم بمعنى ليغفر لكم بعض ذنوبكم لأنه يغفر ما دون الشرك و لا يغفر الشرك و قال الجبائي: دخلت من للتبويض و وضع البعض موضع الجميع توسعا «و يؤخركم إلى أجل مسمى» أى يؤخركم إلى الوقت الذى ضربه الله لكم أن يميتمكم فيه و لا يؤاخذكم بعاجل العقاب «قالوا» أى قال لهم قومهم «إن أنتم» أى ما أنتم «إلا بشر مثلنا» أى خلق مثلنا «تريدون أن تصدونا» أى تمنعونا «عما كان يعبد آباؤنا» من الأصنام و الأوثان «فأتونا بسيلطان ميين» أى بحجه واضحة على صحه ما تدعونه و بطلان ما نحن فيه و إنما قالوا ذلك لأنهم اعتقدوا أن جميع ما جاءت به الرسل من المعجزات ليست بمعجزه و لا دلاله و قيل إنهم طلبوا معجزات مقترحات سوى ما ظهرت فيما بينهم و فى هذه الآيه دلاله على أنه سبحانه لا يريد الكفر و الشرك و إنما يريد الخير و الإيمان و أنه إنما بعث الرسل إلى الكفار رحمه و فضلا و إنعاما عليهم ليؤمنوا فإنه قال يدعوكم ليغفر لكم.

إشارة

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ عَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١) وَ مَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَىٰ اللَّهِ وَ قَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَ لَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَ عَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (١٢)

المعنى

ثم حكي سبحانه جواب الرسل للكفار فقال «قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ» فى الصورة و الهيا و لسنا ملائكة «وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» أى ينعم عليهم بالنبوه و ينبئهم بالمعجزه فلقد من الله علينا و اصطفانا و بعثنا أنبياء «وَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ» أى بحجه على صحه دعوانا «إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» أى بأمره و إطلاقه لنا فى ذلك «وَ عَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» المصدقون به و بأنبيائه «وَ مَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَىٰ اللَّهِ» معناه و أى شىء لنا إذا لم نتوكل على الله و لم نفوض أمورنا إليه و على هذا تكون ما للاستفهام و قيل أن معناه و لا وجه لنا و لا عذر لنا فى أن لا نتوكل على الله و لا نثق به فتكون ما للنفي و إذا كانت للاستفهام فمعناه النفي أيضا «وَ قَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا» أى عرفنا طريق التوكل و قيل معناه هداانا إلى سبيل الإيمان و دلنا على معرفته و وفقنا لتوجيه العباده إليه و أن لا نشرك به شيئا و ضمن لنا على ذلك جزيل الثواب و المراد أنا إذا كنا مهتدين فلا ينبغي لنا أن لا نتوكل على الله «وَ لَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا» فإنه تعالى يكفيننا أمركم و ينصرنا عليكم «وَ عَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ» و إنما قص هذا و أمثاله فى القرآن على نبينا ليقتدى بمن كان قبله من المرسلين فى تحمل أذى المشركين و الصبر على ذلك و التوكل و

روى الواقدي بإسناده عن أبي مريم عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ص إذا آذاك البرغيث فخذ قدحا من الماء فاقرأ عليه سبع مرات «وَ مَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَىٰ اللَّهِ» الآية و قل فإن كنتم آمنتم بالله فكفوا شركم و أذاكم عنا ثم ترش الماء حول فراشك فإنك تبيت تلك الليلة آمنا من شرها.

إشارة

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعْرِوْدَنَّ فِي مَلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) وَ لَنَشْكِنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَ خَافَ وَعِيدِ (١٤) وَ اسْتَفْتَحُوا وَ خَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَ يُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَ لَا يَكَادُ يُسِغُهُ وَ يَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَ مَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَ مِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٧)

مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (١٨)

القراءة

في الشواذ قراءة ابن عباس و مجاهد و ابن محيصة و استفتحوا و قرأه ابن أبي إسحاق في يوم عاصف بالإضافة.

الحج

قوله «وَ اسْتَفْتَحُوا» معطوف على ما سبق من قوله «فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ» أي و قال لهم استفتحوا أي استنصروا الله عليهم و استفصوه بينكم و في

الحديث كان ص يستفتح بصعاليك المهاجرين

أي يستنصر بهم و قيل معناه أنه يقدمهم و يبدأ أمره بهم و كأنهم إنما سمو القاضي فتاحاً لأنه يفتح باب الحق الذي هو مسند فيعمل عليه و أما قوله «فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ» فمعناه في يوم ريح عاصف فحذف الموصوف و أقيمت الصفه مقامه و كذلك في قراءة الجماعة في يوم عاصف هو الريح لا اليوم.

اللغة

الاستفتاح طلب الفتح بالنصر. و الخيبة إخلاف ما قدر به المنفعة و ضده النجاح و هو إدراك الطلبة و الجبريه طلب علو المنزله بما ليس له غايه في الوصف و إذا وصف العبد بأنه جبار كان ذماً و إذا وصف الله سبحانه به كان مدحاً لأن له علو المنزله بما ليس وراءه غايه في الصفه و العنيد مبالغه العاند و العناد الامتناع من الحق مع العلم به كبرا و بغيا قال:

إذا نزلت فاجعلاني وسطاً إنني كبير لا أطيق العندا

و الورا و الخلف واحد و هو الوجهه المقابله لوجهه القدام و قد يكون وراء بمعنى قدام قال:

أ يرجو بنو مروان سمعي و طاعتي و قومي تميم و الفلاه ورائيا

قال الزجاج: الورا ما يوارى عنك و ليس من الأضداد قال النابغة:

حلفت و لم أترك لنفسي ريبه و ليس وراء الله للمرء مذهب

و الصديد القيح يسيل من الجرح أخذ من أنه يصد عنه تكرها له و القيح دم مختلط بمده و قوله «صَدِيدٍ» بيان للماء الذى يسقون
فلذلك أعرب بإعرابه و التجرع تناول المشروب جرعه جرعه على الاستمرار و الإساعه إجراء الشراب فى الحلق يقال ساغ الشىء
و أسغته أنا و الاشتداد الإسراع بالحركة على عظم القوه يقال اشتد به الوجد من هذا لأنه أسرع إليه على قوه ألمه و يوم عاصف
شديد الريح و العصف شده الريح و إنما جعل العصف صفه لليوم لأنه يقع فيه كما يقال ليل نائم و يوم ماطر و يجوز أن يكون
المراد يوم عاصف ريحه و مثله جحر ضب خرب أى خرب جحره.

الإعراب

أو فى قوله «أَوْ لَتَعُودَنَّ» بمعنى إلا- أن كما يقال لا أكلمك أو تدعونى و قال الفراء: لا يكاد يستعمل فيما يقع و فيما لا يقع فما
يقع مثل قوله «وَلَا- يَكَادُ يُسَبِّغُهُ» و ما لم يقع مثل قوله «لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا» لأن المعنى لم يرها. «مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا» تقديره فيما يتلى
عليكم مثل الذين كفروا بربهم فيكون رفعا بالابتداء و يجوز أن يكون مثل مقحما كأنك قلت الذين كفروا بربهم فيكون رفعا
بالابتداء و أعمالهم رفع على البدل و هو بدل الاشتمال و كرماد الخبر.

المعنى

«وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا» أى من بلادنا «أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا» أى إلا أن ترجعوا إلى أدياننا و مذاهبنا
التي نحن عليها «فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ» أى فأوحى الله إلى رسله لما ضاقت صدورهم بما لقوا من قومهم إنا نهلك
هؤلاء الظالمين الكافرين «وَلَنَسِيكَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ» أى نسكننكم أرضهم من بعدهم يريد اصبروا فإنى أهلك عدوكم و
أورثكم أرضهم و فى معناه ما جاء فى

الحديث من آذى جاره ورثه الله داره

«ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي» أى ذلك الفوز لمن خاف وقوفه للحساب و الجزاء بين يدي فى الموضع الذى أقيمه فيه و أضاف
المقام إلى نفسه لأنهم يقومون بأمره «وَوَخَّافَ وَعِيدِ» أى عقابى و إنما قالوا «أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا» و هم لم يكونوا على ملتهم قط
إما لأنهم توهموا على غير حقيقه أنهم كانوا على ملتهم و إما لأنهم ظنوا بالنشوء أنهم كانوا عليها «وَأَسِيَّتَفْتَحُوا» أى طلبت الرسل
الفتح و النصر من قبل الله تعالى على

الكفار عن مجاهد و قتاده و قيل هو سؤالهم أن يحكم الله بينهم و بين أممهم لأن الفتح الحكم و الفتح الحاكم عن الجبائي «وَ خَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ» أى خسر كل متكبر معاند بجانب للحق دافع له و قيل معناه و استفتح الكفار العذاب الذى توعدهم به الأنبياء على جهه التكذيب لهم «مَنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ» أى جهنم بين يدى هذا الجبار عن الزجاج أى له مع الخبيث نار جهنم بين يديه و قيل معناه من خلفه و إنما جاز فى الزمان أن يسمى الأمام وراء و إن لم يجر فى غيره لأن الزمان المستقبل كأنه خلفهم لأنه يأتى فيلحقهم كما يلحق الإنسان من خلفه

«وَ يُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ» أى و يسقى مما يسيل من الدم و القيح من فروج الزوانى فى النار عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و أكثر المفسرين أو لونه لون الماء و طعمه طعم الصيد و

روى أبو أمامه عن النبى ص فى قوله «وَ يُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ» قال يقرب إليه فيكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه و وقعت فروه رأسه فإذا شرب قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله عز و جل «وَ سِيقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ» و يقول «وَ إِنْ يَسْتَيْغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ»

و

قال رسول الله ص من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين يوما فإن مات و فى بطنه شىء من ذلك كان حقا على الله أن يسقيه من طينه خبال و هو صديد أهل النار و ما يخرج من فروج الزناه فيجتمع ذلك فى قدور جهنم فيشربه أهل النار فيصهر به ما فى بطونهم و الجلود رواه شعيب بن واقد عن الحسين بن زيد عن الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليه السلام) عنه ص

«يَتَجَرَّعُهُ» أى يشرب ذلك الصديد جرعه جرعه «وَ لَا يَكَادُ يَسْتَيْغُهُ» أى لا يقارب أن يشربه تكرها له و هو يشربه و المعنى أن نفسه لا تقبل لحرارته و نتنه و لكن يكره عليه «وَ يَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ» أى تأتبه شدايد الموت و سكراته من كل موضع من جسده ظاهره و باطنه حتى تأتبه من أطراف شعره عن إبراهيم التيمى و ابن جريج و قيل يحضره الموت من كل موضع و يأخذه من كل جانب من فوقه و من تحته و عن يمينه و شماله و من قدامه و خلفه عن ابن عباس و الجبائي «وَ مَا هُوَ بِمَيِّتٍ» أى و مع إتيان أسباب الموت و الشدايد التى يكون معها الموت من كل جهه و أنواع العذاب التى كان يموت بدونها فى الدنيا لا يموت فيستريح و هذا كقوله «لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا» «وَ مِنْ وَرَائِهِ» أى وراء هذا الكافر «عَذَابٌ غَلِيظٌ» و هو الخلود فى النار و قيل معناه و من بعد هذا العذاب الذى سبق ذكره عذاب أشد و أوجع مما تقدم عن الكلبى ثم أخبر سبحانه عما ينال الكفار من الحسره فيما تكلفوه من الأعمال فقال «مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ» و قيل أن معناه مثل أعمال الذين كفروا بربهم

فحذف المضاف اعتمادا على ذكره بعد المضاف إليه عن الفراء وقيل معناه مما نقص عليك مثل الذين كفروا عن سيئويه «أَعْمَالُهُمْ» في قلبه انتفاعهم بها «كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ» أى ذرته و نسفته «فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ» أى شديد الريح فكما لا يقدر أحد على جمع ذلك الرماد المتفرق و الانتفاع به فكذلك هؤلاء الكفار «لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ» أى لا يقدرون على الانتفاع بأعمالهم و مثل قوله «وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا» «ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البُعِيدُ» يعنى أن عملهم ذلك هو الذهاب البعيد عن النفع و قيل الخطأ البعيد عن الصواب عن ابن عباس و فى هذه الآية دلالة واضحة على بطلان قول المجبره لأنه أضاف العمل إليهم و لو كان مخلوقا له سبحانه لما صح إضافته إليهم.

[سوره إبراهيم (١٤): الآيات ١٩ الى ٢١]

أشاره

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَشَاءُ يُدْهِبُكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٩) وَ مَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (٢٠) وَ بَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ؕ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَمْ جَزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ (٢١)

القراءه

قرأ خالق السماوات هاهنا و فى النون أهل الكوفه غير عاصم و الباقون «خَلَقَ».

الحججه

قال أبو على من قرأ «خَلَقَ» فلائن ذلك فعل ماض فأخبر عنه بلفظ الماضى و من قرأ خالق على اسم الفاعل جعله مثل فاطر السماوات لأن فاطر بمعنى خالق.

اللغه

البروز خروج الشىء عما كان ملتبسا به إلى حيث يقع عليه الحس يقال برز للقتال إذا ظهر له. الضعفاء جمع ضعيف و الضعف نقصان القوه يقال أضعفه فضعف و الاستكبار و التكبر و التجبر واحد و هو رفع النفس فوق مقدارها فى الوصف و التبغ جمع تابع كالغيب جمع غائب قال الزجاج: و يجوز أن يكون مصدرا و وصف به فيكون بمعنى ذوى تبع و أغنى عنه أى دفع عنه فأغناه أى نفى الحاجه عنه بما فيه كفايته و حاص يحيص حيصا و حيوصا مثل حاد و الحيد الزوال عن المكروه و الجزع انزعاج النفس بورود ما يغم و نقيضه الصبر قال:

. المعنى

ثم بين سبحانه أنه إنما خلق الخلق ليعبدوه و ليؤمنوا به لا ليكفروا فقال «أَلَمْ تَرَ» أى أ لم تعلم لأن الرؤيه قد تكون بمعنى العلم كما تكون بمعنى الإدراك للبصر و هاهنا لا يمكن أن يكون بمعنى الرؤيه بالبصر و الخطاب للنبي ص و المراد به الأمة «أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ» على ما تقتضيه الحكمة و الخلق فعل الشىء على تقدير و ترتيب «بِالْحَقِّ» أى بقوله الحق و قيل أراد للحق أى للغرض الصحيح و الأمر الحق و هو الدين و العباده أى ليعبدوه فيستحقوا به الثواب عن ابن عباس و الجبائى «إِنَّ يَشَأُ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ» أى إن يشأ يهلككم و يفتنكم و يخلق قوما آخرين مكانكم لأن من قدر على بناء الشىء كان على هدمه أقدر إذ لم يخرج عن كونه قادرا «وَ مَا ذَلِكُ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ» أى و ما إهلاككم و الإتيان بخلق جديد بممتنع و لا متعذر على الله تعالى «وَ بَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا» أخبر سبحانه أن الخلق يبرزون يوم القيامة لله أى يظهرون من قبورهم و يخرجون منها لحكم الله فاللفظ للماضى و المراد به الاستقبال للتحقيق و صحه الوقوع و قيل معناه سيرزون لله جميعا القاده و الاتباع عن ابن عباس و هو يتصل بقوله «وَ لَا يَكَادُ يُسِيغُهُ». لما تقدم ذلك الوعيد بين صفه ذلك اليوم و ما يجرى بين الأتباع و المتبوعين من المجادله و قال «فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا» أى تكبروا عن الإيمان فلم يؤمنوا و هم القاده فى الدنيا الذين هم الأكابر و الرؤساء و القاده فى الدين الذين هم علماء السوء «إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا» فى الكفر على وجه التقليد «فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ عَلْنَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ» أى هل أنتم دافعون عنا شيئا من عذاب الله الذى قد نزل بنا إن لم تقدرنا على دفع الكل و من للتبعيض «قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ» أى قال المتبوعون للأتباع لو هداانا الله إلى طريق الخلاص من العقاب و الوصول إلى النعيم و الثواب لهديناكم إلى ذلك و المعنى لو خالصنا لخلصناكم أيضا لكن لا مطعم فيه لنا و لكم عن الجبائى و أبى مسلم و قيل معناه لو هداانا الله إلى الرجعه إلى الدنيا فنصلح ما أفسدناه لهديناكم و قيل لو هداانا الله بإجابتنا إلى الطلب لهديناكم بالمسأله له سبحانه ذكر هذين الوجهين القاضى عبد الجبار فى تفسيره «سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَمْ جَزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ» يعنى أن الصبر و الجزع سيان مثلان ليس لنا محيص و لا- مهرب من عذاب الله أى انقطعت حيلتنا و يئسنا من النجاه. حث الله سبحانه فى هذه الآيه على النظر و حذر من التقليد و

إلى هذا أشار أمير المؤمنين على (عليه السلام) فى قوله للحارث الهمدانى يا حار الحق لا يعرف

بالرجال اعرف الحق تعرف أهله.

[سوره إبراهيم (١٤): آيه ٢٢]

اشاره

وَ قَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعِدَ الْحَقُّ وَ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَ مَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلْمُزُونِي وَ لَوْمُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَ مَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢)

القراءه

قرأ حمزه وحده بمصرخي بكسر الياء و الباقون بفتحها.

الحجه

قال أبو على قال الفراء فى كتابه فى التصريف هو قراءه الأعمش و يحيى بن وثاب قال و زعم القاسم بن معن أنه صواب قال و كان ثقه بصيرا و زعم قطرب أنه لغه من بنى يربوع يزيدون على ياء الإضافه ياء و أنشد:

ماض إذا ما هم بالمضى قال لها هل لك يا ناقي

قالت له ما أنت بالمرضى

و أنشد الفراء ذلك أيضا و وجه ذلك من القياس أن الياء ليست تخلو من أن تكون فى موضع النصب أو الجر فالياء فى النصب و الجر كالهاء فيهما و كالكاف فى أكرمتهك و هذا لك فكما أن الهاء قد لحقتها الزيادة فى هذا كهو و ألحقت أيضا الكاف الزيادة فى قول من قال أعطيتكاه و أعطيتكاه فيما حكاه سيبويه و هما أختا الياء كذلك ألحقوا الياء الزيادة فى المد فقالوا فى ثم حذف الياء الزائده على الياء كما حذف الزيادة من الهاء فى قول من قال له أرقان و زعم أبو الحسن أنها لغه فكما حذف الزيادة من الكاف فى قول من قال أعطيتكاه و أعطيتكاه كذلك حذف الياء اللاحقه للياء و بالجمله حذف الزيادة من الياء كما حذف من أختيها و أقرت الكسره التى كانت تلى الياء المحذوفه فبقيت الياء على ما كانت عليها من الكسره و كما لحقت الكاف و الهاء و الياء الزيادة كذلك لحقت التاء الزيادة نحو:

"رمىته فأصبتيه و ما أخطأت الرميّه"

فإذا كانت هذه الكسره فى الياء على هذه اللغه و إن كان غيرها

أفشى منها وعضده من القياس ما ذكرنا لم يجز لقائل أن يقول إن القراءه بذلك لحن لاستفاضه ذلك فى السماع و القياس قال البصير كسر الياء ليكون طبعا لكسره همزه قوله «إِنِّي كَفَرْتُ» لأنه أراد الوصل دون الوقف و الابتداء بأنى كفرت لأن الابتداء بأنى كفرت محال فلما أراد هذا المعنى كان كسر الياء أدل على هذا من فتحها.

اللغه

الإصراخ الإغاثة بإجابه الصارخ و يقال استصرخنى فلان فأصرخته أى استغاث بى فأغثته.

المعنى

لما تقدم وعيد الكافر و صفه يوم الحشر و ما يجرى فيه من الجدل بين الأتباع و المتبوعين عقب ذلك سبحانه بكلام الشيطان فى ذلك اليوم فقال «وَقَالَ الشَّيْطَانُ» و هو إبليس باتفاق المفسرين يقول لأوليائه الذين اتبعوه «لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ» أى فرغ من الحكم بين الخلائق و دخل أهل الجنة الجنة و أهل النار النار عن ابن عباس و الحسن و قالوا أنه لم يخاطبهم بذلك قال الحسن و هو أحقر و أذل من أن يخاطب لو لا أن الله أذن فيه توييخا لأهل النار و قيل إنه يوضع له منبر فى النار فيرقاه و يجتمع الكفار عليه بالأئمه عن مقاتل «إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعِدَ الْحَقُّ» من البعث و النشور و الحساب و الثواب و العقاب «وَوَعَدْتُكُمْ» أن لا بعث و لا نشور و لا جنه و لا نار و قيل وعدتكم الخلاص من العقاب بارتكاب المعاصى «فَأَخْلَفْتُكُمْ» أى كذبتكم و قيل لم أوف لكم بما وعدتكم «وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ» أى و ما كان لى عليكم سلطان بالإكراه و الإجبار على الكفر و المعاصى و إنما كان لى سبيل الوسوسه و الدعوه «فَأَسْتَجِبْتُمْ لِي» بسوء اختياركم و قيل معناه لكن دعوتكم إلى الضلال و أغويتكم فصدقتمونى و أجبتمونى و قبلتم مقالتي بسوء اختياركم لأنفسكم «فَلَا تُلُومُنِي» على ما حل بكم من العقاب بسوء اختياركم «وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ» حيث عدلتم عن أمر الله إلى اتباعى من غير دليل و برهان «مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ» أى ما أنا بمغيثكم و لا- معينكم و ما أنتم بمغيثى و لا- معينى «إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ» أى كفرت الآن بما كان من إشراككم إياى مع الله فى الطاعه أى جحدت أن أكون شريكا لله تعالى فيما أشركتمونى فيه من قبل هذا اليوم و قال الفراء و جماعه تقديره إنى كفرت بما أشركتمونى به أى بالله و يعنى بقوله «مِنْ قَبْلُ» فى وقت آدم (عليه السلام) حين أمر بالسجود فأبى و استكبر «إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» قيل إنه من تمام قول الشيطان لأهل النار و قيل أنه ابتداء وعيد من الله تعالى لهم و هو الأظهر و فى هذه الآيه دلالة على أن الشيطان لا يقدر على أكثر من الدعاء و الإغواء و أنه ليس عليه إلا عقاب الدعوه فحسب.

إشارة

وَأَدْخَلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ (٢٣) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَضَلُّهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (٢٦)

القراءة

في الشواذ قراءة الحسن و أدخل الذين آمنوا برفع اللام.

الحجج

قال ابن جنى: هذه القراءة على أن أدخل من كلام الله كأنه قطع الكلام و استؤنف فقال الله و أنا أدخل المؤمنين جنات و على هذا فقوله «بِإِذْنِ رَبِّهِمْ» أى بإذنى إلا أنه أعاد ذكر الرب ليضيفه إليهم فيكون أذهب فى الإكرام و التقريب منه لهم.

اللغة

التحية التلقى بالكرامه فى المخاطبه و أما قوله (التحيات لله) فإن فى ذلك ثلاثة أقوال (أولها) المعنى أن الملك لله يقال حياك الله أى ملكك (و ثانيها) البقاء لله يقال حياك الله أى أبقاك الله فيكون بمعنى أحياك الله كما يقال وصى و أوصى و مهل و أمهل (و ثالثها) أن ذلك بمعنى السلام قال القتيبي و إنما جمع لأنه كان فى الأرض ملوك يحيون بتحيات مختلفه فيقال لبعضهم أبيت اللعن و لبعضهم أسلم و أنعم و لبعضهم عش ألف سنه فقيل لنا قولوا التحيات لله أى كل الألفاظ التى يحيا بها الملوك هى لله و الاجتثاث اقتلاع الشىء من أصله يقال جثه و اجثته و الجثه أخذت منه.

المعنى

لما تقدم وعيد الكافرين عقبه سبحانه بالوعد للمؤمنين فقال «وَأَدْخَلَ الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا الله و رسوله «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» أى الطاعات «جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا» قد سبق معناه «بِإِذْنِ رَبِّهِمْ» أى بأمر ربهم و إطلاقه

«تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ» مر تفسيره في سورة يونس ثم ضرب الله سبحانه مثل يقرب من أفهام السامعين ترغيبا للخلق في اتباع الحق فقال «أَلَمْ تَرَ» أى ألم تعلم يا محمد «كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا» أى بين الله شيئا ثم فسر ذلك المثل فقال «كَلِمَةً طَيِّبَةً» و هى كلمه التوحيد شهاده أن لا إله إلا الله عن ابن عباس و قيل هى كل كلام أمر الله تعالى به من الطاعات عن أبى على قال و إنما سماها طيبه لأنها زاكه ناميه لصاحبها بالخيرات و البركات «كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَ فَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ» أى شجره زاكه ناميه راسخه أصولها فى الأرض عاليه أغصانها و ثمارها فى السماء و أراد به المبالغه فى الرفعه و الأصل سافل و الفرع عال إلا أنه يتوصل من الأصل إلى الفرع و

روى أنس عن النبى ص أن هذه الشجره الطيبه هى النخله

و قيل إنها شجره فى اللجنه عن ابن عباس و

روى ابن عقده عن أبى جعفر (عليه السلام) أن الشجره رسول الله ص و فرعها على (عليه السلام) و عنصر الشجره فاطمه و ثمرتها أولادها و أغصانها و أوراقها شيعتنا ثم قال (عليه السلام) أن الرجل من شيعتنا ليموت فيسقط من الشجره ورقه و أن المولود من شيعتنا ليولد فيورق مكان تلك الورقه ورقه

و

روى عن ابن عباس قال قال جبريل (عليه السلام) للنبي ص أنت الشجره و على غصنها و فاطمه ورقها و الحسن و الحسين ثمارها و قيل أراد بتلك شجره هذه صفتها و أن لم يكن لها وجود فى الدنيا لكن الصفه معلومه و قيل إن المراد بالكلمه الطيبه الإيمان و بالشجره الطيبه المؤمن «تُؤْتِي أُكْلَهَا» أى تخرج هذه الشجره ما يؤكل منها

«كُلِّ حِينٍ» أى فى كل سته أشهر عن ابن عباس و أبى جعفر (عليه السلام)

و قال الحسن و سعيد بن جبیر أراد بذلك أنه يؤكل ثمرها فى الصيف و طلعتها فى الشتاء و ما بين صرام النخله إلى حملها سته أشهر و قال مجاهد و عكرمه كل حين أى كل سنه لأنها تحمل فى كل سنه مره و قال سعيد بن المسيب فى كل شهرين لأن من وقت ما يطعم النخل إلى صرامه يكون شهرين و قيل لأن من وقت أن يصرم النخل إلى حين يطعم يكون شهرين و قال الربيع بن أنس كل حين أى كل غدوه و عشيه و روى ذلك عن ابن عباس أيضا و قيل معناه فى جميع الأوقات لأن ثمر النخل يكون أولا طلعا ثم يصير بلحا ثم بسرا ثم رطبا ثم تمرا فيكون ثمره موجودا فى كل الأوقات و يدل على أن الحين بمنزله الوقت قول النابغه فى صفه الحيه و الملدوغ:

تناذرها الراقون من سوء سمها تطلقه حينا و حينا تراجع

يعنى أن السم يخف ألمه وقتا و يعود وقتا و قيل إنه سبحانه شبه الإيمان بالنخلة لثبات الإيمان فى قلب المؤمن كثبات النخلة فى منبتها و شبه ارتفاع علمه إلى السماء بارتفاع فروع النخلة و شبه ما يكسبه المؤمنون من بركة الإيمان و ثوابه فى كل وقت و حين بما ينال من ثمره النخلة فى أوقات السنه كلها من الرطب و التمر و قيل إن معنى قوله «تَوْتَى أَكَلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا» ما يفتى به الأئمه من آل محمد ص و شيعتهم فى الحلال و الحرام «وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» أى لكى يتدبروا فيعرفوا الغرض بالمثل «وَ مَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ» و هى كلمه الكفر و الشرك عن ابن عباس و غيره و قيل هو كل كلام فى معصيه الله تعالى عن أبى على «كَشَجَرِهِ خَبِيثَةٍ» غير زاكيه و هى شجره الحنظل عن ابن عباس و أنس و مجاهد و قيل إنها شجره هذه صفتها و هو أنه لا قرار لها فى الأرض عن الحسن و قيل إنها الكشوث عن الضحاك و

روى أبو الجارود عن أبى جعفر (عليه السلام) أن هذا مثل بنى أميه

«الْجُسْتُ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ» أى اقتطعت و استوصلت و اقتلعت جثته من الأرض «مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ» أى ما لتلك الشجره من ثبات فإن الريح تنسفها و تذهب بها فكما أن هذه الشجره لا ثبات لها و لا بقاء و لا ينتفع بها أحد فكذلك الكلمه الخبيثه لا ينتفع بها صاحبها و لا يثبت له منها نفع و لا ثواب و روى عن ابن عباس أيضا أنها شجره لم يخلقها الله بعد و إنما هو مثل ضربه بهذا و هذا القول حسن لأن الحنظل و غيره قد ينتفع بذلك فى الأدوية.

[سوره إبراهيم (١٤): الآيات ٢٧ الى ٣٠]

إشاره

يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ وَ يُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَ يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَ بئْسَ الْقَرَارُ (٢٩) وَ جَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (٣٠)

اللغه

الإحلال وضع الشىء فى محل إما بمجاوره إن كان من قبيل الأجسام أو بمدخله إن كان من قبيل الأعراض و البوار الهلاك يقال بار الشىء يبور بورا إذا هلك و رجل

ص: ٦٦

بور أى هالك و قوم بور أيضا قال ابن الزبيرى:

يا رسول المليك إن لسانى راتق ما فتقت إذ أنا بور

و الأنداد الأمثال المنادون قال:

تهدى رءوس المترفين الأنداد إلى أمير المؤمنين الممتاد

. الإعراب

جهنم انتصب على البدل من قوله «دار البوار» و «يصلونها» فى موضع نصب على الحال من قومهم و إن شئت كان حالا من جهنم و إن شئت فمنهما كقوله تحمله بعد قوله فأتت به قومها.

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر الكلمه الطيبه عقبه بذكر ما يحصل لصاحبها من المثوبه و الكرامه فقال «يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الآخِرَةِ» أى يثبتهم فى كرامته و ثوابه بالقول الثابت الذى وجد منهم و هو كلمه الإيمان لأنه ثابت بالحجج و الأدله و قيل معناه يثبت الله المؤمنين بسبب كلمه التوحيد و حرمتها فى الحياه الدنيا حتى لا يزلوا و لا يضلوا عن طريق الحق و يثبتهم بها حتى لا- يزلوا و لا- يضلوا عن طريق الجنه و قيل معناه يثبتهم بالتمكين فى الأرض و النصره و الفتح فى الدنيا و بإسكانهم الجنه فى الآخره عن أبى مسلم و قال أكثر المفسرين إن المراد بقوله «فِي الآخِرَةِ» فى القبر و

الآيه وردت فى سؤال القبر و هو قول ابن عباس و ابن مسعود و هو المروى عن أئمتنا (عليه السلام)

و

روى محمد بن يعقوب الكلينى فى كتاب الكافى بإسناده عن سويد بن غفله عن أمير المؤمنين على (عليه السلام) قال إن ابن آدم إذا كان فى آخر يوم من الدنيا و أول يوم من الآخره مثل له ماله و ولده و عمله فيلتفت إلى ماله فيقول و الله إنى كنت عليك لحريصا شحيحا فما لى عندك فيقول خذ منى كفنك فيلتفت إلى ولده فيقول و الله إنى كنت لكم لمحبا و عليكم لمحاميا فما ذا لى عندكم فيقولون تؤديك إلى حفرتك نواريك فيها قال فيلتفت إلى عمله فيقول و الله إنى كنت فيك لزاهدا و إن كنت على لثقيلا فما ذا لى عندك فيقول أنا قرينك فى قبرك و يوم نشرك حتى أعرض أنا و أنت على ربك قال فإن كان لله وليا أتاه أطيب الناس ريحا و أحسنهم منظرا و أحسنهم ريشا فقال أبشر بروح و ريحان و جنه نعيم و مقدمك خير مقدم فيقول له من أنت فيقول أنا عملك الصالح ارتحل من الدنيا إلى الجنه و أنه ليعرف غاسله و يناشد حامله أن يعجله فإذا أدخل قبره أتاه ملكا القبر يجران أشعارهما و يخدان الأرض بأنيابهما أصواتهما

كالرعد القاصف و أبصارهما كالبرق الخاطف فيقولان له من ربك و ما دينك و من نبيك فيقول الله ربي و ديني الإسلام و نبيي محمد ص فيقولان ثبتك الله فيما تحب و ترضى و هو قوله سبحانه «يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ» ثم يفسحان له في قبره مد بصره ثم يفتحان له بابا إلى الجنة ثم يقولان له نم قرير العين نوم الشاب الناعم فإن الله يقول أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ مَقِيلًا قَالَ وَ إِذَا كَانَ لِرَبِّهِ عَدَاوَةٌ فَإِنَّهُ يَأْتِيهِ أَقْبَحُ خَلْقِ اللَّهِ زِيَا وَ أَنْتَنَّهُ رِيحًا فيقول أبشر بنزل من حميم و تصليه جحيم و إنه ليعرف غاسله و يناشد حملته أن يحتبسوه فإذا أدخل القبر أتاه ملكا القبر فألقيا أكفانه ثم يقولان له من ربك و ما دينك و من نبيك فيقول لا أدري فيقولان له لا دريت و لا هديت فيضربان يافوخه بمرزبه معهما ضربه ما خلق الله من دابه إلا تدعر لها ما خلا الثقلين ثم يفتحان له بابا إلى النار ثم يقولان له نم بشر حال فيه من الضيق مثل ما فيه القناه من الزج حتى أن دماغه ليخرج من بين ظفره و لحمه و يسלט الله عليه حيات الأرض و عقاربها و هوامها فتنهشه حتى يبعثه الله من قبره و أنا ليطمني قيام الساعة مما هو فيه من الشر نعوذ بالله من عذاب القبر

«وَ يُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ» أى و يضلهم عن هذا التثبيت فى الدنيا و فى الآخرة «وَ يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ» من الإمهال و الانتقام و ضغطه القبر و مساءله منكر و نكير لا اعتراض عليه فى ذلك و لا قدره لأحد على منعه و هذا من تمام الترغيب و التهيب ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا» يحتمل أن يكون المراد ألم تر إلى هؤلاء الكفار عرفوا نعمه الله بمحمد ص أى عرفوا محمدا ثم كفروا به فبدلوا مكان الشكر كفرا و

روى عن الصادق (عليه السلام) أنه قال نحن و الله نعمه الله التى أنعمها أنعم بها على عباده و بنا يفوز من فاز. ذكره على بن إبراهيم فى تفسيره

و يحتمل أن يكون المراد جميع نعم الله على العموم بدلوها أقبح التبديل إذا جعلوا مكان شكرها الكفر بها و اختلف فى المعنى بالآيه

فروى عن أمير المؤمنين على (عليه السلام) و ابن عباس و سعيد بن جبير و الضحاك و مجاهد أنهم كفار قريش كذبوا نبيهم و نصبوا له الحرب و العداوة

و

سأل رجل أمير المؤمنين عليا (عليه السلام) عن هذه الآيه فقال هم الأفجران من قريش بنو أميه و بنو المغيرة فأما بنو أميه فمتعوهم إلى حين و أما بنو المغيرة فكفيتهم يوم بدر

و قيل إنهم جبله بن الأبيهم و من اتبعوه من العرب تنصروا و لحقوا بالروم «وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ» أى أنزلوا قومهم دار الهلاك بأن أخرجوهم إلى بدر و قيل معناه أنزلوهم دار الهلاك و هى النار بدعائهم إياهم إلى الكفر بالنبي و إغوائهم إياهم «جَهَنَّمَ يَصِفُ لَوْ أَنَّهَا وَ بَسَّ الْقُرَّاءُ» و هذا تفسير لدار البوار يعنى أن تلك الدار هى جهنم يدخلونها و بسس القرار قرار من قراره النار «وَ جَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا» أى و جعل

هؤلاء الكفار الذين بدلوا نعمه الله كفرًا لله نظراء و أمثالا في العبادة زياده على كفرهم و جحدهم «لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ» أى ليكون عاقبه أمرهم إلى الضلال الذى هو الهلاك و ليست هذه اللام الغرض لأنهم لم يعبدوا الأوثان من دون الله و غرضهم أن يهلكوا و من قرأ «لِيُضِلُّوا» بضم الياء فمعناه ليضل الناس عن سبيل الله ثم قال سبحانه لنيبه ص «قُلْ» لهؤلاء الكفار الذين وصفناهم «تَمَتَّعُوا» و انتفعوا بما تهوون من عاجل هذه الدنيا و المراد به التهديد و إن كان بصورة الأمر «فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ» أى مرجعكم و مآلكم «إِلَى النَّارِ» و الكون فيها و كان قد يكون.

[سوره إبراهيم (١٤): الآيات ٣١ الى ٣٤]

اشاره

قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ (٣١) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤)

القراءة

قرأ زيد عن يعقوب

من كل ما سألتموه بالتونين و هو قراءه ابن عباس و الحسن و محمد بن على الباقر (عليه السلام) و جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)

و الضحاك و عمرو بن قائد و قرأ سائر القراء «مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ» بالإضافه.

الحجه

أما القراءه بالتونين فإن المفعول فيها ملفوظ به أى و آتاكم ما سألتموه من كل شىء سألتموه أن يؤتيكم منه و قال الضحاك أن ما للنفي معناه و آتاكم من كل شىء لم تسألوه إياه أما القراءه على الإضافه فالمفعول فيها محذوف أى و آتاكم سؤالكم من كل شىء سألتموه.

ص: ٦٩

الخلال مصدر خالته مخاله و خلالا أى صادفته قال امرؤ القيس:

صرفت الهوى عنهن من خشيه الردى و لست بمقلى الخلال و لا قال

و قد يكون الخلال جمع خله و يكون مثل قله و قلال و الدءوب مرور الشىء فى العمل على عادته جاريه فيه يقال دأب يدأب دأبا و دئوبا فهو دأب.

الإعراب

يقيموا جزم من ثلاثه أوجه (أحدها) أنه جواب الأمر الذى هو قل لأن المعنى فى قل أن تقل لهم يقيموا الصلاه (و الثانى) أنه جواب أمر محذوف و تقديره قل لعبادى أقيموا الصلاه يقيموا الصلاه (و الثالث) أنه على حذف لام الأمر كأنه قال قل لعبادى لقيموا الصلاه و إنما جاز حذف اللام هنا لأن فى الكلام دليلا على المحذوف ألا ترى أن لفظ الأمر بقل قد دل على الغائب تقول قل لزيد ليضرب عمرو و إن شئت قلت قل لزيد يضرب عمرو و لا يجوز أن تقول يضرب زيد عمرو بالجزم حتى تقول ليضرب لأن لام الغائب ليس هاهنا عوض منها إذا حذفها و قوله «لا يَبِيعُ فِيهِ وَ لا خِلالٌ» إن شئت رفعت البيع و الخلال جميعا و إن شئت فتحتهما و إن شئت فتحت أحدهما و رفعت الآخر و قد شرحنا ذلك فيما مضى.

المعنى

«قُلْ» يا محمد «لِعِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا» أى اعترفوا بتوحيد الله و عدله عنى به أصحاب النبى ص عن ابن عباس و قيل أراد به جميع المؤمنين عن الجبائى «يُقِيمُوا الصَّلَاةَ» أى يؤدوا الصلوات الخمس لمواقيتها فإن الصلاه لا تصير قائمه إلا بإقامتهم «وَ يُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَ عَلَانِيَةً» أى و قل لهم ينفقوا من أموالهم فى وجوه البر من الفرائض و النوافل ينفقون فى النوافل سرا ليدفعوا عن أنفسهم تهمة الرياء و فى الفرائض علانية ليدفعوا تهمة المنع «مَنْ قَبِيلٍ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمًا لَا يَبِيعُ فِيهِ» يعنى يوم القيامة و المراد بالبيع إعطاء البدل ليتخلص به من النار لا أن هناك مبيعه «وَ لا خِلالٌ» أى و لا مصادقه و هذا مثل قوله الأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ثم بين سبحانه أنه المستحق للإلهيه فقال «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ» أى أنشأهما من غير شىء و بدأ بذكرهما لعظم شأنهما فى القدره و النعمه «وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» أى غيثا و مطرا «فَأَخْرَجَ بِهِ» أى بذلك الماء «مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ» يعنى أن الغرض فى ذلك أن يؤتيكم أرزاقكم «وَ سَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْمَكَ» أى السفن و المراكب «لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ» أى بأمر الله لأنها يسير بالرياح

و الله هو المنشىء للرياح «وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ» التى تجرى بالمياه التى ينزلها من السماء و يجريها فى الأودية و ينصب منها فى الأنهار «وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ» أى ذلل لمنافعكم الشمس و القمر فى سيرهما لتنتفعا بضوء الشمس نهارا و بضوء القمر ليلا- و ليبلغ بها الثمار و النبات فى النضج الحد الذى عليه تتم النعمة فيهما «دَائِمِينَ» أى دائمين لا- يفتران فى صلاح الخلق و النباتات و منافعهم «وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ» أى ذللها لكم و مهدهما لمنافعكم لتسكنوا فى الليل و لتبتغوا فى النهار من فضله «وَ آتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ» معناه أن الإنسان قد يسأل الله العافية فيعطى و يسأله النجاه فيعطى و يسأله الغنى فيعطى و يسأله الولد و العز فيعطى و يسأله تيسير الأمور و شرح الصدور فيعطى فهذا فى الجملة حاصل فى الدعاء لله تعالى ما لم يكن فيه مفسده فى الدين أو على غيره فأين يذهب به مع هذه النعم التى لا تحصى كثره عن الله الذى هو فى كل حال محتاج إليه و هو مظاهره بالنعم عليه و دخلت من للتبعيض لأنه لو قال و آتاكم كل ما سألتموه لاقتضى أن جميع ما يسأله العبد يعطيه الله تعالى و الأمر بخلافه لأن ما فيه مفسده لا يعطيه الله إياه و تقديره و آتاكم من كل ما سألتكم شيئا و قيل معناه و آتاكم من كل ما بكم إليه حاجه فما من شىء يحتاج إليه العباد إلا و هو موجود فيما بينهم و هو كقوله خَلَقَ لَكُمْ ما فى الْأَرْضِ جَمِيعاً و لم يخصص كل واحد من الخلق بإيتاء كل ما سأله و قيل معناه و آتاكم من كل شىء سألتموه و لم تسألوه فما هاهنا نكره موصوفه و الجملة صفه له و حذف الجملة المعطوفه و هى لم تسألوه كقوله سَيَّرَ لَكُمْ الْحَرَ و المعنى و تقيكم البرد و إن فيما أبقي دليلا على ما ألقى «وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا» أى لا تقدرها على إحصائها لكثرتها و النعمه هنا اسم أقيم مقام المصدر و لذلك لم يجمع فيبين سبحانه أنه هو المنعم على الحقيقه و أنه المستحق للعباده و يروى عن طليق بن حبيب أنه قال إن حق الله تعالى أثقل من أن يقوم به العباد فإن نعم الله أكثر من أن تحصيها العباد و لكن أصبحوا تائبين و أمسوا تائبين «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ» أى كثير الظلم لنفسه «كَفَّارٌ» أى كثير الكفران لنعم ربه و قيل معناه ظلوم فى الشده يشكو و يجزع كفار فى النعمه يجمع و يمنع و لم يرد بالإنسان هاهنا العموم بل هو مثل ما فى قوله وَ الْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ.

النظم

اتصل قوله سبحانه «قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ» بما تقدم من قوله «قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ» فإنه عقب ذلك بالأمر للمؤمنين بما يوجب النعيم المقيم و مرافقه الأبرار ليكون قد عقب الوعيد بالوعد و العقاب بالثواب و اتصلت الآيه الثانيه بقوله «وَ جَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً» فإنه سبحانه لما ذكر ما هم عليه من اتخاذ الأنداد لله سبحانه بين

ص: ٧١

بعده أن واجب الوجود المستحق للإلهية الذي يحق له العبادة هو الله الذي خلق السماوات والأرض الآيه.

[سوره إبراهيم (١٤): الآيات ٣٥ الى ٤١]

إشارة

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلَنَّا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٦) رَبَّنَا إِنِّي أَسِيءْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧) رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٣٨) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ الدُّعَاءِ (٣٩)

رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (٤١)

القراءة

في الشواذ قراءة الجحدري والثقفى وأبى الجحجاج وأجنبني بقطع الهمزة و

قرأ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأبو جعفر الباقر (عليه السلام) و جعفر بن محمد (عليه السلام) و مجاهد تهوى إليهم

بفتح الواو وقرأ ابن كثير وأبو عمرو و حمزه و هبيرة عن حفص و تقبل دعائي ربنا بإثبات الياء في الوصل و في روايه البزى عن ابن كثير أنه يصل و يقف بياء و قال

ص: ٧٢

قبيل أنه يشم اليباء فى الوصل و لا يشبتها و يقف عليها بالألف و الباقون «دُعَاء» بغير ياء و

قرأ الحسن بن على (عليه السلام) و أبو جعفر محمد بن على (عليه السلام) و الزهرى و إبراهيم النخعى و لولدى

و قرأ يحيى بن يعمر و لولدى و قرأ سعيد بن جبير و لوالدى.

الحجج

يقال جنبت الشىء ء أجنبه جنوبا و من العرب من يقول أجنبته أجنبه أى تجنبتة عن الشىء ء و كان معنى قوله «أَجْنَبْنِي وَ بَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ» اصرفنى و إياهم عن عباده الأصنام و معنى اجنبنى اجعلنى كالجنب عن ذلك و أما قوله تهوى إليهم بفتح الواو فهو من هويت الشىء ء أهواه إذا أحببته و إنما جاز تعديته بالى لأن معنى هويت الشىء ء ملت إليه فكأنه قال تميل إليهم فهو محمول على المعنى و مثله قوله سبحانه أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ فعدى الرفث بالى و أنت لا تقول رفثت إلى فلان و إنما تقول رفثت بها أو معها و لكنه لما كان معنى الرفث هنا معنى الإفشاء عداه بالى فكأنه قال أحل لكم الإفشاء إلى نساءكم قال ابن جنى: المعنى فى قراءه الجماعه «تَهْوَى إِلَيْهِمْ» تميل إليهم أى تحبهم فهذا فى المعنى كقولهم و هو ينحط فى هواك أى يخلد إليه و يقيم عليه و ذلك أن الإنسان إذ أحب الشىء ء أكثر من ذكره و أقام عليه و إذا كرهه خف إلى سواه و قولهم هويت فلانا من لفظ هوى إلى الشىء ء يهوى إلا- أنهم خالفوا بين المثالين لاختلاف ظاهر الأمرين و إن كانا على معنى واحد متلاقين و أما من وصل دعائى بياء فهو القياس من شم اليباء فى الوصل و لا يشبتها فلذلاله الكسر على اليباء قال أبو على: حذف اليباء فى الوقف أقيس من حذفها فى الوصل لأن الوقف موضع تغيير يغير فيه الحرف الموقوف عليه كثيرا قال الأعشى:

فهل يمنعنى ارتيادى البلاد من حذر الموت أن يأتين

و قال:

و من شأنى كاسف وجهه إذا ما انتسبت له أنكرن

و من قرأ لولدى فإنه يعنى إسماعيل و إسحاق و من قرأ لولدى فإن الولد قد يكون واحدا و جمعا تقول العرب ولدك من دمي عقيبك و معناه ولدك من ولدته فسأل دمك على عقيبك عند ولادته لا من اتخذته ولدا و إذا كان جمعا فيجوز أن يكون جمع ولد فهو كأسد و أسد و يجوز أن يكون جمع ولد أيضا فيكون مثل الفلك فى أنه جمع الفلك.

اللغة

الوادى سفح الجبل العظيم و منها قبيل للأنهار العظام أوديه لأن حافاتهما كالجبال لها و منه السديه لأنه مال عظيم يحتمل فى أمر عظيم.

«وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ» معناه واذكر يا محمد إذ قال إبراهيم «رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا» يعنى مكه و ما حولها من الحرم وقيل إن إبراهيم (عليه السلام) لما فرغ من بناء الكعبه دعا بهذا الدعاء وقد تقدم تفسيره فى سورة البقره و إنما قال هناك بلدًا آمِنًا و قال هنا «هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا» معرفًا لأن النكره إذا تكررت و أعيدت صارت معرفه و مثله فى التنزيل فيها مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجِهِ الرَّجَاجُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دَعَاءَ إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) حتى كان الإنسان يرى قاتل أبيه فيها فلا يتعرض له و يدنو الوحش فيها من الناس فيأمن منهم «وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ» أى و الطف لى و لبنى لطفا نتجنب به عن عباده الأصنام و دعاء الأنبياء لا يكون إلا مستجابا فعلى هذا يكون سؤاله ذلك مخصوصا بمن علم الله من حاله أن يكون مؤمنا لا يعبد إلا الله و يكون الله سبحانه قد أذن له فى الدعاء لهم و استجاب دعاءه فيهم «رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَّلَنِي كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ» معناه ضل بسببهن و عبادتهن كثير من الناس كما يقال فتننتى فلانه يعنى افتنتت بحبها لا لأنها عملت شيئا و كما فى قول الشاعر:

هبونى امرءا منكم أضل بعيره له ذمه إن الذمام كبير

و إنما أراد ضل بعيره لأن أحدا لا يضل بعيره قاصدا إلى إضلاله «فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي» يريد فمن تبعنى من ذريتى الذين أسكنتهم هذا البلد على دينى فى عباده الله وحده و ترك عباده الأصنام فإنه من جملتى و حاله كحالى «وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» أى ساتر على العباد معاصيهم رحيم بهم فى جميع أحوالهم منعم عليهم ثم حكى سبحانه تمام دعاء إبراهيم (عليه السلام) و أنه قال «رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي» أى أسكنت بعض أولادى و لا خلاف أنه يريد إسماعيل (عليه السلام) مع أمه هاجر و هو أكبر ولده و

روى عن الباقر (عليه السلام) أنه قال نحن بقيه تلك العتره و قال كانت دعوه إبراهيم (عليه السلام) لنا خاصه

«بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ» يريد وادى مكه و هو الأبطح و إنما قال غير ذى زرع لأنه لم يكن بها يومئذ ماء و لا زرع و لا ضرع و لم يذكر مفعول أسكنت لأن من يفيد بعض القوم كما يقال قتلنا من بنى فلان و أكلنا من الطعام و كما قال سبحانه أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله و تقديره أسكنت من ذريتى أناسا أو ولدا عن البلخى «عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ» إنما أضاف البيت إليه سبحانه لأنه مالكة لا يملكه أحد سواه و ما عداه من البيوت قد ملكه غيره من العباد و يسأل فيقال كيف سماه بيتا و لم يبنه إبراهيم (عليه السلام) بعد و الجواب من وجهين (أحدهما) أنه لما كان من المعلوم أنه يبنيه سماه بيتا و المراد عند بيتك الذى مضى فى سابق علمك كونه (و الثانى) أن البيت قد كان

قبل ذلك و إنما خربه طسم و جديس و قيل إنه رفعه الله إلى السماء أيام الطوفان و إنما سماه المحرم لأنه لا يستطيع أحد الوصول إليه إلا بالإحرام و قيل لأنه حرم فيه ما أحل في غيره من البيوت من الجماع و الملابس بشىء من الأقدار و الدماء و قيل معناه العظيم الحرمه «رَبَّنَا لِيُقَيِّمُوا الصَّلَاةَ» أى أسكنتهم هذا الوادى ليدوموا على الصلاة و يقيموا بشرائطها و اللام تتعلق بقوله أَشَكَّنْتُ و فصل بينه و بين ما تعلق بقوله رَبَّنَا لأن الفصل بالنداء مستحب فى هذا و إذا جاء نحو قوله:

على حين ألهى الناس جل أمورهم فندلا زريق المال ندل الثعالب

أى اندل المال يا زريق ففصل بالنداء بين المصدر و ما تعلق به كان هذا أولى «فَأَجْعَلْ أُنْدَهُ مِنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ» هذا سؤال من إبراهيم (عليه السلام) أن يجعل الله قلوب الخلق تحن إلى ذلك الموضع ليكون فى ذلك أنس لذريته بمن يرد عليهم من الوفود و ليدر أرزاقهم على مرور الأوقات و لو لا لطفه سبحانه بإماله قلوب الناس إليه إما للدين كالحج و العمره و إما للتجاره لما صح أن يعيش ساكنوه قال سعيد بن جبیر لو قال أُنْدَهُ الناس لحجت اليهود و النصارى و المجوس و لكنه قال من الناس فهم المسلمون و روى مجاهد أنه قال إن إبراهيم (عليه السلام) لو قال أُنْدَهُ الناس لآزدحت عليه فارس و الروم و

روى الفضل بن يسار و غيره عن الباقر (عليه السلام) أنه قال إنما أمر الناس أن يطوفوا بهذه الأحجار ثم ينفروا إلينا فيعلمونا ولا يتهم و يعرضوا علينا نصرهم ثم قرأ هذه الآيه

و قيل إن معنى تهوى إليهم ينزع إليهم و يميل عن ابن عباس و قتاده و قيل معناه و ينزل و يهبط إليهم لأن مكة فى غور عن أبى مسلم «وَ أَرْزُقُهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ» أى لكى يشكروا لك و يعبدوك «رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفَى وَ مَا نُغَلِّبُ» هذا اعتراف من إبراهيم (عليه السلام) لله سبحانه بأنه يعلم ما يبطن الخلق و ما يظهرونه و أنه لا يخفى عليه شىء مما فى الأرض و السماء و قيل إن قوله «وَ مَا يُخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي السَّمَاءِ» إنما هو إخبار منه سبحانه بذلك و ابتداء كلام من جهته لا على سبيل الحكايه عن إبراهيم (عليه السلام) بل هو اعتراض عن الجبائى قال ثم عاد إلى حكايه كلام إبراهيم (عليه السلام) فقال «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ» و هذا

اعتراف منه بنعم الله سبحانه و حمد له على إحسانه بأن وهب له على الكبير كبر سنه ولدين قال ابن عباس ولد له إسماعيل و هو ابن تسع و تسعين سنه و ولد له إسحاق و هو ابن مائه و اثنتى عشره سنه و قال سعيد بن جبير لم يولد لإبراهيم (عليه السلام) إلا بعد مائه و سبع عشره سنه «إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ» أى قابله و مجيبه عن ابن عباس و يؤيده قوله (سمع الله لمن حمده) «رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي» تقديره و اجعل من ذريتي مقيم الصلاة فحذف الفعل لأن ما قبله يدل عليه و هذا سؤال من إبراهيم (عليه السلام) من الله تعالى بأن يلفظ له اللطف الذى عنده يقيم الصلاة و يتمسك بالدين و أن يفعل مثل ذلك بجماعه من ذريته و هم الذين أسلموا منهم فسأل لهم مثل ما سأل لنفسه «رَبَّنَا وَ تَقَبَّلْ دُعَاءِ» أى و أجب دعائى فإن قبول الدعاء إنما هو الإجابة و قبول الطاعة الإثابة «رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَ لِيَوْمِ الدِّينِ» و استدل أصحابنا بهذا على ما ذهبوا إليه من أبوى إبراهيم (عليه السلام) لم يكونا كافرين لأنه إنما يسأل المغفره لهما يوم القيامة فلو كانا كافرين لما سأل ذلك لأنه قال فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ فصح أن أباه الذى كان كافرا إنما هو جده لأمه أو عمه على الخلاف فيه و من قال إنما دعا لأبيه لأنه كان وعده أن يسلم فلما مات على الكفر تبرأ منه على ما روى الحسن فقله فاسد لأن إبراهيم (عليه السلام) إنما دعا بهذا الدعاء بعد الكبر و بعد أن وهب له إسماعيل و إسحاق و قد تبين له فى هذا الوقت عداوه أبيه الكافر لله فلا يجوز أن يقصده بدعائه «وَ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ» أى و اغفر للمؤمنين أيضا يوم يقوم الخلق للحساب و قيل معناه يوم يظهر وقت الحساب كما يقال قامت السوق.

النظم

اتصلت الآيات بما قبلها لأن النهى عن عباده الأصنام و الأمر بعباده الله سبحانه قد تقدم فبين الله سبحانه عقيب ذلك ما كان عليه إبراهيم (عليه السلام) من التشدد فى إنكار عباده الأصنام و الدعاء بما دعا به و قيل إنه معطوف على ما تقدم من قوله وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَ قِيلَ إِنَّهُ لَمَّا قَالَ وَ آتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ بَيْنَ عَقِيبِهِ مَا دَعَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) و سأله إياه و إجابته لدعائه و سؤاله.

إشارة

وَ لَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمَ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤْسِهِمْ لَا يَزِيدُ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ (٤٣) وَ أَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَجِبْ دَعْوَتَكَ وَ نَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوْ لَمْ نَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ (٤٤) وَ سَيَكُنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسِهِمْ وَ تَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَ ضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ (٤٥)

اللغة

الإهطاع الإسراع قال:

فى مهطع سرع كان زمامه فى رأس جذع من أراك مشذب

و قال آخر:

بدجله أهلها و لقد أراهم بدجله مهطعين إلى السماع

أى مسرعين و قيل إن الإهطاع مد العنق و الهطع طول العنق قال أحمد بن يحيى المهطع الذى ينظر فى ذل و خشوع لا يقلع بصره و الإقناع رفع الرأس و قال الزجاج المقنع الرافع و المقنع المرتفع قال الشماخ:

يباكرن العضاه بمقنعات نواجذهن كالحده الوقيع

أى كالفئوس المحدبه يصف إبلا ترعى الشجر و الطرف مصدر طرفت عين فلان إذا نظرت و هو أن ينظر ثم يغمض و الطرف العين أيضا و أفندتهم هواء أى متجوفه لا تعى شيئا للخوف و الفرع شبهها بهواء الجو قال حسان:

ألا أبلغ أبا سفيان عنى فأنت مجوف نخب هواء

و قال زهير:

كان الرجل منها فوق صعل من الظلمان جؤجؤه هواء

و الأجل الوقت المضروب لانقضاء الأمد.

الإعراب

«يَوْمَ يَأْتِيهِمْ» نصب على أنه مفعول به و العامل فيه أنذرهم و لا يكون على الظرف لأنه لم يؤمر بالإنذار فى ذلك اليوم. فيقول عطف على يأتيهم و ليس جواب الأمر لأنه لو كان جوابا له لجاز فيه النصب و الرفع فالنصب مثل قول الشاعر:

يا ناق سبرى عنقا فسيحا إلى سليمان فنستريحا

و الرفع على الاستئناف «و تَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ» فاعل تبين محذوف أى تبين لكم فعلنا بهم و لا- يكون الفاعل كيف لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله و لأن كيف لا يخبر عنه و إنما يخبر به و كيف هنا منصوب بقوله «فَعَلْنَا».

المعنى

لما ذكر سبحانه يوم الحساب وصفه و بين أنه لا- يمهل الظالمين عن غفله لكن لتأكيد الحجة قال «و لا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ» و فى هذا وعيد للظالم و تعزیه للمظلوم و معناه و لا تظنن الله ساهيا عن مجازاه الظالمين على أعمالهم و قيل إن تقديره و لا تحسبن الله لا يعاقب الظالمين على أفعالهم و لا ينتصف للمظلومين منهم «إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ» و معناه إنما يؤخر عقابهم و مجازاتهم إلى يوم القيامة و هو اليوم الذى تكون فيه الأبصار شاخصه عن مواضعها لا تغمض لهول ما ترى فى ذلك اليوم و لا- تطرف عن الجبائى و قيل تشخص أبصارهم إلى إجابته الداعى حين يدعوهم عن الحسن و قيل تبقى أبصارهم مفتوحة لا تنطبق للتخير و الرعب «مُهْطِعِينَ» أى مسرعين عن الحسن و سعيد بن جبیر و قتاده و قيل يريد دائمى النظر إلى ما يرون لا يطوفون عن ابن عباس و مجاهد «مُقْنِعِي رُؤْسِهِمْ» أى رافعى رؤوسهم إلى السماء حتى لا يرى الرجل مكان قدمه من شدة رفع الرأس و ذلك من هول يوم القيامة و قال مؤرج معناه ناكسى رؤوسهم بلغه قريش «لا يَزِيدُ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ» أى لا ترجع إليهم أعينهم و لا- يطبقونها و لا- يغمضونها و إنما هو نظر دائم «و أَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ» أى قلوبهم خاليه من كل شىء فرعا و خوفا عن ابن عباس و قيل خاليه من كل سرور و طمع فى الخير لشده ما يرون من الأهوال كالهواء الذى بين السماء

و الأرض و قيل معناه و أفئدتهم زائله عن مواضعها قد ارتفعت إلى حلوقهم لا- تخرج و لا- تعود إلى أماكنها بمنزله الشىء
الذاهب فى جهات مختلفه المتردد فى الهواء عن سعيد بن جبیر و قتاده و قيل معناه خاليه عن عقولهم عن الأخفش «وَ أَنْذِرِ
النَّاسَ» معناه و دم يا محمد على إنذارك الناس و هو عام فى كل مكلف عن الجبائى و أبى مسلم و قيل معناه و خوف أهل مكه
بالقرآن عن ابن عباس و الحسن «يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ» و هو يوم القيامة أو يأتيهم العذاب عذاب الاستئصال فى الدنيا و قيل هو
يوم المعايينه عند الموت و الأول أظهر «فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا» نفوسهم بارتكاب المعاصى «رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ
دَعْوَتَكَ» أى ردنا إلى الدنيا و اجعل ذلك مده قريبه نجب دعوتك فيها «وَ نَتَّبِعِ الرُّسُلَ» أى نتبع رسلك فيما يدعوننا إليه فيقول
الله تعالى مخاطبا لهم أو يقول الملائكه بأمره «أَ وَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسِيَّتُمْ» أى حلفتكم «مِنْ قَبْلُ» فى دار الدنيا «مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ» أى
ليس لكم من انتقال من الدنيا إلى الآخرة عن مجاهد و قيل معناه من زوال من الراحة إلى العذاب عن الحسن و فى هذه دلالة
على أن أهل الآخرة غير مكلفين خلافا لما يقول النجار و جماعه لأنهم لو كانوا مكلفين لما كان لقولهم «أَخْرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ»
وجه و لكان ينبغى لهم أن يؤمنوا فيتخلصوا من العقاب إذا كانوا مكلفين «وَ سَيَكْتُمُ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَ تَبَيَّنَ لَكُمْ
كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ» هذا زياده توييح لهم و تعنيف أى و سكتكم ديار من كذب الرسل قبلكم فأهلكهم الله و عرفتم ما نزل بهم من
البلاء و الهلاك و العذاب المعجل عن ابن عباس و الحسن و مساكينهم دورهم و قراهم و قيل إنهم عاد و ثمود و قيل هم
المقتولون بيد «وَ ضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ» و بينا لكم الأشباه و أخبرناكم بأحوال الماضين قبلكم لتعتبروا بها فلم تعتبروا و لم تتعظوا و
قيل الأمثال ما ذكر فى القرآن مما يدل على أنه تعالى قادر على الإعادة كما هو قادر على الإنشاء و الابتداء و قيل هى الأمثال
المنبهه على الطاعة الزاجره عن المعصيه عن الجبائى و فى هذه الآيات دلالة على أن الإيمان من فعل العبد إذ لو كان من فعل الله
تعالى لم يكن لتمنى العود إلى الدنيا معنى.

إشارة

وَ قَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦) فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤٧) يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨) وَ تَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَ تَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ (٥٠)

لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٥١) هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَ لِيَعْلَمُوا أَنَّهَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَ لِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٥٢)

القراء

قرأ الكسائي وحده لتزول بفتح اللام الأولى و رفع الثانيه و الباقون «لتزول» بكسر اللام الأولى و نصب الثانيه و فى الشواذ

عن على (عليه السلام) و عمرو بن مسعود و أبى بن كعب و إن كاد مكرهم لتزول

و قرأ زيد عن يعقوب من قطر آن على كلمتين منونتين و هو قراءه أبى هريره و ابن عباس و سعيد بن جبير و الكلبي و قتاده و عيسى الهمداني و الربيع و قرأ سائر القراء «قطران».

الحج

قال أبو على من قرأ «لتزول» بالنصب فإن إن هى النافيه فيكون مثل قوله وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ فمعناه و ما كان مكرهم لتزول منه الجبال و الجبال كأنه أمر النبى ص و إعلامه و دلائله أى ما كان مكرهم لتزول منه ما هو مثل الجبال فى امتناعه ممن أراد إزالته و من قرأ لتزول كانت إن هى المخففه من الثقيله على تعظيم أمر مكرهم بخلاف القراءه الأولى فيكون كقوله وَ مَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا أى قد كان مكرهم لعظمه و كبره يكاد يزيل ما هو مثل الجبال فى الامتناع على من أراد إزالتها و ثباتها و مثل هذا فى التعظيم للأمر قول الشاعر:

ألم تر صدعا فى السماء مبينا على ابن لبينى الحارث بن هشام

وقال:

بكى الحارث الجولان من موت ربه و حوران منه خاشع متضائل

قال أوس:

ألم تكسف الشمس شمس النهار مع النجم و القمر الواجب

و يدل على أن الجبال يعنى بها أمر النبي ص قوله بعد «فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعْدِهِ رُسُلَهُ» أى فقد وعد الظهور عليهم و الغلبه لهم فى قوله لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ و قوله لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَيُغْلَبُونَ و قد استعمل لفظ الجبال فى غير هذا الموضوع فى تعظيم الشىء و تفخيمه قال ابن مقبل:

إذا مت عن ذكر القوافى فلن ترى لها شاعرا مثلى أظب و أشعرا

و أكثر بيتا شاعرا ضربت به بطون جبال الشعر حتى تيسرا

و من قرأ و إن كاد مكرهم لتزول فهى مخففه من الثقيله أيضا فتقديره و أنه كاد مكرهم لتزول منه الجبال قال ابن جنى القطر الصفر و النحاس و هو أيضا الفلز روينا عن قطرب و هو أيضا الصاد و منه قدور الصاد أى قدور الصفر و الآنى الذى قد أنى و أدرك أنى الشىء أى أنى أنيا و أنا مقصور و منه قوله عز سبحانه غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَاهُ أى بلوغه و إدراكه قال أبو على و منه الإناء لأنه الظرف الذى قد بلغ غايته المراده منه من حرز و صياغه و نحو ذلك قال أميه:

و سليمان إذ يسيل له القطر على ملكه ثلاث ليال

و أما القطران ففيه ثلاث لغات قطران على فعلان و قطران بفتح القاف و إسكان الطاء و قطران بكسر القاف و إسكان الطاء و الأصل فيهما قطران فأسكنا على ما يقال فى كلمه كلمه و كلمه لغه تميميه قال أبو النجم:

جون كان العرق المنتوحا ألبسه القطران و المسوحا

و قال:

كان قطرانا إذا تلاها ترمى به الريح إلى مجراها.

اللغه

البروز الظهور و الأصفاد جمع الصفد و هو الغل الذى يقرن به اليد إلى العنق و يجوز أن يكون السلسله التى يقع بها التقرين و التقرين جمع الشىء إلى نظيره و القران الحبل يقرن به شيان يقال صفدته بالحديد و أصفدته و صفدته قال عمرو بن كلثوم:

فأبوا بالنهاب و بالسبايا و أبنا بالملوك مصفدينا

و منه أصفدته إصفادا إذا أعطيته مالا و الصفد العطيه و هو من الأول لأن العطيه تصفد الموده و تقيدها و إلى هذا المعنى أشار المتنبي بقوله:

" و من وجد الإحسان قيذا تقيدا "

و الاختبار فى الحديد صفدته و فى العطيه أصفدته قال الأعشى:

تضيفته يوما فقرب مجلسى و أصفدنى على الزمانه قائدا

و معناه و أعطانى قيذا و قال النابغه فى الصفد الذى هو العطيه:

هذا الثناء فإن تسمع لقائله فما عرضت أبيت اللعن للصفد

و السربال القميص قال امرؤ القيس:

و مثلك بيضاء العوارض طفله لعوب تنسينى إذا قمت سربالى

و البلاغ الكفاهيه و منه البلاغه و هو البيان الكافى و البليغ هو الذى يبلغ بلسانه كنه ما فى ضميره.

الإعراب

«مُخْلِفَ وَعِدِهِ رُسَيْلَهُ» إضافة مخلف إلى وعده إضافة غير محضه لأنها فى تقدير الانفصال و وعده و إن كان مجرورا فى اللفظ فإنه منصوب فى المعنى لأنه مفعول فى المعنى فإن الإخلاف يقتضى مفعولين يقال أخلفت زيدا وعده فعلى هذا يكون تقديره مخلفا وعده رسله و قيل أنه قرأ فى الشواذ مخلف وعده بالنصب رسله بالجر و هى رديئه للفصل بين المضاف و المضاف إليه و أنشدوا فى ذلك:

" فرجبتها بمزجه زج القلوص أبى مزاده "

و معناه فرجبتها زج أبى مزاده القلوص و العامل فى قوله «يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ» قوله «مُخْلِفَ وَعِدِهِ» أو «انتقام» أى ينتقم ذلك اليوم أو يكون محذوفا على تقدير و اذكر يوم تبدل الأرض و إن شئت جعلته نعتا لقوله يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ و الأرض مرفوعه على ما لم يسم فاعله و غير منصوب على أنه مفعول ما لم يسم فاعله تقول بدل الخاتم خاتما آخر إذا كسر و صيغ صيغه أخرى و قد تقول بدل زيد إذا تغير حاله.

المعنى

ثم أبان سبحانه عن مكر الكفار و دفعه ذلك عن رسله (عليه السلام) تسليه لنبينا ص فقال «وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ» أى و قد مكروا بالأنبياء قبلك ما

أمكنهم من المكر كما مكروا بك فعصمهم الله من مكرهم كما عصمك و قيل عنى به كفار قريش الذين دبروا فى أمر النبى ص و احتالوا عليه و مكروا بالمؤمنين و خدعوههم «وَ عِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ» أى جزاء مكرهم فحذف المضاف كما حذف من قوله «تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا» و هو واقع بهم أى جزاؤه يريد و قد عرف الله مكرهم فهو يجازيهم عليه «وَ إِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتُرُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ» أى و لم يكن مكرهم ليبتل حجج القرآن و ما معك من دلائل النبوات فإن ذلك ثابت بالدليل و البرهان و المعنى لا تزول منه الجبال فكيف يزول منه الدين الذى هو أثبت من الجبال و على القراءه الأخرى فالمعنى أن مكرهم و إن بلغ كل مبلغ فلا يزيل دين الله تعالى على ما تقدم بيانه و لا يضر ذلك أنبياءه و لا يزيل أمرهم و لا سيما أمر محمد ص فإنه أثبت من الجبال و قد قيل إن المراد به نمرود بن كوش بن كنعان حين أخذ التابوت و أخذ أربعة من النسور فأجاعها أياما و علق فوقها لحما و ربط التابوت إليها و طارت النسور بالتابوت و هو و وزيره فيه إلى أن بلغت حيث شاء الله تعالى و ظن أنه بلغ السماء ففتح باب التابوت من أعلاه فرأى بعد السماء منه كبعدها حين كان فى الأرض و فتح بابا من أسفل التابوت فرأى الأرض قد غابت عنه فهاله الأمر فصوب النسور و سقط التابوت و كانت له و جبهه عن ابن عباس و ابن مسعود و جماعه «فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفًا وَ عَيْدِهِ رُشِيدًا» أى فلا تظنن الله عز اسمه مخلفا رسله ما وعدهم به من النصر و الظفر بالكفار و الظهور عليهم «إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ» أى ممتنع بقدرته من أن ينال باهتضام و هو من الكفار «ذُو انْتِقَامٍ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ السَّمَاوَاتُ» قيل فيه قولان (أحدهما) إن المعنى تبدل صورته الأرض و هيئتها عن ابن عباس فقد روى عنه أنه قال تبدل آكامها و آجامها و جبالها و أشجارها و الأرض على حالتها و تبقى أرضا بيضاء كالفضة لم يسفك عليها دم و لم يعمل عليها خطيئه و تبدل السماوات فيذهب بشمسها و قمرها و نجومها و كان ينشد:

فما الناس بالناس الذين عهدتهم و لا الدار بالدار التى كنت أعرف

و يعضده

ما رواه أبو هريره عن النبى ص قال يبذل الله الأرض غير الأرض و السماوات فيبسطها و يمددا مد الأديم العكاظى لا ترى فيها عوجا و لا أمثا ثم يزجر الله الخلق زجره فإذا هم فى هذه المبدله مثل مواضعهم من الأولى. ما كان فى بطنها كان فى بطنها و ما كان على ظهرها كان على ظهرها

(و الآخر) أن المعنى تبدل الأرض و تنشأ أرض غيرها و السماوات كذلك تبدل غيرها و تفنى هذه عن الجبائى و جماعه من المفسرين و

فى تفسير

ص: ٨٣

أهل البيت (عليه السلام) بالإسناد عن زراره و محمد بن مسلم و حمران بن أعين عن أبي جعفر و أبي عبد الله (عليه السلام) قالوا
تبدل الأرض خبزه نقيه يأكل الناس منها حتى يفرغ من الحساب قال الله تعالى وَ مَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ

و هو قول سعيد بن جبیر و محمد بن كعب و

روى سهل بن سعد الساعدي عن النبي ص أنه قال يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصه النقي ليس فيها معلم
لأحد

و روى عن ابن مسعود أنه قال تبدل الأرض بنار فتصير الأرض كلها يوم القيامة نارا و الجنة من ورائها يرى كواعبها و أكوابها و
يلجم الناس العرق و لم يبلغ الحساب بعد و قال كعب تصير السماوات جنانا و يصير مكان البحر النار و تبدل الأرض غيرها و

روى عن أبي أيوب الأنصاري قال أتى النبي ص حبر من اليهود فقال أ رأيت إذ يقول الله تعالى في كتابه «يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ
الْأَرْضِ وَ السَّمَاوَاتُ» فأين الخلق عند ذلك فقال أضياف الله فلن يعجزهم ما لديه

و قيل تبدل الأرض لقوم بأرض الجنة و لقوم بأرض النار و قال الحسن يحشرون على الأرض الساهرة و هي أرض غير هذه و هي
أرض الآخرة و فيها تكون جهنم و تقدير الكلام و تبدل السماوات غير السماوات إلا أنه حذف لدلاله الظاهر عليه «وَ بَرَزُوا لِلَّهِ»
أى يظهرون من أرض قبورهم للمحاسبه لا يستترهم شىء و جعل ذلك بروزا لله لأن حسابهم معه و إن كانت الأشياء كلها بارزه
له لا- يسترها عنه شىء «الْوَاخِدِ» الذى لا- شبه له و لا- نظير «الْقَهَّارِ» المالك الذى لا يضام يقهر عباده بالموت الزؤام «وَ تَرَى
الْمُجْرِمِينَ» يعنى الكفار عن ابن عباس و الحسن و هو الظاهر لأنه تقدم ذكرهم «يَوْمَئِذٍ» أى يوم القيامة «مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ» أى
مجمعين فى الأغلال قرنت أيديهم بها إلى أعناقهم و قيل يقرن بعضهم إلى بعض عن الجبائي و قيل مشدودين فى قرن أى حبل
من الأصفاد و القيود عن أبي مسلم و قيل يقرن كل كافر مع شيطان كان يضلّه فى غل من حديد عن ابن عباس و الحسن و بينه
قوله تعالى احشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ أَزْوَاجَهُمْ أى قرناءهم من الشياطين و قوله وَ إِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ «سِرَابِيلُهُمْ» أى قميصهم «مِنْ
قَطْرَانٍ» و هو ما يطلى به الإبل شىء أسود لزج منتن يطلون به فيصير كالقميص عليهم ثم يرسل النار فيهم لتكون أسرع إليهم و
أبلغ فى الاشتعال و أشد فى العذاب عن الحسن و الزجاج و قيل نحاس أو صفر مذاب قد انتهى حره عن ابن عباس و مجاهد و
قتاده و جوز الجبائي على القراءتين أن يسربلوا سربالين أحدهما من القطران و الآخر من القطر الآنى «وَ تَغْشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ» أى
و تصيب و جوههم النار لا قطران عليها «لِيُجْزَىٰ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ» اللام تعلقت بما تقدم أخير سبحانه أنه إنما

فعل ذلك بهم لتجزي كل نفس بما كسبت خيرا بأن آمنت و أطاعت أثابها الله بالنعيم المقيم و إن كسبت شرا بأن كفرت و جحدت عاقبها بالعذاب الأليم فى نار الجحيم «إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ» أى سريع المجازاه و قد سبق بيانه «هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ» هو إشاره إلى القرآن عن ابن عباس و الحسن و ابن زيد و غيرهم أى هذا القرآن عظه للناس بالغه كافيه و قيل هو إشاره إلى ما تقدم ذكره أى هذا الوعيد كفايه لمن تدبره من الناس و الأول هو الصحيح «وَلِيُنذِرُوا بِهِ» أى أنزل ليبلغوا و يندروا به و ليخوفوا بما فيه من الوعيد «وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ» لا شريك له بالنظر فى أدله التوحيد التى بينها الله فى القرآن «وَلِيَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ» أى و ليتعظ به أهل العقول و ذوو النهى و فى هذه الآيه دلالة على أن القرآن كافى فى جميع ما يحتاج الناس إليه فى أمور الدين لأن جميع أمور الدين جملها و تفاصيلها يعلم بالقرآن إما بنفسه و إما بواسطه فيجب على المؤمن المجتهد المهتم بأمر الدين أن يشمر عن ساق الجد فى طلب أمور القرآن و يصدق عنايته بمعرفه ما فيه من بدائع الحكمة و مواضع البيان مكتفيا به عما سواه لينال السعاده فى دنياه و عقباه و فى قوله «وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ» دلالة على أنه سبحانه أراد من الناس علم التوحيد خلافا لأهل الجبر فى قولهم أنه سبحانه أراد من النصارى إثبات التثليث و من الزنادقه القول بالتثنيه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا و فى قوله «لِيَذَكَّرَ» دلالة على أنه أراد من الجميع التدبر و التذكر و على أن العقل حجه لأن ذوى العقول لا يمكنهم الفكر و الاعتبار.

النظم

اتصلت الآيه الثانيه بقوله «وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرَهُمْ» أى فلا تحسبوا أن الله يخلف وعده بل يجازيهم و ينصر رسله و قيل اتصلت بقوله «إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ» أى فلا تحسبوه مخلف وعده فى العقوبه للكفار بل إن شاء أخر و إن شاء عجل و اتصل قوله «يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ» بقوله «فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفًا وَعِدِدِهِ رُسُلُهُ» أى لا يخلفهم وعده لا فى الدنيا و لا فى الآخره عن أبى مسلم و قيل المراد به أنه ذو انتقام من الكفار ذلك اليوم و اتصل قوله «لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ» بقوله «يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ».

(١٥) سورة الحجر مكيه و آياتها تسع و تسعون (٩٩)

اشاره

[توضيح]

مكيه فى قول قتاده و مجاهد و قال الحسن إلا- قوله «وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ» و قوله «كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ» و هى تسع و تسعون آيه بالإجماع.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأها أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين و الأنصار و المستهزئين بمحمد ص.

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة إبراهيم (عليه السلام) بذكر القرآن و أنه بلاغ و كفايه لأهل الإسلام افتتح هذه السوره بذكر القرآن و أنه مبین للأحكام فقال:

[سورة الحجر (١٥): الآيات ١ الى ٥]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَ الْقُرْآنِ مُبِينٍ (١) رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (٢) ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَمْتَعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٣) وَ مَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا وَ لَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ (٤)

ما تَسْبِقُ مِنْ أُمَّه أَجْلَهَا وَ مَا يَسْتَأْخِرُونَ (٥)

القراءه

قرأ أهل المدينة و عاصم «رُبَمَا يَوَدُّ» خفيفه الباء و الباقون بالتشديد و روى محمد

ص: ٨٦

بن حبيب الشموني عن الأعشى عن أبي بكر ربتما بالتاء.

الحجج

قال أبو علي أنشد أبو زيد:

ماوى بل ربتما غاره شعواء كاللذعه بالميسم

و أنشد أيضا:

يا صاحبا ربت إنسان حسن يسأل عنك اليوم أو تسأل عن

وقال السكري ربتما و ربتما و رب و رب و رب ست لغات قال سيويه رب حرف و يلحقها ما على وجهين (أحدهما) أن يكون نكره بمعنى شىء و ذلك كقوله:

ربما تكره النفوس من الأمر له فرجه كحل العقال

فما فى هذا البيت اسم لما يقدر من حذف الضمير إليه من الصفه و المعنى رب شىء تكرهه النفوس و إذا عاد إليه الهاء كان اسما و لم يجز أن يكون حرفا كما أن قوله أَيْحَسِيُونَ أَنَّمَا نُتَدَهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَ بَيْنَ لِمَا عَادَ إِلَيْهِ الذِّكْرَ عَلِمْتَ بِذَلِكَ أَنَّهُ اسْمٌ وَ قوله فرجه يرتفع بالظرف فى قول الناس جميعا و لا يرتفع بالابتداء و قد يقع أيضا لفظه من بعد رب فى مثل قوله:

إلا رب من تغتشه لك ناصح و مؤتمن بالغيب غير أمين

فكما دخلت رب على من و كانت نكره فى معنى شىء كذلك تدخل على ما و الآخر أن تدخل كاهه كما فى الآيه و نحو قول الشاعر:

ربما أوفيت فى علم ترفعن ثوبى شمالات

و النحويون يسمون ما هذه كاهه يريدون أنها بدخولها كفت الحرف عن العمل الذى كان له و هيأته لدخوله على ما لم يكن يدخل عليه ألا ترى أن رب إنما تدخل على الاسم المفرد نحو رب رجل كريم يقول ذلك و ربه رجلا يقول ذلك و لا يدخل على الفعل فلما دخلت ما عليها سوغت لها الدخول على الفعل فمن ذلك قوله «رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا» فوق

الفعل بعدها فى الآيه و هو على لفظ المضارع و وقع فى قوله ربما أوفيت فى علم على لفظ الماضى و هكذا ينبغى فى القياس لأنها تدل على أمر قد مضى و إنما وقع فى الآيه على لفظ المضارع لأنه حكاية لحال آتية كما أن قوله إِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ حكاية لحال آتية و من حكاية الحال قول القائل:

جاريه فى رمضان الماضى تقطع الحديث بالإيماض

و من زعم أن الآيه على إضمار كان و تقديره ربما كان يود فقد خرج بذلك عن قول سيبويه ألا ترى أن كان لا يضمه و لم يجز عبد الله المقتول و أنت تريد كن عبد الله المقتول فأما إضمارها بعد إن فى قولهم إن خيرا فخير فإنما جاز ذلك لاقتضاء الحرف له فصار اقتضاء الحرف له كذكره فأما ما أنشده ابن حبيب لنبهان بن مسور:

لقد رزيت كعب بن عوف و ربما فتى لم يكن يرضى بشىء يضيئه

فإن قوله فتى فى ربما فتى يحتمل ضروبا (أحدها) أن يكون لما جرى ذكر رزيت استغنى بجرى ذكره من أن يعيده فكأنه قال ربما رزيت فتى فيكون انتصاب فتى برزيت هذه المضمرة كقوله آلاَنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ فاستغنى بذكر آمنت له المتقدم عن إظهاره بعد و قد يجوز أن ينتصب فتى برزيت هذه المذكورة كأنه قال لقد رزيت كعب بن عوف فتى و ربما لم يكن يرضى أى رزئت فتى لم يكن يضاوم و يكون هذا الفصل فى أنه أجنبى بمنزله قوله:

(أبو أمه حى أبوه يقاربه)

و قد يجوز أن يكون مرتفعا بفعل مضمرة كأنه قال ربما لم يرض فتى كقوله:

(وقلما وصال على طول الصدود يدوم)

و يجوز أن يكون ما نكره بمنزله شىء فيكون فتى وصفا لها لأنها لما كانت كالأسماء المبهمة فى إبهامها وصفت بأسماء الأجناس كأنه قال رب شىء فتى لم يكن كذا فهذه الأوجه كلها ممكنة و يجوز فى الآيه أن يكون ما بمنزله شىء و يود صفه له لأن ما لعمومها يقع على كل شىء فيجوز أن يعنى بها الود كأنه قال رب وود يوده الذين كفروا و يكون يود فى هذا الوجه أيضا حكاية حال ألا ترى أنه لم يكن بعد و هذه الآيه فى المعنى كقوله فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا وَ كَقَوْلِهِ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ

و كتمنيهم الرد في قوله يا لَيْتِنَا نُزُدُّ وَلَا نُكَاذِبُ و أما قول من قال ربما بالتخفيف فلأنه حرف مضاف و الحرف و الحروف المضاعفه قد تحذف و إن لم يحذف غير المضاعف فمن المضاعف الذى حذف أن و إن و لكن و ليس كل المضاعف يحذف لم أعلم الحذف فى ثم و أما دخول التاء فى ربتما فإن من الحروف ما يدخل عليه حرف التانيث نحو ثم و ثمث و لا و لات قال:

ثمث لا يجوزنى عند ذاكم و لكن سيجزىنى المليك فيعقبا

فكذلك ألحقت التاء فى قولهم ربتما و أنشد الزجاج فى تخفيف رب قول الحادره:

أسمى ما يدريك أن رب فتية باكرت لذتهم بأدكن مترع

قال و قد يسكنون فى التخفيف يقولون رب رجل جاءنى و أنشدوا بيت الهذلى:

أزهير إن يشب القذال فإننى رب هيضل مرس لففت بهيضل

و يقولون رب رجل و ربت رجل بفتح الراء و رب رجل و ربما رجل جاءنى و ربتما رجل فيفتحون حكى ذلك قطرب.

الإعراب

قرآن عطف على الكتاب و إنما عطفه عليه و إن كان الكتاب هو القرآن لاختلاف اللفظين و ما فيهما من الفائدتين و إن كانا لموصوف واحد لأن وصفه بالكتاب يفيد أنه مما يكتب و يدون و وصفه بالقرآن يفيد أنه مما يؤلف و يجمع بعض حروفه إلى بعض كما قال الشاعر:

إلى الملك القرم و ابن الهمام و ليث الكتيبه فى المزدحم

و ذى الرأى حين تغم الأمور بذات الصليل و ذات اللجم

و يقال لم جاز «رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا» و رب للتقليل و جوابه على وجهين (أحدهما) أنه أبلغ فى التهديد كما تقول ربما ندمت على هذا و أنت تعلم أنه يندم ندما طويلا أى يكفيك قليل الندم فكيف كثيره (و الثانى) أنه يشغلهم العذاب عن تمنى ذلك إلا فى أوقات قليله.

المعنى

«الر» قد تقدم الكلام فى هذه الحروف و أقوال العلماء فيها «تلك آياتُ

الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ» أى هذه آيات الكتاب و آيات قرآن مميز بين الحق و الباطل و قيل المبين البين الواضح عن أبى مسلم و قيل هو المبين للحلال و الحرام و الأوامر و النواهي و الأدله و غير ذلك و قيل المراد بالكتاب التوراه و الإنجيل عن مجاهد و قيل المراد به الكتب المنزله قبل القرآن عن قتاده «رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ» أى ربما يتمنى الكفار الإسلام فى الآخره إذا صار المسلمون إلى الجنه و الكفار إلى النار و يجوز أن يتمنوا ذلك وقت اليأس و روى مجاهد عن ابن عباس قال ما يزال الله يدخل الجنه و يرحم و يشفع حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنه فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين و

قال الصادق (عليه السلام) ينادى مناد يوم القيامه يسمع الخلائق أنه لا يدخل الجنه إلا مسلم فثم يود سائر الخلائق أنهم كانوا مسلمين

و

روى مرفوعا عن النبى ص قال إذا اجتمع أهل النار فى النار و معهم من يشاء الله من أهل القبله قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم إسلامكم و قد صرتم معنا فى النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيسمع الله عز و جل ما قالوا فأمر من كان فى النار من أهل الإسلام فاخرجوا منها فحينئذ يقول الكفار يا ليتنا كنا مسلمين

«ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا» معناه دعهم يأكلوا فى دنياهم أكل الأنعام و يتمتعوا فيها بما يريدون و التمتع التلذذ و هو طلب اللذه حالا بعد حال «وَيُلْهِهِمُ الْأَمْلُ» أى و تشغلهم آمالهم الكاذبه عن اتباع النبى ص و القرآن يقال ألهاه الشىء أى شغله و أنساه «فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ» وبال ذلك فيما بعد حين يحل بهم العذاب يوم القيامه و صاروا إلى ما يجحدون به و فى هذه الآيه إشارة إلى أن الإنسان يجب أن يكون مقصور الهمة على أمور الآخره مستعدا للموت مسارعا إلى التوبه و لا- يأمل الآمال المؤديه إلى الصد عنها و قد

روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال إن أخوف ما أخاف عليكم اثنان اتباع الهوى و طول الأمل فإن اتباع الهوى يصد عن الحق و طول الأمل ينسى الآخره

«وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا وَ لَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ» معناه و لم نهلك أهل قريه فيما مضى على وجه العقوبه إلا و كان لهم أجل مكتوب لا بد أن سيبلغونه يريد فلا يغرن هؤلاء الكفار إمهالى إياهم إنما ينزل العذاب بهم فى الوقت المكتوب المقدر لذلك «ما تَسْبِقُ مِنْ أُمَّه أَجَلَهَا وَ ما يَسْتَأْخِرُونَ» أى لم تكن أمه فيما مضى تسبق أجلها فتهلك قبل ذلك و لا تتأخر عن أجلها الذى قدر لها بل إذا استوفت أجلها أهلكتها الله.

إشارة

وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٦) لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧) مَا نُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ (٨) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ (١٠) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (١١) كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١٢) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَ لَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (١٥) وَ لَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَ زِينَاتٍ لِلنَّاطِرِينَ (١٦) وَ حَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (١٧) إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مُبِينٌ (١٨)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير أبي بكر «ما نُزِّلُ» بنونين «الْمَلَائِكَةُ» بالنصب وقرأ أبو بكر عن عاصم ما تنزل بضم التاء الملائكه بالرفع وقرأ الباقون ما تنزل بفتح التاء و الزاى الملائكه بالرفع وقرأ ابن كثير سكرت بالتخفيف و الباقون بالتشديد و فى الشواذ قراءه الزهرى سكرت.

الحجه

قال أبو على: حجه من قرأ تنزل قوله تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيهَا و حجه من قرأ تنزل قوله وَ نُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا و حجه من قرأ «نُزِّلُ» قوله وَ لَوْ أَنَّنا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ و وجه التثقيل فى «سُكَّرَتْ» أن الفعل مسند إلى جماعه فهو مثل مُفْتَحَهُ لَهُمُ الْأَبْوَابُ و وجه التخفيف أن هذا النحو من الفعل المسند إلى جماعه قد يخفف قال:

" ما زلت أفتح أبوابا و أغلقها".

اللغه

الشيعة الفرق عن الزجاج و كل فرقه شيعه و أصله من المشايعه و هى المتابعه يقال شايع فلان فلانا على أمره أى تابعه عليه و منه شيعه على (عليه السلام) و هم الذين تابعوه على أمره و دانوا بإمامته و فى حديث أم سلمه عن النبى ص شيعه على هم الفائزون يوم القيامه

و سلك و أسلك بمعنى و المصدر السلك و السلوك قال عدى بن زيد:

و كنت لزاز خصمك لم أعرد و قد سلوكوك فى يوم عصب

و قال آخر:

حتى إذا أسلكوهم فى قتائده شلا كما تطرد الجماله الشردا

و العروج الصعود فى الدرج و المضارع يعرج و يعرج أبو عبيده «سُكَّرْتُ أَبْصَارُنَا» غشيت قال أبو على: فكان معناه لا ينفذ نورها و لا يدرك الأشياء على حقيقتها و معنى الكلمه انقطاع الشىء عن سننه الجارى فمن ذلك سكر الماء و هو رده عن سننه فى الجرى و قالوا التسكير فى رأى قبل أن يعزم على الشىء و إذا عزم على أمر ذهب التسكير و منه السكر فى الشراب إنما هو أن ينقطع عما هو عليه من المصافى حال الصحو فلا ينفذ رأيه و نظره على حد نفاذه فى صحوه و قالوا سكران لا يثبت فعبروا عن هذا المعنى فيه قال الزجاج: فسروا سكرت أغشيت و سكرت تحيرت و سكرت عن أن تنظر و العرب تقول سكرت الريح سكرت و كذلك سكر الحر قال الشاعر:

جاء الشتاء و اجتأل القبر و جعلت عين الحرور تسكر

و البرج أصله الظهور و منه البرج من بروج السماء و برج الحصن و يقال تبرجت المرأة إذا أظهرت زينتها و الرجيم المرجوم و الرجم الرمى بالشىء بالاعتماد من غير آله مهياه للإصابة فإن القوس يرمى عنها و لا يرجم بها و رجمته شتمته و الشهاب القطعه من النار قال الزجاج:

و الشهب المنقضه من آيات النبى ص و الدليل على أنها كانت بعد مولد النبى ص أن شعراء العرب الذين كانوا يمثلون فى السرعه بالبرق و بالسيل و بالأشياء المسرعه لم يوجد فى أشعارهم بيت واحد فيه ذكر الكواكب المنقضه فلما حدثت بعد مولد النبى ص استعملت الشعراء ذكرها قال ذو الرمه:

كأنه كوكب فى إثر عفریه مسوم فى سواد الليل منقضب.

لو ما دعاء إلى الفعل و تحريض عليه و هو بمعنى لو لا و هلا و قد جاءت لو ما فى معنى لو لا التى لها جواب قال ابن مقبل:

لو ما الحياء و لو لا الدين عبتكما ببعض ما فيكما إذ عبتما عورى

«إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ» استثناء منقطع و المعنى لكن من استرق السمع يتبعه شهاب و قال الفراء: هو استثناء صحيح لأن الله تعالى لم يحفظ السماء ممن يصعد إليها ليسترق السمع لكن إذا سمعه و أداه إلى الكهنة أتبعه شهاب.

المعنى

«وَقَالُوا» أى قال المشركون للنبي ص «يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ» أى القرآن فى زعمه و دعواه «إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ» فى دعوائك أنه نزل عليك و فى توهمك أنا نتبعك و تؤمن بك «لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ» يشهدون لك على صدق قولك «إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» فيما تدعيه عن ابن عباس و الحسن ثم أجابهم سبحانه بالجواب المقنع فقال «مَا نُزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ» أى لا تنزل الملائكة إلا بالحق الذى هو الموت لا يقع فيه تقديم و تأخير فيقبض أرواحهم عن ابن عباس و قيل لا ينزلون إلا بعذاب الاستئصال إن لم يؤمنوا عن الحسن و مجاهد و الجبائى و قيل ما ينزلون فى الدنيا إلا بالرسالة عن مجاهد «وَمَا كَانُوا إِذَا» أى حين نزل الملائكة «مُنْظَرِينَ» مؤخرين مهملين أى لا يمهلون ساعه ثم زاد سبحانه فى البيان فقال «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ» أى القرآن «وَأِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» عن الزيادة و النقصان و التحريف و التغيير عن قتاده و ابن عباس و مثله لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه و قيل معناه متكفل بحفظه إلى آخر الدهر على ما هو عليه فتنقله الأمة و تحفظه عصرا بعد عصر إلى يوم القيامة لقيام الحجة به على الجماعه من كل من لزمته دعوه النبي ص عن الحسن و قيل يحفظه من كيد المشركين و لا يمكنهم إبطاله و لا يندرس و لا ينسى عن الجبائى و قال الفراء يجوز أن يكون الهاء فى له كناية عن النبي ص فكأنه قال إنا نزلنا القرآن و إنا لمحمد ص لحافظون و فى هذه الآية دلالة على أن القرآن محدث إذ المنزل و المحفوظ لا يكون إلا محدثا «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ» يا محمد رسلا عن ابن عباس فحذف المفعول لدلاله الإرسال عليه «فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ» أى فى فرق الأولين عن الحسن و الكلبي و قيل فى الأمم الأولين عن عطا عن ابن عباس «وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤْنَ» و هذا تسليه للنبي ص إذ أخبره أن كل رسول كان مبتلى بقومه و استهزأؤهم بالرسول إنما حملهم على ذلك استبعادهم ما دعوههم إليه و استيحاؤهم منه و استنكارهم له حتى توهموا أنه مما لا يكون و لا يصح مع مخالفته لما وجدوا عليه أسلافهم «كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ» فيه قولان

(أحدهما) أن معناه أن نسلك الذكر الذي هو القرآن في قلوب الكفار ياخطاره عليها و إلقائه فيها و بأن نفهمهم إياه و أنهم مع ذلك «لا يُؤْمِنُونَ بِهِ» ماضين على سنه من تقدمهم في تكذيب الرسل كما سلكتنا دعوه الرسل في قلوب من سلف من الأمم عن البلخي و الجبائي و المراد أن إعراضهم عن القرآن لا- يمنعنا من أن ندخله في قلوبهم تأكيداً للحجة عليهم (الآخر) أن المعنى نسلك الاستهزاء في قلوبهم عقوبه لهم على كفرهم و الأول هو الصحيح و قد رووا عن جماعه من المفسرين أن المراد نسلك الشرك في قلوب الكفار و ذلك لا يصح لأنه لم يجر للشرك ذكر و قد جرى ذكر الذكر و هو القرآن و لأنه قال «لا يُؤْمِنُونَ بِهِ» و لو عاد الضمير في قوله به إلى الشرك لكان الكفار محمودين إذا كانوا لا يؤمنون بالشرك و لا خلاف أن الآيه وردت على سبيل الذم لهم و لو كان الله سبحانه قد سلك الكفر في قلوبهم لسقط عنهم الذم و لما جاز أن يقول لهم كَيْفَ تَكْفُرُونَ وَ أَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِذَا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ كَيْفَ يَنْكُرُ عَلَيْهِمْ هَذَا الْإِنْكَارَ وَ هُوَ الْوَاضِعُ لَذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ وَ كَيْفَ يَأْمُرُهُمْ بِإِخْرَاجِهِ مِنْ حَيْثُ وَضَعَهُ فِيهِ تَعَالَى وَ تَقَدَّسَ عَنْ ذَلِكَ «وَ قَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ» أى مضت طريقه الأمم المتقدمه بأن كانت رسلهم تدعوهم إلى كتب الله المنزله ثم لا يؤمنون و قيل مضت سنه الأولين بأن عوجلوا بعذاب الاستئصال عند الإتيان بالآيات المقترحه مع إصرارهم على الكفر عن أبى مسلم و قيل مضت سنتهم فى التكذيب كما أن قومك كذبوك عن ابن عباس ثم قال بعد ما تقدم ذكر اقتراحهم للآيات «وَ لَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ» أى على هؤلاء المشركين «بَاباً مِنَ السَّمَاءِ» ينظرون إليه «فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ» أى فظلت الملائكه تصعد و تنزل فى ذلك الباب عن ابن عباس و قتاده و قيل فظل هؤلاء المشركون يعرجون إلى السماء من ذلك الباب و شاهدوا ملكوت السماوات عن الحسن و الجبائي و أبى مسلم «لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا» أى سدت و غطيت عن مجاهد و قيل أغشيت و عميت عن ابن عباس و الكلبي و أبى عمرو و الكسائي و قيل تحيرت و سكنت عن أن تنظر «بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ» سحرنا محمد ص فلا ننظر ببصر و يخيل الأشياء إلينا على خلاف حقيقتها ثم ذكر سبحانه دلالات التوحيد فقال سبحانه «وَ لَقَدْ جَعَلْنَا» أى خلقنا و هيأنا «فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً» أى منازل الشمس و القمر

«وَ زَيَّنَّا لِلنَّازِحِينَ» بالكواكب النيره عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و هى اثنا عشر برجاً و قيل البروج النجوم عن ابن عباس و الحسن و قتاده «وَ حَفِظْنَاهَا» أى و حفظنا السماء «مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ» أى مرجوم مرمى بالشهب عن أبى على الجبائي و أبى مسلم و قيل رجيم ملعون مشنوم عن ابن عباس و حفظ الشىء جعله على ما ينفى عنه الضياع فمن ذلك حفظ القرآن بدرسه حتى لا ينسى و حفظ المال بإحرازه

حتى لا يضيع و حفظ السماء من الشيطان بالمنع حتى لا يدخلها و لا يبلغ إلى موضع يتمكن فيه من استراق السمع بما أعد له من الشهاب «إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ» و السرقة عند العرب أن يأتي الإنسان إلى حرز خفيه فيأخذ ما ليس له و المراد بالسمع هنا المسموع و المعنى إلا- من حاول أخذ المسموع من السماء في خفيه «فَأَتْبَعَهُ» أى لحقه «شَهَابٌ مُبِينٌ» أى شعله نار ظاهر لأهل الأرض بين لمن رآه و نحن فى رأى العين نرى كأنهم يرمون بالنجوم و الشهاب عمود من نور يضىء ضياء النار لشده ضيائه و روى عن ابن عباس أنه قال كان فى الجاهلية كهنة و مع كل واحد شيطان فكان يقعد من السماء مقاعد للسمع فيستمع من الملائكة ما هو كائن فى الأرض فينزل و يخبر به الكاهن فيفشييه الكاهن إلى الناس فلما بعث الله عيسى (عليه السلام) منعوا من ثلاث سماوات و لما بعث محمد ص منعوا من السماوات كلها و حرست السماء بالنجوم فالشهاب من معجزات نبينا محمد ص لأنه لم ير قبل زمانه و قيل إن الشهاب يحرق الشياطين و يقتلهم عن الحسن و قيل إنه يخبل و يحرق و لا يقتل عن ابن عباس.

[سوره الحجر (١٥): الآيات ١٩ الى ٢٥]

إشارة

وَ الْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (١٩) وَ جَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَ مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بُرَازِقِينَ (٢٠) وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَ مَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢١) وَ أَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَ مَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٢) وَ إِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَ نُمِيتُ وَ نَحْنُ الْوَارِثُونَ (٢٣)

وَ لَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَفْدِمِينَ مِنْكُمْ وَ لَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٤) وَ إِنْ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٢٥)

القرءاءة

قرأ حمزه وحده الريح لواقح و الباقون «الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ».

ص: ٩٥

قال أبو عبيده لا- أعرف لذلك وجها إلا أن يريد أن الريح تأتي مختلفه من كل وجه فكانت بمنزله الرياح و حكى الكسائي أرض إغفال و أرض سباسب قال المبرد يجوز ذلك على أن يجعل الريح جنسا و ليس بجيد لأن الرياح ينفصل بعضها عن بعض و معرفه كل واحده منها و الأرض ليست كذلك لأنها بساط واحد.

اللغه

الرواسى الثوابت واحدها راسيه و المراسى ما يثبت به و الوزن وضع أحد الشئين بإزاء الآخر على ما يظهر به مساواته فى المقدار و زيادته و المعاش جمع معيشه و هى طلب أسباب الرزق مده الحياه و قد يطلبها الإنسان لنفسه بالتصرف و التكسب و قد يطلب له فإن أتاه أسباب الرزق من غير طلب فذلك العيش الهنىء و اللواقح الرياح التى تلمح السحاب حتى يحمل الماء أى يلقى إليه ما يحمل به الماء يقال لقحت الناقه إذا حملت و ألقحها الفحل فاللواقح فى معنى الملقحات و قيل فى عله ذلك قولان (أحدهما) أنه فى معنى ذات لقاح و مثله هم ناصب أى ذو نصب قال النابغه:

كلينى لهم يا أميمه ناصب و ليل أقاسيه بطىء الكواكب

أى منصب و قال نهشل بن جرى:

لييك يزيد ضارع لخصومه و مختبط مما تطيح الطوائح

أى المطاوح (و الآخر) أن الرياح لاقحه بحملها الماء ملقحه بإلقائها إياه إلى السحاب و يقال سقيته فيما يشربه بشفته و استقيته بالألف فيما تشربه أرضه قال على بن عيسى و قد يجىء أحدهما بمعنى الآخر كقوله نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ و قال ذو الرمه:

وقفت على ربع لميه ناقتى فما زلت أبكى عنده و أخاطبه

و أسقيه حتى كاد مما أبته تكلمنى أحجاره و ملاعبه

. الإعراب

«وَ الْأَرْضَ» منصوب بفعل مضمر تقديره و مددنا الأرض «مَدَدْنَاهَا» كقوله وَ الْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ أى و قدرنا القمر قدرناه «وَ مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ» من فى موضع نصب عطفا على معاش و المراد به العبيد و الإمام و الأنعام و الدواب عن مجاهد و قال الفراء العرب لا تكاد تجعل من إلا فى الناس خاصه فإن كان مع الدواب العبيد حسن حينئذ قال و قد يجوز أن

يكون من فى موضع جر عطفًا على الكاف و الميم فى لكم و قال المبرد و الظاهر المخفوض لا يعطف على المضمر المخفوض نحو مررت بك و زيد إلا أن يضطر شاعر و أنشد الفراء:

نعلق فى مثل السوارى سيوفنا و ما بينها و الكعب غوط نفانف

فرد الكعب على الهاء فى بينها و قال:

هلا سألت بذى الجماجم عنهم و أبى نعيم ذى اللواء المحرق

فرد أبى نعيم على هم فى عنهم قال و يجوز أن يكون من فى موضع رفع لأن الكلام قد تم و يكون التقدير على قوله و لكم فيها من لستم له برازقين قال الزجاج و الأجدود من الأقوال الأول و جاز أن يكون عطفًا على تأويل لكم لأن معنى قوله «لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشٌ» أعشناكم «وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ» أى رزقناكم و من لستم له برازقين «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ» من مزیده و شىء مبتدأ و عندنا خبر له و خزائنه مرفوع بالظرف لأن الظرف جرى خبرًا على المبتدأ لا خلاف فى هذا بين سيبويه و الأخفش.

المعنى

لما تقدم ذكر السماء و ما فيها من الأدله و النعم أتبعه بذكر الأرض فقال «وَ الْأَرْضَ مِمَّا دَرَأْتُمْ» أى بسطناها و جعلنا لها طولًا و عرضًا «وَ أَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ» أى طرحنا فيها جبالًا ثابتة «وَ أَنْبَتْنَا فِيهَا» أى فى الأرض «مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ» أى مقدر معلوم عن ابن عباس و سعيد بن جبیر و مجاهد و قيل من كل شىء يوزن فى العاده كالذهب و الفضة و الصفر و النحاس و نحوها عن الحسن و قيل يعنى بذلك كل ما تخرجه الأرض عن أبى مسلم قال و إنما خص الموزون بالذكر دون المكيل لوجهين (أحدهما) أن غايه المكيل تنتهى إلى الوزن لأن جميع المكيلات إذا صار طعامًا دخل فى الوزن فالوزن أهم (و الآخر) أن فى الوزن معنى الكيل لأن الوزن هو طلب المساواه و هذا المعنى ثابت فى الكيل فخص الوزن بالذكر لاشتماله على معنى الكيل و رد عليه السيد الأجل المرتضى قدس الله روحه فقال ظاهر لفظ الآية يشهد بغير ما قاله فإن المراد بالموزون المقدار الواقع بحسب الحاجة فلا يكون ناقصًا عنها و لا زائدًا عليها زياده مضره داخله فى باب العبث و نظير ذلك قولهم كلام فلان

موزون و أفعاله موزونه و المراد ما ذكرناه و على هذا المعنى تأول المفسرون ذكر الموازين فى القرآن على أحد التأويلين و أنها التعديل و المساواه بين الثواب و العقاب «وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ» أى خلقنا لكم فى الأرض معاش من زرع أو نبات عن ابن عباس و الحسن و قيل معاش أى مطاعم و مشارب تعيشون بهما و قيل هى التصرف فى أسباب الرزق مده الحياه «وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ» يعنى العبيد و الدواب يرزقهم الله و لا ترزقونهم و معناه يدور على ما تقدم ذكره فى الإعراب و أتى بلفظه من دون لفظه ما لأنه غلب العقلاء على غيرهم «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ» أى و ليس من شىء ينزل من السماء و ينبت من الأرض «إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ» معناه إلا و نحن مالكوه و القادرون عليه و خزائن الله سبحانه مقدوراته لأنه تعالى يقدر أن يوجد ما شاء من جميع الأجناس و يقدر من كل جنس على ما لا نهاية له و قيل المراد به الماء الذى منه النبات و هو مخزون عنده إلى أن ينزله و نبات الأرض و ثمارها إنما تنبت بماء السماء و قال الحسن المطر خزائن كل شىء «وَمَا نُنزِّلُهُ» أى و ما ننزل المطر «إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ» تقتضيه الحكمة و قيل إنه سبحانه استعار الخزائن للقدره على إيجاد الأشياء و عبر عن الإيجاد بالإنزال لأن الإنزال فى معنى الإعطاء و الرزق و المعنى أن الخير كله من عند الله لا يوجد و لا يعطى إلا بحسب المصلحه و الحاجه ثم بين سبحانه كيفية الإنزال فقال «وَ أَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ» أى أجرينا الرياح لواقح أى ملقحه للسحاب محمله بالمطر «فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» أى مطرا «فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ» أى فأسقيناكم ذلك الماء و مكناكم منه «وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ» أى و ما أنتم أيها الناس له بحافظين و لا محرزين بل الله يحفظه ثم يرسله من السماء ثم يحفظه فى الأرض ثم يخرج من العيون بقدر الحاجه و لا يقدر أحد على إحراز ما يحتاج إليه من الماء فى موضع «وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ» أخبر سبحانه أنه يحيى الخلق إذا شاء و يميتهم إذا أراد «وَ نَحْنُ الْوَارِثُونَ» الأرض و من عليها أخبر أنه يرث الأرض لأنه إذا أفنى الخلق و لم يبق أحد كانت الأشياء كلها راجعه إليه يتفرد بالتصرف فيها «وَ لَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَ لَقَدْ

عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ» قيل فيه أقوال (أحدها) أن معناه و لقد علمنا الماضين منكم و لقد علمنا الباقين عن مجاهد و الضحاك و قتاده (و ثانيها) علمنا الأولين منكم و الآخرين عن الشعبي (و ثالثها) علمنا المتقدمين فى صفوف الحرب و المتأخرين عنها عن سعيد بن المسيب (و رابعها) علمنا المتقدمين فى الخير و المبطلين عنه عن الحسن (و خامسها) علمنا المتقدمين إلى الصف الأول فى الصلاة و المتأخرين عنه فإنه كان يتقدم بعضهم إلى الصف الأول ليدركوا فضيلته و كان يتأخر بعضهم لينظروا إلى أعجاز النساء فنزلت الآية فيهم عن ابن عباس (و سادسها)

أن النبى ص حث الناس على الصف الأول فى الصلاة و قال خير صفوف الرجال أولها و شرها آخرها و خير صفوف النساء آخرها و شرها أولها

و

قال ص أن الله و ملائكته يصلون على الصف المتقدم

فازدحم الناس و كانت دور بنى عذره بعيدة عن المسجد فقالوا لنبيعن دورنا و لنشترين دورا قريبه من المسجد حتى ندرك الصف المقدم فنزلت هذه الآية عن الربيع بن أنس فعلى هذا يكون المعنى إنا نجازى الناس على نياتهم «وَ إِنْ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ» معناه إن ربك يا محمد أو أيها السامع هو الذى يجمعهم يوم القيامة و يبعثهم بعد إمامتهم للمجازاة و المحاسبه «إِنَّهُ حَكِيمٌ» فى أفعاله «عَلِيمٌ» بما استحق كل منهم.

النظم

إنما اتصل قوله «وَ إِنْ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ» و ما بعده بما ذكره فيما قبل من أنواع النعم فبين سبحانه أنه يرثهم كل ما خولهم من ذلك تزهيدا فى الدنيا و ترغيبا فى الآخرة عن أبى مسلم و قيل إنه لما بين أنواع نعمه عرفهم بعد أنه لم يخلق ذلك للبقاء و إنما أنعم به عليهم ليكون طريقا إلى نعم الآخرة عن القاضى و قيل إنه لما ذكرهم نعم الدنيا نبه بالإحياء و الإمامته و علمه بجميع الأشياء و حشر الخلق على و جوب الانقطاع إليه و العبادة و الطاعة له.

ص: ٩٩

إشارة

وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٦) وَ الْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (٢٧) وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠)

إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَ إِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٣٥)

اللغة

الصلصال الطين اليابس أخذ من الصلصلة و هي القعقعه و يقال لصوت الحديد و لصوت الرعد صلصلة و هي صوت شديد متردد في الهواء و صل يصل إذا صوت قال:

رجعت إلى صوت كجره حنم إذا قرعت صفرا من الماء صلت

و يقال الصلصال الممتن أخذ من صل اللحم و أصل إذا أنتن و الحمأ جمع حمأ و هو الطين المتغير إلى السواد يقال حمئت البئر و أحمأتها أنا و المسنون المصبوب من سنت الماء على وجهه أى صببته و يقال سنتت بالسين غير معجمه أرسلت الماء و شنتت بالسين معجمه صببت و قيل إنه المتغير من قولهم سنتت الحديد على المسن إذا غيرتها بالتحديد و أصلها الاستمرار في جهه من قولهم هو على سنن واحد و السنه الطريقه و سنه الوجه صورته قال ذو الرمه:

تريك سنه وجه غير مقرفه ملساء ليس بها خال و لا ندب

قال سيبويه جمع الجان جنان فهو مثل حائط و حيطان و راع و رعيان و السموم الريح الحاره أخذ من دخولها بلطفها في مسام البدن و منه السم القاتل يقال سم يومنا يسم إذا هبت فيه ريح السموم.

الإعراب

من جعل الجان جمعا قال و لم يقل خلقناها كما قال مِمَّا فِي بُطُونِهِ وَ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَ قوله «مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ» ما مبتدأ و لك خبره و التقدير أى شىء ثابت لك و إلا تكون تقديره فى أن لا تكون فحذف فى و هى متعلقه بالخبر أيضا فلما حذف فى

انتصب موضع أن لا- تكون على قول سيوييه و بقى على الجر على قول الخليل و أبو الحسن حمل أن على الزيادة و لا تكون فى موضع الحال قال و تقديره ما لك خارجا عن الساجدين.

المعنى

لما ذكر سبحانه الإحياء و الإماتة و النشأ الثانية عقبه ببيان النشأ الأولى فقال «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ» يعنى آدم «مِنْ صِيْلِصَالٍ» أى من طين يابس يسمع له عند النقر صلصلة أى صوت عن ابن عباس و الحسن و قتاده و أكثر المفسرين و قيل طين صلب يخالطه الكثيب عن الضحاك و قيل متنن عن مجاهد و اختاره الكسائى «مِنْ حَمًا» أى من طين متغير «مَسِيْنُونٍ» أى مصبوب كأنه أفرغ حتى صار صورته كما يصب الذهب و الفضة و قيل إنه الرطب عن ابن عباس و قيل مسنون مصور عن سيوييه قال أخذ من سنه الوجه «وَالْحَيَّانَ» و هو إبليس عن الحسن و قتاده و قيل هو أبو الجن كما أن آدم أبو البشر عن ابن عباس و قيل هم الجن نسل إبليس و هو منصوب بفعل مضمر معناه و خلقنا الجن «خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ» أى من قبل خلق آدم «مِنْ نَارِ السَّمُومِ» أى من نار لها ريح حاره تقتل و قيل هى نار لا دخان لها و الصواعق تكون منها و روى أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس قال كان إبليس من حى من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة و خلق الجن الذين ذكروا فى القرآن من مارج من نار و قيل السموم النار الملتهبه عن أبى مسلم و فى هذا إشاره إلى أن الإنسان لا يفضل بأصله و إنما يفضل بدينه و علمه و صالح عمله و أصل آدم (عليه السلام) كان من تراب و ذلك قوله خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثم جعل التراب طينا و ذلك قوله وَ خَلَقْتُهُ مِنْ طِينٍ* ثم ترك ذلك الطين حتى تغير و استرخى و ذلك قوله «مِنْ حَمًا مَسِيْنُونٍ» ثم ترك حتى جف و ذلك قوله «مِنْ صِيْلِصَالٍ» فهذه الأقوال لا- تناقض فيها إذ هى إخبار عن حالاته المختلفه «وَأَذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ» تقديره و اذكر يا محمد إذ قال ربك للملائكة «إِنِّي خَالِقٌ» أى سأخلق «بَشَرًا» أى آدم و سمي بشرا لأنه ظاهر الجلد لا يواريه شعر و لا صوف «مِنْ صِيْلِصَالٍ مِنْ حَمًا مَسِيْنُونٍ» مر معناه «فَإِذَا سَوَّيْتُهُ» بإتمام خلقته و إكمال خلقه و قيل معناه عدلت صورته «وَوَفَّخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي» و النفخ إجراء الريح فى الشىء باعتماد فلما أجرى الله سبحانه الروح فى آدم على هذه الصفه كان قد نفخ الروح فيه و إنما أضاف روح آدم إلى نفسه تكرمه له و تشريفها و هى إضافه الملك «فَفَعَّلُوا لَهُ سَاجِدِينَ» أى اسجدوا له قال الكلبي أى فخروا له ساجدين «فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ» هذا توكيد بعد توكيد عند سيوييه و قال المبرد و يدل قوله «أَجْمَعُونَ» على اجتماعهم فى السجود أى فسجدوا كلهم فى حاله واحده قال الزجاج و قول سيوييه أجود لأن أجمعون معرفه فلا يكون حالا «إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ» أى امتنع أن يكون معهم فلم يسجد معهم و قد سبق القول فى أن إبليس هل كان

من الملائكة أو لم يكن و اختلاف العلماء فيه و ما لكل واحد من الفريقين من الحجج و ذكرنا ما يتعلق بذلك من الكلام فى سورة البقره فلا معنى للإعاده و أن يكون فى محل نصب أى أبى الكون مع الساجدين «قال يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين» قال الزجاج معناه أى شىء يقع لك فى أن لا تكون مع الساجدين فموضع أن نصب بإسقاط فى و إفشاء الناصب إلى أن و هذا خطاب من الله سبحانه لإبليس و معناه لم لا تكون مع الساجدين فتسجد كما سجدوا و إنما قال سبحانه بنفسه على وجه الإهانه له كما يقول لأهل النار اخسؤا فيها و لا تكلمون و قال الجبائى إنما قال سبحانه ذلك على لسان بعض رسله لأنه لا يصح أن يكلمه الله بلا واسطه فى زمان التكليف «قال» أى قال إبليس مجيبا لهذا الكلام «لم أكن لأسجد» أى ما كنت لأسجد و قيل معناه ما كان ينبغى أن أسجد «لئس خلقته من صلصال من حمأ مسنون» لأنى أشرف أصلا منه و لم يعلم أن التفاضل بالدين و الأعمال لا بالأصل «قال فأخرج منها» أى من الجنة «فإنك رجيم» أى مشئوم مطرود ملعون و قيل معناه اخرج من السماء عن أبى مسلم و قيل من الأرض فألحقه بالبحار لا يدخل الأرض إلا كالسارق و قيل رجيم مرجوم أى إن رجعت إلى السماء رجمت بمثل الشهب التى يرمم به الشياطين عن الجبائى «وإن عليك اللعنه» أى و إن عليك مع ذلك اللعنه أى الإبعاد من رحمه الله و لذلك لا يجوز أن يلعن بهيمه «إلى يوم الدين» أى يوم الجزاء و هو يوم القيامة و المراد أن الله سبحانه قد لعنك و أهل السماء و الأرض يلعنونك لعنه لازمه لك إلى يوم القيامة ثم يحصل بعد ذلك على الجزاء بعذاب النار و فيه بيان أنه لا يؤمن قط و قال بعض المحققين إنما قال سبحانه هنا «وإن عليك اللعنه» بالألف و اللام و قال فى سورة ص لعنتى بالإضافة لأن هناك يقول لما خلقت بيدي مضافا فقال «وإن عليك لعنتى على المطابقه و قال هنا «ما لك ألا تكون مع الساجدين» و ساق الآيه على اللام فى قوله «و لقد خلقنا الإنسان» و قوله «و الجان» فأتى باللام أيضا فى قوله «وإن عليك اللعنه».

إشاره

قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ (٤٠)

قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (٤٤)

القراءه

قرأ يعقوب صراط على بالرفع و هي قراءه أبي رجاء و ابن سيرين و قتاده و الضحاك و مجاهد و قيس بن عباد و عمرو بن ميمون و روى ذلك عن أبي عبد الله (عليه السلام)

و الباقون من القراء قرءوا «عَلَيَّ».

الحجه

قال ابن جنى على هنا كقولهم كريم شريف و ليس المراد به علو الشخص و النصبه و قال أبو الحسن فى قراءه الجماعه «هذا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ» هو كقولك الدلاله اليوم على أى هذا صراط فى ذمتى و تحت ضمانى كقولك صحه هذا المال على و توفيه عدته على و ليس معناه عنده مستقيم على كقولنا قد استقام على الطريق و استقر على كذا و ما أحسن ما ذهب إليه أبو الحسن فيه.

اللغه

الإغواء الدعاء إلى الغى و الإغواء خلاف الإرشاد و هذا أصله و قد يكون بمعنى الحكم بالغى على وجه الذم و التزيين جعل الشىء متقبلا فى النفس من جهه الطبع أو العقل بحق أو بباطل و إغواء الشيطان تزيينه الباطل حتى يدخل صاحبه فيه.

المعنى

ثم بين سبحانه ما سأله إبليس عند إياسه من الآخره فقال عز اسمه «قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي» أى فأمهلىنى و أخرنى «إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» أى يحشرون للجزاء استنظره إبليس إلى يوم القيامة لثلا- يموت إذ يوم القيامة لا- يموت فيه أحد فلم يجبه الله تعالى إلى ذلك بل «قَالَ» له «فإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» الذى هو آخر أيام التكليف و هو النفخه الأولى حين يموت الخلائق عن ابن عباس و قيل الوقت المعلوم يوم القيامة أنظره الله سبحانه فى رفع العذاب عنه إلى يوم القيامة عن الحسن و الجبائى و أبى مسلم و قيل هو الوقت الذى قدر الله أجله فيه و هو معلوم لله سبحانه غير معلوم لإبليس فأبهم و لم يبين لأن فى بيانه إغراء

بالمعصية عن البلخي و اختلف فى تجويز إجابته دعاء الكافر و قال الجبائى لا يجوز لأن فى إجابته الدعاء تعظيما له و قال ابن الإخشيد يجوز ذلك لأن الإجابة كالنعمه فى احتمالها أن يكون ثوابا و تعظيما و أن يكون استصلاحا و لطفا «قال» إبليس «رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ» قيل فيه أقوال (أحدها) أن الإغواء الأول و الثانى بمعنى

ص: ١٠٣

الإضلال أى كما أضللتنى لأضلنهم و هذا لا يجوز لأن الله سبحانه لا يضل عن الدين إلا أن يحمل على أن إبليس كان معتقدا للخير (و ثانيها) إن الإغواء الأول و الثانى بمعنى التخييب أى بما خيبتنى من رحمتك لأخيبنهم بالدعاء إلى معصيتك عن الجبائى (و ثالثها) إن معناه بما أضللتنى عن طريق جنتك لأضلنهم بالدعاء إلى معصيتك (و رابعها) بما كلفتنى السجود لآدم الذى غويت عنده فسمى ذلك غوايه كما قال فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ لما ازدادوا عندها عن البلخى و الباء فى قوله «بما أَغْوَيْتَنِي» قيل إن معناها القسم هاهنا عن أبى عبيده و قيل هى بمعنى السبب أى بكونى غاويا لأزينن كما يقال بطاعته لندخلن الجنة و بمعصيته لندخلن النار و مفعول التزيين محذوف و تقديره لأزينن الباطل لهم أى لأولاد آدم حتى يقعوا فيه ثم استثنى من جملتهم فقال «إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ» و هم الذين أخلصوا عبادتهم لله و امتنعوا عن عباده الشيطان و انتهوا عما نهاهم الله عنه و من قرأ المخلصين بفتح اللام فهم الذين أخلصهم الله بأن وفقهم لذلك و لطف لهم فيه ليس للشيطان عليهم سبيل «قال» الله سبحانه «هذا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ» قيل فيه وجوه (أحدها) إنه على وجه التهديد له كما تقول لغيرك افعل ما شئت و طريقك على أى لا تفوتنى عن مجاهد و قتاده و مثله قوله إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمُرْصَادِ (و ثانيها) معناه أن ما نذكره من أمر المخلصين و الغاوين طريق ممره على أى ممر من مسلكه على مستقيم لا عدول فيه عنى و أجاز لى كلا من الفريقين بما عمل (و ثالثها) أن معناه هذا دين مستقيم على بيانه و الهدايه إليه «إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ» هذا إخبار منه تعالى بأن عباده الذين يطيعونه و ينتهون إلى أوامره لا سلطان للشيطان عليهم و لا قدره له على أن يكرههم على المعصيه و يحملهم عليها و لكن من يتبعه فإنما يتبعه باختياره قال الجبائى و ذلك يدل على أن الجن لا يقدرون على الإضرار ببني آدم لأنه على عمومه ثم استثنى سبحانه من جملة العباد من يتبع إبليس على إغوائه و ينقاد له و يقبل منه فقال «إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ» لأنه إذا قبل منه صار له عليه سلطان بعدوله عن الهدى إلى ما يدعوه إليه من اتباع الهوى و قيل إن الاستثناء منقطع و المراد لکن من اتبعك من الغاوين جعل لك على نفسه سلطانا «وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ» أى موعد إبليس و من تبعه «لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ» فيه قولان (أحدها) ما

روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أن جهنم لها سبعة أبواب أطباق بعضها فوق بعض و وضع إحدى يديه على الأخرى فقال هكذا و إن الله وضع الجنان على العرض و وضع النيران بعضها فوق بعض فأسفلها جهنم و فوقها لظى و فوقها الحطمه و فوقها سقر و فوقها الجحيم و فوقها السعير و فوقها الهاويه

و فى روايه الكلبى أسفلها الهاويه و أعلاها جهنم و عن ابن عباس أن الباب الأول جهنم و الثانى سعير و الثالث سقر و الرابع

جحيم و الخامس لظى و السادس الحطمة و السابع الهاويه اختلفت الروايات فى ذلك كما ترى و هو قول مجاهد و عكرمه و الجبائى قالوا إن أبواب النيران كإطباق اليد على اليد (و الآخر) ما روى عن الضحاک قال للنار سبعة أبواب و هى سبعة أدراك بعضها فوق بعض فأعلاها فيه أهل التوحيد يعذبون على قدر أعمالهم و أعمارهم فى الدنيا ثم يخرجون و الثانى فيه اليهود و الثالث فيه النصارى و الرابع فيه الصابئون و الخامس فيه المجوس و السادس فيه مشركو العرب و السابع فيه المنافقون و ذلك قوله إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ و هو قول الحسن و أبى مسلم و القولان متقاربان «لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمُ» أى من الغاوين «جُزْءٌ مَقْسُومٌ» أى نصيب مفروض عن ابن عباس.

[سوره الحجر (١٥): الآيات ٢٥ الى ٥٠]

اشاره

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمَنِينَ (٢٦) وَ نَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٢٧) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٢٨) تَبَّتْ عِبَادِي أُنِّي أَنَا الْعَفْوَورُ الرَّحِيمُ (٢٩) وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠)

اللغه

الغل الحقد الذى ينغل فى القلب و منه الغل الذى يجعل فى العنق و الغلول الخيانه التى يطوق عارها صاحبها و السرير المجلس الرفيع موطأ للسرور و جمعه الأسره و السرر و النصب التعب و الوهن الذى يلحق من العمل مشتق من الانتصاب لأن صاحبه ينتصب بالانقطاع عن العمل للوهن الذى يلحقه.

المعنى

لما ذكر سبحانه عباد المخلصين عقبه بذكر حالهم فى الآخرة فقال «إِنَّ الْمُتَّقِينَ» الذين يتقون عقاب الله باجتنب معاصيه «فى جَنَّاتٍ» أى فى بساتين خلقت لهم «و عُيُونٍ» من ماء و خمر و عسل يفور من الفواره ثم يجرى فى مجاريها «ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ» أى يقال لهم ادخلوا الجنات بسلامه من الآفات و براءه من المكاره و المضرات «آمَنِينَ» من الإخراج منها ساكنى النفس إلى انتفاء الضرر فيها «وَ نَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ» أى و أزلنا عن صدور أهل الجنة ما فيها من أسباب العداوه من الغل أى الحقد و الحسد و التنافس

والتباغض «إخواناً» منصوب على الحال أى وهم يكونون إخواناً متوادين يريد مثل الإخوان فيصفو لذلك عيشهم «على سيرٍ» أى كائنين على مجالس السرور «مُتَقَابِلِينَ» متواجهين ينظر بعضهم إلى وجه بعض قال مجاهد لا يرى الرجل فى الجنة قفا زوجته ولا ترى زوجته قفاه لأن الأسره تدور بهم كيف ما شاءوا حتى يكونوا متقابلين فى عموم أحوالهم وقيل متقابلين فى الزيادة إذا تزاورا استوت مجالسهم و منازلهم و إذا افترقوا كانت منازل بعضهم أرفع من بعض «لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا» أى فى الجنة «نَصَبٌ» أى عناء و تعب لأنهم لا يحتاجون إلى إتعاب أنفسهم لتحصيل مقاصدهم إذ جميع النعم حاصله لهم «و ما هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ» أى يبقون فيها مؤبدين ثم أمر سبحانه نبيه ص أن يخبر عباده بكثرة عفوهِ و مغفرته و رحمته لأوليائه و شدة عذابه لأعدائه فقال «تَبِئِ» يا محمد «عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغُفُورُ» أى كثير الستر لذنوب المؤمنين «الرَّحِيمُ» كثير الرحمة لهم «وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ» فلا تعولوا على محض غفرانى و رحمتى و خافوا عقابى و نقتى.

[سوره الحجر (١٥): الآيات ٥١ الى ٦٠]

أشاره

وَبَشِّرْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٥٣) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (٥٤) قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ (٥٥) قَالَ وَمَنْ يَفْتِنُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (٥٦) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٥٧) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٥٨) إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ (٦٠)

القراءه

قرأ نافع وحده فبم تبشرون خفيفه النون مكسوره وقرأ ابن كثير وحده فبم تبشرون مشدده النون مكسوره وقرأ الباقون «تُبَشِّرُونَ» مفتوحه النون خفيفه وروى أبو علي

الضير عن روح وغيره عن يعقوب فبم تبشروني بإثبات الياء وقرأ أبو عمرو والكسائي يقنط و يقنطوا بكسر النون حيث كان و الباقون بفتح النون وقرأ لمنجوهم خفيفه أهل الكوفه غير عاصم و يعقوب و الباقون بالتشديد وقرأ قدرنا بالتخفيف أبو بكر عن عاصم و كذلك في النمل و الباقون بالتشديد.

الحج

قال أبو على الوجه في قراءه نافع أنه أراد تبشروني إلا أنه حذف النون الثانيه استثقالا لأن التكرير بها وقع و لم يحذف النون الأولى التي هي علامه الرفع و قد حذفوا هذه النون في كلامهم لأنها زائده و لأن علامه الضمير الياء من دونها قال:

أ بالموت الذي لا بد إنى ملاق لا أباك تخوفيني

و قال:

تراه كالثغام يعل مسكا يسوء الفاليات إذا فلينى

و الوجه في تشديد ابن كثير النون أنه أدغم النون الأولى التي هي علامه الرفع في الثانيه المتصله بالياء التي هي المضمم المنصوب المتكلم و من فتح النون فلأنه لم يعد الفعل إلى المفعول به كما عدى غيره و حذف المفعول به كثير و النون علامه الرفع و قنط يقنط و قنط يقنط لغتان و كان قنط يقنط أعلى و يدل على ذلك إجماعهم في قوله قنطوا و حكى أن يقنط لغه و هذا يدل على أن يقنط أكثر لأن مضارع فعل يجى ء على يفعل و يفعل و حجه من قرأ «لَمَنْجُوهُمْ» قوله نَجِينَا هُودًا وَ الَّذِينَ آمَنُوا و حجه من قرأ بالتخفيف قوله فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ و قدرت بالتخفيف لغه في قدرت يدل على ذلك قول الهذلي:

و مفرهه عنس قدرت لساقها فخرت كما تتابع الريح بالقفل

و المعنى قدرت ضربتى لساقها فضربتها فحذف لدلاله الكلام عليه فمن قرأ قدرنا مخففا كان في معنى التشديد.

اللغه

الضيف هو المنصوى إلى غيره لطلب القرى و هو يقع على الواحد و الاثنين و الجمع لأنه في الأصل مصدر وصف به و قد يجمع بالأضياف و الضيوف و الضيفان و الوجل

ص: ١٠٧

الخوف يقال وجل يوجل و يأجل و يبجل و يبجل إذا خاف و الخطب الأمر الجليل و منه الخطبه و الخطبه و المجرم المنقطع عن الحق إلى الباطل و هو القاطع لنفسه عن المحاسن إلى القبائح و الغابر الباقي فيمن يهلك قال الشاعر:

فما وني محمد مذ أن غفر له الإله ما مضى و ما غبر

. الإعراب

سلاما منصوب على المصدر كأنهم قالوا سلمنا إلا آل لوط قال الزجاج هو استثناء ليس من الأول و قوله «إِلَّا امْرَأَتَهُ» استثناء من الهاء و الميم فى قوله «إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ» و قوله «قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ» فى معنى علمنا أنها لمن الغابرين قال أبو عبيده فى الآيه معنى فقهى كان أبو يوسف يتأوله فيها و هو أن الله استثنى آل لوط من المجرمين ثم استثنى امرأه لوط من آل لوط فرجعت امرأته فى التأويل إلى القوم المجرمين و كذلك كل استثناء فى الكلام إذا جاء بعد استثناء آخر دعا المعنى إلى أول الكلام كقول الرجل لفلان على عشرة دراهم إلا أربعة إلا درهما فإنه يكون إقرارا بسبعة و كذلك لو قال له على خمسة إلا درهما إلا ثلثا كان إقرارا بأربعة و ثلث.

المعنى

لما ذكر سبحانه الوعد و الوعيد عقبه بذكر قصه إبراهيم (عليه السلام) و قوم لوط مصدقا لما ذكره و إرشادا إلى الدلالة بالعاجل على الآجل فقال «وَتَبَّتْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ» أى و أخبرهم عن أضياف إبراهيم «إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ» يعنى الملائكه و إنما سماهم ضيفا لأنهم جاءوه فى صوره الأضياف «فَقَالُوا سَلَامًا» أى سلموا عليه سلاما على وجه الدعاء و التحية و بشروه بالولد و بإهلاك قوم لوط «قَالَ» إبراهيم «إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ» أى خائفون «قَالُوا لَا تَوْجَلْ» أى لا تخف «إِنَّا نُبَشِّرُكَ» أى نخبرك بما يسرك «بِغُلَامٍ عَالِمٍ» أى بولد يكون غلاما إذا ولد و يكون عليما إذا بلغ «قَالَ» إبراهيم «أَبَشَّرْتُمُونِي» بالمولود «عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ» أى فى حال الكبر الذى يوجب اليأس عن الولد «فَبِمَ تُبَشِّرُونَ» أى بأمر الله تعالى فأتق به أم من جهه أنفسكم و معنى مسنى الكبر غيرنى الكبر عن حال الشباب الذى يطمع فى الولد إلى حال الهرم و قيل معناه عن رأس الكبر «قَالُوا بَشَرْنَاكَ بِالْحَقِّ» أى قالت الملائكه لإبراهيم إنا بشرناك بذلك على وجه الحقيقه بأمر الله «فَلَا تَكُنْ مِنَ الْفَانِينَ» أى اليائسين فأجابهم إبراهيم (عليه السلام) بأن «قَالَ وَ مَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ» أى و من الذى ييأس من رحمه الله و حسن إنعامه إلا العادلون عن الحق الضالون عن طريق الهدى الجاهلون بقدرته على خلق الولد من الشيخ الكبير و هذا القول من إبراهيم (عليه السلام) يدل على أنه لم يكن قانطا و لكنه استبعد ذلك فظنت الملائكه قنوطا فنفى ذلك عن نفسه «قَالَ» إبراهيم (عليه السلام) بعد ذلك

ص: ١٠٨

للملائكة «فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ» أى ما الأمر الجليل الذى بعثتم له و ما شأنكم و سماهم مرسلين لما علم أنهم ملائكة «قالوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ» أى مذنبين و قيل كافرين أخبروه بهلاكهم و اقتصروا على هذا لأن من المعلوم أن الملائكة إنما يرسلون إلى المجرمين للهلاك «إِلَّا آلَ لُوطٍ» استثنى منهم آل لوط و هم خاصته و عشيرته و إنما استثناهم منهم و إن لم يكونوا مجرمين من حيث كانوا من قوم لوط و ممن بعث إليهم و قيل إن معناه لكن آل لوط «إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ» أى نخلصهم أجمعين من العذاب «إِلَّا امْرَأَتَهُ» استثنى امرأه لوط من آل لوط لأنها كانت كافره «فَدَرَزْنَا بِهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ» أى من الباقين فى المدينة مع المهلكين أى قضينا أنها تهلك كما يهلكون.

[سوره الحجر (١٥): الآيات ٦١ الى ٧٢]

أشاره

فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطِ الْمُرْسَلُونَ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكَرُونَ (٦٢) قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣) وَ أَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّا لَصَادِقُونَ (٦٤) فَاسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَ اتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَ لَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَ امْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٥)

وَ قَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَاتِكَ الْآمَرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصِيبِينَ (٦٦) وَ جَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبِشِرُونَ (٦٧) قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ (٦٨) وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ لَا تُخْزُونِ (٦٩) قَالُوا أَوْ لَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (٧٠)

قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٧١) لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢)

اللغه

الإسراء سير الليل يقال سرى يسرى سرى و أسرى إسراء لغتان قال امرؤ القيس:

سريت بهم حتى تكل مطيهم و حتى الجياد ما يقدن بأرسان

و القطع كأنه جمع قطعه مثل يسره و يسر و تمره و تمر و الاتباع اقتفاء الأثر و الاتباع فى المذهب و الاقتداء بمعنى و خلافه الابتداء و الأدبار جمع دبر هو جهه الخلف و القبل جهه القدام و قد يكنى بهما عن الفرج و الدابر الأصل و قيل إن الدابر الآخر و عقب الرجل دابره و العمر و العمر واحد غير أنه لا- يجوز فى القسم إلا- بالفتح لأن الفتح أخف عليهم و هم يكثرون القسم بلعمرى و لعمرك فلزموا الأخف.

الإعراب

«أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ» موضع أن نصب بأنه بدل من ذلك الأمر لأنه تفسيره و يجوز أن يكون نصبا على حذف الجار فكأنه قال و قضينا إليه بأن دابره م مقطوع و قوله «مُضِيَّ بَحِينٍ» نصب على الحال و «يَسْتَبْشِرُونَ» أيضا فى موضع نصب على الحال لعمرك مرفوع على الابتداء و خبره محذوف و التقدير لعمرك قسمى أو لعمرك ما أقسم به و لا يستعمل إظهار هذا الخبر قال الزجاج إن باب القسم يحذف معه الفعل تقول و الله لأفعلن و بالله لأفعلن و المعنى أحلف بالله فحذف الفعل للعلم به فكذلك حذف خبر الابتداء لدلاله الكلام عليه.

المعنى

ثم أخبر سبحانه أن الملائكة لما خرجوا من عند إبراهيم (عليه السلام) أتوا لوطا (عليه السلام) يبشرونه بهلاك قومه فقال «فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطِ الْمُرْسَلُونَ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ» و إنما قال لهم لوط ذلك لأنهم جاءوه على صفه المرد على هيئته و جمال لم ير مثلهم قط فأنكر شأنهم و هيأتهم و قيل إنه أراد إنى أنكركم فعرفونى أنفسكم ليطمئن قلبى «قَالُوا يَا لَيْلَ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ» أى بالعذاب الذى كانوا يشكون فيه إذا خوفتهم به «وَ أَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ» أى بالعذاب المستيقن به «وَ إِنَّا لَصَادِقُونَ» فيما أخبرناك به و قيل معناه و أتيناك بأمر الله تعالى و لا شك أن أمره سبحانه حق «فَأَسْرِبْ أَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ» و معناه سر بأهلك بعد ما يمضى أكثر الليل و يبقى قطعه منه «وَ اتَّبِعْ أَذْبَارَهُمْ» أى اقتف أثرهم و كن وراءهم لتكون عينا عليهم فلا يتخلف أحد منهم «وَ لَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ» أى لا يلتفت أحد منكم إلى ما خلف وراءه فى المدينة و هذا كما يقول القائل امض لشأنك و لا تعرج على شىء و قيل لا ينظر أحد منكم وراءه لئلا يروا العذاب فيفزعوا و لا يحتمل قلبهم ذلك عن الحسن و أبى مسلم «وَ امْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ» أى اذهبوا إلى الموضع الذى أمركم الله بالذهاب إليه و هو الشام عن السدى «وَ قَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ» أى أعلمنا لوطا و أخبرناه و أوحينا إليه ما نزل به من العذاب «أَنَّ

دَابِرَ هُوْلَاءِ مَقْطُوعٌ» يعنى أن آخر من يبقى منهم يهلك وقت الصبح و هو قوله «مُضِيَّ بَحِيْنٍ» أى داخلين فى وقت الصبح و المراد أنهم مستأصلون بالعذاب وقت الصباح على وجه لا- يبقى منهم أثر و لا نسل و لا عقب «وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ» يبشر بعضهم بعضا بنزول من هو فى صوره الأضياف بلوط و إنما فرحوا طمعا فى أن ينالوا الفجور منهم «قَالَ» لوط لهم «إِنَّ هُوْلَاءِ ضَيَّفِي فَلَا تَقْضُ حُوقُونَ» فيهم و الفضيحة إلزام العار و الشنار بالإنسان و معناه لا تلزمونى فيهم عارا بقصدكم إياهم بالسوء «وَأَتَّقُوا اللَّهَ» باجتناب معاصيه «وَلَا تُخْزُونَ» فى ضيفى و الخزى الانقماع بالعيب الذى يستحيى منه «قَالُوا أَوْ لَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ» معناه أ و لم نهك أن تجير أحدا أو تضيف أحدا قال الجبائى و هذا القول إنما كان من لوط لقومه قبل أن يعلم إنهم ملائكة بعثوا لإهلاك قومهم و إنما ذكر مؤخرا و هو فى المعنى مقدم كما ذكر فى غير هذه السوره «قَالَ» لوط لهم و أشار إلى بناته لصلبه «هُوْلَاءِ بَنَاتِي» فتزوجهن إن كان لكم رغبه فى التزويج عن ابن عباس و الحسن و قتاده و قوله «إِنَّ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ» كناية عن النكاح إن كنتم متزوجين قيل و إنما قال ذلك للرؤساء الذين يكفون الاتباع و قد كان يجوز تزويج المؤمنه من الكافر يومئذ و قد كان ذلك أيضا جائزا فى صدر شريعتنا ثم حرم عن الحسن و الجبائى و قيل إنهن كن بنات قومهم عرضهن عليهم بالتزويج و الاستغناء بهن عن الذكران و الأول أوضح «لَعَمْرُكَ» أى و حياتك يا محمد و مده بقائك حيا و قال المبرد هو دعاء و معناه أسأل الله عمرك قال ابن عباس ما خلق الله عز و جل و لا ذرا و لا برأ نفسا أكرم عليه من محمد ص و ما سمعت الله أقسم بحياه أحد إلا- بحياته فقال لعمر ك «إِنَّهُمْ لَفِي سَيِّئَاتِهِمْ لَيَّعْمَهُونَ» و معناه إنهم لفي غفلتهم يتحiron و يترددون فلا- يبصرون طريق الرشد.

إشاره

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٣) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (٧٤) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ (٧٥)
وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ (٧٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ (٧٧)
وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ (٧٨) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ (٧٩) وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ (٨٠) وَ
آتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٨١) وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ (٨٢)
فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُضْحِكِينَ (٨٣) فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٤)

القراءه

قرأ جميع القراء «الْأَيْكَةِ» هاهنا لأنها مكتوبه بالألف إلا ورشا عن نافع فإنه يترك الهمزه و يرد حركتها إلى اللام.

الحجه

إذا خففت الهمزه في الأيكة و قد ألحقتها الألف و اللام حذفتها و ألقيت حركتها على اللام و يجوز فيه إذا استأنف لغتان فمن
قال الحمر قال اليكه و من قال الحمر قال ليكه.

اللغه

الأيكة الشجر الملتف و جمعها أيك مثل شجره و شجر قال أميه:

كبكا الحمام على فروع الأيكة في الطير الجوانح

و قيل الأيكة الغيضة و المتوسم الناظر في السمه الداله و هي العلامه و يقال وسمت الشىء و سما إذا أثرت فيه بسمه و منه
الوسمى أول المطر لأنه يسم الأرض بالنبات و توسم الرجل طلب كلاً الوسمى قال:

و أصبحن كالدوم النواعم غدوه على وجهه من طاعن متوسم

و توسم فيه الخبر إذا عرف سمه ذلك فيه و الإمام الطريق و الإمام المبين اللوح المحفوظ و الإمام فى اللغه هو المتقدم الذى
يتبعه من بعده الحجر أخذ من الحجر الذى هو المنع و منه سمي العقل حجراً لأنه يمنع من القبائح.

الإعراب

انتصب قوله «مُشْرِقِينَ» و «مُضِيَّيْنَ» على الحال يقال أشرقوا و هم مشرقون إذا صادفوا شروق الشمس و هو طلوعها كما يقال أصبحوا إذا صادفوا الصبح فمعنى مشرقين مصادفين لطلوع الشمس و إن فى قوله «وَ إِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ» مخففه من الثقيله آمنين منصوب على الحال.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن كيفية عذاب قوم لوط فقال «فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ» أى أخذهم الصوت الهائل فى حال شروق الشمس «فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا

ص: ١١٢

وَ أَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ» مضى تفسيره فى سورة هود «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ» معناه إن فيما سبق ذكره من إهلاك قوم لوط لدلالات للمتفكرين المعتبرين عن قتاده و ابن زيد و قيل للمتفرسين عن مجاهد و

قد صح عن النبى ص أنه قال اتقوا فراسه المؤمن فإنه ينظر بنور الله

و

قال إن لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم ثم قرأ هذه الآية

و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال نحن المتوسمون و السبيل فينا مقيم و السبيل طريق الجنة ذكره على بن إبراهيم فى تفسيره

«وَ إِنَّهَا لَبَسِيلٌ مُّقِيمٌ» معناه إن مدينه لوط لبطريق مسلوک يسلكها الناس فى حوائجهم فينظرون إلى آثارها و يعتبرون بها لأن الآثار التى يستدل بها مقيمه ثابتة بها و هى مدينه سدوم و قال قتاده إن قرى قوم لوط بين المدينه و الشام «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً» أى عبره و دلاله «لِلْمُؤْمِنِينَ» و خص المؤمنين لأنهم هم الذين انتفعوا بها «وَ إِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ» و أصحاب الأيكة هم أهل الشجر الذين أرسل إليهم شعيب (عليه السلام) و أرسل إلى أهل مدين فأهلكوا بالصيحه و أما أصحاب الأيكة فأهلكوا بالظله التى احترقوا بناها عن قتاده و جماعه من المفسرين و معنى الآية أنه كان أصحاب الأيكة لظالمين فى تكذيب رسولهم و كانوا أصحاب غياض فعاقبهم الله تعالى بالحر سبعة أيام ثم أنشأ سبحانه سحابه فاستظلوا بها يلتمسون الروح فيها فلما اجتمعوا تحتها أرسل منها صاعقه فأحرقتهم جميعا «فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ» أى من قوم شعيب و من قوم لوط أى عذبناهم بما انتقمناه منهم و الانتقام هو المجازاه على جنايه سابقه و فرق على بن عيسى بين الانتقام و العقاب بأن الانتقام هو نقيض الإنعام و العقاب هو نقيض الثواب «وَ إِنَّهُمَا لِيَأْمُرُ مُّبِينٌ» معناه و إن مدينتى قوم لوط و أصحاب الأيكة بطريق يؤم و يتبع و يهتدى به عن ابن عباس و مجاهد و الحسن و قتاده و سمي الطريق إماما لأن الإنسان يؤمه و قيل معناه و إن حديث مدينتيهما لمكتوب مذکور فى اللوح المحفوظ أو حديث لوط و حديث شعيب عن الجبائى فيكون نظير قوله «وَ كُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ» و المبين الظاهر ثم أخبر سبحانه عن إهلاك قوم صالح فقال «وَ لَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ» و الحجر اسم البلد الذى كان فيه ثمود و إنما سموا أصحاب الحجر لأنهم كانوا سكانه كما يسمى الأعراب الذين يسكنون البوادي أصحاب الصحارى لأنهم كانوا يسكنونها و قيل إن الحجر اسم لواد كان يسكنها هؤلاء عن قتاده و إنما قال تعالى «الْمُرْسَلِينَ» لأن فى تكذيب صالح تكذيب المرسلين لأنه كان يدعوهم إلى ما دعا إليه المرسلون و إلى الإيمان بالمرسلين فكان فى تكذيب أحدهم تكذيب الجميع و قيل بعث الله إليهم رسلا منهم صالح عن الجبائى «وَ آتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا» أى آتينا أصحاب الحجر الحجج و المعجزات و الدلالات الداله على صدق الأنبياء و قيل آتينا الرسل

الآيات عن الحسن «فكانوا عنها» أى عن الآيات «مُعْرِضِينَ» أعرضوا عن التفكير فيها و الاستدلال بها «وَ كَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ» أى و كان قوم صالح فى القوه بحيث ينحتون من الجبال بيوتا يسكنونها و كانوا آمنين من خرابها و سقوطها عليهم و قيل كانوا آمنين من عذاب الله و قيل آمنين من الموت لطول أعمارهم «فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُضِيغِينَ» أى فأهلكوا بالصيحه فى وقت دخولهم فى الصباح «فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ» أى فما دفع عنهم العذاب و لم يغنهم «مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» أى يجمعون من المال و الأولاد و أنواع الملاذ.

[سوره الحجر (١٥): الآيات ٨٥ الى ٩١]

اشاره

وَ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَ إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَهُ فَاصِّفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (٨٥) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨٦) وَ لَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧) لَا تَمِدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨) وَ قُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ (٨٩) كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (٩١)

اللغه

عضين جمع عضه و أصله عضوه فنقصت الواو و لذلك جمعت عضين بالنون كما قال عزه و عزون و الأصل عزوه و التعضيه التفريق مأخوذ من الأعضاء يقال عضيت الشىء أى فرقته و بعضته قال رؤبه:

" و ليس دين الله بالمعضى "

و قال آخر:

تلك ديار تآزم المأزما و عضوات تقطع اللهازما

و قيل أصل عضه عضفه فحذفت الهاء كما حذفت من شفه و شاه و أصلها شففه و شاهه بدلاله أن الجمع شفاه و شياه بالهاء و التصغير شففيه و شويهه.

«وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ» معناه و ما خلقناهما عبثا بل لما اقتضته الحكمة و هى أنا قد تعبدنا أهلها ثم نجازيهم بما عملوا «وَإِنَّ السَّاعَةَ» و هى يوم القيامة «لَمَّاتِيَّةٌ» أى جائئه بلا شك بعدابهم و قيل بمجازاه الخلائق كلهم و قيل هو تفسير قوله «إِلَّا بِالْحَقِّ» «فَاصْرِفْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ» أى فأعرض يا محمد عن مجازاه المشركين و عن مجاوبتهم و أعف عنهم عفوا جميلا و اختلف فى الآيه ف قيل إنها منسوخه بآيه القتال عن ابن عباس و قتاده و مجاهد و الضحاك و قيل لا نسخ فيه بل هو فيما بين النبى ص و بينهم لا- فيما أمر به من جهه جهادهم. أمره بالصفح عنهم فى موضع الصفح لقوله «فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ» عن الحسن قال القاضى و الصفح ممدوح فى سائر الحالات و هو كالحلم و التواضع و قد يلزما الصفح الجميل مع لزوم التشدد فى أمر الجهاد و

حكى عن على بن أبى طالب (عليه السلام) إن الصفح الجميل هو العفو من غير عتاب

و قيل هو العفو بغير تعنيف و توبيخ «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ» للأشياء «الْعَلِيمُ» بتدبير خلقه فلا يخفى عليه ما يجرى بينكم و يجوز أن يريد إن ربك هو الذى خلقكم و علم ما هو الأصلح لكم و قد علم إن الصفح أصلح الآن إلى أن يؤمر بالسيف ثم ذكر سبحانه ما خص به نبيه ص من النعم فقال «وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي» و قد تقدم الكلام فيه و

إن السبع المثاني هى فاتحه الكتاب و هو قول على (عليه السلام) و ابن عباس و الحسن و أبى العالى و سعيد بن جبیر و إبراهيم و مجاهد و قتاده و روى ذلك عن أبى عبد الله و أبى جعفر (عليه السلام)

و قيل هى السبع الطوال و هى السور السبع من أول القرآن و إنما سميت مثاني لأنه يثنى فيها الأخبار و العبر عن ابن عباس فى روايه أخرى و ابن مسعود و ابن عمر و الضحاك و قيل المثاني القرآن كله لقوله «كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي» عن أبى مالك و طاووس و روى نحو ذلك عن عباس و مجاهد و من قال هى فاتحه الكتاب اختلفوا فى سبب تسميتها مثاني ف قيل

لأنها تثنى قراءتها فى الصلاة عن الحسن و أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل لأنها تثنى بها مع ما يقرأ من القرآن عن الزجاج و قيل لأن فيها الثناء مرتين و هو الرحمن الرحيم و

قيل لأنها مقسومه بين الله و عبده على ما روى فى الخبر

و قيل لأن نصفها ثناء و نصفها دعاء و قيل لأنها نزلت مرتين تعظيما و تشريفا لها و قيل لأن حروفها كلها مثناه نحو الرحمن الرحيم إياك و إياك و الصراط و صراط و قيل لأنها تثنى أهل الفسق عن الفسق و من قال المراد بالمثاني القرآن كله فإن من فى قوله «مِنَ الْمَثَانِي» يكون للتبعيض و من قال إنها الحمد كان من للتبيين و قال الراجز:

نشدتكم بمنزل القرآن أم الكتاب السبع من مثاني

ثنتين من آى من القرآن و السبع سبع الطول الدواني

«وَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ» تقديره و آتيناك القرآن العظيم وصفه بالعظيم لأنه يتضمن جميع ما يحتاج إليه من أمور الدين بأوجز لفظ و أحسن نظم و أتم معنى «لا- تَمِدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ» أى لا ترفعن عينيك من هؤلاء الكفار إلى ما متعناهم و أنعمنا عليهم به أمثالا- فى النعم من الأموال و الأولاد و غير ذلك من زهرات الدنيا فإنها فى معرض الزوال و الفناء مع ما يتبعها من الحساب و الجزاء و على هذا فيكون أزواجاً منصوباً على الحال و المراد به الأشباه و الأمثال و قيل إن معناه لا تنظرن إلى ما فى أيديهم من النعم التى هى أشباه يشبه بعضها بعضاً فإن ما أنعمنا عليك و على من اتبعك من أنواع النعم و هى النبوه و القرآن و الإسلام و الفتوح و غيرها أكثر و أوفر مما آتيناهم و قيل إن معناه لا تنظرن و لا تعظمن فى عينيك و لا تمدهما إلى ما متعنا به أصنافاً من المشركين و الأزواج الأصناف و يكون على هذا مفعولاً به نهى الله رسوله عن الرغبة فى الدنيا فحظر عليه أن يمد عينيه إليها و كان رسول الله لا ينظر إلى ما يستحسن من الدنيا «وَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ» أى على كفار قريش إن لم يؤمنوا و نزل بهم العذاب عن الكلبى و قيل لا- تحزن عليهم بما يصيرون إليه من عذاب النار بكفرهم عن الحسن و قيل لا- تحزن لما أنعمت عليهم دونك عن الجبائى «وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ» أى ألن لهم جانبك و ارفق بهم عن ابن عباس و العرب تقول فلان خافض الجناح إذا كان وقوراً حليماً و أصله أن الطائر إذا ضم فرخه إلى نفسه بسط جناحه ثم خفضه فالمعنى تواضع للمؤمنين لكى يتبعك الناس فى دينك «وَ قُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ» معناه و قل إنى أنا المعلم بموضع المخافه ليتقى الميين لكم ما تحتاجون إليه و ما أرسلت به إليكم «كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ» قيل فيه قولان (أحدهما) إن معناه أنزلنا القرآن عليك كما أنزلنا على المقتسمين و هم اليهود و النصارى «الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ» أى فرقوه و جعلوه أعضاء كأعضاء الجزور فآمنوا ببعضه و كفروا ببعضه عن قتاده قال آمنوا بما وافق دينهم و كفروا بما خالف دينهم و قيل سماهم مقتسمين لأنهم اقتسموا كتب الله تعالى فآمنوا ببعضها و كفروا ببعضها عن ابن عباس (و الآخر) إن معناه إنى أنذركم عذاباً كما أنزلنا على المقتسمين الذين اقتسموا طرق مكة يصدون عن رسول الله ص و الإيمان به قال مقاتل و كانوا ستة عشر رجلاً بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم يقولون لمن أتى مكة لا- تغتروا بالخارج منا و المدعى النبوه فأنزل الله بهم عذاباً فماتوا شرمته ثم وصفهم فقال «الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ» أى جزءوه أجزاء فقالوا سحر و قالوا أساطير الأولين و قالوا مفترى عن ابن عباس.

النظم

وجه اتصال الآيه الأولى بما قبلها هو أن الأمم لما خالفوا الحق أهلكوا لأن

ص: ١١٦

الله تعالى ما خلق السماوات والأرض إلا بالحق وإن الساعه آتية للجزاء وإن جميع ما خلق الله يرجع إلى عالم يدبره واتصل قوله «وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي» بقوله «فَاصْرِفْ فَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ» فإنه سبحانه لما أمره بالصفح عن أذاهم بين ما خصه الله به من النعم وما له من الحجه عليهم واتصل قوله «كَمَا أَنْزَلْنَا» على القول الأول بهذا أى كما أنزلنا عليهم أنزلنا إليك القرآن و على القول الثانى يتصل بقوله «أَنَا النَّذِيرُ».

[سوره الحجر (١٥): الآيات ٩٢ الى ٩٩]

اشاره

فَو رَبِّكَ لَنَسْتَلْتَهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣) فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٩٦)

وَ لَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ كُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَ اعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩)

اللغه

الصدع و الفرق و الفصل نظائر و صدع بالحق إذا تكلم به جهارا قال أبو ذؤيب:

و كأنهن ربابه و كأنه يسر يفيض على القداح و يصدع

و الصديع الصبح قال:

" كان بياض غرته الصديع "

. الإعراب

«فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ» إن جعلت ما بمعنى الذى كان العائد من الصله إلى الموصول محذوفا و يكون تقديره على استعمال الصيغه فيه فاصدع بما تؤمر بالصدع به ثم تحذف الباء التى فى به فيصير بالصدعه و لا يجوز الإضافه مع لام المعرفه فتحذف لام المعرفه توصلا بحذفه إلى الإضافه فيصير بما تؤمر بصدعه ثم يحذف المضاف و يقيم المضاف إليه مقامه فيبقى بما تؤمر به ثم يحذف حرف الجر على حد قولك أمرتك الخير فى

ص: ١١٧

أمرتك بالخير فيصير بما تؤمره ثم يحذف العائد المنصوب من الصلة على ما قد تكرر بيانه في مواضع فيصير بما تؤمر و هذا من لطائف أسرار النحو و إن جعلت ما مصدرية كان على تقدير فاصدع بالأمر كما تقول عجبت مما فعلت و التقدير عجبت من فعلك و لا- يحتاج هنا إلى عائد يعود إلى ما لأنه حرف و حكى يونس النحوى عن رؤبه أنه قال فى هذه اللفظه أفصح ما فى القرآن.

المعنى

لما بين سبحانه كفرهم بالقرآن و تعزيتهم له بين عقيب ذلك لنيه ص أنه يسألهم عما فعلوه و يجازيهم عليه فقال «فَو رَبُّكَ» يا محمد «لَنْسِدَ لَنْهُمْ أَجْمَعِينَ» أقسم بنفسه و أضاف نفسه إلى نبيه ص تشريفا له و تنبيها للخلق على عظيم منزلته عنده لنسألن هؤلاء الكفار سؤال توبيخ و تفرير بأن نقول لهم لم عصيتم و ما حجتكم فى ذلك فيظهر عند ذلك خزيبهم و فضيحتهم عند تعذر الجواب «عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ» معناه عما عملوا فيما عملوا عن سفيان بن عيينه و قيل عن لا إله إلا الله و الإيمان برسله عن الكلبي و قيل عما كانوا يعبدون و بما ذا أجابوا المرسلين عن أبى العالیه «فَاصِدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ» أى أظهر و أعلن و صرح بما أمرت به غير خائف عن ابن عباس و ابن جريج و مجاهد و ابن زيد و قيل معناه فافرق بين الحق و الباطل بما أمرت به عن الجبائى و الأخفش و قيل ابن ما تؤمر به و أظهره عن الزجاج قال و تأويل الصدع فى الزجاج و فى الحائط أن تبين بعض الشىء عن بعض «وَ أَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ» أى لا تخصمهم إلى أن تؤمر بقتالهم و قيل معناه لا تلتفت إليهم و لا تخف عنهم عن أبى مسلم و قيل و أعرض عن مجاوبتهم إذا آذوك عن الجبائى «إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ» أى كفيناك شر المستهزئين و استهزاءهم بأن أهلكتناهم و كانوا خمسه نفر من قريش العاص بن وائل و الوليد بن المغيرة و أبو زمعه و هو الأسود بن المطلب و الأسود بن عبد يغوث و الحرث بن قيس عن ابن عباس و سعيد بن جبير و قيل كانوا سته رهط عن محمد بن ثور و سادسهم الحارث بن الطلائه و أمه عيطله قالوا و أتى جبرائيل النبى ص و المستهزئون يطوفون بالبيت فقام جبرائيل و رسول الله إلى جنبه فمر به الوليد بن المغيرة المخزومى فأومى بيده إلى ساقه فمرد الوليد على قين لخرأعه و هو يجر ثيابه فتعلقت بثوبه شوكة فمنعه الكبر أن يخفض رأسه فينزعه و جعلت تضرب ساقه فخدشته فلم يزل مريضا حتى مات و مر به العاص بن وائل السهمى فأشار جبرائيل إلى رجله فوطئ العاص على شوكة فدخلت فى أحمص رجله فقال لدغت فلم يزل يحكها حتى مات و مر به الأسود بن المطلب بن عبد مناف فأشار إلى عينه فعمى و قيل رماه بورقه خضراء فعمى و جعل يضرب رأسه على الجدار حتى هلك و مر به

الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى فمات وقيل أصابه السموم فصار أسود فأتى أهله فلم يعرفوه فمات وهو يقول قتلنى رب محمد و مر به الحارث بن الطلائطه فأومى إلى رأسه فامتخط قيحا فمات وقيل إن الحرث بن قيس أكل حوتا مالحا فأصابه العطش فما زال يشرب حتى أنقذ بطنه فمات ثم وصفهم سبحانه بالشرك فقال «الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ» أى اتخذوا معه إلهاً يعبدونه «فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ» هذا وعيد لهم و تهديد «وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ» يا محمد «بِضَيْقِ صَدْرِكَ» أى قلبك «بِمَا يَقُولُونَ» من تكذيبك و الاستهزاء بك و هذا تعزیه من الله تعالى لنبیه و تطیب لقلبه «فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ» أى قل سبحان الله و بحمده «وَ كُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ» أى المصلين عن الضحاک و ابن عباس قال و كان رسول الله ص إذا حزنه أمر فرع إلى الصلاة و قيل معناه احمد ربك على نعمه إليك و كن من الذين يسجدون لله و يوجهون بعبادتهم إليه «وَ اعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ» أى إلى أن يأتيك الموت عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و قيل حتى يأتيك اليقين من الخير و الشر عند الموت عن قتاده و سمى الموت يقينا لأنه موقن به و يحتمل أن يكون أراد حتى يأتيك العلم الضرورى بالموت و الخروج من الدنيا الذى يزول معه التكليف قال الزجاج المعنى اعبد ربك أبد الأبدین و لو قال اعبد ربك بغير توقيت لجاز أن يكون الإنسان مطيعا إذا عبد الله مره فإذا قال حتى يأتيك اليقين فقد أمر بالإقامه على العباده أبدا ما دام حيا.

(١٦) سورة النحل مكيه و آياتها ثمان و عشرون و مائه (١٢٨)

اشاره

[توضيح]

أربعون آيه من أولها مكيه و الباقي من قوله «وَ الَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوْنَهُمْ» إلى آخر السوره مدنيه عن الحسن و قتاده و قيل مكيه كلها غير ثلاث آيات نزلت في انصراف النبي ص من أحد «وَ إِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا» إلى آخر السوره نزلت بين مكه و المدينه عن ابن عباس و عطا و الشعبي و في إحدى الروايات عن ابن عباس بعضها مكي و بعضها مدني فالمكي من أولها إلى قوله «وَ لَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» و المدني قوله «وَ لَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا» إلى قوله «بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

عدد آياتها

مائه و ثمان و عشرون آيه ليس فيها اختلاف.

فضلها

أبي بن كعب عن النبي ص قال من قرأها لم يحاسبه الله تعالى بالنعم التي أنعمها عليه في دار الدنيا و أعطى من الأجر كالذي مات و أحسن الوصيه و إن مات في يوم تلاها أو ليله كان له من الأجر كالذي مات فأحسن الوصيه

و

روى محمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام) قال من قرأ سورة النحل في كل شهر كفى المغرم في الدنيا و سبعين نوعا من أنواع البلاء أهونه الجنون و الجذام و البرص و كان مسكنه في جنه عدن و هي وسط الجنان.

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة الحجر بوعيد الكفار كان افتتاح هذه السوره بوعيدهم أيضا فقال:

ص: ١٢٠

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (١) يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (٢)

القراءة

تشركون بالتاء كوفى غير عاصم و الباقون بالياء تنزل الملائكة بفتح التاء و الزاى و التشديد و رفع الملائكة روح و زيد عن يعقوب و سهل و هى قراءة الحسن و الباقون بالياء بكسر الزاى و نصب «الملائكة» و ابن كثير و أبو عمرو يخففان ينزل على أصلها و كذلك رويس عن يعقوب و الباقون يشددون.

اللغة

قيل إن التسييح بالتشديد فى اللغة على أربعة أقسام (الأول) التنزيه كقوله «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى» (و الثانى) بمعنى الاستثناء كقوله «لَوْ لَا تَسْبِيحُونَ» أى تستنون بقولكم إن شاء الله (و الثالث) بمعنى الصلاه كقوله «فَلَوْ لَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ» (و الرابع) بمعنى النور كما

جاء فى الحديث فلو لا سبحات وجهه

أى نوره و الروح يأتى على عشره أقسام الروح حياه النفوس بالإرشاد و الروح الرحمه كما ورد فى القراءة فَرُوْحٌ وَ رِيْحَانٌ وَ الروح النبوه كقوله «يُلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» و الروح عيسى روح الله لأنه خلق من غير بشر و قيل من غير فحل و قيل لكونه رحمه على عباده بما يدعوهم إلى الله و الروح جبرائيل (عليه السلام) و الروح النفخ يقال أحييت النار بروحى أى بنفخى قال ذو الرمه يصف الزند و الزنده:

فلما بدت كفتتها و هى طفله بطلساء لم تكمل ذراعا و لا شبرا

و قلت له ارفعها إليك و أحيها بروحك و اقتته لها قيته قدرا

و الروح الوحى فى قوله «وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا» و قيل إنه جبرائيل و الروح ملك فى السماء من أعظم من خلق الله فإذا كان يوم القيامة وقف صفا و الملائكة كلهم صفا و الروح روح الإنسان و قال ابن عباس فى الإنسان روح و نفس فالنفس هى التى يكون فيها التمييز و الكلام و الروح هو الذى يكون به الغطيط و النفس فإذا نام العبد خرجت نفسه وبقى روحه و إذا مات خرجت نفسه و روحه معا.

«أتى أمرُ اللَّهِ» فيه أقوال (أحدها) إن معناه قرب أمر الله تعالى بعقاب هؤلاء المشركين المقيمين على الكفر و التكنذيب عن الحسن و ابن جريج قال الحسن إن

المشركين قالوا للنبي ص اثنا بعذاب الله فقال سبحانه إن أمر الله آت و كل ما هو آت قريب دان (و ثانيها) إن أمر الله أحكامه و فرائضه عن الضحاك (و ثالثها) إن أمر الله هو يوم القيامة عن الجبائي و روى نحوه عن ابن عباس و على هذا الوجه فيكون أتى بمعنى يأتي و جاء وقوع الماضي هاهنا لصدق المخبر بما أخبر به فصار بمنزله ما قد مضى و لأن سبحانه قرب أمر الساعه فجعله أقرب من لمح البصر و قال أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ «فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ» خطاب للمشركين المكذبين بيوم القيامة لعذاب الله المستهزئين به و كانوا يستعجلونه كما حكى الله سبحانه عنهم قولهم فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ و تقديره قل لهؤلاء الكفار لا تستعجلوا القيامة و العذاب فإن الله سيأتي بكل واحد منهما فى وقته و حينه كما تقتضيه حكيمته «سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ» هذه كلمه تنزيه لله تعالى عما لا يليق به و بصفاته و تنزيه له من أن يكون له شريك فى عبادته أى جل و تقدس و تنزه من أن يكون له شريك تعالى و تعظم و ارتفع من جميع صفات النقص «يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ» أى ينزل الله الملائكه أو تنزل الملائكه «بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ» أى بالوحى عن ابن عباس و قيل بالقرآن عن ابن زيد و هما واحد و سمي روحا لأنه حياه القلوب و النفوس بالإرشاد إلى الدين و قيل بالنبوه عن الحسن و قوله «مِنْ أَمْرِهِ» أى بأمره و نظيره قوله «يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ» أى بأمر الله لأن أحدا لا يحفظه عن أمره «عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» ممن يصلح للنبوه و السفاره بينه و بين خلقه «أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ» هذا تفسير للروح المنزل و بدل منه فإن المعنى تنزل الملائكه بأن أنذروا أهل الكفر و المعاصى بأنه لا إله إلا أنا أى مروهم بتوحيدى و بأن لا يشركوا بى شيئا و معنى «فَاتَّقُونِ» فاتقوا مخالفتى و فى هذا دلالة على أن الغرض من بعثه الأنبياء الإنذار و الدعاء إلى الدين.

النظم

وجه اتصال قوله «سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى» بما تقدم إن الكفار كانوا يستعجلون العذاب على وجه التكذيب به و يكذبون البعث و القيامة فبين سبحانه أنه منزه عما يصفون به فإن الحكيم إذا كلف و جب أن يجازى المكلف فترك المجازاه قبيح و قيل إنهم كانوا ينكرون قدره الله تعالى سبحانه على إعاده الخلق فزده نفسه عن قولهم و اتصل قوله «يُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ» بما تقدم فإنه سبحانه لما أوعدهم بالعذاب بين أنه ينزل الملائكه للتخويف و أنه لا يأخذ أحدا من المشركين حتى يحتج عليه بالندر و قيل إنه سبحانه بين أن الحال حال التكليف لا حال نزول العذاب و إن الصلاح الآن إنزال الملائكه إلى النبي ص بالوحى و الكتاب للإنذار و بيان الأدله و لذلك أتبعه بذكر الأدله.

إشاره

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٤) وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا يَشِقُّ الْإِنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ (٧)

القراءه

قرأ أبو جعفر بشق الأنفس بفتح الشين و الباقون بكسرها.

الحجه

الشق و الشق بكسر الشين و فتحها بمعنى و كلاهما المشقه قال عمرو بن ملقط و هو جاهلي:

" و الخيل قد تجشم أربابها الشق و قد تعتسف الروايه "

و الروايه بفتح الشين.

اللغه

الأنعام جمع نعم و هي الإبل و البقر و الغنم سميت بذلك لنعمة مشيها بخلاف الحافر الذي يصلب مشيها و الدفء ما استدفأت به و دفئ يومنا دفا فهو دفئ و الإبراحه رد الماشيه بالعشى من مراعيها إلى مباركها و المكان الذي يراح فيه مراح و السروح خروج الماشيه إلى المرعى بالغداه يقال سرحت الماشيه سرحا و سروحا و سرحها أهلها قال:

كان بقايا الأثر فوق متونه مدب الدبا فوق النقا و هو سارح

و الأثقال جمع الثقل و هو المتاع الذي يثقل حمله.

الإعراب

و الأنعام منصوب بفعل مقدر يفسره ما بعده و التقدير و خلق الأنعام خلقها و قوله «لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ» جملة منصوبه الموضع على الحال من الأنعام و التقدير كائنه بهذه الصفه.

المعنى

لما تقدم ذكر بعث الملائكة للإنذار و بيان التوحيد و شرائع الإسلام أتبعه

ص: ١٢٣

سبحانه بالاحتجاج على الخلق بالخلق و تعداد صنوف الأنعام فقال «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ» و معناه أنه خلقهما ليستدل بهما على معرفته و يتوصل بالنظر فيهما إلى العلم بكمال قدرته و حكمته و قيل خلقهما لينتفع بهما في الدين و الدنيا و ليعمل بالحق «تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ» أى تقدر عن أن يكون له شريك ثم بين سبحانه دلالته أخرى فقال «خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ» و النطفة الماء القليل غير أنه بالتعارف صار اسما لماء الفحل «فَإِذَا هُوَ خَصَّ بِمِائِمَةٍ مُّبِينَةٍ» اختصر هاهنا ذكر تقلب أحوال الإنسان لذكره ذلك فى أمكنه كثيره من القرآن فالمعنى أنه خلق الإنسان من نطفه سياله ضعيفه مهينه دبرها و صورها بعد أن قلبها حالا بعد حال حتى صارت إنسانا يخاصم عن نفسه و يبين عما فى ضميره فبين سبحانه أنقص أحوال الإنسان و أكملها منبها على كمال قدرته و علمه و قيل خصيم مجادل بالباطل مبين ظاهر الخصومه عن ابن عباس و الحسن فعلى هذا يكون المعنى أنه خلقه و مكنه فأخذ يخاصم فى نفسه و فيه تعريض لفاحش ما ارتكبه الإنسان من تضييع حق نعمه الله عليه ثم بين سبحانه نعمته فى خلق الأنعام فقال «وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا» معناه و خلق الأنعام من الماء كما خلقكم منه يدل عليه قوله «وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ» و أكثر ما يتناول الأنعام الإبل و يتناول البقر و الغنم أيضا و فى اللغة هى ذوات الأخفاف و الأظلاف دون ذوات الحوافر «لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ» أى لباس عن ابن عباس و مجاهد و قيل ما يستدفا به مما يعمل من صوفها و وبرها و شعرها عن الحسن فيدخل فيه الأوكسيه و اللحف و الملابس و غيرها قال الزجاج أخبر سبحانه أن فى الأنعام ما يدفئنا و لم يقل و لكم فيها ما يكنكم من البرد لأن ما ستر من الحر ستر من البرد و قال فى موضع آخر سِرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ فعلم أنها تقى البرد أيضا فكذلك هاهنا و قيل إن معناه و خلق الأنعام لكم أى لمنافعكم ثم ابتداء و أخبر و قال «فِيهَا دِفْءٌ» عن الحسن و جماعه «وَمَنَافِعُ» معناه و لكم فيها منافع آخر من الحمل و الركوب و إثارة الأرض و الزرع و النسل «وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ» أى و من لحومها تأكلون «وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ» أى حسن منظر و زينه «حِينَ تَرِيحُونَ» أى حين تردونها إلى مراحها و هى حيث تأوى إليه ليلا «وَحِينَ تَسِيرُونَ» أى حين ترسلونها بالغداه إلى مراعيها و أحسن ما يكون النعم إذا راحت عظاما ضروعها ممتلئة بطونها منتصبه أسنمتها و كذلك إذا سرحت إلى المراعى رافعه رءوسها فيقول الناس هذه جمال فلان و مواشيه فيكون له فيها جمال «وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ» أى أمتعتكم «إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا أُنْفُسٌ» أى و تحمل الإبل و بعض البقر أحمالكم الثقيله إلى بلد بعيده لا يمكنكم أن تبلغوه من دون الأحمال إلا بكلفه و مشقه تلحق أنفسكم فكيف تبلغونه مع الأحمال لو لا أن الله تعالى سخر هذه الأنعام لكم حتى حملت أثقالكم إلى

أين شئتم و قيل إن الشق معناه الشطر و النصف فيكون المراد إلا- بأن يذهب شطر قوتكم أى نصف قوه الأنفس و قيل معناه تحمل أثقالكم إلى مكة لأنها من بلاد الفلوات عن ابن عباس و عكرمه «إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوْفٌ» أى ذو رأفه «رَحِيمٌ» أى ذو رحمه و لذلك أنعم عليكم بخلق هذه الأنعام ابتداء منه بهذه الأنعام.

[سوره النحل (١٦): الآيات ٨ إلى ١٣]

إشاره

وَ الْخَيْلَ وَ الْبِغَالَ وَ الْحَمِيرَ لَتَرْكَبُوهَا وَ زِينَةً وَ يَخْلُقِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨) وَ عَلَى اللَّهِ قَضِيْدُ السَّبِيلِ وَ مِنْهَا جَائِرٌ وَ لَوْ شَاءَ لَهَيَّدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (٩) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَ مِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَ الزَّيْتُونَ وَ النَّخِيلَ وَ الْأَعْنَابَ وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَمَآيَهَ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١) وَ سَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢)

وَ مَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَهَ لِقَوْمٍ يَدَّبَّرُونَ (١٣)

القراءه

قرأ حماد و يحيى عن أبي بكر عن عاصم نبت بالنون و الباقون بالياء و قرأ ابن عامر و الشمس و القمر و النجوم مسخرات كلها بالرفع و قرأ حفص عن عاصم «وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ» بالنصب «وَ النُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ» بالرفع و قرأ الباقون كل ذلك بالنصب.

الحجه

من قرأ «يُنْبِتُ» بالياء فلما تقدم من قوله «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ» فالياء أشكل بما تقدم من الإفراد و النون لا يمتنع أيضا و يقال نبت البقل و أنبته الله قال أبو علي و النصب في قوله «وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ» أحسن ليكون معطوفا على ما قبله و داخلا في إعرابه ألا ترى أن ما في التنزيل من نحو قوله «وَ كُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ» «وَ الظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» يختار فيه

النصب ليكون مثل ما يعطف عليه و مشاكلا له فكذلك هنا إذا حمل ذلك على التسخير كان أشبه فإن قلت فقد جاء «مُسَخَّرَاتٌ» بعد هذه الأشياء المنصوبه المحموله على سخر فإن ذلك لا يمتنع لأن الحال تكون مؤكده و مجىء الحال مؤكده فى التنزيل و غيره كثير كقوله «وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا» و:

أنا ابن داره معروفًا و كفى بالنأى من أسماء كاف "

و يقوى النصب قوله تعالى «وَسَيَخَّرْ لَكُمْ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دَائِبِينَ» فكما حمل هنا على التسخير كذلك فى الأخرى و كذلك النجوم قد حملت على التسخير فى قوله «وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِى ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ» و كان ابن عامر قطعه عن سخر لثلا يجعل الحال مؤكده فابتدأ الشمس و القمر و النجوم و جعل مسخرات خبرا عنها و يدل على جواز ذلك أنه إذا جاء سخر لكم الشمس و القمر و النجوم علم من هذا أنها مسخرات فجاز الإخبار بالتسخير عنها لذلك و أما حفص فإنما رفع «وَ النُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ» لأنه لا يصح أن يقال و سخر النجوم مسخرات فقطعها مما قبلها فعلى هذا يكون حجه من نصب أن يقدر فعلا آخر و تقديره و جعل النجوم مسخرات.

اللغة

القصده استقامه الطريق يقال طريق قصد و قاصد إذا قصد إلى ما يريد و الجائز المائل عن الحق و الشجر ما ينبت من الأرض و قام على ساق و له ورق و جمعه أشجار و منه المشاجره لتداخل بعض الكلام فى بعض كتداخل ورق الشجر و قال الأزهرى الشجر ما ينبت من الأرض قام على ساق أو لم يقم تسيمون من الإسامه يقال أسمت الإبل إذا رعيتها و أطلقتها فترعى متصرفه حيث شاءت و سامت هى إذا رعت و هى تسوم و إبل سائمه و يقال سمته إذا قصرتها على مرعى بعينه و سمته الخسف إذا تركتها على غير مرعى و منه قيل سيم فلان خسفا إذا ذل و اهتضم قال الكميت فى الإسامه:

راعيا كان مسجحا ففقدناه و فقد المسيم هلك السوام

و قال آخر:

و أسكن ما سكنت ببطن واد و اظعن إن ظعنت فلا أسيم

و ذهب قوم إلى أن السوم فى البيع من هذا لأن كل واحد من المتبايعين يذهب فيما يبيعه من زياده ثمن أو نقصانه إلى ما يهواه كما تذهب السائمه حيث شاءت و قد

جاء فى الحديث لا سوم قبل طلوع الشمس

فحملة قوم على أن المواشى لا- تسأم قبل طلوع الشمس لثلا- تنتشر و حملة آخرون على أن البيع فى ذلك الوقت مكروه لأن المبيع لا تنكسر عيوبه

فيدخل فى بيع الغرر المنهى عنه و الذرأ إظهار الشىء بإيجاده يقال ذرأه يذرؤه و ذرأه و فطره و أنشأه نظائر و ملح ذرئ أى ظاهر البياض.

الإعراب

نصب «الْخَيْلَ وَ الْبِغَالَ وَ الْحَمِيرَ» على أنها مفعول فى المعنى أى و خلق الخيل و البغال و الحمير و نصب زينه لأنها مفعول لها. و خلقها زينه «وَ مَا ذَرَأَ» "ما" بمعنى الذى و موضعه نصب على تقدير و خلق ما ذرأ لكم و قيل هو فى موضع الجر بالعطف على ذلك أى أن فى ذلك ما ذرأ لكم. مختلفا نصب على الحال و ألوانه فاعله.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما عدده من صنوف أنعامه فقال «وَ الْخَيْلَ» أى و خلق لكم الخيل «وَ الْبِغَالَ وَ الْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا» فى حوائجكم و تصرفاتكم «وَ زِينَهُ» أى و لتتزينوا بها من الله تعالى على خلقه بأن خلق لهم من الحيوان ما يركبونه و يتجملون به و ليس فى هذا ما يدل على تحريم أكل لحومها و قد روى البخارى فى الصحيح مرفوعا إلى أسماء بنت أبى بكر قال أكلنا لحم فرس على عهد رسول الله ص «وَ يَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» من أنواع الحيوان و النبات و الجماد لمنافعكم «وَ عَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ» أى بيان قصد السبيل عن ابن عباس و معناه واجب على الله فى عدله بيان الطريق المستقيم و هو بيان الهدى من الضلاله و الحلال من الحرام ليتبع الهدى و الحلال و يجتنب الضلاله و الحرام و هذا مثل قوله «إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى وَ مِنْهَا جَائِزٌ» معناه من السبيل ما هو جائز أى عادل عن الحق «وَ لَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ» إلى قصد السبيل بالإلجاء و القهر فإنه قادر على ذلك و قيل معناه لهداكم إلى الجنة و الثواب تفضلا عن الجبائى و أبى مسلم و قيل إن معنى الآية و على الله الممر. و من الطرق التى الممر فيها على الله جائز و كلاهما على الله لا يخرج أحدا عن قبضته و حكمه كقوله «إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ» و قيل على الله ممر ذى السبيل القصد و السبيل الجائر و إليه مرجع كل واحد منهما لا- يخرج واحد عن سلطانه و لو أراد أن يحمل الجميع على الحق لفعل و من عدل عن الطريق المستقيم فليس ذلك لعجز من الله تعالى ثم عد سبحانه نعمه أخرى داله على وحدانيته فقال «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» أى مطرا «لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ» أى لكم من ذلك الماء شراب تشربونه «وَ مِنْهُ شَجْرٌ» فيه وجهان (أحدهما) أن يكون المراد و منه شرب شجر أو سقى شجر فحذف المضاف (و الآخر) أن يكون المراد و من جهة الماء شجر و من سقيه و إنباته شجر فحذف المضاف إلى الهاء فى منه كما قال زهير:

أمن أم أوفى دمنه لم تكلم بحومانه الدراج فالمتلّم

أى أمن ناحيه أم أوفى وقال أبو ذؤيب:

أمنك البرق أرقبه فهاجا فبت أخاله دهما خلاجا

أى أمن جهتك وقال الجعدى:

لمن الديار عفون بالتهطال بقيت على حجج خلون طوال

أى على مر حجج والمعنى وينبت منه شجر و نبات «فِيهِ تُسَيِّمُونَ» أى ترعون أنعامكم من غير كلفه و التزام مئونه لعلفها «يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَ الزَّيْتُونَ وَ النَّخِيلَ وَ الْأَعْنَابَ وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ» أى ينبت الله لكم بذلك المطر هذه الأشياء التى عددها لتنتفعوا بها «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً» أى دلالة و حجه واضحه «لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» فيه فيعرفون الله تعالى به و خص المتفكرين فيه لأنهم المنتفعون به «وَ سَيَخْرُ لَكُمْ اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ» قد مضى بيانه و التسخير فى الحقيقه للشمس و القمر لأن النهار هو حركات الشمس من وقت طلوع الفجر إلى وقت غروب الشمس و الليل حركات الشمس تحت الأرض من وقت غروب الشمس إلى وقت طلوع الفجر إلا أنه سبحانه أجرى التسخير على الليل و النهار على سبيل التجوز و الاتساع «وَ النُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ» مضى بيانه «إِنَّ فِي ذَلِكَ» التسخير «لآياتٍ» أى دلالات «لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» عن الله و يثبتون أن المسخر لذلك على هذا تقدير الذى لا يختلف لأجل منافع خلقه و مصالحهم و المدبر لذلك قادر عالم حكيم «وَ مَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ» أى سخر لكم ما خلقه لكم فى الأرض أى لقوام أبدانكم من الملابس و المطاعم و المناكح من أنواع الحيوان و النبات و المعادن و سائر النعم «مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ» لا يشبه بعضها بعضا «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً» أى دلالة «لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ» أى يتفكرون فى الأدله فينظرون فيها و يتعظون و يعتبرون بها.

إشارة

وَ هُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَ تَسِيَّخْرُجُوا مِنْهُ جَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَ تَرَى الْفُلُكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤) وَ أَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَ أَنْهَارًا وَ سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥) وَ عِلَامَاتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦) أَمْ مَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَ إِنْ تُعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨)

القراءة

في الشواذ قراءة الحسن و بالنجم بضم النون.

الحج

هو جمع نجم مثل سقف و سقف و رهن و رهن.

اللغة

المخر شق الماء من عن يمين و شمال مخرت السفينه الماء تمخر مخرا فهي ماخره و المخر أيضا صوت هبوب الريح إذا اشتد هبوبها و مخر الأرض شقها للزراعه و مخرها بالماء إذا أرسل عليها الماء لتطيب و الميذ الميل يمينا و شمالا و هو الاضطراب ماد يميذ ميذا و العلامه صورته يعلم بها المعنى من خط أو لفظ أو إشاره أو هيئه و قد تكون وضعيه و قد تكون برهانيه.

الإعراب

قوله «أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ» في موضع نصب بأنه مفعول له و تقديره كراهه أن تميد بكم و انتصب قوله «وَ أَنْهَارًا وَ سُبُلًا» بمحذوف تقديره و جعل لكم أنهارا لدلاله قوله «أَلْقَى» عليه لأنه لا يجوز أن يكون عطفا على ألقى و مثله قوله:

علفتها تبنا و ماء باردا

و قول الآخر:

تسمع في أجوافهن صردا و في اليمين جسا و بددا

أى و ترى في اليمين يبسا و تفرقا و علامات منصوب عطف على قوله «وَ أَنْهَارًا وَ سُبُلًا» و قيل و خلق لكم علامات.

ثم عدد سبحانه نوعا آخر من أنواع نعمه فقال «وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ» أى ذلله لكم و سهل لكم الطريق إلى ركوبه و استخراج ما فيه من المنافع «لِيَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا» أى لتصطادوا منه أنواع السمك و تأكلوا لحمه «طَرِيًّا» و لا- يجوز أن يهزم طريا لأنه من الطراوه «وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً» يعنى اللآلى التى تخرج من البحر بالغوص «تَلْبَسُونَهَا» و تزينون بها و تلبسونها نساءكم و لو لا تسخيره سبحانه ذلك لكم لما قدرتم على الدنو منه و الغوص فيه «وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ» أى و ترى أيتها الإنسان السفن شواق فى البحر و قواطع لمائه عن عكرمه و قيل جوارى عن ابن عباس «وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ» أى و لتركبوه للتجاره و تطلبوا من فضل الله تعالى «وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» أى و لكى تشكروا الله على نعمه ليزيدكم منها و يثيبكم و الواو إنما دخلت فى ذلك للدلالة على أن الله سبحانه أراد جميع ما ذكره إنعاما منه على عباده «وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ» أى جبالا عاليه ثابته واحدها راسيه «أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ» الأرض أى كراهه أن تميد بكم أو لثلا تميد بكم أى تتحرك و تضطرب «وَأَنْهَارًا» أى و جعل فيها أنهارا «وَسُبُلًا» أى طرقا لكى تجروا الماء فى الأنهار إلى بساتينكم و حيث تريدون و تهتدوا بالطرق إلى حيث شتتم من البلاد و قيل أراد بالأنهار النيل و الفرات و دجله و سيحان و جيحان و أمثالها «لَعَلَّكُمْ يَهْتَدُونَ» قد ذكرنا معناه و قيل لتهتدوا بها إلى توحيد الله «وَعَلَامَاتٍ» و جعل لكم علامات أى معالم تعلم بها الطرق و قيل العلامات الجبال يهتدى بها نهارا «وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ» ليلا عن ابن عباس و المراد بالنجم الجنس أى جميع النجوم الثابته و قيل تم الكلام عند قوله «وَعَلَامَاتٍ» ثم ابتداء «وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ» و قيل إن العلامات هى النجوم أيضا لأن من النجوم ما يهتدى بها و منها يكون علامات لا يهتدى بها عن قتاده و مجاهد و قيل أراد به الاهتداء فى القبله

قال ابن عباس سألت رسول الله ص عنه فقال الجدى علامه قبلتكم و به تهتدون فى برکم و بحرکم

و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) نحن العلامات و النجم رسول الله ص و قال إن الله جعل النجوم أمانا لأهل السماء و جعل أهل بيتى أمانا لأهل الأرض

«أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ» معناه أ فمن يخلق هذه الأشياء فى استحقاق العباده و الإلهيه كالأصنام التى لا تخلق شيئا حتى يسوى بينها فى العباده و بين خالق جميع ذلك «أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» أى أ فلا تتذكرون أيتها المشركون فتعتبرون و تعرفون أن ذلك من الخطأ الفاحش و جعل من فيما لا يعقل لما اتصل بذكر الخلق ثم عطف سبحانه على ذلك تذكرا كثره نعمه فقال «وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا» معناه و إن أردتم تعداد نعم الله سبحانه عليكم و معرفه تفاصيلها لم يمكنكم إحصاؤها و لا تعديدها و إنما يمكنكم أن تعرفوا جملها بين

سبحانه أن من وراء النعم التي ذكرها نعمًا له لا تحصى «إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ» لما حصل منكم من تقصير في شكر نعمه «رَحِيمٌ» بكم حيث لم يقطعها عنكم بتقصيركم في شكرها.

[سوره النحل (١٦): الآيات ١٩ الى ٢٣]

أشاره

وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَ مَا تُعْلِنُونَ (١٩) وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَ هُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَ مَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٢١) إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٢٢) لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَ مَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ (٢٣)

القراءه

«وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ» بالياء عاصم غير الأعشى و البرجمي عن أبي بكر و يعقوب و سهل و الباقون بالتاء.

الحججه

من قرأ بالتاء فلأن ما بعده و ما قبله خطاب و من قرأ بالياء وجه الخطاب إلى النبي ص و يكون الخبر عن المشركين.

المعنى

لما قدم سبحانه الدعاء إلى عبادته بذكر نعمه و كمال قدرته عقبه ببيان علمه بسريه كل أحد و على نيته ثم ذكر بطلان الإشراك في عبادته فقال «وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَ مَا تُعْلِنُونَ» أخبر سبحانه أنه يعلم ما يسرونه و ما يظهرونه فيجازيهم على أفعالهم إذ لا- يخفى عليه الجلى و الخفى من أحوالهم «وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» إلها «لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَ هُمْ يُخْلَقُونَ» يعنى الأصنام لا- يمكنها خلق شىء بل هى مخلوقه مربوبه منحوته من الحجر و الخشب و نحوهما مما هو مخلوق لله تعالى ثم قال «أَمْوَاتٌ» أى هى أموات «غَيْرُ أَحْيَاءٍ» أكد كونها أمواتا بقوله «غَيْرُ أَحْيَاءٍ» لنفى الحياه عنها على الإطلاق فإن من الأموات من سبقت له حاله فى الحياه و له حاله منتظره فى الحياه بخلاف الأصنام فإنه ليس لها حياه سابقه و لا منتظره و قال «أَمْوَاتٌ» و لم يقل موات و إن كان الأموات جمع الميت الذى كان فيه حياه فزالت لأنهم صور و الأصنام على صور العقلاء و هيئاتهم و عاملوها معاملة العقلاء تسميه

و اعتقادا و لذلك قال «لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَ هُمْ يُخْلَقُونَ» (وَ مَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) معناه و ما تشعر هذه الأصنام متى تبعث عن الفراء و قيل فى الآيه إن معناه هم أموات يعنى أن الكفار فى حكم الأموات لذهابهم عن الحق و الدين و لا يدرون متى يبعثون و قيل إن المعنى و لا- تدرى الأصنام متى يبعث الخلق عن الجبائى و أيان فى موضع نصب يبعثون و قرئ فى الشواذ إيان بكسر الهمزة و الفتح أفصح و أصح ثم خاطب سبحانه عباده فقال «إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ» لا يقدر على ما يستحق به العباده من خلق أصول النعم سواء فاثبتوا على عبادته «فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ» أى جاحده للحق تستبعد ما يرد عليها من المواعظ «وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ» عن الانقياد للحق ذاهبون عنه دافعون له من غير حجه و الاستكبار طلب الترفع بترك الإذعان للحق ثم قال سبحانه «لَا جَرَمَ» أى حقا و هو بمنزله اليمين قال الخليل و هو كلمه تحقيق و لا يكون إلا جوابا لقول فعلوا كذا فيقول السامع لا جرم يندمون و قال الزجاج معناه حق أن الله و وجب أن الله و لا رد لفعلهم قال الشاعر:

و لقد طعنت أبا عينه طعنه جرمت فزاره بعدها أن يغضبوا

المعنى أحقت فزاره بالغضب و قال أبو مسلم أصله من الكسب فكأنه قال لا يحتاج فى معرفه هذا الأمر إلى اكتساب علم بل هو معلوم «أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِّرُونَ وَ مَا يُعْلِنُونَ» و هذا تهديد لهم بأنه عالم بجميع أحوالهم فيجازيهم على أقوالهم و أفعالهم «إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ» أى المتعظمين الذين يأنفون أن يكونوا أتباعا للأنبياء أى لا يريد ثوابهم و تعظيمهم.

إشارة

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ مَا ذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٤) لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ مِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٢٥) قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ أَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٢٦) ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِبُهُمْ وَ يَقُولُ أَيُّنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَ السُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ (٢٧) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨)

فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٢٩)

القراءة

قرأ نافع وحده تشاقون بكسر النون و الباقون بفتحها و قرأ حمزه و خلف في الموضعين يتوفاهم بالياء و الباقون بالتاء و في الشواذ قراءه مجاهد عليهم السقف بضم السين و

روى عن أهل البيت (عليه السلام) فأتى بنيتهم من القواعد.

الحج

قد تقدم الوجه في قراءه نافع في سوره الحجر عند قوله «فَبِمَ تُبَشِّرُونَ» فأما قراءه حمزه يتوفاهم بالياء فلأن الفعل مقدم و الإماله حسنه في هذا النحو من الفعل و من قرأ بالتاء فلأن الجماعه مؤنثه كما جاء و إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ.

اللغة

قد مضى معنى الأساطير و الأوزار في سوره الأنعام و القواعد الأساس و الواحده القاعده و قواعد الهودج خشبات أربع معترضات في أسفله و الشقاق الخلاف في المعنى و تشاقون تكونون في جانب و المسلمون في جانب و من ثم قيل لمن خرج عن طاعه الإمام و عن جماعه المسلمين شق عصا المسلمين أى صار في جانب عنهم فلم يكن مجتمعاً معهم في كلمتهم و هو مأخوذ من الشق الذى هو النصف كأنه صار في شق غير شقهم.

الإعراب

ما أنزل ما مبتدأ و ذا بمعنى الذى و المعنى ما الذى أنزل ربكم و أساطير مرفوعه على الجواب كأنهم قالوا الذى أنزل أساطير الأولين و تقديره و إذا قيل لهم هذا القول فالذى قام مقام فاعل قيل هو المصدر لا الجملة لأن الجملة نكرة و الفاعل يجوز إضماره و المضمر لا يكون قط نكرة بل هو أعرف المعارف و قوله «وَ مِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ» من زياده على قول الأخفش

أى و أوزار الذين يضلونهم و على قول سيويه هو صفه مصدر محذوف و تقديره و أوزارا من أوزار الذين يضلونهم و ما يزون
فى موضع رفع كما يرفع بعد بئس و نعم و تقديره و بئس الشىء و زرهم فما حرف موصول و يزون صلته و ظالمى أنفسهم

ص: ١٣٣

نصب على الحال أى فى حال ظلمهم أنفسهم.

المعنى

ثم أبان سبحانه عن أحوال المشركين و أقوالهم فقال «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ» أى لمشركى قريش «مَا ذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ» على محمد ص «قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» أى أجابوا فقالوا هذا المنزل فى زعمكم هو عندنا أحاديث الأولين الكاذبه عن ابن عباس و غيره و يروى أنها نزلت فى المقتسمين و هم ستة عشر رجلا- خرجوا إلى عقاب مكة أيام الحج على طريق الناس على كل عقبه أربعة منهم ليصدوا الناس عن النبى ص و إذا سألهم الناس عما أنزل على رسول الله ص قالوا أحاديث الأولين و أباطيلهم عن الكلبى و غيره «لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ» اللام للعاقبه و المعنى كان عاقبه أمرهم حين فعلوا ذلك أن حملوا أوزار كفرهم تامه يوم القيامة «وَ مِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ» أى و يحملون مع أوزارهم بعض أوزار الذين أضلوهم عن سبيل الله و أغووهم عن اتباع الحق و هو وزر الإضلال و الإغواء و لم يحملوا وزر غوايتهم و ضلالهم و قوله «بِغَيْرِ عِلْمٍ» معناه من غير علم منهم بذلك بل جاهلين به و على هذا ما

روى عن النبى ص أنه قال أيما داع دعا إلى الهدى فاتبع فله مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيئا و أيما داع دعا إلى ضلاله فاتبع عليه فإن عليه مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا

«أَلَا- سَاءَ مَا يَزُرُونَ» أى بئس الحمل حملهم و هو ما يحملونه من الآثام لأنه إذا تحمل إثمه و دخل النار كان سببا فكيف إذا تحمله بسبب فعل غيره «قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» أى من قبل هؤلاء المشركين بأنبيائهم من جهة التكذيب و غيره و هذا على سبيل التسليه لنبينا ص و الوعيد لقومه «فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَانُهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ» أى أتى أمر الله بنيانهم التى بنوها من جوانب قواعدها فهدمها عن ابن عباس قال يعنى نمروذ بن كنعان بنى صرحا طويلا و رام منه الصعود إلى السماء ليقاتل أهلها بزعمه فأرسل الله ريحا فألقت رأس الصرح فى البحر و خر عليهم الباقي و قال الزجاج «مِنَ الْقَوَاعِدِ» يريد من أساطين البناء التى تعمده و قيل هو بخت نصر و قيل إن هذا مثل ضربه الله سبحانه لاستئصالهم و لا قاعده هناك و لا سقف و المعنى فأتى الله مكرهم من أصله أى عاد ضرر المكر عليهم و بهم عن الزجاج و ابن الأنبارى و هذا الوجه أليق بكلام العرب كما قالوا أتى فلان من مأمنه أى أتاه الهلاك من جهة مأمنه و إنما أسند سبحانه الإتيان إلى نفسه من حيث كان تخريب قواعدهم من جهته «فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ» إنما قال «مِنْ فَوْقِهِمْ» مع حصول العلم بأن السقف لا يكون إلا من فوق لأحد وجوه (منها) إنه للتوكيد كما تقول لمن خاطبته قلت أنت كذا و كذا و كما يقال مشيت برجلي و تكلمت بلسانى (و منها) إنما قال ذلك ليدل على أنهم كانوا تحته فإن الإنسان قد يقول بيتى قد تهدم على

و إن لم يكن هو تحته (و منها) أن يكون على في قوله «فَخَرَّ عَلَيْهِمْ» بمعنى عن فيكون المعنى فخر عنهم السقف من فوقهم أى خر عن كفرهم و جردهم بالله و آياته و المراد من أجل كفرهم كما يقال اشتكى فلان عن دواء شربه و على دواء شربه أى من أجل الدواء قال الشاعر:

" أرمى عليها و هى فرع أجمع "

أراد أرمى عنها و لو قال على هذا المعنى فخر عليهم السقف و لم يقل من فوقهم لجاز أن يتوهم متوهم أن السقف خر و ليس هم تحته و العرب لا تستعمل لفظه على في مثل هذا الموضع إلا فى الشر و الأمر المكروه «وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ» أى جاءهم عذاب الاستئصال من حيث لا يعلمون لأنهم ظنوا أنهم على حق فكانوا لا يتوقعون العذاب و هذا مثل قوله «فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا» «ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ» معناه ثم أنه تعالى مع ذلك يذلهم و يفضحهم يوم القيامة على رءوس الخلائق و يهينهم بالعذاب أى لا يقتصر بهم على عذاب الدنيا «وَيَقُولُ» على سبيل التوبيخ لهم و التهجين «أَيْنَ شُرَكَائِيَ» الذين كنتم تشركونهم معى فى العبادة على زعمكم «الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ» أى تعادون المؤمنين على قراءه فتح النون و على الكسر تعادونى فيهم «قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» بالله تعالى و بدينه و شرائعه من المؤمنين و قيل هم الملائكة عن ابن عباس «إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَ السُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ» أى أن الهوان اليوم و العذاب الذى يسوء على الجاحدين لنعم الله المنكرين لتوحيده و صدق رسله «الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ» الذين فى موضع جر بأنه بدل من الكافرين أو صفه لهم و معناه الذين يقبض ملك الموت و أعوانه أرواحهم ففارقوا الدنيا و هم ظالمون لأنفسهم بإصرارهم على الكفر «فَأَلْقُوا السَّلَمَ» أى استسلموا للحق و انقادوا حين لا ينفعهم الانقياد و الإذعان «مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ» أى يقولون ما كنا نعمل عند أنفسنا من سوء أى من معصيه فكذبهم الله تعالى و قال بلى قد فعلتم «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فى الدنيا من المعاصى و غيرها و قيل إنه يقول لهم ذلك المؤمنون الذين أوتوا العلم و الملائكة «فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ» أى طبقات جهنم و دركاتها «خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ» أى بئس منزل المتعظمين عن قبول الحق و اللام للتوكيد.

إشارة

وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَ لَعَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣٠) جَنَّاتٍ عِدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (٣١) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٢) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٣٣) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٤)

الإعراب

«ماذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ» ما و ذا هنا كالشيء الواحد و تقديره أى شىء أنزل ربكم و خيرا منصوب على أنه جواب ما ذا أى أنزل خيرا و قوله «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ» يجوز أن يكون تفسيراً لقوله «خَيْرًا» و يجوز أن يكون ابتداءً لكلام «وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ» المخصوص بالمدح محذوف المعنى و نعم دار المتقين دار الآخرة و المبين لقوله «دَارُ الْمُتَّقِينَ جَنَّاتٌ عِدْنٌ» و تقديره هى جنات عدن فيكون خبر مبتدأ محذوف و يجوز أن يكون جنات عدن مرتفعه بالابتداء و تكون المخصوصه بالمدح و التقدير جنات عدن نعم دار المتقين.

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر أقوال الكافرين فيما أنزله على نبيه ص عقبه بذكر أقوال المؤمنين فى ذلك فقال «وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا» الشرك و المعاصى و هم المؤمنون «ماذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا» أى أنزل الله خيرا لأن القرآن كله هدى و شفاء و خير «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ» و يجوز أن يكون هذا ابتداءً لكلام من الله تعالى معناه للمحسنين فى هذه الدنيا حسنة مكافاه لهم و هى الثناء و المدح على ألسنة المؤمنين و الهدى و التوفيق للإحسان «وَلَعَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ» أى و ما يصل إليهم من الثواب فى الآخرة خير مما يصل إليهم فى الدنيا و يجوز أن يكون الجمع من كلام المتقين و أجاز الحسن و الزجاج كلا الوجهين

وقوله «وَلِنِعْمِ دَارُ الْمُتَّقِينَ» أى و الآخرة نعم دار المتقين الذين اتقوا عقاب الله بأداء فرائضه و اجتناب معاصيه و قيل معناه و لنعم دار المتقين الدنيا لأنهم نالوا بالعمل فيها الثواب و الجزاء عن الحسن و قيل معناه و لنعم دار المتقين «جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا» كما يقال نعم الدار دار ينزلها «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» سبق معناه «لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ» أى يشتهون من النعم «كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ» أى كذلك يجازى الله الذين اتقوا معاصيه «الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ» أى طيبى الأعمال طاهرى القلوب من دنس الشرك و قيل معناه طيبه نفوسهم بالمصير إليه لعلمهم بما لهم عنده من الثواب و قيل طيبين أى صالحين بأعمالهم الجميله و قيل بطيب وفاتهم فلا يكون صعوبه فيها «يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ» أى تقول الملائكه سلام عليكم أى سلامه لكم من كل سوء «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» قيل إنهم لما بشروهم بالسلامه صارت الجنه كأنها دارهم و هم فيها فقولهم «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ» بمعنى حصلت لكم الجنه و قيل إنما يقولون ذلك عند خروجهم من قبورهم «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ» قد مضى تفسيره فى سورتى البقره و الأنعام «كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» أخبر سبحانه أن الذين مضوا من الكفار فعلوا مثل ما فعل هؤلاء من تكذيب الرسل و جحد التوحيد فأهلكهم الله فما الذى يؤمن هؤلاء من أن يهلكهم الله «وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» بالمعاصى التى استحقوا بها الهلاك «فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا عَمِلُوا» أى عقاب سيئاتهم فسمى العقاب سيئه كما قال «وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا» «وَوَاقٍ بِهِمْ» أى و حل بهم جزاء «مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ».

إشاره

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٣٥) وَ لَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاَ أَنْ اِعْبُدُوا اللَّهَ وَ اجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ (٣٦) إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٣٧)

القراءة

قرأ أهل الكوفة «لا يَهْدِي» بفتح الياء و الباقون بضم الياء و فتح الدال و لم يختلفوا في «يُضِلُّ» أنها مضمومه الياء مكسوره الضاد.

الحجه

قال أبو علي الراجع على اسم أن هو الذكر الذي في قوله «يُضِلُّ» في قراءه من قرأ يهدى و من قرأ «يَهْدِي» فمن جعل يهدى من هديته جاز أن يعود الذكر الفاعل الذي فيه إلى اسم أن و من جعل يهدى في معنى يهتدى و جعل من يضل مرتفعا به فالراجع إلى اسم أن الذكر الذي في يضل كما كان كذلك في قول من قال يهدى و الراجع إلى الموصول الذي هو من الهاء المحذوفه من الصله تقديره يضله و المعنى أن من حكم بإضلاله لكفره و تكذيبه فلا يهدى و مثل هذا المعنى قوله «فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ» تقديره من بعد إضلال الله إياه و المفعول محذوف أى من بعد حكمه بإضلاله و من قرأ «لا يَهْدِي» فهو في المعنى كقوله «مَنْ يُضِلُّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ» و هذا كقوله «وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ»* و قوله «وَ مَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ» فموضع من نصب يهدى و قد قيل إن يهدى في معنى يهتدى بدلاله قوله «لا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى» فموضع من على هذا رفع كما أنه لو قال يهتدى كان كذلك و قوله «لا يُضِلُّ» من قولك ضل الرجل و أضله الله أى حكم بإضلاله كقولك كفر زيد و كفره الناس أى نسبوه إلى الكفر فقالوا إنه كافر كما أن أسقيته قلت له سقاك الله قال ذو الرمه:

و أسقيه حتى كاد مما أبته تكلمنى أحجاره و ملاعبه.

اللغه

البلاغ و الإبلاغ إيصال المعنى إلى الغير و الحرص طلب الشىء بجد و اجتهاد يقال حرص حرصا و حرص يحرص حرصا و حرص يحرص بكسر الراء فى الماضى و فتحها فى المستقبل لغه و قد روى فى الشواذ عن الحسن و إبراهيم إن تحرص بفتح الراء و الأول لغه أهل الحجاز و الأصل من السحابه الحارصه و هى التى تقشر وجه الأرض و شجبه حارصه التى تقشر جلده الرأس و كذلك الحرص كان صاحبه ينال من نفسه لشده اهتمامه بما هو حريص فيه.

المعنى

ثم عاد سبحانه إلى حكاية قول المشركين فقال «وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا»

ص: ١٣٨

مع الله إليها آخر «لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ» أى لو أراد الله ما عبدنا من دونه شيئاً من الأصنام والأوثان «نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا» الذين اقتدينا بهم «وَلَا حَزَنَّا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ» من البحيره والسائبه وغيرهما بل شاء ذلك منا و أراد بذلك فعلنا فأنكر الله سبحانه هذا القول عليهم وقال «كَذَلِكَ» أى مثل ذلك «فَعَلَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» من الكفار والضلال كذبوا رسل الله و جحدوا آياته قالوا مثل قولهم و فعلوا مثل فعلهم «فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ» أى ليس عليهم إلا إبلاغ الرساله و قد سبق بيان مثل هذه الآيه فى سورة الأنعام «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ» أى فى كل جماعه و قرن «رَسُولًا» كما بعثناك يا محمد رسولا إلى أمتك «أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ» أى ليقول لهم اعبدوا الله «وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ» أى عباده الطاغوت و أن هذه هى المفسره و يعنى بالطاغوت الشيطان و كل داع يدعو إلى الضلاله «فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ» معناه فمنهم من هداه الله بأن لطف له بما علم أنه يؤمن عنده فآمن فسمى ذلك اللطف هدايه و يجوز أن يريد فمنهم من هداه الله إلى الجنه بإيمانه و لا يجوز أن يريد بالهدايه هنا نصب الأيدله كما فى قوله «وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ» لأنه سبحانه سوى فى ذلك بين المؤمن و الكافر «وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ» معناه و منهم من أعرض عما دعاه إليه الرسول فخذله الله فثبتت عليه الضلاله و لزمته فلا يؤمن قط و قيل معناه وجبت عليه الضلاله و هى العذاب و الهلاك و قيل معناه و منهم من حقت عليه عقوبه الضلاله عن الحسن و قد سمي الله سبحانه العقاب ضلالا بقوله «إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ» «فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ» أى أرض المكذبين الذين عاقبهم الله أن لم تصدقونى «فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ» أى فانظروا كيف حقت عليهم العقوبه و حلت بهم فلا تسلكوا طريقهم فينزل بكم مثل ما نزل بهم «إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ» أى على أن يؤمنوا بك «فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ» هذا تسليه للنبي ص فى دعائه لمن لا يفلح بالإجابة لانهماكه فى الكفر و إشاره إلى أن ذلك ليس لتقصير وقع من جهته ص و إعلام له أنهم لا يؤمنون أبدا و إذا كانوا هكذا فإن الله لا يهديهم بل يضلهم على المعنى الذى فسرناه قبل «وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ» أى ليس لهم من ناصر ينصرهم و يخلصهم من العقاب و فى هذا بيان أن الإضلال فى الآيه ليس المراد به ما ذكره أهل الجبر.

إشارة

وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعِيدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٨) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ (٣٩) إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٠)

القراءة

قرأ ابن عامر و الكسائي فيكون بالنصب و فى يس مثله و الباقون بالرفع.

الحجج

من نصب فإنه يحمله على أن قال الزجاج الرفع على فهو يكون على معنى أن ما أراد الله فهو يكون فالنصب على ضربين (أحدهما) أن يكون عطفًا على أن تقول (و الآخر) أن يكون نصبا على جواب كن قال أبو على اعلم أن الذى أجازته من النصب على أن يكون جواب كن لم يجزه أحد من أصحابنا غيره لأن كن و إن كان على لفظ الأمر فليس القصد به هنا الأمر إنما هو و الله أعلم بالإخبار عن كون الشئ و حدوثه.

الإعراب

«جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ» مصدر وضع موضع الحال و التقدير يجتهدون اجتهادا فى إيمانهم و هذا مثل قولهم طلبته جهداً أى تجهد جهداً و عدا منصوب لتوكيد المعنى فإن المعنى بلى يبعثهم الله و وعد الله ذلك و عدا و قوله «لِيُبَيِّنَ» اللام فيه يتعلق بالبعث أيضا أى يبعثهم ليبين لهم و ليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين و يجوز أن يتعلق بقوله «وَ لَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا» أى و لقد بعثنا فى كل أمة رسولا ليبين لهم اختلافهم و قولنا مرفوع بالابتداء و خبره أن القول و المعنى إنما قولنا لكل مراد قولنا له كن.

النزول

قالوا كان لرجل من المسلمين على مشرك دين فتقاضاه فوقع فى كلامه و الذى أرجوه بعد الموت أنه لكذا فقال المشرك و إنك لتزعم أنك تبعث بعد الموت و أقسم بالله لا يبعث الله من يموت فأنزل الله الآية عن أبى العالیه.

المعنى

ثم حكى سبحانه عن المشركين نوعا آخر من كفرهم فقال «وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ» أى حلفوا بالله مجتهدين فى إيمانهم و المعنى أنهم قد بلغوا فى القسم كل مبلغ «لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ» أى لا يحشر الله أحدا يوم القيامة و لا يحيى من يموت بعد موته ثم كذبهم الله تعالى فى ذلك فقال «بَلَى» يحشرهم الله و يبعثهم «وَعِدًا» و عدهم به «عَلَيْهِ» إنجازه و تحقيقه من حيث الحكمه «حَقًّا» ذلك الوعد ليس له خلف إذ لو لا البعث لما حسن التكليف لأن التكليف إنما يحسن لإثابه من عوض به «وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ

النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» صحه ذلك لكفرهم بالله و جحدهم نبوه أنبيائه و قيل لا يعلمون وجه الحكمه فى

ص: ١٤٠

البعث فلا يؤمنون به «لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ» هذا بيان من الله تعالى إنه إنما يحشر الخلائق يوم القيامة ليبين لهم الحق فيما كانوا فيه يختلفون فيه في دار الدنيا لأنه يخلق فيهم العلم الضروري يوم القيامة الذي يزول معه التكليف «وَلِيُعَلِّمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ» في الدنيا في قولهم إن الله لا يبعث أحدا بعد موته و إذا تعلق اللام قوله «وَلَقَدْ بَعَثْنَا» فالمعنى بعثنا إلى كل أمه رسولا ليبين لهم ذلك الرسول ما يختلفون فيه و يهديهم إلى طريق الحق و ينبههم عليه «إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» قد ذكرنا تفسيره في سورة البقره و المراد به هاهنا بيان أنه قادر على البعث لا يتعذر عليه ذلك فإنه إذا أراد شيئا كونه.

[سورة النحل (١٦): الآيات ٤١ الى ٤٤]

إشارة

وَ الَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَتَبُوُنَّاهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ لَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) الَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٤٢) وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَيُلَاقُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ وَ الزُّبُرِ وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤)

القراءة

قرأ حفص نوحى بالنون و قد تقدم ذكره فى سورة يوسف و

روى عن على (عليه السلام) لثنوينهم

بالباء و القراءة «لَتَبُوُنَّاهُمْ» بالباء.

الحجج

قال ابن جنى نصب حسنه هاهنا أى نحسن إليهم إحسانا و وضع حسنه موضع الإحسان كأنه واحد من الحسن دال عليه و دل قوله «لَتَبُوُنَّاهُمْ» على ذلك الفعل لأنه إذا أقرهم على الفعل بإطاله مدتهم فقد أحسن إليهم كما قال لَيْسَ يَخْلِفُنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ ذَلِكَ ضِدُّ مَا يَعْمَلُ بِالْعَاصِينَ الَّذِينَ يَصْطَلِمُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَ جَرَائِمِ أَعْمَالِهِمْ.

النزول

الآيه الأولى نزلت فى المعذبين بمكه مثل صهيب و عمار و بلال و خباب

وغيرهم مكنهم الله بالمدينه و ذكر أن صهيبا قال لأهل مكه أنا رجل كبير إن كنت معكم لم ينفعكم و إن كنت عليكم لم يضركم فخذوا مالي و دعوني فأعطاهم ماله و هاجر إلى رسول الله ص فقال له أبو بكر ربح البيع يا صهيب و يروى أن عمر بن الخطاب كان إذا أعطى أحدا من المهاجرين عطاء قال له خذ هذا ما وعدك الله في الدنيا و ما أخره لك أفضل ثم تلا هذه الآيه.

المعنى

«وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا» معناه و الذين فارقوا أوطانهم و ديارهم و أهليهم فرارا بدينهم و اتباعا لنبیهم في الله أى في سبيله لا بتغاء مرضاته من بعد ما ظلمهم المشركون و عذبوهم بمكهم و بخسوهم حقوقهم «لَتَبَوَّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَبَهُ» أى بلده حسنه بدل أوطانهم و هى المدينه عن ابن عباس و قيل لنعطينهم حاله حسنه و هى النصر و الفتح و قيل هى ما استولوا عليه من البلاد و فتح لهم من الولايات «وَلَمَّا جَزَّ الْأَخْرَجَهُ أَكْبَرُ» مما أعطيناهم في الدنيا «لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» أى لو كان الكفار يعلمون ذلك و قيل معناه لو علم المؤمنون تفاصيل ما أعد الله لهم في الجنة لازدادوا سرورا و حرصا على التمسك بالدين «الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» هذا وصف لهؤلاء المهاجرين أى صبروا في طاعه الله على أذى المشركين و فوضوا أمورهم إلى الله تعالى ثقه به ثم خاطب سبحانه نبیه ص فقال «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ» إلى الأمم الماضيه «إِلَّا رِجَالًا» من البشر «نُوحِي إِلَيْهِمْ» أى أوحينا إليهم كما أوحينا إليك و أرسلناهم إلى أممهم كما أرسلناك إلى أمتك و ذلك أن مشركى مكه كانوا ينكرون أن يرسل إليهم بشر مثلهم فبين سبحانه أنه لا يصلح أن يكون الرسل إلى الناس إلا من يشاهدونه و يخاطبونه و يفهمون عنه و أنه لا وجه لاقتراحهم إرسال الملك «فَشِئِلُوا أَهْلَ الذُّكْرِ» فيه أقوال (أحدها) أن المعنى بذلك أهل العلم بأخبار من مضى من الأمم سواء أ كانوا مؤمنين أو كفارا و سمى العلم ذكرا لأن الذكر منعقد بالعلم فإن الذكر هو ضد السهو فهو بمنزله السبب المؤدى إلى العلم فى ذكر الدليل فحسن أن يقع موقعه و ينبئ عن معناه إذا تعلق به هذا التعلق عن الرمانى و الزجاج و الأزهري (و ثانيها) أن المراد بأهل الذكر أهل الكتاب عن ابن عباس و مجاهد أى فاسألوا أهل التوراه و الإنجيل «إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» يخاطب مشركى مكه و ذلك أنهم كانوا يصدقون اليهود و النصارى فيما كانوا يخبرون به من كتبهم لأنهم كانوا يكذبون النبى ص لشده عداوتهم له (و ثالثها) أن المراد بهم أهل القرآن لأن الذكر هو القرآن عن ابن زيد و يقرب منه ما

رواه جابر و محمد بن مسلم عن أبى جعفر (عليه السلام) أنه قال نحن أهل الذكر

و قد سمى الله رسوله ذكرا فى قوله ذكراً رسولاً على أحد الوجهين و قوله «بِالْبَيِّنَاتِ وَ الزُّبُرِ» العامل فيه قوله «أَرْسَلْنَا» و التقدير و ما

أرسلنا بالبينات و الزبر أى بالبراهين و الكتب إلا رجلا نوحى إليهم و قيل إن فى الكلام إضمارا و حذفاً و التقدير أرسلناهم بالبينات كما قال الأعشى:

و ليس مجيرا أن أتى الحى خائف و لا قائلا إلا هو المتعبيا

أى أعنى المتعبيا و نظير الأول قول الشاعر:

نبأتهم عذبوا بالنار جارتهم و هل يعذب إلا الله بالنار

«وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذُّكْرَ» يعنى القرآن «لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ» فيه من الأحكام و الشرائع و الدلائل على توحيد الله «وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» فى ذلك فيعلموا أنه حق و فى هذا دلالة على أن الله تعالى أراد من جميعهم التفكير و النظر المؤدى إلى المعرفة بخلاف ما يقوله أهل الجبر.

النظم

قيل فى اتصال الآيه الأولى بما قبلها وجوه (أحدها) أنها اتصلت بقوله «لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ» فيكون المعنى ليبين لهم و ليعلم الكافرين كونهم كاذبين و ليجزى المؤمنين المهاجرين على ما فعلوه من الهجره و قيل لما تقدم ذكر الكفار و ما أعد لهم من الدمار و دخول النار عقبه بذكر المؤمنين المهاجرين و الأنصار تحريضا لغيرهم فى الاقتداء بهم فاتصل به اتصال النقيض بالنقيض و قيل إنه لما تقدم ذكر البعث بين بعده حكم يوم البعث و أنه ينتصف فيه للمظلوم من الظالم.

ص: ١٤٣

إشارة

أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٤٥) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ (٤٧) أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّحُونَ ظِلَالَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ (٤٨) وَاللَّهُ يَسْتَجِدُّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩)

يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٥٠)

القراءة

قرأ أو لم تروا بالتاء أهل الكوفة غير عاصم و الباقون بالياء و كذلك في العنكبوت وقرأ أهل البصرة تفتيحاً بالتاء و الباقون بالياء.

الحجج

حجج الياء أن ما قبله غيبه و هو قوله «أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمْ» «أَوْ يَأْخُذَهُمْ» «أَوْ لَمْ يَرَوْا» و من قرأ بالتاء أراد جميع الناس و التانيث و التذكير في قوله «يَتَفَتَّحُونَ ظِلَالَهُ» حسان و قد تقدم ذكر ذلك في عدة مواضع.

اللغة

التخوف التنقص و هو أن يأخذ الأول فالأول حتى لا يبقى منهم أحد و تلك حاله يخاف معها الفناء و يتخوف الهلاك يقال تخوفه الدهر قال الشاعر:

تخوف السير منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعه السفن

أى ينقص السير سنامها بعد تموكه و قال آخر:

تخوف عدوهم مالى و أهدى سلاسل فى الحلوق لها صليل

قال الفراء تحوفته و تخوفته بالحاء و الخاء إذا تنقصته من حافاته قال المبرد لا- يقال تحوفته و إنما يقال تحيفته بالياء و التفتيح التفتل من الفى ء يقال فاء الفى ء يفى ء إذا رجع و عاد بعد ما كان ضياء الشمس نسخه و منه فى ء المسلمين لما يعود عليهم وقتا بعد وقت من الخراج و الغنائم و يعدى فاء بزياده الهمزه نحو أفاء و بالتضعيف نحو فاء الظل و فإه الله فتفيا و الفى ء ما نسخه ضوء الشمس و الظل ما كان قائما لم تنسخه الشمس قال الشاعر:

فلا الظل من برد الضحى تستطيعه و لا الفى ء من برد العشى تذوق

فجعل الظل وقت الضحى لأن الشمس لم تنسخه في ذلك الوقت و جمع الفى ء أفياء و فيوء قال:

ص: ١٤٤

أرى المال أفياء الضلال فتاره يؤوب و أخرى يجبل المال حابله

و قال النابغه الجعدى:

فسلام الإله يغدو عليهم و فيوء الفردوس ذات الظلال

و إنما قال عن اليمين على التوحيد و الشمائل على الجمع لأنه أراد باليمين الأيمان كما قال الشاعر:

بفى الشامتين الصخر إن كان هدنى رزیه شبلى مخدر فى الضراغم

و المعنى بأفواه و قال آخر:

الواردون و تيم فى ذرى سبأ قد عض أعناقهم جلد الجواميس

و الداخر الخاضع الصاغر قال:

فلم يبق إلا داخر فى مخيس و منجحر فى غير أرضك فى جحر

. المعنى

ثم أوعد سبحانه المشركين فقال «أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ» فاللفظ لفظ الاستفهام و المراد به الإنكار و معناه أى شىء آمن هؤلاء القوم الذين دبوا التدابير السيئه فى توهين أمر النبى ص و إطفاء نور الدين و إيذاء المؤمنين من «أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ» من تحتهم عقوبه لهم كما خسف بقارون «أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ» قال ابن عباس يعنى يوم بدر و ذلك أنهم أهلكوا يوم بدر و ما كانوا يقدرون ذلك و لا يتوقعونه «أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ» يعنى أو أن يأخذهم العذاب فى تصرفهم فى أسفارهم و تجاراتهم و قيل يريد فى تقلبهم فى كل الأحوال ليلا و نهارا فيدخل فى هذا تقلبهم على الفرش يمينا و شمالا عن مقاتل «فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ» أى فليسوا بفائتين و ما يريد الله بهم من الهلاك لا يمتنع عليه «أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ» قال أكثر المفسرين معناه على تنقص إما بقتل أو بموت أى بنقص من أطرافهم و نواحيهم فيأخذ منهم الأول فالأول حتى يأتى على جميعهم و قيل معناه فى حال تخوفهم من العذاب أى يعذب أهل قريه و يخوف به

ص: ١٤٥

أهل قريه أخرى فيتخوفون أن ينزل بهم من العذاب ما نزل بالأولى عن الحسن و قيل معناه على تنقص من الأموال و الأنفس بالبلايا و الأسقام إن لم يعذبهم بعذاب الاستئصال لينبه غيرهم و يزرهم عن الجبائى «فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرُؤُفٌ رَحِيمٌ» بكم و من رأفته و رحمته بكم أنه أمهلكم لتتوبوا و ترجعوا و لم يعاجلكم بالعقوبه ثم بين سبحانه دلائل قدرته فقال «أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ» معناه أ لم ينظروا هؤلاء الكفار الذين جحدوا و حدانيه الله تعالى و كذبوا نبيه ص إلى ما خلق الله من شىء له ظل من شجر و جبل و بناء و جسم قائم «يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَ الشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ» أى يتميل ظلاله عن جانب اليمين و جانب الشمال و أضاف الظلال إلى مفرد و معناه الإضافة إلى ذوى الظلال لأن الذى يعود إليه الضمير واحد يدل على الكثره و هو قوله ما خَلَقَ اللَّهُ* و معنى تفيؤ الظلال يميناً و شمالاً أن الشمس إذا طلعت و أنت متوجه إلى القبلة كان الظلال قدامك و إذا ارتفعت كان عن يمينك فإذا كان بعد ذلك كان خلفك فإذا كان قبل أن تغرب الشمس كان عن يسارك فهذا تفيؤه عن اليمين و الشمال عن الكلبى و معنى سجود الظل لله دورانه من جانب إلى جانب لأنه مستسلم منقاد مطيع للتسخير و هذه الآيه كقوله «وَ ظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ الْأَصَالِ» و قد مر تفسيره و قيل أن المراد بالظل هو الشخص بعينه و يدل على ذلك قول علقمه:

لما نزلنا رفعنا ظل أخبيه و فار للقوم باللحم المراجيل

أ لا ترى أنهم لا ينصبون الظل و إنما ينصبون الأخيه و يقوى ذلك قول عماره:

كأنهن الفتيات اللعس كان فى أظلالهن الشمس

أى فى أشخاصهن و قول الآخر:

يتبع أفياء الظلال عشيه على طرق كأنهن سيوف

أى أفياء الشخص فعلى هذا يكون تأويل الظلال فى الآيه تأويل الأجسام التى عنها الظلال «وَ هُمْ دَاخِرُونَ» أى أذله صاغرون قد نبه الله بهذا على أن جميع الأشياء تخضع له بما فيها من الدلاله على الحاجه إلى واضعها و مدبرها بما لولاه لبطلت و لم يكن لها قوام

طرفه عين فهي في ذلك كالساجد من العباد بفعله الخاضع بذله ثم قال سبحانه «وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ» أى يسجد لله جميع ما فى السماوات وجميع ما فى الأرض ومعنى من فى قوله «مِنْ دَابَّةٍ» تبين الصفه أى الذى هو دابه تدب على وجه الأرض «وَالْمَلَائِكَةُ» أى و تسجد له الملائكه و تخضع له بالعباده و إنما خص الملائكه بالذكر تشريفا لهم و لأن اسم الدابه يقع على ما يدب و يمشى و هم أولو الأجنحه فصفه الطيران أغلب عليهم «وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ» عن عباده الله تعالى و هذا من صفه الملائكه لأنه قال «يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» و إنما قال «مِنْ فَوْقِهِمْ» لوجهين (أحدهما) أن المراد يخافون عقاب ربهم و أكثر ما يأتى العقاب المهلك إنما يأتى من فوق (و الآخر) أن الله سبحانه لما كان موصوفا بأنه عال متعال بمعنى أنه قادر على الكمال حسن أن يقال من فوقهم ليدل على أنه فى أعلى مراتب القادرين و على هذا معنى قول ابن عباس فى روايه مجاهد قال ذلك مخافه الإجلال و اختاره الزجاج فقال يخافون ربهم خوف معظمين مجلين و مثله فى المعنى قوله «وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ» و قوله إخبارا عن فرعون «وَأَنَا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ» و ذهب بعضهم إلى أن قوله «مِنْ فَوْقِهِمْ» من صفه الملائكه و المعنى أن الملائكه من فوق بنى آدم و فوق ما فى الأرض من دابه يخافون الله مع علو رتبتهم فلأن يخافه من دونهم أولى و

قد صح عن النبى ص أنه قال أن الله تعالى ملائكه فى السماء السابعة سجودا منذ خلقهم إلى يوم القيامة ترعد فرائضهم من مخافه الله تعالى لا تقطر من دموعهم قطره إلا صارت ملكا فإذا كان يوم القيامة رفعوا رءوسهم و قالوا ما عبدناك حق عبادتك أوردته الكلبى فى تفسيره.

[سوره النحل (١٦): الآيات ٥١ الى ٥٥]

إشاره

وَ قَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٥١) وَ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَهُ الدِّينُ وَاصِباً أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٢) وَ مَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَمَالِيهِ تَجْتَرُونَ (٥٣) ثُمَّ إِذَا كَسَفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٥٤) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٥٥)

ص: ١٤٧

وصب الشىء وصبوا إذا دام ووصب الدين وجب وقال أبو الأسود:

لا أبتغى الحمد القليل بقاؤه يوما بدم الدهر أجمع واصبا

و الوصب الألم الذى يكون عن الإعياء بدوام العمل مده قال:

لا يغمز الساق من أين و من وصب و لا يعض على شرسوفه الصفر

و الجوار الاستغائه برفع الصوت و يقال جار الثور يجار جوارا إذا رفع صوته من جوع أو غيره قال الأعشى:

و ما أبلى على هيكل بناء و صلب فيه و صارا

يراوح من صلوات المليك طورا سجودا و طورا جوارا

و بناء الأصوات على فعال و فعيل نحو الصراخ و البكاء و العويل و الصفير و الفعال أكثر.

الإعراب

ذكر اثنين توكيدا لقوله «إِلَهَيْنِ» كما ذكر الواحد فى قوله «إِلَهُ وَاحِدٌ» «وَاصِبًا» نصب على الحال و ما بكم موصول و صلته فى موضع الرفع بالابتداء و دخلت الفاء فى خبره و هو قوله «فَمِنْ اللَّهِ» تقديره فهو من الله و لا فعل هاهنا لأن قوله «بِكُمْ» قد تضمن معنى الفعل فإنه بمعنى و ما حل بكم من نعمه.

المعنى

لما بين سبحانه دلائل قدرته و إلهيته عقبه بالتنبيه على وحدانيته فقال «وَ قَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ» أى لا تعبدوا مع الله إلهها آخر فتشركوا بينهما فى العبادة لأنه لا يستحق العبادة سواه و ذكر اثنين كما يقال فعلت ذلك لأمرين اثنين و قيل إن تقديره لا تتخذوا اثنين إلهين يريد به نفسه و غيره «إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ» و إنما لإثبات المذكور و نفى ما عداه فكأنه قال هو إله واحد لا إله غيره «فَمَا يَأْتِي فَارْهَبُونَ» أى ارهبوا أعقابى و سطواتى و لا تخشوا غيرى و ورد عن بعض الحكماء أنه قال نهاك ربك أن تتخذ إلهين فاتخذت آلهه عبدت نفسك و هواك و دنياك و طبعك و مرادك و عبدت الخلق فإننى تكون موحدًا «وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» ملكا و ملكا و خلقا «وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا» أى و له الطاعة دائمه واجبه على الدوام عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتاده و معناه أنه سبحانه الذى يعبد دائما و غيره

إنما يعبد في وقت دون وقت وقيل معناه و له الدين خالصا عن الفراء أى يجب على العبد أن يطيعه مخلصا وقيل معناه و له الملك دائما لا يزول «أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ» أى أغير الله تخشون و هو استفهام فيه معنى التوبيخ أى فكيف تعبدون غيره و لا تتقونه «وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ» معناه أن جميع ما بكم و ما لكم من النعم مثل الصحة فى الجسم و السعه فى الرزق و نحوهما فكل ذلك من عند الله و من جهته «ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ» مثل المرض و الشده و البلاء و سوء الحال «فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ» أى فإليه تتضرعون فى كشفه و إليه ترفعون أصواتكم بالدعاء و الاستغاثة لصفه «ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ» معناه ثم إذا دفع ما حل بكم من الضر و دفع ما مسكم من المرض و الفقر «إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ» أى دعا طائفه منكم إلى الشرك بربهم فى العباده جهلا منهم بربهم و مقابله لنعمه بالكفران و العصيان و هذا عجب من فعل العاقل المميز «لِيُكْفَرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ» معنى اللام هاهنا هو البيان عن العله التى لأجلها وقع الفعل و المعنى أنهم بمنزله من أشرك فى عباده ربه ليكفر بما آتاه من النعمه كأنه كان لا غرض له فى شركه إلا هذا و المعنى لأن يكفروا بإنعامنا عليهم و رزقنا إياهم و قيل إن اللام للأمر على وجه التحديد أى ليفعلوا ما شاءوا فإنه ينزل الله بهم عاقبه كفرهم و يوافق هذا القول ما

رواه مكحول عن أبى رافع قال حفظت عن رسول الله ص فيمتعوا فسوف يعلمون

بالياء فيهما فإن يمتعوا يكون معطوفا مجزوما و يجوز أيضا أن يكون معطوفا منصوبا و المعنى لأن يكفروا فيمتعوا فقولهُ «فَتَمَتُّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» يكون ابتداء خطاب لهم على التهديد و الوعيد يقول فتمتعوا أيها الكفار فى الدنيا قليلا فسوف تعلمون ما يحل بكم فى العاقبه من العقاب و أليم العذاب و حذف لدلاله الكلام عليه.

إشارة

وَ يَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيْبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَنِسِيْبُلْنَ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ (٥٦) وَ يَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهِ وَ لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ (٥٧) وَ إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْمَأْنثَى ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيْمٍ (٥٨) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩) لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السُّوءِ وَ لِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَ هُوَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ (٦٠)

اللغة

يقال ظل يفعل كذا إذا فعله في صدر النهار و يقال ظللت أظل ظلولا و مثله أضحى غير أنه كثر حتى صار بمنزله أخذ يفعل و الكظيم المغموم الذي يطبق فاه لا يتكلم للغم الذي به مأخوذ من الكظامه و هي اسم لما يشد به فم القربة و الكظامه أيضا العقب على رءوس القذذ و الكظامه أيضا البئر و منه

الحديث أن النبي ص أتى كظامه فتوضأ و مسح على قدميه

و جمعها كظام و الهون الهوان و المشقه و هي لغة قريش قال الحطيئة:

فلما خشيت الهون و العين ممسك على رغمه ما أثبت الخيل حافره

و دسست الشيء في التراب أدسه إذا أخفيته و الدساسه حيه صماء تندس تحت التراب.

الإعراب

«وَ لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ» إن شئت جعلت ما في موضع نصب بمعنى يجعلون لهم البنين الذين يشتهون هم و يكون قوله سبحانه اعتراضا بين المعطوف و المعطوف عليه و إن شئت جعلته في موضع رفع على الاستئناف فيكون مرفوعا على الابتداء و لهم خبره أو مرفوعا على أن الظرف عمل فيه على ما ذكرنا من الاختلاف فيه فيما مضى و الهاء في يمسكه يعود إلى قوله «ما بُشِّرَ بِهِ» فلذلك ذكر و قيل معناه و يجعلون للأصنام الذين لا يعلمون و لا يجعلون نصيبا من الأنعام و الزرع فكنى عن لفظه ما في قوله «لِمَا لَا يَعْلَمُونَ» بالواو لأنهم جعلوا الأصنام هنا بمنزله العقلاء عن أبي على الفارسي و قال أيضا يجوز أن يكون تقديره و يجعلون لما لا يعلمونه إليها نصيبا و يكون الضميران في يجعلون و يعلمون للمشركين و حذف المفعولان.

المعنى

ثم ذكر سبحانه فعلا- آخر من أفعال المشركين دالا- على جهلهم فقال «وَ يَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ» و الواو في يعلمون تعود إلى المشركين أي لما لا يعلمون أنه يضر و ينفع «نَصِيْبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ» يتقربون بذلك إليه كما يجب أن يتقرب إلى الله تعالى و هو ما حكى الله عنهم في سورة الأنعام من الحرث و غير ذلك و قولهم هذا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَ هَذَا لِشُرَكَائِنَا عن مجاهد و قتاده و ابن زيد

ثم أقسم تعالى فقال «تَاللّٰهِ لَشَيْءٍ مُّكْرَمٍ» فى الآخرة «عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ» أى تكذبون به فى دار الدنيا لتلتزموا به الحجة و تعاقبوا بعد اعترافكم على أنفسكم ثم ذكر سبحانه نوعا آخر من جهالاتهم فقال «وَ يَجْعَلُونَ لِلّٰهِ الْبَنَاتِ» أى و يشبتون لله البنات و يضيفون إليه البنات و هو قولهم الملائكة بنات الله كما قال سبحانه وَ جَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ

الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِ اثْنَا ثَم نَزَهَ سَبْحَانَهُ نَفْسَهُ عَمَا قَالُوا فَقَالَ «سُبْحَانَهُ» أَي تَنْزِيهَا لَهُ عَن اتِّخَاذِ الْبِنَاتِ «وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ» أَي وَ يَجْعَلُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مَا يَشْتَهُونَ وَ يَحْبُونَهُ مِّنَ الْبَنِينَ دُونَ الْبِنَاتِ وَ عَلَى الْوَجْهِ الْآخِرِ وَ لَهُمْ مَا يَحْبُونَهُ يَعْنِي الْبَنِينَ «وَ إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى» أَي وَ إِذَا بَشَرَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ بِأَنَّهُ وَلَدٌ لَهُ بِنْتٌ «ظَلَّ وَجْهُهُ مُسَوِّدًا» أَي صَارَ لَوْنُ وَجْهِهِ مُتَغَيِّرًا إِلَى السَّوَادِ لَمَّا يَظْهَرُ فِيهِ مِّنْ أَثَرِ الْحُزْنِ وَ الْكِرَاهَةِ فَقَدْ جَعَلُوا لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَهُ لِأَنْفُسِهِمْ وَ هَذَا غَايَةُ الْجَهْلِ «وَ هُوَ كَظِيمٌ» أَي مَمْتَلِيٌّ غِيظًا وَ حُزْنًا «يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ» يَعْنِي أَنَّ هَذَا الَّذِي بَشَرَ بِالْبِنْتِ يَسْتَخْفِي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَسْتَخْبِرُونَهُ عَمَا وَلَدٌ لَهُ اسْتِنكَافًا مِنْهُ وَ حُجْلًا وَ حِيَاءً مِنْ سُوءِ مَا بَشَرَ بِهِ مِنَ الْأُنْثَى وَ قُبْحِهِ عِنْدَهُ «أَيُّمَسِكُهُ عَلَى هَيْوَنٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ» يَعْنِي يَمِيلُ نَفْسَهُ وَ يَدْبِرُ فِي أَمْرِ الْبِنْتِ الْمَوْلُودَةِ لَهُ أَيْ مَسَكَهُ عَلَى ذَلِّ وَ هَوَانٍ أَمْ يَخْفِيهِ فِي التُّرَابِ وَ يَدْفِنُهُ حَيًّا وَ هُوَ الْوَادُ الَّذِي كَانَ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ وَ هُوَ أَنَّ أَحَدَهُمْ كَانَ يَحْفَرُ حَفِيرَهُ صَغِيرَهُ وَ إِذَا وَلَدَ لَهُ أَنْثَى جَعَلَهَا فِيهَا وَ حَثَا عَلَيْهَا التُّرَابَ حَتَّى تَمُوتَ تَحْتَهُ وَ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ مَخَافَةَ الْفَقْرِ عَلَيْهِنَ فَيَطْمَعُ غَيْرَ الْأَكْفَاءِ فِيهِنَّ «أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» أَي بَسَّ الْحَكْمَ مَا يَحْكُمُونَهُ وَ هُوَ أَنَّ يَجْعَلُوا لِنَفْسِهِمْ مَا يَشْتَهُونَ وَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَهُ فِي قَتْلِ الْبِنَاتِ مَعَ مَسَاوَاتِهِنَّ لِلْبَنِينَ فِي حَرَمِهِ الْوِلَادَةِ وَ لَعَلَّ الْجَارِيَةَ خَيْرٌ مِنَ الْغَلَامِ وَ رَوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ لَوْ أَطَاعَ اللَّهُ النَّاسَ فِي النَّاسِ لَمَا كَانَ النَّاسُ لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَ يَحِبُّ أَنْ يُولَدَ ذَكَرٌ وَ لَوْ كَانَ الْجَمِيعُ ذَكَورًا لَمَا كَانَ لَهُمْ أَوْلَادٌ فَيَفْنَى النَّاسُ ثَم قَالَ سَبْحَانَهُ «لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَ لِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى» أَي لَهُوَالِئِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ وَصَفَ اللَّهُ بِالْوُلْدِ صِفَةَ السَّوْءِ أَي الصِّفَةَ الْقَبِيحَةَ الَّتِي هِيَ سَوَادُ الْوَجْهِ وَ الْحُزْنُ وَ لِلَّهِ الصِّفَةُ الْعَلِيَا مِنَ السُّلْطَانِ وَ الْقُدْرَةُ وَ قِيلَ لَهُ صِفَاتُ النِّقْصِ مِنَ الْجَهْلِ وَ الْكُفْرِ وَ الضَّلَالِ وَ الْعَمَى وَ صِفَةُ الْحُدُوثِ وَ الضَّعْفِ وَ الْعُجْزِ وَ الْحَاجَةِ إِلَى الْأَبْنَاءِ وَ قَتْلِ الْبِنَاتِ خَوْفَ الْفَقْرِ وَ لِلَّهِ صِفَاتُ الْإِلَهِيَّةِ وَ الْاسْتِغْنَاءِ عَنِ الصَّاحِبِ وَ الْوَلَدِ وَ الرَّبُوبِيَّةِ وَ إِخْلَاصِ التَّوْحِيدِ وَ يَسْأَلُ فَيَقَالُ كَيْفَ يُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَ قَوْلِهِ سَبْحَانَهُ وَ تَعَالَى «وَ لِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى» وَ قَوْلِهِ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ وَ الْجَوَابُ أَنَّ الْمَرَادَ بِالْأَمْثَالِ هُنَاكَ الْأَشْبَاهُ أَي لَا تَشْبِهُوا اللَّهَ بِشَيْءٍ وَ الْمَرَادُ بِالْمَثَلِ الْأَعْلَى هُنَا الْوَصْفُ الْأَعْلَى الَّذِي هُوَ كَوْنُهُ قَدِيمًا قَادِرًا عَالِمًا حَيًّا لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ قِيلَ إِنَّ الْمَرَادَ بِقَوْلِهِ «الْمَثَلُ الْأَعْلَى» الْمَثَلُ الْمَضْرُوبُ بِالْحَقِّ وَ بِقَوْلِهِ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ الْأَمْثَالَ الْمَضْرُوبَهُ بِالْبَاطِلِ «وَ هُوَ الْعَزِيزُ» أَي الْقَادِرُ الَّذِي لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ «الْحَكِيمُ» الَّذِي يَضَعُ الْأَشْيَاءَ مَوَاضِعَهَا عَلَى مَا هُوَ حَكْمُهُ وَ صَوَابُ وَ فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يُضَافُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْأَدْوَانُ فَإِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ قَدْ عَابَ الْمُشْرِكِينَ بِإِضَافَتِهِمْ إِلَيْهِ مَا لَا يَرْضُونَهُ لِأَنْفُسِهِمْ فَإِذَا كَرِهَ الْإِنْسَانُ إِضَافَةَ الْقَبِيحِ إِلَى نَفْسِهِ لِلنِّقْصِ الَّذِي فِيهِ فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ

[سوره النحل (١٦): الآيات ٦١ الى ٦٥]

إشارة

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَ لَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فِإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لَا يَسْتَقْدِمُونَ (٦١) وَ يَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَ تَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسَيْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَ أَنََّّهُمْ مُّفْرَطُونَ (٦٢) تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣) وَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا- لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٦٤) وَ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعِيدًا مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٥)

القراءه

قرأ نافع و قتيبه عن الكسائي مفرطون ساكنه الفاء مكسوره الراء خفيفه و

قرأ أبو جعفر (عليه السلام) مفرطون

مفتوحه الفاء مكسوره الراء مشدده و الباقون «مُفْرَطُونَ» ساكنه الفاء مفتوحه الراء خفيفه و روى عن الأعرج بفتح الراء و تشديده.

الحجه

قال الزجاج أما تفسير «مُفْرَطُونَ» فجاء عن ابن عباس متروكون و قيل معجلون و معنى الفرط فى اللغه التقدم و قد فرط منى قول أى تقدم فمعنى مفرطون مقدمون إلى النار و كذلك مفرطون بالتشديد و من فسر متروكون فهو كذلك أى قد جعلوا مقدمين فى العذاب أبدا متروكين فيه و من قرأ مفرطون فالمعنى أنه وصفهم الله بأنهم فرطوا فى الدنيا و لم يعملوا فيها للآخرة و تصديقه قوله يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله و من قرأ مفرطون فالمراد

أنهم أفرطوا في معصية الله كما تقول أفرط فلان في مكروهى و تأويله أنه آثر العجز و قدمه قال أبو على و كأنه من أفرط أى صار ذا فرط مثل أقطف و أجرب فهو مقطف و مجرب فمعناه أنهم ذوو فرط إلى النار و سبق إليها.

الإعراب

الكذب مفعول تصف و «أَنَّ لَهُمُ الْحُسَيْنِ» بدل من الكذب و تقديره و تصف ألسنتهم أن لهم الحسنى أى تصفون أن لهم مع هذا الفعل القبيح الجزاء الحسن و «أَنَّ لَهُمُ النَّارَ» فى موضع نصب بجرم و المعنى جرم فعلهم هذا أى كسب أن لهم النار و قيل أن أن فى موضع رفع عن قطرب قال معناه أنه و جب أن لهم النار و أنهم مفرطون فيها «لَتُبَيِّنَنَّ لَهُمْ» أى لأن تبين لهم الجار و المجرور فى محل نصب بأنه مفعول له و كذلك قوله «وَهُدًى وَ رَحْمَةً» و كلاهما معطوف على ما قبله بأنه مفعول له أيضا أى أنزلنا عليك الكتاب بيانا و هدى و رحمه قال الزجاج و يجوز فى هذا الموضع و هدى و رحمه بالرفع فىكون المعنى و ما أنزلنا عليك الكتاب إلا للبيان و هو مع ذلك هدى و رحمه.

المعنى

«وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ» أخبر سبحانه أنه لو كان ممن يؤاخذ الكفار و العصاة بذنوبهم و يعاجلهم بالعقوبة لما ترك على وجه الأرض أحدا ممن يستحق ذلك من الظالمين و إنما قال عليها و لم يجر ذكر للأرض فى الظاهر لأن الكلام يدل عليه فإن العلم حاصل بأن الناس يكونون على ظهر الأرض و مثله كثير فى محاورات العرب يقولون ما بين لابتها مثل فلان يعنون المدينة و أصبحت بارده يريدون الغداه إذ اللابتان بالمدينة و الإصباح لا- يكون إلا غدوه و قوله «وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى» أى يمهلهم إلى وقت معلوم مسمى و هو يوم القيامة و قيل إلى وقت يعلمه الله تعالى أنه لا يكون فى بقائهم فيه مصلحه لأنهم لا يؤمنون و لا يخرج من نسلهم مؤمن و إنما يؤخرهم تفضلا منه سبحانه ليراجعوا التوبه أو لما فى ذلك من المصلحه و اختلف أهل العدل فى من المعلوم من حاله أنه لا- يؤمن فيما بعد هل يجوز احترامه فقال بعضهم يجوز لأن التكليف تفضل فلا- تجب التبقية و هو قول أبى هاشم و إليه ذهب المرتضى قدس الله روحه و قال آخرون لا يجوز احترامه و يجب تبقيته و هو قول البلخى و أبى على الجبائى و إن اختلفا فى علتة فقال الجبائى لأنه مفسده و قال البلخى لأنه الأصلح و إليه ذهب الشيخ المفيد أبو عبد الله و قيل إن معنى الآية لو يؤاخذهم بذنوبهم لحبس المطر عنهم حتى تهلك كل دابه عن السدى و عكرمه " سؤال " متى قيل إن المكلف الظالم يستحق العقوبة بظلمه فما بال الحيوانات تؤخذ بغير جرم " فجوابه " أن العذاب للظالم عقوبه و لغير الظالم عبره و محنه فىكون كالأمرض النازله بالأولياء و غير

المكلفين فيعوضون عنها و قيل معناه لو هلك الآباء بكفرهم لم يوجد الأبناء و قيل إنه إذا هلك الظلمه و لم يبق مكلف لا يبقى غيرهم من الحيوانات لأنها إنما خلقت للمكلفين فلا فائده في بقائها بعدهم «فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لَا يَسْتَقْدِمُونَ» قد سبق معناه فيما مضى ثم حكي سبحانه عن الكفار فقال «وَ يَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ» يعنى البنات أى يحكمون لله بما يكرهونه لأنفسهم «وَ تَصِفُ أَلْسِنَتَهُمُ الْكُذِبَ» أى و تخبر ألسنتهم بالكذب و هو ما يقولون «أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى» و هى البنون عن مجاهد و قيل معناه تصفون أن لهم مع قبيح قولهم من الله الجزاء الحسن و المثوبه الحسنى و هى الجنه عن الزجاج و غيره فإن المشركين كانوا يقولون إن كان ما يقوله محمد من أمر البعث و الآخره حقا فنحن من أهل الجنه و روى عن معاذ أنه قرأ و تصف ألسنتهم الكذب بضم الذال و الباء فعلى هذا يكون الكذب وصفا للألسنه جمع كاذب أو كذوب ثم رد سبحانه قولهم فقال «لَا جْرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ» أى ليس الأمر على ما وصفوا جرم فعلهم و قولهم أى كسب أن لهم النار و المفسرون يقولون معناه حقا أن لهم النار أو لا- بد أن لهم النار «وَ أَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ» أى مقدمون أى معجلون إلى النار ثم أقسم سبحانه فقال «تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ» يا محمد «فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ» أى كفرهم و ضلالهم و تكذيبهم الرسل «فَهُوَ وَ يَهُودُ النَّبِيِّينَ» معناه إن الشيطان وليهم اليوم فى الدنيا يتولونه و يتبعون إغواءه فأما يوم القيامة فيتبرأ بعضهم من بعض عن أبى مسلم و قيل معناه فهو وليهم يوم القيامة أى يكلمهم الله تعالى إلى الشيطان اياسا لهم من رحمته «وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» أى و للتابع و المتبوع عذاب مؤلم و جيع ثم بين سبحانه أنه قد أقام الحجج و أزاح العله و أوضح المحجه فقال «وَ مَا أُنزَلْنَا عَلَيْكَ» يا محمد «الْكِتَابَ» أى القرآن «إِلَّا لَتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ» معناه إلا و قد أردنا منك أن تكشف لهم ما اختلفوا فيه من دلالة التوحيد و العدل و تبين لهم الحلال و الحرام «وَ هُدًى» أى و أنزلناه دلالة على الحق «وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» ثم أخبر سبحانه عن نعمته على خلقه فقال «وَ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» أى غيثا و مطرا «فَأَخْيَا بِهِ» أى بذلك الماء «الْأَرْضَ بَعْدَ وَهْلِهَا» أحيائها بالنبات بعد جدوبها و قحطها «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً» أى حجه و دلالة «لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ» أى يستصغون أدله الله و يتفكرون فيها و يعتبرون بها.

[سوره النحل (١٦): الآيات ٦٦ الى ٧٠]

اشاره

وَ إِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَ دَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ (٦٦) وَ مِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَ الْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَ رِزْقًا حَسِينًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٦٧) وَ أَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّخِيلِ أَنْ أَدخُلِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَ مِنَ الشَّجَرِ وَ مِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٦٩) وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٧٠)

ص: ١٥٤

القراءه

قرأ نافع و ابن عامر و أبو بكر عن عاصم و يعقوب و سهل نسقيكم بفتح النون هاهنا و فى المؤمنين و الباقون «نُسِّقِيكُمْ» بضمها فى الموضوعين و قرأ أبو جعفر فى المؤمنين تسقيكم بالتاء.

الحجه

قيل بين سقيت و أسقيت فرق و هو أن سقيته معناه ناولته ليشرب و أسقيته معناه جعلت له ماء يشربه و قيل سقيته ماء و أسقيته سألت الله أن يسقيه و عليه بيت ذى الرمه:

و أسقيه حتى كاد مما أبته تكلمنى أحجاره و ملاعبه

و قيل إذا سقاه مره يقول سقيته و إذا سقاه دائما يقال أسقيته عن أبى عبيده و قيل هما بمعنى واحد و استدل بيت لبيد:

سقى قومى بنى مجد و أسقى نميرا و القبائل من هلال

فإنه أتى باللغتين.

اللغه

العبره و العظه من النظائر و هو ما يعتبر به و الفرث الثفل الذى ينزل إلى الكرش

و ساغ الطعام فى الحلق و سوغته و أسغته. السكر فى اللغه على أربعة أوجه (الأول) ما أسكر من الشراب (و الثانى) ما طعم من الطعام قال الشاعر:

" جعلت عيب الأكرمين سكرًا "

أى أعلت ذمهم طعما لك (و الثالث) السكون و منه ليله ساكره أى ساكنه قال الشاعر:

" و ليست بطلق و لا ساكره "

و يقال سكرت الريح سكنت قال:

" و جعلت عين الحرور تسكر "

(و الرابع) المصدر من قولك سكر سكرًا و منه التسكير التحيير فى قوله سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا و الذلل جمع الذلول يقال دابه ذلول بين الذل و رجل ذلول بين الذل و الذله و الرذل الدون الردى ء و كذلك الرذال يقال رذل الشىء ى يرذل رذاله و أرذلته أنا.

الإعراب

الهاء فى بطونه إلى ما ذا يعود اختلف فيه فقيل إن الأنعام جمع و الجمع يذكر و يؤنث فجاء هاهنا على لغه من يذكر و جاء فى سورة المؤمنين على لغه من يؤنث و قيل إنه رد على واحد الأنعام و أنشد للراجز:

" و طاب ألبان اللقاح فبرد "

رده إلى اللبن عن الفراء و قيل إن الأنعام و النعم سواء فحمل على المعنى كما قال الصلتان العبدى:

إن السماحه و المروءه ضمنا قبرا بمر و على الطريق الواضح

فكأنه قال شيئا ضمنا و قال الأعشى:

فإن تعهدينى و لى لى له فإن الحوادث أودى بها

حملة على الحدثنان و يجوز أن يكون التقدير نسقيكم مما فى بطون المذكور و قيل إن من يدل على التبعض فكأنه قال نسقيكم مما فى بطون بعض الأنعام لأنه ليس لجمعها لبن و قوله «تَتَّخِذُونَ مِنْهُ» الضمير فى منه إلى ما ذا يعود فيه وجهان (أحدها) أنه يعود إلى المذكور (و الثانى) أنه يعود إلى معنى الثمرات لأن الثمرات و الثمر سواء و كذا الهاء فى قوله «فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ» قيل يعود إلى الشراب و هو العسل و قيل يعود إلى القرآن فإذا عاد الضمير إلى الشراب ارتفع شفاء بالظرف على المذهبين و تقديره شراب ثابت فيه شفاء و إذا عاد الضمير إلى القرآن ففى رفع شفاء خلاف فإن الظرف لم يجر على مذكور قبله، «لَكِنِّي لَا يَعْلَمُ بَعْدَ

عِلْمٍ

شَيْئاً» إن نصبت شيئاً بعلم و هو مذهب سيويه كنت قد أعملت الثاني و أضمرت المفعول فى يعلم على شريطه التفسير و إن أعملت يعلم و هو مذهب الفراء أضمرت لعلم مفعولاً- و فصلت بين المعمول و العامل فجمعت بين مجازين بخلاف مذهب سيويه.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من دلائل التوحيد و عجائب الصنعه و بدائع الحكمة بقوله «وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ» يعنى الإبل و البقر و الغنم «لَعِبْرَةً» أى لعظه و اعتبارا و دلالة على قدره الله تعالى «نُسِيقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَ دَمٍ لَبْنَا خَالِصًا» و روى الكلبي عن ابن عباس قال إذا استقر العلف فى الكرش صار أسفله فرثا و أعلاه دما و وسطه لبنا فيجرى الدم فى العروق و اللبن فى الضرع و يبقى الفرث كما هو فذلك قوله «مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَ دَمٍ لَبْنَا خَالِصًا» لا يشوبه الدم و لا الفرث «سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ» أى جائزا فى حلوقهم و الكبد مسلطه على هذه الأصناف فيقسمها على الوجه الذى اقتضاه التدبير الإلهى بين سبحانه لمن ينكر البعث أن من قدر على إخراج لبن أبيض سائغ من بين الفرث و الدم من غير أن يختلط بهما قادر على إخراج الموتى من الأرض من غير أن يختلط شىء من أبدانهم بأبدان غيرهم ثم قال «وَ مِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَ الْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا» قيل معناه و لكم عبره فيما أخرج الله لكم من ثمرات النخيل و الأعناب عن الحسن و قيل معناه من ثمرات النخيل و الأعناب ما تتخذون منه سكرًا و العرب تضمّر ما الموصولة كثيرا قال سبحانه وَ إِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا أَى ما ثم و قيل إن تقديره و من ثمرات النخيل و الأعناب شىء تتخذون منه سكرًا «وَ رِزْقًا حَسِينًا» فحذف الموصوف لدلاله الصفه عليه و الأعناب عطف على الثمرات أى و من الأعناب شىء تتخذون سكرًا و هو كل ما يسكر من الشراب كالخمر. و الرزق الحسن ما أحل منهما كالخل و الزبيب و الرب و الرطب و التمر عن ابن مسعود و ابن عباس و سعيد بن جبیر و الحسن و قتاده و مجاهد و غيرهم و روى الحاكم فى صحيحه بالإسناد عن ابن عباس أنه سئل عن هذه الآيه فقال السكر ما حرم من ثمرها و الرزق الحسن ما أحل من ثمرها قال قتاده نزلت الآيه قبل تحريم الخمر و نزل تحريمها بعد ذلك فى سورة المائدة قال أبو مسلم و لا حاجه إلى ذلك سواء كان الخمر حراما أم لم يكن لأنه تعالى خاطب المشركين و عدد إنعامه عليهم بهذه الثمرات و الخمر من أشربتهم فكانت نعمه عليهم و قيل إن المراد بالسكر ما يشرب من أنواع الأشربه مما يحل و الرزق الحسن ما يؤكل و الحسن اللذيذ عن الشعبى و الجبائى فالمعنى تتخذون منه أصنافا من الأشربه و الأطعمه و قد أخطأ من تعلق بهذه الآيه فى تحليل النبيذ لأنه سبحانه إنما أخبر عن فعل كانوا يتعاطونه فأى رخصه فى هذا اللفظ و الوجه فيه أنه سبحانه أخبر أنه خلق هذه الثمار ليتفنعوا بها فاتخذوا منها ما هو محرم عليهم و لا فرق بين قوله هذا

و بين قوله تَنخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ «إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَةً» أى دلالة ظاهره «لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» عن الله تعالى ذلك و يتفكرون فيه بين الله سبحانه بذلك أنكم تستخرجون من الثمرات عصيرا يخرج من قشر قد اختلط به فكذلك الله يستلخص ما تبدد من الميت مما هو مختلط به من التراب «وَ أَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ» أى ألهمها إلهاما عن الحسن و ابن عباس و مجاهد و قيل جعل ذلك فى غرائزها بما يخفى مثله عن غيرها عن الحسن قال أبو عبيده الوحى فى كلام العرب على وجوه منها وحى النبوه و منها الإلهام و منها الإشاره و منها الكتاب و منها الإسرار فوحى النبوه فى قوله أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذنيه و الإلهام فى قوله «وَ أَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ» و «أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى» و الإشاره فى قوله فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا قَالَ مجاهد معناه أشار إليهم و قال الضحاك كتب لهم و الإسرار فى قوله يُوحى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ عُرُورًا و أصل الوحى عند العرب أن يلقى الإنسان إلى صاحبه شيئا بالاستتار و الإخفاء و أما ما روى عن ابن عباس أنه قال لا وحى إلا القرآن فإن المراد به أن القرآن هو الوحى الذى نزل به جبرائيل على محمد ص دون أن يكون أنكر ما قلناه و يقال أوحى له و أوحى إليه قال العجاج:

" أوحى لها القرار فاستقرت "

و المعنى أن الله تعالى ألهم النحل اتخاذ المنازل و المساكن و الأوكار و البيوت فى الجبال و الشجر و غير ذلك و تقديره «أَنْ اتَّخَذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا» للعسل و لا يقدر على مثلها أحد «وَ مِنَ الشَّجَرِ وَ مِمَّا يَعْرِشُونَ» أى و من الكرم لأنه الذى يعرش و يتخذ منه العريش و فيه لغتان يعرشون و يعرشون بضم الراء و كسرهما و قد قرئ بهما و قيل معنى يعرشون بينون و العرش سقف البيت عن الكلبى و المعنى ما يبني الناس لها من خلاياها التى تعسل فيها و لو لا إلهام الله إياها ما كانت تأوى إلى ما بنى لها من بيوتها و إنما أتى بلفظ الأمر و إن كانت النحل لا تعقل الأمر و لا تكون مأموره لأنه لما أتى بلفظ الوحى أجرى عليه لفظ الأمر اتساعا «ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ» أى من أنواع الثمرات من أى ثمره شئت «فَاسْئَلِي سَبِيلَ رَبِّكَ» أى فادخلى سبل ربك التى جعلها الله لك «ذُلًّا» أى مذلله موطأه للسلوك و اسعه يمكن سلوكها فيكون قوله «ذُلًّا» صفة للسبل و هى منصوبه على الحال و هو قول مجاهد و قيل ذللا أى مطيعه لله منقاد مسخره و يكون من صفة النحل عن قتاده «يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ» و هو العسل فإن ألوانه مختلفه لأن منه ما هو شديد البياض و منه ما هو أصفر و منه ما يضرب إلى الحمرة و ذلك أن النحل تتناول ألوانا مختلفه من النبات و الزهر فيجعلها الله تعالى عسلا على ألوان مختلفه يخرج من بطونها إلا أنها تلقيه من أفواهها كالريق الذى يخرج من فم ابن

آدم و إنما قال سبحانه «مِنْ بُطُونِهَا» و لم يقل من فيها لثلاثا لئلا يظن أنها تلقيه من فيها و لم يخرج من بطنها «فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ» من الأدواء عن قتاده و روى عن عبد الله بن مسعود أنه قال عليكم بالشفاءين القرآن و العسل و قيل معناه فيه شفاء للأوجاع التي شفاؤها فيه عن السدى و الحسن و روى عن مجاهد أن الهاء في فيه راجعه إلى القرآن أى القرآن فيه شفاء للناس يعنى ما فيه من الحلال و الحرام و الفتيا و الأحكام و الأول قول أكثر المفسرين و هو الأقوى إذ لم يسبق للقرآن ذكر و فى النحل و العسل وجوه من الاعتبار منها اختصاصه بخروج العسل من فيه و منها جعل الشفاء من موضع السم فإن النحل يلسع و منها ما ركب الله من البدائع و العجائب فيه و فى طباعه و من أعجبها أن جعل سبحانه لكل فئه يعسوباً هو أميرها يقدمها و يحامى عنها و يدبر أمرها و يسوسها و هى تتبعه و تقتفى أثره و متى فقدته انحلت نظامها و زال قوامها و تفرقت شذر مذر و إلى هذا المعنى فيما قال

أشار أمير المؤمنين (عليه السلام) فى قوله أنا يعسوب المؤمنين

«إِنَّ فِي ذِكْرِكَ لَمَآ يَهَّ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» معناه إن فيما ذكرناه من بدائع صنع الله تعالى دلالة بينه لمن تفكر فيه ثم بين نعمته علينا فى خلقنا و أخرجنا من العدم إلى الوجود فقال «وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ» أى أوجدكم و أنعم عليكم بضروب النعم الدينيه و الدنيويه «ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ» و يقبضكم أى يميئكم «وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ» أى أدون العمر و أوضعه أى يبقيه حتى يصير إلى حال الهرم و الخرف فيظهر النقصان فى جوارحه و حواسه و عقله و

رووا عن على (عليه السلام) أن أزدل العمر خمس و سبعون سنه

و

روى فى مثل ذلك عن النبى ص و عن قتاده تسعون سنه

«لِكُنَى لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً» أى ليرجع إلى حال الطفولىه بنسيان ما كان علمه لأجل الكبر فكأنه لا يعلم شيئاً مما كان علمه و قيل ليقل علمه بخلاف ما كان عليه فى حال شبابه «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ» بمصالح عباده «قَدِيرٌ» على ما يشاء من تدبيرهم و تقدير أحوالهم.

ص: ١٥٩

إشارة

وَ اللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادُوا رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فِيهِ سَوَاءً أَلْيَسَ اللَّهُ يَجْحَدُونَ (٧١) وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَ حَفَدَةً وَ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَلَيْسَ بِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَ بِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (٧٢) وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ شَيْئًا وَ لَا يَسْتَطِيعُونَ (٧٣) فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧٤)

القراءة

قرأ أبو بكر عن عاصم تجحدون بالتاء و الباكون بالياء.

الوجه

الوجه في القراءة بالياء أنه يراد به غير المسلمين لأنه لا يخاطب المسلم بجحود نعم الله و الوجه في القراءة بالتاء قل لهم أ فبنعمه الله التي تقدم اقتصاصها تجحدون و يقوى الياء قوله «وَ بِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ».

اللغة

الحفده جمع حافد و أصل الحفد الإسراع في العمل و منه ما جاء في الدعاء و إليك نسعى و نحفد و مر البعير يحفد حفدا إذا مر يسرع في سيره قال الراعي:

كلفت مجهولها نوقا يمانيه إذا لحداه على إكسائها حفدوا

و منه قيل للأعوان حفده لإسراعهم في الطاعة قال جميل:

حفد الولائد حولها و استسلمت بأكفهن أزمه الأجمال

. الإعراب

فهم فيه سواء جملة اسميه وقعت موقع جملة فعلية في موضع النصب لأنه جواب النفي بالفاء و التقدير فيستوتوا شيئا انتصب على أحد وجهين إما أن يكون بدلا من رزقا بمعنى أنه لا يملك لهم رزقا قليلا و لا كثيرا و هو قول الأخفش و إما أن يكون مفعولا لقوله «رِزْقًا» فكأنه قال ما لا يملك لهم أن يرزق شيئا و هو مما أعمل من المصادر المنونه.

المعنى

ثم عدد سبحانه نعمه منه أخرى فقال «وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ» فوسع على واحد و قتر على آخر على ما توجبه الحكمة «فَمَا الَّذِينَ فَضَّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ» اختلف في معناه على قولين (أحدهما) أنهم

ص: ١٦٠

لا- يشركون عبيدهم فى أموالهم و أزواجهم حتى يكونوا فيه سواء و يرون ذلك نقصا فلا يرضون لأنفسهم به و هم يشركون عبيدى فى ملكى و سلطانى و يوجهون العباده و القرب إليهم كما يوجهونها إلى عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و قال ابن عباس يقول إذا لم ترضوا أن تجعلوا عبيدكم شركاءكم فكيف جعلتم عيسى إليها معه و هو عبده و نزلت فى نصارى نجران (و الثانى) إن معناه فهؤلاء الذين فضلهم الله فى الرزق من الأحرار لا يرزقون مماليتهم بل الله تعالى رازق الملائك و المماليك فإن الذى ينفقه المولى على مملوكه إنما ينفقه مما رزقه الله تعالى فالله تعالى رازقهم جميعا فهم سواء فى ذلك «أَفِينَعْمَهُ اللَّهُ يَجْحَدُونَ» أى أفضله النعمه التى عدتها و اقتصصتها يجحد هؤلاء الكفار ثم عدد سبحانه نعمه أخرى قال «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا» أى جعل لكم من جنسكم و من الذين تلدونهم نساء جعلهن أزواجا لكم لتسكنوا إليهن و تأنسوا بهن «وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ» يعنى من هؤلاء الأزواج «بَيْنَ» تسرون بهم و تزينون بهم «وَحَفَدَةً» اختلف فى معناه ف قيل هم الخدم و الأعوان عن ابن عباس و الحسن و عكرمه و

فى روايه الموالى هم أختان الرجل على بناته و هو المروى عن أبى عبد الله

و عن ابن مسعود و إبراهيم و سعيد بن جبير و قيل هم البنون و بنو البنين عن ابن عباس فى روايه أخرى و نصه عنه أيضا أنهم بنو امرأه الرجل من غيره فى روايه الضحاك و قيل البنون الصغار من الأولاد و الحفده الكبار منهم يسعون معه عن مقاتل «وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ» أى الأشياء التى تستطيعونها قد أباحها لكم و إنما دخلت من لأنه ليس كل ما يستطيعه الإنسان رزقا له و إنما يكون رزقه ما له التصرف فيه و ليس لأحد منعه منه «أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ» يريد بالباطل الأوثان و الأصنام و ما حرم عليهم و زينه الشيطان من البحائر و غيرها أى أفضلك يصدقون «وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ» التى عددها «هُمْ يَكْفُرُونَ» أى يجحدون و يريد بنعمه الله التوحيد و القرآن و رسول الله ص عن ابن عباس «وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يملك لهُمْ رِزْقًا» أى لا يملك أن يرزقهم «مِنَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ شَيْئًا وَ لا يَسْتَطِيعُونَ» شيئا مما ذكرناه و قيل إن رزق السماء الغيث الذى يأتى من جهتها و رزق الأرض النبات و الثمار و غير ذلك من أنواع النعم التى تخرج من الأرض «فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ» أى لا تجعلوا لله الأشباه و الأمثال فى العباده فإنه لا شبه له و لا مثل و لا أحد يستحق العباده سواه و إنما قال ذلك فى اتخاذهم الأصنام آلهه عن ابن عباس و قتاده «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ» إن من كان إليها فإنه منزه عن الشركاء «وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» ذلك بل تجهلونه و لو تفكرتم لعلمتم و قيل معناه و الله يعلم ما عليكم من المضره فى عباده غيره و أنتم لا تعلمون و لو علمتم لتركتم عبادتها.

إشارة

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ۖ وَ مَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسِينًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَ جَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٧٥) وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ۖ وَ هُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَ مَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ هُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٧٦) وَ لِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٧٧)

القراءة

فى الشواذ قراءة ابن مسعود و علقمه و الحسن و مجاهد أينما يوجه و روى عن علقمه يوجه بفتح الجيم.

الحجج

قال ابن جنى أما يوجه بكسر الجيم فعلى حذف المفعول أى أينما يوجه وجهه فحذف للعلم به و أقول أن نظيره ما جاء فى المثل " أينما أوجه ألقى سعدا " و معناه أينما أوجه وجوه ركابى و سعد قبيلته أى كل الناس مثل قبيلتى فى التحاسد و أما يوجه بفتح الجيم فمعناه أينما يرسل أو يبعث لا يأت بخير.

اللغة

الأبكم الذى يولد أخرس لا يفهم و لا يفهم و قيل الأبكم الذى لا يمكنه أن يتكلم و الكل الثقيل يقال كل عن الأمر يكل كلا إذا ثقل عليه فلم ينبعث فيه و كلت السكين كلولا- إذا غلظت شفرتها و كل لسانه إذا لم ينبعث فى القول لغلظه و ذهاب حده فالأصل فيه الغلظ المانع من النفوذ و التوجيه الإرسال فى وجه من الطريق يقال وجهته إلى موضع كذا فتوجه إليه.

الإعراب

«وَ مَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسِينًا» رزقا مفعول ثان لرزقناه و فى هذا دليل على أن رزق يتعدى إلى مفعولين أ لا ترى أن قوله «رِزْقًا حَسِينًا» لو كان مصدرا لما جاز أن يقول

فهو ينفق منه لأن الإنفاق إنما يكون من المال لا من الحدث الذي هو المصدر.

المعنى

ثم بين سبحانه للمشركين أمر ضلالتهم فقال «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ» أى بين الله مثلا فيه بيان المقصود تقريبا للخطاب إلى أفهامهم ثم ذكر ذلك المثل فقال «عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ» من أمره على شىء «وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسِينًا» يريد و حرا رزقناه و ملكناه مالا و نعمه «فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَ جَهْرًا» لا يخاف من أحد «هَلْ يَسْتَوُونَ» و لم يقل يستويان لأنه أراد بقوله «وَمَنْ رَزَقْنَاهُ» و قوله «عَبْدًا مَمْلُوكًا» الشيوع فى الجنس لا التخصيص يريد أن الاثنين المتساويين فى الخلق إذا كان أحدهما مالكا قادرا على الإنفاق و الآخر عاجزا عن الإنفاق لا يستويان فكيف يستوى بين الحجارة التى لا تعقل و لا تتحرك و بين الله عز اسمه القادر على كل شىء الخالق الرازق لجميع خلقه و هذا معنى قول المجاهد و الحسن و قيل إن هذا المثل للكافر و المؤمن فإن الكافر لا خير عنده و المؤمن يكسب الخير عن ابن عباس و قتاده نبه الله سبحانه بذلك على اختلاف حالهما و دعا إلى حال المؤمن و صرف عن حال الكافر «الْحَمْدُ لِلَّهِ» أى الشكر لله على نعمه و فيه إشارة إلى أن النعم كلها منه و قيل معناه قولوا الحمد لله الذى دلنا على توحيده و معرفته و هداينا إلى شكر نعمته و أوضح لنا السبيل إلى جنته «بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» يعنى أن أكثر الناس و هم المشركون لا يعلمون أن الحمد لى و أن جميع النعمة منى ثم ضرب سبحانه مثلا آخر فقال «وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ» من الكلام لأنه لا يفهم و لا يفهم عنه و قيل معناه لا يقدر أن يدبر أمر نفسه «وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ» أى ثقل و وبال على وليه الذى يتولى أمره «أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ» معناه أنه لا منفعة لمولاه فيه أينما يرسله فى حاجه لا يرجع بخير و لا- يهتدى إلى منفعه «هَلْ يَسْتَوِي هُوَ» أى هذا الأبكم الموصوف بهذه الصفة «وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ» أى و من هو فصيح يأمر بالعدل و الحق و يدعو إلى الثواب و البر «وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أى على دين قويم و طريق واضح فيما يأتى به و يذر و المراد أنهما لا- يستويان قط لأنه لا- جواب لهذا الكلام إلا النفى و هذا كما قال أ فَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ و قيل فى معنى هذا المثل أيضا قولان (أحدهما) أنه مثل ضربه الله تعالى فيمن يؤمل الخير من جهته و من لا يؤمل منه و أصل الخير كله من الله تعالى فكيف يستوى بينه و بين شىء سواه فى العباده (و الآخر) أنه مثل للكافر و المؤمن فالأبكم الكافر و الذى يأمر بالعدل المؤمن عن ابن عباس و قيل إن الأبكم أبى بن خلف و من يأمر بالعدل حمزه و عثمان بن مظعون عن عطاء و قيل إن الأبكم هاشم بن عمر بن الحارث القرشى و كان قليل الخير يعادى رسول الله ص عن مقاتل ثم وصف

سبحانه نفسه مؤكدا لما قدم ذكره من أوصاف الكمال فقال «وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» و معناه أنه المختص بعلم الغيب و هو ما غاب عن جميع الخلائق مما يصح أن يكون معلوما قال الجبائي و يمكن أن يكون المعنى و لله ما غاب عنكم مما فى السماوات و الأرض ثم قال «وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ» فى قدرته «إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ» أى كطرف العين و قيل كرد البصر قال الزجاج و ما أمر إقامه الساعه فى قدرته إلا- كلمح البصر أى لا يتعذر عليه شىء «أَوْ هُوَ أَقْرَبُ» من ذلك و هو مبالغه فى ضرب المثل به فى السرعه و دخول أو هنا لأحد أمرين إما للإيانه على أنه على إحدى هاتين المنزلتين و إما لشك المخاطب و قيل معناه بل هو أقرب «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» فهو قادر على إقامه الساعه و على كل شىء ء يريد به لأن التقدير مبالغه فى صفه القادر.

المنظم

وجه اتصاله بما قبله أن أمر القيامة من الأمور الغائبه و من أعظمها و أهمها لما فيه من الثواب و العقاب و الإنصاف و الانتصاف و الساعه اسم لإماته الخلق و إحيائهم.

[سوره النحل (١٦): الآيات ٧٨ الى ٨٠]

اشاره

وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨) أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٧٩) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَ يَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَانًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ (٨٠)

القراءه

قد ذكرنا القراءه فى «أُمَّهَاتِكُمْ» فى سوره النساء و قرأ ابن عامر و حمزه و يعقوب و سهل و خلف أ لم تروا بالتاء و الباقون بالياء و قرأ أهل الكوفه و ابن عامر «ظَعْنِكُمْ» ساكنه العين و الباقون بفتح العين.

ص: ١٦٤

من قرأ أ لم تروا بالتاء فإنه يدل عليه ما قبله من قوله «وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» و من قرأ بالياء فإنه على وجه التشبيه لمن تقدم ذكرهم من الكفار و الظعن و الظعن بفتح العين و سكونها لغتان و مثله النهر و النهر و الشمع قال الأعمش:

فقد أشرب الراح قد تعلمين يوم المقام و يوم الظعن

قال أبو علي و لا يجوز أن يكون الظعن مخففا عن الظعن كما أن عضدا مخفف عن عضد و كتفا مخففا عن كتف أ لا ترى أن من قال ذلك لم يخفف نحو جمل و رسن كما أن الذى يقول وَ اللَّيْلُ إِذَا يَسِيرُ و ذلك ما كنا نبغ لا يقول و الليل إذا يغش و حرف الحلق و غيره فى ذلك سواء.

الأمهات أصله الأمت و لكن الهاء زيدت مؤكده كما زادوها فى أهرقت الماء و الأصل أرقى و الأفئده جمع فؤاد كما يقال غراب و أغربه و لم يجمع الفؤاد على أكثر العدد لم يقل فيه فئدان كما قالوا غربان. الجو الهواء البعيد من الأرض و أبعد منه السكاك و اللوح و واحد السكاك سكاكه عن الزجاج قال الشاعر:

و يلمها فى هواء الجو طالبه و لا كهذا الذى فى الأرض مطلوب

و السكن كل ما يسكن إليه و السكن أيضا المسكن قال الفراء السكن بفتح الكاف الدار و بسكونها أهل الدار و منه

الحديث أن الرمانه لتشبع السكن

و أصله من السكون الذى هو ضد الحركة و هما من جنس الأكوان التى يكون الجسم بها كائنا فى الجهات و منه السكين لأنه يسكن حركه المذبوح و الأثاث متاع البيت الكثير من قولهم شعر أثيث أى كثير و أث النبات يَأْثُ إذا كثر و التف و كذلك الشعر و لا واحد للأثاث كما أنه لا واحد للمتاع قال الشاعر:

أ هاجتكَ الطعائن يوم بانوا بذى الرئى الجميل من الأثاث

. الإعراب

قوله «لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا» فى موضع نصب على الحال من الكاف و الميم و قوله «شَيْئًا» يجوز أن يكون منتصبا على المصدر أى لا تعلمون علما و يجوز أن يكون مفعولا و يكون تعلمون بمعنى تعرفون لاقتصاره على مفعول واحد و أثاثا و متاعا نصب بجعل

المعنى

ثم عدد سبحانه نعماً له أخر فقال «وَ اللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ» منما عليكم بذلك و أنتم «لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً» من منافعكم و مضاركم فى تلك الحال «وَ جَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ» أى تفضل عليكم بالحواس الصحيحة التى هى طرق إلى العلم بالمدرجات و تفضل عليكم بالقلوب التى تفقهون بها الأشياء إذ هى محل المعارف «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» أى لكى تشكروه على ذلك و تحمدوه ثم عطف سبحانه على ما تقدم من الدلائل بدلاله أخرى فقال ألم تروا أى ألم تفكروا و تنظروا «إِلَى الطَّيْرِ مُسَيَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ» أى كيف خلقها الله خلقه يمكنها معها التصرف فى جو السماء صاعده و منحدره و ذاهبه و جائيه مذلات للطيران فى الهواء بأجنحتها تطير من غير أن تعتمد على شىء «مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ» أى ما يمسكهن من السقوط على الأرض من الهواء إلا- الله فيمسك الهواء تحت الطير حتى لا- ينزل فيه كإمساك الماء تحت السائح فى الماء حتى لا ينزل فيه فجعل إمساك الهواء تحتها إمساكاً لها على التوسع فإن سكنوها فى الجو إنما هو فعلها فالمعنى ألم تنظروا فى ذلك فتعلموا أن لها مسخراً و مدبراً لا يعجزه شىء و لا يتعذر عليه شىء و إنه إنما خلق ذلك ليعتبروا به فيصلوا إلى الثواب الذى عرضهم له و لو كان فعل ذلك لمجرد الأنعام على العبيد لكان حسناً لكنه سبحانه و تعالى ضم إلى ذلك التعريض للثواب «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ» أى دلالات على وحدانيه الله تعالى و قدرته «لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» لأنهم الذين انتفعوا به ثم عدد سبحانه نعماً أخر فى الآيه الأخرى فقال «وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا» أى موضعاً تسكنون فيه مما يتخذ من الحجر و المدر و ذلك أنه سبحانه خلق الخشب و المدر و الآله التى يمكن بها تسقيف البيوت و بناؤها «وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ» يعنى الأنطاع و الأدم «بُيُوتًا تَسْتَبْخِفُونَهَا» أى قبابا و خياما يخف عليكم حملها فى أسفاركم «يَوْمَ ظَعْنِكُمْ» أى ارتحالكم من مكان إلى مكان و قيل معنى الظعن سير أهل البوادي لنجعه أو حضور ماء أو طلب مرتع «وَ يَوْمَ إِقَامَتِكُمْ» أى اليوم الذى تنزلون موضعاً تقيمون فيه أى لا يثقل عليكم فى الحالتين «وَ مِنْ أَصْوَابِهَا» و هى للضأن «وَ أَوْبَارِهَا» و هى للابل «وَ أَشْعَارِهَا» و هى للمعز «أَثَاثًا» أى مالا عن ابن عباس و قيل نوعاً من متاع البيت من الفراش و الأكسية و قيل طنافس و بسطا و ثيابا و كسوه و الكل متقارب «وَ مَتَاعًا» تتمتعون به و معاشاً تتجرون فيه «إِلَى حِينٍ» أى إلى يوم القيامة عن الحسن و قيل إلى وقت الموت عن الكلبي و يحتمل أن يكون أراد به موت المالك أو موت الأنعام و قيل إلى وقت البلى و الفناء و فيه إشارة إلى أنها فانية فلا ينبغى للعاقل أن يختارها على نعيم الآخرة.

إشاره

وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَ جَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (٨١) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (٨٢) يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَ أَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ (٨٣) وَ يَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَ لَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٨٤) وَ إِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَ لَا هُمْ يُنظَرُونَ (٨٥)

اللغه

الأكنان جمع كن و هو الموضع الذى يستتر صاحبه فيه و يقال كنتت الشىء فى كنه أى صنته و أكننته أى أخفيتيه و كل ما لبسته من قميص أو درع أو جوشن أو غيره فهو كن قال الزجاج و العتب الموجداه يقال عتب عليه يعتب إذا وجد عليه فإذا فاوضه ما عتب عليه قالوا عاتبه و إذا رجع إلى مسرته قيل أعتب و الاسم العتبي و هو رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضى العاتب و استعبته طلب منه أن يعتب قال أبو مسلم الاستعتاب مأخوذ من العتاب و العتب و أصله دبغ الأديم و هو عتابه و فى المثل إنما يعاتب الأديم ذو البشره يقال عتبت على فلان و استعبته إذا أنكرت منه فعلا و استنزلته عنه و أردت إصلاحه و أعتبك فلان إذا صار لك إلى ما تحب و زال عما تكره.

الإعراب

«فَإِنْ تَوَلَّوْا» شرط و تقديره فإن تولوا لم يلزمك تقصير من أجل توليهم فإن الذى عليك هو البلاغ إلا أنه حذف الجزاء لدلاله الكلام عليه. «لِلَّذِينَ كَفَرُوا» فى محل الرفع لوقوع الإذن عليه.

المعنى

ثم عدد سبحانه نعماً أخر أضافها إلى ما عدده قبل من نعمه فقال «وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ» من الأشجار و الأبنيه «ظِلَالًا» أى أشياء تستظلون بها فى الحر و البرد «وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا» أى مواضع تسكنون بها من كهوف و ثقوب و تأوون إليها «وَ جَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ» أى قميصاً من القطن و الكتان و الصوف عن ابن عباس و قتاده

«تَقِيكُمْ الْحَرَّ» و لم يقل و تقيكم البرد لأن ما وقى الحر وقى البرد و إنما خص الحر بذلك مع أن وقايتها للبرد أكثر لأن الذين خوطبوا بذلك أهل حر في بلادهم فحاجتهم إلى ما يقى الحر أكثر عن عطا على أن العرب تكتفى بذكر أحد الشيتين عن الآخر للعلم به كما قال الشاعر:

و ما أدري إذا يمت أرضا أريد الخير أيهما يليني

فكنى عن الشر و لم يذكره لأنه مدلول عليه ذكره الفراء «و سِرَابِيلٌ تَقِيكُمْ بِأَسْيَكُمْ» يعنى دروع الحديد تقيكم شدة الطعن و الضرب و تدفع عنكم سلاح أعدائكم «كَذَلِكَ» أى مثل ما جعل لكم هذه الأشياء و أنعم بها عليكم «يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ» يريد نعمه الدنيا و يدل عليه قوله «لَعَلَّكُمْ تُسَلِّمُونَ» قال ابن عباس معناه لعلكم يا أهل مكة تعلمون أنه لا يقدر على هذا غيره فتوحده و تصدقوا رسوله «فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ» هذا تسليه للنبي ص و معناه فإن أعرضوا عن الإيمان بك يا محمد و القبول عنك و عن التدبر لما عدده في هذه السورة من النعم و بينت فيها من الدلالات فلا عتب عليك و لا لوم فإنما عليك البلاغ الظاهر و قد بلغت كما أمرت و البلاغ الاسم و التبليغ المصدر مثل الكلام و التكليم ثم أخبر سبحانه عن الكفار فقال «يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا» أى يعرفون نعم الله تعالى عليهم بما يجدونه من خلق نفوسهم و إكمال عقولهم و خلق أنواع المنافع التى ينتفعون بها لهم ثم أنهم مع ذلك ينكرون تلك النعم أن تكون من جهة الله تعالى خاصة بل يضيفونها إلى الأوثان و يشكرون الأوثان عليها يقولون رزقنا ذلك بشفاعه آلهتنا فيشركونهم معه فيها و قيل أن معناه يعرفون محمدا ص و هو من نعم الله سبحانه ثم يكذبونه و يجحدونه عن السدى «وَ أَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ» إنما قال أكثرهم لأن منهم من لم تقم الحجة عليه إذ لم يبلغ حد التكليف لصغره أو كان ناقص العقل مأوفا أو لم تبلغه الدعوة فلا يقع عليه اسم الكفر و قيل إنما ذكر الأكثر لأنه علم سبحانه أن فيهم من يؤمن و قيل أنه من الخاص فى الصيغة العام فى المعنى عن الجبائى و قريب منه قول الحسن أراد جميعهم الكافرون و إنما عدل عن البعض احتقارا له أن يذكره و فى هذه الآية دلالة على فساد قول المجبره أنه ليس لله تعالى على الكافر نعمه و إن جميع ما فعله بهم إنما هو خذلان و نعمة لأنه سبحانه نص فى هذه الآية على خلاف قولهم «وَ يَوْمَ نَبَعْتُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا» يعنى يوم القيامة بين سبحانه أنه

يبعث فيه من كل أمه شهيدا و هم الأنبياء و العدول من كل عصر يشهدون على الناس بأعمالهم و

قال الصادق (عليه السلام) لكل زمان و أمه إمام تبعث كل أمه مع إمامها

و فائده بعث الشهداء مع علم الله سبحانه بذلك أن ذلك أهول في النفس و أعظم في تصور الحال و أشد في الفضيحة إذا قامت الشهادة بحضوره الملائم مع جلاله الشهود و عدالتهم عند الله تعالى و لأنهم إذا علموا أن العدول عند الله يشهدون عليهم بين يدي الخلائق فإن ذلك يكون زجرا لهم عن المعاصي و تقديره و اذكر يوم نبعث «ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا» أى لا يؤذن لهم في الكلام و الاعتذار عن ابن عباس كما قال وَ لَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ و قيل معناه لا يؤذن لهم في الرجوع إلى الدنيا و قيل معناه لا يسمع منهم العذر يقال أذنت له أى استمعت كما قال عدى بن زيد:

فى سماع يأذن الشيخ له و حديث مثل ما ذى مشار

عن أبى مسلم «وَلَا هُمْ يُشْتَبَعُونَ» أى لا يسترضون و لا يستصلحون كما كان يفعل بهم فى دار الدنيا لأن الآخرة ليست بدار تكليف و معناه لا يسألون أن يرضوا الله بالكف عن معصيه يرتكبونها «وَ إِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ» معناه إذا رأى الذين أشركوا بالله تعالى النار «فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ» العذاب «وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ» أى لا يمهلون و لا يؤخرون بل عذابهم دائم فى جميع الأوقات فإن وقت التوبة و الندم قد فات.

النظم

وجه اتصال قوله «فَإِنْ تَوَلَّوْا» بما قبله أنه سبحانه أمر نبيه ص أن يذكرهم بهذه النعم و يحتج عليهم بهذه الحجج فإن أسلموا فذاك و إن أعرضوا فلا شىء على الرسول فإنما عليه البلاغ المبين فقط و وجه اتصال الآية الأخيره بما قبلها و هى قوله «وَ يَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا» أنها تتصل بقوله «فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ» لأن المعنى أن نجازيهم على أعمالهم يوم نبعث من كل أمه شهيدا و قال أبو مسلم أنه عطف على قوله «وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ» يريد ثم يبعثكم يوم يبعث من كل أمه شهيدا.

ص: ١٦٩

إشارة

وَ إِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ (٨٦) وَ أَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلْمَ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٨٧) الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ (٨٨) وَ يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ جِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً وَ بُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩) إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَانِ وَ إِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَ يَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠)

اللغة

تقول ألفت الشيء إذا طرحته و اللقي الشيء الملقى و ألفت إليه مقالة أى قلتها له و تلقاها إذا قبلها و السلم الاستسلام و الانقياد و التبيان و البيان واحد. الأزهرى قال:

العرب تقول بينت الشيء تبيينا و تبيانا.

المعنى

ثم أبان سبحانه عن حال المشركين يوم القيامة فقال «وَ إِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ» يعنى الأصنام و الشياطين الذين أشركوهم مع الله فى العباده و قيل سماهم شركاءهم لأنهم جعلوا لهم نصيبا من الزرع و الأنعام فهم إذا شركاؤهم على زعمهم «قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ» أى يقولون هؤلاء شركاؤنا التى أشركناها معك فى الإلهيه و العباده و أضلونا عن دينك فحملهم بعض عذابنا «فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ» معناه فقالت الأصنام و سائر ما كانوا يعبدونه من دون الله يانطاق الله تعالى إياهم لهؤلاء إنكم لكاذبون فى أنا أمرناكم بعبادتنا و لكنكم اخترتم الضلال بسوء اختياركم لأنفسكم و قيل إنكم لكاذبون فى قولكم إنا آلهه و إلقاء المعنى إلى النفس إظهاره لها حتى تدركه متميزا عن غيره «وَ أَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلْمَ» معناه و استسلم المشركون و ما عبدوهم من دون الله لأمر الله و انقادوا لحكمه يومئذ عن قتاده و قيل معناه أن المشركين زال عنهم نخوه الجاهليه و انقادوا قسرا لا اختيارا و اعترفوا بما كانوا ينكرونه من توحيد الله تعالى «وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ» أى بطل ما كانوا يأملونه و يتمنونه من الأمانى الكاذبه من أن

آلهتهم تشفع لهم و تنفع «الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» أى أعرضوا عن دين الله و قيل صدوا غيرهم عن اتباع الحق الذى هو سبيل الله و قيل صد المسلمین عن البيت الحرام عن أبى مسلم «زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ» أى عذبناهم على صدهم عن دين الله زياده على عذاب الكفر و قيل زدناهم الأفاعى و العقارب فى النار لها أنياب كالنخل الطوال عن ابن مسعود و قيل هى أنهار من صفر مذاب كالنار يعذبون بها عن ابن عباس و مقاتل و قيل زيدوا حيات كأمثال الفيله و البخت و عقارب كالبالغال الدلم عن سعيد بن جبیر «وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ» أى من أمثالهم من البشر و يجوز أن يكون ذلك الشهيد نبيهم الذى أرسل إليهم و يجوز أن يكون المؤمنون العارفون يشهدون عليهم بما فعلوه من المعاصى و فى هذا دلالة على أن كل عصر لا يجوز أن يخلو ممن يكون قوله حجه على أهل عصره و هو عدل عند الله تعالى و هو قول الجبائى و أكثر أهل العدل و هذا يوافق ما ذهب إليه أصحابنا و إن خالفوهم فى أن ذلك العدل و الحجه منه هو «وَجِئْنَا بِكَ» يا محمد «شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ» يريد على قومك و أمتك و إنما أفردته بالذكر تشريفا له و تم الكلام هاهنا ثم قال سبحانه «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ» يعنى القرآن «تَبَيِّنًا لِكُلِّ شَيْءٍ» أى بيانا لكل أمر مشكل و معناه لبيّن كل شىء يحتاج إليه من أمور الشرع فإنه ما من شىء يحتاج الخلق إليه فى أمر من أمور دينهم إلا و هو مبين فى الكتاب إما بالتنصيص عليه أو بالإحالة على ما يوجب العلم من بيان النبى ص و الحجج القائمين مقامه أو إجماع الأمة فيكون حكم الجميع فى الحاصل مستفادا من القرآن «وَهُدِيَ وَرَحْمَةً» أى و نزلنا عليك القرآن دلالة إلى الرشد و نعمه على الخلق لما فيه من الشرائع و الأحكام و لأنه يؤدى إلى نعم الآخرة «وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ» أى بشاره لهم بالثواب الدائم و النعيم المقيم «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ» و هو الإنصاف بين الخلق و التعامل بالاعتدال الذى ليس فيه ميل و لا -عوج «وَ الْإِحْسَانِ» إلى الناس و هو التفضل و لفظ الإحسان جامع لكل خير و الأغلب عليه استعماله فى التبرع بإيتاء المال و بذل السعى الجميل و قيل العدل التوحيد و الإحسان أداء الفرائض عن ابن عباس و عطاء و قيل العدل فى الأفعال و الإحسان فى الأقوال فلا يفعل إلا ما هو عدل و لا يقول إلا ما هو حسن و قيل العدل أن ينصف و ينتصف و الإحسان أن ينصف و لا ينتصف «وَ إِيْتَاءِ ذِي الْقُرْبَى» أى و يأمركم بإعطاء الأقارب حقهم بصلتهم و هذا عام و

قيل المراد بذى القربى قرابه النبى ص الذين أرادهم الله بقوله فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَى عَلَى مَا مَر تفسيره و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام) قال نحن هم

«وَ يَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ» إنما جمع بين الأوصاف الثلاثة فى النهى مع أن الكل منكر فاحش لبيّن بذلك

تفصيل ما نهى عنه لأن الفحشاء قد يكون ما يفعله الإنسان في نفسه من القبيح مما لا يظهره والمنكر ما يظهره للناس مما يجب عليهم إنكاره والبغى ما يتناول به من الظلم لغيره وقيل إن الفحشاء الزنا والمنكر ما ينكره الشرع والبغى الظلم والكبر عن ابن عباس وقيل إن العدل استواء السريره والعلايه والإحسان أن تكون السريره أحسن من العلانيه والفحشاء والمنكر أن تكون العلانيه أحسن من السريره عن سفيان بن عيينه «يَعْظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» معناه يعظكم بما تضمنت هذه الآيه من مكارم الأخلاق لكي تتذكروا وتفكروا وترجعوا إلى الحق قال عبد الله بن مسعود هذه الآيه أجمع آيه في كتاب الله للخير والشر قال قتاده أمر الله سبحانه بمكارم الأخلاق ونهاهم عن سفاسف الأخلاق و

جاءت الروايه أن عثمان بن مظعون قال كنت أسلمت استحياء من رسول الله ص لكثرة ما كان يعرض على الإسلام ولما يقر الإسلام في قلبى فكنت ذات يوم عنده حال تأمله فشخص بصره نحو السماء كأنه يستفهم شيئاً فلما سرى عنه سأله عن حاله فقال نعم بينا أنا أحدثك إذ رأيت جبرائيل في الهواء فأتانى بهذه الآيه «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ» وقرأها على إلى آخرها فقر الإسلام في قلبى و أتيت عمه أبا طالب فأخبرته فقال يا آل قريش اتبعوا محمدا ص ترشدوا فإنه لا يأمركم إلا بمكارم الأخلاق و أتيت الوليد بن المغيرة و قرأت عليه هذه الآيه فقال إن كان محمد قاله فنعم ما قال و إن قاله ربه فنعم ما قال فأنزل الله «أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى وَ أَعْطَى قَلِيلًا وَ أَكْذَى»

يعنى قوله فنعم ما قال و معنى قوله وَ أَكْذَى أنه لم يقم على ما قاله و قطعه و

عن عكرمه قال أن النبى ص قرأ هذه الآيه على الوليد بن المغيرة فقال يا ابن أخى أعد فأعاد فقال إن له لحلاوه و إن عليه لطلاوه و إن أعلاه لمثمر و إن أسفله لمغدق و ما هو قول البشر.

النظم

وجه اتصال قوله «وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ» بما قبله أنه سبحانه لما بين أن الأنبياء تشهد على أممهم يوم القيامة بين عقبيه أنه سبحانه قد كلف الجميع و أزاح عنهم فى التكليف بأن أنزل القرآن بما فيه من البيان و الهدايه و الرحمه و البشاره لأهل الإيمان و أنهم إذا عوقبوا فإنما أتوا فى ذلك من قبل نفوسهم و هذا كله مما يدخل فى الشهاده و وجه اتصال قوله «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ» الآيه بما قبله أنه سبحانه لما ذكر القرآن بين عقبيه ما يأمر به و ينهى عنه فيه و قيل إنه يتصل بقوله «وَ يَوْمَ نَبْعَثُ» كأنه قال بعد ذكر القيامة و الشهود أنه يأمر بالعدل و ينهى عن الظلم فاعلموا أنه سبحانه لا يظلم أحدا بل يعدل و يتفضل و لذلك جاء بالشهود ليشهدوا على أممهم أنهم أتوا فيما لا قوه من العذاب من

إشاره

وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعِيدَ تَوَكُّيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩١) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَئِبَّيِّنًا لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٩٢) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ مَنْ يَشَاءُ وَلِئَسَّأَلَنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٣) وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَ لَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٩٤)

اللغه

التوكيد الشديد و أوكد عقدك أى شده و هى لغه أهل الحجاز و أهل نجد يقولون أكدت تأكيدا و الأنكاث الأنقاض واحدها نكث و النكث المصدر و هذا قول لا نكثه فيه أى لا خلف و كل شىء نقض بعد الفتل فهو أنكاث جبلا كان أو غزلا و الحبل منتكث أى منتقض و منه سموا من تابع الإمام طائعا ثم خرج عليه ناكثا لأنه نقض ما وكد على نفسه بالأيمان و العهد كفعل الناكثه غزلها و الدخل ما أدخل فى الشىء على فساد و قيل الدخل الدغل و الخديعه و إنما قيل الدخل لأن داخل القلب على ترك الوفاء و الظاهر على الوفاء قال أبو عبيده: كل أمر لم يكن صحيحا فهو دخل و كل ما دخله عيب فهو مدخول و أربى أفعال من الربا و هو الزيادة و منه الربوه و الربا فى المال و أربى فلان للزيادة التى تريدها على عزيزه فى رأس ماله قال الشاعر:

و أسمر خطى كان كعوبه نوى القسب قد أربى ذراعا على العشر

. الإعراب .

أنكاثا منصوب لأنه فى معنى المصدر دخلا بينكم منصوب لأنه مفعول له و المعنى تتخذون أيمانكم للدخل و الغش و قوله «أَنْ تَكُونَ أُمَّةً» على تقدير بأن تكون أمه و هى أربى موضع أربى رفع مبتدأ و خبر و كلاهما فى محل النصب بأنه خبر كان و قال الفراء: إن موضع أربى نصب و هى عماد و هذا لا يجوز لأن الفصل الذى يسميه الكوفيون عمادا لا يدخل بين النكره و خبره و قد أخطأ أيضا بأن شبه ذلك بقوله «تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ» فإن الهاء فى تجدوه معرفه و هاهنا أمه نكره فلا يشبه ذلك و يجوز أن تكون الجملة صفه لأمه و لا يحتاج تكون إلى خبر لأنه بمعنى يحدث و يقع و أمه فاعله و تقديره كراهه أن تكون فهو مفعول له و لثلا يكون عند الكوفيين .

المعنى

لما تقدم ذكر الأمر بالعدل و الإحسان و النهى عن المنكر و العدوان عقبه سبحانه بالأمر بالوفاء بالعهد و النهى عن نقض الأيمان فقال «وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ» قال ابن عباس الوعد من العهد و قال المفسرون العهد الذى يجب الوفاء به و الوعد هو الذى يحسن فعله و عاهد الله ليفعله فإنه يصير واجبا عليه «وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا» هذا نهى منه سبحانه عن نكث الأيمان و هو أن ينقضها بمخالفه موجبها و ارتكاب ما يخالف عقدها و قوله «بَعْدَ تَوْكِيدِهَا» أى بعد عقدها و إبرامها و توثيقها باسم الله تعالى و قيل بعد تشديدها و تغليظها بالعزم و العقد على اليمين بخلاف لغو اليمين عن أبى مسلم «وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا» أى حسيبا فيما عاهدتموه عليه و قيل كفيلا بالوفاء و ذلك أن من حلف بالله فكأنه أكفل الله بالوفاء بما حلف و قيل أنه قولهم الله على كفيل أو وكيل و قيل أراد به أن الكفيل بالشىء يكون حفيظا له و الإنسان إنما يؤكد الأمر على نفسه بذكر اسم الله تعالى على جهه اليمين ليحفظ سبحانه ذلك الأمر «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ» من نقض العهد و الوفاء به فإياكم أن تلقوه و قد نقضتم و هذه الآيه نزلت فى الذين بايعوا النبى ص على الإسلام فقال سبحانه للمسلمين الذين بايعوه لا يحملنكم قله المسلمين و كثره المشركين على نقض البيعه فإن الله حافظكم أى أثبتوا على ما عاهدتم عليه الرسول و أكدتموه بالأيمان و قيل نزلت فى قوم خالفوا قوما فجاءهم قوم و قالوا نحن أكثر منهم و أعز و أقوى فانقضوا ذلك العهد و خالفونا

ص: ١٧٤

«وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَصَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ» أى لا تكونوا كالامراه التى غزلت ثم نقضت غزلها من بعد إمرار و قتل للغزل و هى امرأه حمقاء من قريش كانت تغزل مع جواريتها إلى انتصاف النهار ثم تأمرهن أن ينقضن ما غزلن و لا يزال ذلك دأبها و اسمها ريطه بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مره و كانت تسمى خرقاء مكه عن الكلبي و قيل أنه مثل ضربه الله تعالى شبه فيه حال ناقض العهد بمن كان كذلك «أُنْكَاثًا» جمع نكث و هو الغزل من الصوف و الشعر بيرم ثم ينكث و ينقض ليغزل ثانيه «تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ» أى دخلا و خيانه و مكرا و ذلك أنهم كانوا يخلفون فى عهودهم و يضمرون الخيانه و كان الناس يسكنون إلى عهدهم ثم ينقضون العهد فقد اتخذوا أيمانهم مكرا و خيانه «أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ» أى لا تنقضوا العهد بسبب أن يكون قوم أكثر من قوم و أمه أعلى من أمه و لأجل ذلك و تقديره و لا تنكثوا أيمانكم متخذيها دغلا و غدرا و خديعه لمداراتكم قوما هم أكثر عددا ممن حلفتهم له و لقلتمكم و كثرتهم بل عليكم الوفاء بما حلفتهم و الحفظ لما عاهدتم عليه «إِنَّمَا يَيْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ» أى إنما يختبركم الله بالأمر بالوفاء و الهاء فى به عائده على الأمر و تحقيقه أنه يعاملكم معاملة المختبر ليقع الجزاء بحسب العمل «وَلَيُبَيِّنَنَّ» أى و ليفصلن «لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ» أى فى صحته «تَخْتَلِفُونَ» و ليظهرن لكم حكمه حتى يعرف الحق من الباطل «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً» أى لجعلكم مهتدين يعنى به مشيئه القدره كما قال «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى» «وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ» بالخذلان أو بالحكم عليه بالضلال «وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» بالتوفيق و بالحكم عليه بالهدايه و قد ذكرنا معانى الضلال و الهدى فى سوره البقره «وَلَتَشِئَنَّ لَنَا عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» من الطاعات و المعاصى فستجازون على كل منهما بقدره «وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ» نهى سبحانه عن الحلف على أمر يكون باطنه بخلاف ظاهره فيضمم خلاف ما يظهر أى يضمم الخلف و الحنث فيه «فَتَزَلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا» هذا مثل ضربه الله تعالى و معناه فتضلوا عن الرشده بعد أن تكونوا على هدى يقال زل قدم فلان فى أمر كذا إذا عدل عن الصواب و قيل أنها نزلت فى الذين بايعوا رسول الله ص على نصره الإسلام و أمله فنهوا عن نقض ذلك «وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» أى تذوقوا العذاب بما منعتهم الناس عن اتباع دين الله «وَلَكُمْ» مع ذلك «عَذَابٌ عَظِيمٌ» يريد عذاب الآخره و روى عن سلمان الفارسى "ره" أنه قال تهلك هذه الأمة بنقض موثيقها و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال نزلت هذه الآيات فى ولايه على (عليه السلام) و ما كان من قول رسول الله ص سلموا على

على يامره المؤمنين.

النظم

وجه اتصال قوله «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً» الآيه بما قبله أنه أخبر في الآيه المتقدمه أنه يبين لهم في الآخره الحق من الباطل و المحق من المبطل بيان ضروره فأخبر عقيب ذلك أنه يقدر على ذلك أيضا في الدنيا و لكنه لم يفعل ذلك ليستحق الناس الثواب بأعمالهم.

[سوره النحل (١٦): الآيات ٩٥ الى ١٠٠]

اشاره

وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩٥) مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٦) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧) فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩)

إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠)

القراءه

قرأ أبو جعفر و ابن كثير و عاصم «وَلَنَجْزِيَنَّهُ» بالنون و الباقون بالياء و روى عياش عن أبي عمرو بالنون أيضا.

الحجه

حجه الياء «وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ» و النون في المعنى مثل الياء.

اللغه

النفاد الفناء و نفذ الشىء ينفذ نفادا إذا فنى و أنفذ القوم إذا فنى زادهم و نافدت الرجل مثل حاكمته و معناه يرجع إلى أن كل واحد من الخصمين يريد نفاد حجه الآخر و منه

الحديث إن نافدتهم نافدوك

و من الناس من يرويه بالقاف و المعنى إن قلت قالوا لك و الباقي هو الموجود المستمر وجوده و قيل الموجود عن وجود من غير فصل و ضده الفانى و هو المعدوم

بعد الوجود و اختلف المتكلمون فى الباقي فقال البلخى إنه يبقى بمعنى هو بقاء و قال الأكثرون لا يحتاج إلى معنى به يبقى و البقاء هو استمرار الوجود و الاستعاذه طلب المعاذ استفعال من العوذ و العياذ و الله سبحانه معاذ من عاذ به و

قال النبى ص للمرأة التى قالت له أعوذ بالله منك لقد عدت بمعاذ فألحقى بأهلك

و أصل السلطان من التسلط و هو القهر و إنما سميت الحجة سلطانا لأن الخصم به يقهر و قيل اشتق من السليط و هو دهن الزيت و سميت الحجة سلطانا لإضاءتها و فى الحديث عن ابن عباس أ رأيت عليا و كأن عينيه سراجا سليط.

الإعراب

ما عند الله اسم أن و هو فصل و خير و خبره و ما عندكم مبتدأ و ينفذ خبره و كذلك ما عند الله باق و إنما قال «وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ» بلفظ الجمع لأن لفظ من يقع على الواحد و الجمع فرد الضمير على المعنى.

النزول

قال ابن عباس إن رجلا من حضرموت يقال له عبدان الأشرع قال يا رسول الله إن امرء القيس الكندى جاورنى فى أرضى فاقطع من أرضى فذهب بها منى و القوم يعلمون إنى لصادق و لكنه أكرم عليهم منى فسأل رسول الله ص امرء القيس عنه فقال لا أدرى ما يقول فأمره أن يحلف فقال عبدان إنه فاجر لا يبالي أن يحلف فقال إن لم يكن لك شهود فخذ بيمينه فلما قام ليحلف أنظره فانصرفا فنزل قوله «وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ» الآيتان فلما قرأهما رسول الله ص قال امرؤ القيس أما ما عندى فينفذ و هو صادق فيما يقول لقد اقتطعت أرضه و لم أدر كم هى فليأخذ من أرضى ما شاء و مثلها معها بما أكلت من ثمرها فنزل فيه «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا» الآية.

المعنى

لما تقدم النهى عن نقض العهد أكد سبحانه فقال «وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا» أى لا تخالفوا عهد الله بسبب شىء يسير تنالونه من حطام الدنيا فتكونوا قد بعتم عظيم ما عند الله بالشىء الحقيق «إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ» معناه إن الذى عند الله من الثواب على الوفاء بالعهد خير لكم و أشرف مما تأخذونه من عرض الدنيا على نقضها فإن القليل الذى يبقى خير من الكثير الذى يفنى فكيف بالكثير الذى يبقى فى مقابله القليل الذى يفنى «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» الفرق بين الخير و الشر و التفاوت الذى بين القليل الفانى و الكثير الباقي «مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ» بين سبحانه بهذا أن العله التى لأجلها كان الثواب خيرا من متاع الدنيا هو أن الثواب الذى عند الله يبقى و الذى عندكم من نعيم الدنيا يفنى ثم أخبر سبحانه أنه يجزى الصابرين فقال «وَلَنَجْزِيَنَّهُمُ الَّذِينَ صَبَرُوا» أى لنكافئن الذين ثبتوا على الطاعات و على الوفاء بالعهد «أَجْرَهُمْ» و ثوابهم «بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أى

بالطاعات من الواجبات و المندوبات فإن أفعال المكلف قد تكون طاعة و قد تكون مباحا لا يقع الجزاء عليه و لا يستحق عليه أجر و لا حمد فلذلك قال سبحانه «بِأَحْسَنِ» فإن الطاعة أحسن من المباح و هذا يدل على فساد قول من يقول إنه لا يكون حسن أحسن من حسن «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ» هذا وعد من الله سبحانه أى من عمل عملا صالحا سواء كان ذكرا أو أنثى و هو مع ذلك مؤمن مصدق بتوحيد الله مقرر بصديق أنبيائه «فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً» قيل فيه أقوال (أحدها) أن الحياه الطيبه الرزق الحلال عن ابن عباس و سعيد بن جبير و عطاء (و ثانيها)

أنها القناعه و الرضا بما قسم الله عن الحسن و وهب و روى ذلك عن النبي ص

(و ثالثها) أنها الجنه عن قتاده و مجاهد و ابن زيد قال الحسن لا يطيب لأحد حياه إلا فى الجنه و قال ابن زيد ألا ترى إلى قوله يا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (و رابعها) أنها رزق يوم بيوم (و خامسها) أنها حياه طيبه فى القبر «وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» مر تفسيره و إنما كرره تأكيدا «فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» معناه إذا أردت يا محمد قراءة القرآن فاستعد بالله من شر الشيطان المرجوم المطرود الملعون و هذا كما يقال إذا أكلت فاغسل يديك و إذا صليت فكبر و منه إذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ و الاستعاذه استدفاع الأدنى بالأعلى على وجه الخضوع و التذلل و تأويله استعد بالله من وسوسه الشيطان عند قراءة تك لتسلم فى التلاوه من الزلل و فى التأويل من الخطل و الاستعاذه عند التلاوه مستحبه غير واجبه بلا خلاف فى الصلاه و خارج الصلاه و قد تقدم ذكر اختلاف القراءة فى لفظ الاستعاذه فى أول الفاتحه «إِنَّهُ» يعنى الشيطان «لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ» أى تسلط و قدره «عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا» بالله «وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» و المعنى أنه لا يقدر على أن يكرههم على الكفر و المعاصى و قيل معناه ليس له حجه على ما يدعوهم إليه من المعاصى عن قتاده «إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ» معناه إنما تسلطه على الذين يطيعونه فيقبلون دعاءه و يتبعون إغواءه «وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ» أى بسبب طاعته «مُشْرِكُونَ» بالله و قيل معناه و الذين هم بالله مشركون أى يشركون مع الله سبحانه غيره فى العباده عن مجاهد.

النظم

اتصل قوله «فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ» الآيات بما قدمه سبحانه من الأمر بالطاعات فعقب ذلك بالاستعاذه من الشيطان الأمر بالمعاصى تحذيرا منه و إنما خص بالقرآن لأن القرآن هو العمده فى جميع أمور الدين و قيل اتصل بقوله «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ» ثم اعترض ذكر الأوامر و النواهي ثم عاد الكلام إلى ذكر القرآن و الأمر بالاستعاذه عند قراءة ته.

ص: ١٧٨

إشارة

وَ إِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزَّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هُدًى وَ بُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢) وَ لَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَ هَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (١٠٣) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (١٠٥)

القراءة

قرأ يلحدون بفتح الياء و الحاء أهل الكوفة غير عاصم و الباقون «يُلْحِدُونَ» بضم الياء و كسر الحاء و روى في الشواذ عن الحسن اللسان الذي يلحدون إليه بالألف و اللام.

الحج

حجه من قرأ يلحدون قوله «وَ مَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ» و من قرأ يلحدون فلأن لحد لعه في ألد و ذلك إذا مال و منه أخذ اللحد لأنه في جانب القبر و يكون الضم أرجح من حيث لعه التنزيل.

اللغة

التبديل في اللغة رفع الشىء مع وضع غيره مكانه يقال بدله و أبدله و استبدل به بمعنى و اللسان العضو المعروف و يقال للغة اللسان و تقول العرب للقصيد هذه لسان فلان قال الشاعر:

لسان السوء تهديها إلينا و حنت و ما حسبتك أن تجينا

. المعنى

ثم قال سبحانه مخبرا عن أحوال الكفار «وَ إِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ» معناه.

و إذا نسخنا آيه و آتيتنا مكانها آيه أخرى إما نسخ الحكم و التلاوه و إما نسخ الحكم مع بقاء التلاوه «و الله أعلم بما ينزل» معناه و الله أعلم بمصالح ما ينزل فينزل كل وقت ما توجه المصلحه و قد تختلف المصالح باختلاف الأوقات كما تختلف باختلاف الأجناس و الصفات «قالوا إنما أنت مفتري» أى قال المشركون إنما أنت كاذب على الله قال ابن عباس كانوا يقولون يسخر محمد بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر و غدا يأمرهم بأمر و إنه لكاذب يأتيهم بما يقول من عند نفسه «بل أكثرهم لا يعلمون» أى لا يعلمون أنه من عند الله أو لا يعلمون جواز النسخ و لأى سبب ورد النسخ «قل» يا محمد «نزله روح القدس» أى أنزل الناسخ جبرائيل (عليه السلام) «من ربك بالحق» أى بالأمر الحق الصحيح الثابت «لثبت الذين آمنوا» بما فيه من الحجج و الآيات فيزدادوا تصديقا و يقينا و معنى تبيته استدعاؤه لهم بالطافه و معونته إلى الثبات على الإيمان و الطاعة «و هدى» أى و هو هدى فيكون هدى خبر مبتدأ محذوف «و بشرى للمسلمين» أى بشاره لهم بالجنه و الثواب «و لقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر» يقول سبحانه أنا نعلم أن الكفار يقولون إن القرآن ليس من عند الله و إنما يعلم النبي ص بشر قال ابن عباس قالت قريش إنما يعلمه بلعام و كان قينا بمكه روميا نصرانيا و قال الضحاك أراد به سلمان الفارسي (ره) قالوا إنه يتعلم القصص منه و قال مجاهد و قتاده أرادوا به عبدا لبنى الحضرمي روميا يقال له يعيش أو عائش صاحب كتاب أسلم و حسن إسلامه و قال عبد الله بن مسلم كان غلامان فى الجاهليه نصرانيان من أهل عين التمر اسم أحدهما يسار و اسم الآخر خير كانا صيقلين يقرآن كتابا لهما بلسانهم و كان رسول الله ص ربما مر بهما و استمع لقراءتهما فقالوا إنما يتعلم منهما ثم ألزمهم الله تعالى الحجه و أكذبهم بأن قال «لسان الذى يلدون إليه أعجمي» أى لغه الذى يضيفون إليه التعليم و يميلون إليه القول أعجميه و لم يقل عجمي لأن العجمي هو المنسوب إلى العجم و إن كان فصيحاً و الأعجمي هو الذى لا يفصح و إن كان عربيا ألا ترى أن سيويه كان عجميا و إن كان لسانه لسان اللغه العربيه و قيل يلدون إليه يرمون إليه و يزعمون أنه يعلمك أى لسان هذا البشر الذى يزعمون أنه يعلمك أعجمي لا يفصح و لا يتكلم بالعربيه فكيف يتعلم منه ما هو فى أعلى طبقات البيان «و هذا» القرآن «لسان عربى مبين» أى ظاهر بين لا يشكك يعنى إذا كانت العرب تعجز عن الإتيان بمثله و هو بلغتهم فكيف يأتى الأعجمي بمثله قال الزجاج و صفه بأنه عربى أى صاحبه يتكلم بالعربيه ثم أتبع سبحانه هذه الآيه بذكر الوعيد للكفار على ما قالوه فقال «إن الذين لا يؤمنون بآيات الله» أى بحجج الله التى أظهرها و المعجزات التى صدق بها قومك يا محمد «لا يهديهم الله و لهم عذاب أليم» أى لا يشبههم الله على الإيمان أو لا

يهديههم إلى طريق الجنة بدلالة أنه إنما نفى هدايه من لا يؤمن فالظاهر أنه أراد بذلك الهدى الذى يكون ثوابا على الإيمان لا الهدايه التى فى قوله «أَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ» ثم بين سبحانه أن هؤلاء هم المفترون فقال «إِنَّمَا يَفْتَرِى الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ» أى إنما يخترع الكذب الذين لا يصدقون بدلائل الله تعالى دون من آمن بها لأن الإيمان يحجز عن الكذب «وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ» لا أنت يا محمد فحصر فيهم الكذب بمعنى أن الكذب لازم لهم وعاده من عاداتهم وهذا كما تقول كذبت و أنت كاذب فيكون قولك أنت كاذب زياده فى الوصف بالكذب وفى الآيه زجر عن الكذب حيث أخبر سبحانه أنه إنما يفتري الكذب من لا يؤمن وقد

روى مرفوعا أنه قيل يا رسول الله مؤمن يزنى قال قد يكون ذلك قيل يا رسول الله المؤمن يسرق قال قد يكون ذلك قيل يا رسول الله المؤمن يكذب قال لا ثم قرأ هذه الآيه.

النظم

قيل فى اتصال قوله «وَ إِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ» بما تقدم وجهان (أحدهما) أنه من تمام صفه أولياء الشيطان المذكورين فى قوله «عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ» و تقديره يتولون الشيطان و يشركون بالآيه المنزله و يقولون عند تبديل الآيه مكان الآيه الأخرى «إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ» (و الآخر) أن الآيه منقطعه عما قبلها و هى معطوفه على الآى المتقدمه التى فيها وصف أفعال الكافرين و الأول أوجه.

إشارة

مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَ لَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ سَمِعِهِمْ وَ أَبْصَارِهِمْ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٠٨) لَا- جَزَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٠٩) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَ صَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١١٠)

القراءة

قرأ ابن عامر فتنوا بفتح الفاء و التاء و الباقون «فُتِنُوا» بضم الفاء و كسر التاء.

الحجج

قال أبو علي حججه من قرأ «فُتِنُوا» أن الآية في المستضعفين المقيمين الذين كانوا بمكة و هم صهيب و عمار و بلال فتنوا و حملوا على الارتداد عن دينهم فمنهم من أعطى التقيه و عمار منهم فإنه ممن أظهر ذلك تقيه ثم هاجر و من قرأ فتنوا فيكون على معنى فتن نفسه بإظهار ما أظهر من التقيه فكأنه يحكى الحال التي كانوا عليها من إظهار ما أخذوا به من التقيه لأن الرخصه فيه لم تكن نزلت بعد و هى قوله «إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ» إلى قوله «إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ» و قوله «مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ».

الإعراب

قال الزجاج قوله «مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ» فى موضع رفع على البدل من الكاذبين و هو تفسير للكاذبين و لا يجوز أن يكون رفعا بالابتداء لأنه لا- خبر هاهنا للابتداء فإن قوله «مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ» ليس بكلام تام و قوله «فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ» خبر قوله «مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا» و قال الكوفيون من كفر شرط و جوابه يدل عليه جواب من شرح فكأنه قيل من كفر فعليه غضب من الله و هذا كقوله من يأتنا فمن يحسن نكرمه فجواب الأول محذوف و قوله «أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ» يجوز أن يكون فى موضع رفع على أن يكون قوله «لَا-» من «لَا جَزَمَ» ردا للكلام و المعنى و جب أنهم و يجوز أن يكون فى موضع نصب على أن يكون المعنى جرم فعلهم هذا أنهم الخاسرون و تكون لا- مزيده و يجوز أن يكون معناه لا- بد أنهم فيكون على حذف الجار أى لا بد من ذلك «ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ» خبر إن قوله «لَغَفُورٌ رَحِيمٌ» و هذا من باب ما جاء فى التنزيل إن فيه مكررا و كذلك الآية التى تأتى بعد «ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوَاءَ» الآية.

النزول

قيل نزل قوله «إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ» فى جماعه أكرهوا و هم عمار و ياسر أبوه و أمه سميه و صهيب و بلال و

خياب عذبوا و قتل أبو عمار و أمه و أعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا منه ثم أخير سبحانه بذلك رسول الله ص فقال قوم كفر عمار فقال ص كلا أن عمارا ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه و اختلط الإيمان بلحمه و دمه و جاء عمار إلى رسول الله ص و هو يبكي فقال ص ما وراءك فقال شر يا رسول الله ما تركت حتى نلت منك و ذكرت آلهتهم بخير فجعل رسول الله ص يمسح عينيه و يقول إن عادوا لك فعد لهم بما قلت

ص: ١٨٢

عن ابن عباس وقتاده وقيل نزلت في أناس من أهل مكة آمنوا وخرجوا يريدون المدينة فأدركهم قريش وفتنوهم فتكلموا بكلمة الكفر كارهين عن مجاهد وقيل أن ياسرا وسميه أبوى عمار أول شهيدين في الإسلام وقوله «مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ» و«مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صِدْرًا» وهو عبد الله بن سعد بن أبي سرح من بنى عامر بن لؤى و أما قوله «ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا» الآية فقيل إنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخى أبي جهل من الرضاعة و أبى جندل بن سهيل بن عمرو و الوليد بن المغيرة وغيرهم من أهل مكة فتنهم المشركون فأعطوهم بعض ما أرادوا ثم أنهم هاجروا بعد ذلك و جاهدوا فنزلت الآية فيهم.

المعنى

«مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ» اختلف في تقديره فقيل إن تقديره و تلخيص معناه من كفر بالله بأن يرتد عن الإسلام و شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله و لهم عذاب عظيم «إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ» فتكلم بكلمة الكفر على وجه التقيه مكرها «وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ» أى ساكن «بِالْإِيمَانِ» ثابت عليه فلا حرج عليه في ذلك و قيل إنه يتصل بما تقدم فمعناه إنما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه ثم استثنى من ذلك من أكره على ذلك و كان مطمئن القلب إلى الإيمان في باطنه فإنه بخلافه «وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صِدْرًا» أى من اتسع قلبه للكفر و طابت نفسه به «فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» و له العذاب في الآخرة ثم أشار سبحانه إلى العذاب العظيم فقال «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا» أى آثروا «الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» و التلذذ فيها و الركون إليها «عَلَى الْآخِرَةِ» عنى بذلك أنهم فعلوا ما فعلوه للدنيا طلبا لها دون طلب الآخرة «وَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» قد سبق معناه «أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ سَمِعِهِمْ وَ أَبْصَارِهِمْ» قد سبق معنى الطبع على القلوب و السمع و الأبصار في سورة البقرة «وَ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ» وصفهم بعموم الغفلة مع أن الخواطر تزعجهم لجهلهم عما يؤدي إليه حالهم في الآخرة و قيل أراد أنهم بمنزلة الغافلين فيكون تهجيناً لهم و ذمما ثم قال «لَا جَزْمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ» هذا تأكيد لحكم الخسار عليهم يعنى أنهم هم المغبونون إذ حرموا الجنة و نعيمها و عذبوا في النار «ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا» أى عذبوا في الله و ارتدوا على الكفر فأعطوهم بعد ما أرادوا ليسلموا من شرهم «ثُمَّ جَاهِدُوا» مع النبي ص «وَ صَبَرُوا» على الدين و الجهاد «إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا» أى من بعد تلك الفتنة أو تلك الفعلة التي فعلوها من التفوه بكلمة الكفر «لَعَفُورٌ رَحِيمٌ».

النظم

و اتصلت هذه الآية الأخيره بقوله «إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ»

فبين سبحانه حالهم بعد ما تخلصوا من المشركين و هاجروا و جاهدوا عن أبي مسلم و قيل إنه لما تقدم ذكر الخاسرين أتبعه سبحانه بذكر من ربحت صفقته و هو من هاجر و جاهد.

[سوره النحل (١٦): الآيات ١١١ الى ١١٥]

اشاره

يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَ تُؤْفَى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَ هُمْ لَا يُظَلِّمُونَ (١١١) وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢) وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَ هُمْ ظَالِمُونَ (١١٣) فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَ اشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٤) إِنْما حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَ مَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَ لَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١١٥)

القراءة

قرأ عباس بن الفضل عن أبي عمرو و الخوف بالنصب و الباكون بالجر و فى الشواذ قراءة الأعرج و ابن يعمر و ابن إسحاق و عمرو بن نعيم بن ميسره لما تصف ألسنتكم الكذب بالجر و قراءة مسلم بن محارب الكذب.

الحججه

من قرأ و الخوف بالنصب فإنه حملة على الإذاقه و الخوف لا يذاق على الحقيقه فحملة على اللباس أولى و قوله الكذب بالجر يكون على البدل من ما تصف و أما الكذب فهو وصف الألسنه و هو جمع كاذب أو كذوب.

اللغه

الأنعم جمع نعمه فهو مثل شده و أشد و قيل أن واحدها نعم فهو كغصن

و أغصن و قيل واحدها نعاء فيكون كبأساء و أبؤس و قوله «فَأَذَاقَهَا اللَّهُ» استعاره تقول العرب اركب هذا الفرس و ذقه أى اختبره قال الشماخ:

فذاق فأعطته من اللين جانبا كفى و لها أن يغرق السهم حاجز

يصف قوسا و قال الآخر:

و إن الله ذاق حلوم قيس فلما رأى خفتها قلاها

. الإعراب

«يَوْمَ تَأْتِي» منصوب على أحد شيئين إما على معنى أن ربك لغفور رحيم يوم تأتى و إما أن يكون على معنى العظة و التذكير أى اذكر يوم تأتى عن الزجاج.

المعنى

«يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ» أراد به يوم القيامة «تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا» أى تخاصم الملائكة عن نفسها و تحتج بما ليس فيه حجه و تقول و الله ربنا ما كنا مشركين و يقول أتباعهم ربنا هؤلاء أضلونا فأتهم عذابا ضعفا من النار و يحتمل أن يكون المراد أنها تحتج عن نفسها بما تقدر به إزاله العقاب عنها «و تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ» أى جزاء ما عملت من خير و شر «و هُمْ لَا يُظْلَمُونَ» فى ذلك «و ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً» أى مثل قريه «كَانَتْ آمِنَةً» أى ذات أمن يأمن فيها أهلها لا يغار عليهم «مُطْمَئِنَّةً» قاره ساكنه بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال عنها بخوف أو ضيق «يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ» أى يحمل إليها الرزق الواسع من كل موضع و من كل بلد كما قال سبحانه يُجِيبُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ «فَكَفَّرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ» أى فكفر أهل تلك القريه بأنعم الله و لم يؤدوا شكرها «فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ» أى فأخذهم الله بالجوع و الخوف بصنيعهم و سوء فعالهم و سمي أثر الجوع و الخوف لباسا لأن أثر الجوع و الهزال يظهر على الإنسان كما يظهر اللباس و قيل لأنهم شملهم الجوع و الخوف كما يشمل اللباس و البدن و قيل إن هذه القريه هى مكه عن ابن عباس و مجاهد و قتاده عذبهم الله بالجوع سبع سنين حتى أكلوا القدر و العلهز و هو الوبر يخلط بالدم و القراد ثم يؤكل و هم مع ذلك خائفون و جلون من النبى ص و أصحابه يغيرون عليهم قوافلهم و ذلك حين

دعا النبى ص عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر و اجعل عليهم سنين كسنى يوسف

و قيل إنها قريه كانت قبل نبينا ص بعث الله إليهم نبيا

فكفروا بذلك النبي و قتلوه فعذبهم الله بعذاب الاستئصال «وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ» يعنى أهل مكة بعث الله عليهم رسولا من صميمهم ليتبعوه لا من غيرهم «فَكَذَّبُوهُ» و جحدوا نبوته «فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَ هُمْ ظَالِمُونَ» أى فى حال كونهم ظالمين و عذابهم ما حل بهم من الجوع و الخوف المذكورين فى الآيه المتقدمه و ما نالهم يوم بدر و غيره من القتل و من قال إن المراد بالقريه غير مكة قال هذه صورته القريه المذكوره ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال «فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا» صيغته صيغه الأمر و المراد به الإباحه أى كلوا مما أعطاكم الله من الغنائم و أهلها لكم «وَ اشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ» فيما خلقه لكم و أحله لكم «إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ» و هذه الآيه مع التى بعدها مفسره فى سورة البقره.

[سوره النحل (١٦): الآيات ١١٦ الى ١١٩]

إشاره

وَ لَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَ هَذَا حَرَامٌ لِنَفْسِنَا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١٧) وَ عَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا مَا كَصَحَّبْنَا عَلَىكَ مِنْ قَبْلُ وَ مَا ظَلَمْنَاهُمْ وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٨) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَ أَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١١٩)

الإعراب

«مَتَاعٌ قَلِيلٌ» خبر مبتدأ محذوف و تقديره متاعهم بهذا الذى فعلوه متاع قليل و تم الكلام عند قوله «لَا يُفْلِحُونَ».

المعنى

لما تقدم ذكر ما أحله الله سبحانه لهم و حرمة عليهم عقبه سبحانه بالنهى عن مخالفه أوامره و نواهيه فى التحليل و التحريم فقال «وَ لَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ» و تقديره لوصف ألسنتكم الكذب «هَذَا حَلَالٌ وَ هَذَا حَرَامٌ» أى لا تقولوا لما

حللتموه بأنفسكم مثل الميتة هذا حلال و لما حرمتموه مثل السائبه هذا حرام «لَتَفْتُرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ» أى لتكذبوا فى إضافه التحريم إليه «إِنَّ الَّذِينَ يَفْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ» أى لا ينجون من عذاب الله و لا ينالون خيرا «مَتَاعٌ قَلِيلٌ» معناه الذين هم فيه من الدنيا بشىء قليل ينتفعون به أياما قلائل «وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» فى الآخره «وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا» يعنى اليهود «حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ» يعنى بذلك ما ذكره فى سورة الأنعام من قوله «وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ» الآيه عن الحسن و قتاده و عكرمه و عنى بقوله «مِنْ قَبْلُ» نزول هذه الآيه لأن ما فى سورة الأنعام نزل قبل هذه الآيه «وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ» بتحريم ذلك عليهم «وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» بالعصيان و الكفر بنعم الله تعالى و الجحود بأنبيائه و استحقوا بذلك تحريم هذه الأشياء عليهم لتغيير المصلحه عند كفرهم و عصيانهم ثم ذكر سبحانه التائبين بعد تقدم الوعد و الوعيد فقال «ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ» الذى خلقك يا محمد «لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ» أى المعصيه «بِجَهَالِهِ» أى بداعى الجهل فإنه يدعو إلى القبيح كما أن داعى العلم يدعو إلى الحسن و قيل بجهاله السيئات أو بجهالتهم للعاقبه و قيل بجهاله أنها سوء و قيل بجهاله هو أن يعجل بالإقدام عليها و يعد نفسه التوبه عنها «ثُمَّ تَابُوا» عن تلك المعصيه «مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَ أَصْلَحُوا» نياتهم و أفعالهم «إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا» أى من بعد التوبه أو الجهاله أو المعصيه «لَغَفُورٌ رَحِيمٌ» و أعاد قوله «إِنَّ رَبَّكَ» للتأكيد و ليعود الضمير فى قوله «مِنْ بَعْدِهَا» إلى الفعله.

النظم

إنما اتصل قوله «وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ» بما تقدم ذكره من التحريم و التحليل ليبين أن ما كانوا يحرمونه و يحللونه بزعمهم ليس فى التوراه كما أنه ليس ذلك فى القرآن و قيل ليبين أنه إذا لم يحرم على اليهود جميع الطيبات بعصيانهم فكيف يحرم على المسلمين ذلك.

ص: ١٨٧

إشارة

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَ لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَ هَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢١) وَ آتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ إِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٣) إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ إِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٢٤)

المعنى

«إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً» اختلف في معناه فقيل قدوه و معلما للخير قال ابن الأعرابي يقال للرجل العالم أمه و هو قول أكثر المفسرين و قيل أراد إمام هدى عن قتاده و قيل سماه أمه لأن قوام الأمه كان به و قيل لأنه قام بعمل أمته و قيل لأنه انفرد في دهره بالتوحيد فكان مؤمنا وحده و الناس كفارا عن مجاهد «قَانِتًا لِلَّهِ» أى مطيعا له دائما على عبادته عن ابن مسعود و قيل مصليا عن الحسن «حَنِيفًا» أى مستقيما على الطاعة و طريق الحق و هو الإسلام «وَ لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» بل كان موحدا «شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ» أى لأنعم الله معترفا بها «اجْتَبَاهُ» الله أى اختاره الله و اصطفاه «وَ هَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أى دله إلى الدين المستقيم و هو الإسلام و التوحيد «وَ آتَيْنَاهُ» أى أعطيناه «فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً» أى نعمه سابغه في نفسه و فى أولاده و هو قول هذه الأمه كما صليت على إبراهيم و آل إبراهيم و قيل هى النبوه و الرساله عن الحسن و قيل هى أنه ليس من أهل دين إلا- و هو يرضاه و يتولاه عن قتاده و قيل هى تنويه الله بذكره بطاعته لربه و مسارعتة إلى مرضاته حتى صار إماما يقتدى به و يهتدى بهداه و قيل هى إجابة الله دعوته حتى أكرم بالنبوه ذريته «وَ إِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ» و لم يقل لفى أعلى منازل الصالحين مع اقتضاء حاله ذلك ترغيبا فى الصلاح فإنه عز اسمه بين أنه (عليه السلام) من جملة الصالحين مع علو رتبته و شرف منزلته تشريفا لهم و تنويها بذكر من هو منهم و ناهيك بهذا الترغيب فى الصلاح و بهذا المدح لإبراهيم (عليه السلام) أن يشرف جملة هو منها حتى يصير الاستدعاء إليها بأنه فيها «ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ» يا محمد «أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ» أى أمرناك باتباع مله إبراهيم «حَنِيفًا» أى مستقيم الطريقه فى الدعاء إلى توحيد الله و خلع الأنداد له و فى العمل بسنته «وَ مَا كَانَ» إبراهيم «مِنَ الْمُشْرِكِينَ» و متى قيل أن نبينا كان أفضل منه فكيف أمر الفاضل باتباع المفضول فجوابه أن إبراهيم (عليه السلام) سبق إلى اتباع الحق و لا يكون فى سبق المفضول إلى متابعه الحق زرايه على الفاضل فى اتباعه «إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ» معناه إنما جعل السبت لعنه و مسخا على الذين اختلفوا فيه و حرموه ثم استحلوه فلعنهم الله و مسخهم عن الحسن و يجوز أن يكون اختلافهم فيه أنهم نهوا عن الصيد فيه فنصبوا الشباك يوم الجمعة و دخل فيه السمك يوم السبت و أخذوه يوم الأحد

وقيل معناه إنما فرض تعظيم السبب على الذين اختلفوا في أمر الجمعة و هم اليهود و كانوا قد أمروا بتعظيم الجمعة فعدلوا عما أمروا به عن مجاهد و ابن زيد و قيل إن الذين اختلفوا فيه هم اليهود و النصارى قال بعضهم السبب أعظم الأيام لأن الله سبحانه فرغ فيه من خلق الأشياء و قال الآخرون بل الأحد أعظم لأنه ابتداء بخلق الأشياء فيه فهذا اختلافهم «وَ إِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» من أمور دينهم و يفصل بين المحق و المبطل منهم.

النظم

وجه اتصال الآيه الأخيره بما قبلها أنه لما أمر سبحانه باتباع الحق حذر من الاختلاف فيه بما ذكر من أحوال المختلفين فى السبب كيف شدد عليهم فرضه و ضيق عليهم أمره و قيل إنه سبحانه رد على اليهود و النصارى دعوتهم أن إبراهيم كان منهم ثم رد عليهم فى هذه الآيه ما أوجبوه من تعظيم أمر السبب و أنه لا يجوز نسخه كما رد عليهم ذلك عن أبى مسلم.

[سوره النحل (١٦): الآيات ١٢٥ الى ١٢٨]

اشاره

ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥) وَ إِنَّ عَاقِبَتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦) وَ اصْبِرْ وَ مَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ لَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (١٢٨)

القراءه

قرأ ابن كثير وحده فى ضيق بكسر الضاد و كذلك فى النمل و الباقون بفتح الضاد.

الحجه

قال الزجاج من فتح أراد ضيق فخفف مثل سيد و هين و لين و يجوز أن يكون

بمعنى الضيق فيكون مصدرا قال أبو الحسن الضيق و الضيق لغتان في المصدر قال أبو علي ينبغي أن يحمل على أنه مصدر لأنك إذا حملته على أنه مخفف من ضيق فقد أقمت الصفه مقام الموصوف من غير ضروره و المعنى لا تكن فى ضيق أى لا يضيّق صدرك من مكرهم كما قال وَ ضَائِقٌ بِهِ صِدْرُكَ و ليس المراد لا تكن فى أمر ضيق قال أبو عبيده: الضيق بالكسر فى المعاش و المسكن و الضيق بالفتح فى القلب و قال على بن عيسى يقال فى صدرى ضيق من هذا الأمر بالفتح و هو أكثر من الكسر.

المعنى

ثم أمر سبحانه نبيه بالدعاء إلى الحق فقال «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ» أى ادع إلى دينه لأنه الطريق إلى مرضاته «بِالْحِكْمَةِ» أى بالقرآن و سمي القرآن حكمه لأنه يتضمن الأمر بالحسن و النهى عن القبيح و أصل الحكمه المنع و منه حكمه اللجام و إنما قيل لها حكمه لأنها بمنزله المانع من الفساد و ما لا ينبغي أن يختار و قيل أن الحكمه هى المعرفه بمراتب الأفعال فى الحسن و القبح و الصلاح و الفساد لأن بمعرفه ذلك يقع المنع من الفساد و الاستعمال للصدق و الصواب فى الأفعال و الأقوال «وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ» معناه الوعظ الحسن و هو الصرف عن القبيح على وجه الترغيب فى تركه و التهديد فى فعله و فى ذلك تليين القلوب بما يوجب الخشوع و قيل أن الحكمه هى النبوه و الموعظه الحسنه مواعظ القرآن عن ابن عباس «وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» أى ناظرهم بالقرآن و بأحسن ما عندك من الحجج و تقديره بالكلمه التى هى أحسن و المعنى اقتل المشركين و اصرفهم عما هم عليه من الشرك بالرفق و السكينه و لين الجانب فى النصيحه ليكونوا أقرب إلى الإجابة فإن الجدل هو قتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج و قيل هو أن يجادلهم على قدر ما يحتملونه كما

جاء فى الحديث أمرنا معاشر الأنبياء أن نكلم الناس على قدر عقولهم

«إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ» أى عن دينه «وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» أى القابلين للهدى و هو يأمرك فى الفريقين بما فيه الصلاح «وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ» معناه و إن أردتم معاقبه غيركم على وجه المجازاه و المكافاه فعاقبوا بقدر ما عوقبتم به و لا تزيدوا عليه و قالوا إن المشركين لما مثلوا بقتلى أحد و بحمزه بن عبد المطلب فشقوا بطنه و أخذت هند بنت عتبة كبده فجعلت تلوكه و جدعوا أنفه و أذنه و قطعوا مذاكيره قال المسلمون لئن أمكنا الله منهم لنمثلن بالأحياء فضلا عن الأموات فنزلت الآيه عن الشعبى و قتاده و عطا بن يسار و قيل إن الآيه عامه فى كل ظلم كغضب أو نحوه فإنما يجازى بمثل ما عمل عن مجاهد و ابن سيرين و إبراهيم و قال الحسن نزلت الآيه قبل أن يؤمر النبى ص بقتال المشركين على العموم و أمر بقتال من قاتله و نظيره قوله «فَإِنْ قَاتَلْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ» «وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ» أى تركتم المكافاه و القصاص و جرعتم

مرارته «لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ» معناه الصبر خير و أنفع للصابرين لما فيه من جزيل الثواب «وَ اصْبِرْ» يا محمد فيما تبلغه من الرساله و فيما تلقاه من الأذى و قيل معناه اصبر على ما يجب الصبر عليه و عما يجب الصبر عنه «وَ مَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ» أى و ليس صبرك إلا- بتوفيق الله و إقداره و تيسيره و ترغيبه فيه «وَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ» أى و لا تحزن على المشركين فى إعراضهم عنك فإنه يكون الظفر و النصره لك عليهم و لا عتب عليك فى إعراضهم فقد بلغت ما أمرت به و قضيت ما عليك و قيل معناه و لا تحزن على قتلى أحد فإن الله تعالى قد نقلهم إلى ثوابه و كرامته «وَ لَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ» أى و لا يكن صدرك فى ضيق من مكرهم بك و بأصحابك فإن الله سبحانه يرد كيدهم فى نحورهم و يحفظكم من شرورهم «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا» الشرك و الفواحش و الكبائر بالنصره و الحفظ و الكلاءه «وَ» مع «الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ» قال الحسن اتقوا ما حرم عليهم و أحسنوا فيما فرض عليهم.

(١٧) سورة الإسراء مكيه و آياتها إحدى عشره و مائه (١١١)

إشاره

[توضيح]

هي مكيه كلها و قيل مكيه إلا خمس آيات «وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ» الآية «وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ» الآية «أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ» الآية «أَقِمِ الصَّلَاةَ» الآية «وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ» الآية عن الحسن و قيل مكيه إلا ثمانى آيات «وَأِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ» إلى قوله «وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ» الآية عن قتاده و المعدل عن ابن عباس.

عدد آياتها

مائه و إحدى عشره آيه كوفى و عشر آيات فى الباقيين.

اختلافها

آيه «لِللَّذْقَانِ سُجْدًا» كوفى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص أنه قال من قرأ سورة بنى إسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين أعطى فى الجنة قنطارين من الأجر و القنطار ألف أوقيه و مائتا أوقيه و الأوقيه منها خير من الدنيا و ما فيها

و

روى الحسن بن أبى العلاء عن الصادق (عليه السلام) أنه قال من قرأ سورة بنى إسرائيل فى كل ليله جمعه لم يمت حتى يدرك القائم و يكون من أصحابه.

تفسيرها

ختم الله تعالى سورة النحل بذكر النبى ص و افتتح سورة بنى إسرائيل أيضا بذكره و بيان إسرائه إلى المسجد الأقصى فقال:

ص: ١٩٢

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١) وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا (٢) ذُرِّيَّتَهُ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣)

القراءة

قرأ أبو عمرو وحده ألا يتخذوا بالياء و الباقون بالتاء.

الحجة

من قرأ بالياء فلأن ما تقدمه على لفظ الغيبة و المعنى هديناهم لأن لا يتخذوا و من قرأ بالتاء فلانصراف من الغيبة إلى الخطاب كما في قوله «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» ثم قال «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» و الضمير في «أَلَّا تَتَّخِذُوا» و إن كان على لفظ الخطاب فإنما يعنى به الغيب فى المعنى.

الإعراب

سبحان منصوب على المصدر على معنى أسبح لله تسيحاً قال أبو على من زعم أن ألا تتخذوا على إضمار القول فكأنه يراد قال أن لا تتخذوا لم يكن قوله هذا مستقيماً و ذلك لأن القول لا يخلو من أن يكون بعده جملة تحكى أو معنى جملة يعمل فيه لفظ القول فالأول كقوله قال زيد عمرو منطلق فموضع الجملة نصب بالقول و الآخر نحو أن يقول القائل لا إله إلا الله فتقول قلت حقا أن يقول الثلج حار فتقول قلت باطلا فهذا معنى ما قاله و ليس نفس المقول و قوله «أَلَّا تَتَّخِذُوا» خارج من هذين الوجهين ألا ترى أن لا- تتخذوا ليس هو القول كما أن قولك حقا إذا سمعت كلمة الإخلاص بمعنى القول و ليس قوله «أَلَّا تَتَّخِذُوا» الجملة فيكون كقولك قال زيد عمرو منطلق و يجوز أن تكون أن بمعنى أى التى للتفسير و انصرف الكلام فى الغيبة إلى الخطاب كما انصرف منها إلى الخطاب فى قوله «وَ انْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا» فى الأمر فكذلك انصرف فى الغيبة إلى الخطاب فى النهى فى أن لا تتخذوا و كذلك قوله «أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَ رَبَّكُمْ» فى وقوع الأمر بعد الخطاب و يجوز أن يضم القول و يحمل يتخذوا على القول المضمر إذا جعلت أن زائده فيكون التقدير و جعلناه هدى لبني إسرائيل و قلنا لا- تتخذوا فيجوز إذا فى قوله «أَلَّا تَتَّخِذُوا» ثلاثة أوجه (أحدها) أن تكون أن الناصبه للفعل فيكون المعنى و جعلناه هدى كراهه أن يتخذوا من دونى و كيلا أو لأن لا يتخذوا (و الآخر) أن يكون بمعنى أى لأنه بعد كلام تام فيكون التقدير أى لا تتخذوا (و الثالث) أن تكون أن زائده و يضم القول فأما قوله «ذُرِّيَّتَهُ مَنْ حَمَلْنَا» فإنه يجوز أن يكون مفعول الاتخاذ لأنه فعل يتعدى إلى مفعولين و أفرد الوكيل و هو فى معنى

الجمع لأن فعلا- يكون مفردا للفظ و المعنى على الجمع نحو قوله «وَ حَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا» فإذا حمل على هذا كان مفعولا ثانيا في قراءه من قرأ بالتاء و الياء و يجوز أن يكون نداء و ذلك على قراءه من قرأ بالتاء لأن النداء للخطاب و لو رفع ذريه على البدل من الضمير المرفوع في أن لا تتخذوا كان جائزا و يكون التقدير ألا تتخذوا ذريه من حملنا مع نوح من دوني و كيلا و لو جعلته مجردا بدلا من قولك بنى إسرائيل جاز و كان التقدير و جعلناه هدى لذريه من حملنا مع نوح.

النزول

قيل نزلت الآية في إسرائه و كان ذلك بمكه صلى المغرب في المسجد الحرام ثم أسرى به في ليلته ثم رجع فصلى الصبح في المسجد الحرام فأما الموضع الذى أسرى إليه أين كان فإن الإسرائ إلى بيت المقدس و قد نطق به القرآن و لا يدفعه مسلم و ما قاله بعضهم إن ذلك كان في النوم فظاهر البطلان إذ لا معجز يكون فيه و لا برهان و قد وردت روايات كثيرة في قصه المعراج في عروج نبينا ص إلى السماء و رواه كثير من الصحابه مثل ابن عباس و ابن مسعود و أنس و جابر بن عبد الله و حذيفه و عائشه و أم هانئ و غيرهم عن النبي ص و زاد بعضهم و نقص بعض و تنقسم جملتها إلى أربعة أوجه (أحدها) ما يقطع على صحته لتواتر الأخبار به و إحاطه العلم بصحته (و ثانيها) ما ورد في ذلك مما تجوزه العقول و لا تأباه الأصول فنحن نجوزه ثم نقطع على أن ذلك كان في يقظته دون منامه (و ثالثها) ما يكون ظاهره مخالفا لبعض الأصول إلا أنه يمكن تأويلها على وجه يوافق المعقول فالأولى أن ناوله على ما يطابق الحق و الدليل (و رابعها) ما لا يصح ظاهره و لا يمكن تأويله إلا على التعسف البعيد فالأولى أن لا نقبله فأما الأول المقطوع به فهو أنه أسرى به على الجملة و أما الثانى فمنه ما روى أنه طاف في السماوات و رأى قوما في الجنة يتنعمون فيها و قوما في النار يعذبون فيها فيحمل على أنه رأى صفتهم أو أسماءهم (و أما) الرابع فنحو ما

روى أنه ص كلم الله سبحانه جهره و رآه و قعد معه على سريره

و نحو ذلك مما يوجب ظاهره التشبيه و الله سبحانه يتقدس عن ذلك و كذلك ما

روى أنه شق بطنه و غسله

لأنه ص كان طاهرا مطهرا من كل سوء و عيب و كيف يطهر القلب و ما فيه من الاعتقاد بالماء فمن جملة الأخبار الواردة في قصه المعراج ما

روى أن النبي ص قال أتانى جبرائيل (عليه السلام) و أنا بمكه فقال قم يا محمد فقمتم معه و خرجت إلى الباب فإذا جبرائيل و معه ميكائيل و إسرافيل فأتى جبرائيل (عليه السلام) بالبراق و كان فوق الحمار و دون البغل خده كخذ الإنسان و ذنبه كذنب البقر و عرفه كعرف الفرس

و قوائمه كقوائم الإبل عليه رحل من الجنة و له جناحان من فخذيه خطوه منتهى طرفه فقال اركب فركبت و مضيت حتى انتهيت إلى بيت المقدس ثم ساق الحديث إلى أن قال فلما انتهيت إلى بيت المقدس إذا ملائكه نزلت من السماء بالبشاره و الكرامه من عند رب العزه و صليت في بيت المقدس و في بعضها بشر لى إبراهيم في رهط من الأنبياء ثم وصف موسى و عيسى ثم أخذ جبرائيل (عليه السلام) بيدي إلى الصخره فأقعدهني عليها فإذا معراج إلى السماء لم أر مثلها حسنا و جمالا فصعدت إلى السماء الدنيا و رأيت عجائبها و ملكوتها و ملائكتها يسلمون على ثم صعد بي جبرائيل إلى السماء الثانيه فرأيت فيها عيسى بن مريم و يحيى بن زكريا ثم صعد بي إلى السماء الثالثه فرأيت فيها يوسف ثم صعد بي إلى السماء الرابعه فرأيت فيها إدريس ثم صعد به إلى السماء الخامسه فرأيت فيها هارون ثم صعد بي إلى السماء السادسه فإذا فيها خلق كثير يموج بعضهم في بعض و فيها الكروبيون ثم صعد بي إلى السابعه فأبصرت فيها خلقا و ملائكه

و

في حديث أبي هريره رأيت في السماء السادسه موسى و رأيت في السماء السابعه إبراهيم (عليه السلام) قال ثم جاوزناها متصاعدين إلى أعلى عليين و وصف ذلك إلى أن قال ثم كلمني ربي و كلمته و رأيت الجنة و النار و رأيت العرش و سدرة المنتهى ثم رجعت إلى مكه فلما أصبحت حدثت به بالناس فكذبني أبو جهل و المشركون و قال مطعم بن عدى أ تزعم أنك سرت مسيره شهرين في ساعه أشهد أنك كاذب قالوا ثم قالت قريش أخبرنا عما رأيت فقال مررت بعير بنى فلان و قد أضلوا بعيرا لهم و هم في طلبه و في رحلهم قعب مملوء من ماء فشربت الماء ثم غطيته كما كان فسألوهم هل وجدوا الماء في القحح قالوا هذه آيه واحده قال و مررت بعير بنى فلان فنفرت بكره فلان فانكسرت يدها فسألوهم عن ذلك فقالوا هذه آيه أخرى قالوا فأخبرنا عن غيرنا قال مررت بها بالتنعيم و بين لهم إجمالها و هيئاتها و قال تقدمها جمل أ ورق عليه قرارتان محيطتان و يطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا هذه آيه أخرى ثم خرجوا يشتمون نحو التيه و هم يقولون لقد قضى محمد بيننا و بينه قضاء بيننا و جلسوا ينتظرون متى تطلع الشمس فيكذبوه فقال قائل و الله إن الشمس قد طلعت و قال آخر و الله هذه الإبل قد طلعت يقدمها بعير أ ورق فبهتوا و لم يؤمنوا

و

في تفسير العياشى بالإسناد عن أبي بكر عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال لما أسرى برسول الله ص إلى السماء الدنيا لم يمر بأحد من الملائكه إلا- استبشر قال ثم مر بملكك حزين كئيب فلم يستبشر به فقال يا جبرائيل ما مررت بأحد من الملائكه إلا استبشر بي إلا هذا الملك فمن هذا فقال هذا مالك خازن جهنم

و هكذا جعله الله قال فقال له النبي ص يا جبرائيل اسأله أن يرينها قال فقال جبرائيل (عليه السلام) يا مالك هذا محمد رسول الله ص و قد شكا إلى فقال ما مررت بأحد من الملائكة إلا استبشر بي إلا هذا فأخبرته أن هكذا جعله الله و قد سألتني أن أسألك أن تريه جهنم قال فكشف له عن طبق من أطباقها قال فما رئي رسول الله ص ضاحكا حتى قبض

و

عن أبي بصير قال سمعته يقول إن جبرائيل احتمل رسول الله حتى انتهى به إلى مكان من السماء ثم تركه و قال له ما وطأ نبي قط مكانك.

المعنى

«سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ» سبحان كلمه تنزيه و إبراء لله عز اسمه عما لا يليق به من الصفات و قد يراد به التعجب يعنى سبحان الذى سير عبده محمدا ص و هو عجب من قدره الله تعالى و تعجب ممن لم يقدر الله حق قدره و أشرك به غيره و سرى بالليل و أسرى بمعنى و قد عدى هنا بالباء و الوجه فى التأويل أنه إذا كان مشاهده العجب سببا للتسييح صار التسييح تعجبا فليل سبح أى عجب «لَيْلًا» قالوا كان ذلك الليل قبل الهجرة بسنه «مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» و قال أكثر المفسرين أسرى برسول الله ص من دار أم هانئ أخت على بن أبى طالب و زوجها هبيرة بن أبى وهب المخزومى و كان ص نائما تلك الليلة فى بيتها و إن المراد بالمسجد الحرام هنا مكة و مكة و الحرم كلها مسجد و قال الحسن و قتاده كان الإسراء من نفس المسجد الحرام «إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى» يعنى بيت المقدس و إنما قال الأقصى لبعده المسافه بينه و بين المسجد الحرام «الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ» أى جعلنا البركه فيما حوله من الأشجار و الأثمار و النبات و الأمن و الخصب حتى لا يحتاجوا إلى أن يجلب إليهم من موضع آخر و قيل باركنا حوله أى البركه فيما حوله بأن جعلناه مقر الأنبياء و مهبط الملائكة عن مجاهد و بذلك صار مقدسا عن الشرك لأنه لما صار متعبدا للأنبياء و دار مقام لهم تفرق المشركون عنهم فصار مطهرا من الشرك و التقديس التطهير فقد اجتمع فيه بركات الدين و الدنيا «لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا» أى من عجائب حججنا و منها إسراؤه فى ليله واحده من مكة إلى هناك و منها أن أراه الأنبياء واحدا بعد واحد و أن عرج به إلى السماء و غير ذلك من العجائب التى أخبر بها الناس «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ» لأقوال من صدق بذلك أو كذب «الْبَصِيرُ» بما فعل من الإسراء و المعراج «وَ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ» يعنى التوراه «وَ جَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ» أى و جعلنا التوراه حجه و دلاله و بيانا و إرشادا لبني إسرائيل يهتدون به «أَلَّا تَتَذَكَّرُوا مِنْ دُونِي وَ كَيْلًا» أى أمرهم أن لا يتخذوا من دونى معتمدا يرجعون إليه فى النوائب و قيل ربا يتوكلون عليه «ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ»

أى أولاد من حملنا مع نوح فى السفينه فأنجيناه من الطوفان و قد ذكرنا وجوه ذلك فى الإعراب و على هذا يدور المعنى «إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا» معناه أن نوحا كان عبدا لله كثير الشكر و كان إذا لبس ثوبا أو أكل طعاما أو شرب ماء حمد الله و شكر له و قال الحمد لله و قيل إنه كان يقول فى ابتداء الأكل و الشرب بسم الله و فى انتهائه الحمد لله و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) و أبى جعفر (عليه السلام) أن نوحا كان إذا أصبح و أمسى قال اللهم إني أشهدك أن ما أصبح أو أمسى بى من نعمه فى دين أو دنيا فممنك وحدك لا شريك لك لك الحمد و لك الشكر بها على حتى ترضى و بعد الرضى و هذا كان شكره.

النظم

وجه اتصال قوله «وَ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ» بما قبله أن المعنى فيه سبحانه الذى أسرى بمحمد ص و أراه الآيات كلها كما أرى موسى الآيات و المعجزات الباهرات و قيل إن معناه إن كونك نبيا ليس بيدع فقد آتيناك الكتاب و الحجج كما آتينا موسى التوراه فلم أقروا به و أنكروا أمرك و الطريق فيهما واحد و قيل إن معناه أنهم كفروا بموسى كما كفروا بما أخبرتهم به من إسرائك.

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٤ الى ٨]

إشاره

وَ قَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَ تَتَّغَلَّنَّ عَلْوًا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَ كَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَ أَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَيْنِنَ وَ جَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنَّ أَحْسَنَ نَسَبٍ أَحْسَنُ نَسَبٍ لَأَنْفُسِكُمْ وَ إِنْ أَسَاءْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ لِيَتَّبِعُوا مَا عَلَّمُوا تَتَّبِعُوا (٧) عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَ إِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَ جَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (٨)

ليسوء بفتح الهمزه شامى كوفى غير حفص إلا أن الكسائى يقرأ بالنون و الباقون «لَيْسُوْأ» بالياء و ضم الهمزه على وزن ليسوعوا و فى الشواذ قراءه ابن عباس لتفسدن بضم التاء و فتح السين و عيسى الثقفى لتفسدن بفتح التاء و ضم السين و

قراءه على (عليه السلام) عبيدا لنا

و قراءه أبى السماك فحاسوا بالحاء و قراءه أبى بن كعب ليسوء بالتنوين.

الحجه

من قرأ ليسوء بالياء ففاعل ليسوء يجوز أن يكون أحد شيئين إما اسم الله تعالى لأن الذى تقدم بعثنا و رددنا لكم و أمددناكم بأموال و بنين و إما البعث و دل عليه بعثنا المتقدم كقوله «لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ» أى البخل خيرا لهم و من قرأ لسوء بالنون كان فى المعنى كقول من قدر أن الفاعل ما تقدم من اسم الله تعالى و جاز أن ينسب المساءه إلى الله تعالى و إن كانت من الذين جاسوا خلال الديار فى الحقيقه لأنهم فعلوا المساءه بقوه الله تعالى فجاز أن ينسب إليه و أما قوله «لَيْسُوْأ» فمعناه إذا جاء وعد الآخره أى وعد المره الأخرى ليسوؤا و جوهكم فحذف بعثناهم لأن ذكره قد تقدم و الحجه فى ليسوؤا أنه أشبه بما قبله و ما بعده أ لا ترى أن قبله ثم بعثناهم و بعده ليدخلوا المسجد الحرام و المبعوثون فى الحقيقه هم الذين يسوءونهم بقتلهم إياهم و أسرهم لهم فهو وفق المعنى و قال «وَجُوهَكُم» على أن الوجوه مفعول به ليسوء و عدى إلى الوجوه لأن الوجوه قد يراد به ذو الوجوه كقوله «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» و قوله «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ» و «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ» و قال النابغه:

أقارع عوف لا أحاول غيرها وجوه قروود تبتغى من تجادع

و أما قراءه أبى ليسوء فالوجه فيه على قول ابن جنى أن يكون على حذف الفاء كما يقال إذا سألتنى فلأعطك كأنك تأمر نفسك و معناه فلأعطينك و اللامان بعده للأمر أيضا و هما «وَلْيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ» «وَلْيَتَّبِعُوا» و يقوى ذلك أنه لم يأت لإذا جواب فيما بعد و أما من قرأ لتفسدن و لتفسدن فأحدى القراءتين شاهده للأخرى لأن من أفسد فقد فسد و أما حاسوا فمعناه معنى جلسوا بعينه.

اللغه

القضاء فصل الأمر على إحكام و منه سمي القاضى ثم يستعمل بمعنى الخلق و الإحداث كما قال فَفَضَاهُنَّ سَبَّحَ سَمَاوَاتٍ و بمعنى الإيجاب كما قال وَ قَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ و بمعنى الإعلام و الإخبار بما يكون من الأمر و هو المعنى هاهنا و أصله الإحكام و العلو

الارتفاع و علا فلان الشىء إذا أطاقه و يقال علا فى المكارم يعلى علا فهو على و علا فى المكان يعلو علوا فهو عال و الجوس التخلل فى الديار يقال تركت فلانا يجوس بنى فلان و يجوسهم و يدوسهم أى يطأهم قال أبو عبيد: كل موضع خالطته و وطئته فقد حسته و جستته قال حسان:

و منا الذى لاقى بسيف محمد فجاس به الأعداء عرض العساكر

و قيل الجوس طلب الشىء باستقصاء و الكره معناه الرجعه و الدوله و النفير العدد من الرجال قال الزجاج: و يجوز أن يكون جمع نفر كما قيل العبيد و الضئيين و المعيز و الكليب و نفر الإنسان و نفره و نفيره و نافرته رهطه الذين ينصرونه و ينفرون معه و التتبير الإهلاك و التبار و الهلاك و الدمار واحد و كل ما يكسر من الحديد و الذهب تبر و الحصير الحبس و يقال للملك حصير لأنه محجوب قال لبيد:

و قماقم غلب الرقاب كأنهم جن لدى باب الحصير قيام

و الحصير البساط المرمول لحصر بعضه على بعض بذلك الضرب من النسج.

المعنى

لما تقدم أمره سبحانه لبنى إسرائيل عقب ذلك بذكر ما كان منهم و ما جرى عليهم فقال «وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ» أى أخبرناهم و أعلمناهم «فِي الْكِتَابِ» أى فى التوراه «لَتَفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ» أى حقا لا شك فيه أن خلافكم سيفسدون فى البلاد التى تسكنونها كرتين و هى بيت المقدس و أراد بالفساد الظلم و أخذ المال و قتل الأنبياء و سفك الدماء و قيل كان فسادهم الأول قتل زكريا و الثانى قتل يحيى بن زكريا عن ابن عباس و ابن مسعود و ابن زيد قالوا ثم سلط الله عليهم سابور ذا الأكتاف ملكا من ملوك فارس فى قتل زكريا و سلط عليهم فى قتل يحيى بخت نصر و هو رجل خرج من بابل و قيل الفساد الأول قتل شعيا و الثانى قتل يحيى و إن زكريا مات حتف أنفه عن محمد بن إسحاق قال و أتاهم فى الأول بخت نصر و فى الثانى ملك من ملوك بابل و قيل كان الأول جالوت فقتله داود (عليه السلام) و الثانى بخت نصر عن قتاده و قيل أنه سبحانه ذكر فسادهم فى الأرض و لم يبين ما هو فلا يقطع على شىء مما ذكر عن أبى على الجبائى «وَلَتَعْلَنَّ عُلوًّا كَبِيرًا» أى و لتستكبرن و لتظلمن الناس

ظلما عظيما و العلو نظير العتو هنا و هو الجراه على الله تعالى و التعرض لسخطه «فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا» معناه فإذا جاء وقت أولى المرتين اللتين تفسدون فيهما و الوعد هنا بمعنى الموعود و وضع المصدر موضع المفعول به أى إذا جاء وقت الموعود لإفسادكم فى المره الأولى «بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ» أى سلطنا عليكم عبادا لنا أولى شوكة و قوه و نجده و خلينا بينكم و بينهم خاذلين لكم جزاء على كفركم و عتوكم و هو مثل قوله «أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَسُّوهُمْ أَرْزًا» عن الحسن و قيل معناه أمرنا قوما مؤمنين بقتالكم و جهادكم لأن ظاهر قوله تعالى «عِبَادًا لَنَا» و قوله «بَعَثْنَا» يقتضى ذلك عن الجبائى و قيل يجوز أن يكونوا مؤمنين أمرهم الله بجهاد هؤلاء و يجوز أن يكونوا كافرين فتألفهم نبى من الأنبياء لحرب هؤلاء و سلطهم على نظرائهم من الكفار و الفساق عن أبى مسلم «فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ» أى فطافوا وسط الديار يترددون و ينظرون هل بقى منهم أحد لم يقتلوه عن الزجاج «وَ كَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا» أى موعودا كائنا لا خلف فيه «ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ» أى رددنا لكم يا بنى إسرائيل الدوله و أظهرناكم عليهم و عاد ملككم على ما كان عليه «وَ أَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَيْنَ» أى و أكثرنا لكم أموالكم و أولادكم و رددنا لكم العده و القوه «وَ جَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا» أى أكثر عددا و أنصارا من أعدائكم «إِنَّ أَحْسَنَ نَّتْمٍ أَحْسَنَ نَّتْمٍ لِأَنْفُسِكُمْ» معناه إن أحسنتم فى أقوالكم و أفعالكم فنفخ إحسانكم عائد عليكم و ثوابه واصل إليكم تنصرون على أعدائكم فى الدنيا و تثابون فى العقبى «وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا» معناه و إن أسأتم فقد أسأتم إلى أنفسكم أيضا لأن مضره الإساءه عائده إليها و إنما قال فلها على وجه التقابل لأنه فى مقابله قوله «إِنَّ أَحْسَنَ نَّتْمٍ أَحْسَنَ نَّتْمٍ لِأَنْفُسِكُمْ» كما يقال أحسن إلى نفسه ليقابل أساء إلى نفسه و لأن معنى قولك أنت منتهى الإساءه و أنت المختص بالإساءه متقارب فلذلك وضع اللام موضع إلى و قيل إن قوله «فَلَهَا» بمعنى فعلها كقوله تعالى لَهُمُ اللَّعْنَةُ* أى عليهم اللعنه و قيل معناه فلها الجزاء و العقاب و إذا أمكن حمل الكلام على الظاهر فالأولى أن لا يعدل عنه و هذا الخطاب لبنى إسرائيل ليكون الكلام جاريا على النسق و النظام و يجوز أن يكون خطابا لأمه نبينا ص فيكون اعتراضا بين القصة كما يفعل الخطيب و الواعظ يحكى شيئا ثم يعظ ثم يعود إلى الحكايه فكأنه لما بين أن بنى إسرائيل لما علوا و بغوا فى الأرض سلط عليهم قوما ثم لما تابوا قبل توبتهم و أظفرهم على عدوهم خاطب أمتنا بأن من أحسن عاد نفع إحسانه إليه و من أساء عاد ضرره إليه ترغيبا و ترهيبا «فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ» أى وعد المره الأخرى من قوله «لَتَنفُسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ» و المراد به جاء وعد الجزاء على الفساد فى الأرض فى

المره الأخيره أو جاء وعد فسادكم فى الأرض فى المره الأخيره أى الوقت الذى يكون فيه ما أخبر الله عنكم من الفساد و العدوان على العباد «لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ» أى غزاكم أعداؤكم و غلبوكم و دخلوا دياركم ليسوؤكم بالقتل و الأسر يقال سئته أسوءه مساءه و مسائيه و سوائيه إذا أحرزته و قيل معناه ليسوؤا كبراءكم و رؤساءكم و فى مساءه الأكابر و إهانتهم مساءه الأصاغر «وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ» أى بيت المقدس و نواحيه فكنى بالمسجد و هو المسجد الأقصى عن البلد كما كنى بالمسجد الحرام عن الحرم و معناه و ليستولوا على البلد لأنه لا يمكنهم دخول المسجد إلا بعد الاستيلاء «كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ» دل بهذا على أن فى المره الأولى قد دخلوا المسجد أيضا و إن لم يذكر ذلك و معناه و ليدخل هؤلاء المسجد كما دخله أولئك أول مره «وَ لِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتَبِيرًا» أى و ليدمروا و يهلكوا ما غلبوا عليه من بلادكم تدميرا و يجوز أن يكون ما مع الفعل بتأويل المصدر و المضاف محذوف أى ليتبروا مده علوهم «عَسَى رَبُّكُمْ» يا بنى إسرائيل «أَنْ يَزَحْمَكُمْ» بعد انتقامه منكم إن تبتم و رجعتم إلى طاعته «وَ إِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا» معناه و إن عدتم إلى الفساد عدنا بكم إلى العقاب لكم و التسليط عليكم كما فعلناه فيما مضى عن ابن عباس قال إنهم عادوا بعد الأولى و الثانيه فسلط الله عليهم المؤمنين يقتلونهم و يأخذون منهم الجزية إلى يوم القيامة «وَ جَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا» أى سجنا و محبسا عن ابن عباس.

[القصة]

اختلف المفسرون فى القصة عن هاتين الكرتين اختلافا شديدا فالأولى أن نورد من جملتها ما هو الأهم على سبيل الإيجاز قالوا لما عتا بنو إسرائيل فى المره الأولى سلط الله عليهم ملكك فارس و قيل بخت نصر و قيل ملكا من ملوك بابل فخرج إليهم و حاصرهم و فتح بيت المقدس و قيل إن بخت نصر ملك بابل بعد سنحاريب و كان من جيش نمرود و كان لزانیه لا أب له فظهر على بيت المقدس و خرب المسجد و أحرق التوراه و ألقى الجيف فى المسجد و قتل على دم يحيى سبعين ألفا و سبى ذراريهم و أغار عليهم و أخرج أموالهم و سبى سبعين ألفا و ذهب بهم إلى بابل فبقوا فى يده مائه سنه يستعبدهم المجوس و أولادهم ثم تفضل الله عليهم بالرحمه فأمر ملكا من ملوك فارس عارفا بالله سبحانه و تعالى فردهم إلى بيت المقدس فأقاموا به مائه سنه على الطريق المستقيم و الطاعه و العباده ثم عادوا إلى الفساد و المعاصى فجاءهم ملك من ملوك الروم اسمه أنطياخوس فخرّب بيت المقدس و سبى أهله و قيل غزاهم ملك الروميه و سباهم عن حذيفه و قال محمد بن إسحاق كان بنو إسرائيل يعصون الله تعالى و فيهم الأحداث و الله يتجاوز عنهم و كان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم أن الله تعالى بعث إليهم شعيا قبل مبعث زكريا و شعيا هو الذى بشر بعيسى (عليه السلام) و بمحمد ص و كان

ص: ٢٠١

لبنى إسرائيل ملك كان شعيا يرشده و يسدده فمرض الملك و جاء سنحاريب إلى باب بيت المقدس بستمائه ألف رايه فدعا الله سبحانه شعيا فبرأ الملك و مات جمع سنحاريب و لم ينج منهم إلا خمسه نفر منهم سنحاريب فهرب و أرسلوا خلفه من أخذه ثم أمر سبحانه بإطلاقه ليخبر قومه بما نزل بهم فأطلقوه و هلك سنحاريب بعد ذلك بسبع سنين و استخلف بخت نصر ابن ابنه فلبث سبع عشره سنه و هلك ملك بنى إسرائيل و مرج أمرهم و تنافسوا فى الملك فقتل بعضهم بعضا فقام شعيا فيهم خطيبا و وعظهم بعظات بليغه و أمرهم و نهاهم فهموا بقتله فهرب و دخل شجره فقطعوا الشجره بالمنشار فبعث الله إليهم أرميا من سبط هارون ثم خرج من بينهم لما رأى من أمرهم و دخل بخت نصر و جنوده بيت المقدس و فعل ما فعل ثم رجع إلى بابل بسبايا بنى إسرائيل و كانت هذه الدفعه الأولى و قيل أيضا أن سبب ذلك كان قتل يحيى بن زكريا و ذلك أن ملك بنى إسرائيل أراد أن يتزوج بنت امرأته فنهاه يحيى و بلغ أمها فحققت عليه و بعثته على قتله فقتله و قيل إنه لم يزل دم يحيى بن زكريا يغلى حتى قتل بخت نصر منهم سبعين ألفا أو اثنين و سبعين ألفا ثم سكن الدم و ذكر الجميع أن يحيى بن زكريا هو المقتول فى الفساد الثانى قال مقاتل كان بين فساد الأول و الثانى مائتا سنه و عشر سنين و قيل إنما غزا بنى إسرائيل فى المره الأولى بخت نصر و فى المره الثانى ملوك فارس و الروم و ذلك حين قتلوا يحيى فقتلوا منهم مائه ألف و ثمانين ألفا و خرب بيت المقدس فلم يزل بعد ذلك خرابا حتى بناه عمر بن الخطاب فلم يدخله بعد ذلك رومى إلا- خائفا و قيل إنما غزاهم فى المره الأولى جالوت و فى الثانى بخت نصر و الله أعلم

إشارة

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩) وَ أَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٠) وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَ كَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (١١) وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحْوِنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسَابَ وَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَ فَضْلِنَا هُوَ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (١٢)

اللغة

مبصره أى مضيئه منيره نيره قال أبو عمرو: أراد تبصر بها كما يقال ليل نائم و سر كاتم و قال الكسائي: العرب تقول أبصر النهار إذا أضاء و قيل المبصره التى أهلها بصراء فيها كما يقال رجل مخبث أى أهله خبثاء و مضعف أى أهله ضعفاء و لا يكتب الواو فى يدع فى المصحف و هى ثابتة فى المعنى.

الإعراب

«أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا» فتح أن على تقدير حذف الباء أى يبشرهم بأن لهم الجنة و أن الثانيه معطوفه عليها و لو كسرت على الاستئناف لجاز و إن لم يقرأ به أحد و أعتدنا أصله أعددنا فقلبت إحدى الدالين تاء فرارا من التضعيف إلى حرف من مخرج الدال «وَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَ فَضْلِنَا هُوَ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ» و هو قوله «فَصَلَّنَا» و التقدير و فصلنا كل شىء .

المعنى

«إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ» معناه إن هذا القرآن يهدى إلى الديانه و المله و الطريقه التى هى أشد استقامه يقال هذه الطريق و للطريق و إلى الطريق و قيل معناه يرشد إلى الكلمه التى هى أعدل الكلمات و أصوبها و هى كلمه التوحيد و قيل يهدى إلى الحال التى هى أعدل الحالات و هى توحيد الله و الإيمان به و برسله و العمل بطاعته عن الزجاج «وَ يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ» أى بأن لهم «أَجْرًا كَبِيرًا» أى ثوابا عظيما على طاعاتهم «وَ» يبشرهم أيضا ب «أَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ» أى بالنشأه الآخره «أَعْتَدْنَا لَهُمْ» أى هيأنا لهم «عَذَابًا أَلِيمًا» و هو عذاب النار و إنما سمي العذاب أجرا لأنه يستحق فى مقابله عمل كالأجره التى تجب فى مقابله عمل يعود نفعه إلى المستأجر و الثواب يستحق على الله تعالى و إن كان نفعه يعود إلى العامل لأنه سبحانه أوجب ذلك على نفسه فى مقابله عمل العبد فضلا منه و كرما «وَ يَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ» قيل فى معناه أقوال (أحدها) أن الإنسان ربما يدعو فى حال الزجر و الغضب على نفسه و أهله و ماله بما لا يجب أن يستجاب له فيه كما يدعو لنفسه بالخير فلو أجاب الله دعاءه لأهلكه لكنه لا يجيب بفضله و رحمته عن ابن عباس و الحسن و قتاده (و الآخر) أن معناه إن الإنسان قد يطلب الشر لاستعجاله المنفعه (و ثالثها) أن معناه و يدعو فى طلب المحظور كدعائه فى طلب المباح «وَ كَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا» يعجل بالدعاء فى الشر عجلته بالدعاء فى الخير عن مجاهد و قيل يريد ضجرا لا صبرا له على ضراء و لا على سراء

عن ابن عباس و روى عنه أيضا إنه أراد به آدم (عليه السلام) لما انتهت النفخة إلى سرته أراد أن ينهض فلم يقدر فشبه الله سبحانه ابن آدم بأبيه في الاستعجال و طلب الشيء قبل وقته «وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ» أى دالتين يدلان على

ص: ٢٠٣

وحدانيه خالقهما لما فى كل واحد منهما من الفوائد من الكسب بالنهار و الاستراحه بالليل و الزيادة فى أجزاء أحدهما بالنقصان من أجزاء الآخر و لأن كل واحد منهما ينقضى لمجىء الآخر و ذلك يدل على حدوثهما إذ القديم لا يجوز عليه الانقضاء و على أن لهما محدثا قادرا عالما و قد علمنا ضروره أن أحدا من البشر لم يحدثهما لعجز البشر عن ذلك فدل على أنه من صنع القديم القادر لذاته العالم لذاته الذى ليس كمثلته شىء و لا يتعذر عليه شىء و قيل إن الآيتين هنا الشمس و القمر «فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ» و هى القمر أى طمسنا نورها بما جعلنا فيها من السواد عن ابن عباس «وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ» يعنى الشمس «مُبْصِرَةً» أى نيره مضيئه للأبصار يبصر أهل النهار النهار بها و قيل إن معناه جعلنا آيه الليل ممحوه و المراد جعلنا الليل مظلم لا يبصر فيه كما لا يبصر ما يمحي من الكتاب و جعلنا آيه النهار مبصره أى جعلنا النهار مضيئا يبصر فيه و تدرك الأشياء فيه و على هذا فتكون آيه الليل هى الليل نفسه و آيه النهار هى النهار نفسه كما يقال نفس الشىء و عين الشىء و هذا من عجيب البلاغه و قيل إن آيه الليل ظلمته و آيه النهار ضوءه فالمراد محونا ظلمه الليل بضوء النهار و محونا ضوء النهار بظلمه الليل إلا أنه ذكر أحدهما و حذف الآخر لدلاله المذكور على المحذوف ثم بين سبحانه الغرض فى ذلك و قال «لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ» أى لتسكنوا بالليل و تطلبوا الرزق بأنواع التصرف فى النهار إلا أنه حذف لتسكنوا بالليل لما ذكره فى مواضع أخر «وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسَابَ» أى لتعلموا بالليل و النهار عدد السنين و الشهور و آجال الديون و غير ذلك من المواقيت و لتعلموا حسنات أعماركم و آجالكم و لو لا الليل و النهار لما علم شىء من ذلك «وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلْنَاهُ تَفْصِيلًا» أى ميزناه تمييزا ظاهرا بينا لا يلتبس و بيناه تبيانا شافيا لا يخفى.

النظم

اتصلت الآيه الأولى بقوله «عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُزَحِّمَكُمْ» و الوجه فيه أنه لما أمر بنى إسرائيل بالرجوع إلى الطريق المستقيم من التوبه و قبول الإسلام بين أن ذلك الطريق هذا الكتاب الذى يدل على ما هو أحسن الأديان و قيل يتصل بقوله «وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ» أى كما آتيناه التوراه آتينا محمد ص القرآن الذى يهدى إلى الأحسن الأقوم و قيل اتصل بقوله «سَيُجْحَنُ الَّذِي أَسْرَى» كأنه قال أسرى بعبده و آتاه الكتاب الذى هذه صفته و إنما اتصل قوله «يَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ» الآيه مما تقدم من بشاره الكفار بالعذاب فيبين عقبيه أنهم يستعجلون العذاب جهلا و عنادا ثم بين أنه يستجيب لهم ما فيه صلاحهم ثم بين بالآيه الأخرى أنه أنعم عليهم بوجوه النعم كالليل و النهار و نحو ذلك و إن لم يشكروه.

إشارة

وَ كُـلِّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤) مَن اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَ مَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَ مَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥)

القراءة

قرأ أبو جعفر و يخرج له بضم الياء و فتح الراء و قرأ يعقوب و يخرج له بفتح الياء و ضم الراء و الباقون «و نُخْرِجُ» بالنون و قرأ أبو جعفر و ابن عامر تلقية بضم التاء و فتح اللام و تشديد القاف و الباقون «يَلْقَاهُ» بفتح الياء و سكون اللام.

الحج

من قرأ و يخرج له فمعناه أنه يخرج له عمله أو يخرج له طائره يوم القيامة كتابا و يكون كتابا منصوبا على الحال و من قرأ و يخرج فتقديره فيخرج له عمله أو طائره و يكون كتابا حالا أيضا من الضمير في يخرج كما في الأول و من قرأ «و نُخْرِجُ» بالنون فيكون كتابا مفعولا- لنخرج و يجوز أن يكون منصوبا على التمييز على معنى و نخرج طائره له كتابا و يجوز أن يكون نصبا على الحال فيكون بمعنى ذا كتاب أى مثبتا فى الكتاب الذى قال فيه لا يُعَادِرُ صَـغِيرَةً وَ لَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا و قوله «مَنشُورًا» يكون منصوبا على الحال من الهاء فى يلقاه على القراءات جميعا و من قرأ «يَلْقَاهُ مَنشُورًا» فإنه يدل عليه قوله وَ إِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ و من قرأ يلقاه فيدل عليه قوله وَ يَلْقَوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَ سَلَامًا.

اللغة

الإنسان يقع على المذكر و المؤنث فإذا أردت الفصل قلت رجل و امرأه مثل ذلك فرس يقع على المذكر و المؤنث فإذا أردت الفصل قلت حصان و حبر و فى الهماليج برذون و رمكه و كل بعير يقع على المذكر و المؤنث فإذا فصلت قلت جمل و ناقه و اشتقاق الإنسان من الإنس أو الأُنس و هو فعلان عند البصريين و قال الكوفيون هو من النسيان و أصله إنسيان حذف الياء منه استخفافا و احتجوا على ذلك بقول العرب فى تصغيره إنسيان و هذه الياء عند البصريين زائدة و هو من التصغير الشاذ عندهم مثل عشيته و مغربان الشمس و ليليه و أشباه ذلك و الطائر هاهنا عمل الإنسان شبه بالطائر الذى يسبح و يتبرك به و الطائر الذى يبرح

فيتشاءم به و السانح الذى يجعل ميامنه إلى مياسرك و البارح الذى يجعل مياسره إلى ميامنك و الأصل فى هذا أنه إذا كان سانحا أمكن الرامى و إذا كان بارحا لم يمكنه قال أبو زيد: كل ما يجرى من طائر أو ظبى أو غيره فهو عندهم طائر و أنشد لكثير:

فلست بناسيها و لست بتارك إذا أعرض الأدم الجوارى سؤالها

أ أدرك من أم الحكيم غبيطه بها خبرتنى الطير أم قد أتى لها

يخبر فى البيت الأخير أن الذى زجره طائر و أنشد لزهير فى ذلك:

فلما أن تفرق آل ليلي جرت بينى و بينهم ظبا

جرت سنحا فقلت لها مروعا نوى مشموله فمتى اللقاء

و قال و قولهم سألت الطير و قلت للطير إنما هو زجرتها من خير أو شر و يقوى ما ذكره قول الكميت:

و لا أنا ممن يزجر الطير، همه: أ صاح غراب أم تعرض ثعلب

و أنشد لحسان بن ثابت:

ذرينى و علمى بالأمر و شيمتى فما طائرى فيها عليك بأخيلا

أى ليس رأى بمشئوم و أنشد لكثير:

أقول إذا ما الطير مرت مخيله لعلك يوما فانتظر أن تنالها

و إنما قال «طائره فى عُنُقِهِ» و لم يقل فى يده لينبه على لزوم ذلك له و تعلقه به كما يقال طوقتك كذا أى قلدتك كذا و ألزمته

إياك و منه قلده السلطان كذا أى صارت الولاية فى لزومها له فى موضع القلاده و مكان الطوق قال الأعشى:

قلدتك الشعر يا سلامه ذا الإفضال و الشعر حيث ما جعلنا

و قال الآخر:

إن لى حاجه إليك فقالت بين أذنى و عاتقى ما تريد

و العرب تقيم هذا العضو مقام الذات فتقول أعتقت رقبه و طوقت عنقى أمانه و لذلك قال أبو حنيفة: إذا قال الإنسان عنقك أو رقبتك حر عتق لأنه يعبر بذلك عن جميع البدن و لو قال يدك أو شعرك حر لا يعتق لأنه لا يعبر بذلك عن جميع البدن و قال الشافعى: هما سواء يعتق فى الحالين.

الإعراب

موضع بنفسك رفع لأنه فاعل كفى و حسيبا نصب على التمييز له و قال أبو بكر السراج: المعنى كفى الاكتفاء بنفسك فالفاعل على هذا محذوف و الجار و المجرور فى موضع النصب على أصله و حسيبا نصب على الحال من كفى.

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر الوعيد أتبع ذلك بذكر كفيته فقال «و كَلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ» معناه و أَلزَمْنَا كُلَّ إِنْسَانٍ عَمَلَهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ فِي عُنُقِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ مُجَاهِدٍ وَ قَتَادَةَ يُرِيدُ جَعْلَانَهُ كَالطُّوقِ فِي عُنُقِهِ فَلَا يَفَارِقُهُ وَ إِنَّمَا قِيلَ لِلْعَمَلِ طَائِرًا عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ فِي قَوْلِهِمْ جَرَى طَائِرُهُ بِكَذَا وَ مِثْلُهُ قَوْلُهُ سَبَّحَانَهُ «قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ» وَ قَوْلُهُ «إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ» وَ قِيلَ طَائِرُهُ يَمْنَهُ وَ شَوْمُهُ عَنِ الْحَسَنِ وَ هُوَ مَا يَتَطَيَّرُ مِنْهُ وَ قِيلَ طَائِرُهُ حِظُّهُ مِنَ الْخَيْرِ وَ الشَّرِّ عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ وَ الْقَتِيبِيِّ وَ خَصَّ الْعُنُقَ لِأَنَّهُ مَحَلُّ الطُّوقِ الَّذِي يَزِينُ الْمُحْسِنَ وَ الْغَسْلُ الَّذِي يَشِينُ الْمُسِيءَ وَ قِيلَ طَائِرُهُ كِتَابُهُ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ جَعَلْنَا لِكُلِّ إِنْسَانٍ دَلِيلًا مِنْ نَفْسِهِ لِأَنَّ الطَّائِرَ عِنْدَهُمْ يَسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى الْأُمُورِ الْكَائِنَةِ فَيَكُونُ مَعْنَاهُ كُلُّ إِنْسَانٍ دَلِيلٌ لِنَفْسِهِ وَ شَاهِدٌ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مُحْسِنًا فَطَائِرُهُ مَيْمُونٌ وَ إِنْ سَاءَ فَطَائِرُهُ مَشْتُومٌ «وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا» وَ هُوَ مَا كَتَبَهُ الْحَفِظُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ «يَلْقَاهُ» أَيْ يَرَى ذَلِكَ الْكِتَابَ «مَنْشُورًا» أَيْ مَفْتُوحًا مَعْرُوضًا عَلَيْهِ لِيَقْرَأَهُ وَ يَعْلَمُ مَا فِيهِ وَ الْهَاءُ فِي لَهْ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ عَائِدَةً إِلَى الْإِنْسَانِ وَ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ عَائِدَةً إِلَى الْعَمَلِ «اقْرَأْ كِتَابَكَ» فَهَاهُنَا حَذَفَ أَيْ وَ يُقَالُ لَهُ اقْرَأْ كِتَابَكَ قَالَ قَتَادَةُ يَقْرَأُ يَوْمئِذٍ مَنْ لَمْ يَكُنْ قَارِئًا فِي الدُّنْيَا وَ

روى جابر بن خالد بن نجيح عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال يذكر العبد جميع أعماله و ما كتب عليه حتى كأنه فعله تلك الساعة فلذلك قالوا يا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَ لَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا

«كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا» أَيْ مُحَاسِبًا وَ إِنَّمَا جَعَلَهُ مُحَاسِبًا لِنَفْسِهِ لِأَنَّهُ إِذَا رَأَى أَعْمَالَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كُلِّهَا مَكْتُوبَةً وَ رَأَى جِزَاءَ

أعماله مكتوبا بالعدل لم ينقص عن ثوابه شىء و لم يزد على عقابه شىء ء أذعن عند ذلك و خضع و تضرع و اعترف و لم يتهياً له حجه و لا إنكار و ظهر لأهل المحشر أنه لا يظلم قال الحسن: يا ابن آدم لقد أنصفك من جعلك حسيب نفسك «مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ» أى من اهتدى فى الدنيا إلى دين الله و طاعته فمنفعه اهتدائه راجعه إليه «وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا» أى و من ضل عن الدين فضرر ضلاله راجع إلى نفسه و عقوبه ضلاله على نفسه «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» أى لا تحمل حامله حمل أخرى أى ثقل ذنوب غيرها و لا يعاقب أحد بذنوب غيره و

روى عن النبى ص أنه قال لا تحن يمينك على شمالك

و هذا مثل ضربه (عليه السلام) و فى هذا دلالة واضحة على بطلان قول من يقول أن أطفال الكفار يعذبون مع آبائهم فى النار «وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا» معناه و ما كنا معذبين قوما بعذاب الاستئصال إلا بعد الأعدار إليهم و الإنذار لهم بأبلغ الوجوه و هو إرسال الرسل إليهم مظاهره فى العدل و إن كان يجوز مؤاخذتهم على ما يتعلق بالعقل معجلاً فعلى هذا التأويل تكون الآيه عامه فى العقلية و الشرعيات و قال الأكثرون من المفسرين و هو الأصح أن المراد بالآيه أنه لا يعذب سبحانه فى الدنيا و لا فى الآخرة إلا بعد البعث فتكون الآيه خاصه فيما يتعلق بالسمع من الشرعيات فأما ما كانت الحجج فيه من جهة العقل و هو الإيمان بالله تعالى فإنه يجوز العقاب بتركه و إن لم يبعث الرسول عند من قال إن التكليف العقلى ينفك من التكليف السمعى على أن المحققين منهم يقولون أنه و إن جاز التعذيب عليه قبل بعثه الرسول فإنه سبحانه لا- يفعل ذلك مبالغه فى الكرم و الفضل و الإحسان و الطول فقد حصل من هذا أنه سبحانه لا يعاقب أحدا حتى ينفذ إليهم الرسل المنبهين إلى الحق الهادين إلى الرشد استظهاراً فى الحجج لأنه إذا اجتمع داعى العقل و داعى السمع تأكد الأمر و زال الريب فيما يلزم العبد و قد أخبر سبحانه فى هذه الآيه عن ذلك و هذا لا- يدل على أنه لو لم يبعث رسولا لم يحسن منه أن يعاقب إذا ارتكب القبائح العقلية إلا أن يفرض فى بعثه الرسول لطفاً فإن عند ذلك لا يحسن منه سبحانه أن يعاقب أحداً إلا بعد أن يوجه إليه مما هو لطف له فيزاح بذلك علته.

إشارة

وَ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَسُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (١٦) وَ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَ كَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (١٧) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْطَلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (١٨) وَ مَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩) كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَ هَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَ مَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠)

انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَ لِلآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَ أَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٢١) لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا (٢٢)

القراءة

القراءة العامة «أَمَرْنَا» بالتخفيف غير ممدود و

قرأ يعقوب أمرنا بالمد و هو قراءة علي بن أبي طالب (عليه السلام)

و الحسن و أبي العالبيه و قتاده و جماعه و قرأ أمرنا بالتشديد للميم ابن عباس و أبو عثمان النهدي و أبو جعفر محمد بن علي بخلاف و قرأ أمرنا بكسر الميم بوزن عمرنا الحسن و يحيى بن يعمر.

الحجج

قال أبو عبيده: أمرنا أكثرنا من قولهم أمر بنو فلان أي كثروا و أنشد للبيد:

إن يغبطوا يهبطوا و إن أمروا يوما يصيروا للهلك و النفد

قال أبو علي لا يخلو قوله «أَمَرْنَا» مخففه الهمزه من أن يكون فعلنا من الأمر أو من أمر القوم و أمرتهم مثل شترت عينه و شترتها و رجع و رجعت و سار و سرته فمن لم ير أن يكون أمرنا من أمر القوم إذا كثروا كما حكى ذلك يونس عن أبي عمرو فإنه ينبغي أن يكون من الأمر الذي هو خلاف النهي و يكون المعنى أمرناهم بالطاعة فعصوا و فسقوا و من قرأ أمرنا فإنه يكون أفعالنا من أمر القوم إذا كثروا و أمرهم الله و كذلك إن ضاعف العين فقال أمرنا و يقوى حمل أمرنا على النقل من أمر و أن لا يجعل من الأمر الذي هو خلاف النهي أن الأمر بالطاعة على هذا يكون مقصورا على المترفين فقد أمر الله بطاعته جميع خلقه من مترف و غيره و يحمل

أمرنا على أنه مثل أمرنا و نظير هذا كثر و أكثره الله و كثره و لا يحمل أمرنا على أن المعنى جعلناهم أمراء لأنه لا يكاد يكون في قريه واحده جماعه أمراء فإن قلت يكون منهم الواحد بعد الواحد فإنهم إذا كانوا كذلك لا يكثرون في حال و إنما يهلك بكثرة المعاصي في الأرض و على هذا جاء الأمر في التنزيل يا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ فَأمرنا بالخروج من الأرض التي تكثر فيها المعاصي إلى ما كان بخلاف هذه الصفه و مما جاء فيه أمر بمعنى الكثره قول زهير:

و الإثم من شر ما يصال به و البر كالغيث نبتة أمر

و أما أمرنا فقد روى ابن جنى بإسناده عن أبي حاتم قال: قال أبو زيد: يقال أمر الله ماله و أمره و من قال إن أمرنا لا يكون بمعنى أكثرنا قال في

قوله (خير المال سكه مأبوره و مهره مأموره)

إن معنى مأموره مؤمره فإنما قال هذه لمكان الازدواج كما قالوا الغدايا و العشايا و الغداه لا تجمع على الغدايا لكن قيل ذلك ليزدوج الكلام.

اللغه

الترفه النعمه قال ابن عرفه: المترف المتروك يصنع ما يشاء و لا يمنع منه و التدمير و الإهلاك و الدمار الهلاك و يقال ذمته و ذاميته و ذمته فهو مذموم و مذموم و مذيم بمعنى و يكون ذامته بمعنى طردته و يقال اصنع ذاك و خلاك ذم أى و لا ذم عليك و الدحر الإبعاد و المدحور المبعد و المطرود يقال اللهم ادحر عنا الشيطان أى أبعده.

الإعراب

«كَمْ أَهْلَكْنَا» موضع كم نصب بأهلكتنا و دخلت الباء في قولك بربك للمدح كما تقول ناهيك به رجلا و جاد بثوبك ثوبا و طاب بطعامك طعاما و أكرم به رجلا و يكون في كل ذلك في موضع رفع كما قال الشاعر:

و يخبرني عن غائب المرء هديه كفى الهدى عما غيب المرء مخبر

فرفع لما أسقط الباء و يصلحها في موضع نصب على الحال لمن نريد بدل من قوله «عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ» و أعاد اللام لما كان البدل في تقدير جملة أخرى كقوله «لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ» و مذموما حال من الضمير المستكن في يصلحها «كُلًّا نُمِدُّ» نصب كلا بنمد و هؤلاء

بدل من قوله «كَلَّا» أى نمد كل واحد من هؤلاء و هؤلاء.

المعنى

«وَ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا» لما لم يجز فى العقول تقديم إرادته العذاب على المعصية لأنه عقوبه عليها و يستحقه لأجلها فمتى لم توجد المعصية لم يحسن فعل العقاب و إذا لم يحسن فعله لم تحسن إرادته اختلفوا فى تأويل الآيه و تقديرها على وجوه (أحدها) إن معناه و إذا أردنا أن نهلك أهل قريه بعد قيام الحجه عليهم و إرسال الرسل إليهم أمرنا مترفيها أى رؤساءها و ساداتها بالطاعه و اتباع الرسل أمرا بعد أمر نكرره عليهم و بينه بعد بينه نأتيهم بها إعدارا للعصاه و إنذارا لهم و توكيدا للحجه ففسقوا فيها بالمعاصى و أبوا إلا تماديا فى العصيان و الكفران «فَحَقَّقَ عَلَيْهَا الْقَوْلُ» أى فوجب حينئذ عليها الوعيد «فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا» أى أهلكتناها إهلاكا و إنما خص المترفين و هم المنعمون و الرؤساء بالذكر لأن غيرهم تبع لهم فيكون الأمر لهم أمرا لأتباعهم و على هذا فيكون قوله «أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا» جوابا لإذا و إليه يؤول ما روى عن ابن عباس و سعيد بن جبير أن معناه أمرناهم بالطاعه فعصوا و فسقوا و مثله أمرتك فعصيتنى و يشهد بصرحه هذا التأويل الآيه المتقدمه و هى قوله «مَنْ اهْتَدَى» فإنما يهتدى لنفسه إلى قوله «وَ مَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا» (و ثانيها) إن قوله «أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا» من صفة القريه و تقديره و إذا أردنا أن نهلك قريه صفتها أنا كنا قد أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فلا يكون لإذا جواب ظاهر فى اللفظ للاستغناء عنه بما فى الكلام من الدلاله عليه و نظيره قوله سبحانه «حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا» إلى قوله «فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ» فلم يأت لإذا جواب فى طول الكلام للاستغناء عنه بما فى الكلام من الدلاله و مما يشهد بصرحه ذلك قول الهذلى:

حتى إذا سلكوهم فى قتائده شلا كما تطرد الجماله الشردا

فحذف جواب إذا لأن هذا البيت آخر القصيده (و ثالثها) إن الآيه محموله على التقديم و التأخير و تقديرها إذا أمرنا مترفى قريه بالطاعه فعصوا أردنا إهلا-كهم و مما يمكن أن يكون شاهدا لهذا الوجه قوله «وَ إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ» و قيام الطائفه معه يكون قبل إقامه الصلاه لأن إقامتها هى الإتيان بجميعها على الكمال و كذلك قوله «إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ» و الطهاره إنما تجب قبل

القيام إلى الصلاة (و رابعها) أنه سبحانه ذكر الإرادة على وجه المجاز و الاتساع و إنما عنى بها قرب الهلاك و العلم بكونه لا محاله كما يقال إذا أراد العليل أن يموت خلط في مأكله و يسرع إلى ما تتوق نفسه إليه و إذا أراد التاجر أن يفتقر أتاه الخسران من كل وجه و معلوم أن العليل و التاجر لم يريدوا في الحقيقة شيئاً لكن لما كان من المعلوم من حال هذا الهلاك و من حال ذلك الخسران حسن هذا الكلام و استعمل ذكر الإرادة لهذا الوجه و لكلام العرب إشارات و استعارات و مجازات لأجلها كان كلامهم فى الغايه القصوى من الفصاحه و الوجه الأول عندى أصح الوجوه و أقربها إلى الصواب إذا تأولت الآية على الأمر الذى هو ضد النهى إذا تأولت الآية على معنى القراءتين الأخيرتين من أمرنا بالمد و أمرنا بالتشديد فلن يخرج على هذا الوجه و تكون محموله على أحد الأوجه الثلاثة الأخر ثم بين سبحانه ما فعله من ذلك بالقرون الخالية فقال «وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ» أى من الأمم الكثيره المكذبه «مَنْ بَعْدَ نُوحٍ» أى من بعد زمان نوح إلى زمانك هذا لأن كم تفيد التكثر كما أن رب تفيد التقليل و القرن مائه و عشرون سنه عن عبد الله بن أبى أوفى و قيل مائه سنه عن محمد بن القسم المازنى و روى ذلك مرفوعاً و قيل ثمانون سنه عن الكلبي و

قيل أربعون سنه و رواه ابن سيرين مرفوعاً

«وَكَفَىٰ بَرِّبِكَ بِمَذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا» أى كفى ربك عالماً بذنوب خلقه «بَصِيرًا» بها يجازيهم عليها و لا يفوته شىء منها ثم بين سبحانه أنه يدبر عبادته بحسب ما يراه من المصلحه فقال «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ» أى النعم العاجله و هى الدنيا فعبر عنها بصفتها «عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ» من البسط و التقدير و علق ذلك بمشيئته لا بمشيئته العبد فقد يشاء العبد ما لا يشاءه الله فلا يعطيه لكونه مفسده «لِمَنْ نُرِيدُ» أى لمن نريد إعطاءه بين بذلك أنه ربما يكون حريصاً يريد الدنيا فلا يعطى و إن أعطى قليلاً «ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا» أى يصير بصلاحها و يحترق بنارها «مَذْمُومًا» ملوماً «مَذْحُورًا» مبعداً من رحمه الله و

روى عن ابن عباس أن النبى ص قال معنى الآية من كان يريد ثواب الدنيا بعمله الذى افترضه الله عليه لا يريد به وجه الله و الدار الآخرة عجل له فيها ما يشاء الله من عرض الدنيا و ليس له ثواب فى الآخرة

و ذلك أن الله سبحانه و تعالى يؤتیه ذلك ليستعين به على الطاعة فيستعمله فى معصيه الله فيعاقبه الله عليه «وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ» أى و من أراد خير الآخرة و نعيم الجنة «وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ» أى فعل الطاعات و تجنب المعاصى و هو مع ذلك مصدق بتوحيد الله مقر بأبيائه «فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا» أى تكون طاعتهم مقبوله و قيل شكره أنه سبحانه يضاعف حسناتهم و يتجاوز عن سيئاتهم عن قتاده و المعنى أنا أحللنا سعيهم محل ما يشكر عليه فى حسن الجزاء و روى عن الحسن أنه

قال: اطلبوا الآخرة فما رأيت طالبا لها إلا نالها و ربما نال الدنيا و ما رأيت طالب دنيا نال الآخرة و ربما لا ينال الدنيا أيضا «كُلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَ هَؤُلَاءِ» أى كل واحد من هذين الفريقين ممن يريد الدنيا و ممن يريد الآخرة نمدهم أى نزيدهم و قيل كلا نعطي من الدنيا البر و الفاجر عن الحسن و المعنى أنا نعطي المؤمن و الكافر فى الدنيا و أما الآخرة فللمتقين خاصة «مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ» أى نعمه ربك و رزقه «وَ مَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا» معناه و ما كان رزق ربك محبوسا عن الكافر لكفره و لا عن الفاسق لفسقه " سؤال " فإن قيل هل يجوز أن يريد المكلف بعمله العاجل و الآجل و الجواب نعم إذا جعل العاجل تبعاً للآجل كالمجاهد فى سبيل الله يقاتل لإعزاز الدين و يجعل الغنيمه تبعاً «انظر» يا محمد «كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ» بأن جعلنا بعضهم أغنياء و بعضهم فقراء و بعضهم موالى و بعضهم عبيدا و بعضهم أصحاباً و بعضهم مرضى على حسب ما علمناه من المصالح «وَ لِلآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَ أَكْبَرُ تَفْضِيلًا» أى درجاتها و مراتبها أعلى و أفضل و هى مستحقه على قدر الأعمال فىنبغى أن تكون رغبتهم فى الآخرة و سعيهم لها أكثر قد

روى أن ما بين أعلى درجات الجنة و أسفلها ما بين السماء و الأرض

و فى الآيه دلالة على أن الطاعة لا تزيد فى رزق الدنيا و إنما تزيد فى درجات الآخرة «لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ» قيل أن الخطاب للنبي ص و المراد به أمته و قيل معناه لا تجعل أيها السامع أو أيها الإنسان مع الله إلهاً آخر فى اعتقادك و إقرارك و لا فى عبادتك و لا فى رغبتك و رهبتك «فَتَقْعِدَ مَيْدُومًا مَّخْذُولًا» معناه فإنك إن فعلت ذلك قعدت و بقيت ما عشت مذموماً على لسان العقلاء مخذولاً و لا ناصر لك يمنع الله نصرته عنك و يكللك إلى ما أشركت به " و قيل " معنى القعود الذل و الخزى و الخسران و العجز لا الجلوس كما يقال قعد به الضعف عن القتال أى عجز عنه.

النظم

وجه اتصال الآيه الأولى بما قبلها أنها اتصلت بقوله «حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا» و المعنى أنه لا يعذب إلا بعد إرسال الرسل و تقديم الأمر و النهى و إتمام النعمة فى الإنذار و الأعذار و ظهور العصيان من الكفار و الفجار و قيل إنها تتصل بما تقدم من قصة بنى إسرائيل و ما فعل بهم فى الكره الأولى و الثانية فبين سبحانه أن ما فعله موافق لعادته فيمن يريد إهلاكه فإنما يهلك القرى إذا أمر مترفيها بالطاعة ففسقوا فيكون إهلاكهم بالاستحقاق لا على الابتداء.

ص: ٢١٣

إشارة

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَ اخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) رَبُّكُمْ أَغْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا (٢٥)

القراءة

يبلغان بالألف و كسر النون كوفى غير عاصم و الباقون «يَبُلُغَنَّ» أف بفتح الفاء هاهنا و فى الأنبياء و الأحقاف مكى شامى و يعقوب و سهل و «أف» بالكسر و التنوين فى الجميع مدنى و حفص و الباقون أف بالكسر غير منون و فى الشواذ قراءة أبى السماك أف مضمومه غير منونه و قرأ ابن عباس أف خفيفه و جناح الذل بكسر الهمزة.

الحجج

قال أبو على قوله: «إِمَّا يَبُلُغَنَّ» يرتفع أحدهما به و قوله «كِلاهُمَا» معطوف عليه و الذكر الذى عاد من قوله «أَحَدُهُمَا» يغنى عن إثبات علامه الضمير فى يبلغان فلا وجه لقول من قال: إن الوجه إثبات الألف لتقدم ذكر الوالدين عنى به الفراء و إنما الوجه فى ذلك أنه على الشىء الذى يذكر على وجه التوكيد و لو لم يذكر لم يقع بترك ذكره إخلال نحو قوله «أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ» فقوله غَيْرُ أَحْيَاءٍ توكيد لأن قوله أَمْوَاتٌ يدل عليه فيكون الألف مجردة لمعنى التثنية و لا حظ للاسميه فيها و يرتفع «أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا» بالفعل و قال الزجاج يكون «أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا» بدلا من الألف فى يبلغان قال أبو على من قرأ أف بالفتح فإنه بناه على الفتح كقولهم سرعان ذا إهاله و هو اسم لسرع و مثله وشكان قال:

لوشكان ما عينتم و شتمتم ياخوانكم و العز لم يتجمع

و كذلك أف اسم لأنضجر و أتكره و نحو ذلك من قرأ «أف» فإنه بدخول التنوين يدل على التثنية مثله مه و صه و مثله قولهم "فداء لك" بنوه على الكسر و إن كان فى الأصل مصدرا كما كان أف فى الأصل مصدرا من قولهم أفه و تفه يراد بها نتنا و دفرا و من قرأ أف و لم ينون جعله معرفه فلم ينون كما أن من قال صه و غاق فلم ينون أراد به المعرفه فإن قلت ما موضع

أف فى هذه اللغات بعد القول هل يكون موضعه نصبا كما ينتصب المفرد بعده أو يكون كما تكون الجملة فالقول أن موضعه موضع الجملة كما أنك لو قلت رويد لكان موضعه موضع الجملة قال الزجاج: فى أف سبع لغات أف بالضم منونا و غير منون و أف و أفا و أوفى مماله و زاد ابن الأنبارى أف خفيفه مفتوحه قال أبو الحسن: و قول الذين قالوا «أف» أكثر و أجود و لو قلت أف لك و أفا لك لاحتل وجهين (أحدهما) أن يكون الذى صار اسما للفعل لحقه التنوين علامه للتنكير (و الآخر) أن يكون نصبا معربا و كذا الضم فإن لم يكن معه لك كان ضعيفا أ لا ترى أنك لا تقول ويل و لو قلته لم يستقم حتى يوصل به لك فيكون فى موضع الخبر و الذل ضد الصعوبه و الذل ضد العز و الأول فى الدابه و الثانى فى الإنسان.

الإعراب

قوله «و بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا» العامل فى الباء قضى و التقدير و قضى بالوالدين إحسانا و يجوز أن يكون على تقدير و أوصى بالوالدين إحسانا و حذف لدلاله الكلام عليه قال الشاعر:

عجبت من دهما إذ تشكونا و من أبى دهما إذ يوصينا

خيرا بها كأننا خافونا

فأعمل يوصينا فى الخير «كما ربّانى» أى كرحمه تربيتهما يعنى رحمه تحدث عند التربيه كما تقول ضرر التلف و قيل الكاف بمعنى على ارحمهما على ما ربّانى عن الأخفش و كذا قال فى قوله كما أمرت* «إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ» منكم فحذف و يجوز أن يكون على كان لكم فوضع الظاهر موضع المضمّر لأنهم الصالحون.

المعنى

لما تقدم النهى عن الشرك و المعاصى عقب سبحانه بالأمر بالتوحيد و الطاعات فقال سبحانه «وَقَضَى رَبُّكَ» أى أمر ربك أمرا باتا عن ابن عباس و الحسن و قتاده و قيل ألزم و أوجه ربك عن الربيع بن أنس و قيل أوصى عن مجاهد «أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ» معناه أن تعبدوه و لا تعبدوا غيره فإن قيل إن الأمر لا يكون أمرا بأن لا يكون الشىء لأن الأمر يقتضى إرادته المأمور به و الإراده لا- تتعلق بأن لا- يكون الشىء و إنما تتعلق بحدوث الشىء فالجواب أن المعنى أراد منكم عبادته على وجه الإخلاص و كره منكم عبادته غيره و عبر عن ذلك بقوله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه «و بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا» أى و قضى بالوالدين إحسانا أو

أوصى بالوالدين إحسانا و معناهما واحد لأن الوصيه أمر «إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا» يعنى به الكبر فى السن و المعنى إن عاشا عندك أيها الإنسان المخاطب حتى يكبرا أو عاش أحدهما حتى يكبر يريد أن بلغا فى السن مبلغا يصيران بمنزله الطفل الذى يحتاج إلى متعهد و خص حال الكبر و إن كان من الواجب طاعه الوالدين على كل حال لأن الحاجه أكثر فى تلك الحال إلى التعهد و الخدمه و هذا مثل قوله «وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلًا» مع أن الناس كلهم يتكلمون فى حال الكهوله و الوجه فيه أنه سبحانه أخبر أن عيسى يكلم الناس فى المهد و أنه يعيش حتى يكهل و يتكلم بعد الكهوله و نحو ذلك قوله وَ الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ وَ إنما خص ذلك اليوم لأنه لا يملك فيه أحد سواه و قيل إن الكبر فى الآيه راجع إلى المخاطب أى إن بلغت حال الكبر و هو حال التكليف و قد بقى معك أبواك أو أحدهما «فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌّ» و

روى عن على بن موسى الرضا عن أبيه عن جده أبى عبد الله (عليه السلام) قال لو علم الله لفظه أوجز فى ترك عقوق الوالدين من أف لأتى به

و فى روايه أخرى عنه قال أدنى العقوق أف و لو علم الله شيئا أيسر منه و أهون منه لنهى عنه

و

فى خبر آخر فليعمل العاق ما يشاء أن يعمل فلن يدخل الجنة

فالمعنى لا تؤذيها بقليل و لا كثير قال مجاهد: معناه أن بلغا عندك من الكبر ما يبولان و يحدثان فلا تتقذرهما و أمط عنهما كما كانا يميطان عنك فى حال الصغر و المتبرم يكثر قول أف و هى كلمه تدل على الضجر و قيل إن الأف و التف و سبخ الأصابع إذا فتلتته عن أبى عبيده و قيل هى كلمه كراهه عن ابن عباس و قيل معناه التنن و جاء فى المثل أبر من النسر قالوا لأن النسر إذا كبر و لم ينهض الطيران جاء الفرخ فزقه كما كان أبواه يزقانه «وَلَا تَنْهَرْهُمَا» أى لا تزجرهما بإغلاظ و صياح و قيل معناه لا تمتنع من شىء أرادته منك كما قال وَ أَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ «وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا» أى و خاطبهما بقول رقيق لطيف حسن جميل بعيد عن اللغو و القبيح يكون فيه كرامه لهما و يدل على كرامه المقول له على القائل و قيل معناه قل لهما قول العبد المذنب للسيد اللفظ الغليظ عن سعيد بن المسيب «وَ اخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ» أى و بالغ فى التواضع و الخضوع لهما قولاً- و فعلا برا بهما و شفقه عليهما و المراد بالذل هاهنا اللين و التواضع دون الهوان من خفض الطائر جناحه إذا ضم فرخه إليه فكأنه سبحانه قال ضم أبويك إلى نفسك كما كانا يفعلان ربك و أنت صغير و إذا وصفت العرب إنسانا بالسهوله و ترك الآباء قالوا هو خافض الجناح و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) معناه لا- تملأ- عينيك من النظر إليهما إلا- برأفه و رحمه و لا ترفع صوتك فوق أصواتهما و لا يديك فوق أيديهما و لا تتقدم قدامهما

«وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا» معناه ادع لهما بالمغفره و الرحمه فى حياتهما و بعد مماتهما جزاء ل تربيتهما إياك فى صباك و هذا إذا كانا

مؤمنين و فى هذا دلالة على أن دعاء الولد لوالده الميت مسموع و إلا لم يكن للأمر به معنى و قيل إن الله تعالى أوصى الأبناء بالوالدين لقصور شفقتهم و لم يوص الوالدين بالأبناء لوفور شفقتهم و ذكر حال الكبر لأنهما أحوج فى تلك الحال إلى البر لضعفهما و كونهما كلا على الولد

ففى الحديث أن النبى ص قال رغم أنفه رغم أنفه رغم أنفه قالوا من يا رسول الله قال من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما و لم يدخل الجنة أورده مسلم فى الصحيح

و

روى أبو أسيد الأنصارى قال بينما نحن عند رسول الله ص إذ جاءه رجل من بنى سلمه فقال يا رسول الله هل بقى من بر أبوى شىء أبرهما به بعد موتهما قال نعم الصلاة عليهما و الاستغفار لهما و إنفاذ عهدهما من بعدهما و إكرام صديقيهما و صلة الرحم التى لا توصل إلا بهما

قال قتاده هكذا علمتم و بهذا أمرتم فخذوه بتعليم الله و أدبه «رَبُّكُمْ أَعْلَمُ» أى أكثر معلوما و قيل أثبت علما فإنه سبحانه أعلم بأن الجسم حادث من الإنسان العالم بذلك «بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ» أى بما تضمرون من البر و العقوق فمن ندرت منه نادره و هو لا يضمم عقوقا غفر الله له ذلك و قيل معناه أنه أعلم بجميع ما فى ضمائركم و هذا أوجه «إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ» أى طائعين لله «فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفُورًا» و

الأواب التواب المتعبد الراجع عن ذنبه عن مجاهد و روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل إن الأولين المطيعون المحسنون عن قتاده و قيل إنهم الذين يذنبون ثم يتوبون ثم يذنبون ثم يتوبون عن سعيد بن المسيب و قيل هم الراجعون إلى الله فيما ينوبهم عن ابن عباس و قيل هم المسبحون عن ابن عباس فى روايه أخرى و يعضده قوله «يا جِبَالَ أَوْبِي مَعَهُ» و

قيل إنهم الذين يصلون بين المغرب و العشاء روى ذلك مرفوعا

و

روى هشام بن سالم عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال صلاة أربع ركعات يقرأ فى كل ركعه خمسين مره «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» هى صلاة الأوابين.

إشارة

وَ آتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَ الْمَسْكِينِ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ لَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمَثِيرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَ كَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧) وَ إِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا (٢٨) وَ لَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَ لَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (٢٩) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٣٠)

اللغة

التبذير التفريق بالإسراف و أصله أن يفرق كما يفرق البذر إلا- أنه يختص بما يكون على سبيل الإفساد و ما كان على وجه الإصلاح لا يسمى تبذيرا و إن كثر قال النابغة:

ترائب يستضيء الحلوى فيها كجمر النار بذر بالظلام

و الإعراض صرف الوجه عن الشئ ء و قد يكون عن قلى و قد يكون للاشتغال بما هو الأولى و قد يكون للإذلال كما قال و أَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ وَ أصل الحسر الكشف من قولهم حسر عن ذراعه يحسر حسرا إذا كشف عنه و الحسره الغم لانحسار ما فأت و دابه حسير إذا كلت لشده السير لانحسار قوتها بالكلال و منه قوله يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصِيرُ خَاسِئًا وَ هُوَ حَسِيرٌ وَ المحسور المنقطع به لذهاب ما فى يده و انحساره عنه قال الهذلى:

إن العسير بها داء مخامرها فشطرها نظر العينين محسور

و يقال حسرت الرجل بالمسألة إذا أفنيت جميع ما عنده.

الإعراب

«وَ إِمَّا تُعْرِضَنَّ» تقديره و إن تعرض و ما مزیده و ابتغاء مفعول له و قيل هو مصدر وضع موضع الحال أى مبتغيا رحمه من ربك ترجوها أى راجيا إياها و ترجوها جملة فى موضع الجر بكونها صفة لرحمه و يجوز أن يكون فى موضع النصب على الحال من الضمير فى تعرضن.

المعنى

ثم حث سبحانه نبيه ص على إيتاء الحقوق لمن يستحقها على كيفية الإنفاق فقال «وَ آتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ» معناه و أعط القرابات حقوقهم التى أوجبها الله لهم فى أموالكم عن ابن عباس و الحسن و قيل إن المراد قرابه الرسول عن السدى

قال إن على بن الحسين (عليه السلام) قال لرجل من أهل الشام حين بعث به (عليه السلام) عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية أ

قرأت القرآن قال نعم قال أ ما قرأت «وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقًّا» قال و إنكم ذو القربى الذى أمر الله أن يؤتى حقه قال نعم و هو الذى رواه أصحابنا عن الصادقين (عليه السلام)

و

أخبرنا السيد أبو

ص: ٢١٨

الحمد مهدي بن نزار الحسيني قراءه قال حدثنا أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني قال حدثنا الحاكم الواحد أبو محمد قال حدثنا [عبد الله] عمر بن أحمد بن عثمان بيغداد شفاها قال أخبرني عمر بن الحسن بن علي بن مالك قال حدثنا جعفر بن محمد الأحمسي قال حدثنا حسن بن حسين قال حدثنا أبو معمر سعيد بن خثيم و علي بن القاسم الكندي و يحيى بن يعلى و علي بن مسهر عن فضل بن مرزوق عن عطيه العوفى عن أبي سعيد الخدرى قال لما نزل قوله «وَ آتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ» أعطى رسول الله ص فاطمه فدكا

قال عبد الرحمن بن صالح كتب المأمون إلى عبد الله بن موسى يسأله عن قصه فدك فكتب إليه عبد الله بهذا الحديث رواه الفضيل بن مرزوق عن عطيه فرد المأمون فدكا إلى ولد فاطمه (عليه السلام) «وَ الْمَسْكِينِ وَ ابْنَ السَّبِيلِ» معناه و آت المسكين حقه الذى جعله الله له من الزكاه و غيرها و آت المجتاز المنقطع عن بلاده حقه أيضا «وَ لَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا» قيل إن المبذر الذى ينفق المال فى غير حقه عن ابن عباس و ابن مسعود و قال مجاهد لو أنفق مدا فى باطل كان مبذرا و لو أنفق جميع ماله فى الحق لم يكن مبذرا و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال لعنايه كن زامله للمؤمنين و إن خير المطايا أمثلها و أسلمها ظهرا و لا تكن من المبذرين

«إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ» معناه إن المسرفين أتباع الشياطين سالكون طريقهم و هذا كما يقال لمن لازم السفر هو أخو السفر و قيل معناه أنهم قرناء الشياطين فى النار «وَ كَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا» أى كان الشيطان فى قديم مذهبه كثير الكفر مره بعد أخرى «وَ إِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ» أى و إن تعرض عن هؤلاء الذين أمرتك بإيتاء حقوقهم عند مسألهم إياك لأنك لا تجد ذلك حياء منهم «إِيتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا» أى لتبتغى الفضل من الله و السعه التى يمكنك معها البذل بأمل تلك السعه و ذلك الفضل «فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا» أى عداهم عداه حسنه و قل لهم قولاً سهلاً لينا يتيسر عليك و

روى أن النبى ص كان لما نزلت هذه الآية إذا سئل و لم يكن عنده ما يعطى قال يرزقنا الله و إياكم من فضله

«وَ لَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ» أى لا تكن ممن لا يعطى شيئاً و لا يهب فتكون بمنزله من يده مغلوله إلى عنقه لا يقدر على الإعطاء و البذل و هذا مبالغه فى النهى عن الشح و الإمساك «وَ لَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ» أى و لا تعط أيضاً جميع ما عندك فتكون بمنزله من بسط يده حتى لا يستقر فيها شىء و هذا كناية عن الإسراف «فَتَقَعْدَ مُلُومًا» تلوم نفسك

و تلام «مَحْسُوراً» منقطعاً به و ليس عندك شىء عن السدى و ابن عباس و قيل عاجزا نادما عن قتاده و

قيل محسورا من الثياب و المحسور العريان عن أبي عبد الله (عليه السلام)

و قيل معناه إن أمسكت قعدت ملوما مذموما و إن أسرفت بقيت متحسرا مغموما عن الجبائي و قال الكلبي لا تعط ما عندك جميعا فيجىء الآخرون يسألونك فلا تجد ما تعطيهم فيلومونك و

روى أن امرأه بعثت ابنها إلى رسول الله ص و قالت قل له إن أمى تستكسيك درعا فإن قال حتى يأتينا شىء فقل له إنها تستكسيك قميصك فأتاه فقال ما قالت له فنزع قميصه فدفعه إليه فنزلت الآية و يقال إنه (عليه السلام) بقى فى البيت إذ لم يجد شيئا يلبسه و لم يمكنه الخروج إلى الصلاة فلامه الكفار و قالوا إن محمدا اشتغل بالنوم و اللهو عن الصلاة

«إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ» أى يوسع مره و يضيق مره بحسب المصلحه مع سعه خزائنه «إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا» أى عالما بأحوالهم بصيرا بمصالحهم فيبسط على واحد و يضيق على آخر يدبرهم على ما يراه من الصلاح.

النظم

و إنما اتصلت هذه الآية الأخيره بما قبلها من حيث إن فيها حثا على الإعطاء اعتمادا على الله تعالى و نهيا عن البخل و حثا على القصد إذ هو سبحانه مع غناه و كمال قدرته يوسع مره و يضيق مره أخرى مراعاة للمصلحه فمن هو دونه أولى أن يراعى الصلاح و يملك طريق القصد.

ص: ٢٢٠

إشارة

وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَشِيَّةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (٣١) وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (٣٢) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (٣٣) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٣٤) وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٣٥)

القراءة

قرأ أبو جعفر و ابن عامر بروايه ابن ذكوان كان خطأ بفتح الخاء و الطاء من غير ألف بعدها و قرأ ابن كثير خطأ بكسر الخاء و ممدودا و الباقون «خطأ» بكسر الخاء من غير مد و فى الشواذ قراءة الزهرى و أبى رجاء خطأ بكسر الخاء غير ممدود و قراءة الحسن خطأ بالمد و فى روايه أخرى عنه خطأ بفتح الخاء و الطاء خفيفه و قرأ أهل الكوفه غير عاصم فلا تسرف بالتاء و الباقون بالياء و قرأ أهل الكوفه غير أبى بكر «بالقسطاس» بكسر القاف و الباقون بضمها.

الحج

الخطأ ما لم يتعمد و كان المأثم فيه موضوعا عن صاحبه قال أبو على: قالوا أخطأ فى معنى خطئى كما أن خطئى فى معنى أخطأ فى مثل قوله:

عبادك يخطئون و أنت رب كريم لا يليق بك الذموم

فمجرى الكلام أنهم خاطئون و فى التنزيل لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا و المؤاخذه عن المخطئ موضوع فهذا يدل على أن أخطأنا فى معنى خطئنا و كما جاء أخطأ فى معنى خطئى كذلك جاء خطئى فى معنى الخطئ فى قوله:

" يا لهف هند إذ خطئن كاهلا "

و فى قول الآخر:

و الناس يلحون الأمير إذا هم خطئوا الصواب و لا يلام المرشد

فكذلك قراءة ابن عامر خطأ فى معنى أخطأ كما جاء خطئى بمعنى أخطأ و يجوز أن يكون الخطأ بمعنى الخطء أيضا كالمثل و المثل و الشبه و الشبه و البديل و البديل و أما قراءة ابن كثير خطأ فإنه يجوز أيضا أن يكون مصدر خاطا و إن لم يسمع خاطا و لكن جاء ما يدل عليه و هو قوله:

"تخاطأت النيل أحشاءه"

قال: و أنشدنا محمد ابن السرى فى وصف كمأه:

و أشعث قد ناولته أحرش القرى أدرت عليه المدجنات الهواضب

تخاطأه القناص حتى وجدته و خرطومه فى منقع الماء راسب

ص: ٢٢١

تخاطأ يدل على خاطأ لأن تفاعل مطاوع فعل كما أن تفعل مطاوع فعل و وجه من قرأ خطأ بين فإنه يقال خطي يخطأ خطأ إذا تعمد الشىء و الفاعل منه خاطئ و قد جاء الوعيد فيه فى قوله تعالى لا يأكله إلا الخاطئون و أما خطأ فهو اسم بمعنى المصدر و من أخطأت كالعطاء من أعطيت و قال ابن جنى: يقال خطي يخطأ خطأ و خطأ فى الدين و إخطاء الغرض و نحوه و قد يتداخلان و أما خطأ و خط فتخفيف خطأ و خطأ قال أبو على: و أما قوله «فلا يسرف» بالياء فإن فاعل يسرف يجوز أن يكون على وجهين (أحدهما) أن يكون القاتل الأول فيكون تقديره فلا يسرف القاتل فى القتل و يكون مضمرا و إن لم يجر له ذكر لأن الحال تدل عليه فإن قلت كيف يكون فى القتل قصد بين شيئين حتى ينهى عن الإسراف فيه الذى هو ترك القصد (فالجواب) أنه لا- يمتنع أن يكون فيه الإسراف كما جاء فى أموال اليتامى و لا تأكلوها إسرافاً و لم يجر أن يؤكل منه لا على الاقتصاد و لا- على غيره لقوله «إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً» الآية فكذلك لا يمتنع أن يقال للقاتل الأول لا يسرف فى القتل لأنه بقتله يكون مسرفاً و يكون الضمير على هذا فى قوله «إنه كان منصوراً» لقوله «و من قتل مظلوماً» تقديره فلا يسرف القاتل المبتدئ بقتله فى القتل لأن من قتل مظلوماً كان منصوراً بأن يقتص له و ليه أو السلطان أن لم يكن له و لى غيره فيكون هذا ردعا للقاتل عن القتل كما أن قوله و لكم فى القصاص حياة كذلك فالولى إذا اقتص فإنما يقتص للمقتول و منه انتقل إلى الولى بدلاله أن المقتول لو أبرئ من السبب المؤدى إلى القتل لم يكن للولى أن يقتص و لو صالح الولى من العمد على مال كان للمقتول أن يؤدى منه دينه و لا- يمتنع أن يقال فى المقتول منصور لأنه قد جاء و نصيرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا (و الآخر) أن يكون فى يسرف ضمير الولى أى فلا يسرف الولى فى القتل و إسرافه فيه أن يقتل غير الذى قتل أو يقتل أكثر من قاتل و ليه و كان مشركو العرب يفعلون ذلك و التقدير فلا- يسرف الولى فى القتل إذ الولى كان منصوراً بقتل قاتل و ليه و الاقتصاد من القاتل و من قرأ فلا تسرف بالتاء احتمال وجهين أيضا (أحدهما) أن يكون المبتدئ القاتل ظلما فليل له لا تسرف أيها الإنسان فتقتل ظلما من ليس لك قتله أن من قتل مظلوماً كان منصوراً بأخذ القصاص له (و الآخر) أن يكون الخطاب للولى فيكون التقدير فلا- تسرف أيها الولى فى القتل فتتعدى قاتل وليك إلى من لم يقتله أن المقتول ظلما كان منصوراً و كل واحد من المقتول ظلما و من و لى المقتول قد تقدم ذكره فى قوله «و من قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً» و أما القسطاس و القسطاس فهما لغتان مثل القسطاس و القسطاس و الضم أكثر.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال «و لا تقتلوا أولادكم» أى بناتكم «خشية إفلاق» أى خوف فقر و عجز عن النفقة عليهن و يحتمل أن يكون قوله «و لا تقتلوا»

منصوباً عطفاً على قوله «أَلَّا تَعْبُدُوا» ويجوز أن يكون على النهي فيكون مجزوماً وإنما نهاهم الله عن ذلك لأنهم كانوا يبدون البنات فيدفنونهن أحياء «نَحْنُ نَزُرُهُمْ وَإِيَّاكُمْ» أخبر سبحانه أنه متكفل برزق أولادهم ورزقهم «إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيراً» يعنى أن قتلهم فى الجاهلية كان إثماً عظيماً عند الله و هو اليوم كذلك «وَلَا تَقْرُبُوا الزَّوْنَى» و هو وطء المرأة حراماً بلا عقد و لا شبهه عقد «إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً» أى معصية كبيرة عظيمة و المراد أنه كان عندهم فى الجاهلية فاحشه و هو الآن كذلك و مثل هذا فى القرآن كثير «وَسَاءَ سَبِيلاً» أى و بئس الطريق الزنا و فيه إشارة إلى أن العقل يقبح الزنى من حيث إنه لا يكون للولد نسب إذ ليس بعض الزناه أولى به من بعض فيؤدى إلى قطع الأنساب و إبطال المواريث و إبطال صلة الرحم و حقوق الآباء على الأولاد و ذلك مستنكر فى العقول و

أخبرنى المفيد عبد الجبار بن عبد الله بن على قال حدثنا الشيخ أبو جعفر الطوسى قال حدثنا أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن حبيب الفارسى عن أبى بكر محمد بن أحمد بن محمد الجرجرائى قال سمعت أبا عمرو عثمان بن الخطاب المعروف بأبى الدنيا يقول سمعت على بن أبى طالب يقول سمعت رسول الله ص يقول فى الزنا ست خصال ثلاث فى الدنيا و ثلاث فى الآخرة فأما اللواتى فى الدنيا فيذهب بنور الوجه و يقطع الرزق و يسرع الفناء و أما اللواتى فى الآخرة فغضب الرب و سوء الحساب و الدخول فى النار أو الخلود فى النار

«وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ» و هو أن يجب عليه القتل إما لكفره أو رده أو لأنه قتل نفساً بغير حق أو زنى و هو محصن «وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً» بغير حق «فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَاناً» أى قد أثبتنا لوليه سلطان القود على القاتل أو الوليه أو العفو عن ابن عباس و الضحاك و قيل سلطان القود عن قتاده «فَلَا يُشِيرَفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً» مر تفسيره قبل «وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ» فسرناه فى سورة الأنعام «وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ» فى الوصيه بمال اليتيم و غيرها و قيل إن كل ما أمر الله به و نهى عنه فهو من العهد و قد يجب الشىء أيضاً بالندى و العهد به و أن لم يجب ابتداءً و إنما يجب عند العقد «إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً» عنه للجزاء عليه فحذف عنه لأنه مفهوم و قيل إن معناه إن العهد يسأل فيقال له بما نقضت كما تسأل الموءودة بأى ذنب قتلت «وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ» أى أتموه و لا تبخسوا منه و معناه و أوفوا الناس حقوقهم إذا كلتم عليهم «وَزِنُوا بِالْقِسْطِ» و هو الميزان صغر أم كبر عن الزجاج و قيل هو القبان عن الحسن و قيل هو العدل بالروميه عن مجاهد فيكون محمولاً على موافقه اللغتين و «الْمُسْتَبْقِيمِ» الذى لا يخس فيه و لا غبن «ذَلِكَ خَيْرٌ» أى خير ثواباً عن قتاده و قيل أقرب إلى الله عن عطاء و قيل معناه أن إيفاء الكيل و الوزن خير لكم فى دنياكم فإنه يكسب اسم

الأمانه فى الدنيا «وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا» أى و أحسن عاقبه فى الآخره و مرجعا من آل يؤول إذا رجع حث الله سبحانه بهذه الآيه على إتمام الوزن و الكيل فى المعاملات و البياعات و إيفاء حقوق العباد.

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٣٦ الى ٤٠]

إشاره

وَ لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصِيرَ وَ الْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦) وَ لَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا- (٣٧) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٨) ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا (٣٩) أَ فَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَ اتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا (٤٠)

القراءه

قرأ ابن عامر و أهل الكوفه «كَانَ سَيِّئُهُ» بضم الهمزه مضافا إلى الهاء و قرأ الباقون سيئه منصوبا منونا غير مضاف.

الحجه

من قرأ «سَيِّئُهُ» مضافا قال لأنه قد تقدم ذكر أمور منها سى ء و منها حسن فخص الله سبحانه الشى ء منها بأنه مكروه عنده لأنه عز اسمه لا يكره الحسن و يقوى ذلك قوله «مَكْرُوهًا» و لو كان سيئه غير مضاف لوجب أن تكون مكروهه فإن قيل إن التأنيث غير حقيقى فلا يمتنع أن يذكر قيل إن هاهنا التذكير لا يحسن و إن لم يكن حقيقيا لأن المؤنث قد تقدم ذكره فإن قوله:

" وَ لَا أَرْضَ أَبْقَلْ أَبْقَالِهَا "

مستقبح عندهم و لو قال أبقل الأرض لم يستقبح و ذلك أن المتقدم الذكر ينبغى أن يكون الراجع إليه وفقه كما يكون وفقه فى التشبيه و الجمع و إذا لم يتقدم له ذكر لم يلزم أن يراعى ذلك و من قرأ سيئه فإنه يشبه أن يكون لما رأى الكلام اقتطع

ص: ٢٢٤

عند قوله «وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا» و كان الذى بعده من قوله «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ» لا أمر حسنا فيه قال كل ذلك كان سيئه فأفرد و لم يضيف فإن قلت كيف ذكر المؤنث ثم قال مكروها قلت فإنه يجوز أن لا نجعل مكروها صفة لسيئه و لكن نجعله بدلا و لا يلزم أن يكون فى البدل ذكر المبدل منه كما يجب ذلك فى الصفة و يجوز أن يكون مكروها حالا من الذكر الذى فى قوله «عِنْدَ رَبِّكَ» على أن تجعل عند ربك صفة للنكرة قال النحوى البصير ليس هذا بصحيح لأن الضمير الذى فى الظرف مؤنث كما أن السيئه مؤنث فيلزم منه ما لزم من الأول إذا جعلته صفة لسيئه و إن حملة على التأنيث غير الحقيقى يجىء منه ما قال فى قوله: و لا أرض أبقل أبقالها.

اللغة

القفو اتباع الأثر و منه القيافه فكأنه يتبع قفا المتقدم قال:

و مثل الدمى شم العرائن ساكن بهن الحياء لا يشعن التقافيا

أى التقاذف قال أبو عبيده القفو العضيئه يقال قافه يقوفه و قفاه يقفوه بمعنى فهو مثل جذب و جذب و أصل الخرق القطع و رجل خرق يتخرق فى السخاء و الخرق الفلاه لانقطاع أطرافها بتباعدها قال رؤبه:

" و قاتم الأعماق خاوى المخترق "

أى خاوى المقطع و المرح شده الفرخ.

الإعراب

قال «كُلُّ أَوْلَيْكَ» لأن أولئك و هؤلاء للجمع القليل من المذكر و المؤنث و إذا أريد الكثير يقال كل هذه و تلك قال الشاعر:

ذم المنازل بعد منزله اللوى و العيش بعد أولئك الأيام

فأولئك كما يكون إشاره إلى العقلاء يكون إشاره إلى غيرهم و قوله «كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا» الهاء تعود إلى كل أى يسأل عن استعمال هذه الأشياء و إن شئت كان الهاء يعود إلى الإنسان أى يسأل عن الإنسان فيما استعمل هذه الأشياء و يكون فى مسئولا ضمير يعود إلى كل و قدره أبو على أن أفعال السمع و البصر و الفؤاد كل أفعال أولئك طولا مصدرا وضع موضع الحال إما عن الفاعل فى «لَنْ تَبْلُغَ» أو من الجبال و جوز الأمرين أبو على و «فَتَلْقَى» منصوب بإضمار أن لكونه جواب النهى بالفاء «مُلُوماً مَيْدَحُوراً» نصب على الحال و مرحا نصب على التمييز و يجوز أن يكون مصدرا وضع موضع الحال كقولهم جاء زيد ركضا و جاء زيد راكضا

فركضا أو كد في الاستعمال لأن ركضا يدل على توكيد الفعل و تقديره يركض ركضا و على هذا يكون معناه و لا تمش في الأرض مختالا و قيل أن طولاً نصب على التمييز.

المعنى

ثم قال سبحانه «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ» و معناه لا تقل سمعت و لم تسمع و لا رأيت و لم تر و لا علمت و لم تعلم عن ابن عباس و قتاده و قيل معناه لا تقل في قفا غيرك كلاماً أى إذا مر بك فلا تغتبه عن الحسن و قيل هو شهادة الزور عن محمد بن الحنفية و الأصل أنه عام في كل قول و فعل أو عزم يكون على غير علم فكأنه سبحانه قال لا تقل إلا ما تعلم أنه مما يجوز أن يعتقد و قد استدل جماعه من أصحابنا بهذا على أن العمل بالقياس و بخبر الواحد غير جائز لأنهما لا يوجبان العلم و قد نهى الله سبحانه عن اتباع ما هو غير معلوم «إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصِيرَ وَ الْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا» معناه أن السمع يسأل عما سمع و البصر عما رأى و القلب عما عزم عليه ذكر سبحانه السمع و البصر و الفؤاد و المراد أن أصحابها هم المسئولون و لذلك قال «كُلُّ أُولَئِكَ» و قيل بل المعنى كل أولئك الجوارح يسأل عما فعل بها قال الوالبي عن ابن عباس يسأل الله العباد فيما استعملوها و

روى على بن إبراهيم في تفسيره عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال قال رسول الله ص لا يزول قدم عبد يوم القيامة بين يدي الله عز و جل حتى يسأله عن أربع خصال عمرك فيما أفنيت و جسدك فيما أبليت و مالك من أين كسبته و أين وضعته و عن حنا أهل البيت

«وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا» معناه لا تمش على وجه الأشر و البطر و الخيلاء و التكبر قال الزجاج معناه لا تمش في الأرض مختالا فخورا و قيل المرح شدة الفرح بالباطل «إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا» هذا مثل ضربه الله تعالى قال إنك أيها الإنسان لن تشق الأرض من تحت قدمك بكبرك و لن تبلغ الجبال بتناولك و المعنى أنك لن تبلغ مما تريد كثير مبلغ كما لا يمكنك أن تبلغ هذا فما وجه المنازعة على ما هذا سبيله مع أن الحكمه زاجره عنه و إنما قال ذلك لأن من الناس من يمشى في الأرض بطرا يدق قدميه عليها ليرى بذلك قدرته و قوته و يرفع رأسه و عنقه فين سبحانه أنه ضعيف مهين لا يقدر أن يخرق الأرض بدق قدميه عليها حتى ينتهي إلى آخرها و إن طوله لا يبلغ طول الجبال و إن كان طويلا علم الله سبحانه عباده التواضع و المروءة و الوقار «كُلُّ ذَلِكَ» إشاره إلى جميع ما تقدم ذكره مما نهى الله سبحانه عنه في هذه الآيات «كَانَ سَيِّئُهُ» أى معصيته «عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا» له سبحانه يكرهها و لا يريد لها و لا يرضاها و على القراءه الثانيه فيكون ذلك إشاره إلى جميع ما أمر به من المحسنات و نهى عنه من المقبحات أى كان سىء ما سبق من هذه

الأشياء مكروها عند ربك و في هذا دلالة واضحة على بطلان قول المجبره فإنه سبحانه صرح بأنه يكره المعاصي و السيئات و إذا كرهها فكيف يريد لها فإن من المحال أن يكون الشئ ء الواحد مراداً مكروها عنده «ذَلِكَ» الذى تقدم ذكره من الأوامر و النواهي «مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ» يا محمد «مِنَ الْحِكْمَةِ» المؤديه إلى المعرفه بالحسن و القبح و الفرق بينهما «وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ» فى إقرارك و قولك و الخطاب للنبي ص و المراد به غيره ليكون أبلغ فى الزجر كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك «فَتَلَقَىٰ» أى فتطرح بمعنى أنك إذا فعلت ذلك ألقيت و طرحت «فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا» يلومك الناس «مَذْهُورًا» أى مطروداً مبعداً عن رحمه الله تعالى «أَفَاصِفًاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَيْنِ وَ اتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا» هذا خطاب لمن جعل الملائكة بنات الله تعالى و معناه أخلصكم الله سبحانه بالبين و خصكم بهم و اتخذ لنفسه الإناث و جعل البنات مشتركه بينكم و بينه و اختصكم بالأرفع و جعل لنفسه الأبدون تقول أصفيت فلانا بالشئ ء إذا أثرته به «إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا» أى كبيراً فى الإثم و استحقاق العقوبه حيث أضفتكم إلى الله سبحانه ما لم ترضوا لأنفسكم به و جعلتم الملائكه و هم أعلى خلق الله و أشرفهم أدون خلق الله و هم الإناث.

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٤١ الى ٤٤]

إشارة

وَلَقَدْ صَيَّرْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَ مَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤١) قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (٤٢) سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤٣) تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم ليدكروا ساكنه الذال خفيفه و فى سوره الفرقان مثله و الباقون «لِيَذَّكَّرُوا» بفتح الذال و الكاف و تشديدهما فى السورتين و قرأ «كَمَا يَقُولُونَ» بالياء يسبح له بالياء أهل المدينة و الشام و أبو بكر و قرأ أهل البصره كما تقولون بالتاء «عَمَّا يَقُولُونَ»

بالياء «تَسْبِيحٌ لَهُ» بالتاء وقرأ حفص «كَمَا يَقُولُونَ» و«عَمَّا يَقُولُونَ» بالياء «تَسْبِيحٌ» بالتاء وقرأ الجميع بالياء حمزه و الكسائي و خلف.

الحجج

قال أبو علي حجه من قال «لِيَذْكُرُوا» قوله وَ لَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ فالتذکر هنا أشبه من الذکر لأنه كان يراد به التدبر و ليس يراد الذکر الذى هو ضد النسيان و لكنه كما قال کتابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ وَ ليس المراد ليتذكروه بعد نسيانهم بل المراد ليتدبروه بعقولهم و وجه التخفيف أن التخفيف قد جاء فى هذا المعنى خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اذْكُرُوا مَا فِيهِ فَهَذَا لَيْسَ عَلَى مَعْنَى لَا- تَنْسُوهُ وَ لکن تدبروه و من قرأ «كَمَا يَقُولُونَ» بالياء فالمعنى كما يقول المشركون من إثبات الآلهة من دونه فهو مثل قوله تعالى «قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ بَلَّغُوا لَأَنَّهُمْ غِيبٌ فَأَمَّا مَنْ قرأ «سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ» فإنه يحتمل وجهين (أحدهما) أن يعطف على «كَمَا يَقُولُونَ» (و الآخر) أن يكون نزه سبحانه نفسه عن دعوتهم قال «سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ» و من قرأ كما تقولون بالتاء و «عَمَّا يَقُولُونَ» بالياء فإن الأول على ما تقدم و الثانى على أنه نزه نفسه عن قولهم و يجوز أن تحمله على القول كأنه قال قل أنت سبحانه و تعالى عما يقولون و أما قوله «تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَاوَاتُ» فكل واحد من الياء و التاء حسن.

المعنى

ثم احتج سبحانه على الذين تقدم ذكرهم فقال «وَ لَقَدْ صَيَّرْنَا» أى كررنا الدلائل و فصلنا المعانى و الأمثال و غير ذلك مما يوجب الاعتبار به «فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذْكُرُوا» أى ليتفكروا فيها فيعلموا الحق و حذف ذكر الدلائل و العبر لدلاله الكلام عليه و علم السامع به «وَ مَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا» أى و ما يزداد هؤلاء الكفار عند تصريف الأمثال و الدلائل لهم إلا تباعدا عن الاعتبار و نفورا عن الحق و أضاف النفور إلى القرآن لأنهم ازدادوا النفور عند نزوله كقوله «فَلَمَّ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا» فإن قيل إذا كان المعلوم أنهم يزدادون النفور عند إنزال القرآن فما المعنى فى إنزاله و ما وجه الحكمة فيه قيل الحكمة فيه إلزام الحجج و قطع المعذره فى إظهار الدلائل التى تحسن التكليف و أنه يصلح عند إنزاله جماعه ما كانوا يصلحون عند عدم إنزاله و لو لم ينزل لكان هؤلاء الذين ينفرون عن الإيمان يفسدون بفساد أعظم من هذا النفور فالحكمه اقتضت إنزاله لهذه المعانى و إنما ازدادوا نفورا عند مشاهد الآيات و الدلائل لاعتقادهم أنها شبه و حيل و قله تفكرهم فيها «قُلْ» يا محمد لهؤلاء المشركين «لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ» هم أو تقولون أنتم على القراءتين «إِذَا لَمَّا بُتِعُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا» أى لطلبوا طريقا يقربهم إلى مالك العرش و التمسوا الزلفه

عنده لعلمهم بعلوه عليهم و عظمتهم عن مجاهد و قتاده و قال أكثر المفسرين معناه لطلبوا سبيلا إلى معازة مالك العرش و مغالبتة و منازعته فإن المشتركين فى الإلهية يكونان متساويين فى صفات الذات و يطلب أحدهما مغالبة صاحبه ليصفو له الملك و فى هذا إشاره إلى دليل التمانع ثم نزه سبحانه نفسه من أن يكون له شريك فى الإلهية فقال «سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُقُولُونَ» أى عن قولهم «عُلُوًّا كَبِيرًا» و إنما لم يقل تعاليا كبيرا لأنه وضع مصدر مكان مصدر نحوه قوله «تَبَتَّلَ إِلَيْهِ تَتَبُّلاً» و معنى تعالى أن صفاته فى أعلى المراتب و لا مساوى له فيها لأنه قادر لا أحد أقدر منه و عالم لا أحد أعلم منه و خص العرش بإضافته إليه تعظيما للعرش و يجوز أن يريد بالعرش الملك «تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ» معنى التسبيح هاهنا الدلالة على توحيد الله و عدله و أنه لا شريك له فى الإلهية و جرى ذلك مجرى التسبيح باللفظ و ربما يكون التسبيح من طريق الدلالة أقوى لأنه يؤدى إلى العلم «وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ» أى ليس شىء من الموجودات إلا- و يسبح بحمد الله تعالى من جهه خلقته إذ كل موجود سوى القديم حادث يدعو إلى تعظيمه لحاجته إلى صانع غير مصنوع صنعته أو صنع من صنعته فهو يدعو إلى تثبيت قديم غنى بنفسه عن كل شىء سواه و لا- يجوز عليه ما يجوز على المحدثات و قيل إن معناه و ما من شىء من الأحياء إلا يسبح بحمده عن الحسن و قيل أن كل شىء على العموم من الوحوش و الطيور و الجمادات يسبح الله تعالى حتى صرير الباب و خرير الماء عن إبراهيم و جماعه «وَ لَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ» أى لا- تعلمون تسبيح هذه الأشياء حيث لم تنظروا فيها فتعلموا كيف دلالتها على توحيده «إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا» يمهلكم و لا يعاجلكم بالعقوبه على كفركم «عَفُورًا» لكم إذا تبتم و أنبتم إليه.

إشارة

وَ إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا (٤٥) وَ جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَ إِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَخِيدَهُ وَكَلَّمَا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (٤٦) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَ إِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (٤٧) انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٤٨)

اللغة

الوقر بالفتح الثقل فى الأذن و بالكسر الحمل و الأصل فيه الثقل إلا أنه خولف بين البناءين للفرق و النفور جمع نافر و هذا الجمع قياس فى كل فاعل اشتق من فعل مصدره على فعول مثل ركوع و سجود و شهود و النجوى مصدر يوصف به الواحد و الاثنان و الجمع و المذكر و المؤنث و هو مقرر على لفظه.

الإعراب

قوله «أَنْ يَفْقَهُوهُ» فى موضع نصب بأنه مفعول له على كراهه أن يفقهوه.

«نُفُورًا» نصب على الحال و تقديره ولوا نافرين و قيل إنه مصدر و لو أخرج على غير لفظه لأن معنى ولوا نفروا فكأنه قال نفروا نفورا.

النزول

قيل نزله قوله «وَ إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ» الآيه فى قوم كانوا يؤذون النبى ص بالليل إذا تلا القرآن و صلى عند الكعبه و كانوا يرمونه بالحجاره و يمنعونه عن دعاء الناس إلى الدين فحال الله سبحانه بينه و بينهم حتى لا يؤذوه عن الزجاج و الجبائى.

المعنى

لما تقدم قوله «وَ لَقَدْ صَدَّرْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ» بين سبحانه حالهم عند قراءه القرآن فقال «وَ إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ» يا محمد «جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ» و هم المشركون «حِجَابًا مَّسْتُورًا» قال الكلبي و هم أبو سفيان و النضر بن الحرث و أبو جهل و أم جميل امراه أبى لهب حجب الله رسوله عن أبصارهم عند قراءه القرآن و كانوا يأتونه و يمرون به و لا يرونه و قيل أراد حجابا ساترا عن الأخفش و الفاعل قد يكون فى لفظ المفعول يقال مشوم و ميمون إنما هو شائم و يأمن و قيل هو على بناء النسب لا على أن المفعول بمعنى الفاعل و المفعول بمعنى المفعول و المعنى حجابا ذا ستر و هذا هو الصحيح و قيل حجابا مستورا عن الأعين لا- يبصر إنما هو من قدره الله تعالى حجب نبيه بحجاب لا يرونه و لا يراه النبى ص و قيل إن المعنى فى الآيه جعلنا بينك و بينهم حجابا بمعنى باعدنا بينك و بينهم فى القرآن فهو لك و للمؤمنين معك شفاء و هدى و هو للمشركين فى آذانهم و قر و عليهم عمى فهذا هو الحجاب عن أبى مسلم و هذا بعيد و الأول أوجه لأنه الحقيقه «وَ جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ

فِي آذَانِهِمْ وَقُرْأًا» مر تفسيره في سورة الأنعام «وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ

ص: ٢٣٠

وَخَيْدَةً» معناه و إذا ذكرت الله بالتوحيد و أبطلت الشرك «وَلَوْ أَعْلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا» أى أعرضوا عنك مدبرين نافرين و المعنى بذلك كفار قريش و قيل هم الشياطين عن ابن عباس و قيل معناه إذا سمعوا بسم الله الرحمن الرحيم ولوا و قيل إذا سمعوا قول لا إله إلا الله «نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَتَمِعُونَ إِلَيْكَ» معناه ليس يخفى علينا حال هؤلاء المشركين و غرضهم فى الاستماع إليك و قد علمنا سبب استماعهم و هذا كما يقال فعلت ذلك بحرمتك «وَ إِذْ هُمْ نَجْوَىٰ» أى متناجون و قيل هم ذوو نجوى و المعنى أنا نعلمهم فى حال ما يصغون إلى سماع قراءة تك و فى حال ما يقومون من عندك و يتناجون فيما بينهم فيقول بعضهم هو ساحر و بعضهم هو كاهن و بعضهم هو شاعر و قيل يعنى به أبا جهل و زمعه بن الأسود و عمرو بن هشام و خويطب بن عبد العزى اجتمعوا و تشاوروا فى أمر النبى ص فقال أبو جهل هو مجنون و قال زمعه هو شاعر و قال خويطب هو كاهن ثم أتوا الوليد بن المغيرة و عرضوا ذلك عليه فقال هو ساحر «إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا» قيل فيه وجوه (أحدها) أنهم يقولون ما يتبعون إلا رجلا قد سحر فاختلط عليه أمره و إنما يقولون ذلك للتفجير عنه (و ثانيها) أن المراد بالمسحور المخدوع المعلل كما فى قول امرئ القيس:

أرانا موضعين لحتم غيب و نسحر فى الطعام و فى الشراب

و قول أميه بن أبى الصلت:

فإن تسألنا فيم نحن فإننا عصفير من هذا الأنام المسحر

(و ثالثها) أن المعنى إن تتبعون إلا رجلا ذا سحر أى رثه خلقه الله بشرا مثلكم (و رابعها) أن المسحور بمعنى الساحر كما قيل فى قوله «حِجَابًا مَسْحُورًا» أى ساترا و قد زيف هذا الوجه و الوجوه الثلاثة أوضح و على هذا فمعنى الآية البيان عما توجه به حال المعادى للدين الناصب للحق اليقين و أن قلبه كأنه فى كنان عن تفهمه و كان فى أذنيه وقرا عن استماعه فهو مول نافر عنه يناجى فى حال الانحراف عنه جهالا أمثاله قد بعدوا بالحجة حتى نسبوا صاحبها إلى أنه مسحور لما لم يكن لهم إلى مقاومه ما أتى به سبيل و لا على كسره بالمعارضه دليل ثم قال سبحانه على وجه التعجيب «انظُرْ» يا محمد «كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ

الأمثال» أى شبهوا لك الأشياء فقالوا مجنون و ساحر و شاعر «فَضَلُّوا» بهذا القول عن الحق «فَلَا يَسْتَبِيحُونَ سَبِيلًا» أى لا يجدون حيله و لا طريقا إلى بيان تكذيبك إلا البهت الصريح و قيل لا يجدون سبيلا أى لا يجدون حيله و طريقا إلى صد الناس عنك و إلى إثبات ما ادعوا عليك و قيل ضلوا عن الطريق المستقيم و هو الدين و الإسلام فلا يجدون إليه طريقا بعد ما ضلوا عنه.

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٤٩ الى ٥٢]

أشاره

وَ قَالُوا أَ إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَ زُفَاتًا أ إِنْآ لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩) قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤْسَهُمْ وَ يَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا (٥١) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَ تَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (٥٢)

اللغه

الرفات ما تكسر و بلى من كل شىء و يكثر بناء فعال فى كل ما يحطم و يرضض يقال حطام و دقاق و تراب و قال المبرد كل شىء مدقوق مبالغ فى دقه حتى انسحق فهو رفات و قال الفراء لا واحد له من لفظه يقال رفت الشىء رفنا فهو مرفوت إذا صير كالحطام و يقال أنغض رأسه ينغضه و نغض رأسه ينغضه نغضا إذا حركه قالوا و النغض تحريك الرأس بارتفاع و انخفاض و منه قيل للظلم نغض لأنه يحرك رأسه فى مشيه بارتفاع و انخفاض قال العجاج:

"أصك نغضا لا ينى مستهدجا"

و نغض السن إذا تحركت قال:

"فنغضت من هرم أسنانها"

.الإعراب

إذا فى موضع نصب بفعل يدل عليه قوله «أ إِنْآ لَمَبْعُوثُونَ» و تقديره

ص: ٢٣٢

أُنبعث في ذلك الوقت ولا يجوز أن يكون ظرفاً لقوله «لَمَبْعُوثُونَ» لأن ما بعد أن ولام الابتداء لا يجوز أن يعمل فيما قبلهما و الباء في بحمده باء الحال أى تستجيبيون حامدين له و «يَدْعُوكُمْ» فى موضع الجر بإضافه يوم إليه و تستجيبيون عطف عليه و تظنون ليس فى موضع الجر لأن الواو للحال و تقديره و حالكم إذ ذاك أن تظنوا و قليلاً نصب على الظرف و تقديره إن لبثتم إلا زمناً قليلاً.

المعنى

لما تقدم ذكر البعث و النشور حكى سبحانه عن الكفار ما قالوا فى إنكاره فقال «وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا» أى غباراً عن ابن عباس و قيل تراباً عن مجاهد «أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا» و المعنى قال المنكرون للبعث إنا إذا متنا و انتشرت لحومنا و صرنا عظاماً و تراباً أُنبعث بعد ذلك خلقاً جديداً أى متجدداً و هو إنكار فى صورته الاستفهام «قُلْ» يا محمد لهم «كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا» أى اجهدوا فى أن لا تعادوا و كونوا إن استطعتم حجاره فى القوه أو حديداً فى الشده «أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ» أى خلقاً هو أعظم من ذلك عندكم و أصعب فإنكم لا تفوتون الله تعالى و سيحييكم بعد الموت و ينشركم إلا أن الكلام خرج مخرج الأمر لأنه أبلغ فى الإلزام و قيل يعنى بقوله ما يكبر فى صدوركم الموت عن ابن عباس و سعيد بن جبير أى لو كنتم الموت لأماتكم الله تعالى و ليس شىء أكبر فى صدور بنى آدم من الموت و قيل يعنى به السماوات و الأرض و الجبال عن مجاهد «فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ» معناه فإنك إذا قلت لهم ذلك سيقولون لك من يحيينا بعد الموت قل يا محمد يحييكم من خلقكم أول مره فإن من قدر على ابتداء الشىء كان على إعادته أقدر ما لم تبطل قدرته و لم يتغير فإن ابتداء الشىء أصعب من إعادته و إنما قال ذلك لهم لأنهم كانوا يقرون بالنشأه الأولى «فَسَيُغِضُّونَ إِلَيْكَ رُؤْسَهُمْ» أى فسيسحر كون إليك رءوسهم تحريك المستهزئ المستخف المستبطئ لما تنذرهم به «وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ» أى متى يكون البعث «قُلِ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا» لأن ما هو آت قريب و من كلام الحسن كأنك بالدنيا لم تكن و كأنك بالآخرة لم تزل «يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ» معناه عسى أن يكون بعثكم قريباً أيها المشركون يوم يدعوكم من قبوركم إلى الموقف على ألسنه الملائكه و ذلك عند النفخه الثانيه فيقولون أيتها العظام النخره و الجلود الباليه عودى كما كنت فتستجيبيون مضطرين بحمده أى حامدين لله على نعمه و أنتم موحدون و هذا كما يقول القائل جاء فلان بغضبه أى جاء غضبان و قيل معنى تستجيبيون بحمده أنكم تستجيبيون معترفين بأن الحمد لله على نعمه لا- تنكرونه لأن المعارف هناك ضروريه قال سعيد بن جبير يخرجون من قبورهم يقولون سبحانه و بحمدك و لا ينفعهم فى

ذلك اليوم لأنهم حمدوا حين لا ينفعهم الحمد «وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا» أى و تظنون أنكم لم تلبثوا فى الدنيا إلا قليلا لسرعه انقلاب الدنيا إلى الآخرة قال الحسن و قتاده استقصروا مده لبثهم فى الدنيا لما يعلمون من طول لبثهم فى الآخرة و من المفسرين من يذهب إلى أن هذه الآية خطاب للمؤمنين لأنهم الذين يستجيون الله بحمده و يحمدونه على إحسانه إليهم و يستقلون مده لبثهم فى البرزخ لكونهم فى قبورهم منعمين غير معذيين و أيام السرور و الرخاء قصار.

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٥٣ الى ٥٧]

أشاره

وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عِدُوًّا مُّبِينًا (٥٣) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَأُ يَرْحَمَكُم أَوْ إِن يَشَأُ يُعَذِّبْكُمْ وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا (٥٤) وَ رَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَ آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا (٥٥) قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَ لَا تَحْوِيلًا- (٥٦) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَ يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَ يَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧)

اللغة

الوسيله القربه و الوسائل الراغب قال لبيد:

" بلى كل ذى دين إلى الله واسل "

قال الزجاج: الوسيله و السؤال و الطلبه فى معنى واحد.

الإعراب

«يَقُولُوا» جواب شرط محذوف تقديره قل لعبادى قولوا التى هى أحسن يقولوا و كان أبو عثمان يزعم أن يقولوا واقع موقع قولوا و هو مبنى لأنه وقع موقع قولوا و وقوع الفعل موقع الفعل المبنى لا يوجب له البناء ألا ترى أن قوله «تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ» واقع

ص: ٢٣٤

موقع آمنوا و هو معرب و إنما ذلك في الأسماء نحو يا زيد بنى لوقوعه موقع يا أنت « أولئك » رفع بالابتداء و « الَّذِينَ يَدْعُونَ » صفة لهم و « يَتَّبِعُونَ » خبر الابتداء و قوله « أَتَيْهِمْ أَقْرَبُ » قال الزجاج إن شئت كان أيهم رفعا بالابتداء و الخبر قوله « أَقْرَبُ » و يكون معناه ينظرون أيهم أقرب إليه فيتوسلون به و الجملة متعلقة بينظرون المضمره و يجوز أن يكون أيهم أقرب بدلا من الواو في يتبعون.

النزول

كان المشركون يؤذون أصحاب رسول الله ص بمكة فيقولون يا رسول الله ائذن لنا في قتالهم فيقول لهم إنى لم أومر فيهم بشىء فأنزل الله سبحانه « قُلْ لِعِبَادِي » الآية عن الكلبي.

المعنى

ثم أمر سبحانه عباده باتباع الأحسن من الأقوال و الأفعال فقال « وَقُلْ » يا محمد « لِعِبَادِي » و هذا إضافة تخصيص و تشریف أراد به المؤمنين و قيل هو عام في جميع المكلفين « يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » أى يختاروا من المقالات و المذاهب المقالة التي هي أحسن المقالات و المذاهب و قيل معناه مرهم يقولوا الكلمه التي هي أحسن الكلمات و هي كلمه الشهادتين و كل ما ندب الله إليه من الأقوال و قيل معناه يأمرنا بما أمر الله به و ينهوا عما نهى الله عنه عن الحسن و قيل معناه قل لهم يقل بعضهم لبعض أحسن ما يقال مثل رحمك الله و يغفر الله لك و قيل معناه قل لعبادى إذا سمعوا قولك الحق و قول المشركين يقولوا ما هو أولى و يتبعوا ما هو أحسن عن أبى مسلم و قال نظيره فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ » أى يفسد بينهم و يغرى بعضهم ببعض و يلقي بينهم العداوه « إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ » فى جميع الأوقات « لِلْإِنْسَانِ » أى لآدم و ذريته « عَدُوًّا مُّبِينًا » مظهرها للعداوه ثم خاطب سبحانه الفريقين فقال « رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ » معناه أنه أعلم بأحوالكم فيدبر أموركم على ما يعلمه من المصلحه لكم « إِنَّ يَشَأْ يُزْحَمِكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ » قيل أراد أنه سبحانه مالك للرحمه و العذاب فيكون الرجاء إليه و الخوف منه عن الجبائى و قيل معناه إن يشأ يرحمكم بالتوبه أو إن يشأ يعذبكم بالإصرار على المعصيه عن الحسن و قيل معناه إن يشأ يرحمكم بإخراجكم من مكة و تخليصكم من إيذاء المشركين أو إن يشأ يعذبكم بتسليطهم عليكم و قيل إن يشأ يرحمكم بفضله و إن يشأ يعذبكم بعدله و هو الأظهر ثم عاد إلى خطاب النبى ص فقال « وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً » أى و ما أرسلناك موكلا عليهم حفيظا لأعمالهم يدخل الإيمان فى قلوبهم شاءوا أم أبوا و معناه إنك لا تؤاخذ بأعمالهم فإننا أرسلناك داعيا لهم إلى الإيمان فإن أجابوك و إلا فلا شىء عليك فإن

عتاب ذلك يحل بهم و اللائمه تلمهم «وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى هو أعلم بمن فى السماوات من الملائكه و بمن فى الأرض من الأنبياء بين سبحانه بهذا أنه لم يختر الملائكه و الأنبياء للميل إليهم و إنما اختارهم لعلمه بباطنهم و قيل معناه أنه أعلم بالجميع فجعلهم مختلفين فى الصور و الرزق و الأحوال كما اقتضته المصلحه كما فضل بعض النبيين على بعض «وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ» و المعنى أن الأنبياء و إن كانوا فى أعلى مراتب الفضل فإنهم طبقات فى ذلك و بعضهم أعلى من بعض بزياده الدرجه و الثواب و بالمعجزات و الكتاب و لما كان سبحانه عالما ببواطن الأمور اختارك للنبيه و فضلك على الأنبياء كما فضل بعضهم على بعض فسخر لبعضهم النار و ألان لبعضهم الحديد و آتى بعضهم الملك و كلم بعضهم و كذلك خصك بخصائص لم يعطها أحدا و ختم بك النبوه ثم قال «وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا» قال الحسن: كل كتاب زبور إلا أن هذا الاسم غلب على كتاب داود (عليه السلام) كما غلب اسم الفرقان على القرآن و إن كان كل كتاب من كتب الله فرقانا لأنه يفرق بين الحق و الباطل و قال الزجاج: معنى ذكر داود هنا أنه يقول لا تنكروا تفضيل محمد ص و إعطاءه القرآن فقد أعطينا داود الزبور ثم قال سبحانه لنبيه ص «قُلْ» يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله «ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ» أنها آلهه عند ضر ينزل بكم ليكشفوا ذلك عنكم أو يحولوا تلك الحاله إلى حاله أخرى «فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَ لَا تَحْوِيلًا» للحاله التى تكرهونها إلى حاله تحبونها يعنى تحويل حال القحط إلى الخصب و الفقر إلى الغنى و المرض إلى الصحه و قيل معناه لا يملكون تحويل الضر عنكم إلى غيركم بين سبحانه أن من كان بهذه الصفه فإنه لا يصلح للإلهيه و لا يستحق العباده و المراد بالذين من دونه هم الملائكه و المسيح و عزيز عن ابن عباس و الحسن و قيل هم الجن لأن قوما من العرب كانوا يعبدون الجن عن ابن مسعود و قال و أسلم أولئك النفر من الجن و بقى الكفار على عبادتهم قال الجبائى ثم رجع سبحانه إلى ذكر الأنبياء فى الآيه الأولى فقال «أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ» و معناه أولئك الذين يدعون إلى الله تعالى و يطلبون القربه إليه بفعل الطاعات «أَيُّهُمْ أَقْرَبُ» أى ليظهر أيهم الأفضل و الأقرب منزله منه و تأويله أن الأنبياء مع علو رتبهم و شرف منزلتهم إذا لم يعبدوا غير الله فأنتم أولى أن لا تعبدوا غير الله و إنما ذكر ذلك حثا على الاقتداء بهم و قيل إن معناه أولئك الذين يدعونهم و يعبدونهم و يعتقدون أنهم آلهه من المسيح و الملائكه يبتغون الوسيله و القربه إلى الله تعالى بعبادتهم و يجتهد كل منهم ليكون أقرب من رحمته أو يطلب كل منهم أن يعلم أيهم أقرب إلى رحمته أو إلى الإجابة «وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ

وَ يَخَافُونَ عَذَابَهُ» أى و هم مع ذلك يستغفرون لأنفسهم فيرجون رحمته إن أطاعوا و يخافون عذابه إن عصوا و يعملون عمل العبيد «إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا» أى متقى يجب أن يحذر منه لصعوبته و قد ذكرنا ما جاء فى معنى الوسيله عند قوله «وَ ابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ».

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٥٨ الى ٦٠]

اشاره

وَ إِنْ مِنْ قَوْمٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٥٨) وَ مَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ وَ آتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَ مَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (٥٩) وَ إِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَ مَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَ نُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (٦٠)

اللغه

المسطور المكتوب قال العجاج:

و اعلم بأن ذا الجلال قد قدر فى الصحف الأولى الذى كان سطر

و المنع وجود ما لا- يصح معه وقوع الفعل من القادر عليه و إنما جاز فى وصف الله تعالى منعنا للمبالغه فى أنه لا يقع منه الفعل فكأنه قد منع منه الفعل و إن كان لا يجوز إطلاق مثل هذه الصفه عليه سبحانه لأنه قادر لذاته و مقدراته غير متناهيه فلا يصح أن يمانعه شىء .

الإعراب

«وَ مَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ» أن الأولى نصب و أن الثانيه رفع و المعنى و ما منعنا الإرسال إلا تكذيب الأولين و مبصره نصب على الحال «وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ» تقديرها و ما جعلنا الشجره الملعونه فى القرآن إلا فتنه للناس أيضا و المعنى الشجره الملعونه أهلها و آكلوها و هم الكفره و الفجره فلما حذف المضاف استتر الضمير فى اسم المفعول فأنث المفعول لما جرى على الشجره و قوله «فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا» أى فما يزيدهم التخويف فأضمم التخويف لجرى ذكر الفعل و انتصب قوله «طُغْيَانًا» على أنه

المعنى

ثم زاد سبحانه فى الموعظه فقال «وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» معناه و ما من قرية إلا نحن مهلكوها بإماته أهلها «أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا» و هو عذاب الاستئصال فيكون هلاك الصالحين بالموت و هلاك الطالحين بالعذاب فى الدنيا فإنه يفتى الناس و يخرب البلاد قبل يوم القيامة ثم تقوم القيامة عن الجبائى و مقاتل و قيل إن المراد بذلك قرى الكفر و الضلال دون قرى الإيمان و المراد بالإهلاك التدمير عن أبى مسلم «كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا» أخبر أن ذلك كائن لا محاله و لا يكون خلافه و معناه كان ذلك الحكم فى الكتاب الذى كتبه الله تعالى لملائكته و هو اللوح المحفوظ مكتوبا «وَ مَا مَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ» ذكر فيه أقوال (أحدها) أن التقدير ما معنا إرسال الآيات التى سألوها إلا تكذيب الأولين و معناه إنا لم نرسل الآيات التى اقترحتها قريش فى قولهم حول لنا الصفا ذهبا و فجر لنا الأرض ينبوعا إلى غير ذلك لأننا لو أرسلناها لم يؤمنوا فيستحقوا المعاجلة بالعقوبة كما أنا لما أجبنا الأولين من الأمم إلى آيات اقترحوها فكذبوا بها عذبناهم بعذاب الاستئصال لأن من حكم الآيه المقترحة أنه إذا كذب بها وجب عذاب الاستئصال و من حكمنا النافذ فى هذه الآيات أن لا نعذبهم بعذاب الاستئصال لشرف محمد ص و لما يعلم فى ذلك من المصلحه و لأن فيهم من يؤمن به و ينصره و من يولد له ولد مؤمن و لأن أمته باقيه و شريعته مؤبده إلى يوم القيامة فلذلك لم نجهم إلى ذلك و أنزلنا من الآيات الواضحات و المعجزات البينات ما تقوم به الحجة و تنقطع به المعذره (و الثانى) إن معناه إنا لا نرسل الآيات لعلمنا بأنهم لا يؤمنون عندها فيكون إنزالنا إياها عبثا لا فائده فيه كما أن من كان قبلهم لم يؤمنوا عند إنزال الآيات، و المعجزات ضربان (أحدهما) ما لا يصح معرفه النبوه إلا به و هذا الضرب لا بد من إظهاره سواء وقع منه الإيمان أو لم يقع (و الثانى) ما يكون لطفًا فى الإيمان فهذا أيضا يظهره الله سبحانه و ما خرج عن هاتين الصفتين من المعجزات لا- يفعل سبحانه (و الثالث) إن المعنى إنا لا نرسل الآيات لأن آباءكم و أسلافكم سألوها مثلها و لم يؤمنوا عندها و أنتم على آثار أسلافكم مقتدون فكما لم يؤمنوا هم لا تؤمنون أنتم عن أبى مسلم «وَ آتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً» أى بينه أراد آيه مبصره كما قال وَ جَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً و معناه دلالة واضحة ظاهره و قيل ذات أبصار و قيل تبصرهم و تبين لهم حتى يبصروا بها الهدى من الضلاله و هى ناقه صالح المخرجه من الصخره على الصفه التى اقترحوها «فَطَلَّموها بها» أى فكفروا بتلك الآيه و جحدوا بأنها من عند الله و قيل ظلموا أنفسهم بسببها و بعقرها «وَ مَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا» أى لا نرسل

الآيات التي نظرها على الأنبياء إلا عظه للناس و زجرا أو تخويها لهم من عذاب الله إن لم يؤمنوا ثم خاطب سبحانه النبي ص فقال «وَإِذْ قُلْنَا لَكَ» أى و اذكر الوقت الذى قلنا لك يا محمد «إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ» أى أحاط علما بأحوالهم و بما يفعلونه من طاعه أو معصيه و ما يستحقونه على ذلك من الثواب و العقاب و هو قادر على فعل ذلك بهم فهم فى قبضته لا يقدرّون على الخروج من مشيئته و هذا معنى قول ابن عباس و قيل إن المراد به أنه عالم بجميع الأشياء فيعلم قصدهم إلى إيدائك إذا لم تأتهم ما اقترحوا منك من الآيات و هذا حث للرسول ص على التبليغ و وعد له بالعصمه من أذيه قومه و هذا معنى قول الحسن و قيل معناه أنه أحاط بأهل مكة فيستفتها لك عن مقاتل و قال الفراء معناه أحاط أمره بالناس و قيل معناه أنه قادر على ما سأله من الآيات عالم بمصالحهم فلا يفعل إلا ما هو الصلاح فامض لما أمرت به من التبليغ فإن الله سبحانه إن أنزلها فلما يعلم فى إنزالها من اللطف و إن لم ينزلها فلما يعلم من المصلحة عن الجبائى «وَ مَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ» فيه أقوال (أحدها) إن المراد بالرؤيا رؤيه العين و هى ما ذكره فى أول السوره من إسرائ النبي ص من مكة إلى بيت المقدس و إلى السماوات فى ليله واحده إلا أنه لما رأى ذلك ليلا و أخبر بها حين أصبح سماها رؤيا و سماها فتنه لأنه أراد بالفتنه الامتحان و شدة التكليف ليعرض المصدق بذلك لجزيل ثوابه و المكذب لأليم عقابه و هذا معنى قول ابن عباس و سعيد بن جبير و الحسن و قتاده و مجاهد (و ثانيها) ما

روى عن ابن عباس فى روايه أخرى أنها رؤيا نوم رآها أنه سيدخل مكة و هو بالمدينه فقصدها فصدده المشركون فى الحديدية عن دخولها حتى شك قوم و دخلت عليهم الشبهه فقالوا يا رسول الله أ ليس قد أخبرتنا أنا ندخل المسجد الحرام آمنين فقال ص أ و قلت لكم إنكم تدخلونها العام قالوا لا فقال لندخلها إن شاء الله و رجع ثم دخل مكة فى العام القابل فنزل «لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ»

و هو قول الجبائى و أبى مسلم و إنما كان فتنه و امتحانا و ابتلاء لما ذكرناه (و ثالثها)

إن ذلك رؤيا رآها النبي ص فى منامه أن قرودا تصعد منبره و تنزل فساءه ذلك و اغتم به روى سهل بن سعيد عن أبيه أن النبي ص رأى ذلك و قال له ص لم يستجمع بعد ذلك ضاحكا حتى مات و روى سعيد بن يسار أيضا و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام) أبى عبد الله (عليه السلام)

و قالوا على هذا التأويل أن الشجره الملعونه فى القرآن هى بنو أميه أخبره الله سبحانه بتغلبهم على منامه و قتلهم ذريته

روى عن المنهال بن عمرو قال دخلت على على بن الحسين (عليه السلام)

فقلت له كيف أصبحت يا ابن رسول الله فقال أصبحنا والله بمنزله بنى إسرائيل من آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم و أصبح خير البريه بعد رسول الله ص يلعن على المناير و أصبح من يحبنا منقوصا حقه بحبه إيانا

و قيل للحسن يا أبا سعيد قتل الحسين بن على (عليه السلام) فبكى حتى اختلج جنباه ثم قال وا ذلاه لأمه قتل ابن دعيها ابن بنت نبياها و قيل إن الشجرة الملعونه هي شجرة الزقوم عن ابن عباس و الحسن و قيل الشجرة الملعونه هي اليهود عن أبى مسلم و تقدير الآيه و ما جعلنا الرؤيا التي أريناك و الشجرة الملعونه إلا فتنه للناس قالوا و إنما سمى شجرة الزقوم فتنه لأن المشركين قالوا إن النار تحرق الشجرة فكيف تنبت الشجرة فى النار و صدق بها المؤمنون و روى أن أبا جهل قال إن محمدا يوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم أنه تنبت فيها الشجرة و قوله «فِي الْقُرْآنِ» معناه التي ذكرت فى القرآن «وَنُحُوفُهُمْ» أى نرهبهم بما نقص عليهم من هلاك الأسم الماضيه و قيل بما نرسل من الآيات «فَمَا يَزِيدُهُمْ» ذلك «إِلَّا طُعْيَانًا كَبِيرًا» أى عتوا فى الكفر عظيما و تماديا فى الغى كبيرا لأنهم لا يرجعون عنه.

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٦١ الى ٦٥]

إشاره

وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (٦٢) قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (٦٣) وَ اسْتَغْفِرْ مَنْ اسْتِطَعَتْ مِنْهُمْ بِصُوتِكَ وَ أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجِلِكَ وَ شَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ وَ عِبَادِهِمْ وَ مَا يَعْبُدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا عُرْوًا (٦٤) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَ كَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا (٦٥)

القراءه

قرأ حفص «وَ رَجِلِكَ» بكسر الجيم و الباقون بسكونها.

الحجه

من سكن الجيم فهو جمع راجل مثل راكب و ركب و صاحب و صحب و تاجر

و تجر و أما قراءه حفص بكسر الجيم فروى أبو على عن أبي زيد يقال رجل للراجل و يقال جاءنا حافيا رجلا و أنشد:

أما أقاتل عن دينى على فرس و لا كذا رجلا إلا بأصحاب

كأنه قال أما أقاتل فارسا و راجلا و روى ابن جنى عن قطرب أنه قال: الرجل الرجال و عليه قراءه عكرمه و قتاده و رجالك قال زهير فى الرجل:

هم ضربوا عن فرجها بكتيبه كبيضاء حرس فى جوانبها الرجل.

اللغة

الاحتناك الاقتطاع من الأصل يقال احتنك فلان ما عند فلان من مال أو علم إذا استقصاه فأخذه كله و احتنك الجراد الزرع إذا أكله كله قال الشاعر:

أشكو إليك سنه قد أجهفت جهدا إلى جهد بنا و أضعفت

و احتنكت أموالنا و جلفت

و قيل إنه من قولهم حنك الدابة يحنكها إذا جعل فى حنكها الأسفل حبلا يقودها به و الموفور المكمل يقال وفرتة أفره و فرا قال زهير:

و من يجعل المعروف من دون عرضه يفره و من لا يتق الشتم يشتم

و الاستفزاز الإزعاج و الاستنهاض على خفه و إسراع و أصله القطع و تفرز الثوب إذا تخرق و فزرتة تفرزها فكان معنى استفزه استزله بقطعه عن الصواب و رجل فرأى خفيف و الاستطاعة قوه تنطاع بها الجوارح للفعول و منه الطوع و الطاعة و هو الانقياد للفعول و الإجلاب السوق بجبله من السائق و الجلبه شدة الصوت و قال ابن الأعرابي: أجلب الرجل على صاحبه إذا توعدده بالشر و جمع عليه الجيش.

الإعراب

قال الزجاج طينا منصوب على الحال بمعنى أنك أنشأته فى حال كونه من طين و يجوز أن يكون تقديره من طين فحذف من فوصل الفعل و مثله قوله «أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ» أى لأولادكم و قيل إنه منصوب على التمييز و الكاف فى قوله «أَرَأَيْتَكَ» لا

موضع لها من الإعراب لأنها حرف خطاب جاء للتوكيد و موضع هذا نصب با رأيت و الجواب محذوف. المعنى أخبرني عن هذا الذي كرمته على و لم كرمته على و قد خلقتني من نار و خلقتة من طين فحذف ما ذكرناه لأن في الكلام دليلا عليه.

المعنى

ثم ذكر سبحانه قصه آدم (عليه السلام) و إبليس فقال «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ» قد مر تفسيره في سورة البقره «قال» إبليس «أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً» و هو استفهام بمعنى الإنكار أى كيف أسجد له و أنا أفضل منه و أصلى أشرف من أصله و فى هذا دلالة على أن إبليس فهم من ذلك تفضيل آدم على الملائكة و لو لا ذلك لما كان لامتناعه من السجود وجه و إنما جاز أن يأمرهم سبحانه بالسجود لآدم (عليه السلام) و لم يجز أن يأمرهم بالعبادة له لأن السجود يترتب فى التعظيم حسب ما يراد به و ليس كذلك العبادة التى هى خضوع بالقلب ليس فوqe خضوع لأنه يترتب فى التعظيم لجنسه يبين ذلك أنه لو سجد ساهيا لم يكن له منزله فى التعظيم على قياس غيره من أفعال الجوارح «قالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ» أى قال إبليس رأيت يا رب هذا الذى فضلته على يعنى آدم (عليه السلام) «لَئِنِ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» أى لئن أخرت أجل موتى «لَأُخْتِنَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا» أى لأغوين ذريته و أفودنهم معى إلى المعاصى كما تقاد الدابة بحنكها إذا شد فيها جبل تجر به إلا القليل الذين تعصمهم و هم المخلصون عن أبى مسلم و قيل لأحتنكنهم أى لأستولين عليهم عن ابن عباس و قيل لأستاصلنهم بالإغواء من احتناك الجراد الزرع و هو أن يأكله و يستأصله عن الجبائى و إنما طمع الملعون فى ذلك لأن الله سبحانه أخبر الملائكة أنه سيجعل فى الأرض من يفسد فيها فكأن العلم قد سبق له بذلك عن الجبائى و قيل لأنه وسوس إلى آدم فلم يجد له عزا فقال إن أولاده أضعف منه عن الحسن «قالَ» الله سبحانه له على وجه الاستهانه و الاستصغار «أَذْهَبَ» يا إبليس «فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ» أى من ذرية آدم (عليه السلام) و اقتفى أثرك و قبل منك «فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزْأُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا» أى موفرا كاملا لا نقصان فيه عن الاستحقاق «وَاسِيَتْفُزِرْ مَنْ اسِيَتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ» أى و استزل من استطعت منهم أضلهم بدعائك و وسوستك من قولهم صوت فلان بفلان إذا دعاه و هذا تهديد فى صورته الأمر عن ابن عباس و يكون كما يقول الإنسان لمن يهدده اجهد جهدك فسترى ما ينزل بك و إنما جاء التهديد فى صورته الأمر لأنه بمنزله أن يؤمر الغير بإهانه نفسه و قيل بصوتك أى بالغناء و المزامير و الملاحى عن مجاهد و قيل كل صوت يدعى به إلى الفساد فهو من

صوت الشياطين «وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ» أى أجمع عليهم ما قدرت عليه من مكائيدك و أتباعك و ذريتك و أعوانك و على هذا فيكون الباء مزیده فى بخيلك و كل راكب أو ماش فى معصيه الله من الإنس و الجن فهو من خيل إبليس و رجله و قيل هو من أجلب القوم و جلبوا أى صاحوا أى صح بخيلك و رجلك و احشروهم عليهم بالإغواء «و شارِكُهُمْ فى الأَمْوَالِ وَ الأَوْلَادِ» و هو كل مال أصيب من حرام و أخذ بغير حقه و كل ولد زنا عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و قيل إن مشاركتهم فى الأموال أنه أمرهم أن يجعلوها سائبه و بحيره و غير ذلك و فى الأولاد أنهم هودوهم و نصرروهم و مجسوهم عن قتاده و قيل إن كل مال حرام أو فرج حرام فله فيه شرك عن الكلبي و قيل إن المراد بالأولاد تسميتهم عبد شمس و عبد الحرث و نحوهما و قيل هو قتل الموءودة من أولادهم و القولان مرويان عن ابن عباس «وَ عَدُّهُمْ» أى و منهم البقاء و طول الأمل و أنهم لا يبعثون و كل هذا زجر و تهديد فى صوره الأمر «وَ ما يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورا» هذا إخبار من الله عز و جل أن مواعيد الشيطان تكون غرورا أى يزين لهم الخطأ أنه صواب و هو اعتراض «إِنَّ عِبَادِي» يعنى الذين يطيعوننى أضافهم إلى نفسه تشريفا لهم «أَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمُ سُلْطَانٌ» أى قوه و نفاذ لأنهم يعلمون أن مواعيدك باطله فلا يغترون بها و قيل معناه لا سلطان لك على جميع عبادى إلا فى الوسوسة و الدعاء إلى المعصيه فأما فى أن تمنعهم عن الطاعة و تحملهم على المعصيه جبرا و كرها فلا عن الجبائى «وَ كَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا» أى حافظا لعباده من شرك.

النظم

الوجه فى اتصال الآيات بما قبلها على تقدير و ما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا محققين ظن إبليس فيهم يوم قيل له اسجد فقال كذا و كذا عن على بن عيسى و قيل اتصلت بقوله «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عِدُوًّا مُّبِينًا» ثم عاد إلى ذكر الشيطان لزياده الإيضاح و البيان بما أبان عن قصته مع آدم (عليه السلام) عن أبى مسلم.

أشاره

رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٦٦) وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهًا فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا (٦٧) أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُزِيلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكَيْلًا (٦٨) أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِبًا مِمَّا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا (٦٩)

القراءة

قرأ ابن كثير و أبو عمرو نخسف و نرسل و نعيدكم فمرسل عليكم فمغرقكم كله بالنون و قرأ أبو جعفر و يعقوب فمغرقكم بالتاء و الباقي بالياء و قرأ الباقون كلها بالياء.

الحجج

من قرأ الجميع بالياء فلما تقدم من قوله «ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهًا فَلَمَّا نَجَّكُمْ» و من قرأ بالنون فلأن هذا النحو قد تقطع بعضه من بعض و لأن الانتقال من الغيبة إلى الخطاب جائز و من قرأ فمغرقكم بالتاء فإنه رد الضمير المؤنث في فمغرقكم إلى الريح.

اللغة

الإزجاء سوق الشيء حالا بعد حال و الحاصب من قولهم حصبه بالحجارة يحصبه حصبا إذا رماه بها رميا متتابعا قال القتيبي: الحاصب الريح التي ترمى بالحصباء و هي الحصى الصغار قال الفرزدق:

مستقبلين شمال الشام يضربنا بحاصب كنديف القطن مندوف

و القاصف الكاسر بشده قصفه يقصفه قصفا.

المعنى

لما تقدم ذكر الشيطان و ذكر المشركين و عبده الأوثان احتج عليهم سبحانه بدلائل التوحيد و الإيمان فقال «رَبُّكُمْ» أى خالقكم و مدبركم «الَّذِي يُرْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ» أى يجرى لكم السفن «فِي الْبَحْرِ» بما خلق من الرياح و بأن جعل الماء على وجه يمكن جرى السفن فيه «لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ» أى لتطلبوا من فضل الله تعالى بركوب السفن على وجه الماء فيما فيه صلاح دنياكم من التجاره أو صلاح دينكم من الغرق «إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا» حيث أنعم عليكم بهذه النعم «وَ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ» أى الشده «فِي الْبَحْرِ» بسكون الرياح و احتباس السفن أو باضطراب الأمواج و غير ذلك من أهوال البحر «ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهًا» أى ذهب عنكم ذكر كل معبود إلا الله فلا ترجون هناك النجاه إلا من عنده فتدعون و لا تدعون غيره «فَلَمَّا نَجَّكُمْ» من البحر «إِلَى الْبَرِّ» و أمنتهم

الغرق «أَعْرَضْتُمْ» عن الإيمان به و عن طاعته كفرانا للنعمه «وَ كَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا» أى كثير

ص: ٢٤٤

الكفران «أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ» معناه إن فعلكم هذا فعل من يتوهم إنه إذا صار إلى البر أمن المكاره حتى أعرضتم عن شكر الله و طاعته فهل أمنتُم أن يخسف بكم أى يغييكم و يذهبكم فى جانب البر و هو الأرض يقال خسف الله به الأرض أى غاب به فيها و أراد به بعض البر و هو موضع حلولهم فيه فسماه جانبا لأنه يصير بعد الخسف جانبا و قيل إنهم كانوا على ساحل البحر و ساحله جانب البر و كانوا فيه آمنين من أهوال البحر فحذرهم ما أمنوه من البر كما حذرهم ما خافوه من البحر «أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا» أى أو هل أمنتُم أن يرسل عليكم حجاره تحصبون بها أى ترمون بها و المعنى أنه سبحانه قادر على إهلاككم فى البر كما أنه قادر على إغراقكم فى البحر «ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكَيْلًا» أى حافظا يحفظكم عن عذاب الله و دافعا يدفعه عنكم «أَمْ أَمِنْتُمْ» أى أم هل أمنتُم «أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى» أى فى البحر مره أخرى بأن يجعل لكم حاجه أو يحدث لكم رغبه أو رهبه فترجعون إلى البحر مره أخرى «فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِبًا مِّنَ الرِّيحِ» أى فإذا ركبتم البحر أرسل عليكم ريحا شديده كاسره للسفينه و قيل الحاصب الريح المهلكه فى البر و القاصف المهلكه فى البحر «فَيَغْرِقُكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ» من نعم الله «ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا» أى تابعا يتبع إهلاككم للمطالبه بدمائكم و يقول لم فعلت هذا بهم و هذا فى معنى قول المفسرين يعنى نائرا و لا ناصرا.

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٧٠ الى ٧٢]

إشارة

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠) يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ يَمِينًا فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧١) وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٧٢)

القراءة

قرأ أهل البصره أعمى الأولى بالإماله و «أعمى» الثانيه بالتفخيم و قرأ حمزه

ص: ٢٤٥

و الكسائى بالإماله فيهما و الباقون بالتفخيم فيهما و قرأ زيد عن يعقوب يوم يدعوا بالياء و الباقون بالنون و فى الشواذ قراءه الحسن يوم يدعوا بضم الياء و فتح العين.

الحجه

قال أبو على: من أمالهما فإنه حسن لأنه ينحو بالألف نحو الياء ليعلم أنها ينقلب إلى الياء و إن كانت فاصله أو مشبهه بالفاصله فالإماله فيها حسنه لأن الفاصله موضع وقف و الألف تخفى فى الوقف فإذا أمالها نحى بها نحو الياء ليكون أظهر لها و أبين و مما يقوى ذلك أن من العرب من يقبل هذه الألفات فى الوقف ياءات ليكون أبين لها قالوا أفعى و حبلى و منهم من يقول أفعو و هم كأنهم أحرص على البيان من الأولين من حيث كانت الواو أظهر من الياء و الياء أخفى منها من حيث كانت أقرب إلى الألف من الواو إليها و أما من أمال الألف من الكلمه الأولى و لم يمل من الثانيه فإنه يجوز أن لا يجعل أعمى الكلمه الثانيه عباره عن المؤوف الجارحه و لكنه جعله أفعال من كذا مثل أبلد من فلان فجاز أن يقول فيه أفعال من كذا و إن لم يجر أن يقول ذلك فى المصاب ببصره فإذا جعله كذلك لم يقع الألف فى آخر الكلمه لأن آخرها إنما هو من كذا و إنما تحسن الإماله فى الأواخر لما تقدم و قد حذف من أفعال الذى هو للتفضيل الجار و المجرور و هما مرادان فى المعنى مع الحذف و ذلك نحو قوله «فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السَّرَّ» و أخفى المعنى من السر و كذلك قولهم عام أول أى أول من عامك و كذلك قوله «فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى» أى أعمى منه فى الدنيا و معنى أعمى فى الآخره أنه لا يهتدى إلى طرق الثواب و يؤكد ذلك ظاهر ما عطف عليه من قوله «وَ أَضَلُّ سَبِيلًا» فكما أن هذا لا يكون إلا على أفعال فكذلك المعطوف عليه و معنى أضل سبيلا فى الآخره إن ضلاله فى الدنيا قد كان ممكنا من الخروج منه و ضلاله فى الآخره لا سبيل له إلى الخروج منه و يجوز أن يكون أعمى فيمن تأوله أفعال من كذا على هذا التأويل أيضا قال ابن جنى:

قراءه الحسن يوم يدعو على لغه من أبدال الألف فى الوصل واوا نحو أفعو و حبلو ذكر ذلك سيبويه و أكثر هذا فى الوقف.

المعنى

لما تقدم قول إبليس هذا الذى كرمت على ذكر سبحانه بعد ذلك تكرمه لبنى آدم بأنواع الإكرام و فنون الأنعام فقال «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ» أى فضلناهم عن ابن عباس و أجريت الصفه على جميعهم من أجل من كان فيهم على هذه الصفه كقوله «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» و قيل إنما عمهم بالتكرمه مع أن فيهم الكافر المهان لأن المعنى أكرمناهم بالنعمة الدنيويه كالصور الحسنه و تسخير الأشياء لهم و بعث الرسل إليهم و قيل معناه

عاملناهم معامله المكرم على وجه المبالغه فى الصفه و اختلف فيما كرموا به ف قيل بالقوه و العقل و النطق و التمييز عن ابن عباس و الضحاك و قيل إنهم يأكلون باليد و كل دابه تأكل بفمها رواه ميمون بن مهران عن ابن عباس و قيل بتعديل القامه و امتدادها عن عطاء و قيل بالأصابع يعملون بها ما يشاءون روى ذلك جابر بن عبد الله و قيل بتسليطهم على غيرهم و تسخير سائر الحيوانات لهم عن ابن جرير و قيل بأن جعل محمدا ص منهم عن محمد بن كعب و قيل بأنهم يعرفون الله و يأترون بأمره و قيل بجميع ذلك و غيره من النعم التى خصوا بها و هو الأوجه «وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ» فى البر على الإبل و الخيل و البغال و الحمير و فى البحر على السفن «وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ» أى من الثمار و الفواكه و الأشياء الطيبه و سائر الملاذ التى خص بها بنو آدم و لم يشركهم شىء من الحيوان فيها «وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا» استدل بعضهم بهذا على إن الملائكه أفضل من الأنبياء قال لأن قوله «على كثير» يدل على أن هاهنا من لم يفضلهم عليه و ليس إلا- الملائكه لأن بنى آدم أفضل من كل حيوان سوى الملائكه بالاتفاق و هذا باطل من وجوه (أحدها) إن التفضيل هاهنا لم يرد به الثواب لأن الثواب لا يجوز التفضيل به ابتداء و إنما المراد بذلك ما فضلهم الله به من فنون النعم التى عددنا بعضها (و ثانيها) إن المراد بالكثير الجميع فوضع الكثير موضع الجميع و المعنى إنا فضلناهم على من خلقنا و هم كثير كما يقال بذلت له العريض من جاهى و أبحته المنيع من حريمى و لا يراد بذلك إني بذلت له عريض جاهى و منعت ما ليس بعريض و أبحته منيع حريمى و لم أبحه ما ليس منيعا بل المقصود أنى بذلت له جاهى الذى من صفته أنه عريض و فى القرآن و محاورات العرب من ذلك ما لا يحصى و لا يخفى ذلك على من عرف كلامهم قال سويد بن أبى كاهل فى شعره:

من أناس ليس فى أخلاقهم عاجل الفحش و لا سوء الجزع

و لم يرد أن فى أخلاقهم فحشا آجلا و لو أراد ذلك لم يكن مادحا لهم (و ثالثها) أنه إذا سلم أن المراد بالتفضيل زياده الثواب و إن لفظه من فى قوله «مِمَّنْ خَلَقْنَا» يفيد التبعيض فلا- يمتنع أن يكون جنس الملائكه أفضل من جنس بنى آدم لأن الفضل فى الملائكه عام لجميعهم أو أكثرهم و الفضل فى بنى آدم يختص بقليل من كثير و على هذا فغير منكر أن يكون الأنبياء أفضل من الملائكه و إن كان جنس الملائكه أفضل من جنس بنى آدم و متى قيل إذا كان معنى التكريم و التفضيل واحدا فما معنى التكرار (فجوابه) إن قوله «كَرَّمْنَا» ينبى عن الأنعام و لا ينبى عن التفضل فجاء بلفظ التفضيل ليدل عليه و قيل إن التكريم يتناول نعم

الدنيا و التفضيل يتناول نعم الآخرة و قيل أن التكريم بالنعم التي يصح بها التكليف و التفضيل بالتكليف الذي عرضهم به للمنازل العاليه «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ» فيه أقوال (أحدها) إن معناه بنبيهم عن مجاهد و قتاده و يكون المعنى على هذا أن ينادى يوم القيام فيقال هاتوا متبعي إبراهيم هاتوا متبعي موسى هاتوا متبعي محمد فيقوم أهل الحق الذين اتبعوا الأنبياء فيأخذون كتبهم بأسمائهم ثم يقال هاتوا متبعي الشيطان و هاتوا متبعي رؤساء الضلالة و هذا معنى ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس و

روى أيضا عن علي (عليه السلام) إن الأئمة إمام هدى و إمام ضلالة و رواه الوالبي عنه بأئمتهم فى الخير و الشر

(و ثانيها) معناه بكتابهم الذى أنزل عليهم من أوامر الله و نواهيه فيقال يا أهل القرآن و يا أهل التوراه عن ابن زيد و الضحاك (و ثالثها) إن معناه بمن كانوا يأتون به من علمائهم و أئمتهم عن الجبائي و أبي عبيده و يجمع هذه الأقوال

ما رواه الخاص و العام عن الرضا على بن موسى (عليه السلام) بالأسانيد الصحيحه أنه روى عن آبائه (عليه السلام) عن النبي ص أنه قال فيه يدعى كل أناس بإمام زمانهم و كتاب ربهم و سنه نبيهم

و

روى عن الصادق (عليه السلام) أنه قال أ لا تحمدون الله إذا كان يوم القيامة فدعا كل قوم إلى من يتولونه و دعانا إلى رسول الله ص و فرعتم إلينا فإلى أين ترون يذهب بكم إلى الجنة و رب الكعبه قالها ثلاثا

(و رابعها) إن معناه بكتابهم الذى فيه أعمالهم عن ابن عباس فى روايه أخرى و الحسن و أبى العالیه (و خامسها) معناه بأمهاتهم عن محمد بن كعب «فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ» أى فمن أعطى كتاب عمله الذى فيه طاعاته و ثواب أعماله بيمينه «فَأُولَئِكَ يَفْرَحُونَ كِتَابَهُمْ» فرحين مسرورين لا- يجنبون عن قراءته لما يرون فيه من الجزاء و الثواب «وَلَا يُظَلِّمُونَ فِتْلًا» أى لا- ينقصون ثواب أعمالهم مقدار فتيل و هو المفتول الذى فى شق النواه عن قتاده و قيل الفتيل فى بطن النواه و النقى فى ظهرها و القطمير قشر النواه عن الحسن جعل الله إعطاء الكتاب باليمين علامه الرضا و الخلاص و إعطاء الكتاب باليسار و من وراء الظهر علامه السخط و الهلاك «وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى» ذكر فى معناه أقوال (أحدها) إن هذه إشاره إلى ما تقدم ذكره من النعم و معناه أن من كان فى هذه النعم و عن هذه العبر أعمى فهو عما غيب عنه من أمر الآخرة أعمى عن ابن عباس (و ثانيها) إن هذه إشاره إلى الدنيا و معناه من كان فى هذه الدنيا أعمى عن آيات الله ضالا عن الحق ذاهبا عن الدين فهو فى الآخرة أشد تحيرا و ذهابا عن طريق الجنة أو عن الحججه إذا سئل فإن من ضل عن معرفه الله فى الدنيا يكون يوم القيامه منقطع الحججه فالأول اسم و الثانى فعل من العمى و هذا معنى قول ابن عباس و مجاهد و قتاده (و ثالثها) إن معناها من كان فى الدنيا أعمى القلب فإنه فى الآخرة

أعمى العين يحشر كذلك عقوبه له على ضلالتة فى الدنيا عن أبى مسلم قال و هذا كقوله «و نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى» و تأول قوله سبحانه «فَبَصَّرُوكَ الْيَوْمَ حَدِيدًا» بأن معناه الأخبار عن قوه المعرفة و الجاهل بالله سبحانه يكون عارفا به فى الآخرة و تقول العرب فلان بصير بهذا الأمر و إنما أرادوا بذلك العلم و المعرفة لا الإبصار بالعين و على هذا فليس يكون قوله «فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى» على سبيل المبالغه و التعجب و إن عطف عليه بقوله «وَأَضَلُّ سَبِيلًا» و يكون التقدير و هو أضل سبيلا- قال و يجوز أن يكون أعمى عباره عما يلحقه من الغم المفرط فإنه إذ لم ير إلا ما يسوء فكأنه أعمى كما يقال فلان سخين العين (و رابعها) إن معناه من كان فى الدنيا ضالا فهو فى الآخرة أضل لأنه لا يقبل توبته عن الحسن و اختاره الزجاج على هذا القول و قال تأويله إنه إذا عمى فى الدنيا و قد عرفه الله الهدى و جعل له إلى التوبه وصله فعمى عن رشده و لم يتب فهو فى الآخرة أشد عمى و أضل سبيلا لأنه لا يجد طريقا إلى الهدايه.

النظم

قيل فى وجه اتصال قوله «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ» بما قبله وجوه (أحدها) أنه سبحانه ذكر تفضيل بنى آدم ثم بين أن ذلك التفضيل إنما يكون فى ذلك اليوم فيستحق المهتدون الثواب بهدايتهم (و ثانيها) أنها اتصلت بقوله «إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا» أى فاحذروا يوم يدعى كل أمه بإمامهم (و ثالثها) إنها اتصلت بقوله «يُعِيدُكُمْ» أى يعيدكم يوم يدعو (و رابعها) أنه تعالى ذكر فيما تقدم من آمن و من كفر ثم بين فى هاتين الآيتين ما أعد للفريقين من ثواب و عقاب و أنه يعطيهم ذلك على ما هو مكتوب فى كتبهم عن أبى مسلم.

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٧٣ الى ٧٥]

إشاره

وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣) وَ لَوْ لَا أَنْ تَبْتُنَاكَ لَقَدْ كَدَتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَ ضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥)

الإعراب

«لَوْ لَا أَنْ تَبْتُنَاكَ» تقديره لو لا تثبتنا إياك فإن هاهنا فى موضع رفع بالابتداء و خبره مضممر و هذا يدل على بطلان مذهب أبى سعيد حيث قال:

" لو لا حددت و لا عدوى

و استدل به على أن لو لا تدخل على الفعل و خفى عليه إضمار أن فى البيت.

النزول

فى سبب نزوله أقوال (أحدها)

إن قريشا قالت للنبي ص لا ندعك تستلم الحجر حتى تلم بالهتنا فحدث نفسه و قال ما على فى أن ألم بها و الله يعلم إنى لكاره لها و يدعونى أستلم الحجر فأنزل الله تعالى هذه الآية عن سعيد بن جبير

(و ثانيها) أنهم قالوا له كف عن شتم آلهتنا و تسفيه أحلامنا و اطرده هؤلاء العبيد و السقاط الذين راثحتهم رائحة الصنان حتى نجالسك و نسمع منك فطمع فى إسلامهم فنزلت الآية (و ثالثها) إن رسول الله ص أخرج الأصنام من المسجد فطلبت إليه قريش أن يترك صنما على المروه فهم بتركه ثم أمر بعد بكسره فنزلت الآية رواه العياشى بإسناده (و رابعها)

إنها نزلت فى وفد ثقيف قالوا نبايعك على أن تعطينا ثلاث خصال لا ننحنى بفنون الصلاة و لا نكسر أصنامنا بأيدينا و تمتعنا باللات سنة فقال ص لا خير فى دين ليس فيها ركوع و لا سجود فأما كسر أصنامكم بأيديكم فذاك لكم و أما الطاعة للات فإنى غير ممتعكم بها و قام رسول الله ص و توضأ فقال عمر بن الخطاب ما بالكم آذيتم رسول الله ص أنه لا يدع الأصنام فى أرض العرب فما زالوا به حتى أنزل هذه الآيات عن ابن عباس

(و خامسها) أن وفد ثقيف قالوا أجلنا سنة حتى نقبض ما يهدى لآلهتنا فإذا قبضنا ذلك كسرناها و أسلمنا فهم بتأجيلهم فنزلت الآية عن الكلبي رواه عن عطيه عن ابن عباس.

المعنى

ثم حكى الله سبحانه عن الكفار فقال «وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ» إن هذه مخففه من الثقيله و المعنى أن المشركين الذين تقدم ذكرهم فى هذه السوره هموا و قاربوا أن يزلوك و يصرفوك عن القرآن الذى أوحينا إليك أى من حكمه «لَتَفْتِرَى عَلَيْنَا غَيْرُهُ» أى لتخترع علينا غير ما أوحيناه إليك و المعنى لتحل محل المفترى لأنك تخبر إنك لا تنطق إلا عن وحى فإذا اتبعت أهواءهم أو هممت أنك تفعله بأمر الله فكنت كالمفترى «وَإِذَا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا» معناه و إنك لو أجبتهم إلى ما طلبوا منك لتلوك و أظهروا خلتك أى صداقتك لموافقتك معهم و قيل هو من الخله التى هى الحاجه أى فقيرا محتاجا إليهم و الأول أوجه «وَلَوْ لَا أَنْ بَبْتْنَاكَ» أى ثبتنا قلبك على الحق و الرشد بالنبوه و العصمه و المعجزات و قيل بالألطف الخفيه «لَقَدْ كِدَّتْ تَزَكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا» أى ركونا قليلا و المعنى لقد قاربت أن تسكن إليهم بعض السكون و أن تميل إليهم ميلا قليلا فتعطيهم بعض

ما سألوك يقال كدت أفعل كذا أى قاربت أن أفعله و لم أفعله و

قد صح عنه ص قوله وضع عن أمتي ما حدثت به نفسها ما لم تعمل به أو تتكلم به

قال ابن عباس يريد حيث سكت عن جوابهم و الله أعلم بنبيه ثم توعدده سبحانه على ذلك لو فعله فقال «إِذَا لَأَذُقْنَاكَ ضِعْفَ ضِعْفِ الْحَيَاةِ وَ ضِعْفَ الْمَمَاتِ» أى لو فعلت ذلك لعذبتك ضعف عذاب الحياه و ضعف عذاب الممات أى مثلى ما نعذب به المشرك فى الدنيا و مثلى ما نعذب به المشرك فى الآخرة لأن ذنبك يكون أعظم و قيل إن المراد بالضعف العذاب المضاعف ألمه و المعنى لأذقناك عذاب الدنيا و عذاب الآخرة عن أبان بن تغلب و أنشد قول الشاعر:

لمقتل مالك إذ بأن سنى أبيت الليل فى ضعف أليم

أى عذاب قال ابن عباس رسول الله ص معصوم و لكن هذا تخويف لأمته لثلا يركن أحد من المؤمنين إلى أحد من المشركين فى شىء من أحكام الله و شرائعه «ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا» أى ناصرنا ينصرك و قال إنه لما نزلت هذه الآية قال النبى ص اللهم لا تكنلى إلى نفسى طرفه عين أبدا عن قتاده.

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٧٦ الى ٧٧]

إشارة

وَإِنْ كَادُوا لَيْسَ يَتَفَرُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٦) سِيئَةٌ مِمَّنْ قَدَّ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَ لَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (٧٧)

القراءة

قرأ أهل الحجاز و أبو عمرو و أبو بكر خلفك بغير ألف و الباقون «خِلَافَكَ» بالألف و قرأ رويس عن يعقوب بالوجهين.

الحجج

قال أبو على زعم أبو الحسن أن خِلافَكَ فى معنى خلفك و معناه بعدك فمن قرأ خلفك أو «خِلَافَكَ» فهو فى القراءةين جميعا على تقدير حذف المضاف أى بعد خروجك فيكون مثل قول ذى الرمة:

له واجف بالقلب حتى تقطعت خلاف الثريا من أريك ما ربه

و المعنى خلاف طلوع الثريا و كذلك من جعل قوله خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ

اسما للجهه كان على حذف المضاف كأنه خلاف خروج رسول الله و من جعله مصدرا جعله مضافا إلى مفعول به و على أى الأمرين حمل ذلك فى سورة التوبه كان بمقعدهم المقعد فيه مصدر لا اسم المكان لأن اسم المكان لا يتعلق به شى ء .

الإعراب

قال «لَا يَلْبُثُونَ» بالرفع لأن إذا وقعت بعد الواو جاز فيها الإلغاء لأنها متوسطه فى الكلام كما أنه لا بد من أن تلقى إذا وقعت حشو أو «سَيِّئَةٌ مِّنْ قَدِّ أَرْسَلْنَا» انتصب بمعنى قوله «لَا يَلْبُثُونَ» لأن تأويله إنا سننا هذه السنه فيمن أرسلناهم قبلك و التقدير أهلكتناهم إهلاكا و سنه مثل سنه من قد أرسلنا قبلك.

النزول

نزلت فى أهل مكه لما هموا بإخراج النبى ص من مكه عن مجاهد و قتاده و قيل نزلت فى اليهود بالمدينه لما قدم رسول الله ص المدينه قالوا له إن هذه الأرض ليست بأرض الأنبياء و إنما أرض الأنبياء الشام فأت الشام عن ابن عباس.

المعنى

ثم بين سبحانه أن الكفار لما يؤسوا من إجابته إياهم فيما التمسوه منه كادوا له فقالوا «وَإِنْ كَادُوا لَيَسْفِزُوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا» معناه و إن المشركين أرادوا أن يزعموك من أرض مكه بالإخراج عن قتاده و مجاهد و قيل عن أرض المدينه يعنى اليهود عن ابن عباس و قيل يعنى جميع الكفار أرادوا أن يخرجوك من أرض العرب عن الجبائى و قال الحسن ليستفزونك معناه ليقتلونك «وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا» معناه أنهم لو أخرجوك لكنوا لا يلبثون بعد خروجك إلا زمانا قليلا و مده يسيره قيل و هى المده بين خروج النبى ص من مكه و قتلهم يوم بدر عن الضحاك و قيل إنهم أخرجوه و أهلكوا و المراد بقوله «إِلَّا قَلِيلًا» إلا ناسا قليلا منهم يريد من انفلت منهم يوم بدر و آمنوا بعد ذلك «سَيِّئَةٌ مِّنْ قَدِّ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا» معناه أنهم لو أخرجوك لاستاصلناهم بعد خروجك كسنتنا فيمن قبلك قال سفيان بن عيينه يقول لم نرسل قبلك رسولا فأخرجه قومه إلا أهلكوا فقد سننا هذه السنه فيمن أرسلنا قبلك إليهم «وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا» أى تبديلا و معناه ما يتهاى لأحد أن يقلب سنه الله و يبطلها و السنه هى العاده الجاريه و الصحيح أن المعنيين فى الآيه مشركو مكه و أنهم لم يخرجوه من مكه و لكنهم هموا بإخراجه كما فى قوله «وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا» إلى قوله «أَوْ يُخْرِجُوكَ» ثم خرج ص لما أمر بالهجره خوفا منهم و ندموا على خروجه و لذلك ضمنوا الأموال فى رده فلم يقدرها على ذلك و لو أخرجوه لاستؤصلوا بالعذاب و لماتوا طرا.

إشاره

أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا (٧٩) وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (٨٠) وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١)

اللغة

الدلوک الزوال و قال المبرد: دلوک الشمس من لدن زوالها إلى غروبها و قيل هو الغروب و أصله من الدلوک فسمى الزوال دلوکا لأن الناظر إليها يدلوک عينه لشده شعاعها و سمي الغروب دلوکا لأن الناظر يدلوک عينه ليتبينها قال ثعلب: دلکت الشمس مالت و قال الزجاج: يقال دلکت براح و براح أى مالت للزوال حتى صار الناظر يحتاج إذا تبصرها أن يكسر الشعاع عن بصره براحتة قال الراجز:

هذا مقام قدمی رباح للشمس حتى دلکت براح

و رباح اسم ساقی الإبل و من قال براح بفتح الباء جعلها اسما للشمس مبنيا على فعال مثل قظام و حدام و من روى براح بكسر الباء أراد براحتة و قال الفراء: أى قال بالراحه على العين لينظر هل غابت الشمس بعد، و غسق الليل ظهور ظلامه يقال غسقت القرحة إذا انفجرت فظهر ما فيها و التهجد التيقظ و السهر بما ينفي النوم و الهجود النوم و هو الأصل هجد يهجد نام و قد هجدته إذا نومته قال لبيد:

قلت هجدنا و قد طال السرى و قدرنا إن خنا الدهر غفل

و قال آخر:

ألا طرقتنا و الرفاق هجود فباتت بعلات النوال تجود

و قال الحطيئه:

ألا طرقت هند الهنود و صحبتى بحوران حوران الجنود هجود

قال المبرد: التهجد السهر للصلاه أو لذكر الله و قال علقمه: التهجد يكون بعد نومه و النافله و النفل الغنيمه قال ليبيد:

إن تقوى ربنا خير نفل و بإذن الله ريثى و عجل

أى و عجلي و عسى من الله واجبه و قد أنشد لابن مقبل فى وجوبها:

ظنى بهم كعسى و هم بتنوفه يتنازعون جوائز الأمثال

يريد كيقين و الزهوق الهلاك و البطلان يقال زهقت نفسه إذا خرجت فكأنه قد خرجت إلى الهلاك.

الإعراب

«قُرْآنَ الْفَجْرِ» منصوب على تقدير و أقم قرآن الفجر و انتصب قوله «نَافِلَةٌ لَكَ» لأنه فى موضع الحال.

المعنى

ثم أمر سبحانه بعد إقامة البيئات و ذكر الوعد و الوعيد، بإقامه الصلاه فقال مخاطبا للنبي ص و المراد هو و غيره «أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ» اختلف المفسرون فى الدلوك فقال قوم دلوك الشمس زوالها و هو قول ابن عباس بخلاف و ابن عمر و جابر و أبى العالیه و الحسن و الشعبى و عطا و مجاهد و قتاده و

الصلاه المأمور بها على هذا هى صلاه الظهر و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام) و أبى عبد الله (عليه السلام)

و معنى قوله «لِدُلُوكِ الشَّمْسِ» أى عند دلوكها و قال قوم دلوكها غروبها و هو قول النخعى و الضحاك و السدى و الصلاه المأمور بها على هذا هى المغرب و روى ذلك عن ابن مسعود و ابن عباس و القول الأول هو الأوجه

لتكون الآيه جامعه للصلوات الخمس فصلاتا دلوك الشمس الظهر و العصر و صلاتا غسق الليل هما المغرب و العشاء الآخره و المراد بقرآن الفجر صلاه الفجر فهذه خمس صلوات و هذا معنى قول الحسن و اختاره الواحدى و غسق الليل هو أول بدء الليل عن ابن عباس و قتاده و قيل هو غروب الشمس عن مجاهد و قيل هو سواد الليل و ظلمته عن الجبائى و قيل

هو انتصاف الليل عن أبى جعفر (عليه السلام) و أبى عبد الله (عليه السلام)

و استدل قوم من أصحابنا بالآيه على أن وقت صلاه الظهر موسع إلى آخر النهار لأنه سبحانه أوجب إقامه الصلاه من وقت دلوكها إلى غسق الليل و ذلك يقتضى أن ما بينهما وقت و لم يرتضه الشيخ أبو جعفر قدس الله روحه قال لأن من قال إن الدلوك هو الغروب فلا دلالة فيه عنده بل يقول أوجب سبحانه إقامه المغرب من عند الغروب إلى وقت اختلاط الظلام الذى هو غروب الشفق و من قال الدلوك هو الزوال أمكنه أن يقول إن المراد بالآيه بيان وجوب الصلوات الخمس على ما ذكره الحسن لا بيان وقت صلاه واحده و أقول إنه يمكن الاستدلال بالآيه على ذلك بأن يقال إن الله سبحانه جعل من دلوك الشمس الذى هو الزوال إلى غسق الليل وقتا للصلوات الأربع إلا أن الظهر و العصر اشتركا فى الوقت من الزوال إلى الغروب و المغرب و العشاء الآخره اشتركا فى الوقت من الغروب إلى الغسق و أفرد صلاه الفجر بالذكر فى قوله «وَقُرْآنَ الْفَجْرِ» فى الآيه بيان وجوب الصلوات الخمس و بيان أوقاتها و يؤيد ذلك

ما رواه العياشى بالإسناد عن عبيد بن زراره عن أبى عبد الله (عليه السلام) و فى هذه الآيه قال إن الله افترض أربع صلوات أول وقتها من زوال الشمس إلى انتصاف الليل منها صلاتان أول وقتها من عند زوال الشمس إلى غروبها إلا أن هذه قبل هذه و منها صلاتان أول وقتها من غروب الشمس إلى انتصاف الليل إلا أن هذه قبل هذه

و إلى هذا ذهب المرتضى علم الهدى قدس الله روحه فى أوقات الصلوات و قال الزجاج إن فى قوله «وَقُرْآنَ الْفَجْرِ» فائده عظيمه تدل على أن الصلاه لا تكون إلا بقراءه لأن قوله «أَقِمِ الصَّلَاةَ» و أقم قرآن الفجر قد أمر فيه أن يقيم الصلاه بالقراءه حتى سميت الصلاه قرآنا فلا يكون صلاه إلا بقراءه «إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا» كلهم قالوا معناه إن صلاه الفجر تشهدا ملائكه الليل و ملائكه النهار و

قال النبى ص تفضل صلاه الجماعه صلاه أحدكم وحده بخمسه و عشرين جزءا و يجتمع ملائكه الليل و النهار فى صلاه الفجر أورده البخارى فى الصحيح

«وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ» خطاب للنبى ص أى فصل بالقرآن عن ابن عباس و لا يكون التهجد إلا بعد النوم عن مجاهد و الأسود و علقمه و أكثر المفسرين و قال بعضهم ما تنفلت به فى كل الليل يسمى تهجدا و المتهجد الذى يلقى الهجود عن نفسه كما يقال المتحرج و المتأثم «نافلته لك» أى زياده لك على الفرائض و ذلك أن صلاه الليل كانت

فريضه على النبي ص مكتوبه عليه و لم تكتب على غيره و كانت فضيله لغيره عن ابن عباس و قيل كانت واجبه عليه فنسخ وجوبها بهذه الآيه و قيل إن معناه فضيله لك و كفاره لغيرك فإن كل إنسان يخاف أن لا يقبل فرضه فيكون نفعه كفاره و النبي لا يحتاج إلى كفاره عن مجاهد و قيل معناه نافله لك و لغيرك و إنما اختصه بالخطاب لما في ذلك من دعاء الغير إلى الاقتداء به و الحث على الاستئذان بسنته «عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً» عسى من الله واجبه و المقام بمعنى البعث فهو مصدر من غير جنسه أى يبعثك يوم القيامة بعثاً أنت محمود فيه و يجوز أن يجعل البعث بمعنى الإقامه كما يقال بعثت بعيرى أى أثرته و أقمته فيكون معناه يقيمك ربك مقاماً محموداً يحمدك فيه الأولون و الآخرون و هو مقام الشفاعة تشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى و تشفع فتشفع و قد أجمع المفسرون على أن المقام المحمود هو مقام الشفاعة و هو المقام الذى يشفع فيه للناس و هو المقام الذى يعطى فيه لواء الحمد فيوضع فى كفه و يجتمع تحته الأنبياء و الملائكه فيكون ص أول شافع و أول مشفع «وَقُلْ» يا محمد «رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ» المدخل و المخرج هنا مصدر الإدخال و الإخراج فالتقدير أدخلنى إدخال صدق و أخرجنى إخراج صدق و فى معناه أقوال (أحدها) أن المعنى أدخلنى فى جميع ما أرسلتنى به إدخال صدق و أخرجنى منه سالماً إخراج صدق أى أعنى على الوحي و الرساله عن مجاهد (و ثانيها) أن معناه أدخلنى المدينه و أخرجنى منها إلى مكه للفتح عن ابن عباس و الحسن و قتاده و سعيد بن جبير (و ثالثها) أنه ص أمر بهذا الدعاء إذا دخل فى أمر أو خرج من أمر و المراد أدخلنى كل أمر مدخل صدق عن أبى مسلم (و رابعها) أن المعنى أدخلنى القبر عند الموت مدخل صدق و أخرجنى منه عند البعث مخرج صدق عن عطيه عن ابن عباس و مدخل الصدق ما تحمد عاقبته فى الدنيا و الدين و إنما أضاف الإدخال و الإخراج إليه سبحانه و إن كانا من فعل العبد لأنه سأله اللطف المقرب إلى خير الدين و الدنيا «وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا» أى اجعل لى عزا أمتنع به ممن يحاول صدق عن إقامه فرائضك و قره تنصرنى بها على من عادانى فيك و قيل اجعل لى ملكا عزيز أقهر به العصاه فنصر بالرعب حتى خافه العدو على مسيره شهر و قيل حجه بينه أتقوى بها على سائر الأديان الباطله عن مجاهد قال و سماه نصيرا لأنه تقع به النصره على الأعداء فهو كالمعين «وَقُلْ» يا محمد «جَاءَ الْحَقُّ» أى ظهر الحق و هو الإسلام و الدين «وَزَهَقَ الْبَاطِلُ» أى و بطل الباطل و هو الشرك عن السدى و قيل الحق التوحيد و عباده الله و الباطل عباده الأصنام عن مقاتل و قيل الحق القرآن و الباطل الشيطان و زهق بطل و اضمحل عن قتاده و

روى عن عبد الله بن مسعود أنه قال دخل النبي ص مكه و حول البيت

ثلاثمائة و ستون صنما فجعل يطعنها و يقول «جاء الحقَّ وَ زَهَقَ الباطِلُ إِنَّ الباطِلَ كانَ زَهُوقاً» أورده البخارى فى الصحيح

قال الكلبى فجعل الصنم ينكب لوجهه إذ قال ذلك و أهل مكه يقولون ما رأينا رجلا أسحر من محمد «إِنَّ الباطِلَ كانَ زَهُوقاً» أى مضمحلا ذاهبا هالكا لا ثبات له.

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٨٢ الى ٨٤]

إشاره

وَ نُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَساراً (٨٢) وَ إِذا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسانِ أَعْرَضَ وَ نَأى بِجانِبِهِ وَ إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ كانَ يَؤُوساً (٨٣) قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدى سَبِيلًا (٨٤)

القراءه

قرأ أبو جعفر و ابن عامر بروايه ابن ذكوان و ناء بجانبه ممدوده مهموزه و فى حم مثله و قرأ حمزه إلا العجلى و أبو بكر بروايه حماد و يحيى و عياش و أبو شعيب السوسى عن اليزيدى و نصير عن الكسائى نئى بفتح النون و كسر الهمزه و قرأ حمزه بروايه العجلى و خلف و الكسائى نئى بكسر النون و الهمزه و قرأ الباقر «نأى» بفتح النون و الهمزه فى وزن نعى.

الحجه

قال أبو على ناء مثل فاع و هو على القلب و تقديره فلع و مثله رأى و رآه قال:

فكل خليل رءانى فهو قائل من أجلك هذا هامه اليوم أوغد

و من أمال الفتحين فلأن الألف منقلب من الياء التى فى النأى فإذا أراد أن ينحو نحوها أمال فتحه النون لإماله فتحه الهمزه و قد قالوا رأيت عمادا فأمالوا الألف لإماله الألف فكذلك أمالوا الفتحه لإماله الفتحه لأنهم يجرون الحركه مجرى الحرف فى أشياء و من فتح النون و كسر الهمزه فإنه لم يمل الفتحه الأولى لإماله الفتحه الثانيه كما لم يميلوا الألف لإماله الألف فى رأيت عمادا.

اللغه

الشاكله الطريقه و المذهب يقال هذا طريق ذو شواكل أى ينشعب منه طرق جماعه.

ثم أخبر سبحانه عن القرآن فقال «وَتُنزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ» ووجه الشفاء فيه من وجوه (منها) ما فيه من البيان الذى يزيل عمى الجهل و حيره الشك (و منها) ما فيه من النظم و التأليف و الفصاحة البالغة حد الإعجاز الذى يدل على صدق النبى ص فهو من هذه الجهة شفاء من الجهل و الشك و العمى فى الدين و يكون شفاء للقلوب (و منها) أنه يتبرك به و بقرائه و يستعان به على دفع العلل و الأسقام و يدفع الله به كثيرا من المكاره و المضار على ما تقتضيه الحكمة (و منها) ما فيه من أدله التوحيد و العدل و بيان الشرائع و الأمثال و الحكم و ما فى التبعيد بتلاوته من الصلاح الذى يدعو إلى أمثاله بالمشاركة التى بينه و بينه فهو شفاء للناس فى دنياهم و آخرتهم و رحمه للمؤمنين أى نعمه لهم و خصهم بذلك لأنهم المنتفعون به «وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا» و معناه أنهم لا يزدادون عنده إلا خسارا يخسرون الثواب و يستحقون العقاب لكفرهم به و تركهم التدبر له و التفكير فيه و هذا كقوله فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا و يحتمل أن يريد أن القرآن يظهر خبث سرائرهم و ما يأترون به من الكيد و المكر بالنبى ص فيفتضحون بذلك «وَاِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ» عن ذكرنا أى ولى كأنه لم يقبل علينا بالدعاء و الابتهاال «وَأَنَّى بِجَانِبِهِ» أى بعد بنفسه عن القيام بحقوق أنعامنا فلا يشكره كما أعرض عن النعمة بالقرآن و قال مجاهد معناه تباعد منا و على هذا فيكون معناه تجبر و تكبر و أعجب بنفسه لأن المعجب نافر عن الناس متباعد عنهم «وَاِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يُؤْسًا» معناه إذا أصابه المحنة و الشدة و الفقر لم يصبر و كان قنوطا من رجاء الفرج من الله تعالى بخلاف المؤمن الذى يرجو الفرج و الروح فيكون المراد بالآية خاصا و إن كان اللفظ عاما و سمي الأمراض و البلايا شرا لكونها شرا عند الكافر من حيث لا يرجو ثوابا و لا عوضا و لأن الطباع تنفر عنها و تكرهها و إلا- فهى فى الحقيقة صلاح و حكمه و صواب «قُلْ» يا محمد لهم «كُلُّ يَعْْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ» أى كل واحد من المؤمن و الكافر يعمل على طبيعته و خليقته التى تخلق بها عن ابن عباس و قيل على طريقته و سنته التى اعتادها عن الفراء و الزجاج و قيل على ما هو أشكل بالصواب و أولى بالحق عنده عن الجبائى قال و لهذا قال «فَرُبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا» أى أنه يعلم أى الفريقين على الهدى و أيهما على الضلالة و قيل معناه أنه أعلم بمن هو أصوب ديننا و أحسن طريقا و قال بعض أرباب اللسان هذه الآية أرجى آية فى كتاب الله لأن الأليق بكرمه سبحانه و جوده العفو عن عباده فهو يعمل به.

إشارة

وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥) وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ لَنَنْدَهِبَنَّ بِالَّذِي أُوْحِينَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا (٨٦) إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا (٨٧) قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨) وَلَقَدْ صَدَّقَ رَبُّنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٨٩)

اللغة

الظهير المعين و هو المظاهر و أصله من الظهر كان كل واحد يسند ظهره إلى ظهر صاحبه فيتقوى به و التصريف تصيير الشيء دائرا في الجهات و كذلك تصريف الكلام هو تصييره دائرا في المعاني المختلفة.

الإعراب

«إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ» الرحمة استثناء من الأول و المعنى و لكن الله تعالى رحمك فأثبت ذلك في قلبك «لَا يَأْتُونَ» مرفوع لأنه غلب جواب القسم على جواب أن و اللام في لئن موطئه للقسم داله عليه و التقدير فو الله لا يأتون بمثله و مثله قول كثير:

لئن عاد لي عبد العزيز بمثلها و أمكنني منها إذا لا أقبلها.

المعنى

ثم قال سبحانه لنبيه ص «وَيَسْئَلُونَكَ» يا محمد «عَنِ الرُّوحِ» اختلف في الروح المسئول عنه على أقوال (أحدها) أنهم سألوه عن الروح الذي هو في بدن الإنسان ما هو و لم يجبههم و سأله عن ذلك قوم من اليهود عن ابن مسعود و ابن عباس و جماعه و اختاره الجبائي و على هذا فإنما عدل النبي ص عن جوابهم لعلمه بأن ذلك أذعى لهم إلى الصلاح في الدين ولأنهم كانوا بسؤالهم متعنتين لا مستفيدين فلو صدر الجواب لآزادوا عنادا و قد قيل إن اليهود قالت لكفار قريش سلوا محمدا عن الروح فإن أجابكم فليس بنبي و إن لم يجبكم فهو نبي فإننا نجد في كتبنا ذلك فأمر الله سبحانه بالعدول عن جوابهم و إن يكلمهم في معرفه الروح إلى ما في عقولهم ليكون ذلك علما على صدقه و دلاله لنبوته (و ثانيها) أنهم

سألوا عن الروح أ هي مخلوقه محدثه أم ليست كذلك فقال سبحانه «قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي» أي من فعله و خلقه و كان هذا جوابا لهم عما سألوه عنه بعينه و على هذا فيجوز أن يكون الروح الذي سألوا عنه هو الذي به قوام الجسد على قول ابن عباس و غيره أم جبرائيل (عليه السلام) على قول الحسن و قتاده أم

ملك من الملائكه له سبعون ألف وجه لكل وجه سبعون ألف لسان يسبح الله بجميع ذلك على ما روى عن علي (عليه السلام)

أم عيسى (عليه السلام) فإنه قد سمي بالروح (و ثالثها) أن المشركين سألوه عن الروح الذي هو القرآن كيف يلقاك به الملك أو كيف صار معجزا و كيف صار نظمه و ترتيبه مخالفا لأنواع كلامنا من الخطب و الأشعار و قد سمي الله تعالى القرآن روحا في قوله وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا فقال سبحانه قل يا محمد إن الروح الذي هو القرآن من أمر ربي أنزله دلالة على دلالة نبوتى و ليس من فعل المخلوقين و لا مما يدخل فى إمكانهم و على هذا فقد وقع الجواب أيضا موقعه و أما على القول الأول فيكون معنى قوله «الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي» هو من الأمر الذي يعلمه ربي و لم يطلع عليه أحد و اختلف العلماء فى ماهية الروح فقيل إنه جسم رقيق هوائى متردد فى مخارق الحيوان و هو مذهب أكثر المتكلمين و اختاره الأجل المرتضى علم الهدى قدس الله روحه و قيل جسم هوائى على بينه حيوانيه فى كل جزء منه حياه عن علي بن عيسى قال فلكل حيوان روح و بدن إلا أن منه من الأغلب عليه الروح و منه من الأغلب عليه البدن و قيل إن الروح عرض ثم اختلف فيه فقيل هو الحياه التى يتهاى به المحل لوجود قدره و العلم و الاختيار و هو مذهب الشيخ المفيد أبى عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (ره) و البلخى و جماعه من المعتزلة البغداديين و قيل هو معنى فى القلب عن الأسوارى و قيل إن الروح الإنسان و هو الحى المكلف عن ابن الإخشيد و النظام و قال بعض العلماء إن الله تعالى خلق الروح من ستة أشياء من جوهر النور و الطيب و البقاء و الحياه و العلم و العلو أ لا ترى أنه ما دام فى الجسد كان الجسد نورانيا يبصر بالعينين و يسمع بالأذنين و يكون طيبا فإذا خرج من الجسد نتن الجسد و يكون باقيا فإذا فارقه الروح بلى و فنى و يكون حيا و بخروجه يصير ميتا و يكون عالما فإذا خرج منه الروح لم يعلم شيئا و يكون علويا لطيفا توجد به الحياه بدلالة قوله تعالى فى صفه الشهداء بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ و أجسامهم قد بليت فى التراب و قوله «وَ مَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا» قيل هو خطاب للنبي ص و غيره إذا لم يبين له الروح و معناه و ما أوتيتم من العلم المنصوص عليه إلا قليلا أى شيئا يسيرا لأن غير المنصوص عليه أكثر فإن معلومات الله تعالى لا نهايه لها و قيل خطاب لليهود الذين سألوه فقالت له اليهود عند ذلك كيف و قد أعطانا الله التوراه فقال التوراه فى علم الله قليل ثم قال سبحانه «وَ لَكُنْ شِئْنَا لَنْذَهَبِنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ»

يعنى القرآن و معناه أنى أقدر أن آخذ ما أعطيتك كما منعت غيرك و لكنى دبرتك بالرحمه لك فأعطيتك ما تحتاج إليه و منعتك ما لا تحتاج إلى النص عليه و إن توهم قوم أنه مما تحتاج إليه فتدبر أنت بتدبير ربك و ارض بما اختاره لك «ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا» أى ثم لو فعلنا ذلك لم تجد علينا وكيلا يستوفى ذلك منا و قيل معناه و لو شئنا لمحونا هذا القرآن من صدرك و صدر أمتك حتى لا- يوجد له أثر ثم لا تجد له حفيظا يحفظه عليك و يحفظ ذكره على قلبك عن الحسن و أبى مسلم و الأ-صم قالوا و فى هذا دلالة على أن السؤال وقع عن القرآن «إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ» معناه لكن رحمه من الله ربك لك أعطاك ما أعطاك من العلوم و منعتك ما منعتك منها و أثبت القرآن فى قلبك و قلوب المؤمنين «إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ» فيما مضى و فيما يستقبل «عَلَيْكَ كَبِيرًا» عظيما إذ اختارك للنبوه و خصك بالقرآن فقابله بالشكر و قال ابن عباس يريد حيث جعلك سيد ولد آدم و ختم ربك النبيين و أعطاك المقام المحمود ثم احتج سبحانه على المشركين بإعجاز القرآن فقال «قُلْ لئن اجتمعتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ» معناه قل يا محمد لهؤلاء الكفار لئن اجتمعت الإنس و الجن متعاونين متعاضدين على أن يأتوا بمثل هذا القرآن فى فصاحته و بلاغته و نظمه على الوجوه التى هو عليها من كونه فى الطبقة العليا من البلاغه و الدرجة القصوى من حسن النظم و جوده المعانى و تهذيب العبارة و الخلو من التناقض و اللفظ المسخوط و المعنى الدخول على حد يشكل على السامعين ما بينهما من التفاوت لعجزوا عن ذلك و لم يأتوا بمثله «وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا» أى معينا على ذلك مثل ما يتعاون الشعراء على بيت شعر فيقيمونه عن ابن عباس و فى هذا تكذيب للنضر بن الحارث حين قال لو نشاء لقلنا مثل هذا قال أبو مسلم و فى هذا أيضا دلالة على أن السؤال بالروح وقع عن القرآن لأنه من تمام ما أمر الله نبيه ص أن يجيئهم به «وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ» معناه لقد بينا لهم فى هذا القرآن من كل ما يحتاج إليه من الدلائل و الأمثال و العبر و الأحكام و ما يحتاجون إليه فى دينهم و دنياهم ليتفكروا فيها «فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا» أى جحودا للحق و المثل قد يكون الشىء بعينه و قد يكون صفة للشىء و قد يكون شبهه.

إشارة

وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُؤْيَاكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (٩٣) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا (٩٤)

قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْسُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا (٩٥)

القراءة

قرأ أهل الكوفة و يعقوب «حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا» بفتح التاء و ضم الجيم و الباقون تفجر بضم التاء و تشديد الجيم و قرأ أبو جعفر و ابن عامر «كِسْفًا» بفتح السين هاهنا و فى سائر القرآن كسفا ساكنه السين و قرأ حفص بالفتح فى جميع القرآن إلا فى الطور و قرأ أهل العراق و ابن كثير بالسكون فى جميع القرآن إلا فى الروم و لم يقرأ فى الروم بسكون السين إلا أبو جعفر و ابن عامر و ابن كثير و ابن عامر قال سبحانه ربي و الباقون «قُلْ» على الأمر.

الحج

من قرأ تفجر بالتشديد فلأنهم أرادوا كثره الانفجار من ينبوع و هو و إن كان واحدا فلتكثر الانفجار منه حسن أن يقال بتكرير العين كما يقال ضرب زيد إذا كثر منه فعل الضرب و من قرأ «تَفْجُرَ» فلأن ينبوع واحد فلا يكون كقوله فَتَفْجُرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا لأن فجرت الأنهار مثل غلقت الأبواب فلذلك اتفق الجميع على التثنية فيه و الكسف القطع واحدتها كسفه و من سكنه جاز أن يريد الجمع مثل سدره و سدر قال أبو زيد: كسفت الثوب أكسفه كسفا إذا قطعتة قال أبو على إذا كان المصدر الكسف فالكسف الشىء المقطوع كالطحن و الطحن و السقى و السقى و نحو ذلك فجاز أن يكون قوله «أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا» بمعنى ذات كسف و ذلك أن أسقط لا يتعدى إلا إلى مفعول واحد فوجب أن ينتصب كسفا على الحال و الحال ذو الحال فى المعنى و إذا كان كذلك وجب أن يكون الكسف هو السماء فيصير المعنى أو تسقط السماء علينا مقطعة أو قطعا و من قرأ قال سبحانه ربي فالوجه فيه أن الرسول قال عند اقتراحهم هذه الأشياء سبحانه ربي و من قرأ «قُلْ» فهو على الأمر له بأن يقول ذلك.

التفجير التشقيق عما يجرى من ماء أو ضياء و منه سمي الفجر لأنه ينشق عن عمود و منه الفجور لأنه خروج إلى الفساد يشق به عمود الحق و ينبوع يفعل من نبع الماء ينبع فهو نابع إذا فار و القبيل الكفيل من قبلت به أقبل قبالة أى كفلت و تقبل فلان بالشىء إذا تكفل به قال الزجاج و جائز أن يكون المعنى تأتي بهم حتى نراهم مقابله أى معاينه و أنشد غيره:

نصالحكم حتى تبوؤا بمثلها كصرخه حبلى أسلمتها قبيلها

أى قابلتها التى هى مقابلتها و العرب تجريه فى هذا المعنى مجرى المصدر فلا يثنى و لا يجمع و لا يؤنث و أصل الزخرف من الزخرفه و هى الزينه و زخرفت الشىء إذا أكملت زينته و لا- شىء فى تحسين بيت و تزيينه و زخرفته كالذهب و يقال فى الصعود رقيت أرقى رقىا و فيما تداويه بالرقية رقيت أرقى رقيه و رقىا.

النزول

قال ابن عباس إن جماعه من قريش و هم عتبه و شبيهه ابنا ربيعه و أبو سفيان بن حرب و الأسود بن المطلب و زمعه بن الأسود و الوليد بن المغيرة و أبو جهل بن هشام و عبد الله بن أبى أميه و أميه بن خلف و العاص بن وائل و نبيه و منبه ابنا الحجاج و النضر بن الحارث و أبو البخترى بن هشام اجتمعوا عند الكعبه و قال بعضهم لبعض ابعثوا إلى محمد فكلموه و خاصموه فبعثوا إليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك فبادر ص إليهم ظنا منه أنهم بدا لهم فى أمره و كان حريصا على رشدهم فجلس إليهم فقالوا يا محمد إنا دعوناك لنعذر إليك فلا نعلم أحدا دخل على قومه ما أدخلت على قومك شتمت الآلهه و عبت الدين و سفهت الأحلام و فرقت الجماعه فإن كنت جئت بهذا لتطلب مالا أعطيناك و إن كنت تطلب الشرف سودناك علينا و إن كانت عله غلبت عليك طلبنا لك الأطباء فقال ص ليس شىء من ذلك بل بعثنى الله إليكم رسولا و أنزل كتابا فإن قبلتم ما جئت به فهو حظكم فى الدنيا و الآخرة و إن تردوه أصبر حتى يحكم الله بيننا قالوا فإذن ليس أحد أضيع بلدا منا فاسأل ربك أن يسير هذه الجبال و يجرى لنا أنهارا كأنهار الشام و العراق و أن يبعث لنا من مضى و ليكن فيهم قصى فإنه شيخ صدوق لنسألهم عما تقول أ حق أم باطل فقال ص ما بهذا بعثت قالوا فإن لم تفعل ذلك فاسأل ربك أن يبعث ملكا يصدقك و يجعل لنا جنات و كنوزا و قصورا من ذهب فقال ص ما بهذا بعثت و قد جئتكم بما بعثنى الله به فإن قبلتم و إلا فهو يحكم بينى و بينكم قالوا فأسقط

علينا السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ذلك قال ذاك إلى الله إن شاء فعل وقال قائل منهم لا تؤمن حتى تأتي بالله و الملائكة قبلا فقام النبي ص و قام معه عبد الله بن أبي أمية المخزومي ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله ثم سألوك لأنفسهم أمورا فلم تفعل ثم سألوك أن تجعل ما تخوفهم به فلم تفعل فو الله لا أومن بك أبدا حتى تتخذ سلما إلى السماء ثم ترقى فيه و أنا أنظر و يأتي معك نفر من الملائكة يشهدون لك و كتاب يشهد لك و قال أبو جهل أنه أبى إلا سب الآلهة و شتم الآباء و أنا أعاهد الله لأحملن حجرا فإذا سجد ضربت به رأسه فانصرف رسول الله ص حزينا لما رأى من قومه فأنزل الله سبحانه الآيات.

المعنى

لما بين سبحانه فيما تقدم إعجاز القرآن عقب ذلك البيان بأنهم أبوا إلا الكفر و الطغيان و اقترحوا من الآيات ما ليس لهم ذلك فقال «وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ» أى لن نصدقك فيما تدعى من النبوه «حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ» أى تشقق لنا من أرض مكة فإنها قليلة الماء «يَتْبَعًا» أى عينا ينبع منه الماء فى وسط مكة «أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةً» و هى ما تجنه الأشجار أى تستره «مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتَفَجَّرَ الْأَنْهَارُ» من الماء «حِلَالَهَا» أى وسطها «تَفْجِيرًا» أى تشقيقا حتى يجرى الماء تحت الأشجار «أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كَيْفًا» أى قطعاً قد تركب بعضها على بعض عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و قوله «كَمَا زَعَمَتْ» معناه كما خوفنا به من انشقاق السماء و انفطارها و قيل معناه كما زعمت أنك نبى تأتى بالمعجزات «أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَ الْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا» أى كفيلا و معناه تأتى بكل واحد حتى يكون كفيلا- ضامنا لنا بما تقول عن ابن عباس و الضحاك و قيل هو جمع القبيلة أى تأتى بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة عن مجاهد و قيل معناه مقابلين لنا كالشئىء يقابل الشئىء حتى نشاهدهم قبلا أى مقابله نعينهم و يشهدون بأنك حق و دعوتك صدق عن الجبائى و قتاده و هذا يدل على أن القوم كانوا مشبهه مع شركهم «أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ» أى من ذهب عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و قيل الزخرف النقوش عن الحسن «أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ» أى تصعد «وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقَيْكَ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ» أى و لو فعلت ذلك لم نصدقك حتى تنزل على كل واحد منا كتابا من الله شاهدا بصحة نبوتك نقرؤه و هو مثل قوله بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً «قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ» أى تنزيها له من كل قبيح و براهه له من كل سوء و فى ذلك من الجواب أنكم تتخرون الآيات و هى إلى الله سبحانه فهو العالم بالتدبير الفاعل لما توجهه المصلحه فلا- وجه لطلبكم إياها منى و قيل معناه تعظيما له عن أن يحكم عليه عبيده لأن له الطاعه عليهم و قيل إنهم لما قالوا تأتى بالله و ترقى فى السماء إلى الله

لاعتقادهم أن الله تعالى جسم قال «قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي» عن كونه بصفه الأجسام حتى تجوز عليه المقابلة و النزول و قيل معناه تنزيها له عن أن يفعل المعجزات تابعا للاقتراحات «هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا» معناه أن هذه الأشياء ليس فى طاقة البشر أن يأتى بها و أن يفعلها فلا- أقدر بنفسى أن آتى بها كما لم يقدر من كان قبلى من الرسل و الله تعالى إنما يظهر الآيات المعجزه على حسب المصلحه و قد فعل فلا- تطالبونى بما لا يطالب به البشر «وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا» أى و ما صرف المشركين عن الإيمان أى التصديق بالله و برسوله «إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى» أى حين أتاهم الحجج و البينات «إِلَّا أَنْ قَالُوا» أى إلا قولهم «أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا» دخلت عليهم الشبهه فى أنه لا- يجوز أن يعث الله رسولا إلا من الملائكه كما دخلت عليهم الشبهه فى أن عبادتهم لا تصلح لله فوجهوها إلى الأصنام فعظموا الله بجهلهم بما ليس فيه تعظيم و إنما ذكر سبحانه هنا لفظ المنع مبالغه فى وصف الصرف و إلا فالمنع يستحيل معه الفعل فلا- يجوز أن يكون مرادا هنا و لكن شبه الصرف بالمنع «قُلْ» يا محمد «لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ» أى ساكنين قاطنين «لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا» منهم عن الحسن و قيل معناه مطمئنين إلى الدنيا و لذاتها غير خائفين و لا- متعبدين بشرع لأن المطمئن من زال الخوف عنه عن الجبائى و قيل معناه لو كان أهل الأرض ملائكه لبعثنا إليهم ملكا ليكونوا إلى الفهم إليه أسرع عن أبى مسلم و قيل إن العرب قالوا كنا ساكنين مطمئنين فجاء محمد فأزعجنا و شوش علينا أمرنا فبين سبحانه أنهم لو كانوا ملائكه مطمئنين لأوجبت الحكمة إرسال الرسل إليهم فكذلك كون الناس مطمئنين لا- يمنع من إرسال الرسول إليهم إذ هم أحوج إليه من الملائكه فكيف أنكروا إرسال الرسول إليهم مع كونهم مطمئنين (سؤال) قالوا إذا جاز أن يكون الرسول إلى النبى ملكا ليس من جنسه فجاز أن يكون الرسول إلى الناس أيضا ملكا ليس من جنسهم (و جوابه) أن صاحب المعجزه قد اختير للنبوه فصارت حاله مقاربه لحال الملك و ليس كذلك غيره من الأمم لأنه لأنه يجوز أن يرى الملائكه كما يرى بعضهم بعضا بخلاف الأمم و أيضا فإن النبى يحتاج إلى معجزه تعرف بها رساله نفسه كما احتاجت إليه الأمم فجعل الله المعجزه رؤيته الملك.

إشارة

قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٩٦) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًَّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٩٨) أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا (٩٩) قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا (١٠٠)

اللغة

الخبو سكون النار عن الالتهاب يقال خبت النار تخبو قال عدى بن زيد:

وسطه كاليراع أو سرج المجدل حيناً يخبو و حيناً ينير

و قال آخر:

و كنا كالحرقيق أصاب غابا فيخبو ساعه و ينير ساعا

و القتر التضيق و القتور فعول منه للمبالغة و يقال قتر يقتر و تقتر و أقر و قتر إذا قدر في النفقه.

الإعراب

«كَفَى بِاللَّهِ» المفعول محذوف و هو الكاف و الباء زياده و «شَهِيدًا» تمييز و التقدير كفاك الله من جملة الشهداء «مَنْ يَهْدِ اللَّهُ» و «مَنْ يُضِلُّ» كلاهما شرط و وحد الضمير المتصل بيهدى و يضلل على اللفظ ثم قال «فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ» «و نَحْشُرُهُمْ» إلخ فجمع الضمير في كل ذلك على المعنى و قوله «كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا» الجملة في موضع الحال من جهنم لأن جهنم توضع موضع متلظ و متسعر و لو لا ذلك لم يجز مجيء الحال عنها و يجوز أن تكون الجملة لا محل لها من الإعراب و يكون في تقدير العاطفه و التقدير و كلما خبت فحذف الواو. «عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ» في موضع نصب على الحال و تقديره مجرورين على وجوههم و قوله «لَوْ»

أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ». أنتم مرفوع بفعل مضمّر يفسره هذا الظاهر الذى هو قوله «تَمْلِكُونَ» لأن لو يقع بها الشىء لوقوع غيره فلا يليها إلا الفعل و إذا وليها اسم عمل فيه فعل مضمّر قال:

لو غيركم علق الزبير بحبله أدى الجوار إلى بنى العوام.

المعنى

ثم قال سبحانه لنبىه ص «قُلْ» يا محمد لهؤلاء المشركين «كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ» إني رسول الله إليكم و قد مر معناه فى سورة الرعد «إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا» لا يخفى عليه من أحوالهم شىء و المراد به تأكيد الوعيد «وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ» أى من يحكم الله بهداه فهو المهتد بإخلاصه و طاعته على الحقيقة «وَمَنْ يَضِلْ» أى و من يحكم بضلاله «فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ» أى لن تجد لهم أنصارا يقدرّون على إزاله اسم الضلال عنهم و قد ذكرنا وجوه الهدى و الضلال فى سورة البقره «وَنَحْشُرُهُمْ» أى نجتمعهم «يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ» أى يسحبون على وجوههم إلى النار كما يفعل فى الدنيا بمن يبالغ فى إهانته و تعذيبه و

روى أنس بن مالك أن رجلا قال يا نبى الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال إن الذى أمشاه على رجليه فى الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة أورده البخارى و مسلم فى الصحيح

«عُمِيًّا وَبُكْمًا وَصُرْمًا» قيل المعنى عميا عما يسرهم بكما عن التكلم بما ينفعهم صما عما يمتنعهم عن ابن عباس أى كأنهم عدموا هذه الجوارح و قيل يحشرون على هذه الصفه عميا كما عموا عن الحق فى دار الدنيا بكما جزاء على سكوتهم عن كلمه الإخلاص و صما لتركهم سماع الحق و إصغائهم إلى الباطل قال مقاتل هذا حين يقال لهم اُحْسُوا فِيهَا وَ لَا تُكَلِّمُونِ و قيل يحشرون كذلك ثم يجعلون يبصرون و يسمعون و ينطقون عن الحسن «مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا» أى مستقرهم جهنم كلما سكن التهابها زدناهم اشتعالا فيكون كذلك دائما و متى قيل كيف يبقى الحى حيا فى تلك الحاله من الاحتراق دائما قلنا إن الله تعالى قادر على أن يمنع وصول النار إلى مقاتلهم «ذَلِكَ» أى ذلك الذى تقدم ذكره من العقاب «جَزَاؤُهُمْ» استحقاقه «بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا» [كذا فى النسخ و الصواب كفروا] «بِآيَاتِنَا» أى بتكذيبهم بآيات الله «وَ قَالُوا أَ إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَ رُفَاتًا» مثل التراب مترضضين «أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا» مر معناه فى هذه السوره «أَ وَ لَمْ يَرَوْا» أى أ و لم يعلموا «أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ

قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ» لأن القادر على الشئ ٤ قادر على أمثاله إذا كان له مثل أو أمثال فى الجنس و إذا كان قادرا على خلق أمثالهم كان قادرا على إعادتهم إذ الإعادة أهون من الإنشاء فى الشاهد و قيل أراد قادر على أن يخلقهم ثانيا و أراد بمثلهم إياهم و ذلك أن مثل الشئ ٤ مساو له فى حالته فجاز أن يعبر به عن الشئ ٤ نفسه يقال مثلك لا يفعل كذا بمعنى أنت لا تفعله و نحوه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و تم الكلام هاهنا ثم قال سبحانه «وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ» أى و جعل لإعادتهم وقتا لا شك فيه أنه كائن لا محاله و قيل معناه و ضرب لهم مده ليتفكروا و يعلموا فيها أن من قدر على الابتداء قدر على الإعادة و قيل و جعل لهم أجلا يعيشون إليه و يخترمون عنده لا شك فيه «فَأَبَى الظَّالِمُونَ» لنفوسهم الباخسون حقها بفعل المعاصى «إِلَّا كُفُورًا» أى جحودا بآيات الله و نعمه و فى الآيه دلالة على أن القادر على الشئ ٤ يجب أن يكون قادرا على جنس مثله إذا كان له مثل و على أنه يجب أن يكون قادرا على ضده لأن منزلته فى المقذور منزله مثله و فيه دلالة أيضا على أنه يقدر على إعادته إذا كان مما يفنى و تصح عليه الإعادة ثم قال سبحانه «قُلْ» يا محمد لهؤلاء الكفار «لَوْ أَنَّكُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي» أى لو ملكتم خزائن أرزاق الله و قيل لو ملكتم مقدورات ربي أى ما يقدر عليه ربي من النعم إذ لا يكون له سبحانه موضع يخزن فيه الرحمه ثم يخرج منه كما يكون للعباد و رحمته نعمته «إِذَا لَأْمَسْتُمْ» شحا و بخلا «خَشِيَةَ الْإِنْفَاقِ» أى خشية الفقر و الفاقة عن ابن عباس و قتاده و قيل خشية أن تنفقوا ففتتقروا عن السدى و المعنى لأمسكتم عن الإنفاق خشية الفقر للإنفاق «وَوَ كَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا» أى بخيلا عن ابن عباس و قتاده و هذا جواب لقولهم «لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَبُوعًا» و يقال نفقت نفقات القوم إذا نفدت و أنفقها صاحبها أى أنفدها حتى افتقر و ظاهر قوله «وَوَ كَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا» العموم و قد علمنا أن فى الناس الجواد و الوجه فيه أحد أمرين و هو أن يكون الأغلِب عليهم من ليس بجواد فجاز الإطلاق تغليبا للأكثر و أيضا فإن ما يعطيه الإنسان و إن عد جوادا بخل فى جنب ما يعطيه الله سبحانه لأن الإنسان إنما يعطى ما يفضل عن حاجته و يمسك ما يحتاج إليه و الله سبحانه لا تجوز عليه الحاجه فيفيض من النعم على المطيع و العاصى إفاضه من لا يخاف الحاجه.

إشارة

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَيَّمَلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا (١٠١) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَجْبُورًا (١٠٢) فَأَرَادَ أَنْ يَنْهَضَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا (١٠٣) وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا (١٠٤) وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١٠٥)

القراءة

قرأ الكسائي وحده لقد علمت بضم التاء و الباقون بفتحها.

الحجج

قال أبو علي حجه من فتح أن فرعون و من كان يتبعه قد علموا صحه أمر موسى بدلاله قوله لئن كَشَفْتَ عَنَّا الرَّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ و قوله وَ جَحَدُوا بِهَا وَ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ و من قال لقد علمت إذا قيل له كيف يصح الاحتجاج عليهم بعلمه و علمه لا يكون حجه على فرعون و إنما يكون علم فرعون بما علم من صحه أمر موسى حجه عليه فالقول إنه لما قيل له إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون كان ذلك قدحا فى علمه لأن المجنون لا يعلم فكأنه نفى ذلك فقال لقد علمت صحه ما أتيت به و أنه ليس بسحر علما صحيحا كعلم العقلاء فصير العقل حجه عليه من هذا الوجه و زعموا أن هذه القراءة رويت عن أمير المؤمنين على ابن أبى طالب (عليه السلام).

اللغة

الثبور الهلاك ثبره الله يثبره و يثبره لغتان و رجل مثبور محبوس عن الخيرات قال:

إذ أجازى الشيطان فى سنن الغى و من قال مثله مثبور

و تقول العرب ما تبرك عن هذا الأمر أى ما صرفك عنه و ما منعك منه و لفيق مصدر قولك لفتت الشىء أى جمعته يقال لفتته لفا و لفيقا و من ذلك قولهم لفتت الجيوش ضربت بعضها ببعض فاختلف الجميع قال الزجاج: اللفيق الجماعات من قبائل شتى.

المعنى

ثم ذكر سبحانه قصه موسى (عليه السلام) فقال «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ» أى و لقد أعطينا موسى تسع دلالات و حجج واضحات و اختلف فى هذه الآيات التسع فقيل هى يد موسى و عصاه و لسانه و البحر و الطوفان و الجراد و القمل و

الصفادع و الدم

ص: ٢٦٩

عن ابن عباس و الضحاك و قيل الطوفان و الجراد و القمل و الضفادع و الدم و البحر و العصا و الطمسه و الحجر عن محمد بن كعب و عن أبي علي الجبائي أيضا إلا أنه ذكر بدل الطمسه اليد و عن قتاده و مجاهد و عكرمه و عطا كذلك إلا إنهم ذكروا بدل البحر و الطمسه و الحجر اليد و السنين و نقص من الثمرات و الطمسه هي دعاء موسى و تأمين هارون و قال الحسن مثل ذلك إلا أنه جعل الأخذ بالسنين و نقص من الثمرات آيه واحده و جعل التاسعه تلقف العصا ما يأفكون و قيل إنها تسع آيات في الأحكام

روى عبد الله بن سلمه عن صفوان بن عسال أن يهوديا قال لصاحبه تعال حتى نسأل هذا النبي قال فأتى الرسول ص فسأله عن هذه الآيه فقال هو أن لا تشركوا بالله شيئا و لا تسرفوا و لا تزنوا و لا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق و لا تمشوا بالبرى ء إلى سلطان ليقته و لا تسحروا و لا تأكلوا الربا و لا تقذفوا المحصنه و لا تولوا الفرار يوم الزحف و عليكم خاصه يا يهود أن لا تعتدوا في السبت فقبل يده و قال أشهد أنك نبي

«فَسَيَلُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ» هذا أمر للنبي ص أن يسأل بني إسرائيل لتكون الحجج عليهم أبلغ و قيل إن المعنى فاسأل أيها السامع لأن العلم قد وقع بخبر الله تعالى فلا حاجه إلى الرجوع إلى أهل الكتاب و قيل إن معنى السؤال أن تنظر ما في القرآن من أخبار بني إسرائيل عن الحسن و روى عن ابن عباس أنه قرأ فسأل بني إسرائيل بمعنى فسأل موسى فرعون بني إسرائيل أن يرسلهم «فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا» أى معطى على السحر فهذه العجائب التي فعلتها من سحرك و قيل معناه إني لأظنك ساحرا فوضع المفعول موضع الفاعل كما يقال مشثوم و ميمون فى معنى شائم و يأمن و قيل معناه إنك سحرت فأنت تحمل نفسك على ما تقوله للسحر الذى بك و قيل مسحورا أى مخدوعا عن ابن عباس «قال» موسى «لَقَدْ عَلِمْتُمْ» أنت يا فرعون «ما أنزل هؤُلاءِ» أى هذه الآيات «إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» الذى خلقهن «بَصَائِرَ» أى أنزلها حججا و براهين للناس يبصرون بها أمور دينهم و قيل أدله على نبوتى لأنك تعلم أنها ليست من السحر و

روى أن عليا (عليه السلام) قال فى «عَلِمْتُمْ» و الله ما علم عدو الله و لكن موسى هو الذى علم فقال لقد علمت

«وَ إِنِّي لَمَأْظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا» معناه و إني لأعلمك يا فرعون هالكا لكفرك و إنكارك عن قتاده و الحسن و قيل أعلمك ملعونا عن ابن عباس و قيل مخبولا لا عقل لك عن ابن زيد و قيل بعيدا عن الخير مصروفا عنه عن الفراء و قيل المراد به الظن على الظاهر لأن الهلاك يكون بشرط الإصرار و لا يعلم حقيقه ذلك إلا الله «فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ» معناه فأراد فرعون أن يزعج موسى و من معه من أرض مصر و فلسطين و الأردن بالنفى عنها و قيل بأن يقتلهم «فَأَغْرَقْنَاهُ وَ مَنْ مَعَهُ» من جنوده «جَمِيعًا» لم ينج منهم أحد و لم يهلك من بنى إسرائيل أحد

«وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ» أى من بعد هلاك فرعون وقومه «لِيُنَبِّئَ إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ كَانُوا الْأَرْضَ» أى أرض مصر والشام «فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ»
يعنى يوم القيامة عن أكثر المفسرين أى وعد الكره الآخرة وقيل أراد نزول عيسى عن الكبي و قتاده «جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا» معناه جننا
بكم من القبور إلى الموقف للحساب و الجزاء مختلطين التف بعضهم ببعض لا تتعارفون و لا ينحاز أحد منكم إلى قبيلته و قيل
لفيفا أى جميعاً أولكم و آخركم عن ابن عباس و مجاهد «وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ» معناه و بالحق أنزلنا القرآن عليك «وَبِالْحَقِّ نَزَلَ»
القرآن و تأويله أردنا بإنزال القرآن الحق و الصواب و هو أن يؤمن به و يعمل بما فيه و نزل بالحق لأنه يتضمن الحق و يدعو إلى
الحق و قال البلخي يجوز أن يكون المراد أنزلنا موسى فيكون كقوله وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ و يجوز أن يكون المراد و أنزلنا الآيات أى
و أنزلنا ذلك كما قال أبو عبيده أنشدنى رؤبه:

فيه خطوط من سواد و بلق كأنه فى العين توليع البهق

فقلت له إن أردت الخطوط فقل كأنها و إن أردت السواد و البياض فقل كأنهما قال فقال لى كان ذا ويلك توليع البهق «وَمَا
أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا» مبشراً بالجنة لمن أطاع و منذراً بالنار لمن عصى.

ص: ٢٧١

إشارة

وَقُرَّآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (١٠٦) قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا- تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَنكُورُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩) قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصِيغَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١١٠)

وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَ كَبْرَهُ تَكْبِيرًا (١١١)

القراءة

القراءة المشهورة في «فَرَقْنَاهُ» بالتخفيف و

روى عن علي (عليه السلام) و ابن مسعود و ابن عباس و أبي بن كعب و الشعبي و الحسن بخلاف و قتاده و عمرو بن فائد فرقناه بالتشديد.

الحج

معنى فرقناه فصلناه و نزلناه آية آية و سورة سورة و يدل عليه قوله «عَلَى مُكْثٍ» و المكث و المكث لغتان.

الإعراب

«قُرَّآنًا» منصوب بفعل مضمَر يفسره هذا الظاهر أى و فرقنا قرآنا فرقناه و جاء بالنصب و لم يأت فيه الرفع لأن صدره فعل و فاعل و هو قوله «و بِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ» «عَلَى مُكْثٍ» فى موضع نصب على الحال أى متمهلاً متوقفاً غير مستعجل «يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ» فى موضع رفع بكونه خبر إن و «سُجَّدًا» نصب على الحال «إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا» إن هذه مخففة من الثقيلة و هى و اللام دخلتا للتأكيد. «أَيًّا مَا تَدْعُوا» تدعوا مجزوم بالشرط الذى يتضمنه أى و علامه الجزم فيه سقوط النون و ما مزيده مؤكدة للشرط و أيا منصوب بتدعوا.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال «وَقُرَّآنًا فَرَقْنَاهُ» أى و أنزلنا عليك يا محمد قرآنا فصلناه سورا و آيات عن أبى مسلم و قيل معناه فرقنا به الحق عن الباطل عن الحسن و قيل معناه جعلنا بعضه خبرا و بعضه أمرا و بعضه نهيا و بعضه وعدا و بعضه وعيدا و أنزلناه متفرقا لم ننزله جميعا إذ كان بين أوله و آخره نيف و عشرين سنة «لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ» أى على تثبت و تؤده فترتله ليكون أمكن فى قلوبهم و يكونوا أقدر على التأمل و التفكير فيه و لا- تعجل فى تلاوته فلا- يفهم عنك عن ابن عباس و

مجاهد و قيل معناه لتقرأه عليهم مفرقا شيئا بعد شىء «وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا» على حسب الحاجة و وقوع الحوادث و روى عن ابن عباس أنه قال لئن أقرأ سورة البقره و أرتلها أحب إلى من أن أقرأ القرآن هذا و عن عبد الله بن مسعود أنه قال لا تقرأوا القرآن فى أقل من ثلاث و اقرءوا فى سبع «قُلْ» يا محمد لهؤلاء المشركين «آمِنُوا بِهِ» أى بالقرآن «أَوْ لَا تُؤْمِنُوا» فإن إيمانكم ينفعكم و لا

ص: ٢٧٢

ينفع غيركم و ترككم الإيمان يضركم و لا يضر غيركم و هذا تهديد لهم و هو جواب لقولهم «لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا» «إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ» أى أعطوا علم التوراه من قبل نزول القرآن كعبد الله بن سلام و غيره فعلموا صفه النبي ص قبل مبعثه عن ابن عباس و قيل أنهم أهل العلم من أهل الكتاب و غيرهم و قيل أنهم أمه محمد ص عن الحسن «إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا» أى يسقطون على الوجوه ساجدين عن ابن عباس و قتاده و إنما خص الذقن لأن من سجد كان أقرب شىء منه إلى الأرض ذقنه و الذقن مجمع اللحيين «وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا» أى تنزيها لربنا عز اسمه عما يضيف إليه المشركون «إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا» إنه كان وعد ربنا مفعولا حقا يقينا و لم يكن وعد ربنا إلا كائنا «وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ» أى و يسجدون باكين إشفاقا من التقصير فى العباده و شوقا إلى الثواب و خوفا من العقاب «وَيَزِيدُهُمْ» ما فى القرآن من المواعظ «خُشُوعًا» أى تواضعا لله تعالى و استسلاما لأمر الله و طاعته ثم قال سبحانه «قُلْ» يا محمد لهؤلاء المشركين المنكرين نبوتك «ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ» و ذكر فى سببه أقوال (أحدها) أن النبي ص كان ساجدا ذات ليله بمكه يدعو يا رحمن يا رحيم فقال المشركون هذا يزعم أن له إلها واحدا و هو يدعو مثنى عن ابن عباس (و ثانيها) أن المشركين قالوا أما الرحيم فنعرفه و أما الرحمن فلا نعرفه عن ميمون بن مهران (و ثالثها) أن اليهود قالوا إن ذكر الرحمن فى القرآن قليل و هو فى التوراه كثير عن الضحاك «أَيَّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى» معناه أى أسمائه تدعو و ما هاهنا صلّه كقوله عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحَنَّ نَادِمِينَ و قيل هى بمعنى أى شىء كررت مع أى لاختلاف اللفظين توكيدا كما قالوا ما رأيت كالليله ليله و تقديره أى شىء من أسمائه تدعونه به كان جائزا فإن معنى أو فى قوله «أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ» الإباحه أى إن دعوتهم بأحدهما كان جائزا و إن دعوتهم بهما كان جائزا فله الأسماء الحسنى فإن أسمائه تنبى عن صفات حسنه و أفعال حسنه فأما أسماؤه المنبئه عن صفات ذاته فهو القادر العالم الحى السميع البصير القديم و أما أسماؤه المنبئه عن صفات أفعاله الحسنه فنحو الخالق و الرازق و العدل و المحسن و المجمل و المنعم و الرحمن و الرحيم و أما ما أنبأ عن المعانى الحسنه فنحو الصمد فإنه يرجع إلى أفعال عبادته و هو أنهم يصمدونه فى الحوائج و نحو المعبود و المشكور بين سبحانه فى هذه الآيه أنه شىء واحد و إن اختلفت أسماؤه و صفاته و فى الآيه دلالة على أن الاسم عين المسمى و على أن تقديم أسمائه الحسنى قبل الدعاء و المسأله مندوب إليه مستحب و فيها أيضا دلالة على أنه

سبحانه لا يفعل القبائح مثل الظلم وغيره لأن أسماءه حينئذ لا تكون حسنه فإن الأسماء قد تكون مشتقه من الأفعال فلو فعل الظلم لاشتق منه اسم الظالم كما اشتق من العدل العادل وقوله «وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا» اختلف في معناه على أقوال (أحدها) أن معناه لا تجهر بإشاعه صلاتك عند من يؤذيك و لا تخافت بها عند من يلتمسها منك عن الحسن و

روى أن النبي ص كان إذا صلى فجهر في صلاته تسمع له المشركون فشتموه و آذوه فأمره سبحانه بترك الجهر و كان ذلك بمكة في أول الأمر و به قال سعيد بن جبير و روى ذلك عن أبي جعفر و أبي عبد الله (عليه السلام)

(و ثانيها) أن معناه لا تجهر بدعائك و لا تخافت بها و لكن بين ذلك فالمراد بالصلاه الدعاء عن مجاهد و عطا و مكحول و نحوه روى عن ابن عباس (و ثالثها) أن معناه لا- تجهر بصلاتك كلها و لا- تخافت بها كلها «و ابْتِغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا» بأن تجهر بصلاه الليل و تخافت بصلاه النهار عن أبي مسلم (و رابعها) لا تجهر جهرا يشغل به من يصلى بقربك و لا تخافت بها حتى لا تسمع نفسك عن الجبائي و قريب منه

ما رواه أصحابنا عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال الجهر بها رفع الصوت شديدا و المخافته ما لم تسمع أذنيك و اقرأ قراءه و سطا ما بين ذلك

و ابتغ بين ذلك سبيلا- أى بين الجهر و المخافته و لم يقل بين دينك لأنه أراد به الفعل فهو مثل قوله عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ «و قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا» فيكون مربوبا لا ربا لأن رب الأرباب لا يجوز أن يكون له ولد «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ» فيكون عاجزا محتاجا إلى غيره ليعينه و لا يجوز أن يكون الإله بهذه الصفة «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ» أى لم يكن له حليف حالفه لينصره على من يناوئه لأن ذلك من صفة الضعيف العاجز و لا يجوز أن يكون الإله بهذه الصفة قال مجاهد: لم يذل فيحتاج إلى من يتعزز به يعنى أنه القادر بنفسه و كل ما عبد من دونه فهو ذليل مقهور و قيل معناه ليس له ولى من أهل الذل لأن الكافر و الفاسق لا- يكون وليا لله «و كَبَّرَهُ تَكْبِيرًا» أى عظمه تعظيما لا يساويه تعظيما و لا يقاربه و روى أن النبي ص كان يعلم أهل هذه الآيه و ما قبلها عن ابن عباس و مجاهد و سعيد بن جبير و قيل إن فى هذه الآيه ردا على اليهود و النصارى حين قالوا اتخذ الله الولد و على مشركى العرب حيث قالوا لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك و على الصابئين و المجوس حين قالوا لو لا أولياء الله لذل الله لذل الله عن محمد بن كعب القرظى (سؤال) قالوا كيف يحمد سبحانه أن لم يتخذ ولدا و لم يكن له شريك و الحمد إنما يستحق على فعل له صفة التفضل (و الجواب) أنه ليس له الحمد فى الآيه على أنه لم يفعل و إنما الحمد له سبحانه على أفعاله المحموده و توجه الحمد إلى من هذه صفته كما يقال أنا أشكر فلانا الجميل و لا نشكره على جماله بل على أفعاله.

اشاره

[توضيح]

مكيه قال ابن عباس إلا آيه «و اضربِ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ» فإنها نزلت بالمدينه فى قصه عينه بن حصن الفزارى.

عدد آياتها

مائه و إحدى عشره آيه بصرى و عشر كوفى و ست شامى و خمس حجازى.

اختلافها

إحدى عشره آيه ف «زِدْنَاهُمْ هُدًى» غير الشامى «إِلَّا قَلِيلٌ» مدنى الأخير «إِنِّي فاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا» غير الأخير ذرعا و «مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا» عراقى شامى و الأخير، «هَذِهِ أَيْدَاءٌ» غير شامى و الأخير، «عِنْدَهَا قَوْمًا» غير الكوفى و الأخير «فَأَتَّبَعَ سَبَبًا» الثلاث عراقى «بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا» عراقى شامى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأها فهو معصوم ثمانيه أيام من كل فتنه فإن خرج الدجال فى تلك الثمانيه الأيام عصمه الله من فتنه الدجال و من قرأ الآيه التى فى آخرها «قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ» الآيه حين يأخذ مضجعه كان له فى مضجعه نور يتلألأ إلى الكعبه حشو ذلك النور ملائكه يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه فإن كان فى مكه فتلاها كان له نورا يتلألأ إلى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكه يصلون عليه حتى يستيقظ.

سمره بن جندب عن النبى ص قال من قرأ عشر آيات من سورة الكهف حفظا لم تضره فتنه الدجال و من قرأ السوره كلها دخل الجنة

و

عن النبى ص قال أ لا أدلكم على سوره شيعها سبعون ألف ملك حين نزلت ملأت عظمتها ما بين السماء و الأرض قالوا بلى قال سوره أصحاب الكهف من قرأها يوم الجمعة غفر الله له إلى الجمعة الأخرى و زياده ثلاثه أيام و أعطى نورا يبلغ السماء و وقى فتنه الدجال

و

روى الواقدى بإسناده عن أبى الدرداء عن

النبى ص قال من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف ثم أدرك الدجال لم يضره و من حفظ خواتيم سورة الكهف. كانت له نورا يوم القيامة

و

روى أيضا بالإسناد عن سعيد بن محمد الجزمى عن أبيه عن جده عن النبى ص قال من قرأ الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلى ستة أيام من كل فتنه تكون فإن خرج الدجال عصم منه

و

روى العياشى بإسناده عن الحسن بن على بن أبى حمزه عن أبيه عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ سورة الكهف فى كل ليله جمعه لم يمت إلا شهيدا و بعثه الله مع الشهداء و وقف يوم القيامة مع الشهداء.

تفسيرها

ختم الله سبحانه سورة بنى إسرائيل بالتحميد و التوحيد و ذكر النبى ص و القرآن و افتتح سورة الكهف أيضا بالتحميد و التوحيد و ذكر القرآن و النبى ص ليتصل أول هذه بآخر تلك اتصال الجنس بالجنس فقال:

[سورة الكهف (١٨): الآيات ١ الى ٦]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمِيدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَا كَثُرَ فِيهِ أَبْدًا (٣) وَ يُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤)

مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥) فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (٦)

القراءة

قرأ أبو بكر بروايه يحيى من لدنه بإشمام الدال الضم و كسر الهاء و النون و قرأ الباقون بضم الدال و سكون النون و فى الشواذ كبرت كلمه برفع كلمه قرأه يحيى بن يعمر و الحسن و ابن المحيصن و ابن أبى إسحاق و الثقفى و الأعرج بخلاف و عمرو بن عبيد.

قال أبو علي في لادن ثلاث لغات لادن مثل سبع و يخفف الدال و يكون على ضربين (أحدهما) أن يحذف الضمه من الدال فيقال لادن (و الآخر) أن يحذف الضمه من الدال و ينتقل إلى اللام فيقال لادن مثل عضد في عضد و في كلا الوجهين يجتمع في الكلمه ساكنان فمن قرأ من لادنه بكسر النون فإن الكسره فيه ليست كسره إعراب و إنما هي كسره لالتقاء الساكنين و ذاك أن الدال أسكنت كما أسكنت الباء في سبع و النون ساكنه فالتقى الساكنان فكسر الثاني منهما فأما إشماد الدال الضمه فليعلم أن الأصل كان في الكلمه الضمه و مثل ذلك قولهم أنت تغرين و قولهم قيل أشمت الكسره فيهما الضمه ليدل على أن الأصل فيهما التحريك بالضم و إن كان الإشماد في لادنه ليس في حركه خرجت إلى اللفظه و إنما هو بهيئه العضو لإخراج الضمه و أما الجار في قوله «مِنْ لَدُنْهُ» فيحتمل ضربين (أحدهما) أن يكون صفه متعلقا بشديد (و الآخر) أن يكون صفه للنكره و فيها ذكر للموصوف.

العوج بالفتح فيما يرى كالقناه و الخشبه و بالكسر فيما لا يرى شخصا قائما كالدين و الكلام و القيم و المستقيم و الباخع القاتل المهلك يقال يخع نفسه ببخعا و بخوعا قال ذو الرمّه:

ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه لشيء نحتة عن يديه المقادر

يريد نحتة فخفف و الأسف المبالغه في الحزن و الغضب يقال أسف الرجل فهو آسف و أسيف قال الأعشى:

ترى رجلا منهم أسيفا كأنه يضم إلى كشحيه كفا مخضبا

. الإعراب

«قِيَمًا» نصب على الحال من الكتاب و العامل فيه أنزل و قوله «أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا» تقديره بأن لهم أجرا فحذف الجار و «مَا كَيْتَيْنِ» نصب على الحال في معنى خالد بن و قوله «كَبُرَتْ كَلِمَةً» اختلف في نصب كلمه فقال السراج: انتصب على تفسير المضممر على حد قولهم نعم رجلا- زيد و التقدير على هذا كبرت الكلمه كلمه ثم حذف الأول لدلاله الثاني عليه و مثله كرم رجلا زيد و لؤم صاحبها عمرو و يكون المخصوص بالتكبير في هذه المسأله محذوف لدلاله صفته عليه و التقدير كلمه تخرج من أفواههم أي كلمه خارجه من أفواههم فيكون مرفوعا على وجهين (أحدهما) أن يكون مبتدأ و ما قبله الخبر (و الآخر) أن يكون خبر مبتدأ محذوف و تقديره هي كلمه تخرج و قيل انتصب كلمه على التمييز المنقول عن الفاعل على حد قولك

تصببت عرقاً و تفقأت شحماً و الأصل كبرت كلمتهم الخارجه من أفواههم قال الشاعر:

و لقد علمت إذا الرياح تناوحت هدج الريال تكبهن شمالاً

أى تكبهن الرياح شمالاً و من قرأ كبرت كلمه فإنه جعل كلمه فاعل كبرت و جعل قولهم «اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا» كلمه كما قالوا للقصيده كلمه و على هذا فيكون قوله «تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ» فى موضع رفع بكونه صفه لكلمه و لا يجوز أن يكون وصفاً لكلمه الظاهره المنصوبه لأن الوصف يقرب النكره من المعرفه و التمييز لا يكون معرفه البتة و لا يجوز أن يكون فى موضع نصب على الحال من كلمه المنصوبه لوجهين (أحدهما) أن الحال يقوم مقام الوصف و الثانى أن الحال لا يكون من نكره فى غالب الأمر و «أَسْفًا» منصوب بأنه مصدر وضع موضع الحال و لو كان فى غير القرآن لجاز أن لم يؤمنوا بالفتح كما فى قول الشاعر:

أ تجزع أن بأن الخليط المودع و حبل الصفا من عزه المتقطع.

المعنى

«الْحَمْدُ لِلَّهِ» يقول الله سبحانه لخلقه قولوا كل الحمد و الشكر لله «الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ» محمد ص «الْكِتَابَ» أى القرآن و انتجبه من خلقه و خصه برسالته فبعثه نبيا رسولا «وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قِيَمًا» فيه تقديم و تأخير و تقديره الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب قيما و لم يجعل له عوجا و عنى بقوله «قِيَمًا» معتدلا مستقيما مستويا لا تناقض فيه عن ابن عباس و قيل قيما على سائر الكتب المتقدمه يصدقها و يحفظها و ينفى البطل عنها و هو ناسخ لشرائعها عن الفراء و قيل قيما لأمر الدين يلزم الرجوع إليه فيها فهو كقيم الدار الذى يرجع إليه فى أمرها عن أبى مسلم و قيل قيما دائما يدوم و يثبت إلى يوم القيامة لا ينسخ عن الأصم «وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا» أى لم يجعله ملتبسا لا يفهم و معوجا لا يستقيم و هو معنى قول ابن عباس و قيل لم يجعل فيه اختلافا كما قال عز و جل اسمه وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا عن الزجاج و معنى العوج فى الكلام أن يخرج من الصحه إلى الفساد و من الحق إلى الباطل و مما فيه فائده إلى ما لا فائده فيه ثم بين سبحانه الغرض فى إنزاله فقال «لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ» و معناه ليخوف العبد الذى أنزل عليه الكتاب الناس عذابا شديدا و نكارا و سطوه من عند الله تعالى إن لم يؤمنوا به «وَلِيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسِينًا» معناه و ليبشر المصدقين بالله و رسوله الذين يعملون الطاعات بعد الإيمان أن لهم ثوابا حسنا فى الآخرة على إيمانهم

و طاعتهم في الدنيا و ذلك الثواب هو الجنة «ما كَثِيرٌ فِيهِ أَيْدَاءٌ» أى لا يثين في ذلك الثواب خالدين مؤبدين لا ينتقلون عنه (وَ يُنذِرُ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) أى و ليحذر الكفار الذين قالوا الملائكة بنات الله و هم قريش عن الحسن و محمد بن إسحاق و قيل هم اليهود و النصرارى عن السدى و الكلبي فعم جميع الكفار بالإنذار فى الآيه الأولى و خص فى هذه الآيه القائلين بهذه المقاله منهم لتقليدهم الآباء فى ذلك و لإصرارهم على الجهل و قله التفكير و لصددهم الناس عن الدين «ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَ لا لِآبَائِهِمْ» أى ليس لهؤلاء القائلين بهذا القول الشنيع علم به و لا لأسلافهم الذين مضوا قبلهم على مثل ما هم عليه اليوم و إنما يقولون ذلك عن جهل و تقليد من غير حجه و قيل معناه ليس لهم بالله من علم و لا لآبائهم «كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ» أى عظمت الكلمه كلمه تخرج من أفواه هؤلاء الكفار و وصف الكلمه بالخروج من الأفواه توسعا و مجازا و إن كانت الكلمه عرضا لا- يجوز عليها الدخول و الخروج و لا الحركه و السكون و لكن لما كانت الكلمه قد تحفظ و تثبت و توجد مكتوبه و مقروءه فى غير الموضع الذى فعلت فيه و وصفها بالخروج و ذكر الأفواه تأكيدا و المعنى أنهم صرحوا بهذه الكلمه العظيمة فى القبح و أظهروها «إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا» أى ما يقول هؤلاء إلا- كذبا و افتراء على الله «فَلَعَلَّكَ» يا محمد «بِاخْتِئافِ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ» أى مهلك و قاتل نفسك على آثار قومك الذين قالوا لن تؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا تمردا منهم على ربهم «إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا» أى إن لم يصدقوا «بِهَذَا الْحَدِيثِ» أى بهذا القرآن الذى أنزل عليك «أَسِيفًا» أى حزنا و تلهفا و وجدا بإدبارهم عنك و إعراضهم عن قبول ما آتيتهم به و قيل على آثارهم أى بعد موتهم لشده شفقتك عليهم و قيل معناه من بعد توليهم و إعراضهم عنك و قيل أسفا أى غيظا و غضبا عن ابن عباس و قتاده و هذه معاتبه من الله سبحانه لرسوله على شده وجده و كثره حرصه على إيمان قومه حتى بلغ ذلك به مبلغا يقربه إلى الهلاك.

[سوره الكهف (١٨): الآيات ٧ الى ٨]

إشارة

إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) وَ إِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (٨)

اللغة

الصعيد ظهر الأرض و قال الزجاج: الصعيد الطريق الذى لا نبات به و الجزر الأرض التى لا تنبت كأنها تأكل النبات أكلا يقال أرض جرز و أرضون أجزاز و قال سيبويه: يقال جرزت الأرض فهى مجروزه و جرزهما الجراز و النعم و يقال للسنه المجدبه الجزر لجدوبها و يبسها و قله أمطارها قال الراجز:

"قد جرفتهن السنون الأجزاز"

و يقال أجزز القوم إذا صارت

أرضهم جزا و جرزوهم أرضهم إذا أكلوا نباتها كله.

الإعراب

أيهم مرفوع بالابتداء لأن لفظه الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام أى لنختبر أ هذا أحسن عملا أم هذا و هو تعليق لما فى الخبره من معنى العلم.

المعنى

ثم بين سبحانه أنه ابتداء خلقه بالنعم و أن إليه مصير الأمم فقال «إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْأَنْهَارِ وَالْأَشْجَارِ وَأَنْوَاعِ الْمَخْلُوقَاتِ مِنَ الْجَمَادِ وَالْحَيَوَانَ وَالنَّبَاتِ «زِينَةً لَهَا» أى حليه للأرض و لأهلها «لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» لأى لنختبرهم و نمتحنهم و المعنى لنعامل عبادنا معاملة المبتلى و قد سبق ذكر أمثاله و الأحسن عملا الأعمال بطاعه الله و الأطوع له و قيل إن معنى الابتلاء الأمر و النهى لأن بهما يظهر المطيع من العاصى و قيل أراد بالزينة الرجال لأنهم زينه الأرض و قيل أراد الأنبياء و العلماء «وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا» معناه و إنا مخربون الأرض بعد عمارتها و جاعلون ما عليها مستويا من الأرض يابسا لا نبات عليه و قيل بلاغ عن مجاهد و فى قوله «أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» دلالة على أنه سبحانه أراد من الخلق العمل الصالح و على أن أفعالهم الصادره منهم حادثه من جهتهم و لو لا ذلك لما صح الابتلاء و فى ذلك بطلان قول أهل الجبر.

[سوره الكهف (١٨): الآيات ٩ الى ١٢]

إشارة

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَ هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢)

اللغة

الكهف المغاره فى الجبل إلا- أنه واسع فإذا صغر فهو غار و الرقيم أصله من الرقم و هو الكتابه يقال رقمت الكتاب أرقمه فهو فعيل بمعنى مفعول كالجريح و القليل و منه الرقم فى الثوب لأنه خط يعرف به ثمنه و الأرقم الحيه المنقشه لما فيه من الخطوط و تقول العرب عليك بالرقمه و دع الضفه أى عليك برقمه الوادى حيث الماء و دع الجانب و الأوى

الرجوع و الفتيه جمع فتى و فعله من أسماء الجمع و ليس بناء يقاس عليه يقال صبي و صبيه و غلام و غلمه و لا يقال غنى و غنيه لأنه غير مطرد فى بابهِ و الضرب معروف و معنى ضربنا على آذانهم سلطنا عليهم النوم و هو من الكلام البالغ فى الفصاحه يقال ضربه الله بالفالج إذا ابتلاه الله به قال قطرب: هو كقول العرب ضرب الأمير على يد فلان إذا منعه من التصرف قال الأسود بن يعفر و كان ضريرا:

و من الحوادث لا أبا لك أننى ضربت على الأرض بالأسداد

و الحزب الجماعه و الأمد الغايه قال النابغه:

إلا لمثلك أو من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد

. الإعراب

«سِنِينَ» نصب على الظرف و «عَدَدًا» منصوب على ضربين (أحدهما) على المصدر المعنى تعدد عددا و يجوز أن يكون نعتا لسنين. المعنى سنين ذات عدد قال الزجاج:

و الفائدة فى قولك عدد فى الأشياء المعدودات أنك تريد تأكيد كثره الشئ ء لأنه إذا قل فهم مقداره و مقدار عدده فلم يحتج إلى أن يعد فالعدد فى قولك أقيمت أياما عددا إنك تريد بها الكثره و جائز أن يؤكد بعدد معنى الجماعه فى أنها قد خرجت من معنى الواحد قال و أمدا منصوب على نوعين (أحدهما) التمييز (و الآخر) على أحصى أمدا فيكون العامل فيه أحصى كأنه قال لنعلم أم هؤلاء أحصى للأمد أم هؤلاء و يكون منصوبا بلبثوا و يكون أحصى متعلقا بلما فيكون المعنى أى الحزبين أحصى للبتهم فى الأمد قال أبو على: إن انتصابه على التمييز عندى غير مستقيم و ذلك لأنه لا يخلو من أن يحمل أحصى على أن يكون فعلا- ماضيا أو أفعل نحو أحسن و أعلم فلا- يجوز أن يكون أحصى بمعنى أفعل من كذا و غير مثال للماضى من وجهين (أحدهما) أنه يقال أحصى يحصى و فى التنزيل أَحْصَاءُ اللَّهِ وَ نَسُوهُ و أفعل يفعل لا يقال فيه هو أفعل من كذا و أما قولهم ما أولاه بالخير و ما أعطاه الدرهم فمن الشاذ النادر الذى حكمه أن يحفظ و لا يقاس عليه (و الآخر) إن ما ينتصب على التمييز فى نحو قولهم هو أكثر مالا- و أعز علما يكون فى المعنى فاعلا- ألا ترى أن المال هو الذى كثر و العلم هو الذى عز و ليس ما فى الآيه كذلك ألا ترى أن الأمد ليس هو الذى أحصى فهو خارج عن حد هذه الأسماء و إذا كان ماضيا كان المعنى لنعلم أى الحزبين أحصى أمدا للبتهم فيكون الأمد على هذا منتصبا بأنه مفعول به و العامل فيه أحصى.

محمد بن إسحاق بإسناده عن سعيد بن جبير و عكرمه عن ابن عباس أن النضر بن الحرث بن كلده و عقبه بن أبي معيط أنفذهما قريش إلى أحبار اليهود بالمدينه و قالوا لهما سلاهم عن محمد و صفا لهم صفته و خبراهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول و عندهم من علم الأنبياء ما ليس عندنا فخرجا حتى قدما المدينه فسألا أحبار اليهود عن النبي ص و قالوا لهم ما قالت قريش فقال لهما أحبار اليهود اسألوه عن ثلاث فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل و إن لم يفعل فهو رجل متقول فأروا فيه رأيكم سلوه عن فتيه ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم فإنه قد كان لهم حديث عجيب و سلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض و مغاربها ما كان نبؤه و سلوه عن الروح ما هو و في روايه أخرى فإن أخبركم عن الثنتين و لم يخبركم بالروح فهو نبي فانصرفا إلى مكه فقالا يا معاشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم و بين محمد و قصا عليهم القصه فجاءوا إلى النبي ص فسألوه فقال أخبركم بما سألتكم عنه غدا و لم يستثن فانصرفوا عنه فمكث ص خمس عشره ليله لا يحدث الله إليه في ذلك و حيا و لا يأتيه جبرائيل حتى أرجف أهل مكه و تكلموا في ذلك فشق على رسول الله ص ما يتكلم به أهل مكه عليه ثم جاءه جبرائيل (عليه السلام) عن الله سبحانه بسوره الكهف و فيها ما سأله عنه عن أمر الفتيه و الرجل الطواف و أنزل عليه وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ الْآيَةَ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَذَكَرَ لِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ لَجِبْرَائِيلَ حِينَ جَاءَهُ لَقَدْ احْتَبَسْتَ عَنِّي يَا جِبْرَائِيلَ فَقَالَ لَهُ جِبْرَائِيلَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَ مَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا يَتَّبِعُنَا آيَةَ.

المعنى

«أَمْ حَسِبْتُمْ» معناه بل أ حسبت يا محمد «أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَ الرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا» فلخلق السماوات و الأرض أعجب من هذا عن مجاهد و قتاده و يحتمل أنه لما استبطأ الجواب حين سأله عن القصه قيل له أ حسبت أن هذا شىء عجيب حرصا على إيمانهم حتى قوى طمعك إنك إذا أخبرتهم به آمنوا و المراد بالكهف كهف الجبل الذى أوى إليه القوم الذين قص الله أخبارهم و اختلف فى معنى الرقيم فقيل إنه اسم الوادى الذى كان فيه الكهف عن ابن عباس و الضحاك و قيل الكهف غار فى الجبل و الرقيم الجبل نفسه عن الحسن و قيل الرقيم القريه التى خرج منها أصحاب الكهف عن كعب و السدى و قيل هو لوح من حجاره كتبوا فيه قصه أصحاب الكهف ثم وضعوه على باب الكهف عن سعيد بن جبير و اختاره البلخى و الجبائى و قيل جعل ذلك اللوح فى خزائن الملوك لأنه من عجائب الأمور و قيل الرقيم كتاب و لذلك الكتاب خبر فلم يخبر الله تعالى عما فيه عن ابن زيد و قيل إن أصحاب الرقيم هم النفر الثلاثة الذين دخلوا فى غار فانسد عليهم فقالوا ليدعو الله تعالى

كل واحد منا بعمله حتى يفرج الله عنا ففعلوا فنجاهم الله و رواه النعمان بن بشير مرفوعاً «إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ» أى اذكر لقومك إذ التجأ أولئك الشبان إلى الكهف وجعلوه مأواهم هرباً بدينهم إلى الله «فَقَالُوا» حين آووا إليه «رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً» أى نعمه ننجو بها من قومنا وفرج عنا ما نزل بنا «وَهَيَّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا» أى هبى وأصلح لنا من أمرنا ما نصيب به الرشد وقيل هبى لنا مخرجاً من الغار فى سلامه عن ابن عباس وقيل معناه دلنا على أمر فيه نجاتنا لأن الرشد والنجاه بمعنى وقيل يسر لنا من أمرنا ما نلتمس به رضاك وهو الرشد وقالوا هؤلاء الفتية قوم آمنوا بالله تعالى وكانوا يخفون الإسلام خوفاً من ملكهم وكان اسم الملك دقيانوس واسم مدينتهم أفسوس وكان ملكهم يعبد الأصنام ويدعو إليها ويقتل من خالفه وقيل إنه كان مجوسياً يدعو إلى دين المجوس والفتية كانوا على دين المسيح لما برح أهل الإنجيل وقيل كانوا من خواص الملك وكان يسر كل واحد منهم إيمانه عن صاحبه ثم اتفق أنهم اجتمعوا وأظهروا أمرهم فأووا إلى الكهف عن عبيد بن عمير وقيل إنهم كانوا قبل بعث عيسى (عليه السلام) «فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا» معناه أنماهم سنين ذات عدد وتأويله فأجبنا دعاءهم وسددنا آذانهم بالنوم الغالب على نفوذ الأصوات إليها سنين كثيرة لأن النائم إنما يفتت بسماع الصوت ودل سبحانه بذلك على أنهم لم يموتوا وكانوا نياماً فى أمن وراحة وجمام نفس وهذا من فصيح لغات القرآن التى لا يمكن أن يترجم بمعنى يوافق اللفظ «ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ» أى أيقظناهم من نومهم «لِنَعْلَمَ أَى الْحَزِينِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمِيدًا» أى ليظهر معلومنا على ما علمناه وذكرنا الوجه فى أمثاله فيما سبق والمعنى لننظر أى الحزين من المؤمنين والكافرين من قوم أصحاب الكهف عد أمد لبتهم وعلم ذلك وكأنه وقع بينهم تنازع فى مده لبتهم فى الكهف بعد خروجهم من بيتهم فبعثهم الله ليبين ذلك ويظهر وقيل يعنى بالحزين أصحاب الكهف لما استيقظوا اختلفوا فى تعداد لبتهم وذلك قوله وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمُ الْآيَةَ.

النظم

اتصل قوله «أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ» الآية بما قبلها من وجوه (أحدها) أنه لما أخبر عن زينه الأرض وعن الابتلاء عقبه بذكر الفتية التى تركت زينه الدنيا واختارت طاعه الله وفارقت ديارها وأموالها حثاً على الاقتداء بهم (و الآخر) إنه اتصل بقوله فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ أى فلا تأسف عليهم لأنه لا يضرك كفرهم والله ناصرك وحافظك من أعدائك كما حفظ أصحاب الكهف (و الثالث) إنه اتصل بقوله وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ أى وينصرهم كما نصر أصحاب الكهف.

إشارة

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا (١٤) هؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْ لَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيْنِ يَدَيْنِ لَظَلَمَ مَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذْ اِغْتَرَلْتُمْوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا (١٦)

القراءة

قرأ أهل المدينة و ابن عامر و الأعشى و البرجمى عن أبى بكر مرفقا بفتح الميم و كسر الفاء و الباقون «مِرْفَقًا» بكسر الميم و فتح الفاء.

الحجج

قال الزجاج: و ذكر قطرب و غيره اللغتين جميعا فى مرفق الأمر و مرفق اليد و مرفق اليد بالكسر أجود قال أبو الحسن: مرفقا أى شيئا يرتفقون به مثل المقطع و نحوه و مرفقا جعله اسما مثل المسجد أو يكون لغه قال أبو على: قوله جعله اسما أى جعل المرفق اسما و لم يجعلوه اسم المكان و لا المصدر من رفق يرفق كما أن المسجد ليس باسم الموضع من سجد يسجد و قوله أو يكون لغه أو يجعله فى اسم المصدر كما جاء المطلاع و نحوه و لو كان على القياس لفتحت اللام.

اللغة

الشطط الخروج عن الحد بالغلو فيه و أصله مجاوزه الحد فى البعد و شطت الجارية تشط شططا و شطاها إذا جاوزت الحد فى الطول و أشط فى السوم إذا جاوز القدر بالغلو فيه و الاعتزال التنحى عن الأمر و التعزل بمعناه قال:

يا بيت عاتكه التى أتعزل حذر العدى و به الفؤاد موكل

و سمي عمرو بن عبيد و أصحابه معتزله لما اعتزلوا حلقة الحسن.

الإعراب

كسر «إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ» على الاستثناف. «إِذْ قَامُوا» يتعلق بربطنا أى فى الوقت الذى قاموا فيه و «شَطَطًا» منصوب على المصدر. المعنى لقد قلنا قولاً شططاً و «مَا يَعْبُدُونَ» فى موضع نصب عطفاً على الهاء و الميم فى اعتزلتموهم و المراد الأصنام التى يعبدونها من دون الله و يجوز أن تكون ما مصدرية أى و عبادتهم إلا عباده الله فحذف المضاف و الاستثناء على هذا من الهاء و الميم و إن جعلت ما موصولة كان الاستثناء من مفعول يعبدون استثناء منقطعاً.

المعنى

ثم بين سبحانه قصه أصحاب الكهف فقال «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ» أى نتلو عليك يا محمد «تَبَاهُكُمْ» أى خبرهم «بِالْحَقِّ» أى بالصدق و الصحه «إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ» أى أحداث و شباب «آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَ زِدْنَاهُمْ هُدًى» أى بصيره فى الدين و رغبه فى الثبات عليه بالألطف المقويه لدواعيهم إلى الإيمان و حكم لهم سبحانه بالفتوه لأن رأس الفتوه الإيمان و قيل الفتوه بذل الندى و ترك الأذى و ترك الشكوى عن مجاهد و قيل هى اجتناب المحارم و استعمال المكارم «وَ رَبَّطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ» أى شددنا عليها بالألطف و الخواطر القويه للإيمان حتى وطنوا أنفسهم على إظهار الحق و الثبات على الدين و الصبر على المشاق و مفارقة الوطن «إِذْ قَامُوا» أى حين قاموا بين يدي ملكهم الجبار دقيانوس الذى كان يفتن أهل الإيمان عن دينهم «فَقَالُوا» بين يديه «رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى ربنا الذى نعبد خالق السماوات و الأرض «لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا» أى لن نعبد إلها سواه معه «لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا» معناه إن دعونا مع الله إلها آخر فلقد قلنا إذا قولاً مجاوزاً للحق غايه فى البطلان «هُؤُلَاءِ قَوْمُنَا» أى أهل بلدنا «اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ» أى من دون الله «آلِهَةً» يعبدونها «لَوْ لَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ» أى هلا يأتون على عبادتهم غير الله بحجه ظاهره و فى هذا ذم زجر للتقليد و إشاره إلى أنه لا يجوز أن يقبل دين إلا بحجه واضحة «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» فزعم أن له شريكاً فى العباده «وَ إِذْ اعْتَرَلْتُمْهُمْ وَ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ» قال ابن عباس و هذا من قول تمليخا و هو رئيس أصحاب الكهف قال لهم فإذا فارقتموهم و تنحيتهم عنهم جانباً يعنى عبده الأصنام و فارقتم ما يعبدون أى أصنامهم إلا الله فإنكم لن تتركوا عبادته و ذلك إن أولئك كانوا يشركون بالله و يجوز أنه كان فيهم من يعبد الله مع عباده الأصنام فقال إذا اعتزلتم الأصنام و لم تعتزلوا الله و لا عبادته فيكون الاستثناء متصلًا و يجوز أن يكون جميعهم كانوا يعبدون الأوثان من دون الله فيكون الاستثناء منقطعاً

«فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ» أى صيروا إليه و اجعلوه مأواكم «يُنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ» أى يبسط عليكم ربكم من نعمته «وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا» أى و يسهل عليكم ما تخافون من الملك و ظلمه و يأتىكم باليسر و الرفق و اللطف عن ابن عباس و كلما ارتفعت فهو مرفق و قيل معناه و يصلح لكم من أمر معاشركم ما تترفقون به و فى هذا دلالة على عظم منزله الهجره فى الدين و على قبح المقام فى دار الكفر إذا كان لا يمكن المقام فيها إلا بإظهار كلمه الكفر و بالله التوفيق.

[سوره الكهف (١٨): الآيات ١٧ الى ١٨]

إشارة

وَ تَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَ هُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَ مَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (١٧) وَ تَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَ هُمْ رُقُودٌ وَ نُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَ ذَاتَ الشَّمَالِ وَ كَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَ لَمَلَّنتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (١٨)

القراءة

قرأ ابن عامر و يعقوب تزور بتشديد الزاى و قرأ أهل الكوفه «تَزَاوَرُ» بالتخفيف و الباقون تزاور بتشديد الزاى و قرأ أهل الحجاز لمثلت بالتشديد و الباقون بالتخفيف و فى الشواذ قراءه الجحدرى تزوار و قراءه الحسن و تقلبهم بفتح التاء و القاف و الباء و ضم اللام.

الحججه

من قرأ تزاور فإنه تتزاور فأدغم التاء فى الزاى و من قرأ «تَزَاوَرُ» حذف الثانيه و خفف الكلمه بالحذف كما حذف أولئك بالإدغام و من قرأ تزور فقد قال أبو الحسن: لا معنى له فى هذا الموضع إنما يقال هو مزور عنى أى منقبض عنى يدل عليه قول عنتره:

فأزور من وقع القنا بلبانه و شكا إلى بعبره و تحمحم

قال أبو علي و الذي حسن القراءه به قول جرير:

عسفن عن الأداعس من مهيل و في الأظعان عن طلح ازورار

فظاهر استعمال هذا في الأظعان مثل استعماله في الشمس و تراور على وزن تفاعل و تزوار على وزن تفعال من الازويرار و قوله لمثلت منهم بالثديد للتكثير قال أبو الحسن: الخفيفه أجود لا يكادون يقولون ملأ منى رعبا و إنما يقولون ملأتنى رعبا قال أبو علي:

يدل على قول أبي الحسن قول امرئ القيس:

" فتملا بيتنا أقطا و سمنا "

و قول الأعشى:

" و قد ملئت بكر و من لف لفها "

و أنشدوا في التثليل قول المخبل السعدى:

" فملأ من كعب بن عوف سلاسله "

و من قرأ و تقلبهم فإنه نصبه بفعل مضمر دل عليه ما قبله فكأنه قال و ترى أو تشاهد تقلبهم.

اللغه

القرض القطع يقال قرضت الموضع إذا قطعتة و جاوزته قال الكسائي: هو المجازاه يقال قرضنى فلان يقرضنى و جذانى يجذونى بمعنى قال ذو الرمه:

إلى ظعن يقرضن أجواز مشرف شمالا و عن أيمانهن الفوارس

و يستعمل القرض فى أشياء غير هذا منه القطع للثوب و غيره و منه المقراض و منه قرض الفأر قال أبو الدرداء:

" إن قارضتهم قارضوك و إن تركتهم لم يتركوك "

يعنى إن طعنت فيهم و عبتهم فعلوا بك مثله و إن تركتهم من ذلك لم يتركوك و القراض بلغه الحجاز المضاربه و القرض هو قول الشعر القصيده منه خاصه دون الرجز و منه قيل للشعر القريض قال الأغلب العجلى:

" أ رجزا تريد أم قريضا "

و الفجوه المتسع من الأرض و جمعه فجوات و فجاء ممدود و فجوه الدار ساحتها و الأيقاظ جمع يقظ و يقظان قال الراجز:

" و وجدوا إخوتهم أيقاظا "

و الرقود جمع راقد و رقد يرقد رقادا و رقودا و الوصيد من أوصدت الباب أى أغلقته و جمعه وصائد و يقال وصيد و أصيد و أوصدت و أصدت مثل ورخت الكتاب و أرخته و وكدت الأمر و أكدته.

الإعراب

«وَتَرَى الشَّمْسَ» إلى قوله «وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ» منه متعلق بالرؤية و قوله «إِذَا

ص: ٢٨٧

طَلَعَتْ» (وَ إِذَا عَزَبَتْ) كلاهما بجوابهما فى موضع المفعول الثانى و الحال و الجملة التى هى «وَ هُمْ فِى فَجْوَةٍ مِنْهُ» فى موضع الحال (وَ كَلْبُهُمْ بِاسِطٍ ذِرَاعِيهِ» أعمل اسم الفاعل حيث نصب به ذراعيه و إن كان بمعنى الماضى لأنه حكايه حال كما قال هذا مِنْ شَيْعَتِهِ وَ هذا مِنْ عَدُوِّهِ و هذا يشار به إلى الحاضر و لم يكن المشار إليهما حاضرين حين قص القصة على النبى ص و لكنه على تلك الحال قص القصة. «فَهُوَ الْمُهْتَدِ» كتب فى المصحف هنا بغير ياء و فى الأعراف بالياء و حذف الياء جائز فى الأسماء خاصة و لا يجوز فى الأفعال لأن حذف الياء فى الفعل دليل الجزم و حذف الياء فى الأسماء واقع إذا لم يكن الألف و اللام نحو مهتد فأدخلت الألف و اللام و ترك الحرف على ما كان عليه و دلت الكسرة على الياء المحذوفة قال الزجاج: «لَوْ أَطْلَعْتَ» بكسر الواو و يجوز الضم و الكسر أجد لأن الواو ساكنه و الطاء ساكنه و الأصل فى التقاء الساكنين الكسر و جاز الضم لأن الضم من جنس الواو و لكنه إذا كان بعد الساكن مضموم فالضم هناك أحسن نحو أَوْ انْقُصْ قِرْئَ بِالضَّمِّ وَ الكسر. «فِرَارًا» منصوب على المصدر لأن معنى وليت فررت و «رُغْبًا» منصوب على التمييز يقال امتلأت فرقا و امتلأ الإناء ماء.

المعنى

ثم بين سبحانه حالهم فى الكهف فقال «وَ تَرَى الشَّمْسَ» أى لو رأيتها لرأيت «إِذَا طَلَعَتْ تَرَاوَرَّ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ» أى تميل وقت طلوعها عن كهفهم إلى جهة اليمين «وَ إِذَا عَزَبَتْ تَقْرَضُهُمْ» أى تعدل عنهم و تتركهم «ذَاتَ الشَّمَالِ» إلى جهة الشمال شمال الكهف أى لا تدخل كهفهم و قيل تقرضهم أى تجاوزهم منحرفه عنهم عن ابن عباس «وَ هُمْ فِى فَجْوَةٍ مِنْهُ» أى فى متسع من الكهف و قيل فى فضاء منه عن قتاده و قيل كان متسعا داخل الكهف بحيث لا يراه من كان ببابه و ينالهم نسيم الريح ثم أخبر سبحانه عن لطفه بهم و حفظه إياهم فى مضجعهم و اختياره لهم أصلح المواضع لرقادهم فبأهم مكانا من الكهف مستقبلا بنات النعش تميل الشمس عنهم طالعه و غاربه كيلا يؤذيهم حرها أو تغير ألوانهم أو تبلى ثيابهم و هم فى متسع ينالهم فيه روح الريح و كان باب الغار مقابل القطب الشمالى «ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ» أى من أدلته و برهانه «مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ» مثل أصحاب الكهف «وَ مَنْ يُضَلِّلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا» مثل قوم أصحاب الكهف «وَ تَحْسَبُهُمْ آيِقَاطًا» أى لو رأيتهم لحسبتهم منتبهين «وَ هُمْ رُقُودٌ» أى نائمون فى الحقيقة قال الجبائى و جماعه لأنهم مفتحو العيون يتنفسون كأنهم يريدون أن يتكلموا و لا يتكلمون و قيل إنهم ينقلبون كما ينقلب اليقظان «وَ نُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَ ذَاتَ الشَّمَالِ» معناه و نقلبهم تاره عن اليمين إلى الشمال و تاره عن الشمال إلى اليمين كما يتقلب النائم لأنهم لو لم يتقلبوا

لأ-كلتهم الأرض و لبليت ثيابهم لطول مكثهم على جانب واحد و قيل كانوا يقبلون كل عام تقلبتين عن أبي هريره و قيل كان تقلبهم كل عام مره عن ابن عباس و قوله «وَكَلَّبُهُمْ» قال ابن عباس و أكثر المفسرين إنهم هربوا من ملكهم ليلا فمروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم و تبعه كلبه و قيل إنهم مروا بكلب فتبعهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون منى لا تخشوا خيانه فأنا أحب أولياء الله فناموا حتى أحرسكم عن كعب و قيل كان ذلك كلب صيدهم و قيل كان ذلك الكلب أصفر اللون عن مقاتل و قيل كان أنمر و اسمه قطمير عن ابن عباس و فى تفسير الحسن أن ذلك الكلب مكث هناك ثلاث مائه و تسع سنين بغير طعام و لا- شراب و لا- نوم و لا- قيام «بِاسِيَّةٍ ذِرَاعِيَّةٍ» هو أن يلقىهما على الأرض مبسوطتين كافتراش السبع «بِالْوَصِيَّةِ» أى بفناء الكهف عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و قيل بالباب و قيل بباب الفجوه أو فناء الفجوه لا باب الكهف لأن الكفار خرجوا إلى باب الكهف فى طلبهم ثم انصرفوا و لو رأوا الكلب على باب الغار لدخلوه و كذلك لو كان بالقرب من الباب و لما انصرفوا آيسين عنهم فإنهم سدوا باب الغار بالحجاره فجاء رجل بماشيته إلى باب الغار و أخرج الحجاره و اتخذ لماشيته كنا عند باب الغار و هم كانوا فى فجوه من الغار عن الجبائى و قيل الوصيد عتبه الباب عن عطا «لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا» معناه لو أشرفت عليهم و رأيتهم فى كهفهم على حالتهم لفررت عنهم و أعرضت عنهم هربا لاستيحاشك الموضوع «وَلَمَلَيْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا» أى و لملىء قلبك خوفا و فرعا و ذلك إن الله منعهم بالرعب لئلا يصل إليهم أحد حتى يبلغ الكتاب أجله فيهم و قيل كانوا فى مكان موحش من رآه فرع و لا يمتنع أن الكفار لما أتوا باب الكهف فرعوا من وحشه المكان فسدوا باب الكهف ليهلكوا فيه و جعل سبحانه ذلك لظفا لئلا ينالهم مكروه من سبع و غيره و ليكونوا محروسين من كل سوء و قيل إنهم كانت أظفارهم قد طالت و كذلك شعورهم و لذلك يأخذ الرعب منهم و هذا لا يصح لقوله تعالى حكايه عنهم لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ و روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال غزوت مع معاويه نحو الروم فمروا بالكهف الذى فيه أصحاب الكهف فقال معاويه لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقلت له ليس هذا لك فقد منع ذلك من هو خير منك قال الله تعالى «لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَ لَمَلَيْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا» فقال معاويه لا- أنتهى حتى أعلم علمهم فبعث رجالا فلما دخلوا الكهف أرسل الله عليهم ريحا أخرجتهم.

إشارة

وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَ لِيَتَلَطَّفَ وَلَا يَشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (٢٠)

القراءة

قرأ أبو عمرو و أبو بكر و حمزه و خلف بورقكم ساكنه الراء و الباقون بكسر الراء و روى عن أبي عمرو بإدغام الكاف في القاف و في الشواذ قراهه أبي رجاء بورقكم بكسر الواو و الإدغام.

الحج

في ورقكم أربع لغات فتح الواو و كسر الراء و هو الأصل و فتح الواو و سكون الراء و كسر الواو و سكون الراء و الإدغام قال ابن جني: هذا عند أصحابنا مخفى غير مدغم لكنه أخفى كسره القاف فظنها القراء مدغمه و معاذ الله لو كانت مدغمه لوجب نقل كسره القاف إلى الراء كقولهم برد و برق و للقاء في هذا عادة أن يعبروا عن المخفى بالمدغم للطف ذلك عليهم.

الإعراب

«كَمْ لَبِثْتُمْ» تقديره كم يوما لبثتم فكم منصوبه بلبثتم و المميز محذوف أ لا- ترى أن جوابه «لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ» «فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا» الجملة التي هي أيها أزكى مفعول فلينظر و طعاما تمييز.

المعنى

«وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ» معناه و كما فعلنا بهم الأمور العجيبه و حفظناهم تلك المده المديده بعثناهم من تلك الرقده و أحييناهم من تلك النومه التي أشبهت الموت «لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ» أى ليكون بينهم تساؤل و تنازع و اختلاف فى مده لبثهم فابتدعوا بذلك على معرفه صانعهم و يزدادوا يقينا إلى يقينهم «قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ» فى نومكم «قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ» قال المفسرون إنهم دخلوا الكهف غدوه و بعثهم الله فى آخر النهار فلذلك قالوا يوما فلما رأوا الشمس قالوا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ و كان قد بقيت من النهار بقيه «قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ» و هذا القائل هو تلميذا رئيسهم عن ابن عباس رد علم ذلك إلى الله تعالى

«فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ» و الورق الدراهم و كان معهم دراهم عليها صوره الملك الذى كان فى زمانهم عن ابن عباس «إِلَى الْمَدِينَةِ» يعنى المدينة التى خرجوا منها «فَلْيَنْظُرْ أَهْبًا أَزْكَى طَعَامًا» أى أظهر و أحل ذبيحه عن ابن عباس قال لأن عامتهم كانت مجوسا و فيهم قوم مؤمنون يخفون إيمانهم و قيل أطيب طعاما عن الكلبي و قيل أكثر طعاما من قولهم زكى المال إذا زاد عن عكرمه و ذلك لأن خير الطعام إنما يوجد عند من كثر طعامه و قيل كان من طعام أهل المدينة ما لا يستحله أصحاب الكهف «فَلْيَأْتِكُمْ بَرِزْقٍ مِنْهُ» أى فليأتكم بما ترزقون أكله «وَلْيَتَلَطَّفْ» أى و ليدقق النظر و يتحيل حتى لا يطلع عليه و قيل و ليتلطف فى الشراء فلا يماكس البائع و لا ينازعه «وَلَا يُشْجِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا» أى لا يخبرن بكم و لا بمكانكم أحدا من أهل المدينة «إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ» أى يشرفوا و يطلعوا عليكم و يعلموا بمكانكم «يَرْجُمُوكُمْ» أى يقتلوكم بالرجم و هو من أخبث القتل عن الحسن و قيل معناه يؤذوكم و يشتموكم يقال رجمه بلسانه عن ابن جريج «أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ» أى يردوكم إلى دينهم «وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا» معناه و متى فعلتم ذلك لن تفوزوا أبدا بشىء من الخير و متى قيل من أكره على الكفر فأظهره فإنه مفلح فكيف تصح الآيه فالجواب يجوز أن يكون أراد يعيدوكم إلى دينهم بالاستدعاء دون الإكراه و يجوز أن يكون فى ذلك الوقت كان لا يجوز التقيه فى إظهار الكفر.

إشارة

وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيُعَلِّمُوا أَنْ وَعِدَ اللَّهُ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا- رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ
أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (٢١) سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَذِبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَذِبُهُمْ
رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَذِبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ
فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) وَلَا تَقُولَنَّ لَشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِ
رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (٢٤)

اللغة

عثر على الشيء يعثر عثرا إذا طلع عليه و أعترت عليه غيرى و العاثر حفره تحفر ليصطاد به الأسد يقال للرجل إذا تورط وقع فى
عاثر و أصله من العثار و المراء الجدال ماريت الرجل أماريه مراء.

الإعراب

«إِذْ يَتَنَزَّعُونَ» يجوز أن يكون منصوبا بقوله «أَعْتَرْنَا» أى اطلعنا عليهم فى وقت المنازعة فى أمرهم و يجوز أن يكون منصوبا بقوله
«لِيُعَلِّمُوا» و إنما دخلت الواو فى قوله «وَ ثَامِنُهُمْ» و لم يدخل فى الأولين لأن هاهنا عطف جملة على جملة و هناك وصف النكرة
بجملة فإن التقدير هم سبعة و هم ثلاثة فتلاثة مرفوع بأنه خبر مبتدأ محذوف و «رَابِعُهُمْ كَذِبُهُمْ» وصف لثلاثه و كذلك «سَادِسُهُمْ
كَذِبُهُمْ» صفه لخمسه و هذا قول على بن عيسى قال: و فرق ما بينهم أن السبعة أصل للمبالغة فى العدد لأن جلائل الأمور سبعة
سبعة و أقول قد وجدت لأبى على الفارسى فى هذا كلاما طويلا سألخصه لك و أهذبه فضل تهذيب قال: إن الجملتين الملتبسه
إحدهما بالأخرى و هى أن تكون غير أجنبيه منها على ضربين (أحدهما) أن تعطف بحرف العطف و الآخر أن توصل بها بغير
حرف العطف فما يوصل بها بما قبلها بغير حرف العطف من الجملة على أربعة أضرب (أحدها) أن تكون صفه (و الآخر) أن
تكون حالا (و الثالث) أن تكون تفسيرا (و الرابع) أن لا تكون على أحد هذه الأوجه الثلاثه لكن يكون فى الجملة الثانيه ذكر مما
فى الأولى أو ممن فيها فالأول نحو مررت برجل أبوه قائم و بسلام يقوم و لا وجه لإدخال حرف العطف على هذا لأن الصفه تبين
الموصوف و تخصصه فلو عطف لخرجت بالعطف من أن تكون صفه لأن العطف ليس الثانى و هو المعطوف فيه بالأول و إنما
يشرك الثانى فى إعراب الأول و الصفه هو الموصوف فى المعنى (و أما) الثانى و هو أن تكون حالا فلا مدخل لحرف العطف
عليه أيضا لأن الحال مثل الصفه فى أنها تفرق بين هيتين أو هيئات كما أن الصفه تفرق بين موصوفين أو موصوفات و هى مثل
المفعول فى أنها تكون بعد كلام تام فكما لا يدخل الحرف العاطف بين الصفه و الموصوف و لا بين المفعول و ما عمل فيه
كذلك لا- يدخل بين الحال و ذى الحال و الجمل الواقعه موقع الحال إما أن تكون من فعل و فاعل أو من مبتدأ و خبر نحو
رأيت زيدا يضحك و جاء زيد أبوه منطلق قال الشاعر:

و لو لا جنان الليل ما آب عامر إلى جعفر سرباله لم يمزق

(و أما) الثالث و هى الجملة التى تكون تفسيرا لما قبلها فنحو قوله وَعِيدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ثم قال لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ فالمغفرة تفسير الوعد الذى وعدوا فأما قوله تعالى هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ ثم قال تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ فَتَوَمَّنُونَ على لفظ الخبر و معناه الأمر بدلاله قوله يَغْفِرُ لَكُمْ و حسن أن يكون الأمر على لفظ الخبر لوقوعه كالتفسير لما قبله من ذكر التجاره و حكم التفسير أن يكون خبرا فلذلك حسن كون الأمر على لفظ الخبر هنا (و أما) الرابع الذى لا- يكون اتصاله على الوجوه الثلاثة و يكون فى الجملة الثانية ذكر مما فى الأولى فإن هذا الوجه يتصل بما قبله على وجهين (أحدهما) بحرف عطف كما يتبع الأجنبيه إياها بحرف عطف و ذلك نحو زيد أبوك و أخوه عمرو فهذه قد نزلت منزله الأجنبيه من الأولى فى العطف بالواو نحو قام زيد و خرج عمرو و زيد قائم و بكر خارج و الآخر أن يتبع الثانية الأولى بغير حرف عطف كقوله سبحانه إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ الَّذِينَ مَا يَهْتَجُونَ و يقول فى آيه أخرى وَ كَانُوا يُصَيَّرُونَ بالواو و قوله «سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَ يَقُولُونَ خَمْسَةً سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ» وَ يَقُولُونَ سَبْعَةً وَ ثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ» و الدليل على أن هذا نوع آخر خارج عن الأنواع الثلاثة أن قوله «وَ ثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ» بعد الجملة المحذوف مبتدؤها لا يخلو من أن يكون حالا أو صفة أو تفسيرا أو جملة منقطعة من الأول و لا يجوز أن يكون فى موضع الحال لأن ما قبلها من الكلام لا معنى فعل فيه عاملا فى الحال و الحال لا بد لها من عامل فيها و لا يمكن أن يجعل المبتدأ المضممر هذا و ما أشبهه من أسماء الإشارة فينتصب الحال عنها لأن المخبر عنهم هاهنا ليسوا بمشار إليهم فى وقت الإخبار و إنما المراد الإخبار عن عددهم و لو كانوا بحيث يشار إليهم لم يقع الاختلاف فى عددهم و لا يجوز أن يكون تفسيرا لأن التفسير هو المفسر فى المعنى و لا يجوز أن يكون شىء من جزء الجملة التى هى «رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ» شيئا من جزء التى هى هم ثلاثة و لا يجوز أيضا أن يكون صفة للنكرة التى قبلها لأنه لا يخلو فى الوصف من أحد أمرين إما أن يعمل اسم فاعل كما يعمل سائر أسماء الفاعلين الجارية على أفعالها فيرتفع ما بعده به و إما أن يجعل جملة فى موضع وصف و لا يعمل اسم الفاعل عمل الفعل فيكون مبتدأ و خبرا و لا يجوز الأول لأنه فى معنى الماضى و الماضى لا يقدر فيه الانفصال و إنما يقدر فى الحاضر و الآتى لأنه كما أعرب من الأفعال المضارعة ما كان حاضرا و آتيا كذلك لم يعمل الماضى من

أسماء الفاعلين و لو لا- المضى لم يمتنع إعمال قوله «رابعُهُمْ» و «سادِسُهُمْ» و لا- تكون أيضا الجملة صفه لثلاثه كما توصف النكرات بالجمال لأن هذه جملة مستأنفه و ليست على حد الصفه بل على حد ما بعدها من قوله «وَ ثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ» فحذفت الواو و استغنى عنها إذا كانت إنما تذكر لتدل على الاتصال و ما فى الجملة من ذكر ما فى الأولى كأنه يستغنى به عن ذكر الواو لأن الحرف يدل على إيصاله و ما فى الجملة من ذكر ما تقدمها اتصال أيضا فيستغنى به و يكتفى بذلك منه و هذا فصل جامع فى النحو جليل الموقع كثير الفائدة إذا تأمله المتأمل حق التأمل و أحكمه أشرف به على كثير من المسائل إن شاء الله و أما من قال إن هذه الواو واو الثمانيه و استدل بقوله حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا وَ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا لِأَنَّ لِلجَنَّةِ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ فَشَىءٌ لَا يَعْرِفُهُ النَّحْوِيُّونَ.

المعنى

«وَ كَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ» أى و كما أنمناهم و بعثناهم اطلعنا و أعترا عليهم أهل المدينة و جملة أمرهم و حالهم على ما قاله المفسرون أنهم لما هربوا من ملكهم و دخلوا الكهف أمر الملك أن يسد عليهم باب الكهف و يدعوهم كما هم فى الكهف فيموتوا عطشا و جوعا و ليكن كهفهم الذى اختاروه قبرا لهم و هو يظن أنهم إيقاظ ثم إن رجلين مؤمنين كتبوا شأن الفتية و أنسابهم و أسماءهم و خبرهم فى لوح من رصاص و جعلاه فى تابوت من نحاس و جعلوا التابوت فى البنيان الذى بنوا على باب الكهف و قالوا- لعل الله يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة ليعلموا خبرهم حين يقرءون هذا الكتاب ثم انقرض أهل ذلك الزمان و خلفت بعدهم قرون و ملوك كثيرة و ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له ندليس و قيل بندوسيس عن محمد بن إسحاق و تحزب الناس فى ملكه أحزابا منهم من يؤمن بالله و يعلم أن الساعة حق و منهم من يكذب فكبر ذلك على الملك الصالح و بكى إلى الله و تضرع و قال أى رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم بها أن البعث حق و أن الساعة حق آتية لا- ريب فيها فألقى الله فى نفس رجل من أهل ذلك البلد الذى فيه الكهف أن يهدم البنيان الذى على فم الكهف فيبنى به حظيره لغنمه ففعل ذلك و بعث الله الفتية من نومهم فأرسلوا أحدهم ليطلب لهم طعاما فاطلع الناس على أمرهم و بعثوا إلى الملك الصالح يعلمونه الخبر ليعجل القدوم عليهم و ينظر إلى آية من آيات الله جعلها الله فى ملكه فلما بلغه الخبر حمد الله و ركب معه مدينته حتى أتوا أهل الكهف فذلك قوله «وَ كَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ» بالبعث و الثواب العقاب «حَقٌّ وَ أَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا» أى أن القيامة لا شك فيها فإن من قدر على أن ينيم جماعه تلك المدة المديدة أحياء ثم يوقظهم قدر أيضا على أن يميتهم ثم يحييهم بعد ذلك «إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ» أى فعلنا ذلك حين تنازعوا

فى البعث فمنهم من أنكره و منهم من قال يبعث الأرواح دون الأجسام و منهم من أثبت البعث فيهما و أضاف الأمر إليهم لتنازعهم فيه كما يقال ما صنعتم فى أمركم عن عكرمه و قيل إن معناه إذ يتنازعون فى قدر مكثهم فى الكهف و فى عددهم و فيما يفعل بهم بعد أن اطلعوا عليهم و ذلك أنه لما دخل الملك عليهم مع الناس و جعلوا يسألونهم سقطوا ميتين فقال الملك إن هذا الأمر عجيب فما ترون فاختلفوا فقال بعضهم ابنوا عليهم بناينا كما بنى المقابر و قال بعضهم اتخذوا مسجدا على باب الكهف و هذا التنازع كان منهم بعد العلم بموتهم عن ابن عباس «فَقَالُوا» أى قال مشركو ذلك الوقت «ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيَانًا» أى استروهم من الناس بأن تجعلوهم وراء ذلك البيان كما يقال بنى عليه جدارا إذا حوطه و جعله وراء الجدار «رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ» معناه ربهم أعلم بحالهم فيما تنازعوا فيه و قيل إنه قال ذلك بعضهم و معناه ربهم أى خالقهم الذى أنامهم و بعثهم أعلم بحالهم و كيفية أمرهم و قيل معناه ربهم أعلم بهم أ أحياء نيام هم أم أموات فقد قيل إنهم ماتوا و قيل أنهم لا يموتون إلى يوم القيامة «قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ» يعنى الملك المؤمن و أصحابه و قيل أولياء أصحاب الكهف من المؤمنين و قيل رؤساء البلد الذين استولوا على أمرهم عن الجبائى «لَتَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسَٰجِدًا» أى معبدا و موضعا للعباده و السجود يتعبد الناس فيه ببركاتهم و دل ذلك على أن الغلبة كانت للمؤمنين و قيل مسجدا يصلى فيه أصحاب الكهف إذا استيقظوا عن الحسن و قد روى أيضا أن أصحاب الكهف لما دخل صاحبهم إليهم و أخبرهم بما كانوا عنه غافلين من مده مقامهم سألوا الله تعالى أن يعيدهم إلى حالتهم الأولى فأعادهم إليها و حال بين من قصدهم و بين الوصول إليهم بأن أضلهم عن الطريق إلى الكهف الذى كانوا فيه فلم يهتدوا إليه ثم بين سبحانه تنازعهم فى عددهم فقال «سَيَقُولُونَ» أى سيقول قوم من المختلفين فى عددهم «ثَلَاثَةٌ» أى هم ثلاثة «رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَ يَقُولُونَ» أى و يقول آخرون هم «خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ» أى قذفا بالظن من غير يقين عن قتاده «وَ يَقُولُونَ» أى و يقول آخرون هم «سَبْعَةٌ وَ ثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ» و قيل إن هذا إخبار من الله تعالى بأنه سيقع نزاع فى عددهم ثم وقع ذلك لما وفد نصارى نجران إلى النبى ص فجرى ذكر أصحاب الكهف فقالت اليعقوبية منهم: كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم و قالت النسطورية: كانوا خمسة سادسهم كلبهم و قال المسلمون:

كانوا سبعة و ثامنهم كلبهم «قُلْ» يا محمد «رَبِّى أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ» من الناس عن قتاده و قيل قليل من أهل الكتاب عن عطا و قال ابن عباس أنا من ذلك القليل هم سبعة و ثامنهم كلبهم و الأظهر أن يكون عرف ذلك من جهة النبى ص و روى الضحاك عن ابن عباس أنه قال هم مكسليمننا و تملبخا و مرطولس و نينونس و سارينونس و دربونس و كشوطبونس و هو الراعى «فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ» أى فلا تجادل الخائضين فى عددهم و شأنهم «إِلَّا مِرَاءً»

ظاهراً» فيه وجوه (أحدها) أن معناه إلا تجادلهم إلا بما أظهرنا لك من أمرهم عن ابن عباس و قتاده و مجاهد أى لا تجادل إلا بحجه و دلاله و إخبار من الله سبحانه و هو المرء الظاهر (و ثانيها) أن المراد لا تجادلهم إلا جدالاً ظاهراً و هو أن تقول لهم أثبتم عدداً و خالفكم غيركم و كلا القولين يحتمل الصدق و الكذب فهلموا بحجه تشهد لكم (و ثالثها) أن المراد إلا مرء يشهده الناس و يحضرونه فلو أخبرتهم فى غير ملاءم من الناس لكذبوا عليك و لبسوا على الضعفه فادعوا أنهم كانوا يعرفونه لأن ذلك من غوامض علومهم «و لا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا» معناه و لا تستخبر فى أهل الكهف و فى مقدار عددهم من أهل الكتاب أحداً و لا تستفتهم من جهتهم عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و الخطاب للنبي ص و المراد غيره لثلاث- يرجعوا فى ذلك إلى مساءله اليهود فإنه كان واثقاً بخبر الله تعالى «و لا تَقُولَنَّ لَشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ» قد ذكر فى معناه وجوه (أحدها) أنه نهى من الله تعالى لنبىه ص أن يقول إنى أفعل شيئاً فى الغد إلا أن يقيد ذلك بمشيئه الله تعالى فيقول إن شاء الله قال الأخفش و فيه إضمار القول و تقديره إلا أن تقول إن شاء الله و لما حذف تقول نقل إن شاء الله إلى لفظ الاستقبال فيكون هذا تأديباً من الله للعباد و تعليماً لهم أن يعقلوا ما يخبرون به بهذه اللفظه حتى يخرج عن حد القطع فلا يلزمهم كذب أو حنث إذا لم يفعلوا ذلك لمانع و هذا معنى قول ابن عباس (و ثانيها) أن قوله «أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ» بمعنى المصدر و تعلق بما تعلق به على ظاهره و تقديره و لا تقولن إنى فاعل شيئاً غداً إلا مشيه الله عن الفراء و هذا وجه حسن يطابق الظاهر و لا يحتاج فيه إلى بناء الكلام على محذوف و معناه و لا تقل إنى أفعل إلا ما يشاء الله و يريد و إذا كان الله تعالى لا يشاء إلا الطاعات فكأنه قال لا تقل إنى أفعل إلا الطاعات و لا يطعن على هذا جواز الأخبار عما يفعل من المباحات التى لا يشاءها الله تعالى لأن هذا النهى نهى تنزيه لا نهى تحريم بدلاله أنه لو لم يقل ذلك لم يَأْثَمَ بلا خلاف (و ثالثها) أنه نهى عن أن يقول الإنسان سأفعل غداً و هو يجوز الاخترام قبل أن يفعل ما أخبر به فلا يوجد مخبره على ما أخبر به فهو كذب و لا يأمن أيضاً أن لا يوجد مخبره بحدوث شىء من فعل الله تعالى نحو المرض و العجز و بأن يبدو له هو فى ذلك فلا يسلم خبره من الكذب إلا بالاستثناء الذى ذكره الله تعالى فإذا قال إنى صائر غداً إلى المسجد إن شاء الله آمن من أن يكون خبره هذا كذباً لأن الله تعالى إن شاء أن يلجئه إلى المصير إلى المسجد غداً حصل المصير إليه منه لا محاله فلا يكون خبره هذا كذباً و إن لم يوجد المصير منه إلى المسجد لأنه لم يوجد ما استثناه فى ذلك من مشيئه الله تعالى عن الجبائى و قد ذكرنا فيما قبل ما

جاء فى الروايه أن النبى ص سئل عن قصه أصحاب الكهف و ذى القرنين فقال أخبركم عنه غداً و لم يستثن فاحتبس الوحي عنه

أياما حتى شق عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية بأمره بالاستثناء بمشيئه الله تعالى

و قوله «وَ اذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ» فيه وجهان (أحدهما) أنه كلام متصل بما قبله ثم اختلف في ذلك فقيل

معناه و اذكر ربك إذا نسيت الاستثناء ثم تذكرت فقل إن شاء الله و إن كان بعد يوم أو شهر أو سنه عن ابن عباس و قد روى ذلك عن أئمتنا (عليه السلام)

و يمكن أن يكون الوجه فيه أنه إذا استثنى بعد النسيان فإنه يحصل له ثواب المستثنى من غير أن يؤثر الاستثناء بعد انفصال الكلام في الكلام و في إبطال الحنث و سقوط الكفاره في اليمين و هو الأشبه بمراد ابن عباس في قوله و قيل فاذا ذكر الاستثناء ما لم تقم من المجلس عن الحسن و مجاهد و قيل فاذا ذكر الاستثناء بأن تندم على ما قطعت عليه من الخبر عن الأصم (و الآخر) أنه كلام مستأنف غير متعلق بما قبله ثم اختلف في معناه فقيل معناه و اذكر ربك إذا غضبت بالاستغفار ليزول عنك الغضب عن عكرمه و قيل إنه أمر بالانقطاع إلى الله تعالى و معناه و اذكر ربك إذا نسيت شيئا بك إليه حاجه بذكره لك عن الجبائي و قيل المراد به الصلاة و المعنى إذا نسيت صلاه فصلها إذا ذكرتها عن الضحاك و السدي قال السيد الأجل المرتضى قدس الله روحه اعلم أن للاستثناء الداخل على الكلام وجوها مختلفه فقد يدخل في الإيمان و الطلاق و العتاق و سائر العقود و ما يجرى مجراها من الأخبار فإذا دخل في ذلك اقتضى التوقف عن إمضاء الكلام و المنع من لزوم ما يلزم به و لذلك يصير ما يتكلم به كأنه لا حكم له و لذلك يصح على هذا الوجه أن يستثنى الإنسان في الماضي فيقول قد دخلت الدار إن شاء الله تعالى ليخرج بهذا الاستثناء من أن يكون كلامه خبرا قاطعا أو يلزم به حكم و إنما لم يصح دخوله في المعاصي على هذا الوجه لأن فيه إظهار الانقطاع إلى الله تعالى و المعاصي لا يصح ذلك فيها و هذا الوجه أحد ما يحتمله تأويل الآية و قد يدخل الاستثناء في الكلام و يراد به اللطف و التسهيل و هذا الوجه يختص بالطاعات و لهذا جرى قول القائل لأقضين غدا ما على من الدين أو لأصلين غدا إن شاء الله مجرى أن يقول إنى فاعل إن لطف الله تعالى فيه و سهله و متى قصد الحالف هذا الوجه لم يجب إذا لم يقع منه الفعل أن يكون حائثا أو كاذبا لأنه إذا لم يقع علمنا أنه لم يلطف فيه لأنه لا لطف له و هذا الوجه لا يصح أن يقال في الآية لأنه يختص بالطاعات و الآية تتناول كل ما لم يكن قبيحا بدلاله إجماع المسلمين على حسن استثناء ما تضمنه في كل فعل لم يكن قبيحا و قد يدخل الاستثناء في الكلام و يراد به التسهيل و الإقدار و التخليه و البقاء على ما هو عليه من الأحوال و هذا هو المراد إذا دخل في المباحات و هذا الوجه يمكن في الآية و قد يدخل في الكلام استثناء المشيئه في الكلام و إن لم يرد به شىء من المتقدم ذكره بل

يكون الغرض الانقطاع إلى الله تعالى من غير أن يقصد به إلى شىء من هذه الوجوه و يكون هذا الاستثناء غير معتد به في كونه كاذباً أو صادقاً لأنه في الحكم كأنه قال لأفعلن كذا أن وصلت إلى مرادى مع انقطاعى إلى الله تعالى و إظهارى الحاجه إليه و هذا الوجه أيضاً يمكن فى الآيه و متى تؤمل جملة ما ذكرناه من الكلام عرف به الجواب عن المسأله التى لا يزال يسأل عنها من يذهب إلى خلاف العدل من قولهم لو كان الله تعالى إنما يريد الطاعات من الأفعال دون المعاصى لوجب إذا قال عليه الدين غيره و طالبه به و الله لأعطينك حَقَّكَ غداً إن شاء الله أن يكون كاذباً أو حانثاً إذا لم يفعل لأن الله تعالى قد شاء ذلك منه عندكم و إن كان لم يقع و لكان يجب أن تلزمه به الكفاره و أن لا يؤثر هذا الاستثناء فى يمينه و لا يخرج من كونه حانثاً كما أنه لو قال و الله لأعطينك حَقَّكَ غداً إن قام زيد فقام و لم يعطه يكون حانثاً و فى التزلزل الحنث خروج من الإجماع انتهى كلامه رضى الله عنه و قوله «وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَا رَبِّي لِقُرْبٍ مِنْ هَذَا رَشْدًا» معناه قل عسى ربي أن يعطينى من الآيات و الدلالات على النبوه ما يكون أقرب من الرشد و أدل من قصه أصحاب الكهف عن الزجاج ثم إن الله سبحانه فعل به ذلك حيث آتاه من علم غيوب أخبار المرسلين و آثارهم ما هو واضح فى الدلاله و أقرب إلى الرشد من خير أصحاب الكهف و قيل إن معناه ادع الله أن يذكرك إذا نسيت شيئاً و قل إن لم يذكرنى الله ذلك الذى نسيت فإنه يذكرنى ما هو أنفع لى منه عن الجبائى.

[سوره الكهف (١٨): الآيات ٢٥ الى ٢٧]

إشارة

وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦) وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٧)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم ثلاثمائة سنين مضافاً و الباقون بالتثنية و قرأ و لا تشرك بالتاء مجزوماً ابن عامر و روح و زيد عن يعقوب و سهل و الباقون «وَلَا يُشْرِكُ» بالرفع و الياء.

الحجّه

قال أبو الحسن: يكون السنين ثلاثمائة قال و لا تحسن إضافه المائه إلى

السنين لأنه لا تكاد العرب تقول مائه سنين قال و هو جائز في ذا المعنى و قد يقوله بعض العرب قال أبو على: و مما يدل على صحه قول من قال «ثلاثمائه سنين» أن هذا الضرب من العدد الذى يضاف فى اللغه المشهوره إلى الآحاد نحو ثلاثمائه رجل و أربعمائه ثوب قد جاء مضافا إلى الجمع فى قول الشاعر:

فما زودونى غير سحق عمامه و خمس مى ء منها قسى و زائف

و ذلك أن قوله مى ء لا- يخلو من أن يكون فى الأصل كأنه فعله فجمع على فعل مثل سدره و سدر أو يكون فعله فجمع على فعول مثل بدره و بدور و مانه و مؤن قال:

" عظيمات الكلاكل و المئون "

و الأولى حملة على فعول و أنه خفف كما يخفف فى القوافى كقوله:

" كنهور كان من أعقاب السمى "

ثم كسر فاءه كما يكسر فى نحو حلى و قال غيره إن العرب قد تضع الجمع هنا موضع الواحد لأن الأصل أن تكون الإضافة إلى الجمع قال الشاعر:

ثلاثمئين قد مضين كواملا و ها أنا ذا قد أبتغى مر رابع

فجاء به على الأصل و من نون ثلاثمائه ففى نصب سنين قولان (أحدهما) أن يكون سنين بدلا من ثلاثمائه أو عطف بيان (و الآخر) أن يكون تمييزا كما تقول عندى عشره أرطال زيتا قال الربيع بن ضبيح الفزارى:

إذا عاش الفتى مائتين عاما فقد ذهب اللذاذه و الفتاء

قال الزجاج: و يجوز أن يكون سنين من نعت المائه فيكون مجرورا و هو راجع فى المعنى إلى ثلاث كما قال عنتره:

فيها اثنتان و أربعون حلوبه سودا كخافيه الغراب الأسحم

فجعل سودا نعتا لحلوبه و هو فى المعنى نعت لجملة العدد قال أبو على: لا يمتنع أن يكون الشاعر جعل حلوبه جمعا و جعل سودا وصفا لها و إذا كان المراد به الجمع فلا يمتنع أن

يقع تفسيراً لهذا الضرب من العدد من حيث كان على لفظ الآحاد كما يقال عشرون نفراً و ثلاثون قبيلاً و من قرأ و لا تشرك بالتاء فإنه على النهى عن الإشراك و القراءه الأخرى أشيع و أولى لتقدم أسماء الغيبه و هو قوله «ما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ» و المعنى و لا يشرك الله فى حكمه أحداً.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن مقدار مده لبثهم فقال «وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ» معناه و أقام أصحاب الكهف من يوم دخلوا الكهف إلى أن بعثهم الله و اطلع عليهم الخلق ثلاثمائة سنه «وَازْدَادُوا تِسْعًا» أى تسع سنين إلا أنه استغنى بما تقدم عن إعادته ذكر تفسير التسع كما يقال عندى مائه درهم و خمسه «قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا» معناه إن حاجك يا محمد أهل الكتاب فى ذلك فقل الله أعلم بما لبثوا و ذلك أن أهل نجران قالوا أما الثلاثمائة فقد عرفناها و أما التسع فلا علم لنا بها و قيل أن معناه الله أعلم بما لبثوا إلى أن ماتوا و حكى عن قتاده أنه قال قوله «وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ» الآيه حكاية عن قول اليهود و قوى ذلك بقوله «قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا» فذكر أنه سبحانه العالم بمقدار لبثهم دون غيره و قد ضعف هذا الوجه بأن إخبار الله لا ينبغى صرفها إلى الحكايات إلا- بدليل قاطع و لو كان الأمر على ما قاله لم تكن مده لبثهم المذكوره و من المعلوم أن الله سبحانه أراد بالآيه الاستدلال على عجب قدرته و باهر آيته و ذلك لا يتم إلا بعد معرفه مده لبثهم فالمراد بقوله «قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا» بعد بيان مده لبثهم إبطال قول أهل الكتاب و اختلافهم فى مده لبثهم فتقديره قل يا محمد الله أعلم بمده لبثهم و قد أخبر بها فخذوا بما أخبر الله تعالى و دعوا قول أهل الكتاب فهو أعلم بذلك منهم «لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» و الغيب أن يكون الشىء بحيث لا يقع عليه الإدراك أى لا- يغيب عن الله سبحانه شىء لأنه لا يكون بحيث لا يدركه فيعلم ما غاب فى السماوات و الأرض عن إدراك العباد «أَبْصَرُ بِهِ وَ أَسْمِعُ» هذا لفظ التعجب و معناه ما أبصره و أسمعه أى ما أبصر الله تعالى لكل مبصر و ما أسمعه لكل مسموع فلا يخفى عليه من ذلك و إنما أخرجه مخرج التعجب على وجه التعظيم و

روى أن يهوديا سأل على بن أبى طالب (عليه السلام) عن مده لبثهم فأخبر بما فى القرآن فقال أنا نجد فى كتابنا ثلاثمائة فقال (عليه السلام) ذاك بسنى الشمس و هذا بسنى القمر

و قوله «ما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ» أى ليس لأهل السماوات و الأرض من دون الله من ناصر يتولى نصرتهم «وَلَا يُشْرِكُ» الله «فِي حُكْمِهِ أَحَدًا» فلا يجوز أن يحكم حاكم بغير ما حكم الله تعالى به و قيل معناه أنه لا يشرك الله فى حكمه بما يخبر به من الغيب أحداً و على القراءه الأخرى معناه و لا تشرك أنت أيها الإنسان فى حكمه أحداً ثم قال سبحانه لنبىه ص «وَآتَلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ» أى و اقرأ عليهم ما

أوحى الله إليك من أخبار أصحاب الكهف وغيرهم فإن الحق فيه وقيل معناه اتبع القرآن و اعمل به «لا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ» أى لا مغير لما أخبر الله به فيه و ما أمر به و على هذا فيكون التقدير لا مبدل لحكم كلماته «وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا» معناه إن لم تتبع القرآن فلن تجد من دون الله ملجأ عن مجاهد وقيل حرزا عن ابن عباس وقيل موثلا عن قتاده وقيل معدلا و محيصا عن الزجاج و أبى مسلم و الأقوال متقاربه فى المعنى يقال لحد إلى كذا أو التحد إذا مال إليه.

[سوره الكهف (١٨): الآيات ٢٨ الى ٢٩]

اشاره

وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَ لَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ لَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ وَ كَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨) وَ قُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَ إِنْ يَسْتَعْجِلُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَ سَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩)

القراءة

قرأ ابن عامر وحده «بالغداوه» و الباقون «بالغداه» و فى الشواذ قراءة الحسن و لا تعد عينيك و قراءة عمرو بن فائد من أغفلنا قلبه.

الحججه

قال أبو على: أما غدوه فهو اسم موضوع للتعريف و إذا كان كذلك فلا ينبغي أن تدخل عليه الألف و اللام كما لا تدخل على سائر الأعلام و إن كانت قد كتبت فى المصحف بالواو و لم يدل على ذلك كما أنهم كتبوا الصلوه بالواو و هى ألف و حجه من أدخل اللام المعرفة عليها أنه قد يجوز و إن كانت معرفه أن تتنكر كما حكاه أبو زيد من أنهم يقولون لقيته فينه و الفينه بعد الفينه ففينه مثل غدوه فى التعريف بدلاله امتناع الانصراف و قد دخلت عليه لام التعريف و ذلك أن يقدر من أمه كلها له مثل هذا الاسم فيدخل التنكير لذلك و يقوى

هذا تثنيه الإعلام وجمعها وقوله:

" لا هيثم الليله للمطى "

وقولهم أما النضره فلا نضره لك فأجرى مجرى ما يكون شائعا فى الجنس و كذلك الغدوه و أما قوله و لا تعد عينيك فإنه منقول من عدت عيناك إذا جاوزتا و هو من قولهم جاء القوم عدا زيدا أى جاوز بعضهم زيدا ثم نقل إلى أعديت عيني عن كذا أى صرفتها عنه قال الشاعر:

حتى لحقنا بهم تعدى فوارسنا كأننا رعن قف يرفع الآلا

أى تعدى فوارسنا خيلهم عن كذا فحذف المفعول بعد المفعول أو تعديها من عدا الفرس أى جرى و على أن أصلهما واحد لأن الفرس إذا عدا فقد جاوز مكانا إلى غيره و أما من قرأ من أغفلنا قلبه فمعناه و لا تطع من ظننا غافلين عنه و هو من قولهم أغفلت الرجل أى وجدته غافلا قال الأعشى:

أثوى و قصر ليله ليزودا فمضى و أخلف من قتيله موعدا

أى صادفه مخلفا.

اللغة

الفرط التجاوز للحق و الخروج عنه من قولهم أفرط إفراطا إذا أسرف و السرادق الفسطاط المحيط بما فيه و يقال السرادق ثوب يدار حول الفسطاط قال رؤبه:

يا حكم بن المنذر بن الجارود سرادق المجد عليك ممدود

و المهمل خثاره الزيت و قيل هو النحاس الذائب و المرتفق المتكأ من المرفق يقال ارتفق إذا اتكأ على مرفقه قال أبو ذؤيب:

بات الخلى و بت الليل مرتفقا كان عيني فيها الصاب مذبوح

و يقال إنه مأخوذ من الرفق و المنفعة.

النزول

نزلت الآيه الأولى فى سلمان و أبى ذر و صهيب و عمار و حباب و غيرهم من

المؤلفه قلوبهم جاءوا إلى رسول الله ص و هم عيينه بن الحصين و الأقرع بن حابس و ذووهم فقالوا يا رسول الله إن جلست فى صدر المجلس و نحيت عنا هؤلاء روائح صنانهم و كانت عليهم جبات الصوف جلسنا نحن إليك و أخذنا عنك فلا يمنعنا من الدخول عليك إلا هؤلاء فلما نزلت الآية قام النبي ص يلتمسهم فأصابهم فى مؤخر المسجد يذكرون الله عز و جل فقال الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أمرنى أن أصبر نفسى مع رجال من أمتى معكم المحيا و معكم الممات.

المعنى

ثم أمر الله سبحانه نبيه ص بالصبر مع المؤمنين فقال «وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ» يا محمد أى احبس نفسك «مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاهِ وَالْعَشِيِّ» أى يداومون على الصلاه و الدعاء عند الصباح و المساء لا شغل لهم غيره و يستفتحون يومهم بالدعاء و يختمونه بالدعاء «يُرِيدُونَ وَجْهَهُ» أى رضوانه و قيل يريدون تعظيمه و القربه إليه دون الرياء و السمعه «وَ لَا تَعْبُدْ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ» أى و لا تتجاوز عيناك عنهم بالنظر إلى غيرهم من أبناء الدنيا «تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» تريد فى موضع الحال أى مريدا مجالسه أهل الشرف و الغنى و كان النبي ص حريصا على إيمان العظماء من المشركين طمعا فى إيمان أتباعهم و لم يمل إلى الدنيا و زينتها قط و لا- إلى أهلها و إنما كان يلين فى بعض الأحيان للرؤساء طمعا فى إيمانهم فعوتب بهذه الآية و أمر بالإقبال على فقراء المؤمنين و أن لا يرفع بصره عنهم مريدا مجالسه الأشراف «وَ لَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا» قيل فى معناه أقوال (أحدها) أن معناه و لا تطع من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا بتعريضه للغفله و لهذا قال «وَ اتَّبِعْ هَوَاهُ» و مثله فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ (و ثانيها) أغفلنا قلبه أى نسبنا قلبه إلى الغفله كما يقال أكفره إذا نسبه إلى الكفر و سماه كافرا كقول الكميت:

و طائفه قد أكفرونى بحبكم و طائفه قالوا مسىء و مذنب

(و ثالثها) أغفلنا قلبه صادفناه غافلا عن ذكرنا كما قالت العرب سألتكم فما أقحمتكم و قاتلتكم فما أجبتكم (و رابعها) أغفلنا قلبه أى جعلناه غافلا لم نسمه بسمه قلوب المؤمنين و لم نعلم فيه علامه المؤمنين لتعرفه الملائكه بتلك السمه تقول العرب أغفل فلان ماشيته إذا لم يسمها بسمه تعرف (و خامسها) أن معناه و لا تطع من تركنا قلبه خذلناه و خلىنا بينه و بين الشيطان بتركه أمرنا عن الحسن «وَ اتَّبِعْ هَوَاهُ» أى لا تطع من اتبع هواه فى شهواته و أفعاله

«وَ كَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا» أى سرفا و إفراطا عن مقاتل و الجبائى و قيل تجاوزا للحد عن الأخفش و قيل ضياعا و هلاكا عن مجاهد و السدى قال الزجاج و من قدم العجز فى أمره أضاعه و أهلكه فيكون المعنى فى هذا أنه ترك الإيمان و الاستدلال بآيات الله و اتبع الهوى ثم قال سبحانه «وَقُلْ» يا محمد لهؤلاء الذين أمروك بتنحيه الفقراء «الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ» أى هذا الحق من ربكم يعنى القرآن و قيل معناه الذى أتيتكم به الحق عن الزجاج من ربكم يعنى لم آتكم به من قبل نفسى و إنما أتيتكم به من قبل الله و قيل معناه ظهرت الحجة و وضح الحق من ربكم و زالت الشبهة «فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ» هذا وعيد من الله سبحانه و إنذار و لذلك عقبه بقوله «إِنَّا أَعْتَدْنَا» و إنما جاز التهديد بلفظ الأمر لأن المهدد كالمأمور بإهانه نفسه و معناه فليختر كل لنفسه ما شاء فإنهم لا ينفعون الله تعالى بإيمانهم و لا يضررونه بكفرهم و إنما يرجع النفع و الضر إليهم «إِنَّا أَعْتَدْنَا» أى هيأنا و أعدنا «لِلظَّالِمِينَ» أى الكافرين الذين ظلموا أنفسهم بعبادة غير الله تعالى «نَارًا أَحَاطَ بِهِنَّ سُرَادِقُهَا» و السرادق حائط من نار يحيط بهم عن ابن عباس و قيل هو دخان النار و لهبها يصل إليهم قبل وصولهم إليها و هو الذى فى قوله إلى ظلّ ذى ثلاث شعَبٍ عن قتاده و قيل أراد أن النار أحاطت بهم من جميع جوانبهم فشبّه ذلك فى السرادق عن أبى مسلم «وَ إِن يَسْتَعْثِبُوا» من شدة العطش و حر النار «يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ» و هو كل شىء أذيب كالرصاص و النحاس و الصفر عن ابن مسعود و قيل كعكر الزيت إذا قرب إليه سقطت فروه رأسه روى ذلك مرفوعا و قيل كدردى الزيت عن ابن عباس و قيل هو القيح و الدم عن مجاهد و قيل هو الذى انتهى حره عن سعيد بن جبير و قيل أنه ماء أسود و أن جهنم سوداء و ماؤها أسود و شجرها أسود و أهلها سود عن الضحّاك «يَشْوَى الْوُجُوهَ» أى ينضحها عند دنوه منها و يحرقها و إنما جعل سبحانه ذلك إغاثه لاقتارانه بذكر الإغاثه «بِئْسَ الشَّرَابُ» ذلك المهل «وَ سَاءَتْ» النار «مُرْتَفَقًا» أى متكئا لهم قيل ساءت مجتمعا مأخوذ من المرافقه و هى الاجتماع عن مجاهد و قيل منزلا و مستقرا عن ابن عباس و عطاء.

[سوره الكهف (١٨): الآيات ٣٠ الى ٣١]

اشاره

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضَيِّعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا - (٣٠) أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسِبَتْ مُرْتَفَقًا (٣١)

العدن الإقامه يقال عدن بالمكان يعدن عدنا و الأساور جمع أسوار على حذف الزيادة لأن الأصل أساوير عن قطرب و أبى عبيده و قيل جمع أسوره و أسوره جمع سوار عن الزجاج و هو سوار اليد بالكسر و قد حكى سوار بالضم و السندس ما رق من الديباج واحده سندسه و الإستبرق الغليظ من الديباج و قيل هو الحرير قال المرقش:

تراهن يلبسن المشاعر مره و إستبرق الديباج طورا لباسها

و الأرائك جمع أريكه و هى السرير قال:

خدود جفت فى السير حتى كأنما يباشرن بالمعزاء مس الأرائك

قال الزجاج: الأرائك الفرش فى الحجال قال الأعشى:

بين الرواق و جانب من سترها منها و بين أريكه الأنضاد

. الإعراب

قيل فى خبر «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» أقوال (أحدها) أنه قوله «إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا» و على هذا فيكون فى الخبر محذوفاً كأنه لا- نضيع أجر من أحسن عملا- منهم (و الثانى) أن يكون الخبر أولئك لهم جنات عدن و يكون «إِنَّا لَا نُضِيعُ» إلخ اعتراضاً بين الاسم و الخبر (و الثالث) أن المعنى إنا لا نضيع أجرهم لأن من أحسن عملاً فى المعنى هم الذين آمنوا.

المعنى

لما تقدم الوعيد عقبه سبحانه بذكر الوعد فقال «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» من الطاعات «إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا» أى لا نترك أعمالهم تذهب ضياعاً بل نجازيهم و نوفيهم أجورهم من غير بخس «أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ» أى إقامه لهم لأنهم يبقون فيها بقاء الله دائماً أبداً و قيل عدن بطنان الجنة أى وسطها و هى جنه من الجنان عن ابن مسعود و على هذا فإنما جمع لسعتها و لأن كل ناحيه منها تصلح أن تكون جنه «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ» لأنهم على غرف فى الجنة كما قال وَ هُمْ فِي الْعُرْفَاتِ آمِنُونَ و قيل أن أنهار الجنة تجرى فى أخاديد من الأرض فلذلك قال «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ» «يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ» أى يجعل لهم فيها حلّى من أساور و قيل أنه يحلى كل

واحد بثلاثة أساور سوار من فضه و سوار من ذهب و سوار من لؤلؤ و ياقوت عن سعيد بن جبير «و يَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَ إِسْتَبْرَقٍ» أى من الديداج الرقيق و الغليظ و قيل إن الإستبرق فارسى معرب أصله إستبره قيل هو الديداج المنسوج بالذهب «مُتَكَيِّئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ» أى متنعمين فى تلك الجنات على السرر فى الحجال و إنما قال متكئين لأن الاتكاء يفيد أنهم منعمون فى الأمن و الراحة فإن الإنسان لا يتكئ إلا فى حال الأمن و السلامه «نِعَمَ الثَّوَابِ» أى طاب ثوابهم و عظم عن ابن عباس «وَ حَسَنَتْ» الأرائك «مُرْتَفَقًا» أى موضع ارتفاع و قيل منزلا و مجلسا و مجتمعا.

[سوره الكهف (١٨): الآيات ٣٢ الى ٣٦]

اشاره

وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَ حَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا (٣٢) كَلْنَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَ لَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَ فَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا (٣٣) وَ كَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَ هُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَ أَعَزُّ نَفْرًا (٣٤) وَ دَخَلَ جَنَّتَهُ وَ هُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَ مَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَ لَنْ رُدُّدْتُ إِلَى رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦)

القراءه

قرأ أبو جعفر و عاصم و يعقوب و سهل و كان له ثمر و أحيط بثمره فى الموضوعين بالفتح و وافق رويس فى الأول و قرأ أبو عمرو بضم الثاء و سكون الميم فى الموضوعين و الباقون بضم الثاء و الميم فى الحرفين و قرأ أهل الحجاز و ابن عامر خيرا منهما بزياده ميم و كذلك هو فى مصاحفهم و قرأ أهل العراق «منها» بغير ميم.

الحجه

قال أبو على: الثمره ما يجتنى من ذى الثمر و جمعها ثمرات و يجمع على ثمر كبقره و بقر و على ثمار كرقبه و رقاب و على هذا تشبيه المخلوقات بغير المخلوقات و قد يشبه كل واحد منهما بالآخر و يجوز فى القياس أن يكسر ثمار على ثمر ككتاب و كتب و قراءه أبى عمرو و كان له ثمر يجوز أن يكون جمع ثمار كما يخفف كتب و يجوز أن يكون ثمر جمع ثمره

كبدنه و بدن و خشبه و خشب و يجوز أن يكون ثمر واحده كعنق و طناب فعلى أى هذه الوجوه كان جاز إسكان العين منه كذلك فى قوله وَ أَحِيطَ بِثَمَرِهِ و قال بعض أهل اللغة الثمر المال و الثمر المأكول و جاء فى التفسير قريب من هذا قالوا الثمر النخل و الشجر و لم يرد به الثمره و الثمر على ما روى عن عده من السلف بل الأصول التى تحمل الثمره لا نفس الثمر بدلاله قوله فَأَصِيحٌ يُقَلَّبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا أَى فى الجنة و النفقه إنما تكون على ذوات الثمره فى أغلب العرف و كانت الآفه التى أرسلت إليها اصطلمت الأصول و اجتاحتها كما جاء فى صفه الجنة الأخرى فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ أَى كالليل فى سوادها لا حتراقها و كالنهار فى بياضها و ما بطل من خضرتها بالآفه النازله بها و حكى عن أبى عمرو ثمر و الثمر أنواع المال فإذا اصطلم الثمر فاجتبح دخلت الثمره فيه و لا يمكن أن يصاب الأصل و لا تصاب الثمره و إذا كان كذلك فمن قرأ بثمره و ثمره كان قوله أبين ممن قرأ بالفتح و يجوز القراءه بالفتح كأنه أخبر عن بعض ما أصيب و أمسك عن بعض و قوله «خَيْرًا مِنْهَا» منقلبا فالأفراد لأنه أقرب إلى الجنة المفردة فى قوله «وَ دَخَلَ جَنَّتَهُ» و التشبيه لتقدم ذكر الجنتين.

اللغه

حف القوم بالشىء إذا أطافوا به و حفافا الشىء جانباه كأنهما أطافا به قال طرفه:

كأن جناحى مضرحى تكنفا حفافيه شكا فى العسيب بمسرد

و المحاوره مراجعه الكلام فى المخاطبه و يقال كلمت فلانا فما رجع إلى حوارا و محوره و حويرا.

الإعراب

إنما قال «آتت» على لفظ كلتا فإنه بمنزله كل فى أنه مفرد اللفظ و لو قال أتتا على المعنى لجاز قال الشاعر فى التوحيد:

و كلتاها قد خط لى فى صحيفتى فلا العيش أهواه و لا الموت أروح.

المعنى

ثم ضرب الله لعباده مثلا يستفتيهم به إلى طاعته و يزرهم عن معصيته و كفران نعمته فقال مخاطبا لنبية ص «وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ» روى عن ابن عباس أنه قال يريد ابنى ملكك كان فى بنى إسرائيل توفى و ترك ابنين و ترك مالا جزيلا فأخذ أحدهما حقه منه و هو المؤمن منهما فتقرب إلى الله تعالى و أخذ الآخر حقه فتملك به ضياعا منها هاتان

الجنة و فى تفسير على بن إبراهيم بن هاشم أنه يريد رجلا كان له بستانان كبيران كثيرا الثمار كما حكى سبحانه و كان له جار فقير فافتخر الغنى على الفقير و قال له أنا أكثر منك مالا- و أعز نفرا و هذا أليق بالظاهر «جَعَلْنَا لِأَيْدِيهِمَا جَنَّاتٍ» أى بستانين أجنهما الأشجار «مِنْ أَعْنَابٍ وَ حَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ» أى جعلنا النخل مطيفا بهما «وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا» أى و جعلنا بين البستانين مزرعه فكملت النعمه بالعنب و التمر و الزرع «كَلْتًا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا» أى كل واحد من البستانين آتت غلتها و أخرجت ثمرتها و سماه أكلا لأنه مأكول «وَ لَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا» أى لم تنقص منه شيئا بل أدته على التمام و الكمال كما قال الشاعر:

و يظلمنى مالى كذا و لوى يدي لوى يده الله الذى هو غالبه

أى ينقصنى مالى «وَ فَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا» أى شققنا وسط الجنة نهرًا يسقيهما حتى يكون الماء قريبا منهما يصل إليهما من غير كد و تعب و يكون ثمرهما و زرعهما بدوام الماء فيهما أوفى و أروى «وَ كَانَ لَهُ ثَمَرٌ» قيل إن معناه و كان للنخل الذى فيهما ثمر و قيل معناه و كان للرجل ثمر ملكه من غير جنتيه كما يملكك الناس ثمارا لا يملكون أصلها عن ابن عباس و قيل كان لهذا الرجل مع هذين البستانين الذهب و الفضه عن مجاهد و قيل كان له معهما جميع الأموال عن قتاده و ابن عباس فى روايه أخرى «فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَ هُوَ يُحَاوِرُهُ» أى فقال الكافر لصاحبه المؤمن و هو يخاطبه و يراجعه فى الكلام «أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَ أَعَزُّ نَفْرًا» أى أعز عشيره و رهطا و سمي العشيره نفرا لأنهم ينفرون معه فى حوائجه و قيل معناه أعز خدما و ولدا عن قتاده و مقاتل «وَ دَخَلَ جَنَّتَهُ وَ هُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ» أى و دخل الكافر بستانه و هو ظالم لنفسه بكفره و عصيانه «قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا» أى ما أقدر أن تفنى هذه الجنة و هذه الثمار أبدا و قيل يريد ما أظن هذه الدنيا تفنى أبدا «وَ مَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً» أى و ما أحسب القيامة آتية كائنه على ما يقوله الموحدون «وَ لَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا» معناه و لئن كانت القيامة و البعث حقا كما يقوله الموحدون لأجدن خيرا من هذه الجنة قال الزجاج و هذا يدل على أن صاحبه المؤمن قد أعلمه أن الساعه تقوم و أنه يبعث فأجابه بأن قال له و لئن رددت إلى ربي أى كما أعطانى هذه فى الدنيا سيعطينى فى الآخرة أفضل منها لكرامتى عليه ظن الجاهل أنه أوتى ما أوتى لكرامته على الله تعالى و قيل معناه لأكتسبن فى الآخرة خيرا من هذه التى اكتسبتها فى الدنيا و من قرأ منهما رد الكنايه إلى الجنة اللتين تقدم ذكرهما و فى هذا دلالة على أنه لم يكن قاطعا على نفى المعاد بل كان شاكا فيه.

إشارة

قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّأَكَ رَجُلًا (٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَا- إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنٍ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَا لًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤَهَا غُورًا فَلَنْ تَشْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١)

وَأَحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبِحَ يَقْلُبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤)

القراءة

قرأ ابن عامر و ابن فليح و البرجمي و يعقوب «لَكِنَّا» بإثبات الألف في الوصل و الوقف و قرأ الباقون لكن بحذف الألف في الوصل و قرأ البخاري لورش بالوجهين بالوصل و لا خلاف في إثبات الألف في الوقف إلا قتيبه فإنه قرأ بغير ألف في الوصل و الوقف و في الشواذ قراءه أبي بن كعب و الحسن لكن أنا و قراءه عيسى الثقفي لكن هو الله ربي و قرأ البرجمي عن أبي بكر غورا بضم الغين هاهنا و في الملك و قرأ و لم يكن له فته بالياء أهل الكوفه غير عاصم و الباقون «وَلَمْ تَكُنْ» بالتاء و قرأ أبو عمرو «الْوَلَايَةُ» بفتح الواو و لله الحق بالرفع و قرأ الكسائي الولاية بكسر الواو و الحق بالرفع و قرأ حمزه و خلف الولاية بكسر الواو و «الْحَقِّ» بالجور و قرأ الباقون «الْوَلَايَةُ» بفتح الواو و «الْحَقِّ» بالجور و قرأ عاصم و حمزه و خلف «عُقْبًا» ساكنه القاف و الباقون بضم القاف.

قال الزجاج من قرأ لكن بتشديد النون فهو لكن أنا في الأصل فطرحت الهمزة على النون فتحركت بالفتح فصارت لكن بنونين مفتوحين فاجتمع الحرفان من جنس واحد فأدغمت النون الأولى في الثانية و حذف الألف في الوصل لأن ألف أنا تثبت في الوقف و تحذف في الأصل في أجود اللغات نحو أن قمت بغير الألف و يجوز أنا قمت بإثبات الألف و هو ضعيف جدا و من قرأ «لكنّا» فأثبت الألف في الوصل فإنه على لغة من قال أنا قمت فأثبت الألف قال الشاعر:

أنا شيخ العشيره فاعرفوني حميدا قد تدرت السناما

إلا- أن إثبات الألف في لكنا هو الجيد لأن الهمزة قد حذفت من أنا فصار إثبات الألف عوضا من الهمزة قال أبو على لا أرى قوله إن إثبات الألف هو الجيد لأنه صار عوضا من الهمزة كما قال لأن هذه الألف تلحق للوقف مثل الهاء في ما هيّه و حسابيه* و الهاء في مثل هذا الطرف مثل ألف الوصل في ذلك الطرف فكما أن إثبات همزة الوصل في الوصل خطأ كذلك الهاء و الألف في الوصل خطأ فلا يلزم أن يثبت عوض من الهمزة المحذوفه أ لا ترى أن الهمزة في ويلمه قد حذفت حذفاً على غير ما يوجهه قياس التخفيف و لا- يعوض منها فإن لا يعوض منها في التخفيف القياسي أجدر لأن الهمزة هنا في تقدير الثبات و لو لا ذلك لم يحرك حرف اللين في نحو جيل في جبال و مئونه في مئونه قال و قد تجىء هذه الألف مثبته في الشعر نحو قول الأعشى:

فكيف أنا و انتحالي القوافي بعد المشيب كفى ذاك عارا

و قول الآخر:

أنا شيخ العشيره

" البيت " و لا يكون ذلك مختاراً في القراءة و من قرأ «لكنّا» في الوصل فإنه يحتمل أمرين (أحدهما) أن يجعل الضمير المتصل مثل المنفصل الذي هو نحن فيدغم النون من لكن لسكونها في النون من علامه الضمير فيكون على هذا «لكنّا» بإثبات الألف وصلاً و وقفاً لا غير أ لا ترى أن أحداً لا يحذف الألف من نحو فعلنا و قوله «هُوَ» من «هُوَ اللَّهُ رَبِّي» ضمير الحديث و القصه كما أنه في قوله فإذا هي شاخصه و قوله قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ كذلك و التقدير الأمر الله أحد لأن هذا الضمير يدخل على المبتدأ و الخبر فيصير المبتدأ و الخبر موضع خبره كما أنه في أن و كأن و ظننت و ما يدخل على المبتدأ و الخبر كذلك و عاد الضمير على الضمير الذي دخلت عليه لكن على المعنى و لو عاد على اللفظ لكان لكنا

هو الله ربنا و دخلت لكن مخففه على الضمير كما دخلت في قوله إِنَّنَا مَعَكُمْ* و الوجه الآخر أن سيويوه حكى أنه سمع من يقول أعطنى أبيضه فشدد و الحق الهاء بالتشديد للوقف و الهاء مثل الألف في سبسا و الياء في عيهلى و أجرى الهاء مجراها في الإطلاق كما كانت مثلها في نحو قوله:

صفيه قومی و لا تجزعی و بکی النساء على حمزه

فهذا الذى حكاه سيويوه في الكلام و ليس في شعر و كذلك الآيه يكون الألف فيها كالهاء و لا يكون الهاء للوقف ألا ترى أن الهاء للوقف لا- يبين بها المعرب و لا- ما ضارع المعرب فعلى أحد هذين الوجهين يكون قول من أثبت الألف في الوصل أو عليهما جميعا و لو كانت فاصله لكانت مثل فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا و أما قراءه أبى لكن أنا فهى الأصل في قراءه الجماعه لكن على ما تقدم بيانه لأن ألف أنا محذوف في الوصل قال الشاعر:

و ترمينى بالطرف أى أنت مذنب و تقلينى لكن إياك لا ألقى

أى لكن أنا و أنا مرفوع بالابتداء و خبره الجملة المركبه من المبتدأ و الخبر التى هى «هُوَ اللَّهُ رَبِّي» و العائد على المبتدأ من الجملة الياء في ربي و من قرأ لكن هو الله ربي فإعرابه واضح و أما من قرأ غورا فيمكن أن يكون غورا لغه في غور و إنما جاز أن يقع المصدر موقع الصفه للمبالغه كما قال الشاعر:

تظل جياده نوحا عليه مقلده أعتتها صفونا

و أما قوله و لم يكن له فتهه بالياء فإن الياء و التاء هنا حسن و أما قوله هنالك الولايه لله الحق فقد حكى أبو عبيده عن أبى عمرو إن الولايه هنا لحن لأن الكسر فى فعاله يجىء فيما كان صنعه و معنى متقلدا كالكتابه و الإماره و الخلافه و ما أشبه ذلك و ليس هنا معنى تولى أمر إنما هو الولايه من الدين و كذلك التى فى الأنفال ما لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ و قال بعض أهل اللغه: الولايه النصر يقال هم أهل ولايه عليك أى متناصرون عليك و الولايه و الولايه و الولايه السلطان قال و قد يجوز الفتح فى هذه و الكسر فى تلك كما قالوا الوكاله و الوكاله و الوصايه و الوصايه بمعنى واحد فعلى هذا يجوز الكسر فى الولايه فى هذا الموضع و من كسر القاف من «الْحَقُّ» فجعله من وصف الله تعالى وصفه بالحق و هو مصدر كما وصفه بالعدل و السلام و المعنى ذو الحق و ذو السلام و كذلك الإله معنى ذو العباده و يدل عليه قوله وَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ و من رفع الحق جعله صفه للولايه و معنى وصف الولايه بالحق أنه لا

يشوبها غيره ولا يخاف فيها ما يخاف في سائر الولايات من غير الحق و أما قوله «عُقْبًا» فإن ما كان على فعل جاز تخفيفه على ما تقدم ذكره.

اللغة

أصل الحسبان السهام التي ترمى لتجرى في طلق واحد و كان ذلك من رمى الأساوره و أصل الباب الحساب و إنما يقال لما يرمى به حسابان لأنه يكثر كثره الحساب قال الزجاج: الصعيد الطريق الذي لا نبات فيه و الزلق الأرض الملساء المستويه لا نبات فيها و لا شىء و أصل الزلق ما تزلق عنه الأقدام فلا يثبت عليه.

الإعراب

«ما شاء الله» يحتمل أن يكون ما رفعاً و تقديره الأمر ما شاء الله فيكون موصولاً و الضمير العائد إليه يكون محذوفاً لطول الكلام و يجوز أن يكون التقدير ما شاء الله كائن و يحتمل أن يكون ما فى موضع نصب على معنى الشرط و الجزاء و يكون الجواب محذوفاً و تقديره أى شىء شاء الله كان و مثله فى حذف الجواب قوله «فَإِنْ أَسِيَّتْ أَنْ تَبْتَعِي نَفَقًا فِي الْأَرْضِ» «إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلٌّ» أقل منصوب بأنه مفعول ثانٍ لترن و أنا إن شئت كان توكيداً أو وصفاً لياء المتكلم و إن شئت كان فصلاً كما تقول كنت أنت القائم يا هذا قاله الزجاج و يجوز رفع أقل و قد قرأ بها عيسى بن عمر فيكون أنا مبتدأ و أقل خبره و الجملة فى موضع نصب بأن يكون المفعول الثانى لترنى و قوله «فَعَسَى» الفاء جواب قوله «إِنْ تَرَنِ» و «ثَوَابًا» و «عُقْبًا» منصوبان على التمييز.

المعنى

ثم بين سبحانه جواب المؤمن للكافر فقال «قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ» أى يخاطبه و يجيبه مكفراً له بما قاله «أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ» يعنى أصل الخلقه أى خلق أباك من تراب و هو آدم (عليه السلام) و قيل لما كانت النطفه خلقها الله سبحانه بمجرد العاده من الغذاء و ينبت من تراب جاز أن يقول خلقك من تراب «ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا» أى نقلك من حال إلى حال حتى جعلك بشراً سوياً معتدلاً الخلقه و القامه و إنما كفره بإنكاره المعاد و فى هذا دلالة على أن الشك فى البعث و النشور كفر «لَكِنَّا هِيََ وَاللَّهُ رَبِّي» تقديره لكن أنا أقول هو الله ربى و خالقى و رازقى فإن افتخرت على بدنياك فإن افتخارى بالتوحيد «وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا» أى لا أشرك بعبادتى إياه أحداً سواه بل أوجهها إليه وحده خالصاً و إنما استحال الشرك فى العباده لأنها لا تستحق إلا بأصول النعم و بالنعمة التى لا يوازنها نعمه منعم و ذلك لا يقدر عليه أحد إلا الله تعالى ثم قال «وَلَوْ لَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» معناه و قال لصاحبه الكافر هلا حين دخلت بستانك فرأيت تلك الثمار و الزرع شكرت الله تعالى و قلت ما شاء الله كان و إنى و إن تعبت فى جمعه و عمارته

فليس ذلك إلا- بقدره الله و تيسيره و لو شاء لحال بينى و بين ذلك و لنزع البركه عنه فإنه لا يقوى أحد على ما فى يديه من النعمه إلا بالله و لا يكون له إلا ما شاء الله ثم رجع إلى نفسه فقال «إِنْ تَرَنْ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَ وَلدًا فَعسى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ» معناه إن كنت ترانى اليوم فقيرا أقل منك مالا و عشيره و أولادا فلعل الله أن يؤتيني بستانا خيرا من بستانك فى الآخره أو فى الدنيا و الآخره «وَ يُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ» أى و يرسل على جنتك عذابا أو نارا من السماء فيحرقها عن ابن عباس و قتاده و قيل يرسل عليها عذاب حسبان و ذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك عن الزجاج و قيل و يرسل عليها مرامى من عذابه إما بردا و إما حجاره أو غيرهما مما يشاء من أنواع العذاب «فَتُضَيِّحُ صَيِّعِدًا زَلَقًا» أى أرضا مستويه لا نبات عليها تزلق عنها القدم فتصير أضر أرض من بعد أن كانت أنفع أرض «أَوْ يُضَيِّحُ مَأْوَاهَا غَوْرًا» أى غائرا ذاهبا فى باطن غامض منقطعا فيكون أعدم أرض للماء بعد أن كانت أوجد أرض للماء «فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا» أى فلن تقدر على طلبه إذا غار و لا يبقى له أثر تطلبه به فلن تستطيع رده قيل معناه فلن تستطيع طلب غير ذلك الماء بدلا عنه إلى هنا انتهى مناظره صاحبه و إنذاره ثم قال سبحانه «وَ أُحِيطَ بِثَمَرِهِ» معناه أهلك و أحيط العذاب بأشجاره و نخيله فهلكت عن آخرها تقول أحيط بينى فلان إذا هلكوا عن آخرهم و أصل الإحاطه إداره الحائط على الشىء و

فى الخبر أن الله عز و جل أرسل عليها نارا فأهلكها و غار ماؤها

«فَأُضَيِّحُ» هذا الكافر «يُقَلَّبُ كَفَيْهِ» تأسفا و تحسرا «على ما أنفقَ فيها» من المال و هو أن يضرب يديه واحده على الأخرى عن ابن عباس و تقلب الكفين يفعله النادم كثيرا فصار عباره عن الندم «وَ هِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرْوَتِهَا» أى ساقطه على سقوفها و ما عرش لكرومها و ذلك أن السقف ينهدم أولا- ثم ينهدم الحائط على السقف و قيل إن العروش الأبنيه و معناه خاليه على بيوتها قد ذهب شجرها و بقيت جدرانها لا خير فيها «وَ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا» ندم على الكفر لفناء ماله لا لوجوب الإيمان فلم ينفعه و لو ندم على الكفر فآمن بالله تحقيقا لا تنفع به و قيل إنه ندم على ما كان منه من الشرك بالله تعالى و آمن «وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ» أى لم يكن لهذا الكافر جماعه يدفعون عذاب الله عنه و قيل الفئه الجند قال العجاج:

" كما يجوز الفئه الكمى "

«وَ مَا كَانَ مُتَّصِرًا» أى و ما كان ممتنعا عن قتاده قيل معناه و ما كان مستردا بدل ما ذهب عنه قال ابن عباس و هذان الرجلان هما اللذان ذكرهما الله تعالى فى سورة الصافات فى قوله «إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ» يقول أ إنك لمن المصدقين إلى قوله «فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ» و

روى هشام بن سالم و أبان بن عثمان عن الصادق (عليه السلام) قال عجبت لمن خاف كيف لا يفرع إلى قوله سبحانه «حَسْبُنَا اللَّهُ»

وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ» فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ بِعَقِبِهَا «فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمِهِ مِنَ اللَّهِ وَ فَضْلِ لَمْ يَمَسْسِ لَهُمْ سُوءٌ» وَ عَجِبْتُ لِمَنْ اغْتَمَّ كَيْفَ لَا يَفْزَعُ إِلَى قَوْلِهِ «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ» إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ سَبْحَانَهُ يَقُولُ بِعَقِبِهَا «فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَ نَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَ كَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ» وَ عَجِبْتُ لِمَنْ مَكَرَ بِهِ كَيْفَ لَا يَفْزَعُ إِلَى قَوْلِهِ «وَ أَفْوَضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ» فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ بِعَقِبِهَا فَوْقَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَ عَجِبْتُ لِمَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا وَ زِينَتَهَا كَيْفَ لَا يَفْزَعُ إِلَى قَوْلِهِ «مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ بِعَقِبِهَا «فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ» وَ عَسَى مُوجِبُهُ

وَ قَوْلِهِ «هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ» أَخْبَرَ سَبْحَانَهُ إِنْ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ وَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الَّذِي يَتَنَازَعُ فِيهِ الْكَافِرُ وَ الْمُؤْمِنُ الْوَلَايَةَ بِالنَّصْرِ وَ الْإِعْزَازِ لِلَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَهُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى أَمْرَ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَ يَمْلِكُ النَّصْرَةَ لِمَنْ أَرَادَ وَ قِيلَ هُنَالِكَ إِشَارَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ تَقْدِيرِهِ الْوَلَايَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ اللَّهُ يَرِيدُ يَوْمَئِذٍ يَتَوَلَّى اللَّهُ وَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ يَتَبَرَّءُونَ مِمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ عَنِ الْقَتِيبِيِّ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ هُنَالِكَ يَنْصُرُ الْمُؤْمِنِينَ وَ يَخْذُلُ الْكَافِرِينَ فَالْوَلَايَةُ يَوْمَئِذٍ خَالِصَةٌ لَهُ لَا يَمْلِكُهَا أَحَدٌ مِنَ الْعِبَادِ «هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا» أَيُّهُ أَوْ أَفْضَلُ ثَوَابًا مِمَّنْ يَرْجَى ثَوَابًا عَلَى تَقْدِيرِ لَوْ كَانَ يَثِيبُ غَيْرَهُ لَكَانَ هُوَ خَيْرَ ثَوَابًا «وَ خَيْرٌ عُقْبًا» أَيُّهُ عَاقِبُهُ طَاعَتُهُ خَيْرٌ مِنْ عَاقِبِهِ طَاعَتُهُ غَيْرُهُ فَهُوَ خَيْرُ عَقْبٍ طَاعَهُ ثُمَّ حُذِفَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ وَ الْعَقْبُ وَ الْعَقْبِيُّ وَ الْعَاقِبَةُ بِمَعْنَى.

إشاره

وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاهِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا (٤٥) الْمَالُ وَ النَّبُونُ زِينَةُ الْحَيَاهِ الدُّنْيَا وَ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَ خَيْرٌ أَمَلًا (٤٦) وَ يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَ تَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَ حَشَرْنَا هُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧) وَ عَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صِيْفًا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (٤٨) وَ وَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَ يَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَ لَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَ وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَ لَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩)

القراءة

قرأ ابن كثير و أبو عمرو و ابن عامر و يوم تسير بضم التاء و فتح الياء الجبال رفع و الباقون «نُسَيِّرُ» بالنون و كسر الياء و «الْجِبَالَ» نصب.

الحجّه

قال أبو علي حجّه من بنى الفعل للمفعول به قوله «وَ سَيَّرَتِ الْجِبَالَ» و قوله «وَ إِذَا الْجِبَالَ سَيَّرَتْ» و من قرأ «نُسَيِّرُ» فلأنه أشبهه بما بعده من قوله «وَ حَشَرْنَا هُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا».

اللغه

الهشيم ما يكسر و يحطم من يبس النبات و الذر و التذريه تطير الريح الأشياء الخفيفه فى كل جهه يقال ذرته الريح تذروه و ذرته و أذرته و أذريت الرجل عن الدابه إذا ألقته عنها قال الشاعر:

فقلت له صوب و لا تجهدنه فيذكرك من أخرى القطاه فترلق

و المغادره الترك و منه الغدر لأن ترك الوفاء و منه الغدير لترك الماء فيه و الإشفاق الخوف من وقوع مكروه مع تجويز أن لا يقع و أصله الرقه و منه الشفق الحمره الرقيقه التى تكون فى السماء و شفقه الإنسان على ولده رفته عليه.

الإعراب

صفا نصب على الحال أى مصفوفين. «أَلَّنْ نَجْعَلَ» أن هذه مخففه من الثقيله و «أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا» خبره و قال قد كتبت فى المصحف اللام مفصولة و لا وجه له.

«لا يُغَادِرُ» فى موضع نصب على الحال.

ثم أمر سبحانه نبيه ص أن يضرب المثل للدنيا تزهيدا فيها و ترغيبا فى الآخرة فقال «وَ اضْرِبْ» يا محمد «لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنْ

السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ» أى نبت بذلك الماء نبات التف بعضه ببعض يروق حسنا و غضاضه و هذا مفسر فى سورة يونس (عليه السلام) «فَأَصْبَحَ هَشِيمًا» أى كسيرا مفتتا «تَذْرُوهُ الرِّيحُ» فتقله من موضع إلى موضع فانقلاب الدنيا كانقلاب هذا النبات (وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا) أى قادرا لا- يجوز عليه المنع قال الحسن أى كان الله مقتدرا على كل شىء قبل كونه قال الزجاج و تأويله أن ما شاهدتم من قدرته ليس بحادث و أنه كذلك كأن لم يزل هذا مذهب سيبويه و قيل إنه إخبار عن الماضى و دلالة على المستقبل و هذا المثل إنما هو للمتكبرين الذين اغتروا بأموالهم و استنكفوا عن مجالسه فقراء المؤمنين أخبرهم الله سبحانه أن ما كان من الدنيا لا يراد الله سبحانه به فهو كالنبت الحسن على المطر لا ماله له فهو يروق ما خالطه ذلك الماء فإذا انقطع عنه عاد هشيمًا لا ينتفع به ثم قال «الْمَالُ وَ الْبُنُونُ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» أى يتفاخر بهما و يتزين بهما فى الدنيا و لا ينتفع بهما فى الآخرة و إنما سماهما زينه لأن فى المال جمالا و فى البنين قوه و دفعا فصارا زينه الحياه الدنيا و كلاهما لا يبقى للإنسان فينتفع به فى الآخرة «وَ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ» و هى الطاعات لله تعالى و جميع الحسنات لأن ثوابها يبقى أبدا عن ابن عباس و قتاده «خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَ خَيْرٌ أَمَلًا» أى أفضل ثوابا و أصدق أملا من المال و البنين و سائر زهرات الدنيا فإن من الآمال كواذب و هذا أمل لا يكذب لأن من عمل الطاعة وجد ما يأمله عليها من الثواب و قيل إن الباقيات الصالحات هى ما كان يأتي به سلمان و صهيب و فقراء المسلمين و هو سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر عن ابن عباس فى روايه عطا و مجاهد و عكرمه و

روى أنس بن مالك عن النبى ص أنه قال لجلسائه خذوا جنتكم قالوا احذر عدو قال خذوا جنتكم من النار قولوا سبحان الله و الحمد لله و لا- إله إلا الله و الله أكبر فإنهم المقدمات و هن المجيبات و هن المعقبات و هن الباقيات الصالحات و رواه أصحابنا عن أبى عبد الله (عليه السلام) عن آباءه عن النبى ص ثم قال و لذكر الله أكبر قال ذكر الله عند ما أحل أو حرم

و

روى عن النبى ص أنه قال إن عجزتم عن الليل أن تكابدوه و عن العدو أن تجاهدوه فلا تعجزوا عن قول سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر فإنهن من الباقيات الصالحات فقولوها

و قيل

هى الصلوات الخمس عن ابن مسعود و سعيد بن جبير و مسروق و النخعى و روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و

روى عنه أيضا أن من الباقيات الصالحات القيام بالليل لصلاه الليل

و قيل إن الباقيات الصالحات هن البنات الصالحات و الأولى حملها على العموم فيدخل فيها جميع الطاعات و الخيرات و

فى كتاب ابن عقده أن أبا عبد الله (عليه السلام) قال للحصين بن عبد الرحمن يا حصين لا تستصغر مودتنا فإنها من الباقيات

الصالحات قال يا ابن رسول الله ما استصغرها و لكن أحمد الله عليها

و إنما سميت الطاعات صالحات لأنها أصلح الأعمال للمكلف من حيث أمر بها و وعد الثواب عليها و توعده بالعقاب على تركها «و يَوْمَ نَسِيتُ الْجِبَالَ» قيل إنه يتعلق بما قبله و تقديره و الباقيات الصالحات خير ثوابا في هذا اليوم و قيل إنه ابتداء كلام و تقديره و اذكر يوم نسير الجبال يعنى يوم القيامة، و تسيير الجبال قلعها عن أماكنها فإن الله سبحانه يقلعها و يجعلها هباء منثورا و قيل نسيها على وجه الأرض كما نسير السحاب فى السماء ثم يجعلها كثيبا مهيلا كما قال «يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَ الْجِبَالُ» الآية ثم يصيرها كالعهن المنفوش ثم يصيرها هباء منبثا فى الهواء كما قال وَ بُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا فَكَانَتْ هَبَاءً مُتَّبَثًا ثم يصيرها بمنزلة السراب كما قال وَ سُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا «وَ تَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً» أى ظاهره ليس عليها شىء من جبل أو بناء أو شجر يسترها عن عيون الناظرين و قيل إن معناه و ترى باطن الأرض ظاهرا قد برز من كان فى بطنها فصاروا على ظهرها عن عطا و تقديره و ترى ما فى الأرض بارزا فهو مثل

قول النبي ص ترمى الأرض بأفلاذ كبدها

«وَ حَشَرْنَا هُمْ» أى و بعثناهم من قبورهم و جمعناهم فى الموقف «فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا» أى فلم نترك منهم أحدا إلا حشرناه «وَ عَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ» يعنى المحشورين يعرضون على الله تعالى يوم القيامة «صِفَاءً» أى مصفوفين كل زمرة و أمه صفا و قيل يعرضون صفا بعد صف كالصفوف فى الصلاة و قيل يعرضون صفا واحدا لا يحجب بعضهم بعضا و يقال لهم «لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ» معناه لقد جئتمونا ضعفاء فقراء عاجزين فى الموضع الذى لا يملك فيه الحكم غيرنا كما كنتم فى ابتداء الخلق لا تملكون شيئا و قيل معناه ليس معكم شىء مما اكتسبتموه فى الدنيا من الأموال و الأولاد و الخدم تنتفعون به كما كنتم فى أول الخلق و

روى عن النبي ص أنه قال يحشر الناس من قبورهم يوم القيامة حفاه عراه غرلا فقالت عائشه يا رسول الله أ ما يستحى بعضهم من بعض فقال ص لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ

«يَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا» أى و يقال لهم أيضا بل زعمتم فى دار الدنيا أن الله لم يجعل لكم موعدا للبعث و الجزاء و الحساب يوم القيامة «وَ وُضِعَ الْكِتَابُ» أى و وضع الكتب فإن الكتاب اسم جنس و المعنى و وضعت صحائف بنى آدم فى أيديهم و قيل معناه و وضع الحساب فعبر عن الحساب بالكتاب لأنهم يحاسبون على أعمالهم المكتوبة عن الكلبي «فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ» أى خائفين مما فيه من الأعمال السيئه «وَ يَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا» هذه لفظه يقولها الإنسان إذا وقع

فى شده فىدعو على نفسه بالويل و الثبور «ما لهذا الكتاب» أى أى شىء لهذا الكتاب «لا يُعَادِرُ صَغيرَهُ وَ لا كَبيرَهُ إِلا أَحصاها» أى لا يترك صغيره من الذنوب و لا كبيره إلا عدها و أثبتها و حواها و قد مر تفسير الصغيره و الكبيره فى سورة النساء و أنث الصغيره و الكبيره بمعنى الفعله و الخصله «وَ وَجِدُوا ما عَمِلُوا حاضِراً» أى مكتوباً فى الكتاب مثبتاً و قيل معناه وجدوا جزاء ما عملوا حاضراً فجعل وجود الجزاء كوجود الأعمال توسعاً «وَ لا يظلمُ رَبُّكَ أحداً» معناه و لا ينقص ربك ثواب محسن و لا يزيد فى عقاب مسىء و فى هذا دلالة على أنه سبحانه لا يعاقب الأطفال لأنه إذا كان لا يزيد فى عقوبه المذنب فكيف يعاقب من ليس بمذنب.

[سوره الكهف (١٨): الآيات ٥٠ الى ٥٢]

اشاره

وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبليسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنَ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّبِعُونَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ أُولِياءَ مِنْ دُونى وَ هُمْ لَكُمْ عِدُوٌّ بئسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً (٥٠) ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلقَ السَّماءاتِ وَ الأَرْضِ وَ لا خَلقَ أَنفُسِهِمْ وَ ما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً (٥١) وَ يَوْمَ يَقُولُ نادُوا شُرَكَائى الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَ جَعَلنا بَينَهُمْ مَوْبِقاً (٥٢)

القراءه

قرأ أبو جعفر ما أشهدناهم بالنون على التعظيم و الباقون «ما أشهدتُهُمْ» بالتاء و قرأ حمزه و يوم نقول بالنون و الباقون بالياء.

الحجه

من قرأ نقول بالنون حمله على ما تقدم فى المعنى فكما أن كنت للمتكلم فكذلك نقول و من قرأ بالياء فحجته أن الكلام قد انتضى فالمعنى و يوم يقول الله نادوا شركائى و هذا يقوى القراءه بالياء لأنه لو كانت بالنون لكان الأشبه أن يقول نادوا شركاءنا.

اللغه

الفسق الخروج إلى حال تضر يقال فسقت الرطبه إذا خرجت من قشرها

و فسقت الفأره إذا خرجت من حجرها قال رؤبه:

يهوين في نجد و غورا غائرا فواسقا عن قصدها جوائرا

قال أبو عبيده: هذه التسميه لم نسمعها فى شىء من أشعار الجاهليه و لا أحاديثها و إنما تكلم بها العرب بعد نزول القرآن و قال المبرد: الأمر على ما ذكره أبو عبيده و هى كلمه فصيححه على ألسنه العرب و قال قطرب «فَفَسَقَ عَن أَمْرِ رَبِّهِ» أى عن رد أمر ربه كقولهم كسوته عن عرى و أطعمته عن جوع و العضد ما بين المرفق إلى الكتف و فيه خمس لغات عضد و عضد و عضد و عضد و عضد و عضدت فلانا أعنته و فلان عضدى استعاره و اعتضد به أى استعان. قال ثعلب:

كل شىء حال بين شيئين فهو موبق من وبق يبق وبقا إذا هلك و حكى الزجاج وبق الرجل يوبق وبقا.

الإعراب

«بِسِّ لِلظَّالِمِينَ يَدًا» اسم بس مضممر فسر بقوله «يَدًا» و قوله «لِلظَّالِمِينَ» فصل بين بس و بين ما انتصب على التمييز و التقدير بس البدل للظالمين ذريه إبليس فذريه إبليس هو المخصص بالذم عن أبى على الفارسي.

المعنى

ثم أمر سبحانه نبيه ص أن يذكر هؤلاء المتكبرين عن مجالسه الفقراء قصه إبليس و ما أورثه الكبر فقال «وَ إِذْ قُلْنَا» أى و اذكر يا محمد إذ قلنا «لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ» قد مر تفسيره فيما تقدم و إنما تقرر هذا القول فى القرآن لأجل ما بعده مما يحتاج اتصاله به فهو كالمعنى الذى يفيد أمرا فى مواضع كثيره للإخبار عنه بأخبار مختلفه و قوله «كَانَ مِنَ الْجِنِّ» من قال إن إبليس لم يكن من الملائكه استدل بهذا لأن الجن غير الملائكه كما أنهم غير الإنس و من قال إنه كان من الملائكه قال إن المعنى كان من الذين يستترون عن الأبصار مأخوذ من الجن و هو الستر و قيل كان من قبيل من الملائكه يقال لهم الجن كانوا خزان الجنان فأضيفوا إليها كقولك كوفى بصرى و ضعف الأولون هذين الوجهين لأن لفظ الجن إذا أطلق فالمفهوم منه هذا الجنس المعروف لا- الملائكه «فَفَسَقَ عَن أَمْرِ رَبِّهِ» أى خرج عن طاعه ربه ثم خاطب الله سبحانه المشركين فقال «أَفَتَتَّبِعُونَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَ هُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ» معناه أفتتبعون أمر إبليس و أمر ذريته و تتخذونهم أولياء تتولونهم بالطاعه من دونى و هم جميعا أعداء لكم و العاقل حقيق بأن يتهم عدوه على نفسه و هذا استفهام بمعنى الإنكار و التوبيخ قال مجاهد: ذريته الشياطين و قال الحسن: الجن من ذريته «بِسِّ لِلظَّالِمِينَ يَدًا» تقديره بس البدل للظالمين بدلا و معناه بس ما استبدلوا بعباده

ربهم إذا أطاعوا إبليس عن الحسن وقيل بئس البديل طاعه الشيطان عن طاعه الرحمن عن قتاده «ما أشهدتُهُمْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ» أى ما أحضرت إبليس وذريته خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم مستعينا بهم على ذلك ولا استعنت ببعضهم على خلق بعض وهذا إخبار عن كمال قدرته واستغناؤه عن الأنصار والأعوان ويدل عليه قوله «وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضْتَلِّينَ عَضُدًا» أى الشياطين الذين يضلون الناس أعوانا يعضدوننى عليه وكثيرا ما يستعمل العضد بمعنى العون وإنما وحده هنا لوفاق الفواصل وقيل إن معنى الآية أنكم اتبعتم الشيطان كما يتبع من يكون عنده علم لا ينال إلا من جهته وإنما ما أطلعتهم على خلق السماوات والأرض ولا على خلق أنفسهم ولم أعطهم العلم بأنه كيف تخلق الأشياء فمن أين تتبعونهم وقيل معناه ما أحضرت مشركى العرب وهؤلاء الكفار خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم أى وما أحضرت بعضهم خلق بعض بل لم يكونوا موجودين فخلقتهم فمن أين قالوا إن الملائكة بنات الله ومن أين ادعوا ذلك «وَيَوْمَ يَقُولُ» يريد يوم القيامة يقول الله للمشركين وعبداء الأصنام «نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ» فى الدنيا أنهم شركائى ليدفعوا عنكم العذاب «فَدَعَوْهُمْ» يعنى المشركين يدعون أولئك الشركاء الذين عبدوهم مع الله «فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ» أى فلا يستجيبون لهم ولا ينفعونهم شيئا «وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ» أى بين المؤمنين والكافرين «مَوْبِقًا» وهو اسم واد عميق فرق الله به سبحانه بين أهل الهدى وأهل الضلالة عن مجاهد و قتاده وقيل بين المعبودين وعبدتهم موبقا أى حاجزا عن ابن الأعرابى أى فأدخلنا من كانوا يزعمون أنهم معبودهم مثل الملائكة والمسيح والجنه وأدخلنا الكفار النار وقيل معناه جعلنا تواصلهم فى الدنيا موبقا أى مهلكا لهم فى الآخرة عن الفراء وروى ذلك عن قتاده وابن عباس فالين على هذا القول معناه التواصل والمعنى أن تواصلهم وتوادهم فى الكفر صار سبب هلاكهم فى الآخرة وقيل موبقا عداوه عن الحسن فكأنه قال عداوه مهلكه وروى عن أنس بن مالك أنه قال الموبق واد فى جهنم من قيح ودم.

النظم

وجه اتصال قوله «ما أشهدتُهُمْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» بما قبله أنه يتصل اتصال الحجة التى تكشف حيره الشبهه لأنه بمنزله أن يقال إنكم قد أقبلتم على اتباع إبليس وذريته وتركتم أمر الله تعالى مع كثره الحجج ولو أشهدتهم خلق السماوات والأرض لم يزيدوا على ما فعلتم من اتباعهم وقيل إنه سبحانه بين بذلك أنه المتفرد بالخلق والاختراع لا شريك له فيه فلا ينبغى أن تشركوا معه فى العباده غيره أو تدعوا غيره إليها.

إشاره

وَ رَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَ لَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصِيرًا (٥٣) وَ لَقَدْ صَيَّرَ فَنَّا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَ كَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (٥٤) وَ مَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَ يَشْتَرِعُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سِنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا (٥٥) وَ مَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ وَ يُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَ اتَّخَذُوا آيَاتِي وَ مَا أَنْذَرُوا هُزُوعًا (٥٦)

القراءة

قرأ أهل الكوفه «قُبُلًا» بضمين و الباكون قبلًا.

الحجه

قد ذكرنا الوجه فى سوره الأنعام.

اللغه

المواقع ملابسه الشىء بشده و منه وقائع الحروب و أوقع به إيقاعا و التوقع الترقب لوقوع الشىء و المصرف المعدل قال أبو كثير:

أزهير هل عن شيبه من مصرف أم لا خلود لبازل متكلف

و التصريف تنقيح المعنى فى الجهات المختلفه و الإدحاض الإذهاب بالشىء إلى الهلاك و مكان دحض أى مزلق مزل لا يثبت عليه خف و لا حافر و لا قدم قال:

" و حاد كما حاد البعير عن الدحض "

. الإعراب

«أَنْ يُؤْمِنُوا» فى موضع نصب و المعنى ما منع الناس من الإيمان إلا طلب أن يأتيهم فيكون أن يأتيهم فى موضع رفع «وَمَا أَنْذَرُوا» فى موضع نصب عطفا على «آيَاتِي» و «هُزُوعًا» هو المفعول الثانى لاتخذوا.

المعنى

ثم بين سبحانه حال المجرمين فقال «وَ رَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ» يعنى

المشركين رأوا النار و هي تتلظى حنقا عليهم عن ابن عباس و قيل هو عام فى أصحاب الكبائر «فَطَنُوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُهَا» أى علموا أنهم داخلون فيها واقعون فى عذابها «وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا» أى معدلا و موضعا ينصرفون إليه ليتخلصوا منها «وَلَقَدْ صَرَّفْنَا» أى بينا «فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ» و تصريفها ترديدها من نوع واحد و أنواع مختلفه ليتفكروا فيها و قد مر تفسيره فى بنى إسرائيل «وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا» يريد بالإنسان النضر بن الحارث عن ابن عباس و يريد أبى بن خلف عن الكلبي و قال الزجاج: معناه و كان الكافر يدل عليه قوله وَ يُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ «وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَ يَسْتَعْجِلُوا رَبَّهُمْ» معناه ما منعهم من الإيمان بعد مجىء الدلاله و من أن يستغفروا ربهم على ما سبق من معاصيهم «إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ مِنَ الْأُولَى» أى إلا طلب أن تأتيهم العاده فى الأولين من عذاب الاستتصال حيث آتاهم العذاب من حيث لا يشعرون حين امتنعوا من قبول الهدى و الإيمان «أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا» أو طلب أن يأتيهم العذاب عيانا مقابله من حيث يرونه و تأويله أنهم بامتناعهم من الإيمان بمنزله من يطلب هذا حتى يؤمنوا كرها لأنهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم و هذا كما يقول القائل لغيره ما منعك أن تقبل قولى إلا أن تضرب على أن المشركين قد طلبوا مثل ذلك فقالوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ و من قرأ قبلا- فهو فى معنى الأول و يجوز أن يكون أيضا جمع قبيل و هو الجماعه أى يأتيهم العذاب ضروبا من كل جهه ثم بين سبحانه أنه قد أزاح العله و أظهر الحججه و أوضح المحججه فقال «وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ» أى لم نرسل الرسل إلى الخلق إلا مبشرين لهم بالجنه إذا أطاعوا أو مخوفين لهم بالنار إذا عصوا «وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ» أى و يناظر الكفار دفعا عن مذاهبهم بالباطل «لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ» أى ليزيلوا الحق عن قراره قال ابن عباس: يريد المستهزئين و المقتسمين و أتباعهم و جدالهم بالباطل أنهم ألزموه أن يأتى بالآيات على أهوائهم على ما كانوا يقترحونه ليطلوا به ما جاء به محمد ص يقال أدحضت حجته أى أبطلتها «وَأَتَّخَذُوا آيَاتِي» يعنى القرآن «وَمَا أُنذِرُوا» أى ما تخوفوا به من البعث و النار «هُزُوا» مهزوا به استهزءوا به.

إشارة

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُنَا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (٥٧) وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا (٥٨) وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا (٥٩)

القراءة

قرأ حفص عن عاصم «لِمَهْلِكِهِمْ» بفتح الميم و كسر اللام و كذلك في النمل ما شهدنا مهلكك وقرأ حماد و يحيى عن أبي بكر بفتح الميم و اللام وقرأ الأعشى و البرجمي عنه هاهنا بالضم و هناك بالفتح وقرأ الباقون لمهلكهم و مهلك بضم الميم و فتح اللام.

الحج

من قرأ لمهلكهم فإن المهلك يجوز أن يكون مصدرًا و يجوز أن يكون وقتًا فيكون معناه لإهلاكهم أو لوقت إهلاكهم و من قرأ «لِمَهْلِكِهِمْ» فالمراد لوقت هلاكهم و من قرأ بفتح الميم و اللام فهو مصدر مثل الهلاك و قد حكى أن تميمًا يقول هلكني زيد و على هذا حمل بعضهم قوله:

" و مهمه هالك من تعرجا "

فقال هو بمعنى مهلك فيكون هالك مضافًا إلى المفعول به و إذا لم يكن بمعنى مهلك يكون هالك مضافًا إلى الفاعل مثل حسن الوجه و كذلك قوله «لِمَهْلِكِهِمْ» على قراءة حفص أو لمهلكهم بفتح اللام و الميم فإنه مصدر فعلي قول من عدى هلكت يكون مضافًا إلى المفعول به و على قول من لم يعده يكون مضافًا إلى الفاعل.

الإعراب

«تِلْكَ الْقُرَى» تلك رفع بالابتداء و القرى صفة لها مبينة لها و «أَهْلَكْنَاهُمْ» في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ و يجوز أن يكون موضع تلك القرى نصبًا بفعل مضمرة يكون أهلكناهم مفسرًا لذلك الفعل و تقديره و أهلكنا تلك القرى أهلكناهم.

المعنى

ثم قال سبحانه «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا» معناه ليس أحد أظلم لنفسه ممن ذكر أي وعظ بالقرآن و آياته و نبه على أدلة التوحيد فأعرض عنها جانبًا «وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُنَا» أي نسي المعاصي التي استحق بها العقاب و قيل معناه تذكر و اشتغل عنه استخفافًا به و قلبه معرفه بعاقبته لأنه نسي ذلك ثم قال سبحانه «إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ

أَكِنَّهُ» و هي جمع كنان «أَنْ يَفْقَهُوهُ» أى كراهه أن يفقهوه أو لئلا يفقهوه «وَفِي آذَانِهِمْ وَقُرْأً» أى ثقلا وقد تقدم بيان هذا فيما مضى و جملته أنه على التمثيل كما قال فى موضع آخر وَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقُرْأً فالمعنى كان على قلوبهم أكنه أن يفقهه و فى آذانهم وقرا أن يسمع «وَ إِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا» أخبر سبحانه أنهم لا يؤمنون أبداً و قد خرج مخبره موافقا لخبره فماتوا على كفرهم «وَ رَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ» معناه و ربك الساتر على عباده الغافر لذنوب المؤمنين ذو النعمه و الإفضال على خلقه و قيل الغفور التائب ذو الرحمه للمصر بأن يمهل و لا يعجل و قيل الغفور لا يؤاخذهم عاجلا ذو الرحمه يؤخرهم ليتوبوا «لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ» فى الدنيا «بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ» و هو يوم القيامه و البعث «لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا» أى ملجأ عن ابن عباس و قتاده و قيل محرزا عن مجاهد و قيل منجا ينجيهم عن أبى عبيد قال: يقال لا وألت نفسه أى لا نجت قال الأعشى:

و قد أخالس رب البيت غفلته و قد يحاذر منى ثم لا يئل

و قال الآخر:

لا وألت نفسك خليتها للعامرين و لم تكلم

«وَ تِلْكَ الْقَرْىُ» إشاره إلى قرى عاد و ثمود و غيرهم «أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا» بتكذيب أنبياء الله و جحود آياته «وَ جَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ» أى و جعلنا لوقت إهلاكهم أو لوقت هلاكهم «مَوْعِدًا» معلوما يهلكون فيه لمصلحه اقتضت تأخيره إليه و إنما قال سبحانه «تِلْكَ الْقَرْىُ» ثم قال «أَهْلَكْنَاهُمْ» و لم يقل أهلكتناها لأن القرية هى المسكن نحو المدينه و البلده و هى لا تستحق الهلاك و إنما يستحق الهلاك أهلها و لذلك قال «لَمَّا ظَلَمُوا» يعنى أهل القرية الذين أهلكتناهم.

ص: ٣٢٤

إشارة

وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَ اتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤)

القراءة

قرأ حفص «و ما أنسانيه» بضم الهاء و فى الفتح بما عاهد عليه الله بضم الهاء و الباقون بكسر الهاء من غير بلوغ الياء إلا ابن كثير فإنه يثبت الياء فى الوصل و قد تقدم القول فى وجه ذلك.

اللغة

لا أبرح أى لا أزال و لو كان معناه لا أزول كان محالاً لأنه إذا لم يزل من مكانه لم يقطع أرضاً قال الشاعر:

و أبرح ما أدام الله قومي رخي البال منتطقاً مجيداً

أى لا أزال و الحقب الدهر و الزمان و جمعه أحقاب قال الزجاج: و الحقب ثمانون سنة و السرب المسلك و المذهب و معناه فى اللغة المحفور فى الأرض لا نفاذ له و يقال للذهاب فى الأرض سارب قال الشاعر:

أنى سربت و كنت غير سروب و تقرب الأحلام غير قريب

و النصب و الوصب و التعب نظائر و هو الوهن الذى يكون على الكد.

الإعراب

«سَرَبًا» منصوب على وجهين أحدهما أن يكون مفعولاً ثانياً لاتخذ كما يقال اتخذت طريقى مكان كذا و اتخذت طريقى فى السرب و الآخر أن يكون مصدراً يدل عليه اتخذ سبيله فى البحر فكأنه قال فسرب الحوت سرى و قوله «أَنْ أَذْكُرَهُ» فى موضع نصب بدل من الهاء فى أنسانيه و المعنى و ما أنسانى أن أذكره إلا الشيطان و «عَجَبًا» منصوب على وجهين (أحدهما) أن يكون على قول يوشع اتخذ الحوت سبيله فى البحر عجباً (و الآخر) أن يكون قال يوشع و اتخذ سبيله فى البحر فأجابه موسى (عليه السلام) فقال عجباً فكأنه قال أعجب

عجبا و «قَصِيصاً» وضع موضع الحال تقديره يقصان الأثر قصصا و القصص اتباع الأثر و قال أحد المحققين عجبا في موضع حال تقديره قال ذلك متعجبا و قصصا مصدر لفعل مضمّر يدل عليه قوله «فَارْتَدَّ» على آثارهما فإن معناه فاقتصا الأثر.

النزول

ذكر علي بن إبراهيم في تفسيره قال لما أخبر رسول الله ص قريشا بخبر أصحاب الكهف قالوا أخبرنا عن العالم الذي أمر الله موسى (عليه السلام) أن يتبعه من هو كيف تبعه و ما قصته فأنزل الله تعالى.

المعنى

«وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتَاهُ» أكثر المفسرين على أنه موسى بن عمران و فتاه يوشع بن نون و سماه فتاه لأنه صحبه و لازمه سفرا و حضرا للتعلم منه و قيل لأنه كان يخدمه و لهذا قال له «آتِنَا عَدَاءَنَا» و هو يوشع بن نون بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب و قال محمد بن إسحاق يقول أهل الكتاب إن موسى الذي طلب الخضر هو موسى بن ميثا بن يوسف و كان نبيا في بني إسرائيل قبل موسى بن عمران إلا- أن الذي عليه الجمهور أنه موسى بن عمران و لأن إطلاقه يوجب صرفه إلى موسى بن عمران كما أن إطلاق محمد ص ينصرف إلى نبينا ص

قال علي بن إبراهيم حدثني محمد بن علي بن بلال قال اختلف يونس و هشام بن إبراهيم في العالم الذي أتاه موسى أيهما كان أعلم و هل يجوز أن يكون على موسى حجه في وقته و هو حجه الله على خلقه فكتبوا إلى أبي الحسن الرضا (عليه السلام) يسألونه عن ذلك فكتب في الجواب أتى موسى العالم فأصابه في جزيره من جزائر البحر فسلم عليه موسى فأنكر السلام إذ كان بأرض ليس بها سلام قال من أنت قال أنا موسى بن عمران قال أنت موسى بن عمران الذي كلمه الله تكليما قال نعم قال فما حاجتك قال جئت لتعلمني مما علمت رشدا قال إني و كلت بأمر لا تطيقه و و كلت بأمر لا أطيقه

الخبر بطوله «لا- أَبْرُحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ» معناه لا- أزال أمضى و أمشى و لا أسلك طريقا آخر حتى أبلغ ملتقى البحرين بحر فارس و بحر الروم و مما يلي المغرب بحر الروم و مما يلي المشرق بحر فارس عن قتاده و قال محمد بن كعب هو طنجه و روى عنه إفريقيه و كان وعد أن يلقي عنده الخضر «أَوْ أَمْضَيْ حُقُبًا» أي دهرا عن ابن عباس و قيل سبعين سنة عن مجاهد و قيل ثمانين سنة عن عبد الله بن عمر «فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا» أي فلما بلغ الموضع الذي يجتمع فيه رأس البحرين «نَسِيَا حُوتَهُمَا» أي تركاه و قيل إنه ضل الحوت عنهما حين اتخذ سبيله في البحر سربا فسمى ضلاله عنهما نسيانا منهما له و قيل إنه من النسيان الناسى له كان أحدهما و هو يوشع، فأضيف النسيان إليهما كما يقال نسي القوم زادهم إذا نسيه متعهد أمرهم و قيل إن النسيان وجد منهما جميعا

فإن يوشع نسي أن يحمل الحوت أو أن يذكر موسى ما قد رأى من أمره و نسي موسى أن يأمره فيه بشىء فصار كل واحد منهما ناسيا لغيره ما نسيه الآخر و قوله «فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا» أى فاتخذ الحوت طريقه فى البحر مسلكا يذهب فيه و ذلك أن موسى و فتاه تزودا حوتا مملوحا عن ابن عباس و قيل حوتا طريا عن الحسن ثم انطلقا يمشيان على شاطئ البحر حتى انتهيا إلى صخره على ساحل البحر فأويا إليها و عنده عين ماء تسمى عين الحياه فجلس يوشع بن نون و توضأ من تلك العين فانتضح على الحوت شىء من ذلك الماء فعاش و وثب فى الماء و جعل يضرب بذيبه الماء فكان لا يسلك طريقا فى البحر إلا صار الماء جامدا فذلك معنى قوله «فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا» «فَلَمَّا جَاوَزَا» ذلك المكان «قَالَ» موسى «لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا» قيل إنهما انطلقا بقيه يومهما و ليلتهما فلما كان من الغد قال موسى ليوشع آتينا غداءنا أى أعطنا ما نتغدى به و الغداء طعام الغداء و العشاء طعام العشى و الإنسان إلى الغداء أشد حاجه منه إلى العشاء «لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا» أى تعبنا و شدة قالوا إن الله تعالى ألقى على موسى الجوع ليتذكر حديث الحوت «قَالَ» له يوشع عند ذلك «أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ» و معناه أن يوشع تذكر قصه الحوت لما دعا موسى بالطعام ليأكل فقال له أ رأيت حين رجعنا إلى الصخره و نزلنا هناك فإنى تركت الحوت و فقدته و قيل نسيته و نسيته حديثه و قيل فيه إضمار أى نسيته أن أذكر لك أمر الحوت ثم اعتذر فقال «وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ» و ذلك أنه لو ذكر لموسى (عليه السلام) قصه الحوت عند الصخره لما جاوزها موسى و لما ناله النصب الذى أشكاه و لم يلتقى فى سفره النصب إلا يومئذ «وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا» أى سبيلا عجبا و هو أن الماء انجاب عنه و بقى كالكوه لم يلتئم و قيل إن كلام يوشع قد انقطع عند قوله «فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ» فقال موسى عند ذلك عجبا كيف كان ذاك و قيل إن معناه و اتخذ موسى سبيل الحوت فى البحر عجبا عن ابن عباس و المعنى دخل موسى الكوه على إثر الحوت فإذا هو بالخضر «قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ» قال موسى (عليه السلام) ذلك ما كنا نطلب من العلامه «فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا» أى رجعا و عادا عودهما على بدئهما فى الطريق الذى جاء منه يقصان آثارهما «فَصَيَّ صَا» أى و يتبعانها و يوشع أمام موسى (عليه السلام) حتى انتهيا إلى مدخل الحوت.

[القصه]

سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أخبرنى أبى بن كعب قال خطبنا رسول الله ص فقال إن موسى قام خطيبا فى بنى إسرائيل فسئل أى الناس أعلم قال أنا فعتب الله عليه إذا لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه أن لى عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك قال

ص: ٣٢٧

موسى يا رب فكيف لى به قال تأخذ معك حوتا فتجعله فى مكثل ثم انطلق و انطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخره وضعا رءوسهما فناما و اضطرب الحوت فى المكثل فخرج منه فسقط فى البحر و اتخذ سبيله فى البحر سربا و أمسك الله عن الحوت جريه الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسى صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقيه يومهما و ليلتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال و لم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذى أمر الله تعالى به فقال فتاه «أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ» الآية قال و كان للحوت سربا و لموسى و لفتاه عجبا فقال موسى «ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ» الآية قال رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخره فوجدا رجلا مسجى بثوب فسلم عليه موسى فقال الخضر و أنى بأرضك السلام قال أنا موسى قال موسى بنى إسرائيل قال نعم أتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا قال إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا يا موسى إنى على علم من علم الله لا تعلمه علمنيه و أنت على علم من علم الله علمك لا أعلمه أنا فقال له موسى سَيَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا فقال له الخضر فَإِنْ أَتَيْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينه و كلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير قول فلما ركبا فى السفينه لم يفجأ إلا و الخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينه بالقدم فقال له موسى قوم قد حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتكم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرأ قال أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُزْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا قَالَ و قال رسول الله ص كانت الأولى من موسى (عليه السلام) نسيانا و قال و جاء عصفور فوق على حرف السفينه فنقر فى البحر نقره فقال له الخضر ما علمى و علمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينه فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه بيده فأقلعه فقتله فقال له موسى أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ و هذه أشد من الأولى قال إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي إِلَى قَوْلِهِ يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ كَانَ مَائِلا فقال الخضر (عليه السلام) بيده فأقامه فقال موسى (عليه السلام) قوم قد أتيناكم فلم يطعمونا و لم يضيفونا لَوْ شِئْتَ لَأَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَ بَيْنِكَ فقال رسول الله ص وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما

قال سعيد بن جبیر كان ابن عباس يقرأ و كان أمامهم ملك يأخذ كل سفينه صالحه غضبا و كان يقرأ

و أما الغلام فكان كافرا و كان أبواه مؤمنين رواه البخارى و مسلم فى الصحيحين و

روى أصحابنا عن أبى عبد الله (عليه السلام) أيضا أنه كان يقرأ كل سفينه صالحه غصبا و روى ذلك أيضا عن أبى جعفر قال و
هى قراءه أمير المؤمنين (عليه السلام)

[سوره الكهف (١٨): الآيات ٦٥ الى ٧٥]

إشاره

فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ
رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَ كَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَ لَا
أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩)

قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَ خَرَقْتُهَا
لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسَيْتَ وَ لَا تُزْهِقْنِي مِنْ
أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَ قَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (٧٤)

قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥)

القراءه

قرأ أبو عمرو و يعقوب رشدا بالفتح و الباقون «رُشْدًا» بضم الراء و سكون الشين و قرأ فلا تستلني مشدده النون مدني شامى و
الباقون خفيفه النون و لم يخالفوا فى إثبات الياء فيه وصلا و وقفا لأنها مثبتة فى جميع المصاحف و قرأ ليغرق بفتح الياء و الراء
أهلها بالرفع كوفى غير عاصم و الباقون «لِتُغْرِقَ» بضم التاء «أَهْلَهَا» بالنصب و قرأ «زَكِيَّةً» بغير ألف كوفى و شامى

و سهل و الباقون زاكيه و قرأ نكرا بضمين مدنى غير إسماعيل و أبو بكر و يعقوب و سهل و ابن ذكوان و الباقون «نُكْرًا» ساكنه الكاف.

الحج

قال أبو علي الرشد و الرشد لغتان و قد أجرى العرب كل واحد منهما مجرى الآخر فقالوا أسد و أسد و خشب و خشب فجمعوا فعلا- على فعل ثم فعلا أيضا على فعل و ذلك قوله وَ الْفُلُكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ وَ فِي آيِهِ أُخْرَى فِي الْفُلُكِ الْمَشْحُونِ* فهذا يدللك على أنهم أجروهما مجرى واحد و من قرأ فلا تسئلني بالثشديد فإنه لما أدخل النون الثقيله بنى الفعل معها على الفتح قال و القراءه بالتاء فى «لُتْغِرَقَ» أولى ليكون الفعل مسندا إلى المخاطب كما كان المعطوف عليه كذلك و هو أ خرقتهأ و هذا يأتى فى معنى الياء أيضا لأنهم إذا أغرقهم غرقوا و قوله «نُكْرًا» فعل و هو من أمثله الصفات قالوا ناقه أجد و مشيه سحج فمن خفف ذلك كما يخفف نحو العنق و الطنب و الشغل فالتخفيف فيه مستمر.

اللغة

الأمر الداهيه العظيمه قال الشاعر:

لقد لقي الأقران منى نكرا داهيه دهياء إذا إمرا

و هو مأخوذ من الأمر لأنه الفاسد الذى يحتاج أن يؤمر بتركه إلى الصلاح و منه رجل إمرا إذا كان ضعيف الرأى لأنه يحتاج أن يؤمر حتى يقوى رأيه و منه أمر القوم أى كثروا و معناه احتاجوا إلى من يأمرهم و ينهاهم و منه الأمر من الأمور أى الشىء الذى من شأنه أن يؤمر فيه.

الإعراب

قوله «رُشْدًا» يجوز أن ينتصب على أنه مفعول له و يكون المعنى هل أتبعك للرشد أو لطلب الرشد على أن تعلمنى فيكون «على أن تُعَلِّمَنِي» حالا من قوله «أَتَّبِعْكَ» و يجوز أن يكون قوله «رُشْدًا» مفعولا به و تقديره أتبعك على أن تعلمنى رشدا مما علمته و يكون العلم الذى يتعدى إلى مفعول واحد فيتعدى بتضعيف العين إلى مفعولين و المعنى على أن تعلمنى أمرا ذا رشد و علما ذا رشد أو خبرا نصب على المصدر و المعنى لم يخبره خبرا.

المعنى

«فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا» أى صادف موسى و فتاه و أدركا عبدا من عبادنا قائما على الصخره يصلى و هو الخضر (عليه السلام) و اسمه بليا بن ملكان و إنما سمي خضرا لأنه إذا صلى فى مكان أخضر ما حوله و

روى مرفوعا أنه قعد على فروه بيضاء فاهتزت تحته خضراء

وقيل إنه رآه على طنفسه خضراء فسلم عليه فقال و عليك السلام يا نبي بني إسرائيل فقال له موسى و ما أدراك من أنا و من أخبرك أني نبي قال من ذلك على و اختلف في هذا العبد فقال

ص: ٣٣٠

بعضهم إنه كان ملكا أمر الله تعالى موسى أن يأخذ عنه ما حملة إياه من علم بواطن الأشياء و قال الأكثرون إنه كان من البشر ثم اختلفوا فقال الجبائي وغيره أنه كان نبيا لأنه لا يجوز أن يتبع النبي من ليس بنبي ليتعلم منه العلم لما في ذلك من الغضاضة على النبي و كان ابن الإخشيد يجوز أن لا يكون نبيا و يكون عبدا صالحا أودعه الله من علم باطن الأمور ما لم يودعه غيره و هذا ليس بالوجه و متى قيل كيف يكون نبي أعلم من موسى فى وقته قلنا يجوز أن يكون الخضر خص بعلم ما لا يتعلق بالأداء فاستعلم موسى من جهته ذلك العلم فقط و إن كان موسى أعلم منه فى العلوم التى يؤديها من قبل الله تعالى «آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا» يعنى النبوه و قيل طول الحياه «وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا» أى علما من علم الغيب عن ابن عباس و

قال الصادق (عليه السلام) كان عنده علم لم يكتب لموسى (عليه السلام) فى الألواح و كان موسى يظن أن جميع الأشياء التى يحتاج إليها فى تابوته و أن جميع العلم قد كتب له فى الألواح

«قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا» أى علما ذا رشد قال قتاده لو كان أحد مكتفيا من العلم لاكتفى نجى الله موسى و لكنه قال «هَلْ أَتَّبِعُكَ» الآية عظمه (عليه السلام) بهذا القول غايه التعظيم حيث أضاف العلم إليه و رضى باتباعه و خاطبه بمثل هذا الخطاب و الرشده العلوم الدينيه التى ترشد إلى الحق و قيل هو علوم الألفاف الدينيه التى تخفى على الناس «قَالَ الْعَالَمُ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا» أى يتقيل عليك الصبر و لا يخف عليك و لم يرد أنه لا يقدر على الصبر و إنما قال ذلك لأن موسى (عليه السلام) كان يأخذ الأمور على ظواهرها و الخضر كان يحكم بما علمه الله من بواطنها فلا يسهل على موسى مشاهدته ذلك ثم قال «وَ كَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا» أى كيف تصبر على ما ظاهره عندك منكر و أنت لم تعرف باطنه و لم تعلم حقيقته و الخبر العلم و فى هذا دلالة على أنه لم يرد بقوله «لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا» نفى الاستطاعه للصبر لأنه لو أراد ذلك لكان لا يستطيع الصبر سواء علم أو لم يعلم «قَالَ» موسى «سَيَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا» أى اصبر على ما أرى منك «وَ لَا أُعْصِي لَكَ أَمْرًا» تأمرنى به و لا أخالفك فيه قال الزجاج: و فيما فعله موسى (عليه السلام) و هو من جمله الأنبياء من طلب العلم و الرحله فيه ما يدل على أنه لا ينبغى لأحد أن يترك طلب العلم و إن كان قد بلغ نهايته و أنه يجب أن يتواضع لمن هو أعلم منه و إنما قيد (عليه السلام) صبره بمشيئه الله لأنه أخبر به على ظاهر الحال فجوز أن لا يصبر فيما بعد بأن يعجز عنه فقال إن شاء الله ليخرج بذلك من أن يكون كاذبا «قَالَ» الخضر له «فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي» و اقتفيت أثرى «فَلَا تَسْتَيْئِلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا» أى لا تسألنى عن شىء أفعله مما تنكره و لا تعلم باطنه حتى أكون أنا الذى أفسره لك «فَأَنْطَلَقَا» يمسيان على شاطئ البحر «حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا»

و معناه أنهما أرادا أن يعبرا في البحر إلى أرض أخرى فأتيا معبرا فعرف صاحب السفينه الخضر (عليه السلام) فحملهما فلما ركبا في السفينه خرق الخضر (عليه السلام) السفينه أى شقها حتى دخلها الماء وقيل إنه قلع لوحين مما يلي الماء فحشاها موسى (عليه السلام) بثوبه و «قال» منكرا عليه «أَخْرَقْتُهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا» و لم يقل لنغرق و إن كان فى غرقها غرق جميعهم لأنه أشفق على القوم أكثر من إشفاقه على نفسه جريا على عاده الأنبياء ثم قال بعد إنكاره ذلك «لَقَدْ جِئْتُ شَيْئاً إِمْرًا» أى منكرا عظيما يقال أمر الأمر أمرا إذا كبر و الأمر الاسم منه ف «قال» له الخضر «أَلَمْ أَقُلْ» لك «إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا» أى ألم أقل حين رغبت فى اتباعى إن نفسك لا تطاوعك على الصبر معى فتذكر موسى ما بذل له من الشرط ثم «قال» معتذرا مستقيلا «لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ» أى غفلت من التسليم لك و ترك الإنكار عليك و هو من النسيان الذى هو ضد الذكر و روى عن أبى ابن كعب قال إنه لم ينس و لكنه من معارض الكلام و قيل بما تركت من وصيتك و عهدك عن ابن عباس و على هذا فيكون من النسيان بمعنى الترك لا بمعنى الغفلة و السهو «وَلَا تُزْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُشِيرًا» أى لا تكلفنى مشقه تقول أرهقته عسرا إذا كلفته ذاك و المعنى عاملنى باليسر و لا تعاملنى بالعسر و لا تضيق على الأمر فى صحبتى إياك «فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ» و معناه فخرجا من البحر و انطلقا يمشيان فى البر يعنى موسى و الخضر و لم يذكر يوشع لأنه كان تابعا لموسى أو كان قد تأخر عنهما و هو الأظهر لاختصاص موسى بالنبوه و اجتماعه مع الخضر (عليه السلام) فى البحر فلقيا غلاما يلعب مع الصبيان فذبحه بالسكين عن سعيد بن جبير و كان من أحسن أولئك الغلمان و أصبحهم و قيل صرعه ثم نزع رأسه من جسده و قيل ضربه برجله فقتله و قال الأصم كان شابا بالغاً لأن غير البالغ لا يستحق القتل و قد يسمى الرجل غلاما قالت لیلی الأخيلية:

شفاها من العضال الذى بها غلام إذا هز القناه سقاها

«قال أ قَتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً» أى طاهره من الذنوب و زكيه بريئه من الذنوب و قيل الزاكيه التى لم تذنّب و الزكيه التى أذنبت ثم تابت حكى ذلك عن أبى عمرو بن العلاء و قيل الزكيه أشد مبالغه من الزاكيه عن تغلب و قيل الزاكيه فى البدن و الزكيه فى الدين «بَغَيْرِ نَفْسٍ» أى بغير قتل نفس يريد القود «لَقَدْ جِئْتُ شَيْئاً نُكْرًا» أى قطعيا منكرا لا يعرف فى شرع و المنكر أشد من الأمر عن قتاده و إنما قال ذلك لأن قلبه صار كالمغلوب عليه حين رأى قتله «قال» العالم «أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا» أعاد هذا القول لتأكيد الأمر عليه و التحقيق لما قاله أولا مع النهى عن العود بمثل سؤاله.

إشارة

قَالَ إِنَّ سَأَلْتِكَ عَنْ شَيْءٍ بَعِيدٍ فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (٧٦) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَى أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَفْطَعَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوا لَهُمَا فَوْجَدًا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأَلْتُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْأَلْنِي عَلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) وَ أَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِمَهُمَا طُغْيَانًا وَ كُفْرًا (٨٠)

فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاءً وَ أَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) وَ أَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَ كَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَ كَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْرِخَ كَتْرَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَ مَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْأَلْنِي عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٢)

القراءة

قرأ يعقوب بروايه روح و زيد فلا- تصحبنى و الباقون «فلا تصاحبني» و قرأ أهل المدينة و أبو بكر عن عاصم من لدني خفيفه النون و الباقون «لعدني» بالتشديد و قرأ ابن كثير و أهل البصره لتخذت بكسر الخاء مخففه و ابن كثير يظهر منه الذال و الباقون «لأتخذت» و عاصم يظهر الذال و الآخرون يدغمون و قرأ أهل المدينة و أبو عمرو أن يبدهما بفتح الباء و تشديد الدال و كذلك في التحريم أن يبده و في القلم أن يبده و الباقون بسكون الباء و تخفيف الدال و قرأ

رحما بضم الحاء أبو جعفر و ابن عامر و عاصم و عباس و يعقوب و سهل و الباقون بسكون الحاء و فى الشواذ

قراءه النبى ص جدارا يريد أن ينقض بضم الياء و قراءه على بن أبى طالب (عليه السلام) و عكرمه و يحيى بن يعمر ينقض

بصاد غير معجمه و بالألف و قراءه عبد الله و الأعمش يريد لينقض.

الحجه

من قرأ فلا تصحبنى فمعناه لا تكون صاحبى و من قرأ «فَلَا تُصَاحِبْنِي» فمعناه إن طلبت صحبتك فلا تتابعنى على ذلك و أما قوله «مَنْ لَدُنِّي» فإن الأجود تشديد النون لأن أصل لدن الإسكان فإذا أضفتها إلى نفسك زدت نونا لتسلم سكون النون الأولى تقول من لدن زيد و من لدنى كما تقول عن زيد و عنى و من قرأ لدنى لم يجز له أن يقول عنى لأن لدن اسم غير متمكن و من و عن حرفان جاء المعنى و لدن مع ذلك أثقل من من و عن و الدليل على أن الأسماء يجوز فيها حذف النون قولهم قدنى فى معنى حسبى و يجوز قدى قال:

(قدنى من نصر الخبيين قدى)

فجاء باللغتين و قال أبو زيد: اتخذنا مالا نتخذه اتخاذا و اتخذت اتخذ تخذا و قال أبو على: وجه الإدغام أن هذه الحروف متقاربه فيدغم بعضها فى بعض كما يدغم سائر المتقاربه فالتاء و الدال و الطاء و الظاء و الذال و الثاء يدغم بعضها فى بعض للمقاربه فأما الصاد و السين و الزاء فيدغم بعضها فى بعض و يدغم فيها الحروف الستة و لا يدغم فى الستة لما يختل من إدغامها فى مقاربهها من الصفير و أما قوله «أَنْ يُبَدِّلَهُمَا» فإن أدل و بدل متقاربان فى المعنى كما أن أنزل و نزل كذلك و أما قوله رحما فإن الرحم و الرحم هاهنا الرحمه قال رؤبه:

يا منزل الرحم على إدريس و منزل اللعن على إبليس

قال ابن جنى: قوله «يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ» معناه قد قارب أو شارف ذلك فهو عائد إلى معنى يكاد و قد جاء ذلك عنهم و نشد أبو الحسن:

كادت و كدت و تلك خير إرادته لو عاد من لهو الصبا به ما مضى

و حسن هنا لفظ الإراده لأنه أقوى فى وقوع الفعل و ذلك أنها داعيه إلى وقوعه و هى

أيضا لا- تصح إلا- مع الحياه و لا- يصح الفعل إلا لذى الحياه و ليس كذلك كاد لأنه قد يقارب الأمر ما لا حياه له نحو ميل الحائط و إشراق ضوء الفجر و ينقص أى ينكسر يقال قصته نقاص قال:

فراق كقيص السن فالصبر إنه لكل أناس كسره و جبور

و قالوا أيضا قضته فإنقاص بضاد معجمه يعنى هدمته فانهدم قال:

(كأنها هدم فى الجفر منقاص)

و قراءه العامه «يَنْقُضُ» يحتمل أمرين (أحدهما) أن يكون ينفعل من القضه و هى الحصى الصغار (و الآخر) أن يكون يفعل من نقضت الشىء كقراءه النبى ص يريد أن ينقض فيكون كيزور و يرعوى و نحوهما مما جاء من غير الألوان و العيوب و من قرأ لينقض فإن شئت قلت اللام زائده فيه و احتججت فيه بقراءه النبى ص و إن شئت قلت تقديره إرادته لكذا كقولك قيامه لكذا و جلوسه لكذا ثم وضع الفعل موضع مصدره كما أنشد أبو زيد:

فقالوا ما تشاء فقلت لهوا إلى الإصباح آثر ذى أثير

أى اللهو فوضع ألهو موضع مصدره و أنشد أيضا:

و أهلكنى لكم فى كل يوم تعوجكم على و أستقيم

أى و استقامتى و كاللام هنا اللام فى قوله:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لى ليلى بكل سبيل

فيحتمل اللام هنا الوجهين اللذين تقدم ذكرهما.

اللغه

الانقضاض السقوط بسرعه قال ذو الرمه:

(فانقض كالكوكب الدرى منصلتا)

و الوراء و الخلف واحد و هو نقيض جهه القدام و يستعمل وراء بمعنى القدام أيضا على الاتساع لأنها جهه مقابله لجهه فكان كل واحد من الجهتين وراء الأخرى قال الشاعر:

أ ترجو بنو مروان سمعى و طاعتى و قومى تميم و الفلاه ورائيا

و قال لبيد:

أليس وراثي إن تراخت منيتي لزوم العصا تحنو عليها الأصابع

ص: ٣٣٥

وقال الفراء: يجوز ذلك في الزمان دون الأجسام قال علي بن عيسى وغيره: ويجوز في الأجسام التي لا وجه لها كحجرين متقابلين كل واحد منهما وراء الآخر والإرهاق إدراك الشيء بما يغشاه و رهنه الفارس أى غشيه و أدركه غلام مراهق إذا قارب أن يغشاه حال البلوغ و يقال أرهنه أمرا أى ألحقه إياه قال الأزهرى: الرهن جهل الإنسان و أرهنه عسرا كلفه إياه و

جاء في الحديث كان النبي ص إذا دخل مكة مراهقا خرج إلى عرفه

أى ضاق عليه الوقت.

الإعراب

قال الزجاج: قوله «هذا فراق بيني وبينك» زعم سيبويه أن معنى مثل هذا التوكيد يعنى هذا فراق بيننا أى هذا فراق اتصالنا و مثله من الكلام أخزى الله الكاذب منى و منك و وهذا لا يكون إلا بالواو و لا يجوز هذا فراق بيني وبينك لأن معنى الواو الاجتماع و معنى الفاء أن يأتى الثانى فى إثر الأول و مساكين لا ينصرف لأنه جمع ليس له فى الآحاد نظير «رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ» منصوب على ضربين (أحدهما) أن المعنى فعلنا ذلك رحمة أى للرحمة كما تقول أنقذتك من الهلكة رحمة لك (و الآخر) أن يكون منصوبا على المصدر لأن معنى قوله «فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا» رحمهما الله بذلك.

المعنى

«قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي» أى قال له موسى جوابا إن سألتك عن شىء بعد هذه المره أو بعد هذه النفس و قتلها فلا تتركنى أصحابك «فَقَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَمَدَتِي عُذْرًا» أى قد أعذرت فيما بينى و بينك و قد أخبرتنى أنى لا أستطيع معك صبرا عن ابن عباس و هذا إقرار من موسى (عليه السلام) بأن الخضر قد قدم إليه ما يوجب العذر عنده فلا يلزمه ما أنكره و

روى أن النبي ص تلا هذه الآية فقال استحيى نبي الله موسى و لو صبر لرأى ألفا من العجائب

«فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ» و هى أنطاكية عن ابن عباس و قيل إيله عن ابن سيرين و محمد بن كعب و

قيل هى قرية على ساحل البحر يقال لها ناصره و بها سميت النصارى نصارى و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

«اسْتَيْطَعُوا أَهْلَهَا» أى سألاهم الطعام «فَأَبَوْا أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا» و التضييف و الإضافة بمعنى واحد أى لم يضيفهما أحد من أهل القرية

و

روى أبى بن كعب عن النبي ص قال كانوا أهل قرية لثام

و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) لم يضيفوهما و لا يضيفون بعدهما أحدا إلى أن تقوم الساعة

«فَوَحَّدا فِيها جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ» وصف الجدار بالإرادة مجاز و معناه قرب أن ينقض و أشرف على أن ينهدم و ذلك على التشبيه بحال من يريد الفعل فى الثانى و هذا من فصيح كلام العرب و مثله فى أشعارهم كثير قال الراعى يصف الإبل:

فى مهمه قلقت بها هاماتها قلق الفئوس إذا أردن فصولا

ص: ٣٣٦

و قال الآخر:

يريد الرمح صدر أبي براء و يرغب عن دماء بنى عقيل

و قريب منه قول الآخر:

إن دهرًا يلف شملي بسعدى لزمان يهيم بالإحسان

أى كأنه يهيم و قال عنتره يصف فرسه:

فأزور من وقع القنا بلبانه و شكا إلى بعيره و تحمحم

«فَأَقَامَهُ» أى سواه قيل إنه دفع الجدار بيده فاستقام عن سعيد بن جبير «قَالَ لَوْ شِئْتُ لَاتَّخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا» معناه إنهم لما بخلوا عليهما بالطعام و أقام الخضر جدارهم المشرف على الانهدام عجب موسى من ذلك فقال لو شئت لعملت هذا بأجر تأخذه منهم حتى كنا نسد به جوعتنا «قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَ بَيْنِكَ» معناه هذا الكلام و الإنكار على ترك الأجر هو المفرق بيننا و قيل معناه هذا وقت فراق اتصالنا و كرر بين تأكيداً عن الزجاج و قيل معناه هذا الذى قلته سبب الفراق بينى و بينك ثم قال له «سَأُتَبِّئُكَ» أى سأخبرك «بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِغْ عَلَيْهِ صَبْرًا» أى بتفسير الأشياء التى لم تستطع على الإمساك عن السؤال عنها صبراً «أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ» معناه أما السبب فى خرقى السفينه فهو أنها كانت لفقراء لا شىء لهم يكفيهم قد سكتهم قله ذات أيديهم «يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ» أى يعملون بها فى البحر و يتعيشون بها «فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا» أى أحدث فيها عيباً «وَ كَانَ وَرَاءَهُمْ» أى و كان قدامهم «مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ» صحيحه أو غير معيبه «غَضَبًا» عن قتاده و ابن عباس قال عباد بن صهيب: قدمت الكوفه لأسمع من إسماعيل بن أبى خالد فمررت بشيخ جالس فقلت يا شيخ كيف أمر إلى منزل إسماعيل بن أبى خالد فقال لى وراءك فقلت أرجع فقال أقول وراءك و ترجع فقلت أليس ورائى خلفى قال لا- ثم قال حدثنى عكرمه عن ابن عباس «وَ كَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضَبًا» قال و لو كان وراءهم لكانوا قد جاوزوه و لكن كان بين أيديهم قال الخضر: إنما خرقتها لأن الملك إذا رآها منخرقه تركها و رقعا أهلها بقطعه خشب فانتفخوا بها و قيل يحتمل أن الملك كان خلفهم و كان طريقهم فى الرجوع عليه و لم يعلم به أصحاب السفينه و علم به الخضر (عليه السلام) «وَ أَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ» و روى عن أبى و ابن عباس أنهما كانا يقرءان

و أما الغلام فكان كافراً و أبواه مؤمنين و روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و معناه و أما الغلام الذى قتله فإنما قتلته لأنه كان كافرا «فَخَشِينَا أَنْ يُزْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَ كُفْرًا» أى فعلمنا أنه إن بقى يرهق أبويه أى يغشيهما طغيانا و كفرا و هو من كلام الله تعالى و قيل معناه ففخنا أن يحمل أبويه على الطغيان و الكفر بأن يباشر ما لا يمكنهما منعه منه فيحملهما على الذب عنه و التعصب له فيؤدى ذلك إلى أمور يكون مجاوزه للحد فى العصيان و الكفر و هو من كلام الخضر لأن الله تعالى لا يجوز عليه الخشية و قيل معناه فكرهنا أن يرهق الغلام أبويه إثمًا و ظلما بطغيانه و كفره «فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً» أى ولدا خيرا منه دينًا و طهاره و صلاحا «وَ أَقْرَبَ رُحْمًا» أى و أرحم بهما عن قتاده و الزكاه الصلاح و الزكى الصالح و الرحم العطف و الرحمه و قيل معناه أبر بوالديه و أوصل للرحم عن ابن عباس و قيل معناه و أقرب أن يرحما به قال قتاده: قال مطرف: أيم الله إنا لنعلم أنهما فرحا به يوم ولد و حزنا عليه يوم قتل و لو عاش كان فيه مهلكتهما فرضى رجل ما قسم الله له فإنه قضاء الله للمؤمن خير من قضائه لنفسه و ما قضى لك يا ابن آدم فيما تكره خير مما قضى لك فيما تحب فاستخر الله و أرض بقضائه و

روى أنهما أبدا بالغلام المقتول جاريه فولدت سبعين نبيا عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل إنه تزوجها نبى من الأنبياء فولدت له نبيا هدى الله على يديه أمه من الأمم عن الكلبى و فى قتل الغلام دلالة على وجوب اللطف على ما نذهب إليه لأن المفهوم من الآيه أنه تدبير من الله تعالى لم يكن يجوز خلافه و أنه إذا علم من حال الإنسان أنه يفسد عند شىء يجب عليه فى الحكمة أن يذهب ذلك الشىء حتى لا يقع هذا الفساد و متى قيل إنه لو حصل لنا العلم بذلك كما حصل لذلك العالم هل كان يحسن منا القتل قلنا أن هذا العلم لا يحصل إلا للأنبياء و عند حصول العلم به يحسن ذلك و متى قيل إن الله كان قادرا على إزاله حياه الغلام بالموت من غير ألم فتزول التبقية التى هى المفسده من غير إدخال إيلام عليه بالقتل فلم أمر بالقتل فالجواب من وجهين (أحدهما) أن الله تعالى قد علم أن أبويه لا يثبتان على الإيمان إلا بقتل هذا الغلام فتعين وجه الوجوب فى القتل (و الآخر) أن تبقية الغلام إذا كانت مفسده فالله تعالى مخير فى إزالتها بالموت من غير ألم و بالقتل لأن القتل و إن كان فيه ألم يلحق المقتول فإن بإزائه أعواضا كثيرة توازى ذلك الألم و يزيد عليه أضعافا كثيرة فيصير القتل بالمنافع العظيمة التى بإزائه كأنه ليس بالم و يدخل فى قبيل النفع و الإحسان «وَ أَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ» أى فإنما أقمته لأنه كان «لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ» يعنى القرية المذكوره فى قوله «أَتِيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ» «وَ كَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا» و الكنز هو كل مال مذخور من ذهب أو فضه و غير ذلك و اختلف فى هذا الكنز فقيل كانت صحف علم مدفونه تحته عن ابن عباس و سعيد بن جبير و مجاهد و قال ابن عباس: ما كان ذلك الكنز إلا علما و

قيل كان كنزا من الذهب و الفضه عن قتاده

قيل كان لوحا من ذهب و فيه مكتوب عجا لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن. عجا لمن أيقن بالرزق كيف يتعب. عجا لمن أيقن بالموت كيف يفرح. عجا لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل. عجا لمن رأى الدنيا و قلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله ص عن ابن عباس و الحسن و روى ذلك عن أبي عبد الله (عليه السلام)

و فى بعض الروايات زياده و نقصان و هذا القول يجمع القولين الأولين لأنه يتضمن إن الكثر كان مالا كتب فيه علم فهو مال و علم «وَ كَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا» بين سبحانه أنه حفظ الغلامين بصلاح أبيهما و لم يذكر منهما صلاحا عن ابن عباس و

روى عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه كان بينهما و بين ذلك الأب الصالح سبعة آباء و قال (عليه السلام) إن الله ليصلح بصلاح الرجل المؤمن ولده و ولد ولده و أهل دويرته و دويرات حوله فلا يزالون فى حفظ الله لكرامته على الله

«فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا» أى ينتهيا إلى الوقت الذى يعرفان فيه نفع أنفسهما و حفظ مالهما و هو أن يكبرا و يعقلا- «وَ يَسِيْرَتَهُمَا كَتَرْتُهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ» أى نعمه من ربك و المعنى أن كل ما فعلته رحمته من الله تعالى أى رحم الله بذلك المساكين و أبوى الغلام و اليتيمين رحمه «وَ مَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي» أى و ما فعلت ذلك من قبل نفسى و إنما فعلته بأمر الله تعالى قال ابن عباس: يريد انكشف لى من الله علم فعلت به ثم قال «ذَلِكَ» الذى قلته لك «تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا» أى ثقل عليك مشاهدته و رؤيته و استنكرته يقال استطاع يستطيع و استطاع استطاع قال أبو على الجبائي: لا يجوز أن يكون الخضر حيا إلى وقتنا هذا لأنه لو كان لعرفه الناس و لم يخف مكانه و لأنه لا نبى بعد نبينا ص و هذا الذى ذكره غير صحيح لأن تبقيته فى مقدور الله تعالى و يجوز أن تنخرق العادة للأنبياء ص بالإجماع و لا يمتنع أيضا أن يكون بحيث لا يتعرف إلى أحد و أن الناس و إن كانوا يشاهدونه لا يعرفونه و قوله إنه لا نبى بعد نبينا مسلم و لكن نبوه الخضر (عليه السلام) كانت ثابتة قبل نبوه نبينا محمد ص و أما شرعه لو كان له شرع خاص فإنه منسوخ بشريعه نبينا و لو كان داعيا إلى شريعه من تقدمه من الأنبياء فإن شريعه نبينا ص ناسخه لها فلا يؤدى إلى ما قاله الجبائي.

إشارة

وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَ آتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَ جِئَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَ وَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْ تَعُدُّبَ وَ إِنَّمَا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعْدَبُهُ ثُمَّ يُرْدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًا (٨٧)

القراءة

قرأ ابن عامر و أهل الكوفة «فَأَتْبَعَ» ثُمَّ أَتْبَعَ* بهمزة القطع و فتحها و تخفيف التاء و سكونها و الباقون فاتبع بهمزة الوصل و تشديد التاء و فتحها وقرأ أبو جعفر و ابن عامر و أهل الكوفة غير حفص حامي و الباقون «حَمِئَةٍ» بغير ألف مهموز.

الحج

قال أبو علي: تبع فعل يتعدى إلى مفعول واحد فإذا نقلته بالهمزة تعدى إلى مفعولين يدللك على ذلك قوله وَ أَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً و أما اتبع فإنه افتعل يتعدى إلى مفعول واحد كما يتعدى فعل إليه مثل حفرتة و احتفرتة و شويته و اشتويته و من قرأ «فَأَتْبَعَ سَبَبًا» تقديره فأتابع سببا سببا أو أتبع أمره سببا أو أتبع ما هو عليه سببا فحذف أحد المفعولين كما حذف في قوله لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا و لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا و المعنى لينذر الناس بأسا شديدا و لا يكادون يفقهون أحدا قولاً و من قرأ فاتبع سببا فالمعنى اتجه في كل وجه وجهناه له و أمرناه به السبب الذي ينال به صلاح ما مكن منه و قال أبو عبيد: معناه اتبع طريقا و أثرا و من قرأ «حَمِئَةٍ» فعلى فعله و من قرأ حاميته فهي فاعله من حيث تحمى فهي حاميته و روى عن الحسن أنه قال: حاره و يجوز فيمن قرأ حاميته أن يكون فاعله من الحماء فخفف الهمزة على قياس قول أبي الحسن فيقلبها ياء محضه و إن خففها على قول الخليل كانت بين بين قال سيبويه: و هو قول العرب.

اللغة

القرن قرن الشاه و غيرها و قرون الشعر الذوائب و منه قول أبي سفيان:

و لا الروم ذوات القرون

أراد قرون شعورهم لأنهم كانوا يطولونه و الذكر حضور المعنى للنفس و قد يكون بالقلب و هو التفكير و قد يكون باللسان و كل ما وصل شيئا إلى شىء فهو سبب يقال للطريق إلى الشىء سبب و للحبل سبب و للباب سبب و الحماء الطين الأسود يقال حمئت البئر تحمأ فهي حمئة إذا صار فيها الحماء قال أبو الأسود:

تجىء بملئها طورا و طورا تجىء بحماه و قليل ماء

و حمات البئر أخرجت منه الحمأه و أحماتها ألقيت فيها الحمأه.

ص: ٣٤٠

«إِمَّا أَنْ تُعَذَّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسَيْنًا» أن مع الفعل فى موضع نصب بفعل مضمر كما أن قوله فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً كذلك ويجوز أن يكون أن مع الفعل فى موضع المبتدأ والخبر مضمر أى إما العذاب واقع منك فيهم وإما اتخاذ أمر ذى حسن واقع منك فيهم فحذف الخبر لطول الكلام بالصلة وهذا أظهر والأول عن أحمد بن يحيى.

المعنى

ثم بين سبحانه قصة ذى القرنين فقال «وَيَسْئَلُونَكَ» يا محمد «عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ» أى عن خبره وقصته لا عن شخصه واختلاف فيه فقيل إنه نبي مبعوث فتح الله على يديه الأرض عن مجاهد وعبد الله بن عمر وقيل إنه كان ملكا عادلا و

روى عن على بن أبى طالب (عليه السلام) أنه كان عبدا صالحا أحب الله وأحبه الله وناصح الله وناصحه قد أمر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه ضربه بالسيف فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع إليهم فدعاهم إلى الله فضربوه على قرنه الآخر بالسيف فذلك قرناه وفيكم مثله يعنى نفسه (عليه السلام)

وفى سبب تسميته بذى القرنين أقوال آخر (منها) أنه سمي به لأنه كانت له ضفيرتان عن الحسن (و منها) أنه كان على رأسه شبه القرنين تواريه العمامه عن يعلى بن عبيد و منها أنه بلغ قطرى الأرض من المشرق والمغرب فسمى بذلك لاستيلائه على قرن الشمس من مغربها وقرنها من مطلعها عن الزهرى واختاره الزجاج (و منها) أنه رأى فى منامه أنه دنى من الشمس حتى أخذ بقرنيها فى شرقها وغربها فقص رؤياه على قومه فسموه ذا القرنين عن وهب (و منها) أنه عاش عيش قرنين فانقرض فى وقته قرنان من الناس وهو حى (و منها) أنه كان كريم الطرفين من أهل بيت الشرف من قبل أبيه وأمه قال معاذ بن جبل كان من أبناء الروم واسمه الإسكندر وهو الذى بنى الإسكندريه «قُلْ سَأَتُلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا» معناه قل يا محمد سأقرأ عليكم منه خبرا وقصه «إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ» أى بسطنا يده فى الأرض وملكناه حتى استولى عليها وقام بمصالحها و

روى عن على (عليه السلام) أنه قال سخر الله له السحاب فحمله عليها ومد له فى الأسباب و بسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء فهذا معنى تمكينه فى الأرض

وهو أنه سهل عليه المسير فيها وذل له طريقها وحزونها حتى تمكن منها أنى شاء «وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا» أى فأعطيناه من كل شىء علما يتسبب به إلى إرادته ويبلغ به إلى حاجته عن ابن عباس و قتاده والضحاك وقيل معناه وآتيناه من كل شىء يستعين به الملوكة على فتح البلاد ومحاربه الأعداء عن الجبائى وقيل معناه وآتيناه من كل شىء سبيلا كما قال سبحانه لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ الْأَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ أَى سبلها «فَأَتَّبِعْ سَبَبًا» معناه فاتبع طريقا واحدا فى سلوكه قال الزجاج: معناه فاتبع سببا من الأسباب التى أوتى بها وذلك أنه أوتى من كل شىء سببا فاتبع من تلك الأسباب التى أوتى سببا فى المسير إلى المغرب و من قرأ فاتبع سببا فمعناه

لحق كقوله فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ وَالْأَصْل فِيهِ مَا مَرَّ ذَكَرَهُ فِي الْحَجَّةِ «حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ» أَي مَوْضِعَ غُرُوبِهَا أَنَّهُ انْتَهَى إِلَى آخِرِ الْعِمَارَةِ مِنْ جَانِبِ الْمَغْرِبِ وَبَلَغَ قَوْمًا لَمْ يَكُنْ وَرَاءَهُمْ أَحَدٌ إِلَى مَوْضِعِ غُرُوبِ الشَّمْسِ وَ لَمْ يَرِدْ بِذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَ إِلَى مَوْضِعِ الْغُرُوبِ لِأَنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ أَحَدٌ «وَجَدَهَا تَغْرُبُ» مَعْنَاهُ وَجَدَهَا كَأَنَّهَا تَغْرُبُ «فِي عَيْنِ حِمَيْهِ» وَإِنْ كَانَتْ تَغْرُبُ فِي وَرَائِهَا عَنِ الْجِبَائِيِّ وَابْنِ مُسْلِمٍ وَالْبَلْخِيِّ لِأَنَّ الشَّمْسَ لَا تَزَالُ الْفَلَكَ وَ لَا تَدْخُلُ عَيْنَ الْمَاءِ وَ لِأَنَّهُ قَالَ «وَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا» وَ لَكِنْ لَمَّا بَلَغَ ذُو الْقَرْنَيْنِ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ تَرَاءَى لَهُ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ كَمَا أَنَّ مَنْ كَانَ فِي الْبَحْرِ رَأَى أَنَّهَا كَأَنَّهَا تَغْرُبُ فِي الْمَاءِ وَ مَنْ كَانَ فِي الْبَرِّ يَرَاهَا كَأَنَّهَا تَغْرُبُ فِي الْأَرْضِ الْمَلْسَاءِ وَ الْعَيْنِ الْحَمِيمَةِ هِيَ ذَاتُ الْحَمَاءِ وَ هِيَ الطِّينُ الْأَسْوَدُ الْمُنْتَنُ وَ الْحَامِيهِ الْحَارَهُ وَ عَنِ كَعْبِ قَالَ: أَجَدَهَا فِي التَّوْرَةِ تَغْرُبُ فِي مَاءٍ وَ طِينٍ وَ قَوْلُهُ «وَ وَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا» مَعْنَاهُ وَ وَجَدَ عِنْدَ الْعَيْنِ نَاسًا «قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَ إِمَّا أَنْ نَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسَيْنًا» فِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا كُفَّارًا وَ الْمَعْنَى إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ بِالْقَتْلِ مِنْ أَقَامَ مِنْهُمْ عَلَى الشَّرْكِ وَ إِمَّا أَنْ تَأْسِرَهُمْ وَ تَمْسُكَهُمْ بَعْدَ الْأَمْرِ لِتَعْلَمَهُمُ الْهُدَى وَ تَسْتَنْقِذَهُمْ مِنَ الْعَمَى وَ قِيلَ مَعْنَاهُ وَ إِمَّا أَنْ تَعْفُو عَنْهُمْ وَ اسْتَدَلَّ مِنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ كَانَ نَبِيًّا بِهَذَا قَالَ لِأَنَّ أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَلْمُ إِلَّا بِالْوَحْيِ وَ الْوَحْيُ لَا يَجُوزُ إِلَّا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَ قَالَ الْكَلْبِيُّ: إِنْ اللَّهُ تَعَالَى أَلْهَمَهُمْ وَ لَمْ يُوْحِ إِلَيْهِ وَ قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: إِنْ كَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ نَبِيًّا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لَهُ كَمَا يَقُولُ لِلْأَنْبِيَاءِ إِمَّا بِتَكْلِيمٍ أَوْ بِوَحْيٍ وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا فَإِنَّ مَعْنَى قُلْنَا أَلْهَمْنَا لِأَنَّ الْإِلْهَامَ يَنْبَغُ عَنِ الْوَحْيِ قَالَ سُبْحَانَهُ وَ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَي وَ أَلْهَمْنَاهَا قَالَ قَتَادَةُ فَقَضَى ذُو الْقَرْنَيْنِ فِيهِمْ بِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَ كَانَ عَالِمًا بِالسِّيَاسَةِ «قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ» أَي أَشْرَكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ «فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ» أَي نَقَلْتَهُ إِذَا لَمْ يَرْجِعْ عَنِ الشَّرْكِ «ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ» بَعْدَ قَتْلِ إِيَّاهُ «فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا» أَي مَنَكْرًا غَيْرَ مَعْهُودٍ يَعْنِي فِي النَّارِ وَ هُوَ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ فِي الدُّنْيَا.

[سوره الكهف (١٨): الآيات ٨٨ الى ٩٢]

اشاره

وَ أَمَّا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَى وَ سَيَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلِعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا (٩٠) كَذَلِكَ وَ قَدْ أَحْطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢)

ص: ٣٤٢

قرأ أهل الكوفه غير أبى بكر و يعقوب «فَلَهُ جَزَاءٌ» بالنصب و التوين. و الباكون جزاء الحسنى بالرفع و الإضافه.

الحجه

قال أبو على: من قال فله جزاء الحسنى كان المعنى فله جزاء الخلال الحسنى التى عملها لأن الإيمان و العمل الصالح خلال و من قال «فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسَيْنِ» فالمعنى له الحسنى جزاء فجزاء مصدر وقع موقع الحال أى فله الحسنى مجزيه و قال أبو الحسن: و هذا لا يكاد العرب تتكلم به مقدا إلا فى الشعر.

المعنى

«وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسَيْنِ» مر معناه «وَسَيَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُشِيرًا» أى سنقول له قولاً جميلاً و سنأمره بما يتيسر عليه و لا نؤاخذه بما مضى من كفره «ثُمَّ أَتْبَعَ سَبِيًّا» أى طريقاً آخر من الأرض ليؤديه إلى مطلع الشمس و يوصله إلى المشرق «حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ» أى بلغ موضع ابتداء العماره من الجانب الذى تطلع منه الشمس «وَجَدَهَا تَطَّلِعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا» معناه أنه لم يكن بها جبل و لا شجر و لا بناء لأن أرضهم لم يكن يثبت عليها بناء فكانوا إذا طلعت الشمس يغورون فى المياه و الأسراب و إذا غربت تصرفوا فى أمورهم عن الحسن و قتاده و ابن جريج و

روى أبو بصير عن أبى جعفر (عليه السلام) قال لم يعلموا صنعه البيوت

و قوله «كَذَلِكَ» معناه مثل ذلك القبيل الذى كانوا عند مغرب الشمس فى أن حكمهم حكم أولئك قيل إن معناه أنه أتبع سبياً إلى مطلع الشمس مثل ما أتبع سبياً إلى مغرب الشمس و تم الكلام عند قوله «كَذَلِكَ» ثم ابتداء سبحانه فقال «وَقَدْ أَحْطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا» أى علمنا ما كان عند ذى القرنين من الجيوش و العده و آلات السياسه و قيل معناه أحطنا علماً بصلاحه و استقلاله بما ملكناه قبل أن يفعله كما علمناه بعد أن فعله و لم يخف علينا حاله و فى قوله «بِمَا لَدَيْهِ» إشاره إلى حسن الثناء عليه و الرضا بأفعاله لامتناله أمر الله تعالى فى كل أحواله «ثُمَّ أَتْبَعَ سَبِيًّا» معناه ثم أتبع مسلماً بالغاً مما يبلغه قطراً من أقطار الأرض و هذا يقوى قول من قال إن الأرض كرويه الشكل لأنه لم يأخذ فى الطريق الذى كان قد عاد فيه و إنما أخذ فى طريق آخر.

إشارة

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَحَيْدًا مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَ مَا جُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَ مَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧)

قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَ كَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨)

القراءة

قرأ ابن كثير و أبو عمرو «بَيْنَ السَّدَّيْنِ» و «سَدًّا» بالفتح هنا و فى ياسين بالضم و قرأ أهل الكوفة غير عاصم بين السدين بضم السين و سدا حيث كان بالفتح و قرأ حفص الجميع بالفتح و قرأ الباقون الجميع بالضم كل القرآن و قرأ أهل الكوفة غير عاصم يفتحون بضم الياء و كسر القاف و الباقون بفتح الياء و القاف و قرأ عاصم «يَأْجُوجَ وَ مَا جُوجَ» بالهمزة و مثله فى الأنبياء و قرأ الباقون بغير همزة فيهما فى السورتين و قرأ أهل الكوفة غير عاصم خراجا و فى المؤمنين خراجا فخراج ربك كله بالألف و الباقون «خَرْجًا» بغير ألف فى الموضعين فَخَرَّاجٌ رَبُّكَ بالألف و قرأ ابن كثير ما مكنتى بنونين و الباقون بنون واحده مشدده و قرأ يحيى عن أبى بكر ردا آتوني بالوصل و قرأ حمزه و يحيى عن أبى بكر قال آتوني بالوصل أيضا و الباقون «آتُونِي» بقطع الألف فى الحرفين و قرأ أهل المدينة و الكوفة غير أبى بكر «بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ» بفتح الصاد و الدال و قرأ الباقون بضم الصاد و الدال غير أبى بكر فإنه قرأ بضم الصاد و سكون الدال و قرأ حمزه غير خلاد فما استطاعوا مشدده الطاء و الباقون خفيفه الطاء و قرأ أهل الكوفة «دَكَّاءَ» بالمد و الهمزة و الباقون دكا منونا غير مهموز.

الحجج

قال أبو عبيده: كل شىء وجدته العرب من فعل الله من الجبال و الشعاب فهو سد بالضم و ما بناه الآدميون فهو سد و قال غيره: هما لغتان كالضعف و الضعف و الفقر و الفقر قال أبو على: يجوز أن يكون السد بالفتح مصدرا و السد بالضم المسدود كالأشياء التى يفصل فيها بين المصادر و الأسماء نحو السقى و الشرب و الشرب فإذا كان كذلك فالأشبه بين

السدنين لأنه المسدود و يجوز فيمن فتح السدين أن يجعله اسما للمسدود نحو نسج اليمن و ضرب الأمير بمعنى المنسوج و المضروب و من قرأ لا- يكادون يفقهون فإن فقهت يتعدى إلى مفعول واحد نحو فقهت السنه فإذا نقلته تعدى إلى مفعولين فيكون المعنى فيمن ضم لا يكادون يفقهون أحدا قولاً فحذف أحد المفعولين كما حذف من قوله فَأَتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ و المعنى فَأَتَّبَعُوهم جندهم مشرقين و قوله فَأَتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَ جُنُودُهُ أَي فَأَتَّبَعَهُم فرعون طلبه إياهم أو تتبعه لهم و الحذف فى هذا النحو كثير قال أبو على: يأجوج إن جعلته عربياً فهو يفعول من أج نحو يربوع و من لم يهزم أمكن أن يكون خفف الهمزة فقلبها ألفاً فهو على قوله يفعول أيضاً و إن كانت الألف فى يأجوج ليس على التخفيف فإنه فاعول من ي ج ج فإن جعلت الكلمه من هذا الأصل كانت الهمزة فيها كمن قال ساق و نحو ذلك مما جاء مهموزاً و لم يتبع أن يهزم و يكون الامتناع من صرفه على هذا للتأنيث و التعريف كأنه اسم القبيله كمجوس و أما مأجوج فمن همز فمفعول من أج فالكلمتان على هذا من أصل واحد و من لم يهزم فإنه فاعول من مج فالكلمتان على هذا من أصلين و ليسا من أصل واحد و يكون ترك الصرف فيه أيضاً للتعريف و التأنيث فإن جعلتهما من العجميه فهذه التمثيلات لا- تصح فيهما و إنما امتنعا من الصرف للعجمه و التعريف و قوله «فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً» أى هل نجعل لك عطيه نخرجها إليك من أموالنا و كذلك قوله أَمْ تَشَاءُ لَهُمْ خَرْجاً أى مالا- يخرجونه إليك فأما المضروب على الأرض فالخراج و قد يجوز فى غير ضرائب الأرض الخراج بدلاله قول العجاج:

(يوم خراج يخرج السمرجا)

فهذا ليس على الضرائب التى ألزمت الأرضين لأن ذلك لا يضاف إلى وقت من يوم و غيره و إنما هو شىء مؤبد لا يتغير و قوله «ما مَكَّنِي» بإظهار المثلين فلأن الثانى منهما غير لازم لأنك قد تقول قد مكنتك و مكنته فلا تلزم النون فلما لم تلزم لم يعتد بها كما أن التاء فى اقْتَتَلُوا* كذلك و من أدغم لم ينزله منزله ما لا يلزم فأدغم كما أن من قال قتلوا فى اقتتلوا كان كذلك قال أبو على: و مكن مكانه فهو مكين فعل غير متعد فإذا ضعفت العين عديته بذلك و حجه من قرأ ردما ايتونى ايتونى أن أشبه ب «فَأَعْيُونِي بِقُوِّهِ» لأنه كلفهم المعونه على عمل السد و لم يقبل الخرج الذى بذلوه له و قوله «ايتونى» الذى معناه جيئونى إنما هو معونه على ما كلفهم فى قوله «فَأَعْيُونِي بِقُوِّهِ» و أما آتونى فمعناه أعطونى، فأعطونى يجوز أن يكون على المناوله و يجوز أن يكون على الاتهاب و ائتونى المقصوره لا- يحتمل إلا- جيئونى فيكون أحسن هنا لاختصاصه بالمعونه فقط دون أن يكون سؤال عين و العطيه قد تكون هبه قال:

ص: ٣٤٥

و منا الذى أعطى الرسول عطيه أسارى تميم و العيون دوامع

فالعطيه تجرى مجرى الهبه لهم و الإنعام عليهم فى فك الأسر و قد تكون بمعنى المناوله و وجه قراءه من قرأ «آتونى» أنه لم يرد بآتونى العطيه و الهبه و لكن تكليف المناوله بالأنفس كما كان قراءه من قرأ ايتونى لا يصرف إلى استدعائه تمليك عين بهبه و لا بغيرها فأما انتصاب «زُبَرَ الْحَدِيدِ» فإنك تقول آتيك بدرهم قال:

أتيت بعدد الله فى القيد موثقا فهلا سعيدا ذا الخيانه و الغدر

فيصل الفعل إلى المفعول الثانى بحرف جر ثم يجوز أن يحذف الحرف اتساعا فيصل الفعل إلى المفعول الثانى على حد أمرتك الخير و نحوه و الصدف و الصدف و الصدف لغات فاشيه قال أبو عبيده: الصدفان جنبتا الجبل و من قرأ ائتونى أفرغ عليه قطرا فمعناه جيئونى به كما قلناه فى ائتونى زبر الحديد فى اتصال الفعل إلى المفعول الثانى بحرف الجر إلا أنه أعمل الفعل الثانى فلو أعمل الفعل الأول لكان ائتونى أفرغه عليه بقطر إلا أن يقدر أن الفعل يصل إلى المفعول الثانى بلا حرف كما كان كذلك فى قوله «ائتونى زبر الحديد» و جميع ما مر بنا فى التنزيل من هذا النحو إنما هو على إعمال الثانى كما يختاره سيبويه فمن ذلك قوله يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ و منه قوله هَاؤُمُ اقْرَؤْا كِتَابِيَهُ و وجه من قرأ «آتونى» إن المعنى ناولونى قطرا أفرغ عليه قطرا إلا أنه أعمل الثانى من الفعلين كما أعمل الثانى من قصر ائتونى و قراءه حمزه «فما اسطاعوا» إنما هو على إدغام التاء فى الطاء و لم يلق حركتها على السين فيحرك ما لا يتحرك و لكن أدغم مع أن الساكن الذى قبل المدغم ليس حرف مد و قد قرأت القراء غير حرف من هذا النحو و قد تقدم ذكر وجه هذا النحو و مما يؤكد ذلك أن سيبويه أنشد:

كأنه بعد كلال الزاجر و مسحه مر عقاب كاسر

و الحذف فى اسطاعوا و الإثبات فى اسطاعوا كل واحد منهما أحسن من الإدغام على هذا الوجه الذى هو جمع بين السين الساكنه و التاء المدغمه و هى ساكنه أيضا و أما قوله جعله دكا فإنه يحتمل أمرين (أحدهما) أنه لما قال جعله دكا كان بمنزله خلق و عمل فكأنه قال دكا دكا فحمله على الفعل الذى دل عليه قوله «جَعَلَهُ» و الوجه الآخر أن يكون جعله ذا دك فحذف المضاف و يمكن أن يكون حالا فى هذا الوجه و من قرأ «دَكَاء» فعلى حذف المضاف كأنه جعله

مثل دكاء قالوا ناقة دكاء أى لا سنام لها و لا بد من تقدير الحذف لأن الجبل مذكر فلا يوصف بدكاء.

اللغة

السد وضع ما ينتفى به الخرق يقال سده يسده و منه سدد السهم لأنه سد عليه طرق الاضطراب و منه السداد الصواب و الردم السد و الحاجز يقال ردم فلان موضع كذا يردمه ردما و الثوب المردم الخلق المرقع و منه قول عنترة:

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

أى هل تركوا من قول يؤلف تأليف الثوب المرقع و الزبره الجملة المجتمعه من الحديد و الصفر و نحوهما و أصله الاجتماع و منه الزبور و زبرت الكتاب إذا كتبتك لأنك جمعت حروفه قال أبو عبيده: القطر الحديد المذاب و أنشد:

حسام كلون الملح صاف حديده جراز من أقطار الحديد المنعت

و أصله من القطر لأن الرصاص و الحديد إذا أذيب قطر كما يقطر الماء و فى استطاع ثلاث لغات استطاع يستطيع و استطاع يستطيع و استطاع يستطيع و استطاع يستطيع بحذف الطاء استثقلوا اجتماعهما و هما من مخرج واحد فأما استطاع يستطيع بقطع الألف و هو أطاع أفعل فزادوا السين عوضا من ذهاب حركه الواو لأن أصل أطاع أطوع و مثله أهراق يهريق زادوا الهاء فى أراق يريق و ليس هذا العوض بلازم ألا ترى أن ما كان نحوه لم يلزمه هذا العوض.

المعنى

«حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ» ثم أخبر سبحانه عن حال ذى القرنين بعد منصرفه عن المشرق أنه سلك طريقا إلى أن بلغ بين السدين و وصل إلى ما بينهما و هما الجبلان اللذان جعل الردم بينهما و هو الحاجز بين يأجوج و مأجوج و من وراءهم عن ابن عباس و قتاده و الضحاك و قيل أراد بالسدين الموضع الذى فيه السدان اليوم لأنه لو كان هناك سد لم يكن لطلبهم السد معنى و السد الموضع المسدود لا- المنفتح «وَحَدَّ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا» أى خصوا بلغه كادوا لا يعرفون غيرها قال ابن عباس: كادوا لا يفقهون كلام أحد و لا يفهم الناس كلامهم و إنما قال «لَا يَكَادُونَ» لأنهم فهموا بعض الأشياء عنهم و إن كان بعد شده و لذلك حكى الله عنهم أنهم «قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ» و يجوز أن يكون الله سبحانه فهم ذا القرنين لسانهم كما فهم سليمان (عليه السلام)

منطق الطير أو قالوا له بترجمان أن يأجوج و مأجوج مفسدون في أرضهم و فسادهم أنهم كانوا يخرجون فيقتلونهم و يأكلون لحومهم و دوابهم و قيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا- يدعون شيئاً أخضر إلا- أكلوه و لا يابسا إلا احتملوه عن الكلبى و قيل أرادوا أنهم سيفسدون في المستقبل عند خروجهم و

ورد في الخبر عن حذيفة قال سألت رسول الله ص عن يأجوج و مأجوج فقال يأجوج أمه و مأجوج أمه كل أمه أربعمائه أمه لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كل قد حمل السلاح قلت يا رسول الله صفهم لنا قال هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرز قلت يا رسول الله و ما الأرز قال شجر بالشام طوال و صنف منهم طولهم و عرضهم سواء و هؤلاء الذين لا يقوم لهم خيل و لا حديد و صنف منهم يفترش إحدى أذنيه و يلتحف بالأخرى و لا يمرون بفيل و لا وحش و لا جمل و لا خنزير إلا أكلوه و من مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام و ساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق و بحيره طبريه

قال وهب و مقاتل أنهم من ولد يافث بن نوح أبى الترك و قال السدى الترك سريه من يأجوج و مأجوج خرجت تغير فجاء ذو القرنين فضرب السد فبقيت خارجه و قال قتاده إن ذا القرنين بنى السد على إحدى و عشرين قبيله و بقيت منهم قبيله دون السد فهم الترك و قال كعب هم نادره فى ولد بنى آدم و ذلك أن آدم (عليه السلام) احتلم ذات يوم و امتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء يأجوج و مأجوج فهم متصلون بنا من جهة الأب دون الأم و هذا بعيد و قوله «فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا» أو خراجا معناه فهل نجعل لك بعضا من أموالنا «على أن تجعل بيننا و بينهم سدا» أى حائطا و قيل فى الفرق بين الخرج و الخراج أن الخراج اسم لما يخرج من الأرض و الخرج اسم لما يخرج من المال و قيل الخراج الغله و الخرج الأجره و قيل الخراج ما يؤخذ عن الأرض و الخرج ما يؤخذ عن الرقاب قاله أبو عمرو و قيل الخراج ما يؤخذ فى كل سنه و الخرج ما يؤخذ دفعه عن تغلب «قال» ذو القرنين «ما مكنى فيه ربى خير» أى أعطانى ربى من المال و مكنى فيه من الاتساع فى الدنيا خير مما عرضتموه على من الأجر «فأعينونى بقوه» أى برجال فيكون معناه بقوه الأبدان و قيل بعمل تعملونه معى عن الزجاج و قيل بآله العمل و ذلك زبر الحديد و الصفر «أجعل بينكم و بينهم رذما» أى سدا و حاجزا قال ابن عباس:

الردم أشد الحجاب و قيل هو السد المتراكب بعضه على بعض «أتونى زبر الحديد» أى أعطونى قطع الحديد أو جيئا بقطع الحديد على القراءه الأخرى و فى الكلام حذف و هو أنهم أتوه بما طلبه منهم من زبر الحديد ليعمل الردم فى وجوه يأجوج و مأجوج فبناه «حتى إذا ساوى بين الصدفين» أى سوى بين جانبى الجبل بما جعل بينهما من الزبر قال الأزهري:

يقال لجانبى الجبل صدقان لتصادفهما أى تحاذيهما و تلاقيهما و قيل هما جبلان كل واحد

منهما منعدل عن الآخر كأنه قد صدف عنه و قوله «قَالَ انْفُخُوا» معناه قال ذو القرنين انفخوا النار على الزير أمرهم أن يؤتى بمنافخ الحدادين فينفخوا في نار الحديد التي أوقدت فيه «حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا» أى حتى إذا جعل الحديد كالنار فى منظره من الحمى و اللهب فصار قطعه واحده لزم بعضها بعضا «قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا» أى أعطونى نحاسا مذابا أو صفرا مذابا أو حديدا مذابا أصبه على السدين الجبلين حتى ينسد الثقب الذى فيه و يصير جدارا مصمتا فكانت حجارته الحديد و طينه النحاس الذائب عن ابن عباس و مجاهد و الضحاك قال قتاده: فهو كالبرد المحبر طريقه سوداء و طريقه حمراء «فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ» معناه فلما تم لم يستطع يأجوج و مأجوج أن يعلوه و يصعدوه يقال ظهرت السطح إذا علوته «وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا» أى و لم يستطيعوا أن ينقبوا أسفله لكثافته و صلابته و نفى بذلك كل عيب يكون فى السد و قيل أن هذا السد وراء بحر الروم بين جبلين هناك يلى مؤخرهما البحر المحيط و قيل أنه وراء دربند و خزران من ناحيه أرمينيه و أذربيجان و قيل أن مقدار ارتفاع السد مائتا ذراع و عرض الحائط نحو من خمسين ذراعا «قَالَ» ذو القرنين «هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي» أى هذا السد نعمه من الله لعباده أنعم بها عليهم فى دفع شر يأجوج و مأجوج عنهم «فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي» يعنى إذا جاء وقت أشراط الساعة و وقت خروجهم الذى قدره الله تعالى «جَعَلَهُ دَكَّاءَ» أى جعل السد أرضا مستويا مع الأرض مدكوكا أو ذا دك و إنما يكون ذلك بعد قتل عيسى بن مريم الدجال عن ابن مسعود و

جاء فى الحديث أنهم يدأبون فى حفره نهارهم حتى إذا أمسوا و كادوا يبصرون شعاع الشمس قالوا نرجع غدا و نفتحه و لا يستثنون فيعودون من الغد و قد استوى كما كان حتى إذا جاء وعد الله قالوا غدا نفتح و نخرج إن شاء الله فيعودون إليه و هو كهيبته حين تركوه بالأمس فيخرقونه و يخرجون على الناس فينشفون المياه و يتحصن الناس فى حصونهم منهم فيرمون سهامهم إلى السماء فترجع و فيها كهيبته الدماء فيقولون قد قهرنا أهل الأرض و علونا أهل السماء فيبعث الله عليهم نغفا فى أقفائهم فيدخل فى آذانهم فيهلكون بها فقال النبى ص: و الذى نفس محمد بيده أن دواب الأرض لتسمن و تسكر من لحومهم سكرًا

و فى تفسير الكلبي أن الخضر و اليسع يجتمعان كل ليله على ذلك السد يحجبان يأجوج و مأجوج عن الخروج «وَ كَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا» أى و كان ما وعد الله بأن يفعله لا بد من كونه فإنه حق إذ لا يجوز أن يخلف وعده.

إشارة

وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا (١٠٠) الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنِ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْمَعُونَ سَمْعًا (١٠١) أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (١٠٢) قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣)

الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا (١٠٥) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوءًا (١٠٦)

القراءة

قرأ أبو بكر في روايه الأعمش و البرجمي عنه و زيد عن يعقوب

أ فحسب الذين كفروا برفع الباء و سكون السين و هو قراءة أمير المؤمنين (عليه السلام)

و ابن يعمر و الحسن و مجاهد و عكرمه و قتاده و الضحاك و ابن أبي ليلى و هذا من الأحرف التي اختارها أبو بكر و خالف عاصما فيها و ذكر أنه أدخلها في قراءة عاصم من قراءة أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى استخلص قراءته و قرأ الباقيون «أ فحسب» بكسر السين و فتح الباء.

الحج

قال ابن جنى: معناه أ فحسب الكافرين و حظهم و مطلوبهم أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء بل يجب أن يعبدوا أنفسهم مثلهم فيكون كلهم عبيدا و أولياء لى و نحوه قوله تعالى وَ تِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَيْنِي إِسْرَائِيلَ أى اتخذتهم عبيدا لك و هذا أيضا هو المعنى إذا كانت القراءة أ فحسب الذين كفروا إلا أن حسب ساكنه السين أذهب فى الدم لهم و ذلك لأنه جعله غايه مرادهم و مجموع مطلوبهم و ليست القراءة الأخرى كذلك.

اللغة

الترك التخليه و التريكه بيضه النعام كأنها تركت بالعراء و التريكه أيضا الروضه يغفلها الناس فلا يرعونها و الترك ضد الأخذ و الترك فى الحقيقه لا يجوز على الله تعالى و إنما

يجوز على العاذر بعذره إلا- أنه يتوسع فيه فيعبر فيه عن الإخلال بالشىء بالترك و الموج اضطراب الماء بتراكب بعضه على بعض و النزول ما يهياً للنزول و هو الضيف قال الشاعر:

نزول القوم أعظمهم حقوقاً و حق الله في حق النزول

و طعام ذو نزل و نزل بفتح النون و الزاء أيضا ذو فضل.

الإعراب

«أَنْ يَتَّخِذُوا» فى موضع نصب بوقوع حسب عليه و من قرأ فحسب بالرفع و سكون السين فأن يتخذوا فى موضع رفع أعمالاً منصوب على التمييز لأنه لما قال «بِالْأَخْسِرِينَ» كان مبهما لا يدل على ما خسروه فبين ذلك الخسران فى أى نوع وقع و الذين يصلح أن يكون فى موضع جر على الصفة للأخسرين و يصلح أن يكون فى موضع رفع على الاستئناف أى هم الذين ضل سعيهم.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن حال تلك الأمم فقال «و تَرَكَنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ» أى و تركنا يأجوج و مأجوج يوم انقضاء أمر السد يموجون فى الدنيا مختلطين لكثرتهم و يكون حالهم كحال الماء الذى يتموج باضطراب أمواجه و قيل إنه أراد سائر الخلق من الجن و الإنس أى و تركناهم يوم خروج يأجوج و مأجوج يختلطون بعضهم ببعض لأن ذلك علم للساعة ثم ذكر سبحانه نفخ الصور فقال «و نُفِخَ فِي الصُّورِ» لأن خروج يأجوج و مأجوج من أشرط الساعة و اختلف فى الصور فليل هو قرن ينفخ فيه عن ابن عباس و ابن عمر و قيل هو جمع صوره فإن الله سبحانه يصور الخلق فى القبور كما صورهم فى أرحام الأمهات ثم ينفخ فيهم الأرواح كما نفخ و هم فى أرحام أمهاتهم عن الحسن و أبى عبيده و قيل إنه ينفخ إسرائيل فى الصور ثلاث نفخات فالنفخة الأولى نفخة الفرع و الثانية نفخة الصعق التى يصعق من فى السماوات و الأرض بها فيموتون و الثالثة نفخة القيام لرب العالمين فيحشر الناس بها من قبورهم «فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا» أى حشرنا الخلق يوم القيامة كلهم فى صعيد واحد «و عَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا» أى أظهرنا جهنم و أبرزناها لهم حتى شاهدوها و رأوا ألوان عذابها قبل دخولها ثم وصف الكافرين فقال «الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي» ذكر سبحانه السبب الذى استحقوا به النار يعنى الذين غفلوا عن الاعتبار بقدرتى الموجب لذكرى و أعرضوا عن التفكير فى آياتى و دلائلى فصاروا بمنزله من يكون فى عينه غطاء يمنعه من الإدراك «و كَانُوا لَا يَشْعُرُونَ سَمْعًا» أى و كان يثقل عليهم سماع القرآن و ذكر الله تعالى كما يقال فلان لا يستطيع النظر إليك و لا يستطيع أن يسمع كلامك أى يثقل عليه ذلك و أراد بالعين هنا عين القلب كما يضاف العمى إلى القلب «أَفَحَسِبَ الَّذِينَ

كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ» معناه أ فحسب الذين جحدوا توحيد الله أن يتخذوا من دوني أربابا ينصرونهم و يدفعون عقابي عنهم و المراد بالعباد المسيح و الملائكة الذين عبدوهم من دون الله و هم براء منهم و من كل مشرك بالله تعالى و قيل معناه أ فحسب الذين كفروا أن يتخذوا من دوني آلهه و أنا لا أغضب لنفسي عليهم و لا أعاقبهم عن ابن عباس و يدل على هذا المحذوف قوله «إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا» أى منزلاً- عن الزجاج و هو معنى قول ابن عباس يريد هى مثواهم و مصيرهم و قيل معناه إنا جعلنا جهنم معدة مهياه للكافرين عندنا كما يهيا النزل للضيف «قُلْ» يا محمد «هَلْ نُنَبِّئُكُمْ» أى هل نخبركم «بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا» أى بأخسر الناس أعمالا و المعنى بالقوم الذين هم أخسر الناس فيما عملوا و هم كفار أهل الكتاب اليهود و النصرى «الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلَهُمْ» أى بطل عملهم و اجتهدهم «فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا» أى يظنون أنهم بفعلهم محسنون و أن أفعالهم طاعة و قربه و

روى العياشى بإسناده قال قام ابن الكواء إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فسأله عن أهل هذه الآية فقال أولئك أهل الكتاب كفروا بربهم و ابتدعوا فى دينهم فحبطت أعمالهم و ما أهل النهر منهم ببعيد يعنى الخوارج

«أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَ لِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ» أى جحدوا بحجج الله و بيناته و لقاء جزائه فى الآخرة فبطلت و ضاعت أعمالهم التى عملوها لأنهم أوقعوها على خلاف الوجه الذى أمرهم الله به «فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا» أى لا قيمة لهم عندنا و لا كرامه و لا نعتد بهم بل نستخف بهم و نعاقبهم تقول العرب ما لفلان عندنا وزن أى قدر و منزله و يوصف الجاهل بأنه لا وزن له لخفته بسرعه بطشه و قله تثبته و

روى فى الصحيح أن النبى ص قال إنه لياتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن جناح بعوضه

«ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ» معناه الأمر ذلك الذى ذكرت من حبوط أعمالهم و خيبة قدرهم ثم ابتداء سبحانه فقال جزاؤهم جهنم «بِمَا كَفَرُوا وَ اتَّخَذُوا آيَاتِي وَ رُسُلِي هُزُوءًا» أى بكفرهم و اتخاذهم آياتى أى أدلتى الداله على توحيدى يعنى القرآن و رسلى هزوا أى مهزوءا به.

إشارة

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفُردُوسِ نُزُلًا- (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨) قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم أن ينفذ بالياء و الباقون «تَنفَدَ» بالتاء و في الشواذ قراءة ابن عباس و ابن مسعود و مجاهد و سليمان التيمي و لو جئنا بمثله مدادا.

الحجج

قال أبو علي: تنفذ بالتاء أحسن لأن المسند إليه للفعل مؤنث و المذكر حسن أيضا لأن التأنيث ليس بحقيقي و من قرأ «مَدَدًا» فهو منصوب على الحال كما يقال جئتكَ بزيد عوننا لك و مددا لك و يجوز أن ينتصب على المصدر بفعل مضمر يدل عليه قوله «و لَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ» فكأنه قال أمددنا به إمدادا ثم وضع مددا موضع إمدادا و قال الزجاج: هو منصوب على التمييز و من قال جئنا بمثله مدادا فإنه ينتصب على التمييز و المعنى بمثله من المداد و يكون مثل قولك لى مثله عبدا أى من العبيد و على التمره مثلها زبدا أى من الزبد.

اللغة

الفردوس البستان الذى يجتمع فيه التمر و الزهر و سائر ما يمتع و يلذ قال الزجاج: هو البستان الذى يجمع محاسن كل بستان قال و قال قوم أن الفردوس الأودية التى تنبت ضروبا من النبت و قالوا هو بالرومية منقول إلى لفظ العرييه و لم نجده فى أشعار العرب إلا فى بيت حسان:

فإن ثواب الله كل موحد جنان من الفردوس فيها يخلد

و الحول التحول يقال قد حال من مكانه حولا- كما قالوا فى المصادر صغر صغرا و عظم عظما و عاد فى حبها عودا و قيل إن الحول أيضا الحيلة و قيل أن الحول بمعنى التحويل يقال حولوا عنها تحويلا و حولا عن الأزهري و ابن الأعرابي و المداد التى يكتب به و المدد المصدر و هو مجىء شىء بعد شىء و الكلمه الواحده من الكلام و قد يقال للقصيد كلمه لأنها قطعته واحده من الكلام و مما يسأل عنه فيقال إن الكلمات لأقل العدد فكيف جاء بها هاهنا و الجواب أن العرب تستغنى بالجمع القليل عن الجمع الكثير و بالكثير عن القليل قال الله تعالى وَ هُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ و الغرف فى الجنه أكثر من أن تحصى و قال هُم دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ و قال حسان:

لنا الجففات الغر يلمعن فى الضحى و أسيافنا يقطرن من نجده دما

و كان أبو على الفارسى ينكر الحكايه التى تروى عن النابغه و أنه قال لحسان: قلت جففاتكم و أسيافكم فقال لا يصح هذا عن النابغه.

الإعراب

إن جعلت «نُزُلًا» بمعنى المنزل فهو خبر كان على ظاهره و إن جعلته بمعنى ما يقام للنازل قدرت المضاف على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس و نعيمهما نزلا و يجوز أن يكون نزلا جمع نازل فيكون نصبا على الحال من الضمير فى لهم و معنى كان أنه كان فى علم الله تعالى قبل أن يخلقوا عن ابن الأنبارى و قوله «فَلْيَعْمَلْ» يجوز كسر اللام و إسكانها و الأصل الكسر إلا أنه فى يثقل اللفظ.

المعنى

لما تقدم ذكر حال الكافرين عقبه سبحانه بذكر حال المؤمنين فقال «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا الله و رسوله «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ» أى كان فى حكم الله و علمه لهم بساتين الفردوس و هو أطيب موضع فى الجنة و أوسطها و أفضلها و أرفعها عن قتاده و قيل هو الجنة الملتفه الأشجار عن قتاده و قيل هو البستان الذى فيه الأعتاب عن كعب و

روى عباده بن الصامت عن النبى ص قال الجنة مائه درجه ما بين كل درجتين كما بين السماء و الأرض الفردوس أعلاها درجه منها تفجر أنهار الجنة الأربعة فإذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس

«نُزُلًا» أى منزلا- و مأوى و قيل ذات نزول «خَالِدِينَ فِيهَا» أى دائمين فيها «لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا» أى لا يطلبون عن تلك الجنات تحولا إلى موضع آخر لطيبتها و حصول مرادهم فيها ثم أمر سبحانه نبيه ص فقال «قُلْ» يا محمد لجميع المكلفين «لَوْ كَانَ الْبَحْرُ» و هو اسم الجنس أى لو كان البحر بمائه «مَدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي» أى مدادا ليكتب به ما يقدر الله عليه من الكلام و الحكم و قيل أراد بالكلمات ما يقدر سبحانه على أن يخلقه من الأشياء و يأمر به كما قال فى عيسى (عليه السلام) وَ كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى

مَزِيَمٍ وَقِيلَ أَرَادَ بِالْكَلِمَاتِ مَا وَعَدَ لِأَهْلِ الثَّوَابِ وَأُوعِدَ لِأَهْلِ الْعِقَابِ عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ «لَنْفَدَ الْبَحْرُ» أَيْ لَفَنِي مَاءَ الْبَحْرِ «فَقِيلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي» وَقِيلَ أَنْ كَلِمَاتِهِ الْمُرَادُ بِهَا مَقْدُورَاتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَعَجَائِبِهِ وَقَوْلُهُ «وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا» أَيْ وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِ الْبَحْرِ مَدَدًا لَهُ أَيْ عَوْنَا وَزِيَادَهُ لَمَا نَفَدَ ذَلِكَ وَقِيلَ أَرَادَ بِكَلِمَاتِ رَبِّي مَعَانِي كَلِمَاتِ رَبِّي وَفَوَائِدَهَا وَهِيَ الْقُرْآنُ وَسَائِرُ كِتَابِهِ وَلَمْ يَرِدْ بِذَلِكَ أَعْيَانُ الْكَلِمَاتِ لِأَنَّهُ قَدْ فَرَّغَ مِنْ كِتَابَتِهَا فَيَكُونُ تَقْدِيرُ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكُنَّا بِمَعَانِي كَلِمَاتِ رَبِّي لِنَفِدِ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كِتَابُهُ مَعَانِي كَلِمَاتِ رَبِّي فَحُذِفَ لِأَنَّ الْمَعْنَى مَفْهُومٌ وَالْمَدَادُ هُوَ الْجَائِي وَالْآتِي شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: سُمِّيَ الْمَدَادُ مَدَادًا لِإِمْدَادِهِ الْكَاتِبَ وَيُقَالُ لِلزَّيْتِ الَّذِي يُوقَدُ بِهِ السَّرَاجُ مَدَادًا وَرَوَى عِكْرَمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَا نَزَلَ قَوْلُهُ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا قَالَتِ الْيَهُودُ أُوتِينَا عِلْمًا كَثِيرًا أُوتِينَا التَّوْرَةَ وَفِيهَا عِلْمٌ كَثِيرٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ وَلِذَلِكَ قَالَ الْحَسَنُ: أَرَادَ بِالْكَلِمَاتِ الْعِلْمَ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِكُ وَلَا يَحْصِي وَنَظِيرُهُ «لَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ الْآيَةَ ثُمَّ قَالَ «قُلْ» يَا مُحَمَّدُ «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ» قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: عَلَّمَ اللَّهُ نَبِيَّهِ التَّوَاضُعَ لِثَلَاثِ زُهَيٍّ عَلَى خَلْقِهِ فَأَمَرَهُ أَنْ يَقْرَأَ عَلَى نَفْسِهِ بِأَنَّهُ آدَمِيٌّ كَغَيْرِهِ إِلَّا أَنَّهُ أَكْرَمُ بِالْوَحْيِ وَهُوَ قَوْلُهُ «يُوحَى إِلَيَّ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ» لَا شَرِيكَ لَهُ أَيْ لَا فَضْلَ لِي عَلَيْكُمْ إِلَّا بِالْإِيمَانِ وَالنَّبُوَّةِ وَلَا عِلْمَ لِي إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ تَعَالَى «فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ» أَيْ فَمَنْ كَانَ يَطْمَعُ فِي لِقَاءِ ثَوَابِ رَبِّهِ وَيَأْمَلُهُ وَيَقْرَأُ بِالْبَعْثِ إِلَيْهِ وَالْوَقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ فَمَنْ كَانَ يَخْشَى لِقَاءَ عِقَابِ رَبِّهِ وَقِيلَ إِنَّ الرَّجَاءَ يَشْتَمِلُ عَلَى كَلَا الْمَعْنِيِّينَ الْخَوْفَ وَالْأَمَلَ وَأَنْشَدَ فِي ذَلِكَ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

فَلَا كُلَّ مَا تَرْجُو مِنَ الْخَيْرِ كَائِنًا وَلَا كُلَّ مَا تَرْجُو مِنَ الشَّرِّ وَاقِعًا

«فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا» أَيْ خَالِصًا لِلَّهِ تَعَالَى يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَيْهِ «وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» غَيْرُهُ مِنْ مَلَكٍ أَوْ بَشَرٍ أَوْ حَجَرٍ أَوْ شَجَرٍ عَنِ الْحَسَنِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ لَا يَرَأَى فِي عِبَادَتِهِ أَحَدًا عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ وَ

قَالَ مُجَاهِدٌ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنِّي أَتَصَدَّقُ وَأَصِلُ الرَّحِمَ وَلَا أَصْنَعُ ذَلِكَ إِلَّا لِلَّهِ فَيَذَكُرُ ذَلِكَ مِنِّي وَأَحْمَدُ عَلَيْهِ فَيَسْرُنِي ذَلِكَ وَأَعْجَبَ بِهِ فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا فَتَزَلَّتِ الْآيَةُ

قَالَ عَطَاءٌ:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ «وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» وَلَمْ يَقُلْ وَلَا يَشْرِكْ بِهِ لِأَنَّهُ أَرَادَ الْعَمَلَ الَّذِي يَعْمَلُ اللَّهُ وَيَحِبُّ أَنْ يَحْمَدَ عَلَيْهِ قَالَ وَلِذَلِكَ يَسْتَحِبُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يَدْفَعَ صَدَقَتَهُ إِلَى غَيْرِهِ لِيَقْسِمَهَا كَيْلًا يَعْظُمُهُ مِنْ يَصِلُهُ بِهَا وَ

رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءَ عَنِ الشُّرْكَاءِ فَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَأَنَا مِنْهُ

ص: ٣٥٥

برىء فهو للذى أشرك) أورده مسلم فى الصحيح

و

روى عن عباده بن الصامت و شداد بن أوس قالا سمعنا رسول الله ص يقول من صلى صلاه يرائى بها فقد أشرك و من صام صوما يرائى به فقد أشرك ثم قرأ هذه الآيه

و

روى أن أبا الحسن الرضا (عليه السلام) دخل يوماً على المأمون فرآه يتوضأ للصلاه و الغلام يصب على يده الماء فقال لا تشرك بعباده ربك أحداً فصرف المأمون الغلام و تولى إتمام وضوئه بنفسه

وقيل إن هذه الآيه آخر آيه نزلت من القرآن و

روى الشيخ أبو جعفر بن بابويه بإسناده عن عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده عن علي (عليه السلام) قال ما من عبد يقرأ «قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ» إلى آخره إلا- كان له نورا فى مضجعه إلى بيت الله الحرام فإن كان من أهل البيت الحرام كان له نورا إلى بيت المقدس

و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) ما من أحد يقرأ آخر الكهف عند النوم إلا يتيقظ فى الساعه التى يريد بها.

النظم

وجه اتصال الآيه الثانيه و هى قوله «قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّى» بما قبلها أنه لما تقدم الأمر و النهى و الوعد و الوعيد و عقب ذلك سبحانه ببيان أن مقدراته لا تنهاى و أنه قادر على ما يشاء فى أفعاله و أوامره على حسب المصالح فمن الواجب على المكلف أن يمثل أمره و نهيه و يثق بوعدده و يتقى وعيده.

ص: ٣٥٦

اشاره

[توضيح]

و هي مكيه بالإجماع.

عدد آياتها

و هي ثمان و تسعون آيه عراقى شامى و المدنى الأول و تسع مكى و المدنى الأخير.

اختلافها

ثلاث آيات «كهيعص» كوفى «الرَّحْمَنُ مَدًّا» غير الكوفى «فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ» مكى و المدنى الأخير.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأها أعطى من الأجر بعدد من صدق بزكريا و كذب به و يحيى و مريم و عيسى و موسى و هارون و إبراهيم و إسحاق و يعقوب و إسماعيل عشر حسنات و بعدد من دعى لله ولدا و بعدد من لم يدع له ولدا

و

قال الصادق (عليه السلام) من أدمن قراءه سورة مريم لم يمت فى الدنيا حتى يصيب منها ما يغنيه فى نفسه و ماله و ولده و كان فى الآخرة من أصحاب عيسى بن مريم (عليه السلام) و أعطى من الأجر فى الآخرة ملك سليمان بن داود فى الدنيا.

تفسيرها

ختم الله سبحانه سورة الكهف بذكر التوحيد و الدعاء إليه و افتتح هذه السوره بذكر الأنبياء الذين كانوا على تلك الطريقه بعثا على الاقتداء بهم و الاهتداء بهديهم و حثا عليه فقال:

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كهيعص (١) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤)

وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦)

القراءة

قرأ أبو عمرو وكهيعص بإمالة ها وفتح يا وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان وحمزه و خلف بفتح ها وإمالة يا وقرأ الكسائي بإمالة ها ويا وروى ذلك عن اليزيدي عن أبي عمرو و عن يحيى عن أبي بكر و الباقون بفتحها وقرأ أبو عمرو و الكسائي يرثنى و يرث بالجزم فيهما و الباقون بالرفع فيهما و فى الشواذ قراءة الحسن ذكر رحمه ربك و قراءة عثمان و ابن عباس و زيد بن ثابت و

على بن الحسين و محمد بن على الباقر و ابن يعمر و سعيد بن جبير و إنى خفت الموالى

بفتح الخاء و تشديد الفاء و كسر التاء و

قراءة على بن أبى طالب (عليه السلام) و ابن عباس و جعفر بن محمد و ابن يعمر و الحسن و الجحدري و قتاده و أبى نهيك يرثنى و أرث من آل يعقوب.

الحج

قال أبو على: القول فى إمالة هذه الحروف أنها لا تمتنع لأنها ليست بحروف معنى و إنما هى أسماء لهذه الأصوات قال سيبويه: قالوا بإمالاتها لأنها أسماء لما يتهجى به فجازت فيها الإمالة كما جازت فى الأسماء و يدللك على أنها أسماء أنك إذا أخبرت عنها أعربتھا و إن كنت لا تعربها قبل ذلك كما أن أسماء العدد إذا أخبرت عنها أعربتھا فكما أن أسماء العدد قبل أن تعربها أسماء فكذلك هذه الحروف و إذا كانت أسماء ساغت الإمالة فيها فأما من لم يمل فعلى مذهب أهل الحجاز و كلهم أخفى نون عين إلا حفصا فإنه بين النون و قال أبو عثمان: و بيان النون مع حروف الفم لحن إلا أن هذه الحروف تجرى على الوقف عليها و القطع لها عما بعدها فحكمها البيان و أن لا تخفى فكذلك أسماء العدد حكمها على الوقف و على أنها منفصلة عما بعدها و مما يبين أنها على الوقف أنهم قالوا ثلاثه أربعة نقلوا حركة الهمزة إلى الهاء لسكونها و لم يقبلوها تاء و إن كانت موصولة لما كانت النية بها الوقف فكذلك النون ينبغى أن تبين لأنها فى نية الوقف و الانفصال مما بعدها و لمن لم يبين أن يستدل بتركهم قطع الهمزة فى الم الله أ لا ترى أن الهمزة لم تقطع و إن كان ما هى منه فى تقدير الانفصال مما قبله فكذلك لم يبين النون من عين

لأنها جعلت في حكم الاتصال كما

ص: ٣٥٨

كانت الهمزة فيما ذكرنا كذلك قال أبو الحسن: التبيين يعنى تبيين النون أجود فى العربيه لأن حروف الهجاء و العدد يفصل بعضها من بعض قال و عامه القراء على خلاف التبيين و وجهه الرفع فى قوله «بِرِثْنِي وَ بَرِثُ» إنه سأل ربه وليا وارثا و ليس المعنى على الجزاء أى إن وهبته يرث و وجه الجزم أنه على الجزاء و جواب الدعاء و من قرأ يرثنى و أرث فمعناه التجريد و تقديره فهب لى وليا يرثنى منه و أرث من آل يعقوب و هذا الوارث نفسه قال ابن جنى: قال:

و هذا ضرب من العربيه غريب فكأنه جرد منه وارثا و مثل قوله تعالى «لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ» و هى نفسها دار الخلد فكأنه جرد من الدار دارا و عليه قول الأخطل:

بنزوه لص بعد ما مر مصعب بأشعث لا يفلى و لا هو يقمل

و مصعب نفسه هو الأشعث فكأنه استخلص منه أشعث و أما قراءه الحسن ذكر رحمه ربك فإن فاعل ذكر ضمير ما تقدم أى هذا المتلو من القرآن الذى هذه الحروف أوله و فاتحته بذكر رحمه ربك و على هذا أيضا يرتفع قوله «ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ» أى هذا القرآن ذكر رحمه ربك و إن شئت كان التقدير و مما نقص عليك ذكر رحمه ربك فيكون على الوجه الأول ذكر خبر مبتدأ و على الوجه الثانى يكون مبتدأ و من قال خفت الموالى فمعناه قل بنو عمى و أهلى و معنى «مِنْ وَرَائِي» أى من أخلفه بعدى فقوله «مِنْ وَرَائِي» حال متوقعه محكيه أى متصورا متوقعا كونهم بعدى و مثله مسأله الكتاب مررت برجل معه صقر صائدا به غدا أى متصورا به صيده به غدا.

اللغة

الوهن الضعف و نقصان القوه يقال وهن يهن وهنا و الاشتعال انتشار شعاع النار و قوله «وَ اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا» من أحسن الاستعارات و المعنى اشتعل الشيب فى الرأس و انتشر كما ينتشر شعاع النار قال الزجاج: يقال للشيب إذا كثر جدا قد اشتعل رأس فلان و أنشد للبيد:

إن ترى رأسى أمسى واضحا سلط الشيب عليه فاشتعل

و الدعاء طلب الفعل من المدعو و فى مقابلته الإجابة كما إن فى مقابله الأمر الطاعة و المولى أصله من الولى و هو القرب و سمى ابن العم مولى لأنه يليه فى النسب و قال ابن الأنبارى فى كتاب مشكل القرآن: المولى فى اللغة ينقسم على ثمانية أقسام المنعم المعتق و المنعم عليه المعتق و الولى و الأولى بالشىء و ابن العم و الجار و الصهر و الحليف و استشهد على كل قسم من هذه الأقسام بشىء من الشعر و مما استشهد به فى أنه بمعنى الولى و الأولى قول الأخطل:

فأصبحت مولاها من الناس بعده و أخرى قريش أن تهاب و تحمدا

و قوله أيضا يخاطب بنى أميه:

أعطاكم الله جدا تنصرون به لا جد إلا صغير بعد محتقر

لم يأشروا فيه إذ كانوا مواليه و لو يكون لقوم غيرهم أشروا

و العاقر المرأه التي لا تلد يقال امرأه عاقر و رجل عاقر لا يولد له ولد قال الشاعر:

لبئس الفتى إن كنت أسود عاقرا جبانا فما عذرى لدى كل محضر

و العقر فى البدن الجرح و منه أخذ العاقر لأنه نقص أصل الخلقه إما بالجراحه و إما بامتناع الولاده و عقرت الفرس بالسيف ضربت قوائمه و الجعل على أربعة أقسام بمعنى الأحداث كقولهم جعل البناء أى أحدثه و بمعنى أن يحدث ما يتغير به كقولهم جعل الطين خزفا و بمعنى أن يحدث فيه حكما كقولهم جعل فلانا فاسقا أى بما أحدث فيه من حكمه و تسميته و بمعنى أن يحدث ما يدعوه إلى أن يفعل كقولهم جعله أن يقتل زيدا أى بأن أمره به و دعاه إلى قتله.

الإعراب

«ذِكْرٌ» مرتفع بالمضمر و تقديره هذا الذى يتلوه عليك ذكر رحمه ربك و هو مصدر مضاف إلى ما هو المفعول فى المعنى و رحمه مصدر مضاف إلى الفاعل و عبده مفعول رحمه و زكريا بدل من عبده أو عطف بيان و يقرأ بالقصر و المد و قوله «قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي» بيان و تفسير للنداء الخفى و شيئا منصوب على التمييز و التقدير و اشتعل الرأس من الشيب بدعائك تقديره بدعائى إياك فالمصدر مضاف إلى المفعول كقوله مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَ بِسْؤَالِ نَعَجَتِكَ.

المعنى

«كهيعص» قد بينا فى أول البقره اختلاف العلماء فى الحروف المعجم التى فى أوائل السور و شرحنا أقوالهم هناك و حدث عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: أن كاف من كريم و ها من هاد و ياء من حكيم و عين من عليم و صاد من صادق و فى روايه عطا و الكلبى عنه أن معناه كاف لخلق هاد لعباده يده فوق أيديهم عالم ببريته صادق فى وعده و على هذا فإن كل واحد من هذه الحروف يدل على صفه من صفات الله عز و جل و

روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال فى دعائه أسألك يا كهيعص

«ذِكْرٌ رَحِمَتْ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيَّا» أى هذا خبر رحمه ربك زكريا عبده و يعنى بالرحمه إجابته إياه حين دعاه

و سأله الولد و زكريا اسم نبي من أنبياء بنى إسرائيل كان من أولاد هارون بن عمران أخى موسى بن عمران و قيل إن معناه ذكر ربك عبده بالرحمة «إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا» أى حين دعا ربه دعاء خفيا خافيا سرا غير جهر يخفيه فى نفسه لا يريد به رياء و فى هذا دلالة على أن المستحب فى الدعاء الإخفاء و إن ذلك أقرب إلى الإجابة و

فى الحديث خير الدعاء الخفى و خير الرزق ما يكفى

و قيل إنما أخفاه لثلا يهزأ به الناس فيقول انظروا إلى هذا الشيخ يسأل الولد على الكبر «قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي» أى ضعف و إنما أضاف الوهن إلى العظم لأن العظم مع صلابته إذا ضعف و تناقص فكيف باللحم و العصب و قيل إنما خص العظم لأنه شكا ضعف البطش و البطش إنما يكون بالعظم دون اللحم و غيره «وَ اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا» معناه أن الشيب قد عم الرأس و هو نذير الموت عن أبى مسلم و قيل معناه تلاً الشيب فى رأسى لكثرة عن ابن الأنبارى وصف حاله خضوعاً و تذلاً لا تعريفاً «وَ لَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا» أى و لم أكن بدعائى إياك فيما مضى مخيباً محروماً و المعنى أنك قد عودتنى حسن الإجابة و ما خيبتنى فيما سألتك و لا حرمتنى الاستجابة فيما دعوتك فلا تخيبنى فيما أسألك و لا تحرمنى إجابتك فيما أدعوك يقال شقى فلان بحاجته إذا تعب بسببها و لم يحصل مطلوبه منها «وَ إِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ» و هم الكلاله عن ابن عباس و قيل العصبه عن مجاهد و

قيل هم العمومه و بنو العم عن أبى جعفر (عليه السلام)

و قيل بنو العم و كانوا أشرار بنى إسرائيل عن الجبائى و قيل هم الورثه عن الكلبي «مِنْ وَرَائِي» أى من خلفى «وَ كَانَتْ أُمَّرَأَتِي عَاقِرًا» أى عقيماً لا تلد «فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا» أى ولدا يلينى فيكون أولى بميراثى «يَرِثُنِي» إن قرأته بالجزم فالمعنى أن تهبه لى يرثنى و إن رفعته جعلته صفه لولى و المعنى وليا وارثا لى «وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ» و هو يعقوب بن ماتان و أخوه عمران بن ماتان أبو مريم عن الكلبي و مقاتل و قيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم لأن زكريا كان متزوجاً بأخت أم مريم بنت عمران و هو نسبها يرجع إلى يعقوب لأنها من ولد سليمان بن داود (عليه السلام) و هو من ولد يهوذا بن يعقوب و زكريا من ولد هارون و هو من ولد لاوى بن يعقوب عن السدى ثم اختلف فى معناه قيل معناه يرثنى مالى و يرث من آل يعقوب النبوه عن أبى صالح و قيل معناه يرث نبوتى و نبوه آل يعقوب عن الحسن و مجاهد و استدل أصحابنا بالآيه على أن الأنبياء يورثون المال و أن المراد بالإرث المذكور فيها المال دون العلم و النبوه بأن قالوا إن لفظ الميراث فى اللغه و الشريعة لا- يطلق إلا- على ما ينتقل من الموروث إلى الوارث كالأموال و لا- يستعمل فى غير المال إلا على طريق المجاز و التوسع و لا يعدل عن الحقيقه إلى المجاز بغير دلالة أيضا فإن زكريا (عليه السلام) قال فى دعائه «وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا» أى اجعل يا رب ذلك الولى

الذى يرثنى مرضيا عندك ممثلاً- لأمرك و متى حملنا الإرث على النبوه لم يكن لذلك معنى و كان لغوا عبثاً ألا ترى أنه لا يحسن أن يقول أحد اللهم ابعث لنا نبيا و اجعله عاقلاً- مرضيا فى أخلاقه لأنه إذا كان نبيا فقد دخل الرضا و ما هو أعظم من الرضا فى النبوه و يقوى ما قلناه أن زكريا صرح بأنه يخاف بنى عمه بعده بقوله «وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي» و إنما يطلب وارثاً لأجل خوفه و لا- يليق خوفه منهم إلا- بالمال دون النبوه و العلم لأنه (عليه السلام) كان أعلم بالله تعالى من أن يخاف أن يبعث نبيا من ليس بأهل للنبوه و أن يورث علمه و حكمته من ليس لهما بأهل و لأنه إنما بعث لإذاعه العلم و نشره فى الناس فكيف يخاف من الأمر الذى هو الغرض فى بعثه فإن قيل إن هذا يرجع عليكم فى وراثه المال لأن فى ذلك إضافه الضن و البخل إليه قلنا معاذ الله أن يستوى الأمران فإن المال قد يرزق المؤمن و الكافر و الصالح و الطالح و لا يمتنع أن يأسى على بنى عمه إذا كانوا من أهل الفساد أن يظفروا بماله فيصرفوه فيما لا ينبغى بل فى ذلك غايه الحكمة فإن تقويه الفساد و إعانتهم على أفعالهم المذمومه محظوره فى الدين فمن عد ذلك بخلا و ضنا فهو غير منصف و قوله «خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي» يفهم منه أن خوفه إنما كان من أخلاقهم و أفعالهم و معانى فيهم لا من أعيانهم كما أن من خاف الله تعالى فإنما خاف عقابه فالمراد به خفت تضييع الموالى مالى و إنفاقهم إياه فى معصيه الله تعالى.

[سوره مريم (١٩): الآيات ٧ الى ١١]

اشاره

يا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (٧) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَأَكُونُ لِي غُلَامًا وَ كَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَ قَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (٨) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئُ وَ قَدْ خَلَقْتَكَ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ تَكُ شَيْئًا (٩) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (١١)

القراءه

قرأ حمزه و الكسائى «عِتِيًّا» و صِلِيًّا و جِيًّا* و بكيا بكسر أوائلها و حفص كذلك إلا

ص: ٣٦٢

فى بُكِيًّا فإنه يضم الباء منها و الباقون بالضم فى الجمع و قرأ حمزه و الكسائى خلقناك و الباقون «خَلَقْتِكَ».

الحجج

قال أبو على: اعلم أن ما كان على فعول كان على ضربين (أحدهما) أن يكون جمعا و الآخر أن يكون مصدرا و قد جاءت أحرف فى غير المصادر و هى قليلة و الجمع إذا كان على فعول من معتل اللام جاء على ضربين (أحدهما) أن يكون اللام واوا و الآخر أن يكون ياء فما كانت اللام منه واوا من هذه المجموع قلبت إلى الياء و ذلك نحو حقو و حقى و عصا و عصى و قد جاءت حروف قليلة من ذلك على الأصل فمن ذلك ما حكاه سيبويه من قولهم إنكم لتنظرون فى نجو كثيره و قولهم فتو فى جمع فتى فما كان كذلك فإن كسر الفاء فيه مطرد و ذلك نحو ولى و حقى و عصى و إنما جاز ذلك لأنها غيرت تغييرين و هما أن الواو التى هى لام قلبت و الواو التى كانت قبلها قلبت أيضا فلما غيرت تغييرين قويا على هذا التغيير من كسر الفاء و أما ما كان لامه ياء نحو ثدى و حلى و نجى فقد كسروا الفاء أيضا منه فقالوا حلى و ثدى و إن لم يغير تغييرين فقد أجروا الياء هاهنا مجرى الواو كما أجروا الياء فى اتسر و اتبس افتعل من اليسر و اليبس مجرى الواو و فى اتصل و اتهب فأما ما كان من ذلك مصدرا فما كان من الواو فالقياس فيه أن يصح نحو العتو و العلو لأن واوه لم يلزمها الانقلاب كما لزمها الانقلاب فى الجمع و لكن لما كانوا قد قلبوا الواو فى هذا النحو و إن كان مفردا نحو معدى و مرضى قلبوا ذلك أيضا فى نحو عتى ثم أجرى المصدر مجرى الجمع فى كسر الفاء منه فأما ما كان من هذه المصادر من الياء فليس يستمر الكسر فى فائه كما استمر فى الجمع و فى المصادر التى من الواو ألا ترى أن الماضى فى نحو فَمَا اسْتَيْطَاعُوا مُضِيًّا ليس أحد يروى فيه الكسر فيما علمنا و حكى أبو عمرو عن أبى زيد آوى إليه إويا و مما يؤكد الكسر فى هذا النحو إنهم قد قالوا قسى فألزموها كسر القاف و ذلك إنه قلبت الواو إلى موضع اللام فلما وقعت موقعها قلبت كما تقلب الواو إذا كانت لاما و كسرت الفاء و ألزمت الكسره و حجه من قال «قَدْ خَلَقْتِكَ» إن قبله «قال رَبُّكَ» و حجه من قال خلقناك قوله فيما بعد وَ حَانًا مِنْ لَدُنَّا و لأنه قد جاء بلفظ الجمع بعد لفظ الأفراد قال سبحانه سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ثم قال وَ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ.

اللغه

الغلام اسم المذكر أول ما يبلغ و منه اشتق اغتلم الرجل إذا اشتدت شهوته للجماع ثم يستعمل فى التلميذ فيقال غلام تغلب العتى و العسى بمعنى يقال عتا يعتو عتوا و عتيا و عسى يعسو عسوا و عسيا فهو عات و عاس إذا غيره طول الزمان إلى حال اليبس

و الجفاف و فى حرف أبى و قد بلغت من الكبر عسيا و الإيحاء إلقاء المعنى إلى النفس فى خفيه بسرعه و أصله من قولهم الوحى الوحى أى الإسراع الإسراع.

الإعراب

«اسْمُهُ يَحْيَى» جملة اسميه مجروره الموضع صفه الغلام كذلك فى موضع رفع لأنه خبر مبتدأ محذوف أى الأمر كما قيل لك «و لَمْ تَكُ» أصله لم تكن حذفت النون منه لكثرتة فى الكلام فكأنه جزم مرتين و سويا منصوب على الحال «أَنْ سَبَّحُوا» يجوز أن يكون التقدير أى سبحوا و يجوز أن يكون أنه سبحوا فخفف و أضمر الاسم و لم يعرض من المضممر شيئا كقوله لَوْ لَا أَنْ مَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا كما جاء العوض فى قوله لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا وَعَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فِيمَنْ رَفَعَ. و «بُكْرَةً وَ عَشِيًّا» منصوبان على الظرف.

المعنى

«يا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ» هاهنا حذف معناه فاستجاب الله دعاء زكريا و أوحى إليه يا زكريا إنا نخبرك على ألسنه الملائكة بخبر يرى السرور به فى وجهك و هو أن يولد لك ابن «اسْمُهُ يَحْيَى» و قد تقدم تفسيره فى سورة آل عمران «لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا» أى لم يسم أحد قبله باسمه عن قتاده و ابن جريج و السدى و ابن زيد و فى هذا تشرىف له من وجهين (أحدهما) إن الله سبحانه تولى تسميته و لم يكلها إلى الأبوين و الآخر أنه سماه باسم لم يسبق إليه يدل ذلك الاسم على فضله و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) و كذلك الحسين (عليه السلام) لم يكن له من قبل سميا و لم تبك السماء إلا عليهما أربعين صباحا قيل له و ما كان بكاؤها قال كانت تطلع حمراء و تغيب حمراء و كان قاتل يحيى ولد زنا و قاتل الحسين (عليه السلام) ولد زنا

و

روى سفيان بن عيينه عن على بن زيد عن على بن الحسين (عليه السلام) قال خرجنا مع الحسين (عليه السلام) فما نزل منزلا و لا ارتحل منه إلا ذكر يحيى بن زكريا و قال يوما و من هوان الدنيا على الله عز و جل أن رأس يحيى بن زكريا أهدى إلى بغى من بغايا بنى إسرائيل

و قيل إن معنى قوله «لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا» لم تلد العواقر مثله ولدا و هو كقوله هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا أى مثلا عن ابن عباس و مجاهد «قال رَبُّ أُنْتَى يَكُونُ لِي غُلَامًا» فسرناه فى سورة آل عمران «وَ كَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا» قال الحسن: إنما قال ذلك على جهه الاستخبار أى

أُتْعِدْنَا شَابِينَ أُمَّ تَرْزُقْنَا الْوَلَدَ شَيْخِينَ «وَقَدْ بَلَغَتْ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا» معناه وقد بلغت من كبر السن إلى حال اليأس والجفاف و نحول العظم عن قتاده و مجاهد قال قتاده: كان له بضع و تسعون سنه «قَالَ كَذَلِكَ» أى قال الله سبحانه الأمر على ما أخبرتك من هبه الولد على الكبر «قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ» أرد عليك قوتك حتى تقوى على الجماع و افتق رحم امرأتك بالولد عن ابن عباس «وَقَدْ خَلَقْتَكُ مِنْ قَبْلُ» أى من قبل يحيى «وَلَمْ تَكُ شَيْئًا» أى أنشأتك و أوجدتك و لم تك شيئًا موجودا فيزاله عقر زوجتك و إزاله ما يمنع قبول الولد أيسر فى الاعتبار من ابتداء الإنشاء و

روى الحكم بن عيينه عن أبى جعفر (عليه السلام) قال إنما ولد يحيى بعد البشاره له من الله بخمس سنين

«قَالَ» زكريا يا «رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً» أى دلالة و علامه استدلل بها على وقت كونه «قَالَ» الله تعالى «آيَتُكَ» أى علامتك على ذلك «أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا» أى و أنت سوى صحيح سليم من غير عله قال ابن عباس:

اعتقل لسانه من غير مرض ثلاثة أيام و قال قتاده و السدى: اعتقل لسانه من غير بأس و لا خرس فإنه كان يقرأ الزبور و يدعو إلى الله و يسبحه و لا يمكنه أن يكلم الناس و هذا أمر خارج عن العاده «فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ» أى من مصلاه عن ابن زيد و سمي المحراب محرابا لأن المتوجه إليه فى صلاته كالمحارب للشيطان على صلاته و الأصل فيه مجلس الأشراف الذى يحارب دونه ذبا عن أهله قالوا و كان زكريا قد أخبر قومه بما بشر به فلما خرج عليهم و امتنع من كلامهم علموا إجابته دعائه فسروا به «فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ» أى أشار إليهم و أوما بيده و قيل كتب لهم فى الأرض عن مجاهد «أَنْ سَيَبْجُوا بُكْرَةً وَ عَشِيًّا» أى صلوا بكره و عشيا عن الحسن و قتاده و تسمى الصلاة سبحة و تسيحا لما فيها من التسيح و قيل أراد التسيح بعينه و قال ابن جريج أشرف عليهم زكريا من فوق غرفه كان يصلى فيها لا يصعد إليها إلا بسلم و كانوا يصلون معه الفجر و العشاء فكان يخرج إليهم فيأذن لهم بلسانه فلما اعتقل لسانه خرج على عادته و أذن لهم بغير كلام فعرفوا عند ذلك أنه قد جاء وقت حمل امرأته بيحيى فمكث ثلاثة أيام لا يقدر على الكلام معهم و يقدر على التسيح و الدعاء.

[سوره مريم (١٩): الآيات ١٢ الى ١٥]

إشاره

يا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَ آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) وَ حَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَ زَكَوَاهُ وَ كَانَ تَقِيًّا (١٣) وَ بَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَ لَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا (١٤) وَ سَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَ يَوْمَ يَمُوتُ وَ يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (١٥)

ص: ٣٦٥

أصل الحنان الرحمة يقال حنانك وحنانيك و قال امرؤ القيس:

و يمنحها بنو شمجى بن جرم معيزهم حنانك ذا الحنان

و قال آخر:

قالت حنان ما أتى بك هاهنا أ ذو نسب أم أنت بالحى عارف

أى أمرنا حنان قال أبو عبيده: و أكثر ما يستعمل بلفظ التثنية قال طرفه:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

و تحزن عليه أى تعطف عليه قال الحطيئة لعمر بن الخطاب:

تحزن على هداك المليك فإن لكل مقام مقالا

و حنت عليه أحن حيننا و حنانا و حنه الرجل امرأته و الجبار الذى لا- يرى لأحد عليه حقا و فيه جبريه و جبروت و الجبار من النخل ما فأت اليد.

الإعراب

«بِقُوِّهِ» الباء فى موضع الحال أى خذ الكتاب مجدا مجتهدا.

المعنى

ثم قال سبحانه «يا يحيى خذ الكتاب بِقُوِّهِ» هاهنا اختصار عجيب تقديره فوهبنا له يحيى و أعطيناه الفهم و العقل و قلنا له يا يحيى خذ الكتاب يعنى التوراه بما قواك الله عليه و أيدك به و معناه و أنت قادر على أخذه قوى على العمل به و قيل معناه بجد و صحه عزيمه على القيام بما فيه «وَ آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا» أى آتيناها النبوه فى حال صباه و هو ابن ثلاث سنين عن ابن عباس و

روى العياشى بإسناده عن على بن أسباط قال قدمت المدينة و أنا أريد مصر فدخلت على أبى جعفر محمد بن على الرضا (عليه السلام) و هو إذ ذاك خماسى فجعلت أتأمله لأصفه لأصحابنا بمصر فنظر إلى فقال لى يا على إن الله قد أخذ فى الإمامه كما أخذ فى النبوه قال وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَ عِلْمًا وَ قال «وَ آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا» فقد يجوز أن يعطى الحكم ابن أربعين سنه و يجوز أن يعطاه الصبى

و قيل إن الحكم الفهم و هو أنه أعطى فهم الكتاب حتى حصل له عظيم الفائده عن مجاهد و عن معمر قال

إن الصبيان قالوا ليحيى اذهب بنا لنلعب فقال ما للعب خلقنا فأنزل الله فيه «وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا» و روى ذلك عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام)

«وَ حَنَانًا مِنْ لَدُنَّا» و الحنان العطف و الرحمه أى و آتيناها رحمه من عندنا عن ابن عباس و قتاده و الحسن و قيل معناه تحننا على العباد و رقه قلب عليهم ليدعوهم إلى طاعه الله تعالى عن الجبائى و قيل معناه محبه منا عن عكرمه و أصله الشفقه و الرقه و منه حنين الناقه و هو صوتها

ص: ٣٦٦

قيل معناه تحنن الله عليه كان إذا قال يا رب قال الله لبيك يا يحيى و هو المروى عن الباقر (عليه السلام)

و قيل معناه تعطفنا منا عن مجاهد فهذه خمس أقوال «و زكاه» أى و عملا صالحا زاكيا عن قتاده و الضحاك و ابن جريج و قيل زكاه لمن قبل دينه حتى يكونوا أزكيا عن الحسن و قيل يعنى بالزكاه طاعه الله و الإخلاص عن ابن عباس و قيل معناه و صدقه تصدق الله به على أبويه عن الكلبي و قيل معناه و زكياه بحسن الثناء عليه كما يزكى الشهود الإنسان عن الجبائي فهذه خمس أقوال «و كان تقيًا» أى مخلصا مطيعا متقيا لما نهى الله عنه قالوا و كان من تقواه أنه لم يعمل خطيئه و لم يهمل بها " سؤال " يقال لم أضاف الله سبحانه كونه زكاه إلى نفسه و هو إنما كان مطيعا زكيا بفعله " و جوابه " إنه إنما صار كذلك بألطف من الله لا سيما فى تلك الحالة من الصغر و لأنه إنما اهتدى بهدايه الله إياه «و برًا بوالديه» أى بارا بوالديه محسنا إليهما مطيعا لهما لطيفا بهما طالبا مرضاتهما «و لم يكن جبارًا» أى متكبرا متطاولا على الخلق و قيل الجبار الذى يقتل و يضرب على الغضب عن ابن عباس «عصيًا» أى عاصيا لربه فعيل بمعنى فاعل «و سلاّمٌ عليه يومٌ وُلِدَ و يومٌ يموتُ و يومٌ يُبعثُ حيًّا» أى سلام عليه منا فى هذه الأيام عن عطاء و قيل و سلامه و أمان له منا عن الكلبي و معناه سلامه و أمن له يوم ولد من عبث الشيطان به و إغوائه إياه و يوم يموت من بلاء الدنيا و من عذاب القبر و يوم يبعث حيا من هول المظلم و عذاب النار و إنما قال «حيًّا» تأكيداً لقوله «يُبعثُ» و قيل يعنى أنه يبعث مع الشهداء لأنهم وصفوا بأنهم أحياء قال سفيان بن عيينه:

أوحش ما يكون الإنسان فى ثلاثه مواطن يوم ولد فى نفسه خارجا مما كان فيه و يوم يموت فىرى قوما لم يكن عاينهم و أحكاما ليس له بها عهد و يوم يبعث فىرى نفسه فى محشر عظيم فخص الله سبحانه يحيى بالكرامه و السلام و السلامه فى المواطن الثلاثه و قيل إن السلام الأول يوم الولاده تفضل و الثانى و الثالث على وجه الثواب و الجزاء.

إشارة

وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِمَا رَحِمَ مِنْكَ إِنَّ كُنْتُ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَعْجًا (٢٠)

القراءة

قرأ أبو عمرو و ورش و قالون بروايه الحلواني و يعقوب ليهب بالياء و الباقون «لَأَهَبَ» بالهمزة.

الحج

قال أبو علي: حجه من قال «لَأَهَبَ» فأسند الفعل إلى المتكلم و الهبه لله تعالى و منه إن الرسول و الوكيل قد يسند هذا النحو إلى نفسه و إن كان الفعل للموكل أو المرسل للعلم بأنه مترجم عنه و من قال ليهب لك فهو على تصحيح اللفظ في المعنى ففي قوله تعالى ليهب ضمير من قوله «رَبُّكَ» و هو سبحانه الواهب و زعموا أن في حرفي أبي و ابن مسعود ليهب و لو خففت الهمزة من «لَأَهَبَ» لكان في قول أبي الحسن ليهب فتقلبها ياء محضه و في قول الخليل «لَأَهَبَ» يجعلها بين الياء و الهمزة.

اللغة

النبت أصله الطرح و الانتباز افتعال منه و منه قوله «فَتَبَيُّدُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ» أي ألقوه و انتبذ فلان ناحيه أي تنحى ناحيه و جلس فلان نبذه من الناس و نبذه بفتح النون و ضمها أي ناحيه و إنما يقال ذلك إذا جلس قريبا منهم حتى لو نبذوا إليه شيئا لوصل إليه فالانتباز اتخاذ الشيء بالقاء غيره عنه و المكان الشرقي الذي كان في جهه الشرق قال جرير:

هبت جنوب فذكرى ما ذكرتكم عند الصفاه إلى شرقي حورانا

. الإعراب

مكانا نصب على الظرف «بَشَرًا سَوِيًّا» منصوب على الحال.

المعنى

ثم عطف سبحانه قصه مريم و عيسى (عليه السلام) على قصه زكريا و يحيى (عليه السلام) فقال «وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ» أي في كتابك هذا و هو القرآن «مَرْيَمَ» أي حديث مريم و ولادتها عيسى و صلاحها ليقتدى الناس بها و لتكون معجزه لك «إِذِ اتَّيَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا» أي انفردت من أهلها إلى مكان في جهه المشرق و قعدت ناحيه منهم قال ابن عباس: إنما اتخذت

النصارى المشرق قبله لأنها انتبذت مكانا شرقيا و قيل اتخذت مكانا تنفرد فيه للعباده لثلا تشتغل بكلام الناس عن الجبائى و قيل تباعدت عن قومها حتى لا يرونها عن الأصم و أبى مسلم و قيل إنها تمت أن تجد خلوه فتفلى رأسها فخرجت من يوم شديد البرد فجلست فى مشرقه للشمس عن عطا «فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا» أى فضربت من دون أهلها لثلا يروها سترا و حاجزا بينها و بينهم «فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا» يعنى جبرائيل (عليه السلام) عن ابن عباس و الحسن و قتاده و غيرهم و سماه الله روحا لأنه روحانى و أضافه إلى نفسه تشريفا له «فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا» معناه فأتاها جبرائيل فانصب بين يديها فى صورة آدمى صحيح لم ينقص منه

شىء و قال أبو مسلم: إن الروح الذى خلق منه المسيح تصور لها إنسان و الأول هو الوجه لإجماع المفسرين عليه و قال عكرمه: كانت مريم إذا حاضت خرجت من المسجد و كانت عند خالتها امرأه زكريا أيام حيضها فإذا طهرت عادت إلى بيتها فى المسجد فبينا هى فى مشرقه لها فى ناحيه الدار و قد ضربت بينها و بين أهلها سترًا لتغتسل و تمتشط إذ دخل عليها جبرائيل فى صورته رجل شاب أمرد سوى الخلق فأنكرته فاستعادت بالله منه «قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا» معناه إني أعتصم بالرحمن من شرك فاخرج من عندى إن كنت تقيا "سؤال" يقال كيف شرطت فى التعود منه أن يكون تقيا و التقى لا يحتاج أن يتعود منه و إنما يتعود من غير التقى "و الجواب" إن التقى إذا تعوذ بالرحمن منه ارتدع عما يسخط الله ففى ذلك تخويف و ترهيب له و هذا كما تقول إن كنت مؤمنا فلا تظلمنى فالمعنى إن كنت تقيا فاتعظ و اخرج و

روى عن على (عليه السلام) أنه قال علمت إن التقى ينهات التقى عن المعصية

و قيل إن معنى قوله «إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا» ما كنت تقيا حيث استحلت النظر إلى و خلوت بى فلما سمع جبرائيل (عليه السلام) منها هذا القول «قال» لها «إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ» و قد بينا معنى القراءتين «غُلَامًا زَكِيًّا» أى ولدا طاهرا من الأدناس و قيل ناميا فى أفعال الخير و قيل يريد نبيا عن ابن عباس «قَالَتْ» مريم «أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ» أى كيف يكون لى ولد «وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ» على وجه الزوجيه «وَلَمْ أَكُ بَعِيًّا» أى و لم أكن زانية و إنما قالت ذلك لأن الولد فى العاده يكون من إحدى هاتين الجهتين و المعنى أنى لست بذات زوج و غير ذات الزوج لا تلد إلا عن فجور و لست فاجره و إنما يقال للفاجره بغى بمعنى أنها تبغى الزنا أى تطلبه و فى هذه الآيات دلالة على جواز إظهار المعجزات لغير الأنبياء لأن من المعلوم أن مريم ليست بنبيه و إن رؤيه الملك على صورته البشر و بشاره الملك إياها و ولادتها من غير وطئ إلى غيرها من الآيات التى أتاها الله بها من أكبر المعجزات و من لم يجوز إظهار المعجزات على غير النبى اختلفت أقوالهم فى ذلك قال الجبائى: و ابنه أنها معجزات لزكريا (عليه السلام) و قال البلخى: إنها معجزات لعيسى على سبيل الإرهاص و التأسيس لنبوته.

إشاره

قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (٢١) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا (٢٣) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهَزِيءَ إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا (٢٥)

فَكُلِّي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (٢٦) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنَّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠)

القراءه

قرأ حمزه و حفص «نَسِيًّا» بفتح النون و الباقون نسيا بكسر النون و قرأ «مِنْ تَحْتِهَا» بكسر الميم أهل المدينة و الكوفه غير أبي بكر و سهل فالباقون من تحتها و قرأ حفص عن عاصم «تُسَاقِطُ» بضم التاء و كسر القاف و قرأ حماد عن عاصم و بصير عن الكسائي و يعقوب و سهل يساقط بالياء و تشديد السين و قراءه حمزه تساقط بفتح التاء و تخفيف السين و الباقون تساقط بفتح التاء و تشديد السين و في الشواذ قراءه مسروق يساقط بضم الياء و تخفيف السين و قرأ طلحه بن سليمان رطبا جنيا بكسر الجيم فإما ترين بسكون الياء و التخفيف.

الحجه

قال أبو علي: قال أبو الحسن: النسي هو الشيء الحقيق ينسى نحو النعل و السوط و قال غيره النسي أغفل ما من شيء حقيق و قال بعضهم ما إذا ذكر لم يطلب و قالوا الكسر على اللغتين قال الشنفرى:

كان لها في الأرض نسيا تقصه على أمها و إن تخاطبك تبت

وقال فى قوله «مَنْ تَحْتِهَا» أنه جبرائيل أو عيسى و قال بعض أهل التأويل لا يكون إلا عيسى (عليه السلام) و لا يكون جبرائيل لأنه لو كان جبرائيل لناداها من فوقها و قد يجوز أن يكون جبرائيل و ليس قوله «مَنْ تَحْتِهَا» يراد به الوجه السفلى و إنما المراد من دونها بدلاله قوله «فَدَّ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سِرِّيًّا» و لم يكن النهر محاذيا لهذه الوجه و لكن المعنى جعله دونك و قد يقال فلان تحتنا أى دوننا فى الموضوع و الأشبه أن يكون المنادى لها عيسى فإنه أشد إزاله لما خامر قلبها من الاغتمام و إذا قال من تحتها كان عاما وضع موضع الخاص و المراد به عيسى قال و الوجوه كلها كما فى تساقط متفق فى المعنى إلا قراءة حفص ألا ترى أن من قرأ تساقط إنما هى تساقط فحذف التاء التى يدغمها غيره و كلهم جعل فاعل الفعل الذى هو تساقط أو تساقط فى روايه حفص النخلة و يجوز أن يكون فاعل تساقط أو تساقط هى جذع النخلة إلا أنه لما حذف المضاف أسند الفعل إلى النخلة فى اللفظ فأما تعديتهم تسقط فهو تفاعل لأن تفاعل مطاوع فاعل فكما عدى نحو تفعل فى نحو تجرعته و تمزته فكذلك عدى تفاعل فمما جاء من ذلك فى الشعر قول أوفى بن مطر:

تخاطأت النبل أحشاءه و آخر يومى فلم يعجل

و قول الآخر:

تطالعنا خيالات لسلمى كما يتطالع الدين الغرم

و قول امرئ القيس:

و مثلك بيضاء العوارض طفله لعوب تناسانى إذا قمت سربالى

أراد تنسينى و من قرأ بالياء أمكن أن يكون فاعله الهز لأن قوله «هُزَّى» قد دل عليه فإذا كان كذلك جاز أن يضمه كما أضم الكذب فى قوله (من كذب كان شرا له) و يمكن أن يكون الجذع و يجوز فى الفعل إذا أسند إلى الجذع وجهان (أحدهما) إن الفعل أضيف إلى الجذع كما أضيف إلى النخلة برمتها لأن الجذع معظمها (و الآخر) أن يكون الجذع منفردا عن النخلة يسقط عليها و يكون سقوط الرطب من الجذع آيه لعيسى (عليه السلام) و يصير سقوط الرطب من الجذع أسكن لنفسها و أشد إزاله لاهتمامها و سقوط الرطب من الجذع منفردا

ص: ٣٧١

من النخل مثل رزقها الذى كان يأتيها المحراب فى قوله تعالى «كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا» إلى قوله «هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» وقوله «رُطْبًا» فى هذه الوجوه منصوب على أنه مفعول به و يجوز فى قوله «تُسَاقِطُ عَلَيْكَ» أى تساقط عليك ثمره النخلة رطبا فحذف المضاف الذى هو الثمره و يكون انتصاب رطب على الحال و جاز أن يضمم الثمر و إن لم يجر لها ذكر لأن ذكر النخلة يدل عليها فأما الباء فى قوله «وَهُزَّى إِلَيْكَ بِيَجْدِ النَّخْلَةِ» فيحتمل أمرين (أحدهما) أن يكون زياده كقوله (ألقى بيده و ألقى يده) وقوله:

بواد يمان ينبت الشت صدره و أسفله بالمرخ و الشبهان

و نحو ذلك و يجوز أن يكون المعنى و هزى إليك بهز جذع النخلة رطبا كما قال ذو الرمه:

و صوح البقل ناآج تجى ء به هيف يمانيه فى مرها نكب

أى تجى ء بمجيئه هيف يعنى إذا جاء النجاج جاء الهيف و كذلك إذا هزت الجذع هزت بهزه رطبا أى فإذا هزرت الرطب سقط و أما قراءه مسروق يساقط فإنه بمعنى يسقط شيئا بعد شى ء و أنشد ابن جنى قول ضابئى البرجمى:

يساقط عنه روقه ضارباتها سقاط حديد القين أخول أخولا

أى يسقط قرن هذا الثور ضاريات كلاب الصيد لطنعه إياها به شيئا بعد شى ء و أما قراءه طلحه رطبا جنيا فإنه أتبع كسره الجيم كسره النون قال ابن جنى: شبه النون و إن لم يكن من حروف الحلق بهن فى نحو الشخير و النخير و الرغيف و أما ترين فهى شاذ لكنه جاء فى لغة إثبات النون فى الجزم و أنشد أبو الحسن:

لولا فوارس من قيس و أسرتهم يوم الصليفاء لم يوفون بالجار.

اللغة

القصى البعيد و القاصى خلاف الدانى و قوله «فَأَجَاءَهَا» أى جاء بها المخاض و هو مما يعدى تاره بالباء و تاره بهمزه النقل قال زهير:

و جار سار معتمدا علينا أجاآته المخاوف و الرجاء

أى جاءت به و يروى جاء قال الكسائي: تميم تقول ما أجاك إلى هذا و ما أمشاك إليه و من أمثالهم شر أجاك إلى مخه عرقوب و تميم تقول أمشاك و لسرى النهر لأنه يسرى بجريانه قال لبيد:

فتوسطا عرض السرى فصدعا مسجوره متجاورا قلامها

و يقال قررت به عينا أقر قرورا فهي لغه قريش و أهل نجد يقولون قررت به بفتح العين أقر قرارا كما يقولون قررت بالمكان بالفتح و الجنى بمعنى المجنى من جنيت الثمره و أجنيتها إذا قطعها و قال ابن أخت جذيمه:

هذا جنأى و خياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه

و فى معناه قول الكميت يمدح أهل البيت (عليه السلام):

خيارها يجتنون فيه إذ الجانون فى ذى أكفهم أربوا

قال أبو مسلم: الفرى مأخوذ من فرى الأديم إذا قطعه على وجه الإصلاح ثم يستعمل فى الكذب و قال الزجاج: يقال فلان يفرى الفرى إذا كان يعمل عملا يبالغ فيه قال الراجز:

" قد كنت تفرين به الفريا "

. الإعراب

«عَيْنًا» منصوب على التمييز «فَأَيُّمَا تَرَيْنَ» أصله ترأين إلا- إن الاستعمال بغير همز و الياء فيه ضمير المؤنث و إنما حركت لالتقاء الساكنين و هما الياء و النون الأولى من المشدده كما تقول للمرأة أرضين زيدا و قوله «مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا» كان هنا بمعنى الحدوث و الوقوع و التقدير كيف نكلم من وجد فى المهد " صبيا " نصب على الحال من كان و مثل كان

ص: ٣٧٣

هاهنا قوله وَ إِنْ كَانَ ذُو عُسْرِهِ و مثله قول الربيع:

إذا كان الشتاء فأدفتوني فإن الشيخ يهدمه الشتاء

و يجوز أن يكون كان هنا مزيده كما فى قول الشاعر:

جواد بنى أبى بكر تسامى على كان المسومه العراب

فعلى هذا يكون العامل فى الحال نكلم قال الزجاج: الأجود أن يكون من فى معنى الشرط و الجزاء فيكون المعنى من يكن فى المهده صبيا فكيف نكلمه و يكون صبيا حالا كما تقول من كان لا يسمع و لا يعقل فكيف أخاطبه.

المعنى

«قَالَ كَذَلِكَ» أى قال لها جبرائيل حين سمع تعجبها من هذه البشاره الأمر كذلك أى كما وصفت لك «قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئُ» أى إحداث الولد من غير زوج للمرأة سهل متأت لا- يشق على «وَلِنَجْعَلُهُ آيَةً لِلنَّاسِ» معناه و لنجعله علامه ظاهره و آيه باهره للناس على نبوته و دلاله على براه أمه «وَرَحْمَةً مِنَّا» له و لنجعله نعمه منا على الخلق يهتدون بسببه «وَ كَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا» أى و كان خلق عيسى من غير ذكر أمرا كائنا مفروغا عنه محتوما قضى الله سبحانه بأن يكون و حكم به «فَحَمَلَتْهُ» أى فحملت مريم بعيسى فحبلت فى الحال قيل إن جبرائيل أخذ رذن قميصها بإصبعه فنفخ فيه فحملت مريم من ساعتها و وجدت حس الحمل و قيل نفخ فى كمها فحملت عن ابن جريج و

روى عن الباقر (عليه السلام) إنه تناول جيب مدرعتها فنفخ فيه نفخه فكمّل الولد فى الرحم من ساعته كما يكمل الولد فى أرحام النساء تسعه أشهر فخرجت من المستحم و هى حامل محج مثقل فنظرت إليها خالتها فأنكرتها و مضت مريم على وجهها مستحيه من خالتها و من زكريا

«فَأَنْتَبِهَتْ بِهٖ مَكَانًا قَصِيًّا» أى تنحت بالحمل إلى مكان بعيد و قيل معناه انفردت به مكانا بعيدا من قومها حياء من أهلها و خوفا من أن يتهموها بسوء و اختلفوا فى مده حملها فليل ساعه واحده قال ابن عباس: لم يكن بين الانتباز و الحمل إلا ساعه واحده لأنه تعالى لم يذكر بينهما فصلا لأنه قال «فَحَمَلَتْهُ فَأَنْتَبِهَتْ بِهٖ» «فَأَجَاءَهَا» و الفاء للتعقيب و قيل حملت به فى ساعه و صور فى ساعه و وضعته فى ساعه حين زاغت الشمس من يومها و هى بنت عشر سنين عن مقاتل و

قيل كانت مده حملها تسع ساعات

و هذا مروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

وقيل سته أشهر وقيل ثمانيه أشهر و كان ذلك آيه و ذلك أنه لم يعيش مولود وضع لثمانيه أشهر غيره «فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ» أى الجأها الطلق أى وجع الولادة «إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ» فالتجأت إليها لتستند إليها عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و السدى و قيل أجاها أى جاء بها قال ابن عباس: نظرت مريم إلى أكمه فصعدت مسرعه إليها فإذا عليها جذع نخله نخره ليس لها سعف و الجذع ساق النخلة و الألف و اللام دخلت للعهد لا للجنس أى النخلة المعروفه فلما ولدت «قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَ كُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا» أى شيئاً حقيراً متروكاً عن ابن عباس و قيل شيئاً لا يذكر و لا يعرف عن قتاده و قيل حيضه ملقاه عن عكرمه و الضحاك و مجاهد قال ابن عباس: فسمع جبرائيل كلامها و عرف جزعها «فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا» و كان أسفل منها تحت أكمه «أَلَّا تَحْزَنِي» و هو قول السدى و قتاده و الضحاك أن المنادى جبرائيل ناداها من سفح الجبل و قيل ناداها عيسى عن مجاهد و الحسن و وهب و سعيد بن جبير و ابن زيد و ابن جرير و الجبائي و إنما تمت (عليه السلام) الموت كراهيه لأن يعصى الله فيها و قيل استحياء من الناس أن يظنوا بها سوءا عن السدى و

روى عن الصادق (عليه السلام) لأنها لم تر فى قومها رشيداً ذا فراسه ينزهها من السوء

«قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا» أى ناداها جبرائيل أو عيسى ليزول ما عندها من الغم و الجزع لا تغمى قد جعل ربك تحت قدميك نهراً تشربين منه و تطهرين من النفاس عن ابن عباس و مجاهد و سعيد بن جبير قالوا و كان نهراً قد انقطع الماء عنه فأرسل الله الماء فيه لمريم و أحيا ذلك الجذع حتى أثمر و أورق و قيل ضرب جبرائيل (عليه السلام) برجله فظهر ماء عذب و

قيل بل ضرب عيسى برجله فظهرت عين ماء تجرى و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

و قيل السرى عيسى (عليه السلام) عن الحسن و ابن زيد و الجبائي و السرى و هو الشريف الرفيع قال الحسن كان و الله عبداً سريراً «وَهُزَّى إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ» معناه اجذبى إليك بجذع النخلة و الباء مزيده و قال الفراء: العرب تقول هزه و هز به «تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا» مر معناه و

قال الباقر (عليه السلام) لم تستشف النفساء بمثل الرطب إن الله أطعمه مريم فى نفاسها

و قالوا إن الجذع كان يابساً لا ثمر عليه إذ لو كان عليه ثمر لهزته من غير أن تؤمر به و كان فى الشتاء فصار معجزه بخروج الرطب فى غير أوانه و بخروجه دفعه واحده فإن العاده أن يكون نوراً أولاً ثم يصير بلحاً ثم بسراً و روى أنه لم يكن للجذع رأس فضربته برجلها فأورقت و أثمرت و انتثر عليها الرطب جنياً و الشجرة التى لا رأس لها لا تثمر فى العاده و قيل إن تلك النخلة كانت برنيه و

قيل كانت عجوه و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

«فَكُلِّى وَ اشْرَبِي» أى كللى يا مريم من هذا الرطب و اشربى من هذا الماء «وَقَرِّى عَيْنًا» جاء فى التفسير و طبيى نفساً و قيل معناه لتقر عينك سروراً بهذا الولد الذى ترين لأن

دمعه السرور بارده و دمعه الحزن حاره و قيل معناه لتسكن عينك سكون سرور برؤيتك ما تحيين «فَأَمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا» فسألك عن ولدك «فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا» أى صممتا عن ابن عباس و المعنى أوجبت على نفسى لله أن لا أتكلم و قيل صوما أى إمساكا عن الطعام و الشراب و الكلام عن قتاده و إنما أمرت بالصمت ليكفيها الكلام ولدها بما يبرى به ساحتها عن ابن مسعود و ابن زيد و وهب و قيل كان فى بنى إسرائيل من أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم الصائم حتى يمسى يدل على هذا قوله «فَلَنْ أَكَلَمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا» أى إني صائم فلن أكلم اليوم أحدا و كان قد أذن لها أن تتكلم بهذا القدر ثم تسكت و لا تتكلم بشىء آخر عن السدى و قيل كان الله تعالى أمرها بأن تنذر الله الصمت و إذا كلمها أحد تومئ بأنها نذرت لله صممتا لأنه لا يجوز أن يأمرها بأن تخبر بأنها نذرت و لم تنذر لأن ذلك كذب عن أبى على الجبائى «فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِيلُهُ» أى فأتت مريم بعيسى حامله له و ذلك أنها لفته فى خرقه و حملته إلى قومها «قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا» أى أمرا عظيما بديعا إذ لم تلد أنتى قبلك من غير رجل عن مجاهد و قتاده و السدى و قيل أمرا قبيحا منكرا من الافتراء و هو الكذب عن الجبائى «يَا أُخْتُ هَارُونَ» قيل فيه أقوال (أحدها)

أن هارون هذا كان رجلا صالحا فى بنى إسرائيل ينسب إليه كل من عرف بالصلاح عن ابن عباس و قتاده و كعب و ابن زيد و المغيرة بن شعبه يرفعه إلى النبى ص

و قيل إنه لما مات شيع جنازته أربعون ألفا كلهم يسمى هارون فقولهم يا أخت هارون معناه يا شبيهه هارون فى الصلاح ما كان هذا معروفا منك (و ثانيها) أن هارون كان أخاها لأبيها ليس من أمها و كان معروفا بحسن الطريقه عن الكلبي (و ثالثها) أن هارون أخو موسى (عليه السلام) فنسبت إليه لأنها من ولده كما يقال يا أخت تميم عن السدى (و رابعها) أنه كان رجلا فاسقا مشهورا بالعهر و الفساد فنسبت إليه و قيل لها يا شبيهته فى قبح فعله عن سعيد بن جبير «مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَ مَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعِيًّا» أى كان أبواك صالحين فمن أين جئت بهذا الولد «فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ» أى فأومت إلى عيسى (عليه السلام) بأن كلموه و استشهدوه على براءه ساحتى فتعجبوا من ذلك ثم «قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا» معناه كيف نكلم صبيا فى المهد و قيل صبيا فى الحجر رضيعا و كان المهد حجر أمه الذى تربيه فيه إذ لم تكن هيأت له مهدا عن قتاده و قيل إنهم غضبوا عند إشارتها إليه و قالوا لسخريتها بنا أشد علينا من زناها فلما تكلم عيسى (عليه السلام) قالوا إن هذا الأمر عظيم عن السدى «قَالَ» عيسى (عليه السلام) «إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ» قدم إقراره بالعبودية ليطلب به قول من يدعى له الربوبية و كان الله سبحانه أنطقه بذلك لعلمه بما يقوله الغالون فيه ثم قال «آتَانِي الْكِتَابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا» أى حكم لى بإتيان الكتاب و النبوه و قيل إن الله تعالى أكمل عقله فى صغره و أرسله إلى عباده و كان نبيا مبعوثا إلى الناس فى ذلك الوقت مكلفا عاقلا و لذلك كانت له

تلك المعجزه عن الحسن و الجبائى و قيل إنه كلمهم و هو ابن أربعين يوما عن وهب و قيل يوم ولد عن ابن عباس و أكثر المفسرين هو الظاهر و قيل إن معناه أنى عبد الله سيؤتىنى الكتاب و سيجعلنى نبيا و كان ذلك معجزه لمريم (عليه السلام) على براءه ساحتها.

[سوره مريم (١٩): الآيات ٣١ الى ٣٥]

اشاره

وَ جَعَلَنى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَ أَوْصَانى بِالصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَ بَرًّا بِوَالِدَتى وَ لَمْ يَجْعَلْنى جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَ السَّلَامُ عَلىَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أُمُوتى وَ يَوْمَ أُبْعِثُ حَيًّا (٣٣) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذى فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٣٥)

القراءه

قرأ عاصم و ابن عامر و يعقوب «قَوْلَ الْحَقِّ» بالنصب و الباقون بالرفع و فى الشواذ قراءه أبى مجلز و أبى نهيك و برا بوالدتى بكسر الباء.

الحجه

قال أبو على: قول الحق الرفع فيه على أن قوله «ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» كلام و المبتدأ المضممر ما دل عليه هذا الكلام أى هذا الكلام قول الحق و يجوز أن يضم هو و يجعله كناية عن عيسى (عليه السلام) أى هو قول الحق لأنه قد قيل فيه روح الله و كلمته و الكلمه قول و أما النصب فعلى أن قوله «ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» يدل على أحق قول الحق و تقول هذا زيد الحق لا الباطل لأن قولك هذا زيد عندك بمنزله أحق فكأنك قلت أحق الحق و أحق قول الحق و من قال و برا بوالدتى فكأنه قال و ألزمنى برا بوالدتى و يكون معطوفا على موضع الجار و المجرور من قوله «وَ أَوْصَانى بِالصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ» و عليه بيت الكتاب:

" يذهبن فى نجد و غورا غائرا "

أى و يسلكن غورا و إن شئت حملته على حذف المضاف بمعنى و جعلنى ذا بر و إن شئت جعلته إياه على المبالغه كقول الخنساء:

" فإنما هى إقبال و إدبار "

اللغه

السلام مصدر سلمت و السلام جمع سلامه و السلام اسم من أسماء الله تعالى و سلام مما يتبدأ به فى النكره لأنه اسم يكثر استعماله يقال سلام عليك و السلام عليك

و أسماء الأجناس يكثر الابتداء بها و فائده نكرتها قريب من فائده معرفتها تقول لبيك و خير بين يديك و إن شئت قلت و الخير بين يديك إلا أنه لما جرى ذكر سلام قبل هذا الموضع بغير ألف و لام كان الأحسن أن يرد ثانيه بالألف و اللام.

المعنى

ثم بين سبحانه تمام كلام عيسى (عليه السلام) فقال «وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ» أى و جعلنى معلما للخير عن مجاهد و قيل نفاعا حيث ما توجهت و البركه نماء الخير و المبارك الذى ينتمى الخير به و قيل ثابتا دائما على الإيمان و الطاعة و أصل البركه الثبوت عن الجبائى «وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ» أى بإقامه الصلاه و أداء الزكاه «مَا دُمْتُ» أى ما بقيت «حَيًّا» مكلفا «وَبَرًّا بِوَالِدَتِي» أى و اجعلنى بارا بها أودى شكرها فيما قاسته بسبى «وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا» أى متجبرا «شَقِيًّا» و المعنى أنى بلطفه و توفيقه كنت محسنا إلى والدتى متواضعا فى نفسى حتى لم أكن من الجبابره الأشقياء «وَالسَّلَامُ عَلَيَّ» أى و السلامه على من الله «يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أَمُوتُ وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا» أى فى هذه الأحوال الثلاث و قد مر تفسيرها قبل فى قصه يحيى و فى هذه الآيات دلالة على أنه يجوز أن يصف الإنسان نفسه بصفات المدح إذا أراد تعريفها إلى غيره لا على وجه الافتخار قيل و لما كلمهم عيسى (عليه السلام) بهذا علموا براهه مريم ثم سكت عيسى (عليه السلام) فلم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ المده التى يتكلم فيها الصبيان «ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» معناه ذلك الذى قال إنى عبد الله عيسى بن مريم لا ما يقوله النصارى من أنه ابن الله و أنه إله «قَوْلَ الْحَقِّ» مر معناه فى الحجه «الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ» أى يشكون يعنى اليهود و النصارى فزعمت اليهود أنه ساحر كذاب و زعمت النصارى أنه ابن الله و ثالث ثلاثة و قيل و هو افتراء النصارى و اختلافهم فبعضهم قالوا هو الله و قال بعضهم ابن الله و قال بعضهم ثالث ثلاثة ثم كذبهم الله تعالى فقال «مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ» معناه ما كان ينبغى لله أن يتخذ من ولد أى ما يصلح له و لا يستقيم عن ابن الأنبارى قال فنابت اللام عن الفعل و ذلك أن من اتخذ ولدا فإنما يتخذه من جنسه لأن الولد مجانس للوالد و الله تعالى ليس كمثله شىء فلا يكون له سبحانه ولد و لا يتخذ ولدا و قوله «مِنْ وَلَدٍ» من هذه هى الذى تدل على نفى الواحد و الجماعه فالمعنى أنه لا يجوز أن يتخذ ولدا واحدا و لا أكثر ثم نزه سبحانه نفسه عن ذلك فقال «سُبْحَانَهُ» ثم بين السبب فى كون عيسى من غير أب فقال «إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» و قد مر تفسيره فيما مضى و المعنى أنه لا يتعذر عليه إيجاد شىء على الوجه الذى أراده.

إشارة

وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٣٦) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٣٧) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٨) وَانذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٩) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجِعُونَ (٤٠)

القراءة

قرأ أهل الكوفة و ابن عامر و روح و زيد عن يعقوب «وَإِنَّ اللَّهَ» بكسر الهمزة و الباقون بالفتح.

الحجة

قال أبو علي: حجه من كسر أنه جعله مستأنفا كما أن المعطوف عليه مستأنف و حجه من فتح أنه حمله على قوله و أوصاني بالصلاة و الزكاة و بأن الله ربي و ربكم.

الإعراب و المعنى

قوله «وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ» من فتح الهمزة ففيه أربعة أوجه (أحدها) أن المعنى و قضى أن الله ربي و ربكم عن أبي عمرو بن العلاء (و الثاني) أنه معطوف على كلام عيسى أي و أوصاني بأن الله ربي و ربكم (و الثالث) ذلك عيسى بن مريم و ذلك أن الله ربي و ربكم عن الفراء (و الرابع) أن العامل فيه فاعبده و التقدير و لأن الله ربي و ربكم «فَاعْبُدُوهُ» فحذف الجار و من كسر الهمزة جاز أن يكون معطوفا على قوله قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ أَي و قَالَ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ وَ جاز أن يكون ابتداء كلام من الله تعالى أو أمر من الله لرسوله أن يقول ذاك و قوله «هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ» معناه هذا طريق واضح فالزموه و قيل إن المعنى هذا الذي أخبرتكم إن الله أمرني به هو الدين المستقيم الذي لا اعوجاج فيه «فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ» الاختلاف في المذهب أن يعتقد كل قوم خلافا ما يعتقد الآخرون و الأحزاب جمع حزب و هو الجمع المنقطع في رأيه عن غيره و تحزبوا أي صاروا أحزابا فالمعنى أن الأحزاب من أهل الكتاب اختلفوا في عيسى (عليه السلام) فقال قوم منهم هو الله و هم اليعقوبيه و قال آخرون هو ابن الله و هم النسطوريه و قال آخرون هو ثالث ثلاثه و هم الإسرائيليه و قال المسلمون هو عبد الله عن قتاده و مجاهد و إنما قال من بينهم لأن منهم

من ثبت على الحق وقيل إن من زائده والمعنى اختلفوا بينهم «فَوَيْلٌ» أى فشدته عذاب وهى كلمه وعيد «لِلَّذِينَ كَفَرُوا» بالله بقولهم فى المسيح «مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ» المشهد بمعنى الشهود والحضور أى من حضورهم ذلك اليوم وهو يوم القيامة وسمى عظيما لعظم أهواله وقيل ويل لهم من مجمع يوم أى من الفضيحة على رءوس الجمع يومئذ «أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا» قيل فيه وجهان (أحدهما) أن التقدير صاروا ذوى سمع وبصر والجار والمجرور فى موضع رفع لأنه فاعل أسمع والمعنى ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة وإن كانوا فى الدنيا صما وبكما عن الحق عن الحسن ومعناه الإخبار عن قوه علومهم بالله تعالى فى تلك الحال ومثله قوله فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ «لَكِنَّ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فى ضَلَالٍ مُّبِينٍ» يعنى أن الكافرين فى الدنيا آثروا الهوى على الهدى فهم فى ذهاب عن الدين وعدول عن الحق والمراد أنهم فى الدنيا جاهلون وفى الآخرة عارفون حيث لا تنفعهم المعرفة وقال أبو مسلم: وهذا يدل على أن قوله سبحانه صُمْ بِكُمْ عُمَى لیس معناه الآفه فى الأذن واللسان والعين بل هو أنهم لا يتدبرون ما يسمعون ويرون ولا يعتبرون ألا ترى أنه جعل قوله «لَكِنَّ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فى ضَلَالٍ مُّبِينٍ» فى مقابلته فأقام السمع والبصر مقام الهدى إذ جعله فى مقابله الضلال المبين (و الثانى) أن معناه أسمعهم وأبصرهم أى بصرهم و بين لهم أنهم إذا أتوا مع الناس إلى موضع الجزاء سيكونون فى ضلال مبين عن الجنة والثواب عن الجبائى قال ويجوز أن يكون المعنى أسمع الناس بهؤلاء الأنبياء وأبصرهم بهم ليعرفوهم ويعرفوا خبرهم فيؤمنوا بهم لكن من كفر بهم من الظالمين اليوم يعنى يوم القيامة فى ضلال عن الجنة وهذا بعيد وقد استدرک على الجبائى فى قوله والأولى والأظهر فى الآيه الوجه الأول «وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ» الخطاب للنبي ص والمعنى خوف يا محمد كفار مکه يوم يتحسر المسىء هلا أحسن العمل والمحسن هلا ازداد من العمل وهو يوم القيامة وقيل إنما يتحسر المستحق للعقاب فأما المؤمن فلا يتحسر و

روى مسلم فى الصحيح بالإسناد عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله ص إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قيل يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون وقيل يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيجاء بالموت كأنه كبش أملح فيقال لهم تعرفون الموت فيقولون هذا هذا وكل قد عرفه قال فيقدم فيذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت وقال فى ذلك قوله «وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ» الآيه و رواه أصحابنا عن أبى جعفر (عليه السلام) و أبى عبد الله (عليه السلام) ثم جاء فى آخره فيفرح أهل الجنة فرحا لو كان أحد يومئذ ميتا لماتوا فرحا ويشهق أهل النار شهقه لو كان أحد ميتا لماتوا

«إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ» أى فرغ من الأمر وانقطعت الآمال وأدخل قوم النار وقوم الجنة وقيل معناه

انقضى أمر الدنيا فلا يرجع إليها الاستدراك الفأنت وقيل معناه حكم بين الخلائق بالعدل وقيل قضى على أهل الجنة بالخلود و
قضى على أهل النار بالخلود «وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ» فى الدنيا عن ذلك و معناه إنهم مشغولون اليوم بما لا يعينهم غافلون عن أحوال
الآخرة «وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» أى لا- يصدقون بذلك ثم أخبر سبحانه عن نفسه فقال «إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَ مَنْ عَلَيْهَا» أى نميت
سكانها فنرثها و من عليها من العقلاء لأننا نميتهم و نهلكهم فلا يبقى فيها مالك و متصرف «وَ إِلَيْنَا يُرْجَعُونَ» أى إلينا يردون بعد
الموت أى إلى حيث لا يملك الأمر و النهى غيرنا.

إشارة

وَ اذْكَرْ فِي الْكِتَابِ اِبْرَاهِيمَ اِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤١) اِذْ قَالَ لِاَبِيهِ يَا اَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا اَبَتِ اِنِّي قَدْ جِئْتُ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي اَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا اَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ اِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا اَبَتِ اِنِّي اَخَافُ اَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥)

قَالَ اَرَاغِبُ اَنْتَ عَنِ اِلٰهِي يَا اِبْرَاهِيمَ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَمَ اَرْجُمَنَّكَ وَ اِهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي اِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَ اَعْتَزَلْتُكُمْ وَ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَ اَدْعُوا رَبِّي عَسَى اَلَّا اَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨) فَلَمَّا اَعْتَزَلْتَهُمْ وَ مَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَ هَبْنَا لَهُ اِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩) وَ وَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَ جَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (٥٠)

القراء

قد ذكرنا الاختلاف بين القراء في قوله «يا أبت» و الوجه في ذلك في سورة يوسف (عليه السلام).

اللغة

الصديق هو كثير التصديق بالحق حتى يصير علما فيه و الرغبة عن الشيء نقيض الرغبة فيه و الترغيب الدعاء إلى الرغبة في الشيء و الانتهاء الامتناع من الفعل المنهى عنه يقال نهاه عن الأمر فانتهى و أصله النهايه و النهى زجر عن الخروج من النهايه المذكوره و التناهي بلوغ نهايه الحد و الرجم الرمي بالحجاره و الرجم الشتم و أصله من الرجم و الرجام و هو الحجاره و الملى الدهر الطويل قال القراء: يقال كنت عندنا ملوه و ملوه و ملاوه و ملاوه و كله من طول المقام و الحفى المستقصى فى السؤال و الحفى اللطيف بعموم النعمه و أصل الباب الاستقصاء تقول تحفيت به أى بالغت فى إكرامه و حفوته من كل خير بالغت فى منعه و أحفيت شاربى بالغت فى أخذه حتى استأصلته و أحفيت فى السؤال بالغت و كل شىء استوصل فقد احتفى و تقول العرب جاءنى لسان فلان أى مدحه و ذمه قال عامر بن الحرث:

إنى أتنى لسان لا أسر بها من علو لا عجب منها و لا سخر

جاءت مرجمه قد كنت أحذرها لو كان ينفعنى الإشفاق و الحذر

. الإعراب

قال الزجاج: العرب تقول فى النداء يا أبت و يا أمت و لا يقال قال أبتى كذا و قالت أمتى كذا و زعم الخليل و سيبويه أنهما بمنزله قولهم يا عمه و يا خاله و زعم أنه بمنزله قولهم رجل ربه و غلام يفعه و أن الهاء عوض من ياء الإضافة فى يا أبى و يا أمى و قوله «مليًّا» منصوب على الظرف و كلا مفعول جعلنا.

ثم ذكر سبحانه قصه إبراهيم (عليه السلام) فقال «وَ اذْكُرْ» يا محمد «فِي الْكِتَابِ» أى القرآن «إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا» أى كثير التصديق فى أمور الدين عن الجبائى وقيل صادقًا مبالغًا فى الصدق فيما يخبر عن الله تعالى عن أبى مسلم «نَبِيًّا» أى عليا رفيع الشأن برسالة الله تعالى «إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ» آزر «يَا أَبَتِ» أى يا أبى و دخلت التاء للمبالغة فى تحقيق الإضافة «لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ» دعاء من يدعوه «وَ لَا يُبْصِرُ» من يتقرب إليه و يعبده «وَ لَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا» من أمور الدنيا أى لا يكفيك شيئًا فلا ينفعك و لا يضررك «يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ» بالله و المعرفة «مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي» على ذلك و اقتد بى فيه «أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا» أى أوضح لك طريقًا مستقيمًا معتدلاً غير جائر بك عن الحق إلى الضلال «يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ» أى لا تطعه فيما يدعوك إليه فتكون بمنزله من عبده و لا شبهه أن الكافر لا يعبد الشيطان و لكن من أطاع شيئًا فقد عبده «إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ

عَصِيًّا» أى عاصيا «يا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عِذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ» أى يصيبك عذاب من جهه الله سبحانه لإصرارك على الكفر «فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا» أى فتكون موكولا- إلى الشيطان و هو لا- يغنى عنك شيئا عن الجبائى وقيل معناه فتكون لا حقا بالشيطان باللعن و الخذلان و اللاحق يسمى التالى و الذى يتلو الشىء و الذى يليه سواء عن أبى مسلم وقيل فتكون له قرينا فى النار وقيل معناه فيكون الشيطان ولى نصرتك و لم يقل فيكون الشيطان وليك لأنه أبلغ فى الفصيحه و إنما أراد زجره عن موالاه الشيطان لا تحقيق النصره يعنى إذا لم يكن لك إلا نصرته فأنت مخذول لا ناصر لك و قد بينا فيما مضى أن الذى يقوله أصحابنا أن هذا الخطاب من إبراهيم (عليه السلام) إنما توجه إلى من سماه الله أبا له لأنه كان جدا لإبراهيم (عليه السلام) لأمه و أن أباه الذى ولده كان اسمه تارخ لإجماع الطائفة على أن آباء نبينا ص إلى آدم (عليه السلام) كلهم مسلمون موحدون

و لما روى عنه ص أنه قال لم يزل ينقلنى الله تعالى من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات حتى أخرجنى فى عالمكم هذا

و الكافر غير موصوف بالطهاره لقوله تعالى «إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ» «قال» آزر مجيبا لإبراهيم (عليه السلام) حين دعاه إلى الإيمان «أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي» أى أ معرض أنت عن عباده آلتهى التى هى الأصنام «يا إبراهيم» و تارك لها و زاهد فيها «لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ» أى لئن لم تمتنع عن هذا «لَأَرْجُمَنَّكَ» بالحجاره عن الحسن و الجبائى وقيل لأرمينك بالذنب و العيب و أشتمنك عن السدى و ابن جريج وقيل معناه لأقتلنك «وَ أَهْجُرْنِي مَلِيًّا» أى فارقتى دهرًا طويلا عن الحسن و مجاهد و سعيد بن جبير و السدى وقيل مليا سويا سليما عن عقوبتى عن ابن عباس و قتاده و عطاء و الضحاک من قولهم فلان ملئ بهذا الأمر إذا كان كاملا فيه مضطلعا به «قال» إبراهيم «سَيَلَامٌ عَلَيْكَ» سلام توديع و هجر على أطف الوجوه و هو سلام متاركة و مباعده منه عن الجبائى و أبى مسلم وقيل هذا سلام إكرام و بر فقابل جفوه أبيه بالبر تأديه لحق الأبوه أى هجرتك على وجه جميل من غير عقوق «سَأَسْأَلُكَ رَبِّي» قيل فيه أقوال (أحدها) أنه إنما وعده بالاستغفار على مقتضى العقل و لم يكن بعد قد استقر قبح الاستغفار للمشركين (و ثانيها) أنه قال سأستغفر لك ربي على ما يصح و يجوز من تركك عباده الأوثان و إخلاص العباده لله تعالى عن الجبائى (و ثالثها) أن معناه سأدعو الله أن لا يعذبك فى الدنيا عن الأصم «إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا» أى بارا لطيفا رحيفا عن ابن عباس و مقاتل وقيل إن الله عودنى إحسانه و كان لى مكرما وقيل كان عالما بى و بما أبتغيه من مجالدتك لعله يهديك «وَ أَعْتَرْتُكُمْ وَ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» أى و أنتحى منكم جانبا و اعتزل عباده ما تدعون من دونه من الأصنام «وَ ادْعُوا» أى و أعبد «رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا» كما شقيتم بدعاء الأصنام و إنما ذكر عسى على وجه

الخشوع وقيل معناه لعله يقبل طاعتي و عبادتي و لا أشقى بالرد فإن المؤمن بين الرجاء و الخوف «فَلَمَّا اعْتَرَلَهُمْ وَ مَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» أى فارقهم و هاجرهم إلى الأرض المقدسه «وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ» ولدا «وَوَيْعُوبَ» ولد ولد «وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا» أى آنسنا وحشته من فراقهم بأولاد كرام على الله و كلا من هذين جعلناه نبيا يقتدى به فى الدين «وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا» أى نعمتنا سوى الأولاد النبوه من نعم الدين و الدنيا «وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا» أى ثناء حسنا فى الناس على مرتفعا سائرا فى الناس و كل أهل الأديان يتولون إبراهيم و ذريته و يثنون عليهم و يدعون أنهم على دينهم و قيل معناه و أعلينا ذكرهم بأن محمدا ص و أمته يذكرونهم بالجميل إلى قيام القيامة و قيل هو ما يتلى فى التشهد كما صليت على إبراهيم و آل إبراهيم.

[سوره مريم (١٩): الآيات ٥١ الى ٥٥]

إشارة

وَ اذْكَرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥١) وَ نادَيْناه مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَ قَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (٥٢) وَ وَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (٥٣) وَ اذْكَرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥٤) وَ كَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ وَ كَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (٥٥)

القراءة

قرأ أهل الكوفة «مُخْلَصًا» بفتح اللام و الباقون مخلصا بكسرها.

الحجج

من كسر اللام فحجته و أَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ و من فتحها فحجته إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ.

اللغة

يقال ناجاه يناجيه إذا اختصه بكلام ألقاه إليه و أصل النجاه الارتفاع من الأرض و منه النجاه أيضا و هو الارتفاع عن الهلكه و النجاه السرعة لأنه ارتفاع فى السير و منه المناجاه لأنه ارتفاع الحديث إلى المحدث و النجى بمعنى المناجى كالجليس و الضجيع و قيل نجى مصدر بمعنى ارتفاع لأن معنى قربناه رفعناه و يجوز أن يكون التقدير و قربناه مكانا رفيعا.

المعنى

ثم ذكر سبحانه حديث موسى (عليه السلام) فقال «وَ اذْكَرْ» يا محمد (فى

الْكِتَابِ» الذى هو القرآن «مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا» أخلص العباد لله تعالى و أخلص نفسه لأداء رساله و بفتح اللام يكون معناه أخلصه الله بالنبوه و اختاره للرساله «وَ كَانَ رَسُولًا» إلى فرعون و قومه «نَبِيًّا» رفيع الشأن على القدر «وَ نَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْمَأْيَمَنِ» الطور جبل بالشام ناداه الله تعالى من جانبه اليمين و هى يمين موسى و قيل من جانب اليمين من الطور يريد حيث أقبل من مدين و رأى النار فى الشجره و هو قوله «يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» «وَ قَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا» أى مناجيا كليما قال ابن عباس: قربه الله و كلمه و معنى هذا التقريب أنه أسمع كلامه و قيل قربه حتى سمع صرير القلم الذى كتبت به التوراه و قيل قربناه أى و رفعنا منزلته و أعلينا محله حتى صار محله منا فى الكرامه و المنزله محل من قربه مولاه فى مجلس كرامته فهو تقرب كرامه و اصطفاء لا تقرب مسافه و إدناء إذ هو سبحانه لا يوصف بالحلول فى مكان فيقرب من بعد أو يبعد من قرب أو يكون أحد أقرب إليه من غيره «وَ وَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا» أى أنعمنا عليه بأخيه هارون حيث قال وَ اجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِى هَارُونَ وَ جعلناه نبيا أشركناه فى أمره و شددنا به أزره «وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ» الذى هو القرآن «إِسْمَاعِيلَ» بن إبراهيم أيضا «إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ» إذا وعد بشىء وفى به و لم يخلف «وَ كَانَ» مع ذلك «رَسُولًا نَبِيًّا» إلى جرهم و قد مضى معناه

قال ابن عباس أنه واعد رجلا أن ينتظره فى مكان و نسى الرجل فانتظره سنه حتى أتاه الرجل و ذلك مروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل أقام ينتظره ثلاثه أيام عن مقاتل و قيل أن إسماعيل بن إبراهيم (عليه السلام) مات قبل أبيه إبراهيم (عليه السلام)

و إن هذا هو إسماعيل بن حزقيل بعثه الله إلى قومه فسلخوا جلده ووجهه و فروه رأسه فخيره الله فيما شاء من عذابهم فاستغفاه و رضى بثوابه و فوض أمرهم إلى الله تعالى فى عفوه و عقابه و رواه أصحابنا عن أبى عبد الله (عليه السلام) ثم قال فى آخره أتاه ملك من ربه يقرئه السلام و يقول قد رأيت ما صنع بك و قد أمرنى بطاعتك فمرنى بما شئت فقال يكون لى بالحسين (عليه السلام) أسوه

«وَ كَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ» أى قومه و عترته و عشيرته و قيل أمته عن الحسن «بِالصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ» و قيل أنه كان يأمر أهله بصلاه الليل و صدقه النهار «وَ كَانَ» مع ذلك «عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا» قد رضى أعماله لأنها كلها طاعات لم تكن فيها قبائح و قيل مرضيا معناه صالحا زكيا رضى فحصل له عنده المنزله العظيمه.

أشاره

وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ اِدْرِيسَ اِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٥٦) وَ رَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (٥٧) اُولَئِكَ الَّذِيْنَ اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّنَ مِنْ ذُرِّيَّةِ اٰدَمَ وَ مِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَ مِنْ ذُرِّيَّةِ اِبْرٰهِيْمَ وَ اِسْرٰئِيْلَ وَ مِمَّنْ هَدَيْنَا وَ اجْتَبَيْنَا اِذَا تَتَلٰوْا اٰيٰتِ الرَّحْمٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَ بُكِيًّا (٥٨) فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ اَضَاعُوا الصَّلٰةَ وَ اتَّبَعُوا الشَّهْوٰتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا (٥٩) اِلَّا مَنْ تَابَ وَ اٰمَنَ وَ عَمِلَ صٰلِحًا فَاُولٰٓئِكَ يَدْخُلُوْنَ الْجَنَّةَ وَ لَا يُظْلَمُوْنَ شَيْئًا (٦٠)

اللغة

العلی العظيم العلو و العلی العظيم فيما يقدر به علی الأمور و منه یوصف الله تعالی بأنه علی و الفرق بین العلی و الرفیع أن العلی قد یكون بمعنی الاقتدار و بمعنی علو المكان و الرفیع من رفع المكان لا غیر و لذلك لا یوصف الله تعالی بأنه رفیع و أما رفیع الدرجات فإنه وصف للدرجات بالرفعه و بکی وزنه فعول و هو جمع باک و یجوز أن یكون مصدرا بمعنی البکاء و الخلف بفتح اللام یستعمل فی الصالح و بسكون اللام فی الطالح و قد یستعمل کل واحد فی الآخر قال لیبید:

ذهب الذین یعاش فی أکنافهم و بقیة فی خلف کجلد الأجر

. الإعراب

«سُجَّدًا وَ بُكِيًّا» نصب علی الحال و تقدیره خروا ساجدين و باکین قال الزجاج: و هی حال مقدره المعنی خروا مقدرین السجود لأن الإنسان فی حال خروره لا یكون ساجدا «إِلَّا مَنْ تَابَ» فی موضع نصب أى فسوف یلقون العذاب إلا التائبین فیكون الاستثناء متصلا و یجوز أن یكون الاستثناء منقطعا من غیر الأول و یكون المعنی لكن من تاب و آمن فأولئك یدخلون الجنة.

المعنى

ثم ذكر سبحانه حديث إدریس فقال «وَ اذْكُرْ» یا محمد «فِي الْكِتَابِ» الذى هو القرآن «إِدْرِيسَ» و هو جد أب نوح (عليه السلام) و اسمه فى التوراه أخنوخ و قيل أنه سمى

إدريس لكثرة درسه الكتب و هو أول من خط بالقلم و كان خياطاً و أول من خاط الثياب و قيل إن الله تعالى علمه النجوم و الحساب و علم الهياه و كان ذلك معجزه له «إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا» مر معناه «وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا» أى عالياً رفيعاً و قيل إنه رفع إلى السماء الرابعه عن أنس و أبى سعيد الخدرى و كعب و مجاهد و قيل إلى السماء السادسة عن ابن عباس و الضحاك قال مجاهد: رفع إدريس (عليه السلام) كما رفع عيسى (عليه السلام) و هو حى لم يميت و قال آخرون

أنه قبض روحه بين السماء الرابعه و الخامسه و روى ذلك عن أبى جعفر

و قيل إن معناه و رفعنا محله و مرتبته بالرساله كقوله تعالى «وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ» و لم يرد به رفعه المكان عن الحسن و الجبائى و أبى مسلم و لما فصل سبحانه ذكر النبيين و وصف كلاله منهم بصفه تخصه جمعهم فى المدح و الثناء فقال «أُولَئِكَ» تقدم ذكرهم «الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» بالنبوه و قيل بالثواب و بسائر النعم الدينيه و الدنيويه «مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَ مِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَ مِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْرَائِيلَ» إنما فرق سبحانه ذكر نسبهم مع أن كلهم كانوا من ذريه آدم (عليه السلام) لتبيان مراتبهم فى شرف النسب فكان لإدريس شرف القرب لآدم لأنه جد نوح (عليه السلام) و كان إبراهيم من ذريه من حمل مع نوح لأنه من ولد سام بن نوح و كان إسماعيل و إسحاق و يعقوب من ذريه إبراهيم لما تباعدوا من آدم حصل لهم شرف إبراهيم و كان موسى و هارون و زكريا و يحيى و عيسى و من ذريه إسرائيل «وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَ اجْتَبَيْنَا» قيل إنه تم الكلام عند قوله «إِسْرَائِيلَ» ثم ابتداء فقال «وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَ اجْتَبَيْنَا» من الأمم قوم «إِذَا تُلْتَمَسُ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَ بُكْيًا» فحذف لدلاله الكلام عليه عن أبى مسلم و

روى عن على بن الحسين (عليه السلام) أنه قال نحن عينا بها

و قيل بل المراد به الأنبياء الذين تقدم ذكرهم من ذريه آدم و ممن هديناهم و اجتبيناهم أى هديناهم إلى الحق فاهتدوا و اخترناهم من بين الخلق ثم وصفهم فقال «إِذَا تُلْتَمَسُ عَلَيْهِمْ» أى تقرأ عليهم «آيَاتُ الرَّحْمَنِ» و هو القرآن عن ابن عباس «خَرُّوا سُجَّدًا» أى ساجدين لله «وَبُكْيًا» أى باكين متضرعين إليه بين الله سبحانه أنهم مع جلاله قدرهم كانوا يبكون عند ذكر آيات الله و هؤلاء العصاه ساهون لاهون مع إحاطه السيئات بهم ثم أخبر سبحانه فقال «فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ» و الخلف البدل السيئ معناه من بعد النبيين المذكورين قوم سوء و قيل هم اليهود و من تبعهم لأنهم من ولد إسرائيل و قيل هم من هذه الأمه عند قيام الساعه عن مجاهد و قتاده «أَضَاعُوا الصَّلَاةَ» تركوها عن محمد بن كعب و

قيل أضاعوها بتأخيرها عن مواقيتها من غير أن تركوها أصلاً عن ابن مسعود و إبراهيم و عمر بن عبد العزيز و الضحاك و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

«وَأَتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ» أى انفذوا الشهوات فيما حرم الله عليهم فقال وهب: فخلف من بعدهم خلف

شرابون للقهوات لعابون بالكعبات ركابون للشهوات متبعون للذات تاركون للجمعات مضيعون للصلوات «فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا» أى يلقون مجازاه الغى عن الزجاج وهذا كقوله «وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا» أى مجازاه الآثام وقيل يلقون غيا أى شرا وخيبه عن ابن عباس و ابن زيد و منه قول الشاعر:

" و من يغو لا يعدم على الغى لائما "

أى يخب و قيل الغى واد فى جهنم عن ابن مسعود و عطاء و كعب «إِلَّا مَنْ تَابَ» أى ندم على ما سلف «وَأَمَّنَ» فى مستقبل عمره «وَعَمِلَ صَالِحًا» من الواجبات و المندوبات «فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَ لَا يُظَلَّمُونَ شَيْئًا» و من قرأ يدخلون بضم الياء و فتح الخاء أراد أن الله سبحانه يدخلهم الجنة بأن يأمرهم بدخولها و هذا يطابق قوله «وَأَمَّنَ» و من قرأ «يَدْخُلُونَ» أراد أنهم يدخلونها بأمر الله و المعنيان واحد و لا يبخسون شيئاً من ثوابهم بل يوفيه الله إليهم على التمام و الكمال و فى هذا دلالة على أن الله لا يمنع أحدا ثواب عمله و لا يبطله لأنه سبحانه سمي ذلك ظلما.

[سوره مريم (١٩): الآيات ٦١ الى ٦٥]

اشاره

جَنَّاتٍ عِدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا (٦١) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٦٢) تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا (٦٣) وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (٦٥)

القراءه

قرأ رويس عن يعقوب نورث بالتشديد و الباقون «نُورِثُ» و فى بعض الروايات عن أبى عمرو «هَلْ تَعْلَمُ» يدغم اللام فى التاء و الأكثر الإظهار.

الحجه

يقال أورثه و ورثه بمعنى قال أبو على يرى سيبويه أن إدغام اللام فى التاء و الدال و الطاء و الصاد و الزاى و السين جائز لأن مخرج اللام قريب من مخارجهن و هى حروف

ص: ٣٨٨

طرف اللسان و أنشد لمزاحم العقيلي:

فذر ذا و لكن هتيعن متيما على ضوء برق آخر الليل ناصب.

الإعراب

«جَنَاتِ عَدْنٍ» بالنصب على البدل من قوله الْجَنَّةَ وقوله «بِالْغَيْبِ» فى موضع الحال أى كائنه بالغيب و ذو الحال جنات عدن و سلاما استثناء منقطع فكأنه قال لا يسمعون فيها كلاما يؤلمهم و لكن يسمعون سلاما «و ما نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ» تقديره قل ما نتنزل فأضمر القول. «لَهُ ما بَيِّنَ أَيْدِينا وَ ما خَلَفْنَا وَ ما بَيِّنَ ذَلِكَ» قال أبو على هذه الآية تدل على أن الأزمنة ثلاثه ماض و هو قوله «ما بَيِّنَ أَيْدِينا» و مستقبل و هو قوله «و ما خَلَفْنَا» و حال و هو قوله «و ما بَيِّنَ ذَلِكَ» «و ما كان رَبُّكَ نَسِيًّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» بدل من اسم كان و إن شئت كان خبر مبتدأ محذوف و إن شئت كان مبتدأ و قوله «فَاعْبُدْهُ» خبره و هذا على قول الأخفش دون سيبويه.

النزول

قيل أن العاص بن وائل السهمي لم يعط أجره أجير استعمله و قال لو كان ما يقوله محمد حقا فنحن أولى بالجنة و نعيمها فحينئذ أوفره أجره فنزل «تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ» الآية و قيل احتبس الوحي أياما لما سئل النبي ص عن قصه أصحاب الكهف و ذى القرنين و الروح فشق ذلك عليه فلما أتاه جبرائيل استبطأه فنزلت «و ما نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ» الآية عن عكرمه و الضحاك و قتاده و الكلبي و مقاتل.

المعنى

ثم وصف سبحانه الجنة فقال «جَنَاتِ عَدْنٍ» أى جنات إقامه يقال عدن بالمكان إذا أقام به و وحد فى الآية المتقدمه و جمع هاهنا فكأنه جنة تشتمل على جنات و قيل لأن لكل واحد من المؤمنين جنة تجمعها الجنة العظماء «الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ» المراد بالعباد المؤمنون كما قال فَاذْخُلِي فِي عِبَادِي وَ ادْخُلِي جَنَّتِي و قيل إنه يتناول المؤمن و الكافر و لكن بشرط رجوع الكافر عن كفره و قال «بِالْغَيْبِ» لأنهم غابوا عما فيها مما لا عين رأت و لا أذن سمعت عن ابن عباس و المعنى أنه وعدهم أمرا لم يكونوا يشاهدونه فصدقوه و هو غائب عنهم «إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ» أى موعوده «مَأْتِيًّا» أى آتيا لا محاله و المفعول هنا بمعنى الفاعل لأن ما آتيته فقد أتاك و ما أتاك فقد آتيته يقال أتيت على خمسين سنة و أتت على خمسون سنة و قيل إن الموعود هو الجنة و الجنة مأتية يأتيها المؤمنون «لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا» أى لا يسمعون فى تلك الجنات القول الذى لا معنى له يستفاد و هو اللغو و قيل قد

يكون اللغو الهزل و ما يلغى من الكلام مثل الفحش و الأباطيل «إِلَّا سَيْلَمًا» أى إلا سلام الملائكة عليهم و سلام بعضهم على بعض قال الزجاج: السلام اسم جامع لكل خير لأنه يتضمن السلامه أى يسمعون ما يسلمهم «وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا» قال المفسرون ليس فى الجنة شمس و لا قمر فيكون لهم بكره و عشيا و المراد أنهم يؤتون برزقهم على ما يعرفونه من مقدار الغداء و العشاء و قيل كانت العرب إذا أصاب أحدهم الغداء و العشاء لعجبت به و كانت تكره الوجبه و هى الأكله الواحده فى اليوم فأخبر الله تعالى أن لهم فى الجنة رزقهم بكره و عشيا على قدر ذلك الوقت و ليس ثم ليل و إنما هو ضوء و نور عن قتاده و قيل إنهم يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب و إغلاق الأبواب و مقدار النهار برفع الحجب و فتح الأبواب «تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي هِيَ مذكوره فى قوله «فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ» التى «نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا» أى إنما نملك تلك الجنة من كان تقيا فى دار الدنيا بترك المعاصى و فعل الطاعات و إنما قال «نُورِثُ» مع أنه ليس بتمليك نقل من غيرهم إليهم لأنه شبه بالميراث من جهه أنه تمليك بحال استؤنفت عن حال قد انقضت من أمر الدنيا كما ينقضى حال الميت من أمر الدنيا عن الجبائى و قيل إنه تعالى أورثهم من الجنة المساكن و المنازل التى كانت لأهل النار لو أطاعوا الله تعالى و أضاف العباد إلى نفسه لأنه أراد المؤمنين «وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ»

قال ابن عباس إن النبى ص قال لجبرائيل ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا

فنزل «وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ» الآية أى إذا أمرنا نزلنا عليك و هو قول مجاهد و قتاده و الضحاك و قيل إنه قول أهل الجنة إنا لا ننتزل موضعاً من الجنة إلا بأمر الله تعالى عن أبى مسلم «لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ» معناه له ما بين أيدينا من أمر الآخرة و ما خلفنا أى ما مضى من أمر الدنيا و ما بين ذلك أى ما بين النفختين عن ابن عباس و قتاده و الضحاك و الربيع قال مقاتل: و ما بين النفختين أربعون سنه و قيل معناه ابتداء خلقنا و منتهى آجالنا و مده حياتنا و قيل ما بين أيدينا ما بقى من أمر الدنيا و ما خلفنا ما مضى من الدنيا و ما بين ذلك من حياتنا أى هو المدبر لنا فى الأوقات الماضيه و الآتية و الذاهبه و قيل ما بين أيدينا أى الأرض عند نزولنا و ما خلفنا السماوات إذ نزلنا منها و ما بين ذلك السماء و الأرض «وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا» قيل هذا تمام حكاية قول الملائكة و قول أهل الجنة و قيل بل تم الكلام قبله ثم أخبر الله سبحانه عن نفسه و معناه أنه سبحانه ليس ممن ينسى و يخرج عن كونه عالماً لأنه عالم لذاته و تقديره و ما نسيك يا محمد و إن آخر الوحي عنك و قيل ما كان ربك ناسياً لأحد حتى لا يبعثه يوم القيامة عن أبى مسلم «رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» أى خالقهما و مدبرهما «وَمَا يَنْبَغُهَا» من الخلائق و الأشياء «فَاعْبُدْهُ» وحده لا شريك له «وَأَصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ»

أى اصبر على تحمل مشقه عبادته ثم قال لنبيه ص «هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا» أى مثلا و شبيها عن ابن عباس و مجاهد و ابن جريج و سعيد بن جبير و قيل هل تعلم أحدا يستحق أن يسمى إليها إلا هو عن الكلبي و قيل هل تعلم أحدا يسمى إليها خالقا رازقا محيا مميتا قادرا على الثواب و العقاب سواه حتى تعبده فإذا لم تعلم ذلك فالزم عبادته و هذا استفهام بمعنى النفي أى لا تعلم من يسمى بلفظه الله.

[سوره مريم (١٩): الآيات ٦٦ الى ٧٠]

اشاره

وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦) أَوْ لَا- يَذُكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ يَكُ شَيْئًا (٦٧) فَو رَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَ الشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (٦٨) ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا (٦٩) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا (٧٠)

القراءه

قرأ نافع و عاصم و ابن عامر و روح و زيد عن يعقوب و سهل «أَوْ لَا يَذُكُرُ» خفيفا و الباقون أ و لا يذكر بالتشديد.

الحجه

قال أبو على: التذکر يراد به التدبر و التفكير و ليس تذکرا عن نسيان و الثقيله كأنه فى هذا المعنى أكثر فمن ذلك قوله أَوْ لَمْ نَعْمَرُكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ و قال إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ* فأضافته إلى أولى الألباب يدل على أن المراد به النظر و التفكير و الخفيفه فى هذا المعنى دون ذلك فى الكثره و قد قال الله تعالى إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ* فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ* و زعموا أنه فى حرف أبى أ و لا يتذكر و أما قوله «وَلَمْ يَكُ شَيْئًا» فمعناه لم يك شيئا موجودا و ليس يراد أنه قبل الخلق لم يقع عليه اسم شىء و هذا كقوله تعالى هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا و قد قال إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ.

اللغه

الجشى جمع الجاشى و هو الذى برك على ركبتيه و أصله جثو فعول من جشى يجثو و قد تقدم القول فيه فى أوائل السوره و الشيعه الجماعه المتعاونون على أمر واحد من الأمور و منه تشايح القوم إذا تعاونوا و الصلى مصدر صلى يصلى صليا مثل لقي يلقى لقيًا و صلى يصلى صليا مثل مضى يمضى مضيا.

العامل في قوله «أ إذا ما متُّ» مضمرة دل عليه قوله «لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا» و التقدير أ إذا ما مت بعثت و لا يجوز أن يعمل فيه أخرج لأن ما بعد اللام لا يعمل فيما قبله كما أن ما بعد أن كذلك و ما بعد الاستفهام و حرف النفي و قد ذكرنا ذلك في مواضع «و الشَّيَاطِينِ» يحتمل أن يكون منصوبا بأنه مفعول به أى و نحشر الشياطين و يحتمل أن يكون مفعولا معه بمعنى لنحشرنهم مع الشياطين و جثيا منصوب على الحال و عتيا منصوب على التمييز و كذلك صليا فأما الرفع في «أَيُّهُمْ أَشَدُّ» قال الزجاج: فيه ثلاثه أقوال (أحدها) قال سيبويه عن يونس أن لئنزعن معلقه لم تعمل شيئا فكان قول يونس ثم لئنزعن من كل شيعة ثم استأنف فقال أيهم (و الثانى) حكى سيبويه عن الخليل أنه بمعنى الذين يقال لهم أيهم أشد على الرحمن عتيا و مثله قول الشاعر:

و لقد أتيت من القناه بمنزل فأبيت لا حرج و لا محروم

و المعنى فأبيت بمنزله الذى يقال لا هو حرج و لا محروم (و الثالث) قال سيبويه: أن أيهم مبنية على الضم لأنها خالفت أخواتها بأن استعمل معها حذف الابتداء تقول أضرب أيهم أفضل تريد أيهم هو أفضل فيحسن الاستعمال كذلك بحذف هو و لا يحسن أضرب من أفضل حتى تقول من هو أفضل و لا- يحسن كل ما أطيب حتى تقول كل ما هو أطيب قال: فلما خالفت من و ما و الذى لا تقول فيه أيضا خذ الذى أفضل حتى تقول خذ الذى هو أفضل فلما خالفت الاختلاف بنيت على الضم فى الإضافة و النصب حسن و إن كنت قد حذفته هو لأن هو قد يجوز حذفها و قد قرئ تماما على الذى أحسن على معنى الذى هو أحسن قال أبو على: ينبغى أن يكون مراد يونس بقوله أن الفعل معلق أنه معمل فى موضع من كل شيعة و ليس يريد به أنه غير معمل فى شىء البتة بل يريد أنه معمل فى موضع الجار و المجرور لأن لفظ التعليق إنما يستعمل فيما يعمل فى الموضع دون اللفظ و لو أراد أنه لا- عمل له فى لفظ و لا موضع لقال ملغى و لم يقل معلق كما تقول فى زيد ظننت منطلق أنه ملغى و إذا كان كذلك كان قول الكسائى فى الآية مثل قول يونس لأن الكسائى قال: أن قوله «لَتَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ» كقولك أكلت من طعام فإن كان كذلك كان أيهم منقطعا من هذه الجملة و كانت جملة مستأنفة فإن قال قائل لم زعم سيبويه أنه إذا حذف العائد من الصلة و جب البناء على الضم فالجواب أن الصلة تبين الموصول و توضحه كما أن المضاف إليه يبين المضاف و يخصه فكما أن المضاف إليه لما حذف بنى المضاف فكذلك لما حذف العائد من الصلة إلى الموصول هنا بنى فإن قال ما ينكر أن لا يكون حذف المبتدأ العائد من الصلة عوض

حذف المضاف إليه من المضافات لأن المحذوف هنا بعض الجملة و في المضاف قد حذف المضاف كله قيل إن حذف العائد هنا نظير حذف المضاف إليه هناك ألا ترى أن الذى يبين به الموصول و يتضح إنما هو الراجع الذى فى الجملة و لو لا الراجع لم يبين و إذا كان المبين له الراجع من الجملة فالحذف منها كان بمنزلة حذف المضاف إليه من المضاف.

النزول

نزل قوله «وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ» الآية فى أبى بن خلف الجمحى و ذلك أنه أخذ عظاما باليا فجعل يفته بيده و يذريه فى الريح و يقول زعم محمد ص أن الله يبعثنا بعد أن نموت و نكون عظاما مثل هذا إن هذا شىء لا يكون أبدا عن الكلبى و قيل نزلت فى الوليد بن المغيرة فى روايه عطاء عن ابن عباس.

المعنى

لما تقدم ذكر الوعد و الوعيد و البعث و النشور حكى سبحانه عقيبه قول منكرى البعث و رد عليهم بأوضح بيان و أجلى برهان فقال «وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا» هذا استفهام المراد به الإنكار و الاستهزاء أى إذا ما مت أعادنى الله حيا فقال سبحانه مجيبا لهذا الكافر «أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ» أى أ و لا يتذكر هذا الجاحد حال ابتداء خلقه فيستدل بالابتداء على الإعادة و قيل أن الإنسان هنا مفرد فى اللفظ مجموع فى المعنى يريد جميع منكرى البعث «وَلَمْ يَكُ شَيْئًا» معناه و لم يك شيئا كائنا أو مذكورا "سؤال" قيل كيف تدل النشأة الأولى على النشأة الثانية و الواحد منا يقدر على أفعاله كالحركات و السكنات و الأصوات و غيرها و لا يقدر على إعادتها "و الجواب" من وجوه (أحدها) أنه سبحانه خلق الأجسام و الحياه فيها و البقاء جائز عليها فيجب أن يقدر على إعادتها بخلاف أفعالنا فإنها لا تبقى و لا يصح الإعادة عليها (و الثانى) أن الابتداء أصعب من الإعادة فإذا كان قادرا على الابتداء فلأن يكون قادرا على الإعادة أولى (و الثالث) أنه سبحانه استدل بخلق الأجسام على أنه قادر لذاته إذ القادر بقدره لا يصح منه فعل الأجسام و إذا كان قادرا لذاته و يقدر على إيجاد ما يصح وجوده و قتين قدر على إعادته ثم حقق سبحانه أمر الإعادة فقال «فَوَرَّبُّكَ» يا محمد «لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَ الشَّيَاطِينَ» أى لنجمعنهم و نبعثنهم من قبورهم مقرنين بأوليائهم من الشياطين و قيل لنحشرنهم و لنحشرن الشياطين أيضا «ثُمَّ لَنُخْضِرَنَّ لَهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا» أى مستوفزين على الركب عن قتاده و المعنى يجثون حول جهنم متخاصمين و يتبرأ بعضهم من بعض لأين المحاسبه تكون بقرب جهنم و قيل جثيا أى جماعات جماعات عن ابن عباس كأنه قيل زمرا و هو جمع جثوه و جثوه هى المجموع من التراب و الحجاره و قيل معناه قياما على الركب و ذلك لضيق المكان بهم لا يمكنهم أن

يجلسوا عن السدى «ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ» أى لنستخرجن من كل جماعه «أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا» أى الأعتى فالأعتى منهم قال قتاده: لنزعن من كل أهل دين قادتهم و رءوسهم فى الشر و العتى هاهنا مصدر كالعنو و هو التمرد فى العصيان و قيل يبدأ بالأكثر جرماً فالأكثر عن مجاهد و أبى الأحوص «ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا» أى لنحن أعلم بالذين هم أولى بشده العذاب و أحق بعظيم العقاب و أجدر بلزوم النار.

[سوره مريم (١٩): الآيات ٧١ الى ٧٥]

اشاره

وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا- وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢) وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَ أَحْسَنُ نَدِيًّا (٧٣) وَ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَانًا وَ رِيًّا (٧٤) قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَ إِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَ أضعفُ جُنْدًا (٧٥)

القراءه

قرأ الكسائى و روح و زيد عن يعقوب ثم ننجى بالتخفيف و الباقون «نُنَجِّي» بالتشديد و قرأ ابن كثير مقاما بضم الميم و الباقون بفتحها و قرأ أهل المدينه غير ورش و ابن عامر و الأعشى و البرجمى عن أبى بكر و ريا بغير همز مشدده الياء و الباقون «وَرِيًّا» مهموزه فى الشواذ قراءه طلحه و ريا خفيفه بلا همز و قراءه سعيد بن جبير و زيا بالزاي.

الحجه

أنجاه ينجيه و نجاه ينجيه بمعنى و المصدر و اسم الموضع من باب يفعل يجى ء على مفعل فالمقام بفتح الميم يصلح أن يكون مصدرا من قام يقوم و يصلح أن يكون اسم الموضع و المقام المصدر و الموضع من أقام يقيم فأما قول زهير:

و فيهم مقامات حسان و جوههم و أنديه ينتابها القول و الفعل

فإنما هو على حذف المضاف أى أهل مقامات و مشاهد و روى عن الأصمعي أنه قال:

المجلس القوم و أنشد:

" و استب بعدك يا كليب المجلس "

قال أبو علي: المجلس موضع الجلوس فالمعنى على أهل المجلس كما أن المعنى على أهل المقامات قال السكري:

المقامه المجلس و المقام المنزل و قوله «خَيْرٌ مَقَاماً» من ضم الميم جعله اسما للمثوى و من فتح كان كذلك أيضا ألا ترى أن الندى و النادى هما المجلس فمن ذلك قوله تعالى «و تَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ» و يدل على ذلك قوله «و كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَانًا وَ رِيَاءً» فإنه لا يراد به الحدث إنما يراد به حسن الشاره و الهياه و المنظر و هذا إنما يكون فى الأماكن و أما قوله «وَ رِيَاءً» قال أبو علي: روى فعل من رأيت فكأنه اسم لما ظهر و ليس المصدر و إنما المصدر الرأى و الرؤيه يدل على ذلك قوله يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ فالرأى الفعل و الرئى المرئى كالطحن و السقى و السقى و الرعى و الرعى و من خفف الهمزه من و رياء لزم أن يبدل منها الياء لانكسار ما قبلها كما يبدل من ذئب و بئر فإذا أبدل منها الياء وقعت ساكنه قبل حرف مثله فلا بد من الإدغام و ليس يجوز الإظهار فى هذا كما جاز إظهار الواو فى نحو رؤيا و رؤيه يعنى إذا خففت الهمزه فيها لأن الياء فى رياء قبل مثل و وقعت فى رؤيا قبل ما يجرى مجرى المقارب قال ابن جنى: من قرأ و رياء مشدده فإنه فعل إما من رأيت و إما من رويت و أصله و هو من الهمزه و رياء كرعيا فخففت الهمزه و أبدلت ياء و أدغمت الياء الثانيه و يجوز أن يكون من رويت لأن للريان نضاره و حسنا فيتفق معناه و معنى و زيا بالزاي و أصله على هذا زوى فأبدلت الواو ياء و أدغمت فى الياء و أما رياء مخففة فيحتمل أن يكون مقلوبه من فعل إلى فلع فصار فى التقدير رياء ثم حذف الهمزه و ألقى حركتها على الياء قبلها فصارت رياء و يحتمل أن يكون رياء من رويت ثم خففت بحذف إحدى الياءين فصارت رياء و أما الزى بالزاي ففعل من زويت أى جمعت ذلك و ذلك أنه لا يقال لمن له شىء واحد من آله له زى حتى يكثر آله المستحسنه و أنشد ابن دريد:

أ هاجتك الطعائن يوم باتوا بذى الزى الجميل من الأثاث.

اللغة

الحتم القطع بالأمر و الحتم و الجزم و القطع بمعنى و الندى و النادى المجلس الذى قد اجتمع فيه أهله و منه دار الندوه و هى دار قصى بمكة و كانوا يجتمعون فيه للتشاور تيمنا به و قد ندوت القوم أندوهم إذا جمعهم فى مجلس و أصل الندى أنه مجلس أهل الندى و هو الكرم قال حاتم:

و دعيت فى أولى الندى و لم ينظر إلى بأعين خزر

و الأثاث المتاع من الفرش و الثياب التى تزين بها واحدها أثاثه و قيل لا واحد لها و الرى ما يراه الرجل من ظاهر أحوال القوم و هو اسم للمرئى كالذبح اسم للمذبوح.

الإعراب

«وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا» تقديره و ما أحد ثابت منكم فأحد مبتدأ و منكم صفه و واردها خبر و جثيا منصوب على الحال. مقاما و نديا منصوبان على التمييز «كَمْ أَهْلَكْنَا» كم نصب بأهلكتنا و التقدير كم قرنا أهلكتنا من جمله القرون فحذف المميز بدلاله الكلام عليه «فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا» لفظه لفظ الأمر و معناه خبر و التقدير فمد له الرحمن مدا و باب الأمر و الخبر يتداخلان فكما أن قوله «وَ الْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ» تقديره فليتربصن فجعل لفظ الخبر بمعنى الأمر فكذا هاهنا جعل لفظ الأمر بمعنى الخبر و قوله «ما يُوعَدُونَ» مفعول رأوا و «إِمَّا الْعَذَابَ وَ إِمَّا السَّاعَةَ» بدل من ما يوعدون و قوله «مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا» تعليق فعلى هذا يكون هو فصلا و الفصل بين كلمه الاستفهام و خبره عزيز فالأولى أن يكون من هنا بمعنى الذى و فى موضع نصب بسيعلمون و «هُوَ شَرٌّ» مبتدأ و خبر و الجملة صله من.

المعنى

ثم بين سبحانه أحوالهم يوم الحشر فقال «وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا» أى ما منكم أحد إلا واردها و الهاء فى واردها راجعه إلى جهنم و اختلف العلماء فى معنى الورود على قولين (أحدهما) أن ورودها هو الوصول إليها و الإشراف عليها لا الدخول فيها و هو قول ابن مسعود و الحسن و قتاده و اختاره أبو مسلم و استدلوا على ذلك بقوله تعالى «وَ لَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْتَأْذِنُونَ» و قوله تعالى فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَذْلَى دَلْوَهُ وَ بَأْنِكَ تقول وردت بلد كذا و ماء كذا أى أشرفت عليه دخلته أو لم تدخله و فى أمثال العرب "إن ترد الماء بماء أكيس" و قال زهير:

فلما وردن الماء زرقا جمامه وضعن عصى الحاضر المتخيم

أراد فلما بلغن الماء أقمن عليه قال الزجاج: و الحجة القاطعه فى ذلك قوله سبحانه «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا» فهذا يدل

على أن أهل الحسنى لا يدخلونها قالوا فمعناه إنهم واردون حول جهنم للمحاسبه و يدل عليه قوله «ثُمَّ لَنُخْضِرَنَّ لَهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثًّا» ثم يدخل النار من هو أهلها و قال بعضهم معناه إنهم واردون عرصه القيامة التي تجمع كل بر و فاجر (و الآخر) أن ورودها بمعنى دخولها بدلاله قوله تعالى «فَأْوَرَدَهُمُ النَّارَ» و قوله «أَنْتُمْ لَهَا وَاِرْدُونَ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا» و هو قول ابن عباس و جابر و أكثر المفسرين و يدل عليه قوله «ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا» و لم يقل و ندخل الظالمين و إنما يقال نذر و نترك للشئ الذي قد حصل فى مكانه ثم اختلف هؤلاء فقال بعضهم إنه للمشركين خاصة و يكون قوله «وَ إِنْ مِنْكُمْ» المراد به منهم كما قال سبحانه وَ سَيَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً أَى لهم و روى فى الشواذ عن ابن عباس أنه قرأ و إن منهم و قال الأكثرون إنه خطاب لجميع المكلفين فلا يبقى بر و لا فاجر إلا و يدخلها فيكون بردا و سلاما على المؤمنين و عذابا لازما للكافرين

قال السدى: سألت مره الهمداني عن هذه الآية فحدثني أن عبد الله بن مسعود حدثهم عن رسول الله ص قال يرد الناس النار ثم يصدرون بأعمالهم فأولهم كلع البرق ثم كمر الريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب ثم كشد الرجل ثم كمشيه

و

روى أبو صالح غالب بن سليمان عن كثير بن زياد عن أبي سمينه قال: اختلفا فى الورود فقال قوم لا يدخلها مؤمن و قال آخرون يدخلونها جميعا ثم ينجى الله الذين اتقوا فلقيت جابر بن عبد الله فسألته فأومى بإصبعيه إلى أذنيه و قال صمنا إن لم أكن سمعت رسول الله ص يقول الورود الدخول لا يبقى بر و لا فاجر إلا يدخلها فتكون على المؤمنين بردا و سلاما كما كانت على إبراهيم حتى أن للنار أو قال لجهنم ضجيجا من بردها

«ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا» و

روى مرفوعا عن يعلى بن منبه عن رسول الله ص قال تقول النار للمؤمن يوم القيامة جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبى

و

روى عن النبى ص أنه سئل عن معنى الآية فقال إن الله تعالى يجعل النار كالسمن الجامد و يجمع عليها الخلق ثم ينادى المنادى أن خذى أصحابك و ذرى أصحابى قال ص فو الذى نفسى بيده لهبى أعرف بأصحابها من الوالده بولدها

و روى عن الحسن أنه رأى رجلا يضحك فقال هل علمت أنك و اورد النار قال نعم قال و هل علمت أنك خارج منها قال لا قال فبم هذا الضحك و كان الحسن لم ير ضاحكا قط حتى مات و قيل أن الفائدة فى ذلك ما

روى فى بعض الأخبار أن الله تعالى لا يدخل أحدا الجنة حتى يطلع على النار و ما فيها من العذاب ليعلم تمام فضل الله عليه و كمال لطفه و إحسانه إليه فيزداد لذلك فرحا و سرورا بالجنة و نعيمها و لا يدخل أحد النار حتى يطلع على الجنة و ما فيها من أنواع النعيم و الثواب ليكون ذلك زيادة عقوبه له حسرته على ما فاته من الجنة و نعيمها

و قال مجاهد: الحمى

حظ كل مؤمن من النار ثم قرأ «وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا» فعلى هذا من حم من المؤمنين فقد ورد لها و

قد ورد في الخبر أن الحمى من قيح جهنم

و

روى أن رسول الله ص عاد مريضاً فقال أبشر إن الله عز وجل يقول الحمى هي نارى أسلطها على عبدى المؤمن فى الدنيا لتكون حظه من النار

وقوله «كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا» أى كائنا واقعا لا محاله قد قضى بأنه يكون و على كلمه وجوب فمعناه أوجب الله ذلك على نفسه و فيه دلالة على أنه يجب عليه سبحانه أشياء من طريق الحكمة خلافا لم يذهب إليه أهل الجبر «ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا» الشرك و صدقوا عن ابن عباس «وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ» أى و نقر المشركين و الكفار على حالهم «فِيهَا» أى فى جهنم «جِثِيًّا» أى باركين على ركبهم و قيل جماعات على ما مر تفسيره و قيل المراد بالظالمين كل ظالم و عاص ثم قال سبحانه «وَ إِذَا تَتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ» و معناه و إذا يتلى على الكافرين آياتنا المنزلة فى القرآن ظاهرات الحجج و الأدله يمكن تفهم معانيها «قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا» أى قال الذين جحدوا وحدانيه الله و كذبوا أنبياءه للذين صدقوا بذلك مستفهمين لهم و غرضهم الإنكار أى الفريقين أى نحن أم أنتم خير منزلا- و مسكنا أى موضع إقامه «وَ أَحْسَنُ نَدِيًّا» أى مجلسا و إنما تفاخروا بالمال و زينه الدنيا و لم يتفكروا فى العاقبه و لبسوا على الضعفه بأن من كان ذا مال فى الدنيا فكذلك يكون فى الآخرة ثم نبههم سبحانه على فساد هذا الاعتقاد بأن قال «وَ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمٍ هُمْ أَحْسَنُ أَنَاثًا وَ رِيًّا» قال ابن عباس: الأناث المتاع و زينه الدنيا و الرئى المنظر و الهياه و المعنى أن الله تعالى قد أهلك قبلهم أمما و جماعات كانوا أكثر أموالا و أحسن منظرا منهم فأهلك أموالهم و أفسد عليهم صورهم و لم تغن عنهم أموالهم و لا- جمالهم كذلك لا- يغنى عن هؤلاء و قيل إن المعنى بالآيه النضر بن الحارث و ذووه و كانوا يرجلون شعورهم و يلبسون خز ثيابهم و يفتخرون بشارتهم و هياتهم على أصحاب النبى ص ثم قال سبحانه لنبيه ص «قُلْ» يا محمد «مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ» عن الحق و العدول عن اتباعه «فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا» هذا لفظ أمر معناه الخبر و تأويله أن الله سبحانه جعل جزاء ضلالته أن يمد له بأن يتركه فيها كما قال «وَ نَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ» إلا- أن لفظ الأمر يؤكد معنى الخبر فكأن المتكلم يقول أفعل ذلك و أمر نفسى به فالمعنى فليعش ما شاء و أضاف ذلك إلى نفسه لأنه سبحانه يبقيه فى الدنيا أى فليعش ما شاء الله من السنين و الأعوام فإنه لا ينفعه طول عمره «حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ» أى عذاب الاستئصال عن الأصم و قيل عذاب وقت البأس و قيل عذاب القبر و قيل عذاب السيف «وَ إِمَّا السَّاعَةَ» أى القيامة و عذاب النار «فَسَيَعْلَمُونَ» حين يرون العذاب «مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا» أى أ هم أم المؤمنون لأن مكانهم جهنم و مكان

المؤمنين الجنة «وَأَضْعَفُ جُنْدًا» أى و يعلمون أ جندهم أضعف أم جند النبي ص و المسلمين و هذا رد لقولهم «أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَ أَحْسَنُ نَدْبًا».

[سوره مريم (١٩): الآيات ٧٦ الى ٨٢]

اشاره

وَ يَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَ خَيْرٌ مَرَدًّا (٧٦) أَمْ فَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَ قَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَ وَلَدًا (٧٧) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٧٨) كَلَّا سَيَنْكُتُ مَا يَقُولُ وَ نَمِيدُ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (٧٩) وَ نَرْتُهُ مَا يَقُولُ وَ يَأْتِينَا فَرْدًا (٨٠)

وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَ يَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (٨٢)

القراءه

قرأ حمزه و الكسائي ولدا بضم الواو و سكون اللام فى هذه السوره أربعه مواضع و فى الزخرف أن كان للرحمن ولد و فى نوح و ولده فهذه سته مواضع وقرأ أهل البصره و ابن كثير و خلف فى سوره نوح بالضم فقط وقرأ الباقون بفتح الواو و اللام فى جميع القرآن.

الحجه

قال الفراء: من أمثال بنى أسد " ولدك من دمي عقبيك " قال و كان معاذ الحرشى يقول: لا يكون الولد إلا جمعا و هذا واحد يعنى الذى فى المثل و أنشد:

فليت فلانا كان فى بطن أمه و لیت فلانا كان ولد حمار

قال أبو على: يجوز أن يكون جمعا كأسد و أسد و يجوز أن يكون واحدا فيكون ولد و ولد كحزن و حزن و عرب و عرب فلا يكون كقول معاذ أنه لا يكون إلا جمعا و ما أنشده الفراء من قوله:

" و لیت فلانا كان ولد حمار "

يدل على أنه واحد ليس بجمع فهو مثل الفلك الذى يكون

الإعراب

«أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا» الموصول هو المفعول الأول لرأيت و الاستفهام فى موضع المفعول الثانى و هو قوله تعالى «أَطَّلَعَ الْغَيْبَ» الآيه قال الزجاج: كلا زجر و ردع و تنبيه أى هذا مما يرتدع به و ينبه على وجه الضلاله فيه و قال الفراء:

يكون صله لما بعدها كقولك كلا و رب الكعبه و قال أبو حاتم: جاءت فى القرآن على وجهين بمعنى لا يكون ذلك و بمعنى إلا التى للتنبيه و جاءت فى مواضع متوجهه على التأويلين و يدل على ذلك أنها قد تكون مبتدأه مثل قوله عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ثم ابتدأ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى قال الأعشى:

كلا زعمتم بأنا لا نقاتلكم إنا لأمثالكم يا قومنا قتل

و قال أبو العباس: لا يوقف على كلا لأنها جواب و الفائده تقع فيما بعدها و قيل يجوز الوقف عليه و من مشكلات الوقف فى القرآن الوقف على كلا و قد قسمه القرآن على أربعة أقسام (أحدها) ما يحسن الوقف عليه و يحسن الابتداء به (و الثانى) يحسن الوقف عليه و لا يحسن الابتداء به (و الثالث) يحسن الابتداء به و لا يحسن الوقف عليه (و الرابع) لا يحسن الوقف عليه و لا الابتداء به و هو فى القرآن فى ثلاثه و ثلاثين موضعا و ليس فى النصف الأول شىء منه فأما القسم الأول و هو ما يحسن الوقف عليه و الابتداء به فعشره مواضع قوله «أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا كَلَّا» و قوله «لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا» و قوله تعالى «لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا» و قوله الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِنَّ شُرَكَاءَ كَلَّا و قوله ثُمَّ يُنْجِيهِ كَلَّا و قوله أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ كَلَّا و قوله أَنْ أَزِيدَ كَلَّا و قوله ضِيْحُفًا مُنْشَرَّةً كَلَّا و قوله رَبِّى أَهَانَنِ كَلَّا و قوله أَنْ مَالَهُ أَخْلَمَدَهُ كَلَّا فمن جعل كلا فى هذه المواضع ردا للأول بمعنى لا ليس الأمر كذلك وقف عليه و من جعله بمعنى إلا التى للتنبيه أو بمعنى حقا ابتدأ به و هو يحتمل الوجهين فى هذه المواضع (و أما الثانى) و هو ما يحسن الوقف عليه و لا يحسن الابتداء به فموضعان قوله فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ قَالَ كَلَّا و قوله إِنَّا لَمُبِدْرُكُونَ قَالَ كَلَّا (و أما الثالث) و هو ما يحسن الابتداء به و لا يحسن الوقف عليه فتسعه عشر موضعا قوله كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ كَلَّا وَ الْقَمَرِ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ كَلَّا بَلْ تُكْذِبُونَ بِالَّذِينَ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِي كَلَّا لَا وَزَرَ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ* كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ كَلَّا لَا تَطِعُهُ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ* كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ. يحسن الابتداء بكلا فى هذه المواضع و لا يحسن الوقف عليه لأنه

ليس بمعنى الرد للأول و قال بعضهم إنه يحسن الوقف على كلا فى جميع القرآن لأنه بمعنى انتبه إلا فى موضع واحد و هو قوله كَلَّا وَ الْقَمَرِ لأنه موصل باليمين بمنزله قوله أى و ربى و أما (الرابع) فموضعان ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ لا يحسن الوقف على ثم لأنه حرف عطف و لا على كلا لأن الفائدة فيما بعد هذين الحرفين.

النزول

روى فى الصحيح عن خباب بن الأبرق قال كنت رجلا غنيا و كان لى على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه فقال لى لا أقضيك حتى تكفر بمحمد ص فقلت لن أكفر به حتى تموت و تبعث قال فإنى لمبعوث بعد الموت فسوف أقضيك دينك إذا رجعت إلى مال و ولد قال فنزلت الآية «أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا».

المعنى

ثم بين سبحانه حال المؤمن فقال سبحانه «وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى» قيل معناه و يزيد الله الذين اهتدوا بالمنسوخ هدى بالناسخ عن مقاتل و قيل يزيدهم هدى بالمعونه على طاعته و التوفيق لابتغاء مرضاته و هو ما يفتحه لهم من الدلالات و ما يفعله بهم من الألفاظ المقربة من الحسنات «وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا» قد مر تفسيره فى سورة الكهف و جملته أن الأعمال الصالحة التى تبقى ببقاء ثوابها و تنفع صاحبها فى الدنيا و الآخرة خير ثوابا من مقامات الكفارات التى يفتخرون بها كل الافتخار «وَ خَيْرٌ مَرَدًّا» أى خير عاقبه و منفعه يقال هذا الشىء أرد عليك أى أنفع و أعود عليك لأن العمل الصالح ذاهب عنه بفقده له فيرده الله تعالى عليه برد ثوابه إليه حتى يجده فى نفسه «أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا» أفرأيت كلمه تعجيب و معناه أ رأيت هذا الكافر الذى كفر بأدلتنا من القرآن و غيره و هو العاص بن وائل عن ابن عباس و قيل الوليد بن المغيرة عن الحسن و قيل هو عام فيمن له هذه الصفة عن أبى مسلم «وَقَالَ لَأَوْتَيْنَ مَالًا وَ وُلْدًا» استهزاء أى لأعطين مالا و ولدا فى الجنة عن الكلبي و قيل أعطى فى الدنيا أى إن أقمت على دين آبائى و عباده آلهتى أعطيت مالا و ولدا «أَطَّلَعَ الْغَيْبِ» هذه همزة الاستفهام دخلت على همزة الوصل فسقطت همزة الوصل و معناه أعلم الغيب حتى يعلم أ هو فى الجنة أم لا عن ابن عباس و مجاهد و قيل معناه أنظر فى اللوح المحفوظ عن الكلبي و تأويله أشرف على علم الغيب حتى علم أنه سنؤتيه مالا و ولدا و أنه إن بعث رزق مالا و ولدا «أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا» أى اتخذ عند الله عهدا بعمل صالح قدمه عن قتاده و قيل معناه أم عهد الله إليه أنه يدخل الجنة عن الكلبي و قيل معناه أم قال لا- إله إلا- الله فيرحمه الله بها عن ابن عباس «كَلَّا» أى ليس الأمر على ما قال من أنه يؤتى المال و الولد و يجوز أن يكون المعنى كلا إنه لم يطلع الغيب و لم يتخذ عند الله عهدا

«سَيَنْكُتُّ مَا يَقُولُ» أى سنأمر الحفظه بإثباته عليه لنجازه به فى الآخرة و نوافقه عليه «وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا» أى نصل له بعض العذاب بالبعض و نزيده عذابا فوق العذاب فلا ينقطع عذابه أبدا و أكد الفعل بالمصدر كما يؤكد بالتكرير «وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ» أى ما عنده من المال و الولد يهلا كنا إياه و إبطال ملكه عن ابن عباس و قتاده و ابن زيد «وَيَأْتِينَا فَرْدًا» أى يأتى الآخرة وحيدا بلا مال و لا ولد و لا عده و لا عدد «وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً» يعنى أن هؤلاء الكفار الذين وصفتهم اتخذوا آلهه أى أصناما عبدوها «لِيَكُونُوا لَهُمْ عَزًّا» أى ليكونوا لهم شفعاء فى الآخرة عن الفراء و هذا معنى قول ابن عباس ليمنعوهم منى و ذلك أنهم رجوا منها الشفاعة و النصره و المراد ليصيروا بهم إلى العز قال الله سبحانه «كَلَّا» أى ليس الأمر كما ظنوا بل صاروا بهم إلى الذل و العذاب «سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ» أى سيجحدون بأن يكونوا عبدوها و يتبرءون منها لما يشاهدون من سوء عاقبه أمرهم و يقولون «وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ» و قيل معناه أن المعبودين سيكفرون بعباده المشركين لها و يكذبونهم فيها كما قال حكايه عنهم تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ عَنِ الْجَبَائِي «وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا» قال الأخفش: الضد يكون واحدا و جمعا كالرسول و العدو و معناه و يكونون عوننا عليهم و أعداء لهم يخاصمونهم و يكذبونهم و قيل و يكونون قرناء لهم فى النار و يلعنونهم و يتبرءون منهم عن قتاده و قيل و يكونون أعداءهم يوم القيامة و كانوا فى الدنيا أولياءهم عن القتيبي.

[سوره مريم (١٩): الآيات ٨٣ الى ٩٢]

اشاره

أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (٨٣) فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (٨٤) يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (٨٥) وَ نَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا (٨٦) لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٨٧) وَ قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرُونَ مِنْهُ وَ تَشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخِرُّ الْجِبَالُ هَرِيدًا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَ مَا يَتَّبِعَى لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢)

ص: ٤٠٢

فى الشواذ روايه قتاده عن الحسن يحشر المتقون و يساق المجرمون قال فقلت إنها بالنون يا أبا سعيد قال و هى للمتقين إذا و قراءه السلمى شيئاً أدا بفتح الهمزه و قرأ أبو جعفر و ابن كثير و حفص «تَكَادُ» بالتاء «يَتَفَطَّرُونَ» بالتاء و فتح الطاء مشدده و فى عسق و مثله و قرأ نافع و الكسائى «يكاد» بالياء «يَتَفَطَّرُونَ» فى السورتين و قرأ أبو عمرو و أبو بكر و هبيرة عن حفص و يعقوب «تَكَادُ» بالتاء ينفطرن بالياء و النون و كسر الطاء فى السورتين و قرأ ابن عامر و حمزه و خلف هاهنا «تَكَادُ» بالتاء ينفطرن بالنون مثل أبى عمرو و فى عسق تَكَادُ بالتاء يَتَفَطَّرُونَ أيضاً.

حججه من قرأ يحشر و يساق قوله تعالى «وَ سَيَقَ الدِّينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا» و الأد بالفتح القوه قال:

"نضوت عنى شره و أدا"

فعلى هذا يمكن أن يكون المعنى لقد جئتم شيئاً أدا أى ذا قوه و إن شئت وصفته بالمصدر كقولهم رجل عدل و ضيف و الانفطار مطاوعه الفطر يقال فطره فانفطر و التفطر مطاوعه التفطير يقال فطرته فتفطر و كأنه أليق بهذا الموضع لما فيه من معنى المبالغه و تكرير الفعل و ذهب أبو الحسن فى معنى قوله «تَكَادُ السَّمَاوَاتُ» إلى أن معنى تكاد تريد و كذلك قال فى قوله كَذَلِكَ كَذَبْنَا لِيُوسُفَ أَى أردنا له و أنشد:

كادت و كدت و تلك خير إرادته لو عاد من ذكر الصبايه ما مضى

و كذلك قوله فى أَكَادُ أَخْفِيهَا أَى أريد أخفيها و على هذا فسر غيره قول الأفوه:

فإن تجمع أوتاد و أعمده و ساكن بلغوا الأمر الذى كادوا

أى أرادوا قال: المعنى يردن لا أنهم ينفطرن و لا يدنون من ذلك و لكن من هممن به إعظاماً لقول المشركين و لا يكون على من هم بالشىء أن يدنو منه إلا ترى أن رجلاً لو أراد أن ينال السماء لم يذن من ذلك و قد كانت منه إرادته و قد قال بعض المتأولين فى قوله تكاد السماوات ينفطرن منه هذا مثل كانت العرب إذا سمعت كذباً أو منكراً تعاضته و عظمته بالمثل الذى عندها عظيماً فقالت: كادت الأرض تنشق و أظلم على ما بين السماء و الأرض فلما افتروا على الله الكذب ضرب مثل كذبهم بأهول الأشياء و أعظمها قال أبو على: و مما يقرب من هذا قول الشاعر:

ألم تر صدعا فى السماء مينا على ابن ليينى الحارث بن هشام

و قول الآخر:

و أصبح بطن مكة مقشعرا كان الأرض ليس بها هشام

و قال الآخر:

لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة و الجبال الخشع.

اللغة

الأز الإزعاج إلى الأمر يقال أزه يأزه أزا و أزيزا إذا هزه بالإزعاج إلى أمر من الأمور و أزت القدر أزيزا إذا غلت و منه

الحديث أنه كان يصلى و أزيز جوفه كأزيز المرجل من البكاء

و أززت الشىء إلى الشىء ضمته إليه و الوفد جمع وافد و قد يجمع وفودا أيضا وفد يفد وفدا و أوفد على الشىء أشرف عليه و السوق الحث على السير ساقه يسوقه سوقا و منه الساق لاستمرار السير بها أو لأن القدم يسوقها و منه السوق لأنه يساق بها البيع و الشرى شيئا بعد شىء و الورد الجماعه التى ترد الماء يقال ورد الماء يرد وردا و الإد الأمر العظيم قال الراجز:

قد لقي الأعداء منى نكرا داهيه دهياء إذا إمرا

و الانفطار الانشقاق و التفطر التشقق و الهد الهدم بشده صوت.

الإعراب

«تَوَزُّهُمُ» جملة فى موضع الحال و مفعول «نَعَيْدُ لَهُمُ» محذوف و التقدير نعد أعمالهم عدا و يوم نحشر ظرف قوله «نَعَدُ لَهُمُ» و يجوز أن ينتصب بقوله «لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ» أى لا يملكون فى ذلك اليوم وفدا منصوب على الحال من المتقين أى وافدين و وردا كذلك أى واردين «إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ» هو موصول و صله فى موضع رفع لأنه بدل من الواو فى يملكون و يجوز أن يكون فى محل النصب لأنه استثناء منقطع فإن من اتخذ عند الرحمن عهدا لا يكون من المجرمين و قوله «تَنْشَقُّ الْأَرْضُ» جملة معطوفة على الجملة التى قبلها و تقديره و تكاد الأرض تنشق و الجبال تخر و هذا منصوب على المصدر فى المعنى تقديره تخر خرورا و تهد هذا و يجوز أن يكون فى موضع الحال و أن دعوا مفعول له و التقدير لأن دعوا أى لأجل ذلك.

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال «أَلَمْ تَرَ» يا محمد «أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ» أى خلينا بينهم و بين الشياطين إذا وسوسوا إليهم و دعوهم إلى الضلال حتى أغوهم و لم نحل بينهم و بينهم بالإلجاء و لا- بالمنع و عبر عن ذلك بالإرسال على سبيل المجاز و التوسع كما يقال لمن خلى بين الكلب و غيره أرسل كلبه عليه عن الجبائى و قيل معناه سلطانهم عليهم و يكون فى

معنى التخليه أيضا على ما ذكرناه «تُوْزُهُمْ أَزًّا» أى

ص: ٤٠٤

تزعجهم إزعاجاً من الطاعة إلى المعصية عن ابن عباس وقيل تغريهم إغراء بالشر تقول امض امض فى هذا الأمر حتى توقعهم فى النار عن سعيد بن جبير «فلا تعجل عليهم إنما نعدُّ لهم عدًّا» معناه فلتطب نفسك يا محمد ولا تستعجل لهم العذاب فإن مده بقائهم قليلة فإننا نعد لهم الأيام والسنين وما دخل تحت العد فكان قد نفذ وقيل معناه نعد أنفاسهم فى الدنيا فهى معدودة إلى الأجل الذى أجلناه لعذابهم عن ابن عباس وهذا من أبلغ الوعيد وقيل معناه نعد أعمالهم على ما ذكرناه قبل «يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدًا» أى اذكر لهم يا محمد اليوم الذى نجمع فيه من اتقى الله فى الدنيا بطاعته واجتنب معاصيه إلى الرحمن أى إلى جنته ودار كرامته وفوداً وجماعات عن الأخفش و

قيل ركبانا يؤتون بنوق لم ير مثلها عليها رحائل الذهب و أزمتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة عن أمير المؤمنين (عليه السلام)

و ابن عباس «و نَشِوُقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًّا» أى ونحت المجرمين على المسير إلى جهنم عطاشاً كالإبل التى ترد عطاشاً مشاه على أرجلهم عن ابن عباس والحسن و قتاده و سمي العطاش ورداً لأنهم يردون لطلب الماء وقيل الورد النصيب أى هم نصيب جهنم من الفريقين و المؤمنون نصيب الجنة عن أبى مسلم «لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ» أى لا يقدرون على الشفاعة فلا يشفعون ولا يشفع لهم حين يشفع أهل الإيمان بعضهم لبعض لأن ملك الشفاعة على وجهين (أحدهما) أن يشفع للغير (و الآخر) أن يستدعى الشفاعة من غيره لنفسه فينب سبحانه أن هؤلاء الكفار لا تنفذ شفاعة غيرهم فيهم ولا شفاعة لهم لغيرهم ثم استثنى سبحانه فقال «إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا» أى لا يملكون الشفاعة إلا هؤلاء وقيل لا يشفع إلا هؤلاء والعهد هو الإيمان والإقرار بوحدانية الله تعالى و تصديق أنبيائه وقيل هو شهادته أن لا إله إلا الله و أن يتبرأ إلى الله من الحول والقوه ولا يرجو إلا الله عن ابن عباس وقيل معناه لا يشفع إلا من وعد له الرحمن بإطلاق الشفاعة كالأنبياء والشهداء والعلماء و المؤمنين على ما ورد به الأخبار و

قال على بن إبراهيم بن هاشم فى تفسيره حدثنى أبى عن الحسن بن محبوب عن سليمان بن جعفر عن أبى عبد الله (عليه السلام) عن أبيه عن آباءه (عليه السلام) قال قال رسول الله ص من لم يحسن وصيته عند الموت كان نقصاً فى مروءته قيل يا رسول الله و كيف يوصى الميت قال إذا حضرته وفاته واجتمع الناس إليه قال اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم إني أعهد إليك فى دار الدنيا أنى أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك و أن محمداً ص عبدك و رسولك و أن الجنة حق و أن النار حق و أن البعث حق و الحساب حق و القدر و الميزان حق و أن الدين كما وصفت و أن الإسلام كما شرعت و أن القول كما حدثت و أن القرآن كما أنزلت و أنك أنت الله الحق المبين جزى الله محمداً عنا خير

الجزاء و حيا الله محمدا و آله بالسلام اللهم باعدنى عند كربتى و يا صاحبى عند شدتى و يا ولى نعمتى و إلهى و إله آبائى لا تكلنى إلى نفسى طرفه عين فإنك إن تكلنى إلى نفسى أقرب من الشر و أبعد من الخير و آنس فى القبر وحشتى و اجعل له عهدا يوم ألقاك منشورا ثم يوصى بحاجته و تصديق هذه الوصيه فى سورة مريم فى قوله «لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا» فهذا عهد الميت و الوصيه حق على كل مسلم و حق عليه أن يحفظ هذه الوصيه و يعلمها و قال أمير المؤمنين على (عليه السلام) علمنيها رسول الله ص و قال علمنيها جبرائيل (عليه السلام)

«وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا» هذا إخبار عن اليهود و النصارى و مشركى العرب فإن اليهود قالوا: عزيز ابن الله و قالت النصارى: المسيح ابن الله و قال مشركو العرب: الملائكه بنات الله «لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا» هاهنا حذف تقديره قل لهم يا محمد لقد جئتم بشىء منكر عظيم شنيع فظيع فلما حذف الباء وصل الفعل إليه فنصبه «تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ» أى أرادت السماوات أن تنشق لعظم فريتهم إعظاما لقولهم و معناه لو انشقت السماوات بشىء عظيم لكانت تنشق من هذا «وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ» أى و كادت الأرض تنشق «وَتَخِرُّ الْجِبَالُ» أى كادت الجبال تسقط «هَيْدًا» أى كسرا شديدا عن ابن عباس و قيل هدماء عن عطاء «أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا» أى لأن دعوا للرحمن ولدا أو من دعوا للرحمن ولدا أى بسبب دعوتهم أو تسميتهم له ولدا «وَمَا يَتَّبِعِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا» أى ما يصلح للرحمن و لا يليق به اتخاذ الولد و ليس من صفته ذلك لأن إثبات الولد له يقتضى حدوثه و خروجه من صفة الإلهيه و اتخاذ الولد يدل على الحاجه تعالى عن ذلك و تقدس.

[سوره مريم (١٩): الآيات ٩٣ الى ٩٨]

إشاره

إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (٩٦) فَإِنَّمَا يَسْرِنَاهُ بِلِسَانِكَ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا (٩٧)

وَ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرًا (٩٨)

ص: ٤٠٦

اللدد شدة الخصومه و فى التنزيل أَلَدُ الْخِصَامِ أى أشد الخصامِ خصومه و جمع الألد لد قال الشاعر:

إن تحت الأشجار حزما و عزما و خصيما ألد ذا معلاق

أى شديد الخصومه و الرکز الصوت الخفى و أصل الرکز الحس و منه الرکز لأنه يحس به مال من تقدم بالكشف عنه قال ذو الرمه:

و قد توجس ركزا من سناكبها أو كان صاحب أرض أو به الموم

الأرض الرعده و الموم البرسام و أصل الإحساس الإدراك بالحاسه.

الإعراب

كل مبتدأ و من فى موضع خبر و الجار و المجرور من صلته و «آتى الرَّحْمَنُ» فى موضع رفع خبر كل و هو مضاف إلى المفعول و وحد كلا على اللفظ و عبدا فى موضع الحال من الضمير من أتى و «هَلْ تُحَسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ» من الأولى يتعلق بتحس و الثانيه مزيده و يجوز أن يكون تقديره هل تحس أحدا منهم و يكون منهم فى موضع الصفه لأحد فلما قدم على الموصوف انتصب على الحال.

المعنى

ثم قال سبحانه «إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا» أى ما كل من فى السماوات و الأرض من الملائكه و الإنس و الجن إلا و يأتى الله سبحانه عبدا مملوكا خاضعا ذليلا و مثله قوله وَ كُلُّ أَتْوَاهُ دَاخِرِينَ و المعنى أن الخلق عبيده خلقهم و رباهم و جرى عليهم حكمه و أن عيسى و عزيزا و الملائكه من جمله العبيد و فى هذا دلالة على أن البنوه و العبوديه لا يجتمعان و أنه إذا ملك الإنسان ابنه عتق عليه «لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَ عَدَّهُمْ عَدًّا» أى علم تفاصيلهم و أعدادهم فكأنه سبحانه عددهم إذ لا يخفى عليه شىء من أحوالهم «وَ كُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا» أى كل واحد منهم يأتى المحشر و الموضع الذى لا يملك الأمر فيه إلا الله فردا وحيدا مفردا ليس له مال و لا ولد و لا ناصر مشغولا بنفسه لا يهمله هم غيره ثم ذكر سبحانه المؤمنين فقال «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا» قيل فيه أقوال (أحدها) أنها خاصه فى على بن أبى طالب (عليه السلام) فما من مؤمن إلا و فى قلبه محبه لعلى (عليه السلام) عن ابن عباس و

فى تفسير أبى حمزه الثمالى حدثنى أبو جعفر الباقر (عليه السلام) قال قال رسول الله ص لعلى (عليه السلام) قل اللهم اجعل لى عندك عهدا و اجعل لى فى قلوب المؤمنين ودا فقالهما على (عليه السلام) فنزلت هذه الآية و روى

(و الثاني) أنها عامه في جميع المؤمنين يجعل الله لهم المحبه والألفه و المقه في قلوب الصالحين قال هرم بن حبان: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه حتى يرزقهم مودتهم و رحمتهم و محبتهم و قال الربيع بن أنس:

إن الله إذا أحب مؤمنا قال لجبرائيل إني أحببت فلانا فأحبه فيحبه جبرائيل ثم ينادى في السماء ألا إن الله أحب فلانا فأحبه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له قبول في أهل الأرض فعلى هذا يكون المعنى يحبهم الله و يحبهم إلى الناس (و الثالث) أن معناه يجعل الله لهم محبه في قلوب أعدائهم و مخالفيهم ليدخلوا في دينهم و يعتزوا بهم (الرابع) يجعل بعضهم يحب بعضا فيكون كل واحد منهم عضدا لأخيه المؤمن و يكونون يدا واحده على من خالفهم (و الخامس) أن معناه سيجعل لهم ودا في الآخرة فيحب بعضهم بعضا كمحبه الوالد لولده و في ذلك أعظم السرور و أتم النعمه عن الجبائي و يؤيد القول الأول ما

صح عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني و لو صببت الدنيا بجملتها على المنافق على أن يحبني ما أحبني و ذلك أنه قضى فانقضى على لسان النبي الأمي أنه قال لا يبغضك مؤمن و لا يحبك منافق

ثم قال سبحانه لنبيه ص «فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلسَانِكَ» أي يسرنا القرآن بأن أنزلناه بلسانك و هي لغة العرب ليسهل عليهم معرفته و لو كان بلسان آخر ما عرفوه عن أبي مسلم و قيل معناه يسرناه قراءه القرآن على لسانك و مكناك من قراءته عن الجبائي «لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ» أي لتبشر بالقرآن الذين يتقون الشرك و الكبائر أي تخبرهم بما تسرهم مما أعده الله لهم «و تَنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا» أي شدادا في الخصومه عن ابن عباس يعني قريشا و قيل قوما ذوى جدل مخاصمين عن قتاده ثم أنذرهم سبحانه و خوفهم بقوله «و كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمٍ» أي قبل هؤلاء من قرن مكذبين للرسول و فيه تسليه للنبى ص و المعنى لا يهمنك كفرهم و شقاقهم فإن وبال ذلك راجع إليهم و قد أهلكنا قبلهم من كان مثلهم «هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ» أي هل تبصر منهم أحدا «أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا» أي صوتا عن ابن عباس و قتاده و قيل حسا عن ابن زيد و المعنى أنهم ذهبوا فلا يرى لهم عين و لا يسمع لهم صوت و كانوا أكثر أموالا و أعظم أجساما و أشد خصاما من هؤلاء فلم يغنهم ذلك لما أردنا إهلاكهم فحكم هؤلاء الكفار حكم أولئك في أنه لا يبقى منهم عين و لا أثر و الحمد لله رب العالمين.

سرشناسه: طبرسی، فضل بن حسن، ۴۶۸ - ۵۴۸ ق.

عنوان و نام پدیدآور: مجمع البیان فی تفسیر القرآن

تالیف ابوعلی الفضل بن الحسن الطبرسی

مصصح: هاشم رسولی

مصصح: فضل الله یزدی طباطبایی

مشخصات نشر: دارالمعرفه - بیروت - لبنان

مشخصات ظاهری: ۱۰ ج.

یادداشت: عربی

موضوع: تفاسیر شیعه -- قرن ۶ ق.

ص: ۱

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ٢

مجمع البيان في تفسير القرآن

تأليف ابوعلی الفضل بن الحسن الطبرسی

مصحح: هاشم رسولی

مصحح: فضل الله یزدی طباطبایی

ص: ۳

اشاره

عدد آياتها

مائه و أربعون آيه شامى و خمس و ثلاثون كوفى و أربع حجازى و آيتان بصرى

اختلفاها

إحدى و عشرون آيه «طه» «ما غَشَّيَهُمْ» «رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا» ثلاثهن كوفى «نَسِيتُ بِحَكَ كَثِيرًا» «و نَذُرُكَ كَثِيرًا» كلاهما غير البصرى «مَحَبَّةً مِنِّي» حجازى شامى «فُتُونًا» بصرى شامى «لِنَفْسِي» كوفى شامى «و لا تَحْزَنَ» و «أَهْلُ مَدِينٍ» و «مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ و أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى» أربعهن شامى «غَضَبًا أَسْفًا» «و إِلَهُ مُوسَى» كلاهما مكى و المدنى الأول «وَعَدًّا حَسَنًا» «أَلَّا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ قَوْلًا» كلاهما المدنى الأخير «أَلْقَى السَّامِرِيُّ» غير المدنى الأخير «فَنَسِيَّتِي» عراقى شامى و الأخير «صَفْصَفًا» عراقى شامى «مِنِّي هُدًى» و «زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» غير الكوفى

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأها أعطى يوم القيامة ثواب المهاجرين و الأنصار

، أبو هريره عن النبى ص أنه قال الله تعالى قرأ طه و يس قبل أن يخلق آدم (عليه السلام) بألفى عام فلما سمعت الملائكه القرآن قالوا طوبى لأمه نزل هذا عليها و طوبى لأجواف تحمل هذا و طوبى لألسن تتكلم بهذا

و عن الحسن قال قال النبى ص لا يقرأ أهل الجنه من القرآن إلا يس و طه

و روى إسحاق بن عمار عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال لا تدعوا

قراءه طه فإن الله سبحانه يحبها و يحب من قرأها و أدمن قراءتها و أعطاه يوم القيامة كتابه بيمينه و لم يحاسبه لما عمل فى الإسلام و أعطى من الأجر حتى يرضى

تفسيرها

ختم الله سبحانه سورة مريم بذكر إنزال القرآن و أنه بشاره للمتقين و إنذار للكافرين و افتتح هذه السوره بالقرآن و أنه أنزله لسعادته لا لشقاوته فقال:

[سوره طه (٢٠): الآيات ١ الى ٨]

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه (١) ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى (٢) إلا تذكرة لمن يخشى (٣) تنزيلاً ممن خلق الأرض و السماوات العلى (٤)

الرحمن على العرش استوى (٥) له ما فى السماوات و ما فى الأرض و ما بينهما و ما تحت الثرى (٦) و إن تجهز بالقول فإنه يعلم السر و أخفى (٧) الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى (٨)

القراءه

قرأ أبو عمرو طه بفتح الطاء و كسر الهاء كسرا لطيفا من غير إفراط و قرأ أهل الكوفه غير عاصم إلا يحيى عن أبى بكر بكسر الطاء و الهاء و كذلك عياش عن أبى عمرو و الباقون بفتح الطاء و الهاء و روى عن أبى جعفر و نافع كهيعص و طه و طس و حم و الر كله بين الفتح و الكسر و هو إلى الفتح أقرب.

الحجه

قد مر القول فى الإماله و التفخيم فى الحروف فيما تقدم و التفخيم لغه أهل الحجاز و لغه النبى ص.

اللغه

الشقاء استمرار ما يشق على النفس و نقيضه السعاده و العلى جمع العليا و منه الدنيا و الدنا و القصوى و الثرى التراب الندى و الجهر رفع الصوت يقال جهر يجهر فهو جاهر و الصوت مجهور و ضده المهموس.

الإعراب

روى عن الحسن أنه قرأ طه بفتح الطاء و سكون الهاء فإن صح ذلك عنه فأصله طأ فأبدل من الهمزه هاء و معناه طاء الأرض

و قد روى أن النبي ص كان يرفع إحدى رجله في الصلاة ليزيد تبعه فأنزل الله «طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى» فوضعها

و روى ذلك عن أبي عبد الله (عليه السلام)

قال الزجاج و يجوز أن يكون طه أمر من وطأ يطأ على قول من لم يهمز ثم حذفت الألف فصارت ط ثم زيدت الهاء فى الوقف و يجوز أن يكون «طه» جاريا مجرى القسم فىكون «ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى» جواب القسم و قوله «تذكرة» مفعول له. «لمن يخشى» الجار و المجرور فى موضع الصفه ل «تذكرة» و الأولى أن يكون مصدر فعل محذوف و يكون الاستثناء منقطعا و التقدير لكن «تذكرة» و كذلك قوله «تنزيلا» مصدر لفعل محذوف تقديره نزلناه تنزيلا أو نزل تنزيلا و يدل عليه قوله «أنزلنا».

المعنى

«طه» قد بينا فى أول البقره تفسير حروف المعجم فى أوائل السور و الاختلاف فيه و قد قيل إن معنى طه يا رجل عن ابن عباس و سعيد بن جبیر و الحسن و مجاهد و الكلبي غير أن بعضهم يقول هو بلسان الحبشيه أو النبطيه و قال الكلبي هى بلغه عك و أنشد لتميم بن نويرة:

هتفت بظه فى القتال فلم يجب فخفت لعمري أن يكون موائلا

قال الآخر:

إن السفاهه طه من خلائقكم لا بارك الله فى القوم الملاعين.

و قال الحسن هو جواب للمشركين حين قالوا إنه شقى فقال سبحانه يا رجل «ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى» لكن لتستعد به و تنال الكرامه به فى الدنيا و الآخرة قال قتاده و كان يصلى الليل كله و يعلق صدره بحبل حتى لا يغلبه النوم فأمره الله سبحانه بأن يخفف على نفسه و ذكر أنه ما أنزل عليه الوحي ليتعب كل هذا التعب «إلا تذكرة لمن يخشى» قال المبرد معناه لكن أنزلناه تذكرة أى لتذكرة من يخشى الله و التذكرة مصدر كالتذكير «تنزيلا» أى أنزلناه تنزيلا «ممن خلق الأرض» بدأ بالأرض ليستقيم رءوس الآى «و السماوات العلى» أى الرفيعه العالیه نبه بذلك على عظم حال خالقهما ثم أكد ذلك بقوله «الرحمن على العرش استوى» أى هو الرحمن لأنه لما قال ممن خلق بينه بعد ذلك فقال هو الرحمن قال أحمد بن يحيى الاستواء الإقبال على الشىء فكأنه أقبل على خلق العرش و قصد إلى ذلك و قد سبق القول فى معنى الاستواء فى سوره البقره و الأعراف «لله ما فى السماوات و ما فى الأرض» أى له ملك ما فى السماوات و ما فى الأرض و تدبيرهما و علمهما يعنى أنه مالك كل شىء و مدبره «و ما بينهما» يعنى الهواء «و ما تحت الثرى» و الثرى التراب الندى يعنى و ما وارى

الثرى من كل شىء عن الضحاك وقيل يعنى ما فى ضمن الأرض من الكنوز والأسموات «وَإِنْ تَجَهَّزْ بِالْقَوْلِ» أى إن ترفع صوتك به «فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفَى» أى فلا تجهد نفسك برفع الصوت فإنك وإن لم تجهر علم الله السر وأخفى من السر ولم يقل وأخفى منه لدلاله الكلام عليه كما يقول القائل فلان كالفيل أو أعظم وقيل تقديره وإن تجهر بالقول أو لا تجهر فإنه يعلم السر وأخفى منه ثم اختلفوا فيما هو أخفى من السر ف قيل ما حدث به العبد غيره فى خفيه وأخفى منه ما أضمره فى نفسه ما لم يحدث به غيره عن ابن عباس وقيل السر ما أضمره العبد فى نفسه وأخفى منه ما لم يكن ولا أضمره أحد عن قتاده وسعيد بن جبير وابن زيد وقيل السر ما تحدث به نفسك وأخفى منه ما تريد أن تحدث به نفسك فى ثانى الحال وقيل العمل الذى تستره عن الناس وأخفى منه الوسوسة عن مجاهد وقيل معناه يعلم السر أى أسرار الخلق وأخفى أى سر نفسه عن زيد بن أسلم جعله فعلا ماضيا و

روى عن السيدين الباقر والصادق (عليه السلام) السر ما أخفيت فى نفسك وأخفى ما خطر بالك ثم أنسيته

«اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» لا معبود تحق له العباده غيره «لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى» أى الأسماء الداله على توحيده و على إنعامه على العباد و على المعانى الحسنه فأيتها دعوت جاز و

روى عن النبى ص أنه قال إنه لله تعالى تسعه و تسعين اسما من أحصاها دخل الجنة

قال الزجاج تأويله من وحد الله تعالى و ذكر هذه الأسماء الحسنى يريد بها توحيد الله و إعظامه دخل الجنة

و قد جاء فى الحديث من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة

فهذا لمن ذكر اسم الله موحد له به فكيف بمن ذكر أسماء كلها يريد بها توحيده و الثناء عليه و إنما قال الحسنى بلفظ التوحيد و لم يقل الأحاسن لأن الأسماء مؤنثه تقع عليها هذه كما تقع على الجماعه هذه كأنه اسم واحد للجمع قال الأعشى:

و سوف يعقبنيه إن ظفرت به رب كريم و بيض ذات أظفار

و فى التنزيل حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ وَمَأْرَبٌ أُخْرَى:

إشارة

وَ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (٩) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى
(١٠) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَ أَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا
يُوحَى (١٣)

إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (١٥) فَلَا
يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (١٦)

القراءة

قرأ أبو جعفر و ابن كثير و أبو عمرو أنى أنا ربك بفتح الألف و الباقون «إنى» بالكسر و قرأ حمزه لأهله امكثوا و فى القصص
أيضا بضم الهاء و أنا مشدد مفتوح الهمزة اخترناك على الجمع و الباقون «لأهله» بكسر الهاء و «أنا اخترتُك» على التوحيد و قرأ
ابن عامر و أهل الكوفة طوى بالتونين و الباقون بغير تنوين و فى الشواذ قراءة الحسن و مجاهد و سعيد بن جبير أخفيها بفتح
الألف.

الحج

قال أبو على من كسر إنى فلائذ الكلام حكاية كأنه نودى فقيل يا موسى إنى أنا ربك و من فتح فكان المعنى نودى بكذا و
نادى قد يوصل بحرف الجر قال:

ناديت باسم ربيعه بن مكرم إن المنوه باسمه الموثوق

و من الناس من يعمل هذه الأشياء التى هى فى المعنى قول كما يعمل القول و لا يضم القول معها و ينبغى أن يكون فى نودى
ضمير يقوم مقام الفاعل لأنه لا يجوز أن يقوم واحد من قوله «يا موسى» و لا «إنى أنا ربك» مقام الفاعل لأنها جمل و الجمل لا
تقوم مقام الفاعل فإن جعلت الاسم الذى يقوم مقام الفاعل موسى لأن ذكره قد جرى كان مستقيما و قوله «طوى» بصرف و لا
يصرف فمن صرفه فعلى وجهين (أحدهما) أن يجعله اسم الوادى فيصرفه لأنه سمي مذكرا بمذكر (و الآخر) أن يجعله صفة و
ذلك فى قول من قال إنه قدس مرتين فيكون طوى كقولك ثنى و يكون صفة كقوله مكانا سوى و قوم عدى و جاء فى طوى
الضم و الكسر كما جاء فى مكان سوى الضم و الكسر قال الشاعر:

أ فى جنب بكر قطعتنى ملامه لعمرى لقد كانت ملامتها ثنى

أى لىس هذا بأول ملامتها و من لم يصرف احتمال أمرين (أحدهما) أن يكون اسما لبقعه أو أرض فهو مذكر فىكون بمنزله امرأه سميتها بحجر و يجوز أن يكون معدولا كعمر و لا يمتنع أن تقدر العدل فىما لم يخرج إلى الاستعمال ألا ترى أن جمع و كتع معدولتان عما لم يستعملا فكذلك يكون طوى و أما ضم الهاء فى قوله «لَأَهْلِهِ امْكُتُوا» فقد مضى القول فى مثله و أما قوله «وَ أَنَا اخْتَرْتُكَ» فالإفراد أكثر فى القراءه و هو أشبه بما قبله من قوله «إِنِّي أَنَا رَبُّكَ» و وجه الجمع أن يكون ذلك قد جاء فى نحو قوله تعالى سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى ثُمَّ قَالَ وَ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ و يمكن أن يكون الوجه فى قراءه حمزه و إنا اخترناك مع أنه قرأ إنى أنا ربك بالكسر أن يكون التقدير و لأنا اخترناك فاستمع فىكون الجار و المجرور فى موضع نصب بقوله «فَأَسْمِعْ» و لم يذكر الشيخ أبو على و قوله «أَخْفِيهَا» فإنهم قالوا معناه أظهرها قال أبو على الغرض فىه أزيل عنها خفاءها و هو ما يلف فىه القربه و نحوها من كساء و ما يجرى مجراه و عليه قول الشاعر:

لقد علم الأيقاظ أخفيه الكرى تزججها من حالك فاكتحالها

قال أراد بالأيقاظ عيوننا فجعل العين كالخفاء للنوم كأنها تستره و هو من ألفاظ السلب فأخفيته سلبت عنه خفاء كما تقول أشكيت الرجل أزلت عنه ما يشكوه و أما أخفيها بفتح الألف فإنه أظهرها قال امرؤ القيس.

خفاهن من إنفاقهن كأنما خفاهن ودق من سحاب مركب

و قوله:

فإن تدفنوا الداء لا نخفه و إن تبعثوا الحرب لا نقعد

روايه أبى عبيده بضم النون من نخفه و روايه الفراء بفتح النون.

اللغة

الإيناس وجدان الشىء الذى يؤنس به و القبس الشعلة من النار فى طرف عود أو قصبه و الخلع نزع الملبوس يقال خلع ثوبه و خلع نعله و الوادى سفح الجبل و يقال للمجرى العظيم من مجارى الماء واد و أصله عظم الأمر و منها الديه لأنها العطيه فى الأمر العظيم و هو

القتل و المقدس المطهر قال امرؤ القيس

(كما شبرق الولدان ثوب المقدس)

يريد العابد من النصارى كالقسيس و نحوه و سمي الوادى طوى لأنه طوى بالبركة مرتين عن الحسن فعلى هذا يكون مصدر قولك طويت طوى قال عدى بن زيد:

أ عاذل إن اللوم فى غير كنهه على طوى من غيئك المتردد

و يقال أخفيت الشىء كتمته و أظهرته جميعا و خفيته بلا ألف أظهرته لا غير و الردى الهلاك و ردى يردى ردى إذا هلك و تردى بمعناه.

الإعراب

قوله «إِذْ رَأَى» الظرف يتعلق بمحذوف فهو فى موضع نصب على الحال من حديث موسى و «أَكَادُ أَخْفِيهَا» جملة فى موضع رفع بأنها خبر إن فهى خبر بعد خبر. اللام فى «لِتَجْزَى» يتعلق بآتيه و يجوز أن يتعلق بقوله «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ» فتردى منصوب بإضمار أن فى جواب النهى.

المعنى

ثم خاطب الله سبحانه نبيه تسلياً له مما ناله من أذى قومه و تثبيتاً له بالصبر على أمر ربه كما صبر موسى (عليه السلام) حتى نال الفوز فى الدنيا و الآخرة فقال «وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى» هذا ابتداء إخبار من الله تعالى على وجه التحقيق إذ لم يبلغه حديث موسى فهو كما يخبر الإنسان غيره بخبر على وجه التحقيق فيقول هل سمعت بخبر فلان و قيل إنه استفهام تقرير بمعنى الخبر أى و قد أتاك حديث موسى «إِذْ رَأَى نَارًا» عن ابن عباس قال و كان موسى رجلاً غيوراً لا يصحب الرفقة لئلا ترى امرأته فلما قضى الأجل و فارق مدین خرج و معه غنم له و كان أهله على أتان و على ظهرها جوالق فيها أثاث البيت فأضل الطريق فى ليله مظلمه و تفرقت ماشيته و لم ينقدح زنده و امرأته فى الطلق فرأى نارا من بعيد كانت عند الله نورا و عند موسى نارا «فَقَالَ» عند ذلك «لِأَهْلِهِ» و هى بنت شعيب كان تزوجها بمدین «أَمْكُتُوا» أى الزموا مكانكم قال مقاتل و كانت ليله الجمعة فى الشتاء و الفرق بين المكث و الإقامة أن الإقامة تدوم و المكث لا يدوم «إِنِّي آنَسْتُ نَارًا» أى أبصرت نارا «لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ» أى بشعلة أقتبسها من معظم النار تصطلون بها «أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى» أى أجد على النار هادياً يدلنى على الطريق و قيل علامه استدلت بها على الطريق و الهدى ما يهتدى به فهو اسم

و مصدر قال السدى لأن النار لا تخلو من أهل لها و ناس عندها «فَلَمَّا أَتَاهَا» قال ابن عباس لما توجه نحو النار فإذا النار في شجره عناب فوقف متعجبا من حسن ضوء تلك النار و شدة خضره تلك الشجره فسمع النداء من الشجره و هو قوله «نُودِي يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ» و النداء الدعاء على طريقه يا فلان فمن فتح الألف من إني فالمعنى نودي بأني و من كسر فالمعنى نودي فقبل إني أنا ربك الذى خلقك و دبرك قال وهب نودي من الشجره فقبل يا موسى فأجاب سريعا ما يدرى من دعاه فقال إني أسمع صوتك و لا- أرى مكانك فأين أنت أنا فوقك و معك و أمامك و خلفك و أقرب إليك من نفسك فعلم أن ذلك لا ينبغى إلا لربه عز و جل و يقن به و إنما علم موسى (عليه السلام) أن ذلك النداء من قبل الله تعالى لمعجز أظهره الله سبحانه كما قال فى موضع آخر إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَ أَنْ أَلْتَقِ عَصَاكَ إِلَى آخِرِهِ وَقِيلَ أَنَّهُ لَمَّا رَأَى شَجْرَهُ خَضِرًا مِنْ أَسْفَلِهَا إِلَى أَعْلَاهَا تَتَوَقَّدُ فِيهَا نَارٌ بِيضَاءٍ وَ سَمِعَ تَسْبِيحَ الْمَلَائِكَةِ وَ رَأَى نُورًا عَظِيمًا لَمْ تَكُنْ الْخَضِرَةُ تَطْفِئُ النَّارَ وَ لَا النَّارُ تَحْرِقُ الْخَضِرَةَ تَحْيِيرًا وَ عِلْمٌ أَنَّهُ مَعْجَزٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ وَ أَنَّهُ لِأَمْرٍ عَظِيمٍ فَأَلْقَيْتَ عَلَيْهِ السَّكِينَةَ ثُمَّ نُودِيَ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ وَ إِنَّمَا كَرَّرَ الْكِنَايَةَ لِتَأْكِيدِ الدَّلَالَةِ وَ إِزَالَةِ الشَّبَهَةِ وَ تَحْقِيقِ الْمَعْرِفَةِ «فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ» أى انزعهما و قيل فى السبب الذى أمر بخلع النعلين أقوال (أحدها)

أنهما كانتا من جلد حمار ميت عن كعب و عكرمه و روى ذلك عن الصادق (عليه السلام)

(و ثانيها) كانتا من جلد بقره ذكیه و لكنه أمر بخلعهما لياشرف بقدميه الأرض فتصبيه بركة الواد المقدس عن الحسن و مجاهد و سعيد بن جبیر و ابن جريج (و ثالثها) أن الحفاء من علامه التواضع و لذلك كانت السلف تطوف حفاه عن الأصم (و رابعها) أن موسى (عليه السلام) إنما لبس النعل اتقاء من الأنجاس و خوفا من الحشرات فأمنه الله مما يخاف و أعلمه بطهاره الموضع عن أبى مسلم «إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ» أى المبارك عن ابن عباس بورك فيه بسعه الرزق و الخصب و قيل المطهر «طُوى» هو اسم الوادى عن ابن عباس و مجاهد و الجبائى و قيل سمي به لأن الوادى قدس مرتين فكأنه طوى بالبركه مرتين عن الحسن «وَ أَنَا اخْتَرْتُكَ» أى اصطفتك بالرساله «فَأَسْمِعْ لِمَا يُوحَى» إليك من كلامى و أصغ إليه و تثبت، لما بشره الله سبحانه بالنبوه أمره باستماع الوحي ثم ابتداء بالتوحيد فقال «إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا» أى لا إله يستحق العباده غيرى «فَاعْبُدْنِي» خالصا و لا تشرك فى عبادتى أحدا، أمره سبحانه بأن يبلغ ذلك قومه «وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي» أى لأن تذكرنى فيها بالتسبيح و التعظيم لأن الصلاه لا تكون إلا بذكر الله عن الحسن و مجاهد و قيل معناه لأن أذكرك بالمدح و الثناء، و قيل إن معناه صل لى و لا تصل لغيرى كما يفعل المشركون عن أبى مسلم و قيل معناه

أقم الصلاه متى ذكرت أن عليك صلاه كنت فى وقتها أم لم تكن عن أكثر المفسرين

و هو المروى عن أبي جعفر (عليه السلام)

و يعضده

ما رواه أنس عن النبي ص قال من نسي صلاه فليصلها إذا ذكرها لا كفاره لها غير ذلك و قرأ «أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي»

رواه مسلم فى الصحيح ثم أخبره سبحانه بمجىء الساعة فقال «إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ» يعنى أن القيامه جائيه قائمه لا- محاله «أَكَادُ أَخْفِيهَا» أى أريد أن أخفيها عن عبادى لثلاث- تأتيمهم إلا- بغته قال تغلب هذا أجود الأقوال و هو قول الأخفش و فائده الإخفاء التهويل و التخويف فإن الناس إذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت و روى ابن عباس

أكاد أخفيها من نفسى و هى كذلك فى قراءه أبى و روى ذلك عن الصادق (عليه السلام)

و المعنى أكاد لا أظهر عليها أحدا و هو قول الحسن و قتاده و المقصود من ذلك تباعد الوصول إلى علمها و تقديره إذا كدت أخفيها من نفسى فكيف أظهرها لك قال المبرد هذا على عادة العرب إذا بالغوا فى كتمان الشىء قال كتمته حتى من نفسى أى لم أطلع عليه أحدا فبالغ سبحانه فى إخفاء الساعة و ذكره بأبلغ ما تعرفه العرب و قال أبو عبيده معنى أخفيها أظهرها و دخلت أكاد تأكيداً و المعنى يوشك أن أقيمها «لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى» أى بما تعمل من خير و شر و لينتصف من الظالم للمظلوم «فَلَا يَصُدُّدَنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا» أى لا يصرفنك عن الصلاه من لا يؤمن بالساعة و قيل معناه لا يمنعك عن الإيمان بالساعة من لا- يؤمن بها و قيل عن العباده و دعاء الناس إليها و قيل عن هذه الخصال «وَأَتَّبِعْ هَوَاهُ» و الهوى ميل النفس إلى الشىء و معناه و من بنى الأمر على هوى النفس دون الحق و ذلك أن الدلاله قد قامت على قيام الساعة «فَتَزِدِي» أى فتهلك كما هلك أى إن صددت عن الساعة بترك التأهب لها هلكت و الخطاب و إن كان لموسى (عليه السلام) فهو فى الحقيقة لسائر المكلفين و فى هذه الآيات دلالة على أن الله تعالى كلم موسى و أن كلامه محدث لأنه حل الشجره و هى حروف منظومه.

[سوره طه (٢٠): الآيات ١٧ الى ٣٦]

اشاره

وَ مَا تَلَكَ بِبِمِينِكَ يَا مُوسَى (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَ أَهْشُ بِهَا عَلَى غَمَمِي وَ لِي فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى (١٨) قَالَ أَلْقَاهَا يَا مُوسَى (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَ لَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (٢١)

وَ اضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةٌ أُخْرَى (٢٢) لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (٢٣) أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٢٤) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَ يَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦)

وَ اخْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَ اجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١)

وَ أَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيْرًا (٣٣) وَ نَذْكُرَكَ كَثِيْرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيْرًا (٣٥) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (٣٦)

القراءة

قرأ ابن عامر أشدد بقطع الهمزة وفتحها و أشركه بضمها و الباقون «أشدُّد» بهمزة الوصل و «أشْرِكُهُ» بالفتح و فى الشواذ قراءة عكرمه و أهس بالسین و قراءة أبى البرهسم و أهش بكسر الهاء.

الحجج

الوجه فى قراءة أبى عامر أنه جعله خبرا و سائر القراء جعلوه دعاء و ضم الهمزة فى أشركه ضعيف جدا لأنه ليس إلى موسى إشراك هارون فى النبوه بل ذلك إلى الله تعالى فالوجه فتح الهمزة على الدعاء و من قرأ أهش بكسر الهاء فيمكن أن يكون أراد أهش بضم الهاء أى أكسر الكلاء بها للغنم فجاء بها على يغسل إن كان متعديا كما جاء هر الشىء يهر و يهره إذا كرهه و شد الحبل يشده و يشده و نم الحديث ينمه و أما أهس بالسین فمعناه أسوق و كان ينبغى أن يقول أهس بها غنمى و لكن لما دخل السوق معنى الانتحاء لها و الميل بها عليها استعمل على معها حملا على المعنى.

اللغة

التوكؤ و الاتكاء بمعنى مثل التوقى و الاتقاء و الهش ضرب ورق الشجر لیتساقط و المآرب الحوائج و أحدثها مأربه بضم الراء و فتحها و كسرهما عن على بن عيسى و السيره و الطريقه من النظائر و معناه مرور الشىء فى جهه و أصل الجناح من الجنوح و هو الميل لأن الطائر يميل به فى طيرانه و عضد الإنسان جناحه لأن من جهته يميل اليد حيث شاء صاحبها

و قيل يريد بالجنح الجلب لأن فيه جنوح الأضلاع و قال الراجز:

" أضمها للصدر و الجناح "

قال أبو عبيده الجناحان الناحيتان و الطغيان تجاوز الحد فى العصيان و شرح الصدر توسعه و منه شرح المعنى و هو بسط القول فيه و العقده جمله مجتمعه يصعب تفكيكها و الحل ضد العقد و نظيره الفصل و القطع و الوزير حامل الثقل عن الرئيس مشتق من الوزر الذى هو الثقل و الأزهر الظهر يقال أزرنى فلان على أمرى أى كان لى ظهرا و منه المتزر لأنه يشد على الظهر و الإزار لأنه يسيل على الظهر و التأزير التقويه و يمكن أن يكون أزرو و وزر مثل أرخ و ورخ و أكد و وكد قال امرؤ القيس:

بمحميه قد آزر الضال نبتها مضم جوش غانمين و خيب

. الإعراب

«و ما تِلْكَ بِبَيْمِينِكَ» قال الزجاج تلك اسم مبهم يجرى مجرى التى و يوصل كما توصل التى و المعنى و ما التى بيمينك و أنشد الفراء:

عدس ما لعباد عليك إماره أمنت و هذا تحملين طليق

أى و الذى تحملين قال بعض المتأخرين إن الصحيح الذى لا غبار عليه أن يكون تلك مبتدأ و ما خبره قدم عليه لما فيه من معنى الاستفهام و بيمينك الجار و المجرور فى موضع نصب على الحال من معنى الفعل فى تلك و هو الإشاره قال و إنما قلنا ذلك لأن أسماء الإشاره إنما تبين بصفاتهما كما أن الأسماء الموصوله تبين بصلاتها و لا يجوز وصف المبهم بالجملة لأن الجمل نكرات و قوله «فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى» إذا هذه ظرف المفاجاه و هى ظرف مكان تقديره فبالحضره هى حيه و العامل فى الظرف تسعى و هذا يدل على إن إذا هاهنا غير مضاف إلى الجملة لأنه لو كان كذلك لم يعمل فيه مما فى الجملة شىء لأن المضاف إليه لا يعمل فى المضاف و سيرتها انتصب على تقدير سنعيدها إلى سيرتها فحذف الجار. من غير سوء فى موضع نصب على الحال و التقدير تبيض غير برصاء فيه فيكون حالا عن حال. «آيَةٌ أُخْرَى» اسم فى موضع الحال أيضا و المعنى تخرج ببيضاء مبينه قال الزجاج و يجوز أن يكون منصوبه على آتيناك آيه أخرى و تؤتيك آيه أخرى لأين فى قوله «تَخْرُجُ بَيِّضَاءً» دليلا على أنه يعطى آيه أخرى. «لِئْرِيكَ» اللام يتعلق بقوله «و أضْمَمُ» و المفعول الثانى من نرى يجوز أن يكون محذوفا و تقديره لئريك من آياتنا الكبرى آيات و يجوز أن يكون الكبرى صفه محذوف

و هو المفعول الثاني و التقدير لنريك الآيه الكبرى من آياتنا. «هَارُونَ» بدل من قوله «وَزِيْرًا» و يجوز أن يكون منصوبا بإضمار فعل كأنه قال أعنى هارون أخى أو استوزر لى هارون لأن وزيرا يدل عليه و أخى صفه لهارون و يجوز أن يكون بدلا منه قال الزجاج يجوز أن يكون هارون مفعولا أول لأجعل و وزيرا مفعولا ثانيا له و على هذا فيكون مثل قوله تعالى «وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ» فى أن المفعول الثانى من هذا الباب قد تقدم على المفعول الأول و لو قرأ بالرفع هارون لكان خير مبتداً محذوف كأنه قيل من هذا الوزير فقيل هو هارون و كثيرا نعت مصدر محذوف فى الموضوعين أى تسيحا كثيرا و ذكرا كثيرا و يجوز أن يكون نعتا لظرف محذوف تقديره نسبحك وقتا كثيرا و نذكرك وقتا كثيرا.

المعنى

ثم بين سبحانه ما أعطى موسى من المعجزات فقال «وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى» سأله عما فى يده من العصا تنبئها له عليها ليقع المعجز بها بعد التثبت فيها و التأمل لها «قَالَ» موسى «هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا» أى أعتمد عليها إذا مشيت و التوكؤ التحامل على العصا فى المشى «وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي» أى و أخبط بها ورق الشجر لترعاه غنمى «وَلِى فِيهَا مَا رَبُّ أُخْرَى» و لم يقل آخر ليوافق رءوس الآى أى حاجات أخرى فنص على اللازم و كنى عن العارض قال ابن عباس كان يحمل عليها زاده و يركزها فيخرج منه الماء و يضرب بها الأرض فيخرج ما يأكل و كان يطرد بها السباع و إذا ظهر عدو حاربت و إذا أراد الاستسقاء من بئر طالت و صارت شعبتها كاللدلو و كان يظهر عليها كالشمعه فتضىء له الليل و كانت تحدثه و تؤنسه و إذا طالت شجره حناها بمحجنها «قَالَ» الله سبحانه «أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى» أى تمشى بسرعه و قيل صارت حيه صفراء لها عرف كعرف الفرس و جعلت تتورم حتى صارت ثعبانا و هى أكبر من الحيات عن ابن عباس و قيل أنه ألقاها و حانت منه نظره فإذا بأعظم ثعبان نظر إله الناظرون و يمر بالصخره مثل الخلفه من الإبل فيلقمها و تطعن أنيابه فى أصل الشجره العظيمه فتجتثها و عيناه تتوقدان نارا و قد عاد المحجن عنقا فيه شعر مثل النيازك فلما عين ذلك ولى مدبرا و لم يعقب ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه ثم نودى يا موسى ارجع إلى حيث كنت فرجع و هو شديد الخوف ف «قَالَ خُذْهَا» بيمينك «وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى» أى سنعيدها إلى الحاله الأولى عصا و على موسى يومئذ مدرعه من صوف قد خلها بخلال فلما أمره سبحانه بأخذها أدلى طرف المدرعه على يده فقال ما لك يا موسى أ رأيت لو أذن الله بما تحاذر أ كانت المدرعه تغنى

عنك شيئاً قال لا ولكنى ضعيف و من ضعف خلقت و كشف عن يده ثم وضعها في فم الحيه فإذا يده في الموضع الذي كان يضعها إذا توكلأ عليها بين الشعبتين عن وهب و قيل كانت العصا من آس الجنه أخرجها آدم (عليه السلام) و توارثها الأنبياء إلى أن بلغ شعيباً فدفعها إلى موسى قال وهب كانت من عوسج و كان طولها عشره أذرع على مقدار قامه موسى «وَ اضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ» معناه و أجمع يدك إلى ما تحت عضدك عن مجاهد و الكلبي و قيل إلى جنبك و قيل أدخلها في جيبك و كنى عن الجنب بالجنح «تَخْرُجُ بَيْضَاءً» لها نور ساطع يضيء بالليل و النهار كضوء الشمس و القمر و أشد ضوءاً عن ابن عباس «مَنْ غَيْرِ سُوءٍ» من غير برص في قول الجميع قالوا و كان موسى آدم اللون ففعل فخرجت يده كما قال الله ثم ردها فعادت إلى لونها الذي كانت عليه «آيَةٌ أُخْرَى» أي فتزيدك بها آيه أخرى أو تخرج مبينه آيه أخرى «لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا» و حججنا «الْكُبْرَى» منها و لو قال الكبير على الجمع وصفا لجميع الآيات لكان جائزاً و قيل معناه لنريك من دلالاتنا الكبرى سوى هاتين الدالتين و قيل إنها هلاك فرعون و قومه فلما حمله سبحانه الرساله و أراه المعجزات أمره بالتبليغ فقال «أَذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ» فادعه إلى «إِنَّهُ طَغَى» أي تجبر و تكبر في كفره «قَالَ» موسى عند ذلك «رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي» أي وسع لي صدري حتى لا أضجر و لا أخاف و لا أغتم «وَ يَسِّرْ لِي أَمْرِي» أي سهل على أداء ما كلفتني من الرساله و الدخول على الطاغى و دعائه إلى الحق «وَ اخْلُلْ عُقْمَهُ مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي» أي و أطلق عن لساني العقده التي فيه حتى يفقهوا كلامي و كان في لسان موسى (عليه السلام) رته لا يفصح معها بالحروف شبه المتممه و قيل إن سبب تلك العقده في لسانه جمره طرحها في فيه و ذلك لما أراد فرعون قتله لأنه أخذ بلحيه فرعون و نتفها و هو طفل فقالت آسيه بنت مزاحم لا تفعل فإنه صبي لا يعقل و علامه جهله أنه لا يميز بين الدره و الجمره فأمر فرعون حتى أحضر الدره و الجمره بين يديه فأراد موسى أن يأخذ الدره فصرف جبرائيل يده إلى الجمره فأخذها و وضعها في فيه فاحترق لسانه عن سعيد بن جبير و مجاهد و السدى و قيل إنه انحل ما كان بلسانه إلا بقيه منه بدلاله قوله «وَ لَا يَكَادُ يُبِينُ» عن الجبائي و قيل استجاب الله تعالى دعاءه فأحل العقده عن لسانه عن الحسن و هو الصحيح لقوله سبحانه «أُوتِيَتْ سُلُوكَكَ يَا مُوسَى» و معنى قوله «وَ لَا يَكَادُ يُبِينُ» أي لا يأتي ببيان و حجه و إنما قالوا ذلك تمويها ليصرفوا الوجوه عنه «وَ اجْعَلْ لِي وَزِيْرًا» يؤازرنى على المضى إلى فرعون و يعاضدنى عليه و قيل اجعل لى معاوناً أتقوى به

و برأيه و مشاورته و قال «مِنْ أَهْلِي» لأنه إذا كان الوزير من أهله كان أولى ببذل النصح له ثم بين الوزير و فسرّه فقال «هَارُونَ أَخِي» و كان أخاه لأبيه و أمه و كان بمصر «أَشْدُّ بِهِ أَرْزِي» أى قو به ظهري و أعنى به «وَ أَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي» أى أجمع بيني و بينه فى النبوه ليكون أحرص على مؤازرتي لم يقتصر على سؤال الوزاره حتى سأل أن يكون شريكه فى النبوه و لو لا ذلك لجاز أن يستوزره من غير مسأله و إنما سمى الوزير وزيراً لأنه يعين الأمير على ما هو بصدده من الأمور أخذ من المؤازره التى هى المعاونه و قيل إنما سمى وزيراً لأنه يتحمل الثقل عن الأمير من الوزر الذى هو الثقل و قيل لأنه يلتجئ الأمير إليه فيما يعرض له من الأمور من الوزر الذى هو الملجأ قالوا إن هارون كان أكبر من موسى بثلاث سنين و أتم طولاً و أبيض جسماً و أكثر لحماً و أفصح لساناً و مات قبل موسى بثلاث سنين «كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا» أى ننزهك عما لا يليق بك بين (عليه السلام) أنه إنما سأل هذه الحاجات ليتوصل بها إلى طاعه ربه و عبادته و تأديه رسالته لا للرياسه «وَ نَذْكُرَكَ كَثِيرًا» أى نحمدك و نشنى عليك بما أوليتنا من نعمك و مننت به علينا من تحميل رسالتك «إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا» أى بأحوالنا و أمورنا عالماً و قيل بصيراً باحتياجنا فى النبوه إلى هذه الأشياء «قَالَ» الله سبحانه إجابته له «قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ» أى قد أعطيت مناك و طلبتك «يا موسى» فيما سألته و السؤال المنى و المراد فيما يسأله الإنسان و

قال الصادق حدثنى أبى عن جدى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو فإن موسى بن عمران خرج يقتبس لأهله ناراً فكلمه الله عز و جل فرجع نبياً و خرجت ملكه سياً كافره فأسلمت مع سليمان و خرج سحره فرعون يطلبون العزه لفرعون فرجعوا مؤمنين .

[سوره طه (٢٠): الآيات ٣٧ الى ٤٤]

اشاره

وَ لَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (٣٨) أَنْ اقْذِيفِي فِي التَّابُوتِ فَاقْذِيفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيَلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَ أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَ لُتُضَيِّعَ عَلَى عَيْنِي (٣٩) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَ لَا تَحْزَنَ وَ قَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَ فَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِتِّينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (٤٠) وَ اضْطَجَعْتَكَ لِنَفْسِي (٤١)

أَذْهَبَ أَنْتَ وَ أَخُوكَ بِآيَاتِي وَ لَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢) أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (٤٤)

ص: ١٧

قرأ أبو جعفر و لتصنع بالجزم و الباكون بكسر اللام و النصب و فى الشواذ قراءه أبى نهيك و لتصنع بكسر اللام و فتح التاء.

قوله «وَلِتُضَيِّنَعَ» بالجزم مثل قولهم و لتعن بحاجتى فالمأمور غائب غير مخاطب لأن العانى بالحاجه غير المخاطب و ليس ذلك مثل قوله «فَلْيُفَرِّحُوا» فإن المأمور هناك مخاطب به «وَلِتُضَيِّنَعَ عَلَى عَيْنِي» قال أحمد بن يحيى معناه لتكون حركتك و تصرفك على عين منى و قراءه الفراء «وَلِتُضَيِّنَعَ عَلَى عَيْنِي» بضم التاء و فتح العين معناه لتربى و تغذى بمرأى منى.

أصل المن القطع و منه أجر غير ممنون و جبل منين أى منقطع فالمن نعمه تقطع لصاحبها من غيره و المره الكره الواحده من المر و القذف الطرح و اليم البحر و الاصطناع افتعال من الصنع و الصنع اتخاذ الخير لصاحبه و ونى فى الأمر ينى و نيا و ونى ذا افتتر فهو وان و متوان فيه قال العجاج:

فما ونى محمد مذ أن غفر له الإله ما مضى و ما غير

. الإعراب

مره و يحتمل أن يكون مصدرا و يحتمل أن يكون ظرفا و يكون التقدير مره أخرى أو وقتا آخر. «ما يُوحى» ما مصدرية و تقديره و أوحينا إلى أمك إحياء و «أَنْ أَقْلِدِيهِ» فى موضع نصب بأنه مفعول أوحينا و لتصنع اللام يتعلق بالقيت أى لتربى «وَلِتُضَيِّنَعَ» و قوله «عَلَى قَدَرٍ» فى موضع النصب على الحال و تقديره جئت مقدرًا ما قدر لك.

لما أخبر سبحانه موسى بأنه آتاه طلبته و أعطاه سؤله عدد عقبيه ما تقدم ذلك من نعمه عليه و منه لديه فقال «وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىكَ مَرَّةً أُخْرَى» أى أنعمنا عليك من صغرك إلى كبرك جاريه نعمتنا عليك متواليه فإجابتنا الآن دعاك تلوها ثم فسر سبحانه تلك النعمه فقال «إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحى» أى حين أوحينا إلى أمك أى ألهمناها ما يلهم و هو ما

كان فيه سبب نجاتك من القتل حتى عنيت بأمرك و قيل كانت رأّت في المنام عن الجبائي ثم فسر ذلك الإيحاء فقال «أنِ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ» أى اجعليه فيه بأن ترميه فيه «فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ» يريد النيل «فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ» و هو شط البحر لفظه أمر فكأنه أمر البحر كما أمر أم موسى و المراد به الخبر و المعنى حتى يلقيه البحر بالشط «يَأْخُذُهُ عَدُوٌّ لِي وَ عَدُوٌّ لَهُ» يعنى فرعون كان عدوا لله و لأنبيائه و عدوا لموسى خاصه لتصوره إن ملكه ينقرض على يده و كانت هذه المنه من الله سبحانه على موسى أن فرعون كان يقتل غلمان بنى إسرائيل ثم خشى أن يفنى نسلهم فكان يقتل بعد ذلك فى سنه و لا يقتل فى سنه فولد موسى فى السنه التى كان يقتل الغلمان فيها فنجاه الله تعالى منه «وَ أَلْقَيْتْ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي» أى جعلتك بحيث يحبك من يراك حتى أحبك فرعون فسلمت من شره و أحبتك امرأته آسيه بنت مزاحم فتبنتك و ربتك فى حجرها عن عكرمه و قيل معناه حببتك إلى عبادى فلا يلقاك أحد مؤمن و لا كافر إلا أحبك عن ابن عباس و هذا كما يقال ألبسه الله جمالا و ألقى عليه جمالا و قال قتاده ملاحه كانت فى عين موسى فما رآه أحد إلا عشقه «وَ لِيُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي» أى لتربى و تغذى بمرأى منى أى يجرى أمرك على ما أريد بك من الرفاهه فى غذائك عن قتاده و ذلك أن من صنع لإنسان شيئا و هو ينظر إليه صنعه كما يحب و لا يتهيا له خلافه و قيل لتربى و يطلب لك الرضاع على علم منى و معرفه لتصل إلى أمك عن الجبائي و قيل لتربى و تغذى بحياطتى و كلاءتى و حفظى كما يقال فى الدعاء بالحفظ و الحياطة عين الله عليك عن أبى مسلم «إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ» الظرف يتعلق بتصنع و المعنى و لتصنع على عيني قدرنا مشى أختك و قولها «هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ» لأن هذا كان من أسباب تربيته موسى على ما أراد الله و هو قوله «إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ» يعنى حين قالت لها أم موسى قصيه فاتبعت موسى على إثر الماء و ذلك أن أم موسى اتخذت تابوتا و جعلت فيه قطنا و وضعته فيه و ألقته فى النيل و كان يشرع من النيل نهر كبير فى باغ فرعون فبينما هو جالس على رأس البركه مع امرأته آسيه إذ التابوت يجىء على رأس الماء فأمر بإخراجه فلما فتحوا رأسه إذا صبى به من أحسن الناس وجها فأحبه فرعون بحيث لا- يتمالك و جعل موسى يبكى و يطلب اللبن فأمر فرعون حتى أتته النساء اللاتى كن حول داره فلم يأخذ موسى من لبن واحده منهن و كانت أخت موسى واقفه هناك إذا أمرتها أمها أن تتبع التابوت فقالت إنى آتى بامرأه ترضعه و ذلك قوله «فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ» أى أدلكم على امرأه تربيته و ترضعه و هى ناصحه له فقالوا نعم فجاءت بالأم فقبل ثديها فذلك قوله «فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا» برؤيتك و بقائك «وَ لَا تَحْزَنَ» من خوف قتله أو غرقه و ذلك أنها حملته إلى بيتها آمنه مطمئنه قد جعل لها

فرعون أجره على الرضاع «وَقَتَلْتَ نَفْسًا» كان قتل قبطيا كافرا عن ابن عباس

و روى عن النبي ص أنه قال رحم الله أخى موسى قتل رجلا خطأ و كان ابن اثنتى عشره سنه

«فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ» أى من غم القتل و كربه لأنه خاف أن يقتصوا منه بالقبطى فالمعنى خلصناك من غم القصاص و آمانك من الخوف «وَفَتَّنَاكَ فُتُونًا» أى اختبرناك اختبارا و معناه أنا عاملناك معامله المختبر حتى خلصت للاصطفاء بالرساله و كان هذا من أكبر نعمه سبحانه عليه و قيل معناه و خلصناك من محنه بعد محنه منها أنه حملته فى السنه التى كان فرعون يذبح الأطفال فيها ثم إلقاءه فى اليم ثم منعه من الرضاع إلا من تدى أمه ثم جره لحيه فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجمره بدل الدرره فدرأ ذلك عنه قتل فرعون ثم مجىء رجل من شيعته يسعى ليخبره بما عزموا عليه من قتله عن ابن عباس فعلى هذا يكون المعنى و خلصناك من المحن تخليصا و قيل معناه و شددنا عليك التعمد فى أمر المعاش حتى رعيت لشعيب عشر سنين ثم بين ذلك فقال «فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ» أى لبثت فيهم حين كنت راعيا لشعيب «ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى» أى فى الوقت الذى قدر لإرسالك نبيا قال الشاعر:

نال الخلافه أو كانت له قدرا كما أتى ربه موسى على قدر

و قيل معناه جئت على الوقت الذى يوحى فيه إلى الأنبياء و هو على رأس أربعين سنه و قيل على المقدار الذى قدره الله لمجيئك و كتبه فى اللوح المحفوظ و المعنى جئت فى الوقت الذى قدره الله لكلامك و نبوتك و الوحي إليك «وَاضِطَّعْتُكَ لِنَفْسِي» أى لوحي و رسالتى عن ابن عباس و المعنى اخترتك و اتخذتك صنيعتى و أخلصتك لتصرف على إرادتى و محبتى و إنما قال لنفسى لأن المحبه أخص شىء بالنفس و تبليغه الرساله و قيامه بأدائها تصرف على إرادته الله و محبته و قيل معناه اخترتك لإقامه حجتي و جعلتك بينى و بين خلقى حتى صرت فى التبليغ عنى بالمتزله التى أنا أكون بها لو خاطبتهم و احتججت عليهم عن الزجاج «أَذْهَبَ أَنْتَ وَ أَخُوكَ بَايَاتِي» أى بحججى و دلالاتى و قيل بالآيات التسع عن ابن عباس «وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي» أى و لا تضعفا فى رسالتى عن ابن عباس و قيل و لا تفترا فى أمرى عن السدى و قيل و لا تقصرا عن محمد بن كعب أى لا يحملنكما خوف فرعون على أن تقصرا فى أمرى «أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ» كرر الأمر بالذهاب للتأكيد و قيل إن فى الأول خص موسى بالأمر و فى الثانى أمرهما ليصيرا نبيين و شريكين فى الأمر ثم بين من يذهبان إليه «إِنَّهُ

طغى» أى جاوز الحد فى الطغيان «فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا» أى ارفقا به فى الدعاء و القول و لا تغلظا له فى ذلك عن ابن عباس و قيل معناه كنياه عن السدى و عكرمه و كنيته أبو الوليد و قيل أبو العباس و قيل أبو مره و قيل إن القول اللين هو هل لك إلى أن تزكى و أهديك إلى ربك فتخشى عن مقاتل و قيل هو أن موسى أتاه فقال له تسلم و تؤمن برب العالمين على أن لك شبابك فلا- تهرم و تكون ملكا لا- ينزع الملك منك حتى تموت و لا تنزع منك هذه الطعام و الشراب و الجماع حتى تموت فإذا مت دخلت الجنة فأعجبه ذلك و كان لا يقطع أمرا دون همام و كان غائبا فلما قدم همام أخبره بالذى دعاه إليه و أنه يريد أن يقبل منه فقال همام قد كنت أرى أن لك عقلا و إن لك رأيا بينا أنت رب و تريد أن تكون مربوبا و بينا أنت تعبد و تريد أن تعبد فقلبه عن رأيه و كان يحيى بن معاذ يقول هذا رفقك بمن يدعى الربوبية فكيف رفقك بمن يدعى العبودية «لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى» أى ادعواه على الرجاء و الطمع لا- على اليأس من فلاحه فوق التعبد لهما على هذا الوجه لأنه أبلغ لهما فى دعائه إلى الحق قال الزجاج و المعنى فى هذا عند سيبويه اذها على رجائكما و طمعكما و العلم من الله قد أتى من وراء ما يكون و إنما يبعث الرسل و هم يرجون و يطمعون أن يقبل منهم و المراد بيان الغرض بالبعث أى ليتذكر ما أغفل عنه من ربوبية الله تعالى و عبودية نفسه و يخشى العقاب و الوعيد فى قوله سبحانه «فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا» على دلالة و جواب يرفق فى الدعاء إلى الله و فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ليكون أسرع إلى القبول و أبعد من النفور و قيل إن هارون كان بمصر فلما أوحى الله تعالى إلى موسى أن يأتى مصر أوحى إلى هارون أن يتلقى موسى فتلقاه على مرحله ثم ائتمرا و ذهبا إلى فرعون.

[سوره طه (٢٠): الآيات ٤٥ الى ٥٦]

اشاره

قالا- رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (٤٥) قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمِعُ وَ أَرَى (٤٦) فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ لَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَ السَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ اتَّبَعَ الْهُدَى (٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَ تَوَلَّى (٤٨) قَالَ فَمَنْ رُبُّكُمْ يَا مُوسَى (٤٩)

قال رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (٥١) قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَ لَا يَنْسَى (٥٢) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَ سَلَّمَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (٥٣) كُلُوا وَ ارْزُقُوا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلأُولَى النَّهَى (٥٤)

مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَ فِيهَا نُعِيدُكُمْ وَ مِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (٥٥) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَ أْبَى (٥٦)

ص: ٢١

القراءه

قرأ نصر عن الكسائي خلقه بفتح اللام و الباقون «خَلَقَهُ» بسكون اللام و قرأ أهل الكوفه و روح و زيد عن يعقوب «مَهْدِياً» و الباقون مهادا بالألف.

الحجه

من قرأ «أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ» فالمعنى أعطى كل شىء صورته أى خلق كل حيوان على صورته أخرى ثم هداه و من قرأ خلقه بفتح اللام فإنه جمله من الفعل و الفاعل فى موضع جر بأنه صفه شىء و المفعول الثانى لأعطى محذوف فكأنه أعطى كل شىء مخلوق ما أوجبه تدبيره ثم هداه السبيل و المههد مصدر كالفرش و المهاد كالفراش و البساط فى قوله جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشاً و فى موضع آخر بساطاً و يجوز أن يكون المههد استعمل استعمال الأسماء فجمع كما يجمع فعل على فعال و الأول أبين.

اللغه

الفرط التقدم و منه الفارط المتقدم إلى الماء قال " قد فرط العجل علينا و عجل " و منه الإفراط الإسراف لأنه تقدم بين يدي الحق و التفريط التقصير لأنه تأخر عما يجب فيه التقدم قال الزجاج القرن أهل كل عصر فيهم نبي أو إمام أو عالم يقتدى به فإن لم يكن واحد منهم لم يسم قرنا و النهى جمع نهيه و إنما قيل لأولى العقول أولو النهى لأنهم ينهون الناس عن القبائح و قيل لأنه ينتهى إلى آرائهم.

الإعراب

«أَشِيَمَعُ» جمله فى موضع الرفع بكونها خبرا بعد خبر و يجوز أن يكون فى موضع النصيب على الحال. «عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ». علمها مبتدأ و فى كتاب خبره و عند

ربى معمول الخبر و تقديره علمها ثابت فى كتاب عند ربي و يجوز أن يكون قوله «عِنْدَ رَبِّي» صفة لكتاب فلما تقدم انتصب على الحال تقديره فى كتاب ثابت عند ربي و يجوز أن يكون عند ربي الخبر و فى كتاب بدل منه و يجوز أن يكون خبرا بعد خبر و قوله «لَا يَضِلُّ رَبِّي» تقدير لا يضل ربي عنه فحذف الجار و المجرور كما حذف من قوله «وَ اتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا» أى فيه. «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ». يجوز أن يكون فى موضع جر بأنه صفة ربي و يجوز أن يكون فى موضع رفع بأن يكون خبر مبتدأ محذوف. «مِنْ نَبَاتٍ» فى موضع نصب صفة لقوله «أَزْوَاجًا» و «شَتَّى» صفة له أيضا فهى صفة بعد صفة و تاره منصوبه على المصدر.

المعنى

لما أمر الله سبحانه موسى و هارون أن يمضيا إلى فرعون و يدعواه إليه «قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا» أى نخشى أن يتقدم فينا بعذاب و يعجل علينا «أَوْ أَنْ يَطْغَى» أى يجاوز الحد فى الإساءة بنا و قيل معناه أنا نخاف أن يبادر إلى قتلنا قبل أن يتأمل حاجتنا أو أن يزداد كفرا إلى كفره بردنا «قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا» بالنصره و الحفظ معناه إني ناصركما و حافظكما «أَسِيمَعُ» ما يسأله عنكما فألهمكما جوابه «وَ أَرَى» ما يقصد كما به فأدفعه عنكما فهو مثل قوله «فَلَا يَصِيبُ لِمُنَّ إِلَيْكُمَا» ثم فسر سبحانه ما أجمله فقال «فَأْتِيَاهُ» أى فأتيا فرعون «فَقُولَا- إِنَّا رَسُولَا- رَبِّكَ» أى أرسلنا إليك خالقك بما ندعوا إليه «فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ» أى أطلقهم و أعتقهم عن الاستعباد «وَ لَا تُعَذِّبُهُمْ» بالاستعمال فى الأعمال الشاقه «فَمَدَّ جُنُوحَهُ بِأَيْهِ مِنْ رَبِّكَ» أى بدلاله واضحه و معجزه لائح من ربك تشهد لنا بالنبوه «وَ السَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى» قال الزجاج لم يرد بالسلام هنا التحية و إنما معناه إن من اتبع الهدى سلم من عذاب الله و يدل عليه قوله بعده «إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَ تَوَلَّى» أى إنما يعذب الله سبحانه من كذب بما جئنا به و أعرض عنه فأما من اتبعه فإنه يسلم من العذاب و هاهنا حذف و هو فأتياه فقالا له ما أمرهما الله تعالى به ثم «قَالَ» لهما فرعون «فَمَنْ رَبُّكُمَا» أى فمن ربك و ربه «يا موسى» و إنما قال ربكما على تغليب الخطاب و قيل تقديره فمن ربكما يا موسى و هارون فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر اختصارا و لتسوى رءوس الآي و أراد به فمن أى جنس من الأجناس ربكما حتى أفهمه فبين موسى أنه تعالى ليس له جنس و إنما يعرف سبحانه بأفعاله «قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ» معناه أعطى كل شىء خلقته أى صورته التى قدرها له «ثُمَّ هَدَى» أى هداه إلى مطعمه و مشربه و منكحه و غير ذلك من ضروب هدايته عن مجاهد و عطيه و مقاتل و قيل معناه أعطى كل شىء مثل خلقه أى زوجه من جنسه ثم هداه لنكاحه عن ابن عباس

و السدى و قيل معناه أعطى خلقه كل شىء من النعم فى الدنيا مما يأكلون و يشربون و ينتفعون به ثم هداهم إلى طرق معاشهم و إلى أمور دينهم ليتوصلوا بها إلى نعم الآخرة عن الجبائى «قال» فرعون «فَمَا بِالِ الْقُرُونِ الْأُولَى» أى فما حال الأمم الماضيه فإنها لم تقر بالله و ما تدعو إليه بل عبت الأوثان و يعنى بالقرون الأولى مثل قوم نوح و عاد و ثمود ف «قال» موسى «عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّى» أى أعمالهم محفوظة عند الله يجازيهم بها و التقدير علم أعمالهم لها عند ربى «فى كِتَابٍ» يعنى اللوح المحفوظ و المعنى أن أعمالهم مكتوبه مثبتة عليهم و قيل المراد بالكتاب ما يكتبه الملائكه و قيل أيضا أن فرعون إنما قال فما بال القرون الأولى حين دعاه موسى إلى الإقرار بالبعث أى فما بالهم لم يبعثوا «لَا يَصِلُ رَبِّى» أى لا يذهب عليه شىء و قيل معناه لا يخطئ ربى «وَلَا يَنْسَى» من النسيان عن أبى مسلم أى لا ينسى ما كان من أمرهم بل يجازيهم بأعمالهم و قيل معناه لا يغفل و لا يترك شيئا عن السدى ثم زاد فى الأخبار عن الله تعالى فقال «الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا» أى فرشا و مهادا أى فراشا «وَسَيَلِّمُ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا» و السلك إدخال الشىء فى الشىء و المعنى أدخل لكم أى لأجلكم فى الأرض طرقا تسلكونها و قال ابن عباس سهل لكم فيها طرقا «وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» يعنى المطر و تم الأخبار عن موسى ثم أخبر الله سبحانه عن نفسه فقال موصولا بما قبله من الكلام «فَأَخْرَجْنَا بِهِ» أى بذلك الماء «أَزْوَاجًا» أى أصنافا «مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى» أى مختلفه الألوان أحمر و أبيض و أخضر و أصفر و كل لون منها زوج و قيل مختلفه الألوان و الطعوم و المنافع فمنها ما يصلح لطعام الإنسان و منها ما يصلح للتفكه و منها ما يصلح لغير الإنسان من أصناف الحيوان «كُلُوا» أى مما أخرجنا لكم بالمطر من النبات و الثمار «وَأَرْعَوْا أَنْعَامَكُمْ» أى و أسيموا مواشيكم فيما أنبتاه بالمطر و اللفظ للأمر و المراد الإباحه و التذكير بالنعمه «إِنَّ فِى ذَلِكَ» أى فيما ذكر «لآيَاتٍ» أى دلالات «لِأُولَى النَّهْيِ» أى لذوى العقول الذين ينتهون عما حرم الله عليهم عن الضحاك و قيل لذوى الورع عن قتاده و قيل لذوى التقى عن ابن عباس «مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ» أى من الأرض خلقنا أباكم آدم (عليه السلام) «وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ» أى و فى الأرض نعيدكم إذا أمتناكم «وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى» أى دفعه أخرى إذا حشرناكم «وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ» يعنى فرعون «آيَاتِنَا كُلَّهَا» يعنى الآيات التسع أى معجزاتنا الداله على نبوه موسى «فَكَذَّبَ» بجميع ذلك «وَأَبَى» أن يؤمن به و قيل معناه فجدد الدليل و أبى القبول و لم يرد سبحانه بذلك جميع آياته التى يقدر عليها و لا كل آيه خلقها و إنما أراد كل الآيات التى أعطاه موسى.

النظم

و وجه اتصال قوله فَمَا بِالِ الْقُرُونِ الْأُولَى بما قبله من الدعاء إلى

التوحيد أن فرعون لما ظهرت المعجزات و دلائل التوحيد على يد موسى تحير و خاف الفضيحة فأقبل على نوع آخر من السؤال تليسا و كثيرا ما يفعل ذلك أهل البدع عند ظهور الحجة و قيل لما دعاه موسى إلى الإقرار بالبعث قال فما بال أولئك القرون لم يبعثوا.

[سوره طه (٢٠): الآيات ٥٧ الى ٦٦]

اشاره

قالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنا مِنْ أَرْضِنا بِسِحْرِكَ يا مُوسى (٥٧) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنا وَ بَيْنَكَ مَوْعِدًا لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَ لا أَنْتَ مَكَانًا سِوَى (٥٨) قالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَ أَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَى (٥٩) فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتى (٦٠) قالَ لَهُمْ مُوسى وَيَلْكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذابٍ وَ قدْ خابَ مِنْ أَفْتَرى (٦١)

فَتَنازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَ أَسْرُوا النَّجْوى (٦٢) قالُوا إِنْ هذانِ لَساحِرانِ يُريدانِ أَنْ يُخْرِجاكُمْ مِنْ أَرْضِنا بِسِحْرِهِما وَ يَذْهبا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثلى (٦٣) فَأَجْمَعُوا كَيْدَكمُ ثُمَّ اتَّوا صَفًّا وَ قدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعلى (٦٤) قالُوا يا مُوسى إِمَّا أَنْ تُلقىَ وَ إِمَّا أَنْ نُكونَ أَوَّلَ مَنْ ألقىَ (٦٥) قالَ بَلْ ألقُوا فَإِذا جبالُهُمْ وَ عَصِيُّهُمْ يُحَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّها تَسعى (٦٦)

القراءه

قرأ أبو جعفر لا نخلفه بالجزم و الباقون بالرفع و قرأ أهل الحجاز و أبو عمرو و الكسائي سوى بكسر السين و الباقون بضمها و قرأ يوم الزينه بالنصب هبيرة عن حفص و هى قراءه الحسن و الأعمش و الثقفى و الباقون «يَوْمُ الزَّيْنَةِ» بالرفع و قرأ أهل الكوفه غير أبى بكر و رويس «فَيُسْحِتُكُمْ» بضم الياء و كسر الحاء و الباقون فيسحتكم بفتح الياء و الحاء و قرأ أبو عمرو

ص: ٢٥

أن هذين وقرأ ابن كثير و حفص «إن هذان» خفيف وقرأ الباقون أن هذان و ابن كثير وحده يشدد النون من هذان وقرأ أبو عمرو فاجمعوا بوصل الهمزة وفتح الميم و الباقون «فَأَجْمَعُوا» بقطع الهمزة و كسر الميم وقرأ ابن عامر و روح و زيد تخيل إليه بالتاء و هو قراءه الحسن و الثقفى و الباقون «يُخَيَّلُ» بالياء.

الحج و الإعراب

فأما قوله لا- نخلفه بالجزم فإنه يكون على جواب الأمر و القراءه المشهوره بالرفع على أن يكون «لا نُخَلِّفُهُ» فى موضع النصب بكونه صفة لقوله «مَوْعِدًا» و هو الظاهر و أما قوله «سُوَّى» فإنه المكان النصف فيما بين الفريقين قال موسى بن جابر:

وجدنا أبانا كان حل ببلده سوى بين قيس قيس عيلان و الفزرة

قال أبو على قوله «سُوَّى» فعل من التسويه فكان المعنى مكانا مستويا مسافته على الفريقين فيكون مسافه كل فريق إليه كمسافه الفريق الآخر و هذا بناء يقل فى الصفات و مثله قوم عدى فأما فعل فهو فى الصفات أكثر قالوا دليل ختع و مال لبد و رجل حطم و أما انتصاب قوله «مَكَانًا» فلا يخلو من أن يكون مفعولا للموعد أما على أنه مفعول به أو على أنه ظرف له أو يكون منتصبا بأنه المفعول الثانى و لا يجوز الأول و لا الثانى لأن الموعد قد وصف بالجمله التى هى لا نخلفه نحن و إذا وصف لم يجر أن يعمل عمل الفعل لاخصاصه بالصفه و لأنه إذا عطف عليه لم يجر أن يتعلق به بعد العطف عليه شىء منه و كذلك إذا أخبر عنه لم يجر أن يقع بعد الخبر عنه شىء يتعلق بالمخبر عنه لم يجر سيبويه هذا ضارب ظريف زيدا و لا هذا ضويرب زيدا إذا حقر اسم الفاعل لأن التحقير فى تخصيصه الاسم بمنزله إجراء الوصف عليه و قد جاء من ذلك شىء فى الشعر قال بشر بن أبى حازم:

إذا فاقد خطباء فرخين رجعت ذكرت سليمانى فى الخليط المباين

و يحتمل ذلك على إضمار فعل آخر كما ذهبوا إليه فى نحو قول الشاعر:

إن العراره و النبوح لدارم و المستخف أخوهم الأثقالا

فإذا لم يجر ذلك كان مفعولا ثانيا لقوله «فَاجْعَلْ» فيكون بمنزله قوله «جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ» و نحوه و أما يوم الزينه فمن نصبه فعلى الظرف كما تقول قيامك يوم الجمعة فالموعد إذا هنا مصدر و الظرف بعده خبر عنه قال ابن جنى و هو عندى على حذف المضاف أى إن إنجاز موعدنا إياكم فى ذلك اليوم أ لا ترى أنه لا يراد أنه فى ذلك اليوم يعدكم لأن الموعد قد وقع الآن و إنما يتوقع إنجازه فى ذلك اليوم لكن فى قوله «وَ أَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَى» نظر و ظاهر حاله أن يكون مجرور الموضع حتى كأنه قال انتظروا موعدكم يوم الزينه و حشر الناس ضحى أى يوم هذا و لهذا فيكون أن يحشر معطوفا على الزينه و قد يجوز أن يكون مرفوع الموضع عطفا على الموعد فكأنه قال إنجاز موعدكم و حشر الناس ضحى فى يوم الزينه أى هذان الفعلان فى يوم الزينه و أما من رفع «يَوْمُ الزَّيْنَةِ» فإن الموعد عنده ينبغى أن يكون زمانا فكأنه قال وقت وعدكم يوم الزينه كقولنا مبعث الجيوش شهر كذا أى وقت بعثها حينئذ و العطف عليه بقوله «وَ أَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَى» يؤكد الرفع لأن أن لا يكون ظرفا بل هو حرف موصول فى معنى المصدر و ينبغى أن يكون على حذف المضاف أى وقت وعدكم يوم الزينه و وقت حشر الناس ضحى كما أن قولك ورودك مقدم الحاج إنما هو على حذف المضاف أى وقت قدوم الحاج و أما قوله «فَيْسِحَتْكُمْ» فإن سحت و أسحت بمعنى قال الفرزدق:

و عض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحتا أو مجلف

و فسر لم يدع على أنه بمعنى لم يبق و أما قوله إن هذان لساحران فمن قرأ بتشديد النون من إن و الألف من هذان فقد قيل فيه أقوال (أحدها) أن إن بمعنى نعم و أنشدوا شعرا:

بكر العواذل فى الضحى يلحينى و ألومهنه

و يقلن شيب قد علاك و قد كبرت فقلت إنه

فعلى هذا يكون تقديره نعم هذان لساحران و هذا لا يصح لأن إن إذا كانت بمعنى نعم

ارتفع ما بعدها بالابتداء والخبر واللام لا يدخل على خبر مبتدأ جاء على أصله و أما ما أنشد في ذلك من قوله:

خالى لأنت و من جرير خاله ينل العلاء و يكرم الأخوالا

و قوله:

أم الحليس لعجوز شهره ترضى من اللحم بعظم الرقبه

فمحمول على الشذوذ و الضروره و أيضا فإن أبا على قال ما قيل إن في الآية لا يقتضى أن يكون جوابه نعم لأنك إن جعلته جوابا لقول موسى (عليه السلام) ويلكم لا- تفتروا على الله كذبا قالوا نعم هذان ساحران كان محالا- و إن جعلته على تقدير فتنازعا أمرهم بينهم و أسروا النجوى قالوا نعم هذان لساحران كان محالا أيضا (و ثانيها) ما قاله الزجاج أن تقديره نعم هذان لهما ساحران فاللام دخل على مبتدأ محذوف و هذا أيضا مثل الأول لما قلناه و لأن سيبويه قال نعم عدو و تصديق و أن يصرف إلى الناصبه للاسم أولى و هو قراءه أبي عمرو و عيسى بن عمرو قال أبو على هذا الذى قاله الزجاج لا يتجه لأمرين (أحدهما) أن الذى حملة النحويون على الضروره لا يمتنع أن يستمر هذا التأويل فيه و لم يحمله مع ذلك عليه (و الآخر) أن التأكيد باللام لا يتعلق به الحذف أ لا- ترى أن الأوجه فى الزينه أن تم الكلام و لا- يحذف ثم يؤكد فليس باللائق فى التدبر (و ثالثها) ما قاله المتقدمون من النحويين إن التقدير أنه هذان لساحران فحذف ضمير القصة و هذا أيضا فيه نظر من أجل دخول اللام فى الخبر و لأن إضمار الهاء بعد إن إنما يأتى فى ضروره الشعر نحو قوله:

إن من لام فى بنى بنت حسان ألمه و أعصه فى الخطوب

و قوله:

إن من يدخل الكنيسه يوما يلقي فيها جاذرا و ظباء

(و رابعها) ما قاله على بن عيسى و هو أن إن لما كانت مشبهه بالفعل و ليست بأصل فى العمل ألغيت هاهنا كما تلغى إذا خفت و هذا غير مستقيم أيضا لأن الإلغاء فى إن ما رأيناه فى غير هذا الموضع و أيضا فإنها قد أعملت مخففه فى قوله تعالى «وَ إِنَّ كُلاًّ لَّمَّا لَيُؤْفِقُنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ» فكيف يجوز إلغاؤها فى غير التخفيف و أيضا فقد أعمل اسم الفاعل و المصدر

ص: ٢٨

لشبههما بالفعل و لا يجوز إلغاؤهما و أيضا فإن اللام يمنع من هذا التأويل لأن أن إذا ألغيت ارتفع ما بعدها بالابتداء و اللام لا يدخل على خبر المبتدأ على ما بيناه (و خامسها) إن هذه الألف ليست بألف التثنيه و إنما هي ألف هذا زيدت عليها النون و هذا قول الفراء و هو غير صحيح فإنه لا يجوز أن يكون تثنيه إلا و يكون لها علم و لو كان على ما زعم لم تنقلب هذه الألف ياء في حال الجر و النصب و يدل على أن هذه الألف للتثنيه أن الألف التي كانت في الواحد قد حذفت كما حذفت الياء من الذى و التي إذا قلت اللذان و اللتان (و سادسها) و هو أجود ما قيل فيه أن يكون هذان اسم أن بلغه كنانة يقولون أتاني الزيدان و رأيت الزيدان و مررت بالزيدان قال بعض شعرائهم:

واها لريا ثم واها واها يا ليت عيناها لنا و فاها

و موضع الخللخال من رجلاها بثمان نعطي به أباها

إن أباها و أبا أباها قد بلغا في المجد غايتها

و قال آخر:

تزود منا بين أذناه طعنه دعته إلى هابي التراب عقيم

و قال آخر:

فأطرق إطراق الشجاع و لو يرى مساعا لناباه الشجاع لصما

و يقولون ضربته بين أذناه و من يشتري الخفان و قيل أنها لغه لبنى الحرث بن كعب و هذا القول اختيار أبي الحسن و أبي على الفارسي و من قرأ أن هذين لساحران فهو صحيح مستقيم و زيف الزجاج هذه القراءة مخالفتها المصحف و قيل أنه احتج في مخالفته المصحف بما روى أنه من غلط الكاتب و يروون عن عثمان و عائشه أن في هذا القرآن غلطا تستقيمه العرب بألسنتها و هذا غير صحيح عند أهل النظر فإن أبا عمرو و من ذهب من القراء مذهبه لا يقرأ إلا بما أخذه من الثقات من السلف و لا يظن به مع علو رتبته أن يتصرف في كتاب الله من قبل نفسه فيغيره و من قرأ إن هذان بسكون النون من أن و الألف فقد قال الزجاج يقوى هذه القراءة قراءة أبي ما هذان إلا ساحران و روى عنه أيضا أن هذان إلا ساحران و هذا يدل على أنه جعل اللام بمنزله إلا و العجب أنه بصرى المذهب و البصريون ينكرون مجيء اللام بمعنى إلا قالوا

لو كان كذلك لجاز أن تقول جاءني القوم لزيدا بمعنى إلا زيدا فالوجه الصحيح فيه أنه جعل أن هذه مخففة من الثقيلة و أضمـر فيها اسمها و رفع ما بعدها على الابتداء و الخبر و جعل الجملة خبر إن و إذا كانت إن مخففة من الثقيلة لزمها اللام ليكون فرقا بينها و بين أن النافية و أما تشديد النون في قول ابن كثير ففيه وجهان (أحدهما) أن يكون عوضا من ألف هذا التي سقطت من أجل حرف التشبيه (و الآخر) أن يكون للفرق بين النون التي تدخل على المبهم و النون التي تدخل على المتمكن و ذلك أن هذه إنما وجدت مشددة مع المبهم و أما قوله «فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ» قال أبو الحسن إنما يقولون بالقطع إذا قالوا أجمعوا على كذا فأما إذا قالوا أجمعوا أمركم و أجمعوا كيدكم فلا- يقولون إلا- بالوصل قال و بالقطع أكثر القراءة قال فأما أن يكون لغه في هذا المعنى لأن باب فعلت و أفعلت كثير و أن يكون أجمعوا على كذا ثم قال كيدكم على أمر مستأنف قال أبو علي فإن قيل فقد تقدم ذكر قوله «فَجَمَعَ كَيْدَهُ» فإذا قيل فاجمعوا كيدكم كان تكريرا قيل لا يكون كذلك لأن ذلك في قصه و هذا في أخرى ذاك إخبار عن فرعون في جمعه كيده و سحره و هذا فيما يتوصى به السحرة في جمع كيدهم و يشبه أن يكون ذلك على لغتين كما ظنه أبو الحسن قال الشاعر:

و أنتم معشر زيـدوا على مائه فاجمعوا أمركم طرا فكيدوني

فقوله «فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ» بمنزله فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ لأن كيدهم من أمرهم و أما قوله «يُخَيِّلُ إِلَيْهِ» فمن قرأ بالياء فإنه فعل فارغ و فاعله قوله «أَنَّهَا تَسْبَعِي» و من قرأ بالتاء فعلى هذا يكون فاعله الضمير المستكن فيه العائد إلى الجبال و العصى و أنها تسعى في محل الرفع لأنه بدل من ذلك الضمير و هو بدل الاشتمال و يجوز أن يكون موضعه على هذه القراءة نصبا أيضا على معنى يخيل إليه كونها ذات سعي.

المعنى

ثم حكى سبحانه عن فرعون أنه نسب موسى إلى السحر تليسا على قومه بأن قال «أَجِئْنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى» أى من أرض مصر «فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ» أى مثل ما أتيت به «فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَ لَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى» أى اضرب بيننا و بينك موعدا مكانا يعد لحضورنا ذلك المكان لا يقع منا في حضوره خلاف ثم وصف المكان بأنه تستوى مسافته على الفريقين و مكانا بدل عن موعد و قيل مكانا سوى أى عدلا بيننا و بينك عن قتاده و قيل منصفًا بكون النصف بيننا و بينك عن مجاهد «قال» موسى «مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ» و كان يوم لهم فسمى يوم الزينة لأن الناس يتزينون فيه و يزينون به الأسواق عن مجاهد و قتاده و السدى «وَ أَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى» يعنى ضحى ذلك اليوم و يريد بالناس أهل مصر بقول يحشرون إلى العيد ضحى فينظرون إلى أمرى و أمرى فيكون

ذلك أبلغ في الحججه و أبعده من الشبهه قال الفراء يقول إذ رأيت الناس يحشرون من كل ناحيه ضحى فذلك الموعد قال و جرت عادتهم بحشر الناس في ذلك اليوم «فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ» أى انصرف و فارق موسى على هذا الوعد «فَجَمَعَ كَيْدَهُ» أى حيلته و مكره و ذلك جمع السحره «ثُمَّ أَتَى» أى حضر الموعد «قَالَ لَهُمْ مُوسَى» أى قال للسحره لأنهم أحضروا ما عملوا من السحر ليقابلوا بمعجزه موسى فوعظهم فقال «وَيُلْكُمُ» و هى كلمه وعيد و تهديد معناه ألزكم الله الويل و العذاب و يجوز أن يكون على النداء نحو يا ويلتا فيكون الدعاء بالويل عليهم و قيل إن ويلكم كلمتان تقديهما وى لكم فيكون مبتدأ و خبرا أو يكون ويلكم بمنزله أتعجب لكم «لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» أى لا- تشركوا مع الله أحدا عن ابن عباس و قيل لا تكذبوا على الله بأن تنسبوا معجزاتى إلى السحر و سحركم إلى أنه حق و بأن تنسبوا فرعون إلى أنه إله معبود «فَيَسْحَتُكُمْ» أى يستأصلكم «بِعَذَابٍ» عن قتاده و السدى و قيل يهلككم عن ابن عباس و الكلبى و مقاتل و الجبائى و أصل السحت استقصاء الخلق يقال سحت شعره إذا استأصله و سحته الله و أسحته إذا استأصله و أهلكه «وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى» أى خسر من كذب على الله و نسب إليه باطلا عن قتاده انقطع رجاء من كذب على الله عن ثوابه و جنته «فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ» أى تشاور القوم و تفاوضوا فى حديث موسى و هارون و فرعون و جعل كل واحد منهم ينازع لكلام صاحبه و قيل تشاورت السحره فيما هيئوه من الحبال و العصى و فيمن يبتدئ باللقاء «وَأَسِيرُوا النَّجْوَى» يعنى أن السحره أخفوا كلامهم و تناجوا فيما بينهم سرا من فرعون فقالوا إن غلبنا موسى اتبعناه عن الفراء و الزجاج و قيل إن موسى لما قال لهم «وَيُلْكُمُ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» قال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر و أسر بعضهم إلى بعض يتناجون عن محمد بن إسحاق و قيل أسروا النجوى بأن «قَالُوا» إن كان هذا ساحرا فسنغلبه و إن كان من السماء فله أمره عن قتاده و قيل تناجوا مع فرعون و أسروا عن موسى و هارون قولهم «إِنْ هَذَا» لساحران عن الجبائى و أبى مسلم إن هذان يعنى موسى و هارون «لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا» قاله فرعون و جنوده للسحره و يريدون بالأرض أرض مصر «وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَى» هى تأنيث الأمثل و هو الأفضل و هو الأشبه بالحق يقال فلان أمثل قومه أى أشرفهم و أفضلهم و المعنى

يريدان أن يصرفا وجوه الناس إليهما عن أمير المؤمنين على (عليه السلام)

و قيل إن طريقتهن المثلى بنو إسرائيل كانوا أكثر القوم عددا و أموالا- أى يريدان أن يذهبا بهم لأنفسهم عن قتاده و أكثر المفسرين و قيل يذهبا بطريقتهن المثلى التى أنتم عليها فى السيره و الدين عن الجبائى و أبى مسلم و ابن زيد «فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ» أى لا تدعوا من كيدكم شيئا إلا جئتم به «ثُمَّ اثْنُوا صَفًّا»

أى مصطفين مجتمعين ليكون أنظم لأموركم و أشد لهيبتكم عن ابن عباس و أكثر المفسرين و قيل ثم ائتوا موضع الجمع و يسمى المصلى الصف عن أبى عبيده و المعنى ثم ائتوا الموضع الذى تجتمعون فيه لعيدكم و صلاتكم «وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اشْتَرَى الْيَوْمَ مِنْ غَلْبِ وَ عِلْمِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ بَعْضُهُمْ إِنَّ هَذَا مِنْ قَوْلِ فِرْعَوْنَ لِلْسَّحَرِ وَ قَالَ آخَرُونَ بَلْ هُوَ قَوْلُ بَعْضِ السَّحَرِ لِبَعْضٍ «قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَ إِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى» هذا قول السحرة خيروه بين أن يلقوا أولا ما معهم أو يلقى موسى عصاه ثم يلقون ما معهم «قَالَ» موسى «بَلْ أَلْقُوا» أنتم ما معكم أمرهم باللقاء أولا ليكون معجزه أظهر إذا ألقوا ما معهم ثم يلقى هو عصاه فتبتلع ذلك و هاهنا حذف أى فألقوا ما معهم «فَإِذَا جِبَالُهُمْ وَ عَصِيَّتُهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى» الضمير فى إليه راجع إلى موسى و قيل إلى فرعون أى يرى الجبال من سحرهم أنها تسير و تعدو مثل سير الحيات و إنما قال يخيل إليه لأنها لم تكن تسعى حقيقه و إنما تحركت لأنهم جعلوا داخلها الزئبق فلما حميت الشمس طلب الزئبق الصعود فحركت الشمس ذلك فظن أنها تسعى.

[سوره طه (٢٠): الآيات ٤٧ الى ٧٦]

أشاره

فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (٤٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (٤٨) وَ أَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَبَّ نَعُوا إِنْهَا صَبَّ نَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَ لَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (٤٩) فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجُودًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَ مُوسَى (٧٠) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحَرَ فَلَا قُطْعَانَ أَيْدِيكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَ لَتَعْلَمَنَّ آئِنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَ أَبْقَى (٧١)

قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَ الَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنْهَا تَقْضَى هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنْهَا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَ مَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ وَ اللَّهُ خَيْرٌ وَ أَبْقَى (٧٣) إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَ لَا يَحْيَى (٧٤) وَ مَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (٧٥) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى (٧٦)

ص: ٣٢

قرأ ابن ذكوان تلقف بالرفع و الباقون بالجزم إلا أن حفصا يقرأها خفيفه و الآخرون مشدده و ابن كثير بروايه البزى و ابن فليح يشدد التاء أيضا وقرأ كيد سحر بغير ألف أهل الكوفه غير عاصم و الباقون ساحر بالألف.

الحجه

من قرأ تلقف بالرفع فإنه يرتفع لأنه فى موضع الحال و الحال يجوز أن يكون من الفاعل الملقى أو المفعول الملقى فإن جعلته من الفاعل جعلته من المتلقف و إن كان التلقف فى الحقيقه للعصا لأن التلقف كان بإلقائه فجاز أن ينسب إليه و إن جعلته من المفعول فإنه أنت على المعنى لأن الذى فى يمينه عصا و مثل ذلك فى أن يكون مره للخطاب و مره للمؤنث قوله «يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا» فهذا يكون على تحدث أنت أيها الإنسان و على أن الأرض تحدث و أما تلقف بالجزم فعلى أن يكون جوابا كأنه قال إن تلقه تلقف و تلقف و من شدد التاء فإنما أراد تتلقف و هذا يكون على تتلقف أنت أيها المخاطب و على تتلقف هى إلا أنه أدغم التاء الأولى فى التاء الثانيه و الإدغام فى هذا ينبغى أن لا يكون جائزا لأن المدغم يسكن و إذا سكن لزم أن يجلب له همزه الوصل كما جلبت فى أمثله الماضى نحو ادرا تم و ازينت و اطيروا و همزه الوصل لا تدخل على المضارع قال و سألت أحمد بن موسى كيف يبتدئ من أدغم فقال كلاما معناه أنه يصير بالابتداء إلى قول من خفف و يدع الإدغام و من قرأ كيد ساحر فلأن الكيد للساحر فى الحقيقه و ليس للسحر إلا أن يريد كيد ذى سحر فيكون فى المعنى مثل كيد ساحر و الاختلاف بين القراء فى آمنتهم و الوجه فى ذلك ذكرناه فى سوره الأعراف.

اللغه

يقال لفت الشىء و تلقفته و التقفته إذا أخذته بسرعه قال الكسائى الصبى فى

الحجاز إذا جاء من عند معلمه قال جئت من عند كبيرى و الكبير فى اللغة الرئيس و لهذا يقال للمعلم الكبير و الإيثار الاختيار و التركى طلب الزكاء و الزكاء النماء فى الخير و منه الزكاه لأن المال ينمو بها.

الإعراب

إن مفصول من «ما صَيَّعُوا» لأن ما هاهنا موصوله و صنعوا صلته و يجوز أن يكون الموصول اسما بمعنى الذى و يكون العائد من الصلة إلى الموصول محذوفا و يجوز أن يكون حرفا فيكون تقديره أن صنعهم و الفرق بين آمنتم به و آمنتم له أن آمنتم به بالباء هو من الإيمان الذى هو ضد الكفر و آمنتم له بمعنى التصديق «مِنْ خِلَافٍ» يحتمل أن يكون من بمعنى عن أى عن خلاف و يحتمل أن يكون بمعنى على خلاف فيكون الجار و المجرور فى موضع نصب على الحال «فِي جُذُوعِ النَّخْلِ» فى بمعنى على و إنما جاز ذلك لأن الجذع قد اشتمل عليهم و قد صاروا فيها قال الشاعر

هم صلبوا العبدى فى جذع نخله فلا عطست شيبان إلا بأجدعا

«أَيْنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَ أَبْقَى» تعليق و معنى التعليق أن عملت تعمل فى المعنى و لا تعمل فى اللفظ و «الَّذِي فَطَرَنَا» موضعه جر عطف على ما جاءنا «فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ» يجوز أن يكون ما مصدرية فى تقدير الظرف أى فاقض القضاء مده كونك قاضيا و يجوز أن يكون ما مفعوله أى فاقض ما أنت قاضيه فحذف الهاء «إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» حذف المضاف و تقديره إنما تقضى أمور هذه الحياه الدنيا و يجوز أن يكون تقديره إنما تقضى مده هذه الحياه الدنيا و هذه على القول الأول منصوبه مفعول بها و على الثانى منصوبه على الظرف و يجوز أن يكون الواو للقسام. «جَنَاتُ عَدْنٍ» يجب أن يكون بدلا من الدرجات و لا يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف لأن قوله «خَالِدِينَ فِيهَا» نصب على الحال من قوله لهم ذو الحال الضمير المجرور باللام فعلى هذا لا يجوز الوقف على «الدَّرَجَاتُ الْعُلَى» و الدرجات مرتفع بالظرف بلا-خلاف بينهم لأن الظرف جرى خيرا على المبتدأ و هو أولئك و اعتمد عليه فيرتفع ما بعده.

المعنى

«فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى» معناه فأحس موسى و وجد فى نفسه ما يجده الخائف و يقال أوجس القلب فرعا أى أضمر و السبب فى ذلك أنه خاف أن يلتبس على الناس أمرهم فيتوهموا أنهم فعلوا مثل فعله و يظنوا المساواه فيشكوا و لا يتبعونه عن الجبائى

وقيل إنه خوف الطباع إذا رأى الإنسان أمراً فظيماً فإنه يحذره و يخافه فى أول وهله و قيل إنه خاف أن يفرق الناس قبل إلقائه العصا و قيل أن يعلموا بطلان السحره فيبقوا فى شبهه و قيل إنه خاف لأنه لم يدر أن العصا إذا انقلبت حيه هل تظهر المزيه لأنه لا- يعلم أنها تتلقفها فكان ذلك موضع خوف لأنها لو انقلبت حيه و لم تتلقف ما يأفكون ربما ادعوا المساواه لا سيما و الأهواء معهم و الدوله لهم فلما تلقفت زالت الشبهه و تحقق عند الجميع صحه أمر موسى و بطلان سحره «قُلْنَا لا- تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى» عليهم بالظفر و الغلبه «وَ أَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ» يعنى العصا «تَلَقَّفْ مَا صَبَّ نَعْوَا» أى تبتلع ما صنعوا فيه من الحبال و العصى لأن الحبال و العصى أجسام ليست من صنعهم قالوا و لما ألقى عصاه صارت حيه و طافت حول الصفوف حتى رآها الناس كلهم ثم قصدت الحبال و العصى فابتلعتهما كلها على كثرتها ثم أخذها موسى فعادت عصا كما كانت «إِنَّمَا صَبَّ نَعْوَا كَيْدُ سَاحِرٍ» أى إن الذى صنعوه أو أن صنعهم كيد ساحر أى مكره و حيلته «وَ لا يُفْلِحُ السَّاحِرُ» أى لا يظفر الساحر ببغيته إذ لا حقيقه للسحر «حَيْثُ أَتَى» أى حيث كان من الأرض و قيل لا يفوز الساحر حيث أتى بسحره لأن الحق يبطله «فَأَلْقَى السَّحْرَهُ سُدًّا» هاهنا محذوف و هو فألقى عصاه و تلقف ما صنعوا فألقى السحره سجدا أى سجدوا و «قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَ مُوسَى» أضافوه سبحانه إليهما لدعائهما إليه و كونهما رسولين له «قَالَ» فرعون للسحره «آمَنْتُمْ لَهُ» أى لموسى و المعنى قد صدقتم له «فَبَلَّ أَنْ آذَنَ لَكُمْ» أى من غير إذنى لأنه بلغ من جهله أنه لا يعتقد دين إلا بإذنه و الفرق بين الإذن و الأمر أن فى الأمر دلالة على إرادته الأمر الفعل المأمور به و ليس فى الإذن ذلك و قوله «وَ إِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا» إذن و قوله «أَقِيمُوا الصَّلَاةَ» * أمر «إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِى عَلَّمَكُمْ السَّحْرَ» معناه أنه لأستاذكم و أنتم تلامذته و قد يعجز التلميذ عما يفعله الأستاذ و قيل إنه لرئيسكم و متقدمكم و أنتم أشياعه و أتباعه ما عجزتم عن معارضته و لكنكم تركتم معارضته احتشاما له و احتراماً و إنما قال ذلك ليوهم العوام أن ما أتوا به إنما هو لتواطؤ من جهتهم ليصرفوا وجوه الناس إليهم «فَلَمَّا قَطَّعْنَ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ» أى أيديكم اليمنى و أرجلكم اليسرى «وَ لَأَصْلَبُ لِبَنَاتِكُمْ فِى حُجْدُوعِ النَّخْلِ» أى على جذوع النخل «وَ لَتَعْلَمَنَّ» أيها الحسره «أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا» لكم «وَ أَبْقَى» و أدوم أنا على إيمانكم أم رب موسى على ترككم الإيمان به «قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ» أى لن نفضلك و لن نختارك على ما أتانا من الأدله الداله على صدق موسى و صحه نبوته و المعجزات التى تعجز عنها قوى البشر «وَ الَّذِى فَطَرَنَا» أى و على الذى فطرنا أى خلقنا و قيل معناه لن نُؤْثِرَكَ و الله الذى فطرنا على ما جاءنا من البيّنات و ما ظهر لنا من الحق «فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ» أى فاصنع ما أنت صانعه

على إتمام وإحكام وقيل معناه فاحكم ما أنت حاكم وليس هذا بأمر منهم ولكن معناه أى شىء صنعنا لا نرجع عن الإيمان «إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» أى إنما تصنع بسلطانك أو تحكم فى هذه الحياه الدنيا دون الآخرة فلا سلطان لك فيها ولا حكم وقيل معناه إنما تقضى وتذهب هذه الحياه الدنيا دون الآخرة «إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيُغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا» من الشرك والمعاصى «وَمَا أَكْرَهْتْنَا عَلَيْهِ مِنَ السُّحْرِ» إنما قالوا ذلك لأن الملوك كانوا يجبرونهم على تعليم السحر كيلا يخرج السحر من أيديهم وقيل إن السحره قالوا لفرعون أرنا موسى إذا نام فأراهم إياه فإذا هو نائم وعصاه تحرسه فقالوا ليس هذا بسحر إن الساحر إذا نام بطل سحره فأبى عليهم إلا أن يعملوا فذلك إكراههم عن عبد العزيز بن أبان «وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى» أى والله خير لنا منك وثوابه أبقى لنا من ثوابك وقيل معناه والله خير ثوابا للمؤمنين وأبقى عقابا للعاصين منك وهذا جواب لقوله «وَلَتَعْلَمَنَّ أَنَّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى» وهاهنا انتهى الإخبار عن السحره ثم قال الله سبحانه «إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا» وقيل إنه من قول السحره قال ابن عباس فى روايه الضحاك المجرم الكافر وفى روايه عطاء يعنى الذى أجرم وفعل مثل ما فعل فرعون «فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا» فيستريح من العذاب «وَلَا يَحْيَى» حياه فيها راحه بل هو معاقب بأنواع العقاب «وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا» مصدقا بالله وبأنبيائه «فَسُدَّ عَمَلِ الصَّالِحَاتِ» أى أدى الفرائض عن ابن عباس «فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى» يعنى درجات الجنه وبعضها أعلى من بعض والعلى جمع العليا وهى تأنيث الأعلى «جَنَّاتٌ عَدْنٍ» أى إقامه «تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى» معناه أن الثواب الذى تقدم ذكره جزاء من تطهر بالإيمان والطاعه عن دنس الكفر والمعصيه وقيل تزكى طلب الزكاء بإرادته الطاعه والعمل بها.

إشارة

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسِرِّ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ (٧٧) فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا عَشَيْتَهُمْ (٧٨) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ (٧٩) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ (٨٠) كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ (٨١)

وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (٨٢) وَمَا أَعْجَلَكُ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ (٨٣) قَالَ هُمْ أَوْلَاءٌ عَلَيَّ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥) فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَ فَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (٨٦)

القراءة

قرأ حمزه لا- تخف جزما و الباقون «لا تخافُ» وقرأ أهل الكوفة غير عاصم قد أنجيتكم و واعدتكم و رزقتكم وقرأ الباقون «قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ» و «وَاعِدْنَاكُمْ» و «رَزَقْنَاكُمْ» بالنون وقرأ أبو جعفر و أبو عمرو و يعقوب و سهل و وعدناكم بغير الألف و الباقون بالألف وقرأ الكسائي فيحل بضم الحاء و من يحلل بضم اللام و الباقون بالكسر في الموضوعين.

الحجج

قال أبو علي من رفع قوله «لا- تخافُ» فإنه حال من الفاعل في أضرب أي غير خائف و لا خاش و يجوز أن يقطعه من الأول أي أنت لا تخاف و من قرأ لا تخف جعله جواب الشرط أي إن تضرب لا تخف دركا ممن خلقك و لا تخش غرقا بين يديك فأما من قال لا- تخف دركا ثم لا- تخشى فيجوز أن يعطيه من الأول أي إن تضرب لا تخف و أنت لا تخشى و لا يحمله على قول الشاعر

" كأن لم ترى قبلي أسيرا يمانيا "

و لا على نحو

" إذا العجوز غضبت فطلق و لا ترضيها و لا تملق "

لأن ذلك إنما يجيء في ضروره الشعر كما أن قوله

ألم يأتيك و الأنباء تنمى بما لاقت لبون بنى زياد

كذلك و لكنك تقدر إنك حذفت الألف المنقلبه عن اللام ثم أشبعت الفتحة لأنها فى فاصله فأثبت الألف الناشئه عن إشباع الفتحة و مثل هذا مما ثبت فى الفاصله قوله فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا و قد جاء إشباع هذه الفتحة فى كلامهم قال و

أنت عن الغوائل حين ترمى و من ذم الرجال بمنتزاح

أى بمنتزح و حجه من قرأ و وعدناكم إن ذلك يكون من الله سبحانه قال أبو الحسن زعموا أن واعدناكم لغه فى وعدناكم فإذا كان كذلك فاللفظ لا يدل على أن الفعل من اثنين فيكون القراءه بوعد أحسن لأن واعد بمعنى وعد و يعلم من وعد أنه فعل واحد لا محاله و ليس واعد كذلك فالأخذ بالأبين أولى و من قرأ «أَنْجَيْنَاكُمْ» و «وَأَعَدْنَاكُمْ» فحجته قوله «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَ السَّلْوى» و حجه من قرأ «فَيَحِلُّ» بكسر الحاء أنه روى فى زمزم إنه لشارب حل أى مباح له غير محظور عليه و لا- ممنوع عنه فالحل و الحلال فى المعنى مثل المباح فهو خلاف الحظر و الحجر و الحرام و الحرم فهذه الألفاظ معناها المنع و المباح من قولهم باح بالسر و الأمر ييوح به إذا لم يجعل دونه حظرا فمعنى يحل عليكم ينزل بكم و ينالكم بعد ما كان ذا حظر و حجر و منع عنكم و وجه قراءه من قرأ «فَيَحِلُّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي» أن الغضب لما كان تتبعه العقوبه و العذاب جعله بمنزله العذاب فقال يحل أى ينزل فجعله بمنزله قولهم حل بالمكان يحل و على هذا جاء تَصَيَّبُ يَبِيهْمُ بما صَيَّعُوا قَارِعَهُ أَوْ تَحَلُّ قَرِيْبًا مِنْ دَارِهِمْ فكما أن هذا عذاب قد أخبر عنه بأنه يحل كذلك أخبر عن الغضب بمثله و جعله بمنزله لأنه يتبعه و يتصل به.

اللغه

اليبس اليابس و جمعه أيباس و جمع اليبس بسكون الباء ييوس قال الكمي

"فما زدته إلا ييوسا و ما أرى لهم رحما و الحمد لله توصل"

قال أبو زيد حل عليه أمر الله يحل حلولا و حل الدار يحلها و لا و حل العقده يحلها حلا و حل له الصوم يحل حلا و أحله الله إحلالا- و حل عليه حقى يحل محلا- و أحل الرجل من إحرامه إحلالا و حل يحل حلا و الأسف أشد الغضب و يكون أيضا بمعنى الحزن.

الإعراب

«هُمُ أَوْلَاءٌ» مبتدأ و خبر و يجوز أن يكون أولاء بدلا من هم و يكون «عَلَى أَثَرِي» فى موضع رفع بأنه خبر المبتدأ و على الوجه الأول يجوز أن يكون «عَلَى أَثَرِي» فى موضع نصب على الحال و العامل فيه معنى الإشاره فى أولاء و يجوز أن يكون خبرا بعد خبر.

ثم أخبر سبحانه عن حال بنى إسرائيل فقال «وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى» بعد ما رأى فرعون من الآيات فلم يؤمن هو ولا قومه «أَنْ أَسِيرَ بِعِبَادِي» أى سر بهم ليلا من أرض مصر «فَأَضْرَبَ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً» أى اجعل لهم طريقا فى البحر يابساً بضربك العصا لينفلق البحر فعدى الضرب إلى الطريق لما دخله هذا المعنى فكأنه قد ضرب الطريق كما يضرب الدينار «لَا تَخَافُ دَرَكاً وَ لَا تَخْشَى» أى لا تخاف أن يدر كك فرعون من خلفك ولا تخشى من البحر غرقا و من قرأ لا تخف بالجزم فمعناه لا تخف أن يدر كك فرعون و أنت لا تخشى شيئا من أمر البحر مثل قوله يُؤَلُّوْكُمْ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصِرُونَ و يجوز أن يكون فى موضع الجزم على نحو ما ذكرناه فى الحجة «فَأَتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ» معناه ألحق جنوده بهم و بعث بجنوده خلفهم و فى أثرهم و فى الكلام حذف الهم فعلوا ذلك فدخل موسى و قومه البحر ثم اتبعهم فرعون بجنوده «فَعَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ» أى جاءهم من البحر ما جاءهم و لحقهم منه ما لحقهم و فيه تعظيم للأمر و معناه غشيهم الذى عرفتموه و سمعتم به و مثله قول أبى النجم

" أنا أبو النجم و شعرى شعرى "

أى شعرى الذى سمعت به و علمته أى هلك فرعون و نجى موسى هذا كان عاقبه أمرهم فليعتبر المعبرون بهم «وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَ مَا هَدَى» أى صرفهم عن الهدى و الحق و ما هداهم إلى الخير و الرشد و طريق النجاه و إنما قال «وَ مَا هَدَى» بعد قوله «أَضَلَّ» ليتبين أنه استمر على ذلك و ما زال يضلهم و لا يهديهم و حسن حذف المفعول لمكان رأس الآية و إنما قال سبحانه تكذبا لقول فرعون لقومه وَ مَا أَهْدَيْكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ثم خاطب سبحانه بنى إسرائيل و عدد نعمه عليهم فقال «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عِيدُوْكُمْ» فرعون بمرأى منكم «وَ وَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ» و هو أن الله تعالى وعد موسى بعد أن أغرق فرعون ليأتى جانب الطور الأيمن فيؤتية التوراه فيها بيان الشرائع و الأحكام و ما يحتاجون إليه «وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَ السَّلْوى» يعنى فى التيه و قد مر بيان ذلك فى سورة البقره «كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ» صورته صورته الأمر و المراد به الإباحه «وَ لَا تَطْغَوْا فِيهِ» أى فلا- تتعدوا فيه فتأكلوه على الوجه المحرم عليكم و قيل إن المعنى لا- تتجاوزوا عن الحلال إلى الحرام و قيل معناه لا تتناولوا من الحلال للاستعانه به على المعصيه «فَيَحِثُّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي» أى فيجب عليكم عقوبتى و من ضم الحاء فالمعنى فينزل عليكم عقوبتى «وَ مَنْ يَحِثُّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى» أى هلك لأن من هوى من علو إلى سفلى فقد هلك و قيل فقد هوى إلى النار قال الزجاج فقد صار إلى الهاويه «وَ إِنِّي لَغَفَّارٌ» و هو فعال من المغفره «لِمَنْ تَابَ» من الشرك «وَ آمَنَ» بالله و رسوله «وَ عَمِلَ صَالِحاً» أى

أدى الفرائض «ثُمَّ اهْتَدَى» أى ثم لزم الإيمان إلى أن يموت واستمر عليه وقيل ثم لم يشك فى إيمانه عن ابن عباس وقيل ثم أخذ بسنه النبى ص و لم يسلك سبيل البدعه عن ابن عباس أيضا والربيع بن أنس و

قال أبو جعفر الباقر (عليه السلام) ثم اهتدى إلى ولايتنا أهل البيت (عليه السلام) فو الله لو أن رجلا عبد الله عمره ما بين الركن و المقام ثم مات و لم يجىء بولايتنا لأكبه الله فى النار على وجهه رواه الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده و أورده العياشى فى تفسيره

من عده طرق «وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى» قال ابن إسحاق كانت المواعده أن يوافى الميعاد هو و قومه وقيل مع جماعته من وجوه قومه و هو متصل بقوله «وَأَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ» فتعجل موسى من بينهم شوقا إلى ربه و خلفهم ليلحقوا به فقبل له ما أعجلك عن قومك يا موسى أى بأى سبب خلفت قومك و سبقتهم و جئت وحدك «قَالَ» موسى فى الجواب «هُمْ أَوْلَاءِ عَلَى أَثَرِي» أى هؤلاء من ورائى يدركونى عن قريب و قيل معناه هم على دينى و منهاجى عن الحسن و روى عنه أيضا أنه قال هم ينتظرون من بعدى ما الذى آتيهم به و ليس يريد أنهم يتبعونه «وَأَعْجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى» أى سبقتهم إليك حرصا على تعجيل رضاك أى لازداد رضا إلى رضاك «قَالَ» الله تعالى «فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ» أى امتحناهم و شددنا عليهم التكليف بما حدث فيهم من أمر العجل فالزمانهم عند ذلك النظر ليعلموا أنه ليس بإله كما قال سبحانه «الْمَ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ» «مِنْ بَعْدِكَ» أى من بعد انطلاقك «وَ أَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ» أى دعاهم إلى الضلال فقبلوا منه و ضلوا عند دعائه فأضاف الضلال إلى السامرى و الفتنة إلى نفسه ليدل سبحانه على أن الفتنة غير الضلال و قيل إن معنى فتنا قومك عاملناهم معاملة المختبر المبتلى ليظهر لغيرنا المخلص منهم من المنافق فيوالى المخلص و يعادى المنافق «فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِيفًا» أى رجع موسى من الميقات إلى بنى إسرائيل شديد الغضب حزينا عن ابن عباس و قيل جزعا عن مجاهد و قيل متحسرا متلهفا على ما فاته لأنه خشى أن لا يمكنه تدارك أمر قومه عن الجبائى «قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدِيدًا حَسِينًا» أى صدقا لإيتاء الكتاب و هو التوراه لتعلموا ما فيه و تعلموا به فتستحقوا الثواب عن الجبائى و قيل الوعد الحسن هو ما وعدهم به من النجاه من فرعون و مجيئهم إلى جانب الطور و وعده بالمغفرة لمن تاب و قيل هو ما وعدهم به فى الآخرة على التمسك بدينه فى الدنيا عن الحسن «أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ» أى مده مفارقتى إياكم «أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ» أى يجب عليكم «غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ» بعبادتكم العجل و المعنى أم أردتم أن تصنعوا صنعا يكون سببا لغضب ربكم «فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي» أى ما وعدموه لى من حسن الخلافه بعدى و يبين ذلك قوله بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي و قيل إن إخلافهم موعده أنه

أمرهم اللحاق به فتركوا المسير على إثره للميقات وقيل هو أنه أمرهم أن يتمسكوا بطريقه هارون وطاعته و يعملوا بأمره إلى أن يرجع فخالفوه.

[سوره طه (٢٠): الآيات ٨٧ إلى ٩٦]

إشارة

قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا و لكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقدفناها فكذلك ألقى السامري (٨٧) فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم و إله موسى فنسى (٨٨) أ فلا يرون ألا يزجج إليهم قولاً و لا يملك لهم ضرراً و لا نفعاً (٨٩) و لقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به و إن ربكم الرحمن فاتبعوني و أطيعوا أمري (٩٠) قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يزجج إلينا موسى (٩١)

قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا (٩٢) ألا تتبعني أ فعصيت أمري (٩٣) قال يا بن أم لا تأخذ بلحيتي و لا برأسي إني خشييت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل و لم تزقب قولي (٩٤) قال فما خطبك يا سامري (٩٥) قال بصيرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضه من أثر الرسول فبدتها و كذلك سؤلت لي نفسي (٩٦)

القراء

قرأ أهل المدينة و الكوفه و عاصم «بملكنا» بالفتح و قرأ حمزه و الكسائي و خلف بملكنا بضم الميم و الباقون بملكنا بكسر الميم و قرأ ابن عامر و حفص و رويس «حملنا» بالضم و التشديد و الباقون حملنا بفتح الحاء و التخفيف و قرأ أهل الكوفه غير عاصم لم تبصروا بالتاء و الباقون بالياء و فى الشواذ قراءه ابن مسعود و أبى و الحسن و قتاده و أبى رجاء و نصر بن عاصم

ص: ٤١

فقبضت قبضه بالصاد و روى عن الحسن أيضا قبضه بضم القاف.

الحج

قال أبو علي في قوله بملكنا هذه ثلاث لغات و الكسر أكثر و الفتح لغة فيه و المعنى ما أخلفنا موعدك بملكنا الصواب و لكن لخطئنا فأضيف المصدر إلى الفاعل و حذف المفعول فأما من ضم الميم فإنه لا يخلو من أن يريد به مصدرا لملك أو يكون لغة في مصدر المالك فإن أريد الأول فالمعنى لم يكن لنا ملك فنخلف موعدك لمكان ملكنا و يكون على هذا التقدير كقوله لا يَسْتَمْلُونَ النَّاسَ إِلَّا حَافًا مَسْأَلَهُ مِنْهُمْ وَ مِثْلَ ذَلِكَ قَوْلُ ابْنِ أَبِي أَحْمَرَ.

لا تفرع الأرنب أهوالها و لا ترى الضب بها ينجر

أى ليس بها أرنب فيفرع لهولها و مثله قول ذى الرمة:

لا تشتكى سقطه منها و قد رقصت بها المفاوز حتى ظهرها حذب

أى ليس منها سقطه فشتكى و قوله «حُمَّلْنَا» من حمل الإنسان الشىء و حملته إياه فمن قرأ «حُمَّلْنَا» فالمعنى جعلونا نحمل أوزار القوم و من قرأ حملنا أراد أنهم فعلوا ذلك و من قرأ «بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا» به بالياء فالمعنى بما لم يبصر به بنو إسرائيل و من قرأ بالتاء صرف الخطاب إلى الجميع و القبض بالضاد باليد كلها و بالصاد بأطراف الأصابع و القبضه بالضم القدر المقبوض و القبضه فعلك أنت و قد ذكرنا الاختلاف في قوله «يَا بَنَ أُمَّ» و الوجه في ذلك في سورة الأعراف.

اللغة

الوزر أصله الثقل و منه الوزر الذنب لأن صاحبه قد حمل به ثقلا- و الوزر الحمل و الأوزار الأحمال و الأثقال و منه الأوزار للسلاح لأنها تثقل على لابسها و الخوار الصوت المتردد الشديد التردد كصوت البقر و نحوه و العكوف الإقامة و ملازمه الشىء و منه الاعتكاف فى المسجد و رقب يرقب رقبانا و رقبه انتظر و المرقب المكان العالى الذى يقف عليه الرقيب و أرقبت فلانا دارى و أعمرته و الاسم الرقبى و العمرى و بصر بالشىء يبصر إذا صار عليما به و أبصر يبصر إذا رأى.

الإعراب

«فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ» الكاف صفة مصدر محذوف لألقى تقديره ألقى

السامرى إلقاء مثل إلقاء، جسدا بدل من عجل. «أَلَّا يَرْجِعُ» تقديره أ فلا يرون أن لا يرجع و يجوز أن ينصب يرجع بأن فيكون الناصبه للفعل و لا يكون أن المخففه من أن ضلوا جملة في موضع نصب على الحال و قد مضمره «أَلَّا تَتَّبِعِينَ» في موضع جر بمن المحذوف أو في موضع نصب على الخلاف فيه تقديره ما منعك من اتباعى و لا زائده كما في قوله ما مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ.

المعنى

«قَالُوا» أى قال الذين لم يعبدوا العجل «ما أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا» أى و نحن نملكك من أمرنا شيئا و المعنى إنا لم نطق رد عبده العجل عن عظيم ما ارتكبوه للرهبه لكثرتهم و قلتنا و

جاء فى الروايه أن الذين لم يعبدوا العجل كانوا اثنى عشر ألفا و الذين عبدوه كانوا ستمائة ألف رجل

و من قرأ بملكننا بضم الميم فمعناه بقدرتنا و سلطاننا أى لم نقدر على ردهم «وَ لَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ» معناه و لكننا حملنا أثقالا من حلى آل فرعون و هو ما استعادوه من حليهم حين أرادوا السير و قيل هو ما ألقاه البحر على الساحل من ذهبهم و فضتهم و حليهم بعد إغراقهم فأخذوه و قيل هو من أثقال الذنوب و الآثام أى حملنا آثاما من حلى القوم لأنهم استعاروا حليا من القبط ليتزينوا بها فى عيد كان لهم ثم لم يردوها عليهم عند الخروج من مصر مخافه أن يعلموا بخروجهم فحملوهم و كان ذلك ذنبا منهم إذ كانوا مستأمنين فيما بينهم و قيل إنهم كانوا فى حكم الإسرائاء فيما بينهم فكان يحل لهم أخذ أموالهم فعلى هذا لا يمكن حمله على الإثم «فَقَدَفْنَاها» أى ألقيناها فى النار لتذوب «فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ» أيضا ليوهم أنه منهم عن الجبائى و قيل معناه فمثل ما ألقينا نحن من هذا الحلى فى النار ألقى السامرى أيضا فاتبعناه و قيل إن هذا كلام مبتدأ من الله حكى عنهم أنهم ألقوا ثم قال و كذلك ألقى السامرى عن أبى مسلم «فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً» أى أخرج لهم من ذلك عجلا جسيما «لَهُ خُوارٌ» أى صوت و قد ذكرنا صفه العجل فى سورة الأعراف «فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَ إِلَهُ مُوسَى» أى قال السامرى و من تبعه من السفله و العوام هذا العجل معبودكم و معبود موسى «فَنَسَى» فيه قولان (أحدهما) أنه من قول السامرى و من تبعه أى نسى موسى أنه إله و هو قول ابن عباس و قتاده و مجاهد و السدى و الضحاك و قيل معناه فنسى أى ضل و أخطأ الطريق و قيل معناه أنه تركه هنا و خرج يطلبه (و الثانى) أنه قول الله تعالى أى فنسى السامرى أى ترك ما كان عليه من الإيمان الذى بعث الله به موسى عن ابن عباس أيضا و قيل معناه فنسى السامرى الاستدلال على حدوث العجل و أنه لا يجوز أن يكون إلهها و قيل فنسى السامرى أى نافق و ترك الإسلام ثم احتج سبحانه عليهم فقال «أَفَلَا يَرْؤُنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا» أى أ فلا يرى بنو إسرائيل أن العجل الذى عبدوه و اتخذوه إلهها لا يرد عليهم جوابا «وَ لا

يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا» و من كان بهذه الصفه فإنه لا يصلح للعباده قال مقاتل لما مضى من موعد موسى خمسه و ثلاثون يوما أمر السامرى بنى إسرائيل أن يجمعوا ما استعاروه من حلى آل فرعون و صاغه عجلا فى السادس و الثلاثين و السابع و الثامن و دعاهم إلى عبادته فى التاسع فأجابوه و جاءهم موسى بعد استكمال الأربعين قال سعيد بن جبير كان السامرى من أهل كرمان و كان مطاعا فى بنى إسرائيل و قيل كان من قريه يعبدون البقر فكان حب ذلك فى قلبه و قيل كان من بنى إسرائيل فلما جاوز البحر نافق فلما قالوا اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة اغتنمها و أخرج لهم العجل و دعاهم إليه عن قتاده «وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ» أى من قبل عود موسى إليهم «يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ» يعنى أن الله تعالى شدد عليكم التعبد فاعلموا إلهكم و اعبدوه و لا تعبدوا العجل موعظه و نصحا و يحتمل أن يكون أراد فتنكم السامرى به و أضلكم «وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي» أى اتبعونى فيما أدعوكم إليه «وَ أَطِيعُوا أَمْرِي» فى عباده الله و لا تتبعوا السامرى و لا تطيعوا أمره فى عباده العجل «قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ» معناه لا نزال مقيمين على عبادته «حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى» فنظر أ يعبده كما عبدناه أم لا فاعتزلهم هارون فى اثنى عشر ألفا فلما رجع موسى (عليه السلام) و هو ممتلى غيظا منهم و من عبادتهم العجل و سمع الصباح و العجله إذ كانوا يرقصون حول العجل و يضربون الدفوف و المزامير و استقبله هارون فألقى الألواح و أخذ يعاتب هارون «قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ» أى هلا- تتبعنى بمن أقام على إيمانه عن ابن عباس و قيل معناه هلا قاتلتهم إذ علمت أنى لو كنت فيهم لقاتلتهم و قيل هلا لحقت بى حين رأيتهم ضلوا بعباده العجل قبل استحكام الأمر و الأصل أن لا مزیده و تقديره ما منعك أن تتبعنى «أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي» فيما أمرتك به يريد قوله اخلفنى فى قومي و أصليح و لا تتبع سبيل المفسدين فلما أقام معهم و لم يبالغ فى منعهم نسبة إلى عصيانه و قيل إن صورته صوره الاستفهام و المراد به التقرير لأن موسى (عليه السلام) كان يعلم أن هارون لا يعصيه فى أمره (سؤال) متى قيل إن الظاهر يقتضى أن موسى كان أمره باللحاق به فعصى هارون أمره قلنا يجوز أن يكون أمره بذلك بشرط المصلحه و رأى هارون الإقامة أصلح و الشاهد يرى ما لا يرى الغائب و يجوز أن يكون لم يأمره بذلك و إنما أمره بمجاهدتهم و زجرهم عن القبيح و إنما عاتبه مع أن اللوم توجه على القوم لأن أمره بمفارقتهم لوم عليهم و قيل إن موقع الذنب ممن عظمت رتبته أعظم فلما كان هارون أجل من خلفه موسى خصه باللائمة و هذا إنما يتجه إذا ثبت لهارون ذنب فأما و هو نقى الجيب من جميع الذنوب برىء الساحة من العيوب فالقول الأول هو الوجه «قَالَ» هارون «يَا بَنُ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي» قد فسرناه فى سورة الأعراف و قيل كانت العاده جاريه فى القبض عليهما

فى ذلك الزمان كما أن العاده فى زماننا هذا القبض على اليد و المعانقه و ذلك مما تختلف العاده فيه بالأزمه و الأمكنه و قيل إنه أجراه مجرى نفسه إذا غضب فى القبض على لحيته لأنه لم يكن يتهم عليه كما لا يتهم على نفسه ثم بين (عليه السلام) عذره فى مقامه معهم فقال «إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ» يعنى إنى لو فارقتهم أو قاتلتهم لصاروا أحزابا و تفرقوا فرقا ففريق يلحقون بك معى و فريق يقيمون مع السامرى على عباده العجل و فريق يتوقفون شاكين فى أمره مع أنى لم آمن إن تركتهم أن يصيروا بالخلاف إلى تسافك الدماء و شدة التصميم و الثبات على اتباع السامرى فإنهم كانوا يمتنعون بعض الامتناع بمكانى فيهم و كنت أوجه إليهم من الإنكار مقدار ما يتحملة الحال و ذلك قوله «يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ» فاعتذر بما يقبل مثله لأنه وجه واضح من وجوه الرأى و قوله «وَلَمْ تَزُقْ قَوْلِي» معناه و لم تحفظ وصيتى و لم تعمل به حين قلت اخلفنى فى قومى و أصلح و لما ظهرت براءه ساحه هارون أقبل على السامرى «قَالَ» له «فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ» أى ما شأنك و ما دعاك إلى ما صنعت فكأنه قال ما هذا الخطب و الأمر العظيم الذى أحدثت و ما حملك عليه «قَالَ» السامرى «بَصِيرَةٌ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ» أى رأيت ما لم يروه و قيل معناه علمت ما لم يعلموا من البصيره «فَقَبِضْتُ قَبْضَهُ مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ» أى قبضت قبضه تراب من أثر قدم جبرائيل «فَتَبَدُّتُهَا» فى العجل «وَكَذَلِكَ» أى و كما حدثتك يا موسى «سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي» أى زينت لى نفسى من أخذ القبضه و إلقائها فى صوره العجل و قيل معناه حدثتنى نفسى فأما حديث العجل و ما الذى قبضه السامرى و كيفية ذلك و اختلافهم فيه فقد سبق ذكره.

إشارة

قَالَ فَمَا ذَهَبَ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (٩٧) إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا (٩٨) كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا (٩٩) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا (١٠٠) خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا (١٠١)

يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢) يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (١٠٣) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا (١٠٤) وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا (١٠٧)

القراءة

قرأ ابن كثير و أهل البصره غير سهل لن تخلفه بكسر اللام و قرأ الضرير لن نخلفه بالنون و كسر اللام و هو قراءة الحسن و قرأ الباقون «لَنْ تُخْلَفَهُ» بفتح اللام و قرأ أبو جعفر لنحرقنه بفتح النون و سكون الحاء و تخفيف الراء و هو قراءة علي (عليه السلام) و ابن عباس و قرأ أبو عمرو يوم ننفخ في الصور بالنون و الباقون «يُنْفَخُ» بالياء و فتح الفاء و في الشواذ قراءة أبي حيوه لا مساس و قرأ مجاهد و قتاده و سع كل شيء علمًا و قرأ ابن عياض في الصور بفتح الواو.

الحج

قال أبو علي أخلفت يتعدى إلى مفعولين «لَنْ تُخْلَفَهُ» مثل لن تعطاه لما أسندت الفعل إلى أحد المفعولين فأقامته مقام الفاعل بقى الفعل متعديا إلى مفعول واحد و فاعله الذي يخلف هو الله تعالى أو موسى و معناه سيأتيك به و لن يتأخر عنك و لن تخلفه أى سيأتيه و لا مذهب لك عنه و قال ابن جني معناه لن تصادفه مخلفا كقول الأعشى:

أثوى و قصر ليله ليزودا فمضى و أخلف من قتيله موعدا

و هو وعيد و المعنى فى قراءة الأولى أئين و أما نخلفه بالنون فالمعنى لن نخلفك إياه أى لن ننقص منه ما عقدناه لك و قوله لنحرقنه من قولهم فلان يحرق على الأرم أى سحك أسنانه بعضها ببعض غيظا على قال زهير:

أبى الضيم و النعمان يحرق نابه عليه فأقصى و السيوف معاقله

فكان لنحرقه على هذا لنبردنه و لنحتنه حتا يقال حرقت الحديد أى بردته فتحات و تساقط و قوله مساس مثل نزال و حذار قال ابن جنى و لا يدخل على هذا الضرب من الكلام ما النافيه بالنكره فلا إذا فى قوله «لا مساس» نفى للفعل كقولك لا أمسك و لا أقرب منك فكأنه حكايه قول القائل مساس فكأنه قال لا أقول مساس قال الكميت

" لا همام لى لا همام "

أى لا- أقول همام و لا بد أن تكون الحكايه مقدره أ لا ترى أنه لا يجوز أن تقول لا أضرب فتنفى بلا لفظ الأمر لتنافى اجتماع لفظ الأمر و النهى فالحكايه إذا معتقده مقدره و أما قوله «وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا» فمعناه على ما قاله ابن جنى أنه خرق كل مصمت بعلمه لأنه بطن كل مخفى فصار لعلمه فضاء متسعا بعد ما كان متلاقيا مجتمعا و منه قوله تعالى «أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا» و هذا فى العمل و ذاك فى العلم و الوجه فى قوله نفخ فى الصور فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا و قوله فيما بعده «وَ نَحْشُرُ» الوجه فى الياء قوله «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ» و نُفِخَ فِي الصُّورِ و أما قوله «فِي الصُّورِ» فإنه جمع صوره و قد يقال فيها صير و أصله صور قال

أشبهن من بقر الخلاء أعينها فهن أحسن من صيرانها صيرا

و صوراً أيضا قال أبو عبيده الصور جمع صوره و يقال الصور القرن و يقال فيه ثقب بعدد نفوس البشر فإذا نفخ فيه قام الناس من الأرماس.

اللغة

ظلت أصله ظلت و للعرب فيها مذهبان فتح الظاء و كسرهما فمن قال ظلت ترك الظاء على حالها و من قال ظلت بالكسر نقل حركه اللام إليها للإشعار بأصلها و مثله مست و مست فى مسست و هل أحست فى أحسست قال الشاعر

خلا إن العتاق من المطايا أحسن به فهن إليه شوس

لننسفنه يقال نسف فلان الطعام بالمنسف إذا ذرأه ليطير عنه قشوره و الصفصف الموضع المستوى الذى لا نبات به كأنه على صف واحد فى استوائه و القاع الأرض الملساء و قيل مستنقع الماء و جمعه أقواع و قيعان و قيعه و الأمت الأكمه و يقال مد حبله حتى ما ترك فيه أمتا و ملأ سقاه حتى ما ترك فيه أمتا أى انشاء قال الشاعر

" ما فى انجذاب سيره من أمت "

ثم حكى سبحانه عن موسى (عليه السلام) «قَالَ» للسامري «فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ» و اختلف فى معناه فقيل أنه أمر الناس بأمر الله أن لا يخالطوه و لا يجالسوه و لا يؤاكلوه تضييقاً عليه و المعنى لك أن تقول لا أمس و لا أمس ما دمت حيا قال ابن عباس لك و لولدك و المساس فعال من المماسه و معنى لا مساس لا يمس بعضنا بعضا فصار السامري يهيم فى البريه مع الوحش و السباع لا يمس أحدا و لا يمسه أحد عاقبه الله تعالى بذلك و كان إذا لقي أحدا يقول «لا مِسَاسَ» أى لا تقربنى و لا تمسنى و صار ذلك عقوبه له و لولده حتى أن بقاياهم اليوم يقولون ذلك و إن مس واحد من غيرهم واحدا منهم حم كلاهما فى الوقت و قيل إن السامري خاف و هرب فجعل يهيم فى البريه لا يجد أحدا من الناس يمسه حتى صار لبعده عن الناس كالقائل لا مساس عن الجبائى «وَإِنَّ لَكَ لَكُمْ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ» أى وعدا لعذابك يعنى يوم القيامة لن تخلف ذلك الوعد و لن يتأخر عنك قال الزجاج المعنى يكافيك الله على ما فعلت يوم القيامة «وَ أَنْظِرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا» معناه و أنظر إلى معبودك الذى ظلت على عبادته مقيما يعنى العجل «لِنَحْرِقَنَّهُ» بالنار «ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا» أى لنذرينه فى البحر قال ابن عباس فحرقه ثم ذرأه فى البحر و هذا يدل على أنه كان حيوانا لحما و دما و على القراءه الأخرى لنحرقه أى لنبردنه بالمبرد يدل على أنه كان ذهبا و فضه و لم يصير حيوانا و نبه (عليه السلام) بذلك على أن ما يمكن سحقه أو إحراقه لا يصلح للعباده و

قال الصادق (عليه السلام) إن موسى (عليه السلام) هم بقتل السامري فأوحى الله سبحانه إليه لا تقتله يا موسى فإنه سخي

ثم أقبل موسى على قومه فقال «إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» أى هو الذى يستحق العباده «وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا» أى يعلم كل شىء علمًا تاما و هى لفظه عجيبه فى الفصاحه و فى ذلك دلالة على أن المعدوم يسمى شيئا لكونه معلوما ثم قال الله لنبيه ص «كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ» أى مثل ما قصصنا عليك يا محمد من نبأ موسى و قومه و نقص عليك من أخبار ما قد مضى و تقدم من الأمم و الأمور «وَ قَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا» يعنى القرآن لأن فيه ذكر كل ما يحتاج إليه من أمور الدين ثم أوعد سبحانه على الإعراض عنه و ترك الإيمان به فقال «مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا» أى حملا ثقيلًا من الإثم يشق عليه حملة لما فيه من العقوبه كما يشق حمل الثقل «خَالِدِينَ فِيهِ» أى فى عذاب ذلك الوزر و جزائه و هو الخلود فى النار «وَ سَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا» تقديره ساء الحمل حملا و الحمل بمعنى المحمول أى بئس الوزر هذا الوزر لهم يوم القيامة قال الكلبي بئس ما حملوا على أنفسهم من المأثم كفرهم بالقرآن «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ» هو بدل من يوم القيامة و قد سبق معناه «نَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا» قال ابن عباس يريد بالمجرمين الذين

اتخذوا مع الله إليها يحشرون زرق العيون سود الوجوه ومعنى الزرقه الخضره فى سود العيون كعين السنور والمعنى فى هذا تشويه الخلق وقيل زرقا عميا ترى زرقا وهى عمى عن الفراء وقيل عطاشا فى مظهر عيونهم كالزرقه مثل قوله وَ نَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِداً عن الأزهرى «يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ» أى يتسارون بينهم فيقول المجرمون بعضهم لبعض «إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا» أى ما لبثتم إلا- عشر ليال عن ابن عباس و قتاده يعنى من النفخه الأولى إلى الثانيه و ذلك أنه يكف عنهم العذاب فيما بين النفختين و هو أربعون سنه و قيل ما لبثتم فى الدنيا ينسون من شدة هول ذلك اليوم مده لبثهم فى الدنيا و قيل فى القبر يذهب عنهم طول لبثهم فى قبورهم كأنهم كانوا نياما فانتبهوا و قيل إنهم يقللون لبثهم فى الدنيا طول ما هم لاثون فيه من النار عن الحسن ثم قال سبحانه «نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ» أى بما يتسارون بينهم «إِذْ يَقُولُ أَكُنَّا بِرَبِّنَا عَلَىٰ عَرَفٍ مُّسْمِكًا» أى أصلحهم طريقه و أوفرهم عقلا و أصوبهم رأيا و قيل أكثرهم سدادا عند نفسه «إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا» أى ما لبثتم إلا يوما فى الدنيا و فى القبور إنما قال ذلك لأن اليوم الواحد و العشره إذا قوبلت بيوم القيامة و ما لهم من الأيام فى النار كان اليوم الواحد أقرب إليه و هو كقوله لم يلبثوا إلا عشيه أو ضحاها و قيل إنهم قالوا ذلك بعد انقطاع عذاب القبر عنهم لأن الله يعذبهم ثم يعيدهم عن الجبائى ثم قال سبحانه لنيه ص «وَيَسْأَلُونَكَ» أى و يسئلك منكر و البعث عند ذكر القيامة «عَنِ الْجِبَالِ» ما حالها «فَقُلْ» يا محمد «يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا» أى يجعلها ربي بمنزله الرمل ثم يرسل عليها الرياح فيذريها كتذريه الطعام من القشور و التراب فلا يبقى على وجه الأرض منها شىء و قيل يصيرها كالهباء و

قيل إن رجلا- من ثقيف سأل النبي ص كيف تكون الجبال يوم القيامة مع عظمها فقال إن الله يسوقها بأن يجعلها كالرمال ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها

«فَيَذَرُهَا» أى فيدع أماكنها من الأرض إذا نسفها «قاعاً» أى أرضا ملساء و قيل منكشفه عن الجبائى «صَفْصِيفًا» أى أرضا مستويه ليس للجبل فيها أثر و قيل القاع و الصفصيف بمعنى واحد و هو المستوى من الأرض الذى لا نبات فيه عن ابن عباس و مجاهد «لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا» أى ليس فيها منخفض و لا- مرتفع عن عكرمه عن ابن عباس قال الحسن العوج ما انخفض من الأرض و الأمت ما ارتفع من الروابى و قيل لا ترى فيها واديا و لا راييه عن مجاهد.

إشاره

يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْساً (١٠٨) يَوْمَئِذٍ لا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (١٠٩) يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً (١١٠) وَعَنْتِ الوُجُوهُ لِلْحَيِّ القَيُّومِ وَ قَدْ خابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً (١١١) وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخافُ ظُلْماً وَ لا هَضْماً (١١٢)

وَ كَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَ صَيَّرَفْنَا فِيهِ مِنَ الوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا (١١٣) فَتَعَالَى اللَّهُ المَلِكُ الحَقُّ وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً (١١٤) وَ لَقَدْ عَهِدْنَا إِلى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً (١١٥)

القراءه

قرأ ابن كثير فلا يخف بالجزم و الباقون «فَلا يَخافُ» بالألف و قرأ يعقوب أن نقضى بالنون وحيه بالنصب و الباقون «يُقضى» بضم الياء «وَ حْيُهُ» بالرفع.

الحججه

من قرأ فلا- يخف فإنه على النهى و من قرأ «فَلا- يَخافُ» فإنه على الخبر و تقديره فهو لا يخاف و موضع الفاء مع ما بعدها فى الموضوعين مجزوم و لكونه فى موضع جواب الشرط و المبتدأ محذوف و مراد بعد الفاء و هو مؤمن فى موضع نصب على الحال و العامل فى الحال يعمل و ذو الحال الذكر الذى فى يعمل العائد إلى من و من قرأ من قبل أن نقضى إليك وحيه فإنه أضاف القضاء إلى الله و جعل الوحي مفعوله و المعنى فى القراءتين واحد.

اللغه

الهمس إخفاء الكلام و الصوت الخفى قال الراجز

و هن يمشين بنا هميسا إن يصدق الطير نبك لميسا

يعنى صوت أخفاف الإبل فى سيرها و العنوه الخضوع و الذل و العانى الأسير و أخذت

الشيء عنوه أى غلبه تذل المأخوذ منه وقد يكون العنوه عن تسليم وطاعه لأنه على طاعه الذليل للعزير قال الشاعر

هل أنت مطيعى أيتها القلب عنوه و لم تلح نفس لم تلم فى احتيالها

وقال آخر

فما أخذوها عنوه عن موده و لكن بضرب المشرفى استفالها

و الهضم النقص يقال هضمنى حقى و يهضمنى أى ينقصنى و امرأه هضم الحشا أى ضامره الكشحن لنقصانه عن حد غيره و منه هضمت المعدة الطعام أى نقصته مع تغييرها و العزم الإراده المتقدمه لتوطين النفس على الفعل.

الإعراب

«يَوْمَئِذٍ ظَرْفٌ «يَتَّبِعُونَ» و «لَا عِوَجَ لَهُ» جملة فى موضع الحال و التقدير يتبعون الداعى غير معوجين عن إجابته لأن معناه لا عوج لهم عن دعائه أى لا يقدرين على أن لا يتبعوه «قُرْآنًا» منصوب على الحال و «عَرَبِيًّا» صفة و فى الحقيقة الحال قوله عربيا و إنما ذكر قرآنا للبيان و كذلك الكاف فى محل النصب بأنه صفة لمصدر محذوف.

المعنى

ثم وصف سبحانه قيامه فقال «يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ» أى يوم القيامه يتبعون صوت داعى الله الذى ينفخ فى الصور و هو إسرافيل (عليه السلام) «لَا عِوَجَ لَهُ» أى لدعاء الداعى و لا يعدل عن أحد بل يحشرهم جميعا عن أبى مسلم و قيل معناه لا عوج لهم عن دعائه لا- يميلون عنه و لا- يعدلون عن ندائه أى يتبعونه سراعا و لا- يلتفتون يمينا و لا شمالا عن الجبائى «وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ» أى خضعت الأصوات بالسكون لعظمه الرحمن عن ابن عباس «فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا» و هو صوت الأقدام عن ابن عباس و ابن زيد أى لا تسمع من صوت أقدامهم إلا صوتا خفيا كما يسمع من وطئ الإبل و قيل الهمس إخفاء الكلام عن مجاهد و قيل معناه إن الأصوات العاليه بالأمر و النهى فى الدنيا ينخفض و يذل أصحابها فلا تسمع منهم إلا الهمس «يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَ رَضِيَ لَهُ قَوْلًا» أى لا تنفع ذلك اليوم شفاعه أحد فى غيره إلا شفاعه من أذن الله له فى أن يشفع و رضى قوله فيها من الأنبياء و الأولياء و الصالحين و الصديقين و الشهداء ثم قال سبحانه «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ» الضمير يرجع إلى الذين يتبعون الداعى أى يعلم سبحانه جميع أقوالهم و أفعالهم قبل أن خلقهم و بعد أن خلقهم و ما كان فى حياتهم و بعد مماتهم لا يخفى عليه شىء من أمورهم تقدم أو تأخر عن أبى مسلم و قيل يعلم ما بين أيديهم من أحوال الآخرة

و ما خلفهم من أحوال الدنيا «وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا» أى و لا يحيطون هم بالله علما أى بمقدوراته و معلوماته و قيل بكنه عظمته فى ذاته و أفعاله و قيل لا- يحيطون علما بما بين أيديهم و ما خلفهم إلا من أطلعه الله على ذلك عن الجبائى و قيل معناه و لا يدركونه بشىء من الحواس حتى يحيط علمهم به «وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ» أى خضعت و ذلت خضوع الأسير فى يد من قهره و المراد خضع أرباب الوجوه و استسلموا للحكم للحى الذى لم يمت و لا- يموت و إنما أسند الفعل إلى الوجوه لأن أثر الذل يظهر عليها و قيل المراد بالوجوه الرؤساء و القاده و الملوكة أى يذلون و ينسلخون عن ملكهم و عزهم و قد سبق معنى الحى القيوم فى مواضع «وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا» أى و قد خاب عن ثواب الله من حمل شركا إلى يوم القيامة عن ابن عباس و قيل قد خسر الثواب من جاء يوم القيامة كافرا ظالما «وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ» أى و من يعمل شيئا من الطاعات «وَهُوَ مُؤْمِنٌ» عارف بالله تعالى مصدق بما يجب التصديق به و إنما قال ذلك لأنه لا تنفع الطاعة من غير إيمان «فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا» أى لهو لا- يخاف أن يظلم و يزداد عليه فى سيئاته و لا أن يهضم أى ينقص من حسناته عن ابن عباس و قيل لا يخاف أن يؤخذ بذنب لم يعمله و لا أن تبطل حسنه عملها عن الضحاك و قيل لا يخاف ظلما بأن لا يجزى بعمله و لا هضمًا بالانتقاص من حقه عن ابن زيد و من قرأ فلا- يخف على النهى فمعناه فليأمن و لا يخف الظلم و الهضم و النهى عن الخوف أمر بالأمن و فى هذه الآية دلالة على بطلان التحابط «وَكَذَلِكَ» أى و كما أخبرناك بأخبار القيامة «أَنْزَلْنَاهُ» أى أنزلنا هذا الكتاب «قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ» أى كررنا فيه من الوعيد و ذكرناه على وجوه مختلفه و بيناه بألفاظ متفرقه «لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ» المعاصى و قيل ليتقى العرب من قبل أن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك «أَوْ يُخَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا» معناه أو يجدد القرآن لهم عظه و اعتبارا أى يذكروا به عقاب الله للأمم فيعتبروا و قيل يحدث لهم شرفا بإيمانهم به و إنما أضاف إحداث الذكر إلى القرآن لأنه يقع عنده كما قال و إذا تَلَيْتُ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا «فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ» أى ارتفعت صفاته عن صفات المخلوقين فلا يشبهه أحد فى صفاته لأنه أقدر من كل قادر و أعلم من كل عالم و كل قادر سواه محتاج إليه و هو غنى عنه و كل قادر و عالم قادر على شىء عاجز عن شىء عالم بشىء جاهل بشىء و ما هو عالم به يجوز أن ينساه أو يسهو عنه فهو معرض الزوال و الله سبحانه لم يزل عالما قادرا و لا يزال كذلك و الملك الذى يملك الدنيا و الآخرة و الحق الذى يحق له الملك و كل ملك سواه يملك بعض الأشياء و يبىد ملكه و يفنى «وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ» فيه وجوه (أحدها) أن معناه لا تعجل بتلاوته قبل أن يفرغ جبرائيل (عليه السلام) من إبلاغه

فإنه ص كان يقرأ معه و يعجل بتلاوته مخافه نسيانه أى تفهم ما يوحى إليك إلى أن يفرغ الملك من قراءته و لا تقرأ معه ثم اقرأ بعد فراغه منه و هذا كقوله «لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ» عن ابن عباس و الحسن و الجبائي (و ثانيها) أن معناه و لا تقرأه لأصحابك و لا - تمله عليهم حتى يتبين لك معانيه عن مجاهد و قتاده و عطيه و أبى مسلم (و ثالثها) إن معناه و لا تسأل إنزال القرآن قبل أن يأتيك وحيه لأنه تعالى إنما ينزله بحسب المصلحه وقت الحاجه «وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا» أى استزد من الله سبحانه علما إلى علمك

روت عائشه عن النبي ص أنه قال إذا أتى على يوم لا أزداد فيه علما يقربني إلى الله فلا بارك الله لي في طلوع شمسه

و قيل معناه زدني علما بقصص أنبيائك و منازل أوليائك و قيل زدني قرآنا لأنه كلما ازداد من نزول القرآن عليه ازداد علما عن الكلبي «وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا» معناه أمرناه و أوصينا إليه أن لا يقرب الشجره و لا يأكل منها فترك الأمر عن ابن عباس و لم نجد له عقدا ثابتا و قيل معناه فنسى من النسيان الذى هو السهو و لم نجد له عزمًا على الذنب لأنه أخطأ و لم يتعمد عن ابن زيد و جماعه و قيل و لم نجد له حفظا لما أمر به عن عطيه و قيل صبرا عن قتاده و روى عن ابن عباس أنه قال إنما أخذ الإنسان من أنه عهد إليه فنسى و من حملة على النسيان فما الذى نسيه فيه أقوال (أحدها) أنه نسى الوعيد بالخروج من الجنة أكل (و الثانى) أنه نسى قول الله سبحانه «إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَ لِرُؤُوسِكَ» (و الثالث) أنه نسى الاستدلال على أن النهى عن الجنس و قد نهى عن الجنس فنسى و ظن أن النهى عن العين.

النظم

وجه اتصال قوله «وَ كَذَلِكَ أَنْزَلْنَا قُرْآنًا عَرَبِيًّا» بما قبله أنه يتصل بقوله «كَذَلِكَ - نَقُصُّ عَلَيْكَ» و قيل أنه يتصل بما قبله من قصه موسى أى كما أنزلنا التوراه على موسى أنزلنا عليك القرآن و وجه اتصال قوله «وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ» الآية بما قبله أنه لما ذكر تصريف الآيات و القرآن و إن بها يتذكر أمره سبحانه بالتذكر و أن لا يكون مثل آدم فى نسيان العهد و قيل إنه اتصل بقوله «وَ لَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ» أى لا تعجل خوف النسيان للفظه و لكن توكل على الله و سله التوفيق لحفظه فإن أباك آدم نسى ما عهد إليه و قيل أنه عطف على قوله «كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ» فقص عليه قصه آدم (عليه السلام) عن أبى مسلم.

ص: ٥٣

إشارة

وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (١١٦) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَ لِرِزْقِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَ لَا تَعْرَى (١١٨) وَ أَنْتَ لَا تَطْمَأُنُّ فِيهَا وَ لَا تَصْحَى (١١٩) فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَ مُلْكٍ لَا يَبْلَى (١٢٠)

فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَ طَفِقَا يَخْصِمَا فَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَّرَقِ الْجَنَّةِ وَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَ هَدَى (١٢٢) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَ لَا يَشْقَى (١٢٣) وَ مَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيراً (١٢٥)

القراءة

قرأ نافع و أبو بكر و إنك لا تظمؤا بالكسر و الباقون «أنك» بالفتح و في الشواذ قراءة أبان بن تغلب و نحشره بالجزم.

الحجج

من قرأ بالفتح فتقديره أن لك أن لا- تجوع فيها و أن لك أنك لا- تظماً و لا يجوز أن تقول أن أنك منطلق لكراهه اجتماع حرفين متقاربي المعنى فإذا فصل بينهما جاز و من كسر فقال فإنك لا تظماً قطع الكلام الأول و استأنف و من قرأ نحشره فإنه عطفه على موضع قوله «فإن له معيشة ضنكاً» و موضعه جزم لكونه جواب الشرط.

اللغة

ضحى الرجل يضحى ضحى إذا برز للشمس قال عمرو بن أبي ربيعة:

رأت رجلاً أيما إذا الشمس عارضت فيضحى و أيما بالعشى فيخصر

يعنى أما و الضنك الضيق الصعب يقال منزل ضنك و عيش ضنك لا يثنى و لا يجمع و لا يؤنث لأن أصله المصدر قال " و إذا هم نزلوا بضعك فانزل".

المعنى

ثم بين سبحانه تفصيل ما أجمله من قصه آدم (عليه السلام) فقال «وَ إِذِ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ» قد مر تفسيره «أبى» أى امتنع من أن يسجد «فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَ لِرِزْقِكَ» حواء «فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ» أى لا تطيعاه و المعنى لا- يكونن سببا لخروجكما من الجنة بغروره و وساوسه «فَتَشَقَّى» أى فتقع فى تعب العمل و كد الاكتساب و النفقه على زوجتك و نفسك و لذلك قال فتشقى و لم يقل فتشقىا و قيل لأن أمرهما فى السبب واحد فاستوى حكمهما لاستوائهما فى السبب و العله و قيل لتستقيم رءوس الآى قال سعيد بن جبیر أنزل على آدم ثور أحمر فكان يحرث عليه و يرشح العرق عن جبينه و ذلك هو الشقاوه «إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَ لَا تَعْرَى» أى فى الجنة لسعه طعام الجنة و ثيابها «وَ أَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَ لَا تَصْحَى» أى لا تعطش و لا يصيبك حر الشمس عن ابن عباس و سعيد بن جبیر و قتاده قالوا ليس فى الجنة شمس و إنما فيها ضياء و نور و ظل ممدود و يسأل هاهنا فيقال كيف جمع بين الجوع و العرى و بين الظمأ و الضحى و الجوع من جنس الظمأ و العرى من جنس الضحى و أجيب عن ذلك بجوابين (أحدهما) أن الظمأ أكثر ما يكون من شدة الحر و الحر إنما يكون من الضحى و هو الانكشاف للشمس فجمع بينهما لاجتماعهما فى المعنى و كذلك الجوع و العرى متشابهان من حيث أن الجوع عرى فى الباطن من الغذاء و العرى للجسم فى الظاهر (و الثانى) إن العرب تلف الكلامين بعضهما ببعض اتكالا على علم المخاطب و أنه يرد كل واحد منهما إلى ما يشاكله كما قال امرؤ القيس:

كأنى لم أركب جوادا للذه و لم أتطن كاعبا ذات خلخال

و لم أسيا الزق الروى و لم أقل لخليلى كر كره بعد إجمال

و كان حقه أن يقول كما قال عبد يغوث:

كأنى لم أركب جوادا و لم أقل لخليلى كرى نفسى عن رجاليا

و لم أسيا الزق الروى و لم أقل لأيسار صدق أظهروا ضوء ناريا

و قد يؤول قول امرئ القيس على الجواب الأول «فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ» قد تقدم بيانه

«قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ» أى على شجره من أكل منها لم يمت «وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى» جديده و لا يفنى و هذا كقوله «ما نهاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ» الآية «فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوَاتِلُهُمَا وَ طَفِقَا يَخْصِمَا عَلَىٰ هُمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ» هذا مفسر فى سورة الأعراف «وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى» معناه خالف آدم ما أمره ربه به فخاب من ثوابه و المعصيه مخالفه الأمر سواء كان الأمر واجبا أو ندبا قال الشاعر

" أمرتك أمرا جازما فعصيتنى "

و لا يمتنع أن يسمى تارك النفل عاصيا كما يسمى بذلك تارك الواجب يقولون فلان أمرته بكذا و كذا من الخير فعصانى و خالفنى و إن لم يكن ذلك واجبا و لا شبهه إن لفظه غوى يحتمل الخيبه قال الشاعر.

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره و من يغو لا يعدم على الغي لائما

و يجوز أن يكون معناه فخاب مما كان يطمع فيه بأكل الشجره من الخلود «ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ» أى اصطفاه الله تعالى و اختاره للرساله «فَتَابَ عَلَيْهِ وَ هَدَى» أى قبل توبته و هداه إلى ذكره و قيل هداه للكلمات التى تلقاها منه «قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا» يعنى آدم و حواء «بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى» قد فسرنا جميعها فى سورة البقره «فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَ لَا يَشْقَى» أى فلا يضل فى الدنيا و لا يشقى فى الآخره قال ابن عباس ضمن الله سبحانه لمن قرأ القرآن و عمل بما فيه أن لا يضل فى الدنيا و لا يشقى فى الآخره ثم قرأ هذه الآية «وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي» أى و من أعرض عن القرآن و عن الدلائل التى أنزلها الله تعالى لعباده و صدف عنها و لم ينظر فيها «فَبِإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا» أى عيشا ضيقا عن مجاهد و قتاده و الجبائى و هو أن يقتتر الله عليه الرزق عقوبه له على إعراضه فإن وسع عليه فإنه يضيق عليه المعيشه بأن يمسكه و لا ينفقه على نفسه و إن أنفقه فإن الحرص على الجمع و زياده الطلب يضيق المعيشه عليه و قيل هو عذاب القبر عن ابن مسعود و أبى سعيد الخدرى و السدى و رواه أبو هريره مرفوعا و قيل هو طعام الضريع و الزقوم فى جهنم لأن مآله إليها و إن كان فى سعه من الدنيا عن الحسن و ابن زيد و قيل معناه أن يكون عيشه منغصا بأن ينفق إنفاق من لا يوقن بالخلف عن ابن عباس و قيل هو الحرام فى الدنيا الذى يؤدى إلى النار عن عكرمه و الضحاك و قيل عيشا ضيقا فى الدنيا لقصرها و سائر ما يشوبها و يكدرها و إنما العيش الرغد فى الجنة عن أبى مسلم «وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى» أى أعمى البصر عن ابن عباس و قيل

أعمى عن الحججه عن مجاهد يعنى أنه لا- حجه له يهتدى إليها و الأول هو الوجه لأنه الظاهر و لا مانع منه و يدل عليه قوله «قال رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا» قال الفراء يقال أنه يخرج من قبره بصيرا فيعمى فى حشره و

قد روى معاويه بن عمار قال سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن رجل لم يحج و له مال قال هو ممن قال الله «و نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى» فقلت سبحان الله أعمى قال أعماه الله عن طريق الحق

فهذا يطابق قول من قال إن المعنى فى الآية أعمى عن لا يهتدى لشىء منها.

[سوره طه (٢٠): الآيات ١٢٦ الى ١٣٠]

إشاره

قال كذلك أتنك آياتنا فسيتها و كذلك اليوم تنسى (١٢٦) و كذلك نجزي من أسرف و لم يؤمن بآيات ربّه و لعذاب الآخرة أشدّ و أبقى (١٢٧) أفلم يهتد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم إن فى ذلك لآيات لأولى النهى (١٢٨) و لو لا كلمته سبقت من ربك لكان لزاما و أجل مسمى (١٢٩) فاصبر على ما يقولون و سيبيح بحمد ربك قبل طلوع الشمس و قبل غروبها و من آناء الليل فسبح و أطراف النهار لعلك ترضى (١٣٠)

القرءه

قرأ الكسائى و أبو بكر ترضى بضم التاء و الباقون بفتحها.

الحجه

حجه من فتح التاء قوله «و لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى» و حجه من ضم التاء أنه جاء فى صفه بعض الأنبياء و كان عند ربّه مرضيةً و كان معنى ترضى لفعلك ما أمرت به من الأفعال التى يرضاها الله أو ترضى بما تعطاه من الدرجه الرفيعه و ترضى بما يعطيكه الله من الدرجه العاليه و الرتبه المرضيه.

اللغه

آناء الليل ساعاته واحدها إنى قال السعيدى:

«أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ» فاعل يهد مضممر يفسره «كَمْ أَهْلَكْنَا» والمعنى أ فلم يهد لهم إهلاكنا من قبلهم من القرون و موضع كم نصب بأهلكنا.

المعنى

«قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَّتَهَا» هذا جواب من الله سبحانه لمن يقول لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى و معناه كما حشرناك أعمى جاءك محمد ص و القرآن و الدلائل فأعرضت عنها و تعرضت لنسيانها فإن النسيان ليس من فعل الإنسان فيتوعد عليه «وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى» أى تصير بمنزله من ترك كالمنسى بعذاب لا يفنى و قيل معناه كما حشرتكم أعمى لتكون فضيحه كنت أعمى القلب فتركت آياتى و لم تنظر فيها و كما تركت أوامرنا فجعلتها كالشىء المنسى تترك اليوم فى العذاب كالشىء المنسى «وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمَرْ بِآيَاتِ رَبِّهِ» أى و كما ذكرنا نجزي من أشرك و جاوز الحد فى العصيان و لم يؤمن بآيات ربه أى لم يصدق بحجج ربه و كتبه و رسله «وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ» من عذاب الدنيا و عذاب القبر «وَأَبْقَى» أى أدوم لأنه لا يزول و عذاب الدنيا و عذاب القبر يزول «أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ» يعنى كفار مكة و المعنى أ فلم يبين لهم طريق الاعتبار كثره إهلاكنا القرون قبلهم بتكذيبهم رسلنا فيعتبروا و يؤمنوا و قوله «يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ» يريد أهل مكة كانوا يتجرون إلى الشام فيمرون بمساكن عاد و ثمود و يرون علامات الإهلاك و فى هذا تنبيه لهم و تخويف أى أ فلا يخافون أن يقع بهم مثل ما وقع بأولئك «إِنَّ فِي ذَلِكُمْ» أى فى إهلاكنا إياهم «لآيَاتٍ» أى لعبرا و دلالات «لِأُولَى النَّهْيِ» أى لذوى العقول الذين يتدبرون فى أحوالهم «وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ» فى تأخير العذاب عن هؤلاء الكفار إلى يوم القيامة و هو قوله «لَكَانَ لِرِزَامًا وَ أَجَلٌ مُّسَمًّى» أى لكان العذاب لزاما لهم واقعا فى الحال و اللزام مصدر و وصف به قال قتاده الأجل المسمى قيام الساعة و قال غيره هو الأجل الذى كتبه الله للإنسان أنه يبقى إليه و قيل إن عذاب اللزام كان يوم بدر قتل الله فيه رءوس الكفار و لو لا ما قدر الله تعالى من آجال الباقين و وعدهم من عذاب الآخرة لكان ذلك القتل الذى نالهم يوم بدر لازما لهم أبدا فى سائر الأزمان ثم أمر سبحانه نبيه ص بالصبر على أذاهم بأن قال «فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ» من تكذيبك و أذاهم إياك «وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ» أى صل لربك بالحمد له و الثناء عليه و قيل معناه سبحانه و احمده فى

هذه الأوقات «قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ» يعنى صلاه الفجر «وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» يعنى صلاه العصر «وَمِنْ آتَاءِ اللَّيْلِ» أى ساعاته قال ابن عباس هى صلاه الليل كله وقيل يريد أول الليل المغرب والعشاء الآخرة «فَسَيِّحٌ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ» يعنى الظهر وسمى وقت صلاه الظهر أطراف النهار لأن وقته عند الزوال وهو طرف النصف الأول وطرف النصف الثانى وهذا قول قتاده والجبائى ومن حمل التسييح على الظاهر قال أراد بذلك مداومه على التسييح والتحميد فى عموم الأوقات «لَعَلَّكَ تَرْضَى» بالشفاعه والدرجه الرفيعه وقيل بجميع ما وعدك الله به من النصر وإعزاز الدين فى الدنيا والشفاعه والجنه فى الآخرة.

[سوره طه (٢٠): الآيات ١٣١ الى ١٣٥]

إشارة

وَلَا تَمِدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٣١) وَ أَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَ اضْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَ الْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (١٣٢) وَ قَالُوا لَوْ لَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوْ لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِى الصُّحُفِ الْأُولَى (١٣٣) وَ لَوْ أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذَلَّ وَ نَخْزَى (١٣٤) قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَ مَنْ أَهْتَدَى (١٣٥)

القراءة

قرأ يعقوب و سهل زهره بفتح الهاء و الباقون بسكونها و قرأ أهل المدينة و البصره و قتيبه و حفص أ و لم تأتهم بالتاء و الباقون بالياء.

اللغة

زهرة الحياه الدنيا حسننها و يجوز فتح العين فيها و الزهره النور الذى يروق عند الرؤيه و منه يقال لكل شىء مستنير زاهر و منه الحديث فى صفه النبى ص

ص: ٥٩

كان أزهر اللون أى نير اللون و الزهراوان: البقره و آل عمران و يوم الجمعة يوم أزهر.

الإعراب

قال الزجاج زهره منصوب بمعنى متعنا لأن معناه جعلنا لهم الحياه الدنيا زهره لفتنهم فيه أى لنجعل ذلك فتنة لهم و يجوز أن يكون حالا من الهاء فى به و يجوز أن يكون حالا من «ما مَتَّعْنَا بِهِ». «وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ» تقديره و لو ثبت إهلاكهم لأن لو يقتضى الفعل فيكون «أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ» فى موضع رفع بأنه فاعل الفعل المقدر و «مَنْ أَصْحَابُ الصَّرَاطِ السَّوِيِّ» تعلق بقوله «فَسَتَّعْلَمُونَ» و هو مبتدأ و خبر و كذلك «مَنْ اهْتَدَى».

النزول

قال أبو رافع نزل برسول الله ص ضيف فبعثنى إلى يهودى فقال قل إن رسول الله يقول بعنى كذا و كذا من الدقيق أو أسلفنى إلى هلال رجب فأتيته فقلت له فقال و الله لا أبعه و لا أسلفه إلا برهن فأتيت رسول الله ص فأخبرته فقال و الله لو باعنى أو أسلفنى لقضيته و إنى لأمين فى السماء و أمين فى الأرض اذهب بدرعى الحديد إليه فنزلت هذه الآية تسليه له عن الدنيا.

المعنى

«وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ» و قد فسرناه فى سورة الحجر و قال أبى بن كعب فى هذه الآية من لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه حسرات على الدنيا و من يتبع بصره ما فى أيدي الناس يطل حزنه و لا يشفى غيظه و من لم ير الله عليه نعمه إلا فى مطعمه و مشربه نقص علمه و دنا عذابه

و روى أصحابنا عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال لما نزلت هذه الآية استوى رسول الله ص جالسا ثم قال هذه الكلمات التى تقدمت

«زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» أى بهجتها و نضارتها و ما يروق الناظر عند الرؤيه و قال ابن عباس و قتاده زينه الحياه الدنيا «لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ» أى لنعاملهم معامله المختبر بشده التعب فى العمل بالحق فى هذه الأمور و أداء الحقوق عنه و قيل لفتنهم أى لشدد عليهم التعب بأن نكلفهم متابعتك و الطاعه لك مع كثره أموالهم و قله مالك و قيل معناه لنعذبهم به لأن الله قد يوسع الرزق على بعض أهل الدنيا تعذيبا له و لذلك

قال (عليه السلام) لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضه ما سقى منها كافرا شربه ماء

«وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ» أى و رزق ربك الذى وعدك به فى الآخرة خير مما متعنا به هؤلاء فى الدنيا «وَأَبْقَى» أى أدام «وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ» معناه و أمر يا محمد أهل بيتك و أهل دينك بالصلاه

روى أبو سعيد الخدرى قال لما نزلت هذه الآية كان رسول الله ص يأتى باب فاطمه و على تسعه أشهر عند كل صلاه فيقول الصلاه رحمكم الله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا و رواه ابن عقده بإسناده من طرق كثيره

عن أهل البيت (عليه السلام) و عن غيرهم مثل أبي برزه

ص: ٦٠

قال أبو جعفر (عليه السلام) أمره الله تعالى أن يخص أهله دون الناس ليعلم الناس أن لأهله عند الله منزله ليست للناس فأمرهم مع الناس عامه ثم أمرهم خاصة

«وَ اضْطَبِرْ عَلَيْهَا» أى و اصبر على فعلها و على أمرهم بها «لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا» لخلقنا و لا لنفسك بل كلفناك العبادة و أداء الرسالة و ضمنا رزق الجميع «نَحْنُ نَرْزُقُكَ» الخطاب للنبي ص و المراد به جميع الخلق أى نرزق جميعهم و لا نسترزقهم و ننفعهم و لا ننتفع بهم فيكون أبلغ فى الامتنان عليهم «وَ الْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى» أى العاقبه المحموده لأهل التقوى قال ابن عباس يريد الذين صدقوك و اتبعوك و اتقونى و فى الأثر أن عروه الزبير كان إذا رأى ما عند السلطان دخل بيته و قرأ و لا تَمِيدَنَّ عَيْنَيْكَ الْآيَاتِ ثم ينادى الصلاه الصلاه رحمكم الله «وَ قَالُوا» يعنى الكفار «لَوْ لَا يَأْتِينَا» محمد ص «بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ» اقترحناها عليه كما أتى به الأنبياء، نحو الناقه «أَوْ لَعَمْرُ تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْمَأُولَى» أى أ و لم يأتهم فى القرآن بيان ما فى الكتب الأولى من أنباء الأمم التى أهلكتهم لما اقترحوا الآيات ثم كفروا بها فما ذا يؤمنهم أن يكون حالهم فى سؤال الآيه كحال أولئك «وَ لَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ» يعنى كفار قريش «بِعِذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ» أى من قبل بعث محمد ص و نزول القرآن «لَقَالُوا» يوم القيامة «رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا» أى هلا أرسلت «رَسُولًا» يدعونا إلى طاعتك و يرشدنا إلى دينك «فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ» أى نعمل بما فيها «مِنْ قَبْلِ أَنْ نَنْزِلَ» بالعذاب «وَ نَخْزَى» فى جهنم و قيل من قبل أن نذل فى الدنيا بالقتل و الأسر و نخزى فى الآخره بالعذاب فقطعنا عذرهم بإرسال الرسول فلم يبق لهم متعلق ثم قال سبحانه لنبىه ص «قُلْ» يا محمد «كُلُّ مُتَرَبِّصٍ» أى كل واحد منا و منكم منتظر فنحن ننتظر وعد الله لنا فيكم و أنتم تتربصون بنا الدوائر «فَتَرَبَّصُوا» أنتم أى انتظروا و هذا على وجه التهديد «فَسَيَتَعَلَّمُونَ» أى فسوف تعلمون فيما بعد «مَنْ أَصْحَابُ الصُّرَاطِ السَّوِيِّ» أى أهل الدين المستقيم «وَ مَنْ اهْتَدَى» إلى طريق الحق أى أ نحن أم أنتم و فى قوله سبحانه «وَ لَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعِذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ» الآيه دلالة على وجوب اللطف لأنه سبحانه بين أنه إنما بعث الرسول إليهم لطفًا لهم و أنه لو لم يبعثه لكان لهم الحجة عليه فكان فى البعثة قطع العذر و إزاحه العله و بالله التوفيق.

(٢١) سورة الأنبياء مكيه و آياتها اثنتا عشره و مائه (١١٢)

اشاره

[توضيح]

مكيه كلها و هي مائه و اثنتا عشره آيه كوفى و إحدى عشره آيه فى الباقيين.

اختلفها

آيه واحده ما لا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَ لا يَضُرُّكُمْ كوفى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأ سورة الأنبياء حاسبه الله حسابا يسيرا و صافحه و سلم عليه كل نبى ذكر اسمه فى القرآن

و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) من قرأ سورة الأنبياء حبا لها كان ممن رافق النبيين أجمعين فى جنات النعيم و كان مهيبا فى أعين الناس حياه الدنيا.

تفسيرها

ختم الله سبحانه سورة طه بذكر الوعيد و افتتح هذه السوره بذكر القيامه فقال:

ص: ٦٢

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ
وَ أَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ أَ فَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٣) قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ
وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٤)

بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ (٥)

القراءة

قرأ حمزه و الكسائي و حفص قال رَبِّي بالألف و الباقون قل ربي.

الحج

من قرأ «قال» فإنه على إضافه القول إلى الرسول و الخبر عنه و من قرأ قل فإنه على الخطاب.

الإعراب

«مِنْ ذِكْرٍ» في موضع رفع و من مزیده. «مِنْ رَبِّهِمْ» صفة لذكر فيجوز أن يكون في موضع جر على لفظه و يجوز أن يكون في موضع رفع على محل الجار و المجرور.

«اسْتَمَعُوهُ» في محل نصب على الحال بإضمار قد و تقديره ما يأتيهم ذكر رباني إلا مستمعاً. «وَ هُمْ يَلْعَبُونَ» حال من الواو و في استمعوه. «لاهيَةً قُلُوبُهُمْ» حال من الواو في «يَلْعَبُونَ» و إن شئت كان حالاً بعد حال و قوله «وَ أَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا» موضع الذين ظلموا يجوز أن يكون رفعا على وجوه (أحدها) أن يكون على البدل من الواو في أسروا (و الثاني) أن يكون مرفوعاً على الذم فيكون خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين ظلموا (و الثالث) أن يكون فاعل أسروا على لغة من يقول أكلوني البراغيث و تكون الواو في أسروا حرفاً لعلامه الجمع كالتاء في قالت و لا يكون اسماً و يجوز أن يكون في موضع نصب على الذم بإضمار أعنى.

المعنى

«اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ» اقترب افتعل من القرب و المعنى اقترب للناس وقت حسابهم يعني القيامة كما قال «اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ» أي دنا وقت محاسبه الله إياهم و مسألتهم عن نعمه هل قابلوها بالشكر و عن أوامره هل امتثلوها و عن نواهيها هل اجتنبوها و إنما

وصف ذلك بالقرب لأنه آت و كل ما هو آت قريب و لأن أحد أشراف الساعه مبعث رسول الله ص

فقد قال بعثت أنا و الساعه كهاتين

و أيضا فإن الزمان يقرب بكثره ما مضى و قله ما بقى فيكون يسيرا بالإضافه إلى ما مضى «وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ» من دنوها و كونها «مُعْرَضُونَ» عن التفكير فيها و التأهب لها و قيل عن الإيمان بها و تضمنت الآية الحث على الاستعداد ليوم القيامه «ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ» يعنى القرآن «مُخَيَّدَةٍ» أى محدث التنزيل مبتدأ التلاوه كنزول سوره و آيه بعد آيه «إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَ هُمْ يَلْعَبُونَ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ» أى لم يستمعوه استماع نظر و تدبر و قبول و تفكر و إنما استمعوه استماع لعب

ص: ٦٣

و استهزاء و قال ابن عباس معناه يستمعون القرآن مستهزئين غافله قلوبهم عما يراد بهم «وَأَسِيرُوا النَّجْوَى» أى تناجوا فيما بينهم يعنى المشركين ثم بين من هم فقال «الَّذِينَ ظَلَمُوا» أى أشركوا بالله ثم بين سبحانه سرهم الذى تناجوا به فقال «هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ» أى أنه آدمى مثلكم ليس مثل الملائكة «أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَ أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ» أى أفتقبلون السحر و أنتم تعلمون أنه سحر نفرؤا الناس عنه بشيئين (أحدهما) أنه بشر (و الآخر) أن ما أتى به سحر و قيل إن أسروا معناه أظهروا هذا القول فإن هذا اللفظ مشترك بين الإخفاء و الإظهار و الأول أصح ثم أمر سبحانه نبيه فقال «قَالَ» يا محمد «رَبِّى» الذى خلقنى و اصطفانى «يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ» أى يعلم أسرار المتناجين لا يخفى عليه شىء من ذلك «وَ هُوَ السَّمِيعُ» لأقوالهم «الْعَلِيمُ» بأفعالهم و ضمائرهم «بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ» بل للإضراب عما حكى سبحانه أنهم قالوه أولا و للإخبار عما قالوه ثانيا أى قالوا إن القرآن تخاليط أحلام رآها فى المنام عن قتاده «بَلْ افْتَرَاهُ» أى ثم قالوا لا بل افتراه أى تخرصه و افتعله «بَلْ هُوَ شَاعِرٌ» أى ثم قالوا بل هو شاعر و هذا قول المتحير الذى بهره ما سمع فمره يقول سحر و مره يقول شعر و مره يقول حلم و لا يجوز على أمر واحد و هذه مناقضه ظاهره «فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ» معناه فليأتنا بآيه ظاهره يستدرکها الخاص و العام كما أتى بها الأولون من الأنبياء قال ابن عباس بآيه مثل الناقه و العصا و قال الزجاج اقترحوا بالآيات التى لا يكون معها إمهال و فى قوله سبحانه «مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُجَدِّدٍ» دلالة ظاهره على أن القرآن محدث لأنه تعالى أراد بالذكر القرآن بدلاله قوله «وَ هَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ» و قوله «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» و قد وصفه بأنه محدث و يوضحه قوله «إِلَّا اسْتَمَعُوهُ».

إشارة

ما آمَنْتَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ (٦) وَ مَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسِئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧) وَ مَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَيدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَ مَا كَانُوا خَالِدِينَ (٨) ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَ أَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ (٩) لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٠)

القراءة

قرأ «نوحى» بالنون حفص عن عاصم و الباقون يوحى و قد تقدم ذكره فى سورة يوسف (عليه السلام).

الإعراب

«أَهْلَكْنَاهَا» فى موضع الجر لأنه صفه قريه جسدا واحدا بمعنى الجمع أى و ما جعلناهم أجسادا بمعنى ذوى أجساد و لذلك قال لا يأكلون و تقديره غير آكلين الطعام «وَمَنْ نَشَاءُ» فى موضع نصب عطفًا على هم من قوله «فَأَنْجَيْنَاهُمْ».

المعنى

لما تقدمت الحكايه عن الكفار بأنهم اقترحوا الآيات قال سبحانه مجيبا لهم «ما آمَنْتَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا» أى لم يؤمن قبل هؤلاء الكفار من أهل قريه جاءتهم الآيات التى طلبوها فأهلكناهم مصرين على الكفر «أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ» عند مجيئها هذا إخبار عن حالهم و إن سيبلهم سيبل من تقدم من الأمم طلبوا الآيات فلم يؤمنوا بها و أهلكوا فهؤلاء أيضا لو أتاهم ما اقترحوه لم يؤمنوا و لاستحقوا عذاب الاستئصال و قد حكم سبحانه فى هذه الآيه أن لا يعذبهم عذاب الاستئصال فلذلك لم يجبهم فى ذلك و قيل ما حكم الله سبحانه بهلاك قريه إلا و فى المعلوم أنهم لا يؤمنون فلذلك لم يأت هؤلاء بالآيات المقترحه «وَ مَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ» يا محمد «إِلَّا رِجَالًا» هذا جواب لقولهم ما هذا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ و المعنى لم نرسل قبلك يا محمد إلا رجالا من بنى آدم «نوحى إِلَيْهِمْ» لا ملائكه لأن الشكل إلى الشكل أميل و به آنس و عنه أفهم و من الأنفه منه أبعده «فَسِئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» اختلف فى المعنى بأهل الذكر على أقوال

فروى عن على (عليه السلام) أنه قال نحن أهل الذكر و روى ذلك عن أبى جعفر (عليه السلام)

و يعضده أن الله تعالى سمى النبى ص ذكرا رسولا فى قوله «ذِكْرًا رَسُولًا» و قيل أهل الذكر أهل التوراه و الإنجيل عن الحسن و قتاده و قيل هم أهل العلم بإخبار من مضى من الأمم و قيل هم أهل القرآن و الذكر هو القرآن و هم العلماء بالقرآن عن ابن زيد «وَ مَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَيدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَ مَا كَانُوا خَالِدِينَ» أى باقين لا يموتون هذا رد لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام وَ يَمْشِي فِي الْأَشْوَاقِ و معناه و ما جعلنا الأنبياء قبلك أجسادا لا يأكلون الطعام و لا يموتون حتى يكون أكلك الطعام و شربك و موتك عله فى ترك الإيمان بك فإننا لم نخرجهم عن حد البشريه بالوحى قال الكلبي الجسد المجسد الذى فيه الروح و يأكل و

يشرب فعلى هذا يكون ما يأكل و يشرب جسما و قال مجاهد الجسد ما لا يأكل و لا يشرب فعلى هذا يكون ما يأكل و يشرب
نفسا «ثُمَّ

ص: ٦٥

صِدْقَانَهُمُ الْوَعْدَ» أى صدقناهم الوعد بأن العاقبه الحميده تكون لهم و معناه أنجزنا ما وعدناهم به من النصر و النجاه و الظهور على الأعداء و ما وعدناهم به من الثواب «فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ» أى فأنجيناهم من أعدائهم و أنجينا معهم من نشاء من المؤمنين بهم «وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ» على أنفسهم بتكذيبهم الأنبياء قال قتاده المسرفين هم المشركون و هذا تخويف لكفار مكه ثم ذكر نعمته عليهم بإنزال القرآن فقال «لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ» يا معشر قريش «كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ» أى فيه شرفكم إن تمسكنم به كقوله «وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ» و قيل هو خطاب للعرب لأنه أنزل القرآن بلغتهم و قيل هو خطاب لجميع المؤمنين لأن فيه شرفا للمؤمنين كلهم و قيل إن معناه فيه ذكر ما تحتاجون إليه من أمر دينكم و دنياكم عن الحسن و قيل فيه ذكر مكارم الأخلاق و محاسن الأفعال لتمسكوا بها «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» ما فضلتم به على غيركم و قيل معناه أ فلا تتدبرون فتعلمون أن الأمر على ما قلناه.

إشارة

وَ كَمْ قَصِيْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَ أَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (١١) فَلَمَّا أَحْسَبُوا أَنبَسْنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (١٢) لَا تَرْكُضُوا وَ ارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَ مَسَاكِينِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٣) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (١٤) فَمَا زَالَتْ تِلْمَكُ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ (١٥)

وَ مَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا لِاعِينِ (١٦) لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَا لَتَّخَذْنَا مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ (١٧) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَ لَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (١٨) وَ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَ لَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (٢٠)

اللغة

القضم الكسر يقال قضمه يقضمه و هو قاصم الجبار و الإنشاء الإيجاد و نظيره الاختراع و الإبداع و الركض العدو بشده الوطء و ركض دابته ضربها برجله حتى تعدو و ارتكاض الصبي اضطرابه فى الرحم و الترفه النعمه و المترفه المتنعم و الزاهق من الأضداد يقال للهالك زاهق و للسامين من الدواب زاهق و زهقت نفسه ترهق زهوقا أى تلفت و الدمغ شج الرأس حتى يبلغ الدماغ يقال دمغه يدمغه إذا أصاب دماغه و منه فى صفة النبي ص الدماغ جيشات الأباطيل و الاستحسار الانقطاع من الإعياء يقال بعير حسير أى معى و أصله من قولهم حسر عن ذراعيه فالمعنى أنه كشف قوته بإعياء و جمال حسرى قال علقمه بن عبده:

بها جيف الحسرى فأما عظامها فيبيض و أما جلدها فصليب

. الإعراب

كم فى موضع نصب بأنه مفعول «قَصِيْنَا» و «مِنْ قَرْيَةٍ» فى موضع نصب على التمييز و يجوز أن يكون صفة لكم و التقدير كثيرا من القرى قضمنا. إذا ظرف مكان العامل فيه «يَرْكُضُونَ» و تلك فى موضع رفع اسم زالت و «دَعْوَاهُمْ» فى موضع نصب خبر زالت و جائز أن يكون دعواهم اسما و تلك خبرا. «إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ» أى ما كنا فاعلين و يجوز أن تكون أن للشرط أى إن كنا ممن يفعل ذلك و لسنا ممن يفعله اتخذناه من لدنا و «مَنْ عِنْدَهُ» مبتدأ و «لَا يَسْتَكْبِرُونَ» خبره و يجوز أن يكون «وَمَنْ عِنْدَهُ» معطوفا على «مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ» فيكون لا يستكبرون فى موضع الحال فالمعنى غير مستكبرين و كذا لا يستحسرون و يسبحون و لا يفترون كلها أحوال على هذا.

المعنى

ثم بين سبحانه ما فعله بالمكذبين فقال «وَ كَمْ قَصِيْنَا» أى أهلكنا «مِنْ قَرْيَةٍ» عن مجاهد و السدى و قيل عذبنا عن الكلبي «كَانَتْ ظَالِمَةً» أى كافره يعنى أهلها «وَ أَنشَأْنَا» أى أوجدنا «بَعْدَهَا» أى بعد إهلاك أهلها «قَوْمًا آخَرِينَ فَلَمَّا أَحْسَبُوا» أى فلما أدركوا

بحواسهم «بأسنا» أى عذابنا «إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ» معناه إذا هم من القرية أو من العقوبه يهربون سراعا هرب المنهزم من عدوه «لا تَرْكُضُوا» أى يقال لهم تقرّيعا و توبيخا لا- تهربوا «وَ ارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَ مَسَاكِنِكُمْ» أى و ارجعوا إلى ما نعمتم فيه و إلى مساكنكم التى كفرتم و ظلمتم فيها و قيل إنهم لما أخذتهم السيوف انهزموا مسرعين فقالت لهم الملائكة بحيث سمعوا النداء لا تركضوا و ارجعوا إلى ما خولتم و نعمتم فيه و ارجعوا إلى

مساكنكم و قال ابن قتيبه معناه إلى نعمكم التي أترفتمكم و مساكنكم لعلمكم تسألون شيئا من دنياكم و المعنى أن الملائكة استهزأت بهم فقالت لهم ارجعوا إلى نعمكم و مساكنكم «لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ» شيئا من دنياكم فإنكم أهل ثروه و نعمه يقولون ذلك استهزاء بهم هذا قول قتاده و قيل لعلمكم تسألون أى يسألكم رسولكم أن تؤمنوا كما سئل قبل نزول العذاب بكم و هذا استهزاء بهم أيضا أى لا سبيل إلى هذا فتدبروا الأمر قبل حلوله و قيل لكى تسألوا عن أعمالكم و عن تنعمكم فى الدنيا بغير الحق و عما استحققتكم به العذاب عن الجبائى و أبى مسلم «قالوا» على سبيل التندم لما رأوا العذاب «يا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ» لأنفسنا حيث كذبنا رسل ربنا و المعنى أنهم اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب و الويل الوقوع فى الهلكه «فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ» أى لم يزالوا يقولون يا ويلنا و تلك دعواهم «حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا» أى محصودا مقطوعا «خَامِدِينَ» ساكنى الحركات ميتين كما تخدم النار إذا انطفأت و المعنى استأصلناهم بالعذاب و أهلكتناهم عن الحسن و قيل بالسيف و هو قتل بخت نصر لهم عن مجاهد و قيل نزلت فى قريه باليمن قتلوا نبيا لهم يقال له حنظله فسلط الله عليهم بخت نصر حتى قتلهم و سباهم و نكافهم حتى خرجوا من ديارهم منهزمين فبعث الله ملائكة حتى ردوهم إلى مساكنهم فقتل صغارهم و كبارهم حتى لم يبق لهم اسم و لا رسم «وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ» بل خلقناهما لغرض صحيح و هو أن يكون دلاله و نعمه و تعريضا للشواب «لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَنْتَحِدَ لَهُوا لَأَخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا» اللهو المرأة عن الحسن و مجاهد و قيل هو الولد عن ابن عباس و قيل معناه اللهو الذى هو داعى الهوى و نازع الشهوه و المعنى لو اتخذنا نساء أو ولدا لاتخذناه من أهل السماء و لم نتخذه من أهل الأرض يريد لو كان ذلك جائزا عليه لم يتخذه بحيث يظهر لهم و يسر ذلك حتى لا يطلعوا عليه و قد أحسن ابن قتيبه فى شرح اللهو هنا فقال التفسيران فى اللهو متقاربان لأن امرأه الرجل لهوه و ولده لهوه و لذلك يقال امرأه الرجل و ولده ريحانتاه و أصل اللهو الجماع كنى عنه باللهو كما كنى عنه بالسر ثم قيل للمرأة لهو لأنها تجامع قال امرؤ القيس:

ألا زعمت بسباسبه اليوم أننى كبرت و أن لا يحسن اللهو أمثالى

و تأويل الآيه أن النصرارى لما قالت فى المسيح و أمه ما قالت قال الله عز و جل «لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَنْتَحِدَ» صاحبه و ولدا كما تقولون لاتخذنا ذلك من عندنا و لم نتخذ من عندكم لأنكم تعلمون أن ولد الرجل و زوجته يكونان عنده لا عند غيره «إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ» أى ما كنا فاعلين عن قتاده و مجاهد و ابن جريج و قيل معناه إن كنا فاعلين ذلك لاتخذناه من عندنا

بحيث لا- يصل علمه إليكم عن الجبائي «بَيْلٌ نَقَذِفُ بِإِلْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ» معناه بل نورد الأدله القاهره على الباطل و قيل نرمى بالحجه على الشبهه و قيل بالإيمان على الكفر «فَيَدْمُغُهُ» أى يعلوه و يبطله و قيل يهلكه «فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ» أى هالك مضمحل عن قتاده و تأويله أن الله سبحانه يظهر الحق بأدلته و يبطل الباطل فكيف يفعل الباطل و اللعب «وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ» أى الهلاك لكم يا معشر الكفار مما تصفون الله تعالى به من اتخاذ صاحبه و الولد «وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» ملكا و ملكا و خلقا و هذا رد أيضا على من أثبت له الولد و الشريك أى و كيف يجوز عليه اتخاذ الشريك و الولد «وَمَنْ عِنْدَهُ» يعنى الملائكه الذين لهم عند الله تعالى المنزله كما يقال عند الأمير كذا و كذا من الجند و إن كانوا متفرقين فى الأماكن و لا يراد بذلك قرب المسافه «لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ» أى لا يأنفون و لا يترفعون عن عبادته و أراد بذلك نفس النبوءه عنهم لأن أحدا لا يستعبد ابنه «وَلَا يَسْتَحْسِبُونَ» أى لا- يعيرون عن قتاده و السدى و قيل لا- يملون عن ابن زيد و قيل لا ينقطعون مأخوذ من البعير الحسير المنقطع بالإعياء «يُسَيِّبُونَ» أى ينزهون الله تعالى عن جميع ما لا يليق بصفاته على الدوام «اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ» أى فى الليل و النهار «لَا يَفْتُرُونَ» أى لا يضعفون عنه قال كعب جعل لهم التسييح كما جعل لكم النفس فى السهوله.

النظم

اتصل قوله وَ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ بما تقدم من ذكر هلاك الكفار فبين سبحانه أنه لم يهلكهم إلا بالاستحقاق لأنه سبحانه تعالى خلقهم للعباده فلما كفروا جازاهم بكفرهم و لو لا- ذلك لكان خلق السماوات و الأرض و ما بينهما لعبا لأن خلقهما إنما هو لأجل المكلفين و خلق المكلف إنما هو لتعريض الثواب و وجه اتصال قوله «مَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ» بما قبله أن هؤلاء الذين وصفتموهم بأنهم بنات الله هم عبيد الله على أتم وجوه العبوديه و ذلك يبطل معنى الولاده لأن الولاده لا تكون إلا مع المجانسه.

إشارة

أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْسِكُونَ (٢١) لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) لَا يُسْئَلُ عَمَّا يُفَعَّلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ (٢٣) أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٤) وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوْحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥)

وَ قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٦) لَا- يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ وَ لَا- يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَ هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) وَ مِمَّنْ يَقُولُ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٢٩) أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَ جَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَ فَلَا يُؤْمِنُونَ (٣٠)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر «إِلَّا نُوحِي» بالنون و الباقون يوحى و قرأ ابن كثير أ لم ير بغير واو و كذلك هو فى مصاحف مكة و الباقون «أ و لم يروا» بالواو و فى الشواذ قراءه الحسن و ابن محيصن الحق بالرفع «فَهُمْ مُعْرِضُونَ» و قراءه الحسن أيضا و عيسى الثقفى رتقا بفتح التاء.

الحج

وجه النون أنه أشبه بما تقدم من قوله «وَ مَا أَرْسَلْنَا» و الياء فى المعنى كالنون و الوجه فى قراءه الحسن الحق بالرفع الاستئناف فإن الوقف فى هذه القراءة على قوله «لَا يَعْلَمُونَ» و التقدير هذا الحق أو هو الحق فيحذف المبتدأ و يوقف على الحق ثم يستأنف فيقال «فَهُمْ مُعْرِضُونَ» لأن أكثرهم لا- يعلمون و الوجه فى قوله رتقا بفتح التاء أنه قد كثر مجىء المصدر على فعل و اسم المفعول منه على فعل مفتوح العين و ذلك كالنفض و النفض و الطرد و الطرد فالرتق على هذا يكون للشئ المرتوق كما أن النفض المنفوض و الهدم المهذوم فقراءه الجماعة «رَتْقًا» بسكون التاء كأنه مما وضع من المصادر موضع اسم المفعول كالصيد بمعنى المصيد و الخلق بمعنى المخلوق.

«أَمْ اتَّخَذُوا» أم هذه هي المنقطعة و ليست المعادله لهمزه الاستفهام فى مثل قولك أزيد عندك أم عمرو و قوله «لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا» إلا هذه صفه لآلهه و تقديره غير الله عما يفعل ما هذه الأجود أن تكون مصدرية و يحتمل أن تكون اسما.

المعنى

ثم عاد سبحانه إلى توبيخ المشركين فقال «أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ» هذا استفهام معناه الجحد أى لم يتخذوا آلهه من الأرض «هُمْ يُنْشِرُونَ» أى يحيون الأموات عن مجاهد يقال أنشر الله الموتى فنشروا أى أحياهم فحيوا و هو من النشر بعد الطى لأن المحيا كأنه كان مطويا بالقبض عن الإدراك فأنشر بالحياء و المعنى فى ذلك أن هؤلاء إذا كانوا لا يقدرون على الإحياء الذى من قدر عليه قدر على أن ينعم بالنعم التى يستحق بها العباده فكيف يستحقون العباده قال الزجاج و من قرأ ينشرون بفتح الياء فمعناه لا يموتون أبدا و يقون أحياء أى لا يكون ذلك و أقول قد يجوز أن يكون ينشرون و ينشرون بمعنى يقال نشر الله الميت بمعنى أنشر ثم ذكر سبحانه الدلاله على توحيدده و أنه لا يجوز أن يكون معه إله سواه فقال «لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا» و معناه لو كان فى السماء و الأرض آلهه سوى الله لفسدتا و ما استقامتا و فسد من فيهما و لم ينتظم أمرهم و هذا هو دليل التمانع الذى بنى عليه المتكلمون مسأله التوحيد و تقرير ذلك أنه لو كان مع الله سبحانه إله آخر لكانا قديمين و القدم من أخص الصفات فالاشتراك فيه يوجب التماثل فيجب أن يكونا قادرين عالمين حيين و من حق كل قادرين أن يصح كون أحدهما مربدا لصد ما يريد الآخر من إمامته و إحياء أو تحريك و تسكين أو إفقار و إغناء و نحو ذلك فإذا فرضنا ذلك فلا يخلو إما أن يحصل مرادهما و ذلك محال و إما أن لا- يحصل مرادهما فينتقض كونهما قادرين و إما أن يقع مراد أحدهما و لا يقع مراد الآخر فينتقض كون من لم يقع مراده من غير وجه منع معقول قادرا فإذا لا- يجوز أن يكون الإله إلا واحدا و لو قيل إنهما لا يتمانعان لأن ما يريد أحدهما يكون حكمه فيريده الآخر بعينه و الجواب أن كلامنا فى صحه التمانع لا فى وقوع التمانع و صحه التمانع يكفى فى الدلاله لأنه يدل على أنه لا بد من أن يكون أحدهما متناهى المقدور فلا يجوز أن يكون إلهها ثم نزه سبحانه نفسه عن أن يكون معه إله فقال «فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ» و إنما خص العرش لأنه أعظم المخلوقات و من قدر على أعظم المخلوقات كان قادرا على ما دونه «لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُونَ» معناه أن جميع أفعاله حكمه و صواب و لا يقال للحكيم لم فعلت الصواب و هم يسألون لأنهم يفعلون الحق و الباطل و قيل معناه أنه لا يسأل عن ادعاء الربوبية و هم مسئولون إذا ادعوا و يدل على هذا التأويل النظم و السياق و قيل معناه لا يحاسب على أفعاله و هم يحاسبون على أفعالهم و قيل معناه أنه لا يسأله الملائكه و المسيح

عن فعله و هو يسألهم و يجازيهم فلو كانوا آله لم يسألوا عن أفعالهم «أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً» و هذا استفهام إنكار و تويخ أيضا «قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ» أى قل لهم يا محمد هاتوا حججكم على صحة ما فعلتموه لأنهم لا يقدرون على ذلك أبدا و فى هذا دلالة على فساد التقليد لأنه طالبهم بالحجة على صحة قولهم و البرهان هو الدليل المؤدى إلى العلم «هذا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَ ذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي» أى و قل لهم يا محمد هذا القرآن ذكر من معى بما يلزمهم من الأحكام و ذكر من قبلى من الأمم ممن نجا بالإيمان أو هلك بالكفر عن قتاده و قيل هذا ذكر من معى بالحق فى إخلاص الإلهية و التوحيد فى القرآن و على هذا ذكر من قبلى فى التوراه و الإنجيل عن الجبائى. قال لأن القرآن ذكر أتاه الله و من معه و التوراه و الإنجيل ذكر تلك الأمم و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) يعنى بذكر من معى من معه و ما هو كائن و بذكر من قبلى ما قد كان

و قيل إن معناه فى القرآن خبر من معى على دينى ممن يتبعنى إلى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة و العقاب على المعصية و ذكر ما أنزل الله من الكتب قبلى فانظروا هل فى واحد من الكتب أن الله أمر باتخاذ إله سواه فبطل بهذا البيان جواز اتخاذ معبود سواه من حيث الأمر به و قال الزجاج قل لهم هاتوا برهانكم بأن رسولا من الرسل أتى أمته بأن لهم إله غير الله فهل فى ذكر من معى و ذكر من قبلى إلا توحيد الله و يدل على صحة هذا قوله فيما بعد «وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ» فلما توجهت الحجة عليهم ذمهم سبحانه على جهلهم بمواضع الحق فقال «بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ» عن التأمل و التفكير و اختص الأَكْثَرُ منهم لأن فيهم من آمن «وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ» يا محمد «مِنْ رَسُولٍ» أى رسولا- و من زيده «إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ» نحن أو يوحى إليه أى يوحى الله إليه ب «أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا» أى لا- معبود على الحقيقة «إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ» أى فوجهوا العبادة إلى دون غيرى «وَ قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا» يعنى من الملائكة «سُبْحَانَهُ» نزه نفسه عن ذلك لأن اتخاذ الولد لا يخلو أما أن يكون على سبيل التوالد أو على سبيل التبنى و كلاهما لا يجوز عليه لأن الأول يقتضى أن يكون من قبيل الأجسام و الثانى و هو التبنى يكون بأن يقيم غير ولده مقام ولده و إذا كان حقيقه الولد مستحيلا منه فالمشبه به كذلك و ليس ذلك كالحله لأنه من الاختصاص و حقيقته جائزه عليه «بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ» أى ليسوا أولاد الله كما يزعمون بل هم عباد مكرمون أكرمهم الله و اصطفاهم «لَا يَسْتَبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ» أى لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به ربهم فكل أقوالهم طاعه لربهم و ناهيك بذلك جلاله قدرهم «وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ» و من كان بهذه الصفة لا يوصف بأنه ولده «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ» أى ما قدموا من أعمالهم و ما أخرجوا منها يعنى ما عملوا و ما هم عاملون «وَ لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ

ارْتَضَى» الله دينه و قال مجاهد إلا لمن رضى الله عنه و قيل إنهم أهل شهادته أن لا إله إلا الله عن ابن عباس و قيل هم المؤمنون المستحقون للثواب و حقيقته أنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله أن يشفع فيه فيكون فى معنى قوله مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ «وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ» أى من خشيتهم منه فأضيف المصدر إلى المفعول «مُشْفِقُونَ» خائفون و جلون من التقصير فى عبادته «و مَنْ يَقْبَلُ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهُ مِنْ دُونِهِ» أى من يقبل من هؤلاء الملائكة إني إله تحق لى العباده من دون الله «فَمَذَلِكُ» أى فذلك القائل «نَعْجِزِيهِ جَهَنَّمَ» يعنى إن حالهم مثل حال سائر العبيد فى استحقاق الوعيد و قيل إنه عنى به إبليس لأنه الذى دعا الناس إلى عبادته عن ابن جريج و قتاده و قيل إن هذا لا يصح لأن الله سبحانه علق الوعيد بالشرط و لأن إبليس ليس من الملائكة عند الأكثرين «كَذَلِكَ نَعْجِزِي الظَّالِمِينَ» يعنى المشركين الذين يصفون الله بما لا يليق به و فى هذه الآية دلالة على أن الملائكة ليسوا مطبوعين على الطاعات على ما قاله بعضهم و أنهم مكلفون «أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا» استفهام يراد به التقرير و المعنى أ و لم يعلموا أنه سبحانه الذى يفعل هذه الأشياء و لا يقدر عليها غيره فهو الإله المستحق للعباده دون غيره «أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا» تقديره كانتا ذواتى رتق فجعلناهما ذواتى فتق و المعنى كانتا ملتزقتين منسدتين ففصلنا بينهما بالهواء عن ابن عباس و الحسن و الضحاك و عطاء و قتاده و قيل كانت السماوات مرتتقه مطبقة ففتقناها سبع سماوات و كانت الأرض كذلك ففتقناها سبع أرضين عن مجاهد و السدى و

قيل كانت السماء رتقا لا تمطر و كانت الأرض رتقا لا تنبت ففتقنا السماء بالمطر و الأرض بالنبات عن عكرمه و عطيه و ابن زيد و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام)

«وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا» أى و أحينا بالماء الذى نزله من السماء كل شىء حى و قيل و خلقنا من النطفه كل مخلوق حى عن أبى العالبيه و الأول أصح

و روى العياشى بإسناده عن الحسن بن علوان قال سئل أبو عبد الله (عليه السلام) عن طعم الماء فقال له سل تفقها و لا تسأل تعتنا طعم الماء طعم الحياه قال الله سبحانه «وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا»

و قيل معناه و جعلنا من الماء حياه كل ذى روح و نماء كل نام فيدخل فيه الحيوان و النبات و الأشجار عن أبى مسلم «أَفَلَا يُؤْمِنُونَ» أى أفلا يصدقون بالقرآن و بما يشاهدون من الدليل و البرهان.

النظم

وجه اتصال الآيه الأولى بما قبلها أنه سبحانه قال فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ هل أرسلنا قبلك إلا رجالا و هل اتخذوا آلهه من الأرض أى من الحجر و المدر و الخشب فإن كله من الأرض عن أبى مسلم و قيل إنه يتصل بقوله «لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا» و المعنى أنهم أضافوا إليه الولد و أضافوا إليه الشريك و وجه اتصال قوله «لَا يُسْئَلُ عَمَّا يُفْعَلُ» بما قبله أنه لما بين

التوحيد عطف عليه بيان العدل وقيل إنه يتصل بقوله اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ و الحساب هو السؤال عما أنعم الله عليهم به و هل قابلوا نعمه بالشكر أم قابلوها بالكفر عن أبي مسلم و وجه اتصال قوله «هذا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَ ذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي» بما قبله أن ما قدمنا ذكره من التوحيد و العدل مذكور في القرآن و في الكتب السالفه.

[سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٣١ الى ٣٥]

اشاره

وَ جَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَ جَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١) وَ جَعَلْنَا السَّمَاءَ سَافًا مَحْفُوظًا وَ هُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (٣٢) وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٣٣) وَ مَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَ نَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَ الْحَيْرِ فَتَنَةً وَ إِنَّا تُرْجِعُونَ (٣٥)

اللغه

الرواسى الجبال رست ترسو رسوا إذا ثبتت بثقلها فهي راسيه كما ترسو السفينه إذا وقفت متمكنه فى وقوفها و اليمد الاضطراب بالذهاب فى الجهات و الفج الطريق الواسع بين الجبلين و الفلك أصله كل شىء دائر و منه فلكه المغزل و يقال فلك ثدى المرأه تفلিকা إذا استدار و السباحه و العوم و السبح و الجرى بمعنى.

الإعراب

«أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ» فى موضع نصب بأنه مفعول له و تقديره كراهه أن تميد بكم أو حذار أن تميد و من قال أن لا هنا مضمرة و التقدير لأن لا تميد فلا وجه لقوله و «سُبُلًا» بدل من فجاج لأن الفج هو السبيل «كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ» جملة اسميه فى موضع الحال و فى يتعلق بيسبحون «أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ» شرط و جزاء دخلت الفاء فى الشرط و فى الجزاء و قوله «فِتْنَةً» مفعول له و المعنى للفتنه و يجوز أن يكون مصدرا فى موضع الحال أى نبلوكم فاتنين و يجوز أن يكون منصوبا على المصدر لأن البلاء بمعنى الفتنة.

المعنى

ثم بين سبحانه كمال قدرته و شمول نعمته بأن قال «وَ جَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ» أى جبالا ثوابت تمنع الأرض من الحركة و الاضطراب «أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ» أى تتحرك

و تميل و تضطرب بهم و قيل لتستقر عن قتاده «وَجَعَلْنَا فِيهَا» أى فى الرواسى «فِجَاجًا» أى طرقا واسعه بينها لو لا ذلك لما أمكن أن يهتدوا إلى مقاصدهم فى الأسفار ثم بين الفجاج فقال «سُبُيْلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ» بها إلى طريق بلادهم و مواطنهم و قيل ليهتدوا بالاعتبار بها إلى دينهم «وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سِدْقًا مَحْفُوظًا» أى رفعا السماء فوق الخلق كالسقف محفوظا من الشياطين بالشهب التى ترمى بها كما قال وَ حَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ عن الجبائى و قيل محفوظا من أن تسقط كما قال إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا آيَةً وَ قِيلَ مَحْفُوظًا مِنْ أَنْ يَطْمَعُ أَحَدٌ فِي أَنْ يَتَعَرَّضَ لَهَا بِنَقْضٍ أَوْ أَنْ يَحْلِقَهَا بَلَى أَوْ هَدَمَ عَلَى طَوْلِ الدَّهْرِ عَنِ الْحَسَنِ «وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا» أى عن الاستدلال بما فيها من دلائل الحدوث و الحاجة إلى المحدث «مُعْرِضُونَ» أى أعرضوا عن التفكير فيها «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ» أى يجرون و قيل يدورون و أراد الشمس و القمر و النجوم لأن قوله «اللَّيْلَ» يدل على النجوم و قال ابن عباس يسبحون بالخير و الشر بالشده و الرخاء و قيل معناه أنه سبحانه جعل لكل واحد منهما فلكا يدور فيه بسرعه كالسباحه و إنما قال «يَسْبَحُونَ» لأنه أضاف إليها فعل العقلاء كما قال وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ رَأْيُهُمْ لِي سَاجِدِينَ وَ قَالَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِي:

تمزرتها و الديك يدعو صياحه إذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا

ثم قال سبحانه «وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ» يا محمد «الْخُلْدَ» أى دوام البقاء فى الدنيا «أَفَإِنْ مِتَّ» أنت على ما يتوقعونه و ينتظرونه «فَهُمُ الْخَالِدُونَ» أى أفهم يخلدون بعدك يعنى مشركى مكه حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون فقال لئن مت فإنهم أيضا يموتون فأى فائده لهم فى تمنى موتك «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» أى لا بد لكل نفس حيه بحياء أن يدخل عليها الموت و تخرج عن كونها حيه «وَ نَبَلُّوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ» أى نعاملكم معاملة المختبر بالفقر و الغنى و بالضرء و السراء و بالشده و الرخاء عن ابن عباس و قيل بما تكرهون و ما تحبون ليظهر صبركم على ما تكرهون و شكركم فيما تحبون عن ابن زيد و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أن أمير المؤمنين (عليه السلام) مرض فعاده إخوانه فقالوا كيف تجدك يا أمير المؤمنين قال بشر قالوا ما هذا كلام مثلك قال إن الله تعالى يقول «وَ نَبَلُّوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً» فالخير الصحه و الغنى و الشر المرض و الفقر

و قال بعض الزهاد الشر غلبه الهوى على النفس و الخير العصمه عن المعاصى «فِتْنَةً» أى ابتلاء و اختبار أو شده تعبد «وَ إِيْنَا تُرْجَعُونَ» أى إلى حكمتنا تردون للجزاء بالأعمال حسننها و سيئها.

يتصل قوله «وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّ مَنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ» بما ذكر سبحانه من خلق الأشياء فإنه بين أنه لم يخلقها للخلود وإنما خلقها ليتوصل بها إلى نعيم الآخرة فلا بد لكل إنسان من الموت والرجوع إلى الجزاء عن القاضى.

[سورة الأنبياء (٢١): الآيات ٣٦ الى ٤٠]

إشاره

وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَمْ هَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٦) خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ (٣٧) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونُ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٣٩) بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَشْعُرُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٤٠)

اللغه

الهزء إظهار خلاف الإبطان لإيهام النقص عن فهم القصد يقال هزأ منه يهزأ هزواً فهو هازئ و مثله السخرية و يقول العرب ذكرت فلانا أى عبته قال عنتره

لا تذكرى مهرى و ما أطعمته فيكون جلدك مثل جلد الأجر

و العجله تقديم الشىء قبل وقته و هو مذموم و السرعه تقديم الشىء فى أقرب أوقاته و هو محمود و الاستعجال طلب الشىء قبل وقته الذى حقه أن يكون فيه دون غيره.

الإعراب

«وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا» العامل فى إذا اتخذوا و هو معنى قوله «إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا» لأن معناه اتخذوك هزوا و قوله «أَمْ هَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ» تقديره قائلين أ هذا الذى يذكر آلهتكم فحذف قائلين و هو فى موضع الحال كما حذف ذلك من قوله «وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ أَى قَائِلِينَ مَا نَعْبُدُهُمْ» و الباء فى قوله «بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ» يتعلق بقوله «كَافِرُونَ»

فقوله «حِينَ لَا يَكْفُونَ» يجوز أن يكون مفعولاً - به ل «يَعْلَمُ» و يجوز أن يكون ظرفاً له فيكون مفعول يعلم محذوفاً تقديره لو يعلمون الأمر حين لا - يكفون و جواب لو محذوف و تقديره لا ينتهوا «بِعْتَهُ» نصب على الحال من المفعول تقديره بل تأتيهم مبعوتين مفاجئين و يجوز أن يكون حالا من الفاعل و هو الضمير المستكن في تأتي و التقدير بل تأتيهم باغته مفاجئه.

المعنى

ثم خاطب نبيه ص و قال «وَ إِذَا رَأَىكَ» أى إذا رأى يا محمد «الَّذِينَ كَفَرُوا» و أنت تعيب آلهم و تدعوهم إلى التوحيد «إِنْ يَتَّخِذُونَكَ» أى ما يتخذونك «إِلَّا هُزُؤًا» أى سخرية يقول بعضهم لبعض «أَهَذَا الَّذِي يَذُكُرُ آلَهُتِكُمْ» أى يعيب آلهم و ذلك قوله إنها جماد لا ينفع و لا يضر «وَ هُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ» أى بتوحيده و قيل بكتابه المنزل «هُمْ كَافِرُونَ» أى جاحدون عجب الله سبحانه نبيه ص منهم حيث جحدوا الحى المنعم القادر العالم الخالق الرازق و اتخذوا ما لا ينفع و لا يضر ثم إن من دعاهم إلى تركها اتخذوه و هم أحق بالهزء عند من يدبر حالهم «خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ» قيل فيه قولان (أحدهما) أن المعنى بالإنسان آدم ثم إنه قيل فى عجل ثلاث تأويلات منها أنه خلق بعد خلق كل شىء آخر نهار يوم الجمعة و هو آخر أيام السنه على سرعه معاجلا به غروب الشمس عن مجاهد و منها أن معناه فى سرعه من خلقه لأنه لم يخلقه من نطفه ثم من علقه ثم من مضغه كما خلق غيره و إنما أنشأه إنشاء فكأنه سبحانه نبه بذلك على الآيه العجيبه فى خلقه و منها أن آدم (عليه السلام) لما خلق و جعلت الروح فى أكثر جسده و ثب عجلا مبادرا إلى ثمار الجنة و قيل

هم بالوثوب فهذا معنى قوله «مِنْ عَجَلٍ» عن ابن عباس و السدى و روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و القول الثانى أن المعنى بالإنسان الناس كلهم ثم اختلف فى معناه على وجوه (أحدها) أن معناه خلق الإنسان عجولا أى خلق على حب العجله فى أمره عن قتاده و أبى مسلم و الجبائى قال يعنى أنه يستعجل فى كل شىء يشتهي و للعرب عادته فى استعمالهم هذا اللفظ عند المبالغه يقولون لمن يصفونه بكثرة النوم ما خلق إلا من نوم و بكثرة وقوع الشر منه ما خلق إلا من شر و منه قول الخنساء فى وصف البقره

"فإنما هى إقبال و إدبار"

(و ثانيها) أنه من المقلوب و المعنى خلقت العجله من الإنسان عن أبى عبيده و قطرب و هذا ضعيف لأنه مع حمل كلامه تعالى على القلب يحتاج إلى تأويل فلا فائده فى القلب (و ثالثها) أن العجل هو الطين عن أبى عبيده و جماعه و استشهدوا بقول الشاعر

و النبع ينبت بين الصخر ضاحيه و النخل تنبت بين الماء و العجل

و رواه ثعلب

"و النبع فى الصخره الصماء منبته"

فعلى هذا يكون كقوله وَ بَدَأَ خَلْقَ

الإنسان من طين (و رابعها) أن معناه خلق الإنسان من تعجيل من الأمر لأنه تعالى قال إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ عن أبي الحسن الأخفش «سَأْرِيكُمْ آيَاتِي» الداله على وحدانيتي و على صدق محمد ص فيما يوعدكم به من العذاب «فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ» في حلول العذاب بكم فإنه سيدر ككم عن قريب قال ابن عباس في روايه عطاء يريد به النضر ابن الحرث و هو الذى قال «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ» الآية و يريد بقوله «سَأْرِيكُمْ آيَاتِي» القتل يوم بدر «وَيَقُولُونَ» يعنى و يقول المشركون للمسلمين «مَتَى هَذَا الْوَعْدُ» الذى تعدونا يريدون وعد القيامة «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» أى و يقولون إن كنتم صادقين فى هذا الوعد فمتى يكون ذلك ثم قال سبحانه «لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونَ عَنْ وُجُوهِهمُ النَّارَ» أى لو علموا الوقت الذى لا يدفعون فيه عذاب النار عن وجوههم «وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ» يعنى أن النار تحيط بهم من جميع جوانبهم «وَلَا هُمْ يُنصِرُونَ» و جواب لو محذوف و تقديره لعلموا صدق ما وعدوا به و لما استعجلوا و لا قالوا متى هذا الوعد ثم قال «بَلْ تَأْتِيهِمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً» أى فجاءه «فَتَبْهَتُهُمْ» أى فتحيرهم «فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا» أى فلا يقدرّون على دفعها «وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ» أى لا يؤخرون إلى وقت آخر و لا يمهلون لتوبه أو معذره.

إشاره

وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكُمْ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٤١) قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ (٤٣) بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْمَارِضَ نَنْقُضُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ (٤٤) قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ (٤٥)

القراءة

قرأ ابن عامر ولا تسمع بضم التاء الصم بالنصب و الباقون «وَلَا يَسْمَعُ» بفتح الياء «الصُّمُّ» بالرفع.

الحجّه

الوجه في قراءة ابن عامر أنه وجه الخطاب إلى النبي ص فكانه قال ولا تسمع أنت يا محمد الصم كما قال وما أنت بمُسمعٍ من في القبور لأن الله تعالى لما خاطبهم فلم يلتفتوا إلى ما دعاهم إليه صاروا بمنزلة الميت الذي لا يسمع ولا يعقل ووجه قراءة الباقي أنه جعل الفعل لهم ويقويه قوله «إِذَا مَا يُنذَرُونَ».

اللغة

الكلاءه الحفظ قال ابن هرمه:

إن سلمي والله يكلؤها ضنت بشيء ما كان يرزؤها

والفرق بين السخريه و الهزه إن في السخريه معنى طلب الذله لأن التسخير التذليل فأما الهزه فيقتضى طلب صغر القدر بما يظهر في القول.

الإعراب

«أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ» أم هذه هي المنقطعه و تقديره بل لهم آلهه و «لَا يَسْتَطِيعُونَ» جمله مستأنفه لأنها لا تستقيم أن تكون صفة لآلهه و لا حالا عنها لأن الله وصفها بقوله «تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا» على زعمهم و لا يستطيعون ضد هذه الصفة.

المعنى

لما تقدم ذكر استهزاء الكفار بالنبي و المؤمنين سلى الله سبحانه نبيه ص عند ذلك بقوله «وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكُمْ» كما

استهزأ هؤلاء «فحاق بالذين سخرُوا مِنْهُمْ ما كانوا بِهِ يَسْتَهْزِؤْنَ» أى حل بهم وبال استهزائهم و سخريتهم و قوله «مِنْهُمْ» يعنى من الرسل قل يا محمد لهؤلاء الكفار «مَنْ يَكْلُؤْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ» أى يحفظكم من بأس الرحمن و عذابه و قيل من عوارض الآفات و هو استفهام معناه النفى تقديره لا- حافظ لكم من الرحمن «بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ» أى بل هم عن كتاب ربهم معرضون لا- يؤمنون به و لا يتفكرون فيه و قيل معناه إنهم لا يلتفتون إلى شىء من المواعظ و الحجج ثم قال على وجه التوبيخ لهم و التقرير «أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا» تقديره أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم من عذابنا و عقوباتنا و تم الكلام ثم وصف آلهتهم بالضعف فقال «لَا يَسْتَيْطِعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ» فكيف ينصروهم و قيل معناه إن الكفار لا يستطيعون نصر أنفسهم و لا يقدرّون على دفع ما ينزل بهم عن

نفوسهم «وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ» أى ولا الكفار يجارون من عذابنا عن ابن عباس قال ابن قتيبة أى لا يجيرهم منا أحد لأن المجير صاحب الجار يقول العرب صحبك الله أى حفظك الله وأجارك وقيل يصحبون أى ينصرون ويحفظون عن مجاهد وقيل لا يصحبون من الله بخير عن قتاده «بَيْلٌ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ» فى الدنيا بنعمها فلم نعاجلهم بالعقوبه «حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ» أى طالت أعمارهم فغرهم طول العمر وأسباب الدنيا حتى أتوا ما أتوا «أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا» أى ألم ير هؤلاء الكفار أن الأرض نأتيها أمرنا فننقصها بتخريبها وموت أهلها و

قيل بموت العلماء و روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام)

قال نقصانها ذهاب عالمها وقيل معناه ننقصها من أطرافها بظهور النبى على من قاتله أرضا فأرضا و قوما فقوما فيأخذهم قراهم و أرضيهم عن الحسن و قتاده و معناه أنا ننقصها من جانب المشركين و زيدها فى جانب المسلمين «أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ» أى أ فهؤلاء الغالبون أم نحن و معناه ليسوا بغالبيين و لكنهم المغلوبون و رسول الله الغالب و قد تقدم تفسير هذه الآيه فى سورة الرعد «قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ» أى قل يا محمد إنما أنذركم من عذاب الله و أخوفكم بما أوحى الله إلى «وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ» شبههم بالصم الذين لا يسمعون النداء إذا نودوا لأنهم لم ينتفعوا بالسمع و المعنى أنهم يستثقلون القرآن و سماعه و ذكر الحق فهم فى ذلك بمنزلة الأصم الذى لا يسمع «إِذَا مَا يُنذَرُونَ» أى يخوفون النظم إنما اتصل قوله «أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ» بقوله «وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ» و تقديره أفهم الخالدون أم لهم آلهه تمنع نفوسهم من الموت و مما ينزل الله بهم عن أبى مسلم و قيل اتصل بقوله «مَنْ يَكُلُّكُمْ» أى أم لهم آلهه تكلؤهم و تمنعهم و وجه اتصال قوله «قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ» بما قبله إنه اتصل بقوله «قُلْ مَنْ يَكُلُّكُمْ» و تقديره لو تفكروا لعلموا أنه لا عاصم من الله و إن فيما أنذركم به من القرآن أعظم الآيات و الحجج و قيل إنه اتصل بما تقدم من العظه بحال من مضى من الأمم و المعنى أن ذلك و جميع ما يعظمهم به من الوحي.

إشارة

وَ لَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٤٦) وَ نَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَ إِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَ كَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧) وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَ هَارُونَ الْفُرْقَانَ وَ ضِيَاءً وَ ذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ (٤٨) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَ هُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (٤٩) وَ هَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَ فَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (٥٠)

القراءة

قرأ أبو جعفر و نافع مثقال حبه بالرفع و فى لقمان مثله و الباقون بالنصب و قرأ آتينا بها بالمد ابن عباس و جعفر بن محمد و مجاهد و سعيد بن جبير و العلاء بن سيبه و الباقون «آتينا» بالقصر.

الحج

وجه النصب و إن كان الظلامه مثقال حبه و هذا أحسن لتقدم قوله «فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا» فإذا ذكر تظلم فكأنه ذكر الظلامه كقولهم من كذب كان شراله و وجه الرفع أنه أسند الفعل إلى مثقال كما أسند فى قوله «وَ إِنْ كَانَ ذُو عُسْرِهِ» أى ذا عسره و كذلك قول الشاعر

" إذا كان يوم ذو كواكب أشهباً "

و من قرأ آتينا فهو فاعلنا فهو من آتى يؤاتى مواتاه عن ابن جنى و

روى عن الصادق (عليه السلام) أنه قال معناه جازينا بها

و على هذا فيجوز أن يكون من أفعالنا و يكون مفعول آتينا محذوفا و تقديره آتيناها بها للجزاء.

اللغة

النفحة الوقعه اليسيره تقع بهم يقال نفح نفح نفحا و نفح الطيب ينفح فله نفحه طيبه و نفحت الدابه إذا رمت بحافرها فضربت به و نفحه بالسيف إذا تناوله من بعيد و أما حديث شريح أنه أبطل النفح من نفح الدابه فالمعنى أنه كان لا يلزم صاحبها شيئا و القسط العدل و هو مصدر يوصف به و التقدير و نضع الموازين ذوات القسط.

الإعراب

شيئا انتصب على أنه مفعول ثان لتظلم و يجوز أن يكون منصوبا على المصدر أى لا تظلم نفس ظلما و من رفع مثقال حبه فإن كان تكون تامه و من نصب فإن كان ناقصه و اسمها الضمير المستكن فيها العائد إلى شىء «وَ كَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ» قال الزجاج

انتصب قوله «حاسِبِينَ» على التمييز أو على الحال و دخلت الباء فى بنا لأنه خبر فى معنى الأمر و المعنى اكتفوا بالله حسييا و قد روى عن ابن عباس أنه قرأ ضياء بغير واو و يكون على هذا منصوبا على الحال من «الْفُرْقَانَ» و يجوز أن يكون مفعولا له و بالواو يكون عطفا على الفرقان و تكون الواو داخله على ضياء و إن كان صفة فى المعنى دون اللفظ كما تدخل على الصفة التى هى صفة لفظا قال سيويه إذا قلت مررت بزيد و صاحبك و زيد هو صاحبك جاز و لو قلته بالفاء لم يجز كما جاز بالواو لأن الفاء يقتضى التعقيب و تأخير الاسم عن المعطوف عليه

بخلاف الواو و «الَّذِينَ يَخْشَوْنَ» في محل جر لأنه صفة للمتقين و يجوز أن يكون في محل نصب أو رفع على المدح و «بِالْغَيْبِ» في محل نصب على الحال.

المعنى

لما تقدم الإنذار بالعذاب ذكر عقبيه «وَلَنْ مَسَّهُمْ نُفْحَةٌ» أى أصابهم طرف عن ابن عباس و قيل قليل عن ابن كيسان و قيل نصيب عن ابن جريج و قيل بعض ما يستحقونه من العقوبة عن أبى مسلم «مَنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ» أى يدعون بالويل و الثبور عند نزوله ثم قال سبحانه «وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقَسِيطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ» أى نضع الموازين ذوات القسط ليوم القيامة و قيل معناه نحضر الموازين التى لا جور فيها بل كلها عدل و قسط لأهل يوم القيامة أو فى يوم القيامة و قال قتاده معناه نضع العدل فى المجازاة بالحق لكل أحد على قدر استحقاقه فلا يبخس المئاب بعض ما يستحقه و لا يفعل بالمعاقب فوق ما يستحقه و قد سبق الكلام فى الميزان فى سورة الأعراف «فَلَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا» أى لا ينقص من إحسان محسن و لا يزداد فى إساءه مسىء «وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا» أى جئنا بها و المراد أحضرناها للمجازاة بها «وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ» أى عالمين حافظين و ذلك إن من حسب شيئا علمه و حفظه عن ابن عباس و قيل محصين و الحسب العد عن السدى «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَ هَارُونَ الْفُرْقَانَ» أى أعطيناهما التوراه يفرق بين الحق و الباطل عن مجاهد و قتاده و قيل البرهان الذى فرق به بين حق موسى و باطل فرعون و قيل هو فلق البحر «وَضِيَاءٌ» أى و آتيناها ضياء و هو من صفة التوراه أيضا مثل قوله «فِيهَا هُدًى وَ نُورٌ» و المعنى أنهم استضاءوا بها حتى اهدوا فى دينهم «وَ ذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ» يذكرونه و يعملون بما فيه و يتعظون بمواعظه ثم وصف المتقين فقال «الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ» أى فى حال الخلوه و الغيبه عن الناس و قيل فى سرايرهم من غير رياء «وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ» أى من القيامة و أهوالها «مُشْفِقُونَ» أى خائفون «وَ هَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ» أراد به القرآن أنه ذكر ثابت نافع دائم نفعه إلى يوم القيامة و قيل سماه مباركا لوفور فوائده من المواعظ و الزواجر و الأمثال الداعيه إلى مكارم الأخلاق و الأفعال لما وصف التوراه أتبعه ذكر القرآن الذى آتاه نبينا ص «أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ» استفهام على معنى التوبيخ أى فلما ذا تنكرونه و تجحدونه مع كونه معجزا.

النظم

وجه اتصال قصه موسى و هارون بما قبلها أنه لما تقدم ذكر الوحى بين عقبيه إن إنزال القرآن على نبيه ليس ببدع فقد أنزل على موسى و هارون التوراه و قيل اتصل بقوله «وَلَقَدْ اسْتَهْرَيْتُ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ» و المعنى أن هؤلاء كما أنهم استهزءوا بك مع أنا أنزلنا

إليك الكتاب فكذلك قد أنزلنا موسى و هارون الكتاب فكذبوهما و استهزءوا بهما.

[سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٥١ الى ٦٠]

إشارة

وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥)

قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جَذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) قَالُوا مَنْ فَعَلَٰ هَذَا بِالِهَيْتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠)

القراءة

قرأ الكسائي جذاذا بكسر الجيم و الباقون بضمها و في الشواذ قراءة ابن عباس و أبي السماك بفتح الجيم.

الحج

قال أبو حاتم فيه لغات جذاذا و جذاذا و أجودها الضم كالحطام و الرفات من جذذت الشيء إذا قطعتة قال النابغة:

تجذ السلوقي المضاعف نسجه و يوقدن بالصفاح نار الحباحب

ص: ٨٣

بنو المهلب جذ الله دابرههم أمسوا رمادا فلا أصل ولا طرف

. المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من قصه موسى و هارون بقصه إبراهيم (عليه السلام) فقال «وَلَقَدْ آتَيْنَا» أى أعطينا «إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ» يعنى الحجج التى توصله إلى الرشد من معرفه الله و توحيده و قيل معناه هداه أى هديناه صغيرا عن قتاده و مجاهد و قيل هو النبوه «مِنْ قَبْلِ» أى من قبل موسى و قيل من قبل محمد ص و القرآن و قيل من قبل بلوغه «وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ» أنه أهل لإيتاء الرشد و صالح للنبوه «إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ» حين رآهم يعبدون الأصنام «ما هذه التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ» و العامل فى إذ قوله «آتَيْنَا» أى آتينا رشده فى ذلك الوقت و التمثال اسم للشىء المصنوع مشبها بخلق من خلق الله و أصله من مثلت الشىء بالشىء إذا شبهته به و اسم ذلك الممثل تمثال و جمعه تماثيل و قيل إنهم جعلوها أمثله لعلمائهم الذين انقضوا و قيل إنهم جعلوها أمثله للأجسام العلويه و المعنى ما هذه الصور التى أنتم مقيمون على عبادتها و

روى العياشى بإسناده عن الأصبع بن نباته أن عليا (عليه السلام) مر بقوم يلعبون الشطرنج فقال ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون لقد عصيتم الله و رسوله

«قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ» فاقتدنا بهم اعترفوا بالتقليد إذ لم يجدوا حجه لعبادتهم إياها سوى اتباع الآباء «قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» أى فى ذهاب عن الحق ظاهر ذمهم على تقليد الآباء و نسبهم فى ذلك إلى الضلال «قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ» معناه أجاد أنت فيما تقول محق عند نفسك أم لاعب مازح و إنما قالوا ذلك لاستبعادهم إنكار عباده الأصنام عليهم إذ ألفوا ذلك و اعتادوه «قَالَ بَلْ رُبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ» أى بل إلهكم إله السماوات و الأرض الذى خلقهن و ابتدأهن فدل على الله سبحانه بصنعه «وَ أَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ» و معنى هذه الشهاده تحقيق الأخبار و الشاهد الدال على الشىء عن مشاهده إبراهيم (عليه السلام) شاهد بالحق لأنه دال عليه بما يرجع إلى ثقته المشاهده ثم أقسم إبراهيم (عليه السلام) فقال «وَ تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ» أى لأدبرن فى بابهم تدييرا خفيا يسؤكم ذلك و قيل إنما قال ذلك فى سر من قومه و لم يسمع ذلك إلا رجل منهم فأفشاه عن قتاده و مجاهد «بَعْدَ أَنْ تَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ» أى بعد أن تنطلقوا ذاهبين قالوا كان لهم فى كل سنه مجمع و عيد إذا رجعوا منه دخلوا على الأصنام و سجدوا لها فقالوا لإبراهيم (عليه السلام) ألا تخرج معنا فخرج فلما كان ببعض الطريق قال اشتكى رجلى و انصرف «فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا» أى فجعل أصنامهم قطعاً قطعاً عن

قتاده و قيل حطاما عن ابن عباس «إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ» تركه على حاله و يجوز أن يكون كبيرهم فى الخلقه و يجوز أن يكون أكبرهم عندهم فى التعظيم قالوا جعل يكسرهم بفأس فى يده حتى لم يبق إلا- الصنم الكبير علق الفأس فى عنقه و خرج «لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ» أى لعلمهم يرجعون إلى إبراهيم فيسألونه عن حال الأصنام لينبهم على جهلهم و قيل لعلمهم يرجعون إلى الكبير فيسألونه و هو لا- ينطق فيعلمون جهل من اتخذوه إلهها و فى الكلام هاهنا حذف تقديره فلما رجع قومه من عيدهم فوجدوا أصنامهم مكسره «قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَيْتَانِ إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ» من هذه الموصولة تقديره الذى فعل هذا بالهيتان فإنه ظالم لنفسه لأنه يقتل إذا علم به و قيل إنهم قالوا من فعل هذا استفهموا عن صنع ذلك و أنكروا عليه فعله بقولهم «إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ» إذ فعل ما لم يكن له أن يفعله «قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ» أى قال الرجل الذى سمع من إبراهيم قوله «لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ» للقوم ما سمعه منه فقالوا سمعنا فتى يذكرهم بسوء و قيل إنهم قالوا سمعنا فتى يعيب آلهتنا و يقول إنها لا تضر و لا تنفع و لا تبصر و لا تسمع فهو الذى كسرها و على القول الأول فإنما قالوا سمعنا فتى و إن لم يسمعه كما يقال سمعت الله يقول أو سمعت الرسول يقول إذا بلغك عنه رساله على لسان ثقة صدوق و قوله «يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ» ارتفع إبراهيم على وجهين (أحدهما) يقال له هو إبراهيم و المعروف به إبراهيم و على النداء أى يقال له يا إبراهيم عن الزجاج.

إشارة

قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ أَغْيَنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (٦٥)

قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أَفَ لَكُمْ وَ لِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَ أَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠)

اللغة

النكس هو أن يجعل أسفل الشيء أعلاه و منه النكس في العله و هو أن يرجع إلى أول حاله و منه النكس و هو السهم فوقه فيجعل أعلاه أسفله و يقال للمائق أيضا نكس تشبيها بذلك.

الإعراب

«عَلَىٰ أَغْيَنِ النَّاسِ» في موضع الحال أى مرثيا مشهودا «بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا» من وقف على فعله ففاعله مضمرة و تقديره فعله من فعله و «كَبِيرُهُمْ» مبتدأ و هذا خبره و من لم يقف على فعله فكبيرهم فاعله و هذا يكون صفة لكبيرهم أو بدلا عنه و جواب الشرط الذى هو قوله «إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ» محذوف يدل عليه قوله «بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَأَلُوهُمْ» على الوجه الثانى و يقتضى أن يكون للشرط جزاء ان على هذا و الجزاء الثانى معطوف على الأول التقدير إن كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم هذا فسألوهم و المعنى إن لم يقدروا على النطق لم يقدروا على الفعل.

المعنى

ثم ذكر سبحانه ما جرى بين إبراهيم و قومه فى أمر الأصنام بقوله «قَالُوا» يعنى قوم إبراهيم «فَأْتُوا بِهِ» أى فجيئوا به «عَلَىٰ أَغْيَنِ النَّاسِ» أى بحيث يراه الناس و يكون بمشهد منهم «لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ» عليه بما قاله فيكون ذلك حجة عليه بما فعل عن الحسن و قتاده و السدى قالوا كرهوا أن يأخذوه بغير بينه و قيل معناه لعلهم يشهدون عقابه و ما يصنع به أى يحضرونه عن ابن إسحاق و الضحاك «قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ» المعنى فلما جاءوا به قالوا له هذا القول مقرر له على ذلك فأجابهم إبراهيم (عليه السلام) بأن «قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ» اختلفوا فى معناه و تقديره على وجوه (أحدها) أنه مقيد بقوله «إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ» و التقدير فقد فعله كبيرهم إن نطقوا فسألوهم فقد علق الكلام بشرط لا يوجد فلا يكون كذبا و يكون كقول القائل فلان صادق فيما يقول إن لم يكن فوقنا سماء (و ثانيها) إنه خرج مخرج الخبر و ليس بخبر إنما هو إلزام يدل عليه الحال فكأنه قال ما ينكرون أن يكون فعله كبيرهم هذا و الإلزام يأتى تارة بلفظ السؤال و تارة بلفظ الأمر و تارة بلفظ الخبر و

ربما يكون أحد هذه الأمور أبلغ فيه ووجه الإلزام إن هذه الأصنام إن كانت آلهه كما تزعمون فإنما فعل ذلك بهم كبيرهم لأن
غير الإله لا يقدر أن يكسر الآلهه (و ثالثها) إن تقديره فعله من فعله على ما تقدم ذكره و هو قول

ص: ٨٦

الكسائي و أما ما ذكر فيه أنه أراد به الخبر عن الكبير و قال أنه غضب من أن يعبد معه الصغار فكسرهن و ما روى في ذلك من أن إبراهيم (عليه السلام) كذب ثلاث كذبات قوله إني سقيم و قوله «بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ» و قوله في ساره لما أراد الجبار أخذها و كانت زوجته أنها أختي فما لا يعول عليه فقد دلت الأدلة العقلية التي لا تحتمل التأويل على أن الأنبياء لا يجوز عليهم الكذب و إن لم يقصدوا به غرورا و لا ضررا كما لا يجوز عليهم التعمية في الأخبار و لا التقيه لأن ذلك يؤدي إلى التشكك في أخبارهم و كلام إبراهيم (عليه السلام) يجوز أن يكون من المعاريض فقد أبيض ذلك عند الضرورة و قد صح

عن النبي ص أنه قال إن الكذب لا يصلح في جد و لا هزل

و قد قيل في تفسير قوله إني سقيم إن معناه أني سأسقم لأنه لما نظر إلى بعض علم النجوم وقت نوبه حمى كانت تأتيه فقال إني سأسقم و قيل معناه إني سقيم عندكم فيما أدعوكم إليه و سنذكر الكلام فيه في موضعه و أما قوله في ساره أنها أختي فإنما أراد في الدين قال سبحانه إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ و قد دل الدليل العقلي على أن الكذب قبيح لكونه كذبا فلا يحسن على وجه من الوجوه «فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ» معناه فرجع بعضهم إلى بعض و قال بعضهم لبعض أنتم الظالمون حيث تعبدون ما لا يقدر على الدفع عن نفسه و ما نرى الأمر إلا كما قال و قيل معناه فرجعوا إلى عقولهم و تدبروا في ذلك إذ علموا صدق إبراهيم فيما قاله و حاروا عن جوابه فأنطقهم الله بالحق فقالوا إنكم أنتم الظالمون هذا الرجل في سؤاله و هذه آلهتكم حاضره فاسألوها «ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُؤُسِهِمْ» إذ تحيروا و علموا أنها لا تنطق ثم اعترفوا بما هو حجه عليهم فقالوا «لَقَدْ عَلِمْتُمْ يَا إِبْرَاهِيمَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ» فكيف نسألهم فأجابهم إبراهيم بعد اعترافهم بالحجه «قَالَ أَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَ لَا يَضُرُّكُمْ» أي أفتوجهون عبادتكم إلى الأصنام التي لا تنفعكم شيئا إن عبدتموها و لا تضركم إن تركتموها لأنها لو قدرت على نفعكم و ضرركم لدفعت عن أنفسها من دون الله سبحانه الذي يقدر على ضرركم و نفعكم على أنه ليس كل من قدر على الضرر و النفع استحق العبادة و إنما يستحقها من قدر على أصول النعم التي هي الحياه و الشهوه و القدره و كمال العقل و قدر على الثواب و العقاب ثم قال إبراهيم (عليه السلام) مهجنا لأفعالهم مستقدرا لها «أَفْ لَكُمْ وَ لِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ» قال الزجاج معنى أف لكم تبا لأعمالكم و أفعالكم و قد ذكرنا اختلاف القراء فيه و ما قيل في تفسيره في سورة بنى إسرائيل «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» أي أفلا تتفكرون بعقولكم في أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة «قَالُوا حَرِّقُوهُ» و المعنى فلما سمعوا منه هذا القول قال بعضهم لبعض حرقوه بالنار «وَ انصُرُوا آلِهَتَكُمْ» أي و ادفعوا عنها

و عظموها «إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ» أى إن كنتم ناصريها و المعنى فلا تنصرونها إلا بتحريقه بالنار قال ابن عمر و مجاهد إن الذى أشار بتحريق إبراهيم بالنار رجل من أكراد فارس فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة و قال وهب إنما قاله نمرود و فى الكلام حذف قال السدى فجمعوا الحطب حتى أن الرجل منهم ليمرض فيوصى بكذا و كذا من ماله فيشتري به حطب و حتى أن المرأه لتغزل فتشتري به حطبا حتى بلغوا من ذلك ما أرادوا فلما أرادوا أن يلقوا إبراهيم فى النار لم يدروا كيف يلقونه فجاء إبليس فدلهم على المنجنيق و هو أول منجنيق صنعت فوضعه فيها ثم رموه «قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَ سَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ» معناه فلما جمعوا الحطب و ألقوه فى النار قلنا للنار ذلك و هذا مثل فإن النار جماد لا يصح خطابه و المراد أنا جعلنا النار بردا عليه و سلامه لا يصيبه من أذاها شىء كما قال سبحانه و تعالى كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ و المعنى أنه صيرهم كذلك لا أنه خاطبهم و أمرهم بذلك و قيل يجوز أن يتكلم الله سبحانه بذلك و يكون ذلك صلاحا للملائكة و لطفًا لهم و ذكر فى كون النار بردا على إبراهيم وجوه (أحدها) إن الله سبحانه أحدث فيها بردا بدلا من شدة الحرارة التى فيها فلم تؤذ (و ثانيها) إن الله سبحانه حال بينها و بينه فلم تصل إليه (و ثالثها) إن الإحراق إنما يحصل بالاعتمادات التى فى النار صعدا فيجوز أن يذهب سبحانه تلك الاعتمادات و على الجملة فقد علمنا إن الله سبحانه منع النار من إحراقه و هو أعلم بتفاصيله قال أبو العالیه لو لم يقل سبحانه «وَ سَلَامًا» لكانت تؤذيه من شدة بردها و لكان بردها أشد عليه من حرها فصارت سلاما عليه و لو لم يقل «عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ» لكان بردها باقيا على الأبد و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) لما أجلس إبراهيم فى المنجنيق و أرادوا أن يرموا به فى النار أتاه جبرائيل (عليه السلام) فقال السلام عليك يا إبراهيم و رحمه الله و بركاته أ لك حاجه فقال أما إليك فلا فلما طرحوه دعا الله فقال يا الله يا واحد يا أحد يا صمد يا من لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد فحسرت النار عنه و أنه لمحتب و معه جبرائيل (عليه السلام) و هما يتحدثان فى روضه خضراء

و

روى الواحدى بالإسناد مرفوعا إلى أنس بن مالك عن النبى ص قال إن نمرود الجبار لما ألقى إبراهيم (عليه السلام) فى النار نزل إليه جبرائيل (عليه السلام) بقميص من الجنة و طنفسة من الجنة فألبسه القميص و أقعده على الطنفسة و قعد معه يحدثه

تمام الخبر و قال كعب ما أحرقت النار من إبراهيم (عليه السلام) غير وثاقه و قيل إن إبراهيم (عليه السلام) ألقى فى النار و هو ابن ست عشره سنه «وَ أَرَادُوا بِهِ كَيْدًا» معناه إن الكفار أرادوا بإبراهيم (عليه السلام) كيدا أى شرا و تدبيرا فى إهلاكه «فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ» قال ابن عباس هو أن سلط الله على نمرود و خيله البعوض حتى

أخذت لحومهم و شربت دماءهم و وقعت واحده فى دماغه حتى أهلكته و المعنى أنهم كادوه أرادوا أن يكيده بسوء فانقلب عليهم ذلك.

[سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٧١ الى ٧٥]

إشارة

وَ نَجَّيْنَاهُ وَ لُوطًا إِلَى الْمَأْرُضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (٧١) وَ هَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ نَافِلَةً وَ كَلَّا- جَعَلْنَا صَالِحِينَ (٧٢) وَ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَ إِقَامَ الصَّلَاةِ وَ إِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَ كَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (٧٣) وَ لُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَ عِلْمًا وَ نَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسْتَقِيمَنَ (٧٤) وَ أَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥)

اللغة

النافله العطييه الخاصه و النفل الذى يجر الحمد فيما زاد على حد الواجب و منها النافله للصلاه و هى الفضل على الفرائض و قيل النافله الغنيمه قال

" لله نافلة الأعز الأفضل "

الإعراب

«نافله» نصب على الحال من «يَعْقُوبَ» و قيل أنه نصب على المصدر من «وَهَبْنَا» و تقديره وهبنا له هبه و «يَهْتَدُونَ» صفة لائمه و مفعولاه محذوفان تقديره يهدون الناس الطريق و حذف التاء من إقامه لأن الإضافة عوض عنها و لا يجوز ذلك فى غير الإضافة لا- يقال أقام إقاما كما يقال إقامه و «لُوطًا» منصوب بفعل مضممر يفسره هذا الظاهر تقديره و آتينا لوطا آتيناه إلا أنه إذا ذكر المحذوف لم يذكر الموجود و نصب فى لوطا أحسن لتكون الجملة فعليه معطوفه على جملة فعليه و «فَاسْتَقِيمَنَ» يجوز أن يكون منصوبا بكونه صفة ل «قَوْمَ سَوْءٍ» و يجوز أن يكون خبر لكان و يكون خبرا بعد خبر.

المعنى

ثم بين سبحانه تمام نعمته على إبراهيم (عليه السلام) فقال «وَ نَجَّيْنَاهُ» أى من

نمرود و كيده و المعنى و رفعناه «وَلُوطًا» من الهلكه و هو ابن أخى إبراهيم فآمن به «إِلَى الْمَأْرُضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ»
اختلف فيها فقيل هي أرض الشام أى نجينا من كوثى إلى الشام عن قتاده قال و إنما قال «بَارَكْنَا فِيهَا» لأنها بلاد خصب و قيل
إلى أرض بيت المقدس لأن بها مقام الأنبياء عن الجبائى و قيل نجاهما إلى مكه كما قال إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِيَكَّةَ
مُبَارَكًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ «وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ» أى وهبنا لإبراهيم إسحاق حين سأل الولد فقال رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ «وَيَعْقُوبَ
نَافِلَةً» قال ابن عباس و قتاده نافله راجع إلى يعقوب فإنه زاده من غير دعاء فهو نافله و قيل إنه راجع إلى إسحاق و يعقوب جميعا
لأنه أعطاهما إياه من غير جزاء و لا استحقاق عن مجاهد «وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ» أى و جعلنا إبراهيم و إسحاق و يعقوب صالحين
للنبوه و الرساله و قيل معناه حكمنا بكونهم صالحين و هو غايه ما يوصف به من الثناء الجميل «وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً» يقتدى بهم فى
أفعالهم و أقوالهم «يَهْتَدُونَ» الخلق إلى طريق الحق و إلى الدين المستقيم «بِأْمْرِنَا» فمن اهتدى بهم فى أقوالهم و أفعالهم فالنعمه لنا
عليه «وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ» قال ابن عباس شرائع النبوه «وَأَقَامَ الصَّلَاةَ» أى إقامه الصلاه «وَأَيَّاتِ الزَّكَاةِ» أى إعطاء الزكاه
«وَوَكَّلْنَا لَنَا عَابِدِينَ» أى مخلصين فى العباده «وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا» و معناه و أعطينا لوطا حكمه و علما و قيل الحكم النبوه
و قيل هو الفصل بين الخصوم بالحق أى جعلناه حاكما و علمنا ما يحتاج إلى العلم به «وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ
الْخَبَائِثَ» و هى قريه سدوم على ما روى و الخبائث التى كانوا يعملونها هى أنهم كانوا يأتون الذكران فى أدبارهم و يتضارطون
فى أنديتهم و قيل هى ما حكى الله تعالى إنكم لتأتون الرجال و تقطعون السبيل و تأتون فى نادىكم المنكر و غير ذلك من
القبائح و أراد بالقريه أهلها ثم ذمهم فقال «إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا فَاسِيْقِينَ» أى خارجين عن طاعه الله تعالى «وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا»
أى فى نعمتنا و سنتنا «إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ» أى بسبب أنه من الصالحين الذين أصلحوا أفعالهم فعملوا بما هو الحسن منها دون
القبيح و قيل أراد بكونه من الصالحين أنه من الأنبياء.

إشارة

وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَنَصْرَنَا مِنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٧٧) وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (٧٩) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ (٨٠)

القراءة

قرأ أبو جعفر وابن عامر و حفص عن عاصم و روح و زيد عن يعقوب «لِتُحْصِنَكُمْ» بالتاء وقرأ أبو بكر عن عاصم و رويس عن يعقوب لنحصنكم بالنون و الباقر لنحصنكم بالياء.

الحج

من قرأ بالياء فيجوز أن يكون الفاعل اسم الله لتقدم قوله «عَلَّمْنَاهُ» و يجوز أن يكون اللباس لأن اللبوس بمعنى اللباس و يجوز أن يكون داود و من قرأ بالتاء حملة على المعنى لأنه الدرع مؤنث و من قرأ بالنون فلتقدم قوله علمناه.

اللغة

النفش بفتح الفاء و سكونها أن تنتشر الإبل و الغنم بالليل فترعى بلا راع و إبل نفاش و اللبوس اسم للسلاح كله عند العرب درعا أو جوشنا أو سيفاً أو رمحا قال الهذلي يصف رمحا:

و معى لبوس للبيس كأنه روق بجبهه ذى نعاج مجفل

وقيل هو كل ما يلبس من ثياب و درع و قيل هو الدرع و أصل اللباس من الاختلاط و منه سميت المرأة لباسا و سمي الليل لباسا لأنه يباشر الناس بظلمته و الإحصان الإحراز و أصله من المنع.

الإعراب

و نوحا معطوف على قوله «إِذْ نَفَسَتْ» ظرف لقوله «يَحْكُمَانِ» و قوله «وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ» يجوز أن يكون فى موضع الجر بالعطف على «يَحْكُمَانِ» أى وقت حكمهما فى الحرث و كوننا شاهدين له و يجوز أن يكون فى موضع نصب على الحال و كلا

منصوب لأنه مفعول أول لآتيناً و «حُكماً» مفعول ثان له «يُسَيَّبُحْنَ» في موضع نصب على الحال من الجبال «وَ الطَّيْرُ» عطف على الجبال و يجوز أن يكون مفعولاً معه و تقديره يسبحن مع الطير فيكون الواو بمعنى مع.

المعنى

ثم عطف سبحانه قصة نوح و داود على قصة إبراهيم (عليه السلام) و لوط فقال «و نُوحًا إِذْ نَادَى» أى دعا ربه فقال رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا و قال أَنَّى مَعْلُوبٌ فَانْتَصِرَ و غير ذلك «مِنْ قَبْلِ» أى من قبل إبراهيم و لوط «فَأَسِيَّبْنَا لَهُ» أى أجنبناه إلى ما التمسه «فَنَجَّيْنَاهُ وَ أَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ» أى من الغم الذى يصل حره إلى القلب و هو ما كان يلقاه من الأذى طول تلك المدة و تحمل الاستخفاف من السقاط من أعظم الكرب «وَ نَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا» أى منعناه منهم بالنصره حتى لم يصلوا إليه بسوء و قيل معناه نصرناه على القوم و من بمعنى على عن أبى عبيده «إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ» صغارهم و كبارهم و ذكورهم و إناثهم «وَ دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ» أى و آتيناً داود و سليمان حكما و علما إذ يحكمان و قيل تقديره و اذكر داود و سليمان حين يحكمان فى الحرث فى الوقت الذى نفست فيه غنم القوم أى تفرقت ليلا «وَ كُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ» أى بحكمهم عالمين لم يغب عنا منه شىء و إنما جمع فى موضع التشبيه لإضافه الحكم إلى الحاكم و إلى المحكوم لهم و قيل لأن الاثنين جمع فهو مثل قوله «فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ» و هو يريد أخوين و اختلف فى الحكم الذى حكما به فقيل أنه زرع وقعت فيه الغنم ليلا فأكلته عن قتاده

و قيل كان كرما و قد بدت عناقیده فحكم داود بالغنم لصاحب الكرم فقال سليمان غير هذا يا نبى الله قال و ما ذاك قال يدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان و يدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها حتى إذا عاد الكرم كما كان ثم دفع كل واحد منهما إلى صاحبه ماله عن ابن مسعود و روى ذلك عن أبى جعفر و أبى عبد الله ع

و قال الجبائى أوحى الله تعالى إلى سليمان بما نسخ به حكم داود الذى كان يحكم به قبل و لم يكن ذلك عن اجتهاد لأنه لا يجوز للأنبياء أن يحكموا بالاجتهاد و هذا هو الصحيح المعول عليه عندنا و قال على بن عيسى و البلخى يجوز أن يكون ذلك عن اجتهاد لأن رأى النبى ص أفضل من رأى غيره فإذا جاز التعبد بالتزام حكم غير النبى ص من طرق الاجتهاد فكيف يمنع من حكم النبى ص على هذا الوجه و الذى يدل على صحه القول الأول أن النبى ص إذا كان يوحى إليه و له طريق إلى العلم بالحكم فلا يجوز أن يحكم بالظن على أن الحكم بالظن و الاجتهاد و القياس قد بين أصحابنا فى كتبهم أنه لم

يتعبد بها في الشرع إلا في مواضع مخصوصه ورد النص بجواز ذلك فيها نحو قيم المتلفات و أروش الجنائيات و جزاء الصيد و القبله و ما جرى هذا المجرى و أيضا فلو جاز للنبي ص أن يجتهد لجاز لغيره أن يخالفه كما يجوز للمجتهدين أن يختلفوا و مخالفه الأنبياء تكون كفرا هذا و قد قال الله سبحانه «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» فأخبر سبحانه أنه إنما ينطق عن جهه الوحي و يقوى ما ذكرناه قوله تعالى «فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ» أى علمناه الحكومه فى ذلك و قيل إن سليمان قضى بذلك و هو ابن إحدى عشر سنه و

روى عن النبي ص أنه قضى بحفظ المواشى على أربابها ليلا و قضى بحفظ الحرث على أربابه نهارا

«وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا» أى و كل واحد من داود و سليمان أعطيناها حكمه و قيل معناه النبوه و علم الدين و الشرع «وَسَيَحْزَنُوا مَعَ دَاوُدَ الْجَبَالِ يُسَيِّجْنَ وَ الطَّيْرِ» قيل معناه سيرنا الجبال مع داود حيث سار فعبر عن ذلك بالتسييح لما فيه من الآيه العظيمة التى تدعو إلى تسييح الله و تعظيمه و تنزيهه عن كل ما لا يليق به و كذلك تسخير الطير له تسييح يدل على إن مسخرها قادر لا يجوز عليه مما يجوز على العباد عن الجبائى و على بن عيسى و قيل إن الجبال كانت تجاوبه بالتسييح و كذلك الطير يسبح معه بالغداه و العشى معجزه له عن وهب «وَكُنَّا فَاعِلِينَ» أى قادرين على فعل هذه الأشياء ففعلناها دلالة على نبوته «وَعَلَّمْنَاهُ صَبْرًا لِّبُوسِ لَكُمْ» أى علمناه كيف يصنع الدرع قال قتاده أول من صنع الدرع داود (عليه السلام) و إنما كانت صفائح جعل الله سبحانه الحديد فى يده كالعجين فهو أول من سردها و حلقها فجمعت الخفه و التحصين و هو قوله «لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ» أى ليحرزكم و يمنعكم من وقع السلاح فيكم عن السدى و قيل معناه من حربكم أى فى حاله الحرب و القتال فإن البأس فى اللغه هو شده القتال «فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ» نعم الله تعالى عليكم و على أنبيائه قبلكم و هذا تقرير للخلق على شكره فإن إنعامه على الأنبياء إنعام على الخلق و قيل إن سبب إلامه الحديد لداود (عليه السلام) أنه كان نيبا ملكا و كان يطوف فى ولايته متنكرا يتعرف أحوال عماله و متصرفيه فاستقبله جبرائيل ذات يوم على صورة آدمى فسلم عليه فرد عليه السلام و قال ما سيره داود فقال نعمت السيره لو لا خصله فيه قال و ما هى قال أنه يأكل من بيت مال المسلمين فتكره و أثنى عليه و قال لقد أقسم داود أنه لا يأكل من بيت مال المسلمين فعلم الله سبحانه صدقه فالأن له الحديد كما قال وَ أَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ و

روى أن لقمان الحكيم حضره فرآه يفعل ذلك فصبر و لم يسأله حتى فرغ من ذلك فقام و لبس و قال نعمت الجنه للحرب فقال لقمان الصمت حكمه و قليل فاعله.

إشارة

وَ لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَ كُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (٨١) وَ مِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَ يَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَ كُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ (٨٢) وَ أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَ آتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَ ذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ (٨٤) وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِدْرِيسَ وَ ذَا الْكُفْلِ كُلًّا مِنَ الصَّابِرِينَ (٨٥)

وَ أَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٦)

اللغة

الرياح هو الجو يشتد تاره و يضعف تاره و هي جسم لطيف منفس يمتنع بلطفه من القبض عليه و يظهر للحس بحركته و العصفوف شده حركه الرياح عصفت تعصف عصفاً و عصفوا إذا اشتدت و العصف التبن لأن الرياح تعصفه بتطيرها له.

الإعراب

«وَ لِسُلَيْمَانَ» اللام يتعلق بسخرنا و التقدير و سخرنا لداود الجبال و سخرنا لسليمان الرياح «عَاصِفَةً» نصب على الحال «تَجْرِي بِأَمْرِهِ» فى موضع الحال أيضا فهو حال بعد حال و يحتمل أن يكون حالا عن الحال التى هى عاصفه و «مَنْ يَغُوصُونَ» له عطف على الرياح «وَ مِنَ الشَّيَاطِينِ» فى موضع نصب على الحال من سخرنا و ذو الحال «مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ» و يجوز أن يكون حالا من يغوصون له و ذو الحال الواو و معهم فى موضع نصب على أنه صفة بعد صفة تقديره و أهلا- مثلهم كائين معهم و انتصب رحمه بأنه مفعول له.

المعنى

ثم عطف سبحانه بقصه سليمان على ما تقدم فقال «وَ لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ» أى و سخرنا لسليمان الرياح «عَاصِفَةً» أى شديده الهبوب قال ابن عباس إذا أراد أن تعصف الرياح عصفت و إذا أراد أن ترخى أرخيت و ذلك قوله رُخَاءَ حَيْثُ أَصَابَ «تَجْرِي بِأَمْرِهِ» أى بأمر سليمان «إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا» و هى أرض الشام لأنها كانت مأواه و قد سبق

ذكرها في هذه السورة وقيل كانت الريح تجرى في الغداه مسيره شهر و في الرواح كذلك و كان يسكن بعلبك و بينى له بيت المقدس و يحتاج إلى الخروج إليها و إلى غيرها و قال وهب و كان سليمان يخرج إلى مجلسه فتعكف عليه الطير و يقوم له الجن و الإنس حتى يجلس على سريره و يجتمع معه جنوده ثم تحمله الريح إلى حيث أراد «وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ» فإنما أعطينا ما أعطينا لما علمناه من المصلحه «وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ» أى و سخرنا لسليمان من الشياطين من يغوصون له فى البحر فيخرجون له الجواهر و اللآلى و الغوص النزول إلى تحت الماء «وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ» أى سوى ذلك من الأبنية كالمحاريب و التماثيل و غيرهما «وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ» لئلا يهربوا منه و يمتنعوا عليه و قيل يحفظهم الله من أن يفسدوا ما عملوه عن الفراء و الزجاج «وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ» أى و اذكر يا محمد أيوب حين دعا ربه لما امتدت المحنه به «أَنِّي مَسْنِي الضُّرُّ» أى نالنى الضر و أصابنى الجهد «وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» أى و لا أحد أرحم منك و هذا تعريض منه بالدعاء لإزالة ما به من البلاء و هو من لطيف الكنايات فى طلب الحاجات و مثله قول موسى رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ «فَاسْتَجَبْنَا لَهُ» أى أجبنا دعاءه و ندائه «فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ» أى أزلنا ما به من الأوجاع و الأمراض «وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ» قال ابن عباس و ابن مسعود

رد الله سبحانه عليه أهله الذين هلكوا بأعيانهم و أعطاه مثلهم معهم و كذلك رد الله عليه أمواله و مواشيه بأعيانها و أعطاه مثلها معها و به قال الحسن و قتاده و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل أنه خير أيوب فاختار إحياء أهله فى الآخرة و مثلهم فى الدنيا فأوتى على ما اختار عن عكرمه و مجاهد قال وهب و كان له سبع بنات و ثلاثه بنين و قال ابن يسار سبعة بنين و سبع بنات «رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا» أى نعمه منا عليه «وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ» أى موعظه لهم فى الصبر و الانقطاع إلى الله تعالى و التوكل عليه لأنه لم يكن فى عصر أيوب أحد أكرم على الله منه فابتلاه بالمحن العظيمه فأحسن الصبر عليها فينبغى لكل عاقل إذا أصابته محنه أن يصبر عليها و لا يجزع و يعلم أن عاقبه الصبر محموده «وَأِسْمَاعِيلَ وَ إِدْرِيسَ وَ ذَا الْكُفْلِ» أى و اذكر هؤلاء الأنبياء و ما أنعمت عليهم من فنون النعمه ثم قال «كُلُّ مِنَ الصَّابِرِينَ» صبروا على بلاء الله و العمل بطاعته فأما إسماعيل فإنه صبر ببلد لا زرع به و لا ضرع و قام ببناء الكعبه و أما إدريس فإنه صبر على الدعاء إلى الله و كان أول من بعث إلى قومه فدعاهم إلى الدين فأبوا فأهلكهم الله تعالى و رفعه إلى السماء السادسة و أما ذو الكفل فاختلف فيه فقيل أنه كان رجلا صالحا و لم يكن نبيا و لكنه تكفل لنبى بصوم النهار و قيام الليل و أن لا يغضب و يعمل بالحق فوفى بذلك فشكر الله ذلك له عن أبى موسى الأشعري و قتاده و مجاهد و قيل هو نبى اسمه

ذو الكفل عن الحسن قال و لم يقص الله خبره مفصلاً و قيل هو إلياس عن ابن عباس و قيل كان نبيا و سمي ذا الكفل بمعنى أنه ذو الضعف فله ضعف ثواب غيره ممن هو في زمانه لشرف عمله عن الجبائي و قيل هو اليسع بن خطوب الذي كان مع إلياس و ليس اليسع الذي ذكره الله في القرآن تكفل لملك جبار إن هو تاب دخل الجنة و دفع إليه كتابا بذلك فتاب الملك و كان اسمه كنعان فسمى ذا الكفل و الكفل في اللغة هو الخط و

في كتاب النبوه بالإسناد عن عبد العظيم بن عبد الله الحسنى قال كتبت إلى أبي جعفر (عليه السلام) أسأله عن ذى الكفل و ما اسمه و هل كان من المرسلين فكتب (عليه السلام) أن الله بعث مائة ألف نبي و أربعة و عشرين ألف نبي المرسلين منهم ثلاثمائة و ثلاثه عشر رجلا و إن ذا الكفل منهم و كان بعد سليمان بن داود (عليه السلام) و كان يقضى بين الناس كما يقضى داود (عليه السلام) و لم يغضب قط إلا الله تعالى و كان اسمه عدويا بن أدارين

«وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا» أى و أدخلنا هؤلاء الذين ذكرناهم من الأنبياء فى نعمتنا و أراد غمرناهم بالرحمة و لو قال رحمتنا لما أفاد ذلك بل أفاد أنه فعل بهم الرحمة «إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ» أى إنما أدخلناهم فى رحمتنا لأنهم كانوا ممن صلحت أعمالهم.

[سورة الأنبياء (٢١): الآيات ٨٧ الى ٩٠]

إشارة

وَ ذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧)
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَ نَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَ كَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨) وَ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَ أَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩)
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَ وَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَ أَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَ يَدْعُونَنا رَغْبًا وَ رَهْبًا وَ كَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠)

القراءه

قرأ يعقوب فظن أن لن يقدر بضم الياء و الباقون «نَقْدِرَ» بالنون و كسر الدال و قرأ ابن عامر و أبو بكر نجى بنون واحده و تشديد الجيم و الباقون «نُنْجِي» بالنونين.

الحجه

قوله «أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ» أن هذه مخففه من الثقيله و تقديره ظن أنه لن نقدر

عليه أى لن نضيق عليه و من قرأ لن يقدر عليه فهو مثل الأول فى المعنى بنى الفعل للمفعول به و أقيم الجار و المجرور مقام الفاعل و من قرأ نجى المؤمنين بنون واحده قال أبو بكر السراج هو وهم لأن النون لا تدغم فى الجيم و إنما خفيت لأنها ساكنه تخرج من الخياشيم فحذفت فى الكتابه و هى فى اللفظ ثابتة قال أبو على و القول فى ذلك إن عاصما ينبغى أن يكون قرأ بنونين و أخفى الثانيه فظن السامع أنه مدغم و كذلك غيره.

المعنى

ثم ذكر سبحانه قصه يونس (عليه السلام) فقال «وَذَا النُّونِ» أى و اذكر ذا النون و النون الحوت و صاحبها يونس بن متى «إِذْ ذَهَبَ» أى حين ذهب «مُغَاضِبًا» لقومه عن ابن عباس و الضحاك أى مراغما لهم من حيث أنه دعاهم إلى الإيمان مده طويله فلم يؤمنوا حتى أوعدهم الله بالعذاب فخرج من بينهم مغاضبا لهم قبل أن يؤذن له «فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ» أى لن نضيق عليه عن عطا و جماعه من المفسرين و قيل ظن أن لن نقضى عليه ما قضيناه و القدر بمعنى القضاء عن مجاهد و قتاده و الكلبي و الجبائي قال الجبائي ضيق الله عليه الطريق حتى ألجأه إلى ركوب البحر ثم قذف فيه فابتلعه السمكه و من قال أنه خرج مغاضبا لربه و أنه ظن أن لن يقدر الله على أخذه بمعنى أنه يعجز عنه فقد أساء الثناء على الأنبياء فإن مغاضبه الله كفر أو كبيره عظيمه و تجويز العجز على الله سبحانه كذلك فكيف يجوز ذلك على نبي من أنبياء الله تعالى و قال ابن زيد إنه استفهام معناه التوبيخ و تقديره فظن إن لن نقدر عليه و أنكره على بن عيسى و قال لا يجوز حذف الاستفهام من غير دليل عليه و قد جاء فى كلام العرب حذفه على خلاف ما قاله أنشد النحويون قول عمر بن أبي ربيعه:

ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد القطر و الحصى و التراب

أى أ تحبها «فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ» قيل إنها ظلمه الليل و ظلمه البحر و ظلمه بطن الحوت عن ابن عباس و قتاده و قيل كان حوت فى بطن حوت عن سالم بن أبى الجعد «أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ» لما أراد السؤال و الدعاء قدم ذكر التوحيد و العدل ثم قال «إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ» أى من الذين يقع منهم الظلم و إنما قاله على سبيل الخشوع و الخضوع لأن جنس البشر لا يمتنع منه وقوع الظلم قال الجبائي لم يكن يونس فى بطن الحوت على جهه العقوبه من الله تعالى لأين العقوبه عداوه للمعاقب لكن كان ذلك على وجه التأديب و التأديب يجوز للمكلف و غير المكلف كتأديب الصبي و غيره و بقاؤه فى بطن الحوت حيا

معجزه له «فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ» أى من بطن الحوت «وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ» أى ننجيهم إذا دعونا به كما أنجينا ذا النون ثم قال سبحانه «وَزَكَرِيَّا» أى واذكر زكريا «إِذْ نَادَى رَبَّهُ» و دعاه يا «رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا» بغير وارث و لا ولد يعيننى على أمر الدين و الدنيا فى حياتى و يرثنى بعد وفاتى «وَ أَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ» هذا ثناء على الله سبحانه بأنه الباقي بعد فناء خلقه و أنه خير من بقى حيا بعد ميت و إن الخلق كلهم يموتون و يبقى هو سبحانه «فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَ وَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى»

روى الحرث بن المغيرة قال قلت لأبى عبد الله (عليه السلام) إني من أهل بيت قد انقرضوا و ليس لى ولد فقال ادع و أنت ساجد رَبِّ هَبْ لى مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ «رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَ أَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ» قال ففعلت فولد لى على و الحسين

«وَ أَضَلَّحْنَا لَهُ زَوْجَهُ» بأن كانت عقيمه فجعلناها ولودا عن قتاده و قيل كانت هرمه فرددنا عليها شبابها عن أبى مسلم و قيل كانت سيئه الخلق فجعلناها حسنه الخلق «إِنَّهُمْ» يعنى زكريا و يحيى و قيل معناه أن الأنبياء الذين تقدم ذكرهم «كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ» أى يبادرون إلى الطاعات و العبادات «وَ يَدْعُونَنا رَغَبًا وَ رَهَبًا» أى للرغبة و الرهبة رغبة فى الثواب و رهبة من العقاب و قيل راغبين و راهبين عن الضحاك و قيل رغبا ببطون الألف و رهبا بظهور الألف «وَ كَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ» أى متواضعين عن ابن عباس و قيل الخشوع المخافة الثابتة فى القلب عن الحسن و قيل معناه أنهم قالوا حال النعمة اللهم لا تجعلها استدراجا و حال السيئه اللهم لا تجعلها عقوبه بذنوب سلف منا و فى قوله سبحانه «يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ» دلالة على أن المسارعة إلى كل طاعه مرغب فيها و على أن الصلاة فى أول الوقت أفضل.

[سورة الأنبياء (٢١): الآيات ٩١ الى ٩٥]

إشارة

وَ الَّتِي أَحْصَيْتَ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَ جَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (٩١) إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢) وَ تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ (٩٣) فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَ إِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ (٩٤) وَ حَرَامٌ عَلَى قَرْبَيْهِ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (٩٥)

ص: ٩٨

قرأ حمزه و الكسائي و أبو بكر و حرم بكسر الحاء بغير ألف و الباقون «وَحَرَامٌ» و هو قراءه الصادق (عليه السلام) و فى الشواذ قراءه الحسن و ابن أبى إسحاق أمه واحده بالرفع وقرأ ابن عباس و قتاده و حرم و فى روايه أخرى عن ابن عباس و حرم و هى قراءه عكرمه و أبى العاليه.

الحجه

قال أبو على حرم و حرام لغتان و كذلك حل و حلال و كل واحد من حرم و حرام إن شئت رفعت بالابتداء لاختصاصه بما جاء بعده من الكلام و خبره محذوف و تقديره و حرام على قريه أهلكتها بأنهم لا يرجعون مقضى أو ثابت أو محكوم عليه و إن شئت جعلته خبر مبتدأ محذوف و جعلت لا زائده و المعنى حرام على قريه أهلكتها رجوعهم كما قال فلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَهُ وَ لَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ و إن شئت جعلته خبر مبتدأ و أضمرت مبتدأ كما ذكرت و يكون المعنى حرام على قريه أهلكتها بالاستئصال رجوعهم لأنهم لا يرجعون و تكون لا غير زائده و المعنى حرام عليهم أنهم ممنوعون من ذلك و قال الزجاج تقديره و حرام على قريه أهلكتها أن يتقبل منهم عمل لأنهم لا يرجعون أى لا يتوبون أبدا كما قال سبحانه «خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ» الآية فعلى هذا يكون حرام خبر مبتدأ محذوف و هو قوله أن يتقبل منهم عمل و «أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ» فى موضع نصب لأنه مفعول له فأما من قرأ حرم على قريه فإنه من حرم فهو حرم أى قمر ماله قال زهير:

و إن أتاه خليل يوم مسغبه يقول لا غائب مالى و لا حرم

و أما حرم فمعناه ظاهر و من قرأ أمه بالرفع جعله بدلا من «أُمَّتُكُمْ» و يجوز أن يكون خبرا بعد خبر و أمه منصوبه على الحال و العامل فيها معنى الإشارة و ذو الحال الأمه الأولى و فى الحقيقه الحال الأولى قوله «وَاحِدَةً» التى هى صفه الأمه كقوله تعالى «قُرْآنًا عَرَبِيًّا» و التقدير «إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً» أى مجتمعه غير متفرقه.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم بقصه عيسى (عليه السلام) فقال «وَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا» يعنى مريم ابنه عمران أى و اذكر مريم التى حفظت فرجها و حصنته و عفت و امتنعت من الفساد «فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا» أى أجرينا فيها روح المسيح كما يجرى الهواء بالنفخ فأضاف الروح إلى نفسه على وجه الملك تشريفا له فى الاختصاص بالذكر و قيل إن معناه أمرنا جبرائيل فنفخ فى جيب درعها فخلقنا المسيح فى رحمها «وَ جَعَلْنَاهَا وَ ابْنَهَا آيَةً

لِلْعَالَمِينَ» إنما قال آيه و لم يقل آيتين لأنه فى موضع دلالة فلا يحتاج إلى أن تثنى الآية فيهما أنها جاءت به من غير فعل فتكلم فى المههد بما يوجب براءه ساحتها من العيب «إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً» أى هذا دينكم دين واحد عن ابن عباس و مجاهد و الحسن و أصل الأمة الجماعة التى على مقصد واحد فجعلت الشريعة أمة واحدة لاجتماعهم بها على مقصد واحد و قيل معناه جماعه واحده فى أنها مخلوقه مملوكة لله تعالى أى فلا تكونوا إلا على دين واحد و قيل معناه هؤلاء الذين تقدم ذكرهم من الأنبياء فريقكم الذى يلزمكم الاقتداء بهم فى حال اجتماعهم على الحق كما يقال هؤلاء أمتنا أى فريقنا و موافقونا على مذهبنا «وَ أَنَا رَبُّكُمْ» الذى خلقكم «فَاعْبُدُونِ» و لا تشرکوا بى شيئاً ثم ذكر اليهود و النصارى بالاختلاف فقال «وَ تَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ» أى فرقوا دينهم فيما بينهم يلعن بعضهم بعضاً و يتبرأ بعضهم من بعض عن الكلبي و ابن زيد و التقطع هذا بمنزله التقطيع ثم قال مهددا لهم «كُلُّهُ لِيْنَا رَاجِعُونَ» أى كل ممن اجتمع و افترق راجع إلى حكمنا فى الوقت الذى لا- يقدر على الحكم سوانا فنجازيهم بأعمالهم «فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ» التقدير فمن يعمل من الصالحات شيئاً مثل صله الرحم و معونه الضعيف و نصر المظلوم و التنفيس عن المكروب و غير ذلك من أنواع الطاعات «وَ هُوَ مُؤْمِنٌ» شرط الإيمان لأن هذه الأشياء لو فعلها الكافر لم ينتفع بها عند الله تعالى «فَإِلَّا- كُفْرَانٌ لِّسَعِيهِ» أى فلا- جحود لإحسانه فى عمله بل يشكر و يثاب عليه «وَ إِنَّا لَهُ كَافِرُونَ» أى نأمر ملائكتنا أن يكتبوا ذلك و يثبتوه فلا- يضيع منه شىء و قيل كاتبون أى ضامنون جزاءه حتى نوفر على عاملها مجموعه و منه الكتيبه لأنه ضم رجال إلى رجال «وَ حَرَامٌ عَلَى قَرِيْبِهِ أَهْلُكُنْهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ» اختلف فى معناه على وجوه (أحدها) أن لا مزيده و المعنى حرام على قريه مهلكه بالعقوبه أن يرجعوا إلى دار الدنيا عن الجبائى و قيل إن معناه واجب عليها إنها إذا أهلكت لا ترجع إلى دنياها عن قتاده و عكرمه و الكلبي قال عطا يريد حتم منى و المراد إن الله تعالى كتب على من أهلك أن لا يرجع إلى الدنيا قضاء منه حتما و فى ذلك تخويف لكفار مكة بأنهم إن عذبوا و أهلكوا لم يرجعوا إلى الدنيا كغيرهم من الأمم المهلكه و قد جاء الحرام بمعنى الواجب فى شعر الخنساء:

و إن حراما لا أرى الدهر باكيا على شجوه إلا بكيت على صخر

(و ثانيها) إن معناه حرام على قريه وجدناها هالكة بالذنوب أن يتقبل منهم عمل لأنهم

لا يرجعون إلى التوبه (و ثالثها) إن معناه حرام أن لا يرجعوا بعد الممات بل يرجعون أحياء للمجازاه عن أبى مسلم

و روى محمد بن مسلم عن أبى جعفر (عليه السلام) أنه قال كل قريه أهلكتها الله بعذاب فإنهم لا يرجعون.

[سوره الأنبياء (٢١): الآيات ٩٦ الى ١٠٣]

إشارة

حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (٩٦) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (٩٧) إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (٩٩) لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠)

إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢) لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣)

القراءه

قرأ أبو جعفر و ابن عامر و يعقوب فتحت بالتشديد و الباقر بالتخفيف و قد ذكرنا اختلافهم فى يأجوج و مأجوج فى سوره الكهف و فى الشواذ قراءه ابن مسعود من كل حدث و قراءه ابن السميع حسب جهنم ساكنه الصاد و قراءه ابن عباس حسب بالصاد مفتوحه و قراءه على (عليه السلام) و عائشه و ابن الزبير و أبى بن كعب و عكرمه حطب بالطاء.

الحجه

من خفف فتحت فلأن الفعل فى الظاهر مسند لى هذين الاسمين و أراد فتح سد يأجوج و مأجوج و من شدد حمله على الكثره فهو مثل مُفْتَتِحَهُ لَهُمُ الْأَبْوَابُ و الجدث القبر بلغه الحجاز و الجدف بالفاء بلغه تميم و فى الحطب لغات و حطب و حسب بالصاد و خضب

ص: ١٠١

بالضاد ولا- يقال حصب بالصاد إلا إذا ألقى في التنور أو في الموقد و قال أحمد بن يحيى أصل الحصب الرمي حطبا كان أو غيره قال الأعشى:

فلا تك في حربنا محصبا لتجعل قومك شتى شعوبا

فأما الحصب ساكنا بالصاد والضاد فالطرح فهو مصدر وقع موقع اسم المفعول كالخلق و الصيد بمعنى المخلوق و المصيد.

اللغة

الحذب الارتفاع من الأرض بين الانخفاض و الحدبه خروج الظهر و رجل أهدب و النسول الخروج عن الشيء الملابس يقال نسل ينسل و ينسل قال امرؤ القيس:

فإن يك قد ساءتلك منى خليقه فسلى ثيابي من ثيابك تنسلي

و نسل ريش الطائر إذا سقط و قيل النسول الخروج ياسراع نحو نسلان الذئب قال:

نسلان الذئب أمسى قاربا برد الليل عليه فنسل

و شخص المسافر شخوصا إذا خرج من منزله و شخص من بلد إلى بلد و شخص بصره إذا نظر إليه كأنه خرج إليه و الحسيس و الحس الحركة.

الإعراب

«وَ اقْتَرَبَ الوُعَيْدُ» قال الفراء معنى الواو الطرح و المعنى إذا فتحت يأجوج و مأجوج اقترب الوعد الحق قال الزجاج الواو لا يجوز أن يطرح عند البصريين و جواب إذا عندهم قوله «يا وَيَلْنَا» و هاهنا قول محذوف أى قالوا يا ويلنا و قوله «فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ» إذا ظرف مكان و العامل فيه شاخصه و هى ضمير القصة فى محل رفع بالابتداء و «أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا» مبتدأ آخر و «شَاخِصَةٌ» خبر مقدم و الجملة خبر هى و قيل أن تمام الكلام عند قوله «هِيَ» و تقديره فإذا هى بارزه واقعه يعنى أنها من قربها كأنها وقعت ثم ابتداء فقال «شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا» على تقديم الخبر على المبتدأ.

المعنى

لما تقدم أنهم لا يرجعون إلى الدنيا وعدهم بالرجوع إلى الآخرة و بين علامه ذلك فقال «حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَ مَأْجُوجُ» أى فتحت جهتهم و المعنى انفرج سد يأجوج و مأجوج بسقوط أو هدم أو كسر و ذلك من أشرط الساعه «وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ

يُنْسَلُونَ» أى و هم يريد يأجوج و مأجوج من كل نشز من الأرض يسرعون عن قتاده و ابن مسعود و الجبائى و أبى مسلم يعنى أنهم يتفرون فى الأرض فلا- ترى أكمه إلا- و قوم منهم يهبطون منها مسرعين و قيل إن قوله هم كناية عن الخلق يخرجون من قبورهم إلى الحشر عن مجاهد و كان يقرأ من كل جدث يعنى القبر و يدل عليه قوله فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ «وَ اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ» أى الموعود الصدق و معناه اقترب قيام الساعة «فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا» معناه فإذا القصة أن أبصار الذين كفروا تشخص فى ذلك اليوم أى لا- تكاد تطرف من شدة ذلك اليوم و هو له ينظرون إلى تلك الأهوال عن الكلبى «يا وَيْلَنَا» أى يقولون يا ويلنا «قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا» اشتغلنا بأمور الدنيا و غفلنا عن هذا اليوم فلم نتفكر فيه «بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ» بأن عصينا الله تعالى و عبدنا غيره ثم قال سبحانه «إِنَّكُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» يعنى الأصنام «حَصَبُ جَهَنَّمَ» أى وقودها عن ابن عباس و قيل حطبها عن مجاهد و قتاده و عكرمه و أصل الحصب الرمى فالمراد أنهم يرمون فيها كما يرمى بالحصباء عن الضحاك و أبى مسلم و يسأل على هذا فيقال أن عيسى (عليه السلام) قد عبد و الملائكة قد عبدوا و الجواب أنهم لا- يدخلون فى الآيه لأن ما لما لا يعقل و لأن الخطاب لأهل مكة و إنما كانوا يعبدون الأصنام فإن قيل فأى فائده فى إدخال الأصنام النار و قيل يعذب بها المشركون الذين عبدوها فتكون زياده فى حسرتهم و غمهم و يجوز أن يرمى بها فى النار توييخا للكفار حيث عبدوها و هى جماد لا تضر و لا تنفع و قيل إن المراد بقوله وَ مَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ الشياطين دعوهم إلى عباده غير الله فأطاعوهم كما قال يا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ «أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ» خطاب للكفار أى أنتم فى جهنم داخلون و قيل إن معنى لها إليها لقوله بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا أى إليها «لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْأَصْنَامُ وَالشَّيَاطِينُ «آلِهَةً» كما تزعمون «مَا وَرَدُوهَا» أى ما دخلوا النار و لامتنعوا منها «وَ كُلُّ» من العابد و المعبود «فيها» أى فى النار «خَالِدُونَ» دائمون «لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ» أى صوت كصوت الحمار و هو شدة تنفسهم فى النار عند إحراقها لهم «وَ هُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ» أى لا يسمعون ما يسههم و لا ما ينتفعون به و إنما يسمعون صوت المعذبين و صوت الملائكة الذين يعذبونهم و يسمعون ما يسوءهم عن الجبائى و قيل يجعلون فى تواييت من نار فلا يسمعون شيئاً و لا يرى أحد منهم إن فى النار أحدا يعذب غيره عن عبد الله بن مسعود قالوا و

لما نزلت هذه الآيه أتى عبد الله بن الزبعرى رسول الله ص قال يا محمد أ لست تزعم أن عزيزا رجل صالح و إن عيسى (عليه السلام) رجل صالح و إن مريم امرأه صالحه قال بلى قال فإن هؤلاء يعبدون من دون الله فهم فى النار فأنزل الله هذه الآيه «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى»

أى الموعدة بالجنة وقيل الحسنى السعاده عن ابن زيد و كأنه يذهب إلى الكلمه بأنه سيسعد أو إلى العده لهم على طاعتهم فأنث الحسنى «أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا» أى يكونون بحيث لا يسمعون صوتها الذى يحس «وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ» من نعيم الجنة و ملاذها «خَالِدُونَ» أى دائمون و الشهوه طلب النفس اللذيه يقال اشتهى شهوه و قيل إن الذين سبقت لهم منا الحسنى عيسى و عزيز و مريم و الملائكه الذين عبدوا من دون الله و هم كارهون استثناهم من جمله ما يعبدون من دون الله عن الحسن و مجاهد و قيل إن الآيه عامه فى كل من سبقت له الموعدة بالسعاده «لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ» أى الخوف الأعظم و هو عذاب النار إذا أطبقت على أهلها عن سعيد بن جبير و ابن جريج و قيل هو النفخه الأخيره لقوله وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ففزع من فى السماوات و من فى الأرض إلا- من شاء الله عن ابن عباس و قيل هو حين يؤمر بالعبد إلى النار عن الحسن و قيل هو حين يذبح الموت على صوره كبش أملح و ينادى يا أهل الجنة خلود و لا موت و يا أهل النار خلود و لا موت و

روى أبو سعيد الخدرى عن النبى ص قال ثلاثه على كئبان من مسك لا يحزنهم الفرع الأكبر و لا يكثر ثون للحساب رجل قرأ القرآن محتسبا ثم أم به قوما محتسبا و رجل أذن محتسبا و مملوك أدى حق الله عز و جل و حق مواليه

«وَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ» أى تستقبلهم الملائكه بالتهنئه يقولون لهم «هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ» فى الدنيا فأبشروا بالأمن و الفوز.

إشارة

يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (١٠٤) وَ لَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ
الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥) إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ (١٠٦) وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)
قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٨)

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعِدُونَ (١٠٩) إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ
(١١٠) وَإِنْ أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَ مَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (١١١) قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَ رَبَّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (١١٢)

القراءة

قرأ أبو جعفر تطوى بالتاء و الضم السماء بالرفع و الباقون «نَطْوِي» بالنون «السَّمَاء» بالنصب و قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر
«لِلْكُتُبِ» على الجمع و الباقون للكتاب و قرأ حفص «قَالَ رَبِّ» و الباقون قل ربي و قرأ أبو جعفر رب احكم بضم الباء و قرأ زيد
عن يعقوب ربي احكم و هو قراءة ابن عباس و عكرمه الجحدري و ابن محيصن و الباقون «رَبِّ احْكُم» و في الشواذ قراءة الحسن
كطى السجل بسكون الجيم و قراءة أبي زرعه بن عمر و السجل بضم السين و الجيم و تشديد اللام و قراءة أبي السماك السجل
بفتح السين و سكون الجيم.

الحج

من قرأ يوم تطوى السماء فبنى الفعل للمفعول به و من قرأ «يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء» فالفاعل هو الله سبحانه و المعنى واحد و فى إن
انتصاب يوم و جهان عند أبي على (أحدهما) أن يكون بدلا من الهاء المحذوفه من الصله ألا ترى إن المعنى هذا يومكم الذى
تعودونه و الآخر أن يكون منتصبا بنعيده و المعنى نعيد الخلق إعادته كابتدائه أى كابتداء الخلق و مثله فى المعنى كما بدأكم
تعودون و تقديره كما بدأ خلقكم يعود خلقكم فحذف المضاف فى الموضعين و أقام المضاف إليه مقامه و المعنى يعود
خلقكم عودا كبده و مثله فى المعنى «كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ» و من أفرد الكتاب و لم يجمع فإنه واحد يراد به الكثرة و من
قرأ «لِلْكُتُبِ» فإن المراد به الجمع و من قرأ «قَالَ رَبِّ» أراد قال الرسول و من قرأ قل فهو على قل أنت يا محمد و قراءة أبي جعفر
رب احكم معناه يا رب احكم و هى ضعيفه عند النحويين البصريين و قد جاء مثله فى المثل و هو قولهم: أصبح ليل و أطرق كرا
و افتد مخنوق أى يا ليل و يا كروان و يا مخنوق و قد جاء فى الشعر و هو:

عجبت لعطار أتانا يسومنا بدسكرة المران دهن البنفسج

فقلت له عطار هلا أتيتنا بنور الخزامى أو بخوصه عرفج

أراد يا عطار و من قرأ «رَبِّ احْكُم» فالمعنى ظاهر.

الإعراب

الكاف فى قوله «كَطَى السَّجَلِ» فى محل النصب لأنه صفة مصدر محذوف تقديره نطوى السماء طيا مثل طى السجل فإن كان السجل اسما للصحيفه فالمصدر الذى هو طى مضاف إلى المفعول فى المعنى و إن كان اسم ملك أو كاتب فهو مضاف إلى الفاعل فى المعنى فإن كان مفعولا كان اللام بمعنى من أجل و إن كان فاعلا كان اللام للاختصاص «وَعِيداً عَلَيْنَا» منصوب على المصدر قال الزجاج لأن قوله «نُعِيدُهُ» بمعنى قد وعدنا ذلك و الأجود أن يقدر عاملا محذوفا لأن القراء يقفون على قوله «نُعِيدُهُ» قال جامع العلوم الكاف فى «كَمَا بَدَأْنَا» من صله نعيده و إن كان متقدما و مثله كما علمه الله فليكتب «رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ» نصب على الحال أو على أنه مفعول له و «أَتَمَّا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ» فى محل رفع بإسناد «يُوحَى» إليه و قيامه مقام الفاعل و «على سِوَاءٍ» فى موضع نصب على الحال من الفاعلين و المفعولين و التقدير أذنتكم و استوينا نحن و أنتم فيكون الحال من الفريقين «ما تُوَعَّدُونَ» فى موضع رفع بأنه فاعل قريب لأنه اعتمد على همزه الاستفهام فهو كقولهم أقمم أخوك و يجوز أن يكون مبتدأ و قريب خبره و على الوجهين فهما مفعولا- أدرى أى أعلم علقتهما همزه الاستفهام و التقدير أ قريب ما توعدون أم بعيد فبعيد عطف على قريب و النيه فيه التأخير. «وَ إِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ» مفعول أدرى محذوف و التقدير ما أدرى كيف يكون الحال.

المعنى

«يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ» المراد بالطى هنا هو الطى المعروف و أن الله سبحانه يطوى السماء بقدرته و قيل إن طى السماء ذهابها عن الحس «كَطَى السَّجَلِ لِلْكَتَبِ» و السجل صحيفه فيها الكتب عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و الكلبي و على هذا فمعناه نطويها كما تطوى الصحيفه المجمعوله للكتاب و يجوز أن يكون المراد بالكتاب المكتوب و قيل أن السجل ملك يكتب أعمال العباد عن أبى عمرو و السدى و قيل هو ملك يطوى كتب بنى آدم إذا رفعت إليه عن عطا و قيل هو اسم كاتب كان للنبي ص عن ابن عباس فى روايه «كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ» أى كما بدأناهم فى بطون أمهاتهم حفاه عراه غرلا كذلك نعيدهم روى ذلك مرفوعا و قيل معناه نبعث الخلق كما ابتدأناه أى قدرتنا إلى الإعادة كقدرتنا على الابتداء عن الحسن و الزجاج و قيل معناه نهلك كل شىء كما كان أول مره عن ابن عباس «وَعِيداً عَلَيْنَا» أى وعدناكم ذلك وعدا «إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ» ما وعدناكم من ذلك «وَ لَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ» قيل فيه أقوال (أحدها) أن الزبور كتب الأنبياء و معناه كتبنا

فى الكتب التى أنزلناها على الأنبياء من بعد كتابته فى الذكر أى أم الكتاب الذى فى السماء و هو اللوح المحفوظ عن سعيد بن جبير و مجاهد و ابن زيد و هو اختيار الزجاج قال لأن الزبور و الكتاب بمعنى واحد و زبرت كتبت (و ثانيها) أن الزبور الكتب المنزله بعد التوراه و الذكر هو التوراه عن ابن عباس و الضحاك (و ثالثها) أن الزبور زبور داود و الذكر توراه موسى عن الشعبى و روى عنه أيضا أن الذكر القرآن و بعد بمعنى قبل «أَنَّ الْمَأْرُضَ يَرِثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ» قيل يعنى أرض الجنه يرثها عبادى المطيعون عن ابن عباس و سعيد بن جبير و ابن زيد فهو مثل قوله وَ أَوْرَثْنَا الْمَأْرُضَ و قوله الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ و قيل هى الأرض المعروفة يرثها أمه محمد ص بالفتوح بعد إجلاء الكفار كما

قال ص زويت لى الأرض فأريت مشارقتها و مغاربها و سيلبغ ملك أمتى ما زوى لى منها

عن ابن عباس فى روايه أخرى و

قال أبو جعفر هم أصحاب المهدي (عليه السلام) فى آخر الزمان

و يدل على ذلك ما رواه الخاص و العام

عن النبى ص أنه قال لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلا صالحا من أهل بيتى يملأ الأرض عدلا و قسطا كما قد ملئت ظلما و جورا

و قد أورد الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى فى كتاب البعث و النشور أخبارا كثيرة فى هذا المعنى حدثنا بجمعها عنه حافده أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن أحمد فى شهر سنة ثمانى عشره و خمسمائه ثم قال فى آخر الباب فأما الحديث الذى

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ بالإسناد عن محمد بن خالد الجندى عن أبان بن صالح عن الحسن عن أنس بن مالك أن النبى ص قال لا يزداد الأمر إلا شدة و لا الناس إلا شحا و لا الدنيا إلا إدبارا و لا تقوم الساعة إلا على أشرار الناس و لا مهدي إلا عيسى بن مريم

فهذا حديث تفرد به محمد بن خالد الجندى قال أبو عبد الله الحافظ و محمد بن خالد رجل مجهول و اختلف عليه فى إسناده فرواه مره عن أبان بن صالح عن الحسن عن أنس عن النبى ص و مره عن أبان بن أبى عياش و هو متروك عن الحسن عن النبى ص و هو منقطع و الأحاديث فى التنصيص على خروج المهدي (عليه السلام) أصح إسنادا و فيها بيان كونه من عتره النبى ص هذا لفظه و من جملتها

ما حدثنا أبو الحسن حافده عنه قال أخبرنا أبو على الروذبارى قال أخبرنا أبو بكر بن داسه قال حدثنا أبو داود السجستاني فى كتاب السنن عن طرق كثيرة ذكرها ثم قال كلهم عن عاصم المقرئ عن زيد عن عبد الله عن النبى ص قال لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا منى أو من أهل بيتى و فى بعضها يواطئ اسمه اسمى يملأ الأرض قسطا و عدلا كما

بالإسناد قال حدثنا أبو داود قال حدثنا أحمد بن إبراهيم قال حدثني عبد الله بن جعفر الرقي قال حدثني أبو المليح الحسن بن عمر عن زياد بن بيان عن علي بن نفيل عن سعيد بن المسيب عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله ص يقول المهدي من عترتي من ولد فاطمه (عليه السلام)

«إِنَّ فِي هَذَا» يعنى إن فى الذى أخبرناكم به مما توعدنا به الكفار من النار و الخلود فيها و ما وعدنا به المؤمنين من الجنة و الكون فيها و قيل معناه إن فى هذا القرآن و دلائله «لَبْلَاغًا» أى كفايه و وصله إلى البغيه و البلاغ سبب الوصول إلى الحق «لِقَوْمٍ عَابِدِينَ» لله مخلصين له قال كعب هم أمه محمد ص الذين يصلون الصلوات الخمس و يصومون شهر رمضان سماهم عابدين «وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ» يا محمد «إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ» أى نعمه عليهم قال ابن عباس رحمه للبر و الفاجر و المؤمن و الكافر فهو رحمه للمؤمن فى الدنيا و الآخرة و رحمه للكافر بأن عوفى مما أصاب الأمم من الخسف و المسخ

و روى أن النبى ص قال لجبرائيل لما نزلت هذه الآيه هل أصابك من هذه الرحمه شىء قال نعم إني كنت أخشى عاقبه الأمر فأمنت بك لما أثنى الله على بقوله ذى قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ و قد قال إنما أنا رحمه مهدها

و قيل إن الوجه فى أنه نعمه على الكافر أنه عرضه للإيمان و الثواب الدائم و هداه و إن لم يهتد كمن قدم الطعام إلى جائع فلم يأكل فإنه منعم عليه و إن لم يقبل و فى الآيه دلالة على بطلان قول أهل الجبر فى أنه ليس لله على الكافر نعمه لأنه سبحانه بين أن فى إرسال محمد ص نعمه على العالمين و على كل من أرسل إليهم ثم قال له (عليه السلام) «قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ» أى مستسلمون منقادون لذلك بأن تركوا عباده غير الله و قيل معناه الأمر أى أسلموا كقوله «فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ» أى انتهوا «فَإِنْ تَوَلَّوْا» أى عرضوا و لم يسلموا «فَقُلْ أَذَنْتُكُمْ» أى أعلمتكم بالحرب «عَلَىٰ سِوَاءِ» أى إيدانا على سواء إعلاما نستوى نحن و أنتم فى علمه لا- استيذانا به دونكم لتأهبوا لما يراد بكم و مثله قوله فَاذْهَبْ إِلَىٰهِمْ عَلَىٰ سِوَاءِ و قيل معناه أعلمتكم بما يجب الإعلام به على سواء فى الإيدان لم أبين الحق لقوم دون قوم و لم أكتمه لقوم دون قوم و فى هذا دلالة على بطلان قول أصحاب الرموز و إن للقرآن بواطن خصص بالعلم بها أقوام «وَ إِنْ أَدْرَىٰ» أى و ما أدرى «أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ» يعنى أجل يوم القيامة فإن الله تعالى هو العالم بذلك و قيل معناه أذنتكم بالحرب و لا أدرى متى أودن فيه «إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَ يَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ» أى إن الله يعلم السر و العلانيه «وَ إِنْ أَدْرَىٰ» أى و ما أدرى «لَعَلَّهُ» كناية عن غير مذكور «فَتَنَّهُ لَكُمْ» أى لعل ما أذنتكم به اختيار لكم و شدة تكليف ليظهر صنيعكم عن الزجاج و قيل لعل

هذه الدنيا فتنه لكم عن الحسن و قيل لعل تأخير العذاب محنه و اختبار لكم لترجعوا عما أنتم عليه «وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ» أى تتمتعون به إلى وقت انقضاء آجالكم «قَالَ رَبُّ احْكُم بِالْحَقِّ» أى فوض أمورك يا محمد إلى الله و قل يا رب احكم بينى و بين من كذبنى بالحق قال قتاده كان النبى ص إذا شهد قتالا قال رب احكم بالحق أى افصل بينى و بين المشركين بما يظهر به الحق للجميع و قيل معناه أحكم بحكمك الحق و هو إظهار الحق على الباطل «وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ» الذى يرحم عباده «الْمُسْتَعَانُ» الذى يعينهم فى أمورهم فجمع بين الرحمه و المعونه اللتين تضمنتا أصول النعم «عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ» من كذبكم و باطلكم فى قولكم هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ و قولكم اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا* و قيل معناه و ربنا الرحمن المستعان على دفع ما تصفون.

(٢٢) سورة الحج مدنيه و آياتها ثمان و سبعون (٧٨)

اشاره

[توضيح]

مكيه عن ابن عباس و عطا إلا آيات قال الحسن هي مدنيه غير آيات نزلت في السفر و قال بعضهم غير أربع.

عدد آياتها

ثمان و سبعون آيه كوفي سبع مكي و ست مدني خمس بصرى أربع شامى.

اختلفها

خمس آيات الْحَمِيمِ و الْجُلُودُ كلاهما كوفي و عَادٌ و تَمُودٌ غير الشامى و قَوْمٌ لُوطٍ حجازى كوفي سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مكي.

فضلها

أبى بن كعب قال قال النبي ص من قرأ سورة الحج أعطى من الأجر كحجه حجها و عمره اعتمرها بعدد من حج و اعتمر فيما مضى و فيما بقى

و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) من قرأها فى كل ثلاثه أيام لم يخرج من سنته حتى يخرج إلى بيت الله الحرام و إن مات فى سفره دخل الجنة.

تفسيرها

لما ختم الله سورة الأنبياء بالدعاء إلى التوحيد و الإعلام بأن نبيه رحمه للعالمين افتتح هذه السوره بخطاب المكلفين ليتقوا الشرك و مخالفه الدين فقال:

ص: ١١٠

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرُؤُنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَ تَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَ مَا هُمْ بِسُكَارَى وَ لَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢) وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ يَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ (٣) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَ يَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (٤)

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبُعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لُبِّينَ لَكُمْ وَ نَقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَ مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَ تَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَّتْ وَ أَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم سكرى و ما هم بسكرى و الباقون «سُكَارَى» فى الموضوعين و فى الشواذ قراءة الأعرج و الحسن بخلاف سكرى بضم السين و قرأ أبو جعفر و ربات بالهمزة هاهنا و فى حم و الباقون «وَرَبَّتْ».

الحج

قالوا رجل سكران و امرأه سكرى و الجمع سكارى و سكارى بضم السين و فتحها إلا أن القراءة بالضم و أما سكرى فى الجمع فهو مثل صرعى و جرحى و ذلك لأن السكر كأنه عله لحقت عقولهم كما أن الصرع و الجرح عله لحقت أجسامهم و فعلى مختص فى الجمع بالمبتلين كالمرضى و السقمى و الهلكى و أما سكرى بالضم فيجوز أن يكون اسما مفردا على فعلى بمعنى الجمع و أما قوله «رَبَّتْ» فهو من ربا يربو إذا زاد و أما الهمز فيمن ربات القوم إذا أشرفت عليهم عاليا لتحفظهم و هذا كأنه ذهب إلى علو الأرض لما فيها من إفراط الربو فإذا وصف علوها دل على أن الزيادة شاعت فيها.

الزلازل و الزلازل شده الحركه على الحال الهائله و قيل إن أصله زل فضوعف للمبالغه و أثبتته البصريون قالوا إن زل ثلاثى و زلزل رباعى و إن اتفق بعض الحروف فى الكلمتين لأنه لا يمتنع مثل هذا ألا ترى أنهم يقولون دمث و دمثر و سبط و سبطر و ليس أحدهما مأخوذا من الآخر و إن كان معناه واحدا لأن الزاى ليست من حروف الزيادة و الزلازل بالفتح الاسم قال الشاعر:

يعرف الجاهل المضلل أن الدهر فيه النكراء و الزلازل

و الدهول الذهاب عن الشىء دهشا و حيره يقال ذهب عنه يذهل ذهولا و ذهلا بمعنى و الدهل السلو قال

" صحا قلبه يا عز أو كاد يذهل "

و الحمل بفتح الحاء ما كان فى بطن أو على رأس شجره و الحمل بكسر الحاء ما كان على ظهر أو على رأس و المرید المتجرد للفساد و قيل إن أصله الملاسه فكأنه متملس من الخير و منه صخره مرداء أى ملساء و منه الأمرد و الممرد من البناء المتناول المتجاوز و المضغه مقدار ما يمضغ من اللحم و الهمود الدروس و الدثور قال الأعشى:

قالت قتيله ما لجسمك شاجبا و أرى ثيابك باليات همدا

و البهيج الحسن الصورة.

الإعراب

العامل فى «يَوْمَ تَرَوْنَهَا» قوله «تَذْهَلُ» أى تذهل كل مرضعه فى هذا اليوم عما أرضعته و يجوز أن يكون ما مصدرية فيكون التقدير تذهل كل مرضعه فى هذا اليوم عن إرضاعها ولدها و مفعول أرضعت محذوف على الوجهين و مرضعه جار على الفعل يقال امرأه مرضع أى ذات إرضاع أرضعت ولدها أو أرضعته غيرها و مرضعه ترضع قال امرؤ القيس:

و مثلك حبلى قد طرقت و مرضع فألهيتها عن ذى تمانم محول

و «سِيكَارَى» نصب على الحال و إن جعلت «تَرَى» بمعنى الظن فهو المفعول الثانى له «كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ» الهاء فى عليه يعود إلى الشيطان و الهاء فى أنه يحتمل وجهين أن يكون ضمير الأمر و الشأن و أن يكون عائدا إلى الشيطان و إنما فتحت أن فى قوله «فَأَنَّهُ»

يُضِلُّهُ» على أحد وجهين أن يكون عطفًا على الأولى للتأكيد والمعنى كتب عليه أنه من تولاه يضلّه و تأويله كتب على الشيطان إضلال متوليه و هدايتهم إلى عذاب السعير و هذا قول الزجاج و فيه نظر لأن الأصل في التوكيد أن لا يدخل حرف العطف بين المؤكد و المؤكد فالقول الصحيح فيه أن يكون على معنى فالشأن أنه يضلّه فيكون مبنيًا على مبتدأ مضمّر و «نُقِرُّ» مرفوع بالعطف على «خَلَقْنَاكُمْ» أو للاستئناف و يكون خبر مبتدأ محذوف أى و نحن نقر. و «ما نَشَاءُ» يجوز أن يكون مفعول نقر و يجوز أن يكون ظرف زمان و يكون مفعول نقر محذوفًا و تقديره و نقر في الأرحام الولد مده مشيئتنا و «طِفْلًا» منصوب على الحال «ثُمَّ لِيَتَّبِعُوا» أى لأن تبغوا و الجار و المجرور معطوف على محذوف تقديره لترضعوا و تشبوا ثم لتبغوا أشدكم «لِكَيْلَا يَعْلَمَ» إذا اجتمع اللام بمعنى كى مع كى فالحكم للأم و كى يكون بمعنى أن و اللام يتعلق بيرد.

النزول

قال عمران بن الحصين و أبو سعيد الخدرى نزلت الآيتان من أول السوره ليلا- فى غزاه بنى المصطلق و هم حى من خزاعه و الناس يسيرون فنادى رسول الله ص فحثوا المطى حتى كانوا حول رسول الله ص فقرأها عليهم فلم ير أكثر باكيا من تلك الليله فلما أصبحوا لم يحطوا السرج عن الدواب و لم يضربوا الخيام و الناس من بين باك أو جالس حزين متفكر فقال رسول الله ص أ تدرون أى يوم ذاك قالوا الله و رسوله أعلم قال ذاك يوم يقول الله تعالى لآدم أبعث بعث النار من ولدك فيقول آدم من كم و كم فيقول الله عز و جل من كل ألف تسعمائه و تسعه و تسعين إلى النار و واحد إلى الجنة فكبر ذلك على المسلمين و بكوا و قالوا فمن ينجو يا رسول الله فقال أبشروا فإن معكم خليقتين يأجوج و مأجوج ما كانتا فى شىء إلا كثرتاه ما أنتم فى الناس إلا كشره بيضاء فى الثور الأسود أو كرقم فى ذراع البكر أو كشأمه فى جنب البعير ثم قال إنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبروا ثم قال إنى لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبروا ثم قال إنى لأرجو أن تكونوا ثلثى أهل الجنة و إن أهل الجنة مائه و عشرون صفا ثمانون منها أمتى ثم قال و يدخل من أمتى سبعون ألفا الجنة بغير حساب و فى بعض الروايات أن عمر بن الخطاب قال يا رسول الله سبعون ألفا قال نعم و مع كل واحد سبعون ألفا فقام عكاشه بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال اللهم اجعله منهم فقام رجل من الأنصار فقال ادع الله أن يجعلنى منهم فقال ص سبقك بها عكاشه

قال ابن عباس كان الأنصارى منافقا فلذلك لم يدع له.

المعنى

خاطب الله سبحانه جميع المكلفين فقال «يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ»

معناه يا أيها العقلاء المكلفون اتقوا عذاب ربكم و اخشوا معصيه ربكم كما يقال احذر الأسد و المراد احذر افتراسه لا عينه «إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ» أى زلزاله الأرض يوم القيامة عن ابن عباس و الحسن و السدى و المعنى أنها تقارن قيام الساعة و تكون معها و قيل إن هذه الزلزلة قبل قيام الساعة و إنما أضافها إلى الساعة لأنها من أشرط ظهورها و آيات مجيئها عن علقمه و الشعبي «شَيْءٌ عَظِيمٌ» أى أمر عظيم هائل لا يطاق و قيل معناه أن شدة يوم القيامة أمر صعب و فى هذا دلالة على أن المعدوم يسمى شيئا فإن الله سبحانه سماها شيئا و هى معدومه «يَوْمَ تَرُؤْنَهَا» معناه يوم ترون الزلزلة أو الساعة «تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ» أى تشغل كل مرضعه عن ولدها و تنساه و قيل تسلو عن ولدها «وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا» أى تضع الحبالى ما فى بطونها و فى هذا دلالة على أن الزلزلة تكون فى الدنيا فإن الرضاع و وضع الحمل إنما يتصور فى الدنيا قال الحسن تذهل المرضعه عن ولدها لغير فطام و تضع الحامل ما فى بطنها لغير تمام و من قال إن المراد به يوم القيامة قال أنه تهويل لأمر القيامة و تعظيم لما يكون فيه من الشدائد أى لو كان ثم مرضعه لذهلت أو حامل لوضعت و إن لم يكن هناك حامل و لا مرضعه «وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى» من شدة الخوف و الفزع «وَمَا هُمْ بِسُكَارَى» من الشراب و قيل معناه كأنهم سكارى من ذهول عقولهم لشده ما يمر بهم لأنهم يضطربون اضطراب السكران ثم علل سبحانه ذلك فقال «وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ» فمن شدته يصيبهم ما يصيبهم «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ» هذا إخبار عن المشركين الذين يخاصمون فى توحيد الله سبحانه و نفى الشرك عنه بغير علم منهم بل للجهل المحض و قيل إن المراد به النضر بن الحرث فإنه كان كثير الجدل و كان يقول الملائكة بنات الله و القرآن أساطير الأولين و ينكر البعث «وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ» يغويه عن الهدى و يدعوه إلى الضلال و إن كان المراد بالآية النضر بن الحرث فالمراد بالشیطان المرید شیطان الإنس لأنه كان يأخذ من الأعجام و اليهود ما يطعن به على المسلمين «كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ» معناه أنه يتبع كل شیطان كتب الله على ذلك الشيطان فى اللوح المحفوظ أنه يضل من تولاه فكيف يتبع مثله و يعدل بقوله عمن دعاه إلى الرحمه و قيل معناه كتب على الشيطان أنه من تولاه أضله الله تعالى و قيل معناه كتب على المجادل بالباطل إن من اتبعه و ولاه يضلّه عن الدين «وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ» ثم ذكر سبحانه الحجة فى البعث لأن أكثر الجدل كان فيه فقال «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ» أى فى شك «مِنَ الْبُعْثِ» و النشور و الريب أقبح الشك «فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ» معناه فالدليل على صحته أنا خلقنا أصلكم و هو آدم (عليه السلام) من تراب فمن قدر على أن يصير التراب بشرا سويا حيا فى الابتداء

قدر على أن يحيى العظام و يعيد الأموات «ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ» معناه ثم خلقنا أولاده و نسله من نطفه فى أرحام الأمهات و هى الماء القليل يكون من الذكر و الأنثى و كل ماء صاف فهو نطفه قل أم كثر «ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ» بأن تصير النطفه علقه و هى القطعه من الدم الجامد «ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ» أى شبه قطعه من اللحم ممضوغه فإن معنى المضغه مقدار ما يمضغ من اللحم «مُخَلَّقَةٍ وَ غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ» أى تامه الخلق و غير تامه عن ابن عباس و قتاده و قيل مصوره و غير مصوره و هى ما كان سقطا لا تخطيط فيه و لا تصوير عن مجاهد «لِنُبَيِّنَ لَكُمْ» معناه لندلكم على مقدورنا بتصريفكم فى ضروب الخلق أو لنبين لكم أن من قدر على الابتداء قدر على الإعادة أو لنبين لكم ما يزيل ريبكم فحذف المفعول «وَ نُقَرِّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَحْسَنِ مَسَائِمِي» معناه و نبقي فى أرحام الأمهات ما نشاء إلى وقت تامه عن مجاهد و قيل و نقر من قدرنا له أجلا مسمى فى رحم أمه إلى أجله «ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا» أى نخرجكم من بطون أمهاتكم و أنتم أطفال و الطفل الصغير من الناس و إنما وحد و المراد به الجمع لأنه بمعنى المصدر كقولهم رجل عدل و رجال عدل و قيل أراد ثم نخرج كل واحد منكم طفلا «ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ» و هو حال اجتماع العقل و القوه و تمام الخلق و قيل هو وقت الاحتلام و البلوغ و قد سبق تفسير الأشد و اختلاف العلماء فى معناه «وَ مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ» أى قبل بلوغ الأشد أى يقبض روحه فيموت فى حال صغره أو شبابه «وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ» أى أسوأ العمر و أخبثه عند أهله و قيل أحقره و أهونه و هى حال الخوف و إنما صار أزدل العمر لأن الإنسان لا يرجو بعده صحه و قوه و إنما يرتقب الموت و الفناء بخلاف حال الطفولي و الضعف الذى يرجى له الكمال و التمام بعدها «لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا» أى لكيلا يستفيد علما و ينسى ما كان به عالما و قيل معناه لكى يصير إلى حال يعدم عقله أو يذهب عنه علومه هرما فلا يعلم شيئا مما كان علمه و إذا ذهب أكثر علومه جاز أن يطلق عليه ذهاب الجميع قال عكرمه من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحاله و احتج بقوله «ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» أى قرءوا القرآن ثم ذكر سبحانه دلاله أخرى على البعث فقال «وَ تَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً» يعنى هالكة عن مجاهد أى يابسه دارسه من أثر النبات «فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ» و هو المطر «اهْتَرَّتْ» أى تحركت بالنبات و الاهتزاز شده الحركه فى الجهات «وَ رَبَّتْ» أى زادت أى أضعفت نباتها و قيل انتفخت لظهور نباتها عن الحسن «وَ أَنْبَتَتْ» يعنى الأرض «مِنْ كُلِّ زَوْجٍ» أى من كل صنف «بِهَيْجٍ» مؤنق للعين حسن الصورة و اللون.

إشاره

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٧) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ (٨) ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيْقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ (٩) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (١٠)

الإعراب

«ثَانِي عَطْفِهِ» منصوب على الحال تقديره ثانيا عطفه «لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ» له خزي مبتدأ و خبر و في يتعلق بما يتعلق به اللام و المبتدأ و خبره في محل الرفع بأنه خبر. «مَنْ يُجَادِلُ» خبر بعد خبر. «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ» و «ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ» يجوز أن يكون ذلك مبتدأ و الجار و المجرور في موضع الخبر و يجوز أن يكون التقدير الأمر ذلك فيكون ذلك خبر مبتدأ محذوف.

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر الأدله عقبه بما يتصل به فقال «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ» معناه ذلك الذي سبق ذكره من تصريح الخلق على هذه الأحوال و إخراج النبات بسبب أن الله هو الحق أى ليعلموا أنه الذى يحق له العباده دون غيره و قيل هو الذى يستحق صفات التعظيم «وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ» لأن من قدر على إنشاء الخلق فإنه يقدر على إعادته «وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» أما المعدومات فيقدر على إيجادها و أما الموجودات فيقدر على إفنائها و إعادتها و يقدر على جميع الأجناس و من كل جنس على ما لا نهايه له «وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا» أى و ليعلموا أن القيامة آتية لا شك فيها «وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ» أى يحييهم للجزاء لأن ما ذكرناه يدل على البعث على الوجه الذى بيناه «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ» سبق تفسيره «وَلَا هُدًى» أى لا يرجع فيما يقوله إلى علم و لا دلاله «وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ» أى مضى ء له نور يؤدى من تمسك به إلى الحق و المعنى أنه لا يتبع أدله العقل و لا أدله السمع و إنما يتبع الهوى و التقليد و فى هذا دلاله على أن الجدل بالعلم صواب و بغير العلم خطأ لأن الجدل بالعلم يدعو إلى اعتقاد الحق و بغير العلم يدعو إلى

اعتقاد الباطل «ثَانِي عَطْفِهِ» أى متكبرا فى نفسه عن ابن عباس يقول العرب ثنى فلان عطفه إذا تكبر و تجبر و عطف الرجل جانبه من عن يمين أو شمال و هو الموضع الذى يعطفه الإنسان أى يلويه و يميله عند الإعراض عن الشئ ء و قيل معناه لاوى عنقه إعراضا و تكبرا عن الله و رسوله عن قتاده و مجاهد «لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» أى ليضل الناس عن الدين و من فتح الياء أراد ليضل هو عن طريق الحق المؤدى إلى توحيد الله «لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ» أى هوان و ذل و فضيحه بما يجرى له على ألسنه المؤمنين من الدم و بالقتل و غير ذلك «وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ» أى النار التى تحرقهم «ذَلِكَ» أى يقال له ذلك العذاب «بِمَا قَدَّمْتَّ يَدَاكَ» أى بما كسبت يداك «وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» فى تعذيبه لأن الله لا يظلم و لا يعاقب ابتداء و لا يزيد على الجزاء و فى هذا دلالة واضحة على بطلان مذهب المجبره الذين ينسبون كل ظلم فى العالم إلى الله تعالى.

[سوره الحج (٢٢): الآيات ١١ الى ١٥]

إشاره

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَ إِنْ أَصَابَتْهُ فَتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١١) يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَ مَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (١٢) يَدْعُوا لِمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَ لَبِئْسَ الْعَشِيرُ (١٣) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (١٤) مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ (١٥)

القراءه

قرأ روح و زيد عن يعقوب خاسر الدنيا و الآخره بالجر و هو قراءه مجاهد و حميد بن قيس و الباقون «خَسِرَ» بغير ألف و «الْآخِرَةَ» بالنصب و قرأ أهل البصره و ابن عامر و ورش

ثم ليقطع بكسر اللام و الباقون بسكونها و كذلك ثم ليقضوا و زاد ابن عامر و ليوفوا و ليطوفوا بالكسر فيهما أيضا و قرأ أبو بكر و ليوفوا بتشديد الفاء و الأعشى عنه بكسر اللام أيضا و الباقون و ليوفوا ساكنه الواو خفيفه الفاء.

الحجج

من قرأ «حَسِرَ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةَ» فإن هذه الجملة تكون بدلا من قوله «انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ» فكأنه قال و إن أصابته فتنة خسر الدنيا و الآخرة و مثله قول الشاعر:

إن يجبنوا أو يغدروا أو ييخلوا لا يحفلوا يغدوا عليك مرجلين كأنهم لم يفعلوا

فقوله يغدوا عليك بدل من لا يحفلوا و من قرأ خاسر الدنيا و الآخرة فإنه منصوب على الحال و أما قوله «ثُمَّ لِيَقْطَعَ» فإن أصل هذه اللام الكسر فإذا دخلها الواو و الفاء أو ثم فمن أسكنها مع الفاء و الواو فإن الفاء و الواو يصيران كشيء واحد في نفس الكلمة لأن كل واحد منهما لا ينفرد بنفسه فصار بمنزلة كتف و فخذ فأما ثم فهو منفصل عن الكلمة و ليست كالواو و الفاء فمن أسكن اللام معها شبه الميم في ثم بالفاء و الواو و جعله كقولهم أراك منتفخا كقول العجاج

(أراك منتصبا و ما تكردسا)

و مثل ذلك قولهم و هي فهى.

اللغة

الحرف و الطرف و الجانب نظائر و الاطمئنان التمكن و الفتنة هاهنا المحنة و الانقلاب الرجوع و العشير الصاحب المعاشر أى المخالط و النصره المعونه و قيل إن النصره هاهنا الرزق تقول العرب من ينصرنى نصره الله أى من أعطانى أعطاه الله قال الفقعى.

و إنك لا تعطى امرءا فوق حظه و لا تملك الشق الذى الغيث ناصره

أى معطيه و جائده و يقال نصر الله أرض فلان أى جاد عليها بالمطر و السبب كل ما يتوصل به إلى الشىء و منه قيل للحبل سبب و للطريق سبب و للباب سبب.

الإعراب

«يَدْعُوا لَمَنْ صَدْرُهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ» قال الزجاج اختلف الناس فى تفسير هذه اللام فقال البصريون و الكوفيون معنى هذه اللام التأخير و التقدير يدعو من لضره أقرب من نفعه و لم يشرحوه قال و شرحه أن اللام لليمين و التوكيد فحقها أن تكون فى أول الكلام فقدمت لتجعل فى حقها و إن كان أصلها أن يكون فى آخره كما أن لام أن حقها أن تكون فى الابتداء فلما لم يجز أن تلى إن جعلت فى الخبر مثل قولك أن زيدا لقائم فهذا قول و قالوا أيضا أن يدعو معه هاء مضمرة و إن ذلك فى موضع رفع و

يدعو في موضع الحال المعنى ذلك

ص: ١١٨

هو الضلال البعيد يدعوه أى فى حال دعائه إياه و يكون «لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ» مستأنفا مرفوعا بالابتداء و خبره «لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَ لَبِئْسَ الْعَشِيرُ» و فيه وجه آخر أغفله الناس و هو أن يكون ذلك فى تأويل الذى و هو فى موضع نصب لوقوع «يَدْعُوا» عليه و يكون «لَمَنْ ضَرُّهُ» مستأنفا و هو مثل قوله وَ مَا تَلَمَّكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى و معناه و ما التى يمينك و قال أبو على إن اللامات التى هى حروف داله على معان سوى الجاره و التى للأمر على أربعة أضرب (أحدها) تدخل على خبر إن إذا خفت أو على غير خبرها ليفصل بين أن النافية و المؤكده مثل قوله وَ إِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ وَ إِنْ كَادَ لَيُضِلُّنَا (و الثانى) يختص بالدخول على الفعل المضارع و الماضى و يكون جوابا للقسم نحو قوله «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ» و قول امرئ القيس

" لنا موا فما إن من حديث و لا " صال

(و الثالث) يدخل فى الشرط إذا كان جزاؤه معتمدا على قسم نحو قوله «وَ لَيْتَ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا» (و الرابع) يختص بالدخول على الأسماء المبتدأه و هى التى تدخل على خبر أن و يدخل على الفعل المضارع إذا كان للحال و كان خبرا لأن و هو أحد جهتى مضارعه الفعل المضارع للاسم و قد تدخل هذه اللام فى ضروره الشعر على خبر المبتدأ فى غير أن و ذلك كقوله

" أم الحليس لعجوز شهر به "

و كما حكى أبو الحسن فى حكاية نادره أن زيدا و وجهه لحسن فإذا كان هذه اللام حقها أن تدخل على المبتدأ أو على اسم أن أو خبرها من حيث أدخلها على المبتدأ و كان دخولها على خبر المبتدأ ضروره مع أنه المبتدأ فى المعنى فدخوله فى الموصول و المراد به الصلة ينبغى أن لا- يجوز لأن الصلة ليست بالموصول كما أن خبر المبتدأ المبتدأ فمن زعم أن اللام فى «لَمَنْ ضَرُّهُ» حكمها أن تكون فى المبتدأ الذى فى الصلة ثم قدم على الموصول كان مخطنا و أيضا فإن اللام إذا كان حكمه أنه يكون فى الصلة ثم قدم على الموصول فذلك غير سائغ كما أن سائر ما يكون فى الصلة لا يتقدم على الموصول قال و الوجه فى ذلك أن يجعل قوله «يَدْعُوا» تكرارا للفعل الأول على وجه تكثير هذا الفعل الذى هو الدعاء من فاعله و لا تجعلها متعدية إذ قد تعدت مره و يجوز أن تجعل مع يدعو هاء مضمرة و يكون فى موضع نصب على الحال من ذلك فكأنه قال ذلك هو الضلال البعيد مدعوا و يجوز أن تجعل ذلك هو الضلال البعيد مفعول يدعو على أن يكون ذلك فى معنى الذى يكون هو الضلال البعيد صلته كما قال أبو إسحاق أيضا فتكون اللام فى هذه الوجوه داخله على اسم مبتدأ موصول و لا موضع للجمله التى هى «لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ»

الآية لأنها لا تقع موقع مفرد و يكون اللام فى قوله «لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَ لَبِئْسَ الْعَشِيرُ» فى موضع رفع لوقوعه خبر المبتدأ و تكون هذه اللام لليمين فهذا ما يجب أن تحمل الآية عليه و أقول إن إعرابه على الوجه الأول أن يكون «ما لا يَضُرُّهُ» مفعول «يَدْعُوا» و «ما لا يَنْفَعُهُ» معطوفا عليه و «ذَلِكَ» مبتدأ و «هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ» خبره و يدعو تكرارا للفعل الأول و على الوجه الثانى يكون يدعو حالا من معنى الإشارة فى ذلك و على الوجه الثالث يكون ذلك اسما موصولا بمعنى الذى و الجملة صلته و الموصول و الصلة فى موضع نصب بأنه المفعول ليدعو و اللام فى «لَمَنْ ضَرُّهُ» لام الابتداء و الموصول و الصلة فى موضع رفع بالابتداء و «لَبِئْسَ الْمَوْلَى» جواب القسم و المقسم فى موضع رفع بأنه خبر المبتدأ و العائد إلى المبتدأ هو الضمير المحذوف من الجملة لأن التقدير لبئس المولى هو و لبئس العشير هو قال الزجاج و فيه وجه آخر و هو أن يكون يدعو فى معنى يقول و يكون من فى موضع رفع و خبره محذوف و يكون المعنى لمن ضره أقرب من نفعه هو مولاي و مثله قول عنترة:

يدعون عنتر و الرماح كأنها أشطان بئر فى لبان الأدهم

أى يقولون يا عنتر و يجوز أن يكون يدعو فى معنى يسمى كما قال ابن أحمز:

أهوى لها مشقفا حشرا فشبرقها و كنت أدعو قذاها الإثم الفرد

و أقول إنما قال خبر المبتدأ هنا محذوف لأن من يعبد الصنم لا يقول لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى فلذلك قدر الخبر محذوفا.

النزول

قيل نزلت هذه الآية وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فى جماعه كانوا يقدمون على رسول الله ص المدينة فكان أحدهم إذا صح جسمه و نتجت فرسه و ولدت امرأته غلاما و كثرت ماشيته رضى به و اطمأن إليه و إن أصابه وجع فى المدينة و ولدت امرأته جاريه قال ما أصبت فى هذا الدين إلا شرا عن ابن عباس.

المعنى

لما تقدم ذكر الكفار و ما تعاطوه من الجدال ذكر سبحانه بعده حال مقلده الضلال و الدعاه إلى الضلال فقال «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ» أى على ضعف فى العبادة كضعف القائم على حرف أى طرف جبل أو نحوه عن على بن عيسى قال و ذلك

ص: ١٢٠

من اضطرابه فى طريق العلم إذا لم يتمكن من الدلائل المؤديه إلى الحق فينقاد لأدنى شبهه لا يمكنه حلها و قيل على حرف أى على شك عن مجاهد و قيل معناه أنه يعبد الله بلسانه دون قلبه عن الحسن قال الدين حرفان أحدهما اللسان و الثانى القلب فمن اعترف بلسانه و لم يساعده قلبه فهو على حرف «فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ» أى أصابه رخاء و عافيه و خصب و كثره مال اطمأن على عباده الله بذلك الخير «وَ إِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ» أى اختبار بجذب و قلبه مال «انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ» أى رجع عن دينه إلى الكفر و المعنى انصرف إلى وجهه الذى توجه منه و هو الكفر «خَسِرَ الدُّنْيَا وَ الآخِرَةَ» أى خسر الدنيا بفراقه و خسر الآخرة بنفاقه «ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ الْمُبِينُ» أى الضرر الظاهر لفساد عاجله و آجله و قيل خسر فى الدنيا العز و الغنيمه و فى الآخرة الثواب و الجنة «يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَ مَا لَا يَنْفَعُهُ» أى يدعو هذا المرید بعبادته سوى الله ما لا يضره إن لم يعبده و ما لا ينفعه إن عبده «ذَلِكَ» الذى فعل «هُوَ الضَّلَالُ البُعِيدُ» عن الحق و الرشد يدعو على الوجه الآخر معناه «يَدْعُوا» الذى هو الضلال البعيد «لَمَنْ ضُرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ» قال السدى يعنى الذى ضره فى الآخرة بعبادته إياه أقرب من النفع و إن كان لا نفع عنده و لكن العرب تقول لما لا يكون هذا بعيد و نفع الصنم بعيد لأنه لا يكون فلما كان نفعه بعيدا قيل لضره أنه أقرب من نفعه على معنى أنه كائن «لَبِئْسَ الْمُؤَلَّى» أى لبئس الناصر هو «وَ لَبِئْسَ العَشِيرُ» أى الصاحب المعاصر المخالط هو يعنى الصنم يخالطه العابد و يصاحبه و لما ذكر الشاك فى الدين بالخسران ذكر ثواب المؤمنين على الإيمان فقال «إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا» بالله و صدقوا رسله «وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ» بأوليائه و أهل طاعته من الكرامه و بأعدائه و أهل معصيته من الإهانه لا يدفعه دافع و لا يمنعه مانع ثم قال «مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ» الهاء فى ينصره عائده إلى النبى ص عن ابن عباس و قتاده و المعنى من كان يظن أن الله لن ينصر نبيه محمدا ص و لا يعينه على عدوه «فِي الدُّنْيَا وَ الآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ» أى فليشدد جبلا- فى سقفه «ثُمَّ لْيَقْطَعْ» أى ليمدد ذلك الجبل حتى ينقطع فيموت مختنقا و المعنى فليختنق غيظا حتى يموت فإن الله ناصره و لا ينفعه غيظه و هو قوله «فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُدْهِبَنَّ كَيْدُهُ» أى صنعه و حيلته «مَا يَغِيظُ» ما بمعنى المصدر أى هل يذهبن كيده غيظه عن قتاده و أكثر المفسرين و قيل فليمدد بسبب إلى السماء معناه فليطلب شيئا يصل به إلى السماء المعروفه ثم ليقطع نصر الله و وحى الله عن محمد ص و ليزل بكيده ما يغیظه من نصر الله له و نزول الوحى عليه أى لا- يتهيا له ذلك و لا سبيل له إليه فليتجرع ما يغیظه و إنما قال سبحانه ذلك على وجه التبعيد أى كما لا يتهيا لهم الوصول إلى السماء كذلك لا يتهيا لهم إزالة ما يغیظهم من أمر رسول الله و نصره على أعدائه دائما و إنما ذكر السماء لأن النصر يأتيه من قبل السماء و من

الملائكة عن أبي علي الجبائي وقيل إن الهاء في «يَنْصُرُهُ» عائده إلى من عن مجاهد والضحاك و أبي مسلم ثم اختلف في معناه فقيل من كان يظن من الناس أن الله لا ينصره فليجهد جهده و ليصعد السماء ثم ليقطع المسافة فلينظر هل ينفعه كيده في إزاله غيظه لما يدعى إليه من دين الله فإن الذي حكم الله به لا يبطل بكيد الكائد عن أبي مسلم وقيل المراد بالنصر الرزق و يقال أرض منصوره أى ممطوره و المعنى من ظن أن الله لا يرزقه فى الدنيا و الآخرة فليختنق نفسه أى لا يمكنه تكثير رزقه أى كما لا يقدر أن يزيد فيما رزقه الله بهذا النوع من الكيد كذلك لا يقدر عليه بسائر أنواع الكيد و هذا مثل ضربه الله لهذا الجاهل الذى يسخط لما أعطاه الله أى مثله مثل من فعل بنفسه هذا.

[سوره الحج (٢٢): الآيات ١٦ الى ١٨]

إشاره

وَ كَذَلِكَ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَ أَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ (١٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هَادُوا وَ الصَّابِئِينَ وَ النَّصَارَى وَ الْمَجُوسَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصَلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١٧) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ وَ الْجِبَالُ وَ الشَّجَرُ وَ الدَّوَابُّ وَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَ كَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَ مَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١٨)

الإعراب

خبر إن الأولى جملة الكلام مع أن الثانيه و زعم الفراء أن قولك إن زيدا أنه لقائم و روى أن هذه الآية إنما صلحت فى الذى قال الزجاج لا فرق بين الذى و غيره فى باب أن إن قلت إن زيدا أنه قائم كان جيدا قال جرير إن الخليفة إن الله سربله سربال ملكك به ترجى الخواتيم.

المعنى

ثم بين سبحانه أنه نزل الآيات حجه على الخلق فقال «وَ كَذَلِكَ» أى و مثل

ما تقدم من آيات القرآن «أَنْزَلْنَاهُ» يعنى القرآن «آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ» أى حججا واضحات على التوحيد و العدل و الشرائع «وَ أَنْ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ» أى و أنزلنا إليك أن الله يهدى إلى الدين من يريد و قيل إلى النبوه و قيل إلى الثواب و قيل يهدى من يهتدى بهداه «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» بمحمد ص «وَ الَّذِينَ هَادُوا» و هم اليهود «وَ الصَّابِئِينَ وَ النَّصَارَى وَ الْمَجُوسَ وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا» ظاهر المعنى «إِنَّ اللَّهَ يَفْصَلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أى يبين المحق من المبطل بما يضطر إلى العلم بصحة الصحيح فيبيض وجه المحق و يسود وجه المبطل و الفصل التمييز بين الحق و الباطل «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» أى عليم مطلع على ما من شأنه أن يشاهد بعلمه قبل أن يكون لأنه علام الغيوب ثم خاطب النبى ص و المراد به جميع المكلفين فقال «أَلَمْ تَرَ» أى أ لم تعلم «أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِمَّنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مِمَّنْ فِي الْأَرْضِ» من العقلاء «وَ الشَّمْسُ» أى و يسجد الشمس «وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ وَ الْجِبَالُ وَ الشَّجَرُ وَ الدَّوَابُّ» وصف سبحانه هذه الأشياء بالسجود و هو الخضوع و الذل و الانقياد لخالقها فيما يريد منها «وَ كَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ» يعنى المؤمنين الذين يسجدون لله تعالى و انقطع ذكر الساجدين ثم ابتداء فقال «وَ كَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ» أى ممن أبى السجود لأنه لا يحق عليه العذاب إلا- بتركة السجود «وَ مَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ» معناه من يهنه الله بأن يشقيه و يدخله جهنم «فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ» بالسعاده أى بإدخاله الجنة لأنه لا يملك العقوبه و المثوبه سواه «إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ» من الإنعام و الانتقام بالفريقين من المؤمنين و الكافرين.

إشاره

هذَانِ حَصِيْمَانِ اِخْتَصِمَا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِيْنَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهِمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمْ الْحَمِيمُ (١٩) يُصِيْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُوْنِهِمْ وَ الْجُلُوْدُ (٢٠) وَ لَهُمْ مَقَامِعٌ مِّنْ حَدِيْدٍ (٢١) كُلَّمَا اَرَادُوا اَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ اُعِيْدُوا فِيْهَا وَ ذُوْقُوا عَذَابَ الْحَرِيْقِ (٢٢) اِنَّ اللّٰهَ يَدْخُلُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيْهَا مِنْ اَسْوَارٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤًا وَ لِيٰسِيٍّ لَهُمْ فِيْهَا حَرِيْرٌ (٢٣)

وَ هُدُوًا اِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَ هُدُوًا اِلَى صِرَاطِ الْحَمِيْدِ (٢٤)

القراءة

قرأ أهل المدينة و عاصم «و لؤلؤاً» بالنصب و فى سورة فاطر مثله و الباقرن بالجر فى الموضوعين إلا يعقوب فإنه قرأ هاهنا بالنصب و فى فاطر بالجر و ترك أبو جعفر و أبو بكر و شجاع الهمزة الأولى منه فى جميع القرآن و فى الشواذ قراءة ابن عباس يحلون بفتح الياء و تخفيف اللام.

الحج

قال أبو على وجه الجر فى لؤلؤ أنهم يحلون فيها من أساور من ذهب و من لؤلؤ و وجه النصب أنه على و يحلون لؤلؤا و يجوز أن يكون عطفا على موضع الجار و المجرور لأن المعنى فى يحلون فيها من أساور يحلون أساور و قال ابن جنى يحلون من حلى يحلى يقال لم أحل منه بطائل أى لم أظفر و يجوز أن يكون من قولهم امرأه حاله أى ذات حلى.

اللغة

الخصم يستوى فيه الواحد و الجمع و الذكر و الأنثى يقال رجل خصم و رجلان خصم و رجال خصم و نساء خصم و قد يجوز فى الكلام هذان خصمان اختصموا و هؤلاء خصم اختصموا قال الله تعالى «وَ هَلْ اَتَاكَ نَبَأُ الْخَضَمِ اِذْ تَسُوْرُوا الْمِحْرَابَ» و هكذا حكم المصادر إذا وصف بها أو أخبر بها نحو عدل و رضى و صوم و فطر و زور و حرى و قمن و ما أشبه ذلك و إنما قال فى الآيه خصمان لأنهما جمعان و ليسا برجلين و مثله وَ اِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ اقْتَتَلُوْا وَ الْحَمِيْمُ الْمَاءُ الْمَغْلِيّ وَ الصَّهْرُ الْاِذَابُ يُقَالُ صَهَرْتَهُ فَانصَهَرَ قَالَ

تروى لقى ألقى فى صنفص تصهره الشمس فما ينصهر

يعنى ولدها و المقامع جمع مقمعه و هى مدقه الرأس من قمعه قمعا إذا ردعه و الحريق بمعنى المحرق كالأليم و الأساور جمع أسوار و فيه ثلاث لغات أسوار بالألف و سوار و سوار بالكسر و الضم و الجمع أسوره.

قيل نزلت الآية «هَذَا نِ حَظِي مَانِ اِحْتَصِي مُوا» في سته نفر من المؤمنين و الكفار تبارزوا يوم بدر و هم حمزه بن عبد المطلب قتل عتبه بن ربيعه و على بن أبي طالب (عليه السلام) قتل

الوليد بن عتبة و عبيده بن الحرث بن عبد المطلب قتل شبيهه بن ربيعه عن أبي ذر الغفاري و عطا و كان أبو ذر يقسم بالله تعالى أنها نزلت فيهم و رواه البخاري في الصحيح و قيل نزلت في أهل القرآن و أهل الكتاب عن ابن عباس و قيل في المؤمنين و الكافرين عن الحسن و مجاهد و الكلبي و هذا قول أبي ذر إلا أن هؤلاء لم يذكروا يوم بدر.

المعنى

لما تقدم ذكر المؤمنين و الكافرين بين سبحانه ما أعده لكل واحد من الفريقين فقال «هَذَانِ خَصْمَانِ» أى جمعان فالفرق الخمسه الكافره خصم و المؤمنون خصم و قد ذكروا فى قوله «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هَادُوا وَ الصَّابِئِينَ» الآية «اِخْتَصِمُوا فِي رَبِّهِمْ» أى فى دين ربهم فقالت اليهود و النصارى للمسلمين نحن أولى بالله منكم لأن نبينا قبل نبيكم و ديننا قبل دينكم و قال المسلمون بل نحن أحق بالله منكم آمنا بكتابنا و كتابكم و نبينا و نبيكم و كفرتم أنتم بنينا حسدا فكان هذا خصومتهم و قيل إن معنى اختصموا اقتتلوا يوم بدر «فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ» قال ابن عباس حين صاروا إلى جهنم لبسوا مقطعات النيران و هى الثياب القصار و قيل يجعل لهم ثياب نحاس من نار و هى أشد ما تكون حرا عن سعيد بن جبير و قيل أن النار تحيط بهم كإحاطه الثياب التى يلبسونها بهم «يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ» أى الماء المغلى فيذيب فى ما بطونهم من الشحوم و تساقط الجلود و فى خبر مرفوع أنه يصب على رءوسهم الحميم فينفذ إلى أجوافهم فيسلت ما فيها «يُضَهَّرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَ الْجُلُودُ» أى يذاب و ينضج بذلك الحميم ما فيها من الأمعاء و تذاب به الجلود «وَ لَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ» قال الليث المقمعه شبه العجز من الحديد يضرب بها الرأس

و روى أبو سعيد الخدرى قال قال رسول الله ص فى قوله «وَ لَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ» لو وضع مقمعه من حديد فى الأرض ثم اجتمع عليه الثقلان ما أقلوه من الأرض

و قال الحسن إن النار ترميهم بلهبها حتى إذا كانوا فى أعلاها ضربوا بمقامع فهووا فيها سبعين خريفا فإذا انتهوا إلى أسفلها ضربهم زفير لهبها فلا يستقرون ساعه فذلك قوله «كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا» أى كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم و الكرب الذى يأخذ بأنفسهم حين ليس لها مخرج ردوا إليها بالمقامع «وَ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ» أى و يقال لهم ذوقوا و الذوق طلب إدراك الطعم و الحريق الاسم من الاحتراق قال الزجاج هذا لأحد الخصمين و قال فى الخصم الذين هم المؤمنون «إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا» بالله و أقروا بوحدانيته «وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» أى من تحت أنبيتها و أشجارها «يُحَلَّوْنَ فِيهَا» أى يلبسون الحلى فيها «مِنْ أَسَاوِرَ» و هى حلى اليد «مِنْ ذَهَبٍ وَ لؤلؤًا» أى و من لؤلؤ و لباسهم فيها حريز» أى ديباج حرم الله سبحانه لبس

الحرير على الرجال فى الدنيا و شوقهم إليه فى الآخرة فأخبر أن لباسهم فى الجنة حرير «وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ» أى أرشدوا فى الجنة إلى التحيات الحسنه يحيى بعضهم بعضا و يحييهم الله و ملائكته بها و قيل معناه أرشدوا إلى شهاده أن لا إله إلا الله و الحمد لله عن ابن عباس و زاد ابن زيد و الله أكبر و قيل أرشدوا إلى القرآن عن السدى و قيل إلى القول الذى يتلذونه و يشتهونه و تطيب به نفوسهم و قيل إلى ذكر الله فهم به يتنعمون «وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ» و الحميد هو الله المستحق للحمد المستحمد إلى عباده بنعمه عن الحسن أى الطالب منهم أن يحمده

و روى عن النبى ص أنه قال ما أحد أحب إليه الحمد من الله عز ذكره

و صراط الحميد هو طريق الإسلام و طريق الجنة.

ص: ١٢٦

إشاره

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِن عَذَابِ أَلِيمٍ (٢٥) وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦) وَ أذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقْتَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْبَأْسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَ لِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٢٩)

ذَلِكَ وَ مَنْ يُعْظَمِ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَ اجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠)

القراءة

قرأ حفص عن عاصم و روح و زيد عن يعقوب «سواء» بالنصب و الباقون بالرفع و في الشواذ قراءه ابن عباس و أبي مجلز و مجاهد و عكرمه و الحسن

رجالاً بالتشديد و الضم و هو المروى عن أبي عبد الله (عليه السلام)

و قراءه ابن أبي إسحاق و الزهري و الحسن بخلاف رجالاً بالضم و التخفيف.

الحجه

قال أبو علي وجه الرفع في سواء أنه خبر مبتدأ مقدم و المعنى العاكف فيه و البادى سواء ليس أحدهما بأحق به من صاحبه و هذا يدل على أن أرض الحرم لا تملك و لو ملكت لم يستويا فيها و صار العاكف فيها أولى بها من البادى لحق ملكه و لكن سبيلها سبيل المساجد التي من سبق إليها كان أولى بها و من نصب سواء أعمل المصدر أعمال اسم الفاعل فرفع العاكف به كما يرفع بمستوى لو قال جعلناه مستويا العاكف فيه و البادى و وجه إعماله أن المصدر قد يقوم مقام اسم الفاعل في الصفه في نحو قولهم رجل عدل فيصير عدل كعادل و يجوز في نصب سواء وجه آخر و هو أن تنصبه على الحال فإذا نصبته عليها و جعلت قوله للناس مستقرا جاز أن يكون حالا يعمل فيها معنى الفعل و ذو الحال الذكر الذي في المستقر و يجوز أن يكون حالا من الفعل الذي هو جعلناه فإن جعلتها حالا من الضمير المتصل بالفعل كان الضمير ذا الحال و العامل فيها الفعل و جواز كون للناس مستقرا على أن يكون المعنى أنه جعل للناس و نصب لهم منسكا و متعبدا كما قال إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ وَ أما رجالا فهو جمع راجل مثل طالب و طلاب و كاتب و كتاب و أما رجالا بتخفيف الجيم فهو غريب في الجمع فهو نحو ظوار و عراق و رخال في جمع ظئر و عرق و رخل.

العاكف المقيم الملازم للمكان و البادى أصله من بدا يبدو إذا ظهر و البدو خلاف الحضر سمي بذلك لظهوره و البادى فى الآيه الطارئ و المكان ما يتمكن عليه الشىء قيل هو اسم لما أحاط بالشىء و المكان و الموضع و المستقر نظائر و الرجال جمع راجل مثل صحاب و قيام و فى جمع صاحب و قائم و الضامر المهزول أضمره السير و العميق البعيد قال الراجز

" يقطعن بعد النازح العميق "

و البائس الذى به ضر الجوع و الفقير الذى لا شىء له يقال بؤس فهو بائس أى صار ذا بؤس و هو الشده قال الأزهرى لا يعرف التفث فى لغة العرب إلا من قول ابن عباس و أهل التفسير و قال النضر بن شميل هو إذهاب الشعث.

الإعراب

خبر «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا» محذوف يدل عليه «وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدَقَهُ مِنْ

ص: ١٢٧

عَذَابٍ أَلِيمٍ» فالمعنى إن الذين كفروا نذيقهم العذاب الأليم «وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ» الباء فيه زائده تقديره و من يرد فيه إلحادا و الباء فى قوله «بِظُلْمٍ» للتعديه و ما جاءت الباء فيه مزيدة قول الشاعر

بواد يمان ينبت الشث صدره و أسفله بالمرخ و الشبهان

و قول الأعشى

ضمنت برزق عيالنا أرماحنا ملء المراجل و الصريح الأجردا

و قول امرئ القيس

ألا هل أتاها و الحوادث جمه بأن امرء القيس بن تملك بيقرا

و قال الزجاج و الذى يذهب إليه أصحابنا أن الباء ليست بملغاه و المعنى عندهم و من إرادته فيه بأن يلحد بظلم و هو مثل قوله

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لى لى بكل سبيل

و المعنى أريد و إرادتى لهذا «على كل ضامر» فى موضع نصب على الحال أى يأتوك رجالا و ركباناً و يأتين فى موضع جر لأن المعنى فى قوله «و على كل ضامر» على إبل ضامره آتية من كل فج عميق

و روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قرأ يأتون

فعلى هذا يعود الضمير فى يأتون إلى الناس.

المعنى

ثم بين سبحانه حال الكفار فقال «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» عطف بالمضارع على الماضى لأن المراد بالمضارع أيضا الماضى و يقويه قوله الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ* و يجوز أن يكون المعنى أن الذين كفروا فيما مضى و هم الآن يصدون الناس عن طاعة الله «وَ الْمَسِيحِ جِدِّ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ» أى مستقرا و منسكا و متعبدا و قيل معناه خلقناه للناس كلهم لم يخص به بعض دون بعض قال الزجاج جعلناه للناس وقف تام ثم قال «سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَ الْبَادِ» أى العاكف المقيم فيه و الباد الذى يتنابه من غير أهله مستويان فى سكناه و النزول به فليس أحدهما أحق بالمنزل يكون فيه من

الآخر غير أنه لا يخرج أحد من بيته عن ابن عباس و قتاده و سعيد بن جبير قالوا إن كراء دور مكة و بيعها حرام و المراد بالمسجد الحرام على هذا الحرم كله كقوله أشرى بعديه لئلا من المسجد الحرام و قيل المراد بالمسجد الحرام عين المسجد الذى يصلى فيه عن الحسن و مجاهد و الجبائى و الظاهر يدل عليه و على هذا يكون المعنى فى قوله «جَعَلْنَا لِلنَّاسِ» أى قبله لصلاتهم و منسكا لحجهم فالعاكف و الباد سواء فى حكم النسك و كان المشركون يمنعون المسلمين عن الصلاة فى المسجد الحرام و الطواف به و يدعون أنهم أربابه و ولاته «وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ» و الإلحاد العدول عن القصد و اختلف فى معناه هاهنا فقيل هو الشرك و عبادة غير الله تعالى عن قتاده فكأنه قال و من يرد فيه ميلا عن الحق بأن يعبد غير الله ظلما و عدوانا و قيل هو الاستحلال للحرام و الركوب للآثام عن ابن عباس و الضحاك و مجاهد و ابن زيد و قيل هو كل شىء نهى عنه حتى شتم الخادم لأن الذنوب هناك أعظم و قيل هو دخول مكة بغير إحرام عن عطاء «نُذِقَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ» أى نعدبه عذابا و جيعا و قيل إن الآيه نزلت فى الذين صدوا رسول الله ص عن مكة عام الحديبيه «وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ» معناه و اذكر يا محمد إذ وطأنا لإبراهيم مكان البيت و عرفناه ذلك بما جعلنا له من العلامة قال السدى إن الله تعالى لما أمره ببناء الكعبه لم يدر أين يبنى فبعث الله ريحا خجوجا فكنست له ما حول الكعبه عن الأساس الأول الذى كان البيت عليه قبل أن رفع أيام الطوفان و قال الكلبي بعث الله سبحانه على قدر البيت فيها رأس تتكلم فقامت بحيال الكعبه و قالت يا إبراهيم ابن على قدرى و قيل إن المعنى جعلنا البيت مثوبه و مسكنه عن ابن الأنبارى «أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا» أى و أوحينا إليه أن لا تعبد غيرى قال المبرد كأنه قال و حدنى فى هذا البيت لأن معنى لا تشرك بى شيئا و حدنى «وَ طَهَّرْ بَيْتِي» من الشرك و عباده الأوثان عن قتاده «لِلطَّائِفِينَ وَ الْقَائِمِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ» مفسر بسوره البقره و المراد بالقائمين المقيمين بمكة و قيل القائمين فى الصلاة عن عطاء «وَ أَدْنَى فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ» أى ناد فى الناس و أعلمهم بوجوب الحج و اختلف فى المخاطب به على قولين (أحدهما) أنه إبراهيم عن على و ابن عباس و اختاره أبو مسلم قال ابن عباس قام فى المقام فنادى يا أيها الناس إن الله دعاكم إلى الحج فأجابوا بلييك اللهم لييك (و الثانى) أن المخاطب به نبينا محمد عليه أفضل الصلوات أى و أذن يا محمد فى الناس بالحج فأذن صلوات الله عليه فى حجه الوداع أى أعلمهم بوجوب الحج عن الحسن و الجبائى و جمهور المفسرين على القول الأول و قالوا أسمع الله

تعالى صوت إبراهيم كل من سبق علمه بأنه يحج إلى يوم القيامة كما أسمع سليمان مع ارتفاع منزلته و كثره جنوده حوله صوت النملة مع خفضه و سكونه و فى روايه عطا عن ابن عباس قال لما أمر الله سبحانه إبراهيم أن ينادى فى الناس بالحج صعد أبا قبيس و وضع إصبعه فى أذنيه و قال يا أيها الناس أجيئوا ربكم فأجابوه بالتلبية فى أصلاب الرجال و أول من أجابه أهل اليمن «يَأْتُوكَ رِجَالًا» أى مشاه على أرجلهم «وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ» أى ركبانا قال ابن عباس يريد الإبل و لا يدخل بعير و لا غيره الحرم إلا و قد هزل و

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال لبنيه يا بنى حجوا من مكة مشاه حتى ترجعوا إليها مشاه فإنى سمعت رسول الله ص يقول للحاج الراكب بكل خطوه تخطوها راحلته سبعون حسنه و للحاج الماشى بكل خطوه يخطوها سبعمائه حسنه من حسنات الحرم قيل و ما حسنات الحرم قال الحسنه بمائه ألف حسنه

«يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ» أى طريق بعيد

و روى مرفوعا عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله ص يقول إن الله تعالى يباهى بأهل عرفات الملائكه يقول يا ملائكتى انظروا إلى عبادى شعثا غبرا أقبلوا يضربون إلى من كل فج عميق فأشهدكم أنى قد أجت دعاءهم و شفعت رغبتهم و وهبت مسيئتهم لمحسنتهم و أعطيت محسنتهم جميع ما سألوني غير التبعات التى بينهم فإذا أفاض القوم إلى جمع و وقفوا و عادوا فى الرغبه و الطلب إلى الله يقول يا ملائكتى عبادى وقفوا و عادوا من الرغبه و الطلب فأشهدكم أنى قد أجت دعاءهم و شفعت رغبتهم و وهبت مسيئتهم لمحسنتهم و أعطيت محسنتهم جميع ما سألتنى و كفلت عنهم بالتبعات التى بينهم

و قوله «لِيَسْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ» قيل يعنى بالمنافع التجارات عن ابن عباس و سعيد بن جبير و قيل التجاره فى الدنيا و الأجر و الثواب فى الآخرة عن مجاهد و

قيل هى منافع الآخرة و هى العفو و المغفره عن سعيد بن المسيب و عطيه العوفى و هو المروى عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام) و يكون المعنى ليحضروا ما ندبهم الله إليه مما فيه النفع لهم فى الآخرة «وَيَذُكُّوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ» اختلف فى هذه الأيام و فى الذكر فيها فقيل هى أيام العشر و قيل لها معلومات للحرص على علمها من أجل وقت الحج فى آخرها و المعدودات أيام التشريق عن الحسن و مجاهد و قيل

هى أيام التشريق يوم النحر و ثلاثه بعده و المعدودات أيام العشر عن ابن عباس و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

و اختاره الزجاج قال لأن الذكر هاهنا يدل على التسميه على ما ينحر لقوله «عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ» أى على ذبح و نحر ما رزقهم من الإبل و البقر و الغنم و هذه الأيام تختص بذلك و قيل إن الذكر فيها كناية عن الذبح لأن صحه الذبح لما كان بالتسميه سمي باسمه توسعا و قيل هو التكبير

قال أبو عبد الله التكبير بمنى عقب خمس عشره صلاه أولها صلاه الظهر من يوم النحر يقول الله أكبر الله أكبر لا إله

إلا الله و الله أكبر الله أكبر و الله الحمد الله أكبر على ما هدانا و الحمد لله على ما أبلانا و الله أكبر على ما رزقنا من بهيمه الأنعام

و البهيمه أصلها من الإبهام و ذلك أنها لا تفصح كما يفصح الحيوان الناطق و الأنعام الإبل و اشتقاقها من النعمه و هى اللين سميت بذلك للين أخفافها و قد يجتمع معها البقر و الغنم فيسمى الجميع أنعاما اتساعا و إن انفردا لم يسميا أنعاما «فَكُلُوا مِنْهَا» أى من بهيمه الأنعام و هذا إباحه و ندب و ليس بواجب «وَ أَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ» فالبائس الذى ظهر عليه أثر البؤس من الجوع و العرى و قيل البائس الذى يمد يده بالسؤال و يتكفف للطلب أمر سبحانه أن يعطى هؤلاء من الهدى «ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ» أى ليزيلوا أشعث الإحرام من تقليم ظفر و أخذ شعر و غسل و استعمال طيب عن الحسن و قيل معناه ليقضوا مناسك الحج كلها عن ابن عباس و ابن عمر قال الزجاج قضاء التفث كناية عن الخروج من الإحرام إلى الإحلال «وَ لِيُؤْفُوا نُدُورَهُمْ» أى و ليتموا ندورهم بقضائها و لم يقل بندورهم لأن المراد بالإيفاء الإتمام قال ابن عباس هو نحر ما نذروا من البدن و قيل هو ما نذروا من أعمال البر فى أيام الحج و ربما نذر الإنسان أن يتصدق أن رزقه الله الحج و إن كان على الرجل ندور مطلقه فالأفضل أن يفى بها هناك «وَ لِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ» هذا أمر و ظاهره يقتضى الوجوب و قيل أراد به طواف الزيارة لأنه من أركان أفعال الحج بلا خلاف و قيل إنه طواف الصدر لأنه سبحانه أمر به عقيب المناسك كلها و روى أصحابنا أن المراد به طواف النساء الذى يستباح به وصل النساء و ذلك بعد طواف الزيارة فإنه إذا طاف طواف الزيارة حل له كل شىء إلا النساء فإذا طاف طواف النساء حلت له النساء و البيت العتيق هو الكعبه و إنما سمي عتيقا لأنه أعتق من أن يملكه العبيد عن مجاهد و سفيان بن عيينه و أبى مسلم و قيل إنما سمي عتيقا لأنه أعتق من أن تصل الجبابره إلى تخريبه و ما قصده جبار قبل نبينا ص إلا- أهلكه الله تعالى و إنما لم يهلك الحجاج حين نقضه و بناه ثانيا ببركه نبينا ص فإن الله سبحانه أمن ببركته هذه الأمه من عذاب الاستئصال عن مجاهد و قيل سمي به لأنه أعتق من الطوفان فغرقت الأرض كلها إلا موضع البيت و قيل سمي به لأنه قديم فهو أول بيت وضع للناس بناه آدم (عليه السلام) ثم جدده إبراهيم (عليه السلام) عن ابن زيد «ذَلِكَ» قيل هاهنا وقف و معناه الأمر ذلك أى هكذا أمر الحج و المناسك «وَ مَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ» أى فالتعظيم خير له عند ربه أى فى الآخرة و الحرمه ما لا- يحل انتهاكه و قال الزجاج الحرمه ما وجب القيام به و حرم التفريط فيه و هى فى هذه الآيه ما نهى عنها و منع من الوقوع فيها

و تعظيمها ترك ملامستها و اختار أكثر المفسرين فى معنى الحرمات هنا أنها المناسك لدلاله ما يتصل بها من الآيات على ذلك و قيل معناها هاهنا البيت الحرام و البلد الحرام و الشهر الحرام و المسجد الحرام عن ابن زيد قال و يدل عليه قوله وَ الْحُرْمَاتُ قِصَاصٌ «وَ أُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ» أى الإبل و البقر و الغنم «إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ» يعنى فى سورة المائدة من الميتة و المنخنقه و الموقوذه و نحوها «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ» من هنا للتبيين و التقدير فاجتنبوا الرجس الذى هو الأوثان و روى أصحابنا أن اللعب بالشطرنج و النرد و سائر أنواع القمار من ذلك و قيل إنهم كانوا يلطخون الأوثان بدماء قرابينهم فسمى ذلك رجسا «وَ اجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ» يعنى الكذب و قيل هو تلبيه المشركين لبيك لا- شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه و ما ملك و روى أصحابنا أنه يدخل فيه الغناء و سائر الأقوال الملهيه

و روى أيمن بن حريم عن رسول الله ص أنه قام خطيبا فقال أيها الناس عدلت شهادة الزور بالشرك بالله ثم قرأ «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَ اجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ»

يريد أنه قد جمع فى النهى بين عباده الوثن و شهاده الزور.

[سوره الحج (٢٢): الآيات ٣١ الى ٣٥]

إشاره

حَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١) ذَلِكَ وَ مَنْ يُعْظَمَ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٢) لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحْلُهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٣٣) وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسِيًّا كَأَلْيَدِكَرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقْتَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَ بَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ الصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَ الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٥)

القرءاءه

قرأ أهل المدينه فتخطفه بفتح الخاء مشددا و الباقون «فَتَخْطَفُهُ» بسكون الخاء

ص: ١٣٢

و التخفيف و قرأ منسكا بالكسر أهل الكوفه غير عاصم و الباقون «مَنْسِكًا» بالفتح و فى الشواذ قراءه الحسن و ابن أبى إسحاق و المقيمي الصلاه بالنصب.

الحج

تخطف تتخطف فحذف تاء التفعّل و هما فى كلا- القراءتين حكايه حال تكون و المعنى فى ذلك أنه فى مقابله قوله فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَأَنْفِصَامَ لَهَا فالمشرك بعكس هذا الوصف فلم يستمسك لكفره بما فيه أمان من الخرور و نجاه من الهوى و اختطاف الطير فصار كمن خر من السماء فهوت به الريح فلم يكن له معتصم و الأصل فى المنسك الفتح لأنه لا يخلو من أن يكون مصدرا أو مكانا و كلاهما مفتوح العين من باب يفعل إلا أنه قد جاء اسم المكان منه فى كلمات على المفعّل نحو المطلع و المسجد شاذا عن القياس و من قرأ «وَالْمُقِيمِ الصَّلَاةِ» فإنه حذف النون تخفيفا لا لتعاقبها الإضافه و شبه ذلك بالذنين و اللذان فى قول الشاعر

و إن الذى حانت بفلج دماءهم هم القوم كل القوم يا أم خالد

و قول الأخطل

أبنى كليب إن عمى اللذا قتلا الملوك و فككا الأغلالا

و نحوه بيت الكتاب

و الحافظو عوره العشيره لا يأتهم من ورائهم و كف

و قال آخر

قتلنا ناجيا بقتيل عمرو و خير الطالبى التره الغشوم.

اللغه

الخطف و الإخطاف الاستلاب و السحيق البعيد و السحوق النخلة الطويله و الشعائر علامات مناسك الحج التى تشعر بما جعلت له و أشعرت البدن أعلمتها بما يشعر أنها هدى و المنسك موضع العباده و النسك العباده يقال نسك ينسك و ينسك أى تعبد و قيل هو عباده الذبح و النسيكه الذبيحه يقال نسكت الشاه ذبحتها و الإخبات الخضوع و الطمأنينه و أصله من الخبت و هو المكان المطمئن و قيل المنخفض.

المعنى

قال سبجانه «حُفَاءَ لِلَّهِ» أى مستقيمي الطريقه على أمر الله مائلين عن سائر الأديان و هى نصب على الحال «غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ» أى

حجاجا مخلصين و هم

ص: ۱۳۳

مسلمون موحدون لا يشركون فى تلبيه الحج به أحدا ثم ضرب سبحانه مثلا لمن أشرك فقال «وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ» أى سقط من السماء «فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ» أى تأخذه بسرعه قال ابن عباس يريد تخطف لحمه «أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ» أى تسقطه «فِي مَكَانٍ سَيِّئٍ» أى بعيد مفرط فى البعد قال الزجاج أعلم الله سبحانه أن بعد من أشرك به من الحق كبعد من خر من السماء فذهب به الطير أو هوت به الريح فى مكان بعيد و قال غيره شبه حال المشرك بحال الهاوى من السماء فى أنه لا يملك لنفسه حيله فهو هالك لا- محاله «ذَلِكَ» أى الأمر ذلك الذى ذكرنا «وَمَنْ يُعْظَمِ شَعَائِرَ اللَّهِ» أى معالم دين الله و الأعلام التى نصبها لطاعته ثم اختلف فى ذلك ف قيل هى مناسك الحج كلها عن ابن زيد و قيل هى البدن و تعظيمها استسمانها و استحسانها عن مجاهد و عن ابن عباس فى روايه مقسم و الشعائر جمع شعيره و هى البدن إذا أشرعت أى أعلمت عليها بأن يشق سنامها من الجانب الأيمن ليعلم أنها هدى فالذى يهدى مندوب إلى طلب الأسمن و الأعظم و قيل شعائر الله دين الله كله و تعظيمها التزامها عن الحسن «فَأَنَّهَا» أى فإن تعظيمها لدلاله تعظيم عليه ثم حذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه فقال فإنها «مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ» أضاف التقوى إلى القلوب لأن حقيقه التقوى تقوى القلوب و قيل أراد صدق النيه «لَكُمْ فِيهَا» أى فى الشعائر «مَنَافِعَ» فمن تأول أن الشعائر الهدى قال إن

منافعها ركوب ظهورها و شرب ألبانها إذا احتيج إليها و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

و هو قول عطاء بن أبى رباح و مذهب الشافعى و على هذا فقوله «إِلَى أَجَلٍ مُّسَيَّبٍ» معناه إلى أن ينحر و قيل إن المنافع من رسلها و نسلها و ركوب ظهورها و أصوافها و أوبارها «إِلَى أَجَلٍ مُّسَيَّبٍ» أى إلى أن يسمى هديا و بعد ذلك تنقطع المنافع عن مجاهد و قتاده و الضحاك و القول الأول أصح لأن قبل أن تسمى هديا لا تسمى شعائر و من قال إن الشعائر مناسك الحج قال المراد بالمنافع التجاره إلى أجل مسمى إلى أن يعود من مكه و من قال إن الشعائر دين الله قال لكم فيها منافع أى الأجر و الثواب و الأجل المسمى القيامة «ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ» و من قال إن شعائر الله هى البدن قال معناه أن محل الهدى و البدن الكعبه و قيل محله الحرم كله و قال أصحابنا إن كان الهدى للحج فمحله منى و إن كان للعمرة المفردة فمحله مكه قبالة الكعبه بالجزوره و محلها حيث يحل نحرها و من قال إن الشعائر مناسك الحج قال معناه ثم محل الحج و العمره و الطواف بالبيت العتيق و إن منتهاها إلى البيت العتيق لأن التحلل يقع بالطواف و الطواف يختص بالبيت و من قال إن الشعائر هى الدين كله فيحتمل أن يكون معناه أن محل ما اختص منها بالإحرام هو البيت العتيق و ذلك الحج و العمره فى القصد له و الصلاه فى التوجه إليه و يحتمل أن يكون معناه أن

أجرها على رب البيت العتيق «وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا» أى لكل جماعة مؤمنه من الذين سلفوا جعلنا عباده فى الذبح عن مجاهد وقيل قربانا أحل لهم ذبحه وقيل متعبدا و موضع نسك يقصده الناس وقيل منهاجا و شريعة عن الحسن «لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ» أى تعبدناهم بذلك ليذكروا اسم الله على ما رزقناهم من بهيمه الأنعام و بهيمه غير الأنعام لا يحل ذبحها و لا-التقرب بها و فى هذا دلالة على أن الذبائح غير مختصه بهذه الأمة و أن التسميه على الذبح كانت مشروعه قبلنا «فَالِهَكُمْ إِلَهًا وَاحِدًا» أى معبودكم الذى توجهون إليه العباده واحد لا شريك له و المعنى فلا تذكروا على ذبائحكم إلا الله وحده «فَلَهُ أَشْتَرُوا» أى انقادوا و أطيعوا «وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ» أى المتواضعين المطمئنين إلى الله عن مجاهد وقيل الذين لا يظلمون و إذا ظلموا لا ينتصرون كأنهم اطمأنوا إلى يوم الجزاء ثم وصفهم فقال «الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ» أى إذا خوفوا بالله خافوا «وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ» من البلىا و المصائب فى طاعه الله «وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ» فى أوقاتها يؤدونها كما أمرهم الله «وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ» أى يتصدقون من الواجب و غيره عن ابن عباس.

إشارة

وَ الَّذِينَ جَعَلْنَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا حَيْرٌ فَأذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجِبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَ أَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَ الْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَيَجْزِيهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٦) لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَ لَا دِمَاؤُهَا وَ لَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَيَجْزِيهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَ بَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (٣٧) إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨) أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَ لَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَ بِيَعٌ وَ صَلَوَاتٌ وَ مَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَ لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠)

القراءة

قرأ لن تنال الله و لكن تناله بالتاء يعقوب و قرأ الأول بالتاء أبو جعفر و قرأ الباقون بالياء فيهما و قرأ ابن كثير و أهل البصرة أن الله يدفع بغير ألف و الباقون «يُدْفِعُ» بالألف و قرأ أهل المدينة و يعقوب و لو لا دفاع الله بالألف و الباقون «دَفَعُ اللَّهُ» بغير ألف و قرأ أهل المدينة و حفص «أذِنَ» بضم الألف يقاتلون بفتح التاء و قرأ أبو بكر و أبو عمرو و يعقوب «أذِنَ» بضم الألف يقاتلون بكسر التاء و قرأ ابن عامر أذن بفتح الألف «يُقَاتِلُونَ» بفتح التاء و الباقون أذن فتح الألف يقاتلون بكسر التاء و قرأ أهل الحجاز لهدمت خفيفه الدال و الباقون بالتشديد و أظهر التاء عاصم و يعقوب و أدغمه الآخرون و قرأ ابن مسعود و ابن عباس و ابن عمرو و أبو جعفر الباقر (عليه السلام) و قتاده و عطاء و الضحاك صوافن بالنون و قرأ الحسن و شقيق و أبو موسى الأشعري و سليمان التيمي صوافي و قرأ جعفر بن محمد (عليه السلام) و صلوات بضم الصاد و اللام و قرأ الجحدري و الكلبي و صلوات بضم الصاد و فتح اللام.

الحج

التأنيث في تنال للجماعه و للفظ التقوى و التذكير لمعنى الجمع لأن التقوى بمعنى الاتقاء و الدفع مصدر دفع و الدفاع مصدر دافع و قد يكون فاعل بمعنى فعل نحو طارقت النعل و عاقبت اللص و أما قوله «أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ» فالقراءات فيها متقاربه و المأذون لهم في القتال أصحاب رسول الله ص و ما ظلموا به أن المشركين أخرجوهم من ديارهم حتى لحق طائفه منهم بالحبشه ثم هاجروا إلى المدينة فمن قرأ أذن على بناء الفعل للفاعل فلما تقدم من ذكر الله سبحانه و قوله «لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ» في موضع نصب و من قرأ «يُقَاتِلُونَ» فالمعنى أنهم يقاتلون عدوهم الظالمين لهم و من قرأ «أذِنَ» على بناء الفعل للمفعول به فالمعنى على أن الله سبحانه أذن لهم في القتال و الجار و المجرور في موضع رفع و قوله لهدمت بالتخفيف و إنما جاز لأن ذلك قد يكون للقليل و الكثير تقول ضربت زيدا ضربه و ضربته ألف ضربه فاللفظ في القله و الكثره على حاله واحده و «لَهَدَمْتُ» بالتشديد يختص بالكثره قال الشاعر

ما زلت أفتح أبوابا و أغلقها حتى أتيت أبا عمرو بن عمار

فأما من قال صوافن فمثل الصافنات و هي الجياد من الخيل إلا أنه استعمل هنا في

ص: ١٣٦

الإبل و الصافن الرافع إحدى رجليه معتمدا منها على سنيكها قال عمرو بن كلثوم

تركنا الخيل عاكفه عليه مقلده أعتها صفونا

و الصوافى الخوالص لوجه الله و إما صلوات و صلوات فيمكن أن يكون جمع صلاه و إن كانت غير مستعمله فيكون مثل حجره و حجرات و حجرات.

اللغة

البدن جمع بدنه و هى الإبل المبدنه بالسمن قال الزجاج تقول بدنت الإبل أى سميتها و قيل أصل البدن الضخم و كل ضخمة بدن و بدن بدنا و بدنا إذا ضخمة و بدن تبدينا إذا أسن و ثقل لحمه بالاسترخاء و

فى الحديث إنى قد بدنت فلا تبادرونى بالركوع و السجود

و قال

(و كنت خلت الشيب و التبدينا)

و الوجوب الوقوع يقال وجبت الشمس إذا وقعت فى المغرب للغروب و وجب الحائط وقع و وجب القلب اضطرب بأن وقع ما يوجب اضطرابه و وجب الفعل إذا وقع ما يلزم به و وجب البيع إذا وقع وجوبا و الصواف المصطفاه الأزهري عن ابن الأعرابي قال قنعت بما رزقت بالكسر و قنعت إلى فلان خضعت له بالفتح و المعترى و المعترى واحد و روى عن الحسن و أبى رجاء و عمرو بن عبيد أنهم قرءوا المعترى يقال عراه و اعتراه و عره و اعتره كله بمعنى أتاه و قصده قال طرفه

فى جفان نعترى نادينا و سديف حين هاج الصنبر

و يقال قنع الرجل إلى فلان قنوعا إذا سأل قال الشماخ:

لمال المرء يصلحه فيغنى مفاقره أعف من القنوع

و الصومعه أصلها من الانضمام و منه الأصمع للاصق الأذنين و كل منضم فهو متصمع قال أبو ذؤيب يصف صائدا

فرمى فأنفذ من نحوص عائط سهما فخر و ريشه متصمع

و البيع كنائس اليهود.

و «الْبُدْنَ» منصوب بإضمار فعل تقديره و جعلنا البدن جعلناها «صَوَافً» منصوب على الحال «الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ» فى محل الجر بأنه من الذين يقاتلون و يجوز أن يكون فى موضع الرفع على تقديرهم الذين أخرجوا و فى محل النصب على المدح على تقدير أعنى الذين أخرجوا «بِغَيْرِ حَقٍّ» فى موضع نصب على الحال و يجوز أن يكون صفة مصدر محذوف و تقديره أخرجوا إخراجاً بهذه الصفة «إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ» إلا هاهنا لنقض النفى و تقديره إلا بأن يقولوا أى بقولهم و «بَعْضَهُمْ» منصوب على البدل من الناس و هو بدل البعض من الكل و التقدير دفع الله بعض الناس ببعض.

المعنى

ثم عاد إلى ذكر الشعائر فقال «وَالْبُدْنَ» و هى الإبل العظام و قيل الناقة و البقره مما يجوز فى الهدى و الأضاحى عن عطاء و السدى «جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ» أى من أعلام دينه و قيل من علامات مناسك الحج و المعنى جعلناها لكم فيها عباده الله من سوقها إلى البيت و إشعارها و تقليدها و نحرها و الإطعام منها «لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ» أى نفع فى الدنيا و الآخرة و قيل أراد بالخير ثواب الآخرة و هو الوجه لأنه الغرض المطلوب «فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا» أى فى حال نحرها و عبر به عن النحر قال ابن عباس هو أن يقول الله أكبر لا- إله إلا الله و الله أكبر اللهم منك و لك «صَوَافً» أى قياماً مقيده على سنه محمد ص عن ابن عباس و قيل هو أن تعقل إحدى يديها و تقوم على ثلاثه تنحر كذلك فيسوى بين أوظفتها لثلاثاً يتقدم بعضها على بعض عن مجاهد و قيل

هو أن تنحر و هى صافه أى قائمه ربطت يديها ما بين الرسغ و الخف إلى الركبه عن أبى عبد الله (عليه السلام)

هذا فى الإبل فأما البقر فإنه يشد يداها و رجلاها و يطلق ذنبها و الغنم يشد ثلاث قوائم منها و يطلق فرد رجل منها «فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا» أى سقطت إلى الأرض و عبر بذلك عن تمام خروج الروح منها «فَكُلُّوا مِنْهَا» و هذا إذن و ليس بأمر لأن أهل الجاهليه كانوا يحرمونها على نفوسهم و قيل إن الأكل منها واجب إذا تطوع بها «وَأَطْعَمُوا الْقَنَاعَ وَ الْمُعْتَرَ» اختلف فى معناهما فقيل إن القناع الذى يقنع بما أعطى أو بما عنده و لا- يسأل و المعتز الذى يتعرض لك أن تطعمه من اللحم و يسأل عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و عكرمه و إبراهيم و قيل القناع الذى يسأل و المعتز الذى يتعرض و لا يسأل عن الحسن و سعيد بن جبیر و

قال أبو جعفر (عليه السلام) و أبو عبد الله (عليه السلام) القناع الذى يقنع بما أعطيته و لا يسخط و لا يكلم و لا يلوى شدة غضباً و المعتز الماد يده لتطعمه

و

فى روايه الحلبي عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال القناع الذى يسأل فيرضى بما أعطى و المعتز الذى يعترى رجاءه ممن لا يسأل

و روى عن ابن عباس أنه قال فى جواب نافع بن الأزرق لما سأله عن ذلك القناع الذى يقنع بما أعطى و المعتز الذى يعترى الأبواب أ ما سمعت قول زهير

روى عنهم (عليه السلام) أنه ينبغي أن يطعم ثلثه و يعطى القانع و المعتر ثلثه و يهدى لأصدقائه الثلث الباقي

«كَذَلِكَ» أى مثل ما وصفناه «سَيَخْرُجُهَا لَكُمْ» أى ذلناها لكم حتى لا تمنع عما تريدون منها من النحر و الذبح بخلاف السباع الممتنع و لتنتفعوا بركوبها و حملها و نتاجها نعمه منا عليكم «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» ذلك «لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَ لَا دِمَائُهَا وَ لَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ» أى لن تصعد إلى الله لحومها و لا- دماؤها و إنما يصعد إليه التقوى عن الحسن و هذا كناية عن القبول و ذلك إنما يقبله الإنسان يقال قد ناله و وصل إليه فخطب الله سبحانه عباده بما اعتادوه فى مخاطباتهم و كانوا فى الجاهليه إذا ذبحوا الهدى استقبلوا الكعبه بالدماء فنضحوها حول البيت قربه إلى الله و قيل معناه لن تبلغوا رضا الله بذلك و إنما تبلغونه بالتقوى «كَذَلِكَ سَيَخْرُجُهَا لَكُمْ» تقدم تفسيره «لِتَكْبُرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ» أى على ما بين لكم و أرشدكم لمعالم دينه و مناسك حجه و قيل هو أن يقول الله أكبر على ما هدانا «وَ بَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ» أى الموحدين عن ابن عباس و قيل الذين يعملون أعمالا حسنه و لا يسيئون إلى غيرهم ثم بين سبحانه دفعه عن المؤمنين بشاره لهم بالنصر فقال «إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا» غائله المشركين بأن يمنعهم منهم و ينصرهم عليهم «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ» و هم الذين خانوا الله بأن جعلوا معه شريكا و كفروا نعمه عن ابن عباس و قيل من ذكر اسم غير الله و تقرب إلى الأصنام بذبيحته فهو خوان كفور عن الزجاج ثم بين سبحانه إذنه لهم فى قتال الكفار بعد تقدم بشارتهم بالنصره فقال «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظُلْمًا» أى بسبب أنهم ظلموا و قد سبق معناه فى الحجه و كان المشركون يؤذون المسلمين و لا يزال يجىء مشجوج و مضروب إلى رسول الله ص و يشكون ذلك إلى رسول الله ص فيقول لهم ص اصبروا فإنى لم أومر بالقتال حتى هاجر فأنزل الله عليه هذه الآيه بالمدينه و هى أول آيه نزلت فى القتال و فى الآيه محذوف و تقديره أذن للمؤمنين أن يقاتلوا أو بالقتال من أجل أنهم ظلموا بأن أخرجوا من ديارهم و قصدوا بالإيذاء و الإهانه «وَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ» و هذا وعد لهم بالنصر معناه أنه سينصرهم ثم بين سبحانه حالهم فقال «الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ» يحتمل معناه أن يكون أراد أخرجوا إلى المدينه فتكون الآيه مدينه و يحتمل إلى الحبشه فتكون الآيه مكيه و ذلك بأنهم تعرضوا لهم بالأذى حتى اضطروا إلى الخروج و قوله «بِغَيْرِ حَقٍّ» معناه من غير أن استحقوا ذلك عن الجبائى أى لم يخرجوا من ديارهم إلا لقولهم ربنا الله وحده و

قال أبو جعفر (عليه السلام) نزلت فى المهاجرين و جرت فى آل محمد ع الذين أخرجوا من ديارهم و أخيفوا

«وَ لَوْ لَا

دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ «قد تقدم الكلام في هذا «لَهَدَمْتُمْ صَوَامِعَ وَبِيَعٍ وَصَلَوَاتٍ وَمَسَاجِدُ» أى صوامع فى أيام شريعته عيسى وبيع فى أيام شريعته موسى و مساجد فى أيام شريعته محمد ص عن الزجاج والمعنى و لو لا أن دفع الله بعض الناس ببعض لهدم فى كل شريعته بناء المكان الذى يصلى فيه و قيل البيع للنصارى فى القرى و الصوامع فى الجبال و البرارى و يشترك فيها الفرق الثلاث و المساجد للمسلمين و الصلوات كنيسة اليهود عن أبى مسلم و قال ابن عباس و الضحاك و قتاده الصلوات كنائس اليهود يسمونها صلوه فعربت و قال الحسن أراد بذلك عين الصلاة و هدم الصلاة بقتل فاعليها و منعهم من إقامتها و قيل أراد بالصلوات المصليات كما قال لا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَ أَنْتُمْ سِيَّكَارِي وَ أَرَادَ الْمَسَاجِدَ «يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا» الهاء تعود إلى المساجد و قيل إلى جميع المواضع الذى تقدمت لأن الغالب فيها ذكر الله «وَ لَيُنْصِرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ» هذا وعد من الله بأنه سينصر من ينصر دينه و شريعته «إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ» أى قادر قاهر.

[سوره الحج (٢٢): الآيات ٤١ الى ٤٥]

إشاره

الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوْا الزَّكَاةَ وَ أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَ لِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١) وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ عَادٌ وَ ثَمُودُ (٤٢) وَ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَ قَوْمُ لُوطٍ (٤٣) وَ أَصْحَابُ مَدْيَنَ وَ كُذِّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٤) فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَ هِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَ بُنِيَ مَعْطَلٌ وَ قَصِيرٌ مَشِيدٍ (٤٥)

القراءه

قرأ أهل البصره أهلكتها بالتاء و الباقون «أَهْلَكْنَاهَا» و المعنى واحد.

اللغه

يقال خوت الدار خواء ممدودا فهى خاويه و خوى جوف الإنسان من الطعام خوى مقصورا فهو خوى و التعطيل إبطال العمل بالشىء و لهذا يقال للدهرى معطل لأنه أبطل

العمل بالعلم على مقتضى الحكمة و المشيد المرتفع من الأبنيه شاد الرجل بناه يشيده و شيده و يشيده قال عدى بن زيد:

شاده مرمرًا و جلله كلسا فللطير في ذرأه و كور

و قال امرؤ القيس:

و تيماء لم يترك بها جذع نخله و لا أطمأ إلا مشيدا بجندل

و قيل المشيد المجصص و المبني بالشيء و الشيد الجص و الجيار و الجيار الصاروج.

المعنى

ثم وصف سبحانه من ذكرهم من المهاجرين فقال «الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوْا الزَّكَاةَ» و التمكين إعطاء ما يصح معه الفعل فإن كان الفعل لا يصح إلا بآله فالتمكين إعطاء تلك الآله لمن فيه القدره و كذلك إن كان لا يصح الفعل إلا بعلم و نصب و دلالة واضحة و سلامه و لطف و غير ذلك فالتمكين إعطاء جميع ذلك و إن كان الفعل يكفى فى صحه وجوده مجرد القدره فخلق القدره التمكين فالمعنى الذين أعطيناهم ما به يصح الفعل منهم و سلطناهم فى الأرض أدوا الصلاة بحقوقها و أعطوا ما افترض الله عليهم من الزكاة «وَ أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ» و هذا يدل على وجوب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و المعروف هو الحق لأنه يعرف صحته و المنكر هو الباطل لأنه لا يمكن معرفه صحته قال الزجاج هذه صفة من فى قوله مَنْ يَنْصُرُهُ وَ قَالَ الْحَسَنُ وَ عَكْرَمَهُ هُم هَذِهِ الْأَمَّةُ وَ

قال أبو جعفر (عليه السلام) نحن هم و الله

«وَ لِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ» هو كقوله وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ و معناه أنه يبطل كل ملك سوى ملكه فتصير الأمور إليه بلا مانع و لا منازع ثم عزى سبحانه نبيه ص عن تكذيبهم إياه و خوف مكذبيه بذكر من كذبوا أنبيائهم فأهلكوا فقال «وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ» يا محمد «فَقَدْ كَذَّبْتَ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ عَادٌ وَ ثَمُودٌ وَ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَ قَوْمُ لُوطٍ وَ أَصْحَابُ مَدْيَنَ» كل أمه من هؤلاء الأمم فقد كذبت نبيها ثم قال «وَ كَذَّبَ مُوسَى» و لم يقل و قوم موسى لأن قومه بنو إسرائيل و كانوا آمنوا به و إنما كذبه فرعون و قومه «فَأَثَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ» أى أخرجت عقوبتهم و أمهلتهم يقال أملى الله لفلان فى العمر إذا أخر عنه أجله

ص: ١٤١

«ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ» أى بالعذاب «فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ» استفهام معناه التقرير أى فكيف أنكرت عليهم ما فعلوا من التكذيب فأبدلتهم بالنعمة نقمه و بالحياه هلاكها قال الزجاج المعنى ثم أخذتهم فأنكرت أبلغ إنكار ثم ذكر سبحانه كيف عذب المكذبين فقال «فَكَايُؤُنُّ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا» أى و كم من قرى أهلكتناها و أخذناها و الاختيار التاء و ذلك لقوله «فَأَمَلَيْتُ» «وَ هِيَ ظَالِمَةٌ» أى و أهلها ظالمون بالتكذيب و الكفر «فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا» أى خاليه من أهلها ساقطه على سقوفها «وَ بَثْرٌ مُعْتَطَّةٌ» عطف على قوله «مِنْ قَرْيَةٍ» أى و كم من بئر بار أهلها و غار ماؤها و تعطلت من دلائها فلا مستقى منها و لا وارد لها «وَ قَصْرٌ مَشِيدٌ» أى و كم من قصر رفيع مجصص تداعى الخراب بهلاك أهله فلم يبق فيه داع و لا- مجيب و أصحاب الآبار ملوك البدو و أصحاب القصور ملوك الحضرة و

فى تفسير أهل البيت (عليه السلام) فى قوله «وَ بَثْرٌ مُعْتَطَّةٌ» أن المعنى و كم من عالم لا يرجع إليه و لا ينتفع بعلمه

و قال الضحاك هذه البئر كانت بحضرموت فى بلده يقال لها حاضور أنزل بها أربعة آلاف ممن آمن بصالح و معهم صالح فلما حضروا مات صالح فسمى المكان حضرموت ثم إنهم كثروا فكفروا و عبدوا الأصنام فبعث الله إليهم نبيا يقال له حنظله فقتلوه فى السوق فأهلكهم الله فماتوا عن آخرهم و عطلت بئرهم و خرب قصر ملكهم.

إشارة

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَ لَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦) وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَ لَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَ إِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٤٧) وَ كَأَيُّنَ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَ هِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (٤٨) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٤٩) فَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ (٥٠)

وَ الَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٥١)

القراءة

قرأ ابن كثير و أهل الكوفة غير عاصم مما يعدون بالياء و الباقون بالتاء و قرأ ابن كثير و أبو عمرو معجزين بالتشديد و فى سيا أيضا فى موضعين و الباقون «مُعَاجِزِينَ» بالألف فى السورتين.

الحج

حججه من قرأ يعدون بالياء أن قبله «يَسْتَعْجِلُونَكَ» و حججه من قرأ بالتاء أن ذلك أعم و قوله «مُعَاجِزِينَ» أى ظانين و مقدرين أن يعجزونا لأنهم ظنوا أن لا بعث و لا نشور فهو كقوله أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا و معجزين ينسبون من تبع النبى ص إلى العجز نحو جهلته نسبتته إلى الجهل و روى عن مجاهد أنه فسر معجزين مشطين أى يثبطون الناس عن النبى ص.

المعنى

ثم حث سبحانه على الاعتبار بحال من مضى من القرون المكذبة لرسلمهم فقال «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ» أى أو لم يسر قومك يا محمد فى أرض اليمن و الشام عن ابن عباس «فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا» أى يعلمون بها ما يرون من العبر و المعنى فيعقلون بقلوبهم ما نزل بمن كذب قبلهم «أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا» إخبار الأمم المكذبة «فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَ لَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ» الهاء فى أنها ضمير القصة و الجملة بعدها تفسيرها قال الزجاج و قوله «الَّتِي فِي الصُّدُورِ» من التوكيد الذى يريده العرب فى الكلام كقوله عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ و قوله يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ و قوله يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ و قيل إنه إنما ذكر ذلك لثلاثتهم إلى غير معنى القلب نحو قلب النحلة فيكون أنفى للبس بتجاوز الاشتراك و كذلك قوله يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ لأن القول قد يكون بغير الفم و المعنى أن الأبصار و إن كانت عمياء فلا تكون فى الحقيقة كذلك إذا كان أصحابها عارفين بالحق و إنما يكون العمى عمى القلب الذى يقع معه الجحود بوحدانية الله «وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ» يا محمد «بِالْعَذَابِ» أن ينزل بهم و يستبطنونه «وَ لَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ» أى فى إنزال العذاب بهم قال ابن عباس يعنى يوم بدر «وَ إِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ» اختلف فى معناه على وجوه (أحدها) أن يوما من أيام الآخرة يكون كألف سنة من أيام الدنيا عن ابن عباس و مجاهد و عكرمه و ابن زيد و فى روايه أخرى عن ابن عباس أنه أراد أن يوما من الأيام التى خلق الله فيها السماوات و الأرض كألف سنة و يدل عليه ما

روى أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم خمسمائة عام

و يكون المعنى على هذا أنهم يستعجلون العذاب و إن يوما من أيام عذابهم فى الآخرة كألف سنة (و ثانيها) أن المعنى و أن يوما عند ربك و ألف سنة فى قدرته واحد فلا فرق بين وقوع ما يستعجلون به من العذاب و بين تأخره فى القدره إلا أنه سبحانه تفضل بالإمهال إذ لا

ص: ١٤٣

يفوته شىء عن الزجاج وهو معنى قول ابن عباس فى روايه عطا (و ثالثها) أن يوما واحدا كآلف سنه فى مقدار العذاب لشده و عظمتة كمقدار عذاب ألف سنه من أيام الدنيا على الحقيقه و كذلك نعيم الجنه لأنه يكون فى مقدار يوم من أيام الجنه من النعيم و السرور مثل ما يكون فى ألف سنه من أيام الدنيا لو بقى منعم فيها ثم الكافر يستعجل ذلك العذاب لجهله عن الجبائى و هذا كما يقال فى المثل " أيام السرور قصار و أيام الهموم طوال " و قال الشاعر

يطول اليوم لا ألقاك فيه و حول نلتقى فيه قصير

و قال

تطاولن أيام معن بنا فيوم كشهريين إذ يستهل

و قال جرير

" و يوم كابها المجرى لهوته "

ثم أعلم سبحانه أنه أخذ قوما بعد الإملاء و الإمهال فقال «وَ كَأَيُّنْ مِنْ قَوْمِهِ أَمَلَيْتُ لَهَا وَ هِيَ ظَالِمَةٌ» مستحقه لتعجيل العقاب «ثُمَّ أَخَذْتُهَا» أى أهلكتها «وَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ» لكل أحد ثم خاطب نبيه ص فقال «قُلْ» لهم «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ» أى مخوف عن معاصى الله مبين لكم ما يجب عليكم فعله و ما يجب عليكم تجنبه «فَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ» من الله لمعاصيهم «وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ» يعنى نعيم الجنه فإنه أكرم نعيم فى أكرم دار «وَ الَّذِينَ سَبَّحُوا بِآيَاتِنَا» أى بذلوا الجهد فى إبطال آياتنا و بالغوا فى ذلك و أصل السعى الإسراع فى المشى «مُعَاجِرِينَ» أى مغالبيين عن ابن عباس و المعاجزه محاوله عجز المغالب و قيل مقدرين أنهم يسبقوننا و المعاجزه المسابقه و قيل ظانين أن يعجزوا الله أى يفوتوه و لن يعجزوه عن قتاده و هذا مثل ما تقدم و من قرأ معجزين فمعناه مشبطين لمن أراد اتباع النبى ص عن مجاهد و قيل قاصدين تعجيز رسولنا و قيل ناسبين من تبعه إلى العجز «أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ» أى الملازمون للجحيم أى النار.

ص: ١٤٤

إشارة

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَلِيُعَلِّمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٤) وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ (٥٥)

النزول

روى عن ابن عباس وغيره أن النبي ص لما تلا-سوره و النجم و بلغ إلى قوله أفرأيتم اللات والعزى و مناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان في تلاوته تلك الغرائق العلى و إن شفاعتهن لترجى فسر بذلك المشركون فلما انتهى إلى السجده سجد المسلمون و سجد أيضا المشركون لما سمعوا من ذكر آلهتهم بما أعجبهم فهذا الخبر أن صح محمول على أنه كان يتلو القرآن فلما بلغ إلى هذا الموضع و ذكر أسماء آلهتهم و قد علموا من عاداته ص أنه كان يعيها قال بعض الحاضرين من الكافرين تلك الغرائق العلى و ألقى ذلك في تلاوته توهم أن ذلك من القرآن فأضافه الله سبحانه إلى الشيطان لأنه إنما حصل بإغوائه و وسوسته و هذا أورده المرتضى قدس الله روحه في كتاب التنزيه و هو قول الناصر للحق من أئمة الزيدية و هو وجه حسن في تأويله.

المعنى

«وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ» من هنا مزيدة و التقدير ما أرسلنا قبلك رسولا و لا نبيا و إنما ذكر اللفظين لاختلاف فائدتهما فالرسول الذى أرسله الله تعالى و لا يحمل عند الإطلاق على غير رسول الله ص و النبى الذى له الرفعه و الدرجه العظيمه بالإرسال و قيل إن بينهما فرقا فالرسول الذى تنزل عليه الملائكه بالوحى و النبى الذى يوحى إليه فى منامه فكل رسول نبى و ليس كل نبى رسولا- و قيل بل الرسول هو المبعوث إلى أمه و النبى هو الذى لا يبعث إلى أمه عن قطرب و قيل إن الرسول هو المبتدئ بوضع الشرائع و الأحكام و النبى الذى يحفظ شريعته غيره عن الجاحظ و القول هو الأول لأن الله سبحانه خاطب

نبينا ص مره بالنبي و مره بالرسول فقال يا أيها الرسول و يا أيها النبي فالرسول و النبي واحد لأن الرسول يعم الملائكه و البشر و النبي يختص البشر فجمع بينهما هنا و فى قوله وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا «إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانَ فِي أُمِّيَّتِهِ» قال المرتضى لا يخلو التمنى فى الآيه من أن يكون معناه التلاوه كما قال حسان بن ثابت

تمنى كتاب الله أول ليله و آخره لاقى حمام المقادر

أو يكون تمنى القلب فإن كان المراد التلاوه فالمعنى أن من أرسل قبلك من الرسل كان إذا تلا ما يؤديه إلى قومه حرفوا عليه و زادوا فيما يقوله و نقصوا كما فعلت اليهود و أضاف ذلك إلى الشيطان لأنه يقع بغروره «فَيَنْسُخُ اللَّهُ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ» أى يزيله و يدحضه بظهور حججه و خرج هذا على وجه التسليه للنبي ص لما كذب المشركون عليه و أضافوا إلى تلاوته من مدح آلهتهم ما لم يكن فيها و إن كان المراد تمنى القلب فالوجه أن الرسول متى تمنى بقلبه بعض ما يتمناه من الأمور و سوس إليه الشيطان بالباطل يدعوه إليه و ينسخ الله ذلك و يبطله بما يرشده إليه من مخالفه الشيطان و ترك استماع غروره قال و أما الأحاديث المرويه فى هذا الباب فهى مطعونه و مضعفه عند أصحاب الحديث و قد تضمنت ما ينزه الرسل (عليه السلام) عنه و كيف يجوز ذلك على النبي ص و قد قال الله سبحانه كَذَلِكَ لِنُنَبِّئَ بِهِ قُرَادَكَ و قَالَ سَيُنْفِرُكَ فَلَا تَنْسَى و إن حمل ذلك على السهو فالسأهى لا يجوز أن يقع منه مثل هذه الألفاظ المطابقه لوزن السوره و نظمها ثم لمعنى ما تقدمها من الكلام لأننا نعلم ضروره أن السأهى لو أنشأ قصيده لم يجر أن يسهو حتى يتفق منه بيت شعر فى وزنها و فى معنى البيت الذى تقدمه و على الوجه الذى تقتضيه فائدته و يمكن أن يكون الوجه فيه ما ذكرناه فى النزول لأن من المعلوم أنهم كانوا يلقون عند قراءته طلبا لتغليظه و يمكن أن يكون كان هذا فى الصلاه لأنهم كانوا يلقون فى قراءته و قيل أيضا إنه كان إذا تلا القرآن على قریش توقف فى فصول الآيات و أتى بكلام على سبيل الحجاج لهم فلما تلا الآيات قال تلك الغرائيق العلى على سبيل الإنكار عليهم و على أن الأمر بخلاف ما قالوه و ظنوه و ليس يمتنع أن يكون هذا فى الصلاه لأن الكلام فى الصلاه حينئذ كان مباحا و إنما نسخ من بعد و قيل إن المراد بالغرائيق الملائكه و قد جاء ذلك فى بعض الحديث فتوهم المشركون أنه يريد آلهتهم و قيل إن ذلك كان قرآنا منزلا فى وصف الملائكه فلما ظن المشركون أن المراد به آلهتهم نسخت تلاوته و قال البلخى و يجوز أن يكون النبي ص سمع هاتين الكلمتين من قومه و حفظهما فلما قرأ ألقاها الشيطان فى ذكره فكاد أن يجريها على لسانه فعصمه الله و نبهه و نسخ و سواس الشيطان و أحكم آياته

بأن قرأها النبي ص محكمه سليمه مما أراد الشيطان و يجوز أن يكون النبي ص لما انتهى إلى ذكر اللات و العزى قال الشيطان هاتين الكلمتين رافعا بهما صوته فألقاهما في تلاوته في غمار الناس فظن الجهال أن ذلك من قول النبي ص فسجدوا عند ذلك و الغرائق جمع غرنوق و هو الحسن الجميل يقال شاب غرنوق و غرائق إذا كان ممثليا ربا «ثُمَّ يُحَكِّمُ اللَّهُ آيَاتِهِ» أى يبقى آياته و دلائله و أوامره محكمه لا سهو فيها و لا غلط «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ» بكل شىء «حَكِيمٌ» واضع للأشياء مواضعها «لِيَجْعَلَ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ» أى ليجعل ذلك تشديدا في التعبد و امتحانا عن الجبائى و المعنى أنه شدد المحنه و التكليف على الذين فى قلوبهم شك و على الذين قست قلوبهم من الكفار فتلزمهم الدلاله على الفرق بين ما يحكمه الله و بين ما يلقيه الشيطان «وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ» أى فى معاداه و مخالفه بعيده عن الحق «وَ لِيُعَلِّمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» بالله و بتوحيده و بحكمته «أَنَّ الْحَقَّ مِنْ رَبِّكَ» أى إن القرآن حق لا يجوز عليه التبدل و التغيير «فَيُؤْمِنُوا بِهِ» أى فيثبتوا على إيمانهم و قيل يزدادوا إيمانا إلى إيمانهم «فَتَخَبَتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ» أى تخشع و تواضع لقوه إيمانهم «وَ إِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أى طريق واضح لا عوج فيه أى يثبتهم على الدين الحق و قيل يهديهم ربهم بإيمانهم إلى طريق الجنة «وَ لَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ» أى فى شك من القرآن عن ابن جريج و هذا خاص فيمن علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون من الكفار «حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً» أى فجأه و على غفله «أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ» قيل إنه عذاب يوم بدر عن قتاده و مجاهد و سماه عقيما لأنه لا مثل له فى عظم أمره لقتال الملائكه فيه و مثله قول الشاعر

عقم النساء فلا يلدن شبيهه إن النساء بمثله لعقيم

و قيل إنما سمي ذلك اليوم عقيما لأنه لم يكن فيه للكفار خير فهو كالريح العقيم التى لا تأتى بخير عن الضحاك و اختاره الزجاج و قيل المراد به يوم القيامة و المعنى حتى تأتيتهم علامات الساعه أو عذاب يوم القيامة و سماه عقيما لأنه لا ليله له عن عكرمه و الجبائى.

النظم

اتصلت الآيه الأولى بما تقدم من ذكر الكفار و ما متعوا به من نعيم الدنيا و لما رأى النبي ص ما منى به أصحابه من الإقتار تمنى لهم الدنيا فيبين سبحانه أن ذلك التمنى من وساوس الشيطان و أن ما أعدده لهم من نعيم الآخرة خير و قيل اتصل بقوله إنما أنا لكم نذيرٌ مبينٌ فيبين سبحانه أنه بشر و أن حاله كحال الرسل قبله.

ص: ١٤٧

إشاره

الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٥٦) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٥٧) وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قَاتَلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٥٨) لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (٥٩) ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ غَفُورٌ (٦٠)

القراءة

قرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ أهل المدينة مدخلا بالفتح والباقون بضم الميم وقد سبق ذكره.

المعنى

لما تقدم ذكر القيامة بين صفته فقال «الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ» لا يملك أحد سواه شيئاً بخلاف الدنيا «يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ» أى يفصل بين المؤمنين والكافرين ثم بين حكمه فقال «فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ» ينعمون فيها «وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ» يهينهم و يذلهم «وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أى فارقوا أوطانهم و خرجوا من مكة إلى المدينة «ثُمَّ قَاتَلُوا» فى الجهاد «أَوْ مَاتُوا» فى الغربة «لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا» و هو رزق الجنة عن الحسن و السدى و الرزق الحسن ما إذا رآه لا تمتد عينه إلى غيره و هذا لا يقدر عليه غير الله تعالى و لذلك قال «وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» و قيل بل هو مثل قوله يَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ «لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ» لأنه لهم فيه ما تشتهى الأنفس و تلذ الأعين و المدخل يجوز أن يكون بمعنى المكان و بمعنى المصدر «وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ» بأحوالهم «حَلِيمٌ» عن معاجله الكفار بالعقوبه «ذَلِكَ» أى الأمر ذلك الذى قصصنا عليك «وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ» أى من جازى الظالم بمثل ما ظلمه قال الحسن معناه قاتل المشركين كما قاتلوه و الأول لم يكن عقوبه و لكن كقولهم الجزاء بالجزاء لازدواج الكلام «ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ»

أى ظلم بإخراجه من منزله يعنى ما فعله المشركون من البغى على المسلمين حتى أخرجوهم إلى مفارقه ديارهم «لَيُنْصِرَنَّ اللَّهُ» يعنى المظلوم الذى بغى عليه «إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ» روى أن الآيه نزلت فى قوم من مشركى مكه لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فقالوا إن أصحاب محمد ص لا يقاتلون فى هذا الشهر فحملوا عليهم فناشدهم المسلمون أن لا يقاتلوهم فى الشهر الحرام فأبوا فأظفر الله المسلمين بهم.

[سوره الحج (٢٢): الآيات ٦١ الى ٦٥]

إشاره

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٦١) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٦٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (٦٣) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ (٦٥)

القراءه

قرأ أهل العراق غير أبى بكر «ما يدعون» هنا و فى لقمان بالياء و الباقون بالتاء.

الحجه

من قرأ تدعون بالتاء فعلى الخطاب للمشركين و حجته قوله يا أيها الناس ضرب مثل و من قرأ بالياء فعلى الحكايه و حجته قوله يكادون يسطون.

الإعراب

«فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ» إنما رفع لأنه لم يجعله جوابا للاستفهام و المراد به الخبر

ص: ١٤٩

ألم تسأل الربيع القديم فينطق و هل يخبرنك اليوم ببدء سملق.

المعنى

ثم قال سبحانه «ذَلِكَ» أى ذلك النصر «بِأَنَّ اللَّهَ يُؤَلِّمُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ يُؤَلِّمُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ» أى يدخل ما انتقص من ساعات الليل فى النهار و ما انتقص من ساعات النهار فى الليل «وَ أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ» لدعاء المؤمنين «بَصِيرٌ» بهم «ذَلِكَ» أى ذلك الذى فعل من نصر المؤمنين «بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ» أى ذو الحق فى قوله و فعله و قيل معناه إنه الواحد فى صفات التعظيم التى من اعتقده عليها فهو محق «وَ أَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ» لأنه ليس عنده نفع و لا ضرر «وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ» عن الأشياء «الْكَبِيرُ» الذى كل شىء سواه يصغر مقداره عن معناه «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» أى مطرا «فَتَصْبِغُ الْأَرْضَ مُخْضَرَّةً» بالنبات «إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ» بأرزاق عباده من حيث لا يحتسبون «خَبِيرٌ» بما فى قلوبهم و قيل اللطيف المحيط بتدبير دقائق الأمور الذى لا يتعذر عليه شىء يتعذر على غيره «لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ» أى له التصرف فى جميع ذلك «وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ» الغنى الحى الذى ليس بمحتاج الحميد المحمود بصفاته و أفعاله «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ» من الحيوان و الجماد «وَ الْفُلْمَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ» أى و سخر لكم الفلك فى حال جريها «وَ يُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ» أى يمنع السماء من وقوعها على الأرض إلا بإرادته و المعنى إلا إذا أذن الله فى ذلك بأن يريد إبطالها و إعدامها «إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ» برأفته و رحمته بهم فعل هذا التسخير و أمسك السماء من الوقوع.

إشارة

وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ (٦٦) لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسِيًّا كَمَا هُمْ نَاسِيكُوهُ فَلَا يُنَازِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ (٦٧) وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٨) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٦٩) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧٠)

المعنى

ثم ذكر سبحانه دلاله أخرى على وحدانيته فقال «وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ» بعد أن كنتم نطفًا ميتة «ثُمَّ يُمِيتُكُمْ» عند انتهاء آجالكم «ثُمَّ يُحْيِيكُمْ» للبعث والحساب وفيه بيان أن من قدر على ابتداء الإحياء قدر على إعادته الإحياء «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ» أى جحود فإنه مع هذه الأدلة الدالة على الخلق يجحد الخالق «لِكُلِّ أُمَّةٍ» أى لكل قرن مضى «جَعَلْنَا مَنْسِيًّا كَمَا هُمْ نَاسِيكُوهُ» أى شريعته هم عاملون بها عن ابن عباس وقيل مكانا يألفونه وموضعًا يعتادونه لعباده الله ومناسك الحج من هذا لأنها مواضع العبادات فيه فهى متعبدات الحج وقيل موضع قربان أى متعبد فى إراقه الدماء منى أو غيره عن مجاهد و قتاده «فَلَا يُنَازِعُكَ فِي الْأَمْرِ» هذا نهى لهم عن منازعه النبي ص وقيل نهى له لأن المنازعه تكون من اثنين فإذا وجه النهى إلى من ينازعه فقد وجه إليه ومنازعتهم قولهم أ تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله يعنون الميتة أى فلا يخاصمك فى أمر الذبح وقيل معناه ليس لهم أن ينازعوك فى شريعتهم وقد نسخت هذه الشرائع المتقدمه «وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ» أى لا تلتفت إلى منازعتك و ادع إلى توحيد ربك وإلى دينه «إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ» أى على دين قيم «وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ» أى إن خاصموك فى أمر الذبيحه فقل الله أعلم بتكذيبكم فهو يجازيكم به وهذا قبل الأمر بالقتال وقيل معناه وإن جادلوك على سبيل المراء والتعنت بعد لزوم الحججه فلا تجادلهم على هذا الوجه و ادفعهم بهذا القول وقيل معناه وإن نازعوك فى نسخ الشريعه فحاكمهم إلى الله «اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أى يفصل بينكم «فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» أى فيما تذهبون فيه إلى خلاف ما يذهب ثم قال لنبينه ص والمراد جميع المكلفين «أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» من قليل وكثير لا يخفى عليه شىء من ذلك «إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ» أى مثبت فى الكتاب المحفوظ عن الجبائى «إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» أى كتبه فى اللوح المحفوظ على الله يسير لا يحتاج إلى معالجه خطوط وحروف وإنما يقول كن فيكون وقيل إن الحكم بينكم يسير على الله.

إشارة

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٧١) وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْمُطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَتَّبِعُكُمْ بِشَرِّ مَنْ ذَلِكُمْ النَّارُ وَعِدَّاهُ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَسَّ الْمَصِيرُ (٧٢) يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِثْلُ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ

(٧٤) اللَّهُ يَضْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٧٥)

ص: ١٥١

قرأ يعقوب و سهل إن الذين يدعون بالياء و الباقون بالتاء.

اللغه

السطوه إظهار الحال الهائله للإخافه يقال سطا عليه يسطو سطوه و سطا به و الإنسان مسطوبه و السطوه و البطشه بمعنى.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن حال الكفار فقال «وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا» أى حجه «وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ» إنها آلهه و إنما قال ذلك لأن الإنسان قد يعلم أشياء من غير حجه و دليل كالضروريات «وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ» أى و ما للمشركين من مانع من العذاب ثم أخبر سبحانه عن شده عنادهم فقال «وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا» يعنى من القرآن و غيره من حجج الله «بَيِّنَاتٍ» أى واضحات لمن تفكر فيها و هى منصوبه على الحال «تَعْرِفُ» يا محمد «فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ» أى الإنكار و هو مصدر يريد أثر الإنكار من الكراهه و العبوس «يَكَادُونَ يَسْطُونَ» أى يقعون و يبطشون من شده الغيظ «بِمَالِدِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا» و المعنى يكادون يبسطون إليهم أيديهم بالسوء يقال سطا عليه و سطا به إذا تناوله بالبطش «قُلْ» يا محمد لهم «أَفَأَتَّبِعُكُمْ بِشَرِّ مَنْ ذَلِكُمْ» و أكره إليكم

من هذا القرآن الذى تستمعون و أشد عليكم منه ثم فسر ذلك فقال «النَّارُ» أى هو النار «وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ بَشَسَ الْمَصِيرُ» أى المرجع و المأوى ثم خاطب سبحانه جميع المكلفين فقال «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ» قال الأخفش إن قيل فأين المثل الذى ذكر الله فى قوله «ضُرِبَ مَثَلٌ» قيل ليس هاهنا مثل و المعنى أن الله قال ضرب لى مثل أى شبه فى الأوثان ثم قال فاستمعوا لهذا المثل الذى جعلوه مثلى و قال القتيبى هاهنا مثل لأنه ضرب مثل هؤلاء الذين يعبدون الأصنام بمن عبد من لا يخلق ذبابا و قيل معناه أثبت حديثا يتعجب منه فاستمعوا له لتقفوا على جهل الكفار من قولك ضربت خيمه أى نصبتها و أثبتها و قيل معناه جعل ذلك كالشىء اللازم الثابت من قولك ضرب السلطان الجزية على أهل الذمه «إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» يعنى الأصنام و كان ثلثائه و ستين صنما حول الكعبة «لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا» فى صغره و قلته «وَ لَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَ إِنْ يَشَاءُ اللَّهُ شَيْئًا» مما عليهم قال ابن عباس كانوا يطلون أصنامهم بالزعفران فيجف فيأتى الذباب فيختلسه «لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ» أى لا يقدرون على استنقاذه منه «ضَعْفَ الطَّالِبِ وَ الْمَطْلُوبِ» الطالب الذباب و المطلوب الصنم عن ابن عباس و روى عنه على العكس من هذا و هو أن الطالب الصنم و المطلوب الذباب فعلى هذا يكون معناه ضعف السالب و المسلوب و قيل إن معناه راجع إلى العابد و المعبود أى جهل العابد و المعبود و قهر العابد و المعبود عن الضحاک و هو معنى قول السدى الطالب الذى يطلب إلى هذا الصنم بالتقرب إليه و الصنم المطلوب إليه «مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» أى ما عظموه حق عظمته حيث جعلوا هؤلاء الأصنام شركاء له عن الحسن و الفراء و قيل معناه ما عرفوه حق معرفته عن الأخفش و قيل ما وصفوه حق صفته عن قطرب «إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ» أى قادر لا يقدر أحد على مغالبتة «اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا» يعنى جبرائيل و ميكائيل «وَ مِنَ النَّاسِ» يعنى النبيين «إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ» سميع بأقوالهم بصير بضمائرهم و أفعالهم.

النظم

إنما اتصل قوله وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ بقوله إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ أى و من خالفك على الكفر و الضلال و إنما اتصل قوله يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ بقوله وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا حجه لهم فيه و المعنى أن من لا يقدر على خلق ذباب مع صغره و إذا سلبه الذباب شيئا لا يقدر على استرداده فكيف يستحق أن يعبد ثم قال ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ أى من أشرك غيره معه فى العباده مع كمال قدرته فما عرفه حق معرفته ثم قال الله يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ليعلم أنه سبحانه إنما اصطفاهم لعبادتهم إياه فمن

جعل الملائكة و الأنبياء أولادا فإنه لم يعظمه حق عظمته و لم يعرفه حق معرفته إذ جعل من يعبد سبحانه معبودا.

[سوره الحج (٢٢): الآيات ٧٦ الى ٧٨]

إشاره

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٧٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَ اسْجُدُوا وَ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَ افْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَ جَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَ مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَ فِي هَذَا لِيُكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ اعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَ نِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨)

الإعراب

«حَقَّ جِهَادِهِ» منصوب على المصدر لأنه مضاف إلى المصدر «مِنْ حَرَجٍ» من مزیده أى ما جعل عليكم حرجا «مَلَّةً أَيْبِكُمْ» منصوبه بإضمار فعل تقديره و اتبعوا و الزموا مله أيبكم لأن قبله «جَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ» قال المبرد عليكم مله أيبكم و قال الزجاج و جائر أن يكون منصوبا على تقدير و افعلوا الخير فعل أيبكم.

المعنى

لما وصف الله سبحانه نفسه بأنه سميع بصير عقبه بقوله «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ» يعنى ما بين أيدي الخلائق من القيامه و أحوالها و ما يكون فى مستقبل أحوالهم «وَ مَا خَلْفَهُمْ» أى و ما يخلفونه من دنياهم و قيل يعلم ما بين أيديهم أى أول أعمالهم و ما خلفهم آخر أعمالهم عن الحسن و قيل معناه يعلم ما كان قبل خلق الملائكة و الأنبياء و ما يكون بعد خلقهم عن على بن عيسى «وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» يوم القيامه فلا- يكون لأحد أمر و لا- نهى ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَ اسْجُدُوا» أى

ص: ١٥٤

صلوا «وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ» بفعل ما تعبدكم به من العبادات «وَافْعَلُوا الْخَيْرَ» قال ابن عباس يريد صله الرحم و مكارم الأخلاق و معناه لا- تقتصروا على فعل الصلاة و الواجبات من العبادات و افعلوا غيرها من أنواع البر من إغائه الملهوف و إعانه الضعيف و بر الوالدين و ما جانسها «لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ» أى لكى تفلحوا و تسعدوا «وَ جَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ» أكثر المفسرين حملوا الجهاد هاهنا على جميع أعمال الطاعة و قالوا حق الجهاد أن يكون بنيه صادقه خالصه لله تعالى و قال السدى هو أن يطاع فلا يعصى و قال الضحاك معناه جاهدوا بالسيف من كفر بالله و إن كانوا الآباء و الأبناء و روى عن عبد الله بن المبارك أنه قال هو مجاهده الهوى و النفس «هُوَ اجْتِبَاكُمُ» أى اختاركم و اصطفاكم لدينه «وَ مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ» أى من ضيق لا مخرج منه و لا مخلص من عقابه بل جعل التوبه و الكفارات و رد المظالم مخلصا من الذنوب فليس فى دين الإسلام ما لا سبيل إلى الخلاص من العقاب به فلا عذر لأحد فى ترك الاستعداد للقيامه و قيل معناه أن الله سبحانه لم يضيق عليكم أمر الدين فلن يكلفكم ما لا تطيقون بل كلف دون الوسع فلا عذر لكم فى تركه و قيل أنه يعنى الرخص عند الضرورات كالقصر و التيمم و أكل الميتة عن الكلبى و مقاتل و اختاره الزجاج «مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ» أى دينه لأن مله إبراهيم داخله فى مله محمد ص و إنما سماه أبا للجميع لأن حرمة على المسلمين كحرمة الوالد على الولد كما قال وَ أَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ عن الحسن و قيل إن العرب من ولد إسماعيل و أكثر العجم من ولد إسحاق و هما ابنا إبراهيم فالغالب عليهم أنهم أولاده «هُوَ سَيِّدَاكُمْ الْمُسْلِمِينَ» أى الله سماكم المسلمين عن ابن عباس و مجاهد و قيل هو كناية عن إبراهيم عن ابن زيد قال و يدل عليه قوله «وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ» «مِنْ قَبْلُ» أى من قبل إنزال القرآن «وَ فِي هَذَا» أى و فى هذا القرآن «لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ» أى ليكون محمد ص شهيدا عليكم بالطاعة و القبول فإذا شهد لكم به صرتم عدولا تشهدون على الأمم الماضيه بأن الرسل قد بلغوهم رساله ربهم و أنهم لم يقبلوا فيوجب لكافرهم النار و لمؤمنهم الجنة بشهادتكم و هذا من أشرف المراتب و هو مثل قوله «وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسِيْطًا» الآية و قيل معناه ليكون الرسول شهيدا عليكم فى إبلاغ رساله ربه إليكم و تكونوا شهداء على الناس بعده بأن تبلغوا إليهم ما بلغه الرسول إليكم «فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ» قال قتاده فريضتان واجبتان افترضهما الله عليكم فأدوهما إلى الله و

روى عبد الله بن عمر عن النبي ص قال لا تقبل الصلاة إلا بالزكاه

«وَ اعْتَصِمُوا بِاللَّهِ» أى تمسكوا بدين الله عن الحسن و قيل معناه امتنعوا بطاعته عن معصيته و قيل امتنعوا بالله من

أعدائكم أى اجعلوه عصمه لكم مما تحذرون وقيل ثقوا بالله و توكلوا عليه عن مقاتل «هُوَ مَوْلَاكُمْ» أى وليكم و ناصركم و المتولى لأُموركم و مالكم «فَنِعْمَ الْمَوْلَى» هو لمن تولاه «و نِعْمَ النَّصِيرُ» هو لمن استنصره وقيل فنعم المولى إذ لم يمنعكم الرزق حين عصيته و نعم النصير إذا أعانكم لما أطمعتموه.

ص: ١٥٦

(٢٣) سورة المؤمنون مكيه و آياتها ثمانى عشره و مائه (١١٨)

اشاره

عدد آياتها

مائه و ثمانى عشره آيه كوفى تسع عشره فى الباقيين.

اختلافها

آيه واحده و أخاه هارونَ غير الكوفى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكه يوم القيامه بالروح و الريحان و ما تقر به عينه عند نزول ملك الموت

و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) من قرأ سورة المؤمنين ختم الله له بالسعاده إذا كان يدمن قراءتها فى كل جمعه و كان منزله فى الفردوس الأعلى مع النبيين و المرسلين.

تفسيرها

ختم الله سورة الحج بأمر المكلفين فى العباده و أفعال الخير على طريق الإجمال و افتتح هذه السوره بتفصيل تلك الجمله و بيان تلك الأفعال فقال:

ص: ١٥٧

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤)
وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩)
أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)

القراءة

قرأ ابن كثير لأمانتهم على الواحد هنا و في المعارج و الباقون لِأَمَانَاتِهِمْ على الجمع و قرأ على صلاتهم بالأفراد أهل الكوفة غير عاصم و الباقون «على صَلَوَاتِهِمْ» على الجمع.

الحجج

قال أبو علي وجه الأفراد في الأمانة أنه مصدر و اسم جنس فيقع على الكثرة و وجه الجمع قوله إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا و مما أفردت فيه الأمانة و المراد به الكثرة ما

روى عن النبي ص أنه قال من الأمانة أن أوتمنت المرأة على فرجها

يريد تفسير قوله وَلَا يَجِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ و وجه الأفراد في الصلاة أنها مصدر و وجه الجمع أنها صارت بمنزلة الاسم لاختلاف أنواعها و الجمع فيه أقوى لأنه صار اسما شرعيا لانضمام ما لم يكن في أصل اللغة إليها.

المعنى

«قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ» أي فاز بثواب الله الذين صدقوا بالله و بوحدانيته و برسله و قيل معنى أفلح بقى أي قد بقيت أعمالهم الصالحة و قيل معناه قد سعد قال لبيد

" و لقد أفلح من كان عقل "

قال الفراء يجوز أن يكون قد هاهنا لتأكيد الفلاح للمؤمنين و يجوز أن يكون تقريبا للماضي من الحال ألا تراهم يقولون قد قامت الصلاة قبل حال قيامها فيكون المعنى في الآية إن الفلاح قد حصل لهم و أنهم عليه في الحال ثم وصف هؤلاء المؤمنين

بأوصاف فقال «الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ» أى خاضعون متواضعون متذللون لا يرفعون أبصارهم عن مواضع سجودهم و لا يلتفتون يمينا و لا شمالا و

روى أن النبى ص رأى رجلا يعبث بلحيته فى صلاته فقال أما أنه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه

و فى هذا دلالة على أن الخشوع فى الصلاة يكون بالقلب و بالجوارح فأما بالقلب فهو أن يفرغ قلبه بجمع الهمه لها و الإعراض عما سواها فلا يكون فيه غير العبادة و المعبود و أما بالجوارح فهو غض البصر و الإقبال عليها و ترك الالتفات و العبث قال ابن عباس خشع فلا يعرف من على يمينه و لا من على يساره و

روى أن رسول الله ص كان يرفع بصره إلى السماء فى صلاته فلما نزلت الآية طأطأ رأسه ورمى ببصره إلى الأرض

ص: ١٥٨

«وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ» اللغو فى الحقيقه هو كل قول أو فعل لا فائده فيه يعتد بها فذلك قبيح محظور يجب الإعراض عنه و قال ابن عباس اللغو الباطل و قال الحسن هو جميع المعاصى و قال السدى هو الكذب و قال مقاتل هو الشتم فإن كفر مكه كانوا يشتمون النبى ص و أصحابه فنهوا عن إجابتهم و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال هو أن يتقول الرجل عليك بالباطل أو يأتيك بما ليس فيك فتعرض عنه الله

و

فى روايه أخرى أنه الغناء و الملاهى

«وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ» أى مؤدون فعبر عن التأديه بالفعل لأنه فعل قال أميه بن أبى الصلت "المطعمون الطعام فى السنه الأزمه و الفاعلون للزكوات" قال ابن عباس للصدقه الواجبه مؤدون «وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ» قال الليث الفرج اسم لجميع سوءات الرجال و النساء و المراد بالفروج هاهنا فروج الرجال بدلاله قوله «إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ» قال الزجاج المعنى أنهم يلامون فى إطلاق ما حظر عليهم و أمروا بحفظه إلا على أزواجهم و دل على المحذوف ذكر اللوم فى قوله «فَأَنَّهُمْ غَيْرٌ مَّلُومِينَ» و ملك اليمين فى الآيه المراد به الإمام لأن الذكور من المماليك لا خلاف فى وجوب حفظ الفرج منهم و إنما قيل للجاريه ملك يمين و لم يقل فى الدار و نحوها ملك يمين لأن ملك الجاريه أخص منه إذ يجوز له نقض بنيه الدار و ليس له نقض بنيه الجاريه و له عاريه الدار و ليس له عاريه الجاريه للوطء حتى توطأ بالعاريه و إنما أطلق سبحانه إباحه وطء الأزواج و الإمام و إن كانت لهن أحوال يحرم وطؤهن فيها كحال الحيض و العده للجاريه من زوج لها و ما أشبه ذلك لأن الغرض بالآيه بيان جنس من يحل وطؤها دون الأحوال التى لا- يحل فيها الوطء «فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ» أى طلب سوى الأزواج و الولائد المملوكه «فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ» أى الظالمون المتجاوزون إلى ما لا- يحل لهم «وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ» أى حافظون وافون و الأمانات ضربان أمانات الله تعالى و أمانات العباد فالأمانات التى بين الله تعالى و بين عباده هى العبادات كالصيام و الصلاه و الاغتسال و أمانات العباد هى مثل الودائع و العوارى و البياعات و الشهادات و غيرها و أما العهد فعلى ثلاثه أضرب أوامر الله تعالى و نذور الإنسان و العقود الجاريه بين الناس فيجب على الإنسان الوفاء بجميع ضروب الأمانات و العهود و القيام بما يتولاه منها «وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ» أى يقيمونها فى أوقاتها و لا يضيعونها و إنما أعاد ذكر الصلاه تنبيها على عظم قدرها و علو رتبته عنده تعالى «أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ» معناه إن من كانوا بهذه الصفات

ص: ١٥٩

و اجتمعت فيهم هذه الخلال هم الوارثون يوم القيامة منازل أهل النار من الجنة فقد

روى عن النبي ص أنه قال ما منكم من أحد إلا له منزلان منزل في الجنة و منزل في النار فإن مات و دخل النار ورث أهل الجنة منزله

و قيل إن معنى الميراث هنا أنهم يصيرون إلى الجنة بعد الأحوال المتقدمه و ينتهى أمرهم إليها كالميراث الذى يصير الوارث إليه ثم وصف الوارثين فقال «الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ» و هو اسم من أسماء الجنة عن الحسن و لذلك أنت فقال «هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» و قيل هو اسم لرياض الجنة عن مجاهد و أبى على الجبائى و قيل هو جنة مخصوصه ثم اختلف فى أصله فقيل إنه اسم رومى ف عرب و قيل هو عربى وزنه فعلول و هو البستان الذى فيه كرم قال جرير

" يا بعد يبرين من باب الفرديس "

و قال الجبائى معنى الوراثه هنا أن الجنة و نعيمها يؤول إليهم من غير اكتساب كما يؤول المال إلى الوارث من غير اكتساب.

[سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ١٢ الى ١٩]

اشاره

وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعِيدٌ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (١٦)

وَ لَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَ مَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ (١٧) وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْوَكْنَا فِي الْأَرْضِ وَ إِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ (١٨) فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَ أَغْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَ مِنْهَا تَأْكُلُونَ (١٩)

ص: ١٦٠

القراءه

قرأ ابن عامر و أبو بكر عظاما فكسونا العظم على الإفراد وقرأ زيد عن يعقوب عظاما فكسونا العظام و الباقرن على الجمع فى الموضوعين.

الحججه

قال أبو على الجمع أشبه بما جاء فى التنزيل إذا كُنَّا عِظَاماً وَ رُفَاتاً إذا كُنَّا عِظَاماً نَخِرُهُ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ و الإفراد لأنه اسم جنس فأفرد كما يفرد المصادر و غيرها من الأجناس نحو الدرهم و الإنسان و ليس ذلك على حد قوله:

كلوا فى بعض بطنكم تعفوا فإن زمانكم زمن خميص

و لكنه على ما أنشده أبو زيد:

لقد تعلت على أياتق صهب قليلات القراد اللازق

فالقراد يراد به الكثره لا محاله.

اللغه

السلاله اسم لما يسلم من الشىء كالكساحه اسم لما يكسح و تسمى النطفه سلاله و الولد سلاله و سليله و الجمع سلالات و سلائل فالسلاله صفوه الشىء التى يخرج منها كالسلافه قال الشاعر:

و هل كنت إلا مهرة عربيه سليله أفراس تجللها بغل

و النطفه الماء القليل و قد يقال للماء الكثير أيضا و منه

قول أمير المؤمنين عليه أفضل الصلوات مصارعهم دون النطفه

يريد النهروان يعنى الخوارج و منه

الحديث حتى يسير الراكب بين النطفتين لا يخشى جورا

يعنى بحر المشرق و بحر المغرب.

الإعراب

«فِي قَرَارٍ» فى موضع الصفه لنطفه و «عَلَقَهُ» حال من النطفه بعد الفراغ من الفعل و كذلك القول فى مضغه و عظام و «لَحْمًا»

مفعول ثانٍ لكسونا و «خَلَقًا» مصدر أنشأنا من غير لفظه «مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنَابٍ» صفة لجنات و كذلك قوله «لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ».

المعنى

ثم قال سبحانه على وجه القسم «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ

ص: ١٦١

طين» المراد بالإنسان ولد آدم (عليه السلام) و هو اسم الجنس فيقع على الجميع عن ابن عباس و مجاهد و أراد بالساله الماء يسل من الظهر سلا من طين أى من طين آدم لأنها تولدت من طين خلق آدم منه قال الكلبي يقول من نطفه سلت تلك النطفه من طين و قيل أراد بالإنسان آدم (عليه السلام) لأنه استل من أديم الأرض عن قتاده «ثُمَّ جَعَلْنَاهُ» يعنى ابن آدم الذى هو الإنسان «نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ» يعنى الرحم مكن فيه الماء بأن هيا لاستقراره فيه إلى بلوغ أمده الذى جعل له «ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً» مفسر فى سورة الحج «فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا» أى جعلنا تلك المضغه من اللحم عظاما «فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا» أى فأبتنا اللحم على العظام كاللباس. بين سبحانه تنقل أحوال الإنسان فى الرحم حتى استكمل خلقه لينبه على بدائع حكمته و عجائب صنعته و كمال نعمته «ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ» أى نفخنا فيه الروح عن ابن عباس و مجاهد و عكرمه و الشعبى و الضحاك و قيل هو نبات الشعر و الأسنان و إعطاء الفهم عن قتاده و قيل يعنى ثم أنشأناه ذكرا و أنثى عن الحسن «فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ» أى تعالى الله و دام خيريه و ثبت و قيل معناه استحق التعظيم بأنه قديم لم يزل و لا يزال لأنه مأخوذ من البروك الذى هو الثبوت و قال «أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ» لأنه لا تفاوت فى خلقه و أصل الخلق التقدير يقال خلقت الأديم إذا قسته لتقطع منه شيئا و قال حذيفه فى هذه الآية تصنعون و يصنع الله و هو خير الصانعين و فى هذا دليل على أن اسم الخلق قد يطلق على فعل غير الله تعالى إلا أن الحقيقة فى الخلق لله سبحانه فقط فإن المراد من الخلق إيجاد الشىء مقدرًا تقديرًا لا تفاوت فيه و هذا إنما يكون من الله سبحانه و تعالى و دليله قوله «أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ» و روى أن عبد الله بن سعد بن أبى سرح كان يكتب لرسول الله ص فلما بلغ إلى قوله «خَلَقًا آخَرَ» خطر بباله «فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ» فلما أملاها رسول الله كذلك قال عبد الله إن كان نبيا يوحى إليه فأنا نبى يوحى إلى فلحق بمكة مرتدا و لو صح هذا فإن هذا القدر لا يكون معجزا و لا يمتنع أن يتفق ذلك من الواحد منا لكن هذا الشقى إنما اشتبه عليه أو شبه على نفسه لما كان فى صدره من الكفر و الحسد للنبي ص «ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ» أى بعد ما ذكرنا من تمام الخلق «لَمَيِّتُونَ» عند انقضاء آجالكم «ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ» أى تحشرون إلى الموقف و الحساب و الجزاء أخبر الله سبحانه أن هذه البنية العجيبه المبنيه على أحسن إتقان و إحكام تنقض بالموت لغرض صحيح و هو البعث و الإعادة و هذا لا يمنع من الإحياء فى القبور لأن إثبات البعث فى القيامة لا يدل على نفى ما عداه أ لا ترى أن الله سبحانه أحيا الذين أخرجوا من ديارهم و هم أوف و أحيا قوم موسى على الجبل بعد ما أماتهم و فى الآية

دلاله على فساد قول النظام في أن الإنسان هو الروح و قول معمر إن الإنسان شىء لا- ينقسم و أنه ليس بجسم «وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ» أى سبع سماوات كل سماء طريقه و سميت بذلك لتطارقها و هو أن بعضها فوق بعض و قيل لأنها طرائق الملائكة عن الجبائى و قيل الطرائق الطباق و كل طبقه طريقه عن ابن زيد و قيل إن ما بين كل سماءين مسيره خمسائه عام و كذلك ما بين السماء و الأرض عن الحسن «وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ» إذ بنينا فوقهم سبع سماوات أطلعنا فيها الشمس و القمر و الكواكب و قيل معناه ما خلقناهم عبثا بل خلقناهم عالمين بأعمالهم و أحوالهم عن الجبائى و فى هذا دلاله على أنه عالم بجميع المعلومات و فيه زجر عن السيئات و ترغيب فى الطاعات «وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» أى مطرا و غيثا «بِقَدَرٍ» أى بقدر الحاجة لا يزيد على ذلك فيفسد و لا ينقص عنه فيهلك بل على ما توجه المصلحه «فَأَسْكَنَّا فِي الْأَرْضِ» أى جعلنا له الأرض مسكنا جمعناه فيه لينتفع به يريد ما يبقى فى المستنقعات و الدحلان أقر الله الماء فيها لينتفع الناس بها فى الصيف عند انقطاع المطر و قيل معناه جعلنا عيوننا فى الأرض و

روى مقاتل عن عكرمه عن ابن عباس عن النبى ص قال إن الله تعالى أنزل من الجنة خمسة أنهار سيحون و هو نهر الهند و جيحون و هو نهر بلخ و دجله و الفرات و هما نهر العراق و النيل و هو نهر مصر أنزلها الله من عين واحده و أجزاها فى الأرض و جعل فيها منافع للناس فى أصناف معاشهم و ذلك قوله «وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ» الآية

«وَأِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ» أى و نحن على إذهابه قادرون و لو فعلناه لهلك جميع الحيوانات نبه سبحانه بذلك على عظيم نعمته على خلقه بإنزال الماء من السماء «فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ» أى أحدثنا و خلقنا لنفعمكم «بِهِ» أى بسبب هذا الماء «جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ» يا معاشر الخلق «فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ» تتفكهون بها «وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ» و إنما خص النخل و الأعناب لأنها ثمار الحجاز من المدينة و الطائف فذكرهم سبحانه بالنعم التى عرفوها.

النظم

وجه اتصال الآيات بما قبلها أنه سبحانه لما ذكر نعمته على المؤمنين بما أعد لهم فى الآخرة ابتداء بذكر نعمه عليهم فى مبتدأ خلقه تنبيها لهم على النظر فيها و ترغيبا فى التمسك بالحسنات المذكوره و لما بين أحوال الآخرة بين متى يكون البعث و دل بذلك على أن من قدر على خلق الإنسان فى هذا الترتيب و التركيب العجيب قدر على الإعادة ثم أبان عن قدرته على البعث بقدرته على خلق السماوات ثم بين أنه لا يغفل عن عباده إذ لا يشغله

فعل عن فعل ثم بين أنه قادر لذاته حيث أنزل من السماء الماء و أسكنه في الأرض بأن فرقه في البحار و الأنهار و العيون ثم بين سبحانه أنه قادر على إذهابه دلالة على أن هذه النعمة وقعت باختياره ثم ذكر تفصيل النعمة.

[سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٢٠ الى ٢٥]

إشاره

وَ شَجَرَهُ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ وَ صِنْعٌ لِلآكِلِينَ (٢٠) وَ إِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسِقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَ مِنْهَا تَأْكُلُونَ (٢١) وَ عَلَيْهَا وَ عَلَى الْفُلْكِ تَحْمَلُونَ (٢٢) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٢٣) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٢٤)

إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ (٢٥)

القراءة

قرأ أهل الحجاز و أبو عمرو طور سيناء بكسر السين و الباقون بفتحها و قرأ ابن كثير و أبو عمرو و يعقوب عن روح تنبت بالدهن بضم التاء و الباقون «تَنْبُتُ» بفتح التاء و ضم الباء و في الشواذ قراءه الحسن و الزهري و الأعرج تنبت بضم التاء و فتح الباء و قد ذكرنا اختلافهم في نسقيكم في سوره النحل.

الحجه

قال أبو عمرو من قرأ «سَيْنَاءَ» بفتح السين لم ينصرف الاسم عنده في معرفه و لا- نكره لأن الهمزه في هذا البناء لا تكون إلا للتأنيث و لا تكون للإلحاق لأن فعلا لا يكون إلا في المضاعف فلا يجوز أن يلحق به شيء فهذا إذا كموضع أو بقعه تسمى بطرفاء أو صحراء و من قرأ سيناء بالكسر فالهمزه فيها منقلبه عن الياء كعلباء و سيساء و هي الياء التي

أظهرت في نحو درحايه و إنما لم ينصرف على هذا القول و إن كان غير مؤنث لأنه جعل اسم بقعه فصار بمنزله امرأه سميت بجعفر و من قرأ تنبت بالدهن احتمل وجهين (أحدهما) أن يجعل الجار زائدا يريد تنبت الدهن كما في قوله «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» و قد زيدت هذه الباء مع الفاعل كما زيدت مع المفعول به في نحو قوله:

ألم يأتيك و الأنباء تنمى بما لاقت لبون بنى زياد

و قد زيدت مع هذه الكلمه بعينها في قوله:

بواد يمان تنبت الشث حوله و أسفله بالمرخ و الشبهان

حملوه على ينبت أسفله المرخ و يجوز أن تكون الباء متعلقا بغير هذا الفعل الظاهر و يقدر مفعولا محذوفا تقديره تنبت جناها أى ثمرتها و فيها دهن و صبغ كما تقول خرج بثيابه و ركب بسلاحه و من قرأ «تَنْبَتُ بِالذُّهْنِ» جاز أن يكون الجار فيه للتعدي أنبته و نبت به و يجوز أن يكون الباء في موضع حال كما كان في الوجه الأول و لا يكون للتعدي و لكن تنبت و فيها دهن و قد قالوا أنبت بمعنى نبت فكان الهمزه في أنبت مره للتعدي و مره لغيرها و يكون من باب أخال و أجرب و أقطف أى صار ذا خال و جرب و من قرأ تنبت فهو على معنى تنبت و فيها دهنها و تؤكد ذلك قراءة عبد الله تخرج بالدهن أى تخرج من الأرض و دهنها معها قال ابن جنى ذهبوا في بيت زهير

" حتى إذا أنبت البقل "

إلى أنه في معنى نبت و قد يجوز أن يكون محذوف المفعول بمعنى حتى إذا أنبت البقل ثمره قال و من ذهب إلى زياده الباء في قوله تنبت بالدهن فمضعوف المذهب لأنه يزيد حرفا لا حاجة له إلى اعتقاد زيادته.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال «وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ» أى و أنشأنا لكم بذلك المطر شجره يعنى شجره الزيتون و خصت بالذكر لما فيها من العبره بأنه لا يتعاهدها إنسان بالسقى و هى تخرج الثمره التى يكون منها الدهن الذى تعظم به المنفعه و سيناء اسم المكان الذى به هذا الجبل فى أصح الأقوال و هى نبطيه فى قول الضحاك و حبشيه فى قول عكرمه و هى اسم حجاره بعينها أضيف الجبل إليها عن مجاهد

وقيل سينا البركة فكأنه قيل جعل البركة عن ابن عباس و قتاده و قيل طور سينا الجبل المشجر أى كثير الشجر عن الكلبي و قيل هو الجبل الحسن عن عطاء و هو الجبل الذى نودى منه موسى (عليه السلام) و هو ما بين مصر و إيله عن ابن زيد «تَبْتُ بِالذَّهْنِ» أى تنبت ثمرها بالدهن لأنه يعصر من الزيتون الزيت «وَ صَبَغٌ لِلْكَالِينِ» و الصبغ ما يصبغ به من الأدم و ذلك أن الخبز يلون بالصبغ إذا غمس فيه و الاصطباغ بالزيت الغمس فيه للائتمام به و المراد بالصبغ الزيت عن ابن عباس فإنه يدهن به و يؤتمد جعل الله فى هذه الشجرة آدم و دهنا فالآدم الزيتون و الدهن الزيت و

قد روى عن النبى ص أنه قال الزيت شجره مباركة فأتموا به و ادهنوا

«وَ إِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً» أى دلالة تستدلون بها على قدره الله تعالى «نُتِيقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا» أراد به اللبن و من قرأ بضم النون أراد أنا جعلنا ما فى ضروعها من اللبن سقيا لكم و من فتح النون جعل ذلك مختصا بالسقاه و هو مفسر فى سورة النحل «وَ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ» فى ظهورها و ألبانها و أوبارها و أصوافها و أشعارها «وَ مِنْهَا تَأْكُلُونَ» أى من لحومها و أولادها و التكبسب بها «وَ عَلَيْهَا» يعنى على الإبل خاصة «وَ عَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ» و هذا كقوله «وَ حَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ» أما فى البر فالإبل و أما فى البحر فالسفن و لما قدم سبحانه ذكر الأدلة الدالة على كمال قدرته فأتابعها بذكر شمول نعمته على كافة خليقته عقب ذلك بذكر إنعامه عليهم بإرسال الرسل فقال «وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ» قيل إنما سمي نوحا لكثرة نوحه على نفسه عن ابن عباس و قيل فى سبب نوحه أنه كان يدعو على قومه بالهلاك و قيل هو مراجعته ربه فى شأن ابنه «فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ» أى أطيعوه و وحدوه «مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ» بدأ بالتوحيد لأنه الأهم «أَفَلَا تَتَّقُونَ» عذاب الله فى ترك الإيمان به «فَقَالَ الْمَلَأُ» أى الأشراف «الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ» أى يتشرف و يتراأس عليكم بأن يصير متبوعا و أنتم له تبع فيكون له الفضل عليكم «وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ» أن لا يعبد شىء سواه «لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً» و لم يرسل بشرا آدميا «مَا سَمِعْنَا بِهَذَا» الذى يدعونا إليه نوح من التوحيد «فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ» أى فى الأمم الماضيه «إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ» أى حاله جنون «فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ» أى انتظروا موته فتستريحوا منه و قيل فانتظروا إفاقة من جنونه فيرجع عما هو عليه و قيل معناه احبسوه مده ليرجع عن قوله.

إشارة

قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي (٢٦) فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٧) فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٨) وَقُلْ رَبِّ انزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٢٩) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (٣٠)

القراءة

قرأ أبو بكر عن عاصم منزلاً بفتح الميم و كسر الزاى و الباقون «مُنزلاً» بضم الميم و فتح الزاى.

الحج

قال أبو علي من قرأ «مُنزلاً» بالضم جاز أن يكون مصدراً و أن يكون موضعاً للإِنزال فعلى الوجه الأول جاز أن يعدى الفعل إلى مفعول آخر و على الوجه الثانى قد تعدى إلى مفعولين و من قرأ منزلاً- أمكن أن يكون مصدراً و أن يكون موضع نزول و دل أنزلنى على نزلت.

المعنى

ثم ذكر سبحانه أن نوحاً لما نسبه قومه إلى الجنون و لم يقبلوا منه «قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي» أى بتكذيبهم إياى و المعنى انصرنى يا هلا- كههم «فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا» أى بحيث نراها كما يراها الرأى من عبادنا بعينه و قيل معناه بأعين أولئنا من الملائكة و المؤمنين فإنهم يحرسونك من كل من يمنعك منه «وَ وَحَيْنَا» أى بأمرنا و إعلامنا إياك كيفية فعلها «فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَ فَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا» أى فأدخل فى السفينه «مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَ أَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ» مفسر فى سوره هود «وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا» أى لا- تكلمنى فى شأنهم «إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ» أى هالكون «فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ» يا نوح «وَ مَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ» أى السفينه «فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا» أى خلصنا «مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» لنفوسهم بجحدهم توحيد الله «وَ قُلْ رَبِّ انزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا» أى إنزالاً- مباركاً أو نزولاً مباركاً بعد الخروج من السفينه و ذلك تمام النجاه عن مجاهد و قيل المنزل المبارك هو السفينه عن الجبائى قيل لأنه سبب النجاه و قيل معناه أنزلنى

مكانا مباركا بالماء و الشجر عن الكلبى و قيل معنى البركه أنهم توالدوا و كثروا عن مقاتل «وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ» لأنه لا يقدر أحد على أن يصون غيره من الآفات إذا أنزله منزلا و يكفيه جميع ما يحتاج إليه إلا أنت قال الحسن كان فى السفينه سبعة أنفس من المؤمنين و نوح ثامنهم و قيل ثمانون «إِنَّ فِي ذَلِكَ» أى فى أمر نوح و السفينه و هلاك أعداء الله «الآيات» أى دلالات للعقلاء يستدلون بها على التوحيد «وَأِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ» معناه و إن كنا مختبرين إياهم بإرسال نوح و وعظه و تذكيره و متعبدين عبادنا بالاستدلال بتلك الآيات على قدرتنا و معرفتنا.

[سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٣١ الى ٤٠]

أشاره

ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (٣١) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣٢) وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَ اتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَ يَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣) وَ لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ (٣٤) أَيْعِدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَ كُنْتُمْ تُرَابًا وَ عِظَامًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ (٣٥) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦) إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَ نَحْيَا وَ مَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧) إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَ مَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ (٣٨) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٣٩) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ (٤٠)

القراءه

قرأ أبو جعفر هيهات هيهات بالكسر و الباقون بالفتح و فى الشواذ قراءه

ص: ١٦٨

عيسى بن عمر هيهات هيهات بالتنوين و الكسر و قراءه أبى حيوه هيهات هيهات بالرفع و التنوين و قراءه عيسى الهمدانى هيهات هيهات مرسله التاء.

الحج

قال ابن جنى أما الفتح و هو قراءه العامه فعلى أنه واحد و هو اسم سمي به الفعل فى الخبر و هو اسم بعد كما أن شتان اسم افترق و أف اسم أتضجر و من كسر فقال هيهات منونا أو غير منون فهو جمع هيهاه و أصلها هيهيات فحذف الألف لأنه فى آخر اسم غير متمكن كما حذفت ياء الذى و ألف ذا فى التشبيه إذا قلت اللذان و دان و من نون ذهب إلى التنكير أى بعدا بعدا و من لم ينون ذهب إلى التعريف أراد البعد البعد و من فتح وقف بالهاء لأنها كهاء أراطه و من كسر كتبها بالتاء لأنها جماعه و من قال هيهات بالتنوين و الرفع فإنه يكتبها بالهاء و يكون اسما معربا فيه معنى البعد و قوله «لِما تُوعِدُونَ» خبر عنه فكأنه قال البعد لوعدكم و أما هيهات ساكنه التاء فينبغى أن تكون جماعه و تكتب بالتاء و أجريت فى الوقف مجراها فى الوصل و تقول العرب هيهات لما تبغى و هيهات منزلتك قال جرير

فهيهات هيهات العقيق و من به و هيهات خل بالعقيق نواصله

و يروى أيهات و اختار الفراء الوقف على هيهات بالتاء لأن قبلها ساكنها فصارت كتأنيث أخت و قال أبو على إنما كرر هيهات فى الآيه و فى البيت للتأكيد و أما اللتان فى الآيه ففى كل واحده منهما ضمير مرتفع يعود إلى الإخراج إذ لا يجوز خلوه من الفاعل و التقدير هيهات إخراجكم لأن قوله «أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ» بمعنى الإخراج أى بعد إخراجكم للوعد إذ كان الوعد إخراجكم بعد موتكم استبعد أعداء الله إخراجهم لما كانت العده به بعد الموت ففاعل هيهات هو الضمير العائد إلى «أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ» الذى هو بمعنى الإخراج و أما فى البيت ففى هيهات الأول ضمير العقيق و فسر ذلك ظهوره مع الثانى.

الإعراب

اختلفوا فى أن الثانى من قوله سبحانه «أَيَعِدُكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَ كُنْتُمْ تُرَاباً وَ عِظَاماً أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ» و كذلك قوله أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ و قوله كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ فقال سيبويه إن الثانى فى هذه المواضع الثلاث بدل من الأولى و قال أبو عمرو الجرمى و أبو العباس المبرد أنها مكرره للتأكيد و طول الكلام و قال أبو الحسن إنها مرتفع بالظرف و اختاره أبو على الفارسى و زيف القولين الأولين و أقول إن أن الأولى فى

قوله «أَيَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ» مع اسمها و خبرها فى موضع نصب على أنه المفعول الثانى من الوعد و يكون تقديره على مذهب سيبويه أ يعدكم أنكم مخرجون إذا متم و كنتم ترابا و عظاما أى أ يعدكم كونكم مخرجين بعد موتكم و كونكم ترابا و عظاما و أما على مذهب من جعله للتكرير فتقديره أ يعدكم أنكم بعد موتكم مخرجون و أما على مذهب أبى الحسن و أبى على فتقديره أ يعدكم أنكم إذا متم إخراجكم و اتقوا أنكم وقت موتكم أو بعد موتكم إخراجكم فقوله «أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ» فى موضع رفع بالظرف الذى هو قوله «إِذَا مِتُّمْ» و قوله «إِذَا مِتُّمْ» مع ما بعده رفع لكونه جملة واقعه موقع خبر إن الأولى و موضع إذا نصب كما انتصب يوم فى قولك يوم الجمعة القتال و العامل فى الظرف فى الأصل الفعل المحذوف أو معنى الفعل مثل قولك يحدث أو حادث أو يكون أو كائن و لا يجوز أن يكون العامل فيه الإخراج نفسه إذ لو كان كذلك لكان الكلام غير تام و لا يكون له خبر ثم يحذف هذا المضمرة لدلالة الظرف عليه و قيامه مقامه و يصير الذكر الذى كان فى المضمرة من المحدث عنه فى الظرف و ذلك الذكر مرتفع بالظرف كما كان يرتفع بالفعل كما فى نحو قولك زيد ذهب و زيد ذاهب فلما قام الظرف مقام الفعل متأخرا عن الاسم قام مقامه أيضا مبتدأ فرفع الاسم الظاهر كما رفعه الفعل فكذلك إذا فى الآية تقديره فى الأصل إذا متم إخراجكم كائن أو حادث أو يكون أو يحدث ثم اختزل الفعل أو معنى الفعل على ما قاله أبو على فانصب إذا بذلك كما ينتصب غدا فى قولك غدا الرحيل و حذف الخبر كما حذف من غد ثم قام إذا مقام الفعل فرفع قوله «أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ» كما رفع قولك غدا الرحيل و على هذا فيجوز أن نقول هنا أن موضع إذا نصب بحادث أو يحدث المضمرة فى قولك إذا متم إخراجكم يحدث أو حادث و يجوز أن نقول إن الاسم الذى هو «أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ» واقع موقع جواب شرط إذا و يرفع بفعل مضمرة تقديره أ يعدكم إذا متم يعاد إخراجكم أو يحدث إخراجكم و يكون موضع إذا نصب بذلك الفعل فأما تقدير ارتفاع أن الثانية بالظرف فى الآيتين الأخيرتين فقد تقدم بيانه فى موضعيهما من هذا الكتاب فلا معنى لإعادته فقد أجاز أبو عثمان و غيره إضمار الظرف و إعماله كما قالوا فى انتصاب مثلهم فى بيت الفرزدق

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم إذ هم قريش و إذ ما مثلهم بشر

أنه على ظرف مضمرة.

المعنى

ثم عطف سبحانه على قصه قوم نوح فقال «ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ» أى

أحدثنا و خلقنا من بعد قوم نوح «فَرْنَا آخِرِينَ» أى جماعه آخريين من الناس و القرن أهل العصر على مقارنه بعضهم لبعض قيل
يعنى عاد أقوم هود لأنه المبعوث بعد نوح و قيل يعنى ثمود لأنهم أهلكوا بالصيحه عن الجبائى «فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ
اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ» سبق تفسيره «وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاتِ الْآخِرَةِ» أى بالبعث و
الجزاء «وَ أَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» أى نعمناهم فيها بضروب الملاذ «ما هذا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَ يَشْرَبُ مِمَّا
تَشْرَبُونَ» من الأشربه فليس هو أولى بالرساله منا «وَ لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ» فيما يدعوكم إليه «إِنَّكُمْ إِذَا لَخَّاسِئِرُونَ» باتباعه «أ
يَعِدُّكُمْ» هذا الرسول «إِنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَ كُنْتُمْ تُرَابًا وَ عِظَامًا» و صرتم بعد الموت رميما «أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ» من قبوركم أحياء «هَيْهَاتَ»
فيه ضمير مرتفع عائد إلى قوله «أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ» و المعنى هيهات هو أى بعد إخراجكم جدا حتى امتنع «هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ»
قال ابن عباس بعدا بعدا لما توعدون و قال الكلبي بعيد بعيد ما يعدكم ليوم البعث «إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا» أى ليس الحياه إلا
الحياه التى نحن فيها القريبه منا «نَمُوتُ وَ نَحْيَا» أى يموت قوم منا و يحيا قوم و لا- نبعث و قيل يموت الآباء و يحيا الأبناء عن
الكلبي و قيل يموت قوم و يولد قوم «وَ مَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ» بعد ذلك «إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» أى اختلق كذبا «وَ مَا
نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ» أى بمصدقين فيما يقول «قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ» تقدم بيانه «قَالَ» أى قال الله سبحانه «عَمَّا قَلِيلٍ» أى عن
قليل من الزمان و الوقت يعنى عند الموت لو عند نزول العذاب و ما هاهنا مزيده «لَيُصْبِحَنَّ نَادِمِينَ» هذا وعيد لهم و اللام للقسم.

إشارة

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُرَاءً فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤١) ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ (٤٢) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّه أَجْلَهَا
وَ مَا يَسْتَأْخِرُونَ (٤٣) ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّه رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَ جَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا
يُؤْمِنُونَ (٤٤) ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَ أَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ (٤٥)

إِلَى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَ كَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (٤٦) فَقَالُوا أُنُومٌ لِبَشَرِينَ مِثْلِنَا وَ قَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (٤٧) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ
الْمُهْلَكِينَ (٤٨) وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٤٩) وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّه آيَةً وَ آوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَ مَعِينٍ
(٥٠)

القراءة

قرأ ابن كثير و أبو عمرو و أبو جعفر تترى بالتونين و الباقون بغير تنوين و من نون وقف بالألف لا- غير و من لم ينون و مذهبه
الإماله وقف بالياء و هى ألف مماله و الباقون بالألف و قد ذكرنا اختلافهم فى «رَبْوَةٍ» فى سوره البقره.

الحجج

قال أبو على «تتراً» فعلى من المواتره أن يتبع الخبر الخبر و الكتاب الكتاب فلا- يكون بينهما فصل كثير و الأقيس أن لا يصرف
لأن المصادر قد يلحق أواخرها ألف التانيث كالدعوى و العدوى و الذكرى و الشورى و لم نعلم شيئاً من المصادر لحق آخرها
الياء للإلحاق فمن قال «تتراً» أمكن أن يريد به فعلى من المواتره فيكون الألف بدلا من التنوين و إن كان فى الخط بالياء كان
للإلحاق و الإلحاق فى غير المصادر ليس بالقليل نحو أرطى و معزى و لزم أن يحمل على فعل دون فعلى و من قال «تتراً» و أراد
به فعلى فحكمه أن يقف بالألف مفخمه و لا يملئها و من جعل للإلحاق أو للتانيث أمال الألف إذا وقف عليها.

المعنى

لما قال سبحانه إن هؤلاء الكفار يصبحون نادمين على ما فعلوه عقبه بالإخبار عن إهلاكهم فقال «فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ» صاح بهم
جبرائيل صيحه واحده ماتوا عن آخرهم «بِالْحَقِّ» أى باستحقاقهم العقاب بكفرهم «فَجَعَلْنَاهُمْ غُرَاءً» و هو ما جاء به السيل من نبات
قد يبس و كل ما يحمله السيل على رأس الماء من قصب و عيدان شجره فهو غناء و المعنى فجعلناهم هلكى قد يبسوا كما يبس
الغشاء و همدوا «فَبَعْدًا» أى ألزم الله بعدا من الرحمه «لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» المشركين المكذبين «ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ» أى من بعد
هؤلاء «قُرُونًا آخَرِينَ» أى أمما و أهل أعصار آخرين «مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّه أَجْلَهَا وَ مَا يَسْتَأْخِرُونَ» هذا وعيد للمشركين معناه ما تموت
أمه قبل أجلها المضروب لها و لا تتأخر عنه و قيل عنى بالعذاب الموعود لهم على التكذيب أنه لا يتقدم على الوقت المضروب
لهم لذلك و لا يتأخر

عنه والأجل هو الوقت المضروب لحدوث أمر من الأمور والأجل المحتوم لا يتأخر ولا يتقدم والأجل المشروط بحسب الشرط والمراد بالأجل المذكور في الآيه الأجل المحتوم «ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا» أى متواتره يتبع بعضهم بعضا عن ابن عباس ومجاهد وقيل متقاربه الأوقات وأصله الاتصال لاتصاله بمكانه من القوس ومنه الوتر وهو الفرد عن الجمع المتصل قال الأصمعى يقال واترت الخبر اتبعت بعضه بعضا وبين الخبرين هنيهة «كُلُّ مَا جَاءَ أُمَّهُ رَسُولُهَا كَذَبٌ» ولم يقرؤا بنبوته «فَأَتَّبَعْنَا بِعَصَا هُيْمَ بَعْضًا» يعنى فى الإهلاك أى أهلكنا بعضهم فى إثر بعض «وَجَعَلْنَا هُمْ أَحَادِيثَ» أى يتحدث بهم على طريق المثل فى الشر وهو جمع أهدوته ولا يقال هذا فى الخير والمعنى إنا صيرناهم بحيث لم يبق بين الناس منهم إلا حديثهم «فَبَعْدَ لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ» ظاهر المعنى «ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَ أَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا» أى بدلائلنا الواضحة «وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ» أى وبرهان ظاهر بين «إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ» خص الملائه وهم الأشراف بالذكر لأن الآخرين كانوا أتباعا لهم «فَأَسِيَّتْ كُفْرًا» أى تجبروا وتعظموا عن قبول الحق «وَكَانُوا قَوْمًا عَلِيلِينَ» أى متكبرين قاهرين قهروا أهل أرضهم واتخذوهم خولا «فَقَالُوا أَوْ نُرْمَى مِنْ نَجْمٍ مِثْلًا» أى أنصدق لإنسانين خلقهم مثل خلقنا ويسمى الإنسان بشرا لانكشاف بشرته وهى جلده الظاهره حتى احتاج إلى لباس يكنه وغيره من الحيوان مغطى البشره بصوف أو ريش أو غيره لطفًا من الله سبحانه بخلقه إذ لم يكن هناك عقل يدبر أمره مع حاجته إلى ما يكنه والإنسان يهتدى إلى ما يستعين به فى هذا الباب «وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ» أى مطيعون طاعه العبد لمولاه قال الحسن كان بنو إسرائيل يعبدون فرعون وفرعون يعبد الأوثان «فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» أى فكذبوا موسى وهارون فكان عاقبه تكذيبهم أن أهلكهم الله وغرقهم «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ» أى التوراه «لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ» أى لكى يهتدوا إلى طريق الحق والصواب «وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً» وهذا مثل قوله وَ جَعَلْنَاهَا وَ ابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ أى حجه على قدرتنا على الاختراع وآيه عيسى أنه خلق من غير ذكر وآيه مريم أنها حملت من غير فحل «وَ آوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ» أى جعلنا مأواهما مكانا مرتفعا مستويا واسعا يقال أوى إليه يأوى أويا وأواه غيره يؤويه إيواء أى جعله مأوى له والربوه التى أويا إليها هى الرمله من فلسطين عن أبى هريره وقيل دمشق عن سعيد بن المسيب وقيل مصر عن ابن زيد وقيل بيت المقدس عن قتاده وكعب قال كعب وهى أقرب الأرض إلى السماء وقيل هى حيره الكوفه وسوادها و

القرار مسجد الكوفه والمعين الفرات عن أبى جعفر وأبى عبد الله ع

وقيل «ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ» معناه أى ذات موضع قرار أى هى أرض مستويه يستقر عليها ساكنوها عن الضحاك وسعيد وقيل ذات ثمار عن قتاده ذهب إلى أنه لأجل الثمار

يستقر فيها ساكنوها و معين ماء جار ظاهر العيون مفعول من عنته أعينه و يجوز أن يكون فعلا من معن يمعن معانه و الماعون الشئ ء القليل فى قول الزجاج قال الراعى

قوم على الإسلام لما يمنعوا ماعونهم و يبدلوا التنزيلا

قالوا معناه رفدهم و قيل زكائهم و قال عبيد بن الأبرص

واهيه أو معين ممعن أو هضبه دونها لهوب

و اللهب شق فى الجبل ممعن مار و المعن الشئ ء السهل الذى ينقاد و لا يعتاص و أمعن بحقه و أذعن أى أقر قال ابن الأعرابى سالت معنانه أى مسايله و مجاريه.

[سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٥١ الى ٥٦]

إشاره

يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَ اَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١) وَ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣) فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ (٥٤) أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَ بَيْنٍ (٥٥)

نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٦)

القراءه

قرأ أهل الكوفه «وَ إِنَّ هَذِهِ» بالكسر و قرأ ابن عامر و أن بالفتح و التخفيف و الباقون و أن هذه بالفتح.

الحججه

قال أبو على من قرأ و أن هذه بالفتح فالمعنى على قول الخليل و سيبويه أنه محمول على الجار و التقدير لأن هذه أمتكم أمه واحده و أنا ربكم فاتقون أى اتقونى لهذا و مثل ذلك عندهم قوله وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ أَى و لأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا و كذلك عندهما لِإِيلَافٍ قُرَيْشٍ فكأنه قال فليعبدوا رب هذا البيت لِإِيلَافٍ قُرَيْشٍ أى ليقابلوا هذه النعمه

ص: ١٧٤

بالشكر و العباده للمنعم بها و على هذا التقدير يحمل قراءه ابن عامر ألا ترى أن إذا خفت اقتضت ما يتعلق بها اقتضاءها و هى غير مخففة و قال بعض النحويين موضع أن المفتوحه جر عطفاً على قوله «بِمَا تَعْمَلُونَ» و «أُمَّةً وَاحِدَةً» نصب على الحال و الكوفيون يسمونه قطعاً و من كسر لم يحملها على الفعل كما يحملها من فتح و لكن يجعلها كلاماً مستأنف.

المعنى

لما أخبر الله سبحانه عن إيتائه الكتاب للاهتداء ثم عما أولاه من سائغ النعماء خاطب الرسل بعد ذلك فقال «يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ» قيل هو خطاب للرسل كلهم و أمر لهم أن يأكلوا من الحلال عن السدى و

روى عن النبى ص أنه قال إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً و أنه أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال «يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ» و قال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ

وقيل أراد به محمداً ص وحده على مذهب العرب فى مخاطبه الواحد مخاطبه الجمع عن الحسن و مجاهد و قتاده و الكلبي و يتضمن هذا أن الرسل جميعاً كذا أمروا قال الحسن أما و الله ما عنى به أصفركم و لا أحمركم و لا حلوكم و لا حامضكم و لكنه قال انتهوا إلى الحلال منه «وَ اعْمَلُوا صَالِحاً» أى ما أمركم الله به و قيل إنه خطاب عيسى (عليه السلام) خاصه «إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ» هذا بيان السبب الداعى إلى إصلاح العمل فإن العاقل إذا عمل لمن يعلم عمله و يجازيه على حسب ما يعمل من عمله و بقدر استحقاقه أصلح العمل «وَ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً» أى دينكم دين واحد عن الحسن و ابن جريج و يعضده قوله «إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ أَى عَلَىٰ دِينٍ قَالَ النَّابِغَةُ

حلفت فلم أترك لنفسى ريبه و هل يأتمن ذو أمه و هو طائع

وقيل هذه جماعتكم و جماعه من قبلكم واحده كلكم عباد الله تعالى عن الجبائي «وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ» أى لهذا فاتقوا «فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ» تفسير الآيتين قد تقدم فى سورة الأنبياء «زُبُرًا» أى كتبا و هو جمع زبور عن الحسن و قتاده و مجاهد و المعنى تفرقوا فى دينهم و جعلوه كتبا دانوا بها و كفروا بما سواها كاليهود و كفروا بالإنجيل و القرآن و النصرى كفروا بالقرآن و قيل معناه أحدثوا كتبا يحتجون بها لمذهبهم عن ابن زيد و من قرأ زبرا و هو ابن عامر فمعناه جماعات مختلفه فهى جمع زبره أى تفرقوا أحزاباً و انتصب «زُبُرًا» على الحال من «أَمْرَهُمْ» و العامل فيه تقطع و قال الزجاج معناه جعلوا دينهم كتبا مختلفه على قراءه من قرأ زبرا فعلى هذا يكون زبرا مفعولاً - ثانياً «كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَمْ يُدْعِ بِهِمْ فَرِحُونِ» أى كل فريق بما عندهم من الدين راضون يرون أنهم على الحق ثم خاطب نبيه ص فقال «فَعَذَرْتَهُمْ» يا محمد «فِي غَمَرَتِهِمْ» أى جهلهم و ضلالتهم و قيل فى حيرتهم و قيل فى غفلتهم و هى متقاربه «حَتَّىٰ

حين» أى وقت الموت وقيل وقت العذاب ثم قال «أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُنَادُهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ نُسَارِعِ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ» معناه أى يظن هؤلاء الكفار أن ما نعطيههم ونزيدهم من أموال و أولاد أنما نعطيههم ثوابا و مجازاه لهم على أعمالهم أو لرضانا عنهم و لكرامتهم علينا ليس الأمر كما يظنون بل ذلك إملاء لهم و استدراج لهوانهم علينا و للابتلاء فى التعذيب لهم و نظيره قوله فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ و

روى السكونى عن أبى عبد الله (عليه السلام) عن أبيه عن آباءه قال قال رسول الله ص إن الله تعالى يقول يحزن عبدى المؤمن إذا أفترت عليه شيئا من الدنيا و ذلك أقرب له منى و يفرح إذا بسطت له الدنيا و ذلك أبعد له منى ثم تلا هذه الآية إلى قوله «بَلْ لَا يَشْعُرُونَ» ثم قال إن ذلك فتنه لهم

و معنى نَسَارِعَ نَسْرِعَ و نَتَعَجَّلُ و تقديره نَسَارِعَ لَهُمْ به فى الخيرات فحذف به للعلم بذلك كما حذف الضمير من قولهم السمن منوان بدرهم أى منوان منه بدرهم و الخيرات المنافع التى يعظم شأنها و نقيضها الشرور و هى المضار التى يشتد أمرها و الشعور العلم الذى يدق معلومه و فهمه على صاحبه كدقه الشعر و قيل هو العلم من جهة المشاعر و هن الحواس و لهذا لا يوصف القديم سبحانه به.

[سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٥٧ الى ٦١]

إشارة

إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٥٧) وَ الَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَ الَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَ الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَ قُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَ هُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١)

القرءاء

فى الشواذ قرءاء النبى ص و عائشه و ابن عباس و قتاده و الأعمش يأتون ما أتوا مقصورا.

الحجج

معنى قوله «يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَ قُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ» أنهم يعطون الشىء و يشفقون أن لا يقبل منهم و معنى «يُؤْتُونَ مَا آتَوْا» أنهم يعملون العمل و هم يخافونه و يخافون لقاء الله.

المعنى

ثم بين سبحانه حال الأخيار الأبرار بعد بيانه أحوال الكفار الفجار فقال «إِنَّ

الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيِهِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ» أى من خشية عذاب ربهم خائفون فيفعلون ما أمرهم به و ينتهون عما نهاهم عنه و الخشية انزعاج النفس يتوهم المضره «وَ الَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ» أى بآيات الله و حججه من القرآن و غيرها يصدقون «وَ الَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ» أى لا يشركون بعباده الله تعالى غيره من الأصنام و الأوثان لأن خصال الإيمان لا تتم إلا بترك الإشراك «وَ الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا» أى يعطون ما أعطوا من الزكاه و الصدقه و قيل أعمال البر كلها «وَ قُلُوبُهُمْ وَجَلَّةٌ» أى خائفه عن قتاده و قال الحسن المؤمن جمع إحسانا و شفقه و المنافع جمع إساءه و أمنا و

قال أبو عبد الله معناه خائفه أن لا يقبل منهم

و

فى روايه أخرى يؤتى ما آتى و هو خائف راج

و قيل أن فى الكلام حذفاً و إضماراً و تأويله قلوبهم و جلّه أن لا يقبل منهم لعلمهم «أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ» أى لأنهم يوقنون بأنهم يرجعون إلى الله تعالى يخافون أن لا يقبل منهم و إنما يخافون ذلك لأنهم لا يأمنون التفريط «أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ» معناه الذين جمعوا هذه الصفات و كملت فيهم هم الذين يبادرون إلى الطاعات و يسابقون إليها رغبه منهم فيها و علما بما ينالون بها من حسن الجزاء «وَ هُمْ لَهَا سَابِقُونَ» أى و هم لأجل تلك الخيرات سابقون إلى الجنه و قيل معناه و هم إليها سابقون و قال الكلبي سبقوا الأمم إلى الخيرات قال ابن عباس يسابقون فيها أمثالهم من أهل البر و التقوى.

ص: ١٧٧

إشارة

وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلِمَدِينَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٤٢) بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرِهِ مِنْ هَذَا وَ لَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ (٤٣) حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ (٤٤) لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنْنا لَا تَنْصِرُونَ (٤٥) قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتلى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ (٤٦)

مُسِيءٍ تَكْبِيرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (٤٧) أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ (٤٨) أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (٤٩) أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَ أَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٠) وَ لَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (٧١)

القراءة

قرأ نافع تهجرون بضم التاء و كسر الجيم و الباقون «تَهْجُرُونَ» بفتح التاء و ضم الجيم و فى الشواذ قراءة ابن مسعود و ابن عباس و عكرمه سمرا تهجرون و قراءة ابن محيصة سمرا و قراءة يحيى و لو اتبع بضم الواو.

الحج

قال أبو على من قال «تَهْجُرُونَ» فالمعنى أنكم كنتم تهجرون آياتى و ما يتلى عليكم من كتابى فلا تنقادون له و تكذبون به و تهجرون تأتون بالهجر و الهديان و ما لا خير فيه من الكلام و قال ابن جنى قوله «تَهْجُرُونَ» معناه تكثرون من الهجر أو هجر النبى ص أو كتابه أو تكثرون من الإهجار و هو الإفحاش فى القول لأن فعل للتكثير و السمر جمع سامر و السامر القوم يسامرون أى يتحدثون ليلا قال ذو الرمة:

و كم عرس بعد السرى من معرس به من عزيز الجن أصوات سامر

قال قطرب السامر قد يكون واحدا أو جماعه و قيل أنه أخذ من السمره و هى اللون الذى بين السواد و البياض فقيل لحديث الليل السمر لأنهم كانوا يقعدون فى ظل القمر يتحدثون و قيل إن السمر ظل القمر.

اللغة

الوسع الحال التى يتسع بها السبيل إلى الفعل و الوسع دون الطاقه و التكليف تحميل ما فيه المشقه بالأمر و النهى و الإعلام مأخوذ من الكلفه فى الفعل و الله سبحانه يكلف عباده تعريضا إياهم للنفع الذى لا يحسن الابتداء بمثله و هو الثواب و أصل الغمره الستر و التغطية يقال غمرت الشىء إذا سترته و غمرات الموت شدائده و كل شدة غمره قال الغمرات ثم ينجلينا ثم يذهب فلا يجيئنا و الجوار الاستغاثه و رفع الصوت بها و النكوص رجوع القهقرى و هو المشى على الأعقاب إلى خلف و هو أقبح مشيه مثل بها أقبح حال و هى الإعراض عن الداعى إلى الحق.

«وُسَيِّعَهَا» مفعول ثان لنكلف «بِالْحَقِّ» إن جعلت الحق مصدرا فالباء مزيده و التقدير ينطق الحق و إن جعلته صفة محذوفا فالتقدير ينطق بالحكم الحق و مفعول «يَنْطِقُ» محذوف، «هُمْ لَهَا عَامِلُونَ» جملة فى موضع رفع لأنها صفة لأعمال «مُسَيِّعَتَيْنِ» منصوب على الحال من قوله «تَنْكِصُونَ» و ذو الحال و «تَنْكِصُونَ» خبر كان و «سامراً» اسم للجمع منصوب لأنه حال.

المعنى

ثم بين سبحانه أنه لا يكلف أحدا إلا - دون الطاقه بعد أن أخبر عن حال الكافرين و المؤمنين فقال «وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا» أى لا نكلفها أمرا و لا نأمرها «إِلَّا وَسَيِّعَهَا» أى دون طاقتها «وَلَمَدِينَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ» معناه و عند ملائكتنا المقربين كتاب ينطق بالحق أى يشهد لكم و عليكم بالحق كتبه الملائكة بأمرنا يريد صحائف الأعمال «وَهُمْ لَا يُظَلِّمُونَ» أى يوفون جزاء أعمالهم فلا ينقص من ثوابهم و لا يزداد فى عقابهم و لا يؤاخذون بذنب غيرهم «بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرٍ مِنْ هَذَا» بل رد لما سبق و ابتداء الكلام و المعنى أن قلوب الكفار فى غفله شديده من هذا الكتاب المشتمل على الوعد و الوعيد و هو القرآن و قيل فى جهل و حيره عن الحسن و الجبائى «وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ» أى و لهم أعمال رديه سوى هذا الجهل يعملون تلك الأعمال فيستحقون بها و بالكفر العقوبه من الله تعالى و قيل و لهم أعمال أى خطايا من دون الحق عن قتاده و أبى العالیه و مجاهد و قيل و لهم أعمال من دون الأجل الذى أجلت لهم فى موتهم لا بد أن يعملوها عن الحسن و مجاهد فى روايه أخرى و ابن زيد و قيل أعمال أصغر من ذلك أى دون الكفر كما يقال هذا دون هذا فى القدر هم عاملون إلى أن يفنى آجالهم فهم مشغولون بها «حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ» أى يكون هذا دأبهم حتى إذا أخذنا متنعميهم و رؤساءهم بعذاب الآخرة و يقال عذاب الدنيا و هو عذاب السيف فى يوم بدر عن ابن عباس و قيل هو الجوع حين

دعا النبى ص فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر و اجعلها سنين كسنى يوسف

فابتلاهم الله سبحانه بالقحط حتى أكلوا الجيف و الكلاب عن الضحاک «إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ» أى يضجون لشده العذاب و يجزعون و قيل يستغيثون عن ابن عباس و قيل يصرخون إلى الله بالتوبه فلا يقبل منهم «لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ» أى يقال لهم لا تتضرعوا اليوم «إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصِرُونَ» هذا إيناس لهم من دفع العذاب عنهم «قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتلى عَلَيْكُمْ» أى تقرأ «فَكُنْتُمْ» أيها الكافرون المعذبون «على أعقابكم تَنْكِصُونَ» أى تدبرون و تستأخرون و ترجعون القهقري مكذبين «مُسَيِّعَتَيْنِ بِهِ» أى متكبرين على سائر الناس بالحرم أو بالبلد يعنى مكه أن لا يظهر عليكم فيه أحد عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و قيل مستكبرين بمحمد ص أن تطيعوه و بالقرآن أن تقبلوه فإنها

كنايه عن غير مذكور في الجميع «سامراً» أى تسمرون بالليل أى تتحدثون فى معايب النبى ص «تَهْجُرُونَ» الحق بالإعراض عنه و تهجرون أى تفحشون فى المنطق ثم قال سبحانه «أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ» أى ألم يتدبروا القرآن فيعرفوا ما فيه من العبر و الدلالات على صدق نبينا ص «أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ» قال ابن عباس يريد أليس قد أرسلنا نوحا و إبراهيم و النبيين إلى قومهم و كذلك أرسلنا محمدا ص «أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ» قال ابن عباس أليس هو محمدا الذى قد عرفوه صغيرا و كبيرا صادق اللسان أمينا وافيا بالعهد و فى هذا توبيخ لهم بالإعراض عنه بعد ما عرفوا صدقه و أمانته مع شرف نسبه قبل الدعوه «أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ» قال ابن عباس يريد و أى جنون ترون به و فى هذا دلالة على جهلهم حيث أقروا له بالعقل و الصدق أولا- ثم نسبوه إلى الجنون و إنما نسبوه إلى الجنون لينفروا الناس عنه أو لأنه يطمع فى إيمانهم فهو يطمع فى غير مطمع «بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ» المعنى بل جاءهم بالقرآن و الدين الحق و ليس به جنه «وَ أَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ» لأنه لم يوافق مرادهم «وَ لَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ» الحق هو الله تعالى عن أبى صالح و ابن جريج و السدى و المعنى و لو جعل الله لنفسه شريكا كما يهونون «لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ» و وجه الفساد ما تقدم ذكره عند قوله لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا و قيل الحق ما يدعو إلى المصالح و المحاسن و الأهواء ما تدعو إلى المفاسد و المقابح و لو اتبع الحق داعى الهوى لدعا إلى المقابح و لفسد التدبير فى السماوات و الأرض لأنها مدبره بالحق لا بالهوى و قيل معناه لفسدت أحوال السماوات و الأرض لأنها جاربه على الحكمه لا- على الهوى و من فيهن أى و لفسد من فيهن و هو إشاره إلى العقلاء من الملائكة و الإنس و الجن و قال الكلبي و ما بينهما من خلق فيكون عاما و وجه فساد العالم بذلك أنه يوجب بطلان الأدله و امتناع الثقة بالمدلول عليه و أن لا يوثق بوعد و لا وعيد و لا يؤمن انقلاب عدل الحكيم «بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ» أى بما فيه شرفهم و فخرهم لأن الرسول ص منهم و القرآن نزل بلسانهم «فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ» أى شرفهم «مُعْرِضُونَ» و بالذل راضون و قيل الذكر البيان للحق عن ابن عباس.

إشارة

أَمْ تَشَاءُ لَهُمْ خَرْجًا فَخَرَّاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٧٢) وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٧٣) وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْمَآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَا كَبِيرُونَ (٧٤) وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَّجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٥) وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْصَرِعُونَ (٧٦)

حَيَّتِي إِذَا فَتَخْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٧) وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٧٨) وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٧٩) وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٨٠)

اللغة

أصل الخراج و الخرج واحد و هو الغله التي تخرج على سبيل الوظيفة و منه خراج الأرض و هما مصدران يجمعان و قد سبق اختلاف القراء فيه في سوره الكهف و الاستكانه الخضوع و هو استفعل من الكون و المعنى ما طلبوا الكون على صفة الخضوع قال الأزهرى أكانه الله يكيهه أى أخضعه حتى ذل و مات فلان بكيهه سوء أى بحال سوء و قيل إن استكان من السكينه و السكون إلا أن الفتحة أشبعت فنشأت منها ألف فصار استكانوا الأصل استكنوا على افتعلوا قال عنتره فى إشباع الفتحة

ينباع من ذفرى غضوب جسره زيافه مثل الفنيق المكدم

يريد ينبع فأشبع الفتحة و قال آخر

و أنت من الغوائل حين ترمى و من ذم الرجال بمنترح

أى بمنترح يقال استكن و استكان و تمسكن بمعنى.

ثم قال سبحانه «أَمْ تَسْأَلُهُمْ» يا محمد على ما جنتهم به من القرآن و الإيمان «خَرْجًا» أى أجرا و مالا يعطونك فيورث ذلك تهمه فى حالك أو يثقل عليهم قبول قولك لأجله «فَخَرَّاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ» أى فرزق ربك فى الدنيا خير منه عن الكلبى و قيل فأجر ربك فى الآخرة خير منه عن الحسن «وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» أى أفضل من أعطى و أجر و فى هذا دلالة على أن فى العباد من يرزق غيره بإذن الله «وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» من التوحيد و إخلاص العبادة و العمل بالشريعة «وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ» أى لا يصدقون بالنشأه الآخرة «عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاكِبُونَ» أى عن الدين الحق عادلون و مائلون و قيل معناه أنهم فى الآخرة ناكبون عن طريق الجنة يؤخذ بهم يمنه و يسره إلى النار عن الجبائى «وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ» فى الآخرة «وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ» و رددناهم إلى دار التكليف «لَلْجُورِ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ» مثل قوله «وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا» عن الجبائى و أبى مسلم و قيل أنه فى الدنيا أى و لو أنا رحمناهم و كشفنا ما بهم من جوع و نحوه لتمادوا فى ضلالتهم و غوايتهم يترددون عن ابن جريج «وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْأَذَابِ» معناه إنا قد أخذنا هؤلاء الكفار بالجدب و ضيق الرزق و القتل بالسيف «فَمَا اسْتَيْسَتْ كَانُوا لِرَبِّهِمْ» أى ما تواضعوا و لا انقادوا «وَمَا يَتَضَرَّعُونَ» أى و ما يرغبون إلى الله فى الدعاء و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) الاستكانه الدعاء و التضرع رفع اليد فى الصلاة

«حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ» أى هذا دأبهم حتى إذا فتحنا عليهم نوعا آخر من العذاب و ذاك حين

دعا النبى ص عليهم فقال اللهم سنين كسنى يوسف

فجاجوا حتى أكلوا العلهز و هو الوبر بالدم عن مجاهد و قيل هو القتل يوم بدر عن ابن عباس و قيل فتحنا عليهم بابا من عذاب جهنم فى الآخرة عن الجبائى و قيل ذلك حين فتح مكة و

قال أبو جعفر (عليه السلام) هو فى الرجعه

«إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ» أى آيسون من كل خير متحiron ثم بين سبحانه أنه المنعم على خلقه بأنواع النعم فقال «وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ» أى خلق هذه الحواس ابتداء لا من شىء و خص هذه الثلاثة لأن الدلائل مبنية عليها ينظر العاقل و يسمع و يتفكر فيعلم «فَلْيَلْمُوا تَشْكُرُونَ» أى يقل شكركم لها و «فَلْيَلْمُوا» منصوب على المصدر و تقديره تشكرون قليلا لهذه النعم التى أنعم الله بها عليكم و قيل معناه إنكم لا تشكرون رب هذه النعم فتوحدونه عن مقاتل «وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ» أى خلقكم و أوجدكم «فِي الْأَرْضِ وَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» يوم القيامة فيجازيكم على أعمالكم «وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَ يُمِيتُ» أى يحييكم فى أرحام أمهاتكم و يميتكم عند انقضاء آجالكم «وَ لَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ» أى و له تدبيرها بالزيادة و النقصان و قيل و له ملك اختلافهما و هو ذهاب أحدهما و مجىء الآخر «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» أى أفلا تعلمون بأن تفكروا فتعلموا أن لذلك صناعا قادرا

عالما حيا حكيما لا يستحق الإلهيه سواه و لا تحسن العباده إلا له.

[سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٨١ الى ٩٠]

اشاره

بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ (٨١) قَالُوا أَ إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا وَ عِظَامًا أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٨٢) لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَ آبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٨٣) قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَ فَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥)

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَ فَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُوَ يُجِيرُ وَ لَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (٨٩) بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٩٠)

القراءه

قرأ أهل البصره سيقولون الله فى الآيتين و الباقون «لله» و لم يختلفوا فى الأولى.

الحجه

أما قراءه أهل البصره فجواب على ما يوجهه اللفظ و من قرأ «لله» فعلى المعنى و ذلك أنه إذا قيل من مالک هذه الدار فأجيب لزيد فإن الجواب على المعنى دون ما يقتضيه اللفظ فإن الذى يقتضيه اللفظ أن يقال زيد و إنما استقام ذلك لأن معنى من مالک هذه الدار و لمن هذه الدار واحد فلذلك أجيب تاره على اللفظ و تاره على المعنى.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن الكفار المكذبين بالبعث فقال «بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ» المنكرون للبعث بعد الموت ثم حكى مقالهم فقال «قَالُوا أَ إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا وَ عِظَامًا أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ» و هذا جهل منهم لأنهم لو تفكروا فى أن النشأه الأولى أعظم منه لما استعظموه و قد أقرروا بأن الله خالقهم «لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَ آبَاؤُنَا» أى وعد آبائنا هذا الذى تعدنا

من البعث «مَنْ قَبْلُ» أى من قبل مجيئك فما صدق وعدهم «إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» أى ما هذا إلا أكاذيب الأولين قد سطروا ما لا حقيقه له وإنما يجرى مجرى حديث السمر الذى يكتب للأطراف به ثم احتج على هؤلاء المنكرين للبعث و النشور فقال «قُلْ» يا محمد لهم «لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا» أى لمن خلق الأرض و ملكها و من فيها من العقلاء «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ» فى الجواب «لِلَّهِ» و إنما قال ذلك لأنهم كانوا يقولون بأن الله هو الخالق «قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» أى فقل لهم عند ذلك أ فلا تتفكرون فتعلمون أنه تعالى قادر على ذلك و من قدر عليه قدر على إحياء الموتى لأنه ليس ذلك بأعظم منه ثم زاد فى الحجة فقال «قُلْ» يا محمد لهم أيضا «مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّعِيَّةِ» أى من مالكتها و المتصرف فيها «وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» أى و من مالكت العرش و مدبره لأنهم كانوا يقولون بأن الله خالق السماوات و أن الملائكة سكان السماوات و العرش عندهم عبارة عن الملك إلا أن يكون أتاهم خلق العرش من قبل النقل ثم أخبر أنهم سيقولون الله فى الجواب عن ذلك أى إن رب السماوات و رب العرش هو الله و من قرأ «لِلَّهِ» فالمعنى أنها لله «قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ» أى فعند ذلك يلزمهم الحجة فقل لهم أ فلا تتقون عذابه على جحد توحيده و الإشراك فى عبادته و فى إنكار البعث ثم زاد فى الحجة فقال «قُلْ» يا محمد لهم أيضا «مَنْ يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ» و الملكوت من صفات المبالغة فى الملك كالجبروت و الرهبوت و قال مجاهد ملكوت كل شىء خزائن كل شىء «وَهُوَ يُجِيرُ وَ لَا يُجَارُ عَلَيْهِ» أى يمنع من السوء من يشاء و لا- يمتنع منه من أراد به سوء يقال أجرت فلانا إذا استغاث بك فحميته و أجرت عليه إذا حميت عنه و يحتمل أن يكون أراد فى الدنيا أى من قصد عبدا من عباده بسوء قدر على منعه و من أراد الله بسوء لم يقدر على منعه أحد و يحتمل أن يكون أراد فى الآخرة أى يجير من العذاب و لا- يجار عليه منه «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» أى إن كنتم تعلمون ذلك فأجيبوا «سَيَقُولُونَ» فى الجواب «لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُشْرِكُونَ» أى فكيف يخيل إليكم الحق باطلا و الصحيح فاسدا مع وضوح الحق و تمييزه من الباطل و قيل معناه فكيف تعملون عن هذا و تصدون عنه من قولهم سحرت أعيننا فلم نبصر و قيل معناه فكيف تخذعون و يموه عليكم كقول امرئ القيس

" و نسحر بالطعام و بالشراب "

أى و نخدع «بَيْلٌ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» معناه إنا جئناهم بالحق و بينا لهم الحق الذى فيه بيان كذبهم و لكنهم أصروا على باطلهم و كذبهم.

النظم

و إنما اتصلت الآية الأولى بما قبلها بمعنى أنهم لو تفكروا لعلموا و لكن

عولوا على التقليد فقالوا مثل ما قال الأولون فعلى هذا تكون متصله بقوله أَفَلَا تَعْقِلُونَ و قيل إنه جواب الاستفهام فى قوله أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ و الآيه الأخيره معطوفه على ما تقدم من أدله التوحيد و هى رد على المشركين و تكذيب لهم فى قولهم إن الأصنام آلهه و إن الله سبحانه له ولد و إن الملائكه بنات الله.

[سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ٩١ الى ١٠٠]

إشاره

مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَ مَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَمَذْهَبٌ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَ لَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ (٩١)
عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢) قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيئِنى مَا يُوعَدُونَ (٩٣) رَبِّ فَلَا- تَجْعَلْنى فِى الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٩٤) وَ
إِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَفَادِرُونَ (٩٥)

ادْفَعْ بِأَلْتى هى أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (٩٦) وَ قُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَ أَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ
يَحْضُرُونِ (٩٨) حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلَّى أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَ مِنْ
وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠)

القراءه

قرأ أهل المدينه و أهل الكوفه غير حفص عالم الغيب بالرفع و الباقون بالجر إلا أن رويسا إذا وصل جر و إذا ابتدأ رفع.

الحجه

وجه الرفع أن يكون خبر مبتدأ محذوف و تقديره هو عالم الغيب و وجه الجر أن يكون صفة الله تعالى و يكون إضافه عالم حقيقه بمعنى اللام و يجوز أن يكون بدلا فتكون الإضافه غير حقيقه و الغيب فى تقدير النصب الأول يكون بمعنى الماضى و الثانى بمعنى

اللغة

الهمزة شدة الدفع و منه الهمزة للحرف الذى يخرج من أقصى الحلق باعتماد شديد و دفع و همزة الشيطان دفعه بالإغواء إلى المعاصى و قوس همزى شديده الدفع للسهم و البرزخ الحاجز بين الشيتين و كل فصل بين شيئين برزخ و معنى من ورائهم هنا من أمامهم و قدامهم قال الشاعر:

أ يرجو بنو مروان سمعى و طاعتى و قومى تميم و الفلاه ورائيا

. الإعراب .

قوله «إِذَا لَمَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ» جواب لو مقدر و التقدير و لو كان معه إله إذا لذهب و إذا هنا حشو بين لو و جوابه فهى لغو غير عامل «إِمَّا تُرِيْنِيَّ» إن للشرط ضمت إليها ما مسلطه و المعنى أنها سلطت نون التأكيد على دخولها الفعل المضارع و لو لم تكن هى لم يجز أن ترينى و جواب الشرط «فَلَا- تَجْعَلْنِيَّ» و رب معترض بين الشرط و الجزاء و «بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ» الموصولة و الصلة فى موضع جر بأنهما صفة محذوف مجرور التقدير ادفع بالخصلة التى هى أحسن و «رَبِّ ارْجِعُونِ» جاء الخطاب على لفظ الجميع لأنه سبحانه يقول إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذُّكْرَ و إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي و هذا اللفظ يعرفه العرب للجليل الشأن يخبر به الجماعة فكذلك جاء الخطاب فى «ارْجِعُونِ» و قال المازنى أنه جمع الضمير ليدل على التكرار فكأنه قال رب أرجعنى أرجعنى أرجعنى و «إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ» إلى تتعلق بما يتعلق به من فى قوله «وَمِنْ وَّرَائِهِمْ بَرَزَخٌ» و يوم مضاف إلى «يُبْعَثُونَ» لأن أسماء الزمان تضاف إلى الأفعال.

المعنى

ثم أكد سبحانه ما قدمه من أدله التوحيد بقوله «مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ» أى لم يجعل ولد غيره ولد نفسه لاستحاله ذلك عليه فمن المحال أن يكون له ولد فلا يجوز عليه التشبيه بما هو مستحيل ممتنع إلا على النفى و التباعد و اتخاذ الولد هو أن يجعل الجاعل ولد غيره يقوم مقام ولده لو كان له و كذلك التبنى إنما هو جعل الجاعل ابن غيره و من يصح أن يكون ابنا له مقام ابنه و لذلك لا يقال تبنى شاب شيخا و لا تبنى الإنسان بهيمه لما استحال أن يكون ذلك ولدا له «وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ» من هاهنا و فى قوله «مِنْ وَلَدٍ» مؤكدا فهو أكد من أن يقول ما اتخذ الله ولدا و ما كان معه إله نفى عن نفسه الولد و الشريك على أكد الوجوه «إِذَا لَمَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ» و التقدير إذ لو كان معه إله آخر لذهب كل إله بما خلق أى لميز كل إله خلقه عن خلق غيره و منعه من الاستيلاء على ما خلقه أو نصب دليلا يميز به بين خلقه و خلق غيره فإنه كان لا يرضى أن يضاف خلقه و إنعامه إلى غيره «وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ» أى و لطلب بعضهم قهر بعض و مغالبتة و هذا معنى قول المفسرين و لقاتل بعضهم بعضا كما

يفعل الملوک فی الدنيا وقيل معناه ولمنع بعضهم بعضا عن مراده وهو مثل قوله لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا و في هذا دلالة عجيبة في التوحيد وهو أن كل واحد من الآلهة من حيث يكون إلهها يكون قادرا لذاته فيؤدى إلى أن يكون قادرا على كل ما يقدر عليه غيره من الآلهة فيكون غالبا و مغلوبا من حيث إنه قادر لذاته و أيضا فإن من ضروره كل قادرين صحه التمانع بينهما فلو صح وجود إلهين صح التمانع بينهما من حيث أنهما قادران و امتنع التمانع بينهما من حيث أنهما قادران للذات و هذا محال و في هذا دلالة على إعجاز القرآن لأنه لا يوجد في كلام العرب كلمة و جيزه تضمنت ما تضمنته هذه فإنها قد تضمنت دليلين باهرين على وحدانية الله و كمال قدرته ثم نزه نفسه عما وصفوه به فقال «سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ» أى عما يصفه به المشركون من اتخاذ الولد و الشريك «عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ» أى يعلم ما غاب و ما حضر فلا يخفى عليه شىء «فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ» و المعنى أنه عالم بما كان و بما سيكون و بما لم يكن أن لو كان كيف يكون و من كان بهذه الصفة لا يكون له شريك لأنه الأعلى من كل شىء فى صفته ثم قال لنبهه ص «قُلْ» يا محمد «رَبِّ إِمَّا تُرِيئُنِي مَا يُوعَدُونَ» أى إن أريتني ما يوعدون من العذاب و النقمه يعنى القتل يوم بدر «رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» أى مع القوم الظالمين و المعنى فأخرجني من بينهم عند ما تريد إحلال العذاب بهم لثلا يصيبني ما يصيبهم و في هذا دلالة على جواز أن يدعو الإنسان بما يعلم أن الله يفعله لا محاله لأن من المعلوم أن الله تعالى لا يعذب أنبياءه مع المعذبين و يكون الفائده في ذلك إظهار الرغبة إلى الله «وَ إِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ» هذا ابتداء كلام من الله تعالى معناه إنا لا نعاجلهم بالعقوبة مع قدرتنا على ذلك و لكن نظرهم و نمهلهم لمصلحه توجب ذلك قال الكلبي هذا أمر شهده أصحاب رسول الله ص بعد موته و

روى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده عن أبي صالح عن ابن عباس و جابر بن عبد الله أنهما سمعا رسول الله ص يقول فى حجه الوداع و هو بمنى لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض و أيم الله لئن فعلتموها لتعرفني فى كتبه يضاربونكم قال فغمز من خلف منكبته الأيسر فالتفت فقال أ و على فنزل «قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيئُنِي» الآيات ثم أمره ص بالصبر إلى أن ينقضى الأجل المضروب للعذاب فقال «ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ»

أى ادفع بالإغضاء و الصفح إساءه المسىء عن مجاهد و الحسن و هذا قبل الأمر بالقتال و قيل معناه ادفع باطلهم ببيان الحجج على أطف الوجوه و أوضحها و أقربها إلى الإجابة و القبول «نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ» أى بما يكذبون و يقولون من الشرك و المعنى إنا نجازيهم بما يستحقونه ثم أمره ص فقال «قُلْ» يا محمد «رَبِّ أَعُوذُ بِكَ» أى أعتصم بك «مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ» أى من

نزعاتهم و وساوسهم عن ابن عباس و الحسن و المعنى من دعائهم إلى الباطل و العصيان و من شرورهم فى كل شىء يخاف فيه من ذلك «وَأَعُوذُ بِكَ رَبَّ أَنْ يَحْضُرُونِ» أى يشهدونى و يقاربونى و يصدونى عن طاعتك و قيل معناه أن يحضرونى فى الصلاة عند تلاوه القرآن و قيل فى الأحوال كلها ثم عاد سبحانه إلى قوله أِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا وَ عِظَامًا فَقَالَ «حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ» يعنى أن هؤلاء الكفار إذا أشرفوا على الموت سألوا الله تعالى عند ذلك الرجعة إلى دار التكليف فيقول أحدهم رب أرجعون على لفظ الجمع و فى معناه قولان (أحدهما) أنهم استغاثوا أولاً بالله ثم رجعوا إلى مسأله الملائكة فقالوا لهم ارجعون أى ردونى إلى الدنيا عن ابن جرير (و الآخر) أنه على عاده العرب فى تعظيم المخاطب كما قال قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَ لَكَ لَا تَقْتُلُوهُ و روى النضر بن شميل قال سألوا الخليل عن هذا ففكر ثم قال سألتمونى عن شىء لا أحسنه و لا أعرف معناه فاستحسن الناس منه ذلك «لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ» أى فى تركتى و المعنى أودى عنها حق الله تعالى و قيل معناه فى دنياى فإنه ترك الدنيا و صار إلى الآخرة و قيل معناه أعمل صالحا فيما فرطت و ضيعت أى فى صلاتى و صيامى و طاعاتى و

قال الصادق (عليه السلام) أنه فى مانع الزكاه يسأل الرجعة عند الموت

ثم قال سبحانه فى الجواب عن سؤالهم «كَلَّا» أى لا يرجع إلى الدنيا «إِنَّهَا» أى مسأله الرجعة «كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا» أى كلام يقوله و لا فائده له فى ذلك و قيل معناه و هى كلمه يقولها بلسانه و ليس لها حقيقه مثل قوله وَ لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ و

روى العياشى بإسناده عن الفتح بن يزيد الجرجانى قال قلت لأبى الحسن الرضا (عليه السلام) جعلت فداك يعرف القديم سبحانه الشىء الذى لم يكن أن لو كان كيف كان يكون قال ويحك إن سألتك لصعبه أ ما قرأت قوله عز و جل لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا «وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ» لقد عرف الشىء الذى لم يكن و لا يكون إن لو كان كيف كان يكون و قال و يحكى قول الأشقياء «رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا» و قال وَ لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ فقد علم الشىء الذى لم يكن لو كان كيف كان يكون و هو السميع البصير الخبير العليم

«مِنْ وَرَائِهِمْ» أى و من بين أيديهم «بَرْزَخٍ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» أى حاجز بين الموت و البعث فى يوم القيامة من القبور عن ابن زيد و قيل حاجز بينهم و بين الرجوع إلى الدنيا و هم فيه إلى يوم يبعثون عن ابن عباس و مجاهد و قيل البرزخ الإمهال إلى يوم القيامة و هو القبر و كل فصل بين شيئين هو برزخ عن على بن عيسى و فى الآيه دلالة على أن أحدا لا يموت حتى يعرف منزلته عند الله تعالى اضطرارا و أنه من أهل الثواب أو العقاب عن الجبائى.

إشارة

فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُحُ وَجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (١٠٤) أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ (١٠٥)

قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوُكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم شقاوتنا بالألف وفتح الشين و الباقون «شِقْوَتُنَا» بكسر الشين من غير ألف وقرأ أهل المدينة و أهل الكوفة غير عاصم سخريا بضم السين و الباقون بكسرها و كذلك في سورة ص.

الحجج

قال أبو علي الشقوه مصدر كالرقه و الفطنه و الشقاوه كالسعاده فالقراءه بهما جميعا سائغه و قال أبو زيد اتخذت فلانا سخريا و سخريا إذا هزئت منه و قد سخرت منه أسخر سخريا و سخر قال أبو عبيده اتخذتموهم سخريا تسخرون منهم و سخريا تسخرونهم و يقال أيضا أن من الهزه سخرى و سخرى و من السخرية مضمومه لا غير و حكى عن الحسن و قتاده أن ما كان من العبوده فهو سخرى بالضم و ما كان من الهزه فبالكسر قال أبو علي الأكثر في الهزه كسر السين فيما حكوه و يروى أنه إنما كان أكثر لأن السخر مصدر سخرت و فعل و فعل قد

يكونان بمعنى نحو المثل و المثل و الشبه و الشبه في حرف آخر فكذلك السخر و السخر إلا أن المكسوره ألزمت ياء النسب دون المفتوحه مما اتفقوا في القسم على الفتح في لعمر الله و لم يعتد بياء النسب كما لم يعتد بها في نحو أحمر و أحمرى و دوار و دوارى و الوجه في الضم على ما حكى عن يونس أن السخرى قد يقال بالضم بمعنى الهزه و اتفق القراء على الضم في الزخرف لأنه من السخره و انقياد بعضهم لبعض في الأمور و ذلك لا يكون إلا بالضم.

اللغه

اللفح و النفح: بمعنى إلا أن اللفح أشد تأثيراً و أعظم من النفح و هو ضرب من السموم للوجه و النفح ضرب الريح الوجه و الكلوح تقلص الشفتين عن الأسنان حتى تبدو الأسنان قال الأعشى

و له المقدم لا مثل له ساعه الشدق عن الناب كلح

و خسأت فلانا أخسأه خساً إذا زجرته ليتباعد فخساً و هو خاسئ و معنى اخساً أى تباعد تباعد سخط.

الإعراب

العامل في إذا نفخ و بينهم و يومئذ خبر لا المحذوف تقديره فلا أنساب تثبت بينهم «تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ» في موضع النصب على الحال و العامل فيه «خَالِدُونَ».

المعنى

ثم بين سبحانه حال الفريقين يوم البعث فقال «فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ» قيل أن المراد به نفخه الصعق عن ابن عباس و قيل نفخه البعث عن ابن مسعود و الصور جمع صوره أى إذا نفخ فيه الأرواح و أعيدت أحياء عن الحسن و قيل إن الصور قرن ينفخ فيه إسرافيل (عليه السلام) بالصوت العظيم الهائل على ما وصفه الله تعالى علامه لوقت إعادته الخلق عن أكثر المفسرين «فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ» أى لا- يتواصلون بالأنساب و لا يتعاطفون بها مع معرفه بعضهم بعضا عن الحسن و المعنى أنه لا يرحم قريب قريبه لشغله عنه فإن المقصود بالأنساب دفع ضرر أو جر نفع فإذا ذهب هذا المقصود فكان الأنساب قد ذهبت و مثله يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَ أُمَّهِ وَ أَبِيهِ و قيل معناه لا- يتفاخرون بالأنساب كما كانوا يفعلونه في الدنيا عن ابن عباس و الجبائى و لا بد من تقدير محذوف في الآية على تأويل فلا أنساب بينهم يومئذ يتفاخرون بها أو يتعاطفون بها و المعنى أنه لا يفضل بعضهم بعضا يومئذ بنسب و إنما يتفاضلون بأعمالهم و

قال النبى ص كل حسب و نسب منقطع يوم القيامة إلا حسبى و نسبى

«وَلَا يَتَسَاءَلُونَ» أى لا يسأل بعضهم بعضا عن حاله و خبره كما كانوا يسألون في الدنيا لشغل كل واحد بنفسه عن

الجبائى وقيل لا يسأل بعضهم بعضا أن يحمل عنه ذنبه ولا تنافى بين هذه الآيه و بين قوله فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ لأن للقيامه أحوالا و مواطن فمنها حال يشغلهم عظم الأمر فيها عن المسأله و منها حال يلتفتون فيها فيتساءلون و هذا معنى قول ابن عباس لما سئل عن الآيتين فقال هذه تارات يوم القيامه و قيل إنما يتساءلون عند دخول الجنه و إنما يسأل بعض أهل الجنه بعضا فإنهم لا يفزعون من أهوال القيامه عن السدى «فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ» بالطاعات «فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» الناجون «وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ» عن الطاعات «فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدِينَ» و قد تقدم تفسير الآيتين و اختلاف المفسرين فى كيفية الميزان و الوزن فى سوره الأعراف «تَلَفَّحَ وَجُوهَهُمُ النَّارُ» أى يصيب وجوههم لفتح النار و لهبها «وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ» أى عابسون عن ابن عباس و قيل هو أن تتخلص شفاههم و تبدو أسنانهم كالرءوس المشويه عن الحسن «أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ» أى و يقال لهم أ و لم يكن القرآن يقرأ عليكم و قيل أ لم تكن حججى و بيناتى و أدلتى تقرأ عليكم فى دار الدنيا «فَكُنْتُمْ بِهَا تُكذَّبُونَ» قالوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا» أى شقاوتنا و معناهما واحد و هو المضره اللاحقه فى العافيه و السعاده المنفعه اللاحقه فى العافيه و يقال لمن حصل فى الدنيا على مضره فادحه شقى و المعنى استعلت علينا سيئاتنا التى أوجبت لنا الشقاء «وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ» أى ذاهبين عن الحق و لما كانت سيئاتهم التى شقوا بها سبب شقاوتهم سميت شقاوه توسعا و من أكبر الشقاوه أن تترك عباده الله تعالى إلى عباده غيره و تترك الأدله و يتبع الهوى «رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا» أى من النار «فَإِنْ عُدْنَا» لما تكره من الكفر و التكذيب و المعاصى «فَأَنَّا ظَالِمُونَ» لأنفسنا قال الحسن هذا آخر كلام يتكلم به أهل النار ثم بعد ذلك يكون لهم شهيق كشهيق الحمار «قَالَ أَحْسَبُ فِيهَا» أى ابعدوا بعد الكلب فى النار و هذه اللفظه زجر للكلاب و إذا قيل ذلك للإنسان يكون للإهانه المستحقه للعقوبه «وَلَا تُكَلِّمُونِ» و هذه مبالغه للإذلال و الإهانه و إظهار الغضب عليهم لأن من لا يكلم إهانه له فقد بلغ به الغايه فى الإذلال و قيل معناه و لا تكلمون فى رفع العذاب فىانى لا- أرفعه عنكم و هى على صيغه النهى و ليست بنهى لأن الأمر و النهى مرتفعان فى الآخره لارتفاع التكليف «إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي» أى طائفه من عبادى و هم الأنبياء و المؤمنون «يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ» أى يدعون بهذه الدعوات فى الدنيا طلبا لما عندى من الثواب «فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ» أنتم يا معشر الكفار «سَيِّئِرِيًّا» أى كنتم تهزئون و تسخرون منهم و قيل معناه تستعبدونهم و تصرفونهم فى أعمالكم و حوائجكم كرها بغير أجر و قيل إنهم كانوا إذا آذوا المؤمنين قالوا انظروا إلى هؤلاء رضوا من الدنيا بالعيش الدنى طمعا فى ثواب الآخره و ليس وراءهم آخره

و لا- ثواب فهو مثل قوله وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ «حَيَّتِي أَنْسَوَكُمْ ذِكْرِي» أى نسيتم ذكرى لاشتغالكم بالسخرية منهم فنسب الإنساء إلى عباده المؤمنين و إن لم يفعلوه لما كانوا السبب فى ذلك «وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ» ظاهر المعنى.

[سوره المؤمنون (٢٣): الآيات ١١١ الى ١١٨]

إشارة

إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (١١١) قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَأَلَ الْعَادِينَ (١١٣) قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا- لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤) أَمْ فَحْسَبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥)

فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧) وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١١٨)

القراءة

قرأ حمزه و الكسائى إنهم بكسر الألف و قل كم لبثتم و قل إن لبثتم على الأمر و قرأ ابن كثير «قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ» فقط و قرأ الباقون «أَنْهُمْ» بفتح الألف و «قَالَ» فى الموضعين و قرأ أهل الكوفة غير عاصم و يعقوب لا ترجعون بفتح التاء و الباقون بضم التاء و فتح الجيم.

الحج

قال أبو على من فتح أن فالمعنى لأنهم هم الفائزون و يجوز أن يكون إنهم فى موضع المفعول الثانى لأن جزيت يتعدى إلى مفعولين قال سبحانه وَ جَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَ حَرِيرًا و تقديره جزيتهم اليوم بصبرهم الفوز و فاز الرجل إذا نال ما أراد و قالوا فوز الرجل إذا مات و يشبه أن يكون ذلك على التفاؤل له أى صار إلى ما أحب و المفازه المهلكه على وجه التفاؤل أيضا و من كسر إن استأنف فقطعه عما قبله و مثله لبيك إن الحمد و النعمه لك و إن

الحمد بالكسر و الفتح و من قرأ قل كم لبثتم كان على قل أيها السائل عن لبثهم و قال على الإخبار عنه و زعموا أن في مصاحف أهل الكوفة قل في الموضوعين و حجه من قال ترجعون إنا إليه راجعون و قد تقدم ذكر هذا النحو.

الإعراب

«كَمْ لَبِثْتُمْ» كم في محل النصب لأنه ظرف زمان و العامل فيه لبث و «عَدَدَ» منصوب على التمييز و العامل فيه كم و لا يمنع كم من العمل الفصل الكثير لأن كم الخبرية تجر المميز فإذا فصل بينها و بين معمولها نصبت كالاستفهامية فلأن تنصب الاستفهامية مع الفصل أولى و قليلا- صفة مصدر محذوف تقديره إن لبثتم إلا- قليلا- عبثا و يجوز أن يكون مصدرا وضع موضع الحال و تقديره أ فحسبتم إنما خلقناكم عبثين و يجوز أن يكون مفعولا له أى للبعث «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» في موضع النصب على الحال على تقدير فتعالى الله عديم المثل و الأولى أن يكون جملة مستأنفة. و «رَبُّ الْعَرْشِ» خبر مبتدأ محذوف فهي جملة أخرى مستأنفة بدلاله حسن الوقف على المواضع الثلاثة على «الْحَقُّ» و على «هُوَ» و على «الْكَرِيمِ» «لَا- بُرْهَانَ لَهُ» به جملة منصوبه الموضع بأنه صفة لقوله «إِلَهًا» فهي صفة بعد صفة.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن المؤمنين الذين سخر الكافرون منهم في دار الدنيا فقال «إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا» أى بصبرهم على أذاكم و سخريتكم و استهزائكم بهم «أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ» أى الظافرون بما أرادوا الناجون فى الآخرة و المراد بقوله «الْيَوْمَ» أيام الجزاء لا- يوم بعينه «قَالَ» أى قال الله تعالى للكفار يوم البعث و هو سؤال توبيخ و تبييت لمنكرى البعث «كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ» أى القبور «عَدَدَ سِنِينَ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ» لأنهم لم يشعروا بطول لبثهم و مكثهم لكونهم أمواتا و قيل إنه سؤال لهم عن مدة حياتهم فى الدنيا قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم استقلوا حياتهم فى الدنيا لطول لبثهم و مكثهم فى النار عن الحسن قال و لم يكن ذلك كذبا منهم لأنهم أخبروا بما عندهم و قيل إن المراد به يوما أو بعض يوم من أيام الآخرة قال ابن عباس أنساهم الله قدر لبثهم فيرون أنهم لم يلبثوا إلا- يوما أو بعض يوم لعظم ما هم بصدده من العذاب «فَسَيَلُّ الْعَادِينَ» يعنى الملائكة لأنهم يحصون أعمال العباد عن مجاهد و قيل يعنى الحساب لأنهم يعدون الشهور و السنين عن قتاده «قَالَ» الله تعالى «إِن لَبِثْتُمْ» أى ما مكثتم «إِلَّا قَلِيلًا» لأن مكثهم فى الدنيا أو فى القبور و إن طال فإنه متناه قليل بالإضافة إلى طول مكثهم فى عذاب جهنم «لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» صحه ما أخبرناكم به و قيل معناه لو كنتم تعلمون قصر أعماركم فى الدنيا و طول مكثكم فى الآخرة فى العذاب لما اشتغلتم بالكفر و المعاصى و آثرتم الفانى على الباقي ثم قال سبحانه لهم

«أَفَحَسِبْتُمْ» معاشر الجاحدين للبعث و النشور الظانين دوام الدنيا «أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا» أى لعبا و باطلا لا لغرض و حكمه و مثله أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى و المعنى أفضننتم أنا خلقناكم لتفعلوا ما تريدون ثم إنكم لا تحشرون و لا تسألون عما كنتم تعملون هذا عبث فإن من خلق الأشياء لا لينتفع به نفسه أو غيره كان عبثا و الله سبحانه غنى لا يلحقه منفعه فلا بد من أن يكون خلق الخلق لينفعهم و يعرضهم للثواب بأن يتعبد لهم و إذا تعبد لهم فلا بد من الفرق بين المطيع و العاصى و ذلك إنما يكون بعد البعث «وَ أَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ» أى و حسبتم أنكم لا ترجعون إلى حكمتنا و الموضع الذى لا يملك الحكم فيه غيرنا «فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ» أى تعالى عما يصفه به الجهال من الشريك و الولد و قيل معناه تعالى الله من أن يفعل شيئا عبثا و الملك الحق الذى يحق له الملك بأنه ملك غير مملوك و كل ملك غيره فملكه مستعار و لأنه يملك جميع الأشياء من جميع الوجوه و كل ملك سواه يملك بعض الأشياء من بعض الوجوه و الحق هو الشىء الذى من اعتقد كان على ما اعتقده فالله هو الحق لأن من اعتقد أنه «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» فقد اعتقد الشىء على ما هو به «رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ» أى خالق السرير الحسن و الكريم فى صفه الجماد بمعنى الحسن و قيل الكريم الكثير الخير وصف العرش به لكثرة ما فيه من الخير لمن حوله و لإتيان الخير من جهته و خص العرش بالذكر مع كونه سبحانه رب كل شىء تشريفا و تعظيما كقوله رَبِّ هَذَا الْبَيْتِ «وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ» أى لا- حجه له فيما يدعيه يعنى أن من صفته أنه لا- حجه له به «فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ» معناه فإنما معرفه مقدار ما يستحقه من الجزاء عند ربه فيجازه على قدر ما يستحقه و قيل معناه فإنما مكافاته عند الله تعالى و المكافاه و المحاسبه بمعنى «إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ» أى لا يظفر و لا يسعد الجاحدون لنعم الله و المنكرون لتوحيده و الدافعون للبعث و النشور و لما حكى سبحانه أقوال الكفار أمر نبيه ص بالتبرى منهم و الانقطاع إليه سبحانه فقال «وَقُلْ» يا محمد «رَبِّ اغْفِرْ» الذنوب «وَ ارْحَمْ» و أنعم على خلقك «وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ» أى أفضل المنعمين و أكثرهم نعمه و أوسعهم فضلا.

اشاره

[توضيح]

مدنيه بلا خلاف.

عدد آياتها

أربع و ستون آيه عراقى شامى آيتان حجازى

اختلافها

آيتان بِالْغُدُوِّ وَ الْأَصَالِ وَ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ كلاهما عراقى شامى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأ سورة النور أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن و مؤمنه فيما مضى و فيما بقى

و

روى الحاكم أبو عبد الله فى الصحيح بالإسناد عن عائشه قالت قال رسول الله ص لا- تنزلوهن الغرف و لا تعلموهن الكتابه و علموهن المغزل و سورة النور يعنى النساء

و

روى عبد الله بن مسكان عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال حصنوا أموالكم و فروجكم بتلاوه سورة النور و حصنوا بها نساءكم فإن من أدمن قراءتها فى كل ليله أو فى كل يوم لم يزن أحد من أهل بيته أبدا حتى يموت فإذا مات شيعة إلى قبره سبعون ألف ملك يدعون و يستغفرون الله له حتى يدخل إلى قبره.

تفسيرها

ختم الله سبحانه سورة المؤمنين بأنه لم يخلق الخلق للعبث بل للأمر و النهى و ابتداء هذه السوره بذكر الأمر و النهى و بيان الشرائع فقال:

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١) الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهَّدَ عَلَيْكُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢) الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (٣)

القراءة

قرأ ابن كثير و أبو عمرو و فرضناها بالتشديد و الباقون بالتخفيف و قرأ ابن كثير غير ابن فليح رأفه بفتح الهمزة و الباقون بسكون الهمزة و فى الشواذ قراءه عيسى الثقفى سورة بالنصب و الزانية و الزانى بالنصب و روى عن عمر بن عبد العزيز و عيسى الهمدانى سورة أيضا بالنصب.

الحجج

قال أبو على التثقيل فى فرضناها لكثرة ما فيها من الفرض و التخفيف يصلح للقليل و الكثير و من حجة التخفيف إنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ قَالَ و لعل رأفه التى قرأها ابن كثير لغه و أما قراءه «سورة» بالرفع على أنها خير مبتدأ محذوف أى هذه سورة و لا يجوز أن يكون مبتدأ لأنها نكرة و لا يبتدأ بالنكرة حتى توصف و إن جعلت «أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا» صفة لها بقى المبتدأ بلا خبر فإن جعلت تقديره يتلى عليكم سورة أنزلناها جاز و من قرأ سورة بالنصب فعلى إضمار فعل يفسره «أَنْزَلْنَاهَا» و التقدير أنزلنا سورة أنزلناه إلا أن هذا الفعل لا يظهر لأن التفسير يغنى عنه و مثله قول الشاعر:

أصبحت لا أحمل السلاح و لا أملك رأس البعير إن نفرا

و الذئب أخشاه إن مررت به وحدى و أخشى الرياح و المطرا

أى و أخشى الذئب فلما أضمره فسر به بقوله أخشاه و يجوز أن يكون الفعل الناصب لسوره من غير لفظ الفعل بعدها على معنى التخصيص أى اقرءوا سورة و تأملوا سورة أنزلناها كقوله سبحانه ناقة الله و سيقاها أى احفظوا ناقة الله و كذلك قوله «الزانية و الزانى» انتصب بفعل مضمر أى اجلدوا الزانية و الزانى فلما أضمر الفعل الناصب فسر به بقوله «فاجلدوا كل واحد منهما» و جاز دخول الفاء فى هذا الوجه لأنه موضع أمر و لا يجوز زيدا فضرته لأنه خبر و إنما

جاز فى الأمر لمضارعه الشرط ألا تراه دالا على الشرط و لذلك انجزم جوابه فى قولك زرنى أكرمك لأن معناه فإنك إن تزرني أكرمك فلما آل معناه إلى الشرط جاز دخول الفاء فى الفعل المفسر للمضمر و تقول على هذا بزيد فامرر و على عمرو فأغضب.

اللغة

السورة مأخوذه من سور البناء و هو ارتفاعه و قيل هو ساق من أسواقه فعلى القول الأول يكون تسميتها بذلك لارتفاعها فى النفوس و على القول الثانى يكون تسميتها بذلك لأنها قطعه من القرآن و قيل إن السورة المنزل الشريفة و الجلاله قال النابغه:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

لأنك شمس و الملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

و قيل أصله الهمز و قيل اشتقاقها من أسارت إذا أبقيت فى الإناء بقيه و منه

الحديث إذا شربتم فأساروا

إلا- أنه أجمع على تخفيفها كما أجمع على تخفيف بريه و رويه و أصلها من برأ الله الخلق و روات فى الأمر و أصل الفرض من فرض القوس و هو الحز الذى فيه الوتر ثم اتسع فيه فجعل فى موضع الإيجاب و فصل بين الفرض و الواجب فإن الفرض واجب بجعل جاعل لأنه فرضه على صاحبه كما أنه أوجه عليه و الواجب قد يكون واجبا من غير جعل جاعل كوجوب شكر المنعم فجرى دلالة الفعل على الفاعل فى أنه يدل من غير جعل جاعل و الزنا هو وطء المرأة فى الفرج من غير عقد شرعى و لا شبهه عقد مع العلم بذلك أو غلبه الظن و ليس كل وطء حرام زنا لأن الوطء فى الحيض و النفاس حرام و لا يكون زنا و الجلد ضرب الجلد يقال جلده كما يقال ظهره و رأسه و فأده و هذا قياس و الرأفة التحنن و التعطف و فيه ثلاث لغات سكون الهمزة و فتحها و مدها و قال الأخفش الرأفة رحمه فى توجع.

المعنى

«سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا» أى هذه سورة قطعه من القرآن لها أول و آخر أنزلها جبرائيل (عليه السلام) بأمرنا «وَفَرَضْنَاهَا» أى و أوجبنا عليكم العمل بها و على من بعدكم إلى يوم القيامة و قيل معناه و فرضنا فيها إباحه الحلال و حظر الحرام عن مجاهد و هذا يعود إلى معنى أوجبناها و قيل معناه و قدرنا فيها الحدود عن عكرمه و هو من قوله فَنُصِفُ ما فَرَضْتُمْ و فسر أبو عمرو معنى القراءه بالتشديد بأن قال معناها فصلناها و بينها بفرائض مختلفه «وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ» أى دلالات واضحات على وحدانيتنا و كمال قدرتنا و قيل أراد بها الحدود

و الأحكام التي شرع فيها «لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» أي لكي تتذكروا فتعلموا بما فيها ثم ذكر سبحانه تلك الآيات و ابتداءً بحكم الزنا فقال «الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِي» معناه التي تزني و الذی يزني أي من زنى من النساء و من زنى من الرجال فيفيد العموم في الجنس «فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ» يعنى إذا كانا حرين بالغين بكرين غير محصنين فأما إذا كانا محصنين أو كان أحدهما محصنا كان عليه الرجم بلا خلاف و الإحصان هو أن يكون له فرج يغدو إليه و يروح على وجه الدوام أو يكون حرا فأما العبد فلا- يكون محصنا و كذلك الأمه لا تكون محصنه و إنما عليهما نصف الحد خمسون جلده لقوله سبحانه فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ و قيل إنما قدم ذكر الزانية على الزانى لأن الزنى منهن أشنع و أعير و هو لأجل الحبل أضر لأن الشهوه فيهن أكثر و عليهن أغلب و قوله «فَاجْلِدُوا» هذا خطاب للأنثى و من يكون منصوبا للأمر من جهتهم لأنه ليس لأحد أن يقيم الحدود إلا- للأنثى و ولا نهم بلا خلاف «وَ لَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» معناه إن كنتم تصدقون بالله و تقرون بالبعث و النشور فلا تأخذكم بهما رحمة تمنعكم من إقامة الحدود عليهما فتعطلوا الحدود عن عطا و مجاهد و قيل معناه لا تأخذكم بهما رأفة تمنع من الجلد الشديد بل أوجعهما ضربا و لا تخففوا كما يخفف في حد الشارب عن الحسن و قتاده و سعيد بن المسيب و النخعي و الزهرى و قوله «فِي دِينِ اللَّهِ» أي في طاعه الله و قيل في حكم الله عن ابن عباس كقوله ما كان ليأخذ أخاه في دين المليك أي في حكمه «وَ لَيْشْهَدَ عَمَّا بَيْنَهُمَا» أي و ليحضر حال إقامة الحد عليهما «طَائِفَةٌ» أي جماعه «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» و هم ثلاثة فصاعدا عن قتاده و الزهرى و قيل الطائفة رجلا فصاعدا عن عكرمه و قيل

أقله رجل واحد عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و إبراهيم و هو المروى عن أبى جعفر

و يدل على ذلك قوله وَ إِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا و هذا الحكم يثبت للواحد كما يثبت للجمع و قيل أقلها أربعة لأن أقل ما يثبت به الزنا شهاده أربعة عن ابن زيد و قيل ليس لهم عدد محصور بل هو موكول إلى رأى الإمام و المقصود أن يحضر جماعه يقع بهم إذاعه الحد ليحصل الاعتبار و قوله «الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَ الزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ» اختلف في تفسيره على وجوه (أحدها) أن المراد بالنكاح العقد و نزلت الآية على سبب و هو أن رجلا من المسلمين استأذن النبی ص فى أن يتزوج أم مهزول و هى امرأه كانت تسافح و لها رايه على بابها تعرف بها فنزلت الآية عن عبد الله بن عباس و ابن عمر و مجاهد و قتاده و الزهرى و المراد بالآيه النهى و إن كان ظاهره الخبر و يؤيده

ما روى عن أبى جعفر (عليه السلام) و أبى عبد الله (عليه السلام) أنهما قالوا- هم رجال و نساء كانوا على عهد رسول الله ص مشهورين

بالزنا فنهى الله عن أولئك الرجال و النساء على تلك المنزله فمن شهر بشىء من ذلك و أقيم عليه الحد فلا تزوجه حتى تعرف توبته

(و ثانيها) أن النكاح هنا الجماع و المعنى أنهما اشتركا فى الزنا فهى مثله عن الضحاك و ابن زيد و سعيد بن جبير و فى إحدى الروايتين عن ابن عباس فيكون نظير قوله الخبيثات للخبيثين فى أنه خرج مخرج الأغلب الأعم (و ثالثها) أن هذا الحكم كان فى كل زان و زانية ثم نسخ بقوله و أنكحوا الأيامى منكم الآية عن سعيد بن المسيب و جماعه (و رابعها) أن المراد به العقد و ذلك الحكم ثابت فيمن زنا بامرأه فإنه لا يجوز له أن يتزوج بها روى ذلك عن جماعه من الصحابه و إنما قرن الله سبحانه بين الزانى و المشرك تعظيما لأمر الزنا و تفخيما لشأنه و لا يجوز أن تكون هذه الآية خبرا لأننا نجد الزانى يتزوج غير الزانية و لكن المراد هنا الحكم أو النهى سواء كان المراد بالنكاح العقد أو الوطء و حقيقه النكاح فى اللغه الوطء «و حُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» أى حرم نكاح الزانيات أو حرم الزنا على المؤمنين فلا يتزوج بهن أو لا يطأهن إلا زان أو مشرك.

[سوره النور (٢٤): الآيات ٤ الى ٥]

إشاره

و الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً و لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا و أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ و أَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)

القراءه

فى الشواذ قراءه عبد الله بن مسلم بن يسار و أبى زرعه بأربعة بالتنوين.

الحجه

من قرأ «بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ» بغير تنوين أضاف العدد إلى «شُهَدَاءَ» و إن كان الشهداء من الصفات و ساغ ذلك لأنهم استعملوها استعمال الأسماء كقولهم إذا دفن الشهيد صلت عليه الملائكه و نحو ذلك فحسن إضافة اسم العدد إليها كما يضاف إلى الاسم الصريح و من قرأ بالتنوين جعل شهداء صفة لأربعة فى موضع جر و يجوز أن يكون فى موضع نصب من جهتين (أحدهما) أن يكون على معنى ثم لم يحضروا أربعة شهداء و على الحال من النكره أى لم يأتوا بأربعة فى حال الشهاده قاله الزجاج.

الإعراب

موضع «الَّذِينَ يَزْمُونَ» رفع بالابتداء و من قرأ الزانية و الزانى بالنصب فيكون على ذلك موضع «و الَّذِينَ يَزْمُونَ» نصبا على معنى اجلدوا الذين يرمون المحصنات و المحصنات هنا اللاتى أحسن فروجهن بالعفه و «الَّذِينَ تَابُوا» فى محل النصب على الاستثناء

من قوله «وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا» عند من قال إن شهادتهم مقبولة و يكون قوله «وَأَوْلَيْكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» صفة لهم و يجوز أن يكون في موضع جر على البدل من هم في لهم و من قال إن شهادته القاذف غير مقبولة فعنده يكون في موضع نصب على الاستثناء من قوله «وَأَوْلَيْكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ».

المعنى

لما تقدم ذكر حد الزنا عقبه سبحانه بذكر حد القاذف بالزنا فقال سبحانه «وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ» أى يقذفون العفاف من النساء بالفجور و الزنا و حذف لدلاله الكلام عليه «ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءِ» أى ثم لم يأتوا على صحه ما رموهن به من الزنا بأربعة شهداء عدول يشهدون أنهم رأوهن يفعلن ذلك «فَاجْلِدُوهُنَّ» أى فاجلدوا الذين يرمونهن بالزنا «ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَ لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا» نهى سبحانه عن قبول شهادته القاذف على التأييد و حكم عليهم بالفسق ثم استثنى من ذلك فقال «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَ أَصْلَحُوا» أعمالهم «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» و اختلف فى هذا الاستثناء إلى ما ذا يرجع على قولين (أحدهما) أنه يرجع إلى الفسق خاصه دون قوله «وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا» فيزول عنه اسم الفسق بالتوبه و لا تقبل شهادته إذا تاب بعد إقامه الحد عليه عن الحسن و قتاده و شريح و إبراهيم و هو قول أبى حنيفه و أصحابه (و الآخر)

أن الاستثناء يرجع إلى الأمرين فإذا تاب قبلت شهادته حد أو لم يحد عن ابن عباس فى روايه الوالى و مجاهد و الزهرى و مسروق و عطا و طاووس و سعيد بن جبير و الشعبى و هو اختيار الشافعى و أصحابه و قول أبى جعفر (عليه السلام) و أبى عبد الله (عليه السلام)

قال الشافعى أخبرنا سفيان بن عيينه عن الزهرى قال زعم أهل العراق أن شهادته القاذف لا- تجوز فأشهد لأخبرنى سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب قال لأبى بكره لما شهد على المغيره بن شعبه تب تقبل شهادتك أو إن تب تقبل شهادتك فأبى أبو بكره أن يكذب نفسه و قال الزجاج ليس القاذف بأشد جرما من الكافر و الكافر إذا أسلم قبلت شهادته فالقاذف أيضا حقه إذا تاب أن تقبل شهادته يعضد هذا القول أن المتكلم بالفاحشه لا- ينبغى أن يكون أعظم جرما من مرتكبها و لا خلاف فى العاهر أنه إذا تاب قبلت شهادته فالقاذف إذا تاب و نزع مع أنه أيسر جرما يجب أن تقبل شهادته و قال الحسن

يجلد القاذف و عليه ثيابه و يجلد الرجل قائما و المرأه قاعده و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

و من شرط توبه القاذف أن يكذب نفسه فيما قاله فإن لم يفعل ذلك لم يجز قبول شهادته و به قال الشافعى و قيل أنه لا يحتاج إلى ذلك و هو قول مالك و الآيه وردت فى النساء و حكم الرجال حكمهن ذلك فى الإجماع و إذا كان القاذف عبدا أو أمه فالحد أربعون جلده عند أكثر الفقهاء و روى أصحابنا أن الحد ثمانون فى الحر و العبد سواء و ظاهر الآيه يقتضى ذلك و به قال عمر بن عبد العزيز

اشاره

وَالَّذِينَ يَزُمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) وَ الْخَامِسَهُ
أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧) وَ يَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) وَ الْخَامِسَهُ
أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٩) وَ لَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (١٠)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير أبى بكر «فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ» بالرفع و الباقون أربع شهادات بالنصب و قرأ حفص و الخامسه
الثانيه بالنصب و الباقون بالرفع و قرأ نافع أن ساكنه النون لعنه الله بالرفع و أن غضب الله عليها بكسر الضاد و رفع الله و قرأ يعقوب
أن لعنه الله و أن غضب الله برفع لعنه و غضب جميعا و الباقون «أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ» و «أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ» بالتشديد و النصب فى
الموضعين.

الحجه

قال أبو على من نصب أربع شهادات نصبه بالشهاده و ينبغى أن يكون قوله «فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ» مبني على ما يكون مبتدأ تقديره
فالحكم أو الفرض أن تشهد أربع شهادات أو فعلية أن يشهدوا و إن شئت حملته على المعنى لأن المعنى يشهد أحدهم و قوله
«بِاللَّهِ» يجوز أن يكون من صله الشهاده لأنك أوصلتها بالشهاده و من صله شهادات إذا نصبت الأربع و قياس من أعمل الثانى أن
يكون قوله «بِاللَّهِ» من صله شهادات و حذف من الأول لدلاله الثانى عليه كما تقول ضربت و ضربنى زيد و من رفع فقال «فَشَهَادَةُ
أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ» فإن الجار و المجرور من صله شهادات و لا يجوز أن يكون من صله شهاده لأنك إن وصلتها
بالشهاده فقد فصلت بين الصله و الموصول ألا ترى أن الخبر الذى هو «أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ» يفصل

قوله «إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ» فى قول من نصب أربع شهادات يجوز أن يكون من صله شهاده أحدهم فتكون الجملة التى هى «إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ» فى موضع نصب لأن الشهاده كالعلم فيتعلق بها أن كما يتعلق بالعلم و الجملة فى موضع نصب بأنه مفعول به و «أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ» ينتصب انتصاب المصدر و من رفع «أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ» لم يكن «إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ» إلا من صله شهادات دون صله شهاده لأنك إن جعلته من صله شهاده فصلت بين الصله و الموصول و من قرأ أن لعنه الله عليه و أن غضب الله عليها فمعناه أنه لعنه الله عليه و أنه غضب الله عليها خفت الثقيله المفتوحه على إضمار القصة و الحديث و لا تكون فى ذلك كالمكسوره لأن الثقيله المفتوحه موصوله و الموصول يتشبه بصلته أكثر من تشبه غير الموصول بما يتصل به و أهل العربية يستقبحون أن تلى الفعل حتى يفصل بينها و بين الفعل بشىء و يقولون استقبحوا أن تحذف و يحذف ما تعمل فيه و إن تلى ما لم تكن تليه من الفعل بلا حاجز بينهما فتجتمع هذه الاتساعات فيها فإن فصل بينها و بين الفعل بشىء لم يستقبحوا ذلك كقوله تعالى عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى و قوله أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا و علمت أن قد قام فإن قلت فقد جاء وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى و جاء نُودَى أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا فالجواب فإن ليس يجرى مجرى ما و نحوها مما ليس بفعل و أما قوله نُودَى أَنْ بُورِكَ فإن قوله بُورِكَ على معنى الدعاء فلم يجز دخول لا- و لا قد و لا السين و لا شىء مما يصح دخوله الكلام فيصح به الفصل و وجه قراءه نافع أن ذلك قد جاء فى الدعاء و لفظه لفظ الخير و قد يجىء فى الشعر و إن لم يكن شىء يفصل بين أن و بين ما تدخل عليه من الفعل فإن قلت فلم لا تكون أن فى قوله أن غضب الله أن الناصبه للفعل وصل بالماضى فيكون كقراءه من قرأ و امرأه مؤمنه أن وهبت نفسها للنبي فإن ذلك لا يسهل ألا ترى أنها متعلقه بالشهاده و الشهاده بمنزله العلم لا تقع بعدها الناصبه.

النزول

الضحاك عن ابن عباس قال لما نزلت الآيه وَ الَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ قال عاصم بن عدى يا رسول الله إن رأى رجل منا مع امرأته رجلاً فأخبر بما رأى جلد ثمانين و إن التمس أربعة شهداء كان الرجل قد قضى حاجته ثم مضى قال كذلك أنزلت الآيه يا عاصم قال فخرج سامعاً مطيعاً فلم يصل إلى منزله حتى استقبله هلال بن أميه يسترجع فقال ما وراءك قال شر وجدت شريك بن سحما على بطن امرأتى خوله فرجع إلى النبي ص فأخبره هلال بالذى كان فبعث إليها فقال ما يقول زوجك فقالت يا رسول الله إن ابن سحما كان يأتينا فينزل بنا فيتعلم الشىء من القرآن فربما تركه عندى و خرج زوجى فلا أدري أدر كنه الغيره أم بخل على بالطعام فأنزل الله آيه اللعان «وَ الَّذِينَ يَزُمُونَ أَزْوَاجَهُمْ» الآيات

و

عن الحسن قال لما

ص: ٢٠٢

نزلت وَ الَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْآيَةَ قَالَ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ رَأَى رَجُلٌ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا فَقَتَلَهُ تَقْتُلُونَهُ وَ إِنْ أَخْبَرَ بِمَا رَأَى جِلْدَ ثَمَانِينَ أَوْ فَلَا يَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَفَى بِالسَّيْفِ شَاهِدًا ثُمَّ أَمْسَكَ وَ قَالَ لَوْ لَا أَنْ يَتَابِعَ فِيهِ السَّكْرَانُ وَ الْغَيْرَانِ

و

فِي رِوَايَةٍ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ لَوْ أَتَيْتَ لِكَاعٍ وَ قَدْ يَفْخِذُهَا رَجُلٌ لَمْ يَكُنْ لِي أَنْ أَهْيَجَهُ حَتَّى آتَى بِأَرْبَعِهِ شُهَدَاءَ فَوَاللَّهِ مَا كُنْتُ لَأَتِي بِأَرْبَعِهِ شُهَدَاءَ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ حَاجَتِهِ وَ يَذْهَبُ وَ إِنْ قُلْتُ مَا رَأَيْتُ إِنْ فِي ظَهْرِي لَثَمَانِينَ جِلْدَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا تَسْمَعُونَ إِلَيَّ مَا قَالَ سَيِّدُكُمْ فَقَالُوا لَا تَلْمُهُ فَإِنَّهُ رَجُلٌ غَيُورٌ مَا تَزُوجُ امْرَأَهُ قَطُّ إِلَّا بِكَرَاهٍ وَ لَا تَطْلُقُ امْرَأَهُ لَهُ فَاجْتَرَى رَجُلٌ مِنَّا إِنْ يَتَزَوَّجُهَا فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَ أُمِّي وَ اللَّهُ إِنِّي لِأَعْرِفُ أَنَّهَا مِنَ اللَّهِ وَ أَنَّهَا حَقٌّ وَ لَكِنْ عَجِبْتُ مِنْ ذَلِكَ لَمَّا أَخْبَرْتُكَ فَقَالَ فَإِنَّ اللَّهَ يَا بِي إِذَا كَفَى فَقَالَ صَدَقَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ فَلَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا بِسَيْرٍ حَتَّى جَاءَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ يَقَالُ لَهُ هَلَالُ بْنُ أُمِيهِ مِنْ حَدِيثِهِ لَهُ قَدْ رَأَى رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِهِ فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنِّي جِئْتُ أَهْلِي عِشَاءً فَوَجَدْتُ مَعَهَا رَجُلًا رَأَيْتُهُ بَعِينِي وَ سَمِعْتُهُ بِإِذْنِي فَكَّرَهُ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى رَأَى الْكِرَاهَةَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ هَلَالُ بْنُ أُمِيهِ الْكِرَاهَةَ فِي وَجْهِكَ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِنِّي لِصَادِقٌ وَ إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ فِرْجًا فَهَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِضَرْبِهِ وَ قَالَ وَ اجْتَمَعَتِ الْأَنْصَارُ وَ قَالُوا ابْتَلَيْنَا بِمَا قَالَ سَعْدُ أَيْ جِلْدَ هَلَالٍ وَ تَبَطَّلَ شَهَادَتَهُ فَنَزَلَ الْوَحْيُ وَ أَمْسَكُوا عَنِ الْكَلَامِ حِينَ عَرَفُوا أَنَّ الْوَحْيَ قَدْ نَزَلَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى «وَ الَّذِينَ يَزُمُونَ أَزْوَاجَهُمْ» الْآيَاتِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا هَلَالُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ فِرْجًا فَقَالَ قَدْ كُنْتُ أَرْجُو ذَاكَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلُوا إِلَيْهَا فِجَاءً فَلَا عَنَ بَيْنَهُمَا فَلَمَّا انْقَضَى اللَّعَانُ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا وَ قَضَى أَنْ الْوَالِدَ لَهَا وَ لَا يَدْعَى لِأَبٍ وَ لَا يَرْمِي وَلَدَهَا ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ جَاءَتْ بِهِ كَذَا وَ كَذَا فَهُوَ لِزَوْجِهَا وَ إِنْ جَاءَتْ بِهِ كَذَا وَ كَذَا فَهُوَ لِلذَّيِّ قِيلَ فِيهِ.

المعنى

لَمَّا تَقَدَّمَ حُكْمُ الْقَذْفِ لِلْأَجْنِبِيَّاتِ عَقِبَهُ بِحُكْمِ الْقَذْفِ لِلزَّوْجَاتِ فَقَالَ «وَ الَّذِينَ يَزُمُونَ أَزْوَاجَهُمْ» بِالزَّنَا «وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ» يَشْهَدُونَ لَهُمْ عَلَى صَحْحِهِ مَا قَالُوا «إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ» قَالَ الزَّجَّاجُ مَعْنَاهُ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ الَّتِي تَدْرَأُ حَدَّ الْقَذْفِ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ وَ مِنْ نَصَبِ فَمَعْنَاهُ فَالَّذِي يَدْرَأُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ أَنْ يَشْهَدَ أَحَدُهُمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ «بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ» فِيمَا رَمَاهَا بِهِ مِنَ الزَّنَا «وَ الْخَامِسَةُ» أَيْ وَ الشَّهَادَةُ الْخَامِسَةُ «أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ» فِيمَا رَمَاهَا بِهِ مِنَ الزَّنَا وَ الْمَعْنَى أَنَّ الرَّجُلَ يَقُولُ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ أُخْرَى أَشْهَدُ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ فِيمَا ذَكَرْتُ عَنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ مِنَ الْفُجُورِ فَإِنَّ هَذَا حُكْمَ خَصَّصَ اللَّهُ بِهِ الْأَزْوَاجَ فِي قَذْفِ نِسَائِهِمْ فَتَقُومُ الشَّهَادَاتُ الْأَرْبَعُ مَقَامَ الشُّهُودِ الْأَرْبَعَةَ فِي دَفْعِ حَدِّ الْقَذْفِ عَنْهُمْ ثُمَّ يَقُولُ فِي الْمَرَّةِ الْخَامِسَةِ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيَّ إِنْ كُنْتُ

من الكاذبين فيما رميتها به من الزنا «وَيَذُرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ» و يدفع عن المرأة حد الزنا «أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ» معناه أن تقول المرأة أربع مرات مره بعد أخرى أشهد بالله أنه لمن الكاذبين فيما قذفتني به من الزنا «وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا» أى و تقول فى الخامسة غضب الله على «إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ» فيما قذفتني به من الزنا ثم يفرق الحاكم بينهما و لا تحل له أبدا و كان عليها العده من وقت لعانها «وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ» جواب لو لا محذوف تقديره و لو لا- فضل الله عليكم بالنهى عن الزنا و الفواحش و إقامة الحدود لتهالك الناس و لفسد النسل و انقطع الأنساب عن أبى مسلم و قيل معناه لو لا إفضال الله و إنعامه عليكم و أن الله عواد على من يرجع عن المعاصى بالرحمه حكيم فيما فرضه من الحدود لنال الكاذب منهما عذاب عظيم أى لبين الكاذب منهما فيقام عليه الحد و قيل لعاجلكم بالعقوبه و لفضحككم بما تكونون من الفاحشه و مثله قوله لو رأيت فلانا و فى يده السيف و المعنى لرأيت شجاعا أو لرأيت أمرا هائلا و قال جرير:

كذب العواذل لو رأين مناخنا بحزير رامه و المطى سوام

و جاء فى المثل لو ذات سوار لطمتى.

[سوره النور (٢٤): الآيات ١١ الى ١٥]

اشاره

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَوْ لَا إِذِ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِنَفْسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (١٢) لَوْ لَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَ لَوْ لَا- فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَ تَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ تَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥)

ص: ٢٠٤

قرأ يعقوب كبره بضم الكاف و هو قراءه أبى رجا و حميد الأعرج و قراءه القراء «كِبْرَهُ» بكسر الكاف و فى الشواذ قراءه عائشه و ابن عباس و ابن معمر إذ تلقونه و قراءه ابن السميع تلقونه و القراء المشهوره «تَلَقَّوْنَهُ».

من ضم كبره أراد عظمه و من كسر أراد وزره و إثمه قال قيس بن الخطيم:

تنام عن كبر شأنها فإذا قامت رويدا تكاد تتغرف

أى عن معظم شأنها و أما قوله «تَلَقَّوْنَهُ» فمعناه تسرعون فيه و تخفون إليه قال الراجز

" جاءت به عنس من الشام تلق "

أى تخف و أصله تلقون فيه أو إليه فحذف حرف الجر فوصل الفعل إلى المفعول و قيل إن الولق الكذب فكان الكاذب يستمر فى الكذب و يسرع فيه و

جاء فى حديث على (عليه السلام) كذبت و ولقت

و أما تلقونه فمعناه تلقونه بأفواهكم و أما تلقونه فهو من تلقيت الحديث من فلان أى أخذته منه قبلته.

روى الزهرى عن عروه بن الزبير و سعيد بن المسيب و غيرهما عن عائشه أنها قالت كان رسول الله ص إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيهن خرج سهمها خرج بها فأقرع بيننا فى غزوه غزاها فخرج فيها سهمى و ذلك بعد ما أنزل الحجاب فخرجت مع رسول الله ص حتى فرغ من غزوه و قفل و روى أنها كانت غزوه بنى المصطلق من خزاعه قالت و دنونا من المدينه فقمتم حين أذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى أقبلت إلى الرحل فلمست صدرتى فإذا عقد من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست

عقدى فحبسنى ابتغاؤه و أقبل الرهط الذى كانوا يرحلوننى فحملوا هودجى على بعيرى الذى كنت أركب و هم يحسبون أنى فيه و كانت النساء إذا ذاك خفافا لم يهبلهن اللحم (و لم يغشهن اللحم خ ل) إنما يأكلن العلقه من الطعام فبعثوا الجمل و ساروا و وجدت عقدى و جئت منازلهم و ليس بها داع و لا موجب فسموت منزلى الذى كنت فيه و ظننت أن القوم سيفقدونى فيرجعون إلى فيينا أنا جالسهم إذ غلبتنى عيناي فتمت و كان صفوان بن المعطل السلمى قد عرس من وراء الجيش فأصبح عند منزلى فرأى سواد إنسان نائم فعرفنى حين رآنى فخمرت وجهى بجلبابى و و الله ما كلمنى بكلمه حتى أناخ راحلته فركبتها فانطلق يقود الراحله حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين فى حر الظهيره فهلك من هلك فى و كان الذى تولى كبره منهم عبد الله بن أبى سلول فقدمنا المدينه فاشتكت حين قدمتها شهرا و الناس يفيضون فى قول أهل الإفك و لا أشعر بشىء من ذلك و هو يرثينى فى وجعى غير أنى لا أعرف من رسول الله ص اللطف الذى كنت أرى منه حين اشتكى إنما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم فذلك يحزننى و لا أشعر بالسرح حتى خرجت بعد ما نقهت و خرجت معى أم مسطح قبل المصانع و هو متبرزنا و لا نخرج إلا ليلا إلى ليل و ذلك قبل أن نتخذ الكنف و أمرنا أمر العرب الأول فى التنزه و كنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا و انطلقت أنا و أم مسطح و أمها بنت ضخره بن عامر خاله أبى فعثرت أم مسطح فى مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت أ تسيين رجلا قد شهد بدرا فقالت أى بنتاه ألم تسمعى ما قال قلت و ما ذا قال فأخبرتنى بقول أهل الإفك فازددت مرضا إلى مرضى فلما رجعت إلى بيتى دخل على رسول الله ص ثم قال كيف تيكم قلت تأذن لى أن آتى أبوى قالت و أنا أريد أن أتيقن الخبر من قبله فأذن لى رسول الله ص فجئت أبوى و قلت لأمى يا أماه ما ذا يتحدث الناس فقالت أى بنيه هونى عليك فو الله لقل ما كانت امرأه قط و ضيئه عند رجل يحبها و لها ضرائر إلا أكثرن عليها قلت سبحان الله أ و قد يحدث الناس بهذا قالت نعم فمكثت تلك الليله حتى أصبحت لا يرقأ لى دمع و لا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكى و دعا رسول الله أسامه بن زيد و على بن أبى طالب (عليه السلام) حين استلبث الوحى يستشيرهما فى فراق أهله فأما أسامه فأشار على رسول الله ص بالذى علم من براءه أهله و بالذى يعلم فى نفسه لهم من الود فقال يا رسول الله هم أهلك و لا نعلم إلا خيرا فأما على بن أبى طالب عليه أفضل الصلوات فقال لم يضيق الله عليك و النساء سواها كثيره و إن تسأل الجارية تصدقك فدعا رسول الله ص بريره فقال يا بريره هل رأيت شيئا يريبك من عائشه قالت بريره و الذى بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرا قط

أغمضه عليها أكثر من أنها جاريه حديثه السن تنام عن عجيب أهلها قالت و أنا و الله أعلم أنى بريته و ما كنت أظن أن ينزل فى شأنى وحي يتلى و لكنى كنت أرجو أن يرى رسول الله رؤيا يبرئنى الله بها فأنزل الله تعالى على نبيه و أخذه ما كان يأخذه من برحاء الوحى حتى أنه لينحدر عنه مثل الجمان من العرق فى اليوم الثانى من ثقل القول الذى أنزل عليه فلما سرى عن رسول الله ص قال أبشرى يا عائشه أما الله فقد برأك فقالت لى أمى قومى إليه فقلت و الله لا أقوم إليه و لا أحمد إلا الله فهو الذى أنزل براءتى فأنزل الله تعالى «إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ» الآيات العشر.

المعنى

«إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ» أى بالكذب العظيم الذى قلب فيه الأمر عن وجهه «عُضِبَتْهُ مِنْكُمْ» أيها المسلمون قال ابن عباس و عائشه منهم عبد الله بن أبى سلول و هو الذى تولى كبره و مسطح بن أثاثه و حسان بن ثابت و حمنه بنت جحش «لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ» هذا خطاب لعائشه و صفوان لأنهما قصدا بالإفك و لمن اغتم بسبب ذلك و خطاب لكل من رمى بسبب عن ابن عباس أى لا- تحسبوا غم الإفك شرا لكم بل هو خير لكم لأن الله تعالى يبرئ عائشه و يأجرها بصبرها و احتسابها و يلزم أصحاب الإفك ما استحقوه بالإثم الذى ارتكبهوه فى أمرها و قال الحسن هذا خطاب للقاذفين من المؤمنين و المعنى لا تحسبوا أيها القذفه هذا التأديب شرا لكم بل هو خير لكم فإنه يدعوكم إلى التوبه و يمنعكم عن المعاوده إلى مثله «لِكُلِّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ مَا كَتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ» أى لكل امرئ من القذفه جزاء ما اكتسبه من الإثم بقدر ما خاض و أفاض فيه و قيل معناه على كل امرئ منهم عقاب ما اكتسب كقوله «وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا» أى فعلها «وَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ» أى تحمل معظمه «مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ» المراد به عبد الله بن أبى سلول أى فإنه كان رأس أصحاب الإفك كان يجتمع الناس عنده و يحدثهم بحديث الإفك و يشيع ذلك بين الناس و يقول قال امرأه نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها و الله ما نجت منه و لا نجا منها و العذاب العظيم عذاب جهنم فى الآخرة و قيل المراد به مسطح بن أثاثه و قيل حسان بن ثابت فإنه روى أنه دخل على عائشه بعد ما كف بصره فقيل لها أنه يدخل عليك و قد قال فيك ما قال و قد قال الله تعالى و الذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم فقالت عائشه أ ليس قد كف بصره فأنشد حسان قوله فيها:

حصان رزان ما تزن بريبه و تصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقال عائشه لكنك لست كذلك «لَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا» معناه هلا حين سمعتم هذا الإفك من القائلين له ظن المؤمنون و المؤمنات بالذين هم كأنفسهم خيرا لأن المؤمنين كلهم كالنفس الواحده فيما يجرى عليها من الأمور فإذا جرى على أحدهم محنه فكأنها جرت على جماعتهم فهو كقوله «فَسَيَلْمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ» عن مجاهد و على هذا يكون خطابا لمن سمعه فسكت و لم يصدق و لم يكذب و قيل هو خطاب لمن أشاعه و المعنى هلا إذا سمعتم هذا الحديث ظننتم بها ما تظنونه بأنفسكم لو خلوتم بها و ذلك لأنها كانت أم المؤمنين و من خلا بأمه فإنه لا يطمع فيها و هى لا تطمع فيه «وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ» أى و هلا- قالوا هذا القول كذب ظاهر «لَوْ لَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ» أى هلا جاءوا على ما قالوه بينه و هى أربعه شهداء يشهدون بما قالوه «فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ» أى فحين لم يأتوا بالشهداء «فَأُولَئِكَ» الذين قالوا هذا الإفك «عِنْدَ اللَّهِ» أى فى حكمه «هُمُ الْكَاذِبُونَ وَ لَوْ لَا- فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَ رَحِمْتُهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ» بأن أمهلكم لتتوبوا و لم يعاجلكم بالعقوبه «لَمَسَّكُمْ» أى أصابكم «فِي مَا أَفَضْتُمْ» أى خضتم «فِيهِ» من الإفك «عَذَابٌ عَظِيمٌ» أى عذاب لا انقطاع له عن ابن عباس ثم ذكر الوقت الذى كان يصيهم العذاب فيه لو لا- فضله فقال «إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ» أى يرويه بعضكم عن بعض عن مجاهد و مقاتل و قيل معناه تقبلونه من غير دليل و لذلك إضافه إلى اللسان و قيل معناه يلقيه بعضكم إلى بعض عن الزجاج «وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَ تَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا» أى تظنون أن ذلك سهل لا إثم فيه «وَ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ» فى الوزر لأنه كذب و افتراء.

إشارة

وَلَوْ لَا إِذِ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧) وَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩) وَ لَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللَّهَ رَوْفٌ رَحِيمٌ (٢٠)

المعنى

ثم زاد سبحانه في الإنكار عليهم فقال «وَلَوْ لَا إِذِ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ» أى هلا قلت حين سمعتم ذلك الحديث «مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا» أى لا يحل لنا أن نخوض في هذا الحديث و ما ينبغي لنا أن نتكلم به «سُبْحَانَكَ» يا ربنا «هذا» الذى قالوه «بُهْتَانٌ عَظِيمٌ» أى كذب و زور عظيم عقابه أو تحير من عظمه و قيل إن سبحانه هنا معناه التعجب كقول الأعشى

" سبحان من علقمه الفاخر "

و قيل معناه نزهك ربنا من أن نعصيك بهذه المعصية ثم وعظ سبحانه الذين خاضوا فى الإفك فقال «يَعِظُكُمُ اللَّهُ» أى ينهاكم الله عن مجاهد و قيل يحرم الله عليكم «أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ» عن ابن عباس و قيل معناه كراهه أن تعودوا أو لئلا تعودوا إلى مثله من الإفك «أَبَدًا» أى طول أعماركم «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» أى مصدقين بالله و نبيه قائلين موعظه الله «وَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ» فى الأمر و النهى «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ» بما يكون منكم «حَكِيمٌ» فيما يفعله لا يضع الشىء إلا فى موضعه ثم هدد القاذفين فقال «إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ» أى يفسوا و يظهروا الزنا و القبائح «فِي الَّذِينَ آمَنُوا» بأن ينسبوا إليهم و يقذفوهم بها «لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا» بإقامه الحد عليهم «وَ الْآخِرَةِ» و هو عذاب النار «وَ اللَّهُ يَعْلَمُ» ما فيه من سخط الله و ما يستحق عليه من المعاقبه «وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» ذلك ثم ذكر فضله و منته عليهم فقال «وَ لَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللَّهَ رَوْفٌ رَحِيمٌ» لعاجلكم بالعقوبه و لكنه برحمته أمهلكم لتوبوا و تندموا على ما قلت و جواب لو لا محذوف لدلاله الكلام عليه.

النظم

لما بين سبحانه أحكام قذف المحصنات و عظم أمره عقب ذلك بأحكام قذف الزوجات ثم عطف بعد ذلك قذف الأمهات فإن أزواج النبی ص أمهات المؤمنین بدلاله قوله تعالى «النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ» الآية.

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١) وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيُغْفِرُوا وَلِيُغْفَرُوا لَهُمْ لَيْسَ بِغُفْرَانٍ أَ لَا تَتَجَنَّبُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢) إِنَّ الَّذِينَ يَزُمُونَ الْمَحْضَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥)

القراءة

قرأ روح عن يعقوب ما زكى منكم بالتشديد و الباقر بالتخفيف و قرأ أبو جعفر و لا يتأل و هو قراءة زيد بن أسلم و أبي رجا و أبي مجلز و الباقر «لا يأتل» و روى عن على (عليه السلام) و لتعفوا و لتصفحوا بالتاء كما يروى بالبياء أيضا و قرأ أهل الكوفة غير عاصم يوم يشهد عليهم بالبياء و الباقر «تشهد» و فى الشواذ قراءة مجاهد و أبى روق يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق بالرفع.

الحج

الوجه فى قوله «ما زكى» بالتشديد أنه قال و الله يزكى و أما قوله «و لا يتأل» فإنه من تألى إذا حلف و

فى الحديث و من يتأل على الله يكذبه

و هو الذى يحلف فيقول و الله لا يدخل فلان الجنة و فلان النار و أنشد الأصمعى:

"عجابه هجابه تألى لأصبحن الأحقر الأذلاء"

و أما «لا يأتل» ففيه ثلاثة أقوال (أحدها) من الآليه التى هى اليمين أيضا يقال

ابتلى و تآلى و إلى بمعنى و الآخر أنه من قولهم ما ألوت فى كذا أى ما قصرت و المعنى و لا يقصر و قال الأخفش أنه يحتمل الأمرين و قوله «و لتعفوا و لتصفحوا» بالتاء مثل ما روى فلتفرحوا بالتاء على الأصل و قد تقدم القول فيه و من قرأ يوم يشهد بالياء فلائذ تأنيث الألسنه ليس بحقيقى و لأنه حصل بين الفعل و الفاعل فصل و من قرأ بالتاء فعلى أن الألسنه مؤنثه و من قرأ الحق بالرفع جعله وصفا لله تعالى أى يوفيهم الله الحق دينهم مثل قوله «إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ».

النزول

قيل إن قوله «وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ» الآية نزلت فى أبى بكر و مسطح بن أثاثه و كان ابن خاله أبى بكر و كان من المهاجرين و من جملة البدرين و كان فقيرا و كان أبو بكر يجرى عليه و يقوم بنفقته فلما خاض فى الإفك قطعها و حلف أن لا ينفعه بنفع أبدا فلما نزلت الآية عاد أبو بكر إلى ما كان و قال و الله إنى لأحب أن يغفر الله لى و الله لا أنزعها عنه أبدا عن ابن عباس و عائشه و ابن زيد و قيل نزلت فى يتيم كان فى حجر أبى بكر حلف لا ينفق عليه عن الحسن و مجاهد و قيل نزلت فى جماعه من الصحابه أقسموا على أن لا يتصدقوا على رجل تكلم بشىء من الإفك و لا يواسوهم عن ابن عباس و غيره.

المعنى

ثم نهى سبحانه عن اتباع الشيطان فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ» أى آثاره و طرقه التى تؤدى إلى مرضاته و قيل وساوسه «وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ» هذا بيان سبب المنع من اتباعه «وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ» بأن لطف لكن و أمركم بما تصيرون به أزكيا و نهاكم عما تصيرون بتركه أزكيا «مَا زَكَّى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا» أى ما صار منكم أحد زكيا و من فى من أحد مزیده و قيل معناه ما طهر منكم أحد من وسوسه الشيطان و ما صلح «وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ» أى يطهر بلطفه من يشاء و هو من له لطف يفعل سبحانه به ليزكو عنده «وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» يفعل المصالح و الألفاف بالمكلفين لأنه يسمع أصواتهم و أقوالهم و يعلم أحوالهم و أفعالهم و فى الآية دلالة على أن الله سبحانه يريد من خلقه خلاف ما يريد الشيطان لأنه إذا ذم سبحانه الأمر بالفحشاء و المنكر فخالق الفحشاء و المنكر و مریدهما أولى بالذم تعالى و تقدس عن ذلك و فيها دلالة على أن أحدا لا يصلح إلا بلطفه «وَلَا يَأْتَلِ» أى و لا يحلف أولا يقصر و لا يترك «أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَ السَّعَةِ» أى أولو الغنى و السعة فى المال «أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى» قال الزجاج معناه أن لا يؤتوا فحذف لا أى لا يحلفوا أن لا يؤتوا و قيل لا يقصروا أن يؤتوا و لا يتركوا جهدا فى الإنفاق على أقربائهم «وَالْمَسَاكِينَ وَ الْمُهَاجِرِينَ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ» وقد اجتمع في مسطح الصفات الثلاث كان قرينا لأبى بكر مسكينا مهاجرا قال الجبائي و في قصه مسطح دلالة على أنه قد يجوز أن تقع المعاصي ممن شهد بدرا بخلاف قول النوائب «وَلْيُغْفُوا وَ لِيُصْفَحُوا» هذا أمر من الله تعالى للمرادين بالآية بالعفو عن أساء إليهم و الصفح عنهم و قال لهم «أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ» معاصيكم جزاء على عفوكم و صفحكم عن أساء إليكم «وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ» أى يقذفون العفائف من النساء «الْغَافِلَاتِ» عن الفواحش «الْمُؤْمِنَاتِ» بالله و رسوله و اليوم الآخر «لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ» أى أبعدوا من رحمه الله فى الدارين و قيل استحقوا اللعنة فيهما و قيل عذبوا فى الدنيا بالجلد و رد الشهادة و فى الآخرة بعذاب النار «وَلَهُمْ» مع ذلك «عَذَابٌ عَظِيمٌ» و هذا الوعيد عام لجميع المكلفين عن ابن عباس و ابن زيد «يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» بين الله سبحانه أن ذلك العذاب يكون فى يوم تشهد ألسنتهم فيه عليهم بالقذف و سائر أعضائهم بمعاصيهم و فى كيفية شهادة الجوارح أقوال (أحدها) أن الله تعالى يبنها بنيه يمكنها النطق و الكلام من جهتها فتكون ناطقه (و الثانى) إن الله تعالى يفعل فيها كلاما يتضمن الشهادة فيكون المتكلم هو الله دون الجوارح و أضيف الكلام إليها على التوسع لأنها محل الكلام (و الثالث) إن الله تعالى يجعل فيها علامه تقوم مقام النطق بالشهادة و أما شهاده الألسن فبأن يشهدوا بألسنتهم إذا رأوا أنه لا ينفعهم الجحود و أما قوله «الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ» فإنه يجوز أن تخرج الألسنه و يختم على الأفواه و يجوز أن يكون الختم على الأفواه فى حال شهاده الأيدي و الأرجل «يَوْمَئِذٍ يُؤْفِقُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ» أى يتمم الله لهم جزاءهم الحق فالدين هنا بمعنى الجزاء و يجوز أن يكون المراد جزاء دينهم الحق فحذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه «وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ» أى يعلمون الله ضروره فى ذلك اليوم و يقرون أنه الحق لأنه يقضى بالحق و يعطى بالحق و يأخذ بالحق «الْمُبِينُ» أى الذى يظهر لهم حقائق الأمور و يبين جلائل الآيات.

النظم

بدأ سبحانه فبين حكم القاذف أولا و أوجب عليه الحد و رد شهادته و سماه فاسقا فعلم أن المراد به أهل المله ثم عقبه بحديث الإفك لاتصاله به ثم ذكر صنفا آخر من القذفه و هم المنافقون بقوله «إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا» و بين ما لهم من الغضب و اللعنه ثم عم الجميع بالوعيد فى قوله «إِنَّ الَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ» الآيات عن أبى مسلم.

إشارة

الْخَيْثَاتُ لِلْخَيْثِينَ وَالْخَيْثُونَ لِلْخَيْثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٢٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٢٩)

اللغة

الاستيناس طلب الأنس بالعلم أو غيره تقول العرب اذهب فاستأنس هل ترى أحداً و منه قوله «فَإِنْ آتَيْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا» أى علمتم و روى عن ابن عباس أنه قال إنما هى تستأذنونوا يعنى قوله «تَسْتَأْذِنُوا» و كذلك يروى عن عبد الله و روى عن أبى حتى تسلموا و تستأنسوا و كذلك قرأ ابن عباس.

المعنى

قال سبحانه «الْخَيْثَاتُ لِلْخَيْثِينَ وَالْخَيْثُونَ لِلْخَيْثَاتِ» قيل فى معناه أقوال (أحدها) أن الخيئات من الكلم للخيئين من الرجال و الخيئون من الرجال للخيئات من الكلم و الطيبات من الكلم للطيبين من الرجال و الطيبون من الرجال للطيبات من الكلم أ لا ترى أنك تسمع الخييث من الرجل الصالح فتقول غفر الله لفلان ما هذا من خلقه و لا مما يقول عن ابن عباس و الضحاك و مجاهد و الحسن (و الثانى) إن معناه الخيئات من السيئات للخيئين من الرجال و الخيئون من الرجال للخيئات من السيئات و الطيبات من الحسنات

للطيبين من الرجال و الطيبون من الرجال للطيبات من الحسنات عن ابن زيد (و الثالث)

الخبثات من النساء للخبثين من الرجال و الخبيثون من الرجال للخبثات من النساء و الطيبات من النساء للطيبين من الرجال و الطيبون من الرجال للطيبات من النساء عن أبي مسلم و الجبائي و هو المروى عن أبي جعفر و أبي عبد الله (عليه السلام) قالا هي مثل قوله «الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً» الآية أن أناسا هموا أن يتزوجوا منهن فنهاهم الله عن ذلك و كره ذلك لهم

«أُولَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ» أى الطيبون مبرءون أى منزهون من الكلام الخبيث عن مجاهد و قال الفراء يعنى به عائشه و صفوان بن المعطل و هو بمنزله قوله تعالى «فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ» و الأم تحجب بالأخوين فجاء على تغليب لفظ الجمع «لَهُمْ مَغْفِرَةٌ» أى لهؤلاء الطيبين من الرجال و النساء مغفره من الله لذنوبهم «وَرِزْقٌ كَرِيمٌ» أى عطيه من الله كريمه فى الجنة ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا» أى حتى تستأذنوا عن ابن مسعود و ابن عباس قال أخطأ الكاتب فيه و كان يقرأ حتى تستأذنوا و قيل تستأنسوا بالتنحج و الكلام الذى يقوم مقام الاستيذان و قد بين الله تعالى ذلك فى قوله «وَ إِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا» عن مجاهد و السدى و قيل معناه حتى تستعلموا و تتعرفوا عن

أبى أيوب الأنصارى قال قلنا يا رسول الله ما الاستيناس قال يتكلم الرجل بالتسيحه و التحميده و التكبيره و يتنحج على أهل البيت

و

عن سهل بن سعد قال أطلع رجل فى حجره من حجر رسول الله فقال رسول الله ص و معه مدرى يحكك به رأسه لو أعلم أنك تنظر لطعنت به فى عينيك إنما الاستيذان من النظر

و

روى أن رجلا قال للنبي ص أستأذن على أمى فقال نعم قال أنها ليس لها خادم غيرى أ فاستأذن عليها كلما دخلت قال أ تحب أن تراها عريانه قال الرجل لا قال فاستأذن عليها

«وَتَسَاءَلُوا عَلَى أَهْلِهَا» قيل إن فيه تقديم و تأخيرا تقديره حتى تسلموا على أهلها و تستأنسوا و تستأذنوا فإن أذن لكم فادخلوا و قيل معناه حتى تستأنسوا بأن تسلموا

فقد روى أن رجلا استأذن على رسول الله ص فتنحج فقال رسول الله ص لامرأه يقال لها روضه قومي إلى هذا فعلميه و قولى له قل السلام عليكم أ أدخل فسمعها الرجل فقالها فقال أدخل

«ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ» معناه ذلك الدخول بالاستيذان خير لكم «لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» مواعظ الله و أوامره و نواهيته فتتبعونها «فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا» معناه فإن لم تعلموا «فِيهَا أَحَدًا» يأذن لكم فى الدخول «فَلَا تَدْخُلُوهَا» لأنه ربما كان فيها ما

لا يجوز أن تطلعوا عليه «حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ» أى حتى يأذن لكم أرباب البيوت فى ذلك بين الله سبحانه بهذا أنه لا يجوز دخول دار الغير بغير إذنه و إن لم يكن صاحبها فيها و لا يجوز أن يتطلع إلى المنزل ليرى من فيه فيستأذنه إذا كان الباب مغلقا

لقوله (عليه السلام) إنما جعل الاستئذان لأجل النظر

و إلا- أن يكون الباب مفتوحا لأذن صاحبه بالفتح أباح النظر «وَ إِنْ قِيلَ لَكُمْ اذْجِعُوا فَارْجِعُوا» أى فانصرفوا و لا تلجوا عليهم و ذلك بأن يأمرؤكم بالانصراف صريحا أو يوجد منهم ما يدل عليه «هُوَ أَزْكَى لَكُمْ» معناه أن الانصراف أنفع لكم فى دينكم و دنياكم و أظهر لقلوبكم و أقرب إلى أن تصيروا أزكيا «وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ» أى عالم بأعمالكم لا يخفى عليه شىء منها ثم قال سبحانه «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ» أى حرج و إثم «أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ» يعنى بغير استئذان «فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ» قيل فى معنى هذه البيوت أقوال (أحدها)

أنها الحانات و الحمامات و الأرحية عن الصادق (عليه السلام)

و عن محمد بن الحنفية و قتاده و يكون معنى متاع لكم أى استمتاع لكم (الثانى) إنها الخرابات المعطلة و يدخلها الإنسان لقضاء الحاجة عن عطا (و الثالث) أنها الحوانيت و بيوت التجار التى فيها أمتعه الناس عن ابن زيد قال الشعبى و إذنهم أنهم جاءوا ببيوعهم فجعلوها فيها و قالوا للناس علموا (و الرابع) أنها مناخات الناس فى أسفارهم يرتفقون بها عن مجاهد و الأولى حملة على الجميع «وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَ مَا تَكْتُمُونَ» لا يخفى عليه شىء من ذلك.

النظم

وجه اتصال الآيه بما قبلها أنه سبحانه لما عظم شأن الزنا و القذف أكد ذلك بالنهى عن دخول بيوت الناس إلا بعد الاستئذان و الاستئناس ليكونوا أبعد من التهمه و أقرب إلى العصمه من السيئه.

ص: ٢١٥

إشاره

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَائِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)

القراءه

قرأ أبو جعفر و ابن عامر و أبو بكر غير أولى الأربه بالنصب و الباقر و الجرجاني و قرأ ابن عامر أیه المؤمنین و یا أیه الساحر و أیه الثقلان بضم الهاء و الباقر بفتحها.

الحجه

قال أبو علي " غير " فيمن جر صفة للتابعين و المعنى لا- يبدين زينتهن إلا للتابعين الذين لا إربه لهم في النساء و الإربه الحاجه لأنهم في أنهم لا إربه لهم كالأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء أى لم يقووا عليها و منه قوله «فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ» و جاز وصف التابعين بغير لأنهم غير مقصودين بأعيانهم فأجرى لذلك مجرى النكره و قد قيل إن التابعين جاز أن يوصفوا بغير في هذا لقصر الوصف على شىء بعينه فإذا قصر على شىء بعينه زال الشيع عنه فاخصص بالتابعون ضربان ذو إربه و غير ذى إربه و ليس ثالث و إذا كان كذلك جاز لاختصاصه أن يجرى و صفا على المعرفه و على هذا الذين أَنْعَمَتْ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ و كذلك لا يَشْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرِ أُولَى الضَّرَرِ لأن المسلمين و غيرهم لا يخلو من أن يكونوا أصحاب أو زمنى فإذا وصفوا بأحد الشيتين زال الشيع فساغ الوصف به لذلك و من نصب غير احتمال ضربين أحدهما أن يكون استثناء و التقدير لا يبدين زينتهن إلا- للتابعين إلا إذا الإربه منهم فإنهم لا يبدين زينتهن لمن كان منهم ذا إربه (و الآخر) أن يكون حالا و المعنى أو الذين يتبعونهن عاجزين عنهن و ذو الحال ما فى التابعين من الذكر و قال الوقف على يا أيها و أيها بالألف لأنهما إنما أسقطت لسكونها و سكون لام المعرفه فإذا وقف عليها زال التقاء الساكنين و ظهرت الألف فأما ضم الهاء فى قراءه ابن عامر فلا يتجه لأن آخر الاسم هو الياء الثانيه من أى فينبغى أن يكون المضموم آخر الاسم و لو جاز

أن يضم هذا من حيث كان مضموما إلى الكلمة لجاز أن يضم الميم من اللهم لأنه آخر الكلمة و وجه الإشكال و الشبهه فى ذلك أنه وجد هذا الحرف قد صار فى بعض المواضع التى يدخل فيها بمنزله ما هو من نفس الكلمة نحو مررت بهذا الرجل و غلام هذه المرأه فلما وجدها فى أوائل المبهمه كذلك جعلها فى الآخر أيضا بمنزله شىء من نفس الكلمة و استجاز حذف الألف اللاحق للحرف لما رآه قد حذف فى قولهم هلم فأجرى عليه الإعراب لما كان كالشىء الذى من نفس الكلمة فإن قلت فإنه قد حرك الياء التى قبلها بالضم فى يا أيها الرجل فإنه يجوز أن نقول حركه أى فى هذه المواضع كحركات الاتباع فى نحو امرئ و امرؤ فهذا وجه شبهته.

اللغه

أصل الغض النقصان يقال غض من صوته و من بصره أى نقص و منه حديث عمرو بن العاص لما مات عبد الرحمن بن عوف هنيئا لك خرجت من الدنيا ببطنتك لم تتغضغض منها بشىء يقال غضغضت الشىء فتغضغض إذا نقص و الإربه فعله من الإرب كالمشيه و الجلسه و

فى الحديث إن رجلا اعترض النبى ص لیسأله فصاحوا به فقال ص دعوا الرجل أرب ماله

قال ابن الأعرابى أى احتاج فسأل ما له و قيل معناه حاجه جاءت به فدعوه و ما مزيده عن الأزهرى.

الإعراب

«يَعُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ» مجزوم لأنه جواب شرط مقدر و التقدير قل للمؤمنين غضوا من أبصاركم فإنك إن تقل لهم يغضوا و يجوز أن يكون مجزوما على تقدير ليغضوا من أبصارهم و مثل ذلك قوله «يَعُضُّ صُنَّ» و إن لم يظهر فيه الإعراب لكونه مبنيا و ما ظهر فى موضع نصب على البدل من «زَيَّنْتَهُنَّ» و قوله «مِنْهَا» من هنا للتيبين و الجار و المجرور مع المحذوف فى موضع نصب على الحال.

المعنى

ثم بين سبحانه ما يحل من النظر و ما لا يحل منه فقال «قُلْ» يا محمد «لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ» عما لا يحل لهم النظر إليه «وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ» عن لا- يحل لهم و عن الفواحش و قيل إن من مزيده و تقديره يغضوا أبصارهم عن عورات النساء و قيل إنها للتبويض لأن غض البصر إنما يجب فى بعض المواضع عن أبى مسلم و المعنى ينقصوا من نظرهم فلا ينظروا إلى ما حرم و قيل إنها لابتداء الغايه و قال ابن زيد كل موضع فى القرآن ذكر فيه حفظ الفروج فهو عن الزنا إلا فى هذا الموضع فإن المراد به الستر حتى لا

المروى عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال فلا يحل للرجل أن ينظر إلى فرج أخيه و لا يحل للمرأة أن تنظر إلى فرج أخيها

«ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ» أى أنفع لدينهم و دنياهم و أطهر لهم و أنفى للثمة و أقرب إلى التقوى «إِنَّ اللَّهَ حَبِيرٌ» أى عليم «بِمَا يَصْنَعُونَ» أى بما يعملونه أى على أى وجه يعملونه «وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُّنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَ يَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ» أمر النساء بمثل ما أمر به الرجال من غض البصر و حفظ الفرج «وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ» أى لا يظهرن مواضع الزينة لغير محرم و من هو فى حكمه و لم يرد نفس الزينة لأن ذلك يحل النظر إليه بل المراد مواضع الزينة و قيل الزينة زينتاه ظاهره و باطنه فالظاهره لا يجب سترها و لا يحرم النظر إليها لقوله «إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا» و فيها ثلاثة أقاويل (أحدها) إن الظاهره الثياب و الباطنه الخللان و القرطان و السواران عن ابن مسعود (و ثانيها) إن الظاهره الكحل و الخاتم و الخدان و الخضاب فى الكف عن ابن عباس و الكحل و السوار و الخاتم عن قتاده (و ثالثها) إنها الوجه و الكفان عن الضحاك و عطا و الوجه و البنان عن الحسن و فى تفسير على بن إبراهيم الكفان و الأصابع «وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ» و الخمر المقانع جمع خمار و هو غطاء رأس المرأة المنسدل على جيبها أمرن بإلقاء المقانع على صدورهن تغطيه لئلا يظنهن فى ظهورهن فتبدو صدورهن و كنى عن الصدور بالجيوب لأنها ملبوسة عليها و قيل إنهن أمرن بذلك ليسترن شعورهن و قرظهن و أعناقهن قال ابن عباس تغطى شعرها و صدرها و ترائبها و سواها «وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ» يعنى الزينه الباطنه التى لا يجوز كشفها فى الصلاة و قيل معناه لا يضعن الجلباب و الخمار عن ابن عباس «إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ» أى لأزواجهن يبدن مواضع زينتهن لهم استدعاء لميلهم و تحريكا لشهوتهم

فقد روى أنه ص لعن السلطاء من النساء و المرهء فالسلطاء التى لا تخضب و المرهء التى لا تكتحل و لعن المسوفة و المفسله فالمسوفة التى إذا دعاها زوجها إلى المباشرة قالت سوف أفعل و المفسله هى التى إذا دعاها قالت أنا حائض و هى غير حائض

«أَوْ آبَائِهِمْ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِمْ أَوْ أَبْنَائِهِمْ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِمْ أَوْ إِخْوَانِهِمْ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِمْ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِمْ» و هؤلاء الذين يحرم عليهم نكاحهن فهم ذوو محارم لهم بالأسباب و الأنساب و يدخل أجداد البعوله فيه و إن علوا و أحفادهم و إن سفلوا يجوز إبداء الزينه لهم من غير استدعاء لشهوتهم و يجوز لهم تعمد النظر من غير تلذذ «أَوْ نِسَائِهِمْ» يعنى النساء المؤمنات و لا يحل لهن أن يتجردن ليهوديه أو نصرانيه أو مجوسيه إلا إذا كانت أمه و هو معنى قوله «أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ» أى من الإماء عن ابن جريج و مجاهد و الحسن و سعيد بن المسيب قالوا و لا يحل للعبد أن ينظر إلى شعر مولاته و

قيل معناه العبيد و الإماء و روى ذلك عن أبي عبد الله (عليه السلام)

و قال الجبائى أراد مملوكا له لم يبلغ مبلغ الرجال «أَوْ

التَّابِعِينَ غَيْرِ أَوْلَىٰ الْأَرْبَةِ مِنَ الرَّجَالِ» اختلف في معناه

فقيل التابع الذى يتبعك لينال من طعامك ولا حاجه له فى النساء و هو الأبله المولى عليه عن ابن عباس و قتاده و سعيد بن جبير و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل هو العنين الذى لا إرب له فى النساء لعجزه عن عكرمه و الشعبى و قيل إنه الخصى الم محبوب الذى لا رغبه له فى النساء عن الشافعى و لم يسبق إلى هذا القول و قيل إنه الشيخ الهمم لذهاب إربه عن يزيد بن أبى حبيب و قيل هو العبد الصغير عن أبى حنيفه و أصحابه «أَوْ الطُّفْلِ» أى الجماعه من الأطفال «الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ» يريد به الصبيان الذين لم يعرفوا عورات النساء و لم يقووا عليها لعدم شهوتهم و قيل لم يطيقوا مجامعه النساء فإذا بلغوا مبلغ الشهوه فحكمهم حكم الرجال «وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ» قال قتاده كانت المرأة تضرب برجلها لتسمع قعقه الخللخال فيها فنهاهن عن ذلك و قيل معناه لا تضرب المرأة برجلها إذا مشت ليتبين خلخالها أو يسمع صوته عن ابن عباس «وَأَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» أى تفوزون بثواب الجنه و

فى الحديث أنه ص قال أيها الناس توبوا إلى ربكم فإنى أتوب إلى الله فى كل يوم مائه مره أوردته مسلم فى الصحيح

و المراد بالتوبه الانقطاع إلى الله تعالى.

ص: ٢١٩

إشارة

وَ أَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْزِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ (٣٢) وَ لَيْسَ تَعْفَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُعْزِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَ أَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَ لَا تُكْرَهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَىٰ الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتِغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ مَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٣) وَ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَ مَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٣٤)

القراءة

فى الشواذ قراءة ابن عباس و سعيد بن جبیر

من بعد إكراههن لهن غفور رحيم و روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام).

الحج

اللام فى هن متعلقه بغفور أى غفور لهن.

اللفظ

الأيامى جمع أيم و هى المرأة التى لا زوج لها سواء كانت بكرا أو ثيبا و يقال للرجل الذى لا زوج له أيم أيضا قال جميل:

أحب الأيامى إذ بشينه أيم و أحببت لما أن غنيت الغوانيا

و قال الشاعر:

فإن تنكحى أنكح و إن تتأيمى يدا الدهر ما لم تنكحى أتايم

و الفعل منه آمت المرأة تئيم أيمه و أيوما و الإنكاح التزويج يقال نكح إذا تزوج و أنكح غيره إذا زوجه و الاستعفاف و التعفف سواء و هو طلب العفة و استعمالها و يقال رجل عف و امرأة عفه و الكتاب و المكاتبه أن يكاتب الرجل مملوكه على مال يؤديه إليه فإذا أداه عتق و أصله من الجمع و كل شىء جمعته إلى شىء فقد كتبتة و منه الكتاب لتداني بعض حروفه إلى بعض و هنا قد جمع العبد نجوم المال و قيل جمع ماله إلى مال السيد.

الإعراب

أحد مفعولى «أَنْكِحُوا» محذوف تقديره و أنكحوا رجالكم الأيامى من نساءكم أو نساءكم الأيامى من رجالكم و أنكحوا الصالحين من عبادكم إماءكم الصالحات أو الصالحات من إمائكم عبادكم الصالحين لأن الأيامى يشتمل على الرجال و النساء و الصالحين يشتمل عليهما أيضا و قوله «مِنْكُمْ» و «مِنْ عِبَادِكُمْ وَ إِمَائِكُمْ» الجار و المجرور فى موضع نصب على الحال و من للتبيين و كل موضع يكون من مع معموله و العامل فيه فى محل النصب على الحال لا يكون إلا كذلك.

المعنى

ثم أمر سبحانه عباده بالنكاح و أغناهم عن السفاح فقال «وَ أَنْكِحُوا الْأَيَّامَى مِنْكُمْ» و معناه زوجوا أيها المؤمنون من لا زوج له من أحرار رجالكم و نساءكم و هذا أمر ندب

ص: ٢٢٠

و استحباب و

قد صح عن النبي ص أنه قال من أحب فطرتي فليستن بستي و من سنتي النكاح

و

قال ص يا معشر الشباب من استطاع منكم الباء فليتزوج فإنه أغض للبصر و أحصن للفرج و من لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء

و روى عطاء بن السائب عن سعيد بن جبیر قال لقيني ابن عباس فى حجه حجهها فقال هل تزوجت قلت لا قال فتزوج قال و لقيني فى العام المقبل فقال هل تزوجت قلت لا فقال اذهب فتزوج فإن خير هذه الأمه كان أكثرها نساء يعنى النبي ص و عن أبى هريره قال لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد للقيت الله بزوجه سمعت رسول الله ص يقول شراركم عزابكم

و

قال ص من أدرك له ولد و عنده ما يزوجه فلم يزوجه فأحدث فالإثم بينهما

و

عن أبى أمامه عن النبي ص قال أربع لعنهم الله من فوق عرشه و أمنت عليه ملائكته الذى يحصر نفسه فلا يتزوج و لا يتسرى لثلا يولد له و الرجل يتشبه بالنساء و قد خلقه الله ذكرا و المرأة تشبه بالرجال و قد خلقها الله أنثى و مضلل الناس يريد الذى يهزأ بهم يقول للمسكين هلم أعطك فإذا جاء يقول ليس معى شىء و يقول للمكفوف اتق الدابه و ليس بين يديه شىء و الرجل يسأل عن دار القوم فيضله

«وَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَ إِمَائِكُمْ» أى و زوجوا المستورين من عبيدكم و ولائدكم و قيل إن معنى الصلاح هاهنا الإيمان عن مقاتل ثم رجع إلى الأحرار فقال «إِنْ يَكُونُوا فَقَرَاءً» لا سعه لهم للتزويج «يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» و عددهم سبحانه أن يوسع عليهم عند التزويج «وَ اللَّهُ وَاسِعٌ» المقدور كثير الفضل «عَلِيمٌ» بأحوالهم و ما يصلحهم فيعطيهم على قدر ذلك و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) من ترك التزويج مخافه العيله فقد أساء الظن بربه لقوله سبحانه «إِنْ يَكُونُوا فَقَرَاءً يُغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ»

«وَ لَيْسَ تَعْفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» هذا أمر من الله تعالى لمن لا يجد السبيل إلى أن يتزوج بأن لا يجد المهر و النفقه أن يتعفف و لا يدخل فى الفاحشه و يصبر حتى يوسع الله عليه من رزقه ثم بين سبحانه ما يسهل سبيل النكاح فقال «وَ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ» أى يطلبون المكاتبه «مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» من العبيد و الإماء «فَكَاتِبُوهُمْ» و المكاتبه أن يكاتب الإنسان عبده على مال ينجمه عليه ليؤديه إليه فى هذه النجوم المعلومه و هذا أمر ندب و استحباب و ترغيب عند جميع الفقهاء و

قيل أنه أمر حتم وإيجاب إذا طلبه العبد و علم فيه الخير عن عطا و عمر بن دينار و الطبرى «إِنَّ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا» أى صلاحا و
رشدا عن ابن عباس و روى عنه أيضا

ص: ٢٢١

إن علمتم فيهم قدره على الاكتساب لأداء مال الكتابه و رغبه فيه و أمانه و هو قول ابن عمر و ابن زيد و الثورى و الزجاج قال الحسن إن كان عنده مال فكاتبه و إلا فلا تعلق عليه صحيفه يغدو بها على الناس و يروح بها فيسألهم و روى أن عبدا لسلمان قال له كاتبى قال أ لك مال قال لا قال تطعمنى أوساخ الناس فأبى عليه و قال قتاده يكره أن يكاتب العبد و يقول لا يكاتبه إلا يسأل الناس «وَ اتَّوَهُمْ مِنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ» أى حطوا عنهم من نجوم الكتابه شيئا عن ابن عباس و قتاده و عطا و قيل معناه ردوا عليهم يا معشر الساده من المال الذى أخذتم منهم شيئا و هو استحباب و قيل هو إيجاب و قال قوم من المفسرين أنه خطاب للمؤمنين بمعونتهم على تخلص رقابهم من الرق و من قال أنه خطاب للساده اختلفوا فى قدر ما يجب فقيل

يتقدر بربع المال عن الثورى و روى ذلك عن على (عليه السلام)

و قيل ليس فيه تقدير بل يحط عنه شىء منه و هو الصحيح و قيل أنه يعطى سهمه من الصدقات فى قوله وَ فِي الرِّقَابِ قَالَ الْحَسَنُ لَوْ لَا الْكِتَابَةُ لَمَا جَازَ لَهُ أَخْذُ الصَّدَقَةِ وَ قَالَ أَصْحَابُنَا أَنَّ الْمَكَاتِبَةَ ضَرْبَانِ مُطْلَقٌ وَ مُشْرُوطٌ فَالْمُشْرُوطُ أَنْ يَقُولَ لِعَبْدِهِ فِي حَالِ الْكِتَابَةِ مَتَى عَجَزْتَ عَنْ أَدَاءِ ثَمَنِكَ كُنْتَ مُرْدُودًا فِي الرِّقِّ فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ جَازَ لَهُ رَدُّهُ فِي الرِّقِّ عِنْدَ الْعَجْزِ وَ الْمَطْلُوقُ يَنْعَقُ مِنْهُ عِنْدَ الْعَجْزِ بِحِسَابِ مَا أَدَّى مِنَ الْمَالِ وَ يَبْقَى مَمْلُوكًا بِحِسَابِ مَا بَقِيَ عَلَيْهِ وَ يَرِثُ وَ يورث بحساب ما عتق «وَ لَا تُكْرَهُوا فَتْيَاتِكُمْ» أى إمائكم و ولائدكم «عَلَى الْبِغَاءِ» أى على الزنا «إِنْ أَرَدَنْ تَحْصُنًا» أى تعففا و تزويجا عن ابن عباس و إنما شرط إرادته التحصن لأن الإكراه لا يتصور إلا عند إرادته التحصن فإن لم ترد المرأة التحصن بغت بالطبع فهذه فائده الشرط «لِيَتَّبِعُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» أى من كسبهن و بيع أولادهن قيل أن عبد الله بن أبى كان له ست جوار يكرههن على الكسب بالزنا فلما نزل تحريم الزنا أتى رسول الله ص فشكون إليه فنزلت الآية «وَ مَنْ يُكْرِهِنَّ» أى و من يجبرهن على الزنا من سادتهن «فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ» للمكرهات لا للمكره لأن الوزر عليه «رَحِيمٌ» بهن «وَ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ» أى واضحات ظاهرات و من قرأ بفتح الباء فمعناه مفصلات بينهن الله و فصلهن «وَ مَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ» و أخبارا من الذين مضوا من قبلكم و قصصا لهم و شبهها من حالهم بحالكم لتعتبروا بها «وَ مَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ» أى و زجرا للمتقين عن المعاصى و خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بها.

[سورة النور (٢٤): الآيات ٣٥ الى ٣٨]

إشارة

اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرِهِ مُبَارَكَةٌ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَ لَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ءُ وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥) فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَ الْأَصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَ لَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَ إِيْتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَ اللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٨)

ص: ٢٢٢

قرأ أبو جعفر و ابن كثير و يعقوب كوكب درى مضمومه الدال مشدده الباء توقد بفتح التاء و الدال و تشديد القاف و قرأ أبو عمر و درى ء مكسوره الدال ممدوده مهموزه توقد كما تقدم و قرأ الكسائي درى ء مكسوره الدال ممدوده مهموزه توقد بضم التاء و التخفيف و الرفع و قرأ نافع و ابن عامر و حفص «دُرِّيٌّ» غير مهموزه «يُوقَدُ» بضم الياء و الرفع و قرأ أبو بكر و حمزه درى ء مضمومه الدال مهموزه ممدوده توقد بضم التاء و تخفيف القاف و قرأ خلف «دُرِّيٌّ» مضمومه الدال غير مهموزه توقد بضم التاء و التخفيف و قرأ ابن عامر و أبو بكر يسبح له فيها بفتح الباء و الباقون بكسرها.

الحجه

قال أبو على من قرأ «دُرِّيٌّ» يحتمل قوله أمرين (أحدهما) أن يكون نسبه إلى الدر لفرط صفائه و نوره و يجوز أن يكون فعيلًا من الدرئ فخففت الهمزه فانقلبت ياء كما تنقلب من النسي ء و النبي ء و من قال درى ء كان فعيلًا من الدرء مثل السكير و الفسيق و المعنى إن الخفاء اندفع عنه لتأليله في ظهوره فلم يخف كما يخفى السهى و نحوه و من قرأ درى ء كان فعيلًا من الدرء الذى هو الدفع و قد حكى سيبويه عن أبي الخطاب «كوكب درى ء» من

الصفات و من الأسماء المريق للعصفر و مما يمكن أن يكون على هذا البناء العليه أ لا تراه أنه من علا و منه السريه. الأولى أن تكون فعلية و من قرأ توقد كان فاعله «المُصْبَاحُ» لأن المصباح هو الذى توقد قال امرؤ القيس:

سموت إليها و النجوم كأنها مصابيح رهبان تشب لقفال

و من قرأ «يُوقَدُ» كان فاعله «المُصْبَاحُ» أيضا و من قرأ توقد كان فاعله «الزُّجَاجَةُ» و المعنى على مصباح الزجاجه فحذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه فقال توقد فحمل الكلام على لفظ الزجاجه أو يريد بالزجاجه القنديل فقال توقد على لفظ الزجاجه و إن كان يريد القنديل و معنى توقد من شجره أى من زيت شجره فحذف المضاف يدلك على ذلك قوله «يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ» و من قرأ يسبح له بفتح الباء أقام الجار و المجرور مقام الفاعل ثم فسر من يسبح فقال «رِجَالٌ» أى يسبح له رجال فرجع رجالا بهذا المضمرة الذى دل عليه قوله «يُسَبِّحُ» لأنه إذا قال يسبح دل على فاعل التسبيح و مثله قول الشاعر:

لييك يزيد ضارع لخصومه و مختبط مما تطيح الطوائح.

اللغة

المشكاه قيل أنها روميه معربه و قال الزجاج يجوز أن تكون عربيه لأن فى الكلام مثل لفظها شكوه و هى قربه صغيره فعلى هذا تكون مفعلة منها و أصلها مشكوه فقلبت الواو ألفا لتحركها و انفتاح ما قبلها و المصباح السراج و أصله من البياض و الأصبغ الأبيض.

الإعراب

قيل فى تقدير قوله «نُورُ السَّمَاوَاتِ» و جهان (أحدهما) أن يكون على حذف المضاف و تقديره ذو نور السماوات و الأرض على حد قوله إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرٌ صَالِحٍ (و الثانى) أن يكون مصدرا وضع موضع اسم الفاعل كقوله «إِنَّ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا» أى غائرا و كما قالت الخنساء:

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هى إقبال و إدبار

و على هذا تكون الإضافه غير حقيقه و «السَّمَاوَاتِ» فى تقدير النصب «فِيهَا مِصْبَاحٌ» جمله فى موضع الجر لأنها صفة مشكاه «المُصْبَاحُ فِي زُجَاجِهِ» جمله فى موضع رفع بأنها صفة

مصباح و العائد منها إليه لام العهد تقديره فيها مصباح ذلك المصباح في زجاجة أو هو في زجاجة «الرُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ» الجملة في موضع جر بأنها صفة زجاجة و قوله «زَيْتُونَةٍ» بدل من «شَجَرَةٍ» و الباقي صفة «نُورٌ» خبر مبتدأ محذوف أى هو نور على نور متعلق بمحذوف في موضع رفع بكونه صفة نور «فِي بُيُوتٍ» يتعلق بمحذوف و في موضع جر بكونه صفة لمشكاة فانتقل الضمير من المحذوف إليه حيث سد مسده «بِغَيْرِ حِسَابٍ» في موضع نصب بكونه صفة لمفعول محذوف و تقديره يرزق من يشاء رزقا بغير حساب أى غير محسوب.

المعنى

«اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» اختلف في معناه على وجوه (أحدها) الله هادى أهل السماوات و الأرض إلى ما فيه من مصالحهم عن ابن عباس (و الثانى) الله منور السماوات و الأرض بالشمس و القمر و النجوم عن الحسن و أبى عاليه و الضحاك (و الثالث) مزين السماوات بالملائكة مزين الأرض بالأنبياء و العلماء عن أبى بن كعب و إنما ورد النور فى صفة الله تعالى لأن كل نفع و إحسان و إنعام منه و هذا كما يقال فلان رحمه و فلان عذاب إذا كثر فعل ذلك منه و على هذا قول الشاعر:

ألم تر أنا نور قوم و إنما يبين فى الظلماء للناس نورها

و إنما المعنى إنا نسعى فيما ينفعهم و منا خيرهم و كذا قول أبى طالب فى مدح النبى ص:

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمه للأرامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده فى نعمه و فواضل

لم يعن بقوله أبيض بياض لونه و إنما أراد كثره إفضاله و إحسانه و نفعه و الاهتداء به و لهذا المعنى سماه الله تعالى سراجا منيرا «مَثَلُ نُورِهِ» فيه وجوه (أحدها) أن المعنى مثل نور الله الذى هدى به المؤمنين و هو الإيمان فى قلوبهم عن أبى بن كعب و الضحاك و كان أبى يقرأ مثل نور من آمن به (و الثانى) مثل نوره الذى هو القرآن فى القلب عن ابن عباس و الحسن و زيد بن أسلم (و الثالث) أنه عنى بالنور محمد ص و أضافه إلى نفسه تشريفا له عن كعب و سعيد بن جبير فالمعنى مثل محمد رسول الله ص (الرابع) أن نوره سبحانه الأدله الداله على توحيده و عدله التى هى فى الظهور و الوضوح مثل النور عن أبى مسلم (الخامس) أن النور هنا الطاعة أى مثل طاعة الله فى قلب المؤمن عن ابن عباس فى روايه أخرى «كَمِشْكَاهٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ» المشكاة هى الكوه فى الحائط يوضع عليها زجاجة ثم يكون

المصباح خلف تلك الزجاجه و يكون للكوه باب آخر يوضع المصباح فيه و قيل المشكاه عمود القنديل الذى فيه الفتيله و هو مثل الكوه و المصباح السراج و قيل المشكاه القنديل و المصباح الفتيله عن مجاهد «المُصْبَاحُ فِي زُجَاجِهِ» أى ذلك السراج فى زجاجه و فائده اختصاص الزجاجه بالذكر أنه أصفى الجواهر فالمصباح فيه أضوأ «الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ» أى تلك الزجاجه مثل الكوكب العظيم المضىء الذى يشبه الدر فى صفائه و نوره و نقائه و إذا جعلته من الدرء و هو الدفع فمعناه المندفع السريع الوقع فى الانقضاى و يكون ذلك أقوى لضوئه «يُوقَدُ مِنْ شَجَرِهِ مُبَارَكَةٌ» أى يشتعل ذلك السراج من دهن شجره مباركه «زَيْتُونَهُ» أراد بالشجره المباركه شجره الزيتون لأن فيها أنواع المنافع فإن الزيت يسرج به و هو إدام و دهان و دباغ و يوقد بحطبه و ثقله و يغسل برماده الإبريسم و لا يحتاج فى استخراج دهنه إلى إعصار و قيل إنه خص الزيتون لأن دهنها أصفى و أضوأ و قيل لأنها أول شجره نبتت فى الدنيا بعد الطوفان و منبتها منزل الأنبياء و قيل لأنه بارك فيها سبعون نبيا منهم إبراهيم فلذلك سميت مباركه «لَا شَرْقِيَّةٍ وَ لَا غَرْبِيَّةٍ» أى لا يفىء عليها ظل شرق و لا غرب فهى ضاحيه للشمس لا يظلمها جبل و لا شجر و لا كهف فزيتها يكون أصفر عن ابن عباس و الكلبي و عكرمه و قتاده فعلى هذا يكون المعنى أنها ليست بشرقيه لا تصيبها الشمس إذا هى غربت و لا هى غريبه لا تصيبها الشمس إذا طلعت بل هى شرقيه غريبه أخذت بحظها من الأمرين و قيل معناه إنها ليست من شجر الدنيا فتكون شرقيه أو غريبه عن الحسن و قيل معناه إنها ليست فى مقنوه لا تصيبها الشمس و لا هى بارزه للشمس لا يصيبها الظل بل يصيبها الشمس و الظل عن السدى و قيل ليست من شجر الشرق و لا من شجر الغرب لأن ما اختصاص بإحدى الجهتين كان أقل زيتا و أضعف ضوءا لكنها من شجر الشام و هى ما بين الشرق و الغرب عن ابن زيد «يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ» من صفائه و فرط ضيائه «وَ لَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ» أى قبل أن تصيبه النار و تشتعل فيه و اختلف فى هذا المشبه و المشبه به على أقوال (أحدها) أنه مثل ضربه الله لنبيه محمد ص فالمشكاه صدره و الزجاجه قلبه و المصباح فيه النبوه لا شرقيه و لا غريبه أى لا يهوديه و لا نصرانيه توقد من شجره مباركه يعنى شجره النبوه و هى إبراهيم (عليه السلام) يكاد نور محمد ص يبين للناس و لو لم يتكلم به كما أن ذلك الزيت يكاد يضىء و لو لم تمسسه نار أى تصبه النار عن كعب و جماعه من المفسرين و قد قيل أيضا أن المشكاه إبراهيم و الزجاجه إسماعيل و المصباح محمد ص كما سعى سراجا فى موضع آخر من شجره مباركه يعنى إبراهيم لأن أكثر الأنبياء من صلبه لا شرقيه و لا غريبه لا نصرانيه و لا يهوديه لأن النصرارى تصلى إلى المشرق و اليهود تصلى إلى المغرب يكاد زيتها يضىء أى يكاد محاسن محمد ص تظهر قبل أن يوحى إليه

«نُورٌ عَلَى نُورٍ» أى نبي من نسل نبي عن محمد بن كعب وقيل إن المشكاه عبد المطلب و الزجاجة عبد الله و المصباح هو النبي ص لا شقيقه و لا غريبه بل مكيه لأن مكة وسط الدنيا عن الضحاک و

روى عن الرضا (عليه السلام) أنه قال نحن المشكاه فيها و المصباح محمد ص يهدى الله لولايتنا من أحب

و

فى كتاب التوحيد لأبى جعفر بن بابويه رحمه الله بالإسناد عن عيسى بن راشد عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام) فى قوله «كَمِشْكَاهٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ» قال نور العلم فى صدر النبي ص «المِصْبَاحُ فِي زُجَاجِهِ» الزجاجة صدر على (عليه السلام) صار علم النبي ص إلى صدر على علم النبي عليا «يُوقَدُ مِنْ شَجَرِهِ مُبَارَكِهِ» نور العلم «لا شَرْقِيَّهِ وَ لا غَرْبِيَّهِ» لا يهوديه و لا نصرانيه «يَكَادُ زَيْتُهَا يُضَيُّهُ» وَ لَوْ لَمْ تَمَسَّهُ نَارٌ» قال يكاد العالم من آل محمد ص يتكلم بالعلم قبل أن يسأل «نُورٌ عَلَى نُورٍ» أى إمام مؤيد بنور العلم و الحكمه فى إثر إمام من آل محمد ص و ذلك من لدن آدم (عليه السلام) إلى أن تقوم الساعه فهؤلاء الأوصياء الذين جعلهم الله خلفاء فى أرضه و حججه على خلقه لا تخلو الأرض فى كل عصر من واحد منهم

يدل عليه قول أبى طالب فى رسول الله ص

أنت الأمين محمد قرم أغر مسود

لمسودين أظاهر كرموا و طاب المولد

أنت السعيد من السعود تكنتك الأسعد

من لدن آدم لم يزل فينا وصى مرشد

و لقد عرفتك صادقاً و القول لا يتفند

ما زلت تنطق بالصواب و أنت طفل أمرد.

تحقيق هذه الجملة يقتضى أن الشجره المباركه المذكوره فى الآيه هى دوحه التقى و الرضوان و عتره الهدى و الإيمان شجره أصلها النبوه و فرعها الإمامه و أغصانها التنزيل و أوراقها التأويل و خدمها جبرائيل و ميكائيل (و ثانيها) أنه مثل ضربه الله للمؤمن و المشكاه نفسه و الزجاجة صدره و المصباح الإيمان و القرآن فى قلبه يوقد من شجره مباركه هى الإخلاص لله وحده لا شريك له فهى خضراء ناعمه كشجره التف بها الشجر فلا يصيبها الشمس على أى حال كانت لا إذا طلعت و لا إذا غربت و كذلك المؤمن قد احترز من أن يصيبه شىء من الفتر فهو بين أربع خلال إن أعطى شكر و إن ابتلى صبر و إن حكم عدل و إن قال صدق فهو فى سائر الناس كالرجل الحى يمشى بين القبور نور على نور و كلامه نور و علمه نور و مدخله نور و مخرجه نور و مصيره إلى الجنه نور يوم القيامه عن أبى بن كعب (و ثالثها) أنه مثل القرآن فى

قلب المؤمن فكما أن هذا المصباح يستضاء به و هو كما هو لا ينقص فكذلك القرآن يهتدى به و يعمل به فالمصباح هو القرآن و الزجاجه قلب المؤمن و المشكاه لسانه و فمه و الشجره المباركه شجره الوحي «يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ» يكاد حجج القرآن تتضح و إن لم تقرأ و قيل يكاد حجج الله على خلقه تضيء لمن تفكر فيها و تدبرها و لو لم ينزل القرآن «نُورٌ عَلَى نُورٍ» يعنى أن القرآن نور مع سائر الأدله قبله فازدادوا به نورا على نور عن الحسن و ابن زيد و على هذا فيجوز أن يكون المراد ترتب الأدله فإن الدلائل يترتب بعضها على بعض و لا يكاد العاقل يستفيد منها إلا بمراعاة الترتيب فمن ذهب عن الترتيب فقد ذهب عن طريق الاستفاده و قال مجاهد ضوء نور السراج على ضوء الزيت على ضوء الزجاجه «يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ» أى يهدى الله لدينه و إيمانه من يشاء بأن يفعل له لطفًا يختار عنده الإيمان إذا علم أن له لطفًا و قيل معناه يهدى الله لنبوته و ولايته من يشاء ممن يعلم أنه يصلح لذلك و يضرب الله الأمثال للناس تقريبا إلى الأفهام و تسهила لدرك المرام «وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» فيضع الأشياء و مواضعها «فِي بُيُوتٍ أذنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ» معناه هذه المشكاه فى بيوت هذه صفتها و هى المساجد فى قول ابن عباس و الحسن و مجاهد و الجبائى و يعضده

قول النبى ص المساجد بيوت الله فى الأرض و هى تضىء لأهل السماء كما تضىء النجوم لأهل الأرض

ثم قيل إنها أربع مساجد لم بينها إلا نبى الكعبه بناها إبراهيم و إسماعيل و مسجد بيت المقدس بناه سليمان و مسجد المدينة و مسجد قبا بناهما رسول الله ص و

قيل هى بيوت الأنبياء و روى ذلك مرفوعا أنه سئل النبى ص لما قرأ الآيه أى بيوت هذه فقال بيوت الأنبياء فقام أبو بكر فقال يا رسول الله هذا البيت منها يعنى بيت على و فاطمه قال نعم من أفاضلها

و يعضد هذا القول قوله «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» وقوله رَحِمْتُ اللَّهُ وَ بَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ فالإذن برفع بيوت الأنبياء و الأوصياء مطلق و المراد بالرفع التعظيم و رفع القدر من الأرجاس و التطهير من المعاصى و الأذناس و قيل المراد برفعها رفع الحوائج فيها إلى الله تعالى «وَيُذْكَرُ فِيهَا اسْمُهُ» أى يتلى فيها كتابه عن ابن عباس و قيل تذكر فيها أسماءه الحسنى «يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ» أى يصلى له فيها بالبكور و العشايا عن ابن عباس و الحسن و الضحاك و قال ابن عباس كل تسبيح فى القرآن صلاه و قيل المراد بالتسبيح تنزيه الله تعالى عما لا يجوز عليه و وصفه بالصفات التى يستحقها لذاته و أفعاله التى كلها حكمه و صواب ثم بين سبحانه المسبح فقال «رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ» أى لا تشغلهم و لا تصرفهم «تِجَارَةً وَلا- يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقَامِ الصَّلَاةِ» أى إقامه الصلاه حذف الهاء لأنها عوض عن الواو فى أقوام فلما أضافه صار المضاف إليه عوضا عن الهاء و

روى عن أبى جعفر (عليه السلام) و أبى عبد الله (عليه السلام) أنهم قوم إذا

حضرت الصلاة تركوا التجاره و انطلقوا إلى الصلاة و هم أعظم أجرا ممن يتجر.

«وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ» أى إخلاص الطاعه لله تعالى عن ابن عباس و قيل يريد الزكاه المفروضه عن الحسن «يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصَارُ» أراد يوم القيامه تتقلب فيه أحوال القلوب و الأبصار و تنتقل من حال إلى حال فتلفحها النار ثم تنضجها ثم تحرقها عن الجبائى و قيل تتقلب فيه القلوب بين الطمع فى النجاه و الخوف من الهلاك و تتقلب الأبصار يمنه و يسره من أين تؤتى كتبهم و أين يؤخذ بهم أم من قبل اليمين أم من قبل الشمال و قيل تتقلب القلوب ببلوغها الحناجر و الأبصار بالعمى بعد البصر و قيل معناه تنتقل القلوب عن الشك إلى اليقين و الإيمان و الأبصار عما كانت تراه غيا فتراه رشدا فمن كان شاكا فى دنياه أبصر فى آخرته و من كان عالما ازداد بصيره و علما فهو مثل قوله تعالى فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ عن البلخى «لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ» أى يفعلون ذلك طلبا لمجازاه الله إياهم بأحسن ما عملوا و لتفضله عليهم بالزيادة على ما استحقوه بأعمالهم من فضله و كرمه «وَ اللَّهُ يَرْزُقُ» أى يعطى «مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ» أى بغير مجازاه على عمل بل تفضلا منه سبحانه و الثواب لا يكون إلا بحساب و التفضل يكون بغير حساب.

النظم

اتصلت الآيه الأولى بما قبلها اتصال المثل بالمثل لأنه تعالى لما بين وجوه المنافع و المصالح و علم الشرائع فيما سبق بين بعده أن منافع أهل السماوات و الأرض منه لأن اسم النور يطلق على ذلك كما تقدم بيانه و قيل إنها اتصلت بما قبلها اتصال العله بالمعلول فكأنه قال أنزلنا آيات بينات و مواعظ بالغات فهديناكم بها لأننا نهدي أهل السماوات و الأرض و اتصل قوله فى بيوت بقوله كمشكاه فيها مضى باح على ما تقدم بيانه و قيل يتصل بيسبح و يكون فيها تكريرا على التوكيد و المعنى يسبح الله رجال فى بيوت أذن الله أن ترفع فىكون كقولك فى الدار قام زيد فيها.

إشارة

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعِهِ يَخْسِبُهُ الظُّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَ وَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَعْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ (٤٠)

القراءة

قرأ ابن كثير فى روايه البزى سحاب بغير تنوين ظلمات بالجر و فى روايه القواس و ابن فليح «سحابٌ» بالتنوين ظلمات بالجر و الباقون كلاهما بالرفع و التنوين.

الحجج

قال أبو على قوله «أَوْ كَظُلُمَاتٍ» معناه أو كذى ظلمات و يدل على حذف المضاف قوله «إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا» فالضمير الذى أضيف إليه يده يعود إلى المضاف المحذوف و معنى ذى ظلمات أنه فى ظلمات و معنى «ظلماتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ» ظلمه البحر و ظلمه الموج و ظلمه الموج الذى فى الموج و قوله خَلَقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ فإنه يجوز أن يكون ظلمه الرحم و ظلمه البطن و ظلمه المشيمه و قوله «فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ» ظلمه البحر و ظلمه بطن الحوت و ظلمه الليل و يجوز أن يكون الانتقام كان بالليل فهذه ظلمات و من قرأ «سحابٌ ظلماتٌ» فرفع ظلمات كان خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه ظلمات بعضها فوق بعض و من قرأ سحاب ظلمات جاز أن يكون تكريرا و بدلا من ظلمات الأولى و من قرأ سحاب ظلمات بإضافه سحاب إلى الظلمات فالظلمات هى الظلمات التى تقدم ذكرها فأضاف السحاب إلى الظلمات لاستقلال السحاب و ارتفاعه فى وقت كون هذه الظلمات كما تقول سحاب رحمه و سحاب مطر إذا ارتفع فى الوقت الذى يكون فيه الرحمه و المطر.

اللغة

السراب شعاع يتخيل كالماء يجرى على الأرض نصف النهار حين يشتد الحر و الآل شعاع يرتفع بين السماء و الأرض كالماء ضحوه النهار و الآل يرفع الشخص الذى فيه و إنما قيل سراب لأنه ينسرب أى يجرى كالماء و قيعه جمع قاع و هو الواسع من الأرض المنبسطة و فيه يكون السراب و لجه البحر معظمه الذى يتراكب أمواجه فلا يرى ساحله و التج البحر التجاجا.

المعنى

ثم ذكر سبحانه مثل الكفار فقال «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ» التى يعملونها و يعتقدون أنها طاعات «كَسَرَابٍ بِقِيَعِهِ» أى كشعاع بأرض مستويه «يَخْسِبُهُ الظُّمَانُ مَاءً» أى يظنه العطشان ماء «حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا» أى حتى إذا انتهى إليه رأى أرضا لا ماء فيها و هو قوله «لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا» أى شيئا مما حسب و قدر فكذلك الكافر يحسب ما قدم من عمله نافعا و أن له عليه ثوابا و ليس

له ثواب «وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَ حِسَابِهِ» قيل معناه و وجد

ص: ٢٣٠

الله عند عمله فجازاه على كفره و هذا فى الظاهر خبر عن الظمان و المراد به الخبر عن الكفار و لكن لما ضرب الظمان مثلا للكفار جعل الخبر عنه كالخبر عنهم و المعنى وجد أمر الله و وجد جزاء الله و قيل معناه وجد الله عنده بالمرصاد فآتم له جزاه «وَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ» لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الجميع على أفعالهم فى حاله واحده و

سئل أمير المؤمنين (عليه السلام) كيف يحاسبهم فى حاله واحده فقال كما يرزقهم فى حاله واحده

و قيل إن المراد به عتبه بن ربيعه كان يلتمس الدين فى الجاهليه ثم كفر فى الإسلام عن مقاتل ثم ذكر مثلا آخر لأعمالهم فقال «أَوْ كَظُلُمَاتٍ» أى أو أفعالهم مثل ظلمات «فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ» أى عظيم اللجه لا يرى ساحله و قيل هو العميق الذى يبعد عمقه عن ابن عباس «يَعْشَاهُ مَوْجٌ» أى يعلو ذلك البحر اللجى موج «مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ» أى فوق ذلك الموج موج «مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ» أى من فوق الموج سحب «ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ» يعنى ظلمه البحر و ظلمه الموج و ظلمه السحاب و المعنى أن الكافر يعمل فى حيره و لا يهتدى لرشده فهو من جهله و حيرته كمن هو فى هذه الظلمات لأنه من عمله و كلامه و اعتقاده متقلب فى ظلمات و روى عن أبى أنه قال إن الكافر يتقلب فى خمس ظلمات كلامه ظلمه و عمله ظلمه و مدخله ظلمه و مخرجه ظلمه و مصيره يوم القيامة إلى ظلمه و هى النار «إِذَا أُخْرِجَ يَدُهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا» اختلف فى معناه ف قيل لا يراها و لا يقارب رؤيتها فهو نفى للرؤيه و عن مقاربه الرؤيه لأن دون هذه الظلمه لا يرى فيها عن الحسن و أكثر المفسرين و يدل عليه قول ذى الرمه

إذا غير الناي المحبين لم يكد على كل حال حب ميه يبرح

و يروى

رسيس الهوى من حب ميه يبرح

و قال آخر

" ما كدت أعرف إلا بعد إنكارى "

و قال الفراء كاد صله و المعنى أنه لم يرها و قيل لا يراها إلا بعد جهد و مشقه رؤيه تخيل لصورتها لأن حكم كاد إذا لم يدخل عليها حرف نفى أن تكون نافية و إذا دخلها دلت على أن يكون الأمر وقع بعد بطاء عن المبرد «وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ» أى من يجعل الله له نجاه و فرجا فما له من نجاه و قيل و من لم يجعل الله له نورا فى القيامة فما له من نور.

ص: ٢٣١

إشارة

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صِلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٤١) وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٤٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَاجِدًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (٤٣) يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ (٤٤) وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٥)

لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٦)

القراءة

قرأ أبو جعفر يذهب بالأبصار بضم الياء و كسر الهاء و الباقون «يذهب».

الحجج

من قرأ يذهب فالباء زائده و تقديره يذهب الأبصار و مثله قوله و لا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ و قول الهدلي

شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن نبيج

أى شربن ماء البحر قال ابن جنى إنما يزداد

اللام لتوكيد معنى الإضافه فى قوله

" يا بوس للحرب ضرارا لأقوام "

و إن شئت حملته على المعنى فكأنه قال يكاد سنا برقه يلوى بالأبصار أى يستأثر بالأبصار وقد ذكرنا اختلافهم فى قوله «خَلَقَ كُلَّ دَائِيَّةٍ» و الوجه فى سورة إبراهيم.

اللغة

الإزجاء و الترجيه الدفع و السوق و زجا الخراج يزجو زجاء إذا انساق إلى أهله و تيسر جبايته و الركام المتراكم بعضه على بعض و الركمه الطين المجموع و الودق المطر ودقت السماء تدق ودقا إذا أمطرت قال الشاعر

فلا مزنه ودقت ودقها و لا أرض أبقل أبقالها

و الخلال جمع الخلل و هو الفرجه بين الشئين و البرد أصله من البرد خلاف الحر و سحاب برد أتى بالبرد و يقال سمي البرد لأنه يبرد وجه الأرض أى يقشره من بردت الشىء بالمبرد و السنا مقصورا الضوء و هو بالمد الرفعه.

الإعراب

«صَيَّافَاتٍ» حال من «الطَّيْرُ» و «يُنزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ» من لا بتداء الغايه لأن السماء مبدأ لإنزال المطر «مِنْ جِبَالٍ» من للتبعيض لأن البرد بعض الجبال التى فى السماء «مِنْ بَرْدٍ» من لتبيين الجنس لأن جنس الجبال جنس أبرد عن على بن عيسى و التحقيق أن قوله «مِنْ جِبَالٍ» بدل من قوله «مِنْ السَّمَاءِ» و قوله «فِيهَا» فى يتعلق بمحذوف و تقديره من جبال كائنه فى السماء فالجار و المجرور فى موضع الصفه لجبال تقديره من جبال سماويه و قوله «مِنْ بَرْدٍ» يتعلق بمحذوف آخر فى محل جر لأنه صفه بعد صفه تقديره من جبال سماويه برديه و مفعول «يُنزَّلُ» محذوف أى ينزل من جبال فى السماء من برد بردا كما يقال أخذت من المال شيئا و قوله «عَلَى بَطْنِهِ» فى موضع نصب على الحال و كذلك قوله «عَلَى رِجْلَيْهِ» و «عَلَى أَرْبَعٍ» و من الأولى و الثالثه بمعنى ما.

المعنى

ثم ذكر سبحانه الآيات التى جعلها نورا للعقلاء العارفين بالله و صفاته فقال «أَلَمْ تَرَ» أى ألم تعلم يا محمد لأن ما ذكر فى الآيه لا يرى بالأبصار و إنما يعلم بالأدله و الخطاب للنبي ص و المراد به جميع المكلفين «أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» و التسبيح التنزيه لله تعالى عما لا يجوز عليه و لا يليق به أى ينزهه أهل السماوات و أهل الأرض بألسنتهم و قيل عنى به العقلاء و غيرهم و كنى عن الجميع بلفظه من تغليبا للعقلاء على غيرهم «وَ الطَّيْرُ» أى و يسبح له الطير «صَافَاتٍ» أى واقفات فى الجو

مصطفات الأجنحة فى الهواء و تسبيحها ما يرى عليها من آثار الحدوث «كُلَّ قَدْ عَلِمَ صِيَالَتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ» معناه أن جميع ذلك قد علم الله تعالى دعاءه إلى توحيد و تسبيحه و تنزيهه و قيل إن الصلاة للإنسان و التسبيح لكل شىء عن مجاهد و جماعه و قيل معناه كل واحد منهم قد علم صلاته و تسبيحه أى صلاه نفسه و تسبيح نفسه فيؤديه فى وقته فيكون الضمير فى علم الكل و فى الأول يعود الضمير إلى اسم الله تعالى و هو أجود لأن الأشياء كلها لا يعلم كيفيه دلالتها على الله و إنما يعلم الله تعالى ذلك «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ» أى عالم بأفعالهم فيجازيهم بحسبها «وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» و الملك المقدر الواسع لمن يملك السياسه و التدبير فملك السماوات و الأرض لا يصح إلا لله وحده لأنه القادر على الأجسام لا يقدر على خلقها غيره فالملك التام لا يصح إلا له سبحانه «وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ» أى المرجع يوم القيامة ثم قال «أَلَمْ تَرَ» أى ألم تعلم «أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا» أى يسوقه سوقاً رفيقاً إلى حيث يريد «ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ» أى يضم بعضه إلى بعض فيجعل القطع المتفرقه منه قطعه واحده «ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا» أى متراكماً متراكباً بعضه فوق بعض «فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ» أى ترى المطر و القطر يخرج من خلال السحاب أى مخارج القطر منه «وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ» أى و ينزل من جبال فى السماء تلك الجبال من برد بردا و السماء السحاب لأن كل ما علا مطبقاً فهو سماء و يجوز أن يكون البرد يجتمع فى السحاب كالجبال ثم ينزل منها عن البلخي و غيره و قيل معناه و ينزل من السماء مقدار جبال من برد كما يقول عندى بيتان من تبين أى قدر بيتين عن الفراء و قيل أراد السماء المعروفه فيها جبال من برد مخلوقه عن الحسن و الجبائى «فَيَصْتَبُّ بِهِ» أى بالبرد أى بضرره «مَنْ يَشَاءُ» فيهلك زرعه و ماله «وَ يَصِيرُ لَهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ» أى و يصرف ضرره عن من يشاء فيكون أصابته نقمه و صرفه نعمه «يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ» أى يقرب ضوء برق السحاب من أن يذهب بالبصر و يخطفه لشده لمعانه كما قال يكادُ العَبْرُقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ «يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ» أى يصرفهما فى اختلافهما و تعاقبهما و إدخال أحدهما فى الآخر «إِنَّ فِي ذَلِكَ» التقلب «لَعِبْرَةً» أى دلاله «لِلأُولَى الْأَبْصَارِ» أى لذوى العقول و البصائر «وَ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ» أى كل حيوان يدب على وجه الأرض و لا يدخل فيه الجن و الملائكه «مِنْ مَاءٍ» أى من نطفه و قيل عنى به الماء لأن أصل الخلق من الماء لأن الله خلق الماء و جعل بعضه ناراً فخلق الجن منها و بعضه ريحاً فخلق منه الملائكه و بعضه طيناً فخلق منه آدم (عليه السلام) فأصل الحيوان كله الماء و يدل عليه قوله وَ جَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ «فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ» كالحيه و الحوت و الدود «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ» كالإنس و الطير «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي

عَلَى أَرْبَعٍ» كالأنعام و الوحوش و السباع و لم يذكر ما يمشى على أكثر من أربع لأنه كالذى يمشى على أربع فى رأى العين فترك ذكره لأن العبره تكفى بذكر الأربع قال البلخى إن الفلاسفه تقول كل ما له قوائم كثيره فإن اعتماده إذا سعى على أربعه قوائم فقط و

قال أبو جعفر (عليه السلام) و منهم من يمشى على أكثر من ذلك

«يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ» أى يخترع ما يشاء و ينشئه من الحيوان و غيره و قال المبرد قوله «كُلُّ دَابَّةٍ» للناس و غيرهم و إذا اختلط النوعان حمل الكلام على الأغلب فلذلك قال من لغير ما يعقل «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» يخلق هذه الأشياء لقدرته عليها باختلاف هذه الحيوانات مع اتفاق أصلها يدل على أن لها قادرا خالقا عالما حكيما «لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ» أى دلالات و اوضحات بينات «وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أى من جمله تلك الدواب و عنى به المكلفين دون من ليس بمكلف و الصراط المستقيم الإيمان لأنه يؤدى إلى الجنة و قيل إن المراد يهدى فى الآخرة إلى طريق الجنة.

[سوره النور (٢٤): الآيات ٤٧ الى ٥٢]

اشاره

و يَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالرَّسُولِ وَ أَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعِيدٍ ذَلِكِ وَ مَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨) وَ إِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ رَسُولُهُ بَيِّنٌ أَوْلَيْكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا وَ أَوْلَيْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١)

وَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَخْشَ اللَّهَ وَ يَتَّقِهِ فَأَوْلَيْكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥٢)

ص: ٢٣٥

القراءه

قرأ أبو جعفر و قالون عن نافع و يعقوب و يتقه بكسر القاف و الهاء مكسوره مختلسه غير مشبعه و قرأ أبو عمرو و حمزه فى روايه العجلى و خلاد و أبو بكر فى روايه حماد و يحيى و يتقه بكسر القاف و سكون الهاء و قرأ حفص «وَيَتَّقُهُ» بسكون القاف و كسر الهاء غير مشبعه و الباقر يتقه بكسر القاف و الهاء مشبعه و

روى عن على (عليه السلام) أنه قرأ قول المؤمنين بالرفع

و هو قراءه الحسن بخلاف ابن أبى إسحاق و هو مثل قراءه من قرأ فما كان جواب قومه بالرفع و قد ذكرنا الوجه فيه و قرأ أبو جعفر وحده ليحكم بينهم بضم الياء و فتح الكاف فى الموضعين و فى البقره و آل عمران مثل ذلك و قد ذكرناه هناك.

الحجه

قال أبو على الوجه و يتقه موصوله بياء لأن ما قبل الهاء متحرك و من قرأ و يتقه لا يبلغ بها الياء فالوجه فيه أن الحركه غير لازمه قبل الهاء ألا- ترى أن الفعل إذا رفع دخلته الياء و من قرأ و يتقه بسكون الهاء فلأن ما يتبع هذه الهاء من الياء و الواو زياده فرد إلى الأصل و حذف ما يلحقه من الزياده و يقوى ذلك ما حكى عن سيبويه أنه سمع من يقول هذه أمه الله فى الوصل و الوقف و زعم أبو الحسن أن قوله

له أرقان

و نحوه لغه يجرونها فى الموصل مجراها فى الوقف فيحذفون منها كما حذفوا فى الوقف و حملها سيبويه على الضروره و أما قراءه حفص «وَيَتَّقُهُ» فوجهه أن تقه من يتقه مثل كتف فكما يسكن نحو كتف كذلك تسكن القاف من تقه و على هذا قول الشاعر

عجبت لمولود و ليس له أب و ذى ولد لم يلد له أبوان

و مثله

" فبات منتصبا و ما تكردسا "

فلما أسكن ما قبل الهاء لهذا التشبيه حرك الهاء بالكسر كما حرك الدال بالفتح فى لم يلد.

اللغه

قال الزجاج الإذعان الإسراع مع الطاعه يقال أذعن لى بحقى أى طاوعنى لما كنت ألتمس منه و صار يسرع إليه و ناقه مدعان منقاد و الحيف الجور ينقص الحق و الفوز أخذ

لحظ الجزيل من الخير.

النزول

قيل نزلت الآيات فى رجل من المنافقين كان بينه و بين رجل من اليهود حكومه فدعاه اليهودى إلى رسول الله ص و دعاه المنافق إلى كعب بن الأشرف و

حكى البلخى أنه كانت بين على و عثمان منازعه فى أرض اشتراها من على (عليه السلام) فخرجت فيها أحجار و أراد ردها بالعيب فلم يأخذها فقال بينى و بينك رسول الله ص فقال الحكم بن أبى العاص إن حاكمته إلى ابن عمه يحكم له فلا تحاكمه إليه فنزلت الآيات و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام) أو قريب منه.

المعنى

«وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ» أى صدقنا بتوحيد الله «وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا» هما فيما حكما «ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ» أى يعرض عن طاعتها طائفه منهم «مِنْ بَعِيدٍ ذَلِكُمْ» أى من بعد قولهم آمنا «وَمَا أُولَئِكَ» الذين يدعون الإيمان ثم يعرضون عن حكم الله و رسوله «بِالْمُؤْمِنِينَ» و فى هذه الآية دلالة على أن القول المجرد لا يكون إيمانا إذ لو كان ذلك كذلك لما صح النفى بعد الإثبات «وإذا دُعُوا إِلَى اللَّهِ» أى إلى كتاب الله و حكمه و شريعته «وَرَسُولِهِ» أى إلى حكم رسوله «لِيُحْكَمَ بَيْنَهُمْ» الرسول و إنما أفرد بعد قوله «إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ» لأن حكم الرسول يكون بأمر الله تعالى فحكم الله و رسوله واحد «إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ» عما يدعون إليه «وَأِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ» أى و إن علموا أن الحق يقع لهم «يَأْتُوا إِلَيْهِ» أى إلى النبى ص «مُتَذَعِّبِينَ» مسرعين طائعين منقادين ثم قال سبحانه منكر عليهم «أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» أى شك فى نبوتك و نفاق و هو استفهام يراد به التقرير لأنه أشد فى الدم و التوبيخ أى هذا أمر قد ظهر حتى لا يحتاج فيه إلى البينه كما جاء فى نقيضه من المدح على طريق الاستفهام نحو قول جرير:

أ لستم خير من ركب المطايا و أندى العالمين بطون راح

«أَمْ ارْتَابُوا» فى عدلك أى رأوا منك ما رابهم لأجله أمرك «أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» أى يجور الله عليهم «وَرَسُولُهُ» أى و يميل رسوله فى الحكم و يظلمهم لأنه لا وجه فى الامتناع عن المجىء إلا أحد هذه الأوجه الثلاثة ثم أخبر سبحانه أنه ليس شىء من ذلك فقال «بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» نفوسهم و غيرهم و فى هذه الآية دلالة على أن خوف الحيف من الله تعالى خلاف الدين و إذا كان كذلك فالتقطع عليه أولى أن يكون خلافا للدين ثم

ص: ٢٣٧

وصف سبحانه الصادقين في إيمانهم فقال «إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا» أى سمعنا قول النبي ص و أطعنا أمره و إن كان ذلك فيما يكرهونه و يضرهم عن ابن عباس و مقاتل و قيل معناه قبلنا هذا القول و أنفذنا له و أجبنا إلى حكم الله و رسوله «وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» أى الفائزون بالثواب الظافرون بالمراد و

روى عن أبى جعفر (عليه السلام) أن المعنى بالآيه أمير المؤمنين عليه أفضل الصلوات

«وَ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» فيما أمره و نهاه عنه «وَ يَخْشَى اللَّهَ» أى و يخش عقاب الله فى ترك أوامره و ارتكاب نواهيه «وَ يَتَّقِهِ» أى و يتق عقابه بامثال أوامره و اجتناب نواهيه «فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ» و قيل معناه و يخش الله فى ذنوبه التى عملها و يتقه فيما بعد.

النظم

قيل اتصلت الآيه الأولى بقوله وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ و يعود الضمير فى قوله وَ يَقُولُونَ إِلَيْهِمْ و إن كان يقع على بعضهم فكأنه قال و يقول جماعه من هؤلاء الناس آمننا عن أبى مسلم و قيل إنه لما تقدم ذكر المؤمن و الكافر عقبه سبحانه بذكر المنافق.

[سوره النور (٢٤): الآيات ٥٣ الى ٥٥]

أشاره

وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجْنَ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَهُ مَعْرُوفَهُ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٥٣) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَ عَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَ إِنْ تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٥٤) وَ عَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسِّرَنَّ لَكُمْ يَسْرَ الْوَالِدِ الْكَافِرِ الَّذِي يَخْلَفُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيَمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥)

ص: ٢٣٨

قرأ أبو بكر كما استخلف بضم التاء و الباقون بفتح التاء و قرأ ابن كثير و أبو بكر و يعقوب و سهل و لبيد منهم من الإبدال و الباقون بالتشديد من التبديل.

الحجه

قال أبو علي الوجه فى «كَمَا اسْتَخْلَفَ» بفتح التاء و اللام لأن اسم الله قد تقدم ذكره و الضمير فى «لَيْسَ تَخْلِفَنَّهُمْ» يعود إليه فكذلك فى قوله «كَمَا اسْتَخْلَفَ» و الوجه فى استخلف أنه يراد به ما يراد باستخلف و التبديل و الإبدال بمعنى و قيل إن التبديل تغيير حال إلى حال أخرى يقال بدل صورته و الإبدال رفع الشىء بأن يجعل غيره مكانه قال

" عزل الأمير بالأمر المبدل "

. الإعراب

«وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ» أصله و أقسموا بالله يجهدون الأيمان جهدا فحذف الفعل و أقيم مصدره مضافا إلى المفعول مقامه كقوله فَضَرَبَ الرِّقَابِ و حكم هذا المنسوب حكم الحال كأنه قال جاهدين أيمانهم طاعه مبتدأ و خبره محذوف و تقديره طاعه معروفه أولى بكم و أفضل لكم «لَيْسَ تَخْلِفَنَّهُمْ» جواب قسم يدل عليه قوله «وَعَدَ اللَّهُ» لأن وعده سبحانه كالقسم «يَعْبُدُونَنِي» يجوز أن يكون جملة مستأنفه على طريق الثناء عليهم و يجوز أن يكون فى موضع نصب على الحال.

المعنى

و لما بين الله سبحانه كراهمهم لحكمه قالوا للنبي ص و الله لو أمرتنا بالخروج من ديارنا و أموالنا لفعلنا فقال الله سبحانه «وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجْنَ» أى حلفوا بالله أغلظ أيمانهم و قدر طاقاتهم أنك إن أمرتنا بالخروج فى غزواتك لخرجنا «قُلْ» لهم يا محمد «لَا تُقْسِمُوا» أى لا تحلفوا و تم الكلام «طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ» أى طاعه حسنه للنبي ص خالصه صادقه أفضل و أحسن من قسمكم بما لا تصدقون فحذف خبر المبتدأ للعلم به و قيل معناه ليكن منكم طاعه و القول المعروف هو المعروف صحته «إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» أى من طاعتكم بالقول و مخالفتكم بالفعل ثم أمرهم سبحانه بالطاعه فقال «قُلْ» لهم «أَطِيعُوا اللَّهَ» فيما أمركم به «وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ» فيما أتاكم به و احذروا المخالفه «فَإِن تَوَلَّوْا» أى فإن تعرضوا عن طاعه الله و طاعه رسوله و الأصل تتولوا فحذف أحد التاءين «فَإِنَّمَا عَلَيْهِ» أى على الرسول «مَا حُمِّلَ» أى كلف و أمر من التبليغ و أداء الرسالة «وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ» أى كلفتم من الطاعه و المتابعه «وَإِن تَطِيعُوهُ» أى و إن تطيعوا الرسول «تَهْتَدُوا» إلى الرشده و الصلاح و إلى طريق الجنه «وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ» أى ليس عليه إلا أداء الرسالة بيان الشريعة و ليس عليه الاهتداء و إنما ذلك عليكم و نفعه عائد إليكم و المبين البين الواضح «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ» أى صدقوا بالله

و برسوله و بجميع ما يجب التصديق به «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» أى الطاعات الخالصة لله «لَيَسِّرَ تَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ» أى ليجعلهم يخلفون من قبلهم و المعنى ليورثتهم أرض الكافر من العرب و العجم فيجعلهم سكانها و ملوكها «كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» قال مقاتل يعنى بنى إسرائيل إذ أهلك الله الجباريه بمصر و أورثهم أرضهم و ديارهم و أموالهم و عن أبى بن كعب قال لما قدم رسول الله ص و أصحابه المدينة و آوتهم الأنصار رمتهم العرب عن قوس واحده و كانوا لا يبيتون إلا مع السلاح و لا يصبحون إلا فيه فقالوا ترون أنا نعيش حتى نبني آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله فنزلت هذه الآيه و

عن المقداد بن الأسود عن رسول الله ص أنه قال لا يبقى على الأرض بيت مدر و لا وبر إلا أدخله الله تعالى كلمه الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل إما أن يعزهم الله فيجعلهم من أهلها و إما أن يذلهم فيدينون لها

و قيل إنه أراد بالأرض أرض مكه لأن المهاجرين كانوا يسألون ذلك «وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ» يعنى دين الإسلام الذى أمرهم أن يدينوا به و تمكينه أن يظهره على الدين كله كما

قال زويت لى الأرض فأريت مشارقها و مغاربها و سيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها

و قيل تمكينه بإعزاز أهله و إذلال أهل الشرك و تمكين أهله من إظهاره بعد أن كانوا يخفونه «وَلَيَبْدُلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا» أى و ليصيرنهم بعد أن كانوا خائفين بمكه آمنين بقوه الإسلام و انبساطه قال مقاتل و قد فعل الله ذلك بهم و بمن كان بعدهم من هذه الأمم مكن لهم فى الأرض و أبدلهم أمنا من بعد خوف و بسط لهم فى الأرض فقد أنجز وعده لهم و قيل معناه و ليبدلنهم من بعد خوفهم فى الدنيا أمنا فى الآخرة و يعضده ما

روى عن النبى ص أنه قال حاكيا عن الله سبحانه إنى لا أجمع على عبد واحد بين خوفين و لا بين آمنين إن خافى فى الدنيا آمنت فى الآخرة و إن أمننى فى الدنيا خوفته فى الآخرة

«يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا» هذا استئناف كلام فى الثناء عليهم و معناه لا يخافون غيرى عن ابن عباس و قيل معناه لا يراءون بعبادتى أحدا و فى الآيه دلالة على صحه نبوه نبينا ص من جهة الإخبار عن غيب لا يعلم إلا بوحي من الله عز و جل «وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ» أى بعد هذه النعم «فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» ذكر الفسق بعد الكفر مع أن الكفر أعظم من الفسق لأن الفسق فى كل شىء هو الخروج إلى أكثره فالمعنى أولئك هم الخارجون إلى أقبح وجوه الكفر و أفحشه و قيل معناه من جحد تلك النعمة بعد إنعام الله تعالى بها فأولئك هم العصاة لله عن ابن عباس و اختلف فى الآيه فليل إنها وارده فى أصحاب النبى ص و قيل هى عامه فى أمه محمد ص عن ابن عباس و مجاهد و

المروى عن أهل البيت (عليه السلام) أنها فى المهدي من آل محمد ص

و

روى العياشى بإسناده عن على بن الحسين (عليه السلام) أنه قرأ الآيه و قال هم و الله شيعتنا أهل البيت يفعل الله ذلك بهم على

يدى

رجل منا و هو مهدي هذه الأمة و هو الذي قال رسول الله ص لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي اسمه اسمي يملأ الأرض عدلا و قسطا كما ملئت ظلما و جورا و روى مثل ذلك عن أبي جعفر (عليه السلام) و أبي عبد الله (عليه السلام)

فعلى هذا يكون المراد بالذين آمنوا و عملوا الصالحات النبي و أهل بيته صلوات الرحمن عليهم و تضمنت الآيه البشاره لهم بالاستخلاف و التمكّن في البلاد و ارتفاع الخوف عنهم عند قيام المهدي (عليه السلام) منهم و يكون المراد بقوله «كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» هو أن جعل الصالح للخلاف خليفه مثل آدم و داود و سليمان (عليه السلام) و يدل على ذلك قوله «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً وَ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ وَ قَوْلَهُ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا وَ عَلَى هَذَا إِجْمَاعُ الْعَتْرَةِ الطَّاهِرَةِ وَ إِجْمَاعُهُمْ حِجْجَهُ

لقول النبي ص إنني تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا على الحوض و أيضا فإن التمكين في الأرض على الإطلاق لم يتفق فيما مضى فهو منتظر لأن الله عز اسمه لا يخلف وعده.

[سوره النور (٢٤): الآيات ٥٦ الى ٥٧]

إشارة

وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ اطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٥٦) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَ مَا لَهُمُ النَّارُ وَ لِبُئْسَ الْمَصِيرُ (٥٧)

القراءة

قرأ ابن عامر و حمزه لا يحسبن بالياء و الباقون بالتاء.

الحججه

قال أبو علي من قرأ بالياء جاز أن يكون فاعله أحد شيئين إما أن يكون تضمن ضميرا للنبي ص أى لا يحسبن النبي الذين كفروا معجزين فالذين فى موضع نصب بأنه المفعول الأول و معجزين المفعول الثانى و يجوز أن يكون فاعل الحسبان الذين كفروا و يكون المفعول الثانى محذوفا و تقديره لا يحسبن الذين كفروا أنفسهم معجزين و من قرأ بالتاء ففاعل تحسبن المخاطب.

المعنى

ثم أمر سبحانه بإقامه أمور الدين فقال «وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ» أى قوموا بأدائها و إتمامها فى أوقاتها «وَ آتُوا الزَّكَاةَ» المفروضه «وَ اطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» أى لترحموا جزاء على ذلك و تثابوا بالنعم الجزيله ثم قال «لَا تَحْسَبَنَّ» يا محمد أو أيها السامع «الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ» أى سابقين فائتين فى الأرض يقال طلبته فأعجزنى أى فاتنى

و سبقنى أى لا يفوتوننى و من قرأ بالياء فمعناه لا يظن الكافرون أنهم يفوتوننى «وَأَوَاهُهُمُ النَّارُ» أى مستقرهم و مصيرهم النار «و لَبِئْسَ الْمَصِيرُ» أى بس المستقر و المأوى و إنما وصفها بذلك و إن كانت حكمه و صوابا من فعل الله تعالى لما ينال الصائر إليها من الشدائد و الآلام.

[سوره النور (٢٤): الآيات ٥٨ الى ٦٠]

إشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ تَأْذِنُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صِيَالِ الْفَجْرِ وَ حِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَ مِنْ بَعْدِ صِيَالِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَ لاَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعِيدُهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٨) وَ إِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسِّرُوا تَأْذِنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٩) وَ الْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَ أَنْ يَسْتَغْفِنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٦٠)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير حفص ثلاث عورات بالنصب و الباقون بالرفع و فى الشواذ عن الأعمش عورات بفتح الواو و قرأ أبو جعفر و أبو عبد الله (عليه السلام) يضعن من ثيابهن و روى ذلك عن ابن عباس و سعيد بن جبير.

الحجة

قال أبو على من رفع كان خبر المبتدأ محذوفا كأنه قال هذا ثلاث عورات فاجعل بعد التفصيل و من نصب جعله بدلا من قوله «ثلاث مَرَّاتٍ» فإن قلت فإن قوله «ثلاث مَرَّاتٍ»

ص: ٢٤٢

زمان بدلاله أنه فسر بزمان و هو قوله «مَنْ قَبْلَ صِيْلَةِ الْفَجْرِ وَ حِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَ مِنْ بَعْدِ صِيْلَةِ الْعِشَاءِ» و ليس العورات بزمان فكيف يصح و ليس هي هو قيل يكون ذلك على أن تضر الأوقات كأنه قال أوقات ثلاث عورات فلما حذف المضاف أعرب المضاف إليه بإعراب المضاف و العورات جمع عوره و حكم ما كان على فعله من الأسماء تحريك العين في الجمع نحو جفنه و جفنت إلا- أن عامه العرب كرهوا تحريك العين فيما كان عينه واوا أو ياء لما كان يلزم من الانقلاب إلى الألف فأسكنوا و قالوا عورات و بيضات إلا أن هذيلاً حركوا العين منها فقالوا عورات و لوزات و أنشد بعضهم:

أخو بيضات رائح متأوب رفيق بمسح المنكين سبوح

فحرك الياء من بيضات و الجيد عند النحويين الأول و من قرأ من ثيابهن فلائنه لا يوضع كل الثياب و إنما يوضع بعضها و

روى عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال هو الجلباب إلا أن تكون أمه فليس عليها جناح أن تضع خمارها.

اللغة

التبرج إظهار المرأة عن محاسنها ما يجب عليها ستره و أصله الظهور و منه البرج البناء العالى لظهوره.

المعنى

لما تقدم أحكام النساء و الرجال و من أبيض له الدخول على النساء استثنى سبحانه هاهنا أوقاتاً من ذلك فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ بِتَأْذِنِكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» معناه مروا عبيدكم و إماءكم أن يستأذنوا عليكم إذا أرادوا الدخول إلى مواضع خلواتكم عن ابن عباس و قيل

أراد العبيد خاصة عن ابن عمر و هو المروى عن أبي جعفر (عليه السلام) و أبي عبد الله (عليه السلام)

«وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ» من أحراركم و أراد به الصبي الذي يميز بين العوره و غيرها و قال الجبائي الاستئذان واجب على كل بالغ في كل حال و على الأطفال في هذه الأوقات الثلاثة بظاهر الآية ثلاث مرات أى في ثلاث أوقات من ساعات الليل و النهار ثم فسرها فقال «مَنْ قَبْلَ صِيْلَةِ الْفَجْرِ» و ذلك أن الإنسان ربما يبيت عريانا أو على حال لا يحب أن يراه غيره في تلك الحال «وَ حِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ» يريد عند القائله «وَ مِنْ بَعْدِ صِيْلَةِ الْعِشَاءِ» الآخرة حين يأوى الرجل إلى امرأته و يخلو بها أمر الله بالاستئذان في هذه الأوقات التي يتخلى الناس فيها و ينكشفون و فصلها ثم أجملها بعد التفصيل فقال

«ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ» أى هذه الأوقات ثلاث عورات لكم سمي سبحانه هذه الأوقات عورات لأن الإنسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته قال السدى كان أناس من الصحابه يعجبهم أن يواقعوا نساءهم فى هذه الأوقات ليغتسلوا ثم يخرجوا إلى الصلاه فأمرهم الله سبحانه أن يأمروا الغلمان والمملوكين أن يستأذنوا فى هذه الساعات الثلاث «لَيْسَ عَلَيْكُمْ» يعنى المؤمنين الأحرار «وَ لَا عَلَيْهِمْ» يعنى الخدم والغلمان «جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ» أى حرج فى أن لا يستأذنوا فى غير هذه الأوقات الثلاثه ثم بين المعنى فقال «طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ» أى هم خدمكم فلا يجدون بدا من دخولهم عليكم فى غير هذه الأوقات و يتعذر عليهم الاستئذان فى كل وقت كما قال سبحانه يُطَوِّفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانُ مُخَلَّدُونَ أى يخدمهم و

قال النبى ص إنها من الطوافين عليكم و الطوافات جعل الحره بمنزله العبيد و الإماء

و قال مقاتل ينقلبون فيكم ليلا- و نهارا «بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ» أى يطوف بعضهم و هم المماليك على بعض و هم الموالى «كَذَلِكَ» أى كما بين لكم ما تعبدكم به فى هذه الآيه «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ» أى الدلالات على الأحكام «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ» بما يصلحكم «حَكِيمٌ» فيما يفعله «وَ إِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ» يعنى من الأحرار «فَلَيْسَ تَأْذِنُوا» أى فى جميع الأوقات «كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» من الأحرار الكبار الذين أمروا بالاستئذان على كل حال فى الدخول عليكم فالبالغ يستأذن فى كل الأوقات و الطفل و العبد يستأذن فى العورات الثلاث «كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» مر معناه قال سعيد بن المسيب ليستأذن الرجل على أمه فإنما نزلت هذه الآيه فى ذلك «وَ الْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا» و هن المسنات من النساء اللاتى قعدن عن التزويج لأن لا يرغب فى تزويجهن و قيل هن اللاتى ارتفع حيضهن و قعدن عن ذلك اللاتى لا يطمعن فى النكاح أى لا يطمع فى جماعهن لكبرهن «فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ» يعنى الجلباب فوق الخمار عن ابن مسعود و سعيد بن جبير و قيل يعنى الخمار و الرداء عن جابر بن زيد و قيل ما فوق الخمار من المقانع و غيرها أبيض لهن القعود بين يدي الأجنب فى ثياب أبدانهن مكشوفه الوجه و اليد فالمراد بالثياب ما ذكرناه لا كل الثياب «غَيْرَ مُتَّبَرِّجَاتٍ بِزِينِهِ» أى غير قاصدات بوضع ثيابهن إظهار زينتهن بل يقصدن به التخفيف عن أنفسهن فإظهار الزينه فى القواعد و غيرهن محظور و أما الشابات فإنهن يمنعن من وضع الجلباب أو الخمار و يؤمرن بلبس أكثف الجلابيب لثلا تصفهن ثيابهن و قد

روى عن النبى ص أنه قال للزوج ما تحت الدرع و للابن و الأَخ ما فوق الدرع و لغير ذى محرم أربعه أثواب درع و خمار و جلباب و إزار

«وَ أَنْ يَشْتَعِفْنَ» أى و استعفاف القواعد و هو أن يظلمن العفه بلبس الجلابيب «حَيْرٌ لَهُنَّ» من وضعها و إن سقط الحرج عنهن فيه «وَ اللَّهُ سَمِيعٌ»

لأقوالكم «عَلَيْمٌ» بما فى قلوبكم.

[سوره النور (٢٤): آيه ٦١]

اشاره

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ
تَحِيَّهً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦١)

اللغه

الخرج الضيق من الحرجه و هى الشجر الملتف بعضه ببعض لضيق المسالك فيه و جمعها حرجات و حراج قال.

أيا حرجات الحى حين تحملوا بذى سلم لا جادكن ربيع

و حرج فلان إذا أثم و تخرج من كذا إذا تأثم من فعله و الأشتات المتفرقون و هو جمع شت.

الإعراب

«جَمِيعاً» نصب على الحال و كذلك «أَشْتَاتاً» و «تَحِيَّهً» منصوب لأنها مصدر سلموا لأن التحيه بمعنى التسليم من عند الله صفه
تحيه.

المعنى

لما تقدم ذكر الاستيدان عقبه سبحانه بذكر رفع الحرج عن المؤمنين فى

ص: ٢٤٥

الانبساط بالأكل و الشرب فقال «لَيْسَ عَلَيَّ الْأَعْمَى حَرْجٌ» الذي كف بصره «وَلَا عَلَيَّ الْأَعْرَجُ» الذي يعرج من رجله أو أحدهما «حَرْجٌ وَلَا عَلَيَّ الْمَرِيضُ» العليل «حَرْجٌ» أى إثم و اختلف فى تأويله على وجوه (أحدها) أن المعنى ليس عليكم فى مؤاكلتهم حرج لأنهم كانوا يتخرجون من ذلك و يقولون إن الأعمى لا يبصر فئاكل جيد الطعام دونه و الأعرج لا يتمكن من الجلوس و المريض يضعف عن الأكل عن ابن عباس و الفراء و (ثانيها) أن المسلمين كانوا إذا غزوا خلفوا زمانهم و كانوا يدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم و يقولون قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما فى بيوتنا فكان أولئك يتخرجون من ذلك و يقولون لا ندخلها و هم غيب فنفى الله سبحانه الحرج عن الزمنى فى أكلهم من بيت أقاربهم أو من بيت من يدفع إليهم المفتاح إذا أخرج للغزو عن سعيد بن المسيب و الزهرى و (ثالثها) أن المعنى ليس على الأعمى و الأعرج و المريض ضيق و لا إثم فى ترك الجهاد و التخلف عنه و يكون قوله «وَلَا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ» كلاما مستأنفا فأول الكلام فى الجهاد و آخره فى الأكل عن ابن زيد و الحسن و الجبائى و (رابعها) أن العمى و العرج و المرضى كانوا يتزهون عن مؤاكلة الأصحاء لأن الناس كانوا يتقذرون منهم و يكرهون مؤاكلتهم و كان أهل المدينة لا يخالطهم فى طعام أعمى و لا أعرج و لا مريض عن سعيد بن جبير و الضحاك و (خامسها) أن الزمنى و المرضى رخص الله سبحانه لهم فى الأكل من بيوت من سماهم فى الآية و ذلك أن قوما من أصحاب رسول الله ص كانوا إذا لم يكن عندهم ما يطعمونهم ذهبوا بهم إلى بيوت آبائهم و أمهاتهم و قراباتهم فكان أهل الزمانه يتخرجون من أن يطعموا ذلك الطعام لأنه يطعمهم غير مالكيه عن مجاهد «وَلَا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ» أى و ليس عليكم حرج فى أنفسكم «أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ» أى بيوت عيالكم و أزواجكم و بيت المرأة كبيت الزوج و قيل معناه من بيوت أولادكم فنسب بيوت الأولاد إلى الآباء لأن الأولاد كسبهم و أموالهم كأموالهم و يدل عليه

قوله ص أنت و مالك لأبيك

و

قوله ص إن أطيب ما يأكل المؤمن كسبه و إن ولده من كسبه

و لذلك لم يذكر الله بيوت الأبناء حين ذكر بيوت الآباء و الأقارب اكتفاء بهذا الذكر ثم ذكر بيوت الأقارب بعد الأولاد فقال «أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ» إلى قوله «أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ» و هذه الرخصة فى أكل مال القرابات و هم لا يعلمون ذلك كالرخصة لمن دخل حائطا و هو جائع أن يصيب من ثمره أو مر فى سفره بغنم و هو عطشان أن يشرب من رسله توسعه منه على عباده و لطفاً لهم و رغبة بهم عن دناءة الأخلاق و ضيق العطن و قال الجبائى إن الآية منسوخة بقوله لا تَدْخُلُوا

ص: ٢٤٦

بُيُوتِ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَ

بقول النبي ص لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيبه نفس منه

و

المروى عن أئمة الهدى صلوات الله عليهم أنهم قالوا لا بأس بالأكل لهؤلاء من بيوت من ذكر الله تعالى بغير إذنه قدر حاجتهم من غير إسراف

وقوله «أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ» معناه أو بيوت عبيدكم و مماليككم و ذلك أن السيد يملك منزل عبده و المفاتيح هنا الخزائن لقوله وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ وَقِيلَ هِيَ الَّتِي يَفْتَحُ الْغَيْبَ بِهَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ عَنِي بِذَلِكَ وَ كَيْلَ الرَّجُلِ وَ قِيمَهُ فِي ضَيْعَتِهِ وَ مَاشِيَتِهِ فَلَا بَأْسَ عَلَيْهِ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ ثَمَرِ حَائِظِهِ وَ يَشْرَبَ مِنْ لَبَنِ مَاشِيَتِهِ وَقِيلَ إِذَا مَلَكَ الرَّجُلُ الْمِفْتَاحَ فَهُوَ خَازِنٌ فَلَا بَأْسَ أَنْ يَطْعَمَ الشَّيْءَ الْيَسِيرَ عَنْ عِزِّهِ وَقِيلَ هُوَ الرَّجُلُ يُولِي طَعَامَ غَيْرِهِ يَقُومُ عَلَيْهِ فَلَا بَأْسَ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ عَنِ السَّادِي «أَوْ صَدِيقِكُمْ» رَفَعَ الْحَرْجَ عَنِ الْأَكْلِ مِنْ بَيْتِ صَدِيقِهِ بِغَيْرِ إِذْنٍ إِذَا كَانَ عَالِمًا بِأَنَّهُ تَطْيِبُ نَفْسِهِ بِذَلِكَ وَ الصَّدِيقُ هُوَ الَّذِي صَدَّقَكَ عَنْ مَوَدَّتِهِ وَقِيلَ هُوَ الَّذِي يُوَافِقُ بَاطِنَهُ بِاطْنِكَ كَمَا وَافَقَ ظَاهِرُهُ ظَاهِرَكَ وَ لَفْظُ الصَّدِيقِ يَقَعُ عَلَى الْوَاحِدِ وَ عَلَى الْجَمْعِ قَالَ جَرِيرٌ:

دعوى الهوى ثم ارتمين قلوبنا بأسهم أعداء و هن صدیق

و قال الحسن و قتاده يجوز دخول الرجل بيت صديقه و التحرم بطعامه من غير استئذان فى الأكل و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) لهو و الله الرجل يأتي بيت صديقه فيأكل طعامه بغير إذنه

و روى أن صديقا للربيع بن خثيم دخل منزله و أكل من طعامه فلما عاد الربيع إلى المنزل أخبرته جاريتته بذلك فقال إن كنت صادقه فأنت حره «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا» أى مجتمعين أو متفرقين و ذكر فى تأويله وجوه (أحدها) أن حيا من كنانة كان الرجل منهم لا يأكل وحده وإنما لم يجد من يؤاكله لم يأكل شيئا و ربما كانت معه الإبل الحفل فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه فأعلم الله سبحانه أن الرجل منهم إن أكل وحده فلا إثم عليه عن قتاده و الضحاك و ابن جريج و (ثانيها) أن معناه لا بأس بأن يأكل الغنى مع الفقير فى بيته فإن الغنى كان يدخل على الفقير من ذوى قرابته أو صداقته فيدعوه إلى طعامه فيتخرج عن ابن عباس و (ثالثها) أنهم كانوا إذا نزل بهم ضيف تخرجوا أن يأكلوا إلا معه فأباح الله سبحانه الأكل على الانفراد و على الاجتماع عن أبى صالح و الأقوال متقاربة و الأولى الحمل على العموم «فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ» أى ليسلم بعضكم على بعض عن الحسن فيكون كقوله أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ وَقِيلَ مَعْنَاهُ فَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِكُمْ وَ عِيَالِكُمْ عَنْ جَابِرٍ وَ قَتَادَةَ وَ الزَّهْرِيِّ وَ الضَّحَّاكَ وَقِيلَ مَعْنَاهُ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا يَعْنِي الْمَسَاجِدَ فَسَلِّمُوا عَلَى مَنْ فِيهَا

عن ابن عباس و الأولى حملة على العموم و قال إبراهيم إذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا و على عباد الله الصالحين و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) هو تسليم الرجل على أهل البيت حين يدخل ثم يردون عليه فهو سلامكم على أنفسكم

«تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» أى هذه تحية حاكم الله بها عن ابن عباس و قيل معناه علمها الله و شرعها لكم فإنهم كانوا يقولون عم صباحا ثم وصف التحية فقال «مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ» أى إذا ألزمتوها كثر خيركم و طاب أجركم و قيل مؤبده حسنه جميله عن ابن عباس و قيل إنما قال مباركه لأن معنى السلام عليكم حفظكم الله و سلمكم الله من الآفات فهو دعاء بالسلامه من آفات الدنيا و الآخرة و قال طيبه لما فيها من طيب العيش بالتواصل و قيل لما فيها من الأجر الجزيل و الثواب العظيم «كَذَلِكَ» أى كما بين لكم هذه الأحكام و الآداب «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ» أى الأدله على جميع ما يتعبدكم به «لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» أى لتعقلوا معالم دينكم.

[سوره النور (٢٤): الآيات ٦٢ الى ٦٤]

إشاره

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِيُعْضَ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦٢) لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣) أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَ يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٤)

اللغه

التسلل الخروج فى خفيه يقال تسلل فلان من بين أصحابه إذا خرج من

ص: ٢٤٨

جملتهم و السله السرقة فى الخفيه و كذلك الإسلاال و منه

الحديث لا أغلال و لا إسلاال

و اللواذ أن يستتر بشىء مخافه من يراه و قيل اللواذ الاعتصام بالشىء بأن يدور معه حيث دار من قولهم لا ذبه و قال الزجاج الملاوذه المخالفه هاهنا بدلاله قوله «فَلْيُحَذِرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ» و يقال خالفه إلى الأمر إذا ذهب إليه دونه و منه قوله «وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ وَ خَالَفَهُ عَنِ الْأَمْرِ إِذَا صَدَّ عَنْهُ دُونَهُ».

الإعراب

«لِتَوَادًّا» مصدر وضع موضع الحال و التقدير يتسللون منكم ملاوذين «يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ» أى يخالفون الله عن أمره بمعنى يجاوزون أمره. و «يَوْمَ يُزْجَعُونَ» يوم منصوب بالعطف على محذوف و هو ظرف زمان و التقدير ما أنتم تثبتون عليه الآن «وَيَوْمَ يُزْجَعُونَ إِلَيْهِ» خرج من الخطاب إلى الغيبه.

المعنى

لما تقدم ذكر المعاشره مع الأقرباء و المسلمين بين سبحانه فى هذه الآيه كيفيه المعاشره مع النبى ص فقال «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ» أى ليس المؤمنون على الحقيقه إلا الذين صدقوا بتوحيد الله و عدله و أقروا بصدق رسوله «وَ إِذَا كَانُوا مَعَهُ» أى مع رسوله «على أمر جامع» و هو الذى يقتضى الإجماع عليه و التعاون فيه من حضور حرب أو مشوره فى أمر أو صلاه جمعه أو ما أشبه ذلك «لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوا» أى لم ينصرفوا عن الرسول أو عن ذلك الأمر إلا بعد أن يطلبوا الأذن منه فى الانصراف «إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ» يا محمد «أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ» أى فهم الذين يصدقون بالله و رسوله على الحقيقه دون الذين ينصرفون بلا استئذان «فَإِذَا سَأَلْتَهُمْ لَبِغْتَ مِنْهُمْ» أى متى ما استأذنتك هؤلاء المؤمنون أن يذهبوا لبعض مهماتهم و حاجاتهم «فَأَذْنُ لِمَنْ سَأَلْتَهُمْ» خير سبحانه نبيه ص بين أن يأذن و أن لا يأذن و هكذا حكم من قام مقامه من الأئمه «وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ» أى و اطلب المغفره لهم من الله بخروجهم من جمله من معك و استغفار النبى ص لهم هو دعاؤه لهم باللطف الذى تقع معه المغفره «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ» للمؤمنين أى ساتر لذنوبهم «رَحِيمٌ» بهم أى منعم عليهم ثم أمر سبحانه جميع المكلفين فقال «لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا» اختلف فى تأويله على وجوه (أحدها) أنه سبحانه علمهم تفخيم النبى ص فى مخاطبه و أعلمهم فضله فيه على سائر البريه و المعنى لا تقولوا له عند دعائه يا محمد أو يا ابن عبد الله و لكن قولوا يا رسول الله يا نبى الله فى لين و تواضع و خفض صوت عن ابن عباس و مجاهد و قتاده (و ثانيها) أنه نهى عن التعرض لدعاء رسوله عليهم فالمعنى احذروا دعاءه عليكم إذا أسخطتموه فإن دعاءه موجب مجاب بغير شك

و ليس كدعاء غيره عن ابن عباس فى روايه اخرى (و ثالثها) أن المعنى ليس الذى يأمركم به الرسول و يدعوكم إليه كما يدعو بعضكم بعضا لأن فى القعود عن أمره قعودا عن أمر الله تعالى عن أبى مسلم «قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا» قال ابن عباس هو أن يلوذ بغيره فيهرب و ذلك أن المنافقين كان يثقل عليهم خطبه النبى ص يوم الجمعة فيلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من المسجد فى استتار من غير استئذان و فيه معنى التهديد بالمجازاه و قال مجاهد كانوا يتسللون فى الجهاد رجوعا عنه و قيل معناه يستترون و يستخفون تقيه و التجاء «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ» حذرهم سبحانه عن مخالفه نبيه ص أى فليحذر الذين يعرضون عن أمر الله تعالى و إنما دخلت عن لهذا المعنى و قيل عن أمر النبى ص «أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ» أى بليه تظهر ما فى قلوبهم من النفاق و قيل عقوبه فى الدنيا «أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» فى الآخرة و فى هذا دلالة على أن أوامر النبى ص على الإيجاب لأنها لو لم تكن كذلك لما حذر سبحانه عن مخالفته ثم عظم سبحانه نفسه بأن قال «أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى له التصرف فى جميع ذلك و لا يجوز لأحد الاعتراض عليه و لا مخالفه أمره فليس للعبد أن يخالف أمر ماله «قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ» من الخيرات و المعاصى و من الإيمان و النفاق لا يخفى عليه شىء من أحوالكم «وَ يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ» يعنى يوم البعث يعلمه الله سبحانه متى هو «فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا» من الخير و الشر و الطاعات و المعاصى «وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَاطِلٌ» من أعمالهم و غيرها «عَلِيمٌ» معناه يردون إليه للجزاء فيجازى كلا على قدر عمله من الثواب و العقاب.

اشاره

[توضيح]

مكيه كلها عن مجاهد و قتاده و قال ابن عباس إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينه من قوله «وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ» إلى قوله «غَفُورًا رَحِيمًا».

عدد آياتها

و هي سبع و سبعون آيه بلا خلاف.

فضلها

أبي بن كعب قال قال رسول الله ص من قرأ سورة الفرقان بعث يوم القيامة و هو يؤمن أن الساعة آتية لا ريب فيها و أن الله يبعث من فى القبور و دخل الجنة بغير حساب

و

روى إسحاق بن عمار عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال يا بن عمار لا تدع قراءة تبارك الذى نزل الفرقان على عبده فإن من قرأها فى كل ليلة لم يعذبه الله أبدا و لم يحاسبه و كان منزلته فى الفردوس الأعلى.

تفسيرها

اتصلت هذه السوره بسوره النور اتصال النظير بالنظير فإن مختتم تلك السوره تضمن «إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» و إنه بكل شىء عليم و مفتتح هذه السوره أن «لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» سبحانه من قدير حكيم.

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا (٢) وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا (٣) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (٤)

وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٥) قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٦) وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْسُتِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْ لَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا (٧) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ كَنزَةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْجُورًا (٨) انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٩)

تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا (١٠)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم نأكل منها بالنون و الباقون بالياء وقرأ ابن كثير و ابن عامر و أبو بكر و يجعل لك بالرفع و الباقون بالجزم.

الحجج

من قرأ «يَأْكُلُ مِنْهَا» بالياء فإنه يعنى به النبي ص و من قرأ نأكل منها فكأنه أراد أنه تكون له المزيه علينا في الفضل بأكلنا من جنته و من قرأ «وَيَجْعَلُ لَكَ» بالجزم عطف على موضع جعل لأنه جزء الشرط قال الشاعر:

إني سلكت فإنني لك كاشح و على انتفاصك في الحياه و أزدد

و من رفع قطعه مما قبله و استأنف.

الإعراب

قال الزجاج التقدير جاءوا بظلم و زور فلما سقطت الباء أفضى الفعل فنصب الفعل و أقول إنه يجوز جاءوا ظلما بمعنى أتوا ظلما قال طرفه:

على غير ذنب جئته غير أنني نشدت فلم أغفل حموله معبد

فمعنى جئته فعلته. «اكتتبتها» جملة فى موضع نصب على الحال من «أساطير الأولين» و قد مضمره و «أساطير» خبر مبتدأ محذوف و «يأكل الطعام» حال و العامل فيه ما تعلق به اللام فى قوله «ما لهذا الرسول» فىكون منصوبا بإضمار أن. «كيف ضربوا» كيف فى محل نصب على المصدر و التقدير ضرب أى ضربوا لك الأمثال و يجوز أن يكون فى موضع نصب على الحال من الواو فى ضربوا التقدير أنظر أ منكرين ضربوا لك الأمثال أم لا. «إن شاء جعل لك خيراً من ذلك» الشرط و الجزاء صلة الذى و «جنات» بدل من قوله «خيراً».

المعنى

«تبارك» تفاعل من البركة معناه عظمت بركاته و كثرت عن ابن عباس و البركة و الكثرة من الخير و قيل معناه تقدس و جل بما لم يزل عليه من الصفات و لا يزال كذلك فلا يشاركه فيها غيره و أصله من بروك الطير فكأنه قال ثبت و دام فيما لم يزل و لا يزال عن جماعه من المفسرين و قيل معناه قام بكل بركة و جاء بكل بركة «الذى نزل الفرقان» أى القرآن الذى يفرق بين الحق و الباطل و الثواب و الخطأ فى أمور الدين بما فيه من الحث على أفعال الخير و الزجر عن القبائح و الشر «على عبده» محمد ص «ليكون» محمد ص بالقرآن «للعالمين» أى لجميع المكلفين من الإنس و الجن «نذيراً» أى مخوفاً بالعقاب و داعياً لهم إلى الرشاد ثم وصف سبحانه نفسه فقال «الذى له ملك السموات و الأرض و لم يتخذ ولداً» كما زعمت اليهود و النصارى و المشركون «و لم يكن له شريك فى الملك» يشاركه فيما خلق و يمنعه عن مراده «و خلق كل شىء» مما يطلق عليه اسم المخلوق «فقدرة» تفديراً على ما اقتضته الحكمة و التقدير تبين مقادير الأشياء للعباد فىكون معناه قدر الأشياء بأن كتبها فى الكتاب الذى كتبه الملائكة لطفاً لهم و قيل خلق كل شىء فقدر طول و عرضه و لونه و سائر صفاته و مده بقائه عن الحسن ثم أخبر سبحانه عن الكفار فقال «و اتخذوا من دونه» أى من دون الله «آلهة» من الأصنام و الأوثان و جهوا عبادتهم إليها ثم وصف آلهتهم بما ينبئ أنها لا تستحق العبادة فقال «لا يخلقون شيئاً و هم يخلقون» أى و هى مخلوقه

مصنوعه «وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا» فيدفعونه عن أنفسهم «وَلَا نَفْعًا» فيجرونه إلى أنفسهم أى لا يقدرّون على دفع ضرر ولا على جر نفع «وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً» أى لا يستطيعون إمامته ولا إحياء «وَلَا نُشُورًا» ولا إعادته بعد الموت يقال أنشره الله فنشر فإن جميع ذلك يختص الله تعالى بالقدره عليه و المعنى فكيف يعبدون من لا يقدر على شىء من ذلك و يتركون عباده ربهم الذى يملك ذلك كله ثم أخبر سبحانه عن تكذيبهم بالقرآن فقال «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتِرَاءِ» أى ما هذا القرآن إلا- كذب افتراه محمد ص و اختلقه من تلقاء نفسه «وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ» قالوا أعان محمد ص على هذا القرآن عداس مولى حويطب بن عبد العزى و يسار غلام العلاء بن الحضرمى و حبر مولى عامر و كانوا من أهل الكتاب و قيل إنهم قالوا أعانه قوم اليهود عن مجاهد «فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَ زُورًا» أى فقد قالوا شركا و كذبا حين زعموا أن القرآن ليس من الله و متى قيل كيف اكتفى بهذا القدر فى جوابهم قلنا إنه لما تقدم التحدى و عجزهم عن الإتيان بمثله اكتفى هاهنا بالتنبيه على ذلك «وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا» معناه و قالوا أيضا هذه أحاديث المتقدمين و ما سطروه فى كتبهم انتسخها و قيل استكتبها «فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أَصِيْلًا» أى تملى عليه طرفى نهاره حتى يحفظها و ينسخها و الأصيل العشى لأنه أصل الليل و أوله و فى هذا بيان مناقضتهم و كذبهم لأنهم قالوا افتراه ثم قالوا تملى عليه فقد افتراه غيره و قالوا أنه كتب و قد علموا أنه كان لا يحسن الكتابه فكيف كتب و لم يستكتب ثم قال سبحانه «قُلْ» يا محمد لهم تكذبا لقولهم «أَنْزَلَهُ» أى أنزل القرآن «الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ» أى الخفيات «فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» على ما اقتضاه علمه ببواطن الأمور لا على ما تقتضيه أهواء النفوس و الصدور «إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا» حيث لم يعاجلهم بالعذاب بل أنعم عليهم بإرسال الرسول إليهم لتأكيد الحججه و قطع المعذره «وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ» كما نأكل «وَوَيْمِئْتَى فِى الْأَشْوَاقِ» فى طلب المعاش كما نمشى «لَوْ لَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا» أى هلا أنزل إليه ملك فيكون معينا له على الإنذار و التخويف و هذا أيضا من مقالاتهم الفاسده لأن الملك لو كان معينا له على الرساله و مخوفا من ترك قبولها و لو فعل تعالى ذلك لأدى ذلك إلى استصغار كل واحد منهما من حيث إنه لم يقم بنفسه فى أداء الرساله و لأن الجنس إلى الجنس أميل و به آنس «أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ» يستغنى به عن طلب المعاش قال ابن عباس أو ينزل إليه مال من السماء «أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا» أى بستان يأكل من ثمارها و من قرأ بالنون فالمعنى نأكل نحن معه و نتبعه «وَقَالَ الظَّالِمُونَ» أى المشركون للمؤمنين «إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا» أى ما تتبعون إلا رجلا مخدوعا مغلوبا على عقله و قد سبق تفسير

المسحور في بنى إسرائيل «انظر» يا محمد «كيف ضربوا لك الأمثال» أى الأشباه لأنهم قالوا تاره هو مسحور و تاره هو محتاج متروك حتى تمنوا له الكنز و تاره أنه ناقص عن القيام بالأمر «فضموا» بهذا عن الهدى و عن وجه الصواب و طريق الحق «فلا يستطيعون سبيلاً» لإلزامك الحجه من الوجوه المذكوره و قيل معناه لا- يستطيعون سبيلاً- إلى إبطال أمرك و قيل معناه لا يستطيعون سبيلاً- إلى الحق مع ردهم الدلائل و الحجج و اتباعهم التقليد و الألف و العاده «تبارك» أى تقدس «الذى إن شاء جعل لك خيراً من ذلك» الذى اقترحوه من الكنز و البستان ثم فسر الذى هو خير مما اقترحوه فقال «جئات تجرى من تحتها الأنهار» ليكون أبلغ فى الزهو و أسرع فى نضج الثمار «و يجعل لك قصوراً» أى و سيجعل لك قصورا فى كل بستان قصرا و القصور البيوت المبنيه المشيده المطوله عن مجاهد و أراد فى الآخره أى سيعطيك الله فى الآخره أكثر مما قالوا و قيل أراد به فى الدنيا لأن جبرائيل (عليه السلام) عرض عليه ذلك كله فاختر الزهد فى الدنيا.

إشارة

بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَاعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا (١١) إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا (١٢) وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَعِيفًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (١٣) لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا (١٤) قُلْ أَدْرَأَيْكُمْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا (١٥)

لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعِيدًا مَسْئُولًا (١٦) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَ مَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَقُولُ أَ أَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (١٧) قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا (١٨) فَكُذِّبُوا كَمَا كُذِّبُوا بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَبْرًا وَلَا نَصِيرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَثِيرًا (١٩) وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَ تَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا (٢٠)

القراءة

قرأ أبو جعفر و ابن كثير و حفص و يعقوب «وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ» بالياء و الباقون بالنون و قرأ ابن عامر فنقول بالنون و الباقون بالياء و قرأ أبو جعفر و زيد عن يعقوب

أن نتخذ بضم النون و فتح الخاء و هو قراءة زيد بن ثابت و أبي الدرداء و روى عن جعفر بن محمد (عليه السلام)

و زيد بن علي و الباقون «نَتَّخِذَ» بفتح النون و كسر الخاء و روى بعضهم عن ابن كثير فقد كذبوكم بما يقولون بالياء و القراءة المشهورة بالتاء و قرأ حفص «فَمَا تَسْتَطِيعُونَ» بالتاء و الباقون بالياء و

روى عن علي (عليه السلام) و يمشون في الأسواق بضم الياء و فتح الشين المشددة.

الحج

قال أبو علي حجه من قرأ «يَحْشُرُهُمْ» بالياء قوله «كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعِيدًا مَسْئُولًا» و يوم يحشرهم ربك و من قرأ نحشرهم بالنون «فَيَقُولُ» بالياء فعلى أنه أفرد بعد أن جمع كما أفرد بعد الجمع في قوله وَ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ إِلَى قَوْلِهِ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا و قراءة ابن عامر و يوم نحشرهم فنقول حسن لإجرائه المعطوف مجرى المعطوف عليه في لفظ الجمع قال ابن جنى من قرأ أن نتخذ بضم النون فإن قوله «مِنْ أَوْلِيَاءَ» في موضع الحال أى ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك أولياء و دخلت من زائده لمكان النفي تقول اتخذت زيدا وكيلا فإن نفيت قلت ما اتخذت زيدا من وكيلا و كذلك أعطيته درهما و ما أعطيته من درهم و هذا فى المفعول به و أما قراءة الجماعة «أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ» فإن قوله «مِنْ أَوْلِيَاءَ» فى موضع المفعول أى أولياء فهو كقولك ضربت رجلا فإن نفيت قلت ما ضربت من رجل و المعنى فى قوله «مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ» لسنا ندعى استحقاق

الولاء و لا العباده لنا و المعنى فى قوله «فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ» بالتاء كذبوكم فى قولكم أنهم شركاء و أنهم آلهه و ذلك فى قولهم تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ و من قرأ بما يقولون بالياء فالمعنى فقد كذبوكم أى ما كنتم تعبدون بقولهم و قولهم هو نحو ما قالوه فى قوله وَ قَالَ شَرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ و قوله فَالْقَوْلَ إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ و قوله فما يستطيعون بالياء معناه فما يستطيع الشركاء صرفا و لا نصرا لكم و من قرأ بالتاء فمعناه فما يستطيعون أنتم أيها المتخذون للشركاء من دونه صرفا

و لا نصرا و من قرأ يمشون فمعناه يدعون إلى المشى و يحملهم حامل على المشى و جاء على فعل لتكثير فعلهم لأنهم جماعه.

اللغه

السعير النار الملتهبه مأخوذه من إسعار النار و هو شده إيقادها أسعرتها إسعارا و سعرها الله تسعيرا و التغيظ الهيجان و الغليان و منه قيل لشده الغضب الغيظ و مقرنين مأخوذ من القرن و هو الحبل يشد فيه بعيران أو أبعره ثم يستعمل فى كل مجتمعين و الثبور الهلاك و ثبر الرجل فهو مثبور أهلك قال ابن الزبعرى:

إذ أجارى الشيطان فى سنن الغى و من مال ميله مثبور

و يقال ما خبرك عن هذا الأمر أى ما صرفك عنه فكان المثبور ممنوع من كل خير حتى هلك و البور الهلكى و هو جمع البائر و قيل هو مصدر لا يثنى و لا يجمع و لا يؤنث قال ابن الزبعرى:

يا رسول المليك إن لسانى راتق ما فتقت إذ أنا بور

و أصل الباب من بارت السلعه تبور إذا كسدت فلا تشتري فكأنها بقيت و فسدت.

الإعراب

«مَكَانًا» ظرف لألقى. «مُقَرَّرِينَ» نصب على الحال. «ثُبُورًا» مصدر فعل محذوف تقديره ثبر ثبورا. و «دَعَا» هنا بمعنى قالوا و «هُنَالِكَ» يحتمل أن يكون ظرف زمان و أن يكون ظرف مكان أى دعوا فى ذلك اليوم أو فى ذلك المكان. «كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَ مَصِيرًا» فى موضع نصب على الحال من وعد و قد مضى و ذو الحال الضمير المحذوف العائد من الصلته إلى الموصول. «لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُنَ» جملة أخرى فى موضع الحال من قوله «الْمُتَّقُونَ» «وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ» مفعول أرسلنا محذوف تقديره و ما أرسلنا قبلك رسلا و يدل عليه قوله «مِنَ الْمُرْسَلِينَ» «إِلَّا إِنْهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ» إن مع اسمه و خبره مستثنى عن الرسل المحذوفه تقديره و ما أرسلنا قبلك رسلا إلا هم يأكلون الطعام و هذا كما يقال ما قدم علينا أمير إلا أنه مكرم لى و ليست كسره أن لأجل اللام فإن دخولها و خروجها واحد فى هذا الموضع و قيل ما فى الآية كقول الشاعر:

ما أعطيانى و لا سألتهما إلا و إنى لحاجز كرمى.

المعنى

ثم بين سبحانه سوء اعتقادهم و ما أعدده لهم على قبيح فعالهم و مقالهم فقال «بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ» أى ما كذبوك لأنك تأكل الطعام و تمشى فى الأسواق بل لأنهم لم

يقروا بالبعث و النشور و الثواب و العقاب «وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا» أى نارا تتلظى ثم وصف ذلك السعير فقال «إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ» أى من مسيره مائه عام عن السدى و الكلبى و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) من مسيره سنه

و نسب الرؤيه إلى النار و إنما يرونها هم لأن ذلك أبلغ كأنها تراهم رؤيه الغضبان الذى يزفر غيظا و ذلك قوله «سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَ زَفِيرًا» و تغيظها تقطعها عند شده اضطرابها و زفيرها صوتها عند شده التهابها كالتهاب الرجل المغتاض و التغيظ لا يسمع و إنما يعلم بدلاله الحال عليه و قيل معناه سمعوا لها صوت تغيظ و غليان قال عبيد بن عمير أن جهنم لتزفر زفره لا يبقى نبى و لا ملك إلا- خر لوجهه و قيل التغيظ للنار و الزفير لأهلها كأنه يقول رأوا للنار تغيظا و سمعوا لأهلها زفيرا «وَ إِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَعِيقًا» معناه و إذا ألقوا من النار فى مكان ضيق يضيق عليهم كما يضيق الزج فى الرمح عن أكثر المفسرين و فى الحديث

قال (عليه السلام) فى هذه الآيه و الذى نفسى بيده أنهم يستكروهن فى النار كما يستكره الوتد فى الحائط

«مُقَرَّنِينَ» أى مصفدين قرنت أيديهم إلى أعناقهم فى الأغلال و قيل قرنوا مع الشياطين فى السلاسل و الأغلال عن الجبائى «دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا» أى دعوا بالويل و الهلاك على أنفسهم كما يقول القائل و ا ثبورا أى و ا هلاكاه و قيل و ا انصرافاه عن طاعه الله فتجيبهم الملائكه «لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَ ادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا» أى لا تدعوا و يلا واحدا و ادعوا و يلا كثيرا أى لا ينفعكم هذا و إن كثر منكم قال الزجاج معناه هلاككم أكبر من أن تدعوا مره واحده «قُلْ» يا محمد «أَ ذَلِكَ» يعنى ما ذكره من السعير «خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ» تلك الجنة «لَهُمْ جَزَاءٌ» على أعمالهم «وَ مَصِيرًا» أى مرجعا و مستقرا «لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُنَ» و يشتهون من المنافع و اللذات «خَالِدِينَ» مؤبدين لا يفنون فيها «كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولاً» قال ابن عباس معناه أن الله سبحانه وعد لهم الجزاء فسألوه الوفاء فوفى و قيل معناه أن الملائكه سألوا الله تعالى ذلك لهم فأجيبوا إلى مسألتهم و ذلك قولهم رَبَّنَا وَ ادْخُلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ وَ قِيلَ أَنَّهُمْ سَأَلُوا اللَّهَ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا الْجَنَّةَ بِالْإِذْنِ فَأَجَابَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَى مَا سَأَلُوا وَ أَتَاهُمْ مَا طَلَبُوا «وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ» أى يجمعهم «وَ مَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» يعنى عيسى و عزيز و الملائكه عن مجاهد و قيل يعنى الأصنام عن بكرمه و الضحاك «فَيَقُولُ» الله تعالى لهؤلاء المعبودين «أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ» أى طريق الجنة و النجاه «قَالُوا» يعنى المعبودين من الملائكه و الإنس أو الأصنام إذا أحياهم الله و أنطقهم «سُبْحَانَكَ» تنزيها لك عن الشريك و عن أن يكون معبود سواك «مَا كَانَ يَتَّبِعِي لَنَا أَنْ تَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ» أى ليس لنا أن نوالى أعداءك بل أنت ولينا من

دونهم وقيل معناه ما كان يجوز لنا وللعابدين و ما كان يحق لنا أن نأمر أحدا بأن يعبدنا ولا يعبدك فإننا لو أمرناهم بذلك لكننا واليناهم ونحن لا نوالى من يكفر بك و من قرأ نتخذ فمعناه ما كان يحق لنا أن نعبد (وَ لَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَ آبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ) معناه ولكن طولت أعمارهم و أعمار آبائهم و متعتهم بالأموال و الأولاد بعد موت الرسل حتى نسوا الذكر المنزل على الأنبياء و تركوه (وَ كَانُوا قَوْمًا بُورًا) أى هلكى فاسدين هذا تمام الحكايه عن قول المعبودين من دون الله فيقول الله سبحانه عند تبرء المعبودين من عبادتهم «فَقَدْ كَذَّبُواكُمْ» أى كذبكم المعبودون أيها المشركون «بِمَا تَقُولُونَ» أى بقولكم أنهم آلهة شركاء لله و من قرأ بالياء فالمعنى فقد كذبوكم بقولهم «سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا» الآية فما يستطيعون صرفا أى فما يستطيع المعبودون صرف العذاب عنكم «وَ لَا نَصِيرًا» لكم بدفع العذاب عنكم و من قرأ بالتاء فالمعنى فما تستطيعون أيها المتخذون الشركاء صرف العذاب عن أنفسكم و لا أن تنصروا أنفسكم بمنعها من العذاب (وَ مَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ) نفسه بالشرك و ارتكاب المعاصي «نَذِقْهُ» فى الآخرة «عَذَابًا كَبِيرًا» أى شديدا عظيما ثم رجع سبحانه إلى مخاطبه النبى ص فقال (وَ مَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ) يا محمد «مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنْهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَ يَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ» قال الزجاج و هذا احتجاج عليهم فى قوله «ما لهذا الرسول يأكل الطعام و يمشى فى الأسواق» أى فقل لهم كذلك كان من خلا من الرسل فكيف يكون محمد بدعا منهم «وَ جَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً» أى امتحانا و ابتلاء و هو افتتان الفقير بالغنى يقول لو شاء الله لجعلنى مثله غنيا و الأعمى بالبصير يقول لو شاء الله لجعلنى مثله بصيرا و كذلك السقيم بالصحيح عن الحسن و قيل هو ابتلاء فقراء المؤمنين بالمستهزئين من قريش كانوا يقولون انظروا إلى هؤلاء الذين اتبعوا محمدا من موالينا و رذالنا فقال الله لهؤلاء الفقراء «أَتَصْبِرُونَ» أيها الفقراء على الأذى و الاستهزاء (وَ كَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا) إن صبرتم فاصبروا فأنزل الله فيهم إني جزيتهم اليوم بما صبروا عن مقاتل و قيل معناه أ تصبرون أيها الفقراء على فقركم و لا تفعلون ما يؤدى إلى مخالفتنا أ تصبرون أيها الأغنياء فتشكرون و لا تفعلون ما يؤدى إلى مخالفتنا (وَ كَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا) أى عليما فيغنى من أوجبت الحكمة إغناؤه و يفقر من أوجبت الحكمة إفقاره و قيل بصيرا بمن يصبر و بمن يجزع عن ابن جريج.

إشارة

وَقَالَ الَّذِينَ لَا- يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَ عَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا (٢١) يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا- بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا (٢٢) وَ قَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا (٢٣) أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ مَقِيلًا (٢٤) وَ يَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَ نُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا (٢٥)

الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَ كَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا (٢٦) وَ يَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَ كَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (٢٩) وَ قَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (٣٠)

القراءة

قرأ أهل الكوفة و أبو عمرو و تشقق خفيفه الشين هاهنا و فى سورة ق و الباقون «تَشَقَّقُ» مشدده الشين و قرأ ابن كثير نزل بنونين خفيفه الملائكة بالنصب و الباقون و «نُزِّلَ» بنون واحده و تشديد الزاى و فتح اللام و «الْمَلَائِكَةُ» بالرفع.

الحج

تشقق أصله تشقق فأدغم التاء فى الشين و التخفيف أكثر فى الكلام لأن الحذف أخف عليهم من الإدغام و من قرأ و نزل الملائكة تنزيلا فإن أنزل مثل نزل و مثله فى التنزيل وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا فجاء المصدر على فعل قال الشاعر

" و قد تطويت انطواء الخصب "

اللغة

الرجاء ترقب الخير الذى يقوى فى النفس وقوعه و مثله الطمع و الأمل و اللقاء المصير إلى الشىء من غير حائل و العتو الخروج إلى أفحش الظلم و أصل الحجر الضيق

و سمي الحرام حجرا لضيقه بالنهاي عنه قال المتلمس:

حنت إلى النخلة القصوى فقلت لها حجر حرام ألا تلك الدهاريس

و منه حجر الكعبه لأنه لا يدخل عليه في الطواف و إنما يطاف من ورائه لتضييقه بالنهاي عنه و الحجر العقل لما فيه من التضييق في القبيح و الهباء غبار كالشعاع لا يمكن القبض عليه و فلان كناية عن واحد بعينه من الناس لأنه معرفه و قال ابن دريد عن أبي حاتم عن العرب أنهم كانوا عن كل مذكر بفلان و عن كل مؤنثه بفلانة فإذا كانوا عن البهائم أدخلوا عليه الألف و اللام فقالوا الفلان و الفلانة.

الإعراب

«يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ» العامل في «يَوْمَ» معنى قوله «لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ» فإنه يدل على يحزنون و «يَوْمَئِذٍ» توكيد ليوم يرون و لا- يجوز أن يكون «يَوْمَ يَرَوْنَ» منصوبا بلا- بشرى لأن ما يتصل بلا لم يعمل فيما قبلها و «حَجْرًا» منصوب لأنه مفعول ثانى لفعل مقدر و هو جعل الله عليكم الجنة حجرا محجورا. «أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ» العامل في يومئذ خير. «وَيَوْمَ تَشَقُّقُ» العامل فيه محذوف تقديره و اذكر يوم تشقق. «الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ» يومئذ من صله «الْمُلْكُ» الذي هو المصدر و «الْحَقُّ» صفة له و الجار و المجرور الذي هو «لِلرَّحْمَنِ» في موضع خبر المبتدأ الذي هو «الْمُلْكُ» و يجوز أن يكون يومئذ ظرفا و هو بدل من «يَوْمَ تَشَقُّقُ» و يكون العامل فيهما الظرف الذي هو قوله «لِلرَّحْمَنِ» و أن تقدما عليه. «وَيَوْمَ يَعَضُّ» يجوز أن يكون العامل فيه اذكر و يجوز أن يكون معطوفا على ما قبله و. «يَقُولُ» جملة في موضع الحال. «يَا لَيْتَنِي» المنادى محذوف و تقديره يا صاحبي ليتني. و «يَا وَيْلَتِي» منادى مضاف أصله يا ويلتي تعالى فإنه وقتك فأبدل من الكسره فتحه و من الياء ألفا لثقل الكسره و الياء و خفه الفتحة و الألف.

النزول

قال ابن عباس نزل قوله «وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ» في عقبه بن أبي معيط و أبي بن خلف و كانا متخالين و ذلك أن عقبه كان لا يقدم من سفر إلا صنع طعاما فدعا إليه أشرف قومه و كان يكثر مجالسه الرسول فقدم من سفره ذات يوم فصنع طعاما و دعا الناس

فدعا رسول الله ص إلى طعامه فلما قربوا الطعام قال رسول الله ص ما أنا بأكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله و أنى رسول الله فقال عقبه أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمدا رسول الله و بلغ ذلك أبى بن خلف فقال صبأت يا عقبه قال لا و الله ما صبأت و لكن دخل على رجل فأبى أن يطعم من طعامى إلا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتى و لم يطعم فشهدت له فطعم فقال أبى ما كنت براص عنك أبدا حتى تأتيه فتبزيق فى وجهه ففعل ذلك عقبه و ارتد و أخذ رحم دابه فألقاها بين كتفيه فقال النبى ص لا ألقاك خارجا من مكه إلا علوت رأسك بالسيف فضرب عنقه يوم بدر صبوا و أما أبى بن خلف فقتله النبى ص يوم أحد بيده فى المبارزه و قال الضحاك لما بزق عقبه فى وجه رسول الله ص عاد بزاقه فى وجهه فأحرق خديه و كان أثر ذلك فيه حتى مات و قيل نزلت فى كل كافر أو ظالم تبع غيره فى الكفر أو الظلم و ترك متابعه أمر الله تعالى و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) ليس رجل من قريش إلا و قد نزلت فيه آيه أو آيتان تقوده إلى جنه أو تسوقه إلى نار تجرى فيمن بعده إن خيرا فخييرا و إن شرا فشرا.

المعنى

ثم حكى سبحانه عن حال الكفار بقوله «وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا» أى لا يأملون لقاء جزائنا و هذا عبارته عن إنكارهم البعث و المعاد و قيل معناه لا يخافون فهى لغه تهامه و هذيل يضعون الرجاء موضع الخوف إذا كان معه جحد لأن من رجا شيئا خاف فوته فإنه إذا لم يخف كان يقينا و من خاف شيئا رجا الخلاص منه فوضع أحدهما موضع الآخر «لَوْ لَا أَنْزَلْنَا الْمَلَائِكَةَ» أى هلا أنزل الملائكة ليخبرونا بأن محمد نبى «أَوْ نَرَى رَبَّنَا» فيخبرنا بذلك و يأمرنا باتباعه و تصديقه قال الجبائى و هذا يدل على أنهم كانوا مجسمه فلذلك جوزوا الرؤيه على الله ثم أقسم الله عز اسمه فقال «لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا» بهذا القول «فِي أَنْفُسِهِمْ» أى طلبوا الكبر و التجبر بغير حق «وَعَتَوْا» بذلك أى طغوا و عاندوا «عُتُوًّا كَبِيرًا» أى طغيانا و عنادا عظيما و تمردوا فى رد أمر الله تعالى غايه التمرد ثم أعلم سبحانه أن الوقت الذى يرون فيه الملائكه هو يوم القيامة و إن الله تعالى قد حرمهم البشرى فى ذلك اليوم فقال «يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ» يعنى يوم القيامة «بُشْرَى يَوْمِئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ» أى لا بشاره لهم بالجنه و الثواب قال الزجاج و المجرمون الذين أجزموا الذنوب و هم فى هذا الموضع الذين اجترموا الكفر بالله عز و جل «وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا» أى و يقول

الملائكة لهم حراما محرما عليكم سماع البشرى عن قتاده و الضحاك و قيل معناه و يقول المجرمون للملائكة كما كانوا يقولون فى الدنيا إذا لقوا من يخافون منه القتل حجرا محجورا دماؤنا عن مجاهد و ابن جريج قال الخليل كان الرجل يرى الرجل الذى يخاف منه القتل فى الجاهلية فى الأشهر الحرم فيقول حجرا أى حرام عليك حرمتى فى هذا الشهر فلا يبدأه بشر فإذا كان يوم القيامة رأوا الملائكة فقالوا ذلك ظنا منهم أنه ينفعهم و قيل معناه يقول الملائكة حراما محرما أن يدخل الجنة إلا من قال لا إله إلا الله عن عطا عن ابن عباس و قيل يقولون حجرا محجورا عليكم أن تتعودوا فلا معاذ لكم «وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ» أى قصدنا و عمدنا كما فى قول الشاعر:

و قدم الخوارج الضلال إلى عباد ربهم فقالوا

إن دماءكم لنا حلال

و فى هذا بلاغه عجيبه لأن التقدير قصدنا إليه قصد القادم على ما يكرهه مما لم يكن رآه قبل فيغيره و أراد به العمل الذى عمله الكفار فى الدنيا مما رجوا به النفع و الأجر و طلبوا به الثواب و البر نحو إنصافهم لمن يعاملهم و نصرهم للمظلوم و اعتاقهم و صدقاتهم و ما كانوا يتقربون به إلى الأصنام «فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا» و هو الغبار يدخل الكوه من شعاع الشمس عن الحسن و مجاهد و عكرمه و قيل هو رهبج الدواب عن ابن زيد و قيل هو ما تسفيه الرياح و تدرية من التراب عن قتاده و سعيد بن جبير و قيل هو الماء المهراق عن ابن عباس و المنتور المتفرق و هذا مثل و المعنى تذهب أعمالهم باطلا- فلم ينتفعوا بها من حيث عملوها لغير الله ثم ذكر سبحانه فضل أهل الجنة على أهل النار فقال «أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ» يعنى يوم القيامة «خَيْرٌ مُّسَدِّقًا» أى أفضل منزلا فى الجنة «وَ أَحْسَنُ مَقِيلًا» أى موضع قائله قال الأزهرى القيلولة عند العرب الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر و إن لم يكن مع ذلك نوم و الدليل على ذلك أن الجنة لا- نوم فيها و قال ابن عباس و ابن مسعود لا ينتصف النهار من يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة فى الجنة و أهل النار فى النار قال البلخى معنى خير و أحسن هنا أنه خير فى نفسه و حسن فى نفسه لا بمعنى أنه أفعل من غيره كما فى قوله وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ أى هو هين عليه و كما يقال الله أكبر لا بمعنى أنه أكبر من شىء غيره «وَ يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ» عطف على قوله «يَوْمَ يَرَوْنَ» المعنى تتشقق السماء و عليها غمام كما يقال ركب الأمير بسلاحه و خرج بشيابه أى و عليه سلاحه و ثيابه عن أبى على الفارسى و قيل تتشقق السماء

عن الغمام الأبيض عن الفراء وإنما تتشقق السماء لنزول الملائكة وهو قوله «وَنَزَلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا» وقال ابن عباس تتشقق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر ممن في الأرض من الجن والإنس ثم تتشقق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر ممن في السماء الدنيا من الإنس والجن ثم كذلك حتى تتشقق السماء السابعة وأهل كل سماء يزيدون على أهل السماء التي قبلها «الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ» أى الملك الذى هو الملك حقا ملك الرحمن يوم القيامة ويزول ملك سائر الملوك فيه وقيل إن الملك ثلاثه أضرب ملك عظمه وهو لله تعالى وحده وملك ديانه وهو بتمليك الله تعالى وملك جبريه وهو بالغلبه «وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا» أعسر عليهم ذلك اليوم لشدته ومشقته ويهون على المؤمنين كأدنى صلاة صلواها فى دار الدنيا وفى هذا بشاره للمؤمنين حيث خص بشده ذلك اليوم الكافرين «وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ» ندما وأسفا وقيل هو عقبه بن أبى معيط بن أميه بن عبد شمس على ما مضى ذكره عن ابن عباس وقيل هو عام فى كل ظالم نادى يوم القيامة وكل خليل يخال غيره فى غير ذات الله قال عطاء يأكل يديه حتى تذهب إلى المرفقين ثم تنبتان ولا يزال هكذا كلما نبت يده أكلها ندماه على ما فعل «يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا» أى ليتنى اتبعت محمدا ص واتخذت معه سبيلا إلى الهدى «يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا» يعنى أبا «خَلِيلًا» وقيل أراد به الشيطان عن مجاهد وإن قلنا إن المراد بالظالم هنا جنس الظلمه فالمراد به كل خليل يضل عن الدين ولو قال لما اتخذ فرعون وهامان وإبليس وجميع المضلين لطل فقال فلانا حتى يتناول كل خليل مضل عن الدين «لَقَدْ أَضَلَّنِي» أى صرفنى وردنى «عَنِ الذِّكْرِ» أى عن القرآن والإيمان به «بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي» مع الرسول وتم الكلام هنا ثم قال الله «وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا» لأنه يتبرأ منه فى الآخرة ويسلمه إلى الهلاك ولا يعنى عنه شيئا «وَ قَالَ الرَّسُولُ» يعنى محمدا ص يشكو قومه «يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا» يعنى هجروا القرآن وهجرونى وكذبونى عن ابن عباس والمعنى جعلوه متروكا لا يسمعونه ولا يتفهمونه وقيل إن قوله «وَ قَالَ الرَّسُولُ» معناه ويقول كما فى قول الشاعر:

مثل العصافير أحلاما ومقدره لو يوزنون بزف الريش ما وزنوا

أى ما يزنون.

ص: ٢٦٤

إشارة

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (٣١) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً
وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (٣٢) وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (٣٣) الَّذِينَ يُحْشَرُونَ
عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَئِكَ سُورَتْ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٣٤) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا (٣٥)

فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْزَنَاهُمْ تَدْمِيرًا (٣٦) وَقَوْمِ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَ
أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٣٧) وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا (٣٨) وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا
تَتْبِيرًا (٣٩) وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوِيًّا أَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَتَذَكَّرُونَ (٤٠)

القراءة

في الشواذ قراءة مسلم بن محارب فدمرناهم تدميرا على التأكيد بالنون الثقيلة و روى ذلك عن علي (عليه السلام)

و عنه فدمرناهم

و هذا كأنه أمر لموسى و هارون أن يدمراهم.

اللغة

العدو المتباعد عن النصره للبعوضه من عدا يعدو إذا باعد خطوه و عدا عليه باعد خطوه للإيقاع به و تعدى فى فعله إذا أبعد فى
الخروج عن الحق و منه عدوتا الوادى

ص: ٢٦٥

لأنهما بعده و نهايتاه و الترتيل التبيين فى تثبيت و ترسل و ثغر رتل و رتل بفتح التاء و سكونها إذا كان مفلجا لا لصص فيه التدمير الإهلاك لأمر عجيب و منه التنكيل يقال دمر على فلان إذا هجم عليه بالمكروه و الرس و البثر التى لم تطو بحجاره و لا غيرها و التبير الإهلاك و الاسم من التبار و منه قيل التبر لقطع الذهب.

الإعراب

قال الزجاج «هادياً وَ نَصِيْرًا» منصوب على وجهين (أحدهما) الحال أى كفى ربك فى حال الهدايه و النصر (و الآخر) أن يكون منصوبا على التمييز أى كفى ربك من الهداه و النصار. «جُمْلَةً» نصب على الحال معناه مجموعا و «أَحْسَنَ» مجرور بالعطف على الحق.

«على وَجُوْهِهِمْ» فى موضع نصب على الحال و تقديره يحشرون مكبوين «وَ قَوْمَ نُوحٍ» منصوب بفعل مضمر يفسره هذا الظاهر تقديره أغرقنا قوم نوح و العامل فى لما أغرقناهم «وَ عَادًا وَ ثَمُودَ» و ما بعد ذلك عطف على الهاء و الميم فى قوله «وَ جَعَلْنَاهُمْ» و يجوز أن يكون عطفا على معنى «وَ أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا» و يكون تقديره وعدنا للظالمين بالعذاب و وعدنا عادا و كلا منصوب بفعل مضمر الذى ظهر تفسيره. المعنى و أنذرنا كلا- ضربنا له الأمثال و تبرنا كلا. «مَطَرُ السَّوْءِ» منصوب لأنه مصدر أمطرت تقديره أمطار السوء.

المعنى

ثم عزى الله سبحانه نبيه بقوله «وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ» أى و كما جعلنا لك عدوا من مشركى قومك جعلنا لكل نبي عدوا من كفار قومه عن ابن عباس و المعنى فى جعله إياهم عدوا لأنبيائه أنه تعالى أمر الأنبياء (عليه السلام) أن يدعوهم إلى الإيمان بالله تعالى و ترك ما ألفوه من دينهم و دين آبائهم و إلى ترك عباده الأصنام و ذمها و كانت هذه أسبابا داعية إلى العداوه فإذا أمرهم بها فقد جعلهم عدوا لهم «وَ كَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَ نَصِيْرًا» أى حسبك بالله هاديا إلى الحق و ناصرا لأوليائه فى الدنيا و الآخرة على أعدائهم و قيل هاديا للأنبياء إلى التحرز عن عداوه المجرمين بالاعتصام بحبله «وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً» معناه و قال الكفار لرسول الله ص هلا أتيتنا بالقرآن جملة واحده كما أنزلت التوراه و الإنجيل و الزبور جملة واحده قال الله تعالى «كَذَلِكَ» أى نزلناه كذلك متفرقا «لِنُبَيِّنَ بِهِ فُؤَادَكَ» أى لنقوى به قلبك فترداد بصيره و ذلك أنه إذا كان يأتيه الوحي متجددا فى كل حادثه و كل أمر كان ذلك أقوى لقلبه و أزيد فى بصيرته و قيل إنما أنزلت الكتب جملة واحده لأنها نزلت على الأنبياء يكتبون و يقرءون فنزلت عليهم مكتوبه و القرآن إنما نزل على نبي أمى

لا- يكتب ولا يقرأ ولذلك نزل متفرقا وأيضا فإن في القرآن الناسخ والمنسوخ وفيه ما هو جواب لمن سأله عن أمور وفيه ما هو إنكار لما كان وفيه ما هو حكاية شيء جرى فاقتضت حكمه إنزاله متفرقا «وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا» أي بيناه تبينا و رسلناه ترسيلا بعضه في إثر بعض عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و قيل فصلناه تفصيلا عن السدى و قيل فرقناه تفريقا عن النخعي

و روى أن النبي ص قال يا ابن عباس إذا قرأت القرآن فرتله ترتيلا قال و ما الترتيل قال بينه تبينا و لا تنثره نثر الدقل و لا تهذه هذ الشعر قفوا عند عجائبه و حركوا به القلوب و لا يكونن هم أحدكم آخر السوره

«وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ» أي و لا يأتيك المشركون بمثل يضربونه لك في إبطال أمرك و مخاصمتك «إِلَّا جِنَّاتِكِ بِالْحَقِّ» الذي يبطله و يدحضه «وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا» أي و بأحسن تفسير مما أتوا به من المثل أي بيانا و كشافا «الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ» أي يسحبون على وجوههم إلى النار و هم كفار مكة و ذلك أنهم قالوا لمحمد ص و أصحابه هم شر خلق الله فقال الله سبحانه «أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا» أي منزلا و مصيرا «وَأَضَلُّ سَبِيلًا» أي دينا و طريقا من المؤمنين و

روى أنس أن رجلا قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال إن الذي أمشاه على رجليه قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة أورده البخارى في الصحيح

ثم ذكر سبحانه حديث الأنبياء و أممهم تسليه للنبي فقال «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ» يعنى التوراه «وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا» أي معينا يعينه على تبليغ الرساله و يحتمل عنه بعض أئقاله «فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا» يعنى فرعون و قومه و فى الكلام حذف أي فذهبا إليهم فلم يقبلوا منهما و جحدوا نبوتهما «فَدَمَّرْنَاهُمَا تَدْمِيرًا» أي أهلكناهم إهلاكا بأمر فيه أعجوبه «وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ» أي و أغرقنا قوم نوح بالطوفان و هو مجىء السماء بماء منهمر و تفجير الأرض عيونا حتى التقى الماء على أمر قد قدر قال الزجاج من كذب نبيا فقد كذب بجميع الأنبياء «وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً» أي عبره و عظه «وَأَعْتَدْنَا» أي و هيأنا «لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا» سوى ما حل بهم فى الدنيا «وَعَادًا وَثَمُودًا» أي و أهلكنا عادا و ثمود «وَأَصْحَابَ الرِّسِّ» و هو بئر رسوا فيها نبيهم أي القوه فيها عن عكرمه و قيل إنهم كانوا أصحاب مواش و لهم بئر يقعدون عليها و كانوا يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم شعيبا فكذبوه فانهار البئر و انخسفت بهم الأرض فهلكوا عن وهب و قيل الرس قريه باليمامه يقال لها فلج قتلوا نبيهم فأهلكهم الله عن قتاده و قيل كان لهم نبي يسمى حنظله فقتلوه فأهلكوا عن سعيد بن جبير و الكلبي و قيل هم أصحاب رس و الرس بئر بأنطاكيه قتلوا فيها حبيبا النجار فنسبوا إليها عن كعب و مقاتل

وقيل

ص: ٢٤٧

أصحاب الرس كان نساؤهم سحاقيات عن أبي عبد الله (عليه السلام)

قرونا بين ذلك كثيرا أى و أهلكنا أيضا قرونا كثيرا بين عاد و أصحاب الرس على تكذيبهم و قيل بين نوح و أصحاب الرس و القرن سبعون سنه و قيل أربعون سنه عن إبراهيم «وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ» أى و كلا بينا لهم أن العذاب نازل بهم إن لم يؤمنوا عن مقاتل و قيل معناه بينا لهم الأحكام فى الدين و الدنيا «وَكُلًّا تَبَرْنَا تَبِيرًا» أى و كلا أهلكنا إهلاكا على تكذيبهم و جحودهم قال الزجاج كل شىء كسرتة و فتنه فقد تبرته «وَلَقَدْ أَتَوْا» يعنى كفار مكة «عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْتُ مَطَرًا سَوِيًّا» يعنى قريه قوم لوط أمطروا بالحجاره «أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا» فى أسفارهم إذا مروا بها فيخافوا و يعتبروا «بَلْ كَانُوا لَا يَتَّخِذُونَ نُسُورًا» يعنى بل رأوها و إنما لم يعتبروا بها لأنهم كانوا لا يخافون البعث و قيل لا يأملون ثوابا و لا يؤمنون بالنشأه الثانيه فركبوا المعاصى.

[سوره الفرقان (٢٥): الآيات ٤١ الى ٥٠]

إشاره

وَ إِذَا رَأَوْكَ إِِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا أَمْ هُزُوعًا أَمْ هَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا (٤١) إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٢) أَمْ رَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَيْوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا (٤٣) أَمْ تَحْسِبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَشْعُرُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤) أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مِيدَ الظُّلِّ وَ لَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (٤٥)

ثُمَّ قَبْضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (٤٦) وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِيَسَاسًا وَ النَّوْمَ سُبَاتًا وَ جَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا (٤٧) وَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٨) لِنُنحِيَ بِهِ بَلَدًا مَيِّتًا وَ نُنشِئَ بِهِ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَ أَنْاسِيًّا كَثِيرًا (٤٩) وَ لَقَدْ صَرَّفْنَا فِيهِمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٥٠)

قرأ البرجمى نسقيه بفتح النون و الباقون «نُسِيقِيَه» بضم النون و فى الشواذ قراءه الأعرج من اتخذ الألاهه هواه و قراءه ابن السميع الرياح بشرى.

الحجه

قد مضى الفرق بين نسقى و نسقى فيما تقدم الألاهه الشمس و قيل آلهه بالضم غير مصروفه و أنشد

تروحنا من اللعباء عصرا فأعجلنا الألاهه أن تصبا

و يروى و أعجلنا الإلاهه و من قرأ و ألهتك فمعناه و عبادتك و قد يجوز أن يكون أراد هذه المعرفه فأضافها إليه لعبادته لها فيكون كقولك و يذرك و شمسك أى و الشمس التى تعبدها و من قرأ بشرى فهو مصدر وضع موضع الحال أى مبشره كقولهم هلم جرا أى جارا أو منجرا و يأتينك سعيا و قد ذكرنا الاختلاف بين القراء فيه و ما لهم من الاحتجاج فى كل وجه منه فى سوره الأعراف و ذكرنا اختلافهم فى «لِيَذْكُرُوا» فى سوره بنى إسرائيل.

اللغه

القبض جمع الأجزاء المنبسطة و اليسير السهل القريب و اليسير أيضا نقيض العسير و أيسر الرجل ملك من المال ما تيسر به الأمور عليه و قيل اليد اليسرى لأنه يتيسر بها العمل مع اليمنى و تياسر أخذ فى جهه اليد اليسرى و السبات قطع العمل و منه سبت رأسه يسبته سبتا إذا حلقه و منه يوم السبت و هو يوم قطع العمل و النشر خلاف الطى و أناسى جمع إنسان جعلت الياء عوضا عن النون و قد قالوا أيضا أناسين و قد يجوز أيضا أن يكون جمع إنسى فيكون مثل كرسى و كراسى.

الإعراب

«أ هَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا» العائد من الصلته إلى الموصول محذوف لطول الكلام أى بعثه الله «رَسُولًا» منصوب على الحال من الهاء المحذوفه و «إِنْ كَادَ لِيُضِلَّنَا» إن مخففه و اسمه محذوف تقديره أنه كاد و هو ضمير الأمر و الشأن و اللام فى «لِيُضِلَّنَا» لام التأكيد التى تقع فى خبر إن «كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ» كيف فى محل نصب على الحال من الضمير المستكن فى مد و التقدير أ مبدعا مد الظل أم لا و يجوز أن يكون فى موضع المصدر و التقدير أى مد مد الظل و قال الزجاج الأجود أن يكون «أَلَمْ تَرَ» من رؤيه القلب و يجوز أن يكون من رؤيه العين

و «بُشْرًا» نصب على الحال فى الوجوه كلها من الرياح و العامل فيه «أُرْسِلَ». «مِمَّا خَلَقْنَا» الجار و المجرور فى موضع نصب على الحال.

المعنى

ثم حكى سبحانه عن الكفار الذين وصفهم فيما تقدم فقال «وَ إِذَا رَأَوْكَ» أى و إذا شاهدوك يا محمد «إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا» أى ما يتخذونك إلا مهزوا به و المعنى أنهم يستهزئون بك و يستصغرونك و يقولون على وجه السخرية «أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا» أى بعثه الله إلينا رسولا «إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا» قال ابن عباس معناه لقد كاد يصرفنا عن عباده آلهتنا و تأويله قد قارب أن يأخذ بنا فى غير جهه عباده آلهتنا على وجه يؤدى إلى هلاكنا فإن الإضلال الأخذ بالشىء إلى طريق الهلاك «لَوْ لَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا» أى على عبادتها لأزلنا عن ذلك و حذف الجواب لدلاله الكلام عليه فقال سبحانه متوعدا لهم «وَ سَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ» الذى ينزل بهم فى الآخرة عيانا «مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا» أى من أخطأ طريقا عن الهدى أهم أم المؤمنون ثم عجب سبحانه نبيه ص من نهايه جهلهم فقال «أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ» أى من جعل إلهه ما يهواه و هو غايه الجهل و كان الرجل من المشركين يعبد الحجر و الصنم فإذا رأى أحسن منه رمى به و أخذ يعبد الآخر عن سعيد بن جبير و قيل معناه أ رأيت من ترك عباده خالقه و إلهه ثم هوى حجرا فعبده ما حاله عندك عن عطاء عن ابن عباس و قيل من أطاع هواه و اتبعه فهو كالإله له و ترك الحق عن القتيبي «أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا» أى أفأنت كفيلا يحفظه من اتباع هواه و عباده ما يهواه من دون الله أى لست كذلك و قيل معناه أ تقدر أنت يا محمد أن تهديه إذا لم يتدبر و لم يتفكر أى لا تقدر على ذلك لأن الوكيل هو الكافى للشىء و لا يكون كذلك إلا- و هو قادر عليه ثم قال للنبي ص «أَمْ تَحْسَبُ» يا محمد «أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَشْرِكُونَ» ما تقوله سماع طالب للأفهام «أَوْ يَعْقِلُونَ» ما تقوله لهم و تقرأ عليهم و ما يعاينونه من المعجزات و الحجج أى لا تظن ذلك «إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ» أى ما هم إلا كالبهائم التى تسمع النداء و لا تعقل «بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا» من الأنعام لأنهم مكنوا من المعرفة فلم يعرفوا و الأنعام لم يمكنوا منها و لأن الأنعام ألهمت منافعها و مضارها فهى لا تفعل ما يضرها و هؤلاء عرفوا طريق الهلاك و النجاه و سعوا فى هلاك أنفسهم و تجنبوا سبيل نجاتهم فهم أضل منها ثم نبه سبحانه على النظر فيما يدل على وحدانيته و كمال قدرته فقال «أَلَمْ تَرَ» الخطاب للنبي ص و المراد به سائر المكلفين «إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَيِّدَ الظِّلِّ» أى ألم تر إلى فعل ربك ثم حذف المضاف عن مقاتل و قيل معناه ألم تعلم فيكون من رؤيه القلب عن الزجاج و ذكر أن هذا على القلب و تقديره ألم تر إلى الظل كيف مده ربك يعنى الظل من وقت طلوع الفجر إلى طلوع الشمس عن ابن عباس و الضحاك

و سعيد بن جبير و جعله ممدودا لأنه لا شمس معه كما قيل فى ظل الجنه ممدودا إذا لم تكن معه الشمس و قال أبو عبيده الظل ما نسخته الشمس و هو بالغداه و الفى ء من وقت غروب الشمس إلى وقت طلوعها فيكون الظل بالليل لأنه ظل الأرض عن الجبائى و البلخى «و لَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا» أى مقيما دائما لا يزول و لا تنسخه الشمس يقال فلان يسكن بلد كذا إذا أقام به فهو مثل قوله سبحانه قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرِيحًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْآيَةَ فى المعنى و فى هذا إشاره إلى أنه قادر على تسكين الشمس حتى يبقى الظل ممدودا بخلاف ما يقوله الفلاسفة «ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ» أى على الظل «دَلِيلًا» قال ابن عباس تدل الشمس على الظل بمعنى أنه لو لا الشمس لما عرف الظل و لو لا النور لما عرفت الظلمه و كل الأشياء تعرف بأضدادها و قيل معناه ثم جعلنا الشمس عليه دليلا يذهبها إياه عند مجيئها عن ابن زيد و قيل لأن الظل يتبع الشمس فى طوله و قصره كما يتبع السائر الدليل فإذا ارتفعت الشمس قصر الظل و إذا انحطت الشمس طال الظل و قيل إن على هنا بمعنى مع فالمعنى ثم جعلنا الشمس مع الظل دليلا على وحدانيتنا «ثُمَّ قَبَضْنَا» إِيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا» أى قبضنا الظل بارتفاع الشمس لأن الشمس كلما تعلقو ينقص الظل فجعل سبحانه ذلك قبضا و أخير أن ذلك يسير بمعنى أنه سهل عليه لا يعجزه قال الكلبي إذا طلعت الشمس قبض الله الظل قبضا خفيا و المعنى ثم جمعنا أجزاء الظل المنبسط بتسليط الشمس عليه حتى ننسخها شيئا فشيئا و قيل معناه ثم قبضنا الظل بغروب الشمس إلينا أى إلى الموضوع الذى حكمنا بكون الظل فيه.

قبضا يسيرا أى خفيا و إنما قيل ذلك لأن الظل لا يذهب بغروب الشمس دفعه بل يذهب جزءا فجزأ بحدوث الظلام فكلما حدث جزء من الظلام نقص جزء من الظل «و هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا» أى غطاء ساترا للأشياء بالظلام كاللباس الذى يشتمل على لابسه فالله سبحانه ألبسنا الليل و غشانا به لنسكن و نستريح من كد الأعمال كما قال فى موضع آخر لَتَشْكُنُوا فِيهِ «و النَّوْمَ سُبَاتًا» أى راحه لأبدانكم و قطعنا لأعمالكم قال الزجاج السبات أن ينقطع عن الحركة و الروح فى بدنه «و جَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا» لانتشار الروح باليقظه فيه مأخوذ من نشور البعث و قيل لأن الناس ينتشرون فيه لطلب حوائجهم و معاشهم فيكون النشور هنا بمعنى التفرق لابتغاء الرزق عن ابن عباس «و هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ» مضى الكلام فيه فى سورة الأعراف «و أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا» أى طاهرا فى نفسه و مطهرا لغيره مزيلا للأحداث و النجاسات «لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا» قد مات بالجدب و أراد بالبلده البلد أو المكان فلذلك قال ميتا بالتذكير و المعنى لنحى بالمطر بلده ليس فيها نبت قال ابن عباس لنخرج به النبات و الثمار «و نُشَفِّيهِ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا» أى و لنسقى من ذلك

الماء أنعاما جمه أو نجعله سقيا لأنعام «وَأَناسِيَّ كَثِيرًا» أى أناسا كثيره «وَلَقَدْ صَدَّرَفْنَا» أى صرفنا المطر بينهم يدور فى جهات الأرض و قيل قسمناه بينهم يعنى المطر فلا يدوم على مكان فيهلك و لا ينقطع عن مكان فيهلك و يزيد لقوم و ينقص لآخرين على حسب المصلحه «لِيَذْكُرُوا» أى ليتفكروا و يستدلوا به على سعه مقدورنا و لأنه لا يستحق العباده غيرنا «فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا» أى جحودا لما عددناه من النعم و إنكارا فيقولون مطرنا بنوء كذا و كذا عن عكرمه و قيل فأبوا إلا- كفورا بالبعث و النشور.

[سوره الفرقان (٢٥): الآيات ٥١ الى ٦٠]

أشاره

وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا (٥١) فَلَا تَطْعَمُ الْكَافِرِينَ وَ جَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (٥٢) وَ هُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَ هَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَ جَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَ حِجْرًا مَحْجُورًا (٥٣) وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَ صِهْرًا وَ كَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (٥٤) وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَ لَا يَضُرُّهُمْ وَ كَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا (٥٥)

وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا (٥٦) قُلْ مَا أَسئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (٥٧) وَ تَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَ كَفَىٰ بِهِ بِمُذْنُوبٍ عِبَادِهِ خَبِيرًا (٥٨) الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسِئَلُ بِهِ خَبِيرًا (٥٩) وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَ مَا الرَّحْمَنُ أَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَ زَادَهُمْ نُفُورًا (٦٠)

القراءه

قرأ حمزه و الكسائي لما يأمرنا بالياء و الباقون بالتاء.

الحجه

قال أبو علي من قرأ بالتاء قال إنهم تلقوا أمر النبي ص إياهم بالرد و زادهم أمره إياهم بالسجود نفورا عما أمروا به و من قرأ بالياء فالمعنى أن نسجد لما يأمرنا محمد بالسجود على وجه الإنكار منهم لذلك و لا يكون أن نسجد لما يأمرنا الرحمن بالسجود له لأنهم أنكروا الرحمن تعالى بقولهم وَ مَا الرَّحْمَنُ و أقول إذا جعلت ما بمعنى الذى على ما ذكره فالتقدير أن نسجد لما يأمرنا بالسجود له و ترتيب الحذف فيه على الوجه الذى تقدم بيانه فى قوله سبحانه فَاصْبِرْ بِمَا تُؤْمَرُ فلا وجه لإعادته و إن جعلت ما مصدرية فإنك لا تحتاج إلى حذف شىء و يكون تقديره أن نسجد لأمره أو لأمره.

اللغه

أصل المرج الخلط و منه أمر مريج أى مختلط و

فى الحديث مرجت عهودهم

أى اختلطت و مرجت الدابه و أمرجتها إذا خليتها ترعى و عذب الماء عذوبه فهو عذب و الفرات أعذب المياه يقال فرت الماء يفرت فروته فهو فرات إذا عذب و الملح الأجاج الشديد الملوحة و النسب ما يرجع إلى ولاده قريبه و الصهر خلطه تشبه النسب القرابه و المصاهره فى النكاح المقاربه و

فى الحديث كان يؤسس مسجد قبا فيصهر الحجر العظيم إلى بطنه

أى يدنيه يقال صهره و أصهره.

الإعراب

«هذا عَيْذٌ فُرَاتٌ» مبتدأ و خبر فى موضع نصب على الحال و كذلك قوله «وَ هَذَا مَلْحٌ أُجَاجٌ» بالعطف عليه و ذو الحال أحد البحرين «مُبَشَّرًا وَ نَذِيرًا» نصب على الحال «مَنْ شَاءَ» نصب على الاستثناء و المستثنى منه الكاف و الميم فى أسألكم و «أَنْ يَتَّخِذَ» فى موضع نصب بأنه مفعول شاء «الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ» فى موضع جر تقديره و توكل على الحى الذى لا يموت خالق السماوات و الأرض و يحتمل أن يكون فى موضع نصب أو رفع على المدح و الثناء على تقدير أعنى الذى خلق أو هو الذى خلق و «الرَّحْمَنُ» بالرفع القراءه و ورد عن بعضهم فى الشواذ بالجر ففى الرفع وجوه (أحدها) الابتداء و خبره «فَسَيَلُ بِهِ» عن الزجاج و فيه نظر لأن الفاء إنما يجوز فى خبر ما فيه الألف و اللام إذا جاز فيه معنى الشرط و لا يصح ذلك هنا (و الثانى) أن يكون خبر مبتدأ محذوف أى هو الرحمن (و الثالث) أن يكون بدلا من الضمير المستكن فى استوى (و الرابع) أن يكون فاعل استوى و أما الجر فعلى أن يكون صفه و تقديره و توكل على الحى الخالق الرحمن و نفورا مفعول ثان لزيد.

«وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا» يندرهم و لكن بعثناك يا محمد إلى القرى كلها رسولا لعظيم منزلتك لدينا و النذير هو الداعى إلى ما يؤمن معه الخوف من العقاب و قيل إنه إخبار عن قدرته سبحانه و المعنى لو شئنا لقسمنا بينهم النذر كما قسمنا الأمطار بينهم و لكننا نفعل ما هو الأصلح لهم و الأعود عليهم فى دينهم و دنياهم فبعثناك إليهم كافة «فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ» فيما يدعونك إليه من المداهنه و الإجابه إلى ما يريدون «وَجَاهِدْهُمْ» فى الله «بِهِ» أى بالقرآن عن ابن عباس «جِهَادًا كَبِيرًا» أى تاما شديدا و فى هذا دلالة على أن من أجل الجهاد و أعظمه منزله عند الله سبحانه جهاد المتكلمين فى حل شبه المبطلين و أعداء الدين و يمكن أن يتأول عليه

قوله رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر

«وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبُحْرَيْنِ» أى أرسلهما فى مجاريهما و خلاهما كما يرسل الخيل فى المرح و هما يلتقيان فلا يختلط الملح بالعذب و لا العذب بالملح و هو قوله «هذا» يعنى أحد البحرين «عَذْبٌ فُرَاتٌ» أى طيب شديد الطيب «وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ» شديد الملوحة و قيل الفرات البارد و الأجاج الحار و قيل الأجاج المر عن قتاده «وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا» أى حجابا و حاجزا من قدره الله تعالى يمنعها من الاختلاط «وَحِجْرًا مَخْجُورًا» أى حراما محرما أن يفسد الملح العذب «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا» أى خلق من النطفه إنسانا و قيل أراد به آدم (عليه السلام) فإنه خلق من التراب الذى خلق من الماء و قيل أراد به أولاد آدم فإنهم المخلوقون من الماء «فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا» أى فجعله ذا نسب و صهر و الصهر حرمة الختونه و قيل النسب الذى لا يحل نكاحه و الصهر النسب الذى يحل نكاحه كبنات العم و الخال عن الفراء و قيل النسب سبعة أصناف و الصهر خمسة ذكرهم الله فى قوله «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ» عن قتاده و الضحاك و قد تقدم بيانه فى سوره النساء و قيل النسب البنون و الصهر البنات اللاتى يستفيد الإنسان بهن الأصهار فكانه قال فجعل منه البنين و البنات و قال ابن سيرين نزلت فى النبى ص و على بن أبى طالب زوج فاطمه (عليه السلام) عليا (عليه السلام) فهو ابن عمه و زوج ابنته فكان نسبا و صهرا «وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا» أى قادرا على ما أراد ثم أخبر سبحانه عن الكفار فقال «وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ» من الأصنام و الأوثان «وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا» الظهير العون و المعين أى معينا للشيطان على ربه بالمعاصى عن الحسن و مجاهد و قال الزجاج لأنه يتابع الشيطان و يعاونه على معصية الله فإن عبادتهم الأصنام معاونه للشيطان و قيل ظهيرا أى هينا كالمطرح من قولهم ظهر فلان بحاجته إذا جعلها خلف ظهره فلم يلتفت إليها و استهان بها و الظهير بمعنى المظهر و هو المتروك المستخف به و منه قوله «وَأَتَّخَذْتُمُوهُ وِرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا» و الأول أوجه و قالوا عنى بالكافر أبا جهل «وَمَا

أَرْسَيْلُنَاكَ» يا محمد «إِلَّا مُبَشَّرًا» بالجنه «وَنَذِيرًا» من النار وقد سبق معناه «قُلْ» يا محمد لهؤلاء الكفار «مَا أَشَيْتُمْ لَكُمْ عَلَيْهِ» أى على القرآن و تبليغ الوحي «مَنْ أَجْرٍ» تعطونه «إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا» بإنفاقه ماله فى طاعه الله و اتباع مرضاته و المعنى إني لا- أسألکم لنفسى أجرا و لكنى لا- أمنع من إنفاق المال فى طلب مرضاه الله سبحانه بل أرغب فيه و أحث عليه و فى هذا تأكيد لصدقه لأنه لو طلب على تبليغ الرساله أجرا لقالوا إنما يطلب أموالنا «وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ» أى فوض أمورك إليه فإنه ينتقم لك و لو بعد حين فإنه الحى الذى لا يموت فلن يفوته الانتقام «وَسَيَبُخِّ بِحَمْدِهِ» أى احمده منزلها له عما لا يجوز عليه فى صفاته بأن تقول الحمد لله رب العالمين الحمد لله على نعمه و إحسانه الذى لا يقدر عليه غيره الحمد لله حمدا يكافئ نعمه فى عظيم المنزله و عله المرتبه و ما أشبه ذلك و قيل معناه و أعبده و صل له شكرا منك له على نعمه «وَكَفَىٰ بِهِ بِعْدُتُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا» أى عليما فيحاسبهم و يجازيهم بها فحقيق بهم أن يخافوه و يراقبوه «الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا» أى ما بين هذين الصنفين «فِي سِتِّهِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ» قد سبق تفسيره فى سورة الأعراف «فَسَيَلُّ بِهِ خَبِيرًا» اختلف فى تأويله فقل إن المعنى فاسأل عنه خبيرا و الباء بمعنى عن و الخبير هاهنا هو الله تعالى عن ابن جريج و أنشد فى قيام الباء مقام عن قول علقمه بن عبده

فإن تسألونى بالنساء فإننى خبير ياغواء النساء طيب

يردن ثراء المال حيث وجدنه و شرخ الشباب عندهن عجيب

إذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له فى و دهن نصيب

و قول الأخطل

دع المعمر لا تسأل بمصرعه و أسأل بمصقله البكرى ما فعلا

و قيل إن الخبير هنا محمد ص و المعنى ليسأل كل منكم عن الله تعالى محمدا فإنه الخبير العارف به قيل إن الباء على أصلها و المعنى فاسأل بسؤالك أيها الإنسان خبيرا يخبرك بالحق فى صفته و دل قوله «فَسَيَلُّ» على السؤال كما قالت العرب من كذب كان شرا له أى كان الكذب شرا له و دل عليه كذب و قد مر ذكر أمثاله و قيل إن الباء فيه مثل الباء فى قولك لقيت بفلان ليثا إذا وصفت شجاعته و لقيت به غيثا إذا وصفت سماحته و المعنى أنك إذا رأيته رأيت

الشيء المشبه به والمعنى فاسأله عنه فإنه لخبير به و

روى أن اليهود حكوا عن ابتداء خلق الأشياء بخلاف ما أخبر الله تعالى عنه فقال سبحانه «فَسْتَلِّ بِهِ خَيْرًا»

قال نفطويه أى سلنى عنه فإنك تسأل بسؤالك خبيراً «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ» أى لهؤلاء المشركين «اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ» أى و أى شىء الرحمن والمعنى أنا لا نعرف الرحمن قال الزجاج الرحمن اسم من أسماء الله عز اسمه مذكور فى الكتب الأولى ولم يكونوا يعرفونه من أسماء الله ف قيل لهم إنه من أسماء الله ومعناه عند أهل اللغة ذو الرحمة التى لا غاية بعدها فى الرحمة لأن فعلا من أبنيه المبالغة تقول رجل ريان وعطشان فى النهايه من الرى والعطش وفرحان وجدلان إذا كان فى النهايه من الفرح والجدل «أَنْشِجْدُ لِمَا تَأْمُرُنَا» مر تفسيره «وَ زَادَهُمْ نُفُورًا» أى زادهم ذكر الرحمن تباعدا من الإيمان عن مقاتل والمعنى أنهم ازدادوا عند ذلك نفورا عن الحق وقبول قول النبى ص.

النظم

وجه اتصال الآيه بما قبلها أن فيها إخبار أنه سبحانه أفرده بالإرسال مراعاة لحسن التدبير فى تمييزه بالإكرام والإجلال لعلمه بما فيه من الخلال الموجه فى الحكمة إرساله إلى الخلق على غاية الكمال فعلى هذا يتعلق بقوله «لَقَدْ صَرَّفْنَا بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا» ثم ذكر من التصريف للآيات بقوله «هُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ وُحْدَانِيَّتِهِ وَ كَمَالِ قُدْرَتِهِ» ثم عجب سبحانه من إعراضهم عن الآيات مع وضوحها وظهورها ومقابلتهم لنعمه بالكفران بقوله «وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» الآيه ثم بين أنه أراد بتصريف الآيات الخير والإحسان بقوله «وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ» الآيه ثم بين أنه لا يسألهم عليه أجرا لثلاثا ينفروا عنه ثم بين سبحانه أنه كما لا يسألهم أجرا أنه يتوكل عليه فى أمره ويفوض إليه علم المصالح فيما كلفه ثم هدد سبحانه عباده بقوله «وَ كَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِهِ عِبَادَةً خَيْرًا» فإنه إذا لم يذهب عليه ذنوبهم لا يذهب عليه جزاؤهم.

إشارة

تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (٤١) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (٤٢) وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٤٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٤٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٤٥)

إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٤٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٤٧) وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٤٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٤٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم سرجا بضم السين من غير ألف و الباقون «سِراجًا» وقرأ حمزه و خلف أن يذكر خفيفا و الباقون يذكر بتشديدتين وقرأ أهل المدينة و ابن عامر يقتروا بضم الياء وقرأ أهل الكوفة بفتح الياء و ضم التاء وقرأ أهل البصرة و ابن كثير بفتح الياء و كسر التاء وقرأ أبو جعفر و ابن عامر و يعقوب و سهل يضعف له العذاب بالتشديد و الجزم و «يَخْلُدُ» بالجزم وقرأ ابن عامر يضعف بالتشديد و الرفع و يخلد بالرفع وقرأ أبو بكر يضعف بالألف و الرفع و يخلد بالرفع وقرأ نافع و أبو عمرو و أهل الكوفة إلا- أبا بكر «يُضَاعَفُ» بالألف و الجزم و «يَخْلُدُ» بالجزم وقرأ ابن كثير و حفص فيهما مهانا بإشباع كسره الهاء و ذلك مذهب ابن كثير في جميع القرآن و وافقه حفص في هذا الموضع فقط وقرأ بيدل الله بسكون الباء البرجمي عن أبي بكر مختلفا عنه و الباقون بالتشديد.

الحج

من قرأ «سِراجًا» فحجته قوله «وَ جَعَلَ فِيهَا سِراجًا» و من قرأ سرجا فحجته قوله «وَ لَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ» فشبهت الكواكب بالمصابيح كما شبهت المصابيح بالكواكب في قوله الرُّجَاجُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ و إنما المصباح الزجاجه في المعنى و قد سبق

القول فى يذكر و يذكر فىما مضى و الإقتار خلاف الإيسار قال الشاعر:

لكم مسجد الله المزوران و الحصى لكم قبصه من بين أثرى و أقترا

تقديره من بين رجل أثرى و رجل أقترا فأقام الصفه مقام الموصوف و مثله فى التنزيل وَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ قَالَ أَبُو عَلِيٍّ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى قَبِيلٍ مَرَدُوا مِثْلَ قَوْلِهِ وَ مِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبُرُوقَ وَ أَمَا قَتَرَ يَقْتَرُ وَ يَقْتَرُ فَمِثْلُ عَكْفٍ يَعْكُفُ وَ يَعْكُفُ وَ عَرَشٌ يَعْرِشُ وَ يَعْرِشُ فَمَنْ ضَمَّ الْيَاءَ أَرَادَ لَمْ يَقْتَرُوا فِى إِنْفَاقِهِمْ لِأَنَّ الْمَسْرُوفَ مَشْرُوفٌ عَلَى الْإِقْتَارِ وَ مِنْ فَتْحِ الْيَاءِ فَالْمَعْنَى لَمْ يَضِيقُوا فِى الْإِنْفَاقِ وَ مِنْ قَرَأَ يَضَاعَفُ بِالْجَزْمِ جَعَلَهُ بَدَلًا مِنَ الْفِعْلِ الَّذِى هُوَ جِزَاءُ الشَّرْطِ وَ هُوَ قَوْلُهُ «يَلْقَى أَثَامًا» وَ ذَلِكَ أَنْ تَضْعِيفَ الْعَذَابِ هُوَ لَقِيَ جِزَاءَ الْآثَامِ فِى الْمَعْنَى وَ مِثْلُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ

إن يجبنوا أو يغدروا أو ييخلوا لا يحفلوا يغدوا عليك مرجلين كأنهم لم يفعلوا

فغدوهم مرجلين فى المعنى ترك الاحتفال و قد أبدل من الشرط كما أبدل من الجزاء و ذلك فى قول الشاعر

متى تأتتا تلمم بنا فى ديارنا تجد حطبا جزلا و نارا تأججا

فأبدل تلمم من تأتتا لأن الإمام إتيان فى المعنى قال أبو على و مثل حذف الجزاء الذى هو مضاف فى المعنى فى قوله «يَلْقَى أَثَامًا» أى جزاء أثم قوله تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَ هُوَ وَقَعَ بِهِمُ الْمَعْنَى مِنْ جِزَاءِ مَا كَسَبُوا وَ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ «يَلْقَى أَثَامًا» أى عقوبه و أنشد لمسافع الليثى

جزى الله ابن عروه حيث أمسى عقوقا و العقوق له أثم

قال و ابن عروه رجل من ليث كان دل عليهم ملكا من غسان فأغار عليهم قال أبو على و يمكن أن يكون هذا من قول بشر:

فكان مقامنا ندعو عليهم بأسفل ذى المجاز له أاثام

و من رفع يضاعف و يخلد قطعه عما قبله و استأنف و أما يضاعف و يضعف فهما فى المعنى سواء و كذلك و يبدل و يبدل.

اللغة

قال أبو عبيده الخلفه كل شىء بعد شىء الليل خلفه النهار و النهار خلفه الليل لأن أحدهما يخلف الآخر قال زهير

بها العين و الآرام يمشين خلفه و أطلاؤها ينهضن من كل مجثم

و الهون مصدر إلهين فى السكينه و الوقار و الغرام أشد العذاب و هو اللازم الملح و منه الغريم لملازمته و إلحاحه و فلان مغرم بالنساء أى ملازم لهن لا يصبر عنهن قال بشر بن أبى حازم:

و يوم النصار و يوم الجفار كانا عذابا و كانا غراما

و قال آخر:

إن يعاقب يكن غراما و إن يعط جزيلاً فإنه لا يبالي

. الإعراب .

«الَّذِينَ يَمْشُونَ» خبر المبتدأ الذى هو «عِبَادُ الرَّحْمَنِ» و يجوز أن يكون خبره «أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ» و يكون «الَّذِينَ يَمْشُونَ» صفه العباد و «هَؤُنَا» فى موضع الحال و «سَلَامًا» نصب على المصدر بفعل محذوف و تقديره فتسلم منكم سلاما لا نجاهلكم كأنهم قالوا تسلما منكم. و «مُسْتَقْرًا وَ مُقَامًا» منصوبان على التمييز و المخصوص بالذم محذوف و تقديره ساءت مستقرا جهنم «وَ كَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا» أى كان الإنفاق ذا قوام بين الإسراف و الإقتار فقوله «بَيْنَ ذَلِكَ» تبين لقوام و إن شئت علقته بنفس كان و إن شئت علقته بخبر كان أى ثابتا بين ذلك فيكون خبرا بعد خبر.

المعنى

ثم مدح سبحانه نفسه بأن قال «تَبَارَكَ» و قد مر معناه فى أول السوره

ص: ٢٧٩

«الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا» يريد منازل النجوم السبعة السيارة التي هي زحل و المشتري و المريخ و الشمس و الزهره و عطارد و القمر و هي اثنا عشر برجاً الحمل و الثور و الجوزاء و السرطان و الأسد و السنبلة و الميزان و العقرب و القوس و الجدى و الدلو و الحوت و قيل هي النجوم الكبار عن الحسن و مجاهد و قتاده و سميت بروجاً لظهورها «وَ جَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا» يعنى الشمس و من قرأ سرجاً أراد الشمس و الكواكب معها «وَ قَمَرًا مُنِيرًا» أى مضيئاً بالليل إذا لم تكن شمس «وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ خِلْفَةً» أى يخلف كل واحد منهما صاحبه فيما يحتاج أن يعمل فيه فمن فاته عمل الليل استدركه بالنهار و من فاته عمل النهار استدركه بالليل و هو قوله «لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ» عن عمر بن الخطاب و ابن عباس و الحسن و

روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال تقضى صلاة النهار بالليل و صلاة الليل بالنهار

و قيل معناه أنه جعل كل واحد منهما مخالفا لصاحبه فجعل أحدهما أسود و الآخر أبيض عن مجاهد «لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ» أى يتفكر و يستدل بذلك على أن لهما مدبراً و مصرفاً لا يشبههما و لا يشبهانه فيوجه العباده إليه «أَوْ أَرَادَ سُكُورًا» يقال شكر يشكر شكراً و شكوراً أى أراد شكر نعمه ربه عليه فيهما و على القول الأول فمعناه أو أراد النافله بعد أداء الفريضة «وَ عِبَادُ الرَّحْمَنِ» يريد أفاضل عباده و هذه إضافه التخصيص و التشريف كما يقال ابنى من يطيعنى أى ابنى الذى أنا عنه راض و يكون توبيخاً لأولاده الذين لا يطيعونه «الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُونَ» أى بالسكينة و الوقار و الطاعة غير أشرين و لا مرحين و لا متكبرين و لا مفسدين عن ابن عباس و مجاهد

و قال أبو عبد الله (عليه السلام) هو الرجل يمشى بسجيته التى جبل عليها لا يتكلف و لا يتبختر

و قيل معناه حلماء علماء لا يجهلون و إن جهل عليهم عن الحسن و قيل أعفاء أتقياء عن الضحاك «وَ إِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ» بما يكرهونه أو يثقل عليهم «قَالُوا» فى جوابه «سَلَامًا» أى سداداً من القول لا- يقابلونهم بمثل قولهم من الفحش عن مجاهد و قيل سلاماً أى قولاً يسلمون فيه من الإثم أو سلموا عليهم دليله قوله «وَ إِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَ قَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ» و قال قتاده كانوا لا يجاهلون أهل الجهل و قال ابن عباس لا يجهلون مع من يجهل قال الحسن هذه صفه نهارهم إذا انتشروا فى الناس و ليلهم خير ليل إذا خلوا فيما بينهم و بين ربهم يراوون بين أطوافهم و هو قوله «وَ الَّذِينَ يَبْتَئُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَ قِيَامًا» قال الزجاج كل من أدركه الليل فقد بات نام أو لم ينم و المعنى يبتئون لربهم بالليل فى الصلاه ساجدين و قائمين طالبين لثواب ربهم فيكونون سجداً فى مواضع السجود و قياماً فى مواضع القيام «وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا» أى يدعون بهذا القول و غراماً أى لازماً ملحاً دائماً غير مفارق «إِنَّهَا سَاءَتْ

مُسْتَقْرًا وَمُقَامًا» أى إن جهنم بئس موضع قرار وإقامه هي «وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا» و اختلف فى معنى الإسراف فقيل هو النفقه فى المعاصى و الإقتار الإمساك عن حق الله تعالى عن ابن عباس و قتاده و قيل السرف مجاوزه الحد فى النفقه و الإقتار التقصير عما لا بد منه عن إبراهيم النخعى و

روى عن معاذ أنه قال سألت رسول الله ص عن ذلك فقال من أعطى فى غير حق فقد أسرف و من منع عن حق فقد قتر

و

روى عن أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة أنه قال ليس فى المأكول و المشروب سرف و إن كثر

«وَ كَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا» أى و كان إنفاقهم بين الإسراف و الإقتار لا إسرافا يدخلون به فى حد التبذير و لا تضيقا يصيرون به فى حد المانع لما يجب و هذا هو المحمود و القوام من العيش ما أقامك و أغناك و قيل القوام بالفتح و هو العدل و الاستقامه و بالكسر ما يقوم به الأمر و يستقر عن تغلب و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) القوام هو الوسط

و

قال (عليه السلام) أربعة لا يستجاب لهم دعوه رجل فاتح فاه جالس فى بيته فيقول يا رب ارزقنى فيقول له ألم آمرك بالطلب و رجل كانت له امرأه يدعو عليها يقول يا رب أرحنى منها فيقول ألم أجعل أمرها بيدك و رجل كان له مال فأفسده فيقول يا رب ارزقنى فيقول ألم آمرك بالاعتقاد و رجل كان له مال فأدانه بغير بينه فيقول ألم آمرك بالشهاده

«وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ» أى لا يجعلون لله سبحانه شريكا بل يوجهون عبادتهم إليه وحده «وَ لَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ» أى حرم الله قتلها «إِلَّا بِالْحَقِّ» و النفس المحرم قتلها نفس المسلم و المعاهد و المستثناه قتلها نفس الحربى و من يجب قتلها على وجه القود و الارتداد أو للزنا بعد الإحصان و للسعى فى الأرض بالفساد «وَ لَا يَزْنُونَ» و الزنا هو الفجور بالمرأه فى الفرج و فى هذا دلالة على أن أعظم الذنوب بعد الشرك القتل و الزنا و

روى البخارى و مسلم فى صحيحيهما بالإسناد عن عبد الله بن مسعود قال سألت رسول الله ص أى الذنب أعظم قال إن تجعل الله ندا و هو خلقك قال قلت ثم أى قال إن تقتل ولدك مخافه أن يطعم معك قال قلت ثم أى قال إن تزانى حليله جارك فأنزل الله تصديقها «وَ الَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ» الآية

«وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ» قال مقاتل هذه الخصال جميعا «يَلْقَ أَثَامًا» أى عقوبه و جزاء لما فعل قال الفراء أثمه الله يأثمه إنثما و أثاما أى جزاء جزاء الإثم و قال الشاعر:

و هل يأثمنى الله فى أن ذكرتها و عللت أصحابى بها ليله النفر

وقيل إن أثاما اسم واد في جهنم عن عبد الله بن عمر و قتاده و مجاهد و عكرمه ثم فسر سبحانه لقي الآثام بقوله «يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» يريد سبحانه مضاعفه أجزاء العذاب لا- مضاعفه الاستحقاق لأنه تعالى لا- يجوز أن يعاقب بأكثر من الاستحقاق لأن ذلك ظلم و هو منفي عنه و قيل معناه أنه يستحق على كل معصيه منها عقوبه فيضاعف عليه العقاب و قيل المضاعفه عذاب الدنيا و عذاب الآخرة عن قتاده «وَ يَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا» أى و يدوم فى العذاب مستحقا به و إنما قال ذلك لأنه عز اسمه قد يوصل الآلام إلى بعض المكلفين لا على وجه الاستخفاف و الإهانه فيبين أنه يوصل العقاب إليهم على وجه الإهانه ثم استثنى من جملتهم التائب بقوله «إِلَّا مَنْ تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ» قال قتاده إلا من تاب من ذنبه و آمن بربه و عمل عملا- صالحا فيما بينه و بين ربه قال و التبديل فى الدنيا طاعة الله بعد عصيانه و ذكر الله بعد نسيانه و الخير يعمله بعد الشر و قيل يبدلهم الله بقبائح أعمالهم فى الشرك محاسن الأعمال فى الإسلام بالشرك إيمانا و بقتل المؤمنين قتل المشركين و بالزنا عفه و إحسانا عن ابن عباس و مجاهد و السدى و قيل إن معناه أن يمحو السيئه عن العبد و يثبت له بدلها الحسنه عن سعيد بن المسيب و مكحول و عمرو بن ميمون و احتجوا بالحديث الذى

رواه مسلم فى الصحيح مرفوعا إلى أبى ذر قال قال رسول الله ص يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال أعرضوا عليه صغار ذنوبه و نحوا عنه كبارها فيقال عملت يوم كذا و كذا و كذا و هو مقر لا ينكر و هو مشفق من الكبائر فيقال أعطوه مكان كل سيئه عملها حسنه فيقول أن لى ذنوبا ما أراها هاهنا قال و لقد رأيت رسول الله ص ضحك حتى بدت نواجذه

«وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا» أى ساترا لمعاصي عباده «رَجِيمًا» أى منعما عليهم بالرحمه الفضل.

إشارة

وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥)

خالد بن زيد فيها حسنت مستقرًا ومقامًا (٧٦) قُلْ مَا يَعْجُبُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (٧٧)

القراءة

قرأ أبو عمرو وأهل الكوفة غير حفص و ذريتنا و الباقون «ذُرِّيَّاتِنَا» على الجمع وقرأ يلقون بفتح الياء و التخفيف أهل الكوفة غير حفص و الباقون «يُلَقَّوْنَ» بضم الياء و التشديد و

في قراءة أهل البيت (عليه السلام) و اجعل لنا من المتقين إماما

و القراءة المشهوره «وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا» و في قراءة ابن عباس و ابن الزبير فقد كذب الكافرون.

الحج

قال أبو علي الذرية تكون واحده و تكون جمعا فمن قرأ و ذريتنا على الإفراد فإنه أراد به الجمع فاستغنى عن جمعه لما كان جمعا و من جمع فكما يجمع هذه الأسماء التي تدل على الجمع نحو قوم و أقوام و جاء

في الحديث صواحبات يوسف

و حجه من قرأ «وَيُلَقَّوْنَ» قوله و لَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا و حجه من خفف فَسَوْفَ يُلَقَّوْنَ عِيًّا و من قرأ فقد كذب الكافرون ترك لفظ الحضور إلى الغيبه ألا ترى أن قبله «قُلْ مَا يَعْجُبُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ».

اللغة

القره مصدر يقال قرت عينه قره و يكون من القور و هو برد العين عند السرور و يكون أيضا من استقرارها عند السرور و قوله إماما مصدر من أم فلان فلانا إماما كما قيل قام قياما و صام صياما و لذلك وحده هنا من جمع إماما فقال أئمه فلأنه قد كثر في معنى الصفه و قيل إنه إنما وحده لأنه جاء على الجواب كقول القائل من أميركم فيقول المجيب هؤلاء أميرنا قال الشاعر.

يا عاذلاتي لا تردن ملامتي إن العواذل لسن لي بأمر

وقيل إنما وحد لأن المعنى واجعل كل واحد منا إماماً فأجمل فالمعنى معنى التفصيل وقال الزجاج تأويل «ما يَعْبُؤُا بِكُمْ» أى وزن يكون لكم عنده كما يقال ما عبأت بفلان أى ما كان له عندى وزن ولا قدر وأصل العبء فى اللغة الثقل وقيل أصله من تهيئه الشئ يقال عبئت الطيب أعبؤ عباً إذا هيأته قال الشاعر يصف أسداً

ص: ٢٨٣

كأن بنحره و بمنكيه عيرا، بات تعبأه عروس

أى تهيئه و عبأت الجيش بالتشديد و التخفيف إذا هيأته و ما أعبؤ به أى لا أهيبئ به أمرا.

المعنى

ثم قال سبحانه «وَمَنْ تَابَ» أى أقلع عن معاصيه و ندم عليها «وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا» أى يرجع إليه مرجعا عظيما جميلا- و فرق على بن عيسى بين التوبه إلى الله و التوبه من القبيح لقبحه بأن التوبه إلى الله تقتضى طلب ثوابه و ليس كذلك التوبه من القبيح لقبحه فعلى هذا يكون المعنى من عزم على التوبه من المعاصى فإنه ينبغى أن يوجه توبته إلى الله بالقصد إلى طلب جزائه و رضائه عنه فإنه يرجع إلى الله فيكافيه و قيل معناه من تاب و عمل صالحا فقد انقطع إلى الله فاعرفوا ذلك له فإن من انقطع إلى خدمه بعض الملوك فقد أحرز شرفا فكيف المنقطع إلى الله سبحانه ثم عاد سبحانه إلى وصف عباده المخلصين فقال «وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ» أى لا- يحضرون مجالس الباطل و يدخل فيه مجالس الغناء و الفحش و الخنا و قيل الزور الشرك عن الضحاك قال الزجاج الزور فى اللغه الكذب و لا كذب فوق الشرك بالله و قيل الزور أعياد أهل الذمه كالسعانيين و غيرها عن محمد بن سيرين و

قيل هو الغناء عن مجاهد و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام) و أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل يعنى شهادة الزور عن على بن أبى طلحه فيكون المراد أنهم لا- يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف و كان عمر بن الخطاب يجلد شاهد الزور أربعين جلده و يسخم وجهه و يطوف به فى السوق و أصل الزور تمويه الباطل بما يوهم أنه حق «و إِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا» و اللغو المعاصى كلها أى مروا به مر الكرماء الذين لا يرضون باللغو لأنهم يجلون عن الدخول فيه و الاختلاط بأهله عن الحسن و الكلبي و التقدير إذا مروا بأهل اللغو و ذوى اللغو مروا منزهين أنفسهم معرضين عنهم فلم يجاروهم فيه و لم يخوضوا معهم فى ذلك فهذه صفه الكرام يقال تكرم فلان عما يشينه إذا تنزه و أكرم نفسه عنه و قيل مرورهم كراما هو أن يمروا بمن يسبهم فيصفحون عنه و بمن يستعين بهم على حق فيعينونه و

قيل هم الذين إذا أرادوا ذكر الفرج كنوا عنه عن أبى جعفر (عليه السلام)

و مجاهد و أصل اللغو هو الفعل الذى لا فائده فيه و لهذا يقال للكلمه التى لا تفيد لغو و ليس المراد به القبيح فإن فعل الساهى و النائم لغو و ليس بحسن و لا قبيح إلا ما يتعدى إلى الغير على الخلاف فيه «وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا

بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا» أى إذا عطاوا بالقرآن والأدله التى نصبها الله لهم نظروا فيها و تفكروا فى مقتضاها و لم يقفوا عليها صما كأنهم لم يسمعوها و عميانا كأنهم لم يروها لكنهم سمعوها و أبصروها و انتفعوا بها و تدبروا لها قال الحسن كم من قارئ يقرؤها فخر عليها أصم و أعمى و قال الأَخفش «لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا» أى لم يقيموا و قال ابن قتيبه لم يتغافلوا عنها كأنهم صم لم يسمعوها و عمى لم يروها «وَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَ ذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ» أى اجعل أزواجنا و ذرياتنا قره أعين بأن نراهم يطيعون الله عن الحسن و قيل معناه ارزقنا من أزواجنا أولادا و من ذريتنا أعقابا قره أعين أى أهل طاعه تقر بهم أعيننا فى الدنيا بالصالح و فى الآخرة بالجنة «وَ اجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا» أى اجعلنا ممن يقتدى بنا المتقون طلبوا العز بالتقوى لا بالدنيا و قيل معناه اجعلنا نأتم بمن قبلنا حتى يأتى أى يقتدى بنا من بعدنا و على هذا فيجوز أن يكون اللام فى اللفظ فى المتقين و فى المعنى فى نا و التقدير و اجعل المتقين لنا إماما و مثله قول الشاعر

" كأننا رعن قف يرفع الآلا "

و التقدير يرفعه الآل ثم أخبر سبحانه عن جميع هذه الأوصاف فقال «أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ» أى يثابون الدرجة الرفيعة فى الجنة «بِمَا صَبَرُوا» على أمر ربهم و طاعه نبهم و على مشاق الدنيا و صعوبه التكليف و قيل هى غرف الزبرجد و الدر و الياقوت عن عطا و الغرفة فى الأصل بناء فوق بناء و قيل الغرفة اسم لأعلى منازل الجنة و أفضلها كما أنها فى الدنيا أعلى المساكن «وَ يُلْقَوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَ سَلَامًا» أى تتلقاهم الملائكة فيها بالتحية و هى كل قول يسر به الإنسان و بالسلام بشاره لهم بعظيم الثواب و قيل التحية الملك العظيم و السلام جميع أنواع السلامه و قيل التحية البقاء الدائم و قال الكلبي يحيى بعضهم بعضا بالسلام و يرسل إليهم الرب بالسلام «خَالِدِينَ» أى مقيمين «فِيهَا» من غير موت و لا- زوال «حَسْبَتْ» الغرفة «مُسْتَقَرًّا وَ مُقَامًا» أى موضع قرار و استقامه «قُلْ» يا محمد «مَا يَعْجُبُكُمْ بِكُمْ رَبِّي» أى ما يصنع بكم ربى عن مجاهد و ابن زيد و قيل ما يبالي بكم ربى عن أبى عمرو بن العلاء و ما لا- يعبأ به فوجوده و عدمه سواء «لَوْ لَا دُعَاؤُكُمْ» أى لو لا دعاؤه إياكم إلى الدين و الإسلام عن ابن عباس فيكون المصدر مضافا إلى المفعول و المعنى قل للمشركين ما يفعل بكم ربى أى أى نفع له فيكم و أى ضرر يعود إليه من عدمكم و أى قدر لكم عند الله حتى يدعوكم إلى الإيمان لكن الواجب فى الحكمة دعاؤكم إلى الدين و إرسال الرسول و قد فعل و قيل معناه لو لا عبادتكم له و إيمانكم به و توحيدكم إياه عن الكلبي و مقاتل و الزجاج فيكون الدعاء بمعنى

العباده و فى هذا دلالة على أن من لا يعبد الله و لا يطيعه فلا وزن له عند الله و قيل معناه ما يعبأ بعذابكم ربى لو لا دعاء بعضكم بعضا إلى الشرك و الشر عن البلخى و دليله ما يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ الْآيَةَ و قيل معناه لو لا دعاؤكم له إذا مسكم ضر أو أصابكم سوء رغبه له و خضوعا له و

روى العياشى بإسناده عن يزيد بن معاوية العجلي قال قلت لأبى جعفر (عليه السلام) كثره القراءة أفضل أم كثره الدعاء أفضل قال كثره الدعاء أفضل و قرأ هذه الآيه

«فَقَدْ كَذَّبْتُمْ» الخطاب لأهل مكة أى أن الله دعاكم بالرسول إلى توحيدهِ و عبادته فقد كذبتُم يا معشر الكفار الرسول «فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا» أى فسوف يكون عقابه لتكذيبكم إياه لازما لكم قال صخر الغى:

فأما ينجوا من حتف أرضى فقد لقا حتوفهما لازما

أى أنه واقع لا- محاله قال الزجاج تأويله فسوف يكون تكذيبكم لازما يلزمكم فلا تعطون التوبه و تلزمكم به العقوبه و قال أبو عبيده لازما فيصلا و قيل فى تفسير اللزام أنه القتل يوم بدر عن ابن مسعود و أبى بن كعب و قيل هو عذاب الآخرة و قال أبو ذؤيب فى اللزام:

ففاجأه بعاديه لزام كما يتفجر الحوض اللقيف

فلزام معناه كثره يلزم بعضها بعضا و لقيف متساقط متهدم و بالله التوفيق.

(٢٦) سورة الشعراء مكيه و آياتها سبع و عشرون و مائتان (٢٢٧)

اشاره

[توضيح]

مكيه كلها غير قوله «وَ الشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ» الآيات إلى آخر السوره فإنها نزلت بالمدينه.

عدد آياتها

مائتان و سبع و عشرون آيه كوفى و شامى و المدنى الأول و ست فى الباقيين

اختلافها

أربع آيات «طسم» كوفى «فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» غير الكوفى «مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ» غير البصرى و «مَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ» عراقى شامى و المدنى الأول

فضلها

أبى بن كعب قال قال رسول الله ص من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح (عليه السلام) و كذب به و هود و شعيب و صالح و إبراهيم (عليه السلام) و بعدد من كذب بعيسى (عليه السلام) و صدق بمحمد ص

و عن ابن عباس قال قال رسول الله ص أعطيت سورة التى يذكر فيها البقره من الذكر الأول و أعطيت طه و طواسين من ألواح موسى و أعطيت فواتح القرآن و خواتيم السوره التى يذكر فيها البقره من تحت العرش و أعطيت المفصله نافله

و

روى أبو بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ الطواسين الثلاث فى ليله الجمعه كان من أولياء الله و فى جواره و كنفه و أسكنه الله فى جنه عدن وسط الجنه مع النبيين و المرسلين و الوصيين الراشدين و لم يصبه فى الدنيا بؤس أبداً و أعطى فى الآخرة من الأجر الجنه حتى يرضى و فوق رضاه و زوجه الله مائه حوراء من الحور العين

تفسيرها

ذكر الله سبحانه فى مختتم سورة الفرقان تكذيبهم بالكتاب و ذكر فى مفتتح هذه السوره وصف الكتاب فقال:

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طسم (١) تَلَعَكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِيكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣) إِنَّ نَشَأَ نُزُلٍ عَلَيَّهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ
أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (٤)

وَ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (٥) فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءٌ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٦) أَوْ لَمْ يَرَوْا
إِلَى الْمَآزِضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (٧) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ
(٩)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير الأعشى و البرجمى و حفص «طسم» و يس و حم بالإماله و الباقون بالفتح و التفخيم و ابن كثير أشد فتحا و
تفخيما و كذلك عاصم ثم يعقوب و الآخرون لا يفتحون فتحا شديدا و قرأ أبو جعفر و حمزه بإظهار النون من سين عند الميم و
الآخرون يدغمون.

الحجه

قال أبو على تبيين النون هو الوجه لأن حروف الهجاء فى تقدير الانفصال و الانقطاع مما بعدها فإذا كان كذلك و جب تبيين
النون لأنها إنما تخفى إذا اتصلت بحرف من حروف الفم فإذا لم تتصل بها لم يكن شىء يوجب إخفاءها و وجه إخفائها مع
هذه الحروف أن همزه الوصل قد وصلت و لم تقطع و همزه الوصل إنما تذهب فى الدرج فلما سقطت همزه الوصل و هى لا
تسقط إلا فى الدرج مع هذه الحروف فى ألف لام ميم الله كذلك لا يبين النون و يقدر فيها الاتصال بما قبلها و لا يقدر
الانفصال.

الإعراب

«أَلَّا يَكُونُوا» فى محل نصب بأنه مفعول له و التقدير لأن لا يكونوا أو بأن

لا- يكونوا «فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ» فى موضع جزم عطفًا على تنزل «مِنْ ذِكْرٍ» فى محل رفع و من مزیده و كم فى موضع نصب بأنه مفعول أنبتنا و «أُنْبِتْنَا» فى موضع نصب على الحال و قد مضمره و التقدير مثبتا.

المعنى

«طسم» قد بينا معانى هذه الحروف المقطعه فى أول البقره فلا- معنى لإعادته و قال مجاهد و الضحاك إن «طسم» و طس من أسماء القرآن و قال ابن عباس فى روايه الوالى طسم قسم و هو من أسماء الله عز و جل و قال القرظى أقسم الله بطوله و سنائه و ملكه و

روى عن ابن الحنفية عن على (عليه السلام) عن النبي ص لما نزلت «طسم» قال الطاء طور سيناء و سين الإسكندرية و الميم مكة

و قيل الطاء شجره طوبى و السين صدره المنتهى و الميم محمد المصطفى ص «تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ» أشار بتلك إلى ما ليس بحاضر لكنه متوقع فهو كالحاضر لحضور المعنى فى النفس و التقدير تلك الآيات التى وعدتم بها هى آيات الكتاب أى القرآن و المبين الذى يبين الحق من الباطل «لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» أى لعلك مهلك نفسك و قاتل نفسك بأن لا- يكونوا مؤمنين و بأن يقيموا على الكفر إنما قال ذلك سبحانه تسليه لنبيه ص و تخفيفا عنه بعض ما كان يصيبه من الاغتمام لذلك «إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ» أى دلالة و علامه تلجئهم و تضطربهم إلى الإيمان «فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا» أى لتلك الآيه «خَاضِعِينَ» منقادين و قيل فى ذلك وجوه (أحدها) إن المراد فظل أصحاب الأعناق لها خاضعين فحذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه لدلاله الكلام عليه (و ثانيها) أنه جعل الفعل أولا للأعناق ثم جعل خاضعين للرجال لأن الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون (و ثالثها) إن الخضوع مردود إلى المضمر الذى أضيف الأعناق إليه عن الأخفش و المبرد و أبى عبيده و أنشدوا قول جرير:

أرى مر السنين أخذن منى كما أخذ السرار من الهلال

(و رابعها) إن المراد بالأعناق الرؤساء و الجماعات يقال جاءنى عنق من الناس أى جماعه (و خامسها) إنه لما وصف الأعناق بصفه ما يعقل نسب إليها ما يكون من العقلاء كما قال الشاعر:

تمزرتها و الديك يدعو صياحه إذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا

و روى نادى صياحه و ذكر أبو حمزه الثمالى فى هذه الآية أنها صوت يسمع من السماء فى النصف من شهر رمضان و تخرج له العواتق من البيوت و قال ابن عباس نزلت فىنا و فى بنى أمية قال سيكون لنا عليهم الدوله فتخضع لنا أعناقهم بعد صعوبتها و تلين «و ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُخْبَرٌ إِلَّا مَا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ» أخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار أنه لا يأتىهم ذكر من الرحمن محدث أى جديد يعنى القرآن كما قال إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون و قال إن هو إلا ذكر إلا أعرضوا عن الذكر و لم يتدبروا فيه «فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ» فيما بعد يعنى يوم القيامة «أَنْبَأُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» و هى مفسره فى سورة الأنعام «أَ و لَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ» معناه من كل نوع معه قرينه «كَرِيمٍ» أى حسن و قيل نافع محمود مما يحتاج إليه و قيل من كل صنف يكرم على أهله و قيل كريم مما يأكل الناس و الأنعام عن مجاهد و قال الشعبى الناس نبات الأرض كما قال سبحانه وَ اللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا فَمَنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ فَهُوَ كَرِيمٌ و من دخل النار فهو لئيم «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً» أى لدلاله على وحدانيتنا و كمال قدرتنا «وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ» أى لا يصدقون بذلك و لا يعترفون به عنادا و تقليدا لأسلافهم و هربا من مشقه التكليف قال سيبويه كان هنا مزيده و مجازه و ما أكثرهم مؤمنين «وَ إِنَّ رَبَّكَ» يا محمد «لَهُوَ الْعَزِيزُ» أى القادر و الذى لا يعجز و الغالب الذى لا يغلب «الرَّحِيمُ» أى المنعم على عباده بأنواع النعم.

إشاره

وَ إِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَ لَا يَتَّقُونَ (١١) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (١٢) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ (١٣) وَ لَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (١٤)

قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (١٥) فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦) أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٧) قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَ فَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَ أَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١٩)

قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَ أَنَا مِنَ الصَّالِينَ (٢٠) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢١) وَ تِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ وَ مَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤)

قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَ لَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ مَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨) قَالَ لَئِنِ اتَّخَذتَّ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٢٩)

قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (٣٠)

القراءه

قرأ يعقوب و يضيقي و لا ينطلق بالنصب فيهما و الباقون بالرفع و في الشواذ قراءه عبد الله بن مسلم بن يسار و حماد بن سلمه أ لا تتقون بالتاء و قراءه الشعبي و فعلت فعلتك.

الحجه

من قرأ «يَضِيقُ» «و لَا يَنْطَلِقُ» بالرفع عطف على «أَخَافُ» و من قرأ بالنصب عطف على «أَنْ يُكَذِّبُونِ» أى أخاف أن يكذبون و أن يضيقي صدرى و لا ينطلق لسانى و من قرأ أ لا تتقون بالتاء فهو على إضمار القول أى فقل لهم أ لا تتقون و من قرأ فعلتك بكسر الفاء فهى مثل الركبه و الجلسه تكون كناية عن الحال التى يكون عليها و قد يكون المصدر على هذه الزنه تقول نشدته بالله نشده.

الإعراب

قال الزجاج موضع إذ نصب على معنى و اتل عليهم هذه القصه فيما تتلو و الدليل عليه قوله عطفًا على هذه القصه «وَ اتَّلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ»

موضعه نصب بأنه مفعول نادى أى ناداه بهذه الكلمه رسول رب العالمين واحد فى معنى الجمع كقوله فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي و يجوز أن يكون كل واحد منهما رسولا- «أَنْ عَبَدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ» فى موضع رفع لأنه بدل من نعمه تقديره و تلك نعمه تعبيدك بنى إسرائيل و تركك إياى غير عبد و يجوز أن يكون فى موضع نصب بأنه مفعول له أى إنما صارت نعمه لأن عبدت بنى إسرائيل والمعنى لو لم تفعل ما فعلت لكفلى أهلى و لم يلقونى فى اليم فإنما صارت نعمه لما فعلت من البلاء. فما ذا تَأْمُرُونَ يجوز أن يكون ما فى موضع رفع بالابتداء و ذا بمعنى الذى على تقدير فأى شىء الذى تأمرونه و يجوز أن يكون فى موضع نصب بأنه مفعول تأمرون و يكون مع ذا بمنزله اسم واحد و تقديره أى شىء تأمرون.

المعنى

ثم ذكر سبحانه أقاصيص رسله تسليه للرسول ص و تحريضا له على الصبر ثقه بنزول النصر و ابتدأ بقصه موسى و فرعون فقال «وَ إِذْ نَادَى رَبُّكَ» أى و اذكر يا محمد و اتل عليهم الوقت الذى نادى فيه ربك الذى خلقك «مُوسَى أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» هذا أمر بعد النداء و تقديره قال له يا موسى إن أنت القوم الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصى و ظلموا بنى إسرائيل بأن ساموهم سوء العذاب ثم بين القوم الموصوفين بهذه الصفه فقال «قَوْمَ فِرْعَوْنَ» و هو عطف بيان «أَلَا- يَتَّقُونَ» إنما قاله بالياء لأنه على الحكايه و معناه أ ما أن لهم أن يتقوا و يصرفوا عن أنفسهم عقوبه الله بطاعته و التقوى مجانبه القبائح بفعل المحاسن و أصله صرف الأمر بحاجز بين الصارف و بينه «قَالَ» موسى «رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ» بالرساله و لا يقبلوا منى و الخوف انزعاج النفس بتوقيع الضر و نقيضه الأمن و هو سكون النفس إلى خلوص النفع «وَ يَضْرِبُ صِدْرِي» بتكذيبهم إياى «وَ لَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي» أى لا ينبعث بالكلام للعقده التى كانت فيه و قد مر بيانها و قد يتعذر ذلك لآفه فى اللسان و قد يتعذر لضيق الصدر و غروب المعانى التى تطلب للكلام «فَأَرْسَلْ إِلَى هَارُونَ» أخى يعنى ليعاوننى كما يقال إذا نزلت بنا نازله أرسلنا إليك أى لتعيننا و إنما طلب المعاونه حرصا على القيام بالطاعه و قال الجبائى لم يسأل موسى (عليه السلام) ذلك إلا بعد أن أذن الله له فى ذلك لأن الأنبياء لا يسألون الله إلا ما يؤذن لهم فى مسألته «وَ لَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ» يعنى قتل القبطى الذى قتله موسى (عليه السلام) أى لهم على دعوى ذنب «فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ» خاف أن يقتلوه بتلك النفس لا- لإبلاغ الرساله فإنه علم أن الله تعالى إذا بعث رسولا تكفل بمعونته على تبليغ رسالته «قَالَ» الله «كَلَّا» و هو زجر أى لا- يكون ذلك و لن يقتلوك به فإنى لا أسلظهم عليك «فَاذْهَبَا» أنت و أخوك و حذف ذكر هارون و إجابة موسى إلى ما اقترحه من إرساله معه إلى فرعون لدلاله قوله «فَاذْهَبَا» عليه «بَايَاتِنَا» أى بدالاتنا و معجزاتنا

التي خصصنا كما بها «إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ» أي نحن نحفظكم و نحن سامعون ما يجرى بينكم و مستمع هنا فى موضع سامع لأن الاستماع طلب السمع بالإصغاء إليه و ذلك لا يجوز عليه سبحانه و إنما أتى بهذه اللفظه لأنه أبلغ فى الصفه و أوكد و هو قوله «إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمِعُ وَ أَرَى» و إنما قال أنا معكم لأنه أجراهما مجرى الجماعه «فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ» أرسلنا الله إليك لندعوك إلى عبادته و ترك الإشراك به و لم يقل رسولا رب العالمين لأن الرسول قد يكون فى معنى الجمع قال الهذلى:

ألكنى إليها و خير الرسول أعلمهم بنواحي الخبر

أى غير الرسل و قيل إن الرسول بمعنى الرساله كما فى قوله:

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسر و لا أرسلتهم برسول

أى برساله و قال العباس بن مرداس:

أ لا من مبلغ عنى خفافا رسولا بيت أهلك منتهاها

فأنث الرسول تأنيث الرساله و قد يقع المصدر موقع الصفه كما تقع المصدر فيكون مجازه أنا ذوا رساله رب العالمين «أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ» أى أمرك الله بأن أرسلهم و أطلقهم من الاستعباد و خل عنهم و فى الكلام حذف تقديره أنهما أتيا فرعون و بلغا الرساله على ما أمرهما الله تعالى به «قَالَ» فرعون لموسى «أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا» و التريبه تشبيه الشىء ء حالا بعد حال معناه أ لم تكن فينا صبيا صغيرا فربيناك «وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ» أى أقيمت سنين كثيره عندنا و هى ثمانى عشره سنه عن ابن عباس و قيل ثلاثين سنه عن مقاتل و قيل أربعين سنه عن الكلبي و إنما قال ذلك امتنانا عليه بإحسانه إليه و قيل أنه أظهر لؤمه حيث ذكر صنائعه «وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْتِي فَعَلْتَ» يعنى قتل القبطى «وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ» لنعمتنا و حق تربيتنا عن ابن عباس و عطاء و مقاتل و قيل معناه و أنت من الكافرين بالهك إذ كنت معناه على ديننا الذى تعيب و تقول إنه كفر عن الحسن و السدى «قَالَ» موسى «فَعَلْتُهَا إِذَا وَ أَنَا مِنَ الضَّالِّينَ» أى فعلت هذه الفعله و أنا من الجاهلين لم أعلم بأنها تبلغ القتل و قيل معناه من الناسين عن ابن زيد و قيل من الضالين عن العلم بأن ذلك يؤدى إلى قتله عن الجبائى و قيل من الضالين عن طريق الصواب لأنى ما تعمدته و إنما وقع منى خطأ كمن يرمى طائرا فيصيب إنسانا و قيل من الضالين عن النبوه أى لم يوح إلى تحريم قتله

«فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ» أى ذهبت من بينكم حذرا على نفسى إلى مدين لما خفتكم أن تقتلوني بمن قتلته «فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا» أى نبوه و قيل إن الحكم العلم بما تدعو إليه الحكمة و هو الذى وهبه الله تعالى لموسى من التوراه و العلم بالحلال و الحرام و سائر الأحكام «وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُزْسَلِينَ» أى نبيا من جملة الأنبياء «وَ تِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ» يقال عبده و أعبده إذا اتخذه عبدا و قيل فى معناه أقوال (أحدها) أن فيه اعترافا بأن تربيته له كانت نعمه منه على موسى و إنكارا للنعمه فى ترك استعباده و يكون ألف التوبيخ مضمرا فيه فكأنه يقول أو تلك نعمه تمنها على إن عبدت بنى إسرائيل و لم تعبدنى (و ثانيها) إنه إنكار للمنه أصلا و معناه أ تمن على بأن رببته مع استعبادك قومى هذه ليست بنعمه يريد أن اتخذك بنى إسرائيل الذين هم قومى عبدا أحبط نعمتك التى تمن بها على (و ثالثها) إن معناه إنك لو كنت لا تستعبد بنى إسرائيل و لا تقتل أبناءهم لكنت أمة مستغنيه عن قذفى فى اليم فكأنك تمن على بما كان بلاؤك سببا له عن الزجاج و زاد الأزهرى لهذا بيانا فقال إن فرعون لما قال لموسى (عليه السلام) أ لم نربك فينا وليدا فاعتد عليه بأن رباه وليدا منذ ولد إلى أن كبر فكان من جواب موسى (عليه السلام) له تلك نعمه تعتد بها على لأنك عبدت بنى إسرائيل و لو لم تعبدهم لكفلتنى أهلى فلم يلقونى فى اليم فإنما صارت لك على نعمه لما أقدمت عليه مما حظره الله عليك (و رابعها) إن فيه بيان أنه ليس لفرعون عليه نعمه لأن الذى تولى تربيته أمه و غيرها من بنى إسرائيل بأمر فرعون لما استعبدهم فيكون معناه أنك تمن على بأن استعبدت بنى إسرائيل حتى ربونى و حفظونى عن الجبائى «قَالَ فِرْعَوْنُ وَ مَا رَبُّ الْعَالَمِينَ» أى أى جنس رب العالمين الذى تدعونى إلى عبادته «قَالَ» موسى فى جوابه «رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى مبدعهما و منشئهما و خالقهما «وَ مَا بَيْنَهُمَا» من الحيوان و الجماد و النبات «إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ» بأن الرب من كان بهذه الصفه أو موقنين بأن هذه الأشياء محدثه و ليست من فعلكم و المحدث لا بد له من محدث و لم يشتغل موسى لجواب ما سأله فرعون لأن الله تعالى ليس بذى جنس بل اشتغل ببيان ربوبيته و صفاته و بيان الحججه الداله عليه من خلقه الذى يعجز المخلوقون عن مثله «قَالَ» فرعون «لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ» يريد ألا تستمعون مقاله موسى عن ابن عباس و قيل معناه أ لا تصغون إليه و تفهمون ما يقوله معجبا من قوله و إنما عجب فرعون من حوله من جوابه لأنه طلب منه أى أجناس الأجسام هو جهلا منه بالتوحيد لأنه لو كان كأحد أجناس الأجسام لكان محدثا كسائر الأجسام التى هى من جنسه لحلول الحوادث فيه و دله موسى على الله بدلاله أفعاله التى بها يجب أن يستدل عليه تعالى فقال فرعون انظروا إلى هذا أسأله عن شىء فيجيب عن غيره فجرى موسى (عليه السلام) على عادته

فى الرفق و تأكيد الحججه و تكريرها «قال رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبائِكُمُ الْأَوَّلِينَ» و إنما ذكره تأييدا لما قبله و توكيدا له فإن فرعون كان يدعى الربوبية على أهل عصره دون من قبله فبين إن المستحق للربوبية من هو رب أهل كل عصر و مالك تدبيرهم فعند ذلك «قال» فرعون إذ لم يقدر على جواب لكلام موسى (عليه السلام) يموه عليهم «إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ» لأننى أسأله عن ماهية رب العالمين فيجيبنى عن غير ذلك كما يفعل المجنون فعند ذلك لم يشتغل موسى (عليه السلام) بالجواب عما نسبه إليه من الجنون و لكن اشتغل بتأكيد الحججه و الزيادة فى الإبانة بأن «قال رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ مَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ» ذلك و تدبرونه و قيل إن كنتم تعلمون أنه إنما يستحق العبادة من كان بهذه الصفه فلما طال على فرعون الاحتجاج من موسى «قال» مهددا له «لَئِنْ أَخَذْتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ» أى من المحبوسين قالوا و كان إذا سجن أحدا لم يخرجه حتى يموت فلما توعدده بالسجن «قال أَوْ لَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ» معناه أ تسجننى و لو جئتك بأمر ظاهر تعرف به صدقى و كذبك و حجه ظاهره تدل على نبوتى.

إشارة

قَالَ فَاتٍ بِهِ إِنَّ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣١) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (٣٢) وَ نَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (٣٣) قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (٣٥)

قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٣٦) يَا تُوَكُّ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ (٣٧) فَجَمَعَ السَّحَرَةَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٣٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (٣٩) لَعَلْنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (٤٠)

فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَا أَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (٤١) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٢) قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلَمْ تَأْتُوا مَنَا مَلْفُونَ (٤٣) فَأَلْقُوا جِبَالَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (٤٤) فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥)

فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (٤٦) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَ هَارُونَ (٤٨) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَ لَأَصْلَبُنَّكُمُ أَجْمَعِينَ (٤٩) قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (٥٠)

المعنى

«قَالَ» فرعون لموسى «فَاتٍ بِهِ إِنَّ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» أى هات ما ادعيت من المعجزات إن كنت صادقاً «فَأَلْقَى» حينئذ موسى «عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ» أى حيه عظيمه وقيل الثعبان الذكر من الحيات «مُبِينٌ» ثعبان لا-شبهه فيه «وَ نَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ» أى وأخرج يده من كفه أو جيبه على ما روى فإذا هى بيضاء بياضاً نورياً كالشمس فى إشراقها للناظرين إليها «قَالَ» فرعون «لِلْمَلَأِ» الأشراف من قومه «حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ» بالسحر والحيل «يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ» ودياركم ويتغلب عليها «بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ» فى بابه وإنما شاور قومه فى ذلك مع أنه كان يقول لهم أنه إله لأنه يجوز أن يكون ذهب عليه وعلى قومه إن الإله لا-يجوز أن يشاور غيره كما ذهب عليهم أن الإله لا-يجوز أن يكون جسماً محتاجاً فاعتقدوا إلهيته مع ظهور حاجته «قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ» قد مر تفسيره واختلاف القراء فيه فى سورة الأعراف «وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ» يحشرون الناس من جميع البلدان «يَا تُوَكُّ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ» وفى الكلام حذف تقديره أنه أنفذ الحاشرين فى البلدان فحشروهم «فَجَمَعَ السَّحَرَةَ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ» أى لوقت يوم بعينه اختاروه وعينوه وهو يوم عيدهم يوم الزينة «وَقِيلَ لِلنَّاسِ» أى لأهل مصر «هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ لَعَلْنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ» لموسى وأخيه «فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ» وحضروا بين يدى فرعون «قَالُوا» له «أَإِنَّا لَنَا أَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ» أى هل لنا أجره وجزاء على غلبتنا إياه إن نحن غلبناه «قَالَ» فرعون

«نَعَمْ» لكم على ذلك الأجر الجزيل «وَإِنَّكُمْ» مع ما تعطون من الجزاء والأجر «إِذَا لِمَنِ الْمُقَرَّبِينَ» و المقرب المدنى من مجلس الكرامه «قَالَ لَهُمْ» أى للسحره «مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ» هذا بصورة الأمر و المراد به التحدى «فَأَلْقُوا حِبَالَهُمْ وَ عَصِيَّتَهُمْ» أى طرحوا ما كان معهم من الحبال و العصى «وَ قَالُوا بِعِزَّةِ رَبِّكَ فَزَعُونَ» إِنَّا لَنَنخُنُ الْعَالِيُونَ» و العزه القوه التى يمتنع بها من لحاق ضميم لعلو منزلتها و هذا القول قسم منهم و إن كان غير مبرور «فَأَلْقَى» عند ذلك «مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ» أى أن العصا تتناول جميع ما موهوا به فى أوجز مده من الزمان «فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ» لما بهرهم ما أظهره موسى (عليه السلام) من قلب العصا حيه و تلقفها جميع ما أتعبوا به نفوسهم فيه و علموا إن ذلك من عند الله إذ أحد من البشر لا يقدر عليه «قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَ هَارُونَ» فعند ذلك «قَالَ» فرعون مهددا لهم «آمَنْتُمْ» أى صدقتم له فيما يدعو إليه «قَبِلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ» أى أنا فى تصديقه «إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ» أى أستاذكم و عالمكم «الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» فيما بعد ما أفعله بكم عقوبه لكم على تصديقكم إياه ثم فسر ذلك بقوله «لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ» يعنى قطع اليد من جانب و الرجل من الجانب الآخر كقطع اليد اليمنى و الرجل اليسرى «وَ لَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ» مع ذلك على الجذوع و لا أترك أحدا منكم لا تناله عقوبتى «قَالُوا» فى جوابه عن ذلك «لَا ضَيْرَ» أى لا ضرر علينا فيما تفعله يقال ضاره يضيره ضيرا و ضره يضره ضررا «إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ» أى إلى ثواب ربنا راجعون فيجازينا على إيماننا و صبرنا بالنعيم الدائم الذى لا ينقضى و لا يضرنا قطعك و صلبك فإنه ألم ساعه عن قريب ينقضى قال الحسن لم يصل فرعون إلى قتل واحد منهم و لا قطعاه و قيل إن أول من قطع الأيدي و الأرجل فرعون.

[سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٥١ الى ٦٨]

إشارة

إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (٥١) وَ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسِرْ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ (٥٢) فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٥٣) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَ إِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٥)

وَ إِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ (٥٦) فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَ عَيْوُنٍ (٥٧) وَ كُنُوزٍ وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَلِكَ وَ أَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) فَأَتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (٦٠)

فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) وَ أَرْزَلْنَا تَمَّ الْآخِرِينَ (٦٤) وَ أَنْجَيْنَا مُوسَى وَ مَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥)

ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ (٦٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٦٧) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦٨)

قرأ ابن عامر و أهل الكوفه حاذرون بالألف و الباكون بغير ألف و قرأ فاتبعوهم موصوله الألف مشدده التاء زيد عن يعقوب و قرأ الباكون «فَأَتَّبَعُوهُمْ» بقطع الألف و سكون التاء و قرأ حمزه و نصير عن الكسائي و خلف تراء الجمعان بكسر الراء و الباكون بفتحها و فى الشواذ قراءه أبان بن تغلب إن كنا أول المؤمنين بكسر الهمزه من أن و قراءه ابن أبى عامر حاذرون بالبدال غير المعجمه و قراءه الأعرج و عبيد بن عمير إنا لمدركون بتشديد الدال و قراءه عبد الله بن الحرث و أزلقنا بالقاف.

الحجه

قال أبو على قال أبو عبيده رجل حذر و حذر و حاذر قال ابن أحمري:

هل ينسأن يومى إلى غيره أنى حوالى و أنى حذر

حوالى أى ذو حيله و قال العباس بن مرداس:

و إنى حاذر أنمى سلاحي إلى أوصال ذيال منيع

و وجه إماله الحركه على الراء من تراءى أن قياسه أن يكون تراءى فى الموقف مثال تراعى فأمال فتحه الراء لإماله فتحه الهمزه التى أميلت ليميل الألف نحو الياء كما قالوا رأى

أمالوا فتحه الراء لإماله فتحه الهمزه فإن قيل فإذا وصل وقيل تراه الجمعان فهلا لم يجوز إماله الفتحه التى على الراء لأنه إذا كان إمالتها لإماله فتحه الهمزه وما يوجب إماله الفتحه فقد سقط وهو الألف المنقلبه من الياء التى سقطت لالتقاء الساكنين فإذا سقطت لم يجوز إماله فتحه الهمزه فإذا لم يجوز إماله فتحه الهمزه وجب أن لا- يجوز إماله فتحه الراء فليل إن إماله فتحه الراء فى تراءى جائزه فى الوصل مع سقوط الألف من تفاعل لالتقاء الساكنين وما سقط الألف عن تفاعل لالتقاء الساكنين فهو عندهم فى حكم الثابت يدل على ذلك قولهم

" ولا ذاكرا لله إلا قليلا "

فنصب مع سقوط التنوين لالتقاء الساكنين كما ينصب إذا ثبت وزعم أبو الحسن أنه قد قرأ فى القُتلى الحُرُّ بإماله فتحه اللام مع سقوط الألف وقال ابن جنى قوله إن كنا أول المؤمنين من الكلام الذى يعتاده المستظهر المدل بما عنده يقول الرجل لصاحبه أنا أحفظه عليك إن كنت وافيا و لن يضع لك جميل عندى إن كنت شاكرا أى فكما تعلم إن هذا معروف من حالى فثق بوفائى و شكرى و مثله بيت كتاب سيبويه:

أ تغضب أن أذنا قتيبه حزتا جهارا و لم تغضب لقتل ابن حازم

فشرط بذلك و قد كان و وقع قبل ذلك و قد جاء به أبو تمام فقال:

و مكارما عتق النجار تليده إن كان هضب عمايتين تليدا

أى كما كان هضب عمايتين تليدا فكذلك هذه المكارم و أما قوله حادرون فالحادر القوى الشديد و منه الحادره الشاعره و حدر الرجل إذا قوى جسمه و امتلأ لحما و شحما قال الأعشى:

و عسير أدماء حادره العين خنوف غير أنه شمالال

و يقال أدركت الشىء و أدركته بمعنى و من قرأ «و أزلَّفْنَا» بالفاء فالآخرون موسى و أصحابه و من قرأ بالقاف فالآخرون فرعون و أصحابه أى أهلكناهم.

اللغة

سرى و أسرى لغتان و قد فرق بينهما و الشردمه العصبه الباقية من عصب كثيره

ص: ٢٩٩

و شردمه كل شىء بقيته القليله قال الراجز:

جاه الشتاء و قميصى أخلاق شراذم يضحك منها التواق

و الفرق بين الحذر و الحاذر أن الحاذر الفاعل للحذر و الحذر المطبوع على الحذر و الكنوز الأموال المخباه فى مواضع غامضه من الأرض بعضها على بعض و منه كناز التمر و غيره مما يعبأ بعرضه على بعض و المقام الموضع الذى يقام فيه و الكريم الحقيق يعطاء الخير الجزيل و هى صفه تعظيم فى المدح و اتبع فلان فلانا و تبعه إذا اقتفى أثره و الإشراق الدخول فى وقت شروق الشمس و يقال شرقت الشمس إذا طلعت و أشرقت إذا أضاءت و صفت و أشرقنا دخلنا فى الشروق و تراء الجمعان أى تقابلا بحيث يرى كل منهما صاحبه و يقال تراءى نارا هما إذا تقابلا و إنما جاز تشبيه الجمع لأنه يقع عليه صفه التوحيد فتقول هذا جمع واحد كما تقول جمله واحده و الإدراك اللحاق يقال أدرك قتاده الحسن أى لحقه و أدرك الزرع أى لحق ببلوغه و أدرك الغلام أى بلغ و أدركت القدر نضجت و الطود الجبل قال الأسود بن يعفر:

حلوا بانقره يجيش عليهم ماء الفرات يجىء من أطواد

و الازدلاف الإدناء و التقريب و منه المزدلفه أبو عبيده أزلفنا جمعنا و ليله المزدلفه ليله جمع قال الشاعر:

و كل يوم مضى أو ليله سلفت فيها النفوس إلى الآجال تزدلف

و الآخر بفتح الخاء الثانى من قسمى أحد يقال نجى الله أحدهما و أهلك الآخر و بكسر الخاء هو الثانى من قسمى الأول يقال نجى الأول و هلك الآخر.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن السحره أنهم قالوا لفرعون حين آمنوا «إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا» أى ما فعلناه من السحر و غيره «أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ» أى لأننا كنا أول من صدق موسى و أقر بنبوته و بما دعانا إليه من التوحيد و نفى التشبيه و قيل أنهم أول من آمن عند تلك الآيه أو أول من آمن من آل فرعون لأن بنى إسرائيل كانوا آمنوا به «وَأَوْحَيْنَا

إلى موسى أَنْ أُسِيرَ بِعِبَادِي» سبق تفسيره فى سورة طه «إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ» بتبعكم فرعون و جنوده ليحولوا بينكم و بين الخروج من أرض مصر «فَأَرْسَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْمِيدَانِ حَاشِرِينَ» يحشرون إليه الناس و يجمعون له الجيوش ليقبضوا على موسى و قومه لما ساروا بأمر الله عز و جل فلما حضروا عنده قال لهم «إِنَّ هَؤُلَاءِ» يعنى أصحاب موسى «لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ» أى عصابه من الناس قليلة قال الفراء يقال عصبه قليلة و قليلون و كثيره و كثيرون قال المفسرون و كان الشرذمه الذين قللهم فرعون ستمائه ألف و لا يحصى عدد أصحاب فرعون «وَ إِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِطُونَ» يقال غاظه و اغتاظه و غيظه إذا أغضبه أى أنهم غاظونا لمخالفتهم إيانا فى الدين ثم لخروجهم من أرضنا على كره منا و ذهابهم بالحلى الذى استعاروها و خلوصهم من استعبادنا «وَ إِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ» أى خائفون شرهم و حاذرون أى مؤدون مقوون أى ذوو أداه و قوه مستعدون شاكون فى السلاح و قال الزجاج الحاذر المستعد و الحذر المتيقظ ثم أخبر سبحانه عن كيفية إهلا-كهم بقوله «فَأَخْرَجْنَاهُمْ» يعنى آل فرعون «مِنْ جَنَاتٍ» أى بساتين «وَ عُيُونٍ» جاريه فيها «وَ كُنُوزٍ» أى أموال مخبأه و خزائن و دفائن «وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ» أى منابر يخطب عليها الخطباء عن ابن عباس و قيل هو مجالس الأمراء و الرؤساء التى كان يحف بها الأتباع فيأتمرون بأمرهم و قيل المنازل الحسان التى كانوا مقيمين فيها فى كرامه و قيل يريد مرابط الحيل لتفرد الرؤساء بارتباطها عده و زينه فصار مقامها أكرم مقام متروك «كَذَلِكَ» أى كما وصفنا لك أخبارهم «وَ أَوْزَنَّا بَيْنَ إِسْرَائِيلَ» و ذلك إن الله سبحانه رد بنى إسرائيل إلى مصر بعد ما أغرق فرعون و قومه و أعطاهم جميع ما كان لفرعون و قومه من الأموال و العقار و المساكن و الديار «فَأَتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ» يعنى قوم فرعون أدركوا موسى و أصحابه حين شرقت الشمس و ظهر ضوءها و ذلك قوله «فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ» أى تقابلا- بحيث يرى كل فريق صاحبه «قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ» أى سيدركنا جمع فرعون و لا طاقه لنا بهم «قَالَ» موسى ثقه بنصر الله تعالى «كَلَّا» لن يدركونا و لا يكون ما تظنون فانتهوا عن هذا القول «إِنَّ مَعِيَ رَبِّي» بنصره «سَيَهْدِينِ» أى سيرشدنى إلى طريق النجاه و قيل سيكفينى عن السدى «فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ» و هو نهر النيل ما بين إبله و مصر و قيل هو بحر قلزم ما بين اليمن و مكه إلى مصر و فيه حذف أى فضرب «فَمَا نَفَلَقْ» أى فانشق البحر و ظهر فيه اثنا عشر طريقا و قام الماء عن يمين الطريق و يساره كالجبل العظيم و ذلك قوله «فَكَانَ كُلُّ فُوقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ» أى فكان كل قطعه من البحر كالجبل العظيم و الفرق الاسم لما انفرق و الفرق مصدر «وَ أَرْزَلْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ» أى قربنا إلى البحر فرعون و قومه حتى أغرقناهم عن

ابن عباس و قتاده و قيل معناه جمعنا فى البحر فرعون و قومه عن أبى عبيده و قيل معناه و قربناهم إلى المنيه لمجىء وقت هلاكهم «وَ أَنْجَيْنَا مُوسَى وَ مَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ» يعنى بنى إسرائيل أنجينا جميعهم من الغرق و الهلاك «ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ» فرعون و جنوده «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً» معناه إن فى فرق البحر و إنجاء موسى و قومه و إغراق فرعون و قومه لدلاله واضحه على توحيد الله و صفاته التى لا يشاركه فيها غيره «وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ» معناه أنهم مع هذا السلطان الظاهر و البرهان الباهر و المعجز القاهر ما آمن أكثرهم فلا تستوحش يا محمد من قعود قومك عن الحق الذى تأتبهم به و تدلهم عليه فقد جروا على عادة أسلافهم فى إنكار الحق و قبول الباطل «وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ» فى سلطانه «الرَّحِيمُ» بخلقه و قيل العزيز فى انتقامه من أعدائه الرحيم فى إنجائه من الهلاك لأولياؤه و قيل أنه لم يؤمن من أهل مصر غير آسياه امرأه فرعون و مؤمن آل فرعون و مريم التى دلت على عظام يوسف.

إشارة

وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ (٧٣)

قَالُوا بَلْ وَحَدِّثْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهَوَّ يَهْدِينِ (٧٨)

وَ الَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَ يَسْقِيَنِي (٧٩) وَ إِذَا مَرَضْتُ فَهَوَّ يَشْفِينِي (٨٠) وَ الَّذِي يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي (٨١) وَ الَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢) رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَ الْخِفْيَنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣)

وَ اجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤) وَ اجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَ اغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (٨٦) وَ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُنْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يُنْفَعُ مَالٌ وَ لَا بَنُونَ (٨٨)

إِلَّا- مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) وَ أُرْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (٩٠) وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩١) وَ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (٩٣)

فَكَبَّكِبُوا فِيهَا هُمْ وَ الْغَاوُونَ (٩٤) وَ جُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٥) قَالُوا وَ هُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٩٧) إِذْ نَسَوْنَكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٩٨)

وَ مَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (٩٩) فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (١٠٠) وَ لَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (١٠١) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٢) إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٠٣)

وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٠٤)

اللغة

الأقدم الموجود قبل غيره و مثله الأول و الأسبق و القدم وجود الشيء لا إلى أول و التبريز الإظهار يقال أبرزه و برزه فيبرز بروزا و الغاوى العامل بما يوجب الخيبة من الثواب ككبوا أصله كببوا إلا- أنه ضوعف بتكرير الفاء أى دهدهوا و طرح فيها بعضهم على بعض جماعه جماعه و الحميم القريب الذى توده و يودك.

الإعراب

«هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ» أصله أن يتعدى إلى ما كان صوتا مسموعا تقول سمعت كلامك فإن وقع على جوهر تعدى إلى مفعولين و لا

يكون الثاني منهما إلا صوتا كقولك سمعت زيدا يقرأ و لا يجوز سمعت زيدا يقوم لأن القيام لا يكون مسموعا و قوله «هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ» على حذف المضاف و التقدير هل يسمعون دعاءكم فحذف المضاف

ص: ٣٠٣

و دل عليه قوله «إِذْ تَدْعُونَ». «إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ» استثناء منقطع و يجوز أن يكون غير منقطع على تقدير فإن جميع ما عبدتم عدو لى إلا رب العالمين و قد عبدوا مع الله تعالى الأصنام. «إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ» الموصول و الصله فى محل نصب على البدل من مفعول ينفع المحذوف تقديره يوم لا ينفع أحدا مال و لا بنون إلا من أتى الله و يجوز أيضا أن يكون منصوبا على الاستثناء. «هُمْ فِيهَا» مبتدأ و خبر. «يَخْتَصِمُونَ» فى موضع نصب على الحال و يجوز أن يكون يختصمون خبر المبتدأ و فيها يتعلق به فيكون منصوبا بإضمار أن فى جواب التمنى.

المعنى

ثم قال سبحانه «وَ اتُّلِّ عَلَيْهِمْ» يا محمد «نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ» أى خبر إبراهيم فإنه شجره الأنبياء و به افتخار العرب و فيه تسليه لك و عظه لقومك «إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَ قَوْمِهِ» على وجه الإنكار عليهم «مَا تَعْبُدُونَ» أى أى شىء تعبدون من دون الله «قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُّ لَهَا عَاكِفِينَ» أى فنظل لها مصلين عن ابن عباس و قيل معناه فنقيم على عبادتها مداومين «قَالَ» إبراهيم «هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ» أى هل يسمعون دعاءكم «إِذْ تَدْعُونَ» معناه هل يستجيبون دعاءكم إذا دعوتموهم «أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ» إذا عبدتموهم «أَوْ يَضُرُّونَ» إن تركتم عبادتها و فى هذا بيان إن الدين إنما يثبت بالحجه و لو لا ذلك لم يحاجهم إبراهيم (عليه السلام) هذا الحجاج «قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ» و هذا إخبار عن تقليدهم آباءهم فى عباده الأصنام «قَالَ» إبراهيم (عليه السلام) منكرًا عليهم التقليد «أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ» أى الذى كنتم تعبدونه من الأصنام «أَنْتُمْ» الآن «وَ آبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ» أى المتقدمون أى و الذين كان آباؤكم يعبدونهم و إنما دخل لفظه كان لأنه جمع بين الحال و الماضى «فَأَنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي» معناه إن عباده الأصنام مع الأصنام عدو لى إلا أنه غلب ما يعقل و قيل أنه يعنى الأصنام و إنما قال فإنهم فجمعها جمع العقلاء لما وصفها بالعداوة التى لا تكون إلا من العقلاء و جعل الأصنام كالعدو فى الضرر من جهه عبادتها و يجوز أن يكون قال فإنهم لأنه كان منهم من يعبد الله مع عبادته الأصنام فغلب ما يعقل و لذلك استثنى فقال «إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ» استثناء من جميع المعبودين قال الفراء أنه من المقلوب و المعنى فإنى عدو لهم و من عاديته فقد عاداك ثم وصف رب العالمين فقال «الَّذِى خَلَقَنِي» و أخرجنى من العدم إلى الوجود «فَهُوَ يَهْدِينِ» أى يرشدنى إلى ما فيه نجاتى و قيل الذى خلقنى لطاعته فهو يهدىنى إلى جنته «وَ الَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِي وَ يَسْقِينِي وَ إِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي» معناه أنه يرزقنى ما أتغذى به و يفعل ما يصح بدنى «وَ الَّذِى يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي» أى يميتنى بعد أن كنت حيا و يحيينى يوم القيامة بعد أن أكون ميتا «وَ الَّذِى أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ» أى يوم الجزاء و إنما قال ذلك على سبيل الانقطاع منه إلى الله تعالى لا على سبيل أن له خطيئه

يحتاج إلى أن يغفر له يوم القيامة لأن عندنا لا يجوز أن يقع من الأنبياء شىء من القبائح و عند جميع أهل العدل و إن جوزوا عليهم الصغائر فإنها تقع عندهم محبته مكفره فليس شىء منها غير مغفور فيحتاج إلى أن يغفر يوم القيامة و قيل معناه أطمع أن يغفر لمن يشفعني فيه فأضافه إلى نفسه كقوله سبحانه لنبيه ص لِيُغْفِرَ لِمَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ وَ إِنَّمَا قَالَ وَ إِذَا مَرَضَتْ فَأُضِافَ الْمَرَضُ إِلَى نَفْسِهِ وَ إِنْ كَانَ مِنَ اللَّهِ اسْتِعْمَالًا لِحَسَنِ الْأَدَبِ فَإِنَّ الْمَقْصُودَ شُكْرَ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَ لَوْ كَانَ الْمَقْصُودَ بَيَانَ الْقُدْرَةِ لِأُضِافِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَ نَظِيرُهُ قَوْلُ الْخَضِرِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَأَرَدْتُ أَنْ أَعْيَبَهَا ثُمَّ قَالَ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَ إِنَّمَا حَذَفَ الْبَاءَاتِ لِأَنَّهُ رَعَوْسُ الْآيَاتِ وَ هَذَا الْكَلَامُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) إِنَّمَا صَدَرَ عَلَى وَجْهِ الْأَحْتِجَاجِ عَلَى قَوْمِهِ وَ الْإِخْبَارِ بِأَنَّهُ لَا يَصْلِحُ لِلْإِلَهِيَّةِ إِلَّا مِنْ فِعْلِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ ثُمَّ حَكَى اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَأَلَهُ وَ قَالَ «رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا» وَ الْحُكْمُ بَيَانُ الشَّيْءِ عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ الْحُكْمَةُ وَ قِيلَ إِنَّهُ الْعِلْمُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ يَعْنِي عِلْمًا إِلَى عِلْمٍ وَ فَهِيَ إِلَى فِقْهِ وَ قِيلَ إِنَّهُ النَّبِيُّ عَنْ الْكَلْبِيِّ «وَ أَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ» أَيْ بِمَنْ قَبْلِي مِنَ النَّبِيِّينَ فِي الدَّرَجَةِ وَ الْمَنْزَلَةِ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ أَفْعَلْ بِي مِنَ اللَّطْفِ مَا يُؤَدِّينِي إِلَى الصَّلَاحِ وَ الْاجْتِمَاعِ مَعَ النَّبِيِّينَ فِي الثَّوَابِ وَ فِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى عَظَمِ شَأْنِ الصَّلَاحِ وَ هُوَ اسْتِقَامَةٌ عَلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ وَ دَعَا إِلَيْهِ «وَ اجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ» أَيْ ثَنَاءً حَسَنًا فِي آخِرِ الْأُمَمِ وَ ذِكْرًا جَمِيلًا وَ قَبُولًا عَامًا فِي الَّذِينَ يَأْتُونَ بَعْدِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَأَجَابَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دَعَا فُكُلِ أَهْلِ الْأَدْيَانِ يَثْنُونَ عَلَيْهِ وَ يَقْرُونَ بِنُبُوَّتِهِ وَ الْعَرَبُ تَضَعُ اللِّسَانَ مَوْضِعَ الْقَوْلِ عَلَى اسْتِعَارِهِ لِأَنَّ الْقَوْلَ يَكُونُ بِهَا وَ كَذَلِكَ يَسْمُونَ اللَّغَةَ لِسَانًا قَالَ الْأَعْمَشِيُّ بِأَهْلِهِ:

إني أتنتى لسانا لا أسر بها من علو لا عجب منها و لا سخر

و قيل إن معناه و اجعل لي ولد صدق في آخر الأمم يدعو إلى الله و يقوم بالحق و هو محمد ص «وَ اجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ» أَيْ مِنَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ «وَ اغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ» أَيْ مِنَ الْذَاهِبِينَ عَنِ الصَّوَابِ فِي اعْتِقَادِهِ وَ وَصَفَهُ بِأَنَّهُ ضَالٌّ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ كَافِرًا كَفَرَ جَهَالَةً لَا كَفَرَ عِنَادًا وَ قَدْ ذَكَرْنَا الْوَجْهَ فِي اسْتِغْفَارِ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ فِي سُورَةِ التَّوْبَةِ «وَ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ» أَيْ لَا تَفْضَحْنِي وَ لَا تَعْبِرْنِي بِذَنْبِ يَوْمِ تَحْشُرِ الْخَلَائِقِ وَ هَذَا الدَّعَاءُ كَانَ مِنْهُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَلَى وَجْهِ الْانْقِطَاعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَمَّا بَيَّنَّا أَنَّ الْقِيَامَةَ لَا يَجُوزُ وَقُوعُهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ثُمَّ فَسَّرَ ذَلِكَ الْيَوْمَ بِأَنَّ قَالَ «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَ لَا بَنُونَ» أَيْ لَا يَنْفَعُ الْمَالُ وَ الْبَنُونَ أَحَدًا إِذْ لَا يَتَهَيَّأُ لِلذِّمَالِ أَنَّ يَفْتَدِيَ مِنْ شِدَائِدِ ذَلِكَ الْيَوْمِ

به ولا يتحمل من صاحب البنين بنوه شيئا من معاصيه «إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» من الشرك و الشك عن الحسن و مجاهد و قيل سليم من الفساد و المعاصى و إنما خص القلب بالسلامه لأنه إذا سلم القلب سلم سائر الجوارح من الفساد من حيث أن الفساد بالجارحه لا يكون إلا عن قصد بالقلب الفاسد و

روى عن الصادق (عليه السلام) أنه قال هو القلب الذى سلم من حب الدنيا

و يؤيده

قول النبى ص حب الدنيا رأس كل خطيئه

«وَأَزَلَمَتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ» أى قربت لهم ليدخلوها «وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ» أى أظهرت و كشف الغطاء عنها للضالين عن طريق الحق و الصواب «وَقِيلَ لَهُمْ» فى ذلك اليوم على وجه التوبيخ «أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» من الأصنام و الأوثان و غيرهما و إنما وبخوا بلفظ الاستفهام لأنه لا جواب لهم عن ذلك إلا بما فيه فضيحتهم «هَلْ يَنْصَرِفُونَ عَنْكُمْ» بدفع العذاب عنكم فى ذلك اليوم «أَوْ يَنْتَصِرُونَ» لكم إذا عوقبتهم و قيل ينتصرون أى يمتنعون من العذاب «فَكَبَّكِبُوا فِيهَا» أى جمعوا و طرح بعضهم على بعض عن ابن عباس و قيل نكسوا فيها على رءوسهم عن السدى «هُمْ» يعنى الآلهه التى تعبدونها «وَالْغَاوُونَ» أى و العابدون و المعنى اجتمع المعبودون من دون الله و العابدون لها فى النار «وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ» أى و كبكب معهم جنود إبليس يريد من اتبعه من ولده و ولد آدم «قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ» أى قال هؤلاء و هم فى النار يخاصم بعضهم بعضا «تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ» و إن هذه هى المخففه من الثقيله أى إنا كنا فى ضلال و معناه لقد كنا فى ضلال عن الحق بين و ذهب عن الصواب ظاهر إذ سويتناكم بالله و عدلناكم به فى توجيه العباده إليكم «وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ» أى إلا أولونا الذين اقتدينا بهم عن الكلبى و قيل إلا الشياطين عن مقاتل و قيل الكافرون الذين دعونا إلى الضلال ثم أظهروا الحسره فقالوا «فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ» يشفعون لنا و يسألون فى أمرنا «وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ» أى ذى قرابه بهمه أمرنا و المعنى ما لنا من شفيع من الأبعاد و لا صديق من الأقارب و ذلك حين يشفع الملائكه و النبيون و المؤمنون و

فى الخبر المأثور عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله ص يقول إن الرجل يقول فى الجنة ما فعل صديقى فلان و صديقه فى الجحيم فيقول الله تعالى أخرجوا له صديقه إلى الجنة فيقول من بقى فى النار فما لنا من شافعين و لا صديق حميم

و

روى العياشى بالإسناد عن حمران بن أعين عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال و الله لنشفعن لشيعتنا و الله لنشفعن لشيعتنا حتى يقول الناس «فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَ لَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ» إلى قوله «فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»

و

فى روايه أخرى حتى يقول عدونا

و عن أبان بن تغلب قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول إن المؤمن ليشفع يوم القيامة

لأهل بيته فيشفع فيهم حتى يبقى خادمه فيقول و يرفع سبابته يا رب خويدمى كان يقينى الحر و البرد فيشفع فيه

و فى خبر آخر عن أبى جعفر (عليه السلام) قال أن المؤمن ليشفع لجاره و ما له حسنه فيقول يا رب جارى كان يكف عنى الأذى فيشفع فيه و إن أدنى المؤمنين شفاعه ليشفع لثلاثين إنسانا

ثم قالوا «فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً» أى رجعه إلى الدنيا «فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» المصدقين فتحل لنا الشفاعه «إِنَّ فِي ذَلِكَ» أى فيما قصصناه «لَمَّآيَةً» أى دلالة لمن نظر فيها و اعتبر بها «وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ» فيها تسليه للنبي ص و إعلام له بأن الشر قديم «وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» مضى معناه.

[سوره الشعراء (٢٦): الآيات ١٠٥ الى ١٢٢]

اشاره

كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا- تَتَّقُونَ (١٠٦) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٧) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا (١٠٨) وَ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٩)

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا (١١٠) قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَ اتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ (١١١) قَالَ وَ مَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٢) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣) وَ مَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٤)

إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (١١٥) قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ (١١٦) قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَافْتَحْ بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ فَتْحًا وَ نَجِّنِي وَ مَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١١٨) فَانْجِنَاهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١١٩)

ثُمَّ أَعْرَفْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ (١٢٠) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٢١) وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٢٢)

ص: ٣٠٧

قرأ يعقوب و أتباعك و هو قراءه ابن مسعود و الضحاك و ابن السميع و الفراء و الباقر «وَاتَّبَعَكَ».

الحجه

يحتمل قوله و أتباعك وجهين (أحدهما) أن يكون مبتدأ و «الْأَرْدُلُونَ» خبره و المعنى لما ذا نؤمن لك و إنما أتباعك الأردلون (و الآخر) أن يكون معطوفا على الضمير فى «أَنْ تُؤْمِنُ» أى أ نؤمن نحن و أتباعك و «الْأَرْدُلُونَ» صفه للأتباع و جاز العطف على الضمير المرفوع المتصل من غير توكيد لما وقع هناك من الفصل و هو قوله «لَكَ» فصار طول الكلام به كالعرض من توكيد الضمير بقوله نحن و المعنى أ نؤمن لك و أتباعك الأردلون فنعد فى عدادهم.

اللغه

الأردلون و الأراذل السفله و أوضاع الناس و الرذل الوضيع و الرذيله نقيض الفضيله و الطرد إبعاد الشىء على وجه التنفير طرده يطرده و أطرده جعله طريدا و أطرده فى الباب استمر فى الذهاب كالطريد و الرجم الرمى بالحجاره و لا يقال للرمى بالقوس رجم و يسمى المشتوم مرجوما لأنه يرمى بما يذم و الانتهاء بلوغ الحد من غير مجاوزه إلى ما وقع عنه النهى و أصل النهايه بلوغ الحد و النهى الغدير لانتهاء الماء إليه و الفتح الحكم و الفتح الحاكم لأنه يفتح على وجه الأمر بالحكم الفصل قال الشاعر:

أ لا أبلغ بنى أعياء رسولا فإنى عن فتاحتكم غنى

و الفلك السفن يقع على الواحد و الجمع و المشحون من شحنه يشحنه شحنا إذا ملأه بما يسد خلله و شحن الثغر بالرجال و منه الشحنه.

الإعراب

«ما عِلْمِي» ما حرف نفى و «عِلْمِي» مبتدأ و تقديره ما علمى ثبت أو حصل بما كانوا يعملون.

المعنى

ثم ذكر سبحانه حديث نوح (عليه السلام) فقال «كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ» دخلت التاء فى كذبت و القوم مذكر لأن المراد بالقوم الجماعه أى كذبت جماعه نوح المرسلين لأن من كذب رسولا واحدا من رسل الله فقد كذب الجماعه لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل

و قال أبو جعفر (عليه السلام) يعنى بالمرسلين نوحا و الأنبياء الذين كانوا بينه و بين آدم (عليه السلام)

«إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ» أى فى النسب لا فى الدين «أَ لَا تَتَّقُونَ» عذاب الله تعالى فى تكذيبى و مخالفتى «إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ»

على رساله فيما بينى و بين ربكم «فَأَتَّقُوا اللَّهَ» بطاعته و عبادته «وَأَطِيعُوا» فيما أمركم به من الإيمان و التوحيد «وَمَا أَسْتَكْبِرُ
عَلَيْهِ» أى على الدعاء إلى التوحيد «مِنْ أَجْرٍ» من مزيده «إِنْ أَجْرِي» ما

ص: ٣٠٨

جزائى و ثوابى «إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ» و خالق الخلائق أجمعين ثم كرر عليهم قوله «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا النَّبِيَّ» لاختلاف المعنى لأن التقدير فاتقوا الله و أطيعوا الله و أطيعوا رسول الله و اتقوا الله و أطيعوا الله لأنى لا- أسألکم علیه أجرا فتخافوا تلف أموالکم به و کل واحد من هذين المعنيين يقوى الداعى إلى قبول قول الغير و يبعد عن التهمة «قَالُوا أ نُّؤْمِنُ لَكَ» أى نصدقك فيما تقول «وَ اتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ» أى و قد اتبعك سفله الناس و أراذلهم و خساسهم عن قتاده و قيل يعنون المساكين الذين ليس لهم مال و لا عز عن عطا و قيل يعنون الحاكة و الأساكفه عن الضحاک و علقمه و المعنى إن أتباعك أراذلنا و فقراؤنا و أصحاب الأعمال الدنيه و المهن الخسيسه فلو اتبعناك لصرنا مثلهم و معدودين فى جملتهم و هذا جهل منهم لأنه ليس فى إيمان الأردلين به ما يوجب تكذيبه فإن الرذل إذا أطاع سلطانه استحق التقرب عنده دون الشريف العاصى «قَالَ وَ مَا عَلِمَى بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أى ما أعلم أعمالهم و صنائعهم و لم أكلف ذلك و إنما كلفت أن أدعوهم إلى الله و قد أجابونى إليه «إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ» أى ليس حسابهم إلا على ربي الذى خلقنى و خلقهم لو تعلمون ذلك ما عبتوهم بصنائعهم «وَ مَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ» أى ما أنا بالذى لا يقبل الإيمان من الذين تزعمون أنهم الأردلون لأنى لست إلا نذيرا مخوفا من معصيه الله داعيا إلى طاعته مبينا لها «قَالُوا» له عند ذلك «لَيْتَنَّا لَمُنَّ بِتَنَّتِهِ يَا نُوحُ» أى إن لم ترجع عما تقوله و تدعو إليه «لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ» بالحجاره عن قتاده و قيل من المرجومين بالشم عن الضحاک «قَالَ» نوح «رَبِّ إِنْ قَوْمِى كَذَّبُونِ فَافْتَحْ بَيْنِى وَ بَيْنَهُمْ فَتَحًا» أى فاقض بيننا قضاء بالعذاب لأنه قال «وَ نَجِّنِى وَ مَنْ مَعِى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» أى من ذلك العذاب «فَأَنجَيْنَاهُ وَ مَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْجُونِ» أى فخلصناه و من معه من المؤمنين فى السفينه المملوءه من الناس و غيرهم من الحيوانات «ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ» أى بعد نجاه نوح و من معه «الْبَاقِينَ» أى الخارجين عن السفينه الكافرين به «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً» واضحه على توحيد الله «وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ» و ليس هذا بتكرار و إنما كل واحد فى قصه على حده فهذا ذكر آيه فى قصه نوح و ما كان من شأنه بعد ذكر آيه مما كان فى قصه إبراهيم و ذكر آيه أخرى فى قصه موسى و فرعون فبين أنه ذكر كلا من ذلك لما فيه من الآيه الباهره «وَ إِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ» فى إهلاك قوم نوح بالغرق «الرَّحِيمُ» فى إنجائه نوحا و من معه فى الفلك.

إشاره

كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا (١٢٦) وَ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٧)

أَتَّبِعُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَ تَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٢٩) وَ إِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا (١٣١) وَ اتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢)

أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَ بَنِينَ (١٣٣) وَ جَنَاتٍ وَ عَيْوُنٍ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٥) قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٦) إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (١٣٧)

وَ مَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ (١٣٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) وَ إِنْ رَبُّكَ لَهَيُّ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٤٠)

القراءه

قرأ ابن كثير و أهل البصره و أبو جعفر و الكسائي خلق الأولين بفتح الخاء و الباقون بضم الخاء و اللام و فى الشواذ قراءه قتاده تخلدون بضم التاء و كسر اللام.

الحجه

قال أبو على خلق الأولين عادتهم و خلق الأولين اختلافهم و كذبهم مثل قوله وَ تَخْلُقُونَ إِنْكَأً وَ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ وَ خلد الشىء إذا بقى و أخلدته و خلدته و أخلد إلى كذا إذا أقام عليه و لزمه و قيل أخلد الرجل إذا أبطأ عنه الشيب.

اللغه

الريح الارتفاع من الأرض و جمعه أرياع و ريعه قال ذو الرمه:

طراق الخوافى مشرف فوق ريعه ندى ليله فى ريشه يترقق

و منه الريع فى الطعام و هو ارتفاعه بالزيادة و النماء و قال أبو عبيده الريع الطريق بين الجبلين فى الارتفاع و قيل هو الفج الواسع و المصانع مأخذ الماء جمع مصنع قال أبو عبيده كل بناء مصنعه و قال قتاده و مجاهد المصانع هى القصور و الحصون و البطش العسف قتلا بالسيف و ضربا بالسوط و الجبار العالى على غيره بعظيم سلطانه و هو فى صفة الله سبحانه مدح و فى صفة غيره ذم لأن معناه فى العبد أنه يتكلف الجبريه.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن عاد فقال «كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ» و التأنيث لمعنى القبيله لأنه أراد بعاد القبيله «إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ» فى النسب «هُودٌ أَلَّا تَتَّقُونَ» الله باجتنب معاصيه «إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ» إلى قوله «رَبِّ الْعَالَمِينَ» مر تفسيره «أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ» أى بكل مكان مرتفع و قيل بكل شرف عن ابن عباس و قيل بكل طريق عن الكلبي و الضحاك «آيَةً تَعْبَثُونَ» أى بناء لا تحتاجون إليه لسكناكم و إنما تريدون العبث بذلك و اللعب و اللهو كأنه جعل بناهم ما يستغنون عنه عبثا منعم عن ابن عباس فى روايه عطا و يؤيده

الخبر المأثور عن أنس بن مالك إن رسول الله ص خرج فرأى قبه مشرفه فقال ما هذه قال له أصحابه هذا لرجل من الأنصار فمكث حتى إذا جاء صاحبها فسلم فى الناس أعرض عنه و صنع ذلك به مرارا حتى عرف الرجل الغضب و الإعراض عنه فشكا ذلك إلى أصحابه و قال و الله إنى لأنكر نظر رسول الله ص ما أدرى ما حدث فى و ما صنعت قالوا خرج رسول الله ص فرأى قبتك فقال لمن هذه فأخبرناه فرجع إلى قبه فسواها بالأرض فخرج رسول الله ص ذات يوم فلم ير القبه فقال ما فعلت القبه التى كانت هاهنا قالوا شكا إلينا صاحبها إعراضك عنه فأخبرناه فهدمها فقال إن لكل بناء يبنى و بال على صاحبه يوم القيامة إلا ما لا بد منه

و قيل معناه أنهم كانوا يبنون بالمواضع المرتفعه ليشرفوا على الماره و السائله فيسخرها منهم و يبعثوا بهم عن الكلبي و الضحاك و قيل إن هذا فى بنيان الحمام أنكر هود عليهم اتخاذهم بروجاً للحمام عبثا عن سعيد بن جبير و مجاهد «وَ تَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ» أى حصونا و قصورا مشيده عن مجاهد و قيل مأخذا للماء تحت الأرض عن قتاده «لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ» كأنكم تخذلون فيها فلا تموتون فإن هذه الأبنيه بناء من يطمع فى الخلود قال الزجاج معناه تتخذون مباني للخلود لا تتفكرون فى الموت «وَ إِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ» البطش الأخذ باليد أى إذا بطشتم بأحد تريدون إنزال عقوبه به عاقبتموه عقوبه من يريد التجبر بارتكاب العظائم كما قال إن تريد إلا أن تكون جبارا فى الأرض و قيل معناه و إذا عاقبتم قتلتم بمعنى الجبار القتال على الغضب بغير حق «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا» مر معناه «وَ اتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ» أى

أعطاكم ما تعلمون من الخير. و الأمداد اتباع الثاني ما قبله شيئاً بعد شىء على انتظام و هؤلاء أمدوا بأنواع من النعم و هو قوله «أَمِدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَ بَيْنِينَ وَ جَنَاتٍ وَ عُيُونٍ» فأعطاهم رزقهم على إدرار «إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ» إن عصيتموني «عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» يريد يوم القيامة و صفه بالعظم لما فيه من الأهوال العظيمة «قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَّعْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ» أى أ نهيتنا أم لم تكن من الناهين لنا عن الكلبى و المعنى أنا لا نقبل ما تدعوننا إليه على كل حال أ و عظت أم سكت أى حصول الوعظ منك و ارتفاعه مستويان عندنا ثم قالوا «إِنَّ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ» أى ما هذا الذى جئتنا به إلا كذب الأولين الذين ادعوا النبوه و لم يكونوا أنبياء و أنت مثلهم و من قرأ خُلُقُ الْأَوَّلِينَ بضم الخاء فالمعنى ما هذا الذى نحن عليه من تشييد الأبنية و اتخاذ المصانع و البطش الشديد إلا عاده الأولين من قبلنا و قيل معناه ما هذا الذى نحن فيه إلا عاده الأولين فى أنهم كانوا يحيون و يموتون و لا بعث و لا حساب و قيل معناه ما الذى تدعيه من النبوه و الرساله إلا عاده الأولين «وَ مَا نَحْنُ بِمَعْدِّيْنَ» على ما تدعيه لا فى الدنيا و لا بعد الموت «فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ» بعذاب الاستئصال «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» قد مر تفسيره.

اشاره

كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا
 (١٤٤) وَ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٤٥)

أَتْتَرُكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ (١٤٧) وَ زُرُوعٍ وَ نَخْلٍ طَلَعُهَا هَضْبَةً يَوْمَ (١٤٨) وَ تَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا
 فَارِهِينَ (١٤٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا (١٥٠)

وَ لَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَ لَا يُصْلِحُونَ (١٥٢) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٥٣) مَا أَنْتَ إِلَّا
 بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٥٤) قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَ لَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ (١٥٥)

وَ لَا تَمَسُّوْهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٥٦) فَعَقَرُوهَا فَاصْبِرُوا نَادِمِينَ (١٥٧) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَةٌ وَ مَا
 كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٥٨) وَ إِنْ رَبِّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٥٩)

القرءه

قرأ أهل الكوفه و الشام فارهين بالألف و الباقون «فرهين» بغير الألف.

الحجه

قال الزجاج فرهين أشرين مرحين و فارهين حاذقين أبو عبيده قال قد جاء فارهين في معنى فرهين و أنشد:

لا أستكين إذا ما أزمه أزمتم لن ترانى بخير فاره اللب

أى مرح اللب.

اللغه

الهضم اللطيف فى جسمه و منه هضمه الحشا أى لطيفه الحشا و منه هضمه حقه أى نقصه لأنه لطف جسمه بنقصه و منه هضم
 الطعام إذا لطف و استحال إلى مشاكله البدن و المسحر الذى قد سحر مره بعد أخرى و هو أن يكون ممن له سحر أى رثه و منه
 قولهم انتفخ سحره قال لبيد

فإن تسألينا فيم نحن فإننا عصافير من هذا الأنام المسحر

أى المعلل بالطعام و الشراب على أمر يخفى كخفاء السحر و الشرب الحظ من الماء قال

لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت حمامه فى غصون ذات أو قال

أى لم يمنع حظها من الماء و السوء الضر الذى يشعر به صاحبه لأنه يسوؤه وقوعه

ص: ٣١٣

و العقر قطع شىء من بدن الحى فإذا كثر انتفت معه الحياه و إذا قل لم ينتف.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن ثمود فقال «كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ» و هو مفسر فى هذه السوره إلى قوله «أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ» معناه أ تظنون أنكم تتركون فيما أعطاكم الله من الخير فى هذه الدنيا آمنين من الموت و العذاب و هذا إخبار بأن ما هم فيه من النعم لا يبقى عليهم و أنها ستزول عنهم ثم عدد نعمهم التى كانوا فيها فقال «فِي جَنَّاتٍ» أى بساتين يسترها الشجر «وَعُيُونٍ» جاريه «وَزُرُوعٍ وَ نَخْلٍ طَلَعُهَا هَضِيمٌ» الطلع الكفرى مشتق من الطلوع لأنه يطلع من النخل و الهضيم اليناع النضيج عن ابن عباس و قيل هو الرطب اللين عن عكرمه و قيل هو الضامر بدخول بعضه فى بعض عن الضحاك و قيل هو الذى إذا مس تفتت عن مجاهد و قيل هو الذى ليس فيه نوى عن الحسن «وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ» أى حاذقين بنحتها من فره الرجل فراهه فهو فاره و فرهين أشرين بطرين عن ابن عباس «فَاتَّقُوا اللَّهَ» فى مخالفته «وَأَطِيعُوا» فيما أمركم به «وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ» يعنى الرؤساء منهم و هم تسعه رهط من ثمود الذين عقروا الناقه ثم وصفهم فقال «الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَ لَا يُصْلِحُونَ قَالُوا» فى جوابه «إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ» قد أصبت بسحر ففسد عقلك فصرت لا تدرى ما تقول و هو بمعنى المسحورين و المراد سحرت مره بعد أخرى و قيل معناه من المخدوعين و قيل من المخلوقين المعلنين بالطعام و الشراب عن ابن عباس و قيل معناه أنت مخلوق مثلنا لك سحر أى رئه تأكل و تشرب فلم صرت أولى منا بالنبوه «مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا» أى آدمى مثلنا «فَأْتِ بِآيَةٍ» أى بمعجزه تدل على صدقك «إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ» و هى الناقه التى أخرجها الله تعالى من الصخره عشراء ترغو على ما اقترحوه «لَهَا شَرِبٌ وَ لَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ» أى لها حظ من الماء لا تراحموها فيه و لكم حظ لا تراحمكم فيه و

روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال إن أول عين نبعت فى الأرض هى التى فجرها الله لصالح فقال لها شرب و لكم شرب يوم معلوم

«وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ» هذا مع ما بعده مفسر فى سوره الأعراف و القصه مشروحه هناك.

إشارة

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا- تَتَّقُونَ (١٦١) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٢) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا
(١٦٣) وَ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٤)

أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَ تَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْلٌ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٦) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا
لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ (١٦٧) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ (١٦٨) رَبِّ نَجِّنِي وَ أَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٦٩)

فَنَجَّيْنَاهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧٠) إِلَّا- عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٧١) ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ (١٧٢) وَ أَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ
(١٧٣) إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٤)

وَ إِنْ رَبُّكَ لَهُو الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٧٥)

اللغة

العادى و الظالم و الجائر نظائر و هو من العدوان و أصله من العدو و الذى هو الإسراع فى السعى و القالى المبغض يقال قلاه
يقليه قلى أبغضه الغابر الباقي فى قله كالتراب الذى يذهب بالكنس و يبقى غباره و الغبر البقيه من اللبن فى الأخلاف قال الحرث
بن حلزه:

لا تكسع الشول بأغارها إنك لا تدرى من الناتج

و التدمير الإهلاك بأهول الأمور.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن قوم لوط فقال «كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ» و قد فسرناه إلى قوله «أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ» أى تصيبون
الذكور من جملة الخلائق «وَ تَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ» أى و تتركون ما خلقه الله لكم من الأزواج و النساء و
الزوجه هى التى وقع عليه العقد بالنكاح الصحيح يقال لها زوجه و زوج قال سبحانه

اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ «بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ» أى ظالمون معتدون الحلال إلى الحرام و الطاعة إلى المعصية «قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ» و ترجع عما تقوله و لم تمتنع عن دعوتنا و تقيح أفعالنا «لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ» عن بلدنا «قَالَ» لوط لهم عند ذلك «إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ» أى من المبغضين الكارهين ثم دعا ربه فقال «رَبِّ نَجِّنِي وَ أَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ» أى من عاقبه ما يعملونه و هو العذاب النازل بهم و أجاب الله سبحانه دعاءه قال «فَنَجِّنَاهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ» يعنى من العذاب الذى وقع بهم و يجوز أن يكون أراد نجيناه و أهله من نفس عملهم و تكون النجاه من العذاب النازل بهم تبعا لذلك و الأول أوضح و يدل عليه قوله «إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ» و أراد بالعجوز امرأته لأنها كانت تدل أهل الفساد على أضيافه فكانت من الباقين فى العذاب و هلكت فيما بعده مع من خرج من القرية بما أمطره الله من الحجارة «ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ» أهلكتناهم بالخسف و قيل بالانقلاب و هو الانقلاب ثم أمطر على من كان غائبا منهم عن القرية الحجارة من السماء و هو قوله «وَ أَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ» أى بئس و اشتد مطر الكافرين مطرهم و ما بعده مفسر قبل.

إشاره

كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمُ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ (١٧٩) وَ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠)

أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَ زِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَ لَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣) وَ اتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَ الْجِبِلَّ الْأُولَى (١٨٤) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٨٥)

وَ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَ إِنْ نَطُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (١٨٦) فَأَسْبِطْ عَلَيْنَا كَيْدًا مِمَّنْ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٨٧) قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩) إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٩٠)

وَ إِنْ رَبُّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٩١)

القراءه

قرأ أهل الحجاز و الشام ليكه بالنصب غير مهموز هاهنا و فى ص و الباقون «الأيك» بإثبات الهمزة و الجر فى الموضعين.

الحجه

قال أبو على الأيكة تعريف أيكه فإذا خففت الهمزة حذفها و ألقيت حركتها على اللام فقلت اليكه كما قالوا الحمر و من قال لحمر قال ليكه و قول من قال أصحاب ليكه بفتح التاء مشكل لأنه فتح مع لحاق لام المعرفه الكلمه و هذا فى الامتناع كقول من قال بلحمر فيفتح و إنما يخرج هذا على أن المعنى قد سمي بكلمه تكون اللام فيها فاء و لم أسمع بها و قال الزجاج جاء فى التفسير أن اسم المدينه التى أرسل إليها شعيب كان ليكه.

اللغه

الأيكة الغيضة ذات الشجر الملتف و الجمع الأيكة قال

تجلو بقادمتي حمامه أيكه بردا أسف لثائه بالإثمد

المخسر المعرض للخسران فى رأس المال بالنقصان أخسر يخسر إخسارا إذا جعله يخسر فى ماله و نقيضه أربحه و الجبله الخليقه التى طبع عليها الشىء بكسر الجيم و الباء و قيل أيضا بضمها و يسقطون الهاء أيضا قال أبو ذؤيب

منايا يقربن الحتوف لأهلها جهارا و يستمتعن بالأنس الجبل

وقال آخر

والموت أعظم حادث مما يمر على الجبله

. المعنى

ثم أخبر سبحانه عن شعيب فقال «كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ» وهم

ص: ٣١٧

أهل مدين عن ابن عباس وقيل أنهم غيرهم عن قتاده وقال إن الله سبحانه أرسل شعيباً إلى أمّتين «إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ» ولم يقل أخوهم لأنه لم يكن من نسبهم وكان من أهل مدين فلذلك قال في ذلك الموضع «إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا» «أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ» مفسر فيما قبل إلى قوله «رَبِّ الْعَالَمِينَ» وإنما حكى الله سبحانه دعوه كل نبي بصيغه واحده ولفظ واحد إشعاراً بأن الحق الذي تأتي به الرسل ويدعون إليه واحد من اتقاء الله تعالى واجتناب معاصيه والإخلاص في عبادته وطاعه رسله وأن أنبياء الله تعالى لا يكونون إلا أمناء الله في عبادته فإنه لا يجوز على واحد منهم أن يأخذ الأجره على رسالته لما في ذلك من التنفير عن قبولهم ثم قال «أَوْفُوا الْكَيْلَ» أى أعطوا الكيل وافيًا غير ناقص و يدخل الوفاء فى الكيل والوزن والذرع والعدد «وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ» أى من الناقصين للكيل والوزن «وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَسْوَاقِ الْمُسْتَقِيمِ» أى بالعدل الذى لا حيف فيه يعنى زنوا وزنا يجمع الإيفاء والاستيفاء وذكرنا الأقوال فى القسطاس فى سوره بنى إسرائيل «وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ» أى و لا تنقصوا الناس حقوقهم و لا تمنعوها «وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ» أى و لا تسعوا فى الأرض بالفساد والعثى أشد الفساد و الخراب عن أبى عبيده «وَأْتَمِعُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ» أى أوجدكم بعد العدم «وَالْجِبَلِ» أى الخليفه «الْمَأُولِينَ» يعنى و خلق الأمم المتقدمين «قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسِيحِينَ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا» مر معناه «وَأِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ» أى و إنا نظنك كاذباً من جملة الكاذبين و إن هذه مخففه من الثقيله و لذلك لزمها اللام فى الخبر «فَأَسْرِقْ عَلَيْنَا كَيْدًا مِنَ السَّمَاءِ» أى قطعاً من السماء جمع كسفه عن ابن عباس «إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» فى دعواك «قَالَ» شعيب «رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ» و معناه أنه إن كان فى معلومه أنه إن بقاكم تبتم أو تاب بعضكم لم يقطعكم بالعذاب و إن كان فى معلومه أنه لا يفلح واحد منكم فسيأتيكم عذاب الاستئصال ثم قال «فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ» أصابهم حر شديد سبعة أيام و حبس عنهم الريح ثم غشيتهم سحابه فلما خرجوا إليها طلبوا للبرد من شدة الحر الذى أصابهم أمطرت عليهم نارا فأحرقتهم فكان من أعظم الأيام فى الدنيا عذاباً و ذلك قوله «إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ» و معنى الظله هاهنا السحابه التى قد أظلتهم «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً» مفسر إلى آخره.

إشارة

وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (١٩٦)

أَو لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٩٧) وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (١٩٨) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (١٩٩) كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (٢٠٠) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٢٠١)

فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٢٠٢) فَيَقُولُوا هِيَ لَمْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ (٢٠٣) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (٢٠٤) أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦)

مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ (٢٠٧) وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْنٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ (٢٠٨) ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٠٩) وَمَا نُنزِّلُ بِهِ الشَّيَاطِينَ (٢١٠) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (٢١١)

إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْرُؤُونَ (٢١٢)

القراءة

قرأ أهل الحجاز و أبو عمرو و حفص و زيد «نَزَلَ» بالتخفيف «الرُّوحُ الْأَمِينُ» بالرفع و الباقون نزل بالتشديد الروح الأمين بالنصب وقرأ ابن عامر أ و لم تكن بالتاء آيه بالرفع و الباقون «لَمْ يَكُنْ» بالياء «آيَةٌ» بالنصب و فى الشواذ قراءة الحسن الأعجميين و قراءته أيضا فتأتيتهم بغتة بالتاء ما تنزلت به الشياطين.

الحجج

قال أبو على حججه من قال نزل به بالتشديد قوله فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ وَ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ فَإِنَّهُ مطاوع نزل و قوله نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ و من أسند الفعل إلى الروح فقال نزل به الروح الأمين فإنه ينزل بأمر الله تعالى فمعناه معنى المثقله و الوجه فى قراءه ابن عامر أ و لم تكن لهم آيه إن فى تكن ضمير القصة و الحديث لأن ما يقع تفسيراً للقصة و الحديث من الجملة إذا كان فيها اسم مؤنث جاز تأنيث المضممر على شريطه التفسير كقوله فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارَ الَّذِينَ كَفَرُوا و قوله فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ و كذلك «أَنْ يَعْلَمَهُ»

عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ» لما كان فيه مؤنث جاز أن يؤنث تكن فأيه مرتفعه بأنها خبر المبتدأ الذي هو «أَنْ يَعْلمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ» و لا- يمتنع أن لا- يضمم القصة و الحديث و لكن يرفع «أَنْ يَعْلمَهُ» بقوله تكن و إن كان فى تكن علامه التأنيث لأن «أَنْ يَعْلمَهُ» فى المعنى هو الآ-يه فيحمل الكلام على المعنى كما حمل على المعنى فى قوله فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا فأنث لما كان المراد بالأمثال الحسنات و كذلك قراءه من قرأ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتِنْتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا و قال ابن جنى فى قراءه الحسن الأعجميين إنها تفسير للغرض فى القراءه المجمع عليها و هى قوله بعض الأعجميين و ذلك أن ما كان من الصفات على أفعال و مؤنثه فعلى لا يجمع بالواو و النون و لا- بالألف و التاء فكان قياسه أن لا- يجوز فيه الأعجمون لأن مؤنثه عجمى لكن سببه أنه أريد به الأعجميون ثم حذف ياء النسب و جعل جمعه بالواو و النون دليلا عليها و أماره لإرادتها كما جعلت صحه الواو فى عواور أماره لإرادته الياء فى عواوير و قوله فتأتيتهم بغته بالتاء معناه فتأتيتهم الساعه فأضمر الساعه لدلاله العذاب الواقع فيها عليها و لكثره ما يرد فى القرآن من ذكر إتيانها و أما قوله الشياطين فقد قال الفراء فيه غلط الشيخ يعنى الحسن فليل ذلك للنضر بن شميل فقال إذا جاز أن يحتج بقول العجاج و رؤبه فهلا- جاز أن يحتج بقول الحسن مع أنا نعلم أنه لم يقرأ به إلا- و قد سمعه قال ابن جنى هذا مما يعرض مثله للفصيح لتداخل الجمعين عليه و تشابههما عنده و نحو منه قولهم مسيل فيمن أخذه من السيل ثم قالوا فى جمعه مسلان و أمسله و فى معين معان و أمعنه مع أن الأقوى أن يكون معان من العين فالشياطين غلط لكن يشبهه كما أن من همز مصائب كذلك عندهم و قال الزمخشري الوجه فيه أنه رأى آخره كآخر يبرين و فلسطين فتخير بين أن يجرى الإعراب على النون و بين أن يجرىه على ما قبله فيقول الشياطين و الشياطين كما تخيرت العرب بين أن تقول هذه يبرون و يبرين و فلسطين و فلسطين و حقه أن يشق من الشيطوطه و هى الهلاك كما قيل له الباطل

اللغة

الأعجم الذى يمتنع لسانه عن العربيه و العجمى نقيض العربى و الأعجمى نقيض الفصيح.

الإعراب

«لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ» فى موضع النصب على الحال و «بَعَثَهُ» مصدر وضع موضع الحال. «سَيِّئِينَ» ظرف زمان لمتعناهم. «مَا أَغْنَى» ما نافية و مفعول أغنى محذوف و تقديره ما أغنى عنهم تمتعهم شيئا. «ذِكْرَى» فى محل النصب لأنه مفعول له. «وَمَا يَنْبَغِي» فاعل ينبغى مستكن فيه عائد إلى مصدر تنزل تقديره و ما ينبغى لهم أن يتنزلوا به.

المعنى

ثم بين سبحانه أمر القرآن بعد أن قص أخبار الأنبياء (عليه السلام) ليتصل بها

حديث نبينا ص فقال «وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ» أى نزل الله بالقرآن «الرُّوحُ الْأَمِينُ» يعنى جبرائيل (عليه السلام) و هو أمين الله لا يغيره و لا يبدله و سماه روحا لأنه يحيى به الدين و قيل لأنه يحيى به الأرواح بما ينزل من البركات و قيل لأنه جسم روحانى «عَلَى قَلْبِكَ» يا محمد و هذا على سبيل التوسع لأن الله تعالى يسمعه جبرائيل (عليه السلام) فيحفظه و ينزل به على الرسول و يقرأه عليه فيعيه و يحفظه بقلبه فكأنه نزل به على قلبه و قيل معناه لقنك الله حتى تلقنته و ثبته على قلبك و جعل قلبك وعاء له «لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ» أى لتخوف به الناس و تنذرهم بآيات الله «بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ» أى بلغه العرب مبين للناس ما بهم إليه الحاجه فى دينهم و قيل أراد به لسان قريش ليفهموا ما فيه و لا يقولوا ما نفهم ما قال محمد عن مجاهد و قيل لسان جرهم و إنما جعله عربيا لأن المنزل عليه عربى و المخاطبون به عرب و لأنه تحدى بفصاحته فصحاء العرب و قد تضمنت هذه الآيه تشريف هذه اللغة لأنه سماها مبينا و لذلك اختارها لأهل الجنة «وَإِنَّهُ» أى و إن ذكر القرآن و خبره «لَفِي زُبُرِ الْأُولِينَ» أى فى كتب الأولين على وجه البشاره به و بمحمد ص لا بمعنى أن الله أنزله على غير محمد ص و واحد الزبر زبور و قيل معناه أنه أنزل على سائر الأنبياء من الدعاء إلى التوحيد و العدل و الاعتراف بالبعث و أفاصيص الأمم مثل الذى نزل فى القرآن «أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ» معناه أ و لم يكن لهم علم علماء بنى إسرائيل بمجيئه على ما تقدمت البشاره دلالة لهم على صحه نبوته لأن العلماء الذين آمنوا من بنى إسرائيل كانوا يخبرون بوجود ذكره فى كتبهم و كانت اليهود تبشر به و تستفتح على العرب به و كان ذلك سبب إسلام الأوس و الخزرج على ما مر بيانه و علماء بنى إسرائيل عبد الله بن سلام و أصحابه عن ابن عباس و قيل هم خمسه عبد الله بن سلام و ابن يامين و ثعلبه و أسد و أسيد عن عطيه «وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ» أى و لو نزلنا القرآن على رجل ليس من العرب و على من لا يفصح «فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ» أى على العرب «ما كانوا به مؤمنين» أى لم يؤمنوا به و أنفوا من اتباعه لكننا أنزلناه بلسان العرب على أفصح رجل منهم من أشرف بيت ليتدبروا فيه و ليكون أدعى إلى اتباعه و تصديقه و قيل معناه لو نزلناه على أعجم من البهائم أو غيرها لما آمنوا به و إن كان فيه زياده أعجوبه عن عبد الله بن مطيع و روى عن عبد الله بن مسعود أنه سئل عن هذه الآيه و هو على بعير فأشار إليه و قال هذا من الأعجمين «كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ» أى كما أنزلنا القرآن عربيا مبينا أمررناه و أدخلناه و أوقناه فى قلوب الكافرين بأن أمرنا النبى ص حتى قرأه عليهم و بينه لهم ثم بين أنهم مع ذلك «لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ» فيلجئهم إلى الإيمان به و هذا خبر عن الكفار الذين علم الله أنهم لا يؤمنون أبدا «فَيَأْتِيهِمْ» أى العذاب

الذى يتوقعونه و يستعجلونه «بَعْتَهُ» أى فجأه «وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» بمجيئه «فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ» أى مؤخرون لنؤمن و لنصدق قال مقاتل لما أوعدهم النبى ص بالعذاب استعجلوا العذاب تكذيبا له فقال الله «أَفِعْدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ» توييخا لهم ثم قال «أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَتِعُونَ» أى أ رأيت إن أنظرناهم و أخرناهم سنين و متعناهم بشىء من الدنيا ثم أتاهم العذاب لم يغن عنهم ما متعوا فى تلك السنين من النعيم لازديادهم فى الآثام و اكتسابهم من الأجرام و هو استفهام فى معنى التقرير «وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَوْمِهِ» أى و ما أهلكنا قومه «إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ» أى إلا بعد إقامه الحجج عليهم بتقديم الإنذار و إرسال الرسل «ذِكْرَى» أى تذكيرا و موعظه لهم ليتعظوا و يصلحوا فإذا لم يصلحوا مع التخويف و التحذير و استحقوا عذاب الاستئصال بإصرارهم على الكفر و العناد أهلكتناهم «وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ» أى و ما ظلمناهم بالإهلاك لأننا لا نظلم أحدا، نفى سبحانه عن نفسه الظلم و فى هذا تكذيب لمن زعم أن كل ظلم و كفر فى الدنيا هو من خلقه و إرادته و غايه الظلم أن يعاقب عباده على ما خلقه فيهم و أرادهم منهم تعالى الله عن ذلك و تقدر «وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ» أى بالقرآن «الشَّيَاطِينُ» كما يزعمه بعض المشركين «وَمَا يَتَّبِعِي لَهُمْ» إنزال ذلك أى الشياطين «وَمَا يَسْتَطِيعُونَ» ذلك و لا- يقدرون عليه لأن الله تعالى يحرس المعجزه عن أن يمويه بها المبطل فإنه إذا أراد أن يدل بها على صدق الصادق أخلصها بمثل هذه الحراسه حتى تصح الدلاله بها و معنى قول العرب ينبغى لك أن تفعل كذا أنه يطلب منك فعله فى مقتضى العقل من البغيه التى هى الطلب «إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ» أى مصروفون عن استماع القرآن أى عن المكان الذى يستمعون ذلك فيه ممنوعون عنه بالشهب الثقابه و قيل معناه أن الشياطين عن سماع القرآن منحون عن قتاده فإن العزل تنحيه الشىء عن موضع إلى خلافه و إزالته عن أمر إلى نقيضه قال مقاتل قالت قريش إنما تجىء بالقرآن الشياطين فتلقيه على لسان محمد ص فأكذبهم الله تعالى بأن قال إنهم لا يقدرون بأن يأتوا بالقرآن من السماء قد حيل بينهم و بين السمع بالملائكه و الشهب.

إشارة

فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ (٢١٣) وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَ اخْفِضْ جَنَاحَيْكَ لِمَنِ اتَّبَعِيَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦) وَ تَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧)
الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَ تَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٢٢٠)

القراءة

قرأ أهل المدينة و ابن عامر فتوكل بالفاء و الباقون بالواو.

الحج

هو في مصاحف أهل المدينة و الشام بالفاء و في مصاحف مكة و العراق بالواو و الوجهان حسنان.

اللغة

عشيرته الرجل قرابته سموا بذلك لأنه يعاشرهم و هم يعاشرونه.

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه ص و المراد به سائر المكلفين فقال «فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ» بسبب ذلك و إنما أفرد بالخطاب ليعلم أن العظيم الشأن إذا أوعد فمن دونه كيف حاله و إذا حذر هو فغيره أولى بالتحذير «وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» أى رهطك الأدينين أى أنذرهم بالإفصاح من غير تليين بالقول كما تدعو إليه مقاربه العشيره و إنما خصهم بالذكر تنبيها على أنه ينذر غيرهم و أنه لا يدهنهم لأجل القرابه ليقطع طمع الأجنب عن مداهنته فى الدين و قيل إنه ص أمر بأن يبدأ بهم فى الإنذار و الدعاء إلى الله ثم بالذين يلونهم كما قال قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ لَأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الَّذِي يَقْتَضِيهِ حَسَنُ التَّرْتِيبِ و قيل إنه إنما خصهم لأنه يمكنه أن يجمعهم ثم ينذرهم و قد فعل ذلك النبي ص و اشتهرت القصة بذلك عند الخاص و العام و

فى الخبر المأثور عن البراء بن عازب أنه قال لما نزلت هذه الآية جمع رسول الله ص بنى عبد المطلب و هم يومئذ أربعون رجلا الرجل منهم يأكل المسنة و يشرب العس فأمر عليا (عليه السلام) برجل شاه فأدمها ثم قال ادنوا بسم الله فدنا القوم عشره عشره فأكلوا حتى صدروا ثم دعا بقعب من لبن فجرع منه جرعه ثم قال لهم اشربوا بسم الله فشربوا حتى رووا فبدرهم أبو لهب فقال هذا ما سحركم به الرجل فسكت ص يومئذ و لم يتكلم ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك من الطعام و الشراب ثم أنذرهم رسول الله ص فقال يا بنى عبد المطلب إنى أنا النذير إليكم من الله عز و جل و البشير فأسلموا و أطيعونى تهتدوا ثم

قال من يؤاخيني و يؤازرنى و يكون ولى و وصى بعدى و خليفتى فى أهلى و يقضى دينى فسكت القوم فأعادها ثلاثا كل ذلك يسكت القوم و يقول على (عليه السلام) أنا فقال فى المره الثالثه أنت فقام القوم و هم يقولون لأبى طالب أتع ابنك فقد أمر عليك أورده الثعلبى فى تفسيره

و

روى عن أبى رافع هذه القصه و أنه جمعهم فى الشعب فصنع لهم رجل شاه فأكلوا حتى تضلعوا و سقاهم عسا فشربوا كلهم حتى رووا ثم قال إن الله تعالى أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين و أنتم عشيرتى و رهطى و إن الله لم يبعث نبيا إلا جعل من أهله أخا و وزيرا و وارثا و وصيا و خليفه فى أهله فأيكم يقوم فيبايعنى على أنه أخى و وارثى و وزيرى و وصى و يكون منى بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى فسكت القوم فقال ليقومن قائمكم أو ليكونن فى غيركم ثم لتندمن ثم أعاد الكلام ثلاث مرات فقام على (عليه السلام) فبايعه و أجابه ثم قال ادن منى فدنا منه ففتح فاه و مج فى فيه من ريقه و نفل بين كتفيه و ثديه فقال أبو لهب فبئس ما حبوت به ابن عمك أن أجابك فمألت فاه و وجهه بزاقا فقال ص ملأته حكمه و علما

و

عن ابن عباس قال لما نزلت الآيه صعد رسول الله ص على الصفا فقال يا صباحاه فاجتمعت إليه قريش فقالوا ما لك فقال أ رأيتكم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم ما كنتم تصدقوننى قالوا بلى قال فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد قال أبو لهب تبا لك أ لهذا دعوتنا جميعا فأنزل الله تعالى تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ

و فى قراءه عبد الله بن مسعود و أنذر عشيرتك الأقربين و رهطك منهم المخلصين و روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام)

«وَ اخْفِضْ جَنَاحَيْكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» أى ألن جانبك و تواضع لهم و حسن أخلاقك معهم عن أبى زيد و غيره «فَإِنْ عَصَيْتُمْ أَوْ كَفَرْتُمْ أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» أى من أعمالكم القبيحه و عبادتكم الأصنام «وَ تَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ» أى فوض أمرك إلى العزيز المنتقم من أعدائه الرحيم بأوليائه ليكفيك كيد أعدائك الذين عصوك فيما أمرتهم به «الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ» أى الذى يبصرك حين تقوم من مجلسك أو فراشك إلى الصلاه و حدك و فى الجماعه و قيل معناه يراك حين تقوم فى صلاتك عن ابن عباس و قيل حين تقوم بالليل لأنه لا يطلع عليه أحد غيره و قيل حين تقوم للإنذار و أداء الرساله «وَ تَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ» أى و يرى تصرفك فى المصلين بالكوع و السجود و القيام و القعود عن ابن عباس و قتاده و المعنى يراك حين تقم إلى الصلاه مفردا و تقلبك فى الساجدين إذا صليت فى جماعه و قيل معناه و تقلبك فى أصلاب الموحدين

من نبى إلى نبى حتى أخرجك نبيا عن ابن عباس فى روايه عطا و عكرمه و هو

المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله صلوات الله عليهما قالا- فى أصلاب النبیین نبى بعد نبى حتى أخرجته من صلب أبيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم (عليه السلام)

و

روى جابر عن أبى جعفر (عليه السلام) قال قال رسول الله ص لا ترفعوا قبلى و لا تضعوا قبلى فإنى أراكم من خلفى كما أراكم من أمامى ثم تلا هذه الآية «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»

يسمع ما تتلو فى صلاتك و يعلم ما تضر فىها.

[سوره الشعراء (٢٦): الآيات ٢٢١ الى ٢٢٧]

إشارة

هَيْلٌ أَنْبَأَكُمْ عَلَى مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينَ (٢٢١) نَزَّلَ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَ أَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (٢٢٣) وَ الشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥)

وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ ذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَ انْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (٢٢٧)

القراءة

قرأ نافع يتبعهم ساكنه التاء و الباقون «يَتَّبِعُهُمْ».

الحج

الوجهان حسنان يقال تبعت القوم و اتبعتهم اتبعهم.

اللغة

الأفَّاك الكذاب و أصل الإفك القلب و الأفَّاك الكثير القلب للخبر عن جهة الصدق إلى جهة الكذب و الأثيم الفاعل للقيح يقال أثم يَأْثِمُ إِثْمًا إِذَا ارْتَكَبَ الْقَيْحَ وَ تَأْثَمَ إِذَا تَرَكَ الْإِثْمَ وَ الْهَائِمُ الْذَاهِبُ عَلَى وَجْهِهِ عَنِ الْكِسَائِيِّ وَ قِيلَ هُوَ الْمَخَالَفُ لِلْقَصْدِ عَنِ أَبِي عُبَيْدَةَ.

الإعراب

انتصب قوله أى «مُنْقَلَبٍ» لأنه صفة مصدر محذوف و تقديره سيعلم الذين ظلموا انقلابا أى انقلاب ينقلبون و لا يجوز أن يكون معمول سيعلم لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله و إنما يعمل فيه ما بعده و العله فى ذلك الاستخبار قبل الخبر و رتبه الاستخبار

ص: ٣٢٥

التقديم فلا يجوز أن يعمل فيه الخبر لأن الخبر بعده و ذلك أنه موضوع على أنه جواب مستخبر.

المعنى

لما أخبر الله سبحانه أن القرآن ليس مما تنزل به الشياطين وأنه وحى من الله عقبه بذكر من تنزل عليه الشياطين فقال «هَلْ أُتْبِكُمْ» أى هل أخبركم «عَلَى مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ تَنْزَلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ» أى إنما ينزل الشياطين على كل كذاب فاجر عامل بالمعاصى و هم الكهنة و قيل طليحه و مسيلمه عن مقاتل و لست بكذاب و لا أئيم فلا ينزل عليك الشياطين و إنما ينزل عليك الملائكة «يُلْقُونَ السَّمْعَ» معناه أن الشياطين يلقون ما يسمعونه إلى الكهنة و الكذابين و يخلطون به كثيرا من الأكاذيب و يوحونه إليهم «وَ أَكْثَرُهُمْ» أى و أكثر الشياطين «كَاذِبُونَ» و قيل أكثر الكهنة كاذبون قال الحسن هم الذين يسترقون السمع من الملائكة فيلقون إلى الكهنة و هذا كان قبل أن أوحى إلى النبى ص و بعد ذلك فمن يستمع الآن يجد له شهابا رسدا «وَ الشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ» قال ابن عباس يريد شعراء المشركين و ذكر مقاتل أسماءهم فقال منهم عبد الله بن الزبعرى السهمى و أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب و هبيرة بن أبى وهب المنزومى و مسافع بن عبد مناف الجمحى و أبو عزة عمرو بن عبد الله كلهم من قريش و أمية بن أبى الصلت الثقفى تكلموا بالكذب و الباطل و قالوا نحن نقول مثل ما قال محمد ص و قالوا الشعر و اجتمع إليهم غواه من قومهم يستمعون أشعارهم و يروون عنهم حين يهجون النبى ص و أصحابه فذلك قوله «يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ» و قيل الغاوون الشياطين عن قتاده و مجاهد و قيل أراد بالشعراء الذين غلبت عليهم الأشعار حتى اشتغلوا بها عن القرآن و السنه و قيل هم الشعراء الذين إذا غضبوا سبوا و إذا قالوا كذبوا و إنما صار الأغلب عليهم الغنى لأن الغالب عليهم الفسق فإن الشاعر يصدر كلامه بالتشبيب ثم يمدح للصله و يهجو على حميه الجاهليه فيدعوه ذلك إلى الكذب و وصف الإنسان بما ليس فيه من الفضائل و الرذائل و قيل إنهم القصاص الذين يكذبون فى قصصهم و يقولون ما يخطر بالهم و فى تفسير على بن إبراهيم أنهم الذين يغيرون دين الله تعالى و يخالفون أمره قال و هل رأيتم شاعرا قط تبعه أحد إنما عنى بذلك الذين وضعوا دينا بآرائهم فتبعهم الناس على ذلك

و روى العياشى بالإسناد عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال هم قوم تعلموا و تفقهوا بغير علم فضلوا و أضلوا

«أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ» أى فى كل فن من الكذب يتكلمون و فى كل لغو يخوضون يمدحون و يذمون بالباطل عن ابن عباس و قتاده و المعنى أنهم لما يغلب عليهم من الهوى كالهائم على وجهه فى كل واد يعنى فيخوضون فى كل فن من الكلام و المعانى التى تعن لهم و يريدونها فالوادی مثل لفنون الكلام و هيماهم فيه

قولهم على الجهل بما يقولون من لغو و باطل و غلو في مدح و ذم «وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ» أى يحثون على أشياء لا يفعلونها و ينهون عن أشياء يرتكبونها ثم استثنى من جملتهم فقال «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» و هم شعراء المؤمنين مثل عبد الله بن رواحه و كعب بن مالك و حسان بن ثابت و سائر شعراء المؤمنين الذين مدحوا رسول الله ص و ردوا هجاء من هجاه و فى الحديث عن الزهري قال حدثنى عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال يا رسول الله ما ذا تقول فى الشعر فقال إن المؤمن مجاهد بسيفه و لسانه و الذى نفسى بيده لكانما ينضحونهم بالنبل

و

قال النبى ص لحسان بن ثابت اهجهم أو هاجهم و روح القدس معك رواه البخارى و مسلم فى الصحيحين

و قال الشعبى كان أبو بكر يقول الشعر و كان عمر يقول الشعر و كان (عليه السلام) أشعر من الثلاثة «وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا» لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله و لم يجعلوا الشعر همهم «وَأَنْتَصَرُوا» من المشركين للرسول و المؤمنين «مَنْ بَعْدَ مَا ظَلَمُوا» قال الحسن انتصروا بما يحبون الانتصار به فى الشريعة و هو نظير قوله لا- يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ أى ردوا على المشركين ما كانوا يهجون به المؤمنين ثم هدد الظالمين فقال «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» أى سوف يعلم أى مرجع يرجعون و أى منصرف ينصرفون لأن منصرفهم إلى النار نعوذ بالله منها.

ص: ٣٢٧

(٢٧) سورة النمل مكيه و آياتها ثلاث و تسعون (٩٣)

اشاره

عدد آياتها

خمس و تسعون آيه حجازى اربع بصرى شامى ثلاث كوفى

اختلافها

آيتان و «أُولُوا بُؤْسٍ شَدِيدٍ» حجازى «مِنْ قَوَارِيرَ» غير الكوفى

فضلها

أبى بن كعب قال قال رسول الله ص و من قرأ طس سليمان كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بسليمان و كذب به و هود و شعيب و صالح و إبراهيم و يخرج من قبره و هو ينادى لا إله إلا الله

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة الشعراء بذكر القرآن افتتح هذه السوره بذكره أيضا فقال:

ص: ٣٢٨

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (١) هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٣) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ (٤)

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسِرُونَ (٥) وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦) إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَاءَتِ كَيْفَ مِنْهَا بَخْرٌ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصِطَلُونَ (٧) فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨) يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٩)

وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ (١٠)

القراءة

قرأ أهل الكوفة ورويس عن يعقوب بشهاب قبس منونا غير مضاف وقرأ الباقر «بشهاب قبس» مضافا.

الحجج و اللغة

قال أبو عبيدة الشهاب النار و القبس ما اقتبست و أنشد:

في كفه صعده مثقفه فيها سنان كشعله القبس

و قال غيره كل ذى نور فهو شهاب قال أبو على يجوز أن يكون قبس صفه و يجوز أن يكون اسما غير صفه فأما الصفه فإنهم يقولون قبسته أقبسه قبسا و القبس الشىء المقبوس فإذا كان القبس صفه فالأحسن أن يجرى على شهاب كما جرى على الموصوف فى قوله

" كأنه ضم بالكف مقبوس "

و إن كان مصدرا غير صفه حسنت فيه الإضافة و لا يحسن ذلك فى الصفه لأن الموصوف لا يضاف إلى صفته و قال أبو الحسن الإضافة أجود و أكثر فى القراءة كما تقول دار آجر و سوار ذهب و لو قلت سوار ذهب و دار آجر كان عربيا قال أبو على جعل أبو الحسن القبس فيه غير وصف أ لا ترى أنه جعله بمنزله الآجر و الذهب و ليس واحد منهما صفه.

الإعراب

«هُدًى وَ بُشْرَى» فى محل النصب أو الرفع فالنصب على الحال أى هاديه

ص: ٣٢٩

و مبشره و العامل فيهما معنى الإشارة و الرفع على ثلاثة أوجه على هي هدى و بشرى و على البديل من آيات و على أن يكون خيرا بعد خير «أَنْ بُورِكَ» أن هي المفسره لأن النداء فيه معنى القول يعنى قيل له بورك و لا يجوز أن يكون مخففه من الثقيله على تقدير أنه بورك لأنه كان يكون لا بد من قد و الهاء فى أنه ضمير الشأن و «أَنَا اللَّهُ» مبتدأ و خير «وَ أَلْقِ عَصَاكَ» عطف على بورك أى نودى أن بورك و إن ألق عصاك.

المعنى

«طس» سبق تفسيره «تَلَكَّكَ» إشاره إلى ما وعدوا بمجيئه من القرآن «آيَاتُ الْقُرْآنِ وَ كِتَابٌ مُّبِينٌ» أضاف الآيات إلى القرآن و آيات القرآن هي القرآن فهو كقوله إِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ و القرآن و الكتاب معناهما واحد و صفة بالصفتين ليفيد أنه مما يظهر بالقراءه و يظهر بالكتابه و هو بمنزله الناطق بما فيه من الأمرين جميعا و وصفه بأنه مبين تشبيه له بالناطق بكذا و معناه أن الله بين فيه أمره و نهيه و حلاله و حرامه و وعده و وعيده و إذا وصفه بأنه بيان فإنه يجرى مجرى وصفه له بالنطق بهذه الأشياء فى ظهور المعنى به للنفس و البيان هو الدلاله التى تبين بها الأشياء و المبين المظهر «هُدًى وَ بُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ» أى هدى من الضلاله إلى الحق بالبيان الذى فيه و البرهان و باللفظ فيه من جهة الإعجاز الدال على صحه أمر النبى ص و بشرى للمؤمنين بالجنه و الثواب و يجوز أن يكون فى موضع نصب على أن يكون تقديره هاديا و مبشرا و يجوز أن يكون فى موضع رفع و التقدير هو هدى و بشرى ثم وصف المؤمنين فقال «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ» بحدودها و واجباتها و يداومون على أوقاتها «وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ» أى يخرجون ما يجب عليهم من الزكاه فى أموالهم إلى من يستحقها «وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ» أى بالنشأ الآخره و البعث و الجزاء «هُمْ يُوقِنُونَ» لا يشكون فيه ثم وصف من خالفهم فقال «إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيْنًا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ» اختلف فى معناه فقيل إن المعنى زينا لهم أعمالهم التى أمرناهم بها بأحسن وجوه التزيين و الترغيب فهم يتحIRON بالذهاب عنها عن الحسن و الجبائى و أبى مسلم و قيل زينا لهم أعمالهم بأن خلقنا فيهم شهوه القبيح الداعيه لهم إلى فعل المعاصى ليجتنبوا المشتهى فهم يعمهون عن هذا المعنى و يترددون فى الحيره و قيل معناه حرمانهم التوفيق عقوبه لهم على كفرهم فتزينت أعمالهم فى أعينهم و حليت فى صدورهم «أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ» أى شده العذاب و صعوبته «وَ هُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ» أى لا أحد أخسر صفقه منهم لأنهم يخسرون الثواب و يحصل لهم بدلا منه العقاب «وَ إِنَّكَ» يا محمد «لَتَلْقَى الْقُرْآنَ» أى لتعطى «مِنْ لَمَدُنٍ حَكِيمٍ» فى أمره «عَلِيمٍ» بخلقه أى من عند الله لأن الملك يلقيه من قبل الله سبحانه و قيل معناه لتلقن قال على بن عيسى عليم

بمعنى عالم إلا- أن فى عليم مبالغه فهو مثل سامع و سميع لأن فى قولنا عالم يفيد أن له معلوما كما أن قولنا سامع يفيد أن له مسموعا و إذا وصفناه بأنه عليم أفاد أنه متى يصح معلوم فهو عالم به كما أن سميعا يفيد أنه متى وجد مسموع فلا بد أن يكون سامعا له «إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ» قال الزجاج العامل فى إذ اذكر أى اذكر فى قصه موسى إذ قال لأهله أى امرأته و هى بنت شعيب «إِنِّي آنَسْتُ» أى أبصرت و رأيت «ناراً» و منه اشتقاق الإنس لأنهم مرثيون و قيل آنست أى أحسست بالشىء من جهه يؤنس بها و ما آنست به فقد أحسست به مع سكون نفسك إليه «سَأْتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ» معناه فالزموا مكانكم لعلى آتيكم من هذه النار بخبر الطريق و أهدى بها إلى الطريق لأنه كان أضل الطريق «أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ» أى بشعله نار و الشهاب نور كالعمود من النار و كل نور يمتد مثل العمود يسمى شهابا و إنما قال لامرأته «آتِيكُمْ» على لفظ خطاب الجمع لأنه أقامه مقام الجماعه فى الأنس بها و السكون إليها فى الأمكنه الموحشه «لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ» أى لكى تستدفئوا بها و ذلك لأنهم كانوا قد أصابهم البرد و كانوا شاتين عن الحسن و قتاده «فَلَمَّا جَاءَهَا» أى جاء موسى إلى النار يعنى التى ظن أنها نار و هى نور «نُودِيَ أَنَّ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا» قال وهب لما رأى موسى النار وقف قريبا منها فرآها تخرج من فرع شجره خضراء شديده الخضره لا تزداد النار إلا اشتعالا و لا تزداد الشجره إلا خضره و حسنا فلم تكن النار بحرارتها تحرق الشجره و لا الشجره برطوبتها تطفى النار فعجب منها و أهوى إليها بصغث فى يده ليقتبس منها فمالت إليها فخافها فتأخر عنها ثم لم تزل تطمعه و يطمع فيها إلى أن نودى و المراد به نداء الوحي «أَنَّ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا» أى بورك فيمن فى النار و هم الملائكه و فيمن حولها يعنى موسى و ذلك أن النور الذى رأى موسى كان فيه ملائكه لهم زجل بالتقديس و التسييح و من حولها هو موسى لأنه كان بالقرب منها و لم يكن فيها فكأنه قال بارك الله على من فى النار و عليك يا موسى و مخرجه الدعاء و المراد الخبر قال الكسائى تقول العرب باركه الله و بارك عليه و بارك فيه و قيل بورك من فى النار معناه من فى النار سلطانة و قدرته و برهانه فالبركه ترجع إلى اسم الله و تأويله تبارك من نور هذا النور و من حولها يعنى موسى و الملائكه و هذا معنى قول ابن عباس و الحسن و سعيد بن جبير و قيل معناه بورك من فى طلب النار و هو موسى (عليه السلام) فحذف المضاف و من حولها الملائكه أى دامت البركه لموسى و الملائكه و هذا تحيه من الله سبحانه لموسى (عليه السلام) بالبركه كما حيا إبراهيم (عليه السلام) بالبركه على ألسنه الملائكه حين دخلوا عليه فقالوا رَحِمْتُ اللَّهُ وَ بَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ثم نزه سبحانه نفسه فقال «سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» أى تنزيها له عما لا يليق بصفاته تعالى عن أن يكون جسما يحتاج إلى جهه أو

عرضا يحتاج إلى محل أو يكون ممن يتكلم بآله ثم أخبر سبحانه موسى عن نفسه و تعرف إليه بصفاته فقال «يا موسى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» أى إن الذى يكلمك هو الله العزيز أى القادر الذى لا يغالب و لا يمتنع عليه شىء الحكيم فى أفعاله المحكم لتدبيره ثم أراه سبحانه آيه يعلم بها صحه النداء فقال «وَ أَلْقِ عَصَاكَ» و فى الكلام حذف تقديره فألقاها فصارت حيه «فَلَمَّا رَأَاهَا تَهَتَّرُ كَأَنَّهَا جَانٌّ» أى تتحرك كما يتحرك الجان و هو الحيه التى ليست بعظيمه و إنما شبهها بالجان فى خفه حركتها و اهتزازها مع أنها ثعبان فى عظمها و لذلك هاله ذلك حتى ولى مدبرا و قيل إن الحاليتين مختلفتان لأن الحال التى صارت ثعبانا هى الحال التى لقى فيها فرعون و الحال التى صارت جانا هى الحال التى خاطبه الله فى أول ما بعثه نبيا «وَأَلَىٰ مُدْبِرًا» أى رجع إلى ورائه «وَ لَمْ يُعَقِّبْ» أى لم يرجع و كل راجع معقب و المفسرون يقولون لم يلتفت و لم يقف فقال الله سبحانه «يا موسى لا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ» و هذا تسكين من الله سبحانه لموسى و نهى له عن الخوف يقول له إنك مرسل و المرسل لا يخاف لأنه لا يفعل قبيحا و لا يخل بواجب فيخاف عقابى على ذلك.

[سوره النمل (٢٧): الآيات ١١ الى ١٤]

إشارة

إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسَيْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (١١) وَ أَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (١٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٣) وَ جَحَدُوا بِهَا وَ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَ عُلوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٤)

القراءة

فى الشواذ قراءة زيد بن أسلم و أبى جعفر القارئ إلا من ظلم بفتح الهمزة خفيفه اللام و قرأ على بن الحسين (عليه السلام) و قتاده مبصره بفتح الميم و الصاد.

الحج

قال ابن جنى من عدل إلى هذه القراءة فكأنه خفى عليه انقطاع الاستثناء فى القراءة الفاشيه فإن من هذه القراءة فى موضع رفع بالابتداء أو يكون للشرط كقولك من

يقم أضرب و من هناك منصوبه على الاستثناء و هو استثناء منقطع بمعنى لكن و قوله «مبصره» كقولك هدى و نورا و قد كثرت المفعلة بمعنى الشيع و الكثره فى الجواهر و الأحداث جميعا كقولهم أرض مضيه كثيره الضباب و مفعاه كثيره الأفاعى و محياه و محواه كثيره الحيات هذا فى الجواهر و أما الأحداث فكقولك البطنه موسنه و أكل الرطب مورده و محمه و منه المسعاه و المعلاه و الحق مجدره بك و مخلقه و فى كله معنى الكثره من موضعين (أحدهما) المصدريه التى فيه و المصدر إلى الشيع و العموم (و الآخر) التاء و هى لمثل ذلك.

الإعراب

«بَيْضَاءَ» منصوبه على الحال و «مِنْ غَيْرِ سُوءٍ» يتعلق ببىضاء و «فِي تِسْعِ آيَاتٍ» يتعلق بألق و «أَدْخَلَ يَدَكَ» و معناه إلقاء العصا و إدخال اليد فى جيبيك من جمله الآيات التسع التى يظهرها له «إِلَى فِرْعَوْنَ» يتعلق بمحذوف و التقدير مرسلا إلى فرعون فهو فى موضع الحال «ظُلْمًا وَ عُلوًّا» مفعول له و كيف فى موضع نصب بأنه خبر كان.

المعنى

ثم قال سبحانه «إِلَّا مَنْ ظَلَمَ» المعنى لكن من ظلم نفسه بفعل القبيح من غير المرسلين لأن الأنبياء لا يقع منهم ظلم لكونهم معصومين من الذنوب و القبائح فىكون هذا استثناء منقطعا و إنما حسن ذلك لاجتماع الأنبياء و غيرهم فى معنى شملهم و هو التكليف «ثُمَّ يَدُلُّ حُسَيْنًا بَعِيدَ سُوءٍ» أى بدل توبه و ندما على ما فعله من القبيح و عزم أن لا يعود إليه فى المستقبل «فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ» أى ساتر لذنبه قابل لتوبته «وَ أَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ» أعطاه آيه أخرى و قد سبق بيانها «فِي تِسْعِ آيَاتٍ» أى مع تسع آيات أخر أنت مرسل بها «إِلَى فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ» فحذف أو يكون تقديره مرسلا بها إلى فرعون و مبعوثا إليه و مثله قول الشاعر:

رأتنى بحبليها فصدت مخافه و فى الحبل روعاء الفؤاد فوق

و التقدير رأتنى مقبلا- بحبليها و قال الزجاج فى تسع آيات معناه من تسع آيات أى أظهر هاتين الآيتين من جمله تسع آيات كقولهم خذ لى عشرا من الإبل فيها فحلان و المعنى منها فحلان و الآيات التسع مفسره فى سوره بنى إسرائيل «إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ» أى خارجين عن طاعه الله إلى أقبح وجوه الكفر «فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا» أى حججنا و معجزاتنا

«مُبَصَّرَةٌ» أى واضحه بينه على من أبصر أنها خارجه عن قدره البشر و هو مثل قوله وَ آتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً وَ قَدِ مَرَّ بِبَانِهِ «قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ» أى ظاهر بين «وَ جَحَدُوا بِهَا» وَ أَنْكَرُوهَا وَ لَمْ يَقْرُوا بِأَنْهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ الْبَاءُ زَائِدُهُ وَ الْمَعْنَى جَحَدُوهَا كَمَا قَالَ الْعَجَّاجُ

" نضرب بالسيف و نرجو بالفرج "

«وَ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ» أى عرفوها و علموها يقينا بقلوبهم و إنما جحدوها بألسنتهم «ظُلْمًا» على بنى إسرائيل و قيل ظلما على أنفسهم «وَ عُلُوءًا» أى طلبا للعلو و الرفعه و تكبرا عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى (عليه السلام) «فَانظُرْ» يا محمد أو أيها السامع «كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ» فى الأرض بالمعاصى.

[سوره النمل (٢٧): الآيات ١٥ الى ١٩]

اشاره

وَ لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ عِلْمًا وَ قَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥) وَ وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَ أَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنْ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) وَ حُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ وَ الطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَ عَلَى وَالِدِيَّ وَ أَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَ أَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩)

اللغه

الوزع أصله المنع و الكف يقال وزعه عن الظلم قال النابغه:

ص: ٣٣٤

على حين عاتبت المشيب على الصبا وقلت ألما تصح والشيب وازع

و قال آخر:

ألم ترع الهوى إذ لم تواتى بلى و سلوت عن طلب الفتاه

و الحطم الكسر و منه الحطمه من أسماء جهنم و الحطام ما تحطم و الإيزاع الإلهام و فلان موزع بكذا أى مولع به قال الزجاج أوزعنى تأويله فى اللغه كفى عن الأشياء إلا عن شكر نعمتك و كفى عما يباعد منك.

الإعراب

لا- يحطمنكم فى موضع جزم لأنه جواب الأمر قال الزجاج ضاحكا حال مؤكده لأن تبسم فى معنى ضحك و قال بعض المتأخرين يجوز أن يكون حالا بعد الفراغ من الفعل لأن التبسم دون الضحك فكأنه تبسم أولا ثم آل أمره إلى الضحك.

المعنى

ثم عطف سبحانه على قصه موسى (عليه السلام) قصه داود و سليمان (عليه السلام) فقال سبحانه «وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا» أى علما بالقضاء بين الخلق و بكلام الطير و الدواب عن ابن عباس «وَقَالَا- الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ» أى اختارنا من بين الخلق بأن جعلنا أنبياء و بالمعجزه و الملك و العلم الذى آتانا و بإلانه الحديد و تسخير الشياطين و الجن و الإنس و إنما نكر قوله «عِلْمًا» ليدل على أنه أراد علما احتاجا إليه مما ينبئ عن صدقهما فى دعوى رساله «وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ» فى هذا دلالة على أن الأنبياء يورثون المال كتوريث غيرهم و هو قول الحسن و قيل معناه أنه ورثه علمه و نبوته و ملكه دون سائر أولاده و معنى الميراث هنا أنه قام مقامه فى ذلك فأطلق عليه اسم الإرث كما أطلق على الجنه اسم الإرث عن الجبائى و هذا خلاف للظاهر و الصحيح عند أهل البيت (عليه السلام) هو الأول «وَقَالَ» سليمان مظهرًا لنعمه الله و شاكرًا إياها «يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ» أهل العربية يقولون أنه لا- يطلق النطق على غير بنى آدم و إنما يقال الصوت لأن النطق عباره عن الكلام و لا كلام للطير إلا أنه لما فهم سليمان معنى صوت الطير سماه منطقا مجازا و قيل أنه أراد حقيقه المنطق لأن من الطير ما له كلام مهجى كالطيئوى قال المبرد العرب تسمى كل مبین عن نفسه ناطقا و متكلمًا قال رؤبه:

ص: ٣٣٥

لو أننى أعطيت علم الحكل علم سليمان كلام النمل

و الحكل ما لا يسمع له صوت و قال على بن عيسى أن الطير كانت تكلم سليمان معجزه له كما أخبر عن الهدهد و منطق الطير صوت يتفاهم به معانيها على صيغه واحده بخلاف منطق الناس الذى يتفاهمون به المعانى على صيغ مختلفه و لذلك لم نفهم عنها مع طول مصاحبتها و لم تفهم هى عنا لأن أفهامها مقصوره على تلك الأمور المخصوصه و لما جعل سليمان يفهم عنها كان قد علم منطقها «وَأوتينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» أى من كل شىء يؤتى الأنبياء و الملوك و قيل من كل ما يطلبه طالب لحاجته إليه و انتفاعه به و قيل من كل شىء علما و تسخيرا فى كل ما يصلح أن يكون معلوما لنا أو مسخرا لنا غير أن مخرجه مخرج العموم فيكون أبلغ و أحسن و

روى الواحدى بالإسناد عن محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه (عليه السلام) قال أعطى سليمان بن داود ملك مشارق الأرض و مغاربيها فملك سبعمائه سنه و سته أشهر ملك أهل الدنيا كلهم من الجن و الإنس و الشياطين و الدواب و الطير و السباع و أعطى علم كل شىء و منطق كل شىء و فى زمانه صنعت الصنائع المعجبه التى سمع بها الناس و ذلك قوله «عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَ أُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»

«إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ» أى هذا فضل الله الظاهر الذى لا يخفى على أحد و هذا قول سليمان على وجه الاعتراف بنعم الله عليه و يحتمل أن يكون من قول الله سبحانه على وجه الأخبار بأن ما ذكره هو الفضل المبين «وَ حُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ» أى جمع له جموعه و كل صنف من الخلق جند على حده بدلاله قوله «مِنَ الْجِنَّ وَ الْإِنْسِ وَ الطَّيْرِ» قال المفسرون كان سليمان إذا أراد سفرا أمر فجمع له طوائف من هؤلاء الجنود على بساط ثم يأمر الريح فتحملهم بين السماء و الأرض و المعنى و حشر لسليمان جنوده أى جمع له جموعه فى مسير له و قال محمد بن كعب بلغنا أن سليمان بن داود كان معسكره مائه فرسخ خمسه و عشرون منها للإنس و خمسه و عشرون للجن و خمسه و عشرون للوحش و خمسه و عشرون للطير و كان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائه صريحه و سبعمائه سريه فى أمر الريح العاصف فترفعه و يأمر الرخاء فتسير به فأوحى الله تعالى إليه و هو يسير بين السماء و الأرض أنى قد زدت فى ملكك أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشىء إلا جاءت به الريح فأخبرتكم و قال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسخا فى فرسخ ذهابا فى إبريسم و كان يوضع فيه منبر من الذهب فى وسط البساط فيقعد عليه و حوله ثلاثه آلاف كرسى من ذهب و فضه فيقعد الأنبياء على كراسى الذهب و العلماء على كراسى الفضه و حولهم الناس و حول الناس الجن و الشياطين و تظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس و ترفع الريح الصبا البساط مسيره شهر من الصباح إلى الرواح و من

الروح إلى الصباح «فَهُمْ يُوزَعُونَ» أى يمنع أولهم على آخرهم عن ابن عباس و معنى ذلك أن على كل صنف من جنوده وزعه ترد أولهم على آخرهم ليتلاحقوا و لا يتفرقوا كما تقوم الجيوش إذا كثرت بمثل ذلك و هو أن تدفع أخراهم و توقف أولاهم و قيل معناه يحبسون عن ابن زيد و هو مثل الأول فى أنه يحبس أولاهم على آخرهم «حَيْتَى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ» أى فسار سليمان و جنوده حتى إذا أشرفوا على واد و هو بالطائف عن كعب و قيل هو بالشام عن قتاده و مقاتل «قَالَتْ نَمْلَةٌ» أى صاحت بصوت خلق الله لها و لما كان الصوت مفهوما لسليمان عبر عنه بالقول و قيل كانت رئيسه النمل «يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ» أى لا يكسرنكم «سُلَيْمَانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ» بحطمكم و وطئكم فإنهم لو علموا بمكانكم لم يطئوكم و هذا يدل على أن سليمان و جنوده كانوا ركبانا و مشاه على الأرض و لم تحملهم الريح لأن الريح لو حملتهم بين السماء و الأرض لما خافت النمل أن يطئوها بأرجلهم و لعل هذه القصة كانت قبل تسخير الله الريح لسليمان فإن قيل كيف عرفت النملة سليمان و جنوده حتى قالت هذه المقالة قلنا إذا كانت مأموره بطاعته فلا بد أن يخلق لها من الفهم ما تعرف به أمور طاعته و لا يمتنع أن يكون لها من الفهم ما يستدرك به ذلك و قد علمنا أنه تشق ما تجمع من الحبوب بنصفين مخافه أن يصيبها الندى فتنتب إلا الكزبره فإنها تكسرهما بأربع قطع لأنها تنبت إذا شقت بنصفين فمن هداها إلى هذا فإنه جل جلاله يهديها إلى تمييز ما يحطمها مما لا يحطمها و قيل إن ذلك كان منها على سبيل المعجز الخارق للعادة لسليمان (عليه السلام) قال ابن عباس فوقف سليمان بجنوده حتى دخل النمل مساكنه «فَتَبَسَّ» سليمان «ضاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا» و سبب ضحك سليمان التعجب و ذلك إن الإنسان إذا رأى ما لا عهد له به تعجب و ضحك و قيل أنه تبسم بظهور عدله حيث بلغ عدله فى الظهور مبلغا عرفه النمل و قيل إن الريح أطارت كلامها إليه من ثلاثه أميال حتى سمع ذلك فانتهى إليها و هى تأمر النمل بالمبادره فتبسم من حذرها «وَ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي» أى ألهمنى «أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ» بأن علمتنى منطق النمل و أسمعتنى قولها من بعيد حتى أمكننى الكف و أكرمتنى بالنبوه و الملك «وَ عَلَى وَ الْوَالِدَى» أى أنعمت على والدى بأن أكرمته بالنبوه و فصل الخطاب و ألت له الحديد و على والدتى بأن زوجته نبيك و جعل النعمه عليها نعمه الله سبحانه عليه يلزمه شكرها «وَ أَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ» أى وفقنى لأن أعمل صالحا فى المستقبل ترضاه «وَ أَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ» قال ابن عباس يعنى إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب و من بعدهم من النبيين أى أدخلنى فى جملتهم و أثبت اسمى مع أسمائهم و احشرنى فى زمرتهم و قال ابن زيد فى عبادك معناه مع

عبادك قال الزجاج جاء لفظ ادخلوا كلفظ ما يعقل لأن النمل هاهنا أجرى مجرى الآدميين حتى نطق كما ينطق الآدميون وإنما يقال لما لا يعقل ادخلى وفي الخبر دخلت أو دخلن و روى أن نمل سليمان هذا كان كأمثال الذئب والكلاب.

[سوره النمل (٢٧): الآيات ٢٠ الى ٢٦]

اشاره

وَ تَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَ جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنْتٍ يَاقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَ لَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجِدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤)

أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ يَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَ مَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦)

القراءه

قرأ ابن كثير أو ليأتيني بنونين أو لاهما مشدده مفتوحه و الباقون بنون واحده مشدده و قرأ عاصم و يعقوب «فَمَكَثَ» بفتح الكاف و الباقون بضم الكاف و قرأ أبو عمرو و ابن كثير في روايه السبزي من سباء بفتح الهمزه و قرأ ابن كثير في روايه القواس و ابن فليح من سبأ بغير همزه و قرأ الباقون «مِنْ سَبَإٍ» مجروره منونه و مثله سواء في سوره سبأ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ و قرأ أبو جعفر و الكسائي و رويس عن يعقوب ألا- يسجدوا خفيفه اللام و قرأ الباقون «أَلَّا يَسْجُدُوا» مثل قوله أَنْ لَا يَقُولُوا و من خفف وقف على ألا يا و ابتداء اسجدوا و قرأ الكسائي و حفص عن عاصم «ما تُخْفُونَ وَ مَا تُعْلِنُونَ» بالتاء و الباقون بالياء.

من قرأ «لِيَأْتِيَنَّ» حذف النون الثالثة التي هي قبل ياء المتكلم لاجتماع النونات و من قرأ ليأتينني فهو على الأصل و مكث و مكث لغتان و مما يقوى الفتح و قوله إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ و قوله مَا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا و قال سيبويه ثمود و سبأ مره للقبيلتين و مره للحين قال أبو على يريد أن هذه الأسماء منها ما جاء على أنه اسم الحى نحو معد و قريش و ثقيف و منها ما يستوى فيه الأمران كثمود و سبأ و قال أبو الحسن فى سبأ إن شئت صرفت فجعلته اسم أبيهم أو اسم الحى و إن شئت لم تصرف فجعلته اسم القبيله قال و الصرف أحب إلى لأنه قد عرف أنه اسم أبيهم و إن كان اسم الأب يصير كالقبيله إلا أنى أحمله على الأصل و قال غيره هو اسم رجل و اليمانيه كلها تنسب إليه يقولون سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان قال الزجاج من قال إن سبأ اسم رجل فغلط لأن سبأ هي مدينه تعرف بمأرب من اليمن بينها و بين صنعاء مسيره ثلاثه أيام قال الشاعر

من سبى الحامرين مأرب إذ ينون من دون سيله العرما

فمن لم يصرف فلأنه اسم مدينه و من صرفه فلأن يكون اسما للبلد قال جرير:

الواردون و تيم فى ذرى سبأ قد عض أعناقهم جلد الجواميس

و من قرأ ألا يسجدوا فالتقدير فصددهم عن السبيل لأن لا يسجدوا على أنه مفعول له قال أبو على و هذا هو الوجه لتجرى القصه على سننها و لا- يفصل بين بعضها و بعض ما ليس منها و إن كان الفصل بهذا النحو غير ممتنع لأنه يجرى مجرى الاعتراض و كأنه لما قيل «وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ» فدل هذا الكلام على أنهم لا يسجدون لله قال ألا يا قوم اسجدوا لله خلافا عليهم و وجه دخول حرف التنبيه على الأمر أنه موضع يحتاج فيه إلى استعطاف المأمور لتأكيد ما يؤمر به عليه كما أن النداء موضع يحتاج فيه إلى استعطاف المنادى لما ينادى له من إخبار أو أمر أو نهى و نحو ذلك مما يخاطب به و إذا كان كذلك فيجوز أن لا تريد منادى فى نحو قولك ألا يسجدوا كما لا تريد المنادى فى نحو قوله:

يا لعنه الله و الأقوام كلهم و الصالحين على سمعان من جار

و كذلك ما حكى عن أبى عمرو من قوله يا ويل له و يجوز أن يراد بعد يا مأمورون فحذفوا كما حذف فى قوله يا لعنه الله فكما أن يا هاهنا لا يجوز أن يكون إلا لغير اللعنه

كذلك يجوز أن يكون المأمورون مرادين و حذفوا من اللفظ و قد جاء هذا فى مواضع من الشعر فمن ذلك ما أنشده أبو زيد

فقلت ألا يا اسمع نعظك بخطه فقلت سميعا فانطقى و أصيبى

و أنشد الزجاج لذى الرمه

ألا يا أسلمى يا دار مى على البلى و لا زال منها لا بجرعائك القتر

و للأخطل

ألا يا أسلمى يا هند هند بنى بدر و لا زال حيانا عدى آخر الدهر

و مما يؤكد قراءه من قرأ «أَلَا يَسْجُدُوا» بالتشديد أنها لو كانت مخففة لما كانت فى يسجدوا ياء لأنها اسجدوا ففى ثبات الياء فى المصحف دلالة على التشديد و من قرأ يخفون و يعلنون بالياء فلأن الكلام على الغيبة و قراءه الكسائى فىهما بالتاء لأن الكلام قد دخله خطاب على قراءه اسجدوا لله و من قرأ ألا يا اسجدوا فيجوز أن يكون الخطاب للمؤمنين و الكافرين الذين جرى ذكرهم على لفظ الغيبة.

الإعراب

كان أبو عمرو يسكن الياء فى قوله ما لى لا أرى الهدهد و يفتح فى قوله و ما لى لا أعبد الذى فطرنى لثلا يقف الواقف على ما لى و يبتدئ بلا أعبد و «لا أرى» فى موضع نصب على الحال. «أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ» أم منقطعه التقدير بل أ هو من الغائبين و كان بمعنى يكون و اللام فى «لَأَعَذَّبَنَّهُ» جواب قسم مقدر أى و الله لأعذبه «غَيْرَ بَعِيدٍ» منصوب لأنه صفة ظرف أو صفة مصدر تقديره فمكث وقتا غير بعيد أو مكثا غير بعيد و «يَسْجُدُونَ» فى موضع نصب على الحال من وجدت.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن سليمان فقال «و تَفَقَّدَ الطَّيْرَ» أى طلبه عند غيبته «فَقَالَ مَا لِيْ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ» أى ما للهدهد لا أراه تقول العرب ما لى أراك كثيبا و معناه ما لك

و لكنه من القلب الذى يوضح المعنى و اختلف فى سبب تفقده الهدهد فقيل إنه احتاج إليه فى سفره ليدله على الماء لأنه يقال إنه يرى الماء فى بطن الأرض كما يراه فى القاروره عن ابن عباس و

روى العياشى بالإسناد قال قال أبو حنيفه لأبى عبد الله (عليه السلام) كيف تفقد سليمان الهدهد من بين الطير قال لأن الهدهد يرى الماء فى بطن الأرض كما يرى أحدكم الدهن فى القاروره فنظر أبو حنيفه إلى أصحابه و ضحك قال أبو عبد الله (عليه السلام) ما يضحكك قال ظفرت بك جعلت فداك قال و كيف ذلك قال الذى يرى الماء فى بطن الأرض لا يرى الفخ فى التراب حتى يؤخذ بعنقه قال أبو عبد الله (عليه السلام) يا نعمان أ ما علمت أنه إذا نزل القدر أغشى البصر

و قيل إنما تفقده لإخلاله بنوبته عن وهب و قيل كانت الطيور تظله من الشمس فلما أخل الهدهد بمكانه بان بطولوع الشمس عليه «أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ» معناه أ تأخر عصيانا أم غاب لعذر و حاجه قال المبرد لما تفقد سليمان الطير و لم ير الهدهد قال ما لى لا أرى الهدهد على تقدير أنه مع جنوده و هو لا يراه ثم أدركه الشك فشك فى غيبته عن ذلك الجمع بحيث لم يره فقال أم كان من الغائبين أى بل أ كان من الغائبين كأنه ترك الكلام الأول و استفهم عن حاله و غيبته ثم أوعده على غيبته فقال «لَأَعِدَّنَّه عَذَابًا شَدِيدًا» معناه لأعذبه بنتف ريشه و إلقائه فى الشمس عن ابن عباس و قتاده و مجاهد و قيل بأن أجعله بين أضداده و كما صح نطق الطير و تكليفه فى زمانه معجزه له جازت معاتبته على ما وقع منه من تقصير فإنه كان مأمورا بطاعته فاستحق العقاب على غيبته «أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ» أى لأقطعن حلقه عقوبه على عصيانه «أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ» أى بحجه واضحة تكون له عذرا فى الغيبه «فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ» أى فلم يلبث سليمان إلا زمانا يسيرا حتى جاء الهدهد و قيل معناه فلبث الهدهد فى غيبته قليلا ثم رجع و على هذا فيجوز أن يكون التقدير فمكث فى مكان غير بعيد قال ابن عباس فأتاه الهدهد بحجه «فَقَالَ أَحَطُّ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ» أى اطلعت على ما لم تطلع عليه و جئتك بأمر لم يخبرك به و لم يعلم به الإنس و بلغت ما لم تبلغه أنت و لا جنودك و هو قوله «وَ جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ» أى بخبر صادق و علم الإحاطه و هو أن يعلم الشىء من جميع جهاته التى يمكن أن يعلم عليها تشيها بالسور المحيط بما فيه و فى الكلام حذف تقديره ثم جاء الهدهد فسأله سليمان عن سبب غيبته فقال أحطت بما لم تحط به و فى هذا دلالة على أنه يجوز أن يكون فى زمن الأنبياء من يعرف ما لا يعرفونه و سبأ مدينه بأرض اليمن عن قتاده و قيل إن الله تعالى بعث إلى سبأ اثنى عشر نبيا عن السدى و

روى علقمه بن وعله عن ابن عباس قال سئل النبى ص عن سبأ فقال هو رجل ولد له عشره من العرب تيامن منهم سته و تشأم أربعة فالذين تشأموا لحم و جذام و غسان و عامله و الذين تيامنوا كنده و الأشعرون و الأزد و مذحج و حمير

«إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ» أى تتصرف فيهم بحيث لا يعترض عليها أحد «وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» و هذا اختار عن سعه ملكها أى من كل شىء من الأموال و ما يحتاج إليه الملوك من زينه الدنيا و قال الحسن و هى بلقيس بنت شراحيل ملكه سبيا و قيل شرحبيل ولدها أربعون ملكا آخرهم أبوها [شرحبيل] قال قتاده و كان أولوا مشورتها ثلاثمائة و اثنى عشر قبيلا كل قيل منهم تحت رايته ألف مقاتل «وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ» أى سرير أعظم من سريرك و كان مقدمه من ذهب مرصع بالياقوت الأحمر و الزمرد الأخضر و مؤخره من فضه مكلل بألوان الجواهر و عليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق و عن ابن عباس قال كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعا فى ثلاثين ذراعا و طوله فى الهواء ثلاثون ذراعا و قال أبو مسلم المراد بالعرش الملك «وَجِدْتُهَا وَ قَوْمَهَا يَسْتَجِدُّونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ» أى عبادتهم للشمس من دون الله «فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ» أى صرفهم عن سبيل الحق «فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ» قال الجبائى لم يكن الهدهد عارفا بالله تعالى و إنما أخبر بذلك كما يخبر مراهقو صبياننا لأنه لا تكليف إلا على الملائكة و الإنس و الجن فيرانا الصبى على عباده الله فيتصور أن ما خالفها باطل فكذلك الهدهد تصور له أن ما خالف فعل سليمان باطل و هذا الذى ذكره خلاف ظاهر القرآن لأنه لا يجوز أن يفرق بين الحق الذى هو السجود لله و بين الباطل الذى هو السجود للشمس و أن أحدها حسن و الآخر قبيح إلا العارف بالله سبحانه و بما يجوز عليه و ما لا يجوز أن يفرق بين الحق الذى هو السجود لله و بين الباطل الذى هو السجود للشمس و أن أحدها حسن و الآخر قبيح إلا العارف بالله سبحانه و بما يجوز عليه و ما لا يجوز هذا مع نسبة تزين أعمالهم و صداهم عن طريق الحق إلى الشيطان و هذا مقاله من يعرف العدل و أن القبيح غير جائز على الله سبحانه «أَلَّا يَسْتَجِدُّوا لِلَّهِ» قد بينا أن التخفيف إنما هو على معنى الأمر بالسجود و دخلت الياء للتنبيه أو على تقدير ألا- يا قوم اسجدوا لله و قيل إنه أمر من الله تعالى لجميع خلقه بالسجود له اعترض فى الكلام و قيل إنه من كلام الهدهد قاله لقوم بلقيس حين وجدهم يسجدون لغير الله و قاله لسليمان عند عوده إليه استنكارا لما وجدهم عليه و القراءه بالتشديد على معنى زين لهم الشيطان ضلالتهم لئلا يسجدوا لله و ذكر القراءه أن القراءه بالتشديد لا توجب سجده التلاوه و هذا غير صحيح لأن الكلام قد تضمن الذم على ترك السجود فيه دلالة على وجوب السجود و هو كقوله و إِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَ مَا الرَّحْمَنُ الْآيَهُ «الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ»

الخبء المخبوء وهو ما أحاط به غيره حتى منع من إدراكه وهو مصدر وصف به يقال خبأته أخبؤه خبأً وما يوجد الله تعالى فيخرجه من العدم إلى الوجود يكون بهذه المنزلة وقيل الخبء الغيب وهو كل ما غاب عن الإدراك فالمعنى يعلم غيب السماوات والأرض عن عكرمه ومجاهد وقيل إن خبء السماوات المطر وخبء الأرض النبات والأشجار عن ابن زيد «وَ يَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَ مَا تُعْلِنُونَ» أى يعلم السر والعلانيه «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» إلى هاهنا تمام الحكايه لما قاله الهدهد و يحتمل أن يكون ابتداء إخبار من الله تعالى و العرش سرير الملك الذى عظمه الله و رفعه فوق السماوات السبع و جعل الملائكه تحف به و ترفع أعمال العباد إليه و تنشأ البركات من جهته فهو عظيم الشأن كما وصفه الله تعالى و هو أعظم خلق الله تعالى.

[سوره النمل (٢٧): الآيات ٢٧ الى ٣١]

اشاره

قَالَ سَيَنْظُرُ أَ صَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِنْ سَيِّمَانَ وَ إِنَّهُ بِسِيمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَ أَنُوْنِي مُسْلِمِينَ (٣١)

القراءه

فى الشواذ ما رواه وهب عن ابن عباس ألا تغلوا بالغين المعجمه من الغلو.

المعنى

ولما سمع سليمان ما اعتذر به الهدهد فى تأخره «قال» عند ذلك «سَيَنْظُرُ أَ صَدَقْتَ» فى قولك الذى أخبرتنا به «أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ» و هذا أطف و ألين فى الخطاب من أن يقول أم كذبت لأنه قد يكون من الكاذبين بالميل إليهم و قد يكون منهم بالقرابه تكون بينه و بينهم و قد يكون منهم بأن يكذب كما كذبوا ثم كتب سليمان كتابا و ختمه بخاتمه و دفعه إليه فذلك قوله «اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ» يعنى إلى أهل سبأ «ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ» أى استتر منهم قريبا بعد إلقاء الكتاب إليهم فانظر ما ذا يرجعون عن وهب بن منبه و غيره و قيل إنه على التقديم و التأخير «فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ» أى ما ذا يردون من الجواب ثم تول عنهم لأن

التولى عنهم بعد الجواب عن مقاتل و ابن زيد و الجبائي و ابي مسلم و الأول أوجه لأن الكلام إذا صح من غير تقديم و تأخير كان أولى و فى الكلام حذف تقديره فمضى الهدهد بالكتاب و ألقاه إليهم فلما رأته بلقيس «قالت» لقومها «يا أيها المملأ» أى الأشراف «إني ألقى إني كتاب كريم» قال قتاده أتاها الهدهد و هى نائمه مستلقية على قفاها فألقى الكتاب على نحرها فقرأت الكتاب و قيل كانت لها كوه مستقبلة للشمس تقع الشمس عند ما تطلع فيها فإذا نظرت إليها سجدت فجاء الهدهد إلى الكوه فسدها بجناحه فارتفعت الشمس و لم تعلم فقامت تنظر فرمى الكتاب إليها عن وهب و ابن زيد فلما أخذت الكتاب جمعت الأشراف و هم يومئذ ثلاثمائة و اثنا عشر قبلا- ثم قالت لهم إني ألقى إلى كتاب كريم سمته كريما لأنه كان مختوما عن ابن عباس و يؤيده

الحديث إكرام الكتاب ختمه

و قيل وصفته بالكريم لأنه صدره بسم الله الرحمن الرحيم و قيل لحسن خطه و جوده لفظه و بيانه و قيل لأنه كان ممن يملك الإنس و الجن و الطير و قد كانت سمعت بخبر سليمان فسمته كريما لأنه من كريم رفيع الملك عظيم الجاه «إنه من سليمان و إنّه بسم الله الرحمن الرحيم» معناه أن الكتاب من سليمان و أن المكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم سليمان (عليه السلام) و لم تعرفه هى و لا- قومها و قيل إن هذا حكاية ما قالت على المعنى باللغة العربية و إن لم تقل هى بهذا اللفظ و الحكاية على ثلاثه أوجه حكاية على المعنى فقط و حكاية على اللفظ فقط ممن حكاة من غير أن يعلم معناه و حكاية على اللفظ و المعنى و هو الأصل فى الحكاية التى لا يجوز العدول عنها إلا بقرينه و موضع «ألا تغلوا» يجوز أن يكون رفعا بالبدل من «كتاب» و يجوز أن يكون نصبا على معنى بأن لا- تعلوا و الصحيح أن فى مثل هذا الموضع بمعنى أى على ما قاله سيويوه فى نحو قوله و انطلق المملأ منهم أن امشوا أى امشوا و معناه لا تترفعوا و لا تتكبروا «على و أتونى مسلمين» أى منقادين طائعين لأمرى فيما أدعوكم و قيل مسلمين مؤمنين بالله تعالى و رسوله مخلصين فى التوحيد قال قتاده و كذا كانت الأنبياء تكتب كتبها موجزه مقصوره على الدعاء إلى الطاعة من غير بسط.

إشارة

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأَوْلُوا بِأَسِّ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَها أَهْلِها أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمَدُّونَ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦)

ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلِنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (٣٧)

القراءة

قرأ حمزه و يعقوب أ تمدوني بنون واحده مشدده على الإدغام و الباقون بنونين مظهرين.

الإعراب

«حَتَّى تَشْهَدُونِ» انتصب «تَشْهَدُونِ» بإضمار أن و النون فيه نون عماد «فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ» فاعل جاء الضمير المستكن فيه الراجع إلى مفعول مرسله المحذوف لأن تقديره إني مرسله رسولا- «أَذِلَّةً» نصب على الحال «وَهُمْ صَاغِرُونَ» جملة في موضع الحال معطوفة على أذله.

المعنى

و لما وقفت بلقيس على كتاب سليمان «قَالَتْ» لأشرف قومها «يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي» أى أشيروا على بالصواب و الفتيا و الفتوى الحكم بما فيه صواب بدلا من الخطأ و هو الحكم بما يعمل عليه فجعلت المشورة هنا فتيا «مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا» أى ما كنت ممضيه أمرا «حَتَّى تَشْهَدُونِ» أى تحضرونى تريد إلا بحضوركم و مشورتكم و هذا ملاطفه منها لقومها فى الاستشارة منهم لما تعمل عليه «قَالُوا» لها فى الجواب عن ذلك «نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ» أى أصحاب قوه و قدره و أهل عدد «وَأَوْلُوا بِأَسِّ شَدِيدٍ» أى و أصحاب شجاعه شديده «وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ» أى أن الأمر مفوض إليك فى القتال و تركه «فَإَنْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ» أى ما الذى تأمريننا به لنمتهله فإن أمرت بالصلح صالحنا و إن أمرت بالقتال قاتلنا «قَالَتْ» مجيبه لهم عن التعريض بالقتال «إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا» أى إذا دخلوها عنوه عن قتال و غلبه أهلها و خربوها «وَجَعَلُوا أَعْرَها أَهْلِها أَذِلَّةً» أى أهانوا أشرفها و كبراءها كى يستقيم لهم الأمر و المعنى أنها حذرتهم مسير سليمان إليهم و دخوله بلادهم و انتهى الخبر عنها و صدقها الله فيما قالت فقال «وَكَذَلِكَ» أى و كما قالت

هي «يَفْعَلُونَ» وقيل إن الكلام متصل بعبضه ببعض و كذلك يفعلون من قولها «وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ» أى إلى سليمان و قومه «بِهَيْدِيَّةٍ» أصانعه بذلك عن ملكي «فَنَاطِرَةٌ» أى فمنتظره «بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسِلُونَ» بقبول أم رد و إنما فعلت ذلك لأنها عرفت عادة الملوك فى حسن موقع الهدايا عندهم و كان غرضها أن يتبين لها بذلك أنه ملك أو نبى فإن قبل الهدية تبين أنه ملك و عندها ما يرضيه و إن ردها تبين أنه نبى و اختلف فى الهدية فقيل أهدت إليه و صفا و وصايف ألبستهم لباسا واحدا حتى لا يعرف ذكر من أنثى عن ابن عباس و قيل أهدت مائتى غلام و مائتى جاريه ألبست الغلمان لباس الجوارى و ألبست الجوارى ألبسه الغلمان عن مجاهد و قيل أهدت له صفائح الذهب فى أوعيه من الديات فلما بلغ ذلك سليمان أمر الجن فموهوا له الآجر بالذهب ثم أمر به فألقى فى الطريق فلما جاءوا رأوه ملقى فى الطريق فى كل مكان فلما رأوا ذلك صغر فى أعينهم ما جاءوا به عن ثابت اليماني و قيل إنها عمدت إلى خمسمائه غلام و خمسمائه جاريه فألبست الجوارى الأقييه و المناطق و ألبست الغلمان فى سواعدهم أساور من ذهب و فى أعناقهم أطواقا من ذهب و فى آذانهم أقراطا و شنوفا مرصعات بأنواع الجواهر و حملت الجوارى على خمسمائه رمكه و الغلمان على خمسمائه برذون على كل فرس لجام من ذهب مرصع بالجواهر و بعثت إليه خمسمائه لبنه من ذهب و خمسمائه لبنه من فضه و تاجا مكللا بالدر و الياقوت المرتفع و عمدت إلى حقه فجعلت فيها دره يتيمه غير مثقوبه و خرزه جزعيه مثقوبه معوجه الثقب و دعت رجلا من أشرف قومها اسمه المنذر بن عمرو و ضمت إليه رجلا من قومها أصحاب رأى و عقل و كتبت إليه كتابا بنسخه الهدية قالت فيها أن كنت نيبا فميز بين الوصفاء و الوصائف و أخبر بما فى الحقه قبل أن تفتحها و اثقب الدره ثقبا مستويا و أدخل الخرزه خيطا من غير علاج إنس و لاجن و قالت للرسول أنظر إليه إن دخلت عليه فإن نظر إليك نظره غضب فاعلم أنه ملك فلا يهولنك أمره فأنا أعز منه و إن نظر إليك نظر لطف فاعلم أنه نبى مرسل فانطلق الرسول بالهدايا و أقبل الهدهد مسرعا إلى سليمان فأخبره الخبر فأمر سليمان الجن أن يضربوا لبنات الذهب و لبنات الفضه ففعلوا ثم أمرهم أن يبسطوا من موضعه الذى هو فيه إلى بضع فراسخ ميدانا واحدا بلبنات الذهب و الفضه و أن يجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب و الفضه ففعلوا ثم قال للجن على بأولادكم فاجتمع خلق كثير فأقامهم على يمين الميدان و يساره ثم قعد سليمان فى مجلسه على سريره و وضع له أربعة آلاف كرسى عن يمينه و مثلها عن يساره و أمر الشياطين أن يصطفوا صفوفا فراسخ و أمر الإنس فاصطفوا فراسخ و أمر الوحش و السباع و الهوام و الطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه و يساره فلما دنا القوم من الميدان و نظروا إلى ملك سليمان

تقاصرت إليهم أنفسهم و رموا بما معهم من الهدايا فلما وقفوا بين يدي سليمان نظر إليهم نظرا حسنا بوجه طلق و قال ما وراءكم فأخبره رئيس القوم بما جاءوا له و أعطاه كتاب الملكة فنظر فيه و قال أين الحقه فأتى بها و حركها و جاءه جبرائيل (عليه السلام) فأخبره بما فى الحقه فقال إن فيها دره يتيمه غير مثقوبه و خرزه مثقوبه معوجه الثقب فقال الرسول صدقت فاثقب الدره و أدخل الخيط فى الخرزه فأرسل سليمان إلى الأرضه فجاءت فأخذت شعره فى فيها فدخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر ثم قال من لهذه الخرزه يسلكها الخيط فقالت دوده بيضاء أنا لها يا رسول الله فأخذت الدوده الخيط فى فيها و دخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر ثم ميز بين الجوارى و الغلمان بأن أمرهم أن يغسلوا وجوههم و أيديهم فكانت الجارية تأخذ الماء من الآنيه بإحدى يديها ثم تجعله على اليد الأخرى ثم تضرب به الوجه و الغلام كان يأخذ من الآنيه يضرب به وجهه و كانت الجارية تصب على باطن ساعدها و الغلام على ظهر الساعد و كانت الجارية تصب الماء صبا و الغلام يحدر الماء على يده حدرا فميز بينهما بذلك هذا كله مروى عن وهب و غيره و قيل إنها أنفذت مع هداياها عصا كان يتوارثها ملوك حمير و قالت أريد أن تعرفنى رأسها من أسفلها و بقدر ماء و قالت تملؤها ماء رواء ليس من الأرض و لا من السماء فأرسل سليمان العصا إلى الهواء و قال أى الرأسين سبق إلى الأرض فهو أسفلها و أمر الخيل فأجريت حتى عرقت و ملأ القدر من عرقها و قال ليس هذا من ماء الأرض و لا من ماء السماء «فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ» أى فلما جاء الرسول سليمان «قَالَ أ تُمِدُّونَنِي بِمَالٍ» أى تزيدوننى مالا و هذا استفهام إنكار يعنى أنه لا يحتاج إلى مالهم «فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ» أى ما أعطانى الله من الملك و النبوه و الحكمة خير مما أعطاكم من الدنيا و أموالها «يَلِ أُنْتُمْ بِهَيْدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ» إذا هدى بعضكم إلى بعض و أما أنا فلا أفرح بها أشار إلى قلبه أكثراته بأموال الدنيا ثم قال (عليه السلام) للرسول «ارْجِعْ إِلَيْهِمْ» بما جئت من الهدايا «فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا» أى لا طاقه لهم بها و لا قدره لهم على دفعها «وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً» أى من تلك القرية و من تلك المملكه و قيل من أرضها و ملكها «وَهُمْ صَاغِرُونَ» أى ذليلون صغير و القدر إن لم يأتونى مسلمين فلما رد سليمان الهديه و ميز بين الغلمان و الجوارى إلى غير ذلك علموا أنه نبي مرسل و أنه ليس كالمملوك الذين يغترون بالمال.

إشاره

قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوا أَيُّكُمْ يَا تِينِي بَعْرُشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عَفْرِيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠) قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَ تَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (٤١) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَ هَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢)

وَ صَيَّدَهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (٤٣) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَ كَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَ أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤)

القراءة

في الشواذ قراءة أبي رجاء و عيسى الثقفي عفريه.

الحججه

و المعنى معنى العفريت يقال رجل عفريه نفريه أى خبيث داه قال ذو الرمه

كأنه كوكب فى إثر عفريه مسوم فى سواد الليل منقضب

و أصل العفريت و العفريه من العفر و هو التراب لأنه يصرع قرنه فى العفر و منه قيل للأسد عفرنى و للناقه الشديده عفرناه قال الأعشى:

بذات لوث عفرناه إذا عثرت فالتعس أدنى لها من أن يقال لعا

. اللغه

التنكير تغيير الشىء من حال إلى حال ينكرها صاحبها إذا رآه و الصرح القصر و كل بناء مشرف صرح و صرحه الدار و ساحتها و قارعتها و صحنها و أصله من الوضوح يقال صرح بالأمر أى كشفه و أوضحه و صرح بالتشديد لازم و متعد و اللجه معظم الماء و الجمع لجج و لج البحر خلاف الساحل و منه لج بالأمر إذا بالغ بالدخول فيه و الممرد المملس و منه الأمرد و شجره مرداء أى ملساء لا ورق عليها و المارد المتملس عن الحق الخارج منه.

المعنى

فلما رجع إليها الرسول و عرفت أنه نبي و أنها لا تقاومه فتجهزت للمسير إليه و أخبر جبرائيل سليمان (عليه السلام) إنها خرجت من اليمن مقبله إليه ف «قال» سليمان لأماثل جنده و أشراف عسكره «يا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ» و اختلف فى السبب الذى خص به العرش بالطلب على أقوال (أحدها) أنه أعجبه صفته فأراد أن يراه و ظهر له آثار إسلامها فأحب أن يملك عرشها قبل أن تسلم فيحرم عليه أخذ مالها عن قتاده (و ثانيها) أنه أراد أن يختبر بذلك عقلها و فطنتها و يختبر هل تعرفه أو تنكره عن ابن زيد و قيل أراد أن يجعل ذلك دليلا و معجزه على صدقه و نبوته لأنها خلفته فى دارها و أوثقتة و وكلت به ثقات قومها يحرسونه و يحفظونه عن وهب و قال ابن عباس كان سليمان رجلا مهيبا لا يبتدىء بالكلام حتى يكون هو الذى يسأل عنه فخرج يوما فجلس على سريره فرأى رهجا قريبا منه فقال ما هذا فقالوا بلقيس يا رسول الله و قد نزلت منا بهذا المكان و كان ما بين الكوفه و الحيره على قدر فرسخ فقال «أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا». و قوله «مُسْلِمِينَ» فيه وجهان (أحدهما) أنه أراد مؤمنين موحدين (و الآخر) مستسلمين منقادين على ما مر بيانه «قالَ عَفْرِيْتُ مِنَ الْجِنَّ» أى مارد قوى داهيه عن ابن عباس «أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ» أى من مجلسك الذى تقضى فيه عن قتاده «وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ» أى و إنى على حمله لقوى و على الإتيان به فى هذه المده قادر و على ما فيه من الذهب و الجواهر أمين و فى هذا دلالة على أن القدره قبل الفعل لأنه أخبر بأنه قوى عليه قبل أن يجىء به و كان سليمان يجلس فى مجلسه للقضاء غدوه إلى نصف النهار فقال سليمان أريد أسرع من ذلك فعند ذلك «قالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ

مِنَ الْكِتَابِ» و هو آصف بن برخيا و كان وزير سليمان و ابن أخته و كان صديقا يعرف اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب عن ابن عباس و قيل إن ذلك الاسم الله و الذى يليه الرحمن و قيل هو يا حى يا قيوم و بالعبرانية أهيا شراهايا و قيل هو يا ذا الجلال و الإكرام عن مجاهد و قيل أنه قال يا إلهنا و إله كل شىء إلهها واحدا لا إله إلا أنت عن الزهرى و قيل إن الذى عنده علم من الكتاب كان رجلا من الإنس يعلم اسم الله الأعظم اسمه بلخيا عن مجاهد و قيل اسمه أسطوم عن قتاده و قيل الخضر (عليه السلام) عن أبى لهيعة و قيل إن الذى عنده علم من الكتاب هو جبرائيل (عليه السلام) أذن الله له فى طاعه سليمان (عليه السلام) بأن يأتيه بالعرش الذى طلبه و قال الجبائى هو سليمان قال ذلك للعفريت ليريه نعمه الله عليه و هذا قول بعيد لم يؤثر عن أهل التفسير و أما الكتاب المعروف فى الآيه بالألف و اللام فقليل إنه اللوح المحفوظ و قيل أراد به جنس كتب الله المنزلة على أنبيائه و ليس المراد به كتابا بعينه و الجنس قد يعرف بالألف و اللام و قيل إن المراد به كتاب سليمان إلى بلقيس «أنا آتيك به قَبْلَ أَنْ يَزِيدَ إِلَيْكَ طَرْفُكَ» اختلف فى معناه فقليل يريد قبل أن يصل إليك من كان منك على قدر مد البصر عن قتاده و قيل معناه قبل أن يبلغ طرفك مداه و غايته و يرجع إليك قال سعيد بن جبير قال لسليمان أنظر إلى السماء فما طرف حتى جاء به فوضعه بين يديه و المعنى حتى يرتد إليك طرفك بعد مده إلى السماء و قيل ارتداد الطرف إدامه النظر حتى يرتد طرفه خاسئا عن مجاهد فعلى هذا معناه أن سليمان مد بصره إلى أقصاه و هو يديم النظر فقبل أن ينقلب بصره إليه حسيرا يكون قد أتى بالعرش قال الكلبي خر آصف ساجدا و دعا باسم الله الأعظم فغار عرشها تحت الأرض حتى نبع عند كرسي سليمان و ذكر العلماء فى ذلك وجوها (أحدها) أن الملائكة حملته بأمر الله تعالى (و الثانى) أن الريح حملته (و الثالث) أن الله تعالى خلق فيه حركات متواليه (و الرابع) أنه انخرق مكانه حيث هو هناك ثم نبع بين يدي سليمان (و الخامس)

إن الأرض طويت له و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

(و السادس) أنه أعدمه الله فى موضعه و أعاده فى مجلس سليمان و هذا لا يصح على مذهب أبى هاشم و يصح على مذهب أبى على الجبائى فإنه يجوز فناء بعض الأجسام دون بعض و فى الكلام حذف كثير لأن التقدير قال سليمان له افعل فسأل الله تعالى فى ذلك فحضر العرش فرآه سليمان مستقرا عنده «فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ» أى فلما رأى سليمان العرش محمولا إليه موضوعا بين يديه فى مقدار رجوع البصر «قال هذا

مِنْ فَضْلِ رَبِّي» أى من نعمته على و إحسانه لدى لأن تيسير ذلك و تسخيره مع صعوبته و تعذره معجزه له و دلاله على علو قدره و جلالته و شرف منزلته عند الله تعالى «لِيُبْلُوَنِي أَمْ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ» أى ليختبرنى هل أقوم بشكر هذه النعمة أم أكفر بها «وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ» لأن عائده شكره و منفعتة ترجعان إليه و تخاصنه دون غيره و هذا مثل قوله «إِنْ أَحْسَنَ نَسَمَ أَحْسَنَ نَسَمَ لِنَفْسِكُمْ» «وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ» عن شكر العباد غير محتاج إليه بل هم المحتاجون إليه لما لهم فيه من الثواب و الأجر «كَرِيمٌ» أى متفضل على عباده شاكرهم و كافرهم عاصيهم و مطيعهم لا يمنعه كفرهم و عصيانهم من الإفضال عليهم و الإحسان إليهم «قال» سليمان «نَكَّرُوا لَهَا عَرْشَهَا» أى غيروا سريرها إلى حال تنكرها إذا رأته و أراد بذلك اعتبار عقلها على ما قيل «نُنْظَرُ أَ تَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ» أى أ تهتدى إلى معرفه عرشها بفطنتها بعد التغيير أم لا تهتدى إلى ذلك عن سعيد بن جبير و قتاده و قيل أ تهتدى أى أ تستدل بعرشها على قدره الله و صحه نبوتى و تهتدى بذلك إلى طريق الإيمان و التوحيد أم لا عن الجبائى قال ابن عباس فنزع ما كان على العرش من الفصوص و الجواهر و قال مجاهد غير ما كان أحمر فجعله أخضر و ما كان أخضر فجعله أحمر و قال عكرمه زيد فيه شىء و نقص منه شىء «فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَ هَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ» فلم تشبهه و لم تنكره و دل ذلك على كمال عقلها حيث لم تقل لا إذ كان يشبه سريرها لأنها وجدت فيه ما تعرفه و لم تقل نعم إذ وجدت فيه ما غير و بدل و لأنها خلفته فى بيتها و حمله فى تلك المده إلى ذلك الموضع غير داخل فى قدره البشر قال مقاتل عرفته و لكن شبهوا عليها حين قالوا لها أ هكذا عرشك فشبته حين قالت كأنه هو و لو قيل لها هذا عرشك لقاتل نعم قال عكرمه كانت حكيمة قالت إن قلت هو هو خشيت أن أكذب و إن قلت لا خشيت أن أكذب فقالت كأنه هو شبهته به فقيل لها فإنه عرشك فما أغنى عنك إغلاق الأبواب و كانت قد خلفته وراء سبعة أبواب لما خرجت فقالت «وَأُوتِينَا الْعِلْمَ» بصحه نبوه سليمان «مِنْ قَبْلِهَا» أى من قبل الآيه فى العرش «وَكُنَّا مُسْلِمِينَ» طائعين لأمر سليمان و قيل إنه من كلام سليمان عن مجاهد و معناه و أوتينا العلم بالله و قدرته على ما يشاء من قبل هذه المره و كنا مخلصين لله بالتوحيد و قيل معناه و أوتينا العلم بإسلامها و مجيئها طائعه قبل مجيئها و قيل إنه من كلام قوم سليمان عن الجبائى «وَصَيَدَهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ» أى منعها عباده الشمس عن الإيمان بالله تعالى بعد رؤيه تلك المعجزه عن مجاهد فعلى هذا تكون ما موصوله مرفوعه الموضع بأنها فاعله صد و قيل معناه و صدها سليمان عما كانت تعبده من دون الله و حال بينها و بينه و منعها عنه فعلى هذا يكون ما فى موضع النصب و قيل معناه منعها الإيمان و التوحيد الذى كانت تعبده من دون

الله و هو الشمس ثم استأنف فقال «إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ» أى من قوم يعبدون الشمس قد نشأت فيما بينهم فلم تعرف إلا عباده الشمس «قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ» و الصرح هو الموضع المنبسط المنكشف من غير سقف و ذكر إن سليمان لما أقبلت صاحبه سبياً أمر الشياطين ببناء الصرح و هو كهيئته السطح المنبسط من قوارير أجرى تحته الماء و جمع فى الماء الحيتان و الضفادع و دواب البحر ثم وضع له فيه سرير فجلس عليه و قيل إنه قصر من زجاج كأنه الماء بياضاً و قال أبو عبيده كل بناء من زجاج أو صخر أو غير ذلك موثق فهو صرح و إنما أمر سليمان (عليه السلام) بالصرح لأنه أراد أن يختبر عقلها و ينظر هل تستدل على معرفه الله تعالى بما ترى من هذه الآيه العظيمه و قيل إن الجن و الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان فلا ينفكون من تسخير سليمان و ذريته بعده لو تزوجها و ذلك أن أمها كانت جنيه فأساءوا الثناء عليها ليزهدوه فيها و قالوا إن فى عقلها شيئاً و إن رجلها كحافر الحمار فلما امتحن ذلك وجدها على خلاف ما قيل و قيل أنه ذكر له أن على رجلها شعراً فلما كشفته بأن الشعر فسأه ذلك فاستشار الجن فى ذلك فعملوا الحمامات و طبخوا له النوره و الزرنيخ و كان أول ما صنعت النوره «فَلَمَّا رَأَتْهُ» أى رأت بلقيس الصرح «حَسَبَتْهُ لُجَّةً» و هى معظم الماء «وَ كَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا» لدخول الماء و قيل إنها لما رأت الصرح قالت ما وجد ابن داود عذاباً يقتلنى به إلا الغرق و أنفت أن تجبن فلا تدخل و لم يكن من عادتهم لبس الخفاف فلما كشفت عن ساقها «قَالَ» لها سليمان «إِنَّهُ صَيْرُحٌ مُّمَرَّدٌ» أى مملس «مِنْ قَوَارِيرٍ» و ليس بماء و لما رأت سرير سليمان و الصرح «قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى» بالكفر الذى كنت عليه «وَ أَشِئِمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» فحسن إسلامها و قيل إنها لما جلست دعاها سليمان إلى الإسلام و كانت قد رأت الآيات و المعجزات فأجابته و أسلمت و قيل إنها لما ظنت أن سليمان يغرقتها ثم عرفت حقيقه الأمر قالت ظلمت نفسى إذ توهمت على سليمان ما توهمت و اختلف فى أمرها بعد ذلك فقليل إنه تزوجها سليمان و أقرها على ملكها و قيل إنه تزوجها من ملكك يقال له تبع و ردها إلى أرضها و أمر زوبعه أمير الجن باليمن أن يعمل له و يطيع فصنع له المصانع باليمن قال عون بن عبد الله جاء رجل إلى عبد الله بن عتبة فسأله هل تزوجها سليمان قال عهدى بها إن قالت و أسلمت مع سليمان لله رب العالمين يعنى أنه لا يعلم ذلك و إن آخر ما سمع من حديثها هذا القول

و روى العياشى فى تفسيره بالإسناد قال التقي موسى بن محمد بن على بن موسى (عليه السلام) و يحيى بن أكثم فسأله عن مسائل قال فدخلت على أخى على بن محمد (عليه السلام) بعد أن دار بينى و بينه من المواعظ حتى انتهيت إلى طاعته فقلت له جعلت فداك أن ابن أكثم سألنى عن مسائل أفتيه فيها فضحك ثم قال فهل

أفتيته فيها قلت لا قال و لم قلت لم أعرفها قال و ما هي قلت أخبرني عن سليمان أ كان محتاجا إلى علم آصف بن برخيا ثم ذكر المسائل الأخر قال اكتب يا أخى بسم الله الرحمن الرحيم سألت عن قول الله تعالى فى كتابه «قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ» فهو آصف بن برخيا و لم يعجز سليمان عن معرفه ما عرفه آصف لكنه (عليه السلام) أحب أن تعرف أمته من الإنس و الجن أنه الحجة من بعده و ذلك من علم سليمان أودعه آصف بأمر الله تعالى ففهمه الله ذلك لثلا يختلف فى إمامته و دلالتة كما فهم سليمان فى حياه داود ليعرف إمامته و نبوته من بعده لتأكيد الحجة على الخلق.

[سوره النمل (٢٧): الآيات ٤٥ الى ٥٣]

إشارة

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (٤٥) قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْ لَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٦) قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَ بِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (٤٧) وَ كَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَ لَا يُصْلِحُونَ (٤٨) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَ أَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَ إِنَّا لَصَادِقُونَ (٤٩)

وَ مَكَرُوا مَكْرًا وَ مَكَرْنَا مَكْرًا وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَ قَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتَلَّكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ (٥٣)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير عاصم لتبئته بالتاء و ضم التاء الثانيه ثم لتقولن بالتاء

أيضا و ضم اللام و الباقون «لَتَبَيَّنَّتْهُ» بالنون و فتح التاء «ثُمَّ لَنَقُولَنَّ» أيضا بالنون و فتح اللام و قرأ أهل الحجاز و أبو عمرو و سهل و ابن عامر إنا دمرناهم بكسر الألف و الباقون بفتح الألف و روى عن روح و زيد عن يعقوب بكسر الألف أيضا.

الحج

قال أبو علي قوله «تَقَاسَمُوا» لا يخلو من أن يراد به مثال الماضي أو مثال الآتى الذى يراد به الأمر فمن أراد به الأمر جعل «لَتَبَيَّنَّتْهُ» جوابا لتقاسموا فكأنه قال حلفوا لتبينته لأن هذه الألفاظ التى تكون من ألفاظ القسم تتلقى بما يتلقى به الإيمان كقوله تعالى «وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ» «وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ يَمُوتُ» فكذلك «تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَتَبَيَّنَّتْهُ» ملقاه باللام و النون الثقيله و أدخل المتكلمون أنفسهم مع المقسمين كما دخلوا فى قوله «فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ» و من قال تقاسموا لتبينته أراد ليقسم بعض لتبينته فتقاسموا على هذا أمر كما كان فيمن قال لتبينته أمرا و من قال تقاسموا لتبينته بالتاء فتقاسموا على هذا مثال ماض و لا يجوز مع هذا إلا بالتاء لأن مثال الماضى للغيبة و لتبينته للخطاب و من كسر أنا دمرناهم جاز أن يكون كان فى قوله «كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ» تامه و أن تكون ناقصه فإن جعلتها تامه بمعنى وقع كان قوله «كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ» فى موضع حال تقديره على أى حال وقع عاقبه مكرهم أى أحسنا وقع عاقبه مكرهم أو سيئا أو يكون فى كيف ضمير من ذى الحال كما إنك إذا قلت فى الدار حدث الأمر فجعلته فى موضع الحال كان كذلك و حكم كيف على ذا أن يكون متعلقا بمحذوف كما أنك إذا قلت فى الدار وقع زيد فتقديره وقع زيد مستقرا فى هذه الحال فإن جعلته ظرفا للفعل تعلق بكان الذى بمعنى الحدث و قوله أنا دمرناهم فيمن كسر استئناف و هو تفسير للعاقبه كما أن قوله لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ تفسير للموعود و من قرأ «أَنَا دَمَرْنَاهُمْ» جاز أن يكون كان على ضربيهما و إذا حملته على وقع كان كيف فى موضع حال و جاز فى قوله «أَنَا دَمَرْنَاهُمْ» أمران (أحدهما) أن يكون بدلا من قوله «عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ» و جاز أن يكون محمولا على مبتدأ مضمرا كأنه قال هو أنا دمرناهم أو ذاك أنا دمرناهم فإذا حملتها على المقتضيه للخبر جاز فى قوله أنا دمرناهم قولان (أحدهما) أن يكون بدلا من اسم كان الذى هو العاقبه فإذا حملته على ذلك كان كيف فى موضع خبر كان (و الآخر) أن يكون خبر كان و يكون موضعه نصبا بأنه خبر كان كأنه كان عاقبه أمرهم تدميرهم و يكون كيف فى موضع حال و يجوز أن يكون العامل فى كيف أحد شيئين إما أن يكون كان لأنه فعل كما كان العامل فى الظرف فى قوله «أَ كَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا» ألا ترى أنه لا يجوز أن يتصل قوله للناس بواحد من المصدرين إلا أن تجعله صفة لعجب فتقدمه فيصير فى موضع حال فالعامل فيه

على هذا أيضا كان و يجوز أن يكون العامل فيه ما فى الكلام من الدلالة على الفعل لأن قوله «أَنَا دَمَّرْنَا هُمْ» بما دله تدميرنا و تدميرنا يدل على دمرنا فيصير العامل فيه هذا المعنى الذى دل عليه ما فى الكلام من معنى الفعل و زعموا أن فى حرف أبى أن دمرناهم فهذا يقوى الفتح فى أنا.

المعنى

ثم عطف سبحانه على قصه سليمان قصه صالح فقال «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ» فى النسب «صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ» أى أرسلناه بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له «فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ» أى مؤمنون و كافرون يقول كل فريق الحق معى «قَالَ» صالح للفريق المكذب «يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ» أى بالعذاب قبل الرحمة أى لم قلتم إن كان ما أتينا به حقا فأتنا بالعذاب و سعى العذاب سيئه لما فيه من الآلام و لأنه جزاء على السيئه لأن السيئه هى الخصلة التى تسوء صاحبها «لَوْ لَا» أى هلا «تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ» أى تطلبون مغفرته من الشرك بأن تؤمنوا «لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» فلا تعذبون فى الدنيا «قَالُوا أَطَّيَّرْنَا بِكَ وَ بِمَنْ مَعَكَ» أى تشأنا بك و بمن على دينك و ذلك أنهم قحط المطر عنهم و جاعوا فقالوا أصابنا هذا الشر من شؤمك و شؤم أصحابك «قَالَ» لهم صالح «طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ» أى الشؤم أتاكم من عند الله بكفركم و هذا كقوله يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَ مَنْ مَعَهُ إِلَّا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عند الله «بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ» أى تختبرون بالخير و الشر عن ابن عباس و قيل تعذبون بسوء أعمالكم عن محمد بن كعب و قيل تبتلون و تمتحنون بطاعه الله و معصيته «وَ كَانَ فِي الْمَدِينَةِ» يعنى التى بها صالح و هى الحجر «تِسْعَةَ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ» كانت هذه التسعة نفر من أشرافهم و هم غواه قوم صالح و هم الذين سعوا فى عقر الناقة «وَ لَا يُصَلِّحُونَ» أى لا يطيعون الله تعالى و ذكر ابن عباس أسماءهم و قال هم قدار بن سالف و مصدع و دهمى و دهيم و دعى و دعىم و أسلم و قتال و صدادف «قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ» أى قالوا فيما بينهم احلفوا بالله «لَتَبَيِّنَنَّ» أى لنقتلن صالحا «وَ أَهْلَهُ» بياتا و من قرأ بالنون فكأنهم قالوا أقسموا لنفعلن و الأمر بالقسم فى القراءتين داخل فى الفعل منهم «ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لَوْ يَئِيهِ» أى لذى رحم صالح أن سألنا عنه «ما شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ» أى ما قتلناه و ما ندرى من قتله و أهلكه و قد ذكرنا اختلاف القراء فيه فى سورة الكهف «وَ إِنَّا لَصَادِقُونَ» فى هذا القول قال الزجاج كان هؤلاء نفر تحالفوا أن يبيتوا صالحا و أهله ثم ينكروا عند أوليائه أن يكونوا فعلوا ذلك أو رأوه و كان هذا مكرًا عزموا عليه قال الله تعالى «وَ مَكَرُوا مَكْرًا وَ مَكَرْنَا مَكْرًا» أى جازيناهم جزاء مكرهم بتعجيل عقوبتهم «وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ» بمكر الله بهم فإنهم دخلوا على صالح ليقتلوه فأنزل الله سبحانه الملائكة فرموا كل واحد منهم بحجر

حتى قتلوهم و سلم صالح من مكرهم عن ابن عباس و قيل إن الله أمر صالحا بالخروج من بينهم ثم استأصلهم بالعذاب و قيل نزلوا فى سفح جبل ينظر بعضهم بعضا ليأتوا صالحا فخر عليهم الجبل عن مقاتل «فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَا هُمْ» أى أهلكناهم بما ذكرناه من العذاب «وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ» بصيحه جبرائيل «فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ» أشار إلى بيوتهم و المعنى فانظر إليها «خَاوِيَةً» نصب على الحال أى فارغه خاليه «بِمَا ظَلَمُوا» أى بظلمهم و شركهم بالله تعالى «إِنَّ فِي ذَلِكَ» أى فى إهلاكهم «لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» أى لعبره لمن نظر إليها و اعتبر بها و فى هذه الآية دلالة على أن الظلم يعقب خراب الدور و روى عن ابن عباس أنه قال أجد فى كتاب الله أن الظلم يخرب البيوت و تلا- هذه الآية و قيل إن هذه البيوت بوادى القرى بين المدينة و الشام «وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا» به «وَكَانُوا يَتَّقُونَ» قالوا أنهم أربعة آلاف خرج بهم صالح إلى حضرموت و سمى حضرموت لأن صالحا لما دخلها مات.

[سوره النمل (٢٧): الآيات ٥٤ الى ٥٩]

إشاره

و لوطاً إذ قال لقومه أ تأتون الفاحشه و أنتم تبصرون (٥٤) أ إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون (٥٥) فما كان جواب قومه إلا- أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون (٥٦) فأنجيناه و أهلنا إلا امرأته قدرناها من الغابرين (٥٧) و أمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المُنذرين (٥٨)

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ سَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ (٥٩)

القراءه

قرأ أهل البصره و عاصم «يُشْرِكُونَ» بالياء و الباقون بالتاء على الخطاب و فى الشواذ قراءه الحسن فما كان جواب قومه بالرفع.

الحجه

الأولى أن يكون «جواب قومه» خبر كان و الاسم قوله «أَنْ قَالُوا» لشبهه إن

بالمضمر من حيث كانت لا توصف و المضمر أعرف من المظهر و قد تقدم القول فى هذا.

المعنى

ثم ذكر سبحانه قصه لوط عاطفا بها على ما تقدم فقال «و لوطاً» أى و أرسلنا لوطاً «إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ» منكر عليهم أفعالهم «أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ» يعنى الخصلة القبيحة الشنيعة الظاهره القبح و هى إتيان الذكران فى أدبارهم «وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ» أى تعلمون أنها فاحشه و قيل معناه و أنتم يرى بعضكم ذلك من بعض ثم بين سبحانه الفاحشه التى يأتونها فقال «إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ» اللاتى خلقهن الله لكم «يَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ» أى تفعلون أفعال الجهال قال ابن عباس تجهلون القيامه و عاقبه العصيان «فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَتَطَهَّرُونَ» عن إتيان الرجال فى أدبارهم «فَأَنْجَيْنَاهُ وَ أَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا» أى جعلناها «مِنَ الْغَابِرِينَ» أى الباقين فى العذاب «وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا» و هو الحجارة «فَسَاءَ مَطَرُ الْمُؤَدِّرِينَ» الذين أبلغهم لوط النذاره و أعلمهم بموضع المخافه ليتقوها فخالفوا ذلك ثم قال سبحانه لنبيه ص «قُلْ» يا محمد «الْحَمْدُ لِلَّهِ» شكرا على نعمه بأن وفقنا للإيمان و قيل الحمد لله على هلاك الأمم الكافره «وَسَيَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ» أى اصطفاهم الله و اجتباهم و اختارهم على بريته و هم الأنبياء عن مقاتل و قيل هم أصحاب محمد ص عن ابن عباس و الحسن و قيل هم أمه محمد ص و معنى السلام عليهم أنهم سلموا مما عذب الله به الكفار عن الكلبي و قيل هم آل محمد ص عن على بن إبراهيم ثم قال سبحانه مخاطبا للمشركين «آلَ اللَّهِ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ» يا أهل مكه يعنى الله خير لمن عبده أم الأصنام لعباديتها و هذا إلزام للحججه على المشركين بعد ذكر هلاك الكفار و المعنى أن الله تعالى نجى من عبده من الهلاك و الأصنام لم تغن شيئا عن عابديها عند نزول العذاب و إنما قال ذلك لأنهم توهموا فى عباده الأصنام خيرا.

إشارة

أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٠) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦١) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٢) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُوسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٣) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٤)

قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٦٥)

القراءة

قرأ أبو عمرو و هشام ما يذكرون بالياء و الباقون بالتاء و الوجه فيهما ظاهر.

اللغة

الحديقه البستان الذى عليه حائط و كل ما أحاط به البناء فهو حديقه و قيل الحديقه البستان الذى فيه النخل و القرار المكان المظمن الذى يستقر فيه الماء و يقال للروضه المنخفضه قراره و منه حديث ابن عباس قال علمى فى علم على (عليه السلام) كالقراره فى المشنجر أى كالغدير فى البحر و البرهان البيان بحجه.

الإعراب

«أَمَّنْ» استفهام فى محل الرفع على الابتداء و خبره «خَلَقَ» و «قَرَارًا» نصب على الحال لأن جعل بمعنى خلق و إن كان بمعنى صير فهو مفعول ثان له «أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ اللَّهُ» مبتدأ و خبر تقديره أله ثبت مع الله و إنما جاز أن تكون النكره مبتدأ لأنه استفهام و يجوز أن يكون خبر المبتدأ محذوف أو يكون تقديره أله فى الوجود مع الله «قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ» صفة مصدر محذوف تقديره تذكرون تذكر قليلًا و ما مزيده و «بُشْرًا» نصب على الحال و «بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ» ظرف منه

أيان فى محل نصب لأنه ظرف زمان و العامل فيه «يُبْعَثُونَ».

المعنى

ثم عدد سبحانه الدلائل على توحيده و نعمه الشامله لعبيده فقال «أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ» و تقديره أ ما تشركون خير أم من خلق السموات و الأرض أى أنشأهما و اخترعهما «وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» أى غيثا و مطرا لكم أى لمنافعكم و لأجل معاشكم عرفهم سبحانه أن غيره لا- يقدر على ذلك «فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَائِقَ» أى رياضا و بساتين و ما لم يكن عليه حائط لا يقال له حديقته «ذَاتَ بَهْجَةٍ» أى ذات منظر حسن يبتهج به من رآه و لم يقل ذوات بهجه لأنه أراد تأنيث الجماعه و لو أراد تأنيث الأعيان لقال ذوات و قال الشاعر:

و سوف يعقبنيه إن ظفرت به رب كريم و بيض ذات أظفار

«ما كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا» ما هنا للنفى أى لم يكونوا يقدرون على إنبات شجرها «أ إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ» و هذا استفهام إنكار معناه هل معه معبود سواه أعانه على صنعه «بَلْ» ليس معه إله «هُم قَوْمٌ يَعِدُونَ» يشركون بالله غيره يعنى كفار مكة «أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا» أى مستقره لا تميل و لا تميد بأهلها «وَ جَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا» أى و جعل وسط الأرض و فى مسالكها و نواحيها أنهارا جاريه ينبت بها الزرع و يحيا بها الخلق «وَ جَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا» أى جبالا ثوابت أثبت بها الأرض «وَ جَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا» أى مانعا من قدرته بين العذاب و الملح فلا يختلط أحدهما بالآخر «أ إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» توحيد ربهم و كمال قدرته و سلطانه «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا» أى يجيب المكروب المجهود فيكشف ضره و كربه و إجابته دعاء المضطر هي فعل ما يدعو به و هذا لا يكون إلا من قادر على الإجابة مختار لها و رأس المضطرين المذنب الذى يدعو و يسأله المغفره و منهم الخائف الذى يسأله الأيمن و المريض الذى يطلب العافيه و المحبوس الذى يطلب الخلاص فإن الكل إذا ضاق بهم الأمر فزعوا إلى رب العالمين و أكرم الأكرمين و إنما خص المضطر و إن كان قد يجيب غير المضطر لأن رغبته أقوى و سؤاله أخضع «وَ يَكْتَسِفُ السُّوءَ» أى يدفع الشده و كل ما يسوء «وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ» يخلف كل قرن منكم القرن الذى قبله فيهلك قرنا و ينشىء قرنا و قيل يجعلكم خلفاء من الكفار بنزول بلادهم و طاعه الله تعالى بعد شركهم

و عنادهم «أ إِلَه مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ» أى قليلا- ما تتعظون عن ابن عباس و من قرأ بالياء فالمعنى قليلا- ما يتذكر هؤلاء المشركون «أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ» أى أ ما تشركون خير أم من يرشدكم إلى القصد و السمى فى البر و البحر بما نصب لكم من الدلالات من الكواكب و القمر و إذا ظللتهم و هو كقوله وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النَّجْمَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ «وَ مَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ» قد مضى تفسيره و وجوه القراءات فيه «أ إِلَه مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ» أى جل و تنزه عن الشريك كما يزعمه المشركون «أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ» بأن يخترعه و يوجده و ينشئه على غير مثال و احتذاء ثم يميته و يفنيه «ثُمَّ يُعِيدُهُ» بعد الإفناء و إنما قال ذلك لأنهم أقروا بأنه الخالق فيلزمهم الإقرار بالبعث من حيث إن من قدر على الإنشاء قدر على الإعاده «وَ مَنْ يَزُفُّكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ» بإنزال المطر و بإخراج الثمار و النبات «أ إِلَه مَعَ اللَّهِ» يقدر على ذلك «قُلْ» لهم يا محمد «هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ» أى حجتكم «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» إن لى شريكا صنع شيئا من هذه الأشياء فإذا لم يقدروا على إقامه البرهان على ذلك فاعلموا أنه لا- إله معى و لا- يستحق العباده سوى «قُلْ» يا محمد «لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» من الملائكه و الإنس و الجن «الْغَيْبِ» و هو ما غاب علمه عن الخلق مما يكون فى المستقبل «إِلَّا اللَّهُ» وحده أو من أعلمه الله تعالى «وَ مَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ» أى متى يحشرون يوم القيامة دل سبحانه بهذه الآيه كما دل بما تقدمها على قدرته.

إشارة

بَلِ إِدْرَاكَ عِلْمِهِمْ فِي الْآخِرَةِ بَلِ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلِ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ (٤٦) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاءُنَا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ (٤٧) لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاءُنَا مِنْ قَبْلُ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٤٨) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٤٩) وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (٧٠)

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٧١) قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ (٧٢) وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَدُودٌ فَضَّلَ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (٧٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٤) وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٧٥)

القراءة

قرأ أهل البصرة و أبو جعفر و ابن كثير بل أدرك بقطع الألف و سكون اللام و الدال و قرأ الشموني عن أبي بكر بل أدرك موصوله الألف مشدده الدال بلا ألف بعدها و الباقون «بَلِ إِدْرَاكَ» و في الشواذ قراءة سليمان بن يسار و عطاء بن يسار بل أدرك بفتح اللام و لا همزه و لا ألف و قراءة الحسن و أبي رجاء و ابن محيصن و قتاده بل أدرك و قراءة ابن عباس بلى بياء أدرك و قراءة أبي بل تدارك و قرأ أهل المدينة إذا كنا ترابا بكسر الألف أنا لمخرجون بالاستفهام بهمزه واحده ممدوده عن أبي جعفر و قالون و غيره ممدوده عن ورش و إسماعيل و قرأ ابن عامر و الكسائي «أ إِذَا» بهمزتين إننا بنونين و قرأ ابن كثير و يعقوب إذا أنا بالاستفهام فيهما جميعا بهمزه واحده غير ممدوده و قرأ أبو عمرو إذا أنا بالاستفهام فيهما جميعا بهمزه واحده ممدوده و قرأ عاصم و حمزه و خلف «أ إِذَا ... أ إِنَّا» بالاستفهام فيهما جميعا بهمزتين همزتين و قرأ ابن كثير في ضَيْقٍ بكسر الضاد و الباقون بفتحها.

الحجج

قال أبو علي إن علم قد يصل بالجار كقوله تعالى أ لَمْ يَعْلَمَ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى و قولهم علمى يزيد يوم الجمعة و معنى أدرك بلغ و لحق يقال فلان أدرك الحسن أى لحق أيامه و هذا ما أدركه علمى أى بلغه فالمعنى أنهم لم يدركوا علم الآخرة أى لم يعلموا حدودها و كونها و دل على ذلك قوله «بَلِ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلِ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ» أى بل هم من علمها عمون و إذا كان كذلك كان معنى قوله «فِي الْآخِرَةِ» معنى الباء أى لم يدركوا علمها و لم ينظروا فى حقيقتها فيدركوا و لهذا قرأ من قرأ أدرك كأنه أراد لم يدركوه كما تقول أ جئتني أمس أى لم تجئني و المعنى لم يدرك علمهم بحدوث الآخرة بل هم فى شك منها بل هم من علمها عمون و العمى عن علم الشئ ء أبعد منه من الشاك فيه لأن الشك قد يعرض عن ضرب من النظر و العمى عن الشئ ء الذى لم يدرك منه شيئا و أما من قال «أدْرَاكَ» فإنه أراد تدارك فأدغم التاء فى الدال لمقاربتها لها

و كونها من حيزها فلما سكتت التاء للإدغام اجتلبت لها همزة الوصل كما اجتلبتها في نحو فَادَّارَ أُنْتُمْ و في التنزيل حَتَّى إِذَا
ادَّارَكُوا فِيهَا كَانَ مَعْنَاهَا تَلَا حَقُوا قَالَ

(تداركتم الأحلاف قد ثل عرشها)

و ما روى عن أبي بكر بل أدرك معناه افتعل من أدركت و افتعل و تفاعل يجيئان بمعنى و من ثم صح قولهم ازدوجوا و إن
كان الحرف على صورته يجب فيها الانقلاب و لكنه صح لما كان بمعنى تفاعلوا و تفاعلوا يلزم فيه تصحيح حروف العله لسكون
الحرف الذى قبل حرف العله فصار تصحيح هذا كتصحيح عور و حول لما كان بمعنى أعور و أحول و من قرأ بل درك فإنه
خفف الهمزة بحذفها و إلقاء حركتها على اللام الساكنة قبلها نحو قد فلح في قَدْ أَفْلَحَ و أما قوله بل أدرك فإن بل استئناف و ما
بعدها استفهام كما تقول أزيد عندك بل أعمرو عندك تركا للأول إلى غيره و أما بلى فكأنه جواب و ذلك لأنه لما قال قُلْ لَا
يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ فكان قائلا قال ما الأمر كذلك فقيل له بلى ثم استؤنف فقيل أدرك علمهم في
الآخرة و قد سبق ذكر الاستفهامين فيما تقدم و كذلك ذكر الضيق و الضيق و الأولى أن يحمل على أنهما لغتان.

اللغة

قال ابن الأعرابي ردت و أردفت و لحتت و ألحقت بمعنى و ترادفوا تلاحقوا قال المبرد اللام في «رَدَفَ لَكُمْ» و قيل إنه إنما
أتى باللام لأن معنى ردت دنا فكأنه قال دنا لكم كما قال الشاعر:

فقلت لها الحاجات يطرحن بالفتى و هم تعنانى معنى ركائبه

قال يطرحن بالفتى لما كان معنى يطرحن يرمين و كنت الشىء فى نفسى و أكننته إذا سترته فى نفسك فهو مكن و مكنون قال
الرماني الأكنان جعل الشىء بحيث الشىء لا يلحقه أذى بمانع يصدده عنه.

الإعراب

العامل فى إذا معنى قوله «لَمْخْرُجُونَ» لأن ما بعد إن لا يعمل فيما قبل أن فالتقدير أ إذا كنا ترابا أخرجنا و هذا فى محل نصب
لأنه مفعول ثان لوعد " عَسَى أَنْ يَكُونَ

رَدِفَ لَكُمْ"» يكون اسمه ضمير الأمر و الشأن و ما بعده خبره و أن يكون و ما يتعلق به فى محل رفع بأنه فاعل عسى.

المعنى

لما أخبر سبحانه عن الكفار أنهم لا- يشعرون متى يبعثون و أنهم شاكون عقبه بأنهم يعلمون حقيقته ذلك يوم القيامة فقال «بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ» أى تتابع منهم العلم و تلاحق حتى كمل علمهم فى الآخرة بما أخبروا به فى الدنيا فهو على لفظ الماضى و المراد به الاستقبال أى يتدارك و من قرأ أدرك فمعناه سيدرك علمهم هذه الأشياء فى الآخرة حين لا ينفعهم اليقين «بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا» فى الدنيا عن ابن عباس و المعنى أن ما جهلوه فى الدنيا و سقط علمه عنهم علموه فى الآخرة و قيل معناه اجتمع علمهم يوم القيامة فلم يشكوا و لم يختلفوا عن السدى و قال مقاتل يقول بل علموا فى الآخرة حين عاينوها ما شكوا و عموا عنه فى الدنيا و قيل أن هذا على وجه الاستفهام فحذف الألف و المراد به النفى بمعنى أنه لم يدرك علمهم بالآخرة و لم يبلغها علمهم و قيل معناه أدرك هذا العلم جميع العقلاء لو تفكروا و نظروا لأن العقل يقتضى أن الإهمال قبيح فلا بد من تكليف و التكليف يقتضى الجزاء و إذا لم يكن ذلك فى الدنيا فلا- بد من دار للجزاء و قيل إن الآية إخبار عن ثلاث طوائف طائفه أقرت بالبعث و طائفه شككت فيه و طائفه نفتته كما قال بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ و قوله «بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ» أى عن معرفتها و هو جمع عمى و هو الأعمى القلب لتركه التدبر و النظر «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا» بإنكارهم البعث «أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَّآبَاؤُنَا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ» من القبور مبعوثون يقولون ذلك على طريق الاستبعاد و الاستنكار «لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا» البعث «نَحْنُ» فيما مضى «وَأَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ» أى و وعد آباؤنا ذلك من قبلنا فلم يكن مما قالوه شىء «إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» أى أحاديثهم و أكاذيبهم التى كتبوها «قُلْ» يا محمد «سَيَرُوا فِي الْمَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ» الذين كفروا بالله و عصوه أى كيف أهلكتهم الله و خرب ديارهم «وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ» أى على تكذبيهم و تركهم الإيمان «وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ» و هو ما يضيق به الصدر «مِمَّا يَمْكُرُونَ» أى يدبرون فى أمرك فإن الله تعالى يحفظك و ينصرك عليهم «وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ» الذى تعدنا يا محمد من العذاب «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» بأنه يكون «قُلْ» يا محمد «عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ» أى قرب لكم عن ابن عباس و قيل أقرب لكم عن السدى و قيل أردف لكم عن قتاده «بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ» من العذاب و عسى من الله واجب فمعناه أنه قرب منكم و سيأتيكم و هذا البعض

الذى دنا لهم القتل و الأسر يوم بدر و سائر العذاب لهم فيما بعد الموت و قيل هو الإنذار عند الموت و شدته و عذاب القبر عن الجبائى «وَ إِنَّ رَبَّكَ لَمُدُّو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ» بضروب النعم الدينيه و الدنيويه و قيل يأمهالهم ليتوبوا و الفضل هو الزيادة من الله تعالى للعبد على ما يستحقه بشكره و العدل حق للعبد و الفضل فيه واقع من الله تعالى إلا أنه على ما يصح و تقتضيه الحكمة «وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ» نعمه «وَ إِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ» أى تخفيه و تستره «وَ مَا يُعْلِنُونَ» أى و يعلم ما يظهرونه أيضا «وَ مَا مِنْ غَائِبَةٍ» أى من خصله غائبه «فِي السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ» يعنى جميع ما أخفاه عن خلقه و غيبه عنهم «إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ» أى إلا- و هو مبين فى اللوح المحفوظ و قيل أراد أن جميع أفعالهم محفوظه عنده غير منسيه كما يقول القائل أفعالك عندى مكتوبه أى محفوظه عن أبى مسلم و الجبائى.

إشارة

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٧٦) وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٧٧) إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٧٨) فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (٧٩) إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٨٠)

وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (٨١) وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (٨٢) وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ (٨٣) حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُا قَالَ أَ كَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ آ مَا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨٤) وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ (٨٥)

القراءة

قرأ ولا يسمع بالياء الصم بالرفع هاهنا وفي الروم ابن كثير و ابن عباس و الباقون «لا تُسْمِعُ» بضم التاء الصم «بالنصب» وقرأ و ما أنت تهدي العمى حمزه هاهنا وفي الروم وقرأ الباقون «وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ» وفي الشواذ قراءه ابن عباس و سعيد بن جبير و مجاهد و الجحدري و ابن ذرعه تكلمهم بفتح التاء و التخفيف وقرأ أهل العراق غير أبي عمرو و سهل «أَنَّ النَّاسَ» بفتح الهمزة و الباقون بكسرها.

الحجة

حجه من قال «تُسْمِعُ» إنه أشبه بما قبل من قوله «إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ» و يؤكد ذلك قوله وَ لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ و من قرأ و لا يسمع الصم الدعاء فالمعنى لا ينقادون للحق لعنادهم كما لا يسمع الأصم ما يقال له و من قرأ تهدي العمى فالتقدير إنك لا تهديهم لشده عنادهم و إعراضهم و أنت مرفوع بما على قول أهل الحجاز و «تهدي» في موضع نصب بأنه خبر و على قول تميم يرتفع بفعل مضمير يفسره الظاهر الذي هو تهدي تقديره إذا أظهرت ذلك المضمير ما تهدي تهدي لأنك إذا أظهرت أفعال المضمير اتصل به الضمير و لم ينفصل كما ينفصل إذا لم تظهر و من قرأ «بِهَادِي الْعُمَىٰ» مضافا في السورتين فاسم الفاعل للحال أو للآتي فإذا كان كذلك كانت الإضافة في نيه الانفصال و قوله «أَنَّ النَّاسَ» بالفتح فالوجه فيه تكلمهم بأن الناس و زعموا أنه في قراءه أبي تنبهم و عن قتاده أنه في بعض الحروف تحدثهم و هذا يدل على أن تكلمهم من الكلام الذي هو النطق و ليس هو من الكلم الذي هو الجراحه. و من كسر فقال إن الناس فالمعنى تكلمهم فتقول لهم أن الناس و إضمار القول في الكلام كثير و حسن ذلك لأن الكلام قول فكان القول أظهر و من قرأ تكلمهم فمعناه تجرحهم بأكلها إياهم.

المعنى

ثم ذكر سبحانه من الحجج ما يقوى قلب نبيه ص فقال «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ» أي يخبرهم بالصدق «أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» من حديث مريم و عيسى و النبي المبشر به في التوراه حيث قال بعضهم هو يوشع و قال بعضهم لا بل هو و

منتظر لم يأت بعد و غير ذلك من الأحكام و كان ذلك معجزه لنبينا ص إذا كان لا يدرس كتبهم و لا يقرؤها ثم أخبرهم بما فيها «وَ إِنَّهُ» يعنى القرآن «لَهْدَى» أى دلالة على الحق «وَ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ» أى نعمه لهم «إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ» يريد بين المختلفين فى

ص: ٣٦٥

الدين يوم القيامة و أشار بذلك إلى شيئين (أحدهما) أن الحكم له فلا ينفذ حكم غيره فيوصل إلى كل ذى حق حقه (و الآخر) أنه وعد المظلوم بالانتصاف من الظالم «وَهُوَ الْعَزِيزُ» القادر على ما يشاء لا يمتنع عليه شىء «الْعَلِيمُ» بالمحق و المبطل فيجازى كلا بحسب عمله و فى هذه الآيه تسليه للمحقين من الذين خولفوا فى أمور الدين و أن أمرهم يؤول إلى أن يحكم بينهم رب العالمين ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال «فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ» يا محمد «إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ» أى الواضح البين الظاهر و المحق أولى بالتوكل من المبطل المدغل و المراد بهذا الخطاب سائر المؤمنين و إن كان فى الظاهر لسيد المرسلين ثم شبه الكفار بالموتى فقال «إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى» يقول كما لا تسمع الميت الذى ليس له آله السمع النداء كذلك لا تسمع الكافر النداء لأنه لا يسمع و لا يقبل الموعظه و لا يتدبر فيها «وَلَا تَسْمَعُ الصَّوْتِ الدُّعَاءِ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ» إنما قال ذلك لأن الأصم إذا كان قريبا فالإنسان يطمع فى إسماعه فإذا أعرض و أدبر و تباعد انقطع الطمع فى إسماعه فجعل سبحانه المصمم على الجهل كالميت فى أنه لا يقبل الهدى و كالأصم فى أنه لا يسمع الدعاء «وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ» فى الدين بالآيات الداله على الهدى إذا أعرضوا عنها كما لا يمكنك أن تهدي الأعمى إلى قصد الطريق جعل سبحانه الجهل بمنزله العمى لأنه يمنع عن إدراك الحق كما يمنع العمى من إدراك المبصرات «إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا» أى ما يسمع إلا من يطلب الحق بالنظر فى آياتنا «فَهُمْ مُسْتَسْلِمُونَ» أى مستسلمون منقادون جعل سبحانه استماعهم و قبولهم الحق سماعا و تركهم للقبول تركا للسمع و قيل مسلمون أى موحدون مخلصون «وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ» أى وجب العذاب و الوعيد عليهم و قيل معناه إذا صاروا بحيث لا يفلح أحد منهم و لا أحد بسببهم عن مجاهد و قيل معناه إذا غضب الله عليهم من قتاده و قيل معناه إذا أنزل العذاب بهم عند اقتراب الساعة فسمى المقول قولاً- كما يقال جاء الخبر الذى قلت و يراد به المخبر قال أبو سعيد الخدرى و ابن عمر إذا لم يأمرؤا بالمعروف و لم ينهوا عن المنكر وجب السخط عليهم و أخذوا بمبادئ العقاب منها قوله «أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ» تخرج بين الصفا و المروه فتخبر المؤمن بأنه مؤمن و الكافر بأنه كافر و عند ذلك يرتفع التكليف و لا تقبل التوبه و هو علم من أعلام الساعة و قيل لا يبقى مؤمن إلا مسحته و لا يبقى منافق إلا خطمته تخرج ليله جمع و الناس يسيرون إلى منى عن ابن عمر و

روى محمد بن كعب القرظى قال سئل على صلوات الرحمن عليه من الدابة فقال أما و الله ما لها ذنب و إن لها للحيه

و فى هذا إشاره إلى أنها من الإنس و روى عن ابن عباس أنها دابه من دواب الأرض لها زغب و ريش و لها ربع قوائم و

عن حذيفه عن النبى ص قال دابه الأرض طولها ستون ذراعا

لا- يدر كها طالب و لا- يفوتها هارب فتسم المؤمن بين عينيه و تكتب بين عينيه مؤمن و تسم الكافر بين عينيه و تكتب بين عينيه كافر و معها عصا موسى و خاتم سليمان فتجلو وجه المؤمن بالعصا و تختم أنف الكافر بالخاتم حتى يقال يا مؤمن و يا كافر

و روى عن النبي ص أنه يكون للدابه ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجا بأقصى المدينة فيفشو ذكرها في البادية و لا يدخل ذكرها القرية يعنى مكة ثم تمكث زمانا طويلا- ثم تخرج خرجة أخرى قريبا من مكة فيفشو ذكرها في البادية و يدخل ذكرها القرية يعنى مكة ثم سار الناس يوما فى أعظم المساجد على الله عز و جل حرمه و أكرمها على الله يعنى المسجد الحرام لم ترعهم إلا و هى فى ناحية المسجد تدنو و تدنو كذا ما بين الركن الأسود إلى باب بنى مخزوم عن يمين الخارج فى وسط من ذلك فيرفض الناس عنها و يثبت لها عصابه عرفوا أنهم لن يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فمرت بهم فجلت عن وجوههم حتى تركتها كأنها الكواكب الدرية ثم ولت فى الأرض لا يدر كها طالب و لا يعجزها هارب حتى أن الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلى فيقبل عليها بوجهه فتسمه فى وجهه فيتجاور الناس فى ديارهم و يصطحبون فى أسفارهم و يشتركون فى الأموال يعرف الكافر من المؤمن فيقال للمؤمن يا مؤمن و للكافر يا كافر

و روى عن وهب أنه قال و وجهها وجه رجل و سائر خلقها خلق الطير و مثل هذا لا يعرف إلا من النبوات الإلهية

و قد روى عن على (عليه السلام) أنه قال إنه صاحب العصا و الميسم

و روى على بن إبراهيم بن هاشم فى تفسيره عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال قال رجل لعمار بن ياسر يا أبا اليقظان آيه فى كتاب الله أفسدت قلبى قال عمار و آيه آيه هى فقال هذه الآية فآيه دابه الأرض هذه قال عمار و الله ما أجلس و لا آكل و لا أشرب حتى أريكها فجاء عمار مع الرجل إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) و هو يأكل تمرا و زبدا فقال يا أبا اليقظان هلم فجلس عمار يأكل معه فتعجب الرجل منه فلما قام عمار قال الرجل سبحانه الله حلفت أنك لا تأكل و لا تشرب حتى ترينها قال عمار أريتكها إن كنت تعقل

و روى العياشى هذه القصة بعينها عن أبى ذر رحمه الله أيضا و قوله «تُكَلِّمُهُمْ» أى تكلمهم بما يسوءهم و هو أنهم يصيرون إلى النار بلسان يفهمونه و قيل تحدثهم بأن هذا مؤمن و هذا كافر و قيل تكلمهم بأن تقول لهم «أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ» و هو الظاهر و قيل بآياتنا معناه بكلامها و خروجها «وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ» أى يدفعون عن ابن عباس و قيل يحبس أولهم على آخرهم و استدلل بهذه الآية على صحه الرجعه من ذهب إلى ذلك من الإماميه بأن قال إن دخول من فى الكلام يوجب التبويض فدل ذلك على أن اليوم المشار إليه فى الآية يحشر فيه قوم دون قوم و ليس ذلك صفه يوم القيامة الذى يقول فيه سبحانه

وَ حَسْرَتَانَهُمْ فَلَمْ يُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا وَ قد تظاهرت الأخبار عن أئمة الهدى من آل محمد ص فى أن الله تعالى سيعيد عند قيام المهدي قوما ممن تقدم موتهم من أوليائه و شيعته ليفوزوا بثواب نصرته و معونته و يبتهجوا بظهور دولته و يعيد أيضا قوما من أعدائه لينتقم منهم و ينالوا بعض ما يستحقونه من العذاب فى القتل على أيدي شيعته و الذل و الخزي بما يشاهدون من علو كلمته و لا يشك عاقل أن هذا مقدور لله تعالى غير مستحيل فى نفسه و قد فعل الله ذلك فى الأمم الخالية و نطق القرآن بذلك فى عدة مواضع مثل قصه عزيز و غيره على ما فسرناه فى موضعه و صح

عن النبي ص قوله سيكون فى أمتي كل ما كان فى بنى إسرائيل حذو النعل بالنعل و القذه بالقذه حتى لو أن أحدهم دخل حجر ضب لدخلتموه

على أن جماعه من الإماميه تأولوا ما ورد من الأخبار فى الرجعه على رجوع الدوله و الأمر و النهي دون رجوع الأشخاص و إحياء الأموات و أولوا الأخبار الوارده فى ذلك لما ظنوا أن الرجعه تنافى التكليف و ليس كذلك لأنه ليس فيها ما يلجئ إلى فعل الواجب و الامتناع من القبيح و التكليف يصح معها كما يصح مع ظهور المعجزات الباهره و الآيات القاهره كفلق البحر و قلب العصا ثعبانا و ما أشبه ذلك و لأن الرجعه لم تثبت بظواهر الأخبار المنقوله فيتطرق التأويل عليها و إنما المعول فى ذلك على إجماع الشيعة الإماميه و إن كانت الأخبار تعضده و تؤيده و من قال إن قوله «و يوم يحشر من كل أمه فوجا» المراد به يوم القيامة قال المراد بالفوج الجماعه من الرؤساء و المتبوعين فى الكفر حشروا و جمعوا لإقامه الحججه عليهم «حَتَّى إِذَا جَاءُ» إلى موقف الحساب «قال» الله تعالى لهم «أَكذَّبْتُمْ بِآيَاتِي» أى كذبتم بأنبيائي و دلالاتى الداله على ديني «و لَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا» أى لم تطلبوا معرفتها و لم تبينوا ما أوجب الله عليكم فيها «أَمَّا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» حين لم تبحثوا عنها و لم تفكروا فى صحتها يقول ذلك تبكيئا لهم و تجهيلا- أى هذا كان الواجب عليكم فتركتموها و لم تعرفوها حق معرفتها فبما ذا اشتغلتم و من قال بالأول قال المراد بالآيات الأئمه الطاهرون (عليه السلام) «و وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ» أى وجب العذاب عليهم «بِمَا ظَلَمُوا» أى بظلمهم إذ صاروا بحيث لا يفلح جحد منهم بسببهم «فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ» إذ ذاك بكلام ينتفعون به و يجوز أن يكون المراد أنهم لا- ينطقون أصلا لعظم ما يشاهدونه و هول ما يرونه.

إشارة

أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسًا كُنُوزًا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٨٦) وَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَ كُلُّ أَتَوُهُ دَاخِرِينَ (٨٧) وَ تَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُ بِهَا جَامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُيِّعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨) مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَ هُمْ مِنْ فَزَعِ يَوْمِئِذٍ آمِنُونَ (٨٩) وَ مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَبَبَتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٠)

إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ ۚ وَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١) وَ أَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ (٩٢) وَ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَ مَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٣)

القرءاءة

قرأ حمزه و حفص و خلف «أَتَوُهُ» مقصوره الألف غير ممدوده بفتح التاء و قرأ الباقون آتوه بمد الألف و ضم التاء و قرأ أهل البصرة غير سهل و ابن كثير و حماد و الأعشى و البرجمي عن أبي بكر بما يفعلون بالياء و الباقون بالتاء و قرأ أهل الكوفة «مِنْ فَزَعٍ» منونا «يَوْمِئِذٍ» بفتح الميم و قرأ أهل المدينة غير إسماعيل من فزع بغير تنوين «يَوْمِئِذٍ» بفتح الميم و قرأ ابن كثير و ابن عامر و أبو عمرو و نافع برواية إسماعيل و يعقوب من فزع بغير تنوين يومئذ بكسر الميم و قرأ أهل المدينة و ابن عامر و حفص و يعقوب «عَمَّا تَعْمَلُونَ» بالتاء و الباقون بالياء.

الحجج

قال أبو علي من قرأ «أَتَوُهُ» كان فعلوا من الإتيان و من قرأ آتوه فهو فاعلوه

و كلاهما محمول على معنى كل و لو حملة على اللفظ جاز كما فى قوله وَ كَلَّهْمُ آتِيهِ وَ إِن كَلَّ مَنْ فِى السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَيْدًا وَ حجه من قال يفعلون بالياء أن ذكر الغيبة قد تقدم فى قوله «وَ كَلَّ أَتَوْهُ» و حجه التاء أنه خطاب للكافه و قد تدخل الغيبة فى الخطاب و لا يدخل الخطاب فى الغيبة و قوله «مَنْ فَرَعَ يَوْمَئِذٍ» من نون كان فى انتصاب يوم ثلاثه أوجه (أحدها) أن يكون منتصبا بالمصدر كأنه قال و هم من أن يفزعوا يومئذ آمنون (و الآخر) أن يكون اليوم صفه لفزع لأن أسماء الأحداث توصف بأسماء الزمان كما يخبر عنها بها و فيه ذكر الموصوف و تقديره فى هذا الوجه أن يتعلق بمحذوف كأنه من فزع بحدث يومئذ (و الثالث) أن يتعلق باسم الفاعل كأنه آمنون من فزع يومئذ و يجوز إذا نون الفزع أن يعنى به فزعا واحدا و يجوز أن يعنى به كثره لأنه مصدر و المصادر تدل على الكثره و إن كانت مفردة الألفاظ كقوله تعالى «إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ» و كذلك إذا أضاف فقال «مَنْ فَرَعَ يَوْمَئِذٍ» أو يومئذ و يجوز أن يعنى به مفردا و يجوز أن يعنى به كثره فأما القول فى إعراب يوم و بنائه إذا أضيف إلى إذ فقد ذكر فيما تقدم و حجه من قرأ يعملون بالياء أنه وعيد للمشركين و حجه التاء أنه على معنى.

قل لهم ذلك.

الإعراب

وصف النهار بأنه مبصر فيه وجهان (أحدهما) أن معناه ذو إِبصار كقوله عَيْشِهِ رَاضِيَهُ أى ذات رضى و كقول النابغه

" كلينى لهم يا أميمه ناصب "

أى ذى نصب (و الثانى) أنه يريك الأشياء كما يراها من يبصرها بالنور الذى تجلى عندها و فيه قول ثالث إنه مثل قول جرير

لقد لمتنا يا أم غيلان فى السرى و نمت و ما ليل المطى بنائم

أى بالذى ينام فيه فىكون مبصرا بمعنى ما يبصر فيه.

المعنى

ثم بين سبحانه قدرته على الإعادة و البعث بما احتج به على الكفار فقال «أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسًا كُنُوزًا فِيهِ» عن التعب و الحركات «وَ النَّهَارَ مُبْصِرًا» أى يبصر فيه و يمكن التصرف فيه لضيائه و يدرك بنوره جميع الأشخاص كما يدرك بنور البصر «إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ» أى دلالات «لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» لأن جعل الشىء لما يصلح له من الانتفاع إنما

يكون بالاختيار ولا يكون بالطباع «وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ» منصوب بتقدير و اذكر يوم ينفخ إسرافيل بأمر الله تعالى فى الصور و ذلك اليوم الذى يقع عليهم القول بما ظلموا و يجوز أن يكون على حذف فى الكلام و التقدير و يوم ينفخ فى الصور و تكون النشأه الثانیه و اختلف فى معنى الصور فقل هو صور الخلق جمع صوره عن الحسن و قتاده و يكون معناه يوم ينفخ الروح فى الصور فيبعثون و قيل هو قرن ينفخ فيه شبه البوق عن مجاهد و قد ورد ذلك فى الحديث «فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ» أى ماتوا لشده الخوف و الفزع يدل عليه قوله فى موضع آخر فَصَيَّحَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ الْآيَهُ و قيل هى ثلاث نفخات الأولى نفخه الفزع و الثانیه نفخه الصعق و الثالثه نفخه القيام لرب العالمين «إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ» من الملائكه الذين يثبت الله قلوبهم و هم جبرائيل و ميكائيل و إسرافيل و عزرائيل و هم

قيل يعنى الشهداء فإنهم لا يفزعون فى ذلك اليوم و روى ذلك فى خبر مرفوع

«وَكُلُّ» من الأحياء الذين ماتوا ثم أحيوا «أَتَوْهُ» أى يأتونه فى المحشر «دَاخِرِينَ» أى أدلاء صاغرين عن ابن عباس و قتاده «وَوَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدًا» أى واقفه مكانها لا تسير و لا تتحرك فى مرأى العين «وَوَهِيَ تَمُرٌّ مَرَّ السَّحَابِ» أى تسير سيرا حثيثا مثل سير السحاب عن ابن عباس و فى مثل هذا المعنى قول النابغه الجعدى يصف جيشا

بأرعن مثل الطود تحسب أنهم وقوف لحاج و الركاب تهملج

أى تحسب أنهم وقوف من أجل كثرتهم و التفافهم فكذلك المعنى فى الجبال إنك لا ترى سيرها لبعدها أطرافها كما لا ترى سير السحاب إذا انبسط لبعدها أطرافه و ذلك إذا أزيلت الجبال عن أماكنها للتلاشى كما فى قوله وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ «صَيَّنَعَ اللَّهُ» أى صنع الله ذلك صنعا و انتصب بما دل عليه ما تقدمه من قوله «وَوَهِيَ تَمُرٌّ مَرَّ السَّحَابِ» و ذكر اسم الله لأنه لم يأت ذكره فيما قبل و إنما دل عليه «الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ» أى خلق كل شىء على وجه الإتيان و الإحكام و الاتساق قال قتاده أى أحسن كل شىء خلقه و قيل الإتيان حسن فى إيثاق «إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ» أى عليم بما يفعل أعداؤه من المعصيه و بما يفعل أولياؤه من الطاعه ثم بين سبحانه كيفيه الجزاء على أفعال الفريقين فقال «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ» أى بكلمه التوحيد و الإخلاص عن قتاده و قيل بالإيمان عن النخعى و كان يحلف و لا يستثنى أن الحسنه لا إله إلا الله و المعنى من وافى يوم القيامه بالإيمان «فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا» قال ابن عباس أى فمنها

يصل الخير إليه و المعنى قوله فله من تلك الحسنه خير يوم القيامة و هو الثواب و الأمان من العقاب فخير هاهنا اسم و ليس بالذى هو بمعنى الأفضل و هو المروى عن الحسن و عكرمه و ابن جريج قال عكرمه فأما أن تكون خيرا من الإيمان فلا فليس شىء خيرا من لا إله إلا الله و قيل معناه فله أفضل منها فى معظم النفع لأنه يعطى بالحسنه عشرا عن زيد بن أسلم و محمد بن كعب و ابن زيد و قيل لأن الثواب فعل الله تعالى و الطاعة فعل العبد و قيل هو رضوان الله وَ رِضْوَانُ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ «وَهُمْ مِنْ فَرْعِ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ» قال الكلبي إذا أطبقت النار على أهلها فرعوا فرعه لم يفرعوا مثلها و أهل الجنة آمنون من ذلك الفرع «وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ» أى بالمعصيه الكثيره التى هى الكفر و الشرك عن ابن عباس و أكثر المفسرين «فَكُتِبَتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ» أى ألقوا فى النار منكوسين «هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» يعنى أن هذا الجزاء فعلكم و ليس بظلم

حدثنا السيد أبو الحمد مهدى بن نزار الحسينى قال حدثنا الحاكم أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني قال أخبرنا محمد بن عبد الله بن أحمد قال أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد قال حدثنا عبد العزيز بن يحيى بن أحمد قال حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن الفضل قال حدثنى جعفر بن الحسين قال حدثنى محمد بن زيد بن على (عليه السلام) عن أبيه قال سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول دخل أبو عبد الله الجدلى على أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال له يا أبا عبد الله ألا أخبرك بقول الله تعالى «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ» إلى قوله «تَعْمَلُونَ» قال بلى جعلت فداك قال الحسنه حيناً أهل البيت و السيئه بغضنا

و

حدثنا السيد أبو الحمد قال حدثنا الحاكم أبو القاسم قال أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد الحميرى قال حدثنا جدى أحمد بن إسحاق الحميرى قال حدثنا جعفر بن سهل قال حدثنا أبو زرعه عثمان بن عبد الله القرشى قال حدثنا ابن لهيعة عن ابن الزبير عن جابر قال قال رسول الله ص يا على لو أن أمتى صاموا حتى صاروا كالأوتاد و صلوا حتى صاروا كالحنايا ثم أبغضوك لأكبهم الله على مناخرهم فى النار

ثم قال سبحانه لنبى ص قل لهم «إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ» يعنى مكه عن ابن عباس و قال أبو العالیه هى منى «الَّذِي حَرَّمَهَا» أى جعلها حرماً آمننا يحرم فيها ما يحل فى غيرها لا ينفرد صيدها و لا يختلى خلاها و لا يقتص فيها «وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ» أى و هو مالك كل شىء مما أحله و حرمه فيحرم ما شاء و يحل ما شاء «وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» أى من المخلصين لله بالتوحيد «وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ» عليكم يا أهل مكه و أدعوكم إلى ما فيه «فَمَنْ اهْتَدَى» إلى الحق و العمل بما فيه «فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ» لأن ثواب ذلك و جزاءه يصل إليه دون غيره «وَمَنْ ضَلَّ» عنه و حاد و لم يعمل بما فيه و لم يهتد إلى الحق «فَقُلْ» له يا محمد «إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ» الذين يخوفون بعقاب الله من

معاصيه و يدعون إلى طاعته و لا أقدر على إكراههم على الإيمان و الدين «وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ» اعترافاً بنعمته إذا اختارونى لرسالته «سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ» يوم القيامة «فَتَعْرِفُونَهَا» و تعرفون أنها على ما أخبرتم بها فى الدنيا عن الحسن و قيل معنى آياته هى العذاب فى الدنيا و القتل ببدر فتعرفونها أى تشاهدونها و رأوا ذلك ثم عجلهم الله إلى النار عن مقاتل «وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» بل هو عالم بجميع ذلك فيجازيكم عليها و إنما يؤخر عقابكم إلى وقت تقتضيه الحكمة.

النظم

وجه اتصال قوله «إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ» بما قبله أنه سبحانه لما بين أن الأمن من أهوال القيامة للمؤمن المحسن فكان قائلاً قال و ما الحسنه و كيف العباده فقال إنما أمرت.

ص: ٣٧٣

(٢٨) سورة القصص مكيه و آياتها ثمان و ثمانون (٨٨)

اشاره

عدد آياتها

و هي ثمان و ثمانون آيه

اختلافها

آيتان طسم كوفي «يَشْتُقُونَ» غير الكوفي

فضلها

أبي بن كعب عن النبي ص قال و من قرأ طسم القصص أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بموسى و كذب به و لم يبق ملك في السموات و الأرض إلا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقا إن كل شىء هالك إلا وجهه

تفسيرها

لما أمر سبحانه في خاتمه تلك السوره بتلاوه القرآن بين في هذه السوره أن القرآن من طسم و أنه يتلو عليهم من نبأ موسى و فرعون فقال

ص: ٣٧٤

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طسم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤)

وَ نُرِيدُ أَنْ نُؤْمِنَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أُتْمَةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَ نُمكنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ نُرى فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم و يرى فرعون بالياء و ما بعده بالرفع و قرأ الباقون «و نُرى» بالنون و ضمه و كسر الراء و نصب الياء و ما بعده بالنصب.

الحج

قال أبو على حججه من قرأ بالنون أن ما قبله للمتكلم فينبغي أن يكون ما بعده أيضا كذلك ليكون الكلام من وجه واحد و حججه من قرأ بالياء أن فرعون و جنوده أروه ذلك و المعلوم أنهم يرونه إذا رأوه و هو قراء الأعمش.

اللغة

النبأ الخبر عما هو عظيم الشأن و الشيع الفرق و كل فرقه شيعه و سموا بذلك لأن بعضهم يتابع بعضا و العرب تقول شاعكم السلام أى تبعكم و شيعه اتبعه و التمكين تكميل ما يتم به الفعل.

الإعراب

قوله «بِالْحَقِّ» فى موضع نصب على الحال و يجوز أن يكون صفة مصدر محذوف تقديره تلاوه كائنه بالحق و يجوز أن يكون الحق صفة محذوف تقديره بالأمر الحق و الجار و المجرور يتعلق بتلوه و «يَسْتَضِعُّ» فى موضع نصب على الحال و «يُدَّبِحُ» حال بعد حال و يجوز أن يكون حالا عن الحال.

المعنى

«طسم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ» أى المبين الرشده من الغى عن قتاده و قيل هو البين الظاهر و الآيه مفسره فيما مضى «نَتْلُوا

عَلَيْكَ» يا محمد «مِنْ نَبِيٍّ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ» أى طرفا من أخبارهما «بِالْحَقِّ» أى بالصدق و الحقيقة لا ريب فيه «لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» أى يصدقون بالله و بما أنزله إليك «إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ» أى بغى و تجبر و تعظم و استكبر فى أرض مصر يقال علا علو إذا تجبر و منه قوله لا- يُرِيدُونَ عُلوًّا فِي الْأَرْضِ «وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا» أى فرقا قال قتاده فرق بين بنى إسرائيل و القبط و المعنى يكرم قوما و يذل آخرين بالاستعباد و الاستعمال فى الأعمال الشاقة و قيل معناه جعل بنى إسرائيل أصنافا فى الخدمة و التسخير «يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ» يعنى من بنى إسرائيل ثم فسر ذلك فقال

«يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَ يَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ» يقتل الأبناء و يستبقى البنات فلا يقتلن و ذلك أن بعض الكهنة قال له إن مولودا يولد في بني إسرائيل يكون سبب ذهاب ملكك و قال السدى رأى فرعون في منامه أن نارا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقت القبط و تركت بني إسرائيل فسأل علماء قومه فقالوا له يخرج من هذا البلد رجل يكون هلاك مصر على يده «إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ» بالقتل و العمل بالمعاصي «و نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ» المعنى أن فرعون كان يريد إهلاك بني إسرائيل و إفناءهم و نحن نريد أن نمن عليهم «و نَجْعَلُهُمْ أُتَمَّةً» أى قاده و رؤساء في الخير يقتدى بهم عن ابن عباس و قيل نجعلهم ولاءه و ملوكا عن قتاده و هذا القول مثل الأول لأن الذين جعلهم الله ملوكا فهم أئمه و لا يضاف إلى الله سبحانه ملك من يملك الناس عدوانا و ظلما و قد قال سبحانه «فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا» و الملك من الله تعالى هو الذى يجب أن يطاع فالأئمه على هذا ملوك مقدمون في الدين و الدنيا يطأ الناس أعقابهم «و نَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ» لديار فرعون و قومه و أموالهم و

قد صحت الروايه عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال و الذى فلق الحبه و برأ النسمة لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها و تلا عقب ذلك «و نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ» الآية

و

روى العياشى بالإسناد عن أبى الصباح الكناني قال نظر أبو جعفر (عليه السلام) إلى عبد الله (عليه السلام) فقال هذا و الله من الذين قال الله تعالى «و نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ» الآية

و

قال سيد العابدين على بن الحسين (عليه السلام) و الذى بعث محمدا بالحق بشيرا و نذيرا إن الأبرار منا أهل البيت و شيعتهم بمنزله موسى و شيعته و إن عدونا و أشياعهم بمنزله فرعون و أشياعه

«و نَمَكَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ» أى و نريد أن نمكن لبني إسرائيل فى أرض مصر و التمكين هو فعل جميع ما لا يصح الفعل إلا معه مع القدره و الآله و اللطف و غير ذلك و قال على بن عيسى اللطف لا يدخل فى التمكين لأنه لو دخل فيه لكان من لا لطف له لم يكن ممكنا و لكنه من باب إزاحه العله «و نُرَى فِرْعَوْنُ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا مِنْهُمْ» أى من بني إسرائيل «ما كانوا يحذرون» من ذهاب الملك على يد رجل منهم قال الضحاک عاش فرعون أربعمائنه سنه و كان قصيرا دميما و هو أول من خضب بالسواد و عاش موسى (عليه السلام) مائه و عشرين سنه.

[سوره القصص (٢٨): الآيات ٧ الى ١٠]

إشارة

وَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَ لَا تَخَافِي وَ لَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨) وَ قَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ

عَيْنِ لِي وَ لَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩) وَ أَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْ
لَا أَنَّ رَبَّنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠)

ص: ٣٧٦

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير عاصم و حزنا بضم الحاء و سكون الزاى و الباقون «حَزَنًا» بفتحها و فى الشواذ قراءه الحسن و فضاله بن عبد الله فؤاد أم موسى فرعا و قراءه ابن عباس قراعا بالقاف و الرء و حكى قطرب عن بعضهم فرغا.

الحجه

الحزن و الحزن لغتان مثل البخل و البخل و العرب و العرب و العجم و العجم و أما قوله فرعا بالفاء و الزاى فمعناه قلعا يكاد يخرج من غلافه و أما قرعا فمعناه يرجع إلى معنى فارغ لأن رأس الأقرع يكون خاليا من الشعر و أما فرغا فمعناه هدرًا و باطلا قال

فإن تك أذواد أصبن و نسوه فلن يذهبوا فرغا بقتل حبال

و قوله «فارغاً» معناه خاليا من الحزن لعلمها أنه لا يغرق.

الإعراب

مفعول خفت محذوف تقديره خفت عليه أحدا «قُرَّتْ عَيْنِي لِي وَ لَكَ» خبر مبتدأ محذوف أى هو قره عين قال الزجاج و يجوز على بعد أن يكون «قُرَّتْ عَيْنِي» مبتدأ و يكون

خبره «لَا تَقْتُلُوهُ» (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) في موضع نصب على الحال و العامل فيه ما يدل على هذه القصة و تقديره قالوا ما قالوه غير شاعرين.

المعنى

ثم بين سبحانه كيف دبر في إهلاك فرعون و قومه منبها بذلك على كمال قدرته و حكمته فقال «وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ» أى ألهمناها و قذفنا في قلبها و ليس بوحي نبوه عن قتاده و غيره و قيل أتاها جبرائيل (عليه السلام) بذلك عن مقاتل و قيل كان هذا الوحي رؤيا منام عبر عنها من يثق به من علماء بنى إسرائيل عن الجبائى «أَنَّ أَرْضِيَّعِيهِ» ما لم تخافى عليه الطلب «فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ» فى القتل الذى أمر به فرعون فى أبناء بنى إسرائيل «فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ» أى فى البحر و هو النيل «وَلَا تَخَافِي» عليه الضيعة «وَلَا تَحْزَنِي» من فراقه «إِنَّا رَأَدُّهُ إِلَيْكَ» سالما عن قريب «وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ» و الأنبياء و فى هذه الآيه أمران و نهيان و خبران و بشارتان و حكى أن بعضهم سمع بدويه تنشد أبياتا فقال لها ما أفصحك فقالت الفصاحة لله تعالى و ذكرت هذه الآيه و ما فيها قال وهب بن منبه لما حملت أم موسى بموسى كتمت أمرها عن جميع الناس فلم يطلع على حملها أحد من خلق الله و ذلك شىء ستره الله تعالى لما أراد أن يمن به على بنى إسرائيل فلما كانت السنه التى يولد فيها موسى بعث فرعون القوابل و تقدم إليهن أن يفتشن النساء تفتيشا لم يفتشنه قبل ذلك رحلت أم موسى بموسى فلم ينتأ بطنها و لم يتغير لونها و لم يظهر لبنها فكانت القوابل لا يعرضن لها فلما كانت الليله التى ولد فيها موسى ولدته أمه و لا رقيب عليها و لا قابله و لم يطلع عليها أحد إلا أخته مريم فأوحى الله تعالى إليها «أَنَّ أَرْضِيَّعِيهِ» الآيه قال فكتمته أمه ثلاثه أشهر ترضعه فى حجرها لا يبكى و لا يتحرك فلما خافت عليه عملت له تابوتا مطبقا و مهدت له فيه ثم ألقته فى البحر ليلا كما أمرها الله تعالى قال ابن عباس لما قربت ولاده أم موسى و كانت قابله من النساء اللاتى و كلهن فرعون بحبالى بنى إسرائيل مصافيه لأم موسى فلما ضربها الطلق أرسلت إليها فجاءت فعالجتها فلما ولد موسى رأت نورا بين عينيه فارتعش كل مفصل منها و دخل حب موسى فى قلبها ثم قالت يا هذه ما جئت إليك إلا و من ورائى قتل مولودك و لكن وجدت لابنك هذا حبا ما وجدت حب شىء مثل حبه فاحفظى ابنك فإنى أراه هو عدونا فلما خرجت من عندها القابله بصرتها العيون فجاءوا ليدخلوا على أم موسى فقالت أخته يا أماه هذا الحرس بالباب فلفت موسى فى خرقة فوضعتة فى تنور مسجور فدخلوا فإذا التنور مسجور و رأوا أم موسى لم يتغير لها لون و لم يظهر لها لبن فخرجوا من عندها و انطلقت إلى الصبى و قد جعل الله النار عليه بردا

و سلاما قال ثم لما رأت إلحاح فرعون في الطلب خافت على ابنها فانطلقت إلى نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا فقال النجار ما تصنعين بهذا التابوت قالت إن لي ابنا أخبئه في التابوت و كرهت الكذب فلما اشترت التابوت و حملته انطلق النجار إلى الذباحين ليخبرهم بأمر أم موسى فلم يطق الكلام فرجع و أخذ في النجر فانطلق لسانه فرجع ثانيا فلما انتهى إليهم اعتقل لسانه هكذا ثلاث مرات فعلم أن ذلك أمر إلهي «فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ» أي أصابوه و أخذوه من غير طلب «لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَنًا» أي ليكون لهم في عاقبه أمره كذلك لا أنهم أخذوه لهذا كما يقال لمن كسب مالا فأداه ذلك إلى الحتف و الهلاك إنما كسب فلان لحتفه و هو لم يطلب المال للحتف «إِنَّ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ» أي عاصين ربهم في أفعالهم و كانت القصة في ذلك أن النيل جاء بالتابوت إلى موضع فيه فرعون و امرأته على شط النيل فأمر فرعون فأتى به و فتحت آسيه بنت مزاحم بابها فلما نظرت إليه ألقى الله في قلبها محبة موسى و كانت آسيه بنت مزاحم امرأه من بني إسرائيل استنكحها فرعون و هي من خيار النساء و من بنات الأنبياء و كانت أما للمؤمنين ترحمهم و تتصدق عليهم و يدخلون عليها فلما نظر فرعون إلى موسى غاظه ذلك و قال كيف أخطأ هذا الغلام الذبح قالت آسيه و هي قاعده إلى جنبه هذا الوليد أكبر من ابن سنه و إنك أمرت أن يذبح الولدان لهذه السنه فدعه يكن قره عين لي و لك و ذلك قوله تعالى «وَ قَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنِي لِي وَ لَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا» و إنما قالت ذلك لأنه لم يكن له ولد فأطمعته في ولد قال ابن عباس إن أصحاب فرعون لما علموا بموسى جاءوا ليقتلوه فمنعتهم و قالت لفرعون قره عين لي و لك لا تقتلوه قال فرعون قره عين لك و أما لي فلا

قال رسول الله ص و الذي يحلف به لو أقر فرعون بأن يكون له قره عين كما أقرت امرأته لهدها الله به كما هداها و لكنه أبي للشقاء الذي كتبه الله عليه

«وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ» أي لا يشعرون أن هلاكهم على يديه و قيل لا يشعرون أن هذا هو المطلوب الذي يطلبونه «وَ أَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا» أي خاليا من كل شيء إلا من ذكر موسى أي صار فارغا له عن ابن عباس و قتاده و الضحاك و قيل فارغا من الحزن لعلمها أن ابنها ناج سكونا إلى ما وعدها الله تعالى به و قيل فارغا من الوحي الذي أوحى إليها بنسيانها فإنها نسيت ما وعدها الله تعالى به عن الحسن و ابن زيد «إِنَّ كَادَتْ لَتُبْدَى بِهِ» معناه أنها كادت تبدي بذكر موسى فتقول يا ابنا من شدة الغم و الوجد عن ابن عباس و قتاده و السدي و قيل معناه كادت تصيح على ابنها شفقة عليه من الغرق عن مقاتل و قيل معناه همت بأن تقول أنها أمه لما رآته عند دعاء فرعون إياها للإرضاع لشده سرورها به عن جعفر بن حرب و قيل معناه أنها كادت تبدي بالوحي «لَوْ لَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا» بالصبر و اليقين

و الربط على القلب إلهام و الصبر و تقويته عن الزجاج و قيل معناه لو لا أن قوينا قلبها بالعصمه و الوحي و جواب لو لا محذوف و التقدير لو لا- أن ربطنا على قلبها لأظهرته «لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» أى فعلنا ذلك لتكون من جمله المصدقين بوعدنا الواثقين بوحينا و قولنا «إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ».

[سوره القصص (٢٨): الآيات ١١ الى ١٥]

اشاره

وَ قَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١١) وَ حَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَ هُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (١٢) فَرَدَّ ذُنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَ لَا تَحْزَنَ وَ لَتَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣) وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَ عِلْمًا وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٤) وَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَ هَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (١٥)

اللغه

القص اتباع الأثر و منه القصص فى الحديث لأنه يتبع فيه الثانى الأول و القصاص اتباع الجانى فى الأخذ بمثل جنايته فى النفس فبصر به رآه فبصر لا يتعدى إلا بحرف الجر و رأى يتعدى بنفسه و معنى بصرت به عن جنب أبصرته عن جنبه أى عن بعد قال الأعشى

أتيت حريثا زائرا عن جنبه و كان حريث عن عطائي جامدا

وقيل جنب صفة وقعت موقع الموصوف أى عن مكان جنب و المراضع جمع مرضعه و النصح إخلاص العمل من جانب الفساد و هو نقيض الغش و الوكز الدفع و قيل هو بجمع الكف و مثله اللكر و اللهز.

الإعراب

«عَنْ جُنْبٍ» الجار و المجرور فى موضع نصب على الحال و تقديره فبصرت به بعيدة و إن جعلت جنباً صفة على تقدير من مكان جنب فهو فى موضع نصب بأنه ظرف مكان «هَذَا مِنْ شَيْعَتِهِ وَ هَذَا مِنْ عَدُوِّهِ» جملتان فى محل النصب لأنهما صفة رجلين صفة بعد صفة.

المعنى

ثم ذكر سبحانه لطف صنعه فى تسخيره لفرعون حتى تولى تربيته موسى فقال «وَقَالَتْ» يعنى أم موسى «لِأُخْتِي» يعنى أخت موسى و اسمها كلثمة عن الضحاك «قُصِيهِ» أى اتبعى أثره و تعرفى خبره «فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ» فى الكلام حذف و اقتصار تقديره فذهبت أخت موسى فوجدت آل فرعون قد أخرجوا التابوت و أخرجوا موسى فبصرت به و هذا من الإيجاز الدال على الإعجاز باللفظ القليل المعنى على المعنى الكثير أى فرأت أباها موسى عن جنب أى عن بعد عن مجاهد و قيل عن جانب تنظر إليه كأنها لا تريده عن قتاده و تقديره عن مكان جنب «وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» أى و آل فرعون لا يشعرون أنها أخته عن قتاده و قيل معناه و هم لا يشعرون أنها جاءت متعرفه عن خبره و يمكن أن يكون سبحانه كرر هذا القول تنبيها على أن فرعون لو كان إليها لكان يشعر بهذه الأمور «وَ حَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ» المعنى أنه لا يؤتى بمرضع فيقبلها و تأويله منعناهن منه و بغضناهن إليه عن ابن عباس و قيل هو جمع مرضع بمعنى الرضاع أى منعناهن من الرضاع فهذا تحريم منع لا أن هناك نهيا عن الفعل و مثله قول امرئ القيس

جالت لتصرعنى فقلت لها اقصرى إني امرؤ صرعى عليك حرام

أى صرعى ممتنع عليك فإنى فارس أمنعك من ذلك و يقال فلان حرم على نفسه كذا أى امتنع منه كما يمتنع بالنهى «مِنْ قَبْلِ» أى من قبل مجىء أخته و قيل من قبل رده على أمه «فَقَالَتْ هَيْلٌ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ» و هذا يدل على أن الله تعالى ألقى محبته فى قلب فرعون فلشده محبته و غايه شفقتة عليه طلب له المراضع و كان موسى لا يقبل ثدى واحده منهن بعد أن أتته مرضع بعد مرضع فلما رأت أخته وجدهم به و حبهم له و رقتهم

عليه قالت لهم هل أدلكم على أهل بيت يقبلون هذا الولد و يبذلون النصح في أمره و يحسنون تربيته و يضمنون لكم القيام بأمره «وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ» يشفقون عليه و ينصحونه و قيل أنه لما قالت أخته ذلك قال هامان إن هذه المرأة تعرف أن هذا الولد من أى أهل بيت هو فقالت هى إنما عنيت أنهم ناصحون للملك فأمسكوا عنها «فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَ لَا تَحْزَنَ» يعنى عين أمه و انطلقت أخت موسى إلى أمها فجاءت بها إليهم فلما وجد موسى ريح أمه قبل ثديها و سكن بكاؤه و قيل إن فرعون قال لأمه كيف ارتضع منك و لم يرتضع من غيرك فقالت لأنى امرأه طيبه الريح طيبه اللبن لا- أكاد أوتى بصبى إلا- ارتضع منى فسر فرعون بذلك «وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» أراد به ما وعدها الله به فى الآيه المتقدمه لقوله إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَ جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ «وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» تحقيق ذلك الوعد كما علمت «وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ» أى ثلاثا و ثلاثين سنه «وَ اسْتَوَىٰ» أى بلغ أربعين سنه عن مجاهد و قتاده و ابن عباس «آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَ عِلْمًا» أى فقها و علما و عقلا بدينه و دين آبائه فعلم موسى و حكم قبل أن يبعث نبيا و قيل نبوه و علما عن السدى «وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» و هذه الآيه مفسره فى سوره يوسف «وَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ» يريد مصر و قيل مدينه منف من أرض مصر و قيل على فرسخين من أرض مصر «عَلَىٰ حِينٍ غَفَلَهُ مِنْ أَهْلِهَا» أراد به نصف النهار و الناس قائلون عن سعيد بن جبير و قيل ما بين المغرب و العشاء الآخره عن ابن عباس و قيل كان يوم عيد لهم و قد اشتغلوا بلعبهم عن الحسن و قيل اختلفوا فى سبب دخوله المدينه فى هذا الوقت على أقوال (أحدها) أنه كان موسى حين كبر يركب فى مواكب فرعون فلما جاء ذات يوم قيل له إن فرعون قد ركب فركب فى أثره فلما كان وقت القائله دخل المدينه ليقبل عن السدى (و الثانى) أن بنى إسرائيل كانوا يجتمعون إلى موسى و يسمعون كلامه و لما بلغ أشده خالف قوم فرعون فاشتهر ذلك منه و أخافوه فكان لا يدخل مصر إلا خائفا فدخلها على حين غفله عن ابن إسحاق (و الثالث) أن فرعون أمر بإخراجه من البلد فلم يدخل إلا الآن عن ابن زيد «فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ» أى يختصمان فى الدين عن الجبائى و قيل فى أمر الدنيا «هذا مِنْ شِيعَتِهِ وَ هَذَا مِنْ عَدُوِّهِ» أى أحدهما إسرائيلى و الآخر قبطى يسخر الإسرائيلى ليحمل حطبا إلى مطبخ فرعون و قيل كان أحدهما مسلما و الآخر كافرا عن محمد بن إسحاق «فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ» أى استنصره لينصره عليه

و روى أبو بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال ليهنكم الاسم قال قلت و ما الاسم قال الشيعة قال أ ما سمعت الله سبحانه يقول فاستعأته الذى من شيعته على الذى من عدوه

«فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ» أى دفع فى صدره بجمع كفه عن مجاهد و قيل ضربه بعصاه عن قتاده «فَقَضَىٰ عَلَيْهِ» أى فقتله و فرغ من أمره «قَالَ هَذَا

مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ» أى بسببه حتى هيج غضبى فضربته فهو من إغرائه قال الحسن لم يكن يحل قتل الكافر يومئذ لأن الحال كانت حال الكف عن القتال و قيل معناه أن الأمر الذى وقع القتل بسببه من عمل الشيطان أى حصل بوسوسه الشيطان و ذكر المرتضى قدس الله روحه فيه وجهين آخرين (أحدهما) أنه أراد أن تزيين قتلى له و تركى لما ندبت إليه من تأخيره و تفويتى ما استحقه عليه من الثواب من عمل الشيطان (و الآخر) أنه يريد أن عمل المقتول من عمل الشيطان يبين بذلك أنه مخالف لله تعالى مستحق للقتل ثم وصف الشيطان فقال «إِنَّهُ عَدُوٌّ» لبنى آدم «مُضِلٌّ مُبِينٌ» ظاهر العداوه و الإضلال (سؤال) قالوا إن هذا القتل لا يخلو من أن يكون مستحقا أو غير مستحق فإن كان غير مستحق فالأنبياء (عليه السلام) لا يجوز عليهم ذلك عندكم لا قبل النبوه و لا بعدها و إن كان مستحقا فلا معنى لندمه عليه و استغفاره منه (و الجواب) أن القتل إنما وقع على سبيل تخليص المؤمن من يد من أراد ظلمه و البغى عليه و دفع مكروهه عنه و لم يكن مقصودا فى نفسه و كل ألم وقع على هذا الوجه فهو حسن غير قبيح سواء كان القاتل مدافعا عن نفسه أو عن غيره و سندكر الوجه فى استغفاره منه و ندمه عليه.

[سوره القصص (٢٨): الآيات ١٦ الى ٢٠]

اشاره

قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٦) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِّلْمُجْرِمِينَ (١٧) فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَمِاذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُّبِينٌ (١٨) فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنَّ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَ مَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُضِلِّينَ (١٩) وَ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (٢٠)

ص: ٣٨٣

الترقب الانتظار والاستصراخ طلب الصراخ على العدو بما يردعه عن الإيقاع به والائتمار التشاور والارتياح يقال ائتمروا القوم وارتأوا بمعنى قال امرؤ القيس:

أحار ابن عمرو كأني خمر و يعدو على المرء ما يآتمر

وقال النمر بن تولب

أرى الناس قد أحدثوا شيمه و في كل حادثه يؤتمر

. الإعراب

«بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ» الباء للقسم ويجوز أن يكون ما حرفا موصولا والمعنى بإنعامك على و يجوز أن يكون اسما موصولا والضمير العائد محذوفاً والتقدير بالذي أنعمته على و جواب القسم لن أكون و الفاء لجواب القسم مقدر في الموصول بالجملة الفعلية. «أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبِطِشَ» أن الأولى زائده و أن الثانية مع صلتها منصوبه الموضع بأنها مفعوله أراد «إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ» لا- يجوز أن تتعلق اللام في لك بالناصحين لأن الصلة لا تعمل فيما قبل الموصول و إنما تتعلق بمحذوف يفسره هذا الظاهر تقديره إني من الناصحين لك.

المعنى

ثم حكى سبحانه أن موسى (عليه السلام) حين قتل القبطى ندم على ذلك و «قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي» فى هذا القتل فإنهم لو علموا بذلك لقتلوني و قال المرتضى قدس الله روحه العزيز إنما قاله على سبيل الانقطاع و الرجوع إلى الله تعالى و الاعتراف بالتقصير عن أداء حقوق نعمه أو من حيث حرم نفسه الثواب المستحق بفعل الذنب «فَاغْفِرْ لِي» معناه قول آدم (عليه السلام) رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ و قبول الاستغفار و التوبه قد يسمى غفرانا «فَعَفَّرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغُفُورُ» لعباده «الرَّحِيمِ» بهم المنعم عليهم «قَالَ» موسى «رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ» أى بنعمتك على من المغفروه و صرف بلاء الأعداء عنى «فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ» المعنى فلنك على الأ- أكون مظاهرا و معينا للمشركين عن ابن عباس و فى هذا دلالة على أن مظاهره المجرمين جرم و معصيه و مظاهره المؤمنين طاعه و إنما ظاهر موسى (عليه السلام) من كان ظاهره الإيمان و خالف من كان ظاهره الكفر و

جاء فى الأثر أن رجلا قال لعطاء بن أبى رباح إن فلانا يكتب لفلان و لا يزيد على كتبه دخله و خرجه فإن أخذ منه أجرا كان له غنى و إن لم يأخذ اشتد فقره و فقر عياله فقال عطاء أ ما سمعت قول الرجل الصالح «رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ»

«فَأَصْبَحَ»

موسى فى اليوم الثانى «فى المَدِينَةِ خَائِفًا» من قبل القبطى «يَتَرَقَّبُ» أى ينتظر الأخبار فى قتل القبطى عن ابن عباس يعنى أنه خاف من فرعون و قومه أن يكونوا عرفوا أنه هو الذى قتل القبطى فكان يتجسس و ينتظر الأخبار فى شأنه «فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ» معناه أن الإسرائيلى الذى كان قد خلصه بالأمس و وكر القبطى من أجله يستصرخ موسى و يستعين به على رجل آخر من القبط خاصمه قال ابن عباس لما فشا أمر قتل القبطى قيل لفرعون إن بنى إسرائيل قتلت منا رجلا قال أ تعرفون قاتله و من يشهد عليه قالوا لا فأمرهم بطلبه فينا هم يطوفون إذ مر موسى من الغد و أتى ذلك الإسرائيلى يطلب نصرته و يستغيث به «قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ» أى ظاهر الغوايه حيث قاتلت بالأمس رجلا و تقاتل اليوم الآخر و لم يرد الغوايه فى الدين و المراد أن من خاصم آل فرعون مع كثيرهم فإنه غوى أى خائب فيما يطلبه عادل عن الصواب فيما يقصده «فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ» معناه فلما أخذته الرقه على الإسرائيلى و أراد أن يدفع القبطى الذى هو عدو لموسى و الإسرائيلى عنه و يبطش به أى يأخذه بشده ظن الإسرائيلى أن موسى قصده لما قال له «إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ» فقال أ تريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس عن ابن عباس و أكثر المفسرين و قال الحسن هو من قول القبطى لأنه قد اشتهر أمر القتل بالأمس و أنه قتله بعض بنى إسرائيل «إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ» أى ما تريد إلا أن تكون عاليا فى الأرض بالقتل و الظلم قال عكرمه و الشعبى لا- يكون الإنسان جبارا حتى يقتل نفسين بغير حق «وَ مَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصَلِحِينَ» و لما قال الإسرائيلى ذلك علم القبطى أن القاتل موسى فانطلق إلى فرعون و أخبر به فأمر فرعون بقتل موسى و بعث فى طلبه «وَ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ» أى آخرها فاختر طريقا قريبا حتى سبقهم إلى موسى «يَسْعَى» أى يسرع فى المشى فأخبره بذلك و أنذره و كان الرجل حزقيل مؤمن آل فرعون و قيل اسمه شمعون و قيل سمعان «قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ» أى الأشراف من آل فرعون «يَأْتِمُرُونَ بِكَ» أى يتشاورون فيك عن أبى عبيده و قيل يأمر بعضهم «لِيُقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ» من أرض مصر «إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ» فى هذا يقال نصحته و نصحت له.

إشارة

فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢١) وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٢) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْتَأْذِنُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسِيْقِي حَتَّى يُصَيِّرَ دَرَّ الرَّعَاءِ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) فَسِيَقِي لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَيَقِيْت لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ صَّ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٥)

القراءة

قرأ أبو جعفر و أبو عمرو و ابن عامر حتى يصدر بفتح الياء و ضم الدال و قرأ الباقون «يُصْدِر» بضم الياء و كسر الدال.

الحج

من قرأ حتى يصدر الرعاء فمعناه حتى يرجعوا من سقيهم و في التنزيل يُصْدِرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا و من قرأ «حَتَّى يُصْدِرَ» أراد حتى يصدروا مواشيهم من و ردهم فحذف المفعول كما قال الشاعر

لا يعدلن أتاويون تضربهم نكباء صر بأصحاب المحلات

أى أحدا.

اللغة

تلقاء الشيء حذاؤه و يقال فعل ذلك من تلقاء نفسه أى من حذاء داعي نفسه و سواء السبيل وسط الطريق قال الشاعر

" حتى أغيب في سواء الملحد "

و ذاد شاته أو إبله

ص: ٣٨٦

عن الشيء ى يذودها ذودا أى حبسها عنه بمنعه منه قال سويد بن كراع

أبيت على باب القوافى كأنما أذود بها سرىا من الوحش نرعا

قال الفراء ولا يقال ذدت فى الناس و إنما يقال فى الإبل و الغنم و هذا ليس بشىء ى يدل عليه قول الكميت يصف بنى هاشم

ساده ذاده عن الخرد البيض إذا اليوم كان كالأيام

و الخطب الأمر الذى فيه تفخيم و منه الخطبه و الخطبه و الخطاب كل ذلك فى معنى العظم و ما خطبكما أى ما شأنكما قال
الراجز

" يا عجا ما خطبه و خطبى "

و الرعاء جمع راع و يجمع على الرعيان و الرعاء.

الإعراب

«تَلْقَاءَ» ظرف مكان «لا نَسْقَى» أى لا نسقى الغنم الماء فحذف مفعولاه لدلاله الكلام عليه و كذلك قوله «فَسَقَى لَهُمَا» و اللام فى قوله «لِما أَنْزَلْتَ» يتعلق بفقير «تَمْشَى» فى موضع نصب على الحال من جاءت و قوله «عَلَى اسْتِخْيَاءٍ» فى موضع الحال أيضا من «تَمْشَى» أى تمشى مستحيه و يجوز أن يكون حالا- بعد حال. قالت «إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ» الجملة يجوز أن يكون بدلا من قوله «فَجاءَتْهُ إِحْداهُما» و يجوز أن تكون فى موضع الحال بإضمار قد و العامل فيه جاءت أو تمشى.

المعنى

ثم بين سبحانه خروج موسى من مصر إلى مدين فقال «فَخَرَجَ مِنْها» أى من مدينه فرعون «خائِفاً» من أن يطلب فيقتل «يَتَرَقَّبُ» الطلب «قالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» قال ابن عباس خرج موسى متوجها نحو مدين و ليس له علم بالطريق إلا حسن ظنه بربه قال رب نجنى من فرعون و قومه و قيل أنه خرج بغير زاد و لا- ماء و لا- حذاء و لا- ظهر و كان لا- يأكل إلا من حشيش الصحراء حتى بلغ ماء مدين «وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدينَ» التوجه صرف الوجه إلى جهه من الجهات و قوله هذا المعنى يتوجه إلى كذا أى هو كالمطالب له يصرف وجهه إليه قال الزجاج معناه و لما سلك فى الطريق الذى يلقى مدين فيها و هى على مسيره ثمانيه أيام من مصر نحو ما بين البصره إلى الكوفه و لم يكن له علم بالطريق و لذلك

«قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ» أى يرشدنى قصد السبيل إلى مدين وقيل سواء السبيل وسطه المؤدى إلى النجاه لأن الأخذ يمينا و شمالا لا- يباعد عن طريق الصواب وقيل أنه لم يقصد موضعا بعينه ولكنه أخذ فى طريق مدين وقال عكرمه عرضت لموسى أربعة طرق فلم يدر أيتها يسلك و لذلك قال عند استواء الطرق له «عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ» فلما دعا ربه استجاب له و دله على الطريق المستقيم إلى مدين وقيل جاء ملك على فرس بيده عنزه فانطلق به إلى مدين وقيل أنه خرج حافيا و لم يصر إلى مدين حتى وقع خف قدميه عن سعيد بن جبير «وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ» و هو بئر كانت لهم «وَوَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّهُ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ» أى جماعه من الرعاه يسقون مواشيهم الماء من البئر «وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ» أى تحبسان و تمنعان غنمهما من الورود إلى الماء عن السدى و قيل تذودان الناس عن مواشيهما عن قتاده و قيل تكفان الغنم عن أن تختلط بأغنام الناس عن الحسن فترك ذكر الغنم اختصارا «قَالَ» موسى لهما «مَا خَطْبُكُمَا» أى ما شأنكما و ما لكما لا تسقيان مع الناس عن ابن إسحاق «قَالَتَا لَا نَسْقِي» عند المزاحمه مع الناس «حَتَّى يُصَدِّرَ الرَّعَاءُ» مر معناه أى حتى ينصرف الناس فإننا لا نطبق السقى فننتظر فضول الماء فإذا انصرف الناس سقينا مواشينا من فضول الحوض عن ابن عباس و قتاده «وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ» لا يقدر على أن يتولى السقى بنفسه من الكبر و لذلك احتجنا و نحن نساء أن نسقى الغنم و إنما قالتا ذلك تعريضا للطلب من موسى أن يعينهما على السقى و قيل إنما قالتا ذلك اعتذارا إلى موسى فى الخروج بغير محرم «فَسَقَى لَهُمَا» معناه فسقى موسى غنمها الماء لأجلهما و هو أنه زحم القوم عن الماء حتى أخرجهم عنه ثم سقى لهما عن ابن إسحاق و قيل رفع لأجلهما حجرا عن بئر كان لا يقدر على رفع ذلك الحجر عنها إلا- عشره رجال و سألهم أن يعطوه دلوفا فناولوه دلوفا و قالوا له انزح إن أمكنك و كان لا ينزحها إلا عشره فترجها وحده و سقى أغنامهما و لم يستق إلا ذنوبا واحدا حتى رويت الغنم «ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ» أى ثم انصرف إلى ظل سمره فجلس تحتها من شدة الحر و هو جائع «فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ» قال ابن عباس سأل نبي الله فلق خبز يقيم به صلبه و

قال أمير المؤمنين عليه أفضل الصلوات و الله ما سأله إلا خبزا يأكله

لأنه كان يأكل بقله الأرض لقد كانت خضره البقله ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله و تشذب لحمه قال الأخفش يقال فقير إليه و فقير له قال ابن إسحاق فرجعتا إلى أبيهما فى ساعه كانتا لا ترجعان فيها فأنكر شأنهما و سألهما فأخبرتا الخبر فقال

لإحداهما على به فرجعت الكبرى إلى موسى لتدعوه فذلك قوله «فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ» أى مستحييه معرضه عن عادة النساء الخفريات و قيل أراد باستحيائها أنها غطت وجهها بكم درعها عن عمر بن الخطاب و قيل هو بعدها من النداء عن الحسن قال فو الله ما كانت ولاجه ولا خراجه ولكنها كانت من الخفريات اللاتي لا يحسن المشى بين أيدي الرجال و الكلام معهم و قيل أراد أنها كانت تمشى عادله عن الطريق «قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرًا مَا سَمِعْتِ لَنَا» أى ليكافئك على سقيك لغنمنا و أكثر المفسرين على أن أباه شعيب (عليه السلام) و قال وهب و سعيد بن جبير هو يثرون ابن أخى شعيب و كان شعيب مات قبل ذلك بعد ما كف بصره و دفن بين المقام و زمزم و قيل يثروب و قيل هو اسم شعيب لأن شعيبا اسم عربى قال أبو حازم لما قالت «لِيَجْزِيَكَ أَجْرًا مَا سَمِعْتِ لَنَا» كره ذلك موسى و أراد أن لا يتبعها و لم يجد بدا من أن يتبعها لأنه كان فى أرض مسبعة و خوف فخرج معها و كانت الريح تضرب ثوبها فتصف لموسى عجزها فجعل موسى يعرض عنها مره و يغض مره فنادها يا أمه الله كوني خلفى و أرني السميت بقولك فلما دخل على شعيب إذا هو بالعشاء مهيبا فقال له شعيب اجلس يا شاب فتعش فقال له موسى أعوذ بالله قال شعيب و لم ذاك أ لست بجائع قال بلى و لكن أخاف أن يكون هذا عوضا لما سقيت لهما و أنا من أهل بيت لا- نبيع شيئا من عمل الآخرة بملك الأرض ذهابا فقال له شعيب لا و الله يا شاب و لكنها عادتي و عادة آبائي نقرى الضيف و نطعم الطعام قال فجعل موسى يأكل و ذلك قوله «فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ» أى فلما جاء موسى شعيبا و قص عليه أمره أجمع من قتل القبطى و أنهم يطلبونه ليقتلوه «قال» له شعيب «لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» يعنى فرعون و قومه فلا سلطان له بأرضنا و لسنا فى مملكته.

إشارة

قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٦) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلِينَ فَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٢٨) فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٢٩) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٣٠)

القراءة

قرأ عاصم أو جَذْوَةٍ بفتح الجيم وقرأ حمزه و خلف جَذْوَةٍ بضم الجيم و الباقون جَذْوَةٍ بالكسر و فى الشواذ قراءة الحسن أيما الأجلين بتخفيف الياء و سكونها.

الحج

فى الجذوة ثلاث لغات على حسب القراءات الثلاث و أما أيما فهى لغة قال الفرزدق:

تنظرت نسرا و السماكين أيهما على من الغيث استهلت مواطره.

اللغة

الجدوة القطعة الغليظة من الحطب فيها النار و جمعها جذى قال:

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار و لا دعر

و شاطئ الوادى جانبه و هو الشط و الجمع الشواطىء.

الإعراب

هاتين صفة لابنتى. «ثَمَانِيَةَ حِجَجٍ» ظرف زمان. «ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ» ذلك مبتدأ و خبره بينى و بينك و معناه ما شرطت على فلك و ما شرطت لى فلى كذلك الأمر بيننا عن الزجاج و أى فى معنى الجزاء و هى منصوبة بقضية و ما مزيدة مؤكده و جوابه «فَلَا عُدْوَانَ»

عَلَيَّ». «أَنْ يَا مُوسَى» أَنْ فِي مَوْضِعِ نَصَبٍ وَ هِيَ مَخْفَفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ تَقْدِيرُهُ نُوْدَى بِأَنَّهُ يَا مُوسَى وَ بِأَنَّهُ أَلْقَى عَصَاكَ.

المعنى

ثم ذكر سبحانه أمر موسى في مدين و انصرافه عنه فقال «قَالَتْ إِحْدَاهُمَا» أى إحدى ابنتيه و اسمها صفوره و هى التى تزوج بها و اسم الأخرى ليا و قيل إن اسم الكبرى صفراء و اسم الصغرى صفيراء «يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ» أى اتخذهُ أجيرا «إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ» أى خير من استعملت من قوى على العمل و أداء الأمانة قال عمر بن الخطاب لما قالت المرأة هذا قال شعيب و ما علمك بأمانته و قوته قالت أما قوته فلأنه رفع الحجر الذى لا يرفعه كذا و كذا و أما أمانته فإنه قال لى امشى خلفى فأنا أكره أن تصيب الريح ثيابك فتصف لى عجزك و قيل القوى فى نزع الحجر من البئر و كان لا يستطيعه إلا نفر. الأمين فى غض طرفه عنهما حين سقى لهما فصدرتا و قد عرفتا قوته و أمانته فلما ذكرت المرأة من حاله ما ذكرت زاده ذلك رغبه فيه «قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ» أى أزوجهك «إِحْدَى ابْنَتَيْ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرْنِي ثَمَانِي حِجَجٍ» أى على أن تكون أجيرا لى ثمانى سنين «فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ» أى ذلك تفضل منك و ليس بواجب عليك و قيل معناه على أن تجعل جزائى و ثوابى إياك على أن أنكحك إحدى ابنتى أن تعمل لى ثمانى سنين فزوجه ابنته بمهر و استأجره للرعى و لم يجعل ذلك مهرا و إنما شرط ذلك عليه و هذا على وفق مذهب أبى حنيفة و الأول أصح و أوفق لظاهر الآيه «وَ مَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ» فى هذه الثمانيه حجج و إن أكلفك خدمه سوى رعى الغنم و قيل و ما أشق عليك بأن آخذك بإتمام عشر سنين «سَيَتَّجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ» فى حسن الصحبه و الوفاء بالعهد و إنما علق الصلاح بمشيئه الله لأن مراده إن شاء الله تبقيتى فمن الجائز أن يخترمه الله و لا يفعل الصلاح الدينى الذى يريده و حكى يحيى بن سلام أنه جعل لموسى كل سخله توضع على خلاف شيه أمها فأوحى الله إلى موسى فى المنام أن ألق عصاك فى الماء ففعل فولدن كلهن على خلاف شيتهن و قيل أنه وعده أن يعطيه تلك السنه من نتاج غنمه كل أدرع و أنها نتجت كلها درعا و

روى الحسين بن سعيد عن صفوان بن يحيى عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال سئل أيتها التى قالت إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ قال التى تزوج بها قيل فأى الأجلين قضى قال أوفاهما و بعدهما عشر سنين قيل فدخل بها قبل أن يمضى الشرط أو بعد انقضائه قال قبل أن ينقضى قيل له فالرجل يتزوج المرأة و يشترط لأبيها إجاره شهرين أ يجوز ذلك قال إن موسى علم أنه

سيتم له شرطه قيل كيف قال علم أنه سيقى حتى يفى

«قال» موسى «ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ» أى ذلك الذى وصفت و شرطت على فللك و ما شرطت لى من تزويج إحداهما فلى و تم الكلام ثم قال «أَيُّمَا الْأَجَلَيْنِ» من الثمانى و العشر «قَضَيْتُ» أى أتممت و فرغت منه «فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ» أى لا ظلم على بأن أكلف أكثر منها و أطالب بالزيادة عليهما «وَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ» أى شهيد فيما بينى و بينك عن ابن عباس «فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ» أى أوفاهما

روى الواحدى بالإسناد عن ابن عباس قال سئل رسول الله ص أى الأجلين قضى موسى قال أوفاهما و أبطأهما

و

بالإسناد عن أبى ذر قال قال رسول الله ص إذا سألت أى الأجلين قضى موسى فقل خيرهما و أبرهما و إن سألت أى المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما و هى التى جاءت فقالت يا أبت استأجره

و قال وهب تزوج الكبرى منهما و فى الكلام حذف و إيجاز و هو فلما قضى موسى الأجل و تسلم زوجته ثم توجه نحو الشام «وَ سَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا» و قيل إنه لما زوجها منه أمر الشيخ أن يعطى موسى عصا يدفع السباع عن غنمه بها فأعطى العصا و قد ذكرنا حديث العصا فى سورة الأعراف و قيل خرج آدم بالعصا من الجنة فأخذها جبرائيل بعد موت آدم (عليه السلام) و كانت معه حتى لقى بها موسى ليلا فدفعها إليه عن عكرمه و قيل لم يزل الأنبياء يتوارثونها حتى وصلت إلى شعيب فأعطاه موسى و كانت عصا الأنبياء عنده و

روى عبد الله بن سنان قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول كانت عصا موسى قضيب آس من الجنة أتاه به جبرائيل ع لما توجه تلقاء مدين

و قال السدى كانت تلك العصا استودعها شعيبا ملك فى صوره رجل فأمر ابنته أن تأتية بعصا فدخلت و أخذت العصا فأتته بها فلما رآها الشيخ قال لا أتية بغيرها فألقته و أرادت أن تأخذ غيرها فكانت لا تقع فى يدها إلا هى فعلت ذلك مرارا فأعطاها موسى و قوله «وَ سَارَ بِأَهْلِهِ» قيل إنه مكث بعد انقضاء الأجل عند صهره عشرا أخرى فأقام عنده عشرين سنة ثم استأذنه فى العود إلى مصر ليزور والديه و أخاه فأذن له فسار بأهله عن مجاهد و قيل إنه لما قضى العشر سار بأهله أى بامراته و بأولاد الغنم التى كانت له و كانت قطيعا فأخذ على غير الطريق مخافه ملوك الشام و امرأته فى شهرها فسار فى البريه غير عارف بالطريق فألجأه المسير إلى جانب الطور الأيمن فى ليله مظلمه شديده البرد و أخذ امرأته الطلق و ضل الطريق و تفرقت ماشيته فأصابه المطر فبقى لا يدرى أين يتوجه فبينما هو كذلك آنس من جانب الطور نارا و

روى أبو بصير عن أبى جعفر (عليه السلام) قال لما قضى موسى الأجل و سار بأهله نحو بيت المقدس أخطأ الطريق ليلا فرأى نارا «قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا»

و قد مر تفسيره «لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ» أى بخبر من الطريق الذى أريد

قصده و هل أنا على صوبه أو منحرف عنه و قيل بخير من النار هل هي لخبر نانس به أو لشر نحذره «أَوْ جَذْوَهُ مِنَ النَّارِ» أى قطعه من النار و قيل بأصل شجره فيها نار «لَعَلَّكُمْ تَصِطَلُونَ» أى تستدفئون بها «فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ» أى نودى موسى من الجانب الأيمن للوادي «فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ» و هي البقعه التي قال الله تعالى فيها لموسى فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى و إنما كانت مباركه لأنها معدن الوحي و الرساله و كلام الله تعالى و قيل مباركه لكثرة الأشجار و الأثمار و الخير و النعم بها و الأول أصح «مِنَ الشَّجَرَةِ» إنما سمع موسى النداء و الكلام من الشجره لأن الله تعالى فعل الكلام فيها و جعل الشجره محل الكلام لأن الكلام عرض يحتاج إلى محل و علم موسى بالمعجز أن ذلك كلامه تعالى و هذه أعلى منازل الأنبياء أعنى أن يسمعوا كلام الله من غير واسطه و مبلغ و كان كلامه سبحانه «أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» أى أن المكلم لك هو الله مالك العالمين و خالق الخلائق أجمعين تعالى و تقدس عن أن يحل فى محل أو يكون فى مكان لأنه ليس بعرض و لا جسم.

إشارة

وَ أَنْ أَلْقِي عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (٣١) اسئلك يدك في جيبيك تخرج بيضاء من غير سوءٍ و اضمهم إليك جناحك من الرهب فذانك بزهانان من ربك إلى فرعون و ملائنه إنهم كانوا قوماً فاسقين (٣٢) قال رب إنني قتلت منهم نفساً فأخاف أن يقتلون (٣٣) و أخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي رداءً يصدقني إنني أخاف أن يكذبون (٣٤) قال سينشد عضدك بأخيك و نجعل لكما سيطاناً فلا يصلمون إليكما بآياتنا أنتما و من اتبعكما الغالبون (٣٥)

القراءة

قرأ أهل الحجاز و البصره من الرهب بفتح الراء و الهاء و قرأ حفص «مِنَ الرَّهْبِ» بفتح الراء و سكون الهاء و الباقون بضم الراء و سكون الهاء و قرأ أهل البصره و ابن كثير فذانك بالتشديد و الباقون بالتخفيف و قرأ أبو جعفر و نافع ردا بغير همزه و الباقون بالهمزه و قرأ عاصم و حمزه «يُصَدِّقُنِي» بالرفع و الباقون يصدقني بالجزم و في الشواذ قراءه الحسن عضدك.

الحج

الرهب و الرهب لغتان مثل الرشد و الرشد و الرهب مثل الشمع و الشمع و النهر و النهر و قوله «فَذَانِكَ» قد مضى القول فيه فيما تقدم و قال الزجاج التشديد تثنيه ذلك و التخفيف تثنيه ذاك و جعل بدل اللام في ذلك تشديد النون و من قرأ ردا فإنه خفف الهمزه و ذلك حكم الهمزه إذا خففتها و كان قبلها ساكن أن تحذف و تلقى حركتها على الساكن قبلها و من قرأ «يُصَدِّقُنِي» بالرفع جعله صفة للنكره و تقديره رداء مصدقا و من قرأ بالجزم كان على معنى الجزاء أى إن أرسلته يصدقني و في عضد خمس لغات عضد و عضد و عضد و عضد و أفصحها عضد مثل رجل.

الإعراب

قوله «إِلَى فِرْعَوْنَ» يتعلق بما يتعلق به من من قوله «بُزْهَانَانَ مِنْ رَبِّكَ» و يجوز أن يتعلق بمحذوف كما تقدم ذكره في قوله في تسع آيات. إلى فرعون و هارون عطف بيان. «رِءَاءً» نصب على الحال و الباء في قوله «بِآيَاتِنَا» يحتمل ثلاثة أوجه (أحدها) أن يتعلق بيصلون (و الثاني) أن يتعلق بنجعل (و الثالث) أن يتعلق بقوله «الْغَالِبُونَ».

المعنى

ثم بين سبحانه تمام قصه موسى (عليه السلام) فقال «وَ أَنْ أَلْقِي عَصَاكَ» إنما أعاد سبحانه هذه القصه و كررها في السور تقريرا للحججه على أهل الكتاب و استماله بهم إلى الحق و من أحب شيئا أحب ذكره و القوم كانوا يدعون محبه موسى و كل من ادعى اتباع سيده مال إلى من ذكره بالفضل على أن كل موضع من مواضع التكرار لا تخلو من زياده فائده و هاهنا حذف تقديره

فألحاه من يده فانقلبت بإذن الله تعالى ثعبانا عظيما تهتز كأنها جان في سرعه حركتها و شده اهتزازها «فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ» أى تتحرك «كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا» موسى «وَلَمْ يُعَقِّبْ» أى لم يرجع إلى ذلك الموضع فنودى «يا مُوسَى أَقْبِلْ وَ لَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْمَأْمُونِينَ» من ضررها و فى انقلاب العصا حيه دلالة على أن الجواهر متماثلة و أنها من جنس واحد لأنه لا حال أبعد إلى حال الحيوان من حال الخشب و ما جرى مجرى ذلك من الجماد فإذا صح قلب الخشب إلى حال الحيوان صح أيضا قلب الأبيض إلى حال الأسود

ص: ٣٩٤

«اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ» أى أدخلها فيه «تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ» أى من غير برص «وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ» أى ضم يديك إلى صدرك من الخوف فلا خوف عليك عن ابن عباس و مجاهد و المعنى أن الله تعالى أمره أن يضم يده إلى صدره فيذهب ما أصابه من الخوف عند معاينه الحيه و قيل أمره سبحانه بالعزم على ما أراده منه و حثه على الجِد فيهِ لئلا يمنعه الخوف الذى يغشاه فى بعض الأحوال مما أمره بالمضى فيه و ليس يريد بقوله اضْمُمْ يَدَكَ الضم المزيل للفرجه بين الشئيين عن أبى على الفارسي قال و هذا كما أن اشدد فى قوله

" اشدد حيازيمك للموت فإن الموت لا يقيك "

ليس يراد به الشد الذى هو الربط و المراد به تأهب للموت و استعداد للقاءه حتى لا تهاب لقاءه و لا تجزع من وقوعه و قد جاء ذكر اليدين فى مواضع يراد بهما جملة ذى اليد فمن ذلك قولهم ليبيك و الخير بين يديك و منه قوله تعالى بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ و فى المثل يداك أوكتا و فوك نفخ و إنما يقال هذا عند تفرغ الجملة و قال أبو عبيده جناحا الرجل يداه و قال غيره الجناح هنا العضد و يدل على قوله إن العضد قد تقام مقام الجملة فى مثل قوله «سَيَنْشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ» و قد جاء المفرد و يراد به التشبيه قال:

يداك يد إحداهما الجود كله و راحتك الأخرى طعان تغامره

المعنى يداك يدان بدلاله قوله إحداهما فعلى هذا يجوز أن يراد بالأفراد فى قوله «وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ» التشبيه و قيل أنه لما ألقى العصا و صارت حيه بسط يديه كالمتقى و هما جناحاه فليل له اضمم إليك جناحك أى ما بسطته من يديك و المعنى لا تبسط يديك خوف الحيه فإنك آمن من ضررها و يجوز أن يكون معناه أسكن و لا تخف فإن من هاله أمر أزعجه حتى كأنه يطيره و آله الطيران الجناح فكأنه (عليه السلام) قد بلغ نهاية الخوف فليل له ضم منشور جناحك من الخوف و أسكن و قيل معناه إذا هالك أمر يدك لما تبصر من شعاعها فاضممها إليك لتسكن «فَدَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ» معناه فاليد و العصا حجتان من ربك على نبوتك «إِلَى فِرْعَوْنَ وَ مَلَأْتِهِ» أى أرسلناك إلى فرعون و ملئه بهاتين الآيتين الباهرتين «إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ» أى خارجين من طاعة الله إلى أعظم المعاصى و هو الكفر «قَالَ» موسى «رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ» بتلك النفس «وَ أَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا» و إنما قال ذلك لعقده كانت فى لسانه و قد مر فيما مضى ذكر

سببها وقد كان الله تعالى أزال أكثرها أو جميعها بدعائه «فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا» أى معينا لى على تبليغ رسالتك يقال فلان ردى لفلان إذا كان ينصره و يشد ظهره «يُصَيِّدُ دُقْنِي إِيَّيْ أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ» أى مصدقا لى على ما أوديه من الرسالة و إن جزمته فالمعنى إنك أن ترسله معى يصدقنى و إنما كان سؤاله ذلك بعد أن أذن له فيه لأن الإنسان لا يعلم إن المصلحة فى إرسال نبي واحد أو اثنين إلا بالوحى و قال مقاتل معناه لكى يصدقنى فرعون «قَالَ سَيَنْشُدُ عَضُّ دَكَ بِأَخِيكَ» هذه استعاره رابعه و المعنى سنجعله رسولا- معكك و تؤيدك بأن نقرنه إليك فى النبوه و نصررك به «وَنَجْعَلُ لَكُمْ سُلْطَانًا» أى حجه و قوه و برهانا «فَلَا يَصِيحُونَ إِلَيْكُمْ بِآيَاتِنَا» أى لا يصل فرعون و قومه إلى الإضرار بكما بسبب ما نعطيكما من الآيات و ما يجرى على أيديكما من المعجزات فيخافكما فرعون و قومه لأجلها و قيل إن قوله «بِآيَاتِنَا» موضعه التقديم أى و نجعل لكما سلطانا بآياتنا فلا يصلون إليكما ثم أخبر أن الغلبه لهما عليهم فقال «أَنْتُمْ وَمَنْ اتَّبَعَكُمْ يَا غَالِيُونَ» على فرعون و قومه القاهرون لهم و هذه الغلبه غير السلطان فإن السلطان بالحجه و الغلبه بالقهر حين هلك فرعون و قومه و ملك موسى و قومه ديارهم و

روى عن أبى جعفر (عليه السلام) فى حديث طويل قال فلما رجع موسى (عليه السلام) إلى امرأته قالت من أين جئت قال من عند رب تلك النار قال فغدا إلى فرعون فوالله لكأنى أنظر إليه طويل الباع ذو شعر آدم عليه جبه من صوف عصاه فى كفه مربوط حقوه بشريط نعله من جلد حمار شراكها من ليف فقيل لفرعون أن على الباب فتى يزعم أنه رسول رب العالمين فقال فرعون لصاحب الأسد خل سلاسلها و كان إذا غضب على رجل خلاها فقطعته فخلاها فقرع موسى الباب الأول و كانت تسعه أبواب فلما قرع الباب الأول انفتحت له الأبواب التسعه فلما دخل جعلن تبصبصن تحت رجله كأنهن جراء فقال فرعون لجلسائه رأيتم مثل هذا قط فلما أقبل إليه فقال أَلَمْ تَرُبُّكَ فِينَا وَلَيْدًا إِلَى قَوْلِهِ وَ أَنَا مِنَ الضَّالِّينَ فقال فرعون لرجل من أصحابه قم فخذ بيده و قال للآخر اضرب عنقه فضرب جبرائيل بالسيف حتى قتل سته من أصحابه فقال خلوا عنه قال فأخرج يده فإذا هى بيضاء قد حال شعاعها بينه و بين وجهه فألقى العصا فإذا هى حيه فالتقت الأيوان بلحيها فدعاه إن يا موسى أقلنى إلى غد ثم كان من أمره ما كان.

إشارة

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرَىٰ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٣٦) وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٣٧) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَيْرُوحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٨) وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠)

وَاجْعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ (٤١) وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ (٤٢)

القراءة

قرأ ابن كثير قال موسى بغير واو وكذلك هو في مصاحف مكة والباقون «وَقَالَ» بالواو وقرأ نافع وأهل الكوفة غير عاصم من يكون بالياء والباقون بالتاء وقرأ أهل الكوفة غير عاصم ويعقوب لا يرجعون بفتح الياء والباقون بضم الياء وفتح الجيم.

الحجج

قال أبو علي قد مضى القول في نحو هذا فيما قبل وكذلك في نحو الياء والتاء من يكون وكلاهما حسن وكذلك قد مضى فيما تقدم القول في يرجعون ويرجعون.

اللغة

الصرح البناء العالی كالقصر وأصله من الظهور فالتصريح شدة ظهور المعنى قال الشاعر:

بهن نعام بناها الرجال تحسب أعلامهن الصروحا

و النبد الإلقاء و الطرح و الشىء منبوذ قال أبو الأسود:

نظرت إلى عنوانه فنبدته كنبذك نعلا أخلقت من نعالكا

و القبح الإبعاد قبحه الله أى أبعده يقبحه قبحا و يقال قبحه إذا جعله قبيحا و قيل قبحه فهو مقبوح أهلكه.

الإعراب

بيانات نصب على الحال. «ما سَمِعْنَا بِهَذَا» يحتمل أن تكون الباء زائده و يحتمل أن تكون على أصلها و قوله «بِغَيْرِ الْحَقِّ» الجار و المجرور فى موضع نصب على الحال و التقدير و استكبر هو و جنوده مبطلين. و يدعون صفه الأئمة. «وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ» ظرف لفعل يدل عليه قوله «مِنَ الْمُقْتَبِحِينَ» على تقدير قبحوا يوم القيامة لأن الصلته لا تعمل فيما قبل الموصول و الألف و اللام فى المقبوحين موصول و تقديره الذين قبحوا.

المعنى

ثم قال سبحانه «فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ» التقدير فمضى موسى إلى فرعون و قومه فلما جاءهم بآياتنا أى بحججنا البيئات و معجزاتنا الظاهرات «قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرٍ» أى مختلق مفتعل لم بين على أصل صحيح لأنه حيله توهم خلاف الحقيقة فوصفوا الآيات بالسحر و الاختلاف على هذا المعنى جهلا منهم و ذهابا عن الصواب «وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ» أى لم نسمع ما يدعيه و يدعو إليه فى آبائنا الذين كانوا قبلنا و إنما قالوا ذلك مع اشتهاار قصه نوح و هود و صالح و غيرهم من النبيين الذين دعوا إلى توحيد الله و إخلاص عبادته لأحد أمرين أما للفترة التى دخلت بين الوقتين و الزمان الطويل و أما لأن آباءهم ما صدقوا بشىء من ذلك و لا دانوا به فيكون المعنى ما سمعنا بآبائنا أنهم صدقوا الرسل فيما جاءوا به و وجه شبهتهم فى ذلك أنهم قالوا إنهم الكبراء فلو كان حقا لأدركوه فإنه لا يجوز أن يدرك الحق الأنقص فى الرأى و العقل و لا يدركه الأفضل فيهما و هذا غلط لأن ما طريقه الاستدلال لا يمتنع أن يصيبه الأدون فى الرأى إذا سلك طريقه و لا يصيبه الأكمل فى الرأى إذا لم يسلك طريقه «وَقَالَ مُوسَى» مجيبا لهم «رَبِّى أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ» و معناه ربي يعلم إنى جئت بهذه الآيات الداله على الهدى من عنده فهو شاهد لى على ذلك إن كذبتونى و يعلم أن العاقبه الحميده لنا

و لأهل الحق و الإنصاف و هذا كما يقال على سبيل المظاهره الله أعلم بالحق منا و المبطل و حجتى ظاهره فأكثرها إن قدرت على ذلك «إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ» أى لا- يفوز بالخير من ظلم نفسه و عصى ربه و كفر نعمه «وَقَالَ فِرْعَوْنُ» منكر لما أتى به موسى من آيات الله لما أعياه الجواب و عجز عن محاجته «يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ» يريد أشرف قومه «مَا عَلَّمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ» أى فأجج النار على الطين و اتخذ الآجر و قيل أنه أول من اتخذ الآجر و بنى به عن قتاده «فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا» أى قصرًا و بناءً عاليًا «لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى» أى أصعد إليه و أشرف عليه و أقف على حاله و هذا تلييس من فرعون و إيهاً على العوام أن الذى يدعو إليه موسى يجرى مجراه فى الحاجه إلى المكان و الجبهه «وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ» فى ادعائه إليها غيرى و أنه رسوله «وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ» أى رفع فرعون و جنوده أنفسهم فى الأرض فوق مقدارها بالباطل و الظلم و أنفوا و تعظموا عن قبول الحق فى اتباع موسى «وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِنلْنَا لَا يُرْجَعُونَ» أى أنكروا البعث و شكوا فيه «فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ» أى فعاقبناهم و طرحناهم فى البحر و أهلكناهم بالغرق و عنى باليم نيل مصر و قيل بحر من وراء مصر يقال له إساف غرقهم الله فيه «فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ» أى تفكر و تدبر و أنظر بعين قلبك كيف أخرجناهم من ديارهم و أغرقناهم «وَ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ» و هذا يحتاج إلى تأويل لأنه ظاهره يوجب أنه تعالى جعلهم أئمة يدعوون إلى النار كما جعل الأنبياء أئمة يدعوون إلى الجنة و هذا ما لا يقول به أحد فالمعنى أنه أخبر عن حالهم بذلك و حكم بأنهم كذلك و قد تحصل الإضافه على هذا الوجه بالتعارف و يجوز أن يكون أراد بذلك أنه لما أظهر حالهم على لسان أنبيائه حتى عرفوا فكأنه جعلهم كذلك و معنى دعائهم إلى النار أنهم يدعوون إلى الأفعال التى يستحق بها دخول النار من الكفر و المعاصى «وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ» أى لا ينصر بعضهم لبعض و لا ينصرهم غيرهم يوم القيامة كما كانوا يتناصرون فى الدنيا «وَ أَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً» أى أردفناهم لعنه بعد لعنه و هى البعد عن الرحمه و الخيرات و قيل معناه ألزمناهم اللعنه فى هذه الدنيا بأن أمرنا المؤمنين بلعنهم فلعنوهم عن أبى عبيده «وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ» أى من المهلكين عن الأخش و قيل من المشوهين فى الخلقه بسواد الوجوه و زرقه الأعين عن الكلبي عن ابن عباس و قيل من الممقوتين المفصوحين.

إشارة

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٣) وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ
الْعُرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٤٤) وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا فِي أَهْلِ
مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٤٥) وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحِمَهُ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَاهُمْ مِنْ
نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٦) وَلَوْ لَا أَنْ تَصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ
آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧)

فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَ
قَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ (٤٨) قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٩) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ
أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠)

القراءة

قرأ أهل الكوفة «سِحْرَانِ» بغير ألف و الباقون ساحران بالألف.

الحجج

قال أبو علي حجه من قرأ ساحران أنه قال تظاهرا و المظاهره المعاونه و فى التنزيل و إن تظاهرا عَلَيْهِ و المعاونه فى الحقيقه إنما
تكون للساحرين لا للسحرين و الوجه فى

قوله «سِحْرَانِ» أنه نسب المعاونه إلى السحرين على وجه الاتساع كان كل سحر منهما يقوى الآخر.

الإعراب

قال الزجاج قوله «بصائر» حال أى آتيناها الكتاب مبينا و أقول فيه أنه بدل من الكتاب فإن المعرفه يجوز أن تبدل منها النكره و البصائر فى معنى الحجج فلا يصح معنى الحال فيها إذا كان اسما محضا لا شائبه فيه للفعل و قوله «إِذْ قَضَيْنَا» ظرف للمحذوف الذى يتعلق به الباء فى قوله «بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ» و تتلو جملة منصوبه الموضع على الحال «وَلَكِنْ رَحْمَةً» رحمه منصوبه مفعول لها تقديره و لكننا أوحينا إليك رحمه أى للرحمه كما تقول فعلت ذلك ابتغاء الخير. «لَوْ لَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ» لو لا هذه هى التى معناها امتناع الشىء لوجود غيره و أن تصيبهم مبتدأ و جواب لو لا محذوف و تقديره لم يحتج إلى إرسال الرسل و لو لا الثانيه فى قوله «رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا» هى التى معناها التخصيص بمعنى هلا. «بِعَيْرِ هُدًى» الجار و المجرور فى موضع نصب على الحال.

المعنى

ثم ذكر سبحانه من أخبار موسى (عليه السلام) ما فيه دلالة على معجزه نبينا ص فقال «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ» يعنى التوراه «مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى» أى الجموع التى كانت قبله من الكفار مثل قوم نوح و عاد و ثمود و يجوز أن يريد بالقرون قوم فرعون لأنه سبحانه أعطاه التوراه بعد إهلاكهم بمده «بِصَائِرٍ لِلنَّاسِ» أى حججا و براهين للناس و عبرا يبصرون بها أمر دينهم و أدله يستدلون بها فى أحكام شريعتهم «وَهُدًى» أى دلالة لمن اتبعه يهتدى بها «وَرَحْمَةً» لمن آمن به «لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» أى يتعظون و يعتبرون و

جاءت الروايه بالإسناد عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ص قال ما أهلك الله قوما و لا قرنا و لا أمه و لا أهل قريه بعداب من السماء منذ أنزل التوراه على وجه الأرض غير أهل القريه التى مسخوا قرده أ لم تر أن الله تعالى قال «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى» الآية

«وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ» أى و ما كنت يا محمد حاضرا بجانب الجبل الغربى أى فى الجانب الغربى من الجبل الذى كلم الله فيه موسى عن قتاده و السدى و قيل بجانب الوادى الغربى عن ابن عباس و الكلبي «إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ» أى عهدنا إليه و أحكمنا الأمر معه بالرساله إلى فرعون و قومه و قيل معناه أخبرناه بأمرنا و نهينا و قيل أراد كلامه معه فى وصف نبينا ص و نبوته «وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ» أى الحاضرين لذلك الأمر و بذلك المكان فتخبر قومك عن مشاهدته و عيان و لكننا أخبرناك به ليكون معجزه لك «وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا

فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ» أى خلقنا قرنا بعد قرن فطال عهدهم بالمهلكين قبلهم و فتره النبوه فحملهم ذلك على الاغترار و أنكروا بعثه الله رسله لجهلهم بأمر الرسل فأرسلناك للناس رسولا و جعلناك رحمه للناس كما جعلنا موسى رحمه لا يتم الكلام إلا بهذا التقدير و قيل إن المعنى خلقنا خلقا كثيرا عهدنا إليهم فى نعتك و صفتك و أمرنا الأول بالإبلاغ للناس إلى الثانى فامتد بهم الزمان فنسوا عهدنا إليهم فيك «و ما كُنْتُ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا» معناه و ما كنت مقيما فى قوم شعيب تتلو عليهم آياتنا قال مقاتل معناه و لم تشهد أهل مدين فتقرأ على أهل مكه خبرهم «و لَكِنَّا كُنَّا مُرْسَلِينَ» أى أرسلناك إلى أهل مكه و أنزلنا عليك هذه الأخبار و لو لا ذلك لما علمتها قال الزجاج المعنى إنك لم تشاهد قصص الأنبياء و لا تليت عليك و لكننا أوحيناها إليك و قصصناها عليك حتى تخبر قومك بهذا فيدل ذلك على صحة نبوتك و قيل معناه إنك لم تشهد إحساننا إلى عبادنا فى إرسال الرسل و نصب الآيات و إنزال الكتب بالبينات و الهدى و هذا كما يقال لم تدر أى شىء كان هناك تفخيما للأمر و لو لا الوحي لما علمت من ذلك ما علمت و لم تهتد له «و ما كُنْتُ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا» أى و لم تك حاضرا بناحية الجبل الذى كلمنا عليه موسى و نادينا يا موسى خذ الكتاب بقوة و قيل أراد بذلك المره الثانيه التى كلم الله فيها موسى (عليه السلام) حين اختار من قومه سبعين رجلا ليسمعوا كلام الله تعالى «و لَكِنْ رَحِمَهُ مِنْ رَبِّكَ» أى و لكن الله تعالى أعلمك ذلك و عرفك إياه نعمه من ربك أنعم بها عليك و هو أن بعثك نبيا و اختارك لإيتاء العلم بذلك معجزه لك «لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ» أى لتنذر العرب الذين لم يأتهم رسول قبلك «لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» أى لكى يتفكروا و يعتبروا و ينزعوا عن المعاصى و فى هذا دلالة على وجوب فعل اللطف فإن الإنذار و الدعوه لطف من الله تعالى مؤثر فى القبول و مقرب منه «و لَوْ لَا أَنْ تَصِيَّبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَ نَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» معناه لو لا أن لهم أن يحتجوا لو أصابتهم عقوبه بأن يقولوا هلا أرسلت إلينا رسولا يدعونا إلى ما يجب الإيمان به فنتبع الرسول و نأخذ بشريعته و نصدق به لما أرسلنا الرسل و لكننا أرسلنا رسلا لقطع حجتهم و هو فى معنى قوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل و قيل إن جواب لو لا هاهنا لعجلنا لهم العقوبه و قيل المراد بالمصيبه هاهنا عذاب الاستئصال و قيل عذاب الدنيا و الآخره عن أبى مسلم «فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا» أى محمد ص و القرآن و الإسلام «قَالُوا لَوْ لَا أُوتِيَ» أى هلا أعطى محمد ص «مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى» من فلق البحر و اليد البيضاء و العصا و قيل معناه هلا أوتى كتابا جملة واحده و إنما قاله اليهود أو قريش بتعليم اليهود

فاحتج

الله عليهم بقوله «أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلِ» أى وقد كفروا بآيات موسى كما كفروا بآيات محمد ص «وَقَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا» يعنون التوراه و القرآن عن عكرمه الكلبى و مقاتل و من قرأ ساحران تظاهرا فمعناه أنهم قالوا تظاهر موسى و محمد ص عن ابن عباس «وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ» من التوراه و القرآن قال الكلبى و كانت مقالاتهم هذه حين بعثوا الرهط منهم إلى رءوس اليهود بالمدينه فى عيد لهم فسألوهم عن محمد ص فأخبروهم بنعته و صفته فى كتابهم التوراه فرجع الرهط إلى قريش فأخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك سحران تظاهرا «قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» معناه قل يا محمد لكفار قومك فأتوا بكتاب هو أهدى من التوراه و القرآن حتى أتبعه إن صدقتم إن التوراه و القرآن سحران و قيل معناه فأتوا بكتاب من عند الله يؤمن معه التكذيب أى لم يكذب به طائفه من الناس ثم قال لنيبه ص «فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ» أى فإن لم يأتوا بمثل التوراه و القرآن و قيل فإن لم يستجيبوا لك إلى الإيمان مع ظهور الحق «فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ» أى ما تميل إليه طباعهم لأن الهوى ميل الطبع إلى المشتهى قال الزجاج أى فاعلم إنما ركبه من الكفر لا حجه لهم فيه و إنما آثروا فيه الهوى ثم ذمهم فقال «وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ» أى لا أحد أضل ممن اتبع هواه بغير رشاد و لا بيان جاءه من الله «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» إلى طريق الجنه و قيل معناه لا يحكم الله بهدايتهم و قيل إنهم إذا لم يهتدوا بهدى الله فكأنه لم يهدهم.

إشارة

وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥١) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (٥٣) أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُؤْنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٥٤) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (٥٥)

اللغة

أصل التوصيل من وصل الحبال بعضها ببعض قال امرؤ القيس:

درير كخذروف الوليد أمره تتابع كفيه بخيط موصل

أى موصل بعضه ببعض و هو فى الكلام أن يصير بعضه يلى بعضا و الدرء الدفع.

النزول

نزل قوله «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ» و ما بعده فى عبد الله بن سلام و تميم الدارى و الجارود العبدى و سليمان الفارسى فإنهم لما أسلموا نزلت فيهم الآيات عن قتاده و قيل نزلت فى أربعين رجلا- من أهل الإنجيل كانوا مسلمين بالنبي ص قبل مبعثه اثنان و ثلاثون من الحبشه أقبلوا مع جعفر بن أبى طالب (عليه السلام) وقت قدومه و ثمانيه قدموا من الشام منهم بحيراء و أبرهه و الأشرف و عامر و أيمن و إدريس و نافع و تميم.

المعنى

ثم بين سبحانه صفه القرآن فقال «وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ» أى فصلنا لهم القول و بينا عن ابن عباس و معناه أتينا بآيه بعد آيه و بيان بعد بيان و أخبرناهم بأخبار الأنبياء و المهلكين من أممهم «لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» أى ليتذكروا و يتفكروا فيعلموا الحق يتعظوا «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ» أى من قبل محمد ص «هُمْ بِهِ» أى بمحمد ص «يُؤْمِنُونَ» لأنهم وجدوا نعتة فى التوراه و قيل معناه من قبل القرآن و هم بالقرآن يصدقون و المراد بالكتاب التوراه و الإنجيل يعنى الذين أتوا الكتاب «وَإِذَا يُتْلَى» القرآن «عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ» أى من قبل نزوله «مُسْلِمِينَ» به و ذلك أن ذكر النبي ص و القرآن كان مكتوبا عندهم فى التوراه و الإنجيل فهؤلاء لم يعاندوا ثم أثنى الله سبحانه عليهم فقال «أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا» مره بتمسكهم بدينهم حتى أدرکوا محمدا ص فآمنوا به و مره بإيمانهم به و قيل بما صبروا على الكتاب الأول و على الكتاب الثانى و إيمانهم بما فيهما عن قتاده و قيل بما صبروا على دينهم و على أذى الكفار و تحمل المشاق «وَيَدْرُؤْنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ» أى يدفعون بالحسن من الكلام الكلام

القيح الذى يسمونه من الكفار و قيل يدفعون بالمعروف المنكر عن سعيد بن جبير و قيل يدفعون بالحلم جهل الجاهل عن يحيى بن سلام و

معناه يدفعون بالمداراه مع الناس أذاهم عن أنفسهم و روى مثل ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام)

«وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ» مر معناه «وَ إِذَا سَجِعُوا اللَّعُونَ» أى السفه من الناس و القبيح من القول و الهزاء الذى لا فائده فيه «أَعْرَضُوا عَنْهُ» و لم يقابلوه بمثله «وَ قَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ» أى لا- نسأل نحن عن أعمالكم و لا تسألون عن أعمالنا بل كل منا يجازى على عمله و قيل معناه لنا ديننا و لكم دينكم و قيل لنا حلمنا و لكم سفهكم «سَيَلَامٌ عَلَيْكُمْ» أى أمان منا لكم أن نقابل لغوكم بمثله و قيل هى كلمه حلم و احتمال بين المؤمنين و الكافرين و قيل هى كلمه تحيه بين المؤمنين عن الحسن «لا- نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ» أى لا- نطلب مجالستهم و معاونتهم و إنما نبتغى الحكماء و العلماء و قيل معناه لا نريد أن نكون من أهل الجهل و السفه عن مقاتل و قيل لا نبتغى دين الجاهلين و لا نجبه عن الكلبي.

[سوره القصص (٢٨): الآيات ٥٦ الى ٦٠]

إشاره

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦) وَ قَالُوا إِنْ تَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُنَمِكنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧) وَ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فِتْلَكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَ كُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ (٥٨) وَ مَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رَسُولًا- يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَ مَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَ أَهْلُهَا ظَالِمُونَ (٥٩) وَ مَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ زِينَتُهَا وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَ أَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٠)

ص: ٤٠٥

القراءه

قرأ أهل المدينة و يعقوب و سهل تجبى بالتاء و الباقون بالياء و قرأ أبو عمرو «أَفَلَا تَعْقُلُونَ» بالياء و التاء كيف شئت و الباقون بالتاء.

الحجه

قال أبو على تأنيث ثمرات جمع و ليس بتأنيث حقيقى فيكون بمنزله الوعظ و الموعظه و الصوت و الصيحه إذا ذكرت جاز و إذا أنثت جاز و حجه من قرأ «أَفَلَا تَعْقُلُونَ» بالتاء قوله «وَمَا أُوتِيتُمْ» و الياء على أ فلا يعقلون يا محمد.

اللغه

التخطف أخذ الشىء على وجه الاستلاب من كل وجه يقال تخطفه تخطفًا و اختطفه اختطافًا و خطفه يخطفه خطفًا قال امرؤ القيس:

تخطف خزان الأنيعم بالضحي و قد حجرت منها ثعالب أورال

يجبى من جيبت الماء فى الحوض أى جمعته و الجاييه الحوض و البطر الطغيان عند النعمه قال ابن الأعرابى البطر سوء احتمال الغنى و قيل إن أصله من قولهم ذهب دمه بطرا أى باطلا عن الكسائى و قيل هو أن يتكبر عند الحق فلا يقبله.

الإعراب

«رِزْقًا» مصدر وضع موضع الحال تقديره يجبى إليه ثمرات كل شىء من رزقه و يجوز أن يكون مصدر فعل محذوف تقديره نرزق و يجوز أن يكون مصدرًا من معنى قوله «يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتٌ» لأنه فى معنى رزق فيكون مثل قولهم حمدته شكرًا و يجوز أن يكون مفعولًا له و قوله «مِنْ لَمَدْنَا» فى موضع نصب على الصفه لقوله «رِزْقًا» «وَكَمْ أَهْلَكْنَا» أى كثيرا من القرى أهلكتنا فكم فى موضع نصب بأهلكتنا و «مِنْ قَرْيَةٍ» فى موضع نصب على التمييز لأن كم الخبريه إذا فصل بينها و بين مميزها بكلام نصب كما ينصب كم الاستفهاميه معيشتها انتصب بقوله «بَطَرْتُ» و تقديره فى معيشتها فحذف الجار فأفضى الفعل. «فَتِلْكَ مَسَاكِينُهُمْ» مبتدأ و خبر.

لم تسكن فى موضع نصب على الحال و العامل فيه معنى الإشارة فى تلك قليلا صفه مصدر محذوف تقديره إلا سكونا قليلا أو صفه ظرف تقديره وقتا أو زمانا قليلا.

النزول

قيل نزل قوله «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ» فى أبى طالب فإن النبى ص كان يحب إسلامه فنزلت هذه الآية و كان يكره إسلام وحشى قاتل حمزه فنزل فيه يا عبادى الَّذِينَ

أَشِيرُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنُطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ الْآيَةَ فَلَمْ يَسْلَمْ أَبُو طَالِبٍ وَ أَسْلَمَ وَحَشَى وَ رَوَا ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ غَيْرِهِ وَ فِي هَذَا نَظَرٌ كَمَا تَرَى فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى لَا يَجُوزُ أَنْ يَخَالَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فِي إِرَادَتِهِ كَمَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَخَالَفَهُ فِي أَمْرِهِ وَ نَوَاهِيهِ وَ إِذَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَا زَعَمَ الْقَوْمُ لَمْ يَرِدْ إِيمَانُ أَبِي طَالِبٍ وَ أَرَادَ كَفْرَهُ وَ أَرَادَ النَّبِيَّ صَلَّى إِيمَانَهُ فَقَدْ حَصَلَ غَايَةُ الْخِلَافِ بَيْنَ إِرَادَتِي الرَّسُولِ صَلَّى وَ الْمُرْسَلِ فَكَأَنَّهُ سَبْحَانَهُ يَقُولُ عَلَى مَقْتَضَى اعْتِقَادِهِمْ إِنَّكَ يَا مُحَمَّدُ تَرِيدُ إِيمَانَهُ وَ لَا أُرِيدُ إِيمَانَهُ وَ لَا أَخْلُقُ فِيهِ الْإِيمَانَ مَعَ تَكْفُلِهِ بِنَصْرَتِكَ وَ بِذَلِكَ مَجْهُودُهُ فِي إِعَانَتِكَ وَ الذَّبِّ عَنْكَ وَ مَحَبَّتِهِ لَكَ وَ نِعْمَتِهِ عَلَيْكَ وَ تَكْرَهُ أَنْتَ إِيمَانَ وَحَشَى لِقَتْلِهِ عَمَّكَ حَمْزُهُ وَ أَنَا أُرِيدُ إِيمَانَهُ وَ أَخْلُقُ فِي قَلْبِهِ الْإِيمَانَ وَ فِي هَذَا مَا فِيهِ وَ قَدْ ذَكَرْنَا فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ عَ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ أَبَا طَالِبٍ مَاتَ مُسْلِمًا وَ تَظَاهَرَتِ الرَّوَايَاتُ بِذَلِكَ عَنْهُمْ وَ أوردنا هناك طرفا من أشعاره الداله على تصديقه للنبي ص و توحيده فإن استيفاء ذلك جميعه لا- تتسع له الطوامير و ما روى من ذلك في كتب المغازي و غيرها أكثر من أن يحصى يكشف فيها من كاشف النبي ص و يناضل عنه و يصحح نبوته و قال بعض الثقات إن قصائده في هذا المعنى التي تنفت في عقد السحر و تغبر في وجه شعراء الدهر يبلغ قدر مجلد و أكثر من هذا و لا- شك في أنه لم يختر تمام مجاهره الأعداء استصلاحا لهم و حسن تدبيره في دفع كيادهم لئلا يلجئوا الرسول إلى ما أَلجئوه إليه بعد موته.

المعنى

لما تقدم ذكر الرسول و القرآن و أنه أنزل هدى للخلق بين سبحانه أنه ليس عليه الاهتداء و إنما عليه البلاغ و الأداء فقال «إِنَّكَ» يا محمد «لَا تَهْدِي مَنْ أَحَبَبْتَ» هدايته و قيل من أحببته لقربته و المراد بالهدايه هنا اللطف الذي يختار عنده الإيمان فإنه لا يقدر عليه إلا الله تعالى لأنه إما أن يكون من فعله خاصه أو بإعلامه و لا يعلم ما يصلح المرء في دينه إلا الله تعالى فإن الهدايه التي هي الدعوه و البيان قد أضافها سبحانه إليه في قوله وَ إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَ قيل إن المراد بالهدايه في الآيه الإِجْبَارِ عَلَى الْإِهْتِدَاءِ أَيْ أَنْتَ لَا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ لَيْسَ عَلَيْكَ إِهْتِدَاؤُهُمْ وَ قَبُولُهُمُ الْحَقَّ «وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» بَلْطَفِهِ وَ قِيلَ عَلَى وَجْهِ الْإِجْبَارِ «وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» أَيْ الْقَابِلِينَ لِلْهُدَى فَيُدْبِرُ الْأُمُورَ عَلَى مَا يَعْلَمُهُ مِنْ صَلَاحِ الْعِبَادِ ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ حَاكِيًا عَنِ الْكُفَّارِ «وَ قَالُوا إِنْ تَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَنَا كَفَرْنَا وَ إِنْ نَجَّيْنَاكَ مِنَ الْهُدَى مَعَنَا كَفَرْنَا» أَيْ نَسْتَلْبِ مِنْ أَرْضِنَا يَعْنِي أَرْضِ مَكَّةَ وَ الْحَرَمَ وَ قِيلَ إِنَّمَا قَالَهُ الْحَرِثُ بْنُ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ فَإِنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ص إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ قَوْلَكَ حَقٌّ وَ لَكِنْ يَمْنَعُنَا أَنْ نَتَّبِعَ الْهُدَى مَعَكَ وَ نَوْ مِنْ بَكَ مَخَافَهُ أَنَّ يَتَخَفُنَا الْعَرَبُ مِنْ أَرْضِنَا وَ لَا طَاقَةَ لَنَا بِالْعَرَبِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ رَادًا

عليه هذا القول «أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا» أى أو لم نجعل لهم مكة فى أمن و أمان قبل هذا و دفعنا ضرر الناس عنهم حتى كانوا يأمنون فيه فكيف يخافون زواله الآن أفلا نقدر على دفع ضرر الناس عنهم لو آمنوا بل حاله الإيمان و الطاعة أولى بالأمن و السلامه من حاله الكفر «يُجِيبِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتٌ كُلِّ شَيْءٍ» أى تجمع إليه ثمرات كل أرض و بلد «رِزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا» أى إعطاء من عندنا جاريا عليهم «وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» ما أنعمنا به عليهم و قيل لا يعلمون الله و لا يعبدونه فيعلموا ما يفوتهم من الثواب «وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ» أى من أهل قريه «بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا» أى فى معيشتها بأن عرضت عن الشكر و تكبرت و المعنى أعطيناهم المعيشه الواسعه فلم يعرفوا حق النعمه و كفروا فأهلكناهم «فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسَيِّكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا» تلك إشاره إلى ما يعرفونه هم من ديار عاد و ثمود و قوم لوط أى صارت مساكنهم خاويه خاليه عن أهلها و هى قريه منكم فإن ديار عاد إنما كانت بالأحقاف و هو موضع بين اليمن و الشام و ديار ثمود بوادى القرى و ديار قوم لوط بسدوم و كانوا هم يمرون بهذه المواضع فى تجارتهم «وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ» أى المالكين لديارهم لم يخلفهم أحد فيها ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال «وَمَا كَانَ رَبُّكَ» يا محمد «مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِنَا رَسُولًا» قيل إن معنى أمها أم القرى و هى مكة و قيل يريد معظم القرى من سائر الدنيا «يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا» أى يقرأ عليهم حججنا و بيناتنا «وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَ أَهْلُهَا ظَالِمُونَ» لنفوسهم بالكفر و الطغيان و العتو و العصيان ثم خاطب سبحانه خلقه فقال «وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ» أى و ما أعطيتموه من شىء «فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ زِينَتُهَا» أى هو شىء ء تتمتعون به فى الحياه و تتزينون به «وَمَا عِنْدَ اللَّهِ» من الثواب و نعيم الآخره «خَيْرٌ» من هذه النعم «وَ أَبْقَى» لأنها فانيه و نعم الآخره باقيه «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» ذلك و تتفكرون فيه حتى تميزوا بين الباقي و الفانى.

إشارة

أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٤١) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٤٢) قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا هُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (٤٣) وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ (٤٤) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (٤٥)

فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ (٤٦)

اللغة

المتع المتع المنفعة و قد فرق بينهما بأن المتع منفعه توجب الالتذاذ في الحال و المنفعه قد تكون بالم تؤدي عاقبته إلى نفع فكل متع منفعه و ليس كل منفعه متع و الإحضار إيجاد ما به يكون الشىء بحيث يشاهد و الزعم القول في الأمر على ظن أو علم و لذلك دخل في باب علمت و أخواته قال.

فإن تزعميني كنت أجهل فيكم فإني شريت الحلم عندك بالجهل

. النزول

نزل قوله «أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ» الآية في رسول الله ص و أبي جهل و قيل نزل في حمزه بن عبد المطلب و على بن أبي طالب (عليه السلام) و في أبي جهل عن محمد بن كعب و السدى و قيل نزل في عمار و في الوليد بن المغيرة و الأولى أن يكون عاما فيمن يكون بهذه الصفة.

المعنى

لما تقدم ذكر ما أوتوا من زينة الحياة الدنيا عقبه سبحانه بالفرق بين من أوتى نعيم الدنيا و بين من أوتى نعيم الآخرة فقال «أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا» من ثواب الجنة و نعيمها جزاء على طاعته «فَهُوَ لَاقِيهِ» أى فهو واصل إليه و مدركه لا محاله «كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» من الأموال و غيرها «ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ» للجزاء و العقاب و قيل من المحضرين فى النار و المعنى أ يكون حال هذا كحال ذاك أى لا- يكون حالهما سواء لأن نعم الدنيا مشوبه بالغموم و تعرض الزوال و الفناء و نعم الآخرة خالصة صافية دائمة لا تتكدر بالشوب و لا تنقص بالانقضاء «وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ» أى و اذكر يوم ينادى الله الكفار و هو يوم القيامة و هذا نداء تفریع و تبكيت «فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ» أى كنتم تزعمون فى الدنيا أنهم شركاء فى الإلهية و تعبدونهم و تدعون أنهم ينفعونكم «قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ» أى حق عليهم الوعيد بالعذاب من الجن و الشياطين و الذين أغوا الخلق من الإنس «رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا» يعنون أتباعهم «أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا» أى أظللناهم عن

الدين بدعائنا إياهم إلى الضلال كما ضللنا نحن بأنفسنا «تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ» منهم و من أفعالهم قال الزجاج برى ء بعضهم من بعض و صاروا أعداء كما قال سبحانه الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ «ما كانوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ» أى لم يكونوا يعبدوننا بل كانوا يعبدون الشياطين الذين زينوا لهم عبادتنا و قيل معناه لم يعبدونا باستحقاق و حجه «وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ» أى و يقال للاتباع ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله و زعمتم أنهم شركائى لينصروكم و يدفعوا عنكم عذاب الله و إنما أضاف الشركاء إليهم لأنه لا يجوز أن يكون لله شريك و لكنهم كانوا يزعمون أنها شركاء لله بعبادتهم إياهم «فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ» أى فیدعونهم فلا يجيبونهم إلى ملتسمهم «وَرَأَوْا الْعَذَابَ» أى و يرون العذاب «لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ» جواب لو محذوف تقديره لو أنهم كانوا يهتدون لرأوا العذاب أى لا اعتقدوا أن العذاب حق و هذا القول أولى لدلاله الكلام على المحذوف «وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ» أى ما كان جوابكم لمن أرسل إليكم من النبيين و هذا سؤال تقرير بالذنب و هو نداء يجمع العلم و العمل معا فإن الرسل يدعون إلى العلم و العمل جميعا فكأنه قيل لهم ما ذا علمتم و ما ذا عملتم «فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ» أى فخفيت و اشتبهت عليهم طرق الجواب يومئذ فصاروا كالعمى لانسداد طرق الأخبار عليهم كما تنسد طرق الأرض على العمى و قيل معناه فالتبست عليهم الحجج عن مجاهد و سميت حججهم أنباء لأنها أخبار يخبر بها فهم لا يحتجون و لا ينطقون بحجه لأن الله تعالى أدحض حججهم و أكل ألسنتهم فسكتوا فذلك قوله «فَهُمْ لَا- يَتَسَاءَلُونَ» أى لا يسأل بعضهم بعضا عن الحجج و قيل لا يسأل بعضهم بعضا عن العذر الذى يعتذر به فى الجواب فلا يجيبون و قيل معناه لا يتساءلون بالأنساب القرابه كما فى الدنيا و قيل لا يسأل بعضهم بعضا عن حاله لشغله بنفسه عن الجبائى و قيل لا يسأل بعضهم بعضا أن حمل ذنوبه عنه عن الحسن.

إشارة

فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ (٦٧) وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٨) وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٦٩) وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٧٠)

المعنى

ثم ذكر سبحانه التائبين و رغب فى التوبه بعد التخويف فقال «فَأَمَّا مَنْ تَابَ» أى رجع عن المعاصى و الكفر «وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا» أى و أضاف إلى إيمانه الأعمال الصالحه «فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ» و إنما أتى بلفظه عسى مع أنه مقطوع بفلاحه لأنه على رجاء أن يدوم على ذلك فيفلح و قد يجوز أن يزل فيما بعد فيهلك على أنه قد قيل إن عسى من الله سبحانه لفظه و جوب فى جميع القرآن و لما كان المفلح مختار الله تعالى ذكر عقيبه أن الاختيار إلى الله تعالى و الخلق و الحكم له لكونه قادرا عالما على الكمال فقال «وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ» الخيره اسم من الاختيار أقيم مقام المصدر و الخيره اسم للمختار أيضا يقال محمد ص خيره الله من خلقه و يجوز التخفيف فيهما و اختلف فى الآيه و تقديرها على قولين (أحدهما) أن معناه و ربك يخلق ما يشاء من الخلق و يختار تدبير عباده على ما هو الأصلح لهم و يختار للرساله ما هو الأصلح لعباده ثم قال «ما كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ» أى ليس لهم الاختيار على الله بل لله الخيره عليهم و على هذا تكون ما نفيها و يكون الوقف على قوله «وَ يَخْتَارُ» و فيه رد على المشركين الذين قالوا لو لا نزلَ هذا القرآنَ على رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ فاختراروا الوليد بن المغيرة من مكة و عروه بن مسعود الثقفى من الطائف (و الآخر) أن يكون ما فى الآيه بمعنى الذى أى و يختار الذى كان لهم الخيره فيه فيكون الوقف على هذا عند قوله «ما كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ» و هذا أيضا فى معنى الأول لأن حقيقه المعنى فيهما أنه سبحانه يختار و إليه الاختيار ليس لمن دونه الاختيار لأن الاختيار يجب أن يكون على العلم بأحوال المختار و لا يعلم غيره سبحانه جميع أحوال المختار و لأن الاختيار هو أخذ الخير و كيف يأخذ الخير من الأشياء من لا يعلم الخير فيها «سُبْحَانَ اللَّهِ وَ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ» أى تقديس و تنزه عن أن يكون له شريك فى خلقه و اختياره ثم أقام سبحانه البرهان على صحه اختياره بقوله «وَ رَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَ مَا يُعْلِنُونَ» أى و ربك يعلم ما يخفونه و ما يظهره فإليه الاختيار و فى هذا دلالة على أن من لا يعلم السر و الجهر فلا اختيار إليه ثم أكد سبحانه ذلك بقوله «وَ هُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» لا يستحق العباده سواه «لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ» أى له الثناء المدح و التعظيم على ما أنعم به على خلقه فى الدنيا و العقبى «وَ لَهُ الْحُكْمُ» بينهم بما يميز به الحق من الباطل قال ابن عباس يحكم لأهل طاعته بالمغفره و الفضل و لأهل معصيته بالشقاء و الويل «وَ إِلَيْهِ» أى و إلى جزائه و حكمه «تُرْجَعُونَ».

إشاره

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيَاءٍ أَمْ فَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِاللَّيْلِ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَمْ فَلَا تُبْصِرُونَ (٧٢) وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٣) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٧٤) وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتُرُونَ (٧٥)

المعنى

ثم بين سبحانه ما يدل على توحيده فقال لنبيه ص «قُلْ» يا محمد لأهل مكة الذين عبدوا معي آلهه تنبيها لهم على خطاهم «أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا» أى دائما «إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» لا يكون معه نهار «مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيَاءٍ» كضياء النهار تبصرون فيه فإنهم لا يقدرون على الجواب عن ذلك إلا بأنه لا يقدر على ذلك سوى الله فحينئذ تلزمهم الحجة بأنه لا يستحق العباده غيره «أَمْ فَلَا تَسْمَعُونَ» أى أ فلا- تقبلون ما وعظمت به وقيل أ فلا تسمعون ما بينه الله لكم من أدلته و تتفكرون فيه «قُلْ» يا محمد لهم «أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا» أى دائما «إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» لا يكون معه ليل «مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِاللَّيْلِ تَسْكُنُونَ فِيهِ» أى تستريحون فيه من الحره و النصب «أَمْ فَلَا تُبْصِرُونَ» أى أ فلا تعلمون من البصيره وقيل أ فلا تشاهدون الليل و النهار و تتدبرون فيهما فتعلموا أنهما من صنع مدبر حكيم ثم قال «وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ» أى و من نعمته عليكم و إحسانه إليكم أن جعل لكم الليل و النهار «لِتَسْكُنُوا فِيهِ» أى فى الليل «وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ» أى فى النهار «وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» نعم الله فى تصريف الليل و النهار

و فى سائر أنواع النعم «و يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ» مضى تفسيره فإنما كرر ذكر النداء للمشركين بأين شركائى تقريرا لهم بعد تقرير و قيل لأن النداء الأول لتقرير إقرارهم على أنفسهم بالغى الذى كانوا عليه و دعوا إليه و الثانى للتعجيز عن إقامة البرهان على ما طولبوا به بحضرة الأشهاد «و نَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا» أى و أخرجنا من كل أمة من الأمم رسولها الذى يشهد عليهم بالتبليغ و بما كان منهم عن مجاهد و قتاده و قيل هم عدول الآخرة و لا يخلو كل زمان منهم يشهدون على الناس بما علموا «فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ» أى حججكم على صحنه ما ذهبتم إليه «فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ» أى فبهتوا و تحيروا لما لم يكن لهم حجه يقيمونها و علموا يقينا أن الحق ما أنتم عليه و ما أنزله الله و أن الحجه لله و لرسوله فلزمتهم الحجه لأن المشهود عليه إذا لم يأت بمخلص عن بينه الخصم توجهت القضية عليه و لزمه الحكم «و ضَلَّ عَنْهُمْ» أى ذهب عنهم «ما كانوا يفترون» من الكذب و بطل ما عبدوه من دون الله تعالى.

النظم

إنما اتصلت هذه الآيات بما قبلها بأنه جرى ذكر معبودى الكفار و أنهم لم يغنوا من الله شيئا فعقبه سبحانه بأن وصف نفسه بأنه المنعم المالك للنعمة و الضر و قيل لما تقدم أن الحمد لله سبحانه فى الدارين ذكر عقيب ما يوجب الحمد من النعم السابقه و قيل يتصل بقوله يَخْلُقُ ما يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ أى و يختار لعباده ما هو الأصلى لهم و الأنفع.

إشارة

إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبِ بِهِ أُولَى الْقَوْمِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَ أَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَمُدُو حَظٌّ عَظِيمٌ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ اللَّهُ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠)

فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِإِخْوَانِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانُوا لَهُ مِنْ فِتْنَةٍ يَنْصُرُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ مَا كَانُوا مِنَ الْمُؤْتَمِرِينَ (٨١) وَ أَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآنَنَّ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ لَوْ لَا أَنْ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَآنَنَّ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢)

القراءة

قرأ حفص عن عاصم و يعقوب و سهل «لَخَسَفَ» بفتح الخاء و السين و هو قراءة الحسن و الأعرج و شيبه و مجاهد و الباقون لخسف بضم الخاء و كسر السين و قرأ يعقوب ويكف يقف عليها ثم يبتدى فيقول أنه.

الحج

قال أبو علي من قرأ «لَخَسَفَ بِنَا» بفتح الخاء فلتقدم ذكر الله تعالى و من قرأ بضم الخاء فبنى الفعل للمفعول به فإنه يؤول إلى الأول في المعنى و قال ابن جنى فى ويكأنه ثلاثة أقوال منهم من جعلها كلمة واحده فلم يقف على وى و منهم من وقف على وى و منهم من قال ويكف و هو مذهب أبى الحسن و الوجه فيه عندنا هو قول الخليل و سيبويه و هو أن وى اسم سمي به الفعل فى الخبر فكأنه اسم أعجب ثم ابتداء فقال كأنه لا- يفلح الكافرون و كان الله يبسط الرزق فوى منفصله من كان و عليه بيت الكتاب.

سألناني الطلاق إن رأتنى قل مالى قد جئمانى بنكر

وى كان من يكن له نشب يحب و من يفتقر يعيش عيش ضر

و مما جاءت فيه كان عاريه من معنى التشبيه ما أنشده أبو علي:

كأننى حين أمسى لا تكلمنى متيم يشتهى ما ليس موجود

أى أنا حين أمسى متيم من حالى كذا و من قال إنها ويك فكأنه قال أعجب لأنه لا يفلح الكافرون و أعجب لأن الله ييسط الرزق و هو قول أبى الحسن و ينبغى أن يكون الكاف هنا حرف خطاب بمنزله الكاف فى ذلك و أولئك و يشهد لهذا قول عنتره:

لقد شفا نفسى و أذهب سقمها قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

و قول من قال ويكأنه كلمه واحده إنما يريد به أنه لا يفصل بعضه من بعض.

اللغة

البنى طلب العتو بغير حق و منه قيل لولاه الجور بغاه، و الكنز جمع المال بعضه على بعض و صار بالعرف عباره عما يخبأ تحت الأرض و لا يطلق فى الشرع اسم الكنز إلا على مال لا تخرج زكاته للوعيد الذى جاء فيه. و المفاتح جمع مفتاح و المفاتيح جمع مفتاح و معناهما واحد و هو عباره عما يفتح به الأخلاق. و ناء بحمله ينوء نوءا إذا نهض به مع ثقله عليه و منه أخذت الأنواء لأنها تنهض من المشرق على ثقل نهوضها و قال أبو زيد ناءنى الحمل إذا أثقلنى و العصبه الجماعه الملتف بعضها ببعض يقال ناءت المفاتيح بالعصبه و أناءت العصبه بمعنى كما يقال ذهبت به و أذهبتة فالباء و الهمز يتعاقبان فى تعدى الفعل قال سبحانه فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ أى جاء بها و قال أبو عبيده هذا من المقلوب و معنى قوله «لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ» تنوء العصبه بها كما قال الشاعر:

إن سراجا لكريم مفخره تجلى به العين إذا ما تجهره

و معناه يجلى بالعين فقلب و قال آخر:

كانت عقوبه ما جنيت كما كان الزناء عقوبه الرجم

قال امرؤ القيس:

ص: ٤١٥

يضىء الظلام وجهها لضجيعها كمصباح زيت فى قناديل ذبال

أى فى ذبال قناديل و هذا غير صحيح و لا- يجوز أن يحمل القرآن عليه لأنه يجرى مجرى الغلط من العرب و مثل ذلك فى شعرهم كثير قال:

غداه أحلت لابن صرمه طعنه حصين غبيطات السدايف و الخمر
و الغبيطات مفعوله و الطعنه فاعله فقلب و من أغلاطهم قول الراجز:

جاريه لم تعلم المرققا و لم تذق من البقول الفستقا

فظن الفستق من البقول فأما قول خداس بن زهير:

و تركت خيلا لا هواده بينها و تشقى الرماح بالضيا طره الحمر

فذهب كثير من العلماء إلى أن المعنى و تشقى الضيا طره الحمر بالرماح فقلب و ليس الأمر كذلك و إنما أراد أن رماحهم
تشرف عن هؤلاء الضيا طره فإذا طعنوا بها فقد شقيت الرماح لأن منزلتها أرفع من أن يطعنوا بها و قالوا أيضا فى قول زهير:

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم تنتج فتثم

أنه غلط فنسبه إلى عاد و إنما هو أحمر ثمود و هذا أيضا ليس بغلط فإن ثمود يسمى عادا الآخرة لقوله تعالى وَ أَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا
الأولى و قيل إنما سموا ثمود لأن الله تعالى أهلك عادا و بقيت منهم بقيه تناسلوا فهم ثمود و اشتق لهم هذا الاسم من الشمد و هو
الماء القليل لأنهم قلوا عن عدد عاد الأولى و إذا جاء فى الشعر ما يجرى مجرى الغلط فلا يجوز أن يحمل كلام الله تعالى عليه.

المعنى

«إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى» أى كان من بنى إسرائيل ثم

من سبط موسى و هو ابن خالته عن عطا عن ابن عباس و روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل كان

ص: ٤١٦

ابن عم موسى لِحا لأنه كان قارون بن يصهر بن فاهث و موسى بن عمران بن فاهث عن ابن جريج و قيل كان موسى ابن أخيه و قارون عمه عن محمد بن إسحاق «فَبَغَى عَلَيْهِمْ» أى استطال عليهم بكثره كنوزه عن قتاده قال و كان يسمى المنور لحسن صورته و لم يكن فى بنى إسرائيل أقرأ منه للتوراه و لكن عدو الله نافق كما نافق السامرى فبغى عليهم و قيل كان عاملا لفرعون على بنى إسرائيل فكان يبغى عليهم و يطالبهم لما كانوا بمصر عن سعيد بن المسيب و ابن عباس و قيل إنه زاد عليهم فى الثياب شبرا عن عطاء الخراسانى و شهر بن حوشب «وَ آتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ» قال عطا أصاب كنزا من كنوز يوسف «مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتُنُوءُ بِالْعَصْبَةِ أَوْلَى الْقُوَّةِ» ما هذه موصوله بمعنى و الذى و صلتها أن مع اسمها و خبرها أى أعطينا من الأموال المدخره قدر الذى ينى ء مفاتحه العصبه و المفاتيح هنا الخزائن فى قول أكثر المفسرين و هو اختيار الزجاج كما فى قوله سبحانه وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ فَيَكُونُ الْمُرَادُ بِمَفَاتِحِهِ خَزَائِنَ مَالِهِ وَ هُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ الْحَسَنِ وَ قِيلَ هِيَ الْمَفَاتِحُ الَّتِي تَفْتَحُ بِهَا الْأَبْوَابَ عَنِ قَتَادَةَ وَ مُجَاهِدٍ وَ رَوَى الْأَعْمَشُ عَنِ خَيْثَمَةَ قَالَ كَانَتْ مَفَاتِحَ قَارُونَ مِنْ جُلُودِ كُلِّ مِفْتَاحٍ مِثْلُ الْإِصْبَعِ وَ اخْتَلَفَ فِي مَعْنَى الْعَصْبَةِ فَقِيلَ مَا بَيْنَ عَشْرِهِ إِلَى خَمْسَةِ عَشْرِهِ عَنِ مُجَاهِدٍ وَ قِيلَ مَا بَيْنَ عَشْرِهِ إِلَى أَرْبَعِينَ عَنِ قَتَادَةَ وَ قِيلَ أَرْبَعُونَ رَجُلًا عَنِ أَبِي صَالِحٍ وَ قِيلَ مَا بَيْنَ الثَّلَاثَةِ إِلَى الْعَشْرِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ قِيلَ إِنَّهُمْ الْجَمَاعَةُ يَتَعَصَّبُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ «إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ» من بنى إسرائيل «لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ» أى لا تأشر و لا تفرح و لا تتكبر بسبب كنوزك إن الله لا يحب من كان بهذه الصفة و يدل على أن الفرح بمعنى البطر قول الشاعر.

و لست بمفراح إذا الدهر سرنى و لا جازع من صرفه المتقلب

و قول الآخر

(و لا أرخى من الفرح الإزارا)

«وَ ابْتِغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ» و هذا أيضا من مقاله المؤمنين من قوم قارون له و قيل إن المخاطب له بذلك موسى و إن ذكر بلفظ الجمع و معناه اطلب فيما أعطاك الله من الأموال الدار الآخرة بأن تنفقها فى سبيل الخير و وجوه الخير و البر «وَ لَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا» و هو أن تعمل فى الدنيا للآخرة عن أكثر المفسرين و معناه لا- تنس أن تعمل لآخرتك لأن حقيقه نصيب الإنسان من الدنيا الذى يعمل به لآخرته و

روى فى معناه عن على (عليه السلام) لا تنس صحتك و قوتك و فراغك و شبابك و نشاطك و غناك أن تطلب بها الآخرة

و قيل أمر أن يقدم الفضل و أن يمسك ما يغنيه عن الحسن و قيل معناه أنه كان قنورا شحيحا فقيل له كل و اشرب و استمتع بما آتاك الله من الوجه الذى أباحه الله لك فإن ذلك غير محظور عليك «وَ أَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ» أى أفضل على الناس

كما أفضل الله عليك و قيل أحسن فيما افترض الله عليك كما أحسن في إنعامه عليك عن يحيى بن سلام و قيل معناه و أحسن شكر الله تعالى على قدر إنعامه عليك و واس عباد الله بمالك «و لا تَبْغِ الْفَسَادَ» أى لا تطلب العمل «فى الأَرْضِ» بالمعاصى «إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ» ظاهر المعنى «قال» قارون «إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي» اختلف فى معناه فقيل أراد إنما أعطيت هذا المال بفضل و علم عندى ليس ذلك عندكم عن قتاده يعنى أنه قدر أن هذا ثواب من الله له لفضيلته كما أخبر سبحانه عن ذلك الكافر بقوله «و لَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا» و قيل معناه لرضا الله عنى و معرفته باستحقاقى عن ابن زيد و هذا قريب من الأول و قيل معناه إن المال حصل له على علم عندى بوجوه المكاسب و بما لا يتهبأ لأحد أن يكتسبه من التجارات و الزراعات و غيرها و قيل على علم عندى بصنعه الذهب و هو علم الكيمياء عن الكلبي و حكى أن موسى (عليه السلام) علم قارون الثلث من صنعه الكيمياء و علم يوشع الثلث منها و علم ابن هارون الثلث منها فخدعهما قارون حتى علم ما عندهما و عمل بالكيمياء فكثرت أمواله «أَوْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ» الكافر بنعمته «مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَ أَكْثَرُ جَمْعًا» كقوم عاد و ثمود و قوم لوط و غيرهم ثم بين سبحانه أن اغتراره بماله و عدده من الخطأ العظيم لأنه لا ينتفع بذلك عند نزول العذاب به كما أن من كانوا أقوى و أغنى منه لم تغن أموالهم إشغالهم عنهم شيئاً عند ذلك «و لا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ» قال قتاده يعنى أنهم يدخلون النار بغير حساب و قال قتاده إن الملائكة تعرفهم بسيماهم فلا يسألون عنهم لعلامتهم و يأخذونهم بالنواصي و الأقدام فيصرونهم إلى النار و هذا كقوله «فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَ لا جَانٌّ وَ أما قوله فَو رَبِّكَ لَنَسِئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ فإنما ذلك سؤال تفریع و توييح لا يعلم ذلك من قبلهم عن الحسن «فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ» أى خرج قارون على بنى إسرائيل «فى زِينَتِهِ» التى كان يتزين بها و حشمه و تبعه و قيل إنه خرج فى أربعة آلاف دابة عليها أربعة آلاف فارس عليهم و على دوابهم الأرجوان عن قتاده و الأرجوان فى اللغه صبغ أحمر و قيل خرج فى جوار بيض على سرج من ذهب على قطف أرجوان على بغال بيض عليهن ثياب حمر و حلى من ذهب عن السدى و قيل خرج فى سبعين ألفاً عليهم المعصفرات «قال الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» من الكفار و المنافقين و ضعيفى الإيمان بما للمؤمنين عند الله من ثواب الجنة لما رأوه فى تلك الزينه و الجمال «يا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَمُدُو حَظًّا عَظِيمًا» أى ذو نصيب وافر من الدنيا و المعنى أنهم تمنوا مثل منزلته و مثل ماله «و قال الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» و هم المصدقون بوعد الله المؤمنون لهم «وَيَلْكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا» مما أوتى قارون و حذف لدلاله الكلام عليه «و لا يَلْقَاهَا إِلَّا

الصَّابِرُونَ» أى ولا يلقى مثل هذه الكلمه ولا يوفق لها إلا الصابرون على أمر الله وقيل معناه ولا يعطاها يعنى الجنه فى الآخره و دل عليها قوله «ثَوَابُ اللَّهِ». «إِلَّا الصَّابِرُونَ» على طاعه الله و عن زينه الدنيا عن الكلبي «فَحَسِبْنَا بِهِ وَ بَدَارِهِ الْأَرْضَ» قال السدى دعا قارون امرأه من بنى إسرائيل بغيا فقال لها إني أعطيك ألفين على أن تجيىء غدا إذا اجتمعت بنو إسرائيل عندي فتقولى يا معشر بنى إسرائيل ما لى و لموسى قد آذانى قالت نعم فأعطاها خريطتين عليهما خاتمه فلما جاءت بيتها ندمت و قالت يا ويلتى قد عملت كل فاحشه فما بقى إلا أن أفتري على نبي الله فلما أصبحت أقبلت و معها الخريطتان حتى قامت بين بنى إسرائيل فقالت إن قارون قد أعطانى هاتين الخريطتين على أن آتى جماعتكم فأزعم أن موسى يراودنى عن نفسى و معاذ الله أن أفتري على نبي الله و هذه دراهمه عليها خاتمه فعرف بنو إسرائيل خاتم قارون فغضب موسى فدعا الله عليه فأوحى الله إليه إني أمرت الأرض أن تطيعك و سلطتها عليه فمرها فقال موسى يا أرض خذيه و هو على سريره و فرشه فأخذته حتى غيبت سريره فلما رأى قارون ذلك ناشده الرحم فقال خذيه فأخذته حتى غيبت قدميه ثم أخذته حتى غيبت ركبتيه ثم أخذته حتى غيبت حقويه و هو يناشده الرحم فأخذته حتى غيبتة فأوحى الله إليه يا موسى ناشدك الرحم و استغاثك فأبيت أن تغيبته لو إباى دعا و استغاثنى لأغثته قال مقاتل و لما أمر موسى الأرض فابتلعتة قال بنو إسرائيل إنما فعل ذلك موسى ليرث ماله لأنه كان ابن عمه فحسب بداره و بجميع أمواله بعده بثلاثة أيام فلم يقدر على ماله بعده أبدا «فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِتْنَةٍ يَنْصِيرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ» أى فما كان له من جماعه منقطعه إليه يدفعون عنه عذاب الله تعالى الذى نزل به و إنما قال سبحانه ذلك لأنه كان يقدر مع نفسه الامتناع بحاشيته و جنوده «وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ» بنفسه لنفسه «وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ» حين خرج عليهم فى زينته «يَقُولُونَ وَيَكْفُرُونَ بِاللَّهِ يَسْبِطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ» و هذه كلمه ندم و اعتراف و قد بينا أن عند الخليل و سيبويه لفظه وى مفصوله من كان و إن وقعت فى المصحف موصوله يقول القائل إذا تبين له الخطأ وى كنت على خطأ و قال الفراء أصله ويلك فحذفت اللام و جعلت أن مفتوحه فى موضع نصب بفعل مضممر كأنه قال اعلم أن الله تعالى قال و حدثنى شيخ من أهل البصره قال سمعت أعرابيه تقول لزوجها أين ابنك ويلك فقال لها ويك أنه وراء البيت قال معناه أ ما ترينه وراء البيت و قيل معناه أ لا كان و أ ما كان و قال الكسائى ويكأن فى التأويل ذلك أن الله و هو قول ابن عباس أى قالوا ذلك أن الله يبسط الرزق لمن يشاء لا لكرامته كما بسط لقارون و يقدر أن يضيق على من يشاء لا لهوان لكن بحسب المصلحه و قال مجاهد و قتاده ويكأن معناه أ لم تعلم «لَوْ لَا أَنْ مَنْ اللَّهُ

عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا» أى لو لا أنه أنعم علينا بنعمه فلم يعطنا ما أعطى قارون لخسف بنا كما خسف به و قيل معناه لو أن الله تعالى من علينا بالتجاوز عما تمنينا لخسف بنا لما تمنينا منزله قارون «وَيُكَانَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ» أى لا يفوز بثواب الله و ينجو من عقابه الجاحدون لنعمه العابدون معه سواه.

النظم

إنما اتصلت قصه قارون بما قبلها من قوله «نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى الَّذِي وَعَدْنَا تِلَاوَتَهُ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ قِصَّةَ قَارُونَ مَعَهُ وَ قِيلَ اتَّصَلَ بِقَوْلِهِ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَ أُبْقَى فَأَكَّدَ سُبْحَانَهُ ذَلِكَ بِحَدِيثِ قَارُونَ وَ حَالِهِ وَ قِيلَ إِنَّهُ لَمَّا تَقَدَّمَ خِزْيَ الْكُفَّارِ وَ افْتِضَاحَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَكَرَ عَقِيبَهُ أَنَّ قَارُونَ مِنْ جَمَلَتِهِمْ وَ أَنَّهُ يَفْتَضِحُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا افْتَضَحَ فِي الدُّنْيَا.

[سوره القصص (٢٨): الآيات ٨٣ الى ٨٨]

اشاره

تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَ مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا- يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٤) إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٨٥) وَ مَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ (٨٦) وَ لَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَ ادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَ لَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٨٧)

وَ لَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٨)

قيل لما نزل النبي ص بالجحفة في مسيره إلى المدينة لما هاجر إليها اشتاق إلى مكة فأتاه جبرائيل (عليه السلام) فقال أ تشتاق إلى بلدك و مولدك فقال نعم قال جبرائيل فإن الله يقول «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ» يعني مكة ظاهرا عليها فنزلت الآية بالجحفة و ليست بمكيه و لا مدنيه و سميت مكة معادا لعوده إليها عن ابن عباس.

المعنى

«تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ» يعنى الجنة «نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ» أى تجبرا و تكبرا على عباد الله و استكبارا عن عباده الله «وَلَا فَسَادًا» أى عملا بالمعاصى عن ابن جريج و مقاتل و

روى زاذان عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه كان يمشى فى الأسواق وحده و هو دال يرشد الضال و يعين الضعيف و يمر بالبياع و البقال فيفتح عليه القرآن و يقرأ «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا» و يقول نزلت هذه الآية فى أهل العدل و المواضع من الولاة و أهل القدره من سائر الناس

و

روى أبو سلام الأعرج عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أيضا قال إن الرجل ليعجبه شراك نعله فيدخل فى هذه الآية «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ» الآية

يعنى أن من تكبر على غيره بلباس يعجبه فهو ممن يريد علوا فى الأرض قال الكلبي يعنى بقوله «فَسَادًا» الدعاء إلى عباده غير الله و قال عكرمه هو أخذ المال بغير حق «وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» أى و العاقبه الجميله المحموده من الفوز بالثواب للذين اتقوا الشرك و المعاصى و قيل معناه الجنة لمن اتقى عقاب الله بأداء فرائضه و اجتناب معاصيه «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا» مضى تفسيره «وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أى لا يزداد فى عقابهم على قدر استحقاقهم بخلاف الزيادة فى الفضل على الثواب المستحق فإنه يكون تفضلا فهو مثل قوله «مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا» «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ» خطاب للنبي ص و المعنى أن الذى أوجب عليك الامتثال بما تضمنه القرآن و أنزله عليك «لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ» أى يردك إلى مكة عن ابن عباس و مجاهد و الجبائى و على هذا فيكون فى الآية دلالة على صحه النبوه لأنه أخبر به من غير شرط و لا-استثناء و جاء المخبر مطابقا للخبر قال القتيبي معاد الرجل بلده لأنه يتصرف فى البلاد ثم يعود إليه و قيل «إلى مَعَادٍ» إلى الموت عن ابن عباس فى روايه أخرى و عن أبى سعيد الخدرى قيل إلى المرجع يوم القيامة أى يعيدك بعد الموت كما بدأك عن الحسن و الزهرى و عكرمه و أبى مسلم و قيل إلى الجنة عن مجاهد و أبى صالح فالمعنى أنه مميتك و باعشك و مدخلك الجنة و الظاهر يقتضى أنه العود إلى مكة لأن ظاهر العود يقتضى ابتداء ثم عودا إليه على أنه يجوز أن يقال الجنة معاد و إن لم يتقدم له فيها كون كما قال سبحانه فى الكفار ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى

الْجَحِيمِ ثم ابتداءً سبحانه كلاماً آخر فقال «قُلْ» يا محمد «رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى» الذي يستحق به الثواب «وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» أى ومن لم يجىء بالهدى و ضل عنه أى لا يخفى عليه المؤمن و الكافر و من هو على الهدى و من هو ضال عنه و تأويله قل ربي يعلم أنى جئت بالهدى من عنده و إنكم فى ضلال سينصرنى عليكم ثم ذكر نعمه فقال «وَمَا كُنْتُمْ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكُمُ الْكِتَابُ» أى و ما كنت يا محمد ترجو فيما مضى أن يوحى الله إليك و يشرفك بإنزال القرآن عليك «إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ» قال الفراء هذا من الاستثناء المنقطع و معناه إلا أن ربك رحمك و أنعم به عليك و أراد بك الخير كذلك ينعم عليك بردك إلى مكة فاعرف هذه النعم و قيل معناه و ما كنت ترجو أن تعلم كتب الأولين و قصصهم تتلوها على أهل مكة و لم تشهدوها و لم تحضرها بدلاله قوله «وَمَا كُنْتُمْ تَأْوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا» أى أنك تتلو على أهل مكة قصص مدين و موسى و لم تكن هناك تاويا مقيما و كذلك قوله «وَمَا كُنْتُمْ بِجَانِبِ الْغُرْبِيِّ» و أنت تتلو قصصهم و أمرهم فهذه رحمه من ربك «فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ» أى معينا لهم و فى هذا دلالة على وجوب معاداة أهل الباطل و فى هذه الآية و ما بعدها و إن كان الخطاب للنبي ص فالمراد غيره و قد روى عن ابن عباس أنه كان يقول القرآن كله إياك أعنى و اسمعى يا جاره «وَلَا يَصُدُّنَكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعِيدَ إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ» أى و لا يمنعك هؤلاء الكفار عن اتباع آيات الله التى هى القرآن و الدين بعد إذ نزلت إليك تعظيما لذكرك و تفخيما لشأنك «وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ» أى إلى طاعه ربك الذى خلقك و أنعم عليك و إلى توحيده «وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» أى لا تمل إليهم و لا ترض بطريقتهم و لا توال أحدا منهم «وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ» أى لا تعبد معه غيره و لا تستدع حوائجك من جهة ما سواه «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» أى لا معبود إلا هو وحده لا شريك له «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» أى كل شىء فإن بائد إلا ذاته و هذا كما يقال هذا وجه الرأى و وجه الطريق و هذا معنى قول مجاهد «إِلَّا هُوَ» و فى هذا دلالة على أن الأجسام تفتنى ثم تعاد على ما قاله الشيوخ فى الفناء و الإعادة و قيل معناه كل شىء هالك إلا ما أريد به وجهه فإن ذلك يبقى ثوابه عن عطا و ابن عباس و عن أبى العالى و الكلبي و هو اختيار الفراء و أنشد:

أستغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد إليه الوجه و العمل

أى إليه أوجه العمل و على هذا يكون وجه الله ما وجه إليه من الأعمال «لَهُ الْحُكْمُ» أى له القضاء النافذ فى خلقه و قيل له الفصل بين الخلائق فى الآخرة دون غيره «وَأِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» أى تردون فى الآخرة فيجازيكم بأعمالكم.

اتصل قوله تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ الْآيَةَ بما قبله على معنى أنه سبحانه كما حرم نعم الدنيا عليهم بالهلاك كذلك يحرم عليهم نعم الآخرة و أما وجه اتصال قوله إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ الْآيَةَ بما قبله فقد ذكر فيه من حمل المعاد على البعث أنه اتصل بقوله تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ و من حمله على العود إلى مكة قال إنه لما بين سبحانه وعده لأم موسى رد موسى عليها مع شرف النبوه كذلك وعده ربه العوده إلى مكة مع الشرف العظيم وقد أنجز وعده كما أنجز وعده هناك و يكون معنى الكلام أن الذى أنزل القرآن بذلك الوعد سينجز هذا الوعد و اتصل قوله قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ أَمْرُهُ بِأَنْ يَقُولَ لَهُمْ رَبِّي أَعْلَمُ بِالصَّادِقِ وَالْكَاذِبِ لَا يَلْتَبِسُ عَلَيْهِ شَيْءٌ .

سرشناسه: طبرسی، فضل بن حسن، ۴۶۸ - ۵۴۸ ق.

عنوان و نام پدیدآور: مجمع البیان فی تفسیر القرآن

تالیف ابوعلی الفضل بن الحسن الطبرسی

مصصح: هاشم رسولی

مصصح: فضل الله یزدی طباطبایی

مشخصات نشر: دارالمعرفه - بیروت - لبنان

مشخصات ظاهری: ۱۰ ج.

یادداشت: عربی

موضوع: تفاسیر شیعه -- قرن ۶ ق.

ص: ۱

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ٢

مجمع البيان في تفسير القرآن

تأليف ابوعلی الفضل بن الحسن الطبرسی

مصحح: هاشم رسولی

مصحح: فضل الله یزدی طباطبایی

ص: ۳

(٢٩) سورة العنكبوت مكيه و آياتها تسع و ستون (٦٩)

اشاره

[توضيح]

مكيه كلها فى قول عكرمه و عطاء و الكلبي و مدنيه فى أحد القولين عن ابن عباس و قتاده و مكيه إلا عشر آيات من أولها فإنها مدنيه عن الحسن و فى أحد القولين عن ابن عباس و هو عن يحيى بن سلام.

عدد آياتها

تسع و ستون آيه بالإجماع

اختلافها

ثلاث آيات «الم» كوفى و «تَقَطُّعُونَ السَّبِيلَ» حجازى «مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» بصرى شامى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين و المنافقين و

روى أبو بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) من قرأ سورة العنكبوت و الروم فى شهر رمضان ليله ثلاث و عشرين فهو و الله يا أبا محمد من أهل الجنة لا أستثنى فيه أبدا و لا أخاف أن يكتب الله على فى يمينى إثما و أن لهاتين السورتين من الله مكانا.

تفسيرها

ختم الله سبحانه سورة القصص بذكر الوعد و الوعيد و افتتح هذه السوره بذكر تكليف العبيد فقال

[سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ١ الى ٥]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم (١) أ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٤)

مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٥)

ص: ٤

قرأ على (عليه السلام) فليعلمن الذين صدقوا و ليعلمن الكاذبين بضم الياء و كسر اللام فيهما و هو المروى عن جعفر ابن محمد و محمد بن عبد الله بن الحسن و وافقهم الزهرى فى و ليعلمن الكاذبين و قرأ أيضا و ليعلمن المنافقين.

الحجه

معناه ليعرفن الناس من هم فحذف المفعول الأول كما قال سبحانه يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئَانِهِمْ و قال يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ و قال وَ نَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا و يجوز أن يكون من قولهم ثوب معلم و فارس معلم بالكسر إذا أعلم نفسه فى الحرب فيكون معناه و ليشهرن فيرجع إلى المعنى الأول لأنه على تقدير حذف المفعول و يجوز أن يكون على حذف المفعول الثانى أى و ليعلمن الصادقين ثواب صدقهم و الكاذبين عقاب كذبهم.

الإعراب

قال الزجاج موضع أن الأولى نصب باسم حسب و خبره و موضع أن الثانى نصب من جهتين أجودهما أن تكون منصوبه بتركوا فيكون المعنى أ حسب الناس أن يتركوا لأن يقولوا أو بأن يقولوا فلما حذف حرف الخفض وصل يتركوا إلى أن فنصب و يجوز أن تكون أن الثانى العامل فيها حسب أى حسب الناس أن يقولوا آمننا و هم لا- يفتنون قال أبو على أما ما ذكره من أنه نصب بتركوا فإنه بين السقوط لأن ترك فعل يتعدى إلى مفعول واحد فإذا بنى للمفعول لم يتعد إلى آخر فإن يقولوا لا يتعلق به و لا يتعدى إليه حتى يقدر حرف ثم يقدر الحذف فيصل الفعل و أما ما ذكره من انتصابه فلا يخلو إذا قدر انتصابه به من أن يكون مفعولا أولا أو ثانيا أو صفه أو بدلا فلا يكون مفعولا أولا لتعديه إلى المفعول الذى قبله و هو الترك و لا يجوز أن يكون مفعولا ثانيا من وجهين (أحدهما) أن باب ظننت و أخواته إذا تعدى إلى هذا الضرب من المفعول لم يتعد إلى مفعول ثان ظاهر فى اللفظ (و الآخر) أن المفعول الثانى هو الأول فى المعنى و ليس القول الترك و لا يكون أيضا بدلا لأنه ليس الأول و لا بعضه مشتملا عليه و لا يكون أيضا صفه لأن أن الثانى لحسب و عمله فيها لا يخلو مما ذكرناه فإذا لم يستقم

حملة على شىء مما ذكرناه تبينت موضع إغفاله فى المسأله و أقول و بالله التوفيق إن البدل هنا صحيح فإنه إذا قال أ حسبوا أن يقولوا آمنوا و هم لا- يفتنون و قوله «وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ» جملة فى موضع الحال فكأنه قال أ حسبوا أن يدعو الإيمان غير مختبرين ممتحنين بمشاق التكليف فيكون التقدير فى معنى الآيه أ حسبوا أن يتركوا أ حسبوا أن يهملوا و لا شك أن الإهمال فى معنى الترك فيكون الثانى فى معنى الأول بعينه و أما الوجه الأول فإنك لو قدرت اللام فقلت لأن يقولوا أو الباء فقلت بأن يقولوا فلا شك أن الحرف يتعلق بتركوا فإن الجار و المجرور فى موضع نصب به فتساهل الزجاج فى العبارة عن المجرور بأنه منصوب و قوله «سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» ما هذه يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون اسما مفردا نكرة فى موضع النصب على التمييز و التقدير ساء حكما يحكمون (و الثانى) أن يكون حرفا موصولا و يحكمون صلته و تقديره ساء الحكم حكمهم.

النزول

قيل نزلت الآيه فى عمار بن ياسر و كان يعذب فى الله عن ابن جريج و قيل نزلت فى أناس مسلمين كانوا بمكة فكتب إليهم من كان فى المدينة أنه لا- يقبل منكم الإقرار بالإسلام حتى تهاجروا فخرجوا إلى المدينة فاتبعهم المشركون فأذوهم و قاتلوهم فمنهم من قتل و منهم من نجا عن الشعبى و قيل أنه أراد بالناس الذين آمنوا بمكة سلمه بن هشام و عياش ابن أبى ربيعة و الوليد بن الوليد و عمار بن ياسر و غيرهم عن ابن عباس.

المعنى

«الْمَ أْحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ» أى أظن الناس أن يقنع منهم بأن يقولوا إنا مؤمنون فقط و يقتصر منهم على هذا القدر و لا يمتحنون بما تبين به حقيقه إيمانهم هذا لا يكون و هذا استفهام إنكار و توبيخ و

قيل إن معنى يفتنون يبتلون فى أنفسهم و أموالهم عن مجاهد و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و يكون المعنى و لا يشدد عليهم التكليف و التعب و لا يؤمرون و لا ينهون و قيل معناه و لا يصابون بشدائد الدنيا و مصائبها أى أنها لا- تندفع بقولهم آمنوا و قال الحسن معناه أ حسب الناس أن يتركوا أن يقولوا لا إله إلا الله و لا يختبروا أ صدقوا أم كذبوا يعنى أن مجرد الإقرار لا- يكفى و الأولى حملة على الجميع إذ لا- تنافى فإن المؤمن يكلف بعد الإيمان بالشرائع و يمتحن فى النفس و المال و يمنى بالشدائد و الهموم و المكارة فينبغى أن يوطن نفسه على هذه الفتنة ليكون الأمر أيسر عليه إذا نزل به ثم أقسم سبحانه فقال «وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» أى و لقد ابتلينا الذين من قبل أمه محمد ص من سالف الأمم بالفرائض التى افترضناها عليهم أو بالشدائد و المصائب على حسب اختلافهم و ذكر ذلك تسليه للمؤمنين قال ابن عباس منهم إبراهيم خليل الرحمن و قوم

كانوا معه و من بعده نشروا بالمناشير على دين الله فلم يرجعوا عنه و قال غيره يعنى بنى إسرائيل ابتلوا بفرعون يسومونهم سوء العذاب «فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا» فى إيمانهم «وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ» فيه و إنما قال فليعلمن مع أن الله سبحانه كان عالما فيما لم يزل بأن المعلوم سيحدث لأنه لا يصح وصفه سبحانه فيما لم يزل بأنه عالم بأنه حادث و إنما يعلمه حادثا إذا حدث و قيل معناه فليميزن الله الذين صدقوا من الذين كذبوا بالجزاء و المكافاه و عبر عن الجزاء و التمييز بالعلم لأن كل ذلك إنما يحصل بالعلم فأقام السبب مقام المسبب و مثله فى إقامه السبب مقام المسبب قوله تعالى «كَانَا يَاكُلَانِ الطَّعَامِ» فهذا سبب قضاء الحاجه فكفى بذكره عنها و معنى صدقوا أى ثبتوا على الشدائد و كذبوا أى لم يثبتوا و منه قول زهير:

إذا ما الليث كذب عن أقرانه صدقا

«أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا» أم هذه استفهام منقطع عما قبله و ليست التى هى معادله الهمزه و المعنى بل أ حسب الذين يفعلون الكفر و القبائح أن يفوتونا فوت السابق لغيره و يعجزونا فلا- نقدر على أخذهم و الانتقام منهم «سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» أى بسئ الشىء الذى يحكمون ظنهم أنهم يفوتونا

و روى العياشى بالإسناد عن أبى الحسن (عليه السلام) قال جاء العباس إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال له امش حتى نبايع لك الناس فقال أ تراهم فاعلين قال نعم فأين قول الله «الْمَ أْحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا» الآيات

«مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ» أى من كان يأمل لقاء ثواب الله و قيل معناه من كان يخاف عقاب الله عن سعيد بن جبير و السدى و الرجاء قد يكون بمعنى الخوف كما فى قول الشاعر:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها و حالفها فى بيت نوب عواسل

و المعنى من كان يخشى البعث و يخاف الجزاء و الحساب أو يأمل الثواب فليبادر بالطاعة قبل أن يلحقه الأجل «فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ» أى الوقت الذى وقته الله للثواب و العقاب جاء لا محاله «وَهُوَ السَّمِيعُ» لأقوالكم «الْعَلِيمُ» بما فى ضمائركم.

[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٦ الى ١٠]

إشاره

وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٦) وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٧) وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسَيْنًا وَ إِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ (٩) وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَ لئن جَاءَ نَصِيرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولَنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ (١٠)

حسنا مفعول فعل محذوف تقديره و وصينا الإنسان بأن يفعل بوالديه حسنا أى ما يحسن «ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ» موصول و صلته فى موضع نصب بأنه مفعول تشريك.

النزول

قال الكلبي نزلت الآية الأخيرة فى عياش بن أبى ربيعة المخزومي و ذلك أنه أسلم فخاف أهل بيته فهاجر إلى المدينة قبل أن يهاجر النبي ص فحلفت أمه أسماء بنت مخزومه بن أبى جندل التميمي أن لا تأكل و لا تشرب و لا تغسل رأسها و لا تدخل كنا حتى يرجع إليها فلما رأى ابناها أبو جهل و الحرث ابنا هشام و هما أخوا عياش لأمه جزعها ركبا فى طلبه حتى أتيا المدينة فلقياه و ذكرا له القصة فلم يزالا- به حتى أخذ عليهما المواثيق أن لا- يصرفاه عن دينه و تبعهما و قد كانت أمه صبرت ثلاثة أيام ثم أكلت و شربت فلما خرجوا من المدينة أخذاه و أوثقاه كثافا و جلده كل واحد منهما مائة جلده حتى برى ء من دين محمد ص جزعا من الضرب و قال ما لا ينبغى فنزلت الآية و كان الحرث أشدهما عليه فحلف عياش لئن قدر عليه خارجا من الحرم ليضربن عنقه فلما رجعا إلى مكة مكثوا حينئذ هاجر النبي ص و المؤمنون إلى المدينة و هاجر عياش و حسن إسلامه و أسلم الحرث بن هشام و هاجر إلى

المدينه و بايع النبي ص على الإسلام و لم يحضر عياش فلقيه عياش يوما بظهر قبا و لم يشعر بإسلامه فضرب عنقه فقيل له إن الرجل قد أسلم فاسترجع عياش و بكى ثم أتى النبي ص فأخبره بذلك فنزل «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً» الآية و قيل نزلت الآية في ناس من المنافقين يقولون آمنا فإذا أودوا رجعوا إلى الشرك عن الضحاك و قيل نزلت في قوم ردهم المشركون إلى مكة عن قتاده.

المعنى

لما رغب سبحانه في تحقيق الرجاء و الخوف بفعل الطاعة عقبه بالترغيب في المجاهدة فقال «وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ» أى و من جاهد الشيطان بدفع و سوسته و إغوائه و جاهد أعداء الدين لإحيائه و جاهد نفسه التى هى أعدى أعدائه فإنما يجاهد لنفسه لأن ثواب ذلك عائد عليه و واصل إليه دون الله تعالى «إِنَّ اللَّهَ لَعَنِيَّ عَنِ الْعَالَمِينَ» غير محتاج إلى طاعتهم فلا يأمرهم و لا ينههم لمنفعه ترجع إليه بل لمنفعتهم «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ» التى اقترفوها قبل ذلك أى لنطلبنها حتى تصير كأنهم لم يعملوها «وَلَنُجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ» أى يجزيهم بأحسن أعمالهم و هو ما أمروا به من العبادات و الطاعات و المعنى لنكفرن سيئاتهم السابقة منهم فى حال الكفر و لنجزيهم بحسناتهم التى عملوها فى الإسلام و لما أمر سبحانه بمجاهدة الكفار و مباينتهم بين حال الوالدين فى ذلك فقال «وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ» أى أمرناه أن يفعل بوالديه «حُسْنًا» و ألزماه ذلك ثم خاطب سبحانه كل واحد من الناس فقال «وَأِنْ جَاهَدَاكَ» أى و إن جاهداك أبواك أيها الإنسان و ألزماك و استفرغا مجهودهما فى دعائك «لِتُشْرِكَ بِي» فى العبادة «مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ» أى و ليس لأحد به علم «فَلَا تُطْعِمُهُمَا» فى ذلك فأمر سبحانه إطاعه الوالدين فى الواجبات حتما و فى المباحات ندبا و نهى عن طاعتهما فى المحظورات و نفى العلم به كأنه كناية عن تعريه من الأدله لأنه إذا لم يكن عليه حجه و دليل لم يحصل العلم به فلا يحسن اعتقاده «إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ» أى إلى حكمى مصيركم «فَأُتْبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» أى أخبركم بأعمالكم فأجازيكم عليها و روى عن سعد بن أبى وقاص قال كنت رجلا برا بأمى فلما أسلمت قالت يا سعد ما هذا الدين الذى أحدثت لتدعن دينك هذا أو لا آكل و لا أشرب حتى أموت فتعير بى فيقال يا قاتل أمه فقلت لا تفعلنى يا أمه إنى لا أدع دينى هذا لشىء قال فمكثت يوما لا تأكل و ليله ثم مكثت يوما آخر و ليله فما رأيت ذلك قلت و الله يا أمه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت دينى هذا فكلى و اشربى و إن شئت فلا- تأكلى و لا تشربى فلما رأت ذلك أكلت فأنزلت هذه الآية «وَأِنْ جَاهَدَاكَ» و أمه حمنه بنت أبى سفيان بن أميه بن عبد شمس و

روى عن بهر بن أبى حكيم عن أبيه عن جده قال قلت للنبي ص يا

رسول الله من أبر قال أمك قلت ثم من قال ثم أمك قلت ثم من قال ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب

و

عن أنس بن مالك عن النبي ص قال الجنة تحت أقدام الأمهات

ثم قال سبحانه «وَالَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا بوحداية الله تعالى و إخلاص العباده له «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ» أى فى زمرةهم و جملتهم فى الجنة و لما ذكر سبحانه خيار المؤمنين عقبه بذكر ضعفائهم و قيل بل عقبه بذكر المنافقين فقال «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ» بلسانه «فَإِذَا أُذِي فِي اللَّهِ» أى فى دين الله أو فى ذات الله «جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ» و المعنى فإذا أذى بسبب دين الله رجع عن الدين مخافه عذاب الناس كما ينبغى للكافر أن يترك دينه مخافه عذاب الله فىسوى بين عذاب فإن منقطع و بين عذاب دائم غير منقطع أبدا لقله تمييزه و سمي أذيه الناس فتنه لما فى احتمالها من المشقه «وَلِئِنْ جَاءَ نَصِيرٌ مِنْ رَبِّكَ» يا محمد أى و لئن جاء نصر من الله للمؤمنين و دوله لأولياء الله على الكافرين «لَيَقُولَنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ» أى ليقولن هؤلاء المنافقون للمؤمنين إنا كنا معكم على عدوكم طمعا فى الغنيمه ثم كذبهم الله فقال «أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ» من الإيمان و النفاق فلا يخفى عليه كذبهم فيما قالوا.

[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ١١ الى ١٥]

إشاره

وَلَيُعَلِّمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيُعَلِّمَنَّ الْمُنَافِقِينَ (١١) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَ لَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ وَ مَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٢) وَ لَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَ أَنْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَ لَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَ هُمْ ظَالِمُونَ (١٤) فَأَنْجَيْنَاهُ وَ أَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَ جَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (١٥)

اللغه

الثقل متاع البيت و جمعه أثقال و هو من الثقل يقال ارتحل القوم بثقلهم و ثقلتهم أى بامتعتهم و منه

الحديث إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتى أهل بيتى و إنهما لن يفترقا

ص: ١٠

قال ثعلب سميا به لأن الأخذ بموجبهما ثقيل و قال غيره إن العرب تقول لكل شىء خطير نفيس ثقل فسماهما ثقلين تفخيما لشأنهما و كل شىء يتنافس فيه فهو ثقل و منه سمى الجن و الإنس ثقلين لأنهما فضلا على غيرهما من الخلق و الطوفان الماء الكثير الغامر لأنه يطوف بكثرتة فى نواحي الأرض قال الراجز:

" أفنهم الطوفان موت جارف "

الجرف الأخذ الكثير و قد جرفت الشىء أجرفه بالضم جرفا أى ذهبته كله شبه الموت فى كثرتة بالطوفان.

الإعراب

قوله «بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ» تقديره و ما هم بحاملين من شىء من خطاياهم فقوله «مِنْ خَطَايَاهُمْ» فى الأصل صفه لشىء فقدم عليه فصار فى موضع نصب على الحال. «أَلْفَ سَنَةٍ» نصب على الظرف خمسين نصب على الاستثناء و عاما تمييزه.

المعنى

ثم أقسم سبحانه فقال «وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا» بالله على الحقيقه ظاهرا و باطنا «وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ» فيجازيهم بحسب أعمالهم قال الجبائى معناه و ليميزن الله المؤمن من المنافق فوضع العلم موضع التمييز توسعا و قد مر بيانه و فى هذه الآيه تهديد للمنافقين بما هو معلوم من حالهم التى استهزءوا بها و توهموا أنهم قد نجوا من ضررها بإخفائها فبين أنها ظاهره عند من يملك الجزاء عليها و أنه يحل الفضيحه العظمى بها «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا» نعم الله و جحدوها «لِلَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا بتوحيده و صدق رسله «اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَ لَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ» أى و نحن نحمل آثامكم عنكم إن قلتم إن لكم فى اتباع ديننا إثما و يعنون بذلك أنه لا إثم عليكم باتباع ديننا و لا- يكون بعث و لا نشور فلا يلزمنا شىء مما ضمننا و المأمور فى قوله «وَلَنَحْمِلَ» هو المتكلم به نفسه فى مخرج اللفظ و المراد به إلزام النفس هذا المعنى كما يلزم الشىء بالأمر و فيه معنى الجزاء و تقديره إن تتبعوا ديننا حملنا خطاياكم عنكم ثم قال سبحانه «وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ» أى لا يمكنهم حمل ذنوبهم عنهم يوم القيامة فإن الله سبحانه عدل لا يعذب أحدا بذنب غيره فلا يصح إذا أن يتحمل أحد ذنب غيره و هذا مثل قوله «وَلَا تَرَوْا وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَ لا يجرى هذا مجرى تحمل الدين عن الغير لأن الغرض فى الدين أداء المال عن نفس المقتول فلا فرق بين أن يؤديه زيد عنه و بين أن يؤديه عمرو فإنه بمنزله قضاء الدين «إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» فيما ضمنوا

من حمل خطاياهم «وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَ أَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ» يعنى أنهم يحملون خطاياهم و أوزارهم فى أنفسهم التى لم يعملوها
بغيرهم و يحملون الخطايا التى ظلموا بها غيرهم و قيل معناه يحملون عذاب ضلالهم و عذاب إضلالهم غيرهم و دعائهم لهم إلى
الكفر و هذا

كقوله من سن سنه سيئه

الخير و هذا كقوله لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ مِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يَضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ «وَلَيْسَ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا
يَفْتَرُونَ» و معناه أنهم يسئلون سؤال تعنيف و توبيخ و تبكيت و تفریح لا سؤال استعمال و استخبار «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ»
يدعوهم إلى توحيد الله عز و جل «فَلَبَّثَ فِيهِمْ أَلْفَ سِنِينَ إِلَّا حَمْسِيَّةً عَامًا» فلم يجيبوه و كفروا به «فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ» جزاء على
كفرهم فهلكوا «وَهُمْ ظَالِمُونَ» لأنفسهم بما فعلوه من الشرك و العصيان «فَأَنْجَيْنَاهُ وَ أَصْحَابَ السَّفِينَةِ» أى فأنجينا نوحا من ذلك
الطوفان و الذين ركبوا معه فى السفينه من المؤمنين به «وَجَعَلْنَاهَا» أى و جعلنا السفينه «آيَةً لِلْعَالَمِينَ» أى علامه للخلائق أجمعين
يعتبرون بها إلى يوم القيامة لأنها فرقت بين المؤمنين و الكافرين و الأبرار و الفجار و هى دلالة للخلق على صدق نوح و كفر
قومه.

النظم

إنما اتصل قوله «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا» بما تقدمه من ذكر المنافقين فإنه سبحانه لما بين حالهم عند إيراد الشبهه عليهم بين فى هذه
الآيه أن من الواجب أن لا يعتر المؤمنون بما يورده أهل الكفر عليهم من الشبهه الفاسده و قد ذكر فى اتصال قصه نوح بما قبلها
وجوه (أحدها) أنه لما قال فتننا الذين من قبلهم فصل ذلك فبدأ بقصه نوح ثم بما يليها (و ثانيها) أنه لما ذكر حال المجاهد
الصابر و حال من كان بخلافه ذكر قصه نوح و صبره على أذى قومه و تكذيبهم تلك المده الطويله ثم عقب ذلك بذكر غيره
من الأنبياء (و ثالثها) أنه لما أمر و نهى و وعد و أوعد على امتثال أوامره و ارتكاب نواهيه أكد ذلك بقصص الأنبياء.

[سورة العنكبوت (٢٩): الآيات ١٦ الى ٢٠]

إشارة

وَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَ تَخْلُقُونَ إِفْكًا
إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَ اعْبُدُوهُ وَ اشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٧) وَ إِنْ تُكَذَّبُوا
فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٨) أَوْ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ
يَسِيرٌ (١٩) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)

ص: ١٢

القراءه

قرأ حمزه و الكسائي و خلف أ و لم تروا بالتاء و الباقون بالياء و روى عن أبى بكر بالتاء و الياء جميعا و قرأ ابن كثير و أبو عمرو النشاء بفتح الشين ممدوده مهموزه و قرأ الباقون «النَّشَاءُ» بسكون الشين غير ممدوده و فى الشواذ قراءه السلمى و زيد بن على و تخلقون إفكا.

الحجه

قال أبو على حجه التاء فى أ و لم تروا أن قبلها «وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَّمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ» و حجه الياء أن المعنى قل لهم أ و لم يروا النشاء و النشاء مثل الرآفه و الرأفه و الكآبه و الكآبه و قال أبو زيد نشأت نشأت إذا شببت و نشأت السحابه نشأ و لم يذكر النشاء و أما تخلقون فإنه على وزن تكذبون و فى معناه.

الإعراب

«كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ» كيف فى موضع نصب على الحال من الله و التقدير أ مبدعا يبدئ الله الخلق أم لا و يجوز أن يكون حالا من الخلق فيكون تقديره أ مبدعا يبدئ الله الخلق أم لا ثم يعيده أم لا و يجوز أن يكون فى موضع مصدر و التقدير أى إبداء يبدئ و مثله كيف بدأ الخلق و النشاء منصوبه على المصدر و مفعول ينشئ محذوف تقديره و ينشئ الخلق.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال «وَإِبْرَاهِيمَ» أى و أرسلنا إبراهيم «إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ» أى أطيعوا الله و خافوه بفعل طاعاته و اجتناب معاصيه «ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ» أى ذلك التقوى خير لكم «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» ما هو خير مما هو شر لكم «إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا» ما فى هذا الموضع كافه و المعنى أنكم تعبدون

أصناما من حجاره لا تضر ولا تنفع «وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا» أى تفتعلون كذباً بأن تسموا هذه الأوثان آلهه عن السدى وقيل معناه وتصنعون أصناماً بأيديكم و سماها إفكا لادعائهم إنها آلهه عن مجاهد وقاده وأبى على الجبائى ثم ذكر عجز آلهتهم عن رزق عابديها فقال «إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا» أى لا يقدرُونَ على أن يرزقوكم و الملك قدره القادر على ماله أن يتصرف فى ماله أتم التصرف و ليس ذلك إلا لله على الحقيقة فإن الإنسان إنما يملك ما يملكه الله تعالى و يأذن له فى التصرف فيه فأصل الملك لجميع الأشياء لله تعالى فمن لا يملك أن يرزق غيره لا يستحق العباده لأن العباده تجب بأعلى مراتب النعمه و لا- يقدر على ذلك غير الله تعالى فلا يستحق العباده سواه «فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ» أى اطلبوا الرزق من عنده دون من سواه «وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ» على ما أنعم به عليكم من أصول النعم من الحياه و الرزق و غيرهما «إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» أى إلى حكمه تصيرون يوم القيامة فيجازيكم على قدر أعمالكم ثم خاطب العرب فقال «وَإِنْ تَكذَّبُوا» أى و إن تكذبوا محمدا ص «فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ» أنبياءهم الذين بعثوا إليهم «وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ» أى ليس عليه إلا التبليغ الظاهر البين و ليس عليه حمل من أرسل إليه على الإيمان «أَوْ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ» يعنى كفار مكه الذين أنكروا البعث و أقروا بأن الله هو الخالق فقال أ و لم يتفكروا فيعلموا كيف أبدأ الله الخلق بعد العدم ثم يعيدهم ثانيا إذا أعدمهم بعد وجودهم قال ابن عباس يريد الخلق الأول و الخلق الآخر «إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» غير متعذر لأن من قدر على الإنشاء و الابتداء فهو على الإعاده أقدر ثم خاطب محمدا ص فقال «قُلْ» لهؤلاء الكفار «سَيُرَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ» و تفكروا فى آثار من كان فيها قبلكم و إلى أى شىء صار أمرهم لتعتبروا بذلك و يؤدبكم ذلك إلى العلم بربكم و قيل معناه انظروا و ابحثوا هل تجدون خالقا غير الله فإذا علموا أنه لا- خالق ابتداء إلا- الله لزمتهم الحجه فى الإعاده و هو قوله «ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ» أى ثم الله الذى خلقها و أنشأ خلقها ابتداء ينشئها نشأه ثانيه و معنى الإنشاء الإيجاد من غير سبب «إِنَّ اللَّهَ» تعالى «عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» أى إن الله على الإنشاء و الإفاء و الإعاده و على كل شىء عيشاؤه قدير.

[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٢١ الى ٢٥]

إشارة

يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢١) وَ مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَ لَا- فِي السَّمَاءِ وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ (٢٢) وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَ لِقَائِهِ أُولَئِكَ يَكْفُرُونَ مِنْ رَحْمَتِي وَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٣) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٤) وَ قَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَ مَا أُولَئِكَ إِلَّا نَاصِرِينَ (٢٥)

قرأ ابن كثير و أهل البصره و الكسائى موده بينكم بالرفع و الإضافه و قرأ حمزه و حفص بنصب مَوَدَّةَ و إضافتها إلى «بَيْنَكُمْ» و قرأ الباقون موده منصوبه منونه بينكم بالنصب إلا الشمونى و البرجمى فإنهما قرءا موده مرفوعه منونه بينكم بالنصب.

الحجه

قال أبو على يجوز فى قول من قال موده بينكم أن يجعل ما اسم إن و يضم ذكر ا يعود إلى ما كما جاء فى قوله «وَ اتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا» فىكون التقدير إن الذين اتخذتموهم أوثانا ذوو موده بينكم و يكون دخول إن على ما لأنه بمنزله الذى كقوله «أَ يَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَ بَيْنِينَ» لعود الذكر إليه و يجوز أن يضم هو و يجعل «مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ» خبرا عنه و الجملة فى موضع خبر أن و من قرأ موده بينكم بالنصب جعل ما مع إن كلمه و لم يعد إليها ذكرا كما أعاد فى الوجه الأول و جعل الأوثان منتصبا باتخذتم و عداه أبو عمرو إلى مفعول واحد كقوله «قُلْ اتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا» و المعنى إنما اتخذتم من دون الله أوثانا آلهم فحذف كما أن قوله «إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ» معناه اتخذوا العجل إليها فحذف و انتصب موده على أنه مفعول له و بينكم نصب على الظرف و العامل فيه الموده و من قال «مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ» أضاف الموده إلى البين و اتسع بأن جعل الظرف اسما لما أضاف إليه و مثل ذلك قراءه

من قرأ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ و من قرأ موده بينكم في الحياه الدنيا جاز في قوله بينكم إذا نون موده ضربان (أحدهما) أن يجعله ظرفا متعلقا بالمصدر لأن الطرفين أحدهما من المكان و الآخر من الزمان و إنما الذى يمتنع أن يعلق به إذا كانا طرفين من الزمان أو طرفين من المكان فأما إن اختلفا فسائغ فقوله «فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» ظرف زمان لأن المعنى في وقت الحياه الدنيا و لا ذكر في واحد من الطرفين كما إنك إذا قلت لقيت زيدا اليوم في السوق كان كذلك فإن جعلت الظرف الأول صفه للنكره كان متعلقا بمحذوف و صار فيه ذكر يعود إلى الموصوف فإذا جعلته صفه للمصدر جاز أن يكون قوله «فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» في موضع حال و العامل فيه الظرف الذى هو صفه للنكره و فيه ذكر يعود إلى ذى الحال و ذو الحال الضمير الذى في الظرف العائد إلى الموصوف الذى هو موده و هو هي في المعنى فإن قلت هل يجوز أن يتعلق الظرف الذى قد جاز أن يكون حالا بالموده مع أنه قد وصف بقوله بينكم قيل لا يمتنع ذلك لأنك إذا وصفته فمعنى الفعل قائم فيه و الظرف يتعلق بمعنى الفعل و إنما الذى يمتنع أن يعمل فيه إذا وصف المفعول به فأما الحال و الظرف فلا يمتنع أن يتعلق كل واحد منهما به و إن كان قد وصف به و قد جاء في الشعر ما يعمل عمل الفعل إذا وصف عاملا في المفعول به و إذا جاز أن يعمل في المفعول به فلا نظر في جواز علمه فيما ذكرناه من الظرف و الحال فمن ذلك قوله:

إذا فاقد خطباء فرخين رجعت ذكرت سليمان في الخليط المبين

و التحقير في ذلك بمنزله الوصف لو قال هذا ضويرب زيدا لقبح كما يقبح ذلك في الصفه و لم يجز ذلك في حال السعه و الاختيار.

المعنى

ثم ذكر سبحانه الوعد و الوعيد فقال «يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ» معناه أنه المالك للثواب و العقاب و إن كان لا يشاء إلا الحكمه و العدل و ما هو الأحسن من الأفعال فيعذب من يشاء ممن يستحق العقاب «وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ» ممن هو مستحق للرحمه بأن يغفر له بالتوبه و غير التوبه «وَإِلَيْهِ تُقَلَّبُونَ» معاشر الخلق أى إليه ترجعون يوم القيامة و القلب هو الرجوع و الرد فمعناه أنكم تردون إلى حال الحياه في الآخره حيث لا يملك فيه النفع و الضر إلا الله

و هذا يتعلق بما قبله كان المنكرين للبعث قالوا إذا كان العذاب غير كائن في الدنيا فلا نبالي به فقال «وَإِلَيْهِ تُقَلَّبُونَ» و كأنهم قالوا إذا صرفنا إلى حكم الله فررنا فقال «وَ مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي السَّمَاءِ» أى و لستم بفائتين عن الله فى الدنيا و لا فى الآخرة فاحذروا مخالفته و متى قيل كيف وصفهم بذلك و ليسوا من أهل السماء فالجواب عنه من وجهين (أحدهما) إن المعنى لستم بمعجزين فرارا فى الأرض و لا فى السماء لو كنتم فى السماء كقولك ما يفوتنى فلان هاهنا و لا بالبصره يعنى و لا بالبصره لو صار إليها عن قطرب و هو معنى قول مقاتل (و الآخر) أن المعنى و لا من فى السماء بمعجزين فحذف من لداله الكلام عليه كما قال حسان:

أ من يهجو رسول الله منكم و يمدحه و ينصره سواء

فكأنه قال و من يمدحه و ينصره سواء أم لا يتساوون عن الفراء و هذا ضعيف عند البصريين «وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ» ينصركم و يدفع عذاب الله عنكم فلا تغتروا بأن الأصنام تشفع لكم و قيل إن الولي الذى يتولى المعونه بنفسه و النصير يتولى النصرة تاره بنفسه و تاره بأن يأمر غيره به «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ» أى جحدوا بالقرآن و بأدله الله «وَ لِقَائِهِ» أى و جحدوا بالبعث بعد الموت «أُولَئِكَ يَشْهَرُونَ مِنْ رَحْمَتِي» أخبر أنه سبحانه آيسهم من رحمته و جنته أو يكون معناه يجب أن يأسوا من رحمتى «وَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» أى مؤلم و فى هذا دلالة على أن المؤمن بالله و اليوم الآخر لا يأس من رحمه الله ثم عاد سبحانه إلى قصه إبراهيم فقال «فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ» يعنى حين دعاهم إلى الله تعالى و نهاهم عن عباده الأصنام «إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ» و فى هذا تسفيه لهم إذ قالوا حين انقطعت حججهم لا تحاجوه و لكن اقتلوه أو حرقوه ليتخلصوا منه «فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ» و هاهنا حذف تقديره ثم اتفقوا على إحراقه فأججوا نارا فألقوه فيها فأنجاه الله منها «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ» أى علامات واضحات و حجج بينات «لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» بصحة ما أخبرناه به و بتوحيد الله و كمال قدرته «وَ قَالَ» إبراهيم لقومه «إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ» أى لتتوادوا بها «فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» و قد تقدم بيانه فى الحجه «ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ» أى يتبرأ القاده من الأتباع «وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا» أى و يلعن الأتباع القاده لأنهم زينوا لهم الكفر و قال قتاده كل خله تنقلب يوم القيامة عداوه إلا خله المتقين قال سبحانه الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ «وَ مَا أَوَّكُنَّ النَّارُ» أى و مستقركم النار «وَ مَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ» يدفعون عنكم عذاب الله.

إشارة

فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٦) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧) وَ لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٨) أ إِنَّكُمْ لَتِيَأْتُونَ الرَّجَالَ وَ تَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَ تَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٠)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير حفص أ إنكم لتأتون الفاحشه «أ إنكم لتأتون الرجال» بهزتين فيهما وقرأ أبو عمرو بالاستفهام فيهما بهمه ممدوده آنكم وقرأ الباقون «إنكم لتأتون الفاحشه» بكسر الهمزة من غير استفهام «أ إنكم لتأتون الرجال» بالاستفهام إلا أن ابن كثير وورش و يعقوب قرءوا بهمه واحده غير ممدوده و ابن عامر و حفص بهزتين و أهل المدينة غير ورش بهمه واحده ممدوده.

اللغة

هاجر القوم من دار إلى دار معناه تركوا الأولى للثانية قال الأزهرى أصل المهاجرة خروج البدوى من البادية إلى المدن و تهجر أى تشبه بالمهاجرين و منه حديث عمر هاجروا و لا تهجروا أى أخلصوا الهجره لله و النادى و الندى المجلس إذا اجتمعوا فيه و تنادى القوم اجتمعوا فى النادى و دار الندوه دار قصى بن كلاب كانوا يجتمعون فيه للمشاوره تبركا به و الأصل من النداء لأن القوم ينادى بعضهم بعضا.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم بأن قال «فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ» أى فصدق بإبراهيم لوط و هو ابن أخته و كان إبراهيم خاله عن ابن عباس و ابن زيد و جمهور المفسرين و هو أول من صدق بإبراهيم (عليه السلام) «وَقَالَ» إبراهيم «إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي» أى خارج من

جملة الظالمين على وجه الهجر لهم لقيح أعمالهم من حيث أمرني ربي و قيل معناه قال لوط إنى مهاجر إلى ربي عن الجبائي و خرج إبراهيم (عليه السلام) و معه لوط و امرأته ساره و كانت ابنة عمه من كوثى و هى قريه من سواد الكوفه إلى أرض الشام عن قتاده و مثل هذا هجره المسلمين من مكه إلى أرض الحبشه أولا ثم إلى المدينه ثانيا لأنهم هجروا ديارهم و أوطانهم بسبب أذى المشركين لهم «إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ» الذى لا يذل من نصره «الْحَكِيمُ» الذى لا يضيع من حفظه «وَوَهَبْنَا لَهُ» أى لإبراهيم من بعد إسماعيل «إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ» من وراء إسحاق «وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَ الْكِتَابَ» و ذلك أن الله سبحانه لم يبعث نبيا من بعد إبراهيم إلا من صلبه فالتوراه و الإنجيل و الزبور و الفرقان كلها أنزلت على أولاده «وَ آتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا» و هو الذكر الحسن و الولد الصالح عن ابن عباس و قيل هو رضى أهل الأديان به فكلهم يحبونه و يتولونه عن قتاده و قيل هو أنه أرى مكانه فى الجنة عن السدى و قال بعض المتأخرين هو بقاء ضيافته عند قبره و ليس ذلك لغيره من الأنبياء قال البلخي و فى هذا دلالة على أنه يجوز أن يثيب الله فى دار التكليف ببعض الثواب «وَ إِنَّهُ فِي الْمَآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ» يعنى أن إبراهيم مع ما أعطى من الأجر و الثواب فى الدنيا يحشره الله فى جملة الصالحين العظمى الأقدار مثل آدم و نوح «وَ لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ» أى و أرسلنا لوطا و يجوز أن يريد و اذكر لوطا حين قال لقومه «إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ» من قرأ بلفظ الاستفهام أراد به الإنكار دون الاستعلام و من قرأ إنكم على الخبر أراد أن لوطا قال ذلك لقومه منكرا لفعالهم لا مفيدا معلما لهم لأنهم قد علموا ما فعلوه و الفاحشه هاهنا ما كانوا يفعلونه من إتيان الذكران «مَا سَبَقَكُمْ بِهَا» أى بهذه الفاحشه «مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ» أى أحد من الخلائق ثم فسر الفاحشه بقوله «إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ» أى تنكحونهم «وَ تَقَطَّعُونَ السَّبِيلَ» قيل فيه وجوه (أحدها) تقطعون سبيل الولد باختياركم الرجال على النساء (و ثانيها) إنكم تقطعون الناس عن الأسفار بإتيان هذه الفاحشه فإنهم كانوا يفعلون هذا الفعل بالمجتازين من ديارهم و كانوا يرمون ابن السبيل بالحجاره بالحذف فأبهم أصابه كان أولى به و يأخذون ماله و ينكحونه و يغرّمونه ثلاثه دراهم و كان لهم قاض يقضى بذلك (و ثالثها) إنهم كانوا يقطعون الطريق على الناس كما يفعل قطاع الطريق فى زماننا «وَ تَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرَ» قيل فيه أيضا وجوه (أحدها)

هو أنهم كانوا يتضارطون فى مجالسهم من غير حشمه و لا حياء عن ابن عباس و روى ذلك عن الرضا (عليه السلام)

(و ثانيها) إنهم كانوا يأتون الرجال فى مجالسهم يرى

بعضهم بعضاً عن مجاهد (و ثالثها) كانت مجالسهم تشتمل على أنواع من المناكير و القبائح مثل الشتم و السخف و الصفع و القمار و ضرب المخراق و حذف الأحجار على من مر بهم و ضرب المعازف و المزامير و كشف العورات و اللواط قال الزجاج و فى هذا إعلام أنه لا- ينبغى أن يتعاشر الناس على المناكير و لا أن يجتمعوا على المناهى و لما أنكر لوط على قومه ما كانوا يأتونه من الفضائح قالوا له استهزاء ائتنا بعذاب الله و ذلك قوله «فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» و عند ذلك «قال» لوط «رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ» الذين فعلوا المعاصى و ارتكبوا القبائح و أفسدوا فى الأرض.

[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٣١ الى ٣٥]

إشارة

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرِى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (٣١) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَ أَهْلَهُ إِلَّا- امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٢) وَ لَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّءًا بِهِمْ وَ ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَ قَالُوا لَا تَخَفْ وَ لَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيُونَ وَ أَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٣) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤) وَ لَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣٥)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم و يعقوب لئنجنه خفيفه الجيم ساكنه النون و الباقون «لَنَنْجِيَنَّهُ» بالتشديد و قرأ ابن كثير و أهل الكوفة غير حفص و يعقوب إنا منجوك بالتخفيف و الباقون بالتشديد و قرأ ابن عامر منزلون بالتشديد و الباقون «مُنْزِلُونَ» بالتخفيف.

الحجج

قال أبو على حججه و من قرأ لئنجنه و إنا منجوك قوله «فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْ

النَّارِ» و حجه من ثقل قوله «نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَ الَّذِينَ آمَنُوا» يقال نجا زيد و نجيته و أنجيته مثل فرحته و أفرحته و كذلك قولك نزل إذا عديته قلت نزلته و أنزلته.

المعنى

ثم بين سبحانه أنه استجاب دعاء لوط و بعث جبرائيل و معه الملائكة لتعذيب قومه بقوله «وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى» أى يبشرونه بإسحاق و من وراء إسحاق يعقوب «قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ» يعنون قريه قوم لوط (عليه السلام) و إنما قالوا هذا لأن قريتهم كانت قريه من قريه قوم إبراهيم «إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ» أى مشركين مرتكبين للفواحش «قَالَ» إبراهيم «إِنَّ فِيهَا لُوطًا» فكيف تهلكونها «قَالُوا» فى جوابه «نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَ أَهْلَهُ» أى لنخلصن لوطا من العذاب بإخراجه منها و لنخلصن أيضا أهله المؤمنين منهم «إِلَّا امْرَأَتَهُ» فإنها تبقى فى العذاب لا تنجو منه و ذلك قوله «كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ» أى من الباقين فى العذاب «وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا» أن هذه مزیده «سَيِّءَ بِهِمْ» معناه سىء لوط بالملائكة أى ساءه مجيئهم لما رآهم فى أحسن صورته لما كان يعلمه من خبث فعل قومه عن قتاده و قيل معناه سىء بقومه لما علم من عظيم البلاء النازل بهم «وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا» أى ضاق قلبه و قيل ضاقت حيلته فيما أراد من حفظهم و صيانتهم عن الجبائى فلما رأى الملائكة حزنه و ضيق صدره «قَالُوا لَا تَخَفْ» علينا و عليك «وَلَا تَحْزَنْ» بما نفعله بقومك و قيل لا تخف و لا تحزن علينا فإننا رسل الله لا يقدرون علينا «إِنَّا مُنْجُوكَ وَ أَهْلَكَ» من العذاب «إِلَّا امْرَأَتَكَ» الكافره «كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ» أى الباقين فى العذاب «إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا» أى عذابا من السماء «بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ» أى يخرجون من طاعه الله إلى معصيته أى جزاء بفسقهم «وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً» أى تركنا من تلك القرية عبره واضحة و دلاله على قدرتنا قال قتاده هى الحجاره التى أمطرت عليهم و قال ابن عباس هى آثار منازلهم الخربه و قال مجاهد هى الماء الأسود على وجه الأرض «لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» ذلك و يبصرونه و يتفكرون فيه و يتعظون به فيزجرهم ذلك عن الكفر بالله و اتخاذ شريك معه فى العباده.

[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٣٦ الى ٤٠]

اشاره

وَ إِلَى مِدْيَانَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ ارْجُوا الْيَوْمَ الْمَآخِرَ وَ لَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٣٦) فَكَذَّبُوهُ فَآخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْرَبُوا فِي دَارِهِمْ جَائِمِينَ (٣٧) وَ عَادًا وَ ثَمُودَ وَ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ وَ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّدَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَ كَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨) وَ قَارُونَ وَ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَ مَا كَانُوا سَابِقِينَ (٣٩) فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَ مِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَ مِنْهُمْ مَنْ حَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَ مِنْهُمْ مَنْ أَعْرَفْنَا وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠)

الرجفه زعزعه الأرض تحت القدم يقال رجف السطح من تحت أهله يرجف رجفا و رجفه شديده و البحر رجاف لاضطرابه و أرجف الناس بالشىء أى أخبروا بما يضطرب لأجله من غير تحقق به و الحاصب الريح العاصفه التى فيها الحصباء و هى الحصى الصغار يشبه به البرد و الجليد قال الفرزدق:

مستقبلين رياح الشام تضربنا بحاصب كنديف القطن منثور

و قال الأخطل:

و لقد علمت إذ العشار تروحت هدى الرئال بكنهن شمالا

ترمى العضاه بحاصب من ثلجها حتى تبيت على العضاه جفالا

ص: ٢٢

و الخسف سوخ الأرض بما عليها يقال خسف الله به الأرض و خسف القمر إذهاب نوره و الخسوف للقمر و الكسوف للشمس.

الإعراب

أخاهم ينتصب بفعل مضمر و التقدير و أرسلنا إلى مدين أخاهم و عادا منصوب بفعل مضمر تقديره و أهلكتنا عادا و ثمود و قد تبين فاعله مضمر تقديره و قد تبين إهلاكهم لكم «وَ كَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ» فى موضع نصب على الحال. «لِيُظْلِمَهُمْ» اللام لتأكيد النفي و لا يجوز إظهار أن بعده.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال «وَ إِلَى مَدِينٍ» أى و أرسلنا إلى مدين «أَخَاهُمْ شُعَيْبًا» و هذا مفسر فيما مضى «فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ» بدأ بالدعاء إلى التوحيد و العبادة «ارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ» أى و أملوا ثواب اليوم الآخر و اخشوا عقابه بفعل الطاعات و تجنب السيئات «وَ لَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ» أى لا تسعوا فى الأرض بالفساد ثم أخبر أن قومه كذبوه و لم يقبلوا منه فعاقبهم الله و ذلك قوله «فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذْتُهُمُ الرِّجْفَ» و قد مر بيانه «فَأَصْرَبُوحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ» أى باركين على ركبهم ميتين «وَ عَادًا وَ ثَمُودًا» أى و أهلكتنا أيضا عادا و ثمود جزاء لهم على كفرهم «وَ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ» معاشر الناس كثير «مَنْ مَسَاكِينِهِمْ» و قيل معناه و قد ظهر لكم يا أهل مكة من منازلهم بالحجر و اليمن آيه فى هلاكهم «وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ» أى فمنعهم عن طريق الحق «وَ كَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ» أى و كانوا عقلاء يمكنهم التمييز بين الحق و الباطل بالاستدلال و النظر و لكنهم أغفلوا و لم يتدبروا و قيل معناه إنهم كانوا مستبصرين عند أنفسهم فيما كانوا عليه من الضلاله يحسبون أنهم على هدى عن قتاده و الكلبي «وَ قَارُونَ» أى و أهلكتنا قارون «وَ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ» أى بالحجج الواضحات من قلب العصا حيه و اليد البيضاء و فلق البحر و غيرها «فَاسْتَكْبَرُوا» أى طلبوا التجبر «فِي الْأَرْضِ» و لم ينقادوا للحق «وَ مَا كَانُوا سَابِقِينَ» أى فائتين الله كما يفوت السابق «فَكَلَّمْنَا بِذُنُوبِهِ» أى فأخذنا كلا من هؤلاء بذنوبه و عاقبناهم بتكذيبهم الرسل «فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا» أى حجاره و قيل ريحا فيها حصى و هم قوم لوط عن ابن عباس و قتاده و قيل هم عاد «وَ مِنْهُمْ مَنْ أَخَذْتَهُ الصَّيْحَةَ» و هم ثمود و قوم شعيب عن ابن عباس و قتاده و الصيحه العذاب و قيل صاح بهم جبرائيل فهلكوا «وَ مِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ» و هو قارون «وَ مِنْهُمْ مَنْ أَعْرَفْنَا» يعنى قوم نوح و فرعون و قومه «وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ» فيعذبهم على غير ذنب أو قبل إزاحه العله «وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» بكفرهم و تكذيبهم الرسل و فى هذا دلالة واضحة على فساد مذهب أهل

الجبر فإن الظلم لو كان من فعل الله كما يزعمون لما كان هؤلاء هم الظالمين لنفوسهم بل كان الظالم لهم من فعل فيهم الظلم تعالى الله عن ذلك.

[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٤١ الى ٤٥]

إشاره

مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعُنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعُنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤٢) وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (٤٣) خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (٤٤) اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (٤٥)

القراءه

قرأ أهل البصره و عاصم إلا الأعمش و البرجمي «ما يدعون» بالياء و الباقون بالتاء.

الحجه و الإعراب

قال أبو على التاء على قوله قل لهم إن الله يعلم ما تدعون لا يكون إلا عند هذا لأن المسلمين لا يخاطبون بذلك و ما استفهام و موضعه نصب بيدعون و لا- يجوز أن يكون نصبا يعلم و لكن صارت الجملة التي هي في موضع نصب يعلم و لا- يكون يعلم بمعنى يعرف كقوله و لقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت لأن ذلك لا يلغى و ما لا يلغى لا يعلق و يبعد ذلك دخول من في الكلام و هي إنما تدخل في نحو قولك هل من طعام و هل من رجل و لا تدخل في الإيجاب هذا قول الخليل و كذلك قوله فسوف تعلمون من تكون له عاقبه الدار المعنى فستعلمون المسلم تكون له عاقبه الدار أم للكافر و كل ما كان من هذا فهكذا القول فيه و هو قياس قول الخليل.

جمع العنكبوت عنكب و تصغيره عنكب و وزنه فعللوت و هو يذكر و يؤنث قال الشاعر:

على هطالهم منهم بيوت كان العنكبوت هو ابتناها

و يقال فيه العنكباء.

المعنى

ثم شبه سبحانه حال الكفار الذين اتخذوا من دونه آلهه بحال العنكبوت فقال «مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ» أى شبه من اتخذ الأصنام آلهه يريدون نصرها و نفعها و ضررها و الرجوع إليها عند الحاجة «كَمَثَلِ الْعُنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا» لنفسها لتأوى إليه فكما أن بيت العنكبوت لا يغنى عنها شيئاً لكونه فى غاية الوهن و الضعف و لا يجدى نفعاً كذلك الأصنام لا تملك لهم خيراً و شراً و نفعاً و ضرراً و الولى هو المتولى للنصره و هو أبلغ من الناصر لأن الناصر قد يكون ناصرًا بأن يأمر غيره بالنصره و الولى هو الذى يتولى النصره بنفسه «وَإِنْ أُوْهَنَ الْبُيُوتِ» أى أضعفها «لَبِئْسَ الْعُنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» صحه ما أخبرناهم به و يتحققون و لو متعلقه بقوله «اتَّخَذُوا» أى لو علموا أن اتخاذهم الأولياء كاتخاذ العنكبوت بيتاً سخيلاً لم يتخذوهم أولياء و لا يجوز أن تكون متعلقه بقوله «وَإِنْ أُوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبِئْسَ الْعُنْكَبُوتِ» لأنهم كانوا يعلمون أن بيت العنكبوت واه ضعيف «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ» هذا و عييد منه سبحانه و معناه أنه يعلم ما يعبد هؤلاء الكفار و ما يتخذونه من دونه أرباباً «وَ هُوَ الْعَزِيزُ» الذى لا يغالب فيما يريد «الْحَكِيمُ» فى جميع أفعاله «وَ تَلَسَّكَ الْأَمْثَالُ» و هى الأشباه و النظائر يعنى أمثال القرآن «نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ» أى نذكرها لهم لندعوهم إلى المعرفة و التوحيد و نعرفهم قبح ما هم فيه من عباده الأصنام «وَ مَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ» أى و ما يفهمها إلا من يعلم وجه الشبه بين المثل و الممثل به و قيل معناه و ما يعقل الأمثال إلا العلماء الذين يعقلون عن الله و

روى الواحدى بالإسناد عن جابر قال تلا النبى ص هذه الآية و قال العالم الذى عقل عن الله فعلم بطاعته و اجتنب سخطه

ثم بين سبحانه ما يدل على إلهيته و استحقاها العباده فقال «خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ» أى أخرجهما من العدم إلى الوجود و لم يخلقهما عبثاً بل خلقهما ليسكنهما خلقه و ليستدلوا بهما على إثباته و وحدانيته «بِالْحَقِّ» أى على وجه الحكمة و قيل معناه للحق و إظهار الحق «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ» لأنهم المنتفعون بذلك ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال «اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ» يعنى القرآن أى اقرأه على المكلفين و اعمل بما تضمنه «وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ» أى أداها

بحدودها في مواقيتها «إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ» في هذا دلالة على أن فعل الصلاة لطف للمكلف في ترك القبيح والمعاصي التي ينكرها العقل والشرع فإن انتهى عن القبيح يكون توفيقاً وإلا فقد أتى المكلف من قبل نفسه وقيل إن الصلاة بمنزلة الناهي بالقول إذا قال لا تفعل الفحشاء والمنكر وذلك لأن فيها التكبير والتسبيح والتهليل والقراءة والوقوف بين يدي الله تعالى وغير ذلك من صنوف العبادة وكل ذلك يدعو إلى شكله ويصرف عن ضده فيكون مثل الأمر والنهي بالقول وكل دليل مؤد إلى المعرفة بالحق فهو داع إليه وصارف عن الباطل الذي هو ضده وقيل معناه أن الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ما دام فيها وقيل معناه أنه ينبغي أن تنهاه كقوله وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وقال ابن عباس في الصلاة منهي ومزجر عن معاصي الله فمن لم تنهه صلاته عن المعاصي لم يزد من الله إلا - بعدا وقال الحسن وقتاده من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه و

روى أنس بن مالك الجهني عن النبي ص قال إنه من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله إلا بعدا

و

روى عن ابن مسعود أيضا عن النبي ص أنه قال لا صلاة لمن لم يطع الصلاة وطاعه الصلاة أن ينتهي عن الفحشاء والمنكر ومعنى ذلك أن الصلاة إذا كانت ناهية عن المعاصي فمن أقامها ثم لم ينته عن المعاصي لم تكن صلاته بالصفة التي وصفها الله بها فإن تاب من بعد ذلك وترك المعاصي فقد تبين أن صلاته كانت نافعة له ناهية وإن لم ينته إلا بعد زمان و

روى أنس أن فتى من الأنصار كان يصلي الصلاة مع رسول الله ص ويرتكب الفواحش فوصف ذلك لرسول الله ص فقال إن صلاته تنهاه يوما

و

عن جابر قال قيل لرسول الله ص إن فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال إن صلاته لتردعه

و

روى أصحابنا عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال من أحب أن يعلم أقبلت صلاته أم لم تقبل فلينظر هل منعه صلاته عن الفحشاء والمنكر فبقدر ما منعه قبلت منه

«وَلَعَدِ كُرُّ اللَّهِ أَكْبَرُ» أي ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته عن ابن عباس وسلمان وابن مسعود ومجاهد وقيل معناه ذكر العبد لربه أكبر مما سواه وأفضل من جميع أعماله عن سلمان في روايه أخرى وابن زيد وقتاده وروى ذلك عن أبي الدرداء وعلي هذا فيكون تأويله أن أكبر شيء في النهي عن الفحشاء ذكر العبد لربه وأوامره ونواهيته وما أعده من الثواب والعقاب فإنه أقوى لطف يدعو إلى الطاعة وترك المعصية وهو أكبر من كل لطف وقيل معناه ذكر الله العبد في الصلاة أكبر من الصلاة عن أبي مالك وقيل إن ذكر الله هو التسبيح والتقديس والتهليل وهو أكبر وأحرى بأن ينهى عن الفحشاء والمنكر عن الفراء أي من كان ذاكرة لله فيجب أن ينهاه ذكره عن الفحشاء والمنكر وروى عن ثابت البناني قال إن رجلا - أعتق أربع

رقاب فقال رجل آخر سبحان الله و الحمد لله

ص: ٢٤

ولا إله إلا الله و الله أكبر ثم دخل المسجد فأتى حبيب بن أوفى السلمى و أصحابه فقال ما تقولون فى رجل أعتق أربع رقاب و أنى أقول سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر فأيهما أفضل فنظروا هنيهة فقالوا ما نعلم شيئا أفضل من ذكر الله و عن معاذ بن جبل قال ما عن عمل آدمى عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز و جل و قيل و لا الجهاد فى سبيل الله قال و لا الجهاد فإن الله عز و جل يقول «وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ» و

عنه قال سألت رسول الله ص أى الأعمال أحب إلى الله قال إن تموت و لسانك رطب من ذكر الله عز و جل و قال ص يا معاذ إن السابقين الذين يسهرون بذكر الله عز و جل و من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز و جل

و روى عن عطا بن السائب عن عبد الله بن ربيعه قال قال ابن عباس أ رأيت قول الله عز و جل «وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ» قال قلت ذكر الله بالقرآن حسن و ذكره بالصلاه حسن و بالتسبيح و التكبير و التهليل حسن و أفضل من ذلك أن يذكر الرجل ربه عند المعصيه فينجز عنها فقال ابن عباس لقد قلت قولاً عجيباً و ما هو كما قلت و لكن ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه «وَلِلَّهِ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ» من خير و شر فيجازيكم بحسبه.

[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٤٦ الى ٥٠]

اشاره

وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَ قُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَ إِلَهُنَا وَ إِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٤٦) وَ كَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَ مَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ (٤٧) وَ مَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَ لَا تَخْطُهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبْطِلُونَ (٤٨) بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ مَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (٤٩) وَ قَالُوا لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا آيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠)

ص: ٢٧

قرأ ابن كثير و أهل الكوفة غير حفص و قتيبه آيه من ربه على التوحيد و الباقر «آيات» على الجمع.

الحجة

قال أبو علي حجه الأفراد قوله فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ وَ قَالُوا لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَ حجه الجمع أن في حرف أبي زعموا لو لا يأتينا بآيات من ربه «قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ» و قد تقع على لفظ الواحد و يراد به كثره كما جاء وَ جَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ آيَةً وَ لَيْسَ فِي قَوْلِهِ «قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ» دلالة على ترجيح من قرأ «آيات» لأنه لما اقترحوا آيه قيل إنما الآيات عند الله و المعنى الآيه التي اقترحوها و آيات أخر لم تقترحوها.

اللغة

أصل الجدل شده الفتل يقال جدلته أجدله جدلا إذا فتلته فتلا شديدا و الجدل فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج فيه و قيل إن أصله من الجداله و هي الأرض فإن كل واحد من الخصمين يروم أن يلقي صاحبه بالجداله. الخط معروف و الارتياب و الريبه شك مع تهمه.

الإعراب

«الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ» في محل نصب على الاستثناء من «أَهْلَ الْكِتَابِ» وَ كَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ» تقديره و كما أنزلنا إلى أهل الكتاب الكتاب أنزلنا إليك الكتاب.

«إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ» اللام للقسام و في الكلام حذف تقديره و لو خططه بيمينك أو تلوت قبله كتابا إذا و الله لارتابوا به. من ربه في موضع رفع بأنه صفة آيه.

المعنى

لما تقدم الأمر بالدعاء إلى الله سبحانه بين عقبيه كيف يدعونهم و كيف يجادلونهم فقال «وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ» و هم نصارى بنى نجران و قيل اليهود و النصارى «إِلَّا بِمَا تَتَّبِعُونَ» أى بالطريق التى هى أحسن و إنما يكون أحسن إذا كانت المناظره برفق و لين لإيراده الخير و النفع بها و مثله قوله فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَيْتًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى و الأحسن الأعلى فى الحسن من جهه قبول العقل له و قد يكون أيضا أعلى فى الحسن من جهه قبول الطبع و قد يكون فى الأمرين جميعا و فى هذا دلالة على وجوب الدعاء إلى الله تعالى على أحسن الوجوه و ألطفها و استعمال القول الجميل فى التنبيه على آيات الله و حججه «إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ» أى إلا من أبى أن يقر بالجزية منهم و نصب الحرب فجادلوا هؤلاء بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن مجاهد و سعيد بن جبير و قيل إلا الذين ظلموا منهم بالعناد و كتمان صفة نبينا ص بعد العلم به عن أبى مسلم و قيل إلا الذين ظلموا منهم بالإقامة على الكفر بعد قيام الحجة عن ابن زيد و الأولى أن يكون معناه إلا الذين ظلموك فى جدالهم أو

فى غيرہ مما يقتضى الإغلاظ لهم فيجوز أن يسلكوا معهم طريقه الغلظه و قيل إن الآيه منسوخه بآيه السيف عن قتاده و الصحيح أنها غير منسوخه لأن الجدل على الوجه الأحسن هو الواجب الذى لا يجوز غيره «وَقُولُوا» لهم فى المجادله و فى الدعوه إلى الدين «آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ» أى بالكتاب الذى أنزل إلينا و بالكتاب الذى أنزل إليكم «وَ إِلَيْنَا وَ إِلَيْكُمْ وَاحِدٌ» لا شريك له «وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» أى مخلصون طاعون «وَ كَذَلِكَ» أى و مثل ما أنزلنا الكتاب على موسى و عيسى «أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ» و هو القرآن «فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ» أى علم الكتاب فحذف المضاف «يُؤْمِنُونَ بِهِ» يعنى مؤمنى أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام و نظرائه «وَ مِنْ هَؤُلَاءِ» يعنى كفار مكه «مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ» يعنى من أسلم منهم و يجوز أن تكون الهاء فى ربه راجعه إلى النبى ص و يجوز أن تكون راجعه إلى القرآن و يحتمل أيضا أن يريد بقوله «فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ» المسلمين و الكتاب القرآن و من هؤلاء يعنى و من اليهود و النصارى من يضمن به «وَ مَا يَجْعَدُ بآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ» أى و ما ينكر دلالاتنا إلا الكافرون و لا يضرك جحودهم ثم خاطب نبيه ص فقال «وَ مَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ» أى و ما كنت يا محمد تقرأ قبل القرآن كتابا و المعنى أنك لم تكن تحسن القراءة قبل أن يوحى إليك بالقرآن «وَ لَا تَخْطُ بِيَمِينِكَ» معناه و ما كنت أيضا تكتبه بيدك «إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ» أى و لو كنت تقرأ كتاب أو تكتبه لوجد المبطلون طريقا إلى اكتساب الشك فى أمرك و إلقاء الريبه لضعفه الناس فى نبوتك و لقالوا إنما تقرأ علينا ما جمعته من كتب الأولين فلما ساويتهم فى المولد و المنشأ ثم أتيت بما عجزوا عنه و جب أن يعلموا أنه من عند الله تعالى و ليس من عندك إذ لم تجر العاده أن ينشأ الإنسان بين قوم يشاهدون أحواله من عند صغره إلى كبره و يرونه فى حضره و سفره لا يتعلم شيئا من غيره ثم يأتى من عنده بشىء يعجز الكل عنه و عن بعضه و يقرأ عليهم أفاصيص الأولين. قال الشريف الأجل المرتضى علم الهدى قدس الله روحه هذه الآيه تدل على أن النبى ص ما كان يحسن الكتابه قبل النبوه فأما بعد النبوه فالذى نعتقده فى ذلك التجويز لكونه عالما بالكتابه و القراءه و التجويز لكونه غير عالم بهما من غير قطع على أحد الأمرين و ظاهر الآيه يقتضى أن النفى قد تعلق بما قبل النبوه دون ما بعدها و لأن التعليل فى الآيه يقتضى اختصاص النفى بما قبل النبوه لأن المبطلين إنما يرتابون فى نبوته ص لو كان يحسن الكتابه قبل النبوه فأما بعد النبوه فلا تعلق له بالريبه و التهمه فيجوز أن يكون قد تعلمها من جبرائيل (عليه السلام) بعد النبوه ثم قال سبحانه «بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» يعنى أن القرآن دلالات واضحات فى صدور العلماء و هم النبى ص و المؤمنون به لأنهم حفظوه و وعوه و رسخ معناه فى قلوبهم عن الحسن و

قيل

هم الأئمة (عليه السلام) من آل محمد عن أبي جعفر و أبي عبد الله ع

وقيل إن هو كناية عن النبي ص أى أنه فى كونه أميا لا- يقرأ و لا- يكتب آيات بينات فى صدور العلماء من أهل الكتاب لأنه منعت فى كتبهم بهذه الصفة عن الضحاك و قال قتاده المراد به القرآن و أعطى هذه الأئمة الحفظ و من كان قبلها لا يقرأون الكتاب إلا نظرا فإذا طبقوه لم يحفظوا ما فيه إلا اليسير «و ما يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ» الذين ظلموا أنفسهم بترك النظر فيها و العناد لها بعد حصول العلم لهم بها و قيل يريد بالظالمين كفار قريش و اليهود «و قالوا» يعنى كفار مكة «لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ» أراد به الآيات التى اقترحوها فى قوله و قالوا لَنْ نُؤْمِنَ لِمَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا الْآيَاتِ و أن يجعل الصفا ذهبا و قيل إنهم سألو آيه كآيه موسى (عليه السلام) من فلق البحر و قلب العصا حيه و جعلوا ما أتى به من المعجزات و الآيات غير آيه و حجه إلقاء للشبهه بين العوام فقال الله تعالى «قُلْ» يا محمد لهم «إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ» ينزلها و يظهرها بحسب ما يعلم من مصالح عباده و ينزل على كل نبي منها ما هو أصلح له و لأئمة و لذلك لم تتفق آيات الأنبياء كلها و إنما جاء كل نبي بفن منها «و إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ» أى منذر مخوف من معصيه الله مظهر طريق الحق و الباطل و قد فعل الله سبحانه ما يشهد بصدقى من المعجزات.

[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٥١ الى ٥٥]

اشاره

أَ و لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَ ذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١) قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَ كَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٥٢) وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَ لَوْ لَا أَجَلٌ مُسَيَّمٌ لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَ لَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٣) يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٥٤) يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَ يَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٥)

ص: ٣٠

قرأ نافع و أهل الكوفه «وَيَقُولُ» بالياء و الآخرون بالنون.

الحجه

قال أبو علي و يقول أى و يقول الموكل بعذابهم ذوقوا كقوله وَ الْمَلَائِكَةُ بِاسْطِطُوا أَيُّدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ أى يقولون لهم و من قرأ بالنون فلأن ذلك لما كان بأمره سبحانه جاز أن ينسب إليه و المعنى ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون و إنما قيل ذوقوا لوصول ذلك إلى المعذبين و اتصاله كوصول المذوق إلى الذائق قال (دونك ما جنيته فأحسن و ذق).

الإعراب

يتلى فى موضع نصب على الحال من الكتاب أى متلو عليهم. «يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ» يجوز أن يكون صفه لقوله «شَهِيداً» و يجوز أن يكون حالاً- و يجوز أن يكون جملة مستأنفه لا محل لها من الإعراب. «وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ» اللام جواب قسم مقدر. بغته منصوب على الحال. «يَوْمَ يَعْشَاهُمْ» ظرف لقوله «لَمُحِيظَةً».

المعنى

لما تقدم طلبهم للآيات أجابهم سبحانه فقال «أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ» يا محمد «الْكِتَابَ» أى القرآن «يُتْلَى عَلَيْهِمْ» بين سبحانه أن فى إنزال القرآن دلالة واضحة و معجزه لا تُنحى و حجه بالغه تنزاح معه العله و تقوم به الحجه فلا يحتاج فى الوصول إلى العلم بصحة نبوته إلى غيره على أن إظهار المعجزات مع كونها إزاحه للعله تراعى فيه المصلحه فإذا كانت المصلحه فى إظهار نوع منها لم يجز إظهار غيرها و لو أظهر الله سبحانه الآيات التى اقترحوها ثم لم يؤمنوا لاقتضت الحكمة إهلاكهم بعذاب الاستئصال كما اقتضت ذلك فى الأمم السالفه و قد وعد الله سبحانه أن لا يعذب هذه الأمة بعذاب الاستئصال و فى هذا دلالة على أن القرآن كاف فى المعجز و أنه فى أعلى درجات الإعجاز لأنه جعله كافياً عن جميع المعجزات و الكفايه بلوغ حد ينافى الحاجة «إِنَّ فِي ذَلِكْ» معناه إن فى القرآن «لَرَحْمَةً» أى نعمه عظيمه الموقع لأن من تبعه و عمل به نال الثواب و فاز بالجنه «وَ ذُكِّرَى» أى و تذكير أو موعظه «لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» أى يصدقون به و قيل أن قوما من المسلمين كتبوا شيئاً من كتب أهل الكتاب فهددهم سبحانه فى هذه الآيه و نهاهم عنه و

قال النبى ص جئتكم بها بيضاء نقيه

«قُلْ» يا محمد «كَفَى بِاللَّهِ بَيِّنَى

وَيَبِّئُكُمْ شَهِيداً لى بالصدق والإبلاغ و عليكم بالتكذيب و العناد و شهاده الله له قوله مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ و هو فى كلام معجز قد ثبت أنه من الله سبحانه و قيل إن شهاده الله له إثبات المعجزه له بإنزال الكتاب عليه «يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» فيعلم أنى على الهدى و أنكم على الضلاله «وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ» أى صدقوا بغير الله عن ابن عباس و قيل بعباده الشيطان عن مقاتل «وَ كَفَرُوا بِاللَّهِ» أى جحدوا و حدانيه الله «أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» خسروا ثواب الله بارتكاب المعاصى و الجحود بالله «وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ» يا محمد أى يسألونك نزول العذاب عاجلاً- لجحودهم صحه ما توعدهم به كما قال النضر بن الحرث أمطر علينا حجاره من السماء «وَ لَوْ لَا- أَجَلٌ مُّسَمًّى» أى وقت قدره الله تعالى أن يعاقبهم فيه و هو يوم القيامة أو أجل قدره الله تعالى أن يبقينهم إليه لضرب من المصلحه «لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ» الذى استحقوه «وَ لِيَأْتِيَنَّهُمُ الْعَذَابُ» بَعْتَهُ وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ» بإتيانه و وقت مجيئه ثم ذكر أن موعد عذابهم النار فقال «يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ» يعنى إن العذاب و إن لم يأتهم فى الدنيا فإن جهنم محيطه بهم أى جامعهم لهم و هم معذبون فيها لا محاله «يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ» يعنى أن العذاب يحيط بهم لا أنه يصل إلى موضع منهم دون موضع فلا يبقى جزء منهم إلا و هو معذب فى النار عن الحسن و هذا كقوله لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَ مِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ «وَ يَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» أى جزاء أعمالكم و أفعالكم القبيحه.

[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٥٦ الى ٦٠]

إشارة

يا عبادى الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضى و اسعته فإياى فاعبُدون (٥٦) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٥٧) وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَبَوَّئْتُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرُفًا تَجْرى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٥٨) الَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٥٩) وَ كَأَيُّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَ إِيَّاكُمْ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦٠)

القراءة

قرأ يرجعون بالياء يحيى عن أبى بكر و هشام و الباقون بالتاء و قرأ أهل الكوفة

ص: ٣٢

غير عاصم لثنوينهم بالثاء و الباقون «لَتَبَوَّئَتْهُمْ» بالباء.

الحج

قال أبو على أما يرجعون بالياء فلان الذى قبله على لفظ الغيبة و «تُرْجَعُونَ» على أنه انتقل من الغيبة إلى الخطاب مثل إِيَّاكَ نَعْبُدُ بعد قوله الْحَمْدُ لِلَّهِ و حجه من قرأ «لَتَبَوَّئَتْهُمْ» بالباء قوله «وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ» و «إِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ» و تكون اللام هنا زائده كزيادتها فى قوله «رَدَفَ لَكُمْ» و يجوز أن يكون بوأنا لدعاء إبراهيم (عليه السلام) و يكون المفعول محذوفا أى بوأنا لدعائه ناسا مكان البيت و من قرأ لثنوينهم فحجته قوله «وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ» أى مقيما نازلا فيهم قال الأعرشى:

أثوى و قصر ليله ليزودا و مضى و أخلف من قتيله موعدا

و قال حسان:

" ثوى فى قریش بضع عشره حجه "

أى أقام فيهم فإذا تعدى بحرف جر فزيدت عليه الهمزة و جب أن يتعدى إلى المفعول الثانى بحرف جر و ليس فى الآيه حرف جر قال أبو الحسن قرأ الأعمش لثنوينهم من الجنه غرفا و لا يعجبنى لأنك لا تقول أثويته الدار قال أبو على و وجهه أنه كان فى الأصل لثنوينهم من الجنه فى غرف كما يقول لثنولهم من الجنه فى غرف و حذف الجار كما حذف من قولك " أمرتك الخير فافعل ما أمرت به " و يقوى ذلك أن الغرف و إن كانت أماكن مختصه فقد أجريت المختصه من هذه الحروف مجرى غير المختص نحو قوله:

(كما غسل الطريق الثعلب)

و نحو ذهب الشام عند سيويه.

الإعراب

خالد بن نصب على الحال من الهاء و الميم. «الَّذِينَ صَبَرُوا» فى موضع جر صفه للعالمين و يكون المخصوص بالمدح محذوفا أى نعم أجر العاملين الصابرين المتوكلين أجرهم و يجوز أن يكون المضاف محذوفا أى نعم أجر العاملين أجر الذين صبروا فحذف المخصوص بالمدح و أقام المضاف إليه مقامه. «وَكَايُنْ مِنْ دَابَّهِ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ». موضع كأيُن مرفوع. و من دابه فى موضع التبيين له. و قوله «لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا» صفه للمجرور و يكون قوله الله مبتدأ و يرزقها خبره و الجملة خبر كأيُن.

قيل نزلت الآية الأولى في المستضعفين من المؤمنين بمكة أمروا بالهجرة عنها عن مقاتل و الكلبى و نزل قوله «وَ كَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا» في جماعه كانوا بمكة يؤذيهن المشركون فأمرؤا بالهجرة إلى المدينة فقالوا كيف نخرج إليها و ليس لنا بها دار و لا عقار و من يطعمنا و من يسقينا.

المعنى

ثم بين سبحانه أنه لا عذر لعباده في ترك طاعته فقال «يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ» يبعد أقطارها فاهربوا من أرض يمنعكم أهلها من الإيمان و الإخلاص في عبادتي و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) معناه إذا عصى الله في أرض أنت فيها فاخرج منها إلى غيرها

و قيل معناه إن أرض الجنة واسعة عن الجبائى و أكثر المفسرين على القول الأول «فَأَيَّايَ فَاعْتِدُونِ» أى اعبدونى خالصا و لا تطيعوا أحدا من خلقى فى معصيتى و إياى منصوب بفعل مضمر يفسره ما بعده و قد مر بيانه و قيل إن دخول الفاء للجزاء و التقدير إن ضاق بكم موضع فاعبدونى و لا تعبدوا غيرى إن أرضى واسعة أمر سبحانه المؤمنين إذا كانوا فى بلد لا يلتئم فيه لهم أمر دينهم أن ينتقلوا عنه إلى غيره ثم خوفهم بالموت ليهون عليهم الهجره فقال «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» أى كل نفس أحيها الله بحياء خلقها فيه ذائقه مراره الموت بأى أرض كان فلا- تقيموا بدار الشرك خوفا من الموت «ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ» بعد الموت فنجازيكم بأعمالكم ثم ذكر سبحانه ثواب من هاجر فقال «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» يعنى المهاجرين «لَنُبَوِّئَنَّهُمْ» أى لننزلنهم «مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا» أى علالى عاليات «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» قال ابن عباس لنسكننهم غرف الدر و الزبرجد و الياقوت و لننزلنهم قصور الجنة «خَالِدِينَ فِيهَا» يبقون فيها ببقاء الله «نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ» لله تلك الغرف ثم وصفهم فقال «الَّذِينَ صَبَرُوا» على دينهم فلم يتركوه لشده نالتهم و أذى لحقهم و صبروا على مشاق الطاعات «وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» فى مهمات أمورهم و مهاجره دورهم ثم قال «وَ كَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا» أى و كم من دابه لا يكون رزقها مدخرا معدا عن الحسن و قيل معناه لا تطيق حمل رزقها لضعفها و تأكل بأفواهاها عن مجاهد و قيل إن الحيوان أجمع من البهائم و الطيور و غيرها مما يدب على وجه الأرض لا تدخر القوت لغدها إلا ابن آدم و النملة و الفأره بل تأكل منه قدر كفايتها فقط عن ابن عباس «اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَ إِيَّاكُمْ» أى يرزق تلك الدابه الضعيفه التى لا تقدر على حمل رزقها و يرزقكم أيضا فلا تتركوا الهجره بهذا السبب و

عن عطا عن ابن عمر قال خرجنا مع رسول الله ص حتى دخل بعض حيطان الأنصار فجعل يلتقط من التمر و يأكل فقال يا ابن عمر ما لك لا تأكل فقلت لا أشتهيه يا رسول الله قال لكنى أشتهيه و هذه صبح رابعه منذ لم أذق

طعاما و لو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى و قيصر فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت مع قوم يخبثون رزق سنتهم لضعف اليقين فو الله ما برحنا حتى نزلت هذه الآية «وَكَأَيُّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»
أى السميع لأقوالكم عند مفارقه أوطانكم العليم بأحوالكم لا يخفى عليه شىء من سركم و إعلاناتكم.

[سوره العنكبوت (٢٩): الآيات ٦١ الى ٦٩]

اشاره

وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ سَيَّحَرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٦١) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٢) وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٦٣) وَ مَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوَ وَ لَعَبٌ وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤) فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥)

لَيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَ لَيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٦٦) أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَ يَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ (٦٧) وَ مِنْ أَظْلَمِ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ (٦٨) وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَ إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)

قرأ ابن كثير و قالون و أهل الكوفه غير عاصم إلا الأعمش و البرجمى و ليتمتعوا ساكنه اللام و الباقون و «لِيَتَمَتَّعُوا» بكسر اللام.

الحجج

قال أبو على من كسر اللام و جعلها الجاره كانت متعلقه بالإشراك المعنى يشركون ليكفروا أى لا فائده لهم فى الإشراك إلا الكفر و ليس يرد عليهم الشرك نفعاً إلا الكفر و التمتع بما يستمتعون به فى العاجله من غير نصيب فى الآخره و من قرأ و ليتمتعوا و أراد الأمر كان على معنى التهديد و الوعيد كقوله «وَ اسْتَفْزِرْ مَنْ اسْتَطَعْتَ» و «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ» و يدل على ذلك قوله فى موضع آخر «فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» و الإسكان فى لام الأمر سائغ.

اللغه

قال أبو عبيده الحيوان و الحياه واحد و هما مصدران حى حياه و حيوانا و الحياه عرض يصير الأجزاء بمنزله الشىء الواحد حتى يصح أن يكون قادرا عالما و خاصيه الحياه الإدراك. و التخطف تناول الشىء بسرعه و منه اختطاف الطير لصيده.

الإعراب

أنى فى قوله «فَهَآئِنِ يُؤْفَكُونَ» منصوب الموضع فيجوز أن يكون حالا- من يؤفكون و التقدير منكربن يؤفكون و يجوز أن يكون مصدرا تقديره أى إفك يؤفكون «وَ يَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ» جملة فى موضع الحال.

المعنى

ثم عجب سبحانه و رسوله و المؤمنون من إيمان المشركين بالباطل مع اعترافهم بأن الله هو الخالق الفاعل فقال «وَ لَئِن سَأَلْتَهُمْ» أى إن سألت يا محمد هؤلاء المشركين «مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ» أى من أنشأهما و أخرجهما من العدم إلى الوجود «وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ» أى من ذللهما و سيرهما فى دورانهما على طريقه واحده لا تختلف «لَيَقُولُنَّ» فى جواب ذلك «اللَّهُ» الفاعل لذلك لأنهم كانوا يقولون بحدوث العالم و النشأ الأولى «فَهَآئِنِ يُؤْفَكُونَ» أى فكيف يصرفون عن عبادته إلى عباده حجر لا ينفع و لا يضر «اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ» أى يوسعه «لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ» أى و يضيق ذلك على قدر ما تقتضيه المصلحه و إنما خص بذكر الرزق على الهجره لثلا- يخلفهم عنها خوف العيله «إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» يعلم مصالح عباده فيرزقهم بحسبها «وَ لَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ» فى الجواب عن ذلك «اللَّهُ قُلِ» يا محمد عند ذلك «الْحَمْدُ لِلَّهِ» على كمال قدرته و تمام نعمته و على ما وفقنا للاعتراف بتوحيده و الإخلاص فى عبادته ثم قال «بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ» توحيد ربهم مع إقرارهم بأنه خالق الأشياء و منزل المطر من السماء لأنهم لا يتدبرون و عن الطريق المفضى

إلى الحق يعدلون فكأنهم لا- يعقلون «وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ» لأنها تزول كما يزول اللهو و اللعب و يستمتع بها الإنسان مده ثم تنصرم و تنقطع «وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ» يعنى الجنة «لَهِيَ الْحَيَاةُ» أى الحياه على الحقيقه لأنها الدائمه الباقيه التى لا زوال لها و لا- موت فيها و تقديره و إن الدار الآخرة لهى دار الحيوان أو ذات الحيوان لأن الحيوان مصدر كالتزوان و الغليان فحذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه و المعنى أن حياه الدار الآخرة هى الحياه التى لا تنغىص فيها و لا تكدير «لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» الفرق بين الحياه الفانيه و الحياه الباقيه الدائمه أى لو علموا لرغبوا فى الباقي و زهدوا فى الفانى و لكنهم لا يعلمون «فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» أخبر الله سبحانه عن حال هؤلاء الكفار فقال إنهم إذا ركبوا فى السفن فى البحر و هاجت به الرياح و تلاطمت به الأمواج و خافوا الهلاك-ك أخلصوا الدعاء لله مستيقنين أنه لا- يكشف السوء إلا- هو و تركوا شركاءهم فلم يطلبوا منهم إنجاءهم «فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ» أى فلماخلصهم إلى البر و أمنوا الهلاك عادوا إلى ما كانوا عليه من الإشراك معه فى العباده «لِيُكْفَرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَ لِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ» إن جعلت اللام للأمر فمعناه التهديد أى ليجحدوا نعم الله فى إنجائه إياهم و ليتمتعوا بباقي عمرهم فسوف يعلمون عاقبه كفرهم و إن جعلتها لام- كى فالمعنى أنهم يشركون ليكفروا و قد مر معناه «أَوْ لَمْ يَرَوْا» أى ألم يعلم هؤلاء الكفار «أَنَا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا» يأمن أهله فيه من القتل و الغاره «وَ يُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ» أى يقتل بعضهم بعضا فيما حولهم و هم آمنون فى الحرم ذكرهم سبحانه النعمه بذلك ليذعنوا له بالطاعه و ينزجروا عن عبادته غيره ثم قال مهددا لهم «أَفِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ» أى يصدقون بعباده الأصنام و هى باطله مضمحله «وَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ» التى أنعم بها عليهم «يَكْفُرُونَ» ثم قال «وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» أى لا ظالم أظلم ممن أضاف إلى الله ما لم يقله من عبادته الأصنام و غيرها «أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ» أى بالقرآن و قيل بمحمد ص «لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ» هذا استفهام تقرير أى أما لهؤلاء الكفار المكذبين مثنوى فى جهنم و هذا مبالغه فى إنجاز الوعيد لهم «وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِيْنَا» أى جاهدوا الكفار ابتغاء مرضاتنا و طاعه لنا و جاهدوا أنفسهم فى هواها خوفا منا و قيل معناه اجتهدوا فى عبادتنا رغبه فى ثوابنا و رهبه فى عقابنا «لَنُهِدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا» أى لنهدينهم السبل الموصله إلى ثوابنا عن ابن عباس و قيل لنوفقنهم لازدياد الطاعات فيزداد ثوابهم و قيل معناه و الذين جاهدوا فى إقامه السنه لنهدينهم سبل الجنه و قيل معناه و الذين يعملون بما يعلمون لنهدينهم إلى ما لا يعلمون «وَ إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ» بالنصر و المعونه فى دنياهم و الثواب و المغفره فى عقابهم و بالله التوفيق.

(٣٠) سورة الروم مكيه و آياتها ستون (٦٠)

اشاره

[توضيح]

هى مكيه قال الحسن إلا قوله «فَشَبَّحَانَ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ» الآيه

عدد آياتها

تسع و خمسون مكيه و المدنى الأخير و الباكون ستون آيه.

اختلافها

أربع آيات «الم» كوفى «غَلَبَتِ الرُّومُ» غير الكوفى و المدنى الأخير فى بَضْعِ سِنِينَ» غير الكوفى و المدنى الأول «يُقَسِّمُ الْمُجْرِمُونَ» المدنى الأول.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأها كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح لله ما بين السماء و الأرض و أدرك ما ضيع فى يوم و ليلته.

تفسيرها

أجمل فى آخر العنكبوت ذكر المجاهدين ثم فصل فى هذه السوره فقال:

[سورة الروم (٣٠): الآيات ١ الى ٧]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم (١) غَلَبَتِ الرُّومُ (٢) فى أَدْنَى الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعِيدٍ عَلَيْهِمْ سَيِّغْلِبُونَ (٣) فى بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعِيدٍ وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤)

بَنْصُرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَ عَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧)

قال الزجاج الغلب و الغلبه مصدر غلبت مثل الجلب و الجلبه و الغلبه الاستيلاء على القرن بالقهر و البضع القطعه من العدد ما بين الثلاثه إلى العشره و هو من بضعته أى قطعه تبضيعا و منه البضاعه القطعه من المال تدور فى التجاره قال المبرد البضع ما بين العقدين فى جميع الأعداد و الفرح و السرور نظيران و تقيضهما الغم و ليس شىء من ذلك بجنس و الصحيح أنها من جنس الاعتقاد.

الإعراب

«مِنْ بَعْدِ غَلْبِهِمْ» تقديره من بعد أن غلبوا فالمصدر مضاف إلى المفعول.

وعد الله مصدر مؤكد لأن قوله «سَيَغْلِبُونَ» وعد من الله للمؤمنين فالمعنى وعد الله ذلك وعدا.

المعنى

«الم» مر تفسيره «غَلِبَتِ الرُّومُ» قال المفسرون غلبت فارس الروم و ظهروا عليهم على عهد رسول الله ص و فرح بذلك كفار قريش من حيث إن أهل فارس لم يكونوا أهل كتاب و ساء ذلك المسلمين و كان بيت المقدس لأهل الروم كالكعبه للمسلمين فدفعتهم فارس عنه و قوله «فِي أَدْنَى الْأَرْضِ» أى فى أدنى الأرض من أرض العرب عن الزجاج و قيل فى أدنى الأرض من أرض الشام إلى أرض فارس يريد الجزيره و هى أقرب أرض الروم إلى فارس عن مجاهد و قيل يريد أذرعات و كسكر عن عكرمه «وَهُمْ» يعنى الروم «مِنْ بَعْدِ غَلْبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ» أى من بعد غلبه فارس إياهم سيغلبون فارس «فِي بَضْعِ سَيِّئِينَ» و هذه من الآيات الداله على أن القرآن من عند الله عز و جل لأن فيه أنباء ما سيكون و ما يعلم ذلك إلا الله عز و جل «لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدِ» أى من قبل أن غلبت الروم و من بعد أن غلبت فإن شاء جعل الغلبه لأحد الفريقين على الآخر و إن شاء جعل الغلبه للفريق الآخر عليهم و إن شاء أهلكهما جميعا «وَيَوْمَئِذٍ يُفْرِحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ» أى و يوم يغلب الروم فارسا يفرح المؤمنون بدفع الروم فارسا عن بيت المقدس لا- بغلبه الروم على بيت المقدس فإنهم كفار و يفرحون أيضا لوجه آخر و هو اغتمام المشركين بذلك و لتصديق خبر الله عز و جل و خبر رسوله و لأنه مقدمه لنصرهم على المشركين «يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ» من عباده «وَهُوَ الْعَزِيزُ» فى الانتقام من أعدائه «الرَّحِيمُ» بمن أناب إليه من خلقه «وَعَزِيدَ اللَّهِ» أى وعد الله ذلك «لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ» بظهور الروم على فارس «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ» يعنى كفار مكه «لَا يَعْلَمُونَ» صحه ما أخبرناه لجهلهم بالله تعالى

«يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ» أى يعلمون منافع الدنيا و مضارها و متى يزرعون و متى يحصدون و كيف يجمعون و كيف يبنون و هم جهال بالآخرة فعمروا دنياهم و خربوا آخرتهم عن ابن عباس و قال الحسن بلغ و الله من علم أحدهم بدنياه أن يقلب الدرهم على ظهره فيخبرك بوزنه و ما يحسن أن يصلى و

سئل أبو عبد الله (عليه السلام) عن قوله «يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» فقال منه الزجر و النجوم.

[القصة]

عن الزهري قال كان المشركون يجادلون المسلمين و هم بمكة يقولون أن الروم أهل كتاب و قد غلبهم الفرس و أنتم تزعمون أنكم ستغلبون بالكتاب الذى أنزل إليكم على نبيكم فسنغلبكم كما غلبت فارس الروم و أنزل الله تعالى «الم غُلِبَتِ الرُّومُ» إلى قوله «فِي بَضْعِ سِنِينَ»

قال فأخبرني عبد الله بن عتبة بن مسعود أن أبا بكر ناحب بعض المشركين قبل أن يحرم القمار على شىء إن لم تغلب فارس فى سبع سنين فقال رسول الله ص لم فعلت فكل ما دون العشرة بضع

فكان ظهور فارس على الروم فى تسع سنين ثم أظهر الله الروم على فارس زمن الحديبيه ففرح المسلمون بظهور أهل الكتاب و روى أبو عبد الله الحافظ بالإسناد عن ابن عباس فى قوله «الم غُلِبَتِ الرُّومُ» قال قد مضى كان ذلك فى أهل فارس و الروم و كانت فارس قد غلبت عليهم ثم غلبت الروم بعد ذلك و لقي نبي الله مشركى العرب و التقت الروم و فارس فنصر الله النبي ص و من معه من المسلمين على مشركى العرب و نصر أهل الكتاب على مشركى العجم ففرح المسلمون بنصر الله إياهم و نصر أهل الكتاب على العجم قال عطيه و سألت أبا سعيد الخدرى عن ذلك فقال التقينا مع رسول الله ص و مشركو العرب و التقت الروم و فارس فنصرنا الله على مشركى العرب و نصر أهل الكتاب على المجوس ففرحنا بنصر الله إيانا على مشركى العرب و نصر أهل الكتاب على المجوس فذلك قوله «يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ» و قال سفيان الثورى سمعت أنهم ظهروا يوم بدر و قال مقاتل فلما كان يوم بدر غلب المسلمون كفار مكة و أخبر رسول الله ص أن الروم غلبت فارسا ففرح المؤمنون بذلك و روى أنهم استردوا بيت المقدس و أن ملك الروم مشى إليك شكرا و بسطت له الرياحين فمشى عليها و قال الشعبى لم تمض تلك المده

التي عقدها أبو بكر مع أبي بن خلف حتى غلبت الروم فارسا و ربطوا خيولهم بالمدائن و بنوا الروميه فأخذ أبو بكر الخطر من ورثته و جاء به إلى رسول الله ص فتصدق به و روى أن أبا بكر لما أراد الهجرة تعلق به أبي و أخذ ابنه عبد الله بن أبي بكر كفيلا فلما أراد أن يخرج أبي إلى حرب أحد تعلق به عبد الله بن أبي بكر و أخذ منه ابنه كفيلا و جرح أبي في أحد و عاد إلى مكة فمات من تلك الجراحه جرحه رسول الله ص و جاءت الروايه

عن النبي ص أنه قال لفارس نطحه أو نطحتان ثم قال لا فارس بعدها أبدا و الروم ذات القرون كلما ذهب قرن خلف قرن هبهب إلى آخر الأبد

و المعنى أن فارس تنطح نطحه أو نطحتين فيبطل ملكها و يزول أمرها

[سوره الروم (٣٠): الآيات ٨ الى ١٠]

إشاره

أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (٨) أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسِهِمْ يَظْلِمُونَ (٩) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوَاى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤْنَ (١٠)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير البرجمى و الشمونى عن أبى بكر عاقبه بالنصب و الباقون بالرفع.

الحججه

قال أبو على من نصب عاقبه جعلها خبر كان و نصبها متقدمه كما قال و كَانَ

حَقًّا عَلَيْنَا نَصِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَأما اسمها على هذه القراءة فيجوز أن يكون أحد الشئيين السوأى عاقبه الذين أساءوا و يكون إن كذبوا مفعولا له أى لأن كذبوا و لا يجوز أن يكون كذبوا متعلقا بقوله «أسأؤا» على هذا لأنك تفصل بين الصلة و الموصول باسم كان أو يكون إن كذبوا اسم كان و التقدير ثم كان التكذيب عاقبه الذين أساءوا و يكون السوأى على هذا مصدرا لأساءوا لأن فعلى من أبنيه المصادر كالرجعى و الشورى و البشرى و يدل على أن السوأى و السوء بمنزله المصدر ما أنشده أبو عمرو:

أنى جزوا عامرا سوءا بفعلهم أم كيف يجزوننى السوأى من الحسن

و من رفع عاقبه جاز أن يكون الخبر أحد الشئيين السوأى و إن كذبوا كما جاز فى النصب أن يكون كل واحد منهما الاسم و معنى الذين أساءوا الذين أشركوا و التقدير ثم كان عاقبه المسىء التكذيب بآيات الله أى لم يظفر فى كفره و شركه بشىء إلا بالتكذيب و إذا جعلت أن كذبوا نفس الخبر جعلت السوأى فى موضع نصب بأنه مصدر و قد يجوز أن يكون السوأى صفه لموصوف محذوف كأنه قال الخله السوأى أو الخلال السوأى.

المعنى

ثم حث سبحانه على التفكير و التدبر فيما يدل على توحيده من خلق السماوات و الأرض ثم فى أحوال القرون الخالية و الأمم الماضيه فقال «أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ» أى فى حال الخلوه لأن فى تلك الحاله يتمكن الإنسان من نفسه و يحضره ذهنه و قيل معناه أ و لم يتفكروا فى خلق الله أنفسهم و المعنى أ و لم يتفكروا فيعلموا و حذف لأن فى الكلام دليلا- عليه «ما خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ» قال الزجاج معناه إلا للحق أى لإقامه الحق و معناه للدلاله على الصانع و التعريض للثواب «وَ أَجْرٍ مُّسَمًّى» أى و لوقت معلوم توفى فيه كل نفس ما كسبت و قيل معناه خلقها فى أوقات قدرها اقتضت المصلحه خلقها فيها و لم يخلقها عبثا عن الجبائى (سؤال) قالوا كيف يعلم المتفكر فى نفسه إن الله سبحانه لم يخلق شيئا إلا بالحق و كيف يعلم الآخره (جواب) قلنا إذا علم بالنظر فى نفسه أنه محدث مخلوق و إن له محدثا قديما قادرا عالما حيا و أنه لا يفعل القبيح و أنه حكيم علم أنه لم يخلقه عبثا و إنما خلقه لغرض و هو التعريض للثواب و ذلك لا يتم إلا بالتكليف فلا بد إذا من الجزاء فإذا لم يوجد فى الدنيا فلا بد من دار أخرى يجازى فيها و يعلم إذا خلق ما لا ينتفع بنفسه فلا بد أن يكون الغرض أن ينتفع الحى به «وَ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ» أى بقاء جزاء ربهم و بالبعث و بيوم القيامه لجاحدون غير معترفين ثم نبههم سبحانه دفعه أخرى فقال «أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ

عاقِبَهُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» من الأعمى «كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قَبْوَةً» فهلكوا وبادوا فيعتبروا بهم لعلمهم أنهم أهلكوا بتكذيبهم «وَ أَثَارُوا الْأَرْضَ» أى وقلبوها وحرثوها بعمارتها عن مجاهد «وَ عَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا» أى أكثر مما عمرها هؤلاء الكفار لأنهم كانوا أكثر أموالا و أطول أعمارا و أكثر أعدادا فحفروا الأنهار و غرسوا الأشجار و بنوا الدور و شيدوا القصور ثم تركوها و صاروا إلى القبور و إلى الهلاك و الشور «وَ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ» أى أتتهم رسلهم بالدلالات من عند الله و فى الكلام حذف تقديره فجددوا الرسل و كذبوا بتلك الرسل فأهلكهم الله بالعذاب «فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ» بأن يهلكهم من غير استحقاق «وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» بأن جحدوا رسل الله و أشركوا معه فى العباده سواه حتى استحقوا العذاب عاجلا و آجلا «ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤًا» إلى نفوسهم بالكفر بالله و تكذيب رسله و ارتكاب معاصيه «السَّوَاىِ» أى الخلة التى تسوء صاحبها إذا أدركها و هى عذاب النار عن ابن عباس و قتاده «أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَ كَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ» أى لتكذيبهم بآيات الله و استهزائهم بها.

[سوره الروم (٣٠): الآيات ١١ الى ٢٠]

إشارة

اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١١) وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (١٢) وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ وَ كَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (١٣) وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضِهِ يُحْبَرُونَ (١٥)

وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ لِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ (١٦) فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَ حِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ عَشِيًّا وَ حِينَ تُظْهِرُونَ (١٨) يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١٩) وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (٢٠)

ص: ٤٣

قرأ يرجعون بالياء أبو عمرو غير عباس و أوقيه و سهل و حماد و يحيى مختلف عنهما و الباقر بالتاء و قرأ حمزه و الكسائي و كذلك تخرجون بفتح التاء و الباقر بضمها و فتح الراء و فى الشواذ قراءه عكرمه حينما تمسون و ما بعده.

الحجه

قال أبو على حجه الياء إن المتقدم ذكره غيبه «يَيْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ» و الخلق هم المخلوقون فى المعنى و جاء قوله «ثُمَّ يُعِيدُهُ» على لفظ الخلق و قوله «ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» على المعنى و لم يرجع على لفظ الواحد و وجه التاء أنه صار الكلام من الغيبه إلى الخطاب و حجه من قرأ يخرجون قوله «مِنَ الْأَعْدَانِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ» و حجه «تُخْرَجُونَ» مَن بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا و قوله «كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى» و إِلَيْهِ تُقَلَّبُونَ و أما قوله «حِينَ تُمْسُونَ» فالمراد تمسون فيه فحذف فيه تخفيفا على مذهب صاحب الكتاب فى نحوه و مثله قوله تعالى «وَ اتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا» أى لا تجزى فيه قال ابن جنى قال سيبويه حذف فيه معتبطا لحرف الجر و الضمير لدلاله الفعل عليهما و قال أبو الحسن حذف فى فبقى تجزیه لأنه أوصل الفعل إليه ثم حذف الضمير من بعد فهما حذفان متتاليان شيئا على شىء .

اللغه

الإبلاس اليأس من الخير و قيل هو التحير عند لزوم الحجه قال العجاج:

يا صاح هل تعرف رسما مكرسا قال نعم أعرفه و أبلسا

و الحبره المسره و منه الحبر العالم و الحبر الجمال و فى

الحديث يخرج رجل من النار ذهب حبره و سبره

أى جماله و سحناؤه و التحبير التحسين الذى يسر به و خص ذكر الروضه هاهنا لأنه ليس عند العرب شىء أحسن منها قال الأعشى:

ما روضه من رياض الحزن معشبه خضراء جاد عليها مسبل هطل

يضاحك الشمس منها كوكب شرق موزر بعيمم النبت مكتهل

يوما بأطيب منها نشر رائحه و لا بأحسنت منها إذ دنا الأصل

. الإعراب

«وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِنُ يَتَفَرَّقُونَ» يوم ظرف ليتفرقون و يومئذ بدل عنه و موضع الكاف من كذلك نصب بقوله «تُخْرَجُونَ».

المعنى

ثم ذكر سبحانه قدرته على الإعادة فقال «اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ» أى يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الموت أحياء كما كانوا «ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» فيجازيهم بأعمالهم «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ» أى يوم تقوم القيامة ييأس الكافرون من رحمة الله تعالى و نعمه التى يفيضها على المؤمنين و قيل يتحIRON و تنقطع حججهم بظهور جلائل آيات الآخرة التى يقع عندها علم الضرورة «وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ» أى لم يكن لهم من أوثانهم التى عبدوها ليشفعوا لهم شفعا تشفع لهم أو تدفع عنهم كما زعموا أنا نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى «وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ» يعنى أن المشركين يتبرءون من الأوثان و ينكرون كونها آلهه و يقرون بأن الله لا شريك له عن الجبائى و أبى مسلم «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ» أى تظهر القيامة «يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ» فيصير المؤمنون أصحاب اليمين و المشركون أصحاب الشمال فيتفرقون تفرقا لا يجتمعون بعده و قال الحسن لئن كانوا اجتمعوا فى الدنيا ليتفرقن يوم القيامة هؤلاء فى أعلى عليين و هؤلاء فى أسفل السافلين و هو قوله «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضِهِ يُحْبَرُونَ» أى فى الجنة ينعمون و يسرون سرورا يبين لهم عليهم عن قتاده و مجاهد و منه قيل كل حبره تتبعها عبره و الروضه البستان المتناهى منظرا و طيبا و قال ابن عباس يحبرون أى يكرمون و قيل يلذذون بالسمع

عن يحيى بن أبى كثير و الأوزاعى أخبرنا أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن أحمد البيهقى قال

أخبرنا جدى الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي قال حدثنا أبو سعيد عبد الملك بن أبي عثمان الزاهد قال أخبرنا أبو الحسن علي بن بندار قال حدثنا جعفر بن محمد بن الحسن القرباني قال حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي قال حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبي أمامه الباهلي أن رسول الله ص قال ما من عبد يدخل الجنة إلا و يجلس عند رأسه و عند رجله ثنتان من الحور العين تغنيانه بأحسن صوت سمعه الإنس و الجن و ليس بمزمار الشيطان و لكن بتمجيد الله و تقديسه

و

عن أبي الدرداء قال كان رسول الله ص يذكر الناس فذكر الجنة و ما فيها من الأزواج و النعيم و فى القوم أعرابى فجتنا لركبتيه و قال يا رسول الله هل فى الجنة من سماع قال نعم يا أعرابى إن فى الجنة نهرا حافته الأبقار من كل بيضاء يتغنين بأصوات لم يسمع الخلائق بمثلها قط فذلك أفضل نعيم الجنة

قال الراوى سألت أبا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح و عن إبراهيم إن فى الجنة لأشجارا عليها أجراس من فضه فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع فى تلك الأشجار فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طربا [هذا الحديث ليس فى بعض النسخ و فى أكثرها موجود] و

عن أبي هريره قال قال رسول الله ص الجنة مائه درجه ما بين كل درجتين منها كما بين السماء و الأرض و الفردوس أعلاها سما و أوسطها محله و منها تنفجر أنهار الجنة فقام إليه رجل و قال يا رسول الله إنى رجل حبب إلى الصوت فهل لى فى الجنة صوت حسن فقال أى و الذى نفسى بيده إن الله تعالى يوحى إلى شجره فى الجنة أن أسمعى عبادى الذين اشتغلوا بعبادتي و ذكرى عن عزف البرابط و المزامير فترفع صوتا لم يسمع الخلائق بمثله قط من تسبيح الرب

ثم أخبر عن حال الكافرين فقال «وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ لِقَاءِ الْآخِرَةِ» أى بدلائلنا و بالبعث يوم القيامة «فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ» أى فيه محصلون و لفظه الإحضار لا تستعمل إلا فيما يكرهه الإنسان يقال أحضر فلان مجلس القضاء إذا جى ء به لما لا- يؤثره و منه حضور الوفاة ثم ذكر سبحانه ما تدرك به الجنة فقال «فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَ حِينَ تُصْبِحُونَ وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ عَشِيًّا وَ حِينَ تُظْهِرُونَ» و هذا خبر و المراد به الأمر أى فسبحوه و نزوه عما لا يليق به أو ينافى تعظيمه من صفات النقص بأن تصفوه بما يليق به من الصفات و الأسماء. و الإمساء الدخول فى المساء و هو مجى ء الليل و الإصباح نقيضه و هو الدخول فى الصباح و هو مجى ء

ضياء النهار و له الثناء و المدح فى السماوات و الأرض أى هو المستحق لمدح أهلها لإنعامه عليهم و عشاى أى و فى العشى و حين تدخلون فى الظهيره و هى نصف النهار و إنما خص تعالى هذه الأوقات بالذكر بالحمد و إن كان حمده واجبا فى جميع الأوقات لأنها أوقات تذكر بإحسان الله و ذلك إن انقضاء إحسان أول إلى إحسان ثان يقتضى الحمد عند تمام الإحسان الأول و الأخذ فى الآخر كما أخبر سبحانه عن حمد أهل الجنة بقوله «وَ آخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» لأن ذلك حال الانتقال من نعيم الدنيا إلى الجنة و قيل إن الآيه تدل على الصلوات الخمس فى اليوم و الليله لأن قوله «حِينَ تُمْسُونَ» يقتضى المغرب و العشاء الآخره «وَ حِينَ تُضِيحُونَ» يقتضى صلاه الصبح «وَ عَشِيًّا» يقتضى صلاه العصر «وَ حِينَ تُظْهِرُونَ» يقتضى صلاه الظهر عن ابن عباس و مجاهد و هو الأحسن لأنه خص هذه الأوقات بالذكر و قيل إنما خص صلاه الليل باسم التسبيح و صلاه النهار باسم الحمد لأن الإنسان فى النهار متقلب فى أحوال توجب الحمد لله عليها و فى الليل على أحوال توجب تنزيه الله تعالى من الأسواء فيها فلذلك صار الحمد فى النهار أخص فسميت به صلاه النهار و التسبيح بالليل أخص فسميت به صلاه الليل «يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ» أى يخرج الإنسان من النطفه و يخرج النطفه من الإنسان عن ابن عباس و ابن مسعود و قيل يخرج المؤمن من الكافر و يخرج الكافر من المؤمن عن مجاهد و قد ذكرنا فيما تقدم «وَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا» بالنبات بعد جدوبها «وَ كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ» أى كما أحيا الأرض بالنبات كذلك يحييكم بالبعث و تخرجون من قبوركم أحياء «وَ مِنْ آيَاتِهِ» أى و من دلالاته على وحدانيته و كمال قدرته «أَنْ خَلَقَكُمْ» أى خلق آدم الذى هو أبوكم و أصلكم «مِنْ تُرَابٍ» ثم خلقكم منه و ذلك قوله «ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ نَتَشَكَّرُونَ» أى ثم إذا أنتم ذريه بشر من لحم و دم تنبسطون فى الأرض و تنصرفون على ظهرها و تتفرون فى أطرافها فهلا ذلك على أنه لا يقدر على ذلك غيره تعالى و أنه لا يستحق العباده سواه.

[سوره الروم (٣٠): الآيات ٢١ الى ٢٥]

إشاره

وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)
 وَ مِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ (٢٢) وَ مِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ ابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٢٣) وَ مِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبُرُوقَ خَوْفًا وَ طَمَعًا وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٤) وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (٢٥)

قرأ حفص «لِلْعَالَمِينَ» بكسر اللام الأخيره و الباقون بفتحها.

الحجه

قال أبو على خص العالمين فى روايه حفص و إن كانت الآيه لكافه الناس عالمهم و جاهلهم لأن العالم لما تدبر فاستدل بما شاهده على ما لم يستدل عليه غيره صار كأنه ليس بآيه لغير العالم لذهابه عنها و تركه الاعتبار بها و من قال للعالمين فلأن ذلك فى الحقيقه دلالة و موضع اعتبار و إن ترك تاركون لغفلتهم أو لجهلهم التدبر بها و الاستدلال بها.

الإعراب

فى قوله «و مِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ» أقوال (أحدها) إن التقدير و من آياته أن يريكم فلما حذف أن ارتفع الفعل كقول طرفه:

ألا أى هذا الزاجرى أحضر الوغى و أن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

و فى المثل تسمع بالمعيدي خير من أن تراه (و ثانيها) أن التقدير و من آياته آيه يريكم البرق بها ثم حذف لدلاله من عليها و مثله من الشعر:

و ما الدهر إلا تارتان فمنهما أموت و أخرى أبتغى العيش أكدح

أى فمنها تاره أموتها أى أموت فيها (و ثالثها) أن يكون التقدير و يريكم البرق خوفا و طمعا و من آياته فيكون عطفًا لجمله على جملة و قوله «خَوْفًا وَ طَمَعًا» منصوبان على تقدير

اللام و التقدير لتخافوا خوفا و لتطمعوا طمعا ثم إذا دعاكم دعوه من الأرض الجار يتعلق بمحذوف فى موضع الحال من الكاف و الميم أى إذا دعاكم خارجين من الأرض و إن شئت كان وصفا للنكره أى دعوه ثابتة من هذه الجهة و لا يجوز أن يتعلق بيخرجون لأن ما بعد إذا لا يعمل فيما قبله.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما قدمه من تنبيه العبيد على دلائل التوحيد فقال «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ» أى جعل لكم من شكل أنفسكم و من جنسكم «أَزْوَاجًا» و إنما من سبحانه علينا بذلك لأن الشكل إلى الشكل أميل عن أبى مسلم و قيل معناه أن حواء خلقت من ضلع آدم (عليه السلام) عن قتاده و قيل إن المراد بقوله «مِنْ أَنْفُسِكُمْ» أن النساء خلقن من نطف الرجال «لَسِيكُنَّ عَلَيْهَا» أى لتطمئنوا إليها و تألفوا بها و يستأنس بعضكم ببعض «وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً» يريد بين المرأة و زوجها جعل سبحانه بينهما المودة و الرحمة فهما يتوادان و يتراحمان و ما شىء أحب إلى أحدهما من الآخر من غير رحم بينهما قال السدى المودة المحبة و الرحمة الشفقة «إِنَّ فِي ذَلِكَ» أى فى خلق الأزواج مشاكله للرجال «لآيَاتٍ» أى لدلالات و اوضحات «لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» فى ذلك و يعتبرون به ثم نبه سبحانه على آيه أخرى فقال «وَمِنْ آيَاتِهِ» الداله على توحيدة «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» و ما فيهما من عجائب خلقه و بدائع صنعه مثل ما فى السماوات من النجوم و الشمس و القمر و جريها فى مجاريها على غايه الاتساق و النظام و ما فى الأرض من أنواع الجماد و النبات و الحيوان المخلوقه على وجه الأحكام «وَ اِخْتِلَافَ أَلْسِنَتِكُمْ» فالألسنه جمع لسان و اختلافها هو أن ينشئها الله تعالى مختلفه فى الشكل و الهياه و التركيب فتختلف نغماتها و أصواتها حتى أنه لا يشتهبه صوتان من نفسين هما إخوان و قيل إن اختلاف الألسنه هو اختلاف اللغات من العربيه و العجميه و غيرهما و لا شىء من الحيوانات تتفاوت لغاتها كتفاوت لغات الإنسان فإن كانت اللغات توقيفيا من قبل الله تعالى فهو الذى فعلها و ابتدأها و إن كانت مواضعه من قبل العباد فهو الذى يسرها «وَ أَلْوَانِكُمْ» أى و اختلاف ألوانكم من البياض و الحمره و الصفرة و السمره و غيرها فلا يشبه أحد أحدا مع التشاكل فى الخلقه و ما ذلك إلا للتراكيب البديعه و اللطائف العجيبه الداله على كمال قدرته و حكمته حتى لا يشتهبه اثنان من الناس و لا يلتبسان مع كثرتهم «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ» أى أدله و اوضحات «لِلْعَالَمِينَ» أى للمكلفين «وَمِنْ آيَاتِهِ» الداله على توحيدة و إخلاص العباده له «مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ ابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ» بالنهار و هذا تقديره أى يصرفكم فى طلب المعيشه و المنام و النوم بمعنى واحد و قيل إن الليل و النهار معا وقت للنوم و وقت لابتغاء الفضل لأن من الناس من

يتصرف في كسبه ليلا و ينام نهارا فيكون معناه و من دلائله النوم الذى جعله الله راحه لأبدانكم بالليل و قد تنامون بالنهار فإذا انتبهتم انتشرتم لابتغاء فضل الله «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ» ذلك فيقبلونه و يتفكرون فيه لأن من لا يتفكر فيه لا ينتفع به فكأنه لم يسمعه «وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبُرُوقَ خَوْفًا وَ طَمَعًا» معناه و من دلالاته أن يريكم النار تنقذح من السحاب يخافه المسافر و يطعم فيه المقيم عن قتاده و قيل خوفا من الصواعق و طمعا فى الغيث عن الضحاك و قيل خوفا من أن يخلف و لا يمطر و طمعا فى المطر عن أبى مسلم «وَيُنزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» أى غيثا و مطرا «فِيحْيِي بِهِ» أى بذلك الماء «الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا» أى بعد انقطاع الماء عنها و جدوبها «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» أى للعقلاء المكلفين «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ بِأَمْرِهِ» بلا دعامة تدعمها و لا- علاقته تتعلق بها بأمره لهما بالقيام كقوله تعالى «إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» و قيل بأمره أى بفعله و إمساكه إلا أن أفعال الله عز اسمه تضاف إليه بلفظ الأمر لأنه أبلغ فى الاقتدار فإن قول القائل أراد فكان أو أمر فكان أبلغ فى الدلالة على الاقتدار من أن يقول فعل فكان و معنى القيام الثبات و الدوام و يقال السوق قائمه «ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةَ مِنَ الْأَرْضِ» أى من القبر عن ابن عباس يأمر الله عز اسمه إسرافيل (عليه السلام) فينفخ فى الصور بعد ما يصور الصور فى القبور فيخرج الخلائق كلهم من قبورهم «إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ» من الأرض أحياء و قيل أنه سبحانه جعل النفخه دعاء لأن إسرافيل يقول أجيئوا داعى الله فيدعو بأمر الله سبحانه و قيل إن معناه أخرجكم من قبوركم بعد أن كنتم أمواتا فيها فعبر عن ذلك بالدعاء إذ هو بمنزله الدعاء و بمنزله كن فيكون فى سرعه تأتى ذلك و امتناع التعذر و إنما ذكر سبحانه هذه المقدورات على اختلافها ليدل عباده على أنه القادر الذى لا- يعجزه شىء العالم الذى لا- يعزب عنه شىء و تدل هذه الآيات على فساد قول من قال إن المعارف ضروريه لأن ما يعرف ضروره لا يمكن الاستدلال عليه.

[سوره الروم (٣٠): الآيات ٢٦ الى ٣٠]

إشارة

وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (٢٦) وَ هُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧) ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٨) بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٩) فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠)

«هَيْلٌ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ» لكم الجار والمجرور في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ والمبتدأ من شركاء ومن مزیده و من في قوله «مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» تتعلق بما يتعلق به اللام ويجوز أن يتعلق بمحذوف ويكون في موضع نصب على الحال والعامل في الحال ما يتعلق به اللام. «فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ» جملة في موضع نصب لأنه جواب قوله «هَيْلٌ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ» وتقديره فتستووا وقوله «تَخَافُونَهُمْ» أى تخافون أن يساووكم كخيفتكم مساواه بعضكم بعضا. حنيفا نصب على الحال. فطره الله منصوب بمعنى اتبع فطره الله لأن معنى «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ» اتبع الدين القيم فيكون بدلا من وجهك في المعنى.

المعنى

ثم قال سبحانه بعد أن ذكر الدلالات الدالة على توحيده «وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» من العقلاء يملكهم ويملك التصرف فيهم وإنما خص العقلاء لأن ما عداهم في حكم التبعية لهم ثم أخبر سبحانه عن جميعهم فقال «كُلُّ لَهُ قَانِطُونَ» أى كل له مطيعون فى الحياه والبقاء والموت والبعث وإن عصوا فى العباده عن ابن عباس وهذا مفسر فى سورة البقره «وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ» أى يخلقهم إنشاء ويخترعهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الإفناء فجعل سبحانه ما ظهر من ابتداء خلقه دليلا على ما خفى من إعادته استدلالا بالشاهد على الغائب ثم أكد ذلك بقوله «وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ» هو يعود إلى مصدر يعيده فالمعنى والإعاده أهون وقيل فيه أقوال (أحدها) أن معناه وهو هين عليه كقوله «اللَّهُ أَكْبَرُ» أى كبير لا يدانيه أحد فى كبريائه وكقول الشاعر:

لعمرك ما أدري و إنى لأوجل على أينا تغدو المنيه أول

فمعنى لأوجل أى وجل و قال الفرزدق:

إن الذى سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز و أطول

أى عزيزه طويله و قد قيل فيه أنه أراد أعز و أطول من دعائم بيوت العرب و قال آخر:

تمنى رجال أن أموت و إن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد

أى بواحد هذا قول أهل اللغة (و الثانى) أنه إنما قال أهون لما تقرر فى العقول إن إعادته الشىء أهون من ابتدائه و معنى أهون أيسر و أسهل و هم كانوا مقرين بالابتداء فكأنه قال لهم كيف تقرون بما هو أصعب عندكم و تنكرون ما هو أهون عندكم (الثالث) إن الهاء فى عليه يعود إلى الخلق و هو المخلوق أى و الإعادة على المخلوق أهون من النشأه الأولى لأنه إنما يقال له فى الإعادة كن فيكون و فى النشأه الأولى كان نطفه ثم علقه ثم مضغه ثم عظاما ثم كسيت العظام لحما ثم نفخ فيه الروح فهذا على المخلوق أصعب و الإنشاء يكون أهون عليه و هذا قول النحويين و مثله يروى عن ابن عباس قال و هو أهون على المخلوق لأنه يقول له يوم القيامة كن فيكون و أما ما يروى عن مجاهد أنه قال الإنشاء أهون عليه من الابتداء فقوله مرغوب عنه لأنه تعالى لا يكون عليه شىء أهون من شىء «وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى» أى و له الصفات العليا «فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» و هى أنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له لأنها دائمه يصفه بها الثانى كما يصفه بها الأول عن قتاده و قيل هى أنه ليس كمثل شىء عن ابن عباس و قيل هى جميع ما يختص به عز اسمه من الصفات العلى التى لا يشاركه فيها سواه و الأسماء الحسنى التى تفيد التعظيم كالقاهر و الإله «وَهُوَ الْعَزِيزُ» فى ملكه «الْحَكِيمُ» فى خلقه ثم احتج سبحانه على عبده الأوثان فقال «ضَرَبَ لَكُمْ» أيها المشركون «مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ» أى بين لكم شبيها لحالككم ذلك المثل من أنفسكم ثم بينه فقال «هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» أى من عبيدكم و إمائكم «مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ» من المال و الأملاك و النعم أى هل يشاركونكم فى أموالكم و هو قوله «فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ» أى فأنتم و شركاؤكم من عبيدكم و إمائكم فيما رزقناكم شرع سواء «تَخَافُونَهُمْ» أن يشاركونكم فيما ترثونه من آباءكم «كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ» أى كما يخاف الرجل الحر شريكه الحر فى المال يكون بينهما أن ينفرد دونه فيه بأمر و كما يخاف الرجل شريكه فى الميراث أن يشاركه لأنه يجب أن ينفرد به فهو يخاف شريكه يعنى أن هذه الصفه لا تكون بين المالكين و المملوكين

كما تكون بين الأحرار و معنى أنفسكم هاهنا أمثالكم من الأحرار كقوله «وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ» و كقوله «ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا» أى بأمثالهم من المؤمنين و المؤمنات و المعنى أنكم إذا لم ترضوا فى عبيدكم أن يكونوا شركاء لكم فى أموالكم و أملاككم فكيف ترضون لربكم أن يكون له شركاء فى العباده قال سعيد بن جبير لأنه كانت تلبيه قريش لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه و ما ملك فأنزل الله تعالى الآيه ردا عليهم و إنكاراً لقولهم «كَذَلِكَ» أى كما ميزنا لكم هذه الأدله «نُفِصِّلُ الْآيَاتِ» أى الأدله «لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» فيتدبرون ذلك ثم قال سبحانه مبيناً لهم أنهم إنما اتبعوا أهواءهم فيما أشركوا به «بِئْسَ أَتَّبَعِ الَّذِينَ ظَلَمُوا» أى أشركوا بالله «أَهْوَاءَهُمْ» فى الشرك «بِغَيْرِ عِلْمٍ» يعلمونه جاءهم من الله «فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ» أى فمن يهدى إلى الثواب و الجنة من أضله الله عن ذلك عن الجبائى و قيل معناه من أضل عن الله الذى هو خالقه و رازقه و المنعم عليه مع ما نصبه له من الأدله فمن يهديه بعد ذلك عن أبى مسلم قال و هو من قولهم أضل فلان بغيره بمعنى ضل بغيره عنه قال الشاعر:

هبونى امرءاً منكم أضل بغيره له ذمه إن الذمام كثير

و إنما المعنى ضل بغيره عنه «وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ» ينصرونهم و يدفعون عنهم عذاب الله تعالى إذا حل بهم ثم خاطب سبحانه نبيه ص و المراد جميع المكلفين و قال «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ» أى أقم قصدك للدين و المعنى كن معتقداً للدين و قيل معناه اثبت و دم على الاستقامه و قيل معناه أخلص دينك عن سعيد بن جبير و قيل معناه سدد عملك فإن الوجه ما يتوجه إليه و عمل الإنسان و دينه مما يتوجه الإنسان إليه لتشيده و إقامته «حَنِيفًا» أى مائلاً إليه ثابتاً عليه مستقيماً فيه لا يرجع عنه إلى غيره «فِطْرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا» فطره الله المله و هى الدين و الإسلام و التوحيد التى خلق الناس عليها و لها و بها أى لأجلها و التمسك بها فيكون كقوله «وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيُعْبُدُونِ» و هو كما يقول القائل لرسوله بعثتك على هذا و لهذا و بهذا و المعنى واحد و منه

قول النبى ص كل مولود يولد على الفطره حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه و ينصرانه و يمجسانه

و قيل معناه اتبع من الدين ما ذلك عليه فطره الله و هو ابتداء خلقه للأشياء لأنه خلقهم و ركبهم و صورهم على وجه يدل على أن لهم صناعاً قادراً عالماً حياً قديماً واحداً لا يشبه شيئاً و لا يشبهه شىء عن أبى مسلم «لَا تَبْدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ» أى لا تغيير لدين الله الذى أمر الناس بالثبات عليه فى التوحيد و العدل و إخلاص العباده لله عن الضحاك و مجاهد

وقتاده و سعيد بن جبير و إبراهيم و ابن زيد و قالوا أن لا هاهنا بمعنى النهى أى لا تبدلوا دين الله التى أمرتم بالثبات عليها و قيل المراد به النهى عن الخصاء عن ابن عباس و عكرمه و قيل معناه لا- تبديل لخلق الله فيما دل عليه بمعنى أنه فطره الله على وجه يدل على صانع حكيم فلا يمكن أن يجعله خلقا بغير الله حتى يبطل وجه الاستدلال عن أبى مسلم و المعنى إنما دلت عليه الفطره لا يمكن فيه التبديل «ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ» أى ذلك الدين المستقيم الذى يجب اتباعه «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» صحه ذلك لعدولهم عن النظر فيه.

[سوره الروم (٣٠): الآيات ٣١ الى ٣٥]

اشاره

مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَ اتَّقُوهُ وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ لَا- تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢) وَ إِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٣٣) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٤) أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ (٣٥)

القراءه

قرأ حمزه و الكسائى فارقوا بالألف و الباقون «فَرَّقُوا» و قد مضى بيانه فى سوره الأنعام و فى الشواذ قراءه أبى العالیه فيمتعوا فسوف يعلمون و معناه تطول أعمارهم على كفرهم فسوف يعلمون تهديدا على ذلك.

اللغه

الإنايه الانقطاع إلى الله بالطاعه فأصله على هذا القطع و منه الناب لأنه قاطع و ينبى فى الأمر إذا نشب فيه كما ينشب الناب القاطع و يجوز أن يكون من ناب ينوب إذا رجع مره بعد مره فتكون الإنايه التوبه التى يجددها مره بعد مره و الشيع الفرق و كل فرقه شيعه على حده سموا بذلك لأن بعضهم يشيع بعضا على مذهبه فشيعة الحق هم الذين اجتمعوا على الحق و كذلك شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) هم الذين اجتمعوا معه على الحق.

المعنى

ثم قال سبحانه «مُنِيبِينَ إِلَيْهِ» قال الزجاج زعم جميع النحويين أن معناه فأقيموا و جوهكم منيبين إليه لأن مخاطبه النبى ص تدخل معه فيها الأمه

و الدليل على ذلك قوله «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ» فقوله «فَأَقِمْ وَجْهَكَ» معناه فأقيموا وجوهكم منييين إليه أى راجعين إلى كل ما أمر به مع التقوى و أداء الفرض و هو قوله «وَ اتَّقُوهُ وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ» ثم أخبر سبحانه أنه لا ينفع ذلك إلا بالإخلاص فى التوحيد فقال «وَ لَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ» أى لا تكونوا من أهل الشرك من جملة الذين فرقوا دينهم عن الفراء و يجوز أن يكون قوله «مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ» «وَ كَانُوا شَرِيعًا» ابتداء كلام و معناه الذين أوقعوا فى دينهم الاختلاف و صاروا ذوى أديان مختلفه فصار بعضهم يعبدوننا و بعضهم يعبدوننا و بعضهم شمساً إلى غير ذلك و قد تقدم تفسيره فى سورة الأنعام «كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَمْ يُدِينُوا بِهِمْ فَارِحُونَ» أى كل أهل مله بما عندهم من الدين راضون عن مقاتل و قيل كل فريق بدينهم معجبون مسرورون يظنون أنهم على حق «وَ إِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ» أى إذا أصابهم مرض أو فقر أو شدة دعوا الله تعالى «مُنِيبِينَ إِلَيْهِ» أى منقطعين إليه مخلصين فى الدعاء له «ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً» بأن يعافيهم من المرض أو يغنيهم من الفقر أو ينجيهم من الشدة «إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ» أى يعودون إلى عباده غير الله على خلاف ما يقتضيه العقل من مقابله النعم بالشكر ثم بين سبحانه أنهم يفعلون ذلك «لِيُكْفَرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ» من النعم إذ لا غرض فى الشرك إلا كفران نعم الله سبحانه و قيل إن هذه اللام للأمر على معنى التهديد مثل قوله «فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِرْ وَ مَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ» ثم قال سبحانه يخاطبهم مهددا لهم «فَتَمَتَّعُوا» بهذه الدنيا و انتفعوا بنعيمها الفانى كيف شئتم «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» عاقبه كفركم «أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا» هذا استفهام مستأنف معناه بل أنزلنا عليهم برهاناً و حجه يتسلطون بذلك على ما ذهبوا إليه «فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ» أى فذلك البرهان كأنه يتكلم بصحة شركهم و يحتج لهم به و المعنى أنهم لا يقدرّون على تصحيح ذلك و لا يمكنهم ادعاء برهان و حجه عليه.

[سورة الروم (٣٠): الآيات ٣٦ الى ٤٠]

إشاره

وَ إِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَ إِن تَصَبَّ بِهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (٣٦) أ وَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣٧) فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَ الْمَسْكِينِ وَ ابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَ أَوْلِيكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٣٨) وَ مَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبَا لِيَرْبُؤَا فِى أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُؤُوا عِنْدَ اللَّهِ وَ مَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ (٣٩) اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٠)

ص: ٥٥

قرأ ابن كثير و ما أتيتم من ربا مقصوره الألف غير ممدوده و قرأ الباقون «ما آتَيْتُمْ» بالمد و قرأ أهل المدينه و يعقوب و سهل لتربوا بالتاء و ضمها و سكون الواو و الباقون «لِيَرْبُوا» بالياء و فتحها و نصب الواو.

الحجه

قال أبو على معنى «ما آتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا» ما أتيتم من هديه أهديتموها لتعوضوا ما هو أكثر منه و تكافئوا أزيد منه «فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ» لأنكم إنما قصدتم إلى زياده العوض فلم تبتغوا في ذلك وجه الله و مثل هذا في المعنى قوله «وَلَا تَمُنُّنَّ تَسَدِّتُكُمْ» فمن مد آتيتم فلأن المعنى أعطيتم و من قصر فإنه يؤول في المعنى إلى قول من مد إلا أن أتيتم على لفظ جئتم كما تقول جئت زيدا فكأنه قال ما جئتم من ربا و مجيئهم لذلك إنما هو على وجه الإعطاء له كما تقول أتيت الخطأ و أتيت الصواب قال الشاعر:

أتيت الذى يأتى السفية لغرتى إلى أن علا وخط من الشيب مفرقى

فإتيانه الذى يأتية السفية إنما هو فعل منه له قال و لم يختلفوا فى مد «و ما آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ» فهو كقوله «و إِيْتَاءَ الزَّكَاةِ» و إن كان لو قال أتيت الزكاه لجاز أن يعنى به فعلتها و لكن الذى جاء منه فى التنزيل و فى سائر الكلام الإيتاء و من قرأ «لِيَرْبُوا» فإن فاعله الربا المذكور فى قوله «و ما آتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا» و قدر المضاف و حذفه كأنه فى اجتلاب أموال الناس و اجتذابه و نحو ذلك و كأنه سمى هذا المدفوع على وجه اجتلاب الزيادة ربا و لو قصد به وجه الله لما كان

العوض فيه الاستزاده على ما أعطى فسمى باسم الزيادة و الربا هو الزيادة بذلك سمي المحرم المتواعد فاعله و بالزيادة ما يأخذ على ما أعطى و المدفوع ليس فى الحقيقه ربا إنما المحرم الزيادة التى يأخذها زيدا على ما أعطى فسمى الجميع ربا فكذلك ما أعطاه الواهب و المهدي لاستجلاب الزيادة سمي ربا لمكان الزيادة المقصوده فى المكافاه فوجه «لِيُرَبُّوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ» ليربوا ما آتيتم فلا يربوا عند الله لأنه لم يقصد به وجه البر و القربه إنما قصد به اجتلاب الزيادة و لو قصد به وجه الله تعالى لكان كقوله «وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاهٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ» أى صاروا ذوى أضعاف من الثواب على ما أتوا من الزكاه يعطون بالحسنه عشرافه عشر أمثالها و قول نافع لتربوا أى لتصيروا ذوى زياده فيما آتيتم من أموال الناس أى تستدعونها و تجلبونها و كأنه من أربى أى صار ذا زياده مثل أقطف و أجرب.

المعنى

لما تقدم ذكر المشركين عقبه سبحانه بذكر أحوالهم فى البطر عند النعمه و اليأس عند الشده فقال «وَإِذَا أَدَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً» أى إذا آتيناهم نعمه من عافيه و صحه جسم أو سعه رزق أو أمن و دعه «فَرِحُوا بِهَا» أى سرورا بتلك الرحمه «وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ» أى و إن أصابهم بلاء و عقوبه بذنوبهم التى قدموها و سمي ذلك سيئه توسعا لكونه جزاء على السيئه عن الجبائى و قيل و إن يصبهم قحط و انقطاع مطر و شده و سميت سيئه لأنها تسوء صاحبها «إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ» أى يياسون من رحمه الله و إنما قال «بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ» و لم يقل بما قدموا على التغليب للأظهر الأكثر فإن أكثر العمل لليدين و العمل للقلب و إن كان كثيرا فإنه أخفى ثم نبههم سبحانه على توحيدده فقال «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ» أى يوسعه «لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ» أى و يضيق لمن يشاء على حسب ما تقتضيه مصالح العباد «إِنَّ فِي ذَلِكَ» أى فى بسط الرزق لقوم و تضيقه لقوم آخرين «لآياتٍ» أى دلالات «لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» بالله ثم خاطب نبيه ص فقال «فَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ» أى و أعط ذوى قرباك يا محمد حقوقهم التى جعلها الله لهم من الأحماس عن مجاهد و السدى و

روى أبو سعيد الخدرى و غيره إنه لما نزلت هذه الآية على النبى ص أعطى فاطمه (عليه السلام) فدكا و سلمه إليها و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام) و أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل أنه خطاب له ص و لغيره و المراد بالقربى قرابه الرجل و هو أمر بصله الرحم بالمال و النفس عن الحسن «وَ الْمَسْكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ» معناه و آت المسكين و المسافر المحتاج ما فرض الله لهم فى مالك «ذَلِكَ خَيْرٌ» أى إعطاء الحقوق مستحقيها خير «لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ» بالإعطاء دون الرياء و السمعه «وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» أى الفائزون بثواب الله «وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا لِيُرَبُّوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَزُبُّوا

عِنْدَ اللَّهِ» قيل في الربا المذكور في الآيه قولان (أحدهما)

أنه ربا حلال و هو أن يعطى الرجل العطيه أو يهدى الهديه ليثاب أكثر منها فليس فيه أجر و لا وزر عن ابن عباس و طاووس و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

(و القول الآخر) أنه الربا المحرم عن الحسن و الجبائى فعلى هذا يكون كقوله يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ «و ما آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ» أى و ما أعطيتموه أهله على وجه الزكاه «تُرِيدُونَ» بذلك «وَجْهَ اللَّهِ» أى ثواب الله و رضاه و لا- تطلبون بها المكافاه «فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْجَعُونَ» أى فأهلها هم المضعفون يضاعف لهم الثواب و قيل المضعفون ذوو الأضعاف فى الحسنات كما يقال رجل مقو أى ذو قوه و موسر أى ذو يسار و قيل هم المضعفون للمال فى العاجل و للثواب فى الآجل لأن الله سبحانه جعل الزكاه سببا لزياده المال و منه

الحديث ما نقص مال من صدقه

و

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) فرض الله تعالى الصلاه تنزيها عن الكبر و الزكاه تسيبيا للرزق و الصيام ابتلاء لإخلاص الخلق و صله الأرحام منماه للعدد

فى كلام طويل و بدأ سبحانه فى الآيه بالخطاب ثم ثنى بالخبر و ذلك معدود فى الفصاحه ثم عاد إلى دليل التوحيد فقال «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ» أى أوجدكم و أنشأ خلقكم «ثُمَّ رَزَقَكُمْ» أى أعطاكم أنواع النعم «ثُمَّ يُمِيتُكُمْ» بعد ذلك ليصح إيصالكم إلى ما عرضكم له من الثواب الدائم «ثُمَّ يُحْيِيكُمْ» ليجازيكم على أفعالكم «هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ» التى عبدتموها من دونه «مَنْ يَفْعَلْ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ» أو يقدر عليه فيجوز لذلك توجه العباده إليه ثم نزه سبحانه نفسه عن أن يشرك معه فى العباده فقال «سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ».

[سوره الروم (٣٠): الآيات ٤١ الى ٤٥]

إشاره

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ (٤٢) فَاقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ (٤٣) مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُمْ يَمْهَدُونَ (٤٤) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٤٥)

ص: ٥٨

الصدع الشق و تصدع القوم تفرقوا قال:

و كنا كندمانى جديمه حقبه من الدهر حتى قيل لن يتصدعا.

المعنى

ثم ذكر سبحانه ما أصاب الخلق بسبب ترك التوحيد فقال «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ» و معناه ظهر قحط المطر و قله النبات فى البر حيث لا يجرى نهر و هو البوادي و البحر و هو كل قريه على شاطئ نهر عظيم «بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ» يعنى كفار مكه عن ابن عباس و ليس المراد بالبر و البحر فى الآيه كل بر و بحر فى الدنيا و إنما المراد به حيث ظهر القحط بدعاء النبى ص فعلى هذا يكون التقدير ظهر عقوبه الفساد فى البر و البحر قال الفراء أجذب البر و انقطعت ماده البحر بذنوبهم و كان ذلك ليدوقوا الشده فى العاجل و يجوز أيضا أن يسمى الهلاك و الخراب فسادا كما يسمى العذاب سوءا و إن كان ذلك حكمه و عدلا و قيل البر ظهر الأرض و البحر المعروف و الفساد ارتكاب المعاصى عن أبى العاليه و قيل فساد البر قتل قابيل بن آدم أخاه و فساد البحر أخذ السفينه غصبا عن مجاهد و قيل و لاه السوء فى البر و البحر و قيل فساد البر ما يحصل فيه من المخاوف المانعه من سلوكه و يكون ذلك بخذلان الله تعالى لأهله و العقاب به و فساد البحر اضطراب أمره حتى لا يكون للعباد متصرف فيه و كل ذلك ليرتدع الخلق عن معاصيه و قيل البر البريه و البحر الريف و المواضع الخطبه و أصل البر من البر لأنه يبر بصلاح المقام فيه و كذلك البر لأنه يبر بصلاحه فى الغذاء أتم صلاح و أصل البحر الشق لأنه شق فى الأرض ثم كثر فسمى الماء الملح بحرا أنشد ثعلب:

و قد عاد عذب الماء بحرا فزادنى على مرضى أن أبحر المشرب العذب

«بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ» أى جزاء بما عمله الناس من الكفر و الفسوق و قيل معناه بسوء أفعالهم و شؤم معاصيهم «لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا» أى ليصيبهم الله بعقوبه بعض أعمالهم التى عملوها من المعاصى «لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» أى ليرجعوا عنها فى المستقبل و قيل معناه ليرجع من يأتى بعدهم عن المعاصى «قُلْ» يا محمد «سِيرُوا فِي الْأَرْضِ» ليس بأمر و لكنه مبالغه فى العظه و روى عن ابن عباس أنه قال من قرأ القرآن و عمله سار فى الأرض لأن فيه أخبار الأمم «فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ» من الملوك العاتيه و القرون العاصيه كيف أهلكهم الله و كيف صارت قصورهم قبورهم و محاضرهم مقابرهم فلم يبق لهم عين و لا أثر ثم بين أنه فعل ذلك بهم لسوء صنيعهم فقال «كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ» أى استقم للدين المستقيم بصاحبه إلى الجنه أى لا تعدل عنه يمينا و لا شمالا فإنك متى فعلت ذلك أداك إلى الجنه و هو مثل قوله ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَ قَوْلَهُ تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصَارُ «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ» أى لذلك اليوم و هو يوم القيامه «مَنْ اللَّهُ» أى لا يرده أحد من الله «يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ» أى يتفرقون فيه فريق فى الجنه و فريق فى السعير عن قتاده و غيره «مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ» أى عقوبه كفره لا يعاقب أحد بذنبه «وَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ» أى يوطئون لأنفسهم منازلهم يقال مهدت لنفسى خيرا أى هيأته و وطأته و المعنى أن ثواب ذلك يصل إليهم و يتمهد أحوالهم الحسنه عند الله و هذا توسع يقول من أصلح عمله فكأنه فرش لنفسه فى القبر و القيامه و سوى مضجعه و مثواه و

روى منصور بن حازم عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال إن العمل الصالح ليسبق صاحبه إلى الجنه فيمهد له كما يمهد لأحدكم خادمه فراشه

«لِيُجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ» أى ليجزيهم على قدر استحقاقهم و يزيدهم من فضله و قيل معناه بسبب فضله لأنه خلقه و هداه و مكنه و أزاح علته حتى استحق الثواب و قيل من فضله يعنى فضلا من فضله و ثوابا لا ينقطع «إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ» أى لا يريد كرامتهم و منفعتهم و إنما يريد عقابهم جزاء على كفرهم.

[سوره الروم (٣٠): الآيات ٤٦ الى ٥٠]

إشارة

وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَ لِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ لِيَجْزِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٤٦) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَ كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧) اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُبْرِئُ سَيِّحَابًا فَيَنْسِفُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَ يَجْعَلُ كَيْفَ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِشِرُونَ (٤٨) وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْسِتِينَ (٤٩) فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتَى وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٥٠)

ص: ٦٠

قرأ أبو جعفر و ابن ذكوان كسفا بسكون السين و الباكون بتحريكها و قد مضى القول فيه و قرأ ابن عامر و أهل الكوفه غير أبى بكر «إلى آثار» على الجمع و الباكون أثر بغير الألف على الواحد و

روى عن على (عليه السلام) و ابن عباس و الضحاك من خلله

و عن الجحدري و ابن السميح و ابن حيوه كيف تحيى بالتاء.

الحجه

قال أبو على الأفراد فى أثر لأنه مضاف إلى مفرد و جاز الجمع لأن رحمه الله يجوز أن يراد به الكثيره كما قال سبحانه وَ إِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا و قوله «كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ» يجوز أن يكون فاعل يحيى الضمير العائد إلى أثر و يجوز أن يكون الضمير العائد إلى اسم الله و هو الأولى و من رد الضمير إلى أثر لزمه أن يقول تحيى بالتاء إذا قرأ «آثارِ رَحِمَتِ اللَّهِ» فأما من قرأ من خلله فيجوز أن يكون خلل واحد خلال كجبل و جبال و يجوز أن يكون خلال واحدا عاقب خللا كالصلاً و الصلاة و من قرأ إلى أثر رحمت الله كيف تحيى بالتاء فإنما جاز ذلك و إن كان لا يجوز أ ما ترى إلى غلام هند كيف تضرب زيدا بالتاء لأن الرحمه قد يقوم مقامها أثرها و لا يقوم مقام غلامها تقول رأيت عليك النعمه و رأيت عليك أثر النعمه و لا يعبر عن هند بغلامها.

الإعراب

«وَ لِيُذِيقَكُمْ» عطف على المعنى و تقديره يرسل الرياح لبشركم بها و ليذيقكم و قوله «كَيْفَ يَشَاءُ» تقديره أى مشيئه يشاء فيكون مفعولا مطلقا ليشاء و قوله «كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ»

يجوز أن يكون كيف في موضع نصب على الحال من يحيى و ذو الحال الضمير المستكن في يحيى أو الأرض و التقدير أ مبدعا يحيى الأرض أم لا أو مبدعه يحيى الأرض أم لا و يجوز أن يكون على تقدير المصدر أى أى إحياء يحيى الأرض قال ابن جنى و الجملة منصوبه الموضع على الحال حملا- على المعنى لا- على اللفظ و ذلك أن اللفظ استفهام و الحال ضرب من الخبر و الاستفهام و الخبر معنيان متدافعان و تلخيص كونها حالا أنه كأنه قال فانظر إلى آثار رحمة الله محييه للأرض كما أن قوله:

ما زلت أسعى بينهم و أختبط حتى إذا جاء الظلام المختلط

جاءوا بضحك هل رأيت الذئب قط

فقوله:

هل رأيت الذئب قط

جملة استفهاميه فى موضع وصف لضحك حملا على المعنى دون اللفظ فكأنه قال جاءوا بضحك يشبه لونه لون الذئب و الضحك اللبن المخلوط بالماء و هو يضرب إلى الخضره و الطلسه.

المعنى

و لما وعد الله سبحانه و أوعد فكان قائلا قال ما أصل ما يجزى الله عليه بالخير فقبل العباده و أصل عباده الله معرفته و معرفته إنما تكون بأفعاله فقال «وَمِنْ آيَاتِهِ» أى و من أفعاله الداله على معرفته «أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ» بالمطر فكأنها ناطقات بالبشاره لما فيها من الدلاله عليه و إرسال الرياح تحريكها و إجراؤها فى الجهات المختلفه تاره شمالا و تاره جنوبا صبا و أخرى دهورا على حسب ما يعلم الله فى ذلك من المصلحه «وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ» أى و ليصيبكم من نعمته و هى الغيث و تقديره أنه يرسل الرياح للبشاره و الإذاقه من الرحمه «وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ» بها «بِأَمْرِهِ وَ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ» أى و لتطلبوا بركوب السفن الأرياح و قيل لتطلبوا بالأمطار فيما تزرعونه من فضل الله «وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» نعمه الله تطف سبحانه بلفظ لعلكم فى الدعاء إلى الشكر كما تطف فى الدعاء إلى البر بقوله مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ثم خاطب سبحانه نبيه ص تسليه له فى تكذيب قومه إياه فقال «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ» يا محمد «رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ» أى بالمعجزات و الآيات الباهرات و هاهنا حذف تقديره فكذبوهم و جحدوا بآياتنا فاستحقوا العذاب «فَأَنْتَقِمْنَا مِنْ

الَّذِينَ أُجْرِمُوا» أى عاقبناهم بتكذيبهم «وَ كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ» معناه و دفعنا السوء و العذاب عن المؤمنين و كان واجبا علينا نصرهم بإعلاء الحجة و دفع الأعداء عنهم إلا أنه دل على المحذوف قوله «وَ كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ» و

جاءت الروايه عن أم الدرداء أنها قالت سمعت رسول الله ص يقول ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم قرأ «وَ كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ»

ثم قال سبحانه مفسرا لما أجمله فى الآيه المتقدمه «اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا» أى فتهيج سحابا فترعجه «فَيَبْسُطُهُ» الله «فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ» إن شاء بسطه مسيره يوم و إن شاء بسطه مسيره يومين و يجريها إلى أى جهه شاء و إلى أى بلد شاء «وَ يَجْعَلُهُ كَيْفَ شَاءَ» أى قطعاً متفرقه عن قتاده و قيل متراكبا بعضه على بعض حتى يغلظ عن الجبائى و قيل قطعاً تغطى ضوء الشمس عن أبى مسلم «فَتَرَى الْوَدْقَ» أى القطر «يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ» أى من خلال السحاب «فَإِذَا أَصَابَ بِهِ» أى بذلك الودق «مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِشِرُونَ» أى يفرحون و يبشر بعضهم بعضا به «وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُنِيسِينَ» معناه و إنهم كانوا من قبل إنزال المطر عليهم قانطين آيسين من نزول المطر عن قتاده و كرر كلمه «مَنْ قَبْلَ» للتوكيد عن الأخفش و قيل إن الأول من قبل الإنزال للمطر و الثانى من قبل الإرسال للرياح «فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ» حتى أنبت شجرا و مرعى «بَعْدَ مَوْتِهَا» أى بعد أن كانت مواتا يابسه جعل الله سبحانه اليبس و الجدوبه بمنزله الموت و ظهور النبات فيها بمنزله الحياه توسعا «إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى» أى إن الله تعالى يفعل ما ترون و هو الله تعالى ليحيى الموتى فى الآخره بعد كونهم رفاتا «وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» مر معناه.

[سوره الروم (٣٠): الآيات ٥١ الى ٥٥]

اشاره

وَ لَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصِيفًا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ (٥١) فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَ لَا تُسْمِعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٥٢) وَ مَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (٥٣) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَ شَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ هُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (٥٤) وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (٥٥)

ص: ٦٣

قرأ ابن كثير وعباس عن أبي عمرو و لا- يسمع الصم و الباقون «و لا- تُسْمِعُ الصُّمَّ» و قد ذكرناه فى سورة النمل و قرأ عاصم و حمزه من ضعف بالضم و الباقون بفتح الضاد و قد ذكرناه فى سورة الأنفال.

الإعراب

جواب الشرط من قوله «و لَئِنْ أَرْسَلْنَا» قد حذف لأنه قد أغنى عنه جواب القسم لأن المعنى فى قوله «لَظَلُّوا» ليظلمن كما أن قوله «لَئِنْ أَرْسَلْنَا» بمعنى أن نرسل فجواب القسم قد ناب عن الأمرين و كان أحق بالحكم لتقدمه على الشرط و لو تقدم الشرط لكان الجواب له كقولك إن أرسلنا ريحا فظلوا و الله يكفرون و اللام فى قوله «و لَئِنْ» يسميها البصريون لام توطئه القسم و يسميها الكوفيون لام إنذار القسم و المعنى ظل يفعل فى صدر النهار و هو الوقت الذى فيه الظل للشمس.

المعنى

ثم عاب سبحانه كافر النعمة فقال «و لَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا» مؤذنه بالهلاك بارده «فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا» أى فرأوا النبات و الزرع الذى كان من أثر رحمه الله مصفرا من البرد بعد الخضرة و النضاره و قيل إن الهاء يعود إلى السحاب و معناه فرأوا السحاب مصفرا لأنه إذا كان كذلك لم يكن فيه مطر «لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ» أى لصاروا من بعد أن كانوا راجين مستبشرين يكفرون بالله و بنعمته و لم يرضوا بقضاء الله تعالى فيه فعل من جهل صانعه و مدبره و لا يعلم أنه حكيم لا يفعل إلا الأصلح فيشكر عند النعمة و يصبر عند الشده ثم قال سبحانه لنبية ص «فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ» يا محمد «الْمُوتَى وَ لَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ» شبه الكفار فى ترك تدبرهم فيما يدعوهم إليه النبى ص تاره بالأموات و تاره بالصم لأنهم لا ينتفعون بدعاء الداعى فكأنهم لا يسمعون «إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ» أى إذا أعرضوا عن أدلتنا ذاهبين إلى الضلال و الفساد غير سالكين سبيل الرشاد «وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ» يعنى أنهم كالعمى لا- يهتدون بالأدله و لا- تقدر على ردهم عن العمى إذ لم يطلبوا الاستبصار «إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا» ليس تسمع إلا من يصدق بآياتنا و أدلتنا فإنهم المنتفعون بدعائك و إسماعك «فَهُمْ مُسْلِمُونَ» متقادون لأمر الله ثم عاد سبحانه إلى ذكر الأدله فقال «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ» أى من نطف و قيل معناه خلقكم أطفالا لا تقدر على البطش و المشى و التصرفات «ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً» أى شابا «ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَ شَيْبَةً» يعنى حال

الشيخوخه و الكبر «يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ» من ضعف و قوه «وَهُوَ الْعَلِيمُ» بما فيه مصالح خلقه «الْقَدِيرُ» على فعله بحسب ما يعلمه من المصلحه ثم بين سبحانه حال البعث فقال «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ» أى يحلف المشركون «مَا لَبِثُوا» فى القبور «غَيْرَ سَاعَةٍ» واحده عن الكلبى و مقاتل و قيل يحلفون ما مكثوا فى الدنيا غير ساعه لاستقلالهم مده الدنيا و قيل يحلفون ما لبثوا بعد انقطاع عذاب القبر غير ساعه عن الجبائى و متى قيل كيف يحلفون كاذبين مع أن معارفهم فى الآخره ضروريه قيل فيه أقوال (أحدها) أنهم حلفوا على الظن و لم يعلموا لبثهم فى القبور فكأنهم قالوا ما لبثنا غير ساعه فى ظنوننا عن أبى على و أبى هاشم (و ثانيها) أنهم استقلوا الدنيا لما عاينوا من أمر الآخره فكأنهم قالوا ما الدنيا فى الآخره إلا ساعه فاستقلوا حيث اشتغلوا فى المده اليسيره بما أوردتهم تلك الأهوال الكثيره (و ثالثها) أن ذلك يجوز أن يقع منهم قبل إكمال عقولهم عن أبى بكر بن الإخشيد «كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ» فى دار الدنيا أى يكذبون و قيل يصرفون صرفهم جهلهم عن الحق فى الدارين و من استدل فى هذه الآيه على نفي عذاب القبر فقد أبعد لما بينا أنه يجوز أن يريدوا أنهم لم يلبثوا بعد عذاب الله إلا ساعه.

[سوره الروم (٣٠): الآيات ٥٦ الى ٦٠]

اشاره

وَ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ الْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَ لَكِنَّا كُنَّا لَا تَعْلَمُونَ (٥٦) فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَ لَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٥٧) وَ لَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَ لَكِنَّ جِنَّتَهُمْ بِآيِهِ لِيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ (٥٨) كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٥٩) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لَا يَسْتَخَفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ (٦٠)

القراءه

قرأ أهل الكوفه «لَا يَنْفَعُ» بالياء و الباقون بالتاء و كذلك فى حم المؤمن و وافق نافع أهل الكوفه فى حم المؤمن.

قال أبو على التائيث حسن لأن المعذره اسم مؤنث و أما التذكير فلأن التائيث غير حقيقى و قد وقع الفصل بين الفعل و فاعله و الفصل يحسن التذكير.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن علماء المؤمنين فى ذلك اليوم فقال «وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ» أى آتاهم الله العلم بما نصب لهم من الأدله الموجه له فنظروا فيها فحصل لهم العلم فلذلك أضافه إلى نفسه لما كان هو الناصب للأدله على العلوم و التصديق بالله و برسوله «لَقَدْ لَبِثْتُمْ» أى مكثتم «فِي كِتَابِ اللَّهِ» و معناه إن لبثكم ثابت فى كتاب الله ثبته الله فيه و هو قوله «وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» و هذا كما يقال إن كل ما يكون فهو فى اللوح المحفوظ أى هو مثبت فيه و المراد لقد لبثتم فى قبوركم «إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ» و قيل إن الذين أوتوا العلم و الإيمان هم الملائكه و قيل هم الأنبياء و قيل هم المؤمنون و قيل إن هذا على التقديم و تقديره و قال الذين أوتوا العلم فى كتاب الله و هم الذين يعلمون كتاب الله و الإيمان لقد لبثتم إلى يوم البعث و قال الزجاج «فِي كِتَابِ اللَّهِ» أى فى علم الله المثبت فى اللوح المحفوظ «فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ» الذى كنتم تنكرونه فى الدنيا «وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» وقوعه فى الدنيا فلم ينفعكم العلم به الآن و يدل على هذا المعنى قوله «فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا» أنفسهم بالكفر «مَعْذِرَتُهُمْ» فلا يمكنون من الاعتذار و لو اعتذروا لم يقبل عذرهم «وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ» أى لا يطلب منهم الإعتاب و الرجوع إلى الحق «وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ» أى بالغنا فى البيان للمكلفين فى هذا القرآن الذى أنزلناه على نبينا من كل مثل يدعوهم إلى التوحيد و الإيمان «وَلَيْسَ جِنَّتُهُمْ بِأَيِّهِ» أى معجزه باهره مما اقترحوها منك «لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ» أى أصحاب أباطيل و هذا إخبار عن عناد القوم و تكذيبهم بالآيات «كَذَلِكَ» أى مثل ما طبع الله على قلوب هؤلاء «يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» توحيد الله و الطبع و الختم مفسران فى سوره البقره «فَأَصْبِرْ» يا محمد على أذى هؤلاء الكفار و إصرارهم على كفرهم «إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» بالعذاب و التنكيل لأعدائك و النصر و التأيد لك و لدينك «وَلَا يَسْتَحْفِنُكَ» أى لا يستغفرك «الَّذِينَ لَا يُؤْقِنُونَ» بالبعث و الحساب فهم ضالون شاكون و قيل لا يستخفرك أى لا يحملنك كفر هؤلاء على الخفه و العجله لشده الغضب عليهم لكفرهم بآياتنا فتفعل خلاف ما أمرت به من الصبر و الرفق عن الجبائى.

(٣١) سورة لقمان مكيه و آياتها أربع و ثلاثون (٣٤)

إشارة

[توضيح]

مكيه عن ابن عباس سوى ثلاث آيات نزلن بالمدينه و لو أن ما في الأرض من شجره أقلام إلى آخرهن.

عدد آياتها

ثلاث و ثلاثون آيه حجازي أربع في الباقيين.

اختلافها

آيتان «الم» كوفي «مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» بصرى شامى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأ سورة لقمان كان لقمان له رفيقا يوم القيامة و أعطى من الحسنات عشا بعدد من عمل بالمعروف و عمل بالمنكر

و

روى محمد بن جبير العزرمى عن أبيه عن أبى جعفر (عليه السلام) قال من قرأ سورة لقمان فى كل ليله و كل الله به فى ليلته ثلاثين ملكا يحفظونه من إبليس و جنوده حتى يصبح فإن قرأها بالنهار لم يزالوا يحفظونه من إبليس و جنوده حتى يمسى

تفسيرها

لما ختم الله سورة الروم و بذكر الآيات الداله على صحه نبوته افتتح هذه السوره بذكر آيات القرآن فقال:

[سورة لقمان (٣١): الآيات ١ الى ١٠]

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (٢) هُدًى وَ رَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ (٣) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤)

أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ
يَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٦) وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَكُنِيَ مُسْتَكْبِرًا كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بِعَذَابٍ
أَلِيمٍ (٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (٨) خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٩)

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَ أَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَ بَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا
مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (١٠)

قرأ حمزه و رحمه بالرفع و الباقون «و رَحْمَةً» بالنصب و قرأ أهل الكوفه غير أبى بكر و يعقوب «وَيَتَّخِذَهَا» بالنصب و الباقون بالرفع و قد ذكرنا فيما تقدم أن ابن كثير و أبى عمرو و يعقوب قرءوا ليضل بفتح الياء و أن نافعا يقرأ الأذن بسكون الذال كل القرآن.

قال أبو على و الزجاج وجه النصب فى «و رَحْمَةً» إنه انتصب عن الاسم المبهم على الحال أى تلك آيات الكتاب فى حال الهدايه و الرحمه و الرفع على إضمار المبتدأ أى هو هدى و رحمه و من رفع و يتخذها جعله عطفا على الفعل الأول أى من يشتري و يتخذ و من نصب عطفه على «لِيُضِلَّ» «وَيَتَّخِذَهَا» و أما الضمير فى يتخذها فيجوز أن يكون للحديث لأنه بمعنى الأحاديث و يجوز أن يكون للسبيل لأن السبيل يؤنث قال قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي و يجوز أن يكون لآيات الله و قد جرى ذكرها فى قوله «تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ».

مفعول يضل محذوف أى ليضل الناس بغير علم فى موضع النصب على الحال تقديره ليضل الناس جاهلا أو غير عالم. «كَأَنَّ لَمْ يَسِيْمَعَهَا» الكاف فى موضع الحال و كذا قوله «كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقَرَأَ» فى موضع الحال أى ولى مستكبرا مشبها للضم. «لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ» جنات ترتفع بالظرف على المذهيين لأنه جر خبرا على المبتدأ. وعد الله مصدر

فعل محذوف و حقا صفه للمصدر و تقديره وعد الله وعدا حقا. بغير عمد يجوز أن يكون غير صفه لمحذوف مجرور بالياء أى بعمد غير عمد ترونها و ترونها جمله فى موضع جر بكونها صفه لعمد أى بغير عمد مرثيه و يجوز أن يكون غير بمعنى لا و على الوجهين يتعلق الباء بخلق و يجوز أن يكون الباء للحال فيكون حالا من السموات و يجوز وجه آخر و هو أن يتعلق الباء بترون و الجملة فى موضع نصب على الحال من خلق فالتقدير خلق السموات مرثيه بغير عمد أن تميد فى موضع نصب بأنه مفعول له و تقديره حذر أن تميد و كراهه أن تميد.

النزول

نزل قوله «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ» فى النضر بن الحرث بن علقمه بن كلده بن عبد الدار بن قصى بن كلاب كان يتجر فيخرج إلى فارس فيشتري أخبار الأعاجم و يحدث بها قريشا و يقول لهم إن محمدا يحدثكم بحديث عاد و ثمود و أنا أحدثكم بحديث رستم و إسفنديار و أخبار الأكاسره فيستمعون حديثه و يتركون استماع القرآن عن الكلبي و قيل نزل فى رجل اشترى جاريه تغنيه ليلا و نهارا عن ابن عباس و يؤيده

ما رواه أبو أمامه عن النبي ص قال لا- يحل تعليم المغنيات و لا بيعهن و أثمانهن حرام و قد نزل تصديق ذلك فى كتاب الله تعالى «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي» الآية و الذى نفسى بيده ما رفع رجل عقيرته يتغنى إلا ارتدفه شيطانان يضربان أرجلهما على صدره و ظهره حتى يسكت.

المعنى

«الم تَلِكْ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ» تقدم تفسيره «هُدًى وَ رَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ» أى بيان و دلالة و نعمه للمطيعين و قيل للموحدين و قيل للذين يحسنون العمل ثم وصفهم فقال «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ» إلى قوله «هُمُ الْمُفْلِحُونَ» قد مر تفسيره فى سورة البقره ثم وصف الذين حالهم تخالف حال هؤلاء فقال «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ» أى باطل الحديث و أكثر المفسرين على

أن المراد بلهو الحديث الغناء و هو قول ابن عباس و ابن مسعود و غيرهما و هو المروى عن أبي جعفر و أبي عبد الله و أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قالوا منه الغناء

و

روى أيضا عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال هو الطعن بالحق و الاستهزاء به و ما كان أبو جهل و أصحابه يجيئون به إذ قال يا معشر قريش ألا أطمعكم من الزقوم الذى يخوفكم به صاحبكم ثم أرسل إلى زبدا و تمر فقال هذا هو الزقوم الذى يخوفكم به قال و منه الغناء

فعلى هذا فإنه يدخل فيه كل شىء يلهى عن سبيل الله و عن

طاعته من الأباطيل و المزامير و الملاهي و المعارف و يدخل فيه السخرية بالقرآن و اللغو فيه كما قاله أبو مسلم و الترهات و البسباس على ما قاله عطا و كل لهو و لعب على ما قاله قتاده و الأحاديث الكاذبه و الأساطير الملهيه عن القرآن على ما قاله الكلبي و

روى الواحدى بالإسناد عن نافع عن ابن عمر أنه سمع النبي ص فى هذه الآيه «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ» قال باللعب و الباطل كثير النطقه سمح فيه و لا تطيب نفسه بدرهم يتصدق به

و

روى أيضا بالإسناد عن أبى هريره قال قال رسول الله ص من ملأ مسامعه من غناء لم يؤذن له أن يسمع صوت الروحانيين يوم القيامة قيل و ما الروحانيون يا رسول الله قال قراء أهل الجنه

«لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» أى ليضل غيره و من أضل غيره فقد ضل هو و من قرأ بفتح الياء فالمعنى ليصير أمره إلى الضلال و هو أن لم يكن يشتري للضلال فإنه يصير أمره إلى ذلك قال قتاده يحسب المرء من الضلاله أن يختار حديث الباطل على حديث الحق و سبيل الله قراءه القرآن و ذكر الله عن ابن عباس «بِغَيْرِ عِلْمٍ» معناه أنه جاهل فيما يفعله لا يفعل عن علم «وَيَتَّخِذَهَا هُزُوءًا» أى و يتخذ آيات القرآن هزوا أو و يتخذ سبيل الله هزوا يستهزئ بها «أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ» أى مضل يهينهم الله به «وَ إِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا» أى و إذا قرئ عليه القرآن «وَلَّىٰ مُسِيئًا كَبِيرًا كَانَ لَمْ يَشْعُرْ بِهَا» أى أعرض عن سماعه إعراض من لا يسمعه رافعا نفسه فوق مقدارها «كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا» أى كان فى مسامعه ثقلا يمنعه عن سماع تلك الآيات «فَبَشِّرْهُ» يا محمد «بِعَذَابِ أَلِيمٍ» أى مؤلم موجع فى القيامة ثم أخبر سبحانه عن صفه المؤمنين المصدقين فقال «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ النَّعِيمِ» يوم القيامة يتنعمون فيها «خَالِدِينَ فِيهَا» أى مؤبدين فى تلك الجنات «وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا» أى وعدا وعده الله حقا لا خلف له «وَهُوَ الْعَزِيزُ» فى انتقاله «الْحَكِيمُ» فى جميع أفعاله و أحكامه لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة ثم أخبر سبحانه عن أفعاله الداله على توحيده فقال «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ» أى أنشأها و اخترعها «بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوُونَهَا» إذ لو كان لها عمد لرأيتموها لأنها لو كانت تكون أجساما عظاما حتى يصح منها أن تقل السموات و لو كانت كذلك لاحتاجت إلى عمد آخر فكان يتسلسل فإذا لا عمد لها و قيل إن المراد بغير عمد مرئيه و المعنى أن لها عمدا لا- ترونها عن مجاهد و الصحيح الأول «وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ» أى جبالا ثابتة «أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ» أى كراهه أن تميد بكم و قيل لئلا تميد بكم «وَبَثَّ فِيهَا» أى فرق فيها أى فى الأرض «مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ» تدب على وجهها من أنواع الحيوانات «وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» أى غيثا و مطرا «فَأَنْبَتْنَا فِيهَا» أى فى الأرض بذلك الماء «مِنْ كُلِّ زَوْجٍ» أى صنف «كَرِيمٍ» أى حسن النبتة طيب الثمره.

إشارة

هذا خلق الله فأروني ما ذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين (١١) ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله و من يشكر فإنما يشكر لنفسه و من كفر فإن الله غني حميد (١٢) و إذ قال لقمان لابنه و هو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم (١٣) و وصينا الإنسان بوالديه حملته أمه و هنا على و هن و فصالة في عامين أن اشكر لي و لوالديك إلى المصير (١٤) و إن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما و صاحبهما في الدنيا معزوفاً و أتبع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون (١٥)

القراءة

قرأ ابن كثير في روايه البزى يا بنى لا- تشرك بالله ساكنه الياء يا بنى إنها مكسوره الياء يا بنى أقم الصلاة مفتوحه الياء و قرأ في روايه القواس يا بنى إنها مكسوره الياء و قرأ ابن فليح يا بنى لا تشرك يا بنى إنها مكسوره الياء فيهما يا بنى أقم مفتوحه الياء و قرأ حفص «يا بنى» بفتح الياء في كل القرآن و الباقون بكسر الياء في كل القرآن و فى الشواذ قراه عيسى الثقفى و روايه بعضهم عن أبى عمرو و هنا على و هن بفتح الهاء و قراه الحسن بخلاف و أبى رجا و الجحدرى و قتاده و يعقوب و فصله فى عامين.

الحجه

قال أبو على من أسكن الياء فى الوصل فإنه يجوز أن يكون على قول من قال يا غلام أقبل فلما وقف قال يا غلام فاسكن للوقف و يكون أجرى الوصل مجرى الوقف و هذا يجىء فى الشعر كقول عمران بن حطان:

قد كنت عندك حولا لا تروعنى فيه روائع من إنس و من جان

فإنما خفف جان للقافيه ثم وصل بحرف الإطلاق و أجرى الوصل مجرى الوقف و هذا

لا- نعلم جاء في الكلام و من قال يا بنى إنها فهو على قولك يا غلام أقبل و من قال «يا بُنَيَّ» بفتح الياء فإنه على قولك يا بنيا فأبدل ياء الإضافه ألفا و من الكسره فتحه و على هذا حمل أبو عثمان قوله يا أَبَتِ و قد تقدم ذكر ذلك فيما سلف و من قرأ وهنا على و هن بفتح الهاء فيمكن أن يكون حرك الهاء لأجل حرف الحلق كقراءه الحسن إلى يوم البعث فهذا يوم البعث بفتح العين و أما الفصل فإنه أعم من الفصل لأنه يستعمل في الرضاع و غيره و الفصل هاهنا أوجه لأن الموضوع مختص بالرضاع.

الإعراب

«فَأَرْوِنِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ» تقديره أى شىء خلق فماذا بمنزله اسم واحد فى موضع نصب بأنه مفعول خلق و الجملة معلقه بأرونى. «أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ» قال الزجاج معناه لأن يشكر الله و يجوز أن تكون أن مفسره فيكون المعنى أن اشكر الله و تأويل أن اشكر قلنا له اشكر الله على ما أتاك. «حَمَلَتْهُ أُمُّهُ» جملة فى موضع النصب على الحال بإضمار قل و العامل فى الحال معنى الفعل الذى يدل عليه قوله «وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ» فإن معناه أمرنا بالإحسان إلى والديه و حاله أنه كان محمولا لأمه و مثله قوله كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا» أى و حالكم أنكم كنتم أمواتا. وهنا مصدر فعل محذوف فى موضع الحال أى تهن وهنا و قوله «عَلَى وَهْنٍ» فى موضع الصفه لقوله «وَهْنًا» و يجوز أن يتعلق أيضا بالعامل فى «وَهْنًا» و قوله «مَعْرُوفًا» صفه لمصدر محذوف و تقديره مصاحبا معروفا بمعنى مصاحبه معروفه.

المعنى

ثم أشار سبحانه إلى ما تقدم ذكره فقال «هذا خلق الله» أى هذا الذى ذكرت من السموات على عظمها و كبر حجمها و الأرض و ما فيها خلق الله الذى أوجده و أحدثه «فَأَرْوِنِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ» يعنى آلهتهم التى يعبدونها «بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» المعنى أنهم لا- يجدون لهذا الكلام جوابا و لا يمكنهم أن يشيروا إلى شىء هو خلق آلهتهم فلم يحملهم على عبادتهم خلقها لشىء و لكنهم فى عدول ظاهر عن الحق و لما ذكر سبحانه الأدله الداله على توحيده و قدرته و حكمته بين عقيب ذلك قصه لقمان و أنه أعطاه الحكمة فقال «وَ لَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ» أى أعطيناها العقل و العلم و العمل به و الإصابه فى الأمور و اختلف فيه فقيل إنه كان حكيما و لم يكن نبيا عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و أكثر المفسرين و قيل إنه كان نبيا عن عكرمه و السدى و الشعبى و فسروا الحكمة هنا بالنبوه و قيل إنه كان عبدا أسود حبشيا غليظ المشافر مشقوق الرجلين فى زمن داود (عليه السلام) و قال له بعض

الناس أ لست كنت ترعى معنا فقال نعم قال فمن أين أوتيت ما أرى قال قدر الله و أداء الأمانة و صدق الحديث و الصمت عما لا يعينى و قيل إنه كان ابن أخت أيوب عن وهب و قيل كان ابن خاله أيوب عن مقاتل و

روى عن نافع عن ابن عمر قال سمعت رسول الله ص يقول حقا أقول لم يكن لقمان نبيا و لكن كان عبدا كثير التفكير حسن اليقين أحب الله فأحبه و من عليه بالحكمة كان نائما نصف النهار إذ جاءه نداء يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفه فى الأرض تحكم بين الناس بالحق فأجاب الصوت إن خيرنى ربي قبلت العافيه و لم أقبل البلاء و إن عزم على فسمعا و طاعه فإنى أعلم أنه إن فعل بى ذلك أعاننى و عصمنى فقالت الملائكة بصوت لا يراهم لم يا لقمان قال لأن الحكم أشد المنازل و أكدها يغشاه الظلم من كل مكان إن وقى فبالحرى أن ينجو و إن أخطأ أخطأ طريق الجنه و من يكن فى الدنيا ذليلا و فى الآخرة شريفا خير من أن يكون فى الدنيا شريفا و فى الآخرة ذليلا- و من يختر الدنيا على الآخرة تفته الدنيا و لا- يصيب الآخرة فتعجبت الملائكة من حسن منطقته فنام نومه فأعطى الحكمة فانتبه يتكلم بها ثم كان يؤزر داود بحكمته فقال له داود طوبى لك يا لقمان أعطيت الحكمة و صرفت عنك البلوى

«أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ» معناه و قلنا له اشكر الله تعالى على ما أعطاك من الحكمة «وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ» أى من يشكر نعمه الله و نعمه من أنعم عليه فإنه إنما يشكر لنفسه لأن ثواب شكره عائد عليه و يستحق مزيد النعمة و الزيادة الحاصلة بالشكر تكون له «وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ» عن شكر الشاكرين «حَمِيدٌ» أى محمود على أفعاله و قيل مستحمد إلى خلقه بالإنعام عليهم و الشكر لا يكون إلا على نعمه سبقت فهو يقتضى منعا فعلى هذا لا يصح أن يشكر الإنسان نفسه كما لا يصح أن يكون منعا على نفسه و يجرى مجرى الدين فى أنه حق لغيره عليه يلزمه أداؤه فكما لا يصح أن يقرض نفسه فكذلك لا يصح أن ينعم على نفسه «وَأِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ» معناه و اذكر يا محمد إذ قال لقمان لابنه و يجوز أيضا أن يتعلق إذ بقوله «وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ» إذ قال لابنه «وَهُوَ يَعِظُهُ» أى يؤدبه و يذكره أى فى حال ما يعظه «يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ» أى لا تعدل بالله شيئا فى العبادة «إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» أصل الظلم النقصان و منع الواجب فمن أشرك بالله فقد منع ما وجب لله عليه من معرفه التوحيد فكان ظالما و قيل إنه ظلم نفسه ظلما عظيما بأن أوبقها «وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ» لما قدم الأمر بشكر النعمة أتبعه بالتنبيه على وجوب الشكر لكل منعم فبدأ بالوالدين أى أمرناه بطاعه الوالدين و شكرهما و الإحسان إليهما و إنما قرن شكرهما بشكره لأنه الخالق المنشئ و هما السبب فى الإنشاء و التربيته ثم بين سبحانه زياده نعمه الأم فقال «حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ» معناه ضعفا على ضعف عن الضحاك و الحسن يعنى ضعف

نطفه الوالد على ضعف نطفه الأم عن أبي مسلم وقيل لأن الحمل يؤثر فيها فكلما ازداد الحمل ازدادت ضعفا على ضعف وقيل لأنها ضعيفه الخلقه فازدادت ضعفا بالحمل وقيل وهنا على وهن أى شده على شده و جهدا على جهد عن ابن عباس و قتاده «وَ فِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ» أى و فطامه من الرضاع فى انقضاء عامين لأن العامين جملة مده الرضاع فهو كقوله «يُرَضُّ عَنْ أَوْلَادِهِنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ» و المراد أنها بعد ما تلده ترضعه عامين و تربيته فتلحقها المشقه بذلك أيضا «أَنْ اشْكُرْ لِي وَ لِرِوَالِدَيْكَ» هذا تفسير قوله «وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ» أى وصيناه بشكرنا و شكر والديه فشكر الله سبحانه بالحمد و الطاعه و شكر الوالدين بالبر و الصله «إِلَى الْمَصِيرِ» و فيه تهديد أى إلى مرجعكم فأجازيكم على حسب أعمالكم «وَ إِنْ جَاهَدَاكَ» أيها الإنسان أى جاهداك والداك «عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي» معبودا آخر فلا تطعهما و هو قوله «مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ» لأن ما يكون حقا تعلم صحته فما لا تعلم صحته فهو باطل فكأنه قال فإن دعواك إلى باطل «فَلَا تُطِعْهُمَا» فى ذلك «وَ صَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا» أى و أحسن إليهما و ارفق بهما فى الأمور الدنيويه و إن وجبت مخالفتها فى أبواب الدين لمكان كفرهما «وَ اتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ» أى و اسلك طريقه من رجع إلى طاعتي و أقبل إلى بقلبه و هو النبى ص و المؤمنون قال «ثُمَّ إِلَيَّ» أى إلى حكى «مَرْجِعُكُمْ» و منقلبكم «فَأْتِبُّكُمْ» أى أخبركم «بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فى دار الدنيا من الأعمال و أجازيكم عليها بحسبها.

[فصل فى ذكر نبد من حكم لقمان]

ذكر فى التفسير أن مولاة دعاه فقال اذبح شاه فأتنى بأطيب مضغتين منها فذبح شاه و أتاه بالقلب و اللسان فسأله عن ذلك فقال إنهما أطيب شىء إذا طابا و أخبث شىء إذا خبثا و قيل إن مولاة دخل المخرج فأطال فيه الجلوس فناده لقمان أن طول الجلوس على الحاجه يفجع منه الكبد و يورث منه الباسور و يصعد الحرارة إلى الرأس فاجلس هونا و قم هونا قال فكتب حكيمته على باب الحش. قال عبد الله بن دينار قدم لقمان من سفر فلقى غلامه فى الطريق فقال ما فعل أبى قال مات قال ملكت أمرى قال ما فعلت امرأتى قال ماتت قال جدد

فراشى قال ما فعلت أختى قال ماتت قال سترت عورتى قال ما فعل أختى قال مات قال انقطع ظهري و قيل للقمان أى الناس شر قال الذى لا يبالى أن يراه الناس مسيئا. و قيل له ما أقيح وجهك قال تعبت على النقش أو على فاعل النقش. و قيل إنه دخل على داود و هو يسرد الدرع و قد لين الله له الحديد كالطين فأراد أن يسأله فأدرسته الحكمة فسكت فلما أتمها لبسها و قال نعم لبوس الحرب أنت فقال الصمت حكم و قليل فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيمًا و فى كتاب من لا يحضره الفقيه قال لقمان لابنه يا بنى إن الدنيا بحر عميق و قد هلك فيها عالم كثير فاجعل سفينتك فيها الإيمان بالله و اجعل شراعها التوكل على الله و اجعل زادك فيها تقوى الله فإن نجوت فبرحمه الله و إن هلكت فبذنوبك و

روى سليمان بن داود المنقرى عن حماد بن عيسى عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال فى وصيه لقمان لابنه يا بنى سافر بسيفك و خفك و عمامتك و خبائك و سقائك و خيوطك و مخرزك و تزود معك من الأدويه ما تنتفع به أنت و من معك و كن لأصحابك موافقا إلا فى معصية الله عز و جل يا بنى إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتهم فى أمرك و أمورهم و أكثر التبسم فى وجوههم و كن كريما على زادك بينهم فإذا دعوك فأجبههم و إذا استعانوا بك فأعنهم و استعمل طول الصمت و كثره الصلاة و سخاء النفس بما معك من دابه أو ماء أو زاد و إذا استشهدوك على الحق فاشهد لهم و اجهد رأيك لهم إذا استشاروك ثم لا تعزم حتى تثبت و تنظر و لا تجب فى مشوره حتى تقوم فيها و تقعد و تنام و تأكل و تصلى و أنت مستعمل فكرتك و حكمتك فى مشورته فإن من لم يمحض النصيحة من استشاره سلبه الله رأيه و إذا رأيت أصحابك يمشون فامش معهم فإذا رأيتهم يعملون فاعمل معهم و اسمع لمن هو أكبر منك سنا و إذا أمروك بأمر و سألوك شيئا فقل نعم و لا تقل لا فإن لا عى و لؤم و إذا تحيرتم فى الطريق فانزلوا و إذا شككتم فى القصد فقفوا و تآمروا و إذا رأيت شخصا واحدا فلا تسألوه عن طريقكم و لا تسترشدوه فإن الشخص الواحد فى الفلاة مريب لعله يكون عين اللصوص أو يكون هو الشيطان الذى حيركم و احذروا الشخصين أيضا إلا أن تروا ما لا أرى لأن العاقل إذا أبصر بعينه شيئا عرف الحق منه و الشاهد يرى ما لا يرى الغائب يا بنى إذا جاء وقت الصلاة فلا تؤخرها لشيء صلها و استرح منها فإنها دين و صل فى جماعه و لو على رأس زج و لا تنامن على دابتك فإن ذلك سريع فى دبرها و ليس ذلك من فعل الحكماء إلا أن تكون فى محمل يمكنك التمديد لاسترخاء المفاصل فإذا قربت

من المنزل فانزل عن دابتك و ابدأ بعلفها قبل نفسك فإنها نفسك و إذا أردتم النزول فعليكم من بقاع الأرض بأحسنها لونا و ألينها تربه و أكثرها عسبا و إذا نزلت فصل ركعتين قبل أن تجلس و إذا أردت قضاء حاجتك فابعد المذهب في الأرض و إذا ارتحلت فصل ركعتين ثم ودع الأرض التي حلت بها و سلم على أهلها فإن لكل بقعه أهلا من الملائكة و إن استطعت أن لا تأكل طعاما حتى تبدئ فتصدق منه فافعل و عليك بقراءة كتاب الله ما دمت راكبا و عليك بالتسبيح ما دمت عاملا عملا و عليك بالدعاء ما دمت خاليا و إياك و السير في أول الليل إلى آخره و إياك و رفع الصوت في مسيرك.

و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) و الله ما أوتى لقمان الحكمة لحسب و لا مال و لا بسط في جسم و لا جمال و لكنه كان رجلا قويا في أمر الله متورعا في الله ساكتا سكيناً عميق النظر طويل التفكير حديد البصر لم ينم نهارا قط و لم يتكئ في مجلس قوم قط و لم يتفل في مجلس قوم قط و لم يعبث بشيء قط و لم يره أحد من الناس على بول و لا غائط قط و لا على اغتسال لشده تستره و تحفظه في أمره و لم يضحك من شيء قط و لم يغضب قط مخافة الإثم في دينه و لم يمازح إنسانا قط و لم يفرح بما أوتيه من الدنيا و لا حزن منها على شيء قط و قد نكح من النساء و ولد له الأولاد الكثيره و قدم أكثرهم إفراطا فما بكى على موت أحد منهم و لم يمر بين رجلين يقتتلان أو يختصمان إلا- أصلح بينهما و لم يمض عنهما حتى تحاجزا و لم يسمع قولاً استحسنته من أحد قط إلا سأله عن تفسيره و عن من أخذه و كان يكثر مجالسه الفقهاء و العلماء و كان يغشى القضاء و الملوك و السلاطين فيرثي للقضاء بما ابتلوا به و يرحم الملوك و السلاطين لعزتهم بالله و طمأنينتهم في ذلك و يتعلم ما يغلب به نفسه و يجاهد به هواه و يحترز من السلطان و كان يداوى نفسه بالتفكر و العبر و كان لا يظعن إلا فيما ينفعه و لا ينظر إلا فيما يعنيه فبذلك أوتى الحكمة و منح القضية.

[سورة لقمان (٣١): الآيات ١٦ الى ٢٠]

إشارة

يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَ أَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ اصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَ لَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَ لَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَ اقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩) أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَ بَاطِنَةً وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ لَا هُدًى وَ لَا كِتَابٍ مُبِينٍ (٢٠)

ص: ٧٦

قد ذكرنا فى سورة الأنبياء أن قراءه أهل المدينه مثقال حبه بالرفع و قراءه الباقيين بالنصب و قرأ أهل الكوفه غير عاصم و أبو عمرو و نافع و لا تصاعر بالألف و الباقيون «وَلَا تُصَيِّعُ» بالتشديد و قرأ أهل المدينه و البصره غير يعقوب و حفص «نِعْمَةً» على الجمع و الباقيون نعمه على الواحد و فى الشواذ قراءه عبد الكريم الجزرى فتكن فى صخره بكسر الكاف و قراءه يحيى بن عماره و أصبغ بالصاد عليكم نعمه ظاهره و باطنه.

الحجه

قال أبو على من قرأ إن تك مثقال بالرفع فألحق علامه التأنيث بالفعل فلأن المثقال هو السيئه أو الحسنه فأنث على المعنى كما قال فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَالِهَا فأنث و من قرأ «مِثْقَالَ» بالنصب فالمعنى أن تك المظلمه أو السيئه أو الحسنه مثقال حبه أتى بها الله و أثنى عليها أو عاقب و أما قوله «وَلَا تُصَيِّعُ» فإنه يشبه أن يكون لا تصعر و لا تصاعر بمعنى كما قال سيبويه فى ضعف و ضاعف و قال أبو الحسن لا تصاعر لغه أهل الحجاز «وَلَا تُصَيِّعُ» لغه بنى تميم و قال أبو عبيده أصله من الصعر الذى يأخذ الإبل فى رءوسها و أعناقها قال أبو على فكأنه يقول لا تعرض عنهم و لا تزور كازورار الذى به هذا الداء الذى يلوى منه عنقه و يعرض بوجهه و النعم جمع نعمه فالنعم للكثير و نعم الله تعالى كثيره و المفرد أيضا يدل على الكثره قال «وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا» و أما قوله «ظَاهِرَةٌ وَ بَاطِنَةٌ» فلا ترجيح فيه لإحدى القراءتين على الأخرى أ لا ترى أن النعم توصف بالظاهره و الباطنه كما توصف النعمه بذلك و من قرأ فتكن فهو من وكن الطائر

يكن إذا استقر في وكنه و منه قول امرء القيس:

و قد أغتدى و الطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

و قوله أصبغ أبدل فيه السين صاداً لأجل الغين كما قالوا سالغ و صالح.

المعنى

ثم عاد سبحانه إلى الإخبار عن لقمان و وصيته لابنه و أنه قال له «يا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ» معناه أن فعله الإنسان من خير أو شر إن كانت مقدار حبه خردل في الوزن و يجوز أن يكون الهاء في أنها ضمير القصة كما في قوله «فإنها لا تَعْمَى الأبصارُ» قال الزجاج يروى أن ابن لقمان سأل لقمان فقال أ رأيت الحبه تكون في مقل البحر أى مغاص البحر يقال مقل يمقل إذا غاص أ يعلمها الله فقال إنها أى أن التى سألتنى عنها إن تك مثقال حبه من خردل «فَتَكُنْ فِي صِيحْرِهِ» أى فتكن تلك الحيه فى جبل عن قتاده و المعنى فى صخره عظيمه لأن الحبه فيها أخفى و أبعد من الاستخراج «أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ» ذكر السماوات و الأرض بعد ذكر الصخره و إن كان لا بد و إن تكون الصخره فى الأرض على وجه التأكيد كما قال «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ» ثم قال «خَلَقَ الْإِنْسَانَ» و قال السدى هذه الصخره ليست فى السماوات و لا فى الأرض هى تحت سبع أرضين و هذا قول مرغوب عنه «يَأْتِ بِهَا اللَّهُ» أى يحضرها الله يوم القيامة و يجازى عليها أى يأت بجزء ما وازنها من خير أو شر و قيل معناه يعلمها الله فيأتى بها إذا شاء كذلك قليل العمل من خير أو شر يعلمه الله فيجازى عليه فهو مثل قوله «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» و

روى العياشى بالإسناد عن ابن مسكان عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال اتقوا المحقرات من الذنوب فإن لها طالبا لا يقولن أحدكم أذنب و استغفر الله إن الله تعالى يقول «إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ» الآية

«إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ» باستخراجها «خَبِيرٌ» بمستقرها عن قتاده و قيل اللطيف العالم بالأمور الخفيه و الخبير العالم بالأشياء كلها «يا بُنَيَّ» إنما صغر اسمه فى هذه المواضع للرقه و الشفقه لا للتحقير «أَقِمِ الصَّلَاةَ» أى أد الصلاة المفروضه فى ميقاتها بشروطها «وَ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ» و هو الطاعه

«وَ أَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ» و هو كل معصيه و قبيح سواء كان من القبائح العقلية أو الشرعية فإن المعروف ما يدعو إليه العقل و الشرع و المنكر ما يزجر عنه العقل و الشرع

«وَ اصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ» من المشقه و الأذى فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر عن على (عليه السلام)

و قيل ما أصابك من شدائد الدنيا و مكارهها من الأمراض و غيرها عن الجبائى «إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» أى من العقد الصحيح على فعل الحسن بدلا من القبيح و العزم الإراده المتقدمه للفعل بأكثر من وقت و هو العقد على الأمر لتوطين النفس على فعله و التلون فى الرأى يناقض العزم و قيل معناه أن ذلك من الأمور التى يجب الثبات و الدوام عليها و قيل العزم القوه و الحزم الحذر و منه المثل الأخير فى عزم بغير حزم و قيل الحزم التأهب للأمر و العزم النفاذ فيه و منه قيل فى المثل " رو بحزم فإذا استوضحت فاعزم "

«وَ لَا- تَصَيَّرْ عَزْمَ خَدِّكَ لِلنَّاسِ» أى و لا- تمل وجهك من الناس تكبرا و لا تعرض عنم يكلمك استخفافا به و هذا معنى قول ابن عباس و أبى عبد الله (عليه السلام)

يقال أصاب البعير صعر أى داء يلوى منه عنقه فكان المعنى لا تلزم خدك للصعر لأنه لا داء للإنسان أدوى من الكبر قال:

و كنا إذا الجبار صعر خده أقمنا له من درئه فتقوما

و قيل هو أن يكون بينك و بين إنسان شىء فإذا لقيته أعرضت عنه عن مجاهد و قيل هو أن يسلم عليك فتلوى عنقك تكبرا عن عكرمه «وَ لَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا» أى بطرا و خيلاء «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ» أى كل متكبر فخور على الناس «وَ اقْصِدْ فِي مَشْيِكَ» أى اجعل فى مشيك قصدا مستويا على وجه السكون و الوقار كقوله «الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا» قال قتاده معناه تواضع فى مشيك و قال سعيد بن جبیر و لا تختل فى مشيك «وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ» أى أنقص من صوتك إذا دعوت و ناجيت ربك عن عطا و قيل لا- تجهر كل الجهر و اخفض صوتك و لا ترفعه مطاولا به «إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ» أى أقبح الأصوات صوت الحمير أوله زفير و آخره شهيق عن قتاده يقال وجه منكر أى قبيح. أمر لقمان ابنه بالاعتقاد فى المشى و النطق و روى عن زيد بن على أنه قال أراد صوت الحمير من الناس و هم الجهال شبههم بالحمير كما شبههم بالأنعام فى قوله «أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ» و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال هى العطسه المرتفعه القبيحه و الرجل يرفع

صوته بالحديث رفعا قبيحا إلا أن يكون داعيا أو يقرأ القرآن

ثم ذكر سبحانه نعمه على خلقه و نبههم على معرفتها فقال «أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ (وَ مَا فِي الْأَرْضِ) مِنَ الْحَيَاةِ وَالنَّبَاتِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَتَنَفَعُونَ بِهِ وَ تَتَصَرَّفُونَ فِيهِ بِحَسَبِ مَا تَرِيدُونَ (وَ أَشْبَعُ عَلَيْكُمْ) أَى أَوْسَع عَلَيْكُمْ وَ أتم عليكم نعمه «ظَاهِرَةً وَ بَاطِنَةً» فالظاهرة ما لا يمكنكم جحده من خلقكم و إحيائكم و أقداركم و خلق الشهوة فيكم و غيرها من ضرور النعم و الباطنة ما لا يعرفها إلا من أمعن النظر فيها و قيل الباطنة مصالح الدين و الدنيا مما يعلمه الله و غاب عن العباد علمه عن ابن عباس و

فى روايه الضحاك عنه قال سألت النبى ص عنه فقال يا ابن عباس أما ما ظهر فالإسلام و ما سوى الله من خلقك و ما أفاض عليك من الرزق و أما ما بطن فستر مساوى عملك و لم يفضحك به يا ابن عباس إن الله تعالى يقول ثلاثه جعلتهن للمؤمن و لم تكن له صلاحه المؤمنين عليه من بعد انقطاع عمله و جعلت له ثلث ماله أكفر به عنه خطاياهم و الثالث سترت مساوى عمله و لم أفضحه بشىء منه و لو أبديتها عليه لنبذه أهله فمن سواهم

و قيل الظاهره تخفيف الشرائع و الباطنه الشفاعة عن عطا و قيل الظاهره نعم الدنيا و الباطنه نعم الآخرة و قيل الظاهره نعم الجوارح و الباطنه نعم القلب عن الربيع و قيل الظاهره ظهور الإسلام و النصر على الأعداء و الباطنه الأمداد بالملائكة عن مجاهد و قيل الظاهره حسن الصورة و امتداد القامة و تسوية الأعضاء و الباطنه المعرفة عن الضحاك و قيل الظاهره القرآن و الباطنه تأويله و معانيه و

قال الباقر (عليه السلام) النعمة الظاهره النبى ص و ما جاء به النبى من معرفه الله عز و جل و توحيده و أما النعمة الباطنه ولايتنا أهل البيت و عقد مودتنا

و لا- تنافى بين هذه الأقوال و كلها نعم الله تعالى و يجوز حمل الآيه على الجميع «وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ» أَى يخاصم «فَى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ» بما يقوله «وَ لَا هُدًى» أَى و لا دلاله و حجه «وَ لَا كِتَابٍ مُّبِينٍ» أَى و لا كتاب من عند الله ظاهر واضح و قد مضى هذا مفسرا فى سورة الحج.

[سوره لقمان (٣١): الآيات ٢١ الى ٢٥]

أشاره

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَحَدَّثَنَا آبَاءُنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (٢١) وَ مَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَ إِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٢٢) وَ مَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٣) نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٢٤) وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٥)

لما أخبر سبحانه عن جادل في الله بغير علم و لم يذكر النعمة زاد عقبيه في ذمهم فقال «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ» على محمد ص من القرآن و شرائع الإسلام «قَالُوا بَلْ تَتَّبِعُ مَا وَحَدَّثَنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا» ذمهم على التقليد ثم قال منكرًا عليهم «أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ» إلى تقليد آبائهم و اتباع ما يدعوهم «إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ» أدخل على واو العطف همزه الاستفهام على وجه الإنكار و جواب لو محذوف تقديره أ و لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير لاتبعوهم و المعنى أن الشيطان يدعوهم إلى تقليد آبائهم و ترك اتباع ما جاءت به الرسل و ذلك موجب لهم عذاب النار فهو في الحقيقة يدعوهم إلى النار ثم قال «وَمَنْ يُسِئْ لِمِ وَجْهَةِ إِلَى اللَّهِ» أى و من يخلص دينه لله و يقصد فى أفعاله التقرب إليه «وَهُيَؤُ مُحْسِنٌ» فيها فيفعلها على موجب العلم و مقتضى الشرع و قيل إن إسلام الوجه إلى الله تعالى هو الانقياد لله تعالى فى أوامره و نواهيه و ذلك يتضمن العلم و العمل «فَقَدْ اسْتَيْمَسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى» أى فقد تعلق بالعروة الوثيقة التى لا يخشى انفصامها و الوثقى تأنيث الأوثق «وَ إِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ» أى و عند الله ثواب ما صنع عن مجاهد و المعنى و إلى الله ترجع أواخر الأمور على وجه لا يكون لأحد التصرف فيها بالأمر و النهى «وَ مَنْ كَفَرَ» من هؤلاء الناس «فَلَا يَحْزُنُكَ» يا محمد «كُفْرُهُ» أى لا يغمك ذلك «إِنَّا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا» أى نخبرهم بأعمالهم و نجازيهم بسوء أفعالهم «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» أى بما تضمرة الصدور لا يخفى عليه شىء منه «نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا» أى نعطيهم من متاع الدنيا و نعيمها ما يتمتعون به مدة قليلة «ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ» فى الآخرة «إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ» أى ثم نصيرهم مكرهين إلى عذاب يغلظ عليهم و يصعب «وَلَكِنَّ سَيِّئَاتِهِمْ مِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يَقُولُنَّ» فى جواب ذلك «اللَّهُ» خلقهما «قُلْ» يا محمد أو أيها السامع «الْحَمْدُ لِلَّهِ» على هدايته لنا و توفيقه إيانا لمعرفة و قيل معناه اشكر الله على دين يقر لك خصمك بصحته لوضوح دلالاته عن الجبائى «بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» ما عليهم من الحجة ..

إشاره

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٦) وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧) مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٢٨) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٩) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٣٠)

القراءه

قرأ أبو عمرو و يعقوب و البحر بالنصب و الباقر بالرفع و قرأ جعفر بن محمد (عليه السلام) و البحر مداده و فى قراءه ابن مسعود و بحر يمده و هى قراءه طلحه بن مصرف و قراءه الحسن و الأعرج و البحر يمده بضم الياء.

الحجه

قال أبو زيد أمددت القوم بمال و رجال إمدادا و قل ماء ركيثنا فمددتها ركيه أخرى تمدها قال أبو عبيده و هاهنا اختصارا سبيله لو كتبت كلمات الله بهذه الأقلام و البحر ما نفدت قال أبو على و المراد بذلك و الله أعلم ما فى المقدور دون ما خرج منه إلى الوجود قال قتاده يقول لو كان شجر الأرض أقلاما و مع البحر سبعة أبحر مدادا إذا لانكسرت الأقلام و نفذ ماء البحر قبل أن تنفذ عجائب الله و حكمته و خلقه و علمه فأما انتصاب البحر من قوله «وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ» فلأنه معطوف على اسم أن و هو ما فى الأرض فما اسم أن و أقلام خبرها و التقدير لو أن شجر الأرض أقلام و البحر يمده من بعده سبعة أبحر فإذا عطفت البحر على اسم أن فنصبته كان خبره يمده و الراجع إلى البحر الضمير المنصوب المتصل بيمد و من رفع استأنف كأنه قال و البحر هذه حاله فيما قاله سيبويه و أقول إذا عطفت البحر على اسم أن فنصبته فالأولى أن يكون خبره محذوفا و يكون التقدير و لو أن البحر مدادا و يمده سبعة أبحر يكون جمله منصوبه الموضع على الحال و حذف الخبر الذى هو مدادا لدلاله الكلام عليه و إذا نصبت البحر أو

رفعته فالمعنى لو كتب ما فى مقدور الله لنفذ ذلك قبل نفاذ المقدور و نحو هذا من الجمل قد يحذف لدلاله الكلام عليه كقوله «اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ» و المعنى فذهب فألقى الكتاب فقراءته المرأه أو فقريئ عليها فقالت يا أيها الملأ و من قرأ و بحر يمدده فتقديره و هناك بحر يمدده من بعده سبعة أبحر قال ابن جنى لا يجوز أن يكون و بحر معطوفا على أقلام لأن البحر و ما فيه من الماء ليس من حديث الشجر و الأقلام و إنما هو من حديث المداد كما قرأ جعفر الصادق (عليه السلام) مداده فأما رفع البحر فإن شئت كان معطوفا على موضع أن و اسمها كما عطف عليه فى قوله أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ و قد مضى ذكر ذلك فى موضعه و من قرأ يمدده بضم الياء فإنه تشبيهه بامداد الجيش و ليس يقوى أن يكون قراءه جعفر بن محمد (عليه السلام) و البحر مداده أى زائد فيه لأن ماء البحر لا يعتد فى الشجر و الأقلام لأنه ليس من جنسه و المداد هناك هو هذا الذى يكتب به.

المعنى

ثم أكد سبحانه ما تقدم من خلقه السماوات و الأرض بقوله «لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى له جميع ذلك خلقا و ملكا يتصرف فيه كما يريد ليس لأحد الاعتراض عليه فى ذلك «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَنِيُّ» عن حمد الحامدين و عن كل شىء «الْحَمِيدُ» أى المستحق للحمد و التعظيم «وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ» أى لو كان شجر الأرض أقلاما و كان البحر مدادا و يمدده سبعة أبحر مثله أى تزيده بمائها فكتب بتلك الأقلام و البحور لتكسرت تلك الأقلام و نفذ ماء البحور و ما نفذت كلمات الله و قد ذكرنا تفسير كلمات الله فى سورة الكهف و الأولى أن يكون عبارته عن مقدوراته و معلوماته لأنها إذا كانت لا تنهاى فكذلك الكلمات التى تقع عبارته عنها لا تنهاى «إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ» فى اقتداره على جميع ذلك «حَكِيمٌ» يفعل من ذلك ما يليق بحكمته ثم قال «مَا خَلَقُكُمْ وَ لَا بَعَثُكُمْ» يا معشر الخلائق «إِلَّا كَنْفُسٍ وَاحِدَةٍ» أى كخلق نفس واحده و بعث نفس واحده فى قدرته فإنه لا يشق عليه ابتداء جميع الخلق و لا إعادتهم بعد إفنائهم قال مقاتل إن كفار قريش قالوا إن الله خلقنا أطوارا نطفه علقه مضغه لحما فكيف يبعثنا خلقا جديدا فى ساعه واحده فنزلت الآيه «إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ» يسمع ما يقول القائلون فى ذلك «بَصِيرٌ» بما يضمرونه «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ يُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ» أى ينقص من الليل فى النهار و من النهار فى الليل عن قتاده و قيل معناه إن كل واحد منهما يتعقب الآخر «وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ» لأنهما يجريان على وتيره واحده لا يختلفان «كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى» قدره الله تعالى «وَ أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ» الذى

يُجِبُّ تَوْجِيهَ الْعِبَادَةِ إِلَيْهِ «وَ أَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَ أَنْ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ» أَي الْقَادِرُ الْقَاهِرُ وَ الْآيَاتَانِ مَفْسِرَتَانِ فِي سُورَةِ الْحَجِّ ..

[سوره لقمان (٣١): الآيات ٣١ الى ٣٤]

أشاره

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلُوكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣١) وَ إِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلْلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (٣٢) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَ أَحْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَ لَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ الْوَالِدِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَ لَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ (٣٣) إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَ يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَ مَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَ مَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤)

القراءة

في الشواذ قراءة الأعرج بنعمات الله ساكنه العين.

الحججه

في جمع فعلة ثلاث لغات فعلات بسكون العين و فعلات بفتحها و فعلات بكسر الفاء و العين.

اللغه

الظلل جمع ظلّه و هو ما أظلك و الختر أقبح الغدر و الختار صاحب الختل و الختر قال عمرو بن معديكرب:

فإنك لو رأيت أبا عمير ملأت يديك من غدر و ختر

ص: ٨٤

و يقال جزيت عنك أجزى أى أغنيت عنك و فيه لغه أخرى أجزاء عنك أجزئ بالهمز.

الإعراب

«فَلَمَّا نَجَّاهُمْ» العامل فى لما معنى مقتصد و تقديره اقتصدوا «وَ أَحْشَوْا يَوْمًا» انتصب يوما بأنه مفعول به. «لَا يَجْزِي» فى موضع نصب بأنه صفة يوم و التقدير لا يجزى فيه والد عن ولده و لا يكون مولود هو جاز عن والده شيئاً انتصب شيئاً بأنه مفعول جاز و مفعول يجزى محذوف و يجوز أن يكون سد مسد مفعوليهما جميعاً.

المعنى

ثم أكد سبحانه ما تقدم من الأدله على وحدانيته و نعمه على بريته فقال «أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلُوكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ» أى أ لم تعلم أيها الإنسان أن السفن تجرى فى البحر بنعمه الله عليكم «لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ» أى بعض أدلته الداله على وحدانيته و وجه الدلاله من ذلك أن الله تعالى يجرى السفن بالرياح التى يرسلها فى الوجوه التى يريدون المسير فيها و لو اجتمع جميع الخلق ليجروا الفلك فى بعض الجهات المخالفه لجهه الرياح لما قدروا عليه و فى ذلك أعظم دلاله على أن المجرى لها بالرياح هو القادر الذى لا يعجزه شىء فذلك بعض الأدله الداله عليه فلذلك قال من آياته «إِنَّ فِي ذَلِكَ» أى فى تسخير الفلك و إجرائها على البحر و إجراء الريح على وفقها «آيَاتٍ» أى دلالات «لِكُلِّ صَبَّارٍ» على مشاق التكليف «شَكُورٍ» نعم الله تعالى عليه و إنما قال ذلك ليدل على أن الصبر على بلائه و الشكر لنعمائه أفضل الطاعات قال الشعبى الصبر نصف الإيمان و الشكر نصف الإيمان و اليقين الإيمان كله و

فى الحديث الإيمان نصفان نصف صبر و نصف شكر

و على هذا فكأنه سبحانه قال إن ذلك لآيات لكل مؤمن «وَ إِذَا غَشِيَهُمْ» أى إذا غشى أصحاب السفن الراكبى البحر «مَوْجٌ» و هو هيجان البحر «كَالظُّلُمِ» فى ارتفاعه و تغطيته ما تحته شبه الموج بالسحاب الذى يركب بعضه على بعض عن قتاده و قيل يريد كالجبال عن مقاتل «دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» أى إن خافوا الغرق و الهلاك فأخلصوا فى الدعاء لله فى هذه الحال «فَلَمَّا نَجَّاهُمْ» أى خلصهم «إِلَى الْبَرِّ» و سلمهم من هول البحر «فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ» أى عدل فى الوفاء فى البر بما عاهد الله عليه فى البحر من التوحيد له و قيل إن هذا كان سبب إسلام عكرمه بن أبى جهل و هو إخلاصهم الدعاء فى البحر

روى السدى عن مصعب بن سعد عن أبيه قال لما كان يوم فتح مكة أمن رسول الله ص الناس إلا أربعه نفر قال اقتلوهم و إن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبه عكرمه بن أبى جهل و عبد الله بن أخطل و قيس بن صبابه و عبد الله بن سعد بن أبى سرح

فأما عكرمه فركب

البحر فأصابتهم ريح عاصفه فقال أهل السفينه أخلصوا فإن آلهتكم لا تغنى عنكم شيئا هاهنا فقال عكرمه لئن لم ينجى فى البحر إلا الإخلاص ما ينجىنى فى البر غيره اللهم إن لك على عهدا إن أنت عافيتنى مما أنا فيه إن آتى محمدا ص حتى أضع يدي فى يده فلاجدنه عفوا كريما فجاء فأسلم وقيل فمنهم مقتصد معناه على طريقه مستقيمه وصلاح من الأمر عن ابن زيد وقيل ثابت على إيمانه عن الحسن وقيل موف بعهده فى البر عن ابن عباس وقيل مقتصد فى قوله مضمحل لكفره عن مجاهد ثم ذكر الذين تركوا التوحيد فى البر فقال «وَمَا يَجْعَلُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلَّ خَتَّارٍ» بعهده أى غادرا سوء الغدر وأقبحه «كُفُورٍ» لله فى نعمه ثم خاطب سبحانه جميع المكلفين فقال «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ» يعنى يوم القيامة لا يغنى فيه أحد عن أحد لا-والد عن ولده «وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا» كل امرء تهمة نفسه «إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ» بالبعث و الجزاء و الثواب و العقاب «حَقٌّ» لا خلف فيه «فَلَا تُغَرَّنُكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا» أى لا يغرنكم الإمهال عن الانتقام و الآمال و الأموال عن الإسلام و معناه لا تغتروا بطول السلامه و كثره النعمه فإنهما عن قريب إلى زوال و انتقال «وَلَا يَغُرَّنُكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ» و هو الشيطان عن مجاهد و قتاده و الضحاك و قيل هو تمنيك المغفره فى عمل المعصيه عن سعيد بن جبير و قيل كل شىء غرك حتى تعصى الله و تترك ما أمرك الله به فهو غرور شيطانا كان أو غيره عن أبى عبيده و

فى الحديث الكيس من دان نفسه و عمل لها بعد الموت و الفاجر من اتبع نفسه هواها و تمنى على الله

و فى الشواذ قراءه سماك بن حرب الغرور بضم الغين و على هذا فيكون المعنى و لا- يغرنكم غرور الدنيا بخدعها الباطله أو غرور النفس بشهواتها الموبقه «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» أى استأثر سبحانه به و لم يطلع عليه أحد من خلقه فلا يعلم وقت قيام الساعه سواه «وَيُنزَلُ الْغَيْثُ» فيما يشاء من زمان أو مكان و الصحيح أن معناه و يعلم نزول الغيث فى مكانه و زمانه كما

جاء فى الحديث إن مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله و قرأ هذه الآيه

«وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ» أى و يعلم ما فى أرحام الحوامل أذكر أم أنثى أ صحيح أم سقيم واحد أو أكثر «وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا» أى ما ذا تعمل فى المستقبل و قيل ما يعلم بقاءه غدا فكيف يعلم تصرفه «وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ» أى فى أى أرض يكون موته و قيل أنه إذا رفع خطوه لم يدر أنه يموت قبل أن يضع الخطوه أم لا- و إنما قال بأى أرض لأنه أراد بالأرض المكان و لو قال بأيه أرض لجاز و روى أن ذلك قراءه أبى و

قد روى عن أئمه الهدى (عليه السلام) أن هذه الأشياء الخمسه لا يعلمها على التفصيل و التحقيق غيره تعالى

«إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ» بهذه الأشياء «خَبِيرٌ» بها.

(٣٢) سورة السجده مكيه و آياتها ثلاثون (٣٠)

اشاره

[توضيح]

و سميت أيضا سجده لقمان لثلاث تلتبس بحم السجده و هي مكيه ما خلا ثلاث آيات فإنها نزلت بالمدينه «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ» إلى تمام الآيات.

عدد آياتها

تسع و عشرون آيه بصرى و ثلاثون فى الباقين.

اختلفها

آيتان «الم» كوفى «جديد» حجازى شامى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأ الم تنزىل و تبارك الذى بيده الملك فكأنما أحيا ليله القدر

و

روى ليث بن أبى الزبير عن جابر قال كان رسول الله ص لا ينام حتى يقرأ الم تنزىل و تبارك الذى بيده الملك قال ليث فذكرت ذلك لطاوس فقال فضلنا على كل سورة فى القرآن و من قرأها كتب له ستون حسنه و محى عنه ستون سيئه و رفع له ستون درجه

و

روى الحسين بن أبى العلاء عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ سورة السجده فى كل ليله جمعه أعطاه الله كتابه بيمينه و لم يحاسبه بما كان منه و كان من رفقاء محمد ص و أهل بيته (عليه السلام).

تفسيرها

ختم الله سبحانه السوره التى قبلها بدلائل الربوبيه و افتتح هذه السوره أيضا بها فقال:

[سورة السجده (٣٢): الآيات ١ الى ٥]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٤)

يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٥)

«تَنْزِيلُ الْكِتَابِ» خبر مبتدأ محذوف و تقديره هذا تنزيل و يجوز أن يكون «تَنْزِيلُ الْكِتَابِ» مبتدأ و «لَا رَيْبَ فِيهِ» خبره و على القول الأول يكون «لَا رَيْبَ فِيهِ» فى موضع نصب على الحال أو فى موضع رفع على أنه خبر بعد خبر و قوله «مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» يحتمل الوجهين أيضا «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ» أم هاهنا استفهام مستأنف و التقدير بل أ يقولون و قوله «مِنْ رَبِّكَ» يجوز أن يتعلق بالحق على تقدير هو الذى حق من ربك و يجوز أن يكون فى موضع نصب على الحال أى كائنا من ربك و العامل فيه الحق و ذو الحال الضمير المستكن فيه.

«لِتُنذِرَ» اللام يتعلق بما يتعلق به من قوله «مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ» من الثانيه زائده و التقدير ما ولى ثبت لكم و من دونه فى موضع نصب على الحال مما يتعلق به اللام فى لكم.

المعنى

«الم» مفسر فى أول البقره «تَنْزِيلُ الْكِتَابِ» أى هذه الآيات تنزيل الكتاب الذى وعدتم به «لَا رَيْبَ فِيهِ» أى لا شك فيه أنه وحى «مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» و المعنى أنه لا ريب فيه للمهتدين و إن كان قد ارتاب فيه خلق من المبطلين لا يعتد بهم لأنه ليس بموضع الشك و قيل معناه أنه زال الشك فى أنه كلام رب العزه لعجزهم عن الإتيان بمثله و قيل أن لفظه الخبر و معناه النهى أى لا ترتابوا فيه و الريب أقبح الشك «أَمْ يَقُولُونَ» أى بل يقولون «افْتَرَاهُ» و ليس الأمر على ما يقولون «بَلْ هُوَ الْحَقُّ» نزل عليك «مِنْ رَبِّكَ» و الحق هو كل شىء من اعتقده كان معتقده على ما هو به مما يدعو العقل إلى استحقاق المدح عليه و تعظيمه فالكتاب حق لأن من اعتقد أنه من عند الله كان معتقده على ما هو به و الباطل نقيض الحق «لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ» يعنى قريشا إذ لم يأتهم نبى قبل نبينا ص و إن أتى غيرهم من قبائل العرب مثل خالد بن سنان العيسى و قيل يعنى أهل الفتره بين عيسى و محمد ص فكانوا

كَأَنَّهُمْ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا لَزَمَهُمْ مِنْ حَقِّ نِعْمِ اللَّهِ وَ مَا خَلَقَهُمْ لَهُ مِنَ الْعِبَادَةِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ «لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ» أَيْ لِيَهْتَدُوا ثُمَّ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ الدَّلَالَةَ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ فَقَالَ «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا فِي سِتِّهِ أَيَّامٌ» أَيْ فِيمَا قَدَرَهُ سِتَّةَ أَيَّامٍ لِأَنَّ قَبْلَ الشَّمْسِ لَمْ يَكُنْ لَيْلٌ وَ لَا نَهَارٌ «ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ» بِالْقَهْرِ وَ الْإِسْتِعْلَاءِ وَ هُوَ مَفْسَرٌ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ «مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا شَفِيعٍ» أَيْ لَيْسَ لَكُمْ مِنْ دُونِ عَذَابِهِ وَ لِيٍّ أَيْ قَرِيبٌ يَنْفَعُكُمْ وَ يَرُدُّ عَذَابَهُ عَنْكُمْ وَ لَا شَفِيعٌ يَشْفَعُ لَكُمْ وَ قِيلَ مِنْ وَلِيٍّ أَيْ مِنْ نَاصِرٍ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ «أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ» أَيْ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ فِيمَا قَلْنَا وَ تَعْتَبِرُونَ بِهِ فَتَعْلَمُوا صِحَّةَ مَا بَيْنَاهُ لَكُمْ «يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ» أَيْ خَلَقَهُمَا وَ مَا بَيْنَهُمَا فِي هَذِهِ الْمَدَّةِ يَدِيرُ الْأُمُورَ كُلَّهَا وَ يَقْدِرُهَا عَلَى حَسَبِ إِرَادَتِهِ فِيمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ وَ يَنْزِلُهُ مَعَ الْمَلِكِ إِلَى الْأَرْضِ «ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ» الْمَلِكُ أَيْ يَصْعَدُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَصْعَدَ إِلَيْهِ «فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ» أَيْ يَوْمٌ كَانَ مِقْدَارُهُ لَوْ سَارَهُ غَيْرَ الْمَلِكِ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا يَعِدُهُ الْبَشَرُ خَمْسَ مِائَةِ عَامٍ نَزُولُهُ وَ خَمْسَ مِائَةِ عَامٍ صُعُودُهُ وَ قَوْلُهُ «يُعْرِجُ إِلَيْهِ» يَعْنِي إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي أَمَرَهُ بِالْعُرُوجِ إِلَيْهِ كَقَوْلِ إِبْرَاهِيمَ «إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ» أَيْ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ الَّتِي أَمَرَنِي رَبِّي بِالذَّهَابِ إِلَيْهَا وَ قَوْلُهُ «وَ مَنْ يُخْرِجُ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ» يَعْنِي إِلَى الْمَدِينَةِ وَ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِالشَّامِ وَ لَا بِالْمَدِينَةِ وَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَنْزِلُ الْمَلِكَ بِالتَّدْبِيرِ أَوْ الْوَحْيِ وَ يَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ فَيَقْطَعُ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا مَسَافَةَ أَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَهُ أَنْتُمْ لِأَنَّ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ مَسِيرُهُ خَمْسَمِائَةَ عَامٍ لِابْنِ آدَمَ وَ هَذَا مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ الْحَسَنِ وَ الضَّحَّاكَ وَ قَتَادَةَ وَ هُوَ اخْتِيَارُ الْجَبَائِئِ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَدْبُرُ الْأَمْرَ سُبْحَانَهُ وَ يَقْضِي أَمْرَ كُلِّ شَيْءٍ لِأَلْفِ سَنَةٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ثُمَّ يَلْقِيهِ إِلَى مَلَائِكَتِهِ فَإِذَا مَضَى الْأَلْفُ سَنَةٍ قَضَى لِأَلْفِ سَنَةٍ أُخْرَى ثُمَّ كَذَلِكَ أَبَدًا عَنْ مُجَاهِدٍ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ يَدْبُرُ أَمْرَ الدُّنْيَا فَيَنْزِلُ الْقَضَاءَ وَ التَّدْبِيرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ مَدَّةَ أَيَّامِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَرْجِعُ الْأَمْرَ وَ يَعُودُ التَّدْبِيرَ إِلَيْهِ بَعْدَ انْقِضَاءِ الدُّنْيَا وَ فَنَائِهَا حَتَّى يَتَقَطَّعَ أَمْرَ الْأُمَرَاءِ وَ حُكْمَ الْحُكَّامِ وَ يَنْفَرِدُ اللَّهُ بِالتَّدْبِيرِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ وَ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ فَالْمَدَّةُ الْمَذْكُورَةُ مَدَّةُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَى أَنْ يَسْتَقِرَّ الْخَلْقُ فِي الدَّارَيْنِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا فَأَمَّا قَوْلُهُ «فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» فَإِنَّهُ أَرَادَ سُبْحَانَهُ عَلَى الْكَافِرِ جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ مِقْدَارَ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ فَإِنَّ الْمَقَامَاتِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ مُخْتَلَفَةٌ وَ قِيلَ إِنَّ الْمُرَادَ بِالْأَوَّلِ إِنْ مَسَافَةَ الصُّعُودِ وَ النُّزُولِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ لِلْمَلِكِ مِقْدَارَ مَسِيرِهِ أَلْفَ سَنَةٍ لِغَيْرِ الْمَلِكِ مِنْ بَنِي آدَمَ وَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ مِقْدَارَ مَسِيرِهِ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَ قِيلَ إِنْ الْأَلْفُ سَنَةً لِلنُّزُولِ وَ الْعُرُوجِ وَ الْخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةً لِمَدَّةِ الْقِيَامَةِ.

إشارة

ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةُ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٩) وَ قَالُوا أَ إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (١٠)

القراءة

قرأ أهل الكوفة و نافع و سهل «خَلَقَهُ» بفتح اللام و الباقون خلقه بسكون اللام و في الشواذ قراءة الزهري و بدا خلق الإنسان بغير همز و

قرأ على و ابن عباس و أبان بن سعيد بن العاص و الحسن بخلاف أ إذا ضللنا بالضاد مكسوره اللام و قرأ الحسن ضللنا بالصاد أيضا مفتوحه اللام.

الحج

قال أبو علي خلقه منتصب على أنه مصدر دل عليه ما تقدم من قوله «أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ» فأما الضمير الذي أضيف خلق إليه فلا يخلو من أن يكون ضمير اسم الله تعالى أو يكون كناية عن المفعول فالذي يدل عليه نظائره أن الضمير لاسم الله تعالى لأنه مصدر لم يسند الفعل المنتصب عنه إلى فاعل ظاهر و ما كان من هذا النحو أضيف المصدر فيه إلى الفاعل نحو صنع الله و وعد الله و كتاب الله عليكم فكما أضيف هذه المصادر إلى الفاعل فكذلك يكون خلقه مضافا إلى ضمير الفاعل لأن قوله «أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ» يدل على خلق كل شيء . فإن قلت كيف يدل قوله «أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ» على خلق كل شيء و قد نجد أشياء حسنة مما لم يخلقها قيل هذا كما قال خالقُ كُلِّ شَيْءٍ فإطلاق اللفظ عاما و روى أن عكرمه سئل عن قوله تعالى «أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ» فقال إن است القرد ليست بحسنه و لكنه أبرم خلقها أي أتقن و ما قلناه من أن انتصاب خلقه من المصدر الذي دل عليه فعل متقدم مذهب سيوييه و يجوز أن يكون خلقه بدل من قوله «كُلَّ شَيْءٍ» فيصير التقدير الذي أحسن خلق كل شيء و من قال «أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ» كان خلقه وصفا للنكرة المتقدمة و موضع الجملة يحتمل وجهين النصب على أن يكون صفة لكل و الجر على أن يكون صفة لشيء و ترك الهمزة في بدأ محمول على البدل لا على التخفيف القياسي و مثله بيت الكتاب:

و تقول على البدل أبدت إذا أخبرت عن نفسك و تقول على التخفيف بدأت بالألف بلا همزه و قد مر القول فى اختلافهم فى قوله «أ إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ» و موضع إذا نصب بما دل عليه قوله «أ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ» لأن هذا الكلام يدل على نعاد و التقدير نعاد إذا ضللنا فى الأرض قال أبو عبيده معناه همدنا فى الأرض و قال غيره صرنا ترابا فلم يتبين شىء من خلقنا و قوله ضللنا بالصاد من قولهم صل اللحم إذا نتن يصل و يصل و المعنى إذا دفنا فى الأرض وصلت أجسامنا و قيل أن معناه من الصله و هى الأرض اليابسه و منه الصلصال.

المعنى

ثم أكد سبحانه ما تقدم من دلائل وحدانيته و أعلام ربوبيته فقال «ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ» أى الذى يفعل ذلك و يقدر عليه هو العالم بما يشاهد و ما لا يشاهد و بما غاب عن الخلق و ما حضر «الْعَزِيزُ» المنيع فى ملكه «الرَّحِيمُ» بأهل طاعته «الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ» أى أحكم كل شىء خلقه و أتقنه عن ابن عباس و مجاهد و قيل معناه علم كيف يخلق كل شىء قبل أن خلقه من غير أن يعلمه أحد عن مقاتل و السدى من قولهم فلان يحسن كذا أى يعلمه و قيل الذى جعل كل شىء فى خلقه حسنا حتى جعل الكلب فى خلقه حسنا عن ابن عباس و المعنى أنه أحسن خلقه من جهه الحكمة فكل شىء خلقه و أوجده فيه وجه من وجوه الحكمة تحسنه و فى هذا دلالة على أن الكفر و القبائح لا يجوز أن يكون من خلقه «وَ بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ» أى ابتداء خلق آدم الذى هو أول البشر من طين كان ترابا ثم صار طينا ثم صلصالا ثم حيوانا «ثُمَّ جَعَلْ نَسْلَهُ» أى نسل الإنسان الذى هو آدم يعنى ولده «مِنْ سُلَالَةٍ» و هى الصفوه التى تنسل من غيرها و يسمى ماء الرجل سلالة لانسلاله من صلبه «مِنْ مَاءٍ مَّهِينٍ» أى ضعيف عن قتاده و قيل حقير مهان أشار إلى أنه من شىء حقير لا قيمه له و إنما يصير ذا قيمه بالعلم و العمل «ثُمَّ سَوَّاهُ» أى جعله بشرا سويا و عدله و رتب جوارحه «وَ نَفَخَ فِيهِ» أى فى ذلك المخلوق «مِنْ رُوحِهِ» أضاف الروح إلى نفسه إضافة اختصاص و ملك على وجه التشرىف ثم قال سبحانه مخاطبا لذريته «وَ جَعَلْ لَكُمْ» أيها الخلق «السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ» لتسمعوا المسموعات و تبصروا

المبصرات «وَالْأَفْئِدَةَ» أى و جعل لكم القلوب لتعقلوا بها «قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ» أى تشكرون نعم الله قليلا من كثير و ما مزيده و يجوز أن يكون ما مصدرية فيكون تقديره قليلا شكركم لهذه النعم «وَقَالُوا» يعنى منكرى البعث «أَ إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ» أى غبنا فى الأرض و صرنا ترابا و كل شىء غلب عليه غيره حتى يغيب فيه فقد ضل قال الأخطل:

فكنت القذا فى موج أكدر مزبد قذف الآتى به فضل ضلالا

و قيل إن معنى ضللنا هلكننا عن قتاده و مجاهد «أَ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ» أى نبعث و نحىى فهو استفهام معناه الإنكار و المعنى كيف نخلق جديدا و نعاد بعد أن هلكننا و تفرقت أجسامنا ثم قال سبحانه «بَلْ هُمْ» أى هؤلاء الكفار «بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ» أى ما وعد ربهم به من الثواب و العقاب «كافِرُونَ» أى جاحدون فلهذا قالوا هذا القول.

[سوره السجده (٣٢): الآيات ١١ الى ١٥]

اشاره

قُلْ يَتَيَوَّفَأَكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١١) وَ لَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَاءَ مَا عَجَبْنَا فَاذْجَعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (١٢) وَ لَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَ لَكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٣) فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَ ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤) إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَ سَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ هُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥)

ص: ٩٢

التوفى أخذ الشىء على تمام قال الراجز:

إن بنى دارم ليسوا من أحد ولا توفتهم قريش فى العدد

يقال استوفى الدين إذا قبضه على كماله و التوكيل تفويض الأمر إلى غيره للقيام به و النكس قلبك الشىء على رأسه و يقال فى المرض النكس بضم النون و أما النكس بكسر النون فهو السهم ينكس فيجعل أعلاه أسفله.

الإعراب

«وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ» يجوز أن يكون مفعول ترى محذوفا فيكون تقديره و لو ترى المجرمين إذ هم ناكسوا رءوسهم و يجوز أن يكون المعنى لو رأيت ببصرك مثل قوله «وَ إِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا» فيكون ترى عاملا فى إذ و جواب لو محذوف تقديره لو رأيت المجرمين على تلك الحالة رأيت ما تعتبر به غايه الاعتبار «فَدُوقُوا» أى فيقال لهم ذوقوا العذاب بنسيانكم و هذا فى موضع جر على أنه صفة ليومكم.

المعنى

ثم أمر سبحانه نبيه ص فقال «قُلْ» يا محمد للمكلفين «يَتَوَفَّاكُمْ» أى يقبض أرواحكم أجمعين و قيل يقبضكم واحدا واحدا حتى لا يبقى منكم أحدا «مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ» أى و كل يقبض أرواحكم عن ابن عباس قال جعلت الدنيا بين يدي ملك الموت مثل جام يأخذ منها ما شاء إذا قضى عليه الموت من غير عناء و خطوته ما بين المشرق و المغرب و قيل إن له أعوانا كثيره من ملائكة الرحمه و ملائكة العذاب عن قتاده و الكلبي فعلى هذا المراد بملك الموت الجنس و يدل عليه قوله «تَوَفَّاهُ رُسُلُنَا» و قوله «تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ» و أما إضافة التوفى إلى نفسه فى قوله «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْمَآئِئَةَ حِينَ مَوْتِهَا» فلأنها سبحانه خلق الموت و لا يقدر عليه أحد سواه «ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ» أى إلى جزاء ربكم من الثواب و العقاب تردون و جعل ذلك رجوعا إليه تفخيما للأمر و تعظيما للحال و

روى عكرمه عن ابن عباس قال قال رسول الله ص الأمراض و الأوجاع كلها بريد للموت و رسل للموت فإذا حان الأجل أتى ملك الموت بنفسه فقال يا أيها العبد كم خبر بعد خبر و كم رسول بعد رسول و كم بريد بعد بريد أنا الخبر الذى ليس بعدى خبر و أنا الرسول أجب ربك طائعا أو مكرها فإذا قبض روجه و تصارخوا عليه قال على من تصرخون و على من تبكون فو الله ما ظلمت له أجلا و لا أكلت له رزقا بل دعاه ربه فليبك الباكي على نفسه فإن لى فيكم عودات و عودات حتى لا أبقى منكم أحدا

ثم أخبر سبحانه عن حالهم فى القيامة و عند الحساب فقال «وَلَوْ تَرَى» يا محمد أو أيها الإنسان «إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُسِهِمْ» أى يوم القيامة حين يكون المجرمون متطاطئي رءوسهم

و مطرقها حياء و ندما و ذلا «عِنْدَ رَبِّهِمْ» أى عند ما يتولى الله سبحانه حساب خلقه يقولون «رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا» أى أبصرنا الرشد و سمعنا الحق و قيل معناه أبصرنا صدق وعدك و سمعنا منك تصديق رسلك و قيل معناه إنا قد كنا بمنزله العمى فأبصرنا و بمنزله الصم فسمعنا «فَارْجِعْنَا» أى فارددنا إلى دار التكليف «نَعْمَلُ صَالِحًا» من الصالحات «إِنَّا مُوقِنُونَ» اليوم لا نرتاب شيئاً من الحق و الرساله ثم قال سبحانه «وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا» بأن نفعل أمراً من الأمور يلجئهم إلى الإقرار بالتوحيد و لكن ذلك يبطل الغرض بالتكليف لأن المقصود به استحقاق الثواب و الإلجاء لا يثبت معه استحقاق الثواب قال الجبائى و يجوز أن يكون المراد به و لو شئنا لأجبناهم إلى ما سألوا من الرد إلى دار التكليف ليعملوا بالطاعات و لكن حق القول منى أن أجازيهم بالعقاب و لا أردهم و قيل معناه و لو شئنا لهديناهم إلى الجنة «وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي» أى الخبر و الوعيد «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» أى من كلا- الصنفين بكفرهم بالله سبحانه و جحدهم و حدانيتها و كفرانهم نعمته و القول من الله سبحانه بمنزله القسم فلذلك أتى بجواب القسم و هو قوله «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ» ثم حكى سبحانه ما يقال لهؤلاء الذين طلبوا الرجعه إلى دار التكليف إذا جعلوا فى العذاب بقوله «فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا» أى بما فعلتم فعل من نسى لقاء جزاء هذا اليوم فتركتكم ما أمركم الله به و عصيتموه و النسيان الترك و منه قول النابغه:

" سفود شرب نسوه عند مفئاد "

أى تركوه فلم يستعملوه قال المبرد لأنه لو كان المراد النسيان الذى هو ضد الذكر لجاز أن يكونوا استعملوه «إِنَّا نَسِينَاكُمْ» أى فعلنا معكم فعل من نسيكم من ثوابه أى ترككم من نعيمه جزاء على ترككم طاعتنا «وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ» الذى لا فناء له «بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» من الكفر و المعاصى ثم أخبر سبحانه عن حال المؤمنين فقال «إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا» أى يصدق بالقرآن و سائر حججنا «الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا» تذكروا و اتعظوا بمواعظها بأن «خَرُّوا سُجَّدًا» أى ساجدين شكراً لله سبحانه على أن هداهم بمعرفته و أنعم عليهم بفتون نعمته «وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ» أى نزهوه عما لا يليق به من الصفات و عظموه و حمدوه «وَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ» عن عبادته و لا يستنكفون من طاعته و لا يأنفون أن يعفروا وجوههم صاغرين له.

إشارة

تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧) أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (١٨) أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٩) وَ أَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ (٢٠)

القراءة

قرأ حمزه و يعقوب ما أخفى لهم ساكنه الياء و الباقون بفتحها و روى فى الشواذ عن

النبي ص و أبى هريره و أبى الدرداء و ابن مسعود قرأت أعين.

الحجة

قال أبو على الذى يقوى بناء الفعل للمفعول به قوله «فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا» فأبهم ذلك كما أبهم قوله «أُخْفِيَ لَهُمْ» و لم يسند إلى فاعل بعينه و لو كان أخفى لكان أعطاهم جنات المأوى و يقوى قراءه حمزه إن أخفى مثل لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا و قوله «حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي» و قوله «مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ» و أما ما فى قوله «مَّا أُخْفِيَ» فالأبين فيه أن يكون استفهاما و هو عندى قياس قول الخليل فمن قال أخفى كان ما عنده مرفوعا بالابتداء و الذكر الذى فى أخفى يعود إليه و الجملة التى هى ما أخفى فى موضع نصب و يعلم هو الذى يتعدى إلى مفعولين كما أن قوله «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ» كذلك و من قال ما أخفى لهم فإن ما فى موضع نصب بأخفى و الجملة فى موضع نصب بيلم كما كان فى الأول كذلك و مثله قوله «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ» و «سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ» و ما أشبه ذلك يحمل فيه العلم على التعدى إلى مفعولين و من بعده للاستفهام و أما قوله قرأت أعين فإن القره مصدر و كان القياس أن لا يجمع

لأن المصدر اسم الجنس و الأجناس أبعد شىء من الجمعيه لكن جعلت القره نوعا هاهنا فجمع كما يقال نحن فى أشغال و لنا علوم.

اللغه

التجافى تعاطى الارتفاع عن الشىء و مثله النمو يقال جفا عنه يجفو جفاء و تجافى عنه تجافيا إذا نبأ عنه قال الشاعر:

و صاحبي ذات هباب دمشق و ابن ملاط متجاف أرفق

و المضجع موضع الاضطجاع و قال عبد الله بن رواحه يصف النبي ص:

يبيت يجافى جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

. الإعراب

«خَوْفًا وَ طَمَعًا» مفعول له كما يقال فعلت ذلك مخافه الشر قال الزجاج و حقيقته أنه فى موضع المصدر لأن يدعون ربهم هنا يدل على أنهم يخافون عذابه و يرجعون رحمته فهو فى تأويل يخافون خوفا و يطمعون طمعا و قوله «جَزَاءً» منصوب أيضا بأنه مفعول له «لَا يَسْتَوُونَ» جواب الاستفهام أى لا يكون كذلك و الواو الثانيه فى يستون فاعل من وجه مفعول من وجه لأن المعنى لا- يساوى هؤلاء أولئك و لا- أولئك هؤلاء و لو قال لا- يستويان لكان جائزا و لكنه جاء على معنى لا يستوى المؤمنون و الكافرون و يجوز أن يكون «لَا يَسْتَوُونَ» للاثنين لأن معنى الاثنين جماعه. نزلا نصب على الحال و العامل فيه ما يتعلق به اللام من لهم. كلما ظرف زمان لأعيدوا.

المعنى

ثم وصف سبحانه المؤمنين المذكورين فى الآيه المتقدمه فقال

«تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ» أى ترتفع جنوبهم عن مواضع اضطجاعهم لصلاه الليل و هم المتهجدون بالليل الذين يقومون عن فرشهم للصلاه عن الحسن و مجاهد و عطا و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام)

و

روى الواحدى بالإسناد عن معاذ بن جبل قال بينما نحن مع رسول الله ص فى غزوه تبوك و قد أصابنا الحر ففرق القوم فإذا رسول الله ص أقربهم منى فدنوت منه فقلت يا رسول الله أنبئنى بعمل يدخلنى الجنه و يباعدنى من النار قال لقد سألت عن عظيم و إنه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله و لا تشرك به شيئا و تقيم الصلاه المكتوبه

و تؤدى الزكاه المفروضه و تصوم شهر رمضان قال و إن شئت أنبأتك بأبواب الخير قال قلت أجل يا رسول الله قال الصوم جنبه و الصدقه تكفر الخطيئه و قيام الرجل فى جوف الليل يبتغى وجه الله ثم قرأ هذه الآيه «تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ»

و

بالإسناد عن بلال قال قال رسول الله ص عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم و إن قيام الليل قربه إلى الله و منهاه عن الإثم و تكفير للسيئات و مطرده الداء عن الجسد

و قيل هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخره قال أنس نزلت فينا معاشر الأنصار كنا نصلى المغرب فلا ترجع إلى رحلنا حتى نصلى العشاء الآخره مع النبى ص و قيل هم الذين يصلون ما بين المغرب و العشاء الآخره و هى صلاه الأوابين عن قتاده و قيل هم الذين يصلون العشاء و الفجر فى جماعه «يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا» من عذاب الله «وَ طَمَعًا» فى رحمه الله «وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ» فى طاعه الله و سبيل ثوابه و وجه المدح فى هذه الآيه أن هؤلاء المؤمنین يقطعهم اشتغالهم بالصلاه و الدعاء عن طيب المضجع لانقطاعهم إلى الله تعالى فأمالهم مصروفه إليه و اتكالهم فى كل الأمور عليه ثم ذكر سبحانه جزاءهم فقال «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ» أى لا يعلم أحد ما خبئ لهؤلاء الذين ذكروا مما تقربه أعينهم قال ابن عباس هذا ما لا تفسير له فالأمر أعظم و أجل مما يعرف تفسيره و

قد ورد فى الصحيح عن النبى ص أنه قال أن الله يقول أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتكم عليه اقرءوا إن شئتم «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ» رواه البخارى و مسلم جميعا

و قد قيل فى فائده الإخفاء وجوه (أحدها) أن الشىء إذا عظم خطره و جل قدره لا تستدرك صفاته على كنهه إلا بشرح طويل و مع ذلك فيكون إبهامه أبلغ (و ثانيها) أن قره العيون غير متناهيه فلا يمكن إحاطه العلم بتفاصيلها (و ثالثها) أنه جعل ذلك فى مقابله صلاه الليل و هى خفيه فكذلك ما يازائها من جزائها و يؤيد ذلك ما

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال ما من حسنه إلا و لها ثواب مبین فى القرآن إلا صلاه الليل فإن الله عز اسمه لم يبين ثوابها لعظم خطرها قال «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ» الآيه

و قره العين رؤيه ما تقر به العين يقال أقر الله عينك أى صادف فؤادك ما يرضيك فتقر عينك حتى لا تطمح بالنظر إلى ما فوقه و قيل هى من القر أى البرد لأن المستبشر الضاحك يخرج من شؤون عينيه دمع بارد و المحزون المهموم يخرج من عينيه دمع حار و منه قولهم سخنت عينه و هو قرير العين و سخين العين و إنما أضاف القره إلى الأعين

على الإطلاق لا إلى أعينهم تنبيها على أنها غاية في الحسن و الكمال فتقر بها كل عين «جزاء بما كانوا يعملون» من الطاعات في دار الدنيا «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا» هذا استفهام يراد به التقرير أى أ يكون من هو مصدق بالله على الحقيقة عارفا بالله و بأنبيائه عاملا بما أوجه الله عليه و ندبه إليه مثل من هو فاسق خارج عن طاعة الله مرتكب لمعاصي الله ثم قال «لَا يَسْتَتُونَ» لأن منزله المؤمن درجات الجنان و منزله الفاسق دركات النيران ثم فسر ذلك بقوله «أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ» يأوون إليها «نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أى عطاء بما كانوا يعملون عن الحسن و قيل ينزلهم الله فيها نزلا كما ينزل الضيف يعنى أنهم فى حكم الأضياف «وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمْ» الذى يأوون إليه «النَّارُ» نعوذ بالله منها «كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا» أى كلما هموا بالخروج منها لما يلحقهم من ألم العذاب «أَعِيدُوا» أى ردوا «فيها» و قد مر بيانه فى سورة الحج «وَقِيلَ لَهُمْ» مع ذلك «ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ» أى لا تصدقون به و تجحدونه و فى هذا دلالة على أن المراد بالفاسق هنا الكافر المكذب قال ابن أبى ليلى نزل قوله «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا» الآيات فى على بن أبى طالب (عليه السلام) و رجل من قريش و قال غيره نزلت فى على بن أبى طالب (عليه السلام) و الوليد بن عقبه فالمؤمن على و الفاسق الوليد و ذلك

أنه قال لعلى (عليه السلام) أنا أبسط منك لسانا و أحد منك سنانا فقال على (عليه السلام) ليس كما تقول يا فاسق

قال قتاده لا و الله ما استوتوا لا فى الدنيا و لا عند الموت و لا فى الآخرة.

[سوره السجده (٣٢): الآيات ٢١ الى ٢٥]

إشارة

وَ لَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢١) وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ (٢٢) وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَ جَعَلْنَاهُ هُدًىٰ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٣) وَ جَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَ كَانُوا بآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٢٥)

قرأ حمزه و الكسائي و رويس عن يعقوب لما صبروا بكسر اللام و الباقون «لَمَّا» بالتشديد و فتح اللام.

قال أبو علي من قرأ لما فإنه جعله للمجازاه إلا أن الفعل المتقدم أغنى عن الجواب كما أنك إذا قلت أجيئك إذا جئت تقديره إن جئت أجيئك فاستغنيت عن الجواب بالفعل المتقدم على الشرط فكذلك المعنى هنا لما صبروا جعلناهم أئمه و من قال لما صبروا علق الجار بجعلنا و التقدير جعلنا منهم أئمه لصبرهم.

ثم أقسم سبحانه في هذه الآية فقال «وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ» أما العذاب الأكبر فهو عذاب جهنم في الآخرة و أما العذاب الأدنى في الدنيا و اختلف فيه فقيل إنه المصائب و المحن في الأنفس و الأموال عن أبي بن كعب و ابن عباس و أبي العاليه و الحسن و قيل هو القتل يوم بدر بالسيف عن ابن مسعود و قتاده و السدى و قيل هو ما ابتلوا به من الجوع سبع سنين بمكة حتى أكلوا الجيف و الكلاب عن مقاتل و قيل هو الحدود عن عكرمه و ابن عباس و

قيل هو عذاب القبر عن مجاهد و روى أيضا عن أبي عبد الله (عليه السلام)

و الأكثر في الروايه

عن أبي جعفر (عليه السلام) و أبي عبد الله (عليه السلام) أن العذاب الأدنى الدابه و الدجال

«لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» أى ليرجعوا إلى الحق و يتوبوا من الكفر و قيل ليرجع الآخرون عن أن يذنبوا مثل ذنوبهم «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ» أى لا أحد أظلم لنفسه ممن نبه على حجج الله التى توصله إلى معرفته و معرفه ثوابه «ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا» جانبا و لم ينظر فيها «إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ» الذين يعصون الله تعالى بقطع طاعاته و تركها «مُتَّقِمُونَ» بأن نحل العقاب بهم «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ» يعنى التوراه «فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ» أى فى شك من لقائه أى من لقائك موسى ليله الإسراء بك إلى السماء عن ابن عباس و

قد ورد فى الحديث أنه قال رأيت ليله أسرى بى موسى بن عمران رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنؤه و رأيت عيسى بن مريم رجلا مربوع الخلق إلى الحمرة و البياض سبط الرأس

فعلى هذا فقد وعد ص أنه سيلقى موسى قبل أن يموت و به قال مجاهد و السدى و قيل فلا تكن فى مريه من لقاء موسى إياك فى الآخرة و قيل معناه فلا- تكن يا محمد فى مريه من لقاء موسى الكتاب عن الزجاج و قيل معناه فلا تكن فى شك من لقاء الأذى كما لقى موسى الأذى عن الحسن فكأنه قال فلا تك فى مريه من أن تلقى كما لقى موسى «وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ» أى و جعلنا موسى هاديا لهم عن قتاده و قيل و جعلنا الكتاب هاديا لهم عن الحسن

«وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا» أى و جعلنا منهم رؤساء فى الخير يقتدى بهم يهدون إلى أفعال الخير بإذن الله عن قتاده و قيل هم الأنبياء الذين كانوا فيهم يدلون الناس على الطريق المستقيم بأمر الله «لَمَّا صَبَرُوا» أى لما صبروا و جعلوا أئمة «و كَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ» لا يشكون فيها «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أى يحكم بين المؤمن و الكافر و الفاسق «فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» من التصديق برسل الله و الإيمان بالبعث و النشور و غير ذلك من أعمالهم و أمور دينهم.

النظم

وجه اتصال ذكر موسى (عليه السلام) بما قبله أن المراد بالآية كما آتيناك القرآن يا محمد فكذبوك كذلك آتينا موسى التوراه فكذبوه فهو تسليه للنبي ص و وعيد للمكذبين به.

[سوره السجده (٣٢): الآيات ٢٦ الى ٣٠]

إشارة

أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَلَّا يَسْمَعُونَ (٢٦) أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ (٢٧) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٨) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٢٩) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ (٣٠)

القراءه

قرأ زيد أ و لم نهد بالنون و القراءه كلهم على الياء و قد ذكرناه فى سوره الأعراف و فى الشواذ قراءه ابن السميع يمشون بضم الياء و تشديد الشين و إنهم منتظرون بفتح الظاء.

الحجه

قال ابن جنى دفع أبو حاتم فتح الظاء و استدل على ذلك بقوله فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ و قوله يمشون للكثرة و قال:

يمشى بيننا حانوت كرم من الخرس الصراصره القطاط.

اللغه

يقال هداه فى الدين يهديه هدى و إلى طريق هدايه و اهتدى إذا قبل الهدايه و الواجب من الهدى هو ما يؤدي إلى ما ليس للبعد عنه غنى فى دينه فاللطف على هذا هدى و النظر المؤدى إلى معرفه الله تعالى هدى. و السوق الحث على السير ساقه يسوقه. و الجرذ الأرض اليابسه التى ليس فيها نبات لانقطاع الأمطار عنها و اشتقاقه من قولهم سيف جراز أى قطاع لا يبقى شيئاً إلا قطعه و ناقه جراز إذا كانت تأكل كل شىء فلا تبقى شيئاً إلا قطعته بفيها و رجل جروز أى أكل قال الراجز:

(خب جرز و إذا جاع بكى)

و فى الجرذ أربع لغات بضم الجيم و الراء و بفتحهما و بضم الجيم و إسكان الراء و فتح الجيم و إسكان الراء.

الإعراب

فاعل يهد مضمير يدل عليه قوله «كَمْ أَهْلَكْنَا» و تقديره أ و لم يهد لهم إهلاكنا من أهلكناه من القرون الخاليه و لا يجوز أن يكون فاعله «كَمْ أَهْلَكْنَا» لأن ما قبل كم لا يجوز أن يعمل فيه إلا حروف الإضافة لأن كم على تقدير الاستفهام الذى له صدر الكلام فهو فى محل النصب لأنه مفعول أهلك و «يَمْشُونَ» فى محل النصب على الحال.

المعنى

ثم نبه الله سبحانه خلقه على الاعتبار بمن تقدمهم من القرون فقال «أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ» أى أ و لم يبصرهم و بين لهم «كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ» الماضيه جزاء على كفرهم بالله و ارتكابهم لمعاصيه «يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ» و يرون آثارهم و قيل معناه أنا أهلكناهم بغته و هم مشاغيل بنفوسهم يمشون فى منازلهم «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ» أى فى إهلاكنا لهم دلالات واضحات على الحق «أَفَلَا يَشْعُرُونَ» أى أفلا يسمع هؤلاء الكفار ما يوعظون به من المواعظ ثم نبههم سبحانه على وجه آخر فقال «أَوْ لَمْ يَرَوْا» أى أ و لم يعلموا «أَنَا نَسُوقُ الْمَاءَ» بالمطر و الثلج و قيل بالأنهار و العيون «إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ» أى اليابسه

ص: ١٠١

التي لا نبات فيها و قيل نسوق الماء بالسيول إليها لأنها مواضع عاليه و هى قرى بين الشام و اليمن عن ابن عباس «فَنُخِرَجَ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ» أى من ذلك الزرع «أَنْعَامُهُمْ وَ أَنْفُسُهُمْ» و المعنى أن هذه الأرض تنبت ما يأكله الناس و الأنعام «أَفَلَا يُبْصِرُونَ» نعم الله تعالى عليهم «وَ يَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» قال الفراء المراد به فتح مكه و قال السدى الفتح هو القضاء بعدابهم فى الدنيا و هو يوم بدر و قال مجاهد و هو الحكم بالثواب و العقاب يوم القيامة و كانوا يسمعون المسلمين يستفتحون بالله عليهم فقالوا لهم متى هذا الفتح أى متى هذا الحكم فىنا «قُلْ» يا محمد «يَوْمَ الْفَتْحِ» يوم «لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ» بين سبحانه أن يوم الفتح يكون يوم القيامة و ذلك اليوم لا ينفع الكافرين إيمانهم «وَ لَا هُمْ يُنظَرُونَ» أى لا يؤخر عنهم العذاب يعنى الذين قتلوا يوم بدر لم ينفعهم إيمانهم بعد القتل «فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ» يا محمد فإنه لا ينجع فيهم الدعاء و الوعظ و قيل أعرض عن أذاهم و انتظر حكم الله فيهم قال ابن عباس نسخت آيه السيف «وَ اِنْتَظِرْ» موعدى لك بالنصر على أعدائك «إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ» بك حوادث الزمان من موت أو قتل فيستريحون منك و قيل معناه إنهم سيأتيهم ما وعد الله فيهم فكأنهم ينتظرونه.

(٣٣) سورة الأحزاب مدنيه و آياتها ثلاث و سبعون (٧٣)

اشاره

[توضيح]

مدنيه و هي ثلاث و سبعون آيه بالإجماع.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأ سورة الأحزاب و علمها أهله و ما ملكت يمينه أعطى الأمان من عذاب القبر

و

روى عبد الله بن سنان عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من كان كثير القراءه لسوره الأحزاب كان يوم القيامة فى جوار محمد و آله و أزواجه.

تفسيرها

أمره سبحانه فى مختتم تلك السوره بالانتظار ثم أمره هنا أن يكون فى انتظاره متقياً و نهاء عن طاعه الكفار فقال:

[سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ١ الى ٥]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٢) وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (٣) مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَ مَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَ مَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَ اللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَ هُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤)

ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَفْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَ مَوَالِيكُمْ وَ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَ لَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥)

ص: ١٠٣

قرأ أبو عمرو بما يعملون خبيراً بالياء و الباقون بالتاء و قرأ ابن عامر و أهل الكوفه «اللَّائِي» مهموزه ممدوده مشبعه بعدها ياء و فى سورته المجادل و الطلاق مثله و قرأ نافع و يعقوب اللاء مهموزه ممدوده مختلسه لا ياء بعدها و الباقون اللاي بغير همزه و لا مد حيث كانت قرأ عاصم «تُظَاهِرُونَ» بضم التاء و تخفيف الظاء و قرأ بفتح التاء و تخفيف الظاء أهل الكوفه غير عاصم و قرأ ابن عامر تظاهرون بفتح التاء و تشديد الظاء و قرأ الباقون تظهرون بغير ألف و تشديد الظاء و الهاء.

الحجه

قال أبو على من قرأ بما يعملون بالياء فعلى «لا تُطع الكافرين» إنه بما يعملون و التاء على المخاطبه و يدخل فيه الغيب و اللائى أصله فاعل مثل شائى فالقياس أن يثبت الياء فيه كما يثبت فى الشائى و النائى و قد حذفوا الياء فى حروف من ذلك قولهم ما باليت به باله و منه جابه و كذا إذا حذف من اللائى يصير اللاء فإن خفت الهمزه فالقياس أن تجعل بين بين و قد حكى سيبويه حذف الياء من اللاي و من قرأ تظاهرون فإنه تظاهرون فأدغم التاء فى الظاء و من قرأ «تُظَاهِرُونَ» مضمومه التاء فهو من ظاهر من امرأته و يقوى ذلك قولهم فى مصدره الظهار و من قرأ تظاهرون خفيفه الظاء فمعناه تظاهرون فحذف تاء تتفاعلون التى أدغمها غيره و هو من قرأ تظاهرون بتشديد الظاء مع الألف.

النزول

نزلت فى أبى سفيان بن حرب و عكرمه بن أبى جهل و أبى الأعور السلمى قدموا المدينة و نزلوا على عبد الله بن أبى بعد غزوه أحد بأمان من رسول الله ص ليكلموه فقاموا و قام معهم عبد الله بن أبى و عبد الله بن سعد بن أبى سرح و طعمه بن أبيبى فدخلوا على رسول الله ص فقالوا يا محمد ارفض ذكر آلهتنا اللات و العزى و منات و قل إن لها شفاعة لمن عبدها و ندعك و ربك فشق ذلك على النبى ص فقال عمر بن الخطاب ائذن لنا يا رسول الله فى قتلهم فقال إنى أعطيتهم الأمان و أمر ص فاخرجوا من المدينة و نزلت الآيه «وَلَا تُطعِ الكافرين»

من أهل مكه أبى سفيان و أبى الأعور و عكرمه و المنافقين ابن أبى و ابن سعد و طعمه و قيل نزلت فى ناس من ثقيف قدموا على رسول الله ص فطلبوا منه أن يمتنعهم باللات و العزى

سنه قالوا لتعلم قريش منزلتنا منك و قوله «ما جعلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ» نزلت في أبي معمر جميل بن معمر بن حبيب الفهري و كان لييبا حافظا لما يسمع و كان يقول إن في جوفى لقلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد فكانت قريش تسميه ذا القلبين فلما كان يوم بدر و هزم المشركون و فيهم أبو معمر و تلقاه أبو سفيان بن حرب و هو آخذ بيده إحدى نعليه و الأخرى في رجله فقال له يا أبا معمر ما حال الناس قال انهزموا قال فما بالك إحدى نعليك في يدك و الأخرى في رجلك فقال أبو معمر ما شعرت إلا أنهما في رجلى فعرفوا يومئذ أنه لم يكن له إلا قلب واحد لما نسى نعله في يده.

المعنى

خاطب سبحانه نبيه ص فقال «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ» أى اثبت على تقوى الله و دم عليه و قيل معناه اتق الله فى إجابته المشركين إلى ما التمسوه و قيل إن بعض المسلمين هموا بقتل أولئك الذين قدموا المدينة بأمان فقال اتق الله فى نقض العهد «وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَ الْمُنافِقِينَ» مر بيانه و قيل إنه عام و هو الوجه و الكافر هو الذى يظهر الكفر و يبطنه و المنافق هو الذى يظهر الإيمان و يبطن الكفر «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا» بما يكون قبل كونه «حَكِيمًا» فيما يخلقه و لما نهاه عن متابعه الكفار و أهل النفاق أمره باتباع أوامره و نواهيه على الإطلاق فقال «وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» من القرآن و الشرائع فبلغه و اعمل به «إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا» أى لا يخفى عليه شىء من أعمالكم فيجازيكم بحسبها إن خيرا فخير و إن شرا فشر «وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ» أى فوض أمورك إلى الله حتى لا تخاف غيره و لا ترجو إلا خيره «وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا» أى قائما بتدبيرك حافظا لك و دافعا عنك «ما جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ» فإن أمر الرجل الواحد لا ينتظم و معه قلبان فكيف تنتظم أمور العالم و له إلهان معبودان و قيل إنه نزل فى أبى معمر على ما مر بيانه عن مجاهد و قتاده و إحدى الروايتين عن ابن عباس و قيل إن المنافقين كانوا يقولون إن لمحمد قلبين ينسبونه إلى الدهاء فأكذبهم الله تعالى بذلك عن ابن عباس و قيل إن رجلا كان يقول إن لى نفسين نفسا تأمرنى و نفسا تنهانى فنزل ذلك فيه عن الحسن و قيل هو رد على المنافقين و المعنى ليس لأحد قلبان يؤمن بأحدهما و يكفر بالآخر و إنما هو قلب واحد فأما أن يؤمن و إما أن يكفر عن أبى مسلم و قيل إنه يتصل بقوله «وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ» و التقدير أنه كما لم يجعل لرجل قلبين فى جوفه لم يجعل ابن الإنسان ابنا لغيره و قيل بل يتصل بما قبله و المعنى أنه لا يمكن الجمع بين اتباعين متضادين اتباع الوحي و القرآن و اتباع أهل الكفر و الطغيان فكنى عن ذلك بذكر القلبين لأن الاتباع يصدر عن الاعتقاد و الاعتقاد من أفعال القلوب فكما لا يجتمع قلبان فى جوف واحد لا

قال أبو عبد الله (عليه السلام) ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه يحب بهذا قوما و يحب بهذا أعداءهم

و اختلف العلماء في أنه هل يجوز أن يكون لإنسان واحد قلبان فممنع بعضهم من ذلك و قال إن ذلك يؤدي إلى أن لا ينفصل إنسان من إنسانين لأنه يصح أن يريد بأحد قلبيه ما يكرهه بالقلب الآخر فيصير كمشخصين و جوز بعضهم ذلك و قال كما أن الإنسان الواحد يجوز أن يكون له قلب كثير الأجزاء و يتمتع أن يريد ببعض الأجزاء ما يكرهه البعض الآخر لأن الإرادة و الكراهه و إن وجدتا في جزئين من القلب فالحالتان الصادرتان عنهما يرجعان إلى الجملة و هي جملة واحده فاستحال اجتماع معنيين ضدتين في حى واحد و يجوز أن يكون معنيان مختلفان أو مثلان في جزئين من القلب و يوجبان الصفتين للحى الواحد فكذلك القياس إذا كان المعنيان في قلبين إذا كان ما يوجد فيهما يرجع إلى حى واحد إلا أن السمع ورد بالمنع من ذلك «وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ» يقال ظاهر من امرأته و تظاهر و تظهر و هو أن يقول لها أنت على كظهر أمى و كانت العرب تطلق نساءها في الجاهليه بهذا اللفظ فلما جاء الإسلام نهوا عنه و أوجبت الكفاره على من ظاهر من امرأته و سذكه في سورة المجادله و المعنى أن الله تعالى أعلمنا أن الزوجه لا تصير أما فقال و ما جعل نساءكم اللائى تقولون هن علينا كظهر أمهاتنا أمهاتكم لأن أمهاتكم على الحقيقه هن اللائى ولدنكم و أرضعنكم «وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ» الأدعياء جمع الدعى و هو الذى يتبناه الإنسان بين سبحانه أنه ليس بابن على الحقيقه و

نزلت في زيد بن حارثه بن شراحيل الكلبي من بنى عبد ود تبناه النبي ص قبل الوحى و كان قد وقع عليه السبى فاشتره رسول الله ص بسوق عكاظ فلما نبى رسول الله ص دعاه إلى الإسلام فأسلم فقدم أبو حارثه مكه و أتى أبا طالب و قال سل ابن أخيك فأما أن يبيعه و إما أن يعتقه فلما قال ذلك أبو طالب لرسول الله قال هو حر فليذهب حيث شاء فأبى زيد أن يفارق رسول الله ص فقال حارثه يا معشر قريش اشهدوا أنه ليس ابني فقال رسول الله ص اشهدوا أنه ابني

يعنى زيدا فكان يدعى زيد بن محمد فلما تزوج النبي ص زينب بنت جحش فكانت تحت زيد بن حارثه قالت اليهود و المنافقون تزوج محمد امرأه ابنه و هو ينهى الناس عنها فقال الله سبحانه ما جعل الله من تدعونه ولدا و هو ثابت النسب من غيركم ولدا لكم «ذَلِكَ كَقَوْلِكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ» أى أن قولكم الدعى ابن الرجل شىء تقولونه بألسنتكم لا حقيقه له عند الله تعالى «وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ» الذى يلزم اعتقاده و له حقيقه و هو أن الزوجه لا- تصير بالظهار أما و الدعى لا يصير بالتبني ابنا «وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ» أى يرشد إلى طريق الحق و يدل عليه «ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ» الذين ولدوهم و انسبوهم إليهم أو إلى من ولدوا على فراشهم

«هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ» أى أعدل عند الله قولاً و حكماً و روى سالم عن ابن عمر قال ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزل فى القرآن «ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ» أورده البخارى فى الصحيح «فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ» أى لم تعرفوا بأعيانهم «فَإِخْوَانُكُمْ فِى الدِّينِ» أى فهم إخوانكم فى الملة فقولوا يا أختى «وَ مَوَالِيكُمْ» أى بنو أعمامكم قال الزجاج و يجوز أن يكون المراد أولياءكم فى الدين فى وجوب النصره و قيل معناه معتقوكم و محرروكم إذا اعتقتموهم من رق فلکم ولاؤهم «وَ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ» أى ليس عليكم حرج فى نسبتہ إلى المتبنى إذا ظننتم أنه أبوه و لم تعلموا أنه ليس بابن له فلا يؤاخذكم الله به «وَ لَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ» أى و لكن الإيثم و الجناح فيما تعمدت قلوبكم يعنى فى الذى تعمدته قلوبكم و قصدتموه من دعائهم إلى غير آبائهم فإنكم تؤاخذون به و قيل ما أخطأتم قبل النهى و ما تعمدتموه بعد النهى عن مجاهد «وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا» لما سلف من قولكم «رَحِيمًا» بكم و فى هذه الآيه دلالة على أنه لا يجوز الانتساب إلى غير الأب و قد وردت السنه بتغليظ الأمر فيه

قال (عليه السلام) من انتسب إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله.

[سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٦ الى ١٠]

إشارة

النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَ أَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِى الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٦) وَ إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَىٰ وَ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَ أَخَذْنَا مِنْهُم مِيثَاقًا غَلِيظًا (٧) لَيْسَ لَكَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ فَاذْكُرُوا لِلَّهِ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَ مِنْ أَسْفَلِ مِنْكُمْ وَ إِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَ تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا (١٠)

ص: ١٠٧

قرأ أهل المدينة و ابن عامر و أبو بكر و قتيبه الظنوننا و الرسولا و السبيلا بألف فى الوصل و الوقف و قرأ أهل البصره و حمزه بغير ألف فى الوصل و الوقف و الباقرن بالألف فى الوقف و بغير ألف فى الوصل.

الحجه

قال أبو على وجه قول من أثبت فى الوصل أنها فى المصحف كذلك و هو رأس آيه و رءوس الآيات تشبه بالقوافى من حيث كانت مقاطع فلما شبه أكرم من و أهانن بالقوافى فى حذف الياء منهن كما حذف فى نحو قوله:

" من حذر الموت أن يأتين و إذا ما انتسبت له أنكرن "

كذلك يشبه هذا فى إثبات الألف بالقوافى فأما من طرح الألف فى الوصل فإنه ذهب إلى أن ذلك فى القوافى و ليس رءوس الآى بقواف فى حذف فى الوصل كما يحذف غيرها مما يثبت فى الوقف نحو التشديد الذى يلحق الحرف الموقوف عليه و هذا إذا أثبت فى الخط فينبغى أن لا- يحذف كما لا يحذف هاء الوقف من حسائيه و كتابيه و أن يجرى مجرى الموقوف عليه و لا يوصل.

الإعراب

«أَنْ تَفْعَلُوا» موصول و صله فى موضع رفع بالابتداء إلا- أنه استثناء منقطع و خبره محذوف تقديره لكن فعلكم إلى أوليائكم معروفا جائز «وَ إِذْ أَخَذْنَا» العامل فى الظرف هنا محذوف تقديره و اذكر نعمه الله عليكم كائنه وقت مجى ء جنود «إِذْ جَاؤُكُمْ» بدل من إذ الأولى و «إِذْ زَاغَتْ» كذلك.

النزول

قال الكلبي آخى رسول الله ص بين الناس فكان يواخى بين الرجلين فإذا مات أحدهما ورثه الثانى منهما دون أهله فمكتوا بذلك ما شاء الله حتى نزلت «وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهَاجِرِينَ» فنسخت هذه الآيه الموارثه بالمؤاخاه و الهجره و ورث الأذنى فالأذنى من القرابات و قال قتاده كان المسلمون يتوارثون بالهجره و كان لا يرث الأعرابى المسلم من المهاجرين شيئا فنزلت هذه الآيه فصار المواريث بالقرابات.

المعنى

«النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ» أى هو أولى بهم منهم بأنفسهم و قيل

فى معناه أقوال (أحدها) أنه أحق بتدبيرهم و حكمه أنفذ عليهم من حكمهم على أنفسهم خلاف ما يحكم به لوجوب طاعته التى هى مقرونه بطاعه الله تعالى عن ابن زيد (و ثانيها) أنه أولى بهم فى الدعوه فإذا دعاهم النبى ص إلى شىء و دعتهم أنفسهم إلى شىء كانت طاعته أولى بهم من طاعه أنفسهم عن ابن عباس و عطا و هذا قريب من الأول (و ثالثها) أن حكمه أنفذ عليهم من حكم بعضهم على بعض كقوله فَسَيَلْمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فإذا كان هو أحق بهم و هو لا يرث أمته بما له من الحق فكيف يرث من توجبون حقه بالتبني و

روى أن النبى ص لما أراد غزوه تبوك و أمر الناس بالخروج قال قوم نستأذن آباءنا و أمهاتنا فنزلت هذه الآية

و

روى عن أبى و ابن مسعود و ابن عباس أنهم كانوا يقرءون النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم و أزواجه أمهاتهم و هو أب لهم و كذلك هو فى مصحف أبى و روى ذلك عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام)

قال مجاهد و كل نبى أب لأمة و لذلك صار المؤمنون إخوه لأن النبى ص أبوهم فى الدين و واحده الأنفس نفس و هى خاصه الحيوان الحساسه الداركة التى هى أنفس ما فيه و يحتمل أن يكون اشتقاقه من التنفس الذى هو التروح و يحتمل أن يكون من النفاسه لأنه أجل ما فيه و أكرمه «وَ أَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ» المعنى إنهن للمؤمنين كالأمهات فى الحرمة و تحريم النكاح و لسن أمهات لهم على الحقيقة إذ لو كن كذلك لكانت بنتاه أخوات المؤمنين على الحقيقة فكان لا يحل للمؤمن التزويج بهن فثبت أن المراد به يعود إلى حرمة العقد عليهن لا- غير لأنه لم يثبت شىء من أحكام الأمومه بين المؤمنين و بينهن سوى هذه الواحدة ألا ترى أنه لا يحل للمؤمنين رؤيتهن و لا يرثن المؤمنين و لا يرثونهن و لهذا قال الشافعى و أزواجه أمهاتهم فى معنى دون معنى و هو أنهن محرمات على التأييد و ما كن محارم فى الخلوه و المسافره و هذا معنى ما رواه مسروق عن عائشه أن امرأه قالت لها يا أمه فقالت لست لك بأم إنما أنا أم رجالكم فعلى هذا لا يجوز أن يقال لإخوانهن و أخواتهن أخوال المؤمنين و خالات المؤمنين قال الشافعى تزوج الزبير أسماء بنت أبى بكر و لم يقل هى خاله المؤمنين «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهَاجِرِينَ» و هو مفسر فى آخر الأنفال «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ» هم ذوو الأنساب. لما ذكر سبحانه أن أزواج النبى ص أمهات المؤمنين عقبه بهذا و بين أنه لا- توارث إلا- بالولاده و الرحم و المعنى أن ذوى القربات بعضهم أولى بميراث بعض من المؤمنين أى من الأنصار و المهاجرين أى الذين هاجروا من مكه إلى المدينة و قيل معناه من المؤمنين و المتواخين و المهاجرين فصارت هذه الآية ناسخه للتوارث بالهجره و المؤاخاه فى الدين داله على أن الميراث بالقرباه فمن كان أقرب فى قرباه فهو أحق بالميراث من الأبعد «إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَاءِكُمْ مَعْرُوفًا» هذا استثناء منقطع و معناه لكن إن فعلتم إلى أوليائكم المؤمنين

و خلفائكم ما يعرف حسنه و صوابه فهو حسن قال السدى عنى بذلك وصيه الرجل لإخوانه فى الدين و قال غيره لما نسخ التوارث بالمؤاخاه و الهجره أباح الوصيه فيوصى لمن يتولاه بما أحب من الثلث فمعنى المعروف هنا الوصيه و حكى عن محمد بن الحنفيه و عكرمه و قتاده أن معناه الوصيه لذوى القربات من المشركين و قيل إن هذا لا يصح لأنه تعالى نهى عن ذلك بقوله لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّيَ وَ عَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ وَ قد أجاز كثير من الفقهاء الوصيه للقرباه الكافره و قال أصحابنا إنها جائزه للوالدين و الولد «كَانَ ذَلِكَ» أى نسخ الميراث بالهجره و رده إلى أولى الأرحام من القربات «فِي الْكِتَابِ» أى فى اللوح المحفوظ و قيل فى القرآن و قيل فى التوراه «مَسْطُورًا» أى مكتوبا و من فى قوله «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهَاجِرِينَ» يحتمل أمرين (أحدهما) ما ذكرناه (و الآخر) أن يكون التقدير و أولو الأرحام من المؤمنين و المهاجرين أولى بالميراث «وَ إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ» أى و اذكر يا محمد حين أخذ الله الميثاق على النبيين خصوصا بأن يصدق بعضهم بعضا و يتبع بعضهم بعضا عن قتاده و قيل أخذ ميثاقهم على أن يعبدوا الله و يدعوا إلى عباده الله و أن يصدق بعضهم بعضا و أن ينصحووا لقومهم عن مقاتل «وَ مِنْكُمْ» يا محمد و إنما قدمه لفضله و شرفه «وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ» خص هؤلاء بالذكر لأنهم أصحاب الشرائع «وَ أَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا» أى عهدا شديدا على الوفاء بما حملوا من أعباء الرساله و تبليغ الشرائع و قيل على أن يعلنوا أن محمدا رسول الله ص و يعلن محمد ص أنه لا نبى بعده و إنما أعاد ذكر الميثاق على وجه التغليظ و ذكره فى أول الآيه مطلقا و فى آخرها مقيدا بزياده صفه ثم بين سبحانه الفائده فى أخذ الميثاق فقال «لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ» قيل معناه إنما فعل ذلك ليسأل الأنبياء المرسلين ما الذى جاءت به أممكم عن مجاهد و قيل ليسأل الصادقين فى توحيد الله و عدله و الشرائع عن صدقهم أى عما كانوا يقولونه فيه تعالى فيقال لهم هل ظلم الله تعالى أحدا هل جازى كل إنسان بفعله هل عذب بغير ذنب و نحو ذلك فيقولون نعم عدل فى حكمه و جازى كلا- بفعله و قيل معناه ليسأل الصادقين فى أقوالهم عن صدقهم فى أفعالهم و قيل ليسأل الصادقين ما ذا قصدتم بصدقكم وجه الله أو غيره و يكون فيه تهديد للكاذب

قال الصادق (عليه السلام) إذا سأل عن صدقه على أى وجه قاله فيجازى بحسبه فكيف يكون حال الكاذب

ثم قال سبحانه «وَ أَعِدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا» أى مؤلما ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» ذكرهم سبحانه عظيم نعمته عليهم فى دفع الأحزاب عنهم «إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ» و هم الذين تحزبوا على رسول الله ص أيام الخندق «فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا» و هى الصبا أرسلت عليهم حتى أكفأت قلوبهم و نزعت فسايططهم «وَ جُنُودًا

لَمْ تَرَوْهَا» من الملائكة و قيل إن الملائكة لم يقاتلوا يومئذ و لكن كانوا يشجعون المؤمنين و يجنبون الكافرين «وَ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا» من قرأ بالتاء وجه الخطاب إلى المؤمنين و من قرأ بالياء أراد أن الله عالم بما يعمله الكفار ثم قال «إِذْ جَاءُوكُمْ» أى و اذكروا حين جاءكم جنود المشركين «مِنْ فَوْقِكُمْ» أى من فوق الوادى قبل المشرق قريظه و النضير و غطفان «وَ مِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ» أى من قبل المغرب من ناحيه مكه أبو سفيان فى قريش و من تبعه «وَ إِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ» أى مالت عن كل شىء فلم تنظر إلا- إلى عدوها مقبلا- من كل جانب و قيل معناه عدلت الأبصار عن مقرها من الدهش و الحيره كما يكون الجبان فلا يعلم ما يبصر «وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ» و الحنجره جوف الحلقوم أى شخصت القلوب من مكانها فلو لا أنه ضاق الحلقوم عنها أن تخرج لخرجت عن قتاده و

قال أبو سعيد الخدرى قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شىء ن قوله فقد بلغت القلوب الحناجر فقال قولوا اللهم استر عوراتنا و آمن روعاتنا قال فقلناها فضرب وجوه أعداء الله بالريح فهزموا

قال الفراء المعنى فى قوله «بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ» أنهم جنبا و جزع أكثرهم و سبيل الجبان إذ اشتد خوفه أن ينتفخ سحره و السحر الرئه فإذا انتفخت الرئه رفعت القلوب إلى الحنجره «وَ تَطُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا» أى اختلفت الظنون فظن بعضكم بالله النصر و بعضكم آيس و قنط و قيل تظنون ظنونا مختلفه فظن المنافقون أنه يستأصل محمد و ظن المؤمنون أنه ينصر عن الحسن و قيل إن من كان ضعيف القلب و الايمان ظن ما ظنه المنافقون إلا أنه ذلك و قيل اختلاف ظنونهم أن بعضهم ظن أن الكفار تغلبهم فظن بعضهم أنهم يستولون على المدينة و ظن بعضهم أن الجاهليه تعود كما كانت و ظن بعضهم أن ما وعد الله و رسوله من نصره الدين و أهله غرور فأقسام الظنون كثيره خصوصا ظن الجبناء.

النظم

اتصل قوله «النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ» بقوله وَ مَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ فإنه سبحانه لما بين أن التبنى عليه لا يجوز بين عقبيه أنه مع ذلك أولى بالمؤمنين من أنفسهم من حيث إنه و لاه الله أمرهم فيلزمهم طاعته و الانقياد له و أصل الولاية لله تعالى كما قال هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ فَلَا حَظَّ فِيهَا لِأَحَدٍ إِلَّا لِمَنْ و لاه سبحانه و إلى هذا المعنى

أشار النبى ص يوم الغدير فى قوله أ لست أولى بكم منكم بأنفسكم فلما قالوا بلى قال من كنت مولاه فعلى مولاه

و المولى بمعنى الأولى بدلاله قوله مَا وَأَكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ أى أولى بكم و قول لبيد:

فغدت كلا الفرجين تحسب أنه مولى المخافه خلفها و أمامها

ص: ١١١

أى أولى بالمخافه ثم عاد سبحانه إلى الكلام فى تأكيد نبوه نبينا ص بذكر ما أخذ على النبيين من الميثاق فى هذا الباب و عقب ذلك بيان آياته و معجزاته يوم الأحزاب و ذكر ما أنعم عليه و على المؤمنين من النصر مع ما أعدده لهم من الثواب.

[قصه غزوه الخندق]

ذكر محمد بن كعب القرظى و غيره من أصحاب السير قالوا كان من حديث الخندق أن نفرا من اليهود منهم سلام بن أبى الحقيق و حى بن أخطب فى جماعه من بنى النضير الذين أجلاهم رسول الله ص خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعواهم إلى حرب رسول الله ص و قالوا إنا سنكون معكم عليهم حتى نستأصلهم فقالت لهم قريش يا معشر اليهود إنكم أهل الكتاب الأول فديننا خير أم دين محمد قالوا بل دينكم خير من دينه فأنتم أولى بالحق منه فهم الذين أنزل الله فيهم أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحِجَابِ وَ الطَّاعُوتِ وَ يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا إِلَى قَوْلِهِ وَ كَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَئِيرًا فسر قريشا ما قالوا و نشطوا لما دعواهم إليه فأجمعوا لذلك و اتعدوا له ثم خرج أولئك نفر من اليهود حتى جاءوا غطفان فدعواهم إلى حرب رسول الله ص و أخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ص و إن قريشا قد بايعوهم على ذلك فأجابوهم فخرجت قريش و قائدهم أبو سفيان بن حرب و خرجت غطفان و قائدها عيينه بن حصين بن حذيفة بن بدر فى فزاره و الحرث بن عوف فى بنى مره و مسعر بن جبلة الأشجعى فىمن تابعه من أشجع و كتبوا إلى حلفائهم من بنى أسد فأقبل طليحه فى من اتبعه من بنى أسد و هما حليفان أسد و غطفان و كتب قريش إلى رجال من بنى سليم فأقبل أبو الأعور السلمى فىمن اتبعه من بنى سليم مددا لقريش فلما علم بذلك رسول الله ص ضرب الخندق على المدينة و كان الذى أشار عليه سلمان الفارسى (ره) و كان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله ص و هو يومئذ حر قال يا رسول الله إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا فعمل فيه رسول الله ص و المسلمون حتى أحكموه فمما ظهر من دلائل النبوه فى حفر الخندق

ما رواه أبو عبد الله الحافظ بإسناده عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزنى قال حدثنى أبى عن أبيه قال خط رسول الله ص الخندق عام الأحزاب أربعين ذراعا بين عشره فاختلف المهاجرون و الأنصار فى سلمان الفارسى و كان رجلا قويا فقال الأنصار سلمان منا و قال المهاجرون سلمان منا فقال رسول الله ص سلمان منا أهل البيت قال

عمرو بن عوف فكننت أنا و سلمان و حذيفه بن اليمان و النعمان بن مقرن و سته من الأنصار نقطع أربعين ذراعا فحفرنا حتى إذا بلغنا الثرى أخرج الله من بطن الخندق صخره بيضاء مدوره فكسرت حديدنا و شقت علينا فقلنا يا سلمان ارق إلى رسول الله ص فأخبره عن الصخره فأما أن نعدل عنها فإن المعدل قريب و إما أن يأمرنا فيه بأمره فإننا لا نحب أن نجاوز خطه فرقى سلمان حتى أتى رسول الله ص و هو مضروب عليه قبه فقال يا رسول الله خرجت صخره بيضاء من الخندق مدوره فكسرت حديدنا و شقت علينا حتى ما يحكك فيها قليل و لا كثير فمرنا فيها بأمرك فهبط رسول الله ص مع سلمان فى الخندق و أخذ المعول و ضرب به ضربه فلمعت منها برقه أضاءت ما بين لابتها يعنى لابتى المدينه حتى لكان مصباحا فى جوف ليل مظلم فكبر رسول الله ص تكبيره فتح فكبر المسلمون ثم ضرب ضربه أخرى فلمعت برقه أخرى ثم ضرب به الثالثه فلمعت برقه أخرى فقال سلمان بأبى أنت و أمى يا رسول الله ما هذا الذى أرى فقال أما الأولى فإن الله عز و جل فتح على بها اليمن و أما الثانيه فإن الله فتح على بها الشام و المغرب و أما الثالثه فإن الله فتح على بها المشرق فاستبشر المسلمون بذلك و قالوا الحمد لله موعد صادق قال و طلعت الأحزاب فقال المؤمنون هذا ما وعدنا الله و رسوله و صدق الله و رسوله و قال المنافقون أ لا تعجبون يحدثكم و يعدكم الباطل و يخبركم أنه يبصر فى يثرب قصور الحيره و مدائن كسرى و أنها تفتح لكم و أنتم تحفرون الخندق و لا تستطيعون أن تبرزوا

و مما ظهر فيه أيضا من آيات النبوه

ما رواه أبو عبد الله الحافظ بالإسناد عن عبد الواحد بن أيمن المخزومى قال حدثنى أيمن المخزومى قال سمعت جابر بن عبد الله قال كنا يوم الخندق نحفر الخندق فعرضت فيه كديه و هى الجبل فقلنا يا رسول الله إن كديه عرضت فيه فقال رسول الله ص رشوا عليها ماء ثم قام فأتاها و بطنه معصوب بحجر من الجوع فأخذ المعول أو المسحاه فسمى ثلاثا ثم ضرب فعادت كئيبا أهيل فقلت له ائذن لى يا رسول الله إلى المنزل ففعل فقلت للمرأة هل عندك من شىء فقالت عندى صاع من شعير و عناق فطحننت الشعير و عجنته و ذبحت العناق و سلختها

و خلّيت بين المرأه و بين ذلك ثم أتيت إلى رسول الله ص فجلست عنده ساعه ثم قلت ائذن لى يا رسول الله ففعل فأتيت المرأه فإذا العجين و اللحم قد أمكنا فرجعت إلى رسول الله ص فقلت إن عندنا طعيما لنا فقم يا رسول الله أنت و رجلان من أصحابك فقال و كم هو قلت صاع من شعير و عناق فقال للمسلمين جميعا قوموا إلى جابر فقاموا فلقيت من الحياء ما لا يعلمه إلا الله فقلت جاء بالخلق على صاع شعير و عناق فدخلت على المرأه و قلت قد افتضحت جاءك رسول الله ص بالخلق أجمعين فقالت هل كان سألك كم طعامك قلت نعم فقالت الله و رسوله أعلم قد أخبرناه ما عندنا فكشفت عنى عما شديدا فدخل رسول الله ص فقال خذى و دعينى من اللحم فجعل رسول الله ص يثرد و يفرق اللحم ثم يجم هذا و يجم هذا فما زال يقرب إلى الناس حتى شعوا أجمعين و يعود التور و القدر أملاً ما كانا ثم قال رسول الله ص كلى و أهدى فلم نزل نأكل و نهدي قومنا أجمع أوردته البخارى فى الصحيح

و

عن البراء بن عازب قال كان رسول الله ص ينقل معنا التراب يوم الأحزاب و قد وارى التراب بياض بطنه و هو يقول " اللهم لو لا أنت ما اهتديناه و لا تصدقنا و لا صلينا فأنزلن سكينه علينا و ثبت الأقدام إن لاقيناه إن الأولى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أينا يرفع بها صوته رواه البخارى أيضا فى الصحيح

عن أبى الوليد عن شعبه عن أبى إسحاق عن البراء قالوا و لما فرغ رسول الله ص من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بين الجرف و الغابه فى عشره آلاف من أحابيشهم و من تابعهم من بنى كنانه و أهل تهامه و أقبلت غطفان و من تابعهم من أهل نجد حتى نزلوا إلى جانب أحد و خرج رسول الله ص و المسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع فى ثلاثه آلاف من المسلمين فضرب هناك عسكره و الخندق بينه و بين القوم و أمر بالذرارى و النساء فرفعوا فى الآطام و خرج عدو الله حيبى بن أخطب النضيرى حتى أتى كعب بن أسد القرظى صاحب بنى قريظه و كان قد وادع رسول الله ص على قومه و عاهده على ذلك فلما سمع كعب صوت ابن أخطب أغلق دونه حصنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له

ص: ١١٤

فناداه يا كعب افتح لي فقال ويحك يا حيي إنك رجل مشئوم إني قد عاهدت محمدا ص و لست بناقض ما بيني وبينه و لم أر منه إلا- وفاء و صدقا قال ويحك افتح لي أكلمك قال ما أنا بفاعل قال إن أغلقت دوني إلا على حشيشه تكره أن آكل منها معك فأحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب جئتكم بعز الدهر و ببحر طام جئتكم بقريش على قادتها و سادتها و بغطفان على سادتها و قادتها قد عاهدوني أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا و من معه فقال كعب جئتني و الله بذل الدهر بجهام قد هراق ماؤه يرعد و يبرق و ليس فيه شيء فدعني و محمدا و ما أنا عليه فلم أر من محمد إلا صدقا و وفاء فلم يزل حيي بكعب يفتل منه في الذروه و الغارب حتى سمح له على أن أعطاه عهدا و ميثاقا لئن رجعت قریش و غطفان و لم يصيبوا محمدا أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك فنقض كعب عهده و برىء مما كان عليه فيما بينه و بين رسول الله ص فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ص بعث سعد بن معاذ بن النعمان بن امرء القيس أحد بني عبد الأشهل و هو يومئذ سيد الأوس و سعد ابن عباده أحد بني ساعده بن كعب بن الخزرج و هو يومئذ سيد الخزرج و معهما عبد الله بن رواحه و خوات بن جبير فقال انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا فإن كان حقا فالحنوا لنا لحنا نعرفه و لا تفتوا أعضاد الناس و إن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس و خرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث مما بلغهم عنهم قالوا لا عقد بيننا و بين محمد و لا عهد فشاتمهم سعد بن عباده و شاتموه و قال سعد بن معاذ دع عنك مشاتمهم فإن ما بيننا و بينهم أعظم من المشاتم ثم أقبلوا إلى رسول الله ص و قالوا عضل و القاره لغدر عضل و القاره بأصحاب رسول الله خبيب بن عدى و أصحاب الرجيع فقال رسول الله ص الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين و عظم عند ذلك البلاء و اشتد الخوف و أتاهم عدوهم من فوقهم و من أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن و ظهر النفاق من بعض المنافقين فأقام رسول الله ص و أقام المشركون عليه بضعا و عشرين ليلة لم يكن بينهم قتال إلا الرمي بالنبل

إلا أن فوارس من قریش منهم عمرو بن عبد ود أخو بني عامر بن لؤى و عكرمه بن أبى جهل و ضرار بن

الخطاب و هبيرة بن أبي وهب و نوفل بن عبد الله قد تلبسوا للقتال و خرجوا على خيولهم حتى مروا بمنازل بنى كنانة فقالوا تهيأوا للحرب يا بنى كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان ثم أقبلوا تعنت بهم خيولهم حتى وقفوا على الخندق فقالوا و الله إن هذه لمكيده ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا ضيقا من الخندق فضربوا خيولهم فاقتحموا فجالت بهم فى السبخه بين الخندق و سلع و خرج على بن أبى طالب (ع فى نفر من المسلمين حتى أخذ عليهم الثغره التى منها اقتحموا و أقبلت الفرسان نحوهم و كان عمرو بن عبد ود فارس قريش و كان قد قاتل يوم بدر حتى ارتث و أثبتته الجراح و لم يشهد أحدا فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مشهده و كان يعد بألف فارس و كان يسمى فارس يليل لأنه أقبل فى ركب من قريش حتى إذا كانوا بيليل و هو واد قريب من بدر عرضت لهم بنو بكر فى عدد فقال لأصحابه امضوا فمضوا فقام فى وجوه بنى بكر حتى منعهم من أن يصلوا إليه فعرف بذلك و كان اسم الموضع الذى حفر فيه الخندق المذاد و كان أول من طفره عمرو و أصحابه فقبل فى ذلك:

عمرو بن عبد كان أول فارس جزع المذاد و كان فارس يليل

و ذكر ابن إسحاق أن عمرو بن عبد ود كان ينادى من يبارز فقام على (عليه السلام) و هو مقنع فى الحديد فقال أنا له يا نبي الله فقال إنه عمرو اجلس و نادى عمرو أ لا- رجل و هو يؤنبهم و يقول أين جنتكم التى تزعمون أن من قتل منكم دخلها فقام على (عليه السلام) فقال أنا له يا رسول الله ثم نادى الثالثه فقال:

و لقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز

و وقفت إذ جن المشجع موقف البطل المناجز

إن السماحه و الشجاعه فى الفتى خير الغرائز

فقام على فقال يا رسول الله أنا فقال إنه عمرو فقال و إن كان عمرا فاستأذن رسول الله فأذن له رسول الله

و

فيما رواه لنا السيد أبو محمد الحسينى القائنى عن الحاكم أبى القاسم الحسكاني بالإسناد عن عمرو بن ثابت عن أبيه عن جده عن حذيفه قال فألبسه رسول الله ص درعه ذات الفضول و أعطاه سيفه ذا الفقار و عممه عمامه السحاب على رأسه تسعه أكوار ثم

ص: ١١٦

قال له تقدم فقال لما ولي: اللهم احفظه من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله و من فوق رأسه و من تحت قدميه قال ابن إسحاق فمشى إليه و هو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز

ذو نيه و بصيره و الصدق منجى كل فائر

إني لأرجو أن أقيم عليك نائحه الجنائر

من ضربه نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز

قال له عمرو من أنت قال أنا على قال ابن عبد مناف فقال أنا على بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فقال غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أسن منك فإني أكره أن أهرق دمك فقال على (عليه السلام) لكنى و الله ما أكره أن أهرق دمك فغضب و نزل و سل سيفه كأنه شعله نار ثم أقبل نحو على مغضبا فاستقبله على بدرقته فضربه عمرو بالدرقه فقدها و أثبت فيها السيف و أصاب رأسه فشجه و ضربه على على حبل العاتق فسقط و فى روايه حذيفه و تسيف على رجله بالسيف من أسفل فوق على قفاه و ثارت بينهما عجاجه فسمع على يكبر فقال رسول الله ص قتله و الذى نفسى بيده فكان أول من ابتدر العجاج عمر بن الخطاب فإذا على يمسح سيفه بدرع عمرو فكبر عمر بن الخطاب و قال يا رسول الله قتله فحز على رأسه و أقبل نحو رسول الله و وجهه يتهلل فقال عمر بن الخطاب هلا استلبته درعه فإنه ليس للعرب درع خير منها فقال ضربته فاتقانى بسواته فاستحييت ابن عمى أن أستلبه قال حذيفه فقال النبى ص أبشر يا على فلو وزن اليوم عملك بعمل أمه محمد لرجح عملك بعملهم و ذلك أنه لم يبق بيت من بيوت المشركين إلا و قد دخله و هن بقتل عمرو و لم يبق بيت من بيوت المسلمين إلا و قد دخله عز بقتل عمرو

و عن الحاكم أبى القاسم أيضا بالإسناد عن سفيان الثورى عن زبيد الثانى عن مره عن عبد الله بن مسعود قال كان يقرأ و كفى الله المؤمنين القتال بعلى و خرج أصحابه منهزمين حتى طفرت خيولهم الخندق و تبادر المسلمون فوجدوا نوفل بن عبد العزى جوف الخندق فجعلوا يرمونه بالحجاره فقال لهم قتله أجمل من هذه ينزل بعضكم أقاتله فقتله الزبير بن العوام و

ذكر ابن إسحاق أن عليا (عليه السلام) طعنه فى ترقوته حتى أخرجها من مراقه فمات فى الخندق و بعث المشركون إلى رسول

الله ص يشترون جيفته بعشره آلاف فقال النبي ص هو لكم لا نأكل ثمن الموتى و ذكر على (عليه السلام) أبياتا منها:

نصر الحجاره من سفاهه رأيه و نصرت رب محمد بصواب

فضربته و تركته متجدلا كالجدع بين دكادك و رواب

و عفت عن أثوابه و لو أننى كنت المقطر بزنى أثوابى

و

روى عمرو بن عبيد عن الحسن البصرى قال إن عليا (عليه السلام) لما قتل عمرو بن عبد ود حمل رأسه فألقاه بين يدي رسول الله ص فقام أبو بكر و عمر فقبلا رأس علي (عليه السلام)

و

روى عن أبي بكر بن عياش أنه قال ضرب علي ضربه ما كان فى الإسلام أعز منها يعنى ضربه عمرو بن عبد ود و ضرب علي ضربه ما كان فى الإسلام ضربه أشأم منها يعنى ضربه ابن ملجم عليه لعائن الله.

قال ابن إسحاق ورمى حيان بن قيس بن العرفه سعد بن معاذ بسهم و قال خذها و أنا ابن العرفه ففقطع أكحله فقال سعد عرف الله وجهك فى النار اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقنى لها فإنه لا قوم أحب إلى أن أجاهد من قوم آذوا رسولك و كذبوه و أخرجوه و أن كنت وضعت الحرب بيننا و بينهم فاجعله لى شهادة و لا تمتنى حتى تفر عيني من بنى قريظه قال و

جاء نعيم بن مسعود الأشجعي إلى رسول الله ص فقال يا رسول الله إنى قد أسلمت و لم يعلم بى أحد من قومي فمرنى بأمرك فقال له رسول الله ص إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا ما استطعت فإنما الحرب خدعه فانطلق نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظه فقال لهم إنى لكم صديق و الله ما أتم و قريش و غطفان من محمد ص بمنزله واحده إن البلد بلدكم و به أموالكم و أبناؤكم و نساؤكم و إنما قريش و غطفان بلادهم غيرها و إنما جاءوا حتى نزلوا معكم فإن رأوا فرصه انتهزوها و إن رأوا غير ذلك رجعوا إلى بلادهم و خلوا بينكم و بين الرجل و لا طاقه لكم به فلا تقاتلوا حتى تأخذوا رهنا من أشرافهم تستوثقون به أن لا يبرحوا حتى يناجزوا محمدا فقالوا له قد أشرت برأى ثم ذهب فأتى أبا سفيان و أشراف قريش فقال يا معشر قريش إنكم قد عرفتم ودى إياكم و فراقى محمدا و دينه و إنى قد جئتكم بنصيحه

ص: ١١٨

فاكتبوا على فقالوا نفعل ما أنت عندنا بمتهم فقال تعلمون أن بنى قريظه قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم و بين محمد فبعثوا إليه أنه لا- يرضيك عنا إلا أن نأخذ من القوم رهنا من أشرافهم و ندفعهم إليك فتضرب أعناقهم ثم نكون معك عليهم حتى نخرجهم من بلادك فقال بلى فإن بعثوا إليكم يسألونكم نفرا من رجالكم فلا تعطوهم رجلا واحدا و احذروا ثم جاء غطفان و قال يا معشر غطفان إني رجل منكم ثم قال لهم ما قال لقريش فلما أصبح أبو سفيان و ذلك يوم السبت فى شوال سنه خمس من الهجره بعث إليهم أبو سفيان عكرمه بن أبى جهل فى نفر من قريش أن أبا سفيان يقول لكم يا معشر اليهود إن الكراع و الخف قد هلكا و إنا لسنا بدار مقام فاخرجوا إلى محمد حتى نناجزه فبعثوا إليه أن اليوم السبت و هو يوم لا نعمل فيه شيئا و لسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم نستوثق بهم لا تذهبوا و تدعونا حتى نناجز محمدا فقال أبو سفيان و الله قد حذرنا هذا نعيم فبعث إليهم أبو سفيان أنا لا نعطيكم رجلا واحدا فإن شئتم أن تخرجوا و تقاتلوا و إن شئتم فاقعدوا فقالت اليهود هذا و الله الذى قال لنا نعيم فبعثوا إليهم أنا و الله لا نقاتل حتى تعطونا رهنا و خذل الله بينهم و بعث سبحانه عليهم الريح فى ليال شاتيه بارده شديده البرد حتى انصرفوا راجعين قال محمد بن كعب قال حذيفه بن اليمان و الله لقد رأيتنا يوم الخندق و بنا من الجهد و الجوع و الخوف ما لا- يعلمه إلا الله و قام رسول الله ص فضلى ما شاء الله من الليل ثم قال أ لا رجل يأتينا بخبر القوم يجعله الله رقيقى فى الجنه قال حذيفه فو الله ما قام منا أحد مما بنا من الخوف و الجهد و الجوع فلما لم يقم أحد دعانى فلم أجد بدا من إجابهته قلت لبيك قال اذهب فجننى بخبر القوم و لا تحدثنى شيئا حتى ترجع قال و أتيت القوم فإذا ريح الله و جنوده يفعل بهم ما يفعل ما يستمسك لهم بناء و لا تثبت لهم نار و لا تطمئن لهم قدر فإنى لكذلك إذا خرج أبو سفيان من رحله ثم قال يا معشر قريش لينظر أحدكم من جلسه قال حذيفه فبدأت بالذى عن يمينى فقلت من أنت قال أنا فلان ثم عاد أبو سفيان براحلته فقال يا معشر قريش و الله ما أنتم بدار مقام هلك الخف و الحافر و أخلفتنا بنو قريظه و هذه الريح لا يستمسك لنا معها شىء ثم عجل فركب راحلته و إنها لمعقوله ما حل عقالها إلا بعد ما ركبها قال قلت فى نفسى لو رميت عدو الله فقتلته كنت قد صنعت شيئا فوترت قوسى ثم وضعت السهم فى كبد القوس و أنا أريد أن أرميه فأقتله فذكرت قول رسول الله ص لا تحدثن شيئا حتى ترجع قال فحططت

القوس ثم رجعت إلى رسول الله ص و هو يصلى فلما سمع حسى فرج بين رجليه فدخلت تحته و أرسل على طائفه من مرطه فرقع و سجد ثم قال ما الخبر فأخبرته

و

روى الحافظ بالإسناد عن عبد الله بن أبي أوفى قال دعا رسول الله ص على الأحزاب فقال اللهم أنت منزل الكتاب سريع الحساب أهزم الأحزاب اللهم اهزمهم و زلزلهم

و

عن أبي هريره أن رسول الله ص كان يقول لا إله إلا الله وحده و عز جنده و نصر عبده و غلب الأحزاب وحده فلا شىء بعده

و

عن سليمان بن صرد قال قال رسول الله ص حين أجلى عنه الأحزاب الآن نغزوهم و لا يغزونا فكان كما قال ص فلم تغزهم قريش بعد ذلك و كان هو يغزوهم حتى فتح الله عليهم مكه.

[سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ١١ الى ٢٠]

إشارة

هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَ زُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا (١١) وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢) وَ إِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَ يَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَ مَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣) وَ لَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأْتَوْهَا وَ مَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (١٤) وَ لَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الْأَذْبَارَ وَ كَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (١٥)

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَ إِذَا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَ لَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لَا نَصِيرًا (١٧) قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَ الْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَ لَا- يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (١٨) أَشِحَّهَ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَأَلْتُمُوهُمْ بِاللَّسْتَنِ حِدَادٍ أَشِحَّهَ عَلَى الْخَيْرِ أَوْلَيْتُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٩) يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَ إِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَ لَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا (٢٠)

قرأ حفص «لا- مُقَامَ لَكُمْ» بضم الميم و الباقون بفتحها و قرأ أهل الحجاز «لَا تَوْهَا» بغير مد و الباقون لآتوها بالمد و قرأ يعقوب يساءلون بالتشديد و المد و الباقون «يَسِئُلُونَ» بالتخفيف و فى الشواذ قراءه ابن عباس و ابن يعمر و قتاده إن بيوتنا عوره و ما هى بعوره بكسر الواو فى الموضعين و قراءه الحسن ثم سولوا الفتنه مرفوعه السين و لا يجعل فيها ياء و لا يمدھا و قراءه ابن عباس لو أنهم بدى فى الأعراب.

قال أبو على المقام يحتمل أمرين (أحدهما) لا- موضع إقامه لكم و هذا أشبه لأنه فى معنى لا مقام بفتح الميم أى ليس لكم موضع تقومون فيه (و الآخر) لا- إقامه لكم و من قصر «لآتوها» فلأنك تقول أتيت الشىء إذا فعلته تقول أتيت الخير و تركت الشر و معنى «ثم سئلوا الفتنه لآتوها» سئلوا فعل الفتنه لفعلوها و من قرأ لآتوها فالمعنى لأعطوها أى لم يمتنعوا فيها و المعنى لو قيل لهم كونوا على المسلمين و مع المشركين لفعلو ذلك و من قرأ يساءلون فإنه يتساءلون أى يسأل بعضهم بعضا فأدغم التاء فى السين و من قرأ عوره بكسر الواو فإنه شاذ من طريق الاستعمال و ذلك لتحرك الواو بعد الفتحه و القياس أن تقول عاره كما قالوا رجل مال و امرأه ماله و كبش صاف و نعجه صافه و مثل عوره فى صحه الواو و قولهم رجل عوز لا مال له و قول الأعشى:

و قد غدوت إلى الحانوت يتبعنى شاو مثل شلول شلشل شول

و قوله سولوا من قولهم سأل يسأل كخاف يخاف فالعين على هذه اللغه واو و حكى أبو زيد قولهم هما يتساولان كما يقال يتقاومان و الأقيس على هذا أن يقال سيلوا كعيدوا و قيل و اللغه الأخرى إشمام الضمه نحو سنلوا و اللغه الثالثه سولوا على إخلاص ضمه فعل إلا أنه أردأ اللغات قال الشاعر:

" و قول لا أهل له و لا مال "

أى و قيل و قال آخر:

" نوط إلى صلب شديد الحل "

أى نيط و قوله بدى جمع باد فهو مثل غاز و غزى.

اللغه

يقال هنا للقريب من المكان و هنالك للبعيد و هناك للمتوسط بين القريب و البعيد و سبيله سبيل ذا و ذلك و ذاك و الزلزال الاضطراب العظيم و الزلزله اضطراب الأرض و قيل إنه مضاعف زل و زلزله غيره و الشده قوه تدرك بالحاسه لأن القوه التى هى القدره لا تدرك بالحاسه و إنما تعلم بالدلاله فلذلك يوصف تعالى بأنه قوى و لا يوصف بأنه شديد و الغرور إيهام المحبوب بالمكروه و الغرور الشيطان قال الحرث بن حلز:

لم يغروكم غرورا و لكن يرفع الآل جمعهم و الضحاء

و يثرب اسم أرض المدينه قال أبو عبيده إن مدينه الرسول فى ناحيه من يثرب و قيل يثرب هى المدينه نفسها و ذكر المرتضى علم الهدى قدس الله روحه أن من أسماء المدينه يثرب و طيبه و طابه و الدار و السكينه و جائزه المحبوره و المحبه و المحبوه و العذراء و المرحومه و القاصمه و يندد فذلك ثلاثه عشر اسما و العوره كل شىء يتخوف منه فى ثغر أو حرب و مكان معور و دار معوره إذا لم تكن حريزه. القطر الناحيه و الجانب و جمعه الأقطار و يقال طعنه فقطره إذا ألقاه على أحد قطريه أى أحد شقيه و التعويق التثيب و العوق الصرف و رجل عوق و عوقه يعوق الناس عن الخير. و البأس الحرب و أصله الشده. و الأشحه جمع شح و الشح البخل مع حرص يقال شح يشح و يشح بضم الشين و فتحها. و السلق أصله الضرب و سلق أى صاح و منه خطيب مسلوق و مصلوق فصيح و سلقته بالكلام أسمعته المكروه و

فى الحديث

ص: ١٢٢

ليس منا من سلق أو حلق أو رفع صوته عند المصيبة

وقيل هو أن تصك وجهها ومعنى حلق أى يحلق رأسه و شعره عند المصيبة. و الحديد ضد الكليل و الجمع حداد. و الأحزاب الجماعات واحدها حزب و تحزبوا أى تجمعوا من مواضع و البادى الذى ينزل البادية و منه

الحديث من بدا جفا

أى من نزل البادية كان فيه جفوه الإعراب و البداهة الخروج إلى البادية بفتح الباء و كسرهما قال القطامي:

و من تكن الحضاره أعجبتة فأى أناس بادية ترانا

. الإعراب .

الضمير فى دخلت عائد إلى البيوت «إِلَّا يَسِيرًا» تقديره إلا تلبسا يسيرا أو زمانا يسيرا فهو صفة ظرف زمان محذوف «وَ إِذَا لَا تَمْتَعُونَ» لم يعمل إذا لوقوعه بين الواو و الفعل و قد أعملت بعد أن فى قول الشاعر:

لا تتركنى فيهم شطيرا إنى إذا أهلك أو أطيرا

«وَ لَا يَأْتُونَ» جملة معطوفة على صلة الموصول أى الذين يعوقون و لا يأتون و قوله «إِلَّا قَلِيلًا» تقديره إلا زمانا قليلا و إن شئت إلا إتيانا قليلا أشحه منصوب على الحال فى الموضعين و قيل هو نصب على الذم كالذى يغشى عليه من الموت أى تدور أعينهم دورانا مثل دوران أعين الذى يغشى عليه من الموت فالكاف صفة مصدر محذوف و قد حذف بعد الكاف المضاف و المضاف إليه. هلم معناه أقبل و تعال و أهل الحجاز يقولون للواحد و الاثنين و الجمع و المذكر و المؤنث هلم بلفظ الواحد و إنما هى لم ضمت إليها هاء التى للتنيه ثم حذف الألف منها إذا صارا شيئا واحدا كقولهم ويلمه و أصله و يل لأمه فلما جعلوهما شيئا واحدا حذفوا و غيروا و أما بنو تميم فيصرفونه تصريف الفعل يقولون هلم يا رجل و هلموا و هلمى يا امرأه و هلمنا و هلمن يا نساء إلا أنهم يفتحون آخر الواحد البتة.

المعنى

لما وصف سبحانه شدة الأمر يوم الخندق قال «هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ» أى اختبروا و امتحنوا ليظهر لك حسن إيمانهم و صبرهم على ما أمرهم الله به من جهاد أعدائه فظهر من كان ثابتا قويا فى الإيمان و من كان ضعيفا فيه «وَ زُلْزَلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا» أى حركوا بالخوف تحريكا شديدا و أزعجوا إزعاجا عظيما و ذلك أن الخائف يكون قلقا مضطربا لا يستقر على مكانه قال الجبائى منهم من اضطرب خوفا على نفسه من القتل و منهم من اضطرب عليه دينه

ص: ١٢٣

«وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» اى شك عن الحسن و قيل ضعف فى الايمان «ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا» قال ابن عباس ان المنافقين قالوا يعدنا محمد ان يفتح مدائن كسرى و قيصر و نحن لا نؤمن ان نذهب الى الخلاء هذا و الله الغرور «وَ إِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ» يعنى عبد الله بن ابي و أصحابه عن السدى و قيل هم بنو سالم من المنافقين عن مقاتل و قيل ان القائل لذلك اوس بن قبطى و من وافقه على رايه عن يزيد بن رومان «يا أَهْمِيلَ يَثْرِبَ لا- مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا» اى لا اقامه لكم هاهنا أو لا مكان لكم تقومون فيه للقتال إذا فتح الميم فارجعوا إلى منازلكم بالمدينه و أرادوا الهرب من عسكر رسول الله ص «وَ يَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ» فى الرجوع إلى المدينه و هم بنو حارثه و بنو سلمه «يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ» ليست بحريره، مكشوفه ليست بحصينه عن ابن عباس و مجاهد و قيل معناه بيوتنا خاليه من الرجال نخشى عليها السراق عن الحسن و قيل قالوا بيوتنا مما يلي العدو و لا نؤمن على أهلينا عن قتاده

فكذبهم الله تعالى فقال «وَ مَا هِيَ بِعَوْرَةٍ» بل هى رفيعه السمك حصينه عن الصادق (عليه السلام)

«إِنْ يُرِيدُونَ» اى ما يريدون «إِلَّا فِرَارًا» و هربا من القتال و نصره المؤمنين «وَ لَوْ دُخِلَتْ» اى و لو دخلت البيوت أو دخلت المدينه «عَلَيْهِمْ» اى و لو دخل هؤلاء الذين يريدون القتال و هم الأحزاب على الذين يقولون ان بيوتنا عوره و هم المنافقون «مِنْ أَقْطَارِهَا» اى من نواحي المدينه أو البيوت «ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا» اى ثم دعوا هؤلاء إلى الشرك لأشركوا فالمراد بالفتنه الشرك عن ابن عباس «وَ مَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا» اى و ما احتبسوا عن الإجابة إلى الكفر إلا قليلا عن قتاده و قيل معناه و ما أقاموا بالمدينه بعد إعطائهم الكفر إلا قليلا حتى يعاجلهم الله بالعذاب عن الحسن و الفراء ثم ذكرهم الله سبحانه عهدهم مع النبي ص بالثبات فى المواطن فقال «وَ لَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ» اى من قبل الخندق «لَا يُؤْلُونَ الْأَذْبَارَ» اى بايعوا النبي ص و حلفوا له أنهم ينصرونه و يدفعون عنه كما يدفعون عن نفوسهم و لا يرجعون عن مقاتله العدو و لا ينهزمون قال مقاتل يريد ليله العقبه «وَ كَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا» يسألون عنهم فى الآخرة و إنما جاء بلفظ الماضى تأكيداً ثم قال سبحانه «قُلْ» يا محمد للذين استأذنونك فى الرجوع و اعتلوا بأن بيوتهم يخاف عليها «لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ» ان كان حضرت آجالكم فإنه لا بد من واحد منهما و إن هربتم فالهرب لا يزيد فى آجالكم «وَ إِذَا لَا تُمَتِّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا» معناه و إن لم تحضر آجالكم و سلمتم من الموت أو القتل فى هذه الوقعه لم تمتعوا فى الدنيا إلا- أياما قلائل و إنما فرق بين الموت و القتل لأن القتل غير الموت فإن الموت ضد الحياه عند من أثبتته معنى و انتفاء الحياه عند من لم يثبتته معنى و القتل هو نقض البنيه الحيوانيه فالقتل يقدر عليه غير

الله تعالى و الموت لا يقدر عليه غيره «قُلْ» يا محمد «مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِي مَكْرَمِ اللَّهِ» أى يدفع عنكم قضاء الله و يمنعكم من الله «إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا» أى عذابا و عقوبه «أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً» أى نصرا و عزا فإن أحدا لا يقدر على ذلك «وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا» يلى أمورهم «وَلَا نَصِيرًا» ينصرهم و يدفع عنهم ثم قال سبحانه «قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ» و هم الذين يعوقون غيرهم عن الجهاد مع رسول الله ص و يشبطونهم و يشغلونهم لينصرفوا عنه و ذلك بأنهم قالوا لهم ما محمد و أصحابه إلا أكله رأس و لو كانوا لحما لالتهمهم أبو سفيان و هؤلاء الأحزاب «وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ» يعنى اليهود قالوا لإخوانهم المنافقين «هَلُمَّ إِلَيْنَا» أى تعالوا و أقبلوا إلينا و دعوا محمدا و قيل القائلون هم المنافقون قالوا لإخوانهم من ضعفه المسلمين لا تحاربوا و خلوا محمدا فإننا نخاف عليكم الهلاك «وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ» أى و لا يحضرون القتال فى سبيل الله «إِلَّا قَلِيلًا» يخرجون رياء و سمعه قدر ما يوهمون أنهم معكم يعلم الله سبحانه أحوالهم لا يخفى عليه شىء منها عن السدى و قيل معناه و لا يحضرون القتال إلا كارهين تكون قلوبهم مع المشركين عن قتاده «أَشْجَحَهُ عَلَيْهِمْ» أى لا- يأتون الناس أشحه عليكم أى بخلاء بالقتال معكم و قيل بخلاء بالنفقة فى سبيل الله و النصره عن قتاده و مجاهد و معناه لا ينصرونكم ثم أخبر عن جنبهم فقال «فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ تَدْوِيرًا أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى» أى كعين الذى يغشى «عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ» و هو الذى قرب من حال الموت و غشيته أسبابه فيذهل و يذهب عقله و يشخص بصره فلا يطرف كذلك هؤلاء تشخص أبصارهم و تحار أعينهم من شدة خوفهم «فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ» و الفزع و جاء الأمن و الغنيمه «سَلَقُواكُمْ بِالْسِّنَةِ حِدَادٍ» أى آذوكم بالكلام و خاصموكم بألسنه سليطه ذربه عن الفراء و قيل معناه بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمه الغنيمه يقولون أعطونا أعطونا فلستم بأحق بها منا عن قتاده قال فأما عند البأس فأجبن قوم و أخذلهم للحق و أما عند الغنيمه فأشح قوم و هو قوله «أَشْجَحَهُ عَلَى الْخَيْرِ» أى بخلاء بالغنيمه يشاحون المؤمنين عند القسمه و قيل معناه بخلاء بأن يتكلموا بكلام فيه خير عن الجبائى «أَوْلَيْكَ» يعنى من تقدم وصفهم «لَمْ يُؤْمِنُوا» كما آمن غيرهم و إلا لما فعلوا ذلك «فَأَخْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ» لأنها لم تقع على الوجوه التى يستحق عليها الثواب إذ لم يقصدوا بها وجه الله تعالى و فى هذا دلالة على صحه مذهبنا فى الإحباط لأن المنافقين ليس لهم ثواب فيحبط فليس إلا أن

جهادهم الذى لم يقارنه إيمان لم يستحقوا عليه ثوابا «وَ كَانَ ذَلِكَ» الإحباط أو كان نفاقهم «عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا» أى هينا ثم وصف سبحانه هؤلاء المنافقين فقال «يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا» أى يظنون أن الجماعات من قريش و غطفان و أسد و اليهود الذين تحزبوا على رسول الله ص لم ينصرفوا و قد انصرفوا و إنما ظنوا ذلك لجبنهم و فرط حبهم قهر المسلمين «وَ إِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ» أى و إن يرجع الأحزاب إليهم ثانياه للقتال «يُودُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَأْذِنُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ» أى يود هؤلاء المنافقون أن يكونوا فى البادية مع الأعراب يسألون عن أخباركم و لا يكونوا معكم حذرا من القتل و تربصا للدوائر «وَ لَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا» أى و لو كان هؤلاء المنافقون معكم و فيكم لم يقاتلوا معكم إلا قدرا يسيرا ليوهموا أنهم فى جملتكم لا لينصروكم و يجاهدوا معكم و قيل معناه قتالا قليلا رياء و سمعه من غير احتساب و لو كان هؤلاء المنافقون معكم و فيكم لم يقاتلوا معكم إلا قدرا يسيرا ليوهموا أنهم فى جملتكم لا لينصروكم و يجاهدوا معكم و قيل معناه قتالا قليلا رياء و سمعه من غير احتساب و لو كان لله تعالى لم يكن قليلا عن الجبائى و مقاتل.

[سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٢١ الى ٢٥]

إشارة

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا (٢١) وَ لَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ صَدَقَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ مَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَ تَسْلِيمًا (٢٢) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ مَا يَدُلُّوا تَبْدِيلًا (٢٣) لِيُجْزَى اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَ يُعَذَّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٤) وَ رَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَسْأَلُوا خَيْرًا وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَ كَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا (٢٥)

قرأ عاصم «أُسْوَةٌ» بضم الألف حيث كان فى جميع القرآن و الباقون بكسر الألف و هما لغتان و معناهما قدوه.

النحب النذر قال بشر بن أبى حازم:

و إنى و الهجاء لآل لام كذات النحب توفى بالنذور

و النحب الموت قال ذو الرمه:

عشيه مر الحارثيون بعد ما قضى نحبه فى ملتقى الخيل هوبر

و هوبر اسم رجل و النحب الخطر قال جرير:

بطخفه جالدنا الملوك و خيلنا عشيه بسطام جرير على نحب

أى على خطر و النحب المد فى السير يوما و ليله.

ثم حث سبحانه على الجهاد و الصبر عليه فقال «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ» معاشر المكلفين «فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» أى قدوه صالحه يقال لى فى فلان أسوه أى لى به اقتداء و الأسوه من الاتساء كما أن القدره من الاقتداء اسم وضع موضع المصدر و المعنى كان لكم برسول الله اقتداء لو اقتديتم به فى نصرته و الصبر معه فى مواطن القتال كما فعل هو يوم أحد إذ انكسرت ربايعيته و شج حاجبه و قتل عمه فواساكم مع ذلك بنفسه فهلاـ فعلتم مثل ما فعله هو و قوله «لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ» بدل من قوله «لَكُمْ» و هو تخصيص بعد العموم للمؤمنين يعنى أن الأسوه برسول الله إنما تكون «لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ» أى يرجو ما عند الله من الثواب و النعيم عن ابن عباس و قيل معناه يخشى الله و يخشى البعث الذى فيه جزاء الأعمال و هو قوله «وَالْيَوْمَ الْآخِرَ» عن مقاتل «وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا» أى ذكرا كثيرا و ذلك أن ذاكر الله متبع لأوامره بخلاف الغافل عن ذكره ثم عاد سبحانه إلى ذكر الأحزاب فقال «وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ

الأحزاب» أى و لما عين المصدقون بالله و رسوله الجماعه التى تحزبت على قتال النبى ص مع كثرتهم «قالوا هذا ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ صَدَقَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ» اختلف فى معناه على قولين (أحدهما) أن النبى ص كان قد أخبرهم أنه يتظاهر عليهم الأحزاب و يقاتلونهم و وعدهم الظفر بهم فلما رأوهم تبين لهم مصداق قوله و كان ذلك معجزا له «وَ ما زادَهُمْ» مشاهده عدوهم «إِلَّا إِيمَانًا» أى تصديقا بالله و رسوله «وَ تَسْلِيمًا» لأمره عن الجبائى (و الآخر) أن الله تعالى وعدهم فى سوره البقره بقوله «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا» إلى قوله «إِنَّ نَصِيرَ اللَّهِ قَرِيبٌ» ما سيكون من الشده التى تلحقهم من عدوهم فلما رأوا الأحزاب يوم الخندق قالوا هذه المقالة علما منهم أنه لا يصيبهم إلا ما أصاب الأنبياء و المؤمنين قبلهم و زادهم كثره المشركين تصديقا و يقينا و ثباتا فى الحرب عن قتاده و غيره «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا ما عَاهَدُوا اللَّهُ عَلَيْهِ» أى بايعوا أن لا يفرؤا فصدقوا فى لقاءهم العدو «فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَجْبَهُ» أى مات أو قتل فى سبيل الله فأدرك ما تمنى فذلك قضاء النحب و قيل قضى نجه معناه فرغ من عمله و رجع إلى ربه يعنى من استشهد يوم أحد عن محمد بن إسحاق و قيل معناه قضى أجله على الوفاء و الصدق عن الحسن و قال ابن قتيبه أصل النحب النذر و كأن قوما نذروا إن يلقوا العدو أن يقاتلوا حتى يقتلوا أو يفتح الله فقتلوا فليل فلان قضى نجه إذا قتل و روى عن أنس بن مالك أن عمه غاب عن قتال بدر فقال غبت عن أول قتال قاتله رسول الله مع المشركين لئن أرانى الله قتالا- للمشركين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون فقال اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعنى المسلمين و أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء يعنى المشركين ثم تقدم فلقية سعد دون أحد فقال أنا معك قال سعد فلم أستطع أن أصنع ما صنع فوجد فيه بضع و ثمانون ما بين ضربه بسيف و طعنه برمح و رميه بسهم كنا نقول فيه و فى أصحابه نزلت «فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَجْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ» رواه البخارى فى الصحيح عن محمد بن سعيد الخزامى عن عبد الأعلى عن حميد بن أنس و قال ابن إسحاق «فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَجْبَهُ» من استشهد يوم بدر و أحد «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ» ما وعد الله من نصره أو شهاده على ما مضى عليه أصحابه «وَ ما بَدَلُوا تَبَدُّلًا» أى ما غيروا العهد الذى عاهدوا ربهم كما غير المنافقون قال ابن عباس «مَنْ قَضَى نَجْبَهُ» حمزه بن عبد المطلب و من قتل معه و أنس بن النضر و أصحابه و قال الكلبي ما بدلوا العهد بالصبر و لا نكثوه بالفرار و

روى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بالإسناد عن عمرو بن ثابت عن أبي إسحاق عن علي (عليه السلام) قال فينا نزلت «رِجَالٌ صَدَقُوا ما عَاهَدُوا اللَّهُ عَلَيْهِ» فأنا و الله المنتظر و ما بدلت تبديلا

«لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ» أى صدق المؤمنون فى عهودهم ليجزيهم الله بصدقهم «وَ يُعَذِّبَ

الْمُنَافِقِينَ» بنقض العهد «إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ» إن تابوا و يكون معناه أنه سبحانه إن شاء قبل توبتهم و أسقط عقابهم و إن شاء لم يقبل توبتهم و عذبهم فإن إسقاط العذاب على المذهب الصحيح بالتوبه تفضل من الله تعالى لا يجب عقلا و إنما علمنا ذلك بالسمع و الإجماع على أن الله سبحانه يفعل ذلك فالآيه قاضيه بما يقتضيه العقل من الحكم و يؤكد ذلك قوله «إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً» لأن المدح إنما يحصل إذا رحم سبحانه من يستحق العقاب و يغفر ما جاز له المؤاخذه به و لا مدح في مغفره و رحمه من يجب عليه غفرانه و رحمته و قيل معناه و يعذب المنافقين بعذاب عاجل في الدنيا إن شاء أو يتوبوا عن الجبائي ثم عاد سبحانه إلى تعداد نعمه فقال «وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا» يعنى الأحزاب أبا سفيان و جنوده و غطفان و من معهم من قبائل العرب «بِعِظِهِمْ» أى بغمهم الذى جاءوا به و حنقهم لم يشفوا بنيل ما أرادوا و «لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا» أملوه و أرادوه من الظفر بالنبي و المؤمنين و إنما سماه خيرا لأن ذلك كان خيرا عندهم و قيل أراد بالخير المال كما فى قوله «وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ» وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ» أى مباشره القتال بما أنزل الله على المشركين من الريح الشديده الباردة التى أزعجتهم عن أماكنهم و بما أرسل من الملائكه و بما قذف فى قلوبهم من الرعب و

قيل بعلى بن أبى طالب (عليه السلام) و قتله عمرو بن عبد ود و كان ذلك سبب هزيمه القوم عن عبد الله بن مسعود و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

«وَ كَانَ اللَّهُ قَوِيًّا» أى قادرا على ما يشاء «عَزِيزًا» لا يمتنع عليه شىء من الأشياء و قيل قويا فى ملكه و سلطانه عزيزا فى قهره و انتقاله.

[سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٢٦ الى ٢٧]

إشاره

وَ أَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَ قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَ تَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَ أَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيَارَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ وَ أَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢٧)

اللغه

المظاهره المعاونه و هى زياده القوه بأن يكون المعاون ظهيرا لصاحبه فى الدفع عنه و الظهير المعين و الصياصى الحصون التى يمتنع بها واحدها صيصيه يقال جذ الله صيصيه فلان أى حصنه الذى يمتنع به و كل ما امتنع به فهو صيصيه و منه يقال لقرون البقر

و الظباء صياصي و يقال أيضا لشوكه الديك و شوكة الحايك صيصيه قال:

"كوقع الصياصي في النسيج الممدد"

. المعنى

ثم ذكر سبحانه ما فعل باليهود من بنى قريظه فقال «وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ» أى عاونوا المشركين من الأحزاب و نقضوا العهد الذى بينهم و بين رسول الله ص أن لا ينصروا عليه عدوا «مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» يعنى من اليهود و اتفق المفسرون على أنهم بنو قريظه إلا الحسن فإنه قال هم بنو النضير و الأول أصح و أليق بسياق الآيات لأن بنى النضير لم يكن لهم فى قتال أهل الأحزاب شىء و كانوا قد انجلوا قبل ذلك «مِنْ صِيَاصِيهِمْ» أى من حصونهم «وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ» أى ألقى فى قلوبهم الخوف من النبى ص و أصحابه المؤمنين «فَرِيقًا تَقْتُلُونَ» منهم يعنى الرجال «وَأَسْرَضُونَ فَرِيقًا» يعنى الذرارى و النساء «وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ» أى و أعطاكم أرضهم «وَأَمْوَالَهُمْ وَ أَرْضاً لَمْ تَطَّوُّهَا» أى و أورثكم أرضا لم تطئوها بأقدامكم بعد و سيفتحها الله عليكم و هى خيبر فتحها الله عليهم بعد بنى قريظه عن ابن زيد و يزيد بن رومان و مقاتل و قيل هى مكه عن قتاده و قيل هى الروم و فارس عن الحسن و قيل هى كل أرض تفتح إلى يوم القيامة عن عكرمه و قيل هى ما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف عليه بخيل و لا ركاب عن أبى مسلم «وَأَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ظاهر المعنى.

[القصة]

روى الزهرى عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال لما انصرف النبى ص مع المسلمين عن الخندق و وضع عنه اللأمة و اغتسل و استحتم تبدى له جبرائيل (عليه السلام) فقال عذيرك من محارب ألا أراك قد وضعت عنك اللأمة و ما وضعناها بعد فوثب رسول الله ص فرعا فعزم على الناس أن لا يصلوا صلاة العصر حتى يأتوا قريظه فلبس الناس السلاح فلم يأتوا بنو قريظه حتى غربت الشمس و اختصم الناس فقال بعضهم إن رسول الله ص عزم علينا أن لا نصلى حتى نأتى قريظه فإنما نحن فى عزمه رسول الله فليس علينا إثم و صلى طائفه من الناس احتسابا و تركت طائفه منهم الصلاة حتى غربت الشمس فصلوها حين جاءوا بنى قريظه احتسابا فلم يعنف رسول الله ص واحدا من الفريقين

ص: ١٣٠

و ذكر عروه أنه بعث على بن أبي طالب (عليه السلام) على المقدم و دفع إليه اللواء و أمره أن ينطلق حتى يقف بهم على حصن بنى قريظه ففعل و خرج رسول الله ص على آثارهم فمر على مجلس من الأنصار فى بنى غنم ينتظرون رسول الله ص فرعموا أنه قال مر بكم الفارس آنفا فقالوا مر بنا دحيه الكلبى على بغله شهاء تحته قطيفه ديباج فقال رسول الله ص ليس ذلك بدحيه و لكنه جبرائيل (عليه السلام) أرسل إلى بنى قريظه ليزلزلهم و يقذف فى قلوبهم الرعب قالوا و سار على (عليه السلام) حتى إذا دنا من الحصن سمع منهم مقالة قبيحه لرسول الله ص فرجع حتى لقي رسول الله ص بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث قال أظنك سمعت لى منهم أذى فقال نعم يا رسول الله فقال لو قد رأونى لم يقولوا من ذلك شيئا فلما دنا رسول الله ص من حصونهم قال يا إخوه القرده و الخنازير هل أخزاكم الله و أنزل بكم نقمته فقالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولا و حاصرهم رسول الله ص خمسا و عشرين ليله حتى أجهدهم الحصار و قذف الله فى قلوبهم الرعب و كان حيبى بن أخطب دخل مع بنى قريظه فى حصنهم حين رجعت قريش و غطفان فلما أيقنوا أن رسول الله ص غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون و أنى عارض عليكم خللا ثلاثا فخذوا أيها شئتم قالوا ما هن قال نبايع هذا الرجل و نصدقه فو الله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل و أنه الذى تجدونه فى كتابكم فتأمنوا على دمائكم و أموالكم و نساءكم فقالوا لا نفارق حكم التوراه أبدا و لا نستبدل به غيره قال فإذا أبيتى على هذا فهلموا فلنقتل أبناءنا و نساءنا ثم نخرج إلى محمد رجلا مصلتين بالسيوف و لم نترك وراءنا ثقلا يهمننا حتى يحكم الله بيننا و بين محمد فإن نهلك نهلك و لم نترك وراءنا نسلا يهمننا و إن نظهر لنجدن النساء و الأبناء فقالوا نقتل هؤلاء المساكين فما خير فى العيش بعدهم قال فإذا أبيتى على هذه فإن الليله ليله السبت و عسى أن يكون محمد و أصحابه قد أمنوا فيها فانزلوا فعلنا نصيب منهم غره فقالوا نفسد سبتنا و نحدث فيها ما أحدث من كان قبلنا فأصابهم ما قد علمت من المسخ فقال ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليله واحده من الدهر حازما قال الزهرى و قال رسول الله ص حين سأله أن يحكم فيهم رجلا اختاروا من شئتم من أصحابى فاختاروا سعد بن معاذ فرضى بذلك رسول الله ص فنزلوا على حكم سعد بن معاذ فأمر رسول الله ص بسلاحهم فجعل فى قبته و أمر بهم فكتفوا و أوثقوا و جعلوا فى دار أسامه و بعث رسول الله ص إلى سعد بن معاذ فجىء به فحكم فيهم بأن يقتل مقاتليهم و تسبى ذراريهم و نساؤهم و تغنم أموالهم و أن عقارهم للمهاجرين دون الأنصار و قال للأنصار إنكم ذوو عقار و ليس للمهاجرين عقار فكبر رسول الله و قال لسعد لقد حكمت فيهم بحكم الله عز و جل و فى بعض الروايات لقد حكمت فيهم

بحكم الله من فوق سبعة أرقعه و أرقعه جمع رقيع اسم سماء الدنيا فقتل رسول الله ص مقاتليهم و كانوا فيما زعموا ست مائه مقاتل و قيل قتل منهم أربع مائه و خمسين رجلا و سبى سبعمائه و خمسين و روى أنهم قالوا لكعب بن أسد و هم يذهب بهم إلى رسول الله ص إرسالا يا كعب ما ترى يصنع بنا فقال كعب أ في كل موطن تقولون ألا ترون أن الداعي لا ينزع و من يذهب منكم لا- يرجع هو و الله القتل و أتى بحبي بن أخطب عدو الله عليه حله فاخيه قد شقها عليه من كل ناحيه كموضع الأنمله لثلا يسلبها مجموعه يدها إلى عنقه بحبل فلما بصر برسول الله ص فقال أما و الله ما لمت نفسي على عداوتك و لكنه من يخذل الله يخذل ثم قال أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله كتاب الله و قدره ملحمة كتبت على بنى إسرائيل ثم جلس فضرب عنقه ثم قسم رسول الله ص نساءهم و أبناءهم و أموالهم على المسلمين و بعث بسبايا منهم إلى نجد مع سعد بن زيد الأنصاري فابتاع بهم خيلا و سلاحا قالوا فلما انقضى شأن بنى قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ فرجعه رسول الله ص إلى خيمته التي ضربت عليه في المسجد

و

روى عن جابر بن عبد الله قال جاء جبرائيل (عليه السلام) إلى رسول الله ص فقال من هذا العبد الصالح الذي مات فتحت له أبواب السماء و تحرك له العرش فخرج رسول الله ص فإذا سعد بن معاذ قد قبض.

[سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٢٨ الى ٣١]

إشارة

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ زِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمْتَعِكُنَّ وَ أُسْرِحْكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٨) وَ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ
اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ
لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) وَ مَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَ أَعْتَدْنَا
لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١)

القرءاء

قرأ ابن كثير و ابن عامر نضعف بالنون و التشديد العذاب بالنصب و قرأ أبو

ص: ١٣٢

جعفر و أهل البصره يضعف بالياء و التشديد «الْعِيَذَابُ» بالرفع و الباقون «يُضَاعَفُ» بالياء و الألف و فتح العين و قرأ أهل الكوفه غير عاصم «وَمَنْ يَقْنُتْ» و يعمل صالحا يؤتها الجميع بالياء و قرأ روح و زيد من تأت و من تقنت و «تَعْمَلُ» كلها بالياء «نُؤْتِهَا» بالنون و الباقون «مَنْ يَأْتِ» و «مَنْ يَقْنُتْ» بالياء و «تَعْمَلُ» بالياء و «نُؤْتِهَا» بالنون.

الحجه

قال أبو علي ضاعف و ضعف بمعنى فمن لم يسم الفاعل أسند الفعل إلى العذاب و من قرأ بكسر العين فالفعل مسند إلى ضمير اسم الله تعالى و معنى «يُضَاعَفُ لَهَا الْعِيَذَابُ ضِعْفَيْنِ» أنها لما تشاهد من الزواجر الرادعه عن مواقعه الذنوب ينبغى أن يمتنع منها أكثر مما يمتنع من لا يشاهد ذلك و قال «يُضَاعَفُ لَهَا الْعِيَذَابُ» فعاد الضمير إلى معنى من دون لفظه و لو عاد على لفظه لذكره و من قرأ «يَقْنُتْ» بالياء فلان الفعل مسند إلى ضمير من و لم يتبين فاعل الفعل بعد فلما ذكر ما دل على أن الفعل لمؤنث حمل على المعنى فأنث و كذلك قوله مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ثُمَّ قَالَ وَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ و من قرأ كل ذلك بالياء فإنه حمل على اللفظ دون المعنى و من قرأ من تأت بالياء حمل على المعنى فكأنه قال أيه امرأه منكن أتت بفاحشه أو تأت بفاحشه و مثله فى الكلام كثير للبيان كقوله سبحانه وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ و قول الفرزدق:

تعش فإن عاهدتنى لا تخوننى نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

أى مثل اللذين يصطحبان قال ابن جنى أن تكون من هنا على الصلّه أولى من أن تكون على الصفه.

اللغه

الضعف مثل الشىء الذى يضم إليه يقال ضاعفته أى زدت عليه مثله و منه الضعف و هو نقصان القوه بأن يذهب أحد ضعفيها فهو ذهاب ضعف القوه.

النزول

قال المفسرون إن أزواج النبی ص سأله شيئا من عرض الدنيا و طلبن منه زياده فى النفقه و آذينه لغيره بعضهن على بعض فألى رسول الله ص منهن شهرا فنزلت آيه التخيير و هو قوله «قُلْ لِأَزْوَاجِكُمْ» و كن يومئذ تسعا عائشه و حفصه و أم حبيبه بنت أبى سفيان و سوده بنت زمعه و أم سلمه بنت أبى أميه فهؤلاء من قريش و صفيه بنت حبي الخيبريه و ميمونه بنت

الحارث الهلاليه و زينب بنت جحش الأسديه و جويره بنت الحارث المصطلقيه و

روى الواحدى بالإسناد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله ص جالسا مع حفصه فتشاجرا بينهما فقال لها هل لك أن أجعل بينى وبينك رجلا قالت نعم فأرسل إلى عمر فلما أن دخل عليهما قال لها تكلمى فقالت يا رسول الله تكلم و لا تقل إلا حقا فرفع عمر يده فوجأ وجهها ثم رفع يده فوجأ وجهها فقال له النبى ص كف فقال عمر يا عدوه الله النبى لا يقول إلا حقا و الذى بعته بالحق لو لا مجلسه ما رفعت يدى حتى تموتى فقام النبى ص فصعد إلى غرفه فمكث فيها شهرا لا يقرب شيئا من نسائه يتغدى و يتعشى فيها فأنزل الله تعالى هذه الآيات.

المعنى

ثم عاد سبحانه إلى ذكر نساء النبى ص فقال مخاطبا لنبيه ص أمرا له أن يخير أزواجه فقال «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ زِينَتَهَا» أى سعه العيش فى الدنيا و كثره المال «فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ» أى أعطكن متعه الطلاق و قد مر بيانها فى سورة البقره و قيل أمتعنك بتوفير المهر «وَ أُسِرِّرَّحُكُنَّ» أى أطلقكن «سِرَاحًا جَمِيلًا» و السراح الجميل الطلاق من غير خصومه و لا مشاجره بين الزوجين «وَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الدَّارَ الآخِرَةَ» أى و إن أردتن طاعه الله و طاعه رسوله و الصبر على ضيق العيش و الجنه «فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَىٰ لِلْمُحْسِنَاتِ» أى العارفات المريدات الإحسان المطيعات له «مِنْ كُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا» و اختلف فى هذا التخيير فقيل إنه خيرهن بين الدنيا و الآخره فإن هن اخترن الدنيا و محبتها استأنف حينئذ طلاقهن بقوله «أُمَتِّعَنَّ وَ أُسِرِّرَّحُكُنَّ سِرَاحًا جَمِيلًا» عن الحسن و قيل خيرهن بين الطلاق و المقام معه عن مجاهد و الشعبى و جماعه من المفسرين و اختلف العلماء فى حكم التخيير على أقوال (أحدها) أن الرجل إذا خير امرأته فاخترت زوجها فلا شىء و إن اختارت نفسها تقع تطليقه واحده و هو قول عمر بن الخطاب و ابن مسعود و إليه ذهب أبو حنيفه و أصحابه (و ثانيها) أنه إذا اختارت نفسها تقع ثلاث تطليقات و إن اختارت زوجها تقع واحده و هو قول زيد بن ثابت و إليه ذهب مالك (و ثالثها) أنه إن نوى الطلاق كان طلاقا و إلا فلا و هو مذهب الشافعى (و رابعها)

أنه لا يقع بالتخيير طلاق و إنما كان ذلك للنبى ص خاصه و لو اخترن أنفسهن لما خيرهن لبن منه فأما غيره فلا يجوز له ذلك و هو المروى عن أئمتنا (عليه السلام)

ثم خاطب سبحانه نساء النبى ص فقال «يا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ» أى بمعصيه ظاهره «يُضَاعَفْ لَهَا الْعِذَابُ» فى الآخره «ضِعْفَيْنِ» أى مثلى ما يكون على غيرهن و ذلك لأن نعم الله سبحانه عليهن أكثر لمكان النبى ص منهن و لنزول الوحي فى بيوتهن فإذا كانت النعمه عليهن أعظم و أوفر كانت المعصيه منهن أفحش و العقوبه بها أعظم و أكثر و قال أبو عبيده الضعفان أن يجعل الواحد ثلاثه فيكون عليهن ثلاثه حدود لأن ضعف

الواحد مثله و ضعفى الشىء مثلاه و قال غيره المراد بالضعف المثل فالمعنى أنها يزداد فى عذابها ضعف كما زيد فى ثوابها ضعف فى قوله «نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ» (وَ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) أى كان عذابها على الله هينا عن مقاتل «وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكَ لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ» أى و من يطع الله و رسوله و القنوت الطاعة و قيل معناه من يواظب منكن على الطاعة لله و لرسوله و منه القنوت فى الصلاة و هو المداومه على الدعاء المعروف «وَ تَعْمَلُ صَالِحًا» فيما بينها و بين ربها «نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ» أى نُؤْتِهَا ثَوَابَهَا مِثْلَى ثَوَابِهَا وَ روى أبو حمزه الثمالى عن زيد بن على (عليه السلام) أنه قال إني لأرجو للمحسن منا أجرين و أخاف على المسيء منا أن يضاعف له العذاب ضعفين كما وعد أزواج النبي ص و

روى محمد بن أبى عمير عن إبراهيم ابن عبد الحميد عن على بن عبد الله بن الحسين عن أبيه عن على بن الحسين زين العابدين أنه قال له رجل إنكم أهل بيت مغفور لكم قال فغضب و قال نحن أحرى أن يجرى فينا ما أجرى الله فى أزواج النبي ص من أن نكون كما تقول إنا نرى لمحسنا ضعفين من الأجر و لمسيئنا ضعفين من العذاب ثم قرأ الآيتين

«وَ أَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا» أى عظيم القدر رفيع الخيار و قيل إن الرزق الكريم ما سلم من كل آفة و قيل هو الثواب الذى لا يحسن الابتداء بمثله.

[سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٣٢ الى ٣٥]

إشارة

يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسِيْمُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَ قُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٢) وَ قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَ لَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَ أَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَ آتِينَ الزَّكَاةَ وَ اطَّعْنَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ إِنْما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣) وَ اذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَ الْحِكْمَةِ إِنْ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤) إِنْ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِمَاتِ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ الْقَانِتِينَ وَ الْقَانِتَاتِ وَ الصَّادِقِينَ وَ الصَّادِقَاتِ وَ الصَّابِرِينَ وَ الصَّابِرَاتِ وَ الْخَاشِعِينَ وَ الْخَاشِعَاتِ وَ الْمُتَصَدِّقِينَ وَ الْمُتَصَدِّقَاتِ وَ الصَّائِمِينَ وَ الصَّائِمَاتِ وَ الْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَ الْحَافِظَاتِ وَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَ الذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْرًا عَظِيمًا (٣٥)

القراءه

قرأ أهل المدينه و عاصم «وَقَرْنَ» بفتح القاف و قرأ الباقون و هبیره عن حفص عن عاصم و قرن بكسر القاف و فى الشواذ قراءه الأعرج و أبان بن عثمان فيطمع الذى بكسر العين.

الحجه

قال أبو على قوله و قرن لا- يخلو إما أن يكون من القرار أو من الوقار فإن كان من الوقار فهو مثل عدن و كلن مما يحذف فيه الفاء و هى واو فيبقى من الكلمه علقن و إن كان من القرار فيكون الأمر اقرن فيبدل من العين الياء كراهه التضعيف كما أبدل فى قيراط و دينار فيصير لها حركه الحرف المبدل منه ثم تلقى الحركه على الفاء فتسقط همزه الوصل لتحرك ما بعدها فتقول قرن لأن حركه الرء كانت كسره فى تقرأ لا ترى أن القاف متحرك بها و أما من فتح فقال قرن فمن لم يجز قررت بالمكان أقر و إنما يقول قررت أقر فإن فتح الفاء عنده لا يجوز و من أجاز ذلك جاز على قوله «قَرْنَ» كما جاز قرن و هى لغه حكاه الكسائى و قال أبو عثمان يقال قررت به عينا أقر و لا- يقال قررت فى هذا المعنى و قررت فى المكان فأنا أقر فيه يقال قررت فى هذا المعنى و من قرأ فيطمع الذى بالكسر فهو معطوف على «فَلَا تَخْضَعَنَّ» أى فلا يطمع الذى فى قلبه مرض فكلاهما منهى عنه إلا أن النصب أقوى لأنه يكون بمعنى أن طمعه مسبب عن خضوعهن بالقول و إذا كان عطفاً كان نهياً لهن و له و ليس فيه دليل على أن الطمع واقع من أجلهن.

اللغه

التبرج إظهار المرأه محاسنها مأخوذ من البرج و هو السعه فى العين و طعنه برجاء واسع و فى أسنانه برج إذا تفرق ما بينها.

الإعراب

قوله «لِيُذْهِبَ» اللام يتعلق بمحذوف تقديره و إرادته ليذهب و يجوز أن يتعلق بيريد. «أَهْلَ الْبَيْتِ» منصوب على المدح تقديره أعنى أهل البيت و يجوز أن يكون منادى مضافاً و يجوز فى العريه جر اللام و رفعها فالجر على أن يكون بدلاً من كم و الرفع

المعنى

ثم أظهر سبحانه فضيلتهن على سائر النسوان بقوله «يا نساء النبي لشيئن كآحد من النساء» قال الزجاج لم يقل كواحدة من النساء لأن أحدا للنفي العام وقال ابن عباس معناه ليس قدركن عندى كقدر غيركن من النساء الصالحات أنتن أكرم على فأنا بكن أرحم و ثوابكن أعظم لمكانكن من رسول الله ص «إِنَّ اتَّقِيْتَنَّ» الله شرط عليهن التقوى ليبين سبحانه أن فضيلتهن بالتقوى لا باتصالهن بالنبي ص «فلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ» أى لا ترفقن القول ولا تلن الكلام للرجال ولا تخاطبن الأجانب مخاطبه تؤدي إلى طمعهم فتكن كما تفعل المرأة التي تظهر الرغبة فى الرجال «فَيَطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ» أى نفاق و فجور عن قتاده و قيل من فى قلبه شهوه للزنا عن عكرمه و قيل أن المرأة مندوبه إذا خاطبت الأجانب إلى الغلظه فى مقاله لأن ذلك أبعد من الطمع فى الريبه «وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا» أى مستقيما جميلا- بريئا من التهمه بعيدا من الريبه موافقا للدين و الإسلام «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ» أمرهن بالاستقرار فى بيوتهن و المعنى اثبتن فى منازلكن و الزمنها و إن كان من وقر يقر فمعناه كن أهل و قار و سكينه «وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى» أى لا تخرجن على عادته النساء اللاتي فى الجاهليه و لا تظهرن زيتكن كما كن يظهرن ذلك و قيل التبرج التبخر و التكبر فى المشى عن قتاده و مجاهد و قيل هو أن تلقى الخمار على رأسها و لا تشده فتوارى قلائدها و قرطيهها فيبدو ذلك منها عن مقاتل و المراد بالجاهليه الأولى ما كان قبل الإسلام عن قتاده و قيل ما كان بين آدم (عليه السلام) و نوح (عليه السلام) ثمان مائه سنه عن الحكم و قيل ما بين عيسى و محمد عن الشعبي قال و هذا لا يقتضى أن يكون بعدها جاهليه فى الإسلام لأن الأول اسم للسابق تأخر عنه غيره أو لم يتأخر و قيل أن معنى «تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى» أنهم كانوا يجوزون أن تجمع امرأه واحده زوجا و خلا فتجعل لزوجها نصفها الأسفل و لخلها نصفها الأعلى يقبلها و يعانقها ثم قال «وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ» أى أدينها فى أوقاتها بشرائطها «وَآتَيْنَ الزَّكَاةَ» المفروضه فى أموالكن «وَاطَّعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» فيما يأمرانكن به و ينهانكن عنه ثم قال عز و جل «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» قال ابن عباس الرجس عمل الشيطان و ما ليس لله فيه رضى و البيت التعريف فيه للعهد و المراد به بيت النبوه و رساله و العرب تسمى ما يلتجأ إليه بيتا و لهذا سمو الأنساب بيوتا و قالوا بيوتات العرب يريدون النسب قال:

ألا يا بيت بالعلياء بيت و لو لا حب أهلك ما أتيت

ألا يا بيت أهلك أوعدونى كأنى كل ذنبهم جنيت

يريد بيت النسب و بيت النبوه و الرساله كبيت النسب قال الفرزدق:

بيت زراره محتب بفنائيه و مجاشع و أبو الفوارس نهشل

لا يحتبى بفناء بيتك مثلهم أبدا إذا عد الأكمل.

و قيل البيت بيت الحرام و أهله هم المتقون على الإطلاق لقوله *إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ* و قيل البيت مسجد رسول الله ص و أهله من مكنه رسول الله ص فيه و لم يخرججه و لم يسد بابه و قد اتفقت الأئمه بأجمعها على أن المراد بأهل البيت فى الآيه أهل بيت نبينا ص ثم اختلفوا فقال عكرمه أراد أزواج النبى لأن أول الآيه متوجه إليهن و قال أبو سعيد الخدرى و أنس بن مالك و وائله بن الأسقع و عائشه و أم سلمه أن الآيه مختصه برسول الله ص و على و فاطمه و الحسن و الحسين ع

ذكر أبو حمزه الثمالى فى تفسيره حدثنى شهر بن حوشب عن أم سلمه قالت جاءت فاطمه (عليه السلام) إلى النبى ص تحمل حريره لها فقال ادعى زوجك و ابنيك فجاءت بهم فطعموا ثم ألقى عليهم كساء له خبيريا فقال اللهم هؤلاء أهل بيتى و عترتى فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا فقلت يا رسول الله و أنا معهم قال أنت إلى خير

و

روى الثعلبى فى تفسيره أيضا بالإسناد عن أم سلمه أن النبى ص كان فى بيتها فأته فاطمه (عليه السلام) ببرمه فيها حريره فقال لها ادعى زوجك و ابنيك فذكرت الحديث نحو ذلك ثم قالت فأنزل الله تعالى *«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ»* الآية قالت فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم أخرج يده فألوى يده بها إلى السماء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتى و حامتى فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا فأدخلت رأسى البيت و قلت و أنا معكم يا رسول الله قال إنك إلى خير أنك إلى خير

و بإسناده قال مجمع دخلت مع أمى على عائشه فسألته أمى أ رأيت خروجك يوم الجمل قالت أنه كان قدرا من الله فسألته عن على (عليه السلام) فقالت تسألينى عن أحب الناس كان إلى رسول الله ص و زوج أحب الناس كان إلى رسول الله ص

لقد رأيت عليا و فاطمه و حسنا و حسينا (عليه السلام) و جمع رسول الله ص بثوب عليهم ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتى و حامتى فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا قالت فقلت يا رسول الله أنا من أهلك قال تنحى فإنك إلى خير

و

بإسناده عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ص قال نزلت هذه الآية فى خمسة فى و فى على و حسن و حسين و فاطمه (عليه السلام)

و

أخبرنا السيد أبو الحمد قال حدثنا الحاكم أبو القاسم الحسكاني قال حدثونا عن أبي

ص: ١٣٨

بكر السبيعي قال حدثنا أبو عروه الحراني قال حدثنا ابن مصغى قال حدثنا عبد الرحيم بن واقد عن أيوب بن سيار عن محمد بن المنكدر عن جابر قال نزلت هذه الآية على النبي ص و ليست فى البيت إلا فاطمه و الحسن و الحسين (عليه السلام) و على (عليه السلام) «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ» فقال النبي ص اللهم هؤلاء أهلى

و

حدثنا السيد أبو الحمد قال حدثنا الحاكم أبو القاسم بإسناده عن زاذان عن الحسن بن على (عليه السلام) قال لما نزلت آية التطهير جمعنا رسول الله ص و إياه فى كساء لأم سلمه خيبرى ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتى و عترتى

و الروايات فى هذا كثيره من طريق العامه و الخاصه لو قصدنا إلى إيرادها لطال الكتاب و فيما أوردناه كفايه و استدلت الشيعة على اختصاص الآية بهؤلاء الخمسه (عليه السلام) بأن قالوا إن لفظه إنما محققه لما أثبت بعدها، نافية لما لم يثبت فإن قول القائل إنما لك عندى درهم و إنما فى الدار زيد يقتضى أنه ليس عنده سوى الدرهم و ليس فى الدار سوى زيد و إذا تقرر هذا فلا تخلو الإرادة فى الآية أن تكون هى الإرادة المحضه أو الإرادة التى يتبعها التطهير و إذهاب الرجس و لا يجوز الوجه الأول لأن الله تعالى قد أراد من كل مكلف هذه الإرادة المطلقة فلا اختصاص لها بأهل البيت دون سائر الخلق و لأن هذا القول يقتضى المدح و التعظيم لهم بغير شك و شبهه و لا مدح فى الإرادة المجردة فثبت الوجه الثانى و فى ثبوته ثبوت عصمه المعنيين بالآيه من جميع القبائح و قد علمنا أن من عدا من ذكرناه من أهل البيت غير مقطوع على عصمته فثبت أن الآية مختصه بهم لبطان تعلقها بغيرهم و متى قيل أن صدر الآية و ما بعدها فى الأزواج فالقول فيه أن هذا لا ينكره من عرف عادة الفصحاء فى كلامهم فإنهم يذهبون من خطاب إلى غيره و يعودون إليه و القرآن من ذلك مملوء و كذلك كلام العرب و أشعارهم ثم عاد سبحانه إلى ذكر الأزواج فقال «وَ اذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَ الْحِكْمَةِ» معناه و اشكرن الله تعالى إذ صيركن فى بيوت يتلى فيها القرآن و السنه عن قتاده و قيل اذكرن أى احفظن ذلك و ليكن منكن على بال أبدا لتعملن بموجبه و هذا حث لهن على حفظ القرآن و الأخبار و مذاكرتهن بهما و الخطاب و إن اختص بهن فغيرهن يشاركن فيه لأن بناء الشريعة على القرآن و السنه «إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا» بأوليائه «خَيْرًا» بجميع خلقه و قيل لطيفا فى تدبير خلقه و إيصال المنافع إليهم خيرا بما يكون منهم و مصالحهم و مفاسدهم فإمرهم بفعل ما فيه صلاحهم و اجتناب ما فيه فسادهم

قال مقاتل بن حيان لما رجعت أسماء بنت عميس من الحبشه مع زوجها جعفر بن أبى طالب (عليه السلام) دخلت على نساء رسول الله ص فقالت هل نزل فىنا شىء من القرآن قلن لا فأتت رسول الله ص فقالت يا رسول الله إن النساء لفى خيبه و خسار فقال ص و مم ذلك قالت لأنهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال فأنزل الله تعالى هذه

ص: ١٣٩

«إِنَّ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ» أى المخلصين الطاعة لله و المخلصات من قوله و رجلا- سلما لرجل أى خالصا و قيل معناه إن الداخلين فى الإسلام من الرجال و النساء و قيل يعنى المستسلمين لأوامر الله و المنقادين له من الرجال و النساء «وَالْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ» أى و المصدقين بالتوحيد و المصدقات و الإسلام و الإيمان واحد عند أكثر المفسرين و إنما كرر لاختلاف اللفظين و قيل إنهما مختلفان فالإسلام الإقرار باللسان و الإيمان التصديق بالقلب و يعضده قوله قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَ قيل الإسلام هو اسم الدين و الإيمان التصديق به

قال البلخي فسر رسول الله ص المسلم و المؤمن بقوله المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده و المؤمن من أمن جاره بوائقه و ما آمن بى من بات شبعا و جاره طاو

«وَالْقَانِتِينَ وَ الْقَانِتَاتِ» يعنى الدائمين على الأعمال الصالحات و الدائمات و قيل يعنى الداعين و الداعيات «وَالصَّادِقِينَ» فى إيمانهم و فيما ساءهم و سرهم «وَالصَّادِقَاتِ وَ الصَّابِرِينَ» على طاعة الله و على ما ابتلاهم الله به «وَالصَّابِرَاتِ وَ الْخَاشِعِينَ» أى المتواضعين الخاضعين لله تعالى «وَالْخَاشِعَاتِ» و قيل معناه و الخائفين و الخائفات «وَالْمُتَصِّدِّقِينَ» أى المخرجين الصدقات و الزكوات «وَالْمُتَصِّدِّقَاتِ وَ الصَّائِمِينَ» لله تعالى بنيه صادقه «وَالصَّائِمَاتِ وَ الْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ» من الزنا و ارتكاب الفجور «وَالْحَافِظَاتِ» فوجهن فحذف لدلاله الكلام عليه «وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَ الذَّاكِرَاتِ» الله كثيرا و حذف أيضا للدلاله عليه «أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ» أى لهؤلاء الموصوفين بهذه الصفات و الخصال «مَغْفِرَةً» لذنوبهم «وَ أَجْرًا عَظِيمًا» فى الآخرة و

روى أبو سعيد الخدرى عن النبى ص قال إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فتوضئا و صليا كتبا من الذاكرين الله كثيرا و الذاكرات

و قال مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائما و قاعدا و مضطجعا و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال من بات على تسبيح فاطمه (عليه السلام) كان من الذاكرين الله كثيرا و الذاكرات.

[سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٣٦ الى ٤٠]

إشاره

وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (٣٦) وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ وَ تُخْفَى فِى نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطْرًا وَ زَوَّجْنَاكَهَا لَكِنِ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِى أَزْوَاجٍ أَدْعِيَاهُمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطْرًا وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٣٧) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سِنَّةَ اللَّهِ فِى الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا (٣٨) الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَ كَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (٣٩) مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَ لَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَ كَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠)

قرأ أهل الكوفه و هشام «أَنَّ يَكُونَنَّ» بالياء و الباقون بالتاء و قرأ عاصم وحده «وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ» بفتح التاء و الباقون بكسرها.

الحججه

قال أبو على التذكير و التأنيث حسان و هذه الآيه تدل على أن ما فى قوله يَخْلُقُ ما يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ ما كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ نفى و ليست بموصوله و من كسر التاء من خاتم فإنه ختمهم فهو خاتمهم و من فتح التاء فمعناه آخر النبيين لا نبى بعده قال الحسن خاتم الذى ختم به قال المبرد خاتم فعل ماض على فاعل و هو فى معنى ختم النبيين و نصب النبيين على هذا الوجه بأنه مفعول به و فى حرف عبد الله و لكن نبيا و ختم النبيين.

اللغه

قال الزجاج الخيره التخيير و قال على بن عيسى الخيره إرادته اختيار الشىء على غيره و الوطر الإرب و الحاجه و قضاء الشهوه قال:

و كيف ثوائى فى المدينه بعد ما قضى وطرا منها جميل بن معمر

قال الخليل الوطر كل حاجه يكون لك فيها همه فإذا بلغها البالغ قيل قد قضى وطره و أربه.

الإعراب

«سُنَّهَ اللَّهِ» منصوب على المصدر تقديره سن الله له سنه. «الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ» يجوز أن يكون رفعا على المدح تقديره هم الذين يبلغون رسالات الله و يجوز أن يكون نصبا على أعنى الذين. «وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ» تقديره ولكن كان رسول الله و كان خاتم النبيين و لو قرئ رسول الله و خاتم النبيين بالرفع لجاز أى و لكن هو رسول الله و خاتم النبيين.

النزول

نزلت فى زينب بنت جحش الأسديه و كانت بنت أميمه بنت عبد المطلب عمه رسول الله ص فخطبها رسول الله ص على مولاه زيد بن حارثه و رأت أنه يخطبها على نفسه فلما علمت أنه يخطبها على زيد أبت و أنكرت و قالت أنا ابنه عمتك فلم أكن لأفعل و كذلك قال أخوها عبد الله بن جحش فنزل «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ» الآية يعنى عبد الله بن جحش و أخته زينب فلما نزلت الآية قالت رضيت يا رسول الله و جعلت أمرها بيد رسول الله ص و كذلك أخوها فأنكحها رسول الله ص زيدا فدخل بها و ساق إليها رسول الله ص عشره دنانير و ستين درهما مهرا و خمارا و ملحفه و درعا و إزارا و خمسين مدا من طعام و ثلاثين صاعا من تمر عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و قالت زينب خطبنى عده من قريش فبعثت أختى حمه بنت جحش إلى رسول الله ص أستشيريه فأشار بزيد فغضبت أختى و قالت تزوج بنت عمتك مولاك ثم أعلمتنى فغضبت أشد من غضبها فنزلت الآية فأرسلت إلى رسول الله ص و قلت زوجنى ممن شئت فزوجنى من زيد و قيل نزلت فى أم كلثوم بنت عقبه بن أبى معيط و كانت وهبت نفسها للنبي ص فقال قد قبلت و زوجها زيد بن حارثه فسخطت هى و أخوها و قالوا إنما أردنا رسول الله ص فزوجنا عبده فنزلت الآية عن ابن زيد و

ذكر على بن إبراهيم فى تفسيره أن رسول الله ص كان شديد الحب لزيد و كان إذا أبطأ عليه زيد أتى منزله فيسأل عنه فأبطأ عليه يوما فأتى رسول الله ص منزله فإذا زينب جالسه وسط حجرتها تسحق طيبا بفهر لها قال فدفع رسول الله ص الباب فلما نظر إليها قال سبحان الله خالق النور تبارك الله أحسن الخالقين و رجع فجاء زيد و أخبرته زينب بما كان فقال لها لعلك وقعت فى قلب رسول الله ص فهل لك أن أطلقك حتى يتزوجك رسول الله ص فقالت أخشى إن تطلقنى و لا يتزوجنى فجاء زيد إلى رسول الله ص تمام القصة فنزلت الآية

«وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ» الآية.

لما تقدم ذكر نساء النبي ص عقبه سبحانه بذكر زيد و زوجته فقال «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَيْ إِذَا أَوْجَبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ «أَمْرًا» وَأَلْزَمَاهُ وَحَكْمًا بِهِ «أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ» أَيْ الْإِخْتِيَارُ «مِنْ أَمْرِهِمْ» عَلَى إِخْتِيَارِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْمَعْنَى أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ أَوْ حَكَمَ بِهِ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مَخَالَفَتَهُ وَتَرَكَ مَا أَمَرَ بِهِ إِلَى غَيْرِهِ «وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» فِيمَا يَخْتَارَانِ لَهُ «فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا» أَيْ ذَهَبَ عَنِ الْحَقِّ ذَهَابًا ظَاهِرًا ثُمَّ خَاطَبَ النَّبِيُّ ص فَقَالَ «وَإِذْ تَقُولُ» أَيْ وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ حِينَ تَقُولُ «لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ» بِالْهِدَايَةِ إِلَى الْإِيمَانِ «وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ» بِالْعِتْقِ وَقِيلَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِمُحِبَّةِ رَسُولِهِ وَأَنْعَمَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ بِالتَّبْنِي عَنِ السُّدَى وَالثُّورَى وَهُوَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ «أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ» يَعْنِي زَوْجَكَ زَيْنَبَ تَقُولُ احْبِسْهَا وَلَا تَطْلُقْهَا وَهَذَا الْكَلَامُ يَقْتَضِي مَشَاجِرَهُ جَرَتْ بَيْنَهُمَا حَتَّى وَعَظَهُ الرَّسُولُ وَقَالَ لَهُ أَمْسِكْهَا «وَأَتَّقِ اللَّهَ» فِي مَفَارِقَتِهَا وَمُضَارَتِهَا «وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ» وَالَّذِي أَخْفَاهُ فِي نَفْسِهِ هُوَ أَنَّهُ أَنْ طَلَّقَهَا زَيْدٌ تَزَوَّجَهَا وَخَشِيَ لِأَنَّهُمُ النَّاسُ أَنْ يَقُولُوا أَمْرَهُ بِطَلْقِهَا ثُمَّ تَزَوَّجَهَا وَ

قِيلَ أَنَّ الَّذِي أَخْفَاهُ فِي نَفْسِهِ هُوَ أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ أَعْلَمَهُ أَنَّهَا سَتَكُونُ مِنْ أَزْوَاجِهِ وَأَنَّ زَيْدًا سَيَطْلُقُهَا فَلَمَّا جَاءَ زَيْدٌ وَقَالَ لَهُ أَرِيدُ أَنْ أَطْلُقَ زَيْنَبَ قَالَ لَهُ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ فَقَالَ سَبَّحَانَهُ لَمْ قَلْتُ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَقَدْ أَعْلَمْتُكَ أَنَّهَا سَتَكُونُ مِنْ أَزْوَاجِكَ رَوَى ذَلِكَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

وَهَذَا التَّأْوِيلُ مُطَابِقٌ لِتَلَاوُهِهُ الْآيَةِ وَذَلِكَ أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ أَعْلَمَ أَنَّهُ يَبْدَى مَا أَخْفَاهُ وَ لَمْ يَظْهَرِ غَيْرَ التَّزْوِيجِ قَالَ «زَوَّجْنَاكُمَا» فَلَوْ كَانَ الَّذِي أَضْمَرَهُ مُحِبَّتَهَا أَوْ إِرَادَهُ طَلْقَهَا لِأَظْهَرَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ مَعَ وَعْدِهِ بِأَنَّهُ يَبْدِيهِ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا عَوَّتَبَ عَلَى قَوْلِهِ «أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ» مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّهَا سَتَكُونُ زَوْجَتَهُ وَكُتْمَانِهِ مَا أَعْلَمَهُ اللَّهُ بِهِ حَيْثُ اسْتَحْيَا أَنْ يَقُولَ لَزَيْدٍ أَنْ التِّي تَحْتَكُ سَتَكُونُ امْرَأَتِي قَالَ الْبَلْخِيُّ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَيْضًا عَلَى مَا يَقُولُونَهُ أَنَّ النَّبِيَّ اسْتَحْسَنَهَا فَتَمَنَّى أَنْ يَفَارِقَهَا زَيْدٌ فَيَتَزَوَّجَهَا وَكُتْمَ ذَلِكَ لِأَنَّ هَذَا التَّمَنَّى قَدْ طَبِعَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَلَا حَرَجَ عَلَى أَحَدٍ فِي أَنْ يَتَمَنَّى شَيْئًا اسْتَحْسَنَهُ وَقِيلَ أَنَّهُ إِنَّمَا أَضْمَرَ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا إِنْ طَلَّقَهَا زَيْدٌ مِنْ حَيْثُ أَنَّهَا كَانَتْ ابْنَةَ عَمَّتِهِ فَأَرَادَ ضَمَمَهَا إِلَى نَفْسِهِ لِثَلَا يَصِيبُهَا ضَيْعُهُ كَمَا يَفْعَلُ الرَّجُلُ بِأَقَارِبِهِ عَنِ الْجَبَائِي قَالَ فَأَخْبَرَ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ النَّاسَ بِمَا كَانَ يَضْمَرُهُ مِنْ إِثَارِ ضَمَمِهَا إِلَى نَفْسِهِ لِيَكُونَ ظَاهِرُهُ مُطَابِقًا لِباطنِهِ وَهَذَا الْمَعْنَى

قَالَ ص لِأَصْحَابِهِ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَ قَدْ جَاءَهُ عِثْمَانُ بَعْدَ اللَّهِ بِنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ يَسْتَأْمِنُهُ مِنْهُ وَ كَانَ ص قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ أَهْدَرَ دَمَهُ وَ أَمَرَ بِقَتْلِهِ فَلَمَّا رَأَى عِثْمَانَ اسْتَحْيَا مِنْ رَدِّهِ وَ سَكَتَ طَوِيلًا لِيَقْتُلَهُ بَعْضُ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ آمَنَهُ بَعْدَ تَرَدُّدِ الْمَسْأَلَةِ مِنْ عِثْمَانَ وَقَالَ أَمَا كَانَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى هَذَا فَيَقْتُلُهُ فَقَالَ لَهُ عَبَادُ بْنُ بَشَرَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ عَيْنِي مَا زَالَتْ فِي عَيْنِكَ أَنْتَظَرُ

أن تؤمى إلى فأقتله فقال أن الأنبياء لا تكون لهم خائنه أعين فلم يستحب الإشارة إلى قتل كافر و إن كان مباحا

و قيل كان النبي ص يريد أن يتزوج بها إذا فارقها و لكنه عزم أن لا يتزوجها مخافه أن يطعنوا عليه فأنزل الله هذه الآية كيلا يمتنع عن فعل المباح خشيه الناس و لم يرد بقوله «وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ» خشيه التقوى لأنه ص كان يتقى الله حق تقاته و يخشاه فيما يجب أن يخشى فيه و لكنه أراد خشيه الاستحياء لأن الحياء كان غالبا على شيمته الكريمه ص كما قال سبحانه «إِنَّ ذَلِكَ كَانَتْ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَجِيبُ مِنْكُمْ» و قيل أن زينب كانت شريفه فزوجها رسول الله ص من زيد مولاه و لحقها بذلك بعض العار فأراد ص أن يزيدها شرفا بأن يتزوجها لأنه كان السبب فى تزويجها من زيد فعزم أن يتزوج بها إذا فارقها و قيل أن العرب كانوا ينزلون الأديعاء منزله الأبناء فى الحكم فأراد ص أن يبطل ذلك بالكليه و ينسخ سنه الجاهليه فكان يخفى فى نفسه تزويجها لهذا الغرض كيلا- يقول الناس أنه تزوج بامرأه ابنه و يقرفونه بما هو منزله عنه و لهذا قال «أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ» عن أبى مسلم و يشهد لهذا التأويل قوله فيما بعد «فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطْرًا زَوَّجْنَا كَهَا لَكِنِّي لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطْرًا» و معناه فلما قضى زيد حاجته من نكاحها فطلقها و انقضت عدتها و لم يكن فى قلبه ميل إليها و لا وحشه من فراقها فإن معنى القضاء هو الفراغ من الشىء على التام «زَوَّجْنَا كَهَا» أى أذنا لك فى تزويجها و إنما فعلنا ذلك توسعه على المؤمنين حتى لا يكون عليهم إثم فى أن يتزوجوا أزواج أديعائهم الذين تبوهم إذا قضى الأديعاء منهن حاجتهم و فارقوهن فبين سبحانه أن الغرض فى ذلك أن لا- يجرى المتبنى فى تحريم امرأته إذا طلقها على المتبنى مجرى الابن من النسب و الرضاع فى تحريم امرأته إذا طلقها على الأب «وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا» أى كائنا لا محاله و فى الحديث أن زينب كانت تفتخر على سائر نساء النبي و تقول زوجنى الله من النبي و أنتن إنما زوجكن أولياؤكن و

روى ثابت عن أنس بن مالك قال لما انقضت عده زينب قال رسول الله ص لزيد اذهب فاذكرها على قال زيد فانطلقت فقلت يا زينب أبشرى قد أرسلنى رسول الله ص يذكرك و نزل القرآن و جاء رسول الله ص فدخل عليها بغير إذن لقوله تعالى «زَوَّجْنَا كَهَا»

و

فى روايه أخرى قال زيد فانطلقت فإذا هى تخمر عجينها فلما رأيتها عظمت فى نفسى حتى ما أستطيع أن أنظر إليها حين علمت أن رسول الله ص ذكرها فوليتها ظهري و قلت يا زينب أبشرى أن رسول الله ص يخطبك ففرحت بذلك و قالت ما أنا بصانعها شيئا حتى أوامر ربي فقامت إلى مسجدتها و نزل «زَوَّجْنَا كَهَا» فتزوجها رسول الله ص و دخل بها و ما أولم على امرأه من نساءه ما أولم عليها ذبح شاه و أطعم الناس الخبز و اللحم حتى امتد النهار

و عن الشعبى قال كانت زينب تقول

للنبي ص إنى لأدلل عليك بثلاث ما من نسائك امرأه تدل بهن جدى و جدك واحد و إنى أنكحنيك الله فى السماء و أن السفير لى جبرائيل (عليه السلام) ثم قال سبحانه «ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له» أى ما كان على النبي من إثم و ضيق فيما أحل الله له من التزويج بامرأه الابن المتبنى و قيل فيما فرض و أوجب عليه من التزويج بها ليبتل حكم الجاهليه فى الأدياء «سِنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ» أى كسنة الله فى الأنبياء الماضين و طريقته و شريعته فيهم فى زوال الحرج عنهم و عن أممهم بما أحل سبحانه لهم من ملازهم و قيل فى كثره الأزواج كما فعله داود و سليمان (عليه السلام) و كان لداود مائه امرأه و لسليمان ثلاثمائه امرأه و سبعمائه سريه و قيل أشار بالسنة إلى أن النكاح من سنه الأنبياء

كما قال النكاح من سنتى فمن رغب عنه فقد رغب عن سنتى

«وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا» أى كان ما ينزله الله على أنبيائه من الأمر الذى يريده قضاء مقضيا و قيل معناه جاريا على مقدار لا يكون فيه تفاوت من جهه الحكمة و قيل أن القدر المقدر هو ما كان على مقدار ما تقدم من غير زياده و لا نقصان و عليه قول الشاعر:

و أعلم بأن ذا الجلال قد قدر فى الصحف الألى التى كان سطر

ثم وصف سبحانه الأنبياء الماضين و أثنى عليهم فقال «الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ» أى يؤدونها إلى من بعثوا إليهم و لا يكتمونها «وَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ» أى و يخافون الله مع ذلك فى ترك ما أوجبه عليهم «وَ لَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ» و لا يخافون من سوى الله فيما يتعلق بالأداء و التبليغ و فى هذا دلالة على أن الأنبياء لا يجوز عليهم التقيه فى تبليغ الرسالة و متى قيل فكيف ما قال لنبينا ص و تخشى الناس فالقول إنه لم يكن ذلك فيما يتعلق بالتبليغ و إنما خشى مقاله القبيحه فيه و العاقل كما يتحرز عن المضار يتحرز من إساءه الظنون به و القول السيئ فيه و لا يتعلق شىء من ذلك بالتكليف «وَ كَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا» أى حافظا لأعمال خلقه و محاسبا مجازيا عليها و لما تزوج زينب بنت جحش قال الناس إن محمدا تزوج امرأه ابنه فقال سبحانه «ما كان مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ» الذين لم يلداهم و فى هذا بيان أنه ليس باب لزيد فتحرم عليه زوجته فإن تحريم زوجة الابن معلق بثبوت النسب فمن لا نسب له لا حرمه لامرأته و لهذا أشار إليهم فقال «مِنْ رِجَالِكُمْ» و قد ولد له ص أولاد ذكور إبراهيم و القاسم و الطيب و المطهر فكان أباهم و قد صح

أنه قال للحسن إن ابني هذا سيد

و

قال أيضا للحسن و الحسين ابناى هذان إمامان قاما أو قعدا

و

قال ص إن كل بنى بنت ينتسبون إلى أبيهم إلا أولاد فاطمه فإنى أنا أبوهم

و قيل أراد بقوله «رِجَالِكُمْ» البالغين من رجال ذلك الوقت و لم يكن

أحد من أبنائه رجلا- في ذلك الوقت «وَ لَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ» أى و لكن كان رسول الله لا يترك ما أباحه الله بقول الجاهل و قيل إن الوجه فى اتصاله بما قبله أنه أراد سبحانه ليس يلزم طاعته و تعظيمه لمكان النسب بينه و بينكم و لمكان الأبوه بل إنما يجب ذلك عليكم لمكان النبوه، «وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ» أى و آخر النبيين ختمت النبوه به فشريعته باقيه إلى يوم الدين و هذا فضيله له صلوات الله عليه و آله اختص بها من بين سائر المرسلين فإن قيل إن اليهود يدعون فى موسى مثل ذلك فالجواب أن بعض اليهود يدعون أن شريعته لا تنسخ و هم مع ذلك يجوزون أن يكون بعده أنبياء و نحن إذا أثبتنا نبوه نبينا ص بالمعجزات القاهره و جب نسخ شريعته بذلك «وَ كَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا» لا يخفى عليه شىء من مصالح العباد و صح

الحديث عن جابر بن عبد الله عن النبي ص قال إنما مثلى فى الأنبياء كمثل رجل بنى دارا فأكملها و حسنها موضع لبنة فكان من دخل فيها فنظر إليها قال ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة قال ص فأنا موضع اللبنة ختم بي الأنبياء أورده البخارى و مسلم فى صحيحهما.

[سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٤١ الى ٤٨]

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُضِلُّ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ كَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَ أَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (٤٤) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَ مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا (٤٥)

وَ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سَرَاجًا مُنِيرًا (٤٦) وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (٤٧) وَ لَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَ الْمُنافِقِينَ وَ دَعِ أَذَاهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَ كَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (٤٨)

المعنى

ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا»

روى ابن عباس عن النبي ص قال من عجز عن الليل أن يكابده و جبن عن العدو أن

يجاهده و بخل بالمال أن ينفقه فليكثر ذكر الله عز و جل

ثم اختلف فى معنى الذكر الكثير ف قيل هو أن لا ينساه أبدا عن مجاهد و قيل هو أن يذكره سبحانه بصفاته العلى و أسمائه الحسنى و ينزهه عما لا يليق به و قيل هو أن يقول سبحانه الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر على كل حال عن مقاتل و

قد ورد عن أئمتنا (عليه السلام) أنهم قالوا من قالها ثلاثين مره فقد ذكر الله ذكرا كثيرا.

و

عن زراره و حمران ابنى أعين عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من سبح تسبيح فاطمه الزهراء (عليه السلام) فقد ذكر الله ذكرا كثيرا

و

روى الواحدى بإسناده عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال جاء جبرائيل (عليه السلام) إلى النبى ص فقال يا محمد قل سبحانه الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر و لا حول و لا قوة إلا بالله عدد ما علم و زنه ما علم و ملء ما علم فإن من قالها كتب الله له بها ست خصال كتب من الذاكرين الله كثيرا و كان أفضل من ذكره بالليل و النهار و كن له غرسا فى الجنة و تحاتت عنه خطايا كما تحات ورق الشجره اليابسه و ينظر الله إليه و من نظر الله إليه لم يعذبه

«وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً» أى و نزوهه سبحانه عن جميع ما لا يليق به بالغداه و العشى و الأصيل العشى و قيل يعنى به صلاه الصبح و صلاه العصر عن قتاده و صلاه الصبح و صلاه العشاء الآخره خصهما بالذكر لأن لهما مزيه على غيرهما من حيث أن ملائكه الليل و النهار يجتمعون فيهما و قال الكلبي أما بكره فصلاه الفجر و أما أصيلاً فصلاه الظهر و العصر و المغرب و العشاء الآخره و سمى الصلاه تسبيحا لما فيها من التسبيح و التنزيه «هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَ مَلَائِكَتُهُ» الصلاه من الله تعالى المغفره و الرحمه عن سعيد بن جبير و الحسن و قيل الثناء عن أبى العالى و قيل هى الكرامه عن سفيان و أما صلاه الملائكه فهى دعاؤهم عن ابن عباس و أبى العالى و قيل طلبهم إنزال الرحمه من الله تعالى «لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» أى من الجهل بالله سبحانه إلى معرفته فشبه الجهل بالظلمات و شبه المعرفه بالنور لأن هذا يقود إلى الجنة و ذلك يقود إلى النار و قيل من الضلاله إلى الهدى بألطافه و هدايته و قيل من ظلمات النار إلى نور الجنة «وَ كَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً» خص المؤمنين بالرحمه دون غيرهم لأنه سبحانه جعل الإيمان بمنزله العله فى إيجاب الرحمه و النعمه العظيمه التى هو الثواب «تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ» أى يحيى بعضهم بعضا يوم يلقون ثواب الله بأن يقولوا السلامه لكم من جميع الآفات و لقاء الله سبحانه معناه لقاء ثوابه كما سبق القول فيه و روى عن البراء بن عازب أنه قال يوم يلقون ملك الموت لا يقبض روح مؤمن إلا سلم عليه فعلى هذا يكون المعنى تحيه المؤمنين من ملك الموت يوم يلقونه أن يسلم عليهم و ملك الموت

مذكور في الملائكة «وَأَعِدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا» أي ثواباً جزيلاً ثم خاطب نبيه ص فقال «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا عَلَى أُمَّتِكَ فِيمَا يَفْعَلُونَ مِنْ طَاعِهِ أَوْ مَعْصِيهِ وَإِيمَانٍ أَوْ كُفْرٍ لِتَشْهَدَ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَنَجَازِيهِمْ بِحَسَبِهِ «وَمُبَشِّرًا» أي ومبشراً لمن أطاعني وأطاعك بالجنة «وَنَذِيرًا» لمن عصاني وعصاك بالنار «وَدَاعِيًا» أي وبعثناك داعياً «إِلَى اللَّهِ» والإقرار بوحدانيته وامتثال أوامره ونواهيه «بِإِذْنِهِ» أي بعلمه وأمره «وَسِرَاجًا مُنِيرًا» يهتدى بك في الدين كما يهتدى بالسراج والمنير الذي يصدر النور من جهته إما بفعله وإما لأنه سبب له فالقمر منير والسراج منير بهذا المعنى والله منير السماوات والأرض وقيل عنى بالسراج المنير القرآن والتقدير وبعثناك ذا سراج منير فحذف المضاف عن الزجاج «وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا» زياده على ما يستحقونه من الثواب «وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ» هو مفسر في أول السورة «وَدَعْ أَذَاهُمْ» أي وأعرض عن أذاهم فإنني سأكفيك أمرهم إذا توكلت على وعملت بطاعتي فإن جميعهم في سلطاني بمنزله ما هو في قبضه عبيدي وقيل معناه كف عن أذاهم وقاتلهم وذلك قبل أن يؤثر بالقتال عن الكلبى «وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ» أي وأسند أمرك إلى الله ينصرك عليهم «وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا» أي كافياً ومتكفلاً بما يسند إليه.

النظم

إنما اتصلت الآيه بما تقدمها من قوله وَ لَكِن رَسُوْلَ اللَّهِ فَإِنَّهُ مِنْ عَلَيْهِمْ بِهِ ثُمَّ أَمْرُهُمْ بِأَنْ يَشْكُرُوهُ عَلَى ذَلِكَ وَقَوْلُهُ هُوَ الَّذِي يُصَيِّلِي عَلَيْكُمْ يَتَّصِلُ بِمَا قَبْلَهُ مِنَ الْأَمْرِ بِالذِّكْرِ وَ التَّقْدِيرِ إِنْ اللَّهُ عَزَّ اسْمُهُ مَعَ غِنَا عَنْكُمْ يَذْكُرُكُمْ فَأَنْتُمْ أَوْلَى بِأَنْ تَذْكُرُوهُ وَ تَقْبَلُوا عَلَيْهِ مَعَ احتِجَابِكُمْ إِلَيْهِ وَقِيلَ إِنَّهُ سَبَّحَانَهُ عَدَدَ نِعْمَةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ عَدَدَ مِنْ جَمَلَتِهَا صَلَاتِهِ عَلَيْهِمْ ثُمَّ بَيْنَ إِرسَالِهِ النَّبِيَّ إِلَيْهِمْ مَعَ جلاله قدره و علو أمره.

[سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٤٩ إلى ٥٠]

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَنْعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٤٩) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَ بَنَاتِ عَمَّكَ وَ بَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَ بَنَاتِ خَالَكَ وَ بَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَ امْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لَكِنَّا لَنَكُونُ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٠)

فى الشواذ قراءة أبى بن كعب و الحسن و الثقفى أن وهبت بفتح الألف.

الحجة

قال ابن جنى تقديره لأن وهبت نفسها أى إنها تحل له من أجل أن وهبت نفسها له و ليس يعنى بذلك امرأه بعينها قد كانت وهبت نفسها له و إنما محصولة أنه إن وهبت امرأه نفسها للنبي حلت له من أجل هبتها إياه فالحل إنما هو مسبب عن الهبة متى كانت و يؤكد ذلك القراءة بالكسر فصح به الشرط.

الإعراب

العامل فى الظرف من قوله «إِذَا نَكَحْتُمْ» ما يتعلق به لكم و التقدير إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن لم يثبت لكم عليهن عده. «مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ» الجار و المجرور فى موضع نصب على الحال من الضمير المحذوف فى قوله «وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ» أى ما ملكته. «إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ» جزاء شرط محذوف تقديره إن وهبت نفسها للنبي أحلناها له و جزاء الشرط الذى هو إن أراد النبي أن يستنكحها الشرط و الجزاء المتقدم تقديره إن أراد النبي أن يستنكحها إن وهبت نفسها له أحلناها له و «أَنْ يَسْتَنكِحَهَا» فى موضع نصب بأنه مفعول أراد. «خَالِصَةً لَكَ» نصب على الحال و الهاء فيه للمبالغة.

المعنى

ثم عاد سبحانه إلى ذكر النساء فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ» أى من قبل أن تدخلوا بهن «فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا» أى تستوفونها بالعدد و تحصون عليها بالأقراء و بالأشهر أسقط الله سبحانه العده عن المطلقة قبل المسيس لبراءه رحمها فإن شاءت تزوجت من يومها «فَمَتَّعُوهُنَّ»

قال ابن عباس هذا إذا لم يكن سمى لها صداقا فإذا فرض لها صداقا فلها نصفه و لا تستحق المتعه و هو المروى عن أئمتنا (عليه السلام)

فالآيه محموله عندنا على التى لم يسم لها مهرا فيجب لها المتعه «وَسِرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا» أى طلقوهن طلاقا للسنه من غير ظلم عليهن عن الجبائى و قيل سرحوهن عن البيت فإنه ليس عليها عده فلا يلزمها المقام فى منزل الزوج سراحا جميلا بغير

جفوه ولا أذيه وقيل السراح الجميل هو رفع المتعه بحسب الميسره والعسره

عن حبيب بن أبي ثابت قال كنت قاعدا عند علي بن الحسين (عليه السلام) فجاءه رجل فقال إني قلت يوم أتزوج فلانه فهي طالق فقال اذهب فتزوجها فإن الله تعالى بدأ بالنكاح قبل الطلاق وقرأ هذه الآية

ثم خاطب النبي ص فقال «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ» أى أعطيت مهورهن و الإيتاء قد يكون بالأداء وقد يكون بالالتزام «وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ» أى و أحللنا لك ما ملكت يمينك من الإماء «مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ» من الغنائم و الأنفال فكانت من الغنائم ماريه القبطيه أم ابنه إبراهيم و من الأنفال صفيه و جويريه أعتقهما و تزوجهما «وَبَنَاتِ عَمِّكَ» أى و أحللنا لك بنات عمك «وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ» يعنى نساء قريش «وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ» يعنى نساء بنى زهره «اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ» إلى المدينه و هذا إنما كان قبل تحليل غير المهاجرات ثم نسخ شرط الهجره فى التحليل «وَأَمْرَأَهُ الْمُؤْمِنَةَ إِن وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ» أى و أحللنا لك امرأه مصدقه بتوحيد الله تعالى وهبت نفسها منك بغير صداق و غير المؤمنه إن وهبت نفسها منك لا- تحل لك «إِن أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا» أى أثر النبى ص نكاحها و رغب فيها «خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ» أى خالصه لك دون غيرك قال ابن عباس يقول لا يحل هذا لغيرك و هو لك حلال و هذا من خصائصه فى النكاح فكان ينعقد النكاح له بلفظ الهبه و لا ينعقد ذلك لأحد غيره و اختلف فى أنه هل كانت عند النبى ص امرأه وهبت نفسها له أم لا فقيل إنه لم يكن عنده امرأه وهبت نفسها له عن ابن عباس و مجاهد و قيل بل كانت عنده ميمونه بنت الحرث بلا مهر قد وهبت نفسها للنبي فى روايه أخرى عن ابن عباس و قتاده و قيل هى زينب بنت خزيمة أم المساكين امرأه من الأنصار عن الشعبي و

قيل هى امرأه من بنى أسد يقال لها أم شريك بنت جابر عن علي بن الحسين (عليه السلام)

و الضحاك و مقاتل و قيل هى خوله بنت حكيم عن عروه بن الزبير و

قيل إنها لما وهبت نفسها للنبي ص قالت عائشه ما بال النساء يبذلن أنفسهن بلا مهر فنزلت الآية فقالت عائشه ما أرى الله تعالى إلا يسارع فى هواك فقال رسول الله ص و إنك إن أطعت الله سارع فى هواك

«قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْكُمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ» معناه قد علمنا ما أخذنا على المؤمنين فى أزواجهم من المهر و الحضر بعدد محصور و وضعناه عنك تخفيفا عنك «وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ» أى و ما أخذنا عليهم فى ملك اليمين أن لا يقع لهم الملك إلا بوجوه معلومه من الشراء و الهبه و الإرث و السبى و أبحننا لك غير ذلك و هو الصفى الذى تصطفيه لنفسك من السبى و إنما خصصناك على علم منا بالمصلحه فيه من غير محاباه و لا جزاف «لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ» أى ليرتفع عنك الحرج و هو الضيق و الإثم «وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا» لذنوب عباده «رَحِيمًا» بهم أو رحيمًا بك فى رفع الحرج عنك.

اشاره

تُزَجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَ تُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَ مَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَ لَا يَحْزَنَ وَ يَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا (۵۱) لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَ لَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَ لَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَ كَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا (۵۲) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرِ نَاطِرِينَ إِنَاءً وَ لَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَ لَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَ اللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَ إِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسِئَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَ قُلُوبِهِنَّ وَ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَ لَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (۵۳) إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خَفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (۵۴) لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَ لَا أَبْنَائِهِنَّ وَ لَا إِخْوَانِهِنَّ وَ لَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَ لَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَ لَا نِسَائِهِنَّ وَ لَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَ اتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (۵۵)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر إلا- الأعشى و عباس و أهل المدينة «تُرْجِي» بغير همز و الباقون بالهمز و قرأ أبو عمرو و يعقوب لا تحل بالتاء و الباقون بالياء و سهل أبو حاتم يجيز فيهما.

الحج

قال أبو علي جاء في هذا الحرف الهمز و غيره و كذلك أرجئه و أرجه فالقراءة بكل واحد من الأمرين حسنة و التاء و الياء في لا تحل حسنان لأن النساء تأنيته غير حقيقى إنما هو تأنيث الجمع فالتأنيث حسن و التذكير كذلك.

اللغة

الإرجاء هو التأخير و يكون من تباعد وقت الشىء عن وقت غيره و منه الإرجاء فى فساق أهل الصلاة و هو تأخير حكمهم بالعقاب إلى الله تعالى و الإيواء ضم القادر غيره من الأحياء هم الذين من جنس ما يعقل إلى ناحيته يقال آويت الإنسان أويه إيواء و أوى هو يأوى أوياء إذا انضم إلى مأواه و يقال أنى الطعام يأنى إنى مقصورا إذا بلغ حاله النضج و أدرك وقته و إذا فتح مد فقيل أناء قال الحطيئة:

" و آنيت العشاء إلى سهيل أ و الشعرى فطال بى الإناء "

و الاستئناس ضد الاستيحاش و الإنس ضد الوحشه.

الإعراب

«ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ تَقَرَّ» تقديره من أن تقر أو إلى أن تقر أعينهن. كلهن تأكيد للضمير و هو النون فى يرضين و لو نصب جاز على تأكيد قوله هن فى «آتَيْتَهُنَّ». «غَيْرِ نَاطِرِينَ» منصوب على الحال «وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ» معطوف عليه فهو حال معطوف على حال قبله و تقديره و لا تدخلوا مستأنسين لحديث.

النزول

نزلت الآيه الأولى حين غار بعض أمهات المؤمنين على النبى ص و طلب بعضهن زياده النفقه فهجرهن شهرا حتى نزلت آيه التخيير فأمره الله تعالى أن يخيرهن بين الدنيا و الآخرة و أن يخلى سبيل من اختار الدنيا و يمسك من اختار الله تعالى و رسوله على أنهن أمهات المؤمنين و لا ينكحن أبدا و على أنه يؤوى من يشاء منهن و يرجى من يشاء منهن و يرضين به قسم لهن أو لم يقسم أو قسم لبعضهن و لم يقسم لبعضهن أو فضل لبعضهن على بعض فى النفقه و القسمه و العشره أو سوى بينهن و الأمر فى ذلك إليه يفعل ما يشاء و هذه من خصائصه ص فرضين بذلك كله و اخترنه على هذا الشرط فكان ص يسوى بينهن مع هذا إلا امرأه منهن أراد طلاقها و هى سوده بنت زمعه فرضيت بترك القسم و جعلت يومها لعائشه عن ابن زيد و غيره و قيل لما نزلت آيه التخيير أشفقن أن يطلقن فقلن يا نبى الله اجعل لنا من مالك

و نفسك ما شئت و دعنا على حالنا فنزلت الآية و كان ممن أرجى منهن سوده و صفيه و جويريه و ميمونه و أم حبيبه فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء و كان ممن آوى إليه عائشه و حفصه و أم سلمه و زينب و كان يقسم بينهن على السواء لا يفضل بعضهن على بعض عن ابن رزين و

نزلت آيه الحجاب لما بنى رسول الله ص بزینب بنت جحش و أولم عليها قال أنس أولم عليها بتمر و سويق و ذبح شاه و بعثت إليه أمى أم سليم بحيس فى تور من حجاره فأمرنى رسول الله ص أن أدعو أصحابه إلى الطعام فدعوتهم فجعل القوم يجيئون و يأكلون و يخرجون ثم يجىء القوم فىأكلون و يخرجون قلت يا نبى الله قد دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه فقال ارفعوا طعامكم فرفعوا طعامهم و خرج القوم و بقى ثلاثه نفر يتحدثون فى البيت فأطالوا المكث فقام ص و قمت معه لكى يخرجوا فمشى حتى بلغ حجره عائشه ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجع و رجعت معه فإذا هم جلوس مكانهم فنزلت الآية

و

روى مثل ذلك عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال و كان رسول الله ص يريد أن يخلو له المنزل لأنه كان حديث عهد بعرس و كان محبا لزينب و كان يكره أذى المؤمنين

و قيل كان رسول الله ص يطعم معه بعض أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشه و كانت معهم فكره ص ذلك فنزلت آيه الحجاب عن مجاهد و نزل قوله «و ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله» إلى آخر الآية فى رجل من الصحابه قال لئن قبض رسول الله ص لأنكحن عائشه بنت أبى بكر عن ابن عباس قال مقاتل و هو طلحه بن عبيد الله و قيل إن رجلين قالوا أ ينكح محمد نساءنا و لا ننكح نساءه و الله لئن مات لنكحن نساءه و كان أحدهما يريد عائشه و الآخر يريد أم سلمه عن أبى حمزه الثمالى.

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه ص يخيره فى نسائه فقال «تُرْجَى مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَ تُؤْوَى إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ» أى تؤخر و تبعد من تشاء من أزواجك و تضم إليك من تشاء منهن و اختلف فى معناه على أقوال (أحدها) أن المراد تقدم من تشاء من نساءك فى الإيواء إليك و هو الدعاء إلى الفراش و تؤخر من تشاء فى ذلك و تدخل من تشاء منهن فى القسم و لا تدخل من تشاء عن قتاده قال و كان رسول الله ص يقسم بين أزواجه و أباح الله له ترك ذلك (و ثانيها) أن المراد تعزل من تشاء منهن بغير طلاق و ترد إليك من تشاء منهن بعد عزلك إياها بلا تجديد عقد عن مجاهد و الجبائى و أبى مسلم (و ثالثها) أن المراد تطلق من تشاء منهن و تمسك من تشاء عن ابن عباس (و رابعها) أن المراد تترك نكاح من تشاء من نساء أمتك و تنكح منهن من تشاء عن الحسن قال و كان ص إذا خطب امرأه لم يكن لغيره أن يخطبها حتى يتزوجها أو

يتركها (و خامسها) تقبل من تشاء من المؤمنات اللاتي يهين أنفسهن لك فتؤويها إليك و تترك من تشاء منهن فلا تقبلها عن زيد بن أسلم و الطبري

قال أبو جعفر و أبو عبد الله (عليه السلام) من أرجى لم ينكح و من أوى فقد نكح

«وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ» أى إن أردت أن تؤوى إليك امرأه ممن عزلتهن عن ذلك و تضمها إليك فلا سبيل عليك بلوم و لا عتب و لا إثم عليك فى ابتغائها أباح الله سبحانه له ترك القسم فى النساء حتى يؤخر من يشاء عن وقت نوبتها و يطأ من يشاء فى غير وقت نوبتها و له أن يعزل من يشاء و له أن يرد المعزولة إن شاء فضله الله تعالى بذلك على جميع الخلق «ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَأَ أَعْيُنُهُنَّ وَ لَا يَحْزَنَ وَ يَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ» معناه أنهن إذا علمن أن له ردهن إلى فراشه بعد ما اعتزلهن قرت أعينهن و لم يحزن و يرضين بما يفعله النبى ص من التسويه و التفضيل لأنهن يعلمن أنهم لم يطلقن عن ابن عباس و مجاهد و قيل معناه ذلك أطيب لنفوسهن و أقل لحزنهن إذا علمن أن لك الرخصه بذلك من الله تعالى و يرضين بما يفعله النبى ص من التسويه و التفضيل عن قتاده و قره العين عباره عن السرور و قيل ذلك المعرفه منهن بأنك إذا عزلت واحده كان لك أن تؤويها بعد ذلك أدنى بسرورهن و قره أعينهن عن الجبائى و قيل معناه نزول الرخصه من الله تعالى أقر لأعينهن و أدنى إلى رضاهن بذلك لعلمهن بما لهن فى ذلك من الثواب فى طاعه الله تعالى و لو كان ذلك من قبلك لحزن و حملن ذلك على ميلك إلى بعضهن «وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ» من الرضاء و السخط و الميل إلى بعض النساء دون بعض «وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا» بمصالح عبادہ «حَلِيمًا» فى ترك معاجلتهم بالعقوبه «لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ» أى من بعد النساء اللواتى أحللناهن لك فى قوله «إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ الْآيَهُ وَ هُنَّ سِتْرٌ لَكَ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي آتَاهُنَّ أُجُورَهُنَّ أَى أعطاهن مهورهن و بنات عمه و بنات عماتہ و بنات خاله و بنات خالاته اللاتى هاجرن معه و من وهبت نفسها له يجمع ما شاء من العدد و لا تحل له غيرهن من النساء عن أبى بن كعب و عكرمه و الضحاك و

قيل يريد المحرمات فى سوره النساء عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل معناه لا تحل لك اليهوديات و لا النصرانيات «وَ لَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ» و لا أن تبدل الكتابيات بالمسلمات لأنه لا ينبغى أن يكن أمهات المؤمنين «إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ» من الكتابيات فأحل له أن يتسراهن عن مجاهد و سعيد بن جبیر و قيل معناه لا يحل لك النساء من بعد نسائك اللاتى خيرتهن فاخترن الله و رسوله و هن التسع صرت مقصورا عليهن و ممنوعا من غيرهن و من أن تستبدل بهن غيرهن «وَ لَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ» أى وقع فى قلبك حسنهن مكافاه لهن على اختيارهن الله و رسوله عن الحسن و الشعبى و قيل إن التى أعجبه حسنہا أسماء بنت عميس بعد قتل جعفر بن أبى طالب عنها و قيل إنه منع من

طلاق من اختارته من نسائه كما أمر بطلاق من لم تختره فأما تحريم النكاح عليه فلا عن الضحاك و قيل أيضا إن هذه الآية منسوخة و أبيع له بعدها تزويج ما شاء فروى عن عائشه أنها قالت ما فارق رسول الله ص الدنيا حتى حلل له ما أراد من النساء و قوله «وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ» فقيل أيضا فى معناه أن العرب كانت تتبادل بأزواجهم فيعطى أحدهم زوجته رجلا فيأخذ بها زوجه منه بدلا عنها فنهى عن ذلك و

قيل فى قوله «وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ» يعنى إن أعجبك حسن ما حرم عليك من جملتهن و لم يحللن لك و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

«وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا» أى عالما حافظا عن الحسن و قتاده «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ» نهاهم سبحانه عن دخول دار النبى ص بغير إذن و هو قوله «إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ» أى فى الدخول يعنى إلا- أن يدعوكم إلى طعام فادخلوا غير ناظرين إناه أى غير منتظرين إدراك الطعام فيطول مقامكم فى منزله و المعنى لا تدخلوا بغير إذن و قيل نضج الطعام انتظارا لنضجه فيطول لبثكم و مقامكم «وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا» أى فإذا أكلتم الطعام فتفرقوا و أخرجوا «وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ» أى و لا تدخلوا فتقعدوا بعد الأكل متحدثين يحدث بعضكم بعضا ليؤنسه ثم بين المعنى فى ذلك فقال «إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ» أى طول مقامكم فى منزل النبى ص يؤذيه لضيق منزله فيمنعه الحياء أن يأمركم بالخروج من المنزل «وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ» أى لا يترك إبانة الحق فيأمركم بتعظيم رسوله و ترك دخول بيته من غير إذن و الامتناع عما يؤدى إلى أذاه و كراهيته قالت عائشه يحسب الثقلان أن الله سبحانه لم يحتملهم فقال «فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا» و قال بعض العلماء هذا أدب أدب الله به الثقلان «وَ إِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ» يعنى فإذا سألتم أزواج النبى ص شيئا تحتاجون إليه فاسألوهن من وراء الستر قال مقاتل أمر الله المؤمنين ألا يكلموا نساء النبى ص إلا من وراء حجاب و

روى مجاهد عن عائشه قالت كنت آكل مع النبى ص حيسا فى قعب فمر بنا عمر فدعاه فأكل فأصابت إصبعة إصبعى فقال حس لو أطاع فيكن ما رأتن عين فنزل الحجاب

«ذَلِكَم» أى سؤالكم إياهن المتاع من وراء حجاب «أَطَهَّرْ لِقُلُوبِكُمْ وَ قُلُوبِهِنَّ» من الريبه و من خواطر الشيطان التى تدعو إلى ميل الرجال إلى النساء و النساء إلى الرجال «وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ» أى ليس لكم إيذاء رسول الله ص بمخالفه ما أمر به فى

نسائه ولا فى شىء من الأشياء «وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا» أى من بعد وفاته المعنى ولا يحل لكم أن تزوجوا واحده من نسائه بعد مماته كما لا تحل لكم أن تؤذوه فى حال حياته وقيل من بعده أى من بعد فراقه فى حياته كما

قال بسما خلفتمونى من بعدى

«إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا» أى إيذاء الرسول بما ذكرنا كان ذنبا عظيم الموقع عند الله تعالى «إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ» أى تظهروا شيئا أو تضمروه مما نهيتم عنه من تزويجهن «فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا» من الظاهر والسرائر وهذا تهديد وروى عن حذيفه أنه قال لامرأته تريد أن تكونى زوجتى فى الجنة فلا- تتزوجى بعدى فإن المرأه لآخر أزواجها فلذلك حرم الله تعالى على أزواج النبى ص أن يتزوجن بعده و

روى عن النبى سئل عن المرأه تكون لها زوجان فتموت فتدخل الجنة فلايهما تكون قال لأحسنهما خلقا كان معها فى الدنيا ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة

ولما نزلت آيه الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب يا رسول الله ونحن أيضا نكلمهن من وراء حجاب فأنزل الله تعالى قوله «لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَخَوَاتِهِنَّ» أن يروهن ولا يحتجن عنهن «وَلَا نِسَائِهِنَّ» قيل نريد نساء المؤمنين لا نساء اليهود ولا النصرارى فيصنف نساء رسول الله لأزواجهن إن رأينهن عن ابن عباس وقيل يريد جميع النساء «وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ» يعنى العبيد والإماء «وَأَتَقِينَ اللَّهَ» أى اتركن معاصيه وقيل اتقين عقاب الله من دخول الأجانب عليكن «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا» أى حفيظا لا يغيب عنه شىء قال الشعبى وعكرمه وإنما لم يذكر العم والخال لثلاثا ينعتهن لأبنائهما.

[سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٥٦ الى ٦٢]

إشارة

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦) إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (٥٧) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (٥٨) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٥٩) لَيْسَ لِمَنْ يَنْتَهَى الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنْغَرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (٦٠)

مَلْعُونِينَ أَيْمًا تُقْفُوا أَخَذُوا وَقَتَلُوا تَقْتِيلًا (٦١) سَنَّهَ اللَّهُ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٦٢)

ص: ١٥٦

القراءة

فى الشواذ قراءة الحسن فصلوا عليه.

الحج

إنما جاز دخول الفاء لما فى الكلام من معنى الشرط و ذلك أن الصلاة إنما وجبت عليه منا لأن الله قد صلى عليه و ملائكته فجرى مجرى قول القائل قد أعطيتك فخذ أى إنما وجب عليك الأخذ من أجل العطية.

اللغة

الجلباب خمار المرأة الذى يغطى رأسها و وجهها إذا خرجت لحاجه و الإرجاف إشاعه الباطل للاغتمام به و أصله الاضطراب و منه يقال للبحر رجاف لاضطرابه فأرجاف الناس بالشىء اضطرابهم بالخوض فيه و منه ترجف الراجفه و الإغراء الدعاء إلى تناول الشىء بالتحريض عليه يقال أغراه بالشىء إغراء فغرى به أى أولع به.

الإعراب

«يُدْنِينَ» فى موضع جزم بأنه جواب شرط مقدر و تقديره قل لأزواجك أدنين عليك من جلابيبك فإنك إن تقل ذلك يدنين. «مَلْعُونِينَ» نصب على الذم. «أَيُّنَمَا تُقِفُوا أُخِذُوا» شرط و جزاء و أين ظرف لثقفوا و معمول له و إنما جاز ذلك لأن الجازم فى الأصل إن المحذوفه فصار «أَيُّنَمَا» يتضمنها فيغنى عنها و يقوم مقامها و لا يجوز أن يعمل فيه «أُخِذُوا» لأنه جواب الشرط و لا يعمل الجواب فيما قبل الشرط.

المعنى

لما صدر سبحانه هذه السوره بذكر النبى ص و قرر فى أثناء السوره ذكر تعظيمه ختم ذلك بالتعظيم الذى ليس يقاربه تعظيم و لا يدانيه فقال «إِنَّ اللَّهَ وَ مَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ» معناه إن الله يصلى على النبى ص و يثنى عليه بالثناء الجميل و يبجله بأعظم التبجيل و ملائكته يصلون عليه [يثنون عليه] بأحسن الثناء و يدعون له بأزكى الدعاء «يا

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»

قال أبو حمزة الثمالي حدثني السدي و حميد بن سعد الأنصاري و بريد بن أبي زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال لما نزلت هذه الآية قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة عليك قال قولوا اللهم صل على محمد و آل محمد كما صليت على إبراهيم و آل إبراهيم إنك حميد مجيد و بارك على محمد و آل محمد كما باركت على إبراهيم و آل إبراهيم إنك حميد مجيد

حدث عن عبد الله بن مسعود قال إذا صليتم على النبي ص فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قالوا فعلمنا قال قولوا اللهم اجعل صلاتك و رحمتك و بركاتك على سيد المرسلين و إمام المتقين و خاتم النبيين محمد عبدك و رسولك إمام الدين و قائد الخير و رسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه به الأولون و الآخرون اللهم صل على محمد و آل محمد كما صليت على إبراهيم و آل إبراهيم إنك حميد مجيد

حدث عن أبي بصير قال سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن هذه الآية فقلت كيف صلاة الله على رسوله فقال يا أبا محمد تزكيتة له في السماوات العلى فقلت قد عرفت صلواتنا عليه فكيف التسليم فقال هو التسليم له في الأمور

فعلى هذا يكون معنى قوله «وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» انقادوا لأوامره و ابذلوا الجهد في طاعته و في جميع ما يأمركم به و قيل معناه سلموا عليه بالدعاء أى قولوا السلام عليكم يا رسول الله (الحديث) و

حدث عن أنس بن مالك عن أبي طلحة قال دخلت على النبي ص فلم أره أشد استبشارا منه يومئذ و لا- أطيب نفسا قلت يا رسول الله ما رأيتك قط أطيب نفسا و لا أشد استبشارا منك اليوم فقال و ما يمنعني و قد خرج أنفا جبرائيل من عندي قال قال الله تعالى من صلى عليك صلاة صليت بها عليه عشر صلوات و محوت عنه عشر سيئات و كتبت له عشر حسنات

«إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» قيل هم المنافقون و الكافرون و الذين وصفوا الله بما لا يليق به و كذبوا رسله و كذبوا عليه فعلى هذا يكون معنى يؤذون الله يخالفون أمره و يصفونه بما هو منزه عنه و يشبهونه بغيره فإن الله عز اسمه لا يلحقه أذى و لكن لما كانت مخالفه الأمر فيما بيننا تسمى إيذاء خوطبنا بما نتعارفه و قيل يؤذون الله يلحدون في أسمائه و صفاته و قيل معناه يؤذون رسول الله فقدم ذكر الله على وجه التعظيم إذ جعل أذى رسوله أذى له تشريفا له و تكريما فكأنه يقول لو جاز أن يناله أذى من شىء لكان ينالني من هذا و اتصاله بما قبله أنه كأنه يقول صلوا عليه و لا تؤذوا فإن من آذاه فهو كافر ثم أوعده عليه بقوله «لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ» أى يبعدهم الله من رحمته و يحل بهم وبال نقمته بحرمان زيادات الهدى في الدنيا و الخلود في النار في الآخرة «وَأَعَدَّ لَهُمْ» في الآخرة «عَذَابًا مُّهِينًا» أى مذلا لهم

حدثنا السيد أبو الحمد قال حدثنا الحاكم أبو القاسم الحسكاني قال حدثنا أبو عبد الله الحافظ قال

حدثنا أحمد بن محمد بن أبي دارم الحافظ قال حدثنا علي بن أحمد العجلي قال حدثنا عباد ابن يعقوب قال حدثنا أرتاه بن حبيب قال حدثنا أبو خالد الواسطي و هو أخذ بشعره قال حدثني زيد بن علي بن الحسين (عليه السلام) و هو أخذ بشعره قال حدثني علي بن الحسن و هو أخذ بشعره قال حدثني الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) و هو أخذ بشعره قال حدثني علي بن أبي طالب و هو أخذ بشعره قال حدثني رسول الله ص و هو أخذ بشعره فقال من أذى شعره منك فقد آذاني و من آذاني فقد آذى الله و من آذى الله فعليه لعنة الله

«وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا» أى يؤذونهم من غير أن عملوا ما يوجب أذاهم «فَقَدْ اخْتَلَمُوا بُهْتَانًا» أى فقد فعلوا ما هو أعظم الإثم مع البهتان و هو الكذب على الغير يواجهه به فجعل إيذاء المؤمنين و المؤمنات مثل البهتان و قيل يعنى بذلك أذيه اللسان فيتحقق فيها البهتان «وَ إِثْمًا مُّبِينًا» أى و معصيه ظاهره قال قتاده و الحسن إياكم و أذى المؤمنين فإن الله تعالى يغضب له و قيل نزلت فى قوم من الزناه كانوا يمشون فى الطرقات ليلا فإذا رأوا امرأة غمزوها و كانوا يطلبون الإماء عن الضحاك و السدى و الكلبي ثم خاطب النبي ص فقال «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَ بَنَاتِكُمْ وَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ» أى قل لهؤلاء فليسترن موضع الجيب بالجلباب و هو الملاءة التى تشتمل بها المرأة عن الحسن و قيل الجلباب مقنعه المرأة أى يغطين جباههن و رءوسهن إذا خرجن لحاجه بخلاف الإماء اللاتى يخرجن مكشفات الرؤوس و الجباه عن ابن عباس و مجاهد و قيل أراد بالجلابيب الثياب و القميص و الخمار و ما تستتر به المرأة عن الجبائى و أبى مسلم «ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ» أى ذلك أقرب إلى أن يعرفن بزيهن أنهن حرائر و لسن ياماء فلا يؤذيهن أهل الرية فإنهم كانوا يمازحون الإماء و ربما كان يتجاوز المنافقون إلى ممازحه الحرائر فإذا قيل لهم فى ذلك قالوا حسبناهن إماء فقطع الله عذرهم و قيل معناه ذلك أقرب إلى أن يعرفن بالستر و الصلاح فلا يتعرض لهن لأن الفاسق إذا عرف امرأة بالستر و الصلاح لم يتعرض لها عن الجبائى «وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا» أى ستارا لذنوب عباده «رَحِيمًا» بهم ثم أوعده سبحانه هؤلاء الفساق فقال «لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ» أى لئن لم يمتنع المنافقون «وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» أى فجور و ضعف فى الإيمان و هم الذين لا دين لهم عما ذكرناه من مراوده النساء و إيذائهن «وَ الْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ» و هم المنافقون أيضا الذين كانوا يرجفون فى المدينة بالأخبار الكاذبه المضعفه لقلوب المسلمين بأن يقولوا اجتمع المشركون فى موضع كذا قاصدين لحرب المسلمين و نحو ذلك و يقولوا لسرايا المسلمين إنهم قتلوا و هزموا و فى الكلام حذف و تقديره لئن لم ينته هؤلاء عن أذى المسلمين و عن الإرجاف بما يشغل قلوبهم «لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ» أى لنسلطنك

عليهم يا محمد عن ابن عباس و المعنى أمرناك بقتلهم حتى تقتلهم و تخلى عنهم المدينة و قد حصل الإغراء بهم بقوله جاهد الكفار و المنافقين عن أبي مسلم و قيل لم يحصل الإغراء بهم لأنهم انتهوا عن الجبائي قال و لو حصل الإغراء لقتلوا و شردوا و أخرجوا عن المدينة «ثم لا يُجاوِزُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا» أى ثم لا يساكنونك فى المدينة إلا يسيرا و هو ما بين الأمر بالقتل و ما بين قتلهم «مَلْعُونِينَ» أى مطرودين منفين عن المدينة مبعدين عن الرحمة و قيل ملعونين على السنه المؤمنين «أَيُّنَمَا تُقْفُوا أُخِذُوا وَ قُتِلُوا تَقْتِيلًا» أى أينما وجدوا و ظفر بهم أخذوا و قتلوا أبلغ القتل «سِنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ» و السنه الطريقه فى تدبير الحكم و سنه رسول الله ص طريقته التى أجزاها بأمر الله تعالى فأضيفت إليه و لا- يقال سنته إذا فعلها مره أو مرتين لأن السنه الطريقه الجاريه و المعنى سن الله فى الذين ينافقون الأنبياء و يرجفون بهم أن يقتلوا حيثما ثقفوا عن الزجاج «وَلَنْ تَجِدَ لِسِنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا» أى تحويلا و تغييرا أى لا يتهيا لأحد تغييرها و لا قلبها من جهتها لأنه سبحانه القادر الذى لا يتهيا لأحد منعه مما أراد فعله.

[سوره الأحزاب (٣٣): الآيات ٦٣ الى ٦٩]

أشاره

يَسْبِقُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَ مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (٦٣) إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَ أَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَيْدَا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَ لَا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَ أَطَعْنَا الرَّسُولَ (٦٦) وَ قَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَ كُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَا (٦٧)

رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَ الْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا- تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩)

ص: ١٦٠

قرأ ابن عامر و يعقوب و سهل ساداتنا بالألف و كسر التاء و الباقون «سادتنا» بغير ألف و قرأ عاصم «كبيراً» بالباء و الباقون كثيراً بالثاء و فى الشواذ قراه عيسى بن عمر يوم تقلب وجوههم و قراه ابن مسعود و الأعمش و كان عبدا لله و جيبها.

الحجه

قال أبو على ساده فعله مثل كتبه و فجره قال:

سليل قروم ساده مثل ذاده يبدون أهل الجمع يوم المحصب

و وجه الجمع بالألف و التاء أنهم قد قالوا الطرقات و المعنات فى المعن جمع معين قال الأعشى:

جندك التالد الطريف من السادات أهل القباب و الآكال

قال أبو الحسن هى غريبه و الكبر مثل العظم و الكثره أشبه بالموضع لأنهم يلعنون مره بعد مره و قد جاء يلعنهم الله و يلعنهم اللأعنون فالكثره أشبه بالمرار المتكرره من الكبر و قوله «يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ» تقديره يوم تقلب السعير و جوههم نسب الفعل إلى النار لما كان التقليل فيها كما قال مَكْرُ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ لَوْ قَوَّعَ الْمَكْرَ فِيهِمَا و عليه قول رؤبه:

" فنام ليلي و تجلى همى "

و قوله عبدا لله و جيبها لا يهيم منه و جاهته عند الله فقراه الناس المشهوره أقوى منه لإسناده و جاهته إلى الله سبحانه.

المعنى

ثم قال سبحانه «يَسْئَلُكَ» يا محمد «النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ» يعنى القيامة «قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ» لا يعلمها غيره «وَمَا يُدْرِيكَ» يا محمد أى شىء يعلمك من أمر الساعه و متى يكون قيامها أى أنت لا تعرفه ثم قال «لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا» أى قريبا مجيئها و يجوز أن يكون أمره أن يجيب كل من يسأله عن الساعه بهذا فيقول لعل ما تستبطئه قريب و ما تنكره كائن و يجوز أن يكون تسليه له ص أى فاعلم أنه قريب فلا يضيعن صدرك باستهزائهم بإخفائها «إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَ أَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا» أى نارا تستعر و تلتهب «خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَ لَا نَصِيرًا» أى وليا ينصرهم يدفع عنهم «يَوْمَ تُقَلَّبُ

وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ الْعَامِل فِي «يَوْمَ تُقَلَّبُ» قَوْلُهُ «وَأَعِدَّ لَهُمْ سَعِيرًا» وَالتَّقْلِيْبُ تَصْرِيْفُ الشَّيْءِ فِي الْجِهَاتِ وَ مَعْنَاهُ تَقْلِبُ وَجُوهُ هَؤُلَاءِ السَّائِلِيْنَ عَنِ السَّاعَةِ وَ أَشْبَاهِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ فَتَسْوَدُ وَ تَصْفُرُ وَ تَصِيرُ كَالْحَدِيدِ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ تَنْقَلُ وَجُوهُهُمْ مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ فِي النَّارِ فَيَكُونُ أَبْلَغُ فِيمَا يَصِلُ إِلَيْهَا مِنَ الْعَذَابِ «يَقُولُونَ» مَتَمْنِيْنَ مَتَأَسْفِيْنَ «يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ» فِيمَا أَمَرْنَا بِهِ وَ نَهَانَا عَنْهُ «وَ أَطَعْنَا الرَّسُولَ» فِيمَا دَعَانَا إِلَيْهِ «وَ قَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا» فِيمَا فَعَلْنَا «سَادَتَنَا وَ كُبْرَاءَنَا» وَ السَّيِّدُ الْمَالِكُ الْمَعْظَمُ الَّذِي يَمْلِكُ تَدْبِيرَ السَّوَادِ الْأَعْظَمِ وَ هُوَ الْجَمْعُ الْأَكْثَرُ قَالَ مَقَاتِلُ هُمُ الْمُطْعَمُونَ فِي غَزْوِهِ بِدَرْ وَ قَالَ طَاوُوسُ هُمُ الْعُلَمَاءُ وَ الْوَجْهُ أَنْ الْمُرَادُ جَمِيعُ قَادَةِ الْكُفْرِ وَ أَيْمَةُ الضَّلَالِ «فَأَضَلُّوْنَا السَّبِيلَ» أَيْ أَضَلُّنَا هَؤُلَاءِ عَنِ سَبِيلِ الْحَقِّ وَ طَرِيقِ الرَّشَادِ «رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ» بِضَلَالِهِمْ فِي نَفْسِهِمْ وَ إِضْلَالِهِمْ إِيَّانَا أَيْ عَذَبَهُمْ مِثْلِي مَا تَعَذَّبَ غَيْرَهُمْ «وَ الْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا» مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى وَ زَدَهُمْ غَضَبًا إِلَى غَضَبِكَ وَ سَخَطًا إِلَى سَخَطِكَ ثُمَّ خَاطَبَ سَبْحَانَهُ الْمُظْهَرِيْنَ لِلْإِيْمَانِ فَقَالَ «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا» أَيْ لَا تَوَذُّوا مُحَمَّدًا ص كَمَا آذَى بَنُو إِسْرَائِيلَ مُوسَى فَإِنَّ حَقَّ النَّبِيِّ ص أَنْ يَعْظُمَ وَ يَجْعَلَ لَا أَنْ يُؤْذَى وَ اخْتَلَفُوا فِيمَا أُوذِيَ بِهِ مُوسَى عَلَى أَقْوَالٍ (أَحَدُهَا)

أَنْ مُوسَى وَ هَارُونَ صَعِدَا الْجَبَلِ فَمَاتَ هَارُونَ فَقَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَنْتَ قَتَلْتَهُ فَأَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ فَحَمَلْتَهُ حَتَّى مَرَوْا بِهِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ تَكَلَّمَتِ الْمَلَائِكَةُ بِمَوْتِهِ حَتَّى عَرَفُوا أَنَّهُ قَدْ مَاتَ وَ بَرَّأَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ عَنِ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

وَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَ اخْتَارَهُ الْجَبَائِيُّ (وَ ثَانِيهَا) أَنْ مُوسَى كَانَ حَيًّا سَتِيرًا يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ فَقَالُوا مَا يَسْتَتِرُ مِنَّا إِلَّا لَعِبٍ بِجِلْدِهِ إِمَّا بِرِصٍّ وَ إِمَّا أَدْرَهُ فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ فَمَرَّ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ فَطَلَبَهُ مُوسَى فَرَأَاهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَرِيَانًا كَأَحْسَنِ الرِّجَالِ خَلْقًا فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا وَ قَالَ قَوْمٌ إِنْ ذَلِكَ لَا يَجُوزُ لِأَنَّ فِيهِ إِشْهَارَ النَّبِيِّ وَ إِبْدَاءَ سَوَآتِهِ عَلَى رِءُوسِ الْأَشْهَادِ وَ ذَلِكَ يَنْفِرُ عَنْهُ (وَ ثَالِثُهَا) أَنْ قَارُونَ اسْتَأْجَرَ مُوسَى لِيَقْتُلَهُ مُوسَى بِنَفْسِهَا عَلَى رَأْسِ الْمَلَأِ فَعَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ عَلَى مَا مَرَّ ذَكَرَهُ عَنِ أَبِي الْعَالِيَةِ (وَ رَابِعُهَا) أَنَّهُمْ آذَوْهُ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُمْ نَسَبُوهُ إِلَى السِّحْرِ وَ الْجُنُونِ وَ الْكُذْبِ بَعْدَ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ عَنِ أَبِي مُسْلِمٍ «وَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا» أَيْ عَظِيمُ الْقَدْرِ رَفِيعُ الْمَنْزِلَةِ يُقَالُ وَجَاهٌ فَهُوَ وَجِيهٌ إِذَا كَانَ ذَا جَاهٍ وَ قَدَرٌ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ خَطِيرًا لَا يَسْأَلُهُ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ.

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ قُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُضِلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَ أَشْفَقْنَ مِنْهَا وَ حَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَ الْمُنَافِقَاتِ وَ الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُشْرِكَاتِ وَ يُتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٣)

المعنى

ثم أمر الله سبحانه أهل الإيمان و التوحيد بالتقوى و القول السديد فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ» أى اتقوا عقاب الله باجتناب معاصيه و فعل واجباته «وَ قُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا» أى صوابا بريئا من الفساد خالصا من شائقه الكذب و اللغو موافق للظاهر و للباطن و قال الحسن و عكرمه صادقاً يعنى كلمه التوحيد لا إله إلا الله و قال مقاتل هذا يتصل بالنهى عن الإيذاء أى قولوا قولاً صواباً و لا- تنسبوا رسول الله ص إلى ما لا يجمل و لا يليق به «يُضِلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ» معناه إن فعلتم ذلك يصلح لكم أعمالكم بأن يلفظ لكم فيها حتى تستقيموا على الطريقه المستقيمه السليمه من الفساد و يوفقكم لما فيه الصلاح و الرشاد و قيل معناه يزكى أعمالكم و يتقبل حسناتكم عن ابن عباس و مقاتل «وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ» باستقامتكم فى الأقوال و الأفعال «وَ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» فى الأوامر و النواهي «فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا» أى فقد أفلح إفلحا عظيماً و قيل فقد ظفر برضوان الله و كرامته «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبَالِ» اختلف فى معنى الأمانه فقول هو ما أمر الله به من طاعته و نهى عنه من معصيته عن أبى العالیه و قيل هى الأحكام و الفرائض التى أوجبها الله تعالى على العباد عن ابن عباس و مجاهد و هذان القولان متقاربان و قيل هى أمانات الناس و الوفاء بالعهود فأولها ائتمان آدم ابنه قابيل على أهله و ولده حين أراد التوجه إلى مكه عن أمر ربه فخان قابيل

إذ قتل هابيل عن السدى والضحاك و اختلف فى معنى عرض الأمانة على هذه الأشياء و قيل فيه أقوال (أحدها) أن المراد العرض على أهلها فحذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه و عرضها عليهم هو تعريفه إياهم أن فى تضييع الأمانة الإثم العظيم و كذلك فى ترك أوامر الله تعالى و أحكامه فبين سبحانه جراه الإنسان على المعاصى و إشفاق الملائكة من ذلك فيكون المعنى عرضنا الأمانة على أهل السماوات و الأرض و الجبال من الملائكة و الجن و الإنس «فَأَيُّنَ أَنْ يَحْمِلُنَهَا» أى فأبى أهلهم أن يحملوا تركها و عقابها و المآثم فيها «وَ أَشْفَقْنَ مِنْهَا» أى و أشفقن أهلهم من حملها «وَ حَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا» لنفسه بارتكاب المعاصى «جَهُولًا» بموضع الأمانة فى استحقاق العقاب على الخيانة فيها عن أبى على الجبائى و قال إذا لم يصح حمله على نفس السماوات و الأرض و الجبال فلا- بد أن يكون المراد به أهلها لأنه يجب أن يكون المراد به المكلفين دون غيرهم لأن ذلك لا- يصح إلا فيهم و لا بد من أن يكون المراد بحمل الأمانة تضييعها لأن نفس الأمانة قد حملتها الملائكة و قامت بها قال الزجاج كل من خان الأمانة فقد حملها و من لم يحمل الأمانة فقد أداها و كذلك كل من أثم فقد احتمل الإثم قال الله سبحانه وَ لِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَ أَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ فقد أعلم الله سبحانه أن من باء بالإثم يسمى حاملا للإثم و هو قول الحسن لأنه قال الكافر و المنافق حملا الأمانة أى خانا و لم يطيعا و أنشد بعضهم فى حمل الأمانة بمعنى الخيانة قول الشاعر:

إذا أنت لم تبرح تؤدى أمانه و تحمل أخرى أفرحتك الودائع

و أقول أن الظاهر لا- يدل على ذلك لأنه لا- يجوز أن يكون المراد بالحمل هنا قبول الأمانة لأن الشاعر جعله فى مقابلة الأداء فكأنه قال إذا كنت لا تزال تقبل أمانه و تؤدى أخرى شغلت نفسك بقبول الودائع و أدائها فأثقلتك (و ثانيها) أن معنى عرضنا عارضنا و قابلنا فإن عرض الشىء على الشىء و معارضته به سواء و الأمانة ما عهد الله سبحانه إلى عباده من أمره و نهييه و أنزل فيه الكتب و أرسل الرسل و أخذ عليه الميثاق و المعنى أن هذه الأمانة فى جلاله موقعها و عظم شأنها لو قيست بالسماوات و الأرض و الجبال و عورضت بها لكانت هذه الأمانة أرجح و أثقل وزنا و معنى قوله «فَأَيُّنَ أَنْ يَحْمِلُنَهَا» ضعفن عن حملها كذلك «وَ أَشْفَقْنَ مِنْهَا» لأن الشفقة ضعف القلب و لذلك صار كناية عن الخوف الذى يضعف عنده القلب ثم قال إن هذه الأمانة التى من صفتها أنها أعظم من هذه الأشياء العظيمة تقلدها الإنسان فلم يحفظها بل

حملها وضيعها لظلمه على نفسه و لجهله بمبلغ الثواب و العقاب عن أبى مسلم (و ثالثها) أنه على وجه التقدير إلا أنه أجرى عليه لفظ الواقع لأن الواقع أبلغ من المقدر. معناه لو كانت السماوات و الأرض و الجبال عاقله ثم عرضت عليها الأمانه و هى وظائف الدين أصولا و فروعا و ما ذكرناه من الأقاويل فيها بما فيها من الوعد و الوعيد عرض تخيير لاستثقلت ذلك مع كبر أجسامها و شدتها و قوتها و لامتنعت من حملها خوفا من القصور عن أداء حقها ثم حملها الإنسان مع ضعف جسمه و لم يخف الوعيد لظلمه و جهله و على هذا يحمل ما روى عن ابن عباس أنها عرضت على نفس السماوات و الأرض فامتنعت من حملها (و رابعها) أن معنى العرض و الإباء ليس هو ما يفهم بظاهر الكلام بل المراد تعظيم شأن الأمانه لا مخاطبه الجماد و العرب تقول سألت الربيع و خاطبت الدار فامتنعت عن الجواب و إنما هو إخبار عن الحال عبر عنه بذكر الجواب و السؤال و تقول أتى فلان بكذب لا تحمله الجبال و قال سبحانه فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ و خطاب من لا يفهم لا يصح و قال الشاعر:

فأجهشت للبوابه حين رأيتَه و كبر للرحمن حين رآنى

فقلت له أين الذين عهدتهم بجنبك فى خفض و طيب زمان

فقال مضوا و استودعونى بلادهم و من ذا الذى يبقى على الحداثان

و قال آخر:

فقال لى البحر إذ جئته و كيف يجيب ضرير ضريرا

فالأمانه على هذا ما أودع الله السماوات و الأرض و الجبال من الدلائل على وحدانيته و ربوبيته فأظهرتها و الإنسان الكافر كتمها و جحدها لظلمه و جهله و بالله التوفيق و لم يرد بقوله الإنسان جميع الناس بل هو مثل قوله «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ و إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ» و فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَرَّ ابْتِلَاءُ رَبِّهِ و الأنبياء و الأولياء و المؤمنون عن عموم هذه الآيه خارجون و لا يجوز أن يكون الإنسان محمولا على آدم (عليه السلام) لقوله «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ» و كيف يكون من اصطفاه الله من بين خلقه موصوفا بالظلم و الجهل ثم بين سبحانه الغرض الصحيح و الحكمة

ص: ١٦٥

البالغ في عرضه هذه الأمانة فقال «لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ» يعنى بتضييع الأمانة قال الحسن هما اللذان حملاهما ظلما و جهلا «وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ» بحفظهم الأمانة و وفائهم و هذا هو الغرض بالتكليف عند من عرف المكلف و المكلف فالمعنى أنا عرضنا ذلك ليظهر نفاق المنافق و شرك المشرك فيعذبهم الله و يظهر إيمان المؤمن فيتوب الله عليه إن حصل منه تقصير في بعض الطاعات «وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا» أى ستارا لذنوب المؤمنين «رَحِيمًا» بهم.

(٣٤) سورة سبأ مكيه و آياتها أربع و خمسون (٥٤)

اشاره

عدد آياتها

خمس و خمسون آيه شامى أربع فى الباقون.

اختلافها

آيه عن يمين و شمال.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأ سورة سبأ لم يبق نبى و لا رسول إلا كان له يوم القيامة رفيقا و مصافحا

و

روى ابن أذينة عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ الحمدین جميعا سبأ و فاطر فى ليله لم يزل ليلته فى حفظ الله تعالى و كلاته فإن قرأهما فى نهاره لم يصبه فى نهاره مكروه و أعطى من خير الدنيا و خير الآخرة ما لم يخطر على قلبه و لم يبلغ منه.

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة الأحزاب ببيان الغرض فى التكليف و أنه سبحانه يجزى المحسن بإحسانه و المسىء بإساءته افتتح هذه السورة بالحمد له على نعمته و كمال قدرته فقال:

[سورة سبأ (٣٤): الآيات ١ الى ٥]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١) يَغْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَ مَا يَعْرُجُ فِيهَا وَ هُوَ الرَّحِيمُ الْعَفُورُ (٢) وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَ رَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَ لَا فِي الْأَرْضِ وَ لَا أَضِغْرُ مِنْ ذَلِكَ وَ لَا أَكْبْرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٣) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)

وَ الَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٍ (٥)

قرأ أهل المدينة و الشام عالم الغيب بالرفع و قرأ حمزه و الكسائي علام الغيب بالجر و اللام قبل الألف و الباقون «عالم الغيب» بالجر و قرأ ابن كثير و حفص و يعقوب من رجز أليم هنا و فى الجائيه أيضا بالرفع و الباقون بالجر.

الحجه

قال أبو على الجر على قوله الحمد لله عالم الغيب و قال غيره عالم الغيب بالجر صفه لقوله «وَرَبِّي» أو بدل منه فأما الرفع فيجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره هو عالم الغيب و أن يكون ابتداء و خبره لا يعزب و علام أبلغ من عالم و الرجز العذاب بدلاله قوله لئن كشفت عنا الرجز فأنزّلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء فإذا كان العذاب يوصف باليم كما أنه نفس العذاب جاز أن يوصف به و الجر فى أليم أبين لأنه إذا كان عذاب من عذاب أليم كان العذاب الأول أليماً و إذا جرى الأليم على العذاب كان المعنى عذاب أليم من عذاب و الأول أكثر فائده.

اللغه

الحمد هو الوصف بالجميل على جهه التعظيم و نقيضه الذم و هو الوصف بالتقبيح على جهه التحقير ثم ينقسم فمنه ما هو أعلى و منه ما هو أدنى و الأعلى ما يقع على وجه العباده و لا يستحقها إلا الله سبحانه لأن إحسان الله عز اسمه لا يوازيه إحسان أحد من المخلوقين و يستحق الحمد على الإحسان و الإنعام فلا يستحق أحد من المخلوقين مثل ما يستحقه سبحانه و الولوج الدخول و العروج الصعود و المعارج الدرج من هذا و عزب عنه يعزب و يعزب إذا بعد و

فى الحديث من قرأ القرآن فى أربعين ليلة فقد عزب

أى بعد عهده بما ابتدأ منه و أبطأ فى تلاوته.

«لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا» يتعلق بقوله «لا يَغْرُبُ».

المعنى

«الْحَمْدُ لِلَّهِ» معناه قولوا الحمد لله و هو تعريف لوجوب الشكر على نعم الله سبحانه و تعليم لكيفية الشكر «الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ» أى الذى يملك التصرف فى جميع ما فى السماوات و جميع ما فى الأرض ليس لأحد الاعتراض عليه و لا منعه «وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ» أى هو المستحق للحمد على أفعاله الحسنى فى الدارين لكونه منعا فيهما و الآخرة و إن كانت ليست بدار تكليف فلا يسقط فيها الحمد و الاعتراف بنعم الله تعالى بل العباد ملجئون إلى ذلك لمعرفة الضرورى بنعم الله عليهم من الثواب و العوض و ضروب التفضل و من حمد أهل الجنة قولهم الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا و الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعَيْدُهُ و قيل إنما يحمده أهل الجنة لا على وجه التعبد لكن على وجه السرور و التلذذ بالحمد و لا يكون بالحمد عليهم فيه تعب و لا مشقة و قيل يحمده أهل الجنة على نعمه و فضله و يحمده أهل النار على عدله «وَهُوَ الْحَكِيمُ» فى جميع أفعاله لأنها كلها واقعه على وجه الحكمة «الْخَيْرُ» بجميع المعلومات «يَعْلَمُ مَا يَلْبِغُ فِي الْأَرْضِ» أى ما يدخل فيها من مطر و كنز أو ميت «وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا» من زرع و نبات أو جواهر أو حيوان «وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ» من مطر أو رزق أو ملك «وَمَا يَعْزُجُ» أى يصعد «فيها» من الملائكة و أعمال العباد فهو يجرى جميع ذلك على تقدير تقتضيه الحكمة و تدبير توجهه المصلحة «وَهُوَ الرَّحِيمُ» بعباده مع علمه بما يعملون من المعاصى فلا يعاجلهم بالعقوبة و يمهلهم للتوبة «الْغُفُورُ» أى الساتر عليهم ذنوبهم فى الدنيا المتجاوز عنها فى العقبي كما قال وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا» يعنى منكرى البعث و النشور «لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ» يعنى القيامة «قُلْ» لهم يا محمد «بَلَى وَ رَبِّي» أى و حق الله ربي الذى خلقنى و أوجدنى «لَتَأْتِيَنَّكُمْ» القيامة «عَالِمِ الْغَيْبِ» يعمل كل شىء يغيب عن العباد علمه «لَا يَغْرُبُ عَنْهُ» أى لا يفوته «مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَ لَا فِي الْأَرْضِ» بل هو عالم بجميع ذلك «وَلَا أَضِغْرُ مِنْ ذَلِكَ وَ لَا أَكْبُرُ إِلَّا فِي كِتَابِ مُبِينٍ» يعنى اللوح المحفوظ و قد مضى هذا مفسرا فى سورة يونس كذب الله سبحانه فى هذه الآيه الكفار الجاحده للبعث و بين أن القيامة آتية كائنه لا محاله و أمر رسوله ص بأن يحلف على ذلك تأكيدا له ثم مدح نفسه بأنه يعلم ما غاب عن العباد علمه مما هو كائن أو سيكون و لم يوجد بعد ثم قال «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» أى إنما أثبت ذلك فى الكتاب المبين ليكافئهم بما يستحقونه من الثواب على صالح أعمالهم «أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ» لذنوبهم و ستر لها و لهم مع ذلك «رِزْقٌ كَرِيمٌ» أى هنىء لا تنغيص فيه و لا تكدير و قيل هو الجنة عن قتاده «وَالَّذِينَ سَاءُوا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ» أى

عملوا بجهدهم و جدهم فى إبطال حججنا و فى تزهد الناس عن قبولها مقدرين إعجاز ربهم و ظانين أنهم يفوتونه و قيل معاجزين مسابقين و معجزين و مثبطين و قد مضى تفسير هذه الآية فى سورة الحج «أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَى سَى ء الْعَذَابِ عَنْ قِتَادِهِ «أَلِيمٌ» أَى مؤلم.

النظم

وجه اتصال قوله «عَالِمِ الْغَيْبِ» بما قبله أنه سبحانه لما حكى عن المشركين ما يضاد الإقرار له بالربوبية و الاعتراف بالنعمة من إنكار القيامة ذكر بعده أن من يعلم أفعال العباد و ما يستحقونه من الجزاء لو لم يجعل دارا أخرى يجازى فيها المحسن على إحسانه و المسىء على إساءته و ينتصف للمظلوم من الظالم كان ذلك خروجاً عن موجب الحكمة.

[سوره سبا (٣٤): الآيات ٦ الى ٩]

إشارة

وَ يَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَ يَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٦) وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُبَيِّنُكُمْ إِذَا مَرَّقْتُمْ كُلَّ مَمْرَقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٧) أَفَتُرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَ الضَّلَالِ النَّعِيدِ (٨) أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيَّنَّ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلَفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّ نَشَأَ نُخَسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٩)

القراءة

قرأ حمزه و الكسائى و خلف إن يشأ يخسف بهم الأرض أو يسقط بالياء فى الجميع و الباقون كل ذلك بالنون و أدغم الكسائى وحده الفاء فى الباء فى يخسف بهم.

الحجج

قال أبو على حجج النون قوله وَ لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ فَالنون أشبه بآتيناً و حجج الياء قوله «أَفَتُرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» فحمل على اسم الله تعالى قال و إدغام الفاء فى الباء لا يجوز لأن الفاء من باطن الشفه السفلى و أطراف الثنايا العليا و انحدر الصوت به إلى الفم حتى اتصل

بمخرج الثاء حتى جاء مثل الجذث و الجدف و المغاثير و المغاير فتعاقبا للمقاربه بينهما فلما اتصلت بمخرج الثاء صارت بمنزله حرف من تلك الحروف فلم يجز إدغامها في الباء لأنه إذا اتصل بما ذكرنا صار كحرف من ذلك الموضع فكما أن ذلك الحرف الذى اتصل بالفاء لا يدغم فى الباء كذلك الفاء لا يدغم فى الباء و كذلك لا يجوز أن يدغم الفاء فى الباء لزياده صوتها المتصل بحرف من حروف الفم.

الإعراب

«وَيَرَى» يحتمل أن يكون منصوبا عطفا على لِيَجْزَى و يحتمل أن يكون مرفوعا على الاستئناف و «الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ» فى موضع نصب لأنه مفعول يرى و هو فصل و الحق مفعول ثان ليرى و قوله «إِذَا مَرَّكُمْ» قال الزجاج إذا فى موضع نصب بمزقتم و لا يجوز أن يعمل فيها جديد لأن ما بعد أن لا يعمل فيما قبلها و التأويل هل ندلكم على رجل يقول لكم إذا مزقتم تبعثون و يكون إذا بمنزله إن الجزاء يعمل فيها الذى يليها قال قيس بن الخطيم:

إذا قصرت أسيافنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فنضارب

و المعنى يكن وصلها و الدليل عليه جزم فنضارب و يجوز أن يكون العامل فى إذا مضمرا يدل عليه «إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ» و يكون المعنى هل ندلكم على رجل يقول لكم إذا مزقتم بعثتم قال أبو على إن جعل موضع إذا نصبا بمزقتم لزم أن يحكم على موضعه بالجزم لأن إذا هذه لا يجوز أن ينتصب به حتى يقدر جزم الفعل الذى هو الشرط بها و الجزم بها لا يسوغ أن يحمل عليه الكتاب لأن ذلك إنما يكون فى ضروره الشعر فإن حمل موضع إذا على أنه نصب و الفعل غير مقدر فى موضعه الجزم لم يجز لأنه إذا لم يجاز بها أضيفت إلى الفعل و المضاف إليه لا يعمل فى المضاف و لا فيما قبله و موضع الفعل الواقع بعد إذا خفض فلما لم يجز زيدا غلام ضارب عندك تريد غلام ضارب زيدا عندك فكذلك لا يجوز أن يكون موضع إذا نصبا بمزقتم فالتقدير ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق بعثتم أو نشرتم أو ما أشبه ذلك من الأفعال التى يكون قوله «إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ» دالا عليه و مفسر له و إن قدر هذا الفعل قبل إذا كان سائغا فيكون التقدير ينبئكم فيقول لكم تبعثون إذا مزقتم كل ممزق و يكون جواب إذا على هذا التقدير مضمرا كأنه تبعثون إذا مزقتم كل ممزق بعثتم فيستغنى إذا عن إظهار الجواب إذا تقدمها ما يدل عليه نحو أنت ظالم إن فعلت و كذلك يحذف الشرط لدلاله الجزاء عليه إذا وقع بعد كلام غير واجب نحو الأمر و الاستفهام و ما أشبه ذلك فافهم ذلك فإنه فصل جليل

الموقع فى النحو استخرجته من كلام أبى على. «أفترى» أصله أفترى دخلت همزه الاستفهام على همزه الوصل فأسقطتها.

المعنى

ثم ذكر سبحانه المؤمنين و اعترفهم بما جرده من تقدم ذكرهم من الكافرين فقال «وَ يَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» أى و يعلم الذين أعطوا المعرفة بوحدانية الله تعالى و هم أصحاب محمد ص عن قتاده و قيل هم المؤمنون من أهل الكتاب عن الضحاك و قيل هم كل من أوتى العلم بالدين و هذا أولى لعمومه «الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ» يعنى القرآن «هُوَ الْحَقُّ» أى يعلمونه الحق لأنهم يتدبرونه و يتفكرون فيه فيعلمون بالنظر و الاستدلال أنه ليس من قبل البشر فهؤلاء لطف الله سبحانه لهم بما أداهم إلى العلم فكأنه سبحانه قد أتاهم العلم و قوله «وَ يَهْدِي» أى و يعلمون أنه يهدى إلى القرآن و يرشد «إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ» أى دين القادر الذى لا يغالب المحمود على جميع أفعاله و هو الله تعالى و فى هذه الآية دلالة على فضيلة العلم و شرف العلماء و عظم أقدارهم ثم عاد سبحانه إلى الحكاية عن الكفار فقال «وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا» أى بعضهم لبعض أو القادة للأتباع على وجه الاستبعاد و التعجب «هَيْلٌ نَدُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ» يعنون محمدا ص «يُبَيِّنُكُمْ إِذَا مَزَقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ» أى يزعم أنكم تبعثون بعد أن تكونوا عظاما و رفاتا و ترابا و هو قوله «إِذَا مَزَقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ» أى فرقتم كل تفريق و قطعتم كل تقطيع و أكلتكم الأرض و السباع و الطيور و الجديد المستأنف المعاد و المعنى إنكم يجدد خلقكم بأن تنشروا و تبعثوا «أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» معناه هل كذب على الله متعمدا حين زعم أنا نبعث بعد الموت و هو استفهام تعجب و إنكار «أَمْ بِهِ جِنَّةٌ» أى جنون فهو يتكلم بما لا يعلم ثم رد سبحانه عليهم قولهم فقال «بَلِ» ليس الأمر على ما قالوا من الافتراء و الجنون «الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ» أى هؤلاء الذين لا يصدقون بالبعث و الجزاء و الثواب و العقاب «فِي الْعَذَابِ» فى الآخرة «وَ الضَّلَالِ الْبُعِيدِ» من الحق فى الدنيا ثم وعظهم سبحانه ليعتبروا فقال «أَفَلَمْ يَرَوْا» أى أ فلم ينظر هؤلاء الكفار «إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ» كيف أحاطت بهم و ذلك أن الإنسان حيث ما نظر رأى السماء و الأرض قدامه و خلفه و عن يمينه و عن شماله فلا يقدر على الخروج منها و قيل معناه أ فلم يتدبروا و يتفكروا فى السماء و الأرض فيستدلوا بذلك على قدره الله تعالى ثم ذكر سبحانه قدرته على إهلاكهم فقال «إِنَّ نَشْأَ نَحْسِفَ بِهِمُ الْأَرْضَ» كما خسفنا بقارون «أَوْ نُشَقِّطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ» أى قطعه من السماء تغطيهم و تهلكهم «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً» معناه إن فيما ترون من السماء و الأرض لدلالة على قدره الله على البعث

و على ما يشاء من الخسف بهم «لِكَلِّ عَيْدٍ مُنِيبٍ» أناب إلى الله و رجع إلى طاعته أ فلا يرتدع هؤلاء عن التكذيب بآيات الله و الإنكار لقدرته على البعث.

[سوره سبا (٣٤): الآيات ١٠ الى ١٤]

إشاره

وَ لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَ الطَّيْرَ وَ أَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنْ اِعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَ قَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَ اِعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١) وَ لَسِيْلَيْمَانَ الرِّيْحَ غُدُوْهَا شَهْرٌ وَ رَوَاحُهَا شَهْرٌ وَ أَسْلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَطْرِ وَ مِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ مِنْ يَرْغَبُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَ تَمَاثِيلَ وَ جِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَ قُدُوْرٍ رَاسِيَاتٍ اِعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ سُكْرًا وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُوْرُ (١٣) فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (١٤)

القراءه

قرأ يعقوب و عبيد بن عمير و الأعرج و الطير بالرفع و قرأ سائر القراء «وَ الطَّيْرَ» بالنصب و قرأ أبو بكر و لسليمان الريح بالرفع و الباقر بالنصب و قرأ ابن كثير و أبو عمرو كالجوابى بالياء فى الوصل إلا ابن كثير وقف بياء و أبو عمرو بغير ياء و الباقر بغير ياء فى الوصل و الوقف و قرأ أهل المدينة و أبو عمرو و ابن فليح و زيد عن يعقوب منسأته بغير همز و قرأ ابن عامر منسأته بهمزه ساكنه و الباقر بهمزه مفتوحه و قرأ يعقوب تبينت الجن بضم التاء و الباء و كسر الياء و الباقر «تَبَيَّنَتِ» بفتح الجميع و فى الشواذ قراءه ابن عباس و الضحاك

تبينت الإنس

ص: ١٧٣

و هو قراءه على بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) و أبى عبد الله (عليه السلام).

الحجّه

قال الزجاج أما الرفع فى و الطير ففيه وجهان (أحدهما) أن يكون نسقا على الياء فى أو بى المعنى يا جبال رجعى التسييح أنت معه و الطير (و الآخر) أن يكون معطوفا على لفظ جبال التقدير يا جبال و الطير و أما النصب ففيه ثلاثة أوجه (أحدها) أن يكون عطفا على فضلا أى آتينا داود منا فضلا و الطير بمعنى و سخرنا له الطير حكى ذلك أبو عبيده عن أبى عمرو بن العلاء (و الثانى) أن يكون نصبا على النداء و يكون معطوفا على محل جبال كأنه قال أدعو الجبال و الطير (و الثالث) أن يكون منصوبا على معنى مع و المعنى أو بى معه و مع الطير قال أبو على من قرأ «و لِسَيْمَانَ الرِّيحِ» بالنصب حمله على التسخير فى قوله فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ و يقوى ذلك قوله وَ لِسَيْمَانَ الرِّيحِ عاصِفَةً و وجه الرفع أن الريح إذا سخرت لسليمان جاز أن يقال له الريح على معنى له تسخير الريح فالرفع على هذا يؤول إلى معنى النصب لأن المصدر المقدر فى تقدير الإضافة إلى المفعول به قال و القياس فى الجوابى أن يثبت الياء مع الألف و اللام و إنما وقف أبو عمرو بغير ياء لأنه فاصله أى مشبه بها من حيث تم الكلام و من حذف الياء فى الوصل و الوقف فلأن هذا النحو قد يحذف كثيرا و القياس فى همزه منسأته إذا خففت الهمزه منها أن تجعل بين بين إلا أنهم خففوا همزتها على غير القياس قال الشاعر أنشده أبو الحسن:

إذا دببت على المنساه من هرم فقد تباعد عنك اللهو و الغزل

و أما قوله تبينت الإنس فمعناه تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب و هكذا هو فى مصحف عبد الله و يؤول إلى هذا المعنى قراءه يعقوب «تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ».

اللغة

التأويب الترجيع بالتسييح قال سلامه بن جندل:

يومان يوم مقامات و أنديه و يوم سير إلى الأعداء تأويب

أى رجوع بعد رجوع و السابغ التام من اللباس و سرد الحديد نظمه قال الشاعر:

على ابن أبى العاصى دلاص حصينه أجاد المسدى سردها و أذالها

و قال أبو ذؤيب:

و عليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبع

و هو مأخوذ من سرد الكلام يسرد سردا إذا تابع بين بعض حروفه و بعض قال المبرد لا يسمى محرابا إلا ما يرتقى إليه بدرج قال
عدى بن زيد:

كدمى العاج فى المحاريب أو كالبيض فى الروض زهره مستنير

و قال وضاح اليمىن:

ربه محراب إذا جئتها لم ألقها أو أرتقى سلما

و التماثيل صور الأشياء واحدا تماثل و أصلها من المثول و هو القيام كأنه نصب قائما و منه

الحديث من سره أن يمثل له الناس فليتبوأ مقعده من النار

و الجوابى جمع جابيه و هى الحوض العظيم يجبى فيه الماء قال الأعشى:

تروح على آل المحلق جفنه كجابيه الشيخ العراقى تفهق

و المنسأه العصا الكبيره التى يسوق بها الراعى غنمه مفعله من نسأت الناقه و البعير إذا زجرته.

الإعراب

«أَنْ اِعْمَلْ سَابِغَاتٍ» أن هاهنا فى تأويل التفسير و القول و هى تدعى المفسره بمعنى أى كأنه قيل و ألقنا له الحديد أى اعمل
سابغات و التقدير قلنا له اعمل و يكون فى معنى لأن يعمل و لنا تصل أن هذه بلفظ الأمر و مثله فى الكلام أرسل إليه أن قم إلى
فلان و قدر مفعوله محذوف أى قدر الحلق و المسامير و قوله «عُدُّوْهَا شَهْرٌ وَ رَوَّاحُهَا شَهْرٌ» فى موضع نصب على الحال و التقدير
غدوها مسيره شهر و رواحها كذلك فحذف المضاف و العامل فى الحال

ص: ١٧٥

معنى التسخير في قوله «وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ» و«مَنْ يَعْمَلُ» في موضع نصب على تقدير و سخرنا من الجن من يعمل. شكرا يجوز أن يكون مفعول اعملوا على تقدير اشكروا شكرا كما تقول أحمد الله شكرا فيكون مفعولا مطلقا و هو المصدر و يجوز أن يكون مفعولا- له و مفعول اعمل محذوف و تقديره اعملوا الطاعة شكرا و قوله «أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ» أن هذه مخففه من الثقيله على تقدير أنهم لو كانوا يعلمون الغيب قال أبو على و التقدير فلما خر تبين أمر الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب فحذف المضاف فإن لو كانوا بدل من الجن و لفظ تبين هنا لازم غير متعدد مثله في قوله وَ تَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ و قوله فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ و المعنى فلما خر انكشف للإنس أمر الجن من جهلهم بالغيب و ذلك لأن الجن ما ادعوا علم الغيب و إنما اعتقد الإنس فيهم أنهم يعلمون الغيب فأبطل الله عقيدتهم فيهم بموت سليمان.

المعنى

لما تقدم ذكر عباد الله المنيبين إليه وصله سبحانه بذكر داود و سليمان فقال «وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا» معناه و لقد أعطينا داود من عندنا نعمه و إحسانا أى فضلناه على غيره بما أعطيناه من النبوه و الكتاب و فصل الخطاب و المعجزات ثم فصل سبحانه ما أعطاه فقال «يَا جِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ وَ الطَّيْرُ» أى قلنا للجبال يا جبال سبحي معه إذا سبح عن ابن عباس الحسن و قتاده و مجاهد قالوا أمر الله الجبال أن تسبح معه إذا سبح فسبحت معه و تأوله عند أهل اللغة رجعى معه التسيح من آب يؤوب و يجوز أن يكون سبحانه فعل فى الجبال ما يأتى به منها التسيح معجزا له و أما الطير فيجوز أن يسبح و يحصل له من التمييز ما يتأتى منه ذلك بأن يزيد الله فى فطنته فيفهم ذلك و قيل معناه سيرى معه فكانت الجبال و الطير تسير معه أينما سار و كان ذلك معجزا له عن الجبائى و التأويب السير بالنهار و قيل معناه ارجعى إلى مراد داود فيما يريد من حفر بئر و استنباط عين و استخراج معدن و وضع طريق «وَأَلَّنَّا لَهُ الْحَدِيدَ» فصار فى يده كالشمع يعمل به ما شاء من غير أن يدخله النار و لا أن يضربه بالمطرقة عن قتاده «أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ» أى قلنا له اعمل من الحديد دروعا تامات و إنما ألان الله تعالى الحديد لداود لأنه أحب أن يأكل من كسب يده فألان الحديد له و علمه صنعه الدرع و كان أول من اتخذها و كان يبيعها و يأكل من ثمنها و يطعم عياله و يتصدق منه و

روى عن الصادق (عليه السلام) قال إن الله أوحى إلى داود (عليه السلام) نعم العبد أنت إلا- أنك تأكل من بيت المال فبكى داود أربعين صباحا فألان الله له الحديد و كان يعمل كل يوم درعا فيبيعها بألف درهم فعمل ثلاثمائة و ستين درعا فباعها بثلاثمائة و ستين ألفا فاستغنى عن بيت المال

«وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ» أى عدل فى نسج الدروع و منه قيل لصانعها سراد و زراد و المعنى لا تجعل

المسامير دقاقتا فتفلق و لا غلاظا فتكسر الحلق و قيل السرد المسامير التي في حلق الدروع عن قتاده حكى أن لقمان حضر داود عند أول درع عملها فجعل يتفكر فيها و لا يدري ما يريد و لم يسأله حتى فرغ منها ثم قام فلبسها و قال نعم جنبه الحرب هذه فقال لقمان عند ذلك الصمت حكمه و قليل فاعله «وَأَعْمَلُوا صَالِحًا» أى و قلنا اعمل أنت و أهلك الصالحات و هى الطاعات شكرا لله سبحانه على عظيم نعمه «إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» أى أنا عالم بما تفعلونه لا يخفى على شىء من أعمالكم ثم ذكر سبحانه سليمان و ما أتاه من الفضل و الكرامه فقال «وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ» أى و سخرنا لسليمان الريح «عُدُّوْهَا شَهْرٌ وَ رَوَّاحُهَا شَهْرٌ» أى مسير غدو تلك الريح المسخره له مسيره شهر و مسير رواح تلك الريح مسيره شهر و المعنى أنها كانت تسير فى اليوم مسيره شهرين للراكب قال قتاده كان يغدو مسيره شهر إلى نصف النهار و يروح مسيره شهر إلى آخر النهار و قال الحسن كان يغدو من دمشق فيقيل بإصطخر من أرض أصفهان و بينهما مسيره شهر للمسرع و يروح من إصطخر فيبيت بكابل و بينهما مسيره شهر تحمله الريح مع جنوده أعطاه الله الريح بدلا من الصافنات الجياد «وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ» أى أذبنا له عين النحاس و أظهرناها له قالوا أجريت له عين الصفر ثلاثه أيام بلياليهن جعلها الله له كالماء و إنما يعمل الناس بما أعطى سليمان منه «وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ» المعنى و سخرنا له من الجن من يعمل له بحضرتة و أمام عينه ما يأمرهم به من الأعمال كما يعمل الآدمى بين يدى الآدمى بأمر ربه تعالى و كان يكلفهم الأعمال الشاقه مثل عمل الطين و غيره و قال ابن عباس سخروهم الله لسليمان و أمرهم بطاعته فيما يأمرهم به و فى هذا دلالة على أنه قد كان من الجن من هو غير مسخر له «وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ» المعنى و من يعدل من هؤلاء الجن الذين سخروناهم لسليمان عما أمرناهم به من طاعه سليمان نذقه من عذاب السعير أى عذاب النار فى الآخرة عن أكثر المفسرين و فى هذا دلالة على أنهم قد كانوا مكلفين و قيل معناه نذيقه العذاب فى الدنيا و أن الله سبحانه و كل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن طاعه سليمان ضربه ضربه أحرقتة «يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ» و هى بيوت الشريعة و قيل هى القصور و المساجد يتعبد فيها عن قتاده و الجبائى قال و كان مما عملوه بيت المقدس و قد كان الله عز و جل سلط على بنى إسرائيل الطاعون فهلك خلق كثير فى يوم واحد فأمرهم داود أن يغتسلوا و يبرزوا إلى الصعيد بالذرارى و الأهلين و يتضرعون إلى الله لعله يرحمهم و ذلك صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد و ارتفع داود فوق الصخره فخر ساجدا يبتهل إلى الله سبحانه و سجدوا معه فلم يرفعوا رءوسهم حتى كشف الله عنهم الطاعون فلما أن شفع الله داود فى بنى إسرائيل

جمعهم داود بعد ثلاث و قال لهم أن الله تعالى قد من عليكم و رحمكم فجددوا له شكرا بأن تتخذوا من هذا الصعيد الذى رحمكم فيه مسجدا ففعلوا و أخذوا فى بناء بيت المقدس و كان داود ينقل الحجاره لهم على عاتقه و كذلك خيار بنى إسرائيل حتى رفعوه قامه و لداود يومئذ سبع و عشرون و مائه سنه فأوحى الله إلى داود أن تمام بنائه يكون على يدى ابنه سليمان فلما صار داود ابن أربعين و مائه سنه توفاه الله و استخلف سليمان فأحب إتمام بيت المقدس فجمع الجن و الشياطين و قسم عليهم الأعمال يخص كل طائفه منهم بعمل فأرسل الجن و الشياطين فى تحصيل الرخام و ألمها الأبيض الصافى من معادنه و أمر ببناء المدينه من الرخام و الصفاح و جعلها اثنى عشر ربضا و أنزل كل ربض منها سبطا من الأسباط و لما فرغ من بناء المدينه ابتداء فى بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا فرقه يستخرجون الذهب و اليواقيت من معادنها و فرقه يقلعون الجواهر و الأحجار من أماكنها و فرقه يأتون بالمسك و العنبر و سائر الطيب و فرقه يأتون بالدر من البحار فأوتى من ذلك بشىء لا يحصيه إلا الله تعالى ثم أحضر الصناع و أمرهم بنحت تلك الأحجار حتى صيروها ألواحا و معالجه تلك الجواهر و اللاكئ قال و بنى سليمان المسجد بالرخام الأبيض و الأصفر و الأخضر و عمداه بأساطين ألمها الصافى و سقفه بالواح الجواهر و فضض سقوفه و حيطانه باللاكئ و اليواقيت و الجواهر و بسط أرضه بالواح الفيروزج فلم يكن فى الأرض بيت أبهى و لا أنور من ذلك المسجد كان يضىء فى الظلمه كالقمر ليله البدر فلما فرغ منه جمع إليه أخبار بنى إسرائيل فأعلمهم أنه بناه الله تعالى و اتخذ ذلك اليوم الذى فرغ منه عيدا فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان حتى غزا بخت نصر بنى إسرائيل فخرّب المدينه و هدمها و نقض المسجد و أخذ ما فى سقوفه و حيطانه من الذهب و الفضة و الدر و اليواقيت و الجواهر فحملها إلى دار مملكته من أرض العراق قال سعيد بن المسيب لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس تغلقت أبوابه فعالجها سليمان فلم تنفتح حتى قال فى دعائه بصلوات أبى داود إلا فتحت الأبواب ففتحت ففرغ له سليمان عشره آلاف من قراء بنى إسرائيل خمسه آلاف بالليل و خمسه آلاف بالنهار فلا تأتى ساعه من ليل و لا نهار إلا و يعبد الله فيها «و تماثيل» يعنى صوراً من نحاس و شبه و زجاج و رخام كانت الجن تعملها ثم اختلفوا فقال بعضهم كانت صور للحيوانات و قال آخرون كانوا يعملون صور.

السباع و البهائم على كرسیه ليكون أهيب له فذكروا أنهم صوروا أسدين أسفل كرسیه و نسرین فوق عمودی كرسیه فكان إذا أراد أن يصعد الكرسي بسط الأسدان ذراعيهما و إذا علا على الكرسي نشر النسران أجنحتهما فظللاه من الشمس و يقال أن ذلك كان مما لا يعرفه أحد من الناس فلما حاول بخت نصر صعود الكرسي بعد سليمان حين غلب على بنى إسرائيل لم يعرف كيف كان يصعد سليمان فرفع الأسد ذراعيه فضرب ساقه فقدها فوق مغشياً عليه فما جسر أحد بعده أن يصعد ذلك الكرسي قال الحسن و لم تكن يومئذ التصاوير محرمة و هي محظورة فى شريعته نبينا ص فإنه

قال لعن الله المصورين

و يجوز أن يكره ذلك فى زمن دون زمن و قد بين الله سبحانه أن المسيح كان يصور بأمر الله من الطين كهيئة الطير و قال ابن عباس كانوا يعملون صور الأنبياء و العباد فى المساجد ليقصدى بهم و

روى عن الصادق (عليه السلام) أنه قال و الله ما هى تماثيل النساء و الرجال و لكنه الشجر و ما أشبهه

«و جفان كالجواب» أى صحاف كالحياض التى يجبى فيها الماء أى يجمع و كان سليمان (عليه السلام) يصلح طعام جيشه فى مثل هذه الجفان فإنه لم يمكنه أن يطعمهم فى مثل قصاع الناس لكثرتهم و قيل أنه كان يجمع على كل جفنه ألف رجل يأكلون بين يديه «و قعدور راسيات» أى ثابتات لا- يزلن عن أمكتهن لعظمتن عن قتاده و كانت باليمن و قيل كانت عظيمه كالجبال يحملونها مع أنفسهم و كان سليمان يطعم جنده ثم نادى سبحانه آل داود و أمرهم بالشكر على ما أنعم به عليهم من هذه النعمة العجيبه لأن نعمته على سليمان نعمة عليهم فقال «اعملوا آل داود شكراً» أى قلنا لهم يا آل داود اعملوا بطاعة الله شكراً له على ما آتاكم من النعم عن مجاهد و فى هذا دلالة على وجوب شكر النعمة و أن الشكر طاعة المنعم و تعظيمه و فيه إشارة أيضاً إلى أن لقربه أنبياء الله تعالى أثرا فى القرب إلى رضى الله حين خص آل داود بالأمر «و قليل من عبادى الشكور» و الفرق بين الشكور و الشاكر أن الشكور من تكرر منه الشكر و الشاكر من وقع منه الشكر قال ابن عباس أراد به المؤمن الموحد و فى هذا دلالة على أن المؤمن الشاكر يقل فى كل عصر «فَلَمَّا قَضَىٰ نَبَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ» أى فلما حكمنا على سليمان بالموت و قيل معناه أوجبنا على سليمان الموت «ما دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسِيَّاتُهُ» أى ما دل الجن على موته إلا- الأرضه و لم يعلموا موته حتى أكلت عصاه فسقط فعلموا أنه ميت و قيل أن سليمان كان يعتكف فى مسجد بيت المقدس السنه و السنتين و الشهر و الشهرين و أقل و أكثر يدخل فيه طعامه و شرابه و يتعبد فيه فلما كان فى المره التى مات فيها لم يكن يصبح يوماً إلا و تنبت شجره كان يسألها سليمان فتخبره عن اسمها و نفعها و ضررها فرأى يوماً نباتاً فقال ما اسمك قال الخرنوب قال لأى شىء أنت قال للخراب فعلم أنه سيموت فقال اللهم عم على

الجن موتى ليعلم الإنس أنهم لا- يعلمون الغيب و كان قد بقى من بنائه سنه و قال لأهله لا تخبروا الجن بموتى حتى يفرغوا من بنائه و دخل محرابه و قام متكئا على عصاه فمات و بقى قائما سنه و تم البناء ثم سلط الله على منسأته الأرضه حتى أكلتها فخر ميتا فعرف الجن موته و كانوا يحسبونه حيا لما كانوا يشاهدون من طول قيامه قبل ذلك و قيل أن فى إمامته قائما و بقاءه كذلك أغراضا منها إتمام البناء و منها أن يعلم الإنس أن الجن لا- تعلم الغيب و أنهم فى ادعاء ذلك كاذبون و منها أن يعلم أن من حضر أجله فلا- يتأخر إذ لم يؤخر سليمان مع جلالته و روى أنه أطلع الله سبحانه على حضور وفاته فاغتسل و تحنط و تكفن و الجن فى عملهم و

روى أبو بصير عن أبى جعفر (عليه السلام) قال أن سليمان أمر الشياطين فعملوا له قبه من قوارير فبينا هو قائم متكئ على عصاه فى القبه ينظر إلى الجن كيف يعملون و هم ينظرون إليه و لا- يصلون إليه إذا رجل معه فى القبه فقال من أنت فقال أنا الذى لا أقبل الرشى و لا- أهاب الملوك فقبضه و هو قائم متكئ على عصاه فى القبه قال فمكثوا سنه يعملون له حتى بعث الله الأرضه فأكلت منسأته

و فى حديث آخر

عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال فكان آصف يدبر أمره حتى دبت الأرضه

«فَلَمَّا خَرَّ» أى سقط سليمان ميتا «تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ» أى ظهرت الجن فانكشف للناس «أَنَّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ» معناه فى الأعمال الشاقه و إنما سماها عذابا للمشاق التى فيها لا أنه كان عذابا فليس ذلك إلا أن يكون عباده له أو بمنزله ما يعوضون عليه أى ما عملوا مسخرين لسليمان و هو ميت و هم يظنون أنه حى و قيل أن المعنى تبينت عامه الجن و ضعفتم أن رؤساءهم لا- يعلمون الغيب لأنهم كانوا يوهمونهم أنهم يعلمون الغيب و قيل معناه تبينت الإنس أن الجن كانوا لا يعلمون الغيب فإنهم كانوا يوهمون الإنس إنا نعلم الغيب و إنما قال تبينت الجن كما يقول من يناظر غيره و يلزمه الحجه هل تبين لك أنك على باطل و على هذا تدل قراءه من قرأ تبينت الإنس و قد مضى بيانه و ذكر أهل التاريخ أن عمر سليمان كان ثلاثا و خمسين سنه مده ملكه منها أربعون سنه و ملك يوم ملك و هو ابن ثلاث عشره سنه و ابتدأ فى بناء بيت المقدس لأربع سنين مضين من ملكه و الله أعلم و أما الوجه فى عمل الجن تلك الأعمال العظيمة فهو أن الله تعالى زاد فى أجسامهم و قوتهم و غير خلقهم عن خلق الجن الذين لا يرون للطافتهم و رقه أجسامهم على سبيل الإعجاز الدال على نبوه سليمان فكانوا بمنزله الأسراء فى يده و كانوا تنهياً لهم الأعمال التى كان يكلفها إياهم ثم لما مات (عليه السلام) جعل الله خلقهم على ما كانوا عليه فلا يتهياً لهم فى هذا الزمان شىء من ذلك.

[سوره سبا (٣٤): الآيات ١٥ الى ١٩]

إشارة

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْئَلِكِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَ شِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَ اشْكُرُوا لَهُ بَلَدَهُ طَيِّبَةٌ وَ رَبُّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَ بَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَ أُثْلٍ وَ شَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا

كَفَرُوا وَ هَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَافِرَ (١٧) وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَ قَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَ
أَيَّامًا آمِنِينَ (١٨) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَ مَرَفْنَاَهُمْ كُلَّ مَرَقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ
صَبَّارٍ شَكُورٍ (١٩)

ص: ١٨٠

قرأ «مَشْكِنِهِمْ» على التوحيد بفتح الكاف حمزه و حفص و بكسر الكاف الكسائي و خلف و الباقون مساكنهم على الجمع و قرأ
أكل خمط مضاف غير منون أهل البصره و قرأ الباقون غير مضاف بالتنوين و قرأ أهل الكوفه غير أبي بكر و يعقوب «وَهَلْ
نُجَازِي» بالنون و كسر الزاي «إِلَّا الْكُفُورَ» بالنصب و أدغم الكسائي اللام من هل فى النون و غيره لم يدغم و الباقون يجازى بالياء
و فتح الزاي و الكفور بالرفع و قرأ أبو عمرو و ابن كثير و هشام باعد بين أسفارنا بالتشديد على لفظ الأمر و قرأ يعقوب و سهل
ربنا بالضم باعد بالألف و فتح الباء و العين و الدال مخففه و هو قراءه محمد بن على الباقر (عليه السلام) و ابن عباس و قرأ
الباقون «رَبَّنَا» بالنصب «بَاعِدْ» بالألف على الدعاء و فى الشواذ قراءه ابن يعمر و محمد بن السميع «رَبَّنَا» بالنصب بعد بفتح الباء و
الدال و ضم العين بين أسفارنا بالرفع.

قال أبو على من قرأ مساكنهم أتى باللفظ وفقا للمعنى لأن لكل ساكن مسكنا و من قرأ «مَشْكِنِهِمْ» فيشبه أن يكون جعل المسكن
مصدرا و حذف المضاف و التقدير فى مواضع سكتناهم فلما جعل المسكن كالمسكنى و السكون أفرد كما يفرد المصدر و هذا
أشبه من أن تحمله على نحو:

"كلوا فى بعض بطنكم"

و على هذا قوله تعالى فى مَقْعَدِ صِدْقٍ أَى فى

موضع قعود ألا ترى أن لكل واحد من المتقين موضع قعود والأشبه في الكاف الفتح لأن اسم المكان والمصدر من باب يفعل على المفعول وقد يشد على القياس نحو هذا كما جاء المسجد وسيبويه يحمله على اسم البيت وكذلك المطلق إلا أن أبا الحسن يقول إن المسكن إذا كسرت له لغة كثيرة وهي لغة الناس اليوم والفتح لغة أهل الحجاز فأما الإضافة في «أَكُلُ خَمَطٍ» فإن أبا عبيده قال الخمط كل شجره مره ذات شوكة والأكل الجنى فعلى هذا التفسير تحسن الإضافة وذلك أن الأكل إذا كان الجنى فإن جنى كل شجره منه وغير الإضافة ليس في حسن الإضافة لأن الخمط إنما هو اسم شجره وليس بوصف فإذا لم يكن وصفا لم يجر على ما قبله كما يجرى الوصف على الموصوف والبدل ليس بالسهل أيضا لأنه ليس هو هو ولا بعضه لأن الجنى من الشجر وليس الشجر من الجنى فيكون إجراؤه عليه على وجه العطف البيان كأنه بين أن الجنى لهذا الشجر ومنه قال أبو الحسن الأ-حسن في كلام العرب أن يضيفوا ما كان من نحو هذا مثل دار آجر و ثوب خز قال فأكل خمط قراءه كثيره وليست بجيده في العرييه وحجه من قرأ «وَهَيْلُ نُجَازِي» بالنون قوله «جَزَيْنَاهُمْ» و من قرأ يجازى على بناء الفعل للمفعول فإن المجازى أيضا هو الله تعالى وإنما خص الكفور بالجزاء لأن المؤمن قد يكفر عن سيئاته قال سبحانه وَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ وَقَالَ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ وليس كذلك الكافر فإنه يجازى بكل سوء يعمله و أما إدغام الكسائي اللام في النون فجائز حكاة سيبويه والبيان أحسن و أما قوله «رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا» فذكر سيبويه أن فاعل و فعل يجيئان بمعنى كقولهم ضاعف و ضعف و قارب و قرب و اللفظان جميعا على معنى الطلب و الدعاء قال ابن جنى بين منصوب نصب المفعول به أى بعد و باعد مسافه أسفارنا و ليس نصبه على الظرف بذلك على ذلك قراءه من قرأ بعد بين أسفارنا كما تقول بعد مدى أسفارنا فرفعه دليل كونه اسما و عليه قوله:

كان رماحهم أشطان بثر بعيد بين جاليها جرور

أى بعيد مدى جاليها أو مسافه جاليها.

اللغة

العرم المسناه التى تحبس الماء واحدها عرمة أخذ من عرامه الماء و هى ذهابه كل مذهب قال الأعشى:

ففى ذاك للمؤتسى أسوه و مأرب قفى عليه العرم

رخام بنته له حمير إذا جاء مأوهم لم يرم

وقيل العرم اسم واد كان يجتمع فيه سيول من أوديه شتى وقيل العرم هنا اسم الجرد الذى نقب السكر عليهم وهو الذى يقال له الخلد وقيل العرم المطر الشديد.

الإعراب

«آيَةٌ» اسم كان. «جَنَّانٍ» رفع على أنه بدل من آيه و يجوز أن يكون خبرا لمبتدأ محذوف كأنه قيل ما الآيه فقال الآيه جنتان و «عَنْ يَمِينٍ وَ شِمَالٍ» صفة لجنتان و على هذا تقف على قوله «آيَةٌ» و تبتدئ بقوله «جَنَّانٍ». «كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ» أى يقال كلوا من رزق ربكم منهما فحذف العائد من الصفة إلى الموصوف كما حذف القول. «بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ» تقديره هذه بلده طيبه و الله رب غفور.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن قصه سبياً بما دل على حسن عاقبه الشكور و سوء عاقبه الكفور فقال «لَقَدْ كَانَ لِسَيِّبٍ» و هو أبو عرب اليمن كلها و قد تسمى به القبيله و فى الحديث

عن فروه بن مسيكة أنه قال سألت رسول الله ص عن سبياً أ رجل هو أم امرأه فقال هو رجل من العرب ولد له عشره تيامن منهم ستة و تشاءم منهم أربعة فأما الذين تيامنوا فالأزد و كنده و مذحج و الأشعرون و أنمار و حمير فقال رجل من القوم ما أنمار قال الذين منهم خثعم و بجيله و أما الذين تشاءموا فعامله و جذام و لخم و غسان

فالمراد بسبياً هاهنا القبيله الذين هم أولاد سبياً ابن يشجب بن يعرب بن قحطان «فِي مَسْكِنِهِمْ» أى فى بلدهم «آيَةٌ» أى حجه على وحدانيه الله عز اسمه و كمال قدرته و علامه على سبوغ نعمه ثم فسر سبحانه الآيه فقال «جَنَّانٍ عَنْ يَمِينٍ وَ شِمَالٍ» أى بستانين عن يمين من أتاها و شماله و قيل عن يمين البلد و شماله و قيل أنه لم يرد جنتين اثنتين و المراد كانت ديارهم على وتيره واحده إذا كانت البساتين عن يمينهم و شمالهم متصله بعضها ببعض و كان من كثره النعم أن المرأه كانت تمشى و المكتل على رأسها فيمتلئ بالفواكه من غير أن تمس بيدها شيئاً و قيل الآيه المذكوره هى أنه لم يكن فى قريتهم بعوضه و لا ذباب و لا برغوث و لا عقرب و لا حيه و كان الغريب إذا دخل بلدهم و فى ثيابه قمل و دواب ماتت عن ابن زيد و قيل إن المراد بالآيه خروج الأزهار و الثمار من الأشجار على اختلاف ألوانها و طعومها و قيل إنما كانت ثلاث عشره قريه فى كل قريه نبي يدعوهم إلى الله سبحانه يقولون لهم «كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَ اشْكُرُوا لَهُ» أى كلوا مما رزقكم الله فى هذه الجنان و اشكروا له يزيدكم من نعمه و استغفروه يغفر لكم «بَلَدَةٌ

طَبِيَّةٌ» أى هذه بلده مخصبه نزهه أرضها عذبه تخرج النبات و ليست بسبخه و ليس فيها شىء من الهوام المؤذيه قيل أراد به صحه هواها و عذوبه مائها و سلامه تربتها و أنه ليس فيها حر يؤذى فى القيظ و لا برد يؤذى فى الشتاء «وَرَبُّ غَفُورٌ» أى كثير المغفره للذنوب «فَأَعْرَضُوا» عن الحق و لم يشكروا الله سبحانه و لم يقبلوا من دعاهم إلى الله من أنبيائه «فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ» و ذلك أن الماء كان يأتى أرض سبأ من أوديه اليمن و كان هناك جبلان يجتمع ماء المطر و السيول بينهما فسدوا ما بين الجبلين فإذا احتاجوا إلى الماء نقبوا السد بقدر الحاجه فكانوا يسقون زروعهم و بساتينهم فلما كذبوا رسلهم و تركوا أمر الله بعث الله جرذا نقتب ذلك الردم و فاض الماء عليهم فأغرقهم عن وهب و قد مر تفسير العرم و قال ابن الأعرابى العرم السيل الذى لا يطاق «وَبَدَّلْنَا هُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ» اللتين فيهما أنواع الفواكه و الخيرات «جَنَّتَيْنِ» أخرابين سماها جنتين لآزدواج الكلام كما قال و مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ «ذَوَاتِنِ أَكُلِ خَمْطٍ وَ أَثَلٍ» أى صاحبتى أكل و هو اسم لثمر كل شجره و ثمر الخمط البرير قال ابن عباس و الخمط هو الأراك و قيل هو شجر الغضا و قيل هو كل شجر له شوكة و الأثل الطرفاء عن ابن عباس و قيل ضرب من الخشب عن قتاده و قيل هو السممر «وَ شَيْءٌ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ» يعنى. أن الأثل و الخمط كانا أكثر فيهما من السدر و هو النبق قال قتاده كان شجرهم خير شجر فصيره الله شر شجر بسوء أعمالهم «ذَلِكَ» أى ما فعلنا بهم «جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا» أى بكفرهم «وَ هَلْ نُجَازِي» بهذا الجزاء «إِلَّا الْكُفُورَ» الذى يكفر نعم الله و قد استدل الخوارج بهذا على أن مرتكب الكبيره كافر و هذا الاستدلال غير سديد من حيث إنه سبحانه إنما بين بذلك أنه لا يجازى بهذا النوع من العذاب الذى هو الاستئصال إلا الكافر و يجوز أن يعذب الفاسق بغير ذلك العذاب و قيل إن معناه هل نجازى بجميع سيئاته إلا الكافر لأن المؤمن قد يكفر عنه بعض سيئاته و قيل إن المجازاه من التجازى و هو التقاضى أى لا يقتضى و لا يرتجع ما أعطى إلا الكافر و إنهم لما كفروا النعمه اقتضوا ما أعطوا أى ارتجع منهم عن أبى مسلم «وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرى ظَاهِرَةً» أى و قد كان من قصتهم أننا جعلنا بينهم و بين قري الشام التى باركنا فيها بالماء و الشجر قري متواصله و كان متجرهم من أرض اليمن إلى الشام و كانوا يبيتون بقريه و يقلون بأخرى حتى يرجعوا و كانوا لا يحتاجون إلى زاد من وادى سبأ إلى الشام و معنى الظاهره أن الثانيه كانت ترى من الأولى لقربها منها «وَ قَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ» أى جعلنا السير من القريه إلى القريه مقداراً واحداً نصف يوم و قلنا لهم «سَيِّرُوا فِيهَا» أى فى تلك القري «لِيَالِي وَ أَيَّاماً» أى ليلا شتتم المسير أو نهارة «آمِنِينَ» من الجوع و العطش و التعب و من السباع و كل المخاوف و فى هذا إشاره إلى تكامل

نعمه عليهم فى السفر كما أنه كذلك فى الحضر ثم أخبر سبحانه أنهم بطروا و بغوا «فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا» أى اجعل بيننا و بين الشام فلات و مفاوز لتركب إليها الرواحل و نقطع المنازل و هذا كما قالت بنو إسرائيل لما ملوا النعمة أخرج إلينا مما تنبت الأرض من بقلها بدلا من المن و السلوى «و ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ» بارتكاب المعاصى و الكفر «فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ» لمن بعدهم يتحدثون بأمرهم و شأنهم و يضربون بهم المثل فيقولون تفرقوا أيادى سبأ إذا تشتتوا أعظم التشتت «و مَرَّفْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ» أى فرقناهم فى كل وجه من البلاد كل تفريق «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ» أى دلالات «لِكُلِّ صَبَّارٍ» على الشدائد «شَكُورٍ» على النعماء و قيل لكل صبار عن المعاصى شكور للنعم بالطاعات.

[القصة]

عن الكلبى عن أبى صالح قال ألفت طريفه الكاهنه إلى عمرو بن عمرو بن عامر الذى يقال له مزيقياء بن ماء السماء و كانت قد رأت فى كهانتها أن سد مأرب سيخرب و أنه سيأتى سيل العرم فيخرب الجنيتين فباع عمرو بن عامر أمواله و سار هو و قومه حتى انتهوا إلى مكة فأقاموا بها و ما حولها فأصابتهم الحمى و كانوا ببلد لا يدرون فيه ما الحمى فدعوا طريفه فشكوا إليها الذى أصابهم فقالت لهم قد أصابنى الذى تشكون و هو مفرق بيننا قالوا فما ذا تأمرين قالت من كان منكم ذا هم بعيد و جمل شديد و مزاد جديد فليلحق بقصر عمان المشيد و كانت أزد عمان ثم قالت من كان منكم ذا جلد و قسر و صبر على أزمت الدهر فعليه بالأراك من بطن مر و كانت خزاعه ثم قالت من كان منكم يريد الراسيات فى الوحل المطاعم فى المحل فليلحق بيثرب ذات النخل و كانت الأوس و الخزرج ثم قالت من كان منكم يريد الخمر و الخمير و الملك و التأمير و ملابس التاج و الحرير فليلحق ببصرى و غوير و هما من أرض الشام و كان الذين سكنوها آل جفنه بن غسان ثم قالت من كان منكم يريد الثياب الرقاق و الخيل العتاق و كنوز الأرزاق و الدم المهرق فليلحق بأرض العراق و كان الذين سكنوها آل جذيمه الأبرش و من كان بالحيره و آل محرق.

[سوره سبأ (٣٤): الآيات ٢٠ إلى ٢٥]

إشاره

و لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَ مَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَ رَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٢١) قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَ لَا فِي الْأَرْضِ وَ مَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَ مَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢) وَ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٢٣) قُلْ مَنْ يَزُوقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَ إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٤)

قُلْ لَا تُسْئَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَ لَا نَسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٥)

قرأ أهل الكوفه «صَدَّقَ» بتشديد الدال و الباقون بتخفيفها و قرأ يعقوب و سهل «صَدَّقَ» بالتشديد إبليس بالنصب ظنه بالرفع و قرأ أبو عمرو و أهل الكوفه غير عاصم إلا الأعشى و البرجمى أذن بضم الهمزه و الباقون بفتحها و قرأ ابن عامر و يعقوب فزع بفتح الفاء و الزاى و الباقون بضم الفاء و كسر الزاى و فى الشواذ قراءه الحسن بخلاف و قتاده فزع بفتح الفاء و الزاى و العين و التشديد و عن الحسن أيضا «فَزَّعَ» بضم الفاء و كسر الزاى و التشديد و عنه عن قتاده فزع بضم الفاء و كسر الزاى و التخفيف.

قال أبو على معنى التخفيف فى صدق أنه صدق ظنه بهم من متابعتهم إياه إذا أغواهم و ذلك نحو قوله فَبِمَا أَعْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ وَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ فهذا ظنه لأنه لم يقل ذلك عن يقين فظنه على هذا ينتصب انتصاب المفعول به و يجوز أن ينتصب انتصاب الظرف أى فى ظنه و قد يقال أصاب الظن و أخطأ الظن و قال الشاعر:

إن يك ظنى صادقا و هو صادق بشمله يحبسهم بها محبسا وعرا

فعداه إلى المفعول به و من قرأ بالتشديد نصب الظن على أنه مفعول به و من قرأ صدق عليهم إبليس بالنصب ظنه بالرفع فالمعنى أن إبليس كان سولت له نفسه شيئا فصدقه ظنه و من قرأ «إِلَّا لِمَنْ أَدْنَىٰ لَهُ» فالمعنى لمن أذن الله له أن يشفع و من قرأ أذن له فبنى الفعل للمفعول به فهو يريد هذا المعنى أيضا كما أن قوله «حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ» و فزع و هَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ و هل يجازى إلا الكفور واحد فى المعنى و إن اختلفت الألفاظ.

اللغة

يقال صدقت زيدا و صدقته و كذبت و كذبت و ينشد الأعشى:

" و صدقته و كذبت و المرء ينفعه كذابه "

أبو عبيده فزع عن قلوبهم نفس عنه يقال فزع و فزع إذا أزيل الفزع عنها.

الإعراب

«لِنَعْلَمَ» قال الزجاج معناه ما امتحناهم فى إبليس إلا لنعلم ذلك علم وقوعه منهم و هو الذى يجازون عليه. «لَا يَمْلِكُونَ» الأجود أن يكون جملة مستأنفة و يجوز أن يكون حالا و قوله «وَ إِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» تقديره و إنا لعلى هدى أو فى ضلال مبين و إنكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين.

المعنى

ثم قال سبحانه «وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ» الضمير فى عليهم يعود إلى أهل سبأ و قيل إلى الناس كلهم إلا من أطاع الله عن مجاهد و المعنى أن إبليس كان قال لأغوينهم ولأضلنهم و ما كان ذلك عن علم و تحقيق و إنما قاله ظنا فلما تابعه أهل الزبيغ و الشرك صدق ظنه و حقيقه «فَمَا تَبْعُوهُ» فيما دعاهم إليه «إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ» من هنا للتبيين يعنى المؤمنين كلهم عن ابن عباس أى علموا قبح متابعتة فلم يتبعوه و اتبعوا أمر الله تعالى «وَ مَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ» أى و لم يكن لإبليس عليهم من سلطنه و لا ولايه يتمكن بها من إجبارهم على الغى و الضلال و إنما كان يمكنه الوسوسة فقط كما قال و ما كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي» «إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ» المعنى أنا لم نمكنه من إغوائهم و وسوستهم إلا لنميز بين من يقبل منه و من يمتنع و يأبى متابعتة فعذب من تابعه و نثب من خالفه فعبر عن التمييز بين الفريقين بالعلم و هذا التمييز متجدد لأنه لا يكون إلا بعد وقوع ما يستحقون به ذلك و أما العلم فبخلاف ذلك فإنه سبحانه كان عالما بأحوالهم و بما يكون منهم فيما لم يزل و قيل معناه لتعلم طاعاتهم موجوده أو معاصيهم إن عصوا فنجازيهم بحسبها لأنه سبحانه لا يجازى أحدا على ما يعلم من حاله إلا بعد أن يقع ذلك منه و قيل معناه لنعامله معاملة من كأنه لا يعلم و إنما يعمل ليعلم من يصدق بالآخرة و يعترف بها ممن يرتاب فيها أو يشك «وَ رَبُّكَ» يا محمد «عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ حَفِيظٌ» أى عالم لا يفوته علم شىء من أحوالهم ثم قال سبحانه «قُلْ» يا محمد لهؤلاء المشركين «ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ» أنهم آلهة وأنهم شركاء لله تعالى وأنهم شفعاؤكم و أنها تستحق الإلهية هل يستجيبون لكم إلى ما تسألونهم وهذا نوع توبيخ لا أمر ليعلموا أن أوثانهم لا تنفعهم ولا تضرهم «لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ» أى لا يملكون زنه ذره من خير و شر و نفع و ضرر فيهما «وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا» أى و ليس لهم فى خلق السماوات و الأرض «مِنْ شِرْكَ» و نصيب «وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ» أى ليس لله سبحانه منهم معاون على خلق السماوات و الأرض و لا على شىء من الأشياء «وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ» المعنى أنه لا تنفع الشفاعة عند الله تعالى إلا لمن رضيه الله و ارتضاه و أذن له فى الشفاعة مثل الملائكة و الأنبياء و الأولياء و يجوز أن يكن المعنى إلا لمن أذن الله فى أن يشفع له فىكون مثل قوله و لا يشفعون إلا لمن ارتضى و إنما قال سبحانه ذلك لأن الكفار كانوا يقولون نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى و هؤلاء شفعاؤنا عند الله فحكم الله تعالى ببطلان اعتقاداتهم «حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ» أى كشف الفزع عن قلوبهم و فرع كشف الله الفزع عن قلوبهم و اختلف فى الضمير فى قوله «قُلُوبِهِمْ» فقيل يعود إلى المشركين الذين تقدم ذكرهم فيكون المعنى حتى إذا أخرج عن قلوبهم الفزع وقت الفزع ليسمعوا كلام الملائكة «قَالُوا» أى قالت الملائكة لهم «مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا» أى قال هؤلاء المشركون مجيبين لهم «الْحَقُّ» أى قال الحق فيعترفون أن ما جاء به الرسل كان حقا عن ابن عباس و قتاده و ابن زيد و قيل إن الضمير يعود إلى الملائكة ثم اختلف فى معناه على وجوه (أحدها) أن الملائكة إذا صعدوا بأعمال العباد و لهم زجل و صوت عظيم فتحسب الملائكة أنها الساعة فيخرون سجدا و يفزعون فإذا علموا أنه ليس ذلك قالوا ما ذا قال ربكم قالوا الحق (و ثانيها) أن الفتره لما كانت بين عيسى (عليه السلام) و محمد ص و بعث الله محمدا ص أنزل الله سبحانه جبرائيل بالوحي فلما نزل ظنت الملائكة أنه نزل بشىء من أمر الساعة فصعقوا لذلك فجعل جبرائيل يمر بكل سماء و يكشف عنهم الفزع فرفعوا رءوسهم و قال بعضهم لبعض ما ذا قال ربكم قالوا الحق يعنى الوحي عن مقاتل و الكلبي (و ثالثها) أن الله تعالى إذا أوحى إلى بعض ملائكته لحق الملائكة غشى عند سماع الوحي و يصعقون و يخرون سجدا للآية العظيمة فإذا فزع عن قلوبهم سألت الملائكة ذلك الملك الذى أوحى إليه ما ذا قال ربك أو يسأل بعضهم بعضا فيعلمون أن الأمر فى غيرهم عن ابن مسعود و اختاره الجبائي «وَهُوَ الْعَلِيُّ» أى السيد القادر المطاع و قيل العلى فى صفاته «الْكَبِيرُ» فى قدرته «قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» فإنهم لا يمكنهم أن يقولوا ترزقنا آلهتنا التى نعبدها ثم عند

ذَلِكَ «قُلِ اللَّهُ» الَّذِي يَرْزُقُكُمْ «وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ عَلَىٰ وَجْهِ الْإِنصَافِ فِي الْحِجَاجِ دُونَ الشُّكِّ كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ لِغَيْرِهِ أَحَدُنَا كَاذِبٌ وَإِنْ كَانَ هُوَ عَالِمًا بِالْكَاذِبِ وَعَلَىٰ هَذَا يَقُولُ أَبُو الْأَسْوَدِ الدِّئَلِيُّ يَمْدَحُ أَهْلَ الْبَيْتِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ):

يقول الأردلون بنو قشير طوال الدهر لا تنسى عليا

بنو عم النبي و أقربوه أحب الناس كلهم إليا

فإن يك حبهم رشدا أصبه و لست بمخطئ إن كان غيا

لم يقل هذا لكونه شاكا في محبتهم و قد أيقن أن محبتهم رشد و هدى و قيل إنه جمع بين الخبرين و فوض التمييز إلى العقول فكأنه قال أنا على هدى و أنتم على ضلال كقول امرئ القيس:

كان قلوب الطير رطبا و يابساً لدى و كرها العناب و الحشف البالي

فجمع بين القلوب الرطبة و اليابسة و جمع بين العناب و الحشف البالي و قيل إنما قاله على وجه الاستعطاف و المداراه لسمع الكلام و هذا من أحسن ما ينسب به المحق نفسه إلى الهدى و خصمه إلى الضلال لأنه كلام من لا يكشف خصمه بالتضليل بل ينسبه إليه على أحسن وجه و يحثه على النظر و لا يجب النظر إلا بعد التردد «قُلْ» يا محمد إذا لم ينقادوا للحججه «لَا تُسْئَلُونَ» أيها الكفار «عَمَّا أَجْرَمْنَا» أي اقترفنا من المعاصي «وَلَا تُسْئَلُ» نحن «عَمَّا تَعْمَلُونَ» أي تعملونه أنتم بل كل إنسان يسأل عما يعمله و يجازى على فعله دون فعل غيره و في هذا دلالة على أن أحدا لا يجوز أن يؤخذ بذنب غيره.

[سوره سبأ (٣٤): الآيات ٢٦ الى ٣٠]

إشارة

قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَ هُوَ الْفَتْاحُ الْعَلِيمُ (٢٦) قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧) وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَ نَذِيرًا وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٨) وَ يَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٩) قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَ لَا تَسْتَقْدِمُونَ (٣٠)

ص: ١٨٩

«الَّذِينَ أَحَقَّتْ بِهِ» العائد من الصلة إلى الموصول محذوف و التقدير ألحقتموهم به و «شُرَكَاءَ» حال من هم المحذوف و «كَافَّةً» حال من الكاف في «أَرْسَلْنَاكَ» أى ما أرسلناك إلا تكفهم و تردعهم و قيل فى الكلام تقديم و تأخير أى و ما أرسلناك إلا للناس كاه و كاهه كالعافيه و العاقبه و ما أشبه ذلك «بَشِيرًا» حال بعد حال و «نَذِيرًا» معطوف عليه.

المعنى

ثم أمر سبحانه أن يحاكمهم إلى الله لإعراضهم عن الحجة فقال «قُلْ» يا محمد «يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا» يوم القيامة «ثُمَّ يَفْتِيحُ بَيْنَنَا» أى يحكم «بِالْحَقِّ وَ هُوَ الْفَتْاحُ» أى الحاكم «الْعَلِيمُ» بالحكم لا يخفى عليه شىء منه «قُلْ» يا محمد «أَرْوَى الَّذِينَ أَحَقَّتْ بِهِ شُرَكَاءَ» إنما ذكر هذا سبحانه على وجه التعظيم و التعجيب أى أروى الذين زعمتم أنهم شركاء لله تعبدونهم معه و هذا كالتوبيخ لهم فيما اعتقدوه من الإشراك مع الله كما يقول القائل لمن أفسد عملا أرنى ما عملته توبيخا له بما أفسده فإنهم سيفتضحون بذلك إذا أشاروا إلى الأصنام ثم قال سبحانه «كَلَّا» أى ليس كما تزعمون و قيل معناه ارتدعوا عن هذا المقال و تنبهوا من الغى و الضلال «بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ» أى القادر الذى لا يغالب «الْحَكِيمُ» فى جميع أفعاله فكيف يكون له شريك ثم بين سبحانه نبوه نبيه ص فقال «وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ» يا محمد بالرسالة التى حملناكها «إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ» أى عامه للناس كلهم العرب و العجم و سائر الأمم عن الجبائى و غيره و يؤيده

الحديث المروى عن ابن عباس عن النبى ص أعطيت خمسا و لا- أقول فخرا بعثت إلى الأحمر و الأسود و جعلت لى الأرض طهورا و مسجدا و أحل لى المغنم و لا يحل لأحد قبلى و نصرت بالرعب فهو يسير أمامى مسيره شهر و أعطيت الشفاعة فادخرتها لأمتى يوم القيامة

و قيل معناه جامعا للناس بالإندار و الدعوه و قيل كافا للناس أى مانعا لهم عما هم عليه من الكفر و المعاصى بالأمر و النهى و الوعيد و الإندار و الهاء للمبالغه عن أبى مسلم «بَشِيرًا» لهم بالجنه «وَ نَذِيرًا» بالنار «وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ» رسالتك لإعراضهم عن النظر فى معجزتك و قيل لا يعلمون ما لهم فى الآخرة فى اتباعك من الثواب و النعيم و ما عليهم فى مخالفتك من العذاب الأليم ثم حكى سبحانه عن الكفار فقال «وَ يَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ» الذى تعدونا به «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فيما تقولونه يا معشر

المؤمنين ثم أمر سبحانه نبيه ص بإجابتهم فقال «قُلْ» يا محمد «لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ» أى ميقات يوم ينزل بكم ما وعدتم به و هو يوم القيامة و قيل يوم وفاتهم و قبض أرواحهم عن أبى مسلم «لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ» أى لا تتأخرون عن ذلك اليوم و لا تتقدمون عليه بأن يزداد فى آجالكم أو ينقص منها.

[سوره سبأ (٣٤): الآيات ٣١ الى ٣٥]

إشارة

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْ لَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا أ نَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعِيدٍ إِذْ جَاءَكُمْ بَلٌ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (٣٢) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسِيرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٣) وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَوْمِهِ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٣٤) وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٣٥)

الإعراب

«بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» فيه وجهان (أحدهما) أن يكون مكر مبتدأ و خبره محذوف أى مكركم فى الليل و النهار صدنا عن ذلك حين أمرتمونا أن نكفر بالله (و الآخر) أن يكون فاعل فعل محذوف تقديره بل صدنا مكركم فى الليل و النهار و العرب تضيف الأحداث إلى الزمان على سبيل الاتساع فتقول صيام النهار و قيام الليل و المعنى أن الصيام فى النهار

لقد لمتنا يا أم غيلان فى السرى و نمت و ما ليل المطى بنائم

فوصف الليل بالنوم و هذا على حد قولك نهارك صائم و ليلك قائم.

المعنى

ثم بين سبحانه حالهم فى القيامة فقال حكاية عنهم «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا» و هم اليهود و قيل هم مشركو العرب و هو الأصح «لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ» أى لا نصدق بأنه من الله تعالى «وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ» من أمر الآخرة و قيل يعنون به التوراه و الإنجيل و ذلك أنه لما قال مؤمنوا أهل الكتاب أن صفه محمد ص فى كتابنا و هو نبى مبعوث كفر المشركون بكتابهم ثم قال «وَلَوْ تَرَى» يا محمد «إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ» أى محبوسون للحساب يوم القيامة «يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلِ» أى يرد بعضهم إلى بعض القول فى الجدل «يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضِعُّوا» و هم الأتباع «لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا» و هم الأشراف و القاده «لَوْ لَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ» مصدقين بتوحيد الله أى أنتم منعتمونا من الإيمان و المعنى لو لا دعائكم إيانا إلى الكفر لآمنا بالله فى الدنيا «قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضِعُّوا» أى قال المتبوعون للأتباع على طريق الإنكار «أَنْحُنْ صِدْدًا كُنَّا عَنْ الْهُدَى بَعِيدًا إِذْ جَاءَكُمْ» أى لم نصدقكم نحن عن قبول الهدى «بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ» أى بل أنتم كفرتم و لم نحملكم على الكفر قهرا فكل واحد من الفريقين وركب الذنب على صاحبه و اتهمه و لم يصف واحد منهم الذنب إلى الله تعالى «وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضِعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا» يعنى الأتباع للمتبعين «بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ» أى مكركم فى الليل و النهار صدنا عن قبول الهدى «إِذْ تَأْمُرُونَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَ نَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا» أى حين أمرتمونا أن نجحد وحدانيه الله تعالى و دعوتونا إلى أن نجعل له شركاء فى العباده «وَ اسِيرُوا النَّدَامَةَ» فيه وجهان (أحدهما) أن معناه أظهروا الندامه (و الآخر) أن المعنى أخفوها و قد فسر الأسرار فى بيت امرئ القيس:

تجاوزت أحراسا إليها و معشرا على حراسا لو يسرون مقتلى

على الوجهين فمن قال بالأول قال معناه أظهر المتبعون الندامه على الإضلال و أظهر

الأتباع الندامه على الضلال وقيل معناه أقبل بعضهم على بعض يلومه و يظهر ندمه و من قال بالثاني قال معناه أخفوا الندامه فى أنفسهم خوف الفضيحه و قيل معناه أن الرؤساء أخفوا الندامه عن الأتباع «لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ» أى حين رأوا نزول العذاب بهم «وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا» قال ابن عباس غلوا بها فى النيران «هَيْلٌ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أى لا يجوزون إلا بأعمالهم التى عملوها على قدر استحقاقهم «وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ» أى من نبي مخوف بالله تعالى «إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا» أى جابرتها و أغنياؤها المتنعمون فيها «إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ» و فى هذا بيان للنبي ص أن أهل قريته جروا على منهاج الأولين و إشاره إلى أنه كان أتباع الأنبياء فيما مضى الفقراء و أوساط الناس دون الأغنياء ثم بين سبحانه عله كفرهم بأن قال «وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَ أَوْلَادًا» أى افتخروا بأموالهم و أولادهم ظنا بأن الله سبحانه إنما خولهم المال و الولد كرامه لهم عنده فقالوا إذا رزقنا و حرمتهم فنحن أكرم منكم و أفضل عند الله تعالى فلا يعذبنا على كفرنا بكم و ذلك قوله «وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ» و لم يعلموا أن الأموال و الأولاد عطاء من الله تعالى يستحق به الشكر عليهم و ليس ذلك للإكرام و التفضل.

[سوره سبأ (٣٤): الآيات ٣٦ الى ٤٠]

إشارة

قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَ مَا أَمْوَالُكُمْ وَ لَا أَوْلَادُكُمْ بِالتِّي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا وَ هُمْ فِي الْعُرْفَاتِ آمِنُونَ (٣٧) وَ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (٣٨) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَ هُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٣٩) وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠)

ص: ١٩٣

قرأ حمزه وحده في الغرفة و الباكون «في العُرْفَاتِ» على الجمع و قرأ يعقوب جزاء بالنصب. الضعف بالرفع.

الحجج

حججه من قرأ الغرفة قوله تعالى أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا و في الجنة غرفات و غرف) غير أن العرب قد تجتري بالواحد عن الجمع إذا كان اسم الجنس قالوا أهلك الناس الدينار و الدرهم و من قرأ «فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ» فالتقدير فأولئك لهم الضعف جزاء في حال المجازاه فهو مصدر وضع موضع الحال أي مجزيين جزاء و يجوز أن يكون مفعولا له و أما إضافه جزاء إلى الضعف في القراءة المشهوره فهو على إضافته إلى المفعول.

الإعراب

«زُلْفَى» في موضع نصب على المصدر تقديره تقربكم قربه و تقريبا و قوله «إِلَّا مَنْ آمَنَ» الموصول و الصلته في موضع نصب على البدل من الكاف و الميم في تقربكم و يجوز أن يكون نصبا على الاستثناء.

المعنى

لما حكى الله سبحانه عن الكفار أنهم قالوا ما نحن بمعذبين لأن الله تعالى أغنانا في الدنيا فلا يعذبنا في الآخرة قال رادا عليهم «قُلْ» يا محمد «إِنَّ رَبِّي» الذي خلقني «يَسْطُرُ الرَّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ» على ما يعلمه من مصلحته و مصلحه غيره «وَيَقْدِرُ» أي و يضيق أيضا على حسب المصلحه فبسط الرزق هو الزيادة فيه على قدر الكفايه و القدر تضيقه عن قدر الكفايه «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» ذلك بجهلهم بالله و بحكمته فيظنون أن كثره مال الإنسان يدل على كرامته عند الله تعالى ثم صرح بهذا المعنى فقال «و ما أموالكم» أي ليس أموالكم التي حولتموها «و لا أولادكم» التي رزقتموها «بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى» أي قربي عن مجاهد قال الأ-خفش أراد بالتي تقربكم عندنا تقريبا فزلفى اسم المصدر و قال الفراء التي يجوز أن يقع على الأموال و الأولاد و جاء الخبر بلفظ الواحده و أن دخل فيه الأخرى «إِلَّا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا» معناه لكن من آمن بالله و عرفه و صدق نبيه ص و أطاعه فيما أمر به و انتهى عما نهاه عنه «فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا» أي يضاعف الله حسناتهم فيجزى بالحسنه الواحده عشرًا إلى ما زاد و الضعف اسم جنس يدل على الكثير و القليل و يجوز أن يكون الأموال و الأولاد تقرب إلى الله تعالى زلفى بأن يكسب المؤمن المال مستعينا به على القيام بحق التكليف و يستولد الولد كذلك فيقر بأنه عند الله زلفى فعلى هذا يكون الاستثناء متصلا و لا- يكون بمعنى لكن و قيل أن جزاء الضعف أن يعطيهم في الآخرة مثل ما كان لهم في الدنيا من النعيم و الضعف المثل عن أبي مسلم

«وَهُمْ فِي الْعَرْفَاتِ» أى فى غرف الجنة و هى البيوت فوق الأبنية «آمِنُونَ» فيها لا يخافون شيئاً مما يخاف مثله فى دار الدنيا من الموت و الغير و الآفات و الأـحزان «وَالَّذِينَ يَسْتَعِينُونَ فِي آيَاتِنَا» أى يجتهدون فى إبطال آياتنا و تكذيبها «مُعَاجِزِينَ» لأنبيائنا و معاجزين أى مثبتين غيرهم عن أفعال البر «أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ» مر تفسيره و إنما كرهه سبحانه لاختلاف الفائده فالأول توبيخ للكافرين و هم المخاطبون به و الثانى وعظ للمؤمنين فكأنه قال ليس إغناء الكفار و إعطاؤهم بدلاله على كرامتهم و سعادتهم بل يزيدهم ذلك عقوبه و إغناء المؤمنين يجوز أن يكون زياده فى سعادتهم بأن ينفقوها فى سبيل الله و يدل على ذلك قوله «وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ» أى و ما أخرجتم من أموالكم فى وجوه البر فإنه سبحانه يعطيكم خلفه و عوضه إما فى الدنيا بزياده النعمه و إما فى الآخرة بثواب الجنة يقال أخلف الله له و عليه إذا أبدل له ما ذهب عنه «وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» لأنه يعطى لمنافع عباده لا لدفع ضرر أو جر نفع لاستحاله المنافع و المضار عليه و قال الكلبي ما تصدقتم به فى خير فهو يخلفه أما أن يجعله لكم فى الدنيا أو يدخر لكم فى الآخرة و

روى أبو هريره عن النبي ص قال قال الله عز و جل لى أنفق أنفق عليك

و

روى أنس بن مالك عن النبي ص قال ينادى مناد كل ليله لدوا للموت و ينادى مناد ابنوا للخراب و ينادى مناد اللهم هب للمنفق خلفا و ينادى مناد اللهم هب للممسك تلفا و ينادى مناد ليت الناس لم يخلقوا و ينادى مناد ليتهم إذ خلقوا فكروا فيما له خلقوا

و

عن جابر عن النبي ص قال كل معروف صدقه و ما وقى به الرجل عرضه فهو صدقه و ما أنفق المؤمن من نفقه فعلى الله خلفها ضامنا إلا ما كان من نفقه فى بنیان أو معصيه

و

عن أبى أمامه قال إنكم تؤولون هذه الآيه فى غير تأويلها «وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ» و قد سمعت رسول الله ص يقول و إلا فصمتا إياكم و السرف فى المال و النفقه و عليكم بالاقتصاد فما افتقر قوم قط اقتصدوا

ثم قال سبحانه «وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً» يعنى يوم القيامه يجمع العابدين لغير الله و المعبودين من الملائكه للحساب «ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَ هَؤُلَاءِ الكفار «إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ» أى كانوا يعبدونكم و يقصدونكم بالعباده و على هذا وجه التقرير و الاستشهاد للملائكه على اعتقادات الكفار حتى تبرا الملائكه منهم و من عبادتهم كما قال سبحانه. أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمَّيِ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

النظم

وجه اتصال هذه الآيه بما قبلها أنهم لما قالوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَ أَوْلَادًا بَيْنَ أَنْ دَعَوَاهُمْ مَرْدُودَةٌ وَ أَنَّهُمْ مَعْدُوبُونَ مَحْجُوجُونَ.

إشارة

قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَآلِنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرَهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (٤١) فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكذَّبُونَ (٤٢) وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرٍ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٤٣) وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ (٤٤) وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٥)

الإعراب

«بَيِّنَاتٍ» نصب على الحال و «آبَاؤُكُمْ» فاعل يعبد و اسم كان محذوف يفسره آباؤكم و التقدير عما كان آباؤكم يعبدون. «يَدْرُسُونَهَا» يجوز أن يكون في محل جر صفة لكتب و يجوز أن يكون في محل نصب على موضع الجار و المجرور لأن المعنى و ما آتيناهم كتباً مدرسه و «فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ» كيف خبر كان و نكير اسمه و النكير مصدر مثل عذير في قوله:

" عذير الحي من عدوان كانوا حيه الأرض "

المعنى

«قَالُوا» أى قالت الملائكة «سُبْحَانَكَ» أى تنزيها لك عن أن نعبد

سواك و نتخذ معبودا غيرك «أَنْتَ» يا الله «وَلِيْنَا» أى ناصرنا و أولى بنا «مِنْ دُونِهِمْ» أى دون هؤلاء الكفار و دون كل أحد و ما كنا نرضى بعبادتهم إيانا مع علمنا بأنك ربنا و ربهم «بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ» بطاعتهم إياهم فيما دعوهم إليه من عباده الملائكة و قيل المراد بالجن إبليس و ذريته و أعوانه و «أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ» أى مصدقون بالشياطين مطيعون لهم ثم يقول الله سبحانه «فَالْيَوْمَ» يعنى فى الآخرة «لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ يَنْصُرُ» يعنى العابدين و المعبودين «نُفْعًا وَلَا ضَرًّا» أى نفعا بالشفاعه و لا ضرا بالتعذيب «وَقَوْلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا» بأن عبدوا غير الله «ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ» أى لا تعترفون بها و تجحدونها ثم عاد سبحانه إلى الحكايه عن حال الكفار فى الدنيا فقال «وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا» أى تقرأ عليهم حججنا «بَيِّنَاتٍ» أى واضحات من القرآن الذى أنزلناه على نبينا «قَالُوا» عند ذلك «ما هذا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ» أى يمنعكم «عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ آبَاءَهُمْ» فزوعوا إلى تقليد الآباء لما أعوزتهم الحججه «وَقَالُوا ما هذا» القرآن «إِلَّا إِفْكٌ» أى كذب «مُفْتَرًى» قد تخرسه و افتراه «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ» أى للقرآن «لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا» أى ليس هذا «إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ» أى ظاهر ثم أخبر سبحانه أنهم لم يقولوا ذلك عن بينه فقال «وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا» أى و ما أعطينا مشركى قريش كتابا قط يدرسونه فيعلمون بدرسه أن ما جئت به حق أو باطل و إنما يكذبونك بهوهم من غير حجه «وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ» أى رسول أمرهم بتكذيبك و أخبرهم ببطلان قولك يعنى أنهم لا يرجعون فى تكذيبك إلا إلى الجهل و العناد و اتباع الهوى ثم أخبر سبحانه عن عاقبه من كذب الرسل قبلهم تخويفا لهم فقال «وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» بمن بعث إليهم من الرسل و ما آتاهم الله من الكتب «وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ» أى و ما بلغ قومك يا محمد معشار ما أعطينا من قبلهم من القوه و كثره المال و طول العمر فأهلكهم الله عن ابن عباس و قتاده «فَكَذَّبُوا رَسُولِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ» أى عقوبتى و تغييرى حالهم و قيل معناه أنظر فى آثارهم كيف كان إنكارى عليهم بالهلاك عن ابن مسلم و المراد أنا كما أهلكنا أولئك حين كذبوا رسلنا فليحذر هؤلاء مثل ما نزل بهم من الهلاك و الاستئصال.

[سوره سبأ (٣٤): الآيات ٤٦ الى ٥٠]

اشاره

قُلْ إِنَّمَا أَعْطَيْتُكُمْ بِوَاحِدِهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مثنًى وَفُرَادًى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٤٦) قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٤٧) قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَاقِمَ الْغُيُوبِ (٤٨) قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَ مَا يُبْدِئُ الْبَاطِلَ وَ مَا يُعِيدُ (٤٩) قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ (٥٠)

ص: ١٩٧

«أَنْ تَقُومُوا» فى موضع جر على البدل من واحده و يجوز أن يكون فى موضع نصب بحذف حرف الجر و إفضاء الفعل إليه و التقدير أعظكم بطاعه الله لأن تقوموا أو أعظكم بأن تقوموا. «مَثْنَى وَفُرَادَى» نصب على الحال. «ما سَأَلْتُكُمْ» ما شرطيه و هى فى محل النصب بأنها مفعول ثان لسألت و يجوز أن تكون موصوله فىكون التقدير ما سألتكموه فىكون مع الصله فى موضع رفع بالابتداء. «عَلَّامُ الْغُيُوبِ» يجوز أن يكون بدلا من الضمير المستكن فى يقذف و يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف أى هو علام الغيوب و لو نصب على أنه نعت لربى لكان جائزا لكن الرفع أجود لأنه جاء بعد تمام الكلام.

المعنى

ثم خاطب سبحانه النبى ص فقال «قُلْ» يا محمد لهم «إِنَّمَا أَعْظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ» أى آمركم و أوصيكم بخصله واحده و قيل بكلمه واحده و هى كلمه التوحيد و قيل بطاعه الله عن مجاهد و من قال بالأول قال أنه فسر الواحده بما بعده فقال «أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى» أى اثنين اثنين و واحدا واحدا «ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ» معناه أن يقوم الرجل منكم وحده أو مع غيره ثم تتساءلون هل جربنا على محمد كذبا أو هل رأينا به جنه ففى ذلك دلالة على بطلان ما ذكرتم فيه و ليس معنى القيام هنا القيام على الأرجل و إنما المراد به القصد للإصلاح و الإقبال عليه مناظرا مع غيره و متفكرا فى نفسه لأن الحق إنما يتبين للإنسان بهما و قد تم الكلام عند قوله «تَتَفَكَّرُوا» و ما للنفى قال قتاده أى ليس بمحمد ص جنون و أن جعلت تمام الكلام آخر الآية فالمعنى ثم تتفكروا أى شىء بصاحبكم من الجنون أى هل رأيتم من منشئه إلى مبعثه و صمه تنافى النبوه من كذب أو ضعف فى العقل أو اختلاف فى القول و الفعل فيدل ذلك على الجنون «إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ» أى مخوف من معاصى الله «بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» يعنى عذاب القيامة ثم قال للنبى ص «قُلْ» لهم يا محمد «ما

سَيَأْتِكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ» يعنى لا- أسألکم على تبليغ الرساله شيئاً من عرض الدنيا ففتهمونى فما طلبته منكم من أجر على أداء الرساله و بيان الشريعه فهو لكم و هذا كما يقول الرجل لمن لا يقبل نصحه ما أعطيتنى من أجر فخذة و ما لى فى هذا فقد وهبته لك يريد ليس لى فيه شىء و منه النصح مجان و قال الماوردى معناه

أن أجر ما دعوتكم إليه من إجابتى و ذخره هو لكم دونى و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

«إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ» أى ليس ثواب عملى إلا على الله فهو يثينى عليه و لا يضيعه «وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» أى عليم به لم يغب عنه شىء فيعلم ما يلحقنى من أذاكم «قُلْ» يا محمد «إِنَّ رَبِّي يَمْحُذِفُ بِالْحَقِّ» و يلقيه إلى أنبيائه عن قتاده و مقاتل «عَلَّامُ الْغُيُوبِ» علم جميع الخفيات و ما غاب عن خلقه فى الأرضين و السموات «قُلْ» يا محمد «جَاءَ الْحَقُّ» و هو أمر الله تعالى بالإسلام و التوحيد و قيل هو الجهاد بالسيف عن ابن مسعود «وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ» أى ذهب الباطل ذهاباً لم يبق منه إبداء و لا إعادة و لا إقبال و لا إدبار لأن الحق إذا جاء لا يبقى للباطل بقيه و قيل أن الباطل إبليس لا يبدئ الخلق و لا يعيدهم عن قتاده و قيل معناه ما يبدئ الباطل لأهله خيراً فى الدنيا و لا يعيد خيراً فى الآخرة عن الحسن و قال الزجاج و يجوز أن يكون ما استفهما فى موضع نصب على معنى و أى شىء يبدئ الباطل و أى شىء يعيده

قال ابن مسعود دخل رسول الله ص مكة و حول البيت ثلاثمائة و ستون صنماً فجعل يطعنهما بعود فى يده و يقول جاء الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً «جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ»

«قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ» عن الحق كما تدعون «فَأِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي» أى فإنما يرجع وبال ضلالى على لأنى مأخوذ به دون غيرى «وَإِنْ اهْتَدَيْتُ» إلى الحق «فَبِمَا يُوحَى إِلَيَّ رَبِّي» أى بفضل ربى حيث أوحى إلى فله المنه بذلك على دون خلقه «إِنَّهُ سَمِيعٌ» لأقوالنا «قَرِيبٌ» منا فلا يخفى عليه المحق و المبطل.

[سوره سبا (٣٤): الآيات ٥١ الى ٥٤]

إشارة

وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَ أَخَذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (٥١) وَ قَالُوا آمَنَّا بِهِ وَ أَنَّى لَهُمُ التَّنَافُثُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٥٢) وَ قَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَ يَفْضِلُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ (٥٤)

ص: ١٩٩

قرأ أبو عمرو و أهل الكوفه غير عاصم التناؤش بالمد و الهمز و الباقون بغير مد و لا همز.

الحجه

التناؤش التناول من قولهم نشت أنوش قال الشاعر:

فهى تنوش الحوض نوشا من علا نوشا به تقطع أجواز الفلا

فمن لم يهمز جعله تفاعلا منه و من همز احتمل أمرين (أحدهما) أنه أبدل من الواو و الهمز لانضمامها مثل أقتت و أدؤر و نحو ذلك (و الآخر) يكون من الناش و هو الطلب قال رؤبه:

أقحمنى جار أبى الخاموش إليك ناش القدر المنوش

و الناش الحركه فى الإبطاء قال الشاعر:

تمنى نئيشا أن يكون أطاعنى و قد حدثت بعد الأمور أمور

أى تمنى مده مديده فنصب نئيشا على الظرف.

المعنى

ثم قال سبحانه «وَلَوْ تَرَىٰ» يا محمد «إِذْ فَرَعُوا» أى عند البعث «فَلَا فَوْتٌ» أى فلا يفوتنى منهم أحد و لا ينجو منى ظالم «وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ» يعنى القبور و حيث كانوا فهم من الله قريب لا يفوتونه و جواب لو محذوف و يدل الكلام عليه و التقدير لرأيت أمرا عظيما و قيل إذ فرعوا فى الدنيا حين رأوا بأس الله عند معاينه الملائكه لقبض أرواحهم عن قتاده و قيل هو فرعهم يوم بدر حين ضربت أعناقهم فلم يستطيعوا فرارا من العذاب و لا رجوعا إلى التوبه عن الضحاك و السدى و

قال أبو حمزه الثمالى سمعت على بن الحسين (عليه السلام) و الحسن بن الحسن بن على (عليه السلام) يقولان هو جيش البيداء يؤخذون من تحت أقدامهم

قال و حدثنى عمرو بن مره و حمران بن أعين أنهما سمعا مهاجرا المكى

يقول سمعت أم سلمه تقول قال رسول الله ص يعوذ عائذ بالبيت فيبعث الله إليه جيشا حتى إذا كانوا بالبيداء بيداء المدينه خسف

بهم

و

روى عن حذيفه بن اليمان أن النبي ص ذكر فتنه تكون بين أهل المشرق و المغرب قال فيينا هم كذلك يخرج عليهم السفينانى من الوادى اليابس فى فور ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين جيشا إلى المشرق و آخر إلى المدينه حتى ينزلوا بأرض بابل من المدينه الملعونه يعنى بغداد فيقتلون أكثر من ثلاثه آلاف و يفضحون أكثر من مائه امرأه و يقتلون بها ثلاثمائيه كبش من بنى العباس ثم ينحدرون إلى الكوفه فيخربون ما حولها ثم يخرجون متوجهين إلى الشام فيخرج رايه هدى من الكوفه فيلحق ذلك الجيش فيقتلونهم لا- يفلت منهم مخبر و يستنقذون ما فى أيديهم من السبى و الغنائم و يحل الجيش الثانى بالمدينه فينتهبونها ثلاثه أيام بلياليها ثم يخرجون متوجهين إلى مكه حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله جبرائيل فيقول يا جبرائيل اذهب فأبدهم فيضربها برجله ضربه يخسف الله بهم عندها و لا يفلت منهم إلا رجلا من جهينه فلذلك جاء القول " و عند جهينه الخبر اليقين " فذلك قوله «وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزَعُوا» إلى آخره أورده الثعلبى فى تفسيره و روى أصحابنا فى أحاديث المهدي عن أبى عبد الله (عليه السلام) و أبى جعفر (عليه السلام) مثله

«وَقَالُوا» أى و يقولون فى ذلك الوقت و هو يوم القيامه أو عند رؤيه البأس أو عند الخسف فى حديث السفينانى «آمَنَّا بِهِ وَ أَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ» أى و من أين لهم الانتفاع بهذا الإيمان الذى ألجئوا إليه بين سبحانه أنهم لا ينالون به نفعا كما لا ينال أحد التناوش «مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ» و قيل معناه أنهم طلبوا المرد إلى الدنيا فالمراد أنهم طلبوا الأمر من حيث لا ينال و لم يرد بعد المكان و إنما أراد بعد انتفاعهم بذلك و بعدهم عن الصواب «وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ» المعنى و كيف تقبل توبتهم أو يردون إلى الدنيا و قد كفروا بالله من قبل ذلك «وَيَقْدُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ» أى و يرحمون بالظن فيقولون لا جنه و لا نار و لا بعث و هذا أبعد ما يكون من الظن عن قتاده و قيل معناه يرمون محمدا ص بالظنون من غير يقين و ذلك قولهم هو ساحر و هو شاعر و هو مجنون و جعله قذفا لخروجه فى غير حق و قيل معناه و يبعدون أمر الآخره فيقولون لأتباعهم هيهات هيهات لما تواعدون و ذلك كالشئى يرى فى موضع بعيد المرمى «وَ حِيلَ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ» أى و فرق بينهم و بين مشتياتهم بالموت الذى حل بهم كما حل بأمثالهم عن أبى مسلم و قيل مشتاهم هو التوبه و الإيمان أو الرد إلى الدنيا و قد منعوا منه و قيل هو نعيم الجنه عن الجبائى و قيل معناه منعوا من كل مشتهى

ص: ٢٠١

فيلحق الله تعالى فيهم النفار فلا يدركون شيئاً إلا ويتألمون به «كَمَا فَعَلَ» مثل ذلك «بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ» أى بأمثالهم من الكفار و قيل معناه بموافقيهم و أهل دينهم من الأمم الماضيه حين لم تقبل منهم التوبه وقت رؤيه البأس و العذاب قال الضحاك المراد بذلك أصحاب الفيل حين أرادوا خراب الكعبه «إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ» من البعث و النشور و قيل فى شك من وقوع العذاب بهم «مُرِيْبٍ» أى مشكك كما قالوا عجب عجب.

ص: ٢٠٢

(٣٥) سورة فاطر مكيه و آياتها خمس و أربعون (٤٥)

اشاره

[توضيح]

مكيه قال الحسن إلا آيتين «إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ» الآية «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ» الآية.

عدد آياتها

ست و أربعون آيه شامى و المدنى الأخير و خمس فى الباقيين

اختلافها

سبع آيات «الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ» بصرى شامى «جَدِيدٌ» و «الْبَصِيرُ» و «النُّورُ» ثلاثهن غير البصرى «مَنْ فِي الْقُبُورِ» غير شامى «أَنْ تَرَوْلا» بصرى «تَبْدِيلًا» بصرى شامى و المدنى الأخير

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأ سورة الملائكه دعته يوم القيامه ثلاثه أبواب من الجنة أن أدخل من أى الأبواب شئت

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه السوره المتقدمه بالرد على أهل الشرك و الشك و العنود افتتح هذه السوره بذكر كمال قدرته و وحدانيته و دلائل التوحيد فقال:

[سوره فاطر (٣٥): الآيات ١ الى ٥]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مِّثْنَىٰ وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَ مَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ هَبْلٌ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَزُقُّكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَىٰ تُؤْفَكُونَ (٣) وَ إِنَّ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٤)

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ (٥)

ص: ٢٠٣

قرأ أهل الكوفه غير عاصم و أبو جعفر غير الله بالجر و الباقون بالرفع.

الحجه

قال أبو على من قرأ غير الله بالجر جعله صفه على اللفظ و الخبر «يَزُوقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ» و من قرأ «غَيْرُ اللَّهِ» بالرفع احتمل وجوها (أحدها) أن يكون خبر المبتدأ (و الآخر) أن يكون صفه على الموضع و الخبر مضمّر تقديره هل خالق غير الله فى الوجود أو العالم (و الثالث) أن يكون غير استثناء و الخبر مضمّر كأنه قال هل من خالق إلا الله و يدل على جواز الاستثناء قوله ما مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ.

اللغه

الفطر الشق عن الشىء بإظهاره للحس و فاطر السموات خالقها.

الإعراب

«مَثْنَى وَ ثُلَاثَ وَ رُبَاعَ» صفه لأجنحه معدوله عن اثنين اثنين و ثلاثه ثلاثه و أربعة أربعة. «ما يَفْتَحِ اللَّهُ» ما شرطيه فى محل النصب لكونها مفعول يفتح.

المعنى

«الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى خالقهما مبتدئا على غير مثال سبق حمد سبحانه نفسه ليعلمنا كيف نحمده و ليبين لنا أن الحمد كله له «جاءت الملائكته رُسُلًا» إلى الأنبياء بالرسالات و الوحي «أولى أجنحه مَثْنَى وَ ثُلَاثَ وَ رُبَاعَ» تقدم تفسيرها و إنما جعلهم أولى أجنحه ليتمكنوا بها من العروج إلى السماء و من النزول إلى الأرض فمنهم من له جناحان و منهم من له ثلاثه أجنحه و منهم من له أربعة أجنحه عن قتاده قال و يزيد فيها ما يشاء و هو قوله «يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ» قال ابن عباس رأى رسول الله ص جبرائيل ليله المعراج و له ستمائه جناح و هذا اختيار الزجاج و الفراء و قيل أراد بقوله «يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ»

حسن الصوت عن الزهري و ابن جريج و قيل هو الملاحه فى العينين عن قتاده و

روى أبو هريره عن النبى ص قال هو الوجه الحسن و الصوت الحسن و الشعر الحسن

«إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» لا شىء إلا و هو قادر عليه أو قادر على مثله ثم بين سبحانه أنعامه على خلقه فقال «ما يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا» أى ما يأتيهم به من مطر أو عافيه أو أى نعمه شاء فإن أحدا لا يقدر على إمساكه «وَمَا يُمْسِكُكُمْ» من ذلك «فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ» أى فإن أحدا لا يقدر على إرساله و قيل معناه ما يرسل الله من رسول إلى عباده فى وقت دون وقت فلا مانع له لأن إرسال الرسول رحمه من الله كما قال «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» و ما يمسه فى زمان الفتره أو عمن يقترحه من الكفار فلا مرسل له عن الحسن و اللفظ محتمل للجميع «وَهُوَ الْعَزِيزُ» أى القادر الذى لا يعجز «الْحَكِيمُ» فى أفعاله أن أنعم و أن أمسك لأنه يفعل ما تقتضيه الحكمة ثم خاطب المؤمنين فقال «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ» الظاهره و الباطنه التى من جملتها أنه خلقكم و أوجدكم و أحياكم و أفدركم و شهاكم و خلق لكم أنواع الملاذ و المنافع «هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ» هذا استفهام تقرير لهم و معناه النفى ليقروا بأنه لا خالق إلا الله يرزق من السماء بالمطر و من الأرض بالنبات و هل يجوز إطلاق لفظ الخالق على غير الله سبحانه فيه و جهان (أحدهما) أنه لا تطلق هذه اللفظه على أحد سواه و إنما يوصف به غيره على جهة التقييد و إن جاز إطلاق لفظ الصانع و الفاعل نحوهما على غيره (و الآخر) أن المعنى لا خالق يرزق و يخلق الرزق إلا الله تعالى «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» أى لا معبود يستحق العباده سواه سبحانه «فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ» أى كيف تصرفون عن طريق الحق إلى الضلال و قيل معناه أنى يعدل بكم عن هذه الأدله التى أقمتموها لكم على التوحيد مع وضوحها ثم سلى سبحانه نبيه ص عن تكذيب قومه إياه فقال «وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ» يا محمد «فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» فيجازى من كذب رسله و ينصر من كذب من رسله ثم خاطب الخلق فقال «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ» من البعث و النشور و الجنه و النار و الجزاء و الحساب «حَقٌّ» صدق كائن لا محاله «فَلَا تُغْرَنُّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا» فتغترون بملاذها و نعيمها و لا يخذعنكم حب الرياسه و طول البقاء فإن ذلك عن قليل نافد بائد و يبقى الوبال و الوزر «وَ لَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ» و هو الذى عادته أن يغر غيره و الدنيا و زينتها بهذه الصفه لأن الخلق يغترون بها و قيل أن الغرور الشيطان الذى هو إبليس عن الحسن و مجاهد.

إشاره

إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (۶) الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (۷) أَمْ مَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسِرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (۸) وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ (۹) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ (۱۰)

القراءة

قرأ أبو جعفر فلا تذهب بضم التاء نفسك بالنصب والباقون «فلا تذهب نفسك» والوجه فيهما ظاهر.

الإعراب

حسرات مصدر فعل محذوف تقديره فلا تذهب نفسك تتحسر عليهم حسرات وجميعا نصب على الحال والعامل فيه ما يتعلق به اللام من لله «وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ» هو فصل بين المبتدأ وخبره.

المعنى

ثم أنه سبحانه حذرهم الشيطان فقال «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ» يدعوكم إلى ما فيه الهلاك والخسر و يصرفكم عن أفعال الخير والبر و يدعوكم إلى الشر «فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا» أى فعادوه ولا تتبعوه بأن تعملوا على وفق مراده و تدعنوا لانقياده «إِنَّمَا يَدْعُوا

حِزْبُهُ» أى أتباعه و أوليائه و أصحابه «لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ» أى النار المسعرة و المعنى أنه لا سلطان له على المؤمنين و لكنه يدعو أتباعه إلى ما يستحقون به النار ثم بين سبحانه حال من أجابه و حال من خالفه فقال «الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ» جزاء على كفرهم «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ» من الله لذنوبهم «وَ أَجْرٌ كَبِيرٌ» أى ثواب عظيم ثم قال سبحانه مقررًا لهم «أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسِينًا» يعنى الكفار زينت لهم نفوسهم أعمالهم السيئه فتصوروها حسنه أو زينها الشيطان لهم بأن أعمالهم إلى الشبه المضله و ترك النظر فى الأدله و أغواهم حتى تشاغلوا بما فيه عاجل اللذنه و طرح الكلفه و خبر قوله «أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ» محذوف أى أ هو كمن علم الحسن و القبيح و عمل بما علم و لم يزين له سوء عمله و قيل تقديره كمن هداه الله و قيل كمن زين له صالح عمله «فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» مر بيانه «فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسِيرَاتٍ» أى لا- تهلك نفسك يا محمد عليهم حسره و لا- يغمك حالهم إذ كفروا و استحقوا العقاب و هو مثل قوله «لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» و الحسره شدة الحزن على ما فأت من الأمر «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ» فيجازيهم عليه ثم عاد سبحانه إلى ذكر أدله التوحيد فقال «وَ اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا» أى تهيجه و تزعجه من حيث هو «فَسِيقَناه» أى فسقنا السحاب «إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ» أى قحط و جذب لم يمطر فيمطر على ذلك البلد «فَأَحْيَيْنَاهُ» أى بذلك المطر و الماء «الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا» بأن أنبتنا فيها الزرع و الكلاً بعد أن لم يكن «كَذَلِكَ النُّشُورُ» أى كما فعل هذا بهذه الأرض الجدبه من إحيائها بالزرع و النبات ينشر الخلائق بعد موتهم و يحشرهم للجزاء من الثواب و العقاب «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا» اختلف فى معناه فقيل المعنى من كان يريد علم العزه و هى القدره على القهر و الغلبه لمن هى فإنها لله جميعا عن الفراء و قيل معناه من أراد العزه فليتعزز بطاعه الله فإن الله تعالى يعزه عن قتاده يعنى أن قوله «فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا» معناه الدعاء إلى طاعه من له العزه كما يقال من أراد المال فالمال لفلان أى فليطلبه من عنده يدل على صحه هذا ما رواه

أنس عن النبى ص أنه قال أن ربكم يقول كل يوم أنا العزيز فمن أراد عز الدارين فليطع العزيز

«إِلَيْهِ يَصِيءُ عَدُوُّ الْكَلِيمِ الطَّيِّبِ» و الكلم جمع الكلمه يقال هذا كلم و هذه كلم فيذكر و يؤنث و كل جمع ليس بينه و بين واحده إلا الهاء يجوز فيه التذكير و التأنيث و معنى الصعود هاهنا القبول من صاحبه و الإثابه عليه و كلما يتقبله الله سبحانه من الطاعات يوصف بالرفع و الصعود لأن الملائكه يكتبون أعمال بنى آدم و يرفعونها إلى حيث شاء الله تعالى و هذا كقوله إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبِيَاءِ لَفِي عِلِّيِّينَ و قيل معنى إليه يصعد إلى سمائه و إلى حيث لا يملك الحكيم

سواه فجعل صعوده إلى سمائه صعوداً إليه تعالى كما يقال ارتفع أمرهم إلى السلطان و الكلم الطيب الكلمات الحسنه من التعظيم و التقديس و أحسن الكلم لا إله إلا الله «و الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ» قيل فيه وجوه (أحدها) العمل الصالح يرفع الكلم الطيب إلى الله فالهاء من يرفعه يعود إلى الكلم و هو معنى قول الحسن (و الثانى) على القلب من الأول أى و العمل الصالح يرفعه الكلم الطيب و المعنى أن العمل الصالح لا ينفع إلا إذا صدر عن التوحيد عن ابن عباس (و الثالث) أن المعنى العمل الصالح يرفعه الله لصاحبه أى يقبله عن قتاده و على هذا فيكون ابتداء إخبار لا- يتعلق بما قبله ثم ذكر سبحانه من لا- يوحد الله سبحانه فقال «و الَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ» أى يعملون السيئات عن الكلبي و قيل يمكرون أن يشركون بالله و قيل يعنى الذين مكروا برسول الله ص فى دار الندوه عن أبى العالبيه و هو قوله و إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْآيَةَ «لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ» فى الآخره ثم أخبر سبحانه أن مكروهم يبطل فقال «و مَكْرٌ أُولَئِكَ هُوَ يُبْوَرُ» أى يفسد و يهلك و لا يكون شيئاً و لا ينفذ فيما أرادوه.

[سوره فاطر (٣٥): الآيات ١١ الى ١٧]

إشاره

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا و مَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى و لَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ و مَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ و لَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١١) و مَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شْرَابُهُ و هَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ و مِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا و تَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا و تَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لَتَبْتَعُوا مِنْ فَضْلِهِ و لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ و يُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ و سَخَّرَ الشَّمْسَ و الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ و الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ و لَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ و يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ و لَا يُبْنِيكَ مِثْلَ خَبِيرٍ (١٤) يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ و اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥)

إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ و يَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦) و مَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (١٧)

القراءه

قرأ روح و زيد عن يعقوب و لا ينقص بفتح الياء و هو قراءه الحسن و ابن سيرين و الباقر «وَلَا يُنْقَصُ» على البناء للمفعول به و قرأ قتيبه عن الكسائي و الذين يدعون بالياء و الباقر بالتاء و فى الشواذ قراءه عيسى الثقفى سيغ شرايه.

الحجه

من قرأ ينقص فالتقدير و لا- ينقص الله من عمره و القراءه المشهوره «وَلَا يُنْقَصُ» و هى أوفق لما تقدمه من قوله «وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ» و كذلك قراءه «تَدْعُونَ» على الخطاب أوفق بما تقدم من الكلام و ما تأخر و يدعون بالياء على الغيبه و من قرأ سيغ شرايه فإنه على التخفيف من سيغ بالتشديد على فيعل و أصله سيوغ مثل هين و هين و ميت و ميت.

اللغه

النتفه الماء القليل و الماء الكثير و هو من الأضداد و منه

قول أمير المؤمنين (عليه السلام) لما قيل له أن الخوارج عبروا جسر النهروان مصارعهم دون النتفه

و العمر البقاء و أصله طول المده و قولهم لعمر الله بالفتح لا- غير و القطمير لصفاه النواه و قيل الحبه فى بطن النواه و الجديد القريب العهد بانقطاع العمل عنه و أصله من القطع.

الإعراب

«لَا يُنْقَصُ» تقديره لا ينقص من عمره شىء فمفعول ما لم يسم فاعله محذوف و قوله «إِلَّا فِي كِتَابٍ» الجار و المجرور فى موضع خبر لمبتداء محذوف تقديره إلا- هو كائن فى كتاب. «تَلْبَسُونَهَا» يجوز أن يكون جملة منصوبه الموضع على الحال من «تَسْتَخْرِجُونَ» و يجوز أن يكون صفه لحليه أى حليه ملبوسه و اللام من قوله «لِتَبْتَغُوا» يتعلق بمواخر لأن المعنى أن الفلك يشق الماء للابتغاء من فضل الله و قوله «مِنْ دُونِهِ» فى موضع الحال من الضمير المحذوف من قوله «تَدْعُونَ» و التقدير و الذين تدعونهم كائنين من دونه.

المعنى

ثم نسق سبحانه على ما تقدم من دلائل التوحيد فقال «وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ» بأن خلق أباكم آدم منه فإن الشىء يضاف إلى أصله و قيل أراد به آدم (عليه السلام) نفسه «ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ» أى ماء الرجل و المرأه «ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا» أى ذكورا و إناثا و قيل ضربا

و أصنافا «و ما تَحْمِلُ مِنْ أَنْثَى وَ لَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ» أى و ما تحصل من الإناث حامله ولدها فى بطنها إلا بعلم الله تعالى و المعنى إلا و هو عالم بذلك «و ما يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ» معناه و ما يمد فى عمر معمر أى و لا يطول عمر أحد «و لا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرِهِ» أى من عمر ذلك المعمر بانقضاء الأوقات عليه عن أبى مالك يعنى و لا يذهب بعض عمره بمضى الليل و النهار و قيل معناه و لا ينقص من عمر غير ذلك المعمر عن الحسن و الضحاك و ابن زيد و قيل هو ما يعلمه الله تعالى إن فلانا لو أطاع لبقى إلى وقت كذا و إذا عصى نقص عمره فلا- يبقى فالنقصان على ثلاثة أوجه إما أن يكون من عمر المعمر أو من عمر معمر آخر أو يكون بشرط «إِلَّا فِي كِتَابٍ» أى إلا و ذلك مثبت فى الكتاب و هو الكتاب المحفوظ أثبتته الله تعالى قبل كونه قال سعيد بن جبیر مكتوب فى أم الكتاب عمر فلان كذا سنة ثم يكتب أسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة أيام حتى يأتى على آخر عمره «إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» يعنى أن تعمير من يعمره و نقصان من ينقصه و إثبات ذلك فى الكتاب سهل على الله تعالى غير متعذر ثم قال «و ما يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ» يعنى العذب و المالح ثم ذكرهما فقال «هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ» أى طيب بارد «سَائِغٌ شَرَابُهُ» أى جائز فى الحلق هنىء «و هذا مِلْحٌ أُجَاجٌ» شديد الملوحة عن ابن عباس و ما بعد هذا مفسر فى سورة النحل إلى آخر الآيه «يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ يُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ» أى يدخل أحدهما فى الآخر بالزيادة و النقصان «و سَيَخْرُ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ» أى يجريهما كما يريد «كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى» أى لوقت معلوم و قد مضى تفسيره «ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ» أى مدبر هذه الأمور هو الله خالقكم «لَهُ الْمُلْكُ» فى الدنيا و الآخرة «و الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ» أى تدعونهم آلهه من الأصنام و الأوثان و توجهون عبادتكم إليهم و «ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ» أى قشر نواه عن ابن عباس أى لا- يقدرون من ذلك على قليل و لا- كثير «إِنْ تَدْعُوهُمْ» لكشف ضر «لا- يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ» لأنها جماد لا تنفع و لا تضر «و لَوْ سَمِعُوا» بأن يخلق الله لها سمعا «مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ» أى يتبرءون عن عبادتكم ينطقهم الله يوم القيامة لتوبيخ عابديها فيقولون لم عبدتمونا و ما دعوناكم إلى ذلك قال البلخي و يجوز أن يكون المراد به الملائكة و عيسى و يكون معنى قوله «لا- يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ» أنهم بحيث لا يسمعون أو أنهم مشغولون عنهم لا يلتفتون إليهم و يجوز أن يكون المراد به الأصنام و يكون ما يظهر من بطلان ما ظنوه كفرا بشركهم و جحودا له كما أن ما يحصل فى الجماد من الدلاله على الله تسييح منهم «و لا يُبَيِّنُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ» أى لا يخبرك بما فيه الصلاح و الفساد و المنافع و المضار مثل الله سبحانه العليم بالأشياء كلها «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ» المحتاجون «إِلَى اللَّهِ وَ اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ»

عن عبادتكم لا يحتاج إلى شيء «الْحَمِيدُ» المستحق للحمد على جميع أفعاله فلا يفعل إلا ما يستحق به حمدا ثم أخير عن كمال قدرته فقال «إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ» و يفنكم «وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ» سواكم كما خلقكم و لم تكونوا شيئا «وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بَعِزٌّ» أى ممتنع بل هو عليه هين يسير.

[سوره فاطر (٣٥): الآيات ١٨ الى ٢٦]

اشاره

وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَفَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (١٨) وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ (١٩) وَالظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ (٢٠) وَالظُّلُّ وَالْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَالْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٢٢)

إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ (٢٣) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٤) وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (٢٥) ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٢٦)

اللغه

الحرور السموم و هى الريح الحاره قال الفراء السموم لا يكون إلا بالنهار و الحرور يكون بالليل و النهار و الاستواء حصول أحد الشيتين على مقدار الآخر و منه الاستواء فى العود و الطريق خلاف الاعوجاج لمره على مقدار وضع له من غير انعدال و الأسماع إيجاد المسموع بحيث يدركه السامع.

ص: ٢١١

ثم أخبر سبحانه عن عدله في حكمه فقال «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» أى لا تحمل نفس حامله حمل نفس أخرى أى لا يؤخذ أحد بذنب غيره وإنما يؤخذ كل بما يقترفه من الآثام «وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا» أى و أن تدع نفس مثقله بالآثام غيرها إلى أن يتحمل عنها شيئاً من إثمها «لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ» أى لا يحمل غيرها شيئاً من ذلك الحمل «وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ» أى و لو كان المدعو إلى التحمل ذا قرابه منها و أقرب الناس إليها ما حمل عنها شيئاً فكل نفس بما كسبت رهينه قال ابن عباس يقول الأب و الأم يا بنى احمل عنى فيقول حسبى ما على «إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ» أى و هم غائبون عن أحكام الآخرة و أهوالها و هذا كقوله «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا» والمعنى إن إنذارك لا ينفع إلا الذين يخشون ربهم فكأنك تنذرهم دون غيرهم ممن لا- ينفعهم الإنذار و قيل الذين يخشون ربهم فى خلواتهم و غيبتهم عن الخلق «وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ» أى أداموها و قاموا بشرائطها و إنما عطف الماضى على المستقبل إشعاراً باختلاف المعنى لأن الخشية لازمه فى كل وقت و الصلاة لها أوقات مخصوصه «وَمَنْ تَزَكَّىٰ» أى فعل الطاعات و قام بما يجب عليه من الزكاه و غيرها من الواجبات و قيل تطهر من الآثام «فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ» لأن جزاء ذلك يصل إليه دون غيره «وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ» أى مرجع الخلق كلهم إلى حيث لا- يملك الحكم إلا الله سبحانه فيجازى كلا على قدر عمله «وَ مَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَ الْبَصِيرُ» أى لا يتساوى الأعمى عن طريق الحق و الذى اهتدى إليه قط و قيل المشرك و المؤمن «وَ لَا الظُّلُمَاتُ» أى ظلمات الشرك و الضلال «وَ لَا النُّورُ» أى نور الإيمان و الهدايه و فى قوله «وَ لَا النُّورُ» و ما بعده من الزيادة لا قولان (أحدهما) أنها زائده مؤكده للنفى (و الثانى) إنها نافية لاستواء كل واحد منهما لصاحبه على التفصيل «وَ لَا الظُّلُّ وَ لَا الْحُرُورُ» يعنى الجنه و النار عن الكلبى و قيل يعنى ظل الليل و السموم بالنهار «وَ مَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَ لَا الْأَمْوَاتُ» يعنى المؤمنين و الكافرين و قيل يعنى العلماء و الجهال و قال بعضهم أراد نفس الأعمى و البصير و الظل و الحرور و الظلمات و النور على طريق ضرب المثل أى كما لا- يستوى هذه الأشياء و لا- يتماثل و لا يتشاكل فكذلك عباده الله لا تشبه عباده غيره و لا يستوى المؤمن و الكافر و الحق و الباطل و العالم و الجاهل «إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ» أى ينفع بالأسماع من يشاء أن يلف له و يوفقه و لم يرد به نفى حقيقه السماع لأنهم كانوا يسمعون آيات الله «وَ مَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ» أى إنك لا تقدر على أن تنفع الكفار بإسماعك إياهم إذ لم يقبلوا كما لا تسمع من فى القبور من الأموات «إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ» أى ما أنت إلا مخوف لهم بالله «إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ» أى بالدين الصحيح «بَشِيرًا وَ نَذِيرًا» أى مبشراً للمؤمنين و نذيراً للكافرين

«وَإِنْ مِنْ أُمَّهِ» أى و ما من أمه من الأمم الماضيه «إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ» أى مضى فيها مخوف يخوفهم و يندرهم فأنت مثلهم نذير لمن جحد بشير لمن وحد قال الجبائى و فى هذا دلالة على أنه لا أحد من المكلفين إلا و قد بعث إليه الرسول و إنه سبحانه أقام الحجة على جميع الأمم ثم قال تعالى تسليه لنييه ص «وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ» يا محمد و لم يصدقوك «فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» من الكفار أنبياء أرسلهم الله إليهم «جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ» أى بالمعجزات البهرات و الحجج الواضحات «وَ بِالزُّبُرِ» أى و بالكتب «وَ بِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ» أى الواضح البين و إنما كرر ذكر الكتاب و عطفه على الزبر لاختلاف الصفتين فإن الزبور أثبت فى الكتاب من الكتاب لأنه يكون منقرا منقشا فيه كالنقر فى الحجر «ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ» أى فلما كذبوا رسلهم و لم يعترفوا بنبوتهم أخذتهم بالعذاب و أهلكتهم و دمرت عليهم فكيف كان تعبيرى و إنكارى عليهم و إنزالى العقاب بهم.

[سوره فاطر (٣٥): الآيات ٢٧ الى ٣٠]

اشاره

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَ غَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَ مِنَ النَّاسِ وَ الدَّوَابِّ وَ الْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨) إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَ عَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُؤْتِيَهُمْ أَجْرَهُمْ وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠)

اللغه

واحد الجدد جده و أما الجدد فجمع جديد قال المبرد الجدد الطرائق و الخطوط قال امرؤ القيس:

ص: ٢١٣

كان سراته و جده متنه كئائن يعجرى بينهن دليص

يعنى الخطه السوداء فى ظهر حمار الوحش و كل طريقه جده و جاده و قال الفراء هى الطرائق تكون فى الجبال كالعروق بيض و سود و حمر و الغريب الشديد السواد الذى يشبه لون الغراب.

الإعراب

«مُخْتَلِفًا» صفة لثمرات و «أَلْوَانُهَا» مرفوع بأنه فاعله «مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ» خبر مبتدأ محذوف تقديره ما هو مختلف ألوانه فالهاء فى ألوانه عائد إلى هو و يجوز أن يكون الهاء عائدا إلى موصوف لمختلف تقديره جنس مختلف ألوانه و هو الأصح «سِرًّا وَ عَلَانِيَةً» يجوز أن يكون نصبهما على الحال على تقدير أنفقوا مسرين و معلنين و يجوز أن يكون على صفة مصدر أنفق تقديره أنفقوا إنفاقا مسرا و معلنا و «يَزْجُونَ» فى موضع نصب على الحال.

المعنى

ثم عاد الكلام إلى ذكر دلائل التوحيد فقال سبحانه «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» أى غيثا و مطرا «فَأَخْرَجْنَا» أخبر عن نفسه بنون الكبرياء و العظمه «بِهِ» أى بذلك الماء «ثَمَرَاتٍ» جمع ثمره و هى ما تجتنى من الشجر «مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا» و طعومها و روائحها اقتصر على ذكر الألوان لأنها أظهر و لدلاله الكلام على الطعوم و الروائح «وَ مِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ» أى و مما خلقنا من الجبال جدد «بَيْضٌ وَ حُمْرٌ» أى طرق بيض و طرق حمر «مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَ غَرَابِيبٌ سُودٌ» أى و من الجبال غرابيب سود على لون واحد لا خطط فيها قال الفراء و هذا على التقديم و التأخير تقديره و سود غرابيب لأنه يقال أسود غريب و أسود حالك و أقول ينبغى أن يكون سود عطف بيان بين غرابيب به و الأجود أن يكون تأكيدا إذ الغرابيب لا تكون إلا سودا فيكون كقولك رأيت زيدا زيدا و هذا أولى من أن يحمل على التقديم و التأخير «وَ مِنَ النَّاسِ» أيضا «وَ الدَّوَابِّ» التى تدب على وجه الأرض «وَ الْأَنْعَامِ» كالإبل و الغنم و البقر خلق «مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ» أى كاختلاف الثمرات و الجبال و تم الكلام ثم قال «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» أى ليس يخاف الله حق خوفه و لا يحذر معاصيه خوفا من نقمته إلا العلماء الذين يعرفونه حق معرفته و

روى عن الصادق (عليه السلام) أنه قال يعنى بالعلماء من صدق قوله فعله و من لم يصدق فعله قوله فليس بعالم

و عن ابن عباس قال يريد إنما يخافنى من خلقى من علم جبروتى و عزتى و سلطانى و

فى الحديث أعلمكم بالله أخوفكم لله

قال مسروق كفى بالمرء علما أن يخشى الله و كفى بالمرء

جهلاً أن يعجب بعلمه و إنما خص سبحانه العلماء بالخشية لأن العالم أخطر لعقاب الله من الجاهل حيث يختص بمعرفة التوحيد و العدل و يصدق بالبعث و الحساب و الجنة و النار و متى قيل فقد نرى من العلماء من لا يخاف الله و يرتكب المعاصي (فالجواب) أنه لا بد من أن يخافه مع العلم به و إن كان يؤثر المعصية عند غلبه الشهوة لعاجل اللذة «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى «عَزِيزٌ» فِي انتقامه من أعدائه «غَفُورٌ» لزللات أوليائه ثم وصف سبحانه العلماء فقال «إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ» أى يقرءون القرآن فى الصلاة و غيرها أثنى سبحانه عليهم بقراءه القرآن قال مطرف بن عبد الله الشخير هذه آية القراء «وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ» أى ملكناهم التصرف فيه «سِرًّا وَ عَلَانِيَةً» أى فى حال سرهم و فى حال علانيتهم و

عن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثى قال قام رجل إلى رسول الله ص فقال يا رسول الله ما لى لا أحب الموت قال أ لك مال قال نعم قال فقدمه قال لا أستطيع قال فإن قلب الرجل مع ماله إن قدمه أحب أن يلحق به و إن أخره أحب أن يتأخر معه

«يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ» أى راجين بذلك تجاره لن تكسد و لن تفسد و لن تهلك «لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ» أى قصدوا بأعمالهم الصالحة و فعلوها لأن يوفيهم الله أجورهم بالثواب «وَ يَزِيدَهُمْ» على قدر استحقاقهم «مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ» لذنوبهم «شَكُورٌ» لحسناتهم عن الزجاج و قال الفراء خبر إن قوله «يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ» و

روى ابن مسعود عن النبي ص أنه قال فى قوله «وَ يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ»

هو الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليه معروفًا فى الدنيا

و عن الضحاك قال يفسح لهم فى قبورهم و قيل معنى شكور أنه يقبل اليسير و يثيب عليه الكثير تقول العرب أشكر من بروقه و تزعم أنها شجرة عاربه من الورق تغيم السماء فوقها فتخضر و تورق من غير مطر.

[سوره فاطر (٣٥): الآيات ٣١ الى ٣٥]

اشاره

وَ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (٣١) ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤًا وَ لِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَ قَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِى أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥)

ص: ٢١٥

قرأ أبو عمرو ويدخلونها بضم الياء على ما لم يسم فاعله ليشاكل قوله «يُحَلَوْنَ» و الباقون بفتح الياء لأنهم إذا أدخلوا فقد دخلوا و قد ذكرنا اختلافهم في «لَوْلُوا» في سورة الحج.

اللغه

المقامه الإقامه و موضع الإقامه و إذا فتحت الميم كان بمعنى القيام و موضع القيام قال الشاعر:

يومان يوم مقامات و أنديه و يوم سير إلى الأعداء تأويب

و النصب التعب و فيه لغتان النصب و النصب لغتان كالرشد و الرشد و الحزن و الحزن و اللغوب الإعياء من التعب.

الإعراب

«مِنَ الْكِتَابِ» في موضع الحال من الضمير المنصوب المحذوف من الصله و التقدير و الذى أوحيناه إليك كائنا من الكتاب «جَنَاتٍ عَيْدُنٍ يَدْخُلُونَهَا» خبر مبتدأ محذوف و يجوز أن يكون بدلا من قوله «الْفَضْلُ الْكَبِيرُ» «يَدْخُلُونَهَا» في موضع نصب على الحال و كذلك «يُحَلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ» من يتعلق بيحلون «مِنْ ذَهَبٍ» في موضع الصفه لأساور أى أساور كائنه من ذهب و المعنى ذهبه «لَا يَمَسُّنَا» في موضع نصب على الحال.

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال «وَ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ» يا محمد و أنزلناه «مِنَ الْكِتَابِ» و هو القرآن «هُوَ الْحَقُّ» أى الصحيح الذى لا يشوبه فساد و الصدق الذى لا يمازجه كذب و العقل يدعو إلى الحق و يصرف عن الباطل «مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ» أى لما قبله من الكتب لأنه جاء موافقا لما بشرت به تلك الكتب من حاله و حال من أتى به «إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ» أى عالم «بَصِيرٌ» بأحوالهم «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ» يعنى القرآن و قيل

هو التوراه عن أبي مسلم وقيل أراد الكتب لأن الكتاب يطلق ويراد به الجنس عن الجبائي والصحيح الأول لأن ظاهر لفظ الكتاب لا يطلق إلا على القرآن «الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا» أى اخترناهم ومعنى الإرث انتهاء الحكم إليهم ومصيره لهم كما قال وَ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا وَقِيلَ مَعْنَاهُ أُورِثْنَا هُمُ الْإِيمَانُ بِالْكَتَابِ السَّالِفِ إِذِ الْمِيرَاثُ انْتِقَالُ الشَّيْءِ مِنْ قَوْمٍ إِلَى قَوْمٍ وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ وَ اختلف فى الذين اصطفاهم الله تعالى عن عباده فى الآيه فقيل هم الأنبياء اختارهم الله برسالته و كتبه عن الجبائي وقيل هم المصطفون الداخلون فى قوله إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ إِلَى قَوْلِهِ وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ يريد بنى إسرائيل عن أبي مسلم قال لأن الأنبياء لا يرثون الكتب بل يورث علمهم وقيل هم أمه محمد ص أورثهم الله كل كتاب أنزله عن ابن عباس وقيل هم علماء أمه محمد ص لما ورد فى

الحديث العلماء ورثه الأنبياء

و المروى

عن الباقر و الصادق (عليه السلام) أنهما قالاهى لنا خاصة و إيانا عنى

و هذا أقرب الأقوال لأنهم أحق الناس بوصف الاصطفاء و الاجتباء و إيراث علم الأنبياء إذ هم المتعبدون بحفظ القرآن و بيان حقائقه و العارفون بجلالته و دقائقه «فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَ مِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ» اختلف فى أن الضمير فى منهم إلى من يعود على قولين (أحدهما) أنه يعود إلى العباد و تقدير الكلام فمن العباد ظالم و روى نحو ذلك عن ابن عباس و الحسن و قتاده و اختاره المرتضى قدس الله روحه من أصحابنا قال و الوجه فيه أنه لما علق توريث الكتاب بمن اصطفاه من عباده بين عقيبه أنه إنما علق وراثه الكتاب ببعض العباد دون بعض لأن فيهم من هو ظالم لنفسه و من هو مقتصد و من هو سابق بالخيرات (و القول الثانى) أن الضمير يعود إلى المصطفين من العباد عن أكثر المفسرين ثم اختلف فى أحوال الفرق الثلاث على قولين (أحدهما) إن جميعهم ناج و يؤيد ذلك ما ورد فى

الحديث عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله ص يقول فى الآيه أما السابق فيدخل الجنة بغير حساب و أما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا و أما الظالم لنفسه فيحبس فى المقام ثم يدخل الجنة فهم الذين قالوا «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ»

و عن عائشه أنها قالت كلهم فى الجنة أما السابق فمن مضى على عهد رسول الله ص و شهد له رسول الله ص بالجنة و أما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق بهم و أما الظالم فمثلى و مثلكم و روى عنها أيضا أنها قالت السابق الذى أسلم قبل الهجرة و المقتصد الذى أسلم بعد الهجرة و الظالم نحن و روى عن عمر بن الخطاب أنه قال سابقنا سابق و مقتصدنا ناج و ظالمنا مغفور له و قيل إن الظالم من كان ظاهره خيرا من باطنه و المقتصد الذى استوى ظاهره و باطنه و السابق الذى باطنه خير من ظاهره و قيل منهم ظالم لنفسه بالصغائر و منهم مقتصد بالطاعات فى الدرجة الوسطى و منهم سابق بالخيرات فى الدرجة العليا عن جعفر بن حرب و

روى أصحابنا عن ميسر بن عبد العزيز عن الصادق (عليه السلام) أنه قال

الظالم لنفسه منا من لا يعرف حق الإمام و المقتصد منا العارف بحق الإمام و السابق بالخيرات هو الإمام و هؤلاء كلهم مغفور لهم

و

عن زياد بن المنذر عن أبي جعفر (عليه السلام) قال و أما الظالم لنفسه منا فمن عمل عملا صالحا و آخر سيئا و أما المقتصد فهو المتعبد المجتهد و أما السابق بالخيرات فعلى و الحسن و الحسين (عليه السلام) و من قتل من آل محمد ص شهيدا

و القول الآخر أن الفرقه الظالمه لنفسها غير ناجيه قال قتاده الظالم لنفسه أصحاب المشأمه و المقتصد أصحاب الميمنه و السابق بالخيرات هم السابقون المقربون من الناس كلهم كما قال سبحانه وَ كُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً و قال عكرمه عن ابن عباس إن الظالم هو المنافق و المقتصد و السابق من جميع الناس و قال الحسن السابقون هم الصحابه و المقتصدون هم التابعون و الظالمون هم المنافقون فإن قيل لم قدم الظالم و آخر السابق و إنما يقدم الأفضل فالجواب أنهم يقدمون الأدنى فى الذكر على الأفضل قال سبحانه يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ و قال يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثَاءً و يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ و قال خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَيَاةَ و قال فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَ مِنْكُمْ مُؤْمِنٌ و قيل إنما قدم الظالم لثلاث- بياس من رحمته و آخر السابق لثلاث- يعجب بعلمه و قيل إنما رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس لأن أحوال الناس ثلاث معصيه و غفله ثم التوبه ثم القربه فإذا عصى فهو ظالم و إذا تاب فهو مقتصد و إذا صحت توبته و كثرت مجاهدته اتصل بالله و صار من جمله السابقين و قوله «بِإِذْنِ اللَّهِ» أى بأمره و توفيقه و لطفه «ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ» معناه أن إيرات الكتاب و اصطفاء الله إياهم هو الفضل العظيم من الله عليهم «جَنَاتٌ عِدْنٌ يُدْخَلُونَهَا» هذا تفسير للفضل كأنه قيل ما ذلك الفضل فقال هى جنات أى جزاء جنات أو دخول جنات و يجوز أن يكون بدلا من الفضل كأنه قال ذلك دخول جنات «يُحَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ» جمع أسوره و هى جمع سوار «مِنْ ذَهَبٍ وَ لؤلُؤًا» و من قرأ «و لؤلُؤًا» فالمعنى و يحلون فيها لؤلؤا «و لِبَاسٍ فِيهَا حَرِيرٌ» و هو الإبريسم المحض و إذا قلنا إن المراد به الفرق الثالث فالظالم إنما يدخلها بفضل الله تعالى أو بالشفاعه «و قالوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ» أخبر سبحانه عن حالهم أنهم إذا دخلوا الجنة يقولون الحمد لله اعترافا منهم بنعمته لا- على وجه التكليف و شكرا له على أن أذهب الغم الذى كانوا عليه مستحقين لذلك فإذا تفضل الله عليهم بإسقاط عقابهم و أدخلهم الجنة حمدوه على ذلك و شكروه «إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ» لذنوب عباده و قبيح أفعالهم «شَكُورٌ» يقبل اليسير من محاسن أعمالهم و قيل إن شكره سبحانه هو مكافاته لهم على الشكر له و القيام بطاعته و إن كان حقيقه الشكر لا يجوز عليه سبحانه من حيث كان اعترافا بالنعمة و لا يصح أن يكون سبحانه منعما عليه «الَّذِي

ص: ٢١٨

أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ» أى أنزلنا دار الخلود يقيمون فيها أبدا لا يموتون ولا يتحولون عنها «مِنْ فَضْلِهِ» أى ذلك بتفضله وكرمه «لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ» لا يصيبنا فى الجنة عناء و مشقه «وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ» أى و لا يصيبنا فيها إعياء و متعبه فى طلب المعاش و غيره.

[سوره فاطر (۳۵): الآيات ۳۶ الى ۴۰]

إشارة

وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ (۳۶) وَهُمْ يَصِطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (۳۷) إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (۳۸) هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا (۳۹) قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَا ذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا (۴۰)

القراءه

قرأ أبو عمر و خلف وحده يجزى كل كفور على ما لم يسم فاعله و الباقر «نَجْزِي» بالنون كل بالنصب و قرأ ابن كثير و أبو عمرو و حمزه و حفص و خلف «عَلَىٰ بَيِّنَةٍ» بالتوحيد و الباقر «بينات» بالجمع.

الحججه

من قرأ «نَجْزِي» بالنون فإنه على وجه الإخبار من الله تعالى عن نفسه و من قرأ

ص: ۲۱۹

على بناء الفعل للمفعول به فحجته أن ما قبله «لا يُقضى عَلَيْهِمْ» و «لا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ» و الوجه فى قراءه «بَيْنَهُ» على الأفراد أنه يجعل ما فى الكتاب أو ما يأتى به النبى ص بينه كما قال أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنِهِ مِنْ رَبِّى وَقَدْ جَاءَتْكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ وَ مَنْ قرأ بالجمع فإن لكل نبى بينه فإذا جمعوا جمعت البينه بجمعهم على أن فى الكتاب ضروبا من البينه فجمع لذلك.

اللغة

الاصطراخ الصياح و النداء بالاستغائه افتعال من الصراخ قلبت التاء طاء لأجل الصاد الساكنه قبلها و إنما فعل ذلك لتعديل الحروف بحرف وسط بين حرفين يوافق الصاد فى الاستعلاء و الإطباق و يوافق التاء فى المخرج و المقمت البغض مقته يمقته و هو ممقوت و مقيت.

الإعراب

«فَيَمُوتُوا» جواب النفى و يموتوا منصوب بإضمار أن و علامه النصب سقوط النون «ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ» الموصول و الصله فى محل النصب على أنه ظرف زمان لأن المعنى أو لم نعلمكم زمانا طويلا- يتذكر فيه من تذكر و الهاء فيه يعود إلى ما و قل ما يجىء ما فى معنى الظرف و هو اسم و إنما يجىء حرفا مصدريا.

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر ما أعده لأهل الجنة من أنواع الثواب عقبه بذكر ما أعده للكفار من أليم العقاب فقال «وَالَّذِينَ كَفَرُوا» بوحدايه الله و جحدوا نبوه نبيه «لَهُمْ نَارٌ جَهَنَّمَ» جزاء على كفرهم «لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ» بالموت «فَيَمُوتُوا» فيستريحوا «وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا» أى و لا- يسهل عليهم عذاب النار «كَذَلِكَ» أى و مثل هذا العذاب و نظيره «نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ» جاحد كثير الكفران مكذب لأنبياء الله «وَهُمْ يَصِطَرِحُونَ فِيهَا» أى يتصايحون بالاستغائه يقولون «رَبَّنَا أَخْرِجْنَا» من عذاب النار «نَعْمَلْ صَالِحًا» أى نؤمن بدل الكفر و نطع بدل المعصيه و المعنى ردنا إلى الدنيا لنعمل بالطاعات التى تأمرنا بها «غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ» من المعاصى فوبخهم الله تعالى فقال «أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ» أى ألم نعظكم من العمر مقدار ما يمكن أن يتفكر و يعتبر و ينظر فى أمور دينه و عواقب حاله من يريد أن يتفكر و يتذكر و اختلف فى هذا المقدار فقليل هو ستون سنه و هو المروى

عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال العمر الذى أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنه

و هو إحدى الروايتين عن ابن عباس و

روى عن النبى ص أيضا مرفوعا أنه قال من عمره الله ستين سنه فقد أعذر إليه

و قيل هو أربعون سنه عن ابن عباس و مسروق و قيل

هو توبىخ لابن ثمانى عشره سنه عن وهب و قتاده و روى ذلك عن الصادق (عليه السلام)

«وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ» أَى الْمَخُوفِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَهُوَ مُحَمَّدٌ ص عَنْ ابْنِ زَيْدٍ وَ الْجَبَائِئِ وَ جَمَاعِهِ وَ قِيلَ النَّذِيرُ الْقُرْآنُ عَنْ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ وَ قِيلَ النَّذِيرُ الشَّيْبُ عَنْ عِكْرَمَةَ وَ سَفْيَانَ بْنِ عَيْنَةَ وَ مِنْهُ قِيلَ:

ص: ٢٢٠

رأيت الشيب من نذر المنايا لصاحبه و حسبك من نذير

و قائله تبيض و الغوانى نوافر عن معاينه القتير

فقلت لها المشيب نذير عمرى و لست مسودا وجه النذير

و قال عدى بن زيد:

و ابيضاض السواد من نذر الموت و هل بعده يجىء نذير

و قيل النذير موت الأهل و الأقارب و قيل كمال العقل «فَذُوقُوا» أى فذوقوا العذاب و حسره الندم «فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ» يدفع عنهم العذاب «إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» فلا يخفى عليه شىء مما يغيب عن الخلائق علمه «إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» أى فلا تضمروا فى أنفسكم ما يكرهه سبحانه فإنه عالم به «هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ» أى جعلكم معاشر الكفار أمه بعد أمه و قرنا بعد قرن عن قتاده و قيل جعلكم خلائف القرون الماضيه بأن أحدثكم بعدهم و أورثكم ما كان لهم «فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ» أى فعليه ضرر كفره و عقاب كفره «وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا» أى خسارنا و هلاكنا «قُلْ» يا محمد «أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَا ذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ» معناه أخبرونى أيها المشركون عن الأوثان الذين أشركتموهم مع الله فى العباده أرونى ما ذا خلقوا من الأرض أى بأى شىء أوجبتم له شركا مع الله تعالى فى العباده أبشئء خلقوه من الأرض «أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ» أى شركه فى خلقها ثم ترك هذا النظم فقال «أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا» أى أم أنزلنا عليهم كتابا يصدق دعواهم فيما هم عليه من الشرك «فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ» أى فهم على دلالات و اوضحات «مِنْهُ» أى من ذلك الكتاب أراد فإن جميع ذلك محال لا يمكنهم إقامه حجه و لا شبهه على شىء منه و قيل أم آتيناهم كتابا بأن الله لا يعذبهم على كفرهم فهم و اتقون به «بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا» معناه ليس شىء من ذلك لكن ليس يعد بعض الظالمين بعضا إلا غرورا لا حقيقه له يغرونهم يقال غره يغره غرورا إذا أطمعه فيما لا يطمع فيه.

النظم

اتصال قوله «إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» الآيه بما قبله إن المعنى يعلم الله إنه لو ردكم إلى الدنيا لعدتم إلى كفركم فاتصل بقوله «نَعْمَلُ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ» و اتصل قوله «هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ» بما قبله على معنى أنه

كما أورثكم الكتاب أورثكم الأرض لتشكروه على نعمه و تعتبروا بمن سلف من الأمم.

[سوره فاطر (٣٥): الآيات ٤١ الى ٤٥]

اشاره

إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤١) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤٢) اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَا تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (٤٣) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (٤٤) وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (٤٥)

القراءة

قرأ حمزه وحده و مكر السيئ بسكون الهمزة و الباقون بالجر.

الحجج

قال الزجاج تسكين هذه الهمزة لحن عند البصريين و إنما يجوز في الشعر في الاضطرار أنشدوا:

" إذا اعوججن قلت صاحب قوم "

و الأصل يا صاحب قوم لكنه

ص: ٢٢٢

حذف مضطرا و أنشدوا:

فاليوم أشرب غير مستحقب إثمنا من الله و لا واغل

و أنشد أبو العباس المبرد:

" إذا عوججن قلت صاح قوم "

و قال أبو على فى إسكان الهمزه أجزاها فى الوصل مجراها فى الوقف فهو مثل قوله:

" بيازل وجناه أو عيهل "

و قوله:

" مثل الحريق وافق القصبا "

الإعراب

«أَنْ تَزُولَا» مفعول له أى كراهه أن تزولا أو لثلا تزولا و استكبارا مفعول له أيضا و «مَكْرَ السَّيِّئِ» معطوف عليه و يجوز أن يكون مصدرا على تقدير استكبروا استكبارا فى الأرض و أن يكون حالا أيضا أى مستكبرين فى الأرض و أن يكون بدلا من نفورا أى ما زادهم مجىء النذير إلا استكبارا فى الأرض من شىء فاعل يعجز و من مزیده و من دابه فى محل نصب لأنه مفعول ترك و من مزیده أيضا.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن عظم قدرته و سعه مملكته فقال «إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ» معناه أن يمسك السماوات من غير علاقه فوقها و لا عماد تحتها و يمسك الأرض كذلك «أَنْ تَزُولَا» أى لثلا تزولا «وَلَيْنُ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ» أى و إن قدر أن تزولا عن مراكزهما ما أمسكهما أحد و لا يقدر على إمساكهما أحد «مِنْ بَعْدِهِ» أى من بعد الله تعالى و قيل من بعد زوالهما «إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا» أى قادرا لا يعاجل بالعقوبه من استحقها «عَفُورًا» أى ستارا للذنوب كثير الغفران ثم حكى عن الكفار فقال «وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ» يعنى كفار مكة حلفوا بالله قبل أن يأتيهم محمد ص بإيمان غليظه غايه وسعهم و طاقتهم و «لَيْنُ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ» أى رسول مخوف من جهه الله تعالى

«لَيَكُونَنَّ أَهْدَى» إلى قبول قوله و اتباعه «مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ» الماضيه يعنى اليهود و النصرارى و الصابئين «فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ» محمد ص «ما زادَهُمْ» مجيئه «إِلَّا نُفُورًا» أى تباعدا عن الهدى و هربا من الحق و المعنى أنهم ازدادوا عند مجيئه نفورا «أَسْتِكْبَارًا» أى تكبرا و تجبرا و عتوا على الله و أنفه من أن يكونوا تبعا لغيرهم «فِي الْأَرْضِ وَ مَكْرَ السَّيِّئِ» أى و قصد الضرر بالمؤمنين و المكر السيئ كل مكر أصله الكذب و الخديعه و كان تأسيسه على فساد لأن من المكر ما هو حسن و هو مكر المؤمنين بالكافرين إذا حاربوهم من الوجه الذى يحسن أن يمكروا بهم فالمراد به هاهنا المكر برسول الله ص و بأهل دينه و أضيف المصدر إلى صفه المصدر فالتقدير و مكروا المكر السيئ بدلاله قوله «وَ لَا يَحِقُّ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ» و المعنى لا ينزل جزاء المكر السيئ إلا بمن فعله «فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ» أى فهل ينتظرون إلا عاده الله تعالى فى الأمم الماضيه أن يهلكهم إذا كذبوا رسله و ينزل بهم العذاب و يحل عليهم النقمه جزاء على كفرهم و تكذيبهم فإن كانوا ينتظرون ذلك «فَلَنْ تَجِدَ» يا محمد «لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا» أى لا يغير الله عادته من عقوبه من كفر نعمته و جحد ربوبيته و لا يبدلها «وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا» فالتبديل تصيير الشىء مكان غيره و التحويل تصيير الشىء فى غير المكان الذى كان فيه و التغيير تصيير الشىء على خلاف ما كان «أَوْ لَمْ يَسْتَبِيرُوا فِي الْأَرْضِ» أى لم يسر هؤلاء [الكفار] الذين أنكروا إهلاك الله الأمم الماضيه فى الأرض «فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» أى كيف أهلك الله المكذبين من قبلهم مثل قوم لوط و عاد و ثمود فيعتبروا بهم «وَ كَانُوا» و كان أولئك «أَشَدَّ مِنْهُمْ» أى من هؤلاء «قُوَّةً وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ» أى لم يكن الله يفوته شىء «فِي السَّمَاوَاتِ وَ لَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا» بجميع الأشياء «قَدِيرًا» على ما لا-نهايه له ثم من سبحانه على خلقه بتأخيره العقاب عنهم فقال «وَ لَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا» من الشرك و التكذيب لعجل لهم العقوبه و هو قوله «مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ» و الضمير عائد إلى الأرض و إن لم يجر لها ذكر لدلاله الكلام على ذلك و العلم الحاصل به «وَ لَكِنْ يُؤَخَّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى» و الآيه مفسره فى سورة النحل «فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا» أى هو بصير بمكانهم فيؤاخذهم حيث كانوا و قيل بصيرا بأعمالهم فيجازيهم عليها.

(٣٦) سورة يس مكيه و آياتها ثلاث و ثمانون (٨٣)

اشاره

[توضيح]

مكيه عند الجميع قال ابن عباس إلا آيه منها و هي قوله «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ» الآيه نزلت بالمدينه.

عدد آياتها

ثلاث و ثمانون آيه كوفي اثنتان في الباقيين

اختلافها

آيه واحده «يس» كوفي

فضلها

أبي بن كعب قال من قرأ سورة يس يريد بها وجه الله عز و جل غفر الله له و أعطى من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتي عشره مره و أيما مريض قرئت عنده سورة يس نزل عليه بعدد كل حرف منها عشره أملا-ك يقومون بين يديه صفوفًا و يستغفرون له و يشهدون قبضه و يتبعون جنازته و يصلون عليه و يشهدون دفنه و أيما مريض قرأها و هو في سكرات الموت أو قرئت عنده جاءه رضوان خازن الجنة بشره من شراب الجنة فسقاه إياها و هو على فراشه فيشرب فيموت ريان و يبعث ريان و لا- يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة و هو ريان.

أبو بكر عن النبي ص أنه قال سورة يس تدعى في التوراه المعمه قيل و ما المعمه قال تعم صاحبها خير الدنيا و الآخره و تكابد عنه بلوى الدنيا و تدفع عنه أهويل الآخره و تدعى المدافعه القاضيه تدفع عن صاحبها كل شر و تقضى له كل حاجه و من قرأها عدلت له عشرين حجه و من سمعها عدلت له ألف دينار في سبيل الله و من كتبها ثم شربها أدخلت جوفه ألف دواء و ألف نور و ألف يقين و ألف بركه و ألف رحمه و نزلت عنه كل داء و عله

و

عن أنس بن مالك عن النبي ص قال إن لكل شىء قلبا و قلب القرآن يس

و

عنه عن النبي ص قال من دخل المقابر فقراً سورة يس خفف عنهم يومئذ و كان له بعدد من فيها حسنات

روى أبو بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال إن لكل شىء قلبا وقلب القرآن يس فمن قرأ يس فى نهاره قبل أن يمسى كان فى نهاره من المحفوظين والمرزوقين حتى يمسى و من قرأها فى ليله قبل أن ينام

ص: ٢٢٥

وكل به ألف ملك يحفظونه من كل شيطان رجيم و من كل آفة و إن مات فى نومه أدخله الله الجنة و حضر غسله ثلاثون ألف ملك كلهم يستغفرون له و يشيعونه إلى قبره بالاستغفار له فإذا أدخل لحدّه كانوا فى خوف قبره يعبدون الله و ثواب عبادتهم له و فسح له فى قبره مد بصره و أمن من ضغطه القبر و لم يزل له فى قبره نور ساطع إلى عنان السماء إلى أن يخرج الله من قبره فإذا أخرج له لم تزل ملائكة الله معه يشيعونه و يحدثونه و يضحكون فى وجهه و يبشرونه بكل خير حتى يجوزوا به الصراط و الميزان و يوقفوه من الله موقفا لا يكون عند الله خلق أقرب منه إلا ملائكة الله المقربون و أنبياءه المرسلون و هو مع النبيين واقف بين يدي الله لا يحزن مع من يحزن و لا يهتم مع من يهتم و لا يجزع مع من يجزع ثم يقول له الرب تعالى اشفع عبدى أشفعك فى جميع ما تشفع و سلنى عبدى أعطك جميع ما تسأل فيسأل فيعطى و يشفع فيشفع و لا يحاسب فيمن يحاسب و لا يذل مع من يذل و لا يبكت بخطيئه و لا- بشىء من سوء عمله و يعطى كتابا منشورا فيقول الناس بأجمعهم سبحان الله ما كان لهذا العبد خطيئه واحده و يكون من رفقاء محمد ص

و

روى محمد بن مسلم عن أبى جعفر (عليه السلام) قال إن لرسول الله ص اثنى عشر اسما خمسة منها فى القرآن محمد و أحمد و عبد الله و يس و نون

تفسيرها

لما ذكر سبحانه فى آخر السوره أنهم أقسموا بالله ليؤمنن أن جاءهم نذير افتتح هذه السوره بأنهم لم يؤمنوا و قد جاءهم النذير فقال:

[سوره يس (٣٦): الآيات ١ الى ١٠]

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يس (١) وَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤)

تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٥) لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (٦) لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (٨) وَ جَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩)

وَ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠)

ص: ٢٢٦

قرأ أهل الكوفه غير عاصم إلا- حمادا و يحيى عن أبى بكر يس بالإماله و الباقون بالتفخيم و قرأ أبو جعفر و أبو عمرو و حمزه و ابن كثير بروايه القواس و البزى و نافع بروايه إسماعيل و ورش بخلاف بإظهار النون من «يس» عند الواو و كذلك ن و الْقَلَم و قرأ ابن عامر و الكسائى و خلف بإخفاء النون فيهما و قرأ قالون عن نافع بإظهار النون من ن و إخفائها من «يس» و أما عاصم فإنه يظهر النون منهما فى روايه حفص و روايه البرجمى عن أبى بكر و محمد ابن غالب عن الأعمش عن أبى بكر و يظهر النون من «يس» و يخفيها من نون فى روايه العليمى عن حماد و أما يعقوب فإنه يظهر النونين فى روايه روح و زيد و يخفيها فى روايه رويس و قرأ أهل الحجاز و البصره و أبو بكر تنزيل بالرفع و الباقون بالنصب و فى الشواذ قراءه الثقفى يس بفتح النون و قراءه أبى السماك يس بكسر النون و قراءه الكلبي يس بالرفع و قراءه ابن عباس و عكرمه و ابن يعمر و النخعى و عمر بن عبد العزيز فأعشيناهم بالعين و قراءه ابن محيصن و الزهرى أنذرتهم بهمزه واحده.

قال أبو على مما يحسن إماله الفتح من «يس» نحو الكسره أنهم قالوا يا زيد فى النداء فأمالوا الفتحه نحو الكسره و الألف نحو الياء و إن كان قولهم يا حرفا على حرفين و الحروف التى على حرفين لا يمال منها شىء نحو لا و ما فإذا كانوا قد أمالوا ما لا يمال من الحروف من أجل الياء فإن يميلوا الاسم الذى هو يا من ياسين أجدرا لا ترى أن هذه الحروف أسماء لما يلفظ بها و أما من بين النون من «يس» فإنما جاز ذلك و إن كانت النون الساكنه تخفى مع حروف الفم و لا تبين لأن هذه الحروف مبنيه على الوقف و مما يدل على ذلك استجازتهم فيها الجمع بين ساكنين كما يجتمعان فى الكلم التى يوقف عليها و لو لا ذلك لم يجز الجمع بينهما و أما من لم يبين فلائنه و إن كان فى تقدير الوقف لم يقطع فيه همزه الوصل و ذلك قوله الم الله لا ترى أنه حذف همزه الوصل و لم يثبت كما لم يثبت مع غيرها من الكلام الذى يوصل و من رفع «تَنْزِيلَ» فعلى تقدير هو تنزيل العزيز الرحيم أو تنزيل العزيز الرحيم هذا و النصب على نزل تنزيل العزيز الرحيم و أما من قال يس بالنصب أو الجر فكلاهما لالتقاء الساكنين و من رفع فعلى ما روى عن الكلبي أنه قال هى بلغه طى يا إنسان قال ابن جنى و يحتمل عندى أن يكون اكتفى من جميع الاسم بالسين فيما فيه حرف نداء كقولك يا رجل و نظير حذف بعض الاسم

قول النبى ص كفى بالسيف شا

أى شاهدا فحذف العين و اللام فكذلك حذف من إنسان الفاء و العين و جعل ما بقى منه اسما قائما برأسه و هو

السين فليل يا سين و هو شبيه بقول الشاعر:

" قلنا لها قفى لنا قالت قاف "

أى وقفت و من قرأ فأعشيناهم بالعين فإنه منقول من عشى يعشى إذا ضعف بصره و أعشيته أنا و أما «فَأَعَشَيْنَاهُمْ» بالغين المعجمه فعلى حذف المضاف أى فأعشينا أبصارهم أى جعلنا عليها غشاوه و العشاوه على العين كالغشى على القلب فيلتقى معنى القراءتين و أما من قرأ أنذرتهم بهمزه واحده فإنه حذف الهمزه التى للاستفهام تخفيفا و هو يريد ما قال الكميته:

طربت و ما شوقا إلى البيض أطرب و لا لعبا منى و ذو الشيب يلعب

و المعنى أو ذو الشيب يلعب تناكرا لذلك و كبيت الكتاب:

لعمرك ما أدرى و إن كنت داريا شعيث بن سهم أو شعيث بن منقر.

اللغة

المقمح الغاض بصره بعد رفع رأسه و قيل هو المقنع و هو الذى يجذب ذقنه حتى يصير فى صدره ثم يرفع و قيل للكانونين شهر أقماح لأن الإبل إذا أوردت الماء ترفع رءوسها لشده برده و يقال قمح البعير إذا رفع رأسه و لم يشرب الماء و بعير قامح و إبل قامح و أقمحتها أنا قال الشاعر يصف سفينه ركبها:

و نحن على جوانبها قعود نغض الطرف كالإبل القماح

. الإعراب

على فى قوله «على صراطٍ» يتعلق بالمرسلين تقديره أرسلوا على صراط و يجوز أن يكون الجار و المجرور فى موضع خبر إن فيكون خبرا بعد خبر و يجوز أن يكون فى موضع نصب على الحال فكأنه قال أرسلوا مستقيما طريقهم «ما أنذر أبأؤهم» الأجود أن يكون ما نافية و تكون الجملة فى موضع نصب لأنها صفة قوم و يجوز أن يكون ما حرفا موصولا مصدرىا على تقدير لتنذر قوما أنذر أبأؤهم.

النزول

قيل نزل قوله «إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا» فى أبى جهل كان حلف لئن رأى محمدا يصلى ليرضخن رأسه فأتاه و هو يصلى و معه حجر ليدمغه فلما رفعه انثت يده إلى عنقه و لثق الحجر بيده فلما عاد إلى أصحابه و أخبرهم بما رأى سقط الحجر من يده فقال رجل من بنى مخزوم أنا اقتلته بهذا الحجر فأتاه و هو يصلى ليرميه بالحجر فأغشى الله

بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع إلى أصحابه فلم يرههم حتى نادوه ما صنعت فقال ما رأيته و لقد سمعت صوته و حال بيني و بينه كهيئه الفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لأكلني و

روى أبو حمزه الثمالي عن عمار بن عاصم عن شقيق بن سلمه عن عبد الله بن مسعود أن قريشا اجتمعوا بباب النبي ص فخرج إليهم فطرح التراب على رؤوسهم و هم لا يبصرونه قال عبد الله هم الذين سحجوا في القلب قلب بدر

و

روى أبو حمزه عن مجاهد عن ابن عباس أن قريشا اجتمعت فقال لئن دخل محمد لنقومن إليه قيام رجل واحد فدخل النبي ص فجعل الله من بين أيديهم سدا و من خلفهم سدا فلم يبصروه فصلى النبي ص ثم أتاهم فجعل ينثر على رؤوسهم التراب و هم لا يرونه فلما خلى عنهم رأوا التراب و قالوا هذا ما سحركم ابن أبي كبشه.

المعنى

«يس» قد مضى الكلام في الحروف المعجمه عند مفتتح السور في أول البقره و اختلاف الأقوال فيها و قيل أيضا «يس» معناه يا إنسان عن ابن عباس و أكثر المفسرين و قيل معناه يا رجل عن الحسن و أبي العاليه و قيل معناه يا محمد عن سعيد بن جبير و محمد بن الحنفية و قيل معناه يا سيد الأولين و الآخرين و

قيل هو اسم النبي ص عن علي ابن أبي طالب و أبي جعفر (عليه السلام)

و قد ذكرنا الروايه فيه قبل «وَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ» أقسم سبحانه بالقرآن المحكم من الباطل و قيل سماه حكيمًا لما فيه من الحكمة فكأنه المظهر للحكمه الناطق بها «إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ» أي ممن أرسله الله تعالى بالنبوه و الرساله «عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» يؤدي بسالكة إلى الحق أو إلى الجنة و قيل معناه على شريعته واضحه و حجه لائحه «تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ» أي هذا القرآن تنزيل العزيز في ملكه «الرَّحِيمِ» بخلقه و لذلك أرسله ثم بين سبحانه الغرض في بعثته فقال «لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ» أي لتخوف به من معاصي الله قوما لم ينذر آباؤهم قبلهم لأنهم كانوا في زمان الفتره بين عيسى و محمد ع عن قتاده و قيل لم يأتهم نذير من أنفسهم و قومهم و إن جاءهم من غيرهم عن الحسن و قيل معناه لم يأتهم من أنذرهم بالكتاب حسب ما آتيت و هذا على قول من قال كان في العرب قبل نبينا ص من هو نبي كخالد بن سنان و قس بن ساعده و غيرهما و قيل معناه لتندر قوما كما أنذر آباؤهم عن عكرمه «فَهُمْ غَافِلُونَ» عما تضمنه القرآن و عما أنذر الله به من نزول العذاب و الغفله مثل السهو و هو ذهاب المعنى عن النفس ثم أقسم سبحانه مره أخرى فقال «لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ» أي وجب الوعيد و استحقاق العقاب عليهم «فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» و يموتون

على كفرهم و قد سبق ذلك فى علم الله تعالى و قيل تقديره لقد سبق القول على أكثرهم أنهم لا يؤمنون فهم لا يؤمنون و ذلك أنه سبحانه أخبر ملائكته أنهم لا يؤمنون فحق قوله عليهم «إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ» يعنى أيديهم كنى عنها و إن لم يذكرها لأن الأعناق و الأغلال تدلان عليها و ذلك أن الغل إنما يجمع اليد إلى الذقن و العنق و لا يجمع الغل العنق إلى الذقن و روى عن ابن عباس و ابن مسعود أنهما قرءا إنا جعلنا فى أيمانهم أغلالا و قرأ بعضهم فى أيديهم و المعنى الجميع واحد لأن الغل لا يكون فى العنق دون اليد و لا فى اليد دون العنق و مثل هذا قول الشاعر:

و ما أدرى إذا يمت أرضا أريد الخير أيهما يلينى

أ الخير الذى أنا أبتغيه أم الشر الذى لا يأتلبنى

ذكر الخير وحده ثم قال أيهما يلينى لأنه قد علم أن الخير و الشر معرضان للإنسان فلم يدر أ يلقاه هذا أم ذلك و مثله فى التنزيل وَ جَعَلْ لَكُمْ سَرَائِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ و لم يقل البرد لأن ما يقى من الحر يقى من البرد و اختلف فى معنى الآية على وجوه (أحدها) أنه سبحانه إنما ذكره ضربا للمثل و تقديره مثل هؤلاء المشركين فى إعراضهم عما تدعوهم إليه كمثل رجل غلت يده إلى عنقه لا يمكنه أن يبسطهما إلى خير و رجل طامح برأسه لا يبصر موطن قدميه عن الحسن و الجبائى قال و نظيره قول الأفوه الأودى:

كيف الرشاد و قد صرنا إلى أمم لهم عن الرشد أغلال و أقياد

و نحوه كثير فى كلام العرب (و ثانيها) أن المعنى كان هذا القرآن أغلال فى أعناقهم يمنعهم عن الخضوع لاستماعه و تدبره لثقله عليهم و ذلك أنهم لما استكبروا عنه و أنفوا من اتباعه و كان المستكبر رافعا رأسه لاويا عنقه شامخا بأنفه لا ينظر إلى الأرض صاروا كأنما غلت أيديهم إلى أعناقهم و إنما أضاف ذلك إلى نفسه لأن عند تلاوته القرآن عليهم و دعوته إياهم صاروا بهذه الصفة فهو مثل قوله حَتَّىٰ أَنْسَوَكُمُ ذِكْرِي عن أبى مسلم (و ثالثها) أن المعنى بذلك ناس من قريش هموا بقتل النبى ص فجعلت أيديهم إلى أعناقهم فلم يستطيعوا أن يبسطوا إليه يدا عن ابن عباس و السدى (و رابعها) أن المراد به وصف حالهم يوم القيامة فهو مثل قوله إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ و إنما ذكره بلفظ الماضى للتحقيق و قوله «فَهُمْ مُّقْمَحُونَ» أراد أن أيديهم لما غلت إلى أعناقهم و رفعت الأغلال أذقانهم و رءوسهم صعدا فهم مرفوعو الرأس برفع الأغلال إياها عن الأزهرى و يدل على هذا المعنى قول قتاده مقمحون مغلولون «و جَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا و مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا

يُيَصِّصُ رُؤْنَ» هذا على أحد الوجهين تشبيه لهم بمن هذه صفته في إعراضهم عن الإيمان و قبول الحق و ذلك عبارته عن خذلان الله إياهم لما كفروا فكأنه قال و تركناهم مخذولين فصار ذلك من بين أيديهم سدا و من خلفهم سدا و إذا قلنا إنه وصف حالهم في الآخرة فالكلام على حقيقته و يكون عبارته عن ضيق المكان في النار بحيث لا يجدون متقدما و لا متأخرا إذ سد عليهم جوانبهم و إذا حملناه على صفة القوم الذين هموا بقتل النبي ص فالمراد جعلنا بين أيدي أولئك الكفار منعا و من خلفهم منعا حتى لم يبصروا النبي ص و قوله «فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ» أى أغشينا أبصارهم فهم لا يبصرون النبي ص فقد روى أن أبا جهل هم بقتله ص فكان إذا خرج بالليل لا يراه و يحول الله بينه و بينه و قيل فأغشيناهم فأعميناهم فهم لا يبصرون الهدى و قيل فأغشيناهم العذاب فهم لا يبصرون النار و قيل معناه إنهم لما انصرفوا عن الإيمان و القرآن لزمهم ذلك حتى لم يكادوا يتخلصون منه بوجه كالمغلول و المسدود عليه طريقه «وَ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» هذا مفسر في سورة البقرة.

[سوره يس (٣٦): الآيات ١١ الى ٢٠]

اشاره

إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذُّكْرَ وَ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١١) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَيِّتَ وَ نَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَ آثَارَهُمْ وَ كُلَّ شَيْءٍ ءِ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ (١٢) وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ (١٤) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَ مَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ ءِ إِن أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥)

قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦) وَ مَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٧) قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَ لَنَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨) قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَ إِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّشْرِكُونَ (١٩) وَ جَاءَ مِنْ أَفْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠)

ص: ٢٣١

قرأ أبو بكر فعززنا بالتخفيف و الباقون بتشديد الزاى و قرأ أبو عمرو و قالون عن نافع و زيد عن يعقوب إن ذكرتم بهمزه واحده غير ممدوده و قرأ ابن كثير و يعقوب و نافع آن ذكرتم بهمزه واحده ممدوده و قرأ أبو جعفر أ إن بهمزه واحده مطوله و الثانيه مليونه مفتوحه ذكرتم مخففه و الباقون «أَ إِنَّ ذُكْرْتُمْ» بهمزتين.

الحجه

قال أبو على قال بعضهم عززنا قوينا و كثرنا و أما عززنا فغلبنا من قوله تعالى «وَعَزَّيْنِي فِي الْخِطَابِ» و قوله «أَ إِنَّ ذُكْرْتُمْ» فإنما هى أن الجزاء دخلت عليها ألف الاستفهام و المعنى ء إن ذكرتم تشاءتم فحذف الجواب لأن تطيرنا بكم تشاءمنا بكم و أصل تطيرنا تفلنا من الطائر عند العرب الذى به يتشاءمون و يتيمنون و من قرأ أ إن ذكرتم بفتح أن فالمعنى لأن ذكرتم تشاءتم و أما تخفيف الهمزه و تحقيقها فقد تقدم ذكرهما فى مواضع.

الإعراب

«وَكُلُّ شَيْءٍ» منصوب بفعل مضمرة يفسره هذا الظاهر الذى هو «أَحْصَيْنَاهُ» و التقدير أحصينا كل شىء أحصيناه «أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ» بدلا من مثلا. «إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ» العامل فى إذ محذوف تقديره قصه أصحاب القرية كائنه إذ جاءها المرسلون و «إِذْ أَرْسَلْنَا» بدلا من الأول.

المعنى

لما أخبر سبحانه عن أولئك الكفار أنهم لا يؤمنون و أنهم سواء عليهم الإنذار و ترك الإنذار عقبه بذكر حال من ينتفع بالإنذار فقال «إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذُّكْرُ» و المعنى إنما ينتفع بإنذارك و تخويفك من اتبع القرآن لأن نفس الإنذار قد حصل للجميع «وَ حَسِبَى الرَّحْمَنِ بِالْغَيْبِ» أى فى حال غيبته عن الناس بخلاف المنافق و قيل معناه و خشى الرحمن فيما غاب عنه من أمر الآخرة «فَبَشِّرْهُ» أى فبشر يا محمد من هذه صفته «بِمَغْفِرِهِ» من الله لذنوبه «وَ أَجْرٍ كَرِيمٍ» أى ثواب خالص من الشوائب ثم أخبر سبحانه عن نفسه فقال «إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى» فى القيامه للجزاء «وَ نَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا» من طاعتهم و معاصيهم فى دار الدنيا عن مجاهد و قتاده و قيل نكتب ما قدموه من عمل ليس أثر «وَ آثَارُهُمْ» أى ما يكون له أثر عن الجبائى و قيل يعنى بآثارهم أعمالهم التى صارت سنه بعدهم يقتدى فيها بهم حسنه كانت أم قبيحه و قيل معناه و نكتب خطاهم إلى المسجد و سبب ذلك ما رواه أبو سعيد الخدرى أن بنى سلمه كانوا فى ناحيه المدينه فشكوا إلى رسول الله ص بعد منازلهم

عن أبى موسى قال قال رسول الله ص إن أعظم الناس أجرا فى الصلاة أبعدهم إليها ممشى فأبعدهم رواه البخارى و مسلم فى الصحيح

«وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ» أى و أحصينا و عددنا كل شىء من الحوادث فى كتاب ظاهر و هو اللوح المحفوظ و الوجه فى إحصاء ذلك فيه اعتبار الملائكة به إذ قابلوا به ما يحدث من الأمور و يكون فيه دلالة على معلومات الله سبحانه على التفصيل و قيل أراد به صحائف الأعمال و سمي ذلك ميينا لأنه لا يدرس أثره عن الحسن ثم قال سبحانه لنيه ص «وَأَضْرِبْ لَهُمْ» يا محمد «مَثَلًا» أى مثل لهم مثلا و هو من قولهم هؤلاء إضراب أى أمثال و قيل معناه و اذكر لهم مثلا «أَصْحَابَ الْقُرْيَةِ» و هذه القرية أنطاكية فى قول المفسرين «إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ» أى حين بعث الله إليهم المرسلين «إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ» أى رسولين من رسلنا «فَكَذَّبُوهُمَا» أى فكذبوا الرسولين قال ابن عباس ضربوهما و سجنوهما «فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ» أى فقويناهما و شددنا ظهورهما برسول ثالث مأخوذ من العزه و هى القوه و المنعه و منه قولهم من عز بز أى من غلب سلب قال شعبه كان اسم الرسولين شمعون و يوحنا و اسم الثالث بولس و قال ابن عباس و كعب صادق و صدوق و الثالث سلوم و قيل إنهم رسل عيسى و هم الحواريون عن وهب و كعب قالا و إنما أضافهم تعالى إلى نفسه لأن عيسى (عليه السلام) أرسلهم بأمره «فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ» أى قالوا لهم يا أهل القرية إن الله أرسلنا إليكم «قَالُوا» يعنى أهل القرية «مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا» فلا تصلحون للرساله كما لا يصلح نحن لها «وَمَا أَنْزَلْنَا الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ» تدعوننا إليه «إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ» أى ما أنتم إلا كاذبون فيما تزعمون اعتقدوا أن من كان مثلهم فى البشر لا يصلح أن يكون رسولا- و ذهب عليهم أن الله عز اسمه يختار من يشاء لرسالته و أنه علم من حال هؤلاء صلاحهم للرساله و تحمل أعبائها «قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ» و إنما قالوا ذلك بعد ما قامت الحجه بظهور المعجزه فلم يقبلوها و وجه الاحتجاج بهذا القول أنهم ألزموهم بذلك النظر فى معجزاتهم ليعلموا أنهم صادقون على الله فى ذلك تحذير شديد «وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ» أى و ليس يلزمنا إلا أداء الرسالة و التبليغ الظاهر و قيل معناه و ليس علينا أن نحملكم على الإيمان فإننا لا نقدر عليه «قَالُوا» أى قال هؤلاء الكفار فى جواب الرسل حين عجزوا عن إيراد شبهه و عدلوا عن النظر فى المعجزه «إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ» أى تشاء منا بكم «لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا» عما تدعوننا من الرسالة «لَنَرْجُمَنَّكُمْ» بالحجاره عن قتاده و قيل معناه لنشتنكم عن مجاهد «وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالُوا» يعنى الرسل «طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ» أى الشؤم كله معكم بإقامتكم على الكفر بالله تعالى فأما الدعاء إلى التوحيد و عبادته الله تعالى ففيه غايه البركه و الخير و اليمن و لا شىء فيه

وقيل معنى طائر كرم حظكم ونصيبيكم من الخير والشر عن أبي عبيده والمبرد «أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ» أى إن ذكركم قلتم هذا القول و قيل معناه إن ذكرناكم هددتمونا وهو مثل الأول وقيل معناه إن تدبرتم عرفتم صحه ما قلناه لكم «بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ» معناه ليس فينا ما يوجب التثاؤم بنا ولكنكم متجاوزون عن الحد فى التكذيب للرسل والمعصيه والإسراف الإفساد و متجاوزة الحد و السرف الفساد قال طرفه:

إن امرءا سرف الفؤاد يرى عسلا بماء سحابه شتمى

أى فاسد القلب «وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَشْعَى» و كان اسمه حبيب النجار عن ابن عباس و جماعه من المفسرين و كان قد آمن بالرسل عند ورودهم القرية و كان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة فلما بلغه أن قومه قد كذبوا الرسل و هموا بقتلهم جاء يعدو و يشتد «قَالَ يَا قَوْمِ أَتَبْعُوا الْمُرْسَلِينَ» الذين أرسلهم الله إليكم و أقرؤا برسالتهم قالوا و إنما علم هو بنبوتهم لأنهم لما دعوه قال أ تأخذون على ذلك أجرا قالوا لا و قيل إنه كان به زمانه أو جذام فأبرأوه فأمن بهم عن ابن عباس.

[القصة]

قالوا بعث عيسى رسولين من الحواريين إلى مدينة أنطاكية فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له و هو حبيب صاحب يس فسلما عليه فقال الشيخ لهما من أنتما قالا رسولا عيسى ندعوكم من عباده الأوثان إلى عباده الرحمن فقال أ معكما آيه قالوا نعم نحن نشفى المريض و نبرئ الأكمه و الأبرص بإذن الله فقال الشيخ إن لى ابنا مريضا صاحب فراش منذ سنين قالوا فانطلق بنا إلى منزلك نتطلع حاله فذهب بهما فمسحا ابنه فقام فى الوقت بإذن الله صحيحا ففشا الخبر فى المدينة و شفى الله على أيديهما كثيرا من المرضى و كان لهم ملك يعبد الأصنام فأنهى الخبر إليه فدعاهما فقال لهما من أنتما قالا رسولا عيسى جئنا ندعوك من عباده ما لا يسمع و لا يبصر إلى عباده من يسمع و يبصر فقال الملك و لنا إله سوى آلهتنا قالوا نعم من أوجدك و آلهتك قال قوما حتى أنظر فى أمركما فأخذهما الناس فى السوق و ضربوهما قال وهب بن منبه بعث عيسى هذين الرسولين إلى أنطاكية فأتيها و لم يصلا إلى ملكها و طالت مده مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا و ذكر الله فغضب الملك و أمر بحبسهما و جلد كل واحد منهما مائه جلده فلما كذب الرسولان و ضربا بعث عيسى شمعون الصفا رأس الحواريين على إثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلده متكررا فجعل يعاشر حاشيه الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره إلى الملك فدعاه و رضى عشرته و أنس به

ص: ٢٣٤

و أكرمه ثم قال له ذات يوم أيها الملك بلغني أنك حبست رجلين في السجن و ضربتهما حين دعواك إلى غير دينك فهل سمعت قولهما قال الملك حال الغضب بيني و بين ذلك قال فإن رأى الملك دعاهما حتى نتطلع ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من أرسلكما إلى هاهنا قال الله الذى خلق كل شىء لا شريك له قال و ما آيتكما قال ما تتمناه فأمر الملك حتى جاءوا بغلام مطموس العينين و موضع عينيه كالجبه فما زال يدعوان الله حتى انشق موضع البصر فأخذا بندقتين من الطين فوضعا فى حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك أ رأيت لو سألت إلهك حتى يصنع صنيعا مثل هذا فيكون لك و لإلهك شرفا فقال الملك ليس لى عنك سرا إن إلهنا الذى نعبد لا يضر و لا ينفع ثم قال الملك للرسولين إن قدر إلهكما على إحياء ميت آمننا به و بكما قال إلهنا قادر على كل شىء فقال الملك إن هاهنا ميتا منذ سبعة أيام لم ندفنه حتى يرجع أبوه و كان غائبا فجاءوا بالميت و قد تغير و أروح فجعلنا يدعوان ربهما علانية و جعل شمعون يدعو ربه سرا فقام الميت و قال لهم إنى قد مت منذ سبعة أيام و أدخلت فى سبعة أوديه من النار و أنا أحذركم ما أنتم فيه فأمنوا بالله فتعجب الملك فلما علم شمعون أن قوله أثر فى الملك دعاه إلى الله فأمن و آمن من أهل مملكته قوم و كفر آخرون و قد روى مثل ذلك العياشى بإسناده عن الثمالى و غيره عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام)

إلا أن فى بعض الروايات بعث الله الرسولين إلى أهل أنطاكية ثم بعث الثالث و فى بعضها أن عيسى أوحى الله إليه أن يبعثهما ثم بعث وصيه شمعون ليخلصهما و إن الميت الذى أحياه الله تعالى بدعائهما كان ابن الملك و أنه قد خرج من قبره ينفض التراب عن رأسه فقال له يا بنى ما حالك قال كنت ميتا فرأيت رجلين ساجدين يسألان الله تعالى أن يحيينى قال يا بنى فتعرفهما إذا رأيتهما قال نعم فأخرج الناس إلى الصحراء فكان يمر عليه رجل بعد رجل فمر أحدهما بعد جمع كثير فقال هذا أحدهما ثم مر الآخر فعرفهما و أشار بيده إليهما فأمن الملك و أهل مملكته و قال ابن إسحاق بل كفر الملك و أجمع هو و قومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيبا و هو على باب المدينة الأقصى فجاء يسعى إليهم يذكرهم و يدعوهم إلى طاعه الرسل.

[سوره يس (٣٦): الآيات ٢١ الى ٣٠]

إشارة

اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلْئِكُمْ أَجْرًا وَ هُمْ مُهْتَدُونَ (٢١) وَ مَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بُضْرًا لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَ لَا يُنْقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٤) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٥)

قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧) وَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُودٍ مِنَ السَّمَاءِ وَ مَا كُنَّا مُنْزِلِينَ (٢٨) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (٢٩) يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤْنَ (٣٠)

ص: ٢٣٥

القراءه

قرأ أبو جعفر صيحه واحده بالرفع و الباقون بالنصب و فى الشواذ قراءه ابن مسعود و عبد الرحمن بن الأسود الأزقيه قرأ الأعرج و مسلم بن جندب يا حسره على العباد ساكنه الهاء و

قراءه على بن الحسين (عليه السلام) و أبى بن كعب و ابن عباس و الضحاك و مجاهد يا حسره العباد

مضافا.

الحجه

قال ابن جنى الرفع ضعيف لتأنيث الفعل فلا يقوى أن تقول ما قامت إلا هند و المختار ما قام إلا هند و ذلك أن الكلام محمول على معناه أى ما قام أحد إلا هند ثم إنه لما كان محصول الكلام قد كانت هناك صيحه واحده جى ء بالتأنيث حملا للظاهر عليه و مثله قراءه الحسن فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم بالتاء فى ترى و عليه قول ذى الرمه:

طوى النحر و الأجراس ما فى غروضها فما بقيت إلا الصدور الجراشع

ص: ٢٣٦

و أما الزقيه فمن زقا الطائر يزقو و يزقى زقاء و زقوا إذا صاح و هى الزقيه و الزقوه و كأنه إنما استعمل هاهنا صياح الديك و نحوه تنبيهها على أن البعث بما فيه من عظيم القدره فى استثاره الموتى من القبور سهل على الله تعالى كزقيه زقاها طائر فهذا كقوله تعالى ما خَلَقَكُمْ وَ لا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ واحِدَةٍ و أما من قرأ يا حسره على العباد بسكون الهاء فيمكن أن يكون حسره غيره معلقه بعلى فيحسن الوقف عليها ثم يعلق على بمضمر يدل عليه قوله حسره فكأنه قال أ تحسر على العباد و مثل ذلك كثير فى التنزيل و إذا كان حسره معلقه بعلى أو موصوفه فلا يحسن الوقف عليها دونه و على هذا فيمكن أن يكون ذلك لتقويه المعنى فى النفس و ذلك أنه موضع تنبيه و تذكير فطال الوقف على الهاء كما يفعله المستعظم للأمر المتعجب منه الدال على أنه قد بهره و ملك عليه لفظه و خاطره ثم قال من بعد على العباد و أما من قرأ يا حسره العباد مضافا فإن فيه وجهين (أحدهما) أن يكون العباد فاعلين فى المعنى كقوله يا قيام زيد و المعنى كان العباد إذا شاهدوا العذاب تحسروا (و الآخر) أن العباد مفعولون فى المعنى و تدل عليه القراءه الظاهره «يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ» أى يتحسر عليهم من يعنيه أمرهم و هذا واضح و فتح أبو عمرو الياء من قوله «وَ ما لِي لا أَعْبُدُ» لثلا يكون الابتداء بلا أعبد و قرأ فى النمل ما لِي لا أَرى الْهُدَى بسكون الياء.

المعنى

ثم ذكر سبحانه تمام الحكايه عن الرجل الذى جاءهم من أقصى المدينه فقال «اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْتُلْكُمْ أَجْرًا» أى و قال لهم اتبعوا معاشر الكفار من لا يطلبون منكم الأجر و لا يسألونكم أموالكم على ما جاءوكم به من الهدى «وَ هُمْ» مع ذلك «مُهْتَدُونَ» إلى طريق الحق سالكون سبيله قال فلما قال هذا أخذوه و رفعوه إلى الملك فقال له الملك أفأنت تتبعهم فقال «وَ ما لِي لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي» أى و أى شىء لى إذا لم أعبد خالقي الذى أنشأنى و أنعم على و هدانى «وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» أى تردون عند البعث فيجزىكم بكفركم ثم أنكر اتخاذ الأصنام و عبادتهم فقال «أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً» أعبدهم «إِنْ يُرِدِنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ» أى إن أراد الله إهلاكى و الإضرار بى «لا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا» أى لا تدفع و لا تمنع شفاعتهم عنى شيئاً و المعنى لا شفاعه لهم فتغنى «وَ لا يُنْقِذُونِ» أى و لا- يخلصونى من ذلك الهلاك أو الضرر و المكروه «إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ» أى إنى فعلت ذلك فى عدوك عن الحق واضح و الوجه فى هذا الاحتجاج أن العباده لا يستحقها إلا الله سبحانه المنعم بأصول النعم و بما لا توازيه نعمه منعم «إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ» الذى خلقكم و أخرجكم من العدم إلى الوجود «فَاسْمِعُونِ» أى فاسمعوا قولى و اقبلوه عن وهب و قيل أنه خاطب بذلك الرسل أى فاسمعوا ذلك منى حتى تشهدوا لى به عند الله عن ابن مسعود قال ثم إن قومه لما سمعوا ذلك القول منه و طئوه بأرجلهم حتى مات فأدخله الله الجنه و هو حى فيها يرزق و هو قوله «قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ» و قيل رجموه حتى قتلوه عن قتاده و قيل إن القوم لما أرادوا أن يقتلوه رفعه الله إليه فهو فى الجنه لا يموت إلا بفناء الدنيا و هلاك الجنه عن

الحسن و مجاهد و قال أن الجنة التي دخلها يجوز هلاكها و قيل إنهم قتلوه إلا أن الله سبحانه أحياه و أدخله الجنة فلما دخلها «قال يا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي» تمنى أن يعلم قومه بما أعطاه الله تعالى من المغفرة و جزيل الثواب ليرغبوا في مثله و ليؤمنوا لينالوا ذلك و

في تفسير الثعلبي بالإسناد عن عبد الرحمن بن أبي ليلي عن أبيه عن النبي ص قال سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفه عين على بن أبي طالب (عليه السلام) و صاحب يس و مؤمن آل فرعون فهم الصديقون على أفضلهم

«وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ» أي من المدخلين الجنة و الإكرام هو إعطاء المنزلة الرفيعة على وجه التبجيل و الإعظام و في هذا دلالة على نعيم القبر لأنه إنما قال ذلك و قومه أحياء و إذا جاز نعيم القبر جاز عذاب القبر فإن الخلاف فيهما واحد و ما في قوله «بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي» مصدرية و المعنى بمغفره الله لي و يجوز أن يكون معناه بالذي غفر لي به ربي فيكون اسما موصولا- و يجوز أن يكون المعنى بأى شىء غفر لي ربي فيكون استفهاما يقال علمت بما صنعت هذا بإثبات الألف و بم صنعت هذا بحذفها إلا أن الحذف أجود في هذا المعنى ثم حكى سبحانه ما أنزله بقوله من العذاب و الاستئصال فقال «وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ» أي من بعد قتله أو من بعد رفعه «مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ» يعنى الملائكة أى لم تنتصر منهم بجند من السماء و لم تنزل لإهلاكهم بعد قتلهم الرسل جندا من السماء يقاتلونهم «وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ» أى و ما كنا ننزلهم على الأمم إذا أهلكتناهم و قيل معناه و ما أنزلنا على قومه من بعده رساله من السماء قطع الله عنهم الرساله حين قتلوا رسله عن مجاهد و الحسن و المراد أن الجند هم ملائكة الوحي الذين ينزلون على الأنبياء ثم بين سبحانه بأى شىء كان هلاكهم فقال «إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً» أى كان إهلاكهم عن آخرهم بأيسر أمر صيحه واحده حتى هلكوا بأجمعهم «فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ» أى ساكنون قد ماتوا قيل أنهم لما قتلوا حبيب بن مرى النجار غضب الله عليهم فبعث جبرائيل حتى أخذ بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحه فماتوا عن آخرهم لا يسمع لهم حس كالنار إذا طفئت «يَا حَسِيرَةً عَلَى الْعِبَادِ» معناه يا ندامه على العباد فى الآخرة باستهزائهم بالرسول فى الدنيا ثم بين سبب الحسرة فقال «مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» عن مجاهد و هذا من قول الله سبحانه و المعنى أنهم حلوا محل من يتحسر عليه و قيل إن المعنى يا ويلا- على العباد عن ابن عباس و يحتمل أن يكون ذلك من كلام الرجل المذكور و قال أبو العالیه إنهم لما عاينوا العذاب قالوا يا حسره على العباد يعنى على الرسول حيث لم تؤمن بهم فتمنوا الإيمان و ندموا حين لم تنفعهم الندامه قال الزجاج إذا قال قائل ما الفائدة فى مناداه الحسره و الحسره مما لا تجيب فالفائدة فى ذلك أن النداء باب تنبيه فإذا قلت للمخاطب أنا أعجب مما فعلت فقد أفدته أنك متعجب و إذا قلت وا عجباه مما فعلت و يا عجباه تفعل كذا كان دعاؤك العجب أبلغ فى الفائدة و المعنى يا عجب أقبل فإنه من أوقاتك و كذلك إذا قلت ويل زيد لم فعل كذا ثم قلت يا ويل زيد لم فعل كذا كان أبلغ و كذلك فى كتاب الله تعالى يا ويلتا و يا حسرتا و «يَا حَسِيرَةً عَلَى الْعِبَادِ» و الحسره أن يركب الإنسان من شدة الندم ما لا نهاية بعده حتى يبقى قلبه حسيرا.

إشارة

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهَلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (٣١) وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُخَضَّرُونَ (٣٢) وَ آيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣) وَ جَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَ فَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَ مَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَ فَلَا يَشْكُرُونَ (٣٥)

القراءة

قرأ عاصم و حمزه و ابن عامر «لَمَّا جَمِيعٌ» بتشديد الميم و الباقون بالتخفيف و قرأ أهل الكوفة غير حفص و ما عملت بغير هاء و الباقون «وَ مَا عَمِلَتْهُ».

الحجج

من خفف الميم من لما فإن من قوله «وَ إِنْ كُلُّ» مخففه من الثقيله و ما من لما مزيده و التقدير و أنه كل لما جميع لدينا محضرون و من شدد الميم من لما فإن هاهنا بمعنى إلا يقال سألتك لما فعلت كذا و إلا فعلت و إن نافية فيكون التقدير ما كل إلا محضرون و قوله و ما عملت أيديهم فإن الحذف فى التنزيل من هذا كثير نحو قوله وَ سَلَامٌ عَلَىٰ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ وَ أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا وَ مَوْضِعٌ مَا جَرَّ وَ التقدير و ليأكلوا مما عملته أيديهم و يجوز أن يكون ما نافية أى و لم تعمله أيديهم و يقوى ذلك قوله أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ.

الإعراب

«أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ» بدل من «كَمْ أَهَلَكْنَا» و التقدير أ لم يروا أنهم إليهم لا يرجعون و كم فى موضع نصب بأهلكتنا.

المعنى

ثم خوف سبحانه كفار مكة فقال «أَلَمْ يَرَوْا» أى أ لم يعلم هؤلاء الكفار «كَمْ أَهَلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ» أى كم قرنا أهلكتناهم مثل عاد و ثمود و قوم لوط و غيرهم «أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ» و المعنى أ لم يروا أن القرون التى أهلكتناهم لا- يرجعون إليهم أى لا يعودون إلى الدنيا أ فلا

يعتبرون بهم و وجه التذكير بكثرة المهلكين أى أنكم ستصيرون إلى مثل حالهم فانظروا لأنفسكم و احذروا أن يأتكم الهلاك و أنتم فى غفله و غره كما أتاهم و يسمى أهل كل عصر قرنا لاقترانهم فى الوجود «وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُخْضَرُونَ» معناه أن الأمم يوم القيامة يحضرون فيقفون على ما عملوه فى الدنيا أى و كل الماضين و الباقين مبعوثون للحساب و الجزاء ثم قال سبحانه «وَآيَةٌ لَهُمْ» أى و دلالة و حجه قاطعه لهم على قدرتنا على البعث «الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا» أى الأرض القحطه المجذبته التى لا تنبت أحييناها بالنبات «وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا» أى كل حب يتقوتونه مثل الحنطه و الشعير و الأرز و غيرها من الحبوب «فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ» أى فمن الحب يأكلون «وَاجْعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ» أى بساتين «مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ» و إنما خص النوعين لكثرة أنواعهما و منافعهما «وَافْجَرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ» أى و فجرنا فى تلك الأرض الميتة أو فى تلك الجنات عيوننا من الماء ليسقوا بها الكرم و النخيل ثم بين سبحانه أنه إنما فعل ذلك «لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ» أى من ثمر النخيل رد الضمير إلى أحد المذكورين كما قال و لا ينفقونها فى سبيل الله و المعنى غرضنا نفعهم بذلك و انتفاعهم بأكل ثمار الجنات «وَ مَا عَمِلْتُهُ أَيْدِيهِمْ» أى و لم تعمل تلك الثمار أيديهم هذا إذا كان ما بمعنى النفى قال الضحاك أى وجدوها معموله و لا صنع لهم فيها أراد أنه من صنع الخالق و لم يدخل فى مقدمات الخلائق و إذا كان بمعنى الذى فالتقدير و الذى عملته أيديهم من أنواع الأشياء المتخذة من النخل و العنب الكثيره منافعها و قيل تقديره و من ثمره ما عملته أيديهم يعنى الغروس و الزروع التى قاسوا حراثتها «أَفَلَا يَشْكُرُونَ» أى أ لا يشكرون الله تعالى على مثل هذه النعم و هذا تنبيه منه سبحانه لخلقه على شكر نعمائه و ذكر جميل بلائه.

[سوره يس (٣٦): الآيات ٣٦ الى ٤٠]

إشارة

سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْمَازِجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ مِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَ آيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧) وَ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَ الْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَ لَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)

ص: ٢٤٠

قرأ زيد عن يعقوب لمستقر لها بكسر القاف و الباقون بفتحها وقرأ أهل الحجاز و البصره غير أبى جعفر و رويس و القمر بالرفع و الباقون بالنصب و

روى عن على بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) و أبى جعفر الباقر و جعفر الصادق (عليه السلام) و ابن عباس و ابن مسعود و عكرمه و عطاء بن أبى رباح لا مستقر لها بنصب الراء.

الحجه

قال أبو على الرفع على تقدير و آيه لهم القمر قدرناه منازل مثل قوله «وَ آيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ» فهو على هذا أشبه بالجمل التى قبلها و القول فى آيه أنه يرتفع بالابتداء و لهم صفه للنكره و الخبر مضمّر تقديره و آيه لهم فى الشاهد أو الوجود و قوله «اللَّيْلُ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ» و «الْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ» تفسير للآيه كما أن قوله تعالى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ* تفسير للوعد و لِلذَّكْرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ تفسير للوصيه و من نصب فقد حمله على زيدا ضربته و أما قوله لا مستقر لها فظاهره العموم و المعنى الخصوص فهو بمنزله قوله:

أبكى لفقدك ما ناحت مطوقه و ما سما فنن يوما على ساق

و المعنى لو عشت أبدا لبكيتك و كذلك قوله لا- مستقر لها أى ما دامت السماوات على ما هى عليه فإذا زالت السماوات استقرت الشمس و بطل سيرها.

اللغه

السلخ إخراج الشىء من لباسه و منه إخراج الحيوان من جلده و منه قوله فَأَنْسَلَخَ مِنْهَا أى فخرج منها خروج الشىء مما لابسها و العرجون العذق الذى فيه شماريخ

و هو العثكول و العثكال و الكباسه و القنو و هو فعلول قال رؤبه:

" فى خدر مياس الدمى معرجن "

. الإعراب

«وَ الْقَمَرَ قَدَّرْنَا مَنْزِلًا» تقديره ذا منازل ثم حذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه و لا يجوز أن يكون بلا حذف لأن القمر غير المنازل و إنما يجرى فيها و لا يجوز أن ينصب منازل على الظرف لأنه محدود و الفعل لا يصل إلى المحدود إلا بحرف جر نحو جلست فى المسجد و لا يجوز جلست المسجد.

المعنى

ثم نزه سبحانه نفسه و عظمها دالا بذلك على أنه هو الذى يستحق منتهى الحمد و غايه الشكر فقال «سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا» أى تنزيها و تعظيما و براءه عن السوء للذى خلق الأصناف و الأشكال من الأشياء فالحيوان على مشاكله الذكر للأنثى و كذلك النخل و الحبوب إشكال و التين و الكرم و نحوهما إشكال فلذلك قال «مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ» أى من سائر النبات «وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ» أى و خلق منهم أولادا أزواجا ذكورا و إناثا «وَ مِمَّا لَا يَعْلَمُونَ» مما فى بطون الأرض و قعر البحار فلم يشاهدوه و لم يتصل خبره بهم «وَ آيَةٌ لَهُمْ» أى و دلاله لهم أخرى «اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ» أى ننزع منه و نخرج ضوء الشمس فيبقى الهواء مظلمًا كما كان لأن الله سبحانه يضىء الهواء بضياء الشمس فإذا سلخ منه الضياء أى كشط و أزيل يبقى مظلمًا و قيل إنما قال سبحانه «نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ» لأنه تعالى جعل الليل كالجسم لظلمته و جعل النهار كالقشر و لأن النهار عارض فهو كالكسوه و الليل أصل فهو كالجسم و قوله «فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ» أى داخلون فى الليل لا ضياء لهم فيه «وَ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا» معناه و دلاله أخرى لهم الشمس و فى قوله «لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا» أقوال (أحدها) أنها تجرى لانتهاء أمرها عند انقضاء الدنيا فلا تزال تجرى حتى تنقضى الدنيا عن جماعه من المفسرين قال أبو مسلم و معنى هذا و معنى لا مستقر لها واحد أى لا قرار لها إلى انقضاء الدنيا (و ثانيها) أنها تجرى لوقت واحد لا تعدوه و لا يختلف عن قتاده (و ثالثها) أنها تجرى إلى أقصى منازلها فى الشتاء و الصيف لا تتجاوزها و المعنى أن لها فى الارتفاع غايه لا تتجاوزها و لا تنقطع دونها و لها فى الهبوط غايه لا تتجاوزها و لا تقصر عنها فهو مستقرها «ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ» أى القادر الذى لا يعجزه شىء «الْعَلِيمِ» الذى لا يخفى عليه شىء «وَ الْقَمَرَ قَدَّرْنَا مَنْزِلًا» و هى ثمانيه و عشرون منزلا ينزل كل يوم و ليله منزله منها لا يختلف حاله فى ذلك إلى أن يقطع الفلك «حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ» أى عاد فى آخر الشهر

ص: ٢٤٢

دقيقا كالعدق اليبس العتيق ثم يخفى يومين آخر الشهر و إنما شبهه سبحانه بالعدق لأنه إذا مضت عليه الأيام جف و تقوس فيكون أشبه الأشياء بالهلال و قيل إن العدق يصير كذلك في كل ستة أشهر

روى على بن إبراهيم بإسناده قال دخل أبو سعيد المكارى و كان واقفيا على أبى الحسن الرضا (عليه السلام) فقال له أبلغ من قدرك إنك تدعى ما ادعاه أبوك فقال له أبو الحسن ما لك أطفأ الله نورك و أدخل الفقر بيتك أ ما علمت أن الله عز و جل أوحى إلى عمران إنى واهب لك ذكرا يبرئ الأكمه و الأبرص فوهب له مريم و وهب لمريم عيسى فعيسى من مريم و مريم من عيسى و لا- أخالك تقبل منى و لست من غنى و لكن هلمها قال ما تقول فى رجل قال عند موته كل مملوك لى قديم فهو حر لوجه الله فقال أبو الحسن ما ملكه لسته أشهر فهو قديم و هو حر قال و كيف صار كذلك قال لأن الله تعالى يقول «وَ الْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ» أسماه الله قديما و يعود كذلك لسته أشهر قال فخرج أبو سعيد من عنده و ذهب بصره و كان يسأل على الأبواب حتى مات

«لَا الشَّمْسُ يَتَّبِعِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ» فى سرعه سيره لأن الشمس أبطأ سيرا من القمر فإنها تقطع منازلها فى سنه و القمر يقطعها فى شهر و الله سبحانه يجريهما إجراء التدوير باين بين فلكيهما و مجاريهما فلا يمكن أن يدرك أحدهما الآخر ما داما على هذه الصفة «وَ لَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ» أى و لا يسبق الليل و النهار و قيل معناه لا يجتمع ليلتان ليس بينهما يوم بل تتعاقبان كما قدره الله تعالى عن عكرمه و

روى العياشى فى تفسيره بالإسناد عن الأشعث بن حاتم قال كنت بخراسان حيث اجتمع الرضا (عليه السلام) و الفضل بن سهل و المأمون فى إيوان الحبرى بمر و فوضعت المائدة فقال الرضا (عليه السلام) إن رجلا من بنى إسرائيل سألنى بالمدينه فقال النهار خلق قبل أم الليل فما عندكم قال فأداروا الكلام فلم يكن عندهم فى ذلك شىء فقال الفضل للرضا أخبرنا بها أصلحك الله قال نعم من القرآن أم من الحساب قال له الفضل من جهه الحساب فقال قد علمت يا فضل إن طالع الدنيا السرطان و الكواكب فى مواضع شرفها فزحل فى الميزان و المشتري فى السرطان و الشمس فى الحمل و القمر فى الثور فذلك يدل على كينونه الشمس فى الحمل فى العاشر من الطالع فى وسط السماء فالنهار خلق قبل الليل

و فى قوله تعالى «لَا الشَّمْسُ يَتَّبِعِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَ لَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ» أى قد سبقه النهار ثم قال «وَ كُلُّ» من الشمس و القمر و النجوم «فِي فَلَكِكْ يَسْبَحُونَ» يسيرون فيه بانسباط و كل ما انبسط فى شىء فقد سبح فيه و منه السباحه فى الماء و إنما قال «يَسْبَحُونَ» بالواو و النون لما أضاف إليها ما هو من فعل الآدميين كما قال ما لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ لما وصفها بصفه من يعقل و قال

ابن عباس يسبحون أى يجرى كل واحد منها فى فلكه كما يدور المغزل فى الفلكه.

[سوره يس (٣٦): الآيات ٤١ الى ٥٠]

إشاره

وَ آيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ (٤١) وَ خَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (٤٢) وَ إِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَ لَا هُمْ يُنْقَذُونَ (٤٣) إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَ مَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ (٤٤) وَ إِذَا قِيلَ لَهُم اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَ مَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٥)

وَ مَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤٦) وَ إِذَا قِيلَ لَهُم أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ نَطْعَمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٤٧) وَ يَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٨) مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَ هُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَ لَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (٥٠)

القراءه

قرأ أهل المدينة و ابن عامر و يعقوب و سهل ذرياتهم على الجمع و الباقون «ذُرِّيَّتَهُمْ» على التوحيد و قرأ ابن كثير و ورش و محمد بن حبيب عن الأعمش و روح و زيد عن يعقوب يخصمون بفتح الياء و الخاء و تشديد الصاد و قرأ أبو عمرو بفتح الخاء أيضا إلا أنه يشمه الفتح و لا يشبعه و قرأ أهل المدينة غير ورش يخصمون ساكنه الخاء مشدده الصاد و قرأ حمزه يخصمون ساكنه الخاء خفيفه الصاد و الباقون «يَخِصِّمُونَ» بفتح الياء و كسر الخاء و تشديد الصاد.

الحجه

من قرأ يخصمون حذف الحركه من التاء المدغم فى يخصمون و ألفاها

ص: ٢٤٤

على الساكن الذى قبلها و هو الخاء و هذا أحسن الوجوه بدلاله قولهم رد و فر و عض ألقوا حركه العين على الساكن الذى قبلها و من قرأ «يَخِصُّمُونَ» حذف الحركه من الحرف المدغم إلا- أنه لم يلقها على الساكن الذى قبلها كما ألقاه فى الأول فالتقى الساكنان فحرك الحرف الذى قبل المدغم بالكسر و من قرأ يخضمون جمع بين الساكنين الخاء و الحرف المدغم قال أبو على و من زعم أن ذلك ليس فى طاقه اللسان فقد ادعى ما يعلم فساده بغير استدلال و أما من قرأ يخضمون و تقديره يخضم بعضهم بعضا فحذف المضاف و حذف المفعول به و يجوز أن يكون المعنى يخضمون مجادلهم عند أنفسهم فحذف المفعول به و معنى يخضمون يغلبون فى الخصام خصومهم.

اللغه

الحمل منع الشىء أن يذهب إلى جهه السفلى و الفلك السفلى لأنها تدور فى الماء و منه الفلكه لأنها تدور فى المغزل و الفلكه لأنها تدور بالنجوم و فلك ثدى المرأه إذا استدار و المشحون المملوء و شحنت الثغر بالرجال أشحنه شحنا إذا ملأته و منه الشحنه لأنه يملأ بهم البلد.

الإعراب

«رَحْمَةً مِنَّا» نصب على أنه مفعول له و «مَتَاعًا» عطف عليه و يمكن أن يكون على معنى إلا أن نرحمهم رحمه و نمتعهم متاعا.

المعنى

ثم امتن سبحانه على خلقه بذكر فنون نعمه دالا بذلك على وحدانيته فقال «وَ آيَةٌ لَهُمْ» أى و حجه و علامه لهم على اقتدارنا «أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ» يعنى آباءهم و أجدادهم الذين هؤلاء من نسلهم «فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ» يعنى سفينه نوح المملوءه من الناس و ما يحتاج إليه من فيها فسلموا من الغرق فانتشر منهم بشر كثير و يسمى الآباء ذريه من ذرأ الله الخلق لأن الأولاد خلقوا منهم وسمى الأولاد ذريه لأنهم خلقوا من الآباء عن الضحاك و قتاده و جماعه من المفسرين و قيل الذريه هم الصبيان و النساء و الفلكه هى السفن الجاربه فى البحار و خص الذريه بالحمل فى الفلكه لضعفهم و لأنه لا قوه لهم على السفر كقوه الرجال فسخر الله لهم السفن ليتمكن الحمل فى البحر و الإبل ليتمكن الحمل فى البر يقول القائل حملنى فلان إذا أعطاه ما يحمل أو هداه إلى ما يحمل عليه قال الشاعر:

ألا فتى عنده خفان يحملنى عليهما إنتى شيخ على سفر

«وَ خَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ» أى و خلقنا لهم من مثل سفينه نوح سفنا يركبون فيها كما ركب نوح يعنى السفن التى عملت بعد سفينه نوح مثلها على صورتها و هيئتها عن

ابن عباس وغيره وقيل إن المراد به الإبل وهي سفن البر عن مجاهد وقيل مثل السفينه من الدواب كالإبل والبقر والحمير عن الجبائي «وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ» أى وإن نشأ إذا حملناهم فى السفن نغرقهم بتهييج الرياح والأمواج «فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ» أى لا مغيث لهم «وَلَا هُمْ يُنقذُونَ» أى ولا يخلصون من الغرق إذا أردناه «إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ» أى إلا أن نرحمهم بأن نخلصهم فى الحال من أهوال البحر و نمتعهم إلى وقت ما قدرناه لتقضى آجالهم وقيل معناه بقيناهم نعمه منا عليهم وإمتاعا إلى مده «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ» أى للمشركين «اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ» من أمر الآخرة فاعملوا لها «وَ مَا خَلْفَكُمْ» من أمر الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها «لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ» أى لتكونوا على رجاء الرحمة من الله تعالى عن ابن عباس وقيل معناه اتقوا ما مضى من الذنوب وما يأتى من الذنوب عن مجاهد أى اتقوا عذاب الله بالتوبه للماضى والاجتناب للمستقبل وقيل اتقوا العذاب المنزل على الأمم الماضيه وما خلفكم من عذاب الآخرة عن قتاده و

روى الحلبي عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال معناه اتقوا ما بين أيديكم من الذنوب و ما خلفكم من العقوبه

و جواب إذا محذوف تقديره إذا قيل لهم هذا أعرضوا و يدل على هذا المحذوف قوله «وَ مَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ» أى أعرضوا عن الداعى و عن التفكير فى الحجج و فى المعجزات و من فى قوله «مِنْ آيَةٍ» هى التى تتراد فى النفسى للاستغراق و من الثانى للتبعيض أى ليس تأتيتهم آيه آيه كانت إلا ذهبوا عنها و أعرضوا عن النظر فيها و ذلك سبيل من ضل عن الهدى و خسر الدنيا و الآخرة «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ» أيضا «أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ» فى طاعته و أخرجوا ما أوجب الله عليكم فى أموالكم «قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَمْ نَنْطَعُ مِنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَنْطَعَهُ» احتجوا فى منع الحقوق بأن قالوا كيف نطعم من يقدر الله على إطعامه و لو شاء الله إطعامه أطعمه فإذا لم يطعم دل على أنه لم يشأ إطعامه و ذهب عليهم إن الله سبحانه إنما تعبدهم بذلك لما لهم فيه من المصلحه فأمر الغنى بالإنفاق على الفقير ليكسب به الأجر و الثواب و اختلف فى هؤلاء الذين قالوا ذلك فقيل هم اليهود حين أمروا بإطعام الفقراء عن الحسن وقيل هم مشركو قريش قال لهم أصحاب رسول الله ص أطعمونا من أموالكم ما زعمتم أنه لله و ذلك قوله هذا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ عَنْ مِقَاتِلٍ وَقِيلَ لَهُمُ الزَّنَادِقَةُ الَّذِينَ أَنْكَرُوا الصَّانِعَ تَعَلَّقُوا بِقَوْلِهِ «رَزَقَكُمُ اللَّهُ» فقالوا إن كان هو الرزاق فلا فائده فى التماس الرزق منا و قد رزقنا و حرمكم فلم تأمرون بإعطاء من حرمه الله «إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» هذا من قول الكفار لمن أمرهم بالإطعام عن قتاده وقيل أنه من قول الله تعالى لهم حين ردوا هذا بالجواب عن على بن عيسى «وَ يَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ» الذى تعدنا به من نزول العذاب بنا «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فى ذلك أنت و أصحابك و هذا استهزاء

منهم بخبر النبي ص و خبر المؤمنين فقال تعالى في جوابهم «ما يَنْظُرُونَ» أى ما ينتظرون «إِلَّا صَيْحَهُ وَاحِدَةً» يريد النفخه الأولى عن ابن عباس يعنى أن القيامة تأتيهم بغته «تَأْخُذُهُمْ» الصيحة «وَهُمْ يَخِصِّمُونَ» أى يختصمون فى أمورهم و يتبايعون فى الأسواق و

فى الحديث تقوم الساعة و الرجالن قد نشرا ثوابهما يتبايعانه فما يطويانه حتى تقوم و الرجل يرفع أكلته إلى فيه فما تصل إلى فيه حتى تقوم و الرجل يلبط حوضه ليسقى ماشيته فما يسقيها حتى تقوم

و قيل و هم يختصمون هل ينزل بهم العذاب أم لا- «فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً» يعنى أن الساعة إذا أخذتهم بغته لم يقدرُوا على الإيصاء بشىء «وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ» أى و لا إلى منازلهم يرجعون من الأسواق و هذا إخبار عما يلقونه فى النفخه الأولى عند قيام الساعة.

[سوره يس (٣٦): الآيات ٥١ الى ٦٠]

إشارة

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣) فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٤) إِنْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ (٥٥)

هُم وَ أَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِرُونَ (٥٦) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَ لَهُمْ مَا يَدْعُونَ (٥٧) سَلَامٌ قَوْلًا- مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ (٥٨) وَ امْتَأَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (٥٩) أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠)

القراءه

قرأ نافع و ابن كثير و أبو عمرو و روح فى شغل ساكنه الغين و الباقون «فى شُغْلٍ» بضم الغين و قرأ أبو جعفر فكهون بغير ألف حيث وقع و وافقه حفص فى المطففين

ص: ٢٤٧

انْقَلَبُوا فَكَيْهِنَ و قرأ الآخرون بالألف كل القرآن و قرأ أهل الكوفة غير عاصم في ظلل بضم الظاء بلا ألف و الباقون «في ظلالٍ» و

روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قرأ من بعثنا من مرقدنا

و في الشواذ قراءه ابن أبي ليلي يا ويلتا و قرأ أبي بن كعب من هبنا من مرقدنا.

الحجج

الشغل و الشغل لغتان و كذلك الفكه و الفاكه و الظلل جمع ظله و الظلال يجوز أيضا أن يكون جمع ظله فيكون كبرمه و برام و علبه و علايب و يجوز أن يكون جمع ظل و أما قوله «مَنْ بَعَثْنَا» فهو كقولك يا ويلي من أخذك مني قال ابن جنى من الأولى متعلقه بالويل كقولك يا تألمى منك و إن شئت كان حالا فتعلقت بمحذوف حتى كأنه قال يا ويلنا كائنا من بعثنا فجاز أن يكون حالا منه كما جاز أن يكون خبرا عنه في مثل قول الأعشى:

قالت هريره لما جئت زائرها ويلي عليك و ويلي منك يا رجل

و ذلك أن الحال ضرب من الخبر و أما من في قوله «مَنْ مَرَقَدْنَا» فمتعلقه بنفس البعث و من قرأ يا ويلتا فأصله يا ويلتى فأبدلت الياء ألفا لأنه نداء فهو موضع تخفيف فتاره تحذف هذه الياء نحو غلام و تاره بالبدل نحو يا غلاما قال:

" يا أبنا عليك أو عساكا "

فإن قلت كيف قال يا ويلتا و هذا اللفظ للواحد و هم جماعه فالقول إنه يكون على أن كل واحد منهم قال يا ويلتا من بعثنا من مرقدنا و نحوه قوله فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً أَى فاجلدوا كل واحد منهم و مثله ما حكاه أبو زيد من قولهم أتينا الأمير فكسانا كلنا حله و أعطانا كلنا مائه أى كسا كل واحد منا حله و أعطى كل واحد منا مائه و أما هبنا فيمكن أن يكون هب لغه في أهب و يمكن أن يكون على معنى هب بنا أى أيقظنا ثم حذف حرف الجرب فوصل الفعل.

اللغه

قال أبو عبيده الصور جمع صوره مثل بسره و بسر و هو مشتق من صاره يصوره صورا إذا أماله فالصوره تميل إلى مثلها بالمشاهده و الحدث القبر و جمعه الأجداث و هذه لغه أهل العالیه و يقول أهل السافله بالفاء جدف و النسول الإسراع فى الخروج يقال نسل ينسل و ينسل قال امرؤ القيس:

و إن تك قد ساءتكم منى خليفه فسلى ثيابى من ثيابك تنسل

و قال آخر:

عسلان الذئب أمسى قاربا برد الليل عليه فنسل

. الإعراب

«هذا ما وَعَدَ الرَّحْمَنُ» مبتدأ وخبر و يكون «مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا» كلاما تاما يوقف عليه و يجوز أن يكون هذا من نعت مرقدنا أى مرقدنا الذى كنا راقدين فيه فيكون الوقف على مرقدنا هذا و يكون «ما وَعَدَ الرَّحْمَنُ» خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ محذوف الخبر على تقدير هذا ما وعد الرحمن أو حق ما وعد الرحمن سلام بدل من ما و المعنى لهم ما يتمنون لهم سلام و قولا منصوب على أنه مصدر فعل محذوف أى يقوله الله قولا.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن النفخة الثانية و ما يلقونه فيها إذا بعثوا بعد الموت فقال «و نُفِّخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ» و هى القبور «إِلَى رَبِّهِمْ» أى إلى الموضع الذى يحكم الله فيه لا حكم لغيره هناك «يَنْسَلُونَ» أى يخرجون سراعا فلما رأوا أهوال القيامة «قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا» أى من حشرنا من منامنا الذى كنا فيه نياما ثم يقولون «هذا ما وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَ صَدَقَ الْمُرْسَلُونَ» فيما أخبرونا عن هذا المقام و هذا البعث قال قتاده أول الآيه للكافرين و آخرها للمسلمين قال الكافرون «يا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا» و قال المسلمون «هذا ما وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَ صَدَقَ الْمُرْسَلُونَ» و إنما وصفوا القبر بالمرقد لأنهم لما أحيوا كانوا كالمنتبهين عن الرقده و قيل إنهم لما عاينوا أحوالهم فى القيامة عدوا أحوالهم فى قبورهم بالإضافة إلى تلك الأهوال رقادا قال قتاده هى النومه بين النفختين لا يفتر عذاب القبر إلا فيما بينهما فيرقدون ثم أخبر سبحانه عن سرعه بعثهم فقال «إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً» أى لم تكن المده إلا مده صيحه واحده «فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَمُدَّتْ أَعْيُنُهُمْ» أى فإذا الأولون و الآخرون مجموعون فى عرصات القيامة محصلون فى موقف الحساب ثم حكى سبحانه ما يقوله يومئذ للخلائق فقال «فَالْيَوْمَ لَا تُظَلِّمُ نَفْسٌ شَيْئًا» أى لا ينقص من له حق شيئا من حقه من الثواب أو العوض أو غير ذلك و لا يفعل به ما لا يستحقه من العقاب بل الأمور جاريه على مقتضى العدل و ذلك قوله «وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» ثم ذكر سبحانه أولياءه فقال «إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ» شغلهم النعيم الذى شملهم و غمرهم بسروره عما فيه أهل النار من العذاب عن الحسن و الكلبى فلا يذكرونهم و لا يهتمون بهم و إن كانوا أقاربهم و قيل

شغلوا بافتضااض العذارى عن ابن عباس و ابن مسعود و هو المروى عن الصادق (عليه السلام)

قال و حواجبهن كالأهله و أشفار أعينه كقوادم النور و قيل باستماع الألحان عن و كيع و قيل شغلهم فى الجنة سبعة أنواع من الثواب لسبعة أعضاء فتواب الرجل بقوله اذْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ و ثواب اليد يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأَسَا لَا لَعْنُ فِيهَا و ثواب الفرج وَ حُورٌ عِينٌ و ثواب البطن كُلُّوْا وَ اشْرَبُوا هَنِيئًا الْآيَةِ و ثواب اللسان وَ آخِرُ دَعْوَاهُمْ الْآيَةِ و ثواب الأذن لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَ نِظَائِرَهَا و ثواب العين وَ تَلَذُّ الْأَعْيُنُ «فَاكِهِونَ» أى فرحون عن ابن عباس و قيل ناعمون متعجبون بما هم فيه قال أبو زيد الفكه الطيب النفس الضحوك رجل فكه و فاكه و لم يسمع لهذا فعل فى الثلاثى و قال أبو مسلم أنه مأخوذ عن الفكاهه فهو كناية عن الأحاديث الطيبه و قيل فاكهون ذوو فاكهه كما يقال لاحم شاحم أى ذو لحم و شحم و عاسل ذو عسل قال الحطيئه:

و غررتنى و زعمت أنك لابن فى الصيف تأمر

أى ذو لبن و تمر ثم أخبر سبحانه عن حالهم فقال «هُمَّ وَ أَزْوَاجُهُمْ» أى هم و حلائلهم فى الدنيا ممن وافقهم على إيمانهم فى أستار عن وهج الشمس و سموها فهم فى مثل تلك الحال الطيبه من الظلال التى لا حر فيها و لا برد و قيل أزواجهم اللاتى زوجهم الله من الحور العين «فِي ظِلَالٍ» أشجار الجنة و قيل فى ظلال تسترهم من نظر العيون إليهم «عَلَى الْأَرَائِكِ» و هى السرر عليها الحجال و قيل هى الوسائد «مُنَكِّوْنَ» أى جالسون جلوس الملوكة إذ ليس عليهم من الأعمال شىء قال الأزهري كلما أتكى عليه فهو أريكه و الجمع أرائك «لَهُمْ فِيهَا» أى فى الجنة «فَاكِهِةً وَ لَهُمْ مَا يَدْعُونَ» أى ما يتمنون و يشتهون قال أبو عبيده تقول العرب ادع لى ما شئت أى تمن على و قيل معناه إن كل من يدعى شيئا فهو له بحكم الله تعالى لأنه قد هذب طباعهم فلا يدعون إلا ما يحسن منهم قال الزجاج هو مأخوذ من الدعاء يعنى أن أهل الجنة كلما يدعونه يأتيهم ثم بين سبحانه ما يشتهون فقال «سَيِّلًا» أى لهم سلام و منى أهل الجنة أن يسلم الله عليهم «قَوْلًا» أى يقوله الله قولاً «مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ» بهم يسمعونه من الله فيؤذنه بدوام الأمن و السلامه مع سبوغ النعمه و الكرامه و قيل إن الملائكه يدخل عليهم من كل باب يقولون سلام عليكم من ربكم الرحيم ثم ذكر سبحانه أهل النار فقال «وَ امْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ» أى يقال لهم انفصلوا معاشر العصاه و اعتزلوا من جملة المؤمنين و قيل معناه كونوا على حده عن السدى و قيل معناه إن لكل كافر

بيتا فى النار يدخل فيردم بابه لا يرى ولا يرى عن الضحاك ثم خصهم سبحانه بالتوبيخ فقال «أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ» أى أ لم آمركم على ألسنه الأنبياء و الرسل فى الكتب المنزله «أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ» أى لا تطيعوا الشيطان فيما يأمركم به «إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ» أى و قلت لكم إن الشيطان لكم عدو «مُبِينٌ» ظاهر عداوته عليكم يدعوكم إلى ما فيه هلاككم و فى هذه الآيه دلالة على أنه سبحانه لا يخلق عباده الشيطان لأنه حذر من ذلك و وبخ عليه.

[سوره يس (٣٦): الآيات ٦١ الى ٦٥]

أشاره

وَ أَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١) وَ لَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَ فَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣) أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٦٤) الْيَوْمَ نَخِمْ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَ تَكَلَّمْنَا أَيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٦٥)

القراءه

قرأ أبو عمرو و ابن عامر جبلا بضم الجيم و سكون الباء و قرأ أهل المدينه و عاصم و سهل «جِبِلًّا» بكسر الجيم و الباء و تشديد اللام و قرأ روح و زيد جبلا بضم الجيم و الباء و تشديد اللام و هو قراءه الحسن و الأعرج و الزهرى و قرأ الباقون جبلا بضمهما و تخفيف اللام.

الحجه

معناهن جميعا الخلق الكثير و الجماعه و الجمع الذين جبلوا على خليفه أى طبعوا و أصل الجبل الطبع و منه الجبل لأنه مطبوع على الثبات و قال أبو مسلم أصله الغلظه و الشده.

المعنى

ثم قال سبحانه فى حكايته ما يقوله الكفار يوم القيامة «وَ أَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ» فوصف عبادته بأنه طريق مستقيم من حيث كان طريقا إلى الجنه ثم ذكر سبحانه عداوه الشيطان بنى آدم فقال «وَ لَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا» أى أضل الشيطان عن الدين خلقا كثيرا منكم بأن دعاهم إلى الضلال و حملهم على الضلال و أغواهم «أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ» أنه يغويكم و يصدكم عن الحق فتنهون عنه صورته استفهام و معناه الإنكار عليهم و التبكيت لهم و فى هذا بطلان مذهب أهل الجبر فى أن الله أراد إضلالهم و لو كان كما قالوه

ص: ٢٥١

لكان ذلك أضر عليهم و أنكر من إرادته الشيطان ذلك «هذه جهنم التي كنتم تُوعَدُونَ» بها في دار التكليف حاضره لكم تشاهدونها «اضلوا اليوم» أي أزموا العذاب بها و أصل الصلاء اللزوم و منه المصلى الذي يجيىء في أثر السابق للزومه أثره و قيل معناه صيروا صلاها أي وقودها عن أبي مسلم «بما كنتم تكفرون» جزاء لكم على كفركم بالله و تكذيبكم أنبياءه «اليوم نختم على أفواههم» هذا حقيقة الختم فتوضع على أفواه الكفار يوم القيامة فلا يقدر على الكلام و النطق «و تكلمنا أيديهم» بما عملوا «و تشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون» أي نستنطق الأعضاء التي كانت لا تنطق في الدنيا لتشهد عليهم و نختم على أفواههم التي عهد منها النطق و اختلف في كيفية شهادته للجوارح على وجوه (أحدها) أن الله تعالى يخلقها خلقه يمكنها أن تتكلم و تنطق و تعترف بذنوبها (و ثانيها) أن الله تعالى يجعل فيها كلاما و إنما نسب الكلام إليها لأنه لا يظهر إلا من جهتها (و ثالثها) أن معنى شهادتها و كلامها أن الله تعالى يجعل فيها من الآيات ما يدل على أن أصحابها عصوا الله بها فسمى ذلك شهادته منها كما يقال عيناك تشهدان بسهرك و قد ذكرنا أمثال ذلك فيما سلف.

[سوره يس (٣٦): الآيات ٦٦ الى ٧٠]

اشاره

وَ لَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ (٦٦) وَ لَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَبَاعُوا مِصْرًا وَ لَا يَرْجِعُونَ (٦٧) وَ مَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَ فَلَآ يَعْقِلُونَ (٦٨) وَ مَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَ مَا يَتَّبِعِي لَهُ إِنِّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُّبِينٌ (٦٩) لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَ يَحَقِّقَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧٠)

القراءه

قرأ أبو بكر وحده مكاناتهم على الجمع و الباقون على التوحيد و قد تقدم ذكر ذلك و قرأ عاصم و حمزه و سهل «ننكسه» بضم النون الأولى و فتح الثانيه و كسر الكاف و تشديدها و قرأ الباقون بضم الكاف و تخفيفها و قرأ أهل المدينة و الشام و يعقوب و سهل لتندر بالتاء و الباقون بالياء.

الحجه

يقال نكسته و نكسته و أنكسه و أنكسه مثل رددت و رددت غير أن التشديد للتكثير و التخفيف يحتمل القليل و الكثير و من قرأ لتندر بالتاء فهو خطاب للنبي ص و من قرأ

ص: ٢٥٢

بالباء أراد القرآن و يجوز أن يريد لينذر الله.

اللغة

الطمس محو الشئ ء حتى يذهب أثره فالطمس على العين كالطمس على الكتاب و مثله الطمس على المال و هو إذهابه حتى لا يقع عليه إدراك و أعمى مطموس و طميس و هو أن يذهب الشق الذى بين الجفنين و المسخ قلب الصورة إلى خلقه مشوهه كما مسخ قوم قرده و خنازير.

الإعراب

أنى فى محل نصب على الحال من «يُبصِرُونَ» أو على أنه فى معنى مصدره.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن قدرته على إهلاك هؤلاء الكفار الذين جحدوا وحدانيته فقال «وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ» أى لأعميناهم عن الهدى عن ابن عباس و قيل معناه لتركناهم عميا يترددون عن الحسن و قتاده و الجبائى «فَأَسْبَغُوا الصُّرَاطَ» أى فطلبوا طريق الحق و قد عموا عنه «فَأَنَّى يُبْصِرُونَ» أى فكيف يبصرون عن ابن عباس و قيل معناه فطلبوا النجاه و السبق إليها و لا بصر لهم فكيف يبصرون و قد أعميناهم و قيل طلبوا الطريق إلى منازلهم فلم يهتدوا إليها «وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ» أى على مكانهم الذى هم فيه قعود و المعنى و لو نشاء لعذبناهم بنوع آخر من العذاب فأععدناهم فى منازلهم ممسوخين قرده و خنازير و المكانه و المكان واحد و قيل معناه و لو شئنا لمسخناهم حجاره فى منازلهم ليس فيهم أرواحهم «فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَ لَا يَرْجِعُونَ» أى فلم يقدروا على ذهاب و لا مجى ء لو فعلنا ذلك بهم و قيل معناه فما استطاعوا مضيا من العذاب و لا رجوعا إلى الخلقه الأولى بعد المسخ و هذا كله تهديد هدهم الله به ثم قال سبحانه «وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ» أى من نطول عمره نصيره بعد القوه إلى الضعف و بعد زياده الجسم إلى النقصان و بعد الجده و الطراوه إلى البلى و الخلوقة فكانه نكس خلقه و قيل نكسه و نرده إلى حال الهرم التى تشبه حال الصبى فى ضعف القوه و عزوب العلم عن قتاده «أَفَلَا يَعْقِلُونَ» أى أفلا يتدبرون فى أن الله تعالى يقدر على الإعادة كما قدر على ذلك و إنما قال على الخطاب لقله أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ من قرأ بالياء فالمعنى أ فليس لهم عقل فيعتبروا و يعلموا ذلك ثم أخبر سبحانه عن نبيه ص كيدا لقله إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ فقال «وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ» يعنى قول الشعراء و صناعه الشعر أى ما أعطيناها العلم بالشعر و إنشائه «وَمَا يَتَّبِعِي لَهُ» أن يقول الشعر من عند نفسه و قيل معناه ما يتسهل له الشعر و ما كان يتزين له بيت شعر حتى أنه إذا تمثل بيت شعر جرى على لسانه منكسرا كما

روى عن الحسن أن رسول الله ص كان يتمثل بهذا البيت:

" كفى الإسلام و الشيب للمرء ناهيا "

فقال أبو بكر يا رسول الله إنما قال الشاعر:

" كفى الشيب و الإسلام للمرء ناهيا "

أشهد أنك رسول الله و ما علمك الشعر و ما ينبغي لك

و

عن عائشه أنها قالت كان رسول الله ص يتمثل ببيت أخي بنى قيس:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا و يأتيك بالأخبار من لم تزود

فجعل يقول:

يأتيك من لم تزود بالأخبار

فيقول أبو بكر ليس هكذا يا رسول الله فيقول إنى لست بشاعر و ما ينبغي لى

فما

قوله ص

" أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب "

فقد قال قوم إن هذا ليس بشعر و قال آخرون إنما هو اتفاق منه و ليس بقصد إلى قول الشعر و قيل أن معنى الآية و ما علمناه الشعر بتعليم القرآن و ما ينبغي للقرآن أن يكون شعرا فإن نظمه ليس بنظم الشعر و قد صح أنه كان يسمع الشعر و يحث عليه و

قال لحسان بن ثابت لا تزال يا حسان مؤيدا بروح القدس ما نصرتنا بلسانك

«إِنْ هُوَ» أى من الذى أنزلناه عليه «إِلَّا ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُّبِينٌ» من عند رب العالمين ليس بشعر و لا رجز و لا خطبه و المراد بالذكر أنه يتضمن ذكر الحلال و الحرام و الدلالات و أخبار الأمم الماضيه و غيرها و بالقرآن أنه مجموع بعضه إلى بعض فجمع سبحانه بينهما لاختلاف فائدهما «لتنذر من كان حيا» أى أنزلناه لتخوف به من معاصى الله من كان مؤمنا لأن الكافر كالميت بل أقل من الميت لأن الميت و إن كان لا ينتفع و لا يتضرر و الكافر لا ينتفع لدينه و يتضرر به و

يجوز أن يكون المراد بمن كان حيا عاقلا و روى ذلك عن على (عليه السلام)

وقيل من كان حى القلب حى البصر عن قتاده «وَ يَحَقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ» أى يجب الوعيد و العذاب على الكافرين بكفرهم.

[سوره يس (٣٦): الآيات ٧١ الى ٧٦]

اشاره

أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١) وَ ذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَ مِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢) وَ لَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَ مَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٧٣) وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ (٧٤) لَا يَسْتَتِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَ هُمْ لَهُمْ جُنُودٌ مُخَضَّرُونَ (٧٥)

فَلَا يَخْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَ مَا يُعْلِنُونَ (٧٦)

ص: ٢٥٤

فى الشواذ قراءه الحسن و الأعمش ركوبهم و قراءه عائشه و أبى بن كعب ركوبتهم.

الحجه

أما الركوب فمصدر و الكلام على حذف المضاف و التقدير فمنها ذو ركوبهم و ذو الركوب هو المركوب و يجوز أن يكون التقدير فمن منافعها ركوبهم كما يقول الإنسان لغيره من بركاتك وصول الخير إلى على يدك و أما ركوبتهم فهى المركوبه كالقتوبه و الحلوبه و الجزوره لما يقتب و يحلب و يجرز.

المعنى

ثم عاد الكلام إلى ذكر الأدله على التوحيد فقال سبحانه «أَ وَ لَمْ يَرَوْا» معناه أ و لم يعلموا «أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ» أى لمنافعهم «مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا» أى مما ولينا خلقه بإبداعنا و إنشائنا لم نشارك فى خلقه و لم نخلقه بإعانه معين و اليد فى اللغه على أقسام منها الجارحه و منها النعمه و منها القوه منها تحقيق الإضافه يقال فى معنى النعمه لفلان عندى يد بيضاء و بمعنى القدره تلقى فلان قولى باليدىن أى بالقوه و التقبل و بمعنى تحقيق الإضافه قول الشاعر:

دعوت لما نابنى مسورا فلبى فلبى يدى مسور

و إنما ثناه لتحقيق المبالغه فى الإضافه إلى مسور و يقولون هذا ما جنت يداك و هو المعنى فى الآيه و إذا قال الواحد منا عملت هذا بيدى دل ذلك على انفراده بعمله من غير أن يكله إلى أحد «أَنْعَامًا» يعنى الإبل و البقر و الغنم «فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ» أى و لو لم نخلقها لما ملكوها و لما انتفعوا بها و بألبانها و ركوب ظهورها و لحومها و قيل فهم لها ضابطون قاهرون لم نخلقها وحشيه نافرهم لا يقدرون على ضبطها فهى مسخره لهم و هو قوله «وَ ذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ» أى سخرناها لهم حتى صارت منقادهم «فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَ مِنْهَا يَأْكُلُونَ» قسم الأنعام بأن جعل منها ما يركب و منها ما يذبح فينتفع بلحمه و يؤكل قال مقاتل الركوب الحموله يعنى

الإبل و البقر «وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ» فمن منافعها لبس أصوافها و أشعارها و أوبارها و أكل لحومها و ركوب ظهورها إلى غير ذلك من أنواع المنافع الكثيره فيها و المشارب من ألبانها «أَفَلَا يَشْكُرُونَ» الله تعالى على هذه النعم ثم ذكر سبحانه جهلهم فقال «وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً» يعبدونها «لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ» أى لكى ينصروهم و يدفعوا عنهم عذاب الله «لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ» يعنى هذه الآلهه التى عبدوها لا تقدر على نصرهم و الدفع عنهم «وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحَضَّرُونَ» يعنى أن هذه الآلهه معهم فى النار محضرون لأن كل حزب مع ما عبده من الأوثان فى النار فلا الجند يدفعون عنها الإحراق و لا هى تدفع عنهم العذاب و هذا كما قال سبحانه إِنْكُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ عن الجبائى و قيل معناه أن الكفار جند للأصنام يغضبون لهم و يحضرونهم فى الدنيا عن قتاده أى يغضبون للآلهه فى الدنيا و هى لا تسوق إليهم خيرا و لا تدفع عنهم شرأ قال الزجاج ينصرون الأصنام و هى لا تستطيع نصرهم ثم عزى نبيه ص بأن قال «فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ» فى تكذيبك «إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ» فى ضمائرهم «وَ مَا يُعْلِنُونَ» بألسنتهم فنجازيهم على كل ذلك.

[سوره يس (٣٦): الآيات ٧٧ الى ٨٣]

إشاره

أَ وَ لَمْ يَرَ الْإِنْسَانَ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٧٧) وَ ضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ (٨٠) أ وَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١)

إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣)

ص: ٢٥٦

القراءه

قرأ يعقوب يقدر بالياء و كذلك فى الأحقاف و الوجه فيه ظاهر و فى الشواذ قراءه طلحه و إبراهيم التيمى و الأعمش ملكه كل شىء و معناه فسبحان الذى بيده القدره على كل شىء و هو من ملكت العجين إذا أجدت عجنه فقويته بذلك و الملكوت فعلت منه زادوا فيه الواو و التاء للمبالغه بزياده اللفظ و لهذا لا يطلق الملكوت إلا على الأمر العظيم.

الإعراب

«الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ» بدل من «الَّذِي أَنْشَأَهَا» و يجوز أن يكون مرفوعاً أو منصوباً على المدح. أن يقول فى موضع رفع بأنه خبر المبتدأ.

النزول

قيل

إن أبى بن خلف أو العاص بن وائل جاء بعظم بال متفتت و قال يا محمد أ تزعم أن الله يبعث هذا فقال نعم فنزلت الآية «أ وَ لَمْ يَزِ الْإِنْسَانُ» إلى آخر السوره.

المعنى

ثم نبه سبحانه خلقه على الاستدلال على صحه البعث و الإعاده فقال «أ وَ لَمْ يَزِ» أو لم يعلم «الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ» و التقدير ثم نقلناه من النطفه إلى العلقه و من العلقه إلى المضغه و من المضغه إلى العظم و من العظم إلى أن جعلناه خلقاً سوياً ثم جعلنا فيه الروح و أخرجناه من بطن أمه و ربيناه و نقلناه من حال إلى حال إلى أن كمل عقله و صار متكلماً خصيماً و ذلك قوله «فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ» أى مخاصم ذو بيان أى فمن قدر على جميع ذلك فكيف لا يقدر على الإعاده و هى أسهل من الإنشاء و الابتداء و لا يجوز أن يكون خلق الإنسان واقعا بالطبيعه لأن الطبيعه فى حكم الموات فى أنها ليست بحيه قادره فكيف يصح منها الفعل و لا أن يكون كذلك بالاتفاق لأن المحدث لا بد له من محدث قادر عالم و فى الآية دلالة على صحه استعمال النظر فى الدين لأن الله سبحانه أقام الحجة على المشركين بقياس الشأه الثانيه على الشأه الأولى و ألزم من أقر بالأولى أن يقر بالثانيه ثم أكد سبحانه الإنكار عليه فقال «وَ ضَرَبَ لَنَا مَثَلًا» أى ضرب المثل فى إنكار البعث بالعظم البالى و فته بيده و تتعجب ممن يقول أن الله يحييه «وَ نَسِيَ خَلْقَهُ» أى و ترك النظر فى خلق نفسه إذ خلق من نطفه ثم بين ذلك المثل بقوله «قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ» أى بآليه و اختلف فى القائل لذلك فقيل

هو أبى بن خلف عن قتاده و مجاهد و هو المروى عن الصادق (عليه السلام)

و قيل هو العاص بن وائل السهمى عن سعيد بن جبير و قيل أميه بن خلف عن الحسن ثم قال سبحانه فى الرد عليه «قُلْ» يا محمد لهذا المتعجب من الإعاده «يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ» لأن من قدر على اختراع ما يبقى فهو على إعادته قادر لا محاله «وَ هُوَ

بِكَلِّ خَلَقِ عَلِيمٌ» من الابتداء و الإعادة فيعلم به قبل أن يخلقه أنه إذا خلقه كيف يكون و يعلم به قبل أن يعيده أنه إذا أعاده كيف يكون ثم زاد سبحانه في البيان و أخبر من صنعه بما هو

ص: ٢٥٧

عجيب الشأن فقال «الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ» أى جعل لكم من الشجر الرطب المطفى للنار نارا محرقه يعنى بذلك المرخ و العفار و هما شجرتان يتخذ الأعراب زنودها منهما فيبين سبحانه أن من قدر على أن يجعل فى الشجر الذى هو فى غاية الرطوبه نارا حاميه مع مضاده النار للرطوبه حتى إذا احتاج الإنسان حك بعضه ببعض فتخرج منه النار و ينقذ قدر أيضا على الإعادة و تقول العرب " فى كل شجر نار، و استمجد المرخ و العفار " و قال الكلبى كل شجر تنقذ منه النار إلا- العناب ثم ذكر سبحانه من خلقه ما هو أعظم من الإنسان فقال «أَوْ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ» هذا استفهام معناه التقرير يعنى من قدر على خلق السماوات و الأرض و اختراعهما مع عظمهما و كثره أجزاءهما يقدر على إعادة خلق البشر ثم أجاب سبحانه هذا الاستفهام بقوله «بلى» أى هو قادر على ذلك «وَهُوَ الْخَلَّاقُ» أى يخلق خلقا بعد خلق «الْعَلِيمُ» بجميع ما خلق ثم ذكر قدرته على إيجاد الأشياء فقال «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» و التقدير أن يكونه فيكون فعبر عن هذا المعنى بكن لأنه أبلغ فيما يراد و ليس هنا قول و إنما هو إخبار بحدوث ما يريدته تعالى و قيل إن المعنى إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول من أجله كن فيكون فعبر عن هذا المعنى بكن و قيل إن هذا إنما هو فى التحويلات نحو قوله كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ وَ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا و ما أشبه ذلك و لفظ الأمر فى الكلام على عشره أوجه (أحدها) الأمر لمن هو دونك (و الثانى) الندب كقوله فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا (و ثالثها) الإباحه نحو قوله فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا و إِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا (و الرابع) الدعاء رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً (الخامس) الترفيه كقوله ارفق بنفسك (السادس) الشفاعة نحو قولك شفعى فيه (السابع) التحويل نحو كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ وَ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (الثامن) التهديد نحو قوله اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ (التاسع) الاختراع و الأحداث نحو قوله «كُنْ فَيَكُونُ» (العاشر) التعجب نحو أَبْصِرْ بِهِ وَ أَسْمِعْ قال على بن عيسى فى قوله «كُنْ فَيَكُونُ» الأمر هاهنا أفخم من الفعل فجاء للتفخيم و التعظيم قال و يجوز أن يكون بمنزله التسهيل و التهوين فإنه إذا أراد فعل شىء فعله بمنزله ما يقول للشىء كن فيكون فى الحال و أنشد:

فقال له العينان سمعا و طاعه و حدرتا كالدر لما يثقب

و إنما أخبر عن سرعه دمه دون أن يكون ذلك قولاً- على الحقيقة ثم نزه سبحانه نفسه من أن يوصف بما لا- يليق به فقال «فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ» أى تنزيها له من نفى قدره على الإعادة و غير ذلك مما لا يليق بصفاته الذى بيده أى بقدرته ملك كل شىء و من قدر على كل شىء قدر على إحياء العظام الرميم و على خلق كل شىء و إفنائه و إعادته «وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» يوم القيامة أى تردون إلى حيث لا- يملك الأمر و النهى أحد سواه فيجازيكم بالثواب و العقاب على الطاعات و المعاصى على قدر أعمالكم.

(٣٧) سورة الصافات مكيه و آياتها ثنتان و ثمانون و مائه (١٨٢)

اشاره

عدد آياتها

مائه و إحدى و ثمانون آيه بصرى و آيتان فى الباقي.

اختلافها

آيتان و ما كانوا يعبدون غير البصرى و كلهم يعدون و إن كانوا ليقولون غير أبى جعفر.

فضلها

قال أبى بن كعب قال رسول الله ص و من قرأ سورة الصافات أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد كل جنى و شيطان و تباعدت عنه مردة الشياطين و برىء من الشرك و شهد له حافظاه يوم القيامة أنه كان مؤمنا بالمرسلين

و

روى الحسين بن أبى العلاء عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ سورة الصافات فى كل يوم جمعه لم يزل محفوظا من كل آفة مدفوعا عنه كل بليه فى حياته الدنيا مرزوقا فى الدنيا بأوسع ما يكون من الرزق و لم يصبه الله فى ماله و لا ولده و لا بدنه بسوء من شيطان رجيم و لا- جبار عنيد و إن مات فى يومه أو ليلته بعثه الله شهيدا و أماته شهيدا و أدخله الجنة مع الشهداء فى درجه من الجنة.

تفسيرها

افتتح الله هذه السوره بمثل ما اختتم به سوره يس من ذكر البعث فقال:

[سورة الصافات (٣٧): الآيات ١ الى ١٠]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ الصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ (٤)

رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْمَآرِضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا وَ رَبُّ الْمَشَارِقِ (٥) إِنَّا زَيَّنَّا لِلدُّنْيَا بَازِينَ الْكُوكَبِ (٦) وَ حِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (٧) لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَ يُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩)

إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (١٠)

ص: ٢٦٠

أدغم أبو عمرو و حمزه التاء فى الصاد و فى الزاى و فى الذال من «الصَّافَاتِ صَفًّا» «فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا» «فَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا» و قرأ أبو عمرو وحده و العَادِيَاتِ ضَبْحًا مدغماً فَاَلْمَغِيرَاتِ ضَبْحًا فَالْمَلْقِيَاتِ ذِكْرًا و السَّابِحَاتِ سَبْحًا و فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا مدغماً و ابن عباس لا يدغم شيئاً من ذلك و الباقون بإظهار التاء فى ذلك كله و قرأ عاصم و حمزه «بِزِينِهِ» بالتنوين «الْكُوكِبِ» بالجر و قرأ أبو بكر «بِزِينِهِ» منونا أيضاً الكواكب بالنصب و قرأ الباقون بزينة الكواكب مضافه و قرأ أهل الكوفه غير أبى بكر «لَا يَسْمَعُونَ» بتشديد السين و الميم و الباقون لا يسمعون بالتخفيف.

الحجه

قال أبو على إدغام التاء فى الصاد حسن لمقاربه اللفظين أ لا ترى أنهما من طرف اللسان و أصول الثنايا و يجتمعان فى الهمس و المدغم فيه يزيد على المدغم بختين هما الإطباق و الصفير و يحسن إدغام الأنقص فى الأزبد و لا يجوز أن يدغم الأزبد صوتاً فى الأنقص صوتاً فهذا يحسن إدغام التاء فى الزاى من قوله «فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا» لأن التاء مهموسه و الزاى مجهوره و فيها زياده صفير كما كان فى الصاد و كذلك حسن إدغام التاء فى الذال فى قوله «فَالذَّارِيَاتِ ذِكْرًا» و الذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا لاتفاقهما فى أنهما من طرف اللسان و أصول الثنايا فأما إدغام التاء فى الضاد من قوله تعالى وَ الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَإِنِ التاء أقرب إلى الذال و إلى الزاى منهما فى الضاد لأن الذال و الزاى و الصاد من حروف طرف اللسان و أصول الثنايا و طرفها و الضاد أبعد منهن لأنها من وسط اللسان و كذلك حسن إدغام التاء فيها لأن الصاد تغشى الصوت بها و اتسع و استطال حتى اتصل صوتها بأصول الثنايا و طرف اللسان فأدغم التاء فيها و سائر حروف طرف اللسان و أصول الثنايا إلا حروف الصفير فإنها لم تدغم فى الضاد و لم تدغم الضاد فى شىء من هذه الحروف لما فيها من زياده الصوت فأما الإدغام فى السَّابِحَاتِ سَبْحًا و فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا فحسن لمقاربه الحروف فأما من قرأ بالإظهار فى هذه الحروف فلاختلاف المخارج و أما من قرأ «بِزِينِهِ الْكُوكِبِ» جعل الكواكب بدلا من الزينه كما تقول مررت بأبى عبد الله زيد و من قرأ الكواكب بالنصب أعمل الزينه فى الكواكب و المعنى بأن زينا الكواكب فيها و مثل ذلك أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْعَبَةٍ يَتِيمًا. و من قرأ بزينه الكواكب

أضاف المصدر إلى المفعول كقوله تعالى مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَبِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ وَ مِنْ قَرَأَ «لَا يَسْمَعُونَ» فَإِنَّمَا هُوَ لَا يَتَسْمَعُونَ فَأَدْغَمَ التَّاءَ فِي السَّيْنِ وَقَدْ يَتَسْمَعُ وَلَا يَسْمَعُ فَإِذَا نَفَى التَّسْمِعَ عَنْهُمْ فَقَدْ نَفَى سَمْعَهُمْ مِنْ جِهَةِ التَّسْمِعِ وَمِنْ جِهَةِ غَيْرِهِ فَهُوَ أَبْلَغُ وَيُقَالُ سَمِعْتُ الشَّيْءَ وَاسْتَمَعْتُهُ كَمَا يُقَالُ حَقَرْتَهُ وَاسْتَحْقَرْتَهُ وَشَوَيْتَهُ وَاسْتَوَيْتَهُ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَقَالَ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ* فَعَدَى الْفِعْلَ مَرَّةً بِالْيَاءِ وَمَرَّةً بِاللَّامِ وَحِجَّهُ مِنْ قَرَأَ يَسْمَعُونَ قَوْلَهُ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْرُؤُونَ.

اللغة

قال أبو عبيد كل شئ ع بين السماء والأرض لم يضم قطريه فهو صاف ومنه الطير صافات إذا نشرت أجنحتها والصفات جمع الجمع لأنه جمع صافه والزجر الصرف عن الشئ ع لخوف الذم والعقاب. المارد الخارج إلى الفساد العظيم وهو من وصف الشياطين وهم المرده وأصله الانجراد ومنه الأمرد فالمارد المنجرد من الخير. الدحور الدفع بالعنف يقال دحر يدحر دحرا و دحورا. والواصب الدائم الثابت قال أبو الأسود:

لا اشتري الحمد القليل بقاؤه يوما بدم الدهر أجمع واصبا

والخطفه الاستلاب بسرعه يقال خطفه واختطفه والشهاب شعله نار ساطعه يقال فلان شهاب حرب إذا كان ماضيا والثاقب المضى ع كأنه يثقب بضوئه ومنه حسب ثاقب أى شريف.

الإعراب

«حِفْظًا» مصدر فعل محذوف أى زيناها وحفظناها حفظا. «لَا يَسْمَعُونَ» جملة مجروره الموضع بأنها صفة شيطان «دُحُورًا» مصدر فعل دل عليه «يُقْمَذُونَ» أى يدحرون دحورا. «إِلَّا مَنْ خَطَفَ الْخَطْفَةَ» يحتمل أن يكون من خطف فى موضع نصب على الاستثناء والعامل فيه ما يتعلق به اللام فى لهم عذاب والمستثنى منه هم من لهم و يحتمل أن يكون استثناء منقطعا فيكون من خطف مبتدأ وخبره «فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثاقِبٌ».

المعنى

«وَالصَّافَاتِ صَيْفًا» اختلف فى معنى الصفات على وجوه (أحدها) أنها الملائكة تصف أنفسها صفوفا فى السماء كصفوف المؤمنين فى الصلاة عن ابن عباس و مسروق و الحسن و قتاده و السدى (و ثانيها) أنها الملائكة تصف أجنحتها فى الهواء إذا أرادت النزول إلى الأرض واقفه تنتظر ما يأمرها الله تعالى عن الجبائى (و ثالثها) أنهم جماعة من المؤمنين يقومون مصطفين فى الصلاة و فى الجهاد عن أبى مسلم «فَالرَّاجِرَاتِ زَجْرًا»

اختلف فيها أيضا على وجوه (أحدها) أنها الملائكة تزجر الخلق عن المعاصي زجرا عن السدى و مجاهد و على هذا فإنه يوصل الله مفهومه إلى قلوب العباد كما يوصل مفهوم إغواء الشيطان إلى قلوبهم ليصح التكليف (و ثانيها) أنها الملائكة الموكله بالسحاب تزجرها و تسوقها عن الجبائي (و ثالثها) أنها زواجر القرآن و آياته الناهيه عن القبائح عن قتاده (و رابعها) أنهم المؤمنون يرفعون أصواتهم عند قراءه القرآن لأن الزجره الصيحه عن أبي مسلم «فَالْتَالِيَاتِ ذِكْرًا» اختلف فيها أيضا على أقوال (أحدها) أنها الملائكة تقرأ كتب الله تعالى و الذكر الذى ينزل على الموحى إليه عن مجاهد و السدى (و ثانيها) أنها الملائكة تتلو كتاب الله الذى كتبه لملائكته و فيه ذكر الحوادث فتترداد يقينا بوجود المخبر على وفق الخبر (و ثالثها) جماعه قراء القرآن من المؤمنين يتلونه فى الصلاه عن أبي مسلم و إنما لم يقل فالتاليات تلو كما قال «فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا» لأن التالى قد يكون بمعنى التابع و منه قوله وَ الْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا فلما كان اللفظ مشتركاً بينه بما يزيل الإبهام «إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ» و هذه أقسام أقسم الله تعالى بها أنه واحد ليس له شريك ثم اختلف فى مثل هذه الأقسام فقليل أنها أقسام بالله تعالى على تقدير و رب الصفات و رب الزاجرات و رب التين و الزيتون لأن فى القسم تعظيماً للمقسم به و لأنه يجب على العباد أن لا يقسموا إلا بالله تعالى إلا أنه حذف لأن حجج العقول داله على المحذوف عن الجبائي و القاضى و قيل بل أقسم الله سبحانه بهذه الأشياء و إنما جاز ذلك لأنه ينبئ عن تعظيمها بما فيها من الدلاله على توحيده و صفاته العلى فله سبحانه أن يقسم بما شاء من خلقه و ليس لخلقه أن يقسموا إلا به ثم قال سبحانه «رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى خالقهما و مدبرهما «وَ مَا يَبْتَنَّهُمَا» من سائر الأجناس من الحيوان و النبات و الجماد «وَ رَبُّ الْمَشَارِقِ» و هى مشارق الشمس أى مطالعها بعدد أيام السنه ثلاثمائه و ستون مشرقاً و المغارب مثل ذلك تطلع الشمس كل يوم من مشرق و تغرب فى مغرب عن ابن عباس و السدى و إنما خص المشارق بالذكر لأن الشروق قبل الغروب «إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا» يعنى التى هى أقرب السماوات إلينا و إنما خصها بالذكر لاختصاصها بالمشاهده «بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ» أى بحسنها و ضوئها و التزيين تحسين الشىء و جعله على صورته تميل إليها النفس فالله سبحانه زين السماء على وجه تمتع الرائي لها و فى ذلك أعظم النعمه على العباد مع ما لهم من المنفعه بالتفكير فيها و الاستدلال بها على صانعها «وَ حِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ» أى و حفظناها من كل شيطان «مَارِدٍ» أى خبيث خال من الخير متمرد و المعنى و حفظناها من دنو كل شيطان للاستماع فإنهم كانوا يسترقون السمع و يستمعون إلى كلام الملائكة و يقولون ذلك إلى ضعفه الجن و كانوا يوسوسون بها فى قلوب الكهنة

و يوهمونهم أنهم يعرفون الغيب فمنعهم الله تعالى عن ذلك «لا- يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى» أى لكيلا- يتسمعوا إلى الكتبه من الملائكة فى السماء عن الكلبى و قيل إلى كلام الملائكة الأعلى أى لكيلا يتسمعوا و الملائكة الأعلى عباره عن الملائكة لأنهم فى السماء «وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ» أى يرمون بالشهب من كل جانب من جوانب السماء إذا أرادوا الصعود إلى السماء للاستماع «دُحُورًا» أى دفعا لهم بالعنف و طردا «وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ» أى و لهم مع ذلك أيضا عذاب دائم يوم القيامة «إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ» و التقدير لا- يتسمعون إلى الملائكة إلا- من وثب الوثبه إلى قريب من السماء فاختلس خلسه من الملائكة و استلب استلابا بسرعه «فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ» أى فلحقه و أصابه نار مضيئه محرقة و الثاقب المنير المضىء و هذا كقوله «إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ مُبِينٌ».

[سوره الصافات (٣٧): الآيات ١١ الى ٢٠]

اشاره

فَاسْتَفْتَيْهِمْ أَ هُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ (١١) بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢) وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (١٣) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ (١٤) وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٥)

أ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٦) أ وَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (١٧) قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ (١٨) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ (١٩) وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ (٢٠)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير عاصم بل عجبت بضم التاء و الباقون بفتحها و قرأ ابن عامر و أهل المدينه غير ورش أو آباؤنا ساكنه الواو و الباقون بفتحهما و كذلك فى الواقعه.

الحجه

قال أبو على من قرأ «بَلْ عَجِبْتَ» بالفتح فالمعنى بل عجبت من إنكارهم البعث و هم يسخرون أ و عجبت من نزول الوحي عليك و هم يسخرون و الضم فيما زعموا قراءه على (عليه السلام) و ابن عباس و روى عن شريح من إنكار له فإنه قال أن الله لا يعجب و قد احتج بعضهم للضم بقوله «وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ» و ليس فى هذا دلالة على أن الله سبحانه أضاف العجب إلى نفسه و لكن المعنى و إن تعجب فعجب قولهم عندكم و المعنى فى الضم أن إنكار البعث و النشر مع ثبات القدره على الابتداء و الإنشاء عجيب و يبين ذلك عند من

استدل عندكم مما تقولون فيه هذا النحو من الكلام إذا ورد عليكم مثله كما أن قوله **أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ** معناه أن هؤلاء ممن تقولون أنتم فيه هذا النحو وكذلك قوله **فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ** عند من لم يجعل اللفظ على الاستفهام وعلى هذا النحو قوله **وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ وَوَيْلٌ لِّیَوْمئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ*** وقوله **لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى** ولا يجوز أن يكون العجب فى وصف القديم سبحانه كما يكون فى وصف الإنسان لأن العجب فىنا إنما يكون إذا شاهدنا ما لم نشاهد مثله ولم نعرف سببه وهذا منتف عن القديم سبحانه.

اللغة

اللازب و اللازم بمعنى أبدلت من الميم الياء قال النابغه:

ولا يحسبون الخير لا شر عنده ولا يحسبون الشر ضربه لازب

و بعض بنى عقيل يقولون لاتب أيضا بالتاء و الداخر الصاغر أشد الصغر.

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال **«فَأَسْمِعْتَهُمْ»** أى فاسألهم يا محمد سؤال تقرير **«أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا»** أى أحكم صنعا **«أَمْ مَنْ خَلَقْنَا»** قبلهم من الأمم الماضيه و القرون السالفه يريد أنهم ليسوا بأحكم خلقا من غيرهم من الأمم و قد أهلكناهم بالعذاب و قيل أهم أشد خلقا أم من خلقنا من الملائكه و السماوات و الأرض و غلب ما يعقل على ما لا يعقل **«إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ»** معناه أنهم إن قالوا نحن أشد فأعلمهم أن الله خلقهم من طين فكيف صاروا أشد قوه منهم و المراد أن آدم خلقه الله من طين و أن هؤلاء نسله و ذريته فكأنهم منه و قال ابن عباس اللازب الملتصق من الطين الحر الجيد **«بَلْ عَجِبْتَ»** يا محمد من تكذيبهم إياك **«وَيَسْخَرُونَ»** من تعجبك و من ضم التاء فالمراد أنه سبحانه أمر نبيه ص أن يخبر عن نفسه بأنه عجب من هذا القرآن حين أعطيه و سخر منه أهل الضلال و تقديره قل بل عجت عن المبرد و قيل يسخرون أى يهزون بدعائك إياهم إلى الله و النظر فى دلائله و آياته و روى عن الأعمش عن أبى وائل قال قرأ عبد الله بن مسعود بل عجت بالضم فقال شريح إن الله لا يعجب إنما يعجب من لا يعلم قال الأعمش فذكرته لإبراهيم فقال أن شريحا كان معجبا برأيه إن عبد الله قرأ بل عجت و عبد الله أعلم من شريح و إضافه العجب إلى الله تعالى ورد الخبر به

كقوله عجب ربكم من شباب ليس له صبوه و عجب ربكم من الكم و قنوطكم

و يكون ذلك على وجهين عجب مما يرضى و معناه الاستحسان و الخبر عن

تمام الرضى و عجب مما يكره و معناه الإنكار له و الدم «وَ إِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ» أى و إذا خوفوا بالله و وعظوا بالقرآن لا ينتفعون بذلك و لا يتعظون به «وَ إِذَا رَأَوْا آيَةً» من آيات الله و معجزه مثل انشقاق القمر و غيرها «يَسْتَسْخِرُونَ» أى يستهزءون و يقولون هذا عمل السحر و سخر و استسخر بمعنى واحد و قيل معناه يستدعى بعضهم بعضا إلى إظهار السخريه و قيل معناه يعتقدونه سخريه كما تقول استقبحه أى اعتقده قبيحا و استحسنة أى اعتقده حسنا «وَ قَالُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ» أى و قالوا لتلك الآيه ما هذا إلا سحر ظاهر و تمويه «أ إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا وَ عِظَامًا أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ» بعد ذلك و محشورون أى كيف نبعث بعد ما صرنا ترابا «أ وَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ» الذين تقدمونا بهذه الصفه أى أ و يبعث آباؤنا بعد ما صاروا ترابا يعنون أن هذا لا يكون و من فتح الواو و جعلها واو العطف دخل عليها همزه الاستفهام كقوله «أ وَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى» ثم قال سبحانه لنبيه ص «قُلْ» لهم «نَعَمْ» تبعثون «وَ أَنْتُمْ دَاخِرُونَ» صاغرون أشد الصغار ثم ذكر أن بعثهم يقع بزجره واحده فقال «فَإِنَّمَا هِيَ» أى فإنما قصه البعث «زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ» أى صيحه واحده من إسرافيل يعنى نفخه البعث و الزجره الصرفه عن الشىء بالمخافه فكأنهم زجروا عن الحال التى هم فيها إلى الحشر «فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ» إلى البعث الذى كذبوا به و قيل معناه فإذا هم أحياء ينتظرون ما ينزل بهم من عذاب الله «وَ قَالُوا» أى و يقولون معترفين على نفوسهم بالعصيان «يَا وَيْلَنَا» من العذاب و هو كلمه يقولها القائل عند الوقوع فى الهلكه و مثله يا حشرتنا ينادون مثل هذه الأشياء على وجه التنبيه على عظم الحال «هَذَا يَوْمُ الدِّينِ» أى يوم الحساب عن ابن عباس و قيل يوم الجزاء عن قتاده و المراد أنهم اعترفوا بالحق خاضعين نادمين.

[سوره الصافات (٣٧): الآيات ٢١ الى ٣٠]

إشاره

هذا يَوْمُ الْفَضْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢١) احشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ أَزْوَاجَهُمْ وَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥)

بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُشْتَسِدِلُونَ (٢٦) وَ أَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَ مَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (٣٠)

ثم أخبر سبحانه عن حالهم أيضا فقال «هذا يَوْمُ الْفُضْلِ» بين الخلائق والحكم وتمييز الحق من الباطل على وجه يظهر لجميعهم الحال فيه وذلك بأن يدخل المطيع الجنة على وجه الإكرام ويدخل العاصى النار على وجه الإهانة «الَّذِي كُنتُمْ» يا معشر الكفار «بِهِ تُكذَّبُونَ» وهذا كلام بعضهم لبعض وقيل بل هو كلام الملائكة ثم حكى سبحانه ما يقوله للملائكة بأن قال «أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا» أنفسهم بارتكاب المعاصى أى اجمعوهم من كل جهة وقيل ظلموا أنفسهم بمخالفتهم أمر الله سبحانه وبتكذيبهم الرسل وقيل ظلموا الناس «وَأَزْوَاجَهُمْ» أى وأشباههم عن ابن عباس ومجاهد ومثله وَ كُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً أى أشباها وأشكالا ثلاثة فيكون المعنى أن صاحب الزنا يحشر مع أصحاب الزنا وصاحب الخمر مع أصحاب الخمر إلى غيرهم وقيل وأشياءهم من الكفار عن قتاده وقيل وأزواجهم المشركات كأنه قال احشروا المشركين والمشركات عن الحسن وقيل وأتباعهم على الكفر ونظراؤهم وضرباؤهم «وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ» إنما عبر عن ذلك بالهداية من حيث كان بدلا من الهداية إلى الجنة كقوله فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ من حيث أن هذه البشارة وقعت لهم بدلا من البشارة بالنعيم «وَقَفُّوهُمْ» أى قفوا هؤلاء الكفار واحبسوهم عن دخول النار «إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ» روى أنس بن مالك مرفوعا عنهم مسئولون عما دعوا إليه من البدع وقيل مسئولون عن أعمالهم وخطاياهم عن الضحاك وقيل عن قول لا إله إلا الله عن ابن عباس وقيل عن ولايه على بن أبى طالب (عليه السلام) عن أبى سعيد الخدرى وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعا حدثناه عن الحاكم أبى القاسم الحسكافى بالإسناد يقال وقفت أنا وقفت غيرى وبعض بنى تميم يقول أوقفت الدابة والدار وأنشد الفراء:

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس أوقفوا

«مَا لَكُمْ لَا تَنَاصِرُونَ» أى لا تتناصرون وهذا على وجه التوبيخ والتبكيث أى ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا فى دفع العذاب والتقدير ما لكم غير متناصرين ثم بين سبحانه أنهم لا يقدر على التناصر فقال «بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ» أى منقادون خاضعون ومعنى الاستسلام أن يلقي بيده غير منازع فيما يراد منه «وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ

يَتَسَاءَلُونَ» هذا إخبار منه سبحانه أن كل واحد منهم يقبل على صاحبه الذى أغواه فيقول له على وجه التأنيب و التعنيف لم غررتنى و يقول ذلك له لم قبلت منى و قيل يقبل الأتباع على المتبوعين و المتبوعون على الأتباع يتلاومون و يتعاتبون و يتخاصمون «قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ» أى يقول الكفار لغواتهم إنكم كنتم تأتوننا من جهة النصيحه و اليمن و البركه و لذلك أقررنا لكم و العرب تتيمن بما جاء من اليمين عن الجبائى و قيل معناه كنتم تأتوننا من قبل الدين فتروننا أن الحق و الدين ما يضلوننا به و اليمين عباره عن الحق عن الزجاج و قيل معناه كنتم تأتوننا من قبل القوه و القدره فتخدعوننا من أقوى الوجوه و منه قوله فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ عَنِ الْفِرَاءِ «قَالُوا» فى جواب ذلك ليس الأمر كما قلت «بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» مصدقين بالله «وَ مَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ» أى قدره و قوه فنجبركم على الكفر فلا تسقطوا اللوم عن أنفسكم فإنه لازم لكم و لاحق بكم «بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَآغِينَ» أى خارجين عن الحق باغين تجاوزتم الحد إلى أفحش الظلم و أعظم المعاصى.

[سوره الصافات (٣٧): الآيات ٣١ الى ٤٠]

إشاره

فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَعَدَائِقُونَ (٣١) فَأَعْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (٣٤) إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥)

وَ يَقُولُونَ أَ إِنَّا لَنسَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ (٣٦) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَ صَدَقَ الْمُرْسَلِينَ (٣٧) إِنَّكُمْ لَعَدَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ (٣٨) وَ مَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٤٠)

المعنى

هذا تمام الحكايه عن الكفار الذين قالوا و ما كان لنا عليكم من سلطانٍ ثم قالوا «فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا» أى وجب علينا قول ربنا بأننا لا نؤمن و نموت على الكفر أو وجب علينا العذاب الذى نستحقه على الكفر و الإغواء «إِنَّا لَعَدَائِقُونَ» العذاب الذى نستحقه على الكفر أى ندركه كما ندرك المطعوم بالذوق ثم يعترفون بأنهم أغووهم بأن قالوا

«فَاعْوَيْنَاكُمْ» أى أضللناكم عن الحق و دعوناكم إلى الغي «إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ» أى داخلين فى الضلاله و الغى و قيل معناه فخيبتناكم إنا كنا خائبين «فَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ» أى فى ذلك اليوم «فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ» و اشتراكهم اجتماعهم فيه و المعنى أن ذلك التخاصم لم ينفعهم إذا اجتمع الأتباع و المتبوعون كلهم فى النار الأتباع بقبول الكفر و المتبوعون بالكفر و الإغواء «إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ» أى الذين جعلوا لله شركاء عن ابن عباس و قيل معناه أنا مثل ما فعلنا بهؤلاء نفعل بجميع المجرمين ثم بين سبحانه أنه إنما فعل ذلك بهم من أجل «إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ» عن قبول ذلك «وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَأْتِيَنَّكَ بِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ» أى يأنفون من هذه مقاله و يستخفون بمن يدعوهم إليها و يقولون لا ندع عباده الأصنام لقول شاعر مجنون يعنون النبى ص يدعوننا إلى خلافها و قيل لأجل شاعر عن أبى مسلم فرد الله هذا القول عليهم و كذبهم بأن قال «بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ» أى ليس بشاعر و لا مجنون لكنه أتى بما تقبله العقول من الدين الحق و الكتاب «وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ» أى حقق ما أتى به المرسلون من بشاراتهم و الكتاب الحق بدين الإسلام و قيل صدقهم بأن أتى بمثل ما أتوا به من الدعاء إلى التوحيد و قيل صدقهم بالنبوه ثم خاطب الكفار فقال «إِنَّكُمْ» أيها المشركون «لَعَذَابُ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ» على كفركم و نسبتكم إياه إلى الشعر و الجنون «وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» أى على قدر أعمالكم ثم استثنى من جملة المخاطبين المعذبين فقال «إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ» الذين أخلصوا العباده لله و أطاعوه فى كل ما أمرهم به فإنهم لا يذوقون العذاب و إنما ينالون الثواب.

[سوره الصافات (٣٧): الآيات ٤١ الى ٥٠]

إشاره

أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ (٤١) فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ (٤٢) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٤٣) عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (٤٥)

بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (٤٦) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ (٤٧) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (٤٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٥٠)

قرأ أهل الكوفه غير عاصم ينزفون بكسر الزاى و الباقون بفتح الزاء و كذلك فى سورة الواقعه إلا عاصم فإنه قرأ هاهنا بفتح الزاى و هناك بكسر الزاى.

الحجه

قال أبو على أنزف يكون على معنيين (أحدهما) بمعنى سكر قال:

لعمري لئن أنزفتم أو صحوتم لبئس الندامى كنتم آل أبجرا

فمقابلته صحوتم يدل على أنه أراد سكرتم (و الآخر) بمعنى أنفد شرابه فمعنى أنزف صار ذا إنفاد لشرابه كما أن الأول معناه النفاد من عقله فمن قرأ ينزفون يجوز أن يريد به لا يسكرون عن شربها و يجوز أن يريد به لا ينفد ذلك عندهم كما ينفد شراب أهل الدنيا و من قرأ «يُنزفون» بفتح الزاى فإنه من نزف الرجل فهو منزوف و نزيف إذا ذهب عقله بالسكر.

اللغه

قال الأَخفش كل كأس فى القرآن فالمراد به الخمر. معين يحتمل أن يكون فعلا من أمعن فى الأمر إذا اشتد دخوله فيه و هو الماء الشديد الجرى و يحتمل أن يكون مفعولا من عين الماء لأنه يجرى ظاهرا للعين. و اللذه اللذيذه يقال شراب لذ و لذيذ و الغول فساد يلحق الشئ ء خفيا يقال اغتاله اغتالا و غاله غولا و منه الغيله و هى القتل سرا قال الشاعر:

و ما زالت الكأس تغتالنا و تذهب بالأول الأول

و القاصرات جمع قاصره و هن اللاتى يقصرن طرفهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم و القصر معناه الحبس و العين النجل العيون الحسنانها و المكنون المصون من كل شئ ء قال الشاعر:

و هى زهراء مثل لؤلؤه الغواص ميزت من جوهر مكنون

. المعنى

ثم بين سبحانه ما أعده لعباده المخلصين من أنواع النعم فقال «أُولئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ» جعل لهم التصرف فيه و حكم لهم به فى الأوقات المستأنفه فى كل وقت شيئا معلوما مقدرا ثم فسر ذلك الرزق بأن قال «فَوَاكِهُ» و هى جمع فاكهه يقع على الرطب

و اليابس من الثمار كلها يتفكهون بها و يتنعمون بالتصرف فيها «وَهُمْ مُكْرَمُونَ» مع ذلك أى معظمون مبعجلون و ضد الإكرام الإهانه «فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ» أى و هم مع ذلك فى بساتين فيها أنواع النعيم يتنعمون بها «عَلَى سُرُرٍ» و هى جمع سرير «مُتَقَابِلِينَ» يستمتع بعضهم بالنظر إلى وجوه بعض و لا- يرى بعضهم قفا بعض «يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ» و هو الإناء بما فيه من الشراب «مِنْ مَعِينٍ» أى من خمر جاريه فى أنهار ظاهره العيون عن الحسن و قتاده و الضحاك و السدى و قيل شديد الجرى ثم وصف الخمر فقال «بَيِّضَاءَ» وصفها بالبياض لأنها فى نهايه الرقه مع الصفاء و اللطافه النوريه التى لها قال الحسن خمر الجنه أشد بياضا من اللبن و ذكر أن قراءه ابن مسعود صفراء فيحتمل أن يكون بيضاء الكأس صفراء اللون «لَمَذَّةٍ» أى لذيه «لِلشَّارِبِينَ» ليس فيها ما يعترى خمر الدنيا من المراره و الكراهه «لَا فِيهَا غَوْلٌ» أى لا تغتال عقولهم فتذهب بها و لا تصيبهم منها وجع فى البطن و لا فى الرأس و يقال للوجع غول لأنه يؤدى إلى الهلاك «وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ» أى يسكرون و لا يتزفون لا يفنى خمرهم و تحمل هذه القراءه على هذا لزياده الفائده و على القراءه الأولى فيحمل الغول على الصداع و الوجع و أذى الخمار قال ابن عباس معناه و لا يبولون قال و فى الخمر أربع خصال السكر و الصداع و القيء و البول فنزه الله سبحانه خمر الجنه عن هذه الخصال «وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ» قصرن طرفهن على أزواجهن فلا- يردن غيرهن لحبهن إياهم و قيل معناه لا- يفتحن أعينهن دلالة و غنجا «عَيْنٌ» أى واسعات العيون و الواحده عيناء و قيل هى الشديده بياض العين الشديده سوادها عن الحسن «كَأَنَّهِنَّ بَيِّضٌ مَكْنُونٌ» شبههن بيض النعام مكنه بالريش من الغبار و الريح عن الحسن و ابن زيد و فى معناه قول امرئ القيس:

كبكر المقاناه البياض بصفره غذاها نمير الماء غير محلل

و قيل شبههن ببطن البيض قبل أن يقشر و قبل أن تمسه الأيدى و المكنون المصون ثم قال «فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ» يعنى أهل الجنه يسأل بعضهم بعضا عن أحوالهم من حين بعثوا إلى أن أدخلوا الجنه فيخبر كل صاحبه بأنعام الله تعالى عليه.

إشارة

قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَعْدِنُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥)

قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لِتَزِدِينَ (٥٦) وَ لَوْ لَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٥٧) أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتْنَا الْأُولَىٰ وَ مَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٠)

القراءة

في الشواذ قراءة ابن عباس و ابن محيصة هل أنتم مطلعون بالتخفيف فأطلع.

الحجج

الاطلاع الإقبال فعلى هذا يكون معناه فهل أنتم مقبلون فأقبل و اطلع يكون مسندا إلى مصدره أى فأطلع الاطلاع كما يقال قد قيم أى قد قيم القيام.

الإعراب

«إِلَّا مَوْتَتْنَا الْأُولَىٰ» نصب بقوله «بِمَيِّتِينَ» انتصاب المصدر بالفعل الواقع قبل كما تقول ما ضربت إلا ضربه واحده و التقدير فما نموت إلا موتتنا الأولى.

المعنى

هذا تمام الحكاية عن أحوال أهل الجنة و إقبال بعضهم على بعض فى المسائله عن الأخبار و الأحوال «قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ» أى من أهل الجنة «إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ» فى دار الدنيا أى صاحب يختص بى إما من الإنس على قول ابن عباس أو من الشيطان على قول مجاهد «يَقُولُ» لى على وجه الإنكار على و التهجين لفعلى «أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ» بيوم الدين و بالبعث و النشور و الحساب و الجزاء و الاستفهام هنا على وجه الإنكار «أَإِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا وَ عِظَامًا أَإِنَّا لَمَعْدِنُونَ» أى مجزيون محاسبون من قولهم كما تدين تدان و المعنى أن ذلك القرين كان يقول لى فى الدنيا على طريق الاستبعاد و الاستنكار أ نبعث بعد أن صرنا ترابا و عظاما باليه و نجازى على أعمالنا أى أن هذا لا يكون أبدا و هذا أبلغ فى النفى من أن يقول لا نبعث و لا نجازى «قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ» أى ثم قال هذا

المؤمن لا يخوانه في الجنة هل أنتم مطلعون على موضع من الجنة يرى منه هذا القرين يقال طلع على كذا إذا أشرف عليه و المعنى هل توثرون أن تروا مكان هذا القرين في النار و في الكلام حذف أى فيقولون له نعم أطلع أنت فأنت أعرف بصاحبك قال الكلبى و ذلك لأن الله تعالى جعل لأهل الجنة كوه ينظرون منها إلى أهل النار «فَاطَّلَعَ فَرَأَاهُ» أى فاطلع هذا المؤمن فرأى قرينه «فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ» أى فى وسط النار «قَالَ» أى فقال له المؤمن «تَاللَّهِ إِنْ كِدْتِ لَتَرِدِينَ» هذه إن المخففه من الثقيله بدلاله مصاحبه لام الابتداء لها فى قوله «لَتَرِدِينَ» أقسم بالله سبحانه على وجه التعجب إنك كدت تهلكنى بما قلته لى و دعوتنى إليه حتى يكون هلاكى كهلاك المتردى من شاهق و منه قوله وَ مَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى أى تردى فى النار «وَلَوْ لَا نِعْمَةُ رَبِّي» على بالعصمه و اللطف و الهدايه حتى آمنت «لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ» معك فى النار و لا يستعمل أحضر مطلقا إلا فى الشر قال قتاده فو الله لو لا أن الله عرفه إياه لما كان يعرفه لقد تغير حبره و سيره أى حسنه و سحناؤه «أَفَمَا نَحْنُ بِمَمِيَّتِينَ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَ مَا نَحْنُ بِمَمِيَّتَيْنِ» معناه أن هذا المؤمن يقول لهذا القرين على وجه التوبيخ و التقريرع أليس كنت فى الدنيا تقول أنا لا نموت إلا الموته التى تكون فى الدنيا و لا نعذب فقد ظهر الأمر بخلاف ذلك و قيل أن هذا من قول أهل الجنة بعضهم لبعض على وجه إظهار السرور بدوام نعيم الجنة و لهذا عقبه بقوله «إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» معناه فما نحن بميتين فى هذه الجنة إلا موتتنا التى كانت فى الدنيا و ما نحن بمعذبين كما وعدنا الله تعالى و يريدون به التحقيق لا الشك و إنما قالوا هذا القول لأن لهم فى ذلك سرورا مجددا و فرحا مضاعفا و إن كانوا قد عرفوا أنهم سيخلدون فى الجنة و هذا كما أن الرجل يعطى المال الكثير فيقول مستعجبا كل هذا المال لى و هو يعلم أن ذلك له و هذا كقوله:

أبطحاء مكة هذا الذى أراه عيانا و هذا أنا.

[سوره الصافات (٣٧): الآيات ٦١ الى ٧٠]

إشارة

لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (٦١) أ ذَلِكَ خَيْرٌ نَزَلًا أَمْ شَجَرَةُ الزُّقُومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلَعَهَا كَأَنَّه رُؤُسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥)

فَأِنَّهُمْ لَأَكَلُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْنَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (٦٨) إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (٦٩) فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ (٧٠)

النزل الريح و الفضل يقال لهذا الطعام نزل و نزل و قيل هى الأنزال التى يتقوت بها فتقيم الأبدان و تبقى عليها الأرواح و يقال أقمت للقوم نزلهم أى ما يصلح أن ينزلوا عليه من الغذاء و زعم قطرب أن الزقوم شجره مره تكون بتهامه قال أبو مسلم و ظاهر التلاوه يدل على أن العرب كانت لا تعرفها فلذلك فسر بعد ذلك. و الطلع حمل النخلة سمي بذلك لطلوعه و الشوب خلط الشىء بما ليس منه و هو شر منه. و الحميم الحار الذى يدنو من الإحراق المهلك قال:

أحم الله ذلك من لقاء أحاد أحاد فى الشهر الحلال

أى أدناه و حمم ريش الفرخ حين يدنو من الطيران و الحميم الصديق القريب أى الدانى من القلب و هرع الرجل و أهرع إذا استحث فأسرع قال الأزهري الإهراع الإسراع و المهرع الحريص.

المعنى

ثم قال سبحانه فى تمام الحكايه عن قول أهل الجنة «لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ» أى لمثل هذا الثواب و الفوز و الفلاح فليعمل العاملون فى دار التكليف و قيل إن هذا من قول الله تعالى أى لمثل هذا النعيم الذى ذكرناه و هو من قوله لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ إِلَى قول بَيِّضٌ مَّكْنُونٌ فليعمل العاملون هذا ترغيب فى طلب الثواب بالطاعه أى من كان يريد أن يعمل لنفع يرجوه فليعمل لمثل هذا النفع العظيم «أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ» أى أ ذلك الذى ذكرناه من قرى أهل الجنة و ما أعد لهم خير فى باب الأنزال التى يتقوت بها و يمكن معها الإقامة أم نزل أهل النار فيها عن الزجاج و قيل معناه أ سبب هذا المؤدى إليه خير أم سبب ذلك لأن الزقوم لا- خير فيه و قيل إنما جاز ذلك لأنهم لما عملوا بما أدى إليه فكأنهم قالوا فيه خير و قيل إنما قال خير على وجه المقابله فهم مثل قوله أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ مَقِيلًا و هذا كما يقول الرجل لعبده إن فعلت كذا أكرمتك و إن فعلت كذا

ضربتكم هذا خير أم ذلك و إن لم يكن فى الضرب خيرا و الزقوم ثمر شجرة متكمره جدا من قولهم تزقم هذا الطعام إذا تناوله على تكره و مشقه شديده و قيل الزقوم شجرة فى النار يقاتها أهل النار لها ثمره مره خشنه اللمس منتنه الرائحه و قيل إنها معروفه من شجر الدنيا تعرفها العرب و قيل إنها لا تعرفه فقد روى أن قريشا سمعت هذه الآية قالت ما نعرف هذه الشجرة فقال ابن الزبيرى الزقوم بكلام البربر التمر و الزبد و فى روايه بلغه اليمن فقال أبو جهل لجاريته يا جاريه زقمينا فأنته الجاريه بتمر و زيد فقال لأصحابه تزقموا بهذا الذى يخوفكم به محمد فيزعم أن النار تنبت الشجرة و النار تحرق الشجرة فأنزل الله سبحانه «إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ» أى خبره لهم افتتنوا بها و كذبوا بكونها فصارت فتنة لهم عن قتاده و الزجاج و قيل إن المراد بالفتنه العذاب أى جعلناها شدة عذاب لهم من قوله يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُقْتَلُونَ أى يعذبون عن الجبائى و أبى مسلم «إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ» أى إن الزقوم شجرة تنبت فى قعر جهنم و أغصانها ترفع إلى دركاتها عن الحسن و لا يبعد أن يخلق الله سبحانه بكمال قدرته شجرة فى النار من جنس النار أو من جوهر لا تأكله النار و لا تحرقه كما أنها لا تحرق السلاسل و الأغلال فيها و كما لا تحرق حياتها و عقاربها و كذلك الضريع و ما أشبه ذلك «طَلَعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ» يسأل عن هذا فيقال كيف شبه طلع هذه الشجرة برءوس الشياطين و هى لا تعرف و إنما يشبه الشىء بما يعرف و أجيب عنه بثلاثة أجوبه (أحدها) أن رءوس الشياطين ثمره يقال لها الأستن و إياه عنى الناغى بقوله:

تحيد عن أستن سود أسافله مثل الإمام اللواتى تحمل الحزما

و هذه الشجرة تشبه بنى آدم قال الأصمعى و يقال له الصوم و أنشد:

موكل بشدوف الصوم يرقبه من المعارم مهضوم الحشا زرم

يصف و علا يظن هذا الشجر قناصين فهو يرقبه و الشدوف الشخوص واحدها شدف (و ثانيا) أن الشيطان جنس من الحيات فشبه سبحانه طلع تلك الشجرة برءوس تلك الحيات أنشد الفراء:

عن جرد تحلف حين أحلف كمثل شيطان الحمام أعراف

أى له عرف و أنشد المبرد:

و فى البقل إن لم يدفع الله شره شياطين يعدو بعضهن على بعض

(و ثالثها) أن قبح صور الشياطين متصور فى النفوس و لذلك يقولون لما يستقبحونه جدا كأنه شيطان فشبه سبحانه طلع هذه الشجرة بما استقرت بشاعته فى قلوب الناس قال الراجز:

أبصرتها تلتهم الثعبانا شيطانه تزوجت شيطانا

و قال أبو النجم:

الرأس قمل كله و صئبان و ليس فى الرجلين إلا خيطان

و هى التى يفرع منها الشيطان و قال امرؤ القيس:

أ تقتلنى و المشرفى مضاجعى و مسنونه زرق كأنياب أغوال

فشبه أسنته بأنياب الأغوال و لم يقل أحد أنه رأى الغول و هذا قول ابن عباس و محمد ابن كعب القرظى و قال الجبائى إن الله تعالى يشوه خلق الشياطين فى النار حتى أنه لو رآهم راء من العباد لاستوحش منهم فلذلك شبه براءوسهم «فَأِنَّهُمْ لَأَكُلُونَ مِنْهَا» يعنى أن أهل النار لياكلون من ثمره تلك الشجرة «فَمَا لَوْ أَنَّ مِنْهَا الْبُطُونَ» أى يملئون بطونهم منها لشده ما يلحقهم من ألم الجوع و قد روى أن الله تعالى يجوعهم حتى ينسوا عذاب النار من شدة الجوع فيصرخون إلى مالك فيحملهم إلى تلك الشجرة و فيهم أبو جهل فيأكلون منها فتغلى بطونهم كغلى الحميم فيستسقون فيسقون شربه من الماء الحار الذى بلغ نهايته فى الحرارة فإذا قربوها من وجوههم شوت وجوههم فذلك قوله يَشْوَى الْوُجُوهَ فَإِذَا وَصَلَ إِلَى بَطُونِهِمْ صَهْرَ مَا فِي بَطُونِهِمْ كَمَا قَالَ سَبْحَانَهُ يُضَهِّرُ بِهِ مَا فِي بَطُونِهِمْ وَ الْجُلُودُ فَذَلِكَ شَرَابِهِمْ وَ طَعَامِهِمْ

ص: ٢٧٤

فذلك قوله «ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا» زياده على شجره الزقوم «لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ» أى خليطا و مزاجا من ماء حار يمزج ذلك الطعام بهذا الشراب و قيل إنهم يكرهون على ذلك عقوبه لهم «ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ» بعد أكل الزقوم و شراب الحميم «لِإِلَى الْجَحِيمِ» و ذلك أنهم يوردون الحميم لشربه و هو خارج عن الجحيم كما تورد الإبل إلى الماء ثم يردون إلى الجحيم و يدل على ذلك قوله يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَ بَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ و الجحيم النار الموقده و المعنى أن الزقوم و الحميم طعامهم و شرابهم و الجحيم المسعره منقلبهم و مأواهم «إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ» أى إن هؤلاء الكفار صادفوا آباءهم ذاهبين عن الحق و الدين «فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ» فى الضلال أى يقلدونهم و يتبعونهم اتباعا فى سرعه و قيل معناه يسرعون عن ابن عباس و الحسن و قيل يعملون بمثل أعمالهم عن الكلبي و قيل يستحثون عن أبى عبيده.

[سوره الصافات (٣٧): الآيات ٧١ الى ٨٢]

إشاره

وَ لَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (٧١) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ (٧٢) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ (٧٣) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٧٤) وَ لَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (٧٥)

وَ نَجِّنَاهُ وَ أَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَ جَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ (٧٧) وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (٧٨) سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٧٩) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٠)

إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (٨١) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ (٨٢)

المعنى

ثم أقسم سبحانه فقال «وَ لَقَدْ» اللام هى التى تدخل فى جواب القسم و قد للتأكيد «ضَلَّ قَبْلَهُمْ» أى قبل هؤلاء الكفار الذين هم فى عصر النبى ص عن طريق الهدى و اتباع الحق «أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ» من الأمم الخاليه و الأ-كثر هو الأ-عظم فى العدد و الأول هو الكائن قبل غيره و الأول قبل كل شىء هو الله سبحانه لأن كل ما سواه موجود بعده و فى هذه الآيه

دلاله على أن أهل الحق في كل زمان كانوا أقل من أهل الباطل «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ» من الأنبياء و المرسلين يخوفونهم من عذاب الله تعالى و يحذرونهم معاصيه «فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ» أى من المكذبين المعاندين للحق و المعنى فانظر يا محمد كيف أهلكتهم و ما ذا حل بهم من العذاب و كذلك يكون عاقبه المكذبين ثم استثنى من المنذرين فقال «إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ» الذين قبلوا من الأنبياء و أخلصوا عبادتهم لله تعالى فإن الله خلصهم من ذلك العذاب و وعدهم بجزييل الثواب «وَلَقَدْ نادانا نُوحٌ» أى دعانا نوح بعد ما يئس من إيمان قومه لئنصره عليهم و ذلك قوله أَنَّى مَغْلُوبٌ فَاتَّصِرْ «فَلَنَعْمَ الْمُجِيبُونَ» نحن لنوح فى دعائه أجبناه إلى ما سأل و خلصناه من أذى قومه بإهلا-كهم و قيل هو على العموم أى فلنعم المجييون نحن لمن دعانا «وَنَجَّيْنَاهُ وَ أَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ» أى من المكروه الذى كان ينزل به من قومه و الكرب كل غم يصل حره إلى الصدر و أصل النجاه من النجوه للمكان المرتفع فهى الرفع من الهلاك و أهله هم الذين نجوا معه فى السفينه «وَجَعَلْنَا دُرِّيَّتَهُ هُمَ الْبَاقِينَ» بعد الغرق فالناس كلهم بعد نوح من ولد نوح عن ابن عباس و قتاده فالعرب و العجم من أولاد سام بن نوح و الترك و الصقالبه و الخزر و يأجوج و مأجوج من أولاد يافث بن نوح و السودان من أولاد حام بن نوح قال الكلبي لما خرج نوح من السفينه مات من كان معه من الرجال و النساء إلا ولده و نساؤهم «وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ» أى تركنا عليه ذكرا جميلا و أثينا عليه فى أمه محمد ص فحذف عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و معنى تركنا أبقينا قال الزجاج معناه تركنا على الذكر الجميل إلى يوم القيامة و ذلك الذكر قوله «سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ» أى تركنا عليه أن يصلى عليه إلى يوم القيامة فكأنه قال و تركنا عليه التسليم فى الآخريين ثم فسر التسليم بقوله «سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ» و قال الفراء تركنا عليه قولاً و هو أن يقال فى آخر الأمم سلام على نوح فى العالمين قال الكلبي معناه سلامه منا على نوح و هذا هو السلام و المراد بقوله اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَ بَرَكَاتٍ عَلَيْكَ «إِنَّا كَذَلِكْ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» أى جزيناه ذلك الثناء الحسن فى العالمين بإحسانه عن مقاتل و قيل إن معناه مثل ما فعلنا بنوح نجزي كل من أحسن بأفعال الطاعات و تجنب المعاصى و نكافئهم بإحسانهم «إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ» يعنى نوحا و هذه الآية تتضمن مدح المؤمنين حيث خرج من بينهم مثل نوح «ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ» أى من لم يؤمن به و المعنى ثم أخبركم إنى أغرقت الآخريين.

النظم

الوجه فى اتصال قصه نوح و الأنبياء بما قبلها تسليه النبي ص فى كفر قومه بأن حالهم معه شبيهه بحال من تقدم من الأمم مع أنبيائهم و تحذير القوم عن سلوك مثل طريقتهم لئلا يعاقبوا بمثل عقوبتهم.

ص: ٢٧٨

اشاره

وَإِنَّ مِنْ شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (٨٥) أَإِنِّكَ آلِهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (٨٦) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٧)

فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (٩٠) فَرَاغَ إِلَى آلِهِتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَتَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ (٩٢)

فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (٩٣) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ (٩٤) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦) قَالُوا ابْتُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْفَوْهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧)

فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (٩٨) وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّهِدِينَ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠)

القراءه

قرأ حمزه وحده يزفون بضم الياء و الباقون بفتحها و فى الشواذ قراءه الحسن فراغ عليهم سفقاً و قراءه عبد الله بن زيد يزفون خفيفه الفاء.

الحجه

زفت الإبل تزف إذا أسرع و قراءه حمزه يزفون أى يحملون غيرهم على الزيف قال الأصمعى أزفت الإبل حملتها على أن تزف و هو سرعه المشى و مقاربه الخطو و المفعول محذوف على قراءته و قيل أيضا أن أزف لغه فى زف و لما يزفون بالتخفيف فذهب قطرب إلى أنها تخفيف يزفون كقوله وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ أى اقررن قال الهذلى:

و زفت الشول من برد العشى كما زف النعام إلى حفانه الروح

و الظاهر أن يزفون من وزف يزف مثل وعد يعد و أما قوله سفقا فهو من قولهم سفقت الباب و صفقته و الصاد أعرف و روى عن الحسن بالصاد أيضا.

اللغة

الشيعة الجماعة التابعة لرئيس لهم و صار بالعرف عباره عن شيعة على بن أبي طالب (عليه السلام) الذين كانوا معه على أعدائه و بعده مع من قام مقامه من أبنائه و

روى أبو بصير عن أبي جعفر (عليه السلام) قال ليهنكم الاسم قلت و ما هو قال الشيعة قلت إن الناس يعيروننا بذلك قال أما تسمع قول الله سبحانه «وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِبِرَاهِيمَ» و قوله فَاسْتِغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ

و الروغ الميل من جهه إلى جهه يقال راغ يروغ روغا و روغانا أى حاد و الرواغ الحياذ قال عدى بن زيد:

حين لا ينفع الرواغ و لا ينفع إلا المصادق التحرير

. الإعراب

آله بدل من قوله «إِفْكَاً» و إفكا مفعول تريدون. «فَمَا ظُنُّكُمْ» ما مبتدأ و ظنكم خبره و قوله «ضَرْباً» مصدر فعل محذوف و التقدير يضربهم ضربا و الباء فى قوله «بِالْيَمِينِ» متعلق بذلك المحذوف و «يَزْفُون» حال من أقبلوا «وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ» فى موضع نصب على الحال من تعبدون و التقدير أ تعبدون ما تنتحون مخلوقين. «هَبْ لِي» مفعوله محذوف أى ولدا.

المعنى

ثم أتبعه سبحانه و تعالى بقصه إبراهيم (عليه السلام) فقال «وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِبِرَاهِيمَ» أى و إن من شيعة نوح إبراهيم يعنى أنه على منهاجه و سنته فى التوحيد و العدل و اتباع الحق عن مجاهد و قيل إن معناه و إن من شيعة محمد إبراهيم كما قال أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ أى ذريه من هو أب لهم فجعلهم ذريه لهم و قد سبقوهم عن الفراء «إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» أى حين صدق الله و آمن به بقلب سليم خالص من الشرك برى ء من المعاصى و الغل و الغش، على ذلك عاش و عليه مات و قيل

بقلب سليم من كل ما سوى الله تعالى لم يتعلق بشى ء غيره عن أبى عبد الله (عليه السلام)

«إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ» حين رآهم يعبدون الأصنام من دون الله على وجه التهجين لفعالهم و التفرغ لهم «ما ذا تَعْبُدُونَ» أى أى شى ء تعبدون «أَأِفْكَاً آلِهَةً» الإفك هو أشنع الكذب و أفضعه و أصله قلب الشى ء عن جهته التى هى له فلذلك كان الكذب إفكا و إنما قال آلهه على اعتقاد المشركين و توهمهم الفاسد فى إلهيه الأصنام لما اعتقدوا أنها تستحق العباده ثم أكد التفرغ بقوله «دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ» أى تريدون عباده آلهه دون عباده الرحمن فحذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه لأن الإراده لا يصح تعلقها إلا

بما يصح حدوثه و الأجسام مما لا يصح أن تراد «فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ» أن يصنع بكم مع عبادتكم غيره و قيل معناه كيف تظنون برب تأكلون رزقه و تعبدون غيره و قيل معناه ما تظنون بربكم إنه على أى صفة و من أى جنس من أجناس الأشياء حين شبهتم به هذه الأصنام و فيه إشارة إلى أنه لا- يشبه شيئاً «فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ» اختلف فى معناه على أقوال (أحدها) أنه (عليه السلام) نظر فى النجوم فاستدل بها على وقت حمى كانت تعتاده فقال «إِنِّي سَقِيمٌ» أراد أنه قد حضر وقت علته و زمان نوبتها فكأنه قال إنى سأسقم لا محاله و حان الوقت الذى تعترينى فيه الحمى و قد يسمى المشارف للشىء باسم الداخل فيه قال الله تعالى إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ و لم يكن نظره فى النجوم على حسب ما ينظره المنجمون طلباً للأحكام و مثله قول الشاعر:

اسهرى ما سهرت أم حكيم و اقعدى مره لذاك و قومى

و افتحى الباب و انظرى فى النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم

(و ثانيها) أنه نظر فى النجوم كمنظروهم لأنهم كانوا يتعاطون علم النجوم فأوهمهم أنه يقول بمثل قولهم فقال عند ذلك «إِنِّي سَقِيمٌ» فتركوه ظناً منهم أن نجمه يدل على سقمه و يجوز أن يكون الله تعالى أعلمه بالوحى أنه سيسقمه فى وقت مستقبل و جعل العلامة على ذلك إما طلوع نجم على وجه مخصوص أو اتصاله بآخر على وجه مخصوص فلما رأى إبراهيم تلك الأماره قال «إِنِّي سَقِيمٌ» تصديقا بما أخبره الله تعالى (و ثالثها) أن معناه نظر فى النجوم نظر تفكر فاستدل بها كما قصه الله تعالى فى سورة الأنعام على كونها محدثه غير قديمه و لا آلهه و أشار بقوله «إِنِّي سَقِيمٌ» على أنه فى حال مهله النظر و ليس على يقين من الأمر و لا شفاء من العلم و قد يسمى الشك بأنه سقم كما يسمى العلم بأنه شفاء و إنما زال عنه هذا السقم عند زوال الشك و كمال المعرفة عن أبى مسلم و هذا الوجه ضعيف لأن سياق الآيه يمنع منه فإن قوله «إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ» إلى هذا الموضع من قصته يبين أنه (عليه السلام) لم يكن فى زمان مهله النظر و أنه كان كامل المعرفة خالص اليقين و البصيره (و رابعها) أن معنى قوله «إِنِّي سَقِيمٌ» إنى سقيم القلب أو الرأى حزنا من إصرار القوم على عباده الأصنام و هى لا تسمع و لا تبصر و يكون على هذا معنى نظره فى النجوم فكرته فى أنها محدثه مخلوقه مدبره و تعجبه كيف ذهب على العقلاء ذلك من حالها حتى عبدوها و ما

رواه العياشى بإسناده عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام) أنهما قالوا و الله ما كان سقيما و ما كذب

فيمكن أن يحمل على أحد الوجوه التى ذكرناها و يمكن أن يكون على وجه التعريض بمعنى أن كل من كتب عليه

الموت فهو سقيم و إن لم يكن به سقم فى الحال و ما روى أن إبراهيم (عليه السلام) كذب ثلاث كذبات قوله «إِنِّي سَيِّئٌ» و قوله بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا و قوله فى ساره أنها أختى فىمكن أن يحمل أيضا على المعارىض أى سأسقم و فعله كبرىهم على ما ذكرناه فى موضعه و ساره أخته فى الدين و قد ورد فى الخبر إن فى المعارىض لمندوحوه عن الكذب و المعارىض أن يقول الرجل شىئا يقصد به غيره و يفهم عنه غير ما يقصده و لا يكون ذلك كذبا فإن الكذب قبيح بعينه و لا يجوز ذلك على الأنبياء لأنه يرفع الثقة بقولهم جل أمناء الله تعالى و أصفياؤه عن ذلك و قوله «فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ» إخبار عن قومه أنهم لما سمعوا قوله «إِنِّي سَيِّئٌ» تركوه و أعرضوا عنه و خرجوا إلى عيدهم «فَرَأَى إِلَى آلِهِتِهِمْ» معناه فمال إلى أصنامهم التى كانوا يدعونها آلهم «فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ» خاطبها و إن كانت جمادا على وجه التهجين لعابديها و تنبيههم على أن من لا يتكلم و لا يقدر على الجواب كيف تصح عبادتها و كانوا صنعوا للأصنام طعاما تقربا إليها و تبركا بها فلما لم تجيبوه قال «مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ» زياده فى تهجين عابديها كأنهم حاضرون لها أى ما لكم لا تجيبون و فى هذا تنبيه على أنها جماد لا تأكل و لا تنطق فهى أحسن الأشياء و أقلها «فَرَأَى عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ» أى فمال على الأصنام يضربها و يكسرها باليد اليمنى لأنها أقوى على العمل عن الريع بن أنس و قيل المراد باليمين القوه كما فى قوله:

" تلقاها عرابه باليمين "

عن الفراء و هو قول السدى و قيل معناه بالقسم الذى سبق منه و هو قوله وَ تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ «فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ» أى أقبلوا بعد الفراغ من عيدهم إلى إبراهيم يسرعون عن الحسن و ابن زيد و قيل يزفون زفيف النعام و هو حاله بين المشى و العدو عن مجاهد و فى هذا دليل أنهم أخبروا بصنيع إبراهيم بأصنامهم فقصده مسرعين و حملوه إلى بيت أصنامهم و قالوا له أنت فعلت هذا بالهتنا فأجابهم على وجه الحجاج عليهم بأن «قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ» فهو استفهام معناه الإنكار و التوبيخ أى كيف يصح أن يعبد الإنسان ما يعمل بيده فإنهم كانوا ينحتون الأصنام بأيديهم «وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ وَ مَا تَعْمَلُونَ» أى و خلق ما علمتم من الأصنام فكيف تدعون عبادته و تعبدون معمولكم و هذا كما يقال فلان يعمل الحصر و هذا الباب من عمل فلان النجار قال الحسن معناه و خلق أصل الحجاره التى تعملون منها الأصنام و هذا يجرى مجرى قوله تَلَقَّفْ مَا يَأْفِكُونَ* و قوله تَلَقَّفْ مَا صَيَّرَعُوا فى أنه أراد المنحوت من الجسم هنا دون العرض الذى هو النحت كما أراد هناك المأفوك فيه و المصنوع فيه من الحبال و العصى دون العرض الذى هو فعلهم فليس لأهل الجبر تعلق بهذه الآيه فى الدلاله على أن الله سبحانه خالق لأفعال العباد لأن من المعلوم أن الكفار لم يعبدوا نحتهم

الذى هو فعلهم و إنما كانوا يعبدون الأصنام التى هى الأجسام و قوله «ما تَنحِتُونَ» هو ما يعملون فى المعنى على أن مبنى الآيه على التقريع للكفار و الإيزراء عليهم بقبیح فعلهم و لو كان معناه و الله خلقكم و خلق عبادتكم لكانت الآيه إلى أن تكون عذرا لهم أقرب من أن تكون لوما و تهجينا و لكان لهم أن يقولوا و لم توبخنا على عبادتها و الله تعالى هو الفاعل لذلك فتكون الحجة لهم لا عليهم و لأنه قد أضاف العمل إليهم بقوله «تَعْمَلُونَ» فكيف يكون مضافا إلى الله تعالى و هذا تناقض و لما لزمهم الحجة «قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا» قال ابن عباس بنوا حائطا من حجاره طوله فى السماء ثلاثون ذراعا و عرضه عشرون ذراعا و ملئوه نارا و طرحوه فيها و ذلك قوله «فَأَلْقَوْهُ فِي الْجَحِيمِ» قال الزجاج كل نار بعضها فوق بعض فهى جحيم و قيل إن الجحيم النار العظيمة «فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا» أى حيله و تدييرا فى إهلاكه و إحراقه بالنار «فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ» بأن أهلكتناهم و نجينا إبراهيم و سلمناه و رددنا كيدهم عنه و قيل بأن أشرفوا عليه فأوه سالما و تحققوا أن كيدهم لا ينفذ فيه و علموا أنهم مغلوبون «وَقَالَ» إبراهيم «إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي» قال ابن عباس معناه مهاجر إلى ربي أى أهاجر ديار الكفار و أذهب إلى حيث أمرنى الله تعالى بالذهاب إليه و هى الأرض المقدسة و قيل إنى ذاهب إلى مرضاه ربي بعملى و نيتى عن قتاده «سَيَهْدِينِ» أى يهدينى ربي فيما بعد إلى طريق المكان الذى أمرنى بالمصير إليه أو إلى الجنة بطاعتي إياه قال مقاتل و هو أول من هاجر و معه لوط و ساره إلى الشام و إنما قال «سَيَهْدِينِ» ترغيبا لمن هاجر معه فى الهجرة و توبيخا لقومه فلما قدم الأرض المقدسه سأل إبراهيم ربه الولد فقال «رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ» أى ولدا صالحا من الصالحين كما تقول أكلت من الطعام فحذف لدلاله الكلام عليه.

[سوره الصافات (٣٧): الآيات ١٠١ الى ١١٣]

إشارة

فَبَشِّرْهُنَّ بِبُحْبُوحِ جَنَّةٍ أَلْفَ مِائَةٍ أَوْ مِائَةٍ أَوْ نِصْفٍ أُولَئِكَ فِي أَجْرٍ كَثِيرٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَ نَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥)

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَ فَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠)

إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١) وَ بَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٢) وَ بَارَكْنَا عَلَيْهِ وَ عَلَى إِسْحَاقَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ (١١٣)

قرأ أهل الكوفه غير عاصم ما ذا ترى بضم التاء و كسر الراء و الباقون بفتح التاء و الراء و فى الشواذ قراءه الأعمش و الضحاك بضم التاء و فتح الراء و

روى عن على (عليه السلام) و ابن مسعود و ابن عباس و مجاهد و الضحاك و الأعمش و جعفر بن محمد فلما سلما بغير ألف و لام مشدده.

الحجه

قال أبو على من فتح التاء فقال «ما ذا ترى» كان مفعول ترى أحد الشئيين إما أن يكون ما ذا فى موضع نصب بأنه مفعول و يكون بمنزله اسم واحد و إما أن يكون ذا بمنزله الذى فيكون مفعول ترى الهاء المحذوفه من الصله و يكون ترى على هذا معناها الرأى و ليس إدراك الحاسه كما تقول فلان يرى رأى أبى حنيفه و إذا جعلت ذا بمعنى الذى صار تقديره ما الذى تراه فيصير ما فى موضع ابتداء و الذى فى موضع خبره و يكون المعنى ما الذى تذهب إليه فيما ألقى إليك هل تستسلم له و تتلقاه بالقبول أو تأتى غير ذلك و من قرأ ما ذا ترى فيجوز أن يكون ما مع ذا بمنزله اسم واحد فيكونا فى موضع نصب و المعنى أ جلدا ترى على ما تحمل عليه أم خوار أو يجوز أن يكون ما مبتدأ و ذا بمعنى الذى و يعود إليه الذكر المحذوف من الصله و الفعل منقول من رأى زيد الأمر و أريته الشىء إلا أنه من باب أعطيت فيجوز الاقتصار على أحد المفعولين دون الآخر كما أن أعطيت كذلك و لو ذكرت المفعول الآخر كان أريت زيدا خالدا و قال ابن جنى من قرأ ما ذا ترى فالمعنى ما ذا يلقى إليك و يوقع فى خاطرك و من قرأ «ما ذا ترى» فالمعنى ما ذا تشير به و تدعو إلى العمل بحسبه و هو من قولك ما رأيك فى كذا و منه قوله لَتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ أى بما يحضرك إياه الرأى و خاطر و أما قوله «أَسْلَمًا» فمعناه فوضا و أطاعا و أما سلما فمن التسليم أى سلما أنفسهما و أراهما كالتسليم باليد لما أمرا به و لم يخالفا ما أريد منهما من إجماع إبراهيم الذبح و إسحاق أو إسماعيل الصبر.

اللغه

التل الصرع و منه التل من التراب جمعه تلول و التليل العنق لأنه يتل و الجبين

ما عن يمين الجبهه و شمالها و للوجه جبينان الجبهه بينهما و الذبح بكسر الذاال المهيا لأن يذبح و بفتح الذاال المصدر.

الإعراب

اختلف فى جواب لما من قوله «فَلَمَّا أَسِيَلَمَّا» فقيل هو محذوف و تقديره فلما أسلما و تله للجبين و نادينه فإزا و ظرفا بما أرادا و قيل جوابه نادينه و الواو زائده. نيبا منصوب بأنه حال من «فَبَشَّرْنَاهُ» و ذو الحال إسحاق.

المعنى

ثم أخير سبحانه أنه استجاب لإبراهيم دعاءه بقوله «فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ» أى بابن وقور عن الحسن قال و ما سمعت الله تعالى نحل عباده شيئا أجل من الحلم و الحليم الذى لا يعجل فى الأمر قبل وقته مع القدره عليه و قيل الذى لا يعجل بالعقوبه قال الزجاج و هذه البشاره تدل على أن الغلام يبقى حتى ينتهى فى السن و يوصف بالحلم ثم أخير سبحانه أن الغلام الذى بشره به ولد له و ترعرع بقوله «فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ» أى شب حتى بلغ سعيه سعى إبراهيم عن مجاهد و المعنى بلغ إلى أن يتصرف و يمشى معه و يعينه على أموره قالوا و كان يومئذ ابن ثلاث عشره سنه و قيل يعنى بالسعى العمل لله و العباده عن الحسن و الكلبي و ابن زيد و مقاتل «قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى» معنى رأى فى الكلام على خمسه أوجه (أحدها) أبصر (و الثانى) علم نحو رأيت زيدا عالما (و الثالث) ظن كقوله تعالى إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَ نَرَاهُ قَرِيباً (و الرابع) اعتقد نحو قوله:

و إنا لقوم ما نرى القتل سبه إذا ما رأته عامر و سلول

(و الخامس) بمعنى رأى نحو رأيت هذا رأى و أما رأيت فى المنام فمن رؤيه البصر فمعنى الآيه أن إبراهيم قال لابنه إني أبصرت فى المنام رؤيا تأويلها الأمر بذبحك فانظر ما ذا تراه أو أى شىء ترى من رأى و لا يجوز أن يكون ترى هاهنا بمعنى تبصر لأنه لم يشر إلى شىء يبصر بالعين و لا يجوز أن يكون بمعنى علم أو ظن أو اعتقد لأن هذه الأشياء تتعدى إلى مفعولين و ليس هنا إلا مفعول واحد مع استحاله المعنى فلم يبق إلا أن يكون من رأى و الأولى أن يكون الله تعالى قد أوحى إليه فى حال اليقظه و تعبده بأن يمضى ما يأمره به فى حال نومه من حيث إن منامات الأنبياء لا تكون إلا صحيحه و لو لم يأمره بذلك فى حال اليقظه لما كان يجوز أن يعمل على ما يراه فى المنام و قال سعيد بن جبير عن ابن عباس منامات الأنبياء وحي و قال قتاده رؤيا الأنبياء حق إذا رأوا شيئا فعلوه و قال أبو مسلم رؤيا الأنبياء مع أن

جميعها صحيحه ضربان (أحدهما) أن يأتي الشىء كما رأوه و منه قوله سبحانه لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ
 الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ الْآيَةَ (و الآخر) أن يكون عباره عن خلاف الظاهر مما رأوه فى المنام و ذلك كرؤيا يوسف الأحد عشر كوكبا و
 الشمس و القمر ساجدين و كان رؤيا إبراهيم من هذا القبيل لكنه لم يأمن أن يكون ما رآه مما يلزمه العمل به على الحقيقه و لا
 يسعه غير ذلك فلما أسلما أعلمه الله سبحانه أنه صدق الرؤيا بما فعله و فدى ابنه من الذبيح بالذبيح «قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ» أى
 ما أمرت به «سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ» أى ستصادفنى بمشيئه الله و حسن توفيقه ممن يصبر على الشدائد فى جنب الله و
 يسلم لأمره «فَلَمَّا أَسْلَمَا» أى استسلما لأمر الله و رضا به و أطاعاه و قيل معناه سلم الأب ابنه لله و سلم الابن نفسه لله «و تَلَّ لِلْحَيِّينِ»
 أى أضجعه على جبينه عن الحسن و قيل معناه وضع جبينه على الأرض لثلا يرى وجهه فتلحقه رقه الآباء عن ابن عباس و روى
 أنه قال اذبحنى و أنا ساجد لا- تنظر إلى وجهى فعسى أن ترحمنى فلا- تذبحنى «و نَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ» تقديره نادينه بأن يا
 إبراهيم أى بهذا الضرب من القول «فَدَّ صَدَقَتِ الرُّؤْيَا» أى فعلت ما أمرت به فى الرؤيا «إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» أى كما
 جزيناه بالعفو عن ذبح ابنه نجزى من سلك طريقهما فى الإحسان بالاستسلام و الانقياد لأمر الله «إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ» أى إن
 هذا لهو الامتحان الظاهر و الاختبار الشديد و قيل إن هذا لهو النعمه الظاهره و تسمى النعمه بلاء بسببها المؤدى إليها كما يقال
 لأسباب الموت هى الموت لأنها تؤدى إليه و اختلف العلماء فى الذبيح على قولين (أحدهما)

أنه إسحاق و روى ذلك عن على (عليه السلام)

و ابن مسعود و قتاده و سعيد بن جبير و مسروق و عكرمه و عطا و الزهرى و السدى و الجبائى و القول الآخر أنه إسماعيل عن
 ابن عباس و ابن عمر و سعيد بن المسيب و الحسن و الشعبي و مجاهد و الربيع بن أنس و الكلبي و محمد بن كعب القرظى و
 كلا القولين قد رواه أصحابنا عن أئمتنا (عليه السلام) إلا أن

الأظهر فى الروايات أنه إسماعيل

و يعضده قوله بعد قصه الذبيح «و بَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ» و من قال إنه بشر بنوه إسحاق فقد ترك الظاهر و لأنه قال
 فى موضع آخر فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَ مِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ فبشره بإسحاق و بأنه سيولد له يعقوب فكيف يبشره بذريه إسحاق
 ثم يأمره بذبح إسحاق مع ذلك و قد صح

عن النبى ص أنه قال أنا ابن الذبيحين

و لا خلاف أنه من ولد إسماعيل و الذبيح الآخر هو عبد الله أبوه و حجه من قال إنه إسحاق أن أهل الكتابين أجمعوا على ذلك
 و جوابه أن إجماعهم ليس بحجه و قولهم غير مقبول و روى محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظى قال كنت عند عمر
 بن عبد العزيز فسألنى عن الذبيح فقلت إسماعيل و استدلت بقوله «و بَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ» فأرسل إلى رجل بالشام

كان يهوديا فأسلم و حسن إسلامه و كان يرى أنه من علماء اليهود فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك و أنا عنده فقال إسماعيل ثم قال و الله يا أمير المؤمنين إن اليهود لتعلم ذلك و لكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أبوكم الذى كان من أمر الله فيه ما كان فهم يجحدون ذلك و يزعمون أنه إسحاق لأن إسحاق أبوهم و قال الأصمعى سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح إسحاق أم إسماعيل فقال يا أصمعى أين ذهب عنك عقلك و متى كان إسحاق بمكة و إنما كان بمكة إسماعيل و هو بنى البيت مع أبيه و المنحر بمكة لا شك فيه و قد استدل بهذه الآيه من أجاز نسخ الشئ ء قبل وقت فعله فقال إن الله تعالى نهاه عن ذبحه بعد أن أمره به و قد أجيب عن ذلك بأجوبه (أحدها) أنه سبحانه لم يأمر إبراهيم بالذبيح الذى هو فرى الأوداج و إنما أمره بمقدمات الذبيح من الإضجاع و تناول المديه و ما يجرى مجرى ذلك و العرب قد تسمى الشئ ء باسم مقدماته و لهذا قال «فَدَّيْتِ الرُّؤْيَا» و لو كان أمره بالذبيح لكان إنما صدق بعض الرؤيا و أما الفداء بالذبيح فلما كان يتوقعه من الأمر بالذبيح و لا يمتنع أيضا أن يكون فديه عن مقدمات الذبيح لأن الفديه لا يجب أن تكون من جنس المفدى أ لا ترى أن حلق الرأس قد يفدى بدم ما يذبح و كذلك لبس الثوب المخيط و الجماع و غير ذلك (و ثانيها) أنه (عليه السلام) إنما أمر بصورة الذبيح و قد فعله لأنه فرى أوداج ابنه و لكنه كلما فرى جزءا منه و جاوزه إلى غيره عاد فى الحال ملتحما فإن قلت إن حقيقه الذبيح هو قطع مكان مخصوص تزول معه الحياه فالجواب أن ذلك غير مسلم لأنه يقال ذبح هذا الحيوان و لم يمت بعد و لو سلمنا أن حقيقه الذبيح ذلك لكان لنا أن نحمل الذبيح على المجاز للدال عليه (و ثالثها) أن الله تعالى أمره بالذبيح إلا أنه سبحانه جعل على عنقه صفحه من نحاس و كلما أمر إبراهيم السكين عليه لم يقطع أو كان كلما اعتمد على السكين انقلب على اختلاف الروايه فيه و هذا التأويل يسوغ إذا قلنا إنه كان مأمورا بما يجرى مجرى الذبيح و لا يسوغ إذا قلنا إنه أمر بحقيقه الذبيح لأنه يكون تكليف لما لا يطاق ثم قال سبحانه «وَ فَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ» الفداء جعل الشئ ء مكان الشئ ء لدفع الضرر عنه و الذبيح هو المذبوح و ما يذبح و معناه أنا جعلنا الذبيح بدلا عنه كالأسير يفدى بشئ ء و اختلف فى الذبيح فقيل كان كبشا من الغنم عن ابن عباس و مجاهد و الضحاك و سعيد بن جبير قال ابن عباس هو الكبش الذى تقبل من هاييل حين قربه و قيل فدى بوعل أهبط عليه من ثبير عن الحسن و لم سمي عظيما فيه خلاف قيل لأنه كان مقبولا عن مجاهد و قيل لأن قدر غيره من الكباش يصغر بالإضافه إليه و قيل لأنه رعى فى الجنة أربعين خريفا عن سعيد

ابن جبير وقيل لأنه كان من عند الله كونه و لم يكن عن نسل وقيل لأنه فداء عبد عظيم «و تَرَكَنا عَلَيْهِ فِي الْأَخْرَيْنِ سِلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ» قد مضى تفسير ذلك «و بَشَّرناه بِإِسْحاقَ» أى بولاده إسحاق «نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ» أى ولدا نبيا من جملة الأنبياء الصالحين و هذا ترغيب فى الصلاح بأن مدح مثله فى جلالته بالصلاح و من قال إن الذبيح إسحاق قال يعنى بشرناه بنبوه إسحاق و آتينا إسحاق النبوه بصبره «و بَارَكنا عَلَيْهِ وَ عَلَى إِسْحاقَ» أى و جعلنا فيما أعطيناها من الخير و البركه يعنى النماء و الزيادة و معناه و جعلنا ما أعطيناها من الخير دائما ثابتا ناميا و يجوز أن يكون أراد كثره ولدهما و بقاءهم قرنا بعد قرن إلى أن تقوم الساعة «و مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا» أى و من أولاد إبراهيم و إسحاق «مُحْسِنٌ» بالإيمان و الطاعة «وَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ» بالكفر و المعاصى «مُؤْمِنٌ» بين الظلم.

[القصة]

من ذهب إلى الذبيح إسحاق ذكر أن إبراهيم لما فارق قومه مهاجرا إلى الشام هاربا بدينه كما حكى الله سبحانه عنه بقوله إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ دعا الله سبحانه أن يهب له ولدا ذكرا من ساره فلما نزل به أضيافه من الملائكة المرسلين إلى المؤمنفكه و بشروه بغلام حلیم قال إبراهيم حين بشر به هو إذا له ذبيح فلما ولد الغلام و بلغ معه السعى قيل له أوف بندرك الذى نذرت فكان هذا هو السبب فى أمره (عليه السلام) بذبح ابنه فقال إبراهيم (عليه السلام) عند ذلك لإسحاق انطلق تقرب قربانا لله و أخذ سكيانا و حبلا- ثم انطلق معه حتى إذا ذهب به بين الجبال قال له الغلام يا أبه أين قربانك فقال: يا بَنِيَّ إِنِّي أرى فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ إِلَى آخِرِهِ عَنِ السَّدى و قيل إن إبراهيم رأى فى المنام أن يذبح ابنه إسحاق و قد كان حجج بوالدته ساره و أهله فلما انتهى إلى منى رمى الجمره هو و أهله و أمر ساره فزارت البيت و احتبس الغلام فانطلق به إلى موضع الجمره الوسطى فاستشاره فى نفسه فأمره الغلام أن يمضى ما أمره الله و سلما لأمر الله فأقبل شيخ فقال يا إبراهيم ما تريد من هذا الغلام قال أريد أن أذبحه فقال سبحانه الله تريد أن تذبح غلاما لم يعص الله طرفه عين قط قال إبراهيم إن الله أمرنى بذلك قال ربك ينهاك عن ذلك و إنما أمرك بهذا الشيطان فقال إبراهيم لا و الله فلما عزم على الذبح قال الغلام يا أبنا خمر وجهى و شد وثاقى قال إبراهيم يا بنى الوثاق مع الذبح و الله لا أجمعهما عليك اليوم و رفع رأسه إلى السماء ثم انحنى عليه بالمديه و قلب جبرائيل المديه على قفاها و اجتر الكبش من قبل ثبير و اجتر الغلام من تحته و وضع الكبش مكان الغلام و نودى من ميسره مسجد الخيف يا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا بِإِسْحاقَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ قال و لحق إبليس بأمر الغلام حين زارت البيت

ص: ٢٨٨

فقال لها ما شيخ رأيته بمنى قالت ذاك بعلى قال فوصيف رأيته قالت ذاك ابني قال فإني رأيته وقد أضجعه و أخذ المديه ليذبحه قالت كذبت إبراهيم أرحم الناس فكيف يذبح ابنه قال فو رب السماء و رب هذه الكعبه قد رأيته كذلك قالت و لم قال زعم أن ربه أمره بذلك قالت حق له أن يطيع ربه فوقع في نفسها أنه قد أمر في ابنها بأمر فلما قضت نسكها أسرع في الوادى راجعه إلى منى واضعه يديها على رأسها و هى تقول يا رب لا- تؤاخذنى بما عملت بأمر إسماعيل فلما جاءت ساره و أخبرت الخير قامت إلى ابنها تنظر فرأت إلى أثر السكين خدشا في حلقة ففزعت و اشتكت و كانت بدو مرضها الذى هلكت به رواه العياشى و على بن إبراهيم بالإسناد فى كتابيهما و من قال أن الذبيح إسماعيل فمنهم محمد بن إسحاق بن يسار و ذكر أن إبراهيم كان إذ زار إسماعيل و هاجر حمل على البراق فيغدو من الشام فيقبل بمكه يروح من مكه فيبيت عند أهله بالشام حتى إذا بلغ معه السعى رأى فى المنام أن يذبحه فقال له يا بنى خذ الحبل و المديه ثم انطلق بنا إلى هذا الشعب لنحتطب فلما خلا إبراهيم بابنه فى شعب ثبير أخبره بما قد ذكره الله عنه فقال يا أبت اشدد رباطى حتى لا اضطرب و اكفف عنى ثيابك حتى لا تنتضح من دمي شيئا فتراه أمى و اشحذ شفرتك و أسرع مر السكين على حلقي ليكون أهون على فإن الموت شديد فقال له إبراهيم نعم العون أنت يا بنى على أمر الله ثم ذكر نحو ما تقدم ذكره و

روى العياشى بإسناده عن بريده بن معاويه العجلي قال قلت لأبى عبد الله (عليه السلام) كم كان بين بشاره إبراهيم (عليه السلام) بإسماعيل (عليه السلام) و بين بشارته بإسحاق قال كان بين البشارتين خمس سنين قال الله سبحانه فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ يعنى إسماعيل و هى أول بشاره بشر الله بها إبراهيم فى الولد و لما ولد لإبراهيم إسحاق من ساره و بلغ إسحاق ثلاث سنين أقبل إسماعيل (عليه السلام) إلى إسحاق و هو فى حجر إبراهيم فنجاه و جلس فى مجلسه فبصرت به ساره فقالت يا إبراهيم ينحى ابن هاجر ابني من حجرك و يجلس هو فى مكانه لا و الله لا تجاورنى هاجر و ابنها فى بلاد أبدا فنحهما عنى و كان إبراهيم مكرما لساره يعزها و يعرف حقها و ذلك لأنها كانت من ولد الأنبياء و بنت خالته فشق ذلك على إبراهيم و اغتم لفراق إسماعيل (عليه السلام) فلما كان فى الليل أتى إبراهيم آت من ربه فأراه الرؤيا فى ذبح ابنه إسماعيل بموسم مكه فأصبح إبراهيم حزينا للرؤيا التى رآها فلما حضر موسم ذلك العام حمل إبراهيم هاجر و إسماعيل فى ذى الحجه من أرض الشام فانطلق بهما إلى مكه ليذبحه فى الموسم فبدأ بقواعد البيت الحرام فلما رفع قواعد خرج إلى منى حاجا و قضى نسكه بمنى و رجع إلى مكه فطافا بالبيت أسبوعا ثم انطلقا إلى السعى فلما صارا فى المسعى قال إبراهيم (عليه السلام) لإسماعيل (عليه السلام) يا بنى إني أرى فى المنام أنى أذبحك فى موسم عامى هذا فما ذا ترى قال يا

أبتِ افعل ما تؤمر فلما فرغا من سعيهما انطلق به إبراهيم إلى منى و ذلك يوم النحر فلما انتهى به إلى الجمره الوسطى و أضجعه
لجنبه الأيسر و أخذ الشفره ليذبحه نودى أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إلى آخره و فدى إسماعيل بكبش عظيم فذبحه و
تصدق بلحمه على المساكين

و

عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام) قال سألته عن كبش إبراهيم (عليه السلام) ما كان لونه قال أملح أقرن و نزل من
السماء على الجبل الأيمن من مسجد منى بحيال الجمره الوسطى و كان يمشى فى سواد و يأكل فى سواد و ينظر فى سواد و يبعثر
فى سواد و يبول فى سواد

و

عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه سأل عن صاحب الذبح قال هو إسماعيل

و

عن زياد بن سوجه عن أبي جعفر (عليه السلام) قال سألته عن صاحب الذبح فقال إسماعيل (عليه السلام).

[سوره الصافات (٣٧): الآيات ١١٤ الى ١٢٢]

إشارة

وَ لَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَ هَارُونَ (١١٤) وَ نَجَّيْنَاهُمَا وَ قَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (١١٥) وَ نَصَرْنَاهُمْ فَاكُونُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (١١٦) وَ
آتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (١١٧) وَ هَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (١١٨)

وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ (١١٩) سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَ هَارُونَ (١٢٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٢١) إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا
الْمُؤْمِنِينَ (١٢٢)

اللغة

أصل المن القطع و منه قوله لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ* أى غير مقطوع و جبل منين أى منقطع و النصر المعونه إلا أن كل نصر معونه
و ليس كل معونه نصر لأن النصر يختص بالمعونه على الأعداء و المعونه عامه.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم بذكر موسى و هارون فقال «وَ لَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَ هَارُونَ» أى أنعمنا عليهما نعمًا قطعت عنهما
كل أذيه فمنها النبوه و منها النجاه من آل فرعون و منها سائر النعم الدينيه و الدنياويه «وَ نَجَّيْنَاهُمَا وَ قَوْمَهُمَا» بنى إسرائيل «مِنْ

الْكُرْبِ الْعَظِيمِ» من تسخير قوم فرعون إياهم و استعمالهم فى الأعمال الشاقة و قيل من الغرق «و نَصِيْرُنَاهُمْ» على فرعون و قومه «فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ» القاهرين بعد أن كانوا مغلوبين مقهورين «و آتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ» يعنى التوراه الداعى إلى نفسه بما فيه من البيان و كذلك كل كتب الله تعالى بهذه الصفه «و هَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» أى دللناهما على الطريق

ص: ٢٩٠

المؤدى إلى الحق الموصل إلى الجنة «وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا» الثناء الجميل «فِي الْآخِرِينَ» بأن قلنا «سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَ هَارُونَ» و قد مر القول فى ذلك «إِنَّا كَذَلِكْ» مثل ما فعلنا بهما «نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» نفعل بالمطيعين نجزيهم ذلك على طاعتهم و فى هذا دلالة على أن ما ذكره الله كان على وجه الثواب لموسى و هارون و من تقدم ذكره لأن لفظ الجزاء يفيد ذلك «إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ» أى من جملة عبادنا المصدقين بجمع ما أوجبه الله تعالى عليهم العاملين بذلك.

[سوره الصافات (٣٧): الآيات ١٢٣ الى ١٣٢]

إشاره

وَ إِنَّ إِيَّاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) أَ تَدْعُونَ بَعْلًا وَ تَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥) اللَّهُ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (١٢٦) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٢٧)

إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ (١٢٨) وَ تَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٢٩) سَلَامٌ عَلَى إِيَّاسِينَ (١٣٠) إِنَّا كَذَلِكْ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٣١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١٣٢)

القراءه

قرأ أهل العراق غير أبى عمرو و أبى بكر «اللَّهُ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ» بالنصب و الباقون برفع الجميع و قرأ ابن عامر و نافع و رويس عن يعقوب آل يس بفتح الألف و كسر اللام المقطوعه من ياسين و الباقون «إِلَّ يَاسِينَ» بكسر الألف و سكون اللام موصوله بياسين و فى الشواذ قراءه ابن مسعود و يحيى و الأعمش و الحكم بن عيينه و أن إدريس سلام على إدرايين، و قراءه ابن محيصن و أبى رجاء و أن إلياس و سلام على الياسين بغير همز.

الحجه

من قرأ الله ربكم فهو على الاستئناف و من نصب فعلى البدل من «أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ» و قال أبو على من قرأ آل يس فحجته أنها فى المصحف مفصولة من يس و فى فصلها دلالة على أن آل هو الذى تصغيره أهيل و قال الزجاج من قرأ «إِلَّ يَاسِينَ» فإنه جمع إلياس جمع هو و أمته المؤمنون و كذلك يجمع ما ينسب إلى الشىء بلفظ الشىء تقول رأيت المسامعه و المهالبة تريد بنى المسمع و بنى المهلب و كذلك رأيت المهلبين و المسمعين و فيها وجه آخر و هو أن يكون لغتان إلياس و الياسين و كما قيل ميكال و ميكائيل و قال أبو على هذا لا يصح لأن

ميكال و ميكائيل لغتان في اسم واحد و ليس أحدهما مفردا و الآخر جمعا كإلياس و الياسين و إدريس و إدراسين و مثله:

"قَدْنِي مِنْ نَصْرِ الْخَبِيِّينِ قَدِي"

أراد عبد الله و من كان على رأيه فكذلك الياسين و إدراسين من كان من شيعته و أهل دينه على إرادته ياء النسب التقدير الياسيين و إدراسين فحذف كما حذف من سائر هذه الكلم التي يراد الصفه كالأعجميين و الأشعرين.

الإعراب

«سَيِّئًا» في هذه الآي كلها مبتدأ و الخبر بعده الجار و المجرور و الجملة في موضع المفعول لقوله «تَرَكَنَا» و لو أعمل تركنا فيه لقال سلاما و يجوز أن يكون التقدير و تركنا عليه في الآخرين الثناء الحسن فحذف مفعول تركنا ثم ابتداء فقال سلام.

المعنى

ثم بين سبحانه قصه إلیاس فقال «وَإِنَّ إِيَّاسَ لَمِنَ الْمُتَّوَكِّلِينَ» و اختلف فيه فقيل هو إدريس عن ابن مسعود و قتاده و قيل هو من أنبياء بنى إسرائيل من ولد هارون بن عمران ابن عم اليسع عن ابن عباس و محمد بن إسحاق و غيرهما قالوا إنه بعث بعد حزقيل لما عظمت الأحداث في بنى إسرائيل و كان يوشع لما فتح الشام بوأها بنى إسرائيل و قسمها بينهم فأحل سبطا منهم ببعلبك و هم سبط إلیاس بعث فيهم نبيا إليهم فأجابه الملك ثم إن امرأته حملته على أن ارتد و خالف إلیاس و طلبه ليقتله فهرب إلى الجبال و البرارى و قيل إنه استخلف اليسع على بنى إسرائيل و رفعه الله تعالى من بين أظهرهم و قطع عنه لذه الطعام و الشراب و كساه الريش فصار إنسيا ملكيا أرضيا سماويا و سلط الله على الملك و قومه عدوا لهم فقتل الملك و امرأته و بعث الله اليسع رسولا فأمنت به بنو إسرائيل و عظموه و انتهوا إلى أمره عن ابن عباس و قيل إن إلیاس صاحب البرارى و الخضر صاحب الجزائر يجتمعان في كل يوم عرفه بعرفات و ذكر وهب أنه ذو الكفل «إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ» عذاب الله و نعمته بامتنال أوامره و اجتناب نواهيه «أَتَدْعُونَ بَعْلًا» يعنى صنما لهم من ذهب كانوا يعبدونه عن عطا و البعل بلغه أهل اليمن هو الرب و السيد عن عكرمه و مجاهد و قتاده و السدى فالتقدير أ تدعون ربا غير الله تعالى «وَ تَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ» أى تتركون عباده أحسن الخالقين «اللَّهُ رَبُّكُمْ» أى خالقكم و رازقكم فهو الذى تحق له العبادة «وَ رَبَّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ» و خالق من مضى من آبائكم و أجدادكم «فَكَذَّبُوهُ» فيما دعاهم إليه و لم يصدقوه «فَأَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ» للحساب أو فى العذاب و النار «إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ» استثنى من جملتهم الذين أخلصوا عبادتهم لله من قومه «وَ تَرَكَنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ» فيه القولان اللذان ذكرناهما

«سَيَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ» قال ابن عباس آل يس محمد ص و ياسين من أسمائه و من قرأ «إِلَّٰهَ يَاسِينَ» أراد إلياس و من اتبعه و قيل يس اسم السوره فكأنه قال سلام على من آمن بكتاب الله تعالى و القرآن الذى هو يس «إِنَّا كَذَلِكُمْ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» بإحسانهم «إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ» المصدقين العاملين بما أوجبه عليهم.

[سوره الصفات (٣٧): الآيات ١٣٣ الى ١٤٨]

إشاره

وَإِنَّ لَوْطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٣) إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٣٤) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٣٥) ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ (١٣٦) وَ إِنَّا لَنُكْرِمُكَمُوعَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ (١٣٧)

وَ بِاللَّيْلِ أَفْلا تَعْقِلُونَ (١٣٨) وَ إِنَّا يُؤْنَسُ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَ هُوَ مُلِيمٌ (١٤٢)

فَلَوْ لَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَّبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) فَتَبَدَّنَا بِالْعَرَاءِ وَ هُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَ أَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (١٤٦) وَ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧)

فَأَمَّنُوا فَمَرَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (١٤٨)

القراءه

قرأ جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) و يزيدون بالواو و الوجه فيه ظاهر.

اللغه

الغابر الباقي قليلا بعد ما مضى و منه الغبار لأنه يبقى بعد ذهاب التراب قليلا و التدمير الإهلاك على وجه التنكيل و الآبق الفأر إلى حيث لا يهتدى إليه طالبه و قد أبق يابق إباقا و المشحون المملوء و المساهمه المقارعه مأخوذ من إلقاء السهام و دحضت حجته أى سقطت و أدحضها الله مأخوذ من الدحض و هو الزلق لأنه يسقط المار فيه قال الشاعر:

" و حدث كما حاد البعير عن الدحض "

و الالتقام ابتلاع اللقمه يقال لقمه و النقمه و تلقمه بمعنى

و ألام الرجل فهو مليم أتى بما يلام عليه قال لبيد:

سفها عدلت و لمت غير مليم و هداك قبل اليوم غير حكيم

و العراء الفضاء الذى لا يواريه شجر و لا غيره و قيل العراء وجه الأرض الخالى قال:

و رفعت رجلا لا أخاف عثارها و نبذت بالبلد العراء ثيابى

و اليقطين كل شجره تبقى من الشتاء إلى الصيف ليس لها ساق قال أميه بن أبى الصلت:

فأنت يقطينا عليه برحمه من الله لو لا الله ألقى ضاحيا

و هو يفعيل من قطن بالمكان إذا أقام به إقامة زائل لا- إقامة راسخ و القطنى من الحبوب التى تقيم فى البيت مثل الحمص و العدس و الخلو و أحدها قطينه و قطينه.

الإعراب

«مُضِيَّ بِحِينٍ» حال من قوله «لَتَمُرُّونَ» «بِاللَّيْلِ» الجار و المجرور أيضا فى موضع نصب عطفا عليه تقديره لتمرون عليه مصبحين و ممسين .

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم خبر لوط فقال «وَ إِنَّ لَوْطاً لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ» أى رسولا من جملة من أرسله الله إلى خلقه داعيا لهم إلى طاعته و منبها لهم على وحدانيته «إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ» إذ يتعلق بمحذوف و كأنه قيل اذكر يا محمد إذ نجيناك أى خلصناه و من آمن به من قومه من عذاب الاستئصال «إِلَّا عَجُوزاً فِي الْغَابِرِينَ» أى فى الباقين الذين أهلكوا استثنى من جملة قومه امرأته فقال «ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ» أى أهلكناهم «وَ إِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُضِيَّ بِحِينٍ وَ بِاللَّيْلِ» هذا خطاب لمشركى العرب أى تمرون فى ذهابكم و مجيئكم إلى الشام على منازلهم و قراهم بالنهار و بالليل «أَفَلَا تَعْقِلُونَ» فتعتبرون بهم و من كثر مروره بموضع العبر فلم يعتبر كان ألوم ممن قل ذلك عنه و المعنى أفلا- تتفكرون فيما نزل بهم لتجتنبوا ما كانوا يفعلونه من الكفر و الضلال و الوجه فى ذكر قصص الأنبياء و تكريرها التشويق إلى مثل ما كانوا عليه من مكارم الأخلاق و محاسن الخلال و صرف الخلق عما كان عليه الكفار من مساوئ الخصال و مقابح الأفعال «وَ إِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ» أى فر من قومه إلى السفينه المملوءه من الناس و الأحمال خوفا من أن ينزل العذاب بهم و هو مقيم فيهم «فَسَاهَمَ» يونس القوم بأن ألقوا السهام على سبيل القرعة

أى قارعهم «فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ» أى من المقروعين عن الحسن و ابن عباس و قيل من المسهومين عن مجاهد و المراد من الملكين فى البحر و اختلف فى سبب ذلك فقول إنهم أشرفوا على الغرق فأرأوا أنهم إن طرحوا واحدا منهم فى البحر لم يغرق الباقون و قيل إن السفينه احتسبت فقال الملاحون إن هاهنا عبدا أبقا فإن من عاده السفينه إذا كان فيها آبق لا تجرى فذلك اقترعوا فوقع القرعه على يونس ثلاث مرات فعلموا أنه المطلوب فألقى نفسه فى البحر و قيل إنه لما وقعت القرعه عليه ألقوه فى البحر «فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ» أى ابتلعه و قيل إن الله سبحانه أوحى إلى الحوت أنى لم أجعل عبدى رزقا لك و لكنى جعلت بطنك مسجدا له فلا تكسرن له عظما و لا تخذشن له جلدا «وَهُوَ مُلِيمٌ» أى مستحق للوم لوم العتاب لا لوم العقاب على خروجه من بين قومه من غير أمر ربه و عندنا أن ذلك إنما وقع منه تركا للمندوب و قد يلام الإنسان على ترك المندوب و من جوز الصغيره على الأنبياء قال قد وقع ذلك صغيره مكفره و اختلف فى مده لبثه فى بطن الحوت فقيل كانت ثلاثه أيام عن مقاتل بن حيان و قيل سبعة أيام عن عطا و قيل عشرين يوما عن الضحاك و قيل أربعين يوما عن السدى و مقاتل بن سليمان و الكلبي «فَلَوْ لَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ» أى كان من المصلين فى حال الرخاء فنجاه الله عند البلاء عن قتاده و قيل كان تسيحه أنه كان يقول لا إله إلا- أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين عن سعيد بن جبیر و قيل من المسيحين أى من المنزهين الله عما لا يليق به و لا يجوز فى صفته الذاكرين له «لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» أى لصار بطن الحوت قبرا له إلى يوم القيامة «فَتَيَذَّنَاهُ بِالْعَرَاءِ» أى فطرحناه بالمكان الخالى الذى لا نبت فيه و لا شجر و قيل بالساحل ألهم الله سبحانه الحوت حتى قذفه و رماه من جوفه على وجه الأرض «وَهُوَ سَاقِيٌّ» أى مريض حين ألقاه الحوت «وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ» و هو القرع عن ابن مسعود و قيل هو كل نبت يبسط على وجه الأرض و لا ساق له عن ابن عباس و الحسن و روى عن ابن مسعود قال خرج يونس من بطن الحوت كهيهه فرخ ليس عليه ريش فاستظل بالشجر من الشمس «وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ» قيل إن الله سبحانه أرسله إلى أهل نينوى من أرض الموصل عن قتاده و كانت رسالته هذه بعد ما نبذه الحوت عن ابن عباس فعلى هذا يجوز أن يكون أرسل إلى قوم بعد قوم و يجوز أن يكون أرسل إلى الأولين بشريعه فأمنوا بها و قيل فى معنى " أو " من قوله «أَوْ يَزِيدُونَ» وجوه (أحدها) أنه على طريق الإبهام على المخاطبين كأنه قال أرسلناه إلى إحدى العديتين (و ثانيها) أن أو تخيير كان الرائي خير بين أن يقول هم مائه ألف أو يزيدون عن سيبويه و المعنى أنهم كانوا عددا لو نظر إليهم الناظر لقال هم مائه ألف أو يزيدون (و ثالثها) أن أو بمعنى الواو كأنه قال و يزيدون عن بعض الكوفيين

وقال بعضهم معناه بل يزيدون و هذان القولان الأخيران غير مرضيين عند المحققين و أجود الأقوال الثانى و اختلف فى الزيادة على مائه ألف كم هى فليل عشرون ألفا عن ابن عباس و مقاتل و قيل بضع و ثلاثون ألفا عن الحسن و الربيع و قيل سبعون ألفا عن مقاتل بن حيان «فَأَمَّنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ» حكى سبحانه عنهم أنهم آمنوا بالله و راجعوا التوبه فكشف عنهم العذاب و متعمهم بالمنافع و اللذات إلى انقضاء آجالهم.

[سوره الصافات (٣٧): الآيات ١٤٩ الى ١٦٠]

اشاره

فَأَسَيِّفُ فِيهِمُ اللَّجْنَ وَالنَّبَاتِ وَاللَّهُمُّ النَّبُونَ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَ هُمْ شَاهِدُونَ (١٥٠) أَلَا- إِنَّهُمْ مِنْ إِيكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهِ وَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٥٢) أَصْطَفَى النَّبَاتِ عَلَى النَّبِيِّنَ (١٥٣)

ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٤) أَ فَلَا تَذَكَّرُونَ (١٥٥) أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ (١٥٦) فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٥٧) وَ جَعَلُوا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْجِنَّهٖ نَسَبًا وَ لَقَدْ عَلِمْتِ الْجِنَّهٗ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨)

سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ (١٥٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ (١٦٠)

القراءه

قرأ أبو جعفر و نافع بروايه إسماعيل و ورش من طريق الأصفهاني لكاذبون اصطفى النبات بالوصل و الابتداء اصطفى بكسر الهمزه و الباقون «أَصْطَفَى» بفتح الهمزه و كذلك ورش من طريق البخارى.

الحجه

قال أبو على الوجه الهمز على وجه التفریح لهم بذلك و التوبيخ و يقويه قوله تعالى أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ و قوله أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَ لَكُمْ الْبُنُونَ أَمْ لَكُمْ الذَّكْرُ وَ لَهُ الْأُنثَى فكما أن هذه المواضع كلها استفهام كذلك قوله «أَصْطَفَى الْبَنَاتِ» و وجه القراءه الأخرى أنه على وجه

الخبر كأنه اصطفى البنات فيما يقولون كقوله ذُقِ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ أى عند نفسك و فيما كنت تقوله و تذهب إليه و يجوز أن يكون «أَصِطَفَى الْبَنَاتِ» بدلا من قوله «وَلَمَدَ اللَّهُ» لأن ولاده البنات و اتخذهن اصطفاؤهن فيصير «أَصِطَفَى» بدلا من المثال الماضى كما كان قوله يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ بدلا من قوله يَلْقَى أَثَامًا و يجوز أن يكون «أَصِطَفَى الْبَنَاتِ» تفسيرا لكذبهم فى قوله «وَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» كما أن قوله لَهُمْ مَغْفِرَةٌ تفسير للوعد و يجوز أن يكون متعلقا بالقول على أنه أريد حرف العطف فلم يذكر و استغنى بما فى الجملة الثانية من الاتصال بالأولى عن حرف العطف كقوله سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ و نحو ذلك.

المعنى

ثم عاد الكلام إلى الرد على مشركى العرب فقال سبحانه «فَأَسْتَفْتِهِمْ» أى سلهم و اطلب الحكم منهم فى هذه القصة «أَلْزَبَّكَ الْبَنَاتُ وَ لَهُمُ الْبُتُونَ» أى كيف أضفتم البنات إلى الله تعالى و اخترتم لأنفسكم البنين و كانوا يقولون إن الملائكة بنات الله على وجه الاصطفاء لا- على وجه الولاده «أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا» معناه بل خلقنا الملائكة إناثا «وَ هُمْ شَاهِدُونَ» أى حاضررون خلقنا إياهم أى كيف جعلوهم إناثا و لم يشهدوا خلقهم ثم أخبر عن كذبهم فقال «أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَمَدَ اللَّهُ» حين زعموا أن الملائكة بنات الله تعالى «وَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» فى قولهم «أَصِطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ» دخلت همزه الاستفهام على همزه الوصل فسقطت همزه الوصل و مثله قول ذى الرمة:

استحدث الركب من أشياعهم خبرا أم راجع القلب من أطرابه طرب

و المعنى كيف يختار الله سبحانه الأدون على الأعلى مع كونه مالكا حكيما ثم وبخهم فقال «مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» لله بالبنات و لأنفسكم بالبنين «أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» أى أفلا- تتعظون فتنتهون عن مثل هذا القول «أَمْ لَكُمْ سَيِّطَانٌ مُّبِينٌ» أى حجه بينه على ما تقولون و تدعون و هذا كله إنكار فى صورته الاستفهام «فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» المعنى فأتوا بكتابكم الذى لكم فيه الحجه «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فى قولكم و المراد أنه دليل لكم على ما تقولونه من جهه العقل لا من جهه السمع «وَ جَعَلُوا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا» اختلف فى معناه على أقوال (أحدها) أن المراد به قول الزنادقه إن الله و إبليس إخوان و أن الله تعالى خلق النور و الخير و الحيوان النافع و إبليس خلق الظلمه و الشر و الحيوان الضار عن الكلبي و عطيه (و ثانيها) أنه قول المشركين إن الملائكة بنات الله و سمى الملائكة جنة لاستتارهم عن العيون عن مجاهد و قتاده و الجبائى (و ثالثها) أنهم قالوا صاهر الله الجن فحدثت الملائكة تعالى الله عن قولهم (و رابعها) أنهم أشركوا الشيطان فى عبادة الله تعالى فذلك هو النسب الذى جعلوه

بينه و بين الجنة عن الحسن «وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ» أى علمت الملائكة أن هؤلاء الذين قالوا هذا القول محضرون للعذاب يوم القيامة عن السدى و قيل معناه قد علمت الجنة و هم الجن الذين دعوهم أنهم محضرون العذاب بدعائهم إلى هذا القول «سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ» نزه سبحانه نفسه عما وصفوه به و أضافوه إليه «إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ» استثنى عباده المخلصين من جملة الكفار القائلين ما لا يليق به.

[سوره الصافات (٣٧): الآيات ١٦١ الى ١٧٠]

إشاره

فَإِنِّكُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ (١٦١) مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ (١٦٢) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ (١٦٣) وَ مَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ (١٦٤) وَ إِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ (١٦٥)

وَ إِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (١٦٦) وَ إِن كَانُوا لَيَقُولُونَ (١٦٧) لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْمَآوِلِينَ (١٦٨) لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ (١٦٩) فَكْفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (١٧٠)

القراءه

فى الشواذ قراءه الحسن صال الجحيم بضم اللام.

الحجه

قال ابن جنى كان الشيخ أبو على يحمله على أنه حذف لام صال تخفيفا و أعرب اللام بالضم كما حذف لام الباليه من قولهم ما باليت به باله و ذهب قطرب إلى أنه صال أى صالون فحذف النون للإضافه و الواو لالتقاء الساكنين و حمل على معنى من لأنه جمع كقوله وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ و قال هذا حسن عندى و قول أبى على مأخوذ به.

اللغه

الفاتن الداعى إلى الضلال يترينه و أصل الفتنه من قولهم فتنن الذهب بالنار إذا أخرجته إلى حال الخلاص الصالى اللازم للنار المحترق بها و المصطفى المستدفى بالنار و منه الصلاه للزوم الدعاء فيها و المصلى الذى يجىء بعد السابق للزومه أثره.

المعنى

ثم خاطب سبحانه الكفار بأن قال لهم «فَإِنِّكُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ» و موضع ما نصب عطفًا على الكاف و الميم و المعنى إنكم يا معشر الكفار و الذى تعبدونه «مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ» الهاء فى عليه إلى ما ذا يعود فيه قولان (أحدهما) أنه يعود

إلى «ما تَعْبُدُونَ» و التقدير إنكم و ما تعبدونه ما أنتم بفاتنين على عبادته أحدا إلا من يصلى الجحيم و يحترق بها بسوء اختياره و قيل معناه ما أنتم بمضلين أحدا أى لا تقدرن على إضلال أحد إلا من سبق فى علم الله تعالى أن سيكفر بالله تعالى و يصلى الجحيم (و الآخر) أن الضمير فى عليه يعود إلى الله تعالى و التقدير ما أنتم على الله و على دينه بمضلين أحدا إلا من هو صالى الجحيم باختياره و هذا كما يقال لا يهلك على الله هالك و فلان يربح على فلان و يخسر على فلان «و ما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ» هذا قول جبرائيل للنبي ص و قيل إنه قول الملائكة و فيه مضمرة أى و ما منا معشر الملائكة ملك إلا له مقام معلوم فى السماوات يعبد الله فيه و قيل معناه أنه لا يتجاوز ما أمر به و رتب له كما لا يتجاوز صاحب المقام مقامه الذى حد له فكيف يجوز أن يعبد من بهذه الصفة و هو عبد مريب «وَ إِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ» حول العرش ننتظر الأمر و النهى من الله تعالى و قيل القائمون صفوفاً فى الصلاة قال الكلبي صفوف الملائكة فى السماء كصفوف أهل الدنيا فى الأرض و قال الجبائي صافون بأجنتنا فى الهواء للعبادة و التسبيح «وَ إِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ» أى المصلون و المنزهون الرب عما لا يليق به و منه قوله فرغت من سبحتى أى من صلاتى و ذلك لما فى الصلاة من تسبيح الله تعالى و تعظيمه و المسبحون القائلون سبحان الله على وجه التعظيم لله «وَ إِن كَانُوا لَيَقُولُونَ» إن هذه هى المخففه من الثقيله ألا- ترى أن اللام قد لزم خبرها و المعنى و أن هؤلاء الكفار يعنى أهل مكه كانوا يقولون «لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا» أى كتاباً «مِنَ الْأُولِينَ» أى من كتب الأولين التى أنزلها على أنبيائه و قيل ذكرا أى علما من الأولين الذين تقدمونا و ما فعل الله بهم فسمى العلم ذكراً لأن الذكر من أسباب العلم «لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ» الذين يخلصون العبادة لله تعالى فجعلوا العذر فى امتناعهم من الإيمان أنهم لا- يعرفون أخبار من تقدمهم و هل حصلوا فى جنه أو نار «فَكَفَرُوا بِهِ» فى الكلام حذف تقديره فلما أتاهم الكتاب و هو القرآن كفروا به «فَسَوْفَ يَغْلَمُونَ» عاقبه كفرهم و هذا تهديد لهم.

[سوره الصافات (٣٧): الآيات ١٧١ الى ١٨٢]

إشاره

وَ لَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَإِن جُنَدُنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٤) وَ أَبْصَرُهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٥)

أَفْبَعَيْنَا رَبَّنَا فَتَجِلُّونَ (١٧٦) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ (١٧٧) وَ تَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٨) وَ أَبْصَرُوهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٩) سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠)

وَ سَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢)

ثم أقسم سبحانه فقال «وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ» أى سبق الوعد منا لعبادنا الذين بعثناهم إلى الخلق «إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ» فى الدنيا والآخرة على الأعداء بالقهر والغلبة وبالحنج الظاهره وقيل معناه سبقت كلمتنا لهم بالسعاده ثم ابتداء فقال «إِنَّهُمْ» أى إن المرسلين «لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ» واللام للتأكيد وهم فصل وقيل عنى بالكلمه قوله كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي الآيه وسميت جمله من الكلام بأنها كلمه لانعقاد بعض معانيه ببعض حتى صار خبرا واحدا وقصه واحده كالمشىء الواحد قال الحسن المراد بالآيه نصرتهم فى الحرب فإنه لم يقتل نبى من الأنبياء قط فى الحرب وإنما قتل من قتل منهم غيله أو على وجه آخر فى غير الحرب وإن مات نبى قبل النصره أو قتل فقد أجرى الله تعالى العاده بأن ينصر قومه من بعده فيكون فى نصره قومه نصره له فقد تحقق قوله «إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ» وقال السدى المراد بالآيه النصر بالحجه «وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ» أضاف المؤمنين إلى نفسه و وصفهم بأنهم جنده تشريفا وتنويها بذكرهم حيث قاموا بنصره دينه وقيل معناه إن رسلنا هم المنصورون لأنهم جنودنا وإن جنودنا هم الغالبون يقهرون الكفار بالحجه تاره وبالفعل أخرى ثم قال لنبى ص «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ» أى عرض عن هؤلاء الكفار «حَتَّى حِينٍ» أى إلى وقت نأمرك فيه بقتالهم يعنى يوم بدر عن مجاهد و السدى وقيل إلى يوم الموت عن ابن عباس و قتاده وقيل إلى يوم القيامة وقيل إلى انقضاء مده الإمهال «وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ» أى أنظرهم وأبصر ما ضيعوا من أمر الله فسوف يرون العذاب عن ابن زيد وقيل وأبصرهم إذا نزل بهم العذاب فسوف يبصرون وقيل وأبصر حالهم بقلبك فسوف يبصرون ذلك فى القيامة معاينه وفى هذا إخبار بالغيب لأنه وعد نبى ص بالنصر والظفر فوافق المخبر الخبر وكانهم قالوا متى هذا العذاب فأنزل الله «أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ» أى يطلبون تعجيل عذابنا «فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ» أى إذا نزل العذاب بأفنيه دورهم كما يستعجلون «فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ» أى فبئس الصبح صباح من خوف وحذر فلم يحذر ولم يخف والساحه فناء الدار وفضاؤها الواسع فالمراد أن العذاب لعظمه لا يسعه إلا الساحه ذات الفضاء الواسع وقيل نزل بساحتهم أى بدارهم عن السدى وكانت العرب تفاجئ أعداءها بالغارات صباحا فخرج الكلام على

عادتهم و لأن الله سبحانه أجرى العاده بتعذيب الأمم وقت الصباح كما قال إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ «وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَ أَبْصَرَهُ فَسَوَّفَ يُبْصِرُونَ» مضى تفسيره و إنما كرر ما سبق للتأكيد و قيل لأن المراد بأحدهما عذاب الدنيا و بالآخر عذاب الآخرة أى فكن على بصيره من أمرك فسوف يكونون على بصيره من أمرهم حين لا ينفعهم ثم نزه سبحانه نفسه عن وصفهم و بهتهم فقال «سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ» أى تنزيها لربك مالك العزه يعز من يشاء من الأنبياء و الأولياء لا يملك أحد إعزاز أحد سواه فسبحانه عما يصفونه مما لا يليق به من الصفات و هو قولهم باتخاذ الأولاد و اتخاذ الشريك «وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ» أى سلامه و أمان لهم من أن ينصر عليهم أعداؤهم و قيل هو خبر معناه أمر أى سلموا عليهم كلهم لا تفرقوا بينهم «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» أى احمدا الله الذى هو مالك العالمين و خالقهم و المنعم عليهم و أخلصوا له الثناء و الحمد و لا تشركوا به أحدا فإن النعم كلها منه و

روى الأصمغ بن نباته عن على (عليه السلام) و قد روى أيضا مرفوعا إلى النبى ص قال من أراد أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه فى مجلسه «سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَ سَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

(٣٨) سورة ص مكيه و آياتها ثمان و ثمانون (٨٨)

اشاره

عدد آياتها

هي ثمان و ثمانون آيه كوفي و ست حجازي بصرى شامى و خمس فى عدد أيوب بن المتوكل وحده.

اختلافها

ثلاث آيات «ذِي الذُّكْرِ» كوفي «وَعَوَّاصٍ» غير البصرى «وَالْحَقُّ أَقُولُ» كوفي و بصرى و فى روايه المعلى عن الجحدري و تركها أيوب و هو يوافق الجحدري إلا فى هذا الحرف.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأ سورة ص أعطى من الأجر بوزن كل جبل سخره الله لداود حسنات و عصمه الله أن يصير على ذنب صغيرا أو كبيرا

و

روى العياشى بإسناده عن أبى جعفر (عليه السلام) قال من قرأ سورة ص فى ليله الجمعه أعطى من خير الدنيا و الآخرة ما لم يعط أحد من الناس إلا نبى مرسل أو ملك مقرب و أدخله الله الجنة و كل من أحب من أهل بيته حتى خادمه الذى يخدمه و إن كان ليس فى حد عياله و لا فى حد من يشفع له و آمنه الله يوم الفزع الأكبر.

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة الصافات بذكر القرآن و الرسول و إنكار الكفار لما دعاهم إليه افتتح هذه السوره بالقرآن ذى الذكر و الرد على الكفار أيضا فقال:

[سوره ص (٣٨): الآيات ١ الى ٥]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص وَ الْقُرْآنِ ذِي الذُّكْرِ (١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِ وَ شِقَاقِي (٢) كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَ لَاتَ حِينَ مَنَاصٍ (٣) وَ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَ قَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٤)

أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ (٥)

ص: ٣٠٢

فى الشواذ قراءه أبى بن كعب و الحسن و ابن أبى إسحاق صاد بكسر الدال و قراءه الثقفى صاد بفتح الدال و القراءه بالوقف و هو الصحىح لأن حروف الهجاء يوقف عليها و قراءه عيسى بن عمرو و أبى عبد الرحمن السلمى عجاب بتشديد الجيم.

من كسر فلاجتماع الساكنين أو لأنه جعله من المصاداه و هى المعارضه أى عارض القرآن بعملك و من فتح فلأن الفتحة أخف من الكسره و يجوز أن يكون من فتح جعل الصاد علما للسوره فلم يصرفه و العجاب بتشديد هو المفرد فى العجب يقال شىء عجيب ثم عجاب بالتخفيف ثم عجاب بتشديد كما قالوا رجل وضى و وضاء و أنشدوا:

و المرء يلحقه بفتيان الندى خلق الكريم و ليس بالوضاء

و قال آخر:

جاءوا بصيد عجب من العجب أزيق العينين طوال الذنب

. اللغه

الشقاق و المشاقه الخلاف و أصله أن يصير كل واحد من الفريقين فى شق أى فى جانب و منه يقال شق فلان العصا إذا خالف و المناص من النوص و هو التأخر ناص ينوص إذا تأخر و باص يبوص بالباء إذا تقدم قال امرؤ القيس:

أ من ذكر ليلى إن نأتك تنوص فتقصر عنها خطوه و تبوص

. الإعراب

اختلف فى جواب القسم على وجوه (أحدها) أن جوابه محذوف فكأنه قال و القرآن ذى الذكر لقد جاء الحق و ظهر الأمر لأن حذف الجواب فى مثل هذا أبلغ فإن ذكر الجواب يقصر المعنى على وجه و الحذف يصرف إلى كل وجه فيعم (و الثانى) أن جوابه

ص: ٣٠٣

ص فإن معناه صدق أقسم سبحانه بالقرآن أن محمدا ص قد صدق و الله و فعل و الله (و الثالث) أن الجواب مما كفى منه قوله «كَمْ أَهْلَكْنَا» و قيل ما كفى منه «بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا» فكأنه قال و القرآن ذى الذكر ما الأمر كما قالوا و أحدهما عن الفراء و الآخر عن قتاده (و الرابع) أن جوابه كم أهلكنا و التقدير لكم أهلكنا فلما طال الكلام حذف اللام و مثله قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا و التقدير لقد أفلح عن الفراء و هذا غلط لأن اللام لا تدخل على المفعول و كم مفعول (و الخامس) أن الجواب فى آخر السوره إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ إِلَّا أَنَّهُ بَعْدَ مِنْ أَوَّلِ الْكَلَامِ عَنِ الْكَسَائِي «وَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ» فيه قولان (أحدهما) أن التاء متصله بلا و أنهما بمنزله ليس قال الزجاج و يجوز و لات حين مناص فى اللغه فأما النصب فعلى أن المعنى ليس الوقت حين مناص و الرفع على أن يجعل حين اسم ليس و يضم الخبر و المعنى ليس حين ملجأ لنا و الوقف عليها لات بالتاء و الكسائي يقف بالهاء لاه و الأول أصح لأن هذه التاء نظيره التاء فى الفعل نحو ذهبت و فى الحرف نحو رأيت زيدا ثمت عمرا فإنها دخلت فى الموضعين على ما لا- يعرف و لا- هو فى طريق الأسماء و قال الأَخْفَش أن لات حين مثل لا رجل فى الدار و دخلت التاء فى التانيث قال الشاعر:

تذكر حب ليلي لات حيننا و أضحي الشيب قد قطع القرينا

(و القول الآخر) أن التاء متصله بحين كما قال الشاعر:

العاطفين تحين ما من عاطف و المطعمين زمان ما من مطعم

و قد أجازوا الجر بلات و أنشدوا لأبى زبيد:

طلبوا صلحنا و لات أوان فأجبنا أن ليس حين بقاء

قال الزجاج و الذى أنشدناه أبو العباس المبرد بالرفع و قد روى بالكسر.

التزول

قال المفسرون

أن أشراف قريش و هم خمسة و عشرون منهم الوليد بن المغيرة و هو أكبرهم و أبو جهل و أبى و أميه ابنا خلف و عتبه و شيبه ابنا ربيعة و النضر بن الحارث أتوا أبا طالب و قالوا أنت شيخنا و كبيرنا و قد أتيناك لتقضى بيننا و بين ابن أخيك فإنه سفه أحلامنا و شتم آلهتنا فدعا أبو طالب رسول الله ص و قال يا ابن أخى هؤلاء قومك يسألونك فقال ما ذا يسألوننى قالوا دعنا و آلهتنا ندعك و إلهك فقال ص أ تعطونى كلمه واحده تملكون بها العرب و العجم فقال أبو جهل لله أبوك نعطيك ذلك عشر أمثالها فقال قولوا لا إله إلا الله فقاموا

و قالوا أ جعل الآلهة إلهًا واحدا فنزلت هذه الآيات و روى أن النبي ص استعبر ثم قال يا عم و الله لو وضعت الشمس فى يمينى و القمر فى شمالى ما تركت هذا القول حتى أنفذه أو أقتل دونه فقال له أبو طالب امض لأمرك فو الله لا أخذلك أبدا.

المعنى

«ص» اختلفوا فى معناه فقيل هو اسم للسوره و قيل غير ذلك على ما ذكرناه فى أول البقره و قال ابن عباس

هو اسم من أسماء الله تعالى أقسم به و روى ذلك عن الصادق (عليه السلام)

و قال الضحاك معناه صدق و قال قتاده هو اسم من أسماء القرآن فعلى هذا يجوز أن يكون موضعه نصباً على تقدير حذف حرف القسم و يجوز أن يكون رفعا على تقدير هذه صا فى مذهب من جعله اسما للسوره «و الْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ» أى ذى الشرف عن ابن عباس يوضحه قوله وَ إِنَّهُ لَعَدِ كُرٌّ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ و قيل معناه ذى البيان الذى يؤدى إلى الحق و يهدى إلى الرشد لأن فيه ذكر الأدله التى إذا تفكر فيها العاقل عرف الحق عقلا و شرعا و قيل ذى التذکر لكم عن قتاده و قيل فيه ذكر الله و توحيده و أسماءه الحسنى و صفاته العلى و ذكر الأنبياء و أخبار الأمم و ذكر البعث و النشور و ذكر الأحكام و ما يحتاج إليه المكلف من الأحكام عن الجبائى و يؤيده قوله ما فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ «بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا» من أهل مكه «فِي عِزِّهِ» أى فى تكبر عن قبول الحق و حميه جاهليه عن قتاده و يدل عليه قوله أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ و قيل فى ملكه و اقتدار و قوه بتمكين الله إياهم «و شِتْقًا» أى عداوه و عصيان و مخالفه لأنهم يأنفون عن متابعتك و يطلبون مخالفتك ثم خوفهم سبحانه فقال «كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَوْمٍ» بتكذيبهم الرسل «فَنَادَوْا» عند وقوع الهلاك بهم بالاستغاثه «و لَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ» أى ليس الوقت حين منجى و لا فوت و قيل لات حين نداء ينجى قال قتاده نادى القوم على غير حين النداء «و عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ» أى جاءهم رسول من أنفسهم مخوف من جهه الله تعالى يحذرهم المعاصى و ينذرهم النار «و قَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ» حين يزعم أنه رسول الله «أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا» هذا استفهام إنكار و تعجب و ذلك أن النبى ص أبطل عباده ما كانوا يعبدونه من الآلهه مع الله و دعاهم إلى عباده الله وحده فتعجبوا من ذلك و قالوا كيف جعل لنا إلهًا واحدا بعد ما كنا نعبد آلهه «إِنَّ هَذَا» الذى يقوله محمد من أن الإله واحد «لَشَيْءٌ عَجَابٌ» لأمر عجيب مفرط فى العجب.

[سوره ص (٣٨): الآيات ٦ الى ١٠]

إشارة

وَ انْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَ اصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ (٧) أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابِ (٨) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ (٩) أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا فَلْيَزْتَفْتُوا فِي الْأَسْبَابِ (١٠)

الانطلاق الذهاب بسهولة و منه طلاقه الوجه و الخلق. و الاختلاق و الفرى و الافتراء متقارب و الارتقاء الصعود من سفلى إلى علو
درجه درجه قال:

لو لم يجد سلما ما كان مرتقيا و المرتقى و الذى رقاہ سيان

الأسباب جمع سبب و السبب ما يوصل به إلى المطلوب و أسباب السماوات أبوابها قال زهير:

و من هاب أسباب المنايا ينلنه و لو رام أسباب السماء بسلم

و الفرق بين السبب و العله فى عرف المتكلمين أن السبب ما يوجب ذاتا و العله ما يوجب صفه.

الإعراب

«أَنْ امشُوا» أن هذه هى التى تسمى المفسره بمعنى أى امشوا قال الزجاج و يجوز أن يكون تقديره بأن امشوا أى بهذا القول.

المعنى

«وَ انْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ» هذا تمام الحكايه عن الكفار الذين تقدم ذكرهم أى و انطلق الأشراف منهم «أَنْ امشُوا» أى يقول بعضهم لبعض امشوا «وَ اضْبِرُّوا عَلَى آلِهَتِكُمْ» يعنى أنهم خرجوا من مجلسهم الذى كانوا فيه عند أبى طالب و هم يقولون اثبتوا على عباده آلِهَتِكُمْ و اصبروا على دينكم و تحملوا المشاق لأجله و قيل أن القائل لذلك عقبه بن أبى معيط «إِنَّ هَذَا» الذى نراه من زياده أصحاب محمد «لَشَيْءٍ يُرَادُ» أى أمر يراد بنا و قيل معناه أن هذا فساد فى الأرض و عن قريب ينزل به الهلاك و نتخلص منه و قيل أن هذا الأمر يراد بنا من زوال نعمه أو نزول شده لأنهم كانوا يعتقدون فى الأصنام أنهم لو تركوا عبادتها أصابهم القحط و الشده ثم حكى عنهم أيضا بأنهم قالوا «ما سَمِعْنَا بِهَذَا» الذى يدعوننا إليه محمد من التوحيد و خلع الأنداد من دون الله «فِي الْمِلَّةِ الْأَخْرَه» يعنون فى النصرانيه لأنها آخر الملل عن ابن عباس قال أن النصارى لا يوحدون لأنهم يقولون ثالث ثلاثه و قيل يعنون مله قريش أى فى مله زماننا هذا عن مجاهد و قتاده و قيل معناه ما سمعنا بأن

هذا يكون فى آخر الزمان عن الحسن «إن هذا» أى ما هذا الذى يقول محمد «إِلَّا اخْتِلاَقٌ» أى تخرص و كذب و افتعال ثم أنكروا تخصيص الله إياه بالقرآن و النبوه بأن قالوا «أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا» أى كيف أنزل على محمد القرآن من بيننا و ليس بأكبر سنا منا و لا بأعظم شرفا فقال سبحانه «بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي» أى ليس يحملهم على هذا القول إلا الشك فى الذكر الذى أنزلته على رسولى «بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابِ» و هذا تهديد لهم و المعنى أنهم سيدوقونه ثم أجابهم عن إنكارهم نبوته بقوله «أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ» يقول أ بأيديهم مفاتيح النبوه و الرساله فيضعونها حيث شاءوا أى أنها ليست بأيديهم و لكنها بيد «الْعَزِيزِ» فى ملكه «الْوَهَّابِ» كثير الهبات و العطايا على حسب المصالح فيختار للنبوه من يشاء من عباده و نظيره قوله وَ لَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ «أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا» فيتها لهم أن يمنعوا الله من مراده «فَلْيَرْتُقُوا» أى إن ادعوا ذلك فليصعدوا «فِي الْأَسْبَابِ» أى فى أبواب السماء و طرقها عن مجاهد و قتاده و قيل الأسباب الحيل أى فليحتالوا فى أسباب توصلهم إلى السماوات ليأتوا بالوحي إلى من اختاروا.

[سوره ص (٣٨): الآيات ١١ الى ١٥]

إشارة

جُنِدُ مَا هُنَالِكَ مَهْرُومٌ مِنَ الْأَخْزَابِ (١١) كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ عَادٌ وَ فِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (١٢) وَ ثَمُودُ وَ قَوْمُ لُوطٍ وَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَخْزَابُ (١٣) إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ (١٤) وَ مَا يَنْظُرُ هُوَ إِلَّا صَيَّحَهُ وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ (١٥)

الفراء

قرأ أهل الكوفة غير عاصم من فواق بضم الفاء و الباقون بفتحها.

الحج

و هما لغتان مثل قصاص الشعر و قصاصه و جمام المكوك و جمامه و هو من الإفاقه و ما بين الرضعتين فواق و قيل بينهما فرق فبالفتح يكون بمعنى الراحة و بالضم بمعنى المهله و الانتظار عن أبى عبيده و الفراء.

اللغة

هنالك إشارة إلى المكان البعيد و هناك بين البعيد و القريب و هنا للقريب و مثله

ص: ٣٠٧

ذا و ذاك و ذلك. و الأحزاب جمع حزب و هو الجماعه التى تجتمع من كل أوب و قال الزجاج ما لها من فواق أى رجوع و فواق الناقه مشتق من الرجوع أيضا لأنه يعود اللبن إلى الضرع بين الحلبتين و أفاق من مرضه أى رجع إلى الصحه.

الإعراب

ما مزیده فى قوله «جُنْدُ ما» مثلها فى قول الأعشى:

فاذهبا ما إليك أدركنى الحلم عداتى عن هيجكم أشغالى

و «جُنْدُ» مبتدأ و «هُنَالِكَ» صفة أى جند ثابت هنالك. و «مَهْزُومٌ» خبر مبتدأ و يجوز أن يكون هنالك ظرفا لمهزوم أى جند مهزوم فى ذلك الموضع. «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ» يجوز أن يقف على قوله «نُوحٍ» و يكون «عَادٌ» مبتدأ ما بعده معطوف عليه و يكون «أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ» خبرا عن الجميع و يجوز أن يكون الخبر قوله «إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ» و يجوز أن يكون «أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ» ابتداء و يقف على «قَوْمٌ لُوطٍ».

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن الكفار أنهم سيهزمون بيدر فقال «جُنْدُ ما هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ» قال قتاده أخبر الله سبحانه و هو بمكة أنه سيهزم جند المشركين فجاء تأويلها يوم بدر و هنالك إشارة إلى بدر و مصارعهم بها أى هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند مهزومون مغلوبون من جملة الكفار الذين تحزبوا على الأنبياء و أنت منصور عليهم مظفر غالب و قيل هم أحزاب الذين حاربوا نبينا ص يوم الخندق و وجه اتصاله بما قبله أن المعنى كيف يرتقون إلى السماء و هم فرق من قبائل شتى مهزومون «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ» أى قبل هؤلاء الكفار «قَوْمُ نُوحٍ وَ عَادٌ وَ فِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ» و قيل فى معناه أقوال (أحدها) أنه كانت له ملاعب من أوتاد يلعب له عليها عن ابن عباس و قتاده و عطا (و الثانى) أنه كان يعذب الناس بالأوتاد و ذلك أنه إذا غضب على أحد و تد يديه و رجله و رأسه على الأرض عن السدى و الربيع بن أنس و مقاتل و الكلبي (و الثالث) أن معناه ذو البنيان و البنيان أوتاد عن الضحاك (و الرابع) أن المعنى ذو الجنود و الجموع الكثيره بمعنى أنهم يشدون ملكه و يقوون أمره كما يقوى الوتد الشىء عن الجبائى و القتيبى و العرب تقول هو فى عز ثابت الأوتاد و الأصل فيه أن بيوتهم إنما ثبتت بالأوتاد قال الأسود بن يعفر:

و لقد غنوا فيها بأنعم عيشه فى ظل ملك ثابت الأوتاد

(و الخامس) أنه سمي ذو الأوتاد لكثرة جيوشه السائره فى الأرض و كثره أوتاد خيامهم فعبر بكثرة الأوتاد عن كثره الأجناد (و ثمودٌ) يعنى قوم صالح (و قَوْمٌ لُوطٍ وَ أَصْحَابُ

الْأَيْكِهِ» و هم قوم شعيب «أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ» لما ذكر سبحانه هؤلاء المكذبين أعلمنا أن مشركى قريش حزب من هؤلاء الأحزاب و معناه هم الأحزاب حقا أى أحزاب الشيطان كما يقال هم هم قال:

و إن الذى حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد

«إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ» أى ما كل حزب منهم إلا كذب الرسل «فَحَقَّقَ عِقَابِ» أى فوجب عليهم عقابى بتكذيبهم رسلى «وَمَا يَنْظُرُ» أى و ما ينتظر «هؤلاء» يعنى كفار مكة «إِلَّا صَيِّحَةً وَاحِدَةً» و هى النفخة الأولى فى الصور «مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ» أى لا يكون لتلك الصيحة إفاقه بالرجوع إلى الدنيا عن قتاده و السدى و المراد أن عقوبه أمه محمد ص بعذاب الاستئصال مؤخره إلى يوم القيامة و عقوبه سائر الأمم معجله فى الدنيا كما قال بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَ السَّاعَةُ أَدْهَى وَ أَمْرٌ قَالَ الْفِرَاءُ إِذَا ارْتَضَعْتَ الْبَهِيمَةَ أَمَّهَا ثُمَّ تَرَكْتَهَا حَتَّى تَنْزَلَ فَتَلْكَ الْإِفَاقَةَ وَ الْفَوَاقِ ثُمَّ قِيلَ لِكُلِّ رَاحَةٍ وَ إِنْظَارٌ لِلْإِسْتِرَاحَةِ فَوَاقٍ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ مَا لَهَا مِثْوِيهِ أَيْ صَرَفَ وَرَدَ عَنِ الضَّحَاكِ وَ قِيلَ مَا لَهَا مِنْ فَتُورٍ كَمَا يَفْتَرُ الْمَرِيضُ عَنِ ابْنِ زَيْدٍ.

[سوره ص (٣٨): الآيات ١٦ الى ٢٠]

اشاره

وَ قَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ (١٦) اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَ اذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٧) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِشْرَاقِ (١٨) وَ الطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (١٩) وَ شَدَدْنَا مُلْكَهُ وَ آتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَ فَضَّلَ الْخُطَابِ (٢٠)

اللغه

القط الكتاب قال الأعشى:

ص: ٣٠٩

و لا الملك النعمان يوم تقيته بنعمته يعطى القطوط و يافق

أى كتب الجوائز و اشتقاقها من القط و هو القطع لأنها تقطع النصيب لكل واحد بما كتب فيها و القط النصيب أيضا قال أبو عبيده و القط الحساب و فى الأثر أن عمر و زيدا كانا لا يريان بيع القطوط بأسا إذا خرجت و الفقهاء لا يجيزونه و هى الجوائز و الأرزاق و قولهم ما رأيت قط أى قطع الدهر الذى مضى.

المعنى

«وَقَالُوا» يعنى هؤلاء الكفار الذين وصفهم «رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا» أى قدم لنا نصيبنا من العذاب «قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ» قالوه على وجه الاستهزاء بخير الله عز و جل عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و قيل معناه أرنا حظنا من النعيم فى الجنة حتى نؤمن عن السدى و سعيد بن جبیر و قيل لما نزل فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ قَالَتْ قَرِيشُ زَعَمْتَ يَا مُحَمَّدُ أَنِّي نُوْتِي كِتَابِنَا بِشِمَالِنَا فَعَجَلْنَا لَنَا كِتَابِنَا الَّتِي نَقَرُّوْهَا فِي الْآخِرَةِ اسْتَهْزَاءً مِنْهُمْ بِهَذَا الْوَعِيدِ وَ تَكْذِيبًا بِهِ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ وَ الْكَلْبِيِّ وَ مَقَاتِلَ فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِنَبِيِّهِ ص «أَصْبِرْ» يَا مُحَمَّدُ أَى احْبِسْ نَفْسَكَ «عَلَى مَا يَقُولُونَ» من تكذيبك فإن وبال ذلك يعود عليهم «وَ اذْكُرْ عِبَادَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِي» أى ذا القوه على العباده عن ابن عباس و مجاهد و ذكر أنه يقوم نصف الليل و يصوم نصف الدهر كان يصوم يوما و يفطر يوما و ذلك أشد الصوم و قيل ذا القوه على الأعداء و قهرهم و ذلك لأنه رمى بحجر من مقلاعه صدر رجل فأنفذه من ظهره فأصاب آخر فقتله و قيل معناه ذا التمكين العظيم و النعم العظيمه و ذلك أنه كان يبيت كل ليله حول محرابه ألوف كثيره من الرجال «إِنَّهُ أَوْأَبُّ» أى ثواب راجع عن كل ما يكره الله تعالى إلى كل ما يحب من آب يؤب إذا رجع عن مجاهد و ابن زيد و قيل مسبح عن سعيد بن جبیر و قيل مطيع عن ابن عباس «إِنَّا سَيَخْرُونا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَّ» لله إذا سبح و يحتمل أن يكون الله سبحانه خلق فى الجبال التسبيح و يمكن أن يكون بنى فيها بنيه يأتى فيها التسبيح «بِالْعَشِيِّ وَ الْإِشْرَاقِ» أى بالرواح و الصباح «وَ الطَّيْرِ» أى و سخرنا الطير «مَخْشُورَةً» أى مجموعه إليه تسبح الله تعالى معه «كُلُّ» يعنى كل الطير و الجبال «لَهُ أَوْأَبُّ» رجاء إلى ما يريد مطيع له بالتسبيح معه قال الجبائى لا يمتنع أن يكون الله تعالى خلق فى الطيور

من المعارف ما تفهم به أمر داود (عليه السلام) و نهيه فتطيعه فيما يريد منها و إن لم تكن كامله العقل مكلفه «و شَدَدْنَا مُلْكَهُ» أى قويننا ملكه بالحرس و الجنود و الهيئه و كثره العدد و العده «و آتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ» و هى النبوه و قيل الإصابه فى الأمور و قيل العلم بالله و شرائعه عن أبى العالیه و الجبائى «و فَضَّلَ الْخِطَابِ» يعنى الشهود و الأيمان و إن البينه على المدعى و اليمين على من أنكر لأن خطاب الخصوم لا- ينفصل و لا- ينقطع إلا بهذا و هو قول الأكثرين و قيل فصل الخطاب هو العلم بالقضاء و الفهم عن ابن مسعود و الحسن و مقاتل و قتاده و قال البلخى يجوز أن يكون المراد بتسييح الجبال معه ما أعطاه الله تعالى من حسن الصوت بقراءه الزبور فكان إذا قرأ الزبور أو رفع صوته بالتسييح بين الجبال ردت الجبال عليه مثله من الصدى فسمى الله ذلك تسييحاً.

[سوره ص (۳۸): الآيات ۲۱ الى ۲۵]

اشاره

و هِيلَ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (۲۱) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَ اهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (۲۲) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَعَجَةً وَ لِي نَعَجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَ عَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (۲۳) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ قَلِيلٌ مَا هُمْ وَ ظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَ خَرَّ رَاكِعًا وَ أَنَابَ (۲۴) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَ حُسْنَ مَآبٍ (۲۵)

القراءه

فى الشواذ قراءه أبى رجاء و قتاده و لا تشطط بفتح التاء و ضم الطاء و قراءه

ص: ۳۱۱

الحسن والأعرج نعجه ولى نعجه بكسر النون وقراءة أبى حيوه و عزنى بتخفيف الزاى وقراءة عمر بن الخطاب فتناه بتشديد التاء و النون وقراءة قتاده و أبى عمرو و فى بعض الروايات الشاذة فتناه بتخفيف النون.

الحج

أما قراءة و لا تشطط من شط يشط و يشط إذا بعد قال عنتره:

شطت مزار العاشقين فأصبحت عسرا على طلابك ابنه مخرم

قال ابن جنى معناه بعدت عن مزار العاشقين و لما بالغ فى ذكر استضراره بها خاطبها بذلك لأنه أبلغ فعدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب فقال طلابك فأما النعجه فهى لغه فى النعجه و مثله لقوه و لقوه و قوم شجعه و شجعه أى شجعان و أما عزنى بالتخفيف فيمكن أن يكون أصله عزنى غير أنه خفف بحذف الزاى الثانيه أو الأولى كما قالوا فى مسست و ظللت مست و ظلت و أما قوله فتناه فإنما هو فعلناه للمبالغه و أما فتناه بتخفيف النون فإن المراد بالثنويه هنا الملكان اللذان اختصما إليه أى اختبراه.

اللغة

الخصم هو المدعى على غيره حقا من الحقوق و المنازع له فيه و يعبر به عن الواحد و الاثنين و الجماعه بلفظ واحد لأن أصله المصدر فيقال رجل خصم و رجلاان خصم و رجال خصم يقال خصمته فخصمته أخصمه خصما و التسور الإتيان من جهه السور يقال تسور فلان الدار إذا أتاه من جهه سورها. و المحراب مجلس الأشراف الذى يحارب دونه لشرف صاحبه و منه سمي المعملى محرابا و موضع القبلة محرابا و أشط الرجل فى حكمه إذا جار فهو مشط و شط عليه فى السوم يشط شططا قال:

ألا يا لقومى قد أشطت عواذلى و يزعمن أن أودى بحقى باطلى

. الإعراب

«إِذْ دَخَلُوا» بدل من قوله «إِذْ تَسَوَّرُوا» و قيل أن التسور فى زمان غير زمان الدخول. «خَصِيمَانِ» خبر مبتدأ محذوف أى نحن خصمان. «وَقَلِيلٌ مَا هُمْ» هم مبتدأ و قليل خبره و ما زائده و يجوز أن يكون ما بمعنى الذى و هم مبتدأ و الخبر محذوف أى و قليل الذين هم كذلك.

ص: ٣١٢

لما ذكر سبحانه أنه أتى داود الحكمة و فصل الخطاب عقبه بذكر من تخاصم إليه فقال «وَهَلْ أَتَاكَ» يا محمد «نَبَأُ الْخَصْمِ» أى هل بلغك خبرهم و المراد بالاستفهام هنا الترغيب فى الاستماع و التنبيه على موضع إخلاله ببعض ما كان ينبغى أن يفعله «إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ» أى حين صعدوا إليه المحراب و أتوه من أعلى سوره و هو مصلاه و إنما جمعهم لأنه أراد المدعى و المدعى عليه و من معهما و قد تعلق به من قال إن أقل الجمع اثنان و أجيب عن ذلك بأنه أراد الفريقين «إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ» لدخولهم عليه فى غير الوقت الذى يحضر فيه الخصوم من غير الباب الذى كان يدخل الخصوم منه و لأنهم دخلوا عليه بغير إذنه «قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِيمَانِ» أى فقالوا لداود نحن خصمان «بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ» فجنناك لتقضى بيننا و ذلك قوله «فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَ لَا تُشْطِطْ» أى و لا تجر علينا فى حكمك و لا تجاوز الحق فيه بالميل لأحدنا على صاحبه «وَ اهْتَدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ» أى دلنا و أرشدنا إلى وسط الطريق الذى هو طريق الحق ثم حكى سبحانه ما قاله أحد الخصمين لصاحبه بقوله «إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَعْجَةً وَ لِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ» قال الخليل النعجة هى الأنتى من الضأن و البقر الوحشيه و الشاه الجبلية و العرب تكنى عن النساء بالنعاج و الأطباء و الشاه قال الأعشى:

فرميت غفله عينه عن شاته فأصبت حبه قلبها و طحالها

قال عنتره:

يا شاه ما قنص لمن حلت له حرمت على و ليتهما لم تحرم

«فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا» أى ضمها إلى و اجعلنى كافلها الذى يلزم نفسه القيام بها و حياطتها و المعنى أعطينها و قيل معناه انزل لى عنها حتى تصير فى نصيبى عن ابن عباس و ابن مسعود و مجاهد «وَ عَزَّنِي فِي الْخِطَابِ» أى غلبنى فى مخاطبه الكلام و قيل معناه إنه إذا تكلم كان أبين منى و إن بطش كان أشد منى و إن دعا كان أكثر منى عن الضحاك «قَالَ» داود «لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ» معناه إن كان الأمر على ما تدعيه لقد ظلمك بسؤاله إياك

بضم نعتك «إلى نعاجه» فأضاف المصدر إلى المفعول به «وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ» أى الشركاء المخالطين جمع الخليلط «لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ» ثم استثنى من جملة الخلطاء الذين يبغى بعضهم على بعض الذين آمنوا فقال «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» أى فإنهم لا يظلم بعضهم بعضا «وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ» أى و قليل هم و ما زيده «وَوَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ» أى و علم داود أنا اختبرناه و ابتليناه و قيل إنا شددنا عليه فى التبعد عن على بن عيسى و قيل أراد الظن المعروف الذى هو خلاف اليقين «فَاسْتَتَفَرَّ رَبَّهُ» أى سأل الله سبحانه المغفرة و الستر عليه «وَ خَرَّ رَاكِعًا» أى صلى الله تعالى «وَ أَنَابَ» إليه و قيل سقط ساجدا لله تعالى و رجع إليه و قد يعبر عن السجود بالركوع قال الشاعر:

فخر على وجهه راکعا و تاب إلى الله من كل ذنب

قال الحسن إنما قال و خر راکعا لأنه لا يصير ساجدا حتى يركع و قال مجاهد مكث أربعين يوما ساجدا لا يرفع رأسه إلا لصلاه مكتوبه يقيمها أو لحاجه لا بد منها «فَعَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لِرُفْيٍ» أى قربى و كرامه «وَ حُسْنِ مَّآبٍ» فى الجنه و اختلف فى استغفار داود (عليه السلام) من أى شىء كان فقليل أنه حصل منه على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى و الخضوع له و التذلل بالعباده و السجود كما حكى سبحانه عن إبراهيم (عليه السلام) بقوله «وَالَّذِي أطمعُ أَنْ يُعْفَرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ وَ أَمَا قَوْلُهُ «فَعَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ» فالمعنى أنا قبلناه منه و أثبناه عليه فأخرجه على لفظ الجزاء مثل قوله يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَ هُوَ خَادِعُهُمْ و قوله اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ فلما كان المقصود من الاستغفار و التوبه القبول قيل فى جوابه غفرنا و هذا قول من ينزه الأنبياء عن جميع الذنوب من الإماميه و غيرهم و من جوز على الأنبياء الصغائر قال إن استغفاره كان لذنوب صغير وقع منه ثم أنهم اختلفوا فى ذلك على وجوه (أحدها) أن أوريا بن حيان خطب امرأه و كان أهلها أرادوا أن يزوجوها منه فبلغ داود جمالها فخطبها أيضا فزوجوها منه فقدموه على أوريا فعوتب داود على الحرص على الدنيا عن الجبائى (و ثانيها) أنه أخرج أوريا إلى بعض ثغوره فقتل فلم يجزع عليه جزعه على أمثاله من جنده إذ مالت نفسه إلى نكاح امرأته فعوتب على ذلك بنزول الملكين (و ثالثها) أنه كان فى شريعته أن الرجل إذا مات و خلف امرأه فأولياؤه أحق بها إلا أن يرغبوا عن التزويج بها فحينئذ يجوز لغيرهم أن يتزوج بها فلما قتل أوريا خطب داود (عليه السلام) امرأته و منعت هيبه داود و جلالته أولياءه أن يخطبوها فعوتب على ذلك (و رابعها) أن داود كان متشاغلا بالعباده فأتاه رجل و امرأه متحاكمين إليه فنظر إلى المرأه ليعرفها بعينها و ذلك نظر مباح فمالت نفسه إليها ميل الطباع

ففضل بينهما و عاد إلى عباده ربه فشغله الفكر في أمرها عن بعض نوافله فعوتب (و خامسها) أنه عوتب على عجلته في الحكم قبل التثبت و كان يجب عليه حين سمع الدعوى من أحد الخصمين أن يسأل الآخر عما عنده فيها و لا يحكم عليه قبل ذلك و إنما أنساه التثبت في الحكم فزرعه من دخولهما عليه في غير وقت العاده و أما ما ذكر في القصة أن داود كان كثير الصلاة فقال يا رب فضلت على إبراهيم فاتخذته خليلاً- و فضلت على موسى فكلمته تكليماً فقال يا داود أنا ابتليناهم بما لم نبتلك بمثله فإن شئت ابتليتك فقال نعم يا رب فابتلني فيينا هو في محرابه ذات يوم إذ وقعت حمامه فأراد أن يأخذها فطارت إلى كوه المحراب فذهب ليأخذها فاطلع من الكوه فإذا امرأه أوريا بن حيان تغتسل فهويها و هم بتزويجها فبعث بأوريا إلى بعض سراياه و أمر بتقديمه أمام التابوت الذي فيه السكينه ففعل ذلك و قتل فلما انقضت عدتها تزوجها و بنى بها فولد له منها سليمان فيينا هو ذات يوم في محرابه يقرأ إذ دخل عليه رجلا-ن ففرع منهما فقالا- «لَا تَخَفْ خَصِيْمَانِ بَغِي بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ» إلى قوله «وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ» فنظر أحد الرجلين إلى صاحبه ثم ضحك فتنبه داود على أنهما ملكان بعثهما الله إليه في صورته خصمين ليبتكاه على خطيئته فتاب و بكى حتى نبت الزرع من كثره دموعه فمما لا- شبهه في فساده فإن ذلك مما يقدح في العدالة فكيف يجوز أن يكون أنبياء الله الذين هم أمناؤه على وحيه و سفراؤه بينه و بين خلقه بصفه من لا تقبل شهادته و على حاله تنفر عن الاستماع إليه و القبول منه جل أنبياء الله عن ذلك و قد

روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال لا أوتى برجل يزعم أن داود تزوج امرأه أوريا إلا جلدته حدان للنبوه و حدا للإسلام

و قال أبو مسلم لا يمتنع أن يكون الداخلان على داود كانا خصمين من البشر و أن يكون ذكر النعاج محمولاً على الحقيقه دون الكنايه و إنما خاف منهما لدخولهما من غير إذن و على غير مجرى العاده و إنما عوتب على أنه حكم بالظلم على المدعى عليه قبل أن يسأله.

[سوره ص (٣٨): الآيات ٢٦ الى ٢٩]

إشاره

يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَ لَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦) وَ مَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكُمْ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْمَأْرُضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٨) كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩)

ص: ٣١٥

قرأ أبو جعفر والأعمش والبرجمي لتدبروا بالتاء وتخفيف الدال والباقون بالياء وتشديد الدال.

الحجه

لتدبروا أصله لتدبروا فحذفت التاء الثانيه التي هي فاء الفعل وقوله «لِيَدَّبَّرُوا» أصله ليتدبروا فأدغم التاء فى الدال.

اللغه

الخليفه هو المدبر للأمر من قبل غيره بدلا من تدبيره و فلان خليفه الله فى أرضه معناه أنه جعل إليه تدبير عباده بأمره.

المعنى

ثم ذكر سبحانه إتمام نعمته على داود (عليه السلام) بقوله «يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ» أى صيرناك خليفه تدبر أمور العباد من قبلنا بأمرنا وقيل معناه جعلناك خلف من مضى من الأنبياء فى الدعاء إلى توحيد الله تعالى و عدله و بيان شرائعه عن أبى مسلم «فأحككم بين الناس بالحق» أى أفضل أمورهم بالحق و ضع كل شىء موضع «و لا تتبع الهوى» أى ما يميل طبعك إليه و يدعو هواك إليه إذا كان مخالفا للحق «فَيَضِئُ لَكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» معناه إنك إذا اتبعت الهوى عدل الهوى بك عن سبيل الحق الذى هو سبيل الله «إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» أى يعدلون عن العمل بما أمرهم الله «لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ» أى لهم عذاب شديد يوم الحساب بتركهم طاعات الله فى الدنيا عن عكرمه و السدى و يكون على هذا يتعلق يوم الحساب بعذاب شديد و قيل معناه لهم عذاب شديد بإعراضهم عن ذكر يوم القيامة فيكون يوم متعلقا بنسوا «و ما خلقتنا السماء و الأرض و ما بينهما باطلا» لا غرض فيه حكى بل خلقناهما لغرض حكى و هو ما فى

ذلك من إظهار الحكمة و تعريض أنواع الحيوان للمنافع الجليلة و تعريض العقلاء منهم للثواب العظيم و هذا ينافى قول أهل الجبر أن كل باطل و ضلال فهو من فعل الله «ذَلِكَ ظُنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا» بالله و جحدوا حكمته «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ» ظاهر المعنى ثم قال سبحانه على وجه التوبيخ للكفار على وجه الاستفهام «أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا» معناه بل أ نجعل الذين صدقوا الله و رسله «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» و الطاعات «كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ» العاملين بالمعاصى «أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ» أى بل أ نجعل المتقين الذين اتقوا المعاصى لله خوفا من عقابه كالفجار الذين عملوا بالمعاصى و تركوا الطاعات أى أن هذا لا يكون أبدا ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال «كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ» أى هذا القرآن كتاب منزل إليك مبارك أى كثير نفعه و خيره فإن فى التدين به يستبين الناس ما أنعم الله عليهم «لِيَذَّبُوا آيَاتِهِ» أى ليتفكر الناس و يتعضوا بمواعظه «وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ» أى أولو العقول فهم المخاطبون به.

[سوره ص (٣٨): الآيات ٣٠ الى ٤٠]

اشاره

وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَفُطِقَ مَسِيحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (٣٣) وَ لَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَ أَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤)

قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَ الشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَ غَوَّاصٍ (٣٧) وَ آخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩)

وَ إِنِّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَ حُسْنُ مَآبٍ (٤٠)

ص: ٣١٧

الصفات جمع الصافنه من الخيل و هى التى تقوم على ثلاث قوائم و ترفع إحدى يديها حتى تكون على طرف الحافر يقال صفت الخيل تصفن صفونا إذا وقفت كذلك قال الشاعر:

ألف الصفون فلا يزال كأنه مما يقوم على الثلاث كسيرا

و الجياد جمع جواد و الياء هاهنا منقلبه عن واو و الأصل جواد و هى السراع من الخيل كأنها تجود بالركض و قيل هو جمع جود فيكون مثل سوط و سياط و الكرسي السرير و أصله من التكرس و هو الاجتماع و منه الكراسه لاجتماعها و الرخاء الريح اللينه و هى من رخاوه المرور و سهولته و الأصفاد جمع صفد و هو الغل و منه يقال للعتاء صفد لأنه يرتبط بشكره كما قيل:

" و من وجد الإحسان قيذا تقيدا "

. الإعراب

«حُبَّ الْخَيْرِ» نصب على أنه مفعول به و التقدير اخترت حب الخير و عن فى قوله «عَنْ ذِكْرِ رَبِّي» بمعنى على و على هذا فيكون أحببت بمعنى استحبت مثل ما فى قوله الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ أى يؤثرونها و قال أبو على أحببت بمعنى قعدت و لزم من قولهم أحب البعير إذا برك و قوله «حُبَّ الْخَيْرِ» مفعول له أى لزم الأرض لحب الخير معرضا عن ذكر ربي فعن فى موضع نصب على الحال و ذكر مصدر مضاف إلى المفعول و يجوز أن يكون مضافا إلى الفاعل أى عما ذكرنى ربي حيث أمرنى فى التوراه بإقامه الصلاة «تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ» أى توارت الشمس و لم يجر لها ذكر لأنه شىء قد عرف كقوله سبحانه إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ يُعْنَى الْقُرْآنَ و لم يجر له ذكر و قوله كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِنَّ عَنِ الْأَرْضِ قَالَ الزَّجَاجُ فى الآية دليل يدل على الشمس و هو قوله «إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ» فهو فى معنى عرض عليه بعد زوال الشمس حتى توارت الشمس بالحجاب قال و ليس يجوز الإضمار إلا أن يجرى ذكر أو دليل بمنزله الذكر و قوله «مَسِيحًا» مصدر فعل محذوف و هو خبر طفق التقدير فطفق يمسح مسحاً و قوله «رُخَاءً» منصوب على الحال و العامل فيه تجرى فهو حال من حال لأن تجرى فى محل نصب بكونه حالا و «كُلُّ بَنَاءٍ» بدل من الشياطين بدل البعض من الكل و قوله «بِغَيْرِ حِسَابٍ» فى موضع نصب على الحال تقديره غير محاسب.

المعنى

ثم عطف سبحانه على قصه داود (عليه السلام) حديث سليمان فقال «وَوَهَبْنَا

لِدَاوُدَ سَلِيمَانَ» أَي وَهَبْنَاهُ لَهُ وَلِدًا «نِعْمَ الْعَبْدُ» أَي نِعْمَ الْعَبْدُ سَلِيمَانَ «إِنَّهُ أَوَّابٌ» أَي رَجَاعٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي أُمُورِ دِينِهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ «إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ» يَجُوزُ أَنْ يَتَّعَلَقَ إِذْ بِنِعْمِ الْعَبْدِ أَي نِعْمَ الْعَبْدِ هُوَ حِينَ عَرَضَ عَلَيْهِ وَيَجُوزُ أَنْ يَتَّعَلَقَ بِأَذْكَرِ يَا مُحَمَّدَ الْمُحَذَّوْفِ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ «بِالْعَيْشِيِّ» أَي فِي آخِرِ النَّهَارِ بَعْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ «الصَّافِنَاتُ» الْخَيْلُ الْوَاقِفَةُ عَلَى ثَلَاثِ قَوَائِمِ الْوَاضِعِ طَرَفِ السَّنْبَكِ الرَّابِعِ عَلَى الْأَرْضِ «الْجِيَادُ» السَّرِيعَةُ الْمَشْيِ الْوَاسِعَةُ الْخَطْوِ قَالَ مَقَاتِلُ أَنَّهُ وَرِثَ مِنْ أَبِيهِ أَلْفَ فَرَسٍ وَكَانَ أَبُوهُ قَدْ أَصَابَ ذَلِكَ مِنَ الْعَمَالِقِ وَقَالَ الْكَلْبِيُّ غَزَا سَلِيمَانَ دِمَشْقَ وَنَصِيْبِيْنَ فَأَصَابَ أَلْفَ فَرَسٍ وَقَالَ الْحَسَنُ كَانَتْ خَيْلًا خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ لَهَا أَجْنَحُهَا وَكَانَ سَلِيمَانَ قَدْ صَلَّى الصَّلَاةَ الْأُولَى وَقَعَدَ عَلَى كُرْسِيِّهِ وَالْخَيْلُ تَعَرَّضَ عَلَيْهِ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ «فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي» وَالْمُرَادُ بِالْخَيْرِ الْخَيْلِ هُنَا فَإِنَّ الْعَرَبَ تَسْمِي الْخَيْلَ الْخَيْرَ عَنِ قِتَادِهِ وَالسُّدَى فَالْمَعْنَى آثَرْتُ حُبَّ الْخَيْلِ مِنْ ذِكْرِ رَبِّي أَي عَلَى ذِكْرِ رَبِّي قَالَ الْفَرَاءُ كُلُّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا فَقَدْ آثَرَهُ وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ حُبَّ الْخَيْلِ وَاسْمُ النَّبِيِّ صَ زَيْدُ الْخَيْلِ زَيْدُ الْخَيْرِ وَ

قَالَ صَ الْخَيْرُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِي الْخَيْلِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

وَقِيلَ مَعْنَاهُ حُبُّ الْمَالِ عَنِ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ وَالْخَيْلُ مَالٌ وَالْخَيْرُ بِمَعْنَى الْمَالِ كَثِيرٌ فِي التَّنْزِيلِ وَ

قِيلَ إِنْ هَذِهِ الْخَيْلُ كَانَتْ شَغَلَتْهُ عَنِ صَلَاةِ الْعَصْرِ حَتَّى فَاتَتْ وَقْتَهَا عَنِ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

وَقِتَادِهِ وَالسُّدَى وَفِي رَوَايَاتٍ أَصْحَابُنَا أَنَّهُ فَاتَهُ أَوَّلَ الْوَقْتِ وَقَالَ الْجَبَائِيُّ لَمْ يَفْتَهُ الْفَرَسُ وَإِنَّمَا فَاتَهُ نَفْلٌ كَانَ يَفْعَلُهُ آخِرَ النَّهَارِ لِاسْتِغَالِهِ بِالْخَيْلِ وَقِيلَ إِنْ ذَكَرَ رَبِّي كُنَايَةً عَنِ كِتَابِ اللَّهِ التَّوْرَةِ فَالْمَعْنَى إِنِّي أَحْبَبْتُ الْخَيْلَ عَنِ كِتَابِ اللَّهِ وَكَمَا أَنَّ ارْتِبَاطَ الْخَيْلِ مَمْدُوحٌ فِي كِتَابِنَا كَذَلِكَ كَانَ فِي كِتَابِهِمْ عَنِ أَبِي مُسْلِمٍ «حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ» أَي غَرَبَتِ الشَّمْسُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَجَمَاعِهِ مِنَ الْمَفْسَرِينَ وَجَازٌ وَإِنْ لَمْ يَجْرَ لِلشَّمْسِ ذِكْرٌ كَمَا قَالَ لَيْبِدٌ:

حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَدَا فِي كَافِرٍ وَأَجْنَ عَوْرَاتِ الثَّغُورِ ظَلَامَهَا

وَقِيلَ الضَّمِيرُ لِلْخَيْلِ يَعْنِي حَتَّى تَوَارَتْ الْخَيْلُ بِالْحِجَابِ بِمَعْنَى أَنَّهَا شَغَلَتْ فِكْرَهُ إِلَى تِلْكَ الْحَالِ وَهِيَ غَيَّبَتْهَا عَنِ بَصَرِهِ وَ ذَلِكَ بِأَنَّهُ أَمَرَ بِإِجْرَاءِ الْخَيْلِ فَأَجْرِيَتْ حَتَّى غَابَتْ عَنِ بَصَرِهِ عَنِ أَبِي مُسْلِمٍ وَ عَلِيٌّ بْنُ عَيْسَى «رُدُّوْهَا عَلَيَّ» أَي قَالَ لِأَصْحَابِهِ رَدُّوا الْخَيْلَ عَلَيَّ

قيل معناه أنه سأل الله تعالى أن يرد الشمس عليه فردها عليه حتى صلى العصر فالهاء فى ردوها كناية عن الشمس عن على بن أبى طالب (عليه السلام)

«فَطَفِقَ مَسِيحًا بِالسُّوقِ وَ الْأَعْنَاقِ» قيل فيه وجوه (أحدها) أن المسح هاهنا القطع و المعنى أنه أقبل يضرب سوقها و أعناقها لأنها كانت سبب فوت صلاته عن الحسن و مقاتل و قال أبو عبيده تقول العرب مسح علاوته أى ضرب عنقه و قيل إنه إنما فعل ذلك لأنها كانت أعز ماله فتقرب إلى الله تعالى بأن ذبحها ليتصدق بلحومها و يشهد بصحته قوله لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ (و ثانيها) أن معناه فجعل يمسح أعراف خيله و عراقبيها بيده حبا لها عن ابن عباس و الزهرى و ابن كيسان

قال ابن عباس سألت عليا (عليه السلام) عن هذه الآية فقال ما بلغك فيها يا ابن عباس قلت سمعت كعبا يقول اشتغل سليمان بعرض الأفراس حتى فأتته الصلاة فقال ردوها على يعنى الأفراس كانت أربعة عشر فأمر بضرب سوقها و أعناقها بالسيف فقتلها فسلبه الله ملكه أربعة عشر يوما لأنه ظلم الخيل بقتلها فقال على (عليه السلام) كذب كعب لكن اشتغل سليمان بعرض الأفراس ذات يوم لأنه أراد جهاد العدو حتى توارت الشمس بالحجاب فقال بأمر الله تعالى للملائكة الموكلين بالشمس ردوها على فردت فصلى العصر فى وقتها و إن أنبياء الله لا يظلمون و لا يأمرن بالظلم لأنهم معصومون مطهرون

(و ثالثها) أنه مسح أعناقها و سوقها و جعلها مسبله فى سبيل الله تعالى و قيل لتغلب إن قطربا يقول مسحها و بارك عليها فأنكر ذلك و قال القول ما قال الفراء إنه ضرب أعناقها و سوقها ثم قال سبحانه «وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ» أى اختبرناه و ابتليناه و شددنا المحنة عليه «وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً» أى و طرحنا عليه جسدا و الجسد الذى لا روح فيه ثم أناب سليمان و اختلف العلماء فى زلته و فتنته و الجسد الذى ألقى على كرسيه على أقوال " منها "

أن سليمان قال يوما فى مجلسه لأطوفن الليلة على سبعين امرأه تلد كل امرأه منهن غلاما يضرب بالسيف فى سبيل الله و لم يقل إن شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل منهن إلا امرأه واحده جاءت بشق ولد رواه أبو هريره عن النبى ص قال ثم قال فو الذى نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا

الجسد الذى ألقى على كرسيه كان هذا ثم أناب إلى الله تعالى و فزع إلى الصلاة و الدعاء على وجه الانقطاع إليه سبحانه و هذا لا يقتضى أنه وقع منه معصيه صغيره و لا كبيره لأنه و إن لم يستثن ذلك لفظا فلا بد من أن يكون قد استثناه ضميرا و اعتقادا إذ لو كان قاطعا للقول بذلك لكان مطلقا لما لا يأمن من أن يكون كذبا إلا أنه لما لم يذكر لفظه الاستثناء عوتب على ذلك من حيث ترك ما هو مندوب إليه " و منها " ما

روى أن الجن و الشياطين لما ولد لسليمان ابن قال بعضهم لبعض إن عاش له ولد لتلقين منه ما لقينا من أبيه من البلاء فأشفق منهم عليه

فاسترضعه في المزن و هو السحاب فلم يشعر إلا و قد وضع على كرسيه ميتا تنبها على أن الحذر لا ينفع عن القدر فإنما عوتب على خوفه من الشياطين عن الشعبي و هو المروى عن أبي عبد الله (عليه السلام)

" و منها " أنه ولد له ولد ميت جسد بلا روح فألقى على سريره عن الجبائي و منها أن الجسد المذكور هو جسد سليمان لمرض امتحنه الله تعالى به و تقدير الكلام و ألقينا منه على كرسيه جسدا لشده المرض فيكون جسدا منصوبا على الحال و العرب تقول في الإنسان إذا كان ضعيفا هو جسد بلا روح و لحم على وضم «ثُمَّ أَنَابَ» أى رجع إلى حال الصحة عن أبي مسلم و استشهاد على ذلك بقوله تعالى وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ * إلى قوله يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ و لو أتى بالكلام على شرحه لقال يقول الذين كفروا منهم أى من المجادلين كما قال سبحانه مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى قَوْلِهِ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً و مثله قول الأعشى:

و كان السموط علقها السلوك بعطفى جيداء أم غزال.

و لو أتى بالشرح لقال علقها السلوك منها و قال كعب بن زهير:

زالوا فما زال أنكاس و لا كشف عند اللقاء و لا ميل معازيل

و لو أتى بالشرح لقال فما زال منهم أنكاس و أما ما ذكر عن ابن عباس أنه ألقى شيطان اسمه صخر على كرسيه و كان ماردا عظيما لا يقوى عليه جميع الشياطين و كان نبي الله سليمان لا يدخل الكنيف بخاتمه فجاء صخر فى صورته سليمان حتى أخذ الخاتم من امرأه من نساءه و أقام أربعين يوما فى ملكه و سليمان هارب و عن مجاهد أن شيطانا اسمه آصف قال له سليمان كيف تفتنون الناس قال أرني خاتمك أخبرك بذلك فلما أعطاه إياه نبذه فى البحر فذهب ملكه و قعد الشيطان على كرسيه و منعه الله تعالى نساء سليمان فلم يقربهن و كان سليمان يستطعم فلا يطعم حتى أعطته امرأه يوما حوتا فشق بطنه فوجد خاتمته فيه فرد الله عليه ملكه و عن السدى أن اسم ذلك الشيطان حقيق و ما ذكر أن السبب فى ذلك أن الله سبحانه

أمره بأن لا- يتزوج في غير بنى إسرائيل فتزوج من غيرهم وقيل بل السبب فيه أنه وطئ امرأه في حال الحيض فسال منه الدم فوضع خاتمه و دخل الحمام فجاء إبليس الشيطان و أخذه و قيل تزوج امرأه مشركه و لم يستطع أن يكرهها على الإسلام فعبدت الصنم في داره أربعين يوماً فابتلاه الله بحديث الشيطان و الخاتم أربعين يوماً و قيل احتجب ثلاثه أيام و لم ينظر في أمر الناس فابتلى بذلك فإن جميع ذلك مما لا- يعول عليه لأن النبوه لا- تكون في خاتم و لا- يجوز أن يسلبها الله النبي و لا أن يمكن الشيطان من التمثل بصوره النبي و القعود على سريره و الحكم بين عباده و بالله التوفيق ثم حكى سبحانه دعاء سليمان حين أناب إلى الله تعالى بقوله «قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ» يسأل عن هذا فيقال إن هذا القول من سليمان يقتضى الضن و المنافسه لأنه لم يرض بأن يسأل الملك حتى أضاف إلى ذلك أن يمنع غيره منه و أوجب عنه بأجوبه (أحدها) أن الأنبياء لا- يسألون إلا ما يؤذن لهم في مسألته و جائز أن يكون الله تعالى أعلم سليمان أنه إن سأل ملكاً لا يكون لغيره كان أصلح له في الدين و أعلمه أنه لا صلح لغيره في ذلك و لو أن أحدنا صرح في دعائه بهذا الشرط حتى يقول اللهم اجعلنى أكثر أهل زمانى مالا إذا علمت أن ذلك أصلح لى لكان ذلك منه حسناً جائزاً و لا ينسب فى ذلك إلى شح و ضن و اختاره الجبائى (و ثانيها) أنه يجوز أن يكون التمس من الله تعالى آيه لنبوته يبين بها من غيره و أراد لا ينبغى لأحد غيرى ممن أنا مبعوث إليه و لم يرد من بعده إلى يوم القيامة من النبيين كما يقال إنا لا أطيع أحدا بعدك أى لا أطيع أحدا سواك (و ثالثها) ما قاله المرتضى قدس الله روحه إنه يجوز أن يكون إنما سأل ملك الآخرة و ثواب الجنة و يكون معنى قوله «لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي» لا يستحقه بعد وصولى إليه أحد من حيث لا يصلح أن يعمل ما يستحق به ذلك لانقطاع التكليف (و رابعها) أنه التمس معجزه تختص به كما أن موسى يختص بالعصا و اليد البيضاء و اختص صالح بالناقة و محمد ص بالمعراج و القرآن و يدل عليه ما

روى مرفوعاً عن النبي ص أنه صلى صلاه فقال إن الشيطان عرض لى ليفسد على الصلاه فأمكننى الله منه فدفعته و لقد هممت أن أوثقه إلى ساريه حتى تصبحوا و تنظروا إليه أجمعين فذكرت قول سليمان «رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي» فرده الله خاسئاً أورده البخارى و مسلم فى الصحيحين

ثم بين سبحانه أنه أجاب دعاه بقوله «فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً» أى لينه سهله عن ابن زيد و قيل طيبه سريعه عن قتاده و قيل مطيعه تجرى إلى حيث يشاء عن ابن عباس «حَيْثُ أَصَابَ» أى حيث أراد سليمان من النواحي عن أكثر المفسرين و حقيقته حيث قصد و المعنى أنه ينطاع له كيف أراد قال الحسن كان يغدو من إيليا و يقيل بقزوين و بيت بكابل " سؤال "

كيف وصف سبحانه الريح بالعاصف في قوله وَ لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً و وصفها هنا بخلافه " جوابه " يجوز أن يكون الله سبحانه جعلها عاصفه تاره و رخاء أخرى بحسب ما أراد سليمان (عليه السلام) «وَ الشَّيَاطِينِ» أى و سخرنا له الشياطين أيضا «كُلَّ بَنَاءٍ» فى البر يبنى له ما أراد من الأبنية الرفيعة «وَ غَوَاصٍ» فى البحر على اللالكى و الجواهر فيستخرج له ما يشاء منها «وَ آخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى الْأَصْفَادِ» أى و سخرنا له آخرين من الشياطين مشدودين فى الأغلال و السلاسل من الحديد و كان يجمع بين اثنين و ثلاثة منهم فى سلسله لا- يمتنعون عليه إذا أراد ذلك بهم عند تمردهم و قيل إنه إنما كان يفعل ذلك بكفارهم فإذا آمنوا أطلقهم «هذا عَطَاؤُنَا» أى هذا الذى تقدم ذكره من الملك الذى لا ينبغى لأحد من بعدك عطاؤنا «فَأَمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ» أى فأعط من الناس من شئت و امنع من شئت و المن الإحسان إلى من لا- يستثيه «بِغَيْرِ حِسَابٍ» أى لا تحاسب يوم القيامة على ما تعطى و تمنع فيكون أهنأ لك عن قتاده و الضحاك و سعيد بن جبير و قيل معناه بغير جزاء أى أعطيناكه تفضلا لا مجازاه عن الزجاج و قيل إن المعنى فأنعم على من شئت من الشياطين بإطلاقه أو أمسك من شئت منهم فى وثاقه و صرفه فى عمله من غير حرج عليك فيما تفعله «وَ إِنْ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَ حُسْن مَّآبٍ» معناه و إن لسليمان عندنا لقربى و حسن مرجع فى الآخرة و هذا من أعظم النعم إذ هى النعمة الباقية الدائمة.

[سوره ص (٣٨): الآيات ٤١ الى ٤٤]

اشاره

وَ اذْكُرْ عِبَادَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَ عِذَابٍ (٤١) اذْكُرْ بِرَجُلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَ شَرَابٌ (٤٢) وَ وَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَ ذِكْرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ (٤٣) وَ خُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا فَاضْرِبْ بِهِ وَ لَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤)

القراءه

قرأ أبو جعفر بنصب بضمين و قرأ يعقوب بنصب بفتحيتين و الباقون بضم النون و سكون الصاد.

ص: ٣٢٣

الحججه

قال الزجاج النصب و النصب لغتان كالرشد و الرشد و البخل و البخل تقول نصبت نصبا و نصبا قال أبو عبيده النصب البلاء و الشر و أنشد لبشر بن أبي حازم:

" تعناك نصب من أميمه منصب "

و من قرأ بنصب بضمين فإنه أتبع الصاد ما قبله فهي أربع لغات.

اللغه

الركض الدفع بالرجل على جهة الإسراع و منه ركض الفرس لإسراعه إذا دفعه برجله قال سيبويه يقال ركضت الدابه و ركضتها فهو مثل جبر العظم و جبرته و الضغث ملء الكف من الشجره و الحشيش و الشماريخ و ما أشبه ذلك.

المعنى

ثم ذكر سبحانه قصه أيوب (عليه السلام) فقال «وَ اذْكُرْ» يا محمد «عَبَدْنَا أَيُّوبَ» شرفه الله سبحانه بأنه أضافه إلى نفسه و اقتد به فى الصبر على الشدائد و كان فى زمان يعقوب ابن إسحاق و تزوج ليا بنت يعقوب «إِذ نادى رَبَّهُ» أى حين دعا ربه رافعا صوته يقول يا رب لأن النداء هو الدعاء بطريقه يا فلان و متى قال اللهم افعل بى كذا و كذا كان داعيا و لا يكون مناديا «أَنِّي مَسْنِيَّ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَ عَذَابٍ» أى بتعب و مكروه و مشقه و قيل بوسوسه فيقول له طال مرضك و لا يرحمك ربك عن مقاتل و قيل بأن يذكره ما كان فيه من نعم الله تعالى من الأهل و الولد و المال و كيف زال ذلك كله و حصل فيما هو فيه من البليه طمعا أن يزيله بذلك و يجد طريقا إلى تضجره و تبرمه فوجده صابرا مسلما لأمر الله و

قيل إنه اشتد مرضه حتى تجنبه الناس فوسوس الشيطان إلى الناس أن يستقذروه و يخرجوه من بينهم و لا- يتركوا امرأته التى تخدمه أن تدخل عليهم فكان أيوب يتأذى بذلك و يتألم منه و لم يشك الألم الذى كان من أمر الله تعالى قال قتاده دام ذلك سبع سنين و روى ذلك عن أبي عبد الله (عليه السلام)

قال أهل التحقيق أنه لا يجوز أن يكون بصفه يستقذره الناس عليها لأن فى ذلك تنفييرا فأما المرض و الفقر و ذهاب الأهل فيجوز أن يمتحنه الله بذلك فأجاب الله دعاءه و قال له «ارْكُضْ بِرِجْلِكَ» أى ادفع برجلك الأرض «هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَ شَرَابٌ» و فى الكلام حذف أى فركض رجله فنبعت بركضته عين ماء و قيل نبعت عينان فاغتسل من أحدهما فبرأ و شرب من الآخر فروى عن قتاده و المغتسل الموضع الذى يغتسل منه و قيل هو اسم للماء الذى يغتسل به عن ابن قتيبه «وَ وَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ» هذا مفسر فى سورة الأنبياء و

روى عن أبي عبد الله (عليه السلام) أن الله تعالى أحيا له أهله الذين كانوا ماتوا قبل البليه و أحيا له أهله الذين ماتوا و هو فى البليه

«رَحْمَةً مِنَّا» أى فعلنا ذلك به لرحمتنا إياه فيكون منصوبا بأنه مفعول له و يجوز أن يكون منصوبا على المصدر لما كانت الموهبه
بمعنى الرحمه «و ذِكْرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ» أى ليتذكر و يعتبر به ذوو الألباب أى العقول و يعرفوا حسن عاقبه الصبر فيصبروا كما
صبر قالوا أنه أطعم

ص: ٣٢٤

جميع أهل قريته سبعة أيام و أمرهم بأن يحمدا الله و يشكروه «وَ خُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا» و هو ملء الكف من الشماريخ و ما أشبه ذلك أى و قلنا له ذلك و ذلك أنه حلف على امرأته لأمر أنكره من قولها لئن عوفى ليضربنها مائه جلده فليل له خذ ضغتنا بعدد ما حلفت به «فَأَضْرِبْ بِهِ» أى و اضربها به دفعه واحده فإنك إذا فعلت ذلك برت يمينك «وَلَا تَحْنُثْ» فى يمينك نهاه عن الحنث و روى عن ابن عباس أنه قال كان السبب فى ذلك أن إبليس لقيها فى صوره طيب فدعته لمداواه أيوب (عليه السلام) فقال أداويه على أنه إذا برىء قال أنت شفيتنى لا أريد جزاء سواء قالت نعم فأشارت إلى أيوب بذلك فحلف ليضربنها و قيل إنها كانت ذهبت فى حاجه فأبطأت فى الرجوع فضاقت صدر المريض فحلف ثم أخبر سبحانه عن حال أيوب و عظم منزلته فقال «إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا» على البلاء الذى ابتليناه به «نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ» أى رجاع إلى الله منقطع إليه و

روى العياشى بإسناده أن عباد المكى قال قال لى سفيان الثورى إنى أرى لك من أبى عبد الله (عليه السلام) منزله فأسأله عن رجل زنى و هو مريض فإن أقيم عليه الحد خافوا أن يموت ما تقول فيه فسألته فقال لى هذه المسأله من تلقاء نفسك أو أمرك بها إنسان فقلت إن سفيان الثورى أمرنى أن أسألك عنها فقال إن رسول الله ص أتى برجل أحجن قد استسقى بطنه و بدت عروق فخذه و قد زنى بامرأه مريضه فأمر رسول الله ص فأتى بعرجون فيه مائه شمراخ فضربه به ضربه و ضربها به ضربه و خلى سبيلهما و ذلك قوله «وَ خُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ».

إشارة

وَ اذْكُرْ عِبَادَنَا اِبْرَاهِيمَ وَ اِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ اُولَى الْاَيْدِى وَ الْاَبْصَارِ (۴۵) اِنَّا اَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (۴۶) وَ اِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُضْطَّغَيْنِ الْاَخْيَارِ (۴۷) وَ اذْكُرْ اِسْمَاعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ ذَا الْكُفْلِ وَ كُلٌّ مِّنَ الْاَخْيَارِ (۴۸) هَذَا ذِكْرٌ وَ اِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنَ مَّآبٍ (۴۹)

جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَهَ لَهُمُ الْاَبْوَابُ (۵۰) مُتَّكِنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَه كَثِيرَه وَ شَرَابٍ (۵۱) وَ عِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ اَثْرَابٌ (۵۲) هَذَا مَا تُوَعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ (۵۳) اِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ (۵۴)

القراءة

قرأ ابن كثير وحده و اذكر عبدنا ابراهيم و الباقون «عبادنا» و قرأ أهل المدينة و هشام بخالصة ذكرى الدار غير منون على الإضافة و الباقون بالتنوين و خلافهم فى «وَ الْيَسَعَ» مذکور فى سورة الأنعام و قرأ ابن كثير و أبو عمرو ما يوعدون بالياء و ابن كثير وحده يقرأ فى سورة ق بالياء أيضا و الباقون بالتاء فى الموضوعين و فى الشواذ قراءه الحسن و الثقفى أولى الأيدى بغير ياء.

الحجة

قال أبو على من قرأ عبدنا فإنه اختصه بالإضافة على وجه التكرمه له و الاختصاص بالمنزله الشريفه كما قيل فى مکه بيت الله و من قرأ «عبادنا» أجرى هذا الوصف على غيره من الأنبياء أيضا و جعل ما بعده بدلا من العباد و الأول جعل ابراهيم بدلا و ما بعده معطوفا على المفعول به المذكور و قوله «بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ» يحتتمل أمرين (أحدهما) أن يكون ذكرى بدلا من الخالصة تقديره إنا أخلصناهم بالذكرى الدار و يجوز أن يقدر فى قوله «ذِكْرَى» التنوين فىكون الدار فى موضع نصب تقديره بأن يذكروا الدار بالتأهب للآخرة (و الثانى) أن لا يقدر البدل و لكن يكون الخالصة مصدرا فىكون مثل قوله مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ و يكون المعنى بخالصة تذكر الدار و يقوى هذا الوجه ما روى من قراءه الأعمش بخالصتهم ذكرى الدار و هذا يقوى النصب فكأنه قال بأن أخلصوا تذكير الدار فإذا نونت خالصة احتتمل أمرين (أحدهما) أن يكون المعنى بأن خلصت لهم ذكرى الدار فىكون ذكرى فى موضع رفع بأنه فاعل (و الآخر) أن يقدر المصدر الذى هو خالصة من الإخلاص فحذفت الزيادة فىكون المعنى بإخلاص ذكرى فىكون ذكرى فى موضع نصب و الدار يجوز أن يعنى بها الدنيا و يجوز أن يعنى بها الآخرة و الذى يدل على أنه يجوز أن يراد بها الدنيا قوله تعالى فى الحكايه عن ابراهيم وَ اجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِى الْآخِرِينَ وَ قَوْلَهُ وَ جَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ فَاللسان هو القول الحسن و الثناء عليه لا الجارحه كما فى قول الشاعر

ندمت على لسان فأت منى فليت بأنه فى جوف عكم

و كذلك قول الآخر

إني أتاني لسان لا أسر به من علو لا كذب فيه ولا سخر

وقوله تعالى «وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَ سَلَامًا عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ» والمعنى أبقينا عليهم الثناء الجميل في الدنيا فالدار في هذا التقدير ظرف و القياس أن يتعدى الفعل و المصدر إليه بالحرف و لكنه على ذهب الشام عند سيويه

" و كما عسل الطريق الثعلب "

(و أما) جواز كون الدار الآخرة في قوله «أَخْلَصْنَا لَهُمْ بِخَالِصِهِ ذِكْرِي الدَّارِ» فيكون ذلك بإخلاصهم ذكري الدار و يكون ذكركم لها و جل قلوبهم منها و من حسابها كما قال وَ هُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ فالدار على هذا مفعول بها و ليست كالوجه المتقدم و أما من أضاف فقال بخالصة ذكري الدار فإن الخالصة تكون على ضرور تكون للذكر و غير الذكر فإذا أضيفت إلى ذكري اختصت الخالصة بهذه الإضافة فتكون هذه الإضافة إلى المفعول به كأنه بإخلاصهم ذكري الدار أي بأن أخلصوا ذكرها و الخوف منها لله و يكون على إضافة المصدر الذي هو الخالصة إلى الفاعل تقديره بأن خلصت لهم ذكري الدار و الدار على هذا يحتمل الوجهين اللذين تقدما من كونها للآخرة و الدنيا فأما قوله وَ قَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا فيجوز في خالصة وجهان (أحدهما) أن يكون مصدرا كالعاقبة (و الآخر) أن يكون وصفا و كلا الوجهين يحتمل الآيه فيجوز أن يكون ما في بطون هذه الأنعام ذات خلوص و يجوز أن يكون الصفه و أنت على المعنى لأنه كثره و المراد به الأجنه و المضامين فيكون التأنيث على هذا و من قرأ الليسع جعله اسما على صورته الصفات كالحارث و العباس ألا ترى أن فيعلا مثل ضيغم و حيدر كثير في الصفات و وجه قراءه من قرأ «وَ الْيَسَعَ» أن الألف و اللام قد يدخلان الكلمه على وجه الزيادة كما حكى أبو الحسن الخمسه عشر درهما قال

و لقد جنيتك أكمؤا و عساقلا و لقد نهيتك عن بنات الأوبر

و بنات الأوبر ضرب من الكمأه معرفه فأدخل في المعرفه الألف و اللام على وجه

ص: ٣٢٧

الزيادة فكذلك التي تكون في اليسع و من قرأ «هذا ما تُوعِدُونَ» بالثناء فعلى معنى قل للمتقين هذا ما توعدون و الياء على معنى «وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ» هذا ما يوعدون و الياء أعم لأنه يصلح أن يدخل فيه الغيب من الأنبياء و أما في سورة ق فنحو هذا وَ أزلقت الجنة للمتقين هذا ما توعدون أيها المتقون على الرجوع من الغيبه إلى الخطاب أو على قل لهم هذا ما توعدون و الياء على إخبار النبي ص بما وعدوا كأنه هذا ما يوعدون أيها النبي و من قرأ أولى الأيد بغير ياء فإنه يحتمل أن يكون أراد الأيدي فحذف الياء تخفيفا كقوله يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ و نحو ذلك و يحتمل أن يكون أراد بالأيد القوه في طاعه الله و يدل عليه أنه مقرون بالأبصار أي البصر بما يحظى عند الله و على هذا فالأيدي هنا إنما هي جمع اليد التي هي القوه لا التي هي الجارحه و لا النعمه لكنه كقولك له يد في الطاعه.

الإعراب

قال الزجاج جنات بدل من حسن مآب «مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ» أي مفتحه لهم الأبواب منها و قال بعضهم مفتحه لهم أبوابها و المعنى واحد إلا أن على تقدير العريبه الأبواب منها أجود أن يجعل الألف و اللام بدلا من الهاء و الألف لأن معنى الألف و اللام ليس من معنى الهاء و الألف في شىء لأن الهاء و الألف اسم و الألف و اللام دخلتا للتعريف و لا يبدل حرف جاء بمعنى من اسم و لا ينوب عنه قال أبو علي مفتحه صفه لجنات عدن و في مفتحه ضمير يعود إلى جنات و الأبواب بدل من ذلك الضمير لأنك تقول فتحت الجنان إذا فتحت أبوابها فيكون من بدل البعض من الكل نحو ضربت زيدا رأسه و في القرآن وَ فَتَحَتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا و ليس جنات عدن معرفه إذ ليس عدن بعلم و إنما هو بمنزله جنات إقامه و قوله «هذا» خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمر هذا و يجوز أن يكون مبتدأ محذوف الخبر أي هذا أمرهم.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم حديث الأنبياء فقال «وَ أذْكُرُّ» يا محمد لقومك و أمتك «عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ» ليقعدوا بهم في حميد أفعالهم و كريم خلالهم فيستحقوا بذلك حسن الثناء في الدنيا و جزيل الثواب في العقبى كما استحق أولئك و إذا قرئ عبدنا فيكون التقدير و اذكر عبدنا إبراهيم خصه بشرف الإضافه إلى نفسه و اذكر إسحاق و يعقوب وصفهم جميعا فقال «أُولَى الْأَيْدِي» أي ذوى القوه على العباده «وَ الْأَبْصَارِ» الفقه في الدين عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و معناه أولى العلم و العمل فالأيدي العمل و الأبصار العلم عن أبي مسلم و قيل أولى الأيدي أولى النعم على عباد الله بالدعاء إلى الدين و الأبصار جمع البصر و هو العقل «إِنَّا أَخْلَصْنَاكُمْ بِخَالِصِهِ ذِكْرَى الدَّارِ»

أى جعلناهم لنا خالصين بأن خلصت لهم ذكرى الدار و الخالصة بمعنى الخلوص و الذكري بمعنى التذكير أى خلص لهم تذكير الدار و هو أنهم كانوا يتذكرونها بالتأهب لها و يزهدون فى الدنيا كما هو عادة الأنبياء و قيل المراد بالدار الدنيا عن الجبائى و أبى مسلم أى خصصناهم بالذكر فى الأعقاب من بين أهل الدنيا «وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنَا» و بحسب ما سبق فى علمنا «لَمِنَ الْمُضِيَّطَيْنِ» للنبوه و تحمل أعباء الرساله «الْأَخْيَارِ» جمع خير كالأموات جمع ميت و هو الذى يفعل الأفعال الكثيره الحسنه و قيل هى جمع خير فيكون كالأقيال جمع قيل و هذا مثل قوله وَ لَقَدْ اخْتَرْنَا لَهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ «وَ اذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ ذَا الْكِفْلِ» أى اذكر لأمتك هؤلاء أيضا ليقتدوا بهم و يسلكوا طريقتهم و قد تقدم ذكرهم «وَ كُلُّ مِنَ الْأَخْيَارِ» قد اختارهم الله للنبوه «هذا ذِكْرٌ» أى شرف لهم و ذكر جميل و ثناء حسن يذكرون به فى الدنيا أبدا «وَ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَيَابٍ» أى حسن مرجع و منقلب يرجعون فى الآخره إلى ثواب الله و مرضاته ثم فسر حسن المآب بقوله «جَنَاتٍ عَمْدٍ» فهى فى موضع جر على البدل أى جنات إقامه و خلود «مُفْتَتِحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ» أى يجدون أبوابها مفتوحه حين يردونها و لا يحتاجون إلى الوقوف عند أبوابها حتى تفتح و قيل معناه لا يحتاجون إلى مفاتيح بل تفتح بغير مفتاح و تغلق بغير مغلاق قال الحسن تكلم يقال انفتحتى انغلقى و قيل معناه إنها معده لهم غير ممنوعين منها و إن لم تكن أبوابها مفتوحه قبل مصيرهم إليها كما يقول الرجل و لغيره متى نشطت لزيارتى فالباب مفتوح و الدست مطروح «مُتَّكِنِينَ فِيهَا» أى مستندين فيها إلى المساند جالسين جلسه الملوك «يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَ شَرَابٍ» أى يتحكمون فى ثمارها و شرابها فإذا قالوا لشيء منها أقبل حصل عندهم «وَ عِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ» أى و عندهم فى هذه الجنان أزواج قصرن طرفهن على أزواجهن راضيات بهم ما لهن فى غيرهم رغبه و القاصر نقيض الماد يقال فلان قاصر طرفه عن فلان و ماد عينه إلى فلان قال امرؤ القيس:

من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الأتب منها لأثرا

«أَثْرَابٌ» أى أقران على سن واحد ليس فيهن عجوز و لا هرمه و قيل أمثال و أشباه عن مجاهد أى متساويات فى الحسن و مقدار الشباب لا- يكون لواحد على صاحبها فضل فى ذلك و قيل أتراب على مقدار سن الأزواج كل واحد منهن ترب زوجها لا تكون أكبر منه قال

الفراء الترب اللده مأخوذ من اللعب بالتراب و لا يقال إلا فى الإناث قال عمر بن أبى ربيعه:

أبرزوها مثل المهاه تهادى بين عشر كواعب أتراب

«هذا» يعنى ما ذكر فيما تقدم «ما تُوَعِدُونَ» أى يوعد به المتقون أو يخاطبون فيقال لهم هذا القول «لِيَوْمِ الْحِسَابِ» أى ليوم الجزاء «إِنَّ هَذَا» الذى ذكرنا «لَرِزْقُنَا» أى عطاؤنا الجارى المتصل «ما لَهُ مِنْ نَفَادٍ» أى فناء و انقطاع لأنه على سبيل الدوام عن قتاده و قيل أنه ليس لشيء فى الجنة نفاذ ما أكل من ثمارها خلف مكانه مثله و ما أكل من حيوانها و طيرها عاد مكانه حيا عن ابن عباس.

[سوره ص (٣٨): الآيات ٥٥ الى ٦١]

اشاره

هذا وَ إِنَّ لِلطَّاعِينَ لَشَرًّا مَّآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا فَيَنْسَوْنَ الْمِهَادُ (٥٦) هذا فَلْيَدُوقُوهُ حَمِيمٌ وَ عَسَاقٌ (٥٧) وَ آخِرٌ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (٥٨) هذا فَوْجٌ مُتَنَجِّحٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ (٥٩)

قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَثُمُوهُ لَنَا فَيَنْسَوْنَ الْقَرَارُ (٦٠) قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرِزْدَهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ (٦١)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير أبى بكر «عَسَاقٌ» بالتشديد حيث كان فى القرآن و الباقون بالتخفيف و قرأ أهل البصره و آخر بضم الألف و الباقون «آخِرٌ» على التوحيد.

الحجه

قال أبو على أما العساق بالتشديد فلا يخلو أن يكون اسما أو وصفا فالاسم لا يجىء على هذا الوزن إلا قليلا نحو الكلاء و الفدان و الجبان فينبغى أن يكون وصفا قد

ص: ٣٣٠

أقيم مقام الموصوف و الأحسن أن لا تقام الصفه مقام الموصوف إلا أن تكون صفه قد غلبت نحو العبد و الأبطح و الأبرق و القراءه بالتخفيف أحسن من حيث ذكرنا و من قرأ و أخر على الجمع كان أخر مبتدأ و «مِنْ شَكْلِهِ» فى موضع صفته أى من ضربه و أزواج خبر المبتدأ لأنه جمع كالمبتدأ و قد وصفت النكره فحسن الابتداء بها و الضمير فى شكله يعود إلى قوله «حَمِيمٌ» و يجوز أن يكون المعنى من شكل ما ذكرناه و من قرأ «وَ آخِرٌ» على الإفراد فأخر يرتفع بالابتداء فى قول سيبويه و فيه ذكر مرفوع عنده و بالظرف فى قول أبى الحسن و لا ذكر فى الظرف لارتفاع الظاهر به فإن لم تجعل آخر مبتدأ فى هذا الوجه خاصه قلت أنه يكون ابتداء بالنكره فلا أحمل على ذلك و لكن لما قال «حَمِيمٌ وَ غَسَّاقٌ» دل هذا الكلام على أن لهم حميما و غساقا فحمل المعطوف على المعنى فجعل لهم المدلول عليه خبرا آخر فهو قول و كان التقدير لهم عذاب آخر من شكله أزواج فيكون من شكله فى موضع الصفه و يكون ارتفاع أزواج به فى قول سيبويه و أبى الحسن و لا يجوز أن يجعل قوله «مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ» فى قول من قرأ و أخر على الجمع وصفا و يضم الخبر كما فعلت ذلك فى قول من وحد لأن الصفه لا يرجع منها ذكر إلى الموصوف ألا- ترى أن أزواج إذا ارتفع بالظرف لم يجز أن يكون فيه ذكر مرفوع و الهاء التى للإفراد لا- ترجع إلى الجمع فى الوجه البين فتحصل الصفه بلا ذكر يعود منها إلى الموصوف و أما امتناع آخر من الصرف فى النكره فللعدل و الوصف فمعنى العدل فيه أن هذا النحو لا- يوصف به إلا- بالألف و اللام و استعملت أخر بلا ألف و لام فصارت بذلك معدوله عن الألف و اللام.

اللغه

المهاد الفراش الموطأ يقال مهدت له تمهيدا مثل وطأت له توطئه و الحميم الحار الشديد الحرارة و منه الحمى لشده حرارتها و الغساق قيح شديد النتن يقال غسقت القرحة تغسق غسوقا و قيل هو مشتق من الغسق و هو السواد و الظلمه أى هو على ضد ما يراد فى الشراب من الضياء و الرقه عن أبى مسلم و منه يقال ليل غاسق و غسقت عينه أظلمت و أغسق المؤذن المغرب أخره إلى الظلمه و الشكل بفتح الشين الضرب المتشابه و الشكل بالكسر النظير فى الحسن و هو الدل أيضا و الاقتحام الدخول فى الشىء بشده و صعوبه قال أبو عبيده قولهم لا مرحبا به أى لا رحبت عليه الأرض. و قال القتيبي قولهم مرحبا بك أى أتيت رحبا و سعه قال النابغه:

لا مرحبا بغد و لا أهلا به إن كان تفريق الأحبه فى غد

. الإعراب

هذا مبتدأ و حميم خبره و غساق معطوف عليه و «فَلْيَدُوقُوهُ» خبر بعد خبر

ص: ٣٣١

والتقدير هذا حميم و غساق فليذوقوه و يجوز أن يكون «هذا فليذوقوه» مبتدأ و خبر و حميم خبر مبتدأ محذوف أى هو حميم و يجوز أن يكون هذا فى موضع نصب بفعل مضمرة يفسره هذا الظاهر.

المعنى

لما بين سبحانه أحوال أهل الجنة و ما أعد لهم من جزيل الثواب عقبه بيان أحوال أهل النار و ما لهم من أليم العذاب فقال «هذا» أى ما ذكرناه للمتقين ثم ابتداء فقال «وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ» الذين طغوا على الله و كذبوا رسله «لَشَرَّ مَأْبٍ» و هو ضد مأب المتقين ثم فسر ذلك فقال «جَهَنَّمَ يَصِيلُونَهَا» أى يدخلونها فيصرون صلاء لها «فَبئسَ الْمِهَادُ» أى فبئس المسكن و بئس المههد «هذا فليذوقوه حميم و غساق» أى هذا حميم و غساق فليذوقوه عن الفراء و الزجاج و قيل معناه هذا الجزاء للطاغين فليذوقوه و أطلق عليه لفظ الذوق لأن الذائق يدرك الطعم بعد طلبه فهو أشد إحساسا به و الحميم الماء الحال و الغساق البارد الزمهرير عن ابن مسعود و ابن عباس فيكون المعنى أنهم يعذبون بحار الشراب الذى انتهت حرارته و يبارد الذى انتهت برودته فيبرده يحرق كما يحرق النار و قيل أن الغساق عين فى جهنم يسيل إليها سم كل ذات حمة من حيه و عقرب عن كعب و قيل هو ما يسيل من دموعهم يسقونه مع الحميم عن السدى و قيل هو القيح الذى يسيل منهم يجمع و يسقونه عن ابن عمر و قتاده و قيل هو عذاب لا يعلمه إلا الله عن الحسن «وَآخَرٌ» أى و ضروب آخر «مِنْ شَكْلِهِ» أى من شكل هذا العذاب و جنسه «أَزْوَاجٌ» أى ألوان و أنواع متشابهة فى الشدة لا نوع واحد «هذا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَعَكُمْ» هاهنا حذف أى يقال لهم هذا فوج و هم قادة الضلالة إذا دخلوا النار ثم يدخل الأتباع فيقول الخزنة للقاده هذا فوج أى قطع من الناس و هم الأتباع مقتحم معكم فى النار دخلوها كما دخلتم عن ابن عباس و قيل يعنى بالأول أولاد إبليس و بالفوج الثانى بنى آدم أى يقال لبنى إبليس بأمر الله تعالى هذا جمع من بنى آدم مقتحم معكم يدخلون النار و عذابها و أنتم معهم عن الحسن «لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ» أى لا اتسعت لهم أماكنهم لأنهم لازموا النار فيكون المعنى على القول الأول أن القاده و الرؤساء يقولون للأتباع لا مرحبا بهؤلاء أنهم يدخلون النار مثلنا فلا فرح لنا فى مشاركتهم إيانا فيقول الأتباع لهم «قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ» أى لا نلتهم رحبا و سعه «أَنْتُمْ قَدْ مَتَّمُّوهُ لَنَا» أى حملتمونا على الكفر الذى أوجب لنا هذا العذاب و دعوتمونا إليه و أما على القول الثانى أن أولاد إبليس يقولون لا مرحبا بهؤلاء قد ضاقت أماكننا بهم إذ كانت النار مملوءة منا فليس لنا منهم إلا ضيق فى شدة و هذا كما

روى عن النبى ص أن النار تضيق عليهم كضيق الزج

«قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَأَمْزَاجٌ كَرَامٌ لَكُمْ أَنْتُمْ شَرَعْتُمُوهُ لَنَا وَزَيَّنْتُمُوهُ فِي نَفُوسِنَا «فَبَيَّنَّ الْقُرْآنُ» الَّذِي اسْتَقَرَّرْنَا عَلَيْهِ «قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا» أَيْ يَدْعُونَ عَلَيْهِمْ بِهَذَا إِذَا حَصَلُوا فِي نَارِ جَهَنَّمَ أَيْ مِنْ سَبَبِ لَنَا هَذَا الْعَذَابِ وَدَعَانَا إِلَى مَا اسْتَوْجَبْنَا بِهِ ذَلِكَ «فَرَدُّهُ عَذَابًا ضِعْفًا» أَيْ مِثْلًا مِثْلًا مِثْلًا إِلَى مِثْلِ مَا يَسْتَحِقُّهُ «فِي النَّارِ» أَحَدُ الضَّعِيفِينَ لِكُفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَالضَّعِيفِ الْآخِرِ لِدَعَائِهِمْ إِيَّانَا إِلَى الْكُفْرِ.

[سوره ص (٣٨): الآيات ٦٢ الى ٧٠]

إشارة

وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ (٦٢) أَتَّخَذْنَا هُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ (٦٣) إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ (٦٤) قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٦٥) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٦٦) قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨) مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٧٠)

القراءة

قرأ أهل العراق غير عاصم اتخذناهم موصوله الهمزة و الباقون «أَتَّخَذْنَا هُمْ» بقطع الهمزة و قرأ أهل المدينة و الكوفة غير عاصم سخريا بضم السين و الباقون بكسرها و قرأ أبو جعفر إن يوحى إلى إلا إنما بكسر الألف و الباقون «أنما» بالفتح.

الحجج

قال أبو علي في إلحاق همزه الاستفهام في قوله «أَتَّخَذْنَا هُمْ سِخْرِيًّا» بعض البعد لأنهم قد علموا أنهم اتخذوهم سخريا و كيف يستقيم أن يستفهم عنه و يدل على علمهم بذلك أنه قد أخبر عنهم بذلك في قوله فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُم ذِكْرِي فَالجملة التي هي «أَتَّخَذْنَا هُمْ سِخْرِيًّا» صفة للنكرة فأما وجه فتح الهمزة فإنه يكون على التقرير و عودت بأم لأنها على لفظ الاستفهام كما عودت بأم في قوله سِخْرِيًّا عَلَيْهِمْ أَسِيءَتْ غَفْرَتُهُمْ أَمْ لَمْ تَسِيءْ تَغْفِرْ لَهُمْ و إن لم يكن استفهاما في المعنى و كذلك قولهم ما أبالي أزيدا ضربت أم عمرا فإن قلت فما الجملة المعادله بقوله «أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ» في قول من كسر الهمزة في قوله

«أَتَّخَذْنَاكُمْ» فالقول فيه أن الجملة المعادله لأم محذوفه والمعنى أ تراهم أم زاغت عنهم الأبصار و كذلك قوله أم كان من الغائبين لأن المعنى أخبروني عن الهدهد أ حاضر هو أم كان من الغائبين هذا قول أبي الحسن و يجوز عندي في قوله تعالى «قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ أَمْنٌ هُوَ قَانِتٌ آتَاءَ اللَّيْلِ» أن تكون المعادله لأم محذوفه تقديره أ فأصحاب النار خير أم من هو قانت و حكى عن أبي عمر و أنه قال ما كان من مثل العبوديه فسخرى مضموم و ما كان من مثل الهزء فسخرى مكسور السين و قد تقدم ذكر هذا قال ابن جنى من قرأ إنما فعلى الحكايه فكأنه قال إن يقال لى إلا إنما أنا نذير مبين و هذا كما تقول لصاحبك أنت قلت أنك شجاع و نحو ذلك قول الشاعر:

تنادوا بالرحيل غدا و فى ترحالهم نفسى

قال و أجاز أبو على ثلاثه أضرب من الإعراب بالرحيل و الرحيل و الرحيل رفعا و نصبا و جرا فمن رفع أو نصب فقد وفى الحكايه اللفظ المقول البته فكأنهم قالوا الرحيل غدا فأما الجر فعلى إعمال الباء فيه و هو معنى ما قالوه و لكن حكيت منه قولك غدا وحده و هو خبر المبتدأ أو فى موضع رفع لأنه خبر المبتدأ و لا- يكون ظرفا لتنادوا لأن الفعل الماضى لا يعمل فى الزمان الآتى و إذا قال بالرحيل غدا فإن غدا يجوز أن يكون ظرفا لنفس الرحيل و يجوز أن يكون ظرفا لفعل آخر نصب الرحيل أى يحدث الرحيل غدا.

المعنى

ثم حكى سبحانه عن أهل النار أيضا بقوله «وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ» أى يقولون ذلك حين ينظرون فى النار فلا- يرون من كان يخالفهم فيها معهم و هم المؤمنون عن الكلبى و قيل نزلت فى أبى جهل و الوليد بن المغيرة و ذويهما يقولون ما لنا لا نرى عمارا و خبابا و صهيبا و بلالا الذين كنا نعدهم فى الدنيا من جملة الذين يفعلون الشر و القبيح و لا يفعلون الخير عن مجاهد و

روى العياشى بالإسناد عن جابر عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال أن أهل النار يقولون «ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدُّهم من الأشرار» يعنونكم لا يرونكم فى النار لا يرون و الله أحدا منكم فى النار

«أَتَّخَذْنَاكُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ» معناه أنهم يقولون لما لم يروههم فى النار اتخذناهم هزوءا فى الدنيا فأخطأنا أم عدلت عنهم أبصارنا فلا- نراهم و هم معنا فى النار «إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ» أى إن ما ذكر قبل هذا لحق أى كائن لا محاله ثم بين ما هو فقال «تَخَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ» يعنى تخاصم الأتباع

و القاده أو مجادله أهل النار بعضهم لبعض على ما أخبر عنهم ثم خاطب نبيه ص فقال «قُلْ» يا محمد «إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ» أى مخوف من معاصى الله و محذر من عقابه «وَمَا مِنْ إِلَهٍ» يحق له العباده «إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ» لجميع خلقه المتعالى بسعه مقدوراته فلا يقدر أحد على الخلاص من عقوبته إذا أراد عقابه «رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا» من الإنس و الجن و كل خلق «الْعَزِيزُ» الذى لا يغلبه شىء و لا يمتنع منه شىء «الْغَفَّارُ» لذنوب عباده مع قدرته على عقابهم «قُلْ» يا محمد «هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ» اختلف فيه فقيل يعنى القرآن هو حديث عظيم لأنه كلام الله المعجز و لأن فيه أنباء الأولين «أَنْتُمْ عَنْهُ» أى عن تدبره و العمل به «مُعْرَضُونَ» عن ابن عباس و قتاده و مجاهد و السدى و قيل خبر القيامة خبر عظيم أنتم عنه معرضون أى عن الاستعداد لها غافلون و بها مكذبون عن الحسن و قيل معناه النبأ الذى أنبأكم به عن الله نبأ عظيم عن الزجاج يعنى ما أنبأهم به من قصص الأولين أنهم عنه معرضون لا يتفكرون فيه فيعلموا صدقى فى نبوتى قال و يدل على صحه هذا المعنى قوله «مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى» يعنى الملائكه «إِذْ يَخْتَصِمُونَ» يعنى ما ذكر من قوله «إِنِّي جَاءْتُ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ وَ هُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ قِتَادَةَ وَ السَّدَى أَيْ فَمَا عَلِمْتَ مَا كَانُوا فِيهِ إِلَّا بِوَحْيٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَ

روى ابن عباس عن النبى ص قال قال لى ربي أ تدرى فيم يختصم الملائكة الأعلى فقلت لا قال اختصموا فى الكفارات و الدرجات فأما الكفارات فإسباغ الوضوء فى السبرات و نقل الأقدام إلى الجماعات و انتظار الصلاة بعد الصلاة و أما الدرجات فإفشاء السلام و إطعام الطعام و الصلاة بالليل و الناس نيام

«إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ» معناه ما كان لى من علم باختصام الملائكة فيما ذكرنا لو لا أن الله تعالى أخبرنى به لم يمكننى إخباركم و لكن ما يوحى إلى إلا- الإنذار البين الواضح و قيل معناه ليس يوحى إلى إلا إنى نذير مبين مخوف مظهر للحق.

[سوره ص (٣٨): الآيات ٧١ الى ٨٣]

إشارة

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥)

قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧٦) قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَ إِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٨٠)

إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣)

ص: ٣٣٥

ثم دل سبحانه على أن اختصاص الملائكة كان فى أمر آدم (عليه السلام) بقوله «إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ بِالظَّاهِرِ أَنْ إِذْ يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ يَخْتَصِمُونَ وَإِنْ اعْتَرَضَ بَيْنَهُمَا كَلَامٌ «إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ» يَعْنِي آدَمَ «فَإِذَا سَوَّيْتُهُ» أَيْ فَإِذَا سَوَّيْتُ خَلْقَ هَذَا الْبَشَرِ وَتَمَّتْ أَعْضَاءُهُ وَصُورَتُهُ «وَوَفَّخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي» أَيْ أَحْيَيْتُهُ وَجَعَلْتُ فِيهِ الرُّوحَ وَأَضَافَ الرُّوحَ إِلَى نَفْسِهِ تَشْرِيفًا لَهُ وَمَعْنَى نَفَخْتُ فِيهِ أَيْ تَوَلَّيْتُ فَعَلَهُ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ وَوَاسِطَةٍ كَالْوَلَادَةِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى ذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ شَرَفَ آدَمَ وَكَرَّمَهُ بِهَذِهِ الْحَالَةِ «فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ» أَيْ فَاسْجَدُوا لَهُ أَجْمَعِينَ وَفِي الْكَلَامِ حَذْفٌ وَالتَّقْدِيرُ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ ذَلِكَ الْبَشَرَ الَّذِي وَعَدَهُمْ بِخَلْقِهِ «فَسَجَدَ» لَهُ «الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ» مَفْسَرٌ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ «قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي» هَذَا سُؤَالٌ تَوْبِيخٌ وَتَعْرِيفٌ لِلْمَلَائِكَةِ أَنَّهُ لَا عِذْرَ لَهُ فِي الْاِمْتِنَاعِ عَنِ السُّجُودِ وَمَعْنَى قَوْلِهِ «لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي» تَوَلَّيْتُ خَلْقَهُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ عَنِ الْجِبَائِي وَمِثْلُهُ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا وَذَكَرَ الْيَدَيْنِ لِتَحْقِيقِ الْإِضَافَةِ لَخَلْقِهِ إِلَى نَفْسِهِ وَهُوَ قَوْلٌ مُجَاهِدٌ وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ وَ يَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ أَيْ رَبِّكَ وَقِيلَ مَعْنَاهُ خَلَقْتَهُ بِقُدْرَتِي عَنِ أَبِي مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ وَالْعَرَبُ كَمَا تَطْلُقُ لَفْظَ الْيَدِ لِلْقُدْرَةِ وَالْقَوَّةِ فَقَدْ تَطْلُقُ لَفْظُهُ الْيَدَيْنِ قَالَ:

تحملت من ذلفاء ما ليس لى به و لا للجبال الراسيات يدان

و قال آخري:

أ نابع إنكم لم تبلغونا و ما لكم بذلكم يدان

و قال عروه بن حزام:

فإن تحملى ودى و ودك تفدحى و ما لك بالحمل الثقيل يدان

«أَسْتَكْبِرُوتَ أَمْ كُنْتِ مِنَ الْعَالِينَ» أى أ رفعت نفسك فوق قدرك و تعظمت عن امثال أمرى أم كنت من الذين تعلقو أقدارهم عن السجود فتعاليت عنه «قال أنا خيرٌ منه خلقتنى من نارٍ و خلقتُهُ من طينٍ» فضل النار على الطين «قال فأخرج منها» أى من الجنة «فإِنَّكَ رَجِيمٌ» أى طريد مبعث «وَ إِنَّ عَلَيَّكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ قال» إبليس عند ذلك «رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» أى أخرنى إلى يوم يحشرون للحساب و هو يوم القيامة «قال» الله تعالى له «فإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ» أى المؤخرين «إلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» و قد فسرنا جميع ذلك فيما تقدم «قال» إبليس «فَبِعِزَّتِكَ» أى أقسم بقدرتك التى تقهر بها جميع خلقك «لَأُغْوِيَنَّهُمْ» يعنى بنى آدم كلهم «أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ» أى أذعوهم إلى الغى و أزين لهم القبائح إلا- عبادك الذين استخلصتهم و آثرتهم و عصمتهم فلا سبيل لى عليهم.

[سوره ص (٣٨): الآيات ٨٤ الى ٨٨]

اشاره

قال فَالْحَقُّ وَ الْحَقُّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَ مِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥) قُلْ مَا أَسئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَ ما أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (٨٦) إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٨٧) وَ لَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير الكسائى و هبیره و روح و زيد عن يعقوب «قال فَالْحَقُّ» بالرفع و الباقون بالنصب.

ص: ٣٣٧

قال أبو علي من نصب الحق الأول كان منصوباً بفعل مضمر يدل انتصاب الحق عليه و ذلك الفعل هو ما ظهر في قوله وَ يُحَقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ و يجوز أن ينتصب على التشبيه بالقسم فيكون الناصب له ما ينصب القسم من نحو الله لأفعلن فيكون التقدير الحق لأملأن و قد يجوز أن يكون الحق الثاني الأول و كرر على وجه التأكيد و من رفع كان محتملاً لوجهين (أحدهما) أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره أنا الحق (و الآخر) أن يكون مبتدأ محذوف الخبر تقديره فالحق منى كما قال الحق من ربك.

المعنى

ثم حكى سبحانه ما أجاب به إبليس و أنه «قال» له «فَالْحَقُّ وَ الْحَقُّ أَقُولُ» أى حقاً «لَأَمْلَأَنَّ» و الحق أقول اعتراض بين القسم و المقسم عليه و جاز ذلك لأنه مما يؤكد القصة كما قال الشاعر:

أرانى و لا كفران لله آيه لفسى لقد طالبت غير منيل

فاعترض بقوله و لا كفران لله بين المفعول الأول و الثانى و من رفع فعلى معنى فأنا الحق أو الحق منى و أقول الحق «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَ مِمَّنْ تَبِعِكَ» و قبل قولك «مِنْهُمْ» أى من بنى آدم «أَجْمَعِينَ» ثم خاطب النبى ص فقال «قُلْ» يا محمد لكفار مكه «ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ» أى على تبليغ الوحى و القرآن و الدعاء إلى الله سبحانه «مِنْ أَجْرٍ» أى مال تعطونه «وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ» لهذا القرآن من تلقاء نفسى و قيل معناه إنى ما أتيتكم رسولا من قبل نفسى و لم أتكلف هذا الإتيان بل أمرت به و قيل معناه لست ممن يتعسف فى طلب الأمر الذى لا يقتضيه العقل و روى عن عبد الله بن مسعود أنه قال يا أيها الناس من علم شيئا فليقل و من لم يعلم فليقل الله أعلم فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم فإن الله تعالى قال لنبىه ص «قُلْ ما أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَ ما أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ» أورده البخارى فى الصحيح «إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ» أى ما القرآن إلا موعظه للخلق أجمعين و قيل ما القرآن إلا شرف لمن آمن به «وَ لَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعِيدٍ حِينَ» أى و لتعلمن يا كفار مكه خبر صدقه بعد الموت عن ابن عباس و قتاده و قيل بعد يوم بدر عن السدى و قيل من عاش علم ذلك إذا ظهر أمره و علا دينه و من مات علمه بعد الموت عن الكلبى.

(٣٩) سورة الزمر مكيه و آياتها خمس و سبعون (٧٥)

اشاره

[توضيح]

و تسمى أيضا سورة الغرف و هي مكيه كلها عن مجاهد و قتاده و الحسن و قيل سوى ثلاث آيات نزلن بالمدينه في وحشى قاتل حمزه «قُلْ يَا عِبَادِيَ» إلى آخرهن و قيل غير آيه قُلْ يَا عِبَادِيَ.

عدد آيها

خمس و سبعون آيه كوفي ثلاث شامى اثنتان فى الباقيين.

اختلافها

سبع آيات «فى ما هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» غير الكوفى «مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ» الثانى و «مُخْلِصاً لَهُ دِينِي» و «مِنْ هَادٍ» الثانى و «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» أربعهن كوفى «فَبَشِّرْ عِبَادِ» عراقى شامى و المدنى الأخير «مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» مكى شامى و المدنى الأول.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاه و أعطاه ثواب الخائفين الذين خافوا الله تعالى

و

روى هارون بن خارجه عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ سورة الزمر أعطاه الله شرف الدنيا و الآخره و أعزه بلا مال و لا عشيره حتى يهابه من يراه و حرم جسده على النار و بينى له فى الجنة ألف مدينه فى كل مدينه ألف قصر فى كل قصر مائه حوراء و له مع ذلك عينان تجريان و عينان نضاختان و جنتان مدهامتان و حور مقصورات فى الخيام.

تفسيرها

ختم الله سبحانه سورة ص بذكر القرآن و افتتح هذه السوره أيضا به فقال:

[سورة الزمر (٣٩): الآيات ١ الى ٥]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَ
الدِّينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ
هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣) لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٤)

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى
أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَفَّارُ (٥)

التكوير طرح الشىء بعضه على بعض يقال كور المتاع إذا ألقى بعضه على بعض و منه كور العمامه.

الإعراب

تنزيل مبتدأ وخبره من الله أى تنزيل الكتاب من الله لا من غيره كما تقول استقامه الناس من الأنبياء أى أنها لا تكون إلا منهم و يجوز أن يكون «تَنْزِيلُ الْكِتَابِ» خبر مبتدأ محذوف و التقدير هذا تنزيل الكتاب فعلى هذا يجوز أن يكون من الله خبرا بعد خبر و يجوز أن يكون فى موضع نصب لأنه يتعلق بتنزيل. بالحق مفعول أنزلنا و يجوز أن يكون فى موضع الحال و التقدير أنزلنا الكتاب محقين أو محقا فيكون ذو الحال نا من أنزلنا أو الكتاب. زلفى فى موضع نصب على المصدر و التقدير ليقربونا قريبي و التقدير يقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا فيكون يقولون خبر الذين اتخذوا لأنه مبتدأ أو يكون حالا من الضمير فى اتخذوا و يكون الخبر قوله «إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ» يكور يحتمل أن يكون حالا و يحتمل أن يكون استئناف كلام فلا يكون له محل.

المعنى

عظم الله سبحانه أمر القرآن و حث المكلفين على القيام بما فيه و اتباع أوامره و نواهيه بأن قال «تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ» المتعال عن المثل و الشبه

«الْحَكِيمِ» فى أفعاله و أقواله فوصف هنا نفسه بالعزه تحذيرا من مخالفه كتابه و بالحكمه إعلاما بأنه يحفظه حتى يصل إلى المكلفين من غير تغيير لشىء منه «إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ» أى لم ننزله باطلا- بغير غرض و قيل معناه بالأمر الحق أى بالدين الصحيح «فَاعْبُدِ اللَّهَ» أى توجه بعبادتك إلى الله وحده «مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ» من شرك الأوثان و الأصنام و الإخلاص أن يقصد العبد بنيته و عمله إلى خالقه لا يجعل ذلك لغرض الدنيا «أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ» و الخالص هو الذى لا يشوبه الرياء و السمعه و لا وجه من وجوه الدنيا و الدين الخالص الإسلام عن الحسن و قيل هو شهادته أن لا إله إلا الله عن قتاده و قيل معناه إلا لله الطاعه بالعباده التى يستحق بها الجزاء فهذا لله وحده لا يجوز أن يكون لغيره و قيل هو الاعتقاد الواجب فى التوحيد و العدل و النبوه و الشرائع و الإقرار بها و العمل بموجبها و البراءه من كل دين سواها فهذا تفصيل قول الحسن أنه الإسلام «وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ» أى زعموا أن لهم من دون الله مالكا يملكهم و هاهنا حذف يدل الكلام عليه أى يقولون «مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى» أى ليشفعوا لنا إلى الله و الزلفى القربى و هو اسم أقيم مقام المصدر «إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ» يوم القيامة «فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» من أمور الدين فيعاقب كلا منهم على قدر استحقاقه «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» أى لا يهديهم إلى الحق «مَنْ هُوَ كَاذِبٌ» على الله و على رسوله «كَفَّارٌ» بما أنعم الله عليه جاحد لإخلاص العباده لله و لم يرد به الهدايه إلى الإيمان لقوله سبحانه وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ «لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا» على ما يقوله هؤلاء من أن الملائكه بنات الله أو ما يقوله النصارى من أن المسيح ابن الله أو اليهود أن عزيرا ابن الله «لَأَصْطَفَى» أى لا اختار «مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ» أى ما كان يتخذ الولد باختيارهم حتى يضيفوا إليه من شاءوا بل كان يختص من خلقه ما يشاء لذلك لأنه غير ممنوع من مراده و مثله قوله «لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَاتَّخَذْنَا مِنْ لَدُنَّا» ثم أخبر سبحانه أنه منزه عن اتخاذ الأولاد بقوله «سُبْحَانَهُ» أى تنزيها له عن ذلك «هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ» لا شريك له و لا صاحبه و لا ولد «الْقَهَّارُ» لخلقه بالموت و هو حى لا يموت ثم نبه سبحانه على كمال قدرته فقال «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ» أى لم يخلقهما باطلا لغير غرض بل خلقهما للغرض الحكيمى «يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَ يُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ» أى يدخل كل واحد منهما على صاحبه بالزيادة و النقصان فما يزيد فى أحدهما ينقص من الآخر عن الحسن و جماعه من المفسرين و قيل يغشى هذا هذا كما قال يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ* وَ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ* عن قتاده «وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ» بأن أجراهما على وتيره واحده «كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى» أى إلى مده قدرها الله لهما أن يجريا إليها

وقيل إلى قيام الساعة وقيل لأجل مسمى أى لوقت معلوم فى الشتاء و الصيف هو المطلع و المغرب لكل واحد منهما «ألا هو العزير الغفار» مر معناه و فائده الآيه أن من قدر على خلق السماوات و الأرض و تسخير الشمس و القمر و إدخال الليل فى النهار فهو منزله عن اتخاذ الولد و الشريك فإن ذلك من صفه المحتاجين.

[سوره الزمر (٣٩): الآيات ٦ الى ١٠]

اشاره

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَىٰ تُصَيِّرُ رَفُوفًا (٦) إِنَّ تَكْفُرًا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٧) وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسَىٰ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَ جَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (٨) أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩) قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ إِنَّمَا يُؤَفِّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠)

قرأ أبو عمرو في روايه أوقيه و أبي شعيب السوسى و أبى عمرو الدورى عن اليزيدى عنه و حمزه و فى روايه العجلى يرضه لكم ساكنه الهاء و قرأ ابن كثير و ابن عامر و الكسائى و خلف و نافع بروايه إسماعيل و أبو بكر بروايه البرجمى يرضه مضمومه الهاء مشبعه و قرأ الباقر بضم الهاء مختلسه غير مشبعه و قرأ ابن كثير و نافع و حمزه أ من هو قانت خفيفه الميم و الباقر بتشديد الميم.

الحجه

قال أبو على حجه من قرأ يرضهو فألحق الواو أن ما قبل الهاء متحرك فيكون بمنزله ضربهو و هذا لهو و من قال «يَرْضَهُ» فحرك الهاء و لم يلحق الواو أن الألف المحذوفه للجزم ليس يلزم حذفها لأن الكلمه إذا نصبت أو رفعت عادت الألف فصار الألف فى حكم الثابت فإذا ثبت الألف فالأحسن أن لا يلحق الواو نحو قوله فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ و ذلك أن الهاء خفيفه فلو لحقتها الواو و قبلها الألف لأشبه الجمع بين الساكنين و أما من أسكن فقال يرضه لكم فإن أبا الحسن يزعم أن ذلك لغه و على هذا قوله:

" و نضوى مشتاقان له أرقان "

و من قرأ «أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ» ففيه وجهان (أحدهما) أن المعنى الجاحد الكافر خير أم من هو قانت و يدل على المحذوف قوله «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» و دل عليه أيضا قوله «قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا» و قد تقدم ذكره (و الآخر) أن المعنى قل أ من هو قانت كغيره أى أ من هو مطيع كمن هو عاص و يكون على هذا الخبر محذوفاً لدلاله الكلام عليه كقوله تعالى أ فَمَنْ هُوَ قَانِتٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ أ فَمَنْ يَتَّقِ بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ و أما من خفف فقال أ من هو قانت فالمعنى أيضا أم من هو قانت كمن هو بخلاف هذا الوصف فلا وجه للنداء هنا لأن هذا موضع معادله و إنما يقع فيه الحمل الذى يكون فيه إخبار و ليس النداء كذلك و قال أبو الحسن القراءه بالتخفيف ضعيفه لأن الاستفهام إنما يبتدىء ما بعده و لا يحمل على ما قبله و هذا الكلام ليس قبله شىء يحمل عليه إلا فى المعنى.

اللغه

التخويل العظيمة على وجه الهبه و هى المنحه خوله الله مالا و

منه

الحديث كان يتخولهم بالموعظه مخافه السامه عليهم

أى يتعبدهم و

الحديث الآخر إذا بلغ بنو أبى العاص ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله دولا و دين الله دخلا و عباد الله خولا

أى يظنون عباد الله عبيدهم أعطاهم الله ذلك قال أبو النجم:

أعطى فلم يبخل و لم يبخل كوم الذرى من خول المخول

و القانت الداعى و القانت المصلى قال:

قانتا لله يتلو كتبه و على عمد من الناس اعتزل

آناء الليل واحدها أنى و أنى.

الإعراب

«ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ» ذلكم مبتدأ و الله عطف بيان و ربكم بدل من لفظه الله و إن شئت كان خبرا لمبتدء. «لَهُ الْمُلْكُ» يرتفع الملك بالظرف و الظرف مع ما ارتفع به فى موضع الحال و العامل فيه معنى الإشاره و التقدير ثابتا له الملك و يجوز أن يكون خبرا بعد خبر و كذا قوله «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» جاز أن يكون فى موضع الحال أى متوحدا بالوحدانيه و جاز أن يكون خبرا آخر. «فَأَنى تُصَرَّفُونَ» أنى فى موضع نصب على الحال أو على المصدر و معناه كيف تصرفون.

المعنى

ثم أبان سبحانه عن كمال قدرته بخلق آدم و ذريته فقال «خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ» يعنى آدم (عليه السلام) لأن جميع البشر من نسله «ثُمَّ جَعَلْ مِنْهَا زَوْجَهَا» يعنى حواء أى من فضل طينته و قيل من ضلع من أضلاعه و فى قوله «ثُمَّ جَعَلْ مِنْهَا زَوْجَهَا» ثم يقتضى التراخى و المهله و خلق الوالدين قبل الولد ثلاثه أقوال (أحدها) أنه عطف يوجب أن الكلام الثانى بعد الأول و يجرى مجرى قول القائل قد رأيت ما كان منك اليوم ثم ما كان منك أمس و إن كان ما كان أمس قبل ما يكون اليوم مثله قول الشاعر:

و لقد ساد ثم ساد أبوه ثم قد ساد قبل ذلك جده

(و ثانيها) أنه معطوف على معنى واحده فكأنه قال خلقكم من نفس واحده أو جدها وحدها ثم جعل منها زوجها (و ثالثها) أنه خلق الذريه فى ظهر آدم و أخرجها من ظهره كالذر

ثم خلق من بعد ذلك حواء من ضلع من أضلاعه على ما ورد في الأخبار وهذا ضعيف وقد مضى الكلام عليه «وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ» اختلف في معناه على وجوه (أحدها) أن معنى الإنزال هنا الأحداث و الإنشاء كقوله قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا وَلَمْ يَنْزِلِ اللَّبَاسُ وَلَكِنْ أَنْزَلَ الْمَاءَ الَّذِي هُوَ سَبَبُ الْقَطَنِ وَ الصَّوْفِ وَ اللَّبَاسِ يَكُونُ مِنْهُمَا فَكَذَلِكَ الْأَنْعَامُ تَكُونُ بِالنَّبَاتِ وَ النَّبَاتُ يَكُونُ بِالمَاءِ (و الثاني) أنه أنزلها بعد أن خلقها في الجنة عن الجبائي قال و

في الخبر الشاه من دواب الجنة و الإبل من دواب الجنة

(و الثالث) أن المعنى جعلها نزلا- و رزقا لكم و يعنى بالأزواج الثمانية من الأنعام الإبل و البقر و الغنم و الضأن و المعز من كل صنف اثنان هما زوجان و هو مفسر في سورة الأنعام «يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ» نطفه ثم علقه ثم مضغه ثم عظاما ثم يكسو العظام لحما ثم ينشئ خلقا آخر عن قتاده و مجاهد و السدى و قيل خلقا في بطون الأمهات بعد الخلق في ظهر آدم عن ابن زيد

«فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ» ظلمه البطن و ظلمه الرحم و ظلمه المشيمه عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و السدى و ابن زيد و هو المروى عن أبي جعفر (عليه السلام)

و قيل ظلمه الليل أو ظلمه صلب الرجل و ظلمه الرحم و ظلمه البطن ثم خاطب سبحانه خلقه فقال «ذَلِكُمُ اللَّهُ» الذي خلق هذه الأشياء «رَبُّكُمْ» الذي يملك التصرف فيكم «لَهُ الْمُلْكُ» على جميع المخلوقات «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ» عن طريق الحق بعد هذا البيان مثل قوله «فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ» «إِنْ تَكْفُرُوا» أى تجحدوا نعمه الله تعالى و لم تشكروه «فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي عَنكُمْ» و عن شكركم فلا يضره كفركم «وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ» و فى هذا أوضح دلالة على أنه سبحانه لا يريد الكفر الواقع من العباد لأنه لو أراد لوجب متى وقع أن يكون راضيا به لعبدته لأن الرضاء بالفعل ليس إلا ما ذكرناه ألا ترى أنه يستحيل أن نريد من غيرنا شيئا و يقع منه على ما نريده فلا نكون راضين به أو أن نرضى شيئا و لم نرده البتة «وَأِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ» أى و أن تشكروا الله تعالى على نعمه و تعترفوا بها يرضه لكم و يرده منكم و يثبكم عليه و الهاء فى يرضه كناية عن المصدر الذى دل عليه و إن تشكروا و التقدير يرضى الشكر لكم كقولهم من كذب كان شرا له أى كان الكذب شرا له «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» أى لا تحمل حامله ثقل أخرى و المعنى لا يؤاخذ بالذنب إلا من يرتكبه و يفعله «ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ» أى مصيركم «فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» أى يخبركم بما عملتموه و يجازيكم بحسب ذلك «إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» فلا يخفى عليه سر و علانيه «وَ إِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ» من شدة و مرض و قحط و غير ذلك «دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ» أى راجعا إليه وحده لا يرجو سواه «ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ» أى أعطاه «نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ» أى نسى الضر الذى كان

يدعو الله إلى أن يكشفه من قبل نيل هذه النعمة قال الزجاج معناه نسي الدعاء الذي كان يتضرع به إلى الله عز وجل من قبل و جائز أن يكون المعنى نسي الله الذي كان يتضرع إليه من قبل و مثله و لا أنا عابد ما عبدتُمْ و لا أنتم عابدون ما أعبد فكانت ما تدل على الله تعالى و من عبارته عن كل مميز و ما يكون لكل شىء «وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً» أى سمي له أمثالا فى توجيه عبادته إليها من الأصنام و الأوثان «لِيُضِلَّ» الناس «عَنْ سَبِيلِهِ» أى عن دينه أو يضل هو عن الدين و اللام لام العاقبه و ذلك أنهم لم يفعلوا ما فعلوه و غرضهم ذلك لكن عاقبتهم كانت إليه «قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا» هذا أمر معناه الخبر كقوله إذا لم تستح فاصنع ما شئت و المعنى أن مده تمتعه فى الدنيا بكفره قليله زائله «إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» تعذب فيها دائما «أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ» أى أ هذا الذى ذكرناه خير أم من هو دائم على الطاعة عن ابن عباس و السدى و قيل على قراءة القرآن و قيام الليل عن ابن عمر و

قيل يعنى صلاه الليل عن أبى جعفر (عليه السلام)

«آتَاءَ اللَّيْلِ» أى ساعات الليل «ساجداً و قائماً» يسجد تاره فى الصلاه و يقوم أخرى «يَخِذِرُ الْآخِرَةَ» أى عذاب الآخرة «و يَزْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ» أى يتردد بين الخوف و الرجاء أى ليسا سواء و هو قوله «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ و الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» أى لا يستوى الذين يعلمون ما وعد الله من الثواب و العقاب و الذين لا يعلمون ذلك «إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ» أى إنما يتعظ ذوو العقول من المؤمنين و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال نحن الذين يعلمون و عدونا الذين لا يعلمون و شيعتنا أولو الأبواب

«قُلْ» يا محمد لهم «يا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا بتوحيد الله تعالى «اتَّقُوا رَبَّكُمْ» أى عقاب ربكم باجتنب معاصيه و تم الكلام ثم قال «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا» أى فعلوا الأعمال الحسنه و أحسنوا إلى غيرهم «فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً» أى لهم على ذلك فى هذه الدنيا حسنه أى ثناء حسن و ذكر جميل و مدح و شكر و صحه و سلامه عن السدى و قيل معناه للذين أحسنوا العمل فى هذه الدنيا مثوبه حسنه فى الآخرة و هو الخلود فى الجنة «وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَتْ» هذا حث لهم على الهجره من مكه عن ابن عباس أى لا عذر لأحد فى ترك طاعه الله فإن لم يتمكن منها فى أرض فليتحول إلى أخرى يتمكن منها فيها كقوله أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَتْ فَتَهَاجَرُوا فِيهَا و قيل معناه و أرض الله الجنة واسعه فاطلبوها بالأعمال الصالحه عن مقاتل و أبى مسلم «إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ» أى ثوابهم على طاعاتهم و صبرهم على شدائد الدنيا «بِغَيْرِ حِسَابٍ» لكثرتة لا يمكن عدده و حسابه و

روى العياشى بالإسناد عن عبد الله بن سنان عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال قال رسول الله ص إذا نشرت الدواوين و نصبت الموازين لم ينصب لأهل البلاء ميزان و لم ينشر لهم ديوان ثم تلا هذه الآية «إِنَّمَا يُؤَفِّي

الصَّابِرُونَ أُجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ».

[سوره الزمر (٣٩): الآيات ١١ الى ٢٠]

اشاره

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (١١) وَ أُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ (١٢) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣) قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (١٤) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَّا ذَلِكُ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١٥)

لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَ مِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكُمْ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ (١٦) وَ الَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَ أَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَ أُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ (١٨) أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (١٩) لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَ عَدَدَ اللَّهُ لَئِلا يُخْلِفَ اللَّهُ الْمِيعَادَ (٢٠)

اللغة

الظله الستره العاليه جمعها ظلل و الإنفاذ الإنجاء و الغرف المنازل الرفيعه واحدها غرفه.

الإعراب

ذلك مبتدأ و «يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ» خبره. «أَنْ يَعْبُدُوهَا» في موضع نصب بدل

ص: ٣٤٧

من الطاغوت و التقدير و الذين اجتنبوا عباده الطاغوت و خير «الَّذِينَ اجْتَنَبُوا» قوله «لَهُمُ الْبُشْرَى» و البشرى ترتفع بالظرف لجريه خبرا على المبتدأ قال الزجاج «أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ» معناه الشرط و الجزاء و ألف الاستفهام هنا معناها معنى التوقيف و الألف الثانيه جاءت مؤكده معاده لما طال الكلام و المعنى أ فمن حق عليه كلمه العذاب أفأنت تنقذه و مثله أ يَعِدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَ كُنْتُمْ تُرَاباً وَ عِظَاماً أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ أعاد أن الثانيه و المعنى إنكم إذا متم و كنتم ترابا و عظاما تخرجون و يكون على وجه آخر على أنه حذف الخبر و فى الكلام دليل على المحذوف على معنى أ فمن حق عليه كلمه العذاب يتخلص منه أو ينجو منه أفأنت تنقذ أى لا يقدر أحد أن ينقذه.

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال «قُلْ» يا محمد لهؤلاء الكفار الذين تقدم ذكرهم «إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ» أى موحدا له لا أعبد معه سواه و العباده الخالصه هى التى لا يشوبها شىء من المعاصى «وَ أُمِرْتُ» أيضا «لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ» فيكون لى فضل السبق و ثوابه «قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» أى عذاب يوم القيامة «قُلْ» لهم «اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي» و طاعتي «فَاعْبُدُوا» أنتم معاشر الكفار «مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ» من الأصنام و هذا على وجه التهديد لهم بذلك «قُلْ» لهم «إِنَّ الْخَاسِرِينَ» فى الحقيقه هم «الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فلا ينتفعون بأنفسهم و لا يجدون فى النار أهلا كما كان لهم فى الدنيا أهل فقد فاتتهم المنفعه بأنفسهم و أهليهم عن مجاهد و ابن زيد و قيل خسروا أنفسهم بأن قذفوها بين أطباق الجحيم و خسروا أهليهم الذين أعدوا لهم فى جنه النعيم عن الحسن قال ابن عباس إن الله تعالى جعل لكل إنسان فى الجنه منزلا- و أهلا- فمن عمل بطاعته كان له ذلك و من عصاه صار إلى النار و دفع منزله و أهله إلى من أطاع فذلك قوله أَوْلَيْكَ هُمْ الْوَارِثُونَ «أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ» أى البين الظاهر الذى لا يخفى «لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ» أى سرادقات و أطباق من النار و دخانها نعوذ بالله منها «وَ مِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ» أى فرش و مهد و قيل إنما سمي ما تحتهم من النار ظللا لأنها ظلل لمن تحتهم إذ النار أدراك و هم بين أطباقها و قيل إنما أجرى اسم الظلل على قطع النار على سبيل التوسع و المجاز لأنها فى مقابله ما لأهل الجنه من الظلل و المراد أن النار تحيط بجوانبهم «ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ» أى ذلك الذى وصف من العذاب يخوف الله به عباده و رحمه لهم ليتقوا عذابه بامثال أوامره ثم أمرهم بالاتقاء فقال «يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ» فقد أنذرتكم و ألزمتكم الحجه و إنما حذف الياء فى الموضعين لأن الكسر تدل عليها «وَ الَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ» أى الأوثان و الشيطان و قيل كل من دعا إلى عباده غير الله

تعالى و إنما أنت للجماعه و فى قرأه الحسن اجتنبوا الطواغيت «أَنْ يَعْزِدُوهَا» أى اجتنبوا عبادتها «وَ أَنْبُوا إِلَى اللَّهِ» أى تابوا إليه فأقلعوا عما كانوا عليه «لَهُمُ الْبُشْرَى» أى البشاره و هى الإعلام بما يظهر به السرور فى بشره و جوههم جزاء على ذلك و

روى أبو بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال أنتم هم و من أطاع جبارا فقد عبده

ثم قال سبحانه مخاطبا لنبىه ص «فَبَشِّرْ» يا محمد «عِبَادِ» اجتزأ بالكسر عن الياء «الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ» أى أولاه بالقبول و العمل به و أرشده إلى الحق و قيل فيتبعون أحسن ما يؤمرون به و يعملون به عن السدى و روى عن أبى الدرداء قال لو لا ثلاث ما أحببت أن أعيش يوما واحدا الظمأ بالهواجر و السجود فى جوف الليل و مجالسه أقوام ينتقون من خير الكلام كما ينتقى طيب التمر و قيل معناه يستمعون القرآن و غيره فيتبعون القرآن عن الزجاج و قيل يستمعون ما فى القرآن و السنه من الطاعات و المباحات فيتبعون الطاعه التى هى أحسن إذ يستحق الثواب عليه أكثر و هو أن يأخذ بأفضل الأمرين كما أن القصاص حق و العفو أفضل يأخذون بالعفو «أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ» أى هؤلاء الذين هذه صفتهم هم الذين هداهم الله فاهتدوا به إلى الحق «وَ أُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ» أى ذوو العقول الذين انتفعوا بعقولهم و قال عبد الرحمن بن زيد نزل قوله «وَ الَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ» الآيتين فى ثلاثه نفر كانوا يقولون فى الجاهليه لا إله إلا الله زيد بن عمرو بن نفيل و أبى ذر الغفارى و سلمان الفارسى «أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ» اختلف فى تقديره فقيل معناه أ فمن وجب عليه و عيد الله بالعقاب أ فأنت تخلصه من النار فاكتفى بذكر من فى النار عن الضمير العائد إلى المبتدأ عن الزجاج و الأخفش و قيل تقديره أ فأنت تنقذ من فى النار منهم و أتى بالاستفهام مرتين توكيدا للتنبيه على المعنى و قال ابن الأنبارى الوقف على قوله «كَلِمَةُ الْعَذَابِ» و التقدير كمن وجبت له الجنه ثم يبتدئ أ فأنت تنقذ و أراد بكلمه العذاب قوله «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَ مِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ» و إنما قال ذلك للنبي ص لحرصه على إسلام المشركين و المعنى أنك لا تقدر على إدخال الإسلام فى قلوبهم شاءوا أم أبوا فلا عليك إذا لم يؤمنوا فإنما أتوا ذلك من قبل نفوسهم و هذا كقوله «فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ أَلَيْسَ لِمَنْ يَدْعُوهُمُ إِلَى اللَّهِ خِزْيَانًا مُغْتَابًا» و للمؤمنين كما بين ما أعده للكفار فقال «لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ» أى قصور فى الجنه «مِنْ فَوْقِهَا عُرُفٌ» قصور «مَبْنِيَّةٌ» و هذا فى مقابله قوله «لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَ مِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ» فإن فى الجنه منازل رفيعه بعضها فوق بعض و ذلك أن النظر من الغرف إلى الخضر و المياه أشهى و ألد «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» أى من تحت الغرف «وَ وَعِدَ اللَّهُ» أى وعدهم الله تلك الغرف و المنازل وعدا «لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ».

إشاره

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَيَلَكَهُ يَنَابِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٢١) أَلَمْ يَنْزِلِ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٢) اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣) أَلَمْ يَنْزِلِ اللَّهُ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (٢٤) كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٢٥)

اللغه

الينابيع جمع ينبوع وهو الموضع الذي ينبع منه الماء يقال نبع الماء من موضع كذا إذا فار منه و الزرع ما ينبت على غير ساق و الشجر ما له ساق و أغصان و النبات يعم الجميع و هاج النبات يهيج هيجا إذا جف و بلغ نهايته فى اليبوسه و الحطام فتات التبن و الحشيش و الحطم الكسر للشىء اليابس و منه سميت جهنم حطمه لأنها تكسر كل شىء و منه الحطيم بمكه قال النضر لأن البيت رفع و ترك ذلك محطوما و هو حجر الكعبه مما يلى الميزاب.

الإعراب

«أَلَمْ يَنْزِلِ اللَّهُ صَدْرَهُ» من مع صلته مبتدأ و الخبر محذوف تقديره أَلَمْ يَنْزِلِ اللَّهُ صَدْرَهُ كمن قسا قلبه من ذكر الله أى من ترك ذكر الله لأن القلب إنما يقسو من ترك ذكر الله و يجوز أن يكون تشمئز عند ذكر الله فيقال قست من ذكر الله أى من ذكر الناس الله.

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر الدعاء إلى التوحيد عقبه بذكر دلائل التوحيد فقال يخاطب نبيه ص و إن كان المراد جميع المكلفين «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» أى مطراً «فَسَيَلَكُوهُ» أى فأدخل ذلك الماء «يَتَابِعُ فِي الْأَرْضِ» مثل العيون والأنهار والقنى والآبار ونظيره قوله «وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ» ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ» أى بذلك الماء من الأرض «زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ» أى صنوفه من البر والشعير والأرز وغير ذلك يقال هذا لون من الطعام أى صنف وقيل مختلف الألوان من أخضر وأصفر وأبيض وأحمر «ثُمَّ يَهِيْجُ» أى يجف ويبيس «فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا» بعد خضرته «ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا» أى رفاتاً منكسراً متفتتاً «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّأُولِي الْأَلْبَابِ» معناه إن فى إخراج هذه الزروع ألواناً مختلفه بماء واحد ونقلها من حال إلى حال لتذكيراً لذوى العقول السليمه إذا تكفروا فى ذلك عرفوا الصانع المحدث و علموا صحه الابتداء والبعث والإعاده «أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ» أى فسح صدره و وسع قلبه لقبول الإسلام و الثبات عليه و شرح الصدر يكون بثلاثة أشياء (أحدها) بقوه الأدله التى نصبها الله تعالى و هذا يختص به العلماء (و الثانى) بالألطف التى تتجدد له حالاً بعد حال كما قال سبحانه وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى (و الثالث) بتوكيد الأدله و حل الشبهه و إلقاء الخواطر «فَهُوَ عَلَى نُورٍ» أى على دلالة و هدى «مِنْ رَبِّهِ» شبه الأدله بالنور لأن بها يعرف الحق كما بالنور تعرف أمور الدنيا عن الجبائى و قيل النور كتاب الله عز و جل فيه نأخذ و إليه ننتهى عن قتاده و حذف كمن هو قاسى القلب يدل على المحذوف قوله «فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ» و هم الذين ألقوا الكفر و تعصبوا له و تصلبت قلوبهم حتى لا- ينجع فيها وعظ و لا ترغيب و لا تهيب و لا ترق عند ذكر الله و قراءه القرآن عليه «أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ» أى عدول عن الحق «مُبِينٍ» أى ظاهر واضح «اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ» يعنى القرآن سماه الله حديثاً لأنه كلام الله و الكلام سمي حديثاً كما يسمى كلام النبى ص حديثاً و لأنه حديث التنزيل بعد ما تقدمه من الكتب المنزله على الأنبياء و هو أحسن الحديث لفرط فصاحته و لإعجازه و اشتماله على جميع ما يحتاج المكلف إليه من التنبيه على أدله التوحيد و العدل و بيان أحكام الشرع و غير ذلك من المواعظ و قصص الأنبياء و الترغيب و التهيب «كِتَاباً مُتَشَابِهاً» يشبه بعضه بعضاً و يصدق بعضه بعضاً ليس فيه اختلاف و لا تناقض و قيل معناه أنه يشبه كتب الله المتقدمه و إن كان أعم و أجمع و أنفع و قيل متشابهاً فى حسن النظم و جزاله اللفظ و جوده المعانى «مَثَانِي» سمي بذلك لأنه يثنى فيه بعض القصص و الأخبار و الأحكام و المواعظ بتصرفها فى ضروب البيان و يثنى أيضاً فى التلاوه فلا يمل لحسن

مسموعه «تَشَعَّرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ» أى تأخذهم قشعريره خوفا مما فى القرآن من الوعيد «ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَ قُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ» إذا سمعوا ما فيه من الوعد بالثواب و الرحمه و المعنى أن قلوبهم تطمئن و تسكن إلى ذكر الله الجنه و الثواب فحذف مفعول الذكر للعلم به و

روى عن العباس بن عبد المطلب أن النبى ص قال إذا اقشعر جلد العبد من خشيه الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجره اليابسه ورقها

و قال قتاده هذا نعت لأولياء الله بنعتهم الله بأن تقشعر، جلودهم و تطمئن قلوبهم إلى ذكر الله و لم ينعتهم بذهاب عقولهم و الغشيان عليهم إنما ذلك فى أهل البدع و هو من الشيطان «ذَلِكَ» يعنى القرآن «هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ» من عباده بما نصب فيه من الأدله و هم الذين آتاهم القرآن من أمه محمد ص عن الجبائى و قيل يهدى به من يشاء من الذين اهتدوا به إنما خصهم بذلك لأنهم المنتفعون بالهدايه و من لم يهتد لا يوصف بأنه هداه الله إذ ليس معه هدايه «وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ» عن طريق الجنه «فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ» أى لا يقدر على هدايته أحد عن الجبائى و قيل معناه من ضل عن الله و رحمته فلا هادى له يقال أضللت بعيرى إذا ضل عن أبى مسلم و قيل معناه من يضلله عن زياده الهدى و الألفاف لأن الكافر لا لطف له «أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» تقديره أفعال من يدفع عذاب الله بوجهه يوم القيامة كحال من يأتى آمننا منا لا تمسه النار و إنما قال بوجهه لأن الوجه أعز أعضاء الإنسان و قيل معناه أ من يلقي فى النار منكوسا فأول عضو منه مسته النار ووجهه عن عطاء و معنى يتقى يتوقى كما قال عنتره:

إذ يتقون بى الأسنه لم أحم عنها و لكنى تضايق مقدمى

أى يقدموننى إلى القتال فيتوقون بى حرها ثم أخبر سبحانه عما يقوله خزنه النار للكفار بقوله «وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ» أى جزاء ما كسبتموه من المعاصى ثم أخبر سبحانه عن أمثال هؤلاء الكفار من الأمم الماضيه فقال «كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» بآيات الله و جحدوا رسله «فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ» عاجلا «مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ» أى و هم آمنون غافلون.

النظم

إنما اتصل قوله «أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ» بما تقدم من ذكر أدله التوحيد و العدل التى إذا تفكر فيها العاقل انشرح صدره و اطمأنت نفسه إلى ثلج اليقين و اتصل قوله «اللَّهُ نَزَّلَ

أَحْسَنَ الْحَدِيثِ» بما تقدمه من قوله فَبَشَّرَ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أَى فَإِن أَحْسَنَ الْحَدِيثِ الْقُرْآنَ فَهُوَ أَوْلَى بِالِاتِّبَاعِ عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ وَاتَّصَلَ قَوْلُهُ «أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ» بِمَا قَبْلَهُ عَلَى تَقْدِيرِهِ فَمَنْ لَمْ يَهْتَدِ بِهَدْيِ اللَّهِ لَا يَهْتَدِي وَكَيْفَ يَهْتَدِي بغيره مَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَعْنِي الْمَقِيمَ عَلَى كُفْرِهِ.

[سوره الزمر (٣٩): الآيات ٢٦ الى ٣١]

اشاره

فَأَذَقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ لَعِذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٢٦) وَ لَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٨) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَ رَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٩) إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (٣١)

القراءه

قرأ ابن كثير و أهل البصره غير سهل سالما بالألف و الباقون «سَلَمًا» بغير ألف و اللام مفتوحه و فى الشواذ قراءه سعيد بن جبیر سلما بكسر السين و سكون اللام.

الحجه

قال أبو على يقوى قراءه من قرأ سالما قوله «فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ» فكما أن الشريك عباره عن العين و ليس باسم حدث فكذلك الذى بإزائه ينبغى أن يكون فاعلا و لا يكون اسم حدث و من قرأ «سَلَمًا» و سلما فهما مصدران و ليسا بوصفين كحسن و بطل و نقض و نضو يقال سلم سلما و سلامه و سلما و المعنى فيمن قال سلما ذا سلم أى رجلا ذا سلم قال أبو الحسن سلم من الاستسلام و قال غيره السلم خلاف المحارب.

اللغه

الخزى المكروه و الهوان و التشاكس التمانع و التنازع تشاكسوا فى الأمر تشاكسا و أصله من الشكاسه و هو سوء الخلق و الاختصام رد كل واحد من الاثنين ما أتى به الآخر على وجه الإنكار عليه و قد يكون أحدهما محقا و الآخر مبطلا و قد يكونان جميعا

الإعراب

قال الزجاج عربيا منصوب على الحال أى فى حال عروبيته و ذكر قرآنا توكيدا كما تقول جاءنى زيد رجلا صالحا و جاءنى عمرو إنسانا عاقلا فتذكر رجلا و إنسانا توكيدا. «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا» فرجلا بدل من قوله «مَثَلًا» و التقدير ضرب الله مثلا مثل رجل فحذف المضاف و قوله «فِيهِ شُرَكَاءُ» يرتفع بالظرف و رجلا عطف على الأول أى و مثل رجل سالم.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عما فعله بالأمم المكذبه بأن قال «فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ» أى الذل و الهوان «فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ لَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ» أى أعظم و أشد «لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ وَ لَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ» سمي ذكر الأمم الماضيه مثلا كما قال و نبين لكم كيف فعلنا بهم و ضربنا لكم الأمثال و المعنى إنا و صفنا و بينا للناس فى هذا القرآن كلما يحتاجون إليه من مصالح دينهم و دنياهم «لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» أى لكى يتذكروا و يتدبروا فيعتبروا «فُرْآناً عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ» أى غير ذى ميل عن الحق بل هو مستقيم موصل إلى الحق «لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ» أى لكى يتقوا معاصى الله ثم ضرب سبحانه مثلا للكافر و عبادته الأصنام فقال «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ» أى مختلفون سيئو الأخلاق متنازعون و إنما ضرب هذا المثل لسائر المشركين و لكنه ذكر رجلا واحدا و صفه بصفه موجوده فى سائر المشركين فيكون المثل المضروب له مضروبا لهم جميعا و يعنى بقوله «رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ» أى يعبد آلهه مختلفه و أصناما كثيره و هم متشاجرون متعاسرون هذا يأمره و هذا ينهاه و يريد كل واحد منهم أن يفرد بالخدمه ثم يكل كل منهم أمره إلى الآخر و يكل الآخر إلى الآخر فيبقى هو خاليا عن المنافع و هذا حال من يخدم جماعه مختلفه الآراء و الأهواء هذا مثل الكافر ثم ضرب سبحانه مثل المؤمن الموحد فقال «وَ رَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ» أى خالصا يعبد مالكا واحدا لا يشوب بخدمته خدمه غيره و لا يأمل سواه و من كان بهذه الصفه نال ثمره خدمته لا سيما إذا كان المخدوم حكيما قادرا كريما و

روى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بالإسناد عن على (عليه السلام) أنه قال أنا ذاك الرجل السلم لرسول الله ص

و

روى العياشى بإسناده عن أبى خالد عن أبى جعفر (عليه السلام) قال الرجل السلم للرجل حقا على و شيعته

«هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا» أى هل يستوى هذان الرجلان صفه و شبهها فى حسن العاقبه و حصول المنفعه أى لا يستويان فإن الخالص لمالك واحد يستحق من معونته و حياطته ما لا يستحقه صاحب الشركاء المختلفين فى أمره و تم الكلام ثم قال «الْحَمْدُ لِلَّهِ» أى أحمد و الله المستحق للشاء

و الشكر على هذا المثل الذى علمكموه فأزال به للمؤمنين الشبه و أوضح الدلاله و قيل معناه احمداوا الله حيث لطف بكم حتى عبدتموه وحده و أخلصتم الإيمان له و التوحيد فهى النعمه السابغه «بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» حقيقه ذلك ثم بين سبحانه المقام الذى يتبين فيه المحق و المبطل فقال «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» أى عاقبتك الموت و كذا عاقبه هؤلاء «ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ» يعنى المحق و المبطل و الظالم و المظلوم عن ابن عباس و كان أبو العاليه يقول الاختصام يكون بين أهل القبله قال ابن عمر كنا نرى أن هذه الآيه فينا و فى أهل الكتابين و قلنا كيف نختصم نحن و نبينا واحد و كتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعلمت أنها فينا نزلت و قال أبو سعيد الخدرى فى هذه الآيه كنا نقول ربنا واحد و نبينا واحد و ديننا واحد فما هذه الخصومه فلما كان يوم صفين و شد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا و قال ابن عباس الاختصام يكون بين المهتدين و الضالين و الصادقين و الكاذبين.

[سوره الزمر (٣٩): الآيات ٣٢ الى ٣٥]

إشاره

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَ كَذَّبَ بِالصُّدُقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ (٣٢) وَ الَّذِي جَاءَ بِالصُّدُقِ وَ صَدَّقَ بِهِ أَوْلِيَّكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣) لَهُمْ مَا يَشَاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٣٤) لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَ يَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٥)

الإعراب

«وَ الَّذِي جَاءَ بِالصُّدُقِ وَ صَدَّقَ بِهِ» الذى هنا جنس لأن خبره جمع و هو قوله «أَوْلِيَّكَ» فلا يراد به واحد معين «لِيُكَفِّرَ اللَّهُ» اللام من صله قوله «لَهُمْ مَا يَشَاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ» و قيل هو لام القسم و التقدير و الله ليكفرن فحذفت النون و كسرت اللام.

المعنى

ثم بين سبحانه حال الفريقين فقال «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ عَلَى اللَّهِ» بأن ادعى له ولدا و شريكا «وَ كَذَّبَ بِالصُّدُقِ» بالتوحيد و القرآن «إِذْ جَاءَهُ» ثم هدد سبحانه من هذه صورته بأن قال «أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ» أى منزل و مقام للجاحدين و هذا

استفهام يراد به التقرير و معناه أنه كذلك و يقال أثوى و ثوى بمعنى قال:

طال الثواء على ربع بيمؤود أودى و كل جديد مره مود

«وَالَّذِي جَاءَ بِالصُّدُقِ وَصَدَّقَ بِهِ» اختلف فى المعنى به فقيل الذى جاء بالصدق محمد ص جاء بالقرآن و صدق به المؤمنون فهو حجتهم فى الدنيا و الآخرة عن ابن زيد و قتاده و مقاتل و احتجوا بقوله «أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» و قيل الذى جاء بالصدق و هو القرآن جبرائيل (عليه السلام) و صدق به محمد ص تلقاه بالقبول عن السدى و قيل الذى جاء بالصدق و هو قول لا إله إلا الله هو محمد ص و صدق به هو أيضا و بلغه إلى الخلق عن ابن عباس قال و لو كان المصدق به غيره لقال و الذى صدق به و هذا أقوى الأقوال و قيل الذى جاء بالصدق رسول الله ص و صدق به أبو بكر عن أبى العالیه و الكلبي و قيل الذى جاء بالصدق الأنبياء و صدق به أتباعهم عن عطاء و الربيع و على هذا فيكون الذى للجنس كما فى قول الشاعر:

و إن الذى حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد

ألا ترى أنه عاد إليه ضمير الجمع و

قيل الذى جاء بالصدق محمد ص و صدق به على بن أبى طالب (عليه السلام) عن مجاهد و رواه الضحاك عن ابن عباس و و المروى عن أئمة الهدى (عليه السلام) من آل محمد ص

ثم من سبحانه بما أعد لهم من النعيم فقال «لَهُمْ مَا يَشَاؤُنَ» من الثواب و النعيم فى الجنة «عِنْدَ رَبِّهِمْ» ينالون من جهته «ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ» على إحسانهم الذى فعلوه فى الدنيا و أعمالهم الصالحة «لِيَكْفُرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا» أى أسقط الله عنهم عقاب الشرك و المعاصى التى فعلوا قبل ذلك بإيمانهم و إحسانهم و رجوعهم إلى الله تعالى «وَيَجْزِيهِمْ أَجْرَهُمْ» أى ثوابهم «بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ» أى بالفرائض و النوافل فهى أحسن أعمالهم لأن المباح و إن كان حسنا فلا يستحق به ثواب و لا مدح.

[سوره الزمر (٣٩): الآيات ٣٦ الى ٤٠]

إشارة

أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٦) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ (٣٧) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (٣٨) قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٩) مَنْ يَأْتِهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ (٤٠)

ص: ٣٥٦

قرأ أهل الكوفه غير عاصم و أبو جعفر بكاف عباده على الجمع و الباقون «عَبِيدَهُ» على التوحيد و قرأ أهل البصره كاشفات و ممسكات بالتثوين و ما بعدهما منصوبان و قرأ الباقون بغير تثوين على إضافه كل واحده منهما إلى ما بعدها.

الحجه

قال أبو على حجه من قرأ «عَبِيدَهُ وَ يُخَوِّفُونَكَ» فكأن المعنى ليس الله بكافيك و هم يخوفونك و من قرأ عباده فالمعنى أ ليس الله بكاف عباده الأنبياء كما كفى إبراهيم النار و نوحا الغرق و يونس ما وقع إليه فهو سبحانه كافيك كما كفى الأنبياء قبلك و من قرأ كاشفات ضره و ممسكات رحمته فالوجه فيه أنه مما لم يقع و ما لم يقع من أسماء الفاعلين أو كان للحال فالوجه فيه النصب و وجه الجر أنه لما حذف التثوين و إن كان المعنى على إثباته عاقبت الإضافه التثوين.

المعنى

لما وعد الله سبحانه الصادق و المصدق عقبه بأنه يكفيهم و إن كانت الأعداء تقصدهم و تؤذيهم فقال «أَ لَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ» استفهام يراد به التقرير يعنى به محمدا ص يكفيه عداوه من يعاديه و يناوئه «وَ يُخَوِّفُونَكَ» يا محمد «بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ» كانت الكفار تخوفه بالأوثان التى كانوا يعبدونها عن قتاده و السدى و ابن زيد لأنهم قالوا له إنا نخاف أن تهلكك آلهتنا و قيل إنه لما قصد خالد لكسر العزى بأمر النبى ص قالوا إياك يا خالد فبأسها شديد فضرب خالد أنفها بالفأس و هشمها و قال كفرانك يا عزى لا سبحانهك سبحان من

أهانك إني رأيت الله قد أهانك «وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ» أى من أضله الله عن طريق الجنة بكفره و معاصيه فليس له هاد يهديه إليها و قيل معناه إن من وصفه بأنه ضال إذ ضل هو عن الحق فليس له من يسميه هاديا و قيل من يحرمه الله من زيادات الهدى فليس له زائد «وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ» أى من يهده الله إلى طريق الجنة فلا أحد يضلّه عنها و قيل من يهده الله فاهتدى فلا يقدر أحد على صرفه عنه و قيل من بلغ استحقاق زيادات الهدى فقد ارتفع عن تأثير الوسواس «أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ» أى قادر قاهر لا يقدر أحد على مغالته «ذِي انْتِقَامٍ» من أعدائه الجاحدين لنعمه ثم قال لنبى ص «وَلَيْتُنَّ سَأَلْتَهُمْ» يا محمد «مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» و أوجدها و أنشأها بعد أن كانت معدومه «لَيَقُولَنَّ اللَّهُ» الفاعل لذلك لأنهم مع عبادتهم الأوثان يقرون بذلك ثم احتج عليهم بأن ما يعبدونه من دون الله لا يملك كشف الضر و السوء عنهم فقال «قُلْ» لهم «أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ» أى بمرض أو فقر أو بلاء أو شدة «هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ» أى هل يكشفن ضره «أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ» أى بخير أو صحة «هَلْ هُنَّ مُمَسِكَاتُ رَحْمَتِهِ» أى هل يمسكن و يحسن عنى رحمته و المعنى أن من عجز عن النفع و الضر و كشف السوء و الشر عن يتقرب إليه كيف يحسن منه عبادته و إنما يحسن العباده لمن قدر على جميع ذلك و لا يلحقه العجز و المنع و هو الله تعالى «قُلْ» يا محمد «حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ» و به يثق الواثقون و من توكل على غيره توكل على غير كاف «قُلْ» لهم يا محمد «يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ» أى على قدر جهدكم و طاقتكم فى إهلاكى و تضعيف أمرى «إِنِّي عَامِلٌ» قدر جهدى و طاقتى «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَ يَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ» قد مضى مفسرا و فى هذا غايه الوعيد و التهديد.

النظم

اتصل قوله «وَلَيْتُنَّ سَأَلْتَهُمْ» بقوله «وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ» و المعنى أنه لا ينبغي أن يخوفوك بها مع اعترافهم بأن الخالق هو دون غيره.

[سوره الزمر (٣٩): الآيات ٤١ الى ٤٥]

إشارة

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (٤١) اللَّهُ يَتَوَفَّى الْمَنَافِسَ حِينَ مَوْتِهَا وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَ يُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤٢) أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْ لَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَ لَا يَعْقِلُونَ (٤٣) قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤٤) وَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَ إِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٥)

ص: ٣٥٨

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير عاصم و قتيبه قضى بالضم الموت بالرفع و الباقون «قضى» بالفتح «الموت» بالنصب.

الحجه

قال أبو على حجه من بنى الفعل للفاعل قوله «وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى» فكما أن هذا مبنى للفاعل فكذلك حكم الذى عطف عليه و من بنى الفعل للمفعول به فهو فى المعنى مثل بناء الفعل للفاعل و الأول أبين.

اللغه

التوفى قبض الشىء على الإيفاء و الإتمام يقال توفيت حقى من فلان و استوفيته بمعنى و الاشمئزاز الانقباض و النفور عن الشىء قال عمرو بن كلثوم:

إذا عض الثقاف بها اشمأزت و ولتهم عشوزنه زبونا

و روى ثعلب عن ابن الأعرابى الشمز نفور الشىء من الشىء يكرهه.

المعنى

ثم بين سبحانه تحقيق وعيده بالعذاب المقيم بأن قال «إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ» يعنى القرآن «لِلنَّاسِ» أى لجميع الخلق عن ابن عباس «بِالْحَقِّ» أى ليس فيه شىء من الباطل و قيل بالحق معناه بأنه الحق أو على أنه الحق الذى يجب النظر فى موجه

ص: ٣٥٩

و مقتضاه فما صححه وجب تصحيحه و ما أفسده وجب إفساده و ما رغب فيه وجب العمل به و ما حذر منه وجب اجتنابه و ما دعا إليه فهو الرشده و ما صرف عنه فهو الغي «فَمَنْ اهْتَدَى» بما فيه من الأدله «فَلِنَفْسِهِ» لأن النفع فى عاقبته يعود إليه «وَمَنْ ضَلَّ» عنه و حاد «فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِا» أى على نفسه لأن مضره عاقبته من العقاب تعود عليه «وَمَا أَنْتَ» يا محمد «عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ» أى بربيب فى إيصال الحق إلى قلوبهم و حفظه عليهم حتى لا يتركوه و لا ينصرفوا عنه إذ لا تقدر على إكراههم على الإسلام و قيل بكفيل يلزمك إيمانهم فإنما عليك البلاغ «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا» أى يقبضها إليه وقت موتها و انقضاء آجالها و المعنى حين مرت أبدانها و أجسادها على حذف المضاف «وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا» أى و يتوفى الأنفس التى لم تمت فى منامها و التى تتوفى عند النوم هى النفس التى يكون بها العقل و التمييز و هى التى تفارق النائم فلا يعقل و التى تتوفى عند الموت هى نفس الحياه التى إذا زالت زال معها النفس و النائم يتنفس فالفرق بين قبض النوم و قبض الموت أن قبض النوم يضاد اليقظه و قبض الموت يضاد الحياه و قبض النوم يكون الروح معه فى البدن و قبض الموت يخرج الروح معه من البدن «فَيُمَسِّكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ» إلى يوم القيامة لا- تعود إلى الدنيا «وَيُرْسِلُ الْأَخْرَى» يعنى الأنفس الأخرى التى لم يقبض على موتها يريد نفس النائم «إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى» قد سمي لموته «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ» أى دلالات و اوضحات على توحيد الله و كمال قدرته «لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» فى الأدله إذ لا- يقدر على قبض النفوس تاره بالنوم و تاره بالموت غير الله تعالى قال ابن عباس فى بنى آدم نفس و روح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التى بها العقل و التمييز و الروح التى بها النفس و التحرك فإذا نام قبض الله نفسه و لم يقبض روحه و إذا مات قبض الله نفسه و روحه و يؤيده ما

رواه العياشى بالإسناد عن الحسن بن محبوب عن عمرو بن ثابت أبى المقدم عن أبى جعفر (عليه السلام) قال ما من أحد ينام إلا عرجت نفسه إلى السماء و بقيت روحه فى بدنه و صار بينهما سبب كشعاع الشمس فإن أذن الله فى قبض الأرواح أجابت الروح النفس و إذا أذن الله فى رد الروح أجابت النفس الروح و هو قوله سبحانه «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا» الآية فمهما رأت فى ملكوت السماوات فهو مما له تأويل و ما رأت فيما بين السماء و الأرض فهو مما يخيله الشيطان و لا تأويل له

«أَمْ اتَّخَذُوا» أى بل اتخذوا «مِنْ دُونِ اللَّهِ» آلهه «شُفَعَاءَ قُلُوبٍ» يا محمد «أَوْ لَوْ كَانُوا» يعنى الآلهه «لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً» من الشفاعة «وَلَا يَعْقِلُونَ» و جواب هذا الاستفهام محذوف تقديره أ و لو كانوا بهذه الصفة يتخذونهم شفعا و يعبدونهم راجين شفاعتهم ثم قال «قُلْ» لهم «لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً» أى لا يشفع أحد إلا بإذنه عن مجاهد و المعنى لا يملك

أحد الشفاعة إلا بتمليكه كما قال مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَ فِي هَذَا إِبْطَالُ الشَّفَاعَةِ لِمَنْ ادَّعَيْتَ لَهُ الشَّفَاعَةَ مِنَ الْآلِهَةِ «لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» مَضَى مَعْنَاهُ ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنْ سُوءِ اعْتِقَادِهِمْ وَ شَدِيدِ عِنَادِهِمْ فَقَالَ «وَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَخِيدَهُ اشْمَأَزَّتْ» أَيْ نَفَرَتْ عَنِ السُّدَى وَالضُّحَاكِ وَالْجَبَائِثِ وَقِيلَ انْقَبَضَتْ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ مُجَاهِدٍ وَ مِقَاتِلٍ وَقِيلَ كَفَرَتْ وَ اسْتَكْبَرَتْ عَنْ قِتَادِهِ «قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ» كَانَ الْمُشْرِكُونَ إِذَا سَمِعُوا قَوْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ نَفَرُوا مِنْ هَذَا لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ الْأَصْنَامُ آلِهَةٌ «وَ إِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ» يَعْنِي الْأَصْنَامَ الَّتِي عَبَدُوهَا مِنْ دُونِهِ «إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ» يَفْرَحُونَ وَ يَسْرُونَ حَتَّى يَظْهَرَ السُّرُورُ فِي وَجُوهِهِمْ.

النظم

اتصل قوله «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ» بقوله «وَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ» فبين سبحانه أن الحفيظ عليهم هو الذي يتوفاهم و يصرفهم كيف يشاء و قيل يتصل بقوله أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ أَيْ مَنْ كَانَ هَذِهِ صِفَتُهُ فَإِنَّهُ يَكْفِيكَ أَمْرَهُمْ وَ اتَّصَلَ قَوْلُهُ «أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ» بِقَوْلِهِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ أَيْ فَكَمَا أَنَّ أَصْنَامَهُمْ لَا تَمْلِكُ الضَّرَّ وَ النَّفْعَ فَإِنَّهَا لَا تَمْلِكُ الشَّفَاعَةَ.

[سوره الزمر (٣٩): الآيات ٤٦ الى ٥٠]

اشاره

قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٤٦) وَ لَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ بَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (٤٧) وَ بَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٤٨) فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٩) قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٥٠)

ص: ٣٤١

لما قدم سبحانه ذكر الأدله فلم ينظروا فيها و المواعظ فلم يتعظوا بها أمر نبيه ص أن يحاكمهم إليه ليفعل بهم ما يستحقونه فقال «قُلْ» يا محمد ادع بهذا الدعاء «اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى يا خالقهما و منشئهما «عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ» أى يا عالم ما غاب علمه عن جميع الخلق و عالم ما شهدوه و علموه «أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ» يوم القيامة «فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» فى دار الدنيا من أمر دينهم و دنياهم و تفصل بينهم بالحق فى الحقوق و المظالم أى فاحكم بينى و بين قومى بالحق و فى هذا بشاره للمؤمنين بالظفر و النصر لأنه سبحانه إنما أمره به للإجابة لا محاله و عن سعيد بن المسيب أنه قال إنى لأعرف موضع آيه لم يقرأها أحد قط فسأل الله شيئا إلا أعطاه قوله «قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» الآيه ثم أخبر سبحانه عن وقوع العقاب بالكفار بأن قال «وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ» زياده عليه «لَأَفْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» و قد مضى تفسيره «وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ» أى ظهر لهم يوم القيامة من صنوف العذاب ما لم يكونوا ينتظرونه و لا يظنونه و اصلا إليهم و لم يكن فى حسابهم قال السدى ظنوا أعمالهم حسنات فبدت لهم سيئات و قيل إن محمد بن المنكدر جزع عند الموت فقيل له أتجزع قال أخذتني آيه من كتاب الله عز و جل «وَبَدَأَ لَهُمْ» الآيه أخذتني أن يبدولى من الله ما لم أحتسب «وَبَدَأَ لَهُمْ» أى و ظهر لهم أيضا «سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا» أى جزاء سيئات أعمالهم «وَوَاقِعُ بِهِمْ» أى نزل بهم «ما كانوا به يستهزؤن» و هو كل ما ينذرهم النبى ص مما كانوا ينكرونه و يكذبون به ثم أخبر عن شدة قلب الإنسان من حال إلى حال فقال «فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ» من مرض أو شدة «دَعَانَا» و استغاث بنا مسلما مخلصا فى كشفه علما بأنه لا يقدر غيرنا عليه «ثُمَّ إِذَا حَوَّلْنَا نِعْمَةً مِّنَّا» أى أعطيناها نعمه من الصحة فى الجسم و السعه فى الرزق أو غير ذلك من النعم «قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ» قيل فيه وجوه (أحدها) قال إنما أوتيته بعلمى و جلدى و حيلتى عن الحسن و الجبائى فيكون هذا إشاره إلى جهلهم بمواضع المنافع و المضار (و ثانيها) قال إنما أوتيته بعلمى خبر علمه الله عنى عن قتاده و مقاتل (و ثالثها) على علم يرضاه عنى فلذلك أتانى ما أتانى من النعم ثم قال ليس الأمر على ما يقولونه «بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ» أى بليه و اختبار يبتليه الله بها فيظهر كيف شكره أو صبره فى مقابلتها فيجازيه بحسبها و قيل معناه هذه النعمه فتنه أى عذاب لهم إذا أضافوها إلى أنفسهم و قيل معناه هذه المقاله التى قالوها فتنه لهم لأنهم يعاقبون عليها «وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» البلوى من النعمى و قيل لا يعلمون أن النعم كلها من الله و إن حصلت بأسباب من جهه العبد «قَدْ قَالَهَا» أى قد قال مثل هذه الكلمه و هذه المقاله «الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» مثل قارون حيث قال

إِنَّمَا أُوتِيَتْهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي «فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» أَي فَلَمْ يَنْفَعَهُمْ مَا كَانُوا يَجْمَعُونَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ بَلْ صَارَتْ وَبَالَآ عَلَيْهِمْ.

[سوره الزمر (٣٩): الآيات ٥١ الى ٥٥]

إشاره

فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيَّئِبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَ مَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٥١) أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢) قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَ أَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَ اسْأَلُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ (٥٤) وَ اتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَ أَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٥٥)

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن حال هؤلاء الكفار فقال «فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا» أَي أَصَابَهُمْ عِقَابُ سَيِّئَاتِهِمْ فَحُذِفَ الْمُضَافُ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ وَ قِيلَ إِنَّمَا سُمِّيَ عِقَابُ سَيِّئَاتِهِمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا لِأَنَّ الْكَلَامَ كَقَوْلِهِ وَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا «وَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ» أَي مِنْ كَفَارِ قَوْمِكَ يَا مُحَمَّدُ «سَيَّئِبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا» أَيضًا «وَ مَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ» أَي لَا يَفُوتُونَ اللَّهَ تَعَالَى وَ قِيلَ لَا يَعْجِزُونَ اللَّهَ بِالْخُرُوجِ مِنْ قُدْرَتِهِ «أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ» أَي يُوَسِّعُ الرِّزْقَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَ يَضِيقُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ بِحَسَبِ مَا يَعْلَمُ مِنَ الْمَصْلَحَةِ «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ» دَلَالَاتٌ وَاضِحَاتٌ «لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» يَصْدُقُونَ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّهِمُ الْمُتَنَفِعُونَ بِهَا «قُلْ» يَا مُحَمَّدُ «يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ» بَارْتِكَابِ الذُّنُوبِ «لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ» أَي لَا تَيْأَسُوا مِنْ مَغْفِرَةِ اللَّهِ «إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» وَ عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ص قَالَ مَا أَحَبُّ أَنْ لِي الدُّنْيَا وَ مَا فِيهَا بِهَذِهِ الْآيَةِ وَ

عن أمير المؤمنين على (عليه السلام) أنه قال ما فى القرآن آية أوسع من «يا

ص: ٣٦٣

و في مصحف عبد الله إن الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء و

قيل إن الآيه نزلت في وحشى قاتل حمزه حين أراد أن يسلم و خاف أن لا تقبل توبته فلما نزلت الآيه أسلم فقيل يا رسول الله هذه له خاصه أم للمسلمين عامه فقال ص بل للمسلمين عامه

و هذا لا يصح لأن الآيه نزلت بمكه و وحشى أسلم بعدها بسنين كثيره و لكن يمكن أن يكون قرئت عليه الآيه فكانت سبب إسلامه فالآيه محموله على عمومها فالله سبحانه يغفر جميع الذنوب للتائب لا محاله فإن مات الموحد من غير توبه فهو في مشيئه الله إن شاء عذبه بعدله و إن شاء غفر له بفضلله كما قال وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ثُمَّ دَعَا سَبْحَانَهُ عِبَادَهُ إِلَى التَّوْبَةِ وَ أَمْرَهُم بِالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ فَقَالَ «وَ أَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ» أى ارجعوا من الشرك و الذنوب إلى الله فوحده «وَ اسْلِمُوا لَهُ» أى انقادوا له بالطاعه فيما أمركم به و قيل معناه اجعلوا أنفسكم خالصه له قد حث سبحانه بهذه الآيه على التوبه كيلا يرتكب الإنسان المعصيه و يدع التوبه اتكالا على الآيه المتقدمه «مَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصِرُونَ» عند نزول العذاب بكم «وَ اتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ» أى من الحلال و الحرام و الأمر و النهى و الوعد و الوعيد فمن أتى بالمأمور به و ترك المنهى عنه فقد اتبع الأحسن عن ابن عباس و قيل إنما قال أحسن ما أنزل لأنه أراد بذلك الواجبات و النوافل التى هى الطاعات دون المباحات و قيل أراد بالأحسن الناسخ دون المنسوخ عن الجبائى قال على بن عيسى و هذا خطأ لأن المنسوخ يجوز أن يكون حسنا إلا أن العمل بالناسخ يكون أصلح و أحسن «مَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً» أى فجأه فى وقت لا تتوقعونه «وَ أَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ» أى لا تعرفون وقت نزوله بكم.

[سوره الزمر (٣٩): الآيات ٥٦ الى ٦٠]

إشاره

أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْبَ رَبِّتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَ كُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٥٩) وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠)

ص: ٣٦٤

قرأ أبو جعفر يا حسرتاي بياء مفتوحه بعد الألف و الباقون «يا حَسْرَتِي» بغير ياء.

الحجه

قال ابن جنى فى قوله يا حسرتاي إشكال و ذلك أن الألف فى حسرتا إنما هى بدل من يا حسرتى أبدلت الياء ألفا هربا إلى خفه الألف من ثقل الياء قال و الذى عندى فيه أنه جمع بين العوض و المعوض عنه كمذهب أبى إسحاق و أبى بكر فى قول الفرزدق:

هما نفثا فى فى من فمويهما على النابح العاوى أشد رجام

فجمع بين الميم و الواو و إنما الميم بدل من الواو و مثله ما أنشده أبو زيد:

إنى إذا ما حدث ألما أقول يا اللهم يا اللهم

فجمع بين ياء و ميم و إنما الميم عوض من ياء.

اللغه

التفريط إهمال ما يجب أن يتقدم فيه حتى يفوت وقته و مثله التقصير و ضده الأخذ بالحزم يقال فلان حازم و فلان مفرط و التحسر الاغتمام مما فات وقته لانحساره عنه بما لا يمكنه استدراكه و مثله التأسف و أصل الباب الانقطاع يقال انحسرت الدابه أى انقطع سيرها كلالا و الجنب العضو المعروف و الجنب أيضا معظم الشىء و أكثره يقال هذا قليل فى جنب مودتك و يقال ما فعلت فى جنب حاجتى أى فى أمره قال كثير:

ألا تتقين الله فى جنب عاشق له كبد حرى عليك تقطع

. الإعراب

«بلى قَدْ جاءَ تَكَّ» جواب قوله «أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ» لأن معناه ما هدانى فقل لها بلى قد جاءتك آياتى لأن بلى جواب النفى و ليس فى الظاهر نفى فيحمل على المعنى. «وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ» مبتدأ و خبر و الجملة فى موضع نصب على الحال و استغنى عن الواو لمكان الضمير و يجوز فى غير القرآن وجوههم بالنصب على البدل من «الَّذِينَ كَذَّبُوا» أى ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسوده بالنصب و مثل النصب قول عدى بن زيد:

دعيني إن أمرك لن يطاعا و ما ألفتيني حلمي مضاعا.

المعنى

لما أمر الله سبحانه باتباع الطاعات و اجتناب المقبحات تحذيرا من نزول العقوبات بين الغرض في ذلك بقوله «أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ» أى خوف أن تقول أو حذرا من أن تقول و المعنى كراهه أن تصيروا إلى حال تقولون فيها «يا حَسِيرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ» أى يا ندامتى على ما ضيعت من ثواب الله عن ابن عباس و قيل قصرت فى أمر الله عن مجاهد و السدى و قيل فى طاعه الله عن الحسن قال الفراء الجنب القرب أى فى قرب الله و جواره يقال فلان يعيش فى جنب فلان أى فى قربه و جواره و منه قوله تعالى وَ الصَّاحِبِ بِالْجَنبِ فيكون المعنى على هذا القول على ما فرطت فى طلب جنب الله أى فى طلب جواره و قربه و هو الجنب و قال الزجاج أى فرطت فى الطريق الذى هو طريق الله فيكون الجنب بمعنى الجانب أى قصرت فى الجانب الذى يؤدى إلى رضا الله و

روى العياشى بالإسناد عن أبى الجارود عن أبى جعفر (عليه السلام) أنه قال نحن جنب الله

«وَ إِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّاخِرِينَ» أى و إنى كنت لمن المستهزئين بالنبى ص و القرآن و بالمؤمنين فى دار الدنيا عن قتاده و السدى و قيل من الساخرين ممن يدعونى إلى الإيمان «أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ» أى فعلنا ذلك كراهه أن تقول لو أراد الله هدايتى لكنت ممن يتقى معاصيه خوفا من عقابه و قيل إنهم لما لم ينظروا فى الأدله و أعرضوا عن القرآن و اشتغلوا بالدنيا و الأباطيل توهموا أن الله تعالى لم يهدهم فقالوا ذلك بالظن و لهذا رد الله عليهم بقوله «بلى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي» و قيل معناه لو أن الله هدانى إلى النجاه بأن يردنى إلى حال التكليف لكنت ممن يتقى المعاصى عن الجبائى قال لأنهم يضطرون يوم القيامة إلى العلم بأن الله قد هداهم «أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» أى لو أن لى رجعه إلى الدنيا فأكون من الموحدين المطيعين ثم قال سبحانه منكر على هذا القائل «بلى» أى ليس كما قلت «قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي» أى حججى و دلالاتى «فَكَذَّبْتَ بِهَا» و أنفت من اتباعها و ذلك قوله «وَ اسْتَكْبَرْتَ وَ كُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ» بها و إنما قال جاءتك و إن كانت النفس مؤنثه لأن المراد بالنفس هنا الإنسان و روى فى الشواذ عن عاصم و الجحدرى و يحيى بن يعمر بكسر الكاف و التاءات «بلى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَ اسْتَكْبَرْتَ وَ كُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ» «وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ» فزعموا أن له شريكا و ولدا «وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ» الذين تكبروا عن الإيمان بالله هذا استفهام تقرير أى فيها مثواهم و مقامهم و

روى العياشى بإسناده عن خيثمه قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول من حدثنا عننا بحديث فنحن سائلوه عنه يوما فإن صدق علينا فإنما يصدق على الله و على رسوله و إن كذب علينا فإنما

يكذب على الله و على رسوله لأنا إذا حدثنا لا نقول قال فلان و قال فلان إنما نقول قال الله و قال رسوله ثم تلا هذه الآية «وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ» الآية ثم أشار خيشمه إلى أذنيه فقال صممتا إن لم أكن سمعته

و

عن سوده بن كليب قال سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن هذه الآية فقال كل إمام انتحل إمامه ليست له من الله قلت و إن كان علويا قال (عليه السلام) و إن كان علويا قلت و إن كان فاطميا قال و إن كان فاطميا.

[سوره الزمر (٣٩): الآيات ٦١ الى ٦٦]

إشاره

وَيَجْعَى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦١) اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٢) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٣) قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٤) وَ لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥)

بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير حفص بمفازاتهم و الباقون «بِمَفَازَتِهِمْ» وقرأ أهل المدينه تأمرونى خفيفه النون مفتوحه الياء وقرأ ابن عامر تأمرونى بنونين ساكنه الياء وقرأ ابن كثير تأمرونى مشدده النون مفتوحه الياء و الباقون «تَأْمُرُونِي» مشدده النون ساكنه الياء وقرأ زيد عن يعقوب لنحبطن عملك و الباقون و «لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ».

الحجه

قال أبو على حجه الإفراد أن المفازه و الفوز واحد فأفراد المفازه كأفراد الفوز و حجه الجمع أن المصادر قد تجمع إذا اختلفت أجناسها و مثله فى الإفراد و الجمع على مكانتكم و مكاناتكم و قوله «أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ» غير ينتصب على وجهين (أحدهما) أعبد غير الله فيما تأمرونى (و الآخر) أن ينتصب بتأمرونى أى أ تأمرونى بعباده غير الله فلما حذف أن ارتفع أعبد فصارت أن و صلتها فى موضع نصب و لا يجوز انتصاب غير بأعبد على هذا لأنه فى تقدير الصله فلا يعمل فيما تقدم عليه فموضع أعبد و أن المضمرة نصب على

ص: ٣٦٧

تقدير البدل من غير كأنه قال أ بعباده غير الله تأمروني إلا أن الجار حذف كما حذف من قوله أمرتك الخير و صار التقدير بعد الحذف أ غير الله تأمروني عبادته فأضمر المفعول الثانى للأمر و المفعول الأول علامه المتكلم و أن أعبد بدل من غير و مثل هذا فى البدل قوله وَ مَا أَنْسَانِيَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أذُكَّرَهُ أَي مَا أَنْسَانِي ذَكَرَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ و أقول فى بيانه و شرحه أن تقديره كان فى الأصل أ فعباده غير الله تأمروني ثم حذف الجار الذى هو الباء فوصل الفعل فنصبه فصار أ فعباده غير الله تأمروني ثم حذف المضاف الذى هو عباده و أقيم المضاف إليه الذى هو غير مقامه فصار أ فغير الله تأمروني ثم جعل أعبد الذى تقديره أن أعبده و هو فى معنى عبادته بدلا من غير الله و بيانا للمحذوف الذى هو عباده فى قوله أ فعباده غير الله فصار مثل قوله تعالى «وَ مَا أَنْسَانِيَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أذُكَّرَهُ» و من قال أن قوله «أَعْتَيْدُ» فى موضع نصب على الحال فلا وجه لقوله و أما على الوجه الأول و هو أن يكون غير الله منصوبا بأعبد فإنه يكون تأمرنى اعتراضا بين العامل و المعمول. رجعنا إلى كلام أبى على فأما تأمروني فالقياس تأمروني و يدغم فيصير تأمروني و جاز الإدغام و إسكان النون المدغمة لأن قبلها حرف لين و هو الواو فى تأمروني و من خفف فقال تأمروني ينبغى أن يكون حذف النون الثانية المصاحبه لعلامه المنصوب المتكلم لأنها قد حذفت فى مواضع نحو:

" يسوء الفاليات إذا فلينى "

و إنى و كائى و قدى و قدنى و إنما قدرنا حذف الثانية لأن التكرير و التثقيب به وقع و لأن حذف الأولى لحن لأنها دلالة الرفع و على هذا يحمل قول الشاعر:

أ بالموت الذى لا بد أنى ملاق لا أباك تخوفينى

و فتح الياء من تأمروني و إسكانها جميعا سائغ حسن.

المعنى

لما أخبر الله سبحانه عن حال الكفار عقبه بذكر حال الأتقياء الأبرار فقال «وَ يُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا» معاصيه خوفا من عقابه «بِمَفَازَتِهِمْ» أى بمنجاتهم من النار و أصل المفازه المنجاه و بذلك سميت المفازه على وجه التفاؤل بالنجاه منها كما سموا اللديغ سليما «لا- يَمَسُّهُمْ السُّوءُ» أى لا يصيبهم المكروه و الشده «وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ» على ما فاتهم من لذات الدنيا و لما ذكر الوعد و الوعيد بين سبحانه أنه القادر على كل شىء بقوله «اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ» أى محدث كل شىء و مبدعه «وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ»

أى حافظ مدير «لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» واحدها مقلید و مقلاد يريد مفاتيح السماوات و الأرض بالرزق و الرحمه عن ابن عباس و قتاده و قيل خزائن السماوات و الأرض يفتح الرزق على من يشاء و يغلقه عن من يشاء عن الضحاك «وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» لأنهم يخسرون الجنة و نعيمها و يصلون النار و سعيها ثم أعلم سبحانه أنه المعبود لا معبود سواه بقوله «قُلْ» يا محمد لهؤلاء الكفار «أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ» أى أ تأمروننى أن أعبد غير الله «أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ» فيما تأمروننى به إذ تأمرون بعباده من لا يسمع و لا يبصر و لا ينفع و لا يضر ثم قال لنبىه ص «وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ» يا محمد «وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ» من الأنبياء و الرسل «لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ» قال ابن عباس هذا أدب عن الله تعالى لنبىه ص و تهديد لغيره لأن الله تعالى قد عصمه من الشرك و مدهنه الكفار و ليس فى هذا ما يدل على صحه القول بالإحباط على ما يذهب إليه أهل الوعيد لأن المعنى فيه أن من أشرك فى عباده الله غيره من الأصنام و غيرها وقعت عبادته على وجه لا يستحق عليها الثواب به و لذلك وصفها بأنها محبطه إذ لو كانت العباده خالصه لوجه الله تعالى لاستحق عليها الثواب ثم أمر سبحانه بالتوحيد فقال «بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ» أى وجه عبادتك إليه تعالى وحده دون الأصنام «وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ» الذين يشكرون الله على نعمه و يخلصون العباده له قال الزجاج الله منصوب بقوله «فَاعْبُدْ» فى قول البصريين و الكوفيين و الفاء جاءت على معنى المجازاه و المعنى قد تبينت فاعبد الله.

[سوره الزمر (٣٩): الآيات ٦٧ الى ٧٠]

اشاره

وَ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ السَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧) وَ نَفَخَ فِي الصُّورِ فَنفَخَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (٦٨) وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَ وُضِعَ الْكِتَابُ وَ جِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ هُمْ لَا يظَلْمُونَ (٦٩) وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٧٠)

ص: ٣٦٩

جميعا نصب على الحال و العامل فيه محذوف و تقديره و الأرض إذا كانت مجتمعه قبضته فإذا ظرف زمان و العامل فيه قبضته و كان هاهنا تامه إذ لو كانت ناقصه لكان جميعا خبرها و لم يجر أن يكون حالا و هذا كما قالوا في أخطب ما يكون الأمير قائما أن التقدير إذا كان قائما أو إذ كان قائما و هذا بسرا أطيب منه تمرا أن التقدير هذا إذا كان بسرا أطيب منه إذا كان تمرا و مثله قول الشاعر:

إذا المرء أعيته المرؤه ناشئا فمطلبها كهلا عليه شديد

أى إذا كان كهلا- و المعنى و الأرض في حال اجتماعها قبضته قال الإمام النحوى البصير قال أبو على في الحجة إن التقدير و الأرض ذات قبضته إذا كانت مجتمعه و قال في الحليات التقدير و الأرض مقبوضه إذا كانت مجتمعه و قال فعلى التقدير الذى فى الحجة لا- يتأتى إعمال قبضته فى إذا لأنه قدره ذات قبضته و المضاف إليه لا يعمل فيما قبل المضاف و على التقدير فى الحليات يتأتى إعمال قبضته فى إذا لأنه بمعنى مفعول و أقول أن المضاف إليه إذا أقيم مقام المضاف بعد أن حذف المضاف جاز أن يعمل عمل المضاف كما أعرب بإعرابه فارتفع بعد أن كان مجرورا فى الأصل فلما جاز أن يعمل المضاف فيما قبله جاز لما قام مقامه أن يعمل فيما قبله كما اكتسى إعرابه و كيف يجوز أن يستتم ما ذكره هذا الجامع للعلوم على مثل أبى على مع أنه يشق الشعر فى هذا الفن.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن أحوالهم فقال «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» أى ما عظموا الله حق عظمته إذ عبدوا غيره و أمروا نبيه بعباده غيره عن الحسن و السدى قال المبرد و أصله من قولك فلان عظيم القدر يريد بذلك جلالته و القدر اختصاص الشئ ب بعض أو صغر أو مساواه و قيل معناه و ما وصفوا الله حق وصفه إذ جحدوا البعث فوصفوه بأنه خلق الخلق عبثا و أنه عاجز عن الإعادة و البعث «وَالْمَأْرُضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» و القبضه فى اللغه ما قبضت عليه بجميع كفكك أخبر سبحانه عن كمال قدرته فذكر أن الأرض كلها مع عظمها فى مقدوره كالشئ الذى يقبض عليه القابض بكفه فيكون فى قبضته و هذا تفهيم لنا على عادته

التخاطب فيما بيننا لأننا نقول هذا فى قبضه فلان و فى يد فلان إذا هان عليه التصرف فيه و إن لم يقبض عليه و كذا قوله «وَ السَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ» أى يطويها بقدرته كما يطوى الواحد منا الشىء المقدر له طيه بيمينه و ذكر اليمين للمبالغة فى الاقتدار و التحقيق للملك كما قال أو ما ملكت أيمانكم أى ما كانت تحت قدرتكم إذ ليس الملك يختص باليمين دون الشمال و سائر الجسد و قيل معناه أنه محفوظات مصونات بقوته و اليمين القوه كما فى قول الشاعر:

إذا ما رايه رفعت لمجد تلقاها عرابه باليمين

ثم نزه سبحانه نفسه عن شركهم فقال «سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ» أى عما يضيفونه إليه من الشبيه و المثل «وَ نُفِخَ فى الصُّورِ» و هو قرن ينفخ فيه إسرافيل و وجه الحكمة فى ذلك أنها علامه جعلها الله ليعلم بها العقلاء آخر أمرهم فى دار التكليف ثم تجديد الخلق فشبه ذلك بما يتعارفونه من بوق الرحيل و النزول و لا تتصوره النفوس بأحسن من هذه الطريقة و قيل أن الصور جمع صوره فكأنه نفخ فى صور الخلق عن قتاده و روى عنه أنه قرأ فى الصور بفتح الواو «فَصَيَّرَ مَنْ فى السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فى الْأَرْضِ» أى يموت من شدة تلك الصيحة التى تخرج من الصور جميع من فى السماوات و الأرض يقال صعق فلان إذا مات بحال هائله شبيهه بالصيحة العظيمة

«إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ» اختلف فى المستثنى فقيل هم جبرائيل و ميكائيل و إسرافيل و ملك الموت عن السدى و هو المروى عن حديث مرفوع

و قيل هم الشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله عن سعيد بن جبير و عطا

عن ابن عباس و أبى هريره عن النبى ص أنه سأل جبرائيل عن هذه الآيه من الذى لم يشأ الله أن يصعقهم قال هم الشهداء متقلدون أسيافهم حول العرش

«ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى» يعنى نفخه البعث و هى النفخة الثانية و

قال قتاده فى حديث رفعه أن ما بين النفختين أربعين سنه

و قيل إن الله تعالى يفنى الأجسام كلها بعد الصعق و موت الخلق ثم يعيدها و قوله «فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ» إخبار عن سرعه إيجادهم لأنه سبحانه إذا نفخ النفخة الثانية أعادهم عقيب ذلك فيقومون من قبورهم أحياء «يَنْظُرُونَ» أى ينتظرون ما يفعل بهم و ما يؤمرون به «وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا» أى أضاءت الأرض بعدل ربها يوم القيامة لأن نور الأرض بالعدل كما أن نور العلم بالعمل عن الحسن و السدى و قيل بنور يخلقه الله عز و جل يضىء به أرض القيامة من غير شمس و لا قمر «وَ وُضِعَ الْكِتَابُ» أى كتب الأعمال التى كتبتها الملائكة على بنى آدم توضع فى

أيديهم ليقرأوا منها أعمالهم و الكتاب اسم جنس فيؤدى معنى الجمع أى يوضع كتاب كل إنسان فى يمينه أو شماله «وَجِيءَ
 بِالنَّبِيِّينَ وَ الشُّهَدَاءِ» أى يعطى بهم و الشهداء هم الذين يشهدون للأنبياء على الأمم بأنهم قد بلغوا و إن الأمم قد كذبوا عن ابن
 عباس و سعيد بن جبير و قيل هم الذين استشهدوا فى سبيل الله عن السدى و قيل هم عدول الآخرة يشهدون على الأمم بما
 شاهدوا عن الجبائى و أبى مسلم و هذا كما جرت العاده بأن القضاء يكون بمشهد الشهداء و العدول و قيل هم الحفظه من
 الملائكه و يدل عليه قوله وَ جَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَ شَهِيدٌ و قيل هم جميع الشهداء من الجوارح و المكان و الزمان «وَ
 قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ هُمْ لَا يظَلَمُونَ» أى يفصل بينهم بمر الحق لا ينقص أحد منهم شيئاً مما يستحقه من الثواب و لا يفعل به ما لا
 يستحقه من العقاب «وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ» أى يعطى كل نفس عامله بالطاعات جزاء ما عملته على الوفاء و الكمال دون
 النقصان «وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ» أى و الله سبحانه أعلم من كل أحد بما يفعلونه من طاعه أو معصيه و لم يأمر الملائكه بكتبه
 الأعمال لحاجه إلى ذلك بل لزياده تأكيد و ليعلموا أنه يجازيهم بحسب ما عملوا.

النظم

اتصل قوله «وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» بقوله «وَ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» أى ما عظموه حق عظمته إذ عبدوا معه غيره مع
 اقتداره على السماوات و الأرض.

[سوره الزمر (٣٩): الآيات ٧١ الى ٧٥]

إشارة

وَ سَبِقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَ قَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ
 رَبِّكُمْ وَ يُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بلى وَ لَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ
 فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَ سَبِقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا وَ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَ قَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ
 عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) وَ قَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْظُهُ وَ أَوْثَقْنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ
 الْعَامِلِينَ (٧٤) وَ تَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَ قِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
 (٧٥)

ص: ٣٧٢

قرأ أهل الكوفه «فُتِحَتْ» و «وَفُتِحَتْ» بالتخفيف فيهما و الباكون بالتشديد.

الحجه

حجه التشديد قوله «مُفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ» و إن التشديد يختص بالكثره و وجه التخفيف أن التخفيف يصلح للقليل و الكثير.

اللغه

السوق الحث على السير و منه قولهم الكلام يجرى على سياقه واحده و منه السوق لأن المعامله تساق فيها بالبيع و الشراء و الزمر جمع زمره و هى الجماعه لها صوت كصوت المزمار و منه مزامير داود و هى أصوات كانت له مستحسنه قال:

له زجل كأنه صوت حاد إذا طلب الوسيقه أو زمير

و قال أبو عبيده هم جماعات فى تفرقه بعضهم فى إثر بعض و حف القوم بفلان إذا أطافوا به و أحدقوا به و الحفافان الجانبان قال المبرد الواو فى قوله «حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا» زائده و كان ينكر قول من يقول هى واو الثمانيه و أنشد لامرء القيس:

فلما أجزنا ساحه الحى و انتحى بنا بطن خبت ذى حفاف عقنقل

قال و المعنى فلما أجزنا ساحه الحى انتحى بنا قال على بن عيسى إنما جىء بهذه

الواو تاره و حذفت أخرى للتصرف فى الكلام و جواب إذا فى صفه أهل الجنة محذوف و تقديره حتى إذا جاءوها و فتحت أبوابها و كانوا كيت و كيت فازوا و نالوا المنى و ما أشبه ذلك و هذا معنى قول الخليل لأنه قال فى بيت امرء القيس الجواب محذوف و التقدير فلما أجزنا ساحه الحى و انتحى بنا خلونا و نعمنا و مثله قول بعض الهدليين:

حتى إذا سلكوهم فى قنائه شلا كما تطرد الجماله الشردا

فحذف جواب إذا لأن هذا البيت آخر القصيده و تحقيقه إن التقدير حتى إذا جاءوها و فتحت أبوابها فالواو واو حال و جواب إذا مضممر كما أضممر فى قوله «حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ» إلى قوله «ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ» و التقدير قاربوا الهلاك ثم تاب عليهم.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن قسمه أحوال الخلائق فى المحشر بعد فصل القضاء فقال «وَسَيَقَ الَّذِينَ كَفَرُوا» أى يساقون سوقا فى عنف «إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا» أى فوجا بعد فوج و زمره بعد زمره «حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا» أى حتى إذا انتهوا إلى جهنم فتحت أبواب جهنم عند مجيئهم إليها و هى سبعة أبواب «وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا» الموكلون بها على وجه التهجين لفعالهم و الإنكار عليهم «أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ» أى من أمثالكم من البشر «يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ» يقرءون عليكم حجج ربكم و ما يدلکم على معرفته و وجوب عبادته «وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءِ يَوْمِكُمْ هَذَا» أى و يخوفونكم من مشاهده هذا اليوم و عذابه «قَالُوا» أى قال الكفار لهم «بلى» قد جاءتنا رسل ربنا و خوفونا بآيات الله «وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ» أى و جب العقاب على من كفر بالله تعالى لأنه أخبر بذلك و علم من يكفر و يوافق بكفره فقطع على عقابه فلم يكن شىء يقع منه خلاف ما علمه و أخبر به فصار كوننا فى جهنم موافقا لما أخبر به تعالى و لما علمه «قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا» أى فيقول عند ذلك خزنة جهنم و هم الملائكة الموكلون ادخلوا أبواب جهنم مؤبدين لا آخر لعقابكم «فَبَسَّ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ» أى بسس موضع إقامه المتكبرين عن الحق و قبوله جهنم «وَسَيَقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا» أى يساقون مكرمين زمره بعد زمره كقوله «يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفُودًا» و إنما ذكر السوق على وجه المقابلة لسوق الكافرين إلى جهنم كلفظ البشارة فى قوله «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» و إنما البشارة هى الخبر السار «حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا» أى و قد فتحت أبوابها قبل مجيئهم و أبواب الجنة ثمانية

عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ص قال أن في الجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى الريان لا يدخلها إلا الصائمون رواه البخارى و مسلم فى الصحيحين

«وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا» عند استقبالهم «سَيِّئًا مَّ عَلَيْكُمْ» أى سلامه من الله عليكم يحيونهم بالسلامه ليزدادوا بذلك سرورا و قيل هو دعاء لهم بالسلامه و الخلود أى سلمتم من الآفات «طِبْتُمْ» أى طبتم بالعمل الصالح فى الدنيا و طابت أعمالكم الصالحه و زكت و قيل معناه طابت أنفسكم بدخول الجنة و قيل أنهم طيبوا قبل دخول الجنة بالمغفره و اقتص لبعضهم من بعض فلما هذبوا و طيبوا قال لهم الخزنه طبتم عن قتاده و قيل طبتم أى طاب لكم المقام عن ابن عباس و قيل إنهم إذا قربوا من الجنة يردون على عين من الماء فيغتسلون بها و يشربون منها فيطهر الله أجوافهم فلا يكون بعد ذلك منهم حدث و أذى و لا تتغير ألوانهم فتقول الملائكه «طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ» أى فادخلوا الجنة خالدين مخلدين مؤبدين «وَقَالُوا» أى و يقول أهل الجنة إذا دخلوها اعترافا بنعم الله تعالى عليهم «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ» الذى وعدناه على ألسنه الرسل «وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ» أى أرض الجنة لما صارت الجنة عاقبه أمرهم عبر عن ذلك بلفظ الميراث و الإيراث و قيل لأنهم ورثوها عن أهل النار «نَسَبُوا مِنَ الْجَنَّةِ» أى نتخذ من الجنة مباء و مأوى «حَيْثُ نَشَاءُ» و هذا إشاره إلى كثره قصورهم و منازلهم و سعه نعمتهم «فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ» أى فنعم ثواب المحسنين الجنة و النعيم فيها «وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ» معناه و من عجائب أمور الآخره إنك ترى الملائكه محديقين بالعرش عن قتاده و السدى يطوفون حوله «يَسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ» أى ينزهون الله تعالى عما لا يليق به و يذكرونه بصفاته التى هو عليها و قيل يحمدون الله تعالى حيث دخل الموحدون الجنة و قيل أن تسيحهم فى ذلك الوقت على سبيل التلذذ و التمتع لا على وجه التعب إذ ليس هناك تكليف و قد عظم الله سبحانه أمر القضاء فى الآخره بنصب العرش و قيام الملائكه حوله معظمين له سبحانه و مسبحين كما أن السلطان إذا أراد الجلوس للمظالم و قعد على سريره و أقام جنده حوله تعظيما لأمره و إن استحال كونه عز و جل على العرش إذ ليس بصفه الجواهر و الأجسام و الجلوس على العرش من صفات الأجسام «وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ» أى و فصل بين الخلائق بالعدل و قيل بين الأنبياء و الأمم و قيل بين أهل الجنة و النار «وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» من كلام أهل الجنة يقولون ذلك شكرا لله على نعمه التامه و قيل أنه من كلام الله تعالى فقال فى ابتداء الخلق الحمد لله الذى خلق السماوات و الأرض و قال بعد إفناء الخلق ثم بعد بعثهم و استقرار أهل الجنة فى الجنة الحمد لله رب العالمين فوجب الأخذ بأدبه فى ابتداء كل أمر بالحمد و ختمه بالحمد.

اشاره

[توضيح]

مكيه قال ابن عباس و قتاده إلا آيتين منها نزلتا بالمدينه «إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ» إلى قوله «لَا يَعْلَمُونَ» و قال الحسن إلا قوله «وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ» يعنى بذلك صلاه الفجر و صلاه المغرب و قد ثبت أن فرض الصلاه نزل بالمدينه.

عدد آياتها

خمس و ثمانون آيه كوفى شامى و أربع حجازى آيتان بصرى.

اختلافها

تسع آيات «حم» كوفى «كَاظِمِينَ» غير الكوفى «يَوْمَ التَّلَاقِ» غير الشامى «بَارِزُونَ» شامى «بَنَى إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ» مكى كوفى و المدنى الأول و «الْبَصِيرُ» شامى و المدنى الأخير «يُسَبِّحُونَ» كوفى شامى و المدنى الأخير «كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ» كوفى شامى.

فضلها

فضل الحواميم عموما و فضلها خصوصا

أبو بريه الأسلمى عن رسول الله ص قال من أحب أن يرتع فى رياض الجنه فليقرأ الحواميم فى صلاه الليل

أنس بن مالك عن النبى ص قال الحواميم دياج القرآن

ابن عباس قال لكل شىء لباب و لباب القرآن الحواميم.

ابن مسعود قال إذا وقعت فى آل حم وقعت فى روضات دمثات أتائق فيهن

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأ سورة حم المؤمن من لم يبق روح نبى و لا صديق و لا مؤمن إلا صلوا عليه و استغفروا له.

و

روى أبو بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال الحواميم ريحان القرآن فاحمدوا الله و اشكروه بحفظها و تلاوتها و إن العبد ليقوم يقرأ الحواميم فيخرج من فيه أطيب من المسك الأذفر و العنبر و إن الله ليرحم تاليتها و قارئها و يرحم جيرانه و أصدقاءه و معارفه و كل حميم أو قريب له و أنه فى القيامه يستغفر له العرش و الكرسي و ملائكه الله المقربون.

و

روی

ص: ۳۷۶

أبو الصباح عن أبي جعفر (عليه السلام) قال من قرأ حم المؤمن في كل ثلاث غفر الله له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر و ألزمه التقوى و جعل الآخرة خيرا له من الدنيا.

تفسيرها

لما ختم سبحانه سورة الزمر بذكر الملائكة و الجنة و النار افتتح هذه السورة بمثل ذلك فقال:

[سورة غافر (٤٠): الآيات ١ الى ٥]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلْوَلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهِيَ الْمَصِيرُ (٣)
مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْزُوكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ (٤)

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ الْمَأْحِزَابُ مِنْ بَعِيدِهِمْ وَ هَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَ جَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ
فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٥)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير عاصم إلا حمادا و يحيى عن أبي بكر حم بإماله الألف و الباقون بالفتح بغير إماله و هما لغتان فصيحتان.

اللغه

من جعل حم اسما للسوره يؤيده قول شريح بن أوفى العجلي:

يذكرني حاميم و الرمح شاجر فهلا تلا حم قبل التقدم

فجعله اسما معربا و قول الكميت:

ص: ٣٧٧

وجدنا لكم فى آل حم آيه تأولها منا تقى و معرب

و العزيز القادر الغالب الذى لا يغالب المنيع بقدرته على غيره و لا يقدر عليه غيره و التوب يجوز أن يكون جمع توبه كدوم و دومه و يجوز أن يكون مصدر تاب يتوب توبا.

و الطول الإنعام الذى تطول مدته على صاحبه كما أن التفضل النفع الذى فيه إفضال على صاحبه و لو وقع النفع على خلاف هذا الوجه لم يكن تفضلا.

الإعراب

إذا قدرت اتل «حم» فموضعه نصب و قيل موضعه جر بالقسم و قد يجوز أن يكون مرفوع الموضع على تقدير هذا «حم» و قد فتح الميم على بن عيسى بن عمر جعله اسما للسوره فنصبه و لم ينون لأنه على وزن هاويل و يجوز أن يكون فتحه لالتقاء الساكنين و القراء على تسكين الميم و إذا كان من حروف التهجي فلا يدخلها الإعراب و تنزيل خبر مبتدأ محذوف. «غافر الذنب» جر بأنه صفة بعد صفة و معناه أن من شأنه غفران الذنب فيما مضى و فيما يستقبل فلذلك كان صفة المعرفة و كذلك قابل التوب و لو جعلته بدلا كانت لمعرفة و النكرة سواء.

المعنى

«حم» قد مضى ذكر الأقوال فيه و قيل أقسم الله بحلمه و ملكه لا يعذب من عاذ به و قال لا إله إلا الله مخلصا من قلبه عن القرظى و قيل هو افتتاح أسمائه حليم حميد حكيم حى حنان ملك مجيد مبدئ معيد عن عطاء الخراسانى و قيل معناه حم أى قضى ما هو كائن عن الكلبى «تَنْزِيلُ الْكِتَابِ» أى هذا تنزيل الكتاب «مَنْ اللَّهُ» الذى يحق له العباده «الْعَزِيزُ» فى ملكه «الْعَلِيمُ» الكثير العلوم «غافر الذنب» لمن يقول لا إله إلا الله و هم أولياؤه و أهل طاعته و الذنب اسم جنس فالمعنى غافر الذنوب فيما مضى و فيما يستقبل «وَ قَابِلِ التَّوْبِ» يقبل توبه من تاب إليه من المعاصى بأن يثيب عليها و يسقط عقاب معاصى تقدمها على وجه التفضل منه لذلك كان صفة مدح و لو كان سقوط العقاب عندها واجبا لما كان فيه مدح قال الفراء معناهما ذى الغفران و ذى قبول التوبه و لذلك صار نعتا

للمعرفة «شَدِيدِ الْعِقَابِ» أى شديد عقابه و ذكر ذلك عقيب قوله «غَافِرِ الذَّنْبِ» لثلا يعول المكلف على الغفران بل يكون بين الرجاء و الخوف «ذِي الطُّولِ» أى ذى النعم على عباده عن ابن عباس و قيل ذى الغنى و السعه عن مجاهد و قيل ذى التفضل على المؤمنين عن الحسن و قتاده و قيل ذى القدره و السعه عن ابن زيد و السدى و روى عن ابن عباس أنه قال غافر الذنب لمن قال لا- إله إلا الله قابل التوب عمن قال لا إله إلا الله شديد العقاب لمن لم يقل لا إله إلا الله ذى الطول ذى الغنى عمن لم يقل لا إله إلا الله و قيل أنه إنما ذكر ذى الطول عقيب قوله «شَدِيدِ الْعِقَابِ» ليعلم أن العاصى أتى فى هلاكه من قبل نفسه لا من قبل ربه و إلا فنعمة سابغه عليه دنيا و دينا «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» أى هو الموصوف بهذه الصفات دون غيره و لا يستحق العباده سواه «إِلَيْهِ الْمَصِيرُ» أى المرجع للجزاء و المعنى أن الأمور تؤول إلى حيث لا يملك أحد النفع و الضر و الأمر و النهى غيره تعالى و هو يوم القيامة «مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا» أى لا يخاصم فى دفع حجج الله و إنكارها و جحدها إلا الذين كفروا بالله و آياته و جحدوا نعمه و دلالاته «فَلَا يَعْزُرَكَ» يا محمد «تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ» أى تصرفهم فى البلاد للتجارات سالمين أصحاء بعد كفرهم فإن الله تعالى لا يخفى عليه حالهم و إنما يمهلمهم لأنهم فى سلطانه و لا يفوتونه و لا يهملهم و فى هذا غايه التهديد ثم بين أن عاقبتهم الهلاك كعاقبه من قبلهم من الكفار فقال «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ» يعنى رسولهم نوحا «وَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ» و هم الذين تحزبوا على أنبيائهم بالكذب نحو عاد و ثمود و من بعدهم «وَ هَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ مِنْهُمْ بِرِسُولِهِمْ» أى قصدوه «لِيَأْخُذُوهُ» أى ليقتلوه و يهلكوه عن ابن عباس و إنما قال برسولهم و لم يقل برسولها لأن المراد الرجال «وَ جَادَلُوا بِالْبَاطِلِ» أى خصموا رسلهم بأن قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا و هلا أرسل الله إلينا ملائكه و بأمثال هذا من القول «لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ» الذى بينه الله تعالى و جاءت به رسله أى ليطلوه و يزيلوه يقال أدحض الله حجته أى أزالها «فَأَخَذْتُهُمْ» بالعقاب أى أهلكتهم و دمرت عليهم و عاقبتهم «فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ» أى فانظر كيف كان عقابى لهم و هذا استفهام تقرير لعقوبتهم الواقعه بهم.

[سوره غافر (٤٠): الآيات ٦ الى ١٠]

إشاره

وَ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٦) الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَ عِلْمًا فَاعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَ اتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَ قِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَ أَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عِدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَ مَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَ أزْوَاجِهِمْ وَ ذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَ قِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَ مَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ (١٠)

ص: ٣٧٩

قرأ أهل المدينة و ابن عامر كلمات ربك على الجمع و الباقون «كَلِمَةُ رَبِّكَ» على التوحيد.

الحجه

قال أبو على الكلمه تقع مفرده على الكثره فإذا كان كذلك استغنى فيها عن الجمع كما تقول يعجبني قيامكم و قعودكم قال سبحانه لا- تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَ ادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا و قال إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ فأفرد الصوت مع الإضافه إلى الكثره فكذلك الكلمه و قد قالوا قال قس فى كلمته يعنون خطبته و من جمع فلأن هذه الأشياء و إن كانت تدل على الكثره قد تجمع إذا اختلف أجناسها.

الإعراب

«أَنْتَهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ» يجوز أن يكون موضعه نصباً على تقدير بأنهم أو لأنهم و يجوز أن يكون رفعا على البدل من " كلمه " و «مَنْ حَوْلَهُ» معطوف على «الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ» و «رَحْمَةً وَ عِلْمًا» منصوبان على التمييز و «مَنْ صَالَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَ أَزْوَاجِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ» فى موضع نصب عطفا على الهاء و الميم فى و أدخلهم أى و أدخل من صلح من آبائهم و أزواجهم و ذرياتهم الجنه أيضا و يجوز أن يكون عطفا على الهاء و الميم فى وعدتهم أى وعدت من صلح من آبائهم و أزواجهم و ذرياتهم و قوله «لَمَقَّتْ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسِكُمْ إِذْ تَدْعُونَ» لا- يجوز أن يكون إذ ظرفا لمقت الله لأن المصدر لا يجوز أن يحال بينه و بين معموله بالأجنبى و لا يجوز أن يكون ظرفا للمقت الثانى فى قوله «مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسِكُمْ» لأن الدعاء إلى الإيمان

كان في الدنيا ومقتهم أنفسهم يكون في الآخرة ولا يجوز أن يكون ظرفاً لتدعون لأن تدعون في موضع جر بالإضافة والمضاف إليه لا يجوز أن يعمل في المضاف فالوجه أن يتعلق الظرف بفعل مضمرة دلت عليه الجملة تقديره مقتم إذ تدعون أو يتعلق بالمقت الثاني على تقدير تسميه الشيء بما يؤول إليه.

المعنى

ثم قال سبحانه «وَكَذَلِكَ» أي ومثل ما حق على الأمم المكذبة من العقاب «حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ» أي العذاب «عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا» من قومك أي أصروا على كفرهم «أَنَّهُمْ» أي لأنهم أو بأنهم «أَصْحَابُ النَّارِ» عن الأخفش ثم أخبر سبحانه عن حال المؤمنين و أنه تستغفر لهم الملائكة مع عظم منزلتهم عند الله تعالى فحالهم بخلاف أحوال من تقدم ذكرهم من الكفار فقال «الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ» عبادة الله و امتثالاً لأمره «وَمَنْ حَوْلَهُ» يعنى الملائكة المطيِّفين بالعرش و هم الكروبيون و سادة الملائكة «يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ» أي ينزهون ربهم عما يصفه به هؤلاء المجادلون و قيل يسبحونه بالتسبيح المعهود و يحمّدونه على إنعامه «وَيُؤْمِنُونَ بِهِ» أي و يصدقون به و يعترفون بوحدانيته «وَيَسْتَجْفِرُونَ» أي و يسألون الله المغفرة «لِلَّذِينَ آمَنُوا» من أهل الأرض أي صدقوا بوحدانية الله و اعترفوا بالهيبته و بما يجب الاعتراف به يقولون في دعائهم لهم «رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا» أي وسعت رحمتك و علمك كل شيء و المراد بالعلم المعلوم كما في قوله «وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ» أي بشيء من معلومه على التفصيل فجعل العلم في موضع المعلوم و المعنى أنه لا اختصاص لمعلوماتك بل أنت عالم بكل معلوم و لا تختص رحمتك حياً دون حى بل شملت جميع الحيوانات و في هذا تعليم الدعاء لبيد بالثناء عليه قبل السؤال «فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا» من الشرك و المعاصى «وَاتَّبِعُوا سَبِيلَكَ» الذى دعوت إليه عبادك و هو دين الإسلام «وَقِهِمْ» أي و ادفع عنهم «عَذَابَ الْجَحِيمِ» و في هذه الآية دلالة على أن إسقاط العقاب عند التوبة تفضل من الله تعالى إذ لو كان واجبا لكان لا يحتاج فيه إلى مسألتهم بل كان يفعله الله سبحانه لا محاله «رَبَّنَا وَادْخُلْهُمْ» مع قبول توبتهم و وقايتهم النار «جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ» على ألسن أنبيائك «وَمَنْ صِلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ» ليكمل أنسهم و يتم سرورهم «إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْقَادِرُ عَلَىٰ مَا يَشَاءُ الْحَكِيمُ» فى أفعالك «وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ» أي و قهم عذاب السيئات و يجوز أن يكون العذاب هو السيئات و سماه السيئات اتساعا كما قال و جزاء سيئته سيئة مثلها «وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ» أي و من تصرف عنه شر معاصيه فتفضلت عليه يوم القيامة

يأسقاط عذابها فقد أنعمت عليه «وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» أى الظفر بالبغيه و الفلاح العظيم ثم عاد الكلام إلى من تقدم ذكرهم من الكفار فقال عز اسمه «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ» أى يناديهم الملائكه يوم القيامه «لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ» و المقت أشد العداوه و البغض و المعنى أنهم لما رأوا أعمالهم و نظروا فى كتابهم و أدخلوا النار مقتوا أنفسهم لسوء صنيعهم فنودوا لمقت الله إياكم فى الدنيا إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم عن مجاهد و قتاده و السدى و قيل إنهم لما تركوا الإيمان و صاروا إلى الكفر فقد مقتوا أنفسهم أعظم المقت و هذا كما يقول أحدنا لصاحبه إذا كنت لا تبالى بنفسك فمبالا تى بك أقل و ليس يريد أنه لا يبالى بنفسه بل يريد أنه يفعل فعل من هو كذلك عن البلخى.

[سوره غافر (٤٠): الآيات ١١ الى ١٧]

إشاره

قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (١١) ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحِدَهُ كَفَرْتُمْ وَ إِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (١٢) هُوَ الَّذِي يُرِيكُم آيَاتِهِ وَ يُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَ مَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ (١٣) فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (١٤) رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (١٥)

يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٧)

الفراءه

قرأ روح و زيد عن يعقوب لتندر بالتاء و الباقون بالياء.

التاء على وجه الخطاب للنبي ص وقراءه القراء بالياء على أن الضمير يعود إلى «مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ».

الإعراب

«لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ» انتصب اليوم لمدلول قوله «لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ» أى لمن ثبت الملك فى هذا اليوم و يجوز أن يتعلق بنفس الملك و قال قوم أن الوقف على الملك حسن و يبتدىء «الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ» أى فى هذا اليوم.

المعنى

ثم حكى سبحانه عن الكفار الذين تقدم وصفهم بعد حصولهم فى النار بأنهم «قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ» اختلف فى معناه على وجوه (أحدها) أن الإمامة الأولى فى الدنيا بعد الحياه و الثانيه فى القبر قبل البعث و الإحياء الآتى فى القبر للمسائله و الثانيه فى الحشر عن السدى و هو اختيار البلخى (و ثانيها) أن الإمامة الأولى حال كونهم نطفاً فأحياهم الله فى الدنيا ثم أماتهم الموته الثانيه ثم أحياهم للبعث فهاتان حياتان و موتتان و نظيره قوله كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ كُنتُمْ أَمْوَاتًا آيَهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ قتاده و الضحاك و اختاره أبو مسلم (و ثالثها) أن الحياه الأولى فى الدنيا و الثانيه فى القبر و لم يرد الحياه يوم القيامه و الموته الأولى فى الدنيا و الثانيه فى القبر عن الجبائى «فَاعْتَرَفْنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا» التى اقرفناها فى الدنيا «فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ» هذا تطف مناهم فى الاستدعاء أى هل بعد الاعتراف سبيل إلى الخروج و قيل إنهم سألو الرجوع إلى الدنيا أى هل من خروج من النار إلى الدنيا لنعمل بطاعتك و لو علم الله سبحانه أنهم يفلحون لردهم إلى حال التكليف و لذلك قال وَ لَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ تَنبِيْهَا عَلَى أَنَّهُمْ لَوْ صَدَقُوا فِى ذَلِكَ لِأَجَابِهِمْ إِلَى مَا تَمَنَوْهُ فِى الْكَلَامِ حَذَفَ تَقْدِيرَهُ فَأَجِيبُوا بِأَنَّهُ لَا سَبِيلَ لَكُمْ إِلَى الْخُرُوجِ «ذَلِكُمْ» أى ذلكم العذاب الذى حل بكم «بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَ حِجِدَهُ كَفَرْتُمْ» أى إذا قيل لا إله إلا الله قلمت أ جعل الآلهه إليها واحدا و جحدتم ذلك «وَ إِنْ يُشْرِكْ بِهِ تُؤْمِنُوا» أى و إن يشرك به معبود آخر من الأصنام و الأوثان تصدقوا «فَالْحُكْمُ لِلَّهِ» فى ذلك و الفصل بين الحق و الباطل «الْعَلِيِّ» القادر على كل شىء ليس فوقه من هو أقدر منه أو من يساويه فى مقدوره و نقلت هذه اللفظه من علو المكان إلى علو الشأن و لذلك جاز وصفه سبحانه بذلك يقال استعلى فلان عليه بالقوه و بالحجه و ليس كذلك الرفعه و لذلك لا- يوصف مكانه بأنه رفيع كما وصف بأنه على «الْكَبِيرِ» العظيم فى صفاته التى لا- يشاركه فيها غيره و قيل هو السيد الجليل عن الجبائى «هُوَ الَّذِى يُرِيكُمْ آيَاتِهِ» أى مصنوعاته التى تدل على كمال قدرته و توحيده من السماء و الأرض و الشمس و القمر «وَ يُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا» من الغيث و المطر الذى ينبت ما هو رزق للخلق «وَ مَا

يَتَذَكَّرُ» أى وما يتعظ بهذه الآيات و ليس يتفكر فى حقيقتها «إِلَّا مَنْ يُنِيبُ» أى يرجع إليه و قيل إلا من يقبل إلى طاعه الله عن السدى ثم أمر المؤمنين بتوحيده فقال «فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» أى وجهوا عبادتكم إليه تعالى وحده «وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» فلا- تبالوا بهم ثم وصف سبحانه نفسه فقال «رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ» الرفيع بمعنى الرفع أى هو رافع درجات الأنبياء و الأولياء فى الجنة عن عطا عن ابن عباس و قيل معناه رافع السماوات السبع عن سعيد بن جبير و قيل معناه أنه على الصفات «ذُو الْعَرْشِ» أى مالك العرش و خالقه و ربه و قيل ذو الملك و العرش الملك عن أبى مسلم «يُلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» و قيل الروح هو القرآن و كل كتاب أنزله الله تعالى على نبي من أنبيائه و قيل الروح الوحى هنا لأنه يحيى به القلب أى يلقي الوحى على قلب من يشاء ممن يراه أهلا له يقال ألقىت عليه كذا أى فهمته إياه و قيل إن الروح جبرائيل (عليه السلام) يرسله الله تعالى بأمره عن الضحاك و قتاده و قيل إن الروح هاهنا النبوه عن السدى «لِيُنذِرَ» النبى بما أوحى إليه «يَوْمَ التَّلَاقِ» يلتقى فى ذلك اليوم أهل السماء و أهل الأرض عن قتاده و السدى و ابن زيد و قيل فيه يلتقى الأولون و الآخرون و الخصم و المخصوم و الظالم و المظلوم عن الجبائى و قيل يلتقى الخلق و الخالق عن ابن عباس يعنى أنه يحكم بينهم و قيل يلتقى المرء و عمله و الكل مراد و الله أعلم «يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ» من قبورهم و قيل يبرز بعضهم لبعض فلا يخفى على أحد حال غيره لأنه ينكشف ما يكون مستورا «لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ» أى من أعمالهم و أحوالهم و يقول الله فى ذلك اليوم «لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ» فيقر المؤمنون و الكافرون بأنه «لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ» و قيل إنه سبحانه هو القائل لذلك و هو المجيب لنفسه و يكون فى الإخبار بذلك مصلحة للمكلفين قال محمد بن كعب القرظى يقول الله تعالى ذلك بين النفختين حين يفنى الخلائق كلها ثم يجيب نفسه لأنه بقى وحده و الأول أصح لأنه بين أنه يقول ذلك يوم التلاقى يوم يبرز العباد من قبورهم و إنما خص ذلك اليوم بأن له الملك فيه لأنه قد ملك العباد بعض الأمور فى الدنيا و لا يملك أحد شيئا ذلك اليوم فإن قيل أليس يملك الأنبياء و المؤمنون فى الآخرة الملك العظيم فالجواب أن أحدا لا- يستحق إطلاق الصفه بالملك إلا الله لأنه يملك جميع الأمور من غير تمليك مملك و قيل إن المراد به يوم القيامة قبل تمليك أهل الجنة ما يملكهم «الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ» يجزى المحسن بإحسانه و المسىء بإساءته و فى الحديث أن الله تعالى يقول أنا الملك أنا الديان لا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة و لا لأحد من أهل النار أن يدخل النار و عنده مظلمه حتى أقصه منه ثم تلا هذه الآية

«لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ» أى لا ظلم لأحد على أحد و لا ينقص من ثواب أحد و لا يزداد فى عقاب أحد «إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ»

لا يشغله محاسبه واحد عن محاسبه غيره.

النظم

اتصل قوله «رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ» بما تقدم من ذكر إنكار الكفار البعث فعقبه سبحانه بذكر اعترافهم بذلك يوم القيامة و أيضا فإنه سبحانه لما ذكر مقتهم أنفسهم لعظم ما نزل بهم ذكر بعده سؤالهم الرجعه إلى الدنيا و إنما اتصل قوله «فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا» بما تقدم من إقرارهم بصفه الرب سبحانه فكأنهم قالوا اعترفنا بك ربنا فإنك أمتنا و أحييتنا و مع هذا فقد اعترفنا بذنوبنا و اتصل قوله «هُوَ الَّذِي يُرِيكُم آيَاتِهِ» بقوله «الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ» أى و من هذه صفاته يريكم آياته و اتصل قوله «رَفِيعِ الدَّرَجَاتِ» بقوله «هُوَ الَّذِي يُرِيكُم آيَاتِهِ» أى و هو الرفيع الدرجات و قيل إنه لما ذكر حال الفريقين ذكر الدرجات.

[سوره غافر (٤٠): الآيات ١٨ الى ٢٠]

اشاره

وَ أَنْذَرُهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَ لَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٨) يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَ مَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) وَ اللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٢٠)

القراءه

قرأ نافع و هشام عن ابن عامر و الذين تدعون بالتاء و الباقون بالياء.

الحججه

من قرأ بالتاء فعلى الخطاب و التقدير قل لهم يا محمد و من قرأ بالياء جعل الإخبار عن الغائب.

اللغه

الآزفه الدانيه من قولهم أزف الأمر إذا دنا و قته قال النابغه:

أزف الترحل غير أن ركبنا لما نزل برحالنا و كان قد

و الحناجر جمع حنجره و هى الحلقوم و الكاظم الممسك على ما فى قلبه يقال كظم غيظه إذا تجرعه و أصل الكظم للبعير على جرتة يردّها فى حلقه.

الإعراب

قال الزجاج كاظمين منصوب على الحال و الحال محموله على المعنى لأن القلوب لا- يقال لها كاظمون و إنما الكاظمون أصحاب القلوب و المعنى إذ قلوب الناس لدى الحناجر فى حال كظمهم و هو حال من الضمير فى لدى و معناه متوقفين عن كل شىء إلا عما دفعت إليه من فكرها فيه و نسبه الكظم إلى القلب كنسبه الكتابه إلى الأيدى فى قوله كَتَبْتُ أَيْدِيَهُمْ و إنما ذلك للجمله. يطاع جملته فى موضع جر بكونها صفة شفيح أى و لا من شفيح يطاع.

المعنى

ثم أمر سبحانه نبيه ص أن يخوف المكلفين يوم القيامة فقال «وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَازِفَةِ» أى الدانيه و هو يوم القيامة لأن كل ما هو آت دان قريب و قيل يوم دنو المجازاه «إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ» و ذلك أنها تزول عن مواضعها من الخوف حتى تصير إلى الحنجره و مثله قوله وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ «كاظمين» أى مغمومين مكرويين ممثلين عما قد أطبقوا أفواههم على قلوبهم من شدة الخوف «مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ» يريد ما للمشركين و المنافقين من قريب ينفعهم «وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ» فيهم فتقبل شفاعته عن ابن عباس و مقاتل «يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ» أى خيانتها و هى مسارقه النظر إلى ما لا يحل النظر إليه عن مجاهد و قتاده و الخائنه مصدر مثل الخيانه كما أن الكاذبه و اللاغيه بمعنى الكذب و اللغو و قيل إن تقديره يعلم الأعين الخائنه عن مؤرج و قيل هو الرمز بالعين عن السدى و قيل هو قول الإنسان ما رأيت و قد رأى و رأيت و ما رأى عن الضحاك «وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ» و يعلم ما تضره الصدور و

فى الخبر أن النظره الأولى لك و الثانيه عليك

فعلى هذا تكون الثانيه محرمه فهى المراد بخائنه الأعين «وَاللَّهُ يَفْضِي بِالْحَقِّ» أى يفصل بين الخلائق بالحق فيوصل كل ذى حق إلى حقه «وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ» من الأصنام «لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ» لأنها جماد «إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» أى الذى يجب أن يسمع المسموعات و يبصر المبصرات إذا وجدت و هاتان الصفتان فى الحقيقه ترجعان إلى كونه حيا لا آفه به و قال قوم معناهما العالم بالمسموعات و العالم بالمبصرات و الأول هو الصحيح.

[سوره غافر (٤٠): الآيات ٢١ الى ٢٥]

إشاره

أَوْ لَمْ يَسْتَبِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ آثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (٢١) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٢) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢٣) إِلَى فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ قَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) فَلَمَّا جَاءَهُمْ

بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٢٥)

ص: ٣٨٦

قرأ ابن عامر أشد منكم بالكاف و الميم و الباقون «مِنْهُمْ» بالهاء و الميم.

الحجه

قال أبو علي من قال منهم فأتى بلفظ الغيبه فلا ين ما قبله «أَوْ لَمْ يَسْتَيِرُوا» «فَيَنْظُرُوا» و من قال منكم فلانصرافه من الغيبه إلى الخطاب كقوله إِيَّاكَ نَعْبُدُ بعد قوله الْحَمْدُ لِلَّهِ.

المعنى

ثم نبههم سبحانه على النظر بقوله «أَوْ لَمْ يَسْتَيِرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ» من المكذبين من الأمم لرسولهم «كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً» فى أنفسهم «وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ» أى و أكثر عماره للأبنيه العجيبه و قيل و أبعد ذهابا فى الأرض لطلب الدنيا «فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ» أى أهلكتهم الله بسبب ذنوبهم «وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ» أى دافع يدفع عنهم عذابه و يمنع من نزوله بهم «ذَلِكَ» لعذاب الذى نزل بهم «بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ» أى بالمعجزات الباهره و الدلالات الظاهره «فَكَفَرُوا» بها «فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ» أى أهلكتهم عقوبه على كفرهم «إِنَّهُ قَوِيٌّ» قادر على الانتقام منهم «شَدِيدُ الْعِقَابِ» أى شديد عقابه ثم ذكر قصه موسى و فرعون ليعتبروا بها فقال «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا» أى بعثناه بحججنا و دلاتنا «وَأَنَّ سُلْطَانَ مُبِينٍ» أى حجه ظاهره نحو قلب العصا حيه و فلق البحر «إِلَى فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ قَارُونَ» كان موسى رسولا إلى كافتهم إلا أنه خص فرعون لأنه كان رئيسهم و كان هامان وزيره و قارون صاحب كنوزه و الباقون تبع لهم

و إنما عطف و بالسلطان على الآيات لاختلاف اللفظين تأكيدا و قيل المراد بالآيات حجج التوحيد و العدل و بالسلطان المعجزات الداله على نبوته «فَقَالُوا سَاحِرٌ» أى مموه «كَذَّابٌ» فيما يدعو إليه «فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا» أى فلما أتاهم موسى بالتوحيد و الدلالات عليه من عندنا و قيل المراد بالدين الحق «قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَ اسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ» أى أمروا بقتل الذكور من قوم موسى لثلاث- يكثر قومه و لا- يتقوى بهم و باستبقاء نسائهم للخدمه و هذا القتل غير القتل الأول لأنه أمر بالقتل الأول لثلاث ينشأ منهم من يزول ملكه على يده ثم ترك ذلك فلما ظهر موسى عاد إلى تلك العاده فمنعهم الله عنه بإرسال الدم و الضفادع و الطوفان و الجراد كما مضى ذكر ذلك ثم أخبر سبحانه أن ما فعله من قتل الرجال و استحياء النساء لم ينفعه بقوله «وَ مَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ» أى فى ذهاب عن الحق لا ينتفعون به.

[سوره غافر (٤٠): الآيات ٢٦ الى ٣٠]

اشاره

وَ قَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَ لِيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦) وَ قَالَ مُوسَى إِنِّي عُجِدْتُ بِرَبِّي وَ رَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (٢٧) وَ قَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَ قَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَ إِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَ إِن يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨) يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَ مَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩) وَ قَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (٣٠)

ص: ٣٨٨

قرأ أهل المدينة و أبو عمرو و أن يظهر بغير ألف قبل الواو و «يُظْهِرُ» بضم الياء و كسر الهاء «الْفَسَادَ» بالنصب و قرأ ابن كثير و ابن عامر و أن يظهر بفتح الياء الفساد بالرفع و قرأ حفص و يعقوب «أَوْ أَنْ يُظْهِرَ» بضم الياء «الْفَسَادَ» بالنصب و الباقون أو أن يظهر بفتح الياء الفساد بالرفع و قرأ أهل الكوفه غير عاصم و أبو عمرو و إسماعيل عن نافع و أبو جعفر «عُدْتُ» هنا و فى الدخان بإدغام الذال فى التاء و كذلك قوله فَتَبَدَّتْهَا حيث كان و الباقون بالإظهار حيث كان.

الحجه

قال أبو على من قرأ أو أن يظهر فالمعنى إنى أخاف هذا الضرب منه كما تقول كل خبزا أو تمرا أى هذا الضرب و من قرأ و أن يظهر فالمعنى إنى أخاف هذين الأمرين منه و من قرأ «يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ» فأسند الفعل إلى موسى فلأنه أشبه بما تقدم من قوله «يُيَدِّلُ دِينَكُمْ» و من قرأ و أن يظهر فالمعنى و أن يظهر الفساد فى الأرض بمكانه أو أراد أنه إذا بدل الدين ظهر الفساد بالتبديل فأما الإدغام فى «عُدْتُ» فحسن لتقارب الحرفين و الإظهار حسن لأن الذال ليست من حيز التاء و إنما الذال و الطاء و التاء من حيز و الدال و التاء و الطاء من حيز إلا أنها كلها من طرف اللسان و أصول الثنايا فلذلك صارت متقاربه.

المعنى

«وَ قَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى» أى قال لقومه اتركونى أقتله و فى هذا دلالة على أنه كان فى خاصه فرعون قوم يشيرون عليه بأن لا يقتل موسى و يخوفونه بأن يدعوه ربه فيهلك فلذلك قال «وَ لِيَدْعُ رَبَّهُ» أى كما يقولون و قيل إنهم قالوا له هو ساحر فإن قتلته قبل ظهور الحجه قويت الشبهه بمكانه بل أرجه و أخاه و ابعث فى المدائن حاشرين و قوله «وَ لِيَدْعُ رَبَّهُ» معناه و قولوا له ليدع ربه و ليستعن به فى دفع القتل عنه فإنه لا يجىء من دعائه شىء قاله تجبرا و عتوا و جراه على الله «إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُيَدِّلَ دِينَكُمْ» إن لم أقتله و هو ما تعتقدونه من إلهيتى «أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ» بأن يتبعه قوم و يحتاج إلى أن نقاتله فيخرب فيما بين ذلك البلاد و يظهر الفساد و قيل إن الفساد عند فرعون أن يعمل بطاعه الله عن قتاده فلما قال فرعون هذا استعاذ موسى بربه و ذلك قوله «وَ قَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَ رَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ» أى إنى اعتصمت بربى الذى خلقنى و ربكم الذى خلقكم من شر كل متكبر على الله متجبر عن الانقياد له لا يصدق بيوم المجازاه ليدفع شره عنى و لما قصد فرعون قتل موسى و عظمهم المؤمن من آله و هو قوله «وَ قَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ» فى صدره على وجه التقية

قال أبو عبد الله (عليه السلام) التقية من دينى و دين آبائى و لا- دين لمن لا- تقية له و التقية ترس الله فى الأرض لأن مؤمن آل فرعون لو أظهر الإسلام لقتل

قال ابن عباس لم يكن من آل فرعون مؤمن غيره و غير امرأه فرعون و غير المؤمن الذى أنذر موسى فقال إِنَّ الْمَلَأَ

يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ قَالَ السدى و مقاتل كان ابن عم فرعون و كان آمن بموسى و هو الذى جاء من أقصى المدينة يسعى و قيل إنه كان ولى عهده من بعده و كان اسمه حبيب و قيل اسمه حزيب «أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ» و هو استفهام إنكار و لو قال أ تقتلون رجلا- قائل ربى الله لم يدل على أن القتل من أجل الإيمان لأن يقول يكون صفه لرجل نحو يقتلون رجلا قائل ربى الله فموضع أن يقول نصب على أنه مفعول له «وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ» أى بما يدل على صدقه من المعجزات مثل العصا و اليد و غيرهما «وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ» إنما قال هذا وجه التلطف كقوله «وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ و معناه إن يك كاذبا فعلى نفسه وبال كذبه «وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعْتَدُكُمْ» قيل إن موسى كان يعدهم بالنجاه إن آمنوا و بالهلاك إن كفروا و قال يصيبكم بعض الذى يعدكم لأنهم إذا كانوا على إحدى الحالين نالهم أحد الأمرين فذلك بعض الأمر لا- كله و قيل إنما قال بعض الذى يعدكم لأنه توعدهم أمرا مختلفه منها الهلاك فى الدنيا و العذاب فى الآخرة فيكون هلا-كهم فى الدنيا بعض ما توعدهم به و قيل استعمل البعض فى موضع الكل تلفظا فى الخطاب و توسعا فى الكلام كما قال الشاعر:

قد يدرك المتأنى بعض حاجته و قد يكون من المستعجل الزلل

و كأنه قال أقل ما فيه أن يصيبكم بعض الذى يعدكم و فى ذلك البعض هلاككم و قال على بن عيسى إنما قال «بَعْضُ الَّذِي يَعْتَدُكُمْ» على المظاهره بالحجاج أى أنه يكفى بعضه فكيف جميعه «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ» أى لا يهدى إلى جنته و ثوابه من هو مسرف على نفسه متجاوز عن الحد فى المعصيه كذاب على ربه و يجوز أن يكون هذا حكايه عن قول المؤمن و يجوز أن يكون ابتداء الكلام من الله تعالى ثم ذكرهم هذا المؤمن ما هم فيه من الملك ليشكروا الله على ذلك بالإيمان به فقال «يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ» أى لكم السلطان على أهل الأرض يعنى أرض مصر اليوم «ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ» أى عالين فيها غالبين عليها قاهرين لأهلها «فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ» أى من يمنعنا من عذاب الله «إِنْ جَاءَنَا» و معناه لا تتعرضوا لعذاب الله بقتل النبى و تكذبه فلا مانع لعذاب من عذاب الله إن حل بكم ف «قَالَ فِرْعَوْنُ» عند ذلك «مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى» أى ما أشير عليكم إلا- بما أراه صوابا و أرضاه لنفسى و قيل معناه ما أعلمكم إلا- ما أعلم «وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ» و ما أرشدكم إلا إلى ما هو طريق الرشاد و الصواب عندى و هو قتل موسى و التكذيب به و اتخاذى إلها و ربا ثم ذكرهم ما نزل بمن قبلهم و ذلك قوله «وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ

المأخزاب» أى عذابا مثل يوم الأَحزاب قال الجبائى القائل لذلك موسى لأن المؤمن من آل فرعون كان يكتُم إيمانه و هذا لا يصح لأنه قريب من قوله «أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ» و أراد بالأحزاب الجماعات التى تحزبت على أنبيائها بالتكذيب و قد يطلق اليوم على النعمة و المحنة فكأنه قال يوم هلاكهم.

[سوره غافر (٤٠): الآيات ٣١ الى ٣٥]

إشاره

مِثْلَ ذَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَ عَادٍ وَ ثَمُودَ وَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (٣١) وَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُؤَلَّفُونَ مَدِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَ مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) وَ لَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِِفٌ مُرْتَابٌ (٣٤) الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَ عِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣٥)

القراءة

قرأ أبو عمرو و ابن ذكوان و قتيبه على كل قلب بالتونين و الباقون «على كُلبٍ مُتَكَبِّرٍ» على الإضافه و فى الشواذ قراءه ابن عباس و الضحاك و أبى صالح و الكلبي يوم التناد بتشديد الدال.

الحجه

قال أبو على من نون فإنه جعل المتكبر صفة لقلب فإذا وصف القلب بالتكبر كان صاحبه فى المعنى متكبرا فكأنه أضاف التكبر إلى القلب كما أضيف الصعر إلى الخد فى قوله تعالى وَ لَا تُصَيِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ فَمَا يَكُونُ بِتَصْغِيرِ الْخَدِّ مُتَكَبِّرًا كَذَلِكَ يَكُونُ بِالتَّكْبِيرِ فِي الْقَلْبِ مُتَكَبِّرًا بِجَمَلِهِ وَ أَمَا مِنْ أَضَافِهِ فَقَالَ «عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ» فَلَا يَخْلُو مِنْ أَنْ

ص: ٣٩١

يقدر الكلام على ظاهره أو يقدر فيه حذفاً فإن تركه على ظاهره كان المعنى يطبع الله على كل قلب متكبر أى يطبع على جملة القلب من المتكبر و ليس المراد أن يطبع على كل قلبه فيعم الجميع بالطبع إنما المعنى إنه يطبع على القلب إذا كانت قلباً قلباً و الطبع علامه فى جملة القلب كالمختم عليه فإذا كان الحمل على الظاهر غير مستقيم علمت أن الكلام ليس على ظاهره و أنه حذف منه شىء و ذلك المحذوف إذا أظهرته كذلك يطبع الله على كل قلب كل متكبر فيكون المعنى يطبع على القلوب إذا كانت قلباً قلباً من كل متكبر و يختم عليه و يؤكد ذلك أن فى حرف ابن مسعود فيما زعموا على قلب كل متكبر و إظهار كل فى حرفه يدل على أنه فى حرف العامه أيضاً مراد و حسن حذف كل لتقدم ذكره كما جاز ذلك فى قوله:

أكل امرء تحسبين امرءاً و نار توقد بالليل نارا

و فى قولهم ما كل سوداء تمره و لا بيضاء شحمه فحذف كل التقدم ذكرها فكذلك فى الآية و أما التناد بالتشديد فإنه تفاعل من ند يند إذا نفر.

اللغة

الجبار الذى يقتل على الغضب يقال أجبر فهو جبار مثل أدرك فهو دراك قال الفراء و لا ثالث لهما و قال ابن خالويه وجدت لهما ثالثاً أسار فهو ستار.

المعنى

ثم فسر سبحانه ذلك فقال «مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَ عَادٍ وَ ثَمُودَ» و الداب العاده و معناه إنى أخاف عليكم مثل سنه الله فى قوم نوح و عاد و ثمود و حالهم حين أهلكهم الله و استأصلهم جزاء على كفرهم «وَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ» و فى هذا أوضح دلالة على فساد قول المجبره القائله بأن كل ظلم يكون فى العالم فهو بإرادة الله تعالى ثم حذرهم عذاب الآخرة أيضاً فقال «وَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ» حذف الياء للاجترأ بالكسره الداله عليها و هو يوم القيامة ينادى فيه بعض الظالمين بعضاً بالويل و الثبور و قيل إنه اليوم الذى ينادى فيه أصحاب الجنة أصحاب النار أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا الآية و ينادى أصحاب النار أصحاب الجنة أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ عن

الحسن و قتاده و ابن زيد و قيل ينادى فيه كل أناس بإمامهم «يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ» أى يوم تعرضون على النار فارين منها مقدرين أن الفرار ينفعكم و قيل منصرفين إلى النار بعد الحساب عن قتاده و مقاتل «مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ» أى مانع من عذاب الله «وَ مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ» أى من يضل الله عن طريق الجنة فما له من هاد يهديه إليها «وَ لَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ» و هو يوسف بن يعقوب بعثه الله رسولا- إلى القبط «مِنْ قَبْلُ» أى من قبل موسى «بِالْبَيِّنَاتِ» أى بالحجج الواضحات «فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ» من عبادة الله تعالى وحده لا شريك له عن ابن عباس و قيل مما دعاكم إليه من الدين «حَتَّى إِذَا هَلَكَ» أى مات «قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مَنْ بَعْدَهُ رَسُولًا» أى أقمتهم على كفركم و ظننتم أن الله تعالى لا يجدد لكم إيجاب الحجج «كَذَلِكَ» أى مثل ذلك الضلال «يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ» على نفسه كافر و أصل الإسراف مجاوزة الحد «مُرْتَابٌ» أى شاك في التوحيد و نبوه الأنبياء «الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ» أى فى دفع آيات الله و إبطالها و موضع الذين نصب لأنه بدل من قوله «مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ» و يجوز أن يكون رفعا بتقديم هم «بِغَيْرِ سُلْطَانٍ» أى بغير حجه «أَتَاهُمْ كَثِيرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ» أى كبر ذلك الجدل منهم عداوه عند الله «وَ عِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا» بالله و المعنى مقته الله تعالى و لعنه و أعد له العذاب و مقته المؤمنون و أبغضوه بذلك الجدل و أنتم جادلتم و خاصمتم فى رد آيات الله مثلهم فاستحققتهم ذلك «كَذَلِكَ» أى مثل ما طبع على قلوب أولئك بأن ختم عليها علامه لكفرهم «يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ» يفعل ذلك عقوبه له على كفره و الجبار صفة للمتكبر و هو الذى يأنف من قبول الحق قيل و هو القتال.

[سوره غافر (٤٠): الآيات ٣٦ الى ٤٠]

اشاره

وَ قَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرِّحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلِهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَ كَذَلِكَ زَيْنٌ لِفِرْعَوْنَ سُوءِ عَمَلِهِ وَ صَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَ مَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (٣٧) وَ قَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَ إِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ دَكْرٍ أَوْ أُنْثَى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠)

ص: ٣٩٣

قرأ حفص «فَأَطَّلِعَ» بالنصب و الباقون بالرفع و اختلافهم فى «صُدَّ عَنِ السَّبِيلِ» و فى «يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ» قد تقدم ذكره.

الحجه

من رفع فأطلع فعلى معنى لعلى أبلغ و لعلى أطلع و مثله قوله لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ و ليس بجواب و من نصب جعله جوابا بالفاء لكلام غير موجب و المعنى إنى إذا بلغت و اطلعت و مما يقوى بناء الفعل للفاعل فى صد قوله الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَيَّدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ* و فى موضع آخر وَ يَصِيدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَكَذَلِكَ «وَ صَيَّدَ عَنِ السَّبِيلِ» ينبغى أن يكون الفعل فيه مبنيًا للفاعل و من ضم الصاد فلأن ما قبله مبنى للمفعول به و هو قوله «وَ كَذَلِكَ زَيْنٌ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ».

اللغه

الصرح البناء الظاهر الذى لا يخفى على عين الناظر و إن بعد و هو من التصريح بالأمر و هو إظهاره بأتم الإظهار و السبب كل ما يتوصل به إلى شىء يبعد عنك و جمعه الأسباب و التباب الخسار و الهلاك بالانقطاع.

المعنى

ثم بين سبحانه ما موه به فرعون على قومه لما وعظه المؤمن و خوفه من قتل موسى و انقطعت حجته بقوله «وَ قَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ» و هو وزيره و صاحب أمره «إِنِّ لِي صَيْرُحًا» أى قصرًا مشيدًا بالآجر و قيل مجلسًا عاليًا عن الحسن «لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ» ثم فسر تلك الأسباب فقال «أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ» و المعنى لعلى أبلغ الطرق من سماء إلى سماء عن السدى و قيل أبلغ أبواب طرق السموات عن قتاده و قيل منازل السموات عن ابن عباس و قيل لعلى أتسبب و أتوصل به إلى مرادى و إلى علم ما غاب عنى ثم بين مراده فقال «أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ» «فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى» أى فانظر إليه فأراد به التلبس على الضعفه مع علمه باستحاله ذلك عن الحسن و قيل أراد فأصل إلى إله موسى فغلبه الجهل و اعتقد أن الله سبحانه فى السماء و أنه يقدر على بلوغ السماء «وَ إِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا» معناه و إنى لأظن موسى كاذبًا فى قوله إن له إلهًا غيرى أرسله إلينا «وَ كَذَلِكَ» أى مثل ما زين لهؤلاء الكفار سوء أعمالهم «زَيْنٌ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ» أى قبيح عمله و إنما زين له ذلك أصحابه و جلساؤه و زين له

الشیطان كما قال وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ «وَصِيدَ عَنِ السَّبِيلِ» و من ضم الصاد فالمعنى أنه صد نفسه أو صد غيره «وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ» فى إبطال آيات موسى «إِلَّا فِي تَبَابٍ» أى هلاك و خسار لا ينفعه ثم عاد الكلام إلى ذكر نصيحه مؤمن آل فرعون و هو قوله «وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ» أى طريق الهدى و هو الإيمان بالله و توحيده و الإقرار بموسى و قيل إن هذا القائل موسى أيضا عن الجبائى «يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ» أى انتفاع قليل ثم يزول و ينقطع و يبقى وزره و آثامه «وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ» أى دار الإقامة التى يستقر الخلائق فيها فلا تغتروا بالدنيا الفانية و لا- تؤثرها على الدار الباقية «مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا» أى من عمل معصية فلا يجزى إلا مقدار ما يستحقه عليها من العقاب لا- أكثر من ذلك «وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ» مصدق بالله و أنبيائه شرط الإيمان فى قبول العمل الصالح «فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ» أى زياده على ما يستحقونه تفضلا من الله تعالى و لو كان على مقدار العمل فقط لكان بحساب و قيل معناه لا تبعه عليهم فيما يعطون من الخير فى الجنة عن مقاتل قال الحسن هذا كلام مؤمن آل فرعون و يحتمل أن يكون كلام الله تعالى إخبارا عن نفسه.

[سوره غافر (٤٠): الآيات ٤١ الى ٤٦]

إشارة

وَ يَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاهِ وَ تَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَ أَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَ أَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (٤٢) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَ لَا فِي الْآخِرَةِ وَ أَنَّنَا مَرَدُّنَا إِلَى اللَّهِ وَ أَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣) فَسَيَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَ أَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤) فَوْقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَ حَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥)

النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَ عَشِيًّا وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)

قرأ أهل المدينة و الكوفه إلا أبا بكر و يعقوب «أَدْخِلُوا» بقطع الهمزه و كسر الخاء و الباقون بالوصل و ضم الخاء.

الحججه

قال أبو على القول مراد فى الوجهين جميعا كأنه قال يقال أدخلوهم و يقال أدخلوا فمن قال أدخلوا كان «آلَ فِرْعَوْنَ» مفعولا به و «أَشَدَّ الْعِذَابِ» مفعولا ثانيا و التقدير إرادته حذف حرف الجر ثم حذف كما أنك إذا قلت دخل زيد الدار كان معناه فى الدار كما أن خلافه الذى هو خرج كذلك فى التقدير و كذلك قوله «لَتَدْخُلَنَّ الْمَشِجَدَ الْحَرَامَ» و من قال «أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ» كان انتصاب آل فرعون على النداء و أشد العذاب فى موضع مفعول به و حذف الجار فانصب انتصاب المفعول به و حجه من قال أدخلوا قوله «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَ أزْوَاجِكُمْ تُخَيَّرُونَ وَ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمَنِينَ وَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ» و حجه من قال «ادْخُلُوا» أنه أمر بهم فأدخلوا.

المعنى

ثم قال «يا قوم ما لى» أى ما لكم كما يقول الرجل ما لى أراك حزينا معناه ما لك و معناه أخبرونى عنكم كيف هذه الحال «أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاهِ» من النار بالإيمان بالله «وَ تَدْعُونِنِي إِلَى النَّارِ» أى إلى الشرك الذى يوجب النار و من دعا إلى سبب الشىء فقد دعا إليه ثم فسر الدعوتين بقوله «تَدْعُونِنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَ أَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ» و لا يجوز حصول العلم به إذ لا يجوز قيام الدلالة على إثبات شريك الله تعالى لا من طريق السمع و لا من طريق العقل «وَ أَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ» أى إلى عباده القادر الذى لا يقهر و لا يمنع فينتقم من كل كفار عنيد الغافر لذنوب من يشاء من أهل التوحيد «لا جرم» قيل معناه حقا مقطوعا به من الجرم و هو القطع قال الزجاج حكاه عن الخليل هو رد الكلام و المعنى وجب و حق «أَنَّمَا تَدْعُونِنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ» أى وجب بطلان دعوته يقول لا بد إنما تدعونى إليه من عباده الأصنام أو عباده فرعون ليس له دعوته نافع «فِي الدُّنْيَا وَ لَا فِي الْآخِرَةِ» فأطلق أنه ليس له دعوته ليكون أبلغ و إن توهم جاهل أن له دعوته ينتفع بها فإنه لا يتعد بذلك لفساده و تناقضه و قيل معناه ليست لهذه الأصنام استجابته دعوته أحد فى الدنيا و لا فى الآخرة فحذف المضاف عن السدى و قتاده و الزجاج و قيل معناه ليست له دعوته فى الدنيا لأن الأصنام لا تدعو إلى عبادتها فيها و لا فى الآخرة لأنها تبرأ من عبادها فيها «وَ أَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ» أى و وجب أن مرجعنا و مصيرنا إلى الله فيجازى كلا بما يستحقه «وَ أَنَّ الْمُسْرِفِينَ» أى و وجب أن المسرفين الذين أسرفوا على أنفسهم بالشرك و سفك الدماء بغير حقها «هُيْمٌ أَصْحَابُ النَّارِ» الملازمون لها ثم قال لهم على وجه التخويف و الوعظ «فَسْتَدْكُرُونَ» صحه

«ما أَقُولُ لَكُمْ» إذا حصلتم في العذاب يوم القيامة وقيل معناه فستذكرون عند نزول العذاب بكم ما أقول لكم من النصيحة «وَ أَوْضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ» أى أسلم أمرى إلى الله و أتوكل عليه و أعتمد على لطفه و الأمر اسم جنس «إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ» أى عالم بأحوالهم و بما يفعلونه من طاعه و معصيه و أظهر إيمانه بهذا القول «فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَّرُوا» أى صرف الله عنه سوء مكرهم فنجوا مع موسى حتى عبر البحر معه عن قتاده و قيل إنهم هموا بقتله فهرب إلى جبل فبعث فرعون رجلين فى طلبه فوجداه قائما يصلى و حوله الوحوش صفوفا فخافا و رجعا هارين «وَ حَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ» أى أحاط و نزل بهم «سُوءَ الْعَذَابِ» أى مكروهه و ما يسوء منه و آل فرعون أشياعه و أتباعه و قيل من كان على دينه عن الحسن و إنما ذكر آله و لم يذكره لأنهم إذا هلكوا بسببه فكيف يكون حاله و سوء العذاب فى الدنيا الغرق و فى الآخرة النار و ذلك قوله «النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا» أى يعرض آل فرعون على النار فى قبورهم صباحا و مساء فيعذبون و إنما رفع النار بدلا من قوله «سُوءَ الْعَذَابِ» و

عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ص قال إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداه و العشى أن كان من أهل الجنة فمن الجنة و إن كان من أهل النار فمن النار يقال هذا مقعدك حين يبعثك الله يوم القيامة أورده البخارى و مسلم فى الصحيحين

و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) ذلك فى الدنيا قبل يوم القيامة لأن فى النار القيامة لا يكون غدو و عشى ثم قال إن كانوا يعذبون فى النار غدوا و عشيا فبيما بين ذلك هم من السعداء لا و لكن هذا فى البرزخ قبل يوم القيامة أ لم تسمع قوله عز و جل «وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ»

و هذا أمر لآل فرعون بالدخول أو أمر للملائكة بإدخالهم فى أشد العذاب و هو عذاب جهنم.

[سوره غافر (٤٠): الآيات ٤٧ الى ٥٠]

إشاره

وَ إِذِ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ (٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٤٨) وَ قَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِحَزْنِهِ جَهَنَّمَ اذْعُوا رَبُّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوْ لَمْ نَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بلى قَالُوا فَادْعُوا وَ مَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٥٠)

ص: ٣٩٧

التبع يصلح أن يكون مصدرا يقال تبع تبعا و يجوز أن يكون جمع تابع نحو خادم و خامل و خول و غائب و غيب.

الإعراب

«أَوْ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ» التقدير أ و لم تك القصه و تأتيكم رسلكم تفسير القصه فاسم كان مضمرا.

المعنى

ثم ذكر سبحانه ما يجرى بين أهل النار من التنازع فقال «وَ إِذِ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ» معناه و اذكر يا محمد لقومك الوقت الذى يتنازع فيه أهل النار فى النار و يتخاصم الرؤساء و الأتباع «فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ» و هم الأتباع «لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا» و هم الرؤساء «إِنَّا كُنَّا لَكُمْ» معاصر الرؤساء «تَبَعًا» و كنا نمثل أمركم و نجيبكم إلى ما تدعوننا إليه «فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتُونَ عَنَّا نَصِيحًا مِنَ النَّارِ» لأنه يلزم الرئيس الدفع عن أتباعه و المنقادين لأمره أى هل أنتم حاملون عنا قسطا من النار و العذاب الذى نحن فيه «قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا» أى نحن و أنتم فى النار و كل فيها مبتدأ و خبر فى موضع رفع بأنه خبر إن و يجوز أن يكون كل خبر إن المعنى أنا مجتمعون فى النار «إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ» بذلك و بأن لا يتحمل أحد عن أحد و أنه يعاقب من أشرك به و عبد معه غيره لا- محاله «وَ قَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ» أى حصلوا فى النار من الأتباع و المتبوعين «لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ» و هم الذين يتولون عذاب أهل النار من الملائكة الموكلين بهم «ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ» يقولون ذلك لأنه لا طاقه لهم على شدة العذاب و لشده جزعهم إلا أنهم يطمعون فى التخفيف لأن معارفهم ضروريه يعلمون أن عقابهم لا ينقطع و لا يخفف عنهم «قَالُوا» أى قال الخزنه لهم «أَوْ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ» أى الحجج و الدلالات على صحه التوحيد و النبوات أى فكفرتم و عاندتم حتى استحققتم هذا العذاب «قَالُوا بلى» جاءتنا الرسل و البيئات فكذبناهم و جحدنا نبوتهم «قَالُوا فَادْعُوا» أى قالت الخزنه فادعوا أنتم فإننا لا ندعو إلا بإذن و لم يؤذن لنا فيه و قيل إنما قالوا ذلك استخفافا بهم و قيل معناه فادعوا بالويل و الثبور «وَ مَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ» أى فى ضياع لأنه لا ينتفع به.

إشارة

إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالدِّينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعِيدَتُهُمْ وَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٥٢) وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَ أَوْزَنَّا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ (٥٣) هُدًى وَ ذِكْرًا لِأُولَى الْأَلْبَابِ (٥٤) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِبْكَارِ (٥٥)

القراءة

قرأ أبو جعفر و ابن كثير و ابن عامر و أهل البصرة يوم لا تنفع بالتاء و الباقون بالياء.

الحجة

و الوجهان حسنان لأن المعذرة و الاعتذار بمعنى كما أن الوعظ و الموعظة كذلك.

الإعراب

«يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ» محمول على موضع قوله «فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» كما يقال جئتكم أمس و اليوم.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن نفسه بأنه ينصر رسله و من صدقهم فقال «إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» أى نصرهم بوجوه النصر فإن النصر قد يكون بالحجة و يكون أيضا بالعلبة فى المحاربه و ذلك بحسب ما تقتضيه الحكمة و يعلمه سبحانه من المصلحة و يكون أيضا بالأطاف و التأييد و تقوية القلب و يكون بإهلاك العدو و كل هذا قد كان للأنبياء و المؤمنين من قبل الله تعالى فهم منصورون بالحجة على من خالفهم و قد نصرنا أيضا بالقهر على من ناوهم و قد نصرنا بإهلاك عدوهم و إنجائهم مع من آمن معهم و قد يكون النصر بالانتقام لهم كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل حين قتل به سبعون ألفا فهم لا محاله منصورون فى الدنيا بأحد هذه الوجوه «وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ» جمع شاهد مثل الأصحاب جمع صاحب هم الذين يشهدون بالحق للمؤمنين و على المبطلين و الكافرين يوم القيامة و فى ذلك سرور للمحق و فضيحة للمبطل فى ذلك الجمع العظيم و قيل هم الملائكة و الأنبياء و المؤمنون عن قتاده و قيل هم الحفظة من الملائكة عن مجاهد يشهدون للرسول بالتبليغ و على الكفار بالتكذيب و قيل هم الأنبياء و حدهم يشهدون للناس و عليهم ثم أخبر سبحانه عن ذلك اليوم فقال «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعِيدَتُهُمْ» أى إن اعتذروا من كفرهم لم يقبل منهم و إن تابوا لم تنفعهم التوبة و إنما نفى أن تنفعهم المعذرة فى الآخرة مع كونها نافعة فى دار الدنيا

لأن الآخرة دار الإلجاء إلى العمل و الملجأ غير محمود على العمل الذي أُلجئ إليه «وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ» أى البعد من الرحمه و الحكم عليهم بدوام العقاب «وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ» جهنم نعوذ بالله منها ثم بين سبحانه نصرته موسى و قومه فقال «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى» أى أعطينا التوراه فيها أدله واضحه على معرفه الله و توحيده «وَأَوْزَنَّا بَيْنِي وَإِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ» أى و أوزننا من بعد موسى بنى إسرائيل التوراه و ما فيه من البيان «هُدًى» أى هو هدى أى دلالة يعرفون بها معالم دينهم «وَذَكَرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ» أى و تذكير لأولى العقول لأنهم الذين يتمكنون من الانتفاع به دون من لا عقل له و يجوز أن يكون هدى و ذكرى منصوبين على أن يكونا مصدرين وضعا موضع الحال من الكتاب بمعنى هاديا و مذكرا و يجوز أن يكون بمعنى المفعول له أى للهدى و التذكير ثم أمر نبيه ص بالصبر فقال «فَاصْبِرْ» يا محمد على أذى قومك و تحمل المشاق فى تكذيبهم إياك «إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ» الذى وعدك به من النصر فى الدنيا و الثواب فى الآخرة «حَقٌّ» لا خلف فيه «وَأَسِئْتَ تَغْفِرُ لِدُنْيِكَ» من جوز الصغائر على الأنبياء قال معناه اطلب المغفره من الله على صغيره وقعت منك و لعظيم نعمته على الأنبياء كلفهم التوبه من الصغائر و من لا يجوز ذلك عليهم و هو الصحيح قال هذا تعبد من الله سبحانه لنبيه ص بالدعاء و الاستغفار لكى يزيد فى الدرجات و ليصير سنه لمن بعده «وَسَيِّحُ بِحَمْدِ رَبِّكَ» أى نزه الله تعالى و اعترف بشكره و إضافه النعم إليه و نفى التشبيه عنه و قيل نزه صفاته عن صفات المحدثين و نزه أفعاله عن أفعال الظالمين و قيل معناه صل بأمر ربك «بِالْعَيْشِيِّ» من زوال الشمس إلى الليل «وَالْإِبْكَارِ» من طلوع الفجر الثانى إلى طلوع الشمس عن مجاهد و قيل يريد الصلوات الخمس عن ابن عباس و

روى عن النبى ص أنه قال قال الله جل جلاله يا ابن آدم اذكرنى بعد الغداه ساعه و بعد العصر ساعه أكفك ما أهمك.

[سوره غافر (٤٠): الآيات ٥٦ الى ٦٠]

إشاره

إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٥٦) لَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبْرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧) وَ مَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُمَسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ (٥٨) إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٩) وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)

قرأ أهل الكوفه «تَنذَرُونَ» بالتاء و الباقون بالياء و قرأ أبو جعفر و ابن كثير و أبو بكر غير الشمونى و سهل سيدخلون بضم الياء و فتح الخاء و الباقون بفتح الياء و ضم الخاء.

الحجه

التاء على قل لهم قليلا ما تتذكرون و الياء على أن الكفار قليلا ما يتذكرون و قوله «سَيَدْخُلُونَ» الوجه فى القراءتين ظاهر.

النزول

نزل قوله «إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ» الآيه فى اليهود لأنهم كانوا يقولون سيخرج المسيح الدجال فعينه على محمد و أصحابه و نستريح منهم و يرد الملك إلينا عن أبى العاليه.

المعنى

ثم قال سبحانه «إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ» أى يخاصمون «فِي آيَاتِ اللَّهِ» أى فى دفع آيات الله و إبطالها «بِغَيْرِ سُلْطَانٍ» أى حجه «أَتَاهُمْ» الله إياها يتسلط بها على إنكار مذهب يخالف مذهبهم «إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا» أى ليس فى صدورهم إلا عظمه و تكبر على محمد ص و جبريه «مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ» أى ما هم ببالغى مقتضى تلك العظمه لأن الله تعالى مذلهم و قيل معناه كبر بحسدك على النبوه التى أكرمك الله بها ما هم ببالغيه لأن الله تعالى يرفع بشرف النبوه من يشاء و قيل ما هم ببالغى وقت خروج الدجال «فَأَسْتَعِذُ بِاللَّهِ» من شر اليهود و الدجال و من جميع ما يجب الاستعاذه منه «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ» لأقوال هؤلاء «الْبَصِيرُ» بضمائرهم و فى هذا تهديد لهم فيما أقدموا عليه ثم قال

سبحانه «لَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» مع عظمهما و كثره أجزاءهما و وقوفهما بغير عمد و جريان الفلك و الكواكب من غير سبب «أَكْبَرُ» أى أعظم و أهول فى النفس «مِنْ خَلَقِ النَّاسِ» و إن كان خلق الناس عظيما بما فيه من الحياه و الحواس المهيأه لأنواع مختلفه من الإدراكات «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» لعدولهم عن الفكر فيه و الاستدلال على صحته و المعنى أنهم إذا أقروا بأن الله تعالى خلق السماء و الأرض فكيف أنكروا قدرته على إحياء الموتى و لكنهم أعرضوا عن التدبر فحلوا محل الجاهل الذى لا يعلم شيئا «وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ» أى لا يستوى من أهمل نفسه و من تفكر فعرف الحق شبه الذى لا يتفكر فى الدلائل بالأعمى و الذى يستدل بها بالبصير «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَالْمُسِيءُ» أى و ما يستوى المؤمنون الصالحون و لا الكافر الفاسق فى الكرامه و الإهانه و الهدى و الضلال «قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ» يجوز أن تكون ما مزیده و يجوز أن تكون مصدریه فىكون تقديره قليلا تذكرهم أى قل نظرهم فيما ينبغى أن ينظروا فيه مما دعوا إليه «إِنَّ السَّاعَةَ» يعنى القيامة «لَأْتِيَهُ» أى جائیه واقعه «لَا رَيْبَ فِيهَا» أى لا شك فى مجيئها «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ» أى لا يصدقون بذلك لجهلهم بالله تعالى و شكهم فى إخباره «وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» يعنى إذا اقتضت المصلحه إجابتكم و كل من يسأل الله شيئا و يدعوه فلا بد أن يشترط المصلحه فى ذلك إما لفظا أو إضمارا و إلا كان قبيحا لأنه ربما كان داعيا بما يكون فيه مفسده و لا يشترط انتفاؤها فىكون قبيحا و قيل معناه وحدونى و اعدونى أثبكم عن ابن عباس و يدل عليه

قول النبى ص الدعاء هو العباده

و لما عبر عن العباده بالدعاء جعل الإثابه استجابته ليتجانس اللفظ «إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَكِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي» و دعائى «سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» أى صاغرين ذليلين و فى الآيه دلالة على عظم قدر الدعاء عند الله تعالى و على فضل الانقطاع إليه و

قد روى معاويه بن عمار قال قلت لأبى عبد الله (عليه السلام) جعلنى الله فداك ما تقول فى رجلين دخلا المسجد جميعا كان أحدهما أكثر صلاه و الآخر دعاء فأيهما أفضل قال كل حسن قلت قد علمت و لكن أيهما أفضل قال أكثرهما دعاء أ ما تسمع قول الله تعالى «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» إلى آخر الآيه و قال هى العباده الكبرى

و

روى زراره عن أبى جعفر (عليه السلام) فى هذه الآيه قال هو الدعاء و أفضل العباده الدعاء

و

روى حنان بن سدير عن أبيه قال قلت لأبى جعفر أى العباده أفضل قال ما من شىء أحب إلى الله من أن يسأل و يطلب ما عنده و ما أحد أبغض إلى الله عز و جل ممن يستكبر عن عبادته و لا يسأل ما عنده.

إشارة

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَدُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٤١) ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنِي تُؤْفَكُونَ (٤٢) كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٤٣) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٤٤) هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥)

المعنى

ثم ذكر سبحانه ما يدل على توحيده قال «اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ» معاشر الخلق «اللَّيْلَ» وهو ما بين غروب الشمس إلى طلوع الفجر الثاني «لِتَسْكُنُوا فِيهِ» أى و غرضه فى خلق الليل سكونكم و استراحتكم فيه من كد النهار و تعب «وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا» أى و جعل لكم النهار و هو ما بين طلوع الفجر الثانى إلى غروب الشمس مضيئا تبصرون فيه مواضع حاجاتكم فجعل سبحانه النهار مبصرا لما كان يبصر فيه المبصرون «إِنَّ اللَّهَ لَدُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ» بهذه النعم من غير استحقاق منهم لذلك و لا تقدم طلب «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ» أى و مع هذا فإن أكثر الناس لا يعترفون بهذه النعم بل يجحدونها و يكفرون بها ثم قال سبحانه مخاطبا لخلقه «ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ» أى الذى أظهر هذه الدلالات و أنعم بهذه النعم هو الله خالقكم و مالكمكم «خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ» من السماوات و الأرض و ما بينهما «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» أى لا يستحق العبادة سواه «فَآَنِي تُؤْفَكُونَ» أى فكيف تصرفون عن عبادته إلى عباده غيره مع وضوح الدلالة على توحيده ثم قال سبحانه «كَذَلِكَ» أى مثل ما صرف و إفك هؤلاء «يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ» و هم من تقدمهم من الكفار صرفهم أكابرههم و رؤساؤهم ثم عاد سبحانه إلى ذكر الأدله على توحيده فقال «اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا» أى مستقرا تستقرون عليه «وَالسَّمَاءَ بِنَاءً» أى

و جعل السماء بناء مرتفعا فوقها و لو جعلها رتقا لما أمكن الخلق الانتفاع بما بينهما ثم قال «و صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ» لأن صورته ابن آدم أحسن صور الحيوان و قال ابن عباس خلق ابن آدم قائما معتدلا يأكل بيده و يتناول بيده و كل من خلقه الله يتناول بفيه «و رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ» لأنه ليس شىء من الحيوان له طيبات المأكل و المشارب مثل ما خلق الله سبحانه لابن آدم فإن أنواع الطيبات و اللذات التى خلقها الله تعالى لهم من الثمار و فنون النبات و اللحوم و غير ذلك مما لا يحصى كثره ثم قال «ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ» أى فاعل هذه الأشياء خالقكم «فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» أى جل الله بأنه الدائم الثابت الذى لم يزل و لا يزال «هُوَ الْحَيُّ» معناه إن الذى أنعم عليكم بهذه النعم هو الحى على الإطلاق من غير عله و لا فاعل و لا بنيه «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» أى مخلصين فى دعائه و عبادته «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» قال الفراء و هو خير و فيه إضمار كأنه قال ادعوه و احمده على هذه النعم و قولوا الحمد لله رب العالمين و روى مجاهد عن ابن عباس قال من قال لا إله إلا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين يريد قول الله «مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

[سوره غافر (٤٠): الآيات ٦٦ الى ٧٠]

اشاره

قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٦) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكُونُوا شُيُوخًا وَ مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَ لِيَبْلُغُوا أَجْلًا مُّسَمًّى وَ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦٧) هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَ يُمِيتُ فَمَاذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٦٨) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُضْرَفُونَ (٦٩) الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَ بِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠)

ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال «قُلْ» يا محمد لكفار قومك «إِنِّي نُهِيتُ» أى نهانى الله «أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» أى أوجه العبادة إلى من تدعونه من دون الله من الأصنام التى تجعلونها آلهه «لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي» أى حين أتانى الحجج و البراهين من جهه الله تعالى دلتنى على ذلك «وَأُمِرْتُ» مع ذلك «أَنْ أُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» أى استسلم لأمر رب العالمين الذى يملك تدبير الخلائق أجمعين ثم عاد إلى ذكر الأدله فقال «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ» معاشر البشر «مِنْ تُرَابٍ» أى خلق أباكم آدم من تراب و أنتم نسله و إليه تتمون «ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ» أى ثم أنشأ من ذلك الأصل الذى خلقه من تراب النطفه و هى ماء الرجل و المرأه «ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ» و هى قطعه من الدم «ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً» أى أطفالا واحدا واحدا فلذلك ذكره بالتوحيد قال يونس العرب تجعل الطفل للواحد و الجماعه قال الله تعالى «أَوِ الطُّفُلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عِيُورَاتِ النَّسَاءِ» و المعنى ثم يقلبكم أطوارا إلى أن يخرجكم من أرحام الأمهات أطفالا صغارا «ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ» و هو حال استكمال القوه و هذا يحتمل أن يكون معطوفا على معنى قوله «ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً» لتنشأوا و تشبوا «ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ» و يحتمل أن يكون معطوفا على معنى قوله «يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً» و التقدير لطفوليتكم ثم لتبلغوا أشدكم «ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا» بعد ذلك «وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ» أى من قبل أن يصير شيخا و من قبل أن يبلغ أشده «وَلَتَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى» أى و ليلغ كل واحد منكم ما سمي له من الأجل الذى يموت عنده و قيل هذا للقرن الذى تقوم عليهم القيامة و الأجل المسمى هو القيامة عن الحسن «وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» أى خلقكم لهذه الأغراض التى ذكرها و لكى تتفكروا فى ذلك فتعقلوا ما أنعم الله به عليكم من أنواع النعم و أراد منكم من إخلاص العباده ثم قال «هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَ يُمِيتُ» أى من خلقكم من تراب على هذه الأوصاف التى ذكرها هو الذى يحييكم و هو الذى يميتمكم فأولكم من تراب و آخركم إلى تراب «فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» و معناه أنه يفعل ذلك من غير أن يتعذر و يمتنع عليه فهو بمنزله ما يقال له كن فيكون لأنه سبحانه يخاطب المعدوم بالتكون «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ» يعنى المشركين الذين يخاصمون فى إبطال حجج الله و دفعها «أَنِّي يُضَيِّرُونَ» أى كيف و من أين يقبلون عن الطريق المستقيم إلى الضلال و لو كانوا يخاصمون فى آيات الله بالنظر فى صحتها و الفكر فيها لما ذمهم الله تعالى ثم وصفهم سبحانه فقال «الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ» أى بالقرآن و جحدوه «وَمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا» أى و كذبوا بما أرسلنا به من الكتب و الشرائع أرسلنا قبلك «فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ» عاقبه أمرهم إذ حل بهم وبال ما جحدوه و نزل بهم عقاب ما ارتكبوه

فيعرفون إن ما دعوتهم إليه حق و ما ارتكبه ضلال و فساد.

[سوره غافر (٤٠): الآيات ٧١ الى ٧٥]

أشاره

إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَ السَّلَاسِلُ يُسَيِّجُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٣) مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ (٧٤) ذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ بِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ (٧٥)

القراءه

قرأ ابن مسعود و ابن عباس و السلاسل بفتح اللام يسحبون.

الحجه

قال ابن جنى تقديره إذ الأغلال في أعناقهم و يسحبون السلاسل فعطف الجمله من الفعل و الفاعل على الجمله التي من المبتدأ و الخبر كما قد عودل إحداهما بالأخرى نحو قوله:

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد أ موف بادراع بن طيبه أم تدم

أى أنت موف بها أم تدم فقابل بالمبتدأ و الخبر التي من الفعل الفاعل الجارى مجرى الفاعل.

اللغه

الأغلال جمع غل و هو طوق يدخل في العنق للذل و الألم و أصله الدخول يقال أنغل العنق في الشىء إذا دخل فيه و الغلول الخيانه لأنها تصير كالغل في عنق صاحبها السلاسل جمع سلسله و هى الحلق منتظمه في جهه الطول مستمره و السحب جر الشىء على الأرض هذا أصله و السجر أصله إلقاء الحطب في معظم النار كالتنور الذى يسجر بالوقود و الفرح و البطر و الأشر نظائر و المرح شده الفرح و فرس مروح أى نشيط قال:

و لا يثنى على الحدثان عرضى و لا أرخى من المرح الإزارا

. الإعراب

يسحبون فى موضع نصب على الحال تقديره مسحوبين على النار مسحوبين فيها و العامل فى إذ الأغلال قوله تعالى «فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ» إذا لم يوقف على يعلمون و وقف على السلاسل و من وقف على يعلمون فالعامل فى إذ يسحبون.

المعنى

ثم قال سبحانه «إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ» أى يعلمون وبال أمرهم فى حال تكون الأغلال فى أعناقهم «وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ» أى يجرون فى الماء الحار الذى قد انتهت حرارته «ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْحَبُونَ» أى ثم يقذفون فى النار و يلقون فيها و قيل معناه ثم يصيرون و قود النار عن مجاهد و المعنى توقد بهم النار «ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ» أى لهؤلاء الكفار إذا دخلوا النار على وجه التوبيخ «أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» أى أين ما كنتم تزعمون أنها تنفع و تضر من أصنامكم التى عبدتموها «قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا» أى ضاعوا عنا و هلكوا فلا نراهم و لا نقدر عليهم ثم يستدركون فيقولون «بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا» و المعنى لم نكن ندعو شيئا يستحق العبادة و لا ما نتفع بعبادته عن الجبائى و قيل بل لم نكن ندعو شيئا ينفع و يضر و يسمع و يبصر قال أبو مسلم و هذا كما يقال لكل ما لا يبنى شيئا هذا ليس بشىء لأن قولهم ضلوا عنا اعتراف بعبادتهم و لأن الآخرة دار إلقاء فهم ملجئون إلى ترك القبيح و قيل معناه ضاعت عبادتنا لهم فلم نكن نصنع شيئا إذ عبدناها كما يقول المتحسر ما فعلت شيئا «كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ» معناه كما أضل الله أعمال هؤلاء و أبطل ما كانوا يؤملونه كذلك يفعل بجميع من يتدين بالكفر فلا ينتفعون بشىء من أعمالهم و قيل يضل الله أعمالهم أى يبطلها عن الحسن و قيل يضل الكافرين عن طريق الجنة و الثواب كما أضلهم عما اتخذوه إليها بأن صرفهم عن الطمع فى نيل منفعه من جهتها عن الجبائى «ذَلِكُمْ» العذاب الذى نزل بكم «بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ» قيد الفرح و أطلق المرح لأن الفرح قد يكون بحق فيحمد عليه و قد يكون بالباطل فيذم عليه و المرح لا يكون إلا باطلا و معناه أن ما فعل بكم جزاء بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق أى بما كان يصيب أنبياء الله تعالى و أوليائه من المكاره «وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ» أى تأشرون و تبطرون.

ص: ٤٠٧

إشارة

ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٦) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٧٧) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَ مَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَ خَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ (٧٨) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَ مِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٩) وَ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَ لِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَ عَلَيْهَا وَ عَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٨٠)

المعنى

ثم حكى سبحانه عن هؤلاء الكفار إنه يقال لهم «ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ» و هى سبعة أبواب «خَالِدِينَ فِيهَا» أى مؤبدين فيها لا انقطاع لكربكم فيها و لا نهاية لعقابكم و قيل إنما جعل لجهنم أبواب كما جعل لها دركات تشبيها بما يتصور الإنسان فى الدنيا من المطابق و السجون و المطاعم فإن ذلك أهول و أعظم فى الزجر «فَبئسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ» أى بئس مقام الذين تكبروا عن عبادة الله تعالى و تجبروا عن الانقياد له و إنما أطلق عليه اسم بئس و إن كان حسنا لأن الطبع ينفر عنه كما ينفر العقل عن القبيح فحسن لهذه العلة اسم بئس عليه ثم قال سبحانه لنبىه ص «فَاصْبِرْ» يا محمد على أذى قومك لك و تكذيبهم إياك و معناه اثبت على الحق فسماه صبرا للمشقة التى تلحق به كما تلحق بتجرع المر و لذلك لا- يوصف أهل الجنة بالصبر و إن وصفوا بالثبات على الحق و إن كان فى الوصف به فى الدنيا فضل و لكنهم يوصفون بالحلم لأنه مدح ليس فيه صفة نقص «إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ

حَقٌّ» معناه أن ما وعد الله به المؤمنين على الصبر من الثواب في الجنة حق لا شك فيه بل هو كائن لا محاله وقيل إن وعد الله بالنصر لأنبيائه و الانتقام من أعدائه حق و صدق لا خلف فيه «فَأَمَّا نُرْيِيكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ» من العذاب في حياتك و إنما قال بعض الذي نعدهم لأن المعجل من عذابهم في الدنيا هو بعض ما يستحقونه من العقاب و لا يفوتونا ثم زاد سبحانه في تسليته النبي ص بقوله «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ» يا محمد «مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ» قصصهم و أخبارهم «وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصِصْ عَلَيْكَ» أخبارهم و قيل معناه منهم من تلونا عليك ذكره و منهم من لم نتل عليك ذكره و

روى عن علي (عليه السلام) أنه قال بعث الله نبيا أسود لم يقص علينا قصته

و اختلفت الأخبار في عدد الأنبياء

فروى في بعضها أن عددهم مائة ألف و أربعة و عشرون ألفا و في بعضها أن عددهم ثمانيه آلاف نبى أربعة آلاف من بنى إسرائيل و أربعة آلاف من غيرهم

«وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ» أى بمعجزه و دلاله «إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» و أمره و المعنى إن الإتيان بالمعجزات ليس إلى الرسول و لكنه إلى الله تعالى يأتى بها على وجه المصلحه «فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ» و هو القيامة «قُضِيَ بِالْحَقِّ» بين المسلمين و الكفار و الأبرار و الفجار «وَ خَسِرَ هُنَالِكَ» عند ذلك «الْمُبْطِلُونَ» لأنهم يخسرون الجنة و يحصلون فى النار بدلا منها و ذلك هو الخسران المبين و المبطل صاحب الباطل ثم عدد سبحانه نعمه على خلقه فقال «اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ» من الإبل و البقر و الغنم «لِتَرْكَبُوا مِنْهَا» أى لتتنفعوا بركوبها «وَ مِنْهَا تَأْكُلُونَ» يعنى أن بعضها للركوب و الأكل كالإبل و البقر و بعضها للأكل كالأغنام و قيل المراد بالأنعام هاهنا الإبل خاصة لأنها التى تركب و يحمل عليها فى أكثر العادات و اللام فى قوله «لِتَرْكَبُوا» لام الغرض و إذا كان الله تعالى خلق هذه الأنعام و أراد أن يتنفع خلقه بها و كان جل جلاله لا يريد القبيح و لا المباح فلا بد أن يكون أراد انتفاعهم بها على وجه القربة إليه و الطاعة له «وَ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ» يعنى من جهة ألبانها و أصوافها و أوبرها و أشعارها «وَ لِيَتَّبِعُوا عَلَيْهَا حَاجَةَ فِي صُدُورِكُمْ» بأن تركبوها و تلبغوا المواضع التى تقصدونها بحوائجكم «وَ عَلَيْهَا» أى و على الأنعام و هى الإبل هنا «وَ عَلَى الْفُلُكِ» أى و على السفن «تُحْمَلُونَ» يعنى على الإبل فى البر و على الفلك فى البحر تحملون فى الأسفار علم الله سبحانه أنا نحتاج إلى أن نسافر فى البر و البحر فخلق لنا مركبا للبر و مركبا للبحر.

[سوره غافر (٤٠): الآيات ٨١ الى ٨٥]

إشارة

وَ يُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ (٨١) أ فَلَمْ يَسْتَبِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَ أَسَدَّ قُوَّةً وَ آثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨٣) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَ حَيْدَهُ وَ كَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَ خَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥)

ثم قال سبحانه مخاطباً للكفار الذين جحدوا آيات الله و أنكروا أدلته الداله على توحيدہ «وَ يُرِيكُمْ آيَاتِهِ» أى و يعلمكم حججه و يعرفكم إياها و منها إهلاك الأمم الماضيه و وجه الآيه فيه أنهم بعد حصولهم فى النعم صاروا إلى النقم بكفرهم و جحودهم و منها الآيه فى خلق الأنعام التى قدم ذكرها و وجه الآيه فيها تسخيرها لمنافع الخلق بالتصريف فى الوجوه التى قد جعل كل شىء منها لما يصلح له و ذلك يقتضى أن الجاعل لذلك قادر على تصريفه عالم بتدبيره «فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ» هذا توبيخ لهم على الجحد و قد يكون الإنكار و الجحد تارة بأن يجحد أصلاً و تارة بأن يجحد كونها داله على صحه ما هى دلالة عليه و الخلاف يكون فى ثلاثه أوجه إما فى صحتها فى نفسها و إما فى كونها دلالة و إما فيهما جميعاً و إنما يجوز من الجهال دفع الآيه بالشبهه مع قوه الآيه و ضعف الشبهه لأمر (منها) اتباع الهوى و دخول الشبهه التى تغطى على الحجه حتى لا يكون لها فى النفس منزله (و منها) التقليد لمن ترك النظر فى الأمور (و منها) السبق إلى اعتقاد فاسد لشبهه فيمنع ذلك من توليد النظر للعلم ثم نبههم سبحانه فقال «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ» بأن يَمروا فى جناتها «فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ» عدداً «وَ أَشَدَّ قُوَّةً» أى و أعظم قوه «وَ آثَاراً فِي الْأَرْضِ» بالأبنيه العظيمة التى بنوها و القصور

المشيده التي شيدها وقيل بمشيهم على أرجلهم على عظم خلقهم عن مجاهد فلما عصوا الله سبحانه و كفروا به و كذبوا رسله أهلكتهم الله و استأصلهم بالعذاب «فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» أى لم يغن عنهم ما كسبوه من البنيان و الأموال شيئا من عذاب الله تعالى و قيل إن ما فى قوله «فَمَا أَغْنَى» بمعنى أى فالمعنى فأى شىء أغنى عنهم كسبهم فيكون موضع ما الأولى نصبا و موضع ما الثانية رفعا ثم قال سبحانه «فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ» أى فلما أتى هؤلاء الكفار رسلهم الذين دعوهم إلى توحيد الله و إخلاص العباده له بالحجج و الآيات و فى الكلام حذف تقديره لما جاءتهم رسلهم بالبينات فجحدوها و أنكروا دلالتها و وعد الله الرسل بإهلا-ك أمهم و نجاه قومهم «فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ» أى فرح الرسل بما عندهم من العلم بذلك عن الجبائى و قيل معناه فرح الكفار مما عندهم من العلم أى بما كان عندهم أنه علم و هو جهل على الحقيقه لأنهم قالوا نحن أعلم منهم لا- نبعث و لا- نعذب و اعتقدوا أنه علم فأطلق عليه لفظ العلم على اعتقادهم كما قال حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ و قال ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ أى عند نفسك أو عند قومك عن الحسن و مجاهد و قيل معناه فرحوا بالشرك الذى كانوا عليه و أعجبوا به و ظنوا أنه علم و هو جهل و كفر عن الضحاك قال و المراد بالفرح شدة الإعجاب «و حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» أى حل بهم و نزل بهم جزاء استهزائهم برسلهم من العذاب و الهلاك «فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا» أى عذابنا النازل بهم «قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَّهُ وَ كَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ» أى كفرنا بالأصنام و الأوثان «فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا» أى عند رؤيتهم بأس الله و عذابه لأنهم يصيرون عند ذلك ملجئين و فعل الملجأ لا يستحق به المدح «سُئِنَّا لِلَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِ فِي عِبَادِهِ» نصب سنه الله على المصدر و معناه سن الله هذه السنه فى الأعم الماضيه كلها إذ لا ينفعهم إيمانهم إذا رأوا العذاب و المراد بالسنه هنا الطريقه المستمره من فعله بأعدائه الجاحدين «و خَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ» بدخول النار و استحقاق النعمه و فوت الثواب و الجنه و بالله التوفيق و حسينا الله و نعم المولى و نعم النصير.

سرشناسه: طبرسی، فضل بن حسن، ٤٦٨ - ٥٤٨ ق.

عنوان و نام پدیدآور: مجمع البیان فی تفسیر القرآن

تالیف ابوعلی الفضل بن الحسن الطبرسی

مصصح: هاشم رسولی

مصصح: فضل الله یزدی طباطبایی

مشخصات نشر: دارالمعرفه - بیروت - لبنان

مشخصات ظاهری: ١٠ ج.

یادداشت: عربی

موضوع: تفاسیر شیعه -- قرن ٦ ق.

ص: ١

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ٢

مجمع البيان فى تفسير القرآن

تأليف ابو على الفضل بن الحسن الطبرسى

مصحح: هاشم رسولى

مصحح: فضل الله يزدى طباطبايى

ص: ٣

(٤١) سورة فصلت مكيه و آياتها أربع و خمسون (٥٤)

اشاره

اشاره

نزلت بعد غافر

عدد آياتها

أربع و خمسون آيه كوفى ثلاث حجازى آيتان بصرى شامى.

اختلافها

آيتان «حم» كوفى «عادٍ وَ ثَمُودَ» حجازى كوفى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأ حم السجده أعطى بعدد كل حرف منها عشر حسنات

و

روى ذريح المحاربى عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ حم السجده كانت له نورا يوم القيامة مد بصره و سرورا و عاش فى هذه الدنيا مغبوطا محمودا.

تفسيرها

ختم الله سورة المؤمن بذكر المنكرين لآيات الله و افتتح هذه السوره بمثل ذلك فقال:

ص: ٤

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم (١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٤)

وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا إِنَّنَا عَامِلُونَ (٥)

الإعراب

قال الزجاج تنزيل رفع بالابتداء وخبره «كِتَابٌ فُصِّلَتْ» هذا مذهب البصريين وقال الفراء يجوز أن يكون تنزيل يرتفع بحم و يجوز أن يرتفع بإضمار هذا والمعنى هذا تنزيل أو هو تنزيل وقوله «قُرْآنًا عَرَبِيًّا» نصب قرآنا على الحال بمعنى بينت آياته في حال جمعه وبشيرا ونذيرا من صفته.

المعنى

«حم» قد تقدم القول فيه وقيل في وجه الاشتراك في افتتاح هذه السور السبع بحم أنه للمشاكله التي بينها بما يختص به وليس غيرها وذلك أن كل واحده منها استفتحت بصفه الكتاب مع تقاربها في الطول ومع شدة تشاكل الكلام في النظم «تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» نزل به جبرائيل على محمد ص «كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ» وصف الكتاب بالتفصيل دون الإجمال لأن التفصيل يأتي على وجوه البيان أي الذي بينت آياته بيانا تاما والتبيين فيه على وجوه منها تبيين الواجب مما ليس بواجب وتبيين الأولى في الحكمه مما ليس بأولى وتبيين الجائز مما ليس بجائز وتبيين الحق من الباطل وتبيين الدليل على الحق مما ليس بدليل وتبيين ما يرغب فيه مما لا يرغب فيه وتبيين ما يحذر منه مما لا يحذر منه إلى غير ذلك من الوجوه وقيل فصلت آياته بالأمر والنهي والوعد والوعيد والترغيب والترهيب والحلال والحرام والمواعظ والأمثال وقيل فصلت أي نظمت آياته على أحسن نظام وأوضح بيان «قُرْآنًا عَرَبِيًّا» وصفه بأنه قرآن لأنه جمع بعضه إلى بعض وبأنه عربي لأنه يخالف جميع اللغات التي ليست بعربية وكل ذلك يدل على حدوث القرآن «لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» اللسان العربي ويعجزون عن مثله فيعرفون إعجازه وقيل يعلمون أن القرآن من عند الله نزل. عن الضحاك «بَشِيرًا وَنَذِيرًا» يبشر المؤمن بما فيه من الوعد وينذر الكافر بما فيه من الوعيد «فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ» يعني أهل مكة عدلوا عن الإيمان بالله والتدبر فيه «فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ» أي لا يسمعون سمع تفكر وقبول فكأنهم لا يسمعون حقيقه «وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ» أي في أغطيه عن مجاهد والسدى «مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ» فلا نفقه ما تقول وإنما قالوا ذلك ليؤيسوا النبي ص من قبولهم دينه فكأنهم شبهوا قلوبهم بما يكون في غطاء فلا يصل إليه شيء مما وراءه «وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ» أي ثقل عن استماع القرآن وصمم «وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ» أي بيننا وبينك فرقه في الدين وحاجز في النحلة فلا نوافقك على ما تقول عن الزجاج وقيل إنه تمثيل بالحجاب ليؤيسوه من الإجابة عن علي بن عيسى «فَأَعْمَلْنَا إِنَّنَا عَامِلُونَ» قيل أن أبا جهل رفع ثوبا بينه وبين

النبي ص فقال يا محمد أنت من ذلك الجانب و نحن من هذا

ص: ٥

الجانب فاعمل أنت على دينك و مذهبك إننا عاملون على ديننا و مذهبنا عن مقاتل و قيل معناه فاعمل فى هلاكنا إننا عاملون فى هلاكك عن الفراء و قيل فاعمل به فى إبطال أمرنا إننا عاملون فى إبطال أمرك و هذا غايه فى العناد.

[سوره فصلت (٤١): الآيات ٦ الى ١٠]

اشاره

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَ وَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ (٦) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٨) قُلْ أَ إِنكُم لَتَكْفُرُونَ بِالَّذى خَلَقَ الْأَرْضَ فى يَوْمَيْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَ جَعَلَ فىهَا رِوَاسِيًّ مِنْ فَوْقِهَا وَ بَارَكَ فىهَا وَ قَدَّرَ فىهَا أَقْوَاتَهَا فى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠)

القراءه

قرأ أبو جعفر سواء بالرفع وقرأ يعقوب سواء بالجر و الباقون بالنصب «سواء».

الحجه

من قرأ سواء بالرفع جعله خبر مبتدأ محذوف أى هى سواء و من قرأ سواء بالجر جعله صفه أيام التقدير فى أربعه أيام مستويات تامات و أما النصب فعلى المصدر على معنى استوت سواء و استواء.

المعنى

ثم قال لنبىه ص «قُلْ» يا محمد لهؤلاء الكفار «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ» من ولد آدم لحم و دم و إنما خصنى الله تعالى بنبوته و ميزنى منكم بأن أوحى إلى و لو لا الوحى ما دعوتكم و هو قوله «يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ» لا شريك له فى العباده «فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ» أى لا- تميلوا عن سبيله و توجهوا إليه بالطاعه كما يقال استقم إلى منزلك أى لا- تعدل عنه إلى غيره «وَ اسْتَغْفِرُوهُ» من الشرك و اطلبوا المغفره لذنوبكم من جهته ثم أوعدهم فقال «وَ وَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ» أى لا يعطون الزكاه المفروضه

ص: ٦

وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالشرائع وهذا هو الظاهر وقيل معناه لا يطهرون أنفسهم من الشرك بقول لا إله إلا الله فإنها زكاه الأنفس عن عطاء عن ابن عباس وهذا كما يقال أعطى فلان من نفسه الطاعة أى ألزمها نفسه وقد وصف سبحانه الكفر بالنجاسة بقوله إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ وذكر الزكاه بمعنى التطهير فى قوله خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةٌ وقيل معناه لا يقرون بالزكاه ولا يرون إيتاءها ولا يؤمنون بها عن الحسن و قتاده وعن الكلبي عابهم الله بها وقد كانوا يحجون ويعتمرون وقيل لا ينفقون فى الطاعة ولا يتصدقون عن الضحاك ومقاتل وكان يقول الزكاه قنطره الإسلام وقال الفراء الزكاه فى هذا الموضع أن قريشا كانت تطعم الحاج وتسقيهم فحرموا ذلك على من آمن بمحمد ص «وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ» وهم مع ذلك يجحدون بما أخبر الله تعالى به من أحوال الآخرة ثم عقب سبحانه ما ذكره من وعيد الكافرين بذكر الوعد للمؤمنين فقال «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا بأمر الآخرة من الثواب والعقاب «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» أى الطاعات «لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» أى لهم جزاء على ذلك غير مقطوع بل هو متصل دائم ويجوز أن يكون معناه أنه لا أذى فيه من المن الذى يكدر الصنيعه ثم وبخهم سبحانه على كفرهم فقال «قُلْ» يا محمد لهم على وجه الإنكار عليهم «أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ» وهذا استفهام تعجب أى كيف تستجيزون أن تكفروا وتجدوا نعمه من خلق الأرض «فِي يَوْمَيْنِ» أى فى مقدار يومين «وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا» أى أمثالا وأشباها تعبدونهم وفى هذا دلالة على أنه سبحانه إنما يستدل على إثبات ذاته وصفاته بأفعاله فهى داله على إثبات صفاته إما بنفسها كما يدل صحه الفعل على كونه قادرا وأحكامه على كونه عالما وإما بواسطة كما يدل كونه قادرا عالما على كونه حيا موجودا سميعا بصيرا «ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ» أى ذلك الذى خلق الأرض فى يومين خالق العالمين ومالك التصرف فيهم «وَجَعَلَ فِيهَا» أى فى الأرض «رَوَاسِيَ» أى جبالا- راسيات ثابتات «مِنْ فَوْقِهَا» أى من فوق الأرض «وَبَارَكَ فِيهَا» بما خلق فيها من المنافع وقيل بأن أنبت شجرها من غير غرس وأخرج نبتها من غير زرع وبذر وأودعها مما ينتفع به العباد عن السدى «وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا» أى قدر فى الأرض أرزاق أهلها على حسب الحاجة إليها فى قوام أبدان الناس وسائر الحيوان وقيل قدر فى كل بلده منها ما لم يجعله فى أخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجاره من بلد إلى بلد «فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ» أى فى تتمه أربعة أيام من حين ابتداء الخلق فاليومان الأولان داخلان فيها كما تقول خرجت من البصره إلى بغداد فى عشره أيام وإلى الكوفه فى خمسه عشر يوما أى فى تتمه خمسه عشر يوما «سِوَاءَ لِلْسَّائِلِينَ» أى مستويه كامله من غير زياده ولا نقصان للسائلين عن مده خلق الأرض وقيل معناه للذين

يسألون الله أرزاقهم و يطلبون أقواتهم فإن كلا يطلب القوت و يسأله عن قتاده و السدى و اختلف فى عله خلق الأرض و ما فيها فى أربعة أيام فقيل إنما خلق ذلك شيئاً بعد شىء فى هذه الأيام الأربعة ليعلم الخلق أن من الصواب التأنى فى الأمور و ترك الاستعجال فيها فإنه سبحانه كان قادراً على أن يخلق ذلك فى لحظه واحده عن الزجاج و قيل إنما خلق ذلك فى هذه المده ليعلم بذلك أنها صادرة عن قادر مختار عالم بالمصالح و بوجوه الأحكام إذ لو صدرت عن مطبوع أو موجب لحصلت فى حاله واحده و

روى عكرمه عن ابن عباس عن النبى ص أنه قال إن الله تعالى خلق الأرض فى يوم الأحد و الإثنين و خلق الجبال يوم الثلاثاء و خلق الشجر و الماء و العمران و الخراب يوم الأربعاء فتلك أربعة أيام و خلق يوم الخميس السماء و خلق يوم الجمعة الشمس و القمر و النجوم و الملائكه و آدم.

[سوره فصلت (٤١): الآيات ١١ الى ١٥]

إشاره

ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَ أَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَ حِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَ ثَمُودَ (١٣) إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (١٤) فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥)

الإعراب

طوعاً و كرها مصدران وضعاً موضع الحال التقدير ائتيا تطيعان إطاعه أو

تكرهان كرها و طائعين يدل على ذلك و هو منصوب على الحال. «سَيِّعَ سَمَاوَاتٍ» أيضا منصوب على الحال بعد الفراغ من الفعل.

المعنى

ثم ذكر سبحانه خلق السماوات فقال «ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ» أى ثم قصد إلى خلق السماء و كانت السماء دخانا و قال ابن عباس كانت بخار الأرض و أصل الاستواء الاستقامة و القصد للتدبير المستقيم تسويه له و قيل معناه ثم استوى أمره إلى السماء عن الحسن «فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ انثِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ» قال ابن عباس أتت السماء بما فيها من الشمس و القمر و النجوم و أتت الأرض بما فيها من الأنهار و الأشجار و الثمار و ليس هناك أمر بالقول على الحقيقة و لا جواب لذلك القول بل أخبر الله سبحانه عن اختراعه السماوات و الأرض و إنشائه لهما من غير تعذر و لا - كلفه و لا - مشقه بمنزله ما يقال للمأمور افعل فيفعل من غير تلبث و لا توقف فعبر عن ذلك بالأمر و الطاعة و هو كقوله إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ و إنما قال «أَتَيْنَا طَائِعِينَ» و لم يقل أتينا طائعتين لأن المعنى أتينا بمن فينا من العقلاء فغلب حكم العقلاء عن قطرب و قيل أنه لما خوطب من يعقل جمع من يعقل كما قال وَ كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبُحُونَ و مثله كثير فى كلامهم قال:

فأجهشت للبوباه حين رأيتة و كبر للرحمن حين رآنى

فقلت له أين الذين رأيتهم بجنبك فى خفض و طيب زمان

فقال مضوا و استودعوني بلادهم و من ذا الذى يبقى على الحدثنان

و قال آخر:

ألا أنعم صباحا أيها الرسم و أنطق و حدث حديث الحى إن شئت و أصدق

و قد ذكرنا فيما تقدم من أمثال ذلك ما فيه كفايه و قوله سبحانه «ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ» يفيد أنه خلق السماء بعد الأرض و خلق الأقوات فيها و قال سبحانه فى موضع آخر وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا و على هذا فتكون الفائدة فيه أن الأرض كانت مخلوقه غير مدحوه فلما خلق الله السماء دحا بعد ذلك الأرض و بسطها و إنما جعل الله السماء أولا دخانا ثم سموات أطباقا

ثم زينها بالمصاييح ليدل ذلك على أنه سبحانه قادر لنفسه لا يعجزه شىء. عالم لذاته لا يخفى عليه شىء. غنى لا يحتاج و كلما سواه محتاج إليه سبحانه و تعالى «فَقَضَاهُنَّ» أى صنعهن و أحكمنهن و فرغ من خلقهن «سَمِعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ» يوم الخميس و الجمعة قال السدى إنما سمى جمعه لأنه جمع فيه خلق السماوات و الأرض «وَ أَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا» أى خلق فيها ما أراد من ملك و غيره عن السدى و قتاده و قيل معناه و أمر فى كل سماء بما أراد عن مقاتل و قيل و أوحى إلى أهل كل سماء من الملائكة ما أمرهم به من العبادة عن على بن عيسى «وَ زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ» سُمى الكواكب مصابيح لأنه يقع الاهتداء بها كقوله «وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ» «وَ حِفْظًا» أى و حفظناها من استماع الشياطين قيل بالكواكب حفظًا «ذَلِكَ» الذى ذكر «تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ» فى ملكه لا يمتنع عليه شىء «الْعَلِيمِ» بمصالح خلقه لا يخفى عليه شىء ثم عقب سبحانه دلالات التوحيد بذكر الوعيد لأهل الشرك و الجحود من العبيد فقال «فَإِنْ أَعْرَضُوا» عن الإيمان بك بعد هذا البيان «فَقُلْ» يا محمد لهم مخوفًا إياهم «أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَ ثَمُودَ» أى استعدوا للعذاب فقد خوفتكم عذابًا مثل عذاب عاد و ثمود لما أعرضوا عن الإيمان و الصاعقه المهلكه من كل شىء و هى فى العرف اسم للنار التى تنزل من السماء فتحرق «إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ». إذ متعلقه بقوله «صَاعِقَةً» و التقدير نزلت بهم حين أتتهم الرسل من قبلهم و من بعدهم عن ابن عباس يعنى به الرسل الذين جاءوا آباءهم و الرسل الذين جاءوهم فى أنفسهم لأنهم كانوا خلف من جاء آباءهم من الرسل فىكون الهاء و الميم فى من خلفهم للرسل و قيل معناه أن منهم من تقدم زمانهم و منهم من تأخر قال البلخى و يجوز أن يكون المراد: أتاهم أخبار الرسل من هاهنا و من هاهنا «أَلَّا تَعْتَدُوا» أى أرسلناهم بأن لا تعبدوا «إِلَّا اللَّهَ» وحده و لا تشركوا بعبادته غيره «قَالُوا» أى فقال المشركون عند ذلك «لَوْ شَاءَ رَبُّنَا» أن نؤمن به و نخلع الأنداد «لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً» تدعوننا إلى ذلك و لم يبعث بشرا مثلنا و كأنهم أنفوا من الانقياد لبشر مثلهم و جهلوا أن الله تعالى يبعث الأنبياء على حسب ما يعلمه من مصالح عباده و يعلم من يصلح للقيام بأعباء النبوه «فَمَا نَأْتِي بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ» أى أظهروا الكفر بهم و الجحود ثم فصل سبحانه أخبارهم فقال «فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا» أى تجبروا و عتوا «فِي الْأَرْضِ» و تكبروا على أهلها «بِغَيْرِ الْحَقِّ» أى بغير حق جعله الله لهم بل للكفر المحض و الظلم الصراح «وَ قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً» اغتروا

بقوتهم لما هددهم بالعذاب فقالوا نحن نقدر على دفعه بفضل قوتنا إذ لا أحد أشد منا قوه فقال الله سبحانه ردا عليهم «أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً» أى أو لم يعلموا أن الله الذى خلقهم و خلق فيهم هذه القوه اعظم اقتدارا منهم فلو شاء أهلكتهم «وَ كَانُوا بِآيَاتِنَا» أى بدلالاتنا «يَجْحَدُونَ» ينكرونها و لا يعترفون بها.

[سوره فصلت (٤١): الآيات ١٦ الى ٢٠]

اشاره

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصِيرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ لَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَ هُمْ لَا يُنصِرُونَ (١٦) وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٧) وَ نَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ (١٨) وَ يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصَارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠)

القراءه

قرأ أبو جعفر و ابن عامر و أهل الكوفه «نَحِسَاتٍ» بكسر الحاء و الباقون نحسات بسكونها و قرأ نافع و يعقوب نحشر بالنون أعداء الله بالنصب و الباقون «يُحْشَرُ» بالياء على ما لم يسم فاعله «أَعْدَاءُ اللَّهِ» بالرفع.

الحجه

قال أبو على النحس كلمه يكون على ضربين (أحدهما) أن يكون اسما (و الآخر) أن يكون وصفا مما جاء فيه اسما مصدرا قوله فى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ فالإضافه إليه يدل على أنه اسم ليس بوصف لا يضاف إليه الموصوف و قال المفسرون فى نحسات قولين (أحدهما) الشديده البرد (و الآخر) أنها المشئومه عليهم فتقدير قوله فى يَوْمِ نَحْسٍ فى يوم مشئوم و قالوا يوم نحس و يوم نحس فمن أضافه كان مثل ما فى التنزيل و من أجراه على الأول احتمال أمرين (أحدهما) أن يكون وصفا مثل فسل و رذل (و الآخر) أن يكون

مصدرا وصف به نحو رجل عدل فمن قرأ في أيام نحسات فأسكن الحاء أسكنها لأنه صفة مثل الخزعبلات و صعبات و يجوز أن يكون جمع المصدر و تركه على إسكانه في الجمع كما قالوا زوره و عدله قال أبو الحسن لم أسمع في النحس إلا الإسكان و قال أبو عبيده نحسات ذوات نحس فيمكن أن يكون من كسر العين جعله صفة من باب فرق و نزق و جمع على ذلك و من قرأ نحشر أعداء الله فحجته أنه معطوف على قوله «وَ نَجَّيْنَا» و يقويه قوله يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا و من قرأ «يُحْشِرُ» فبنى الفعل للمفعول به يقويه قوله «فَهُمْ يُوزَعُونَ» و كلا الأمرين حسن.

اللغة

اشتقاق الصرصر من الصرير ضوعف اللفظ إشعارا بمضاعفه المعنى يقال صر صر يصر صريرا و صرصر يصرصر صرصره و ريح صرصر شديد الصوت و أصله صرر ثم قلبت الراء صاددا كما يقال نههه و كفكه و كفكه قال النابغه:

أكفكف عبره غلبت عزائي إذا نههتها عادت ذباحا

الخزى: الهوان الذى يستحى من مثله خوفا من الفضيحة و الهون: الهوان و الوزع:

المنع و الكف و منه قول الحسن " لا بد للناس من وزعه".

الإعراب

قوله: «وَ يَوْمَ يُحْشِرُ» انتصب الظرف بمدلول قوله «فَهُمْ يُوزَعُونَ» لأن يوما بمنزله إذا و لا ينتصب بقوله «وَ نَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا» لأنه ماض و قوله «وَ يَوْمَ يُحْشِرُ» مستقبل فلا يعمل فيه الماضى.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن إهلاكهم بقوله «فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا» أى عاصفا شديده الصوت من الصره و هى الصيحه و قيل هى الباردة من الصر و هو البرد عن ابن عباس و قتاده و قال الفراء هى الباردة تحرق كما تحرق النار «فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ» أى نكدات مشئومات ذوات نحوس عن مجاهد و قتاده و السدى و النحس سبب الشر و السعد سبب الخير و بذلك سميت سعود النجوم و نحوسها و قيل نحسات ذوات غبار و تراب حتى لا يكاد يبصر بعضهم بعضا عن الجبائى و قيل نحسات باردات و العرب تسمى البرد نحسا عن أبى مسلم

«لِنَذِيْقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» أى فعلنا ذلك بهم لنذيقهم عذاب الهون والذل وهو العذاب الذى يجزون فى الدنيا فيوقنوا بقوه معذبهم وبقدرته عليهم و يظهر ذلك لمن رأى حالهم «وَلَعَذَابُ الْمَآخِرَةِ أَخْزَى» و أفضح من ذلك «وَهُمْ لَا يُنصِرُونَ» أى لا يدفع عنهم العذاب الذى ينزل بهم ثم ذكر قصه ثمود فقال «وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ» أى بينا لهم سبيل الخير والشر عن قتاده وقيل دللناهم و بينا لهم الحق عن ابن عباس والسدى وابن زيد «فَاسْتَجَبُوا أَلْعَمَى عَلَى الْهُدَى» فاختاروا العمى فى الدين على قبول الهدى وبئس الاختيار ذلك عن الحسن. وقيل اختاروا الكفر على الإيمان عن ابن زيد والفراء «فَأَخَذْتَهُمْ صَاعِقَةً الْعَذَابِ الْهُونِ» أى ذى الهون وهو الذى يهينهم ويخزيهم وقد قيل أن كل عذاب صاعقه لأن كل من يسمعها يصعق لها «بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» من تكذيبهم صالحا وعقرهم الناقه «وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ» الشرك أى ونجينا صالحا و من آمن به من العذاب ثم أخبر سبحانه عن أحوال الكفار يوم القيامة فقال «وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ» أى يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا ولا يتفرقوا والمعنى إذا حشروا وقفوا «حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاؤُهَا» أى جاءوا النار التى حشروا إليها «شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أى شهد عليهم سمعهم بما قرعه من الدعاء إلى الحق فأعرضوا عنه ولم يقبلوه وأبصارهم بما رأوا من الآيات الداله على وحدانيه الله فلم يؤمنوا و سائر جلودهم بما باشروه من المعاصى والأفعال القبيحه وقيل فى شهادة الجوارح قولان (أحدهما) أن الله تعالى بينها بنيه الحى و يلجئها إلى الاعتراف والشهادة بما فعله أصحابه (و الآخر) أن الله يفعل فيها الشهاده وإنما أضاف الشهاده إليها مجازا وقيل فى ذلك أيضا وجه ثالث وهو أنه يظهر فيها أمارات داله على كون أصحابها مستحقين للنار فسمى ذلك شهادة مجازا كما يقال عيناك تشهدان بسهرك وقيل أن المراد بالجلود هنا الفروج على طريق الكنايه عن ابن عباس والمفسرين.

إشاره

وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنْتُمْ تَشِيرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْرَبْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْثِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ (٢٤) وَفِيضْنَا لَهُمْ قُرْنَاءَ فَزَيْنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (٢٥)

القراءة

في الشواذ قراءة الحسن و عمرو بن عبيد و إن يستعبوا بضم الياء و فتح التاء فما هم من المعنيين بكسر التاء.

الحجّه

قال ابن جنى معناه لو استعطفوا لما عطفوا لأنه لا غناء عندهم و لا خير فيهم فيجيبوا إلى جميل.

اللغه

الإنطاق جعل القادر على الكلام ينطق إما بالإلجاء إلى النطق أو الدعاء إليه و النطق إداره اللسان فى الفم بالكلام و لذلك لا يوصف سبحانه بأنه ناطق و إن وصف بأنه متكلم و الإرداء الإهلاك يقال أرادته فردى يردى فهو رد قال الأعشى:

أفى الطوف خفت على الردى و كم من رد أهله لم يرم

و الاستعتاب طلب العتبي و هى الرضاء و هو الاسترضاء و الإعتاب الإرضاء و أصل الإعتاب عند العرب استصلاح الجلد بإعادته فى الدباغ ثم استعير فيما يستعطف به البعض بعضا لإعادته ما كان من الألفه و أصل التقييض التبديل و منه المقايضه و هى مبادله مال بمال قال الشماخ:

تذكرت لما أثقل الدين كأهلى و عاب بزيد ما أردت تعذرا

«وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ» ذلكم مبتدأ و ظنكم خبره و أرداكم خبر بعد خبر و إن أضمرت قد فجعلته حالا- جاز أى ذلكم ظنكم مرديا إياكم و يجوز أن يكون ذلكم مبتدأ و ظنكم بدلا منه و أرداكم خبر المبتدأ.

المعنى

ثم حكى سبحانه عنهم بقوله «وَقَالُوا» يعنى الكفار «لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا» أى يعاتبون أعضاءهم فيقولون لها لم شهدتم علينا «قَالُوا» أى فتقول جلودهم فى جوابهم «أَنْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ» أى مما ينطق و المعنى أعطانا الله آله النطق و القدره على النطق و تم الكلام ثم قال سبحانه «وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» فى الآخرة أى إلى حيث لا يملك أحد الأمر و النهى سواه تعالى و ليس هذا من جواب الجلود «وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَيْرُونَ أَنْ يَشْهَدَ» أى من أن يشهد «عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَ لَا أَبْصَارُكُمْ وَ لَا- جُلُودُكُمْ» معناه و ما كنتم تستخفون أى لم يكن يتهيا لكم أن تستروا أعمالكم عن هذه الأعضاء لأنكم كنتم بها تعملون فجعلها الله شاهده عليكم فى القيامة و قيل معناه و ما كنتم تتركون المعاصى حذرا أن تشهد عليكم جوارحكم بها لأنكم ما كنتم تظنون ذلك «وَ لَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا- يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ» لجهلكم بالله تعالى فهان عليكم ارتكاب المعاصى لذاك و روى عن ابن مسعود أنها نزلت فى ثلاثه نفر تساروا و قالوا أ ترى الله يسمع سرارنا.

و يجوز أن يكون المعنى إنكم عملتم عمل من ظن أن عمله يخفى على الله كما يقال أهلكت نفسى أى عملت عمل من أهلك النفس و قيل: إن الكفار كانوا يقولون إن الله لا يعلم ما فى أنفسنا و لكنه يعلم ما يظهر عن ابن عباس «وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ» ذلكم مبتدأ و ظنكم خبره و أرداكم خبر ثان و يجوز أن يكون ظنكم بدلا من ذلكم و يكون المعنى و ظنكم الذى ظنتم بربكم أنه لا- يعلم كثيرا مما تعملون أهلككم إذ هون عليكم أمر المعاصى و أدى بكم إلى الكفر «فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ» أى فظللتم من جملة من خسرت تجارته لأنكم خسرتم الجنة و حصلتم فى النار

قال الصادق (عليه السلام) ينبغى للمؤمن أن يخاف الله خوفا كأنه يشرف على النار و يرجوه رجاء كأنه من أهل الجنة أن الله تعالى يقول «وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ» الآية ثم قال إن الله عند ظن عبده به إن خيرا فخير و إن شرا فشر

ثم أخبر سبحانه عن حالهم فقال «فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ» أى فإن يصبر هؤلاء على النار و آلامها و ليس المراد به الصبر المحمود و لكنه الإمساك عن إظهار الشكوى و عن الاستغاثة

فالنار مسكن لهم «وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ» أى و إن يطلبوا العتبي و سألوا الله تعالى أن يرضى عنهم فليس لهم طريق إلى الإعتاب فما هم ممن يقبل عذرهم و يرضى عنهم و تقدير الآيه أنهم إن صبروا و سكتوا أو جزعوا فالنار مأواهم كما قال سبحانه: «اضِلُّوا بِأَصْبَارِكُمْ وَأَنْتُمْ كَارِهُونَ» و المعتب هو الذى يقبل عتابه و يجاب إلى ما سأل و قيل معناه و إن يستغيثوا فما هم من المغاثين «وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ» أى هبأنا لهم قرناء من الشياطين عن مقاتل و معناه بدلناهم قرناء: سوء من الجن و الإنس مكان قرناء الصدق الذين أمروا بمقارنتهم فلم يفعلوا بين الله سبحانه إنه إنما فعل ذلك عقوبه لهم على مخالفتهم و نظيره وَ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَىٰ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ «وَقِيلَ لَكُمْ قُرُونٌ» و قيل: معناه خلىنا بينهم و بين قرناء السوء بما استوجبوه من الخذلان عن الحسن «فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ» أى زينوا لهم ما بين أيديهم من أمر الدنيا حتى آثروه و عملوا له و ما خلفهم من أمر الآخرة بدعائهم إلى أنه لا- بعث و لا- جزاء عن الحسن و السدى و قيل فزينوا لهم ما بين أيديهم من أمر الآخرة فقالوا لا- جنه و لا نار و لا بعث و لا حساب و ما خلفهم من أمر الدنيا من جمع الأموال و ترك النفقه فى وجوه البر عن الفراء و قيل: ما بين أيديهم ما قدموه من أفعالهم السيئه حتى ارتكبوها و ما خلفهم ما سنوه لغيرهم ممن يأتى بعدهم «وَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ» أى وجب عليهم الوعيد و العذاب «فِي أُمَّمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ» أى صاروا فى أمة أمثالهم كذبوا لتكذيبهم قد مضوا قبلهم وجب عليهم العذاب بعضيانهم ثم قال سبحانه «إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ» خسروا الجنة و نعيمها.

إشارة

وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٦) فَلَنذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٧) ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٢٨) وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ آذَلْنَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ (٢٩) إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَ لَا تَحْزَنُوا وَ أَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠)

اللغة

اللغو الكلام الذى لا معنى له يستفاد و إلغاء الكلمه إسقاط عملها يقال لغى يلغى و يلغو لغوا و لغا يلغى لغا قال عن اللغا و رفث التكلم.

الإعراب

ذلك مبتدأ و «جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ» خبره و النار بدل من قوله «جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ» و يجوز أن تكون النار تفسيرا كأنه قيل ما هو فقيل يقول هو النار قال الزجاج قوله: «لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ» أى لهم فى النار دار الخلد و النار هى الدار كما تقول لك فى هذه الدار دار سرور و أنت تعى الدار بعينها كما قال الشاعر:

أخو رغائب يعطيها و يسألها يأبى الظلامه منه النوفل الزفر

فيكون ذلك من باب التجريد و موضع «أَلَّا تَخَافُوا» نصب تقديره تنزل عليهم الملائكة بأن لا تخافوا فلما حذف الباء وصل الفعل فنصبه.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من ذكر الكفار فقال «وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا» أى قال رؤساؤهم لأتباعهم أو قال بعضهم لبعض يعنى كفار قريش «لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ» الذى يقرؤه محمد و لا تصغوا إليه «وَ الْغَوْا فِيهِ» أى عارضوه باللغو و الباطل و بما لا يعتد به من الكلام «لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ» أى لتغلبوه باللغو و الباطل و لا- يتمكن أصحابه من الاستماع و قيل الغوا فيه بالتخليط فى القول و المكاء و الصفير عن مجاهد و قيل: معناه ارفعوا أصواتكم فى وجهه بالشعر و الرجز عن ابن عباس و السدى لما عجزوا عن معارضة القرآن احتالوا فى اللبس على غيرهم و تواصلوا بترك استماعه و الإلغاء عنه فيه عند قراءته ثم أوعدهم

الله سبحانه فقال «فَلَنذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا» في الدنيا بالأسر و القتل يوم بدر و قيل في الآخرة «وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ» أى نجازيهم بأقبح الجزاء على أقبح معاصيهم و هو الكفر و الشرك و خص الأوسأ بالذكر للمبالغه فى الزجر و قيل: معناه لنجزينهم بأوسأ أعمالهم و هى المعاصى دون غيرها مما لا يستحق به العذاب «ذَلِكَ» يعنى ما تقدم الوعيد به «جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ» الذين عادوه بالعصيان و الكفر و عادوا أولياءه من الأنبياء و المؤمنين «النَّارُ» و هى النار و الكون فيها «لَهُمْ فِيهَا دَارٌ الْمُخْلَدِ» أى منزل الدوام و التأييد «جَزَاءُ» لهم و عقوبه «بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ» يعنى القرآن يجحدون بأنه من عند الله عن مقاتل «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا» أى و سيقول الكفار فى النار «رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ»

يعنون إبليس الأبالسه و قابيل بن آدم أول من أبدع المعصيه روى ذلك عن على (عليه السلام)

و قيل المراد بذلك كل من أبدع الكفر و الضلاله من الجن و الإنس و المراد بالذين جنس الجن و الإنس كما فى قوله وَ الَّذِينَ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَ مِنَ الْآسِيفِينَ» تمنوا لشده عداوتهم لهم و بغضهم إياهم بما أضلوهم و أغوهم أن يجعلوهم تحت أقدامهم فى الدرك الأسفل من النار و قيل: إن المراد به ندوسهما و نطاؤهما بأقدامنا إذلالا لهما ليكونا من الأسفلين الأذلين قال ابن عباس ليكونا أشد عذابا منا و لما ذكر سبحانه و عيد الكفار عقبه بذكر الوعد للمؤمنين الأبرار فقال «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ» أى وحدوا الله تعالى بلسانهم و اعترفوا به و صدقوا أنبياءه «ثُمَّ اسْتَقَامُوا» أى استمروا على أن الله ربهم وحده لم يشركوا به شيئا عن مجاهد و قيل معناه ثم استقاموا على طاعته و أداء فرائضه عن ابن عباس و الحسن و قتاده و ابن زيد و قيل ثم استقاموا فى أفعالهم كما استقاموا فى أقوالهم و قيل ثم استقاموا على ما توجهه الربوبيه من عبادته عن ابن مسلم و

روى عن أنس قال قرأ علينا رسول الله ص هذه الآية ثم قال قد قالها ناس ثم كفر أكثرهم فمن قالها حتى يموت فهو ممن استقام عليها

و

روى محمد بن الفضيل قال سألت أبا الحسن الرضا (عليه السلام) عن الاستقامه فقال هى و الله ما أنتم عليه

«تَنْتَرِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ» يعنى عند الموت عن مجاهد و السدى و روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل تستقبلهم الملائكه إذا خرجوا من قبورهم فى الموقف بالبشاره من الله عن الحسن و ثابت و قتاده و قيل فى القيامه عن الجبائى و أبى مسلم و قيل أن البشرى تكون فى ثلاثه مواطن عند الموت و فى القبر و عند البعث عن وكيع بن الجراح «أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا» أى تقولون لهم لا تخافوا عقاب الله و لا تحزنوا لفوات الثواب و قيل لا تخافوا مما أمامكم من أمور الآخرة و لا تحزنوا على ما وراءكم و على ما خلفتم من أهل و ولد عن عكرمه و مجاهد و قيل لا تخافوا و لا تحزنوا على

ذنوبكم فإنى أغفرها لكم عن عطاء بن أبي رباح و قيل أن الخوف يتناول المستقبل و الحزن يتناول الماضى و كان المعنى لا تخافوا فيما يستقبل من الأوقات و لا تحزنوا على ما مضى و هذا نهايه المطلوب «و أَبَشِّرُوا بِأَلْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ» بها فى دار الدنيا على ألسنه الأنبياء.

[سوره فصلت (٤١): الآيات ٣١ الى ٣٥]

إشاره

نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ وَ لَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَ لَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢) وَ مَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا- مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَ عَمَلٍ صَالِحًا وَ قَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) وَ لَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَ لَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَ مَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَ مَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥)

الإعراب

نزلا- نصب على المصدر و تقديره أنزلكم ربكم فيما تشتهون نزلا و يجوز أن يكون نصبا على الحال و تقديره و لكم فيها ما تشتهى أنفسكم منزلا- نزلا- كما يقال جاء زيد مشيا أى ماشيا و القولان جميعا يرجعان إلى كونه مصدرا و قال أبو على نزلا يحتمل ضربين (أحدهما) أن يكون جمع نازل كقوله:

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا أو تنزلون فإننا معشر نزل

و يكون حالا- من الضمير فى تدعون أى ما تدعون من غفور رحيم نازلين (و الآخر) أن يراد به القوت الذى يقام للنازل أو الضيف حالا مما تدعون أى لكم ما تدعون «نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ» صفة نزل و فيه ضمير يعود إليه و قولنا نصب على التفسير و قوله «و لَّا السَّيِّئَةُ» لا هاهنا زائده مؤكده لتبعيد المساواه.

المعنى

ثم حكى سبحانه أن الملائكة تقول للمؤمنين الذين استقاموا بعد البشاره

«نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ» أى نحن معاشر الملائكة أنصاركم و أحبائكم «فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» نتولى إيصال الخيرات إليكم من قبل الله تعالى «و فِي الْآخِرَةِ» فلا- نفارقكم حتى ندخلكم الجنة عن مجاهد و قيل كنا نتولى حفظكم فى الدنيا بأنواع المعونه و فى الآخرة نتولاكم بأنواع الإكرام و المثوبه و

قيل نحن أولياؤكم فى الحياه الدنيا أى نحرصكم فى الدنيا و عند الموت و فى الآخرة عن أبى جعفر (عليه السلام)

«و لَكُمْ فِيهَا» أى فى الآخرة «مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ» من الملاذ و تتمنونه من المنافع «و لَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ» أنه لكم فإن الله سبحانه يحكم لكم بذلك و قيل أن المراد بقوله «مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ» البقاء لأنهم كانوا يشتهون البقاء فى الدنيا أى لكم فيها ما كنتم تشتهون من البقاء و لكم فيها ما كنتم تتمنونه من النعيم عن ابن زيد «نُزُلًا مِنْ عَفْوٍ رَحِيمٍ» معناه أن هذا الموعود به مع جلالته فى نفسه له جلاله بمعطيه إذ هو عطاء لكم و رزق يجرى عليكم ممن يغفر الذنوب و يستر العيوب رحمه منه لعباده فهو أهنا لكم و أكمل لسروركم قال الحسن أرادوا أن جميع ذلك من الله و ليس منا و فى هذه الآيه بشاره للمؤمنين بموده الملائكه لهم و فيها بشاره بنيل مشتهياتهم فى الجنة و فيها دلالة على أن الملائكه تتردد إلى من كان مستقيما على الطاعات و على شرف الاستقامه أيضا تتولى الملائكه صاحبها من أجلها «و مَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَ عَمِلَ صَالِحًا» صورته صورته الاستفهام و المراد به النفسى تقديره و ليس أحد أحسن قولاً- ممن دعا إلى طاعه الله و أضاف إلى ذلك أن يعمل الأعمال الصالحه «و قَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُشْرِكِينَ» أى و يقول مع ذلك أننى من المستسلمين لأمر الله المتقادين إلى طاعته و قيل: معناه و يقول إننى من جمله المسلمين كما قال إبراهيم وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُشْرِكِينَ وَ هَذَا الدَّاعِى هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَ عَنْ الْحَسَنِ وَ ابْنِ زَيْدٍ وَ السَّدِى وَ قِيلَ هُوَ وَ جَمِيعُ الْأُئِمَّةِ الدَّعَاةِ الْهَدَاةِ إِلَى الْحَقِّ عَنْ مَقَاتِلٍ وَ جَمَاعِهِ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ وَ قِيلَ هُمُ الْمُؤَذِّنُونَ عَنْ عَائِشَةَ وَ عَكْرَمَةَ وَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ رَدٌّ عَلَى مَنْ قَالَ أَنَا مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لِأَنَّهُ مَدْحٌ مِنْ قَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْرَنَهُ بِالْمُشْرِكِينَ وَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الدَّعَاةَ إِلَى الدِّينِ مِنْ أَعْظَمِ الطَّاعَاتِ وَ أَجَلِ الْوَاجِبَاتِ وَ فِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الدَّاعِىَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَامِلًا بِعِلْمِهِ لِيَكُونَ النَّاسَ إِلَى الْقَبُولِ مِنْهُ أَقْرَبَ وَ إِلَيْهِ أَسْكَنَ ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ «وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَ لَا السَّيِّئَةُ» قيل معناه لا تستوى المله الحسنه التى هى الإسلام و المله السيئه التى هى الكفر و قيل معناه لا تستوى الأعمال الحسنه و لا الأعمال القبيحه و قيل: لا تستوى الخصله الحسنه و السيئه فلا يستوى الصبر و الغضب و الحلم و الجهل و المداراه و الغلظه و العفو و الإساءه ثم بين سبحانه ما يلزم على الداعى من الرفق بالمدعو فقال «ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» [خاطب النبي ص فقال للنبي ص ادفع بالتي هى

أحسن] خاطب النبي ص فقال ادفع بحقك باطلهم و بحلمك جهلهم و بعفوك إساءتهم «فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ
وَلِيٌّ حَمِيمٌ» معناه فإنك إذا دفعت خصومك بلين و رفق و مداراه صار عدوك الذي يعاديك فى الدين بصوره وليك القريب
فكأنه وليك فى الدين و حميمك فى النسب و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) إن الحسنه التقيه و السيئه الإذاعه

«وَمَا يُلْقَاهَا» أى و ما يلقى هذه الفعله و هذه الحاله التى هى دفع السيئه بالحسنه «إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا» على كظم الغيظ و احتمال
المكروه و قيل إلا-الذين صبروا فى الدنيا على الأذى عن أبى عبد الله (عليه السلام) «وَمَا يُلْقَاهَا» أى و ما يلقى هذه الخصله
المذكوره و لا- يؤتاها «إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ» أى ذو نصيب وافر من الرأى و العقل و قيل إلا ذو نصيب عظيم من الثواب و الخير و
قيل: الحظ العظيم الجنه عن قتاده و ما يلقاها إلا من وجبت له الجنه و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) و ما يلقاها إلا كل ذى حظ عظيم.

النظم

اتصل قوله «وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ» الآيه بما قبله من قوله «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ»
الآيه فكأنه قال إلا تتعجبون من إعراض الكفار عن استماع القرآن و توأصيهم فيما بينهم باللغو فى قراءته و لا قائل أحسن قولاً
من محمد ص يدعوكم إلى من تقرون أنه خالقكم ثم أنه قد عمل فى دينه بما دعاكم إليه فانتفت عنه التهمه من جميع الوجوه.

إشارة

وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦) وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧) فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ (٣٨) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠)

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّ لَهُمْ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا-يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢)

اللغة

النزغ النخس بما يدعو إلى الفساد يقال نزغ ينزغ و فلان ينزغ فلانا كأنه ينخسه بما يدعوه إلى خلاف الصواب و أُلحد: مال عن الحق و يقال لحد يلحد أيضا بمعناه و يسمى القرآن ذكرا لأنه ذكر فيه الدلائل و الأحكام.

الإعراب

«وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ» هي إن التي للجزاء زيد عليها ما تأكيدا فأشبهه لذلك القسم فلذلك دخل الفعل نون التأكيد «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ» لم يذكر لأن خبرا و التقدير إن الذين كفروا بالذكر مبتدأ الخبر معذبون فحذف الخبر و يجوز أن يكون الخبر أولئك يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ.

المعنى

ثم أمر نبيه ص أن يستعيذ بالله إذا صرفه الشيطان عن الاحتمال فقال «وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ» أن ما يدعونك نزغ من الشيطان بالوسوسة «فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ» أي فاطلب الاعتصام من شره بالله «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» الآية مفسره في آخر سوره الأعراف ثم ذكر سبحانه دلالات التوحيد فقال «وَمِنْ آيَاتِهِ» أي حججه الداله على وحدانيته و أدلته على صفاته التي باين بها جميع خلقه «اللَّيْلُ» بذهاب الشمس عن بسيط الأرض «وَالنَّهَارُ» بطلوها على وجهها و تقديرهما على وجه مستقر و تدبيرهما على نظام مستمر «وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ» و ما اختصا به من النور و ظهر فيهما من التدبير في المسير

و التعريف فى فلك التدوير «لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَ لا لِلْقَمَرِ» و إن كان فىهما منافع كثيرة لأنهما ليسا بخالقين «وَ اسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَهُنَّ» و أنشأهن و إنما قال «خَلَقَهُنَّ» لوجهين (أحدهما) أن ضمير غير ما يعقل على لفظ التأنيث تقول هذا كباشك فسقها و إن شئت قلت فسقهن (و الآخر) أن الضمير يرجع إلى معنى الآيات لأنه قال «وَ مِنْ آيَاتِهِ» هذه الأشياء «وَ اسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَهُنَّ» إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ» إن كنتم تقصدون بعبادتكم الله كما تزعمون فاسجدوا لله دون غيره ثم قال «فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا» عن توجيه العبادة إلى الله وحده «فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ» و هم الملائكة «يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ هُمْ لَا يَسْأَمُونَ» أى لا يملون و لا يفترون و هو مفسر فى سورة الأعراف و المروى عن ابن عباس و قتاده و ابن المسيب أن موضع السجود عند قوله «وَ هُمْ لَا يَسْأَمُونَ» و

عن ابن مسعود و الحسن أنه عند قوله «إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ» و هو اختيار أبى عمرو بن العلاء- و هو المروى عن أئمتنا (عليه السلام)

وَ مِنْ آيَاتِهِ» أى من أدلته الداله على ربوبيته «أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً» أى غرباء دارسه متهشمه عن قتاده و السدى أى كان حالها حال الخاضع المتواضع و قيل ميته يابسه لا نبات فيها قال الأزهرى إذا يبست الأرض و لم تمطر قيل قد خشعت «فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ» أى تحركت بالنبات «وَ رَبَّتْ» أى انتفخت و ارتفعت قبل أن تنبت و قيل «اهْتَزَّتْ» بالنبات «وَ رَبَّتْ» بكثرة ريعها عن الكلبي «إِنَّ الَّذِى أَحْيَاهَا» أى أحيا الأرض بما أنزله من المطر «لَمْحَى الْمَوْتِ» فى الآخره مثل ذلك «إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ظاهر المعنى «إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ» أى إن الذين يميلون من الإيمان بآياتنا «لَا- يَخْفُونَ عَلَيْنَا» بأشخاصهم و أقوالهم و أفعالهم و هذا و عييد عن قتاده و ابن زيد و السدى و قد قيل أن معنى الإلحاد فى آيات الله هو ما كانوا يفعلونه من المكاء و الصفير عن مجاهد و قيل: هو تبديلهم ذلك و وضعه فى غير موضعه عن ابن عباس و قال بعض المفسرين أن المراد بالآيات هنا دلالات التوحيد و الإلحاد فيها الانحراف عنها و ترك الاستدلال بها ثم قال سبحانه على وجه الإنكار عليهم و التهجين لفعالهم و التهديد لهم «أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ» و هم الملحدون «أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» من عذاب الله و هم المؤمنون المطيعون و هذا استفهام تقرير معناه أنهما لا يستويان و قيل إن الذى يلقي فى النار أبو جهل و الذى يأتى آمنا يوم القيامة رسول الله ص عن مقاتل و قيل: هو عمار بن ياسر عن عكرمه و الصحيح أن الآيه على العموم و المراد بهما المؤمن و الكافر ثم قال سبحانه «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ» لفظه لفظ الأمر و معناه

الوعيد و التهديد أى فإذا علمتم أنهما لا يستويان فليختر كل واحد منكم لنفسه ما شاء من الأمرين فإن العاقل لا يختار الإلقاء فى النار فإذا لم يختر ذلك فلا بد أن يؤمن بالآيات فلا يلحد فيها «إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ» أى بأعمالكم «بَصِيرٌ» عالم لا يخفى عليه شىء منها ثم أخبر سبحانه عنهم مهجنا لهم فقال «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ» الذى هو القرآن و جحدوه «لَمَّا جَاءَهُمْ» أى حين جاءهم ثم أخذ سبحانه فى وصف الذكر و ترك خبر إن على تقدير إن الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم و نحو ذلك و قيل إن خبره "أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ" عن أبى عمرو بن العلاء- و قيل إن قوله «وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ» فى موضع الخبر و التقدير الكتاب الذى جاءهم عزيز و أما قوله «وَإِنَّهُ» فالهاء يعود إلى القرآن الذى هو الذكر و المعنى إن الذكر لكتاب عزيز بأنه لا يقدر أحد من العباد على أن يأتى بمثله و قيل إنه عزيز بإعزاز الله عز و جل إياه إذا حفظه من التغيير و التبديل و قيل هو عزيز إذ جعله الله على أتم صفات الأحكام و قيل عزيز بأنه يجب أن يعز و يجل بالانتهاء إلى ما فيه و ترك الإعراض عنه و قيل عزيز أى كريم على الله عز و جل عن ابن عباس «لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لَا مِنْ خَلْفِهِ» قيل فيه أقوال (أحدها) إن الباطل الشيطان و معناه لا يقدر الشيطان أن ينقص منه حقاً أو يزيد فيه باطلا عن قتاده و السدى (و ثانيها) إنه لا يأتى ما يبطله من بين يديه أى من الكتب التى قبله و لا من خلفه أى لا يجىء من بعده كتاب يبطله أى ينسخه عن ابن عباس و الكلبي و مقاتل (و ثالثها)

معناه أنه ليس فى إخباره عما مضى باطل و لا فى إخباره عما يكون فى المستقبل باطل بل إخباره كلها موافقه لمخبراتها و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام) و أبى عبد الله (عليه السلام)

(و رابعها) لا يأتى الباطل من أول تنزيله و لا من آخره عن الحسن و (خامسها) لا يأتى الباطل من جهة من الجهات فلا تناقض فى ألفاظه و لا كذب فى أخباره و لا يعارض و لا يزداد فيه و لا يغير بل هو محفوظ حجه على المكلفين إلى يوم القيامة و يؤيده قوله «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» و «تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ» أى هو تنزيل من عالم بوجوه الحكمة «حَمِيدٍ» مستحق للحمد على خلقه بالإنعام عليهم و القرآن هو من أعظم نعمه فاستحق به الحمد و الشكر.

إشارة

ما يُقال لَمَكِ إِلَّا- ما قَدَّ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ فَنِيلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَمَذُومٌ مَغْفِرُهُ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ (٤٣) وَ لَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْ لَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٤٤) وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَآخْتَلَفَ فِيهِ وَ لَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقَضَى بَيْنَهُمْ وَ إِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (٤٥)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير حفص أ أعجمي بهمزتين وقرأ هشام عن ابن عامر بهمزة واحدة وقرأ الباقون بهمزة واحدة ممدودة.

الحجج

قال أبو علي الأعمى الذى لا- يفصح من العرب كان أو من العجم قالوا زياد الأعمى لآفه كانت فى لسانه و كان عربيا و قالوا صلاة النهار عجماء أى تخفى فيها القراءة و لا تبين و يجمع الأعمى على عجم أنشد أبو زيد:

يقول الخنا و أبغض العجم ناطقا إلى ربنا صوت الحمار اليجدع

أى أبغض صوت العجم صوت الحمار و تسمى العرب من لم يبين كلامه من أى صنف كان من الناس أعجم و منه قول ابن الأخرز:

سلوم لو أصبحت وسط الأعمى بالروم أو بالترك أو بالديلم

فقال لو كنت وسط الأعمى و لم يقل وسط العجم لأنه جعل كل من لم يبين كلامه أعجم فكأنه قال وسط القبيل الأعمى و العجم خلاف العرب و العجمى خلاف العربى منسوب إلى العجم و إنما قوبل الأعمى بالعربى فى الآيه و خلاف العربى العجمى لأن الأعمى فى أنه لا يبين مثل العجمى عندهم فمن حيث اجتماعا فى أنهما لا يبينان قوبل به العربى فى قوله «أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ» و ينبغى أن يكون الأعمى الياء فيه للنسب نسب إلى

الأعجم الذى لا يفصح و هو فى المعنى كالعجمى و إن كانا يختلفان فى النسبه فيكون الأعجمى عربيا و يجوز أن يقال للرجل أعجمى و يراد به ما يراد بأعجم بغير ياء النسب كما يقال أحمر و أحمرى و دوار و دوارى و قوله وَ لَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ مِمَّا جَمَعَ عَلَى إِرَادِهِ يَاءَ النَّسَبِ فِيهِ مِثْلُ قَوْلِهِمُ النَّمِيرُونَ وَ لَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَجْزِ جَمْعُهُ بِالْوَاوِ وَ النَّونِ أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَا تَقُولُ فِي الْأَحْمَرِ إِذَا كَانَ صَفْهُ أَحْمَرُونَ وَ إِنَّمَا جَازَ الْأَعْجَمُونَ لَمَّا ذَكَرْنَا فَأَمَّا الْأَعْجَمُ فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ تَكْسِيرَ أَعْجَمِي كَمَا كَانَ الْمَسَامَعَةُ تَكْسِيرَ مَسْمَعِي وَ قَدْ اسْتَعْمَلَ هَذَا الْوَصْفَ اسْتِعْمَالَ الْأَسْمَاءِ فَمَنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ:

" حَزَقَ يَمَانِيَهُ لِأَعْجَمِ طَمْطَمٌ "

فينبغي أن يكون من باب الأجارع و الأباطح و أما قوله تعالى أعجمى و عربى فالمعنى المنزل أعجمى و المنزل عليه عربى فقوله أعجمى و عربى يرتفع كل منهما على أنه خبر مبتدأ محذوف و هذه الآيه فى المعنى كقوله «وَ لَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ فَفَرَّاهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ».

المعنى

ثم عزى سبحانه نبيه ص على تكذيبهم فقال «مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدَّ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ» أى ما يقول هؤلاء الكفار لك إلا ما قد قيل للأنبياء قبلك من التكذيب و الجحد لنبوتهم عن قتاده و السدى و الجبائى و قيل معناه ما يقول الله لك إلا ما قد قاله للرسول من قبلك و هو الأمر بالدعاء إلى الحق فى عباده الله و لزوم طاعته فهذا القرآن موافق لما قبله من الكتب و قيل معناه ما حكاه تعالى بعده من «إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَ ذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ» فيكون على جهه الوعد و الوعيد أى أنه لذو مغفره لمن آمن بك و ذو عقاب أليم لمن كذب بك «وَ لَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا» أى لو جعلنا هذا الكتاب الذى تقرأه على الناس بغير لغة العرب «لَقَالُوا لَوْلَا فَضَّلْتَ آيَاتُهُ» أى هلا- بينت بلسان العرب حتى نفهمه «ءَ أَعْجَمِيٌّ وَ عَرَبِيٌّ» أى كتاب أعجمى و نبي عربى و هذا استفهام على وجه الإنكار و المعنى أنهم كانوا يقولون المنزل عليه عربى و المنزل أعجمى و كان ذلك أشد لتكذيبهم فبين الله سبحانه أنه أنزل الكتاب بلغتهم و أرسل الرسول من عشيرتهم ليكون أبلغ فى الحججه و أقطع للمعذره «قُلْ» يا محمد لهم «هُوَ» أى القرآن «اللَّذِينَ آمَنُوا هُدًى» من الضلاله «وَ شِفَاءً» من الأوجاع و قيل و شفاء للقلوب من كل شك و ريب و شبهه و سمي اليقين شفاء كما سمي الشك مرضا فى قوله «فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ»* «وَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ» أى ثقل

و صمم عن سماعه من حيث يثقل عليهم استماعه فلا- ينتفعون به فكأنهم صم عنه «وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمَى» عميت قلوبهم عنه عن السدى يعنى أنهم لما ضلوا عنه و حاروا عن تدبره فكأنه عمى لهم «أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ» أى أنهم لا يسمعون و لا يفهمون كما أن من دعى من مكان بعيد لم يسمع و لم يفهم و إنما قال ذلك لبعده أفهامهم و شده إعراضهم عنه و قيل لبعده عن قلوبهم عن مجاهد و قيل ينادى الرجل منهم فى الآخرة بأشنع اسمه عن الضحاک «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ» أى التوراه «فَاخْتَلَفَ فِيهِ» لأنه آمن به قوم و كذب به آخرون و هذه تسليه للنبي ص أيضا عن جحود قومه له و إنكارهم لنبوته «وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ» فى تأخير العذاب عن قومك و أنه لا يعذبهم و أنت فيهم «لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ» أى لفرغ من عذابهم و استئصالهم و قيل: معناه لو لا حكم سبق من ربك بتأخيرهم العذاب إلى وقت انقضاء آجالهم لقضى بينهم قبل انقضاء آجالهم فيظهر المحق من المبطل «وَأِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ» أى و إن قومك لفي شك مما ذكرناه موقع لهم الريبه و هو أفضع الشك.

إشارة

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (۴۶) إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ (۴۷) وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (۴۸) لَا يَشَاءُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيُوسِسْ قَنُوطٌ (۴۹) وَلَئِنْ أَدْقَنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْبَانِي فَلَنَسْتَبِشَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَ لَنَذِيقَنَّهِمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (۵۰)

القراءة

قرأ أهل المدينة والشام وحفص «مِنْ ثَمَرَاتٍ» على الجمع والباقون من ثمره على التوحيد.

الحجج

قال أبو علي من ثمره إذا أفرد يدل على الكثرة واستغنى به عن الجمع ويقوى الإفراد قوله «وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ» و حججه من جمع أن الجمع صحيح وأن المعنى على ذلك.

اللغة

الأكمام جمع كم و كم جمع كمه عن ابن خالويه وقيل هي جمع كمه عن أبي عبيده وهي الكفري و تكمم الرجل فى ثوبه إذا تلفف به والإيدان الإعلام.

المعنى

ثم احتج سبحانه عليهم بأن قال «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ» أى من عمل طاعه فلنفسه لأن ثواب ذلك واصل إليه و منفعة تكون له دون غيره «وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا» أى من عمل معصيه فعلى نفسه وبال ذلك و عقابه يلحقه دون غيره «وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» و هذا على وجه المبالغة فى نفى الظلم عن نفسه للعبيد و إنما قال ذلك مع أنه لا يظلم مثقال ذره لأمرين (أحدهما) أن من فعل الظلم و إن قل و هو عالم بقبحه و بأنه غنى عنه لكان ظلما (و الآخر) أنه على طريق الجواب لمن زعم أنه يظلم العباد فيأخذ أحدا بذنب غيره و يشبهه بطاعه غيره ثم بين سبحانه أنه العالم بوقت قيامه فقال «إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ» التى يقع فيها الجزاء للمطيع و العاصى و هو يوم القيامة «وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا» أى و ما تخرج ثمره من أوعيتها و غلفها «وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ» أى و لا تحمل أنثى من حمل ذكرا كان أو أنثى و لا تضع أنثى إلا فى الوقت الذى علم سبحانه أنها تحمل فيه و تضع فيه فيعلم سبحانه قدر الثمار و كفييتها و أجزاءها و طعومها و روائحها و يعلم ما فى بطون الحبالى و كيفية انتقالها حالا بعد حال حتى يصير بشرا سويا «وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ» أى ينادى الله المشركين «أَيْنَ شُرَكَائِيَ» أى فى قولكم و زعمكم كما قال أين شركائى الذين

كنتم تزعمون «قالوا آذناك ما مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ» اى يقولون اعلماك ما منا شاهد بان لك شريكا يتبرءون يومئذ من ان يكون مع الله شريك «وَصَلَّ عَنْهُمْ ما كانوا يدعون من قبل»

ص: ٢٨

أى بطل عنهم و ذهب ما كانوا أملوه من أصنامهم «وَظَنُوا» أى أيقنوا «مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ» أى من مهرب و ملجأ دخل الظن على ما التى للنفى كما تدخل على لام الابتداء و كلاهما له صدر الكلام و المعنى أنهم علموا أن لا مخلص لهم من عذاب الله و قد يعبر بالظن عن اليقين فيما طريقه الخبر دون العيان ثم بين سبحانه طريقتهم فى الدنيا فقال «لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ» قال الكلبي الإنسان هاهنا يراد به الكافر أى لا يمل الكافر من دعائه الخير و لا يزال يسأل ربه الخير الذى هو المال و الغنى و الصحة و الولد «وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ» أى البلاء و الشده و الفقر «فَيُؤَسُّ» أى فهو يؤوس شديد اليأس من الخير «فَنُوطٌ» من الرحمة و قيل يؤوس من إجابته الدعاء فنوط سىء الظن بربه «وَ لَيْسَ أَذْقَنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا» أى خيرا و عافيه و غنى «مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتَهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي» أى هذا بعملى و أنا محقوق به عن مجاهد قال و كل هذا من أخلاق الكافر و قيل معناه هذا لى دائما أبدا «وَ مَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً» أى كائنه على ما يقوله المسلمون «وَ لَيْسَ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنْ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَى» أى لست على يقين من البعث فإن كان الأمر على ذلك و رددت إلى ربي إن لى عنده الحاله الحسنى و المترله الحسنى و هى الجنه سيعطينى فى الآخره مثل ما أعطانى فى الدنيا ثم هدد سبحانه من هذه صفته بأن قال «فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا» أى لنقنهم يوم القيامة على مساوى أعمالهم عن ابن عباس «وَ لَنَذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ» أى شديد متراكم.

[سوره فصلت (٤١): الآيات ٥١ الى ٥٤]

إشارة

وَ إِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَ نَأَى بِجَانِبِهِ وَ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ (٥١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٢) سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ (٥٤)

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن جهل الإنسان الذى تقدم وصفه بمواقع نعم الله

ص: ٢٩

سبحانه فقال «وَ إِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ» عن الشكر «وَ نَأَى بِجَانِبِهِ» أى بعد بجانبه تكبرا و تجبرا عن الاعتراف بنعم الله تعالى و من قرأ ناء فإنه مقلوب من نأى كما فى قول الشاعر:

أقول و قد ناءت بها غربه النوى نوى خيتعور: لا تشط ديارك

«وَ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ» أى الضر أو الفقر أو المرض «فَدُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ» أى فهو ذو دعاء كثير عند ذلك عن السدى و إنما قال «فَدُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ» و لم يقل طويل لأنه أبلغ فإن العرض يدل على الطول و الطول لا يدل على العرض إذ قد يصح طويل و لا عرض له و لا يصح عريض و لا طول له فإن العرض الانبساط فى خلاف جهه الطول و الطول الامتداد فى أى جهه كان و فى الآيه دلالة على بطلان مذهب أهل الجبر القائلين بأنه ليس الله على الكافر نعمه فإن الله سبحانه أخبر بأنه ينعم على الكافر و أنه يعرض عن موجبها من الشكر و المراد بالآيه أن الكافر يسأل ربه بالتضرع و الدعاء أن يكشف ما به من الضر و البلاء و يعرض عن الدعاء فى الرخاء «قُلْ» يا محمد «أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ» القرآن «مِنَ عِنْدِ اللَّهِ» و قيل إن كان هذا الإنعام من عند الله «ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ» و جحدتموه «مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ» أى فى خلاف للحق بعيد عنه و هو أنتم و الشقاق و المشاقه الميل إلى شق العداوه أى فلا أحد أضل منكم «سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ» اختلف فى معناه على أقوال (أحدها) أن المعنى سنريهم حججنا و دلالتنا على التوحيد فى آفاق العالم و أقطار السماء و الأرض من الشمس و القمر و النجوم و النبات و الأشجار و البحار و الجبال و فى أنفسهم و ما فيها من لطائف الصنعه و بدائع الحكمة «حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ» أى يظهر لهم «أَنَّهُ الْحَقُّ» أى أن الله هو الحق عن عطاء و ابن زيد (و ثانيها) إن معناه سنريهم آياتنا و دلالتنا على صدق محمد ص و صحه نبوته فى الآفاق أى بما يفتح من القرى عليه و على المسلمين فى أقطار الأرض و فى أنفسهم يعنى فتح مكة عن السدى و الحسن و مجاهد و قالوا هو ظهور محمد ص على الآفاق و على مكة حتى يعرفوا أن ما أتى به من القرآن حق و من عند الله لأنهم بذلك يعرفون أنه مؤيد من قبل الله تعالى بعد أن كان واحدا لا ناصر له (و ثالثها) أن المراد بقوله «فِي الْآفَاقِ» وقائع الله فى الأمم «وَ فِي أَنْفُسِهِمْ» وقعه يوم بدر عن قتاده (و رابعها) أن معناه سنريهم آياتنا فى

الآفاق بصدق ما كان يخبرهم به النبي ص من الحوادث فيها و في أنفسهم يعني ما كان بمكة من انشقاق القمر حتى يعلموا أن خبره حق من قبل الله سبحانه (و خامسها) أن المراد سنريهم آثار من مضى من قبلهم ممن كذب الرسل من الأمم و آثار خلق الله في كل البلاد و في أنفسهم من أنهم كانوا نطفًا ثم علقًا ثم مضغًا ثم عظامًا ثم كسيت لحمًا ثم نقلوا إلى التمييز و العقل و ذلك كله دليل على أن الذي فعله واحد ليس كمثلته شىء عن الزجاج «أ و لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» موضع قوله «بِرَبِّكَ» رفع و المعنى أ و لم يكف ربك و «أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» في موضع رفع أيضا على البدل و إن حملته على اللفظ فهو في موضع جر و المفعول محذوف و تقديره أ و لم يكف شهادته ربك على كل شىء و معنى الكفاية هنا أنه سبحانه بين للناس ما فيه كفاية من الدلالة على توحيده و تصحيح نبوه رسله قال مقاتل معناه أ و لم يكف ربك شاهدا أن القرآن من عند الله و قيل معناه أ و لم يكف ربك لأنه على كل شىء شىء شهود أى عليم بالأشياء شاهد لجميعها لا يغيب عنه شىء «أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ» ألا- كلمه تنبيه و تأكيد أن الكفار فى شك من لقاء ثواب ربهم و عقابه أى فى شك من مجازاه ربهم و فى هذا تسفيه لهم فى إضافه العيب إلى الله «أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ» أى أحاط علمه بكل شىء فلا يخفى عليه شىء.

اشاره

اشاره

و تسمى سورة حم عسق أيضا و هي مكيه عن الحسن إلا- قوله «وَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا» وَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ إِلَى قَوْلِهِ «لَا- يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» وَ عن ابن عباس و قتاده إلا- أربع آيات منها نزلن بالمدينه «قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» قال ابن عباس و لما نزلت هذه الآية قال رجل و الله ما أنزل الله هذه الآية فأنزل الله «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» ثم أن الرجل تاب و ندم فنزل «وَ هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ» إِلَى قَوْلِهِ «لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ».

عدد آياتها

ثلاث و خمسون آيه كوفى و خمسون فى الباقي.

اختلافها

ثلاث آيات «حم عسق» «كَالْأَعْلَامِ» ثلثهن كوفى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص من قرأ سورة حم عسق كان ممن يصلى عليه الملائكة و يستغفرون له و يسترحمون

و

روى سيف بن عميره عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ حم عسق بعثه الله يوم القيامة و وجهه كالقمر ليله البدر حتى يقف بين يدى الله عز و جل فيقول عبدى أدمنت قراءه حم عسق و لم تدر ما ثوابها أما لو دريت ما هى و ما ثوابها لما مللت من قراءتها و لكن سأجزيك جزاءك أدخلوه الجنة و له فيها قصر من ياقوته حمراء أبوابها و شرفها و درجها منها يرى ظاهرها من باطنها و باطنها من ظاهرها و له فيها حوراوان من الحور العين و ألف جاريه و ألف غلام من الولدان المخلصين الذين وصفهم الله.

تفسيرها

ختم الله سورة حم السجده بذكر القرآن و افتتح هذه السوره بذكره أيضا فقال:

ص: ٣٢

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم (١) عسق (٢) كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٤)

تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥)

القراءه

قرأ ابن كثير كذلك يوحى إليك بفتح الحاء و الباقون «يُوحَى» بكسر الحاء و فى الشواذ روايه الأعمش عن ابن مسعود حم سق بغير عين.

الحجه

قال أبو على من قرأ يوحى فبنى الفعل للمفعول به احتمال أمرين (أحدهما) أن المعنى يوحى إليك السوره كما أوحى إلى الذين من قبلك زعموا أن هذه السوره قد أوحى إلى الأنبياء قبل (و الآخر) أن يكون الجار و المجرور يقومان مقام الفاعل و يجوز أن يكون قوله تعالى «اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» تبيينا للفاعل كقوله يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا ثُمَّ قَالَ رِجَالٌ كَانَ قِيلَ مِنْ يَسْبِحُ فَقَالَ رِجَالٌ وَ مِنْ قَرَأَ «يُوحَىٰ إِلَيْكَ» عَلَى بِنَاءِ الْفِعْلِ لِلْفَاعِلِ فَإِنَّ اسْمَ اللَّهِ يَرْتَفِعُ بِفَعْلِهِ وَ أَمَا اخْتِلَافُ الْقِرَاءِ فِي «يَتَفَطَّرْنَ» وَ يَنْفَطِرْنَ وَ الْوَجْهَ فِي ذَلِكَ قَدْ مَرَّ ذَكَرَهُ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ وَ قَالَ ابْنُ جَنَى قِرَاءَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ حَمَّ سَقَّ مِمَّا يُؤَكِّدَانِ الْغُرُضَ فِي هَذِهِ الْفَوَاتِحِ إِنَّمَا هُوَ لِكُونِهَا فَوَاصِلَ بَيْنِ السُّورِ وَ لَوْ كَانَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ لَمَا جَازَ تَحْرِيفُ شَيْءٍ مِنْهَا بَلْ كَانَتْ مُؤَدَاهُ بِأَعْيَانِهَا وَ قَدْ كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَدْ قَرَأَهَا بِلا عَيْنٍ أَيْضًا وَ كَانَ يَقُولُ السَّيْنُ كُلُّ فَرْقَةٍ تَكُونُ وَ الْقَافُ كُلُّ جَمَاعَةٍ تَكُونُ.

المعنى

«حم» قد مضى تفسيره «عسق» قيل إنما فضلت هذه السوره من بين سائر الحواميم بعسق لأن جميعها استفتح بذكر الكتاب على التصريح به إلا هذه فذكر عسق ليكون دلالة على الكتاب دلالة التضمين و إن لم يدل عليه دلالة التصريح و هو معنى قول قتاده فإنه قال هو اسم من أسماء القرآن و قيل لأن هذه السوره انفردت بأن معانيها أوحيت إلى سائر الأنبياء فلذلك خصت بهذه التسميه و قال عطا: هي حروف مقطعه من حوادث آتية فالحاء من حرب و الميم من تحويل ملك و العين من عدو مقهور و السين من الاستئصال بسنين كسنى يوسف و القاف من قدره الله فى ملوك الأرض و سائر الأقوال فى ذلك المذكوره فى أول البقره «كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ» أى كالوحي الذى تقدم يوحى إليك أخبار الغيب

و ما يكون قبل أن يكون و إلى الذين من قبلك من الأنبياء عن عطا عن ابن عباس قال و ما من نبي أنزل الله عليه الكتاب إلا أنزل عليه معاني هذه السوره بلغاتهم و قيل معناه كهذا الوحي الذي يأتي في هذه السوره يوحى إليك لأن ما لم يكن حاضرا تراه صلح فيه هذا لقرب وقته و ذلك لبعده في نفسه و معنى التشبيه في كذلك أن بعضه كبعض في أنه حكمه و صواب بما تضمنه من الحجج و المواعظ و الفوائد «اللَّهُ» الذي تحق له العباده «الْعَزِيزُ» القادر الذي لا يغالب «الْحَكِيمُ» المحكم لأفعاله «لَهُ ما فى السَّمَاوَاتِ وَ ما فى الأَرْضِ وَ هُوَ الْعَلِيُّ» المستعلى على كل قادر «الْعَظِيمُ» شأنه «تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ» أى تكاد كل واحده من السماوات تنشق من فوق التى تليها من قول المشركين اتخذ الله ولدا استعظاما لذلك عن ابن عباس و الحسن و قيل معناه تكاد السماوات يتشققن فرقا من عظمه الله و جلاله من فوقهن تقديره ممن فوقهن أى من عظمه من فوقهن عن الضحاك و قتاده و الزجاج و قيل من فوقهن أى من فوق الأرضين و هذا على طريق التمثيل و المعنى لو كانت السماوات تنفطر لشيء لانفطرت لهذا «وَ الْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ» أى ينزهونه عما لا يجوز عليه فى صفاته و يعظمونه عما لا يليق به فى ذاته و أفعاله و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) و الملائكة و من حول العرش يسبحون بحمد ربهم لا يفترون

«وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فى الأَرْضِ» من المؤمنين «ألا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ» و المعنى ظاهر.

إشارة

وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (٦) وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَ تُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَبَّ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَ فَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (٧) وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ لَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَ الظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ (٨) أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَ هُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَ هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٩) وَ مَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ (١٠)

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن إمهاله الكفار بعد تقديم الإنذار فقال «وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ» أى آلهم عبدوها من دون الله يعنى كفار مكة «اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ» أى حافظ عليهم أعمالهم لا يعزب شىء منها عنه ليجازيهم على ذلك كله «وَ مَا أَنْتَ» يا محمد «عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ» أى و ما أنت بمسلط عليهم لتدخلهم فى الإيمان قهرا و قيل معناه إنك لم توكل بحفظ أعمالهم و إنما بعثت نذيرا لهم داعيا إلى الله مبينا سبيل الرشداى فلا يضيعن صدرك بتكذيبهم إياك و فيه تسليه للنبي ص «وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا» أى و مثل ما أوحينا إلى من تقدمك من الأنبياء بالكتب التى أنزلناها عليهم بلغه قومهم أوحينا إليك قرآنا بلغه العرب ليفقهوا ما فيه «لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا» أى لتنذر أهل أم القرى و هى مكة و من حولها من سائر الناس و قرى الأرض كلها «وَ تُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ» أى و تنذرهم يوم الجمع و هو يوم القيامة يجمع الله فيه الأولين و الآخرين و أهل السماوات و الأرضين فيوم الجمع مفعول ثان لتنذر و ليس بظرف «لَا رَبَّ فِيهِ» أى لا شك فى كونه ثم قسم سبحانه أهل يوم الجمع فقال «فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَ فَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ» أى فريق منهم فى الجنة بطاعتهم و فريق منهم فى النار بمعصيتهم «وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً» أى و لو شاء الله أن يحملهم على دين واحد و هو الإسلام بأن يلجئهم إليه لفعله و لكنه لم يفعل لأنه يؤدى إلى إبطال التكليف و التكليف إنما يثبت مع الاختيار عن الجبائى و قيل إن معناه و لو شاء الله لسوى بين الناس فى المنزلة بأن يخلقهم فى الجنة و لكنه اختار لهم أعلى الدرجتين و هو استحقاق الثواب «وَ لَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ» و هم المؤمنون «وَ الظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ» يوالىهم «وَ لَا نَصِيرٍ» يمنع عنهم عذاب الله «أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ» أى بل اتخذ الكافرون من دون الله أولياء من الأصنام و الأوثان يوالونهم «فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ» معناه أن المستحق للولاية فى الحقيقة هو الله تعالى دون غيره لأنه المالك للنفع و الضر «وَ هُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ» أى يعيئهم للجزاء «وَ هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» من الإحياء و الإماتة و غير ذلك «وَ مَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ» معناه أن الذى تختلفون فيه من أمور دينكم و دنياكم و تتنازعون فيه فحكمه إلى الله فإنه الفاصل بين المحق و المبطل فيه فيحكم للمحق بالثواب و المدح و للمبطل بالعقاب و الذم و قيل معناه بيان الصواب إلى الله بنصب الأدلة و قيل فحكمه إلى الله يوم القيامة فيجازى كل أحد بما يستحقه «ذَلِكُمُ اللَّهُ» الذى يحكم بين المختلفين «رَبِّي»

أى هو ربي «عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ» فى مهماتى «وَإِلَيْهِ أُنِيبُ» أى إله أرجع فى جميع أمورى.

ص: ٣٦

إشارة

فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٢) شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١٣) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْ لَا كَلِمَةُ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِّتَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (١٤) فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْمِدَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٥)

اللغة

الذراً إظهار الخلق بإيجاده يقال ذرأ الله الخلق يذرؤهم ومنه ملح ذرأني لظهور بياضه ويقال أنمى الله ذراك و ذروك أى ذريتك عن الأزهرى و شرع الله الدين أى بين و أظهر و منه المشرعه و الشريعة لأنهما فى مكان معلوم ظاهر من الأنهار فالشريعة و الشرعه الظاهر المستقيم من المذاهب التى شرعها الله.

الإعراب

«أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ» يجوز أن يكون موضعه رفعا و نصبا و جرا فالرفع على معنى هو أن أقيموا الدين و النصب على معنى شرع لكم أن أقيموا الدين و الجر على البدل من الهاء فى به و جائر أيضا أن يكون أن أقيموا الدين تفسيرا لما وصى به نوحا و لقوله «وَ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ» و لقوله «وَ مَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ» فيكون المعنى شرع لكم و لمن قبلكم إقامة الدين و ترك الفرقه فيه.

المعنى

ثم وصف سبحانه نفسه بما يوجب أن لا يعبد غيره فقال: «فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» أى خالقهما و مبدعهما ابتداء «جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا» أى أشكالا مع كل ذكر أنثى يسكن إليها و يألفها «وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا» أى ذكورا و إناثا لتكامل منافعكم بها كما قال ثمانية أزواج مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ إلى آخره «يَذُرُّكُمْ فِيهِ» أى يخلقكم فى هذا الوجه الذى ذكر من جعل الأزواج فالهاء فى فيه يعود إلى الجعل المراد بقوله «جَعَلَ لَكُمْ» و قيل معناه يذرؤكم فى التزواج لتكثروا به لدلاله الكلام عليه و هو ذكر الأزواج و مثله قول ذى الرمة:

و ميه أحسن الثقلين جيدا و سالفه و أحسنه قذالا

أى و أحسن من ذكر يعنى الثقلين و قال الزجاج و الفراء معناه يذرؤكم به أى يكثركم بأن جعل من أنفسكم أزواجا و من الأنعام

أزواجاً و أنشد الأزهرى فى ذلك:

و أرغب فيها عن لقيط و أهله و لكننى عن سنبس لست أرغب

أى أرغب بها عن لقيط «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» أى ليس مثله شىء و الكاف زائده مؤكده لمعنى النفى قال أوس بن حجر:

و قتلى كمثل جذوع النخيل يغشاهم سبل منهمر

ص: ٣٧

سعد بن زيد إذا أبصرت فضلهم ما إن كمثلهم في الناس من أحد

وقيل معناه إنه لو قدر الله تعالى مثل لم يكن لذلك المثل مثل لما تقرر في العقول أن الله تعالى متفرد بصفات لا يشاركه فيها غيره فلو كان له مثل لتفرد بصفات لا يشاركه فيها غيره فكان هو الله وقد دل الدليل على أنه ليس مع الله إله آخر وقيل: فيه حذف مضاف و مثل بمعنى الصفه تقديره ليس كصاحب صفته شىء و صاحب صفته هو أى ليس كهو شىء و الوجه هو الأول «وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» لما نفى أن يكون له نظير و شبهه على وجه من الوجوه بين أنه مع ذلك سميع بصير فإنما المدحه فى أنه لا مثل له مع كونه سميعا بصيرا لجميع المسموعات و المبصرات «لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى مفاتيح أرزاق السماوات و الأرض و أسبابها فتمطر السماء بأمره و تنبت الأرض بإذنه عن مجاهد و قيل معناه خزائن السماوات و الأرض عن السدى «يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ» أى يوسع الرزق لمن يشاء و يضيق على من يشاء على ما يعلمه من المصالح للعباد «إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» فيفعل ذلك بحسب المصالح ثم خاطب سبحانه خلقه فقال «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا» أى بين لكم و نهج و أوضح من الدين و التوحيد و البراءة من الشرك ما وصى به نوحا «وَ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ» أى و هو الذى أوحينا إليك يا محمد «وَ» و هو «مَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى وَ عِيسَى» ثم بين ذلك بقوله «أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ» و إقامه الدين التمسك به و العمل بموجبه و الدوام عليه و الدعاء إليه و لا تفرقوا أى و لا تختلفوا فيه و ائتلفوا فيه و اتفقوا و كونوا عباد الله إخوانا «كَبَّرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ» من توحيد الله و الإخلاص له و رفض الأوثان و ترك دين الآباء لأنهم قالوا أَجْعَلِ الْأَلْهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا و معناه ثقل عليهم و عظم اختيارنا لك بما تدعوهم إليه و تخصيصك بالوحى و النبوه دونهم «اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ» أى ليس إليهم الاختيار لأن الله يصطفى لرسالته من يشاء على حسب ما يعلم من قيامه بأعباء الرساله و تحمله لها فاجتباك الله لها كما اجتبى من قبلك من الأنبياء و قيل معناه الله يصطفى من عباده لدينه من يشاء «وَ يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ» أى و يرشد إلى دينه من يقبل إلى طاعته و هذا كقوله وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى و قيل يهدى إلى جنته و ثوابه من يرجع إليه بالنيه و الإخلاص ثم قال «وَ مَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ» معناه و إن هؤلاء الكفار لم يختلفوا عليك

إلا بعد أن أتاهم طريق العلم بصحة نبوتك فعدلوا عن النظر فيه «بَغِيًّا بَيْنَهُمْ» أى فعلوا ذلك للظلم والحسد والعداوة والحرص على طلب الدنيا وقيل معناه وما تفرقوا عنه أى عن محمد ص إلا بعد أن علموا أنه حق ولكنهم تفرقوا عنه حسدا له و خوفا أن تذهب رئاستهم «وَلَوْ لَا كَلِمَةُ سَيَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ» معناه و لو لا وعد الله تعالى و إخباره بتبقيتهم إلى وقت معلوم و تأخر العذاب عنهم فى الحال لفصل بينهم الحكم و أنزل عليهم العذاب الذى استحقوه عاجلا و قيل معناه و لو لا وعد الله بتأخير عذابهم إلى يوم القيامة و هو الأجل المسمى لقضى بينهم بإهلاك المبطل و إثابة المحق «وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ» معناه و إن اليهود و النصارى الذين أورثوا الكتاب من بعد قوم نوح و إبراهيم و موسى و عيسى و من بعد أحبارهم لفى شك من القرآن أو من محمد ص مؤد إلى الريه عن السدى بين بذلك أن أحبارهم أنكروا الحق عن معرفته و إن عوامهم كانوا شاكين فيه يدل عليه قوله الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ* و قيل معناه و إن الذين أورثوا الكتاب أى القرآن و هم العرب من بعدهم أى من بعد اليهود و النصارى لفى شك منه بليغ و لو استقصوا فى النظر أدى بهم إلى اليقين و الرشد «فَلِذَلِكَ فَادُعْ» أى فإلى ذلك فادع عن الفراء و الزجاج يقال دعوت لفلان و إلى فلان و ذلك إشاره إلى ما وصى به الأنبياء من التوحيد و معناه فإلى الدين الذى شرعه الله تعالى و وصى به أنبياءه فادع الخلق يا محمد و قيل إن اللام للتعليل أى فلأجل الشك الذى هم فيه فادعهم إلى الحق حتى تزيل شكهم «وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ» أى فاثبت على أمر الله و تمسك به و اعمل بموجبه و قيل و استقم على تبليغ الرساله «وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ» يعنى أهواء المشركين فى ترك التبليغ «وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ» أى آمنت بكتب الله التى أنزلها على الأنبياء قبلها «وَ أُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ» أى كى أعدل بينكم أى أسوى بينكم فى الدين و الدعاء إلى الحق و لا أحابى أحدا و قيل معناه أمرت بالعدل بينكم فى جميع الأشياء و

فى الحديث ثلاث منجيات و ثلاث مهلكات فالمنجيات العدل فى الرضاء و الغضب و القصد فى الغنى و الفقر و خشية الله فى السر و العلانيه و المهلكات شح مطاع و هوى متبع و إعجاب المرء بنفسه

«اللَّهُ رَبُّنَا وَ رَبُّكُمْ» أى و قل لهم أيضا الله مدبرنا و مدبركم و مصرفنا و مصرفكم و المنعم علينا و عليكم و إنما قال ذلك لأن المشركين قد اعترفوا بأن الله هو الخالق «لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ» أى لا يضرنا إصراركم على الكفر فإن جزاء أعمالنا لنا و جزاء أعمالكم لكم لا يؤاخذ أحدا بذنب غيره «لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ» أى لا خصومه بيننا و بينكم عن مجاهد و ابن زيد و المعنى أن الحق قد ظهر فسقط الجدل و الخصومه و كنى بالحجه عن الخصومه لاحتجاج أحد الخصمين على الآخر و هذا قبل أن يؤمر بالقتال و إذا لم يؤمر بالقتال

و أمر بالدعوه لم تكن بينه و بين من لا- يجيب خصومه و قيل معناه لا حجه بيننا و بينكم لظهور أمركم فى البغى علينا و العداوه لنا و المعانده لا على طريق الشبهه و ليس ذلك تحريما لإقامه الحجه لأنه لا يلزم قبول الدعوه إلا بالحجه التى يظهر بها المحق من المبطل فإذا صار الإنسان إلى البغى و العداوه سقط الحجاج بينه و بين أهل الحق «اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا» يوم القيامة لفصل القضاء «وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ» يحكم بيننا بالحق و فى هذا غايه التهديد.

[سوره الشورى (٤٢): الآيات ١٦ الى ٢٠]

إشاره

وَ الَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ عَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (١٦) اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَ الْمِيزَانَ وَ مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧) يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَ يَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (١٨) اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (١٩) مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (٢٠)

المعنى

لما تقدم ظهور الحجه و انقطاع المحاجه عقبه بذكر من يحاج بالباطل فقال سبحانه «وَ الَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ» أى يخاصمون النبى ص و المسلمين فى دين الله و توحيده و هم اليهود و النصارى قالوا كتابنا قبل كتابكم و نبينا قبل نبيكم و نحن خير منكم و أولى بالحق عن مجاهد و قتاده و إنما قصدوا بما قالوا ليدفعوا ما أتى به محمد ص «مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ» أى من بعد ما دخل الناس فى الإسلام و أجابوه إلى ما دعاهم إليه «حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ» أى خصومتهم باطله حيث زعموا أن دينهم أفضل من الإسلام و لأن ما ذكروه لا يمنع

من صحه نبوه نبينا بأن ينسخ الله كتابهم و شريعته نبيهم و قيل معناه و الذين يجادلون فى الله بنصره مذهبهم من بعد ما استجيب للنبي ص دعاؤه فى كفار بدر حتى قتلهم الله بأيدى المؤمنين و استجيب دعاؤه على أهل مكة و على مضر حتى قحطوا و دعاؤه للمستضعفين حتى خلصهم الله من أيدى قريش و غير ذلك مما يطول تعداده عن الجبائى و قيل من بعد ما استجيب لمحمد ص دعاؤه فى إظهار المعجزات و إقامتها و قيل من بعد ما استجيب له بأن أقروا به قبل مبعثه فلما بعث جحدوه كما قال و كانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا و إنما سمي سبحانه شبهتهم حجه على اعتقادهم و لشبهها بالحجه أجرى عليها اسمها من غير إطلاق الصفة بها «و عَلَيْهِمْ غَضَبٌ» أى غضب الله عليهم لأجل كفرهم «و لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ» دائم يوم القيامة «اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ» أى القرآن «بِالْحَقِّ» أى بالصدق فيما أخبر به من ماض و مستقبل و قيل بالحق أى بالأمر و النهى و الفرائض و الأحكام و كله حق من الله «و الْمِيزَانَ» أى و أنزل الله العدل و الميزان عبارته عن العدل كنى به عنه عن ابن عباس و قتاده و مجاهد و مقاتل و إنما سمي العدل ميزانا لأن الميزان آله الإنصاف و التسويه بين الخلق و قيل أراد به الميزان المعروف و أنزله الله من السماء و عرفهم كيف يعملون به بالحق و كيف يزنون به عن الجبائى و قيل الميزان محمد ص يقضى بينهم بالكتاب عن علقمه و يكون على التوسع و التشبيه و لما ذكر العدل أتبعه بذكر الساعة فقال «و مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ» أى و ما يدريك يا محمد و لا غيرك لعل مجيء الساعة قريب و إنما أخفى الله الساعة و وقت مجيئها على العباد ليكونوا على خوف و ليبادروا إلى التوبه و لو عرفهم مجيئها لكانوا مغرین بالقبائح قبل ذلك تعويلا على التلافي بالتوبه «بَسِيحَةً تَجْعَلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا» لجهلهم بأحوالها و أهوالها فلا يخافون ما فيها إذ لم يؤمنوا بها فهم يطلبون قيامها إبعادا لكونها «و الَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا» أى خائفون من مجيئها و هم غير متأهبين لها «و يَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ» أى أن مجيئها الحق الذى لا خلف فيه «أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ» أى تدخلهم المريبه و الشك «فِي السَّاعَةِ» فيخاصمون فى مجيئها على وجه الإنكار لها «لَفِي ضَلَالٍ» عن الصواب «بِعِيدٍ» حين لم يذكروا فيعلموا أن الذى خلقهم أولا قادر على بعثهم ثم قال:

«اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ» أى حفى بار بهم رفيق عن ابن عباس و عكرمه و السدى و قيل اللطيف العالم بخفيات الأمور و الغيوب و المراد به هنا الموصل المنافع إلى العباد من وجه يدق إدراكه و ذلك فى الأرزاق التى قسمها الله لعباده و صرف الآفات عنهم و إيصال السرور و الملاذ إليهم و تمكينهم بالقدر و الآلات إلى غير ذلك من ألطافه التى لا يوقف على كنهها لغموضها ثم قال سبحانه «يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ» أى يوسع الرزق على من يشاء يقال فلان مرزوق إذا وصف بسعه

الرزق و قيل معناه يرزق من يشاء فى خفض و دعه و من يشاء فى كد و مشقه و متعبه و كل من رزقه الله من ذى روح فهو ممن شاء الله أن يرزقه «وَهُوَ الْقَوِيُّ» القادر الذى لا يعجز «الْعَزِيزُ» الغالب الذى لا يغالب «مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ» معنى الحرث فى اللغه الكسب و فلا ين يحرث لعياله و يحترث أى يكتسب أى من كان يريد بعمله نفع الآخرة و يعمل لها نجاهه بعمله و نضاعف له ثواب عمله فنعطيه على الواحد عشره و نزيد على ذلك ما نشاء «وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ» أى و من كان يريد بعمله نفع الدنيا نعطه نصيبا من الدنيا لا جميع ما يريد بل على حسب ما تقتضيه الحكمة كما قال سبحانه عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ «وَ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ» و قيل معناه من قصد بالجهاد وجه الله فله سهم الغانمين و الثواب فى الآخرة و من قصد به الغنيمه لم يحرم ذلك و حصل له سهمه من الغنيمه و لكن لا نصيب له من الثواب فى الآخرة و

روى عن النبى ص أنه قال من كانت نيته الدنيا فرق الله عليه أمره و جعل الفقر بين عينيه و لم يأتته من الدنيا إلا ما كتب له و من كانت نيته الآخرة جمع الله شمله و جعل غناه فى قلبه و أتته الدنيا و هى راغمه

و قيل من كان يعمل للآخرة نال الدنيا و الآخرة و من عمل للدنيا فلا حظ له فى ثواب الآخرة لأن الأعلى لا يجعل تبعا للأدون عن الحسن.

إشارة

أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَ لَوْ لَا كَلِمَةُ الْفَضْلِ لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢١) تَرَىٰ الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَ هُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٢٢) ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَشْتَرُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَ مَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسَيْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (٢٣) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشِئِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَ يَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَ يُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٤) وَ هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَ يَغْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٢٥)

القراءة

قرأ أبو عمرو و حمزه و الكسائي و خلف يبشر الله بفتح الله و سكون الباء و ضم الشين و الباقون «يُبَشِّرُ اللَّهُ» بضم الباء و كسر الشين مشدده و قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر «وَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ» بالتاء على الخطاب و الباقون بالياء.

الإعراب

«ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ» تقديره الذى يبشر الله به عباده فحذف الباء ثم حذف الهاء و يجوز أن يكون الذى حكمه حكم ما التى تكون مصدرية أى ذلك تبشير الله عباده و «يَمْحُحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ» ليس بمعطوف على يختم لأن محو الباطل واجب فلا يكون معلقا بالشرط.

المعنى

لما أخبر الله سبحانه أن من يطلب الدنيا بأعماله فلا حظ له فى خير الآخرة قال «أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ» أى بل لهؤلاء الكفار شركاء فيما كانوا يفعلونه «شَرَعُوا لَهُمْ» أى بينوا لهم و نهجوا لهم «مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ» أى ما لم يأمر به الله و لا أذن فيه أى شرعوا لهم ديناً غير دين الإسلام عن ابن عباس «وَ لَوْ لَا - كَلِمَةُ الْفَضْلِ لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ» أى لو لا أن الله حكم فى كلمه الفصل بين الخلق بتأخير العذاب لهذه الأمة إلى الآخرة لفرغ من عذاب الذين يكذبونك فى الدنيا «وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ» الذين يكذبونك «لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» فى الآخرة «تَرَىٰ الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ» أى خائفين «مِمَّا كَسَبُوا» أى من جزاء ما كسبوا من المعاصى و هو العقاب الذى استحقوه «وَ هُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ» لا محاله لا ينفعهم منه خوفهم من وقوعه و الإشفاق الخوف من جهه الرقه على المخوف عليه من وقوع الأمر «وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ» فالروضه الأرض الخضرة بحسن النبات و الجنة و الأرض التى يحفها الشجر «لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ» أى لهم ما يتمنون و يشتهون يوم القيامة الذى لا يملك فيه الأمر و النهى غير ربهم و لا يريد بعند قرب المسافه لأن ذلك من صفات الأجسام و قيل عند ربهم أى فى حكم ربهم «ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ» أى ذلك الثواب هو الفضل العظيم من الله إذ نالوا نعيماً لا ينقطع بعمل قليل منقطع ثم قال «ذَلِكَ» الفضل

الكبير «الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» ليستعجلوا بذلك السرور في الدنيا من شدد الشين أراد به التكثير و من خفف فلائنه يدل على القليل و الكثير ثم قال سبحانه «قُلْ» لهم يا محمد «لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» اختلف في معناه على أقوال (أحدها) لا أسألكم على تبليغ الرسالة و تعليم الشريعة أجرا إلا التواد و التحاب فيما يقرب إلى الله تعالى من العمل الصالح عن الحسن و الجبائي و أبي مسلم قالوا هو التقرب إلى الله تعالى و التودد إليه بالطاعة (و ثانيها) أن معناه إلا أن تودوني في قرابتي منكم و تحفظوني لها عن ابن عباس و قتاده و مجاهد و جماعه قالوا و كل قریش كانت بينه و بين رسول الله ص قرابه و هذا لقریش خاصه و المعنى أن لم تودوني لأجل النبوه فودوني لأجل القرابه التي بيني و بينكم (و ثالثها)

أن معناه إلا أن تودوا قربتي و عترتي و تحفظوني فيهم عن علي بن الحسين (عليه السلام) و سعيد بن جبیر و عمرو بن شعيب و جماعه و هو المروى عن أبي جعفر و أبي عبد الله (عليه السلام)

و أخبرنا السيد أبو الحمد مهدي بن نزار الحسيني قال أخبرنا الحاكم أبو القاسم الحسكاني قال حدثني القاضي أبو بكر الحميري قال أخبرنا أبو العباس الضبعي قال أخبرنا الحسن بن علي بن زياد السري قال أخبرنا يحيى بن عبد الحميد الحمانى قال حدثنا حسين الأشتر قال أخبرنا قيس عن الأعمش عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال لما نزلت «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا» الآية قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين أمرنا الله بمودتهم قال علي و فاطمه و ولدهما

و أخبرنا السيد أبو الحمد قال أخبرنا الحاكم أبو القاسم بالإسناد المذكور في كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفصيل مرفوعا إلى أبي أمامه الباهلي قال قال رسول الله ص إن الله تعالى خلق الأنبياء من أشجار شتى و خلقت أنا و علي من شجره واحده فأنا أصلها و علي فرعها و فاطمه لقاحها و الحسن و الحسين ثمارها و أشياعنا أوراقها فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا و من زاغ عنها هوى و لو أن عبدا عبد الله بين الصفا و المروه ألف عام ثم ألف عام ثم ألف عام حتى يصير كالشن البالى ثم لم يدرك محبتنا كبه الله على منخره في النار ثم تلا «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى»

و روى زاذان عن علي (عليه السلام) قال فينا في آل حم آيه لا يحفظ مودتنا إلا كل مؤمن قم قرأ هذه الآيه

و إلى هذا أشار الكميت في قوله:

وجدنا لكم في آل حم آيه تأولها منا تقى و معرب

و على الأقوال الثلاثة فقد قيل في «إِلَّا الْمَوَدَّةَ» قولان: (أحدهما) أنه استثناء منقطع لأن

هذا مما يجب بالإسلام فلا يكون أجرا للنبوه (و الآخر) أنه استثناء متصل و المعنى لا أسألكم عليه أجرا إلا هذا فقد رضيت به أجرا كما أنك تسأل غيرك حازه فيعرض المسئول عليك برا فتقول له اجعل برى قضاء حاجتى و على هذا يجوز أن يكون المعنى لا أسألكم عليه أجرا إلا هذا و نفعه أيضا عائد عليكم فكأنى لم أسألكم أجرا كما مر بيانه فى قوله قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ و

ذكر أبو حمزه الثمالى فى تفسيره حدثنى عثمان بن عمير عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس أن رسول الله ص حين قدم المدينة و استحکم الإسلام قالت الأنصار فيما بينها نأتى رسول الله ص فنقول له إن تعرك أمور فهذه أموالنا تحکم فيها غير حرج و لا- محظور عليك فأتوه فى ذلك فنزلت «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» فقرأها عليهم و قال تودون قرابتى من بعدى فخرجوا من عنده مسلمين لقوله فقال المنافقون إن هذا لشيء افتراء فى مجلسه أراد بذلك أن يذلنا لقرابته من بعده فنزلت أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِم فَتَلَاهَا عَلَيْهِمْ فَبَكَوْا وَ اشْتَدَّ عَلَيْهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ وَ هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ الْآيَةَ فَأَرْسَلْنَا فِي إِثْرِهِمْ بَشْرَهُمْ وَ قَالَ وَ يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هُمُ الَّذِينَ سَلِمُوا لِقَوْلِهِ

ثم قال سبحانه «وَ مَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسَيْنًا» أى و من فعل طاعه نزد له فى تلك الطاعه حسنا بأن نوجب له الثواب و ذكر أبو حمزه الثمالى عن السدى قال إن اقرار الحسنه الموده لآل محمد ص و صح

عن الحسن بن على (عليه السلام) أنه خطب الناس فقال فى خطبته إنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم فقال «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَ مَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا» فاقرار الحسنه مودتنا أهل البيت

و

روى إسماعيل بن عبد الخالق عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال إنها نزلت فىنا أهل البيت أصحاب الكساء

«إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ» أى غفور للسيئات شكور للطاعات يعامل عباده معاملة الشاكر فى توفيه الحق حتى كأنه ممن وصل إليه النفع فشكره «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» أى بل يقولون افترى محمد على الله كذبا فى ادعائه الرساله عن الله «فَإِنْ يَشَاءِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ» أى لو حدثت نفسك بأن تفتري على الله كذبا لطبع الله على قلبك و لأنسك القرآن فكيف تقدر أن تفتري على الله و هذا كقوله لئن أشركت ليحبطن عمالك و قيل معناه فإن يشأ الله يربط على قلبك بالصبر على أذاهم حتى لا يشق عليك قولهم إنه مفتر و ساحر عن مجاهد و مقاتل فعلى هذا لا يحتاج إلى إضمار و حذف ثم أخبر سبحانه أنه يذهب ما يقولونه باطلا فقال «وَ يَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ» أى يزيله و يرفعه بإقامه الدلائل على بطلانه و حذف الواو من يمحو فى المصاحف

كما حذف من قوله سَيَنْدَعُ الزَّبَانِيَةَ عَلَى اللَّفْظِ فِي ذَهَابِهَا لِاتِّقَاءِ السَّاكِنِينَ وَ لَيْسَ بِعَاطِفٍ عَلَى قَوْلِهِ «يَخْتِمُ» لِأَنَّهُ مَرْفُوعٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ «وَ يُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ» أَيْ وَ يَثْبِتُ الْحَقَّ بِأَقْوَالِهِ الَّتِي يَنْزِلُهَا عَلَى نَبِيِّهِ ص وَ هُوَ هَذَا الْقُرْآنُ الْمَعْجَزُ «إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» أَيْ بِضَمَائِرِ الْقُلُوبِ «وَ هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ» وَ إِنْ جَلَّتْ مَعَاصِيهِمْ فَكَأَنَّهُ قَالَ مِنْ نَسْبِ مُحَمَّدٍ ص إِلَى الْاِفْتِرَاءِ ثُمَّ تَابَ قَبْلَ تَوْبَتِهِ وَ إِنْ جَلَّتْ مَعْصِيَتُهُ «وَ يَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ» مِنْ خَيْرٍ وَ شَرٍّ فَيَجَازِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ.

[سوره الشورى (٤٢): الآيات ٢٦ الى ٣٠]

أشاره

وَ يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَ الْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (٢٦) وَ لَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَ لَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٧) وَ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَ يَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَ هُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (٢٨) وَ مِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَ هُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (٢٩) وَ مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ (٣٠)

القراءه

قرأ أهل المدينة و ابن عامر و ما أصابكم من مصيبه بما كسبت أيديكم بغير فاء و الباقون بالفاء.

الحجه

قال أبو علي القول في ذلك أن أصاب في قوله «وَ مَا أَصَابَكُمْ» يحتمل أمرين يجوز أن يكون صله ما و يجوز أن يكون شرطاً في موضع جزم فمن قدره شرطاً لم يجر حذف الفاء منه على قول سيبويه و قد تأول أبو الحسن بعض الآي على حذف الفاء في جواب الشرط و قال بعض البغداديين حذف الفاء من الجواب جائز و استدل على ذلك بقوله وَ إِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ

إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ و إذا كان صله فالإثبات و الحذف جائزان على معنيين مختلفين أما إذا ثبت الفاء ففيه دليل على أن الأمر الثانى
وجب بالأول و إذا لم يذكر الفاء جاز أن يكون الثانى و جب للأول و جاز أن يكون لغيره.

المعنى

لما تقدم وعيد أهل العصيان عقبه سبحانه بالوعد لأهل الطاعة فقال «وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» أى يجيبهم إلى
ما يسألونه و قيل معناه يجيبهم فى دعاء بعضهم لبعض عن معاذ بن جبل و قيل معناه يقبل طاعاتهم و عباداتهم و يزيدهم من
فضله على ما يستحقونه من الثواب و قيل معناه و يستجيب الذين آمنوا بأن يشفعهم فى إخوانهم «وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ» و يشفعهم
فى إخوان إخوانهم عن ابن عباس و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال قال رسول الله ص فى قوله «وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ» الشفاعة لمن وجبت له النار ممن أحسن
إليهم فى الدنيا

«وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ» ظاهر المعنى و لما بين سبحانه أنه يزيد المؤمنين من فضله أخبر عقبيه أن الزيادة فى الأرزاق فى
الدنيا تكون على حسب المصالح فقال «وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ» أى لو وسع الرزق على عباده على حسب ما
يطلبونه لبطروا النعمة و تنافسوا و تغالبوا و ظلموا فى الأرض و تغلب بعضهم على بعض و خرجوا عن الطاعة قال ابن عباس بغيتهم
فى الأرض طلبهم منزله بعد منزله و دابه بعد دابه و ملبسا بعد ملبس «وَلَكِنْ يُنَزَّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ» أى و لكنه ينزل من الرزق قدر
صلاحهم ما يشاء نظرا منه لهم عن قتاده و المعنى أنه يوسع الرزق على من تكون مصلحته فيه و يضيق على من يكون مصلحته
فيه و يؤيده الحديث الذى

رواه أنس عن النبى ص عن جبرائيل (عليه السلام) عن الله إن من عبادى من لا يصلحه إلا السقم و لو صححته لأفسده و إن من
عبادى من لا يصلحه إلا الصحة و لو أسقمته لأفسده و إن من عبادى من لا يصلحه إلا الغنى و لو أفقرته لأفسده و إن من عبادى
من لا يصلحه إلا الفقر و لو أغنيته لأفسده و ذلك أنى أدبر عبادى لعلمى بقلوبهم

و الحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة و متى قيل نحن نرى كثيرا ممن يوسع عليه الرزق يبغى فى الأرض قلنا إنا إذا علمنا
على الجملة أنه سبحانه يدبر أمور عباده بحسب ما يعلم من مصالحهم فلعل هؤلاء كان يستوى حالهم فى البغى و سع عليهم أو لم
يوسع أو لعلهم لو لم يوسع عليهم لكانوا أسوأ حالا- فى البغى فلذلك وسع عليهم و الله أعلم بتفاصيل أحوالهم «إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ
بَصِيرٌ» أى عليم بأحوالهم بصير بما يصلحهم و ما يفسدهم ثم بين سبحانه حسن نظره بعباده فقال «وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ
مَا قَنُطُوا» أى ينزله عليهم من بعد ما يشسوا من نزوله و الغيث ما كان نافعا فى وقته و المطر قد يكون نافعا و قد يكون ضارا فى
وقته و غير وقته و وجه إنزاله بعد القنوط أنه أدعى إلى شكر الآتى به

و تعظيمه و معرفه بموقع إحسانه «وَيُنشُرُ رَحْمَتَهُ» أى و يفرق نعمته و يبسطها بإخراج النبات و الثمار التى يكون سببها المطر «وَهُوَ الْوَلِيُّ» الذى يتولى تدبير عباده و تقدير أمورهم و مصالحهم المالك لهم. «الْحَمِيدُ» المحمود على جميع أفعاله لكون جميعها إحسانا و منافع «وَمِنْ آيَاتِهِ» الداله على وحدانيته و صفاته التى باين بها خلقه «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» لأنه لا يقدر على ذلك غيره لما فيهما من العجائب و الأجناس التى لا يقدر عليها القادر بقدرته «وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ» و الدابه ما تدب فيدخل فيه جميع الحيوانات «وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ» أى و هو على حشرهم إلى الموقف بعد إماتتهم قادر لا يتعذر عليه ذلك ثم قال سبحانه «وَمَا أَصَابَكُمْ» معاشر الخلق «مِنْ مُصِيبَةٍ» من بلوى فى نفس أو مال «فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ» من المعاصى «وَيَغْفُوا عَنْ كَثِيرٍ» منها فلا يعاقب بها قال الحسن: الآيه خاصه بالحدود التى تستحق على وجه العقوبه و قال قتاده هى عامه

و روى عن على (عليه السلام) أنه قال قال رسول الله ص خير آيه فى كتاب الله هذه الآيه يا على ما من خدش عود و لا نكبه قدم إلا بذنب و ما عفا الله عنه فى الدنيا فهو أكرم من أن يعود فيه و ما عاقب عليه فى الدنيا فهو أعدل من أن يثنى على عبده

و قال أهل التحقيق إن ذلك خاص و إن خرج مخرج العموم لما يلحق من مصائب الأطفال و المجانين و من لا ذنب له من المؤمنين و لأمن الأنبياء و الأئمه يمتحنون بالمصائب و إن كانوا معصومين من الذنوب لما يحصل لهم على الصبر عليها من الثواب.

النظم

و الوجه فى اتصال هذه الآيه بما قبلها إن الله تعالى لما بين عظيم إنعامه على العباد بين بعده أن لا يعاقبهم إلا على معاصيهم.

[سوره الشورى (٤٢): الآيات ٣١ الى ٣٥]

اشاره

وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ (٣١) وَ مِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَغْلَامِ (٣٢) إِنَّ يَشَأُ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣) أَوْ يُوبِقُهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَ يَغْفُ عَنْ كَثِيرٍ (٣٤) وَ يَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (٣٥)

ص: ٤٨

قرأ أهل الكوفه و ابن عامر «الْجَوَارِ» بحذف الياء فى الوصل و الوقف و قرأ الباقون الجوارى يثبت الياء فى الوصل و ابن كثير و يعقوب فى الوقف أيضا و قرأ أهل المدينه و ابن عامر يعلم الذين يجادلون بالرفع و الباقون و «يَعْلَم» بالنصب.

الحجه

قال أبو على القياس الجوارى و من حذف فلان حذف هذه الياءات و إن كانت لاما قد كثر فى كلامهم فصار كالقياس المستمر و من قرأ يعلم بالرفع استأنف لأنه موضع استئناف من حيث جاء من بعد الجماعه إن شئت جعلته خير مبتدأ محذوف و من نصب فلان قبله شرط و جزاء و كل واحد منهما غير واجب تقول فى الشرط إن تأتني و تعطيني أكرمك فتنصب تعطيني و تقديره إن يكن إتيان منك و إعطاء أكرمك فالنصب بعد الشرط إذا عطفت عليه بالفاء أمثل من النصب بالفاء بعد جزاء الشرط فأما قوله:

و من لا يقدم رجله مطمئنه فيثبتها فى مستوى الأرض يزلق

فالنصب فيه حسن لمكان النفي فأما العطف على الشرط نحو إن تأتني و تكرمني فأكرمك فالذى يختار سيبويه النصب فى العطف على جزاء الشرط فيختار «وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ» إذا لم يقطعه من الأول فيرفعه و يزعم أن المعطوف على جزاء الشرط شبيه بقوله:

" و الحق بالحجاز فاستريحا"

قال إلا- أن من ينصب فى العطف على جزاء الشرط أمثل من ذلك لأنه ليس يوقع فعلا إلا بأن يكون من غيره فعل فصار بمنزله غير الواجب و زعم سيبويه أن بعضهم قرأ يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء بالنصب و أنشد للأعشى فى نصب ما عطف بالفاء على الجزاء:

و من يغترب عن أهله لم يزل يرى مصارع مظلوم مجرا و مسحبا

و تدفن منه الصالحات و إن يسىء يكن ما أساء النار فى رأس كبكبا

فهذا حجه لمن قرأ «وَيَعْلَمُ».

اللغه

الأعلام الجبال واحدها علم قالت الخنساء:

و إن صخرًا لتأتم الهداه به كأنه علم فى رأسه نار

فيظللن أى يدمن و يقمن يقال ظل يفعل كذا إذا فعله نهارا و الرواكد الثوابت و الإيباق الإهلاك و الإتلاف و وبق الرجل يبق و وبق يوبق إذا هلك و المحيص المعدل و الملبأ.

المعنى

ثم قال سبحانه «و ما أنتم» يا معشر المشركين «بمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ» أى لا- تعجزوننى حيث ما كنتم فلا تسبقوننى هربا فى الأرض و فى هذا استدعاء إلى العباده و ترغيب فيما أمر به و ترهيب عما نهى عنه «و ما لكم من دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ» يدفع عنكم عقابه «و لا نصير» ينصركم عليه «و من آياته» أى و من حججه الداله على اختصاصه بصفات لا يشركه فيها غيره «الجوار» أى السفن الجاريه «فى البُحْرِ كَالْأَغْلَامِ» أى كالجبال الطوال «إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ» أى إن يشأ الله يسكن الريح فتبقى السفن راكده واقفه على ظهر الماء لا- يبرحن من المكان لأن ماء البحر يكون راكدا فلو لم تجىء الريح لوقفت السفينه فى البحر و لم تجر فالله سبحانه جعل الريح سببا لجرها فيه و جعل هبوبها فى الجهه التى تسير إليها السفينه «إِنَّ فِي ذَلِكَ» الذى ذكر «لآياتٍ» أى حججا واضحات «لِكُلِّ صَبَّارٍ» على أمر الله «شَكُورٍ» على نعمته و قيل صبار على ركوبها شكور على جريها و النجاه من البحر «أَوْ يُوبِقَهُنَّ بِمَا كَسَبْنَ» معناه إن يشاء إسكان الريح يسكن الريح أو أن يشأ يجعل الريح عاصفه فيهلك السفن أى أهلها بالغرق فى الماء عقوبه لهم بما كسبوا من المعاصى «و يَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ» من أهلها فلا- يغرقتهم و لا- يعاجلهم بعقوبه معاصيهم «و يَغْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا» أى فى إبطال آياتنا و دفعها «ما لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ» أى ملجأ يلجئون إليه عن السدى.

إشارة

فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَ أُنْفِقُوا لِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٦) وَ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَوَاحِشَ وَ إِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفُرُونَ (٣٧) وَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٨) وَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (٣٩) وَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَ أَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم هنا و فى سوره و النجم كبير الإثم على التوحيد و الباقون «كَبَائِرِ الْإِثْمِ» على الجمع.

الحج

حجبه الجمع قوله إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ وَ مِنْ قَالَ كَبِيرَ فَأَفْرَدَ جَازَ أَنْ يَرِيدَ بِهِ الْجَمْعَ كَقَوْلِهِ وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا* وَ

فى الحديث منعت العراق درهمها و قفيزها.

الإعراب

«وَ إِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفُرُونَ» يجوز أن يكون هم تأكيداً للضمير فى غضبوا و يغفرون جواب إذا و يجوز أن يكون هم ابتداء و يغفرون خبره و كذا «هُمْ يَنْتَصِرُونَ» و إن شئت كان هم وصفا للمنصوب قبله و إن شئت كان مبتدأ و قياس قول سيبويه أن يرتفع هم بفعل مضمر دل عليه «هُمْ يَنْتَصِرُونَ».

المعنى

ثم خاطب سبحانه من تقدم و صنفهم فقال «فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ» أى الذى أعطيتموه من شىء من الأموال «فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» أى فهو متاع الحياه الدنيا تتمتعون به أياما ثم تموتون فيبقى عنكم أو يهلك المال قبل موتكم «وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ» من الثواب و النعيم و ما أعده للجزاء على الطاعة «خَيْرٌ وَ أُنْفِقُوا» من هذه المنافع القليله «لِلَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا بتوحيد الله و بما يجب التصديق به «وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» و التوكل على الله تفويض الأمور إليه باعتقاد أنها جاريه من قبله على أحسن التدبير مع الفرع إليه بالدعاء من كل ما ينوب «وَ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ» يجوز أن يكون موضع الذين جرا عطفاً على قوله «لِلَّذِينَ آمَنُوا» فيكون المعنى و ما عند الله خير و أبقى للمؤمنين المتوكلين على ربهم المجتنبين كَبَائِرِ الْإِثْمِ «وَ الْفَوَاحِشَ» و يجوز أن يكون فى موضع رفع بالابتداء و يكون الخبر محذوفاً فيكون المعنى و الذين يجتنبون الكبائر و الفواحش «وَ إِذَا مَا غَضِبُوا» مما يفعل بهم من الظلم «هُمْ

يَغْفِرُونَ» و يتجاوزون عنه لهم مثل ذلك و الفواحش جمع فاحشه و هى أقبح القبيح و المغفره فى الآيه المراد بها ما يتعلق بالإساءه إلى نفوسهم فمتى عفوا عنها كانوا ممدوحين فأما ما يتعلق بحقوق الله و واجبات حدوده فليس للإمام تركها و لا العفو عنها و لا يجوز له العفو عن المرتد و عمن جرى مجراه ثم زاد سبحانه فى صفاتهم فقال «وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ» أى أجابوه فيما دعاهم إليه من أمور الدين «وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ» أى أداموها فى أوقاتها بشرائطها «وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ» يقال صار هذا الشىء شورى بين القوم إذا تشاوروا فيه و هو فعلى من المشاوره و هى المفاوضه فى

الكلام ليظهر الحق أى لا يتفردون بأمر حتى يشاوروا غيرهم فيه و قيل إن المعنى بالآيه الأنصار كانوا إذا أرادوا أمرا قبل الإسلام و قبل قدوم النبي ص اجتمعوا و تشاوروا ثم عملوا عليه فأثنى الله عليهم بذلك و قيل هو تشاورهم حين سمعوا بظهور النبي ص و ورود النقباء عليه حتى اجتمعوا فى دار أبى أيوب على الإيمان به و النصره له عن الضحاك و فى هذا دلالة على فضل المشاوره فى الأمور و

قد روى عن النبي ص أنه قال ما من رجل يشاور أحدا إلا هدى إلى الرشده

«وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ» فى طاعه الله تعالى و سبيل الخير «وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ» من غيرهم «هُمْ يَنْتَصِرُونَ» ممن بغى عليهم من غير أن يعتدوا عن السدى و قيل ينتصرون أى يتناصرون ينصر بعضهم بعضا نحو يختصمون و يتخاصمون عن أبى مسلم و قيل يعنى به المؤمنين الذين أخرجهم الكفار من مكه و بغوا عليهم ثم مكنهم الله فى الأرض حتى انتصروا ممن ظلمهم عن عطاء و قيل جعل الله المؤمنين صنفين صنف يعفون عن ظلمهم و هم الذين ذكروا قبل هذه الآيه و هو قوله «وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ» و صنف ينتصرون ممن ظلمهم و هم الذين ذكروا فى هذه الآيه فمن انتصر و أخذ بحقه و لم يجاوز فى ذلك ما حد الله فهو مطيع لله و من أطاع الله فهو محمود عن ابن زيد ثم ذكر سبحانه حد الانتصار فقال «وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا» قيل هو جواب القبيح إذا قال أخزأك الله تقول أخزأك الله من غير أن تعتدى عن ابن نجیح و السدى و مجاهد و قيل يعنى القصاص فى الجراحات و الدماء عن مقاتل و سمي الثانية سيئه لأنها فى مقابله الأولى كما قال فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ثم ذكر سبحانه العفو فقال «فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ» أى فمن عفا عما له المؤاخذه به و أصلح أمره فيما بينه و بين ربه فتوابه على الله «إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» ثم بين سبحانه أنه لم يرغب المظلوم فى العفو عن الظالم لميله إلى الظالم أو لوجه إياه و لكن ليعرضه بذلك لجزيل الثواب و لوجه الإحسان و الفضل و قيل إنه لا يحب الظالم فى قصاص و غيره بتعديه عما هو له إلى ما ليس له و قيل إن الآيه الأولى عامه فى وجوب التناصر بين المسلمين و هذه الآيه فى خاصه الرجل يجازى من ظلمه بمثل ما فعله أو يعفو و قد

روى عن النبي ص أنه قال إذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان أجره على الله فليدخل الجنة فيقال من ذا الذى أجره على الله فيقال العافون عن الناس فيدخلون الجنة بغير حساب.

إشارة

وَلَمَنِ اتَّصَرَ بِعِيدٍ ظَلَمَهُ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَ لَمَن صَبَرَ وَ غَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (٤٣) وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَ تَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأُوا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ (٤٤) وَ تَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الدُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَ قَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَ أَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ (٤٥)

الإعراب

«إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» جواب القسم الذى دل عليه قوله «وَ لَمَن صَبَرَ وَ غَفَرَ» كما قال سبحانه «لَئِن أُخْرِجُوا لَّا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ» وقيل بل هى جملة فى موضع خبر المبتدأ الذى هو من صبر و غفر و التقدير إن ذلك منه لمن عزم الأمور و حسن الحذف لطول الكلام و قوله «خَاشِعِينَ» منصوب على الحال من يعرضون و يعرضون فى موضع النصب على الحال من تراهم.

المعنى

ثم ذكر سبحانه المنتصر فقال «وَ لَمَنِ اتَّصَرَ بِعِيدٍ ظَلَمَهُ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ» معناه من انتصر لنفسه و انتصف من ظالمه بعد ظلمه أضاف الظلم إلى المظلوم أى بعد أن ظلم و تعدى عليه فأخذ لنفسه بحقه فالمنتصرون ما عليهم من إثم و عقوبه و ذم و مثله فى إضافه المصدر إلى المفعول قوله مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ «إِنَّمَا السَّبِيلُ» أى الإثم و العقاب «عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ» ابتداء «وَ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» أى موجه «وَ لَمَن صَبَرَ» أى تحمل المشقة فى رضاء الله «وَ غَفَرَ» فلم ينتصر ف «إِنَّ ذَٰلِكَ» الصبر و التجاوز «لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» أى من ثابت الأمور التى أمر الله تعالى بها فلم تنسخ و قيل عزم الأمور هو الأخذ بأعلاها فى باب نيل الثواب و الأجر «وَ مَنْ

يُضِلُّهُ اللَّهُ» أَي و من يضلله الله عن رحمته و جنته «فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ» أَي معين «مِنْ بَعْدِهِ» أَي سواه و قيل من عذبه الله عقوبه له على عناده و جحوده فما له من ولى يلى أمره و يدفع عذاب الله عنه «وَ تَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ» أَي ترى الظالمين يا محمد إذا شاهدوا عذاب النار «يَقُولُونَ هَيْلٌ إِلَيَّ مَرَدًّا» أَي رجوع و رد إلى دار الدنيا «مِنْ سَبِيلٍ» تمنيا منهم لذلك «وَ تَرَاهُمْ» يا محمد «يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا» أَي على النار قبل دخولهم النار «خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ» أَي ساكنين متواضعين فى حال العرض «يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ» أَي خفى النظر لما عليهم من الهوان يسارقون النظر إلى النار خوفا منها و ذله فى نفوسهم عن الحسن و قتاده و قيل خفى دليل عن ابن عباس و مجاهد و قيل من عين لا تفتح كلها و إنما نظروا ببعضها إلى النار «وَ قَالَ الَّذِينَ آمَنُوا» لما رأوا عظيم ما نزل بالظالمين «إِنَّ الْخَاسِرِينَ» فى الحقيقه هم «الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ» بأن فوتوها الانتفاع بنعيم الجنه «وَ أَهْلِيهِمْ» أَي و أولادهم و أزواجهم و أقاربهم لا ينتفعون بهم «يَوْمَ الْقِيَامَةِ» لما حيل بينهم و بينهم و قيل و أهليهم من الحور العين فى الجنه لو آمنوا «أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ» هذا من قول الله تعالى و المقيم الدائم الذى لا زوال له.

إشارة

وَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ (٤٦) اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ (٤٧) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ (٤٨) لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنِثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠)

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن الظالمين الذين ذكرهم فقال «وَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءٍ» لا فيما عبدوه من دونه و لا فيمن أطاعوه فى معصيته أى نصار «يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ» و يدفعون عنهم عقابه «وَ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ» يوصله إلى الجنة ثم قال سبحانه «اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ» أى أجبوا داعى ربكم يعنى محمدا ص فيما دعاكم إليه و رغبكم فيه من المصير إلى طاعته و الانقياد لأمره «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ» أى لا رجوع بعده إلى الدنيا و قيل معناه لا يقدر أحد على رده و دفعه و هو يوم القيامة عن الجبائى و قيل معناه لا يرد و لا يؤخر عن وقته و هو يوم الموت عن أبى مسلم «مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ» أى معقل يعصمكم من العذاب «وَ مَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ» أى إنكار و تغيير للعذاب و قيل من نصير منكر ما يحل بكم ثم قال لنبىه ص «فَإِنْ أَعْرَضُوا» يعنى الكفار أى عدلوا عما دعوتهم إليه «فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا» أى مأمورا بحفظهم لئلا يخرجوا عما دعوتهم إليه كما يحفظ الراعى غنمه لئلا يتفرقوا أى فلا- تحزن لإعراضهم «إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ» أى ليس عليك إلا إيصال المعنى إلى أفهامهم و البيان لما فيه رشدهم «وَ إِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً» و أوصلنا إليه نعمه «فَرِحَ بِهَا» أى بطر لأن الفرح المراد هنا ما قارنه أشر أو جحودا و إنكار لأنه خرج مخرج الدم و قيل أن الرحمه هنا العافيه «وَ إِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ» أى قحط أو فقر أو مرض أو غير ذلك مما يسوءهم «فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ» بعدد المصيبة و يجحد النعم ثم بين سبحانه أن النعم كلها منه فقال «لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» أى له التصرف فيهما و فيما بينهما و سياستها بما تقتضيه الحكمة «يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ» من أنواع الخلق «يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ» من خلقه «إِنِثَاءً» فلا يولد له ذكر «وَ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ» البنين فلا يولد له أنثى «أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنِثَاءً» معناه أو يجمع لهم بين البنين و البنات تقول العرب زوجت إبلى أى جمعت بين صغارها و كبارها قال مجاهد هو أن تلد المرأة غلاما ثم جاريه ثم غلاما ثم جاريه و قيل: هو أن تلد توأما ذكرا و أنثى

أو ذكرا أو أنثى أو أنثى عن ابن زيد وقيل هو أن يجمع في الرحم الذكر والأنثى عن محمد بن الحنفية «وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ» من الرجال والنساء «عَقِيمًا» لا يلد ولا يولد له «إِنَّهُ عَلِيمٌ» بما خلق «قَدِيرٌ» على خلق من يشاء.

[سورة الشورى (٤٢): الآيات ٥١ إلى ٥٣]

إشارة

وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا- وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ (٥١) وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (٥٣)

القراءة

قرأ نافع أو يرسل بالرفع فيوحي بسكون الياء و الباقون «أَوْ يُرْسِلَ» «فَيُوحِي» بالنصب.

الحجة

قال أبو علي من نصب «أَوْ يُرْسِلَ» فلا- يخلو من أن يكون محمولاً- على أن في قوله «أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ» أو على غيره فلا- يجوز أن يكون محمولاً عليه لأنه يصير تقديره ما كان لبشر أن يكلمه الله أو أن يرسل رسولا إليه و لم يخل قوله «أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا» من أن يكون المراد أو يرسله رسولا- أو يكون أو يرسل إليه رسولا و التقديران جميعا فاسدان ألا ترى أن كثيرا من البشر قد أرسل رسولا و كثيرا منهم قد أرسل إليه الرسل فإذا لم يخل من هذين التقديرين و لم يصح واحد منهما علمت أن المعنى ليس عليه و التقدير على غيره فالذى عليه المعنى و التقدير الصحيح ما ذهب إليه الخليل من أن يحمل يرسل على أن يوحى الذى يدل عليه و حيا فصار التقدير ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا- أن يوحى و حيا أو يرسل رسولا- فيوحي و يجوز في قوله «إِلَّا وَحِيًّا» أمران (أحدهما) أن يكون استثناء منقطعا (و الآخر) أن يكون حالا فإن قدرته استثناء منقطعا لم يكن فى الكلام شىء يوصل بمن لأن ما قبل الاستثناء لا يعمل فيما

بعده لأن حرف الاستثناء فى معنى حرف النفى أ لا ترى أنك إذا قلت قام القوم إلا زيدا فالمعنى قام القوم لا زيد فكما لا يعمل ما قبل حرف النفى فيما بعده كذلك لا يعمل ما قبل الاستثناء إذا كان كلاما تاما فيما بعده إذ كان بمعنى النفى و كذلك لا يجوز أن يعمل ما بعد إلا فيما قبلها نحو ما أنا الخبز إلا آكل كما لم يعمل ما بعد حرف ماضى فيما قبله فإذا كان كذلك لم يتصل الجار بما قبل إلا- و يمتنع أن يتصل به الجار من وجه آخر و هو أن قوله «أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ» فى صله وحي الذى هو بمعنى أن يوحى فإذا كان كذلك لم يجوز أن يحمل الجار الذى هو من قوله «أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ» على «أَوْ يُرْسَلُ» لأنك تفصل بين الصلة و الموصول بما ليس منهما أ لا- ترى أن المعطوف على الصلة فى الصلة فإذا حملت على العطف على ما ليس فى الصلة فصلت بين الصلة و الموصول بالأجنبى الذى ليس منهما فإذا لم يجوز حمله على يكلمه من قوله «ما كان لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ» و لم يكن بد من أن يعلق الجار بشىء و لم يكن فى اللفظ شىء تحمله عليه أضمرت يكلم و جعلت الجار فى قوله «أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ» متعلقا بفعل مراد فى الصلة محذوف منها للدلالة عليه و قد يحذف من الصلة أشياء للدلالة عليها و يكون فى المعنى معطوفا على الفعل المقدر صله لأن الموصول و هى يوحى فيكون التقدير ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أن يوحى إليه أو يكلمه من وراء حجاب فحذف يكلم من الصلة لأن ذكره قد جرى و إن كان خارجا من الصلة فحسن ذلك حذفه من الصلة و سوغه أ لا- ترى أن ما قبل حرف الاستفهام مثل ما قبل الصلة فى أنه لا يعمل فى الصلة كما لا يعمل ما قبل الاستفهام فيما كان من حيز الاستفهام و قد جاء آلآنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ و المعنى الآن آمنت و قد عصيت قبل فلما كان ذكر الفعل قد جرى فى الكلام أضمر و لا- يجوز أن يقدر عطف «أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ» على الفعل الخارج من الصلة فيفصل بين الصلة و الموصول بالأجنبى منهما كما فصل فى قوله «إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيِّتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمًا خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ» ثم قال «أَوْ فَسَقًا أَهْلًا لِعَبْرِ اللَّهِ بِهِ» فعطف بأو على ما فى الصلة بعد ما فصل بين الصلة و الموصول بقوله «فَإِنَّهُ رِجْسٌ» لأن قوله فَإِنَّهُ رِجْسٌ من الاعتراض الذى يسد ما فى الصلة و يوضحه فصار بذلك بمنزلة الصفه لما فى الصفه من التبيين و التخصيص و مثل هذا فى الفصل فى الصلة قوله تعالى «وَ الَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَ تَزْهَقُهُمْ ذَلَّةٌ» و فصل بقوله جزاء بمثلها و عطف عليه قوله «وَ تَزْهَقُهُمْ ذَلَّةٌ» على الصلة مع هذا الفصل من حيث قوله «جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا» يسد ما الصلة و أما من رفع فقال أو يرسل رسولا

فجعل يرسل حالا فإن الجار في قوله «أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ» متعلق بمحذوف و يكون في الظرف ذكر من ذى الحال فيكون قوله «إِلَّا وَحِيًّا» على هذا التقدير مصدرا وقع موقع الحال كقولك جئت ركضا و أتيت عدوا و يكون من فى أنه مع ما انجر به فى موضع الحال كقوله «وَمِنَ الصَّالِحِينَ» بعد قوله «وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلًا» و معنى «أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ» فمن قدر الكلام استثناء منقطعا أو حالا يكلمهم غير مجاهر لهم بكلامه يريد أن كلامه يسمع و يحدث من حيث لا يرى كما يرى سائر المتكلمين و ليس أن ثم حجابا يفصل موضعا من موضع فيدل ذلك على تحديد المحجوب و من رفع يرسل كان فى موضع نصب على الحال و المعنى هذا كلامه إياهم كما يقول تحيتك الضرب و عتابك السيف.

المعنى

ثم ذكر سبحانه أجل النعم و هى النبوه فقال «وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ» أى ليس لأحد من البشر أن يكلمه الله «إِلَّا» أن يوحى إليه «وَحِيًّا» و هو داود أوحى فى صدره فزبر الزبور «أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ» أى و يكلمه من وراء حجاب و هو موسى (عليه السلام) «أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا» و هو جبرائيل أرسل إلى محمد ص عن مجاهد و قيل معناه ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا بمثل ما يكلم به عباده من الأمر بطاعته و النهى عن معاصيه و تنبيه إياهم على ذلك من جهه الخاطر أو المنام و ما أشبه ذلك على سبيل الوحي و سماه وحيا لأن الوحي فى اللغة ما جرى مجرى الإيماء و التنبيه على الشىء من غير أن يفصح به «أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ» و هو أن يحجب ذلك الكلام عن جميع خلقه إلا- من يريد أن يكلمه به نحو كلامه لموسى (عليه السلام) لأنه حجب ذلك عن جميع الخلق إلا عن موسى (عليه السلام) و حده و فى المره الثانيه حجه عن جميع الخلق إلا عن موسى و السبعين الذين كانوا معه و قد يقال أنه حجب عنهم موضع الكلام الذى أقام الكلام فيه فلم يكونوا يدرون من أين يسمعونه لأن الكلام عرض لا يقوم إلا فى جسم و لا- يجوز أن يكون أراد بقوله أن الله تعالى كان من وراء حجاب يكلم عباده لأن الحجاب لا- يجوز إلا على الأجسام المحدوده و عنى بقوله «أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِي بِلَاذِنِهِ مَا يَشَاءُ» إرساله ملائكته بكتبه و كلامه إلى أنبيائه ليبلغوا ذلك عنه عباده فهذا أيضا ضرب من الكلام الذى يكلم الله به عباده و يأمرهم فيه و ينهاهم من غير أن يكلمهم على سبيل ما كلم به موسى و هو خلاف الوحي الذى ذكر فى أول الآيه لأنه تنبيه خاطر و ليس فيه إفصاح عن أبى على الجبائى و قال الزجاج معناه أن كلام الله للبشر إما أن يكون بإلهام يلهمهم أو بكلام من وراء حجاب كما كلم موسى أو برسالة ملك إليهم فيوحى ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن الله ما يشاء الله «إِنَّهُ عَلِيمٌ» عن الإدراك بالأبصار «حَكِيمٌ» فى

جميع أفعاله «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ» و أى مثل ما أوحينا إلى الأنبياء قبلك أوحينا إليك «رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا» يعنى الوحي بأمرنا و معناه القرآن لأنه يهتدى به ففيه حياه من موت الكفر عن قتاده و الجبائى و غيرهما و قيل هو روح القدس عن السدى و

قيل هو ملك أعظم من جبرائيل و ميكائيل كان مع رسول الله ص عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام) قالوا و لم يصعد إلى السماء و أنه لفينا

«مَا كُنْتُ تَدْرِي» يا محمد قبل الوحي «مَا الْكِتَابُ وَ لَا الْإِيمَانُ» أى ما القرآن و لا الشرائع و معالم الإيمان و قيل معناه و لا أهل الإيمان أى من الذى يؤمن و من الذى لا يؤمن و هذا من باب حذف المضاف «وَ لَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا» أى جعلنا الروح الذى هو القرآن نورا لأن فيه معالم الدين عن السدى و قيل جعلنا الإيمان نورا لأنه طريق النجاه عن ابن عباس «نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا» أى نرشده إلى الجنة «وَ إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أى ترشد و تدعو إلى طريق مفض إلى الحق و هو الإيمان ثم فسر ذلك الصراط بقوله «صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ» ملكا و خلقا «أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ» أى إليه ترجع الأمور و التدبير يوم القيامة فلا يملكك ذلك غيره.

(٤٣) سورة الزخرف مكيه و آياتها تسع و ثمانون (٨٩)

اشاره

اشاره

مكيه كلها و قيل إلا آيه منها «وَسئَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا» الآيه نزلت ببيت المقدس عن مقاتل.

عدد آياتها

ثمان و ثمانون آيه شامى تسع فى الباقيين.

اختلفها

آيتان «حم» كوفى «هُوَ مَهِينٌ» حجازى بصرى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة «يا عبادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَ لا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ» أدخلوا الجنة بغير حساب

و عن أبى بصير قال قال أبو جعفر (عليه السلام) من أدمن قراءة حم الزخرف آمنه الله فى قبره من هوام الأرض و من ضممه القبر حتى يقف بين يدي الله عز و جل ثم جاءت حتى تكون هى التى تدخله الجنة بأمر الله عز و جل.

تفسيرها

لما ختم الله سورة حمعسق بذكر القرآن و الوحى افتتح هذه السوره بذلك أيضا فقال:

[سورة الزخرف (٤٣): الآيات ١ الى ٥]

اشاره

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

حم (١) وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) وَ إِنَّهُ فِى أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ (٤)

أَفَنضِربُ عَنْكُمُ الذُّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ (٥)

قرأ أهل المدينة و الكوفه غير عاصم إن كنتم بكسر الهمزه و الباقون بفتحها.

الحجه

قال أبو علي من قال «أَنْ كُنْتُمْ» فالمعنى لأن كنتم فأما صفحا فانتصابه من باب صنع الله لأن قوله «أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ» يدل على أن نصفح عنكم صفحا و كان قولهم صفحت عنه أى عرضت عنه و وليته صفحه العنق فالمعنى أ فنضرب عنكم ذكر الانتقام منكم و العقوبه لكم لأن كنتم قوما مسرفين و هذا يقرب من قوله «أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى» و الكسر على أنه جزاء استغنى عن جوابه بما تقدمه مثل أنت ظالم إن فعلت كذا كأنه قال: إن كنتم مسرفين نضرب.

اللغه

يقال ضربت عنه و أضربت عنه أى تركته و أمسكت عنه و يقال صفح عنى بوجهه قال كثير و ذكر امرأه:

صفوحا فما تلقاك إلا بخيله فمن مل منها ذلك الوصل ملت

أى معرضه بوجهها و الصفوح فى صفات الله تعالى معناه العفو عن الذنب كأنه أعرض عن مجازاته تفضلا يقال صفح عن ذنبه إذا عفا و الإسراف مجاوزه الحد فى العصيان.

المعنى

«حم» مر معناه «وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ» أقسم بالقرآن المبين للحلال و الحرام المبين ما يحتاج إليه الأنام من شرائع الإسلام «إِنَّا جَعَلْنَاهُ» أى أنزلناه عن السدى و قيل قلناه عن مجاهد و نظيره وَ يَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبُنَاتِ أى يقولون «قُرْآنًا عَرَبِيًّا» أى بلسان العرب و المعنى جعلناه على طريقه العرب فى مذاهبهم فى الحروف و المفهوم و مع ذلك فإنه لا يتمكن أحد منهم من إنشاء مثله و الابتداء بما يقاربه من علو طبقته فى البلاغه و الفصاحه إما لعدم علمهم بذلك أو لأنهم صرفوا عنه على الخلاف بين العلماء فيه «لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» أى لكى تعقلوا و تتفكروا فيه فتعلموا صدق من ظهر على يده و فى هذه الآيه دلالة على حدوث القرآن لأن المجعول هو المحدث بعينه «وَ إِنَّهُ» يعنى القرآن «فِي أُمَّ الْكِتَابِ» أى فى اللوح المحفوظ و إنما سمي أما لأن سائر الكتب تنسخ منه و قيل لأن أصل كل شىء أمه و القرآن مثبت عند الله فى اللوح المحفوظ كما قال بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ عن الزجاج و هو الكتاب الذى كتب الله فيه ما يكون إلى يوم القيامة لما رأى فى ذلك من صلاح

ملائكته بالنظر فيه و علم فيه من لطف المكلفين بالإخبار عنه «لَمَدَيْنَا» أى الذى عندنا عن ابن عباس «لَعَلِّي» أى عال فى البلاغه مظهر ما بالعباد إليه من الحاجة و قيل: معناه يعلو كل كتاب بما اختص به من كونه معجزا و ناسخا للكتب و بوجوب إدامه العمل به و بما تضمنه من الفوائد و قيل على أن عظيم الشأن رفيع الدرجة تعظمه الملائكه و المؤمنون «حَكِيمٌ» أى مظهر للحكمه البالغه و قيل حكيم دلالة على كل حق و صواب فهو بمنزله الحكيم الذى لا ينطق إلا بالحق وصف الله تعالى القرآن بهاتين الصفتين على سبيل التوسع لأنهما من صفات الحى ثم خاطب سبحانه من لم يعتبر بالقرآن و جحد ما فيه من الحكمه و البيان فقال «أَفَنضْرِبُ عَنْكُمُ الذُّكْرَ صَفْحًا» و المراد بالذكر هنا القرآن أى أفتترك عنكم الوحي صفحا فلا تأمركم و لا ننهاكم و لا نرسل إليكم رسولا- «أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ» أى لأن كنتم و المعنى أفتمسك عن إنزال القرآن و نهملكم فلا نعرفكم ما يجب عليكم من أجل إنكم أسرفتم فى كفركم و هذا استفهام إنكار و معناه إنا لا نفعل ذلك و أصل ضربت عنه الذكر أن الراكب إذا ركب دابه فأراد أن يصرفه عن جهه ضربه بعضى أو سوط ليعدل به إلى جهه أخرى ثم وضع الضرب موضع الصرف و العدل و قيل أن الذكر بمعنى العذاب و معناه أحسبتم أنا لا نعذبكم أبدا عن السدى.

[سوره الزخرف (٤٣): الآيات ٦ الى ١٠]

إشاره

وَ كَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ (٦) وَ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٧) فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَ مَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ (٨) وَ لئن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَ جَعَلَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠)

المعنى

ثم عزى سبحانه نبيه ص بقوله «وَ كَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ» أى فى الأمم الماضيه «وَ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» يعنى أن الأمم الخاليه التى ذكرناها كفرت بالأنبياء و سخرت منهم لفرط جهالتهم و غباوتهم و استهزأت بهم كما استهزأ قومك بك أى فلم تضرب عنهم صفحا لاستهزائهم برسلمهم بل كررنا الحجج و أعدنا الرسل «فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا» أى فأهلكنا من أولئك الأمم بأنواع العذاب من كان أشد قوه

و منعه من قومك فلا يغتر هؤلاء المشركون بالقوه و النجده و «وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ» أى سبق فيما أنزلنا إليك شبه حال الكفار الماضيه بحال هؤلاء فى التكذيب و لما أهلكوا أولئك بتكذيبهم رسلهم فعاقبه هؤلاء أيضا الإهلاك «وَلَيْتَ سَأَلْتَهُمْ» أى إن سألت قومك يا محمد «مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» أى أنشأهما و اخترعهما «لَيَقُولَنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ» أى لم يكن جوابهم فى ذلك إلا أن يقولوا خلقهن يعنى السماوات و الأرض العزيز القادر الذى لا يقهر، العليم بمصالح الخلق و هو الله تعالى لأنهم لا يمكنهم أن يحيلوا فى ذلك على الأصنام و الأوثان و هذا إخبار عن غايه جهلهم إذ اعترفوا بأن الله خلق السماوات و الأرض ثم عبدوا معه غيره و أنكروا قدرته على البعث ثم وصف سبحانه نفسه فقال «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا» و قرئ مهادا و قد مضى ذكره فى طه «وَجَعَلَ لَكُم فِيهَا شُجُبًا» تسلكونها «لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» لكى تهتدوا إلى مقاصدكم فى أسفاركم و قيل معناه تهتدوا إلى الحق فى الدين بالاعتبار الذى حصل لكم بالنظر فيها.

[سوره الزخرف (٤٣): الآيات ١١ الى ١٥]

إشاره

وَ الَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١١) وَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَ جَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَ الْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢) لَيْسَتُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَ تَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَ مَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (١٤) وَ جَعَلُوا لَهُ مِن عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ (١٥)

اللغه

يقال أنشر الله الخلق فنشروا أى أحياهم فحيوا قال الأعشى:

لو أسندت ميتا إلى نحرها عاش و لم ينقل إلى قابر

حتى يقول الناس مما رأوا يا عجبا للميت الناشر

المعنى

ثم أكد سبحانه ما قدمه بقوله «وَ الَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» أى غيثاً ومطراً «بِقَدَرٍ» أى بقدر الحاجة لا زائدا عليها فيفسد ولا ناقصا عنها فيضر ولا ينفع و فى ذلك دلالة على أنه واقع من قادر مختار قد قدره على ما تقتضيه الحكمة لعلمه بذلك «فَأَنْشَرْنَا» أى فأحيينا «بِهِ» أى بذلك المطر «بَلَدَةً مَّيْتًا» أى جافه يابس بإخراج النبات و الأشجار و الزروع و الثمار «كَذَلِكَ» أى مثل ما أخرج النبات من الأرض اليابسه «تُخْرِجُونَ» من قبوركم يوم البعث «وَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا» يعنى أزواج الحيوان من ذكر و أنثى و قيل معناه خلق الأشكال جميعها من الحيوان و الجماد فمن الحيوان الذكر و الأنثى و من غير الحيوان مما هو كالمقابل كالحلو و المر و الرطب و اليابس و غير ذلك و قيل الأزواج الشتاء و الصيف و الليل و النهار و الشمس و القمر و السماء و الأرض و الجنة و النار عن الحسن «وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ» أى السفن «وَ الْأَنْعَامِ» من الإبل و البقر عن سعيد بن جبير و قيل الإبل «مَا تَزَكَّبُونَ» فى البحر و البر «لَتَسَيِّئُوا عَلَى ظُهُورِهِ» بين سبحانه أن الغرض فى خلق ما ذكر لتستنوا على ظهور ما جعل لكم فالضمير فى ظهوره يعود إلى لفظ ما «ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ» فتشكروا على تلك النعمة التى هى تسخير ذلك المركب «وَ تَقُولُوا» معترفين بنعمه منزهين له عن شبه المخلوقين «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا» المركب أى ذلله لنا حتى ركبناه «وَ مَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ» أى مطيقين مقاومين فى القوه «وَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ» أى و لتقولوا أيضا ذلك و معناه و إنا إلى الله راجعون فى آخر عمرنا على مركب آخر و هو الجنازه قال قتاده قد علمكم كيف تقولون إذا ركبتم و

روى عن ابن عمر أن رسول الله ص كان إذا استوى على بعيره خارجا فى سفر كبر ثلاثا و قال «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَ مَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ» اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البر و التقوى و العمل بما ترضى اللهم هون علينا سفرنا و اطو عنا بعده اللهم أنت الصاحب فى السفر و الخليفة فى الأهل و المال اللهم إنى أعوذ بك من وعشاء السفر و كآبه المنقلب و سوء المنظر فى الأهل و المال و إذا رجع قال آتبون تائبون لرَبنا حامدون أوردته مسلم فى الصحيح

و روى العياشى بإسناده عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال ذكر النعمة أن تقول الحمد لله الذى هدانا للإسلام و علمنا القرآن و من علينا بمحمد ص و تقول بعده «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا» إلى آخره

ثم رجع سبحانه إلى ذكر الكفار الذين تقدم ذكرهم فقال «وَ جَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا»

أى نصيباً يعنى حكموا بأن بعض عباده و هم الملائكة له أولاد و معنى الجعل هنا الحكم و هذا معنى قول ابن عباس و مجاهد و الحسن قالوا زعموا أن الملائكة بنات الله قال الزجاج قد أنشد بعض أهل اللغة بيتا يدل على أن معنى جزء معنى الإناث و هو:

إن أجزأت حره يوماً فلا عجب قد تجزئ الحره المذكار أحياناً

أى أنثى و قيل أن معناه و جعلوا لله من مال عباده نصيباً فيكون كقوله و جَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَ الْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَحَدَفَ الْمِضَافُ «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِكَفُورٍ مُّبِينٍ» أى جاحد لنعم الله مظهر لكفره غير مستتر به.

[سوره الزخرف (٤٣): الآيات ١٦ الى ٢٠]

إشارة

أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَ أَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ (١٦) وَ إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٍ (١٧) أَوْ مَنْ يَشَاءُ فِي الْحَلِيِّهِ وَ هُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (١٨) وَ جَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَ شَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَ يُسْتَلُونَ (١٩) وَ قَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (٢٠)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير أبى بكر «يُنشأ» بضم الياء و فتح النون و تشديد الشين و الباقون ينشأ بفتح الياء و سكون النون و التخفيف وقرأ أهل الكوفة و أبو عمرو «عباد الرحمن» و الباقون عند الرحمن وقرأ أهل المدينة أ شهدوا على أفعالوا بضم الهمزة و سكون الشين و قبلها همزة الاستفهام مفتوحة ثم تخفف الثانية من غير أن يدخل بينهما ألف و بعضهم يدخل

بينهما ألفا وقرأ الباقون «أشهدوا» بفتح الألف و الشين.

الحج

قال أبو علي يقال نشأت السحابه و نشأ الغلام فإذا نقل هذا الفعل بالهمزه كقوله يُنشئ السحاب الثقال ثم أنشأناه خلقاً آخر تعدى إلى مفعول و من قرأ «يُنشئوا» كان مثل فرح و أفرح و غرم و أغرم و موضع من نصب على تقدير اتخذوا له من ينشأ في الحليه على وجه التقريع لهم بما افتروه كما قال تعالى أم له البنات و لكم البنون و حجه من قرأ «عباد الرحمن» قوله «بل عباد مكرمون» و حجه من قرأ عند الرحمن قوله «و من عنده لا يشي تكبرون عين عبادته و لا يستخسرون» و قوله «إن الذين عند ربك لا يشي تكبرون» و في هذا دلالة على رفع المنزلة و التقريب كما قال «و لما الملائكة الممربون» و ليس من قرب المسافه و شهدت تستعمل على ضربين (أحدهما) بمعنى الحضور (و الآخر) بمعنى العلم و الذي بمعنى الحضور يتعدى إلى مفعول به يدللك على ذلك قوله:

" و يوم شهدناه سليما و عامرا "

تقديره شهدنا فيه سليما و من ذلك قوله:

شهدنا فما تلقى لنا من كتيبه يد الدهر إلا جبرئيل أمامها

فهذا محذوف المفعول و التقدير فيه شهدنا المعركة فهذا الضرب إذا نقل بالهمزه تعدى إلى مفعولين تقول شهد زيد المعركة و أشهدته إياها و من ذلك قوله «ما أشهدتهم خلق السماوات و الأرض» و أما شهدت الذي بمعنى علمت فيستعمل على ضربين (أحدهما) أن يكون قسما (و الآخر) أن يكون غير قسم فاستعمالهم إياه قسما كاستعمالهم علم الله و يعلم الله قسمين تقول علم الله لأفعلن فيتلقاه ما يتلقى الأقسام و أنشد سيبويه:

و لقد علمت لتأتين منيتي إن المنايا لا تطيش سهامها

و حكى أن زفر كان يذهب إلى أنه إذا قال أشهد بالله كان يمينا و إن قال أشهد و لم يقل بالله لم يره يمينا و قال محمد الشيباني أشهد غير موصوله بقوله بالله مثل أشهد موصوله بقولك بالله في أنه يمينا و استشهد على ذلك بقوله «قالوا نشهد إنك لرسول الله» ثم قال «و الله يشهد إن المنافقين لكاذبون اتخذوا أيمانهم جنة» فجعله يمينا و لم يوصل بقوله بالله و أما شهدت الذي يراد به علمت و لا يراد به حضرت فهو ضرب من العلم مخصوص فكل شهادة علم و ليس كل علم شهاده و مما يدل على اختصاصه في العلم أنه لو قال عند الحاكم أعلم أن لزيد على عمرو عشره لم يحكم بها حتى يقول أشهد فالشهاده مثل التيقن في أنه ضرب

من العلم مخصوص و ليس كل علم تيقنا و إن كان كل تيقن علما فكان معنى أشهد أيها الحاكم على كذا أعلمه علما يحضرنى و قد تذل لي فلا- أتوقف فيه لوضوحه عندى و تبينه لي و ليس كذلك سبيل المعلومات كلها ألا ترى أن منها ما يحتاج إلى توقف فيه و استدلال عليه و أما قوله «أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ» فمن الشهادة التى هى الحضور كأنهم وبخوا على أن قالوا ما لم يحضروه مما حكمه أن يعلم بالمشاهدة و من قال أشهدوا خلقهم فالمعنى أحضروا ذلك و كان الفعل متعديا إلى مفعولين فلما بنى للمفعول به نقص مفعولا- فتعدى الفعل إلى مفعول واحد و يقوى هذه القراءة ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ و أما قوله إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَ أَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ فَحذف المفعول الأول على حد ضربنى و ضربت و هذا منقول من شهد بكذا إلا أن حرف الجر يحذف مع أن و أن.

المعنى

ثم أنكر سبحانه عليهم قولهم فقال «أم» و هذا استفهام إنكار و توبيخ و معناه بل «اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ» أى اتخذ ربكم لنفسه البنات «وَ أَضْيَفَاكُمْ» أى أخلصكم «بِالْبَنِينَ» و هذا كقوله أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ الآيه ثم زاد فى الاحتجاج عليهم بأن قال «وَ إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا» أى بما جعل الله شبيها و ذلك أن ولد كل شىء شبيهه و جنسه فالمعنى و إذا بشر أحدهم بولاده ابنه له «ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا» بما يلحقه من الغم بذلك «وَ هُوَ كَظِيمٌ» أى مملوء كربا و غيظا ثم وبخهم بما افتروه فقال «أَوَ مَرَيْنَ يَنْشُرُونَ فِي الْحِلْيَةِ» أى أ و جعلوا من ينشؤا فى الحليه أى فى زينه النساء لله عز و جل يعنى البنات «وَ هِيَ فِي الْخِصَامِ» يعنى المخاصمه «غَيْرُ مُبِينٍ» للحجه قال قتاده قل ما تتكلم امرأه بحجتها إلا تكلمت بالحجه عليها أى لا يمكنها أن تبين الحجه عند الخصومه لضعفها و سفهها و قيل معناه أ و تعبدون من ينشأ فى الحليه و لا- يمكنه أن ينطق بحجته و يعجز عن الجواب و هم الأصنام فإنهم كانوا يحلون بها بالحلى عن ابن زيد و إنما قال «وَ هِيَ فِي الْخِصَامِ» و لم يقل و هى لأنه حمله على لفظ من «وَ جَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا» بأن زعموا أنهم بنات الله «أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ» هذا رد عليهم أى أحضروا خلقهم حتى علموا أنهم إناث و هذا كقوله أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَ هُمْ شَاهِدُونَ «سَيَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ» بذلك «وَ يُسْتَلُونَ» عنها يوم القيامة «وَ قَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ» أى لو شاء الرحمن أن لا نعبدهم ما عبدناهم فإنما عبدناهم بمشيئته الله «مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ» أى لا يعلمون

صححه ما يقولون هذا إشارة إلى بطلان قولهم لما لم يصدر عن دليل و علم «إِنَّ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ» أى ما هم إلا كاذبون قال أبو حامد كذبهم الله تعالى لأنهم أنكروا التوحيد بإضافتهم الولد إليه سبحانه و فارقوا العدل بإضافتهم الكفر إلى مشيئه الله تعالى.

[سوره الزخرف (٤٣): الآيات ٢١ الى ٢٥]

إشارة

أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ (٢١) بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّهٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (٢٢) وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّهٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (٢٣) قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُمْ بِآهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٢٤) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِ الْمُكَذِّبِينَ (٢٥)

القرءاء

قرأ ابن عامر و حفص قالَ أَوْ لَوْ و قرأ الباقون «قل أ و لو» و قرأ أبو جعفر جئناكم و الباقون «جئتكم».

الحججه

قال أبو على من قرأ قال فالمعنى قال لهم النذير أ و لو جئتكم و من قرأ «قل» فإنه يكون حكاية ما أوحى إلى النذير كأنه أوحينا إليه فقلنا له قل لهم أ و لو جئتكم بأهدى من ذلك.

المعنى

لما حكى الله سبحانه تخرص من أضاف عباده الأصنام و الملائكة إلى مشيئه الله قال «أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا» و هو استفهام بمعنى التقرير لهم على خطاهم و التقدير أ هذا الذى ذكره شىء تخرصوه و افتعلوه أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا «مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ» أى مستمسكون بذلك فإذا لم يمكنهم ادعاء أن الله تعالى أنزل بذلك كتابا علم أن ذلك من تخرصهم و دل أم على حذف حرف الاستفهام لأنه المعادله له ثم أعلم أنهم اتبعوا آباءهم فى

الضلاله فقال ليس الأمر كذلك «يَلْ قَالُوا إِنَّا وَحَدِّدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّه» أى على مله و طريقه عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و السدى و قيل على جماعه أى كانوا مجتمعين موافقين على ما نحن عليه عن الجبائى «وَ إِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ» نهتدى بهداهم ثم قال سبحانه «وَ كَذَلِكَ» أى و مثل ما قال هؤلاء فى الحواله على تقليد آباءهم فى الكفر «مَا أُرْسَيْنَا مِنْ قَبْلِكَ» يا محمد «فِي قَرْيَةٍ» و مجمع من الناس «مِنْ نَذِيرٍ» أى نذيرا لأن من زائده «إِلَّا قَالَ مُتَرْفُوهَا» و هم المتنعمون الذين آثروا الترفه على طلب الحجج يريد الرؤساء «إِنَّا وَحَدِّدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّه وَ إِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ» نفتدى بهم فلا نخالفهم و أحال جميعهم على التقليد للآباء فحسب دون الحجج و التقليد قبيح فى العقول إذ لو كان جائزا لكان يلزم فى ذلك أن يكون الحق فى الشىء و نقيضه فكل فريق يقلد أسلافه مع أن كلا منهم يعتقد أن من سواه على خطأ و ضلال و هذا باطل لا شبهه فى بطلانه فإذا لا بد من الرجوع إلى حججه عقليه أو سميحه ثم قال سبحانه للنذير «قل» لهم «أَوْ لَوْ جِئْتُمْكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَحَدِّدْتُمْ عَلَیْهِ آبَاءَكُمْ» تتبعون ما وجدتم عليه آباءكم و لا تقبلون ما جئتمكم به و فى هذا أحسن التلطف فى الاستدعاء إلى الحق و هو أنه لو كان ما يدعونه حقا و هدى و كان ما جئتمكم به من الحق أهدى منه كان أوجب أن يتبع و يرجع إليه ثم أخبر أنهم أبوا أن يقبلوا ذلك و «قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ» أيها الرسل «كَافِرُونَ» ثم ذكر سبحانه ما فعل بهم فقال «فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ» بأن أهلكناهم و عجلنا عقوبتهم «فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ» أنبياء الله و الجاحدين لهم و فى هذا إشاره إلى أن العاقبه المحموده تكون لأهل الحق و المصدقين لرسول الله.

[سوره الزخرف (٤٣): الآيات ٢٦ الى ٣٠]

إشاره

وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَ جَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨) بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَ آبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَ رَسُولٌ مُّبِينٌ (٢٩) وَ لَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ (٣٠)

اللغه

تقول العرب إنا براء منك و نحن براء منك الذكر و الأنثى و الاثنان و الجماعه

فيه سواء والمعنى أنا ذو براء منك كما قالوا رجل عدل وقوم عدل أى ذو عدل و ذوو عدل.

المعنى

«وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ» حين رآهم يعبدون الأصنام والكواكب «إِنِّي بَرَاءٌ» أى برىء «مِمَّا تَعْبُدُونَ» ثم استثنى خالقه من جملة ما كانوا يعبدون فقال «إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي» أى سوى الله الذى خلقنى و ابتدأنى و تقديره إلا من الذى فطرنى قال قتاده: كانوا يقولون الله ربنا مع عبادتهم الأوثان «فَأَنَّهُ سَيَهْدِينِ» إلى طريق الجنة بلطف من الطافه و قيل سيهدينى إلى الحق بما نصب لى من الأدله و فيه بيان ثقته بالله تعالى و دعاء لقومه إلى أن يطلبوا الهدايه من عنده «وَ جَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ» أى جعل كلمه التوحيد و هى قول لا إله إلا الله كلمه باقيه فى ذريه إبراهيم و نسله فلم يزل فيهم من يقولها عن قتاده و مجاهد و السدى و قيل جعل هذه الكلمه التى قالها إبراهيم و هو براءه من الشرك باقيه فى ولده من بعده و

قيل الكلمه الباقية فى عقبه هى الإمامه إلى يوم الدين عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و اختلف فى عقبه من هم فقيل ذريته و ولده عن ابن عباس و مجاهد و قيل ولده إلى يوم القيامة عن الحسن و قيل هم آل محمد عن السدى «لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» أى لعلهم يتوبون و يرجعون عما هم عليه إلى الاقتداء بأبيهم إبراهيم فى توحيد الله تعالى كما اقتدى الكفار بأبائهم عن الفراء و الحسن و قيل لعلهم يرجعون عما هم عليه إلى عباده الله تعالى ثم ذكر سبحانه نعمه على قريش فقال «يَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَ آبَاءَهُمْ» المشركين بأنفسهم و أموالهم و أنواع النعم و لم أعاجلهم بالعقوبه لكفرهم «حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ» أى القرآن عن السدى و قيل الآيات الداله على الصدق «وَ رَسُولٌ مُّبِينٌ» بين الحق و يظهره و هو محمد ص «وَ لَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ» أى القرآن «قَالُوا هَذَا سِحْرٌ» أى حيله خفيه و تمويه «وَ إِنَّا بِهِ كَافِرُونَ» جاحدون لكونه من قبل الله تعالى.

النظم

وجه اتصال قصه إبراهيم (عليه السلام) بما قبلها أنه سبحانه لما ذم التقليد و أوجب اتباع الحق و الدليل أتبعه بذكر إبراهيم الخليل حيث أتبع الحججه و أوضح المحججه و قيل أنه سبحانه لما ذم التقليد و ذكر أن الكفار أبوا إلا ذلك ذكر أن تقليد إبراهيم أولى لأنهم من أولاده و ذريته و يدعون إنهم على طريقته و إنما اتصل قوله «يَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَ آبَاءَهُمْ» بما تقدمه من ذكر إعراضهم عن الحججه و تعويلهم على التقليد فبين سبحانه أنهم أتوا من قبل نفوسهم فقد أزيحت علتهم بأن أمهلوا و متعوا ثم جاءهم الحق فلم يؤمنوا.

إشارة

وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْيْتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) أَمْ هُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سِيْرِيًّا وَرَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢) وَ لَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِيَهُمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَ لِيُوتِيَهُمْ أَبْوَابًا وَ سُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكُونَ (٣٤) وَ زُخْرَفًا وَ إِنَّ كُلَّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (٣٥)

القراءة

قرأ ابن كثير و أبو عمرو و أبو جعفر سقفا بفتح السين و الباقون «سُقْفًا» بضم السين و القاف و قرأ عاصم و حمزه «وَ إِنَّ كُلَّ ذَلِكَ لَمَّا» بتشديد الميم و الباقون لما خفيفه الميم.

الحجج

قال أبو علي سقف جمع سقف مثل رهن و رهن و يخفف فيقال رهن و فعل في الجمع يخفف و سقف واحد يدل على الجمع أ لا ترى أنه علم بقوله «لِيُوتِيَهُمْ» إن لكل بيت سقفا و من شدد «لَمَّا» كانت أن عنده بمنزله ما النافية فالمعنى ما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا و لما في معنى إلا حكى سيبويه نشدتك الله لما فعلت و حمله على إلا و هذه الآية تدل على فساد قول من قال إن قوله «وَ إِنَّ كُلَّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُخَضَّرُونَ» إن المعنى لمن هو جميع لدينا حاضرون و زعموا أن في حرف أبي و ما ذلك إلا متاع الحياة الدنيا و من قرأ لما بالتخفيف فإن إن في قوله «وَ إِنَّ كُلَّ» هي المخففة من الثقيلة و اللام فيها هي التي تدخل لتفصل بين النفي و الإيجاب في قوله:

" هبلك أمك أن قتلت لفارسا "

و من نصب بها مخففة فقال إن زيدا لمنطلق استغنى عن هذه اللام لأن النافية لا ينتصب بعدها اسم فلا يقع اللبس و ما فيه زياده و المعنى و إن كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا.

المعارج الدرج واحدها معرج و العروج الصعود و ظهر عليه إذا علاه و صعده قال النابغه الجعدى:

بلغنا السماء مجدنا و جدودنا و إنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

و السرر جمع سرير و يجمع على أسره أيضا و الزخرف كمال حسن الشىء و منه قيل للذهب زخرفه و يقال زخرفه زخرفه إذا حسنه و زينه و منه قيل للنقوش و التصاوير زخرف و

فى الحديث أنه ص لم يدخل الكعبه حتى أمر بالزخرف فنحى

. المعنى

«وَقَالُوا» أى و قال هؤلاء الكفار «لَوْ لَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ» يعنون بالقريتين مكه و الطائف و تقدير الآيه على رجل عظيم من القريتين أى من إحدى القريتين فحذف المضاف و يعنون بالرجل العظيم من إحدى القريتين الوليد بن المغيرة من مكه و أباً مسعود عروه بن مسعود الثقفى من الطائف عن قتاده و قيل عتبه بن أبى ربيعه من مكه و ابن عبد ياليل من الطائف عن مجاهد و قيل الوليد بن المغيرة من مكه و حبيب بن عمر الثقفى من الطائف عن ابن عباس و إنما قالوا ذلك لأن الرجلين كانا عظيمى قومهما و ذوى الأموال الجسميه فيهما فدخلت الشبهه عليهم حتى اعتقدوا أن من كان كذلك كان أولى بالنبوه فقال سبحانه ردا عليهم «أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ» يعنى النبوه بين الخلق بين سبحانه أنه هو الذى يقسم النبوه لا غيره و المعنى أ بأيديهم مفاتيح الرساله فيضعونها حيث شاءوا عن مقاتل ثم قال سبحانه «نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» أى نحن قسمنا الرزق فى المعيشه على حسب ما علمناه من مصالح عبادنا فليس لأحد أن يتحكم فى شىء من ذلك فكما فضلنا بعضهم على بعض فى الرزق فكذلك اصطفينا للرساله من نشاء و قوله «وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ» معناه أفقرنا البعض و أغنينا البعض فتلقى ضعيف الحيله عيب اللسان و هو مبسوط له و تلقى شديد الحيله بسيط اللسان و هو مقتر عليه و لم نفوض ذلك إليهم مع قله خطره بل جعلناه على ما توجه الحكمه و المصلحه فكيف نفوض اختيار النبوه إليهم مع عظم محلها و شرف قدرها و قوله «لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سِيْرِيًّا» معناه أن الوجه فى اختلاف الرزق بين العباد فى الضيق و السعه زياده على ما فيه من المصلحه أن فى ذلك تسخيرا من بعض العباد لبعض يا حواجهم إليهم

يستخدم بعضهم بعضاً فينتفع أحدهم بعمل الآخر له فينتظم بذلك قوام أمر العالم وقيل معناه ليملك بعضهم بعضاً بما لهم فيتخذونهم عبيداً وماليك عن قتاده والضحاك «وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ» أى ورحمه الله سبحانه ونعمته من الثواب والجنة خير مما يجمعه هؤلاء من حطام الدنيا وقيل معناه والنبوه لك من ربك خير مما يجمعونه من الأموال عن ابن عباس ثم أخبر سبحانه عن هوان الدنيا عليه وقله مقدارها عنده فقال «وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً» أى لو لا أن يجتمع الناس على الكفر فيكونوا كلهم كفاراً على دين واحد لميلهم إلى الدنيا وحرصهم عليها عن ابن عباس والحسن وقاتاده والسدى وقيل معناه ولو لا أن يجتمع الناس على اختيار الدنيا على الدين عن ابن زيد «لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْتِيَهُمْ سِقْفًا مِنْ فَضِّهِ» قوله «لِيُؤْتِيَهُمْ» بدل من قوله «لِمَنْ يَكْفُرُ» والمعنى لجعلنا لبيوت من يكفر بالرحمن سقفاً من فضه فالسقف إذا كان من فضه فالحيطان من فضه وقيل إن اللام الثانيه بمعنى على فكأنه قال لجعلنا لمن يكفر بالرحمن على بيوتهم سقفاً من فضه وقال مجاهد ما يكون من السماء فهو سقف بالفتح وما يكون من البيت فهو سقف بضمين ومنه قوله «وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا» «وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ» أى وجعلنا درجاً وسلايم من فضه لتلك السقف عليها يعلون و يصعدون «وَلِيُؤْتِيَهُمْ أَبْوَابًا وَسُرُورًا» أى وجعلنا لبيوتهم أبواباً وسرراً من فضه «عَلَيْهَا» أى على تلك السرر «يَتَكَيُّونَ وَزُخْرُفًا» أى ذهباً عن ابن عباس والضحاك وقاتاده وهو منصوب بفعل مضمر أى وجعلنا لهم مع ذلك ذهباً وقيل الزخرف النقوش عن الحسن وقيل هو الفرش ومتاع البيت عن ابن زيد والمعنى لأعطى الكافر فى الدنيا غايه ما يتمناه فيها لقلتها وحقارتها عنده ولكنه سبحانه لم يفعل ذلك لما فيه من المفسده ثم أخبر سبحانه أن جميع ذلك إنما يتمتع به فى الدنيا فقال «وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» وقد مر بيانه «وَالْآخِرَةُ» أى الجنة الباقيه «عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ» خاصه لهم قال الحسن والله لقد مالت الدنيا بأكثر أهلها وما فعل سبحانه ذلك فكيف لو فعله و فى هذه الآيه دلالة على اللطف وأنه تعالى لا يفعل المفسده وما يدعو إلى الكفر وإذا لم يفعل ما يؤدي إلى الكفر فلان لا يفعل الكفر ولا يريده أولى.

إشارة

وَمِمَّنْ يَعْتَسِبُ أَنَّ ذِكْرَ الرَّحْمَنِ نُقِيضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (٣٧) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ (٣٨) وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٩) أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْىَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٤٠)

القراءة

قرأ عاصم في روايه حماد و يعقوب يقيض بالياء و الباقون «نُقِيضُ» بالنون و قرأ أهل العراق غير أبي بكر «حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا» على الواحد و الباقون جاءنا على الاثنين.

الحجج

من قرأ يقيض بالياء فالضمير يعود إلى الرحمن و من قرأ بالنون فالمعنى على ذلك لكنه سبحانه أخبر عن نفسه بنون العظمه و من قرأ جاءنا على التثنيه فهو الكافر و قرينه و من قرأ جاءنا فهو الكافر لأنه أفرد بالخطاب فى الدنيا و أقيمت عليه الحجج بانفاذ الرسول إليه فاجتزئ بالواحد عن الاثنين كما قال لَيْتَبَدَنَّ فِي الْحُطَمَةِ و المراد لينبذن هو و ماله.

اللغة

العشو أصله النظر ببصر ضعيف يقال عشا يعشو عشوا و عشوا إذا ضعف بصره و أظلمت عينه كان عليها غشاوه و قال الأعشى:

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد

و إذا ذهب البصر قيل عشى يعشى عشا و الرجل أعشى و قرأ فى الشواذ و من يعش بفتح الشين و معناه يعم و يقال عشا إلى النار إذا أتاها و قصد لها و عشا عنها إذا عرض عنها قاصدا لغيرها كقولهم مال إليه و مال عنه و التقييض الإتاحه. الأزهرى قيص الله فلانا لفلان جاء به.

المعنى

لما تقدم ذكر الوعد للمتقين عقبه بذكر الوعيد لمن هو على ضد صفتهم فقال «وَمِمَّنْ يَعْتَسِبُ أَنَّ ذِكْرَ الرَّحْمَنِ» أى يعرض عنه عن قتاده و السدى و قيل معناه و من يعم عنه عن ابن عباس و ابن زيد قال الجبائى شبههم بالأعمى لما لم يبصروا الحق و الذكر هو القرآن و قيل هو الآيات و الأدله «نُقِيضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ» أى نخل بينه و بين الشيطان الذى يغويه و يدعوه إلى الضلاله فيصير قرينه عوضا عن ذكر الله عن الحسن و أبى مسلم قال الحسن و هو الخذلان عقوبه له عن الإعراض حين علم أنه لا يفلح و قيل معناه نقرن به شيطانا

فى الآخرة يلزمه فيذهب به إلى النار كما أن المؤمن يقرب به ملك فلا يفارقه حتى يصير به إلى الجنة عن قتاده و قيل أراد به شياطين الإنس نحو علماء سوء و رؤساء الضلالة يصدونهم عن سبيل الله فيتبعونهم «وَإِنَّهُمْ» يعنى و إن الشياطين و إنما جمع لأن قوله «وَ مَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا» فى مذهب جمع و إن كان اللفظ على الواحد «لَيُصْذَبُوا» أى يصرفون هؤلاء الكفار «عَنِ السَّبِيلِ» أى عن طريق الجنة «وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ» أى و يحسب الكفار أنهم على الهدى فيتبعونهم «حَتَّى إِذَا جَاءَنَا» من قرأ على التثنية فالمعنى جاءنا الشيطان و من أغواه يوم القيامة الذى يتولى سبحانه حساب الخلق فيه و من قرأ على التوحيد فالمعنى حتى إذا جاءنا الكافر و علم ما يستحقه من العقاب «قَالَ» فى ذلك الوقت لقرينه الذى أغواه «يَا لَيْتَ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ» يعنى المشرق و المغرب فغلب أحدهما كما قال الشاعر:

أخذنا بآفاق السماء عليكم لنا قمرها و النجوم الطوالع

يعنى الشمس و القمر و قيل يعنى محمدا ص و إبراهيم (عليه السلام) و قيل أراد بالمشرقين مشرق الشتاء و مشرق الصيف كما فى قوله «رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ» و المراد يا ليت بينى و بينك هذا البعد مسافه فلم أرك و لا اغتررت بك «فَبَسَّ الْقَرِينُ» كنت لى فى الدنيا حيث أضللتنى و أوردتنى النار و بسَّ القرين أنت لى اليوم فإنهما يكونان مشدودين فى سلسله واحده زياده عقوبه و غم عن ابن عباس و يقول الله سبحانه فى ذلك اليوم للكفار «وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمُ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ» أى لا يخفف الاشتراك عنكم شيئا من العذاب لأن لكل واحد من الكفار و الشياطين الحظ الأوفر من العذاب و قيل معناه أنه لا تسلى لهم عما هم فيه بما يرونه بغيرهم من العذاب لأنه قد يتسلى الإنسان عن المحنة إذا رأى إن عدوه فى مثلها ثم قال لنبه ص «أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الضُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمَى» شبه الكفار فى عدم انتفاعهم بما يسمعونه و يرونه بالصم و العمى «وَ مَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» أى بين ظاهر مضاف معناه لا يضيقت صدرك فإنك لا تقدر على إكراههم على الإيمان.

إشارة

فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ (٤١) أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ (٤٢) فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ لَدِكُّرٌ لَّكَ وَ لِقَوْمِكَ وَ سَوْفَ نُسَيِّئُونَ (٤٤) وَ سَيِّئُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَ جَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبُدُونَ (٤٥)

الإعراب

لما دخل ما على حرف الشرط أشبه القسم في التأكيد و الإيذان بطلب التصديق فدخلت النون في الكلام لذلك لأن النون يلزم في جواب القسم و لا يلزم في الجزاء لأنه به مشبه.

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال «فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ» أى فإما نتوفينك فإنا منهم منتقمون من أمتك بعدك «أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ» معناه أو نبينك و نرينك في حياتك ما وعدناهم من العذاب «فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ» أى قادرون على الانتقام منهم و عقوبتهم في حياتك و بعد وفاتك قال الحسن و قتاده أن الله أكرم نبيه ص بأن لم يره تلك النقمه و لم ير فى أمته إلا ما قربت به عينه و قد كان بعده نقمه شديده

و قد روى أنه ص أرى ما تلقى أمته بعده فما زال منقبضا و لم ينبسط ضاحكا حتى لقي الله تعالى

و روى جابر بن عبد الله الأنصارى قال إني لأدناهم من رسول الله ص فى حجه الوداع بمنى حتى قال لا ألفينكم ترجعون بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض و أيم الله لئن فعلتموها لتعرفننى فى الكتيبه التى تضار بكم ثم التفت إلى خلفه فقال أو على أو على ثلاث مرات فرأينا أن جبرائيل غمزه فأنزل الله على أثر ذلك «فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ» بعلى بن أبى طالب (عليه السلام)

و قيل إن النبى ص أرى الانتقام منهم و هو ما كان من نقمه الله من المشركين يوم بدر بعد أن أخرجوه من مكه فقد أسر منهم و قتل من قله أصحابه و ضعف منتهم و كثره الكفار و شده شوكتهم ثم أمره سبحانه بالتمسك بالقرآن فقال «فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ» من القرآن بأن تتلوه حق تلاوته و تتبع أوامره و تنتهى عما نهى فيه عنه «إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أى على دين حق و صواب و هو دين الإسلام «وَ إِنَّهُ لَدِكُّرٌ لَّكَ وَ لِقَوْمِكَ» أى و إن القرآن الذى أوحى إليك لشرف لك و لقومك من قريش عن ابن عباس و السدى و قيل لقومك أى للعرب لأن القرآن نزل بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الأخص من العرب حتى يكون الشرف لقريش أكثر من غيرهم ثم لبني هاشم أكثر مما يكون لقريش «وَ سَوْفَ

تُسَبِّحُونَ» عن شكر ما جعله الله لكم من الشرف عن الكلبى و الزجاج و غيرهما و قيل تسألون عن القرآن و عما يلزمكم من القيام بحقه «وَسَيَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا» معناه سل مؤمنى أهل الكتاب الذين أرسلنا إليهم الرسل هل جاءتهم الرسل إلا بالتوحيد و هو قول أكثر المفسرين و التقدير سل أمم من أرسلنا أو أتباع من أرسلنا فحذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه و قيل إن المراد سل أهل الكتابين التوراه و الإنجيل و إن كانوا كفارا فإن الحجج تقوم بتواتر خبرهم و الخطاب و إن توجه إلى النبى ص فالمراد به الأمة أى سلوا من ذكرنا «أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ» أى هل جعلنا فيما مضى معبودا سوى الله يعبده قوم فإنهم يقولون إنا لم نأمرهم بذلك و لا تعبدوه هم به و قيل معناه و سل الأنبياء و هم الذين جمعوا له ليله الأسرى و كانوا تسعين نبيا منهم موسى و عيسى و لم يسألهم ص لأنه كان أعلم بالله منهم عن الزهرى و سعيد بن جبير و ابن زيد.

إشارة

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٦) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ (٤٧) وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤٨) وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ (٤٩) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (٥٠)

وَ نَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَ هَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَ فَلَآ تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَ لَا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢) فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (٥٣) فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤)

القراءة

قرأ حفص و يعقوب و سهل «أَسُورَةٌ» و الباقون أساوره.

الحجج

الأسورة جمع سوار مثل سقاء و أسقيه و خوان و أخونه و من قرأ أساوره جعله جمع أسوار فتكون الهاء عوضا عن الياء التي كانت ينبغي أن تلحق في جمع أسوار على حد أعصار و أعاصير و يجوز في أساوره أن يكون جمع أسوره فيكون مثل أسقيه و أساق و لحق الهاء كما لحق في قشع و قشاعم.

المعنى

ثم ذكر سبحانه حديث موسى (عليه السلام) فقال «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا» أى بالحجج الباهره و المعجزات القاهره «إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ» أى أشراف قومه و خص الملاء بالذكر و إن كان أيضا مرسلًا إلى غيرهم لأن من عداهم تبع لهم «فَقَالَ» موسى «إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ» أرسلنى إليكم «فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا» أى فلما أظهر المعجزات التى هى اليد البيضاء و العصا «إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ» استهزاء و استخفافا و جهلا منهم بما عليهم من ترك النظر فيها و بما لهم من النفع بحصول العلم بها «وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا» المراد بذلك ما ترادف عليهم من الطوفان و الجراد و القمل و الضفادع و الدم و الطمس و كانت كل آية من هذه الآيات أكبر من التى قبلها و هى العذاب المذكور فى قوله «وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» لأنهم عذبوا بهذه الآيات و كانت عذابا لهم و معجزات لموسى (عليه السلام) فغلب عليهم الشقاء و لم يؤمنوا «وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ» يعنون بذلك يا أيها العالم و كان الساحر عندهم عظيما يعظمونه و لم يكن صفة ذم عن الكلبى و الجبائى و قيل إنما قالوا استهزاء بموسى (عليه السلام) عن الحسن و قيل معناه يا أيها الذى سلبتنا بسحره تقول العرب خاصمته فخصمته و حاججته فحججته فكذلك ساحرته و أرادوا أنه غالب السحره فغلبهم بسحره «ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ» أى بما زعمت أنه عهد عندك و هو أنه ضمن لنا أننا إذا آمننا بك أن يكشف العذاب عنا «إِنَّا لَمُهْتَدُونَ» أى راجعون إلى الحق الذى تدعوننا إليه متى كشف عنا

العذاب و فى الكلام حذف لأن التقدير فدعا موسى و سأل ربه أن يكشف عنهم ذلك العذاب فكشف الله عنهم ذلك «فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ» أى يغدرون و ينقضون العهد و فى هذا تسليه للنبي ص و المعنى فاصبر يا محمد على أذى قومك فإن حالك معهم كحال موسى مع قومه فيؤول أمرك إلى الاستعلاء

ص: ٧٨

على قومك كما آل أمره إلى ذلك «و نادى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ» معناه أنه لما رأى أمر موسى يزيد على الأيام ظهورا و اعتلاء خاف على مملكته فأظهر الخداع فخطب الناس بعد ما اجتمعوا و «قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ» أتصرف فيها كما أشاء أراد بذلك إظهار بسطته في الملك و المال «و هَذِهِ الْأَنْهَارُ» مثل النيل و غيرها «تَعْجِرِي مِنْ تَحْتِي» أى من تحت أمرى و قيل إنها كانت تجرى تحت قصره و هو مشرف عليها «أَفَلَا تُبْصِرُونَ» هذا الملك العظيم و قوتى و ضعف موسى «أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ» أى ضعيف حقير يعنى به موسى قال سيبويه و الخليل عطف أنا بأم على قوله «أَفَلَا- تُبْصِرُونَ» لأن معنى أم أنا خير معنى أم تبصرون فكأنه قال أفلا تبصرون أم تبصرون لأنهم إذا قالوا له أنت خير منه فقد صاروا بصراء عنده و قيل المهين الفقير الذى يمتهن نفسه فى جميع ما يحتاج إليه ليس له من يكفيه أمره «و لَا يَكَادُ يُبَيِّنُ» أى و لا يكاد يفصح بكلامه و حججه للعقده التى فى لسانه و قال الحسن كانت العقده زالت عن لسانه حين أرسله الله كما قال مخبرا عن نفسه و «أَحْلَلُ عُقْدَةَ مِنْ لِسَانِي ثُمَّ قَالَ قَدْ أُوتِيَتْ سُؤْلُكَ يَا مُوسَى و إنما عيره بما كان فى لسانه قبل و قيل كان فى لسانه لثغه فرفعه الله تعالى و بقى فيه ثقل عن الجبائى «فَلَوْ لَا- أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ» أى هلا- طرح عليه أسوره من ذهب إن كان صادقا فى نبوته و كان إذا سودوا رجلا سوروه بسوار من ذهب و طوقه بطوق من ذهب «أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ» متتابعين يعينونه على أمره الذى بعث له و يشهدون له بصدقه و قيل متعاضدين متناصرين كل واحد منهم يمالئ صاحبه «فَأَسِيتَخَفَ قَوْمَهُ» و معناه إن فرعون استخف عقول قومه «فَأَطَاعُوهُ» فيما دعاهم إليه لأنه احتج عليهم بما ليس بدليل و هو قوله «أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ» إلى آخره و لو عقلوا لقالوا ليس فى ملك الإنسان دلالة على أنه محق و ليس يجب أن يأتى مع الرسل ملائكة لأن الذى يدل على صدق الرسل هو المعجز دون غيره «إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ» أى خارجين عن طاعة الله تعالى.

النظم

وجه اتصال قصه موسى (عليه السلام) بما قبلها أنه لما تقدم السؤال عن أحوال الرسل و ما جاءوا به اتصل به حديث موسى و عيسى (عليه السلام) لأن أهل الكتابين إليهما ينتسبون و قيل أنه لما تقدم ذكر محمد ص و تكذيب قومه إياه ذكر حديث موسى تسليه له و تطيبا لقلبه ص.

إشاره

فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَ مَثَلاً لِلآخِرِينَ (٥٦) وَ لَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) وَ قَالُوا أَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ حِدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) إِنْ هُوَ إِلاَّ عَيْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَ جَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩)

وَ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُقُونَ (٦٠)

القراءه

قرأ حمزه و الكسائي سلفا بضم السين و اللام و قرأ الباقون بفتحهما و قرأ أهل المدينه و ابن عامر و الأعشى و البرجمي و الكسائي و خلف يصدون بضم الصاد و الباقون بكسر الصاد.

الحججه

من قرأ سلفا جاز أن يكون جمعا لسلف مثل أسد و أسد و وثن و وثن و من قرأ «سَلَفًا» فلأن فعلا قد جاء في حروف يراد بها الكثيره فكأنه اسم من أسماء الجمع قالوا خادم و خادم و طالب و طلب و حارس و حرس و كذلك المثل واحد يراد به الجمع و لذلك عطف على سلف في قوله «فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَ مَثَلاً» و معنى يصدون و «يَصِدُّونَ» جميعا يضحجون عن أبي عبيده قال و الكسر أجود و يقال صد عن كذا فيوصل بعن كما قال الشاعر:

صددت الكأس عنا أم عمرو و كان الكأس مجراها اليمين

وَ صَيِّدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ* فمن ذهب في يصدون إلى معنى يعدلون كان المعنى إذا قومك منه أي من أجل المثل يصدون و لم يوصل يصدون بعن و من قال يصدون يضحجون جعل من متصله بيضج كما تقول يضحج من كذا و قال بعض المفسرين معنى يصدون يضحجون و المعنى أنه لما نزل إِنْكُمْ وَ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ الآيه لأنها اتخذت آلهه و عبادت فعيسى في حكمهم قال و لما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك في هذا الذي قالوه منه

يضحكون لما أتوا به من عندهم من تسويتهم بين عيسى و بين آلهم و ما ضربوه إلا إرادته للمجادله لأنهم قد علموا أن المراد بحصب جهنم ما اتخذوا من الموات.

اللغه

يقال آسفه فأسف وأسفا أى أغضبه فغضب و أحزنه فحزن و يقال الأسف الغيظ من المغتم إلا أنه هاهنا بمعنى الغضب و السلف المتقدم على غيره قبل مجيء وقته و منه السلف فى البيع و السلف نقيض الخلف و الجدل مقابل الحجج بالحجه و قيل الجدل اللدد فى الخصام و أصله من جدل الحبل و هو شده فتله و رجل مجدول الخلق أى شديده و قيل أصله من الجداله و هى الأرض كان كل واحد من الخصمين يروم إلقاء صاحبه على الجداله.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن انتقامه من فرعون و قومه فقال «فَلَمَّا آسَفُونَا» أى أغضبونا عن ابن عباس و مجاهد و غضب الله سبحانه على العصاه إرادته عقوبتهم و رضاه عن المطيعين إرادته ثوابهم الذى يستحقونه على طاعتهم و قيل معناه آسفوا رسلنا لأن الأسف بمعنى الحزن لا- يجوز على الله سبحانه «انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ» أى انتقمنا لأوليائنا منهم «فَأَعْرَفْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ» ما نجا منهم أحد «فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا» أى متقدمين إلى النار «وَمَثَلًا» أى عبره و موعظه «لِلْآخِرِينَ» أى لمن جاء بعدهم يتعظون بهم و المعنى أن حال غيرهم يشبه حالهم إذا أقاموا على العصيان «وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا» اختلف فى المراد به على وجوه (أحدها أن معناه و لما وصف ابن مريم شبها فى العذاب بالآلهه أى فيما قالوه على زعمهم و ذلك أنه لما نزل قوله «إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ» قال المشركون قد رضينا بأن تكون آلهتنا حيث يكون عيسى و ذلك قوله «إِذَا قُومِيكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ» أى يضجون ضجيج المجادله حيث خصموك و هو قوله «وَقَالُوا أَلَّهْتنا خَيْرٌ أَمْ هُوَ» أى ليست آلهتنا خيرا من عيسى فإن كان عيسى فى النار بأنه يعبد من دون الله فكذلك آلهتنا عن ابن عباس و مقاتل (و ثانيها) أن معناه لما ضرب الله المسيح مثلا بآدم فى قوله «إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ» أى من قدر على أن ينشئ آدم من غير أب و أم قادر على إنشاء المسيح من غير أب اعترض على النبى ص بذلك قوم من كفار قريش فنزلت هذه الآيه (و ثالثها) أن معناه أن النبى ص لما مدح المسيح و أمه و أنه كآدم فى الخاصيه قالوا إن محمدا يريد أن نعبد كما عبدت النصارى عيسى عن قتاده (و رابعها)

ما رواه ساده أهل البيت عن على عليهم أفضل الصلوات أنه قال جئت إلى رسول الله ص يوما فوجدته فى ملاء من قريش فنظر إلى ثم قال يا على إنما مثلك فى هذه الأمه كمثل عيسى بن مريم أحبه قوم فأفراطوا فى حبه فهلكوا و أبغضه قوم فأفراطوا فى بغضه فهلكوا و اقتصد فيه قوم فنجوا

فعظم

ذلك عليهم فضحكوا وقالوا يشبهه بالأنبياء و الرسل فنزلت الآية «وَقَالُوا أَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ» أى آلهتنا أفضل أم المسيح فإذا كان المسيح فى النار رضينا أن تكون آلهتنا معه عن السدى و ابن زيد و قيل معناه أن آلهتنا خير من المسيح فإذا عبد المسيح جاز أن تعبد آلهتنا عن الجبائى و قيل هو كناية عن محمد ص و المعنى آلهتنا خير من محمد ص و هو يأمرنا بأن نعبده كما عبد النصرارى المسيح و نطيعه و نترك آلهتنا عن قتاده و قال على بن عيسى معنى سؤالهم بقولهم «أَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ» أنهم ألزموا ما لا يلزم على ظن منهم و توهم كأنهم قالوا و مثلنا فيما نعبد مثل ما يعبد المسيح فأیما خير عباده آلهتنا أم عباده المسيح على أنه إن قال عباده المسيح أقر بعباده غير الله و كذلك أن قال عباده الأوثان و إن قال ليس فى عباده المسيح خير قصر به عن المنزلة التى أبین لأجلها من سائر العباد و جوابهم عن ذلك أن اختصاص المسيح بضرب من التشريف و الإنعام عليه لا يوجب العبادة له كما لا- يوجب أن ينعم عليه بأعلى مراتب النعمة «مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا خَيْدًا» أى ما ضربوا هذا المثل لك إلا ليجادلوك به و يخاصموك و يدفعوك به عن الحق لأن المتجادلين لا بد أن يكون أحدهما مبطلا بخلاف المتناظرين لأن المناظره قد تكون بين المحققين «بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ» أى جادلون فى دفع الحق بالباطل ثم وصف سبحانه المسيح فقال «إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ» أى ما هو إلا عبد أنعمنا عليه بالخلق من غير أب و بالنبوه «وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ» أى آيه لهم و دلاله يعرفون بها قدره الله تعالى على ما يريد حيث خلقه من غير أب فهو مثل لهم يشبهون به ما يرون من أعاجيب صنع الله ثم قال سبحانه دالا على كمال قدرته و على أنه لا- يفعل إلا الأصلاح «وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ» أى بدلا منكم معاشر بنى آدم «مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ» بنى آدم أى يكونون خلفاء منهم و المعنى لو نشاء أهلكناكم و جعلنا الملائكة بدلکم سكان الأرض يعمرونها و يعبدون الله و مثل قوله «مِنْكُمْ» فى الآية ما فى قول الشاعر:

فليت لنا من ماء زمزم شربه مبرده باتت على الطهيان

و قيل معناه و لو نشاء لجعلناكم أيها البشر ملائكة فيكون من باب التجريد و فيه إشارة إلى قدرته على تغيير بنى البشر إلى بنى الملائكة «يَخْلُقُونَ» أى يخلف بعضهم بعضا.

إشارة

وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٤١) وَلَا يَصِدَّنْكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٤٢) وَ لَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَ لِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُونِ (٤٣) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٤٤) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ أَلِيمٍ (٤٥)

القراءة

في الشواذ قراءة ابن عباس و قتاده و الضحاك و أنه لعلم بفتح العين و اللام أى أماره و علامه.

المعنى

ثم رجع سبحانه إلى ذكر عيسى (عليه السلام) فقال «وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ» يعنى أن نزول عيسى (عليه السلام) من أشراط الساعة يعلم بها قربها «فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا» أى بالساعة فلا تكذبوا بها و لا تشكوا فيها عن ابن عباس و قتاده و مجاهد و الضحاك و السدى و

قال ابن جريح أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول سمعت النبى ص يقول ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم تعال صل بنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه من الله لهذه الأمة أوردته مسلم فى الصحيح

و

فى حديث آخر كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم و إمامكم منكم

و قيل إن الهاء فى قوله «وَإِنَّهُ» يعود إلى القرآن و معناه أن القرآن لدلاله على قيام الساعة و البعث يعلم به ذلك عن الحسن و قيل معناه أن القرآن لدليل الساعة لأنه آخر الكتب أنزل على آخر الأنبياء عن أبى مسلم و قوله «وَ اتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ» معناه و اتبعونى فيما أمركم به هذا الذى أنا عليه طريق واضح قيم «وَ لَا يَصِدَّنْكُمْ الشَّيْطَانُ» أى و لا يصرفنكم الشيطان بوساوسه عن دين الله «إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ» بين العداوه يدعوكم إلى الضلال الذى هو سبب هلاككم ثم أخبر سبحانه عن حال عيسى (عليه السلام) حين بعثه الله نبيا فقال «وَ لَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ» أى بالمعجزات الداله على نبوته و قيل بالإنجيل عن قتاده «قَالَ»

لهم

«قَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحِكْمَةِ» أى بالنبوه عن عطاء و قيل بالعلم بالتوحيد و العدل و الشرائع «وَلَا يَبِينُ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ» قيل إن المعنى كل الذى تختلفون فيه كقول لبيد:

" أو يخترم بعض النفوس حمامها "

أى كل النفوس و كقول القطامى:

قد يدرك المتأنى بعض حاجته و قد يكون من المستعجل الزلل

أى كل حاجته عن أبى عبيده قال الزجاج و الصحيح أن البعض لا يكون فى معنى الكل و الذى جاء به عيسى فى الإنجيل إنما هو بعض الذى اختلفوا فيه و بين لهم فى غير الإنجيل ما احتاجوا إليه و قول الشاعر:

" أو يخترم بعض النفوس حمامها "

إنما يعنى نفسه و قيل معناه لأبين لكم ما تختلفون فيه من أمور الدين دون أمور الدنيا «فَاتَّقُوا اللَّهَ» بأن تجتنبوا معاصيه و تعملوا بالطاعات «وَأَطِيعُوا» فيما أَدْعُوكم إليه «إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ» الذى تحق له العباده «فَاعْبُدُوهُ» خالصا و لا تشركوا به شيئا «هذا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ» يفضى بكم إلى الجنة و ثواب الله «فَمَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ» يعنى اليهود و النصارى اختلفوا فى أمر عيسى «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ أَلِيمٍ» قد مر تفسير الآيه فى سوره مريم.

إشارة

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٦٦) الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (٦٧) يَا عِبَادِ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠)

يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصَفَاحٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٣) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥)

القراءة

قرأ أهل المدينة و ابن عامر و حفص «ما تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ» بزيادة الهاء و الباقون تشتهى الأنفس بحذف الهاء.

الحج

قال أبو علي حذف هذه الهاء من الصلة في الحسن كإثباتها إلا أن الحذف يرجح على الإثبات بأن عامه هذا النحو في التنزيل جاء على الحذف نحو قوله «أَ هَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا» «وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى» و يقوى الحذف من جهة القياس أنه اسم قد طال و الأسماء إذا طالت فقد يحذف منها كما يحذف في اشهباب و احميرار و كما حذفوا من كينونه فكما ألزموا الحذف لهذا كذلك حسن أن تحذف الهاء من الصلة.

اللغة

الجبور السرور الذى يظهر فى الوجه أثره و خبرته أى حسنته و الجبار الأثر و الصحاف جمع صفحه و هى الجام الذى يؤكل فيه الطعام و الأكواب جمع كوب و هى إناء على صورته الإبريق لا أذن له و لا خرطوم و قيل أنه كالكأس للشراب قال الأعشى:

صريفه طيب طعمها لها زبد بين كوب و دن

. المعنى .

قال سبحانه موبخا لهم «هَيْلٌ يَنْظُرُونَ» أى هل ينتظر هؤلاء الكفار بعد ورود الرسل و القرآن «إِلَّا السَّاعَةَ» أى القيامة «أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً» أى فجأة «وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» أى لا يدرون وقت مجيئها «الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ» معناه أن الذين تخالوا و تواصلوا فى الدنيا يكون بعضهم أعداء لبعض ذلك اليوم يعنى يوم القيامة و هم الذين تخالوا على الكفر و المعصية و مخالفه النبى ص لما يرى كل واحد منهم من العذاب بسبب تلك المصادقه ثم استثنى من جملة الأخلاء المتقين فقال «إِلَّا الْمُتَّقِينَ» من المؤمنين الموحدين الذى خال بعضهم بعضا على الإيمان و التقوى فإن تلك الخلة تتأكد بينهم يوم القيامة و لا تنقلب عداوه «يا عِبَادِ لَا

نَخُوفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ» أَى يَقَال لَهُم وَقْت

ص: ٨٥

الخوف يا عبادى لا- خوف عليكم من العذاب اليوم «وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ» من فوات الثواب ثم وصف سبحانه عباده و ميزهم من غيرهم فقال «الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا» أى صدقوا بحججنا و دلائلنا و اتبعوها «وَوَكَانُوا مُسْلِمِينَ» أى مستسلمين لأمرنا خاضعين منقادين و «الَّذِينَ آمَنُوا» فى محل نصب على البدل من عبادى أو الصفه له ثم بين سبحانه ما يقال لهم بقوله «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَ أَزْوَاجُكُمْ» اللاتى كن مؤمنات مثلكم و قيل يعنى أزواجهم من الحور العين فى الجنة «تُحْبَبُونَ» أى تسرون و تكرمون و قد مر تفسيره فى سورة الروم «يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ» أى بقصاع «مِنْ ذَهَبٍ» فيها ألوان الأطعمه «وَأَكْوَابٍ» أى كيزان لا عرى لها و قيل بانيه مستديره الرأس اكتفى سبحانه بذكر الصحاف و الأ-كواب عن ذكر الطعام و الشراب «وَفِيهَا» أى و فى الجنة «ما تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ» من أنواع النعيم المشروبه و المطعومه و الملبوسه و المشمومه و غيرها «وَتَلْمَذُ الْأَعْيُنُ» أى و ما تلهذه العيون بالنظر إليه و إنما أضاف الالتذاذ إلى الأعين و إنما الملتذ على الحقيقه هو الإنسان لأن المناظر الحسنه سبب من أسباب اللذه فإضافه اللذه إلى الموضوع الذى يلد الإنسان به أحسن لما فى ذلك من البيان مع الإيجاز و قد جمع الله سبحانه بقوله «ما تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَ تَلْمَذُ الْأَعْيُنُ» ما لو اجتمع الخلائق كلهم على أن يصفوا ما فى الجنة من أنواع النعيم لم يزيدوا على ما انتظمتها هاتان الصفتان «وَأَنْتُمْ فِيهَا» أى فى الجنة و أنواع من الملاذ «خَالِدُونَ» أى دائمون مؤبدون «وَتَلْمَكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» أى أعطيتموها بأعمالكم قال ابن عباس الكافر يرث نار المؤمن و المؤمن يرث جنة الكافر و هذا كقوله «أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ» «لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ» جمع لهم بين الطعام و الشراب و الفواكه و بين دوام ذلك فهذه غايه الأمانه ثم أخبر سبحانه عن أحوال أهل النار فقال «إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ» دائمون «لَا يُفْتَرُّ عَنْهُمْ» العذاب أى لا يخفف عنهم «وَهُمْ فِيهِ مُنِلسُونَ» آيسون من كل خير.

إشارة

وَ مَا ظَلَمْنَاهُمْ وَ لَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (٧٦) وَ نَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُتُبُونَ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَ لَكِن أَكْثَرُكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٨) أَمْ أُبْرِمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (٧٩) أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَ نَجْوَاهُمْ بَلَى وَ رُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (٨٠)

قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (٨١) سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٨٢) فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَ يَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٨٣) وَ هُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَ فِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٨٤) وَ تَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا وَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٥)

القراءة

قرأ ابن كثير و أهل الكوفة غير عاصم إلا يحيى و روح عن يعقوب و إليه يرجعون بالياء و الباقون بالتاء و

في الشواذ قراءة ابن مسعود و يحيى و الأعمش يا مال و روى ذلك عن علي (عليه السلام)

و قراءة أبي عبد الرحمن اليماني فأنا أول العبدین بغير ألف و القراءة المشهورة «العابدين».

الحجج

قال أبو علي حجه الياء في يرجعون أن قبله غيبه و هو قوله «فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَ يَلْعَبُوا» و حجه التاء أن يراد به مع الغيبه مخاطبون فغلب الخطاب على الغيبه أو يكون على قل لهم و إليه ترجعون و قوله يا مال على المذهب المألوف في الترخيم قال الشاعر:

فأبلغ مالكا عنى رسولا و ما يغنى الرسول لديك مال

أى يا مالك قال ابن جنى و فى هذا الموضع سر و هو أنهم لعظم ما هم فيه خفيت قواهم و صغر كلامهم فكان هذا فى موضع الاختصار و قوله «فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ» من قولهم عبدت من الأمر أعبد عبدا أى أنفت منه قال الفرزدق:

أولئك قومي إن هجوني هجوتهم و أعبد أن تهجى كليب بدارم

و لكن نصفاً إن سببت و سبني بنو عبد شمس من قريش و هاشم.

قوله «وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ» ارتفع إله بكونه خبر مبتدأ محذوف من الصلّه و تقديره و هو الذى هو فى السماء إله و فى السماء يتعلّق بقوله «إِلَهٌ» و موضعه نصب به و إن كان مقدما عليه «وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» أى علم وقوع الساعه فالمصدر مضاف إلى المفعول أى يعلم وقوع الساعه.

المعنى

لما بين سبحانه ما يفعله بالمجرمين بين أنه لم يظلمهم بذلك فقال «وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَ لَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ» نفوسهم بما جنوا عليها من العذاب «وَوَادُوا يَا مَالِكُ» أى و يدعون خازن جهنم فيقولون يا مالك «لِيَقْضِ عَلَيْنَا رُبُكَ» أى ليمتنا ربك حتى نتخلص و نستريح من هذا العذاب «قَالَ» أى يقول مالك مجيبا لهم «إِنَّكُمْ مَا كُثُونَ» أى لا بثون دائمون فى العذاب قال ابن عباس و السدى إنما يجيبهم مالك بذلك بعد ألف سنه و قال عبد الله بن عمر بعد أربعين عاما «لَقَدْ جِئْنَاكُمْ» أى يقول الله تعالى لقد أرسلنا إليكم الرسل «بِالْحَقِّ» أى جاءكم رسلنا بالحق و أضافه إلى نفسه لأنه كان بأمره و قيل هو من قول مالك و إنما قال «لَقَدْ جِئْنَاكُمْ» لأنه من الملائكة و هم من جنس الرسل عن الجبائي «وَلَكِنْ أَكْثَرُكُمْ» معاشر الخلق «لِلْحَقِّ كَارِهُونَ» لأنكم ألقتم الباطل فكرهتم مفارقتة «أَمْ أُبْرِمُوا آمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ» أى بل أحكموا أمرا فى كيد محمد ص و المكر به «فَأِنَّا مُبْرِمُونَ» أى محكمون أمرا فى مجازاتهم «أَمْ يَحْسَبُونَ» أى بل أ يظن هؤلاء الكفار «أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَ نَجْوَاهُمْ» أى ما يسرونه من غيرهم و يتناجون به بينهم و السر ما يضمه الإنسان فى نفسه و لا يظهره لغيره و النجوى ما يحدث به المحدث غيره فى الخفيه «بَلَى» نسمع ذلك و ندركه «وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُوبُونَ» ما يقولونه و يفعلونه يعنى الحفظه و سبب نزول الآيه مذكور فى تفسير أهل البيت (عليه السلام) «قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَمَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ» اختلف فى معناه على أقوال (أحدها) أن معناه إن كان للرحمن ولد فى قولكم و على زعمكم فأنا أول العابدين أى أول من عبد الله وحده فقد دفع أن يكون له ولد و المعنى فأنا أول الموحدين لله المنكرين لقولكم عن مجاهد (و ثانيها) أن إن بمعنى ما النفى و المعنى ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين لله المقربين بذلك عن ابن عباس و قتاده و ابن

زيد (و ثالثها) إن معناه لو كان له ولد لكنت أنا أول الأنفين من عبادته لأن من كان له ولد لا يكون إلا جسما محدثا و من كان كذلك لا يستحق العباده لأنه لا يقدر على النعم التي يستحق بها العباده عن الجبائي و غيره (و رابعها) أنه يقول كما أنى لست أول من عبد الله فكذلك ليس لله ولد و هذا كما تقول إن كنت كاتباً فأنا حاسب تريد لست كاتباً و لا أنا حاسب عن سفيان بن عيينه (و خامسها) أن معناه لو كان له ولد لكنت أول من يعبد به بأن له ولداً و لكن لا ولد له عن السدي و أبي مسلم و هذا كما يقال لو دعت الحكمة إلى عباده غيره لعبدته لكن الحكمة لا تدعو إلى عباده غيره و لو دل الدليل على أن له ولداً لقلت به و لكنه لا يدل فهذا تحقيق لنفى الولد و تبعيد له لأنه تعليق محال بمحال ثم نزه سبحانه نفسه عن ذلك فقال «سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ» أى تنزيهاً لمالك السماوات و الأرض و خالقهن و خالق العرش و مدبره عما يصفونه به من اتخاذ الولد لأن من قدر على ذلك استغنى عن اتخاذ الولد ثم خاطب سبحانه نبيه ص على وجه التهديد للكفار فقال «فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا» فى باطلهم «وَ يَلْعَبُوا» فى دنياهم «حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ» فيه بعداب الأبد و هو يوم القيامة «وَ هُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَ فِي الْأَرْضِ إِلَهٌ» أى هو الذى تحقق له العباده فى السماء و تحقق له العباده فى الأرض و إنما كرر لفظ إله لأمرين (أحدهما) التأكيد ليتمكن المعنى فى النفس (و الثانى) لأن المعنى هو إله فى السماء يجب على الملائكة عبادته و إله فى الأرض يجب على الإنس و الجن عبادته «وَ هُوَ الْحَكِيمُ» فى جميع أفعاله «الْعَلِيمُ» بمصالح عباده «وَ تَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا» أى دامت بركته فمنه البركات و إيصال السعادات و جل عن أن يكون له ولد أو شبيه من له التصرف فى السماوات و الأرض و فيما بينهما بلا دافع و لا منازع «وَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» أى علم يوم القيامة لأنه لا يعلم وقته على التعيين غيره «وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» يوم القيامة فيجازى كلا على قدر عمله.

إشارة

وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٨٦) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٨٧) وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ (٨٨) فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٨٩)

القراءة

قرأ عاصم و حمزه و قيله بالجـر و الباقون بالنصب و فى الشواذ قراءه الأـعرج و مجاهد و قيله بالرفع و قرأ أهل المدينة و الشام فسوف تعلمون بالتاء و الباقون بالياء.

الحجـه

قال أبو على وجه الجـر فى «وَقِيلَ» أنه معطوف على قوله «وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» و علم قيله أى يعلم الساعه و من يصدق بها و يعلم قيله و معنى يعلم قيله أى يعلم أن الدعاء مندوب إليه نحو قوله «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» و «ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً» و أما من نصب حمـله على موضع وَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ لأن الساعه مفعول بها و ليست بظرف فالمصدر مضاف إلى المفعول به و مثل ذلك قوله:

قد كنت داينت بها حسانا مخافه الإفلاس و الليانا

يحسن بيع الأصل و القيانا

فكما أن القيان و الليان محمولان على ما أضيف إليه المصدر من المفعول به فكذلك قوله تعالى «وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» لما كان معناه يعلم الساعه حملت قيله على ذلك و يجوز أن تحمله على يقول قيله فيدل انتصاب المصدر على فعله و كذلك قول كعب:

يسعى الوشاه جنابها و قيلهم إنك يا ابن أبى سلمى لمقتول

أى و يقولون حقا و وجه ثالث أن يحمل على قوله «يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سَرَّهُمْ وَ نَجِوَاهُمْ» و قيله و من قرأ و قيله بالرفع احتمال ضربين (أحدهما) أن يجعل الخبر و قيله قيل يا رب فيحذف (و الآخر) أن يجعل الخبر و قيله يا رب مسموع و متقبل فيا رب منصوب الموضع بقيله المذكور و على القول الآخر بقيله المضمـر و هو من صلته و لا- يمتنع ذلك من حيث امتنع أن يحذف بعض الموصول و يبقى بعضه لأن حذف القول قد كثر حتى صار بمنزله المذكور و قد يحتمل بيت كعب الرفع على هذين الوجهين و قال ابن جنى هو معطوف على علم أى و علم قيله فحذف المضاف فالمصدر الذى هو قيل مضاف إلى الهاء الذى هو مفعول فى المعنى و التقدير و عنده علم أن يقال يا رب أن هؤلاء قوم لا يؤمنون و من قرأ فسوف

تعلمون بالتاء فالوجه فيه أنه على تقدير قل لهم فسوف تعلمون ووجه الياء أن يحمل على الغيبة التي هي فاصفح عنهم وقوله «وَقُلْ سَلَامٌ» تقديره وقل أمرنا وأمركم سلام أى متاركة.

المعنى

ثم ذكر سبحانه أنه لا شفاعه لمعبودهم فقال «وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ» أى الذى يدعوه الكفار إليها و يوجهون عبادتهم إليه من الأصنام وغيرها «الشَّفَاعَةَ» لمن يعبدهم كما توهمه الكفار و هى مسألة الطالب العفو عن غيره و إسقاط العقاب عنه «إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ» و هم عيسى بن مريم و عزيز و الملائكة استثناهم سبحانه ممن عبد من دون الله فإن لهم عند الله منزله الشفاعه عن قتاده و قيل معناه لا يملك أحد من الملائكة و غيرهم الشفاعه إلا لمن شهد بالحق أى شهد أن لا إله إلا الله و ذلك أن النضر بن الحارث و نفر من قريش قالوا إن كان ما يقوله محمد حقا فنحن نتولى الملائكة و هم أحق بالشفاعه لنا منه فنزلت الآية فالمعنى أنهم يشفعون للمؤمنين بإذن الله «وَهُمْ يَعْلَمُونَ» أى يعلمون بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم و فى هذا دلالة على أن حقيقه الإيمان هو الاعتقاد بالقلب و المعرفة لأن الله شرط مع الشهاده العلم و هو ما اقتضى طمأنينه القلب إلى ما اعتقده بحيث لا يتشكك إذا شكك و لا يضطرب إذا حرك «وَلَيْتَن سَأَلْتَهُمْ» يا محمد «مَنْ خَلَقَهُمْ» أى أخرجهم من العدم إلى الوجود «لَيَقُولَنَّ اللَّهُ» لأنهم يعلمون ضروره أن أصنامهم لم تخلقهم «فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ» أى فكيف يصرفون عن عبادته إلى عباده غيره «وَقِيلَهُ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ» قال قتاده هذا نبيكم يشكو قومه إلى ربه و ينكر عليهم تخلفهم عن الإيمان و ذكر أن قراءه عبد الله و قال الرسول يا رب أن هؤلاء قوم لا يؤمنون و على هذا فالهاء فى «وَقِيلَهُ» يعود إلى النبى ص «فَأَصْفَحَ عَنْهُمْ» أى فأعرض عنهم يا محمد بصفح وجهك كما قال و أَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ «وَقُلْ سَلَامٌ» أى مداراه و متاركة و قيل هو سلام هجران و مجانبه لا سلام تحيه و كرامه كقوله «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبَغَى الْجَاهِلِينَ» و قيل معناه قل ما تسلم به من شرهم و أذاهم و هذا منسوخ بآيه السيف عن قتاده و قيل معناه فاصفح عن سفههم و لا تقابلهم بمثله. ندبه سبحانه إلى الحلم فلا يكون منسوخا عن الحسن ثم هددهم سبحانه بقوله «فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ» يعنى يوم القيامة إذا عاينوا ما يحل بهم من العذاب.

اشاره

عدد آياتها

تسع و خمسون آيه كوفي سبع بصرى ست فى الباقيين.

اختلفها

أربع آيات «حم» و «إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ» كوفي «شَجَرَةَ الزُّقُومِ» عراقى شامى و المدنى الأول «فِي الْبُطُونِ» عراقى مكى و المدنى الأخير.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص و من قرأ الدخان فى ليله الجمعة غفر له

أبو هريره عن النبى ص قال من قرأ سورة الدخان فى ليله أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك.

و عنه عن النبى ص قال و من قرأها فى ليله الجمعة أصبح مغفورا له.

أبو أمامه عن النبى ص قال و من قرأ سورة الدخان ليله الجمعة و يوم الجمعة بنى الله له بيتا فى الجنة.

و روى أبو حمزه الثمالى عن أبى جعفر (عليه السلام) قال من قرأ سورة الدخان فى فرائضه و نوافله بعثه الله من الآمنين يوم القيامة و أظله تحت ظل عرشه و حاسبه حسابا يسيرا و أعطى كتابه بيمينه.

تفسيرها

ختم الله سبحانه سورة الزخرف بالوعيد و التهديد و افتتح هذه السوره أيضا بمثل ذلك فى الإنذار بالعذاب الشديد فقال:

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم (١) وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤)

أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٧) لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ (٨) بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ (٩)

فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ (١٠) يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١)

إحدى عشره آية كوفى فى غيرهم.

القراءة

قرأ أهل الكوفة رب السماوات بالجر والباقون بالرفع.

الحجج

الرفع فيه على أحد أمرين إما أن يكون خبر مبتدأ محذوف أى هو رب السماوات وإما أن يكون مبتدأ وخبره الجملة التى عاد الذكر منها إليه وهو قوله «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» ويقويه قوله «رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» لا إله إلا هو ومن قرأ بالجر جعله بدلا «مِنْ رَبِّكَ» المتقدم ذكره قال أبو الحسن الرفع أحسن وبه يقرأ.

الإعراب

«إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ» جواب القسم دون قوله «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ» لأنك لا تقسم بالشىء على نفسه فإن القسم تأكيد خبر بخبر آخر فقوله «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ» اعتراض بين القسم وجوابه أمرا من عندنا فى انتصابه وجهان (أحدهما) أن يكون نصبا على الحال وتقديره إنا أنزلناه أمرين أمرا كما يقال جاء فلان مشيا وركضا أى ماشيا وراكضا وعلى هذا فىكون مصدرا موضوعا موضع الحال وهذا اختيار الأخفش ويجوز أن يكون تقديره ذا أمر فحذف المضاف كما قال وَ لِكِنَّ الْبِرَّ بِمَعْنَى ذَا الْبِرِّ (والتانى) أن يكون منصوبا على المصدر لأن معنى قوله «فِيهَا يُفْرَقُ» فيها يؤمر قد دل يفرق على يؤمر وقوله «رَحْمَةً» منصوب على أنه مفعول له أى أنزلناه للرحمة وقال الأخفش هو منصوب على الحال أى راحمين رحمه.

المعنى

«حم» مر بيانه «وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ» أقسم سبحانه بالقرآن الدال على صحه نبوه نبينا ص وفيه بيان الأحكام والفصل بين الحلال والحرام

الحرام و جواب القسم «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ» أَى إِنَّا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ وَ

الليله المباركه هى ليله القدر عن ابن عباس

ص: ٩٣

و قتاده و ابن زيد و هو المروى عن أبي جعفر و أبي عبد الله (عليه السلام)

و قيل هى ليله النصف من شعبان عن عكرمه و الأصح الأول و يدل عليه قوله «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ» و قوله «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» و اختلف فى كيفية إنزاله ف قيل أنزل إلى السماء الدنيا فى ليله القدر ثم أنزل نجوماً إلى النبى ص و قيل أنه كان ينزل جميع ما يحتاج فى كل سنة فى تلك الليلة ثم كان ينزلها جبرائيل (عليه السلام) شيئاً فشيئاً وقت وقوع الحاجه إليه و قيل كان بدء إنزاله فى ليله القدر و روى عن ابن عباس أنه قال قد كلم الله جبرائيل فى ليله واحده و هى ليله القدر فسمعه جبرائيل و حفظه بقلبه و جاء به إلى السماء الدنيا إلى الكتبه و كتبه ثم نزل على محمد ص بالنجوم فى ثلاث و عشرين سنة و قيل فى عشرين سنة و إنما وصف الله سبحانه هذه الليلة بأنها مباركة لأن فيها يقسم الله نعمه على عباده من السنة إلى السنة فتدوم بركاتها و البركة نماء الخير و ضدها الشؤم و هو نماء الشر فالليلة التى أنزل فيها كتاب الله مباركة ينمى الخير فيها على ما دبر الله سبحانه لها من علو مرتبتها و استجابته الدعاء فيها «إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ» أى مخوفين بما أنزلناه من تعذيب العصاة و الإنذار الأعلام بموضع الخوف ليتقى و موضع الأمن ليجتنبى فالله عز اسمه قد أنذر عباده بأنهم الإنذار من طريق العقل و السمع «فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ» أى فى هذه الليلة يفصل و يبين و المعنى يقضى كل أمر محكم لا- تلحقه الزيادة و النقصان و هو أنه يقسم فيها الآجال و الأرزاق و غيرها من أمور السنه إلى مثلها من العام القابل عن ابن عباس و الحسن و قتاده و عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال إنك لترى الرجل يمشى فى الأسواق و قد وقع اسمه فى الموتى و قال عكرمه هى ليله النصف من شعبان يرم فيها أمر السنه و ينسخ الأحياء من الأموات و يكتب الحاج فلا يزيد فيهم أحد و لا ينقص منهم أحد «أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا» معناه إنا نأمر ببيان ذلك و نسخه من اللوح المحفوظ «إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ» محمداً إلى عبادنا كمن كان قبله من الأنبياء «رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ» أى رأفه منا بخلقنا و نعمه منا عليهم بما بعثنا إليهم من الرسل عن ابن عباس «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ» لمن دعاه من عباده «الْعَلِيمُ» بمصالحهم «رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى خالقهما و مدبرهما «وَ مَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤَقِنِينَ» بهذا الخبر محققين له و هو أنه «لا- إِلَهَ إِلَّا هُوَ» لا يستحق العباده سواه «يُحْيِي» الخلق بعد موتهم «وَ يُمِيتُ» أى و يميتهم بعد إحيائهم «رَبُّكُمْ» الذى خلقكم و دبركم «وَ رَبُّ آبَائِكُمْ الْأُولِينَ» الذين سبقوكم ثم ذكر سبحانه الكفار فقال ليس هؤلاء بموقنين بما قلناه «بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ» مما أخبرناك به «يَلْعَبُونَ» مع ذلك و يستهزون بك و بالقرآن إذا قرئ عليهم عن الجبائى و قيل يلعبون أى يشتغلون بالدنيا و يترددون فى أحوالها ثم خاطب نبيه ص فقال «فَارْتَقِبْ» أى فانتظر يا محمد «يَوْمَ تَأْتِي

أن رسول الله ص دعا على قومه لما كذبوه فقال اللهم سنينا كسنى يوسف فأجدبت الأرض فأصابت قريشا المجاعة و كان الرجل لما به من الجوع يرى بينه و بين السماء كالدخان و أكلوا الميتة و العظام ثم جاءوا إلى النبی ص و قالوا يا محمد جئت تأمر بصله الرحم و قومك قد هلكوا فسأل الله تعالى لهم بالخصب و السعه فكشف عنهم ثم عادوا إلى الكفر

عن ابن مسعود و الضحاك و قيل إن الدخان آيه من أشرط الساعه تدخل فى مسامع الكفار و المنافقين و هو لم يأت بعد و إنه يأتى قبل قيام الساعه فيدخل أسماعهم حتى أن رءوسهم تكون كالرأس الحنيد و يصيب المؤمن منه مثل الزكمه و تكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص و يمكث ذلك أربعين يوما عن ابن عباس و ابن عمر و الحسن و الجبائى «يَغْشَى النَّاسَ» يعنى أن الدخان يعم جميع الناس و على القول الأول المراد بالناس أهل مكه و هم الذين يقولون «هذا عَذَابٌ أَلِيمٌ» أى موجه مؤلم.

[سوره الدخان (٤٤): الآيات ١٢ الى ٢١]

اشاره

رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (١٢) أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ (١٣) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ (١٤) إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (١٥) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ (١٦)

وَ لَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَ جَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (١٧) أَنْ أَدَّوْا إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٨) وَ أَنْ لَا تَغْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (١٩) وَ إِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَ رَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ (٢٠) وَ إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاغْتَرِبُوا (٢١)

الإعراب

«يَوْمَ نَبْطِشُ» منصوب بقوله «إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا» و يجوز أن

ينتصب بمضمر دل عليه منتقمون ولا ينتصب بقوله «مُتَّقِمُونَ» لأن ما بعد أن لا يعمل فيما قبله.

المعنى

ثم لما أخبر سبحانه أن الدخان يغشى الناس عذابا لهم وأنهم قالوا ويقولون على ما فيه من الخلاف هذا عذاب أليم حكى عنهم أيضا قولهم «رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعِذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ» بمحمد ص و القرآن قال سبحانه «أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى» أى من أين لهم التذکر و الاعتاظ و كيف يتذكرون و يتعظون «وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ» أى و حالهم أنهم قد جاءهم رسول ظاهر الصدق و الدلالة «ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنَّهُ» أى أعرضوا عنه و لم يقبلوا قوله «وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ» أى هو معلم يعلمه بشر مجنون بادعاء النبوه ثم قال سبحانه «إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ» أى عذاب الجوع و الدخان «قَلِيلًا» أى زمانا قليلا يسيرا إلى يوم بدر عن مقاتل «إِنَّكُمْ عَائِدُونَ» فى كفرکم و تكذيبکم فلما كشف الله سبحانه ذلك عنهم بدعاء النبى ص و استسقائه لهم عادوا إلى تكذيبه هذا على تأويل من قال إن ذلك الدخان كان وقت النبى ص فأما على القول الآخر فمعناه أنکم عائدون إلى العذاب الأكبر و هو عذاب جهنم و القليل مده ما بين العذابين «يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى» أى و اذکر لهم ذلك اليوم يعنى يوم بدر على القول الأول قالوا لما كشف عنهم الجوع عادوا إلى التکذیب فانتقم الله منهم يوم بدر و على القول الآخر البطشه الكبرى تكون يوم القيامة و البطش هو الأخذ بشده وقع الألم «إِنَّا مُتَّقِمُونَ» منهم ذلك اليوم ثم قال سبحانه «وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ» أقسم سبحانه أنه فتن قبل كفار قوم النبى ص «قَوْمَ فِرْعَوْنَ» أى اختبرهم و شدد عليهم التکلیف لأن الفتنة شدة التعب و أصلها الإحراق بالنار لخلص الذهب من الغش و قيل إن الفتنة معاملته المختبر ليجازى بما يظهر دون ما يعلم مما لا يظهر «وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ» أى كريم الأخلاق و الأفعال بالتجاوز و الصفح و الدعاء إلى الصلاح و الرشد و قيل كريم عند الله بما استحق بطاعته من الإكرام و الإعظام و قيل كريم شريف فى قومه من بنى إسرائيل «أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ» هذا من قول موسى (عليه السلام) لفرعون و قومه و المعنى أطلقوا بنى إسرائيل من العذاب و التسخير فإنهم أحرار فهو كقوله «فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ» فىكون عباد الله مفعول أدوا و قال الفراء معناه أدوا إلى ما أمرکم به يا عباد الله «إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ» على ما أؤديه و أدعوکم إليه «وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ» أى لا- تتجبروا على الله بترك طاعته عن الحسن و قيل لا تتكبروا على أولياء الله بالبعى عليهم و قيل: لا تبغوا عليه بكفران نعمه و افتراء الكذب عليه عن ابن عباس و قتاده «إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ» أى بحجه واضحة يظهر الحق معها و قيل بمعجز ظاهر

يبين صحه نبوتى و صدق مقالتي فلما قال ذلك توعدوه بالقتل و الرجم فقال «وَإِنِّي عُيِدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ» أى لذت بمالكي و مالكم و التجأت إليه «أَنْ تَرْجُمُونِ» أى من أن ترموني بالحجاره عن قتاده و قيل إن الرجم الذى استعاذ منه موسى هو الشتم كقولهم هو ساحر كذاب و نحوه عن ابن عباس و أبى صالح «وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَرِلُونِ» أى إن لم تصدقوني فاتركوني لا معى و لا على و قيل معناه فاعتزلوا أذى عن ابن عباس.

[سوره الدخان (٤٤): الآيات ٢٢ الى ٢٩]

اشاره

فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هُوَ لَاءِ قَوْمٍ مُّجْرِمُونَ (٢٢) فَأَسْرِبِعَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ (٢٣) وَ اِثْرَكَ الْبَحْرَ رَهَوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ (٢٤) كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنّاتٍ وَ عُيُونٍ (٢٥) وَ زُرُوعٍ وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَ نَعْمَهُ كَانُوا فِيهَا فَاعْتَرِلُونِ (٢٧) كَذَلِكَ وَ أَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخِرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ وَ مَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (٢٩)

اللغه

الرهو السهل الساكن يقال عيش رآه أى خافض وادع قال الشاعر:

يمشين رهوا فلا الأعجاز خاذله و لا الصدور على الأعجاز تتكل

و قيل الرهو الدمث ليس برملا و لا- حزن عن الأنزهرى يقال جاءت الخيل رهوا أى مسابقه قال ابن الأعرابى الرهو من الطير و الخيل السراع قال الشاعر:

طيرا رأت بازيا نضخ الدماء به و أمه خرجت رهوا إلى عيد.

الإعراب

رهوا نصب على الحال من البحر و يكون حالا بعد الفراغ من الفعل كقولهم قطعت الثوب قباء و هذا يدل على أن البحر كان قبل تركه و بعد تركه رهوا و كم فى

قوله «كَمْ تَرَكُوا» فى موضع نصب بأنه صفة موصوف محذوف و هو مفعول تركوا و تقديره شيئاً كثيراً تركوا كذلك خبر مبتداً محذوف أى الأمر كذلك.

المعنى

ثم ذكر سبحانه تمام قصه موسى بأن قال «فَدَعَا رَبَّهُ» أى فدعا موسى ربه حين يئس من قومه أن يؤمنوا به فقال «أَنْ هُوَ لَاءِ قَوْمٍ مُّجْرِمُونَ» أى مشركون لا يؤمنون عن الكلبى و مقاتل فكأنه قال اللهم عجل لهم مما يستحقونه بكفرهم ما يكونون به نكالا لمن بعدهم و ما دعا عليهم إلا بعد أن أذن له فى ذلك و قوله «فَأَسِيرَ بِعِبَادِي لَيْلًا» الفاء وقعت موقع الجواب و التقدير فأجيب بأن قيل له فأسر بعبادى أمره سبحانه أن يسير بأهله و بالمؤمنين به ليلا حتى لا يردهم فرعون إذا خرجوا نهارا و أعلمه بأنه سيتبعهم فرعون بجنوده بقوله «إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ وَ اتْرُكِ الْبَحْرَ رَهَوًّا» أى ساكنا على ما هو به إذا قطعتة و عبرته و كان قد ضربه بالعصا فانفلق لبنى إسرائيل فأمره الله سبحانه أن يتركة كما هو ليغرق فرعون و قومه عن ابن عباس و مجاهد و قيل رهوا أى منفتحا منكشفيا حتى يطمع فرعون فى دخوله عن أبى مسلم قال قتاده لما قطع موسى البحر عطف ليضرب البحر بعصاه ليلتئم و خاف أن يتبعه فرعون و جنوده فقيل له و اترك البحر رهوا أى كما هو طريقا يابسا «إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّعْرَقُونَ» سيغرقهم الله تعالى ثم أخبر سبحانه عن حالهم بعد إهلا-كهم فقال «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَاتٍ» رائعه «وَ عُيُونٍ» جاريه «وَ زُرُوعٍ» كثيره «وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ» أى مجالس شريفه و منازل خطيره و قيل هى المناظر الحسنه و مجالس الملوك عن مجاهد و قيل منابر الخطباء عن ابن عباس و قيل المقام الكريم الذى يعطى اللذه كما يعطى الرجل الكريم الصله عن على بن عيسى «وَ نَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ» أى و تنعم وسعه فى العيش كانوا ناعمين متمتعين كما يتمتع الآكل بأنواع الفواكه «كَذَلِكَ» قال الكلبى معناه كذلك أفعل بمن عصانى «وَ أَوْرَثْنَا قَوْمًا آخِرِينَ» إيرات النعمة تصيرها إلى الثانى بعد الأول بغير مشقه كما يصير الميراث إلى أهله على تلك الصفه فلما كانت نعمه قوم فرعون وصلت بعد هلاكهم إلى غيرهم كان ذلك إراثا من الله لهم و أراد بقوم آخرين بنى إسرائيل لأنهم رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون «فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ» اختلف فى معناه على وجوه (أحدها) أن معناه لم تبك عليهم أهل السماء و الأرض لكونهم مسخوطا عليهم عن الحسن فىكون مثل قوله حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا أى أصحاب الحرب و نحوه قول الحطيئه:

و شر المنيا ميت وسط أهله كهلك الفتى قد أسلم الحى حاضره

أى و شر المنايا ميته ميت و قال ذو الرمه:

لهم مجلس صهب السبال أذله سواسيه أحرارها و عبيدها

أى لهم أهل مجلس (و ثانيها) أنه سبحانه أراد المبالغه فى وصف القوم بصغر القدر فإن العرب إذا أخبرت عن عظم المصاب بالهالك قالت بكاه السماء و الأرض و أظلم لفقده الشمس و القمر قال جرير يرثى عمر بن عبد العزيز:

الشمس طالعه ليست بكاسفه تبكى عليك نجوم الليل و القمر

أى ليست مع طلوعها كاسفه نجوم الليل و القمر لأن عظم المصيبة قد سلبها ضوءها و قال النابغه:

تبدو كواكبه و الشمس طالعه لا النور نور و لا الإظلام إظلام

و ثالثها أن يكون ذلك كناية عن أنه لم يكن لهم فى الأرض عمل صالح يرفع منها إلى السماء و قد روى عن ابن عباس أنه سئل عن هذه الآية فقليل و هل يبكيان على أحد قال نعم مصلاه فى الأرض و مصعد عمله فى السماء و

روى أنس عن النبى ص قال ما من مؤمن إلا و له باب يصعد منه عمله و باب ينزل منه رزقه فإذا مات بكيا عليه

فعلى هذا يكون معنى البكاء الإخبار عن الاختلال بعده كما قال مزاحم العقيلي:

بكت دارهم من أجلهم فتهللت دموعى فأى الجازعين ألوم

أ مستعبرا يبكى من الهون و البلى أم آخر يبكى شجوه و يهيم

و قال السدى لما قتل الحسين بن على بن أبى طالب (عليه السلام) بكت السماء عليه و بكأؤها حمرة أطرافها و

روى زراره بن أعين عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال بكت السماء على يحيى

بن زكريا و على الحسين بن على (عليه السلام) أربعين صباحا و لم تبيك إلا عليهما قلت و ما بكأوها قال كانت تطلع حمراء و تغيب حمراء

«و ما كانوا مُنْظَرِينَ» أى عوجلوا بالعقوبه و لم يمهلوا.

[سوره الدخان (٤٤): الآيات ٣٠ الى ٤٠]

إشاره

وَ لَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (٣٠) مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ (٣١) وَ لَقَدْ اخْتَرْنَا لَهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٢) وَ آتَيْنَاهُمْ مِنَ آيَاتِ مَا فِيهِ بَلْؤًا مُبِينًا (٣٣) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ (٣٤)

إِنْ هِيَ إِلَّا- مُؤْتَتْنَا الْأُولَى وَ مَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ (٣٥) فَآتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٦) أَ هُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَ هَلَكْنَا هُمْ إِنْهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٣٧) وَ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا لِاعْيَبِنَ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٩)

إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٠)

الإعراب

«مِنْ فِرْعَوْنَ» أى من عذاب فرعون فحذف المضاف و يجوز أن يكون حالا- من العذاب المهين أى ثابتا من فرعون فلا يكون على حذف المضاف. «أ هُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» يجوز أن يكون الذين من قبلهم مبتدأ و أهلكتناهم خبره و يجوز أن يكون منتصبا بفعل مضمر دل عليه أهلكتناهم و يجوز أن يكون رفعا بالعطف على قوم تبع فعلى هذا تقف على قبلهم و يكون أهلكتناهم فى تقدير و أهلكتناهم أى و المهلكون من قبلهم.

المعنى

ثم أقسم سبحانه بقوله «وَ لَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ» الذين آمنوا بموسى «مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ» يعنى قتل الأبناء و استخدام النساء و الاستعباد و تكليف المشاق «مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا» أى متجبرا متكبرا متغلبا «مِنَ الْمُسْرِفِينَ» أى المجاوزين الحد فى الطغيان وصفه بأنه عال و إن جاز أن يكون عال صفه مدح لأنه قيده بأنه عال فى الإسراف

لأن العالی فی الإحسان ممدوح و العالی فی الإساءة مذموم «وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ» أى اخترنا موسى و قومه بنى إسرائيل و فضلناهم بالتوراه و كثره الأنبياء منهم «عَلَى عِلْمٍ» أى على بصيره منا باستحقاقهم التفضيل و الاختيار «عَلَى الْعَالَمِينَ» أى على عالمى زمانهم عن قتاده و الحسن و مجاهد و يدل عليه قوله تعالى لأمه نبينا ص كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّهٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ و قيل فضلناهم على جميع العالمين فى أمر كانوا مخصوصين به و هو كثره الأنبياء منهم «وَآتَيْنَاهُمْ» أى و أعطيناهم «مِنَ الْآيَاتِ» يعنى الدلالات و المعجزات مثل فلق البحر و تظليل الغمام و إنزال المن و السلوى «مَا فِيهِ بَلْؤًا مُّبِينٌ» أى ما فيه النعمة الظاهره عن الحسن و قيل ما فيه شده و امتحان مثل العصا و اليد البيضاء فالبلاء يكون بالشده و الرخاء عن ابن زيد فيكون فى الآيات نعمه على الأنبياء و قومهم و شده على الكفار المكذبين بهم ثم أخبر سبحانه عن كفار قوم نبينا ص الذين ذكرهم فى أول السوره فقال «إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى» أى ما الموته إلا موته نموتها فى الدنيا ثم لا نبعث بعدها و هو قوله «وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ» أى بمبعوثين و لا معادين «فَأُتُوا بِآبَائِنَا» الذين ماتوا قبلنا و أعيدوهم «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فى أن الله تعالى يقدر على إعادة الأموات و إحيائهم و قيل إن قائل هذا أبو جهل بن هشام قال إن كنت صادقا فابعث جدك قصى بن كلاب فإنه كان رجلا صادقا لئسأله عما يكون بعد الموت و هذا القول جهل من أبى جهل من وجهين (أحدهما) أن الإعادة إنما هى للجزاء لا للتكليف و ليست هذه الدار بدار جزاء و لكنها دار تكليف فكأنه قال: إن كنت صادقا فى إعادتهم للجزاء فأعدهم للتكليف (و الثانى) أن الإحياء فى دار الدنيا إنما يكون للمصلحه فلا يقف ذلك على اقتراحهم لأنه ربما تعلق بذلك مفسده و لما تركوا الحجه و عدلوا إلى الشبهه جهلا عدل سبحانه فى إجابتهم إلى الوعيد و الوعظ فقال «أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ» أى أم مشركو قريش أظهر نعمه و أكثر أموالا و أعز فى القوه و القدره أم قوم تبع الحميرى الذى سار بالجيوش حتى حير الحيره ثم أتى سمرقند فهدمها ثم بناها و كان إذا كتب كتب باسم الذى ملك برا و بحرا و ضحا و ريحا عن قتاده و سمي تبعا لكثرة أتباعه من الناس و قيل سمي تبعا لأنه تبع من قبله من ملوك اليمن و التبابعة اسم ملوك اليمن فتبع لقب له كما يقال خاقان لملك الترك و قيصر لملك الروم و اسمه أسعد أبو كرب و

روى سهل بن سعد عن النبى ص أنه قال لا تسبوا تبعا فإنه كان قد أسلم

و قال كعب نعم الرجل الصالح ذم الله قومه

ص: ١٠١

روى الوليد بن صبيح عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال إن تبعنا قال للأوس و الخزرج كونوا هاهنا حتى يخرج هذا النبي أما أنا لو أدركته لخدمته و خرجت معه

«وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» يعنى من تقدمهم من قوم نوح و عاد و ثمود «أَهْلَكْنَاهُمْ» معناه أنهم ليسوا بأفضل منهم و قد أهلكناهم بكفرهم و هؤلاء مثلهم بل أولئك كانوا أكثر قوه و عددا فإهلاك هؤلاء أيسر «إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ» أى كافرين فليحذر هؤلاء أن ينالهم مثل ما نال أولئك «وَ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا لِأَعْبِينَ» أى لم نخلق ذلك لا لغرض حكى بل خلقناهما لغرض حكى و هو أن نفع المكلفين بذلك و نعرضهم للثواب و نفع سائر الحيوانات بضروب المنافع و اللذات و «مَا خَلَقْنَاهُمْ إِلَّا بِالْحَقِّ» أى إلا بالعلم الداعى إلى خلقهما و العلم لا يدعو إلا إلى الصواب و الحق و قيل معناه ما خلقناهما إلا للحق و هو الامتحان بالأمر و النهى و التمييز بين المحسن و المسىء لقوله لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا الآية و قيل معناه ما خلقناهما إلا على الحق الذى يستحق به الحمد خلاف الباطل الذى يستحق به الذم «وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» صحه ما قلناه لعدولهم عن النظر فيه و لا استدلال على صحته «إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ» يعنى اليوم الذى يفصل فيه بين المحق و المبطل و هو يوم القيامة و قيل معناه يوم الحكم ميقات قوم فرعون و قوم تبع و من قبلهم و مشركى قريش و موعدهم.

[سوره الدخان (٤٤): الآيات ٤١ الى ٥٠]

إشارة

يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً وَ لَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤١) إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٤٢) إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥)

كَغَلِي الْحَمِيمِ (٤٦) خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صِدِّبُوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ (٥٠)

القراءة

قرأ أهل مكة و حفص و رويس «يَغْلِي» بالياء و الباقون تغلى بالتاء و قرأ أهل الكوفة و أبو جعفر و أبو عمرو فاعتلوه بكسر التاء و الباقون بضمها و قرأ الكسائي وحده ذق أنك بفتح الهمزة و الباقون «إِنَّكَ» بكسرها.

من قرأ تغلى بالتاء فعلى الشجره كان الشجره تغلى و من قرأ بالياء حملة على الطعام و هو الشجره فى المعنى و يعتل و يعتل مثل يعكف و يعكف و يفسق و يفسق فى أنهما لغتان و معنى فاعتلوه قودوه بعنف و من قرأ «إِنَّكَ» بالكسر فالمعنى إنك أنت العزيز الكريم فى زعمك فأجرى ذلك على حسب ما كان يذكره أو يذكر به و من قرأ أنك بالفتح فالمعنى ذق بأنك.

المعنى

لما ذكر سبحانه أن يوم الفصل ميعات الخلق يحشرهم فيه بين أى يوم هو فقال «يَوْمَ لَا- يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً» فالمولى صاحب الذى من شأنه أن يتولى معونه صاحبه على أموره فيدخل فى ذلك ابن العم و الناصر و الحليف و غيرهم ممن هذه صفته و المعنى أن ذلك اليوم يوم لا- يغنى فيه ولى عن ولى شيئاً و لا يدفع عنه عذاب الله تعالى «وَلَا هُمْ يُنصِرُونَ» و هذا لا ينافى ما يذهب إليه أكثر الأمة من إثبات الشفاعة للنبي ص و الأئمة (عليه السلام) و المؤمنين لأن الشفاعة لا تحصل إلا بأمر الله تعالى و إذنه و المراد بالآيه أنه ليس لهم من يدفع عنهم عذاب الله و ينصرهم من غير أن يأذن الله له فيه و قد بين ما أشرنا إليه باستثناءه من رحمه منهم فقال «إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ» أى إلا الذين رحمهم الله من المؤمنين فإنه إما أن يسقط عقابهم ابتداءً أو يأذن بالشفاعة فيهم لمن علت درجته عنده فيسقط عقاب المشفوع له لشفاعته «إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ» فى انتقاله من أعدائه «الرَّحِيمُ» بالمؤمنين ثم وصف سبحانه ما يفصل به بين الفريقين فقال «إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ» و قد مر تفسيره فى سورة الصافات «طَعَامُ الْأَثِيمِ» أى الآثم و هو أبو جهل و

روى أن أبا جهل أتى بتمر و زبد فجمع بينهما و أكل و قال هذا هو الزقوم الذى يخوفنا محمد به نحن نتزقمه

أى نملاً- أفواهنا به فقال سبحانه «كَالْمُهْلِ» و هو المذاب من النحاس أو الرصاص أو الذهب أو الفضة و قيل هو دردى الزيت «يَغْلَى فِي الْبُطُونِ كَغَلِي الْحَمِيمِ» أى إذا حصلت فى أجواف أهل النار تغلى كغلى الماء الحار الشديد الحرارة قال أبو على الفارسي لا يجوز أن يكون المعنى يغلى المهل فى البطن لأن المهل إنما ذكر للتشبيه به فى الذوب أ لا ترى أن المهل لا يغلى فى البطن و إنما يغلى ما شبع به «حُدُوهُ» أى يقال للزبانية خذوا الأثيم «فَاعْتَلَوْهُ» أى زرعوه و ادفعوه بعنف و منه قول الشاعر:

فيا ضيعه الفتیان إذ يعتلونه ببطن الثرى مثل الفنيق المسدم

وقيل معناه جروه على وجهه عن مجاهد «إلى سواء الجحيم» أى إلى وسط النار عن قتاده وسمى وسط الشئ سواء لاستواء المسافه بينه وبين أطرافه المحيطه به و سواء العدل «ثُمَّ صُيِّبُوا فَوْقَ رَأْسِهِ» قال مقاتل إن خازن النار يمر به على رأسه فيذهب رأسه عن دماغه ثم يصب فيه «مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ» وهو الماء الذى قد انتهى حره و يقول له «ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ» و ذلك أنه كان يقول أنا أعز أهل الوادى و أكرمهم فيقول له الملك ذق العذاب أيها المتعزز المتكرم فى زعمك و فيما كنت تقول و قيل إنه على معنى النقيض فكأنه قيل إنك أنت الذليل المهين إلا أنه قيل على هذا الوجه للاستخفاف به و قيل معناه إنك أنت العزيز فى قومك الكريم عليهم فما أغنى ذلك عنك «إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ» أى ثم يقال لهم إن هذا لعذاب ما كنتم تشكون فيه فى دار الدنيا.

[سوره الدخان (٤٤): الآيات ٥١ الى ٥٩]

إشارة

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمَنِينَ (٥٥)

لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضَلَّأَ مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٥٧) فَإِنَّمَا يَسْرُنَاةً بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥٨) فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ (٥٩)

القراءه

قرأ أهل المدينة و ابن عامر فى مقام بالضم و الباقون «فى مقام» بالفتح.

الحجه

من فتح الميم أراد به المجلس و المشهد كما قال فى مَقْعِدِ صِدْقٍ و وصفه بالأمن يقوى أن المراد به المكان و من ضم فإنه يحتمل أن يريد به المكان من أقام فيكون على هذا معنى القراءتين واحدا و يجوز أن يجعله مصدرا و يقدر المضاف محذوفا أى موضع إقامه.

السندس الحرير و الإستبرق الديباج الغليظ الصفيق قال الزجاج إنما قيل له إستبرق لشده بريقه و الحور جمع حوراء من الحور و هو شده البياض و هن البيض الوجوه و قال أبو عبيده الحوراء الشديده بياض العين الشديده سوادها و العين جمع العيناء و هى العظيمة العينين.

الإعراب

كذلك جار و مجرور فى موضع رفع بأنه خبر المبتدأ التقدير الأمر كذلك متقابلين نصب على الحال من يلبسون و يلبسون يجوز أن يكون خبرا بعد خبر و يجوز أن يكون حالا- من الظرف الذى هو قوله «فى مقام» لأن التقدير أن المتقين ثبتوا فى مقام و مفعول يلبسون محذوف و تقديره يلبسون ثيابا من سندس فأمنين حال من يدعون الموتة الأولى نصب على الاستثناء قال الزجاج معناه سوى الموتة التى ذاقوها فى الدنيا كقوله «و لا تَنكِحُوا ما نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا ما قَدْ سَلَفَ» المعنى سوى ما قد سلف و أقول إن سوى لا يكون إلا ظرفا و إلا حرف فكيف يكون بمعناه فالأولى أن يكون إلا هنا مع ما بعدها صفة أو بدلا بمعنى غير تقديره و لا- يذوقون فيها الموت غير الموتة الأولى إذ الموتة الأولى و قد انقضت فلا- يمكن أن يستثنى من الموت الذى لا يذوقونه فى الجنة إذ ليست بداخله فيه و قوله «فَضَلًّا مِنْ رَبِّكَ» مفعول له تقديره فعل الله ذلك بهم فضلا منه و تفضلا منه و يجوز أن يكون منصوبا بفعل مضمر تقديره و أعطاهم فضلا و يجوز أن يكون مصدرا مؤكدا لما قبله لأن ما ذكره قبله تفضل منه سبحانه كقول امرء القيس:

" و رضت فذلت صعبه أى إذلال "

على معنى أذلتته أى إذلال فاستغنى عن أذلتته بذكر رضت.

المعنى

ثم عقب سبحانه الوعيد بذكر الوعد فقال «إِنَّ الْمُتَّقِينَ» الذين يجتنبون معاصى الله لكونها قبائح و يفعلون الطاعات لكونها طاعات «فى مقام أمين» أمنوا فيه الغير من الموت و الحوادث و قيل أمنوا فيه من الشيطان و الأ-حزان عن قتاده «فى جَنَاتٍ وَ عُيُونٍ» أى بساتين و عيون ماء نابعه فيها «يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَ إِسْتَبْرَقٍ» خاطب العرب فوعدهم من الثياب بما عظم عندهم و اشتتهه أنفسهم و قيل السندس ما يلبسونه و الإستبرق ما يفترشونه «مُتَقَابِلِينَ» فى المجالس لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض بل يقابل بعضا و قيل معناه متقابلين بالمحبة لا- متدابرين بالبغضه «كَذَلِكَ» حال أهل الجنة «وَ زَوْجَانُهُمْ بِحُورٍ عِينٍ» قال الأخفش المراد به التزويج المعروف يقال زوجته امرأه و بامرأه و قال غيره لا يكون فى الجنة

تزيج و المعنى و قرناهم بحور عين «يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ» أى يستدعون فيها أى ثمره شاءوا و اشتهاوا غير خائفين فوتها آمينين من نفاذاها و مضرتها و قيل آمينين من التخم و الأسقام و الأوجاع «لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ» شبه الموت بالطعام الذى يذاق و يتكره عند المذاق ثم نفى أن يكون ذلك فى الجنة و إنما خصهم بأنهم لا يذوقون الموت مع أن جميع أهل الآخرة لا يذوقون الموت لما فى ذلك من البشارة لهم بالحياه الهنيئه فى الجنة فأما من يكون فيما هو كالموت فى الشده فإنه لا يطلق له هذه الصفه لأنه يموت موتات كثيره بما يقاسيه من العقوبه «إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى» قيل معناه بعد الموتة الأولى و قيل معناه لكن الموتة الأولى قد ذاقوها و قيل سوى الموتة الأولى و قد بينا ما عندنا فيه «وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ» أى فصرف عنهم عذاب النار. استدلت المعتزله بهذا على أن الفاسق الملى لا يخرج من النار لأنه يكون قد وقى النار و الجواب عن ذلك أن هذه الآيه يجوز أن تكون مختصه بمن لا يستحق دخول النار فلا يدخلها أو بمن استحق النار فتفضل عليه بالعفو فلم يدخلها و يجوز أن يكون المراد و وقاهم عذاب الجحيم على وجه التأييد أو على الوجه الذى يعذب عليه الكفار «فَضَلًا مِنْ رَبِّكَ» أى فعل الله ذلك بهم تفضلا منه لأنه سبحانه خلقهم و أنعم عليهم و ركب فيهم العقل و كلفهم و بين لهم من الآيات ما استدلوا به على وحدانيه الله تعالى و حسن الطاعات فاستحقوا به النعم العظيمه ثم جزاهم بالحسنه عشر أمثالها فكان ذلك فضلا منه عز اسمه و قيل إنما سماه فضلا و إن كان مستحقا لأن سبب الاستحقاق هو التكليف و التمكين و هو فضل منه سبحانه «ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» أى الظفر بالمطلوب العظيم الشأن «فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ» أى سهلنا القرآن فالحاء كناية عن غير مذكور و المعنى هونا القرآن على لسانك و يسرنا قراءته عليك و قيل معناه جعلنا القرآن عربيا ليسهل عليك و على قومك تفهمه «لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» أى ليتذكروا ما فيه من الأمر و النهى و الوعد و الوعيد و يتفكروا فيه «فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ» أى فإن أعرضوا و لم يقبلوا فانتظر مجىء ما وعدناك به إنهم منتظرون لأنهم فى حكم من ينتظر لأن المحسن يتربق عاقبه الإحسان و المسىء يتربق عاقبه الإساءه و قيل معناه انتظر بهم عذاب الله فإنهم ينتظرون بك الدوائر و قيل انتظر قهرهم و نصرك عليهم فإنهم منتظرون قهرك بزعمهم.

(٤٥) سورة الجاثية مكيه إلا آيه ١٤ فمدنيه و آياتها سبع و ثلاثون (٣٧)

إشارة

إشارة

نزلت بعد الدخان و تسمى أيضا سورة الشريعة لقوله فيها «ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيْعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ» و هي مكيه قال قتاده إلا آيه منها نزلت بالمدينه «قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا» الآية.

عدد آياتها

سبع و ثلاثون آيه كوفي ست في الباقيين.

اختلافها

آيه «حم» كوفي.

فضلها

أبي بن كعب عن النبي ص قال و من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته و سكن روعته عند الحساب

و

روى أبو بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ سورة الجاثية كان ثوابها أن لا يرى النار أبدا و لا يسمع زفير جهنم و لا شهيقها و هو مع محمد ص.

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة الدخان بذكر القرآن افتتح هذه السوره بذكره أيضا فقال سبحانه:

ص: ١٠٧

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ (٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّهِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤)

وَ اِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٥)

القراءة

قرأ حمزه والكسائي ويعقوب آيات في الموضعين على النصب و الباقر «آيات» على الرفع فيهما.

الحجج

قال أبو علي قوله «وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّهِ آيَاتٌ» جاز الرفع في قوله «آيات» من وجهين (أحدهما) العطف على موضع إن و ما عملت فيه فإنه رفع بالابتداء فيحتمل الرفع فيه على الموضع (و الآخر) أن يكون مستأنفا و يكون الكلام جملة معطوفة على جملة فيكون قوله «آيات» على هذا مرتفعا بالظرف فهذا وجه من رفع آيات في الموضعين قال أبو الحسن «مِنْ دَابَّهِ آيَاتٌ» قراءة الناس بالرفع و هي أجود و بها نقرأ لأنه قد صار على كلام آخر نحو إن في الدار زيدا و في البيت عمرو لأنك إنما تعطف الكلام كله على الكلام كله قال و قد قرئ بالنصب و هو عربي انتهت الحكاياه عنه و أما قوله «وَ اِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» إلى آخره آيات فإنك إن تركت الكلام على ظاهره فإن فيه عطفًا على عاملين أحد العاملين الجار الذي هو في من قوله «وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّهِ» و العامل الآخر إن نصبت آيات و إن رفعت فالعامل المعطوف عليه الابتداء أو الظرف و وجه قراءة من قرأ آيات بالنصب أنه لم يحمل على موضع إن كما حمل من و رفع آيات في الموضعين أو قطعه و استأنف و لكن حمل على لفظ أن دون موضعها فحمل آيات في الموضعين على نصب إن في قوله «إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ» فإن قلت إنه يعرض في هذه القراءة العطف على عاملين و ذلك في قوله و اختلاف الليل و النهار آيات و سيويه و كثير من النحويين لا يجيزونه قيل يجوز أن يقدر في قوله و اختلاف الليل و النهار آيات و إن كانت محذوفة من اللفظ و ذلك أن ذكره قد تقدم في قوله «إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ» و قوله «وَفِي خَلْقِكُمْ» فلما تقدم ذكر الجار في هذين قدر فيه الإثبات في اللفظ و إن كان محذوفًا منه كما قدر سيويه في قوله:

أكل امرء تحسبين امرءا و نار تأجج بالليل نارا

أن كل في حكم الملفوظ به و استغنى عن إظهاره بتقدم ذكره و مما يؤكد هذه القراءة في أن آيات محموله على أن ما ذكر عن أبي أنه قرأ في المواضع الثلاثة لآيات فدخول اللامات تدل على أن الكلام محمول على أن و إذا كان محمولا عليها حسن

النصب و صار كل موضع من ذلك كان أن المذكوره فيه بدلاله دخول اللام لأن هذه اللام إنما تدخل على خبر إن أو على اسمها و مما يجوز أن يتأول على ما ذكرنا قول الفرزدق:

ص: ١٠٨

و باشر راعيها الصلا بلبانه و كفيه حر النار ما يتحرف

فهذا إن حملت الكلام على ظاهره كان عطفاً على عاملين على الفعل و الباء إن قدرت أن الباء ملفوظ بها لتقدم ذكرها صارت في حكم الثبات في اللفظ و إذا صار كذلك كان العطف على عامل واحد و هو الفعل دون الجار و كذلك قول الآخر:

أوصيت من بره قلباً حراً بالكلب خيراً و الحماء شراً

فإن قدرت الجار في حكم المذكور لدلاله المتقدم عليه لم يكن عطفاً على عاملين كما لم يكن قوله و اختلاف الليل و النهار لآيات كذلك و قد يخرج قوله و اختلاف الليل و النهار آيات من أن يكون عطفاً على عاملين من وجه آخر و هو أن تقدر قوله «وَ اِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ» على في المتقدم ذكرها و تجعل «آيات» متكرره كررتها لما تراخى الكلام و طال كما قال بعض شيوخنا في قوله تعالى أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ أَنْ أَنْهَى الْأُولَى كَرَّرَتْ وَ كَمَا جَاءَ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ لَمَّا تَرَخَى عَنْ قَوْلِهِ وَ لَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ هَذَا النُّحُو فِي كَلَامِهِمْ غَيْرَ ضَيْقٍ.

المعنى

«حم» قد بينا ما قيل فيه و أجود الأقوال إنه اسم للسوره قال على بن عيسى و في تسميه السوره بحم دلالة على أن هذا القرآن المعجز كله من حروف المعجم لأنه سمي به ليدل عليه بأوصافه و من أوصافه أنه معجز و أنه مفصل قد فصلت كل سوره من أختها و أنه هدى و نور فكأنه قيل هذا اسمه الدال عليه بأوصافه «تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ» أضاف التنزيل إلى نفسه في مواضع من السور استفتاحاً بتعظيم شأنه و تفخيم قدره بإضافته إلى نفسه من أكرم الوجوه و أجلها و ما اقتضى هذا المعنى لم يكن تكريراً فقد يقول القائل اللهم اغفر لى اللهم ارحمنى اللهم عافنى اللهم وسع على فى رزقى فىأتى بما يؤذن أن تعظيمه لربه منعقد بكل ما يدعو به و قوله «مِنَ اللَّهِ» يدل على أن ابتداءه من الله تعالى «الْعَزِيزِ» أى القادر الذى لا يغالب «الْحَكِيمِ» العالم الذى أفعاله كلها حكمه و صواب «إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ» الذين يصدقون بالله و بأنبيائه لأنهم المنتفعون بالآيات و هى الدلالات و الحجج الداله على أن لهما مدبراً صانعاً قادراً عالماً «وَ فِي خَلْقِكُمْ وَ مَا يَبْتُ مِنْ

ص: ١٠٩

دَائِهِ آيَاتٌ» معناه و فى خلقه إياكم بما فيكم من بدائع الصنعه و عجائب الخلقه و ما يتعاقب عليكم من الأحوال من مبتدأ خلقكم فى بطون الأمهات إلى انقضاء الآجال و فى خلق ما يفرق على وجه الأرض من الحيوانات على اختلاف أجناسها و منافعها و المقاصد المطلوبه منها دلالات و اوضحات على ما ذكرناه «لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ» أى يطلبون علم اليقين بالتدبر و التفكير «وَ اِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ» أى و فى ذهاب الليل و النهار و مجيئها على وتيره واحده و قيل معناه و فى اختلاف حالهما من الطول و القصر و قيل اختلافهما فى أن أحدهما نور و الآخر ظلمه «وَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ» أراد به المطر الذى ينبت به النبات الذى هو رزق الخلائق فسماه رزقا لأنه سبب الرزق «فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا» أى فأحيا بذلك المطر الأرض بعد يبسها و جفافها «وَ تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ» أى و فى تصريف الرياح يجعلها مره جنوبا و أخرى شمالا و مره صبا و أخرى دبوراً عن الحسن و قيل يجعلها تاره رحمة و تاره عذابا عن قتاده «آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» ووجه الأدله و يتدبرونها فيعلمون أن لهذه الأشياء مدبرا حكيما قادرا عليما حيا غنيا قديما لا يشبهه شىء .

[سوره الجاثيه (٤٥): الآيات ٦ الى ١٠]

إشاره

تَلَمَّكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبَأَى حَيْدِثٍ بَعِيدَ اللَّهِ وَ آيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (٦) وَيَلُ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٩) مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَ لَا يُعْنَى عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَ لَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠)

القرءاءه

قرأ أهل الكوفه غير حفص و الأعشى و البرجمى و ابن عامر و يعقوب تؤمنون بالتاء و الباقون بالياء.

قال أبو علي حججه من قرأ بالياء أن قبله غيبه و هو قوله لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ و من قرأ بالناء فالتقدير قل لهم فبأى حديث بعد ذلك تؤمنون.

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر الأدله عقب ذلك بالوعيد لمن أعرض عنها و لم يتفكر فيها فقال «تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ» أى ما ذكرناه أدله الله التى نصبها لخلقه المكلفين «تَتْلُوها عَلَيْكَ» أى نقرأها عليك يا محمد لتقرأها عليهم «بِالْحَقِّ» دون الباطل و التلاوه الإتيان بالثانى فى أثر الأول فى القراءه و الحق الذى تتلى به الآيات هو كلام مدلوله على ما هو به فى جميع أنواعه «فَبِأىِّ حَيْدِثٍ بَعَيْدَ اللَّهِ وَ آيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ» معناه إن هؤلاء الكفار إن لم يصدقوا بما تلوناه عليك فبأى حديث بعد حديث الله و هو القرآن و آياته يصدقون و بأى كلام ينتفعون و هذا إشاره إلى أن المعاند لا حيله له و الفرق بين الحديث الذى هو القرآن و بين الآيات أن الحديث قصص يستخرج منه الحق من الباطل و الآيات هى الأدله الفاصله بين الصحيح و الفاسد «وَيُؤَلِّمُ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ» الأفاك الفعال من الإفك و هو الكذب و يطلق ذلك على من يكثر كذبه أو يعظم كذبه و إن كان فى خبر واحد ككذب مسيلمه فى ادعاء النبوه و الأثيم ذو الإثم و هو صاحب المعصيه التى يستحق بها العقاب و الويل كلمه وعيد يتلقى بها الكفار و قيل هو واد سائل من صديد جهنم ثم وصف سبحانه الأفاك الأثيم بقوله «يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ» أى يسمع آيات القرآن التى فيها الحججه تقرأ عليه «ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا» أى يقيم على كفره و باطله متعظما عند نفسه عن الانقياد للحق «كَأَنَّ لَمْ يَسْمَعْهَا» أصلا فى عدم القبول لها و الاعتبار بها «فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» أى مؤلم «وَ إِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَها هُزُوءًا» أى و إذا علم هذا الأفاك الأثيم من حججنا و أدلتنا شيئا استهزأ بها ليرى العوام أنه لا حقيقه لها كما فعله أبو جهل حين سمع قوله «إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ» أو كما فعله النضر بن الحارث حين كان يقابل القرآن بأحاديث الفرس «أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ» أى مذل مخز مع ما فيه من الألم «مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ» أى من وراء ما هم فيه من التعزز بالمال و الدنيا جهنم و معناه قدامهم و من بين أيديهم كقوله وَ كَانَ وَرَاءَهُمْ مَلَكٌ وَ وَرَاءَ اسْمِ يَقَعُ عَلَى الْقَدَامِ وَ الْخَلْفِ فِيمَا تَوَارَى عَنْكَ فَهُوَ وَرَاؤَكَ خَلْفَكَ كَانَ أَوْ أَمَامَكَ «وَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا» أى لا يغنى عنهم ما حصلوا و جمعوه من المال و الولد شيئا من عذاب الله تعالى «وَ لَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ» من الآلهه التى عبدوها لتكون شفعاءهم عند الله «وَ لَهُمْ» مع ذلك «عَذَابٌ عَظِيمٌ».

إشاره

هذا هُدًى وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٍ (١١) اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَ لَتَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) وَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣) قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١٥)

القراءه

قرأ ابن كثير و حفص «مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٍ» بالرفع و الباقون أليم بالجر و قرأ أبو جعفر ليجز بضم الياء و فتح الزاي و قرأ ابن عامر و حمزه و الكسائي و خلف لنجزي بالنون و كسر الزاي و النصب و قرأ الباقون «لِيَجْزِيَ» بفتح الياء و كسر الزاي.

الحجه

قال أبو علي الرجز العذاب فمن جر فالتقدير بهم من عذاب أليم و من رفع فالمعنى عذاب أليم من عذاب و فيه قولان (أحدهما) أن الصفه قد تجىء على وجه التأكيد كما أن الحال قد تجىء كذلك و ذلك نحو قوله نَفْحَهُ وَاحِدَةٌ وَ مَنَاهُ الثَّلَاثَةُ الْأُخْرَى و قولهم أمس الدابر قال:

و أبقى الذى ترك الملوک و جمعهم بفعال هامده كأمس الدابر

(و الآخر) أنه محمول على أنه بمعنى الرجز الذى هو النجاسه على البديل للمقاربه و معنى النجاسه فيه قوله وَ يُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَ لَا يَكَادُ يُسَبِّغُهُ فَكَانَ الْمَعْنَى لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ تَجَرُّعِ رِجْسٍ أَوْ شَرَبِ رِجْسٍ فَتَكُونُ مِنْ تَبْيِينِ الْعَذَابِ مِمَّ هُوَ وَ مِنْ قَرَأَ «لِيَجْزِيَ» بِالْيَاءِ فَحِجَّتْهُ أَنْ ذَكَرَ اللَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ «لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ» فَيَكُونُ فَاعِلٌ يَجْزِي وَ مِنْ قَرَأَ بِالنُّونِ فَالنُّونُ فِي مَعْنَى الْيَاءِ وَ إِنْ كَانَتِ الْيَاءُ أَشَدَّ مُطَابِقَةً لِمَا فِي اللَّفْظِ وَ مِنْ قَرَأَ «لِيَجْزِيَ قَوْماً»

فقال أبو عمرو إنه لحسن ظاهر و ذكر أن الكسائي قال إن معناه ليجزى الجزاء قوما قال الجامع البصير معناه ليجزى الخير قوما فأضمر الخير لدلاله الكلام عليه و ليس التقدير ليجزى الجزاء قوما لأن المصدر لا يقوم مقام الفاعل و معك مفعول صحيح فإذا الخير مضمرة كما أضمر الشمس في قوله حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ لِأَن قَوْلَهُ إِذْ عَرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ يدل على توارى الشمس.

المعنى

ثم قال سبحانه «هذا هُيْدَى» أى هذا القرآن الذى تلوناه و الحديث الذى ذكرناه هدى أى دلاله موصله إلى الفرق بين الحق و الباطل من أمور الدين و الدنيا «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ» و جحدوها «لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٍ» مر معناه ثم نبه سبحانه خلقه على وجه الدلالة على توحيده فقال «اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ» أى جعله على هيئته لتجرى السفن فيه «وَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ» أى و لتطلبوا بركوبه فى أسفاركم من الأرباح بالتجارات «وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» له هذه النعمة «وَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ» أى سخر لكم مع ذلك معاشر الخلق ما فى السماوات من الشمس و القمر و النجوم و المطر و الثلج و البرد و ما فى الأرض من الدواب و الأشجار و النبات و الأثمار و الأنهار و معنى تسخيرها لنا أنه تعالى خلقها جميعا لانتفاعنا بها فهى مسخره لنا من حيث أنا ننتفع بها على الوجه الذى نريده و قوله «جَمِيعاً مِنْهُ» قال ابن عباس أى كل ذلك رحمه منه لكم قال الزجاج كل ذلك منه تفضل و إحسان و يحسن الوقف على قوله «جَمِيعاً» ثم يقول منه أى ذلك التسخير منه لا من غيره فهو فضله و إحسانه و روى عن ابن عباس و عبد الله بن عمر و الجحدري أنهم قرءوا منه منصوبه و منونه و على هذا فيكون من باب تبسمت و ميض البرق فكأنه قال من عليهم منه و روى عن سلمه أنه قرأ منه بالرفع و على هذا فيكون خبر مبتدأ محذوف أى ذلك منه أو هو منه أو يكون على معنى سخر لكم ذلك منه «إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ» أى دلالات «لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال «قُلْ» يا محمد «لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا» هذا جواب أمر محذوف دل عليه الكلام و تقديره قل لهم اغفروا يغفروا فصار قل لهم على هذا الوجه يعنى عنه عن على بن عيسى و قيل معناه قل للذين آمنوا اغفروا و لكنه شبه بالشرط و الجزاء كقوله قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ عَنِ الْفِرَاءِ وَ قِيلَ يَغْفِرُوا تَقْدِيرَهُ يَا هَؤُلَاءِ اغْفِرُوا فَحَذَفِ الْمُنَادَى كقوله ألا يا اسجدوا لله و قول الشاعر:

" ألا يا أسلمى ذات الدماليج و العقد "

«لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ» أى لا يخافون عذاب الله إذا

نالوكم بالأذى و المكروه و لا- يرجون ثوابه بالكف عنكم و قد مر تفسير أيام الله عند قوله وَ ذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ و معنى يغفروا هاهنا يتركوا مجازاتهم على أذاهم و لا يكافئوهم ليتولى الله مجازاتهم «لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» بيان هذا الجزاء فى الآيه التى تليها و هو قوله «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا» أى طاعه و خيرا و برا «فَلِنَفْسِهِ» لأن ثواب ذلك يعود عليه «وَ مَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا» أى فوبال إساءته على نفسه «ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ» يوم القيامة أى إلى حيث لا- يملك أحد النفع و الضر و النهى و الأمر غيره سبحانه فيجازى كل إنسان على قدر عمله.

[سوره الجاثيه (٤٥): الآيات ١٦ الى ٢٠]

إشاره

وَ لَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَ الْحُكْمَ وَ التُّبُوَّةَ وَ رَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَ فَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ (١٦) وَ آتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِمَّنْ بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٧) ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩) هَذَا بَصَائِرٌ لِلنَّاسِ وَ هُدًى وَ رَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٢٠)

المعنى

لما تقدم ذكر النعمه و مقابلتهم إياها بالكفر و الطغيان بين عقيب ذلك ذكر ما كان من بنى إسرائيل أيضا فى مقابله النعم من الكفران فقال: «وَ لَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ» يعنى التوراه «وَ الْحُكْمَ» يعنى العلم بالدين و قيل العلم بالفصل بين الخصمين و بين المحق و المبطل «وَ التُّبُوَّةَ» أى و جعلنا فيهم البنوه حتى

روى أنه كان فيهم ألف نبي

«وَ رَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ» أى و أعطيناهم من أنواع الطيبات «وَ فَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ» أى عالمى زمانهم و قيل فضلناهم فى كثره الأنبياء منهم على سائر الأمم و إن كانت أمه محمد ص أفضل منهم فى كثره المطيعين لله و كثره العلماء منهم كما يقال هذا أفضل فى علم النحو

ص: ١١٤

و ذاك فى علم الفقه فأمه محمد ص أفضل فى علو منزله نبىها عند الله على سائر الأنبياء و كثره المجتبيين الأخيار من آله و أمته و الفضل الخير الزائد على غيره فأمه محمد ص أفضل بفضل محمد و آله «وَ آتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ» أى أعطيناهم دلالات و براهين واضحات من العلم بمبعث محمد ص و ما بين لهم من أمره و قيل يريد بالأمر أحكام التوراه «فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ» أى من بعد ما أنزل الله الكتب على أنبيائهم و أعلمهم بما فيها «بَغْيًا بَيْنَهُمْ» أى طلبا للرئاسه و أنفه من الإذعان للحق و قيل بغيا على محمد ص فى جحود ما فى كتابهم من نبوته و صفته «إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» ظاهر المعنى «ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيحَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ» أى ثم جعلناك يا محمد على دين و منهاج و طريقه يعنى بعد موسى و قومه و الشريعه السنه التى من سلك طريقها أدته إلى البغيه كالشريعه التى هى طريق إلى الماء فهى علامه منصوبه على الطريق من الأمر و النهى يودى إلى الجنة كما يودى ذلك إلى الوصول إلى الماء «فَاتَّبِعْهَا» أى اعمل بهذه الشريعه «وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» الحق و لا يفضلون بينه و بين الباطل من أهل الكتاب الذين غيروا التوراه اتباعا لهواهم و حبا للرئاسه و استتباعا للعوام و لا المشركين الذين اتبعوا أهواءهم فى عباده الأصنام «إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» أى لن يدفعوا عنك شيئا من عذاب الله إن اتبعت أهواءهم «وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ» يعنى أن الكفار بأجمعهم متفقون على معاداتك و بعضهم أنصار بعض عليك «وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ» أى ناصرهم و حافظهم فلا تشغل قلبك بتناصرهم و تعاونهم عليك فإن الله ينصرك عليهم و يحفظك «هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ» أى هذا الذى أنزلته عليك من القرآن بصائر أى معالم فى الدين و عظات و عبر للناس يبصرون بها من أمور دينهم «وَ هُدًى» أى دلالة واضحة «وَ رَحْمَةً» أى و نعمه من الله «لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ» بثواب الله و عقابه لأنهم هم المنتفعون به.

إشاره

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١) وَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ لِيُتْجَزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٢) أَمْ فَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَ خَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ جَعَلَ عَلَى بَصِيرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣) وَ قَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَ نَحْيَا وَ مَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٢٤) وَ إِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبَوْنَا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٥)

القراءة

قرأ أهل الكوفه غير أبى بكر و روح و زيد سواء بالنصب و الباقون بالرفع و قرأ أهل الكوفه غير عاصم غشوه بفتح الغين بغير ألف و الباقون «غشاوة» بالألف.

الحجه

قال أبو على ليس الوجه فى الآيه نصب سواء على أن تجريه على ما قبله على حد قولك مررت برجل ضارب أبوه و بزيد خارجا أخوه لأنه ليس باسم فاعل و لا- مشبه به مثل حسن و شديد و نحو ذلك إنما هو مصدر فلا ينبغى أن يجرى على ما قبله كما يجرى اسم الفاعل و ما شبهه به لتعريه من المعانى التى أعمل الفاعل و ما شبهه به عمل الفعل و من قال مررت برجل خير منه أبوه و سرج خز صفته و برجل مائه إبله استجاز أن يجرى سواء أيضا على ما قبله كما أجرى الضرب الأول فأما من قرأ «سواء» بالنصب فإن انتصابه يحتمل ثلاثه أوجه (أحدها) أن يجعل المحيا و الممات بدلا من الضمير المنصوب فى جعلهم فيصير التقدير إن نجعل محياهم و مماتهم سواء فينتصب سواء على أنه مفعول ثان لنجعل و يكون انتصاب سواء على هذا القول حسنا لأنه لم يرفع مظهرها و يجوز أيضا أن يجعل محياهم و مماتهم ظرفين من الزمان فيكون كذلك أيضا و يجوز أن يعمل فى الطرفين أحد شيئين (أحدهما) ما فى سواء من معنى الفعل كأنه يستوون فى المحيا و الممات (و الآخر) أن يكون العامل الفعل و لم يعلم الكوفيون الذين نصبوا سواء نصبوا الممات فإذا لم ينصبوه كان النصب فى سواء على غير هذا الوجه و غير هذا الوجه لا يخلو من أن ينتصب على أنه حال أو على أنه المفعول الثانى

لنجعل و على أى هذين الوجهين حملته فقد أعملته عمل الفعل فرفعت به المظهر فإن جعلته حالا- أمكن أن يكون الحال من الضمير فى نجعلهم و يكون المفعول الثانى قوله «كَالَّذِينَ آمَنُوا» فإذا جعلت قوله «كَالَّذِينَ آمَنُوا» المفعول الثانى أمكن أن يكون سواء منتصبا على الحال مما فى قوله «كَالَّذِينَ آمَنُوا» من معنى الفعل فيكون ذو الحال الضمير المرفوع فى قوله «كَالَّذِينَ آمَنُوا» و هذا الضمير يعود إلى الضمير المنصوب فى نجعلهم و انتصابه على الحال من هذين الوجهين و يجوز أن لا يجعل قوله «كَالَّذِينَ آمَنُوا» المفعول الثانى و لكن يجعل المفعول الثانى قوله «سَوَاءَ مَحْيَاهُمْ وَ مَمَاتُهُمْ» فيكون جملة فى موضع نصب بكونها فى موضع المفعول الثانى لنجعل و يجوز فيمن قال مررت برجل مائه إبله فاعمل فأعمل عمل الفعل أن ينصب سواء على هذا الوجه أيضا و يرتفع به المحيا كما جاز أن يرتفع به إذا قدرت الجملة فى موضع الحال و الحال فى الجملة التى هى «سَوَاءَ مَحْيَاهُمْ وَ مَمَاتُهُمْ» يكون من جعل و يكون مما فى قوله «كَالَّذِينَ آمَنُوا» من معنى الفعل و قد قيل فى الضمير فى قوله «مَحْيَاهُمْ وَ مَمَاتُهُمْ» قولان (أحدهما) أنه ضمير الكفار دون الذين آمنوا فكان سواء على هذا القول مرتفعا بأنه خبر مبتدأ مقدم تقديره محياهم و مماتهم سواء أى محياهم محيا سوء و مماتهم ممات سوء و لا- يكون النصب على هذا فى سواء لأنه إثبات فى الأخبار بأن محياهم و مماتهم يستويان فى الذم و البعد من رحمه الله (و القول الآخر) أن الضمير فى محياهم و مماتهم للقبيلين فإذا كان كذلك جاز أن ينتصب سواء على أنه المفعول الثانى من نجعل فيمن استجاز أن يعمل فى الظاهر لأنه يلتبس بالقبيلين جميعا و ليس فى الوجه الأول كذلك لأنه للكفار دون المؤمنين و لا يلتبس للمؤمنين من حيث كان للكفار من دونهم و لا يجوز أن ينتصب سواء و لم يكن فيه إلا- الرفع و يكون على هذا الوجه قوله «كَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» فى موضع المفعول الثانى و سواء محياهم استئناف و لا- يكون فى موضع حال من قوله «كَالَّذِينَ آمَنُوا» لأنه لا يلتبس بهم و القول فى غشوه و «غشاوة» مذكور فى سورة البقرة.

اللغة

الاجتراح الاكتساب يقال جرح و اجترح و كسب و اكتسب و فلان جارحه قومه أى كاسبه قومه و أصله من الجراح لأن لذلك تأثيرا كتأثير الجراح و مثله الاقتراف و هو مشتق من قرف القرحة و السيئه الفعله القبيحه التى تسوء صاحبها باستحقاق الذم عليها و الحسنه هى التى تسر صاحبها باستحقاق المدح عليها قال على بن عيسى: القبيح ما ليس للقادر عليه أن يفعله و الحسن هو ما للقادر عليه أن يفعله و كل فعل وقع لا الأمر من الأمور فهو لغو لا ينسب إلى الحكمة و لا إلى السفه.

ثم قال سبحانه للكفار على سبيل التوبيخ لهم «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» معناه بل أحسنت وهذا استفهام إنكار وقيل إن هذا معطوف على معنى مضمرة تقديره هذا القرآن بصائر للناس مؤديه إلى الجنة أفعلموا ذلك أم حسب الذين اكتسبوا الشرك والمعاصي أن نجعل منزلتهم منزله الذين صدقوا الله ورسوله وحققوا أقوالهم بأعمالهم «سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ» أى يستوى محيا القليلين ومماتهم يعنى أ حسبوا أن حياتهم ومماتهم كحياه المؤمنين وموتهم «سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» أى ساء ما حكموا على الله تعالى فإنه لا يسوى بينهم ولا يستقيم ذلك فى العقول بل ينصر المؤمنين فى الدنيا ويمكنهم من المشركين ولا ينصر الكافرين ولا يمكنهم من المسلمين وينزل الملائكة عند الموت على المؤمنين بالبشرى وعلى الكافرين يضربون وجوههم وأدبارهم وقيل أراد محياهم بعد البعث ومماتهم عند حضور الملائكة لقبض أرواحهم وقيل أراد أن المؤمنين محياهم على الإيمان والطاعة ومماتهم على الإيمان والطاعة ومحيا المشركين على الشرك والمعصية ومماتهم كذلك فلا يستويان عن مجاهد وقيل إن الضمير فى مماتهم ومحياهم للكفار والمعنى أنهم يتساوون فى حال كونهم أحياء وفى حال كونهم أمواتا لأن الحى متى لم يفعل الطاعة فهو بمنزلة الميت ثم قال سبحانه «وَوَخَّلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ» أى لم يخلقهما عبثا وإنما خلقهما لنفع خلقه بأن يكلفهم ويعرضهم للثواب الجزيل «وَلِيُتَجَزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ» من ثواب على طاعه أو عقاب على معصيه «وَهُمْ لَا يُظَلَّمُونَ» أى لا يبخسون حقوقهم ثم قال «أَفَرَأَيْتَ يَا مُحَمَّدٌ «مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ» أى اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيئا إلا ركبه لأنه لا يؤمن بالله ولا يخافه فاتبع هواه فى أموره ولا يحجزه تقوى عن ابن عباس والحسن و قتاده وقيل معناه من اتخذ معبوده ما يهواه دون ما دلت الدلالة على أن العبادة تحقق له فإذا استحسن شيئا وهواه اتخذها إليها وكان أحدهم يعبد الحجر فإذا رأى ما هو أحسن منه رمى به و عبد الآخر عن عكرمه وسعيد بن جبير وقيل معناه أ فرأيت من انقاد لهواه انقياده لإلهه ومعبوده ويرتكب ما يدعوه إليه ولم يرد أنه يعبد هواه ويعتقد أنه تحقق له العبادة لأن ذلك لا يعتقد أحدهم عن على بن عيسى قد أيس الله رسوله من إيمانه هؤلاء بهذا «وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ» أى خذله الله وخلاه وما اختاره جزاء له على كفره وعناده وترك تدبره على علم منه باستحقاقه لذلك وقيل أضله الله أى وجدته ضالا- على حسب ما عمله فخرج معلومه على وفق ما علمه كما يقال أحمدت فلانا أى وجدته حميدا و كقول عمرو بن معديكرب قاتلناهم فما أجنبناهم وسألناهم فما أبخلناهم وقاولناهم فما أفحمنناهم أى ما وجدناهم كذلك وقيل معناه أنه ضل عن الله كما قال:

هبونى امراء منكم أضل بعيره له ذمه إن الذمام كبير

أى ضل عنه بعيره «وَ حَتَّم عَلَى سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ جَعَلَ عَلَى بَصِيرِهِ غِشَاوَةً» فسرناه فى سورة البقره «فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ» أى من بعد هدايه الله إياه و المعنى إذا لم يهتد بهدى الله بعد ظهوره و وضوحه فلا طمع فى اهتدائه «أَفَلَا تَدَّكَّرُونَ» أى أفلا تتعظون بهذه المواظ و هذا استبطاء بالتذكر منهم أى تذكروا و اتعظوا حتى تحصلوا على معرفه الله تعالى ثم أخبر سبحانه عن منكرى البعث فقال «وَ قَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا» أى ليس الحياه إلا حياتنا التى تحن فيها فى دار الدنيا و لا يكون بعد الموت بعث و لا حساب «نَمُوتُ وَ نَحْيَا» قيل فى معناه أقوال (أحدها) أن تقديره نحيا و نموت فقدم و آخر (و الثانى) أن معناه نموت و نحى أولادنا (و الثالث) يموت بعضنا و يحيا بعضنا كما قال فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أى ليقتل بعضكم بعضا «وَ مَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ» أى و ما يميئنا إلا الأيام و الليالى أى مرور الزمان و طول العمر إنكارا منهم للصانع «وَ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ» نفى سبحانه عنهم العلم أى إنما ينسبون ذلك إلى الدهر لجهلهم و لو علموا أن الذى يميئهم هو الله و أنه قادر على إحيائهم لما نسبوا الفعل إلى الدهر «إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ» أى ما هم فيما ذكروه إلا ظانون و إنما الأمر بخلافه و

قد روى فى الحديث عن النبى ص أنه قال لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر

و تأويله أن أهل الجاهليه كانوا ينسبون الحوادث المجحفه و البلايا النازله إلى الدهر فيقولون فعل الدهر كذا و كانوا يسبون الدهر فقال ص إن فاعل هذه الأمور هو الله تعالى فلا تسبوا فاعلها و قيل معناه فإن الله مصرف الدهر و مدبره و الوجه الأول أحسن فإن كلامهم مملوء من ذلك ينسبون أفعال الله إلى الدهر قال الأصمعى ذم أعرابى رجلا فقال هو أكثر ذنوبا من الدهر و قال كثير:

و كنت كذى رجلين رجل صحيحه و رجل رمى فيها الزمان فشلت

و قال آخر:

فاستأثر الدهر الغداه بهم و الدهر يرمينى و ما أرمى

يا دهر قد أكثرت فجعتنا بسرانا و وقرت فى العظم

ثم قال سبحانه «وَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ» أى إذا قرأت عليهم حججنا ظاهرات «مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» أى لم يكن لهم فى مقابلتها حجه

ص: ١١٩

إلا- مقاتلهم إن كنتم صادقين في أن الله يعيد الأموات و يعيئهم يوم القيامة فأتوا بآبائنا و أحيوهم حتى نعلم أن الله قادر على بعثنا و إنما لم يجبههم الله إلى ذلك لأنهم قالوا ذلك متعنتين مقترحين لا طالبين الرشد.

[سوره الجاثيه (٤٥): الآيات ٢٦ الى ٣٠]

إشارة

قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٦) وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ (٢٧) وَ تَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسِيحًا مَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (٣٠)

القراءة

قرأ يعقوب كل أمه تدعى إلى كتابها بفتح اللام و الباقون بالرفع.

الحجة

الوجه في نصبه أنه بدل من الأول و في الثاني من الإيضاح ما ليس في الأول لأن فيه ذكر السبب الداعي إلى الجثو فلذلك جاز إبداله منه و تكون تدعى في موضع نصب على الحال أو على أنه مفعول ثان على تفصيل معنى ترى.

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه ص رادا على الكفار قولهم فقال «قُلِ» يا محمد «اللَّهُ يُحْيِيكُمْ» في دار الدنيا لأنه لا يقدر على الإحياء أحد سواه لأنه القادر لنفسه «ثُمَّ يُمِيتُكُمْ» عند انقضاء آجالكم «ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» بأن يبعثكم و يعيدكم أحياء «لَا رَيْبَ فِيهِ» أى لا شك فيه لقيام الحجة عليه و إنما احتج بالإحياء في دار الدنيا لأن من قدر على فعل الحياه في وقت قدر على فعلها في كل وقت و من عجز عن ذلك في وقت مع ارتفاع الموانع المعقولة و كونه حيا عجز عنه في كل وقت «وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» ذلك بعدولهم عن النظر الموجب للعلم بصحته «وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» و هو قادر على البعث و الإعادة «وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ» العادلون عن الحق

الفاعلون للباطل أنفسهم وحياتهم في الدنيا لا يحصلون من ذلك إلا على عذاب دائم «وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةٍ» أى و ترى يوم القيامة أهل كل مله باركه على ركبها عن ابن عباس و قيل باركه مستوفزه على ركبها كهيئه قعود الخصوم بين يدي القضاء عن مجاهد و الضحاك و ابن زيد و قيل إن الجثو للكفار خاصه و قيل هو عام للكفار و المؤمنين ينتظرون الحساب «كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا» أى كتاب أعمالها الذى كان يستنسخ لها و قيل إلى كتابها المنزل على رسولها ليسألوا عما عملوا به «الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» أى يقال لهم ذلك «هَذَا كِتَابُنَا» يعنى ديوان الحفظه «يَنْطَقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ» أى يشهد عليكم بالحق و المعنى يبينه بيانا شافيا حتى كأنه ناطق «إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» أى نستكتب الحفظه ما كنتم تعملون فى دار الدنيا و الاستنساخ الأمر بالنسخ مثل الاستكتاب الأمر بالكتابه و قيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ يشهد بما قضى فيه من خير و شر و على هذا فيكون معنى نستنسخ أن الحفظه تستنسخ الخزنه ما هو مدون عندها من أحوال العباد و هو قول ابن عباس «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ» أى جنته و ثوابه «ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ» أى الفلاح الظاهر.

إشارة

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (٣١) وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنَّ نَظْنَ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُشْفِقِينَ (٣٢) وَيَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٣) وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ (٣٤) ذَلِكَم بِأَنكُم اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٣٥)

فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٦) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣٧)

القراءة

قرأ حمزه وحده و الساعه بالنصب و الباقون بالرفع.

الحجّه

قال أبو على الرفع على وجهين (أحدهما) أن يقطع من الأول فيعطف جمله على جمله (و الآخر) أن يكون محمولا على موضع إن و ما عملت فيه و موضعهما رفع و أما النصب فمحمول على لفظ أن و موضع «لا رَيْبَ فِيهَا» رفع بأنه في موضع خبر إن و قد عاد الذكر إلى الاسم فكأنه قال و الساعه حق لأن قوله «لا رَيْبَ فِيهَا» في معنى حق قال أبو الحسن و الرفع أجود في المعنى و أكثر في كلام العرب إذا جاء بعد خبر إن اسم معطوف و يقويه قوله «إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ».

المعنى

ثم عقب سبحانه الوعد بالوعيد فقال «وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ» أى فيقال لهم أفلم تكن حججى و بيناتى تقرأ عليكم من كتابى «فَاسْتَكْبَرْتُمْ» أى تعظمتن عن قبولها «وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ» أى كافرين كما قال «أَفَنَجْعَلُ الْمُشْرِكِينَ كَالْمُجْرِمِينَ وَ الْفَاءُ فِي قَوْلِهِ «أَفَلَمْ تَكُنْ» دالّه على جواب أما المحذوف «وَ إِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» أى إن ما وعد الله به من الثواب و العقاب كائن لا- محاله «وَ السَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا» أى و أن القيامة لا شك فى حصولها «قُلْتُمْ» معاشر الكفار «مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ» و أنكرتموها «إِنَّ نَظْنَ إِلَّا ظَنًّا» و نشك فيه «وَ مَا نَحْنُ بِمُشْفِقِينَ» فى ذلك «وَ يَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا» أى ظهر لهم جزاء معاصيهم التى عملوها «وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» أى جزاء استهزائهم «وَ قِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ» أى تترككم فى العقاب «كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا» أى تركتم التأهب للقاء يومكم هذا عن ابن عباس و قيل معناه نحللكم فى العذاب محل المنسى كما أحللتهم هذا اليوم عندكم محل المنسى «وَ مَاوَاكُمُ النَّارُ» أى مستقركم جهنم «وَ مَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ» يدفعون عنكم عذاب الله «ذَلِكَم» الذى فعلنا بكم «بِأَنكُم اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا» أى سخره تسخرون منها «وَ غَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا» أى خدعتكم بزيتها فاغتررتن بها «فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا» أى من النار و قرأ أهل الكوفة غير عاصم يخرجون

بفتح الياء كما فى قوله يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَ مَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا «وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ» أى لا يطلب منهم العتبي و الاعتذار لأن التكليف قد زال و قيل معناه لا يقبل منهم العتبي ثم ذكر سبحانه عظمته فقال «فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَ رَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» أى الشكر التام و المدحه التى لا يوازيها مدحه لله الذى خلق السماوات و الأرض و دبرهما و خلق العالمين «وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ» أى السلطان القاهر و العظمة القاهره و العلو و الرفعه «فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» لا يستحقهما أحد سواه و

فى الحديث يقول الله سبحانه الكبرياء ردائى و العظمة إزارى فمن نازعنى واحده منهما ألقىته فى جهنم

«وَهُوَ الْعَزِيزُ» فى جلاله «الْحَكِيمُ» فى أفعاله و قيل العزيز فى انتقاله من الكفار و الحكيم فيما يفعله بالمؤمنين و الأخيار.

(٤٦) سورة الأحقاف مكيه و آياتها خمس و ثلاثون (٣٥)

اشاره

اشاره

مكيه قال ابن عباس و قتاده إلا آيه منها نزلت بالمدينه «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» الآيه نزلت فى عبد الله بن سلام.

عدد آياتها

خمس و ثلاثون آيه كوفى أربع فى الباقيين.

اختلفها

آيه «حم» كوفى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأ سورة الأحقاف أعطى من الأجر بعدد كل رمل فى الدنيا عشر حسنات و محى عنه عشر سيئات و رفع له عشر درجات

و

عن عبد الله بن أبى يعقوب عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ كل ليله أو كل جمعه سورة الأحقاف لم يصبه الله بروعه فى الدنيا و آمنه من فزعه يوم القيامة.

تفسيرها

لما ختم الله تلك السوره بذكر التوحيد و ذم أهل الشرك و الوعيد افتتح هذه السوره أيضا بالتوحيد ثم بالتوبيخ لأهل الكفر من العبيد فقال:

ص: ١٢٤

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢) مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ (٣) قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤)

وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ هُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥)

القراءة

قرأ على (عليه السلام) و أبو عبد الرحمن السلمي أو أثره بسكون التاء من غير ألف

و قرأ ابن عباس بخلاف و عكرمه و قتاده أو أثره بفتحتين و القراءة المشهوره «أَوْ أَثَارَهُ» بالألف.

الحجج

قال ابن جنى الأثره و الأثاره البقيه و هى ما يؤثر من قولهم أثر الحديث يأثره أثرا و أثره و يقولون هل عندك من هذا أثره و أثاره أى أثر و منه سيف مأثور أى عليه أثر الصنعه و طريق العمل و أما الأثره ساكنه التاء فهى أبلغ معنى و ذلك أنها الفعله الواحده من هذا الأصل فهى كقولهم ائتونى بخبر واحد أو حكايه شاذه أى قنعت فى الاحتجاج لكم بهذا الأصل على قلتها.

المعنى

«حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ» مر تفسيره «ما خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ» أى ما خلقناهما عبثا و لا باطلا و إنما خلقناهما لتتعبد سكانهما بالأمر و النهى و نعرضهم للثواب و ضروب النعم فتجازيهم فى الآخره بأعمالهم «وَأَجَلٍ مُّسَمًّى» يعنى يوم القيامه فإنه أجل مسمى عنده مطوى عن العباد علمه إذا انتهى إليه تناهى و قامت القيامه و قيل هو مسمى للملائكه و فى اللوح المحفوظ «وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ» أى إن الكافرين عما أنذروا من القيامه و الجزاء معرضون عادلون عن التفكير فيه «قُلْ» لهؤلاء الذين كفروا بالله «أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» من الأصنام «أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ» فاستحقوا بخلق ذلك العباده الشكر «أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ» أى فى خلقها و تقديره أم لهم شرك و نصيب فى خلق السماوات ثم قال قل لهم «ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا»، القرآن أنزله الله يدل على صحه قولكم «أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ» أى بقيه من علم يؤثر من كتب الأولين يعلمون به أنهم شركاء الله «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فيما تقولون عن مجاهد و قيل «أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ» أى خبر من الأنبياء عن عكرمه و مقاتل و قيل هو الخط أى بكتاب مكتوب عن ابن عباس و قيل خاصه من علم أو ثرتم بها عن قتاده

و المعنى

فها تواتر إحدى هذه الحجج الثلاث أولاها دليل العقل و الثانيه الكتاب و الثالثه الخبر المتواتر فإذا لم يمكنهم شىء من ذلك فقد
وضح بطلان دعواهم «وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» أى من أضل عن طريق الصواب
ممن يدعو من دون الله شيئا لو دعاه إلى يوم القيامة لم يجبه و لم يغته و المراد لا يستجيب له أبدا «وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ» أى
و من يدعونهم مع ذلك لا- علم لهم بدعائهم و لا يسمعون دعاءهم و إنما كنى عن الأصنام بالواو و النون لما أضاف إليها ما
يكون من العقلاء كقوله رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ.

[سوره الأحقاف (٤٦): الآيات ٦ الى ١٠]

إشاره

وَ إِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَ كَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ (٦) وَ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ
هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا- تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ
بَيْنَكُمْ وَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٨) قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ وَ مَا أَدْرِى مَا يُفَعَّلُ بِي وَ لَا بِيكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَ مَا أَنَا إِلَّا
نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ كَفَرْتُمْ بِهِ وَ شَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَنَ وَ اسْتَكْبَرْتُمْ إِنْ اللَّهَ لَا
يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠)

اللغه

الآيه الدلاله التى تدل على ما يتعجب منه قال:

بآيه تقدمون الخيل زورا كان على سناكبها مدا

ص: ١٢٦

أفاض القوم فى الحديث إذا مضوا فيه و أصل الإفاضه الدفع و أفاضوا من عرفات اندفعوا منها و حديث مفاض و مستفاض و مستفيض أى جار شائع و البدع و البديع بمعنى و هو بدع من قوم إبداع قال عدى بن زيد:

فلا أنا بدع من حوادث تعترى رجالا عرت من بعد بؤس و أسعد

. النزول

قيل نزلت الآيه الأخيره فى عبد الله بن سلام و هو الشاهد من بنى إسرائيل فروى أن عبد الله بن سلام جاء إلى النبى ص فأسلم و قال يا رسول الله سل اليهود عنى فإنهم يقولون هو أعلمنا فإذا قالوا ذلك قلت لهم إن التوراه داله على نبوتك و إن صفاتك فيها واضحه فلما سألهم قالوا ذلك فحينئذ أظهر عبد الله بن سلام إيمانه فكذبوه.

المعنى

ثم ذكر سبحانه أنه إذا قامت القيامه صارت آلهتهم التى عبدوها أعداء لهم فقال «وَ إِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً» و كذلك قوله وَ يَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا «وَ كَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ» يعنى أن هذه الأوثان التى عبدوها ينطقها الله حتى يجحدوا أن يكونوا دعوا إلى عبادتها و يكفروا بعباده الكفار و يجحدوا ذلك ثم وصفهم الله سبحانه فقال «وَ إِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ» أى للقرآن و المعجزات التى ظهرت على يد النبى ص «هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ» أى حيله لطيفه ظاهره و خداع بين «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ» يا محمد لهم «إِنِ افْتَرَيْتُهُ» أى إن كذبت على الله و اختلقت القرآن كما زعمتم «فَلَا تَقْلُكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» أى إن كان الأمر على ما تقولون إنى ساحر مفتر فلا يمكنكم أن تمنعوا الله منى إذا أراد إهلاكى على افترائى عليه و المراد كيف أفترى على الله من أجلكم و أنتم لا- تقدرون على دفع عقابه عنى أن افترت عليه «هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ» أى إن الله أعلم بما تقولون فى القرآن و تخوضون فيه من التكذيب به و القول فيه أنه سحر «كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ» أن القرآن جاء من عنده «وَ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ» فى تأخير العقاب عنكم حين لا يعجل بالعقوبه قال الزجاج هذا دعاء لهم إلى التوبه أى من أتى من الكبائر مثل ما أتيتم به من الافتراء على الله و على ثم تاب فإن الله غفور له رحيم به «قُلْ» يا محمد «مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ» أى لست بأول رسول بعث عن

ص: ١٢٧

ابن عباس و مجاهد و قتاده و البدع الأول من الأمر «وَمَا أَدْرِى مَا يُفَعَلُ بِي وَ لَا بِكُمْ» أى لا أدرى أموت أم أقتل و لا أدرى أيها المكذبون أ ترمون بالحجاره من السماء أم يخسف بكم أم ليس يفعل بكم ما فعل بالأمم المكذبه و هذا إنما هو فى الدنيا و أما فى الآخرة فإنه قد علم أنه فى الجنة و أن من كذبه فى النار عن الحسن و السدى و قيل: معناه لست أدعى غير رساله و لا أدعى علم الغيب و لا- معرفه ما يفعله الله تعالى بى و لا- بكم فى الإحياء و الإماتة و المنافع و المضار إلا أن يوحى إلى عن أبى مسلم و قيل ما أدرى ما أومر به و لا ما تؤمرون به عن الضحاك و قيل ما أدرى أ أترك بمكه أم أخرج منها بأن أومر بالتحويل عنها إلى بلد آخر و ما أدرى أ أومر بقتالكم أو بالكف عن قتالكم و هل ينزل بكم العذاب أم لا «إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ» أى لست أتبع فى أمركم من حرب أو سلم أو أمر أو نهى إلا ما يوحى الله إلى و ما يأمرنى به «وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ» أى مخوف لكم ظاهر «قُلْ» يا محمد لهم «أَرَأَيْتُمْ» معناه أخبرونى ما ذا تقولون «إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» أى إن كان هذا القرآن من عند الله هو أنزله و هذا النبى رسوله «وَ كَفَرْتُمْ» أنتم أيها المشركون «بِهِ وَ شَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ» يعنى عبد الله بن سلام «عَلَى مِثْلِهِ» معناه عليه أى على أنه من عند الله و قيل على مثله أى على التوراه عن مسروق و قيل الشاهد موسى شهد على التوراه كما شهد النبى ص على القرآن لأن السوره مكيهه و ابن سلام أسلم بالمدينه «فَأَمَّنَ» يعنى الشاهد «وَ اسْتَكْبَرْتُمْ» أنتم على الإيمان به و جواب قوله «إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» محذوف و تقديره أ لستم من الظالمين و يدل على هذا المحذوف قوله «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» و قيل جوابه فمن أضل منكم عن الحسن و قيل جوابه أ فتؤمنون عن الزجاج.

إشارة

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْفِكٌ قَدِيمٌ (١١) وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ (١٢) إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤) وَصَلِّنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥)

القراءة

قرأ أهل الحجاز و ابن عامر و يعقوب لتندر بالتاء و الباقون بالياء و قرأ أهل الكوفة «إحساناً» و الباقون حسناً و

روى عن علي (عليه السلام) و أبي عبد الرحمن السلمى حسناً بفتح الحاء و السين

و قرأ أهل الحجاز و أبو عمرو و الكسائي كرها بفتح الكاف و الباقون بضمها و قرأ يعقوب و فصله و هو قراءه الحسن و أبي رجاء و عاصم و الجحدري و الباقون «و فِصَالُهُ».

الحج

قال أبو علي حجه من قرأ لتندر بالتاء قوله «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ» و قوله «لِيُنذِرَ بِهِ وَ ذِكْرِي وَ حِجَّهُ الْيَاءُ لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا أَوْ أَسْنَدَ الْإِنذَارِ إِلَى الْكِتَابِ كَمَا أَسْنَدَهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ أَمَا الْبَاءُ فِي قَوْلِهِ «بِوَالِدَيْهِ» فَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِوَصِينَا بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاكُمْ بِهِ» وَ يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِالْإِحْسَانِ وَ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ «وَ قَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي» وَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ فِي الْآيَةِ بِالْإِحْسَانِ لِتَقَدُّمِهَا عَلَى الْمَوْصُولِ وَ لَكِنْ يَجُوزُ أَنْ تَتَعَلَّقَ بِمُضْمَرِ يَفْسِرُهُ الْإِحْسَانُ كَمَا جَازَ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ «وَ كَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ» وَ قَوْلِهِ:

" كان جزائي بالعصا أن أجلدا "

في قول من لم يعلقه بالجزاء. و الإحسان خلاف الإساءة و الحسن خلاف القبح فمن قال إحساناً كان انتصابه على المصدر و ذلك أن معنى قوله و صينا الإنسان بوالديه حسناً أمرناه بالإحسان أى ليأتى الإحسان إليهما دون الإساءة و لا يجوز أن يكون انتصابه بوصينا لأن وصينا قد استوفى مفعوليه اللذين أحدهما منصوب و الآخر المتعلق بالباء و من قرأ حسناً فمعناه ليأتى فى أمرهما أما إذا حسن أى ليأتى الحسن فى أمرهما دون القبيح و يؤيده

قراءه على صلوات الرحمن عليه حسناً

لأن معناه ليأت في أمرهما فعلا حسنا و أما الكره بالفتح فهو المصدر و الكره بالضم الاسم كأنه الشئء المكروه قال كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَ هُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَ هَذَا بِالضَّمِّ وَ قَالَ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا فِهَذَا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ وَ الْفَتْحُ فِيهِ أَحْسَنُ وَ قَدْ قِيلَ إِنَّهُمَا لُغَتَانِ وَ أَمَا الْفَصْلُ فَهُوَ بِمَعْنَى الْفَصَالِ إِلَّا أَنْ الْأَكْثَرَ بِالْأَلْفِ وَ

في الحديث لا رضاع بعد الفصال

يعنى بعد الفطام.

ص: ١٢٩

القديم ما تقادم وجوده و فى عرف المتكلمين هو الموجود الذى لا- أول لوجوده و الإيزاع أصله المنع و أوزعنى امنعنى عن الانصراف عن ذلك باللفظ و منه قول الحسن لا بد للناس من وزعه و قال أبو مسلم الإيزاع إيصال الشىء إلى القلب.

الإعراب

إماما منصوب على الحال من الضمير فى الظرف عند سيبويه و من كتاب موسى عند الأخفش و من رفع بالظرف و يجوز أن يرتفع قوله «كِتَابُ مُوسَى» بالعطف على قوله «وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ» أى و شهد من قبل القرآن كتاب موسى ففصل بالظرف بين الواو و المعطوف به و رحمه معطوف على قوله «إِمَامًا» و «لِسَانًا عَرَبِيًّا» منصوب على الحال أيضا من قوله «هذا كِتَابٌ» و يجوز أن يكون حالا مما فى مصدق من الضمير و تقديره و هذا كتاب مصدق ملفوظا به على لسان العرب و بشرى عطف على قوله «لِيُنذِرَ» و هو مفعول له جزاء مصدر مؤكد لما قبله و تقديره جوزوا جزاء فاستغنى عن ذكر جوزوا للدلالة الجملة قبلها عليها و يجوز أن يكون جزاء مفعولا له و كرها منصوب على الحال أى حملته كارهه.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن الكفار الذين جحدوا و حدانيتها فقال «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا» بالله و رسوله «لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ» أى لو كان هذا الذى يدعوننا إليه محمد خيرا أى نفعنا عاجلا أو آجلا ما سبقنا هؤلاء الذين آمنوا به إلى ذلك لأننا كنا بذلك أولى و اختلف فيمن قال ذلك فقيل هم اليهود قالوا لو كان دين محمد ص خيرا ما سبقنا إليه عبد الله بن سلام عن أكثر المفسرين و قيل: إن أسلم و جهينه و مزينه و غفارا لما أسلموا قال بنو عامر بن صعصعه و غطفان و أسد و أشجع هذا القول عن الكلبي و نظم الكلام يوجب أن يكون ما سبقتمونا إليه و لكنه على ترك المخاطبه «وَأِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكُ قَدِيمٌ» أى فإذا لم يهتدوا بالقرآن من حيث لم يتدبروه فسيقولون هذا القرآن كذب متقادم أى أساطير الأولين ثم قال سبحانه «وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى» أى من قبل القرآن كتاب موسى و هو التوراه «إِمَامًا» يقتدى به «وَرَحْمَةً» من الله للمؤمنين به قبل القرآن و تقدير الكلام و تقدمه كتاب موسى إماما و فى الكلام محذوف يتم به المعنى تقديره فلم يهتدوا به و دل عليه قوله فى الآية الأولى «وَأِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ» و ذلك أن المشركين لم يهتدوا بالتوراه فيتركوا ما هم عليه من عباده الأوثان و يعرفوا منها صفة محمد ص ثم قال «وَهَذَا كِتَابٌ» يعنى القرآن «مُصَدِّقٌ» للكتب التى قبله «لِسَانًا عَرَبِيًّا» ذكر اللسان توكيدا كما تقول جاءنى زيد رجلا صالحا فتذكر رجلا توكيدا لتندر الذين ظلموا أى لتخوفهم يخاطب النبى ص و من قرأ

بالياء أسند الفعل إلى الكتاب «وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ» و بشاره للمؤمنين و قيل معناه و يبشر بشرى فيكون نصبا على المصدر و يجوز أن يكون في موضع رفع أى و هو بشرى للمحسنين الموحدين «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا» مر تفسيره «فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ» من العقاب «وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» من أهوال يوم القيامة «أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ» الملازمون لها المنعمون فيها «خَالِدِينَ فِيهَا جزاء بما كانوا يعملون» فى الدنيا من الطاعات و الأعمال الصالحات «وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا» مر تفسيره «حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا» أى بكره و مشقه عن الحسن و قتاده و مجاهد يعنى حين أثقلت و ثقل عليها الولد «وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا» يريد به شدة الطلق عن ابن عباس «وَوَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا» يريد أن أقل مدة الحمل و كمال مدة الرضاع ثلاثون شهرا قال ابن عباس إذا حملت المرأة تسعة أشهر أرضعت أحدا و عشرين شهرا و إذا حملت ستة أشهر أرضعت أربعة و عشرين شهرا «حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ» و هو ثلاث و ثلاثون سنة عن ابن عباس و قتاده و قيل بلوغ الحلم عن الشعبي و قيل وقت قيام الحجة عليه عن الحسن و قيل هو أربعون سنة و ذلك وقت إنزال الوحي على الأنبياء و لذلك فسر به فقال «وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سِنًا» فيكون هذا بيانا لزمان الأشد و أراد بذلك أنه يكمل له رأيه و يجتمع عليه عقله عند الأربعين سنة «قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي» أى ألهمنى «أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَ عَلَى وَالِدَيَّ وَ أَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ» قد مر تفسيره فى سورة النمل «وَأَصْلِحْ لِي» و قيل أنه الدعاء بإصلاحهم لطاعة الله عز و جل و هو عبادته و هو الأشبه لأن طاعتهم لله من بره لأن اسم الذرية يقع على من يكون بعده و قيل معناه اجعلهم لى خلف صدق و لك عبيد حق عن سهل بن عبد الله «إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ» من سيئاتى و ذنوبى «وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ» المنقادين لأمرك.

إشارة

أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعِدَ الصَّدَقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (١٦) وَ الَّذِي قَالَ لَوِ اتَّبَعْتُ لَأُفٍّ لَكُمْ أَوْ تَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَكْبِرَانِ اللَّهُ وَبِئْسَ لِلَّهِ خَلْقٌ قَائِلُونَ مَا هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (١٨) وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَ لِيُؤْفِقَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٩) وَ يَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ أَدْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَ اسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ (٢٠)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر «نَتَقَبَّلُ» و «نَتَجَاوَزُ» بالنون، «أَحْسَنَ» بالنصب و الباقون يتقبل و يتجاوز بضم الياء أحسن بالرفع و قرأ ابن كثير و أبو جعفر و يعقوب آذهبتم بهمزه واحده ممدوده و قرأ ابن عامر آذهبتم بهمزتين و الباقون «أَذْهَبْتُمْ» بفتح الهمزة.

الحج

من قرأ يتقبل فلأين الفعل و إن كان مبنيًا للمفعول به فمعلوم أنه لله تعالى كما جاء في الأخرى إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ فبناؤه للمفعول كبنائه للفاعل في العلم بالفاعل و حجه من قرأ «نَتَقَبَّلُ» بالنون أنه قد تقدم الكلام وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ وَ ذَكَرْنَا اخْتِلَافَهُمْ فِي أَفٍّ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ حَجَّهِ الْاسْتِفْهَامُ فِي أَذْهَبْتُمْ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ هَذَا النُّحُو بِالِاسْتِفْهَامِ نَحْوَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ* وَ قَوْلُهُ أَلَيْسَ أَدْهَبْتُمْ بِغَيْرِ إِيمَانِكُمْ وَ وَجَّهَ الْخَبْرَ أَنَّ الْاسْتِفْهَامَ تَقْرِيرٌ فَهُوَ مِثْلُ الْخَبْرِ أَلَا تَرَى أَنَّ التَّقْرِيرَ لَا يَجِبُ بِالْفَاءِ كَمَا يَجِبُ بِهَا إِذَا لَمْ يَكُنْ تَقْرِيرًا فَكَأَنَّهُمْ يُؤْبَخُونَ بِهَذَا الَّذِي يُخْبَرُونَ بِهِ وَ يَبْكُونَ وَ الْمَعْنَى فِي الْقِرَاءَتَيْنِ يُقَالُ لَهُمْ هَذَا فَحُذِفَ الْقَوْلُ كَمَا حُذِفَ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ «أَلَيْسَ أَدْهَبْتُمْ بِغَيْرِ إِيمَانِكُمْ».

الإعراب

«وَعِدَ الصَّدَقِ» نصب على المصدر تقديره وعدهم الله ذلك وعدا و إضافته إلى الصدق غير حقيقه لأن الصدق في تقدير النصب بأنه صفة وعد و «الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ» موصول و صله في موضع النصب بكونه صفة الوعد و «أَفٍّ لَكُمْ» مبتدأ و خبر تقديره هذه الكلمة التي تقال عند الأمور المكروهه كائنه لكما ويلك منصوب لأنه مفعول فعل محذوف تقديره ألزمك الله الويل و قيل تقديره وى لك فهو مبتدأ و خبر كما قلناه في أف و ليوفيهما معطوف على محذوف تقديره و الله أعلم ليجزيهم بما عملوا و ليوفيهما أعمالهم.

المعنى

ثم أخبر سبحانه بما يستحقه هذا الإنسان من الثواب فقال «أولئك»

ص: ١٣٢

يعنى أهل هذا القول «الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا» أى يثابون على طاعاتهم و المعنى نقبل بإيجاب الثواب لهم أحسن أعمالهم و هو ما يستحق به الثواب من الواجبات و المندوبات فإن المباح أيضا من قبيل الحسن و لا يوصف بأنه متقبل «وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ» التى اقترفوها «فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ» أى فى جملة من يتجاوز عن سيئاتهم و هم أصحاب الجنة فيكون قوله «فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ» فى موضع نصب على الحال «وَعِدَ الصُّدُقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ» أى وعدهم وعد الصدق و هو ما وعد أهل الإيمان بأن يتقبل من محسنهم و يتجاوز عن سيئهم إذا شاء أن يتفضل عليهم بإسقاط عقابهم أو إذا تابوا الوعد الذى كانوا يوعدونه فى الدنيا على ألسنة الرسل «وَالَّذِي قَالَ لَوْلَا إِلَهِهُ» إذا دعوه إلى الإيمان «أَفْ لَكُمْ» و هى كلمه تبرم يقصد بها إظهار التسخط و معناه بعدا لكما و قيل معناه نتنا و قدرا لكما كما يقال عند شم الرائحة المكروهه «أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ» من القبر و أحيا و أبعث «وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي» أى مضت الأمم و ماتوا قبلى فما أخرجوا و لا أعيدوا و قيل معناه خلت القرون على هذا المذهب ينكرون البعث «وَهُمَا» يعنى والديه «يَسْتَبْغِثَانِ اللَّهَ» أى يستصرخان الله و يطلبان منه الغوث ليتلطف له بما يؤمن عنده و يقولان له «وَيَلْمَكَ آمِنْ» بالقيامه و بما يقوله محمد ص «إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ» بالبعث و النشور و الثواب و العقاب «حَقٌّ فَيَقُولُ» هو فى جوابهما «ما هذا» القرآن و ما تزعمانه و تدعوانى إليه «إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» أى أخبار الأولين و أحاديثهم التى سطورها و ليس لها حقيقه و قيل أن الآيه نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر قال له أبواه أسلم و ألحا عليه فقال أحيوا لى عبد الله بن جدعان و مشايخ قريش حتى أسألهم عما تقولون عن ابن عباس و أبى العالى و السدى و مجاهد و قيل الآيه عامه فى كل كافر عاق لوالديه عن الحسن و قتاده و الزجاج قالوا و يدل عليه أنه قال عقيبه «أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ» أى حقت عليهم كلمه العذاب فى أمم أى مع أمم «فَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ» على مثل حالهم و اعتقادهم قال قتاده قال الحسن الجن لا يموتون فقلت «أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ» الآيه تدل على خلافه ثم قال سبحانه مخبرا عن حالهم «إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ» لأنفسهم إذ أهلكوها بالمعاصى «وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا» أى لكل واحد ممن تقدم ذكره من المؤمنين البرره و الكافرين الفجره درجات على مراتبهم و مقادير أعمالهم فدرجات الأبرار فى عليين و درجات الفجار دركات فى سجين عن ابن زيد و أبى مسلم و قيل معناه و لكل مطيع درجات ثواب و إن تفاضلوا فى مقاديرها عن الجبائى و على بن عيسى و لنوفيهم أعمالهم أى جزاء أعمالهم و ثوابها و من قرأ بالياء فالمعنى و ليوفيهم الله أعمالهم «وَهُمْ لَا يُظَلَّمُونَ» بعقاب لا

يستحقونه أو بمنع ثواب يستحقونه «وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ» يعنى يوم القيامة أى يدخلون النار كما يقال عرض فلان على السوط وقيل معناه عرض عليهم النار قبل أن يدخلوها ليروا أهوالها «أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا» أى يقال لهم آثرتم طيباتكم ولذاتكم فى الدنيا على طيبات الجنة «وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا» أى انتفعتم بها منهمكين فيها وقيل هى الطيبات من الرزق يقول أنفقتموها فى شهواتكم و فى ملاذ الدنيا و لم تنفقوها فى مرضاه الله و لما وبخ الله سبحانه الكفار بالتمتع بالطيبات و اللذات فى هذه الدار آثر النبى ص و أمير المؤمنين (عليه السلام) الزهد و التقشف و اجتناب الترفه و النعمه و

قد روى فى الحديث أن عمر بن الخطاب قال استأذنت على رسول الله ص فدخلت عليه فى مشربه أم إبراهيم و أنه لمضطجع على خصفه و أن بعضه على التراب و تحت رأسه و سواده محشوه ليفا فسلمت عليه ثم جلست فقلت يا رسول الله أنت نبى الله و صفوته و خيرته من خلقه و كسرى و قيصر على سرر الذهب و فرش الديباج و الحرير فقال رسول الله ص أولئك قوم عجلت طيباتهم و هى وشيكه الانقطاع و إنما أخرت لنا طيباتنا

و

قال على بن أبى طالب ع فى بعض خطبه: و الله لقد رقت مدرعتى هذه حتى استحيت من راقعها و لقد قال لى قائل ألا تنبذها فقلت اعزب عنى فعند الصباح يحمد القوم السرى

و

روى محمد بن قيس عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام) أنه قال و الله إن كان على (عليه السلام) ليأكل أكله العبد و يجلس جلسه العبد و إن كان يشتري القميصين فيخير غلامه خيرهما ثم يلبس الآخر فإذا جاز أصابعه قطعه و إذا جاز كعبه حذفه و لقد ولى خمس سنين ما وضع آجره على آجره و لا- لبنه على لبنه و لا- أورث بيضاء و لا- حمراء و إن كان يطعم الناس على خبز البر و اللحم و ينصرف إلى منزله فيأكل خبز الشعير و الزيت و الخل و ما ورد عليه أمران كلاهما لله عز و جل فيه رضى إلا- أخذ بأشدهما على بدنه و لقد أعتق ألف مملوك من كد يمينه تربت منه يداه و عرق فيه وجهه و ما أطاق عمله أحد من الناس بعده و إن كان ليصلى فى اليوم و الليله ألف ركعه و إن كان أقرب الناس شبها به على بن الحسين (عليه السلام) ما أطاق عمله أحد من الناس بعده

ثم أنه

قد اشتهر فى الروايه أنه (عليه السلام) لما دخل على العلاء بن زياد بالبصره يعوده قال له العلاء يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخى عاصم بن زياد لبس العباءه و تخلى من الدنيا فقال (عليه السلام) على به فلما جاء به قال يا عدى نفسه لقد استهام بك الخيىث أ ما رحمت أهلك و ولدك أ ترى الله أحل لك الطيبات و هو يكره أن تأخذها أنت أهون على الله من ذلك قال يا أمير المؤمنين هذا أنت فى خشونه ملبسك و جشوبه ما كلك قال ويحك

إني لست كانت إن الله تعالى فرض على أئمة الحق أن يقدرُوا أنفسهم بضعفه الناس كيلا يتبيخ بالفقير فقره

«فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ» أى العذاب الذى فيه الذل و الخزى و الهوان «بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ» أى باستكباركم عن الانقياد للحق فى الدنيا و تكبركم على أنبياء الله و أوليائه «بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ» أى بخروجكم من طاعه الله إلى معاصيه.

[سوره الأحقاف (٤٦): الآيات ٢١ الى ٢٥]

إشاره

وَ اذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٢١) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَا عَنِ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٢) قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَ أُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَ لَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٣) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمَطَّرْنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (٢٥)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير الكسائى و يعقوب و سهل «لا يرى» بضم الياء «إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ» بالرفع و قرأ الباقون لا ترى بالتاء إلا مساكينهم بالنصب و فى الشواذ قراءه الحسن و أبى رجاء و قتاده و مالك بن دينار و الأعمش لا ترى بضم التاء «إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ» بالرفع و قرأ الأعمش مسكنهم.

ص: ١٣٥

قال أبو على تذكير الفعل فى قوله «لا- يُرى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ» حسن و هو أحسن من إلحاق علامه التأنيث الفعل من أجل الجمع و ذلك أنهم حملوا الكلام فى هذا الباب على المعنى فقالوا ما قام إلا هند و لم يقولوا ما قامت لما كان المعنى ما قام أحد و لا يجىء التأنيث فيه إلا فى شذوذ و ضروره فمن ذلك قول الشاعر:

برى النخز و الأجاز ما فى عروضها فما بقيت إلا الصدور الجراشع

و قول ذى الرمّه:

كأنها جمل وهم و ما بقيت إلا النحيزه و الألواح و العصب

قال ابن جنى قوله مسكنهم إن شئت جعلته مصدرا و قدرت حذف المضاف أى لا ترى إلا آثار مسكنهم كما قال ذو الرمّه:

تقول عجوز مدرجى متروحا على بابها من عند أهلى و غاديا

فالمدرج هنا مصدر أ لا تراه قد نصب الحال و إن شئت قلت مسكنهم واحد كفى من جماعه.

الأحفاف جمع حقف و هو الرمل المستطيل العظيم لا يبلغ أن يكون جبلا قال المبرد الحقف هو الرمل الكثير لمكتنز غير العظيم و فيه اعوجاج قال العجاج:

" بات على أرطاه حقف أحقفا "

و العارض السحاب يأخذ فى عرض السماء قال الأعشى:

يا من رأى عارضا قد بت أرمقه كأنما البرق فى حافاته شعل

و التدمير الإهلاك و إلقاء بعض الأشياء على بعض حتى يخرب و يهلك قال جرير:

. المعنى

ثم قال سبحانه لنبيه ص «وَ اذْكُرْ» يا محمد لقومك أهل مكة «أخا عادٍ» يعنى هودا «إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ» أى خوفهم بالله تعالى و دعاهم إلى طاعته «بِالْأَحْقَافِ» و هو واد بين عمان و مهره عن ابن عباس و قيل رمال فيما بين عمان إلى حضرموت عن ابن إسحاق و قيل رمال مشرفه على البحر بالشحر من اليمن عن قتاده و قيل أرض خلالها رمال عن الحسن «وَ قَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ» أى و قد مضت الرسل من قبل هود (عليه السلام) و من بعده «أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ» أى بأن لا تعبدوا و المعنى إنى لم أبعث قبل هود و لا بعده إلا بالأمر بعباده الله وحده و هذا اعتراض كلام وقع بين إنذار هود و كلامه لقومه ثم عاد إلى كلام هود لقومه فقال «إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ» و تقدير الكلام إذ أنذر قومه بالأحقاف فقال «إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ» الآية ثم حكى ما أجاب به قومه بقوله «قَالُوا أَ جِئْتَنَا يَا هُودُ لِتَأْفِكِنَا» أى لتلفتتنا و تصرفنا «عَنْ آلِهَتِنَا» أى عن عباده آلهتنا «فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا» من العذاب «إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» أن العذاب نازل بنا «قَالَ» هود «إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ» هو يعلم متى يأتيكم العذاب لا أنا «وَ أُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ» إليكم أى و أنا أبلغكم ما أمرت بتبليغه إليكم «وَ لَكِنِّى أَرَأَيْكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ» حيث لا تجيبون إلى ما فيه صلاحكم و نجاتكم و تستعجلون العذاب الذى فيه هلاككم و هذا لا- يفعله إلا- الجاهل بالمنافع و المضار «فَلَمَّا رَأَوْهُ» أى فلما رأوا ما يوعدون و الهاء تعود إلى ما تعدنا فى قوله «فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا» «عَارِضًا» أى سحابا يعرض فى ناحيه من السماء ثم يطبق السماء «مُسِيًّا تَقْبَلُ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا» كانت عاد قد حبس عنهم المطر أياما فساق الله إليهم سحابه سوداء خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم استبشروا و قالوا «هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا» أى سحاب ممطر إيانا هذا تقديره لأنه نكره بدلاله أنه صفة لعارض فقال هود (عليه السلام) «بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ» أى ليس هو كما توهمتم بل هو الذى وعدتكم به و طلبتم تعجيله ثم فسره فقال «رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ» أى هو ریح فيها عذاب مؤلم و قيل بل هو قول الله تعالى «تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا» أى تهلك كل شىء مرت به من الناس و الدواب و الأموال و اعتزل هود و من معه فى حظيره لم يصبهم من تلك الريح إلا ما

تلين على الجلود و تلتذ به الأنفس و أنها لتمر من عاد بالظعن ما بين السماء و الأرض حتى نرى الطعينة كأنها جراده عن عمر بن ميمون «فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ» و ما عداها قد هلك و من قرأ بالتاء فهو على وجه الخطاب للنبي ص «كَذَلِكَ» أى مثل ما أهلكنا أهل الأحقاف و جازيناهم بالعذاب «نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ» أى الكافرين الذين يسلكون مسالكهم.

[سوره الأحقاف (٤٦): الآيات ٢٦ الى ٣٠]

إشاره

وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَ جَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَ أَبْصَارًا وَ أَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَ لَا أَبْصَارُهُمْ وَ لَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٢٦) وَ لَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَ صَيَّرْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٧) فَلَوْ لَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَ ذَلِكِ إِفْكَهُمُ وَ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٨) وَ إِذْ صَيَّرْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَ إِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٠)

القراءه

فى الشواذ قراءه ابن عباس و عكرمه و أبى عامر أفكهم بفتح الألف و الفاء و الكاف و قراءه عبد الله بن الزبير أفكهم و قراءه ابن عياض أفكهم بالتشديد.

الحجه

قوله إفكهم معناه صرفهم و ثناهم قال:

ص: ١٣٨

إن يك عن أحسن المروءه مأفوكا ففى آخريين قد أفكوا

و آفكهم أفعلمهم منه أى أصارهم إلى الإفك و يجوز أن يكون فاعلمهم من ذلك مثل خادعهم و أما إفكهم ففعلهم و ذلك لتكثيره ذلك الفعل بهم و روى عن قطرب أن ابن عباس قرأ آفكهم أى صارفهم.

اللغة

التمكين إعطاء ما يتمكن به من الفعل و تدخل فيه قدره و الآله و سائر ما يحتاج إليه الفاعل و قيل التمكين إزاله الموانع و ذلك داخل فى الأول لأنه كما يحتاج الفاعل فى الفعل إلى الآلات يحتاج إلى زوال الموانع فإذا أزيحت عنه العلل كلها فقد مكن و القربان كل ما يتقرب به إلى الله تعالى من طاعه أو نسك و الجمع قرابين.

الإعراب

«فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ» إن هنا بمعنى ما و إن فى النفى مع ما الموصوله بمعنى الذى أحسن فى اللفظ من ما ألا ترى أنك لو قلت رغبت فيما ما رغبت فيه لكان أحسن منه أن تقول رغبت فيما أن رغبت فيه لاختلاف اللفظين.

المعنى

ثم خوف سبحانه كفار مكة و ذكر فضل عاد بالأجسام و القوه عليهم فقال «وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِمْ» أى فى الذى ما مكناكم «فِيهِ» و المعنى فى الشىء الذى لم نمكنكم فيه من قوه الأبدان و بسطه الأجسام و طول العمر و كثره الأموال عن ابن عباس و قتاده و قيل معناه فيما مكناكم فيه و إن مزیده و المعنى مكناهم من الطاعات و جعلناهم قادرين متمكين بنصب الأدله على التوحيد و التمكين من النظر فيها و الترغيب و التهيب و إزاحه العلل فى جميع ذلك «وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَ أَبْصَارًا وَ أَفْئِدَةً» ثم أخبر سبحانه عن أولئك أنهم عرضوا عن قبول الحجج و التفكير فيما يدلهم على التوحيد مع ما أعطاهم الله من الحواس الصحيحه التى بها تدرك الأدله «فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَ لَا أَبْصَارُهُمْ وَ لَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ» أى لم ينفعهم جميع ذلك لأنهم لم يعتبروا ذلك و لا استعملوا أبصارهم و أفئدتهم فى النظر و التدبر «إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ» و أدلته «وَ حَاقَ بِهِمْ» أى حل بهم جزاء «مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ وَ لَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى» معناه و لقد أهلكنا يا أهل مكة ما حولكم و هم قوم هود و كانوا باليمن و قوم صالح بالحجر و قوم لوط على طريقهم إلى الشام «وَ صَيَّرْنَا الْآيَاتِ» تصريف الآيات تصييرها تاره فى الإعجاز و تاره فى الإهلاك و تاره فى التذكير بالنعم و تاره فى التذكير بالنقم و تاره فى وصف الأبرار ليقنتدى بهم و تاره فى وصف

الفجار ليجتنب مثل فعلهم «لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» أى لكى يرجعوا عن الكفر «فَلَوْ لَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً» أى فهلا نصر هؤلاء المهلكين الذين اتخذوهم آلهه و زعموا أنهم يعبدونهم تقربا إلى الله تعالى ثم لم ينصروهم لأن هذا استفهام إنكار «بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ» أى ضلت الآلهه وقت الحاجه إليها فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم «وَذَلِكَ إِنْ كُفُّهُمْ» أى اتخذهم الآلهه دون الله كذبهم و افتراؤهم و هو قوله «وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ» أى يكذبون من أنها آلهه ثم بين سبحانه أن فى الجن مؤمنين و كافرين كما فى الإنس فقال «وَإِذْ صَرَّفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ» معناه و اذكر يا محمد إذ وجهنا إليك جماعه من الجن تستمع القرآن و قيل معناه صرفناهم إليك عن بلادهم بالتوفيق و الألطاف حتى أتوك و قيل صرفناهم إليك عن استراق السمع من السماء برجوم الشهب و لم يكونوا بعد عيسى قد صرفوا عنه فقالوا ما هذا الذى حدث فى السماء إلا من أجل شىء قد حدث فى الأرض فضربوا فى الأرض حتى وقفوا على النبی ص ببطن نخله عامدا إلى عكاظ و هو يصلى الفجر فاستمعوا القرآن و نظروا كيف يصلى عن ابن عباس و سعيد بن جبیر و على هذا فيكون الرمی بالشهب لطفًا للجن «فَلَمَّا حَضَرُوهُ» أى حضروا القرآن أو النبی ص «قَالُوا أَنْصِتُوا» أى قال بعضهم لبعض اسكتوا لنستمع إلى قراءته فلا يحول بيننا و بين القرآن شىء «فَلَمَّا قُضِيَ» أى فرغ من تلاوته «وَلَوْأ إِلَى قَوْمِهِمْ» أى انصرفوا إلى قومهم «مُنذِرِينَ» أى محذرين إياهم عذاب الله إن لم يؤمنوا «قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ» يعنون القرآن «مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ» أى لما تقدمه من الكتب «يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ» أى يرشد إلى دين الحق و يدل عليه و يدعو إليه «وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ» يؤدى بسالكة إلى الجنة.

[القصه]

عن الزهرى قال لما توفى أبو طالب (عليه السلام) اشتد البلاء على رسول الله ص فعمد ليقف بالطائف رجاء أن يأووه فوجد ثلاثه نفر منهم هم ساده و هم إخوه عبد ياليل و مسعود و حبيب بنو عمرو فعرض عليهم نفسه فقال أحدهم أنا أسرق ثياب الكعبه إن كان الله بعثك بشىء قط و قال الآخر أعجز على الله أن يرسل غيرك و قال الآخر و الله لا أكلمك بعد مجلسك هذا أبدا فلئن كنت رسولا- كما تقول فأنت أعظم خطرا من أن يرد عليك الكلام و إن كنت تكذب على الله فما ينبغى لى أن أكلمك بعد و تهزئوا به و أفشوا فى قومه ما راجعوه به فقعدهوا له صفيين على طريقه فلما مر رسول الله ص بين صفيهم جعلوا لا يرفع رجله و لا

ص: ١٤٠

يضعهما إلا رضخوهما بالحجاره حتى أدموا رجليه فخلص منهم و هما يسيلان دما إلى حائط من حوائطهم و استظل في ظل نخله منه و هو مكروب موجع تسيل رجلاه دما فإذا في الحائط عتبه بن ربيعه و شبيهه بن ربيعه فلما رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله و رسوله فلما رأياه أرسل إليه غلاما لهما يدعى عداس معه عنب و هو نصراني من أهل نينوى فلما جاءه قال له رسول الله ص من أى أرض أنت قال من أهل نينوى قال من مدينه العبد الصالح يونس بن متى فقال له عداس و ما يدريك من يونس بن متى قال أنا رسول الله و الله تعالى أخبرنى خبر يونس بن متى فلما أخبره بما أوحى الله إليه من شأن يونس خر عداس ساجدا لله و لرسول الله ص و جعل يقبل قدميه و هما يسيلان الدماء فلما بصر عتبه و شبيهه ما يصنع غلامهما سكتا فلما أتاها قالا ما شأنك سجدت لمحمد و قبلت قدميه و لم نرك فعلت ذلك بأحد منا قال هذا رجل صالح أخبرنى بشىء عرفته من شأن رسول بعثه الله إلينا يدعى يونس بن متى فضحكا و قالا لا يفتنك عن نصرانيتك فإنه رجل خداع فرجع رسول الله ص إلى مكة حتى إذا كان بنخله قام فى جوف الليل يصلى فمر به نفر من جن أهل نصيبين و قيل من اليمن فوجدوه يصلى صلاة الغداة و يتلو القرآن فاستمعوا له و هذا معنى قول سعيد بن جبیر و جماعه و قال آخرون أمر رسول الله ص أن ينذر الجن و يدعوهم إلى الله و يقرأ عليهم القرآن فصرف الله إليه نفرا من الجن من نينوى فقال ص إنى أمرت أن أقرأ على الجن الليله فأيكم يتبعنى فاتبعه عبد الله بن مسعود قال عبد الله و لم يحضر معه أحد غيرى فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة و دخل نبي الله شعبا يقال له شعب الحجون و خط لى خطا ثم أمرنى أن أجلس فيه و قال لا تخرج منه حتى أعود إليك ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فغشيته أسوده كثيره حتى حالت بينى و بينه حتى لم أسمع صوته ثم انطلقوا و طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين حتى بقى منهم رهط و فرغ رسول الله ص مع الفجر فانطلق فرز ثم قال هل رأيت شيئا فقلت نعم رأيت رجالا- سودا مستثفري ثياب بيض قال أولئك جن نصيبين و روى علقمه عن عبد الله قال لم أكن مع رسول الله ص ليله الجن و وددت أنى كنت معه و روى عن ابن عباس أنهم كانوا سبعة نفر من جن نصيبين فجعلهم رسول الله ص رسلا إلى قومهم قال زر بن حبیش كانوا تسعة نفر منهم زوبعه و روى محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال لما قرأ رسول الله ص الرحمن على الناس سكتوا فلم يقولوا شيئا فقال رسول الله ص الجن كانوا أحسن جوابا منكم لما قرأت عليهم فَبَأَى آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبانِ* قالوا لا و لا بشىء من آلائك ربنا نكذب.

إشاره

يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَاللَّيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٢) أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٣) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالِ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٤) فَمَا صَبِرَ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (٣٥)

القراءه

قرأ يعقوب وحده يقدر بالياء وهو قراءه جده عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وعاصم الجحدري ومالك بن دينار وقرأ جميع القراء «بقادر» وفي الشواذ قراءه الحسن وعيسى الثقفي بلاغا بالنصب وقراءه ابن محيصن فهل يهلك بفتح الياء.

الحجه

قال أبو علي قراءه القراء «أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» إلى قوله «بقادر» من الحمل على المعنى أدخل الباء لما كان في معنى أ وليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر ومثل ذلك في الحمل على المعنى قول الشاعر:

بادت وغير آيهن مع البلى إلا رواكد جمرهن هباء

ثم قال:

" و مشجع أما سواء قذاله "

لما كان غير آيهن مع البلى إلا رواكد بمعنى بها رواكد حمل مشجع على ذلك و كذلك قوله يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ثم قال وَ حُورٌ عِينٌ لما كان يطاف عليهم بكذا معناه لهم فيها كذا و قالوا إن أحدا لا يقول ذلك إلا زيد فأدخل أحدا فى الموجب لما كان معنى الكلام النفى و من قرأ بلاغا فهو على تقدير فعل مضمر أى بلغوا بلاغا كما أن الرفع على تقدير مضمر أى هو بلاغ أو هذا بلاغ و قرأ أبو مجلز بلغ على الأمر.

المعنى

ثم بين سبحانه تمام خبر الجن فقال حاكيا عنهم «يا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ» يعنون محمدا ص إذ دعاهم إلى توحيدهِ و خلع الأنداد دونه «وَ آمَنُوا بِهِ» أى بالله «يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ» أى فإنكم إن آمنتم بالله و رسوله يغفر لكم ذنوبكم «وَ يُجِزْكُمْ» أى و يخلصكم «مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ» قال على بن إبراهيم فجاءوا إلى رسول الله ص فأمنوا به و علمهم رسول الله ص شرائع الإسلام و أنزل الله سبحانه قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ و كانوا يفرون إلى رسول الله ص فى كل وقت و فى هذا دلالة على أنه كان مبعوثا إلى الجن كما كان مبعوثا إلى الإنس و لم يبعث الله نبيا إلى الإنس و الجن قبله «وَ مَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ» أى لا يعجز الله فيسبقه و يفوته «وَ لَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ» أى أنصار يمنعونه من الله و يدفعون عنه العذاب إذا نزل بهم و يجوز أن يكون هذا من كلام الله تعالى ابتداء ثم قال «أُولَئِكَ» يعنى الذين لا يجيبون داعى الله «فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» أى عدول عن الحق ظاهر ثم قال سبحانه منبها على قدرته على البعث و الإعادة فقال «أَ وَ لَمْ يَرَوْا» أى أ و لم يعلموا «أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» و أنشأهما «وَ لَمْ يَعْى بِخَلْقِهِنَّ» أى لم يصبه فى خلق ذلك إعياء و لا تعب و لم يعجز عنه يقال عى فلان بأمره إذا لم يهتد له و لم يقدر عليه «بِقَادِرٍ» الباء زائده و موضعه رفع بأنه خبر إن «عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى» أى فخلق السماوات و الأرض أعجب من إحياء الموتى ثم قال «بلى» هو قادر عليه «إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ثم عقبه بذكر الوعيد فقال «وَ يَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ» أى يقال لهم على وجه الاحتجاج عليهم أليس هذا الذى جوزيتم به حق لا ظلم فيه «قالوا» أى فيقولون «بلى وَ رَبَّنَا» اعترفوا بذلك

ص: ١٤٣

و حلفوا عليه بعد ما كانوا منكرين «قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ» أى بكفركم فى الدنيا و إنكاركم ثم قال لنبىه ص «فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ» أى فاصبر يا محمد على أذى هؤلاء الكفار و على ترك إجابتهم لك كما صبر الرسل و من هاهنا لتبيين الجنس كما فى قوله «فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ» و على هذا القول فىكون جميع الأنبياء هم أولو العزم لأنهم عزموا على أداء رسالته و تحمل أعبائها عن ابن زيد و الجبائى و جماعه و قيل أن من هاهنا للتبعيض و هو قول أكثر المفسرين و الظاهر فى روايات أصحابنا ثم اختلفوا

فقيل أولو العزم من الرسل من أتى بشريعه مستأنفه نسخت شريعه من تقدمه و هم خمسة أولهم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمد ص عن ابن عباس و قتاده و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام) قال و هم سادة النبيين و عليهم دارت رحا المرسلين

و قيل هم سته نوح صبر على أذى قومه و إبراهيم صبر على النار و إسحاق صبر على الذبح و يعقوب صبر على فقد الولد و ذهاب البصر و يوسف صبر فى البئر و السجن و أيوب صبر على الضر و البلوى عن مقاتل و قيل هم الذين أمروا بالجهاد و القتال و أظهروا المكاشفه و جاهدوا فى الدين عن السدى و الكلبي و قيل هم إبراهيم و هود و نوح و رابعهم محمد ص عن أبى العالیه و العزم هو الوجوب و الحتم و أولو العزم من الرسل هم الذين شرعوا الشرائع و أوجبوا على الناس الأخذ بها و الانقطاع عن غيرها «وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ» أى و لا تستعجل لهم العذاب فإنه كائن واقع بهم عن قريب و ما هو كائن فكان قد كان وقع «كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُرَوُّنَ مَا يُوعَدُونَ» أى من العذاب فى الآخرة «لَمْ يَلْبُثُوا» فى الدنيا «إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ» أى إذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم فى الدنيا و البرزخ كأنه ساعه من نهار لأن ما مضى كأن لم يكن و إن كان طويلا و تم الكلام ثم قال بلاغ أى هذا القرآن و ما فيه من البيان بلاغ من الله إليكم و البلاغ بمعنى التبليغ و قيل معناه ذلك اللبث «بِلاغٌ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ» أى لا يقع العذاب إلا بالعاصين الخارجين من أمر الله تعالى و قيل معناه لا يهلك على الله تعالى إلا هالك مشرك ولى ظهره الإسلام أو منافق صدق بلسانه و خالف بعمله عن قتاده و قيل معناه لا يهلك مع رحمه الله و تفضله إلا القوم الفاسقون عن الزجاج قال و ما جاء فى الرجاء لرحمه الله شىء أقوى من هذه الآيه.

(٤٧) سورة محمد مدنيه و آياتها ثمان و ثلاثون (٣٨)

اشاره

اشاره

و هي مدنيه و قال ابن عباس و قتاده غير آيه منها نزلت على النبي ص و هو يريد التوجه إلى المدينه من مكه و جعل ينظر إلى البيت و هو يبكي حزنا عليه فنزلت «وَ كَأَيُّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ» الآية.

عدد آياتها

أربعون آيه بصرى ثمان و ثلاثون كوفى تسع فى الباقيين.

اختلافها

آيتان «أَوْزَارَهَا» غير الكوفى «لِلشَّارِبِينَ» بصرى.

فضلها

أبى بن كعب قال قال النبي ص من قرأ سورة محمد كان حقا على الله أن يسقيه من أنهار الجنة

و

روى أبو بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأها لم يدخله شك فى دينه أبدا و لم يزل محفوظا من الشرك و الكفر أبدا حتى يموت فإذا مات و كل الله به فى قبره ألف ملك يصلون فى قبره و يكون ثواب صلواتهم له و يشيعونه حتى يوقفوه موقف الأيمن عند الله و يكون فى أمان الله و أمان محمد ص

و

قال (عليه السلام) من أراد أن يعرف حالنا و حال أعدائنا فليقرأ سورة محمد ص فإنه يراها آيه فىنا و آيه فىهم.

تفسيرها

ختم الله سبحانه تلك السوره بوعيد الكفار و افتتح هذه السوره بمثلها فقال جل ثناؤه:

ص: ١٤٥

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (٣) فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَتْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدَ وَ إِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَتْخِيزَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤)

سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحْ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ (٦)

القراءه

قرأ أهل البصره و حفص «وَالَّذِينَ قُتِلُوا» على ما لم يسم فاعله و الباقر قاتلوا بالألف.

الحجه

قال أبو على قاتلوا أعم من قتلوا أ لا ترى أن من قاتل و لم يقتل لن يضل عمله كما أن الذى قتل كذلك فهو لعمومه أولى.

اللغه

البال الحال و الشأن و البال القلب أيضا يقال خطر بيالى كذا و البال لا يجمع لأنه أبهم أخواته من الحال و الشأن. و الإثخان إكثار القتل و غلبه العدو و قهرهم و منه أثخنه المرض اشتد عليه و أثخنه الجراح و الوثاق اسم من الإيثاق و يقال أوثقه إيثاقا و وثاقا إذا اشتد أسره كيلا يفك و الأوزار السلاح و أصل الوزر ما يحمله الإنسان فسمى السلاح أوزارا لأنه يحمل قال الأعشى:

و أعددت للحرب أوزارها رماحا طوالا و خيلا ذكورا

و من نسج داود يحدو بها على أثر الحى عيرا فعيرا

ذلك خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمر ذلك و يجوز أن يكون مبتدأ محذوف الخبر تقديره ذلك كائن فضرب الرقاب مصدر فعل محذوف تقديره فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل و أضيف المصدر إلى المفعول و هذه الإضافة فى تقدير الانفصال لأن تقديره فضربا الرقاب قال الشاعر:

"فندلا زريق المال ندل الثعالب"

و كذلك قوله «مَنَّا» و «فِدَاءً» تقديره فإما تمنون منا و إما تفدون فداء.

المعنى

«الَّذِينَ كَفَرُوا» بتوحيد الله و عبدوا معه غيره «وَصِيدُوا» الناس «عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» أى عن سبيل الإيمان و الإسلام باستدعائهم إلى تكذيب النبى ص يعنى مشركى العرب «أَصْلَلْ أَعْمَالَهُمْ» أى أحبط الله أعمالهم التى كان فى زعمهم أنها قربه و أنها تنفعهم كالعتق و الصدقة و قرى الضيف و المعنى أذهبها و أبطلها حتى كأنها لم تكن إذ لم يروا لها فى الآخرة ثوبا و قيل نزلت فى المطعمين ببدر و كانوا عشره أنفس أطعم كل واحد منهم الجند يوما «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» أى صدقوا بتوحيد الله و أضافوا إلى ذلك الأعمال الصالحة «وَأَمَّنُوا بِمَا نَزَّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ» من القرآن و العبادات خص الإيمان بمحمد ص بالذكر مع دخوله فى الأول تشريفا له و تعظيما و لثلا يقول أهل الكتاب نحن آمننا بالله و بأنبيائنا و كتبنا «وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ» أى و ما نزل على محمد ص هو الحق من ربهم لأنه ناسخ للشرائع و الناسخ هو الحق و قيل معناه و محمد الحق من ربهم دون ما يزعمون من أنه سيخرج فى آخر الزمان نبى من العرب فليس هذا هو فرد الله ذلك عليهم «كَفَرَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ» أى سترها عنهم بأن غفرها لهم يعنى غفر سيئاتهم المتقدمة بإيمانهم و حكم بإسقاط المستحق عليها من العقاب «وَأَصْلَحَ بِأَلْفِهِمْ» أى أصلح حالهم فى معاشهم و أمر دنياهم عن قتاده و قيل أصلح أمر دينهم و دنياهم بأن نصرهم على أعدائهم فى الدنيا و يدخلهم الجنة فى العقبى ثم بين سبحانه لم فعل ذلك و لم قسمهم هذين القسمين فقال «ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَ أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ» أى ذلك الإضلال و الإصلاح باتباع الكافرين الشرك و عبادة الشيطان و اتباع المؤمنين التوحيد و القرآن و ما أمر الله سبحانه باتباعه «كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ» أى كالبيان الذى ذكرنا بين الله سبحانه للناس أمثال حسنة المؤمنين و سيئات الكافرين فإن معنى قول القائل ضربت لك مثلا بينت لك ضربا من الأمثال عن الزجاج و قيل أراد به المثل المقرون به فجعل الكافر فى اتباعه الباطل كمن دعاه الباطل إلى نفسه فأجابه و المؤمن كمن دعاه الحق إلى نفسه فأجابه و قيل معناه كما بينت عاقبه الكافر و المؤمن و جزاء كل واحد منهما أضرب للناس أمثالا يستدلون بها فيزيدهم علما و وعظا و أضاف المثل إليهم لأنه مجعول لهم ثم أمر سبحانه بقتال الكفار فقال «فَإِذَا

لَقِيْتُمْ» معاشر المؤمنين «الَّذِينَ كَفَرُوا» يعنى أهل دار الحرب «فَضْرَبَ الرِّقَابِ» أى فاضربوا رقابهم و المعنى اقتلوهم لأن أكثر مواضع القتل ضرب العنق و إن كان يجوز الضرب فى سائر المواضع فإن الغرض قتلهم «حَتَّى إِذَا أَثَخْتُمُوهُمْ» أى أثقلتموهم بالجراح و ظفرتهم بهم و قيل حتى إذا بالغتم فى قتلهم و أكثرتم القتل حتى ضعفوا «فَشُدُّوا الوُثَاقَ» أى أحكموا وثاقهم فى الأسر. أمر سبحانه بقتلهم و الإثخان فيهم ليدلوا فإذا ذلوا بالقتل أسروا فالأسر يكون بعد المبالغة فى القتل كما قال سبحانه ما كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثَخِّنَ فِي الأَرْضِ «فَأَمَّا مَنْ بَعْدُ وَإِذَا فِتْدَاءٌ» أى فأما أن تمنوا عليهم منا بعد أن تأسروهم فتطلقوهم بغير عوض و أما أن تفدوهم فداء و اختلف فى ذلك فقيل كان الأسر محرما بآيه الأنفال ثم أبيح بهذه الآيه لأن هذه السوره نزلت بعدها فإذا أسروا فالإمام مخير بين المن و الفداء بأسارى المسلمين و بالمال و بين القتل و الاستعباد و هو قول الشافعى و أبى يوسف و محمد بن إسحاق و قيل أن الإمام مخير بين المن و الفداء و الاستعباد و ليس له القتل بعد الأسر عن الحسن و كأنه جعل فى الآيه تقديما و تأخيرا تقديره فضرب الرقاب حتى تضع الحرب أوزارها ثم قال حتى إذا أثختموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد و إما فداء و قيل أن حكم الآيه منسوخ بقوله فاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ و بقوله فَأَمَّا تَثَقَفْتُمُوهُمْ فِي الْحَرْبِ عَنْ قِتَادِهِ و السدى و ابن جريج و قال ابن عباس و الضحاك الفداء منسوخ و قيل أن حكم الآيه ثابت غير منسوخ عن ابن عمر و الحسن و عطاء قالوا لأن النبى ص من على أبى غره و قتل عقبه بن أبى معيط و فادى أسارى بدر و

المروى عن أئمة الهدى صلوات الرحمن عليهم أن الأسارى ضربان ضرب يؤخذون قبل انقضاء القتال و الحرب قائمه فهؤلاء يكون الإمام مخيرا بين أن يقتلهم أو يقطع أيديهم و أرجلهم من خلاف و يتركهم حتى ينزفوا و لا يجوز المن و لا الفداء.

و الضرب الآخر الذين يؤخذون بعد أن وضعت الحرب أوزارها و انقضى القتال فالإمام مخير فيهم بين المن و الفداء إما بالمال أو بالنفس و بين الاسترقاق و ضرب الرقاب فإذا أسلموا فى الحالين سقط جميع ذلك و كان حكمهم حكم المسلمين

«حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا» أى حتى يضع أهل الحرب أسلحتهم فلا- يقاتلون و قيل حتى لا يبقى أحد من المشركين عن ابن عباس و قيل حتى لا- يبقى دين غير دين الإسلام عن مجاهد و المعنى حتى تضع حربكم و قتالكم أوزار المشركين و قبائح أعمالهم بأن يسلموا فلا يبقى إلا الإسلام خير الأديان و لا تعبد الأوثان و هذا كما

جاء فى الحديث و الجهاد ماض مذ بعثنى الله إلى أن يقاتل آخر أمتى الدجال

و قال الفراء المعنى حتى لا- يبقى إلا- مسلم أو مسالم و قال الزجاج أى اقتلوهم و أسروهم حتى يؤمنوا فما دام الكفر فالحرب قائمه أبدا «ذَلِكَ» أى الأمر الذى ذكرنا «وَلَوْ

يَشَاءُ اللَّهُ لَأَنْتَصِرَ مِنْهُمْ» أى من الكفار ياهلاكهم و تعذيبهم بما شاء «وَ لَكِنَّ» يأمركم بالحرب و بذل الأرواح فى إحياء الدين «لِيُتَّبِعُوا بَعْضَ كُفْرِكُمْ بَعْضٌ» أى ليمتحن بعضكم ببعض فيظهر المطيع من العاصى و المعنى أنه لو كان الغرض زوال الكفر فقط لأهلك الله سبحانه الكفار بما يشاء من أنواع الهلاك و لكن أراد مع ذلك أن يستحقوا الثواب و ذلك لا يحصل إلا بالتعبد و تحمل المشاق «وَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أى فى الجهاد فى دين الله يوم أحد عن قتاده و من قرأ قاتلوا فالمعنى جاهدوا سواء قتلوا أو لم يقتلوا «فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ» أى لن يضيع الله أعمالهم و لن يهلكها بل يقبلها و يجازيهم عليها ثوابا دائما «سَيَهْدِيهِمْ» إلى طريق الجنة و الثواب «وَ يُضِلِّحَ بِهِمُ» أى شأنهم و حالهم و الوجه فى تكرير قوله «بِأَنَّهُمْ» أن المراد بالأول أنه أصلح بالهم فى الدين و الدنيا و بالثانى أنه يصلح حالهم فى نعيم العقبى فالأول سبب النعيم و الثانى نفس النعيم «وَ يُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ» أى بينها لهم حتى عرفوها إذا دخلوها و تفرقوا إلى منازلهم فكانوا أعرف بها من أهل الجمعه إذا انصرفوا إلى منازلهم عن سعيد بن جبير و أبى سعيد الخدرى و قتاده و مجاهد و ابن زيد و قيل معناه بينها لهم و أعلمهم بوصفها على ما يشوق إليها فيرغبون فيها و يسعون لها عن الجبائى و قيل معناه طيبها لهم عن ابن عباس فى روايه عطاء من العرف و هو الرائحة الطيبه يقال طعم معرف أى مطيب.

[سوره محمد (٤٧): الآيات ٧ الى ١٠]

اشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصِرُوا اللَّهَ يَنْصِرْكُمْ وَ يُبَيِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧) وَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (٨) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْيَطَ أَعْمَالَهُمْ (٩) أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ لِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (١٠)

اللغه

التعس الانحطاط و العثار و الإتعاس و الإزلال و الإدحاض بمعنى و هو العثار الذى لا يستقل صاحبه فإذا سقط الساقط فأريد به الانتعاش و الاستقامه قيل لعا له و إذا لم يرد

ص: ١٤٩

ذلك قيل تعسا قال الأعشى:

"فالتعس أولى لها من أن أقول لعا".

المعنى

ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصِرُوا اللَّهَ» أى إن تنصروا دين الله و نبي الله بالقتال و الجهاد «يَنصِرْكُمْ» على عدوكم «وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ» أى يشجعكم و يقو قلوبكم لتثبتوا و قيل ينصركم فى الآخرة و يثبت أقدامكم عند الحساب و على الصراط و قيل ينصركم فى الدنيا و الآخرة و يثبت أقدامكم فى الدارين و هو الوجه قال قتاده حق على الله أن ينصر من نصره لقوله «إِن تَنصِرُوا اللَّهَ يَنصِرْكُمْ» و أن يزيد من شكره لقوله «لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» و أن يذكر من ذكره لقوله «فَاذْكُرُونِي أَذْكَرُكُمْ» و أن يوفى بعهد من أقام على عهده لقوله «وَ أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ» «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ» أى مكروها لهم و سوءا عن المبرد أى أتعسهم الله فتعسوا تعسا قال ابن عباس يريد فى الدنيا العسره و فى الآخرة التردى فى النار «وَ أَصَلَّ أَعْمَالُهُمْ» مر معناه «ذَلِكْ» التعس و الإضلال «بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ» على نبيه ص من القرآن و الأحكام و أمرهم بالانقياد فخالفوا ذلك و

قال أبو جعفر (عليه السلام) «كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ» فى حق على (عليه السلام) «فَأَخْبَطَ أَعْمَالَهُمْ» لأنها لم تقع على الوجه المأمور به

ثم نبههم سبحانه على الاستدلال على صحه ما دعاهم إليه من التوحيد و إخلاص العباده لله فقال «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فى الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ» حين أرسل الله إليهم الرسل فدعوههم إلى توحيد و إخلاص العباده له فلم يقبلوا منهم و عصوهم أى فهلا- ساروا و رأوا عواقب أولئك «دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» أى أهلكتهم ثم قال «وَ لِلْكَافِرِينَ» بك يا محمد «أَمْثَالُهَا» من العذاب إن لم يؤمنوا و يقبلوا ما تدعوههم إليه و المعنى أنهم يستحقون أمثالها و إنما يؤخر الله سبحانه عذابهم إلى الآخرة تفضلا منه.

إشارة

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ (١١) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ (١٢) وَكَأَيُّنْ مِنْ قَرْبِيهِ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ أَهْلُكِنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ (١٣) أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٤) مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعد الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَ لَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (١٥)

القراءة

قرأ ابن كثير أسن مقصورا و الباقون «آسن» بالمد و

قرأ على (عليه السلام) و ابن عباس أمثال الجنة على الجمع.

الحج

قال أبو زيد يقال أسن الماء يأسن أسونا إذا تغير و أسن الرجل يأسن أسنا إذا غشى عليه من ريح خبيثه و ربما مات منها قال:

التارك القرن مصفرا أنامله تميل فى الرمح ميل المائح الأسن

قال أبو عبيده الأسن المتغير فحجه ابن كثير أن اسم الفاعل من فعل يفعل على فعل و قال أبو الحسن أسن إنما هو للحال التى تكون عليها و من قرأ «آسن» على فاعل فإنما يريد أن ذلك لا يصير إليه فيما يستقبل و قوله أمثال الجنة فيه دليل على أن القراءة العامه التى هى مثل فى معنى الكثره لما فيه من معنى المصدريه.

اللغة

المثوى المنزل من قولهم ثوى بالمكان ثواء إذا أقام به و يقال للمرأة أم المثوى

أى ربه المنزل و المثل و المثل بمعنى مثل الشبه و الشبه و البدل و البدل و الأمعاء جمع معى و

فى الحديث المؤمن يأكل فى معى واحد و الكافر يأكل فى سبعة أمعاء

و فيه وجوه من التأويل (أحدها) أنه قال على (عليه السلام) فى رجل معين (و الثانى) أن المعنى يأكل المؤمن فيسمى الله تعالى فيبارك فى أكله (و الثالث) أن المؤمن يضيق عليه فى الدنيا و الكافر يصيب منها (و الرابع) أنه مثل لزهة المؤمن فى الدنيا و حرص الكافر عليها و هذا أحسن الوجوه.

الإعراب

قال الزجاج «مَثَلُ الْجَنَّةِ» مبتدأ و خبره محذوف تقديره مثل الجنة التى وعد المتقون مما قد عرفتموه من الدنيا جنة فيها أنهار إلى آخره و قوله «كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ» تقديره أ فمن كان على بينه من ربه و أعطى هذه الأشياء كمن زين له سوء عمله و هو خالد فى النار.

المعنى

ثم قال سبحانه «ذَلِكَ» أى الذى فعلناه فى الفريقين «بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا» يتولى نصرهم و حفظهم و يدفع عنهم «وَ أَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ» ينصرهم و لا أحد يدفع عنهم لا عاجلا و لا آجلا ثم ذكر سبحانه حال الفريقين فقال «إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» أى من تحت أشجارها و أبنتها «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَ يَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ» أى سيرتهم سيره الأنعام آثروا لذات الدنيا و شهواتها و أعرضوا عن العبر يأكلون للشبع و يتمتعون لقضاء الوطر «وَ النَّارُ مَثْوًى لَهُمْ» أى موضع مقامهم يقيمون فيها ثم خوفهم و هددهم سبحانه فقال «وَ كَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ» يا محمد يعنى مكة «الَّتِي أَخْرَجْتِكَ» أى أخرجك أهلها و المعنى كم من رجال هم أشد من أهل مكة و لهذا قال «أَهْلَكْنَاهُمْ» فكنى عن الرجال عن ابن عباس «فَلَا ناصِرَ لَهُمْ» يدفع عنهم إهلاكنا إياهم و المعنى فمن الذى يؤمن هؤلاء أن أفعل بهم مثل ذلك ثم قال سبحانه على وجه التهجين و التوبيخ للكفار و المنافقين «أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ» أى على يقين من دينه و على حجة واضحة من اعتقاده فى التوحيد و الشرائع «كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ» زين له الشيطان المعاصى و أغواه

«وَ اتَّبِعُوا أَهْوَاءَهُمْ» أى شهواتهم و ما تدعوهم إليه طباعهم و هو وصف لمن زين له سوء عمله و هم المشركون و قيل هم المنافقون عن ابن زيد و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

ثم وصف الجنات التى وعدا المؤمنين بقوله «مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ» تقدم تفسيره فى سورة الرعد «فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ» أى غير متغير لطول المقام كما تتغير مياه الدنيا

«وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ» فهو غير حامض و لا قارص و لا يعترية شىء من العوارض التى تصيب الألبان فى الدنيا «وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ» أى لذيده يلتذون بشربها و لا يتأذون بها و لا بعاقبتها بخلاف خمر الدنيا التى لا تخلو من المزازه و السكر و الصداع «وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى» أى خالص من الشمع و الرغوه و القذى و من جميع الأذى و العيوب التى تكون لعسل الدنيا «وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ» أى مما يعرفون اسمها و مما لا يعرفون اسمها مبرأه من كل مكروه يكون لثمرات الدنيا «وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ» أى و لهم مع هذا مغفره من ربهم و هو أنه يستر ذنوبهم و ينسيهم سيئاتهم حتى لا يتنغص عليهم نعيم الجنة «كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ» أى من كان فى هذه النعيم كمن هو خالد فى النار «وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا» شديد الحر «فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ» إذا دخل أجوافهم و قيل أن قوله «كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ» معطوف على قوله «كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ» أى كمن زين له سوء عمله و من هو خالد فى النار فحذف الواو كما يقال قصدنى فلان شتمنى ظلمنى.

إشارة

وَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٦) وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَ آتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٧) فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ (١٨) فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَ مَثْوَاكُمْ (١٩) وَ يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَّلَتْ سُورَةٌ فَأِذَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَ ذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَى لَهُمْ (٢٠)

القراءة

روى فى بعض الروايات عن ابن كثير أنفا بالقصر و القراءة المشهورة «آنفاً» بالمد.

الحجج

قال أبو على أنشد أبو زيد:

وجدنا آل مره حين خفنا جريرتنا هم الأنف الكراما

و يسرح جارهم من حيث يمسى كان عليه مؤتفا حراما

أى كان عليه حرمة شهر مؤتف حرام فحذف و الأنف الذين يأنفون من احتمال الضيم قال أبو على فإذا كان كذلك فقد جمع فعل على فعل لأن واحد أنف أنف بدلاله قول الشاعر:

و حمال المئين إذا ألت بنا الحدثان و الأنف النصور

و ليس الأنف و الأنف فى البيتين مما فى الآيه فى شىء لأن ما فى الشعر من الأنفه و ما فى الآيه من الابتداء و لم يسمع أنف فى معنى ابتداء و يجوز أن يكون توهمه ابن كثير مثل حاذر و حذر و فاكه و فكه و الوجه المد و الأنف الجائى من الالتفاف و هو الابتداء فقوله «آنفاً» أى فى أول وقت يقرب منا.

اللغة

الأهواء جمع الهوى و هو شهوه النفس يقال هوى هوى فهو هو و استهواه هذا الأمر أى دعاه إلى الهوى و الأشراف العلامات و أشرط فلان نفسه للأمر إذا أعلمها بعلامه قال أوس بن حجر:

فأشرط فيها نفسه و هو معصم و ألقى بأسباب له و توكلأ

و واحد الأشراف شرط و الشرط بالتحريك العلامة و أشراف الساعه علاماتها و الشرط

ص: ١٥٤

ترى شرط المعزى مهور نسائهم و فى شرط المعزى لهن مهور

و أصحاب الشرط سموا بذلك للبسهم لباسا يكون علامه لهم و الشرط فى البيع علامه بين المتبايعين.

المعنى

ثم بين سبحانه حال المنافقين فقال: «و مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ» أى و من الكافرين الذين تقدم ذكرهم من يستمع إلى قراءتك و دعوتك و كلامك لأن المنافق كافر «حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» يعنى الذين آتاهم الله العلم و الفهم من المؤمنين قال ابن عباس أنا ممن أوتوا العلم بالقرآن و

عن الأصبغ بن نباته عن على (عليه السلام) قال أنا كنا عند رسول الله ص فيخبرنا بالوحي فأعياه أنا و من يعيه فإذا خرجنا قالوا «ما ذا قال آتفأ»

و قولهم «ما ذا قال آتفأ» أى شىء قال الساعه و إنما قالوه استهزاء أو إظهار أنا لم نشتغل أيضا بوعيه و فهمه و قيل إنما قالوا ذلك لأنهم لم يفهموا معناه و لم يعلموا ما سمعوه و قيل بل قالوا ذلك تحقيرا لقوله أى لم يقل شيئا فيه فائده و يحتمل أيضا أن يكونوا سألوا رياء و نفاقا أى لم يذهب عنى من قوله إلا هذا فما ذا قال أعده على لأحفظه و إنما قال يستمع إليك ثم قال خرجوا من عندك لأن فى الأول رد الضمير إلى لفظه من و فى الثانى إلى معناه فإنه موحد اللفظ مجموع المعنى ثم قال «أُولَئِكَ الَّذِينَ طَغَى اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ» أى و سم قلوبهم بسمه الكفار أو خلى بينهم و بين اختيارهم «وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ» أى شهوات نفوسهم و ما مالت إليه طباعهم دون ما قامت عليه الحجة ثم وصف سبحانه المؤمنين فقال «وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا» بما سمعوا من النبى ص «زَادَهُمْ» الله أو قراءه القرآن أو النبى ص «هُدًى» و قيل زادهم استهزاء المنافقين إيمانا و علما و بصيره و تصديقا لنبىهم ص «وَأَتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ» أى وفقهم للتقوى و قيل معناه و آتاهم ثواب تقواهم عن سعيد بن جبير و أبى على الجبائى و قيل بين لهم ما يتقون و هو ترك الرخص و الأخذ بالعزائم «فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ» أى فليس ينتظرون إلا-القيامة «أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً» أى فجأه فقوله «أَنْ تَأْتِيَهُمْ» بدل من الساعه و تقديره إلا الساعه إتيانها بغته و المعنى إلا إتيان الساعه إياهم بغته «فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا» أى علاماتها قال ابن عباس معالمها و النبى من أشراطها و لقد قال بعثت أنا و الساعه كهاتين و قيل هى إعلامها من انشقاق القمر و الدخان و خروج النبى ص و نزول آخر الكتب عن مقاتل «فَأَنَّى

لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ» أى فمن أين لهم الذكر و الاعتاظ و التوبه إذا جاءتهم الساعه و موضع ذكراهم رفع مثله فى قوله «يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَ أَنَّى لَهُ الذُّكْرَى» أى ليس تنفعه الذكرى و الذكرى ما أمر الله سبحانه أن يتذكروا به و معناه و كيف لهم بالنجاه إذا جاءتهم الساعه فإنه لا- ينفعهم فى ذلك الوقت الإيمان و الطاعات لزوال التكليف عنهم ثم قال لنيبه ص و المراد به جميع المكلفين «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» قال الزجاج يجوز أن يكون المعنى أقم على هذا العلم و اثبت عليه و أعلم فى مستقبل عمرك ما تعلمه الآن و يدل عليه ما

روى عن النبى ص أنه قال من مات و هو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة أورده مسلم فى الصحيح

و قيل أنه يتعلق بما قبله على معنى إذا جاءتهم الساعه فاعلم أنه لا إله إلا الله أى يبطل الملك عند ذلك فلا ملك و لا حكم لأحد إلا الله و قيل إن هذا إخبار بموته ص و المراد فاعلم أن الحى الذى لا يموت هو الله وحده و قيل أنه كان ضيق الصدر من أذى قومه فقيل له فاعلم أنه لا كاشف لذلك إلا الله «وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ» الخطاب له و المراد به الأمة و إنما خوطب بذلك لتستن أمته بسنته و قيل إن المراد بذلك الانقطاع إلى الله تعالى فإن الاستغفار عباده يستحق به الثواب و

قد صح الحديث بالإسناد عن حذيفه بن اليمان قال كنت رجلا- ذرب اللسان على أهلى فقلت يا رسول الله إنى لأخشى أن يدخلنى لسانى فى النار فقال رسول الله ص فأين أنت من الاستغفار إنى لأستغفر الله فى اليوم مائه مره

«وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ» أكرمهم الله سبحانه بهذا إذ أمر نبيهم أن يستغفر لذنوبهم و هو الشفيح المجاب فيهم ثم أخبر سبحانه عن علمه و أحوال الخلق و مآلهم فقال «وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَ مَثَوَاكُمْ» أى متصرفكم فى أعمالكم فى الدنيا و مصيركم فى الآخرة إلى الجنة أو إلى النار عن ابن عباس و قيل يعلم متقلبكم فى أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات و مثواكم أى مقامكم فى الأرض عن عكرمه و قيل متقلبكم من ظهر إلى بطن و مثواكم فى القبور عن ابن كيسان و قيل يعلم متقلبكم متصرفكم فى النهار و مثواكم مضجعكم بالليل و المعنى أنه عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى عليه شىء منها ثم قال سبحانه حكايه عن المؤمنين «وَ يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْ لَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ» أى هلا نزلت لأنهم كانوا يأنسون بنزول القرآن و يستوحشون لإبطائه ليعلموا أوامر الله تعالى فيهم و تعبداه لهم «فَإِذَا أَنْزَلْنَا سُورَةً مُحْكَمَةً» ليس فيها متشابهه و لا- تأويل و قيل سوره ناسخه لما قبلها من إباحه التخفيف فى الجهاد قال قتاده كل سوره ذكر فيها الجهاد فهى محكمه و هى أشد القرآن على المنافقين قيل محكمه بوضوح

ألفاظها و على هذا فالقرآن كله محكم و قيل هي التي تتضمن نصا لم يختلف تأويله و لم يتعقبه نص و في قراءة ابن مسعود سورة محدثه أى مجدده «و ذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ» أى و أوجب عليهم فى القتال و أمروا به «رَأَيْتَ» يا محمد «الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» أى شك و نفاق «يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ» قال الزجاج يريد أنهم يشخصون نحوك بأبصارهم و ينظرون إليك نظرا شديدا كما ينظر الشاخص بصره عند الموت لثقل ذلك عليهم و عظمه فى نفوسهم «فَأُولَى لَهُمْ» هذا تهديد و وعيد قال الأصمعى معنى قولهم فى التهديد أولى لك وليك و قارنك ما تكره و قال قتاده معناه العقاب لهم و الوعيد لهم و على هذا يكون أولى اسما للتهديد و الوعيد و يكون أولى لهم مبتدأ و خبرا و لا ينصرف أولى لأنه على وزن الفعل و صار اسما للوعيد و قول الأصمعى أن معناه وليك ما تكره لا يريد به أن أولى فعل و إنما فسره على المعنى و قيل معناه أولى لهم طاعه الله و رسوله و قول معروف بالإجابة أى لو أطاعوا فأجابوا كانت الطاعة و الإجابة أولى لهم و هذا معنى قول ابن عباس فى روايه عطاء و اختيار الكسائى فيكون على هذا طاعه و قول معروف متصلا بما قبله و كذلك لو كانت صفه لسوره و تقديره فإذا أنزلت سوره ذات طاعه و قول معروف على ما قاله الزجاج و على القول الأول يكون طاعه مبتدأ محذوف الخبر تقديره طاعه و قول معروف أمثل أو أحسن أو يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره أمرنا طاعه و يكون الوقف حسنا عند قوله «فَأُولَى لَهُمْ».

[سوره محمد (٤٧): الآيات ٢١ الى ٢٥]

أشاره

طَاعَهُ وَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرَ فَلَوْ صِدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ (٢١) فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ تَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَ أَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ (٢٣) أَ فَلَا- يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤) إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَ أَمْلَى لَهُمْ (٢٥)

ص: ١٥٧

القراءة

قرأ يعقوب و سهل و تقطعوا بفتح التاء و الطاء و سكون القاف و الباقون «وَتَقَطُّعُوا» بالتشديد و ضم التاء و كسر الطاء و قرأ أهل البصرة و أملى لهم بضم الهمزة و فتح الياء و فى روايه رويس عن يعقوب بسكون الياء و قرأ الباقون «وَأَمَّلَى لَهُمْ» بفتح الهمزة و اللام و

روى عن النبى ص فهل عسيتم إن وليتم

و

عن على (عليه السلام) «إِنْ تَوَلَّيْتُمْ»

قال أبو حاتم معناه إن تولاكم الناس.

الحجة

حجه من قرأ و تقطعوا بالتخفيف قوله تعالى «وَيَقَطُّعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ» * و التشديد للمبالغة و قوله وليتم من الولاية و فيه دلالة على أن القراءة المشهورة «تَوَلَّيْتُمْ» معناه توليتم الأمر قال أبو على قالوا انتظرتة مليا من الدهر أى متسعا منه صفة استعمل استعمال الأسماء و قالوا تمليت حبيبا أى عشت معه ملاوه من الدهر و قالوا الملوان يريدون بهما تكرر الليل و النهار و طول مدتھما قال:

نهار و ليل دائم ملواھما على كل حال المرء يختلفان

فلو كان الليل و النهار لم يضافا إلى ضميرھما من حيث لا يضاف الشىء إلى نفسه و لكن كأنه يراد تكرر الدهر و اتساعه بهما و الضمير فى «أَمَّلَى لَهُمْ» لاسم الله كما قال وَ أَمَّلَى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ * فمن قرأ و أملى لهم فبنى الفعل للمفعول به فإنه يحسن فى هذا الموضع للعلم بأنه لا يؤخر أحد مده أحد و لا يوسع له فيها إلا الله سبحانه.

المعنى

«طَاعَةٌ وَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ» قد ذكرنا أن فيه مذهبين (أحدهما) أن يكون كلاما متصلا بما قبله و قد مر ذكره (و الآخر) أن يكون كلاما مبتدأ ثم اختلف فى تقديره على وجهين (أحدهما) أن يكون مبتدأ محذوف الخبر ثم قيل إن معناه طاعه و قول معروف أمثل و أليق من أحوال هؤلاء المنافقين و قيل معناه طاعه و قول معروف خير لهم من جزعهم عند نزول فرض الجهاد عن الحسن و الوجه الآخر أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره قولوا أمرنا طاعه و قول معروف أى حسن لا ينكره السامع و هذا أمر أمر الله به المنافقين عن مجاهد و قيل هو حكاية عنهم أنهم كانوا يقولون ذلك و يقتضيه قوله «فَلَوْ صَيِّدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ» «فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ» معناه فإذا جد الأمر و لزم فرض القتال و صار الأمر معزوما عليه و العزم العقْد على الأمر بالإرادة لأن يفعله فإذا عقد العزم العزم على أن يفعله قيل عزم الأمر على طريق البلاغة و جواب إذا محذوف و يدل عليه قوله «فَلَوْ صَيِّدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ» و

تقديره فإذا عزم الأمر نكلوا و كذبوا فيما وعدوا من أنفسهم فلو صدقوا الله فيما أمرهم به من الجهاد و امتثلوا

ص: ١٥٨

أمره لكان خيرا لهم في دينهم و دنياهم من نفاقهم «فَهَلْ عَسَيْتُمْ» يا معشر المنافقين «إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ تَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ» معناه إن توليتكم الأحكام و وليتم أى جعلتم و لانه أن تفسدوا فى الأرض بأخذ الرشاء و سفك الدم الحرام فيقتل بعضكم بعضا و يقطع بعضكم رحم بعض كما قتلت قريش بنى هاشم و قتل بعضهم بعضا و قيل إن توليتم معناه إن أعرضتم عن كتاب الله و العمل بما فيه أن تعودوا إلى ما كنتم عليه فى الجاهليه فتفسدوا بقتل بعضكم بعضا قال قتاده كيف رأيتم القوم حين تولوا عن القرآن ألم يسفكوا الدم الحرام و قطعوا الأرحام و عصوا الرحمن ثم ذم الله سبحانه من يريد ذلك فقال «أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ» أى أبعدهم من رحمته «فَأَصَبْتَهُمْ وَ أَعْمَى أَبْصَارَهُمْ» و معناه أنهم لا يعون الخبر و لا يبصرون ما به يعتبرون فكأنهم صم عمى عن أبى مسلم و قيل أنهم فى الآخرة لا يهتدون إلى الجنة بمنزله الأعمى فى الدنيا عن أبى على الجبائى و لا يجوز حمله على الصمم و العمى فى الجارحه بلا خلاف لأنهم لو كانوا كذلك لما ذموا على أنهم لا يسمعون و لا يبصرون و إنما أطلق الصمم لأنه لا يكون إلا فى الأذن و قرن العمى بالأبصار لأنه قد يكون بالبصر و بالقلب «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ» بأن يتفكروا فيه و يعتبروا به و

قيل أ فلا يتدبرون القرآن فيقضوا ما عليهم من الحق عن أبى عبد الله (عليه السلام) و أبى الحسن موسى (عليه السلام)

«أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْقَالُهَا» معنى تنكير القلوب إرادته قلوب هؤلاء و من كان مثلهم من غيرهم و فى هذا دلاله على بطلان قول من قال لا يجوز تفسير شىء من ظاهر القرآن إلا بخبر و سمع و فيه تنبيه أيضا على فساد قول من يقول إن الحديث ينبغى أن يروى على ما جاء و إن كان مخالفا لأصول الديانات فى المعنى لأنه سبحانه دعا إلى التدبر و التفكير و ذلك مناف للتعامى و التجاهل ثم قال سبحانه «إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ» أى رجعوا عن الحق و الإيمان «مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ» أى من بعد ما بان لهم طريق الحق و هم المنافقون عن ابن عباس و الضحاك و السدى كانوا يؤمنون عند النبى ص ثم يظهرون الكفر فيما بينهم فتلك رده منهم و قيل هم كفار أهل الكتاب كفروا بمحمد ص و قد عرفوه و وجدوا نعتة مكتوبا عندهم عن قتاده و ليس فى هذا دلاله على أن المؤمن قد يكفر لأنه لا يمتنع أن يكون المراد من رجع فى باطنه عن الإيمان بعد أن أظهره و قامت الحججه عنده بصحته «الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ» أى زين لهم خطاياهم عن الحسن و قيل أعطاهم سؤلهم و أمنيتهم إذ دعاهم إلى ما يوافق مرادهم و هواهم عن أبى مسلم «وَ أَمَلَىٰ لَهُمْ» أى طول لهم أملهم فاغرتوا به و قيل أوهمهم طول العمر مع الأمن من المكاره و أبعد لهم فى الأمل و الأمل.

إشاره

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَيُظِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمَمِ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَ أَدْبَارَهُمْ (٢٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَ كَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٨) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ (٢٩) وَ لَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (٣٠)

القراءة

قرأ أهل الكوفه غير أبى بكر «إِسْرَارَهُمْ» بالكسر و الباقون أسرارهم بالفتح.

الحججه

قال أبو على حججه من قرأ أسرارهم أنه لما كان مصدرا أفرد و لم يجمع و يقوى الإفراد قوله «أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَ نَجْوَاهُمْ» فكما أفرد السر و لم يجمع كذلك قال أسرارهم و من فتح الهمزه جعله جمع سر فكأنه جمع لاختلاف ضروب السر و جميع الأجناس يحسن جمعها مع الاختلاف و قد جاء سرهم فى قوله «يَعْلَمُ سِرَّهُمْ» على ما عليه معظم المصادر لأنه يتناول جميع ضروبه فأفرد مره و جمع أخرى.

اللغه

الأضغان جمع الضغن و هو الحقد و اللحن أصله إزالة الكلام عن جهته ثم أنه يستعمل على وجهين فى الصواب و الخطأ أما فى الصواب فمعناه الكنايه عن الشىء و العدول عن الإفصاح عنه قال الشاعر:

و لقد وحيت لكم لكيلا تفتنوا و لحت لحننا ليس بالمرتاب

و قيل اللحن هى الفطنه و سرعه الفهم و الفاعل منه لحن يلحن فهو لحن إذا فطن و منه

الحديث لعل أحدكم يكون ألحن بحجته من بعض

أى أفطن لها و أغرض بها و منه قول الشاعر:

منطق صائب و تلحن أحيانا و خير الحديث ما كان لحنا

و إنما يسمى التعريض لحنا لأنه ذهاب بالكلام إلى خلاف جهته و منه قول عمر تعلموا اللحن كما تتعلمون القرآن و أما فى الخطأ فإن اللحن إزالة الإعراب عن جهته و الفعل منه

المعنى

ثم بين سبحانه سبب استيلاء الشيطان عليهم فقال «ذَلِكَ» أى التسويل والإملاء «بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ» من القرآن و ما فيه من الأمر والنهى والأحكام و

المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام) أنهم بنو أميه كرهوا ما نزل الله فى ولايه على بن أبى طالب (عليه السلام)

«سَيُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ» أى نفعل بعض ما تريدونه «وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ» أى ما أسره بعضهم إلى بعض من القول و ما أسروه فى أنفسهم من الاعتقاد «فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ» أى فكيف حالهم إذا قبضت الملائكة أرواحهم و إنما حذف تفخيماً لشأن ما ينزل بهم فى ذلك الوقت «يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَ أَدْبَارَهُمْ» على وجه العقوبه لهم ثم ذكر الله سبحانه سبب نزول ذلك الضرب فقال «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ» من المعاصى التى يكرهها الله و يعاقب عليها «وَ كَرَهُوا رِضْوَانَهُ» أى سبب رضوانه من الإيمان و طاعه الرسول «فَأَحْطَطَ» الله «أَعْمَالَهُمْ» التى كانوا يعملونها من صلاه و صدقه و غير ذلك لأنها فى غير إيمان ثم قال سبحانه «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ» أى أحقادهم على المؤمنين و لا يبدى عوراتهم للنبي ص «وَ لَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ» بأعيانهم يا محمد حتى تعرفهم و هو قوله «فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ» أى بعلاماتهم التى نصبها لك لكى تعرفهم بها «وَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ» أى و تعرفهم الآن فى فحوى كلامهم و معناه و مقصده و مغزاه لأن كلام الإنسان يدل على ما فى ضميره و عن أبى سعيد الخدرى قال لحن القول بغضهم على بن أبى طالب (عليه السلام) قال و كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ص ببغضهم على بن أبى طالب (عليه السلام) و روى مثل ذلك عن جابر بن عبد الله الأنصارى و عن عباده بن الصامت قال كنا نبور أولادنا يجب على (عليه السلام) فإذا رأينا أحدهم لا يحبه علمنا أنه لغير رشده و قال أنس ما خفى منافق على عهد رسول الله بعد هذه الآيه «وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ» ظاهرها و باطنها.

إشارة

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٣١) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَصْرِوْا اللَّهُ شَيْئًا وَسَيُحِبُّ أَعْمَالَهُمْ (٣٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (٣٤) فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ (٣٥)

القراءة

قرأ أبو بكر و ليلونكم و ما بعده بالياء و هو المروى عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام)

و الباقر بالنون و قرأ يعقوب و نبلو ساكنه الواو.

الحج

قال أبو علي وجه الياء إن قبله و الله يعلم أعمالكم و اسم الغيبة أقرب إليه من لفظ الجمع فحمل على الأقرب و وجه النون قوله «و لو نشاء لآرئناكهم».

اللغة

يقال وتره يتره و ترا إذا نقصه و منه

الحديث فكأنه وتر أهله و ماله

و أصله القطع و منه التره القطع بالقتل و منه الوتر المنقطع بانفراده عن غيره.

المعنى

ثم أقسم سبحانه فقال «و لنبلوَنَّكُمْ» أى نعاملكم معاملة المختبر بما نكلفكم به من الأمور الشاقه «حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَ الصَّابِرِينَ» أى حتى يتميز المجاهدون فى سبيل الله من جملتكم و الصابرون على الجهاد و قيل معناه حتى يعلم أولياؤنا المجاهدين منكم و أضافه إلى نفسه تعظيما لهم و تشريفا كما قال إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ أَى يُؤْذُونَ أولياء الله و قيل معناه حتى نعلم جهادكم موجودا لأن الغرض أن تفعلوا الجهاد فيشيبيكم على ذلك «و نَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ» أى نختبر أسراركم بما تستقبلونه من أفعالكم «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ» أى امتنعوا عن اتباع دين الله و منعوا غيرهم من اتباعه تاره و بالإغواء أخرى «و شَاقُّوا الرَّسُولَ» أى عاندوه و عادوه «مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ» أى من بعد ما ظهر لهم أنه الحق و عرفوا أنه رسول الله ص

«لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ» بذلك «شَيْئاً» و إنما ضروا أنفسهم «و سَيُحِيطُ» الله «أَعْمَالَهُمْ» فلا يرون لها في الآخرة ثوابا و في هذه الآية دلالة على أن هؤلاء الكفار كانوا قد تبين لهم الهدى فارتدوا عنه فلم يقبلوه

ص: ١٦٢

عنادا و هم المنافقون و قيل أنهم أهل الكتاب ظهر لهم أمر النبي ص فلم يقبلوه و قيل هم رؤساء الضلالة جحدوا الهدى طلبا للجاه و الرياسة لأن العناد يضاف إلى الخواص «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ» بتوحيده «وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ» بتصديقه و قيل أطيعوا الله فى حرمه الرسول و أطيعوا الرسول فى تعظيم أمر الله «وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَالَكُمْ» بالشك و النفاق عن عطاء و قيل بالرياء و السمعه عن الكلبى و قيل بالمعاصى و الكبائر عن الحسن «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ» مضى معناه «ثُمَّ مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ» أى أصروا على الكفر حتى ماتوا على كفرهم «فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ» أبدا لأن لفظ لن للتأيد «فَلَا تَهِنُوا» أى فلا تتوانوا و لا تضعفوا عن القتال «وَ تَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ» أى و لا تدعوا الكفار إلى المسالمة و المصالحة «وَ أَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ» أى و أنتم القاهرون الغالبون عن مجاهد و قيل إن الواو للحال أى لا تدعوهم إلى الصلح فى الحال التى تكون الغلبه لكم فيها و قيل إنه ابتداء إخبار من الله عن حال المؤمنين أنهم الأعلون يدا و منزله آخر الأمر و إن غلبوا فى بعض الأحوال «وَ اللَّهُ مَعَكُمْ» أى بالنصره على عدوكم «وَ لَنْ يَتْرُكُكُمْ أَعْمَالَكُمْ» أى لن ينقصكم شيئا من ثوابها بل يثيبكم عليها و يزيدكم من فضله عن مجاهد و قيل معناه لن يظلمكم عن ابن عباس و قتاده و ابن زيد.

[سوره محمد (٤٧): الآيات ٣٦ الى ٣٨]

إشارة

إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ إِن تُوْمِنُوا وَ تَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَ لَا يَسْئَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ (٣٦) إِن يَسْئَلْكُمْهَا فَيُخْفِكُمْ تَبْخُلُوا وَ يُخْرِجُ أَضْغَانَكُمْ (٣٧) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَ مَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَن نَفْسِهِ وَ اللَّهُ الْغَنِيُّ وَ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَ إِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ (٣٨)

القراءة

فى بعض الروايات عن أبى عمرو و يخرج بالرفع و المشهور عنه و عن الجميع «وَ يُخْرِجُ» بالجزم.

ص: ١٦٣

و هذا يكون على استئناف الكلام أى و هو يخرج أضغانكم على كل حال.

اللغة

الإحفاء الإلحاح فى السؤال حتى ينتهى إلى مثل الحفاء و المشى بغير حذاء يقال أحفاه بالمسأله يحفيه إحفاء و قيل الإحفاء بالمسأله الألفاف فيها عن أبى مسلم و البخل هو منع الواجب و قيل هو منع النفع الذى هو أولى فى العقل عن على بن عيسى.

الإعراب

إِنْ يَسْئَلُكُمْ هَا فَيُحْفِكُمْ إنما قدم المخاطب على الغائب لأن الابتداء بالأقرب مع أنه المفعول الأول أولى و تقول أن يسألها جماعتكم لأنه غائب مع غائب فالمتصل أولى بأن يلى الفعل من المنفصل و قال «ها أنتم هؤلاء» كسر التنبيه فى الموضوعين للتأكيد و أنتم مبتدأ و هؤلاء بدل منه و تدعون خبر المبتدأ.

المعنى

ثم حض الله سبحانه على طلب الآخرة فقال «إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَ لَهُوٌ» أى سريعه الفناء و الانقضاء و من اختار الفانى على الباقي كان جاهلا و منقوصا قال الحسن الذى خلقها هو أعلم بها «وَ إِنْ تُوْمِنُوا» بالله و رسوله «وَ تَتَّقُوا» معاصيه «يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ» أى جزاء أعمالكم فى الآخرة «وَ لَا يَسْئَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ» كلها فى الصدقه و أن أوجب عليكم الزكاه فى بعض أموالكم عن سفيان بن عيينه و الجبائى و قيل لا- يسألكم أموالكم لأن الأموال كلها لله فهو أملك لها و هو المنعم بإعطائها و قيل لا يسألكم الرسول على أداء رساله أموالكم أن تدفعوها إليه «إِنْ يَسْئَلُكُمْ هَا فَيُحْفِكُمْ» أى يجهدكم بمسأله جميعها «تَبْخُلُوا» بها فلا تعطوها أى إن يسئلكم جميع ما فى أيديكم تبخلوا و قيل فيحفكم أى فليطف فى السؤال بأن يعد عليه الثواب الجزيل عن أبى مسلم «وَ يُخْرِجُ أَضْغَانَكُمْ» أى و يظهر بغضكم و عداوتكم لله و رسوله و لكنه فرض عليكم ربع العشر قال قتاده علم الله أن فى مسأله الأموال خروج الأضغان و هى الأحقاد التى فى القلوب و العداوات الباطنه «ها أنتم هؤلاء تَدْعُونَ لِنُفْسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» يعنى ما فرض عليهم فى أموالهم أى إنما تؤمرون بإخراج ذلك و إنفاقه فى طاعه الله «فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ» بما فرض عليه من الزكاه «وَ مَنْ يَبْخُلُ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنِ نَفْسِهِ» لأنه يحرمها مثوبه جسيمه و يلزمها عقوبه عظيمه و هذه إشاره إلى أن معطى المال أحوج إليه من الفقير الآخذ فبخله بخل على نفسه و ذلك أشد البخل قال مقاتل إنما يبخل بالخير و الفضل فى الآخرة عن نفسه و قيل معناه وإنما يبخل بداع عن نفسه يدعوه إلى البخل فإن الله تعالى نهى عن البخل و ذمه فلا يكون البخل بداع من جهته «وَ اللَّهُ الْعَزِيزُ» عما عندكم من الأموال «وَ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ» إلى ما عند الله من الخير و الرحمه أى لا يأمركم بالإنفاق لحاجته و لكن لتنتفعوا به فى الآخرة «وَ إِنْ تَوَلَّوْا» أى تعرضوا عن طاعته و عن أمر رسوله

«يَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ» أمثل و أطوع لله منكم «ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ» بل يكونوا خيرا منكم و أطوع لله و

روى أبو هريره أن ناسا من أصحاب رسول الله ص قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين ذكر الله في كتابه و كان سلمان إلى جنب رسول الله ص فضرب يده على فخذ سلمان فقال هذا و قومه و الذى نفسى بيده لو كان الإيمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس

و

روى أبو بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال إن تتولوا يا معشر العرب يستبدل قوما غيركم يعنى الموالى

و

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال قد و الله أبدل بهم خيرا منهم الموالى.

ص: ١٦٥

تسع و عشرون آيه بالإجماع

أبي بن كعب عن النبي ص قال من قرأها فكأنما شهد مع محمد ص فتح مكة

و

في روايه أخرى فكأنما كان مع من بايع محمدا ص تحت الشجره

عمر بن الخطاب قال كنا مع رسول الله ص في سفر فقال نزلت على البارحة سوره هي أحب إلى من الدنيا و ما فيها «إِنَّا فَتَحْنَا» إلى قوله «وَمَا تَأَخَّرَ» أورده البخارى فى الصحيح.

قتاده عن أنس قال لما رجعنا من غزوه الحديبيه و قد حيل بيننا و بين نسكنا فنحن بين الحزن و الكآبه إذ أنزل الله عز و جل «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا» فقال رسول الله ص لقد أنزلت على آيه هي أحب إلى من الدنيا كلها

عبد الله بن مسعود قال أقبل رسول الله ص من الحديبيه فجعلت ناقته تثقل فتقدمنا فأنزل الله عليه «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا» فأدركنا رسول الله ص و به من السرور ما شاء الله فأخبر أنها أنزلت عليه.

عبد الله بن بكير عن أبيه قال قال أبو عبد الله (عليه السلام) حصنوا أموالكم و نساءكم و ما ملكت أيما نكم من التلف بقراءه إنا فتحنا فإنه إذا كان ممن يدمن قراءتها ناداه مناد يوم القيامة حتى يسمع الخلائق أنت من عبادى المخلصين الحقوه بالصالحين من عبادى فأسكنوه جنات النعيم و اسقوه الرحيق المختوم بمزاج الكافور.

ختم الله تلك السوره بقوله «وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ» و من غناه أنه فتح لنبيه ص ما احتاج إليه فى دينه و دنياه فقال:

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١) لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ وَ يُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَ يَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢) وَ يَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا (٣) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيُزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَ لِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٤)

لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ يُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَ كَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا (٥)

اللغة

الفتح ضد الأغلاق و هو الأصل ثم استعمل في مواضع فمنها الحكم و القضاء و يسمى الحاكم فتاحا و الفتاحه الحكومه و منها النصر و الاستفتاح الاستنصار و منها فتح البلدان و منها العلم و قوله وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ مِنْ ذَلِكَ.

المعنى

«إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا» أى قضينا لك قضاء ظاهرا عن قتاده و قيل معناه يسرنا لك يسرا بينا عن مقاتل و قيل معناه أعلمناك علما ظاهرا فيما أنزلناه عليك من القرآن و أخبرناك به من الدين و قيل معناه أرشدناك إلى الإسلام و فتحنا لك أمر الدين عن الزجاج ثم اختلف في هذا الفتح على وجوه (أحدها) أن المراد به فتح مكة و عدها الله ذلك عام الحديبيه عند انكفائه منها عن أنس و قتاده و جماعه من المفسرين قال قتاده نزلت هذه الآية عند مرجع النبي ص من الحديبيه بشر في ذلك الوقت بفتح مكة و تقديره إنا فتحنا لك مكة أى قضينا لك بالنصر على أهلها و عن جابر قال ما كنا نعلم فتح مكة إلا يوم الحديبيه (و ثانيها) إن المراد بالفتح هنا صلح الحديبيه و كان فتحا بغير قتال قال الفراء الفتح قد يكون صلحا و معنى الفتح فى اللغة فتح المنغلق و الصلح الذى حصل مع المشركين بالحديبيه كان مسدودا متعذرا حتى فتحه الله و قال الزهرى لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبيه و ذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الإسلام فى قلوبهم و أسلم فى ثلاث سنين خلق كثير فكثر بهم سواد الإسلام و قال الشعبى بويح بالحديبيه و ذلك بيعه الرضوان

و أطعم نخيل خيبر و ظهرت الروم على فارس و فرح المسلمون بظهور أهل الكتاب و هم الروم على المجوس إذ كان فيه مصداق قول الله تعالى إنهم سيغلبون و «يَبْلُغُ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ» و الحديدية بئر روى أنه نفذ ماؤها فظهر فيها من أعلام النبوه ما اشتهرت به الروايات قال البراء بن عازب تعدون أنتم الفتح فتح مكه و قد كان فتح مكه فتحا و نحن نعد الفتح بيعه الرضوان يوم الحديدية كنا مع النبي ص أربع عشره مائه و الحديدية بئر فترحناها فما ترك منها قطره فبلغ ذلك إلى النبي ص فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض و دعا ثم صبه فيها و تركها ثم إنها أصدرتنا نحن و ركابنا و فى حديث سلمه بن الأكواع إما دعا و إما بزق فيها فجاشت فسقينا و أسقينا و

عن محمد بن إسحاق بن يسار عن الزهرى عن عروه بن الزبير عن المسور بن مخرمه أن رسول الله ص خرج لزياره البيت لا يريد حربا فذكر الحديث إلى أن قال رسول الله ص انزلوا فقالوا يا رسول الله ما بالوا ذى ماء فأخرج رسول الله ص من كنانته سهما فأعطاه رجلا من أصحابه فقال له أنزل فى بعض هذه القلب فأغرزه فى جوفه ففعل فجاش بالماء الرواء حتى ضرب الناس بعطن

و عن عروه و ذكر خروج النبي ص قال و خرجت قريش من مكه فسبقوه إلى بلدح و إلى الماء فنزلوا عليه فلما رأى رسول الله ص أنه قد سبق نزل على الحديدية و ذلك فى حر شديد و ليس فيها إلا بئر واحده فأشفق القوم من الظمأ و القوم كثير فنزل فيها رجال يمتحنونها و دعا رسول الله ص بدلو من ماء فتوضأ و مضمض فاه ثم مج فيه و أمر أن يصب فى البئر و نزع سهما من كنانته و ألقاه فى البئر فدعا الله تعالى ففارت بالماء حتى جعلوا يغترفون بأيديهم منها و هم جلوس على شفتها

و روى سالم بن أبى الجعد قال قلت لجابر كم كنتم يوم الشجره قال كنا ألفا و خمسمائه و ذكر عطشا أصابهم قال فأتى رسول الله ص بماء فى تور فوضع يده فيه فجعل الماء يخرج من بين أصابعه كأنه العيون قال فشربنا وسعنا و كفانا قال قلت كم كنتم قال لو كنا مائه ألف كفانا كنا ألفا و خمسمائه

(و ثالثها) أن المراد بالفتح هنا فتح خيبر عن مجاهد و العوفى و روى عن مجمع بن حارثه الأنصارى كان أحد القراء قال شهدنا الحديدية مع رسول الله ص فلما انصرفنا عنها إذا الناس يهزءون الأباعر فقال بعض الناس لبعض ما بال الناس قالوا أوحى إلى رسول الله ص فخرجنا نوجف فوجدنا النبي ص واقفا على راحلته عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس إليه قرأ «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا» السوره فقال عمر أفتح هو يا رسول الله قال نعم و الذى نفسى بيده إنه لفتح فقسمت خيبر على أهل الحديدية لم يدخل فيها أحد إلا من

شهدها (و رابعها) أن الفتح الظفر على الأعداء كلهم بالحجج والمعجزات الظاهرة وإعلاء كلمه الإسلام «لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ» قد قيل فيه أقوال كلها غير موافق لما يذهب إليه أصحابنا أن الأنبياء معصومون من الذنوب كلها صغيرها و كبيرها قبل النبوه و بعدها (فمنها) أنهم قالوا معناه ما تقدم من معاصيك قبل النبوه و ما تأخر عنها (و منها) قولهم ما تقدم الفتح و ما تأخر عنه (و منها) قولهم ما وقع و ما لم يقع على الوعد بأنه يغفره له إذا وقع (و منها) قولهم ما تقدم من ذنب أبويك آدم و حواء ببركتك و ما تأخر من ذنوب أمتك بدعوتك و الكلام في ذنب آدم كالكلام في ذنب نبينا ص و من حمل ذلك على الصغائر التي تقع محبطه عندهم فالذي يبطل قولهم إن الصغائر إذا سقط عقابها وقعت مكفره فكيف يجوز أن يمن الله سبحانه على نبيه ص بأن يغفرها له و إنما يصح الامتنان و التفضل منه سبحانه بما يكون له المؤاخذة به لا بما لو عاقب به لكان ظالما عندهم فوضح فساد قولهم و لأصحابنا فيه وجهان من التأويل (أحدهما) أن المراد ليغفر لك الله ما تقدم من ذنب أمتك و ما تأخر بشفاعتك و أراد بذكر التقدم و التأخر ما تقدم زمانه و ما تأخر كما يقول القائل لغيره صفحت عن السالف و الآنف من ذنوبك و حسنت إضافة ذنوب أمته إليه للاتصال و السبب بينه و بين أمته و يؤيد هذا الجواب

ما رواه المفضل بن عمر عن الصادق (عليه السلام) قال سأله رجل عن هذه الآية فقال و الله ما كان له ذنب و لكن الله سبحانه ضمن له أن يغفر ذنوب شيعه على (عليه السلام) ما تقدم من ذنوبهم و ما تأخر

و روى عمر بن يزيد قال قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) عن قول الله سبحانه «لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ» قال ما كان له ذنب و لا هم بذنب و لكن الله حملة ذنوب شيعته ثم غفرها له

(و الثاني) ما ذكره المرتضى قدس الله روحه أن الذنب مصدر و المصدر يجوز إضافته إلى الفاعل و المفعول معا فيكون هنا مضافا إلى المفعول و المراد ما تقدم من ذنوبهم إليك في منعهم إياك عن مكه و صدهم لك عن المسجد الحرام و يكون معنى المغفره على هذا التأويل الإزالة و النسخ لأحكام أعدائه من المشركين عليه أى يزيل الله تعالى ذلك عنك و يستر عليك تلك الوصمه بما يفتح لك من مكه فستدخلها فيما بعد و لذلك جعله جزاء على جهاده و غرضا في الفتح و وجهها له قال و لو أنه أراد مغفره ذنوبه لم يكن قوله «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ» معنى معقول لأن المغفره للذنوب لا تعلق لها بالفتح فلا يكون غرضا فيه و أما قوله «مَا تَقَدَّمَ» و «مَا تَأَخَّرَ» فلا يمتنع أن يريد به ما تقدم زمانه من فعلهم القبيح بك و بقومك و قيل أيضا في ذلك وجوه آخر (منها) إن معناه لو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرناه لك (و منها) أن المراد بالذنب هناك ترك المندوب و حسن ذلك لأن من المعلوم أنه ممن لا يخالف الأوامر الواجبه فجاز أن يسمى ذنبا منه ما لو وقع من غيره لم يسم

ذنباً لعلو قدره و رفعه شأنه (و منها) أن القول خرج مخرج التعظيم و حسن الخطاب كما قيل في قوله عَفَا اللَّهُ عَنْكَ و هذا ضعيف لأن العاده جرت في مثل هذا أن يكون على لفظ الدعاء و قوله «وَأُتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ» معناه و يتم نعمته عليك في الدنيا بإظهارك على عدوك و إعلاء أمرك و نصره دينك و بقاء شرعك و في الآخرة برفع محللك فإن معنى إتمام النعمة فعل ما يقتضيها و تبقيتها على صاحبها و الزيادة فيها و قيل يتم نعمته عليك بفتح خبير و مكه و الطائف «و يَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا» أى و يثبتك على صراط يؤدى بسالكه إلى الجنة «و يَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا» النصر العزيز هو ما يمتنع به من كل جبار عند و عات مريد و قد فعل ذلك بنبيه ص إذ صير دينه أعز الأديان و سلطانه أعظم السلطان «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ» و هى أن يفعل الله بهم اللطف الذى يحصل لهم عنده من البصيره بالحق ما تسكن إليه نفوسهم و ذلك بكثرة ما ينصب لهم من الأدله الداله عليه فهذه النعمة التامه للمؤمنين خاصه و أما غيرهم فتضطرب نفوسهم لأول عارض من شبهه ترد عليهم إذ لا يجدون برد اليقين و روح الطمأنينه فى قلوبهم و قيل هى النصره للمؤمنين لتسكن بذلك قلوبهم و يشبوا فى القتال و قيل هى ما أسكن قلوبهم من التعظيم لله و لرسوله «لِيُزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ» أى يقينا إلى يقينهم بما يرون من الفتوح و علو كلمه الإسلام على وفق ما وعدوا و قيل ليزدادوا تصديقا بشرائع الإسلام و هو أنهم كلما أمروا بشىء من الشرائع و الفرائض كالصلاه و الصيام و الصدقات صدقوا به و ذلك بالسكينه التى أنزلها الله فى قلوبهم عن ابن عباس و المعنى ليزدادوا معارف على معرفه الحاصله عندهم «وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» يعنى الملائكه و الجن و الإنس و الشياطين عن ابن عباس و المعنى أنه لو شاء لأعانكم بهم و فيه بيان أنه لو شاء لأهلك المشركين لكنه عالم بهم و بما يخرج من أصلابهم فأمهلهم لعلمه و حكمته و لم يأمر بالقتال عن عجز و احتياج لكن ليعرض المجاهدين لجزيل الثواب «و كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا» فكل أفعاله حكمه و صواب «لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ» تقديره إنا فتحنا لك ليغفر لك الله إنا فتحنا لك ليدخل المؤمنين و المؤمنات «جَنَاتٍ» و لذلك لم يدخل واو العطف فى ليدخل إعلاما بالتفصيل «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» أى من تحت أشجارها الأنهار «خَالِدِينَ فِيهَا» أى دائمين مؤبدين لا يزول عنهم نعيمها «وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ» أى عقاب معاصيهم التى فعلوها فى دار الدنيا «و كَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا» أى ظفرا يعظم الله به قدره.

إشارة

وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٦) وَ لِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (٧) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا (٨) لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُعَزِّرُوهُ وَ تُوَقِّرُوهُ وَ تُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا (٩) إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَ مَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١٠)

القراءة

قد بينا اختلافهم فى السوء فى سوره التوبه و قرأ ابن كثير و أبو عمرو ليؤمنوا بالله و ما بعده بالياء و قرأ الباقون بالتاء و قرأ أهل العراق فسيؤتيه بالياء و الباقون بالنون و فى الشواذ قراءة الجحدري و تعزروه بفتح التاء و ضم الزاى مخففا.

الحجج

قال أبو على حججه الياء أنه لا- يقال لتؤمنوا بالله و رسوله و هو الرسول فإذا لم يسهل ذلك كانت القراءة بالياء ليؤمنوا و من قرأ بالتاء فعلى قوله لهم إنا أرسلناك إليهم شاهدا لتؤمنوا و حججه الياء فى «فسيؤتيه» قوله وَ مَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا على تقديم ذكر الغيبه و زعموا أن فى حرف عبد الله فسوف يؤتيه الله و النون على الانصراف من الإفراد إلى لفظ الكثرة و قال ابن جنى من قرأ تعزروه فالمعنى تمنعوه و تمنعوا دينه و نبيه فهو كقوله إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ أَى إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ أَى حذف المضاف و أما «تُعَزِّرُوهُ» بالتشديد فتمنعوا منه بالسيف عن الكلبى و عزرت فلانا فخمت أمره و منه عزره اسم رجل و منه عندى التعزير للضرب دون الحد و ذلك أنه لم يبلغ به ذل الحد الكامل فكأنه محاسنه فيه قال أبو حاتم و قرأ بعضهم تعزروه أى تجعلوه عزيزا.

المعنى

لما تقدم الوعد للمؤمنين عقبه سبحانه بالوعيد للكافرين فقال «وَيُعَذِّبُ»

الله «الْمُنَافِقِينَ وَ الْمُنَافِقَاتِ» و هم الذين يظهرون الإيمان و يطنون الشرك فالنفاق إسرار الكفر و إظهار الإيمان أخذ من نفاق اليربوع و هو أن يجعل لسربه باين يظهر أحدهما و يخفى الآخر فإذا أتى من الظاهر خرج من الآخر «و الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُشْرِكَاتِ» و هم الذين يعبدون مع الله غيره «الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ» أى يتوهمون أن الله ينصرهم على رسوله و ذلك سوء أى قبيح و السوء المصدر و السوء الاسم و قيل هو ظنهم أن النبى ص لا يعود إلى موضع ولادته أبدا و قيل هو ظنهم أن لن يبعث الله أحدا و مثله وَ ظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ «عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ» أى يقع عليهم العذاب و الهلاك و الدائره هى الراجعه بخير أو شر قال حميد بن ثور:

" و دائرات الدهر أن تدورا "

و قيل إن من قرأ بالضم فالمراد دائره العذاب و من قرأ بالفتح فالمراد ما جعله للمؤمنين من قتلهم و غنيمه أموالهم «وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ لَعَنَهُمْ» أى أبعدهم من رحمته «وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ» يجعلهم فيها «وَ سَاءَتْ مَصِيرًا» أى مآلا و مرجعا «وَ لِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» إنما كرر لأن الأول متصل بذكر المؤمنين أى فله الجنود التى يقدر أن يعينكم بها و الثانى متصل بذكر الكافرين أى فله الجنود التى يقدر على الانتقام منهم بها «وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا» فى قهره و انتقاله «حَكِيمًا» فى فعله و قضائه ثم خاطب نبيه ص فقال «إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ» يا محمد «شَاهِدًا» على أمتك بما عملوه من طاعه و معصيه و قبول و رد أو شاهدا عليهم بتبليغ الرساله «وَ مُبَشِّرًا» بالجنه لمن أطاع «وَ نَذِيرًا» من النار لمن عصى ثم بين سبحانه الغرض بالإرسال فقال «لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ» من قرأ ليؤمنوا بالياء فالمعنى ليؤمن هؤلاء الكفار بالله «وَ رَسُولِهِ وَ تُعَزِّرُوهُ» أى تنصروه بالسيف و اللسان و الهاء تعود إلى النبى ص «وَ تُوقِّرُوهُ» أى تعظموه و تبجلوه «وَ تُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ آصِيًا» أى و تصلوا بالغداه و العشى و قيل معناه و تنزهوه عما لا يليق به و كثير من القراء اختاروا الوقف على «وَ تُوقِّرُوهُ» لاختلاف الضمير فيه و فيما بعده و قيل «وَ تُعَزِّرُوهُ» أى و تنصروا الله «وَ تُوقِّرُوهُ» أى و تعظموه و طيعوه كقوله لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا و على هذا فتكون الكنايات متفقه و فى هذه الآيه دلالة على بطلان مذهب أهل الجبر أن الله سبحانه يريد من الكفار الكفر لأنه صرح هنا أنه يريد من جميع المكلفين الإيمان و الطاعه «إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ» المراد بالبيعه هنا بيعه الحديبيه و هى بيعه الرضوان بايعوا رسول الله ص على الموت «إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ» يعنى أن المبايعه معك تكون مبايعه مع الله لأن طاعتك طاعه الله و إنما سميت بيعه لأنها عقدت على بيع أنفسهم بالجنه للزومهم فى الحرب النصره «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ» أى عقد الله فى هذه البيعه فوق عقدهم لأنهم بايعوا الله ببيعه نبيه ص فكأنهم بايعوه من غير واسطه عن السدى و قيل معناه قوه الله فى نصره

ص: ١٧٢

نبیه ص فوق نصرتهم إياه أى ثق بنصره الله لك لا بنصرتهم و إن بايعوك عن ابن كيسان و قيل نعمه الله عليهم بنبيه ص فوق أيديهم بالطاعة و المبايعه عن الكلبي و قيل يد الله بالثواب و ما وعدهم على بيعتهم من الجزاء فوق أيديهم بالصدق و الوفاء عن ابن عباس «فَمَنْ نَكَثَ» أى نقض ما عقد من البيعه «فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ» أى يرجع ضرر ذلك النقض عليه و ليس له الجنه و لا كرامه عن ابن عباس «وَمَنْ أَوْفَى» أى ثبت على الوفاء «بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ» من البيعه «فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا» أى ثواباً جزيلاً.

إشاره

سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَ أَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١١) يَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَيْدَاءً وَ زَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَ ظَنَنْتُمْ ظَنُّ السَّوِّءِ وَ كُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا (١٢) وَ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا (١٣) وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٤) سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير عاصم ضرا بضم الضاد يبدلوا كلم الله بغير ألف و الباقون «ضراً» بالفتح «كلام الله» بالألف.

الحجه

قال أبو على الضر خلاف النفع و فى التنزيل ما لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَ لَا نَفْعًا و الضر سوء الحال و فى التنزيل فَكَشَفْنَا ما بِهِ مِنْ ضُرِّ هذا الأبين فى هذا الحرف عندى و يجوز أن يكونا لغتين فى معنى كالفقر و الفقر و الضعف و الضعف و من قرأ «كلام الله» فوجهه أنه قيل فيهم لن تخرجوا معى أبدا فخص الكلام بما كان مفيدا و حديثا فقال كلام الله و من قرأ كلم الله قال الكلم قد يقع على ما يقع عليه الكلام و على غيره و إن كان الكلام بما ذكرنا أخص أ لا ترى أنه قال وَ تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسَيْنِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فَإِنما هو و الله أعلم وَ نُريدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَ ما يتصل به.

اللغه

المخلف هو المتروك فى المكان خلف الخارجين من البلد و هو مشتق من الخلف و ضده المقدم و الأعراب الجماعه من عرب الباديه و عرب الحاضره ليسوا بأعراب فرقوا بينهما و إن كان اللسان واحدا و البور الفاسد الهالك و هو مصدر لا يثنى و لا يجمع يقال رجل بور و رجال بور قال:

يا رسول المليك إن لسانى راتق ما فتقت إذ أنا بور

و قال حسان:

لا ينفع الطول من نوك القلوب و قد يهدى الإله سبيل المعشر البور

. المعنى

ثم أخبر سبحانه عن تخلف عن نبيه ص فقال «سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ» أى الذى تخلفوا عن صحبتك فى وجهتك وعمرتك وذلك أنه لما أراد المسير إلى مكة عام الحديبيه معتمرا و كان فى ذى القعدة من سنه ست من الهجره استنفر من حول المدينه إلى الخروج معه وهم غفار و أسلم و مزينه و جهينه و أشجع و الدئل حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو بصد و أحرم بالعمره و ساق معه الهدى ليعلم الناس أنه لا يريد حربا فتناقل عنه كثير من الأعراب فقالوا نذهب معه إلى قوم قد جاءوه فقتلوا أصحابه فتخلفوا عنه و اعتلوا بالشغل فقال سبحانه إنهم يقولون لك إذا انصرفت إليهم فعابتهم على التخلف عنك «شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَ أَهْلُونَا» عن الخروج معك «فَأَسْتَغْفِرُ لَنَا» فى قعودنا عنك فكذبهم الله تعالى فقال «يَقُولُونَ بِالْأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ» كذبهم فى اعتذارهم بما أخبر عن ضمائرهم و أسرارهم أى لا يبالون استغفر لهم النبى ص أم لا «قُلْ» يا محمد «فَمَنْ يَمْلِكُ

لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا» أى فمن يمنعكم من عذاب الله إن أراد بكم سوءاً و نفعاً أى غنيمه عن ابن عباس و ذلك أنهم ظنوا أن تخلفهم عن النبي ص يدفع عنهم الضرر أو يعجل لهم النفع بالسلامه فى أنفسهم و أموالهم فأخبرهم سبحانه أنه إن أراد بهم شيئاً من ذلك لم يقدر أحد على دفعه عنهم «بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا» أى عالماً بما كنتم تعملون فى تخلفكم «بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا» أى ظننتم أنهم لا يرجعون إلى من خلفوا بالمدينه من الأهل و الأولاد لأن العدو يستأصلهم و يصطليهم «وَ زُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ» أى زين الشيطان ذلك الظن فى قلوبكم و سوله لكم «وَ ظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوْءًا» فى هلاك النبي ص و المؤمنين و كل هذا من الغيب الذى لا يطلع عليه أحد إلا الله فصار معجزاً لنبينا ص «وَ كُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا» أى هلكى لا تصلحون لخير عن مجاهد و قيل قوما فاسدين عن قتاده «وَ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا» أى نارا تسعهم و تحرقهم «وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ» ذنوبه «وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ» إذا استحق العقاب «وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» ظاهر المعنى ثم قال «سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ» يعنى هؤلاء «إِذَا انْطَلَقْتُمْ» أيها المؤمنون «إِلَى مَغَازِمٍ لِتَأْخُذُوهَا» يعنى غنائم خيبر «ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ» أى اتركونا نجى معكم و ذلك أنهم لما انصرفوا من عام الحديبيه بالصلح و عدهم الله سبحانه فتح خيبر و خص بغنائمها من شهد الحديبيه فلما انطلقوا إليها قال هؤلاء المخلفون ذرونا نتبعكم فقال سبحانه «يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ» أى مواعيد الله لأهل الحديبيه بغنيمه خيبر خاصه أرادوا تغيير ذلك بأن يشاركوهم فيها عن ابن عباس و قيل يريد أمر الله لنبيه أن لا يسير معه منهم أحد عن مقاتل «قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ» أى قال الله بالحديبيه قبل خيبر و قبل مرجعنا إليكم إن غنيمه خيبر لمن شهد الحديبيه لا- يشركهم فيها غيرهم هذا قول ابن عباس و مجاهد و ابن إسحاق و غيرهم من المفسرين و قال الجبائى أراد بقوله «يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ» قوله سبحانه فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَ لَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا وَ هَذَا غَلَطٌ فَاحِشٌ لِأَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ نَزَلَتْ بَعْدَ الْإِنصِرَافِ مِنَ الْحَدِيثِيَّةِ فِي سَنَةِ سِتِّ مِئَاتٍ مِنَ الْهَجْرَةِ وَ تِلْكَ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنِ تَبُوكَ وَ كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ وَ بَعْدَ غَزْوَةِ حَنِينَ وَ الطَّائِفِ وَ رَجُوعِ النَّبِيِّ ص مِنْهَا إِلَى الْمَدِينَةِ وَ مَقَامِهِ مَا بَيْنَ ذِي الْحِجَّةِ إِلَى رَجَبٍ ثُمَّ تَهَيَّأَ فِي رَجَبٍ لِلخُرُوجِ إِلَى تَبُوكَ وَ كَانَ مَنْصَرَفَهُ مِنْ تَبُوكَ فِي بَقِيَّةِ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ تِسْعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ وَ لَمْ يَخْرُجْ ص بَعْدَ ذَلِكَ لِقِتَالِ وَ لَا غَزْوٍ إِلَى أَنْ قَبِضَهُ اللَّهُ

تعالى فكيف تكون هذه الآيه مراده بقوله «كَلَامَ اللَّهِ» وقد نزلت بعده بأربع سنين لو لا أن العصبيه ترين على القلوب ثم قال «فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا» أى فسيقول المخلفون عن الحديبيه لكم إذا قلت هذا لم يأمركم الله تعالى به بل أنتم تحسدوننا أن نشارككم فى الغنيمه فقال سبحانه ليس الأمر على ما قالوه «بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ» الحق و ما تدعونهم إليه «إِلَّا قَلِيلًا» أى إلا فقها قليلا أو شيئا قليلا و قيل معناه إلا القليل منهم و هم المعاندون.

[سوره الفتح (٤٨): الآيات ١٦ الى ٢٠]

إشاره

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بِأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦) لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا (١٧) لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٩) وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢٠)

القراءه

قرأ أهل المدينة و ابن عامر ندخله و نعدبه بالنون و الباقون بالياء و هما فى المعنى سواء.

المعنى

ثم قال سبحانه لنبيه ص «قُلْ» يا محمد «لِلْمُخَلَّفِينَ» الذين تخلفوا عنك

ص: ١٧٦

فى الخروج إلى الحديدية «مِنَ الْأَعْرَابِ سَيَتَدَعُونَ» فيما بعد «إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ» و هم هوازن و حنين عن سعيد بن جبیر و عكرمه و قيل هم هوازن و ثقیف عن قتاده و قيل هم ثقیف عن الضحاک و قيل هم بنو حنیفه مع مسیلمه الكذاب عن الزهرى و قيل هم أهل فارس هم ابن عباس و قيل هم الروم عن الحسن و كعب و قيل هم أهل صفین أصحاب معاویه و الصحیح أن المراد بالداعى فى قوله «سَيَتَدَعُونَ» هو النبى ص لأنه قد دعاهم بعد ذلك إلى غزوات كثيره و قتال أقوام ذوی نجهه و شده مثل أهل حنین و الطائف و مؤته إلى تبوك و غيرها فلا معنى لحمل ذلك على ما بعد وفاته «تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ» معناه أن أحد الأمرين لا بد أن يقع لا محاله و تقديره أو هم يسلمون أى يقرون بالإسلام و يقبلونه و قيل ينقادون لكم و فى حرف أبى أو يسلموا و تقديره إلى أن يسلموا و فى النصب دلالة على أن ترك القتال من أجل الإسلام إذا وقع «فَإِنْ تُطِيعُوا» أى فإن تجميعوا إلى قتالهم «يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا» أى جزاء صالحا «وَ إِنْ تَوَلَّوْا» عن القتال و تقعدوا عنه «كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ» عن الخروج إلى الحديدية «يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» فى الآخرة «لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ» أى ضيق فى ترك الخروج مع المؤمنين فى الجهاد و الأعمى الذى لا يبصر بجارحه العين «وَ لَا عَلَى الْمَأْرُوجِ حَرْجٌ وَ لَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ» فى ترك الجهاد أيضا قال مقاتل عذر الله أهل الزمانه و الآفات الذين تخلفوا عن المسير إلى الحديدية بهذه الآية «وَ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» معناه فى الأمر بالقتال «وَ مَنْ يَتَوَلَّ» عن أمر الله و أمر رسوله فيقعد عن القتال «يُعَذِّبُهُ عَذَابًا أَلِيمًا. لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ» يعنى بيعه الحديدية و تسمى بيعه الرضوان لهذه الآية و رضاء الله سبحانه عنهم هو إرادته تعظيمهم و إثابتهم و هذا إخبار منه سبحانه أنه رضى عن المؤمنين إذ بايعوا النبى ص فى الحديدية تحت الشجرة المعروفه و هى شجرة السمره «فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ» من صدق النيه فى القتال و الكراهه له لأنه بايعهم على القتال عن مقاتل و قيل ما فى قلوبهم من اليقين و الصبر و الوفاء «فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ» و هى اللطف القوى لقلوبهم و الطمأنينه «وَ أَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا» يعنى فتح خيبر عن قتاده و أكثر المفسرين و قيل فتح مكه عن الجبائى «وَ مَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا» يعنى غنائم خيبر فإنها كانت مشهوره بكثرة الأموال و العقار و قيل يعنى غنائم هوازن بعد فتح مكه عن الجبائى «وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا» أى غالبا على أمره «حَكِيمًا» فى أفعاله و لذلك أمر بالصلح و حكم للمسلمين بالغنيمه و لأهل خيبر بالهزيمه ثم ذكر سبحانه سائر الغنائم التى يأخذونها فيما يأتى من الزمان فقال «وَ عَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا» مع النبى ص و من بعده إلى يوم القيامة «فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ» يعنى غنيمه خيبر «وَ كَفَّ أَيْدِي النَّاسِ عَنْكُمْ» و ذلك أن

النبي ص لما قصد خيبر و حاصر أهلها همت قبائل من أسد و غطفان أن يغيروا على أموال المسلمين و عيالهم بالمدينه فكف الله أيديهم عنهم بإلقاء الرعب فى قلوبهم و قيل إن مالك بن عوف و عيينه بن حصين مع بنى أسد و غطفان جاءوا لنصره اليهود من خيبر فقذف الله الرعب فى قلوبهم و انصرفوا «وَلِتَكُونَ» الغنيمه التى عجلها لهم «آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ» على صدقك حيث وعدهم أن يصيبوها فوق المخبى على وفق الخبر «وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا» أى و يزيدكم هدى بالتصديق بمحمد ص و ما جاء به مما ترون من عده الله فى القرآن بالفتح و الغنيمه.

[قصه فتح الحديبيه]

قال ابن عباس إن رسول الله ص خرج يريد مكه فلما بلغ الحديبيه وقفت ناقته و زجرها فلم تنزجر و بركت الناقه فقال أصحابه خلأت الناقه فقال ص ما هذا لها عاده و لكن حبسها حابس الفيل و دعا عمر بن الخطاب ليرسله إلى أهل مكه ليأذنوا له بأن يدخل مكه و يحل من عمرته و ينحر هديه فقال يا رسول الله ما لى بها حميم و إنى أخاف قريشا لشده عداوتى إياها و لكن أدلك على رجل هو أعز بها منى عثمان بن عفان فقال صدقت فدعا رسول الله ص عثمان فأرسله إلى أبى سفيان و أشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب و إنما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمة فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله ص و المسلمين أن عثمان قد قتل فقال ص لا نبرح حتى نناحر القوم و دعا الناس إلى البيعه فقام رسول الله ص إلى الشجره فاستند إليها و بايع الناس على أن يقاتلوا المشركين و لا يفروا قال عبد الله بن معقل كنت قائما على رأس رسول الله ص ذلك اليوم و بيدي غصن من السمره أذب عنه و هو يبايع الناس فلم يبايعهم على الموت و إنما بايعهم على أن لا يفروا و روى الزهرى و عروه بن الزبير و المسور بن مخزومه قالوا خرج رسول الله ص من الحديبيه فى بضع عشره مائه من أصحابه حتى إذا كانوا بذى الحليفه قلد رسول الله ص الهدى و أشعره و أحرم بالعمره و بعث بين يديه عينا له من خزاعه يخبره عن قريش و سار رسول الله ص حتى إذ كان بغدير الأشطاط قريبا من عسفان أتاه عينه الخزاعى فقال إنى تركت كعب بن لؤى و عامر بن لؤى قد جمعوا لك الأحابيش و جمعوا جموعا و هم قاتلوك أو مقاتلوك و صادوك عن البيت فقال ص روحوا فراحوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ص إن خالد بن الوليد بالغميم فى خيل لقريش طليعه فخذوا

ص: ١٧٨

ذات اليمين و سار ص حتى إذا كان بالثنيه بركت راحلته فقال ص ما خلأت القصواء و لكن حبسها حابس الفيل ثم قال و الله لا يسألونى خطه يعظمون فيها حرمت الله إلا أعطيتهم إياها زجرها فوثبت به قال فعدل حتى نزل بأقصى الحديبيه على ثم مد قليل الماء إنما يتبرضه الناس تبرضا فشكوا إليه العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فى الماء فو الله ما زال يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك إذ جاءهم بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من خزاعه و كانوا عيبه نصح رسول الله ص من أهل تهامه فقال إنى تركت كعب بن لؤى و عامر بن لؤى و معهم العوذ المطافيل و هم مقاتلوك و صادوك عن البيت فقال رسول الله ص إنا لم نجئ لقتال أحد و لكن جئنا معتمرين و إن قريشا قد نهكتهم الحرب و أضرت بهم فإن شاءوا ما دونهم مده و يخلو بينى و بين الناس و إن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا و إلا فقد جمعوا و إن أبوا فوالذى نفسى بيده لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى أول لينفذن الله تعالى أمره فقال بديل سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قريشا فقال إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل و أنه يقول كذا و كذا فقام عروه بن مسعود الثقفى فقال إنه قد عرض عليكم خطه رشد فاقبلوها و دعونى آتته فقالوا آتته فأتاه فجعل يكلم النبى ص فقال له رسول الله ص نحوا من قوله لبديل فقال عروه عند ذلك أى محمد أ رأيت أن استأصلت قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك و إن تكن الأخرى فو الله إنى لأرى وجوها و أرى أشابا من الناس خلقاء أن يفروا و يدعوك فقال له أبو بكر امصص بظر اللات أ نحن نفر عنه و ندعه فقال من ذا قال أبو بكر قال أما و الذى نفسى بيده لو لا يد كانت لك عندى لم أجزك بها لأجبتك قال و جعل يكلم النبى ص و كلما كلمه أخذ بلحيته و المغيره بن شعبه قائم على رأس النبى ص و معه السيف و عليه المغفر فكلما أهوى عروه بيده إلى لحيه رسول الله ص ضرب يده بنعل السيف و قال آخر يدك عن لحيه رسول الله ص قبل أن لا ترجع إليك فقال من هذا قال المغيره بن شعبه قال أى غدر و لست أسعى فى غدرتك قال و كان المغيره صحب قوما فى الجاهليه فقتلهم و أخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبى ص أما الإسلام فقد قبلنا و أما المال فإنه مال غدر لا حاجه لنا فيه ثم إن عروه جعل يرمى أصحاب النبى ص إذا أمرهم رسول الله ص ابتدروا أمره و إذا توضع ثاروا يقتتلون على وضوئه و إذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده و ما يحدون إليه النظر تعظيما له قال فرجع عروه إلى أصحابه و قال أى قوم و الله لقد وفدت على الملوك و وفدت على قيصر و كسرى و النجاشى و الله إن رأيت ملكا قط يعظمه

أصحابه ما يعظم أصحاب محمد إذا أمرهم ابتدروا أمره و إذا توضع كادوا يقتتلون على وضوئه و إذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده و ما يحدون إليه النظر تعظيماً له و أنه و قد عرض عليكم خطه رشد فاقبلوها فقال رجل من بني كنانة دعوني آتته فقالوا آتته فلما أشرف عليهم قال رسول الله ص لأصحابه هذا فلان و هو من قوم يعظمون البدن فابعثوها فبعثت له و استقبله القوم يلبنون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني آتته فقالوا آتته فلما أشرف عليهم قال النبي ص هذا مكرز و هو رجل فاجر فجعل يكلم النبي ص فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو فقال ص قد سهل عليكم أمركم فقال اكتب بيننا و بينك كتاباً فدعا رسول الله ص على بن أبي طالب فقال له رسول الله اكتب باسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل أما الرحمن فو الله ما أدري ما هو و لكن أكتب باسمك اللهم فقال المسلمون و الله لا نكتب إلا باسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي ص اكتب باسمك اللهم هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت و لا قاتلناك و لكن أكتب محمد بن عبد الله فقال النبي ص إني لرسول الله و إن كذبتوني ثم قال لعلي (عليه السلام) امح رسول الله فقال يا رسول الله إن يدي لا تنطلق بمحو اسمك من النبوه فأخذه رسول الله فمحاها ثم قال اكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو و اصطالحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس و يكف بعضهم عن بعض و على أنه من قدم مكة من أصحاب محمد حاجاً أو معتمراً أو يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه و ماله و من قدم المدينة من قريش مجتازاً إلى مصر أو إلى الشام فهو آمن على دمه و ماله و أن بيننا عيبه مكفوله و أنه لا إسلال و لا أغلال و أنه من أحب أن يدخل في عهد محمد و عهده دخل فيه و من أحب أن يدخل في عهد قريش و عهدهم دخل فيه فتوالت خزاعه فقالوا نحن في عهد محمد و عهده و توالت بنو بكر فقالوا نحن في عهد قريش و عهدهم فقال رسول الله ص على أن تخلوا بيننا و بين البيت فنطوف فقال سهيل و الله ما تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة و لكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل على أنه لا- يأتيك منا رجل و إن كان على دينك إلا- رددته إلينا و من جاءنا ممن معك لم نرده عليك فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد إلى المشركين و قد جاء مسلماً فقال رسول الله ص من جاءهم منا فأبعده الله و من جاءنا منهم رددناه إليهم فلو علم الله الإسلام من قلبه جعل له مخرجاً فقال سهيل و على أنك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا

مكة فإذا كان عام قابل خرجنا عنها لك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثا و لا تدخلها بالسلاح إلا السيوف فى القراب و سلاح الراكب و على أن هذا الهدى حيث ما حبسناه محله لا تقدمه علينا فقال نحن نسوق و أنتم تردون فينا هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف فى قيوده قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده فقال النبي ص إنا لم نقض بالكتاب بعد قال و الله إذا لا أصالحك على شىء أبدا فقال النبي ص فأجره لى فقال ما أنا بمجير لك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل قال مكرز بلى قد أجرناه قال أبو جندل بن سهيل معاشر المسلمين أأرد إلى المشركين و قد جئت مسلما أ لا- ترون ما قد لقيت و كان قد عذب عذابا شديدا فقال عمر ابن الخطاب و الله ما شككت مذ أسلمت إلا يومئذ فأتيت النبي ص فقلت أ لست نبى الله فقال بلى قلت ألسنا على الحق و عدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطى الدينه فى ديننا إذا قال إنى رسول الله و لست أعصيه و هو ناصرى قلت أ و لست كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت و نطوف حقا قال بلى فأخبرتكم أن نأتيه العام قلت لا قال فإنك تأتبه و تطوف به فنحر رسول الله ص بدنه فدعا بحالقه فحلق شعره ثم جاءه نسوه مؤمنات فأنزل الله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ الْآيَه قال محمد بن إسحاق بن يسار و حدثنى بريده بن سفيان عن محمد بن كعب أن كاتب رسول الله ص فى هذا الصلح كان على بن أبى طالب (عليه السلام) فقال له رسول الله ص اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ف جعل على (عليه السلام) يتلأ و يأبى أن يكتب إلا محمد رسول الله فقال رسول الله ص فإن لك مثلها تعطيها و أنت مضطهد فكتب ما قالوا ثم رجع رسول الله ص إلى المدينة فجاءه أبو بصير رجل من قريش و هو مسلم فأرسلوا فى طلبه رجلين فقالوا العهد الذى جعلت لنا فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلا يأكلان من تمر لهم قال أبو بصير لأحد الرجلين و إنى لأرى سيفك هذا جيدا جدا فاستله و قال أجل إنه لجيد و جربت به ثم جربت فقال أبو بصير أرنى أنظر إليه فأمكنه منه فضربه به حتى برد و فر الآخر حتى بلغ المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله ص حين رآه لقد رأى هذا ذعرا فلما انتهى إلى النبي ص قال قتل و الله صاحبى و إنى لمقتول قال فجاء أبو بصير فقال يا رسول قد أوفى الله ذمتك و رددتنى إليهم ثم أنجانى الله منهم فقال النبي ص ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم فخرج حتى أتى سيف البحر. و انفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبى

بصير فلا- يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت عليه عصابه قال فو الله لا يسمعون بعير لقريش قد خرجت إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم و أخذوا أموالهم فأرسلت قريش إلى النبي ص تناشده الله و الرحم لما أرسل إليهم فمن أتاه منهم فهو آمن فأرسل ص إليهم فأتوه.

[قصه فتح خيبر]

و لما قدم رسول الله ص المدينة من الحديبيه مكث بها عشرين ليله ثم خرج منها غاديا إلى خيبر

ذكر ابن إسحاق بإسناده عن أبي مروان الأسلمي عن أبيه عن جده قال خرجنا مع رسول الله ص إلى خيبر حتى إذا كنا قريبا منها و أشرفنا عليها قال رسول الله ص قفوا فوقف الناس فقال اللهم رب السماوات السبع و ما أظللن و رب الأرضين السبع و ما أقللن و رب الشياطين و ما أضللن إنا نسألك خير هذه القرية و خير أهلها و خير ما فيها و نعوذ بك من شر هذه القرية و شر أهلها و شر ما فيها أقدموا باسم الله

و عن سلمه بن الأ-كوع قال خرجنا مع رسول الله ص إلى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع أ لا تسمعنا من هنيهاتك و كان عامر رجلا شاعرا فجعل يقول:

لا هم لو لا أنت ما حجينا و لا تصدقنا و لا صلينا

فاغفر فداء لك ما اقتنينا و ثبت الأقدام إن لاقينا

و أنزلن سكينه علينا إنا إذا صبح بنا أتينا

و بالصباح عولوا علينا

فقال رسول الله ص من هذا السابق قالوا عامر قال يرحمه الله قال عمر و هو على جمل له و جيب يا رسول الله لو لا أمتعتنا به و ذلك أن رسول الله ص ما استغفر لرجل قط يخصه إلا استشهد قالوا فلما جد الحرب و تصاف القوم خرج يهودى و هو يقول:

قد علمت خيبر أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

فبرز إليه عامر و هو يقول:

قد علمت خيبر أنى عامر شاكى السلاح بطل مغامر

فاختلفا ضربتين فوق سيف اليهودى فى ترس عامر و كان سيف عامر فيه قصر فتناول به

ساق اليهودى ليضربه فرجع ذباب سيفه فأصاب عين ركبته عامر فمات منه قال سلمه فإذا نفر من أصحاب رسول الله ص يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه قال فأتيت النبي ص و أنا أبكى فقلت قالوا إن عامرا بطل عمله فقال من قال ذلك قلت نفر من أصحابك فقال كذب أولئك بل أوتى من الأجر مرتين قال فحاصرناهم حتى أصابتنا مخمصه شديده ثم إن الله فتحها علينا و ذلك أن النبي ص أعطى اللواء عمر بن الخطاب و نهض من نهض معه من الناس فلقوا أهل خيبر فانكشف عمر و أصحابه فرجعوا إلى رسول الله ص يجنبه أصحابه و يجنبهم و كان رسول الله ص أخذته الشقيقه فلم يخرج إلى الناس فقال حين أفاق من وجعه ما فعل الناس بخيبر فأخبر

فقال لأعطين الرايه غدا رجلا يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله كرارا غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه

و روى البخارى و مسلم عن قتبيه عن سعيد قال حدثنا يعقوب عن عبد الرحمن الإسكندراني عن أبي حازم قال أخبرني سعد بن سهل أن رسول الله ص قال يوم خيبر لأعطين هذه الرايه غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله قال فبات الناس يدوكون بجملتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ص كلهم يرجون أن يعطاها فقال أين على بن أبي طالب فقالوا يا رسول الله هو يشتكى عينيه قال فأرسلوا إليه فأتى به فبصق رسول الله ص فى عينيه و دعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع فأعطاه الرايه فقال على (عليه السلام) يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا أمثلنا قال أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام و أخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فو الله لأمن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من يكون لك حمر النعم قال سلمه فبرز مرحب و هو يقول:

قد علمت خيبر أنى مرحب

الأبيات فبرز له على (عليه السلام) و هو يقول:

أنا الذى سمتنى أمى حيدرته كليث غابات كربه المنظره

أو فيهم بالصاع كيل السندره

فضرب مرحبا ففلق رأسه فقتله و كان الفتح على يده أورده مسلم فى الصحيح

و روى أبو عبد الله الحافظ بإسناده عن رافع مولى رسول الله ص قال خرجنا مع على (عليه السلام) حين بعثه رسول الله ص فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم فضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده فتناول على باب الحصن فترس به عن نفسه فلم يزل فى يده و هو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده فلقد رأيتنى فى نفر مع سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما استطعنا أن نقلبه

و

بإسناده عن ليث بن أبي سليم عن أبي جعفر محمد بن

علي (عليه السلام) قال حدثني جابر بن عبد الله أن عليا (عليه السلام) حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه فاقتحموها وأنه حرك بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلا قال و روى من وجه آخر عن جابر ثم اجتمع عليه سبعون رجلا فكان جهدهم أن أعادوا الباب

و

بإسناده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال كان علي (عليه السلام) يلبس في الحر و الشتاء القباء المحشو الثخين و ما يبالي الحر فأتاني أصحابي فقالوا إنا رأينا من أمير المؤمنين (عليه السلام) شيئا فهل رأيت فقلت و ما هو قالوا رأيناه يخرج علينا في الحر الشديد في القباء المحشو الثخين و ما يبالي الحر و يخرج علينا في البرد الشديد في الثوبين الخفيفين و ما يبالي البرد فهل سمعت في ذاك شيئا فقلت لا فقالوا فسل لنا أباك عن ذلك فإنه يسمر معه فسألته فقال ما سمعت في ذلك شيئا فدخل علي علي (عليه السلام) فسمر معه ثم سأله عن ذلك فقال أ و ما شهدت خيبر قلت بلى قال أفما رأيت رسول الله ص حين دعا أبا بكر فقعد له ثم بعثه إلى القوم فانطلق فلقى القوم ثم جاء بالناس و قد هزم فقال بلى قال ثم بعث إلى عمر فقعد له ثم بعثه إلى القوم فانطلق فلقى القوم فقاتلهم ثم رجع و قد هزم فقال رسول الله ص لأعطين الراية اليوم رجلا يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله يفتح الله على يديه كرارا غير فرار فدعاني فأعطاني الراية ثم قال اللهم اكفه الحر و البرد فما وجدت بعد ذلك حرا و لا بردا و هذا كله منقول من كتاب دلائل النبوه للإمام أبي بكر البيهقي

ثم لم يزل رسول الله ص يفتح الحصون حصنا حصنا و يجوز الأموال حتى انتهوا إلى حصن الوطيح و السالم و كان آخر حصون خيبر افتتح و حاصرهم رسول الله ص بضع عشره ليله قال ابن إسحاق و لما افتتح القموص حصن ابن أبي الحقيق أتى رسول الله ص بصفية بنت حبي بن أخطب و بأخرى معها فمر بهما بلال و هو الذي جاء بهما على قتلى من قتلى يهود فلما رأتهم التي معها صفية صاحت و صكت وجهها و حثت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله ص قال أعزبوا عني هذا الشيطانه و أمر بصفية فحيزت خلفه و ألقى عليها رداءه فعرف المسلمون أنه قد اصطفاها لنفسه و قال ص لبلال لما رأى من تلك اليهوديه ما رأى أنزعت منك الرحمه يا بلال حيث تمر بامرأتين على قتلى رجالهما و كانت صفيه قد رأت في المنام و هي عروس بكنانه بن الربيع بن أبي الحقيق أن قمرا وقع في حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال ما هذا إلا أنك تتمنين ملك الحجاز محمدا و لطم وجهها لطمه اخضرت عينها منها فأتى بها رسول الله ص و بها أثر منها فسألها رسول الله ص ما هو فأخبرته و أرسل ابن أبي الحقيق إلى رسول الله ص أنزل فأكلمك نعم فنزل

ص: ١٨٤

و صالح رسول الله ص على حقن دماء من فى حصونهم من المقاتله و ترك الذريه لهم و يخرجون من خير و أرضها بذراريهم و يخلون بين رسول الله و بين ما كان لهم من مال و أرض على الصفراء و البيضاء و الكراع و الحلقه و على البز إلا ثوبا على ظهر إنسان و قال رسول الله ص فبرئت منكم ذمه الله و ذمه رسوله إن كتمتمونى شيئا فصالحوه على ذلك فلما سمع بهم أهل فذك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله يسألونه أن يسيرهم و يحقن دماءهم و يخلون بينه و بين الأموال ففعل و كان ممن مشى بين رسول الله ص و بينهم فى ذلك محيصه بن مسعود أحد بنى حارثه فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله ص أن يعاملهم الأموال على النصف و قالوا نحن أعلم بها منكم و أمر لها فصالحهم رسول الله ص على النصف على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم و صالحه أهل فذك على مثل ذلك فكانت أموال خيبر فيئا بين المسلمين و كانت فذك خالصه لرسول الله لأنهم لم يوجفوا عليها بخيل و لا ركاب و لما اطمأن رسول الله ص أهدت له زينب بنت الحارث امرأه سلام بن مشكم و هى ابنه أختى مرحب شاه مصليه و قد سألت أى عضو من الشاه أحب إلى رسول الله ص فقيل لها الذراع فأكثرت فيها السم و سمت سائر الشاه ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع فأخذها فلاك منها مضغه و انتهش منها و معه بشر بن البراء بن معرور فتناول عظما فانتعش منه فقال رسول الله ص ارفعوا أيديكم فإن كتف هذه الشاه تخبرنى أنها مسمومه ثم دعاها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك فقالت بلغت من قومى ما لم يخف عليك فقلت إن كان نبيا فسيخبر و إن كان ملكا استرحت منه فتجاوز عنها رسول الله ص و مات بشر بن البراء من أكلته التى أكل قال و دخلت أم بشر بن البراء على رسول الله تعوده فى مرضه الذى توفى فيه فقال ص يا أم بشر ما زالت أكله خيبر التى أكلت بخيبر مع ابنك تعاودنى فهذا أو أن قطعت أبهرى و كان المسلمون يرون أن رسول الله ص مات شهيدا مع ما أكرمه الله به من النبوه.

إشارة

وَ أُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢١) وَ لَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَ لَا نَصِيرًا (٢٢) سُنَّهَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّهِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (٢٣) وَ هُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٢٤) هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ الْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ وَ لَوْ لَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَ نِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّهُمْ فَتَصَيَّبِكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٢٥)

القراءة

قرأ أبو عمرو بما يعملون بالياء و الباقون بالتاء.

الحج

قال أبو علي وجه قول أبي عمرو و كان الله بما عمل الكفار من كفرهم و صدكم عن المسجد الحرام و منعكم من دخوله بصيرا فيجازى عليه و وجه التاء أن الخطاب قد جرى للقبيلتين في قوله «وَ هُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ» فالخطاب لتقدم هذا الخطاب.

اللغة

التبديل رفع أحد الشئيين و جعل الآخر مكانه فيما حكم أن يستمر على ما هو به و لو رفع الله حكما إلى خلافه لم يكن تبديلا لحكمه لأنه لا- يرفع شيئا إلا- في الوقت الذي تقتضى الحكمه رفعه فيه و المعكوف الممنوع من الذهاب في جهه بالإقامه في مكانه و منه الاعتكاف و هو الإقامه في المسجد للعباده و عكف على هذا الأمر يعكف عكوبا إذا قام عليه و المعره الأمر القبيح المكروه يقال عر فلان فلانا إذا شأنه و ألحق به عيبا و به سمي الجرب عرا و العذره عره.

الإعراب

«سُنَّهَ اللَّهُ» منصوب على المصدر و المعنى سن الله خذلانهم سنه و موضع «أَنْ تَطَّوُّهُمْ» رفع بدل من رجال و المعنى لو لا أن تطأوا رجالا مؤمنين و نساء مؤمنات ثم قال «لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا» الآية و التقدير وطء رجال و نساء أى قتلهم و هو بدل الاشتمال مثل نفعنى عبد الله

علمه و أعجبتني الجارية حسنها و يجوز أن يكون موضع «أَنْ تَطَّوَّهُمْ» نصبا على البدل من الهاء و الميم فى تعلموهم و التقدير و لولا- رجال و نساء لم تعلموا أن تطوهم أى لم تعلموا وطأهم و هو بدل الاشتمال أيضا و قوله «لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ» فى موضع رفع صفه لرجال و نساء و جواب لولا- يغنى عنه جواب لو فى قوله «لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا» و قوله «وَ الْهَادِيَ مَعْكُوفًا» عطف على الكاف و الميم فى و صدوكم أى صدوكم و صدوا الهدى و معكوكا حال و قوله «أَنْ يَبْلُغَ مَجَلَّهُ» تقديره كراهه أن يبلغ فحذف المضاف و قيل معكوكا من أن يبلغ فحذف من.

النزول

سبب نزول قوله «وَ هُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ» الآية إن المشركين بعثوا أربعين رجلا عام الحديبيه ليصيبوا من المسلمين فأتى بهم إلى النبي ص أسرى فخلى سبيلهم عن ابن عباس و قيل إنهم كانوا ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا من جبل التنعيم عند صلاحه الفجر عام الحديبيه ليقتلوهم فأخذهم رسول الله ص فأعتقهم عن أنس و قيل كان رسول الله ص جالسا فى ظل شجره و بين يديه على ص يكتب كتاب الصلح فخرج ثلاثون شابا عليهم السلاح فدعا عليهم النبي ص فأخذ الله تعالى بأبصارهم فقمنا فأخذناهم فخلى سبيلهم فنزلت هذه الآية عن عبد الله بن المغفل.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم يعد النبي ص و المؤمنين فتوحا آخر فقال «وَ أُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا» معناه و وعدكم الله مغانم أخرى لم تقدروا عليها بعد فتكون أخرى فى محل النصب و قيل معناه و قريه أخرى لم تقدروا عليها قد أعدها الله لكم و هى مكة عن قتاده و قيل هى ما فتح الله على المسلمين بعد ذلك إلى اليوم عن مجاهد و قيل إن المراد بها فارس و الروم عن ابن عباس و الحسن و الجبائى قال كما أن النبي ص بشرهم كنوز كسرى و قيصر و ما كانت العرب تقدر على قتال فارس و الروم و فتح مدائنهم بل كانوا خولا لهم حتى قدروا عليها بالإسلام «قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا» أى قدر الله عليها و أحاط علما بها فجعلهم بمنزله قوم قد أدير حولهم فما يقدر أحد منهم أن يفلت قال الفراء أحاط الله بها لكم حتى يفتحها عليكم فكأنه قال حفظها عليكم و منعها من غيركم حتى تفتحوها و تأخذوها «وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عَ» من فتح القرى و غير ذلك «قَدِيرًا وَ لَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا» من قريش يوم الحديبيه يا معشر المؤمنين «لَوْلَا الْأَذْبَارُ» منهزمين بنصره الله إياكم و خذلان الله إياهم عن قتاده و الجبائى و قيل الذين كفروا من أسد و غطفان الذين أرادوا نهب ذرارى المسلمين «ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَّلِيًّا وَلَا نَصِيرًا» يوالىهم و ينصرهم و يدافع عنهم و هذا من علم الغيب و فى الآية دلالة على أنه يعلم ما لم يكن أن لو كان كيف يكون و فى ذلك إشاره إلى أن المعدوم

معلوم «سِنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ» أى هذه سنتى فى أهل طاعتى و أهل معصيتى انصر أوليائى و أخذل أعدائى عن ابن عباس و قيل معناه: هذه طريقه الله و عاداته السالفة أن كل قوم إذا قاتلوا أنبياءهم انهزموا و قتلوا «وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ» فى نصره رسله «تَبْدِيلًا» أى تغييرا «وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ» بالرعب «وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ» بالنهي «بِطَنِ مَكَّةَ» يعنى الحديبيه «مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ» ذكر الله منته على المؤمنين بحجزه بين الفريقين حتى لم يقتتلا- و حتى اتفق بينهم الصلح الذى كان أعظم من الفتح «وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا» مر تفسيره ثم ذكر سبحانه سبب منعه رسول الله ص ذلك العام دخول مكة فقال «هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» أن تطوفوا و تحلوا من عمرتكم يعنى قريشا «وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ» أى و صدوا الهدى و هى البدن التى ساقها رسول الله ص معه و كانت سبعين بدنه حتى بلغ ذى الحليفة فقلد البدن التى ساقها و أشعرها و أحرم بالعمرة حتى نزل بالحديبيه و منعه المشركون و كان الصلح فلما تم الصلح نحروا البدن فذلك قوله «مَعْكُوفًا» أى محبوسا عن أن يبلغ محله أى منحره و هو حيث يحل نحره يعنى مكة لأن هدى العمره لا يذبح إلا بمكة كما أن هدى الحج لا يذبح إلا بمنى «وَلَوْلَا- رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَ نِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ» يعنى المستضعفين الذين كانوا بمكة بين الكفار من أهل الإيمان «لَمْ تَعْلَمُوهُمْ» بأعيانهم لاختلاطهم بغيرهم «أَنْ تَطَّوَّهُمْ» بالقتل و توقعوا بهم «فَتَصَّيَبُكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَّةً» أى إثم و جنايه عن ابن زيد و قيل فيلحقكم بذلك عيب يعيبكم المشركون بأنهم قتلوا أهل دينهم و قيل هو غرم الديه و الكفاره فى قتل الخطأ عن ابن عباس و ذلك أنهم لو كبسوا مكة و فيها قوم مؤمنون لم يتميزوا من الكفار لم يأمنوا أن يقتلوا المؤمنين فتلزمهم الكفاره و تلحقهم السيئه بقتل من على دينهم فهذه المعره التى صان الله المؤمنين عنها و جواب لو لا محذوف و تقديره لو لا المؤمنون الذين لم تعلموهم لو طأتم رقاب المشركين بنصرنا إياكم و قوله «بِغَيْرِ عِلْمٍ» موضعه التقديم لأن التقدير لو لا أن تطأوهم بغير علم و قوله «لِيُدْخَلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ» اللام متعلق بمحذوف دل عليه معنى الكلام تقديره فحال بينكم و بينهم ليدخل الله فى رحمته من يشاء يعنى من أسلم من الكفار بعد الصلح و قيل ليدخل الله فى رحمته أولئك بسلامتهم من القتل و يدخل هؤلاء فى رحمته بسلامتهم من الطعن و العيب «لَوْ تَزَيَّلُوا» أى لو تميز المؤمنون من الكافرين «لَعَدَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ» أى من أهل مكة «عَذَابًا أَلِيمًا» بالسيف و القتل بأيديكم و لكن الله تعالى يدفع المؤمنين عن الكفار فلحرمه اختلاطهم بهم لم يعذبهم.

إشاره

إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَيِّئَاتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمُ الْتَّقْوَى وَ كَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَ كَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٢٦) لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسِهِمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (٢٧) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (٢٨) مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَ مَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)

القراءه

قرأ ابن كثير عن ابن فليح و ابن ذكوان شطأه بفتح الطاء و الباقون بسكونها و قرأ ابن عامر «فنازره» بقصر الهمزه و الباقون فأزره بالمد و فى الشواذ قراءه الحسن أشداء على الكفار رحماء بينهم بالنصب فيهما و قراءه عيسى الهمدانى شطأه بالمد و الهمزه و شطأه أيضا.

قال أبو علي يشبه أن يكون شطا لغه في شطاء فيكون كالشمع و الشمع و النهر و النهر و من خفف الهمزه في شطاء حذفها و ألقى حركتها على الطاء فقال شطاه قال أبو زيد أشطأت الشجره بغصونها إذا أخرجت غصونها. أبو عبيده أخرج شطاه فراخه و أشطأ الزرع فهو مشطى أى مفرخ و آزره على فاعله معناه ساواه أى صار مثل الأم و فاعله الشطاء أى آزر الشطاء الزرع فصار فى طوله قال امرؤ القيس:

بمحينه قد آزر الضال نبتها مضم جوش غانمين و خيب

أى ساوى نبتة الضال فصار فى قامته لأنه لا يرعى و يجوز أن يكون فاعل آزر الزرع أى آزر الزرع الشطاء و من الناس من يفسر آزره أعانه و قواه فعلى هذا يكون آزر الزراع الشطاء قال أبو الحسن آزره أفعله و هو الأشبه ليكون قول ابن عامر آزره فعله فيكون فيه لغتان فعل و أفعل لأنهما كثيرا ما يتعاقبان على الكلمه و من قرأ أشداء بالنصب فهو نصب على الحال من معه أى هم معه على هذا الحال.

اللغه

الحميه الأنفه و الإنكار يقال فلان ذو حميه منكره إذا كان ذا غضب و أنفه و الكفار الزراع هنا لأن الزراع يغطى البذر و كل شىء قد غطيته فقد كفرته و منه يقال لليل كافر لأنه يستر بظلمته كل شىء قال:

" ألفت ذكاء يمينها فى كافر "

و قال لبيد:

" فى ليله كفر النجوم غمامها "

. الإعراب

محمد مبتدأ و رسول الله عطف بيان و الذين معه عطف على محمد و أشداء خبر محمد و ما عطف عليه و قيل محمد مبتدأ و رسول الله خبره و الذين معه مبتدأ و ما بعده خبره «يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ» إن شئت كان فى موضع الحال و إن شئت كان خبرا بعد خبر و إن شئت كان هو الخبر فيمن نصب أشداء و يكون تراهم أيضا فى موضع النصب مثل أشداء. «ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ» ابتداء و خبر و الكلام تام ثم ابتداء فقال «و مَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ» فلهم مثلان أحدهما فى التوراه و الثانى فى الإنجيل و قال مجاهد بل قوله «أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ» مع ما بعده جميعا فى التوراه و الإنجيل و كذلك قوله «كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ» فى التوراه و الإنجيل فيكون قوله «كَزَرْعٍ» خبر مبتدأ مضمر أى هم كزرع أخرج شطأه.

ثم قال سبحانه «إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ» إذ يتعلق

ص: ١٩٠

بقوله لَعِدَّتْنَا أَي لَعَذْبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَذْنَا لَكَ فِي قِتَالِهِمْ حِينَ جَعَلُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْإِنْفَةَ الَّتِي تَحْمِي الْإِنْسَانَ أَي حَمَيْت قُلُوبَهُمْ بِالغَضَبِ ثُمَّ فَسَّرَ تِلْكَ الْحَمِيَّةَ فَقَالَ «حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ» أَي عَادَهُ آبَائُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ لَا يَدْعُونَا لِأَحَدٍ وَلَا يَنْقَادُوا لَهُ وَذَلِكَ أَنْ كَفَرُوا بِمَكَّةَ قَتَلُوا قَتْلَ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ آبَاءَنَا وَإِخْوَانَنَا وَيَدْخُلُونَ عَلَيْنَا فِي مَنَازِلِنَا فَتَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّهُمْ دَخَلُوا عَلَيْنَا عَلَى رِغْمِ أَنْفِنَا وَاللَّيْلِ وَالْعَزَى لَا يَدْخُلُونَهَا عَلَيْنَا فَهَذِهِ الْحَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةُ الَّتِي دَخَلَتْ قُلُوبَهُمْ وَقِيلَ هِيَ أَنْفَتُهُمْ مِنَ الْإِقْرَارِ لِمُحَمَّدٍ ص بِالرِّسَالَةِ وَالِاسْتِفْتَاكِ بِسَمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حَيْثُ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ كِتَابَ الْعَهْدِ بَيْنَهُمْ عَنِ الزَّهْرِيِّ «فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَيِّكِنْتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى» وَهِيَ قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ وَمُجَاهِدًا «وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا» قِيلَ أَنْ فِيهِ تَقْدِيمًا وَتَأْخِيرًا وَالتَّقْدِيرُ كَانُوا أَهْلَهَا وَأَحَقُّ بِهَا أَي كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ أَهْلُ تِلْكَ الْكَلِمَةِ وَأَحَقُّ بِهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَقِيلَ مَعْنَاهُ وَكَانُوا أَحَقُّ بِنَزُولِ السَّكِينَةِ عَلَيْهِمْ وَأَهْلَهَا وَقِيلَ وَكَانُوا أَحَقُّ بِمَكَّةَ أَنْ يَدْخُلُوهَا وَأَهْلَهَا وَقَدْ يَكُونُ حَقُّ أَحَقِّ مِنْ غَيْرِهِ أَلَا تَرَى أَنَّ الْحَقَّ الَّذِي هُوَ طَاعَةُ يَسْتَحِقُّ بِهَا الْمَدْحَ أَحَقُّ مِنَ الْحَقِّ الَّذِي هُوَ مَبَاحٌ لَا يَسْتَحِقُّ بِهِ ذَلِكَ «وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا» لَمَّا ذَمَّ الْكُفْرَ بِالْحَمِيَّةِ وَمَدَحَ الْمُؤْمِنِينَ بِزُومِ الْكَلِمَةِ وَالسَّكِينَةِ بَيْنَ عِلْمِهِ بِبُيُوتِهِمْ وَمَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ عَقْدَ ضَمَائِهِمْ «لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ» قَالُوا إِنْ اللَّهُ تَعَالَى أَرَى نَبِيَّهُ ص فِي الْمَنَامِ بِالْمَدِينَةِ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْحَدِيثِ أَنْ الْمُسْلِمِينَ دَخَلُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ أَصْحَابَهُ فَفَرَحُوا وَحَسِبُوا أَنَّهُمْ دَخَلُوا مَكَّةَ عَامَهُمْ ذَلِكَ فَلَمَّا انصَرَفُوا وَلَمْ يَدْخُلُوا مَكَّةَ قَالَ الْمُنَافِقُونَ مَا حَلَقْنَا وَلَا قَصْرْنَا وَلَا دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ وَأَخْبَرَ أَنَّهُ أَرَى رَسُولَهُ ص الصَّدَقَ فِي مَنَامِهِ لَا الْبَاطِلَ وَأَنَّهُمْ يَدْخُلُونَهُ وَأَقْسَمَ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ «لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ» يَعْنِي الْعَامَ الْمَقْبَلِ «إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ» قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٌ اسْتَشْنَى اللَّهُ فِيمَا يَعْلَمُ لَيْسَتْ شَيْءٌ فِي النَّاسِ فِيمَا لَا يَعْلَمُونَ وَقِيلَ أَنَّ الْاسْتِثْنَاءَ مِنَ الدَّخُولِ وَكَانَ بَيْنَ نَزُولِ الْآيَةِ وَالِدَّخُولِ مَدَّةُ سَنَةٍ وَقَدْ مَاتَ مِنْهُمْ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ فِي السَّنَةِ فَيَكُونُ تَقْدِيرُهُ لَتَدْخُلَنَّ كَلِمَةً إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِذْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَمُوتُ قَبْلَ السَّنَةِ أَوْ يَمْرُضُ فَلَا يَدْخُلُهَا فَادْخَلَ الْاسْتِثْنَاءَ لِأَنَّ لَا يَقَعُ فِي الْخَبَرِ خَلْفَ عَنِ الْجَبَائِثِ وَقِيلَ أَنَّ الْاسْتِثْنَاءَ دَاخِلٌ عَلَى الْخَوْفِ وَالْأَمْنِ فَأَمَّا الدَّخُولُ فَلَا شَكَّ فِيهِ وَتَقْدِيرُهُ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ آمَنِينَ مِنَ الْعَدُوِّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَهَذِهِ الْأَقْوَالُ الثَّلَاثَةُ لِلْبَصْرِيِّينَ وَقِيلَ إِنْ هُنَا بِمَعْنَى إِذْ أَي إِذْ شَاءَ اللَّهُ حِينَ أَرَى رَسُولَهُ ذَلِكَ عَنِ أَبِي عُبَيْدَةَ وَثَلَاثَةُ قَوْلُهُ وَ أَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالَ مَعْنَاهُ إِذْ كُنْتُمْ وَ هَذَا الْقَوْلُ لَا يَرْضِيهِ الْبَصْرِيُّونَ «مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ» أَي مُحَرِّمِينَ يَحْلِقُ بَعْضُكُمْ رَأْسَهُ وَيَقْصُرُ بَعْضُ وَ هُوَ أَنْ يَأْخُذَ بَعْضُ الشَّعْرِ وَ فِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْمَحْرَمَ بِالْخِيَارِ

عند التحلل من الإحرام إن شاء حلق و إن شاء قصر «لا تخافون» مشركا «فَعَلِمَ» من الصلاح في صلح الحديبيه «ما لَمْ تَعْلَمُوا» و قيل علم في تأخير دخول المسجد الحرام من الخير و الصلاح ما لم تعلموه أنتم و هو خروج المؤمنين من بينهم و الصلح المبارك موقعه «فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ» أى من قبل الدخول «فَتَحَا قَرِيبًا» يعنى فتح خيبر عن عطا و مقاتل و قيل يعنى صلح الحديبيه.

[عمره القضاء]

و كذلك جرى الأمر فى عمره القضاء فى السنه التاليه للحديبيه و هى سنه سبع من الهجره فى ذى القعدة و هو الشهر الذى صده فيه المشركون عن المسجد الحرام فخرج النبى ص و دخل مكه مع أصحابه معتمرين و أقاموا بمكه ثلاثه أيام ثم رجعوا إلى المدينه و عن الزهرى قال بعث رسول الله ص جعفر بن أبى طالب (عليه السلام) بين يديه إلى ميمونه بنت الحرث العامريه فخطبها عليه فجعلت أمرها إلى العباس بن عبد المطلب و كان تحتها أختها أم الفضل بنت الحرث فزوجها العباس رسول الله فلما قدم رسول الله ص أمر أصحابه فقال اكشفوا عن المناكب و اسعوا فى الطواف ليرى المشركون جلدكم و قوتهم فاستكف أهل مكه الرجال و النساء و الصبيان ينظرون إلى رسول الله ص و أصحابه و هم يطوفون بالبيت و عبد الله بن رواحه يرتجز بين يدي رسول الله ص متوشحا بالسيف يقول:

خلوا بنى الكفار عن سبيله قد أنزل الرحمن فى تنزيله

فى صحف تتلى على رسوله اليوم نضربكم على تأويله

كما ضربناكم على تنزيله ضربا يزيل الهام عن مقيله

و يذهل الخليل عن خليله يا رب إنى مؤمن لقيه

إنى رأيت الحق فى قبوله

و يشير بيده إلى رسول الله ص و أنزل الله فى تلك العمره الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ و هو أن رسول الله ص اعتمر فى الشهر الحرام الذى صد فيه

[المعنى]

ثم قال سبحانه «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ» يعنى محمدا «بِالْهُدَى» أى بالدليل الواضح و الحججه الساطعه و قيل بالقرآن «و دِينَ الْحَقِّ» أى الإسلام «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ» أى ليظهر دين الإسلام بالحجج و البراهين على جميع الأديان و قيل بالغلبه و القهر و الانتشار فى البلدان و قيل أن تمام

ذلك عند خروج المهدي (عليه السلام) فلا يبقى في الأرض دين سوى دين الإسلام «وَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا» بذلك ثم قال سبحانه «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ» نص سبحانه على اسمه ليزيل كل شبهه. تم الكلام هنا ثم أتى على المؤمنين فقال «وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ» قال الحسن بلغ من تشدهم على الكفار أن كانوا يتحززون من ثياب المشركين حتى لا تلتزق بشياهم و عن أبدانهم حتى لا- تمس أبدانهم و بلغ تراحمهم فيما بينهم أن كان لا- يرى مؤمن مؤمنا إلا صافحه و عانقه و مثله قوله أَدَلَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعَزَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ «تَرَاهُمْ رُكْعًا سِجْدًا» هذا إخبار عن كثرة صلاتهم و مداومتهم عليها «يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانًا» أى يلتمسون بذلك زياده نعمهم من الله و يطلبون مرضاته «سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ» أى علامتهم يوم القيامة أن تكون مواضع سجودهم أشد بياضا عن ابن عباس و عطيه قال شهر بن حوشب يكون مواضع سجودهم كالقمر ليله البدر و قيل هو التراب على الجباه لأنهم يسجدون على التراب لا على الأثواب عن عكرمه و سعيد بن جبير و أبى العاليه و قيل هو الصفرة و النحول عن الضحاك قال الحسن إذا رأيتهم حسبتهم مرضى و ما هم بمرضى و قال عطاء الخراساني دخل في هذه الآيه كل من صلى الخمس «ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ» يعنى أن ما ذكر من وصفهم هو ما وصفوا به فى التوراه أيضا تم ذكر نعتهم فى الإنجيل فقال «وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ» أى فراخه عن الضحاك و قيل ليس بينهما وقف و المعنى ذلك مثلهم فى التوراه و الإنجيل جميعا عن مجاهد و المعنى كمثل زرع أخرج شطأه أى فراخه «فَأَزْرَهُ» أى شده و أعانه و قواه و قال المبرد يعنى أن هذه الأفراخ لحقت الأمهات حتى صارت مثلها «فَأَسِيَّتْ غَلْظًا» أى غلظ ذلك الزرع «فَأَسِيَّتْ عَلَى سَوْقِهِ» أى قام على قصبه و أصوله فاستوى الصغار مع الكبار و السوق جمع الساق و المعنى أنه تناهى و بلغ الغايه «يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ» أى يروع ذلك الزراع أى الأكره الذين زرعه قال الواحدى هذا مثل ضربه الله تعالى بمحمد و أصحابه فالزرع محمد ص و الشطأ أصحابه و المؤمنون حوله و كانوا فى ضعف و قله كما يكون أول الزرع دقيقا ثم غلظ و قوى و تلاحق فكذلك المؤمنون قوى بعضهم بعضا حتى استغلظوا و استووا على أمرهم «لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ» أى إنما كثرهم الله و قواهم ليكونوا غيظا للكافرين بتوافرهم و تظاهرهم و اتفاقهم على الطاعه ثم قال سبحانه «وَعَيَّدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» أى وعد من أقام على الإيمان و الطاعه «مِنْهُمْ مَغْفِرَةً» أى ستره على ذنوبهم الماضيه «وَ أَجْرًا عَظِيمًا» أى ثوابا جزيلا دائما.

(٤٩) سورة الحجرات مدنيه و آياتها ثمانى عشره (١٨)

اشاره

[توضيح]

عن الحسن و قتاده و عكرمه و عن ابن عباس إلا آيه قوله «يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى».

عدد آياتها

ثمانى عشره آيه بالإجماع.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأ سورة الحجرات أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من أطاع الله و من عصاه.
الحسين بن أبى العلاء عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ سورة الحجرات فى كل ليله أو فى كل يوم كان من زوار محمد ص.

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة الفتح بذكر نبىه ص افتتح هذه السوره أيضا بذكره و ما يختص به من الإجلال و الإعظام فقال:

ص: ١٩٤

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤)

وَ لَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)

القراءة

قرأ يعقوب لا تقدموا بفتح التاء و الدال و الباقون «لا تُقَدِّمُوا» بضم التاء و كسر الدال و قرأ أبو جعفر الحجرات بفتح الجيم و الباقون بضمها.

الحج

قال ابن جنى معناه لا تفعلوا ما توثرونه و تتركوا ما أمركم الله و رسوله به و هذا معنى القراءة المشهورة «لا تُقَدِّمُوا» أى لا تقدموا أمرا على ما أمركم الله به فالمفعول هنا محذوف كما ترى و من قرأ الحجرات أبدل من الضمه فتحه استثقلا بتوالى الضمتين و منهم من أسكن فقال الحجرات مثل عضد و عضد و قال أبو عبيده حجرات جمع حجر فهو جمع الجمع.

اللغة

قدم تقديمًا و أقدم إقدامًا و استقدم و قدم كل ذلك بمعنى تقدم و الجهر ظهور الصوت بقوه الاعتماد و منه الجهاره فى المنطق و جاهر بالأمر مجاهره و يقال جهارا و نقيض الجهر الهمس و الحروف المشهوره تسعه عشر حرفا يجمعها قولك " أطلقن ضرغم عجز ظبى ذواد " و ما عداها من الحروف مهموس يجمعها قولك " حث فسكت شخصه " و الغض الحط من منزله على وجه التصغير يقال غض فلان من فلان إذا صغر حاله من هو أرفع منه و غض بصره إذا ضعفه عن حده النظر قال جرير:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت و لا كلابا

. الإعراب

«أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ» فى محل النصب لأنه مفعول له و يجوز أن يكون فى محل جر باللام المقدره أى لأن تحبط أعمالكم و قيل

تقدیره کراهه أن تحبط أو حذار أن تحبط.

النزول

نزل قوله «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَزْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ» إلى قوله «غَفُورٌ رَحِيمٌ» في وفد تمیم و هم عطارد بن حاجب بن زرارہ فی أشراف من بنی تمیم منهم الأقرع بن حابس و الزبرقان بن بدر و عمرو بن الأہتم و قیس بن عاصم فی وفد عظیم فلما

ص: ۱۹۵

دخلوا المسجد نادوا رسول الله ص من وراء الحجرات أن اخرج إلينا يا محمد فأذى ذلك رسول الله ص فخرج إليهم فقالوا جئناك لنفاخر بك فأذن لشاعرنا وخطيبنا فقال قد أذنت فقام عطار بن حاجب وقال الحمد لله الذى جعلنا ملوكا الذى له الفضل علينا و الذى وهب علينا أموالا عظاما نفعل بها المعروف و جعلنا أعز أهل المشرق و أكثر عددا و عده فمن مثلنا فى الناس فمن فاخرنا فليعد مثل ما عددنا و لو شئنا لأكثرنا من الكلام و لكننا نستحي من الإكثار ثم جلس فقال رسول الله ص لثابت بن قيس بن شماس قم فأجبه فقام فقال الحمد لله الذى السماوات و الأرض خلقه قضى فيهن أمره و وسع كرسيه علمه و لم يكن شىء قط إلا- من فضله ثم كان من فضله أن جعلنا ملوكا و اصطفى من خير خلقه رسولا أكرمهم نسبا و أصدقهم حديثا و أفضلهم حسبا فأنزل الله عليه كتابا و ائتمنه على خلقه فكان خيره الله على العالمين ثم دعا الناس إلى الإيمان بالله فآمن به المهاجرون من قومه و ذوى رحمته أكرم الناس أحسابا و أحسنهم وجوها فكان أول الخلق إجابته و استجابته لله حين دعاه رسول الله ص نحن فنحن أنصار رسول الله ص و ردؤه نقاتل الناس حتى يؤمنوا فمن آمن بالله و رسوله منع ماله و دمه و من نكث جاهدناه فى الله أبدا و كان قتله علينا يسيرا أقول هذا و أستغفر الله للمؤمنين و المؤمنات و السلام عليكم ثم قام الزبير بن بدر ينشد و أجابه حسان بن ثابت فلما فرغ حسان من قوله قال الأقرع إن هذا الرجل خطيبه أخطب من خطيبنا و شاعره أشعر من شاعرنا و أصواتهم أعلى من أصواتنا فلما فرغوا أجازهم رسول الله ص فأحسن جوائزهم و أسلموا عن ابن إسحاق و قيل إنهم أناس من بنى العنبر كان النبى ص أصاب من ذراريهم فأقبلوا فى فدائهم فقدموا المدينة و دخلوا المسجد و عجلوا أن يخرج إليهم النبى ص فجعلوا يقولون يا محمد اخرج إلينا عن أبى حمزة الشمالى عن عكرمه عن ابن عباس.

المعنى

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا»

روى زراره عن أبى جعفر (عليه السلام) أنه قال ما سلت السيوف و لا أقيمت الصفوف فى صلاه و لا زحوف و لا جهر بأذان و لا أنزل الله «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» حتى أسلم أبناء قبيله الأوس و الخزرج

«لا- تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ» بين اليمين عبارته عن الإمام لأن ما بين يدي الإنسان أمامه و معناه لا تقطعوا أمرا دون الله و رسوله و لا تعجلوا به قال أبو عبيده العرب تقول لا نقدم بين يدي الإمام و بين يدي الأب أى لا تعجل بالأمر دونه و النهى و قدم هنا بمعنى تقدم و هو لازم و قيل معناه لا تقدموا أعمال الطاعة قبل الوقت الذى أمر الله و رسوله به حتى أنه قيل لا يجوز تقديم الزكاه قبل وقتها عن الزجاج

وقيل لا تمكنوا أحدا يمشى أمام رسول الله ص بل كونوا تبعاه و أخوا أقوالكم و أفعالكم عن قوله و فعله و قال الحسن نزل في قوم ذبحوا الأضحية قبل صلاه العيد فأمرهم رسول الله ص بالإعاده و قال ابن عباس نهوا أن يتكلموا قبل كلامه أى إذا كنتم جالسين فى مجلس رسول الله ص فسئل عن مسأله فلا تسبقوه بالجواب حتى يجبى النبي ص أولا و قيل معناه لا تسبقوه بقول و لا فعل حتى يأمركم به عن الكلبى و السدى و الأولى حمل الآيه على الجميع فإن كل شىء كان خلافا لله و رسوله إذا فعل فهو تقديم بين يدى الله و رسوله و ذلك ممنوع «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» أى اجتنبوا معاصيه «إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ» لأقوالكم «عَلَيْكُمْ» بأعمالكم فيجازيكم بها «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ» لأن فيه أحد الشيين إما نوع استخفاف به فهو الكفر و إما سوء الأدب فهو خلاف التعظيم المأمور به «وَ لَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ» أى غضوا أصواتكم عند مخاطبتكم إياه و فى مجلسه فإنه ليس مثلكم إذ يجب تعظيمه و توقيره من كل وجه و قيل معناه لا تقولوا له يا محمد كما يخاطب بعضكم بعضا بل خاطبوه بالتعظيم و التبجيل و قولوا يا رسول الله «أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ» أى كراهه أن تحبط أو لئلا تحبط أعمالكم و قيل إنه فى حرف عبد الله فتحبط أعمالكم «وَ أَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ» أى و أنتم لا تعلمون أنكم أحبطتم أعمالكم بجهر صوتكم على صوته و ترك تعظيمه قال أنس لما نزلت هذه الآيه قال ثابت بن قيس أنا الذى كنت أرفع صوتى فوق صوت رسول الله ص و أجهر له بالقول حبط عملى و أنا من أهل النار و كان ثابت رفيع الصوت فذكر ذلك لرسول الله ص فقال هو من أهل الجنة و قال أصحابنا أن المعنى فى قوله «أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ» أنه ينحبط ثواب ذلك العمل لأنهم لو أوقعوه على وجه تعظيم النبي ص و توقيره لاستحقوا الثواب فلما فعلوه على خلاف ذلك الوجه استحقوا العقاب و فاتهم ذلك الثواب فانحبط عملهم فلا تعلق لأهل الوعيد بهذه الآيه و لأنه تعالى علق الإحباط فى هذه الآيه بنفس العمل و هم يعلقونه بالمستحق على العمل و ذلك خلاف الظاهر ثم مدح سبحانه من يعظم رسوله و يوقره فقال «إِنَّ الَّذِينَ يُغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ» أى يخفضون أصواتهم فى مجلسه إجلالا «أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى» أى اختبرها فأخلصها للتقوى عن قتاده و مجاهد أخذ من امتحان الذهب بالنار إذا أذيب حتى يذهب غشه و يبقى خالصه و قيل معناه أنه علم خلوص نياتهم لأن الإنسان يمتحن الشىء ليعلم حقيقته و قيل معناه عاملهم معاملة المختبر بما تعبدهم به من هذه العباده فخلصوا على

الاختبار كما يخلص جيد الذهب بالنار «لَهُمْ مَغْفِرَةٌ» من الله لذنوبهم «وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ» على طاعتهم ثم خاطب النبي ص فقال «إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ» وهم الجفاه من بنى تميم لم يعلموا فى أى حجره هو فكانوا يطوفون على الحجرات و ينادونه «أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ» وصفهم الله سبحانه بالجهل و قله الفهم و العقل إذ لم يعرفوا مقدار النبي ص و لا ما استحققه من التوقير فهم بمنزله البهائم «وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ» من أن ينادوك من وراء الحجرات فى دينهم بما يحرزونه من الثواب و فى دنياهم باستعمالهم حسن الأدب فى مخاطبه الأنبياء ليعدوا بذلك فى زمرة العقلاء و قيل معناه لأطلقت أسراهم بغير فداء فإن رسول الله ص كان سبى قوما من بنى العنبر فجاءوا فى فدائهم فأعتق نصفهم و فادى النصف فيقول و لو أنهم صبروا لكنت تعتق كلهم «وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» لمن تاب منهم.

إشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضَلَّأَ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨) وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحِدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)

القراءة

قرأ يعقوب فأصلحوا بين إختوتكم بالتاء على الجمع و هو قراءة ابن سيرين و الباقون «بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ» على التثنيه لقوله «طَائِفَتَانِ» و فى الشواذ قراءة زيد بن ثابت و الحسن إخوانكم بالألف و النون على الجمع و قد ذكرنا فى سوره النساء اختلافهم فى قوله فتبينوا و الوجه فى القراءة تين و

المروى عن الباقر (عليه السلام) فتثبتوا بالتاء و التاء.

اللغة

العنت المشقه يقال عنت الدابه تعنت عنتا إذا حدث فى قوائمه كسر بعد جبر لا يمكنه معه الجرى قال ابن الأنبارى أصل العنت التشديد يقال فلان يعنت فلانا أى يشدد عليه و يلزمه ما يصعب عليه ثم نقل إلى معنى الهلاك و القسط العدل و نحوه الأقساط و القسوط و القسط بالفتح الجور و العدول عن الحق فأصل الباب العدول فمن عدل إلى الحق فقد أقسط و من عدل عن الحق فقد قسط.

الإعراب

«أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ» خبر أن فى الطرف الذى هو فيكم عند النحويين و فيه نظر لأن من حق الخبر أن يكون الخبر مفيدا فلا يقال النار حاره لعدم الفائده و الوجه عندى أن يكون لو مع ما فى حيزه خبر أن و المعنى و اعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم و يجوز على الوجه الأول أن يكون المراد التنبيه لهم على مكان رسول الله ص كما يقول القائل للرجل يريد أن ينبهه على شىء فلان حاضر و المخاطب يعلم حضوره و لو قال أن رسول الله ص فيكم احتمال أن يكون غير رسول الله فيهم ممن هو بمنزله فإذا قال إن فيكم رسول الله لا يحتمل ذلك على هذا فقله «لَوْ يُطِيعُكُمْ» لو مع ما فى حيزه فى محل رفع بأنه خبر أن خبر بعد خبر «فَضَلَّأَ مِنَ اللَّهِ» مفعول له و التقدير فعل الله ذلك لكم فضلا منه و نعمه و يجوز أن يكون العامل فيه الراشدون و ما فيه من الفعل أى رشدوا و فضلا من الله و قوله «بِجَهَالَةٍ» و «بِالْعَدْلِ» كلاهما فى موضع نصب على الحال و العامل فى الأول فتصيبوا و فى الثانى فأصلحوا.

قوله «إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ» نزل في الوليد بن عقبه بن أبي معيط بعثه رسول الله ص في صدقات بني المصطلق فخرجوا يتلقونه فرحا به و كانت بينهم عداوه في الجاهليه فظن أنهم هموا بقتله فرجع إلى رسول الله ص و قال إنهم منعوا صدقاتهم و كان الأمر بخلافه فغضب النبي ص و هم أن يغزوهم فنزلت الآية عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و قيل إنها نزلت فيمن قال للنبي ص إن ماريه أم إبراهيم يأتيها ابن عم لها قبلى فدعا رسول الله ص عليا (عليه السلام) و قال يا أخى خذ هذا السيف فإن وجدته عندها فاقتله فقال يا رسول الله أكون في أمرك

إذا أرسلتني كالكسك المصمى لما أمرتني أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فقال ص بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب قال على (عليه السلام) فأقبلت متوشحا بالسيف فوجدته عندها فاخترت السيف فلما عرف إنى أريده أتى نخله فرقى إليها ثم رمى بنفسه على قفاه و شجر برجليه فإذا أنه أجب أمسح ما له مما للرجال قليل و لا كثير فرجعت فأخبرت النبي ص فقال الحمد لله الذى يصرف عنا سوء أهل البيت و قوله «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا» نزل فى الأوس و الخزرج وقع بينهما قتال بالسعف و النعال عن سعيد بن جبير و قيل نزل فى رهط عبد الله بن أبى سلول من الخزرج و رهط عبد الله بن رواحه من الأوس و سببه أن النبي ص وقف على عبد الله بن أبى فراث حمار رسول الله ص فأمسك عبد الله أنفه و قال إليك عنى فقال عبد الله بن رواحه لحمار رسول الله ص أطيب ريحا منك و من أبيك فغضب قومه و أعان ابن رواحه قومه و كان بينهما ضرب بالحديد و الأيدي و النعال.

المعنى

ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ» أى بخبر عظيم الشأن و الفاسق الخارج عن طاعة الله إلى معصيته «فنبئوا» صدقه من كذبه و لا تبادروا إلى العمل بخبره و من قال فتثبتوا فمعناه توقفوا فيه و تأنوا حتى يثبت عندكم حقيقته «أن تصيبوا قوماً بجهالة» أى حذرا من أن تصيبوا قوما فى أنفسهم و أموالهم بغير علم بحالهم و ما هم عليه من الطاعة و الإسلام «فتصيبوا على ما فعلتم» من إصابتهم بالخطأ «نادمين» لا يمكنكم تداركه و فى هذا دلالة على أن خبر الواحد لا يوجب العلم و لا العمل لأن المعنى إن جاءكم من لا تأمنون أن يكون خبره كذبا فتوقفوا فيه و هذا التعليل موجود فى خبر من يجوز كونه كاذبا فى خبره و قد استدل بعضهم بالآيه على وجوب العمل بخبر الواحد إذا كان عدلا من حيث أن الله سبحانه أوجب التوقف فى خبر الفاسق فدل على أن خبر العدل لا يجب التوقف فيه و هذا لا يصح لأن دليل الخطاب لا يعول عليه عندنا و عند أكثر المحققين «و اعلموا أن فيكم رسول الله» أى فاتقوا الله أن تكذبوه أو تقولوا باطلا- عنده فإن الله تعالى يخبره بذلك فتفضحوا و قيل معناه و اعلموا بما أخبره الله تعالى من كذب الوليد أن فيكم رسول الله ص فهذه إحدى معجزاته «لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتهم» أى لو فعل ما تريدونه فى كثير من الأمر لوقعتم فى عنت و هو الإثم و الهلاك فسمى موافقته لما يريدونه طاعة لهم مجازا ألا ترى أن الطاعة تراعى فيها الرتبة فلا يكون الإنسان مطيعا لمن دونه و إنما يكون مطيعا لمن فوقه إذا فعل ما أمره به ثم خاطب المؤمنين الذين لا يكذبون فقال «و لكن الله حبب إليكم الإيمان» أى جعله أحب الأديان إليكم بأن أقام الأدلة على صحته و بما وعد من الثواب عليه «و زينته فى قلوبكم» بالألطف الداعية

إليه «وَكَرَّةَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ» بما وصف من العقاب عليه بوجوه الألفاظ الصارفة عنه «وَالْفُسُوقَ» أى الخروج عن الطاعة إلى المعاصى «وَالْعِضْيَانَ» أى جميع المعاصى و

قيل الفسوق الكذب عن ابن عباس و ابن زيد و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

ثم عاد سبحانه إلى الخبر عنهم فقال «أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ» يعنى الذين وصفهم بالإيمان و زينه فى قلوبهم هم المهتدون إلى محاسن الأمور و قيل هم الذين أصابوا الرشد و اهدوا إلى الجنة «فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَ نِعْمَةً» أى تفضلا منى عليهم و رحمه منى لهم عن ابن عباس «وَاللَّهُ عَلِيمٌ» بالأشياء كلها «حَكِيمٌ» فى جميع أفعاله و فى هذه الآية دلالة على بطلان مذهب أهل الجبر من وجوه (منها) أنه إذا حب فى قلوبهم الإيمان و كره الكفر فمن المعلوم أنه لا- يحب ما لا يحبه و لا يكره ما لا يكرهه (و منها) أنه إذ ألطف فى تحبيب الإيمان بالطافة دل ذلك على ما نقوله فى اللطف ثم قال «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا» أى فريقان من المؤمنين قاتل أحدهما صاحبه «فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا» حتى يصطلحا و لا دلالة فى هذا على أنهما إذا اقتتلا بقيا على الإيمان و يطلق عليهما هذا الاسم و لا يمتنع أن يفسق إحدى الطائفتين أو تفسقا جميعا «فَإِنْ بَعَثَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَى» بأن تطلب ما لا يجوز لها و تقاتل الأخرى ظالمه لها متعديه عليها «فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغَى» لأنها هى الظالمه المتعديه دون الأخرى «حَتَّى تَفِىءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ» أى حتى ترجع إلى طاعة الله و تترك قتال الطائفة المؤمنه «فَإِنْ فَاءَتْ» أى رجعت و تابت و أقلعت و أنابت إلى طاعة الله «فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا» أى بينها و بين الطائفة التى هى على الإيمان «بِالْعَدْلِ» أى بالقسط حتى يكونوا سواء لا يكون من إحداهما على الأخرى جور و لا- شطط فيما يتعلق بالضمانات من الأروش «وَ أَقْسَبُوا» أى اعدلوا «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِبِينَ» العادلين الذين يعدلون فيما يكون قولاً- و فعلاً «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» فى الدين يلزم نصره بعضهم بعضاً «فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ» أى بين كل رجلين تقاتلا- و تخاصما و معنى الاثنين يأتى على الجمع لأن تأويله بين كل أخوين يعنى فأنتم إخوه للمتقاتلين فأصلحوا بين الفريقين أى كفوا الظالم عن المظلوم و أعينوا المظلوم «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» فى ترك العدل و الإصلاح أو فى منع الحقوق «لَعَلَّكُمْ تَزَحَمُونَ» أى لكى ترحموا قال الزجاج سمى المؤمنين إذا كانوا متفقين فى دينهم إخوه لاتفاقهم فى الدين و رجوعهم إلى أصل النسب لأنهم لأم واحده و هى حواء

و روى الزهرى عن سالم عن أبيه أن رسول الله ص قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه و لا يسلمه من كان فى حاجه أخيه كان الله فى حاجته و من فرج عن مسلم كربه فرج الله بها عنه كربه من كروب يوم القيامة و من ستر مسلما يستره الله يوم القيامة أورده البخارى و مسلم فى صحيحهما

و فى وصيه النبى ص لأمير

المؤمنين على بن أبي طالب (عليه السلام) سر ميلا عد مريضا سر ميلين شيع جنازه سر ثلاثه أميال أجب دعوه سر أربعه أميال زر
أخا في الله سر خمسه أميال أجب دعوه الملهوف سر سته أميال انصر المظلوم و عليك بالاستغفار.

النظم

وجه اتصال قوله «إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ» بما قبله أنه لما أمر بطاعه الله و رسوله بين عقيبه أن الرسول لا يجوز أن يتبع أهواءهم بل
ينبغي أن يعمل بما عنده و وجه اتصال قوله «وَ لَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ» لثلاثا تقعوا في العنت و إنما قلنا ذلك لأن لكن لا بد
أن يتقدمه نفي إذا كان ما بعده إثباتا و قوله «لَوْ يُطِيعُكُمْ» ... «لَعَنْتُمْ» معناه أنه لم يطعكم فما عنتم.

ص: ٢٠٢

إشارة

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا- يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا- نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِاللُّقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا- تَجَسَّسُوا وَلا- يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢) يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤)

القراءة

قرأ أهل البصرة لا يَأَلِتْكُمْ بِالْأَلْفِ وَالباقون «لا يَلِتْكُمْ» بغير الألف.

الحجج

قال أبو زيد أَلَتَهُ حَقُّهُ يَأَلِتُهُ أَلَتًا إِذَا نَقَصَهُ وَ قَوْمٌ يَقُولُونَ لَاتٍ يَلِيتُ لَيْتًا وَيُقَالُ لَتَ الرَّجُلِ أَلَيْتُهُ لَيْتًا إِذَا عَمِيتَ عَلَيْهِ الْخَبْرُ فَأَخْبِرْتَهُ بغير ما يسألك عنه قال رؤبه:

و ليله ذات ندى سريت و لم يلتنى عن سراها لیت

و قوم يقولون أَلَتْنِي عَنْ حَقِّي وَ أَلَتْنِي عَنْ حَاجَتِي أَيْ صَرَفْنِي عَنْهَا وَ حَجَّهَ مِنْ قَرَأَ لا يَأَلِتْكُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى «وَ مَا أَلْتَنَاهُمْ» وَ مِنْ قَرَأَ «يَلِتْكُمْ» جَعَلَهُ مِنْ لَاتٍ يَلِيتُ.

اللغة

الهمز و اللمز العيب و الغض من الناس فاللمز هو الرمي بالعيب لمن لا- يجوز أن يؤذى بذكره و هو المنهى عنه فأما ذكر عيب الفاسق فليس بلمز

و قد ورد في الحديث قولوا في الفاسق ما فيه كي يحذره الناس

و النبز القذف باللقب يقال نبزته أنبزه و الغيبة أن تذكر الإنسان من ورائه بسوء هو فيه فإذا ذكرته بما ليس فيه فهو البهت و البهتان و الشعوب الذي يصغر شأن العرب و لا يرى لهم فضلا على غيرهم سموا بذلك لأنهم تأولوا «وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا» على أن الشعوب من العجم كالقبايل من العرب و قال أبو عبيدة الشعوب العجم و أصله من التشعب و هو كثره تفرقهم في النسب و يقال شعبته جمعته و شعبته فرقته و هو من الأضداد.

نزل قوله «لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ» في ثابت بن قيس بن شماس و كان في أذنه وقر و كان إذا دخل المسجد تفسحوا له حتى يقعد عند النبي فيسمع ما يقول فدخل المسجد يوما و الناس قد فرغوا من الصلاة و أخذوا مكانهم فجعل يتخطى رقاب الناس و يقول تفسحوا تفسحوا حتى انتهى إلى رجل فقال له أصبت مجلسا فاجلس فجلس خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة قال من هذا قال الرجل أنا فلان فقال ثابت ابن فلانه ذكر أما له كان يعير بها في الجاهلية فنكس الرجل رأسه حياء فنزلت الآية عن ابن عباس و قوله «وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ» نزل في نساء النبي ص سخرن من أم سلمه عن أنس و ذلك أنها ربطت حقويها بسبيبه و هي ثوب أبيض و سدلت طرفيها خلفها فكانت تجره فقالت عائشه لحفصه انظري ما ذا تجر

خلفها كأنه لسان كلب فلهذا كانت سخريتهما و قيل أنها غيرتها بالقصر و أشارت بيدها أنها قصيره عن الحسن و قوله «وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا» نزل في رجلين من أصحاب رسول الله ص اغتابا رفيقهما و هو سلمان بعثاه إلى رسول الله ص ليأتي لهما بطعام فبعثه إلى أسامه بن زيد و كان خازن رسول الله ص على رحله فقال ما عندى شىء فعاد إليهما فقالا بخل أسامه و قالوا لسلمان لو بعثناه إلى بئر سميحه لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان عند أسامه ما أمر لهما به رسول الله فقال لهما رسول الله ص ما لى أرى خضره اللحم فى أفواهكما قالوا- يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما قال ظللتم تأكلون لحم سلمان و أسامه فنزلت الآية و عن أبى قلابه قال أن عمر بن الخطاب حدث أن أبا محجن الثقفى يشرب الخمر فى بيته هو و أصحابه فانطلق عمر حتى دخل عليه فإذا ليس عنده إلا رجل فقال أبو محجن يا أمير المؤمنين أن هذا لا يحل لك قد نهاك الله عن التجسس فقال عمر ما يقول هذا قال زيد بن ثابت و عبد الله بن الأرقم صدق يا أمير المؤمنين قال فخرج عمر و تركه و خرج عمر بن الخطاب أيضا و معه عبد الرحمن بن عوف يعسان فتبينت لهما نار فأتيا و استأذنا ففتح الباب فدخلا فإذا رجل و امرأه تغنى و على يد الرجل قدح فقال عمر من هذه منك قال امرأتى قال و ما فى هذا القدح قال ماء فقال للمرأة ما الذى تغنين قالت أقول:

تطاول هذا الليل و أسود جانبه و أرقنى ألا حبيب ألاعبه

فو الله لو لا خشيه الله و التقى لززع من هذا السرير جوانبه

و لكن عقلى و الحياء يكفنى و أكرم بعلى أن تنال مراكبه

ثم قال الرجل ما بهذا أمرنا يا أمير المؤمنين قال الله تعالى «وَلَا تَجَسَّسُوا» فقال عمر صدقت و انصرف و قوله «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى» قيل نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس و قوله للرجل الذى لم يتفسح له ابن فلانه فقال ص من الذاکر فلأنه فقام ثابت فقال أنا يا رسول الله فقال أنظر فى وجوه القوم فنظر إليهم فقال ما رأيت يا ثابت قال رأيت أبيض و أسود و أحمر قال فإنك لا تفضلهم إلا بالتقوى و الدين فنزلت هذه الآية «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ» الآية عن ابن عباس و قيل لما كان يوم فتح مکه أمر رسول الله ص بلالا حتى علا ظهر الكعبه و أذن فقال عتاب بن أسيد الحمد لله الذى قبض أبى حتى لم ير هذا اليوم و قال الحرث بن هشام أ ما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا و قال سهيل بن عمرو أن یرد الله شيئا يغيره لغيره و قال أبو سفیان إنى لا- أقول شيئا أخاف أن يخبره به رب السماوات فأتى جبرائيل (عليه السلام) رسول الله ص فأخبره بما قالوا فدعاهم رسول

الله ص و سألهما عما قالوا فأقروا به و نزلت الآية و زجرهم عن التفاخر بالأنساب و الازدراء بالفقر و التكاثر بالأموال عن مقاتل.

المعنى

لما أمر سبحانه بإصلاح ذات البين و نهى عن التفرق عقب ذلك بالنهاى عن أسباب الفرقة من السخرية و الازدراء بأهل الفقر و المسكنه و نحو ذلك فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا- يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ» قال الخليل القوم يقع على الرجال دون النساء لقيام بعضهم مع بعض فى الأمور قال زهير:

وما أدرى و لست أخال أدرى أقوم آل حصن أم نساء

فالمعنى لا يسخر رجال من رجال و السخرية الاستهزاء قال مجاهد معناه لا يسخر غنى من فقير لفقره و ربما يكون الفقير المهين فى ظاهر الحال خيرا و أجل منزله عند الله من الغنى الحسن الحال و لو سخر مؤمن من كافر احتقارا له لم يكن مأثوما و قال ابن زيد هذا نهى عن استهزاء المسلمين بمن أعلن بفسقه عسى أن يكون المسخور عند الله خيرا من الساخر معتقدا أو أسلم باطنا «وَ لا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ» على المعنى الذى تقدم «عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَ لا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ» أى لا يطعن بعضكم على بعض كما قال تعالى وَ لا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ لأن المؤمنين كنفس واحده فكأنه إذا قتل أخاه قتل نفسه عن ابن عباس و قتاده و اللمز العيب فى المشهد و الهمز العيب فى المغيب و قيل أن اللمز يكون باللسان و بالعين و بالإشارة و الهمز لا يكون إلا باللسان و قيل معناه و لا يلعن بعضكم بعضا عن الضحاك «وَ لا تَنَابَزُوا بِاللُّقَابِ» جمع اللقب و هو اسم غير الذى سمي به الإنسان و قيل هو كل اسم لم يوضع له و إذا دعى به يكرهه فأما إذا كان لا يسوؤه و لا يكرهه فلا بأس فيه مثل الفقيه و القاضى و قيل هو قول الرجل للرجل يا كافر يا فاسق يا منافق عن قتاده و عكرمه و قيل كان اليهودى و النصرانى يسلم فيقال له بعد ذلك يا يهودى أو يا نصرانى فنهوا عن ذلك عن الحسن و قيل هو أن يعمل إنسان شيئا من القبيح ثم يتوب منه فيعير بما سلف منه عن ابن عباس و

روى أن صفية بنت حى بن أخطب جاءت إلى النبى ص تبكى فقال لها ما وراءك فقالت إن عائشه تعيرنى و تقول يهوديه بنت يهوديين فقال لها هلاقت أبى هارون و عمى موسى و زوجى محمد ص

فنزلت الآية عن ابن عباس «بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ» أى بئس الاسم أن يقول له يا يهودى يا نصرانى و قد آمن عن الحسن و غيره و المعنى بئس الشىء تسميته باسم الفسوق يعنى الكفر بعد الإيمان و قيل معناه بئس الشىء اكتساب اسم الفسوق باغتيال المسلمين

و لمزهم و هذا لا- يدل على أن اسم الإيمان و الفسق لا يجتمعان لأن هذا كما يقال بئس الحال الفسوق بعد الشيب و المعنى بئس الحال الفسوق مع الشيب و بئس الاسم الفسوق مع الإيمان على أن الظاهر أن المعنى أن الفسوق الذى يتعقب الإيمان بئس الاسم و ذلك هو الكفر «وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ» من التنازع و المعاصى و يرجع إلى طاعه الله تعالى «فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» نفوسهم بفعل ما يستحقون به العقاب «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ» قال الزجاج هو أن يظن بأهل الخير سوء فأما أهل سوء و الفسق فلنا أن نظن بهم مثل ما ظهر منهم و قيل هو أن يظن بأخيه المسلم سوءا و لا بأس به ما لم يتكلم به فإن تكلم بذلك الظن و أبداه أثم و هو قوله «إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ» يعنى ما أعلنه مما ظن بأخيه عن المقاتلين و قيل إنما قال كثيرا من الظن لأن من جملته ما يجب العمل به و لا يجوز مخالفته و إنما يكون إثما إذا فعله صاحبه و له الطريق إلى العلم بدلا منه فهذا ظن محرم لا يجوز فعله فأما ما لا- سبيل إلى دفعه بالعلم بدلا منه فليس بإثم و لذلك قال «بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ» دون جميعه و الظن المحمود قد بينه الله تعالى و دل عليه بقوله «لَوْ لَا- إِذْ سَجَعْتُمْوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِنَّ خَيْرًا» و قيل معناه يجب على المؤمن أن يحسن الظن و لا يسيئه فى شىء يجد له تأويلا جميلا و إن كان ظاهرا قبيحا «وَ لَا تَجَسَّسُوا» أى و لا تتبعوا عثرات المؤمنين عن ابن عباس و قتاده و مجاهد و قال أبو عبيده التجسس و التحسس واحد و روى فى الشواذ عن ابن عباس و لا تحسسوا بالحاء قال الأخفش و ليس يبعد أحدهما عن الآخر إلا أن التجسس عما يكتتم و منه الجاسوس و التحسس بالحاء البحث عما تعرفه و قيل إن التجسس بالجيم فى الشر و الجاسوس صاحب سر الشر و الناموس صاحب سر الخير و قيل معناه لا تتبعوا عيوب المسلمين لتهتكوا العيوب التى سترها أهلها و قيل معناه و لا تبحثوا عما خفى حتى يظهر عن الأوزاعى

و فى الحديث إياكم و الظن فإن الظن أكذب الحديث و لا تجسسوا و لا تقاطعوا و لا تحاسدوا و لا تنازروا و كونوا عباد الله إخوانا

و قوله «وَ لَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا» الغيبة ذكر العيب بظهر الغيب على وجه تمنع الحكمة منه

و فى الحديث إذا ذكرت الرجل بما فيه مما يكرهه الله فقد اغتبتته و إذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهته

و عن جابر قال قال رسول الله ص إياكم

و الغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا ثم قال أن الرجل يزني ثم يتوب فيتوب الله عليه و إن صاحب الغيبة لا- يغفر له حتى يغفر له صاحبه

ثم ضرب سبحانه للغيبة مثلا فقال «أُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا» و تأويله إن ذكرك بالسوء من لم يحضرك بمنزله أن تأكل لحمه و هو ميت لا- يحس بذلك عن الزجاج و لما قيل لهم أ يجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا قالوا لا فقيل «فَكَرِهْتُمُوهُ» أى فكما كرهتم ذلك فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا عن مجاهد و قيل فكما كرهتم لحمه ميتا فاكرهوا غيبته حيا عن الحسن فهذا هو تقدير الكلام و قوله «وَ اتَّقُوا اللَّهَ» معطوف على هذا الفعل المقدر و مثله أ لَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَ وَضَعْنَا أَى و قد شرحنا و وضعنا و يقال للمغتاب فلان يأكل لحوم الناس قال:

و ليس الذئب يأكل لحم ذئب و يأكل بعضنا بعضا عيانا

و قال آخر:

فإن يأكلوا لحمى و فرت لحومهم و إن يهدموا مجدى بنيت لهم مجدا

و قال قتاده كما يمتنع أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا لكرهيه الطبع كذلك يجب أن يمتنع عن غيبته لكرهيه العقل و الشرع لأن دواعى العقل و الشرع أحق بالاتباع من دواعى الطبع فإن داعى الطبع أعمى و داعى العقل بصير و عن ميمون بن شاه و كان يفضل على الحسن لأنه قد لقي من لم يلقه الحسن قال بينا أنا نائم إذا بجيفه زنجى و قائل يقول لى كل يا عبد الله قلت و لم أكل قال بما اغتیب عندك فلان قلت و الله ما ذكرت فيه خيرا و لا شرا قال لكنك استمعت فرضيت و كان ميمون بعد ذلك لا يدع أن يغتاب عنده واحد و قال رجل لابن سيرين إنى قد اغتبتك فاجعلنى فى حل قال إنى أكره أن أحل ما حرم الله «إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ» قابل التوبه «رَحِيمٌ» بالمؤمنين «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى» أى من آدم و حواء و المعنى أنكم متساوون فى النسب لأن كلكم يرجع فى النسب إلى آدم و حواء زجر الله سبحانه عن التفاخر بالأنساب

و روى عكرمه عن ابن عباس أن النبى ص قال إنما أنتم من رجل و امرأه كجمام الصاع ليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى

ثم ذكر سبحانه أنه إنما فرق أنساب الناس ليتعارفوا لا ليتفاخروا فقال «وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ» و هى جمع شعب و هو الحى العظيم مثل مضر و ربيعة و قبائل هى دون الشعوب كبكر من ربيعة و تميم من مضر هذا قول أكثر المفسرين و قيل الشعوب دون القبائل و إنما سميت بذلك لتشعبها و تفرقتها عن

قيل أراد بالشعوب الموالى و بالقبائل العرب فى روايه عطا عن ابن عباس و إلى هذا ذهب قوم فقالوا الشعوب من العجم و القبائل من العرب و الأسباط من بنى إسرائيل و روى ذلك عن الصادق (عليه السلام)

«لِتَعَارَفُوا» أى جعلناكم كذلك لتعارفوا فيعرف بعضكم بعضا بنسبه و أبيه و قومه و لو لا ذلك لفسدت المعاملات و خربت الدنيا و لما أمكن نقل حديث «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» أى إن أكثركم ثوابا و أرفعكم منزله عند الله أتقاكم لمعاصيه و أعملكم بطاعته

و روى عن النبى ص أنه قال يقول الله تعالى يوم القيامة أمرتكم فضيعة ما عهدت إليكم فيه و رفعتم أنسابكم فالיום أرفع نسبي و أضع أنسابكم أين المتقون «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ»

و روى أن رجلا- سأل عيسى بن مريم أى الناس أفضل فأخذ قبضتين من تراب فقال أى هاتين أفضل الناس خلقوا من تراب فأكرمهم أتقاهم

أبو بكر البيهقي بالإسناد عن عبايه بن ربيعى عن ابن عباس قال قال رسول الله ص إن الله عز و جل جعل الخلق قسمين فجعلنى فى خيرهم قسما و ذلك قوله «وَ أَصِيحَابُ الْيَمِينِ» و «أَصِيحَابُ الشَّمَالِ» فأنا من أصحاب اليمين و أنا خير أصحاب اليمين ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلنى فى خيرها ثلثا و ذلك قوله «فَأَصِيحَابُ الْمَيْمَنَةِ» و «أَصِيحَابُ الْمَشْأَمَةِ» و «السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ» فأنا من السابقين و أنا خير السابقين ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلنى فى خيرها قبيله و ذلك قوله «وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ» الآية فإنى أتقى ولد آدم و لا- فخر و أكرمهم على الله و لا- فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلنى فى خيرها بيتا و ذلك قوله عز و جل «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» فأنا و أهل بيتى مطهرون من الذنوب

«إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ» بأعمالكم «خَبِيرٌ» بأحوالكم لا يخفى عليه شىء من ذلك «قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا» و هم قوم من بنى أسد أتوا النبى ص فى سنه جديه و أظهروا الإسلام و لم يكونوا مؤمنين فى السر إنما كانوا يطلبون الصدقه و المعنى أنهم قالوا صدقتنا بما جئت به فأمره الله سبحانه أن يخبرهم بذلك ليكون آيه معجزه له فقال «قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا» أى لم تصدقوا على الحقيقه فى الباطن «وَ لَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا» أى انقدنا و استسلمنا مخافه السبى و القتل عن سعيد بن جبير و ابن زيد ثم بين سبحانه أن الإيمان محله القلب دون اللسان فقال «وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ» قال الزجاج الإسلام إظهار الخضوع و القبول لما أتى به الرسول و بذلك يحقن الدم فإن كان مع ذلك الإظهار اعتقاد و تصديق بالقلب فذلك الإيمان و صاحبه المؤمن المسلم حقا فأما من أظهر قبول الشريعة و استسلم لدفع المكروه فهو فى الظاهر مسلم و باطنه غير مصدق و قد أخرج هؤلاء من الإيمان بقوله «وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ» أى لم تصدقوا بعد بما أسلمتم تعوزا من القتل فالمؤمن مبطن من التصديق مثل ما يظهر و المسلم التام الإسلام مظهر

للطاعة و هو مع ذلك مؤمن بها و الذى أظهر الإسلام تعودا من القتل غير مؤمن فى الحقيقه إلا- أن حكمه فى الظاهر حكم المسلمين

و روى أنس عن النبى ص قال الإسلام علانيه و الإيمان فى القلب

و أشار إلى صدره «وَ إِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً» أى لا ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئاً عن ابن عباس و مقاتل «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

[سوره الحجرات (٤٩): الآيات ١٥ الى ١٨]

إشارة

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَزْتَابُوا وَ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥) قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهُ بِدِينِكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٦) يَمْئُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلِمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٧) إِنْ اللَّهُ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)

القراءة

قرأ ابن كثير يعملون بالياء و الباقون بالتاء.

الحججه

وجه التاء أن قبله خطابا و هو قوله «لَا تَمُنُّوا» و وجه الياء أن قبله غيبه و هو قوله «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا».

الإعراب

خبر المبتدأ الذى هو المؤمنون قوله «أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» و قوله «الَّذِينَ آمَنُوا» صفة لهم.

المعنى

ثم نعت سبحانه الصادقين فى إيمانهم فقال «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَزْتَابُوا» أى لم يشكوا فى دينهم بعد الإيمان «وَ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» فى أقوالهم دون من يقول بلسانه ما ليس فى قلبه قالوا فلما نزلت الآياتان أتوا رسول الله ص يحلفون أنهم مؤمنون صادقون فى دعواهم الإيمان فأنزل الله سبحانه «قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهُ بِدِينِكُمْ» أى أ تخبرون الله بالدين الذى أنتم

عليه و المعنى أنه سبحانه عالم بذلك فلا يحتاج إلى إخباركم به و هذا استفهام إنكار و توبيخ أى كيف تعلمون الله بدينكم «وَ
اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» لأن العالم لنفسه يعلم المعلومات كلها بنفسه فلا يحتاج إلى
علم يعلم به و لا إلى من يعلمه كما أنه إذا كان قديماً موجوداً فى الأزل لنفسه استغنى عن موجد أو جده و كانوا يقولون آمنا
بك من غير قتال و قاتلك بنو فلان فقال سبحانه «يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا» أى بأن أسلموا و المعنى أنهم يمتنون عليك بالإسلام
«قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم» أى بإسلامكم «بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ» أى بأن هداكم للإيمان و أرشدكم إليه بأن
نصب لكم من الأدله عليه و أزاح عنكم و وفقكم له «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فى ادعائكم للإيمان «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَ
الْأَرْضِ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» من طاعه و معصيه و إيمان و كفر.

ص: ٢١٠

(٥٠) سورة ق مكيه و آياتها خمس و أربعون (٤٥)

اشاره

اشاره

قال الحسن غير قوله «وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» إلى قوله «وَقَبْلَ الْغُرُوبِ» و المعدل عن ابن عباس «وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» الآية و هي خمس و أربعون آيه بالإجماع.

فضلها

أبي بن كعب عن النبي ص قال و من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت و سكراته.

أبو حمزه الثمالي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال و من أدمن في فرائضه و نوافله سورة ق وسع الله في رزقه و أعطاه كتابه بيمينه و حاسبه حسابا يسيرا.

تفسيرها

لما ختم الله تلك السوره بذكر الإيمان و شرائطه للعبيد افتتح هذه السوره بذكر ما يجب الإيمان به من القرآن و أدله التوحيد فقال:

[سورة ق (٥٠): الآيات ١ الى ٥]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١) بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢) أِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (٣) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَ عِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ (٤)

بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ (٥)

و لم يعد «ق» آيه و لا نظير له من نون و صاد لأنه مفرد و كل مفرد فإنه لا يعد لبعده من شبه

الجملة فأما المركب مما أشبه الجملة و وافق رءوس الآى فإنه يعد مثل طه و حم* و الم* و ما أشبه ذلك.

اللغة

المجيد الكريم المعظم و العظيم المكرم و المجد فى كلامهم الشرف الواسع يقال مجد الرجل و مجد مجدا إذا عظم و كرم و أصله من قولهم مجدت الإبل مجودا إذا عظمت بطونها من كثرة أكلها من كلاء الربيع و أمجد فلان القوم قرى قال:

أتيناه زوارا فأمجدنا قرى من البث و الداء الدخيل المخامر

و العجيب و العجب هو كل ما لا يعرف علتة و لا سببه و المريخ المختلط الملبس و أصله إرسال الشىء مع غيره من المرج قال الشاعر:

فجالت فالتمست به حشاها فخر كأنه غصن مريج

أى قد التبس بكثرة شعبه و مرجت عهودهم و أمرجوها أى خلطوها و لم يفوا بها.

الإعراب

جواب القسم فى «ق وَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ» محذوف يدل عليه أ إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا* و تقديره إنكم مبعوثون فقال أ نبعث إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا و يجوز أن يكون الجواب «قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ» و حذف اللام لأن ما قبلها عوض منها كما قال وَ الشَّمْسِ وَ ضُحَاهَا إلى قوله «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا» و المعنى لقد أفلح و العامل فى «أ إِذَا مِتْنَا» مضمرة و التقدير أ إِذَا مِتْنَا بَعَثْنَا.

المعنى

«ق» قد مر تفسيره و قيل إنه اسم من أسماء الله تعالى عن ابن عباس و قيل هو اسم الجبل المحيط بالأرض من زمردة خضراء خضره السماء منها عن الضحاك و عكرمه و قيل معناه قضى الأمر أو قضى ما هو كائن كما قيل فى حم* حم الأمر «وَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ» أى الكريم على الله العظيم فى نفسه الكثير الخير و النفع لتبعثن يوم القيامة و قيل تقديره و القرآن المجيد أن محمدا رسول الله ص بدلاله قوله «بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ» أى ما كذبك قومك لأنك كاذب بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم و حسبوا أنه لا- يوحى إلا- إلى ملك «فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ» أى معجب عجبوا من كون محمد ص رسولا إليهم فأنكروا رسالته و أنكروا البعث بعد الموت و هو قوله «أ إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا»

أنبعث و نرد أحياء «ذَلِكَ» أى ذلك الرد الذى يقولون «رَجَّعَ بَعِيدٌ» أى رد بعيد عن الأوهام و إعادته بعيده عن الكون و المعنى أنه لا يكون ذلك لأنه غير ممكن ثم قال سبحانه «قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ» أى ما تأكل الأرض من لحومهم و دمائهم و تبليه من عظامهم فلا يتعذر علينا ردهم «وَ عِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ» أى حافظ لعدتهم و أسمائهم و هو اللوح المحفوظ لا يشذ عنه شىء و قيل حفيظ أى محفوظ عن البلى و الدروس و هو كتاب الحفظه الذين يكتبون أعمالهم ثم أخبر سبحانه بتكذيبهم فقال «يَلِ كَذِبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ» و الحق القرآن و قيل هو الرسول «فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ» أى مختلط فمره قالوا مجنون و تاره قالوا ساحر و تاره قالوا شاعر فتحيروا فى أمرهم لجهلهم بحاله و لم يثبتوا على شىء واحد و قالوا للقرآن أنه سحر مره و زجر مره و مفتري مره فكان أمرهم ملتبساً عليهم قال الحسن ما ترك قوم الحق إلا مرج أمرهم.

[سوره ق (٥٠): الآيات ٦ الى ١١]

أشاره

أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَ زَيَّنَّاهَا وَ مَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (٦) وَ الْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَ أَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَ أُنْبِتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبَصَّرَهُ وَ ذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٨) وَ نَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَ حَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَ النَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠)

رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَ أَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَهُ مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (١١)

اللغه

الفروج الشقوق و الصدوع و فى الحائط فرجه بضم الفاء فإذا قيل فرجه بفتح الفاء فهو التفصى من الهم قال:

ربما تكره النفوس من الأمر له فرجه كحل العقال

أى رب شىء تكرهه النفوس و ما هاهنا نكره موصوفه و الفرج موضع المخافه و فى عهد الحجاج أنى وليتك الفرجين يعنى خراسان و سجستان و الحصيد ما حصد من أنواع النبات

و الباسقات الطوال و بسق النخل بسوقا و الطلع طلع النخلة سمي بذلك لطلوعه و النضيد ما نضد بعضه على بعض.

الإعراب

كيف يجوز أن يكون فى موضع نصب على الحال و يجوز أن يكون مصدرا «و ما لها من فُروج» فى موضع نصب على الحال تقديره غير مفروجه و الأرض منصوبه بفعل مضمر يفسره هذا الظاهر و تقديره و مددنا الأرض مددناها تبصره مفعول له و كذلك ذكرى و «حَبَّ الحَصِيدِ» تقديره و حب النبات الحصيد و الحصيد صفة لموصوف محذوف و باسقات نصب على الحال و كذلك الجملة التى هى «لها طَلَعُ نَضِيدٌ» حال بعد حال و «رِزْقاً لِلْعِبَادِ» مفعول له أى أنبتنا هذه الأشياء لرزق العباد و يجوز أن يكون مفعولا مطلقا أعنى المصدر و تقديره رزقناهم رزقا.

المعنى

ثم أقام سبحانه الدلالة على كونه قادرا على البعث فقال «أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ» أى أ لم يتفكروا فى بناء السماء مع عظمها و حسن ترتيبها و انتظامها «كَيْفَ بَنَيْنَاهَا» بغير علاقته و لا عماد «و زَيَّنَّاها» بالكواكب السياره و النجوم الثوابت «و ما لها من فُروج» أى شقوق و فتوق و قيل معناه ليس فيها تفاوت و اختلاف عن الكسائى و إنما قال فوقهم بنيناها على أنهم يرونها و يشاهدونها ثم لا يتفكرون فيها «و الْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا» أى بسطانها «و أَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ» أى جبالا رواسخ تمسكها عن الميدان «و أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ» أى من كل صنف حسن المنظر عن ابن زيد و البهجه الحسن الذى له روعه عند الرؤيه كالزهره و الأشجار النضره و الرياض الخضره و قال الأخفش البهيج الذى من رآه بهج به أى سر به فهو بمعنى المبهوج به «تَبَصَّرَهُ وَ ذَكَرَى» أى فعلنا ذلك تبصيرا ليصير به أمر الدين و تذكيرا و تذكرا «لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ» راجع إلى الله تعالى «و نَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا» أى مطرا و غيثا يعظم النفع به «فَأَنْبَتْنَا بِهِ» أى بالماء «جَنَّاتٍ» أى بساتين فيها أشجار تشتمل على أنواع الفواكه المستلذه «و حَبَّ الحَصِيدِ» أى حب البر و الشعير و كل ما يحصد عن قتاده لأن من شأنه أن يحصد إذا تكامل و استحصد و الحب هو الحصيد فهو مثل حق اليقين و مسجد الجامع و نحوهما «و النَّخْلَ بِاسِيَمَاتٍ» أى و أنبتنا به النخل طويلات عاليات «لها طَلَعُ نَضِيدٌ» أى لهذه النخل الموصوفه بالعلو طلع نضد بعضه على بعض عن مجاهد و قتاده و الطلع الكفرى و هو أول ما يظهر من ثمر النخل قبل أن ينشق و هو نضيد فى أكمامه فإذا خرج من أكمامه فليس بنضيد «رِزْقاً لِلْعِبَادِ» أى أنبتنا هذه الأشياء للرزق و كل رزق فهو من الله تعالى بأن يكون قد فعله أو فعل سببه لأنه مما يريده و قد يرزق الواحد منا

غيره كما يقال رزق السلطان جنده «وَ أَحْيَيْنَا بِهِ» أى بذلك الماء الذى أنزلناه من السماء «بَلَدَهُ مَيْتًا» أى جدبا و قحطا لا تنبت شيئا فنبت و عاشت ثم قال «كَذَلِكَ الْخُرُوجُ» من القبور أى مثل ما أحيينا هذه الأرض الميتة بالماء نحى الموتى يوم القيامة فيخرجون من قبورهم فإن من قدر على أحدهما قدر على الآخر و إنما دخلت الشبهه على هؤلاء من حيث أنهم رأوا العاده مستمره فى إحياء الموات من الأرض بنزول المطر و لم تجر العاده بإحياء الموتى من البشر و لو أنعموا الفكر و أمعنوا النظر لعلموا أن من قدر على أحد الأمرين قدر على الآخر.

[سوره ق (٥٠): الآيات ١٢ الى ٢٠]

اشاره

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ أَصْحَابُ الرَّسِّ وَ ثَمُودُ (١٢) وَ عادٌ وَ فِرْعَوْنُ وَ إِخْوانُ لوطٍ (١٣) وَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَ قَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ (١٤) أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (١٥) وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَ نَعَلَّمْنا ما تُوسِّسُ بِهِ نَفْسُهُ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦)

إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّينَ عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ (١٧) ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) وَ جاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدٌ (١٩) وَ نَفَخَ فى الصُّورِ ذَلِكُمْ يَوْمَ الْوَعِيدِ (٢٠)

القراءه

فى الشواذ قراءه أبى بكر عند خروج نفسه و جاءت سكره الحق بالموت و هى قراءه سعيد بن جبیر و طلحه و رواها أصحابنا عن أئمة الهدى (عليه السلام).

الحجه

قال ابن جنى لك فى الباء ضربان من التقدير إن شئت علقتها بنفس جاءت كقولك جئت بزيد أى أحضرته و إن شئت علقتها بمحدوف و جعلتها حالا- أى و جاءت سكره الحق و معها الموت كقولك خرج بشيابه أى و ثيابه عليه و مثله قوله فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فى زِينَتِهِ أى و زينته عليه و كقول أبى ذؤيب:

ص: ٢١٥

يعثرن فى حد الظباه كأنما كسيت برود بنى يزيد الأذرع

أى يعثرن و هن فى حد الظباه و كقول الآخر:

و مستنه كاستنان الخروف و قد قطع الحبل بالمروود

أى قطعه و فيه مروده و كذلك قراءه العامه «و جاءت سِ كَرُهُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ» إن شئت علقت الباء بنفس جاءت و إن شئت علقتها بمحذوف و جاءت سكره الموت و معها الحق.

اللغه

يقال عييت بالأمر إذا لم تعرف وجهه و تعذر ذلك عليك و أعييت إذا تعبت و كل ذلك من التعب إلا أن أحدهما فى الطلب و الآخر فيما وقع الفراغ عنه و الوريد عرق فى الحلق و هما وريدان فى العنق عن يمين و شمال و كأنه العرق الذى يرد إليه ما ينصب من الرأس و حبل الوريد حبل العاتق و هو منفصل من الحلق إلى العاتق و الرقيب الحافظ و العتيد المعد للزوم الأمر.

المعنى

ثم ذكر سبحانه الأمم المكذبه تسليه للنبي ص و تهديدا للكفار فقال «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ» من الأمم الماضيه «قَوْمُ نُوحٍ» فأغرقهم الله «و أَصْحَابُ الرَّسِّ» و هم أصحاب البئر التى رسوا نبيهم فيها بعد أن قتلوه عن عكرمه و قيل الرس بئر قتل فيها صاحب ياسين عن الضحاك و قيل هم قوم كانوا باليمامه على آبار لهم عن قتاده و قيل هم أصحاب الأخدود و

قيل كان سحق النساء فى أصحاب الرس و روى ذلك عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام)

«و تَمُودٌ» و هم قوم صالح «و عَادٌ» و هم قوم هود «و فِرْعَوْنُ وَ إِخْوَانُ لُوطٍ» أى و كذب فرعون موسى و قوم لوط لوطا و سماهم إخوانه لكونهم من نسبه «و أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ» و هم قوم شعيب «و قَوْمُ ثُبُعٍ» و هو تبع الحميرى الذى ذكرناه عند قوله أ هم خير أم قَوْمُ ثُبُعٍ «كُلُّ» من هؤلاء المذكورين «كَذَّبَ الرَّسُلَ» المبعوثه إليهم و جحدوا نبوتهم «فَحَقَّ وَعِيدِ» أى و جب عليهم عذابى الذى أوعدتهم به فإذا كان مآل الأمم الخاليه إذا كذبوا الرسل الهلاك و الدمار و إنكم معاشر العرب قد سلكتم مسالكهم فى التكذيب و الإنكار فحالكم كحالهم فى التباب و الخسار ثم قال سبحانه جوابا لقولهم ذلك رجع بعيد «أَفَعَيَّنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ» أى أفعجزنا

حين خلقناهم أولاً- و لم يكونوا شيئاً فكيف نعجز عن بعثهم و إعادتهم و هذا تقرير لهم لأنهم اعترفوا بأن الله هو الخالق ثم أنكروا البعث و يقال لكل من عجز عن شىء عيبى به ثم ذكر أنهم فى شك من البعث بعد الموت فقال «بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقِ جَدِيدٍ» أى بل هم فى ضلال و شك من إعادة الخلق جديداً و اللبس منع من إدراك المعنى بما هو كالستر له و الجديد القريب الإنشاء «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ» أراد به الجنس يعنى ابن آدم «وَنَعَلَّمْ مَا تَوْسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ» أى ما يحدث به قلبه و ما يخفى و يكن فى نفسه و لا يظهره لأحد من المخلوقين «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ» بالعلم «مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» و هو عرق يتفرق فى البدن يخالط الإنسان فى جميع أعضائه و قيل هو عرق الحلق عن ابن عباس و مجاهد و قيل هو عرق متعلق بالقلب يعنى نحن أقرب إليه من قلبه عن الحسن و قيل معناه نحن أعلم به ممن كان منه بمنزلة حبل الوريد فى القرب و قيل معناه نحن أملك له من حبل وريده مع استيلائه عليه و قربه منه و قيل معناه نحن أقرب إليه بالإدراك من حبل الوريد لو كان مدركا ثم ذكر سبحانه أنه مع علمه به و كل به ملكين يحفظان عليه عمله إلزاماً للحججه فقال «إِذْ يَتَلَقَى الْمُتَلَقِينَ» فإذا متعلقه بقوله وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ* أى و نحن أعلم به و أملك له حين يتلقى المتلقين و هما الملكان يأخذان منه عمله فيكتبانه كما يكتب المملى عليه «عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ» أراد عن اليمين قعيد و عن الشمال قعيد فاكتفى بأحدهما عن الآخر و المراد بالقعيد هنا الملازم الذى لا يبرح لا القاعد الذى هو ضد القائم و قيل عن اليمين كاتب الحسنات و عن الشمال كاتب السيئات عن الحسن و مجاهد و قيل الحفظه أربعه ملكان بالنهار و ملكان بالليل عن الحسن «مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ» أى ما يتكلم بكلام فيلفظه أى يرميه من فيه إلا لديه حافظ حاضر معه يعنى الملك الموكل به إما صاحب اليمين و إما صاحب الشمال يحفظ عمله لا يغيب عنه و الهاء فى لديه تعود إلى القول أو إلى القائل

و عن أبى أمامه عن النبى ص قال إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ أو المسىء فإن ندم و استغفر الله منها ألقاها و إلا كتب واحده

و فى روايه أخرى قال صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال فإذا عمل حسنه كتبها له صاحب اليمين بعشر أمثالها و إذا عمل سيئه فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين أمسك فيمسك عنه سبع ساعات فإن استغفر الله منها لم يكتب عليه شىء و إن لم يستغفر الله كتب له سيئه واحده

و عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ص إن الله تعالى و كل بعبده ملكين يكتبان عليه فإذا مات قالوا يا رب قد قبضت عبدك فلانا فيألى أين قال سمائى مملوءه بملائكتى يعبدوننى و أرضى مملوءه من خلقى يطيعوننى اذهبوا إلى قبر عبدى فسبحانى و كبرانى و هلائى فاكتبا ذلك فى حسنات عبدى إلى يوم القيامة

«وَجَاءَتْ

ص: ٢١٧

سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ» أى جاءت غمره الموت و شدته التى تغشى الإنسان و تغلب على عقله بالحق أى أمر الآخرة حتى عرفه صاحبه و اضطر إليه و قيل معناه جاءت سكره الموت بالحق الذى هو الموت قال مقاتل يعنى أنه حق كائن و المراد أن هذه السكره قد قربت منكم فاستعدوا لها فهى لقربها كالحاصله مثل قوله تعالى أتى أمر الله و روى أن عائشه قالت عند وفاه أبى بكر:

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما و ضاق بها الصدر

فقال أبو بكر لا تقولى ذلك و لكنه كما قال الله تعالى «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ» و يقال لمن جاءته سكره الموت «ذَلِكَ» أى ذلك الموت «مَا كُنْتُ مِنْهُ تَحِيدُ» أى تهرب و تميل «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ» قد مر تفسيره «ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ» أى ذلك اليوم يوم وقوع الوعيد الذى خوف الله به عباده ليستعدوا و يقدموا العمل الصالح له.

ص: ٢١٨

إشارة

وَ جَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَ شَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢) وَ قَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَتِيدٌ (٢٣) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ (٢٥)

الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٦) قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطَعَيْتُهُ وَ لَكِنْ كَانَتْ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٢٧) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَمْ لِئِي وَ قَدْ قَدَّمْتُمْ إِلَيَّ بِالْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَمَدَىٰ وَ مَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٢٩) يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ (٣٠)

القراءة

قرأ نافع و أبو بكر يوم يقول بالياء و الباقون بالنون.

الحج

الياء على معنى يقول الله تعالى و النون أشبه بقوله «قَدْ قَدَّمْتُمْ إِلَيَّ بِالْوَعِيدِ» و قوله «وَ مَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ».

اللغة

السوق الحث على السير و الحديد الحاد مثل الحفيظ و الحافظ و العنيد الجائر عن القصد و هو العنود و العاند و ناقه عنود لا تستقيم في سيرها و العنيد المتحير منه.

الإعراب

«هذا ما لَدَىٰ عَتِيدٌ» ما هاهنا نكره موصوفه و تقديره هذا شئ ء ثابت لدى عتيد فالظرف صفه لما و كذلك عتيد. جهنم لا ينصرف للتعريف و التأنيث و أصله من قولهم بئر جهنم إذا كانت بعيدة القعر و قيل هو أعجمي فلا ينصرف للتعريف و العجمه و قوله «أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ» قيل فيه أقوال (أحدها) أن العرب تأمر الواحد و القوم بما يؤمر به الاثنان يقول للرجل الواحد قوما و اخرجوا و يحكى عن الحجاج أنه كان يقول يا حرسى اضربا عنقه يريد اضرب قال الفراء سمعت من العرب من يقول ويلك ارحلاها و أنشدني بعضهم:

فقلت لصاحبي لا تحبسانا بنزع أصوله و اجتر شيحا

و أنشدني أبو ثروان:

فإن تزجراني يا ابن عفان أنزجر و إن تدعاني أحمر عرضا ممنعا

قال و ترى أن ذلك منهم لأجل أن أدنى أعوان الرجل فى إبله و غنمه اثنان و كذلك الرفقه أدنى ما تكون ثلاثه فجرى كلام الواحد على صاحبيه ألا ترى أن الشعراء أكثر شىء قبيلا يا صاحبي و يا خليلي قال امرؤ القيس:

خليلي مرا بى على أم جندب لنقضى حاجات الفؤاد المعذب

فإنكما إن تنظرانى ليله من الدهر تنفعنى لدى أم جندب

ثم قال:

ألم تر أنى كلما جئت طارقا وجدت بها طيبا و إن لم تطيب

ص: ٢١٩

فرجع إلى الواحد لأن أول الكلام واحد في لفظ الاثنين و أنشد أيضا:

خليلى قوما فى عطاله فانظرا أ نارا ترى من نحو ما بين أم برقا

و لم يقل تريا (و الثانى) أنه إنما ثنى ليدل على التكثير كأنه قال ألق ألقى فثنى الضمير ليدل على تكرير الفعل و هذا لشده ارتباط الفاعل بالفعل حتى إذا كرر أحدهما فكأن الثانى كرر و هذا قول المازنى و مثله عنده قال رَبِّ اِرْجِعُونِ إِنَّمَا جَمَعَ لِيَدُلُّ عَلَى التَّكْرِيرِ كَأَنَّهُ قَالَ اِرْجِعْنِي اِرْجِعْنِي اِرْجِعْنِي و حمل عليه قول امرئ القيس:

" قفا نبك من ذكرى حبيب و منزل "

و نحو ذلك أى كأنه قال قف قف (و الثالث) أن الأمر تناول السائق و الشهيد فكأنه قال يا أيها السائق يا أيها الشهيد ألقيا (و الرابع) أنه يريد النون الخفيفه فكان ألقين فأجرى الوصل مجرى الوقف فأبدل من النون ألفا كما قال الأعشى:

و ذا النسك المنصوب لا تنسكنه و لا تعبد الشيطان و الله فاعبدا

و يؤيد هذا القول ما روى عن الحسن أنه قرأ ألقيا بالتنوين. «الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ» إن كان مبتدأ فخبيره قوله «فَأَلْقِيَاءُ» و يجوز أن يكون نصبا بمضمر يفسره فألقيا و يجوز أن يكون نصبا بدلا من قوله «كُلُّ كَفَّارٍ» و لا يجوز أن يكون جرا صفة لكفار لأن النكرة لا توصف بالموصول إنما الموصول وصله إلى وصف المعارف بالجمل.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن حال الناس بعد البعث فقال «وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَ شَهِيدٌ» أى و تجىء كل نفس من المكلفين فى يوم الوعيد و معها سائق من الملائكة يسوقها أى يحثها على السير إلى الحساب و شهيد من الملائكة يشهد عليها بما يعلم من حالها و شاهده منها و كتبه عليها فلا يجد إلى الهرب و لا إلى الجحود سبيلا و قيل السائق من الملائكة و الشهيد الجوارح تشهد عليها عن الضحاك «لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ» أى يقال له لقد كنت فى سهو و نسيان «مِنْ هَذَا» اليوم فى الدنيا و الغفلة ذهاب المعنى عن النفس «فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ» الذى كان فى الدنيا يغشى قلبك و سمعك و بصرك حتى ظهر لك الأمر و إنما تظهر الأمور فى الآخرة بما يخلق الله تعالى من العلوم الضرورية فيهم فيصير بمنزله كشف الغطاء لما يرى و إنما يراد به جميع المكلفين برهم و فاجرهم لأن معارف الجميع ضرورية

«فَبَصَّيْرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ» أى فعينك اليوم حاده النظر لا يدخل عليها شك ولا شبهه وقيل معناه فعلمك بما كنت فيه من أحوال الدنيا نافذ ولا يراد به بصر العين كما يقال فلان بصير بالنحو والفقه وقيل هو خاص فى الكافر أى فأنت اليوم عالم بما كنت تنكره فى الدنيا عن ابن عباس

«وَقَالَ قَرِينُهُ» يعنى الملك الشهيد عليه عن الحسن وهو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام)

وقيل قرينه الذى قيض له من الشياطين عن مجاهد وقيل قرينه من الإنس «هذا ما لَدَى عَتِيدٍ» إن كان المراد به الملك الشهيد فمعناه هذا حسابه حاضر لدى فى هذا الكتاب أى يقول لربه كنت وكلنتى به فما كتبت من عمله حاضر عندى وإن كان المراد به الشيطان أو القرين من الإنس فالمعنى هذا العذاب حاضر عندى معد لى بسبب سيئاتى «أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ» هذا خطاب لخازن النار وقيل خطاب للملكين الموكلين به وهما السائق والشهيد عن الزجاج وقد ذكرنا ما قيل فيه و

روى أبو القاسم الحسكاني بالإسناد عن الأعمش أنه قال حدثنا أبو المتوكل الناجى عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله ص إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى لى و لعلى ألقيا فى النار من أبغضكما و أدخلنا الجنة من أحبكما و ذلك قوله «أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ»

و العنيد المذهب عن الحق و سبيل الرشده «مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ» الذى أمر الله به من بذل المال فى وجوهه «مُعْتِيدٌ» ظالم متجاوز يتعدى حدود الله «مُرِيبٌ» أى شاك فى الله و فيما جاء من عند الله و قيل متهم يفعل ما يرتاب بفعله و يظن به غير الجميل مثل المليم الذى يفعل ما يلام عليه و قيل إنها نزلت فى الوليد بن المغيرة حين استشاره بنو أخيه فى الإسلام فمنعهم فىكون المراد بالخير الإسلام «الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ» من الأصنام و الأوثان «فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ» هذا تأكيد للأول فكأنه قال افعلا ما أمرتكما به فإنه مستحق لذلك «قَالَ قَرِينُهُ» أى شيطانه الذى أغواه عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و إنما سمي قرينه لأنه يقرن به فى العذاب و قيل قرينه من الإنس و هم علماء السوء و المتبوعون «رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتَهُ» أى ما أضللتته و ما أوقعته فى الطغيان باستكراه أى لم أجعله طاغيا «وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ» من الإيمان «بَعِيدٍ» أى ولكنه طغى باختياره السوء و مثل هذا قوله و ما كان لى عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لى «قَالَ» الله تعالى لهم «لَا تَخْصِمُوا لَدَىَّ» أى لا يخاصم بعضكم بعضا عندى «وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ» فى دار التكليف و لم تنزجروا و خالفتم أمرى «مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَىَّ» المعنى أن الذى قدمته لكم فى دار الدنيا من أنى أعاقب من جحدنى و كذب رسلى و خالفنى فى أمرى لا يبدل بغيره و لا يكون خلافه «وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» أى لست بظالم أحدا فى عقابى لمن استحقه بل هو الظالم لنفسه بارتكابه المعاصى التى استحق بها ذلك و إنما قال

بظلام على وجه المبالغه ردا على من أضاف الظلم إليه تعالى و تقدر عن ذلك «يَوْمَ نَقُولُ لِيَجْهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ» يتعلق يوم بقوله «ما يُبَيِّدُ الْقَوْلَ لَدَيَّ» الآية و قيل يتعلق بتقدير اذكر يا محمد ذلك اليوم الذى يقول الله فيه لجهنم هل امتلأت من كثره ما ألقى فيك من العصاه «وَتَقُولُ» جهنم «هَيْلٌ مِنْ مَزِيدٍ» قال أنس طلبت الزيادة و قال مجاهد المعنى معنى الكفايه أى لم يبق مزيد لامتلأها و يدل على هذا القول قوله «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» * و قيل فى الوجه الأول إن هذا القول كان منها قبل دخول جميع أهل النار فيها و يجوز أن تكون تطلب الزيادة على أن يزداد فى سعتها كما

عن النبى ص أنه قيل له يوم فتح مكة أ لا- تنزل دارك فقال و هل ترك لنا عقيل من دار لأنه كان قد باع دور بنى هاشم لما خرجوا إلى المدينة

فعلى هذا يكون المعنى و هل بقى زياده فأما الوجه فى كلام جهنم فقيل فيه وجوه (أحدها) أنه خرج مخرج المثل أى إن جهنم من سعتها و عظمتها بمنزله الناطقه التى إذا قيل لها هل امتلأت تقول لم أمتلئ و بقى فى سعه كثيره و مثله قول عنتره:

فأزور من وقع القنا بلبانه و شكاً إلى بعبره و تحمحم

و قال آخر:

امتلاً الحوض و قال قطنى مهلاً رويدا قد ملأت بطنى

(و ثانيها) أنه سبحانه يخلق لجهنم آله الكلام فتتكلم و هذا غير منكر لأن من أنطق الأيدى و الجوارح و الجلود قادر على أن ينطق جهنم (و ثالثها) أنه خطاب لخرنه جهنم على وجه التقرير لهم هل امتلأت جهنم فيقولون بلى لم يبق موضع لمزيد ليعلم الخلق صدق وعده عن الحسن قال و معناه ما من مزيد أى لا- مزيد كقوله هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ وَ هُوَ قَوْلُ وَاصِلِ بْنِ عِظَاءَ وَ عمرو بن عبید.

ص: ٢٢٢

إشارة

وَ أَرْزَلْتِ الْجِنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوْابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَنْ حَشَى الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَ جَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَ لَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥)

وَ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ (٣٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِذْرَةً لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ (٣٧) وَ لَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَ مَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ (٣٨) فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلِ الْغُرُوبِ (٣٩) وَ مِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَ ادْبَارَ السُّجُودِ (٤٠)

القراءة

قرأ أهل الحجاز و حمزه و خلف و إدبار بكسر الهمزة و الباقون «وَ ادْبَارَ السُّجُودِ» بالفتح و فى الشواذ قراءة ابن عباس و أبى العاليه و يحيى بن يعمر فنقبوا فى البلاد بكسر القاف و قراءة السدى و ألقى السمع و قراءة أبى عبد الرحمن السلمى و طلحه و ما مسنا من لغوب بفتح اللام.

الحجج

قال أبو على أدبار مصدر و المصادر تجعل ظروفًا على إرادته إضافة أسماء الزمان إليها و حذفها كقولك جئتكم مقدم الحاج و خفوق النجم و خلافه فلان تريد فى ذلك كله وقت كذا فكذلك يقدر هنا وقت أدبار السجود إلا أن المضاف المحذوف فى هذا الباب لا يكاد يظهر و لا يستعمل فهذا أدخل فى باب الظروف من قول من فتح فكأنه أمر بالتسيح بعد الفراغ من الصلاة و من فتح فجعله جمع دبر أو دبر مثل قفل و أقفال و طنّب و أطناب و قد استعمل ذلك ظرفًا نحو جئتكم فى دبر الصلاة و فى أدبار الصلاة قال أوس بن حجر:

على دبر الشهر الحرام بأرضنا و ما حولها جذب سنون تلمع

و أما من قرأ فنقبوا فقد قال ابن جنى أنه فعلوا من النقب أى أدخلوا و غوروا فى الأرض فإنكم لا تجدون لكم محيصًا و قوله «أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ» معناه أو ألقى السمع منه و قوله «وَ مَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ» فيمكن أن يكون من المصادر التى جاءت على فعول بفتح الفاء كالوضوء و الولوغ

و الوزوع و القبول و هى صفات مصادر محذوفه أى توضحأت وضوءاً أى وضوءاً حسناً و كذلك هذا أى و ما مسناً من لغوب لغوب أى تعب متعب.

اللغه

الإزلاف التقريب إلى الخير و منه الزلفه و الزلفى و ازدلف إليه أى اقترب و المزدلفه منزله قريبه من الموقف و هو المشعر و جمع و منه قول الراجز:

ناج طواه الأين مما أوجفا طى الليالى زلفا فزلفا

سماوه الهلال حتى احقوقفا

و التنقيب التفتيح بما يصلح للسلوك و هو من النقب الذى هو الفتح قال امرؤ القيس:

لقد نقتب فى الآفاق حتى رضيت من الغنيمه بالإياب

أى طوفت فى طرقها و سرت فى نقوبها و اللغوب الإعياء.

الإعراب

«غَيْرَ بَعِيدٍ» صفة مصدر محذوف تقديره إزلافاً غير بعيد و يجوز أن يكون منصوباً على الحال من الجنه و لم يقل غير بعيد لأنه فى تقدير النسب أى غير ذات بعد و قوله «لِكُلِّ أَوَابٍ» يجوز أن يكون فى موضع رفع بأنه خبر مبتدأ محذوف أى هو لكل أبواب و لا يجوز أن يكون خبراً بعد خبر تقديره هذا الموعود هذا لكل أبواب حفيظ و لا يجوز أن تتعلق اللام بتوعدون لأن الأوابين هم الموعودون لا الموعود لهم. «مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ» يجوز أن يكون فى محل جر على البدل من أبواب فيتم الكلام عند قوله «وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ» و يجوز أن يكون مبتدأ و خبره محذوف على تقدير يقال لهم ادخلوها فعلى هذا يكون تمام الكلام عند قوله «لِكُلِّ أَوَابٍ حَفِيزٍ» و يقتضى أن يكون ادخلوها خطاباً للمتقين و تقديره و تزلف الجنه للمتقين و يقال لهم ادخلوها بسلام.

المعنى

لما أخبر سبحانه عما أعدّه للكافرين و العصاه عقبه بذكر ما أعدّه للمتقين فقال «وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ» أى قربت الجنه و أدنيت للذين اتقوا الشرك و المعاصى حتى يروا ما فيها من النعيم و الجنه هى البستان الذى يجمع كل لذه من الأنهار و الأشجار و طيب

الثمار و من الأزواج الكرام و الحور الحسان و الخدم من الولدان و من الأبنية الفاخرة المزينة بالياقوت و الزمرد و العقيان نسأل الله التوفيق لما يقرب من رضاه «غَيْرَ بَعِيدٍ» أى هى قريبه منهم لا يلحقهم ضرر و لا مشقه فى الوصول إليها و قيل معناه ليس ببعيد مجىء ذلك لأن كل آت قريب و مثله قول الحسن كأنك بالدنيا كأن لم تكن و بالآخره كأن لم تزل «هذا ما تُوعَدُونَ» أى هذا الذى ذكرناه هو ما وعدتم به من الثواب على ألسنه الرسل «لِكُلِّ أَوَّابٍ» أى تواب رجاع إلى الطاعه عن الضحاك و ابن زيد و قيل لكل مسبح عن ابن عباس و عطاء «حَفِيفٌ» لما أمر الله به متحفظ من الخروج إلى ما لا يجوز من سيئه تدنسه أو خطيئه تحط منه و تشينه «مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ» أى هو من خاف الله و أطاعه و آمن بثوابه و عقابه و لم يره و قيل بالغيب أى فى الخلوه بحيث لا يراه أحد عن الضحاك و السدى «وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ» أى و دام على ذلك حتى وافى الآخره بقلب مقبل على طاعه الله راجع إلى الله بضمائره «ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ» أى يقال لهم ادخلوا الجنة بأمان من كل مكروه و سلامه من كل آفه و قيل بسلام من الله و ملائكته عليهم «ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ» الوقت الذى يبقون فيه فى النعيم مؤبدين لا إلى غايه «لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ فِيهَا» أى لهم فى الجنة ما تشتهيه أنفسهم و يريدونه من أنواع النعم «وَلَمَدَيْنَا مَزِيدٌ» أى و عندنا زياده على ما يشاءونه مما لم يخطر ببالهم و لم تبلغهم أمانتهم و قيل هو الزياده على مقدار استحقاقهم من الثواب بأعمالهم ثم خوف سبحانه كفار مكه فقال «وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ» أى كثيرا أهلكتنا قبل هؤلاء من القرون الذين كذبوا رسلهم «هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا» أى الذين أهلكتناهم كانوا أشد قوه من هؤلاء و أكثر عده و عده و لم يتعذر علينا ذلك فما الذى يؤمن هؤلاء من مثله «فَتَقَبَّوْا فِي الْبِلَادِ» أى فتحوا المسالك فى البلاد بشده بطشهم أصله من النقب و هو الطريق و قيل معناه ساروا فى البلاد و طوفوا فيها بقوتهم و سلكوا كل طريق و سافروا فى أعمار طوبله «هَيْلٌ مِنْ مَحِيصٍ» أى هل من محيد عن الموت و منجى من الهلاك يعنى لم يجدوا فى جميع ذلك من الموت و الهلاك منجى و مهربا «إِنَّ فِي ذَلِكَ» أى فيما أخبرته و قصصته «لَمَذَكْرَى» أى ما يعتبر به و يتفكر فيه «لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ» معنى القلب هنا العقل عن ابن عباس من قولهم أين ذهب قلبك و فلان قلبه معه و إنما قال ذلك لأن من لا يعى الذكر لا يعتد بما له من القلب و قيل لمن كان له قلب حى. عن قتاده «أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ» أى استمع و لم يشغل قلبه بغير ما يستمع و هو شهيد لما يسمع فيفقهه غير غافل عنه و لا ساه عن ابن عباس و مجاهد و الضحاك

يقال ألق إلى سمعك أى اسمع قال ابن عباس كان المنافقون يجلسون عند رسول الله ص ثم يخرجون فيقولون ما ذا قال آنفا ليس قلوبهم معهم وقيل هو شهيد على صفه النبي فى الكتب السالفه يريد أهل الكتاب عن قتاده «وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ» أى نصب و تعب أكذب الله تعالى بهذا اليهود فإنهم قالوا استراح الله يوم السبت فلذلك لا تعمل فيه شيئاً «فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ» يا محمد من بهتهم و كذبهم و قولهم إنك ساحر أو مجنون و احتمال ذلك حتى يأتى الله بالفرج و هذا قبل أن أمر الله بالقتال «وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ» أى و صل و أحمد الله تعالى سمي الصلاة تسيحاً لأن الصلاة تشتمل على التسيح و التحميد عن ابن عباس و قتاده و ابن زيد و قيل أراد به التسيح بالقول تنزيهاً لله تعالى عما لا يليق به «قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ» يعنى صلاة الفجر و صلاة الظهر و العصر عن قتاده و ابن زيد «وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ» يعنى المغرب و العشاء الآخرة و قيل و من الليل يعنى صلاة الليل و يدخل فيه صلاة المغرب و العشاء عن مجاهد و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه سئل عن قوله «وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ» فقال تقول حين تصبح و حين تمسى عشرات مرات لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك و له الحمد يحيى و يميت و هو على كل شىء قدير

«وَأَذْبَارَ السُّجُودِ» فيه أقوال (أحدها) أن المراد به الركعتان بعد المغرب و إدبار النجوم الركعتان قبل الفجر عن على بن أبى طالب (عليه السلام) و الحسن بن على (عليه السلام) و الحسن و الشعبى و عن ابن عباس مرفوعاً إلى النبي ص (و ثانيها) أنه التسيح بعد كل صلاة عن ابن عباس و مجاهد (و ثالثها) أنه النوافل بعد المفروضات عن ابن زيد و الجبائى (و رابعها)

أنه الوتر من آخر الليل روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام).

إشارة

وَ اسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (۴۱) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (۴۲) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَ نُمِيتُ وَ إِلَيْنَا الْمَصِيرُ (۴۳) يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (۴۴) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَ عِيدَ (۴۵)

الإعراب

«وَ اسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ» تقديره و استمع حديث يوم ينادى المنادى فحذف المضاف و هو مفعول به و ليس بالظرف و «يَوْمَ يَسْمَعُونَ» بدل من يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ و كذلك «يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ» و يجوز أن ينتصب «يَوْمَ تَشَقَّقُ» بقوله وَ إِلَيْنَا الْمَصِيرُ أى يصيرون إلينا فى ذلك اليوم.

المعنى

ثم قال سبحانه لنبه ص و المراد به جميع المكلفين «وَ اسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ» أى أصغ إلى النداء و توقعه يعنى صيحه القيامة و البعث و النشور ينادى بها المنادى و هى النفخة الثانية و يجوز أن يكون المراد و استمع ذكر حالهم يوم ينادى المنادى و قيل أنه ينادى مناد من صخره بيت المقدس أيتها العظام البالية و الأوصال المنقطعة و اللحوم المتمزقة قومي لفصل القضاء و ما أعد الله لكم من الجزاء عن قتاده و قيل أن المنادى هو إسرافيل يقول يا معشر الخلائق قوموا للحساب عن مقاتل و إنما قال من مكان قريب لأنه يسمعه الخلائق كلهم على حد واحد فلا يخفى على أحد قريب و لا بعيد فكأنهم نودوا من مكان يقرب منهم «يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ» و الصيحة المره الواحده من الصوت الشديد و هذه الصيحة هى النفخة الثانية و قوله «بِالْحَقِّ» أى بالبعث عن الكلبي و قيل يعنى إنها كائنه حقا عن مقاتل «ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ» من القبور إلى أرض الموقف و قيل هو اسم من أسماء القيامة عن أبى عبيده و استشهد بقول الشاعر:

أليس يوم سمي الخروجا أعظم يوم رجه رجوجا

«إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَ نُمِيتُ» أخبر سبحانه عن نفسه أنه هو الذى يحيى الخلق بعد أن كانوا جمادا أمواتا ثم يميتهم بعد أن كانوا أحياء ثم يحييهم يوم القيامة و هو قوله «وَ إِلَيْنَا الْمَصِيرُ يَوْمَ تَشَقَّقُ» أى تتشقق «الْأَرْضُ عَنْهُمْ» تتصدع فيخرجون منها «سِرَاعًا» يسرعون إلى الداعى بلا تأخير «ذَلِكَ حَشْرٌ» و الحشر الجمع بالسوق من كل جهة «عَلَيْنَا يَسِيرٌ» أى سهل علينا غير شاق هين غير متعذر مع تباعد ديارهم و قبورهم ثم عزى سبحانه نبيه ص فقال «نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ» أى بما يقوله هؤلاء الكفار فى تكذيبك و جحود نبوتك و إنكار البعث لا- يخفى علينا من أمرهم شىء «وَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ» أى بمسلط قادر على قلوبهم فتجبرهم على الإيمان و إنما بعثت منذرا داعيا مرغبا و هذا معنى قول ابن

عباس و قال تغلب جاءت أحرف على فعال بمعنى مفعول مثل دراك بمعنى مدرك و سراع بمعنى مسرع و سيف سقاط بمعنى مسقط و بكاء بمعنى مبكى قال على بن عيسى لم يسمع من ذلك الإدراك من أدركت و قيل جبار من جبرته على الأمر بمعنى أجبرته و هي لغة كنانة و قيل معناه ما أنت عليهم بفظ غليظ لا تحلم عنهم فاحتمل أذاهم «فَدَكَّرُ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَيْدِ» إنما خص بالذكر من يخاف وعيد الله لأنه الذي ينتفع به.

ص: ٢٢٨

(٥١) سورة الذاريات مكيه و آياتها ستون (٦٠)

اشاره

اشاره

[عدد آياتها] ستون آيه بالإجماع.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص من قرأ سورة الذاريات أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد كل ريح هبت و جرت فى الدنيا

و

روى داود بن فرقد عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ سورة الذاريات فى يومه أو ليلته أصلح الله له معيشته و أتاه برزق واسع و نور له فى قبره بسراج يزهر إلى يوم القيامة.

تفسيرها

لما ختم الله تعالى سورة ق بالوعيد افتتح هذه السوره بتحقيق الوعيد فقال:

ص: ٢٢٩

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ الذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُتَمَسِّمَاتِ أَمْرًا (٤)

إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ (٥) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (٦) وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوكِ (٧) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ (٨) يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَ أُنْفَكُ (٩)

قَتَلَ الْخَرَّاصُونَ (١٠) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرِهِ سَاهُونَ (١١) يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ (١٢) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (١٣) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (١٤)

اللغة

ذرت الريح التراب تذروه ذروا إذا طيرته و أذرته تذريه بمعناه و الحبك الطرايق التي تجرى على الشىء كالطرائق التي ترى فى السماء و فى الصافى من الماء إذا مرت عليه الريح و هو تكسر جار فيه و يقال للشعر الجعد حبك و الواحد حباك و حبيكه و الحبك حسن أثر الصنعه فى الشىء و استواؤه يقال حبكه يحبكه و يحبكه قال زهير فى الحبك:

مكلك بأصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحى مائه حبك

و الخراص الكذاب و الخرص الظن و الحدس و سمي الخزر خرصا منه و يقال كم خرص أرضك بكسر الخاء و أصل الخرص القطع من قولهم خرص فلان كلاما و اخترصه إذا اقتطعه من غير أصل و الغمره من غمره الماء يغمره و غمره الدين إذا غطاه بكثرتة و الغمر السيد الكثير العطاء لأنه يغمر بعطاءه.

الإعراب

قال الزجاج يوم نصب على وجهين (أحدهما) أن يكون على معنى يقع الجزاء يوم هم على النار يفتنون (و الآخر) أن يكون لفظه لفظ نصب و معناه معنى رفع لأنه مضاف إلى جملة كلام تقول يعجبني يوم أنت قائم و يوم أنت تقوم إن شئت فتحتة و إن شئت رفعتة كما قال الشاعر:

لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت حمامه فى غصون ذات أو قال

و روى غير أن نطقت بالرفع لما أضاف غير إلى أن و ليست بمتمكنه فتح و كذلك لما أضاف يوم إلى الجملة فتح و كما قرئ من خزى يومئذ ففتح يوم و هو فى موضع خفض لأنك أضفته إلى غير متمكن و قيل أنه لما جرى فى كلامهم ظرفا بقى فى موضع الرفع على ذلك

الاستعمال و جاء مفتوحا كما جاء في قوله وَ مِنَّا دُونَ ذَلِكَ و قوله لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ.

المعنى

«وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا»

روى أن ابن الكوا سأله أمير المؤمنين عليا (عليه السلام) و هو يخطب على المنبر فقال ما «الذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا» قال الرياح قال «فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا» قال السحاب قال «فَالجَارِيَاتِ يُسْرًا» قال السفن قال «فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا» قال الملائكة

و روى ذلك عن ابن عباس و مجاهد فالذاريات الرياح تذر و التراب و هشيم النبت أى تفرقه «فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا» السحاب تحمل ثقلا من الماء من بلد إلى بلد فتصير موقره به و الوقر بالكسر ثقل الحمل على ظهر أو فى بطن و الوقر ثقل الأذن «فَالجَارِيَاتِ يُسْرًا» السفن تجرى ميسره على الماء جريا سهلا إلى حيث سيرت و قيل هى السحاب تجرى يسرا إلى حيث سيرها الله من البقاع و قيل هى النجوم السبعة السياره الشمس و القمر و زحل و المشترى و المريخ و الزهره و عطارد «فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا» الملائكة يقسمون الأمور بين الخلق على ما أمروا به أقسم الله تعالى بهذه الأشياء لكثرة ما فيها من المنافع للعباد و لم تضمنه من الدلاله على وحدانيه الله تعالى و بدائع صنعه و قيل أن التقدير فيها القسم برب هذه الأشياء لأنه لا يجوز القسم إلا بالله عز اسمه و

قال أبو جعفر و أبو عبد الله (عليه السلام) أنه لا يجوز لأحد أن يقسم إلا بالله تعالى و الله سبحانه يقسم بما يشاء من خلقه

ثم ذكر المقسم عليه فقال «إِنَّمَا تُوعَدُونَ» أى من الثواب و العقاب و الجنه و النار «لَصَادِقٌ» أى صادق لا بد من كونه فهو اسم وضع موضع المصدر و قيل معناه ذو صدق كقوله عَيْشِهِ رَاضِيَةٌ بِهِ* «وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ» أى إن الجزاء و قيل أن الحساب لكائن يوم القيامة ثم أنشأ قسما آخر فقال «وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوبِ» أى ذات الطرائق الحسنه لكننا لا نرى تلك الحبك لبعدها عنا عن الحسن و الضحاك و قيل ذات الخلق الحسن المستوى عن ابن عباس و قتاده و عكرمه و الربيع و

قيل ذات الحسن و الزينه عن على (عليه السلام)

و

روى على بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال قلت له أخبرنى عن قول الله تعالى «وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوبِ» فقال محبوكه إلى الأرض و شبك بين أصابعه فقلت كيف تكون محبوكه إلى الأرض و الله تعالى يقول رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ فقال سبحان الله أليس يقول بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا قُلْتَ بلى قال فثم عمد و لكن لا ترى فقلت فكيف ذلك جعلنى الله فداك قال فبسط كفه اليسرى ثم وضع اليمنى عليها فقال هذه أرض الدنيا و السماء الدنيا فوقها قبه و الأرض الثانيه فوق السماء الدنيا و السماء الثانيه فوق الأرض الثالثه فوقها قبه و هكذا إلى الأرض السابعه فوق السماء السادسه و السماء السابعه

فوقها قبه و عرش الرحمن فوق السماء السابعة و هو قوله «خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ» و صاحب الأمر و هو النبي ص و الوصى على بعده و هو على وجه الأرض و إنما ينتزل الأمر إليه من فوق من بين السماوات و الأرضين قلت فما تحتنا إلا أرض واحده قال و ما تحتنا إلا أرض واحده و إن الست لفوقنا

«إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ» هذا جواب القسم أى إنكم يا أهل مكه فى قول مختلف فى قول محمد ص فبعضكم يقول شاعر و بعضكم يقول مجنون و فى القرآن يقولون أنه سحر و كهانه و رجز و ما سطره الأولون و قيل معناه منكم مكذب بمحمد ص و منكم مصدق به و منكم شاك فيه و فائدته أن دليل الحق ظاهر فاطلبوا الحق بدليله و إلا- هلكتم «يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ» أى يصرف عن الإيمان به من صرف عن الخير أى المصروف عن الخيرات كلها من صرف عن هذا الدين و قيل معناه يؤفك عن الحق و الصواب من أفك فدل ذكر القول المختلف على ذكر الحق فجازت الكنايه عنه و قيل معناه يصرف عن هذا القول أى بسببه و من أجله عن الإيمان من صرف فالهاء فى عنه تعود إلى القول المختلف عن مجاهد فيكون الصارف لهم أنفسهم كما يقال فلان معجب بنفسه و أعجب بنفسه و كما يقال أين يذهب بك لمن يذهب فى شغله و قيل أن الصارف لهم رؤساء البدع و أئمه الضلال لأن العامه تبع لهم «قَتَلَ الْخَرَّاصُونَ» أى لعن الكذابون يعنى الذين يكذبون على الله و على رسوله و قيل معناه لعن المرتابون عن ابن عباس قال ابن الأنبارى و إنما كان القتل بمعنى اللعنه هنا لأن من لعنه الله فهو بمنزله المقتول الهالك ثم وصف سبحانه هؤلاء الكفار فقال «الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرِهِ» أى فى شبهه و غفله غمهم الجهل «سَاهُونَ» أى لاهون عما يجب عليهم و قيل هم فى ضلالتهم متمادون عن ابن عباس و قيل فى عمى مترددون عن قتاده و قيل أن أول مراتب الجهل السهو ثم الغفله ثم الغمره فتكون الغمره عباره عن المبالغه فى الجهل أى هم فى غايه الجهل ساهون عن الحق و عما يراد بهم «يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ» أى متى وقت الجزاء إنكارا و استهزاء لا على وجه الاستفاده لمعرفة فاجيبوا بما يسوؤهم من الحق الذى لا محاله أنه نازل بهم فقيل «يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ» أى يكون هذا الجزاء فى يوم يعذبون فيها و يحرقون بالنار و قال عكرمه ألم تر أن الذهب إذا أدخل النار قيل فتن أى فهؤلاء يفتنون بالحرق كما يفتن الذهب بالحرق الغش الذى فيه و يقول لهم خزنه النار «ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ» أى عذابكم و حريقكم «هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ» فى الدنيا تكذيبا به و استبعادا له فقد حصلتم الآن فيه و عرفتم صحته.

إشارة

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (۱۵) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (۱۶) كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (۱۷) وَبِالْأَشْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (۱۸) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (۱۹)
 وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (۲۰) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (۲۱) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (۲۲) فَو رَبِّ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ (۲۳)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير حفص مثل ما بالرفع و الباقون بالنصب.

الحجج

قال أبو علي من رفع مثلاً- جعله وصفاً لحق و جاز أن يكون مثل و إن كان مضافاً إلى معرفه صفه للتركه لأن مثلاً لا يختص بالإضافه لكثيره الأشياء التي يقع التماثل بها بين المتماثلين فلما لم تخصه الإضافه و لم يزل عنه الإبهام و الشيع الذي كان فيه قبل الإضافه بقي على تركه فقالوا مررت برجل مثلك فلذلك في الآيه لم يتعرف بالإضافه إلى «أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ» و إن كان قوله «أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ» بمنزله نطقكم و ما في قوله «مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ» زائده و أما من نصب فقال «مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ» فيحتمل ثلاثه أضرب (أحدها) أنه لما أضاف مثل إلى مبني و هو قوله «أَنَّكُمْ» بناه كما بنى يومئذ في نحو قوله «مِنْ عَذَابٍ يَوْمِئِذٍ» و:

" على حين عاتبت المشيب على الصبي "

و قوله:

لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت حمامه في غصون ذات أوقال

فغير في موضع رفع بأنه فاعل يمنع و إنما بنيت هذه الأسماء المبهمه نحو مثل و يوم و حين و غير إذا أضيفت إلى المبني لأنها تكتسى منه البناء لأن المضاف يكتسى من المضاف إليه ما فيه من التعريف و التنكير و الجزاء و الاستفهام تقول هذا غلام زيد و صاحب القاضى فيتعرف الاسم بالإضافه إلى المعرفه و تقول غلام من يضرب فيكون استفهاماً و تقول صاحب من يضرب أضرب فيكون جزاء فمن بنى هذه المبهمه إذا أضافها إلى مبني جعل البناء أحد ما

يكتسبه من المضاف إليه و لا يجوز على هذا جاءنى صاحب الخمسه عشر و لا غلام هذا لأن هذين من الأسماء غير المبهمة و المبهمة فى إبهامها و بعدها من الاختصاص كالحروف التى تدل على أمور مبهمه فلما أضيفت إلى المبنيه جاز ذلك فيها و البناء على الفتح فى مثل قول سيبويه (و القول الثانى) أن تجعل ما مع مثل بمنزله شىء واحد و بنيته على الفتح و إن كانت ما زائده و هذا قول أبى عثمان و أنشد فى ذلك قول الشاعر:

و تداعى منخراه بدم مثل ما أثمر حماض الجبل

فذهب إلى أن مثل مع ما بمنزله شىء واحد و ينبغى أن يكون أثمر صفه لمثل ما لأنه لا يخلو من أن يكون صفه له أو يكون مثلاً- مضافاً إلى الفعل فلا تجوز الإضافه لأننا لم نعلم مثلاً أضيف إلى الفعل فى موضع فكذلك لا نضيفه فى هذا الموضع إلى الفعل فإذا لم تجز الإضافه كان وصفاً و إذا كان وصفاً وجب أن يعود منه إلى الموصوف ذكر فيحذف كما يحذف الذكر العائد من الصفه إلى الموصوف و قد يجوز أن لا يقدر مثل مع ما كشىء واحد و لكن تجعله مضافاً إلى ما فيكون التقدير مثل شىء أثمره حماض الجبل فبنى مثل على الفتح لإضافتها إلى ما و هو غير متمكن و لا يكون لأبى عثمان حينئذ فى البيت حجه على كون مثل مع ما بمنزله شىء واحد و يجوز أن يكون ما و الفعل بمنزله المصدر فيكون مثل أثمار الحماض فيكون كقوله «و ما كأنوا بآياتنا يجحيدون»* و قوله «بما كأنوا يكذبون»* (و القول الثالث) هو أن ينصب على الحال من النكره فى النطق و هو قول أبى عمرو الجرمى و ذو الحال الذكر المرفوع فى قوله «لحق» و العامل فى الحال هو الحق لأنه من المصادر التى وصف بها و يجوز أن يكون الحال من النكره الذى هو حق فى قوله «إنه لحق» و إلى هذا ذهب أبو عمرو و لم يعلم أنه جعله حالاً من الذكر الذى فى حق و هذا لا خلاف فى جوازه و قد حمل أبو الحسن قوله تعالى «فيها يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا» على الحال و ذو الحال كل أمر حكيم و هو نكره فهذه وجوه النصب فى مثل ما.

الإعراب

«كأنوا قليلاً من الليل ما يهجعون» يجوز أن يكون قليلاً خبر كان و فاعله «ما يهجعون» و التقدير كأنوا قليلاً هجوعهم و يجوز أن يكون قليلاً صفه مصدر محذوف على تقدير كأنوا يهجعون هجوعاً قليلاً فتكون ما زائده و يهجعون خبر كان. و من فى قوله «من الليل» يجوز أن يكون بمعنى الباء كما يكون الباء بمعنى من فى قوله «عينا يشرب بها عبأ اللّه أى منها»

فيكون التقدير كانوا يهجعون بالليل قليلا و قيل إن قوله «ما يَهْجَعُونَ» بمنزله هجوعهم و هو بدل من الواو في كانوا و قوله «مَنْ اللَّيْلِ» في موضع الصفه لقليل و التقدير كان هجوعهم قليلا- من الليل و قوله «وَ فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَ فِي أَنْفُسِكُمْ» أن رفعت آيات بالابتداء و جعلت في الأرض خبرا كان الضمير في قوله «وَ فِي أَنْفُسِكُمْ» كالضمير في خبر المبتدأ و إن قدرت آيات مرتفعه بالظرف كان الضمير في قوله «وَ فِي أَنْفُسِكُمْ» كالضمير في الفعل كقولهم قام زيد و قعد و التقدير و في أنفسكم آيات و كذا قوله فيما بعد وَ فِي مُوسَى أَى و في موسى آيات و في هود آيات و في ثمود آيات و في قوم نوح آيات و في عاد آيات.

المعنى

ثم ذكر سبحانه ما أعده لأهل الجنة فقال «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ» مر تفسيره «آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ» أى ما أعطاهم من الخير و الكرامه «إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ» يعنى في دار التكليف «مُحْسِنِينَ» يفعلون الطاعات و يحسنون إلى غيرهم بضروب الإحسان ثم ذكر إحسانهم في أعمالهم فقال «كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ» أى كانوا يهجعون قليلا من الليل يصلون أكثر الليل عن الزهرى و إبراهيم و الهجوع النوم بالليل دون النهار و

قيل معناه كانوا قل ليله تمر بهم إلا صلوا فيها عن سعيد بن جبير عن ابن عباس و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و المعنى كان الذى ينامون فيه كله قليلا و يكون الليل اسما للجنس و قال مجاهد لا ينامون كل الليل و قيل إن الوقف على قوله «قَلِيلًا» على معنى كانوا من الناس قليلا ثم ابتداء فقال «مَنْ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ» فيكون ما بمعنى النفي عن الضحاك و مقاتل و هذا على نفي النوم عنهم البتة أى كانوا يحيون الليل بالقيام فى الصلاة و قراءه القرآن و أقول إن ما إذا كان نفيا لا يتقدم عليه ما كان فى حيزه إلا- أن يتعلق قوله «مَنْ اللَّيْلِ» بفعل محذوف يدل عليه قوله يَهْجَعُونَ كما تقوله فى قوله «إِنِّي لَكُما لَمِنَ النَّاصِحِينَ» وَ كَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ «وَ بِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ» قال الحسن مدوا الصلاة إلى الأسحار ثم أخذوا بالأسحار فى الاستغفار و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) كانوا يستغفرون الله فى الوتر سبعين مره فى السحر

و قيل إن معناه و بالأسحار هم يصلون و ذلك أن صلاتهم بالأسحار طلب منهم للمغفره عن مجاهد و مقاتل و الكلبي ثم ذكر سبحانه صدقاتهم فقال «وَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ» و السائل هو الذى يسأل الناس و المحروم هو المحارف عن ابن عباس و مجاهد و قيل المحروم المتعفف الذى لا- يسأل عن قتاده و الزهرى و قيل هو الذى لا سهم له فى الغنيمه عن إبراهيم النخعي و الأصل أن المحروم هو الممنوع الرزق بترك السؤال أو

ذهاب المال أو خراب الضيعة أو سقوط السهم من الغنيمه لأن الإنسان يصير فقيرا بهذه الوجوه و يريد سبحانه بقوله «حَقٌّ» ما يلزمهم لزوم الديون من الزكوات و غير ذلك أو ما ألزموه أنفسهم من مكارم الأخلاق قال الشعبي أعيانى أن أعلم ما المحروم و فرق قوم بين الفقير و المحروم بأنه قد يحرمه الناس بترك الإعطاء و قد يحرم نفسه بترك السؤال فإذا سأل لا يكون ممن حرم نفسه بترك السؤال و إنما حرمه الغير و إذا لم يسأل فقد حرم نفسه و لم يحرمه الناس «وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ» أى دلالات بينات و حجج نيرات «لِلْمُؤْمِنِينَ» الذين يتحققون توحيد الله و إنما خص الموقنين لأنهم ينظرون فيها فيحصل لهم العلم بموجيها و آيات الأرض ما فيها من أنواع المخلوقات من الجبال و البحار و النبات و الأشجار كل ذلك دال على كمال قدرته و حكمته:

و فى كل شىء له آيه تدل على أنه واحد

«وَفِي أَنْفُسِكُمْ» أى و فى أنفسكم أيضا آيات دلالات على وحدانيته «أَفَلَا تُبْصِرُونَ» أى أفلا ترون أنها مصرفه من حال إلى حال و منتقله من صفه إلى أخرى إذ كنتم نطفًا فصرتم أحياء ثم كنتم أطفالا- فصرتم شبابا ثم كهولا فهلا دلکم ذلك على أن لها صناعا صنعها و مدبرا دبرها و مصرفا فأصرفها على مقتضى الحكمة و قيل إن المراد بذلك اختلاف الألسنه و الصور و الألوان و الطبائع عن ابن عباس فى روايه عطاء و قيل يريد سبيل الخلاء و البول و الأكل و الشرب من مدخل واحد و المخرج من سبيلين و تم الكلام عند قوله «وَفِي أَنْفُسِكُمْ» ثم عنفهم فقال «أَفَلَا تُبْصِرُونَ» و

قيل يعنى أنه خلقك سميعا بصيرا تغضب و ترضى و تجوع و تشبع و ذلك كله من آيات الله تعالى عن الصادق (عليه السلام)

و قيل إن المعنى أفلا- تبصرون بقلوبكم نظر من كأنه يرى الحق بعينه «وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ» ينزله الله إليكم بأن يرسل الغيث و المطر عليكم فيخرج به من الأرض أنواع ما تقتاتونه و تلبسونه و تنتفعون به «وَمَا تَوْعَدُونَ» من الثواب و العقاب عن عطاء و قيل من الجنة و النار عن مجاهد و الضحاک و قيل معناه و فى السماء تقدير رزقكم أى ما قسمه لكم مكتوب فى أم الكتاب و جميع ما تواعدون فى السماء أيضا لأن الملائكة تنزل من السماء لقبض الأرواح و لاستنساخ الأعمال و لإنزال العذاب و يوم القيامة للجزاء و الحساب كما قال و يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَ نُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ثم قال سبحانه «فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ» أقسم سبحانه بنفسه أن ما ذكر من أمر الرزق و الآيات حق لا شك فيه عن الزجاج و قيل يعنى أن ما قضى فى الكتاب كائن عن الكلبى «مِثْلَ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ» أى مثل نطقكم الذى تنطقون به فكما لا تشكون فيما تنطقون فكذلك لا

تشكوا فى حصول ما وعدتم به شبه الله تعالى تحقق ما أخبر عنه بتحقق نطق الآدمى و وجوده فأراد أنه لحق كما أن الآدمى ناطق و هذا كما تقول إنه لحق كما أنك هاهنا و إنه لحق كما أنك تتكلم و المعنى أنه فى صدقه و تحقق وجوده كالذى تعرفه ضروره.

[سوره الذاريات (٥١): الآيات ٢٤ الى ٣٧]

اشاره

هَلْ أَتَاكَ خَيْدٌ ضَيَّفَ إِبراهيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَ بَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٢٨)

فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَيْرِهِ فَصَيَّرَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٣٠) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (٣٣)

مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦) وَ تَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٣٧)

اللغه

الروغ الذهاب إلى الشىء فى خفيه يقال راغ يروغ روغا و روغانا و هو أروغ من ثعلب و الصره شده الصياح و هو من صرير الباب و يقال للجماعه صره أيضا قال امرؤ القيس:

فألحقنا بالهاديات و دونه جواهرها فى صره لم تزيل

و الصك الضرب باعتماد شديد و هو أن تصتك ركبنا الرجل و العقيم العاقر و أصل العقم الشد و

جاء فى الحديث تعقم أصلاب المشركين فلا يستطيعون السجود

أى تشد و داء عقام إذا اشتد حتى إذا يأس منه أن يبرأ و معاقم الفرس مفاصله يشد بعضها ببعض و العقيم و العقمه ثياب معلمه
أى شدت بها الأعلام و عقت المرأة فهى معقومه و عقيم من نساء عقم و عقت أيضا و رجل عقيم من قوم عقمى قال الشاعر:

عقم النساء فما يلدن شبيهه إن النساء بمثله عقم

و الريح العقيم التى لا تنشئ السحاب للمطر و الملك عقيم يقطع الولاده لأن الأب يقتل الابن على الملك و الخطب الأمر الجليل
و منه الخطبه لأنها كلام بليغ لعقد أمر جليل يستفتح بالتحميد و التمجيد و الخطاب أجل من الإبلاغ.

المعنى

لما قدم سبحانه الوعد و الوعيد عقب ذلك بذكر بشاره إبراهيم و مهلك قوم لوط تخويفا للكفار أن ينزل بهم مثل ما أنزل
بأولئك فقال «هَلْ أَتَاكَ» يا محمد و هذا اللفظ يستعمل إذا أخبر الإنسان بخبر ماض فيقال هل أتاك خبر كذا و إن علم أنه لم
يأت «حَدِيثٌ ضَعِيفٌ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ» عند الله و ذلك أنهم كانوا ملائكة كراما و نظيره قوله بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ و قيل أكرمهم
إبراهيم فرفع مجالسهم و خدمهم بنفسه عن مجاهد لأن أضياف الكرام مكرمون و كان إبراهيم أكرم الناس و أظهرهم فتوه و
سماهم ضيفا من غير أن أكلوا من طعامه لأنهم دخلوا مدخل الأضياف و اختلف فى عددهم فقيل كانوا اثنى عشر ملكا عن ابن
عباس و مقاتل و قيل كان جبرائيل و معه سبعة أملاك عن محمد بن كعب و قيل كانوا ثلاثة جبرائيل و ميكائيل و ملك آخر
«إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا» أى حين دخلوا على إبراهيم فقالوا له على وجه التحية سلاما أى أسلم سلاما ف «قَالَ» لهم جوابا عن
ذلك «سَلَامٌ» و قرئ سلم و هذا مفسر فى سورة هود «قَوْمٌ مُّكْرَمُونَ» أى قال فى نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم و ذلك أنه ظنهم من
الإنس و لم يعرفهم عن ابن عباس و الإنكار نفى صحه الأمر و نقيضه الإقرار و الاعتراف «فَرَأَى إِلَى أَهْلِهِ» أى ذهب إليهم خفيا و
إنما راغ مخافه أن يمنعه من تكلف مأكول كعاده الظرفاء «فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ» و كان مشويا لقوله فى آيه أخرى حينئذ قال قتاده
و كان عامه مال إبراهيم (عليه السلام) البقر «فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ» ليأكلوا فلم يأكلوا فلما رأهم لا- يأكلون عرض عليهم ف «قَالَ أَلَا
تَأْكُلُونَ» و فى الكلام حذف كما ترى «فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً» أى

فلما امتنعوا من الأكل أوجس منهم خيفة و المعنى خاف منهم و ظن أنهم يريدون به سوءا «قالوا» أى قالت الملائكة «لا تخف» يا إبراهيم «و بَشْرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ» أى يكون عالما إذا كبر و بلغ و الغلام المبشر به هو إسماعيل عن مجاهد و قيل هو إسحاق لأنه من ساره و هذه القصة لها عن أكثر المفسرين و هذا كله مفسر فيما مضى «فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرْهٍ» أى فلما سمعت البشارة امرأته ساره أقبلت فى ضجعه عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و

قيل فى جماعه عن الصادق (عليه السلام)

و قيل فى رفقه عن سفيان و المعنى أخذت تصيح و تولول كما قالت يا ويلتى «فَصَيَّكَتْ وَجْهَهَا» أى جمعت أصابعها فضربت جبينها تعجبا عن مقاتل و الكلبي و قيل لطمت وجهها عن ابن عباس و الصك ضرب الشىء بالشىء العريض «و قَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ» أى أنا عجوز عاقر فكيف ألد «قالوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ» أى كما قلنا لك قال ربك إنك ستلدين غلاما فلا تشكى فيه «إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ» بخفايا الأمور «قال» إبراهيم (عليه السلام) لهم «فَمَا خَطْبُكُمْ» أى فما شأنكم و لأى أمر جئتم «أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ» و كأنه قال قد جئتم لأمر عظيم فما هو «قالوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ» أى عاصين لله كافرين لنعمه استحقوا العذاب و الهلاك و أصل الجرم القطع فالمجرم القاطع للواجب بالباطل فهو لاء أجرموا بأن قطعوا الإيمان بالكفر «لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ مُّسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ» هذا مفسر فى سوره هود «لِلْمُشْرِكِينَ» أى للمكثرين من المعاصى المتجاوزين الحد فيها و قيل أرسلت الحجارة على الغائبين و قلبت القرية بالحاضرين «فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا» أى فى قري قوم لوط «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» و ذلك قوله فَأَشْرِبِ بِأَهْلِكَ * الآيه و ذلك أن الله تعالى أمر لوطا بأن يخرج هو و من معه من المؤمنين لثلا يصيبهم العذاب «فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» أى غير أهل بيت من المسلمين يعنى لوطا و بنتيه و صفهم الله بالإيمان و الإسلام جميعا لأنه ما من مؤمن إلا و هو مسلم و الإيمان هو التصديق بجميع ما أوجب الله التصديق به و الإسلام هو الاستسلام لوجوب عمل الفرض الذى أوجبه الله و ألزمه و وجدان الضاله هو إدراكها بعد طلبها «و تَرَكْنَا فِيهَا» أى و أبقينا فى مدينه قوم لوط «آيَةً» أى علامه «لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ» أى تدلهم على أن الله أهلكتهم فيخافون مثل عذابهم و الترك فى الأصل ضد الفعل ينافى الأخذ فى محل القدره عليه و القدره عليه قدره على الأخذ و على هذا فالترك غير داخل فى أفعال الله تعالى فالمعنى هنا أنا أبقينا فيها عبره و مثله قوله وَ تَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ و قيل إنه الانقلاب لأن اقتلاع البلدان لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

اشاره

وَ فِي مُوسَى إِذِ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (۳۸) فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (۳۹) فَأَخَذْنَاهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَ هُوَ مُلِيمٌ (۴۰) وَ فِي عَادٍ إِذِ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (۴۱) مَا تَدْرُ مِنْ شَيْءٍ ؕ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ (۴۲) وَ فِي ثَمُودَ إِذِ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ (۴۳) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ (۴۴) فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَ مَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ (۴۵) وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (۴۶)

القراءه

قرأ الكسائي الصعقه و الباقون «الصَّاعِقَةُ» بالألف و قرأ أبو عمرو و أهل الكوفه غير عاصم و قوم نوح بالجـ و الباقون «قَوْمٌ نُوحٍ» بالنصب.

الحجه

قال أبو علي قال أبو زيد الصاعقه التي تقع من السماء و الصاعقه التي تصقع الرؤوس و قال الأصمعي الصاعقه و الصاعقه سواء و أنشد الأصمعي:

يحكون بالمصقوله القواطع تشقق البرق من الصواعق

و أما الصعقه فقليل إنها مثل الزجره و هو الصوت الذي يكون عن الصاعقه قال بعض الرجاز:

لاح سحاب فرأينا برقه ثم تدانى فسمعنا صعقه

و من جر قوم نوح حملة على قوله وَ فِي مُوسَى أَي و فِي قَوْمِ نُوحٍ وَقَوْلُهُ «وَ فِي مُوسَى إِذِ أَرْسَلْنَاهُ» عطف على أحد شيئين إما أن يكون على وَ تَرَكْنَا فِيهَا آيَةً وَ «فِي مُوسَى» أَوْ عَلَى قَوْلِهِ وَ فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ «فِي مُوسَى» أَي وَ فِي إِسْرَافِ مُوسَى آيَاتٍ وَاضِحَةٍ وَ فِي قَوْمِ نُوحٍ آيَةٍ وَ مِنْ نَصْبِ فَقَالَ «وَ قَوْمٌ نُوحٍ» جاز في نصبه أيضا أمران كلاهما حمل على المعنى (أحدهما) أن

قوله «فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ» يدل على أهلكناهم فكأنه قال و أهلكنا قوم نوح (و الآخر) أن قوله «فَأَخَذْنَا وَ جُنُودَهُ فَبَبَدْنَا فِي الْيَمِّ» يدل على أغرقناهم فكأنه قال أغرقناهم و أغرقنا قوم نوح.

اللغة

الركن الجانب الذى يعتمد عليه يقال ركن يركن و ركن يركن أيضا مثل نصر ينصر. و المليم الذى أتى بما يلام عليه و الملوم الذى وقع به اللوم و فى المثل رب لائم مليم و رب ملوم لا ذنب له و العتو و التجبر و التكبر واحد و جمع الريح أرواح و رياح و منه راح الرجل إلى منزله أى رجح كالريح و الرميم الذى انتفى رمة بانتفاء ملائمته بعضه لبعض و أما رمة يرمه رما و الشىء مرموم أى مصلح بملائمه بعضه لبعض و أصل الرميم السحيق البالى من العظم.

المعنى

ثم بين سبحانه ما نزل بالأمم فقال «وَ فِي مُوسَى» أى و فى موسى أيضا آية «إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ» أى بحجه ظاهره و هى العصا «فَتَوَلَّى بُرْكَانَهُ» أى فأعرض فرعون عن قبول الحق بما كان يتقوى به من جنده و قومه كالركن الذى يقوى به البنيان و الباء فى قوله «بُرْكَانَهُ» للتعديه أى جعلهم يتولون «وَ قَالَ» لموسى «سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ» أى هو ساحر أو مجنون و فى ذلك دلالة على جهل فرعون لأن الساحر هو اللطيف الحيله و ذلك ينافى صفة المجنون المختلط العقل فكيف يوصف شخص واحد بهاتين الصفتين «فَأَخَذْنَا وَ جُنُودَهُ فَبَبَدْنَا فِي الْيَمِّ» أى فطرحناهم فى البحر كما يلقى الشىء فى البر «وَ هُوَ مُلِيمٌ» أتى بما يلام عليه من الكفر و الجحود و العتو «وَ فِي عَادٍ عِطْفٌ عَلَى مَا تَقَدَّمَ» أى عطف على ما تقدم أى و فى عاد أيضا آية أى دلالة فيها عظه و عبره «إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ» أى حين أطلقنا عليهم «الرَّيْحَ الْعَاقِمَةَ» و هى التى عقت عن أن تأتى بخير من تنشئه سحاب أو تلقيح شجر أو تذريره طعام أو نفع حيوان فهى كالمرأه الممنوعه عن الولاده إذ هى ريح الإهلاك ثم وصفها فقال «مَا تَدْرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ» أى لم تترك هذه الريح شيئا تمر عليه «إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ» أى كالشىء الهالك البالى و هو نبات الأرض إذا يبس و ديس و قيل الرميم العظم البالى السحيق «وَ فِي ثَمُودَ» أيضا آية «إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا» و ذلك أنهم لما عقروا الناقه قال لهم صالح تمتعوا ثلاثه أيام و هو قوله «تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ» أى فخرجوا عن أمر ربهم ترفعا عنه و استكبارا «فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ» بعد مضى الأيام الثلاثه و هو الموت عن ابن عباس و قيل هو العذاب و الصاعقه كل عذاب مهلك عن مقاتل «وَ هُمْ يُنظَرُونَ» إليها جهارا لا يقدرين على دفعها «فَمَا اسْتِطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ» أى من نهوض و المعنى أنهم لم ينهضوا من تلك الصرعه «وَ مَا كَانُوا مُتَّتَصِرِينَ» أى ممتنعين من العذاب و قيل معناه ما كانوا طالبيين ناصرا يمنعهم من عذاب الله «وَ قَوْمَ نُوحٍ» أى و أهلكنا قوم نوح «مِنْ قَبْلُ» أى من

قبل عاد و ثمود «إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ» أى خارجين عن طاعه الله إلى معاصيه و عن الإيمان إلى الكفر فاستحقوا لذلك الإهلاك.

[سوره الذاريات (٥١): الآيات ٤٧ الى ٦٠]

إشارة

وَ السَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وَ الْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (٤٨) وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩) فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠) وَ لَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥١)

كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا- قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أ تَوَاصَوْا بِهِ يَلُ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٥٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ (٥٤) وَ ذَكَرْنَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا نَفْعَ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥) وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦)

مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَ مَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ (٥٩) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٦٠)

القراءة

فى الشواذ قراءة يحيى و الأعمش ذو القوه المتين بالخفض.

الحججه

قال ابن جنى هذا يحتمل أمرين (أحدهما) أن يكون وصفا للقوه و ذكره على معنى الحبل يريد قوى الحبل كقوله فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى (و الآخر) أن يكون

المراد الرفع وصفا للرزاق إلا أنه جاء على لفظ القوه لجوارها إياه على قولهم:

هذا جحر ضب خرب

فهذا ضعيف.

اللغة

الأيد القوه يقال آد الرجل بأيد أيدا إذا اشتد وقوى و المؤيد الأمر العظيم و الإيساع الإكثار من إذهاب الشىء فى الجهات و الماهد هو الموطئ للشىء و هو المهيأ لما يصلح الاستقرار عليه يقال مهد يمهد مهدا و مهد تمهيدا مثل وطئ توطئه و التواصى أن يوصى القوم بعضهم إلى بعض و الوصيه التقدمه فى الأمر بالأشياء المهمه مع النهى عن المخالفه و أصل الذنوب الدلو الممتلىء ماء يؤنث و يذكر قال:

لنا ذنوب و لكم ذنوب فإن أبيتم فلنا القليب

و قال علقمه:

و فى كل حى قد خبطت بنعمه فحق لشاس من نداك ذنوب

. المعنى .

«و السَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ» تقديره و بنينا السماء بنيناها بقوه عن ابن عباس و مجاهد و ابن زيد و قتاده أى خلقناها و رفعناها على حسن نظامها «و إنا لموسعون» أى قادرون على خلق ما هو أعظم منها عن ابن عباس و قيل معناه و إنا لموسعون الرزق على الخلق بالمطر عن الحسن و قيل معناه و إنا لذو سعه لخلقنا أى قادرون على رزقهم لا نعجز عنه فالموسع ذو الوسع و السعه أى الغنى و الجده «و الأَرْضَ فَرَشْنَاهَا» أى و فرشنا الأرض فرشناها أى بسطانها «فَنِعَمَ المَاهِدُونَ» نحن إذ فعلنا ذلك للمنافع و مصالح العباد لا لجر نفع و لا لدفع ضرر «و مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ» أى و خلقنا من كل شىء صنفتين مثل الليل و النهار و الأرض و السماء و الشمس و القمر و الجن و الإنس و البر و البحر و النور و الظلمه عن الحسن و مجاهد و قيل الزوجين الذكر و الأنثى عن ابن زيد «لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» أى لكى تعلموا أن خالق الأزواج واحد فرد لا يشبهه شىء «فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ» أى فاهربوا من عقاب الله إلى رحمته و ثوابه بإخلاص العباده له و قيل ففروا إلى الله بترك جميع ما يشغلكم عن طاعته و يقطعكم عما أمركم به و

قيل معناه حجوا عن الصادق (عليه السلام)

«إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ» أى من الله «نَذِيرٌ» مخوف من عقابه «مُبِينٌ» لكم ما أرسلت به «وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ» أى لا تعبدوا معه معبودا آخر من الأصنام و الأوثان «إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ» و الوجه فى تكريره أن

الثاني منعقد بغير ما انعقد به الأول إذ تقديره إني لكم منه نذير في الامتناع من جعل إله آخر معه و تقدير الأول إني لكم منه نذير في ترك القرار إليه بطاعته فهو كقولك أنذرك أن تكفر بالله أنذرك أن تتعرض لسخط الله و النذير المخبر بما يحذر منه و هو يقتضى المبالغه و المنذر صفه جاربه على الفعل و المبين الذى يأتى ببيان الحق من الباطل ثم قال «كَذَلِكَ» أى الأمر كذلك و هو أنه «مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ» أى لم يأت الذين من قبلهم يعنى كفار مكه من الأمم رسول إلا- قالوا ساحر محتال بالحيل اللطيفه أو مجنون به جنون فهو مغطى على عقله بما لا- يتوجه للإدراك به ثم قال سبحانه «أَتَوَصَّوْا بِهِ» أى أوصى أولهم آخرهم بالكذب و الاستفهام للتوبيخ «بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ» معناه لم يتوصوا بذلك لكنهم طاغون طغوا فى معصيه الله و حملهم الطغيان فيما أعطيتهم و وسعت عليهم على تكذيب أنبيائى ثم قال للنبي ص «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ» أى فأعرض عنهم يا محمد فقد بلغت و أنذرت و هو قوله «فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ» أى فى كفرهم و جحودهم بل اللائمه و الذم عليهم من حيث لا يقبلون ما تدعوهم إليه قال المفسرون لما نزلت هذه الآيه حزن رسول الله ص و المؤمنون و ظنوا أن الوحي قد انقطع و أن العذاب قد حل حتى نزلت الآيه الثانيه و روى بالإسناد عن مجاهد قال خرج على بن أبى طالب (عليه السلام) مغتما مشتملا فى قميصه فقال لما نزلت «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ» لم يبق أحد منا إلا يقن بالهلكه حين قيل للنبي ص «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ» فلما نزل «وَ ذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ» طابت نفوسنا و معناه عظ بالقرآن من آمن من قومك فإن الذكر تنفعهم عن الكلبي «وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» أى لم أخلق الجن و الإنس إلا لعبادتي و المعنى لعبادتهم إياى عن الربيع فإذا عبدوني استحقوا الثواب و قيل إلا- لآمرهم و أنهاهم و أطلب منهم العباده عن مجاهد و اللام لام الغرض و المراد أن الغرض فى خلقهم تعريضهم للثواب و ذلك لا يحصل إلا بأداء العبادات فصار كأنه سبحانه خلقهم للعباده أنه إذا لم يعبده قوم لم يبطل الغرض و يكون كمن هيا طعاما لقوم و دعاهم ليأكلوه فحضروا و لم يأكله بعضهم فإنه لا ينسب إلى السفه و يصح غرضه فإن الأكل موقوف على اختيار الغير و كذلك المسأله فإن الله إذا أزاح علل المكلفين من القدره و الآله و الألفاظ و أمرهم بعبادته فمن خالف فقد أتى من قبل نفسه لا من قبله سبحانه و قيل معناه إلا ليقروا بالعبوديه طوعا و كرها عن ابن عباس «ما أريدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَ مَا أريدُ أَنْ يُطْعَمُونَ» هذا نفى الإيهام عن خلقهم لعبادته أن يكون ذلك لعائده نفع يعود عليه تعالى فيبين أنه لعائده النفع على الخلق دونه تعالى لاستحاله النفع عليه لأنه غنى لنفسه فلا يحتاج إلى غيره و كل الخلق يحتاج إليه و قيل معناه ما أريد أن يرزقوا أحدا من خلقى و لا أن يرزقوا أنفسهم و ما أريد

أن يطعموا أحدا من خلقى و إنما أسند الإطعام إلى نفسه لأن الخلق كلهم عيال الله و من أطعم عيال أحد فقد أطعمه «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ» لعباده و للخلائق كلهم فلا- يحتاج إلى معين «ذُو الْقُوَّةِ» أى ذو القدره «الْمَتِينُ» أى القوى الذى يستحيل عليه العجز و الضعف إذ هو القادر لنفسه يقال متن متانه فهو متين إذا قوى «فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا» أنفسهم بالكفر و المعاصى «ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ» أى نصيبا من العذاب مثل نصيب أصحابهم الذين هلكوا نحو قوم نوح و عاد و ثمود «فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ» بإنزال العذاب عليهم فإنهم لا- يفوتون «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ» هذا يدل على أنهم أخوا إلى يوم القيامة و الويل كلمه تقولها العرب لكل من وقع فى الهلكه.

النظم

وجه اتصال قوله «وَالسَّمَاءَ بَيْنَاهَا بِأَيْدٍ» بما قبله هو أنه فى قوم نوح آيه و فى السماء أيضا آيه فهو متصل به فى المعنى.

ص: ٢٤٥

(٥٢) سورة الطور مكيه و آياتها تسع و أربعون (٤٩)

اشاره

عدد آياتها

تسع و أربعون آيه كوفي شامى و ثمان بصرى و سبع حجازى.

اختلافها

آيتان «و الطُورِ» عراقى شامى «دَعَا» كوفي شامى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص أنه قال و من قرأ سورة و الطور كان حقا على الله أن يؤمنه من عذابه و أن ينعمه فى جنته
و

عن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله ص يقرأ بالطور فى المغرب
و

روى محمد بن هشام عن أبى جعفر (عليه السلام) قال من قرأ سورة الطور جمع الله له خير الدنيا و الآخرة.

تفسيرها

لما ختم الله سورة الذاريات بالوعيد افتتح هذه السوره بوقوع الوعيد فقال:

ص: ٢٤٦

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ الطُّورِ (١) وَ كِتَابِ مَسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَنُشُورٍ (٣) وَ النَّبِيِّ الْمَعْمُورِ (٤)

وَ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥) وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ (٨) يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (٩)

وَ تَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (١٠) فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (١٢) يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً (١٣) هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذَّبُونَ (١٤)

أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (١٥) اضْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٦)

اللغة

قال المبرد يقال لكل جبل طور فإذا دخلت الألف و اللام للمعرفة فهو لشيء بعينه و الرق جلد يكتب فيه و أصله من اللمعان يقال تفرق الشيء إذا لمع و الرقاق تفرق السراب و المسجور المملوء يقال سجرت التنور أى ملأها نارا و عين سجاء مملئه فيها حمرة كأنها احمرت مما هو حولها كالسجار للتنور قال لبيد:

فتوسطا عرض السرى فصدعا مسجوره متجاورا قلامها

و المور تردد الشيء بالذهاب و المجىء كما يتردد الدخان ثم يضمحل مار يمور مورا فهو مائر و روى بيت الأعشى:

كان مشيتها من بيت جارتها مور السحابة لا ريث و لا عجل

و قيل مر السحابة و الخوض الدخول فى الماء بالقدم و شبه به الدخول فى القول و الدع الدفع يقال دعه يدعه دعا و صكه يصكه صكا مثله.

الإعراب

«وَ الطُّورِ» الواو للقسمة و ما بعده عطف عليه و العامل فى قوله «يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا» قوله «لَوَاقِعٌ» أى يقع فى ذلك اليوم و يجوز أن يكون يوم هاهنا على تقدير إذا و يكون العامل فيه جوابه و هو الفاء و ما بعده من قوله «فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» كما جاء «وَ يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْيَادُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ» و قوله «يَوْمَ يُدْعَوْنَ» بدل من قوله «يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ» و إن شئت كان التقدير فيه يوم يدعون إلى نار جهنم دعا يقال لهم هذه

النار التي كنتم بها تكذبون فيعمل فيه يقال. «أَفَسِحْرٌ هَذَا» مبتدأ وخبر «أَمْ أَنْتُمْ» أى بل أنتم لا تبصرون.

المعنى

«وَ الطُّورِ» أقسم الله سبحانه بالجبل الذى كلم عليه موسى (عليه السلام) بالأرض المقدسه عن الجبائى و جماعه من المفسرين و قيل هو الجبل أقسم به لما أودع فيه من أنواع نعمه عن مجاهد و الكلبي «وَ كِتَابٍ مَسِيَّ طُورٍ» أى مكتوب و هو الكتاب الذى كتبه الله لملائكته فى السماء يقرءون فيه ما كان و ما يكون و قيل هو القرآن مكتوب عند الله فى اللوح المحفوظ و هو الرق المنشور و قيل هو صحائف الأعمال التى تخرج إلى بنى آدم يوم القيامة فمنهم آخذ كتابه بيمينه و آخذ بشماله و هذا كقوله «وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا» عن الفراء و قيل هو التوراه كتبها الله لموسى فخص الطور بالذكر لبركتها و كثره منافعها فى الدنيا و ذكر الكتاب لعظم موقعها من الدين عن الكلبي و قيل أنه القرآن يكتبه المؤمنون «فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ» أى و ينشرونه لقراءته و الرق ما يكتب فيه و قيل الرق هو الورق عن أبى عبيده و قيل إنما ذكر الرق لأنه من أحسن ما يكتب فيه و إذا كتبت الحكمة فيما هو على هذه الصفة كان أبهى و المنشور المبسوط «وَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ» و هو بيت فى السماء الرابعه بحيال الكعبه تعمره الملائكه بما يكون منها فيه من العباده عن ابن عباس و مجاهد و

روى أيضا عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال و يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه أبدا

و

روى عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريره عن النبى ص قال البيت المعمور فى السماء الدنيا و فى السماء الرابعه نهر يقال له الحيوان يدخل فيه جبريل كل يوم طلعت فيه الشمس و إذا خرج انتفض انتفاضه جرت منه سبعون ألف قطره يخلق الله من كل قطره ملكا يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلون فيه فيفعلون ثم لا يعودون إليه أبدا

و عن ابن عباس قال قال رسول الله ص البيت الذى فى السماء الدنيا يقال له الضراح و هو بفناء البيت الحرام لو سقط سقط عليه يدخله كل يوم ألف ملك لا يعودون إليه أبدا

و قيل البيت المعمور هو الكعبه البيت الحرام معمور بالحج و العمره عن الحسن و هو أول مسجد وضع للعباده فى الأرض

«وَ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ» هو السماء عن على (عليه السلام)

و مجاهد و قتاده و ابن زيد قالوا هى كالسقف للأرض رفعها الله «وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ» أى المملوء عن قتاده و قيل هو الموقد المحمى بمنزله التنور عن مجاهد و الضحاك و الأخفش و ابن زيد

ثم قيل أنه تحمى البحار يوم القيامة فتجعل نيرانا ثم تفجر بعضها فى بعض ثم تفجر إلى النار وورد به

«إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ» هذا جواب القسم أقسم الله بهذه الأشياء للتنبيه على ما فيها من عظيم قدره على أن تعذيب المشركين حق واقع لا محاله «ما لَهُ مِنْ دَافِعٍ» يدفع عنهم ذلك العذاب ثم بين سبحانه أنه متى يقع فقال «يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا» أى تدور دورانا و تضطرب و تموج و تتحرك و تستدير كل هذه من عبارات المفسرين «وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا» أى تسير الجبال و تزول من أماكنها حتى تستوى الأرض «فَوَيْلٌ لِلْمُكذِّبِينَ» دخلت الفاء لأن فى الكلام معنى المجازاه و التقدير إذا كان هذا فويل لمن يكذب الله و رسوله «الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ» أى فى حديث باطل يخوضون و هو الحديث الذى كان يخوض فيه الكفار من إنكار البعث و تكذيب النبى ص «يَلْعَبُونَ» أى يلهون بذكره «يَوْمَ يُدْعَوْنَ» أى يدفعون «إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعًّا» أى دعا بعنف و جفوه قال مقاتل هو أن تغل أيديهم إلى أعناقهم و تجمع نواصيهم إلى أقدامهم ثم يدفعون إلى جهنم دفعا على وجوههم حتى إذا دنوا قال لهم خزنتها «هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذَّبُونَ» فى الدنيا ثم وبخوهم لما عاينوا بما كانوا يكذبون به و هو قوله «أَفَسِحْرٌ هَذَا» الذى ترون أنتم «أَمْ أَنْتُمْ لَّا تُبْصِرُونَ» و ذلك أنهم كانوا ينسبون محمدا ص إلى السحر و إلى أنه يغطى على الأبصار بالسحر فلما شاهدوا ما وعدوا به من العذاب وبخوا بهذا ثم يقال لهم «اصْبِرُوا» أى قاسوا شدتها «فَاصْبِرُوا» على العذاب «أَوْ لَّا تَصْبِرُوا» عليه «سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ» الصبر و الجزع «إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فى الدنيا من المعاصى بكفركم و تكذيبكم الرسول.

إشارة

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨) كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَّكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّضْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٢٠) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ ما أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهينٌ (٢١)

وَ أَمَدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَ لَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَ لَا تَأْنِيمٌ (٢٣) وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (٢٤) وَ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦)

فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَ وَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (٢٨)

القراءة

قرأ أبو عمرو و أتبعناهم بالنون و الألف و قطع الهمزة ذرياتهم بالألف و كسر التاء ألحقنا بهم ذرياتهم كذلك و قرأ أهل المدينة «وَ اتَّبَعَتْهُمْ» بالتاء و وصل الهمزة «ذُرِّيَّتُهُمْ» بالرفع ألحقنا بهم ذرياتهم على الجمع و قرأ ابن كثير و أهل الكوفة «وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ» «أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» كذلك و قرأ ابن عامر و يعقوب و سهل اتبعتم ذرياتهم جمع ألحقنا بهم ذرياتهم أيضا و قرأ ابن كثير و ما ألتناهم بكسر اللام و الباقون «أَلْتَنَاهُمْ» بفتح اللام و قرأ أهل المدينة و الكسائي أنه هو البر الرحيم بالفتح و الباقون «إِنَّهُ» بالكسر و فى الشواذ قراءة عبد الله و إبراهيم و زوجناهم بعيس عين و قراءة الأعرج و ما ألتناهم على أفلناهم.

الحج

قال أبو على الذرية تقع على الصغير و الكبير فالأول نحو قوله «ذُرِّيَّةٌ طَيِّبَةٌ» و الثانى نحو قوله «وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَ سُليْمَانَ» فإن حملت الذرية فى الآيه على الصغار كان قوله «بِإِيمَانٍ» فى موضع نصب على الحال من المفعولين أى اتبعتم بإيمان من الآباء ذريتهم ألحقنا الذرية بهم فى أحكام الإسلام فجعلناهم فى حكمهم فى أنهم يرثون و يورثون و يدفنون فى مقابر المسلمين و حكمهم حكم الآباء فى أحكامهم إلا فيما كان موضوعا عن الصغير لصغره و إن جعلت الذرية للكبار كان قوله «بِإِيمَانٍ» حالا من الفاعلين الذين هم ذريتهم أى ألحقنا بهم ذريتهم فى أحكام الدنيا و الثواب فى الآخرة «وَ ما أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ» أى من جزاء عملهم من شىء كما قال فلا تظلم نفسك شيئا و كما قال وَ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَ لَا هَضْمًا و من قرأ «ذُرِّيَّتَهُمْ» فأفرد فلان الذرية تقع على الكثرة فاستغنى بذلك عن جمعه و كذا القول فى «بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» فى أنه أفرد ذريتهم

و الحق التاء فى اتبعتم لتأنيث الاسم و من جمعه فلأن المجموع قد يجمع نحو أقوام و طرقات

و فى الحديث إنكن صواحبات يوسف

و من قرأ ألتناهم بكسر اللام فىشبه أن يكون فعلنا لغه كما قالوا نقم ينقم و نقم ينقم و من قرأ ندعوه أنه بالفتح فالمعنى لأنه هو البر الرحيم و من كسر قطع الكلام عما قبله و استأنف قال ابن جنى المرأه العيساء البيضاء و مثله جمل أعيى و ناقه عيساء قال كأنها البكره العيساء و يقال ألتة يألتة ألتا و آلتة يولتة إيلاتا و لاتة يليتة ليتا و ولتة يلتة ولتا أى نقصه قال الحطيئه:

أبلغ لديك بنى سعد مغلغله جهد الرساله لا ألتا و لا كذبا

. المعنى .

لما تقدم وعيد الكفار عقبه سبحانه بالوعد للمؤمنين فقال «إِنَّ الْمُتَّقِينَ» الذين يجتنبون معاصى الله خوفا من عقابه «فِي جَنَّاتٍ» أى فى بساتين تجننها الأشجار «و نعيم» أى و فى نعيم «فاكهيهم بما آتاهم ربهم» أى متنعمين بما أعطاهم ربهم من أنواع النعيم و قيل فاكهيهم معجبين بما آتاهم ربهم عن الزجاج و الفراء «و وقاهم» أى و صرف عنهم «ربهم عذاب الجحيم كلوا و اشربوا» أى يقال لهم كلوا و اشربوا «هنيئاً بما كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» أكلا و شربا هنيئاً مأمون العاقبه من التخمه و السقم ثم ذكر حالهم فى الأكل و الشرب فقال «مُتَّكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصِفُوفِهِ» و السرر جمع سرير و المصفوفه المصطفه الموصول بعضها ببعض و قيل إن فى الكلام حذفاً تقديره متكئين على نمارق موضوعه على سرر لكنه حذف لأن اللفظ يدل عليه من حيث إن الاتكاء جلسه راحه و دعه و لا يكون ذلك إلا- على الوسائد و النمارق «و زوّجناهم بحور عين» فالحور البيض النقيات فى حسن و كمال و العين الواسعات الأعين فى صفاء و بهاء و معناه قرنا هؤلاء المتقين بحور عين على وجه التمتع لهم و التنعيم

و عن زيد بن أرقم قال جاء رجل من أهل الكتاب إلى رسول الله ص فقال يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون و يشربون فقال و الذى نفسى بيده إن الرجل منهم ليؤتى قوه مائه رجل على الأكل و الشرب و الجماع قال فإن الذى يأكل و يشرب يكون له الحاجه فقال عرق يفيض مثل ريح المسك فإذا كان ذلك ضمير بطنه

«و الَّذِينَ آمَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» يعنى بالذريه أولادهم الصغار و الكبار لأن الكبار يتبعون الآباء بإيمان منهم و الصغار يتبعون الآباء بإيمان من الآباء فالولد يحكم له بالإسلام تبعا لوالده و اتبع بمعنى تبع و من قرأ و أتبعناهم فهو منقول من تبع و يتعدى إلى المفعولين و قيل الاتباع إلحاق الثانى بالأول فى معنى يكون الأول عليه لأنه لو ألتحق به من غير أن يكون فى معنى هو عليه لم يكن اتباعا و كان إلحاقا و المعنى أنا نلتحق الأولاد بالآباء فى الجنة و الدرجه من أجل

إيمان الآباء لتقر أعين الآباء باجتماعهم معهم فى الجنة كما كانت تقر بهم فى الدنيا عن ابن عباس و الضحاك و ابن زيد و فى روايه أخرى عن ابن عباس أنهم البالغون ألحقوا بدرجات آبائهم و إن قصرت أعمالهم تكرمهم لآبائهم فإن قيل كيف يلحقون بهم فى الثواب و لم يستحقوه فالجواب أنهم يلحقون بهم فى الجمع لا فى الثواب و المرتبه

و روى زاذان عن على (عليه السلام) قال قال رسول الله ص إن المؤمنين و أولادهم فى الجنة ثم قرأ هذه الآيه

و روى عن الصادق قال أطفال المؤمنين يهدون إلى آبائهم يوم القيامة

«و ما أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ» أى لم ننقص الآباء من الثواب حين ألحقنا بهم ذرياتهم عن ابن عباس و مجاهد و تم الكلام ثم ذكر سبحانه أهل النار فقال «كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ» أى كل امرئ كافر مرتهن فى النار بما كسب أى عمل من الشرك عن مقاتل و المؤمن من لا يكون مرتهنا لقوله كَلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَهُ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِيْنِ فاستثنى المؤمنين و قيل معناه كل إنسان يعامل بما يستحقه و يجازى بحسب ما عمله إن عمل طاعه أثيب و إن عمل معصيه عوقب و لا يؤخذ أحد بذنب غيره ثم ذكر سبحانه ما يزيدهم من الخير و النعمه فقال «و أَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ» أى أعطيناهم حالا بعد حال فإن الأمداد هو الإتيان بالشىء بعد الشىء و الفاكهه جنس الثمار «و لَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ» أى و أعطيناهم و أمددناهم بلحم من الجنس الذى يشتهونه «يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا» أى يتعاطون كأس الخمر ثم وصف الكأس فقال «لَا لَعُوْ فِيهَا وَ لَا تَأْتِيْمٌ» أى لا يجرى بينهم باطل لأن اللغو ما يلغى و لا- ما فيه إثم كما يجرى فى الدنيا بين شرب الخمر و التأثيم تفعيل من الإثم يقال ثمه إذا جعله ذا إثم أى إن تلك الكأس لا تجعلهم آثمين و قيل معناه لا يتسابون عليها و لا يؤثم بعضهم بعضا عن مجاهد «و يَطُوْفُ عَلَيْهِمْ» للخدمه «غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ» فى الحسن و الصباحه و الصفاء و البياض و المكنون المصون المخزون و قيل إنه ليس على الغلمان مشقه فى خدمه أهل الجنة بل لهم فى ذلك اللذه و السرور إذ ليست تلك الدار دار محنه

و ذكر عن الحسن أنه قال قيل يا رسول الله الخادم كاللؤلؤ فكيف المخدوم فقال و الذى نفسى بيده إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليله البدر على سائر الكواكب

«و أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ» أى يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب و الخوف فى الدنيا عن ابن عباس و هو قوله «قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ» أى خائفين فى دار الدنيا من العذاب «فَمَنْ اللّٰهُ عَلَيْنَا وَ وَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ» أى عذاب جهنم و السموم من أسماء جهنم عن الحسن و قيل

أن المعنى يسأل بعضهم بعضا عما فعلوه في الدنيا فاستحقوا به المصير إلى الثواب و الكون في الجنان فيقولون إنا كنا في دار التكليف مشفقين أى خائفين رقيقى القلب فإن الإشفاق رقه القلب عما يكون من الخوف على الشىء و الشفقه نقيض الغلظه و أصله الضعف من قولهم ثوب شفق أى ضعيف النسج و منه الشفق للحمرة عند غروب الشمس لأنها حمرة ضعيفه و قوله «فى أهلنا مُشْفِقِينَ» يريد فيمن يختص به ممن هو أولى بنا و الأهل هو المختص بغيره من جهة ما هو أولى به و السموم الحر الذى يدخل فى مسام البدن يتألم به و أصله من السم الذى هو مخرج النفس فكل خرق سم أو من السم الذى يقتل قال الزجاج يريد عذاب سموم جهنم و هو ما يوجد من لفحها و حرها «إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ» أى فى الدنيا «نَدْعُوهُ» أى ندعو الله تعالى و نوحده و نعبد «إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ» أى اللطيف و أصله اللطف مع عظم الشأن و منه البره للطفها مع عظم النفع بها و قيل البر الصادق فيما وعده «الرَّحِيمُ» بعباده.

[سوره الطور (٥٢): الآيات ٢٩ الى ٤٠]

اشاره

فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (٢٩) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (٣١) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ (٣٢) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣)

فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤) أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ (٣٧) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٨)

أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبُنُونَ (٣٩) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (٤٠)

القراءه

قرأ ابن كثير المسيطرون بالسين و فى الغاشيه بِمُصَيِّطِرٍ بالصاد و قرأ ابن عامر كليهما بالسين و قرأ بإشمام الراء فيهما حمزه إلا العجلى فإنه قرأ بالصاد فيهما و قرأ الباكون بالصاد فيهما.

الحجه

قال أبو عبيده المسيطرون الأرباب يقال تسيطر على اتخذتى خولا و الأصل السين و كل سين بعده طاء يجوز أن تقلب صادًا تقول صطر و سطر و قد مر بيانه فى سوره الفاتحه.

اللغه

الكاهن الذى يذكر أنه يخبر عن الحق على طريق العزائم و الكهانه صنعه الكاهن و المنون المنيه و ريبها الحوادث التى تريب عند مجيئها قال:

تربص بها ريب المنون لعلها سيهلك عنها بعلها أو سيجنح

و التربص الانتظار بالشىء من انقلاب حال له إلى خلافها و الأحلام جمع الحلم و هو الإمهال الذى يدعو إليه العقل و الحكمة و المسيطر الملزم غيره أمرا من الأمور قهرا مأخوذ من السطر و المثقل المحمول عليه ما يشق حمله.

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال «فَدَكَّرْ» يا محمد أى فعظ هؤلاء المكلفين و لا تترك دعوتهم و إن أساءوا قولهم فيك «فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ» أى بأنعام ربك عليك بالنبوه و هذا قسم «بِكَاهِنٍ» و هو الذى يوهم أنه يعلم الغيب بطريق خدمه الجن «وَلَا مَجْنُونٍ» و هو الموءوف بما يغطى على عقله و قد علم الكفار أنه ص ليس بكاهن و لا- مجنون لكن قالوا ذلك على جهه التكذيب عليه ليستريحوا إلى ذلك كما يستريح السفهاء إلى التكذيب على أعدائهم «أَمْ يَقُولُونَ» أى بل يقولون هو «شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَبِّبَ الْمُنُونِ» أى ننتظر به حدثان الموت و حوادث الدهر فيهلك كما هلك من تقدم من الشعراء و المنون يكون بمعنى الدهر و يكون بمعنى المنيه و أم هذه المنقطعه بمعنى الترك و التحول كقول علقمه:

هل ما علمت و ما استودعت مكتوم أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

فكأنه قال حبلها مصروم لأن بعده قوله:

أم هل كبير بكى لم يقض عبرته إثر الأعبه يوم البين مشكوم

ثم قال سبحانه «قُلْ» لهم يا محمد «تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ» أى إنكم إن تربصتم فى حوادث الدهر فإنى منتظر مثل ذلك بكم و تربص الكفار بالنبي ص و المؤمنين قبيح و تربص النبي ص و المؤمنين بالكفار و توقعهم لهلاكهم حسن و قوله «تَرَبَّصُوا» و إن كان بصيغه الأمر فالمراد به التهديد «أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا» أى بل أ تأمرهم عقولهم بما يقولونه لك و يتربصونه بك قال المفسرون كانت عظماء قريش توصف بالأحلام و العقول فأزرى الله سبحانه بعقولهم حيث لم تنمر لهم معرفه الحق من الباطل ثم أخبر سبحانه عن طغيانهم فقال «أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ» و قرأ مجاهد بل هم قوم طاغون و بل فى المعنى قريبه من أم هنا إلا أن ما بعد بل متيقن و ما بعد أم مشكوك فيه و المعنى أن عقولهم لم تأمرهم بهذا و لم تدعهم إليه بل حملهم الطغيان على تكذيبك «أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ» أى افتعل القرآن و تكذبه من تلقاء نفسه و النقول تكلف القول و لا يقال ذلك إلا فى الكذب «بَلْ لَّا يُؤْمِنُونَ» أى ليس الأمر كما زعموا بل ثبت أنه من عند الله و لكنهم لا يصدقون بذلك عنادا و حسدا و استكبارا ثم ألزمهم سبحانه الحجة تحداهم فقال «فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ» أى مثل القرآن و ما يقاربه فى نظمه و فصاحته و حسن بيانه و براعته «إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ» فى أنه تقوله محمد ص فإذا لم يقدرُوا على الإتيان بمثله فليعلموا أن محمدا ص لم يتقوله من تلقاء نفسه بل هو من عند الله تعالى ثم احتج عليهم بابتداء الخلق فقال «أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ءِ» أى أم خلقوا لغير شىء أى أ خلقوا باطلا لا يحاسبون و لا- يؤمرون و لا- ينهون و نحو هذا عن الزجاج و قيل معناه أم خلقوا عبثا و تركوا سدى عن ابن كيسان و هذا فى المعنى مثل الأول و قيل معناه أ خلقوا من غير خالق و مدبر دبرهم «أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ» أنفسهم فلا يجب عليهم لله أمر عن ابن عباس «أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ» و اخترعوهما فلذلك لا- يقرون بالله و بأنه خالقهم «بَلْ لَّا يُوقِنُونَ» بأن لهم إلها يستحق العباده وحده و إنك نبي من جهة الله «أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَّبِّكَ» أى بأيديهم مفاتيح ربك بالرساله فيضعونها حيث شاءوا عن مقاتل و عكرمه و قيل أراد خزائن المطر و الرزق عن الكلبي و ابن عباس و قيل خزائنه مقدراته فلا- يأتيهم إلا ما يحبون عن الجبائي «أَمْ هُمْ الْمُصْطَفُونَ» أى الأرباب المسلمون على

الناس فليس عليهم مسيطر ولا لهم ملزم ومقوم وقيل معناه أم هم المالكون الناس القاهرون لهم عن الجبائي «أَمْ لَهُمْ سُلَيْمٌ» أى مرقى ومصعد إلى السماء «يَسْتَمْعُونَ فِيهِ» الوحي من السماء فقد وثقوا بما هم عليه و ردوا ما سواه «فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعَهُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ» أى بحجه ظاهره واضحه أن ادعى ذلك والتقدير يستمعون عليه فهو كقوله «وَلَأَصْلَبُنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ» وإنما قيل لهم ذلك لأن كل من يدعى ما لا يعلم ببدايه العقول فعليه إقامه البينه والحجه «أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبُنُونَ» وهذا تسفيه لأحلامهم إذ أضافوا إلى الله سبحانه ما أنفوا منه وهذا غايه فى جهلهم إذ جوزوا عليه سبحانه الولد ثم ادعوا أنه اختار الأدون على الأعلى «أَمْ تَسْتَأْجُرُهُمْ أَجْرًا» أى ثوابا على أداء رساله و على ما جنتهم به من الدين والشريعه «فَهُمْ مِنْ مَّعْرَمٍ مَثْقُلُونَ» أثقلهم ذلك الغرم الذى تسألهم فمنعهم ذلك عن الإيمان بك.

[سوره الطور (٥٢): الآيات ٤١ الى ٤٩]

اشاره

أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ (٤١) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٣) وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ (٤٤) فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (٤٥) يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٦) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٧) وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ (٤٩)

القراءه

قرأ ابن عامر و عاصم يصعقون بضم الياء و الباقون بفتحها و قرأ زيد عن يعقوب و أدبار النجوم بفتح الألف و الباقون بكسرها.

يقال صعق الرجل يصعق و من قرأ «يُضِيْعَمَقُونَ» بضم الياء فإنه على نقل الفعل بالهمزه صعقتهم و أصعقتهم غيرهم و حكى أبو الحسن صعق فعلى هذا يجوز أن يكون يصعقون منه و من قرأ و أدبار النجوم فإنه يكون كقولهم أعقاب النجوم قال:

فأصبحت من ليلي الغداه كناظر مع الصبح فى أعقاب نجم مغرب.

اللغة

الكيد هو المكر و قيل هو فعل ما يوجب الغيظ فى خفيه و الكسف جمع كسفه فهو مثل سدره و سدر و الكسفه القطعه من الغيم بقدر ما يكسف ضوء الشمس و المركوم هو الموضوع بعضه على بعض.

المعنى

ثم قال سبحانه «أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ» أى أ عندهم الغيب حتى علموا أن محمدا ص يموت قبلهم و هذا جواب لقولهم نَتَرَبِّصُ بِهِ رَبِّبَ الْمُنُونِ عن قتاده و قيل أ عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه و يخبرون به الناس عن ابن عباس و قيل هو جواب لقولهم إن كان أمر الآخرة حقا كما تدعون فلنا الجنة و مثله وَ لَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّى إِنَّ لى عِنْدَهُ لَلْحَسْبِى عن الحسن و الغيب الذى لا يعلمه إلا الله هو ما لا يعلمه العاقل ضروره و لا عليه دلالة فالله عالم به لأنه يعلمه لنفسه و العالم لنفسه يعلم جميع المعلومات فلا يخفى عليه شىء منها «أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا» أى مكرًا بك و تدبير سوء فى بابك سرا على ما دبروه فى دار الندوه «فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ» أى هم المجزيون بكيدهم فإن ضرر ذلك يعود عليهم و يحق بهم مكرهم كما جزى الله سبحانه أهل دار الندوه بكيدهم أن قتلهم بيدر «أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ» يرزقهم و يحفظهم و ينصرهم يعنى أن الذين اتخذوهم آلهة لا تنفعهم لا تدفع عنهم ثم نزه سبحانه نفسه فقال «سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ» به من الآلهة ثم ذكر سبحانه عنادهم و قسوه قلوبهم فقال «وَ إِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا» يعنى إن عذبناهم بسقوط بعض من السماء عليهم لن ينتهوا عن كفرهم و قالوا هو قطعه من السحاب و هو قوله «يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ» بعضه على بعض و كل هذه الأمور المذكوره بعد أم فى هذه السوره إلزامات لعبده الأوثان على مخالفه القرآن ثم قال سبحانه يخاطب النبى ص «فَدَرُّهُمْ» يا محمد أى اتركهم «حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِى فِيهِ يُضِيْعَمَقُونَ» أى يهلكون بوقوع الصاعقه عليهم و قيل الصعقه النفخه الأولى التى يهلكك عندها جميع الخلائق ثم وصف سبحانه ذلك اليوم فقال «يَوْمٌ لَا

يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا» أى لا تنفعهم حيلتهم ولا تدفع عنهم شيئاً «وَلَا هُمْ يُنصِرُونَ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا» يعنى كفار مكه «عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ» أى دون عذاب الآخرة يعنى القتل يوم بدر عن ابن عباس وقيل يريد عذاب القبر عن ابن عباس أيضا والبراء بن عازب وقيل هو الجوع فى الدنيا والقحط سبع سنين عن مجاهد وقيل هو مصائب الدنيا عن ابن زيد وقيل هو عام جميع ذلك «وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» ما هو نازل بهم «وَاصْبِرْ» يا محمد «لِحُكْمِ رَبِّكَ» الذى حكم به و أَلْزَمَكَ التَّسْلِيمَ له إلى أن يقع عليهم العذاب الذى حكمناه عليهم وقيل واصبر على أذاهم حتى يرد أمر الله عليك بتخليصك «فَأِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا» أى بمرأى منا ندر كك ولا يخفى علينا شىء من أمرك ونحفظك لئلا يصلوا إلى شىء من مكر وهك «وَأَسْبِحِ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ» من نومك عن أبى الأحوص وقيل حين تقوم إلى الصلاة المفروضة فقل سبحانك اللهم وبحمدك عن الضحاك وقيل معناه وصل بأمر ربك حين تقوم من مقامك عن ابن زيد وقيل الركعتان قبل صلاة الفجر عن ابن عباس والحسن وقيل حين تقوم من نوم القائله وهى صلاة الظهر عن زيد بن أسلم وقيل حين تقوم من المجلس فقل سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت اغفر لى و تب على عن عطا وسعيد بن جبیر و

قد روى مرفوعاً أنه كفاره المجلس

وقيل معناه اذكر الله بلسانك حين تقوم إلى الصلاة إلى أن تدخل فى الصلاة عن الكلبى فهذه سبعة أقوال «وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ» يعنى صلاة الليل

وروى زراره و حمران و محمد بن مسلم عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام) فى هذه الآية قالاً إن رسول الله ص كان يقوم من الليل ثلاث مرات فينظر فى آفاق السماء و يقرأ الخمس من آل عمران التى آخرها إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ثم يفتح صلاة الليل الخیر بتمامه

وقيل معناه صل المغرب و العشاء الآخرة عن مقاتل

«وَإِذْبَارَ النُّجُومِ» يعنى الركعتين قبل صلاة الفجر عن ابن عباس و قتاده و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام)

و ذلك حين تدبر النجوم أى تغيب بضوء الصبح وقيل يعنى صلاة الفجر المفروضة عن الضحاك وقيل إن المعنى لا تغفل عن ذكر ربك صباحاً و مساءً و نزهه فى جميع أحوالك ليلاً نهاراً فإنه لا يغفل عنك و عن حفظك و فى هذه الآية دلالة على أنه سبحانه قد ضمن حفظه و كلاءته حتى يبلغ رسالته.

(٥٣) سورة النجم مكيه و آياتها ثنتان و ستون (٦٢)

اشاره

اشاره

المعدل عن ابن عباس و قتاده غير آيه منها نزلت بالمدينه «الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ» الآيه و عن الحسن قال هي مدينه.

عدد آياتها

اثنان و ستون آيه كوفى و آيه فى الباقيين.

اختلفها

ثلاث آيات «مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا» كوفى «عَنْ مَنْ تَوَلَّى» شامى «الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» غير شامى.

فضلها

أبى بن كعب قال قال رسول الله ص من قرأ سورة النجم أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد ص و من جحد به.

يزيد بن خليفه عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من كان يدمن قراءه و النجم فى كل يوم أو فى كل ليله عاش محمودا بين الناس و كان مفقودا و كان محببا بين الناس.

تفسيرها

افتتح الله سبحانه هذه السوره بذكر النبى ص كما ختم بذكر سوره الطور حتى اتصلت بها اتصال النظير بالنظير فقال:

ص: ٢٥٩

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)
عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩)
فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (١٠)

القراءة

أمال حمزه و الكسائي و خلف أواخر آيات هذه السوره كلها و جميع أشباهها و قرأ أهل المدينه و أبو عمرو بين الفتح و الكسر إلى الفتح أقرب و كذلك كل سوره آياتها على الياء مثل سوره طه و الشمس و ضحاها و الليل إذا يغشى و الضحى و أشباهها و كل ما كان على وزن فعلى أو فعلى أو فعلى في جميع القرآن فإن أبا عمرو يقرأها بين الفتح و الكسر أيضا في روايه شجاع و أكثر الروايات عن اليزيدي و الباقر يفتحون و يفخمون و ابن كثير و عاصم أشد تفخيما في ذلك كله.

الحج

أما ترك الإماله و التفخيم للألف فهو قول كثير من الناس و الإماله أيضا قول كثير منهم فمن ترك كان مصيبا و من أخذ بها كان مصيبا.

اللغة

الهوى و النزول و السقوط نظائر هوى يهوى هويا أو هويا قال الهذلي:

و إذا رميت به الفجاج رأيت يهوى مخارمها هوى الأجدل

و منه سميت الهاويه لأنها تهوى بأهلها من أعلاها إلى أسفلها و الغي الخيبه و منه الغوايه و الوحي إلقاء المعنى إلى النفس في خفيفه إلا- أنه صار كالعلم فيما يلقيه الملك إلى النبي من البشر عن الله تعالى و منه قوله وَ أَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَيِ الْأَهْمِهَا مرادها و القوه القدره و أصله الشده و أصل المره شده القتل ثم تجرى المره على القدره فالمره و القوه و الشده نظائر و الأفق ناحيه السماء و جمعه آفاق و قد سمى نواحي الأرض آفاقا على التشبيه قال الشاعر في المعنى الأول:

أخذنا بآفاق السماء عليكم لنا قمرها و النجوم الطوالع

وقال امرؤ القيس فى المعنى الثانى:

لقد طوفت فى الآفاق حتى رضيت من الغنيمه بالإياب

ص: ٢٦٠

و التدلى الامتداد إلى جهه السفلى يقال دلاه صاحبه فتدلى و القاب و القيب و القاد و القيد عباره عن مقدار الشىء .

الإعراب

«وَهُوَ بِالْأَفُقِ الْأَعْلَى» مبتدأ و خبر فى موضع الحال و قال الفراء هو معطوف على الضمير فى استوى أى استوى جبرائيل و النبى ص بالأفق الأعلى و التقدير استوى هو و هو قال و حسن ذلك لثلا يتكرر هو و أنشد:

ألم تر أن النبع يصلب عوده و لا يستوى و الخروج المتقصف

قال الزجاج و هذا لا يجوز إلا فى الشعر لأنهم يستقبحون استويت و زيد و إنما المعنى فاستوى جبرائيل و هو بالأفق الأعلى على صورته الحقيقيه لأنه كان يتمثل للنبى ص إذا هبط عليه بالوحى فى صورته رجل فأحب رسول الله ص أن يراه على صورته الحقيقيه فاستوى فى أفق المشرق فملاً الأفق:.

المعنى

«وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى» فقيل فى معناه أقوال (أحدها) أن الله أقسم بالقرآن إذ أنزل نجوما متفرقه على رسول الله ص فى ثلاث و عشرين سنه عن الضحاك و مجاهد و الكلبي فسمى القرآن نجما لتفرقه فى النزول و العرب تسمى التفريق تنجيما و المفرق منجما (و ثانيها) أنه أراد بالنجم الثريا أقسم بها إذا سقطت و غابت مع الفجر عن ابن عباس و مجاهد و العرب تطلق اسم النجم على الثريا خاصه قال أبو ذؤيب:

فوردن و العيوق مقعد رابى الضرباء فوق النجم لا يتلعب

قال ابن دريد و الثريا سبعة أنجم سته ظاهره و واحد خفى يمتحن الناس به أبصارهم (و ثالثها) أن المراد به جماعه النجوم إذا هوت أى سقطت و غابت و خفيت عن الحسن و أراد به الجنس كما قال الراعى:

و بات يعد النجم فى مستحيره سريع بأيدى الأكلين جمودها

ثم قيل أشار بأفول النجم إلى طلوعه لأن ما يأفل يطلع فاستدل بأفوله و طلوعه على وحدانيه الله تعالى و حركات النجم و توصف بالهوى عن الجبائي و قيل إن هويه سقوطه يوم القيامة فيكون كقوله وَ إِذَا الْكُوكِبُ انْتَثَرَتْ عَنِ الْحَسَنِ (و رابعها) أنه يعنى به الرجوم من النجوم و هو ما يرمى به الشياطين عند استراق السمع عن ابن عباس

و روت العامه عن جعفر الصادق (عليه السلام) أنه قال محمد رسول الله ص نزل من السماء السابعة ليله المعراج و لما نزلت السوره أخبر بذلك عتبه بن أبى لهب فجاء إلى النبي ص و طلق ابنته و تفل فى وجهه و قال كفرت بالنجم و برب النجم فدعا ص عليه و قال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فخرج عتبه إلى الشام فنزل فى بعض الطريق و ألقى الله عليه الرعب فقال لأصحابه أنيمونى ليلا ففعلوا فجاء أسد فافترسه من بين الناس

و فى ذلك يقول حسان:

سائل بنى الأصفر إن جئتهم ما كان أبناء بنى واسع

لا وسع الله له قبره بل ضيق الله على القاطع

رمى رسول الله من بينهم دون قريش رمية القاذع

و استوجب الدعوه منه بما بين للناظر و السامع

فسلط الله به كلبه يمشى الهوينا مشيه الخادع

و التقم الرأس بيافوخه و النحر منه قفره الجائع

من يرجع العام إلى أهله فما أكيل السبع بالراجع

قد كان هذا لكم عبره للسيد المتبوع و التابع

«ما ضلَّ صاحبُكُمْ وَ ما غوى» يعنى النبى أى ما عدل عن الحق و ما فارق الهدى إلى الضلال و ما غوى فيما يؤديه إليكم و معنى غوى ضل و إنما أعاده تأكيداً و قيل معناه ما خاب عن إصابه الرشد و قيل ما خاب سعيه بل ينال ثواب الله و كرامته «وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى» أى و ليس ينطق بالهوى و هكذا كما يقال رميت بالقوس و عن القوس و قيل معناه و لا يتكلم بالقرآن و ما يؤديه إليكم عن الهوى الذى هو ميل الطبع «إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى» أى ما القرآن و ما ينطق به من الأحكام إلا وحى من الله يوحى إليه أى يأتيه به جبرائيل و هو قوله «عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى» يعنى جبرائيل (عليه السلام) أى القوى فى نفسه و خلقته عن ابن عباس

و الربيع و قتاده و القوي جمع القوه «ذُو مِرَّةٍ» أى ذو قوه و شده فى خلقه عن الكلبي قال و من قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود فرفعها إلى السماء ثم قبلها و من شدته صيحته لقوم ثمود حتى هلكوا و قيل معناه ذو صحه و خلق حسن عن ابن عباس و قتاده و قيل شديد القوى فى ذات الله ذو مره أى صحه فى الجسم سليم من الآفات و العيوب و قيل ذو مره أى ذو مرور فى الهواء ذاهبا و جائيا و نازلا و صاعدا عن الجبائي «فَاسْتَوَى» جبرائيل على صورته التى خلق عليها بعد انحداره إلى محمد ص «وَهُوَ» كناية عن جبرائيل (عليه السلام) أيضا «بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى» يعنى أفق المشرق و المراد بالأعلى جانب المشرق و هو فوق جانب المغرب فى صعيد الأرض لا فى الهواء قالوا إن جبرائيل كان يأتى النبى ص فى صورته الآدميين فسأله النبى ص أن يريه نفسه على صورته التى خلق عليها فأراه نفسه مرتين مره فى الأرض و مره فى السماء أما فى الأرض ففى الأفق الأعلى و ذلك أن محمدا ص كان بحراء فطلع له جبرائيل (عليه السلام) من المشرق فسد الأفق إلى المغرب فخر النبى ص مغشيا عليه فنزل جبرائيل (عليه السلام) فى صورته الآدميين فضمه إلى نفسه و هو قوله «ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى» و تقديره ثم تدلى أى قرب بعد بعده و علوه فى الأفق الأعلى فدنا من محمد ص قال الحسن و قتاده ثم دنا جبرائيل (عليه السلام) بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض فنزل إلى محمد ص و قال الزجاج معنى دنا و تدلى واحد لأن معنى دنا قرب و تدلى زاد فى القرب كما تقول قد دنا منى فلان و قرب و لو قلت قرب منى و دنا جاز و قيل إن المعنى استوى جبرائيل (عليه السلام) أى ارتفع و علا إلى السماء بعد أن علم محمدا ص عن سعيد بن المسيب و قيل استوى أى اعتدل واقفا فى الهواء بعد أن كان ينزل بسرعه ليراه النبى ص عن الجبائي و قيل معناه استوى جبرائيل (عليه السلام) و محمد ص بالأفق الأعلى يعنى السماء الدنيا ليله المعراج عن الفراء «فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ» أى كان ما بين جبرائيل و رسول الله قاب قوسين و القوس ما يرمى به عن مجاهد و عكرمه و عطا عن ابن عباس و خصت بالذكر على عادتهم يقال قاب قوس و قيب قوس و قيد قوس و قاد قوس و هو اختيار الزجاج و قيل معناه و كان قدر ذراعين عن عبد الله بن مسعود و سعيد بن جبير و شقيق بن سلمه

و روى مرفوعا عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ص فى قوله «فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى» قال قدر ذراعين أو أدنى من ذراعين

فعلى هذا يكون معنى القوس ما يقاس به الشىء و الذراع يقاس به قال ابن السكيت قاس الشىء يقوسه قوسا لغه فى قاسه يقيسه إذا قدره و قوله «أَوْ أَدْنَى» قال الزجاج إن العباد قد خوطبوا على لغتهم و مقدار فهمهم و قيل لهم فى هذا ما يقال للذى يحدد فالمعنى فكان على ما تقدرونه أنتم قدر قوسين أو أقل من ذلك و هو كقوله أَوْ يَزِيدُونَ و قد مر القول فيه و قال عبد الله بن مسعود أن رسول الله ص رأى جبرائيل

(عليه السلام) وله ستمائه جناح أوردته البخارى و مسلم فى الصحيح «فَأَوْحَى إِلَى عِبْدِهِ مَا أَوْحَى» أى فأوحى الله على لسان جبرائيل إلى محمد ص ما أوحى و ما يحتمل أن تكون مصدرية و يحتمل أن تكون بمعنى الذى و قيل معناه فأوحى جبرائيل (عليه السلام) إلى عبد الله محمد ص ما أوحى تعالى إليه عن الحسن و الربيع و ابن زيد و هو روايه عطا عن ابن عباس و قال سعيد بن جبير أوحى إليه أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى إِلَى قَوْلِهِ «وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ» و قيل أوحى إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها أنت و على الأمم حتى تدخلها أمتك و قيل أوحى الله إليه سرا بسر و فى ذلك يقول القائل:

بين المحبين سر ليس يفشيه قول و لا قلم للخلق يحكيه

سر يمازجه أنس يقابله نور تحير فى بحر من التيه.

[سوره النجم (٥٣): الآيات ١١ الى ٢٠]

إشاره

مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (١١) أَفَتَمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى (١٢) وَ لَقَدْ رَأَاهُ نَزَّلَهُ أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرِهِ الْمُتَّهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥)

إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَ مَا طَغَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (١٨) أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّىٰ (١٩) وَ مَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (٢٠)

القراءه

قرأ أبو جعفر و هشام ما كذب بالتشديد و الباقون بالتخفيف و قرأ أهل الكوفه غير عاصم و يعقوب أ فتمرونه بغير ألف و الباقون «أَفَتَمَارُونَهُ» و قرأ ابن كثير و الشمونى عن الأعمش و أبى بكر و مناه بالمد و الهمزه و الباقون «وَ مَنَاة» بغير همزه و لا مد و

روى عن على (عليه السلام) و أبى هريره و أبى الدرداء و زر بن حبیش جنة المأوى بالهاء

و عن ابن عباس و مجاهد و اللات بتشديد التاء.

الحجه

من قرأ كذب بتشديد الذال فمعناه ما كذب قلب محمد ص ما رآه بعينه تلك الليله بل صدقه و حقه و من قرأ بالتخفيف فمعناه ما كذب فؤاده فيما رأى و قال أبو على

كذب فعل يتعدى إلى مفعول بدلاله قوله:

كذبتك عينك أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا

و معنى كذبتك عينك أرتك ما لا حقيقه له فعلى هذا يكون المعنى لم يكذب فؤاده ما أدركه بصره أى كانت رؤيته صحيحه غير كاذبه و إدراكا على الحقيقه و يشبه أن يكون الذى شدد أراد هذا المعنى و أكدده. «أَفْتَمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى» أى أ ترومون إزالته عن حقيقه ما أدركه و علمه بمجادلتكم أو أ تجحدونه ما قد علمه و لم يعترض عليه فيه شك فإن معنى قوله «أَفْتَمَارُونَهُ» أ تجادلونه جدالا تريدون به دفعه عما علمه و شاهده من الآيات الكبرى و من قرأ أ فتمرونه فمعناه أ فتجحدونه و مناه صنم من حجاره و اللات و العزى كانتا من حجاره أيضا و لعل مناه بالمد لغه و من قرأ جنه المأوى يعنى فعله يريد جن عليه فأجنه الله و المأوى و هو الفاعل و المعنى ستره و قال الأَخْفَش أدركه و عن ابن عباس قال كان رجل بسوق عكاظ يلت السويق و السمن عند صخره فإذا باع السويق و السمن صب على الصخره ثم يلت فلما مات ذلك الرجل عبدت ثقيف تلك الصخره إعظاما لذلك الرجل.

المعنى

ثم بين سبحانه ما رآه النبى ص ليله الأسرى و حقق رؤيته فقال «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى» أى لم يكذب فؤاد محمد ما رآه بعينه فقوله «مَا رَأَى» مصدر فى موضع نصب لأنه مفعول كذب و المعنى أنه ما أوهمه الفؤاد أنه رأى و لم يربل صدقه الفؤاد رؤيته قال المبرد معنى الآيه أنه رأى شيئا فصدق فيه

قال ابن عباس رأى محمد ص ربه بفؤاده و روى ذلك عن محمد بن الحنفية عن أبيه على (عليه السلام)

و هذا يكون بمعنى العلم أى علمه علما يقينا بما رآه من الآيات الباهرات كقول إبراهيم (عليه السلام) وَ لَكِنْ لِيُطَمِّنَنَّ قَلْبِي و إن كان عالما قبل ذلك و قيل إن الذى رآه هو جبرائيل على صورته التى خلقه الله عليها عن ابن عباس و ابن مسعود و عائشه و قتاده و قيل إن الذى رآه هو ما رآه من ملكوت الله تعالى و أجناس مقدوراته عن الحسن قال و عرج بروح محمد ص إلى السماء و جسده فى الأرض و قال الأكترون و هو الظاهر من مذهب أصحابنا و المشهور فى أخبارهم أن الله تعالى صعد بجسمه إلى السماء حيا سليما حتى رأى ما رأى من ملكوت السماوات بعينه و لم يكن ذلك فى المنام و هذا المعنى ذكرناه فى سوره بنى إسرائيل و الفرق بين الرؤيه فى اليقظه و بين الرؤيه فى المنام أن رؤيه الشىء فى اليقظه هو إدراكه بالبصر على الحقيقه و رؤيته فى المنام تصوره بالقلب على توهم الإدراك بحاسه البصر من غير أن يكون كذلك

و عن أبى العالیه قال سئل رسول الله ص هل رأيت ربك ليله المعراج قال رأيت نهرا و رأيت وراء النهر حجابا و رأيت وراء الحجاب نورا لم أر غير ذلك

و روى عن أبي ذر و أبي سعيد الخدرى أن النبى ص سئل عن قوله «ما كَذَبَ الْفُؤَادُ ما رَأَى» قال رأيت نورا و روى ذلك عن مجاهد و عكرمه

و ذكر الشعبى عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس أنه قال إن محمدا ص رأى ربه قال الشعبى و أخبرنى مسروق قال سألت عائشه عن ذلك فقالت إنك لتقول قولاً إنه ليقف شعرى منه قال مسروق قلت رويدا يا أم المؤمنين و قرأت عليها و النَّجْمِ إِذَا هَوَى حَتَّى انْتَهَيْتَ إِلَى قَوْلِهِ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَقَالَتْ رُوَيْدَا أَنَّى يَذْهَبُ بِكَ إِنَّمَا رَأَى جِبْرَائِيلَ فِي صُورِهِ مِنْ حَدَثِكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ص رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ وَ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَ مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ص يَعْلَمُ الْحَسَنَ مِنَ الْغَيْبِ فَقَدْ كَذَبَ وَ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ إِلَى آخِرِهِ وَ مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ص كَتَمَ شَيْئًا مِنَ الْوَحْيِ فَقَدْ كَذَبَ وَ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ لَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا رَأَى النَّبَى ص بَيَانًا شَافِيًا فَقَالَ «لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى» «أَفْتَمَارُونَهُ» أَى أَفْتَجَادُلُونَهُ «عَلَى مَا يَرَى» وَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ جَادَلُوهُ حِينَ أُسْرِيَ بِهِ فَقَالُوا لَهُ صَفِّ لَنَا بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَ أَخْبِرْنَا عَنْ عَيْرِنَا فِي طَرِيقِ الشَّامِ وَ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا جَادَلُوهُ بِهِ وَ مِنْ قَرَأَ أَوْ فَتَمَرُونَهُ فَالْمَعْنَى أَوْ فَتَجَادَلُونَهُ يُقَالُ مَرِيتَ الرَّجُلَ حَقَّهُ إِذَا جَحَدْتَهُ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ أَوْ فَتَدَفَعُونَهُ عَمَّا يَرَى وَ عَلَى فِي مَوْضِعٍ عَنِ الْمَبْرَدِ وَ الْمَعْنِيَانِ مُتَقَارِبَانِ لِأَنَّ كُلَّ مُجَادِلٍ جَاحِدٌ «وَ لَقَدْ رَأَى نَزْلَهُ أُخْرَى» أَى رَأَى جِبْرَائِيلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي خَلَقَ عَلَيْهَا نَازِلًا مِنَ السَّمَاءِ نَزْلَهُ أُخْرَى وَ ذَلِكَ أَنَّهُ رَأَى مَرَّتَيْنِ فِي صُورَتِهِ عَلَى مَا مَرَّ ذَكَرَهُ «عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى» أَى رَأَى مُحَمَّدًا ص وَ هُوَ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَ هِيَ شَجْرَةٌ عَنِ يَمِينِ الْعَرْشِ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ انْتَهَى إِلَيْهَا عِلْمُ كُلِّ مَلَكٍ عَنِ الْكَلْبِيِّ وَ مَقَاتِلَ وَ قِيلَ إِلَيْهَا يَنْتَهَى مَا يَعْرَجُ إِلَى السَّمَاءِ وَ مَا يَهْبِطُ مِنْ فَوْقِهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَ الضَّحَّاكِ وَ قِيلَ إِلَيْهَا تَنْتَهَى أَرْوَاحُ الشَّهَدَاءِ وَ قِيلَ إِلَيْهَا يَنْتَهَى مَا يَهْبِطُ بِهِ مِنَ فَوْقِهَا وَ يَقْبُضُ مِنْهَا وَ إِلَيْهَا يَنْتَهَى مَا يَعْرَجُ مِنَ الْأَرْوَاحِ وَ يَقْبُضُ مِنْهَا وَ الْمُنْتَهَى مَوْضِعُ الْإِنْتِهَاءِ وَ هَذِهِ الشَّجْرَةُ حَيْثُ انْتَهَى إِلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ فَأَضْيَفَتْ إِلَيْهِ وَ قِيلَ هِيَ شَجْرَةُ طُوبَى عَنِ مَقَاتِلَ وَ السِّدْرَةُ هِيَ شَجْرَةُ النَّبَوَةِ «عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى» أَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى جَنَّةُ الْمَقَامِ وَ هِيَ جَنَّةُ الْخُلْدِ وَ هِيَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَ قِيلَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ وَ قِيلَ هِيَ الْجَنَّةُ الَّتِي كَانَ آوَى إِلَيْهَا آدَمُ وَ تَصِيرُ إِلَيْهَا أَرْوَاحُ الشَّهَدَاءِ عَنِ الْجَبَائِىِّ وَ قَتَادَةَ وَ قِيلَ هِيَ الَّتِي يَصِيرُ إِلَيْهَا أَهْلُ الْجَنَّةِ عَنِ الْحَسَنِ وَ قِيلَ هِيَ الَّتِي يَأْوَى إِلَيْهَا جِبْرَائِيلُ وَ الْمَلَائِكَةُ عَنِ عَطَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ «إِذْ يَعْشَى السُّدْرَةَ مَا يَعْشَى» قِيلَ يَغْشَاهَا الْمَلَائِكَةُ أَمْثَالَ الْغُرْبَانِ حِينَ يَقَعْنَ عَلَى الشَّجَرِ عَنِ الْحَسَنِ وَ مَقَاتِلَ

و روى أن النبى ص قال رأيت على كل ورقة من أوراقها ملكاً قائماً يسبح الله تعالى

و قيل يغشاها من النور و البهاء و الحسن و الصفاء الذى يروق الأبصار ما ليس لوصفه منتهى عن الحسن و قيل

يغشاها فراش من ذهب عن ابن عباس و مجاهد و كأنها ملائكة على صورة الفراش يعبدون الله تعالى و المعنى أنه رأى جبرائيل (عليه السلام) على ما صورته في الحال التي يغشى فيها السدره من أمر الله و من العجائب المنبئه على كمال قدره الله تعالى ما يغشاها و إنما أبهم الأمر فيما يغشى لتعظيم ذلك و تفخيمه كما قال «فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ» و قوله «ما يَغْشَىٰ» أبلغ لفظ في هذا المعنى «ما زَاغَ الْبَصِيرُ وَ ما طَغَىٰ» أى ما زاغ بصر محمد ص و لم يمل يمينا و لا شمالا و ما طغى أى ما جاوز القصد و لا الحد الذى حدد له و هذا وصف أدبه صلوات الله عليه و آله فى ذلك المقام إذا لم يلتفت جانبا و لم يمل بصره و لم يمد أمامه إلى حيث ينتهى «لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ» و هى الآيات العظام التى رآها تلك الليله مثل سدره المنتهى و صوره جبرائيل (عليه السلام) و رؤيته و له ستمائه جناح قد سد الأفق بأجنحته عن مقاتل و ابن زيد و الجبائى و من للتبعيض أى رأى بعض آيات ربه و قيل إنه رأى رفرفا أخضر من رفارف الجنه قد سد الأفق عن ابن مسعود و قيل إنه قد رأى ربع بقلبه عن ابن عباس فعلى هذا فيمكن أن يكون المراد أنه رأى من الآيات ما ازداد به يقينا إلى يقينه و الكبرى تأنيث الأكبر و هو الذى يصغر مقدار غيره عنده فى معنى صفته و لما قص الله سبحانه هذه الأفاصيص عقبها سبحانه بأن خاطب المشركين فقال «أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّىٰ وَ مَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ» أى أخبرونا عن هذه الآلهه التى تعبدونها من دون الله و تعبدون معها الملائكة و تزعمون أن الملائكة بنات الله و قيل معناه أفرأيتم أيها الزاعمون أن اللات و العزى و مناه بنات الله لأنه كان منهم من يقول إنما نعبد هؤلاء لأنهم بنات الله عن الجبائى و قيل إنهم زعموا أن الملائكة بنات الله و صوروا أصنامهم على صورهم و عبدوها من دون الله و اشتقوا لها أسماء من أسماء الله فقالوا اللات من الله و العزى من العزيز و كان الكسائى يختار الوقف على «اللآت» بالتاء لاتباع المصحف لأنها كتبت بالتاء و العزى تأنيث الأعز و هى بمعنى العزيزه و قيل إن اللات صنم كانت ثقيف تعبده و العزى صنم أيضا عن الحسن و قتاده و قيل إنها كانت شجره سمره عظيمه لغطفان يعبدونها فبعث إليها رسول الله ص خالد بن الوليد فقطعها و قال:

يا عز كفرانك لا سبحانهك إنى رأيت الله قد أهانك

عن مجاهد و قال قتاده كانت مناه صنما بقديد بين مكه و المدينه و قال الضحاك و الكلبي كانت لهذيل و خزاعه يعبدها أهل مكه و قيل إن اللات و العزى و مناه أصنام من حجاره كانت فى الكعبه يعبدونها و الثالثه نعت لمناه و الأخرى نعت لها أيضا و معنى الآيه أخبرونى عن هذه الأصنام هل ضرت أو نفعت أو فعلت ما يوجب أن تعدل بالله فحذف لدلاله الكلام عليه.

إشاره

أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (٢٢) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ
إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ مَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى (٢٣) أَمْ لِلإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى (٢٤) فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَ الْأُولَى (٢٥)
وَ كَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا- تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا- مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَرْضَى (٢٦) إِنْ الَّذِينَ لَا- يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ لَيَسَئُرُنَّ الْمَلَائِكَةُ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى (٢٧) وَ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا- الظَّنَّ وَ إِنْ الظَّنَّ لَا- يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (٢٨)
فَاعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَ لَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَلِكُمْ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنْ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى (٣٠)

القراءه

قرأ ابن كثير غير ابن فليح ضئرى بالهمز و الباقون بغير همز.

الحجه

قال أبو على قوله «تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى» أى ما نسبتموه إلى الله سبحانه من اتخاذ البنات قسمه جائره و قولهم قسمه ضيزى و
مشيه حيكى حمله النحويون على أنه فى الأصل فعلى بالضم و إن كان اللفظ على فعلى كما أن البيوت و العصى فى الأصل
فعل و إن كانت الفاء مكسوره و إنما حملوها على أنها فعلى لأنهم لم يجدوا شيئاً من الصفات على

فعلى كما وجدوا الفعلى و الفعلى و قال أبو عبيده ضزته حقه و ضزته أضوزه أى نقصته و منعه فمن جعل العين منه واوا فالقياس أن يقول ضوزى و قد حكى ذلك فأما من جعله ياء من قولك ضزته فكان القياس أيضا أن يقول ضوزى و لا يحتفل بانقلاب الياء إلى الواو لأن ذلك إنما ذكره فى بيض و عين جمع بيضاء و عينا لقربه من الطرف و قد بعد من الطرف هاهنا بحرف التانيث و ليست هذه العلامة فى تقدير الانفصال كالتاء فكان القياس أن لا يحفل بانقلابها إلى الواو.

المعنى

ثم قال سبحانه منكرا على كفار قريش قولهم الملائكة بنات الله و الأصنام كذلك «أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى» أى كيف يكون ذلك كذلك و أنتم لو خيرتم لا اخترتم الذكر على الأنثى فكيف أضفتم إليه تعالى ما لا ترضونه لأنفسكم «تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى» أى جائره غير معتدله بمعنى أن القسمة التى قسمت من نسبة الإناث إلى الله تعالى و إيثارك بالبنين قسمة غير عادله «إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ» أى ليس تسميتكم لهذه الأصنام بأنها آلهة و أنها بنات الله إلا أسامى لا معانى تحتها لأنه لا ضر عندها و لا نفع فهى تسميات ألقيت على جمادات «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ» أى لم ينزل الله كتابا لكم فيه حجة بما تقولونه عن مقاتل ثم رجع إلى الأخبار عنهم بعد المخاطبه فقال «إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ» الذى ليس بعلم «وَ مَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ» أى و ما تميل إليه نفوسهم «وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى» أى البيان و الرشاد بالكتاب و الرسول عجب سبحانه من حالهم حيث لم يتركوا عبادتها مع وضوح البيان ثم أنكروا عليهم تمنيمهم شفاعه الأوثان فقال لهم «أَمْ لِلإِنْسَانِ» أى للكافر «مَا تَمَنَّى» من شفاعه الأصنام «فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَ الْأُولَى» فلا يملك فيهما أحد شيئا إلا بإذنه و قيل معناه بل للإنسان ما تمنى من غير جزاء لا ليس الأمر كذلك لأن لله الآخرة و الأولى يعطى منهما من يشاء و يمنع من يشاء و قيل معناه ليس للإنسان ما تمنى من نعيم الدنيا و الآخرة بل يفعله الله تعالى بحسب المصلحه و يعطى الآخرة للمؤمنين دون الكافرين عن الجبائى و هذا هو الوجه الأوجه لأنه أعم فيدخل تحته الجميع ثم أكد ذلك بقوله «وَ كَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً» جمع الكنايه لأن المراد بقوله «وَ كَمْ مِنْ مَلَكٍ» الكثره «إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ» لهم فى الشفاعه «لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَرْضَى» لهم أن يشفعوا فيه أى من أهل الإيمان و التوحيد قال ابن عباس يريد لا تشفع الملائكة إلا لمن رضى الله عنه كما قال و لا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى ثم ذم سبحانه مقالتهم فقال «إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ» أى

لا- يصدقون بالبعث و الثواب و العقاب «لَيْسَ مُؤَنَ الْمَلَائِكَةِ تَسْمِيَهُ الْإِنْسِي» حين زعموا أنهم بنات الله «وَمَا لَهُمْ بِهِ» أى بذلك التسميه «مِنْ عِلْمٍ» أى ما يستيقنون أنهم إناث و ليسوا عالمين «إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ» الذى يجوز أن يخطئ و يصيب فى قولهم ذلك «وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا» الحق هنا معناه العلم أى الظن لا يغنى عن العلم شيئاً و لا يقوم مقام العلم ثم خاطب نبيه ص فقال «فَأَعْرِضْ» يا محمد «عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا» و لم يقر بتوحيدنا «وَلَمْ يَرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» فمال إلى الدنيا و منافعها أى لا تقابلهم على أفعالهم و احتملهم و لا تدع مع هذا وعظهم و دعاءهم إلى الحق «ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ» أى الإعراض عن التدبر فى أمور الآخرة و صرف الهمة إلى التمتع باللذات العاجله منتهى علمهم و هو مبلغ خسيس لا يرضى به لنفسه عاقل لأنه من طباع البهائم أن يأكل فى الحال و لا ينتظر العواقب و

فى الدعاء اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا و لا مبلغ علمنا

«إِنَّ رَبَّكَ» يا محمد «هُوَ أَعْلَمُ» منك و من جميع الخلق «بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ» أى بمن جار و عدل عن سبيل الحق الذى هو سبيله «وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى» إليها فيجازى كلا منهم على حسب أعمالهم.

ص: ٢٧٠

إشارة

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيُجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (٣٢) أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى (٣٣) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى (٣٤) أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهَوَّ يَرَى (٣٥)

أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلَّا- تَزُرُّ وَاوْرَثَهُ وَزُرَّ أُخْرَى (٣٨) وَ أَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَ أَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يَرَى (٤٠)

ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (٤١)

اللغة

قال الفراء اللمم أن يفعل الإنسان الشيء في الحين ولا يكون له عادة و منه إلمام الخيال و الإلمام الزيادة التي لا تمتد و كذلك اللمام قال أمية:

إن تغفر اللهم تغفر جما و أى عبد لك لا ألما

و قد روى أن النبي ص كان ينشدهما و يقولهما أى لم يلم بمعصيه و قال أعشى بأهله:

تكفيه حزه فلذان ألم بها من الشواء و يروى شربه الغمر

أجنه جمع جنين قال رؤبه

أجنه فى مستكنات الحلق

و قال عمرو بن كلثوم:

و لا شمطاء لم يترك شقاها لها من تسعه إلا جنينا

أى دفينا فى قبره و أكدى أى قطع العطاء كما تقطع البئر الماء و اشتقاقه من كديه الركيه و هى صلابه تمنع الماء إذا بلغ الحافر إليها يئس من الماء فيقال أكدى إذا بلغ الكديه و يقال كديت أصابعه إذا كلت فلم تعمل شيئا و كديت أظفاره إذا غلظت و كدى النبات إذا قل ريعه و الأصل واحد فيهما:.

الإعراب

«إِلَّا اللَّمَمَ» منصوب على الاستثناء من الإِثْمِ وَ الْفَوَاحِشِ لأن اللمم دونهما إلا أنه منهما. «إِذْ أَنْشَأَكُمُ» العامل في إذ قوله أَعْلَمُ بِكُمْ «فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ» يجوز أن يتعلق بنفس أجنه و تقديره إذ أنتم مستترون في بطون أمهاتكم و يجوز أن يتعلق بمحذوف فيكون صفة لأجنه و قوله «أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» تقديره أنه لا تزر و هو في موضع جر بدلا من قوله «بِمَا فِي صُيُفٍ مُوسَى» و ما اسم موصول.

النزول

نزلت الآيات السبع «أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى» في عثمان بن عفان كان يتصدق و ينفق ماله فقال له أخوه من الرضاعة عبد الله بن سعد بن أبي سرح ما هذا الذي تصنع يوشك أن لا يبقى لك شيء فقال عثمان إن لي ذنوبا و إنى أطلب بما أصنع رضى الله و أرجو

ص: ٢٧١

عفوه فقال له عبد الله أعطني ناقتك و أنا أتحمّل عنك ذنوبك كلها فأعطاه و أشهد عليه و أمسك عن الصدقه فنزلت «أَفَرَأَيْتَ
الَّذِي تَوَلَّى» أى يوم أحد حين ترك المركز و أعطى قليلا ثم قطع نفقته إلى قوله «وَأَنْ سَعَيْهُ سَوْفَ يُرَى» فعاد عثمان إلى ما كان
عليه عن ابن عباس و السدى و الكلبى و جماعه من المفسرين و قيل نزلت فى الوليد بن المغيرة و كان قد اتبع رسول الله ص
على دينه فعيره بعض المشركين و قالوا تركت دين الأشياخ و ضللتهم و زعمت أنهم فى النار قال إنى خشيت عذاب الله فضمن
له الذى عاتبه إن هو أعطاه شيئا من ماله و رجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله ففعل فأعطى الذى عاتبه بعض ما كان ضمن
له ثم بخل و منعه تمام ما ضمن له فنزلت «أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى» عن الإيمان و أعطى صاحبه الضامن قليلا و أكدى أى بخل
بالباقى عن مجاهد و ابن زيد و قيل نزلت فى العاص بن وائل السهمى و ذلك أنه ربما كان يوافق رسول الله ص فى بعض الأمور
عن السدى و قيل نزلت فى رجل قال لأهله جهزوني حتى أنطلق إلى هذا الرجل يريد النبى ص فتجهز و خرج فلقبه رجل من
الكفار فقال له أين تريد فقال محمدا لعلى أصيب من خيره قال له الرجل أعطنى جهازك و أحمل عنك إثمك عن عطاء بن
يسار و قيل نزلت فى أبى جهل و ذلك أنه قال و الله ما يأمرنا محمد إلا بمكارم الأخلاق فذلك قوله «أَعْطَى قَلِيلًا وَ أَكْدَى» أى
لم يؤمن به عن محمد بن كعب القرظى.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن كمال قدرته و سعه ملكه فقال «وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ» و هذا اعتراض بين الآيه الأولى و بين
قوله «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا» و اللام فى ليجزى تتعلق بمعنى الآيه الأولى لأنه إذا كان أعلم بهم جازى كلا منهم بما
يستحقه و ذلك لام العاقبه و ذلك أن علمه بالفريقين أدى إلى جزائهم باستحقاقهم و إنما يقدر على مجازاه المحسن و المسىء
إذا كان كثير الملك و لذلك أخبر به فى قوله «وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ» فى الآخرة «الَّذِينَ أَسَاءُوا» أى
أشركوا «بِمَا عَمِلُوا» من الشرك «وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا» أى وحدوا ربهم «بِالْحُسْنَى» أى بالجنه و قيل إن اللام فى ليجزى تتعلق
بما فى قوله «وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ» لأن المعنى فى ذلك أنه خلقهم ليتعبدهم فمنهم المحسن و منهم المسىء و
إنما كلفهم ليجزى كلا منهم بعلمه عمله فتكون اللام للغرض ثم وصف سبحانه الذين أحسنوا فقال «الَّذِينَ يَجْتَبُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ»
أى عظام الذنوب «وَالْفَوَاحِشَ» جمع فاحشه و هى أقبح الذنوب و أفحشها و قد بينا اختلاف الناس فى الكبائر فى سوره النساء و
قد قيل إن الكبيره كل ذنب ختم بالنار و الفاحشه كل ذنب

فيه الحد و من قرأ كبير الإثم فلأنه يضاف إلى واحد في اللفظ و إن كان يراد به الكثرة «إِلَّا اللَّمَمَ» اختلف في معناه فقيل هو صغار الذنوب كالنظر و القبلة و ما كان دون الزنا عن ابن مسعود و أبي هريره و الشعبي و قيل هو ما ألموا به في الجاهليه من الإثم فهو معفو عنه في الإسلام عن زيد بن ثابت و على هذا فيكون الاستثناء منقطعا و قيل هو أن يلم بالذنب مره ثم يتوب و لا يعود عن الحسن و السدى و هو اختيار الزجاج لأنه قال اللمم هو أن يكون الإنسان قد ألم بالمعصيه و لم يقم على ذلك و يدل على ذلك قوله «إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ» قال ابن عباس لمن فعل ذلك و تاب و معناه أن رحمته تسع جميع الذنوب لا تضيق عنه و تم الكلام هنا ثم قال «هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ» يعنى قبل أن خلقكم «إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ» أى أنشأ أباكم آدم من أديم الأرض و قال البلخي يجوز أن يكون المراد به جميع الخلق أى خلقكم من الأرض عند تناول الأغذيه المخصوصه التى خلقها من الأرض و أجرى العاده بخلق الأشياء عند ضرب من تركيبها فكأنه سبحانه أنشأهم منها «وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ» أى فى وقت كونكم أجنه فى الأرحام أى علم من كل نفس ما هى صانعه و إلى ما هى صائره عن الحسن و قيل معناه أنه سبحانه علم ضعفكم و ميل طباعكم إلى اللمم و علم حين كنتم فى الأرحام ما تفعلون إذا خرجتم و إذا علم ذلك منكم قبل وجوده فكيف لا يعلم ما حصل منكم «فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ» أى لا تعظموها و لا تمدحوها بما ليس لها فإنى أعلم بها و قيل معناه لا تزكوها بما فيها من الخير ليكون أقرب إلى النسك و الخشوع و أبعد من الرياء «هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى» أى اتقى الشرك و الكبائر و قيل هو أعلم بمن بر و أطاع و أخلص العمل «أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى» أى أدبر عن الحق «وَ أَعْطَى قَلِيلًا وَ أَكْثَدَى» أى أمسك عن العطيه و قطع عن الفراء و قيل منع منعا شديدا عن المبرد «أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ» أى ما غاب عنه من أمر العذاب «فَهُوَ يَرَى» أى يعلم أن صاحبه يتحمل عنه عذابه «أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى» أى بل ألم يخبر و لم يحدث بما فى أسفار التوراه «وَ إِبْرَاهِيمَ» أى و فى صحف إبراهيم «الَّذِي وَفَّى» أى تمم و أكمل ما أمر به و قيل بلغ قومه و أدى ما أمر به إليهم و قيل أكمل ما أوجب الله عليه من كل ما أمر و امتحن به ثم بين ما فى صحفهما فقال «أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» أى لا- تحمل نفس حامله حمل أخرى و المعنى لا تؤخذ نفس بإثم غيرها «وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» عطف على قوله «أَلَّا تَزِرُ» و هذا أيضا ما فى صحف إبراهيم و موسى أى ليس له من الجزاء إلا جزاء ما عمله دون ما عمله غيره و متى دعا غيره إلى الإيمان فأجابه إليه فهو محمود

على ذلك على طريق التبع و كأنه من أجل عمله صار له الحمد على هذا و لو لم يعمل شيئاً لما استحق جزاء لا ثواباً و لا عقاباً عن ابن عباس فى روايه الوالى قال إن هذا منسوخ الحكم فى شريعتنا لأنه سبحانه يقول ألحقنا بهم ذرياتهم رفع درجه الذريه و إن لم يستحقوها بأعمالهم و نحو هذا قال عكرمه إن ذلك لقوم إبراهيم و موسى فأما هذه الأمه فلهم ما سعى غيرهم نيابه عنهم و من قال إنه غير منسوخ الحكم قال الآيه تدل على منع النيابة فى الطاعات إلا ما قام عليه الدليل كالحج و هو

أن امرأه قالت يا رسول الله إن أبى لم يحج قال فحجى عنه

«وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى» يعنى أن ما يفعله الإنسان و يسعى فيه لا بد أن يرى فيما بعد بمعنى أنه يجازى عليه و بين ذلك بقوله «ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْمَأْوُفَى» أى يجازى على الطاعات بأوفى ما يستحقه من الثواب الدائم و الهاء فى يجزاه عائده إلى السعى و المعنى أنه يرى العبد سعيه يوم القيامة ثم يجزى سعيه أوفى الجزاء.

ص: ٢٧٤

إشاره

وَ أَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى (٤٢) وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَكَ وَ أَبْكَى (٤٣) وَ أَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَ أَحْيَا (٤٤) وَ أَنَّهُ خَلَقَ الرَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثَى (٤٥) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (٤٦)

وَ أَنَّ عَلَيْهِ النَّشَاءَ الْأُخْرَى (٤٧) وَ أَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَ أَقْنَى (٤٨) وَ أَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَى (٤٩) وَ أَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (٥٠) وَ تَمُودَ فَمَا أَبْقَى (٥١)

وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَ أَطْغَى (٥٢) وَ الْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى (٥٣) فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى (٥٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى (٥٥) هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى (٥٦)

أَزِفَتِ الْأَزِفَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (٥٨) أَمْ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجُّبُونَ (٥٩) وَ تَضْحَكُونَ وَ لَا تَبْكُونَ (٦٠) وَ أَنْتُمْ سَامِدُونَ (٦١)

فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَ اعْبُدُوا (٦٢)

القراءه

قرأ أهل المدينة و البصره غير سهل عاد لولى مدغمه غير منونه و لا مهموزه إلا فى روايه قالون عن نافع فإنه روى عنه عاد لولى مهموزه ساكنه و قرأ الباقون «عاداً الأولى» منونه مهموزه غير مدغمه و قرأ عاصم و حمزه و يعقوب «وَ تَمُودَ فَمَا أَبْقَى» بغير تنوين و الباقون و ثمودا بالتنوين.

الحجه

قال أبو على قال أبو عثمان أساء عندى أبو عمرو فى قراءته لأنه أدغم النون فى لام المعرفه و اللام إنما تحركت بحركه الهمزه و ليست بحركه لازمه و الدليل على ذلك أنك تقول الحمر فإذا طرحت حركه الهمزه على اللام لم يحذف ألف الوصل لأنها ليست بحركه لازمه قال أبو عثمان و لكن كان أبو الحسن روى عن بعض العرب أنه كان يقول هذا لحرمر قد جاء فيحذف ألف الوصل لحرركه اللام و قال أبو على القول فى «عاداً الأولى» أن من حقق الهمزه فى الأولى سكن لام المعرفه و إذا سكنت لام المعرفه و التنوين من قولك عادا المنصوب ساكن التقى ساكنان النون فى عادا و لام المعرفه فحركت التنوين بالكسر لالتقاء الساكنين أن يحذفه هنا قول من لم يدغم و قياس قول من قال أحد الله فحذف التنوين لالتقاء الساكنين أن يحذفه هنا أيضا كما حذفه فى أحد الله و كما حذفه فى قوله و لا ذاكر الله إلا أن ذا لا يدخل فى القراءه و إن كان قياسا و جاء فى الشعر كثيرا و جاء فى بعض القراءه و يجوز فى قول من خفف الهمزه من الأولى على قول من قال الحمر فلم يحذف الهمزه التى للوصل أن يحرك التنوين فيقول عادن الولى كما يقول ذلك إذا حقق الهمزه لأن اللام على هذا فى تقدير السكون فكما تكسر التنوين لالتقاء

الساكنين كذا تكسره فى هذا القول لأن التنوين فى تقدير الالتقاء مع الساكن و من حرك لام المعرفه و حذف همزه الوصل فقياسه أن يسكن النون من عادن فيقول عادن لولى لأن اللام ليس فى تقدير السكون كما كان فى الوجه الأول كذلك أ لا ترى أنه حذف همزه الوصل فإذا كان كذلك ترك النون على سكونها كما تتركه فى نحو عاد ذاهب فأما قول أبى عمرو عاد لولى فإنه لما خفف الهمزه التى هى منقلبه عن الفاء لاجتماع الواوين أولاً ألقى حركتها على اللام الساكنه و قبل اللام نون ساكنه فأدغمها فى اللام كما يدغمها فى الراء فى نحو من راشد و ذلك بعد أن يقلبها لاما أو راء فإذا أدغمها فيها صار عاد

لولى و خرج عن الإساءة التى نسبها إليه أبو عثمان من وجهين (أحدهما) أن يكون تخفيف الهمزة من قوله «المأولى» على قول من قال لحرر كأنه يقول فى التخفيف للهمزة قبل الإدغام لولى فخرجت اللام من حكم السكون بدلاله حذف همزة الوصل معه فحسن الإدغام فيه (و الوجه الآخر) أن يكون أدغم على قول من قال الولى الحر فلم يحذف الهمزة التى للوصل مع إلقاء الحركة على لام المعرفة لأنه فى تقدير السكون فلا- يمتنع أن يدغم فيه كما لا يمتنع أن يدغم فى نحو رد و فر و عض و إن كانت لامتهن سواكن و تحركها للإدغام كما تحركت السواكن التى ذكرنا للإدغام و أما ما روى عن نافع من أنه همز فقال عاد لولى فإنه كما روى عن ابن كثير من قوله على سؤقه فوجهه أن الضمه لقربها من الواو و أنه لم يحجز بينهما شىء صارت كأنها عليها فهمزها كما تهمز الواوات إذا كانت مضمومة نحو أدور و الغور و هذه لغة قد رويت و حكيت و إن لم تكن بتلك الفاشية.

اللغة

المنى التقدير يقال منى يمنى فهو مان قال الشاعر:

" حتى تبين ما يمنى لك المانى "

و منه المنية لأنها المقدره و النشأه الصنعه المخترعه خلاف المشيئه و أقنى من القنيه و هى أصل المال و ما يقتنى و الاقتناء جعل الشىء للنفس على الدوام و منه القناه لأنها مما تقتنى و الشعرى النجم الذى خلف الجوزاء و هو أحد كوكبى ذراع الأسد و قسم المرزم و كانوا يعبدونها فى الجاهليه و المؤتفكه المنقلبه و هى التى صار أعلاها أسفلها و أسفلها أعلاها اتتفكت بهم تأتفك اتتفاكا و منه الإفك الكذب لأنه قلب المعنى عن جهته و أهوى أى أنزل بها فى الهواء و منه أهوى بيده ليأخذ كذا و هوى يهوى نزل فى الهوى فأما إذا نزل فى سلم أو درج فلا يقال أهوى و لا هوى و أزفت الآزفه أى دنت الدانيه قال النابغه:

أزف الترحل غير أن ركبنا لما نزل برجالنا و كان قد

و قال كعب بن زهير:

بأن الشباب و أمسى الشيب قد أزفا و لا أرى لشباب ذاهب خلفا

و السمود اللهو و السامد اللاهى يقال سمد يسمد قال:

رمى الحدثن نسوه آل حرب بمقدار سمدن له سمودا

فرد شعورهن السود بيضا و رد وجوههن البيض سودا

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال «وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ» يعنى و أن إلى ثواب ربك و عقابه آخر الأمر و المنتهى و الآخر واحد و هو المصير إلى حيث ينقطع العمل عنده «وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَكَ وَ أَبْكَى» أى فعل سبب الضحك و البكاء من السرور و الحزن كما يقال أضحكنى فلان و أبكاني عن عطاء و الجبائى و قيل أضحك أهل الجنة فى الجنة و أبكى أهل النار فى النار عن مجاهد و الضحك و البكاء من فعل الإنسان قال الله تعالى «فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَ لْيَبْكُوا كَثِيرًا» و قال تعجبون و تضحكون فنسب الضحك إليهم و قال الحسن أن الله سبحانه هو الخالق للضحك و البكاء و الضحك تفتح أسرار الوجه عن سرور و عجب فى القلب فإذا هجم على الإنسان منه ما لا يمكنه دفعه فهو من فعل الله و البكاء جريان الدمع على الخد عن غم فى القلب و ربما كان عن فرح يمازجه تذكر حزن فكأنه عن رقه فى القلب و قيل معنى الآية أضحك الأشجار بالأنوار و أبكى السحاب بالأمطار و قيل أضحك المطيع بالرحمه و أبكى العاصى بالسخطه «وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَ أَحْيَا» أى خلق الموت فأمات به الأحياء لا يقدر على ذلك غيره لأنه لو قدر على الموت لقدر على الحياه فإن القادر على الشىء قادر على ضده و لا يقدر أحد على الحياه إلا الله تعالى و خلق الحياه التى يحيا بها الحيوان فأمات الخلق فى الدنيا و أحياهم فى العقبى للجزاء «وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ» أى الصنفين «الذَّكَرَ وَ الْأُنثَىٰ» من كل حيوان «مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ» أى إذا خرجت منهما و تنصب فى الرحم و النطفه ماء الرجل و المرأة التى يخلق منها الولد عن عطاء و الضحاك و الجبائى و قيل تمنى أى تقدر و هو أصله فالمعنى تلقى على تقدير فى رحم الأنثى «وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ» أى الخلق الثانى للبعث يوم القيامة يعنى عليه أن يبعث الناس أحياء للجزاء فإن قيل إن لفظه على كلمه إيجاب فكيف يجب على الله سبحانه ذلك فالجواب أنه سبحانه إذا كلف الخلق فقد ضمن الثواب فإذا فعل فيهم الآلام فقد ضمن العوض فإذا لم يعوض فى الدنيا و خلى بين المظلوم و الظالم فلا بد من دار أخرى يقع فيها الجزاء و الإنصاف و الانتصاف و قد وعد سبحانه بذلك فيجب الوفاء به «وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَ أَقْنَىٰ» أى أغنى الناس بالأموال و إعطاء القنيه و أصول المال و ما يدخرونه بعد الكفايه عن أبى صالح و قيل أقنى أى أخدم عن الحسن و مجاهد و قتاده و قيل أغنى مؤول و أقنى أرضى بما أعطى عن ابن عباس و قيل أغنى بالقناعه و أقنى بالرضا عن سفيان و قيل أغنى بالكفايه و أقنى بالزيادة و قيل أغنى من شاء و أقنى أى أفقر و حرم من شاء عن ابن زيد «وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَىٰ» أى خالق الشعرى و مخترعها و مالكها أى فلا تتخذوا المربوب المملوك إلها و قيل إن خزاعه كانت تعبدها و أول من عبدها أبو كبشه أحد أجداد النبى ص من قبل أمهاته و كان المشركون يسمونه ص ابن أبى

كيشه لمخالفته إياهم فى الدين كما خالف أبو كبشه غيره فى عباده الشعري «وَ أَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى» و هو عاد بن إرم و هم قوم هود أهلكتهم الله بريح صرصر عاتيه و كان لهم عقب فكانوا عادا الأخرى قال ابن إسحاق أهلكتوا ببغى بعضهم على بعض فتفانوا بالقتل «وَ ثَمُودَ» أى و أهلكت ثمود «فَمَا أَبْقَى» و لا- يجوز أن يكون منصوبا بأبقى لأن ما لا يعمل ما بعدها فيما قبلها لا يقال زيذا ما ضربت لأنها تجرى مجرى الاستفهام فى أن لها صدر الكلام و إنما فتحت أن فى هذه المواضع كلها لأن جميعها فى صحف إبراهيم و موسى فكأنه قال أم لم ينبأ بما فى صحف موسى و إبراهيم الذى وفى بأنه لا تزر وازره زرر أخرى و بأنه كذا و كذا «وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ» أى و أهلكتنا قوم نوح من قبل عاد و ثمود «إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَ أَطْغَى» من غيرهم لطول دعوه نوح و عتوهم على الله فى الكفر و التكذيب «وَ الْمُؤْتَفِكَةَ» يعنى قرى قوم لوط المخسوفه «أَهْوَى» أى أسقط أهواها جبرائيل بعد أن رفعها و أتبعهم الله بالحجاره و ذلك قوله «فَعَشَّاهَا مَا عَشَّى» أى ألبسها من العذاب ما ألبس يعنى الحجاره المسومه التى رموا بها من السماء عن قتاده و ابن زيد و قيل أنه تفخيم لشأن العذاب الذى نالها من جهه إبهامه فى قوله «ما عَشَّى» فكأنه قال قد حل بهم من العذاب و التنكيل ما يجل عن البيان و التفصيل «فَبَأَى آلاءِ رَبِّكَ تَمَارَى» أى بأى نعم ربك ترتاب و تشك أيها الإنسان فيما أولاك أو فيما كفاك عن قتاده و قيل لما عد الله سبحانه ما فعله مما يدل على وحدانيته قال فبأى نعم ربك التى تدل على وحدانيته تتشكك و إنما ذكره بالنعم بعد تعديد النقم لأن النقم التى عدت هى نعم علينا لما لنا فيها من اللطف فى الانزجار عن القبيح إذ نالهم تلك النقم بكفرانهم النعم «هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى» أشار إلى رسول الله ص عن قتاده و النذر الأولى الرسل قبله و قيل هو إشاره إلى القرآن و النذر الأولى صحف إبراهيم و موسى عن أبى مالك و قيل معناه هذه الأخبار التى أخبر بها عن إهلاك الأمم الأولى نذير لكم عن الجبائى «أَزِفَتِ الْأَزِفَةُ» أى دنت القيامة و اقتربت الساعة و إنما سميت القيامة آزفه أى دانيه لأن كل ما هو آت قريب «لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ» أى إذا غشيت الخلق شداثدا و أهوالها لم يكشف عنهم أحد و لم يردا عن عطاء و الضحاك و قتاده و تأنيث كاشفه على تقدير نفس كاشفه أو جماعه كاشفه و يجوز أن يكون مصدرا كالعاقبه و العاقبه و الواقيه و الخائنه فيكون المعنى ليس لها من دون الله كشف أى لا- يكشف عنها غيره و لا- يظهرها سواه كقوله «لا يُجَلِّئُهَا لَوْفَتِهَا» إلا هو «أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ» يعنى بالحديث ما قدم من الأخبار عن الصادق (عليه السلام) و قيل معناه أفمن هذا القرآن و نزوله من عند الله على محمد ص و كونه معجزا «تَعَجُّبُونَ» أيها المشركون «وَ تَضْحَكُونَ» استهزاء «وَ لا

تَبْكُونَ» انزجارا لما فيه من الوعيد «وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ» أى غافلون لاهون معرضون عن ابن عباس و مجاهد و قيل هو الغناء كانوا إذا سمعوا القرآن عارضوه بالغناء ليشغلوا الناس عن استماعه عن عكرمه «فَأَسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا» أمرهم سبحانه بالسجود له و العباده خالصا مخلصا و فى الآيه دلالة على أن السجود هاهنا واجب على ما ذهب إليه أصحابنا لأن ظاهر الأمر يقتضى الوجوب.

(٥٤) سورة القمر مكيه و آياتها خمس و خمسون (٥٥)

اشاره

اشاره

و هي خمس و خمسون آيه بالإجماع.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأ سورة اقتربت الساعه فى كل غب بعث يوم القيامه و وجهه على صوره القمر ليله البدر و من قرأها كل ليله كان أفضل و جاء يوم القيامه و وجهه مسفر على وجوه الخلائق

و

روى يزيد بن خليفه عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ سورة اقتربت الساعه أخرج الله من قبره على ناقه من نوق الجنة.

تفسيرها

ختم الله سبحانه تلك السوره بذكر أزوف الآزفه و افتتح هذه السوره بمثله فقال:

ص: ٢٨٠

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ (٣)
وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤)

حِكْمَهُ بِالْعَمَىٰ فَمَا تُبْغِنِ الْبُذْرُ (٥) فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ (٦) خُشِعَا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّتَشِيرٌ (٧) مُّهْطِعِينَ إِلَىٰ الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (٨) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩)
فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ (١٠)

القرءاء

قرأ أبو جعفر و كل أمر مستقر بالجر و الباقون بالرفع و قرأ ابن كثير و نافع «يَوْمٌ يَدْعُ الدَّاعِ» بغير ياء و مهطعين إلى الداعى بياء فى الوصل و روى عن ورش يوم يدع الداعى بياء فى الوصل و قرأهما أبو جعفر و أبو عمرو بإثبات الياء فى الوصل و الباقون بغير ياء فى وصل و لا وقف و قد تقدم القول فى هذا النحو و قرأ ابن كثير إلى شىء نكر بالتخفيف و الباقون «نُكْرٍ» بضمين و قرأ أهل العراق غير عاصم خاشعاً أبصارهم و الباقون «خُشِعَا» و فى الشواذ قراءه حذيفه و قد انشق القمر و قراءه مجاهد و الجحدرى و أبى قلابه «إلى شىء نُكْرٍ».

الحجج

من قرأ «مُسِيَّ تَقَرُّ» بالجر جعله صفة لأمر و من قرأه بالرفع جعله خبراً لكل أمر و أما قراءه «نُكْرٍ» فإنه على فعل و هو أحد الحروف التى جاءت صفة على هذه الزنه و مثله ناقه أجد و مشيه سجع صفة قال:

دعوا التحاجر و امشوا مشيه سجحا إن الرجال ذوو غضب و تذكير

و من قرأ نكر خففه مثل رسل و كتب و الضمه فى تقدير الثبات و من قرأ خاشعاً أبصارهم فإنه كما لم يلحق علامه التأنيث لم يجمع و حسن أن لا يؤنث لأن التأنيث ليس بحقيقى و من قال «خُشِعَا» فقد أثبت ما يدل على الجمع و هو على لفظ الأفراد و دل لفظ الجمع على لفظ ما يدل عليه التأنيث الذى ثبت فى نحو قوله فى الآية الأخرى «خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ»* و خَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ قَالَ الزَّجَاجُ و لك فى أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعه التوحيد نحو قوله (خاشعاً أبصارهم) و لك التوحيد و التأنيث نحو خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ* و لك الجمع نحو «خُشِعَا أَبْصَارُهُمْ» تقول مررت بشباب حسن أوجههم و حسان و جوههم و حسنه أوجههم قال:

و شباب حسن أوجههم من أياد بن نزار بن معد

قال ابن جنى قراءه حذيفه و قد انشق القمر يجرى مجرى الموافقه على إسقاط العذر و رفع التشكك أى قد كان انشقاق القمر متوقعا دلالة على قرب الساعة فإذا كان قد انشق

ص: ٢٨١

و انشقاقه من أشراطها و قد يؤكد الأمر في قرب وقوعها و ذلك أن قد إنما هو جواب وقوع أمر كان متوقعا.

اللغة

في اقتربت زياده مبالغه على قرب كما أن في اقتدر زياده مبالغه على قدر لأن أصل افتعل إعداد المعنى بالمبالغه نحو اشتوى إذا اتخذ شواء بالمبالغه في إعداده و الأهواء جمع الهوى و هو رقه القلب بميل الطباع كرقه هواء الجو يقال هوى يهوى هوى فهو هو إذا مال طبعه إلى الشىء و المزدجر المتعظ مفتعل من الزجر إلا أن التاء أبدلت دالا لتوافق الزاى بالجهر و يقال أنكرت الشىء فهو منكر و نكرته فهو منكور و قد جمع الأعشى بين اللغتين فقال:

و أنكرتنى و ما كان الذى نكرت من الحوادث إلا الشيب و الصلعا

و النكر و المنكر الشىء الذى تأباه النفس و لا- تقبله من جهة نفور الطبع عنه و أصله من الإنكار الذى هو نقيض الإقرار و الأحداث القبور جمع جدث و الجدف بالفاء لغه فيه و الإهطاع الإسراع فى المشى.

الإعراب

«فَمَا تُغْنِ النَّذْرُ» يجوز أن يكون ما للجحد فيكون حرفا و يجوز أن يكون استفهاما فيكون اسما و التقدير فى الأول فلا تغنى النذر و فى الثانى فأى شىء تغنى النذر قال الزجاج قوله «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرًا» وقف التمام فتول عنهم و يوم منصوب بقوله «يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ» و أما حذف الواو من يدعو فى الكتاب فلأنها تحذف فى اللفظ لالتقاء الساكنين فأجريت فى الكتاب على ما يلفظ بها و أما الداعى فإثبات الياء فيه أجود و يجوز حذفها لأن الكسره تدل عليها و قوله «خُشِعًا أَبْصَارُهُمْ» منصوب على الحال من الواو فى يخرجون و فيه تقديم و تأخير تقديره يخرجون خشعا أبصارهم من الأحداث و إن شئت كان حالا من الضمير المجرور فى قوله «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ» و مهطعين أيضا منصوب على الحال و «أَنَّى مَغْلُوبٌ» تقديره دعا ربه بأنى مغلوب و قرأ عيسى بن عمر إنى بالكسر على إرادته القول أى فدعا ربه قال إنى مغلوب و مثله و الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا التَّقْدِيرَ قَالُوا مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا.

المعنى

«أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ» أى قربت الساعه التى تموت فيها الخلائق و تكون القيامة و المراد فاستعدوا لها قبل هجومها «وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ»

قال ابن عباس اجتمع المشركون

إلى رسول الله ص فقالوا إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فرقتين فقال لهم رسول الله ص إن فعلت تؤمنون قالوا نعم و كانت ليله بدر فسأل رسول الله ص ربه أن يعطيه ما قالوا فانشق القمر فرقتين و رسول الله ينادى يا فلان يا فلان اشهدوا

و قال ابن مسعود انشق القمر على عهد رسول الله ص شقتين فقال لنا رسول الله ص اشهدوا اشهدوا و روى أيضا عن ابن مسعود أنه قال و الذى نفسى بيده لقد رأيت حراء بين فلقي القمر و عن جبير بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله ص حتى صار فرقتين على هذا الجبل و على هذا الجبل فقال ناس سحرنا محمد فقال رجل إن كان سحركم فلم يسحر الناس كلهم و قد روى حديث انشقاق القمر جماعه كثيره من الصحابه منهم عبد الله بن مسعود و أنس بن مالك و حذيفه بن اليمان و ابن عمر و ابن عباس و جبير بن مطعم و عبد الله بن عمر و عليه جماعه المفسرين إلا ما روى عن عثمان بن عطاء عن أبيه أنه قال معناه و سينشق القمر و روى ذلك عن الحسن و أنكره أيضا البلخي و هذا لا يصح لأن المسلمين أجمعوا على ذلك فلا يعتد بخلاف من خالف فيه و لأن اشتهاره بين الصحابه يمنع من القول بخلافه و من طعن فى ذلك بأنه لو وقع انشقاق القمر فى عهد رسول الله ص لما كان يخفى على أحد من أهل الأقطار فقوله باطل لأنه يجوز أن يكون الله تعالى قد حجه عن أكثرهم بغيم و ما يجرى مجراه و لأنه قد وقع ذلك ليلا فيجوز أن يكون الناس كانوا نياما فلم يعلموا بذلك على أن الناس ليس كلهم يتأملون ما يحدث فى السماء و فى الجو من آيه و علامه فيكون مثل انقضاض الكواكب و غيره مما يغفل الناس عنه و إنما ذكر سبحانه اقتراب الساعه مع انشقاق القمر لأن انشقاقه من علامه نبوه نبينا ص و نبوته و زمانه من أشرط اقتراب الساعه «وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا» هذا إخبار من الله تعالى عن عناد كفار قريش و أنهم إذا رأوا آيه معجزه أعرضوا عن تأملها و الانقياد لصحتها عنادا و حسدا «وَ يَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ» أى قوى شديد يعلو كل سحر عن الضحاك و أبى العالیه و قتاده و هو من إمرار الجبل و هو شده فتله و استمر الشىء إذا قوى و استحکم و قيل معناه سحر ذاهب مضمحل لا يبقى عن مجاهد و هو من المرور و قال المفسرون لما انشق القمر قال مشركو قريش سحرنا محمد فقال الله سبحانه «وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا» عن التصديق و الإيمان بها قال الزجاج و فى هذا دلالة على أن ذلك قد كان و وقع و أقول و لأنه تعالى قد بين أن يكون آيه على وجه الإعجاز و إنما يحتاج إلى الآيه المعجزه فى الدنيا ليستدل الناس بها على صحه النبوه و يعرف صدق الصادق لا فى حال انقطاع التكليف و الوقت الذى يكون الناس فيه ملجئين إلى المعرفه و لأنه سبحانه قال «وَ يَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ» و فى وقت الإلجاء لا يقولون للمعجز أنه سحر «وَ كَذَّبُوا» أى بالآيه التى شاهدوها «وَ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ» فى التكذيب و ما زين لهم الشيطان من الباطل الذى هم عليه

«وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسِيءٌ يَّتَقَرَّرُ» فالخير يستقر بأهل الخير والشر يستقر بأهل الشر عن قتاده والمعنى أن كل أمر من خير وشر مستقر ثابت حتى يجازى به صاحبه إما فى الجنة أو فى النار وقيل معناه لكل أمر حقيقه ما كان منه فى الدنيا فسيظهر و ما كان منه فى الآخرة فسيعرف عن الكلبي «وَلَقَدْ جَاءَهُمْ» أى ولقد جاء هؤلاء الكفار «مِنَ الْأَنْبَاءِ» يعنى الأخبار العظيمه فى القرآن بكفر من تقدم من الأمم وإهلاكنا إياهم «مَا فِيهِ مُرْدَجْرٌ» أى متعظ وهو بمعنى المصدر أى ازدجار عن الكفر وتكذيب الرسل «حِكْمَهُ بِالْغَةِ» يعنى القرآن حكمه تامه قد بلغت الغايه والنهايه «فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ» أى أى شىء تنفع النذر مع تكذيب هؤلاء وإعراضهم وهو جمع النذير وقيل معناه فلا تغنى النذر شيئا أى أن الأنبياء الذين بعثوا إليهم لا يغنون عنهم شيئا من عذاب الله الذى استحقوه بكفرهم لأنهم خالفوهم ولم يقبلوا منهم عن الجبائى وقيل النذر هى الزواجر المخوفه وآيات الوعيد ثم أمره سبحانه بالإعراض عنهم فقال «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ» أى أعرض عنهم ولا تقابلهم على سفههم وها هنا وقف تام «يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ» أى منكر غير معتاد ولا معروف بل أمر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاما واختلف فى الداعى فليل هو إسرائيل يدعو الناس إلى الحشر قائما على صخره بيت المقدس عن مقاتل وقيل بل الداعى يدعوهم إلى النار ويوم ظرف ليخرجون أى فى هذا اليوم يخرجون من الأجداث ويجوز أن يكون التقدير فى هذا اليوم يقول الكافرون وقوله «خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ» يعنى خاشعه أبصارهم أى ذليله خاضعه عند رؤيه العذاب وإنما وصف الأبصار بالخشوع لأن ذله الدليل أو عزه العزيز تتبين فى نظره وتظهر فى عينه «يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ» أى من القبور «كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ» والمعنى أنهم يخرجون فزعين يدخل بعضهم فى بعض ويختلط بعضهم ببعض لا جهه لأحد منهم فيقصدها كما أن الجراد لا جهه لها فتكون أبدا متفرقه فى كل جهه قال الحسن الجراد يتلبد حتى إذا طلعت عليها الشمس انتشرت فالمعنى أنهم يكونون ساكنين فى قبورهم فإذا دعوا خرجوا وانتشروا وقيل إنما شبههم بالجراد لكثرتهم و فى هذه الآيه دلالة على أن البعث إنما يكون لهذه البنيه لأنها الكائنه فى الأجداث خلافا لمن زعم أن البعث يكون للأرواح «مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ» أى مقبلين إلى صوت الداعى عن قتاده وقيل مسرعين إلى إجابته الداعى عن أبى عبيده وقيل ناظرين قبل الداعى قائلين هذا يوم عسر عن الفراء وأبى على الجبائى وهو قوله «يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ» أى صعب شديد وقد قيل أيضا فى قوله «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ» أقوال آخر (أحدها) أن المعنى فأعرض عنهم إذا تعرضوا لشفاعتك

يوم يدع الداعى و هو يوم القيامة فلا تشفع لهم ذلك اليوم كما لم يقبلوا منك اليوم (و ثانيها) أن معناه فتول عنهم فإنهم يرون ما ينزل بهم من العذاب يوم يدع الداعى و هو يوم القيامة فحذف الفاء من جواب الأمر (و ثالثها) أن معناه فتول عنهم فإنهم يوم يدعو الداعى صفتهم كذا و كذا و هى ما بينه إلى قوله «يَوْمٌ عَسِرٌ» (و رابعها) فتول عنهم و اذكر يوم يدع الداعى إلى آخره عن الحسن «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ» أى قبل كفار مكة «قَوْمٌ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا» نوحا كما كذبتك يا محمد هؤلاء الكفار و جحدوا نبوتك «و قالوا مَجْنُونٌ» أى هو مجنون قد غطى على عقله «و أزدجر» أى زجر بالشتيم و الرمى بالقيح عن ابن زيد و قيل معناه زجر بالوعيد و توعد بالقتل فهو مثل قوله «لئن لم تنته يا نُوحُ لتكوننَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ» «فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ» أى فقال يا رب قد غلبنى هؤلاء الكفار بالقهر لا بالحجه فانتصر أى فانتقم لى منهم بالإهلاك و الدمار نصره لدينك و نبيك و فى هذا دلالة على وجوب الانقطاع إلى الله تعالى عند سماع الكلام القبيح من أهل الباطل.

[سوره القمر (٥٤): الآيات ١١ الى ٢١]

اشاره

فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَ فَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَ حَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَابٍ وَاذْهَبَ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (١٤) وَ لَقَدْ تَرَكْنَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (١٥)

فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذْرٍ (١٦) وَ لَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (١٧) كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذْرٍ (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَحْلِ مُنْفَعِرٍ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذْرٍ (٢١)

القرءه

قرأ أبو جعفر و ابن عامر و يعقوب ففتحنا بالتشديد و الباقون بالتخفيف.

الحجه

وجه التخفيف أن فعلنا بالتخفيف يدل على القليل و الكثير و وجه التثقل أنه

يخص الكثير و يقويه قوله «مُفْتَتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ».

اللغة

الهمر صب الدمع و الماء بشده و الانهمار الانصباب قال امرؤ القيس:

راح تمرية الصبا ثم انتحى فيه شؤبوب جنوب منهمر

و التفجير تشقيق الأرض عن الماء و العيون جمع عين الماء و هو ما يفور من الأرض مستديرا كاستداره عين الحيوان فالعين مشتركة بين عين الحيوان و عين الماء و عين الذهب و عين السحاب و عين الركبه و الدسر المسامير التى تشد بها السفينه واحدها دسار و دسير و دسرت السفينه أدرسرها دسرا إذا شدتها و قيل إن أصل الباب الدفع يقال دسره بالرمح إذا دفعه بشده و الدسر صدر السفينه لأنه يدسر به الماء أى يدفع و

منه الحديث فى العبر هو شىء دسره البحر

و مذكر أصله مذتكر فقلبت التاء دالا لتواخى الذال بالجهر ثم أدغمت الذال فيها و النذر اسم من الإنذار يقوم مقام المصدر يقال أنذره نذرا بمعنى إنذارا و مثله أنزله نزلا بمعنى إنزالا و يجوز أن يكون جمع نذير و الصرصر الرياح الشديده الهبوب حتى يسمع صوتها و هو مضاعف صر يقال صر و صرصر و كب و كبكب و نه و نهنه و المستمر الجارى على طريقه واحده و أعجاز النخل أسافله و النخل يذكر و يؤنث و المنقعر المنقلع عن أصله لأن قعر الشىء قراره و تقعر فى كلامه تقعرا إذا تعمق.

الإعراب

عيونا نصب على التمييز أو الحال و الأصل و فجرنا عيون الأرض و المعنى و فجرنا جميع الأرض عيونا و يجوز أن يكون تقديره بعيون فحذف الجار و يجوز أن يكون التقدير و فجرنا من الأرض عيونا و قوله «على أمر» فى موضع نصب على الحال و قوله «بأعْيُنِنَا» فى موضع نصب بأنه ظرف مكان جزاء منصوب بأنه مفعول له و يجوز أن يكون مصدرا وضع موضع الحال و المعنى فعلنا ذلك مجازين جزاء و آيه منصوبه على الحال من الهاء فى تركناها.

المعنى

ثم بين سبحانه إجابته لدعاء نوح (عليه السلام) فقال «فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ» هاهنا حذف معناه فاستجبنا لنوح دعاءه ففتحننا أبواب السماء أى أجرينا الماء من السماء

كجريانه إذا فتح عنه باب كان مانعا له و ذلك من صنع الله الذى لا يقدر عليه سواه و جاز ذلك على طريق البلاغه «بِماءٍ مُنْهَمِرٍ» أى منصب انصبابا شديدا لا ينقطع «وَ فَجَّرْنَا الْأَرْضَ بِالْمَاءِ عِيُونًا حَتَّى جَرَى الْمَاءُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ «فَأَلْتَقَى الْمَاءُ» يعنى فالتقى الماءان: ماء السماء و ماء الأرض و إنما لم يشن لأنه اسم جنس يقع على القليل و الكثير «عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِّرَ» فيه هلاك القوم أى على أمر قد قدره الله تعالى و هو هلاكهم و قيل على أمر قد قدره الله تعالى و عرف مقداره فلا زياده فيه و لا نقصان و قيل معناه أنه كان قدر ماء السماء مثل ما قدر ماء الأرض عن مقاتل و قيل معناه على أمر قدر عليهم فى اللوح المحفوظ «وَ حَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ» أى و حملنا نوحا على سفينه ذات ألواح مركبه بعضها إلى بعض و ألواحها خشباتها التى منها جمعت «وَ دُثِيرٍ» أى مسامير شدت بها السفينه عن ابن عباس و قتاده و ابن زيد و قيل هو صدر السفينه يدسر بها الماء عن الحسن و جماعه و قيل هى أضلاع السفينه عن مجاهد و قيل الدسر طرفاها و أصلها و الألواح جانبها عن الضحاك «تَجْرِي» السفينه فى الماء «بِأَعْيُنِنَا» أى بحفظنا و حراستنا و بمرأى منا و منه قولهم عين الله عليك و قيل معناه بأعين أوليائنا و من وكلناهم بها من الملائكه و قيل معناه تجرى بأعين الماء التى اتبعناها «جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرًا» أى فعلنا به و بهم ما فعلنا من إنجائه و إغراقهم ثوابا لمن كان قد كفر به و جحد أمره و هو نوح (عليه السلام) و التقدير لمن جحد نبوته و أنكر حقه و كفر بالله فيه «وَ لَقَدْ تَرَكْنَاهَا» أى تركنا هذه الفعله التى فعلناها «آيَةً» أى علامه يعتبر بها و قيل معناه تركنا السفينه و نجاه من فيها و إهلاك الباقين دلاله باهره على وحدانيه الله تعالى و عبره لمن اتعظ بها و كانت السفينه باقيه حتى رآها أوائل هذه الأمه عن قتاده و قيل فى كونها آيه أنها كانت تجرى بين ماء السماء و ماء الأرض و قد كان غطاها على ما أمر الله تعالى «فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ» أى متذكر يعلم أن ذلك حق فيعتبر به و يخاف و قيل معناه فهل من طالب علم فيعان عليه عن قتاده «فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذُرِي» هذا استفهام عن تلك الحاله و معناه التعظيم لذلك العذاب أى كيف رأيتم انتقامى منهم و إنذارى إياهم و قال الحسن النذر جمع نذير و إنما كرر سبحانه هذا القول فى هذه السوره لأنه سبحانه لما ذكر أنواع الإنذار و العذاب عقد التذكير بشىء منه على التفصيل «وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ» أى سهلناه للحفظ و القراءه حتى يقرأ كله ظاهرا و ليس من كتب الله المنزل كتاب يقرأ كله ظاهرا إلا القرآن عن سعيد بن جبير و التيسير للشىء هو تسهيله بما ليس فيه كثير مشقه على النفس فمن سهل له

طريق العلم فهو حقيق بأخذ الحظ الجزيل منه لأن التسهيل أكبر داع إليه و تسهيل القرآن للذكر هو خفه ذلك على النفس بحسن البيان و ظهور البرهان فى الحكم السنيه و المعانى الصحيحه الموثوق بها لمجيئها من قبل الله تعالى و إنما صار الذكر من أجل ما يدعى إليه و يحث عليه لأنه طريق العلم لأن الساهى عن الشىء أو عن دليله لا يجوز أن يعلمه فى حال سهوه فإذا تذكر الدلائل عليه و الطرق المؤديه إليه تعرض لعلمه من الوجه الذى ينبغى له «فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ» أى متعظ معتبر به ناظر فيه ثم قال سبحانه «كَذَّبَتْ عَادٌ» أى بالرسول الذى بعثه الله إليهم و هو هود (عليه السلام) فاستحقوا الهلاك فأهلكهم «فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي» لهم «وَنُذِرٌ» أى و إنذارى إياهم ثم بين كيفية إهلاكهم فقال «إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصِرًا» أى شديده الهبوب عن ابن زيد و قيل بارده عن ابن عباس و قتاده من الصر و هو البرد «فِي يَوْمٍ نَحْسٍ» أى فى يوم شؤم «مُسْتَمِرًّا» أى دائم الشؤم استمر عليهم بنحوسه سبع ليال و ثمانيه أيام حتى أتت عليهم و مستمر من صفه اليوم أى يوم مستمر ضرره عام هلاكه و قيل هو نعت للنحس أى استمر بهم العذاب و النحس فى الدنيا حتى اتصل بالعقبى قال الزجاج و

قيل أنه كان فى يوم الأربعاء فى آخر الشهر لا تدور رواه العياشى بالإسناد عن أبى جعفر (عليه السلام)

«تَنْزِعُ النَّاسَ» أى تقتلع هذه الريح الناس ثم ترمى بهم على رؤوسهم فتدق رقابهم فيصيرون «كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ» أى أسافل نخل منقلع لأن رؤوسهم سقطت عن أبدانهم عن مجاهد و قيل معناه تنزع الناس من حفر حفروها ليمتنعوا بها عن الريح و قيل معناه تنزع أرواح الناس عن الحسن «فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذُرِي» و هو تعظيم للعذاب النازل بهم و تخويف لكفار مكه.

إشارة

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (٢٢) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (٢٣) فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٢٤) أَلْقَى الدُّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ (٢٥) سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ (٢٦)

إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (٢٧) وَبَيَّنُّهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُّحْتَضَرٌ (٢٨) فَنادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١)

القراءة

قرأ ابن عامر و حمزه ستعلمون بالتاء و الباقون بالياء و في الشواذ قراءة أبي السماك أ بشر منا بالرفع واحدا نتبعه بالنصب و قراءة أبي قلابه الكذاب الأشر بالتشديد و قراءة مجاهد الأشر بضم الشين خفيفه و قراءة الحسن كهشيم المحتظر بفتح الظاء.

الحجج

قال أبو علي وجه الياء أن قبله غيبه و هو قوله «فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا» «سَيَعْلَمُونَ» و وجه التاء على أنه قيل لهم ستعلمون و قال ابن جني قوله «أ بشر» عندي مرفوع بفعل يدل عليه قوله «أَلْقَى الدُّكْرَ عَلَيْهِ» فكانه قال أ يبعث بشر منا فأما انتصاب واحدا فإن شئت جعلته حالا من الضمير في قوله «مِنَّا» أي ينبأ بشر كائن منا و الناصب لهذه الحال الظرف كقولك زيد في الدار جالسا و إن شئت جعلته حالا من الضمير في قوله «نَتَّبِعُهُ» أي نتبعه واحدا أي منفردا لا ناصر له و قوله «الْأَشِرُّ» بتشديد الراء هو الأصل المرفوض لأن أصل قولهم هذا خير منه و شر منه هذا أخير منه و هذا أشر منه فكثرت استعمال هاتين الكلمتين فحذفت الهمزة منهما و أما الأشر فإنه مما جاء على فعل و فعل من الصفات كحذر و حذر و يقظ و يقظ و وطف و وطف و عجز و عجز و أما المحتظر فإنه مصدر أي كهشيم الاحتظار كقولك كأجر البناء و خشب النجاره و يجوز أن يكون المحتظر الشجر أي كهشيم الشجر المتخذ منه الحظيره أي كما تتهافت من الشجر المجعول حظيره و الهشيم ما تهشم منه و انتشر.

اللفه

السعر جمع سعير و هو النار المسعره و السعر الجنون يقال ناقه مسعوره إذا كانت كان بها جنونا و سعر فلان جنونا و أصله التهاب الشيء و التعاطى التناول و المحتظر الذي يعمل الحظيره على بستانه أو غنمه و هو المنع من الفعل.

الإعراب

«أَبَشَرًا» منصوب بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره و تقديره أ نتبع بشرا منا و قوله «مِنَّا» صفة أي أ بشرا كائنا منا و واحدا صفة بعد صفة و البشر يقع على الواحد و الجمع و قوله «مِن بَيْنِنَا» في محل النصب على الظرف و فتنه منصوب بأنه مفعول له و يجوز أن

يكون مصدرا وضع موضع الحال أى فاتنين لهم.

المعنى

ثم أقسم سبحانه فقال «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ» قد فسرناه و قيل أنه سبحانه إنما أعاد ذكر التيسير لىنبى ء أنه يسره على كل حال و كل وجه من وجوه التيسير فمن الوجوه التى يسر الله تعالى بها القرآن هو أن أبان عن الحكم الذى يعمل عليه و المواعظ التى يرتدع بها و المعانى التى تحتاج إلى التنبية عليها و الحجج التى يميز بها بين الحق و الباطل عن على بن عيسى «كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ» أى بالإنذار الذى جاءهم به صالح و من قال إن النذر جمع نذير قال معناه أنهم كذبوا الرسل بتكذيبهم صالحا لأن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الجميع لأنهم متفقون فى الدعاء إلى التوحيد و إن اختلفوا فى الشرائع «فَقَالُوا أَ بَشَرًا مِثَّنَا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ» أى أ نتبع آدميا مثلنا و هو واحد «إِنَّا إِذَا لَفِى ضَلَالٍ» أى نحن إن فعلنا ذلك فى خطأ و ذهاب عن الحق «وَ سَعُرٍ» أى و فى عناء و شدة عذاب فيما يلزمننا من طاعته عن قتاده و قيل فى جنون عن ابن عباس فى روايه عطاء و الفوائد فى الآيه بيان شبهتهم الركيكه التى حملوا أنفسهم على تكذيب الأنبياء من أجلها و هى أن الأنبياء ينبغى أن يكونوا جماعه و ذهب عليهم أن الواحد من الخلق يصلح لتحمل أعباء الرساله و إن لم يصلح له غيره من جهه معرفته بربه و سلامه ظاهره و باطنه و قيامه بما كلف من الرساله «أَأُلْقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا» هذا استفهام إنكار و جحود أى كيف ألقى الوحى عليه و خص بالنبوه من بيننا و هو واحد منا «بَلْ هُوَ كَذَابٌ» فيما يقول «أَشِرٌّ» أى بطر متكبر يريد أن يتعظم علينا بالنبوه ثم قال سبحانه «سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُّ» و هذا و عيد لهم أى سيعلمون يوم القيامة إذا نزل بهم العذاب أ هو الكذاب أم هم فى تكذيبه و هو الأشر البطر أم هم فذكر مثل لفظهم مبالغه فى توبيخهم و تهديدهم و إنما قال «غَدًا» على وجه التقريب على عاده الناس فى ذكرهم الغد و المراد به العاقبه قالوا إن مع اليوم غدا «إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ» أى نحن باعثو الناقه بإنشائها على ما طلبوها معجزه لصالح و قطعا لعذرهم و امتحانا و اختبارا لهم و ها هنا حذف و هو أنهم تعنتوا على صالح فسألوه أن يخرج لهم من صخره ناقه حمراء عشراء تضع ثم ترد ماءهم فتشربه ثم تعود عليهم بمثله لبنا فقال سبحانه إنا باعثوها كما سألوها فتنه لهم عن ابن عباس «فَارْتَقِبْهُمْ» أى انتظر أمر الله فيهم و قيل فارتقبهم أى انتظر ما يصنعون «وَ اصْطَبِرْ» على ما يصيبك من الأذى حتى يأتى أمر الله فيهم «وَ بَتَّبَهُمْ» أى أخبرهم «أَنَّ الْمَاءَ قَسِيمَةٌ بَيْنَهُمْ» يوم للناقه و يوم لهم «كُلُّ شَرَبٍ مُحْتَضَرٌ» أى كل نصيب من الماء يحضره أهله لا يحضر آخر معه ففى يوم الناقه تحضره الناقه و فى يومهم يحضرونه هم و حضر و احتضر بمعنى واحد و إنما قال قسمة بينهم تغليبا لمن

يعقل و المعنى يوم لهم و يوم لها و قيل إنهم كانوا يحضرون الماء إذا غابت الناقة و يشربونه و إذا حضرت حضروا اللبن و تركوا الماء لها عن مجاهد «فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ» أى دبروا فى أمر الناقة بالقتل فدعوا واحدا من أشرارهم و هو قدار بن سالف عاقر الناقة «فَتَعَاطَى فَعَقَرَ» أى تناول الناقة بالعقر فعقرها و قيل أنه كمن لها فى أصل صخره فرماها بسهم فانتظم به عضله ساقها ثم شد عليها بالسيف فكشف عرقوبها و كان يقال له أحمر ثمود و أحمر ثمود قال الزجاج و العرب تغلط فتجعله أحمر عاد فتضرب به المثل فى الشؤم قال زهير:

و تنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

«فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نُذْرِي» أى فانظر كيف أهلكتهم و كيف كان عذابي لهم و إنذارى إياهم «إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً» يريد صيحه جبرائيل (عليه السلام) عن عطاء و قيل الصيحة العذاب «فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ» أى فصاروا كهشيم و هو حطام الشجر المنقطع بالكسر و الرض الذى يجمعه صاحب الحظيره الذى يتخذ لغنمه حظيره تمنعها من برد الريح و المعنى أنهم بادوا و هلكوا فصاروا كيبس الشجر المفتت إذا تحطم عن ابن عباس و قيل معناه صاروا كالتراب الذى يتناثر من الحائط فتصيبه الرياح فيتحظر مستديرا عن سعيد بن جبير.

إشارة

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (٣٢) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذْرِ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (٣٤) نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (٣٥) وَ لَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذْرِ (٣٦)

وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَ نُذِرِ (٣٧) وَ لَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي وَ نُذِرِ (٣٩) وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (٤٠) وَ لَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (٤١)

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَحْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ (٤٢)

الإعراب

سحر إذا كان نكرة يراد به سحر من الأسحار يقال رأيت زيدا سحرا من الأسحار فإذا أردت سحر يومك قلت أتيتته بسحر و أتيتته سحر و قوله «نِعْمَةٌ» مفعول له و قوله «بُكْرَةً» ظرف زمان فإذا كان معرفه بأن تريد بكرة يومك تقول أتيتته بكرة و غدوه لم تصرفهما فبكرة هنا نكرة.

المعنى

ثم أقسم سبحانه فقال «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ» قال قتاده أى فهل من طالب علم يتعلم «كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذْرِ» أى بالإنذار و قيل بالرسول على ما فسرناه «إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا» أى ريحا حصبتهم أى رمتهم بالحجارة و الحصباء قال ابن عباس يريد ما حصبوا به من السماء من الحجارة فى الريح قال الفرزدق:

مستقبلين شمال الشام تضربنا بحاصب كنديف القطن منشور

ثم استثنى آل لوط فقال «إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ» أى خلصناهم «بِسَحَرٍ» من ذلك العذاب الذى أصاب قومه «نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا» أى إنعاما فيكون مفعولا له و يجوز أن يكون مصدرا و تقديره أنعمنا عليهم بذلك نعمه «كَذَلِكَ» أى كما أنعمنا عليهم «نَجْزِي مَنْ شَكَرَ» قال مقاتل يريد من وحد الله تعالى لم يعذب مع المشركين «وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ» لوط «بَطْشَتَنَا» أى أخذنا إياهم بالعذاب «فَتَمَارَوْا بِالنُّذْرِ» أى تدافعوا بالإنذار على وجه الجدل بالباطل و قيل معناه فشكوا و لم يصدقوه و قالوا كيف يهلكنا و هو واحد منا و هو تفاعلوا من المريه «وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ» أى طلبوا منه أن يسلم إليهم أضيافه «فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ» أى محوناها و المعنى عميت أبصارهم عن الحسن و قتاده و قيل معناه أزلنا تخطيط وجوههم حتى صارت ممسوحة لا يرى أثر عين و ذلك أن جبرائيل (عليه السلام) صفق أعينهم بجناحه صفقه فأذهبها و القصه مذكوره فيما مضى و تم الكلام ثم قال «فَذُوقُوا عَذَابِي وَ نُذِرِ» أى فقلنا لقوم لوط لما أرسلنا عليهم العذاب ذوقوا عذابي و نذرى «وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ» أى أتاهم صباحا عذاب نازل بهم حتى هلكوا جميعا «فَذُوقُوا عَذَابِي وَ نُذِرِ» و وجه التكرار أن الأول عند الطمس و الثانى عند الائتفاك فكلما تجدد العذاب

تجدد

ص: ۲۹۲

التقريع «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ» مر معناه «وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ» النذر أى متابعى فرعون بالقرايه و الدين «النُّذْرُ» أى الإنذار و قيل هو جمع نذير يعنى الآيات التى أنذرهم بها موسى «كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا» و هى الآيات التسع التى جاءهم بها موسى و قيل بجميع الآيات لأن التكذيب بالبعض تكذيب بالكل «فَأَخَذْنَاهُمْ» بالعذاب «أَخَذَ عَزِيزٌ» أى قادر لا يمتنع عليه شى ء فيما يريد «مُقْتَدِرٌ» على ما يشاء.

[سوره القمر (٥٤): الآيات ٤٣ الى ٥٥]

اشاره

أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيِّكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنتَصِرٌ (٤٤) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَ يُؤَلُّونَ الذُّبُرُ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَ السَّاعَةُ أَذْهَى وَ أَمْرٌ (٤٦) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَ سُعُرٍ (٤٧)

يَوْمَ يُسَيِّجُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ ءِ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) وَ مَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصِيرِ (٥٠) وَ لَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (٥١) وَ كُلُّ شَيْءٍ ءِ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢)

وَ كُلُّ صَغِيرٍ وَ كَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ (٥٣) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَهْرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (٥٥)

القراءه

قرأ يعقوب عن رويس سنهزم الجمع و الباقر «سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ» و فى الشواذ قراءه أبى السماك إنا كل شى ء بالرفع و قراءه زهير و القرقي و الأعمش و نهر بضميتين.

الحجه

قال ابن جنى الرفع فى قوله «إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ ءِ خَلَقْنَاهُ» أقوى من النصب و إن كانت الجماعه على النصب و ذلك أنه من مواضع الابتداء فهو كقولك زيد ضربته و هو مذهب

صاحب الكتاب لأنها جملة وقعت في الأصل خيرا عن المبتدأ في قولك نحن كل شىء خلقناه بقدر فهو كقولك زيد هند ضربها ثم دخلت أن فنصبت الاسم وبقى الخبر على تركيبه الذى كان عليه و اختيار محمد بن يزيد النصب لأن تقديره إنا فعلنا كذا قال و الفعل منتظر بعد إنا فلما دل عليه ما قبله حسن إضماره قال ابن جنى و هذا ليس بشىء لأن الأصل فى خبر المبتدأ أن يكون اسما لا فعلا جزء منفردا فما معنى توقع الفعل هنا و خير إن و أخواتها كإخبار المبتدأ و قوله نهر جمع نهر فيكون كأسد و أسد و وثن و وثن و يجوز أن يكون جمع نهر كسقف و سقف و رهن و رهن.

المعنى

ثم خوف سبحانه كفار مكة فقال «أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ» و أشد و أقوى «مِنْ أَوْلِيَّكُمْ» الذين ذكرناهم و قد أهلكناهم و هذا استفهام إنكار أى لستم أفضل من قوم نوح و عاد و ثمود لا فى القوه و لا فى الثروه و لا فى كثره العدد و العده و المراد بالخير ما يتعلق بأسباب الدنيا لا أسباب الدين و المعنى أنه إذا هلك أولئك الكفار فما الذى يؤمنكم أن ينزل بكم ما نزل بهم «أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ» أى ألكم براءة من العذاب فى الكتب السالفه أنه لن يصيبكم ما أصاب الأمم الخاليه «أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ» أى أم يقول هؤلاء الكفار نحن جميع أمرنا نتنصر من أعدائنا عن الكلبى و المعنى أنهم يقولون نحن يد واحده على من خالفنا نتنصر ممن عادانا فيدلون بقوتهم و اجتماعهم و وحد منتصر للفظ الجميع فإنه واحد فى اللفظ و إن كان اسما للجماعه كالرهن و الجيش أى كما أنهم ليسوا بخير من أولئك و لا لهم براءة فكذلك لا جمع لهم يمنع عنهم عذاب الله و ينصرهم و إن قالوا نحن مجتمعون متناصرون فلا نرام و لا نقصد و لا يطمع أحد فى غلبتنا ثم قال سبحانه «سَيُيْهِزُ الْجَمْعُ» أى جمع كفار مكة «وَيُؤَلُّونَ الدُّبُرَ» أى ينهزمون فيولونكم أذبارهم فى الهزيمة ثم أخبر سبحانه نبيه ص أنه سيظهره عليهم و يهزمهم فكانت هذه الهزيمة يوم بدر فكان موافقه الخبر للمخبر من معجزاته ثم قال سبحانه «بِئْسَ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ» أى إن موعد الجميع للعذاب يوم القيامة «وَالسَّاعَةُ أَذَى وَ أَمْرٌ» فالأذى الأعظم فى الدهاء و الدهاء عظم سبب الضرر مع شدة انزعاج النفس و هو من الداهيه أى البليه التى ليس فى إزالتها حيله و المعنى أن ما يجرى عليهم من القتل و الأسر يوم بدر و غيره لا يخلصهم من عقاب الآخرة بل عذاب الآخرة أعظم فى الضرر و أقطع و أمر أى أشد مراره من القتل و الأسر فى الدنيا و قيل الأمر الأشد فى استمرار البلاء لأن أصل المر النفوذ ثم بين سبحانه حال القيامة فقال «إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ» أى فى ذهاب

عن وجه النجاه و طريق الجنه فى نار مسعره عن الجبائى و قيل فى ضلال أى فى هلاك و ذهاب عن الحق و سعر أى عناء و عذاب «يَوْمَ يُسْجَبُونَ» أى يجرون «فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ» يعنى أن هذا العذاب يكون لهم فى يوم يجرمهم الملائكه فيه على وجوههم فى النار و يقال لهم «ذُوقُوا مَسَّ سِقْرٍ» يعنى أصابتها إياهم بعذابها و حرها و هو كقولهم وجدت مس الحمى و سقر جهنم و قيل هى باب من أبوابها و أصل السقر التلويح يقال سقرته الشمس و سقرته إذا لوحته و إنما لم ينصرف للتعريف و التأنيث «إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ» أى خلقنا كل شىء خلقناه بمقدرا بمقدار توجه الحكمة لم نخلقه جزافا و لا تخبيتا فخلقنا العذاب أيضا على قدر الاستحقاق و كذلك كل شىء فى الدنيا و الآخره خلقناه بمقدار معلوم عن الجبائى و قيل معناه خلقنا كل شىء على قدر معلوم فخلقنا اللسان للكلام و اليد للبطش و الرجل للمشى و العين للنظر و الأذن للسمع و المعده للطعام و لو زاد أو نقص عما قدرناه لما تم الغرض عن الحسن و قيل معناه جعلنا لكل شىء شكلا يوافقفه و يصلح له كالمراه للرجل و الأتان للحمار و ثياب الرجال للرجال و ثياب النساء للنساء عن ابن عباس و قيل خلقنا كل شىء بقدر مقدر و قضاء محتوم فى اللوح المحفوظ «وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَّمِحٍ بِالْبَصِيرِ» أى و ما أمرنا بمجىء الساعه فى السرعه إلا كطرف البصر عن ابن عباس و الكلبي و معنى اللوح النظر بالعجله و هو خطف البصر و المعنى إذا أردنا قيام الساعه أعدنا الخلق و جميع المخلوقات فى قدر لمح البصر فى السرعه و قيل معناه و ما أمرنا إذا أردنا أن نكون شيئا إلا مره واحده لم نحتج فيه إلى ثانيه و إنما نقول له كن فىكون كلمح البصر فى سرعته من غير إبطاء و لا تأخير عن الجبائى «وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ» أى أشباهكم و نظائرهم فى الكفر من الأمم الماضيه عن الحسن و سماهم أشياعهم لما وافقوهم فى الكفر و تكذيب الأنبياء «فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ» أى فهل من متذكر لما يوجهه هذا الوعظ من الانزجار عن مثل ما سلف من أعمال الكفار لئلا يقع به ما وقع بهم من الإهلاك «وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ» أى فى الكتب التى كتبها الحفظه و هذه إشاره إلى أنهم غير مغفول عنهم عن الجبائى و قيل معناه أن جميع ذلك مكتوب عليهم فى الكتاب المحفوظ لأنه من أعظم العبره فى علم ما يكون قبل أن يكون على التفصيل «وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَقَرٌّ» أى و ما قدموه من أعمالهم من صغير و كبير مكتوب عليهم عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و الضحاك و قيل معناه كل صغير و كبير من الأرزاق و الآجال و الموت

و الحياه و نحوها مكتوب فى اللوح المحفوظ «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَهَرٍ» أى أنهار يعنى أنهار الجنة من الماء و الخمر و العسل و وضع نهر فى موضع أنهار لأنه اسم جنس يقع على الكثير و القليل و الأولى أن يكون إنما و حد لوفاق الفواصل و النهر هو المجرى الواسع من مجارى الماء «فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ» أى فى مجلس حق لا لغو فيه و لا تأثيم و قيل وصفه بالصدق لكونه رفيعا مرضيا و قيل لدوام النعيم به و قيل لأن الله صدق و عد أوليائه فيه «عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ» أى عند الله سبحانه فهو المالك القادر الذى لا يعجزه شىء و ليس المراد قرب المكان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا بل المراد أنهم فى كنفه و جواره و كفايته حيث تنالهم غواشى رحمته و فضله.

اشاره

اشاره

و قيل مكيه غير آيه نزلت بالمدينه «يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» عن عطاء و قتاده و عكرمه و إحدى الروايتين عن ابن عباس و قيل مدنيه عن الحسن و همام عن قتاده و أبي حاتم.

عدد آياتها

ثمان و سبعون آيه كوفي شامى سبع حجازى ست بصرى.

اختلفها

خمس آيات «الرَّحْمَنُ» كوفي شامى «خَلَقَ الْإِنْسَانَ» الأول غير المدنى «وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ» غير المكى «الْمُجْرِمُونَ» غير البصرى «شُواظٌ مِنْ نَارٍ» حجازى.

فضلها

أبى بن كعب قال قال رسول الله ص من قرأ سورة الرحمن رحم الله ضعفه و أدى شكر ما أنعم الله عليه

و روى عن موسى بن جعفر عن آبائه (عليه السلام) عن النبي ص قال لكل شىء عروس و عروس القرآن سورة الرحمن جل ذكره.

أبو بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال لا تدعوا قراءه الرحمن و القيام بها فإنها لا تفر فى قلوب المنافقين و تأتى ربها يوم القيامه فى صوره آدمى فى أحسن صوره و أطيب ريح حتى تقف من الله موقفا لا يكون أحد أقرب إلى الله سبحانه منها فيقول لها من الذى كان يقوم بك فى الحياه الدنيا و يدمن قراءتك فتقول يا رب فلان و فلان و فلان فتبيض وجوههم فيقول لهم اشفعوا فيمن أحببتم فيشفعون حتى لا يبقى لهم غايه و لا أحد يشفعون له فيقول لهم أدخلوا الجنة و اسكنوا فيها حيث شئتم.

حماد بن عثمان قال قال الصادق (عليه السلام) يجب أن يقرأ الرجل سورة الرحمن يوم الجمعة فكلما قرأ «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» قال لا بشىء من آلائك يا رب أكذب

و عنه (عليه السلام) قال من قرأ سورة الرحمن ليلا يقول عند كل «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» لا بشىء من آلائك يا رب أكذب و كل الله به ملكا إن قرأها فى أول الليل يحفظه حتى يصبح و إن قرأها حين

يصبح وكل الله به ملكا يحفظه حتى يمسي.

تفسيرها

ختم الله سبحانه سورة القمر باسمه و افتتح هذه السوره أيضا باسمه فقال:

[سورة الرحمن (٥٥): الآيات ١ الى ١٣]

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤)

الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨) وَأَقِيمُوا
الْوِزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (٩)

وَالْبَارِضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (١٠) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (١١) وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (١٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكذَّبَانِ (١٣)

القراءة

قرأ ابن عامر و الحب ذا العصف و الريحان بالنصب فيهما جميعا و قرأ حمزه و الكسائي و خلف «و الْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ» بالرفع و
الريحان بالجر و الباقون بالرفع في الجميع و في الشواذ قراءه أبي السماك و السماء رفعها بالرفع و قرأ بلال بن أبي برده و لا
تخسروا بفتح التاء و السين و بكسر السين أيضا.

الحجج

قال أبو علي قال أبو عبيده العصف الذي يعصف فيؤكل من الزرع و هي العصيفه قال علقمه بن عبده:

تسقى مذائب قد مالت عصيفتها حدودها من أتى الماء مطموم

و الريحان الحب الذى يؤكل يقال سبحانك و ريحانك أى و رزقك قال النمر بن تغلب:

سلام الإله و ريحانه و رحمته و سماء درر

و قيل العصف و العصيفه ورق الزرع و عن قتاده العصف التبن و من قرأ و الحب ذا العصف حمله على و خلق الحب و خلق و الريحان و هو الرزق و يقوى ذلك قوله فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى و من رفع الريحان فالتقدير فيها فاكهه و الريحان و الحب ذو العصف و من جر فالتقدير فالحب ذو العصف و ذو الريحان أى من الحب الرزق فإن قلت فإن العصف و العصيفه رزق أيضا فكأنه قال ذو الرزق و ذو الرزق قيل هذا لا يمتنع لأن العصيفه رزق غير الرزق الذى أوقع الريحان عليه و كان الريحان أريد به الحب إذا خلص من لفائفه فأوقع عليه الرزق لعموم المنفعه به و أنه رزق للناس و غيرهم و يبعد أن يكون الريحان المشموم فى هذا الموضع إنما هو قوت الناس و الأنعام كما قال فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى كُلُّوا وَ ارْزُقُوا أَنْعَامَكُمْ و قوله «وَ السَّمَاءَ رَفَعَهَا» قال ابن جنى الرفع هنا أظهر من قراءه الجماعه و ذلك أنه صرفه إلى الابتداء لأنه عطفه على الجمله المركبه من المبتدأ و الخبر و هى قوله «وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَبْتَهِجُ دَانٍ» فأما قراءه العامه بالنصب فإنها معطوفه على يسجدان وحدها و هى جمله من فعل و فاعل و العطف يقتضى التماثل فى تركيب الجمل فيصير تقديره يسجدان و رفع السماء فلما أضمر رفع فسر به بقوله «رَفَعَهَا» كقولك قام زيد و عمرا ضربته أى و ضربت عمرا لتعطف جمله من فعل و فاعل على أخرى مثلها و أما قوله تخسروا بفتح التاء فإنه على حذف حرف الجر أى لا تخسروا فى الميزان فلما حذف حرف الجر أفضى إليه الفعل فنصبه كقوله وَ اقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ أى فى كل مرصد أو على كل مرصد و أما تخسروا بفتح التاء و كسر السين فعلى خسرت الميزان و إنما المشهور أخسرته تقول خسر الميزان و أخسرته و يشبه أن يكون خسرته لغه فى أخسرته نحو أجبرت الرجل و جبرته و أهلكته و هلكته.

اللغه

الرحمن هو الذى وسعت رحمته كل شىء فلذلك لا يوصف به إلا الله تعالى و أما راحم و رحيم فيجوز أن يوصف بهما العباد و البيان هو الأدله الموصله إلى العلم و قيل البيان إظهار المعنى للنفس بما يتميز به من غيره كتميز معنى رجل من معنى فرس و معنى قادر من معنى عاجز و معنى عام من معنى خاص و الحسبان مصدر حسبته أحسبه حسابا و حسابانا نحو السكران و الكفران و قيل هو جمع حساب كشهاب و شهبان و النجم من النبات ما

لم يقم على ساق نحو العشب و البقل و الشجر ما قام على ساق و أصله الطلوع يقال نجم القرن و النبات إذا طلعا و به سمى نجم السماء لطلوعه و الأكمام جمع كم و هو وعاء ثمره النخل تكمم فى وعائه إذا اشتمل عليه و الآلاء النعم واحدها إلى على وزن معى و ألى على وزن قفا عن أبى عبيده.

الإعراب

«الرَّحْمَنُ» آيه مع أنه ليس بجمله لأنه فى تقدير الله الرحمن حتى تصح الفاصله فهو خبر مبتدأ محذوف نحو قوله سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا أَى هذه سوره «أَلَّا تَطْغَوْا» تقديره لأن لا تطغوا فهو فى محل نصب بأنه مفعول له و لفظه نفى و معناه نهى و لذلك عطف عليه بقوله «وَ أَقِيمُوا الْوَزْنَ» و قوله «فِيهَا فَكَيْهَةٌ» مبتدأ و خبر فى موضع نصب على الحال.

المعنى

«الرَّحْمَنُ» افتتح سبحانه هذه السوره بهذا الاسم ليعلم العباد أن جميع ما وصفه يعد من أفعاله الحسنى إنما صدرت من الرحمه التى تشمل جميع خلقه و كأنه جواب لقولهم وَ مَا الرَّحْمَنُ فى قوله وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَ مَا الرَّحْمَنُ و قد روى أنه لما نزل قوله قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ قَالُوا ما نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة ف قيل لهم «الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ» أى علم محمدا ص القرآن و علمه محمد ص أمته عن الكلبي و قيل هو جواب لأهل مكه حين قالوا إنما يعلمه بشر فبين سبحانه أن الذى علمه القرآن هو الرحمن و التعليم هو تبين ما به يصير من لم يعلم عالما و الإعلام إيجاد ما به يصير عالما ذكر سبحانه النعمه فيما علم من الحكمه بالقرآن الذى احتاج إليه الناس فى دينهم ليؤدوا ما يجب عليهم و يستوجبوا الثواب بطاعه ربهم قال الزجاج معنى علم القرآن يسره لأن يذكر «خَلَقَ الْإِنْسَانَ» أى أخرجته من العدم إلى الوجود و المراد بالإنسان هنا آدم (عليه السلام) عن ابن عباس و قتاده «عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» أى أسماء كل شىء و اللغات كلها

قال الصادق (عليه السلام) البيان الاسم الأعظم الذى به علم كل شىء

و قيل الإنسان اسم الجنس و قيل معناه الناس جميعا. «عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» أى النطق و الكتابه و الخط و الفهم و الأفهام حتى يعرف ما يقول و ما يقال له عن الحسن و أبى العالیه و ابن زيد و السدى و هذا هو الأظهر الأعم و قيل البيان هو الكلام الذى يبين به عن مراده و به يتميز من سائر الحيوانات عن الجبائى و قيل «خَلَقَ الْإِنْسَانَ» يعنى محمدا ص «عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» يعنى ما كان و ما يكون عن ابن كيسان «الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ» أى يجريان بحسبان و منازل لا يعدوانها و هما يدلان على عدد الشهور و السنين و الأوقات عن ابن عباس و قتاده فأضمر يجريان و حذفه لدلاله الكلام عليه و تحقيق معناه أنهما يجريان على وتيره واحده

و حساب متفق على الدوام لا يقع فيه تفاوت فالشمس تقطع بروج الفلك في ثلاثمائة و خمسة و ستين يوما و شىء و القمر في ثمانيه و عشرين يوما فيجريان أبدا على هذا الوجه و إنما خصهما بالذكر لما فيهما من المنافع الكثيره للناس من النور و الضياء و معرفه الليل و النهار و نضح الثمار إلى غير ذلك فذكرهما لبيان النعمه بهما على الخلق «وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يَسْجُدَانِ» يعنى بالنجم نبت الأرض الذى ليس له ساق و بالشجر ما كان له ساق يبقى فى الشتاء عن ابن عباس و سعيد بن جبیر و سفيان الثورى و قيل أراد بالنجم نجم السماء و هو موحد و المراد به جميع النجوم و الشجر يسجدان لله بكره و عشيا كما قال فى موضع آخر وَ الشَّجَرُ وَ الدَّوَابُّ عن مجاهد و قتاده و قال أهل التحقيق إن المعنى فى سجودهما هو ما فيهما من الآيه الداله على حدوثهما و على أن لهما صناعا أنشأهما و ما فيهما من الصنعه و القدره التى توجب السجود و قيل سجودهما سجود ظلالهما كقوله يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَ الشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَ هُمْ دَاخِرُونَ عن الضحاک و سعيد بن جبیر و المعنى فيه أن كل جسم له ظل فهو يقتضى الخضوع بما فيه من دليل الحدوث و إثبات المحدث المدبر و قيل معنى سجودهما أنه سبحانه يصرفهما على ما يريد من غير امتناع فجعل ذلك خضوعا و معنى السجود الخضوع كما فى قوله (ترى الأكم فيها سجدا للحوافر) عن الجبائى «وَ السَّمَاءُ رَفَعَهَا» أى و رفع السماء رفعها فوق الأرض دل سبحانه بذلك على كمال قدرته «وَ وَضَعَ الْمِيزَانَ» يعنى آله الوزن للتوصل إلى الإنصاف و الانتصاف عن الحسن و قتاده قال قتاده هو الميزان المعهود ذو اللسانين و قيل المراد بالميزان العدل و المعنى أنه أمرنا بالعدل عن الزجاج و يدل عليه قوله «أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ» أى لا تتجاوزوا فيه العدل و الحق إلى البخس و الباطل تقديره فعلت ذلك لئلا تطغوا و يحتمل أيضا أن يكون لا تطغوا نهيا منفردا و تكون أن مفسره بمعنى أى و قيل إن المراد بالميزان القرآن الذى هو أصل الدين فكأنه تعالى بين أدله العقل و أدله السمع و إنما أعاد سبحانه ذكر الميزان من غير إضمار ليكون الثانى قائما بنفسه فى النهى عنه إذا قيل لهم لا تطغوا فى الميزان «وَ أَقِيمُوا الْوِزْنَ بِالْقِسْطِ» أى أقيموا لسان الميزان بالعدل إذا أردتم الأخذ و الإعطاء «وَ لا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ» أى لا تنقصوه بالبخس و الجور بل سووه بالإنصاف و العدل قال سفيان بن عيينه الإقامه باليد و القسط بالقلب «وَ الْمَأْرُضَ وَ ضَمَّهَا لِلْأَنَامِ» لما ذكر السماء ذكر الأرض فى مقابلتها أى و بسط الأرض و وطأها للناس و قيل الأنام كل شىء فيه روح عن ابن عباس و قيل الأنام الجن و الإنس عن الحسن و قيل جميع الخلق من كل ذى روح عن مجاهد و عبر عن الأرض بالوضع لما عبر عن السماء بالرفع و فى ذلك بيان النعمه على الخلق و بيان وحدانيه الله تعالى كما فى رفع السماء «فِيهَا فَكِهَةٌ» أى فى الأرض ما يتفككه به من ألوان

الثمار المأخوذة من الأشجار «وَ النَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ» أى الأوعيه و الغلف و ثمر النخل يكون فى غلف ما لم ينشق و قيل الأكمام ليف النخل الذى تكم فيه عن الحسن و قيل معناه ذات الطلع لأنه الذى يتغطى بالأكمام عن ابن زيد «وَ الْحَبُّ» يريد جميع الحبوب مما يحترث فى الأرض من الحنطة و الشعير و غيرهما «ذُو الْعَصْفِ» أى ذو الورق فإذا يبس و ديس صار تبنا عن مجاهد و الجبائى و قيل العصف التبن لأن الريح تعصفه أى تطيره عن ابن عباس و قتاده و الضحاك و قيل هو بقل الزرع و هو أول ما ينبت منه عن السدى و الفراء «وَ الرِّيحَانُ» يعنى الرزق فى قول الأكثرين و قال الحسن و ابن زيد هو ريحانكم الذى يشم و قال الضحاك الريحان الحب المأكول و العصف الورق الذى لا يؤكل فهو رزق الدواب و الريحان رزق الناس فذكر سبحانه قوت الناس و الأنعام ثم خاطب الإنس و الجن بقوله «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» أى فبأى نعم ربكما من هذه الأشياء المذكوره تكذبان لأنها كلها منعم عليكم بها و المعنى أنه لا يمكن جحد شىء من هذه النعم فأما الوجه لتكرار هذه الآيه فى هذه السوره فإنما هو التقرير بالنعم المعدوده و التأكيد فى التذكير بها فكلما ذكر سبحانه نعمه أنعم بها قرر عليها و وبخ على التكذيب بها كما يقول الرجل لغيره أما أحسنت إليك حين أطلقت لك مالا أما أحسنت إليك حين ملكتك عقارا أما أحسنت إليك حين بنيت لك دارا فيحسن فيه التكرار لاختلاف ما يقرره به و مثله كثير فى كلام العرب و أشعارهم قال مهلهل بن ربيعه يرثى أخاه كليباً:

على أن ليس عدلا من كليب إذا طرد اليتيم عن الجزور

على أن ليس عدلا من كليب إذا ما ضيم جيران المجير

على أن ليس عدلا من كليب إذا رجف العضاه من الدبور

على أن ليس عدلا من كليب إذا خرجت مخبأه الخدور

على أن ليس عدلا من كليب إذا ما أعلنت نجوى الصدور

و قالت ليلى الأخيلية ترثى توبه بن الحمير:

لنعم الفتى يا توب كنت و لم تكن لتسبق يوما كنت فيه تجاول

و نعم الفتى يا توب كنت إذا التقت صدور العوالى و استشال الأسافل

و نعم الفتى يا توب كنت لخائف أتاك لكى تحمى و نعم المجامل

و نعم الفتى يا توب جارا و صاحبا و نعم الفتى يا توب حين تناضل

لعمري لأنت المرء أبكى لفقده و لو لام فيه ناقص الرأى جاهل

لعمري لأنت المرء أبكى لفقده إذا كثرت بالملجمين التلاتل

أبى لك ذم الناس يا توب كلما ذكرت أمور محكمات كوامل

أبى لك ذم الناس يا توب كلما ذكرت سماح حين تأوى الأراامل

فلا يبعدنك الله يا توب إنما كذاك المنايا عاجلات و آجل

فلا يبعدنك الله يا توب إنما لقيت حمام الموت و الموت عاجل

فخرجت فى هذه الأبيات من تكرار إلى تكرار لاختلاف المعانى التى عددها و قال الحارث بن عباد:

قربا مربط النعامه منى لقت حرب وائل عن حيال

و كرر هذه اللفظه قربا مربط النعامه منى فى أبيات كثيرة و فى أمثال هذا كثره و هذا هو الجواب بعينه عن التكرار لقوله وَيْلُ
يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ* فى المرسلات.

إشارة

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (١٤) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (١٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٦) رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (١٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٨)

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (٢٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢١) يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (٢٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٣)

وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٢٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٥) كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَبَاقِي وَجْهٍ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٨)

يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٠)

القرءاءة

قرأ أهل المدينة والبصرة يخرج منهما بضم الياء وفتح الراء والباقون «يَخْرُجُ» بفتح الياء وضم الراء وقرأ حمزه ويحيى عن أبي بكر المنشئات بكسر الشين والباقون بفتح الشين.

الحججه

قال أبو علي من قرأ يخرج كان قوله بينا لأن ذلك إنما يخرج ولا يخرج بنفسه و من قرأ «يَخْرُجُ» جعل الفعل للؤلؤ والمرجان و هو اتساع لأنه إذا أخرج ذلك فقد خرج و قال «يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ» و لم يقل من أحدهما على حذف المضاف كما قال علي رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْشِيِّينَ عَظِيمٍ على ذلك و قال أبو الحسن زعم قوم أنه يخرج من العذاب أيضا والمرجان صغار اللؤلؤ واحدها مرجانه قال ذو الرمه:

كان عرى المرجان منها تعلقت على أم خشف من ظباء المشاقر

و المنشئات المجردات المرفوعات فمن فتح الشين فلأنها أنشئت و أجريت و لم تفعل ذلك أنفسها و من قرأ المنشئات نسب الفعل إليها على الاتساع كما يقال مات زيد و مرض عمرو و نحو ذلك مما يضاف الفعل إليه إذا وجد فيه و هو في الحقيقة لغيره و كان المعنى المنشئات السير فحذف المفعول للعلم به و إضافه السير إليها اتساع أيضا لأن سيرها إنما يكون في الحقيقة بهبوب الريح أو دفع الصراري.

اللغه

الصلاصال الطين اليايس اللى يسمع منه صلصلة و الفخار الطين اللى طبخ

ص: ٣٠٤

بالنار حتى صار خزفا و المارج المضطرب المتحرك و قيل المختلط يقال مرج الأمر أى اختلط و مرجت عهود القوم و أماناتهم
قال الشاعر:

مرج الدين فأعددت له مشرف الحارك محبوبك الكتد

و مرج الدابه فى المرعى إذا خلاها لترعى و البرزخ الحاجز بين الشئين و الجوارى السفن لأنها تجرى فى الماء واحدها جاربه و
منه الجاربه للمرأه الشابه لأنها يجرى فيها ماء الشباب و الأعلام الجبال واحدها علم قالت الخنساء:

و إن صخرًا لتأتم الهداه به كأنه علم فى رأسه نار

و قال جرير:

" إذا قطعن علما بدا علما "

و الفناء انتفاء الأجسام و الصحيح أنه معنى يضاد الجواهر باق لا ينتفى إلا بضد أو ما يجرى مجرى الضد و ضده الفناء.

المعنى

ثم قال سبحانه عاطفا على ما تقدم من الأدله على وحدانيته و الإبانة عن نعمه على خلقه فقال «خَلَقَ الْإِنْسَانَ» يعنى به آدم و قيل
جميع البشر لأن أصلهم آدم (عليه السلام) «مِنْ صَلْصَالٍ» أى طين يابس و قيل حميا منتن و يحتمل الوجهين جميعا لأنه كان حميا
مسنونا ثم صار يابسا «كَالْفَخَّارِ» أى كالآجر و الخزف «وَ خَلَقَ الْجَانَّ» أى أبا الجن قال الحسن هو إبليس أبو الجن و هو مخلوق
من لهب النار كما أن آدم (عليه السلام) مخلوق من طين «مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ» أى من نار مختلط أحمر و أسود و أبيض عن مجاهد
و قيل المارج الصافى من لهب النار الذى لا دخان فيه «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» فبأى نعمه تكذبان أيها الثقلان أى أبان
خلقكما من نفس واحده و نقلكما من التراب و النار إلى الصورة التى أنتم عليها تكذبان «رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ» يعنى
مشرق الصيف و مشرق الشتاء و مغرب الصيف و مغرب الشتاء و قيل المراد بالمشرقين مشرق الشمس و القمر و بالمغربين مغرب
الشمس و القمر بين سبحانه قدرته على تصريف الشمس و القمر و من قدر على ذلك قدر على كل شىء «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ» ذكر سبحانه عظيم قدرته حيث خلق البحرين العذب و المالح يلتقيان ثم لا
يختلط أحدهما بالآخر و هو قوله «بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ» أى حاجز من قدره الله فلا يبغى الملح على العذب فيفسده و لا العذب على
الملح فيفسده و يختلط به و معنى مرج أرسل عن ابن عباس و قيل المراد بالبحرين بحر السماء و بحر

الأرض فإن في السماء بحرا يمسكه الله بقدرته ينزل منه المطر فيلتقيان في كل سنة و بينهما حاجز يمنع بحر السماء من النزول و بحر الأرض من الصعود عن ابن عباس و الضحاك و مجاهد و قيل إنهما بحر فارس و بحر الروم عن الحسن و قتاده فإن آخر طرف هذا يتصل بآخر طرف ذلك و البرزخ بينهما الجزائر و قيل مرج البحرين خلط طرفيهما عند التقائهما من غير أن يختلط جملتهما لا يبغيان أى لا يطلبان أن لا يختلطا «يُخْرَجُ مِنْهُمَا اللَّوْؤُ وَ الْمَرْجَانُ» اللؤلؤ كبار الدر و المرجان صغاره عن ابن عباس و الحسن و قتاده و الضحاك و قيل المرجان خرز أحمر كالقضبان يخرج من البحر و هو السد عن عطاء الخراساني و أبى مالك و به قال ابن مسعود لأنه قال حجر و إنما قال منهما و إنما يخرج من الملح دون العذب لأن الله سبحانه ذكرهما و جمعهما و هما بحر واحد فإذا خرج من أحدهما فقد خرج منهما عن الزجاج قال الكلبي و هو مثل قوله «وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا» و إنما هو واحد منهن و قوله «يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ» و الرسل من الإنس دون الجن و قيل يخرج منهما أى من ماء السماء و من ماء البحر فإن القطر إذا جاء من السماء تفتحت الأصداف فكان من ذلك القطر اللؤلؤ عن ابن عباس و لذلك حمل البحرين على بحر السماء و بحر الأرض و قيل إن العذب و الملح يلتقيان فيكون العذب كاللحاق للملح و لا يخرج اللؤلؤ إلا من الموضوع الذى يلتقى فيه الملح و العذب و ذلك معروف عند الغواصين و قد روى عن سلمان الفارسي و سعيد بن جبير و سفيان الثوري أن البحرين على و فاطمه ع بينهما برزخ محمد ص يخرج منهما اللؤلؤ و المرجان الحسن و الحسين ع و لا غرو أن يكونا بحرين لسعه فضلتهما و كثره خيرهما فإن البحر إنما يسمى بحرا لسعته و

قد قال النبي ص لفرس ركبه و أجراه فأحمده وجدته بحرا

أى كثير المعانى الحميده «وَ لَهُ الْجَوَارِ» أى السفن الجارية فى الماء تجرى بأمر الله «الْمُنْشَأَتُ فِي الْبَحْرِ» أى المرفوعات و هى التى رفع خشبها بعضها على بعض و ركب حتى ارتفعت و طالت و قيل هى المبتدئات للسير مرفعه القلاع قال مجاهد ما رفع له القلاع فهو منشأ و ما لم ترفع قلاعه فليس بمنشأ و القلاع جمع قلع و هو شراع السفينه «كَالْأَعْلَامِ» أى كالجبال قال مقاتل شبه السفن فى البحر بالجبال فى البر و قيل المنشئات بكسر الشين و هى أن ينشئ الموج بصدرها حيث تجرى فيكون الأمواج كالأعلام من الله سبحانه على عباده بأن علمهم اتخاذ السفن ليركبوها و إن جعل الماء على صفه تجرى السفن عليه لأجلها «كُلُّ مَنْ عَلَيهَا فَإِنَّ» أى كل من على الأرض من حيوان فهو هالك يفنون و يخرجون من الوجود إلى العدم كنى عن الأرض و إن لم يجر لها ذكر كقول أهل المدينة ما بين لابتها أى لابتى

المدينه و إنما جاز ذلك لكونه معلوما «وَيَتَّقِي وَجْهَ رَبِّكَ» أى و يبقى ربك الظاهر بأدلته ظهور الإنسان بوجهه «ذُو الْجَلَالِ» أى العظمه و الكبرياء و استحقاق الحمد و المدح بإحسانه الذى هو فى أعلى مراتب الإحسان و إنعامه الذى هو أصل كل إنعام «وَالْبِأَكْرَامِ» يكرم أنبياءه و أوليائه بألطافه و إفضاله مع عظمته و جلاله و قيل معناه أنه أهل أن يعظم و ينزه عما لا يليق بصفاته كما يقول الإنسان لغيره أنا أكرمك عن كذا و أجلك عنه كقوله أَهْلُ التَّقْوَى أى أهل أن يتقى و تقول العرب هذا وجه الرأى و هذا وجه التدبير بمعنى أنه الرأى و التدبير قال الأعشى:

و أول الحكم على وجهه ليس قضائى بالهوى الجائر

أى قرر الحكم كما هو و قيل إن المراد بالوجه ما يتقرب به إلى الله تعالى و أنشد:

أستغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد إليه الوجه و العمل

و متى قيل و أى نعمه فى الفناء فالجواب أن النعمه فيه التسويه بين الخلق فيه و أيضا فإنه وصله إلى الثواب و تنبيه على أن الدنيا لا- تدوم و أيضا فإنه لطف للمكلف لأنه لو عجل الثواب لصار ملجأ إلى العمل و لم يستحق الثواب ففصل بين الثواب و العمل ليفعل الطاعه لحسنها فيستحق الثواب «يَسْتَيْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى لا يستغنى عنه أهل السماوات و الأرض فيسألونه حوائجهم عن قتاده و قيل يسأله أهل الأرض الرزق و المغفره و تسأل الملائكه لهم أيضا الرزق و المغفره عن مقاتل «كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ» اختلف فى معناه فقيل إن شأنه سبحانه إحياء قوم و إماته آخرين و عافيه قوم و مرض آخرين و غير ذلك من الإهلاك و الإنجاء و الحرمان و الإعطاء و الأمور الأخر التى لا تحصى و

عن أبى الدرداء عن النبى ص فى قوله «كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ» قال من شأنه أن يغفر ذنبا و يفرج كربا و يرفع قوما و يضع آخرين

و عن ابن عباس أنه قال إن مما خلق الله تعالى لوحا من دره بيضاء دواته ياقوته حمراء قلمه نور و كتابه نور ينظر الله فيه كل يوم ثلاثمائه و ستين نظره يخلق و يرزق و يحيى و يميت و يعز و يذل و يفعل ما يشاء فذلك قوله «كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ» و قال مقاتل نزلت فى اليهود حين قالوا إن الله لا يقضى يوم السبت شيئا و قيل إن الدهر كله عند الله يومان أحدهما مده أيام الدنيا و الآخر يوم القيامة فالشأن الذى هو فيه فى اليوم الذى هو مده الدنيا الاختبار بالأمر و النهى و الإحياء و الإماته و الإعطاء و المنع و شأن يوم القيامة الجزاء و الحساب و الثواب و العقاب عن سفيان بن عيينه و قيل شأنه جل ذكره أن يخرج فى كل يوم و ليله ثلاثه عساكر عسكرا من أصلاب الآباء إلى الأرحام و عسكرا من الأرحام إلى الدنيا و عسكرا من الدنيا إلى القبر ثم يرتحلون جميعا إلى

الله تعالى و قيل شأنه إيصال المنافع إليك و دفع المضار عنك فلا تغفل عن طاعه من لا يغفل عن برك عن أبي سليمان الداراني.

[سوره الرحمن (٥٥): الآيات ٣١ الى ٤٥]

اشاره

سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ (٣١) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٢) يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَعْظَمْتُمْ أَن تَنْفُذُوا مِن أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (٣٣) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤) يُرْسِلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٍ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٍ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (٣٥)

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٦) فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (٣٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٨) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْمَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (٣٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٠)

يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (٤١) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٢) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (٤٣) يُطَوَّفُونَ فِيهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ (٤٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٥)

القراءة

قرأ أهل الكوفه غير عاصم سيفرغ بالياء و الباقون بالنون و قرأ ابن كثير شواظ بكسر الشين و الباقون بضمها و قرأ ابن كثير و أهل البصره غير يعقوب و نحاس بالج و الباقون بالرفع و فى الشواذ قراءه قتاده و الأعمش سنفرغ بفتح النون و الراء و قراءه الأعرج سيفرغ بفتح الياء و الراء و روايه أبى حاتم عن الأعمش سيفرغ و قراءه عيسى الثقفى سنفرغ

روى عن أبي عبد الله (عليه السلام) هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان أ صليهاها فلا تموتان فيها ولا تحيان.

الحجج

قال أبو علي وجه الياء فى سيفرغ أن الغيبه قد تقدم فى قوله وَ لَهُ الْجَوَارِ وقوله هُوَ فِى شَأْنٍ ويقال فرغ فرغ يفرغ و ليس الفراغ هنا فراغا عن شغل و لكن تأويله القصد كما قال جرير:

الآن فقد فرغت إلى نمير فهذا حين صرت لهم عذابا

و قرأ ابن عامر أیه الثقلان بضم الهاء و قد مضى الوجه فيه و الشواظ و الشواظ فيه لغتان.

أبو عبيده هو اللهب لا دخان فيه قال رؤبه:

إن لهم من حربنا أيقاظا و نار حرب تسعر الشواظ

و النحاس الدخان قال الجعدى:

تضىء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا

قال أبو علي إذا كان الشواظ اللهب لا دخان فيه ضعفت قراءه من قرأ و نحاس بالجر و لا يكون على تفسير أبى عبيده إلا الرفع فى نحاس على تقدير يرسل عليكم شواظ و يرسل نحاس أى يرسل هذا مره و هذا أخرى و قد يجوز من وجه آخر على أن تقديره يرسل عليكم شواظ من نار و شىء من نحاس فتحذف الموصوف و تقيم الصفه مقامه كقوله وَ مِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبُرُوقَ وَ مِنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ وَ إِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ فحذف الموصوف فى ذلك كله فكذلك فى الآيه فإن قلت هذا فاعل و الفاعل لا يحذف فقد جاء:

فما راعنا إلا يسير بشرطه و عهدى به قينا يفش بكير

على أن هذا الحذف قد جاء فى المبتدأ فى الآيه التى تلونا أو بعضها و قد قالوا تسمع بالمعدي لا أن تراه فإذا حذف الموصوف بقى بعده من نحاس الذى هو صفه لشىء

محذوف و حذف من لأن ذكره قد تقدم في قوله من نارٍ فحسن لذلك حذفها كما حسن حذف الجار من قولهم على من تنزل أنزل و كما أنشده أبو زيد من قول الشاعر:

و أصبح من أسماء قيس كقابض على الماء لا يدرى بما هو قابض

أى بما هو قابض عليه فحذف لدلاله الكلام المتقدم عليه و كما حذف الجار عند الخليل في قوله:

" إن لم يجد يوماً على من يتكل "

يريد عنده من يتكل عليه فحذف الجار لأنه جرى ذكره قبل فيكون انجرار نحاس على هذا بمن المضمره لا بالإشراك في من التى جرت في قوله من نارٍ فإذا انجر بمن لم يكن للشواظ الذى هو اللهب قسط من الدخان.

اللغة

الثقلان أصله من الثقل و كل شىء له وزن و قدر فهو ثقل و منه قيل لبيض النعامه ثقل قال:

فتذكرا ثقلاً رثيداً بعد ما ألقى ذكاء يمينها فى كافر

و إنما سميت الإنس و الجن ثقلين لعظم خطرهما و جلاله شأنهما بالإضافة إلى ما فى الأرض من الحيوانات و لثقل وزنهما بالعقل و التمييز و منه

قول النبى ص إنى تارك فىكم الثقلين كتاب الله و عترتى

سماهما ثقلين لعظم خطرهما و جلاله قدرهما و قيل إن الجن و الإنس سميا ثقلين لثقلهما على الأرض أحياء و أمواتا و منه قوله وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا أَى أخرجت ما فيها من الموتى و العرب تجعل السيد الشجاع ثقلاً على الأرض قالت الخنساء:

أبعد ابن عمرو من آل الشريد حلت به الأرض أثقالها

و المعنى أنه لما مات حل عنها ثقل بموته لسؤدده و مجده و قيل إن المعنى زينت موتها به من التحليه و الأقطار جمع القطر و هو الناحية يقال طعنه فقطره إذا ألقاه على أحد قطريه و هما جانباه و السيماء مشتق من السوم و هو رفع الثمن عن مقداره و العلامه ترفع بإظهارها لتقع المعرفه بها و الناصيه شعر مقدم الرأس و أصله الاتصال من قول الشاعر:

" قى تناصيها بلاد قى "

أى تتصل بها فالناصيه متصله بالرأس و الأقدام جمع قدم و هو العضو الذى يقدم صاحبه للوطء به على الأرض و الآنى الذى بلغ نهايه حره أنى يأنى أنياً.

لما ذكر سبحانه الفناء و الإعادة عقب ذلك بذكر الوعيد و التهديد فقال «سَيَنْفُرُ لَكُمْ أَيُّهُ الْقَلَانِ» أى سنقصد لحسابكم أيها الجن و الإنس عن الزجاج قال و الفراغ فى اللغة على ضربين (أحدهما) القصد للشىء يقال سأفرغ لفلان أى سأجعله قصدى (و الآخر) الفراغ من شغل و الله عز و جل لا يشغله شأن عن شأن و قيل معناه سنعمل عمل من يفرغ للعمل فيجوده من غير تضجيع فيه و قيل سنفرغ لكم من الوعيد بتقضى أيامكم المتوعد فيها فشبه ذلك بمن فرغ من شىء و أخذ فى آخر و الشغل و الفراغ من صفات الأجسام التى تحلها الأعراض و تشغلها عن الأضداد فى تلك الحال و لذلك وجب أن يكون فى صفه القديم تعالى مجازا و يدل على أن الثقلين المراد بهما الجن و الإنس قوله «يا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَ الْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا» أى تخرجوا هاربين من الموت يقال نفذ الشىء من الشىء إذا خلص منه كالسهم ينفذ من الرمية «مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى جوانبهما و نواحيهما و المعنى حيث ما كنتم أدر ككم الموت «فَانْفُذُوا» أى فاخرجوا فلن تستطيعوا أن تهربوا منه «لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ» أى حيث توجهتم فثم ملكى و لا تخرجون من سلطانى فأنا آخذكم بالموت عن عطاء و معنى السلطان القوه التى سلط بها على الأمر ثم الملك و القدره و الحجه كلها سلطان و قيل «لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ» أى لا تخرجون إلا بقدره من الله و قوه يعطيكموها بأن يخلق لكم مكانا آخر سوى السماوات و الأرض و يجعل لكم قوه تخرجون بها إليه فبين سبحانه بذلك أنهم فى حبسه و أنه مقتدر عليهم لا يفوتونه و جعل ذلك دلاله على توحيده و قدرته و زجرا لهم عن معصيته و مخالفته و قيل إن المعنى فى الآيه إن استطعتم أن تعلموا ما فى السماوات و الأرض فاعلموا فإنه لا يمكنكم ذلك «لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ» أى لا تعلمونه إلا بحجه و بيان عن ابن عباس و قيل لا تنفذون إلا بسلطان معناه حيث ما شاهدتم حجه الله و سلطانه الذى يدل على توحيده عن الزجاج «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» أى بأى نعمه تكذبان أيا خبره عن تحيركم لتحتالوا له بعمل الطاعة و اجتناب المعصيه أو يا خبره عنكم إنكم لا- تنفذون إلا بحجه لتستعدوا لذلك اليوم «يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ» و هو اللهب الأخضر المنقطع من النار «وَ نُحَاسٌ» و هو الصفر المذاب للعذاب عن مجاهد و ابن عباس و سفيان و قتاده و قيل النحاس الدخان عن ابن عباس فى روايه أخرى و سعيد بن جبير و قيل النحاس المهل عن ابن مسعود و الضحاك و المعنى لا تنفذون و لو جاز أن تنفذوا و قدرتم عليه لأرسل عليكم العذاب من النار المحرقه و قيل معناه أنه يقال لهم

ذلك يوم القيامة «يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا» أى يرسل على من أشرك منكما و

قد جاء فى الخبر يحاط على الخلق بالملائكة بلسان من نار ينادون «يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ» إلى قوله «يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُواظٌ مِنْ نَارٍ»

و

روى مسعده بن صدقه عن كليب قال كنا عند أبى عبد الله (عليه السلام) فأنشأ يحدثنا فقال إذا كان يوم القيامة جمع الله العباد فى صعيد واحد و ذلك أنه يوحى إلى السماء الدنيا أن اهبطى بمن فىك فيهبط أهل السماء الدنيا بمثلى من فى الأرض من الجن و الإنس و الملائكة ثم يهبط أهل السماء الثانية بمثل الجميع مرتين فلا يزالون كذلك حتى يهبط أهل سبع سماوات فيصير الجن و الإنس فى سبع سرادقات من الملائكة ثم ينادى مناد «يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ» الآية فينظرون فإذا قد أحاط بهم سبعة أطواق من الملائكة

و قوله «فَلَا تَنْتَصِرَانِ» أى فلا- تقدران على دفع ذلك عنكما و عن غيركما و على هذا فيكون فائده الآية إن عجز الثقلين عن الهرب من الجزاء كعجزهم عن النفوذ من الأقطار و فى ذلك اليأس من رفع الجزاء بوجه من الوجوه «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» أى بإخباره إياكم عن هذه الحاله لتتحرزوا عنها أم بغيره من النعم فإن وجه النعمه فى إرسال الشواظ من النار و النحاس على الثقلين هو ما فى ذلك لهم من الزجر فى دار التكليف عن مواقعه القبيح و ذلك نعمه جزيله «فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ» يعنى يوم القيامة إذا تصدعت السماء و انفك بعضها من بعض «فَكَانَتْ وَرْدَةً» أى فصارت حمراء كلون الفرس الورد و هو الأبيض الذى يضرب إلى الحمرة أو الصفرة فيكون فى الشتاء أحمر و فى الربيع أصفر و فى اشتداد البرد أغبر سبحان خالقها و المصرف لها كيف يشاء و الورده واحده الورد فشبه السماء يوم القيامة فى اختلاف ألوانها بذلك و قيل أراد به ورده النبات و هى حمراء و قد تختلف ألوانها و لكن الأغلب فى ألوانها الحمرة فتصير السماء كالورده فى الاحمرار ثم تجرى «كَالدَّهَانِ» و هو جمع الدهن عند انقضاء الأمر و تنهى المده قال الحسن هى كالدهان التى يصب بعضها على بعض بألوان مختلفه قال الفراء شبه تلون السماء بتلون الورده من الخيل و شبه الورده فى اختلاف ألوانها بالدهن و اختلاف ألوانه و هو قول مجاهد و الضحاك و قتاده و قيل الدهان الأديم الأحمر و جمعه أدهنه عن الكلبي و قيل هو عكر الزيت يتلون ألوانا عن عطاء بن أبى رباح «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» وجه النعمه فى انشقاق السماء حتى وقع التقرير بها هو ما فى الإخبار به من الزجر و التخويف فى دار الدنيا «فَيَوْمَئِذٍ» يعنى يوم القيامة «لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ» أى لا يسأل المجرم عن جرمه فى ذلك الموطن

ص: ٣١٢

لما يلحقه من الذهول الذى تحار له العقول و إن وقعت المسأله فى غير ذلك الوقت بدلاله قوله «وَقَفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ» و تقدير الآيه فيومئذ لا يسأل إنس عن ذنبه و لا جان عن ذنبه و قيل معناه فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس و لا جان سؤال استفهام ليعرف ذلك بالمسأله من جهته لأن الله تعالى قد أحصى الأعمال و حفظها على العباد و إنما يسألون سؤال تقرير و توييح للمحاسبه و قيل إن أهل الجنة حسان الوجوه و أهل النار سود الوجوه فلا يسألون من أى الحزين هم و لكن يسألون عن أعمالهم سؤال تقرير و

روى عن الرضا (عليه السلام) أنه قال «فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ» منكم «عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ» و المعنى أن من اعتقد الحق ثم أذنب و لم يتب فى الدنيا عذب عليه فى البرزخ و يخرج يوم القيامة و ليس له ذنب يسأل عنه

«يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسَيِّمَاتِهِمْ» أى بعلامتهم و هى سواد الوجوه و زرقه العيون عن الحسن و قتاده و قيل بأمارات الخزى «فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَ الْأَقْدَامِ» فتأخذهم الزبانيه فتجمع بين نواصيهم و أقدامهم بالغل ثم يسحبون فى النار و يقذفون فيها عن الحسن و قتاده و قيل تأخذهم الزبانيه بنواصيهم و بأقدامهم فتسوقهم إلى النار و الله أعلم «هَذِهِ جَهَنَّمُ» أى و يقال لهم هذه جهنم «الَّتِي يُكذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ» الكافرون فى الدنيا قد أظهرها الله تعالى حتى زالت الشكوك فادخلوها و يمكن أنه لما أخبر الله سبحانه أنهم يؤخذون بالنواصي و الأقدام قال للنبي ص هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون من قومك فسيردونها فليهن عليك أمرهم «يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَ بَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ» أى يطوفون مره بين الجحيم و مره بين الحميم فالجحيم النار و الحميم الشراب عن قتاده و قيل معناه أنهم يعذبون بالنار مره و يتجرعون من الحميم يصب عليهم ليس لهم من العذاب أبدا فرج عن ابن عباس و الآنى الذى انتهت حرارته و قيل الآنى الحاضر «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» الوجه فى ذلك أن التذكير بفعل العقاب و الإنذار به من أكبر النعم لأن فى ذلك زجرا عما يستحق به العذاب و حثا و بعثا على فعل ما يستحق به الثواب.

إشارة

وَ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ (٤٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٧) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (٤٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٩) فِيهِمَا عَيْنَانِ
تَجْرِيَانِ (٥٠)

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥١) فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٣) مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ
إِسْتَبْرَقٍ وَ جَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٥٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٥)

فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْسَ قُبُلُهُمْ وَ لَا - حِيَانٌ (٥٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٧) كَذَانَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَ الْمَرْجَانُ (٥٨)
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٩) هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (٦٠)

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦١)

القراءه

قرأ الكسائي وحده لم يطمئن بكسر الميم في إحداهما و ضمها في الأخرى و الباقون بكسر الميم في الحرفين معا.

الحجه

قال أبو علي يطمث و يطمث لغتان و قال أبو عبيده لم يطمئن أي لم يمسهن يقال ما طمث هذا البعير جبل قط أي ما مسه قال
رؤبه:

" كالبيض لم يطمث بهن طامث "

اللغه

الأفنان جمع فنن و هو الغصن الغض الورق و منه قولهم هذا فن آخر أي نوع آخر و يجوز أن يكون جمع فن و الاتكاء الاستناد
للتكرمه و الإمتاع و التكاء تطرح للإنسان في مجالس الملوك للإكرام و الإجلال و هو من وكات السقاء إذا شددته و منه قولهم
العين وكاء الستة و الفرش جمع فراش و هو الموطأ الممهده للنوم عليه و البطائن جمع بطانه و هو باطن الظهره و الجنى الثمره
التي قد أدركت على الشجره و هو صلح أن يجنى و منه قول عمرو بن عدى:

هذا جنای و خياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه

و تمثل به علي (عليه السلام) و أصل الطمث الدم يقال طمئت المرأه إذا حاضت و طمئت إذا دميت بالاقتضاض و بعير لم يطمث
إذا لم يمسه جبل و لا رحل قال الفرزدق:

دفعن إلى لم يطمئن قبلى و هن أصح من بيض النعام

.الإعراب

متكئين حال من المجروره باللام أى لهم جنتان فى هذه الحاله و ما بين قوله «جَنَّتَانِ» إلى قوله «مُتَّكِيْنَ» صفات لجنتين «بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ» ابتداء و خبر فى

ص: ٣١٤

موضع الجر وصف لفرش وقوله «وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ» اعتراض وقوله «فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ» صفه أخرى لفرش وقوله «كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ» حال لقاصرات الطرف أى مشابهات للياقوت والمرجان وقوله «هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ» اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه والتقدير ولهم من دونهما جنتان.

المعنى

ثم عقب سبحانه الوعيد بالوعد فقال «وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ» أى مقامه بين يدي ربه للحساب فترك المعصية والشهوة قال مجاهد وهو الذى يهيم بالمعصية فيذكر الله تعالى فيدعها وقيل هذا لمن راقب الله تعالى فى السر والعلاية جملة فما عرض له من محرم تركه من خشية الله وما عرض له من خير عمله وأفضى به إلى الله تعالى لا يطلع عليه أحد و

قال الصادق (عليه السلام) من علم أن الله يراه و يسمع ما يقول من خير و شر فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال

فله «جَنَّاتٍ» أى جنه عدن و جنه النعيم عن مقاتل وقيل بستانان من بساتين الجنة إحداهما داخل القصر و الأخرى خارج القصر كما يشتهى الإنسان فى الدنيا وقيل إحدى الجنتين منزله و الأخرى منزل أزواجه و خدمه عن الجبائى وقيل جنه من ذهب و جنه من فضه ثم وصف الجنتين فقال «ذَوَاتَا أَفْنَانٍ» أى ذواتا ألوان من النعيم عن ابن عباس وقيل ذواتا ألوان من الفواكه عن الضحاك وقيل ذواتا أغصان عن الأخفش و الجبائى و مجاهد أى ذواتا أشجار لأن الأغصان لا تكون إلا من الشجر فدل بكثرة أغصانها على كثره أشجارها و بكثرة أشجارها على تمام حالها و كثره ثمارها لأن البستان إنما يكمل بكثره الأشجار و الأشجار لا تحسن إلا- بكثرة الأغصان «فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ» أى فى الجنتين عينان من الماء تجريان بين أشجارهما وقيل عينان إحداهما السلسيل و الأخرى التسنيم عن الحسن وقيل إحداهما من ماء غير آسن و الأخرى من خمر لذه للشاربين عن عطيه العوفى «فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ» أى فى كلتا الجنتين من كل ثمره نوعان و ضربان متشاكلان كتشاكل الذكر و الأنثى فلذلك سماهما زوجين و ذلك كالرطب و اليابس من العنب و الزبيب و الرطب و اليابس من التين و كذلك سائر الأنواع لا يقصر يابسه عن رطبه فى الفضل و الطيب وقيل معناه فيهما من كل نوع من الفاكهه ضربان ضرب معروف و ضرب من شكله غريب لم يعرفه فى الدنيا «مُتَّكِنِينَ» حال ممن ذكروا فى قوله «وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ» أى قاعدين كالملوك «عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ» أى من ديباج غليظ ذكر البطانه و لم يذكر الظهاره لأن البطانه تدل على أن لها ظهاره و البطانه دون الظهاره فدل على أن الظهاره فوق الإستبرق وقيل إن الظهائر من سندس و هو الديباج الرقيق و البطانه من إستبرق وقيل الإستبرق الحرير الصينى

و هو بين الغليظ و الدقيق و روى عن ابن مسعود أنه قال هذه البطائن فما ظنكم بالظواهر و قيل لسعيد بن جبير البطائن من إستبرق فما الظواهر قال هذا مما قال الله تعالى «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ» «وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ» الجنى الثمر المجتنى أى تدنو الشجره حتى يجتنىها ولى الله إن شاء قائما و إن شاء قاعدا عن ابن عباس و قيل ثمار الجنتين دانيه إلى أفواه أربابها فيتناولونها متكئين فإذا اضطجعوا نزلت بإزاء أفواههم فيتناولونها مضطجعين لا- يرد أيديهم عنها بعد و لا شوكة عن مجاهد «فِيهِنَّ» أى فى الفرش التى ذكرها و يجوز أن يريد فى الجنان لأنها معلومه و إن لم تذكر «قاصرات الطرف» قصرن طرفهن على أزواجهن لم يردن غيرهم عن قتاده و قال أبو ذر أنها تقول لزوجها و عزه ربي ما أرى فى الجنة شيئا أحسن منك فالحمد لله الذى جعلنى زوجتك و جعلك زوجى و الطرف جفن العين لأنه طرف لها ينطبق عليها تاره و يفتح تاره «لَمْ يَطْمِئْتُنَّ» أى لم يفتضهن و الافتضاض النكاح بالتدميه و المعنى لم يطأهن و لم يغشهن «إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لَا جَانٌّ» فهن أبكار لأنهن خلقن فى الجنة فعلى هذا القول هؤلاء من حور الجنة و قيل هن من نساء الدنيا لم يمسهن منذ أنشئن خلق عن الشعبي و الكلبي أى لم يجامعهن فى هذا الخلق الذى أنشئن فيه إنس و لا جان قال الزجاج و فى هذه الآيه دليل على أن الجنى يغشى كما يغشى الإنسى و قال ضميره بن حبيب و فيها دليل على أن للجن ثوبا و أزواجا من الحور فالإنسيات للإنس و الجنيات للجن قال البلخي المعنى إن ما يهب الله لمؤمنى الإنس من الحور لم يطمثهن إنس و ما يهب الله لمؤمنى الجن من الحور لم يطمثهن جان «كَأَنَّهِنَّ الْيَاقُوتُ وَ الْمَرْجَانُ» أى هن على صفاء الياقوت فى بياض المرجان عن الحسن و قتاده و قال الحسن المرجان أشد اللؤلؤ بياضا و هو صغاره و

فى الحديث أن المرأة من أهل الجنة يرى مخ ساقها من وراء سبعين حله من حرير عن ابن مسعود

كما يرى السلك من وراء الياقوت «هَيْلُ جَزَاءِ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ» أى ليس جزاء من أحسن فى الدنيا إلا أن يحسن إليه فى الآخرة و قيل هل جزاء من قال لا إله إلا الله و عمل بما جاء به محمد ص إلا الجنة عن ابن عباس و

جاءت الروايه عن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله ص هذه الآيه فقال هل تدرون ما يقول ربكم قالوا الله و رسوله أعلم قال فإن ربكم يقول هل جزاء من أنعمنا عليه بالتوحيد إلا الجنة

و قيل معناه هل جزاء من أحسن إليكم بهذه النعم إلا أن تحسنوا فى شكره و عبادته و

روى العياشى بإسناده عن الحسين بن سعيد عن عثمان بن عيسى عن على بن سالم قال سمعت أبا عبد الله

(عليه السلام) يقول آيه في كتاب الله مسجله قلت ما هي قال قول الله تعالى «هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ» جرت في الكافر و المؤمن و البر و الفاجر و من صنع إليه معروف فعليه أن يكافئ به و ليس المكافاه أن تصنع كما صنع حتى يربى فإن صنعت كما صنع كان له الفضل بالابتداء.

[سوره الرحمن (٥٥): الآيات ٦٢ الى ٧٨]

اشاره

وَ مِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (٦٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٣) مُدْهَامَتَانِ (٦٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٥) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (٦٦)

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٧) فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَ نَخْلٌ وَ رَمَانٌ (٦٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٩) فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (٧٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧١)

حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٣) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لَا جَانٌّ (٧٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٥) مُتَّكِنِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَ عَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٦)

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٧) تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ (٧٨)

القراءه

قرأ ابن عامر ذو الجلال بالرفع و الباقون بالجبر و

في الشواذ قراءه النبي ص و الجحدري و مالك بن دينار و ابن محيصن و الحسن و زهير القرقي على رفارف خضر و عباقرى حسان

و قراءه الأعرج خضر بضميتين.

الحجه

قال أبو علي من قرأ «ذِي الْجَلَالِ» فجر جعله صفه لربك و زعموا أن ابن مسعود قرأ و يبقى وجه ربك ذى الجلال و الإكرام بالياء في كلتيهما و قال الأصمعي لا يقال الجلال إلا

فى الله تعالى فهذا يقوى الجر إلا أن الجلال قد جاء فى غير الله قال:

فلا ذا جلال هبته لجلاله و لا ذا ضياع هن يتركن للفقر

و من رفع أجره على الاسم قال ابن جنى روى قطرب عباقرى بكسر القاف غير مصروف و رويناه عن أبى حاتم عباقرى بفتح القاف غير مصروف أيضا قال أبو حاتم و لا يشبهه إلا أن يكون عباقر بفتح القاف على ما تتكلم به العرب قال و لو قالوا عباقرى بكسر القاف و صرفوا لكان أشبه بكلام العرب كالنسب إلى مداين مدائنى و الرفارف رياض الجنه عن سعيد بن جبير و عبقر موضع قال امرؤ القيس:

كان صليل المروحين تشده صليل زيوف ينتقدن بعقرا

و قال زهير:

بخبل عليها جنه عبقرية جديرون يوما أن ينالوا أو يستعلوا

و أما ترك صرف عباقرى فشاذ فى القياس و لا يستنكر شذوذه فى القياس مع استمراره فى الاستعمال كما جاء عن الجماعة اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فهو شاذ فى القياس مطرد فى الاستعمال و ليس لنا أن نتلقى قراءه رسول الله ص إلا بقبولها و أما خضر بضم الضاد فقليل و هو من مواضع الشعر كما قال طرفه:

"ورادا و شقر".

اللغة

الدهمه السواد و ادهام الزرع إذا علاه السواد ربا و منه الدهماء و تصغيره الدهيماء للدهايمه سميت بذلك لظلامها و الدهماء القدر و النضخ بالخاء المعجمه أكثر من النضح بالخاء غير المعجمه لأن النضح الرش و بالخاء كالبز و النضاخه الفواره التى ترمى بالماء صعدا و الرمان مشتق من رم يرم رما لأن من شأنه أن يرم الفؤاد بجلائه له و الخيرات جمع خيره و الرجل خير و الرجال خيار و أخيار قال:

و لقد طعنت مجامع الربلات ربلات هند خيره الملكات

ص: ٣١٨

وقال الزجاج أصل خيرات خيرات فخفف و الخيام جمع خيمه و هى بيت من الثياب على الأعمده و الأوتاد مما يتخذ للأصهار و الرفوف رياض الجنه من قولهم رف النبات يرف أى صار غضا نضرا و قيل الرفوف المجالس و قيل الوسائد و قيل إن كل ثوب عريض عند العرب فهو رفر ف قال ابن مقبل:

و إنا لنزالون تغشى نعالنا سواقط من أصناف ريط و رفر

و العبرى عتاق الزرابى و الطنافس المخمله الموشمه و هو اسم الجنس واحده عبقرية قال أبو عبيده كل شىء من البسط عبقرى و كل ما بولغ فى وصفه بالجوده نسب إلى عبقر و هو بلد كان يوشى فيه البسط و غيرها.

المعنى

ثم قال سبحانه «وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ» أى و من دون الجنتين اللتين ذكرناهما لمن خاف مقام ربه جنتان أخريان دون الجنتين الأوليين فإنهما أقرب إلى قصره و مجالسه فى قصره ليتضاعف له السرور بالتنقل من جنه إلى جنه على ما هو معروف من طبع البشر من شهوه مثل ذلك و معنى دون هنا مكان قريب من الشىء بالإضافة إلى غيره مما ليس له مثل قربه و هو ظرف مكان و إنما كان التنقل من جنه إلى جنه أخرى أنفع لأنه أبعد من الملل الذى طبع عليه البشر و قيل إن المعنى إنهما دون الجنتين الأوليين فى الفضل فقد

روى عن النبى ص أنه قال جنتان من فضه آنيتهما و ما فيهما و جنتان من ذهب آنيتهما و ما فيهما

و

روى العياشى بالإسناد عن أبى بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال قلت له جعلت فداك أخبرنى عن الرجل المؤمن تكون له امرأه مؤمنه يدخلان الجنة يتزوج أحدهما الآخر فقال يا أبا محمد إن الله حكم عدل إذا كان هو أفضل منها خيره فإن اختارها كانت من أزواجه و إن كانت هى خيرا منه خيرا فإن اختارته كان زوجها لها قال و قال أبو عبد الله (عليه السلام) لا تقولن الجنة واحده أن الله يقول «وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ» و لا تقولن درجه واحده أن الله يقول دَرَجَاتٍ* بعضها فوق بعض إنما تفاضل القوم بالأعمال قال و قلت له إن المؤمنين يدخلان الجنة فيكون أحدهما أرفع مكانا من الآخر فيشتهى أن يلقى صاحبه قال من كان فوقه فله أن يهبط و من كان تحته لم يكن له أن يصعد لأنه لا يبلغ ذلك المكان و لكنهم إذا أحبوا ذلك و اشتهوه التقوا على الأسره

و

عن العلاء بن سيابه عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال قلت له إن الناس يتعجبون منا إذا قلنا يخرج قوم من جهنم فيدخلون الجنة فيقولون لنا فيكونون مع أولياء الله فى الجنة فقال يا علاء إن الله

يقول «وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ» لا والله لا يكونون مع أولياء الله قلت كانوا كافرين قال (عليه السلام) لا والله لو كانوا ما دخلوا الجنة قلت كانوا مؤمنين قال لا والله لو كانوا مؤمنين ما دخلوا النار ولكن بين ذلك

و تأويل هذا لو صح الخبر أنهم لم يكونوا من أفاضل المؤمنين و أختيارهم ثم وصف الجنتين فقال «مُدْهَامَتَانِ» أى من خضرتهما قد اسودتا من الرى و كل نبت أخضر فتمام خضرته أن يضرب إلى السواد و هو على أتم ما يكون من الحسن و هذا على قول من قال إن الجنات الأربع لمن خاف مقام ربه و هو قول ابن عباس و قيل الأوليان للسابقين و الأخريان للتابعين عن الحسن «فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ» أى فوارتان بالماء ينبع من أصلهما ثم يجريان عن الحسن قال ابن عباس تنضح على أولياء الله بالمسك و العنبر و الكافور و قيل تنضحان بأنواع الخبرات «فِيهِمَا فَاكِهَةٌ» يعنى ألوان الفاكهه «وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ» و حكى الزجاج عن يونس النحوى و هو من قدماء النحويين أن النخل و الرمان من أفضل الفواكه و إنما فصلا بالواو لفضلهما قال الأزهرى ما علمت أن أحدا من العرب قال فى النخل و الكرم و ثمارها إنها ليست من الفاكهه و إنما قال ذلك من قال لقله علمه بكلام العرب و تأويل القرآن العربى المبين و العرب تذكر الأشياء جملة ثم تختص شيئا منها بالتسميه تنبيها على فضل فيه كما قال سبحانه مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكَالَ «فِيهِنَّ» يعنى فى الجنات الأربع

«خَيْرَاتٌ حِسَانٌ» أى نساء خيرات الأخلاق حسان الوجوه روته أم سلمه عن النبى ص

و قيل خيرات فاضلات فى الصلاح و الجمال عن الحسن حسان فى المناظر و الألوان و قيل إنهن نساء الدنيا ترد عليهم فى الجنة و هن أجل من الحور العين و قيل خيرات مختارات عن جرير بن عبد الله و قيل لسن بذربات و لا- زفرات و لا- بخرات و لا متطلعات و لا- متسوفات و لا متسلطات و لا طماخات و لا طوافات فى الطرق و لا يغرن و لا يؤذنين و قال عقبه بن عبد الغفار و نساء أهل الجنة يأخذ بعضهن بأيدى بعض و يتغنين بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها:

نحن الراضيات فلا نسخط و نحن المقيمات فلا نظعن

و نحن خيرات حسان حبيبات الأزواج كرام

و قالت عائشه أن الحور العين إذا قلن هذه المقاله أجابتهن المؤمنات من نساء الدنيا نحن المصليات و ما صليتن و نحن الصائمات و ما صمتن و نحن المتوضئات و ما توضأتن و نحن المتصدقات و ما تصدقتن فغلبتهن و الله «حُورٌ» أى بيض حسان البياض عن ابن عباس و مجاهد و منه الدقيق الحوارى لشده بياضه و العين الحوراء إذا كانت شديده بياض شديد سواد السواد و بذلك يتم حسن العين «مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ» أى محبوسات

فى الحجال مستورات فى القباب عن ابن عباس و أبى العالیه و الحسن و المعنى إنهن مصونات مخدرات لا- یتذلن و قیل مقصورات أى قصرن على أزواجهن فلا یردن بدلا منهم عن مجاهد و الربیع و قیل إن لكل زوجه خیمه طولها ستون میلا عن ابن مسعود و

روى عن النبى ص أنه قال الخیمه دره واحده طولها فى السماء ستون میلا فى كل زاویه منها أهلا (؟) للمؤمن لا یراه الآخرون

و عن ابن عباس قال الخیمه دره مجوفه فرسخ فى فرسخ فیها أربعة آلاف مصراع

عن وهب و عن أنس عن النبى ص قال مررت ليله أسرى بى بنهر حافتاه قباب المرجان فنودیت منه السلام عليك یا رسول الله فقلت یا جبرائیل من هؤلاء قال هؤلاء جوار من الحور العین استأذن ربهن عز و جل أن یسلمن عليك فأذن لهن فقلن نحن الخالدات فلا نموت و نحن الناعمات فلا نیأس أزواج رجال کرام ثم قرأ ص «حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِى الْخِيَامِ»

«لَمْ يَطْمِئْتُهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لَا- حِيَانٌ» مر معناه و الوجه فى التکریر الإبانة عن أن صفه الحور المقصورات فى الخيام كصفه القاصرات الطرف «مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ» أى على فرش مرتفعه عن الجبائى و قیل الرفرف ریاض الجنه و الواحده رفرفه عن سعید بن جبیر و قیل هى المجالس عن ابن عباس و قتاده و الضحاک و قیل هى المرافق یعنی الوسائد عن الحسن «وَ عَبْقَرِيٌّ حَسَانٍ» أى و زرابى حسان عن ابن عباس و سعید بن جبیر و قتاده و هى الطنافس و قیل العبقرى الדיباج عن مجاهد و قیل هى البسط عن الحسن قال القتیبى كل ثوب موشى فهو عبقرى و هو جمع و لذلك قال حسان ثم ختم السوره بما ینبغى أن یبجل به و یعظم فقال «تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ» أى تعظم و تعالى اسم ربك لأنه استحق أن یوصف بما لا یوصف به غیره من كونه قديما و إلهها و قادرا لنفسه و عالما لنفسه و حیا لنفسه و غیر ذلك «ذِى الْجَلَالِ» أى ذى العظمه و الکبرياء «وَ الْأَكْرَامِ» یكرم أهل دینه و ولايته عن الحسن و قیل معناه عظمه البركه فى اسم ربك فاطلبوا البركه فى كل شىء بذكر اسمه و قیل إن اسم صله لمعنى تبارك ربك قال لیبید:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما و من یتبک حولا كاملا فقد اعتذر

و قیل إن المعنى أن اسمه منزه عن كل سوء له الأسماء الحسنی و قد صح

عن النبى ص أنه قال انطقوا بیا ذا الجلال و الإکرام

أى داوموا علیه.

اشاره

اشاره

و قال ابن عباس و قتاده إلا آيه منها نزلت بالمدينه و هي «وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ» نزلت في سفره إلى المدينه. قوله «أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ» نزلت في سفره إلى المدينه.

عدد آياتها

تسع و تسعون آيه حجازي شامي سبع بصرى ست كوفي.

اختلفها

أربع عشره آيه «فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ» وَ «أَصْحَابُ الشَّمَالِ» ثلثهن غير الكوفي و المدنى الأخير «أَنْشَأْنَاهُنَّ» غير البصرى «فِي سَيْمُومٍ وَ حَمِيمٍ» غير المكي و كانوا يقولون مكي «وَأَبَارِيقَ» مكي و المدنى الأخير «مَوْضُونَهُ» حجازي كوفي «وَحُورٍ عَيْنٍ» كوفي و المدنى الأول «تَأْتِيماً» عراقى شامى و المدنى الأخير «وَالْآخِرِينَ» غير شامى و المدنى الأخير «لَمَجْمُوعُونَ» شامى و المدنى الأخير «فَرَوْحٌ وَ رَيْحَانٌ» شامى.

فضلها

أبى بن كعب قال قال رسول الله ص من قرأ سورة الواقعة كتب ليس من الغافلين

و عن مسروق قال من أراد أن يعلم نبأ الأولين و نبأ أهل الجنة و نبأ أهل النار و نبأ الدنيا و نبأ الآخرة فليقرأ سورة الواقعة و روى أن عثمان بن عفان دخل على عبد الله بن مسعود يعوده في مرضه الذى مات فيه فقال له ما تشكى قال ذنوبى قال ما تشتهى قال رحمه ربي قال أ فلا ندعو الطيب قال الطيب أمرضنى قال أ فلا تأمر بعطائتك قال منعته و أنا محتاج إليه و تعطينيه و أنا مستغن عنه قال يكون لبناتك قال لا حاجه لهن فيه فقد أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة

فإني سمعت رسول الله ص يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليله لم تصبه فاقه أبدا

و

روى العياشى بالإسناد عن زيد الشحام عن أبى جعفر (عليه السلام) قال من قرأ سورة الواقعة قبل

أن ينام لقي الله ووجهه كالقمر ليله البدر

و

عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ في كل ليله جمعه الواقعة أحبه الله وحببه إلى الناس أجمعين و لم يرفى الدنيا بؤسا أبدا و لا فقرا و لا آفه من آفات الدنيا و كان من رفقاء أمير المؤمنين تمام الخبر.

تفسيرها

ختم الله سبحانه سورة الرحمن بصفه الجنه و افتتح هذه السوره أيضا بصفه القيامة و الجنه فاتصلت إحداهما بالأخرى اتصال النظر للنظير فقال:

[سوره الواقعة (٥٦): الآيات ١ الى ١٦]

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا (٤)

وَ بُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُتَّبَثًا (٦) وَ كُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩)

وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى (١٣) وَ قَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (١٤)

عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (١٥) مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦)

القراءة

في الشواذ قراءة الحسن و الثقفى و أبى حيوه خافضه رافعه بالنصب.

الحجج

هذا منصوب على الحال قال ابن جنى و قوله «لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ» حال أخرى قبلها أى إذا وقعت الواقعة صادقه الوقعه خافضه رافعه فهذه ثلاثه أحوال و مثله مررت يزيد جالسا متكئا ضاحكا و إن شئت أن تأتى بأضعاف ذلك جاز و حسن كما أن لك أن تأتى للمبتدأ من الأخبار بما شئت فتقول زيد عالم جميل فارس كوفى بزاز و نحو ذلك ألا ترى أن الحال زياده فى الخبر و ضرب منه.

الكاذبه مصدر مثل العافيه و العاقبه و الرج التحريك باضطراب و اهتزاز و منه

ص: ٣٢٣

قولهم ارتج السهم عند خروجه من القوس و ألبس الفت كما يبس السويق أى يلت قال الشاعر:

" لا تخبزا خبزا و بسابسا "

و البسيس السويق أو الدقيق يتخذ زادا و بست أيضا سيقت عن الزجاج قال الشاعر:

" و انبس حبات الكثيب الأهيل "

و الهباء غبار كالشعاع فى الرقه و كثيرا ما يخرج مع شعاع الشمس من الكوه النافذه و الانبثاب افتراق الأجزاء الكثيره فى الجهات المختلفه و الأزواج الأصناف التى بعضها مع بعض كما يقال للخفين زوجان و الثلاثه الجماعه و أصله القطعه من قولهم ثل عرشه إذا قطع ملكه بهدم سريره و التله القطعه من الناس و الموضوعه المنسوجه المتداخله كصفه الدرع المضاعفه قال الأعشى:

و من نسج داود موضوعه تساق إلى الحى عيرا فعيرا

و منه و زين الناقه و هو البطان من السيور إذا نسج بعضه على بعض مضاعفا.

الإعراب

«إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ» ظرف من معنى ليس لأن التقدير لا يكون لوقعتها كاذبه و ليس نفى الحال فلا يكون إذا ظرفا منه و يجوز أن يكون العامل فى إذا محذوفا لدلاله الموضع عليه كأنه قال إذا وقعت الواقعة كذلك فاز المؤمنون و خسر الكافرون و قال أبو على تقديره فهى خافضه رافعه فأضمر المبتدأ مع الفاء و جعلها جواب إذا أى خفضت قوما و رفعت قوما إذ ذاك ف «خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ» خبر المبتدأ المحذوف و قوله «إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا» بدل من قوله «إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ» و يجوز أن يكون ظرفا من يقع أى يقع فى ذلك الوقت و يجوز أن يكون خبرا عن إذا الأولى و نظيره إذا تزورنى إذا أزور زيدا أى وقت زيارتك إياى وقت زيارتى زيدا قال ابن جنى و يجوز أن يفارق إذا الظرفيه كقول لبيد:

حتى إذا ألفت يدا فى كافر و أجن عورات الثغور ظلامها

و قوله سبحانه «حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْمِكِ» فإذا مجروره عند أبى الحسن بحتى و ذلك يخرجها من الظرفيه و أقول فعلى هذا لا يكون قوله «إِذَا» ظرفا فى الموضعين بل كل واحد منهما فى موضع الرفع لكونهما مبتدأ و خبرا بخلاف ما ظنه بعض المجودين من محققى زماننا فى النحو فإنه قال قال عثمان يعنى ابن جنى العامل فى «إِذَا وَقَعَتِ» قوله «إِذَا رُجَّتِ» و هذا خطأ فاحش «فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ» رفع بالابتداء و التقدير فأصحاب الميمنه ما هم أى أى شىء هم «وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ» أى أى شىء هم و هذه اللفظه مجراه مجرى التعجب و متكئين و متقابلين نصب على الحال.

«إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ» أى إذا قامت القيامة عن ابن عباس و الواقعة اسم القيامة كالآزفة وغيرها و المعنى إذا حدثت الحادثه و هى الصيحه عند النفخه الأخيره لقيام الساعه و قيل سميت بها لكثرة ما يقع فيها من الشده أو لشده وقعها و تقديره اذكروا إذا وقعت الواقعة و هذا حث على الاستعداد لها «لَيْسَ لَوْقَعَتِهَا كَاذِبَةٌ» أى ليس لمجيئها و ظهورها كذب و معناه أنها تقع صدقا و حقا فليس فيها و لا فى الإخبار عنها و وقوعها كذب و قيل معناه ليس لوقوعها قضيه كاذبه أى ثبت وقوعها بالسمع و العقل «خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ» أى تخفض ناسا و ترفع آخرين عن ابن عباس و قيل تخفض أقواما إلى النار و ترفع أقواما إلى الجنة عن الحسن و الجبائى و المعنى الجامع للقولين أنها تخفض رجالا- كانوا فى الدنيا مرتفعين و تجعلهم أذله بإدخالهم النار و ترفع رجالا كانوا فى الدنيا أذله و تجعلهم أعزه بإدخالهم الجنة «إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا» أى حركت حركه شديده و قيل زلزلت زلزلا شديدا عن ابن عباس و قتاده و مجاهد أى رجفت بإماته من على ظهرها من الأحياء و قيل معناه رجت بما فيها كما يرج الغراب بما فيه فيكون المراد ترج بإخراج من فى بطنها من الموتى «وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا» أى فتت فتا عن ابن عباس و مجاهد و مقاتل و قيل معناه كسرت كسرا عن السدى عن سعيد بن المسيب و قيل قلعت من أصلها عن الحسن و قيل سيرت عن وجه الأرض تسيرا عن الكلبي و قيل بسطت بسطا كالرمل و التراب عن ابن عطيه و قيل جعلت كثيبا مهيبا بعد أن كانت شامخه طويله عن ابن كيسان «فَكَانَتْ هَبَاءً مُتَّبَثًا» أى غبارا متفرقا كالذى يرى فى شعاع الشمس إذ دخل من الكوه ثم وصف سبحانه أحوال الناس بأن قال «وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً» أى أصنافا ثلاثه ثم فسرها فقال «فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ» يعنى اليمين و هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم عن الضحاك و الجبائى و قيل هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة و قيل هم أصحاب اليمن و البركه على أنفسهم و الثواب من الله سبحانه بما سعوا من الطاعه و هم التابعون بإحسان عن الحسن و الربيع ثم عجب سبحانه رسوله من حالهم تفخيما لشأنهم فقال «مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ» أى أى شىء هم كما يقال هم ما هم «وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ» و هم الذين يعطون كتبهم بشمالهم و قيل هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار و قيل هم المشائيم على أنفسهم بما عملوا من المعصيه ثم عجب سبحانه رسوله من حالهم تفخيما لشأنهم فى العذاب فقال «مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ» ثم بين سبحانه الصنف الثالث فقال «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ» أى و السابقون إلى اتباع الأنبياء الذين صاروا أئمه الهدى فهم

السابقون إلى جزيل الثواب عند الله عن الجبائي وقيل معناه السابقون إلى طاعه الله و هم السابقون إلى رحمته و السابق إلى الخير إنما كان أفضل لأنه يقتدى به في الخير و سبق إلى أعلى المراتب قبل من يجيء بعده فلهذا يميز بين التابعين فعلى هذا يكون السابقون الثاني خيرا عن الأول و يجوز أن يكون الثاني تأكيدا للأول و الخير «أَوْلَيْكَ الْمُقَرَّبُونَ» أى و السابقون إلى الطاعات يقربون إلى رحمه الله في أعلى المراتب و إلى جزيل ثواب الله في أعظم الكرامه ثم أخبر تعالى أين محلهم فقال «فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ» لثلاثه يتوهم متوهم أن التقريب يخرجهم إلى دار أخرى فأعلم سبحانه أنهم مقربون من كرامه الله في الجنة لأن الجنة درجات و منازل بعضها أرفع من بعض و قد قيل في السابقين إنهم السابقون إلى الإيمان عن مقاتل و عكرمه و قيل السابقون إلى الهجره عن ابن عباس و

قيل إلى الصلوات الخمس عن على (عليه السلام)

وقيل إلى الجهاد عن الضحاك و قيل إلى التوبه و أعمال البر عن سعيد بن جبير و قيل إلى كل ما دعا الله إليه عن ابن كيسان و هذا أولى لأنه يعم الجميع و كان عروه بن الزبير يقول تقدموا تقدموا و

عن أبي جعفر (عليه السلام) قال السابقون أربعة ابن آدم المقتول و سابق في أمه موسى (عليه السلام) و هو مؤمن آل فرعون و سابق في أمه عيسى (عليه السلام) و هو حبيب النجار و السابق في أمه محمد ص على ابن أبي طالب (عليه السلام)

«ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ» أى هم ثله يعنى جماعه كثيره العدد من الأولين من الأمم الماضيه «وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ» من أمه محمد لأن من سبق إلى إجابته نبينا ص قليل بالإضافة إلى من سبق إلى إجابته النبيين قبله عن جماعه من المفسرين و قيل معناه جماعه من أوائل هذه الأمة و قليل من أواخرهم ممن قرب حالهم من حال أولئك قال مقاتل يعنى سابقى الأمم و قليل من الآخرين من هذه الأمة «عَلَى سُرُرٍ مَوْضُوعَةٍ» أى منسوجه كما يوضن حلق الدرع فيدخل بعضها في بعض قال المفسرون منسوجه بقضبان الذهب مشبكه بالدر و الجواهر «مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا» أى مستندين جالسين جلوس الملوك «مُتَّقَابِلِينَ» أى متحاذين كل واحد منهم بإزاء الآخر و ذلك أعظم في باب السرور و المعنى أن بعضهم ينظر إلى وجه بعض لا ينظر في قفاه لحسن معاشرتهم و تهذب أخلاقهم.

إشارة

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِمَا كُوبِ وَ أَبَارِيقَ وَ كَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (١٨) لَا يَصِيءُ دَعْوَنَ عَنْهَا وَ لَا يُنْزِفُونَ (١٩) وَ فَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَ لَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢١)
وَ حُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) جِزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَ لَا تَأْتِيماً (٢٥) إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً (٢٦)

القراءة

قرأ أبو جعفر و حمزه و الكسائي و حور عين بالجبر و الباقون بالرفع و في الشواذ قراءة ابن أبي إسحاق و لا ينزفون بفتح الياء و كسر الزاي و قراءة أبي بن كعب و ابن مسعود و حورا عينا.

الحجج

قال أبو علي وجه الرفع في «وَ حُورٌ عِينٌ» أنه لما قال يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ دل هذا الكلام و ما ذكر بعد على أن لهم فيها كذا و كذا و لهم فيها حور عين و كذلك من نصب حمل على المعنى لأن الكلام دل على يمنحون و يملكون و هذا مذهب سيويه و يجوز أن يحمل الرفع على قوله على سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ و التقدير و على سرر موضونه حور عين أو و حور عين على سرر موضونه لأن الوصف قد جرى عليهن فاخصصن فجاز أن يرفع بالابتداء و لم يكن كالنكرة إذا لم يوصف نحو فيها عَيْنٌ و قوله «على سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ» خبر لقوله تعالى ثَلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَ قَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ فكذلك يجوز أن يكون خبرا عنهن و يجوز في ارتفاع «وَ حُورٌ عِينٌ» أن يكون عطفا على الضمير في متكئين و لم يؤكد لكون طول الكلام بدلا من التأكيد و يجوز أيضا أن يعطفه على الضمير في متقابلين و لم يؤكد لطول الكلام أيضا و قد جاء ما أَشْرَكْنَا وَ لَا آبَاؤُنَا فهذا أجدر و قال الزجاج الرفع أحسن الوجهين لأن معنى «يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ» بهذه الأشياء أنه قد ثبت لهم ذلك فكأنه قال و لهم حور عين و مثله مما حمل على هذا المعنى قول الشاعر:

بادت و غير آيهن مع البلى إلا رواكد جمرهن هباء

ثم قال بعده:

و مشجج أما سواء قذاله فبدا و غير ساره المعزاء

لأنه لما قال إلا رواكد كان المعنى بها رواكد فحمل و مشجج على المعنى و قال غيره

تقديره و هناك حور عين قال أبو علي وجه الجر أن يكون يحمله على قوله أَوْلَيْكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ التقدير أولئك المقربون في جنات النعيم و في حور عين أي و في مقاربه حور عين أو معاشره حور عين فحذف المضاف فإن قلت فلم لا تحمله على الجار في قوله تعالى يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بكذا و بحور عين فهذا يمكن أن يقال إلا أن أبا الحسن قال في ذا بعض الوحشه قال ابن جنى نرف البئر ينزفها نرفا إذا استقى ماؤها و أنزفت الشىء إذا أفنيتة قال الشاعر:

لعمري لئن أنزفتم أو صحتم لبئس الندامى كنتم آل أبحرا

. المعنى

ثم أخبر سبحانه أن «يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ» أي و صفاء و غلمان للخدمه «مُخَلَّدُونَ» أي باقون لا يموتون و لا يهرمون و لا يتغيرون عن مجاهد و قيل مقرطون و الخلد القرط يقال خلد جاريتة إذا حلاها بالقرطه عن سعيد بن جبیر و الفراء و اختلف في هذه الولدان

فقيل إنهم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها و لا سيئات فيعاقبوا فأنزلوا هذه المنزله عن على (عليه السلام)

و الحسن و قد

روى عن النبي ص أنه سأل عن أطفال المشركين فقال هم خدم أهل الجنة

و قيل بل هم من خدم الجنة على صورته الولدان خلقوا لخدمه أهل الجنة «بِأَكْوَابٍ» و هي القداح الواسعه الرؤوس لا خراطيم لها عن قتاده «وَأَبَارِيقَ» و هي التي لها خراطيم و عرى و هو الذى يبرق من صفاء لونه «وَأَكَّاسٍ مِنْ مَعِينٍ» أي و يطوفون أيضا عليهم بكأس خمر معين أي ظاهر للعيون جار «لَا يُصَيِّدُ دَعْوَى عَنْهَا» أي لا يأخذهم من شربها صداع و قيل لا يتفرقون عنها «وَلَا يُنْزِفُونَ» أي لا تنزف عقولهم بمعنى لا تذهب بالسكر عن مجاهد و قتاده و الضحاك و من قرأ ينزفون حمله على أنه لا تفنى خمرهم «وَأَكَّاسٍ مِنْ مَعِينٍ» أي و يطوفون عليهم بفاكهه مما يختارونه و يشتهونه يقال تخيرت الشىء أخذت خيره «وَأَكَّاسٍ مِنْ مَعِينٍ» أي و بلحم طير مما يتمنون فإن أهل الجنة إذا اشتهوا لحم الطير خلق الله سبحانه لهم الطير نضيجا حتى لا يحتاج إلى ذبح الطير و إيلامه قال ابن عباس يخطر على قلبه الطير فيصير ممثلا بين يديه على ما انتهى «وَأَكَّاسٍ مِنْ مَعِينٍ» قد مر بيانه «كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ» أي الدر المصون المخزون فى الصدف لم تمسه الأيدي قال عمر ابن أبى ربيعه:

ص: ٣٢٨

و هي زهراء مثل لؤلؤه الغواص ميزت من جوهر مكنون

«جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أى نفعل ذلك الجزاء أعمالهم و طاعاتهم التى عملوها فى دار التكليف الدنيا «لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا» أى فى الجنة «لَعْوًا» أى ما لا فائده فيه من الكلام لأن كل ما يتكلمون به فيه فائده «وَلَا تَأْتِيَمًا» أى لا يقول بعضهم لبعض أئمت لأنهم لا يتكلمون بما فيه إثم عن ابن عباس و قيل معناه لا يتخالفون على شرب الخمر كما يتخالفون فى الدنيا و لا يأثمون بشربها كما يأثمون فى الدنيا «إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا» أى لا- يسمعون إلا- قول بعضهم لبعض على وجه التحية سلاما سلاما و المعنى أنهم يتداعون بالسلام على حسن الآداب و كريم الأخلاق اللذين يوجبان التواد و نصب سلاما على تقدير سلمك الله سلاما بدوام النعمة و كمال الغبطة و يجوز أن يعمل سلام فى سلاما لأنه يدل على عامله كما يدل قوله تعالى وَ اللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا على العامل فى نبات فإن المعنى أنبتكم فنبتم نباتا و يجوز أن يكون سلاما نعتا لقوله قِيلًا و يجوز أن يكون مفعول قيل فالوجه الثلاثة تحتلها الآية.

[سوره الواقعة (٥٦): الآيات ٢٧ الى ٤٠]

إشاره

وَ أَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَ طَلْحٍ مَّنْضُودٍ (٢٩) وَ ظِلِّ مَمْدُودٍ (٣٠) وَ مَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَ فَاكِهِهِ كَثِيرِهِ (٣٢) لَا مَقْطُوعِهِ وَ لَا مَمْنُوعِهِ (٣٣) وَ فُرْشٍ مَّرْفُوعِهِ (٣٤) إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرْبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨) ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ (٤٠)

القراءه

قرأ إسماعيل و حمزه و حماد و يحيى عن أبى بكر و خلف عربا ساكنه الرء و الباقون «عُرْبًا» بضمتين.

الحجه

العروب الحسنه التبعل قال لبيد:

و فى الحدوج عروب غير فاحشه ربا الروادف يعشى دونها البصر

ص: ٣٢٩

و الفعول يجمع على فعل و فعل فمن التثليل قوله:

" فاصبرى إنك من قوم صبر "

و التخفيف فى ذلك شائع مطرد.

اللغة

السدر شجر النبق و أصل الخضد عطف العود اللين فمن هاهنا المخضود الذى لا شوك له لأن الغالب أن الرطب اللين لا شوك له و الطلح قال أبو عبيده هو كل شجر عظيم كثير الشوك قال بعض الحداه:

بشرها دليلها و قالا غدا ترين الطلح و الجبالا

و قال الزجاج الطلح شجر أم غيلان فقد يكون على أحسن حال و المنضود من نضدت المتاع إذا جعلت بعضه على بعض و البكر التى لم يفترعها الرجل فهى على خلقتها الأولى من حال الإنشاء و منه البكره لأول النهار و الباكوره لأول الفاكهه و البكر الفتى من الإبل و جمعه بكار و بكاره و جاء القوم على بكرتهم و بكره أيهم عن الأزهرى و الأتراب جمع ترب و هو اللده الذى ينشأ مع مثله فى حال الصبا و هو مأخوذ من لعب الصبى بالتراب أى هم كالصبيان الذين هم على سن واحد قال ابن أبى ربيعه:

أبرزوها مثل المهاه تهادى بين عشر كواعب أتراب

. المعنى

ثم ذكر سبحانه أصحاب اليمين و عجب من شأنهم فقال «و أصحابُ اليمينِ ما أصحابُ اليمينِ» هو مثل قوله ما أصحابُ الميمَنه و قد مر معناه «فى سِدْرٍ مَخْضُودٍ» أى فى نبق مخضود أى منزوع الشوكه قد خضد شوكه أى قطع عن ابن عباس و عكرمه و قتاده و قيل هو الذى خضد بكثره حملة و ذهاب شوكه و قيل هو الموقر حملا- عن الضحاك و مجاهد و مقاتل بن حيان و قال الضحاك نظر المسلمون إلى وج و هو واد مخصب بالطائف فأعجبهم سدره و قالوا يا ليت لنا مثل هذا فنزلت هذه الآية «و طَلْحٍ مَّنْضُودٍ» قال ابن عباس و غيره هو شجر الموز و قيل ليس بالموز و لكنه شجر له ظل بارد رطب عن الحسن و قيل هو شجر يكون باليمن و بالحجاز من أحسن الشجر منظرا و إنما ذكر هاتين الشجرتين لأن

العرب كانوا يعرفون ذلك فإن عامه أشجارهم أم غيلان ذات أنوار و رائحه طيبه و

روت العامه عن على (عليه السلام) أنه قرأ عنده رجل «وَ طَلَحٍ مَّنْضُودٍ» فقال ما شأن الطلح إنما هو و طلع كقوله وَ نَخْلٍ طَلَعُهَا هَضِيمٌ فقيل له أ لا تغيره فقال إن القرآن لا يهاج اليوم و لا يحرك رواه عنه ابنه الحسن و قيس بن سعد

و رواه أصحابنا عن يعقوب بن شعيب قال قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) «وَ طَلَحٍ مَّنْضُودٍ» قال لا و طلع منضود

و المنضود الذى نضد بعضه على بعض نضد بالحمل من أوله إلى آخره فليست له سوق بارزه فمن عروقه إلى أفنانه ثمر كله «وَ ظِلٌّ مَّمْدُودٌ» أى دائم لا تنسخه الشمس فهو باق لا يزول و العرب تقول لكل شىء طويل لا ينقطع ممدود قال ليبيد:

غلب البقاء و كان غير مغلب دهر طويل دائم ممدود

و .

قد ورد فى الخبر أن فى الجنه شجره يسير الراكب فى ظلها مائه سنه لا يقطعها اقرءوا إن شئتم «وَ ظِلٌّ مَّمْدُودٌ»

و

روى أيضا أن أوقاف الجنه كغدوات الصيف لا يكون فيه حر و لا برد

«وَ مَاءٍ مَّشِيكُوبٍ» أى مصبوب يجرى الليل و النهار و لا ينقطع عنهم فهو مسكوب بسكب الله إياه فى مجاريه و قيل مسكوب مصبوب على الخمر ليشرب بالمزاج و قيل مسكوب يجرى دائما فى غير أهدود عن سفيان و جماعه و قيل مسكوب ليشرب على ما يرى من حسنه و صفائه لا يحتاجون إلى تعب فى استقائه «وَ فَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ» أى و ثمار مختلفه كثيره غير قليله و الوجه فى تكرير ذكر الفاكهه البيان عن اختلاف صفاتها فذكرت أولا- بأنها متخيره و ذكرت هنا بأنها كثيره ثم وصفت بقوله «لَا مَقْطُوعَةٍ وَ لَا مَمْنُوعَةٍ» أى لا تنقطع كما تنقطع فواكه الدنيا فى الشتاء و فى أوقاف مخصوصه و لا تمتنع بعد تناول أو شوك يؤذى اليد كما يكون ذلك فى الدنيا و قيل إنها غير مقطوعه بالأزمان و لا ممنوعه بالأثمان لا يتوصل إليها إلا بالثمن «وَ فُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ» أى بسط عاليه كما يقال بناء مرفوع و قيل مرفوع بعضها فوق بعض عن الحسن و الفراء و قيل معناه و نساء مرتفعات القدر فى عقولهن و حسنهن و كمالهن عن الجبائى قال و لذلك عقبه بقوله «إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً» و يقال لامرأه الرجل هى فراشه و منه

قول النبى ص الولد للفراش و للعاهر الحجر

«إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً» أى خلقناهن خلقا جديدا قال ابن عباس يعنى النساء الآدميات و العجز الشمط يقول خلقتهن بعد الكبر و الهرم فى الدنيا خلقا آخر و قيل معناه أنشأنا الحور العين كما هن عليه على هيئاتهن لم ينتقلن من حال إلى حال كما يكون فى الدنيا «فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا» أى عذارى عن الضحاك و قيل لا- يأتين أزواجهن إلا- وجدوهن أبكارا «عُرْبًا» أى متحنات على أزواجهن متحبات إليهم و قيل عاشقات

لأزواجهن عن ابن عباس و قيل العروب اللعوب مع زوجها أنسا به كأنس العرب بكلام العربي «أتراباً» أى متشابهات مستويات فى السن عن ابن عباس و قتاده و مجاهد و قيل أمثال أزواجهن فى السن «لأَصِيحَابِ الْيَمِينِ» أى هذا الذى ذكرناه لأصحاب اليمين جزاء و ثوابا على طاعتهم «ثَلَّةٌ مِنَ الْمَأْوَلِينَ وَ ثَلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ» أى جماعه من الأمم الماضيه التى كانت قبل هذه الأمه و جماعه من مؤمنى هذه الأمه قال الحسن سابقوا الأمم الماضيه أكثر من سابقى هذه الأمه و تابعو الأمم الماضيه مثل تابعى هذه الأمه إن أصحاب اليمين منهم مثل أصحاب اليمين منا و إنما نكر سبحانه الله ليدل على أنه ليس لجميع الأولين و الآخرين وإنما هو لجماعه منهم كما يقال رجل من جملة الرجال و هذا الذى ذكرناه قول مقاتل و عطاء و جماعه من المفسرين و ذهب جماعه منهم أن الثلثين جميعا من هذه الأمه و هو قول مجاهد و الضحاك و اختيار الزجاج و

روى ذلك مرفوعا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى ص أنه قال جميع الثلثين من أمتى

و مما يؤيد القول الأول و يعضده من طريق الروايه

ما رواه نقله الأخبار بالإسناد عن ابن مسعود قال تحدثنا عند رسول الله ص ليله حتى أكثرنا الحديث ثم رجعنا إلى أهلنا فلما أصبحنا غدونا إلى رسول الله ص فقال عرضت على الأنبياء الليله بتابعها من أممها فكان النبى تجىء معه الثلث من أمته و النبى معه العصابة من أمته و النبى معه نفر من أمته و النبى معه الرجل من أمته و النبى ما معه من أمته أحد حتى إذا أتى أخى موسى فى كبكبه من بنى إسرائيل فلما رأيتهم أعجبونى فقلت أى رب من هؤلاء فقال هذا أخوك موسى بن عمران و من معه من بنى إسرائيل فقلت رب فأين أمتى قال أنظر عن يمينك فإذا ظراب مكه قد سدت بوجوه الرجال فقلت من هؤلاء فقيل هؤلاء أمتك أ رضيت قلت رب رضيت و قال أنظر عن يسارك فإذا الأفق قد انسدت بوجوه الرجال فقلت رب من هؤلاء قيل هؤلاء أمتك أ رضيت قلت رب رضيت فقيل إن مع هؤلاء سبعين ألفا من أمتك يدخلون الجنة لا حساب عليهم قال فأنشأ عكاشه بن محصن من بنى أسد من خزيمه فقال يا نبى الله ادع ربك أن يجعلنى منهم فقال اللهم اجعله منهم ثم أنشأ رجل آخر فقال يا نبى الله ادع ربك أن يجعلنى منهم فقال سبقك بها عكاشه فقال نبى الله فداكم أبى و أمى إن استطعتم أن تكونوا من السبعين فكونوا و إن عجزتم و قصرتم فكونوا من أهل الظراب فإن عجزتم و قصرتم فكونوا من أهل الأفق و إنى قد رأيت ثم ناسا كثيرا يتهاوشون كثيرا فقلت هؤلاء السبعون ألفا فاتفق

رأينا على أنهم ناس ولدوا في الإسلام فلم يزالوا يعملون به حتى ماتوا عليه فانتهى حديثهم إلى رسول الله ص فقال ليس كذلك ولكنهم الذين لا يسرقون ولا يتكبرون ولا يتطيرون و على ربهم يتوكلون ثم قال إني لأرجو أن يكون من تبعني ربع أهل الجنة قال فكبرنا ثم قال إني لأرجو أن يكونوا ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال إني لأرجو أن يكونوا شطر أهل الجنة ثم تلا رسول الله ص «ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ».

[سوره الواقعة (٥٦): الآيات ٤١ الى ٥٦]

إشارة

وَ أَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَ حَمِيمٍ (٤٢) وَ ظِلٌّ مِنْ يَحْمُومٍ (٤٣) لَا بَارِدٍ وَ لَا كَرِيمٍ (٤٤) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٥)

وَ كَانُوا يُصَيَّرُونَ عَلَى الْحِنْتِ الْعَظِيمِ (٤٦) وَ كَانُوا يَقُولُونَ إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا وَ عِظَامًا أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (٤٨) قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٥٠)

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَأَكَلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ (٥٢) فَمَالُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥)

هذا نزلهم يوم الدين (٥٦)

القراءة

قرأ ابن عامر «أ إذا متنا» بهمزتين «أ إنا لمبعوثون» بهمزتين أيضا و لم يجمع بين استفهامين إلا في هذا الموضع من القرآن و قد ذكرنا مذهب غيره من القراء فيما تقدم و مذهبه أيضا في أمثاله و قرأ أهل المدينة و عاصم و حمزه شرب الهيم بضم الشين و الباقون بفتحها.

الحجج

قال أبو علي إن ألحق ألف الاستفهام في قوله «أ إنا» أو لم تلحق كان إذا متعلقا بشيء دل عليه قوله «أ إنا لمبعوثون» ألا ترى أن إذا ظرف من الزمان فلا بد له من فعل أو

معنى فعل يتعلق به و لا يجوز أن يتعلق بقوله «مِثْنَا» لأنه مضاف إليه و المضاف إليه لا يعمل فى المضاف و إذا لم يجوز حمله على هذا الفعل و لا على ما بعد أن من حيث لم يعمل ما بعد أن فيما قبلها كما لا يعمل ما بعد لا فيما قبلها فكذلك لا يجوز أن يعمل ما بعد الاستفهام فيما قبله علمت أنه يتعلق بشىء دل عليه قوله «أَنَا لَمَبْعُوثُونَ» و ذلك نحشر أو نبعث و نحوهما مما يدل عليه هذا الكلام و أما الشرب فهو نحو الأكل و الضرب و الشرب كالشغل و النكر و أما الشرب فالمشروب كالطحن و نحوه و قد يكون الشرب جمع شارب مثل راكب و ركب و تاجر و تاجر و راجل و راجل.

اللغة

السموم الريح الحاره التى تدخل فى مسام البدن و مسام البدن خروقه و منه أخذ السم الذى يدخل فى المسام و اليحموم الأسود الشديد السواد باحترق النار و هو يفعل من اللحم و هو الشحم المسود باحترق النار يقال حممت الرجل إذا سخمت وجهه بالفحم و المترف الممتنع من أداء الواجبات طلبا للترفه و هى الرفاهيه و النعمه و الحنث نقض العهد المؤكد بالحلف و الهيم الإبل العطاش التى لا تروى من الماء لداء يصيبها و الواحد أهيم و الأثنى هيماء.

المعنى

ثم ذكر سبحانه أصحاب الشمال فقال «وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ» و هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى جهنم أو الذين يأخذون كتبهم بشمالهم أو الذين يلزمهم حال الشؤم و النكد «فِي سَيِّئَاتٍ وَ حَمِيمٍ» أى فى ريح حاره تدخل مسامهم و خرووقهم و فى ماء مغلى حار انتهت حرارته «و ظِلٌّ مِّنْ يَحْمِيَوْمٍ» أى دخان أسود شديد السواد عن ابن عباس و أبى مالك و مجاهد و قتاده و قيل اليحموم جبل فى جهنم يستغيث أهل النار إلى ظله ثم نعت ذلك الظل فقال «لَا بَارِدٍ وَ لَا كَرِيمٍ» أى لا بارد المنزل و لا كريم المنظر عن قتاده و قيل لا بارد يستراح إليه لأنه دخان جهنم و لا كريم فيشتهى مثله و قيل و لا كريم أى و لا منفعه فيه بوجه من الوجوه و العرب إذا أرادت نفى صفه الحمد عن شىء نفت عنه الكرم و قال الفراء العرب تجعل الكريم تابعا لكل شىء نفت عنه و صفا تنوى به الذم تقول ما هو بسمين و لا كريم و ما هذه الدار بواسعه و لا كريمه ثم ذكر سبحانه أعمالهم التى أوجبت لهم هذا فقال «إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ» أى كانوا فى الدنيا متنعمين عن ابن عباس و ذلك أن عذاب المترف أشد ألما و بين سبحانه أن الترف ألهاهم عن الانزجار و شغلهم عن الاعتبار و كانوا يتركون الواجبات طلبا لراحه أبدانهم «و كَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ

الْعَظِيمِ» أى الذنب العظيم عن مجاهد و قتاده و الإصرار أن يقيم عليه فلا يقلع عنه و لا يتوب منه و قيل الحنث العظيم الشرك أى لا يتوبون عنه عن الحسن و الضحاك و ابن زيد و قيل كانوا يحلفون لا يبعث الله من يموت و إن الأصنام أنداد الله عن الشعبي و الأصم «وَ كَانُوا يَقُولُونَ إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا وَ عِظَامًا أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ» أى ينكرون البعث و النشور و الثواب و العقاب فيقولون مستبعدين لذلك منكرين له أ إذا خرجنا من كوننا أحياء و صرنا ترابا أ نبعث «أ وَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ» أى أ و يبعث آباؤنا الذين ماتوا قبلنا و يحشرون إن هذا البعيد و من قرأ أ و آباؤنا بفتح الواو فإنها واو العطف دخل عليها ألف الاستفهام «قُلْ» يا محمد لهم «إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ» أى الذين تقدموكم من آباءكم و غير آباءكم و الذين يتأخرون عن زمانكم «لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ» يجمعهم الله و يبعثهم و يحشرهم إلى وقت يوم معلوم عنده و هو يوم القيامة «ثُمَّ إِنَّكُمْ أَهْبَاءُ الضَّالُّونَ» الذين ضللتهم عن طريق الحق و جزتم عن الهدى «الْمُكَذِّبُونَ» بتوحيد الله و إخلاص العبادة له و نبوه نبيه «لَا كَلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ فَمَا لُؤُنَ مِنْهَا الْبُطُونَ» مفسر فى سورة الصافات «فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ» الشجر يؤنث و يذكر فلذلك قال «مِنْهَا» ثم قال «عَلَيْهِ» و كذلك الثمر يؤنث و يذكر «فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ» أى كشرب الهيم و هى الإبل التى أصابها الهيام و هو شدة العطش فلا تزال تشرب الماء حتى تموت عن ابن عباس و عكرمه و قتاده و قيل هى الأرض الرملية التى لا تروى بالماء عن الضحاك و ابن عيينه «هذا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ» النزل الأمر الذى ينزل عليه صاحبه و المعنى هذا طعامهم و شرابهم يوم الجزاء فى جهنم.

إشارة

نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْ لَا تُصَدِّقُونَ (٥٧) أَمْ فَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨) أَمْ أَنْتُمْ خُلِقْتُمْ فَلَوْ لَا تُخَلِّقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَ مَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَى أَنْ يُبَدَّلَ أَمْثَالَكُمْ وَ نُنْشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١)

وَ لَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشَأَ الْأُولَى فَلَوْ لَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَمْ فَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَمْ أَنْتُمْ تَرْزَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمَغْرُمُونَ (٦٦)

بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) أَمْ فَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَمْ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْ لَا تَشْكُرُونَ (٧٠) أَمْ فَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١)

أَمْ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكِّرَةً وَ مَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ (٧٣) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٧٤)

القراءة

قرأ ابن كثير نحن قدرنا بالتخفيف و الباقون «قَدَرْنَا» بالشديد و قرأ أبو بكر أ إنا لمغرمون بهمزتين و الباقون بهمزه واحده.

الحجج

قال أبو علي قدرنا في معنى قدرنا و يدل عليه قوله:

و مفرهه عنس قدرت لساقها فخرت كما تتابع الريح بالقفل

و المعنى قدرت ضربى لساقها فضربتها فخرت و مثله في المعنى:

فإن تعتذر بالمحل من ذى ضروعها على الضيف نجرح في عراقبيها نصلى.

اللغة

يقال أمني يمنى و منى يمى بمعنى و منه قراءه أبى السماك تمنون بفتح التاء و الأصل من المنى و هو التقدير قال الشاعر:

لا تأمنن و إن أمسيت فى حرم حتى تلاقى ما يمى لك المانى

و منه المنية لأنها مقدره تأتى على مقدار و الحطام الهشيم الذى لا ينتفع به فى مطعم

و لا غذاء و أصل الحطم الكسر و الحطم السواق بعنف يحطم بعضها على بعض قال:

" قد لفها الليل بسواق حطم "

و التفكه أصله تناول ضروب الفواكه للأكل و الفكاهه المزاح و منه حديث زيد كان من أفكه الناس مع أهله و رجل فكه طيب النفس و المغرم الذى ذهب ماله بغير عوض و أصل الباب اللزوم و الغرام العذاب اللازم قال الأعشى:

إن يعاقب يكن غراما و إذن يعط جزيلا فإنه لا يبالى

و النار مأخوذه من النور قال الحارث:

فتنورت نارها من بعيد بخزازی هيهات منك الصلاة

و الإبراء إظهار النار بالقدح يقال أورى يورى و وريت بك زنادى أى أضاء بك أمرى و يقال قدح فأورى إذا أظهر النار فإذا لم يور قيل قدح فأكبي و المقوى النازل بالقواء من الأرض ليس بها أحد و أقوت الدار خلت من أهلها قال النابغه:

أقوى و أقفر من نعم و غيرها هوج الرياح بها الترب موار

و قال عنتره:

حييت من طلل تقادم عهده أقوى و أقفر بعد أم الهيثم

. المعنى .

ثم احتج سبحانه عليهم فى البعث بقوله «نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ» أى نحن خلقناكم و لم تكونوا شيئا و أنتم تعلمون ذلك عن مقاتل «فَلَوْ لَا تُصَيِّدُونَ» أى فهلا تصدقون و لم لا تصدقون بالبعث لأن من قدر على الإنشاء و الابتداء قدر على الإعادة ثم نبههم سبحانه على وجه الاستدلال على صحه ما ذكره فقال «أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ» أى ما تقذفون و تصبون فى أرحام النساء من النطف فيصير ولدا «أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ» أى أنتم تخلقون ما تمنون بشرا «أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ» فإذا لم تقدرُوا أنتم و أمثالكم على ذلك فاعلموا أن الله سبحانه الخالق لذلك و إذا ثبت أنه قادر على خلق الولد من النطفه و جب أن

يكون قادرا على إعادته بعد موته لأنه ليس بأبعد منه ثم بين سبحانه أنه كما بدأ الخلق فإنه يميتهم فقال «نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ» التقدير ترتيب الأمر على مقدار أى نحن أجرينا الموت بين العباد على مقدار كما تقتضيه الحكمة فمنهم من يموت صييا ومنهم من يموت شابا ومنهم من يموت كهلا و شيخا و هرما عن مقاتل و قيل معناه قدرناه بأن سويانا فيه بين المطيع و العاصى و بين أهل السماء و الأرض عن الضحاك «وَمَا نَحْنُ بِمَسْمُومِينَ» قيل أنه من تمام ما قبله أى لا يسبقنا أحد منكم على ما قدرناه من الموت حتى يزيد فى مقدار حياته و قيل أنه ابتداء كلام يتصل به ما بعده و المعنى و ما نحن بمغلوبين «عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ» أى نأتى بخلق مثلكم بدلا منكم و تقديره نبدلكم بأمثالكم فحذف المفعول الأول و الجار من المفعول الثانى قال الزجاج معناه إن أردنا أن نخلق خلقا غيركم لم يسبقنا سابق و لا يفوتنا «وَنُنشِئُكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ» من الصور أى إن أردنا أن نجعل منكم القرده و الخنازير لم نسبق و لا- فاتنا ذلك و تقديره كما لم نعجز عن تغيير أحوالكم بعد خلقكم لا- نعجز عن أحوالكم بعد موتكم و قيل أراد النشأ الثانى أى نشئكم فيما لا تعلمون من الهيئات المختلفه فإن المؤمن يخلق على أحسن هيئه و أجمل صوره و الكافر على أقبح صورته و قيل إنما قال ذلك لأنهم علموا حال النشأ الأولى كيف كانت فى بطون الأمهات و ليست الثانى كذلك لأنها تكون فى وقت لا- يعلمه العباد «وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَ الْأُولَى» أى المره الأولى من الإنشاء و هو ابتداء الخلق حين خلقتم من نطفه و علقه و مضغه «فَلَوْ لَا تَدَكَّرْتُمْ» أى فهلا تعتبرون و تستدلون بالقدره عليها على الثانى «أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ» أى ما تعملون فى الأرض و تلقون فيها من البذر «أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ» أى أ أنتم تبتونه و تجعلونه زرعاً أم نحن المنبتون فإن من قدر على إنبات الزرع من الحبه الصغيره و أن يجعلها حبوبا كثيره قدر على إعادته الخلق إلى ما كانوا عليه و

روى عن النبى ص أنه قال لا يقولن أحدكم زرعت و ليقبل حرث

«لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ» أى جعلنا ذلك الزرع «حُطَامًا» أى هشيما لا ينتفع به فى مطعم و لا غذاء و قيل تبنا لا قمح فيه عن عطاء «فَطَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ» أى تتعجبون مما نزل بكم فى زرعكم عن عطاء و الكلبى و مقاتل و قيل معناه تندمون و تتأسفون على ما أنفقتم فيه عن عكرمه و قتاده و الحسن و أصله من التفكه بالحديث و هو التلهى به فكأنه قال فطلتم تتروحوون إلى التندم كما يتروح الفكه إلى الحديث بما يزيل الهم و قيل معناه يتلاومون عن عكرمه أى يلوم بعضكم بعضا على التفريط فى طاعه الله «إِنَّا لَمُعْرَمُونَ» أى

تقولون إنا لمغرمون والمعنى أنا قد ذهب مالنا كله و نفقتنا و ضاع وقتنا و لم نحصل على شىء و قيل معناه إنا لمعذبون مجدودون عن الحظ عن مجاهد و فى روايه أخرى عنه أنا لمولع بنا و فى روايه أخرى منه إنا لملقون فى الشر و قيل محارفون عن قتاده و من قرأ أ إنا على الاستفهام حمله على أنهم يقومون فيقولون منكرين لذلك و من قرأ «إنا» على الخير حمله على أنهم مخبرون بذلك عن أنفسهم ثم يستدركون فيقولون «بَيْلٌ نَحْنُ مَخْرُومُونَ» أى مبخوسو الحظ محارفون ممنوعون من الرزق و الخير ثم قال سبحانه منبها على دلالة أخرى «أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ» أى من السحاب «أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ» نعمه منا عليكم و رحمه بكم ثم قال «لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا» أى مرا شديد المراره و قيل هو الذى اشتدت ملوحته «فَلَوْ لَا تَشْكُرُونَ» أى فهلا تشكرون على هذه النعمه السنيه التى لا يقدر عليها أحد غير الله ثم نبه سبحانه على دلالة أخرى فقال «أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ» أى تستخرجونها و تقدحونها بزنادكم من الشجر «أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا» التى تنقدح النار منها أى أ أنتم أنبتموها و ابتدأتموها «أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ» لها فلا يمكن أحدا أن يقول أنه أنشأ تلك الشجره غير الله تعالى و العرب تقدح بالزند و الزنده و هو خشب يحك بعضه ببعض فتخرج منه النار و فى المثل " فى كل شجر نار و استمجد المرخ و العفار " «نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً» أى نحن جعلنا هذه النار تذكره للنار الأخرى الكبرى فإذا رآها الرائي ذكر جهنم و استعاذ بالله منها عن عكرمه و مجاهد و قتاده و قيل معناه تذكره يتذكر بها و يتفكر فيها فيعلم أن من قدر عليها و على إخراجها من الشجر الرطب قدر على النشأه الثانيه «وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ» أى و جعلناها بلغه و منفعه للمسافرين عن ابن عباس و الضحاك و قتاده يعنى الذين نزلوا الأرض القى و هو القفر و قيل للمستمتعين بها من الناس أجمعين المسافرين و الحاضرين عن عكرمه و مجاهد و المعنى أن جميعهم يستضيئون بها من فى الظلمه و يصطلون من البرد و ينتفعون بها فى الطبخ و الخبز و على هذا فيكون المقوى من الأضداد فيكون المقوى الذى صار ذا قوه من المال و النعمه و المقوى أيضا الذاهب ماله النازل بالقواء من الأرض فالمعنى و متاعا للأغنياء و الفقراء و لما ذكر سبحانه ما يدل على توحيدده و إنعامه على عبيده قال «فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ» أى فبرىء الله تعالى مما يقولونه فى وصفه و نزهه عما لا يليق بصفاته و قيل معناه قل

فقد صح عن النبي ص أنه لما نزلت هذه الآية قال اجعلوها في ركوعكم.

[سوره الواقعة (٥٦): الآيات ٧٥ الى ٨٧]

إشارة

فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسِيمٌ لِّمَنْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩)

تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠) أَفِيهِذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (٨١) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ (٨٢) فَلَوْ لَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤)

وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْ لَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٨٧)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم بموقع النجوم بغير ألف و الباقون «بمواقع النجوم» على الجمع و روى بعضهم عن عاصم أنكم تكذبون بالتخفيف و القراءة المشهورة بالتشديد و في الشواذ قراءة الحسن و الثقفى فلا قسم بغير ألف و

قراءة على (عليه السلام) و ابن عباس و رويت عن النبي ص و تجعلون شكركم.

الحجج

قال أبو عبيده «فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ» أى فأقسم و مواقعها مساقطها حيث تغيب و قال غيره أنه مواقع القرآن حين نزل على النبي ص نجوما فأما الجمع فى ذلك و إن كان مصدرا فلاختلاف ذلك فى المصادر و سائر أسماء الأجناس إذا اختلفت جاز جمعها و من قرأ بموقع فأفرد فلأنه اسم جنس و من قرأ تكذبون فالمعنى تجعلون رزقكم الذى رزقكموه الله فيما قال «وَ نَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا» إلى قوله «رِزْقًا لِلْعِبَادِ» و قال وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ* أنكم تكذبون فى أن تنسبوا هذا الرزق إلى غير الله تعالى فتقولون مطرنا بنوء كذا فهذا وجه التخفيف و من قرأ «تُكَذِّبُونَ» فالمعنى أنكم تكذبون

بالقرآن لأن الله تعالى هو الذى رزقكم ذلك على ما جاء فى قوله تعالى «رِزْقًا لِلْعِبَادِ» فتنسبونه أنتم إلى غيره فهذا تكذيبكم بما جاء به التنزيل و أما

ما روى من قوله و تجعلون شكركم

فالمعنى تجعلون مكان الشكر الذى يجب عليكم التكذيب و قد يكون المعنى و تجعلون شكر رزقكم التكذيب فحذف المضاف و قال ابن جنى هو على و تجعلون بدل شكركم و مثله قول العجاج:

ربيته حتى إذا تمعددا كان جزائى بالعصا أن أجلدا

أى كان بدل جزائى الجلد بالعصا و أما قوله فلا أقسم فالتقدير لأننا أقسم و هو فعل الحال يدل على ذلك أن جميع ما فى القرآن من الأقسام إنما هو حاضر الحال لا وعد الأقسام كقوله «وَ التِّينِ وَ الزَّيْتُونِ» «وَ الشَّمْسِ وَ ضُحَاهَا» و لذلك حملت لا على الزيادة فى قوله «فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ» و نحوه نعم و لو أريد به الفعل المستقبل للزمت منه النون فليل لأقسمن.

اللغة

القسم جملة من الكلام يؤكد بها الخبر بما يجعله فى قسم الصواب دون الخطأ و العظيم هو الذى يقصر مقدار ما يكون من غيره عما يكون منه و هو ضربان عظيم الشخص و عظيم الشأن و الكريم هو الذى من شأنه أن يعطى الخير الكثير فلما كان القرآن من شأنه أن يعطى الخير الكثير بأدلته المؤديه إلى الحق كان كريما على حقيقته معنى الكريم لا على التشبيه بطريق المجاز و الكريم فى صفات الله تعالى من الصفات النفسية التى يجوز أن يقال فيها لم يزل كريما لأن حقيقته تقتضى ذلك من جهة أن الكريم هو الذى من شأنه أن يعطى الخير الكثير فلما كان القادر على الكرم الذى لا يمنعه مانع من شأنه أن يعطى الخير الكثير صح أن يقال أنه لم يزل كريم و المدهن الذى يجرى فى الباطن على خلاف الظاهر كالدهن فى سهوله ذلك عليه و الإسراع فيه يقال أدهن يدهن و داهن يداهن مثل نافق و الدين هو الجزاء و منه

قولهم كما تدين تدان

أى كما تجزى تجزى و الدين العمل الذى يستحق به الجزاء.

الإعراب

«فَلَوْ لَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ» العامل فى إذا محذوف يدل عليه الفعل الواقع بعد لو لا و هو ترجعونها فى «فَلَوْ لَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا» و جواب الشرط أيضا هو مدلول قوله فلو لا ترجعونها و لو لا هذه للتخصيص بمعنى هلا و لا يقع بعدها إلا الفعل و يكون التقدير فلو لا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم فلو لا أن كنتم فكرر لو لا ثانيا لطول الكلام.

ثم أكد سبحانه ما تقدم ذكره بقوله «فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ» ولا زائده والمعنى فأقسم عن سعيد بن جبير و يجوز أن يكون لا ردا لما يقوله الكفار فى القرآن من أنه سحر و شعر و كهانه ثم استأنف القسم فقال أقسم و قيل أن لا تزداد فى القسم فيقال لا والله لا أفعل و قال امرؤ القيس:

لا و أبيك ابنه العامرى لا يدعى القوم أنى أفر

و المعنى و أبيك و قيل أن المعنى لا أقسم على هذه الأشياء فإن أمرها أظهر و أكد من أن يحتاج فيه إلى اليمين عن أبى مسلم و اختلف فى معنى «بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ» فقيل هى مطالع النجوم و مساقطها عن مجاهد و قتاده و قيل انكدارها و هو انتشارها يوم القيامه عن الحسن و قيل هى الأنواء التى كان أهل الجاهليه إذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا فيكون المعنى فلا أقسم بها و

روى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام) أن مواقع النجوم رجوما للشياطين و كان المشركون يقسمون بها فقال سبحانه فلا أقسم بها

و قيل معناه أقسم بنزول القرآن فإنه نزل متفرقا قطعا نجوما عن ابن عباس «وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ» قال الزجاج و الفراء و هذا يدل على أن المراد بمواقع النجوم نزول القرآن و الضمير فى إنه يعود إلى القسم و دل عليه قوله «أُقْسِمُ» و المعنى أن القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون ففصل بين الصفه و الموصوف بالجملة ثم ذكر المقسم به فقال «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ» معناه إن الذى تلوناه عليك لقرآن كريم أى عام المنافع كثير الخير ينال الأجر العظيم بتلاوته و العمل بما فيه و قيل كريم عند الله تعالى أكرمه الله تعالى و أعزه لأنه كلامه عن مقاتل و قيل كريم لأنه كلام رب العزه و لأنه محفوظ عن التغيير و التبديل و لأنه معجز و لأنه يشتمل على الأحكام و المواعظ و كل جليل خطير و عزيز فهو كريم «فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ» أى مستور من خلقه عند الله و هو اللوح المحفوظ أثبت الله فيه القرآن عن ابن عباس و قيل هو المصحف الذى فى أيدينا عن مجاهد «لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» معناه فى القول الأول لا- يمسه إلا الملائكة الذين وصفوا بالطهاره من الذنوب و فى القول الثانى إلا المطهرون من الشرك عن ابن عباس و

قيل المطهرون من الأحداث و الجنابات و قالوا لا يجوز للجنب و الحائض و المحدث مس المصحف عن محمد بن على الباقر (عليه السلام)

و طاووس و عطاء و سالم و هو مذهب مالك و الشافعى فيكون خبرا بمعنى النهى و عندنا أن الضمير يعود إلى القرآن فلا يجوز لغير الطاهر مس كتابه القرآن «تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» أى هذا القرآن منزل من عند الله تعالى الذى

خلق العباد و دبرهم على ما أراد على نبيه محمد ص ثم خاطب سبحانه أهل مكة فقال «أَفِيهِذَا الْحَيْدِثِ» الذى حدثناكم به و أخبرناكم فيه عن حوادث الأمور و هو القرآن «أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ» أى مكذبون عن ابن عباس و قيل مدهنون ممالئون للكفار على الكفر به عن مجاهد و قيل منافقون على التصديق به أى تقولون آمنا به و تدهنون فيما بينكم و بين المشركين إذا خلوتهم فقلتم إنا معكم قال مؤرج هو الذى يلين جانبه ليخفى كفره و أصله من الدهن «وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ» أى و تجعلون حظكم من الخير الذى هو كالرزق لكم أنكم تكذبون به و قيل و تجعلون شكر رزقكم التكذيب عن ابن عباس قال أصاب الناس عطش فى بعض أسفاره فدعا ص فسقوا فسمع رجلا يقول مطرنا بنوء كذا فنزلت الآية و قيل معناه و تجعلون حظكم من القرآن الذى رزقكم الله التكذيب به عن الحسن «فَلَوْ لَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ» أى فهلا- إذا بلغت النفس الحلقوم عند الموت «وَأَنْتُمْ» يا أهل الميت «حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ» أى ترون تلك الحال و قد صار إلى أن تخرج نفسه و قيل معناه تنظرون لا يمكنكم الدفع و لا تملكون شيئا «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ» بالعلم و القدره «وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ» ذلك و لا تعلمونه و قيل معناه و رسلنا الذين يقبضون روحه أقرب إليه منكم و لكن لا- تبصرون رسلنا القابضين روحه «فَلَوْ لَا- إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» يعنى فهلا ترجعونها أى فهلا ترجعون نفس من يعز عليكم إذا بلغت الحلقوم و تردونها إلى موضعها إن كنتم غير مجزيين بثواب و عقاب و غير محاسنين و قيل غير مدنيين معناه غير مملوكين و قيل غير مبعوثين عن الحسن و المراد أن الأمر إن كان كما تقولونه من أنه لا- بعث و لا- حساب و لا- جزاء و لا- إله يحاسب و يجازى فهلا- رددتم الأرواح و النفوس من حلوقكم إلى أبدانكم إن كنتم صادقين فى قولكم فإذا لم تقدروا على ذلك فاعلموا أنه من تقدير مقدر حكيم و تدبير مدبر عليم.

إشارة

فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ (٨٩) وَ أَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَ أَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢)

فَنَزَّلُ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَ تَصْلِيَةٌ جَهِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٩٦)

القراءة

قرأ يعقوب

فروح بضم الراء و هو قراءة النبي ص و ابن عباس و أبى جعفر الباقر

و قتاده و الحسن و الضحاك و جماعه و الباقر «فَرَوْحٌ» بفتح الراء.

الحج

قال ابن جنى هو راجع إلى معنى الروح فكأنه قال فتمسك روح و ممسكها هو الروح و كما تقول هذا الهواء هو الحياه و هذا السماع هو العيش و هو الروح.

الإعراب

«وَ أَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ» قال على بن عيسى دخلت كاف الخطاب كما تدخل في ناهيك به شرفا و حسبك به كرما أى لا تطلب زياده على جلاله حاله فكذلك سلام لك منهم أى لا تطلب زياده على سلامهم جلاله و عظم منزله قال ابن جنى فى الكلام تقديم و تأخير و التقدير مهما يكن من شىء فسلام لك من أصحاب اليمين إن كان من أصحاب اليمين و لا- ينبغى أن يكون موضع إن كان إلا- هذا الموضع لأنه لو كان موضعه بعد الفاء يليها لكان قوله «فَسَلَامٌ لَكَ» جوابا له فى اللفظ لا فى المعنى و لو كان جوابا فى اللفظ لوجب إدخال الفاء عليه لأنه لا يجوز فى سعه الكلام أن كان من أصحاب اليمين سلام له فلما وجد الفاء فيه ثبت أنه ليس بجواب لقوله «إِنْ كَانَ» فى اللفظ و إذا ثبت أنه ليس بجواب له فى اللفظ ثبت أن موقع إن كان بعده لا- قبله قال فى إن قيل إنما بدل الفاء التى تكون جوابا لقوله «إِنْ كَانَ» لأجل الفاء التى تدخل جوابا لأنها لا يدخل حرف معنى على مثله قيل إنما تدخل الفاء التى لأما عليه لأنه ليس بجواب لقوله «إِنْ كَانَ» فلو كان جوابا له لما دخلت عليه هذه الفاء فى قوله «وَ أَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ» على أن فاء أما قد يكون موقعه بعد الفاء لا يليها و أما لها موضعان من الكلام (أحدهما) أن يكون لتفصيل الجمل نحو قولك جاءنى القوم فأما زيد فأكرمته و أما عمرو فأهنته و منه ما فى الآية (و الثانى) أن تكون مركبه من أن و ما و يكون ما عوضا من كان و ذلك قولك أما أنت منطلقا انطلقت معك و المعنى إن كنت منطلقا انطلقت معك فموضع أن نصب لأنه مفعول له و أنشد سيويه:

أبا خراشه أما أنت ذا نفر فإن قومي لم تأكلهم الضبع

أى من أجل أن كنت و الضبع السنه الشديده.

المعنى

ثم ذكر سبحانه صفات الخلق عند الموت فقال «فَمَا مَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ» أى فى إن كان ذلك المحتضر الذى بلغت روحه الحلقوم من المقربين عند الله و هم

ص: ٣٤٤

السابقون الذين ذكروا في أول السورة «فَرَوْحٌ» أى فله روح و هو الراحه و الاستراحه عن ابن عباس و مجاهد يعنى من تكاليف الدنيا و مشاقها و قيل الروح الهواء الذى تستلذه النفس و يزيل عنها الهم «وَرِيحَانٌ» يعنى الرزق فى الجنه و قيل هو الريحان المشموم من ريحان الجنه يؤتى به عند الموت فيشمه عن الحسن و أبى العالىه و قتاده و قيل الروح الرحمه و الريحان كل نباهه و شرف و قيل الروح النجاه من النار و الريحان الدخول فى دار القرار و قيل روح فى القبر و ريحان فى الجنه و قيل روح فى القبر و ريحان فى القيامة «وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ» يدخلونها «وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ» أى إن كان المتوفى من أصحاب اليمين «فَسَيَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ» أى فترى فيهم ما تحب لهم من السلامه من المكاره و الخوف و قيل معناه فسلام لك أيها الإنسان الذى هو من أصحاب اليمين من عذاب الله و سلمت عليك ملائكه الله عن قتاده قال الفراء فسلام لك إنك من أصحاب اليمين فحذف إنك و قيل معناه فسلام لك منهم فى الجنه لأنهم يكونون معك و يكونون لك بمعنى عليك (سؤال) يقال لم يتبرك باليمين (و الجواب) إن العمل ميسر بها لأن الشمال معسر العمل بها من نحو الكتابه و الأعمال الدقيقه «وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ» بالبعث و الرسل و آيات الله «الضَّالِّينَ» عن الهدى الذاهبين عن الصواب و الحق «فَنُزِّلَ مِنْ حَمِيمٍ» أى فنزلهم الذى أعد لهم من الطعام و الشراب من حميم جهنم «وَتَصْدِيمِيَّةٌ جَحِيمٌ» أى إدخال نار عظيمه كما قال وَ يَصْدِمُنِي سَعِيرًا فى قراءه من شدد «إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ» أضاف الحق إلى اليقين و هما واحد للتأكيد أى هذا الذى أخبرتك به من منازل هؤلاء الأصناف الثلاثة هو الحق الذى لا شك فيه و اليقين الذى لا شبهه معه و قيل تقديره حق الأمر اليقين «فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ» أى نزه الله سبحانه عن السوء و الشرك و عظمه بحسن الثناء عليه و قيل معناه نزه اسمه عما لا يليق به فلا تضيف إليه صفه نقص أو عملا قبيحا و قيل معناه قولوا سبحان ربي العظيم و العظيم فى صفه الله تعالى معناه إن كل شىء سواه يقصر عنه فإنه القادر العالم الغنى الذى لا يساويه شىء و لا يخفى عليه شىء جلت آلاؤه و تقدست أسماؤه.

(٥٧) سورة الحديد مدنيه و آياتها تسع و عشرون (٢٩)

اشاره

عدد آياتها

تسع و عشرون آيه عراقى و ثمان فى الباقيين.

اختلافها

آيتان «مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ» كوفى و «الْإِنْجِيلَ» بصرى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله و رسوله
العرباض بن ساريه قال إن النبى ص كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد و يقول إن فيهن آيه أفضل من ألف آيه
و

روى عمرو بن شمر عن جابر الجعفى عن أبى جعفر (عليه السلام) قال من قرأ المسبحات كلها قبل أن ينام لم يمت حتى يدرك
القائم ع و إن مات كان فى جوار رسول الله ص

الحسين بن أبى العلاء عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ سورة الحديد و المجادله فى صلاه فريضة أدمنها لم يعذبه الله
حتى يموت أبدا و لا يرى فى نفسه و لا فى أهله سوء أبدا و لا خصاصه فى بدنه.

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة الواقعه بالتسبيح افتتح هذه السوره بالتسبيح و عقبه بالدلائل الموجهه للتسبيح فقال:

ص: ٣٤٦

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ الْمَوْلَىٰ وَالْمَأْمُورُ وَالْمَآخِزُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤)

لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٥) يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٦)

المعنى

«سَبَّحَ لِلَّهِ» أى نزهه و أثنى عليه بما هو أهله و برأه من كل سوء «ما فى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» قال مقاتل يعنى كل شىء من ذى الروح و غيره و كل خلق فيهما و لكن لا تفقهون تسيحهم و تحقيقه أن العقلاء يسبحونه قولاً و اعتقاداً و لفظاً و معنى و ما ليس بعقل من سائر الحيوانات و الجمادات فتسيحه ما فيه من الأدله الداله على وحدانيته و على الصفات التى باين بها جميع خلقه و ما فيه من الحجج على أنه لا يشبه خلقه و أن خلقه لا يشبهه فعبر سبحانه عن ذلك بالتسيح و يجوز أن تكون ما هاهنا بمعنى من كما حكى أبو زيد عن أهل الحجاز أنهم كانوا إذا سمعوا الرعد قالوا سبحان ما سبحت له فيكون واقعا على العقلاء من الملائكة و الجن و الإنس «وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» أى القادر الذى لا يمتنع عليه شىء المحكم لأفعاله العليم بوجوه الصواب فى التدبير «لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» أى له التصرف فى جميع ما فى السماوات و الأرض من الموجودات بما يشاء من التصرف و ليس لأحد منعه منه و ذلك هو الملك الأعظم فإن كل ما يملكه من عداه فإنه سبحانه هو الذى ملكه إياه و له منعه منه «يُحْيِي وَيُمِيتُ» أى يحيى الأموات للبعث و يميت الأحياء فى الدنيا و قيل يحيى الأموات بأن يجعل النطفه و هى جماد حيوانا و يميت الأحياء إذا بلغوا آجالهم التى قدرها لهم «وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» يقدر على المعدومات بإيجادها و إنشائها و على الموجودات بتغييرها و إفنائها و على أفعال العباد و مقدراتهم بالإقذار عليها و سلبهم القدره عليها «هُوَ الْمَوْلَىٰ وَالْمَأْمُورُ» أى أول الموجودات و تحقيقه أنه سابق لجميع الموجودات بما لا يتناهى من تقدير الأوقات لأنه قديم و ما عداه محدث و القديم يسبق المحدث بما لا يتناهى من تقدير الأوقات «وَ الْمَآخِزُ» بعد فناء كل شىء لأنه يفنى الأجسام كلها و ما فيها من الأعراض و يبقى

وحده ففى هذا دلالة على فناء الأجسام وقيل الأول قبل كل شىء بلا ابتداء و الآخر بعد كل شىء بلا انتهاء فهو الكائن لم يزل و الباقي لا يزال «وَ الظَّاهِرُ» و هو الغالب العالى على كل شىء فكل شىء ء دونه «وَ البَاطِنُ» العالم بكل شىء ء فلا أحد أعلم منه عن ابن عباس وقيل الظاهر بالأدلة و الشواهد و الباطن الخبير العالم بكل شىء ء وقيل معنى الظاهر و الباطن أنه العالم بما ظهر و العالم بما بطن وقيل الظاهر بأدلته و الباطن من إحساس خلقه وقيل الأول بلا ابتداء و الآخر بلا انتهاء و الظاهر بلا اقتراب و الباطن بلا احتجاب وقيل الأول بيره إذ هداك و الآخر بعفوه إذ قبل توبتك و الظاهر بإحسانه و توفيقه إذا أطعته و الباطن بستره إذا عصيته عن السدى وقيل الأول بالخلق و الآخر بالرزق و الظاهر بالإحياء و الباطن بالإماتة عن ابن عمر وقيل هو الذى أول الأول و آخر الآخر و أظهر الظاهر و أبطن الباطن عن الضحاك وقيل الأول بالأزلية و الآخر بالأبدية و الظاهر بالأحديه و الباطن بالصمديه عن أبى بكر الوراق وقيل إن الواوات مقحمة و المعنى هو الأول الآخر الظاهر و الباطن لأن كل من كان منا أولاً لا يكون آخراً و من كان منا ظاهراً لا يكون باطناً عن عبد العزيز بن يحيى وقيل هو الأول القديم و الآخر الرحيم و الظاهر الحكيم و الباطن العليم عن يمان و قال البلخى هو كقول القائل فلان أول هذا الأمر و آخره و ظاهره و باطنه أى عليه يدور الأمر و به يتم «وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ ءِ» يصح أن يكون معلوماً «عَلِيمٌ» لأنه عالم لذاته «هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ» لما فى ذلك من اعتبار الملائكة بظهور شىء ء بعد شىء ء من جهته و لما فى الإخبار به من المصلحة للمكلفين و لو لا ذلك لكان يخلقهما فى لحظة واحده لأنه القادر لذاته «ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ» المعروف فى السماء وقيل استوى على الملك فمن قال بالأول قال استواؤه عليه كونه قادراً على خلقه و إفئائه و تصريفه قال البعيث:

ثم استوى بشر على العراق من غير سيف و دم مهران

و بشر هذا هو بشر بن مروان و لاه أخوه عبد الملك العراق وقيل معناه ثم عمد و قصد إلى خلق العرش و قد مر بيانه «يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا» أى يعلم ما يدخل فى الأرض و يستتر فيها و يعلم ما يخرج من الأرض من سائر أنواع النبات و الحيوان و الجماد لا يخفى عليه شىء ء منها «وَ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَ مَا يَعْرُجُ فِيهَا» أى و يعلم ما ينزل من السماء من مطر و غير ذلك من أنواع ما ينزل منها و يعلم ما يعرج فى السماء من الملائكة و ما يرفع إليها من أعمال الخلق «وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيَّنَ مَا كُنْتُمْ» بالعلم الذى لا يخفى عليه شىء ء من أعمالكم و أحوالكم «وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ» من خير و شر «بَصِيرٌ» أى عليم «لَهُ مُلْكُ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» يتصرف فيهما كيف يشاء «وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» يوم القيامة يعنى أن جميع من ملكه شيئا فى الدنيا يزول ملكه عنه و ينفرد سبحانه بالملك كما كان كذلك قبل أن خلق الخلق «يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ يُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ» أى يدخل ما نقص من الليل فى النهار و ما نقص من النهار فى الليل أى حسب ما دبره فيه من مصالح عباده عن عكرمه و إبراهيم «وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» أى هو عالم بأسرار خلقه و ما يخفونه من الضمائر و الاعتقادات و الإيرادات و الكراهات و العزائم فى قلوبهم لا يخفى عليه شىء منها و فى هذا تحذير من المعاصى.

[سوره الحديد (٥٧): الآيات ٧ الى ١٠]

إشاره

آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ أَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) وَ مَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَ قَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ إِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرؤُفٌ رَحِيمٌ (٩) وَ مَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قَاتَلَ أَوْلِيَاءَكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَ قَاتَلُوا وَ كُلاًَّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسَيْنِ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠)

القراءه

قرأ أبو عمرو وحده و قد أخذ بضم الهمزه ميثاقكم بالرفع و الباقون «أَخَذَ» بفتح الهمزه «مِيثَاقَكُمْ» بالنصب و قرأ ابن عامر و كل وعد الله الحسنى بالرفع و الباقون «كُلًّا» بالنصب.

الحجه

قال أبو على حجه من قرأ «وَقَدْ أَخَذَ» أنه قد تقدم «وَ مَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ»

و الضمير يعود إلى اسم الله تعالى و حجه من قرأ و قد أخذ أنه على هذا المعنى و أنه قد عرف أخذ الميثاق و أن الله قد أخذه و حجه النصب في «كُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى» بين لأنه بمنزله زيدا وعدت خيرا و حجه ابن عامر أن الفعل إذا تقدم عليه مفعوله لم يقو عمله في قوته إذا تأخر ألا ترى أنهم قالوا في الشعر زيد ضربت و لو تأخر المفعول فوقع بعد الفاعل لم يجز ذلك فيه و مما جاء من ذلك في الشعر قوله:

قد أصبحت أم الخيار تدعى على ذنبا كله لم أصنع

فرووه بالرفع لتقدمه على الفعل و إن لم يكن شىء يمنع من تسلط الفعل عليه فكذلك قوله و كل وعد الله الحسنى يكون على إرادته الهاء و حذفها كما يحذف من الصفات و الصلات.

المعنى

ثم خاطب سبحانه المكلفين فقال «آمِنُوا بِاللَّهِ» معاشر العقلاء أى صدقوا الله و أقروا بوحدانيته و إخلاص العباده له «وَرَسُولِهِ» أى و صدقوا رسوله و اعترفوا بنبوته «وَأَنْفِقُوا» فى طاعه الله و الوجوه التى أمركم بالإنفاق فيها «مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ» أى من المال الذى استخلفكم الله فيه بوراثتكم إياه عمن قبلكم عن الحسن و نبه سبحانه بهذا على أن ما فى أيدينا يصير لغيرنا كما صار إلينا ممن قبلنا و حثنا على استيفاء الحظ منه قبل أن يصير لغيرنا ثم بين سبحانه ما يكافيهم على ذلك إذا فعلوه فقال «فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ» بالله و رسوله «وَأَنْفِقُوا» فى سبيله «لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ» أى جزاء و ثواب عظيم دائم لا يشوبه كدر و لا تنغيص ثم وبخهم سبحانه فقال «وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» أى و أى شىء يمنعكم من الإيمان بالله مع وضوح الدلائل على وحدانيته «وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ» إلى ما ركب الله فى عقولكم من معرفه الصانع و صفاته «لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ» بما أودع الله فى قلوبكم من دلالات العقل الموصله إلى الإيمان به فإن الميثاق هو الأمر المؤكد الذى يجب العمل به «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» أى إن كنتم مصدقين بحق فالآن فقد ظهرت أعلامه و وضحت براهينه و المعنى أى عذر لكم فى ترك الإيمان و قد أزاحت العلل و ارتفعت الشبه و لزمتم الحجج العقلية و السمعية فالعقلية ما فى فطره العقول و السمعية دعوه الرسول المؤيده بالأدلة المؤديه إلى المدلول و الذى يبين هذا قوله «هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ» يعنى محمدا ص

«آيَاتِ بَيِّنَاتٍ» أى حججا منيره و براهين واضحه «لِيُخْرِجَكُم» الله بالقرآن و الأدله و قيل ليخرجكم الرسول بالدعوه و قيل ليخرجكم المنزل و الأول أوجه «مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» أى من الكفر إلى الإيمان بالتوفيق و الهدايه و الألفاظ و الأدله «وَ إِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ» حين بعث الرسول و نصب الأدله و الرأفه و الرحمه واحد و إنما جمع بينهما للتأكيد و قيل الرأفه النعمه على المضرور و الرحمه النعمه على المحتاج و فى هذا دلالة على بطلان مذهب أهل الجبر فإنه بين أن الغرض فى إنزال القرآن الإيمان به ثم حثهم سبحانه على الإنفاق فقال «وَ مَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أى أى شىء لكم فى ترك الإنفاق فيما يقرب إلى الله تعالى «وَ لِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» يعنى يفنى الخلق و يبقى هو و المعنى فيه أن الدنيا و أموالها ترجع إلى الله فلا يبقى لأحد فيها ملك و لا أمر كما يرجع الميراث إلى مستحقه فاستوفوا حظكم من أموالكم قبل أن تخرج من أيديكم ثم بين سبحانه فضل من سبق بالإنفاق فى سبيل الله فقال «لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قَاتَلَ أَوْلِيكَ أَكْبَرُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَ قَاتَلُوا» بين سبحانه أن الإنفاق قبل فتح مكة إذا انضم إليه الجهاد أكثر ثوابا عند الله من النفقه و الجهاد بعد ذلك و ذلك أن القتال قبل الفتح كان أشد و الحاجه إلى النفقه و إلى الجهاد كان أكثر و أمس و فى الكلام حذف تقديره لا يستوى هؤلاء مع الذين أنفقوا بعد الفتح فحذف لدلاله الكلام عليه و قال الشعبي أراد فتح الحديدية ثم سوى سبحانه بين الجميع فى الوعد بالخير و الثواب فى الجنة فقال «وَ كَلَّا وَ عَدَّ اللَّهُ الْحُسَيْنِ» أى الجنة و الثواب فيها و أن تفاضلوا فى مقادير ذلك «وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» أى لا يخفى عليه شىء من إنفاقكم و جهادكم فيجازيكم بحسب نياتكم و بصائرهم و إخلاصكم فى سرائرهم.

إشارة

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسِينًا فَيُضَاعَفَهُ لَهُ وَ لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١) يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَ ظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَ لَكِنَّا كُنَّا نُنْفِسُكُمْ وَ تَرَبَّصُوا وَ ارْتَبْتُمْ وَ عَرَّيْتُمْ الْأَمَانِيَّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَ عَرَّيْتُمْ بِاللَّهِ الْعُرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَ لَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا أُوَكِّمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَ بئسَ الْمَصِيرُ (١٥)

القراءة

القراءة في فيضاعفه و الاختلاف فيه قد مضى ذكره في سوره البقره و قرأ حمزه أنظرونا بقطع الهمزه و فتحها و كسر الظاء و الباقون «أنظرونا» بهمزه الوصل و ضم الظاء و قرأ أبو جعفر و ابن عامر و يعقوب لا تؤخذ منكم بالناء و الباقون بالياء و في الشواذ قراءه سهل بن شعيب و بإيمانهم بكسر الهمزه و قراءه سماك بن حرب و غيركم بالله الغرور بضم الغين.

الحجّه

قال أبو على النظر هو تقليب العين إلى الجبهه التي فيها المرئى و المراد رؤيته و مما يدل على ذلك قوله:

فيا مى هل يجرى بكائى بمثله مرارا و أنفاسى إليك الزوافر

و إنى متى أشرف على الجانب الذى به أنت من بين الجوانب ناظر

فلو كان النظر الرؤيه لم يطلب عليه الجزاء لأن المحب لا يستشيب من النظر إلى محبوبه شيئاً بل يريد ذلك و يتمناه و يدل على ذلك قول الآخر:

و نظره ذى شجن و امق إذا ما الركائب جاوزن ميلا

و أما قوله تعالى وَ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فالمعنى أنه سبحانه لا ينيلهم رحمته و قد تقول نظر إلى فلان إذا كان ينيلك شيئاً و يقول القائل أنظر إلى نظر الله إليك يريد أنلنى خيراً أنالك الله و نظرت فعل يستعمل و ما تصرف منه على ضروب (أحدها) أن تريد به نظرت إلى الشىء فتحذف الجار و توصل الفعل و من ذلك ما أنشده أبو الحسن:

ظواهرات الجمال و الحسن ينظرن كما ينظر الأراك الظباء

و المعنى ينظرن إلى الأراك فحذف الجار و الآخر أن تريد به تأملت و تدبرت و هو فعل غير متعد فمن ذلك قولهم اذهب فانظر زيدا أبو من هو فهذا يراد به التأمل و من ذلك قوله انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ* و انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ و قد يتعدى هذا بالجار كقوله أ فَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ فهذا خص على التأمل و قد يتعدى هذا يعنى نحو قوله أ و لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ.

فأما قول امرئ القيس:

فلما بدا حوران و الآل دونه نظرت فلم تنظر بعينك منظرا

فيجوز أن يكون نظرت لم تر بعينك منظرا إلى الآل و قد جوز أن يعنى بالنظر الرؤيه على الاتساع لأن تقليب البصر نحو المبصر تتبعه الرؤيه و قد يجرى على الشىء لفظ ما يتبعه و يقترن به كقولهم للمزاده راويه و للقناء عذره و قد يكون نظرت فلم تنظر مثل تكلمت و لم تتكلم أى لم تأت بكلام على حسب ما يراد فكذلك نظرت فلم تنظر بعينك منظرا كما تريد أ و لم تر منظرا يروق و ضرب آخر من نظرت هو أن تريد به انتظرته من ذلك قوله غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَاهُ و مثله قول الفرزدق:

نظرت كما انتظرت الله حتى كفاك الماحلين لك المحالا

يريد انتظرت كما انتظرت و قد يكون أنظرت فى معنى انتظرت تطلب بقولك أنظرني التنفيس الذى يطلب بالانتظار فمن ذلك قوله:

أبا هند فلا تعجل علينا و انظرنا نخبرك اليقينا

و من ذلك قوله فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ* إنما هو طلب الإمهال و التسويف فالمطلوب بقوله:

و انظرنا نخبرك اليقينا

تنفيس و فى قوله فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ* تسويف و تأخير و كذلك ما

جاء فى الحديث من إنظار المعسر و كذلك قوله «انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ» أى نفسونا نقتبس و انتظروا علينا و ليس تسرع من تسرع إلى تخطئه من قال انظرونا بشىء و لا- ينبغى أن يقال فيما لطف أنه خطأ و قوله فاليوم لا تؤخذ منكم فديه حسن التاء لتأنيث الفاعل و يحسن الياء للفصل الواقع بين الفعل و الفاعل و لأن التأنيث غير حقيقى و أما قوله «بِأَيْمَانِهِمْ» فقد قال ابن جنى هو معطوف على قوله «بَيْنَ أَيْدِيهِمْ» و يكون الظرف الذى هو بين أيديهم معناه الحال فيتعلق بمحذوف أى يسعى كائنا بين أيديهم و إذا كان كذلك جاز أن يعطف عليه الباء و ما جرته أى كائنا بأيمانهم كقوله ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ و قوله «الْغُرُورُ» معناه الاغترار و هو مقدر على حذف المضاف أى و غركم بالله سلامه الاغترار أى سلامتكم مع اغتراركم و قال الزجاج الغرور كل ما غر من متاع الدنيا.

اللغة

القرض ما تعطيه غيرك ليقضيه و أصله القطع فهو قطعه عن مالكة بإذنه على ضمان رد مثله و العرب تقول لى عندك قرض صدق و قرض سوء إذا فعل به خيرا أو شرا قال الشاعر:

و يقضى سلامان بن مفرج قرضها بما قدمت أيديهم و أزلت

و المضاعفه الزيادة على المقدار مثله أو أمثاله و الاقتباس أخذ النار و يقال قبسته نارا و اقتبسته علما و التربص الترقب و الانتظار.

الإعراب

«مَنْ ذَا» قال الفراء ذا صلة لمن قال و رأيتها فى مصحف عبد الله منذ الذى و النون موصولة بالذال و الذى قيل إن المعنى من هذا الذى و من فى موضع رفع بالابتداء و الذى خبره على القول الأول و على القول الثانى يكون ذا مبتدأ و الذى خبره و الجملة خبر من كذا ذكره ابن فضال و أقول إن الصحيح أن يكون ذا مبتدأ و «الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ» صفة و من خبر المبتدأ قدم عليه لما فيه من معنى الاستفهام. «يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ» يتعلق بقوله «وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ» و «يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ» يتعلق بقوله «ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» و يجوز أن يكون التقدير و اذكر يوم يقول و يجوز أن يكون بدلا من «يَوْمَ تَرَى» «لَهُ بَابٌ» فى موضع جر صفة لسور «بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ» صفة لباب.

المعنى

ثم حث سبحانه على الإنفاق فقال «مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا»

أى طيبه به نفسه عن مقاتل وقد تقدم تفسيره فى سورة البقره «فِيضَاعِفَهُ لَهُ» أى يضاعف له لجزء من بين سبع إلى سبعين إلى سبعمائه وقال أهل التحقيق القرض الحسن أن يجمع عشره أوصاف أن يكون من الحلال لأن

النبي ص قال إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا الطيب

و أن يكون من أكرم ما يملكه دون أن يقصد الردى ء بالإنفاق لقول وَ لَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ و أن يتصدق و هو يحب المال و يرجو الحياه لقوله لما

سئل عن الصدقه أفضل الصدقه أن تعطيه و أنت صحيح شحيح تأمل العيش و تخشى الفقر و لا تمهل حتى إذا بلغت النفس التراقى قلت لفلان كذا و لفلان كذا

و أن يضعه فى الأهل الأوج الأولى بأخذه و لذلك خص الله أقواما بأخذ الصدقات و هم أهل السهمان و أن يكتمه ما أمكن لقوله وَ إِن تَخْفَوْهَا وَ تُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ و أن لا- يتبعه المن و الأذى لقوله «لا- تُبْطَلُوا صِدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذَى» و أن يقصد به وجه الله و لا يرائى بذلك لأن الرياء مذموم و أن يستحقر ما يعطى و إن كثر لأن متاع الدنيا قليل و أن يكون من أحب ماله إليه لقوله «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» فهذه الأوصاف العشره إذا استكملتها الصدقه كان ذلك قرضا حسنا «وَ لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ» أى جزاء خالص لا يشوبه صفة نقص فالكريم الذى من شأنه أن يعطى الخير الكثير فلما كان ذلك الأجر يعطى النفع العظيم وصف بالكريم و الأجر الكريم هو الجنة «يَوْمَ تَرَى» يا محمد «الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ بَأْيْمَانِهِمْ» على الصراط يوم القيامة و هو دليلهم إلى الجنة و يريد بالنور الضياء الذى يرونه و يمرون فيه عن قتاده و قيل نورهم هديهم عن الضحاك و قال قتاده إن المؤمن يضىء له نور كما بين عدن إلى صنعاء و دون ذلك حتى إن من المؤمنين من لا يضىء له نوره إلا موضع قدميه و قال عبد الله بن مسعود و يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من نوره مثل الجبل و أدناهم نورا نوره على إبهامه يطفأ مره و يقدر أخرى و قال الضحاك «وَ بَأْيْمَانِهِمْ» يعنى كتبهم التى أعطوها و نورهم بين أيديهم و تقول لهم الملائكة «بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتْ» أى الذى تبشرون به اليوم جنات «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا» أى مؤبدين دائمين لا تفنون «ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» أى الظفر بالمطلوب ثم ذكر حال المنافقين فى ذلك اليوم فقال «يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا» ظاهرا و باطنا «انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ» قال الكلبي يستضىء المنافقون بنور المؤمنين و لا- يعطون النور فإذا سبقهم المؤمنون قالوا انظرونا نقتبس من نوركم أى نستضىء بنوركم و نبصر الطريق فتخلص من هذه الظلمات و قيل إنهم إذا

خرجوا من قبورهم اختلطوا فيسعى المنافقون في نور المؤمنين فإذا ميزوا بقوا في الظلمه فيستغيثون و يقولون هذا القول «قِيلَ» أى يقال للمنافقين «ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ» أى ارجعوا إلى المحشر حيث أعطينا النور «فَالْتَمِسُوا نُورًا» فيرجعون فلا يجدون نورا عن ابن عباس و ذلك أنه قال تغشى الجميع ظلمه شديده ثم يقسم النور و يعطى المؤمن نورا و يترك الكافر و المنافق و قيل معنى قوله «ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ» ارجعوا إلى الدنيا إن أمكنكم فاطلبوا النور منها فإننا حملنا النور منها بالإيمان و الطاعات و عند ذلك يقول المؤمنون ربنا أتمم لنا نورنا «فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ» أى ضرب بين المؤمنين و المنافقين سور و الباء مزيده لأن المعنى حيل بينهم و بينهم بسور و هو حائط بين الجنة و النار عن قتاده و قيل هو سور على الحقيقه «لَهُ بَابٌ» أى لذلك السور باب «بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَ ظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ» أى من قبل ذلك الظاهر «الْعَذَابُ» و هو النار و قيل باطنه أى باطن ذلك السور فيه الرحمه أى الجنة التى فيها المؤمنون و ظاهره أى و خارج السور من قبله يأتيهم العذاب يعنى أن المؤمنين يسبقونهم و يدخلون الجنة و المنافقون يجعلون فى النار و العذاب و بينهم السور الذى ذكره الله «يُنَادُواوَنَهُمْ» أى ينادى المنافقون المؤمنين «أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ» فى الدنيا نصوم و نصلى كما تصومون و تصلون و نعمل كما تعملون «قَالُوا بلى» أى يقول المؤمنون لهم بلى كنتم معنا «وَ لَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ» أى استعملتموها فى الكفر و النفاق و كلها فتنة و قيل معناه تعرضتم للفتنة بالكفر و الرجوع عن الإسلام و قيل معناه أهلكتم أنفسكم بالنفاق «وَ تَرَبَّصْتُمْ» بمحمد ص الموت و قلم يوشك أن يموت فنستريح منه عن مقاتل و قيل تربصتم بالمؤمنين الدوائر «وَ ارْتَبْتُمْ» أى شككتم فى الدين «وَ غَرَّكُمْ الْأَمَانِيُّ» التى تمنيتموها بأن تعود الدائرة على المؤمنين «حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ» أى الموت و قيل إلقاءهم فى النار عن قتاده و قيل جاء أمر الله فى نصره دينه و نبيه و غلبته إياكم «وَ غَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ» يعنى الشيطان غرركم بحلم الله و إمهاله و قيل الغرور الدنيا «فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ» أيها المنافقون أى بدل بأن تفدوا أنفسكم من العذاب «وَ لَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا» أى و لا من سائر الكفار الذين أظهروا الكفر «مَيَّاوَأَكُمُ النَّارُ» أى مقركم و موضعكم الذى تأوون إليه النار «هِيَ مَوْلَاكُمْ» أى هى أولى بكم لما أسلفتم من الذنوب و المعنى أنها هى التى تلى عليكم لأنها قد ملكت أمركم فهى أولى بكم من كل شىء «وَ بئسَ المصيرُ» أى بئس المأوى و المرجع الذى تصيرون إليه.

إشاره

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦) اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٧) إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٨) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهِدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٩) اَعْلَمُوا أَنَّ مَا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرَاهُ مُضِيغًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَاعٌ الْعُزُورِ (٢٠)

القراءه

قرأ نافع و حفص «وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ» خفيفه الزاى و الباقون نزل بالتشديد وقرأ رويس و لا- تكونوا بالتاء و الباقون بالياء وقرأ ابن كثير و أبو بكر إن المصدقين و المصدقات بتخفيف الصاد و الباقون بالتشديد.

الحجه

قال أبو على من خفف «مَا نَزَلَ» ففي نزل ذكر مرفوع بأنه الفاعل يعود إلى الموصول و يقوى التخفيف قوله «وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ» و من شدد ففاعل الفعل

الضمير العائد إلى اسم الله تعالى و العائد إلى الموصول الضمير المحذوف من الصلّه و من قرأ و لا تكونوا فإنه على الخطاب و النهى و من قرأ «وَلَا يَكُونُوا» بالياء فإنه عطف على تخشع و هو منصوب و يجوز أن يكون مجزوماً على النهى للغائب و من خفف المصدقين و المصدقات فإن معناه أن المؤمنين و المؤمنات و أما قوله «وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا» فهو فى المعنى كقوله «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» * لأن إقراض الله من الأعمال الصالحة و حجه من خفف أنه أعم من المصدقين أ لا ترى أن المصدقين مقصور على الصدقه و المصدقين يعم التصديق و الصدقه فهو أذهب فى باب المدح و من حجه من ثقل أنهم زعموا أن فى قراءه أبى أن المتصدقين و المتصدقات و من حجتهم أن قوله «وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا» اعتراض بين الخبر و المخبر عنه و الاعتراض بمنزله الصفه فهو للصدقه أشد ملائمه منه للتصديق و ليس التخفيف كذلك و من حجه من خفف أن يقول لا نحمل قوله «وَأَقْرَضُوا اللَّهَ» على الاعتراض و لكننا نعطفه على المعنى أ لا- ترى أن قوله «إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدَّقَاتِ» معناه إن الذين صدقوا فكأنه فى المعنى إن المصدقين و أقرضوا فحمل و أقرضوا الله على المعنى لما كان من معنى المصدقين الذين صدقوا فكأنه قال إن الذين صدقوا و أقرضوا.

اللغه

يقال أنى يأنى أنى إذا حان و الخشوع لين القلب للحق و الانقياد له و مثله الخضوع و الحق ما دعا إليه العقل و هو الذى من عمل به نجا و من عمل بخلافه هلك و الحق مطلوب كل عاقل فى نظره و إن أخطأ طريقه و القسوه غلظ القلب بالجفاء عن قبول الحق و الأمد الوقت الممتد و هو و المده واحد و الهيج جفاف النبت.

النزول

قيل إن قوله «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا» الآية نزلت فى المنافقين بعد الهجره بسنه و ذلك أنهم سألوا سلمان الفارسى ذات يوم فقالوا حدثنا عما فى التوراه فإن فيها العجائب فنزلت الر تلمك آياتُ الكتابِ المُبينِ إلى قوله «لِمَنْ الْغَافِلِينَ» فخيرهم أن هذا القرآن أحسن القصص و أنفع لهم من غيره فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله ثم عادوا فسألوا سلمان عن مثل ذلك فنزلت آيه الله نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا فَكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله ثم عادوا فسألوا سلمان فنزلت هذه الآية عن الكلبى و مقاتل و قيل نزلت بالمؤمنين قال ابن مسعود ما كان بين إسلامنا و بين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضا و قيل إن الله استبطناً قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشره سنه من نزول القرآن بهذه الآية عن ابن عباس و قيل كانت الصحابه بمكه مجديين فلما هاجروا أصابوا الريف و النعمه فتغيروا عما كانوا عليه فقسست قلوبهم و الواجب أن يزدادوا الإيمان

و اليقين و الإخلاص فى طول صحبه الكتاب عن محمد بن كعب.

المعنى

ثم دعاهم سبحانه إلى الطاعة بقوله «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا» أى أما حان للمؤمنين «أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ» أى ترق و تلين قلوبهم «لِذِكْرِ اللَّهِ» أى لما يذكرهم الله به من مواعظه «وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ» يعنى القرآن و من شدد فالمراد و ما نزله الله من الحق «وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» من اليهود و النصارى «مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ» أى طال الزمان بينهم و بين أنبيائهم و قيل طال عليهم الأمد للجزء أى لم يعاجلوا بالجزاء فاغترؤا بذلك «فَقَسَيْتُمْ قُلُوبَهُمْ» أى فغلظت قلوبهم و زال خشوعها و مروا على المعاصى و اعتادوها و قيل طالت أعمارهم و ساءت أعمالهم فقسى قلوبهم و ينبغى أن يكون هذا متوجها إلى جماعه مخصوصه لم يوجد منهم الخشوع التام فحثوا على الرقه و الخشوع فأما من وصفهم الله تعالى بالخشوع و الرقه و الرحمه فطبقه من المؤمنين فوق هؤلاء عن الزجاج و من

كلام عيسى (عليه السلام) لا- تكثرؤا الكلام بغير ذكر الله فتفسؤ قلوبكم فإن القلب القاسى بعيد من الله و لا تنظروا فى ذنوب العباد كأنكم أرباب و انظروا فى ذنوبكم كأنكم عبيد و الناس رجالان مبتلى و معافى فارحموا أهل البلاء و احمداوا الله على العافيه

«وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ» أى خارجون عن طاعه الله تعالى إلى معصيته أى فلا تكونوا مثلهم فيحكم الله فيكم بمثل ما حكم فيهم ثم قال «اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا» أى يحييها بالنبات بعد اليبس و الجدوبه أى فكذلك يحيى الكافر بالهدى إلى الإيمان بعد موته بالضلال و الكفر بأن يلفظ له ما يؤمن عنده و قيل معناه أن الله يلين القلوب بعد قسوتها بالأطاف و التوفيقات «قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ» أى الحجج الواضحات و الدلائل الباهرات «لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» فترجعون إلى طاعتنا و تعملون بما أمرناكم به «إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَ الْمُصَّدِّقَاتِ» قد مضى الوجه فى اختلاف القراءتين و معناهما «وَ أَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا» أى و أنفقوا فى وجوه الخير «يُضَاعَفُ لَهُمْ» ذلك القرض الحسن أى يجازون أمثال ذلك «وَ لَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ» مر معناه «وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ» أى صدقوا بتوحيد الله و أقروا بنبوه رسله «أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» قال مجاهد كل من آمن بالله و رسله فهو صديق و شهيد و قرأ هذه الآيه و الصديق الكثير الصدق المبالغ فيه و هو اسم مدح و تعظيم «وَ الشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ» أى و أولئك الشهداء عند ربهم و التقدير أولئك الصديقون عند ربهم و الشهداء عند ربهم ثم قال

«لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ» أى لهم ثواب طاعتهم و نور إيمانهم الذى يهتدون به إلى طريق الجنه و هذا قول عبد الله بن

و

روى العياشى بالإسناد عن منهل القصاب قال قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) ادع الله أن يرزقنى الشهاده فقال إن المؤمن شهيد وقرأ هذه الآيه

و

عن الحرث بن المغيرة قال كنا عند أبي جعفر (عليه السلام) فقال العارف منكم هذا الأمر المنتظر له المحتسب فيه الخير كمن جاهد و الله مع قائم آل محمد (عليه السلام) بسيفه ثم قال بل و الله كمن جاهد مع رسول الله ص بسيفه ثم قال الثالثه بل و الله كمن استشهد مع رسول الله ص فى فسطاطه و فيكم آيه من كتاب الله و قلت و أى آيه جعلت فداك قال قول الله (عز و جل) «و الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَ الشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ» ثم قال صرتم و الله صادقين شهداء عند ربكم

و قيل إن الشهداء منفصل مما قبله مستأنف و المراد بالشهداء الأنبياء (عليه السلام) الذين يشهدون للأمم و عليهم و هو قول ابن عباس و مسروق و مقاتل بن حيان و اختاره الفراء و الزجاج و قيل هم الذين استشهدوا فى سبيل الله عن مقاتل بن سليمان و ابن جرير «و الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ» يبقون فيها دائمين ثم زهد سبحانه المؤمنين فى الدنيا و الركون إلى لذاتها فقال «اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا» يعنى أن الحياه فى هذه الدار الدنيا «لَعِبٌّ وَ لَهْوٌ» أى بمنزله اللهو و اللعب إذ لا بقاء لذلك و لا دوام و يزول عن وشيك كما يزول اللهو و اللعب قال مجاهد كل لعب لهو و قيل اللعب ما رغب فى الدنيا و اللهو ما ألهى عن الآخرة «وَ زِينَةٌ» تترنون بها فى الدنيا و قيل أراد بذلك أنها تتحلى فى أعين أهلها ثم تتلاشى «وَ تَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ» أى يفاخر الرجل بها قرينه و جاره عن ابن عباس «وَ تَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ» قال يجمع ما لا يحل له تكاثرا به و يتناول على أولياء الله بماله و ولده و خدمه و المعنى أنه يفنى عمره فى هذه الأشياء ثم بين سبحانه لهذه الحياه شبيها فقال «كَمَثَلِ غَيْثٍ» أى مطر «أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ» أى أعجب الكفار بالنبات الذى ينبت من ذاك الغيث قال الزجاج و يجوز أن يكون المراد الكفار بالله لأن الكافر أشد إعجابا بالدنيا من غيره «ثُمَّ يَهِيْجُ» أى يبيس «فَتَرَاهُ مُضْفَرًا» و هو إذا قارب اليبس «ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا» يتحطم و يتكسر بعد يسه و شرح هذا المثل قد تقدم فى سورة يونس «وَ فِي الْأَخْرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ» لأعداء الله عن مقاتل «وَ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٌ» لأولياءه و أهل طاعته «وَ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ» لمن اغتر بها و لم يعمل لآخرته قال سعيد بن جبير متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب الآخرة و من اشتغل بطلبها فهى له متاع بلاغ إلى ما هو خير منه و قيل معناه و العمل للحياه الدنيا متاع الغرور و أنه كهذه الأشياء التى مثل بها فى الزوال و الفناء.

إشاره

سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١) مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَ مَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٤) لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَ أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَ الْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَ مَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَ رُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥)

القراءه

قرأ أبو عمرو بما أتاكم مقصورا و الباقون بالمد و قرأ أهل المدينة و الشام فإن الله الغنى الحميد لأنهم وجدوا في مصاحفهم كذلك و الباقون «فإنَّ الله هُوَ الْغَنِيُّ» بإثبات هو و كذلك هو في مصاحفهم.

الحجه

قال أبو على حجه من قصر أتيكم أنه معادل به فاتكم فكما أن الفعل للفئات في قوله «فاتكم» فكذلك للآتي في قوله «بما آتاكم» قال الشاعر:

ولا فرح بخير إن أتاه ولا جزع من الحدثان لاع

و حجه من مد أن الخير الذى يأتيهم هو من عند الله و هو المعطى لذلك و فاعل آتاكم هو الضمير العائد إلى اسم الله و الهاء محذوفه من الصلة تقديره بما آتاكموه و قوله «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ» ينبغى أن يكون هو فصلا و لا يكون مبتدأ لأن الفصل حذفه أسهل ألا ترى أنه لا موضع للفصل من الإعراب و قد يحذف فلا يخل بالمعنى.

اللفه

أعدت مشتقه من العدد و الإعداد وضع الشئ ء لما يكون فى المستقبل على ما يقتضيه من عدد الأمر الذى له. الفضل و الإفضال واحد و هو النفع الذى كان للقادر أن يفعله بغيره و له أن لا يفعله و الأسى الحزن و التأسى تخفيف الحزن بالمشاركه فى حاله.

الإعراب

«فِي كِتَابٍ» يتعلق بمحذوف تقديره إلا هى كائنه فى كتاب فهو فى محل الرفع بأنه خبر مبتدأ محذوف و يجوز أن يتعلق بفعل محذوف تقديره إلا قد كتبت فى كتاب فيكون الجار و المجرور فى موضع نصب على الحال أى لا مكتوبه «لِكَيْلَا تَأْسَوْا» تأسوا منصوب بنفس كى و اللام هى اللام الجاره، «الَّذِينَ يَبْخُلُونَ» فى موضع جر على البدل من مختال فخور فعلى هذا لا يجوز الوقف على فخور و يجوز أن يكون محله رفعا على الابتداء و يكون خبره محذوفا كما حذف جواب لو من قوله «لَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ» و يكون التقدير الذين يبخلون فإنهم يستحقون العذاب و يجوز أن يكون محله رفعا أو نصبا على الذم.

المعنى

ثم رغب سبحانه فى المسابقه لطلب الجنه فقال «سَابِقُوا» أى بادروا العوارض القاطعه عن الأعمال الصالحه و سارعوا إلى ما يوجب الفوز فى الآخره «إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ» قال الكلبى إلى التوبه و قيل إلى الصف الأول و قيل إلى النبى ص «وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ» أى و سابقوا إلى استحقاق ثواب جنه هذه صفتها و ذكر فى ذكر العرض دون الطول وجوه (أحدها) أن عظم العرض يدل على عظم الطول (و الآخر) أن الطول قد يكون بلا عرض و لا يكون عرض بلا طول (و ثالثها) أن المراد به أن العرض مثل السماوات و الأرض و طولها لا يعلمه إلا الله تعالى قال الحسن أن الله يفنى الجنه ثم يعيدها على ما وصفه فلذلك صح وصفها بأن عرضها كعرض السماء و الأرض و قال غيره إن الله قال عرضها كعرض السماء و الأرض و الجنه المخلوقه فى السماء السابعه فلا تنافى «أَعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا» أى ادخرت و هيئت للمؤمنين «بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ» معناه أنه يجزى الدائم الباقي على القليل الفانى و لو اقتصر فى الجزاء على قدر ما يستحق بالأعمال كان عدلا منه لكنه تفضل بالزيادة و قيل معناه أن أحدا لا يتال خيرا فى الدنيا

و الآخره إلا- بفضل الله فإنه سبحانه لو و لم يدعنا إلى الطاعة و لم يبين لنا الطريق و لم يوفقنا للعمل الصالح لما اهتدينا إليه و ذلك كله من فضل الله و أيضا فإنه سبحانه تفضل بالأسباب التي يفعل بها الطاعة من التمكين و الألفاظ و كمال العقل و عرض المكلف للثواب فالتكليف أيضا تفضل و هو السبب الموصل إلى الثواب و قال أبو القاسم البلخي و البغداديون من أهل العدل إن الله سبحانه و تعالى لو اقتصر لعباده في طاعتهم على مجرد إحساناته السالفه إليهم لكان عدلا فلماذا جعل سبحانه الثواب و الجنة فضلا و في هذه الآيه أعظم رجاء لأهل الإيمان لأنه ذكر أن الجنة معه للمؤمنين و لم يذكر مع الإيمان شيئا آخر «وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» أى ذو الإفضال العميم و الإحسان الجسيم إلى عباده ثم قال «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ» مثل قحط المطر و قلة النبات و نقص الثمرات «وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ» من الأمراض و الثكل بالأولاد «إِلَّا فِي كِتَابٍ» يعنى إلا و هو مثبت مذكور فى اللوح المحفوظ «مَنْ قَبِلَ أَنْ نَبْرَأَهَا» قبل أن أى من يخلق الأنفس ليستدل ملائكته به على أنه عالم لذاته يعلم الأشياء بحقائقها «إِنَّ ذِيكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» أى إثبات ذلك على كثرته هين على الله يسير سهل غير عسير ثم بين سبحانه لم فعل لذلك فقال «لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ» أى فعلنا ذلك لئلا تحزنوا على ما يفوتكم من نعم الدنيا «وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ» أى بما أعطاكم الله منها و الذى يوجب نفى الأسى و الفرح من هذا أن الإنسان إذا علم أن ما فات منها ضمن الله تعالى عليه العوض فى الآخره فلا ينبغى أن يحزن لذلك و إذا علم أن ما ناله منها كلف الشكر عليه و الحقوق الواجبه فيه فلا ينبغى أن يفرح به و أيضا فإذا علم أن شيئا منها لا يبقى فلا ينبغى أن يهتم له بل يجب أن يهتم لأمر الآخره التى تدوم و لا تبيد و فى هذه الآيه إشاره إلى أربعه أشياء (الأول) حسن الخلق لأن من استوى عنده وجود الدنيا و عدمها لا يحسد و لا يعادى و لا يشاح فإن هذه من أسباب سوء الخلق و هى من نتائج حب الدنيا (و ثانيها) استحقاق الدنيا و أهلها إذا لم يفرح بوجودها و لم يحزن لعدمها (و ثالثها) تعظيم الآخره لما ينال فيها من الثواب الدائم الخالص من الشوائب (و رابعها) الافتخار بالله دون أسباب الدنيا و

يروى أن على بن الحسين (عليه السلام) جاءه رجل فقال له ما الزهد فقال الزهد عشره أجزاء فأعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع و أعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين و أعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضاء و إن الزهد كله فى آيه من كتاب الله «لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ»

و قيل لبزرجمهر ما لك أيها الحكيم لا تأسف على ما فاتت و لا تفرح بما هو آت فقال إن الفائت لا يتلافى بالعبره

و الآتى لا يستدام بالخبره و عن عبد الله بن مسعود قال لئن جمره الحسره أحرقت ما أحرقت و أبتت ما أبتت أحب إلى من أن أقول لشيء كان ليته لم يكن أو لشيء لم يكن ليته كان «وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ» أى متكبر بما أوتى فخور على الناس بالدنيا «الَّذِينَ يَبْخُلُونَ» بمنع الواجبات «وَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ» و

فى الحديث أن النبى ص سأل عن سيد بنى عوف فقالوا جد بن قيس على أنه يزن بالبخل فقال ص و أى داء أدوى من البخل سيدكم البراء بن معرور

و معنى يزن يتهم و يقرف «وَ مَنْ يَتَوَلَّ» أى يعرض عما دعاه الله إليه «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَنِيُّ» عنه و عن طاعته و صدقته «الْحَمِيدُ» فى جميع أفعاله ثم أقسم سبحانه فقال «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ» أى بالدلائل و المعجزات «وَ أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ» المكتوب الذى يتضمن الأحكام و ما يحتاج إليه الخلق من الحلال و الحرام كالتوراه و الإنجيل و القرآن «وَ الْمِيزَانَ» أى و أنزلنا معهم من السماء الميزان ذا الكفتين الذى يوزن به عن ابن زيد و الجبائى و مقاتل بن سليمان و قيل معناه أنزلنا صفه الميزان «لِيُقِيمَ النَّاسُ» فى معاملاتهم «بِالْقِسْطِ» أى بالعدل و المراد و أمرنا بالعدل كقوله الله الذى أنزل الكتاب بالحق و الميزان عن قتاده و مقاتل بن حيان «وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ»

روى عن ابن عمر عن رسول الله ص قال إن الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض أنزل الحديد و النار و الماء و الملح

و قال أهل المعانى معنى أنزلنا الحديد أنشأناه و أحدثناه كقوله «وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَائِيهِ أَزْوَاجٍ» و إلى هذا ذهب مقاتل فقال معناه بأمرنا كان الحديد و قال قطرب معنى أنزلنا هنا هيأنا و خلقنا من النزل و هو ما يهيا للضيف أى أنعمنا بالحديد و هيأناه لكم و قيل أنزل مع آدم من الحديد العلاء و هى السندان و الكلبتان و المطرقه عن ابن عباس «فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ» أى يمتنع به و يحارب به عن الزجاج و المعنى أنه يتخذ منه آلتان آله للدفع و آله للضرب كما قال مجاهد فيه جنه و سلاح «وَ مَنَافِعَ لِلنَّاسِ» يعنى ما ينتفعون به فى معاشهم مثل السكين و الفأس و الإبره و غيرها مما يتخذ من الحديد من الآلات و قوله «وَ لِيُعَلِّمَ اللَّهُ مَنِ يُصِيرُهُ وَ رُسُلَهُ بِالْغَيْبِ» معطوف على قوله «لِيُقِيمَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ» أى ليعاملوا بالعدل و ليعلم الله نصره من ينصره موجوده و جهاد من جاهد مع رسوله موجودا و قوله «بِالْغَيْبِ» أى بالعلم الواقع بالاستدلال و النظر من غير مشاهدته بالبصر «إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ» على الانتقام من أعدائه «عَزِيزٌ» أى منيع من أن يعترض عليه فى أرضه و سمائه.

وجه اتصال قوله و «ما أصاب من مُصِيبَةٍ» الآية بما قبلها أنه سبحانه لما بين الثواب على الطاعات عقبه ببيان الأعواض على مقاساه المصائب و الملمات فقال لا يذهب علينا عوض من أصابته مصيبه ما فإن كانت من فعلنا نعوضه بالأضعاف من جزائنا و إن كان من فعل عبادنا فباستيفائنا ذلك منهم ثم أكد ذلك بقوله «لَكَيْلًا تَأْسَوْا» الآية لأن المصيبة لو كانت بغير عوض فى العاقبه لازداد الأسى و الحزن فإن الحزن كل الحزن فى الخسران الذى ليس له جبران ثم عقب ذلك بقوله «لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ» الآية فبين أنه سبحانه لطف لعباده بما يدعو إلى الخشوع و الخضوع و ترك الخيلاء.

[سوره الحديد (٥٧): الآيات ٢٦ الى ٢٩]

إشاره

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَنِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٨) لَيْلًا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩)

اللغه

التقفيه جعل الشىء فى إثر شىء على الاستمرار فيه و لهذا قيل لمقاطع الشعر

قواف إذ كانت تتبع البيت على إثره مستمره فى غيره على منهاجه و الرهبانيه أصلها من الرهبه و هى الخوف إلا أنها عباده
مختصه بالنصارى

لقول النبى ص لا رهبانيه فى الإسلام

و الابتداءع ابتداء أمر لم يحتد فيه على مثال و منه البدعه إذ هى إحداث أمر على خلاف السنه و الكفل الحظ و منه الكفل الذى
يتكفل به الراكب و هو كساء أو نحوه يحويها على الإبل إذا أراد أن يرقد فيه فيحفظه من السقوط ففیه حظ من التحرز من
الوقوع.

الإعراب

و رهبانيه منصوب بفعل مضمر يفسره قوله «ابْتَدَعُوهَا» التقدير و ابتدعوا رهبانيه ابتدعوها و قوله «ما كَتَبْنَاها عَلَيْهِمْ» فى محل
النصب لأنه صفة لرهبانيه. «ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ» نصب لأنه بدل من ها فى كتبناها و التقدير كتبناها عليهم ابتغاء رضوان الله أى
اتباع أوامره و لم نكتب عليهم الرهبانيه و لا- فى «لَيْلًا يَعْلَمُ» زائده و أن فى «أَلَّا يَقْدِرُونَ» مخففه من الثقيله و اسمه محذوف و
تقديره أنهم لا يقدرُونَ و لا هنا يدل على الإضمار فى أن مع تخفيف أن.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من ذكر الأنبياء بقصه إبراهيم (عليه السلام) و نوح (عليه السلام) فقال سبحانه «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا
وَ إِبْرَاهِيمَ» و إنما خصهما بالذكر لفضلهما و لأنهما أبوا الأنبياء «وَ جَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَ الْكِتَابَ» يعنى أن الأنبياء كلهم من
نسلهما و ذريتهما و عليهم أنزل الكتاب ثم أخبر عن حال ذريتهما فقال «فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ» إلى طريق الحق «وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ» أى
خارجون عن طاعه الله إلى معصيته «ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا» أى ثم اتبعنا بالإرسال على آثار من ذكرناهم من الأنبياء برسل
آخرين إلى قوم آخرين و أنفذناهم رسولا بعد رسول «وَ قَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ» بعدهم فأرسلناه رسولا «وَ آتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ» أى و
أعطينا عيسى بن مريم الإنجيل «وَ جَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ» فى دينه يعنى الحواريين و أتباعهم اتبعوا عيسى «رَأْفَةً» و هى أشد
الرقه «وَ رَحْمَةً» و إنما أضاف الرأفة و الرحمه إلى نفسه لأنه سبحانه جعل فى قلوبهم الرأفة و الرحمه بالأمر به و الترغيب فيه و
وعد الثواب عليه و قيل لأنه خلق فى قلوبهم الرأفة و الرحمه و إنما مدحهم على ذلك و إن كان من فعله لأنهم تعرضوا لهما «وَ
رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا ما كَتَبْنَاها عَلَيْهِمْ» و هى الخصله من العباده يظهر فيها معنى الرهبه إما فى كنيسه أو انفراد عن الجماعه أو غير
ذلك من الأمور التى يظهر فيها نسك صاحبه و المعنى ابتدعوا رهبانيه لم نكتبها عليهم و قيل إن الرهبانيه التى ابتدعوها هى
رفض النساء و اتخاذ الصوامع عن قتاده قال و تقديره

و رهبانيه ما كتبناها عليهم «إِلَّا» إنهم اتبعوها «ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا» و

قيل أن الرهبانيه التي ابتدعوها لحاقهم بالبرارى و الجبال فى خبر مرفوع عن النبى ص

فما رعاها الذين بعدهم حق رعايتها و ذلك لتكذيبهم بمحمد ص عن ابن عباس و قيل إن الرهبانيه هى الانقطاع عن الناس للانفراد بالعباده «ما كَتَبْنَاهَا» أى ما فرضناها عليهم و قال الزجاج إن تقديره ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله و ابتغاء رضوان الله اتباع ما أمر به فهذا وجه قال و فيها وجه آخر جاء فى التفسير أنهم كانوا يرون من ملوكهم ما لا يصبرون عليه فاتخذوا أسرابا و صوامع و ابتدعوا ذلك فلما ألزموا أنفسهم ذلك التطوع و دخلوا عليه لزمهم تمامه كما أن الإنسان إذا جعل على نفسه صوما لم يفرض عليه لزمه أن يتمه قال و قوله «فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا» على ضربين (أحدهما) أن يكونوا قصرُوا فيما ألزموه أنفسهم (و الآخر) و هو الأ-جود أن يكونوا حين بعث النبى ص فلم يؤمنوا به كانوا تاركين لطاعه الله فما رعوا تلك الرهبانيه حق رعايتها و دليل ذلك قوله «فَأَتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ» يعنى الذين آمنوا بالنبى ص «وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ» أى كافرون انتهى كلام الزجاج و يعضد هذا ما

جاءت به الروايه عن ابن مسعود قال كنت رديف رسول الله ص على حمار فقال يا ابن أم عبد هل تدري من أين أحدثت بنو إسرائيل الرهبانيه فقلت الله و رسوله أعلم فقال ظهرت عليهم الجباره بعد عيسى يعملون بمعاصى الله فغضب أهل الإيمان فقاتلوهم فهزم أهل الإيمان ثلاث مرات فلم يبق منهم إلا القليل فقالوا إن ظهرنا لهؤلاء أفنونا و لم يبق للدين أحد يدعو إليه فتعالوا نتفرق فى الأرض إلى أن يبعث الله النبى الذى وعدنا به عيسى (عليه السلام) يعنون محمدا ص فتفرقوا فى غيران الجبال و أحدثوا رهبانيه فمنهم من تمسك بدينه و منهم من كفر ثم تلا هذه الآيه «وَ رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ» إلى آخرها ثم قال يا ابن أم عبد أ تدري ما رهبانيه أمتى قلت الله و رسوله أعلم قال الهجره و الجهاد و الصلاه و الصوم و الحج و العمره

و

عن ابن مسعود قال دخلت على النبى ص فقال يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنتين و سبعين فرقه نجا منها اثنتان و هلك سائرهن فرقه قاتلوا الملوكة على دين عيسى (عليه السلام) فقتلوهم و فرقه لم تكن لهم طاقه لموازاه الملوكة و لا- أن يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم إلى دين الله تعالى و دين عيسى (عليه السلام) فساحوا فى البلاد و تهربوا و هم الذين قال الله لهم «وَ رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ» ثم قال النبى ص من آمن بى و صدقنى و اتبعنى فقد رعاها حق رعايتها و من لم يؤمن بى فأولئك هم الهالكون

ثم قال سبحانه «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» أى اعترفوا بتوحيد الله و صدقوا بموسى و عيسى (عليه السلام) «اتَّقُوا اللَّهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ» محمد ص عن ابن عباس و قيل معناه يا أيها الذين آمنوا ظاهرا آمنوا باطنا «يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ» أى يؤتكم

نصيبين «مِنْ رَحْمَتِهِ» نصيباً لإيمانكم بمن تقدم من الأنبياء و نصيباً لإيمانكم بمحمد ص عن ابن عباس «وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ» أى هدى تهتدون به عن مجاهد و قيل النور القرآن و فيه الأدله على كل حق و البيان لكل خير و به يستحق الضياء الذى يمشى به يوم القيامة عن ابن عباس «وَيَغْفِرُ لَكُمْ» أى و يستر عليكم ذنوبكم «وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» قال سعيد بن جبير بعث رسول الله ص جعفرًا فى سبعين راكبًا إلى النجاشى يدعوه فقدم عليه و دعاه فاستجاب له و آمن به فلما كان عند انصرافه قال ناس ممن آمن به من أهل مملكته و هم أربعون رجلاً ائذن لنا فنأتى هذا النبى فسلم به فقدموا مع جعفر فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة استأذنوا رسول الله ص و قالوا يا نبى الله إن لنا أموالاً و نحن نرى ما بالمسلمين من الخصاصة فإن أذنت لنا انصرفنا فحجنا بأموالنا فواسينا المسلمين بها فأذن لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين فأنزل الله فيهم «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ» إلى قوله «وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ» فكانت النفقه التى واسوا بها المسلمين فلما سمع أهل الكتاب ممن لم يؤمن به قوله «أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ» بما صبروا فخرُوا على المسلمين فقالوا يا معشر المسلمين أما من آمن بكتابكم و كتابنا فله أجران و من آمن منا بكتابنا فله أجر كأجوركم فما فضلكم علينا فنزل قوله «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ» الآية فجعل لهم أجرين و زادهم النور و المغفرة ثم قال «لِيَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ» و قال الكلبي كان هؤلاء أربعة و عشرين رجلاً قدموا من اليمن على رسول الله ص و هو بمكة لم يكونوا يهوداً و لا نصارى و كانوا على دين الأنبياء فأسلموا فقال لهم أبو جهل بشس القوم أنتم و الوفد لقومكم فردوا عليه و ما لنا لا- نُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْآيَةَ فجعل الله لهم و لمؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام و أصحابه أجرين اثنين فجعلوا يفخرون على أصحاب رسول الله ص و يقولون نحن أفضل منكم لنا أجران و لكم أجر واحد فنزل «لِيَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ» إلى آخر السوره و

روى عن رسول الله ص أنه قال من كانت له أمه فعلمها فأحسن تعليمها و أدبها فأحسن تأديبها و أعتقها و تزوجها فله أجران و أيما رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه (عليه السلام) و آمن بمحمد ص فله أجران و أيما مملوك أدى حق الله و حق مواليه فله أجران أورده البخارى و مسلم فى الصحيح

«لِيَلَّا يَعْلَمَ» أى لأن يعلم و لا مزیده «أَهْلُ الْكِتَابِ» يعنى الذين لم يؤمنوا بمحمد ص و حسدوا المؤمنين منهم «أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ» و أن هذه

هى المخففه من الثقيله و التقدير أنهم لا يقدرّون و معناه جعلنا الأجرين لمن آمن بمحمد ص ليعلم الذين لم يؤمنوا أنهم لا أجر لهم و لا- نصيب لهم فى فضل الله «وَ أَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ» فأتى المؤمنين منهم أجرين «وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» يتفضل على من يشاء من عباده المؤمنين و قيل إن المراد بفضل الله هنا النبوه أى لا يقدرّون على نبوه الأنبياء و لا على صرفها عنم شاء الله أن يخصه بها فيصرفونها عن محمد ص إلى من يحبونه بل هى بيد الله يعطيها من يشاء ممن هو أهلها و يعلم أنه يصلح لها و قيل إنما تدخل لا صلّه فى كل كلام دخل فى أواخره أو أوائله جحد و إن لم يكن مصرحا به نحو قوله «ما مَنَعَكَ أَلَّا تَشِيْجِدَ إِذْ أَمَرْتُكَ» «وَ مَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ» «وَ حَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ» عن الفراء و قيل أن لا- هنا فى حكم الثبات و المعنى لأن لا يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرّون أن يؤمنوا لأن من لا يعلم أنه لا يقدر يعلم أنه يقدر فعلى هذا يكون المراد لكى يعلموا أنهم يقدرّون على أن يؤمنوا فيحوزوا الفضل و الثواب و قيل إن معناه لثلا- يعلم اليهود و النصرارى أن النبى ص و المؤمنين لا يقدرّون على ذلك فقد علموا أنهم لا يقدرّون عليه أى إن آمنتم كما أمركم الله آتاكم الله من فضله فعلم أهل الكتاب خلافه و على هذا فالضمير فى يقدرّون ليس لأهل و قال أبو سعيد السيرافى معناه أن الله يفعل بكم هذه الأشياء لثلا يعلم أى ليتبين جهل أهل الكتاب و أنهم لا يعلمون أن ما يؤتيكم الله من فضله لا يقدرّون على تغييره و إزالته عنكم ففى هذه الوجوه لا يحتاج إلى زياده لا.

(٥٨) سورة المجادلة مدنيه و آياتها ثنتان و عشرون (٢٢)

اشاره

عدد آياتها

إحدى و عشرون آيه مكى و المدنى الأخير و آيتان فى الباقين.

اختلافها

آيه «فِي الْأَذْلَيْنِ» غير المكى و المدنى الأخير.

فضلها

أبى بن كعب قال قال رسول الله ص و من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة.

تفسيرها

لما ختم الله سورة الحديد بذكر فضله على من يشاء من عباده افتتح هذه السوره بذكر بيان فضله فى إجابته الدعوه كما أجاب دعاء تلك المرأة فقال:

ص: ٣٧٠

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (۱) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَ زُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ (۲) وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكَمْ تَوْعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (۳) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَّةً يَوْمَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (۴)

إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (۵)

القراءه

قرأ عاصم «يُظَاهِرُونَ» بضم الياء و تخفيف الظاء وقرأ أهل البصره و ابن كثير يظهرون بتشديد الظاء و الهاء و فتح الياء و قرأ الباقون يظاهرون بفتح الياء و تشديد الظاء و روى عن بعضهم ما هن أمهاتهم برفع التاء.

الحجه

قال أبو على ظاهر من امرأته و ظهر مثل ضاعف و ضعف و تدخل التاء على كل واحد منهما فيصير تظاهر و تظهر و يدخل حرف المضارعه فيصير يتظاهر و يتظهر ثم تدغم الطاء في الظاء لمقاربتها لها فتصير يظاهر و يظهر بفتح الياء التي هي حرف المضارعه لأنها للمطاوعه كما تفتحها في يتدحرج الذي هو مطاوع دحرجته فتدحرج و وجه الرفع في قوله (ما هن أمهاتهم) أنه لغه بنى تميم قال سيويوه و هو أقيس الوجهين و ذلك أن النفي كالأستفهام فكما لا- يغير الاستفهام الكلام عما كان عليه في الواجب ينبغى أن لا يغيره النفي عما كان عليه في الواجب و وجه النصب أنه لغه أهل الحجاز و الأخذ بلغتهم في القرآن أولى و عليها جاء ما هذا بَشْرًا.

اللغه

الاشتكاء إظهار ما بالإنسان من مكروه و الشكاية إظهار ما يصنعه به غيره من المكروه و التحاور التراجع و هي المحاوره يقال حاوره محاوره أى راجعه الكلام و تحاورا قال عنتره:

لو كان يدرى ما المحاوره اشتكى و لكان لو علم الكلام مكلمى

و المحاده المخالفه و أصله من الحد و هو المنع و منه الحد الحاجز بين الشئين قال النابغه:

إلا سليمان إذ قال المليك له قم في البريه فاحدها عن الفند

الكبت مصدر كبت الله العدو أى أذله و أخزاه.

النزول

نزلت الآيات فى امرأه من الأنصار ثم من الخزرج و اسمها خوله بنت خويلد عن ابن عباس و قيل خوله بنت ثعلبه عن قتاده و مقاتل و زوجها أوس بن الصامت و ذلك أنها كانت حسنه الجسم فرآها زوجها ساجده فى صلاتها فلما انصرفت أرادها فأبت عليه فغضب عليها و كان امرءا فيه سرعه و لم يبق لها أنت على كظهر أمى ثم ندم على ما قال و كان الظهار من طلاق أهل الجاهليه فقال لها ما أظنك إلا و قد حرمت على فقالت لا تقل ذلك و ائت رسول الله ص فاسأله فقال إنى أجد أنى أستحيى منه أن أسأله عن هذا قالت فدعنى أسأله فقال سئله فأتت النبى ص و عائشه تغسل شق رأسه فقالت يا رسول الله إن زوجى أوس بن الصامت تزوجنى و أنا شابهه غانيه ذات مال و أهل حتى إذا كل مالى و أفنى شبابى و تفرق أهلى و كبرت سننى ظاهر منى و قد ندم فهل من شىء يجمعنى و إياه فتعشنى به فقال ص ما أراك إلا حرمت عليه فقالت يا رسول الله و الذى أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقا و أنه أبو ولدى و أحب الناس إلى فقال ص ما أراك إلا حرمت عليه و لم أومر فى شأنك بشىء فجعلت تراجع رسول الله ص و إذا قال لها رسول الله ص حرمت عليه هتفت و قالت أشكو إلى الله فاقضى و حاجتى و شده حالى اللهم فأنزل على لسان نبيك و كان هذا أول ظهار فى الإسلام فقامت عائشه تغسل شق رأسه الآخر فقالت أنظر فى أمرى جعلنى الله فداك يا نبى الله فقالت عائشه أقصرى حديثك و مجادلتك أ ما ترين وجه رسول الله ص و كان ص إذا نزل عليه الوحي أخذته مثل السبات فلما قضى الوحي قال ادعى زوجك فتلا عليه رسول الله ص «قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا» إلى تمام الآيات قالت عائشه تبارك الذى وسع سمعه الأصوات كلها إن المرأه لتحاور رسول الله ص و أنا فى ناحيه البيت أسمع بعض كلامها و يخفى على بعضه إذ أنزل الله «قَدْ سَمِعَ اللَّهُ» فلما تلا عليه هذه الآيات قال له هل تستطيع أن تعتنق رقبه قال إذا يذهب مالى كله و الرقبه غاليه و أنى قليل المال فقال فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين فقال و الله يا رسول الله إنى إذا لم آكل ثلاث مرات كل بصرى و خشيت أن تغشى عيني قال فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكينا قال لا- و الله إلا- أن تعيننى على ذلك يا رسول الله فقال إنى معينك بخمسه عشر صاعا و أنا داع لك بالبركه فأعانه رسول الله ص بخمسه عشر صاعا فدعا له البركه فاجتمع لهما أمرهما.

المعنى

«قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا» أى تراجعك فى أمر زوجها

ص: ٣٧٢

عن أبي العالیه «وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ» و تظهر شكواها و ما بها من المكروه فتقول اللهم إنك تعلم حالى فارحمنى فإن لى صبيه صغارا إن ضممتهم إليه ضاعوا و إن ضممتهم إلى جاعوا «وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا» أى تخاطبكما و مراجعتكما الكلام «إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ» أى يسمع المسموعات و يرى المرئيات و السميع البصير من هو على حاله يجب لأجلها أن يسمع المسموعات و يبصر المبصرات إذا وجدتا و ذلك يرجع إلى كونه حيا لا آفه به ثم قال سبحانه يذم الظهار «الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ» أى يقولون لهن أنتن كظهور أمهاتنا «مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ» أى ما اللواتى تجعلونهن من الزوجات كالأمهات بأمهات أى لسن بأمهاتهم «إِنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَمَدْنَهُمْ» أى ما أمهاتهم إلا- الوالدات «وَإِنَّهُنَّ» يعنى المظاهرين «لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ» لا يعرف فى الشرع «وَزُورًا» أى كذبا لأن المظاهر إذا جعل ظهر امرأته كظهر أمه و ليست كذلك كان كاذبا «وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ» عفا عنهم و غفر لهم و أمرهم بالكفاره ثم بين سبحانه حكم الظهار فقال «وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ» يعنى الذين يقولون القول الذى حكيناه «ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا» اختلف المفسرون و الفقهاء فى معنى العود هنا فقليل إنه العزم على وطئها عن قتاده و هو مذهب مالك و أبى حنيفة و قيل العود هو أن يمسكها بالعقد و لا يتبع الظهار بطلاق و ذلك أنه إذا ظاهر منها فقد قصد التحريم فإن وصل ذلك بالطلاق فقد جرى على ما ابتدأه و لا كفاره و إذا سكت عن الطلاق بعد الظهار زمانا يمكنه أن يطلق فيه فذلك الندم منه على ما ابتدأه و هو عود إلى ما كان عليه فحينئذ تجب الكفاره و هو مذهب الشافعى و استدل على ذلك بما روى عن ابن عباس أنه فسر العود فى الآيه بالندم فقال يندمون و يرجعون إلى الألفه و قال الفراء يعودون لما قالوا و إلى ما قالوا و فيما قالوا معناه يرجعون عما قالوا يقال عاد لما فعل و يجوز أن يقال عاد لما فعل يريد فعله مره أخرى و قيل إن العود هو أن يكرر لفظ الظهار عن أبى العالیه و هو مذهب أهل الظاهر و احتجوا بأن ظاهر لفظ العود يدل على تكرير القول قال أبو على الفارسى ليس فى هذا ظاهر كما ادعوا لأن العود قد يكون إلى شىء عليه قبل و قد سميت الآخره معادا و لم يكن فيها أحد ثم صار إليها و قال الأ-خفش تقدير الآيه و الذين يظاهرون من نسائهم فتحرير رقبه لما قالوا ثم يعودون إلى نسائهم أى فعليهم تحرير رقبه لما نطقوا به من ذكر التحريم. و التقديم و التأخير كثير فى التنزيل و أما ما ذهب إليه أئمه الهدى من آل محمد ص فهو أن المراد بالعود إرادته الوطاء و نقض القول الذى قاله فإن الوطاء لا يجوز له إلا بعد الكفاره و لا يبطل حكم قوله الأول إلا- بعد الكفاره «فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ» أى فعليهم تحرير رقبه «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا» أى من قبل أن يجامعها فیتماسا و التحرير هو أن يجعل الرقبه المملوكه حره بالعق بآن يقول

المالك لمن يملكه أنت حر «ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ» أى ذلكم التغليظ فى الكفاره توعظون به أى أن غلظ الكفاره وعظ لكم حتى تتركوا الظهار قاله الزجاج «وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» أى عليم بأعمالكم فلا تدعوا ما وعظكم به من الكفاره قبل الوطء فيعاقبكم عليه «فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا» أى فمن لم يجد الرقبه فعليه صيام شهرين متتابعين قبل الجماع و التابع عند أكثر الفقهاء أن يوالى بين أيام الشهرين الهلاليين أو يصوم ستين يوما و قال أصحابنا أنه إذا صام شهرا و من الثانى شيئا و لو يوما واحدا ثم أفطر لغير عذر فقد أخطأ إلا أنه يبنى عليه و لا يلزمه الاستئناف و إن أفطر قبل ذلك استأنف و متى بدأ بالصوم و صام بعض ذلك ثم وجد الرقبه لا يلزمه الرجوع إليها و إن رجع كان أفضل و قال قوم أنه يلزمه الرجوع إلى العتق و قوله «فَمَنْ لَمْ يَسِدِّ تَطْعَ فِإِطْعَامِ سِتِّينَ مِسْكِينًا» أى فمن لم يطق الصوم لعله أو كبر فإطعام ستين مسكينا فعليه إطعام ستين فقيرا لكل مسكين نصف صاع عند أصحابنا فإن لم يقدر فمد «ذَلِكَ» أى افترض ذلك الذى وصفناه «لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ» أى لتصدقوا بما أتى به الرسول و تصدقوا بأن الله أمر به «وَ تَلْعَكَ حُدُودُ اللَّهِ» يعنى ما وصفه من الكفارات فى الظهار أى هى شرائع الله و أحكامه «وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ» أى و للجاحدين المتعدين حدود الله عذاب مؤلم فى الآخرة «إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» أى يخالفون أمر الله و يعادون رسوله «كُتِبُوا» أى أذلوا و أخزوا «كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» أى كما أخزى الذين من قبلهم من أهل الشرك «وَ قَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ» أى حججا واضحات من القرآن و ما فيه من الأدله و البيان «وَ لِلْكَافِرِينَ» الجاحدين لما أنزلناه «عَذَابٌ مُهِينٌ» يهينهم و يخزيهم فأما الكلام فى مسائل الظهار و فروعها فموضعه كتب الفقه.

إشارة

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٦) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاؤُكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسِبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبُرِّ وَالنَّفْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩) إِنَّمِنَّا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٠)

القراءة

قرأ أبو جعفر وحده ما تكون بالتاء والباقون بالياء وقرأ يعقوب وسهل ولا أكثر بالرفع والباقون بالنصب وقرأ حمزه ورويس عن يعقوب ينتجون والباقون «يَتَنَاجُونَ» وقرأ رويس أيضا فلا تنجوا.

الحجج

قال ابن جنى التذكير في قوله «ما يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ» هو الوجه لما هناك من الشيعاء وعموم الجنسيه كقولك ما جاءني من امرأه وما حضرني من جاريه و أما تكون بالتاء فلاعتزام لفظ التأنيث حتى كأنه قال ما تكون نجوى ثلاثة وقوله ولا أكثر بالرفع معطوف على محل الكلام قبل دخول من فإن قوله «مِنْ نَجْوَى» في محل رفع بأنه فاعل يكون ومن زائده والقراءة الظاهره أكثر بالفتح في موضع الجر وقوله (ينتجون) يفتعلون من النجوى والنجوى مصدر كالدعوى والعدوى ومثل ذلك في أنه على فعلى التقوى إلا أن الواو فيها مبدله وليست بلام ولما كان مصدرا وقع للجمع على لفظ الواحد في قوله تعالى: «إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَ إِذْ هُمْ نَجْوَى» أى هم ذوو نجوى وقوله «ما يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ» قال أبو على: ثلاثة يحتمل جره أمرين (أحدهما) أن يكون مجرورا بإضافه نجوى إليه كأنه ما يكون من أسرار ثلاثة إلا هو رابعهم أى لا يخفى عليه ذلك كما قال أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَ نَجْوَاهُمْ و يجوز أن يكون ثلاثة جرا على الصفه على قياس قوله تعالى «وَ إِذْ هُمْ

نَجْوَى» فيكون المعنى ما يكون من متناجين ثلاثة و أما النجى فصفه تقع على الكثرة كالصديق و الرفيق و الحميم و مثله الغرى و فى التنزيل خَلَصُوا نَجِيًّا و أما قول حمزه ينتجون و قول سائرهم متناجون فإن يفتعلون و يتفاعلون قد يجريان مجرى واحد و من ثم قالوا ازدوجوا و اعتوروا فصحوا الواو و إن كانت على صوره يجب فيها الاعتلال لما كان بمعنى تعاوروا و تزاوجوا كما صح عور و حول لما كان بمعنى أفعال و يشهد لقراءه حمزه

قول النبى ص فى على صلوات الرحمن عليه لما قال له بعض أصحاب أ تناجيه دوننا قال ما أنا انتجيته بل الله انتجاه.

اللغة

النجوى هى أسرار ما يرفع كل واحد إلى آخر و أصله من النجوه الارتفاع من الأرض و النجاء الارتفاع فى السير و النجاء الارتفاع من البلاء.

الإعراب

«هُوَ رَابِعُهُمْ» مبتدأ و خبر فى محل جر بأنه صفه ثلاثة و تقول فلان رابع أربعة إذا كان واحد أربعة و رابع ثلاثة إذا جعل ثلاثة أربعة بكونه معهم و يجوز على هذا أن يقال رابع ثلاثة و لا يجوز رابع أربعة لأنه ليس فيه معنى الفعل. «حَسِبْتُهُمْ جَهَنَّمَ» مبتدأ و خبر و «يَصْلُونَهَا» فى موضع نصب على الحال.

النزول

قال ابن عباس نزل قوله «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى» الآية فى اليهود و المنافقين أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين و ينظرون إلى المؤمنين و يتغامزون بأعينهم فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا ما نراهم إلا- و قد بلغهم عن أقربائنا و إخواننا الذين خرجوا فى السرايا قتل أو مصيبه أو هزيمه فيقع ذلك فى قلوبهم و يحزنهم فلما طال ذلك شكوا إلى رسول الله ص فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا عن ذلك و عادوا إلى مناجاتهم فنزلت الآية.

المعنى

ثم بين سبحانه وقت ذلك العذاب فقال «يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا» أى يحشرهم إلى أرض المحشر و يعيدهم أحياء «فَيَبْتَلِيهِمْ بِمَا عَمِلُوا» أى يخبرهم و يعلمهم بما عملوه من المعاصى فى دار الدنيا «أَخْصَاءُ اللَّهِ» عليهم و أثبتة فى كتاب أعمالهم «و نَسُوهُ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» معناه أنه يعلم الأشياء كلها من جميع وجوها لا يخفى عليه شىء منها و منه قوله «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» أى علم الله ثم بين سبحانه أنه يعلم ما يكون فى العالم فقال «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِى الْأَرْضِ» يعنى جميع المعلومات و الخطاب للنبى ص و المراد جميع المكلفين و هو استفهام معناه التقرير أى أ لم

تعلم وقيل أ لم تر إلى الدلالات المرثيه من صنعته الداله على أنه عالم بجميع المعلومات «ما يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثِهِ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ» بالعلم يعنى أن نجواهم معلومه عنده كما تكون معلومه عند الرابع الذى هو معهم وقيل السرار ما كان بين اثنين و النجوى ما كان بين ثلاثة و قال بعضهم النجوى كل حديث كان سرا أو علانيه و هو اسم للشىء الذى يتناجى به «وَلَا خَمْسَهُ إِلَّا هُوَ سَادِسِيُّهُمْ» أى و لا يتناجى خمسه إلا- و هو عالم بسرهم كسادس معهم «وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا» المعنى أنه عالم بأحوالهم و جميع متصرفاتهم فرادى و عند الاجتماع لا يخفى عليه شىء منها فكأنما هو معهم و مشاهد لهم و على هذا يقال إن الله مع الإنسان حيثما كان لأنه إذا كان عالما به لا يخفى عليه شىء من أمره حسن هذا الإطلاق لما فيه من البيان فأما أن يكون معهم على طريق المجاوره فذلك محال لأنه من صفات الأجسام و قد دلت الأدله على أنه ليس بصفات الأجسام «ثُمَّ يُبَيِّنُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أى يخبرهم بأعمالهم «إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» لا يخفى عليه خافيه «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى» أى أ لم تعلم حال الذين نهوا عن المناجاة و أسرار الكلام بينهم دون المسلمين بما يغم المسلمين و يحزنهم و هم اليهود و المنافقون «ثُمَّ يُعَوِّدُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ» يعنى إلى ما نهوا عنه أى يرجعون إلى المناجاة بعد النهى «وَيَتَنَاجَوْنَ بِاللِّأِثْمِ وَالْعِيْدَانِ» فى مخالفه الرسول و هو قوله «وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ» و ذلك أنه نهاهم عن النجوى فعصوه و يجوز أن يكون الإيثم و العدوان ذلك السر الذى يجرى بينهم لأنه شىء يسوء المسلمين و يوصى بعضهم بعضا بترك أمر الرسول و المعصيه له «وَأِذَا جَاؤُكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ» و ذلك أن اليهود كانوا يأتون النبى ص فيقولون السام عليك و السام الموت و هم يوهمونهم أنهم يقولون السلام عليك و كان النبى ص يرد على من قال ذلك فيقول و عليك و قال الحسن كان اليهودى يقول السام عليك أى إنكم ستسامون دينكم هذا و تملونه فتدعونوه و من قال السام الموت فهو سام الحياه بذهابها «وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ» أى يقول بعضهم لبعض و قيل معناه أنهم لو تكلموا لقالوا هذا الكلام و إن لم يكن منهم قول «لَوْ لَا يَعِذُّنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ» أى يقولون لو كان هذا نبيا كما يزعم فهلا يعذبنا الله و لا يستجيب له فينا قوله و عليكم يعنى السام و هو الموت فقال سبحانه «حَسْبُهُمْ» أى كافيههم «جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا» يوم القيامة و يحترقون فيها «فَبئسَ الْمَصِيرُ» أى فبئس المرجع و المال جهنم لما فيها من أنواع العذاب و النكال ثم نهى المؤمنين عن مثل ذلك فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِاللِّأِثْمِ وَالْعِيْدَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ» أى لا تفعلوا كفعل المنافقين و اليهود «وَتَنَاجَوْا بِالْبُرِّ وَالتَّقْوَى» أى بأفعال الخير و الطاعه و الخوف من

عذاب الله و اتقاء معاصى الله «وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ» أى إلى جزائه «تُحْشَرُونَ» يوم القيامة «إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ» يعنى نجوى المنافقين و الكفار بما يسوء المؤمنين و يغمهم من وساوس الشيطان و بدعائه و إغوائه يفعل ذلك النجوى «لِيُحْزِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً» أى نجواهم لا يضرهم شيئاً و قيل إن الشيطان لا يضرهم شيئاً «إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» يعنى بعلم الله و قيل بأمر الله لأن سببه بأمره و هو الجهاد و خروجهم إليه و قيل بأمر الله لأنه يلحقهم الآلام و الأمراض عقيب ذلك «وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» فى جميع أمورهم دون غيره و قيل إن الآيه المراد بها أحلام المنام التى يراها الإنسان فى نومه فيحزنه و

ورد فى الخبر عن عبد الله بن مسعود قال قال النبى ص إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه

و

عن ابن عمر عنه قال لا يتناج اثنان دون الثالث.

ص: ٣٧٨

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (۱۱) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صِدْقَهُ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۱۲) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (۱۴) أَعِدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (۱۵)

القراءة

قرأ عاصم وحده «فِي الْمَجَالِسِ» على الجمع و الباقون في المجلس على التوحيد وقرأ أهل المدينة و ابن عامر و عاصم غير يحيى مختلف عنه قيل انشروا فانشروا بالضم و الباقون بالكسر.

الحجج

قال أبو علي في المجلس زعموا أنه مجلس رسول الله ص و إذا كان كذلك فالوجه الإفراد و يجوز أن يجمع على هذا على أن يجعل لكل جالس مجلس أى موضع جلوس و يكون المجلس على إرادته العموم مثل قولهم كثر الدينار و الدرهم فيشتمل على هذا جميع المجالس و مثله قوله إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ و قوله «انشُرُوا» أى قوموا و النشز المرتفع من الأرض قال:

ترى الثعلب الحولى فيها كأنه إذا ما علا نشز أ حصان مجلل

و منه نشوز المرأة على زوجها و ينشز و ينشز مثل يعكف و يعكف و يعرش و يعرش.

اللغة

التفسح الاتساع فى المكان و التفسح و التوسع واحد و فسح له فى المجلس يفسح فسحا و مكان فسيح و فى صفة النبى ص كان فسيح ما بين المنكبين أى بعيد ما بينهما لسعه صلبه و الإشفاق الخوف و رقه القلب و النشوز الارتفاع عن الشىء بالذهاب عنه.

النزول

قال قتاده كانوا يتنافسون فى مجلس رسول الله ص فإذا رأوا من جاءهم مقبلا ضنوا بمجلسهم عند رسول الله ص فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض و قال المقاتلان كان رسول الله ص فى الصفه و فى المكان ضيق و ذلك يوم الجمعة و كان ص يكرم أهل بدر من المهاجرين و الأنصار فجاء أناس من أهل بدر و فيهم ثابت بن قيس بن شماس و قد سبقوا فى المجلس فقاموا حيال

النبي ص فقالوا السلام عليك أيها النبي ورحمه الله وبركاته فرد عليهم النبي ص ثم سلموا على القوم بعد ذلك فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا لهم فشق ذلك على النبي ص فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر قم يا فلان قم يا فلان بقدر النفر الذين كانوا بين يديه من أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه و عرف الكراهيه في وجوههم و قال المنافقون للمسلمين

ص: ٣٧٩

ألستم تزعمون أن صاحبكم يعدل بين الناس فوالله ما عدل على هؤلاء إن قوما أخذوا مجالسهم و أحبوا القرب من نبيهم فأقامهم و أجلس من أبطأ عنهم مقامهم فنزلت الآية (و أما) قوله «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا» الآية فإنها نزلت فى الأغنياء و ذلك أنهم كانوا يأتون النبى ص فيكثرون مناجاته فأمر الله سبحانه بالصدقه عند المناجاة فلما رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته فنزلت آية الرخصه عن مقاتل بن حيان و

قال أمير المؤمنين صلوات الرحمن عليه إن فى كتاب الله لآيه ما عمل بها أحد قبلى و لا يعمل بها أحد بعدى «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ» الآية كان لى دينار فبعته بعشره دراهم فكلما أردت أن أناجى رسول الله ص قدمت درهما فنسختها الآية الأخرى «أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ» الآية فقال ص بى خفف الله عن هذه الأمه و لم ينزل فى أحد قبلى و لم ينزل فى أحد بعدى

و قال ابن عمر و كان لعلى بن أبى طالب (عليه السلام) ثلاث لو كانت لى واحده منهن لكانت أحب إلى من حمر النعم تزويجه فاطمه و إعطاؤه الرايه يوم خيبر و آيه النجوى و قال مجاهد و قتاده لما نهوا عن مناجاته صلوات الرحمن عليه حتى يتصدقوا لم يناجيه إلا على بن أبى طالب عليه أفضل الصلوات قدم دينارا فتصدق به ثم نزلت الرخصه.

المعنى

لما قدم سبحانه النهى عن النجوى لما فيه من إيذاء المؤمنين عقبه بالأمر بالتفسيح لما فى تركه من إيذائهم أيضا فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ» أى اتسعوا فيه و هو مجلس النبى ص عن قتاده و مجاهد و قيل المراد به مجالس الذكر كلها «فَأَفْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ» أى فتوسعوا يوسع الله لكم مجالسكم فى الجنة «وَ إِذَا قِيلَ انشُرُوا» أى ارتفعوا و قوموا و وسعوا على إخوانكم «فَأَنْشُرُوا» أى فافعلوا ذلك و قيل معناه و إذا قيل لكم انهضوا إلى الصلاه و الجهاد و عمل الخير فانشروا و لا تقصروا عن مجاهد و قيل معناه و إذا قيل لكم ارتفعوا فى المجلس و توسعوا للداخل فافعلوا فإن رسول الله ص لا يقرب و لا يرفع إلا بإذن الله و أمره و قيل معناه و إذا نودى للصلاه فانهضوا فإن رجالا كانوا يتثاقلون عن الصلاه عن عكرمه و الضحاك و قيل وردت فى قوم كانوا يطيلون المكث عند رسول الله ص فيكون كل واحد منهم يحب أن يكون آخر خارج فأمرهم الله أن ينشروا أى يقوموا إذا قيل لهم انشروا «يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ» قال ابن عباس يرفع الله الذين أوتوا العلم من المؤمنين على الذين لم يؤتوا العلم درجات و قيل معناه لكى يرفع الله الذين آمنوا منكم بطاعتهم لرسول الله ص درجه و الذين أوتوا العلم بفضل علمهم و سابقتهم درجات فى الجنة و قيل درجات فى مجلس رسول الله ص فأمر الله سبحانه أن يقرب العلماء من نفسه فوق المؤمنين الذين لا يعلمون العلم ليبين فضل العلماء على

غيرهم و في هذه الآيه دلالة على فضل العلماء و جلاله قدرهم و قد

ورد أيضا في الحديث أنه قال ص فضل العالم على الشهيد درجه و فضل الشهيد على العابد درجه و فضل النبي على العالم درجه و فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه و فضل العالم على سائر الناس كفضلي على أذناهم رواه جابر بن عبد الله

و

قال علي (عليه السلام) من جاءته منيته و هو يطلب العلم فيبته و بين الأنبياء درجه

«وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» أي عليم ثم خاطب سبحانه المؤمنين مره أخرى و قال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدُّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ» أي إذا ساررتم الرسول فقدموا قبل أن تساروه صدقه و أراد بذلك تعظيم النبي ص و أن يكون ذلك سببا لأن يتصدقوا فيؤجروا عنه و تخفيفا عنه ص قال المفسرون فلما نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا ضن كثير من الناس فكفوا عن المسأله فلم يناج أحد إلا على بن أبي طالب على ما مضى ذكره قال مجاهد و ما كان إلا ساعه و قال مقاتل بن حيان كان ذلك ليالى عشرا ثم نسخت بما بعدها و كانت الصدقه مفوضه إليهم غير مقدره «ذَلِكَ» أي ذلك التصدق بين يدي مناجاه النبي ص «خَيْرٌ لَكُمْ» لأن فيه أداء واجب و تحصيل ثواب «وَأَطَهَّرُ» أي و أدعى لكم إلى مجانبه المعاصي و تركها و أزكى لكم تطهرون بذلك بمناجاته كما تقدم الطهاره على الصلاه «فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا» ما تتصدقون به «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ» يستر عليكم ترك ذلك «رَحِيمٌ» يرحمكم و ينعم عليكم ثم قال سبحانه ناسخا لهذا الحكم «أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ» يعنى أ خفتم الفاقه يا أهل الميسره و بخلتم بالصدقه بين يدي نجواكم و هذا توبيخ لهم على ترك الصدقه إشفاقا من العيله «فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ» لتقصيركم فيه «فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ» فيما أمركم به و نهاكم عنه «وَ رَسُولَهُ» أي و أطيعوا رسوله أيضا «وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» أي عالم بأعمالكم من طاعه و معصيه و حسن و قبيح فيجازيكم بها ثم قال سبحانه «أَلَمْ تَرَ» يا محمد «إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» و المراد به قوم من المنافقين كانوا يوالون اليهود و يفشون إليهم أسرار المؤمنين و يجتمعون معهم على ذكر مساءه النبي ص و المؤمنين عن قتاده و ابن زيد «مَا هُمْ مِنْكُمْ وَ لَا مِنْهُمْ» يعنى أنهم ليسوا من المؤمنين فى الدين و الولايه و لا من اليهود «وَ يَخْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ» أي و يحلفون أنهم لم ينافقوا «وَ هُمْ يَعْلَمُونَ» أنهم منافقون «أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا» أي فى الآخره «إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أي بشس العمل عملهم و هو النفاق و مواله أعداء الله.

إشاره

اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصِيدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٦) لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٧) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨) اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩) إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (٢٠)

كَتَبَ اللَّهُ لِمَآ غَلِبْنَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢١) لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)

القراءه

قرأ محمد بن حبيب الشموني عن الأعشى عن أبي بكر أو عشيراتهم على الجمع و الباقون «أَوْ عَشِيرَتَهُمْ» على التوحيد و في الشواذ قراءه الحسن اتخذوا إيمانهم بكسر الهمزه و روايه بعضهم عن عاصم كتب بضم الكاف في قلوبهم الإيمان بالرفع.

الحجه

من قرأ إيمانهم حذف المضاف أى اتخذوا إظهار إيمانهم جنة و من قرأ كتب في قلوبهم الإيمان فهو على حذف المضاف أيضا أى كتب في قلوبهم علامه الإيمان

و من أسند الفعل إلى الفاعل فلتقدم ذكر الاسم على ذلك و يدل عليه قوله «وَ أَيْدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ».

اللغة

الجنة السترة التي تقى البلية و أصله الستر و منه المجن الترس و الاستحواذ الاستيلاء على الشىء بالاقتطاع له و أصله من حاذه يحوزه حوذاً مثل حازه يحوزه حوزاً.

المعنى

ثم ذكر سبحانه تمام الخبر عن المنافقين فقال «اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ» التي يحلفون بها «جُنَّةً» أى ستره و ترسا يدفعون بها عن نفوسهم التهمة و الظنه إذا ظهرت منهم الريبه «فَصَيَّدُوا» نفوسهم و غيرهم «عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» الذى هو الحق و الهدى «فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ» يهينهم و يذلهم و يخزيهم «لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ» التي جمعوها «وَ لَا أَوْلَادُهُمْ» الذين خلفوهم «مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» ظاهر المعنى «يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ» أى يقسمون لله «كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ» فى دار الدنيا بأنهم كانوا مؤمنين فى الدنيا فى اعتقادهم و ظنهم لأنهم كانوا يعتقدون أن ما هم عليه هو الحق «وَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ» أى و يحسب المنافقون فى الدنيا أنهم مهتدون لأن فى الآخرة تزول الشكوك و قال الحسن فى القيامه مواطن فمواطن يعرفون فيه قبح الكذب ضروره فيتركونه و مواطن يكونون فيه كالمدهوش فيتكلمون بكلام الصبيان الكذب و غير الكذب و يحسبون أنهم على شىء فى ذلك الموضع الذى يحلفون فيه بالكذب «أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ» فى أيمانهم و أقوالهم فى الدنيا و قيل معناه أولئك هم الخائبون كما يقال كذب ظنه أى خاب أملة «اسْتَيْحَوْذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ» أى استولى عليهم و غلب عليهم لشده اتباعهم إياه «فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ» حتى لا يخافون الله و لا يذكرونه «أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ» أى جنوده «أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ» يخسرون الجنة و يحصل لهم بدلها النار «إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» أى يخالفونه فى حدوده و يشاقونه و هم المنافقون «أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ» فلا أحد أذل منهم فى الدنيا و لا فى الآخرة قال عطاء يريد الذل فى الدنيا و الخزى فى الآخرة «كَتَبَ اللَّهُ لِمَآءِغِبِينَ أَنَا وَ رَسُولِي» أى كتب الله فى اللوح المحفوظ و ما كتبه فلا بد من أن يكون أجرى قوله «كَتَبَ اللَّهُ» مجرى القسم فأجابه بجواب القسم قال الحسن ما أمر الله نبياً قط بحرب إلا غلب إما فى الحال أو فيما بعد و قال قتاده كتب الله كتاباً فأَمْضَاهُ لِأَغْلِبِنَ أَنَا وَ رَسُولِي و يجوز أن يكون المعنى قضى الله و وعد لأغلبين أنا و رسلى بالحجج و البراهين و إن جاز أن يغلب بعضهم فى الحرب «إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ» أى غالب قاهر لمن نازع أوليائه و يروى أن المسلمين قالوا لما رأوا ما يفتح الله عليهم من القرى

ليفتحن الله علينا الروم و فارس فقال المنافقون أ تظنون أن فارسا و الروم كبعض القرى التى غلبتم عليها فأنزل الله هذه الآية ثم قال سبحانه «لا تجد قوماً يؤمنون بالله و اليوم الآخر يؤادون من حادَّ الله و رسوله» أى يوالون من خالف الله و رسوله و المعنى لا تجتمع موالاه الكفار مع الإيمان و المراد به الموالاه فى الدين «و لو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم» أى و إن قربت قرابتهم منهم فإنهم لا- يوالونهم إذا خالفوهم فى الدين و قيل إن الآية نزلت فى حاطب بن أبى بلتعنه حين كتب إلى أهل مكة يندرهم بمجىء رسول الله إليهم و كان ص أخفى ذلك فلما عوتب على ذلك قال أهلى بمكة أحببت أن يحوطوهم بيد تكون لى عندهم و قيل إنها نزلت فى عبد الله بن أبى و ابنه عبيد الله بن عبد الله و كان هذا الابن عند النبى ص فشرب النبى ص فقال أبق فضله من شرابك أسقها أبى لعل الله يطهر قلبه فأعطاه فأتى بها أباه فقال ما هذا فقال بقيه شراب رسول الله ص جئتك بها لتشربها لعل الله يطهر قلبك فقال هلا- جئتنى ببول أمك فرجع إلى النبى ص فقال ائذن لى فى قتله فقال بل ترفق به عن السدى ثم قال سبحانه «أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان» أى ثبت فى قلوبهم الإيمان بما فعل بهم من الألفاف فصار كالمكتوب عن الحسن و قيل كتب فى قلوبهم علامه الإيمان و معنى ذلك أنها سمه لمن يشاهدهم من الملائكة على أنهم مؤمنون كما أن قوله فى الكفار و طبع الله على قلوبهم علامه يعلم من شاهدها من الملائكة أنه مطبوع على قلبه عن أبى على الفارسى «و أيدهم بزوح منه» أى قواهم بنور الإيمان و يدل عليه قوله و كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب و لا الإيمان عن الزجاج و قيل معناه و قواهم بنور الحجج و البراهين حتى اهتدوا للحق و عملوا به و قيل قواهم بالقرآن الذى هو حياه القلوب من الجهل عن الربيع و قيل أيدهم بجبرائيل فى كثير من المواطن ينصرهم و يدفع عنهم «و يُدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم» بإخلاص الطاعة و العباده منهم «و رضى عنه» بثواب الجنه و قيل رضوا عنه بقضائه عليهم فى الدنيا فلم يكرهوه «أولئك حزب الله» أى جند الله و أنصار دينه و دعاه خلقه «ألا إن حزب الله هم المفلحون» ألا كلمه تنبيه أن جنود الله و أولياءه هم المفلحون الناجون الظافرون بالبعيه.

(٥٩) سورة الحشر مدنيه و آياتها أربع و عشرون (٢٤)

اشاره

عدد آياتها

و هي أربع و عشرون آيه بالإجماع.

فضلها

أبى بن كعب قال قال رسول الله ص و من قرأ سورة الحشر لم يبق عنه و لا نار و لا عرش و لا كرسى و لا حجاب و لا السماوات السبع و لا الأرضون السبع و الهوام و الرياح و الطير و الشجر و الدواب و الشمس و القمر و الملائكة إلا صلوا عليه و استغفروا له و إن مات من يومه أو ليلته مات شهيدا

و عن أبى سعيد المكارى عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ إذا أمسى الرحمن و الحشر و كل الله بداره ملكا شاهرا سيفه حتى يصبح.

تفسيرها

لما ختم الله سورة المجادله بذكر حزب الشيطان و حزب الله افتتح هذه السوره بقهره حزب الشيطان و ما نالهم بالجلاء من الخزى و الهوان و نصره حزبه من أهل الإيمان فقال:

ص: ٣٨٥

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ (٢) وَلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤)

مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنِهِ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (٥)

القراءة

قرأ أبو عمرو يخربون بالثشديد و الباقون «يُخْرِبُونَ» ساكنه الخاء و خفيفه الراء و في الشواذ قراءة طلحة بن مصرف يشاقق الله بقافين على الإظهار كالتى فى الأنفال.

الحج

يقال حرب الموضع و أحرته و خرته قال الأعشى:

" و أحررت من أرض قوم ديارا "

و حكى عن أبى عمرو أن الأخراب أن يترك الموضع حربا و التخریب الهدم.

اللغة

الحشر جمع الناس من كل ناحيه و منه الحاشر الذى يجمع الناس إلى ديوان الخراج و الجلاء الانتقال عن الديار و الأوطان للبلاء يقال جلا القوم عن منازلهم جلاء و أجليتهم إجلاء و اللينه النخله و أصله من اللون قلبت الواو ياء لكسره ما قبلها و جمعها ليان قال امرؤ القيس:

و سالفه كسحوق الليان أضرم فيها الغوى السع

و قال ذو الرمة:

طراق الخوافى واقع فوق لينه بذى ليله فى ريشه يتفرق

فكان اللينه نوع من النخل أى ضرب منه و قيل هو من اللين للين ثمرها.

ص: ٣٨٦

«مَانِعْتُهُمْ حُصُونَهُمْ» ارتفع حصونهم بقوله «مَانِعْتُهُمْ» لأن اسم الفاعل جرى خبراً لأن فيرفع ما بعده.

النزول

قيل نزلت السورة في إجلاء بني النضير من اليهود فمنهم من خرج إلى خيبر ومنهم من خرج إلى الشام عن مجاهد و قتاده و ذلك أن النبي ص لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه و لا يقاتلوا معه فقبل ذلك منهم فلما غزا رسول الله ص بدرا و ظهر على المشركين قالوا و الله أنه للنبي الذي وجدنا نعته في التوراه لا ترد له رايه فلما غزا غزاه أحد و هزم المسلمون ارتابوا و نقضوا العهد فركب كعب بن الأشرف في أربعين راكبا من اليهود إلى مكه فأتوا قريشا و حالفوهم و عاهدوهم على أن تكون كلمتهم واحده على محمد ثم دخل أبو سفيان في أربعين و كعب في أربعين من اليهود المسجد و أخذ بعضهم على بعض الميثاق بين الأستار و الكعبه ثم رجع كعب بن الأشرف و أصحابه إلى المدينة و نزل جبرائيل فأخبر النبي ص بما تعاهد عليه و أبو سفيان و أمره بقتل كعب بن الأشرف فقتله محمد بن مسلم الأنصاري و كان أخاه من الرضاعه قال محمد بن إسحاق خرج رسول الله ص إلى بني النضير يستعينهم في ديه القتيلين من بني عامر اللذين قتلها عمرو بن أميه الضمري و كان بين بني النضير و بني عامر عقد و حلف فلما أتاهم النبي ص يستعينهم في الديه قالوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت ثم خلا بعضهم ببعض فقال إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حالته هذه و رسول الله إلى جانب جدار من بيوتهم قاعد فقالوا من رجل يعلو على هذا البيت يلقي عليه صخره و رسول الله ص في نفر من أصحابه فأتاه الخبر من السماء بما أراد القوم فقام و قال لأصحابه لا تبرحوا فخرج راجعا إلى المدينة و لما استبطئوا النبي ص قاموا في طلبه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه عنه فقال رأيتة داخلا المدينة فأقبل أصحاب النبي ص حتى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر بما أرادت اليهود من الغدر و أمر رسول الله ص محمد بن مسلمه بقتل كعب بن الأشرف فخرج و معه سلكان بن سلامه و ثلاثه من بني الحرث و خرج النبي ص على إثرهم و جلس في موضع ينتظر وجوههم فذهب محمد بن مسلمه مع القوم إلى قرب قصره و أجلس قومه عند جدار و ناداه يا كعب فانتبه و قال من أنت قال أنا محمد بن مسلمه أخوك جئتك أستقرض منك دراهم فإن محمدا يسألنا الصدقه و ليس معنا الدراهم فقال لا أقرضك إلا بالرهن قال معي رهن أنزل فخذة و كانت له امرأه بنى بها تلك الليله عروسا فقالت لا أدعك تنزل لأنى أرى حمرة الدم في ذلك الصوت فلم يلتفت

إليها فخرج فعانقه محمد بن مسلمة و هما يتحادثان حتى تباعدا من القصر إلى الصحراء ثم أخذ رأسه و دعا بقومه و صاح كعب فسمعت امرأته فصاحت و سمع بنو النضير صوتها فخرجوا نحوه فوجدوه قتيلا و رجع القوم سالمين إلى رسول الله ص فلما أسفر الصبح أخبر رسول الله ص أصحابه بقتل كعب ففرحوا و أمر رسول الله ص بحربهم و السير إليهم فसार بالناس حتى نزل بهم فتحصنوا منه فى الحصن فأمر رسول الله ص بقطع النخل و التحريق فيها فنادوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفحشاء فما بالك تقطع النخل و تحرقها فأنزل الله «مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنِهِ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا» الآية و هى البويره فى قول حسان:

و هان على سراه بنى لوى حريق بالبويره مستطير

و البويره تصغير بؤره و هى إره النار أى حفرتها و قال ابن عباس كان النبى ص حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ فأعطوه ما أراد منهم فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم و أن يخرجهم من أرضهم و أوطانهم و أن يسيرهم إلى أذرعات بالشام و جعل لكل ثلاثه منهم بعير أو سقاء فخرجوا إلى أذرعات بالشام و أريحا إلا أهل بيتين منهم آل أبى الحقيق و آل حيبى بن أخطب فإنهم لحقوا بخيبر و لحقت طائفه منهم بالحيره و كان ابن عباس يسمى هذه السوره سوره بنى النضير و عن محمد بن مسلمة أن رسول الله ص بعثه إلى بنى النضير و أمره أن يؤجلهم فى الجلاء ثلاث ليال و عن محمد بن إسحاق كان إجلاء بنى النضير مرجع النبى ص من أحد و كان فتح قريظه مرجعه من الأحزاب و بينهما سنتان و كان الزهرى يذهب إلى أن إجلاء بنى النضير كان قبل أحد على رأس سته أشهر من وقعه بدر.

المعنى

«سَيَبَّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» مضى تفسيره «هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» يعنى يهود بنى النضير «مِنْ دِيَارِهِمْ» بأن سلت الله المؤمنين عليهم و أمر نبيه ص بإخراجهم من منازلهم و حصونهم و أوطانهم «لِأَوَّلِ الْحَشْرِ» اختلف فى معناه ف قيل كان جلاؤهم ذلك أول حشر اليهود إلى الشام ثم يحشر الناس يوم القيامة إلى أرض الشام أيضا و ذلك الحشر الثانى عن ابن عباس و الزهرى و الجبائى قال ابن عباس قال لهم النبى ص أخرجوا قالوا إلى أين قال إلى أرض المحشر و قيل معناه لأول الجلاء عن البلخى لأنهم كانوا أول من أجلى من أهل الذمه من جزيره العرب ثم أجلى إخوانهم من اليهود لثلا يجتمع فى بلاد العرب دنان و قيل إنما قال

لأول الحشر لأن الله فتح على نبيه ص فى أول ما قاتلهم عن يمان بن رباب «ما ظننتم أن يخرجوا» أى لم تظنوا أيها المؤمنون أنهم يخرجون من ديارهم لشدتهم وشوكتهم «و ظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله» أى وظن بنو النضير أن حصونهم لوثاقتها تمنعهم من سلطان الله وإنزال العذاب بهم على يد رسول الله ص حيث حصنوها وهياؤها آيات الحرب فيها «فأتاهم الله» أى فأتاهم أمر الله وعذابه «من حيث لم يحتسبوا» أى لم يتوهموا أن يأتيهم لما قدروا فى أنفسهم من المنع جعل الله سبحانه امتناعهم من رسوله امتناعا منه «وقذف فى قلوبهم الرعب» وألقى سبحانه فى قلوبهم الرعب بقتل سيدهم كعب بن الأشرف «يخرجون أيديهم بأيديهم» أى يهدمون بيوتهم بأيديهم من داخل ليهربوا لأنهم خربوا ما استحسنوا منها حتى لا يكون للمسلمين ويخربها المؤمنون من خارج ليصلوا إليهم عن الحسن وقيل أن معنى تخريبها بأيدي المؤمنين أنهم عرضوها لذلك عن الزجاج وقيل أنهم كانوا يخرجون بيوتهم بأيديهم بنقض الموادع وبأيدي المؤمنين بالمقاتلة «فاعتبروا يا أولى الأبصار» أى فاتعظوا يا أولى العقول والبصائر وتدبروا وانظروا فيما نزل بهم ومعنى الاعتبار النظر فى الأمور ليعرف بها شىء آخر من جنسها والمراد استدلوها بذلك على صدق الرسول إذ كان وعد المؤمنين أن الله سبحانه سيورثهم ديارهم وأموالهم بغير قتال فجاء المخبر على ما أخبر فكان آية داله على نبوته ولا دليل فى الآية على صحه القياس فى الشريعة لأن الاعتبار ليس من القياس فى شىء لما ذكرناه ولأنه لا سبيل لأهل القياس إلى العلم بالترجيح ولا يعلم كل من الفريقين عله الأصل للآخر فإن عله الربا عند أحدهما الكيل والوزن والجنس وعند الآخر الطعم والجنس وفى الدراهم والدينانير لأنهما جنس الأثمان وقال آخرون أشياء أخر وليس هذا باعتبار إذ لا سبيل إلى المعرفة به «ولو لا أن كتب الله عليهم الجلاء» أى حكم عليهم أنهم يجلبون عن ديارهم وينقلون عن أوطانهم «لعدبهم فى الدنيا» بعذاب الاستئصال أو القتل والسبى كما فعل بنى قريظه لأنه تعالى علم أن كلا الأمرين فى المصلحه سواء وقد سبق حكمه بالجلاء «ولهم فى الآخرة» مع الجلاء عن الأوطان «عذاب النار» لأن أحدا منهم لم يؤمن وقيل أن ذلك مشروط بالإصرار وترك التوبه «ذلك» الذى فعلنا بهم «بأنهم شاقوا الله» أى خالفوا الله «ورسوله» ثم توعد من حذا حذوهم وسلك سبيلهم فى مشاقه الله ورسوله فقال «ومن يشاق الله» أى يخالفه «فإن الله شديد العقاب» يعاقبهم على مشاقتهم أشد العقاب «ما قطعتم من لينة» أى نخله كريمه

من أنواع النخيل عن مجاهد و ابن زيد و قيل كل نخله سوى العجوه عن ابن عباس و قتاده «أَوْ تَرَكَتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أَصُولِهَا» فلم تقطعوها و لم تقلعوها «فَبِإِذْنِ اللَّهِ» أى بأمره كل ذلك سائغ لكم علم الله سبحانه ذلك و أذن فيه ليذل به أعداءه «وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ» من اليهود و يهينهم به لأنهم إذا رأوا عدوهم يتحكم فى أموالهم كان ذلك خزيا لهم.

ص: ٣٩٠

إشارة

وَ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَ لَا رِكَابٍ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يُسَيِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِأَهْلِ الْقُرَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَهُ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧) لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ أَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانًا وَ يَنْصُرُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَ الْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَ لَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَ يُوَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَ الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَ لِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَ لَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ (١٠)

القراءة

قرأ أبو جعفر كى لا تكون بالتاء دولة بالرفع و الباقون «يكون» بالياء «دولة» بالنصب.

الحجج

قال ابن جنى منهم من لا- يفصل بين الدولة و الدولة و منهم من يفصل بينهما فقال الدولة بالفتح للملك و الدولة بالضم فى الملك و تكون هنا هى التامه أى كى لا يقع دولة أو تحدث دولة و «بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ» إن شئت كانت صفه لدولة و إن شئت كانت متعلقه بنفس دولة أى تداولاً بين الأغنياء و إن شئت علققتها بنفس تكون أى لا يحدث بين الأغنياء منكم و إن شئت جعلتها كان الناقصه و جعلت بين خبرها و الأول أوجه و معناه كى لا تقع دولة فيه أو عليه يعنى على المفاء من عند الله.

اللغة

الفى ء رد ما كان للمشركين على المسلمين بتملكك الله إياهم ذلك على ما شرط فيه يقال فاء يفى ء فيئا إذا رجع و أفأته أنا عليه أى رددته عليه و الإيجاف الإيضاع و هو تسيير الخيل أو الركاب من وجف يجف و جيفا و هو تحرك باضطراب فالإيجاف الإزعاج للسير و الركاب الإبل و الخصاصه الإملاق و الحاجه و أصله الاختصاص و هو الانفراد بالأمر فكأنه انفراد الإنسان عما يحتاج إليه و قيل أصله الفرجه يقال للقمر بدا من خصاص الغيم أى فرجته و منه الخص البيت من القصب لما فيه من الفرج و الشح و البخل واحد و قيل أن الشح بخل مع حرص.

النزول

قال ابن عباس نزل قوله «ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى» الآية فى أموال كفار أهل القرى و هم قريظه و بنى النصير و هما بالمدينه و فدك و هى من المدينه على ثلاثه أميال و خيرى و قرى رينه و ينبع جعلها الله لرسوله يحكم فيها ما أراد و أخبر أنها

كلها له فقال أناس فهلا قسمها فنزلت الآية وقيل إن الآية الأولى بيان أموال بنى النضير خاصة لقوله «وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ» الآية والثانية بيان الأموال التي أصيبت بغير قتال وقيل إنها واحد والآية الثانية بيان قسم المال الذي ذكره الله في الآية الأولى وقال أنس بن مالك أهدى لبعض الصحابة رأس مشوى وكان مجهودا فوجه به إلى جار له فتداولته تسعه أنفس ثم عاد إلى الأول فنزل «وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ» الآية

وعن ابن عباس قال قال رسول الله ص يوم بنى النضير للأنصار أن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم و تشاركونهم في هذه الغنيمه وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شىء من الغنيمه فقال الأنصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمه ولا نشاركهم فيها

فنزلت «وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ» الآية

وقيل نزلت في سبعة عطشوا في يوم أحد فجىء بماء يكفى لأحدهم فقال واحد منهم ناول فلانا حتى طيف على سبعتهم و ماتوا ولم يشرب أحد منهم فأثنى الله سبحانه عليهم وقيل نزلت في رجل جاء إلى رسول الله ص فقال أطمعنى فإنى جائع فبعث إلى أهله فلم يكن عندهم شىء فقال من يضيفه هذه الليلة فأضافه رجل من الأنصار و أتى به منزله و لم يكن عنده إلا قوت صبيه له فأتوا بذلك إليه و أطفئوا السراج و قامت المرأة إلى الصبيه فعللتهم حتى ناموا و جعلوا يعضغان ألسنتهما لضيف رسول الله ص فظن الضيف أنهما يأكلان معه حتى شبع الضيف و باتا طاويين فلما أصبحا غدوا إلى رسول الله ص فنظر إليهما و تبسم و تلا عليهما هذه الآية و أما

الذى رويناها بإسناد صحيح عن أبى هريره أن الذى أضافه و نوم الصبيه و أطفأ السراج على (عليه السلام) و فاطمه (عليه السلام).

المعنى

ثم بين سبحانه حال أموال بنى النضير فقال «وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ» أى من اليهود الذين أجلاهم و إن كان الحكم ساريا فى جميع الكفار الذين حكمهم حكمهم «فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ» و الإيجاف دون التقريب و قيل الإيجاف فى الخيل و الإيضاع فى الإبل و قيل هما مستعملان فيهما جميعا أى فما أوجفتم عليه خيلا و لا إبلا و المعنى لم تسيروا إليها على خيل و لا إبل و إنما كانت ناحيه من المدينه مشيتم إليها مشيا و قوله «عَلَيْهِ» أى على ما أفاء الله و الركاب الإبل التى تحمل القوم واحدها راحله «وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ» أى يمكنهم من عدوهم من غير قتال بأن يقذف الرعب فى قلوبهم جعل الله أموال بنى النضير لرسوله خالصه يفعل بها ما يشاء فقسما رسول الله ص بين المهاجرين و لم يعط الأنصار منها شيئا إلا ثلاثه نفر كانت بهم حاجه و هم أبو دجانه و سهل بن حنيف و الحارث بن الصمه «وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ثم ذكر سبحانه حكم الفىء فقال «مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ» أى من أموال كفار أهل القرى «فَلِلَّهِ» يأمركم فيه بما أحب «وَاللِّرَسُولِ» بتمليك الله إياه «وَاللَّذَى الْقُرْبَىٰ» يعنى أهل بيت رسول الله و قرابته و هم بنو هاشم «وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ» منهم لأن التقدير و لذى قرباه و يتامى أهل بيته و مساكينهم و ابن السبيل منهم و

روى المنهال بن عمرو عن على بن الحسين (عليه السلام) قال قلت قوله «وَالَّذَى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ» قال هم قربانا و مساكينا و أبناء سبيلنا

و

قال جميع الفقهاء هم يتامى الناس عامه و كذلك المساكين و أبناء السبيل و قد روى أيضا ذلك عنهم (عليه السلام)

و روى محمد بن مسلم عن أبى جعفر (عليه السلام) أنه قال كان أبى يقول لنا سهم رسول

الله ص و سهم ذى القربى و نحن شركاء الناس فيما بقى

و الظاهر يقتضى أن ذلك لهم سواء كانوا أغنياء أو فقراء و هو مذهب الشافعى و قيل إن مال الفى ء للفقراء من قرابه رسول الله ص و هم بنو هاشم و بنو المطلب

و روى عن الصادق (عليه السلام) أنه قال نحن قوم فرض الله طاعتنا و لنا الأنفال و لنا صفو المال يعنى ما كان يصطفى لرسول الله ص من فره الدواب و حسان الجوارى و الدرر الثمينه و الشى ء الذى لا نظير له

ثم بين سبحانه أنه لم فعل ذلك فقال «كَيْ لَا يَكُونَ دُولَهُ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ» و الدوله اسم للشى ء الذى يتداوله القوم بينهم يكون لهذا مره و لهذا مره أى لثلا يكون الفى ء متداولاً بين الرؤساء منكم يعمل فيه كما كان يعمل فى الجاهليه و هذا خطاب للمؤمنين دون الرسول و أهل بيته (عليه السلام) قال الكلبي نزلت فى رؤساء المسلمين قالوا له يا رسول الله خذ صفيك و الربع و دعنا و الباقي فهكذا كنا نفعل فى الجاهليه و أنشدوا:

لك المرباع منها و الصفايا و حكمك و النشيطة و الفضول.

فنزلت الآيه فقالت الصحابه سمعا و طاعه لأمر الله و أمر رسوله ثم قال سبحانه «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» أى ما أعطاكم الرسول من الفى ء فخذوه و ارضوا به و ما أمركم به فافعلوه و ما نهاكم عنه فانتهوا عنه فإنه لا يأمر و لا ينهى إلا عن أمر الله و هذا عام فى كل ما أمر به النبى ص و نهى عنه و إن نزل فى آيه الفى ء

و روى زيد الشحام عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال ما أعطى الله نبيا من الأنبياء شيئا إلا و قد أعطى محمدا ص قال لسليمان فَاْمُنْ أَوْ أْمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ و قال لرسول الله ص «مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا»

«وَأَتَّقُوا اللَّهَ» فى ترك المعاصى و فعل الواجبات «إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» لمن عصاه و ترك أوامره و فى هذه الآيه إشارة إلى أن تدبير الأمه إلى النبى ص و إلى الأئمه القائمين مقامه و لهذا قسم رسول الله ص أموال خبير و من عليهم فى رقابهم و أجلى بنى النضير و بنى قينقاع و أعطاهم شيئا من المال و قتل رجال بنى قريظه و سبى ذراريهم و نساءهم و قسم أموالهم على المهاجرين و من على أهل مكه ثم قال سبحانه «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ» الذين هاجروا من مكه إلى المدينه و من دار الحرب إلى دار الإسلام «الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ أَمْوَالِهِمْ» التى كانت لهم «يَبْتَغُونَ» أى يطلبون «فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانًا وَ يَنْصُرُونَ اللَّهَ» أى و ينصرون دين الله «وَ رَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» فى الحقيقه عند الله العظيم المنزله عنده قال الزجاج بين سبحانه من المساكين الذين لهم الحق فقال «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ أَمْوَالِهِمْ» ثم ثنى سبحانه بوصف الأنصار و مدحهم حتى

طابت أنفسهم عن الفى ء فقال «وَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ» يعنى المدينة و هى دار الهجره تبوأها الأنصار قبل المهاجرين و تقدير الآيه و الذين تبوأوا الدار من قبلهم «وَ الْإِيمَانَ» لأن الأنصار لم يؤمنوا قبل المهاجرين و عطف الإيمان على الدار فى الظاهر لا فى المعنى لأن الإيمان ليس بمكان يتبوأ و التقدير و آثروا الإيمان و قيل «مِنْ قَبْلِهِمْ» أى من قبل قدوم المهاجرين عليهم و قيل معناه قبل إيمان المهاجرين و المراد به أصحاب ليله العقبه و هم سبعون رجلا- بايعوا رسول الله ص على حرب الأبيض و الأحمر «يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ» لأنهم أحسنوا إلى المهاجرين و أسكنوهم دورهم و أشركوهم فى أموالهم «وَ لَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا» أى لا- يجدون فى قلوبهم حسدا و حزازة و غيظا مما أعطى المهاجرون دونهم من مال بنى النضير «وَ يُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ» أى و يؤثرون المهاجرين و يقدمونهم على أنفسهم بأموالهم و منازلهم «وَ لَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ» أى فقر و حاجه بين سبحانه أن إيثارهم لم يكن عن غنى عن المال و لكن كان عن حاجه فىكون ذلك أعظم لأجرهم و ثوابهم عند الله و يروى أن أنس بن مالك كان يحلف بالله تعالى ما فى الأنصار بخيل و يقرأ هذه الآيه «وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ» أى و من يدفع عنه و يمنع عنه بخل نفسه «فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» أى المنجحون الفائزون بثواب الله و نعيم جنته و قيل من لم يأخذ شيئا نهاه الله عنه و لم يمنع شيئا أمره الله بأدائه فقد وقى شح نفسه عن ابن زيد و قيل شح النفس هو أخذ الحرام و منع الزكاه عن سعيد بن جبير

و فى الحديث لا يجتمع الشح و الإيمان فى قلب رجل مسلم و لا يجتمع غبار فى سبيل الله و دخان جهنم فى جوف رجل مسلم

و قيل فى موضع قوله «وَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ» قولان (أحدهما) أنه رفع على الابتداء و خبره «يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ» إلى آخره لأن النبى ص لم يقسم لهم شيئا من الفى ء إلا- لرجلين أو لثلاثة على اختلاف الروايه فيه (و الآخر) أنه فى موضع جر عطفًا على الفقراء المهاجرين و على هذا فىكون قوله «يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ» و ما بعده فى موضع نصب على الحال ثم ثلث سبحانه بوصف التابعين فقال «وَ الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ» يعنى من بعد المهاجرين و الأنصار و هم جميع التابعين لهم إلى يوم القيامة عن الحسن و قيل هم كل من أسلم بعد انقطاع الهجره و بعد إيمان الأنصار عن الأصم و أبى مسلم و الظاهر أن المراد و الذين خلفوهم و يجوز أن يكون المراد من بعدهم فى الفضل و قد يعبر بالقبل و البعد عن الفضل

كقول النبى ص نحن الآخرون السابقون

أى الآخرون فى الزمان السابقون فى الفضل «يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَ لِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ» أى

يدعون و يستغفرون لأنفسهم و لمن سبقهم بالإيمان «وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا» أى حقدا و غشا و عداوه سألوا الله سبحانه أن يزيل ذلك بلطفه و هاهنا احتراز لطيف و هو أنهم أحسنوا الدعاء للمؤمنين و لم يرسلوا القول إرسالا- و المعنى أعصمنا ربنا من إرادته السوء بالمؤمنين و لا شك أن من أبغض مؤمنا و أراد به السوء لأجل إيمانه فهو كافر و إذا كان لغير ذلك فهو فاسق «رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ» أى متعطف على العباد منعم عليهم.

[سوره الحشر (٥٩): الآيات ١١ الى ١٥]

أشاره

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَصَرُوهُمْ لَيُولِيَنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (١٢) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٣) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (١٤) كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٥)

القراءة

قرأ ابن كثير و أبو عمرو من وراء جدار على التوحيد و الباقون «مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ» على الجمع و فى الشواذ قراءة أبى رجاء و أبى حيه جدر بسكون الدال.

الحجه

قال أبو على المعنى فى الجمع أنهم لا- يصحرون معكم للقتال و لا يبرزون لكم و لا يقاتلونكم حتى يكون بينكم و بينهم حاجز من حصن أو سور فإذا كان كذلك فالمعنى على الجمع إذ ليس المعنى أنهم يقاتلونهم من وراء جدار واحد و لكن من وراء جدر كما لا

يقاتلونكم إلا- فى قرى محصنه فكما أن القرى جماعه كذلك الجدر ينبغى أن تكون جمعا فكان المراد فى الأفراد الجمع لأنه يعلم أنهم لا يقاتلونهم من وراء جدار واحد قال ابن جنى و يجوز أن يكون جدار تكسير جدار فتكون ألف جدار فى الواحد كألف كتاب و فى الجمع كألف ضرام و كرام و مثله ناقه هجان و نوق هجان و درع دلاص و أدرع دلاص قال و مثله قوله سبحانه وَ اجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا يكون إمام على ما شرحناه.

الإعراب

«لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ» أى من رهبتهم من الله فحذف.

«كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» أى مثلهم كمثل الذين من قبلهم فحذف المبتدأ و كذلك قوله كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ.

المعنى

لما وصف سبحانه المهاجرين الذين هاجروا الديار و الأوطان ثم مدح الأنصار الذين تبوؤا الدار و الإيمان ثم ذكر التابعين بإحسان و ما يستحقونه من النعيم فى الجنان عقب ذلك بذكر المنافقين و ما أسروه من الكفر و العصيان فقال «أَلَمْ تَرَ» يا محمد «إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا» فأبطنوا الكفر و أظهروا الإيمان «يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ» فى الكفر «الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» يعنى يهود بنى النضير «لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ» من دياركم و بلادكم «لَنُخْرِجَنَّ مَعَكُمْ» مساعدين لكم «وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ» أى فى قتالكم و مخاصمتكم «أَحَدًا أَبَدًا» يعنون محمدا ص و أصحابه و وعدوهم النصر بقولهم «وَأِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ» أى لندفعن عنكم ثم كذبهم الله فى ذلك بقوله «وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» فيما يقولونه من الخروج معهم و الدفاع عنهم ثم أخبر سبحانه أنهم يخلفونهم ما وعدوه من النصر و الخروج بقوله «لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَ لَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَ لَئِنْ نَصَرُوهُمْ» أى و لئن قدر وجود نصرهم لأن ما نفاه الله تعالى لا يجوز وجوده «لَيُؤَلِّقَنَّ الْأَذْبَارَ» أى ينهزمون و يسلمونهم و قيل معناه لئن نصرهم من يفى منهم لولوا الأدبار فعلى هذا لا تنافى بين قوله «لَا يَنْصُرُونَهُمْ» و قوله «لَئِنْ نَصَرُوهُمْ» فقد أخبر الله تعالى فى هذه الآية عما لا يكون منهم أن لو كان كيف كان يكون «ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ» أى و لو كان لهم هذه القوه و فعلوا لم ينتفع أولئك بنصرتهم نزلت الآية قبل إخراج بنى النضير و أخرجوا بعد ذلك و قوتلوا فلم يخرج معهم منافق و لم ينصروهم كما أخبر الله تعالى بذلك و قيل أراد بقوله «لِإِخْوَانِهِمْ» بنى النضير و بنى قريظه فأخرج بنو النضير و لم يخرجوا معهم و قوتل بنو قريظه فلم ينصروهم ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال «لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً» أى خوفا «فِي صُدُورِهِمْ» أى فى قلوب هؤلاء المنافقين «مِنَ اللَّهِ» المعنى أن خوفهم منكم أشد من خوفهم من الله لأنهم يشاهدونكم و يعرفونكم و لا يعرفون الله و هو قوله

«ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ» الحق ولا يعلمون عظمه الله و شدة عقابه «لَا يُقَاتِلُونَكُمْ» معاشر المؤمنين «جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ» أى ممتنعه حصينه المعنى أنهم لا يبرزون لحربكم و إنما يقاتلونكم متحصنين بالقرى «أَوْ مِنْ وَرَاءِ حُدُودٍ» أى يرمونكم من وراء الجدران بالنبل و الحجر «بِأَسْئِهِمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ» أى عداوه بعضهم لبعض شديده يعنى أنهم ليسوا بمتفقى القلوب و قيل معناه قوتهم فيما بينهم شديده فإذا لا قوكم جنوا و يفرعون منكم بما قذف الله فى قلوبهم من الرعب «تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً» أى مجتمعين فى الظاهر «وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى» أى مختلفه متفرقه خذلهم الله باختلاف كلمتهم و قيل إنه عنى بذلك قلوب المنافقين و أهل الكتاب عن مجاهد «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ» ما فيه الرشد مما فيه الغى و إنما كان قلوب من يعمل بخلاف العقل شتى لاختلاف دواعيهم و أهوائهم و داعى الحق واحد و هو العقل الذى يدعو إلى طاعه الله و الإحسان فى الفعل «كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً» أى مثلهم فى اغترارهم بعددهم و بقوتهم و بقول المنافقين كمثل الذين من قبلهم يعنى المشركين الذين قتلوا بدر و ذلك قبل غزاه بنى النضير لسته أشهر عن الزهرى و غيره و قيل إن الذين من قبلهم قريبا هم بنو قينقاع عن ابن عباس و ذلك أنهم نقضوا العهد مرجع رسول الله ص من بدر فأمرهم رسول الله ص أن يخرجوا و قال عبد الله بن أبى لا- تخرجوا فإنى آتى النبى ص فأكلمه فيكم أو أدخل معكم الحصن فكان هؤلاء أيضا فى إرسال عبد الله بن أبى إليهم ثم ترك نصرتهم كأولئك «ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ» أى عقوبه كفرهم «وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» فى الآخرة.

إشارة

كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (١٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَانْتَظِرُوا نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠)

اللغة

أصل غد غدو إلا أنه لم يأت في القرآن إلا محذوف الواو وجاء في الشعر بحذف الواو وإثباتها:

و ما الناس إلا كالديار و أهلها بها حلوها و غدوا بلاقع

و قال آخر:

لا تقلوها و ادلواها دلوا إن مع اليوم أحاها غدوا.

المعنى

ثم ضرب سبحانه لليهود والمنافقين مثلاً فقال «كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ» أي مثل المنافقين في غرورهم لبني النضير و خذلانهم إياهم كمثل الشيطان «إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ» و هو عابد بنى إسرائيل عن ابن عباس قال إنه كان في بنى إسرائيل عابد اسمه برصيصة عبد الله زمانا من الدهر حتى كان يؤتى بالمجانين يداويهم و يعوذهم فيبرءون على يده و أنه أتى بامرأه في شرف قد جنت و كان لها إخوة فأتوه بها فكانت عنده فلم يزل به الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت فلما استبان حملها قتلها و دفنها فلما فعل ذلك ذهب الشيطان حتى لقي أحد إخوتها فأخبره بالذي فعل الراهب و أنه دفنها في مكان كذا ثم أتى بقيه إخوتها رجلا رجلا فذكر ذلك له فجعل الرجل يلقي أخاه فيقول و الله لقد أتاني آت فذكر لي شيئا يكبر على ذكره فذكر بعضهم لبعض حتى بلغ ذلك ملكهم فسار الملك و الناس فاستنزله فأقر لهم بالذي فعل فأمر به فصلب فلما رفع على خشبته تمثل له الشيطان فقال أنا الذي ألقىتك في هذا فهل أنت مطيعي فيما أقول لك أخلصك مما أنت فيه قال نعم قال اسجد لي سجده واحده فقال كيف أسجد لك و أنا على هذه الحالة فقال أكتفى منك بالإيماء فأومى له بالسجود فكفر بالله و قتل الرجل فهو قوله «كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ» ضرب الله هذه القصة لبني النضير حين اغتروا بالمنافقين ثم تبرأوا منهم عند الشدة

وأسلموهم وقيل أراد كمثل الشيطان يوم بدر إذ دعا إلى حرب رسول الله ص فلما رأى الملائكة رجع القهقري وقال إني أخاف الله وقيل أراد بالشيطان والإنسان اسم الجنس لا المعهود فإن الشيطان أبدا يدعو الإنسان إلى الكفر ثم يتبرأ منه وقت الحاجة عن مجاهد وإنما يقول الشيطان «إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ» يوم القيامة ثم ذكر سبحانه أنهما صارا إلى النار بقوله «فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا» يعنى عاقبه الفريقين الداعي والمدعو من الشيطان و من أغواه من المنافقين و اليهود أنهما معذبان فى النار «وَ ذَلِكُمْ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ» أى و ذلك جزاؤهم ثم رجع إلى موعظه المؤمنين فقال سبحانه «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ» يعنى ليوم القيامة و المعنى لينظر كل امرئ ما الذى قدمه لنفسه أ عملا صالحا ينجيه أم سيئا يوبقه و يرديه فإنه وارد عليه قال قتاده إن ربكم قرب الساعة حتى جعلها كغد و أمركم بالتدبر و التفكير فيما قدمتم «وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» إنما كرر الأمر بالتقوى لأن الأولى للتوبه عما مضى من الذنوب و الثانيه أ المعاصى فى المستقبل و قيل إن الثانيه تأكيد للأولى «وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ» أى تركوا أداء حق الله «فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ» بأن حرمهم حظوظهم من الخير و الثواب و قيل نسوا الله بترك ذكره بالشكر و التعظيم فأنساهم أنفسهم بالعذاب الذى نسى به بعضهم بعضا كما قال فسلموا على أنفسكم أى ليسلم بعضكم على بعض عن الجبائى و يريد به بنى قريظه و بنى النضير و بنى قينقاع عن ابن عباس «أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» الذين خرجوا من طاعة الله إلى معصيته «لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ» أى لا يتساويان لأن هؤلاء يستحقون النار و أولئك يستحقون الجنة «أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ» بثواب الله الظافرون بطلبتهم.

إشارة

لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاسٍ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤)

فضلها

عن أنس بن مالك عن النبي ص قال من قرأ آخر سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر

و عن معقل بن يسار أن رسول الله ص قال من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله من الشيطان الرجيم و قرأ ثلاث آيات من آخر الحشر و كل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي فإن مات في ذلك اليوم مات شهيدا و من قاله حين يمسي كان بتلك المنزله

و عن أبي هريره قال سألت حبيبي رسول الله ص عن اسم الله الأعظم فقال عليك بآخر سورة الحشر و أكثر قراءتها فأعدت عليه فأعاد على

و عن أبي أمامه عن النبي ص قال من قرأ خواتيم الحشر من ليل أو نهار فقبض في ذلك اليوم أو الليله فقد أوجبت له الجنة

و عن أنس عن النبي ص قال من قرأ «لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ» إلى آخرها فمات من ليلته مات شهيدا.

اللغة

التصدع التفرق بعد التلاؤم و مثله التفطر يقال صدعه يصدعه صدعا و منه الصداع في الرأس و القدوس المعظم بتطهير صفاته من أن تدخلها صفة نقص قال ابن جنى ذكر سيبويه في الصفة السبوح و القدوس بالضم و الفتح و إنما باب الفعول الاسم كشبوط و سمور و تنور و سفود و المهيمن أصله مؤيمن على مفعيل من الأمانه فقلبت الهمزة هاء فخم اللفظ بها لتفخيم المعنى.

المعنى

ثم عظم سبحانه حال القرآن فقال «لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» تقديره لو كان الجبل مما ينزل عليه القرآن و يشعر به مع غلظه و جفاء طبعه و كبر جسمه لخشع لمنزله و تصدع من خشية الله تعظيما لشأنه فالإنسان أحق بهذا لو عقل الأحكام التي فيه و قيل معناه لو كان الكلام ببلاغته يصدع الجبل لكان هذا القرآن يصدعه و قيل إن المراد به ما يقتضيه الظاهر بدلاله قوله وَ إِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ و هذا وصف للكافر بالقسوه حيث لم يكن قلبه لمواعظ القرآن الذي

لو نزل على جبل لتخشع و يدل على أن هذا تمثيل قوله «وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» أى ليتفكروا و يعتبروا ثم أخبر سبحانه بربوبيته و عظمته فقال «هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» أى هو المستحق للعباده الذى لا تحق العباده إلا له «عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ» أى عالم بما يشاهده العباد و عالم بما يغيب عنهم علمه و قيل «عَالِمِ الْغَيْبِ» معناه عالم بما لا يقع عليه الحس من

المعدوم و الموجود الذى لا- يدرك مما هو غائب عن الحواس كأفعال القلوب و غيرها و الشهاده أى عالم بما يصح عليه الإدراك بالحواس و قيل معناه عالم السر و العلانيه عن الحسن و فى هذا وصفه سبحانه بأنه عالم بجميع المعلومات لأنها لا تعدو هذين القسمين و

عن أبى جعفر (عليه السلام) قال الغيب ما لم يكن و الشهاده ما كان

«هُوَ الرَّحْمَنُ» أى المنعم على جميع خلقه «الرَّحِيمُ» بالمؤمنين ثم أعاد سبحانه قوله «هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ» يعنى السيد المالك لجميع الأشياء الذى له التصرف فيها على وجه ليس لأحد منعه منه و قيل هو الواسع القدره «الْقُدُّوسُ» أى الطاهر من كل عيب و نقص و آفه المنزه عن القبائح و قيل هو المطهر عن الشريك و الولد لا يوصف بصفات الأجسام و لا بالتجزئه و الانقسام و قيل هو المبارك الذى تنزل البركات من عنده عن الحسن «السَّلَامُ» أى الذى سلم عباده من ظلمه و قيل هو المسلم من كل عيب و نقص و آفه و قيل هو الذى من عنده ترجى السلامه عن الجبائى و هو اسم من السلامه و أصله مصدر فهو مثل الجلال و الجلاله «الْمُؤْمِنُ» الذى آمن خلقه من ظلمه لهم إذ قال لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ عن ابن عباس و قيل الذى آمن بنفسه قبل إيمان خلقه به عن الحسن و أشار إلى قوله «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» الآية و المعنى أنه بين لخلق توحيد و إلهيته بما أقام لهم من الدلائل و قيل معناه المصدق لما وعد المحقق له كالمؤمن الذى يصدق قوله فعلة و قيل هو الذى آمن أولياءه عذابه و قيل هو الداعى إلى الإيمان الأمر به الموجب لأهله اسمه عن أبى مسلم «الْمُهَيِّمُ» أى الأمين حتى لا يضيع لأحد عنده حق عن ابن عباس و الضحاك و الجبائى و قيل هو الشاهد عن مجاهد و قتاده كأنه شهيد على إيمان من آمن به و قيل هو المؤمن فى المعنى لأن أصله المؤيمن إلا أنه أشد مبالغه فى الصفه و قيل هو الرقيب على الشىء يقال هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان رقيباً على الشىء «الْعَزِيزُ» أى القادر الذى لا يصح عليه القهر و قيل هو المنيع الذى لا يرام و لا يمتنع عليه مرام «الْجَبَّارُ» و هو العظيم الشأن فى الملك و السلطان و لا- يستحق أن يوصف به على هذا الإطلاق إلا- الله تعالى فإن وصف به العباد فإنما يوضع اللفظ فى غير موضعه و يكون ذماً و قيل هو الذى يذل له من دونه و لا تناله يد و قيل هو الذى يقهر الناس و يجبرهم على ما أراد عن السدى و مقاتل و هو اختيار الزجاج فيكون من جبره على كذا إذا أكرهه و قيل هو الذى يجبر الفقير من قولهم جبر الكسير إذا أصلحه عن واصل بن عطا «الْمُتَكَبِّرُ» أى المستحق لصفات التعظيم و قيل هو الذى يكبر عن كل سوء عن قتاده و قيل هو المتعالى عن صفات المحدثين المتعظم عما لا

يليق به «سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ» أى تنزيها له عما يشرك به المشركون من الأصنام وغيرها «هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ» للأجسام و الأعراض المخصوصه و قيل المقدر للأشياء بحكمته المحدث للأشياء على إرادته «الْبَارِئُ» المنشئ للخلق الفاعل للأجسام و الأعراض «الْمُصَوِّرُ» الذى صور الأجسام على اختلافها مثل الحيوان و الجماد «لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى» نحو الله الرحمن الرحيم القادر العالم الحى و قد مر بيانه فى سوره الأعراف «يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى ينزهه جميع الأشياء فالحى يصفه بالتنزيه و الجماد يدل على تنزيهه «وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»

و روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله ص اسم الله الأعظم فى ست آيات فى آخر سوره الحشر.

ص: ٤٠٢

(٦٠) سورة الممتحنه مدنيه و آياتها ثلاث عشره (١٣)

اشاره

[توضيح]

وقيل سورة الامتحان وقيل سورة الموده مدنيه و هي ثلاث عشره آيه بالإجماع.

فضلها

أبى بن كعب قال قال رسول الله ص و من قرأ سورة الممتحنه كان المؤمنون و المؤمنات له شفعاء يوم القيامة.

أبو حمزه الثمالى عن على بن الحسين (عليه السلام) قال من قرأ سورة الممتحنه فى فرائضه و نوافله امتحن الله قلبه للإيمان و نور له بصره و لا يصيبه فقرا أبدا و لا جنون فى ولده و لا فى بدنه.

تفسيرها

وجه اتصالها بما قبلها أنه لما ذكر سبحانه فى سورة الحشر الكفار و المنافقين افتتح هذه السوره بذكر تحريم موالاتهم و إيجاب معاداتهم فقال:

ص: ٤٠٣

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عِدُوِّي وَعِدْوَكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِنْ يَتَّقُوكُمْ يُكَفِّرُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَنْسِيْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّيْسَ تَنْتَهُمُ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا - أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣) قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْنِكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤)

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفُ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥)

القراءة

قرأ أهل الحجاز و أبو عمرو يفصل بينكم بضم الياء و فتح الصاد على التخفيف و قرأ أهل الكوفة غير عاصم يفصل بضم الياء و كسر الصاد مشددا و قرأ عاصم و يعقوب و سهل «يَفْصِلُ» بفتح الياء و كسر الصاد مخففا و قرأ ابن عامر يفصل بضم الياء و فتح الصاد مشددا و فى الشواذ قراءه عيسى بن عمرو إنا براء منكم على مثال فعال.

الحج

قال أبو على ذهب أبو الحسن فى هذا النحو [إلى] أن الظرف أقيم مقام الفاعل و ترك على الفتح الذى كان يجرى عليه فى الكلام لجره فى أكثر الكلام منصوبا و كذلك تقول فى قوله «وَ أَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ» و كذلك يجىء قياس قوله لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ فَاللفظ على قوله مفتوح و الموضع رفع كما كان اللفظ فى قوله وَ كَفَى بِاللَّهِ* و ما جاءنى من رجل مجرورا و الموضع رفع و القول فى قراءه ابن عامر يفصل مثل القول فى يفصل و قول عاصم «يَفْصِلُ» حسن و الضمير يرجع إلى اسم الله تعالى و دل عليه قوله «وَ أَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ» و كذلك قول من قرأ يفصل و برىء فى تكسيره أربعة أوجه برآء كالشريف و الشرفاء و هو قراءه الجماعة و براء نحو ظريف و ظراف و أبرياء كصديق و أصدقاء و براء كتؤام و رباب

و عليه بيت الحارث بن حلزہ:

"فإننا من قتلهم لبراء"

قال الفراء أراد به براء فحذف الهمزة التي هي لام تخفيفا وأخذ هذا الموضع من أبي الحسن في قوله إن أشياء أصله أشيئا و هذا المذهب يوجب ترك صرف براء لأنها همزة التأنيث.

الإعراب

ذهب الزجاج إلى أن التقدير إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي فلا تتخذوا عدوى و عدوكم أولياء و قيل إن الكلام قد تم عند قوله «أولياء» ثم قال «تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ» على تقدير أ تلقون فحذف الهمزة كقوله وَ تِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ و تقديره أ و تلك نعمه و قيل إن قوله «تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ» في موضع النصب على الحال من الضمير في لا تتخذوا و الباء مزيدة و التقدير تلقون إليهم المودة كما قال الشاعر:

فلما رجت بالشرب هز لها العصا شحيح له عند الإزاء نهيم

أى رجت الشرب و يجوز أن يكون مفعول تلقون محذوفا و الباء تتعلق به أى تلقون إليهم ما تريدون بالمودة التي بينكم و بينهم و قد كفروا جملة في موضع نصب على الحال من العدو أو من الهاء و الميم في قوله «تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ» و إياكم منصوب بالعطف على الرسول «إِنَّ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ» جواب الشرط محذوف لدلاله ما تقدمه من الكلام عليه أى إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي فلا تتخذوا عدوى و عدوكم أولياء و جهادا مفعول له أى للجهاد و يجوز أن يكون مصدرا وضع موضع الحال و ابتغاء مرضاتي معطوف عليه على الوجهين و التقدير للحال خرجتم مجاهدين في سبيلي مبتغين مرضاتي. وحده يجوز أن يكون مصدرا محذوف الزوائد و التقدير توحده توحيدا أو توحده إيحادا فيكون مصدرا وضع موضع الحال و يجوز أن يكون مصدر فعل ثلاثى تقديره يحد وحده و التقدير حتى تؤمنوا بالله واحدا. «إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ» منصوب على الاستثناء و المستثنى منه الضمير المستكن فيما يتعلق به اللام في قوله «فَدَ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» و التقدير ثبتت لكم في إبراهيم إلا في قوله «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ».

النزول

نزلت في حاطب بن أبى بلتعہ و ذلك أن ساره مولاه أبى عمرو بن صيفى بن هشام أتت رسول الله ص من مكه إلى المدينة بعد بدر بسنتين فقال لها رسول الله ص أ مسلمه جئت قالت لا- قال أ مهاجره جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الأصل و العشيره و الموالى و قد ذهب موالى و احتجت حاجه شديده فقدمت عليكم لتعطونى و تكسونى

و تحملونى قال فأين أنت من شبان مكة و كانت مغنيه نائحه قالت ما طلب منى بعد وقعه بدر فحث رسول الله ص عليها بنى عبد المطلب فكسوها و حملوها و أعطوها نفقه و كان رسول الله ص يتجهز لفتح مكة فأناها حاطب بن أبى بلتعه و كتب معها كتابا إلى أهل مكة و أعطها عشرة دنانير عن ابن عباس و عشرة دراهم عن مقاتل بن حيان و كساها بردا على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة و كتب فى الكتاب: من حاطب بن أبى بلتعه إلى أهل مكة أن رسول الله ص يريدكم فخذوا حذرکم فخرجت ساره و نزل جبرائيل فأخبر النبى ص بما فعل فبعث رسول الله ص عليا و عمارا و عمر و الزبير و طلحه و المقداد بن الأسود و أبا مرثد و كانوا كلهم فرسانا و قال لهم انطلقوا حتى تأتوا روضه خاخ فإن بها طعینه معها كتاب من حاطب إلى المشركين فخذوه منها فخرجوا حتى أدرکوها فى ذلك المكان الذى ذكره رسول الله ص فقالوا لها أين الكتاب فحلفت بالله ما معها من كتاب فنحوها و فتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال على (عليه السلام) و الله ما كذبنا و لا كذبنا و سل سيفه و قال لها أخرجى الكتاب و إلا و الله لأضربن عنقك فلما رأته الجذ أخرجته من ذؤابتها قد أخبأته فى شعرها فرجعوا بالكتاب إلى رسول الله ص فأرسل إلى حاطب فأناها فقال له هل تعرف الكتاب قال نعم قال فما حملك على ما صنعت قال يا رسول الله و الله ما كفرت منذ أسلمت و لا غششتك منذ نصحتك و لا أحببتهم منذ فارقتهم و لكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا و له بمكة من يمنع عشيرته و كنت عريرا فيهم أى غريبا و كان أهلى بين ظهرانيتهم فخشيت على أهلى فأردت أن أتخذ عندهم يدا و قد علمت أن الله ينزل بهم بأسه و أن كتابى لا يغنى عنهم شيئا فصدقه رسول الله ص و عذره فقام عمر بن الخطاب و قال دعنى يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله ص و ما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر فغفر لهم فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم

و روى البخارى و مسلم فى صحيحيهما عن عبد الله بن أبى رافع قال سمعت عليا (عليه السلام) يقول بعثنا رسول الله ص أنا و المقداد و الزبير و قال انطلقوا حتى تأتوا روضه خاخ فإن بها طعینه معها كتاب فخرجنا و ذكر نحوه.

المعنى

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عِدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ» خاطب سبحانه المؤمنين و نهاهم أن يتخذوا الكافرين أولياء يوالونهم و يستنصرون بهم و ينصرونهم «تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ» أى تلقون إليهم الموده و تبدلون لهم النصيحة يقال ألقيت إليك بسرى و قيل معناه تلقون إليهم أخبار رسول الله ص بالموده التى بينكم و بينهم عن الزجاج «وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ» و هو القرآن و الإسلام «يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ» من مكة «أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ» أى لأن تؤمنوا أو كراهه أن تؤمنوا فكأنه قال يفعلون ذلك لإيمانكم بالله

ربكم الذى خلقكم «إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي» والمعنى أن كان غرضكم فى خروجكم و هجرتكم الجهاد و طلب رضاي فأوفوا خروجكم حقه من معاداتهم و لا تلقوا إليهم بالموده و لا تتخذوهم أولياء «تَسِيرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ» أى تعلمونهم فى السر أن بينكم و بينهم موده و قيل الباء للتعليل أى تعلمونهم بأحوال الرسول فى السر بالموده التى بينكم و بينهم فعل من يظن أنه يخفى على ما يفعله «وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ» لا يخفى على شىء من ذلك فأطلع رسولى عليه «وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ» أى و من أسر إليهم بالموده و ألقى إليهم أخبار رسولى منكم يا جماعة المؤمنين بعد هذا البيان «فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ» أى عدل عن طريق الحق و جار عن سبيل الرشد و فى هذه الآية دلالة على أن الكبيره لا تخرج عن الإيمان لأن أحد من المسلمين لا يقول إن حاطبا قد خرج من الإيمان بما فعله من الكبيره الموبقه «إِنْ يَتَّقُواكُمْ» يعنى أن هؤلاء الكفار أن يصادفوكم مقهورين و يظفروا بكم «يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ» أى يمدوا إليكم أيديهم بالضرب و القتل و يبسطوا إليكم ألسنتهم بالشتم و المعنى أنهم يعادونكم و لا- ينفعكم ما تلقون إليهم و لا يتركون غايه فى إلحاق السوء بكم باليد و اللسان «وَوَدُّوا» مع ذلك «لَوْ تَكْفُرُونَ» بالله كما كفروا و ترجعون عن دينكم «لَنْ تَنْفَعَكُم أَرْحَامُكُمْ» أى ذوو أرحامكم و المعنى قراياتكم «وَلَا- أَوْلَادُكُمْ» أى لا يحملنكم قراياتكم و لا أولادكم التى بمكه على خيانه النبى ص و المؤمنين فلن ينفعكم أولئك الذين عصيتهم الله لأجلهم «يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ» الله «بَيْنَكُمْ» فيدخل أهل الإيمان و الطاعة الجنة و أهل الكفر و المعصيه النار و يميز بعضكم من بعض ذلك اليوم فلا يرى القريب المؤمن فى الجنة قريبه الكافر فى النار و قيل معناه يقضى بينكم من فصل القضاء «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» أى عليم بأعمالكم علم الله سبحانه بما عمله حاطب من مكاتبه أهل مكه حتى أخبر نبيه ص بذلك ثم ضرب سبحانه لهم إبراهيم مثلا فى ترك موالاه الكفار فقال «قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» أى اقتداء حسن «فِي إِبْرَاهِيمَ» خليل الله «وَالَّذِينَ مَعَهُ» ممن آمن به و اتبعه و قيل الذين معه من الأنبياء عن ابن زيد «إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ» الكفار «إِنَّا بِرَأْوَا مِنْكُمْ» فلا نواليكم «وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» أى و براء من الأصنام التى تعبدونها و يجوز أن يكون ما مصدره فيكون المعنى و من عبادتكم الأصنام «كَفَرْنَا بِكُمْ» أى يقولون لهم جحدنا دينكم و أنكرنا معبودكم «وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا» فلا يكون بيننا موالاه فى الدين «حَتَّى تُوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ» أى تصدقوا بوحدانيه الله و إخلاص التوحيد و العباده له قال الفراء يقول الله تعالى أ فلا- تأتسى يا حاطب بإبراهيم و قومه ف تبرأ من أهلك كما تبرؤا منهم أى من قومهم الكفار «إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ» أى اقتدوا بإبراهيم فى كل أموره

إلا فى هذا القول فلا تقتدوا به فيه فإنه ع إنما استغفر لأبيه عن موعده وعدها إياه بالإيمان فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه قال الحسن و إنما تبين له ذلك عند موت أبيه و لو لم يستثن ذلك لظن أنه يجوز الاستغفار للكفار مطلقاً من غير موعده بالإيمان منهم فنهوا أن يقتدوا به فى هذا خاصة عن مجاهد و قتاده و ابن زيد و قيل كان آزر ينافق إبراهيم و يريه أنه مسلم و يعده إظهار الإسلام فيستغفر له عن الحسن و الجبائى ثم قال «وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ» إذا أراد عقابك و لا يمكننى دفع ذلك عنك «رَبَّنَا عَلَيْنَا نَجَاتُكَ» أى و كانوا يقولون ذلك «وَإِلَيْكَ أُنَبِّئُ» أى إلى طاعتك رجعنا «وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» أى إلى حكمك المرجع و هذه حكاية لقول إبراهيم و قومه و يحتمل أن يكون تعليماً لعباده أن يقولوا ذلك فيفوضوا أمورهم إليه و يرجعون إليه بالتوبه «رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا» معناه لا تعذبنا بأيديهم و لا ببلاء من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على حق لما أصابهم هذا البلاء عن مجاهد و قيل معناه و لا تسلطهم علينا فيفتنوننا عن دينك و قيل معناه الطف بنا حتى نصبر على أذاهم و لا نتبعهم فنصير فتنه لهم و قيل معناه أعصمنا من موالاه الكفار فإننا إذا واليناهم ظنوا أننا صوبناهم و قيل معناه لا نخذلنا إذا حاربناهم فلو خذلنا لقالوا لو كان هؤلاء على الحق لما خذلوا «وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا» ذنوبنا «إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ» الذى لا يغالب و «الْحَكِيمُ» الذى لا يفعل إلا الحكمة و الصواب و فى هذا تعليم للمسلمين أن يدعوا بهذا الدعاء.

إشارة

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ مَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦) عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَبَادِئًا وَ اللَّهُ قَدِيرٌ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧) لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ لَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَ تُقْسِمُوا عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ يَجِبُ الْمُقْسِمِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ أَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَ ظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)

النزول

نزل قوله «لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ» الآية في خزاعة و بنى مدلج و كانوا صالحوا رسول الله على أن لا يقاتلوه و لا يعينوا عليه أحدا عن ابن عباس.

المعنى

ثم أعاد سبحانه في ذكر الأسوة فقال «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ» أى فى إبراهيم و من آمن معه «أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» أى قدوه حسنه و إنما أعاد ذكر الأسوة لأن الثانى منعقد بغير ما انعقد به الأول فإن الثانى فيه بيان أن الأسوة فيهم كان لرجاء ثواب الله و حسن المنقلب و الأول فيه بيان أن الأسوة فى المعاداة للكفار و قوله «لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ» بدل من قوله «لَكُمْ» و هو بدل البعض من الكل مثل قوله «وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجَابٌ الْأَيْبِ مَنْ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» و فيه بيان أن هذه الأسوة لمن يخاف الله و يخاف عقاب الآخرة و هو قوله «وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ» و قيل يرجو ثواب الله و ما يعطيه من ذلك فى اليوم الآخر «وَ مَنْ يَتَوَلَّ» أى و من يعرض عن هذا الاقتداء بإبراهيم و الأنبياء و المؤمنين و الذين معه فقد أخطأ حظ نفسه و ذهب عما يعود نفعه إليه فحذفه لدلاله الكلام عليه و هو قوله «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ» أى الغنى عن ذلك المحمود فى جميع أفعاله فلا يضره توليه و لكنه ضر نفسه «عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ» أى من كفار مكة «مَبَادِئًا» بالإسلام قال مقاتل لما أمر الله سبحانه المؤمنين بعداوه الكفار عادوا أقرباءهم فنزلت هذه الآية و المعنى أن موالاه الكفار لا تنفع و الله سبحانه قادر على أن يوفقهم للإيمان و تحصل الموده بينكم و بينهم فكونوا على رجاء و طمع من الله أن يفعل ذلك و قد فعل ذلك حين أسلموا عام الفتح فحصلت الموده بينهم و بين المسلمين «وَ اللَّهُ قَدِيرٌ» على نقل القلوب من العداوه إلى الموده و على كل شىء يصح أن يكون مقدورا له «وَ اللَّهُ غَفُورٌ» لذنوب عباده «رَحِيمٌ» بهم إذا تابوا و أسلموا «لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ لَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ» أى ليس ينهاكم الله عن مخالطه أهل العهد الذين عاهدوكم على ترك القتال و برهم و معاملتهم بالعدل و هو قوله «أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَ تُقْسِمُوا عَلَيْهِمْ» أى و تعدلوا فيما بينكم و بينهم من الوفاء بالعهد عن الزجاج و قيل إن المسلمين استأمروا النبى ص فى أن يبروا أقرباءهم من المشركين و ذلك قبل أن يؤمروا بقتال جميع المشركين فنزلت هذه الآية و هى منسوخه بقوله «فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» عن ابن عباس و الحسن و قتاده و قيل إنه عنى بالذين لم يقاتلوكم من آمن من أهل مكة و لم يهاجر عن قتاده و قيل هى عامه فى كل من كان بهذه الصفه عن ابن الزبير و الذى عليه الإجماع أن بر الرجل من يشاء من أهل الحرب قرابه كان أو غير قرابه ليس بمحرم و إنما الخلاف فى

إعطائهم مال لذكاه و الفطره و الكفارات فلم يجوزه أصحابنا و فيه خلاف بين الفقهاء و قوله «أَنْ تَبَرُّوهُمْ» فى موضع جر بدل من الذين و هو بدل الاشتمال و تقديره لا ينهاكم الله عن أن تبروا الذين لم يقاتلوكم «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِمِينَ» أى العادلين و قيل يحب الذين يجعلون لقراباتهم قسطا مما فى بيوتهم من المطعومات ثم قال «إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ» من أهل مكه و غيرهم «وَ أَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ» أى منازلكم و أملاكم «وَ ظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ» أى عاونوا على ذلك و عاضدوهم و هم العوام و الأتباع عاونوا رؤساءهم على الباطل «أَنْ تَوَلَّوهُمْ» أى ينهاكم الله عن أن تولوهم و توادوهم و تحبونهم و المعنى أن مكاتبكم بينهم بإظهار سر المؤمنين موالاه لهم «وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ» منكم أى يوالهم و ينصرهم «فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» يستحقون بذلك العذاب الأليم.

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمَ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُنَّ مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفِرِ وَ سِئَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَ لَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠) وَ إِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (١١)

القراءة

قرأ أهل البصره و لا- تمسكوا بالتشديد و الباقون «و لا تُمَسِّكُوا» بالتخفيف و فى الشواذ قراءة الأعرج فعقبتم بالتشديد و قراءة النخعي و الزهري و يحيى بن يعمر بخلاف فعقبتم) خفيفه القاف من غير ألف و قراءة مسروق فعقبتم بكسر القاف من غير ألف و القراءة المشهوره «فَعَاقَبْتُمْ» و قرأ مجاهد فأعقبتم.

الحجه

حجه من قرأ «لا تُمَسِّكُوا» قوله فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ وَ لَا تُمَسِّكُوهُنَّ ضِرَارًا وَ أَمْسَاكُ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ حجه من قال و لا تمسكوا قوله وَ الَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ يُقَالُ أَمْسَكَتُ بِالشَّيْءِ وَ مَسَكَتُ بِهِ وَ تَمَسَّكَتُ بِهِ قَالَ ابْنُ جَنِي رَوَيْنَا عَنْ قَطْرِبِ قَالَ «فَعَاقَبْتُمْ» أَصَبْتُمْ عَقْبِي مِنْهُنَّ يُقَالُ عَاقَبَ الرَّجُلُ شَيْئًا إِذَا أَخَذَ شَيْئًا وَ أَنْشَدَ لَطْرَفَهُ:

" فعقبتم بذنوب غير مر "

جمع مره فسروه على أعطيتهم و عدتم و قال فى قوله وَ لَمْ يُعَقَّبْ* لم يرجع و حكى عن الأعمش أنه قال عقبتم غنمتم و قد يجوز أن يكون عقبتم بوزن غنمتم و بمعناه جميعا و روى أيضا بيت طرفه فعقبتم بكسر القاف و حكى أبو عوانه عن المغيرة قال قرأت على إبراهيم «فَعَاقَبْتُمْ» فأخذها على فعقبتم خفيفه و معنى أعقبتم صنعتهم بهم مثل ما صنعوا بكم.

النزول

قال ابن عباس صالح رسول الله ص بالحديبيه مشركى مکه على أن من أتاه من أهل مکه رده عليهم و من أتى أهل مکه من أصحاب رسول الله ص فهو لهم و لم يردوه عليه و كتبوا بذلك كتابا و ختموا عليه فجاءت سبيعه بنت الحرث الأسلميه مسلمه بعد الفراغ من الكتاب و النبى ص بالحديبيه فأقبل زوجها مسافر من بنى مخزوم و قال مقاتل هو صيفى ابن الراهب فى طلبها و كان كافرا فقال يا محمد اردد على امرأتى فإنك قد شرطت لنا أن ترد علينا منا و هذه طينه الكتاب لم تجف بعد فنزلت الآية «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ» من دار الكفر إلى دار الإسلام «فَأَمْتَحِنُوهُنَّ» قال ابن عباس امتحانهن أن يستحلفن ما خرجت من بغض زوج و لا رغبه عن أرض إلى أرض و لا التماس دنيا و ما خرجت إلا حبا لله و لرسوله فاستحلفها

رسول الله ص ما خرجت بغضا لزوجها و لا عشقا لرجل منا و ما خرجت إلا رغبة فى الإسلام فحلفت بالله الذى لا إله إلا هو على ذلك فأعطى رسول الله ص زوجها مهرها و ما أنفق عليها و لم يرد لها عليه فتزوجها عمر بن الخطاب فكان رسول الله ص يرد من جاءه من الرجال و يحبس من جاءه من النساء إذا امتحن و يعطى أزواجهن مهورهن قال الزهرى و لما نزلت هذه الآية و فيها قوله «وَلَا تُنْسَأُ كُؤَا بَعْصِمِ الْكُؤَافِرِ» طلق عمر بن الخطاب امرأتين كانتا له بمكة مشركتين قرنيه بنت أبى أميه بن المغيرة فتزوجها بعده معاوية بن أبى

ص: ٤١١

سفيان و هما على شركهما بمكه و الأخرى أم كلثوم بنت عمرو بن جروال الخزاعيه أم عبد الله بن عمر فتزوجها أبو جهم بن حدافه بن غانم رجل من قومه و هما على شركهما و كانت عند طلحه بن عبد الله أروى بنت ربيعه بن الحرث بن عبد المطلب ففرق بينهما الإسلام حين نهى القرآن عن التمسك بعصم الكوافر و كان طلحه قد هاجر و هى بمكه عند قومها كافر ثم تزوجها فى الإسلام بعد طلحه خالد بن سعيد بن العاص بن أميه و كانت ممن فرت إلى رسول الله ص من نساء الكفار فحبسها و زوجها خالدًا و أميمه بنت بشر كانت عند ثابت بن الدحاحه ففرت منه و هو يومئذ كافر إلى رسول الله ص فزوجها رسول الله سهل بن حنيف فولدت عبد الله بن سهل قال الشعبي و كانت زينب بنت رسول الله ص امرأه أبى العاص بن الربيع فأسلمت و لحقت بالنبي ص فى المدينة و أقام أبو العاص مشركا بمكه ثم أتى المدينة فأمنته زينب ثم أسلم فردها عليه رسول الله و قال الجبائى لم يدخل فى شرط صلح الحديبيه إلا- رد الرجال دون النساء و لم يجر للنساء ذكر و أن أم كلثوم بنت عقبه بن أبى معيط جاءت مسلمه مهاجره من مكه فجاء أخوها إلى المدينة فسألا رسول الله ص ردها عليهما فقال رسول الله ص إن الشرط بيننا فى الرجال لا- فى النساء فلم يردها عليهما قال الجبائى و إنما لم يجر هذا الشرط فى النساء لأن المرأه إذا أسلمت لم تحل لزوجها الكافر فكيف ترد عليه و قد وقعت الفرقة بينهما.

المعنى

لما قطع سبحانه الموالاه بين المسلمين و الكافرين بين حكم النساء المهاجرات و أزواجهن فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ» بالإيمان أى استوصفوهن بالإيمان و سماهن مؤمنات قبل أن يؤمن لأنهن اعتقدن الإيمان «اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ» أى كنتم تعلمون بالامتحان ظاهر إيمانهن و الله يعلم حقيقه إيمانهن فى الباطن ثم اختلفوا فى الامتحان على وجوه (أحدها) أن الامتحان أن يشهدن أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله عن ابن عباس (و ثانيها) ما روى عن ابن عباس أيضا فى روايه أخرى أن امتحانهن أن يحلفن ما خرجن إلا للدين و الرغبه فى الإسلام و لحب الله و رسوله و لم يخرجن لبغض زوج و لا- لالتماس دنيا و روى ذلك عن قتاده (و ثالثها) أن امتحانهن بما فى الآيه التى بعد و هو أن لا يشركن بالله شيئا و لا يسرقن و لا- يزنين الآيه عن عائشه ثم قال سبحانه «فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ» يعنى فى الظاهر «فَلَا تَزْجَعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ» أى لا تردوهن إليهم «لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ» و هذا يدل على وقوع

الفرقة بينهما بخروجها مسلمة و إن لم يطلق المشرك «وَأَتَوْهُمْ مَا أَنْفَقُوا» أى و أتوا أزواجهن الكفار ما أنفقوا عليهن من المهر عن ابن عباس و مجاهد و قتاده قال الزهري لو لا الهدنه لم يرد إلى المشركين الصداق كما كان يفعل قبل «وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ» أى و لا جناح عليكم معاشر المسلمين أن تنكحوا المهاجرات إذا أعطيتموهن مهورهن التي يستحل بها فزوجهن لأنهن بالإسلام قد بن من أزواجهن «وَلَا تُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ» أى لا تمسكوا بنكاح الكافرات و أصل العصمه المنع و سمي النكاح عصمه لأن المنكوحه تكون فى حبال الزوج و عصمته و فى هذا دلالة على أنه لا يجوز العقد على الكافره سواء كانت حربيه أو ذميه و على كل حال لأنه عام فى الكوافر و ليس لأحد أن يخص الآيه بعابده الوثن لنزولها بسببهن لأن المعبر بعموم اللفظ لا بالسبب «وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ» أى إن لحقت امرأه منكم بأهل العهد من الكفار مرتده فاسألوهم ما أنفقتم من المهر إذا منعوها و لم يدفعوها إليكم كما يسألونكم مهور نسائهم إذا هاجرن إليكم و هو قوله «وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ» يعنى ما ذكر الله فى هذه الآيه «حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ» بجميع الأشياء «حَكِيمٌ» فيما يفعل و يأمر به قال الحسن كان فى صدر الإسلام تكون المسلمه تحت الكافر و الكافره تحت المسلم فنسخته هذه الآيه قال الزهري و لما نزلت هذه الآيه آمن المؤمنون بحكم الله و أدوا ما أمروا به من نفقات المشركين على نسائهم و أبى المشركون أن يقرؤا بحكم الله فيما أمرهم به من أداء نفقات المسلمين فنزل «وَ إِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ» أى أحد من أزواجكم «إِلَى الْكُفَّارِ» فلحقن بهم مرتدات «فَعَاقَبْتُمْ» معناه فغزوتهم و أصبتم من الكفار عقبى و هى الغنيمه فظفرتهم و كانت العاقبه لكم و قيل معناه فخلفتم من بعدهم و صار الأمر عن مؤرج و قيل إن عقب و عاقب مثل صغر و صاغر بمعنى عن الفراء و قيل عاقبتهم بمصير أزواج الكفار إليكم إما من جهه سبى أو مجيئهن مؤمنات عن على بن عيسى «فَاتُّوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ» أى نساؤهم من المؤمنين «مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا» من المهور عليهن من رأس الغنيمه و كذلك من ذهبت زوجته إلى من بينكم و بينه عهد فنكث فى إعطاء المهر فالذى ذهب زوجته يعطى المهر من الغنيمه و لا ينقص شيئا من حقه بل يعطى كملا- عن ابن عباس و الجبائى و قيل معناه إن فاتكم أحد من أزواجكم إلى الكفار الذين بينكم و بينهم عهد فغنمتم فأعطوا زوجها صداقها الذى كان ساق إليها من الغنيمه ثم نسخ هذا الحكم فى براءه فنبذ إلى كل ذى عهد عهده عن قتاده و قال على بن عيسى معناه فأعطوا الذين ذهبوا أزواجهم مثل

ما أنفقوا من المهور كما عليهم أن يردوا عليكم مثل ما أنفقتم لمن ذهب من أزواجكم «وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ» أى اجتنبوا معاصى الله الذى أنتم تصدقون به و لا- تجاوزا أمره و قال الزهرى فكان جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين راجعات عن الإسلام ست نسوه: أم الحكم بنت أبى سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهرى و فاطمه بنت أبى أميه بن المغيرة أخت أم سلمه كانت تحت عمر بن الخطاب فلما أراد عمر أن يهاجر أبت و ارتدت و بروع بنت عقبه كانت تحت شماس بن عثمان و عبده بنت عبد العزى بن فضله و زوجها عمرو بن عبد ود و هند بنت أبى جهل بن هشام كانت تحت هشام بن العاص بن وائل و كلثوم بنت جرول كانت تحت عمر فأعطاهم رسول الله ص مهور نساءهم من الغنيمه.

[سوره الممتحنه (٦٠): الآيات ١٢ الى ١٣]

اشاره

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بَبْهَتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُؤُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبْئَسُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (١٣)

الإعراب

«مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ» أى من بعث أصحاب القبور فحذف المضاف و يجوز أن يكون من تبينا للكفار و التقدير كما يئس الكفار الذين هم من أصحاب القبور من الآخرة.

المعنى

ثم ذكر سبحانه بيعه النساء و كان ذلك يوم فتح مكة لما فرغ النبي ص من بيعه الرجال و هو على الصفا جاءته النساء يباعنه فنزلت هذه الآية فشرط الله تعالى فى

ص: ٤١٤

مبايعتهن أن يأخذ عليهن هذه الشروط و هو قوله «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعَنَّكَ عَلَى» هذه الشروط و هي «أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا» من الأصنام و الأوثان «وَلَا يَسْرِقَنَّ» لا من أزواجهن و لا من غيرهم «وَلَا يَزْنِينَ» وَ لَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ» على وجه من الوجوه لا بالواد و لا بالإسقاط «وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ» أى بكذب يكذبه فى مولود يوجد «بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَ أَرْجُلِهِنَّ» أى لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهن عن ابن عباس و قال الفراء كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدى منك فذلك البهتان المفترى بين أيديهن و أرجلهن و ذلك أن الولد إذا وضعته الأم سقط بين يديها و رجلها و ليس المعنى على نهيهن من أن يأتين بولد من الزنا فينسبهن إلى الأزواج لأن الشرط بنهى الزنا قد تقدم و قيل البهتان الذى نهيهن عنه قذف المحصنات و الكذب على الناس و إضافة الأولاد إلى الأزواج على البطلان فى الحاضر و المستقبل من الزمان «وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ» و هو جميع ما يأمرهن به لأنه لا يأمر إلا بالمعروف و المعروف نقيض المنكر و هو كل ما دل العقل و السمع على وجوبه أو ندبه و سمي معروفا لأن العقل يعترف به من جهة عظم حسنه و وجوبه و قيل عنى بالمعروف النهى عن النوح و تمزيق الثياب و جز الشعر و شق الجيب و خمش الوجه و الدعاء بالويل عن المقاتلين و الكلبى و الأصل أن المعروف كل بر و تقوى و أمر وافق طاعه الله تعالى «فَبَايَعُهُنَّ» على ذلك «وَأَسِيءَتْغَفِرُ لَهُنَّ اللَّهُ» أى اطلب من الله أن يغفر لهن ذنوبهن و يسترها عليهن «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ» أى صفوح عنهن «رَحِيمٌ» منعم عليهن

و روى أن النبى ص بايعهن و كان على الصفا و كان عمر أسفل منه و هند بنت عتبة متنقبة متنكره مع النساء خوفا أن يعرفها رسول الله ص فقال أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئا فقالت هند إنك لتأخذ علينا أمرا ما رأيناك أخذته على الرجال و ذلك أنه بايع الرجال يومئذ على الإسلام و الجهاد فقط فقال ص و لا تسرقن فقالت هند إن أبا سفيان رجل ممسك و إنى أصبت من ماله هنأت فلا أدري أ يحل لى أم لا فقال أبو سفيان ما أصبت من مالى فيما مضى و فيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله ص و عرفها فقال لها و إنك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبى الله عفا الله عنك فقال ص و لا تزنين فقالت هند أ و تزنى الحره فتبسم عمر بن الخطاب لما جرى بينه و بينها فى الجاهليه فقال ص و لا تقتلن أولادكن فقالت هند ربناهم صغارا و قتلتموهم كبارا و أنتم و هم أعلم و كان ابنها حنظله بن أبى سفيان قتله على بن أبى طالب (عليه السلام) يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى و تبسم النبى ص و لما قال و لا- تأتين ببهتان فقالت هند و الله إن البهتان قبيح و ما تأمرنا إلا بالرشد و مكارم الأخلاق و لما قال و لا يعصينك فى معروف فقالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا و فى أنفسنا أن نعصيك فى شىء

و روى الزهرى عن عروه عن عائشه قالت كان النبى ص

يباع النساء بالكلام بهذه الآيه «أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا» و ما مست يد رسول الله ص يد امرأه قط إلا يد امرأه يملكها رواه البخارى فى الصحيح

و روى أنه ص كان إذا بايع النساء دعا بقدر ماء فغمس فيه يده ثم غمسن أيديهن فيه

و قيل إنه كان يبايعهن من وراء الثوب عن الشعبى و الوجه فى بيعه النساء مع أنهن لسن من أهل النصره بالمحاربه هو أخذ العهد عليهن بما يصلح من شأنهن فى الدين و الأنفس و الأزواج و كان ذلك فى صدر الإسلام و لثلا يفتق بهن فتق لما وضع من الأحكام فبايعهن النبى ص حسما لذلك ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» أى لا تتولوا اليهود و ذلك أن جماعه من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود أخبار المسلمين يتواصلون إليهم بذلك فيصيرون من ثمارهم فنهى الله عن ذلك عن المقاتلين و قيل أراد جميع الكفار أى لا تتخذوا كافرا من الكفار أولياء ثم وصف الكفار فقال «قَدْ يَيْسُوا مِنَ الْآخِرَةِ» أى من ثواب الآخره «كَمَا يَيْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ» يعنى أن اليهود بتكذيبهم محمدا ص و هم يعرفون صدقه و أنه رسول قد يسوا من أن يكون لهم فى الآخره حظ و خير كما يس الكفار الذين ماتوا و صاروا فى القبور من أن يكون لهم فى الآخره حظ لأنهم قد أيقنوا بعذاب الله عن مجاهد و سعيد بن جبير و قيل كما يس كفار العرب من أن يحيا أهل القبور أبدا عن الحسن و قيل كما يس الكفار من أن ينالهم خير من أصحاب القبور و قيل يريد بالكفار هاهنا الذين يدفنون الموتى أى يس هؤلاء الذين غضب الله عليهم من الآخره كما يس الذين دفنوا الموتى منهم.

النظم

ختم الله سبحانه السوره بالأمر بقطع الموالاه من الكفار كما افتتحها به.

ص: ٤١٦

(٤١) سورة الصف مدنيه و آياتها أربع عشره (١٤)

اشاره

اشاره

و تسمى سورة الحواريين و سورة عيسى (عليه السلام) مدنيه و هى أربع عشره آيه بلا خلاف.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأ سورة عيسى (عليه السلام) كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام فى الدنيا و هو يوم القيامة رفيقه.

أبو بصير عن أبى جعفر (عليه السلام) قال من قرأ سورة الصف و أدمن قراءتها فى فرائضه و نوافله صفه الله مع ملائكته و أنبيائه المرسلين.

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه السوره بقطع موالاه الكفار افتتح هذه السوره بإيجاب ذلك ظاهرا و باطنا ثم بالأمر بالجهاد فقال:

ص: ٤١٧

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ (٤)

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعَلَّمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥)

اللغه

المقت البغض و الرص إحكام البناء يقال رصصت البناء أى أحكمته و أصله من الرصاص أى جعلته كأنه بنى بالرصاص لتلاؤمه و شده اتصاله.

الإعراب

لم حذفت الألف من ما لشده الاتصال مع ضعف حرف الاعتلال آخر الكلام لأنه حرف تعبير فى موضع تعبير مقتا نصب على التمييز و «أَنْ تَقُولُوا» فى موضع رفع بأنه فاعل كبر و التقدير كبر هذا القول مقتا عند الله و قيل إن الفاعل مضمر فيه و التقدير كبر المقت مقتا عند الله نحو نعم رجالا زيد و المخصوص بالذم أن تقولوا صفا مصدر فى موضع الحال أى مصطفىين.

النزول

نزل قوله «لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ» فى المنافقين عن الحسن و قيل نزل فى قوم كانوا يقولون إذا لقينا العدو لم نفر و لم نرجع عنهم ثم لم يفوا بما قالوا و انفلوا يوم أحد حتى شج وجه رسول الله ص و كسرت ربايعته عن مقاتل و الكلبي و قيل نزلت فى قوم قالوا جاهدنا و أبلىنا و فعلنا و لم يفعلوا و هم كذبه عن قتاده و قيل لما أخبر الله سبحانه رسوله بثواب شهداء بدر قالت الصحابه لئن لقينا بعد قتالا لنفرغن فيه وسعنا ثم فروا يوم أحد فغيرهم الله تعالى بذلك عن محمد بن كعب و قيل كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون وددنا لو أن الله دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به فأخبرهم الله أن أفضل الأعمال إيمان لا- شك فيه و الجهاد فكره ذلك ناس و شق عليهم و تباطأوا عنه فنزلت الآية عن ابن عباس و قيل كان رجل يوم بدر قد أذى المسلمين فقتله صهيب فى القتال فقال رجل يا رسول الله قتلت فلانا ففرح بذلك رسول الله ص فقال عمرو عبد الرحمن لصهيب أخبر النبى ص أنك قتلته و أن فلانا ينتحله فقال صهيب إنما قتلته لله و لرسوله فقال عمرو عبد الرحمن يا رسول الله إنما قتله صهيب فقال كذلك يا أبا يحيى قال نعم يا رسول الله فنزلت الآية و الآية الأخرى عن سعيد بن المسيب.

المعنى

«سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» مر تفسيره و إنما أعيد هاهنا لأنه استفتاح السوره بتعظيم الله من
جهه ما سبح له بالآيه التي فيه كما يستفتح بيسم الله الرحمن الرحيم و إذا دخل المعنى فى تعظيم الله حسن الاستفتاح به «يا

ص: ٤١٨

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ» قيل إن الخطاب للمنافقين و هو تفرغ لهم بأنهم يظهرن الإيمان و لا يبطنونه و قيل إن الخطاب للمؤمنين و تعبير لهم أن يقولوا شيئاً و لا يفعلونه قال الجبائى هذا على ضربين (أحدهما) أن يقول سأفعل و من عزمه أن لا يفعل فهذا قبيح مذموم (و الآخر) أن يقول سأفعل و من عزمه أن يفعل و المعلوم أنه لا يفعل فلهذا قبيح لأنه لا يدرى أ يفعل أم لا- و لا- ينبغى فى مثل هذا أن يقرن بلفظه إن شاء الله «كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ» أى كبر هذا القول و عظم مقتا عند الله و هو أن تقولوا ما لا تفعلونه و قيل معناه كبر أن تقولوا ما لا تفعلونه و تعدوا من أنفسكم ما لا تفون به مقتا عند الله «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صِرَافًا» أى يصفون أنفسهم عند القتال صفا و قيل يقاتلون فى سبيله مصطفين «كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرصُوصٌ» كأنه بنى بالرصاى لتلاؤمه و شده اتصاله و قيل كأنه حائط ممدود رص على البناء فى إحكامه و اتصاله و استقامته أعلم الله سبحانه أنه يحب من ثبت فى القتال و يلزم مكانه كتبوت البناء المرصوص و معنى محبه الله إياهم أنه يريد ثوابهم و منافعهم ثم ذكر سبحانه حديث موسى (عليه السلام) فى صدق نيته و ثبات عزيمته على الصبر فى أذى قومه تسليه للنبي ص فى تكذيبهم إياه فقال «وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ أُنَى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ» هذا إنكار عليهم إيذاءه بعد ما علموا أنه رسول الله و الرسول يعظم و يبجل و لا يؤذى و كان قومه آذوه بأنواع من الأذى و هو قولهم اجعل لنا إلهاً و فاذهب أنت و ربك فقاتلا- و ما روى فى قصة قارون أنه دس إليه امرأه و زعم أنه زنى بها و رموه بقتل هارون و قيل إن ذلك حين رموه بالأدره و قد ذكرنا ذلك عند قوله «لا- تكونوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى» الآية «فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ» أى فلما مالوا عن الحق و الاستقامه حلاهم و سوء اختيارهم و منعهم الألفاف التى يهذى بها قلوب المؤمنين كقوله وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ عَنِ أَبِي مُسْلِمٍ وَ قِيلَ أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ عَمَّا يُحِبُّونَ إِلَى مَا يَكْرَهُونَ وَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَجُوزُ أَنْ يَزِيغَ أَحَدًا عَنِ الْإِيمَانِ وَ أَيْضًا فَإِنَّهُ يَخْرُجُ الْكَلَامُ عَنِ الْفَائِدَةِ لِأَنَّهُمْ إِذَا زَاغُوا عَنِ الْإِيمَانِ فَقَدْ حَصَلُوا كَفَارًا فَلَا مَعْنَى لِقَوْلِهِ أَزَاغَهُمُ اللَّهُ عَنِ الْإِيمَانِ «وَ اللَّهُ لَا- يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» أى لا- يهدهم الله إلى الثواب و الكرامه و الجنه التى وعدّها المؤمنين و قيل لا يفعل بهم الألفاف التى يفعلها بالمؤمنين بل يخليهم و اختيارهم عن أبى مسلم.

إشارة

وَ إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَ مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (٦) وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَ هُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٧) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩)

القراءة

فتح أهل البصره و الحجاز و أبو بكر الياء من قوله من بعدى اسمه أحمد و لم يفتحه الباقون و قرأ ابن كثير و أهل الكوفه غير أبي بكر «مُتِمُّ نُورِهِ» مضافا و الباقون متم نوره بالنصب و التنوين.

الحجج

الإضافه بنوى بها الانفصال كما فى قوله إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ وَ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ* و النصب فى متم نوره على أنه فى حال الفعل و فيما يأتى.

الإعراب

قوله «اسْمُهُ أَحْمَدُ» فى موضع جر لكونه وصفا للرسول كما أن قوله «يَأْتِي» فى موضع جر أيضا و تقديره اسمه قول أحمد فحذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه و كذلك قوله يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فى التَّوْرَةِ أى يجدون ذكره مكتوبا أ لا ترى أن الشخص لا يكتب كما أن أحمد عباره عن الشخص و الاسم قول و القول لا يكون الشخص و خبر المبتدأ يكون المبتدأ فى المعنى و مفعول قوله «يُرِيدُونَ» محذوف و تقديره يريدون ذم الإسلام أو يريدون هذا القول «لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ» أى لإطفاء نور الله «وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ» فى موضع نصب على الحال.

المعنى

ثم عطف سبحانه بقصه عيسى (عليه السلام) على قصه موسى فقال «وَ إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» أى و اذكر إذ قال عيسى بن مريم لقومه الذين بعث إليهم «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ» المنزله على موسى «وَ مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ» يعنى نبينا محمدا ص كما قال الشاعر:

صلى الإله و من يحف بعرشه و الطيبون على المبارك أحمد

و لهذا الاسم معنيان (أحدهما) أن يجعل أحمد مبالغه من الفاعل أى هو أكثر حمدا لله من غيره (و الآخر) أن يجعل مبالغه من المفعول أى يحمد بما فيه من الأخلاق و المحاسن أكثر مما يحمد غيره و

صحت الروايه عن الزهرى عن محمد بن جبير بن المطعم عن أبيه قال قال رسول الله ص إن لى أسماء أنا أحمد و أنا محمد و أنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر و أنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى و أنا العاقب الذى ليس بعدى نبى أورده البخارى فى الصحيح

و قد تضمنت الآيه أن عيسى بشر قومه بمحمد و نبوته و أخبرهم برسالته و فى هذه البشرى معجزه لعيسى (عليه السلام) عند ظهور محمد ص و أمر لأمته أن يؤمنوا به عند مجيئه «فَلَمَّا جَاءَهُمْ» أحمد «بِالْبَيِّنَاتِ» أى بالدلالات الظاهره و المعجزات الباهره «قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ» أى ظاهر «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ» أى من أشد ظلما ممن اختلق الكذب على الله و قال لمعجزاته سحر و للرسول إنه ساحر كذاب «وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ» الذى فيه نجاته و قيل يدعى إلى الاستسلام لأمره و الانقياد لطاعته «وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» الذين ظلموا أنفسهم بفعل الكفر و المعاصى قال ابن جريج هم الكفار و المنافقون و يدل عليه قوله بعد «يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ» أى يريدون إذهاب نور الإيمان و الإسلام بفاسد الكلام الجارى مجرى تراكم الظلام فمثلهم فيه كمثل من حاول إطفاء نور الشمس بفيه «وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ» أى مظهر كلمته و مؤيد نبيه و معلن دينه و شريعته و مبلغ ذلك غايته «وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ» محمدا ص «بِالْبَيِّنَاتِ» من التوحيد و إخلاص العباده له «وَدِينِ الْحَقِّ» و هو دين الإسلام و ما تعبد به الخلق «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ» بالحجه و التأيد و النصره «وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» و فى هذه دلالة على صحه نبوه نبينا محمد ص لأنه سبحانه قد أظهر دينه على جميع الأديان بالاستعلاء و القهر و إعلاء الشأن كما وعده ذلك فى حال الضعف و قله الأعوان و أراد بالدين جنس الأديان فلذلك أدخل الألف و اللام

و روى العياشى بالإسناد عن عمران بن ميثم عن عبايه أنه سمع أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ» أظهر بعد ذلك قالوا نعم قال كلا فو الذى نفسى بيده حتى لا تبقى قريه إلا و ينادى فيها بشهاده أن لا إله إلا الله بكره و عشيا.

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَعْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَ أُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصِيرٌ مِنَ اللَّهِ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّا طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ كَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (١٤)

القراءة

قرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد و الباقون «تُنْجِيكُمْ» بالتخفيف و قرأ أهل الحجاز و أبو عمرو أنصارا بالتنوين لله بغير ألف و الباقون «أَنْصَارَ اللَّهِ» بالإضافة إلى الله.

الحج

قال أبو علي حجه من قرأ تنجيكم بالتشديد قوله نَجِّينَا هُودًا وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ حجه التخفيف فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ.

اللغة

التجارة طلب الربح في شراء المتاع و استعير هنا لطلب الربح في أعمال الطاعة و الجهاد مقاتله العدو.

الإعراب

إنما جاز تؤمنون بالله مع أنه محمول على تجاره و خبر عنها و لا يصح أن يقال للتجارة تؤمنون و إنما يقال و أن تؤمنوا بالله لأنه جاء على طريق ما يدل على خبر التجاره لا على نفس الخبر إذ الفعل يدل على مصدره و إنما انعقاده بالتجارة في المعنى لا في اللفظ و في ذلك توطئه لما يبنى على المعنى في الإيجاز و العرب تقول هل لك في خير تقوم إلى فلان فتعوده و أن تقوم إليه و قوله «يَعْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ» في كونه مجزوما وجهان

(أحدهما) أنه جواب هل أدلكم و هو قول الفراء و أنكره أصحابنا البصريون و قالوا إن الدلالة على التجاره لا توجب المغفره (و الآخر) أنه محمول على المعنى لأن قوله «تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» معناه آمنوا بالله و رسوله و جاهدوا في سبيله و هو أمر جاء على لفظ الخبر و يدل على ذلك قراءه عبد الله بن مسعود آمنوا بالله و جاهدوا و لا يمتنع أن يأتي الأمر بلفظ الخبر كما أتى الخبر بلفظ الأمر في قوله فَلْيَعْبُدُوا لَهُ الرَّحْمَنَ مَدًّا المعنى فمد له الرحمن مدا لأن القديم تعالى لا يأمر نفسه و مثل ذلك أسمع بهم و أبصر لفظه أمر و معناه خير و يجوز أن يكون قوله «تُؤْمِنُونَ» مرفوعا بسقوط أن و الموصول و الصله في موضع جر على البدل من تجاره و تقديره هل أدلكم على تجاره إيمان بالله و قوله «وَ أُخْرَى» في موضع جر بأنها صفة لموصوف محذوف مجرور بالعطف على تجاره تقديره و على تجاره أخرى محبوبه و قال الزجاج تقديره و لكم تجاره أخرى فعلى هذا يكون أخرى صفة موصوف محذوف مرفوع بالابتداء و تحبونها صفة بعد صفة و نصر خبر مبتدأ محذوف تقديره هي نصر من الله. «مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ» إلى هاهنا بمعنى مع أى مع الله.

المعنى

لما تقدم ذكر الرسول عقبه سبحانه بذكر الدعاء إلى قبول قوله و نصرته و العمل بشريعته فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» و هو خطاب للمؤمنين على العموم و قيل هو خطاب لمن تقدم ذكرهم في أول السوره «هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ» صورته صورته العرض و المراد به الأمر على سبيل التلطف في الاستدعاء إلى الإخلاص في الطاعة و المعنى هل ترغبون في تجاره منجيه من العذاب الأليم و هو الإيمان بالله و رسوله و الجهاد في سبيل الله بالمال و النفس و ذلك قوله «تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ» و إنما أنزل هذا لما قالوا لو نعلم أى الأعمال أفضل و أحب إلى الله لعملناه فجعل الله سبحانه ذلك العمل بمنزله التجاره لأنهم يربحون فيها رضى الله و الفوز بالثواب و النجاه من العقاب «ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» أى ما وصفته و ذكرته لكم أنفع لكم و خير عاقبه لو علمتم ذلك و اعترفتم بصحته و قيل إن معناه إن التجاره التى دلتكم عليها خير لكم من التجاره التى أنتم مشتغلون بها لأنها تؤدي إلى ربح لا يزول و لا يبىد و هذه تؤدي إلى ربح يزول و يبىد إن كنتم تعلمون مضار الأشياء و منافعها يغفر لكم ذنوبكم فإنكم إن علمتم بذلك «يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَ يُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَ مَسَاكِنَ طَيِّبَةً» أى مواضع تسكنونها مستلذه مستطابه «فِي جَنَّاتٍ عِدْنٍ» أى إقامه لا تبغون عنها حولا «ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» لا ما يعده الناس فوزا من طول البقاء و ولايه الدنيا و سأل الحسن عمران بن الحصين و أبا هريره عن تفسير قوله «وَ مَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عِدْنٍ» فقالا على الخير سقطت

سألنا رسول الله ص عن ذلك فقال قصر من لؤلؤ في الجنة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوته حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش امرأة من الحور العين في كل بيت سبعون مائده على كل مائده سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفا ووصيفه قال و يعطى الله المؤمن من القوه في غداه واحده ما يأتى على ذلك كله

ثم قال سبحانه «وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا» أى و تجاره أخرى أو خصله أخرى تحبونها عاجلا مع ثواب الآجل و هذا من الله تعالى زياده ترغيب إذ علم سبحانه أن فيهم من يحاول عاجل النصر إما رغبه فى الدنيا و إما تأييدا للدين فوعدهم ذلك بأن قال «نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ» أى تلك الخصله أو تلك التجاره نصر من الله لكم على أعدائكم و فتح قريب لبلادهم يعنى النصر على قريش و فتح مكه عن الكلبى و قيل يريد فتح فارس و الروم و سائر فتوح الإسلام على العموم عن عطاء و قريب معناه قريب كونه و قيل قريب منكم يقرب الرجوع منه إلى أوطانكم «وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» أى بشرهم بهذين الثوابين عاجلا و آجلا على الجهاد و هو النصر فى الدنيا و الجنة فى العقبى ثم حض سبحانه المؤمنين على نصره دينه فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ» أى أنصار دينه و أعوان نبيه و إنما أضاف إلى نفسه كما يقال للكعبه بيت الله و قيل حمزه بن عبد المطلب أسد الله و المعنى دوموا على ما أنتم عليه من النصره «كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» أى مثل قول عيسى بن مريم «لِلْحَوَارِيِّينَ» و هم خاصه الأنبياء و سموا بذلك لأنهم أخلصوا من كل عيب عن الزجاج و قيل سموا بذلك لباض ثيابهم و قيل لأنهم كانوا قصارين «مَنْ أَنْصَارِى إِلَى اللَّهِ» و المعنى قل يا محمد إنى أدعوكم إلى هذا الأمر كما دعا عيسى قومه فقال من أنصارى مع الله ينصرنى مع نصره الله إياى و قيل إلى الله أى فيما يقرب إلى الله كما يقال اللهم منك و إليك «قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ» أى أنصار دين الله و أولياء الله و قيل إنهم إنما سموا نصارى لقولهم نحن أنصار الله «فَأَمَّنْتُ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ» أى صدقت بعيسى «وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ» أخرى به قال ابن عباس يعنى فى زمن عيسى (عليه السلام) و ذلك أنه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق فرقه قالت كان الله فارتفع و فرقه قالت كان ابن الله فرفعه إليه و فرقه قالوا كان عبد الله و رسوله فرفعه إليه و هم المؤمنون و اتبع كل فرقه منهم طائفه من الناس فاقتتلوا و ظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث محمد ص فظهرت الفرقة المؤمنه على الكافرين و ذلك قوله «فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَضَى بُحُورُ الظَّاهِرِينَ» أى عالين غالبين و قيل معناه أصبحت حجه من آمن بعيسى ظاهره بتصديق محمد ص بأن عيسى كلمه الله و روحه عن إبراهيم و قيل بل أيدوا فى زمانهم على من كفر بعيسى عن مجاهد و قيل

معناه فآمنت طائفه من بنى إسرائيل بمحمد ص و كفرت طائفه به فأصبحوا قاهرين لعدوهم بالحجه و القهر و الغلبه و بالله التوفيق.

ص: ٤٢٥

سرشناسه: طبرسى، فضل بن حسن، ٤٦٨ - ٥٤٨ ق.

عنوان و نام پديدآور: مجمع البيان فى تفسير القرآن

تاليف ابو على الفضل بن الحسن الطبرسى

مصصح: هاشم رسولى

مصصح: فضل الله يزدى طباطبايى

مشخصات نشر: دارالمعرفه - بيروت - لبنان

مشخصات ظاهرى: ١٠ ج.

يادداشت: عربى

موضوع: تفاسير شيعه -- قرن ٦ ق.

ص: ١

مجمع البيان في تفسير القرآن

ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي

مصحح: هاشم رسولي

مصحح: فضل الله يزدي طباطبائي

ص: ٣

(٤٢) سورة الجمعة مدینه و آياتها إحدى عشره (١١)

أشاره

[توضیح]

و هي إحدى عشره آيه بالإجماع.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأ سورة الجمعة أعطى عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة و بعدد من لم يأتها فى أمصار المسلمين.

منصور بن حازم عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من الواجب على كل مؤمن إذا كان لنا شيعه أن يقرأ فى ليله الجمعة بالجمعه و سبح اسم ربك و فى صلاه الظهر بالجمعه و المنافقين فإذا فعل فكأنما يعمل عمل رسول الله ص و كان ثوابه و جزاؤه على الله الجنه.

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة الصف بالترغيب فى عبادته و الدعاء إليها و ذكر تأييد المؤمنين بالنصر و الظهور على الأعداء افتتح هذه السوره ببيان قدرته على ذلك و على جميع الأشياء فقال:

ص: ٤

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٤)

مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥)

اللغة

الأسفار الكتب واحدا سفر و إنما سمي بذلك لأنه يكشف عن المعنى بإظهاره يقال سفر الرجل عما مته إذا كشفها و سمرت المرأه عن وجهها فهي سافره و منه و الصبح إذا أسفر.

الإعراب

«وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» إن هذه مخففه من إن و لهذا لزمها اللام الفارقه في خبر كان لئلا يلتبس بأن النافيه و آخريه مجروره لأنه صفة محذوف معطوف على الأميين أى و فى قوم آخريه و يحتمل أن يكون منصوبا بالعطف على هم فى يعلمهم.

«يَحْمِلُ أَسْفَارًا» فى موضع النصب على الحال. «بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ» المخصوص بالذم محذوف تقديره بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله مثلهم فيكون الذين فى موضع جر و يجوز أن يكون التقدير بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا فحذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه و على هذا يكون الذين فى موضع رفع و هو المخصوص بالذم.

المعنى

«يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» أى ينزهه سبحانه كل شىء و يشهد له بالوحدانيه و الربوبيه بما ركب فيها من بدائع الحكمة و عجائب الصنعه الداله على أنه قادر عالم حى قديم سميع بصير حكيم لا يشبه شيئا و لا يشبهه شىء و إنما قال مره سبح و مره يسبح إشاره إلى دوام تنزيهه فى الماضى و المستقبل «الْمَلِكِ» أى القادر على تصريف الأشياء «الْقُدُّوسِ» أى المستحق للتعظيم الطاهر عن كل نقص «الْعَزِيزِ» القادر الذى لا يمتنع عليه شىء «الْحَكِيمِ» العالم الذى يضع الأشياء موضعا «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ» يعنى العرب و كانت أمه أميه لا تكتب و لا تقرأ و لم يبعث إليهم نبي عن مجاهد و قتاده و قيل يعنى أهل مكه لأن مكه تسمى أم القرى «رَسُولًا مِنْهُمْ» يعنى محمدا ص نسبه نسبهم و هو من جنسهم كما قال لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ

أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ وَوَجْهَ النِّعْمَةِ فِي أَنَّهُ جَعَلَ النَّبُوَّةَ فِي أُمِّي مُوَافَقَتَهُ لِمَا تَقَدَّمَتِ الْبَشَارَةُ بِهِ فِي كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ

ص: ٥

السالفه ولأنه أبعد من توهم الاستعانه على ما أتى به من الحكمه بالحكم التي تلاها و الكتب التي قرأها و أقرب إلى العلم بأن ما يخبرهم به من إخبار الأمم الماضيه و القرون الخاليه على وفق ما فى كتبهم ليس ذلك إلا بالوحى «يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ» أى يقرأ عليهم القرآن المشتمل على الحلال و الحرام و الحجج و الأحكام «وَيُزَكِّيهِمْ» أى و يطهرهم من الكفر و الذنوب و يدعوهم إلى ما يصيرون به أذكيا «وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ» الكتاب القرآن و الحكمه الشرائع و قيل إن الحكمه تعم الكتاب و السنه و كل ما أرادته الله تعالى فإن الحكمه هى العلم الذى يعمل عليه فيما يجتنبى أو يجتنب من أمور الدين و الدنيا «وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» معناه و ما كانوا من قبل بعثه إليهم إلا فى عدول عن الحق و ذهاب عن الدين بين ظاهر «وَ آخِرِينَ مِنْهُمْ» أى و يعلم آخرين من المؤمنين «لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ» و هم كل من بعد الصحابه إلى يوم القيامة فإن الله سبحانه بعث النبى إليهم و شريعته تلمهم و إن لم يلحقوا بزمان الصحابه عن مجاهد و ابن زيد و

قيل هم الأعاجم و من لا يتكلم بلغه العرب فإن النبى ص مبعوث إلى من شاهده و إلى كل من بعدهم من العرب و العجم عن ابن عمر و سعيد بن جبير و روى ذلك عن أبى جعفر (عليه السلام)

و روى أن النبى ص قرأ هذه الآيه فقليل له من هؤلاء فوضع يده على كتف سلمان و قال لو كان الإيمان فى الثريا لئالته رجال من هؤلاء

و على هذا فإنما قال منهم لأنهم إذا أسلموا صاروا منهم فإن المسلمين كلهم يد واحده على من سواهم و أمه واحده و إن اختلف أجناسهم كما قال سبحانه وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ و من لم يؤمن بالنبى ص فإنهم ليسوا ممن عناهم الله تعالى بقوله «وَ آخِرِينَ مِنْهُمْ» و إن كان مبعوثا إليهم بالدعوه لقوله سبحانه «وَيُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمْ» و من لم يؤمن فليس ممن زكاه و علمه القرآن و السنه و قيل إن قوله «لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ» يعنى فى الفضل و السابقه فإن التابعين لا يدركون شأن السابقين من الصحابه و خيار المؤمنين «وَ هُوَ الْعَزِيزُ» الذى لا يغالب «الْحَكِيمُ» فى جميع أفعاله «ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ» يعنى النبوه التى خص الله بها رسوله عن مقاتل «يُؤْتِيهِ» أى يعطيه «مَنْ يَشَاءُ» بحسب ما يعلمه من صلاحه للبعثه و تحمل أعباء الرساله «وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» ذو المن العظيم على خلقه ببعث محمد ص و

روى محمد بن أبى عمير عن هشام بن سالم يرفعه قال جاء الفقراء إلى رسول الله ص فقالوا يا رسول الله إن للأغنياء ما يتصدقون و ليس لنا ما نتصدق و لهم ما يحجون و ليس لنا ما نحج و لهم ما يعتقون و ليس لنا ما نعتق فقال ص من كبر الله مائه مره كان أفضل من عتق رقبه و من سبح الله مائه مره كان أفضل من مائه فرس فى سبيل الله يسرجها و يلجمها و من هلى الله مائه مره كان أفضل الناس عملا فى ذلك اليوم إلا من زاد فبلغ ذلك الأغنياء فقالوه فرجع

الفقراء إلى النبي ص فقالوا يا رسول الله قد بلغ الأغنياء ما قلت فصنعوه فقال ص «ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ»

ثم ضرب سبحانه لليهود الذين تركوا العمل بالتوراه مثلا فقال «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ» أى كلفوا القيام بها و العمل بما فيها «ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا» حق حملها من أداء حقها و العمل بموجبها لأنهم حفظوها و دونوها كتبهم ثم لم يعلموا بما فيها «كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا» لأن الحمار الذى يحمل كتب الحكمة على ظهره لا يحس بما فيها فمثل من يحفظ الكتاب و لا يعمل بموجبه كمثل من لا يعلم ما فيما يحمله قال ابن عباس فسواء حمل على ظهره أو جحده إذا لم يعمل به و على هذا فمن تلا القرآن و لم يفهم معناه و أعرض عنه إعراض من لا- يحتاج إليه كان هذا المثل لاحقا به و إن حفظه و هو طالب لمعناه فليس من أهل هذا المثل و أنشد أبو سعيد الضرير فى ذلك:

زوامل للأسفار لا علم عندهم بجيدها إلا كعلم الأباغر

لعمرك ما يدرى المطى إذا غدا بأسفاره إذ راح ما فى الغرائر

«بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ» معناه بئس القوم قوم هذا مثلهم لأنه سبحانه ذم مثلهم و المراد به ذمهم و اليهود كذبوا بالقرآن و التوراه حين لم يؤمنوا بمحمد ص «وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» أى لا يفعل بهم من الألفاف التى يفعلها بالمؤمنين الذين بها يهتدون و قيل لا يشبههم و لا يهديهم إلى الجنة و عن محمد بن مهران قال يا أهل القرآن اتبعوا القرآن قبل أن يتبعكم و تلا هذه.

ص: ٧

إشارة

قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦) وَ لَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧) قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَ ذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠)

وَ إِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَ تَرَكُوا قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَ مِنَ التِّجَارَةِ وَ اللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١)

اللغة

الزعم قول عن ظن أو علم و لذلك صار من باب الظن و العلم و عمل ذلك العمل قال:

فإن تزعميني كنت أجهل فيكم فإني شريت الحلم بعدك بالجهل

و الأولياء جمع ولى و هو الحقيق بالنصره التى يوليها عند الحاجة و الله ولى المؤمنين لأنه يوليهم النصره عند حاجتهم و المؤمن ولى الله لهذه العله و يجوز أن يكون لأنه يولى المطيع له نصره عند حاجته و التمنى هو قول القائل لما كان ليته لم يكن و لما لم يكن ليته كان فهو يتعلق بالماضى و المستقبل و هو من جنس الكلام عن الجبائى و القاضى و قال أبو هاشم هو معنى فى النفس يوافق هذا القول و الجمع و الجمعه لغتان و جمعها جمع و جمعات قال الفراء و فيها لغه ثالثه جمع بفتح الميم كضحكه و همزه و إنما سمي جمعه لأنه تعالى فرغ فيه من خلق الأشياء فاجتمعت فيه المخلوقات و قيل لأنه تجتمع فيه الجماعات و قيل إن أول من سماها جمعه كعب بن لؤى و هو أول من قال أما بعد و كان يقال للجمعه العروبه عن أبى سلمه و قيل إن أول من سماها جمعه الأنصار قال ابن سيرين جمع أهل المدينه قبل أن يقدم النبى ص المدينه و قيل قبل أن تنزل الجمع قالت الأنصار لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام و للنصارى يوم أيضا مثل ذلك فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر الله عز و جل و نشكره و كما قالوا يوم السبت لليهود و يوم الأحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبه فاجتمعوا إلى أسعد بن زراره

فصلى بهم يومئذ و ذكرهم فسموه يوم الجمعة حين اجتمعوا إليه فذبح لهم أسعد بن زراره شاه فتغدوا و تعشوا من شاه واحده و ذلك لقلتهم فأنزل الله تعالى فى ذلك «إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ» الآية فهذه أول جمعه جمعت فى الإسلام فأما أول جمعه جمعها رسول الله ص بأصحابه فقيل إنه قدم رسول الله ص مهاجرا حتى نزل قبا على عمرو بن عوف و ذلك يوم الإثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول حين الضحى فأقام بقبا يوم الإثنين و الثلاثاء و الأربعاء و الخميس و أسس مسجدهم ثم خرج من بين أظهرهم يوم الجمعة عامدا المدينة فأدركته صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فى بطن واد لهم قد اتخذ اليوم فى ذلك الموضوع مسجد و كانت هذه الجمعة أول جمعه جمعها رسول الله ص فى الإسلام فخطب فى هذه الجمعة و هى أول خطبه خطبها بالمدينة فيما قيل

فقال الحمد لله أحمده و أستعينه و أستغفره و أستهديه و أومن به و لا أكفره و أعادى من يكفره و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده و رسوله أرسله بالهدى و النور و الموغظه على فتره من الرسل و قلبه من العلم و ضلاله من الناس و انقطاع من الزمان و دنو من الساعة و قرب من الأجل من يطع الله و رسوله فقد رشد و من يعصهما فقد غوى و فرط و ضل ضلالا بعيدا أوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة و أن يأمره بتقوى الله فاحذروا ما حذركم الله من نفسه و إن تقوى الله لمن عمل به على وجل و مخافه من ربه عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة و من يصلح الذى بينه و بين الله من أمره فى السر و العلانية لا ينوى بذلك إلا وجه الله يكن له ذكرا فى عاجل أمره و ذخرا فيما بعد الموت و حين يفتقر المرء إلى ما قدم و ما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه و بينه أمدا بعيدا و يحذركم الله نفسه و الله رءوف بالعباد و الذى صدق قوله و نجز وعده لا خلف لذلك فإنه يقول ما يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَىَّ وَ مَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ فاتقوا الله فى عاجل أمركم و آجله فى السر و العلانية فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته و يعظم له أجرا و من يتق الله فقد فاز فوزا عظيما و إن تقوى الله توقى مقتته و توقى عقوبته و توقى سخطه و إن تقوى الله تبيض الوجوه و ترضى الرب و ترفع الدرجة خذوا بحظكم و لا تفرطوا فى جنب الله فقد علمكم الله كتابه و نهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا و يعلم الكاذبين فأحسنوا كما أحسن الله إليكم و عادوا أعداءه و جاهدوا فى سبيل الله حق جهاده هو اجتباكم و سماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينه و يحيى من حى عن بينه و لا حول و لا قوة إلا بالله فأكثروا ذكر الله و اعلموا لما بعد اليوم فإنه من يصلح ما بينه و بين الله يكفه الله ما بينه و بين الناس ذلك بأن الله يقضى على الناس و لا يقضون عليه و يملك من الناس و لا يملكون منه الله أكبر و لا قوة إلا بالله العلي العظيم

فلهذا صارت الخطبه شرطا فى انعقاد الجمعة.

قال جابر بن عبد الله أقبلت غير و نحن نصلى مع رسول الله ص الجمعة فانفض الناس إليها فما بقى غير اثنى عشر رجلا أنا فيهم فنزلت الآية «وَ إِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا» وقال الحسن و أبو مالك أصاب أهل المدينة جوع و غلاء سعر فقدم دحية بن خليفة بتجاره زيت من الشام و النبي ص يخطب يوم الجمعة فلما رأوه قاموا إليه بالبيع خشيه أن يسبقوا إليه فلم يبق مع النبي ص إلا رهط فنزلت الآية

فقال و الذى نفسى بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى أحد منكم لسال بكم الوادى نارا

و قال المقاتلان بينا رسول الله ص يخطب يوم الجمعة إذ قدم دحية بن خليفة بن فروه الكلبى ثم أحد بنى الخزرج ثم أحد بنى زيد بن مناه من الشام بتجاره و كان إذا قدم لم يبق بالمدينة عاتق إلا أته و كان يقدم إذا قدم بكل ما يحتاج إليه من دقيق أو بر أو غيره فينزل عند أحجار الزيت و هو مكان فى سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدمه فيخرج إليه الناس ليتبايعوا معه فقدم ذات جمعه و كان ذلك قبل أن يسلم و رسول الله ص قائم على المنبر يخطب فخرج الناس فلم يبق فى المسجد إلا اثنا عشر رجلا و امرأه

فقال ص لو لا هؤلاء لسموت عليهم الحجارة من السماء

و أنزل الله هذه الآية و قيل لم يبق فى المسجد إلا ثمانية رهط عن الكلبى عن ابن عباس و قيل إلا أحد عشر رجلا عن ابن كيسان و قيل إنهم فعلوا ذلك ثلاث مرات فى كل يوم مره لغير تقدم من الشام و كل ذلك يوافق يوم الجمعة عن قتاده و مقاتل.

المعنى

لما تقدم ذكر اليهود فى إنكارهم ما فى التوراه أمر سبحانه نبيه ص أن يخاطبهم بما يفهمهم فقال «قُلْ» يا محمد «يا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا» أى سموا يهودا «إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ» أى إن كنتم تظنون على زعمكم أنكم أنصار الله و أن الله ينصركم «مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَتُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» إنكم أبناء الله و أحبائه فإن الموت هو الذى يوصلكم إليه ثم أخبر سبحانه عن حالهم فى كذبهم و اضطرابهم فى دعواهم و أنهم غير واثقين بذلك فقال «وَ لَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ» من الكفر و المعاصى «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ» أى عالم بأفعالهم و أحوالهم و قد تقدم تفسير الآيتين فى سورة البقره و فيه معجزه للرسول لأنه أخبر أنهم لا يتمنون الموت أبدا لما يعرفون من صدق النبي ص و كذبهم فكان الأمر كما قال و

روى أنه ص قال لو تمنوا لماتوا عن آخرهم

«قُلْ» يا محمد «إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ» أى إنكم و إن فررتم من الموت و كرهتموه فإنه لا بد ينزل بكم و يلقاكم و يدرككم و لا- ينفعكم الهرب منه و إنما قال فإنه ملاقيكم بالفاء سواء فروا منه أو لم يفروا منه فإنه ملاقيهم مبالغه فى الدلاله على أنه لا- ينفع الفرار منه لأنه إذا كان الفرار بمنزله السبب فى ملاقاته فلا معنى للفرار لأنه لا يباعد منه و إلى هذا المعنى

أشار أمير

ص: ١٠

المؤمنين (عليه السلام) في قوله كل امرئ لاق ما يفر منه و الأجل مساق النفس و الهرب منه موافاته

و قال زهير:

و من هاب أسباب المنايا ينلته و لو نال أسباب السماء بسلم

و لا- شك أنها تناله هابها أو لم يهبها و لكنه إذا كانت هيبته بمنزلة السبب للمنيه فالهيبه لا معنى لها و قيل إن التقدير قل إن الموت هو الذى تفرون منه فجعل الذى فى موضع الخبر لا- صفه للموت و يكون «فَإِنَّهُ» مستأنفا «ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ» أى ترجعون إلى الله الذى يعلم سركم و علانيتكم يوم القيامة «فَيُبَيِّنُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فى دار الدنيا و يجازيكم بحسبها ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ» أى إذا أذن لصلاه الجمعة و ذلك إذا جلس الإمام على المنبر يوم الجمعة و ذلك لأنه لم يكن على عهد رسول الله ص نداء سواه قال السائب بن زيد كان لرسول الله ص مؤذن واحد بلال فكان إذا جلس على المنبر أذن على باب المسجد فإذا نزل أقام للصلاه ثم كان أبو بكر و عمر كذلك حتى إذا كان عثمان و كثر الناس و تباعدت المنازل زاد أذانا فأمر بالتأذين الأول على سطح دار له بالسوق و يقال له الزوراء و كان يؤذن له عليها فإذا جلس عثمان على المنبر أذن مؤذنه فإذا نزل أقام للصلاه فلم يعب ذلك عليه «فَاسْتَبَعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ» أى فامضوا إلى الصلاه مسرعين غير متثاقلين عن قتاده و ابن زيد و الضحاك و قال الزجاج معناه فامضوا إلى السعى الذى هو الإسراع و قرأ عبد الله بن مسعود

فامضوا إلى ذكر الله و روى ذلك عن على بن أبى طالب (عليه السلام) و عمر بن الخطاب و أبى بن كعب ابن عباس و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام) و أبى عبد الله (عليه السلام)

و قال ابن مسعود لو علمت الإسراع لأسرعت حتى يقع ردائى عن كتفى و قال الحسن ما هو السعى على الأقدام و قد نهوا أن يأتوا الصلاه إلا و عليهم السكينه و الوقار و لكن بالقلوب و النيه و الخشوع و قيل المراد بذكر الله الخطبه التى تتضمن ذكر الله و المواعظ «وَ ذُرُّوا الْبَيْعَ» أى دعوا المبايعه قال الحسن كل بيع تفوت فيه الصلاه يوم الجمعة فإنه بيع حرام لا يجوز و هذا هو الذى يقتضيه ظاهر الآيه لأن النهى يدل على فساد المنهى عنه «ذَلِكُمْ» يعنى ما أمرتكم به من حضور الجمعة و استماع الذكر و أداء الفريضه و ترك البيع «حَيْرٌ لَكُمْ» و أنفع لكم عاقبه «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» منافع الأمور و مضارها و مصالح أنفسكم و مفسدها و قيل معناه اعلّموا ذلك عن الجبائى و فى هذه الآيه دلالة على وجوب الجمعة و فى تحريم جميع التصرفات عند سماع أذان الجمعة لأن البيع إنما خص بالنهى عنه لكونه من أعم التصرفات فى أسباب المعاش و فيها دلالة على أن الخطاب للأحرار لأن العبد

لا- يملك البيع و على اختصاص الجمعة بمكان و لذلك أوجب السعى إليه و فرض الجمعة لازم لجميع المكلفين إلا أصحاب الأعذار من السفر أو المرض أو العمى أو العرج أو أن يكون امرأه أو شيخا هما لا حراك به أو عبدا أو يكون على رأس أكثر من فرسخين من الجامع و عند حصول هذه الشرائط لا يجب إلا عند حضور السلطان العادل أو من نصبه السلطان للصلاه و العدد يتكامل عند أهل البيت (عليه السلام) بسبعه و قيل ينعقد بثلاثه سوى الإمام عن أبي حنيفه و الثورى و قيل إنما ينعقد بأربعين رجلا أحرارا بالغين مقيمين عن الشافعى و قيل ينعقد باثنين سوى الإمام عن أبي يوسف و قيل ينعقد بواحد كسائر الجماعات عن الحسن و داود و الاختلاف بين الفقهاء فى مسائل الجمعة كثير موضعه كتب الفقه «فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ» يعنى إذا صليتم الجمعة و فرغتم منها ففرقوا فى الأرض «وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ» أى و اطلبوا الرزق فى البيع و الشراء و هذا إباحه و ليس بأمر و إيجاب و

روى عن أنس عن النبي ص قال فى قوله «فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا» الآية ليس بطلب دنيا و لكن عياده مريض و حضور جنازه و زياره أخ فى الله

و قيل المراد بقوله «وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ» طلب العلم عن الحسن و سعيد بن جبير و مكحول و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال الصلاه يوم الجمعة و الانتشار يوم السبت

و

روى عمرو بن زيد عن أبى عبد الله قال إنى لأركب فى الحاجه التى كفاها الله ما أركب فيها إلا التماس أن يرانى الله أضحى فى طلب الحلال أما تسمع قول الله عز اسمه «فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ» أ رأيت لو أن رجلا دخل بيتا و طين عليه بابه ثم قال رزقى ينزل على كان يكون هذا أما أنه أحد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم قال قلت من هؤلاء الثلاثة قال رجل تكون عنده المرأه فيدعو عليها فلا يستجاب له لأن عصمتها فى يده لو شاء أن يخلى سبيلها لخلى سبيلها و الرجل يكون له الحق على الرجل فلا يشهد عليه فيجده حقه فيدعو عليه فلا يستجاب له لأنه ترك ما أمر به و الرجل يكون عنده الشىء فيجلس فى بيته فلا ينتشر و لا يطلب و لا يلتمس حتى يأكله ثم يدعو فلا يستجاب له

«وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا» أى اذكروه على إحسانه و اشكروه على نعمه و على ما وفقكم من طاعته و أداء فرضه و قيل إن المراد بالذكر هنا الفكر كما قال تفكر ساعه خير من عباده سنه و قيل معناه اذكروا الله فى تجارتكم و أسواقكم كما

روى عن النبي ص أنه قال من ذكر الله فى السوق مخلصا عند غفله الناس و شغلهم بما فيه كتب له ألف حسنه و يغفر الله له يوم القيامة مغفره لم تخطر على قلب بشر

«لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» أى لتفلحوا و تفوزوا بثواب النعيم علق سبحانه الفلاح بالقيام بما تقدم ذكره من أعمال الجمعة و غيرها و

صح الحديث عن أبى ذر قال قال رسول الله ص من اغتسل يوم الجمعة فأحسن غسله و لبس

صالح ثيابه و مس من طيب بيته أو دهنه ثم لم يفرق بين اثنين غفر الله له ما بينه و بين الجمعة الأخرى و زياده ثلاثه أيام بعدها
أورده البخارى فى الصحيح

و

روى سلمان التميمى عن النبى ص قال إن الله عز و جل فى كل يوم جمعه ستمائه ألف عتيق من النار كلهم قد استوجب النار

ثم أخبر سبحانه عن جماعه قابلوا أكرم الكرم بالأم اللؤم فقال «وَ إِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا» أى عاينوا ذلك و قيل معناه إذا علموا
بيعا و شراء أو لهوا و هو الطبل عن مجاهد و قيل المزامير عن جابر «انْفَضُّوا إِلَيْهَا» أى تفرقوا عنك خارجين إليها و قيل مالوا إليها
و الضمير للتجاره و إنما خصت برد الضمير إليها لأنها كانت أهم إليهم و هم بها أسر من الطبل لأن الطبل إنما دل على التجاره
عن الفراء و قيل عاد الضمير إلى أحدهما اكتفاء به و كأنه على حذف و المعنى و إذا رأوا تجاره انفضوا إليها و إذا رأوا لهوا
انفضوا إليه فحذف إليه لأن إليها يدل عليه و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال انصرفوا إليها

«وَ تَرَكَوْكَ قَائِمًا» تخطب على المنبر قال جابر بن سمره ما رأيت رسول الله ص خطب إلا و هو قائم فمن حدثك أنه خطب و
هو جالس فكذبه و سئل عبد الله بن مسعود أ كان النبى ص يخطب قائما فقال أ ما تقرأ «وَ تَرَكَوْكَ قَائِمًا» و قيل أراد قائما فى
الصلاه ثم قال تعالى «قُلْ» يا محمد لهم «مَا عِنْدَ اللَّهِ» من الثواب على سماع الخطبه و حضور الموعظه و الصلاه و الثبات مع النبى
ص «خَيْرٌ» و أحمد عاقبه و أنفع «مِنَ اللَّهْوِ وَ مِنَ التِّجَارَةِ وَ اللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» يرزقكم و إن لم تتركوا الخطبه و الجمعة.

ص: ١٣

(٦٣) سورة المنافقون مدنيه و آياتها إحدى عشره (١١)

اشاره

[توضيح]

مدنيه بالإجماع و هي إحدى عشره آيه.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأ سورة المنافقين برأ من النفاق.

تفسيرها

لما ختم الله سورة الجمعه بما هو من علامات النفاق من ترك النبى ص قائما فى الصلاه أو فى الخطبه و الاشتغال باللهو و طلب الارتفاق افتتح هذه السوره بذكر المنافقين أيضا فقال:

ص: ١٤

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصِيدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣) وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمِعَ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهمْ خُشْبٌ مَسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٤)

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَعْفِفُوا لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوْأَوْا رُؤُسَهُمْ وَ رَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٥)

القراءة

قرأ أبو عمرو وغير عباس و الكسائي خشب ساكنه الشين و الباقون «خُشْبٌ» بضمها و قرأ نافع و روح عن يعقوب و سهل لووا بتخفيف الواو و الباقون «لَوْأَوْا» بتشديدها و هو اختيار أبي عبيده و في الشواذ قراءة الحسن اتخذوا إيمانهم بالكسر.

الحج

قال أبو علي من قرأ خشب جعله مثل بدنه و بدن و مثله أسد و أسد و وثن و وثن في قوله إن يدعون من دونه إلا أثنا قال سيبويه هي قراءة و التثنية أن فعل قد جاء في نظيره قالوا أسد كما قالوا في جمع ثمر ثمر قال الشاعر

" يقدم إقداما عليكم كالأسد "

قال أبو الحسن التحريك في خشب لغه أهل الحجاز و حجه من قرأ لووا بالتخفيف قوله «لَيْئًا بِالْأَسْتِنْتِهِمْ» فاللى مصدر لوى مثل طوى طيا و التثنية لأن الفعل للجماعه فهو كقوله مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ و قد جاء

" تلويه الخاتن زب المعذر "

أنشده أبو زيد و قوله إيمانهم بالكسر هو على حذف المضاف أى اتخذوا إظهار إيمانهم جنه و قد مر أمثال ذلك.

اللغة

الجنه الستره المتخذة لدفع الأذيه كالسلاح المتخذ لدفع الجراح و الجنه البستان الذى يجنه الشجر و الجنه الجنون الذى يستر العقل و الفقه العلم بالشىء ففقه الحديث أفقعه و كل علم فقه إلا لما اختص به علم الشريعة و كل من علمها يقال أنه فقيه و أفقتهك الشىء بينت لك و فقه الرجل بالضم صار فقيها قال ابن دريد الجسم كل شخص مدرک و كل عظيم الجسم جسيم و

جسام و الأجسام العظیم الجسم قال الشاعر:

و أجسم من عاد جسوم رجالهم و أكثر إن عدوا عديدا من الرمل

و اختلف المتكلمون فى حد الجسم فقال المحققون منهم هو الطويل العريض العميق و لذلك متى ازداد ذهابه فى هذه الجهات الثلاث قيل أجسم و جسيم و قيل هو المؤلف و قيل هو القائم بالنفس و معناه أنه لا يحتاج إلى محل و الصحيح القول الأول و الأجسام ما تألف من الجواهر و هى أجزاء لا- تتجزأ ائتلفت بمعان يقال لها المؤتلفات فإذا رفعت عنها بقيت أجزاء لا تتجزأ و اختلف فى أقل أجزاء الأجسام و الصحيح أنه ما تألف من ثمانية أجزاء و قيل من ستة أجزاء عن أبى الهذيل و قيل من أربعة أجزاء عن البلخى.

ص: ١٥

«سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» تقديره ساء العمل عملهم فقوله «مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» موصول و صلته في موضع رفع بأنه مبتدأ أو خبر مبتدأ محذوف هو المخصوص بالذم. «أَنِّي يُؤْفَكُونَ» أنى في موضع نصب على الحال بمعنى كيف و التقدير أ جاحدين يؤفكون و يجوز أن يكون في محل النصب على المصدر و التقدير أى أفك يؤفكون و قيل معناه من أين يؤفكون أى يصرفون عن الحق بالباطل عن الزجاج فعلى هذا يكون منصوبا على الظرف و يصدون في موضع نصب على الحال.

المعنى

خاطب الله سبحانه نبيه فقال «إِذَا جَاءَكَ» يا محمد «الْمُنَافِقُونَ» و هم الذين يظهرون الإيمان و يبطنون الكفر و اشتقاقه من النفق و النافق كما قال الشاعر:

للمؤمنين أمور غير مخزيه و للمنافق سر دونه نفي

«قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ» أى أخبروا بأنهم يعتقدون أنك رسول الله «وَ اللَّهُ يَعْلَمُ» يا محمد «إِنَّكَ لَرَسُولُهُ» على الحقيقة و كفى بالله شهيدا «وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ» فى قولهم إنهم يعتقدون أنك رسول الله فكان إكذابهم فى اعتقادهم و أنهم يشهدون ذلك بقلوبهم و لم يكذبوا فيما يرجع إلى ألسنتهم لأنهم شهدوا بذلك و هم صادقون فيه و فى هذا دلالة على أن حقيقة الإيمان إنما هو بالقلب و من قال شيئا و اعتقد خلافه فهو كاذب «اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً» أى ستره يستترون بها من الكفر لئلا يقتلوا و لا يسبوا و لا تؤخذ أموالهم «فَصَيَّدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» أى فأعرضوا بذلك عن دين الإسلام و قيل معناه منعوا غيرهم عن اتباع سبيل الحق بأن دعوهم إلى الكفر فى الباطن و هذا من خواص المنافقين يصدون العوام عن الدين كما تفعل المبتدعه «إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أى بئس الذين يعملونه من إظهار الإيمان مع إبطان الكفر و الصد عن السبيل «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا» بألسنتهم عند الإقرار بلا إله إلا الله محمد رسول الله «ثُمَّ كَفَرُوا» بقلوبهم لما كذبوا بهذا عن قتاده و قيل معناه آمنوا ظاهرا عند النبى و المسلمين ثم كفروا إذا خلوا بالمشركين و إنما قال ثم كفروا لأنهم جددوا الكفر بعد إظهار الإيمان «فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ» أى ختم عليها بسمه تميز بها الملائكة بينهم و بين المؤمنين على الحقيقة و قيل لما ألقوا الكفر و العناد و لم يصغوا إلى الحق و لا فكروا فى المعاد خلاصهم الله و اختارهم و خذلهم فصار ذلك طبعاً على قلوبهم و هو الفهم إلى ما اعتادوه من الكفر عن أبى مسلم «فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ» أى لا يعلمون الحق من حيث أنهم لا- يتفكرون حتى يميزوا بين الحق و الباطل «وَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ» بحسن منظرهم و تمام خلقتهم و جمال بزتهم «وَ إِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ

لِقَوْلِهِمْ» أَى و إِذَا قَالُوا شَيْئًا أَصْغَيْتِ إِلَى كَلَامِهِمْ لِحَسَنِ مَنْطِقِهِمْ وَ فِصَاحِهِ لِسَانِهِمْ وَ بِلَاغِهِ بَيَانِهِمْ «كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسَيِّنَةٌ» أَى كَأَنَّهُمْ أَشْبَاحُ بِلَا أَرْوَاحٍ شَبَّهَهُمُ اللَّهُ فِي خُلُوقِهِمْ مِنَ الْعُقُولِ وَ الْأَفْهَامِ بِالْخَشْبِ الْمَسْنَدِ إِلَى شَيْءٍ لَا أَرْوَاحَ فِيهَا وَ قِيلَ أَنَّهُ شَبَّهَهُمْ بِخَشْبٍ نَخْرَهُ مَتَأَكَلَهُ لَا خَيْرَ فِيهَا وَ يَحْسَبُ مِنْ رَأْيِهَا أَنَّهَا صَاحِبَةٌ سَلِيمَةٌ مِنْ حَيْثُ أَنَّ ظَاهِرَهَا يَرُوقُ وَ بَاطِنُهَا لَا يَفِيدُ فَكَذَلِكَ الْمَنَافِقُ ظَاهِرُهُ مَعْجَبٌ رَائِعٌ وَ بَاطِنُهُ عَنِ الْخَيْرِ زَائِعٌ «يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ» وَ صَفَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْخُورِ وَ الْهَلَعِ أَى يَظُنُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ يَسْمَعُونَهَا كَأَنَّهُ عَلَيْهِمْ وَ الْمَعْنَى يَحْسَبُونَ أَنَّهَا مَهْلِكَتُهُمْ وَ أَنَّهُمْ هُمُ الْمَقْصُودُونَ بِهَا جِنَا وَ وَجَلَا وَ ذَلِكَ مِثْلُ أَنْ يَنَادَى مَنَادٌ فِي الْعَسْكَرِ أَوْ يَصِيحُ أَحَدٌ بِصَاحِبِهِ أَوْ انْفَلَتَتْ دَابَهُ أَوْ أَنْشَدَتْ ضَالَهُ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ إِذَا سَمِعُوا صَيْحَهُ ظَنُّوا أَنَّهَا آيَةٌ مُنَزَّلَةٌ فِي شَأْنِهِمْ وَ فِي الْكَشْفِ عَنِ حَالَتِهِمْ لَمَّا عَرَفُوا مِنَ الْغِشِّ وَ الْخِيَانَةِ فِي صُدُورِهِمْ وَ لِذَلِكَ قِيلَ الْمَرِيبُ خَائِفٌ ثُمَّ أَخْبَرَ سَبْحَانَهُ بَعْدَاوَتِهِمْ فَقَالَ «هُمْ الْعِيدُونَ» لَكَ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الْحَقِيقَةِ «فَاحْذَرُهُمْ» أَنْ تَأْمَنَهُمْ عَلَى سِرِّكَ وَ تَوْقِهِمْ «قَاتَلَهُمُ اللَّهُ» أَى أَخْرَاهُمْ وَ لَعَنَهُمْ وَ قِيلَ أَنَّهُ دَعَاءٌ عَلَيْهِمُ بِالْهَلَاكِ لِأَنَّ مَنْ قَاتَلَهُ اللَّهُ فَهُوَ مَقْتُولٌ وَ مِنْ غَالِبِهِ فَهُوَ مَغْلُوبٌ «أَنَّى يُؤْفَكُونَ» أَى أَنَّى يَصْرَفُونَ عَنِ الْحَقِّ مَعَ كَثْرَةِ الدَّلَالَاتِ وَ هَذَا تَوْبِيخٌ وَ تَقْرِيعٌ وَ لَيْسَ بِاسْتِفْهَامٍ عَنِ أَبِي مُسْلِمٍ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ كَيْفَ يَكْذِبُونَ مِنَ الْإِفْكِ «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا» أَى هَلُمُوا «يَسْتَعْذِرُونَ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوْ أُرُوا رُؤْسَهُمْ» أَى أَكْثَرُوا تَحْرِيكَهَا بِالْهَزْءِ لَهَا اسْتِهْزَاءً بِدَعَائِهِمْ إِلَى ذَلِكَ وَ قِيلَ أَمَالُهَا إِعْرَاضًا عَنِ الْحَقِّ وَ كِرَاهَةً لِذِكْرِ النَّبِيِّ ص وَ ذَلِكَ لِكُفْرِهِمْ وَ اسْتِكْبَارِهِمْ «وَ رَأَيْتَهُمْ» يَا مُحَمَّدُ «يَصُدُّونَ» عَنِ سَبِيلِ [اللَّهِ] الْحَقِّ «وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ» أَى مُتَكَبِّرُونَ مَظْهُرُونَ أَنَّهُ لَا حَاجَةَ لَهُمْ إِلَى الْاسْتِغْفَارِ.

إشاره

سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسِيْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسِيْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٦) هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (٧) يَقُولُونَ لِنُنْزِلَنَّ إِلَيْكَ الْقُرْآنَ فَتُخَرِّجُنَا مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) وَانْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠)

وَ لَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١)

القراءة

قرأ أبو عمرو و أكون بالنصب و الباقون «وَأَكُنْ» بالجزم و قرأ حماد و يحيى بما يعلمون بالياء و الباقون بالتاء.

الحجّه

من قرأ «وَأَكُنْ» عطفه على موضع قوله «فَمَا صَدَّقَ» لأنه في موضع فعل مجزوم ألا ترى أنك إذا قلت أخرجني أصدق كان جزما بأنه جواب الجزاء و قد أغنى السؤال عن ذكر الشرط و التقدير أخرجني فإنك إن تؤخرني أصدق فلما كان الفعل المنتصب بعد الفاء في موضع فعل مجزوم بأنه جواب الشرط حمل قوله «وَأَكُنْ» عليه و مثل ذلك قوله «مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَ يَذَرُهُمْ» لما كان فلا هادى له في موضع فعل مجزوم حمل و يذرهم عليه و مثل ذلك قول الشاعر:

فأبلوني بليتكم لعلي أصالحكم و ستدرج نوبيا

حمل و استدراج على موضع الفاء المحذوفه و ما بعدها من لعلي و كذلك قوله:

أيا سلكت فإنني لك كاشح و على انتقاصك في الحياه و ازداد

حمل و ازداد على موضع الفاء و ما بعدها و أما قول أبي عمرو و أكون فإنما حملة على اللفظ دون الموضع و كان الحمل على اللفظ أولى لظهوره في اللفظ و قربه و زعموا أن في

حرف أبي فأصدق و أكون و من قرأ بما يعملون بالياء فعلى قوله «وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا» لأن النفس و إن كان واحدا في اللفظ فالمراد به الكثرة و من قرأ بالتاء كان خطابا شائعا.

اللغة

الانفصاض التفرق و فض الكتاب إذا فرقه و نشره و سميت الفضة فضه لتفرقها في أثمان الأشياء المشتراه و كل شىء يشغلك عن شىء فقد ألهاك عنه قال:

ألهى بنى جشم عن كل مكرمه قصيده قالها عمرو بن كلثوم

و قال امرؤ القيس:

فمثلك جبلى قد طرقت و مرضع فألهيتها عن ذى توائم محول

. النزول

نزلت الآيات في عبد الله بن أبي المنافق و أصحابه و ذلك

أن رسول الله ص بلغه أن بنى المصطلق يجتمعون لحربه و قائدهم الحرث بن أبى ضرار أبو جويريه زوج النبى ص فلما سمع بهم رسول الله ص خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيق من ناحيه قديد إلى الساحل فتزاحف الناس و اقتتلوا فهزم الله بنى المصطلق و قتل منهم من قتل و نفل رسول الله ص أبناءهم و نساءهم و أموالهم فبينما الناس على ذلك الماء إذ وردت وارده الناس و مع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار يقال له جهجاه بن سعيد يقود له فرسه فازدحم جهجاه و سنان الجهنى من بنى عوف بن خزرج على الماء فاقتتلا- فصرخ الجهنى يا معشر الأنصار و صرخ الغفارى يا معشر المهاجرين فأعان الغفارى رجل من المهاجرين يقال له جعال و كان فقيرا فقال عبد الله بن أبى لجعال إنك لهتاك فقال و ما يمنعنى أن أفعل ذلك و اشتد لسان جعال على عبد الله فقال عبد الله و الذى يحلف به لأزرنك و يهملك غير هذا و غضب ابن أبى و عنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم حديث السن فقال ابن أبى قد نافرونا و كاثرونا فى بلادنا و الله ما مثلنا و مثلهم إلا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك أما و الله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل يعنى بالأعز نفسه و بالأذل رسول الله ص ثم أقبل على من حضره من قومه فقال هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم و قاسمتوهم أموالكم أما و الله لو أمسكتم عن جعال و ذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم و لأوشكوا أن يتحولوا من بلادكم و يلحقوا بعشائرتهم و مواليهم فقال زيد بن أرقم أنت و الله الذليل القليل المبعض فى قومك و محمد ص فى عز من الرحمن و موده من المسلمين و الله لا أحبك بعد كلامك هذا فقال عبد الله اسكت فإنما كنت ألعب فمشى زيد بن أرقم إلى رسول الله ص

و ذلك بعد فراغه من الغزو فأخبره الخبر فأمر رسول الله ص بالرحيل و أرسل إلى عبد الله فأتاه فقال ما هذا الذى بلغنى عنك فقال عبد الله و الذى أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك قط و إن زيدا لكاذب و قال من حضر من الأنصار يا رسول الله شيخنا و كبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام من غلمان الأنصار عسى أن يكون هذا الغلام وهم فى حديثه فعذره رسول الله ص و فشت الملامه من الأنصار لزيد و لما استقل رسول الله ص فسار لقيه أسيد بن الحضير فحياه بتحيه النبوه ثم قال يا رسول الله لقد رحى فى ساعه منكروه ما كنت تروح فيها فقال له رسول الله ص أ و ما بلغك ما قال صاحبكم زعم أنه إن رجعت إلى المدينه أخرج الأعمز منها الأذل فقال أسيد فأنت و الله يا رسول الله تخرجه إن شئت هو و الله الدليل و أنت العزيز ثم قال يا رسول الله ارفق به فو الله لقد جاء الله بك و إن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه و إنه ليرى أنك قد استلبته ملكا و بلغ عبد الله بن عبد الله بن أبى ما كان من أمر أبيه فأتى رسول الله ص فقال يا رسول الله أنه قد بلغنى أنك تريد قتل أبى فإن كنت لا بد فاعلا فمرنى به فأنا أحمل إليك رأسه فو الله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالديه منى و أنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبى أن يمشى فى الناس فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار فقال بل ترفق به و تحسن صحبته ما بقى معنا قالوا و سار رسول الله ص بالناس يومهم ذلك حتى أمسى و ليلتهم حتى أصبح و صدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يكن إلا أن وجدوا مس الأرض وقعوا نياما إنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذى خرج من عبد الله بن أبى ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع يقال له بقعاء فهاجت ريح شديده آذتهم و تخوفوها و ضلت ناقه رسول الله ص و ذلك ليلا فقال مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينه قيل من هو قال رفاعه فقال رجل من المنافقين كيف يزعم أنه يعلم الغيب و لا- يعلم مكان ناقته ألا- يخبره الذى يأتيه بالوحى فأتاه جبريل فأخبره بقول المنافق و بمكان الناقه و أخبر رسول الله ص بذلك أصحابه و قال ما أزعم أنى أعلم الغيب و ما أعلمه و لكن الله تعالى أخبرنى بقول المنافق و بمكان ناقتى هى فى الشعب فإذا هى كما قال فجاءوا بها و آمن ذلك المنافق فلما قدموا المدينه وجدوا رفاعه بن زيد فى التابوت أحد بنى قينقاع و كان من عظماء اليهود و قد مات ذلك اليوم قال زيد بن أرقم فلما وافى رسول الله ص المدينه جلست فى البيت لما بى من الهم و الحياء فنزلت سوره المنافقين فى تصديق زيد و تكذيب عبد الله بن أبى ثم أخذ رسول الله ص بإذن زيد فرفعه عن

الرحل ثم قال يا غلام صدق فوك و وعت أذناك و وعى قلبك و قد أنزل الله فيما قلت قرآنا و كان عبد الله بن أبي بقر المدينه فلما أراد أن يدخلها جاءه ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي حتى أناخ على مجامع طرق المدينه فقال ما لك و يلك قال و الله لا تدخلها إلا بإذن رسول الله و لتعلمن اليوم من الأعز من الأذل فشكا عبد الله ابنه إلى رسول الله ص فأرسل إليه أن خل عنه يدخل فقال أما إذا جاء أمر رسول الله ص فنعم فدخل فلم يلبث إلا أياما قلائل حتى اشتكى و مات فلما نزلت هذه الآيات و بان كذب عبد الله قيل له نزل فيك آى شداد فاذهب إلى رسول الله ص يستغفر لك فلوى رأسه ثم قال أمرتموني أن أومن فقد آمنت و أمرتموني أن أعطى زكاه مالى فقد أعطيت فما بقى إلا أن أسجد لمحمد فنزل «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا» إلى قوله «وَ لَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ».

المعنى

ثم ذكر سبحانه أن استغفاره لا- ينفعهم فقال «سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ» أى يتساوى الاستغفار لهم و عدم الاستغفار «لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ» لأنهم يبطنون الكفر و إن أظهروا الإيمان «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» أى لا- يهدى القوم الخارجين عن الدين و الإيمان إلى طريق الجنة قال الحسن أخبره سبحانه أنهم يموتون على الكفر فلم يستغفر لهم و قد كان النبى ص يستغفر لهم على ظاهر الحال بشرط حصول التوبه و أن يكون الباطن مثل الظاهر فبين الله تعالى أن ذلك لا ينفعهم مع إبطانهم الكفر و النفاق ثم قال سبحانه «هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا- تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ» من المؤمنين المحتاجين «حَتَّى يَنْفُضُوا» أى يترققوا عنه و إنما قالوا هم من عند محمد ص و لكن الله سبحانه سماه رسول الله ص تشريفا له و تعظيما لقدره «وَ لِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» و ما بينهما من الأرزاق و الأموال و الأغلاق فلو شاء لأغناهم و لكنه تعالى يفعل ما هو الأصلح لهم و يمتحنهم بالفقر و يتعبدهم بالصبر ليصبروا فيؤجروا و ينالوا الثواب و كريم المآب «وَ لَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ» ذلك على الحقيقه لجهلهم بوجه الحكمة و قيل لا يفقهون أن أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون «يَقُولُونَ لَنْ نَرْجِعَ إِلَى الْمَدِينَةِ» من غزوه بنى المصطلق «لِيُخْرِجَنَّ الْمَأْعُزَّ» يعنون نفوسهم «مِنْهَا الْأَذَلَّ» يعنون رسول الله ص و المؤمنين فرد الله سبحانه عليهم بأن قال «وَ لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ» بإعلاء الله كلمته و إظهاره دينه على الأديان «وَ لِلْمُؤْمِنِينَ» بنصرته إياهم فى الدنيا و إدخالهم الجنة فى العقبى و قيل و لله العزه بالربوبيه و لرسوله بالنبوه و للمؤمنين بالعبوديه أخبر سبحانه بذلك ثم حقه بأن أعز رسوله و المؤمنين و فتح عليهم مشارق الأرض و مغاربها و قيل عز الله خمسه عز الملك و البقاء و عز العظمه و الكبرياء و عز البذل و العطاء و عز الرفعه و العلاء و عز الجلال و البهاء و عز الرسول خمسه عز

السبق و الابتداء و عز الأذان و النداء و عز قدم الصدق على الأنبياء و عز الاختيار و الاصطفاء و عز الظهور على الأعداء و عز المؤمنين خمسه عز التأخير بيانه نحن الآخرون السابقون و عز التيسير بيانه وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ * يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ و عز التبشير، بيانه وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا و عز التوقير، بيانه وَ أَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ * و عز التكثير، بيانه أنهم أكثر الأمم «وَ لَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ» فيظنون أن العزه لهم و ذلك لجهلهم بصفات الله تعالى و ما يستحقه أولياؤه و وجه الجمع بين هذه الآيه و بين قوله فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا أن عز الرسول و المؤمنين من جهته عز اسمه و إنما يحصل به و بطاعته فله العز بأجمعه ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ» أى لا- تشغلکم «أَمْوَالُكُمْ وَ لَا- أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ» أى عن الصلوات الخمس المفروضه و قيل ذكر الله جميع طاعاته عن أبى مسلم و قيل ذكره شكره على نعمائه و الصبر على بلائه و الرضاء بقضائه و هو إشاره إلى أنه لا- ينبغى أن يغفل المؤمن عن ذكر الله فى بؤس كان أو نعمه فإن إحسانه فى الحالات لا ينقطع «وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ» أى من يشغله ماله و ولده عن ذكر الله «فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» خسروا ثواب الله و رحمته «وَ أَنْفَقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاهُمْ» فى سبيل البر فيدخل فيه الزكوات و سائر الحقوق الواجبه «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ» أى أسباب الموت «فَيَقُولَ رَبِّ لَوْ لَا- أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ» أى هلا أخرتنى و ذلك إذا عاين علامات الآخرة فيسأل الرجعه إلى الدنيا ليتدارك الفائت قالوا و ليس فى الزجر عن التفريط فى حقوق الله آيه أعظم من هذه و قوله «إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ» أى مثل ما أجلت لى فى دار الدنيا «فَأَصْدَقَ» أى فأصدق و أركى مالى و أنفقه فى سبيل الله «وَ أَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ» أى من الذين يعملون الأعمال الصالحه و قيل من الصالحين أى من المؤمنين و الآيه فى المطيعين لله و الآيه فى المؤمنين عن ابن عباس قال ما من أحد يموت و كان له مال فلم يؤد زكاته و أطاق الحج فلم يحج إلا سأل الرجعه عند الموت قالوا يا ابن عباس اتق الله فإنما نرى هذا الكافر يسأل الرجعه فقال أنا أقرأ عليكم قرآنا ثم قرأ هذه الآيه إلى قوله

«مِنَ الصَّالِحِينَ» قال الصلاح هنا الحج و روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام)

«وَ لَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا» يعنى الأجل المطلق الذى حكم بأن الحى يموت عنده و الأجل المقيد هو الأجل المحكوم بأن العبد يموت عنده إن لم يقتطع دونه أو لم يزد عليه أو لم ينقص منه على ما يعلمه الله من المصلحه «وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» أى عليم بأعمالكم يجازيكم بها.

النظم

وجه اتصال هذه الآيه الأخيره بما قبلها أن معناه أنه سبحانه لو علم أنكم تتوبون لجعل فى أجلكم تأخيرا إلى وقت آخر و لكنه علم أنكم لا تتوبون.

(٦٤) سورة التغابن مدنيه و آياتها ثمانى عشره (١٨)

اشاره

[توضيح]

و قال ابن عباس مكيه غير ثلاث آيات من آخرها نزلن بالمدينه «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ» إلى آخر السوره.

عدد آياتها

ثمانى عشره آيه بالإجماع.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأ سوره التغابن دفع عنه موت الفجأه.

ابن أبى العلاء عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ سوره التغابن فى فريضته كانت شفيعه له يوم القيامه و شاهد عدل عند من يجيز شهادتها ثم لا تفارقه حتى يدخل الجنه.

تفسيرها

لما ختم الله تعالى تلك السوره بذكر الأمر بالطاعه و النهى عن المعصيه افتتح هذه السوره ببيان حال المطيع و العاصى فقال:

ص: ٢٣

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْبِغُ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَكُمُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرًا وَمِنْكُمْ مُؤْمِنًا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣) يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤)

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥)

المعنى

«يَسْبِغُ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» تسييح المكلفين بالقول و تسييح الجمادات بالدلاله «لَهُ الْمُلْكُ» منفردا دون غيره و الألف و اللام لاستغراق الجنس و المعنى أنه المالك لجميع ذلك و المتصرف فيه كيف يشاء «وَالَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ» على جميع ذلك لأن خلق ذلك أجمع - الغرض فيه الإحسان إلى خلقه و النفع لهم به فاستحق بذلك الحمد و الشكر «وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» يوجد المعدوم و يفنى الموجود و يغير الأحوال كما يشاء «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ» أى أنشأكم و أوجدكم عن عدم كما أراد و الخطاب للمكلفين عن الجبائى و قيل بل هو عام و قد تم الكلام هنا ثم ابتداء فقال «فَمِنْكُمْ كَافِرٌ» لم يقر بأن الله خلقه كالدهريه «وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ» مقر بأن الله خلقه عن الزجاج و قيل معناه فمنكم كافر فى السر مؤمن فى العلانيه كالمنافقين و منكم مؤمن فى السر كافر فى العلانيه كعمار و ذويه عن الضحاك و قيل فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب و منكم مؤمن بالله كافر بالكواكب يريد فى شأن الأنواء عن عطاء بن أبى رباح و المراد بالآيه ظاهر فلا معنى للاسترواح إلى مثل هذه التأويلات و المعنى أن المكلفين جنسان منهم كافر فيدخل فيه أنواع الكفر و منهم مؤمن و لا يجوز حمله على أنه سبحانه خلقهم مؤمنين و كافرين لأنه لم يقل كذلك بل أضاف الكفر و الإيمان إليهم و إلى فعلهم و لدلاله العقول على أن ذلك يقع على حسب قصودهم و أفعالهم و لذلك يصح الأمر و النهى و الثواب و العقاب و بعثه الأنبياء على أنه سبحانه لو جاز أن يخلق الكفر و القبائح لجاز أن يبعث رسولا يدعو إلى الكفر و الضلال و يؤيده بالمعجزات تعالى عن ذلك و تقدس هذا و قد قال تعالى فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا و

قال النبى ص كل مولود يولد على الفطره

تمام الخبر و

قال ص حكاية عن الله سبحانه خلقت عبادى كلهم حنفاء

و نحو ذلك من الأخبار كثير «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» أى خلق الكافر و هو عالم بما يكون منه من الكفر و خلق المؤمن و هو

عالم بما يكون منه من الإيمان فيجازيها على حسب أعمالهما «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ» أى بالعدل و بأحكام الصنعه و صحه التقدير و قيل معناه للحق و هو أن خلق العقلاء تعريضا إياهم للشواب العظيم و خلق ما عداهم تبعاً لهم لما فى خلقهما لهم من اللطف «وَصَوَّرَكُمُ» يعنى البشر كلهم «فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ» من حيث

ص: ٢٤

الحكمه و قبول العقل لا قبول الطبع لأن فى جملتهم من ليس على هذه الصفه و قيل فأحسن صوركم من حيث قبول الطبع لأن ذلك هو المفهوم من حسن الصور فهو كقوله «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ» و إن كان فى جملتهم من هو مشوه الخلق لأن ذلك عارض لا يعتد به فى هذا الوصف فالله سبحانه خلق الإنسان على أحسن صور الحيوان كله و الصورة عباره عن بنيه مخصوصه «وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ» أى إليه المرجع و المال يوم القيامة «يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَ مَا تُعْلِنُونَ» أى ما يسره بعضكم إلى بعض و ما يخفيه فى صدره عن غيره و الفرق بين الأسرار و الإخفاء أن الإخفاء أعم لأنه قد يخفى شخصه و يخفى المعنى فى نفسه و الأسرار يكون فى المعنى دون الشخص «وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» أى بأسرار الصدور و بواطنها ثم أخبر سبحانه أن القرون الماضيه جوزوا بأعمالهم فقال «أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ» أى من قبل هؤلاء الكفار «فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ» أى وخيم عاقبه كفرهم و ثقل أمرهم بما نالهم من العذاب بالإهلاك و الاستئصال «و لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» أى مؤلم يوم القيامة.

إشارة

ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٦) زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِمَا كَفَرُوا وَلَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ شَيْئًا وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ (٧) فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٨) يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَيْدِيَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبئسَ المصيرُ (١٠)

القراءة

قرأ رويس عن يعقوب يوم نجمعكم بالنون والباقون بالياء وقرأ أهل المدينة و ابن عامر نكفر عنه و ندخله بالنون فيهما و الباقون بالياء.

الحج

حج الياء أن الاسم الظاهر قد تقدم و وجه النون أنه كقوله «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ» ثم جاء و آتينا موسى الكتاب.

الإعراب

«ذَلِكَ بِأَنَّهُ» الهاء ضمير الأمر و الشأن. «أَبَشَرٌ» مبتدأ و إنما جاز أن يكون مبتدأ مع كونه نكرة لأن الاستفهام سوغ ذلك كما أن النفي أيضا كذلك لكونهما غير موجبين يقال أ رجل في الدار أم امرأه و لا رجل في الدار و لا امرأه و قيل أنه فاعل فعل مضمير يفسره قوله «يَهْدُونَنَا» كأنه قال أ يهدينا بشر يهدوننا و إنما أضمر لأن الاستفهام بالفعل أولى و قوله «أَنْ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ» تقديره أنهم لن يعذبوا فسدت الجملة عن المفعولين بما جرى فيها من ذكر الحديث و المحدث عنه و لما كان لن في «لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ» دليل الاستقبال تعينت أن قبلها لأن تكون مخففة من الثقيلة لأن لن يمنعها من أن تكون ناصبه للفعل يوم نجمعكم ظرف لتبعثن.

المعنى

لما قرر سبحانه خلقه بأنهم أتتهم أخبار من مضى من الكفار و إهلا-كهم عقبه ببيان سبب إهلا-كهم فقال «ذَلِكَ» أى ذلك العذاب الذى نالهم فى الدنيا و الذى ينالهم فى الآخرة «بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ» أى بسبب أنه كانت تجيئهم «رُسُلُهُمْ» من عند الله «بِالْبَيِّنَاتِ» أى بالدلائل الواضحات و المعجزات الباهرات «فَقَالُوا» لهم «أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا» لفظه واحد و المراد به الجمع على طريق الجنس بدلاله قوله «يَهْدُونَنَا» و المعنى أ خلق مثلنا يهدوننا إلى الحق و يدعوننا إلى غير دين آبائنا استصغارا منهم للبشر أن يكونوا رسلا من الله إلى أمثالهم و استكبارا و أنفه من اتباعهم «فَكَفَرُوا» بالله و جحدوا رسله «وَتَوَلَّوْا» أى عرضوا عن القبول منهم و التفكر فى آياتهم «وَاسْتَغْنَى اللَّهُ» بسلطانه عن طاعه عباده و إنما كلفهم لنفعهم لا لحاجه منه إلى عبادتهم و قيل معناه و

استغنى الله بما أظهره لهم من البرهان و أوضحه من البيان عن زياده تدعو إلى الرشد و تهدي إلى الإيمان «وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ» أى غنى عن أعمالكم مستحمد إليكم بما ينعم به عليكم و قيل حميد أى محمود فى جميع أفعاله لأنها كلها إحسان ثم حكى سبحانه ما يقوله الكفار فقال «زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا» قال ابن عمر زعم زامله الكذب و قال شريح زعم كنيه الكذب

بين الله سبحانه بعض ما لأجله اختاروا الكفر على الإيمان و هو أنهم كانوا لا يقرون بالبعث و النشور فأمر النبي ص بأن يكذبهم فقال «قُلْ» يا محمد «بلى وَ رَبِّي» أى و حق ربي على وجه القسم «لَتُبْعَثُنَّ» أى لتحشرن أكد تكذبيهم بقوله «بلى» و باليمين ثم أكد اليمين باللام و النون «ثُمَّ لَتَسْتَبُوْنَ بِمَا عَمَلْتُمْ» أى لتخبرن و تحاسبين بأعمالكم و تجازون عليها «وَ ذَلِكَ» البعث و الحساب مع الجمع و الجزاء «عَلَى اللَّهِ يَسْتَبِيرُ» أى سهل هين لا يلحقه مشقه و لا معاناه فيه «فَأَمِنُوا» معاشر العقلاء «بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ النُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا» و هو القرآن سماه نورا لما فيه من الأدله و الحجج الموصله إلى الحق فشبه بالنور الذى يهتدى به إلى الطريق «وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» أى عليم «يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ» و هو يوم القيامة أى ذلك البعث و الجزاء يكون فى يوم يجمع فيه خلق الأولين و الآخرين «ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ» و هو تفاعل من الغبن و هو أخذ شر و ترك خير أو أخذ خير و ترك شر فالمؤمن ترك حظه من الدنيا و أخذ حظه من الآخرة فترك ما هو شر له و أخذ ما هو خير له فكان غابنا و الكافر ترك حظه من الآخرة و أخذ حظه من الدنيا فترك الخير و أخذ الشر فكان مغبونا فيظهر فى ذلك اليوم الغابن و المغبون و قيل يوم التغابن غبن أهل الجنة أهل النار عن قتاده و مجاهد و

قد روى عن النبي ص فى تفسير هذا قوله ما من عبد مؤمن يدخل الجنة إلا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا و ما من عبد يدخل النار إلا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسره

«وَ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ يَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ» أى معاصيه «وَ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا» أى مؤبدين فيها و لا- يفنى ما هم فيه من النعيم أبدا «ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» أى النجاح الذى ليس وراءه شىء من العظمه «وَ الَّذِينَ كَفَرُوا» بالله «وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا» أى بحججنا و دلائلنا «أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَ بئسَ الْمَصِيرُ» أى المال و المرجع.

إشاره

ما أصاب من مصيبه إلا بإذن الله و من يؤمن بالله يهد قلبه و الله بكل شئ عليم (١١) و أطيعوا الله و أطيعوا الرسول فإن تولىتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين (١٢) الله لا إله إلا هو و على الله فليتوكل المؤمنون (١٣) يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم و أولادكم عدوا لكم فاحذروهم و إن تغفوا و تضيحوا و تغفروا فإن الله غفور رحيم (١٤) إنما أموالكم و أولادكم فتنة و الله عنده أجر عظيم (١٥)

فأتقوا الله ما استيطعتكم و اسمعوا و أطيعوا و أنفقوا خيراً لأنفسكم و من يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون (١٦) إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم و يغفر لكم و الله شكور حليم (١٧) عالم الغيب و الشهاده العزيز الحكيم (١٨)

القراءه

فى الشواذ قراءه طلحه بن مصرف نهى قلبه بالنون و قراءه السلمى يهد قلبه بضم الياء و الباء على ما لم يسم فاعله و قراءه عكرمه و عمرو بن دينار يهدأ قلبه مهموزا و قراءه مالك بن دينار يهدأ بالألف.

الحجه

من قرأ يهدأ مهموزا فمعناه يطمئن قلبه كما قال سبحانه و قلبه مطمئن بالإيمان و من قرأ بالألف فإنه لين الهمز تخفيفاً.

النزول

نزل قوله «من أزواجكم و أولادكم عدوا لكم» فى قوم أرادوا الهجره فثبطهم نساؤهم و أولادهم عنها عن ابن عباس و مجاهد.

المعنى

ثم قال سبحانه «ما أصاب من مصيبه» أى ليس تصيبكم مصيبه «إلا بإذن الله» و المصيبه المضره التى تلحق صاحبها كالميه التى تصيبها و إنما عم ذلك سبحانه و إن كان فى المصائب ما هو ظلم و هو سبحانه لا يأذن بالظلم لأنه ليس منها إلا ما أذن الله فى وقوعه أو التمكن منه و ذلك إذن للملك الموكل به كأنه قيل لا يمنع من وقوع هذه المصيبه و قد يكون ذلك بفعل التمكين من الله فكأنه يأذن له بأن يكون و قيل معناه إلا بتخليه الله بينكم و بين من يريد فعلها عن البلخى و قيل أنه خاص فيما يفعله الله تعالى أو يأمر به و قيل معناه بعلم الله أى لا يصيبكم مصيبه إلا و الله عالم بها «و من يؤمن بالله» أى يصدق به و يرخى بقضائه «يهد قلبه» أى يهد الله قلبه حتى يعلم أن ما أصابه فعلم الله فيصبر عليه و لا- يجزع لينال الثواب و الأجر و قيل معناه و من يؤمن بتوحيد الله و يصبر لأمر الله يعنى عند نزول المصيبه يهد قلبه للاسترجاع حتى يقول إنا لله و إنا إليه راجعون عن ابن عباس. و قيل إن المعنى يهد

قلبه فإن ابتلى صبر و إن أعطى شكر و إن ظلم غفر عن مجاهد و قال بعضهم فى معناه من يؤمن بالله عند النعمة فيعلم أنها فضل من الله يهد قلبه للشكر و من يؤمن بالله عند البلاء فيعلم أنه عدل من الله يهد قلبه للصبر و من يؤمن بالله عند نزول القضاء يهد قلبه للاستسلام و الرضاء «وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» فيجازى كل امرئ بما عمله «وَأَطِيعُوا اللَّهَ» فى جميع ما أمركم به «وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ» فى جميع ما أتاكم به و دعاكم إليه و فيما أمركم به و نهاكم عنه «فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ» أى فإن أعرضتم عن القبول منه «فَإِنَّمَا عَلَى رُسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ» أى ليس عليه إلا- تبليغ الرسالة و قد فعل و المراد ليس عليه قهركم على الرد إلى الحق و إنما عليه البلاغ الظاهر البين فحذف للإيجاز و الاختصار «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» و لا- تحق العبادة إلا له «وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» و التوكل تفويض الأمور إليه و الرضاء بتقديره و الثقة بتديره و قد أمر الله عباده بذلك فينبغى لهم أن يستشعروا ذلك فى سائر أحوالهم «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عِدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ» يعنى أن بعضهم بهذه الصفة و لذلك أتى بلفظه من و هى للتبعض يقول أن من هؤلاء من هو عدو لكم فى الدين فاحذروهم أن تطيعوهم و قيل إنه سبحانه إنما قال ذلك لأن من الأزواج من يتمنى موت الزوج و من الأولاد من يتمنى موت الوالد ليرث ماله و ما من عدو أعدى ممن يتمنى موت غيره ليأخذ ماله و كذلك يكون من يحملك على معصية الله لمنفعه نفسه و لا عدو أشد عداوه ممن يختار ضررك لمنفعته قال عطاء يعنى قوما أرادوا الغزو فمنعهم هؤلاء و قال مجاهد يريد قوما أرادوا طاعة الله فمنعهم «وَأِنْ تَعَفُّوا» أى تركوا عقابهم «وَأَتَصَفَّحُوا وَتَغَفَّرُوا» أى تتجاوزوا عنهم و تستروا ما سبق منهم إن عادوا إلى الحالة الجميله و ذلك أن الرجل من هؤلاء إذا هاجر و رأى الناس قد سبقوه بالهجرة و فقها فى الدين هم أن يعاقب زوجته و ولده الذين ثبطوه عن الهجرة و أن يلحقوا به فى دار الهجرة لم ينفق عليهم فأمر سبحانه بالعتفو و الصفح «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» يغفر لكم ذنوبكم و يرحمكم و قيل هو عام أى إن تعفوا و تصفحوا عمن ظلمكم فإن الله يغفر بذلك كثيرا من ذنوبكم عن الجبائى «إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ» أى محنة و ابتلاء و شدة للتكليف عليكم و شغل عن أمر الآخرة فإن الإنسان بسبب المال و الولد يقع فى الجرائم عن ابن مسعود قال لا يقولن أحدكم اللهم إني أعوذ بك من الفتنة فإنه ليس أحد منكم يرجع إلى مال و أهل و ولد إلا و هو مشتمل على فتنة و لكن ليقول اللهم إني أعوذ بك من مضلات الفتنة. و

روى عبد الله بن بريده عن أبيه قال كان رسول الله ص يخطب فجاء الحسن و الحسين (عليه السلام) و عليهما قميصان أحمران يمشيان و يعثران فنزل رسول الله ص إليهما فأخذهما فوضعهما فى حجره على المنبر و قال صدق الله عز و جل «إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ»

نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان و يعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي و رفعتهما ثم أخذ في خطبته

«وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ» أى ثواب جزيل و هو الجنة يعنى فلا تعصوه بسبب الأموال و الأولاد و لا تؤثروهم على ما عند الله من الأجر و الذخر «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» أى ما أطقتم و الاتقاء الامتناع من الردى باجتنا ب ما يدعو إليه الهوى و لا تنافى بين هذا و بين قوله «اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ» لأن كل واحد منهما إلزام لترك جميع المعاصى فمن فعل ذلك فقد اتقى عقاب الله لأن من لم يفعل قبيحا و لا أهل بواجب فلا عقاب عليه إلا أن فى أحد الكلامين تبينا أن التكليف لا يلزم العبد إلا فيما يطيق و كل أمر أمر الله به فلا بد أن يكون مشروطا بالاستطاعة و قال قتاده قوله «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» ناسخ لقوله «اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ» و كأنه يذهب إلى أن فيه رخصه لحال التقيه و ما جرى مجراها مما يعظم فيه المشقه و إن كانت القدره حاصله معه و قال غيره ليس هذا بناسخ و إنما هو مبين لإمكان العمل بهما جميعا و هو الصحيح «وَأَسْمِعُوا» من الرسول ما يتلو عليكم و ما يعظكم به و يأمركم و ينهاكم «وَأَطِيعُوا» الله و الرسول «وَأَنْفِقُوا» من أموالكم فى حق الله «خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ» مثله فأمنوا خيرا لكم و انتهوا خيرا لكم و قد مضى ذكر ذلك و قال الزجاج معناه قدموا خيرا لأنفسكم من أموالكم «وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ» حتى يعطى حق الله من ماله «فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» أى المنجحون الفائزون بثواب الله و

قال الصادق (عليه السلام) من أدى الزكاه فقد وقى شح نفسه

«إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا» قد مضى معناه و إطلاق اسم القرض هنا لتطف فى الاستدعاء إلى الإنفاق «يُضَاعِفُهُ لَكُمْ» أى يعطى بدله أضعاف ذلك من واحد إلى سبعمائه إلى ما لا يتناهى فإن ثواب الصدقه يدوم «وَيَغْفِرْ لَكُمْ» ذنوبكم «وَاللَّهُ شَكُورٌ» أى مثير مجاز على الشكر «حَلِيمٌ» لا يعاجل العباد بالعقوبه و هذا غايه الكرم «عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ» أى السر و العلانيه و قيل المعدوم و الموجود و قيل غير المحسوس و المحسوس «الْعَزِيزُ» القادر «الْحَكِيمُ» العالم و قيل المحكم لأفعاله.

(٦٥) سورة الطلاق مدنيه و آياتها اثنتا عشره (١٢)

إشاره

[توضيح]

و تسمى سورة النساء القصرى قال ابن مسعود فى حديث العده من شاء باهله أن سورة النساء القصرى نزلت بعد قوله «وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا»* و إنما أراد قوله «وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ» فإذا كانت حامله فعدتها وضع الحمل و هى مدنيه بالإجماع.

عدد آياتها

إحدى عشره آيه بصرى و اثنتا عشره آيه فى الباقيين.

اختلافها

ثلاث آيات «يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا» كوفى مكى و المدنى الأخير «وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» شامى «يَا أُولَى الْأَلْبَابِ» المدنى الأول.

فضلها

أبى ابن كعب عن النبى ص قال و من قرأ سورة الطلاق مات على سنه رسول الله ص

أبو بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ سورة الطلاق و التحريم فى فريضته أعاده الله تعالى من أن يكون يوم القيامة ممن يخاف أو يحزن و عوفى من النار و أدخله الله الجنة بتلاوته إياهما و محافظته عليهما لأنهما للنبى ص.

تفسيرها

لما ختم الله سورة التغابن بذكر النساء و التحذير منهن افتتح هذه السوره بذكرهن و ذكر أحكامهن و أحكام فراقهن فقال:

ص: ٣١

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (١) فَإِذَا بَلَغَنَّ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣) وَاللَّائِي يَنْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٤)

ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا (٥)

القراءه

قرأ حفص عن عاصم «بالغ» بغير تنوين «أمره» بالجر على الإضافة والباقون بالغ بالتنوين أمره بالنصب و في الشواذ قراه داود بن أبي هند أن الله بالغ بالتنوين أمره بالرفع و

روى عن ابن عباس و أبي بن كعب و جابر بن عبد الله و على بن الحسين (عليه السلام) و زيد بن على و جعفر بن محمد و مجاهد فطلقوهن في قبل عدتهن.

الحجه

قال أبو على قوله بالغ أمره على سبيلغ أمره فيما يريد فيكم فهذا هو الأصل

و هو حكاية حال و من أضاف حذف التنوين استخفافا و المعنى معنى ثبات التنوين مثل عارضٌ مُمطرٌنا و أما قوله فى قبل عدتهن فإنه تفسير للقراء المشهوره «فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ» أى عند عدتهن و مثله قوله «لَا يُجَلِّيهَا لَوْ قَتَلَهَا» أى عند وقتها و من قرأ بالغ أمره فالمعنى أمره بالغ ما يريد الله به و قد بلغ أمر الله ما أراد فالمفعول على ما رأيت محذوف.

الإعراب

«وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ» مبتدأ خبره محذوف لدلاله الكلام عليه فإذا جاز حذف الجملة بأسرها جاز حذف بعضها و قد جاء أيضا فى الصفة و إن قل نحو قوله «وَأُوْتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» تقديره من كل شىء ء تؤتاه.

المعنى

نادى سبحانه نبيه فقال «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ» ثم خاطب أمته فقال «إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ» لأنه السيد المقدم فإذا نودى و خوطب خطاب الجمع كانت أمته داخله فى ذلك الخطاب عن الحسن و غيره و قيل إن تقديره يا أيها النبى قل لأمتك إذا طلقتم النساء عن الجبائى فعلى هذا يكون النبى ص خارجا عن الحكم و على القول الأول حكمه حكم أمته فى أمر الطلاق و على هذا انعقد الإجماع و المعنى إذا أردتم طلاق النساء مثل قوله سبحانه إذا قُتِمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ و قوله فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ» أى لزمان عدتهن و ذلك أن يطلقها فى طهر لم يجامعها فيه عن ابن عباس و ابن مسعود و الحسن و مجاهد و ابن سيرين و قتاده و الضحاك و السدى فهذا هو الطلاق للعدة لأنها تعد بذلك الطهر من عدتها و تحصل فى العده عقيب الطلاق فالمعنى فطلقوهن لظهرهن الذى يحصيئه من عدتهن و لا تطلقوهن لحيضهن الذى لا يعتد به من قرئهن فعلى هذا يكون العده الطهر على ما ذهب إليه أصحابنا و هو مذهب الشافعى و قيل إن المعنى قبل عدتهن أى فى طهر لم يجامعها فيه العده الحيض كما يقال توضأت للصلاه و لبست السلاح للحرب و هو مذهب أبى حنيفة و أصحابه و قيل إن اللام للسبب فكأنه قال فطلقوهن ليعتددن و لا شبهه أن هذا الحكم للمدخول بها لأن المطلقه قبل المسيس لا عده عليها و قد ورد به التنزيل فى سوره الأحزاب و هو قوله فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا و ظاهر الآيه يقتضى أنه إذا طلقها فى الحيض أو فى طهر قد جامعها فيه فلا يقع الطلاق لأن الأمر يقتضى الإيجاب و به قال سعيد بن المسيب و ذهب إليه الشيعة الإماميه و قال باقى الفقهاء يقع الطلاق و إن كان بدعه و خلاف المأمور به و كذلك أن جمع بين التطبيقات الثلاث فإنها بدعه عند أبى حنيفة و أصحابه و إن كانت واقعه و عند المحققين من أصحابنا يقع واحده عند حصول شرائط صحه الطلاق و الطلاق فى الشرع عباره عن تخليه المرأه بحل عقده من عقد النكاح و ذلك أن يقول أنت طالق يخاطبها أو يقول هذه طالق و يشير

إليها أو يقول فلانه بنت فلان طالق و لا يقع الطلاق عندنا إلا بهذا اللفظ لا بشيء من كنايات الطلاق سواء أراد بها الطلاق أو لم يرد بها و فى تفصيل ذلك اختلافات بين الفقهاء ليس ها هنا موضعه و قد يحصل الفراق بغير الطلاق كالارتداد و اللعان كالخلع عند كثير من أصحابنا و إن لم يسم ذلك طلاقا و يحصل أيضا بالفسخ للنكاح بأشياء مخصوصه و بالرد بالعيب و إن لم يكن ذلك طلاقا و

روى البخارى و مسلم عن قتبيه عن الليث بن سعد عن نافع عن عبد الله بن عمر أنه طلق امرأته و هى حائض تطليقه واحده فأمر رسول الله ص أن يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر و تحيض عنده حيضه أخرى ثم يمهلهما حتى تطهر من حيضها فإذا أراد أن يطلقها فليطلقها حين تطهر من قبل أن يجامعها فتلك العده التى أمر الله تعالى أن تطلق لها النساء

و

روى البخارى عن سليمان بن حرب و روى مسلم عن عبد الرحمن بن بشر عن بهر و كلاهما عن شعبه عن أنس بن سيرين قال سمعت ابن عمر يقول طلق ابن عمر امرأته و هى حائض فذكر ذلك عمر للنبي ص فقال مره فليراجعها فإذا طهرت فليطلقها إن شاء

و

جاءت الروايه عن على بن أبى طالب (عليه السلام) عن النبي ص أنه قال تزوجوا و لا تطلقوا فإن الطلاق يهتر منه العرش

و

عن ثوبان رفعه إلى النبي ص فقال أيما امرأه سألت زوجها الطلاق فى غير ما بأس فحرام عليها رائحه الجنه

و

عن أبى موسى الأشعري عن النبي ص قال لا تطلقوا النساء إلا من ربه فإن الله لا يحب الذواقين و الذواقات

و

عن أنس عن النبي ص أنه قال ما حلف بالطلاق و لا استحلف به إلا منافق هذه الأحاديث الأربعة منقوله عن تفسير الثعلبي

ثم قال سبحانه «وَأَحْضُوا الْعِدَّةَ» أى عدوا الأقرء التى تعتد بها و قيل معناه عدوا أوقاف الطلاق لتطلقوا للعهده و إنما أمر الله سبحانه بإحصاء العده لأن لها فيها حقا و هى النفقه و السكنى و للزوج فيها حقا و هى المراجعة و منعها عن الأزواج لحقه و ثبوت نسب الولد فأمره تعالى بإحصائها ليعلم وقت المراجعة و وقت فوت المراجعة و تحريمها عليه و رفع النفقه و السكنى و لكيلا تطول العده لاستحقاق زياده النفقه أو تقصرها لطلب الزوج و العده هى قعود المرأه عن الزوج حتى تنقضى المده المرتبه فى الشريعة و هى على ضرور فضرر يكون بالأقرء لمن تحيض و ضرب يكون بالأشهر للصغيره التى لم تبلغ المحيض و مثلها

تحيض و هي التي بلغت تسع سنين و إذا كان سنها أقل من ذلك فلا عدّه عليها عند أكثر أصحابنا و قال بعضهم عدتها بالشهور و به قال الفقهاء و كذلك الكبيره الأيسه من المحيض و مثلها تحيض عدتها بالشهور و حده أصحابنا بأن

ص: ٣٤

يكون سنهأ أقل من خمسين سنه و من ستين سنه للقرشيات فإن كان سنهأ أكثر من ذلك فلا عده عليها عند أكثر أصحابنا و المتوفى عنها زوجها عدتها بالشهور أيضا و الضرب الثالث من العده يكون بوضع الحمل فى الجميع إلا فى المتوفى عنها زوجها فإن عدتها عند أصحابنا أبعد الأجلين و فى ذلك اختلاف بين الفقهاء ثم إن عده الطلاق للحره ثلاثه قروء أو ثلاثه أشهر و للأمه قراءن أو شهر و نصف و وضع الحمل لا يختلف قال سبحانه «وَ اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ» و لا تعصوه فيما أمركم به و «لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَ لَا يَخْرُجْنَ» هن أيضا يعنى فى زمان العده لا يجوز للزوج أن يخرج المطلقه المعتده من مسكنه الذى كان يسكنها فيه قبل الطلاق و على المرأه أيضا أن لا- تخرج فى عدتها إلا- لضروره ظاهره فإن خرجت أثمت «إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ» أى ظاهره و من قرأ بفتح الياء فالمراد بفاحشه مظهره أظهرتها و اختلف فى الفاحشه فقيل إنها الزنا فتخرج لإقامه الحد عليها عن الحسن و مجاهد و الشعبى و ابن زيد و

قيل هى البذاء على أهلها فيحل لهم إخراجها عن ابن عباس و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام)

و

روى على بن أسباط عن أبى الحسن الرضا قال الفاحشه أن تؤذى أهل زوجها و تسبهم

و قيل هى النشوز فإن طلقها على نشوز فلها أن تتحول من بيت زوجها عن قتاده و قيل هى خروجها قبل انقضاء العده عن ابن عمر و فى روايه أخرى عن ابن عباس أنه قال إن كل معصيه لله تعالى ظاهره فهى فاحشه «وَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ» يعنى ما ذكره سبحانه من أحكام الطلاق و شروطه «وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ» بأن يطلق على غير ما أمر الله تعالى به «فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ» أى أثم فيما بينه و بين الله عز و جل و خرج عن الطاعه إلى المعصيه و فعل ما يستحق به العقاب «لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا» أى بغير رأى الزوج فى محبه الطلاق و يوقع فى قلبه المحبه لرجعتها فيما بين الطلقه الواحده و الثانيه و فيما بين الثالثه قال الضحاك و السدى و ابن زيد لعل الله يحدث الرجعه فى العده و قال الزجاج و إذا طلقها ثلاثا فى وقت واحد فلا معنى له لقوله «لَعَلَّ اللَّهَ» يحدث بعد ذلك أمرا و فى هذه الآيه دلالة على أن الواجب فى التطلاق أن يوقع متفرقا و لا يجوز الجمع بين الثلاث لأن الله تعالى أكد قوله «فَطَلَّقُوهُنَّ لِإِعْدَّتِهِنَّ» بقوله «وَ أَحْصُوا الْعِدَّةَ» ثم زاد فى التأكيد بقوله «وَ اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ» فيما حده الله لكم فلا تعتدوه ثم قرر سبحانه حق الزوج فى المراجعة بقوله «لَا- تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ» فإن الزوجه إذا لم ترم بيتها تمكن الزوج من مراجعتها ثم دل بقوله «وَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ» على أن من تعدى حدود الله تعالى فى الطلاق بطل حكمه و صار قوله «لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا» تأكيدا لحدود الله فى الطلاق و إعلاما بأن حق الرجعه لا ينقطع بجمع الطلاق فكأنه قال كونوا على رجاء الفائدة بالرجعه.

فقد يحدث الله الرغبه بعد الطلاق فإن قالوا قد أمر الله سبحانه فى الآيه بطلاق العده فكيف تقدمون أنتم طلاق السنه على طلاق العده فالجواب أن طلاق السنه أيضا طلاق العده إلا أن أصحابنا رضى الله عنهم قد اصطالحوا على أن يسموا الطلاق الذى لا يزداد عليه بعد المراجع طلاق السنه و الطلاق الذى يزداد عليه بشرط المراجع طلاق العده و مما يعضد ما ذكرته ما اشتهر من الأخبار فى كتبهم و رواياتهم و نقل عن متقدميهم مثل زراره بن أعين و بكير ابن أعين و محمد بن مسلم و غيرهم فمن ذلك

ما رواه يونس عن بكير بن أعين عن أبى جعفر (عليه السلام) قال الطلاق أن يطلق الرجل المرأة على طهر من غير جماع و يشهد رجلين عدلين على تطليقه ثم هو أحق برجعتها ما لم تمض ثلاثه قروء فهذا الطلاق الذى أمر الله به فى القرآن و أمر به رسول الله ص فى سنه و كل طلاق لغير مده فليس بطلاق

و

عن جرير قال سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن طلاق السنه فقال على طهر من غير جماع بشاهدى عدل و لا يجوز الطلاق إلا بشاهدين و العده و هو قوله «فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ» الآيه

و روى الحسن بن محبوب عن على بن رئاب عن زراره عن أبى جعفر (عليه السلام) أنه قال كل طلاق لا يكون على السنه أو طلاق على العده فليس بشىء قال زراره قلت لأبى جعفر فسر لى طلاق السنه و طلاق العده فقال أما طلاق السنه فهو إن الرجل إذا أراد أن يطلق امرأته فلينتظر بها حتى تطمئ و تطهر فإذا خرجت من طمئتها طلقها تطليقه من غير جماع و يشهد شاهدين عدلين على ذلك ثم يدعها حتى تمضى أقرؤها و قد بان من منه و كان خاطبا من الخطاب إن شاءت تزوجته و إن شاءت لم تتزوجه و عليه نفقتها و السكنى ما دامت فى العده و هما يتوارثان حتى تنقضى العده و أما طلاق العده فإذا أراد الرجل أن يطلق امرأته طلاق العده فلينتظر بها حتى تحيض و تخرج من حيضها ثم يطلقها تطليقه من غير جماع و يشهد شاهدين عدلين و يراجعها من يومه ذلك إن أحب أو بعد ذلك بأيام قبل أن تحيض و يشهد على رجعتها و يواقعها و تكون معه حتى تحيض فإذا حاضت و خرجت من حيضها طلقها تطليقه أخرى من غير جماع و يشهد على ذلك أيضا متى شاء قبل أن تحيض و يشهد على رجعتها و يواقعها و تكون معه حتى تحيض الحيضه الثالثه فإذا خرجت من حيضها طلقها الثالثه بغير جماع و يشهد على ذلك فإذا فعل ذلك فقد بانت منه و لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره

و الروايات فى هذا كثيره عن أئمه الهدى (عليه السلام) فعلى هذا فإنه يتركها فى طلاق السنه حتى تعدد ثلاثه قروء فإذا مضى ثلاثه قروء فإنها تبين منه بواحد و إذا تزوجها بعد ذلك بمهر جديد كانت عنده على تطليقتين باقيتين فإن طلقها أخرى طلاق السنه و تركها حتى تمضى أقرؤها فلا يراجعها فقد بانت منه باثنتين فإن تزوجها بعد ذلك و طلقها لم تحل له حتى تنكح زوجا غيره و لو شاء أن يراجعها بعد الطلقه الأولى و الثانيه لكان ذلك إليه

فقد تبين أن هذا الطلاق هو طلاق للعدة أيضا إلا أن الفرق بينهما ما ذكرناه «فَإِذَا بَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ» معناه فإذا قاربن أجلهن الذي هو الخروج من العدة «فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ» أى راجعوهن بما يجب لهن من النفقة و الكسوة و المسكن و حسن الصحبة «أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ» بأن تتركوهن حتى يخرجن من العدة فتبين منكم و لا- يجوز أن يكون المراد بقوله «فَإِذَا بَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ» إذا انقضت أجلهن لأن الزوج لا يملك الرجعة بعد انقضاء العدة بل هى تملك نفسها و تبين منه بواحد و لها أن تتزوج من شاءت من الرجال «وَ أَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنْكُمْ» قال المفسرون أمروا أن يشهدوا عند الطلاق و عند الرجعة شاهدى عدل حتى لا تجحد المرأة المراجعة بعد انقضاء العدة و لا الرجل الطلاق و

قيل معناه و أشهدوا على الطلاق صيانه لدينكم و هو المروى عن أئمتنا (عليه السلام)

و هذا أليق بالظاهر لأننا إذا حملناه على الطلاق كان أمرا يقتضى الوجوب و هو من شرائط صحه الطلاق و من قال إن ذلك راجع إلى المراجعة حمله على الندب «وَ أَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ» هذا خطاب للشهود أى أقيموها لوجه الله و اقصدوا بأدائها التقرب إلى الله لا- الطلب لرضا المشهود له و الإشفاق من المشهود عليه «ذَلِكُمْ» الأمر بالحق يا معشر المكلفين «يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» أى يؤمر به المؤمنون لينزجروا به عن الباطل و خص المؤمنين لأنهم الذين انتفعوا به فالطاعة الواجبه فيها و عطف بأن رغب فيها باستحقاق الثواب و فى تركها العقاب و المندوبه فيها و عطف باستحقاق المدح و الثواب على فعلها و المعاصى فيها و عطف بالزجر عنها و التخويف من فعلها باستحقاق العقاب و الترغيب فى تركها بما يستحق على الإخلال بها من الثواب «وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ» فيما أمره به و نهاه عنه «يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا» من كل كرب فى الدنيا و الآخرة عن ابن عباس و

روى عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال قرأ رسول الله ص «وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا» قال من شبهات الدنيا و من غمرات الموت و شدائد يوم القيامة

و عنه قال من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا و من كل ضيق مخرجا

و قيل معناه و من يطلق للسنة يجعل الله له مخرجا فى الرجعه «وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» عن عكرمه و الشعبي و الضحاك و

قيل إنها نزلت فى عوف بن مالك الأشجعي أسر العدو ابنا له فأتى النبي ص فذكر له ذلك و شكاه إليه الفقيه فقال له اتق الله و اصبر و أكثر من قول لا- حول و لا قوه إلا بالله ففعل الرجل ذلك فبينا هو فى بيته إذ أتاه ابنه و قد غفل عنه العدو فأصاب إبلا و جاء بها إلى أبيه فذلك قوله «وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»

و

روى عن الصادق (عليه السلام) أنه قال «وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» أى يبارك له فيما أتاه

و

عن أبى ذر الغفارى عن النبي ص قال إنى لأعلم آيه لو أخذ بها الناس لكفتهم «وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ» الآية فما زال يقولها و يعيدها

«وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» أَى و من يفوض أمره إلى الله

ص: ٣٧

و وثق بحسن تدبيره و تقديره فهو كافيه يكفيه أمر دنياه و يعطيه ثواب الجنه و يجعله بحيث لا يحتاج إلى غيره و

فى الحديث من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله

«إِنَّ اللَّهَ بِالْعَمْرِ» أى يبلغ ما أراد من قضاياه و تدبيره على ما أراه و لا يقدر أحد على منعه عما يريد و قيل معناه أنه منفذ أمره فيمن يتوكل عليه و فيمن لم يتوكل عليه «قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا» أى قدر الله لكل شىء مقداراً و أجلاً لا زياده فيها و لا نقصان و قيل بين لكل شىء مقداراً بحسب المصلحه فى الإباحه و الإيجاب و الترغيب و التهيب كما بين فى الطلاق و العده و غيرهما و قيل قد جعل الله لكل شىء من الشده و الرخاء وقتاً و غاية و منتهى ينتهى إليه ثم بين سبحانه اختلاف أحكام العده باختلاف أحوال النساء فقال «وَاللَّائِي يَيْئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ» فلا يحضن

«إِنْ ارْتَبْتُمْ» فلا- تدرون لكبر ارتفاع حيضهن أم لعارض ثلاثة أشهر و هن اللواتى أمثالهن يحضن لأنهن لو كن فى سن من لا تحيض لم يكن للارتباب معنى و هذا هو المروى عن أئمتنا (عليه السلام)

و قيل معناه إن شككتن فلم تدروا أدمهن دم حيض أو استحاضه «فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ» عن مجاهد و الزهرى و ابن زيد و قيل معناه إن ارتبتم فى حكمهن فلم تدروا ما الحكم فيهن «وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ» تقديره و اللاتى لم يحضن إن ارتبتم فعدتهن أيضاً ثلاثة أشهر و حذف لدلاله الكلام الأول عليه و هن اللواتى لم يبلغن المحيض و مثلهن تحيض على ما مر بيانه

«وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ» قال ابن عباس هى فى المطلقات خاصه و هو المروى عن أئمتنا (عليه السلام)

فأما المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملاً فعدتها بعد الأجلين فإذا مضت بها أربعة أشهر و عشر و لم تضع انتظرت وضع الحمل و قال ابن مسعود و أبى بن كعب و قتاده و أكثر الفقهاء أنه عام فى المطلقات و المتوفى عنها زوجها فعدتهن وضع الحمل فإن كانت المرأه حاملاً باثنتين و وضعت واحد لم يحل للأزواج حتى تضع جميع الحمل لقوله «أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ»

و روى أصحابنا أنها إذا وضعت واحدا انقطعت عصمتها من الزوج و لا يجوز لها أن تعقد على نفسها لغيره حتى تضع الآخر فأما إذا كانت قد توفى عنها زوجها فوضعت قبل الأشهر الأربعة و العشر و جب عليها أن تستوفى أربعة أشهر و عشر

«وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ» فى جميع ما أمره بطاعته فيه «يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا» أى يسهل عليه أمور الدنيا و الآخرة إما بفرج عاجل أو عوض آجل و قيل يسهل عليه فراق أهله و يزيل الهموم عن قلبه «ذَلِكَ» يعنى ما ذكره سبحانه من الأحكام فى الطلاق و الرجعه و العده «أَمْرٌ اللَّهُ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ» بطاعته «يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ» من الصلاه إلى الصلاه و من الجمعة إلى الجمعة قال الربيع إن الله قد قضى على نفسه أن من توكل عليه كفاه و من آمن به هداه و من أقرضه جازاه و من وثق به أنجاه و من دعاه أجابه و لباه و تصديق ذلك

فى كتاب الله عز و جل «وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» وَ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ «إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يضاعفه لَكُمْ» وَ مَنْ يَعْتَصِمَ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ «وَ إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ» الْآيَه «وَ يُعْظِمُ لَهُ أَجْرًا» فى الآخره و هو ثواب الجنه.

[سوره الطلاق (٦٥): الآيات ٦ الى ١٠]

اشاره

أَسْكُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَ لَا تَضَارُّوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَ إِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَ أَمْرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَ إِنْ تَعَايَرْتُمْ فَسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى (٦) لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَ مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فليُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (٧) وَ كَذَائِنَ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَ رُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَ عَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَ كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا (٩) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠)

القراءه

قرأ روح عن يعقوب مختلفا عنه من وجدكم بكسر الواو و القراءه بضم الواو و قرأ ابن كثير و كائن بالمد و الهمز و الباقون «وَ كَذَائِنَ» بالهمز و التشديد.

الحجه

يقال وجدت فى المال جده و وجدا و وجدا و وجدا بتعاقب الحركات الثلاث على الواو و وجدت الضالاه وجدانا و وجدت من الحزن وجدا و من الغضب موجه و وجدانا و كآين أصله أى دخلت عليها الكاف الجاره كما دخلت على ذا فى كذا فموضع كآين رفع

بالبتداء كما أن كذا كذلك و لا- موضع للكاف كما أن الكاف في كذا كذلك قال أبو علي مثل هذا في أنه دخل على المبتدأ حرف الجر فصار مع المجرور في موضع رفع قولهم بحسبك أن تفعل كذا يريدون حسبك فعل كذا فالجار مع المجرور في موضع رفع و أنشد أبو زيد:

بحسبك في القوم أن يعلموا بأنك فيهم غنى مضر

و أكثر العرب تستعملها مع من و كذلك ما جاء في التنزيل و مما جاء منه في الشعر قوله:

و كائن بالأباطح من صديق يرانى إن أصبت هو المصابا

و قول الآخر:

و كائن إليكم قاد من رأس فتنه جنودا و أمثال الجبال كتائبه.

المعنى

ثم بين سبحانه حال المطلقة في النفقة و السكنى فقال «أَسْكِنُوهُنَّ» أى فى بيوتكم «مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ» من المساكن «مِنْ وَجْدِكُمْ» أى من ملككم و ما تقدرون عليه عن السدى و أبى مسلم و قيل هو من الوجدان أى مما تجدونه من المساكن عن الحسن و الجبائى و قيل من سعتمكم و طاقتكم من الوجد الذى هو المقدره قال الفراء يعول على ما يجد فإن كان موسعا وسع عليها فى المسكن و النفقة و إن كان فقيرا فعلى قدر ذلك و يجب السكنى و النفقة للمطلقة الرجعية بلا خلاف فأما المبتوتة ففيها خلاف فذهب أهل العراق إلى أن لها السكنى و النفقة معا و روى ذلك عن عمر بن الخطاب و ابن مسعود و ذهب الشافعى إلى أن لها السكنى بلا نفقة

و ذهب الحسن و أبو ثور إلى أنه لا سكنى لها و لا نفقة و هو المروى عن أئمة الهدى (عليه السلام)

و ذهب إليه أصحابنا و يدل عليه

ما رواه الشعبى قال دخلت على فاطمة بنت قيس بالمدينة فسألتها عن قضاء رسول الله ص فقالت طلقنى زوجى البته فخاصمته إلى رسول الله ص فى السكنى و النفقة فلم يجعل لى سكنى و لا نفقة و أمرنى أن أعتد فى بيت ابن أم مكتوم

و

روى الزهرى عن عبد الله أن فاطمة بنت قيس كانت تحت أبى عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومى و أنه خرج مع على بن أبى طالب (عليه السلام) إلى اليمن حين أمره رسول الله ص

على اليمن فأرسل إلى امرأته فاطمه بنت قيس بتطليقه كانت بقيت لها من طلاقها فأمر عياش ابن أبي ربيعة و الحرث بن هشام أن ينفقا عليها فقالا- والله ما لك من نفقه فأتت النبي ص فذكرت له قولهما فلم يجعل لها نفقه إلا أن تكون حاملا فاستأذنته في الانتقال فأذن لها فقالت إني أنتقل يا رسول الله قال عند ابن أم مكتوم و كان أعمى تضع ثيابها عنده و لا يراها فلم تزل هناك حتى مضت عدتها فأنكحها النبي ص أسامه بن زيد قال فأرسل إليها مروان بن الحكم قيصه بن ذؤيب فسألها عن هذا الحديث ثم قال مروان لم نسمع هذا الحديث إلا من امرأه و سنأخذ بالعصمه التي وجدنا الناس عليها فقالت فاطمه حين بلغها قول مروان بيني و بينكم القرآن قال الله تعالى لا- تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ إِلَى قَوْلِهِ لَعَلَّ اللَّهَ يُخْدِتُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا قَالَتْ هَذَا لِمَنْ كَانَتْ لَهُ مَرَاجِعُهُ وَ أَى أَمْرٍ يَحْدُثُ بَعْدَ الثَّلَاثِ

ثم قال سبحانه «وَلَا تَضَارَّوهُنَّ لِتَضَيَّقُوا عَلَيْهِنَّ» أى لا- تدخلوا الضرر عليهن بالتقصير فى السكنى و النفقه و الكسوه طالبين بالإضرار التضييق عليهن ليخرجن و قيل المعنى أعطوهن من المسكن ما يكفيهن لجلوسهن و مبيتهن و طهارتهن و لا تضايقوهن حتى يتعذر عليهن السكنى عن أبى مسلم «وَ إِنْ كُنَّ أَوْلَادٍ حَمِيلٍ» أى كن حوامل «فَأَنْفَقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ»، لأن عدتهن إنما تنقضى بوضع حملهن أمر الله سبحانه بالإنفاق على المطلقة الحامل سواء كانت رجعية أو مبتوته «فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ» أى فإن أرضعن الولد لأجلكم بعد البينونة فأعطوهن أجر الرضاع يعنى أجره المثل «وَ أْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ» هذا خطاب للرجل و المرأة و الائتثار قبول الأمر و ملاقاته بالتقبل أمر الله تعالى المرضعه و المرضع له بالتلقى لأمره عز و جل و لأمر صاحبه إذا كان حسننا و قيل معناه و ليأمر بعضكم بعضا بالجميل فى إرضاع الوالد أى بتراضى الوالد و الوالده بعد وقوع الفرقة فى الأجره على الأب و إرضاع الولد بحيث لا يضر بمال الوالد و لا بنفس الولد و لا يزداد على الأجر المتعارف و لا ينقص الولد عن الرضاع المعتاد قال الكسائى أصله التشاور و منه يَأْتِمُرُونَ بِكَ أى يتشاورون و الأقوى عندى أن يكون المعنى دبروا بالمعروف بينكم فى أمر الولد و مراعاة أمه حتى لا يفوت الولد شفقتها و غير ذلك و يدل عليه قول امرئ القيس:

أ حار بن عمرو كأنى خمر و يعدو على المرء ما يأتمر

يعنى ما يدبره فى نفسه لأن الرجل بما دبر أمرا ليس برشد فيعدو عليه و يهلكه «وَ إِنْ تَعَايَرْتُمْ فَسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى» و المعنى فإن اختلفتم فى الرضاع و فى الأجر فسترضع له امرأه

أخرى أجنبيه أى فليسترضع الوالد غير والده الصبى ثم قال سبحانه «لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ» أمر سبحانه أهل التوسعه أن يوسعوا على نسائهم المرضعات أولادهن على قدر سعتهم «وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ» أى ضيق عليه «رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ» والمعنى و من كان رزقه بمقدار القوت فلينفق على قدر ذلك و على حسب إمكانه و طاقته «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا» أى إلا بقدر ما أعطاها من الطاقه و فى هذا دلالة على أنه سبحانه لا يكلف أحدا ما لا يقدر عليه و ما لا يطيقه «سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا» أى بعد ضيق سعه و بعد فقر غنى و بعد صعوبه الأمر سهوله و فى هذا تسليه للصحابه فإن الغالب على أكثرهم فى ذلك الوقت الفقر ثم فتح الله تعالى عليهم البلاد فيما بعد «وَكَأَيُّنْ مِنْ قَزِيهِ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ» أى و كم من أهل قريه عتوا على الله و على أنبيائه يعنى جاوزوا الحد فى العصيان و المخالفه «فَحَاسِبِينَهَا حِسَابًا شَدِيدًا» بالمناقشه و الاستقصاء باستيفاء الحق و إيفائه قال مقاتل حاسبها الله تعالى بعملها فى الدنيا فجازاها بالعذاب و هو قوله «وَ عَذَابُنَا عَذَابًا نُكَرًا» فجعل المجازاه بالعذاب محاسبه و هو عذاب الاستئصال و قيل هو عذاب النار فإن اللفظ ماض بمعنى المستقبل و النكر المنكر الفظيع الذى لم ير مثله و قيل إن فى الآيه تقديمًا و تأخيرا تقديره فعذبناها فى الدنيا بالجوع و القحط و السيف و سائر المصائب و البلايا و حاسبناها فى الآخرة حسابا شديدا و قيل الحساب الشديد هو الذى ليس فيه عفو «فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا» أى ثقل عاقبه كفرها «وَ كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا» أى خسرانا فى الدنيا و الآخرة و هو قوله «أَعَزَّدَ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا» يعنى عذاب النار و هذا يدل على أن المراد بالعذاب الأول عذاب الدنيا ثم قال «فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولَى الْأَلْبَابِ» أى يا أصحاب العقول و لا تفعلوا مثل ما فعل أولئك فيتزل بكم مثل ما نزل بهم ثم وصف أولى الألباب بقوله «الَّذِينَ آمَنُوا» و خص المؤمنين بالذكر لأنهم المنتفعون بذلك دون الكفار ثم ابتدأ سبحانه فقال «قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا» يعنى القرآن و

قيل يعنى الرسول عن الحسن و روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام).

النظم

الوجه فى اتصال قوله «وَكَأَيُّنْ مِنْ قَزِيهِ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا» الآيه بما قبله أنه سبحانه بين أن الخوف فى مقابله الرجاء و سبيل العاقل أن يحترز من المخوف و يقدم الاحتراز عن الخوف على الرجاء و الذى يقوى جانب الخوف أنه أهلك الأمم الماضيه بسبب عصيانها و تمردها عن أمر ربها.

ص: ٤٢

إشارة

رَسُولًا- يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّ لَهُ أَجْرًا كَثِيرًا وَذِكْرَ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَخْتَارُ (١١) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢)

القراءة

قرأ أهل المدينة و الشام ندخله بالنون و الباقون بالياء لتقدم الاسم على لفظ الغيبة و النون معناها معنى الياء.

الإعراب

رسولا ينتصب على ثلاثه أوجه (أحدها) أن يكون بدلا من ذكرا بدل الكل من الكل فعلى هذا يجوز أن يكون الرسول جبرائيل (عليه السلام) و يجوز أن يكون محمدا ص (و الثانى) أن يكون مفعول فعل محذوف تقديره أرسل رسولا و يدل على إضماره قوله قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا فعلى هذا يكون الرسول معناه محمدا ص (و الثالث) أن يكون مفعول قوله ذِكْرًا و يكون تقديره أنزل الله إليكم إن ذكر رسولا و يكون الرسول يحتمل الوجهين.

المعنى

«رَسُولًا» إذا كان المراد به الوجه الأول و هو أن يكون بدلا من ذكرا و المراد به النبى ص أو جبرائيل (عليه السلام) فيجوز أن يكون المراد بالذكر الشرف أى ذا ذكر رسولا- «يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ» أى واطحات «لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ» أى من ظلمات الكفر «إِلَى النُّورِ» أى نور الإيمان و قيل من ظلمات الجهل إلى نور العلم و إنما شبه الإيمان بالنور لأنه يؤدي إلى نور القبر و القيامة و الجنة و شبه الكفر بالظلمة لأنه يؤدي إلى ظلمة القبر و ظلمة جهنم «وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّ لَهُ أَجْرًا كَثِيرًا وَذِكْرَ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَخْتَارُ» أى يعطيه أحسن ما يعطى أحدا و ذلك مبالغه فى وصف نعيم الجنة «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ» أى و خلق من الأرض مثلهن فى العدد لا فى الكيفيه لأن كيفيه السماء مخالفه لكيفيه الأرض و ليس فى القرآن آيه تدل على أن الأرضين سبع مثل السماوات إلا هذه الآيه و لا- خلاف فى السماوات أنها سماء فوق سماء و أما الأرضون فقال قوم إنها سبع أرضين طباقا بعضها فوق بعض كالسماوات لأنها لو كانت مصمته لكانت أرضا واحده و فى كل أرض خلق خلقهم الله

كما شاء و روى أبو صالح عن ابن عباس أنها سبع أرضين ليس بعضها فوق بعض يفرق بينهن البحار و يظل جميعهن السماء و الله سبحانه أعلم بصحة ما استأثر بعلمه و اشتبه على خلقه و

قد روى العياشى بإسناده عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن (عليه السلام) قال بسط كفه ثم وضع اليمنى عليها فقال هذه الأرض الدنيا و السماء الدنيا عليها قبه و الأرض و الثانية فوق السماء الدنيا و السماء الثانية فوقها قبه و الأرض الثالثة فوق السماء الثانية و السماء الثالثة فوقها قبه حتى ذكر الرابعه و الخامسه و السادسه فقال و الأرض السابعه فوق السماء السادسه و السماء السابعه فوقها قبه و عرش الرحمن فوق السماء السابعه و هو قوله «سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَ مِنْ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ»

«يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ» و إنما صاحب الأمر النبى ص و هو على وجه الأرض و إنما يتنزل الأمر من فوق بين السماوات و الأرضين فعلى هذا يكون المعنى تنزل الملائكة بأوامره إلى الأنبياء و قيل معناه يتنزل الأمر بين السماوات و الأرضين من الله سبحانه بحياه بعض و موت بعض و سلامه حى و هلاك آخر و غنى إنسان و فقر آخر و تصريف الأمور على الحكمة «لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» بالتدبير فى خلق السماوات و الأرض و الاستدلال بذلك على أن صانعهما قادر لذاته عالم لذاته و ذلك قوله «وَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا» و معناه أن معلوماته متميزه له بمنزله ما قد أحاط به فلم يفتته شىء منها و كذلك قوله «وَ لَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا» معناه أنه ليس بمنزله ما يحضره العلم بمكانه فيكون كأنه قد أحاط به.

(٦٦) سورة التحريم مدنيه و آياتها اثنتا عشره (١٢)

اشاره

[توضيح]

مدنيه اثنتا عشره آيه بالإجماع.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأ سورة يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك أعطاه الله توبه نصوحا.

تفسيرها

لما تقدم فى تلك السوره أحكام النساء فى الطلاق و غيره افتتح سبحانه هذه السوره بأحكامهن أيضا فقال.

ص: ٤٥

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَتَّغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّهُ أَيْمَانُكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا بَيَّنَّاتُ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا بَيَّنَّاتُهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَتْبَاكَ هَذَا قَالَ تَبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْحَبِيرُ (٣) إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (٤)

عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مَسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا (٥)

القراء

قرأ الكسائي وحده عرف بالتخفيف والباقون «عَرَّفَ» بالتشديد واختار التخفيف أبو بكر بن عياش وهو من الحروف العشر التي قال إنني أدخلتها في قراءه عاصم من قراءه علي بن أبي طالب (عليه السلام) حتى استخلصت قراءته يعني قراءه علي (عليه السلام) وهي قراءه الحسن وأبي عبد الرحمن السلمي وكان أبو عبد الرحمن إذا قرأ إنسان بالتشديد حصبه وقرأ أهل الكوفة «تَظَاهَرَا عَلَيْهِ» خفيفه الظاء والباقون تظاهرا بالتشديد.

الحج

قال أبو علي التخفيف في عرف أنه جازى عليه لا يكون إلا كذلك ولا يجوز أن يكون بمعنى العلم لأن النبي ص إذا أظهره الله على ما كان أسره إليه علم ذلك ولم يجر أن يعلم من ذلك بعضه مع إظهار الله إياه عليه ولكن يعلم جميعه وهذا كما تقول لمن يسىء أو يحسن أنا أعرف لأهل الإساءه أى لا يخفى على ذلك ولا مقابلته مما يكون وفقا له فالمعنى جازى على بعض ذلك وأعرض عن بعض ومثله وما تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ أى يرى جزاءه وقوله يرى من رؤيه العين وكان مما جازى عليه:

تطليقه حفصه تطليقه واحده وأما «عَرَّفَ» بالتشديد فمعناه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلم يعرفه إياه على وجه التكرم والإغضاء وأما تظاهرا فالأصل فيه وأن تظاهرا بتائين فخفف في القراءه الأولى بالحذف وفي القراءه الآخره بالإدغام.

اللغة

الحرام القبيح الممنوع منه بالنهى ونقيضه الحلال وهو الحسن المطلق بالإذن فيه والتحریم تبين أن الشئ حرام لا-يجوز والتحریم إيجاب المنع والابتغاء الطلب ومنه البغى طلب الاستعلاء بغير الحق والتحله والتحليل بمعنى وهما مصدران لقولهم حللت له كذا وتحله اليمين فعل ما يسقط التبعه فيه واليمين واحد الأيمان وهو الحلف وكأنه مأخوذ من القوه لأنه يقوى كلامه

بالحلف و قيل إنه مأخوذ من الجارحه لأن عادتهم كانت عند الحلف ضرب الأيدي على الأيدي و الإسرار إلقاء المعنى إلى نفس المحدث على وجه الإخفاء عن غيره و التظاهر التعاون و الظهير المعين و أصله من الظهر و السائح الجارى و العرب تصف

ص: ٤٤

بذلك الماء الجارى الدائم الجريه ثم تصف به الرجل الذى يضرب فى الأرض و يقطع البلاد فتقول سائح و الثيب الراجعه من عند الزوج بعد الافتضاض من ثاب يثوب إذا رجع و البكر هى التى على أول حالها قبل الافتضاض.

الإعراب

قيل فى جمع القلوب فى قوله «صَيَّعَتْ قُلُوبُكُمْ» وجوه (أحدها) أن التشبيه جمع فى المعنى فوضع الجمع موضع التشبيه كما قال «وَ كُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ» وإنما هو داود و سليمان (و الثانى) أن أكثر ما فى الإنسان اثنان اثنان نحو اليدين و الرجلين و العينين و إذا جمع اثنان إلى اثنين صار جمعا فيقال أيديهما و أعينهما ثم حمل ما كان فى الإنسان واحدا على ذلك لثلا يختلف حكم لفظ أعضاء الإنسان (و الثالث) أن المضاف إليه مثنى فكرهوا أن يجمعوا بين تشيتين فصرفوا الأول منهما إلى لفظ الجمع لأن لفظ الجمع أخف لأنه أشبه بالواحد فإنه يعرب بإعراب الواحد و يستأنف كما يستأنف الواحد و ليست التشبيه كذلك لأنها لا تكون إلا على حد واحد و لا يختلف و من العرب من يثنى فيقول قلباهما قال الراجز فجمع بين اللغتين

"ظهرهما مثل ظهور الترسين"

و قال الفرزدق:

بما فى فؤادينا من البث و الهوى فيبرئ منهاض الفؤاد المشغف

و من العرب من يفرد و يروى أن بعضهم قرأ فبدت لهما سواتهما و الوجه فى الإفراد أن الإضافة إلى التشبيه تغنى عن تشبيه المضاف و فى جبريل أربع لغات جبريل على وزن قنديل و جبرئيل على وزن عندليب و جبرئيل على وزن جحمرش و جبريل بفتح الجيم و كسر الراء من غير همز و هو خارج عن أوزان العرب لأنه ليس فى العريه مثل قنديل و قد قرئ بذلك كله و قد ذكرنا اختلاف القراءه فيه فى سوره البقره و من العرب من يقول جبرال بتشديد اللام و منهم من يبدل من اللام نونا و قوله «هُوَ مَوْلَاهُ» يجوز فى هو وجهان (أحدهما) أن يكون فضلا دخل ليفصل بين النعت و الخبر و الكوفيون يسمونه عمادا (و الثانى) أن يكون مبتدأ و مولاة الخبر و الجملة خبر إن و من جعل مولاة بمعنى السيد و الخالق كان الوقف على قوله «مَوْلَاهُ» و جبريل مبتدأ «وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ» عطف عليه و الملائكه عطف أيضا و ظهير خبره و جاز ذلك لأن

ص: ٤٧

فعيلا يقع على الواحد و الجمع كفعول قال سبحانه خَلَّصُوا نَجِيًّا فَظْهِير كنجى و قال فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي و من جعل مولاه بمعنى ولى و ناصر جاز أن يكون الوقف على قوله «وَ جِبْرِيلُ» و على «صَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ» و يتدئ و الملائكة بعد ذلك فيكون ظهير عائدا إلى الملائكة.

النزول

اختلف أقوال المفسرين فى سبب نزول الآيات ف قيل إن رسول الله ص كان إذا صلى الغداة يدخل على أزواجه امرأه امرأه و كان قد أهديت لحفصه بنت عمر بن الخطاب عكه من غسل فكانت إذا دخل عليها رسول الله ص حبسته و سقته منها و إن عائشه أنكرت احتباسه عندها فقالت لجويريه حبشيه عندها إذا دخل رسول الله ص على حفصه فادخلى عليها فانظري ما ذا تصنع فأخبرتها الخبر و شأن العسل فغارت عائشه و أرسلت إلى صواحبها فأخبرتهن و قالت إذا دخل عليك رسول الله ص يكره و يشق عليه أن يوجد منه ريح غير طيبه لأنه يأتيه الملك قال فدخلى رسول الله ص على سوده قالت فما أردت أن أقول ذلك لرسول الله ص ثم إنى فرقت من عائشه فقلت يا رسول الله ما هذه الريح التى أجدها منك أكلت المغاير فقال لا و لكن حفصه سقتنى عسلا ثم دخل على امرأه امرأه و هن يقلن له ذلك فدخلى على عائشه فأخذت بأنفها فقال لها ما شأنك قالت أجد ريح المغاير أكلتها يا رسول الله قال لا- بل سقتنى حفصه عسلا فقالت جرت إذا نحلها العرطف فقال و الله لا أطعمه أبدا فحرمه على نفسه و قيل إن التى كانت تسقى رسول الله ص العسل أم سلمه عن عطاء بن أبى مسلم و قيل بل كانت زينب بنت جحش قال عائشه أن رسول الله ص كان يمكث عند زينب بنت جحش و يشرب عندها عسلا فتواطأت أنا و حفصه أيتنا دخل عليها النبى ص فلتقل إنى أجد منك ريح المغاير أكلت مغاير فدخلى على إحداهما فقالت له ذلك فقال لا بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش و لن أعود إليه فنزلت الآيات و قيل إن رسول الله ص. قسم الأيام بين نسائه فلما كان يوم حفصه قالت يا رسول الله إن لى إلى أبى حاجه فأذن لى أن أزوره فأذن لها فلما خرجت أرسل رسول الله ص إلى جاريتها ماريه القبطيه و كان قد أهداها له المقوقس فأدخلها بيت حفصه فوقع عليها فأتت حفصه فوجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج رسول الله ص و وجهه يقطر عرقا فقالت حفصه إنما أذنت لى من أجل هذا أدخلت أمتك بيتى ثم وقعت عليها فى يومى و على فراشى أما ما رأيت لى حرمه و حقا فقال ص أليس هى جاريتى قد أحل الله ذلك لى اسكتى فهو حرام على ألتمس بذلك رضاك

فلا تخبرى بهذا امرأه منهن و هو عندك أمانه فلما خرج رسول الله ص قرعت حفصه الجدار الذى بينها و بين عائشه فقالت ألا أبشرك أن رسول الله قد حرم عليه أمته ماريه و قد أراحنا الله منها و أخبرت عائشه بما رأته و كانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواجه فنزلت «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ» فطلق حفصه و اعتزل سائر نساؤه تسعه و عشرين يوما و قعد فى مشربه أم إبراهيم ماريه حتى نزلت آيه التخيير عن قتاده و الشعبي و مسروق و قيل إن النبي ص خلا- فى يوم لعائشه مع جاريتها أم إبراهيم ماريه القبطيه فوقف حفصه على ذلك فقال لها رسول الله ص لا- تعلمى عائشه ذلك و حرم ماريه على نفسه فأعلمت حفصه عائشه الخبر و استكتمتها إياه فأطلع الله نبيه ص على ذلك و هو قوله «وَ إِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا» يعنى حفصه عن الزجاج قال و لما حرم ماريه القبطيه أخبر حفصه أنه يملك من بعده أبو بكر ثم عمر فعرفها بعض ما أفشت من الخبر و أعرض عن بعض أن أبا بكر و عمر يملكان بعدى و قريب من ذلك ما

رواه العياشى بالإسناد عن عبد الله بن عطاء المكى عن أبى جعفر (عليه السلام) إلا أنه زاد فى ذلك أن كل واحده منهما حدثت أباهما بذلك فعاتبهما رسول الله فى أمر ماريه و ما أفشتا عليه من ذلك و أعرض عن أن يعاتبهما فى الأمر الآخر.

المعنى

«يا أَيُّهَا النَّبِيُّ» ناداه سبحانه بهذا النداء تشريفا له و تعليما لعباده كيف يخاطبونه فى أثناء محاوراتهم و يذكرونه فى خلال كلامهم «لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ» من الملاذ «تَبْتَغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ» أى تطلب به رضاء نساءك و هن أحق بطلب مرضاتك منك و ليس فى هذا دلالة على وقوع ذنب منه صغيرا أو كبيرا لأن تحريم الرجل بعض نساؤه أو بعض الملاذ لسبب أو لغير سبب ليس بقبیح و لا داخلا فى جملة الذنوب و لا يمتنع أن يكون خرج هذا القول مخرج التوجع له ص إذا بالغ فى إرضاء أزواجه و تحمل فى ذلك المشقه و لو أن إنسانا أرضى بعض نساؤه بتطبيق بعضهن لجاز أن يقال له لم فعلت ذلك و تحملت فيه المشقه و إن كان لم يفعل قبیحا و لو قلنا إنه عوتب على ذلك لأن ترك التحريم كان أفضل من فعله لم يمتنع لأنه يحسن أن يقال لتارك النفل لم لم تفعله و لم عدلت عنه و لأن تطيب قلوب النساء مما لا تنكره العقول و قد حكى أن عبد الله بن رواحه و كان من النقباء كانت له جاريه فاتهمته زوجته ليله فقال قولاً بالتعريض فقالت إن كنت لم تقربها فاقراً القرآن قال فأنشدت

شهدت فلم أكذب بأن محمدا رسول الذى فوق السماوات من عل

و أن أبا يحيى و يحيى كلاهما له عمل فى دينه متقبل

و أن التى بالجزع من بطن نخله و من دانها فل عن الخير معزل

فقال زدنى فأنشدت:

و فينا رسول الله نتلو كتابه كما لاح معروف مع الصبح ساطع

أتى بالهدى بعد العمى فنفسنا به موقنات أن ما قال واقع

يبيت يجافى جنبه عن فراشه إذا رقدت بالكافرين المضاجع

فقال زدنى فأنشدت:

شهدت بأن وعد الله حق و أن النار مثوى الكافرينا

و أن محمدا يدعو بحق و أن الله مولى المؤمنين

فقال أما إذا قرأت القرآن فقد صدقتك فأخبرت به رسول الله ص فقال بعد أن تبسم خيركم خيركم لنساءه و اختلف العلماء فيمن قال لامرأته أنت على حرام فقال مالك هو ثلاث تطليقات و قال أبو حنيفة إن نوى به الظهار فهو ظهار و إن نوى الإيلاء فهو إيلاء و إن نوى الطلاق فهو طلاق بائن و إن نوى ثلاثا كان ثلاثا و إن نوى اثنتين فواحدة بائنه و إن لم يكن له نية فهو يمين قال الشافعي إن نوى الطلاق كان طلاقا و الظهار كان ظهارا و إن لم يكن له نية فهو يمين و روى عن ابن مسعود و ابن عباس و عطاء أنه يمين و قال أصحابنا أنه لا يلزم به شىء و وجوده كعدمه و هو قول مسروق و إنما أوجب الله فيه الكفاره لأن النبى ص كان حلف أن لا يقرب جاريتيه و لا يشرب الشراب المذكور فأوجب الله عليه أن يكفر عن يمينه و يعود إلى استباحه ما كان حرمه و بين أن التحريم لا يحصل إلا بأمر الله و نهيه و لا يصير الشىء حراما بتحريم من يحرمه على نفسه إلا إذا حلف على تركه «وَاللَّهُ غَفُورٌ» لعباده «رَحِيمٌ» بهم إذا رجعوا إلى ما هو الأولى و الأليق بالتقوى يرجع لهم إلى التولى «قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ» أى قد قدر الله تعالى لكم ما تحللون به أيمانكم إذا فعلتموها و شرع لكم الحنث فيها لأن اليمين ينحل بالحنث فسمى ذلك تحله و قيل معناه قد بين الله لكم كفاره أيمانكم فى سورة المائدة عن مقاتل قال أمر الله نبيه أن يكفر يمينه و يراجع وليدته فأعتق رقبه و عاد إلى

ماريه و قيل معناه فرض الله عليكم كفاره أيمانكم كما قال و إن أسأتم فلها أى فعلها فسمى الكفاره تحله لأنها تجب عند انحلال اليمين و فى هذا دلالة على أنه قد حلف و لم يقتصر على قوله هى على حرام لأن هذا القول ليس بيمين «وَ اللَّهُ» هو «مَوْلَاكُمْ» أى وليكم يحفظكم و ينصركم و هو أولى بكم و أولى بأن تتبغوا رضاه «وَ هُوَ الْعَلِيمُ» بمصالحكم «الْحَكِيمُ» فى أوامره و نواهيه لكم و قيل هو العليم بما قالت حفصه لعائشه الحكيم فى تدييره «وَ إِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ» و هى حفصه «حَدِيثًا» أى كلاما أمرها ياخفائه فالإسرار نقيض الإعلان «فَلَمَّا تَبَأَتْ» أى أخبرت غيرها بما خبرها «بِهِ» فأفشت سره «وَ أَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ» أى و أطلع الله نبيه ص على ما جرى من إفشاء سره «عَرَفَ بَعْضُهُ وَ أَعْرَضَ عَن بَعْضٍ» أى عرف النبى ص حفصه بعض ما ذكرت و أخبرها ببعض ما ذكرت و أعرض عن بعض ما ذكرت و عن بعض ما جرى من الأمر فلم يخبرها و كان ص قد علم جميع ذلك لأن الإعراض إنما يكون بعد المعرفة لكنه أخذ بمكارم الأخلاق و التغافل من خلق الكرام قال الحسن ما استقصى كريم قط و أما عرف بالتخفيف فمعناه غضب عليها و جازاها بأن طلقها تطلقه ثم راجعها بأمر الله و قيل جازاها بأن هم بطلاقها «فَلَمَّا تَبَأَهَا بِهِ» أى فلما أخبر رسول الله ص حفصه بما أظهره الله عليه «قَالَتْ» حفصه «مَنْ أُنْبَأَكَ هَذَا» أى من أخبرك بهذا «قَالَ» رسول الله ص «تَبَأَنِي الْعَلِيمُ» بجميع الأمور «الْخَبِيرُ» بسرائر الصدور ثم خاطب سبحانه عائشه و حفصه فقال «إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ» من التعاون على النبى ص بالإيذاء و التظاهر عليه فقد حق عليكم التوبة و وجب عليكم الرجوع إلى الحق «فَقَدْ صَيَغَتْ» أى مالت «قُلُوبُكُمْ» إلى الإثم عن ابن عباس و مجاهد و قيل معناه ضاقت قلوبكما عن سبيل الاستقامة و عدلت عن الثواب إلى ما يوجب الإثم و قيل تقديره إن تتوبا إلى الله يقبل توبتكما و قيل إنه شرط فى معنى الأمر أى توبا إلى الله فقد صغت قلوبكما «وَ إِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ» أى و إن تتعاوننا على النبى ص بالإيذاء عن ابن عباس قال قلت لعمر بن الخطاب من المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله ص قال عائشه و حفصه أوردته البخارى فى الصحيح «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ» الذى يتولى حفظه و حياطته و نصرته «وَ جَبْرِيْلُ» أيضا معين له و ناصر يحفظه «وَ صَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ» يعنى خيار المؤمنين عن الضحاك و قيل يعنى الأنبياء عن قتاده و قال الزجاج صالح هنا ينوب عن الجميع كما تقول يفعل هذا الخير من الناس تريد كل خير قال أبو مسلم هو صالحوا المؤمنين على الجمع و سقطت الواو فى المصحف لسقوطها فى اللفظ و وردت الرواية من طريق الخاص و العام أن المراد بصالح المؤمنين أمير المؤمنين على (عليه السلام) و هو قول مجاهد و

فى كتاب شواهد التنزيل بالإسناد عن

سدير الصيرفي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال لقد عرف رسول الله ص عليا (عليه السلام) أصحابه مرتين أما مره فحيث قال من كنت مولاه فعلى مولاه و أما الثانيه فحيث نزلت هذه الآيه «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ» الآيه أخذ رسول الله ص بيد علي (عليه السلام) فقال أيها الناس هذا صالح المؤمنين

و

قالت أسماء بنت عميس سمعت أن النبي ص يقول «وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ» علي بن أبي طالب (عليه السلام)

«وَ الْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ» أى بعد الله و جبريل و صالح المؤمنين عن مقاتل «ظهير» أى أعوان للنبي ص و هذا من الواحد الذى يؤدى معنى الجمع كقوله «وَ حَسَنَ أَوْلِيكَ رَفِيقًا» «عسى رَبُّهُ» أى واجب من الله ربه «إِنْ طَلَّقُكَ» يا معشر أزواج النبي «أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ» أى أصلح له منكن ثم نعت تلك الأزواج اللائى كان يبده بهن لو طلق نساءه فقال «مُسْلِمَاتٍ» أى مستسلمات لما أمر الله به «مُؤْمِنَاتٍ» أى مصدقات لله و رسوله مستحقات للثواب و التعظيم و قيل مصدقات فى أفعالهن و أقوالهن «قَانِتَاتٍ» أى مطيعات لله تعالى و لأزواجهن و قيل خاضعات متذللات لأمر الله تعالى و قيل ساكنات عن الخنا و الفضول عن قتاده «تَائِبَاتٍ» عن الذنوب و قيل راجعات إلى أمر الرسول تاركات لمحاب أنفسهن و قيل نادمات على تقصير وقع منهن «عَابِدَاتٍ» لله تعالى بما تعبدهن به من الفرائض و السنن على الإخلاص و قيل متذللات للرسول بالطاعة «سَائِحَاتٍ» أى ماضيات فى طاعه الله تعالى و قيل صائمات عن ابن عباس و قتاده و الضحاك و قيل مهاجرات عن ابن زيد و أبيه زيد بن أسلم و الجبائى و إنما قيل للصائم سائح لأنه يستمر فى الإمساك عن الطعام كما يستمر السائح فى الأرض «تَيِّبَاتٍ» و هن الراجعات من عند الأزواج بعد افتضاضهن «وَ أَبْكَارًا» أى عذارى لم يكن لهن أزواج.

ص: ٥٢

إشاره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ
يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ
تَوْبَهُ نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا
مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٨) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ
الْكَافِرَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَأَوْهَمِ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٩) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا
تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠)

وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِ وَ نَجِّنِي مِنَ
الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) وَ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَ صَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَ كُتِبَ عَلَيْهَا
الْقَاتِنِينَ (١٢)

القراءة

قرأ حماد و يحيى عن أبي بكر نصوحا بضم النون و الباقون بفتح النون و قرأ أهل البصره و حفص «و كُتِبَ» بضم الكاف و التاء
على الجمع و الباقون و كتابه على الواحد.

الحجه

قال أبو على يشبه أن يكون النصوح بالضم مصدرا و ذلك إن ذا الرمه قال:

" أحبك حبا خالطته نصاحه "

فالنصاحه على فعاله و ما كان على فعال من المصادر فقد يكون منه الفعول نحو الذهاب و الذهب و يكون قد وصف بالمصدر
نحو عدل و رضا قال أبو الحسن نصحته في معنى صدقته و توبه نصوح أى صادق و الفتح كلام العرب و لا أعرف الضم

و حجه من قال «وَكُتِبَ» أنه في موضع جمع ألا- ترى أنها قد صدقت بجميع كتب الله تعالى و من قال و كتابه أراد الكثرة و الشياخ و قد يجي ء ذلك في الأسماء المضافه كما يجي ء في الأسماء المفردة كما قال «وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا».

الإعراب

«وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ» مبتدأ نورهم مبتدأ ثانى و «يَسْئَعِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ» فى موضع الخبر و الجملة خبر المبتدأ الأول و قوله «امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ» تقديره مثل امرأه فرعون فحذف المضاف و هو بدل من قوله مثلاً.

المعنى

لما أدب سبحانه نساء النبي ص أمر عقبيه المؤمنين بتأديب نسائهم فقال مخاطباً لهم «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا» أى احفظوا و احرسوا و امنعوا «أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نَارًا» و المعنى قوا أنفسكم و أهليكم النار بالصبر على طاعة الله و عن معصيته و عن اتباع الشهوات و قوا أهليكم النار بدعائهم إلى الطاعة و تعليمهم الفرائض و نهيهم عن القبائح و حثهم على أفعال الخير و قال مقاتل بن حيان و هو أن يؤدب الرجل المسلم نفسه و أهله و يعلمهم الخير و ينهاهم عن الشر فذلك حق على المسلم أن يفعل بنفسه و أهله و عبيده و إمامه فى تأديبهم و تعليمهم ثم وصف سبحانه النار التى حذرهم منها فقال «وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْجِبَارَةُ» أى حطب تلك النار الناس و حجاره الكبريت و هى تزيد فى قوه النار و قد مر تفسيره «عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ» أى غلاظ القلوب لا يرحمون أهل النار أقوياء يعنى الزبانية التسعة عشر و أعوانهم «لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» و فى هذا دلالة على أن الملائكة الموكلين بالنار معصومون عن القبائح لا يخالفون الله فى أوامره و نواهيه و قال الجبائى إنما عنى أنهم لا يعصونه و يفعلون ما يأمرهم به فى دار الدنيا لأن الآخرة ليست بدار تكليف و إنما هى دار جزاء و إنما أمرهم الله بتعذيب أهل النار على وجه الثواب لهم بأن جعل سرورهم و لذاتهم فى تعذيب أهل النار كما جعل سرور المؤمنين و لذاتهم فى الجنة ثم حكى سبحانه ما يقال للكفار يوم القيامة فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ» و ذلك أنهم إذا عذبوا يأخذون فى الاعتذار فلا يلتفت إلى معاذيرهم و يقال لهم لا تعتذروا اليوم فهذا جزاء فعلكم و ذلك قوله «إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» ثم عاد سبحانه إلى خطاب المؤمنين فى دار التكليف فقال «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ» من معاصيه و ارجعوا إلى طاعته «تَوْبَةً نُّصُوحًا» أى خالصه لوجه الله

و روى عكرمه عن ابن عباس قال قال معاذ بن جبل يا رسول الله ما التوبة النصوح قال أن يتوب التائب ثم لا يرجع فى ذنب كما لا يعود اللبن إلى الضرع

و قال ابن مسعود التوبة النصوح هى التى تكفر كل

سيئه و هو فى القرآن ثم تلا هذه الآيه و قيل أن التوبه النصوح هى التى يناصر الإنسان فيها نفسه بإخلاص الندم مع العزم على أن لا- يعود إلى مثله فى القبح و قيل هى أن يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على أن لا يعود فيه عن الحسن و قيل هى الصادقه الناصحه عن قتاده و قيل هى أن يستغفر باللسان و يندم بالقلب و يمسك بالبدن عن الكلبى و قيل هى التوبه المقبوله و لا- تقبل ما لم يكن فيها ثلاث خوف أن لا تقبل و رجاء أن تقبل و إيمان الطاعه عن سعيد بن جبير و قيل هى أن يكون الذنب نصب عينيه و لا- يزال كأنه ينظر إليه و قيل هى من النصح و هو الخياطه لأن العصيان يخرق الدين و التوبه ترقيه و قيل لأنها جمعت بينه و بين أولياء الله كما جمع الخياط الثوب و ألصق بعضه ببعض و قيل لأنها أحكمت طاعته و أوثقتها كما أحكم الخياط الثوب و أوثقه «عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم و يدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار» أى يحطها عنكم و يدخلكم الجنه و عسى من الله واجب ثم قال «يَوْمَ لا- يُخزى الله النبي و الذين آمنوا معه» أى لا- يعذبهم الله بدخول النار و لا يذلهم بذلك بل يعزهم بإدخالهم الجنه و قيل لا يخزى الله النبي أى لا يشوره فيما يريد من الشفاعه بل يشفعه فى ذلك «نورهم يسعى بين أيديهم و بإيمانهم» مفسر فى سوره الحديد و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) يسعى أئمه المؤمنين يوم القيامة بين أيديهم و بإيمانهم حتى ينزلوهم منازلهم فى الجنه

«يَقُولُونَ رَبَّنَا» و هو فى موضع نصب على الحال تقديره قائلين ربنا «أَتَمِّمَ لَنَا نُورَنَا» و قيل أن قوله «و الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ» مبتدأ و «نُورُهُمْ يَسْعَى» خبره و «يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتَمِّمَ لَنَا نُورَنَا» خبر آخر من «الَّذِينَ آمَنُوا» و حال منهم و فيه وجه آخر ذكرناه فى الإعراب و قيل «أَتَمِّمَ لَنَا نُورَنَا» معناه وفقنا للطاعه التى هى سبب النور «و اغفر لنا» أى استر علينا معاصينا و لا تهلكنا بها «إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» من إطفاء نور المنافقين و إثبات نور المؤمنين ثم خاطب سبحانه النبي ص فقال «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ» بالقتال و الحرب «و الْمُنَافِقِينَ» بالقول الرادع عن القبيح لا بالحرب إلا أن فيه بذل المجهود فلذلك سماه جهادا و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قرأ جاهد الكفار بالمنافقين و قال أن رسول الله ص لم يقاتل منافقا قط إنما كان يتألفهم

«و اغلظ عليهم» أى اشدد عليهم من غير محاباه و قيل اشدد عليهم فى إقامه الحد عليهم قال الحسن أكثر من يصيب الحدود فى ذلك الزمان المنافقون فأمر الله تعالى أن يغلظ عليهم فى إقامه الحد «و مآواهم» أى مآل الكفار و المنافقين «جَهَنَّمَ و بئس المصير» أى المال و المستقر ثم ضرب الله المثل لأزواج النبي حثا لهن على الطاعه و بيانا لهن أن مصاحبه الرسول مع مخالفته لا تنفعهن فقال «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتٌ نُوحٍ وَ امْرَأَتٌ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا» أى نبين من أنبيائنا «صَالِحِينَ فَخَاتَمَهُمَا» قال ابن عباس

كانت امرأه نوح كافره تقول للناس أنه مجنون و إذا آمن بنوح أحد أخبرت الجبابره من قوم نوح به و كانت امرأه لوط تدل على أضيافه فكان ذلك خيانتها و ما بغت امرأه نبي قط و إنما كانت خيانتها في الدين و قال السدي كانت خيانتها أنهما كانتا كافرتين و قيل كانتا منافقتين و قال الضحاك خيانتها النميمه إذا أوحى الله إليهما أفشياه إلى المشركين «فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً» أى و لم يغن نوح و لوط مع نبوتها عن امرأتيهما من عذاب الله شيئاً «وَقِيلَ» أى و يقال لهما يوم القيامة «ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ» و قيل أن اسم امرأه نوح واغله و اسم امرأه لوط واهله و قال مقاتل والغه و والهه «وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ» و هى آسيه بنت مزاحم قيل إنها لما عاينت المعجز من عصا موسى و غلبته السحره أسلمت فلما ظهر لفرعون إيمانها نهاها فأبت فأوتد يديها و رجليها بأربعة أوتاد و ألقاها فى الشمس ثم أمر أن يلقي عليها صخره عظيمه فلما قرب أجلها «قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ» فرفعها الله تعالى إلى الجنه فهى فيها تأكل و تشرب عن الحسن و ابن كيسان و قيل أنها أبصرت بيتا فى الجنه من دره و انتزع الله روحها فألقيت الصخره على جسدها و ليس فيه روح فلم تجد ألما من عذاب فرعون و قيل أنها كانت تعذب بالشمس و إذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكه و جعلت ترى بيتها فى الجنه عن سلمان «وَنَجَّيْنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَ عَمَلِهِ» أى دينه و قيل و جماعه عن ابن عباس «وَنَجَّيْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» من أهل مصر قالوا قطع الله بهذه الآيه طمع من ركب المعصيه رجاء أن يقطعه صلاح غيره و أخبر أن معصيه الغير لا تضر من كان مطيعا قال مقاتل يقول الله سبحانه لعائشه و حفصه لا تكونا بمنزله امرأه نوح و امرأه لوط فى المعصيه و كونا بمنزله امرأه فرعون و مريم و هو قوله «وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا» أى منعت فرجها من دنس المعصيه و عفت عن الحرام و قيل معناه منعت فرجها من الأزواج لم تتبع زوجا و لا غيره «فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا» أى فنفخ جبرائيل بأمرنا فى جيبها من روحنا عن قتاده و قال الفراء كل شق فهو فرج و «أَحْصَيْتُ فَرْجَهَا» منعت جيب درعها من جبرائيل و قيل نفخ جبرائيل فى فرجها و خلق الله منه المسيح و هو الظاهر و لذلك ذكره و قال فى سوره الأنبياء فيها و عاد الضمير إلى التى أحصنت فرجها و قيل معناه خلقنا المسيح فى بطنها و نفخنا فيه الروح حتى صار حيا فالضمير فى فيه يعود إلى المسيح «وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا» أى بما تكلم الله تعالى و أوحاه إلى أنبيائه و ملائكته و قيل صدقت بوعد الله و وعيده و أمره و نهيه «وَكُتِبَ» أى و صدقت بكتب الله المنزله على أنبيائه مثل التوراه و الإنجيل و من وحد فالمراد به الإنجيل «وَكَاَنَتْ مِنَ الْقَائِمِينَ» أى المطيعين لله سبحانه و الدائمين على طاعته و يجوز أن يكون من القنوت فى الصلاه و يجوز أن يريد بالقائمين رهطها و عشيرتها الذين كانت مريم

منهم و كانوا أهل بيت صلاح و طاعه و لم يقل من القانتات لتغليب المذكر على المؤنث و

جاءت الروايه عن معاذ بن جبل قال دخل رسول الله ص على خديجه و هى تجود بنفسها فقال أكره ما نزل بك يا خديجه و قد جعل الله فى الكره خيرا كثيرا فإذا قدمت على ضراتك فأقريهن منى السلام قالت يا رسول الله و من هن قال مريم بنت عمران و آسيه بنت مزاحم و حلیمه أو كلیمه أخت موسى شك الراوى فقالت بالرفاء و البنين

و

عن أبى موسى عن النبى ص قال كمل من الرجال كثير و لم يكمل من النساء إلا أربع آسيه بنت مزاحم امرأه فرعون و مريم بنت عمران و خديجه بنت خويلد و فاطمه بنت محمد ص.

ص: ٥٧

(٦٧) سورة الملك مكيه و آياتها ثلاثون (٣٠)

اشاره

[توضيح]

و

تسمى سورة المنجيه لأنها تنجى صاحبها من عذاب القبر و قد ورد به الخبر

و تسمى الواقيه لما روى عن النبي ص أنها الواقيه من عذاب القبر

و هي مكيه.

عدد آياتها

إحدى و ثلاثون آيه مكي و المدنى الأخير و ثلاثون آيه فى الباقيين.

اختلافها

آيه واحده «قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ» مكي و المدنى الأخير.

فضلها

أبى بن كعب عن النبي ص قال و من قرأ سورة تبارك فكأنما أحيا ليله القدر

و

عن ابن عباس قال قال رسول الله ص وددت أن تبارك الملك فى قلب كل مؤمن

و

عن أبى هريره أن رسول الله ص قال أن سورة من كتاب الله ما هى إلا ثلاثون آيه شفعت لرجل فأخرجته يوم القيامة من النار و

أدخلته الجنة و هى سورة تبارك

و عن ابن مسعود قال إذا وضعت الميت فى قبره يؤتى من قبله فيقال له ليس لكم عليه سبيل لأنه قد كان يقوم بسوره

الملك ثم يؤتى من قبل رأسه فيقول لسانه ليس لكم عليه سبيل لأنه كان يقرأ بى سورة الملك ثم قال هى الممانعه من عذاب

القبر و هى فى التوراه سورة الملك من قرأها فى ليله فقد أكثر و أطيب و

روى الحسن بن محبوب عن جميل بن صالح عن سدير الصيرفي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال سورة الملك هي المانع تمنع من عذاب القبر و هي مكتوبه فى التوراه سورة الملك و من قرأها فى ليله فقد أكثر و أطاب و لم يكتب من الغافلين و إنى لأرکع بها بعد العشاء الآخره و أنا جالس و إن الذى كان يقرأها فى حياته فى يومه و ليلته إذا دخل عليه فى قبره ناکر و نكير من قبل رجليه قالت رجلاه لهما ليس لكما إلى ما قبلى سبيل قد كان هذا العبد يقوم على فىقرأ سورة الملك فى كل يوم و ليله فإذا أتياه من قبل جوفه قال لهما ليس لكما إلى ما

قبلى سبيل كان هذا العبد وقد وعى سورة الملك و إذا أتياه من قبل لسانه قال لهما ليس لكما إلى ما قبلى سبيل قد كان هذا العبد يقرأ فى كل يوم و ليله سورة الملك.

أبو بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ سورة تبارك الذى بيده الملك فى المكتوبه قبل أن ينام لم يزل فى أمان الله حتى يصبح و فى أمانه يوم القيامة حتى يدخل الجنة إن شاء الله.

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه تلك السوره بأن الوصله لا تنفع إلا بالطاعه و أصل الطاعه المعرفه و التصديق بالكلمات الإلهيه افتتح هذه السوره بدلائل المعرفه و آيات الربوبيه فقال:

[سوره الملك (٦٧): الآيات ١ الى ٥]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِنًا وَ هُوَ حَسِيرٌ (٤)

وَ لَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَ جَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (٥)

القراءه

قرأ حمزه و الكسائى من تفوت بتشديد الواو من غير ألف و هى قراءه الأعمش و الباقر «تَفَاوُتٍ» بالألف.

الحجه

قال أبو الحسن تفاوت أجود لأنهم يقولون تفاوت الأمر و لا- يكادون يقولون تفوت الأمر قال و هى أظن لغه قال سيبويه قد يكون فاعل و فعل بمعنى نحو ضاعف و ضعف و تفاعل مطاوع فاعل كما أن تفعل مطاوع فعل فعلى هذا القياس يكون تفاعل و تفعل بمعنى و تفاوت و تفوت بمعنى.

تبارك أصله من البرك و هو ثبوت الطائر على الماء و البركه ثبوت الخير بنمائه و قوله «طَبَاقًا» مصدر طوبقت طباقا فهي مطبق بعضها على بعض عن الزجاج و قيل هو جمع طبق مثل جمل و جمال و التفاوت الاختلاف و الاضطراب و الفطور الشقوق و الصدوع من الفطر و هو الشق الخاسئ الذليل الصاغر و قيل هو البعيد مما يريده منه و قيل للكلب اخسأ و الحسير من الإبل المعيب الذى لا فضل فيه للسير قال:

بها جيف الحسرى فأما عظامها فيبيض و أما جلدها فصليب

و السعير النار المسعره و أعتدنا أصله أعددنا أى هيأنا فأبدلت الدال تاء.

الإعراب

«الَّذِي خَلَقَ» بدل من «الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ» و يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف فعلى هذا الوجه يجوز الوقف على ما قبله و على الوجه الأول لا يجوز و قوله «أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» تعليق لأن التقدير ليلوكم فيعلم أيكم أحسن عملا و ارتفع أى بالابتداء و إنما لم يعمل فيه ما قبله لأنه على أصل الاستفهام و طباقا نصب على الحال إذا أردنا فى سماوات معنى الألف و اللام و إن جعلناها نكرة كان طباقا صفتها و قوله «كَرَّتَيْنِ» منصوب على المصدر أى رجعتين.

المعنى

أخبر سبحانه عن عظمته و علو شأنه و كمال قدرته فقال «تَبَارَكَ» أى تعالى و جل عما لا يجوز عليه فى ذاته و أفعاله عن أبى مسلم و قيل معناه تعالى بأنه الثابت الذى لم يزل و لا يزال و قيل معناه تعاضم بالحق من ثبوت الأشياء به إذ لولاه لبطل كل شىء لأنه لا يصح سواه شىء إلا و هو مقدوره أو مقدور مقدوره الذى هو القدره و قيل معناه تعالى من جميع البركات منه إلا أن هذا المعنى مضمرة فى الصفه غير مصرح به و إنما المصرح به أنه تعالى باستحقاق التعظيم «الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ» و الملك هو اتساع المقدور لمن له السياسه و التدبير و معناه الذى هو المالك و له الملك يؤتبه من يشاء و يتصرف فيه كما يشاء و إنما ذكر اليد تأكيدا و لأن أكثر التصرفات و العطايا باليد «وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» من إنعام و انتقام و قيل معناه أنه قادر على كل شىء يصح أن يكون مقدورا له و هو أخص من قولنا وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ* لأنه لا شىء إلا و يجب أن يعلمه إذ لا شىء إلا و يصح أن يكون معلوما فى نفسه و لا يوصف سبحانه بكونه قادرا على ما لا يصح أن يكون مقدورا فى نفسه مثل ما تقضى وقته مما لا يبقى ثم وصف سبحانه نفسه فقال «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَيَاةَ» أى خلق الموت

للتعبد بالصبر عليه و الحياه للتعبد بالشكر عليها و قيل خلق الموت للاعتبار و الحياه للتزود و قيل إنما قدم ذكر الموت على الحياه لأنه إلى القهر أقرب كما قدم البنات على البنين في قوله «يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْثَاءً» الآية و قيل إنما قدمه لأنه أقدم فإن الأشياء في الابتداء كانت في حكم الأموات كالنطفه و التراب ثم اعترضت الحياه «لِيُثَلِّوْكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» أى ليعاملكم معاملة المختبر بالأمر و النهى فيجازى كل عامل بقدر عمله و قيل ليلوكم أيكم أكثر للموت ذكرا و أحسن له استعدادا و أحسن صبيرا على موته و موت غيره و أيكم أكثر امثالا للأوامر و اجتنابا عن النواهي في حال حياته

قال أبو قتاده سألت النبي ص عن قوله تعالى «أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» ما عنى به فقال يقول أيكم أحسن عقلا ثم قال أتمكم عقلا و أشدكم لله خوفا و أحسنكم فيما أمر الله به و نهى عنه نظرا و إن كان أقلكم تطوعا

و

عن ابن عمر عن النبي ص أنه تلا قوله تعالى «تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ» إلى قوله «أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» ثم قال أيكم أحسن عقلا و أروع عن محارم الله و أسرع في طاعة الله

و عن الحسن أيكم أزهّد في الدنيا و أترك لها «وَهُوَ الْعَزِيزُ» في انتقاله ممن عصاه «الْعُفُورُ» لمن تاب إليه أو لمن أراد التفضل عليه بإسقاط عقابه و التكليف إنما يصح بالترغيب و التهيب لأن معناه تحمل المشقه في الأمر و النهى ثم عاد سبحانه إلى وصف نفسه فقال «الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ» أى أنشأهن و اخترعهن «طَبَاقًا» واحده فوق الأخرى و قيل أراد بالمطابقه المشابهه أى يشبه بعضها بعضا في الإتقان و الأحكام و الاتساق و الانتظام «مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ» أى اختلاف و تناقض من طريق الحكمه بل ترى أفعاله كلها سواء في الحكمه و إن كانت متفاوتة في الصور و الهيئات يعنى في خلق الأشياء على العموم و في هذا دلالة على أن الكفر و المعاصى لا يكون من خلق الله تعالى لكثرة التفاوت في ذلك و قيل معناه ما ترى يا ابن آدم في خلق السماوات من عيب و اعوجاج بل هى مستقيمه مستويه كلها مع عظمها «فَارْجِعِ الْبَصَرَ» أى فرد البصر و أدره في خلق الله و استقص في النظر مره بعد أخرى و التقدير أنظر ثم ارجع النظر في السماء «هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ» أى شقوق و فتوق عن سفیان و قيل من وهن و خلل عن ابن عباس و قتاده «ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ» أى ثم كرر النظر مرتين لأن من نظر في الشىء كره بعد أخرى بأن له ما لم يكن بائنا و قيل معناه أدم النظر و التقدير ارجع البصر مره بعد أخرى و لا يريد حقيقه التشبيه لقوله «وَهُوَ حَسِيرٌ» و لا يصير حسيرا بمرتين و نظيره قولهم لبيك و سعديك أى إلبا بعد إلبا و إسعادا بعد إسعاد يعنى كلما دعوتنى فأنا ذو إجابته بعد إجابته و ذو ثبات بمكانى بعد ثبات من قولهم لب بالمكان و ألب إذا ثبت و أقام و هو نصب على المصدر أى أجيبك إجابته بعد إجابته «يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ

خاصةً» أى يرجع إليك بصرك بعيداً عن نيل المراد ذليلاً صاعراً عن ابن عباس كأنه ذل كذله من طلب شيئاً فلم يجده و أبعد عنه «وَهُوَ حَسِيذٌ» أى كال معى عن قتاده و التحقيق أن بصر هذا الناظر بعد الإعياء يرجع إليه بعيداً عن طلبته خائباً فى بغيته ثم أقسم سبحانه فقال «وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا» لأن هذه اللام هى التى يتلقى بها القسم أى حسنا السماء الدنيا يعنى التى هى أدنى إلى الأرض و هى التى يراها الناس «بِمَصَابِيحٍ» واحداً مصباح يعنى الكواكب سماها المصابيح لإضاءةها و هى السرج «وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ» الذين يسترقون السمع و قيل ينفصل من الكواكب شهب تكون رجوماً للشياطين فأما الكواكب أنفسها فليست تزول إلى أن يريد الله تعالى إفناءها عن الجبائى «وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ» يعنى أنا جعلنا مع الكواكب رجوماً للشياطين هيأنا لهم و ادخرنا لأجلهم عذاب النار المسعرة المشعله و فى هذا دلالة على أن الشياطين مكلفه.

[سوره الملك (٦٧): الآيات ٦ الى ١١]

إشاره

وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٦) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورُ (٧) تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠)

فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١)

القرءاء

قرأ أبو جعفر و الكسائى فسحقاً بضممتين و الباقون بالتخفيف.

الحجه

سحق و سحق مثل عنق و عنق و طنّب و طنّب و نحو ذلك و كلاهما حسن.

اللغه

الشهيق صوت تقطيع النفس كالنزع و إذا اشتد لهيب النار سمع منها ذلك الصوت كأنها تطلب الوقود قال رؤبه:

حشرج فى الجوف سحىلا أو شهق حتى يقال ناهق و ما نهق

و قىل إن الشهىق فى الصدر و الزفىر فى الحلق و الفور ارتفاع الشىء بالغلىان يقال فارت القدر تفور و منه الفواره لارتفاعها بالماء ارتفاع الغلىان و منه فار الدم من الجرح و فار الماء من الأرض و السحق البعد يقال أسحقهم الله إسحاقا و سحقا أى ألزمهم الله سحقا عن الخىر فجاء المصدر على غير لفظه كما قال وَ اللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا وَ تَقْدِيرَهُ فَأَسْحَقَهُمْ إِسْحَاقًا وَ أَمَا سَحَقْتَهُ سَحَقًا فَمَعْنَاهُ بَاعَدْتَهُ بِالتَّفْرِيقِ عَنْ حَالِ اجْتِمَاعِهِ حَتَّى صَارَ كَالْغَبَارِ.

المعنى

لما تقدم وعيد الشياطين الذين دعوا إلى الكفر و الضلال أتبعه سبحانه بذكر الكفار الضلال فقال «وَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَ بَسَّ الْمَصْتَبِرُ» أى بسس المال و المرجع و إنما وصف ببس و هو من صفات الدم و العقاب حسن لما فى ذلك من الضرر الذى يجب على كل عاقل أن يتقيه بغايه الجهد و لا يجوز قياسا على ذلك أن يوصف به فاعل العقاب لأنه لا يقال ببس الرجل إلا على وجه الدم و وجه الحكمة فى فعل العقاب ما فيه من الزجر المتقدم للمكلف و لا يمكن أن يكون مزجورا إلا به و لولاه لكان مغرى بالقبيح «إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا» أى إذا طرح الكفار فى النار سمعوا للنار صوتا فظيعا مثل صوت القدر عند فورانها و غليانها فيعظم بسمع ذلك عذابهم لما يرد على قلوبهم من قوله «وَ هِيَ تَفُورٌ» أى تغلى بهم كغلى المرجل «تَكَادُ تَمَيَّرُ» أى تتقطع و تتفرق «مِنَ الْعَظِيمِ» أى شدة الغضب سمى سبحانه شدة التهاب النار غيظا على الكفار لأن المغتاض هو المتقطع مما يجد من الألم الباعث على الإيقاع بغيره فحال جهنم كحال المتغيظ «كَلَّمَا أَلْقَى فِيهَا» أى كلما طرح فى النار «فَوُجَّ» من الكفار «سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ» أى تقول لهم الملائكة الموكلون بالنار على وجه التبكيت لهم فى صيغته الاستفهام أ لم يجئكم مخوف من جهه الله سبحانه يخوفكم عذاب هذه النار «قَالُوا بلى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَ قُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ» أى فيقولون فى جوابهم بلى قد جاءنا مخوف فلم نصدقه و كذبناه و لم نقبل منه بل قلنا له ما نزل الله شيئا مما تدعونا إليه و تحذرنا منه فتقول لهم الملائكة «إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ» أى لستم اليوم إلا فى عذاب عظيم و قيل معناه قلنا للرسل ما أنتم إلا فى ضلال أى ذهاب عن الصواب كبير فى قولكم أنزل الله علينا كتابا «وَ قَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ» من النذر ما جاءونا به و دعونا إليه و عملنا بذلك «ما كُنَّا فِي

أَصْحَابِ السَّعِيرِ» و قال الزجاج لو كنا نسمع سمع من يعى و يفكر و نعقل عقل من يميز و ينظر ما كنا من أهل النار و

فى الحديث عن ابن عمر أن النبى ص قال إن الرجل ليكون من أهل الجهاد و من أهل الصلاة و الصيام و ممن يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر و ما يجزى يوم القيامة إلا على قدر عقله

و

عن أنس بن مالك قال أثنى قوم على رجل عند رسول الله ص فقال رسول الله ص كيف عقل الرجل قالوا يا رسول الله نخبرك عن اجتهاده فى العباده و أصناف الخير و تسألنا عن عقله فقال إن الأحقق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر و إنما يرتفع العباد غدا فى الدرجات و ينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم

ثم قال سبحانه «فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ» فى ذلك الوقت الذى لا ينفعهم فيه الإقرار و الاعتراف و الإقرار مشتق من قر الشىء أى يقر قرارا إذا ثبت و الاعتراف مأخوذ من المعرفة و الذنب مصدر لا- يثنى و لا- يجمع و متى جمع فلاختلاف جنسه «فَسِيحَقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ» هذا دعاء عليهم أى أسحقهم الله و أبعدهم من النجاه سحقا و إذا قيل ما وجه اعترافهم بالذنب مع ما عليهم من الفضيحة به فالجواب أنهم قد علموا حصولهم على الفضيحة اعترفوا أم لم يعترفوا فليس يدعوهم إلى أحد الأمرين إلا مثل ما يدعوهم إلى الآخر فى أنه لا فرج فيه فاستوى الأمران عليهم الاعتراف و ترك الاعتراف و الجزع و ترك الجزع.

ص: ٦٤

إشارة

إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢) وَاسْتَرْوُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤) هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥) أَمْئْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦)

أَمْ أَمْئْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧) وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١٨) وَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمُنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (١٩) أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ (٢٠) أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي يَزُوقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ (٢١)

القراءة

قرأ ابن كثير النشور و أمئتم و قرأ أبو جعفر و نافع و أبو عمرو و يعقوب بهمزة واحده ممدوده و هو تحقيق الهمزة الأولى و تخفيف الثانية بأن تجعل بين بين و قرأ الباقون «أَمْئْتُمْ» بهمزتين.

الحجج

أما الأول فهو تخفيف الهمزة الأولى بأن جعلت واوا و هذا في المنفصل نظير قولهم في المتصل التؤده و جون في جمع جؤنه فأما الهمزة التي هي فاء من قولهم «أَمْئْتُمْ» بعد تخفيف الأولى بقلبها واوا فإنه يجوز فيه التحقيق و التخفيف فإن حقق كان لفظه النشور و أمئتم و إن خفف كان القياس أن تجعل بين بين أعنى بين الألف و الهمزة لتحركها بالفتحة و من قال

" لا هناك المرتع "

و قلبها ألفا كان القياس أن يقول هنا النشور و أمئتم بقلبها ألفا محضه و سيبويه يجيز هذا القلب في الشعر و غير حال السعه و كان قياس قول أبي عمرو على ما حكاه عنه سيبويه من أنه إذا اجتمع همزتان خفف الأولى منهما دون الثانية أن يقلب الأولى منهما هنا واوا كما فعله ابن كثير فأما الثانية فإن شاء حققها و إن شاء خففها و تخفيفها أن تجعل بين الهمزة و الألف و لعل أبا عمرو ترك هذا القول في هذا الموضع فأخذ فيه بالوجه الآخر و هو تخفيف الثانية منهما إذا التقتا دون الأولى.

اللغة

اللفظ من الله الرأفة و الرحمه و الرفق و اللطيف الرفيق بعباده يقال لطف به يلطف لطفًا إذا رفق به و الذلول من المراكب ما لا صعوبه فيه و مناكب الأرض ظهورها و منكب كل شئء أعلاه و أصله الجانب و منه منكب الرجل و الريح النكباء و النشور الحياه بعد الموت يقال نشر الميت ينشر نشورًا إذا عاش و أنشره الله أحياه قال الأعشى:

حتى يقول الناس مما رأوا يا عجباً للميت الناشر

و أصله من النشر ضد الطى و الحاصب الحجارة التى ترمى بها كالحصاء و حصبه بالحصاه يحصبه حصبا إذا رماه بها و يقال للذى يرمى به حاصب أى ذو حصب.

الإعراب

«بِالْغَيْبِ» فى موضع نصب على الحال «أَلَا-يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ» فيه وجوه (أحدها) أن يكون «مَنْ خَلَقَ» فى موضع رفع بأنه فاعل يعلم و التقدير أ لا يعلم من خلق الخلق ضمائر صدورهم (الثانى) أن يكون «مَنْ خَلَقَ» فى موضع نصب بأنه مفعول به و تقديره أ لا يعلم الله من خلقه (و الثالث) أن يكون استفهاما فى موضع نصب بأنه مفعول و فاعل خلق الضمير المستكن فيه العائد إلى الله تعالى و الأول أصح الوجوه و قوله «أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ» فى موضع نصب بأنه بدل من فى قوله «مَنْ فِي السَّمَاءِ» و هو بدل الاشتمال «فَإِذَا هِيَ تَمُورُ» إذا ظرف المفاجاه و هو معمول. قوله «هِيَ تَمُورُ» جملة فى موضع نصب على الحال من «يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ» و ذو الحال الأرض و «أَنْ يُرْسِلَ» بدل أيضا مثل قوله «أَنْ يَخْسِفَ» و قوله «كَيْفَ نَذِيرٍ» مبتدأ و خبر و الخبر مقدم و الجملة متعلقه بقوله «فَسَتَعْلَمُونَ» و التقدير فتعلمون محذور إنذارى أم لا و قوله «فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ» كيف هنا خبر كان و قوله «و يَقْبِضْنَ» معطوف على «صَافَاتٍ» و إنما عطف الفعل على الاسم و من الأصل المقرر أن الفعل لا يعطف إلا على الفعل كما أن الاسم لا يعطف إلا على الاسم لأنه و إن كان فعلا فهو فى موضع الحال فتقديره تقدير اسم فاعل و صافات حال فجاز أن يعطف عليه فكأنه قال صافات و قابضات و قد جاء مثل هذا فى الشعر قال:

بات يعيشها بعضب باتر يعدل فى أسوقها و جائر

«أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ» من هنا استفهام فى موضع رفع بالابتداء دخل عليه أم المنقطعه و هذا مبتدأ ثان و الذى خبره و قد وصل بالمبتدأ و الخبر و هو قوله «هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ» و «يَنْصُرُكُمْ» صفة الجند.

لما تقدم الوعيد عقبه سبحانه بالوعد فقال «إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ» أى يخافون عذاب ربهم باتقاء معاصيه و فعل طاعاته على وجه الاستسرار بذلك لأن الخشيه متى كانت بالغيب على ما ذكرنا كانت بعيده من الرياء خالصه لوجه الله و خشيه الله بالغيب تنفع بأن يستحق عليها الثواب و خشيته فى الظاهر بترك المعاصى لا يستحق بها الثواب فإذا الخشيه بالغيب أفضل لا محاله و قيل بالغيب معناه أنه يخشونه و لم يروه فيؤمنون به خوفا من عذابه و قيل يخافونه حيث لا يراهم مخلوق لأن أكثر ما ترتكب المعاصى إنما ترتكب فى حال الخلوه فهم يتركون المعصيه لئلا يجعلوا الله سبحانه أهون الناظرين إليهم و لأن من تركها فى هذه الحال تركها فى حال العلانيه أيضا «لَهُمْ مَغْفِرَةٌ» لذنوبهم «وَأَجْرٌ كَبِيرٌ» أى عظيم فى الآخره لافناء له ثم قال سبحانه مهددا للعصاه «وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» يعنى أنه عالم بإخلاص المخلص و نفاق المنافق فإن شئتم فأظهروا القول و إن شئتم فأبطونه فإنه عليم بضمائر القلوب و من علم إضمار القلب علم أسرار القول قال ابن عباس كانوا ينالون من رسول الله ص فيخبره به جبرئيل فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم لكيلا يسمع آل محمد فنزلت الآية «أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ» قيل فى معناه وجوه (أحدها) ألا يعلم ما فى الصدور من خلق الصدور (و ثانيها) ألا يعلم سر العبد من خلقه أى من خلق العبد فعلى الوجهين يكون «مَنْ خَلَقَ» بمعنى الخالق (و ثالثها) أن يكون من خلق بمعنى المخلوق و المعنى ألا- يعلم الله مخلوقه «وَهُوَ اللَّطِيفُ» أى العالم بما لطف و دق و قيل اللطيف بعباده من حيث يدبرهم بألطف التدبير و اللطيف التدبير من يدبر تدبيرا نافذا لا يجفو عن شىء يدبره به و قيل اللطيف من كان فعله فى اللطف بحيث لا يهتدى إليه غيره و هو فعيل بمعنى فاعل كالقدير و العليم و قيل هو بمعنى الملطف كالبديع بمعنى المبدع و قيل اللطيف الذى يكلف السير و يعطى الكثير «الْحَبِيرُ» العالم بالعباد و أعمالهم ثم عدد سبحانه أنواع نعمه ممتنا على عباده بذلك فقال «هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا» أى سهله ساكنه مسخره تعملون فيها ما تشتهون و قيل ذلولا- لم يجعلها بحيث يمتنع المشى فيها بالحزونه و الغلظ و قيل ذلولا موطأه للتصرف فيها و المسير عليها و يمكنكم زراعتها «فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا» أى فى طرقها و فجاجها عن مجاهد و قيل فى جبالها لأن منكب كل شىء أعلاه عن ابن عباس و قتاده ثم إن كان هذا أمر ترغيب فالمراد فامشوا فى طاعه الله و إن كان للإباحه فقد أباح المشى فيها لطلب المنافع فى التجارات «وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ» أى كلوا مما أنبت الله فى الأرض و الجبال من الزروع و الأشجار حلالا «وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» أى و إلى حكمه المرجع فى القيامة و قيل معناه و إليه الإحياء للمحاسبه فهو مالك النشور و القادر عليه عن الجبائى ثم

هدد سبحانه الكفار زاجرا لهم عن ارتكاب معصيته و الجحود لربوبيته فقال «أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ» أى أمنتكم عذاب من فى السماء سلطانه و أمره و نهييه و تدبيره لا بد أن يكون هذا معناه لاستحاله أن يكون الله جل جلاله فى مكان أو فى جهة و قيل يعنى بقوله «مَنْ فِي السَّمَاءِ» الملك الموكل بعذاب العصاه «أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ» يعنى أن يشق الأرض فيغييكم فيها إذا عصيتموه «فَإِذَا هِيَ تَمُورُ» أى تضطرب و تتحرك و المعنى أن الله يحرك الأرض عند الخسف بهم حتى تضطرب فوقهم و هم يخسفون فيها حتى تلقيهم إلى أسفل و المور التردد فى الذهاب و المجرى ء مثل الموج «أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا» أى ريحا ذات حجر كما أرسل على قوم لوط حجاره من السماء و قيل سحابا يحصب عليكم الحجاره «فَسَتَّعَلْمُونَ» حينئذ «كَيْفَ نَذِيرٍ» أى كيف إنذارى إذا عاينتم العذاب «وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» رسلى و جحدوا وحدانيتى «فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ» أى عقوبتى و تغييرى ما بهم من النعم و قيل كيف رأيتم إنكارى عليهم بإهلاكهم و استئصالهم ثم نبه سبحانه على قدرته على الخسف و إرسال الحجاره فقال «أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ» تصف أجنحتها فى الهواء فوق رؤوسهم «وَأَيُّبُضْنَ» أجنحتهن بعد البسط و هذا معنى الطيران و هو بسط الجناح و قبضه بعد البسط أى يضربن بأرجلهن و يبسطن أجنحتهن تاره و يقبضن أخرى فالجو للطائر كالماء للسباح و قيل معناه أن من الطير ما يضرب بجناحه فيصف و منه ما يمسكه فيدف و منه الصفيف و الدفيف «مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرِّحْمُنُ» بتوطئه الهواء لهن و لو لا ذلك لسقطن و فى ذلك أعظم دلالة و أوضح برهان و حجه بأن من سخر الهواء هذا التسخير على كل شىء قدير و الصف وضع الأشياء المتواليه على خط مستقيم و القبض جمع الأشياء عن حال البسط و الإمساك اللزوم المانع من السقوط عن على بن عيسى «إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ» أى بجميع الأشياء عليهم «أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ» هذا استفهام إنكار أى لا جند لكم ينصركم منى و يمنعكم من عذابى إن أردت عذابكم عن ابن عباس و لفظ الجند موحد و لذلك قال «هَذَا الَّذِي» و كأنه سبحانه يقول للكفار بأى قوه تعصونى أ لكم جند يدفع عنكم عذابى بين بذلك أن الأصنام لا يقدرن على نصرتهم «إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ» أى ما الكافرون إلا فى غرور من الشيطان يغرهم بأن العذاب لا ينزل بهم و قيل معناه ما هم إلا فى أمر لا حقيقه له من عباده الأوثان يتوهمون أن ذلك ينفعهم و الأمر بخلافه «أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ» أى الذى يرزقكم إن أمسك الله الذى هو رازقكم أسباب رزقه عنكم و هو المطر هاهنا «بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَ نُفُورٍ» أى ليسوا يعتبرون فينظرون بل تمادوا و استمروا فى اللجاج و جاوزوا الحد فى

تماديهم و نفورهم عن الحق و تباعدهم عن الإيمان لما كان للمشركين صوارف كثيره عن عباده الأوثان و هم كانوا يتقحمون بذلك على العصيان فقد لجوا في عتوهم قال الفراء قوله «أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَزُوقُكُمْ» الآية تعريف حجه ألزمها الله العباد فعرفوا فأقروا بها و لم يردوا لها جوابا فقال سبحانه «بَلْ لَجُوا فِي عُتُوِّ وَ نَفُورٍ».

[سوره الملك (٦٧): الآيات ٢٢ الى ٣٠]

اشاره

أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢٢) قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٢٣) قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَ يَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٦)

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ قِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ (٢٧) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَ مَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (٢٨) قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ وَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَيَتَعَلَّمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ (٣٠)

القراءه

قرأ يعقوب تدعون ساكنه الدال خفيفه و هو قراءه الحسن و الضحاك و قتاده و الباقون «تَدْعُونَ» بالتشديد و قرأ الكسائي فسيعلمون بالياء و الباقون بالتاء.

الحجه

أما قوله تدعون فالمعنى هذا الذى كنتم به تدعون الله كقوله تعالى «سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ» و أما «تَدْعُونَ» بالتشديد فمعناه تتداعون بوقوعه قال ابن جنى

ص: ٦٩

يعنى كان الدعوه بوقوعه فاشيه بينكم كقوله تعالى فى معنى العموم «وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ» أى لا يفش هذا فيكم و ليس معنى تدعون هنا من ادعاء الحقوق و إنما بمعنى تتدعون من الدعاء لا من الدعوى كما فى قول الشاعر

" فما برحت خيل تثوب و تدعى "

يعنى تتداعى بينهما يا لفلان.

اللغة

يقال كبته فأكب و هو نادر مثل قشعت الريح السحاب فأقشعت و نزت البئر فأنزفت أى ذهب مأوها و نسلت ريش الطائر فأنسل و الزلفه القربه و هو مصدر يستوى فيه الواحد و الجمع و منه المزدلفه لقربه من مكه و قد تجمع الزلفه زلفا قال العجاج:

ناج طواه الأين مما وجفا طى الليالى زلفا فرلفا

و ساءه الأمر يسوؤه سوءاً أى غمه و حزنه و منه أساء يسيء إذا فعل ما يؤدى إلى الغم و ماء غور أى غائر و صف بالمصدر مبالغه كما يقال هؤلاء زور فلان و ضيفه و المعين قيل أنه مفعول مأخوذ من العين فعلى هذا يكون مثل مبيع من البيع و قيل أنه من الإمعان فى الجرى فعلى هذا يكون على وزن فاعيل فكأنه قيل ممعن فى الإسراع و الظهور.

الإعراب

قليلاً صفة مصدر محذوف أى تشكرون شكراً قليلاً و ما مزيده «فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» يحتمل أن يكون من استفهاما فيكون اسماً موصولاً قال أبو على دخلت الفاء فى قوله «فَمَنْ يُجِيرُ» و قوله «فَمَنْ يَأْتِيكُمْ» لأن أرايتم بمعنى انتبهوا أى انتبهوا فمن يجير و انتبهوا فمن يأتىكم كما تقول قم فزيد قائم قال و لا- يكون الفاء جواب الشرط و إنما يكون جواب الشرط مدلول «أَرَأَيْتُمْ» قال و إن شئت كان الفاء زائده مثلها فى قوله «فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ» و يكون الاستفهام ساداً مسدده مفعولى أرايتم كقولهم أرايت زيدا ما فعل و هذا من دقائقه.

المعنى

ثم ضرب سبحانه مثلاً للكافر و المؤمن فقال «أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ» أى منكساً رأسه إلى الأرض فهو لا يبصر الطريق و لا من يستقبله ينظر أمامه و لا يمينه و لا شماله و هو الكافر المقلد لا يدرى أ محق هو أم مبطل هذا «أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا» أى مستوياً قائماً يبصر الطريق و جميع جهاته كلها فيضع قدمه حيث لا يعثر و هو المؤمن الذى سلك طريق الحق و عرفه و استقام عليه و أمكنه دفع المضار عن نفسه و جلب المنافع إليها «عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أى على طريق واضح قيم و هذا معنى قول ابن عباس و مجاهد و قيل

أن هذا في الآخرة يحشر الله الكافر مكبا على وجهه يوم القيامة كما قال وَ نَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عَنِ قِتَادِهِ «قُلْ» يا محمد لهؤلاء الكفار «هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ» بأن أخرجكم من العدم إلى الوجود «وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ» تسمعون به المسموعات «وَالْأَبْصَارَ» تبصرون بها المبصرات «وَالْأَفْئِدَةَ» يعنى القلوب تعقلون بها و تدبرون فأعطاكم آلات التفكير و التمييز و الوصول إلى العلم «قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ» أى تشكرون قليلا و قيل معناه قليلا شكركم فتكون ما مصدرية «قُلْ» لهم يا محمد «هُوَ» الله تعالى «الَّذِي ذَرَأَكُمْ» أى خلقكم «فِي الْمَأْرُضِ وَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» منها أى تبعثون إليه يوم القيامة فيجازيكم على أعمالكم ثم حكى سبحانه ما كان يقوله الكفار مستبطين عذاب الله مستهزئين بذلك فقال «وَ يَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ» من الخسف و الحاصب أو البعث و الجزاء «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فى أن ذلك يكون «قُلْ» يا محمد «إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ» يعنى علم الساعة «وَ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ» مخوف لكم به «مُبِينٌ» أى مبين لكم ما أنزل الله إلى من الوعد و الوعيد و الأحكام ثم ذكر سبحانه حالهم عند نزول العذاب و معانيته فقال «فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً» أى فلما رأوا العذاب قريبا يعنى يوم بدر عن مجاهد و قيل معانيه عن الحسن و قيل أن اللفظ ماض و المراد به المستقبل و المعنى إذا بعثوا و رأوا القيامة قد قامت و رأوا ما أعد لهم من العذاب و هذا قول أكثر المفسرين «سَيِّئٌ وَ جُوهٌ الَّذِينَ كَفَرُوا» أى اسودت وجوههم و علتها الكآبه يعنى قبحت وجوههم بالسواد و قيل معناه ظهرت على وجوههم آثار الغم و الحسرة و نالهم السوء و الخزي «وَ قِيلَ» لهؤلاء الكفار إذا شاهدوا العذاب «هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ» قال الفراء تدعون و تدعون واحد مثل تدخرون و تدخرون و المعنى كنتم به تستعجلون و تدعون الله بتعجيله و هو قولهم إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ الْآيَةَ عن ابن زيد و قيل هو تدعون من الدعوى أى تدعون أن لا- جنه و لا- نار عن الحسن و روى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بالأسانيد الصحيحة عن الأعمش قال لما رأوا لعلى بن أبى طالب (عليه السلام) عند الله من الزلفى سيئت وجوه الذين كفروا و

عن أبى جعفر (عليه السلام) فلما رأوا مكان على (عليه السلام) من النبى ص سيئت وجوه الذين كفروا يعنى الذين كذبوا بفضله «قُلْ» لهؤلاء الكفار «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِى اللَّهُ وَ مَنْ مَعِىَ» بأن يميتنا «أَوْ رَحِمَنَا» بتأخير آجالنا «فَمَنْ يُجِيرِ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ» استحقوه بكفرهم و ما الذى ينفعهم فى دفع العذاب عنهم و قيل أن الكفار كانوا يتمنون موت النبى ص و موت أصحابه فليل له قل لهم إن أهلكنى الله و من معى ذلك بأن يميتنى و يميت أصحابى فمن الذى ينفعكم و يؤمنكم من العذاب فإنه واقع بكم لا محاله و قيل معناه أ رأيتم أن عذبنى الله و من معى أو رحمتنا أى غفر لنا فمن يجيركم أى نحن مع إيماننا

بين الخوف و الرجاء فمن يجيركم مع كفركم من العذاب و لا رجاء لكم كما للمؤمنين عن ابن عباس و ابن كيسان ثم قال «قُلْ» لهؤلاء الكفار على وجه التوبيخ لهم «هُوَ الرَّحْمَنُ» أى إن الذى أدعوكم إليه هو الرحمن الذى عمت نعمته جميع الخلائق «آمَنَّا بِهِ وَ عَلَيهِ تَوَكَّلْنَا» أى عليه اعتمدنا و جميع أمورنا إليه فوضنا «فَسَيَتَعَلَّمُونَ» معاشر الكفار يوم القيامة «مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» اليوم أ نحن أم أنتم و من قرأ بالياء فمعناه فسيعلم الكفار ذلك «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا» أى غائرا ناضبا فى الآبار و العيون «فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ» أى ظاهر للعيون عن أبى مسلم و الجبائى و قيل بماء جار عن ابن عباس و قتاده أراد سبحانه أنه المنعم بالأرزاق فاشكروه و اعبدوه و لا تشركوا به شيئا و ذكر مقاتل أنه أراد بقوله «ماؤُكُمْ» بئر زمزم و بئر ميمون و هى بئر عاديه قديمه و كان ماؤهم من هاتين البئرين و المعين الذى تناله الدلاء و تراه العيون.

(٤٨) سورة القلم مكيه و آياتها ثنتان و خمسون (٥٢)

اشاره

[توضيح]

و تسمى أيضا سورة ن و هي مكيه عن الحسن و عكرمه و عطاء و قال ابن عباس و قتاده من أولها إلى قوله «سَنَسِيْمُهُ عَلَيَّ الْخُرْطُومِ» مكى و ما بعده إلى قوله «لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» مدنى و ما بعده إلى قوله «يَكْتُوبُونَ» مكى و ما بعده مدنى و هي اثنتان و خمسون آيه بالإجماع.

فضلها

أبى بن كعب قال قال النبى ص و من قرأ سورة ن و القلم أعطاه ثواب الذين حسن أخلاقهم

على بن ميمون عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ سورة ن و القلم فى فريضه أو نافله آمنه الله أن يصيبه فى حياته فقر أبدا و أعاده إذا مات من ضمه القبر إن شاء الله.

تفسيرها

ختم الله سبحانه سورة الملك بذكر تكذيب الكفار و وعيدهم و افتتح هذه السوره بمثل ذلك فقال:

ص: ٧٣

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)
 فَسْتَبْصِرْ وَيُبَصِّرُونَ (٥) بِأَيِّكُمْ الْمَقْتُولُ (٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٧) فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ
 (٨) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩)
 وَلَا تُطِعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُتُلٌّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (١٣) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَ
 بَيْنِينَ (١٤)

إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٥) سَنَسِئُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ (١٦)

القراءة

مضى ذكر اختلاف القراءة فى إظهار النون و إخفائها من نون فى سوره ياسين فلا- وجه لإعادته و قرأ أبو جعفر و ابن عامر و يعقوب و سهل آن كان بهمزه واحده ممدوده على الاستفهام و قرأ أبو بكر عن عاصم و حمزه أ إن كان بهمزتين و قرأ الباقون «أَنْ كَانَ» بفتح الهمزة من غير استفهام.

الحجج

قال أبو على «أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ» لا- يخلو من أن يكون العامل فيه تتلى من قوله «إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا» أو قال من قوله «قالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» أو شىء ثالث فلا يجوز أن يعمل واحد منهما فيه ألا ترى أن تتلى قد أضيفت إذا إليه و المضاف إليه لا يعمل فيما قبله لا- تقول القتال زيدا حين يأتى و لا يجوز أن يعمل فيه قال أيضا لأن قال جواب إذا و حكم الجواب أن يكون بعد ما هو جواب له و لا يتقدم عليه فكما لا يعمل فيه الفعل الأول فكذلك لا يعمل فيه الثانى فإذا لم يعمل فيه واحد من هذين الفعلين و ليس فى الكلام غيرهما علمت أنه محمول على شىء آخر مما دل باقى الكلام عليه و الذى يدل عليه هذا الكلام من المعنى هو يجحد أو يكفر أو يستكبر عن قبول الحق و نحو ذلك و إنما جاز أن يعمل فيه المعنى و إن كان متقدما عليه لشبهه بالظرف و الظرف قد تعمل فيه المعانى و إن تقدم عليه و يدل ذلك على مشابهته الظرف تقدير اللام معه و إن من النحويين من يقول أنه فى موضع جر كما أنه لو كانت اللام معه ظاهره كان كذلك و من قرأ بهمزه ممدوده فإنه يزيد همزه بعدها همزه مخففة.

اللغة

السطر الكتابه و هو وضع الحروف على خط مستقيم و استطر اكتب و المسطر آله التسطير و الممنون المقطوع يقال منه السير

يمنه منا إذا قطعه و المنين الضعيف و الخلق المرور فى الفعل على عاده فالخلق الكريم الصبر على الحق و تدبير الأمور على مقتضى العقل و فى ذلك الأناه و الرفق و الحلم و المداراه و المفتون المبتلى بتخييل الرأى كالمجنون يقال فتن فلان بفلانه و أصل الفتنه الابتلاء و الاختبار و المهين الضعيف الذليل و المهانه الذله

ص: ٧٤

و القله و الهماز الوقاع فى الناس بما ليس له أن يعيبيهم به و الأصل فيه الدفع بشده اعتماده و منه الهمزه حرف من الحروف المعجمه فهى نبره تخرج من الصدر بشده اعتماده و النميم التضريب بين الناس بنقل الكلام الذى يغيظ بعضهم على بعض و النميم و النميمه بمعنى و منه النمام المشموم لأنه بحده ريحه كالمخبر عن نفسه و العتل الجافى الغليظ و أصله الدفع عتله يعتله إذا زعزعه بغلظه و جفاء و الزنيم الدعى الملتصق بالقوم و ليس منهم و أصله الزنمه و هى الهنيه المتدليه تحت حلق الجدى و يقال للئيس له زنمتان قال الشاعر:

زنيم ليس يعرف من أبوه بغى الأم ذو حسب لئيم

و قال حسان:

و أنت زنيم نيط فى آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

و يقال وسمه يسمه وسمما و سمه و الخرطوم ما نتا من الأنف و هو الذى يقع به الشم و منه قيل خرطوم الفيل و خرطمه إذا قطع أنفه.

الإعراب

«بِأَيِّكُمْ الْمُفْتُونُ» فيه وجوه (أحدها) أن المفتون مصدر بمعنى الفتنة كما يقال ليس له معقول و ما له محصول قال الراعى:

حتى إذا لم يتركوا لعظامه لحما و لا لفؤاده معقولا

(و ثانيها) أن يكون المفتون اسم المفعول و الباء مزيده و التقدير أيكم المفتون و يكون مبتدأ و خبرا و تكون الجملة معلقه بقوله «يُنْبِصِرُ رُونَ» (و ثالثها) أن الباء بمعنى فى و المعنى فى أيكم المفتون أى فى أى الفريقين فى فرقه الإسلام أو فى فرقه الكفر المجنون و هذا قول الفراء و قال الراجز فى زياده الباء:

نحن بنى جعده أصحاب الفلج نضرب بالسيف و نرجو بالفرج

أى و نرجو الفرج.

ص: ٧٥

«ن» اختلفوا فى معناه فقيل هو اسم من أسماء السوره مثل حم و ص و ما أشبه ذلك و قد ذكرنا ذلك مع غيره من الأقوال فى مفتتح سوره البقره و قيل هو الحوت الذى عليه الأرضون عن ابن عباس و مجاهد و مقاتل و السدى و قيل هو حرف من حروف الرحمن فى روايه أخرى عن ابن عباس و قيل هو الدواء عن الحسن و قتاده و الضحاك و

قيل نون لوح من نور و روى مرفوعا إلى النبى ص

و

قيل هو نهر فى الجنة قال الله له كن مدادا فجمد و كان أبيض من اللبن و أحلى من الشهد ثم قال للقلم اكتب فكتب القلم ما كان و ما هو كائن إلى يوم القيامة عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام)

و قيل المراد به الحوت فى البحر و هو من آيات الله إذ خلقها فى الماء فإذا فارق الماء مات كما أن حيوان البر إذا خالط الماء مات «وَ الْقَلَمِ» الذى يكتب به أقسم الله به لمنافع الخلق فيه إذ هو أحد لسانى الإنسان يؤدى عنه ما فى جنانه و يبلغ البعيد عنه ما يبلغ القريب بلسانه و به تحفظ أحكام الدين و به تستقيم أمور العالمين و قد قيل إن البيان بيانان بيان اللسان و بيان البنان و بيان اللسان تدرسه الأعوام و بيان الأقلام باق على مر الأيام و قيل إن قوام أمور الدين و الدنيا بشيئين القلم و السيف و السيف تحت القلم و قد نظمه بعض الشعراء و أحسن فيما قال:

إن يخدم القلم السيف الذى خضعت له الرقاب و دانت حذره الأمم

فالموت و الموت شىء لا يغالبه ما زال يتبع ما يجرى به القلم

كذا قضى الله للأقلام مذ بريت إن السيوف لها مذ أرهفت خدم

«وَ مَا يَسْطُرُونَ» أى و ما يكتبه الملائكه مما يوحى إليهم و ما يكتبونه من أعمال بنى آدم فكان القسم بالقلم و ما يسطر بالقلم و قيل إن ما مصدرية و تقديره و القلم و سطرهم فيكون القسم بالكتابة و على القول الأول يكون القسم بالمكتوب «ما أَنْتَ بِنِعْمِهِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ» هو جواب القسم و معناه لست يا محمد بمجنون بنعمه ربك كما تقول ما أنت بنعمه ربك بجاهل و جاز تقديم معمولها به الباء لأنها زائده مؤكده و تقديره انتفى عنك الجنون بنعمه ربك و قيل هو كما يقال ما أنت بمجنون بحمد الله و قيل معناه بما أنعم عليك ربك من كمال العقل و النبوه و الحكمة لست بمجنون أى لا يكون مجنونا من أنعمنا عليه بهذه النعم و قيل معناه ما أنت بمجنون و النعمه لربك كما يقال سبحانك اللهم و بحمدك أى و الحمد لك و هذا تقرير لنفى الجنون عنه و قالوا إن هذا جواب لقول المشركين يا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ إِنَّكَ

لَمَجْنُونٌ «وَإِنَّ لَكَ» يا محمد «لَأَجْرًا» أى ثوابا من الله على قيامك بالنبوه و تحملك أعباء الرساله «غَيْرَ مَمْنُونٍ» أى غير مقطوع و هو ثواب الجنة يعنى لا تبال بكلامهم مع ما لك عند الله من الثواب الدائم و الأجر العظيم و قيل غير ممنون أى لا يمن به عليك عن أبى مسلم و المعنى غير مكدر باليمن الذى يقطع عن لزوم الشكر فقد قيل المنه تكدر الصنيعه و قال ابن عباس ليس من نبى إلا و له مثل أجر من آمن به و دخل فى دينه ثم وصف سبحانه نبيه ص فقال «وَإِنَّكَ» يا محمد «لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» أى على دين عظيم و هو دين الإسلام عن ابن عباس و مجاهد و الحسن و قيل معناه إنك متخلق بأخلاق الإسلام و على طبع كريم و حقيقه الخلق ما يأخذ به الإنسان نفسه من الآداب و إنما سمى خلقا لأنه يصير كالخلق فيه فأما ما طبع عليه من الآداب فإنه الخيم فالخلق هو الطبع المكتسب و الخيم هو الطبع الغريزى و قيل الخلق العظيم الصبر على الحق و سعه البذل و تدبير الأمور على مقتضى العقل بالصلاح و الرفق و المداراه و تحمل المكاره فى الدعاء إلى الله سبحانه و التجاوز و العفو و بذل الجهد فى نصره المؤمنين و ترك الحسد و الحرص و نحو ذلك عن الجبائى و قالت عائشه كان خلق النبى ص ما تضمنه العشر الأول من سوره المؤمنين و من مدحه الله سبحانه بأنه على خلق عظيم فليس وراء مدحه مدح و قيل سمى خلقه عظيما لأنه عاشر الخلق بخلقهم و زایلهم بقلبه فكان ظاهره مع الخلق و باطنه مع الحق و قيل لأنه امتثل تأديب الله سبحانه إياه بقوله خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ و قيل سمى خلقه عظيما لاجتماع مكارم الأخلاق فيه و يعضده ما

روى عنه قال إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق

و

قال أدبنى ربي فأحسن تأديبي

و

قال ص إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل و صائم النهار

و

عن أبى الدرداء قال قال النبى ص ما من شىء أثقل فى الميزان من خلق حسن

و

عن الرضا على بن موسى (عليه السلام) عن آبائه عن النبى ص قال عليكم بحسن الخلق فإن حسن الخلق فى الجنة لا محاله و إياكم و سوء الخلق فإن سوء الخلق فى النار لا محاله

و

عن أبى هريره عن النبى ص قال أحبكم إلى الله أحسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يألفون و يؤلفون و أبغضكم إلى الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الإخوان الملتمسون للبراء العثرات

«فَسْتُبْصِرُ وَ يُبْصِرُونَ» أى فسترى يا محمد و يرون يعنى الذين رموه بالجنون «بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ» أى أيكم المجنون الذى فتن بالجنون أنت أم هم و قيل بأيكم الفتنة و هو الجنون يريد أنهم يعلمون عند العذاب أن الجنون كان بهم حين كذبوك و تركوا دينك لا بك و قيل معناه فستعلم و يعلمون فى أى الفريقين المجنون الذى فتنه

ص: ٧٧

الشیطان ثم أخبر سبحانه أنه عالم بالفريقين فقال «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ» الذى هو سبيل الحق و عدل عنه و جار عن السلوك فيه «وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» إليه العالمين بموجهه فيجازى كلا بما يستحقه و يستوجه أخبرنا السيد أبو الحمد مهدي بن نزار الحسينى القائنى رحمه الله قال حدثنا الحاكم أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني قال حدثنا أبو عبد الله الشيرازى قال حدثنا أبو بكر الجرجاني قال حدثنا أبو أحمد البصرى قال حدثنى عمرو بن محمد بن تركى قال حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا محمد بن شعيب عن عمرو ابن شمر عن دلهم بن صالح عن الضحاک بن مزاحم قال: لما رأته قريش تقديم النبى ص عليا (عليه السلام) و إعظامه له نالوا من على و قالوا قد افتتن به محمد فأنزل الله تعالى «ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ» قسم أقسم الله به «ما أنت» يا محمد «بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ» «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» يعنى القرآن إلى قوله «بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ» و هم النفر الذين قالوا ما قالوا و هو أعلم بالمهتدين على ابن أبى طالب ع ثم قال سبحانه للنبي ص «فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ» بتوحيد الله عز و جل الجاحدين لنبوتك و لا تجبهم إلى ما يلتمسون منك و لا توافقهم فيما يريدون «وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ» أى و هؤلاء الكفار أن تلين لهم فى دينك فيلينون فى دينهم شبه التليين فى الدين بتليين الدهن عن ابن عباس و قيل معناه ودوا لو تكفر فيكفرون عن الضحاک و عطاء و ابن عباس فى روايه أخرى و قيل معناه ودوا لو تركن إلى عباده الأصنام فيما لثونك و الإدهان الجريان فى ظاهر الحال على المقاربه مع إضمار العداوه و هو مثل النفاق و قيل ودوا لو تصانعهم فى دينك فيصانعونك عن الحسن ثم قال «وَلَا تُطِعْ» يا محمد «كُلَّ حَلَّافٍ» أى كثير الحلف بالباطل لقله مبالاته بالكذب «مَهِينٍ» فعيل من المهانه و هى القله فى الرأى و التمييز و قيل ذليل عند الله تعالى و عند الناس و قيل كذاب لأن من عرف بالكذب كان ذليلا حقيرا عن ابن عباس و قيل يعنى الوليد بن المغيرة قال عرض على النبى ص المال ليرجع عن دينه و قيل يعنى الأخنس ابن شريق عن عطاء و قيل يعنى الأسود بن عبد يغوث عن مجاهد «هَمَّازٍ» أى وقاع فى الناس مغتاب عن ابن عباس «مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ» أى قتات يسعى بالنميمة و يفسد بين الناس و يضرب بعضهم على بعض «مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ» أى بخيل بالمال و قيل مناع عشيرته عن الإسلام بأن يقول من دخل دين محمد لا أنفعه بشىء أبدا عن ابن عباس «مُعْتَدٍ» أى مجاوز عن الحق غشوم ظلوم عن قتاده «أَثِيمٍ» أى آثم فاجر فاعل ما يآثم به و قيل معتد فى فعله أثيم فى معتقده و قيل معتد فى ظلم غيره أثيم فى ظلم نفسه

«عُتْلٌ بَعْدَ ذَلِكَ» أى هو عتل مع كونه مناعا للخير معتديا أثيما و هو الفاحش السيئ الخلق روى ذلك فى خبر مرفوع

و قيل هو القوى فى كفره عن عكرمه و قيل الجافى الشديد الخصومه بالباطل

عن الكلبي و قيل الأكل المنوع عن الخليل و قيل هو الذى يعتل الناس فيجرهم إلى حبس أو عذاب و منه قول الشاعر:

فيا ضيعة الفتيان إذ يعتلونه بطن الشرى مثلب الفتيق المسدم

«زَنِيمٍ» أى دعى ملصق إلى قوم ليس منهم فى النسب قال الشاعر:

زنيماً تداعاه الرجال تداعيا كما زيد فى عرض الأديم الأكارع

و قيل هو الذى له علامه فى الشر و هو معروف بذلك فإذا ذكر بالشر سبق القلب إليه كما أن العنز يعرف بين الأغنام بالزئمه فى عنقه عن الشعبي و قيل هو الهجين المعروف بالشر عن سعيد بن جبير و

قيل هو الذى لا أصل له عن على (عليه السلام)

و قيل هو المعروف بلؤمه كما تعرف الشاه بزئمتها عن عكرمه و

روى أنه سأل النبى ص عن العتل الزنيماً فقال هو الشديد الخلق الشحيح الأكل الشروب الواجد للطعام و الشراب الظلوم للناس الرحيب الجوف

و

عن شداد ابن أوس قال قال رسول الله ص لا يدخل الجنة جواظ و لا جعظرى و لا عتل زنيماً قلت فما الجواظ قال كل جماع مناع قلت فما الجعظرى قال اللفظ الغليظ قلت فما العتل الزنيماً قال كل رحيب الجوف سىء الخلق أكل شروب غشوم ظلوم زنيماً

قال ابن قتيبه لا- نعلم أن الله وصف أحدا و بلغ من ذكر عيوبه ما بلغ من ذكر عيوب الوليد بن المغيرة لأنه وصف بالحلف و المهانه و العيب للناس و المشى بالنمائم و البخل و الظلم و الإثم و الجفاء و الدعوه فالحق به عارا لا يفارقه فى الدنيا و الآخرة «أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَ بَيْنَ» أى لا تطعه لأن كان ذا مال و بنين يعنى لماله و بنيه عن الزجاج و الفراء و من قرأ بالاستفهام فلا بد أن يكون صله ما بعده لأن الاستفهام لا يتقدم عليه ما كان فى حيزه فيكون المعنى أ لأن كان ذا مال و بنين يجحد آياتنا أى جعل مجازاه النعم التى حولها من البنين و المال الكفر بآياتنا و هو قوله «إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» أى أحاديث الأوائل التى سطرت و كتبت لا أصل لها ثم أوعده سبحانه فقال «سَنَسِفُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ» أى سنسفه يوم القيامة بسمه تشوه خلقته فيعرف من

رآه أنه من أهل النار و إنما خص الأنف لأن الإنسان يعرف بوجهه و الأنف وسط الوجه و هذا على عادة العرب فإنهم يقولون شمش فلان بأنفه و أرغم الله أنفه و حمى فلان أنفه و قيل معناه سيجعل له فى الآخرة العلم الذى يعرف به أهل النار من اسوداد وجوههم و جائز أن يفرد بسمه لمبالغته فى عداوه النبى ص فىخص من التشويه بما يتبين به من غيره كما كانت عداوته للرسول عداوه يتبين بها من غيره عن الزجاج و قال الفراء الخرطوم قد خص بالسمة لأنه فى مذهب الوجه فإن بعض الوجه يؤدى عن الكل و قيل إن المعنى سنخطمه بالسيف فى القتال حتى يبقى أثره ففعل ذلك يوم بدر عن ابن عباس و قيل سنعلمه بشين يبقى على الأبد عن قتاده و قال القتيبي العرب تقول قد وسمه ميسم سوء يريدون ألصق به عارا لا يفارقه لأن السمة لا تنمحق و لا يعفو أثرها و قد ألحق الله بمن ذكر عارا لا يفارقه بما وسمه به من العيوب التى هى كالوسم فى الوجه و قيل إن الخرطوم الخمر فالمعنى سنسمه على شرب الخمر قال الشاعر:

أبا حاضر من يزن يعرف زناؤه و من يشرب الخرطوم يصبح مسكرا.

إشارة

إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَشْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١)

أَنْ اْعُدُّوا عَلَىٰ حَزْبِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ (٢٣) أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَىٰ حَزْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَصَّالُونَ (٢٦)

بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١)

عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْأَخْرَجَ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣)

القرءاءة

قرأ أهل المدينة و أبو عمرو أن يبدلنا بالتشديد و الباقون بالتخفيف و قد مر ذكره في سورة الكهف.

اللغة

الصرم و الجداد في النخل بمنزله الحصاد و القطاف في الزرع و الكرم يقال صرمت النخلة و جددتها و أصرم النخل و أجدت حان ذلك منها و الصريم الليل الأسود و أنشد أبو عمرو:

ألا بكرت و عاذلتى تلوم تجهلنى و ما انكشف الصريم

و قال الآخر:

تطاول ليلك الجون البهيم فما ينجاب عن صبح صريم

إذا ما قلت أقشع أو تناهى جرت من كل ناحيه غيوم

و يسمى النهار أيضا صريما فهو من الأضداد لأن الليل ينصرم عند مجىء النهار و النهار ينصرم عند مجىء الليل و الصريم أيضا المصروم أى صرم جميع ثمارها و قيل الصريم منقطع الرمل الذى لا نبات فيه قال امرؤ القيس:

و ظل لصيران الصريم غماغم تدعسها بالسمهرى المغلب

و الطائف الطارق بالليل و إذا قيل طاف به صلح فى الليل و النهار و أنشد الفراء:

أطفت بها نهارا غير ليل و ألهى ربها طلب الرخال

و الرخال الإناث من أولاد الضأن واحدها رخل و الحرد المنع من قولهم حاردت السنه إذا منعت قطرها و حاردت الناقه إذا منعت لبنها قال الكميت:

و حاردت المكدر الجلاذ و لم يكن بعقبه قدر المستعيرين معقب

و يروى النكد و هى النوق الغزيرات الألبان و قيل إن أصل الحرد القصد قال:

أقبل سيل جاء من عند الله يحرد حرد الجنه المغله

أى يقصد و حرد يحرد حردا و قيل الحرد الغضب و الحنق قال الأشهب بن رميله:

أسود شرى لاقت أسود خفيه تساقوا على حرد دماء الأسود

. المعنى

ثم قال سبحانه «إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ» يعنى أهل مكه أى اختبرناهم بالجوع و القحط «كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ» أى البستان الذى فيه الشجر قال سعيد بن جبير و هذه الجنه حديقه كانت باليمن فى قريه يقال لها صروان بينها و بين صنعاء اثنا عشر ميلا كانت لشيخ و كان يمسك منها قدر كفايته و كفايه أهله و يتصدق بالباقى فلما مات قال بنوه نحن أحق بها لكثرة عيالنا و لا يسعنا أن نفعل كما فعل أبونا و عزموا على حرمان المساكين فصارت عاقبتهم إلى ما قص الله تعالى فى كتابه و هو قوله «إِذْ أَقْسَمُوا» أى حلفوا فيما بينهم «لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ» أى ليقطعن ثمرتها إذا دخلوا فى وقت الصباح «وَلَا يَسْتَتِنُونَ» أى غير مستئين فى أيماهم فلم يقولوا إن شاء الله فإن قول القائل لأفعلن كذا إلا أن يشاء الله استثناء و معناه إلا أن يشاء الله منعى أو تمكين مانعى «فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ» أى أحاطت بها النار فاحترقت عن ابن عباس و قيل معناه طرقها طارق من أمر الله عن قتاده «وَهُمْ نَائِمُونَ» أى فى حال نومهم قال مقاتل بعث الله نارا بالليل على جنتهم فأحرقتها حتى صارت مسوده فذلك قوله «فَأَصْرِمَتْ كَالصَّرِيمِ» أى كالليل المظلم و الصريمان الليل و النهار

ص: ٨٢

لانصرام إحداهما من الآخر عن ابن عباس و أبي عمرو بن العلاء و قيل الصريم المصروم ثماره أى المقطوع و المعنى أنها صارت كأن جميع ثمارها قطعت عن الجبائى و قيل الصريم الذى صرم عنه الخير فليس فيه شىء منه عن الحسن و قيل كالصريم أى كالرمله انصرفت عن معظم الرمل عن مؤرج و قيل كالرماد الأسود بلغه خزيمه «فَتَنَادَوْا مُضِيحِينَ» أى نادى بعضهم بعضا وقت الصباح و أصل التنادى من الندى بالقصر لأن النداء الدعاء بندى الصوت الذى يمتد على طريقه يا فلان لأن الصوت إنما يمتد للإنسان بندى حلقه «أَنْ أَعْدُوا عَلَى حَزْبِكُمْ» أى تنادوا بأن غدوا معنا قال بعضهم لبعض اغدوا على حركم و الحرث الزروع و الأعناب «إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ» أى قاطعين النخل «فَانْطَلَقُوا» أى فمضوا إليها «وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ» أى يتسارون بينهم و أصله من خفت فلان يخفت إذا أخفى نفسه «أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَشْكِينَ» هذا ما كانوا يتخافتون به «وَعَدُوا عَلَى حَزْدٍ» أى على قصد منع الفقراء «قَادِرِينَ» عند أنفسهم و فى اعتقادهم على منعهم و إحراز ما فى جنتهم و قيل على حرد أى على جد و جهد من أمرهم عن مجاهد و قتاده و أبى العالیه و قيل على جد فى المنع عن أبى عبيده و قيل على حنق و غضب من الفقراء عن سفيان و قيل قادرين مقدرين موافاتهم فى الجنة فى الوقت الذى قدروا إصرامها فيه و هو وقت الصبح و التقدير قصدوا الجنة للوقت الذى قدروا إصرامها فيه عن أبى مسلم «فَلَمَّا رَأَوْهَا» أى رأوا الجنة على تلك الصفة «قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ» ضللنا عن الطريق فليس هذا بستاننا عن قتاده و قيل معناه إنا لضالون عن الحق فى أمرنا فلذلك عوقبنا بذهاب ثمر جنتنا ثم استدرکوا فقالوا «بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ» و المعنى أن هذه جنتنا و لكن حرمانا نفعها و خيرها لمنعنا حقوق المساكين و تركنا الاستثناء «قَالَ أَوْسَى طُهُمٌ» أى أعدلهم قولاً- عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و قيل معناه أفضلهم و أعقلهم و قيل أوسطهم فى السن «أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لَا تُسَبِّحُونَ» كأنه كان حذرهم سوء فعالهم قال لو لا تستنون عن مجاهد لأن فى الاستثناء التوكل على الله و التعظيم لله و الإقرار بأنه لا يقدر أحد على فعل شىء إلا بمشيئة الله فلذلك سماه تسيحاً و قيل معناه هلا تعظمون الله بعبادته و اتباع أمره و قيل معناه هلا تذكرون نعم الله عليكم فتؤدوا شكرها بأن تخرجوا حق الفقراء من أموالكم و قيل معناه هلا نزهتم الله تعالى عن الظلم و اعترفتم بأنه لا يظلم و لا يرضى منكم بالظلم و قيل معناه لم لا تصلون ثم حكى عنهم أنهم «قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ» فى عزمنا على حرمان المساكين من حصتهم عند الصرام فحرمانا قطعها و بالانتفاع بها و المعنى أنه سبحانه منزه عن الظلم فلم يفعل بنا ما فعله ظلماً و إنما الظلم وقع منا حيث منعنا الحق «فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ» أى يلوم بعضهم بعضاً على ما فرط منهم «قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا

كُنَّا طَائِعِينَ» قد غلونا في الظلم و تجاوزنا الحد فيه و الويل غلظ المكروه الشاق على النفس و الويس دونه و الويح بينهما قال عمرو بن عبيد يجوز أن يكون ذلك منهم توبه و يجوز أن يكون على حد ما يقول الكافر إذا وقع في الشده «عسى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا» أى لما تابوا و رجعوا إلى الله قالوا لعل الله يخلف علينا و يولينا خيرا من الجنه التى هلكت «إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ» أى نرغب إلى الله و نسأله ذلك و نتوب إليه مما فعلناه و قرئ يبدلنا بالتشديد و التخفيف و معناهما واحد «كَذَلِكَ الْعَذَابُ» فى الدنيا للعاصين «وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» و الأكبر هو الذى يصغر مقدار غيره بالإضافه إليه و روى عن عبد الله بن مسعود أنه قال بلغنى أن القوم أخلصوا و عرف الله تعالى منهم الصدق فأبدلهم بها جنه يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا و قال أبو خالد اليمامى رأيت تلك الجنه و رأيت كل عنقود منها كالرجل الأسود القائم.

[سوره القلم (٤٨): الآيات ٣٤ الى ٤٥]

اشاره

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ (٣٤) أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٧) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (٣٨)

أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالْعَهْدِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (٣٩) سَيَلَّمُهمُ آيَهُمُ بِذَلِكَ زَعِيمٌ (٤٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٤١) يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتِطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٤٣)

فَذَرْنِي وَ مَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَ أُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (٤٥)

الزعيم و الكفيل و الضمين و القبيل نظائر و الساق للإنسان و ساق الشجرة ما تقوم عليه و كل نبت له ساق و يبقى صيفا و شتاء فهو شجره قال طرفه:

للفتى عقل يعيش به حيث تهدى ساقه قدمه

و تقول العرب قامت الحرب على ساق و كشفت عن ساق يريدون شدتها و قال جد أبى طرفه:

كشفت لكم عن ساقها و بدا من الشر الصراح

و قال آخر:

قد شممت عن ساقها فشدوا و جدت الحرب بكم فجدوا

و القوس فيها وتر عرد

. الإعراب

كيف فى محل نصب على الحال تقديره أ جائرین تحكمون أم عادلین و يجوز أن يكون فى محل المصدر و تقديره أى حكم تحكمون و تحكمون فى موضع النصب على الحال من معنى الفعل فى قوله «لَكُمْ» لأن معنى قوله «ما لكم» أى شىء ثبت لكم و أم فى جميع ذلك منقطعه «إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ» كسرت أن المكان اللام فى لما و لولاها لوجب فتحها لأنه مفعول تدرسون و هو كقوله وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ و قوله «إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ» مثله و إن شئت قلت إنما كسرت إن لأن ما قبله يمين و هى تكسر فى جواب القسم و قوله «يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ» العامل فى الظرف قوله «فَلْيَأْتُوا» و «خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ» حال و «مَنْ يُكَذِّبُ» يجوز أن يكون مفعولا معه و يجوز أن يكون عطفا على ضمير المتكلم من ذرنى.

المعنى

لما ذكر سبحانه ما أعده بالآخره للكافرين عقبه بذكر ما أعده للمتقين فقال «إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ» يتنعمون فيها و يختارونها على جنات الدنيا التى يحتاج صاحبها إلى المشقه و العناء ثم استفهم سبحانه على وجه الإنكار فقال «أَفَنَجْعَلُ الْمُشْرِكِينَ كَالْمُجْرِمِينَ» أى لا نجعل المسلمين كالمشركين فى الجزاء و الثواب و ذلك أنهم كانوا يقولون إن كان بعث و جزاء كما يقوله محمد فإن حالنا يكون أفضل فى الآخره كما فى

الدنيا فأخبر سبحانه أن ذلك لا يكون أبدا «ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» هذا تهجين لهم و توبيخ و معناه أى عقل يحملكم على تفضيل الكفار حتى صار سببا لإصراركم على الكفر و لا يحسن فى الحكمة التسويه بين الأولياء و الأعداء فى دار الجزاء «أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ» معناه بل ألكم كتاب تدرسون فيه ذلك فأنتم متمسكون به لا تلتفتون إلى خلافه فإذا قد عدمتم الثقة بما أنتم عليه و فى الكتاب الذى هو القرآن عليكم أكبر الحجة لأنه الدلالة القائمه إلى وقت قيام الساعة و المعجزه الشاهده بصدق من ظهرت على يده «إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ» فيه وجهان (أحدهما) أن تقديره أم لكم كتاب فيه تدرسون بأن لكم فيه ما تخيرون إلا- أنه حذف الباء و كسرت إن لدخول اللام فى الخبر (و الثانى) إن معناه أن لكم لما تخيرونه عند أنفسكم و الأمر بخلاف ذلك و لا يجوز أن يكون ذلك على سبيل الخير المطلق «أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالْغَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» أى بل لكم عهود و موثيق علينا عاهدناكم بها فلا ينقطع ذلك إلى يوم القيامة «إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ» لأنفسكم به من الخير و الكرامه عند الله تعالى و قيل بالغه معناها مؤكده و كل شىء متناه فى الجوده و الصحه فهو بالغ ثم قال سبحانه لنبىه ص «سَلِّهُمُ» يا محمد «أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ» يعنى أيهم كفيل بأن لهم فى الآخره ما للمسلمين «أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فُلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ» معناه أم لهم شركاء فى العباده مع الله و هى الأصنام فليأتوا بهؤلاء الشركاء أن كانوا صادقين فى أنها شركاء الله و قيل معناه أم لهم شهداء يشهدون لهم بالصدق فتقوم به الحجة فليأتوا بهم يوم القيامة يشهدون لهم على صحه دعواهم إن كانوا صادقين فى دعواهم «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ» أى فليأتوا بهم فى ذلك اليوم الذى تظهر فيه الأهوال و الشدائد و قيل معناه يوم يبدو عن الأمر الشديد الفظيع عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتاده و سعيد بن جبیر قال عكرمه سأل ابن عباس عن قوله «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ» فقال إذا خفى عليكم شىء فى القرآن فابتغوه فى الشعر فإنه ديوان العرب أ ما سمعتم قول الشاعر

(و قامت الحرب بنا على ساق)

هو يوم كرب و شده و قال القتيبى أصل هذا أن الرجل إذا وقع فى أمر عظيم يحتاج إلى الجد فيه يشمر عن ساقه فاستعير الكشف عن الساق فى موضع الشده و أنشد لدريد بن الصمه:

كميش الإزار خارج نصف ساقه بعيد من الآفات طلاع أنجد

فتأويل الآيه يوم يشتد الأمر كما يشتد ما يحتاج فيه إلى أن يكشف عن ساق «و يُدْعَوْنَ

إِلَى السُّجُودِ» أَى يُقَالُ لَهُمْ عَلَى وَجْهِ التَّوْبِيخِ اسْجُدُوا «فَلَا يَسْتَطِيعُونَ» وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّ شِدَّةَ الْأَمْرِ وَصَعُوبَةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ تَدْعُوهُمْ إِلَى السُّجُودِ وَإِنْ كَانُوا لَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ لَيْسَ إِنَّهُمْ يُؤْمَرُونَ بِهِ وَهَكَذَا كَمَا يَفْزَعُ الْإِنْسَانُ إِلَى السُّجُودِ إِذَا أَصَابَهُ هَوْلٌ مِنْ أَهْوَالِ الدُّنْيَا «خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ» أَى ذَلِيلُهُ أَبْصَارُهُمْ لَا يَرْفَعُونَ نَظْرَهُمْ عَنِ الْأَرْضِ ذَلِيلُهُ وَمِهَانُهُ «تَزْهَقُهُمْ ذَلَّةٌ» أَى تَغْشَاهُمْ ذَلَّةُ النَّدَامَةِ وَالْحَسْرَةِ «وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ» أَى أَصْحَاءَ يُمْكِنُهُمُ السُّجُودُ فَلَا يَسْجُدُونَ يَعْنَى أَنَّهُمْ كَانُوا يُؤْمَرُونَ بِالصَّلَاةِ فِي الدُّنْيَا فَلَمْ يَفْعَلُوا قَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ كَانَ يَسْمَعُونَ حَى عَلَى الْفَلَاحِ فَلَا يَجِيبُونَ وَقَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ وَاللَّهُ مَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ إِلَّا فِي الَّذِينَ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الْجَمَاعَاتِ وَقَدْ وَرَدَ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ خَثِيمٍ أَنَّهُ عَرَضَ لَهُ الْفَالَجُ فَكَانَ يَهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ إِلَى الْمَسْجِدِ فَقِيلَ لَهُ يَا أَبَا يَزِيدَ لَوْ جَلَسْتَ فَإِنَّ لَكَ رِخْصَةً قَالَ مَنْ سَمِعَ حَى عَلَى الْفَلَاحِ فَلْيَجِبْ وَ لَوْ حَبَا وَ

رَوَى عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَنَّهُمَا قَالَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَفْحَمَ الْقَوْمِ وَ دَخَلَتْهُمُ الْهَيْبَةُ وَ شَخَّصَتْ الْأَبْصَارَ وَ بَلَغَتْ الْقُلُوبَ الْحَنَاجِرَ لَمَّا رَهَقَهُمْ مِنَ النَّدَامَةِ وَالْخِزْيِ وَ الْمَذَلَّةِ وَ قَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ وَ هُمْ سَالِمُونَ أَى يَسْتَطِيعُونَ الْأَخْذَ بِمَا أَمَرُوا بِهِ وَ التَّرْكَ لَمَّا نَهَوْا عَنْهُ وَ لِذَلِكَ ابْتَلُوا

وَ قَالَ مُجَاهِدٌ وَ قَتَادَةُ يُؤْذَنُ الْمُؤْذَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَسْجُدُ الْمُؤْمِنُ وَ تَصَلِبُ ظُهُورُ الْمُنَافِقِينَ فَيَصِيرُ سَجُودَ الْمُسْلِمِينَ حَسْرَةً عَلَى الْمُنَافِقِينَ وَ نَدَامَةً وَ

فِي الْخَبَرِ أَنَّهُ تَصِيرُ ظُهُورُ الْمُنَافِقِينَ كَالسَّفَافِيدِ

ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ «فَلَمَّا رَأَى وَ مَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْخَبَرِ» هَذَا تَهْدِيدٌ مَعْنَاهُ فَمَنْ كَذَّبَ بِهَذَا الْخَبَرِ أَى كَلَّ أَمْرَهُمْ إِلَى كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ دَعْنِي وَ إِيَّاهُ يَقُولُ خَلَّ بَيْنِي وَ بَيْنَ مَنْ يَكْذِبُ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَ لَا تَشْغَلْ قَلْبَكَ بِهِ فَإِنِّي أَكْفِيكَ أَمْرَهُ «سَسَّيْتُمْ دَرَجَتَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ» أَى سَنَأْخُذُهُمْ إِلَى الْعِقَابِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ وَ قَدْ مَرَّ تَفْسِيرُهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ وَ

رَوَى عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَنَّهُ قَالَ إِذَا أَحْدَثَ الْعَبْدُ ذَنْبًا جَدَّدَ لَهُ نِعْمَةً فَيَدْعُ الْاسْتِغْفَارَ فَهُوَ الْاسْتِدْرَاجُ

«وَ أَمْلَى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ» أَى وَ أَطِيلُ آجَالَهُمْ وَ لَا أَبَادِرُ إِلَى عَذَابِهِمْ مَبَادِرَهُ مِنْ يَخْشَى الْفُوتَ فَإِنَّمَا يَعْجَلُ مَنْ يَخَافُ الْفُوتَ أَنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٍ.

إشاره

أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (٤٦) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ (٤٧) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لَا تُكِنِّ كَصَاحِبِ الْخُوْتِ إِذْ نَادَى وَ هُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَوْ لَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِدَ بِالْعَرَاءِ وَ هُوَ مَدْمُومٌ (٤٩) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٥٠) وَ إِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَ يَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١) وَ مَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٥٢)

القراءة

قرأ أهل المدينة ليزلقونك بفتح الياء و الباقون «لَيُزْلِقُونَكَ» بضم الياء.

الحجّه

من قرأ بفتح الياء جعله من زلقه و زلقته أنا مثل حزن و حزنه و شرت عينه و شرتها قال أبو علي و الخليل يذهب في ذلك إلى أن المعنى جعلت فيه شترا و جعلت فيه حزنا كما أنك إذا قلت كحلته و دهنته أردت جعلت ذلك فيه و من قرأ أزلقه الفعل بالهمزة و معنى «لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ» ينظرون إليك نظر البغضاء كما ينظر الأعداء و مثله قول الشاعر:

يتقارضون إذا التقوا في مجلس نظرا يزيل مواقع الأقدام.

اللغة

المغرم ما يلزم من الدين الذي يلح في اقتضائه و أصله من اللزوم بالإلحاح و منه قوله إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا أَي لازما ملحا قال الشاعر:

و يوم الجفار و يوم النار كانا عذابا و كانا غراما

و المثقل المحمل الثقل و هو مثقل بالدين و مثقل بالعيال و مثقل بما عليه من الحقوق اللازمه و أمور الواجبه و المكظوم المحبوس عن التصرف في الأمور و منه كظمت رأس القربه إذا شددته و كظم غيظه إذا حبسه بقطعه عما يدعو إليه و كظم خصمه إذا أجابه بالمسكت و العراء الأرض العارية من النبات قال قيس بن جعدة:

و رفعت رجلا لا أخاف عثارها و نبذت بالبلد العراء ثيابي

. المعنى

ثم خاطب سبحانه النبي ص فقال على وجه التوبيخ للكفار «أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا» هذا عطف على قوله أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ

ذکر سبحانه جمیع ما یحتج به فقال أم

ص: ۸۸

تسأل يا محمد هؤلاء الكفار أجزاء على أداء رسالته و الدعاء إلى الله «فَهُمْ مَتَّعْتُمُ الْمَغْرَمَ» أى هم من لزوم ذلك «مُتَّقِلُونَ» أى محملون الأثقال «أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ» أى هل عندهم علم بصحة ما يدعون به لا يعلمه غيرهم فهم يكتبونه و يتوارثونه و ينبغي أن يبرزوه ثم قال للنبي ص «فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ» فى إبلاغ رسالته و ترك مقابلتهم بالقبيح و قيل اللام تجرى مجرى إلى و المعنى اصبر إلى أن يحكم الله بنصر أوليائك و قهر أعدائك و قيل معناه فاصبر لحكم الله فى التخليه بين الظالم و المظلوم حتى يبلغ الكتاب أجله «وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ» يعنى يونس أى لا تكن مثله فى استعجال عقاب قومه و إهلاكهم و لا- تخرج من بين قومك من قبل أن يأذن لك الله كما خرج هو «إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ» أى دعا ربه فى جوف الحوت و هو محبوس عن التصرف فى الأمور و الذى نادى به قوله لا إله إلا أنت سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ و قيل مكظوم أى مخنق بالغم إذ لم يجد لغيظه شفاء «لَوْ لَا أَنْ تَدَارَكُهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّي» أى لو لا أن أدركته رحمه من ربه بإجابه دعائه و تخليصه من بطن الحوت و تبقيته فيه حيا و إخراجة منه حيا «لَنَبِيذٌ» أى طرح «بِالْعَرَاءِ» أى الفضاء «وَهُوَ مَيْدُومٌ» ملوم ملوم قد أتى بما يلام عليه و لكن الله تعالى تداركه بنعمه من عنده فطرح بالعراء و هو غير مذموم «فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ» أى اختاره الله نبيا «فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ» أى من جملة المطيعين لله التاركين لمعاصيه «وَأِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا» إن هذه هى المخففه من الثقيله و التقدير و أنه يكاد أى قارب الذين كفروا «لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ» أى ليزهقونك أى يقتلونك و يهلكونك عن ابن عباس و كان يقرأها كذلك و قيل ليصرعونك عن الكلبي و قيل يصيرونك بأعينهم عن السدى و الكل يرجع فى المعنى إلى الإصابه بالعين و المفسرون كلهم على أنه المراد فى الآيه و أنكر الجبائي ذلك و قال إن إصابه العين لا تصح و قال على بن عيسى الرمانى و هذا الذى ذكره غير صحيح لأنه غير ممتنع أن يكون الله تعالى أجرى العاده لصحة ذلك لضرب من المصلحه و عليه إجماع المفسرين و جوزة العقلاء فلا مانع منه و

جاء فى الخبر أن أسماء بنت عميس قالت يا رسول الله إن بنى جعفر تصيبهم العين فأسترقى لهم قال نعم فلو كان شىء يسبق القدر لسبقه العين

و قيل إن الرجل منهم كان إذا أراد أن يصيب صاحبه بالعين تجوع ثلاثه أيام ثم كان يصفه فيصرعه بذلك و ذلك بأن يقول للذى يريد أن يصيبه بالعين لا أرى كاليوم إبلا أو شاء أو ما أراد أى كإبل أراها اليوم فقالوا

للنبي ص كما كانوا يقولون لما يريدون أن يصيبوه بالعين عن الفراء و الزجاج و قيل معناه أنهم ينظرون إليك عند تلاوه القرآن و الدعاء إلى التوحيد نظر عداوه و بغض و إنكار لما يسمعون و تعجب منه فيكادون يصرعونك بحده نظرهم و يزيلونك عن موضعك و هذا مستعمل فى الكلام يقولون نظر إلى فلان نظرا يكاد يصرعنى و نظرا يكاد يأكلنى فيه و تأويله كله أنه نظر إلى نظرا لو أمسكته معه أكلى أو يصرعنى لفعل عن الزجاج و قوله «لَمَّا سَمِعُوا الذُّكْرَ» يعنى القرآن «وَيَقُولُونَ» مع ذلك «إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ» أى مغلوب على عقله مع علمهم بوقاره و وفور عقله تكذيبا عليه و معانده له «وَمَا هُوَ» أى و ما القرآن «إِلَّا ذِكْرٌ» أى شرف «لِلْعَالَمِينَ» إلى أن تقوم الساعة و قيل معناه و ما محمد ص إلا شرف للخلق حيث هداهم إلى الرشد و أنقذهم من الضلاله لما نسبوه إلى الجنون و صفه بما ينفى ذلك عنه و قيل المراد بالذكر أنه يذكرهم أمر آخرتهم و الثواب و العقاب و الوعد و الوعيد قال الحسن دواء إصابه العين أن يقرأ الإنسان هذه الآيه.

(٦٩) سورة الحاقه مكيه و آياتها ثنتان و خمسون (٥٢)

اشاره

عدد آياتها

إحدى و خمسون آيه بصرى و شامى و آيتان فى الباقيين.

اختلفها

آيتان «الْحَاقَّةُ» الأولى كوفى «كِتَابُهُ بِشِمَالِهِ» حجازى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأ سورة الحاقه حاسبه الله حسابا يسيرا

و

روى جابر الجعفى عن أبى جعفر (عليه السلام) قال أكثروا من قراءه الحاقه فإن قراءتها فى الفرائض و النوافل من الإيمان بالله و رسوله و لم يسلب قارئها دينه حتى يلقى الله.

تفسيرها

لما ذكر فى آخر سورة القلم حديث القيامة و وعيد الكفار افتتح هذه السوره بذكر القيامة أيضا و أحوال أهل النار فقال:

ص: ٩١

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤)

فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَائِيَهُ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (٨) وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (٩)

فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً (١٠)

القراءة

قرأ أهل البصرة والكسائي ومن قبله بكسر القاف وفتح الباء والباقون «وَمَنْ قَبْلَهُ» بفتح القاف وسكون الباء.

الحج

قال سيبويه قبل لما ولي الشىء تقول ذهبت قبل السوق ولى قبلك حق أى فيما يليك واتسع فيه حتى صار بمنزله لى عليك حق وحجه من قرأ أنهم زعموا أن فى قراءه أبى وجاء فرعون ومن معه وهذا يقوى ومن قبله لأن قبل لما ولي الشىء مما لم يتخلف عنه وهو يتبعه ويحف به وحجه من قال «وَمَنْ قَبْلَهُ» أن معناه ومن قبله من الأمم التى كفرت كما كفر هو.

اللغة

قال ابن الأنبارى الحاقه الواجبه حق أى وجب يحق حقا وحقوقا فهو حاق و قال الفراء تقول العرب لما عرفت الحق منى هربت و الحقه والحاقه بمعنى وقيل سميت القيامة الحاقه لأنها تحق الكفار من قولهم حاقته فحققته مثل خاصمته فخصمته و سميت القارعه لأنها تفرع قلوب العباد بالمخافه إلى أن يصير المؤمنون إلى الأمن و دريت الشىء درايه و دريه علمته و أدريته أعلمته و الطاغية الطغيان مصدر مثل العافية و الصرصر الريح الشديده الصوت و الحسوم المتواليه مأخوذ من حسم الداء بمتابعه الكى عليه فكأنه تتابع الشر عليهم حتى استأصلهم وقيل هو من القطع فكأنها حسمتهم حسوما أى أذهبتهم و أفتتهم و قطعت دابرههم و الخاويه الخاليه التى لا شىء فى أجوافها.

الإعراب

العامل فى «الْحَاقَّةُ» أحد شيئين إما الابتداء والخبر «مَا الْحَاقَّةُ» كما تقول زيد ما زيد وإما أن يكون خبر مبتدأ محذوف أى هذه الحاقه ثم قيل أى شىء الحاقه تفخيما لشأنها و حسوما نصب على المصدر الموضوع موضع الصفه لثمانيه أى تحسمهم حسوما و

يجوز أن يكون جمع حاسم فيكون مثل راقد و رقود و ساجد و سجود و على هذا فيكون منصوبا على أنه صفة لثمانية أيضا و صرعى نصب على الحال و قوله «كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ» جملة في موضع الحال من صرعى أى صرعوا أمثال نخل خاويه و من مزیده فى قوله «مِنْ بَاقِيَةٍ».

المعنى

«الْحَيَاةُ» اسم من أسماء القيامة فى قول جميع المفسرين و سميت بذلك لأنها ذات الحواق من الأمور و هى الصادقة الواجبه الصدق لأن جميع أحكام القيامة واجبه

ص: ٩٢

الوقوع صادقاً الوجود «مَا الْحَاقَّةُ» استفهام معناه التفخيم لحالها و التعظيم و لشأنها ثم زاد سبحانه فى التهويل فقال «وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ» أى كأنك لست تعلمها إذ لم تعينها و لم تر ما فيها من الأهوال قال الثورى يقال للمعلوم ما أدراك و لما ليس بمعلوم ما يدريك فى جميع القرآن و إنما قال لمن يعلمها ما أدراك لأنه إنما يعلمها بالصفه ثم أخبر سبحانه عن المكذبين بها فقال «كَذَّبَتْ ثَمُودٌ وَ عَادٌ بِالْقَارِعَةِ» أى بيوم القيامة و إنما حسن أن توضع القارعه موضع الكنايه لتذكر بهذه الصفه الهائله بعد ذكرها بأنها الحاقه إلا فقد كان يكفى أن يقول كذبت ثمود و عاد بها ثم أخبر سبحانه عن كيفية إهلاكهم فقال «فَأَمَّا ثَمُودُ» و هم قوم صالح «فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ» أى أهلكوا بطغيانهم و كفرهم عن ابن عباس و مجاهد و قيل معناه أهلكوا بالصيحه الطاغيه و هى التى جاوزت المقدار حتى أهلكتهم عن قتاده و الجبائى و أبى مسلم و قال الزجاج أهلكوا بالرجفه الطاغيه و قيل بالخصله المتجاوزة لحال غيرها فى الشده التى أهلك الله بها أهل الفساد «وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصِرٍ» أى بارده عن ابن عباس و قتاده كأنه تصطك الأسنان بما يسمع من صوتها لشده بردها و قيل الصرصر الشديده العصفوف المتجاوزة لحدها المعروف «عَاتِيَةٍ» عتت على خزانها فى شده الهبوب روى الزهرى عن قبيصه بن ذؤيب أنه قال ما يخرج من الريح شىء إلا عليها خزان يعلمون قدرها و عددها و كيلها حتى كانت التى أرسلت على عاد فاندفق منها فهم لا يعلمون قدر غضب الله فلذلك سميت عاتيه «سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ» أى سلطها الله و أرسلها عليهم «سَبْعَ لَيَالٍ وَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ» قال وهب و هى التى تسميها العرب أيام العجوز ذات برد و رياح شديده و إنما نسبت هذه الأيام إلى العجوز لأن عجوزاً دخلت سرباً فتبعتها الريح فقتلتها اليوم الثامن من نزول العذاب فانقطع العذاب فى اليوم الثامن و قيل سميت أيام العجوز لأنها فى عجز الشتاء و لها أسامى مشهوره قالوا لليوم "الأول" صن "و للثانى" صنبر " و الثالث" وبر " و للرابع" مطفى الجمر " و للخامس" مكفى الظعن و قيل "للسادس" الأمر " و للسابع" المؤتمر " و الثامن" المعلل " و قال فى ذلك شاعرهم:

كسع الشتاء بسبعه غبر أيام شهلتنا مع الشهر

فبأمر و أخيه مؤتمر و معلل و بمطفى الجمر

فإذا انقضت أيام شهلتنا بالصن و الصنبر و الوبر

ذهب الشتاء موليا هربا و أتتك وافده من النجر

«حُسُومًا» أى ولاء متتابعه ليست لها فتره عن ابن عباس و ابن مسعود و الحسن و مجاهد و قتاده كأنه تتابع عليهم الشر حتى استأصلهم و قيل دائمه عن الكلبي و مقاتل و قيل قاطعه قطعهم قطعا حتى أهلكتهم عن الخليل و قيل مشائم نكداء قليله الخير حسمت الخير عن أهلها عن عطيه «فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا» أى فى تلك الأيام و الليالى «صَيْرَعِي» أى مصروعين «كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلِ خَاوِيَةٍ» أى أصول نخل باليه نخره عن قتاده و قيل خاويه فارغه خاليه الأجواف عن السدى و قيل ساقطه مثل قوله أَعْجَازُ نَخْلِ مُنْقَعِرٍ «فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ» أى من نفس باقيه و قيل من بقاء و الباقيه بمعنى المصدر مثل العافيه و الطاغيه و المعنى هل ترى لهم من بقيه أى لم يبق منهم أحد «وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ» مر معناه «وَالْمُؤْتَفِكَاتُ» أى و جاء أهل القرى المؤتفكات أى المنقلبات بأهلها عن قتاده و هى قرى قوم لوط يريد الأمم و الجماعات الذين اتفكوا «بِالْخَاطِئَةِ» أى بخطيئتهم التى هى الشرك و الكفر فالخاطئه مصدر كالخطأ و الخطيئه و قيل معناه بالأفعال الخاطئه أى بالنفس الخاطئه «فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ» فيما أمرهم به و قيل إن المراد بالرسول رساله كما فى قول الشاعر:

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسر و لا أرسلتهم برسول

أى برساله عن أبى مسلم و الأول أظهر «فَأَخَذَهُمْ» الله العقوبه «أَخَذَهُ رَبِّيَّ» أى زائده فى الشده عن ابن عباس و قيل ناميه زائده على عذاب الأمم و قيل عاليه مذكوره خارجه عن العاده.

إشارة

إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (١١) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذِكْرًا وَتَعْيِبَهَا أُمَّةً (١٢) فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفَخَهُ وَاحِدَةً (١٣) وَ حَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥)
 وَ انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَ الْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (١٨) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ مَا أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ (٢٠)
 فَهُوَ فِي عِيشِهِ رَاضِيَةٌ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤)

القراءة

قرأ ابن كثير في روايه القواس و تعيها بسكون العين مختلسا و هو بين الكسر و السكون و الباقون بكسر العين و قرأ حمزه و الكسائي لا يخفى بالياء و الباقون بالتاء.

الحج

الوجه في سكون العين من تعيها إنه جعل حرف المضارعه مع ما بعده بمنزله فخذ فأسكن لأن حرف المضارعه لا تنفصل من الفعل فصار كقولك فهو و هي و الياء و التاء في قوله لا يخفى حسن.

اللغة

الجارية السفينه التي من شأنها أن تجرى على الماء و الجارية المرأه الشابه لأنه يجرى فيها ماء الشباب يقال وعيت العلم أعيه وعيا و أوعيت المتاع جعلته في الوعاء قال:

إذا لم تكن حافظا واعيا فجمعك للكتب لا ينفع

و الدك البسط و منه الدكان و اندك سنام البعير إذا انفرش على ظهره و الأرجاء النواحي واحدها رجا مقصور و التثنيه رجوان و هاؤم أمر للجماعه بمنزله هاكم تقول للواحد هاء يا رجل و للاثنين هاؤما يا رجلا و للجماعه هاؤم يا رجال و للمرأه هاء يا امرأه بكسر الهمزه و ليس بعدها ياء و للمرأتين هاؤما و للنساء هاؤن هذه لغه أهل الحجاز و تميم و قيس يقولون هاء يا رجل مثل قول أهل الحجاز و للاثنين هاء و للجماعه هاؤا و للمرأه هائي و للنساء هان و بعض

الجرجاني قال سمعت أبا عمرو عثمان بن خطاب المعمر المعروف بأبي الدنيا الأشج قال سمعت علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول لما نزلت «وَ تَعَيَّهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ» قال النبي ص سألت الله عز و جل أن يجعلها أذنك يا علي

«فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفَخَهُ وَاحِدَةً» و هي النفخة الأولى عن عطا و النفخة الأخيرة عن مقاتل و الكلبى «وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبَالُ» أى رفعت من أماكنها «فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً» أى كسرتا كسره واحده لا تشنى حتى يستوى ما عليها من شىء مثل الأديم الممدود و قيل ضرب بعضها ببعض حتى تفتت الجبال و سفتها الرياح و بقيت الأرض شيئاً واحداً لا جبل فيها و لا رايه بل تكون قطعه مستويه و إنما قال دكنا لأنه جعل الأرض جملة واحده و الجبال دكة واحده «فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ» أى قامت القيامة «وَ أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ» أى انفرج بعضها من بعض «فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ» أى شديده الضعف بانتفاض بنيتها و قيل هو أن السماء تنشق بعد صلابتها فتصير بمنزلة الصوف فى الوهى و الضعف «وَ الْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا» أى على أطرافها و نواحيها عن الحسن و قتاده و الملك اسم يقع على الواحد و الجمع و السماء مكان الملائكة فإذا وهت صارت فى نواحيها و قيل إن الملائكة يومئذ على جوانب السماء تنتظر ما يؤمر به فى أهل النار من السوق إليها و فى أهل الجنة من التحية و التكرمه فيها «وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ» يعنى فوق الخلائق «يَوْمَئِذٍ» يعنى يوم القيامة «ثَمَانِيَةً» من الملائكة عن ابن زيد و

روى ذلك عن النبي ص أنهم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدهم بأربعة آخرين فيكونون ثمانية

و قيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى عن ابن عباس «يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ» يعنى يوم القيامة تعرضون معاشر المكلفين «لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ» أى نفس خافية أو فعله خافية و قيل الخافية مصدر أى خافية أحد و روى فى الخبر عن ابن مسعود و قتاده أن الخلق يعرضون ثلاث عرضات ثنتان فيها معاذير و جدال و الثالثة تطير الصحف فى الأيدي فأخذ يمينه و أخذ بشماله و ليس يعرض الله الخلق ليعلم من حالهم ما لم يعلمه فإنه عز اسمه العالم لذاته يعلم جميع ما كان منهم و لكن ليظهر ذلك لخلقهم ثم قسم سبحانه حال المكلفين فى ذلك اليوم فقال «فَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ» لأهل القيامة «هَؤُومٌ» أى تعالوا «أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ» و إنما يقوله سرورا به لعلمه بأنه ليس فيه إلا الطاعات فلا يستحى أن ينظر فيه غيره و أهل اللغه يقولون إن معنى هؤوم خذوا «إِنِّي ظَنَنْتُ» أى علمت و أيقنت فى الدنيا «أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ» و الهاء لنظم رءوس الآى و هى هاء الاستراحة و المعنى إني كنت مستيقنا فى دار الدنيا بأنى ألقى حسابى يوم القيامة عالما بأنى أجازى على الطاعة بالثواب و على المعصية بالعقاب فكنت أعمل بما أصل به إلى هذه المثوبه «فَهُوَ فِي عِيشِهِ رَاضِيَةٌ» أى فى حاله من العيش راضيه يرضاها بأن لقي الثواب

و آمن العقاب «فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ» أى رفيعه القدر و المكان «قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ» أى ثمارها قريبه ممن يتناولها قال البراء بن عازب يتناول الرجل من الثمره و هو نائم و

قد ورد فى الخبر عن عطاء بن يسار عن سلمان قال قال رسول الله ص لا يدخل الجنة أحدكم إلا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله لفلان بن فلان أدخلوه جنة عاليه قطوفها دانيه

و قيل معناه لا يرد أيديهم عن ثمرها بعد و لا شوكة عن قتاده «كُلُوا وَ اشْرَبُوا» أى يقال لهم كلوا و اشربوا فى الجنة «هَنِيئًا بِمَا أَشْرَفْتُمْ» أى قدمتم من أعمالكم الصالحه «فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ» الماضيه يعنى أيام الدنيا و يعنى بقوله «هَنِيئًا» إنه ليس فيه ما يؤذى فلا يحتاج فيه إلى إخراج فصل بغائط أو بول.

[سوره الحاقه (٦٩): الآيات ٢٥ الى ٣٧]

إشارة

وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشَهَادَةٍ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ (٢٥) وَ لَمْ أُدْرِ مَا حِسَابِيهِ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أُعْنِي عَنِّي مَا لِيهِ (٢٨) هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ (٢٩)

حُذُوهُ فَغُلُّوه (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوه (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَ لَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ (٣٤)

فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَ لَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِؤُنَ (٣٧)

اللغة

القاضيه الفاصله بالإماتة يقال قضى فلان إذا مات و أصله فصل الأمر و منه قضيه الحاكم و منه قضاء الله و هو فى الإخبار بما يكون على القطع و التصليه إلزام النار و منه الاصطلاء و هو القعود عند النار للدفاء و الجحيم النار العظيمة و السلسله حلق منتظمة كل واحده منها فى الأخرى و يقال سلسل كلامه إذا عقد شيئاً منه بشىء و تسلسل الشىء إذا استمر على الولاء شيئاً قبل شىء و ذرع الثوب يذره ذرعا مأخوذ من الذراع و الغسلين الصديد الذى ينغسل بسيلانه من أبدان أهل النار و وزنه فعلين من الغسل.

قوله «كِتَابِيَّةٌ» و «حِسَابِيَّةٌ» و «مَالِيَّةٌ» و «سَيْلُطَانِيَّةٌ» قال الزجاج الوجه أن يوقف على هذه الهاءات و لا توصل لأنها أدخلت للوقف و قد حذفها قوم فى الوصل و لا أحب مخالفه المصحف و لا أن أقرأ و أثبت الهاءات فى الوصل و هذه رءوس آيات فالوجه أن يوقف عندها و كذلك قوله ما هيته «فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ» الجار و المجرور خبر ليس ليصح قوله «وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسِيلِينَ» أى و لا له طعام و لا يكون الخبر هاهنا لأن التقدير يصير و لا طعام هاهنا إلا من غسلين و هذا غير جائز إذ هنا طعام غير غسلين و لا يكون الخبر اليوم لأن حميم جته و ظرف الزمان لا يكون خبرا عن الجته.

المعنى

ثم ذكر سبحانه حال أهل النار فقال «وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ» أى أعطى «كِتَابَهُ» الذى هو صحيفه أعماله «بِشِّمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَّةً» أى تمنى أنه لم يؤت لما يرى فيه مقابح أعماله التى يسود لها وجهه «وَلَمْ أُدْرِ مَا حِسَابِيَّةٌ» أى و لم أدر أى شىء حسابى لأنه لا حاصل له فى ذلك الحساب و إنما هو كله عليه «يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ» الهاء فى ليتها كناية عن الحال التى هم فيها و قيل هى كناية عن الموتة الأولى و القاضيه القاطعه للحياه أى ليت الموتة الأولى التى متنا لم نحى بعدها عن الفراء يتمنى دوام الموت و أنه لم يبعث للحساب و قال قتاده تمنى يومئذ الموت و لم يكن فى الدنيا شىء عنده أكره من الموت «مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَّةٌ» أى ما دفع عنى مالى من عذاب الله شيئاً و قيل معناه إنى قصرت همتى على تحصيل المال ليكشف الكرب عنى فما نفعنى اليوم «هَلَكْتُ عَنِّي سَيْلُطَانِيَّةٌ» أى حجتى عن ابن عباس و مجاهد أى ضل عنى ما كنت أعتقده حجه و قيل معناه هلك عنى تسلطى و أمرى و نهى فى دار الدنيا على ما كنت مسلطاً عليه فلا أمر لى و لا نهى ثم أخبر سبحانه أنه يقول للملائكة «خُذُوهُ فَغُلُّوهُ» أى أوثقوه بالغل و هو أن تشد إحدى يديه و رجله إلى عنقه بجامعه «ثُمَّ الْجَحِيمَ صِلُّوهُ» أى ثم أدخلوه النار العظيمه و ألزموه إياها «ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا» أى طولها «سِتْرَانِ» أى اجعلوه فيها لأنه يؤخذ عنقه فيها ثم يجر بها قال الضحاك إنما تدخل فى فيه و تخرج من دبره فعلى هذا يكون المعنى ثم اسلكوا السلسله فيه فقلب كما يقال أدخلت القلنسوه فى رأسى و قال الأعشى:

" إذا ما السراب ارتدى بالأكم "

و إنما ارتدى الأكم بالسراب و لكنه قلب و قال نوف البكالى كل ذراع سبعون باعا و الباع أبعد مما بينك و بين مكه و كان فى رحبه الكوفه و قال الحسن الله أعلم بأى ذراع هو و قال سويد بن نجیح إن جميع أهل النار فى تلك السلسله و لو أن حلقه منها وضعت على جبل لذاب من

حرها ثم قال سبحانه «إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ» شأنه أى لم يكن يوحد الله فى دار التكليف و لا يصدق به «وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ» و هو المحتاج الفقير و المعنى أنه كان يمنع الزكاه و الحقوق الواجبه «فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ» أى صديق ينفعه «وَلَا- طَعَامٌ» أى و لا- له اليوم طعام «إِلَّا مِنْ غَسِيلِينَ» و هو صديد أهل النار و ما يجرى منهم فالطعام هو ما هيى للأكل و لذلك لا يسمى التراب طعاما للإنسان فلما هيى الصديد لأكل أهل النار كان ذلك طعاما لهم و قيل إن أهل النار طبقات فمنهم من طعامه غسيلين و منهم من طعامه الزقوم و منهم من طعامه الضريع لأنه قال فى موضع آخر لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ و قيل يجوز أن يكون الضريع هو الغسيلين فعبر عنه بعبارتين عن قطرب و قيل يجوز أن يكون المراد ليس لهم طعام إلا من ضريع و لا شراب إلا من غسيلين كما قال الشاعر:

علفتها تبا و ماء باردا حتى شقت هماله عيناها

«لَا يَأْكُلُهُ» أى لا يأكل الغسيلين «إِلَّا الْخَاطِئُونَ» و هم الجائرون عن طريق الحق عامدين و الفرق بين الخاطى و المخطى أن المخطى قد يكون من غير تعمد و الخاطى المذنب المتعمد الجائر عن الصراط المستقيم قال امرؤ القيس:

يا لهف هند إذ خطئن كاهلا القاتلين الملك الحلاحلا

إشارة

فَلَا أُفْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٤٢)

تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧)

وَإِنَّهُ لَتَذِكْرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسِيرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحِيقُ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢)

الفراءه

قرأ ابن كثير و ابن عامر و يعقوب و سهل يؤمنون و يذكرون بالياء كناية عن الكفار و الباقون بالتاء خطابا لهم و كلاهما حسن.

اللفه

الوتين نياط القلب و إذا انقطع مات الإنسان قال الشماخ بن ضرار:

إذا بلغتني و حملت رحلى عرابه فاسرقى بدم الوتين

. الإعراب

قليلًا فى الموضوعين صفة مصدر محذوف و ما مزيده و تقديره إيمانًا قليلًا تؤمنون و تذكرًا قليلًا تذكرون و يجوز أن يكون صفة لظرف محذوف أى وقتًا قليلًا تؤمنون و وقتًا قليلًا تذكرون و يجوز أن تكون ما مصدرية و يكون التقدير قليلًا إيمانكم و قليلًا تذكركم يكون ما فى موضع رفع بقليل و قوله «مِنْ أَحَدٍ» فى موضع رفع لأنه اسم ما و من مزيده لتأكيد النفى تقديره فما منكم أحد و الأصل فما أحد منكم فمنكم فى موضع رفع بكونه صفة على الموضع أو فى موضع جر على اللفظ فلما تقدم الموصوف صار فى موضع النصب على الحال حاجزين منصوب بأنه خبر ما و لم يبطل قوله «مِنْكُمْ» عمل ما و إن فصل بينهما لأنه ظرف و الفصل بالظرف فى هذا الباب كلا فصل قال أبو على إن جعلت منكم مستقرا كان حاجزين صفة أحد و إن جعلت منكم غير مستقر كان حاجزين خبر ما و على الوجهين فقوله «حَاجِزِينَ»

محمول على المعنى و أقول فى بيانه أنه إن كان فى منكم ضمير لأحد و يكون خيرا له متقدما عليه فىكون حاجزين صفه لأحد و تقديره ما منكم قوم حاجزون عنه و يكون ما غير عامله هنا على غير لغه تميم أيضا و يكون حاجزين مجرورا حملا على اللفظ و كونه غير مستقر هو أن يكون على ما ذكرناه قبل.

المعنى

ثم أكد سبحانه ما تقدم فقال «فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَ مَا لَا تُبْصِرُونَ» قيل فيه وجوه (أحدها) أن يكون قوله «لا» ردا لكلام المشركين فكأنه قال ليس الأمر كما يقول المشركون أقسم بالأشياء كلها ما يبصر منها و ما لا يبصر و يدخل فيها جميع المكونات « إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ » يعنى محمدا ص عن الفراء و قتاده و (ثانيها) أن لا مزيدة مؤكده و التقدير فأقسم بما ترون و ما لا ترون (و ثالثها) أنه نفى للقسم و معناه لا يحتاج إلى القسم لوضوح الأمر فى أنه رسول كريم فإنه أظهر من أن يحتاج فى إثباته إلى قسم عن أبى مسلم و (رابعها) أنه كقول القائل لا و الله لا أفعل ذلك و لا و الله لأفعلن ذلك و قال الجبائى إنما أراد أنه لا يقسم بالأشياء المخلوقات ما يرى و ما لا يرى و إنما أقسم بربها لأن القسم لا يجوز إلا بالله « إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ » قال إنه قول الله على الحقيقة و إنما الملك و جبرائيل و الرسول يحكون ذلك و إنما أسنده إليهم من حيث إن ما يسمع منهم كلامهم فلما كان حكاية كلام الله قيل هو كلام الله على الحقيقة فى العرف قال الجبائى و الرسول الكريم جبرائيل و الكريم الجامع لخصال الخير «وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ وَ لَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَدَّكَّرُونَ» قول الشاعر ما ألفه بوزن و جعله مقفى و له معنى و قول الكاهن السجع و هو كلام متكلف يضم إلى معنى يشاكلة طهره الله سبحانه من الشعر و الكهانة و عصمه عنهما و إنما منعه سبحانه من الشعر و نزهه عنه لأن الغالب من حال الشعر أن يدعو إلى الهوى و يبعث على الشهوة و النبى ص إنما يأتى بالحكم التى يدعو إليها العقل للحاجه إلى العمل عليها و الاهتداء بها و أيضا فإنه سبحانه منعه من قول الشعر دلالة على أن القرآن ليس بصفه الكلام المعتاد بين الناس و أنه ليس بشعر بل هو صنف من الكلام خارج عن الأنواع المعتاده و إذا بعد عما جرت به العاده فى تأليف الكلام فذلك أدل على إعجازه و قوله «قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ» معناه لا تصدقون بأن القرآن من عند الله تعالى يريد بالقليل نفى إيمانهم أصلا كما تقول لمن لا- يزورك قل ما تأتينا و أنت تريد لا تأتينا أصلا فالمعنى لا تؤمنون به و لا تتذكرون و لا تتفكرون فتعلموا المعجز و تفصلوا بينه و بين الشعر و الكهانة «تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» بين أنه منزل من عنده على لسان جبرائيل حتى لا يتوهم أنه كلام جبرائيل «وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا» محمد ص «بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ» معناه و لو

كذب علينا و اختلق ما لم نقله أى لو تكلف القول و أتى به من عند نفسه «لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ» أى لأخذنا بيده التى هى اليمين على وجه الإذلال كما يقول السلطان يا غلام خذ بيده فأخذها إهانه عن ابن جرير و قيل معناه لقطعنا يده اليمنى عن الحسن و أبى مسلم فعلى هذا تكون الباء مزيدة أى لأخذنا منه اليمين و قيل معناه لأخذنا منه بالقوه و القدره أى لأخذناه و نحن قادرون عليه مالكون له عن الفراء و المبرد و الزجاج و إنما أقام اليمين مقام القوه و القدره لأن قوه كل شىء فى ميامنه عن ابن قتيبه «ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ» أى و لكننا قطع منه وتينه و نهلكه قال مجاهد و قتاده هو عرق فى القلب متصل بالظهر و قيل هو حبل القلب «فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ» أى فما منكم أحد يحجزنا عنه و المعنى أنه لا يتكلف الكذب لأجلكم مع علمه أنه لو تكلف ذلك لعاتبناه ثم لم تقدرُوا أنتم على دفع عقوبتنا عنه ثم ذكر سبحانه أن القرآن ما هو فقال «وَإِنَّهُ لَتَذِكْرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ» أى و إنه لعظه لمن اتقى عقاب الله بطاعته «وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ» بالقرآن أى علمنا أن بعضكم يكذبه أشار سبحانه إلى أن منهم من يصدق و منهم من يكذب «وَإِنَّهُ لَحَسِيرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ» أى إن هذا القرآن حسره عليهم يوم القيامة حيث لم يعملوا به فى الدنيا «وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ» معناه و إن القرآن للمتقين لحق اليقين و الحق هو اليقين و إنما إضافه إلى نفسه كما يقال مسجد الجامع و دار الآخرة و بارحه الأولى و يوم الخميس و ما أشبه ذلك فيضاف الشىء إلى نفسه إذا اختلف لفظه و قيل إن الحق هو الذى معتقده على ما اعتقد و اليقين هو الذى لا شبهه فيه «فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ» الخطاب للنبي ص و المراد به جميع المكلفين و معناه نزه الله سبحانه عما لا- يجوز عليه من الصفات و العظيم هو الجليل الذى يصغر شأن غيره فى شأنه و يتضاءل كل شىء لعظمته و سلطانه.

(٧٠) سورة المعارج مكيه و آياتها أربع و أربعون (٤٤)

إشاره

[توضيح]

قال الحسن إلا قوله «وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّغْلُومٌ».

عدد آياتها

أربع و أربعون آيه غير الشامي ثلاث شامي.

اختلافها

آيه «أَلْفَ سَنَةٍ» غير الشامي.

فضلها

أبي بن كعب عن النبي ص قال قال رسول الله ص و من قرأ سأل سائل أعطاه الله ثواب الذين هم لأماناتهم و عهدهم راعون و الذين هم على صلواتهم يحافظون

و

عن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) قال من أدمن قراءه سأل سائل لم يسأله الله يوم القيامة عن ذنب عمله و أسكنه جنته مع محمد ص.

تفسيرها

لما ختم الله سورة الحاقه بوعيد الكفار افتتح هذه السوره بمثل ذلك فقال:

ص: ١٠٤

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤)

فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧) يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩) وَلَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠)

القراءه

قرأ أهل المدينة و ابن عامر سأل بغير همز و الباقون بالهمز و قرأ الكسائي يعرج بالياء و قرأ الباقون بالتاء و قرأ ابن كثير فى روايه البزى و عاصم فى روايه البرجمى عن أبى بكر و لا يسأل بضم الياء و الباقون «لا يسئل» بفتح الياء.

الحجه

قال أبو على من قرأ سأل جعل الألف منقلبه عن الواو التى هى عين مثل قال و خاف و حكى أبو عثمان عن أبى زيد أنه سمع من يقول هما يتساولان فمن قال سأل كان على هذه اللغه و من قرأ «سأل» فجعل الهمزه عين الفعل فإن حقق قال سأل و إن خفف جعلها بين الألف و الهمزه و أما قول الشاعر:

سألت هذيل رسول الله فاحشه ضلت هذيل بما قالت و لم تصب

و يمكن فيه الوجهان و كل القراء على همز سائل لأنه لا يخلو إما أن يكون من يتساولان أو من اللغه الأخرى فإن كان من الأول لم يكن فيه إلا الهمز كما يكون فى قائل و خائف لأن العين إذا اعتلت بالفعل اعتلت فى اسم الفاعل و اعتلالها لا يكون بالحذف للالتباس فقلب إلى الهمزه و إن كانت فى لغه من همز فليس فيه إلا الهمز كما يكون فى نائر إلا أنك إن شئت خففت الهمزه فجعلتها بين بين و كذلك فى الوجه الآخر و أما يعرج و «تعرج» فالياء و التاء فيه حسنتان و من ضم قوله و لا يسئل حميم حميما فالمعنى و الله أعلم لا يسئل حميم عن حميمه ليعرف شأنه من جهته كما يتعرف الخبر الصديق من جهة صديقه و القريب عن قريبه فإذا كان كذلك فالكلام إذا بنيت الفعل للفاعل قلت سألت زيدا عن حميمه و إذا بنيت الفعل للمفعول به قلت سئل زيد عن حميمه و قد يحذف الجار فيصل الفعل إلى الاسم الذى كان مجرورا قبل حذف الجار فينتصب بأنه مفعول الاسم الذى أسند إليه الفعل المبني للمفعول به فعلى هذا انتصب قوله «حميماً» و يدل على هذا المعنى قوله يُبَصِّرُونَهُمْ أى يبصر الحميم الحميم تقول بصرت به فإذا ضعفت عين الفعل صار الفاعل مفعولاً فتقول بصرتى زيد بكذا فإذا حذف الجار قلت بصرتى زيد كذا فإذا بنيت الفعل للمفعول به و قد حذف الجار قلب بصرت زيدا فعلى هذا قوله يُبَصِّرُونَهُمْ فإذا بصروهم لم يحتج إلى تعرف شأن

الحميم من حميمه و إنما جمع فليل يبصروهم لأن الحميم و إن كان مفردا فى اللفظ فالمراد به الكثره

ص: ١٠٥

و الجمع يدلک علی ذلك قوله فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَ لَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ و من قرأ «و لَا يَسْتَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا» فالمعنى لا يسأل الحميم عن حميمه فى ذلك اليوم لأنه يذهل عن ذلك و يشغل عنه بشأنه كما قال يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ إِلَى قَوْلِهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ.

اللغة

المعارج مواضع العروج و هو الصعود مرتبه بعد مرتبه و منه الأعرج لارتفاع إحدى رجله عن الأخرى قال الزجاج المهمل دردى الزيت و قيل هو الجارى بغلظه و عكزه على رفق من أمهله إمهالا و العهن الصوف المنقوش و الحميم القريب النسب إلى صاحبه و أصله من القرب قال:

أحم الله ذلك من لقاء أحاد أحاد فى الشهر الحلال

. الإعراب .

بعذاب الباء تتعلق بسأل لأن معناه دعا داع بعذاب و قيل إن الباء بمعنى عن و تقديره عن عذاب قال:

دع المعمر لا تسأل بمصرعه و أسأل بمصقله البكرى ما فعلا

يريد عن مصرعه و عن مصقله و اللام فى قوله «لِلْكَافِرِينَ» بمعنى على و يتعلق بواقع أى واقع على الكافرين و قيل إنه يتعلق بمحذوف فيكون صفه لسائل تقديره سأل سائل كائن للكافرين أى منهم.

المعنى

«سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ» قيل إن هذا السائل هو الذى قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآيه و هو النضر بن الحارث بن كلده فيكون المعنى دعا داع على نفسه بعذاب واقع مستعجلا له و هو واقع بهم لا محاله عن مجاهد و قيل سأل المشركون فقالوا لمن هذا العذاب الذى تذكر يا محمد فجاء جوابه بأنه «لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ» عن الحسن و قيل معناه دعا داع بعذاب على الكافرين و ذلك الداعى هو النبى ص عن الجبائى و تكون الباء فى بعذاب مزیده على التوكيد كما فى قوله وَ هُزِّيْ إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ وَ التَّقْدِيرِ سَأَلَ سَائِلٌ عَذَابًا وَاقِعًا وَ قيل هى بمعنى عن و عليه تأويل قول الحسن لأنهم سألوا عن العذاب لمن هو و قيل الباء للتعدى أى بإنزال عذاب و عليه تأويل قول مجاهد و قيل إن معنى سأل سائل على قراءه من قرأ بالألف من سال يسيل سيلا و التقدير سال سائل بعذاب واقع و قيل سائل اسم واد فى جهنم سمى به لأنه يسيل بالعذاب عن ابن زيد و

أخبرنا السيد أبو الحمد

قال حدثنا الحاكم أبو القاسم الحسكاني قال حدثنا أبو عبد الله الشيرازي قال حدثنا أبو بكر الجرجاني قال حدثنا أبو أحمد البصري قال حدثنا محمد بن سهل قال حدثنا زيد بن إسماعيل مولى الأنصار قال حدثنا محمد بن أيوب الواسطي قال حدثنا سفيان بن عيينه عن جعفر بن محمد الصادق عن آبائه ع قال لما نصب رسول الله ص عليا (عليه السلام) يوم غدير خم و قال من كنت مولاه فعلى مولاه طار ذلك في البلاد فقدم على النبي ص النعمان بن الحرث الفهري فقال أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله و أنك رسول الله و أمرتنا بالجهاد و الحج و الصوم و الصلاة و الزكاة فقبلناها ثم لم ترض حتى نصبت هذا الغلام فقلت من كنت مولاه فعلى مولاه فهذا شىء منك أو أمر من عند الله فقال و الله الذى لا إله إلا هو أن هذا من الله فولى النعمان بن الحرث و هو يقول اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجاره من السماء فرماه الله بحجر على رأسه فقتله و أنزل الله تعالى «سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ»

و قوله «لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ» أى ليس لعذاب الله دافع من الله و قيل معناه بعذاب للكافرين واقع من الله أى وقوعه من الله و ذى المعارج صفة الله سبحانه و قيل فيه وجوه (أحدها) أن معناه ذى الفواضل العالیه و الدرجات التى يعطيها للأنبياء و الأولياء فى الجنة لأنه يعطيهم المنازل الرفيعة و الدرجات العلية و هو معنى قول قتاده و الجبائي (و ثانيها) أنها معارج السماء أى مواضع عروج الملائكة عن ابن عباس و مجاهد و قال الكلبي معناه ذى السماوات لأن الملائكة تعرج فيها (و ثالثها) أنه بمعنى ذى الملائكة أى مالك الملائكة التى تعرج إلى السماء و منه ليله المعراج لأنه عرج بالنبي ص إلى السماء فيها «تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ» أى تصعد الملائكة و يصعد الروح أيضا معهم و هو جبرائيل خصه بالذكر من بين الملائكة تشريفا له «إِلَيْهِ» أى إلى الموضع الذى لا يجرى لأحد سواه فيه حكم جعل سبحانه عروجهم إلى ذلك الموضع عروجا إليه كقول إبراهيم (عليه السلام) «إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي وَعَدَنِي رَبِّي «فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» اختلف فى معناه فقيل تعرج الملائكة إلى الموضع الذى يأمرهم الله به فى يوم كان مقداره من عروج غيرهم خمسين ألف سنة و ذلك من أسفل الأرضين إلى فوق السماوات السبع و قوله فى سورة السجدة فى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ هو لما بين السماء الدنيا و الأرض فى الصعود و النزول خمسمائة سنة فى الصعود و خمسمائة سنة فى النزول عن مجاهد و المراد أن الآدميين لو احتاجوا إلى قطع هذا المقدار الذى قطعت الملائكة فى يوم واحد لقطعوه فى هذه المدة و قيل أنه يعنى يوم القيامة و أنه يفعل فيه من الأمور و يقضى فيه من الأحكام بين العباد ما لو فعل فى الدنيا لكان مقداره خمسين ألف سنة عن الجبائي و هو معنى قول قتاده و عكرمه و

روى أبو

ص: ١٠٧

سعيد الخدرى قال قيل يا رسول الله ما أطول هذا اليوم فقال و الذى نفس محمد بيده إنه ليخف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاه مكتوبه يصلها فى الدنيا

و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال لو ولى الحساب غير الله لمكثوا فيه خمسين ألف سنة من قبل أن يفرغوا و الله سبحانه يفرغ من ذلك فى ساعه

و

عنه أيضا قال لا ينتصف ذلك اليوم حتى يقبل أهل الجنة فى الجنة و أهل النار فى النار

وقيل معناه أن أول نزول الملائكة فى الدنيا و أمره و نهيه و قضائه بين الخلائق إلى آخر عروجهم إلى السماء و هو القيامة هذه المده فيكون مقدار الدنيا خمسين ألف سنة لا يدري كم مضى و كم بقى و إنما يعلمه الله عز و جل و قال الزجاج يجوز أن يكون قوله «فى يَوْمٍ» من صله واقع فيكون المعنى سأل سائل بعذاب واقع فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة و ذلك العذاب يقع يوم القيامة «فَأَصْبِرْ» يا محمد على تكذيبهم إياك «صَبْرًا جَمِيلًا» لا جزع فيه و لا شكوى على ما تقاسيه «إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَ نَرَاهُ قَرِيبًا» أخبر سبحانه أنه يعلم مجىء يوم القيامة و حلول العقاب بالكفار قريبا و يظنه الكفار بعيدا لأنهم لا يعتقدون صحته و كل ما هو آت فهو قريب دان فالرؤية الأولى بمعنى الظن و الثانية بمعنى العلم ثم أخبر سبحانه أنه متى يقع العذاب بهم فقال «يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهَيْلِ» أى كدردى الزيت عن ابن عباس و قيل كعكر القطران عن عطاء و قيل مثل الفضة إذا أذيت عن الحسن و قيل مثل الصفر المذاب عن أبى مسلم «وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ» أى كالصوف المصبوغ و قيل كالصوف المنفوش عن مقاتل و قيل كالصوف الأحمر عن الحسن يعنى إنها تلين بعد الشده و تتفرق بعد الاجتماع قال الحسن إنها أولا تصير كثيبا مهيلا ثم تصير عنها منفوشا ثم هباء منشورا «وَ لَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا» لشغل كل إنسان بنفسه عن غيره عن مجاهد و قيل لا يسأل حميم حميما أن يتحمل عنه من أوزاره ليأسه منه ذلك فى الآخرة عن الحسن و قال الأخفش الحميم من يخصه الرجل موده و شفقه من قريب الرحم و بعيده و الحامه الخاصه و قيل معناه أنه لا يحتاج إلى سؤاله لأنه يكون لكل علامه يعرف بها فعلامه الكافرين سواد الوجوه و زرقه العيون و علامه المؤمنين نضاره اللون و بياض الوجوه.

ص: ١٠٨

إشارة

يُبَصِّرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِنَا بِنَبِيهِ (١١) وَ صَاحِبَتِهِ وَ أَخِيهِ (١٢) وَ فَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (١٤) كَلَّا إِنَّهَا لَأُظَى (١٥)

نَزَّاعَةً لِلشَّوَى (١٦) تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلَّى (١٧) وَ جَمَعَ فَأَوْعَى (١٨) إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠)

وَ إِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَ الَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ (٢٥)

وَ الَّذِينَ يُصَلُّونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦) وَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مِمَّا تُؤْمِنُونَ (٢٨) وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠)

فَمَنْ ابْتغى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١) وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢) وَ الَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣) وَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ (٣٥)

القراءة

قرأ حفص «نَزَّاعَةً» بالنصب و الباقون بالرفع و قرأ ابن كثير لأمانتهم بغير ألف بعد النون و الباقون «لِأَمَانَاتِهِمْ» بالجمع و قرأ حفص و يعقوب و سهل «بِشَهَادَاتِهِمْ» على الجمع و الباقون بشهادتهم و كلهم قرءوا «عَلَى صَلَاتِهِمْ» على التوحيد.

الحجج

قال أبو علي من قرأ إنها لظى نزاعه للشوى فرفع نزاعه جاز في رفعه ما جاز في قولك هذا زيد منطلق و هذا بعلی شیخ و من نصب فعلى وجهين (أحدهما) أن يكون حالا (و الآخر) أن يحمل على فعل فحمله على الحال يبعد لأنه ليس في الكلام ما يعمل في الحال فإن قلت فإن في قوله «لظى» معنى التلظى و التلهب فإن ذلك لا يستقيم لأن لظى معرفه

لا- ينتصب عنها الأحوال ألا ترى أن ما استعمل استعمال الأسماء من اسم فاعل أو مصدر لم يعمل هذا النحو من حيث جرى مجرى الأسماء فبأن يعمل الاسم معرفه عمله أولى و يدللك على تعريف هذا الاسم و كونه علما أن التنوين لم يلحقه فإذا كان كذلك لم ينتصب الحال عنه فإن جعلتها مع تعريفها قد صارت معروفه بشده التلظى جاز أن تنصبه بهذا المعنى الحادث فى العلم و على هذا قوله تعالى وَ هُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ فِي الْأَرْضِ عُلِّقَتِ الظُّرُفُ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْأَسْمَاءُ مِنَ التَّيْبِيرِ وَ الْأَلطَافِ فَإِنْ عُلِّقَتِ الْحَالُ بِالْمَعْنَى الْحَادِثِ فِي الْعِلْمِ كَمَا عُلِّقَتِ الظُّرُفُ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْأَسْمَاءُ مِنَ التَّيْبِيرِ وَ الْأَلطَافِ لَأَنَّ الْحَالُ كَالظُّرْفِ فِي تَعَلُّقِهَا بِالْمَعْنَى كَتَعَلُّقِ الظُّرْفِ بِهِ وَ كَانَ وَجْهًا وَ إِنْ عُلِّقَتِ نَزَاعَهُ بِفِعْلٍ مَضْمَرٍ نَحْوَ أَعْيُنِهَا نَزَاعَهُ لِلشَّوَى لَمْ يَمْتَنِعْ أَيْضًا وَ أَمَا قَوْلُهُ لِأَمَانَتِهِمْ عَلَى الْإِفْرَادِ وَ إِنْ كَانَ مِضَافًا إِلَى جَمَاعَةٍ وَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَمَانَةٌ فَلِأَنَّهُ مَصْدَرٌ يَقَعُ عَلَى جَمِيعِ الْجِنْسِ وَ يَتَنَاوَلُهُ وَ مِنْ جَمْعِ فَلَاخْتِلَافِ الْأَمَانَاتِ وَ كَثْرَةِ ضُرُوبِهَا فَأَشْبِهَتْ بِذَلِكَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي لَيْسَتْ لِلجِنْسِ وَ الْقَوْلِ فِي الشَّهَادَةِ وَ الشَّهَادَاتِ مِثْلَ الْقَوْلِ فِي الْأَمَانَةِ وَ الْأَمَانَاتِ.

اللغة

المودة مشتركة بين التمنى و بين المحبة يقال وددت الشىء أى تمنيته و وددته أى أحببته أود فيهما جميعا و الافتداء افتداء الضرر عن الشىء ببدل منه و الفصيلى الجماعة المنقطعه عن جملة القبيلة برجوعها إلى أبوه خاصة عن أبوه عامه و لظى اسم من أسماء جهنم مأخوذه من التوقد و النزاعه الكثيره النزاع و هو اقتلاع عن شده ضم و الاقتلاع أخذ بشده اعتماد و الشوى جلده الرأس واحدها شواه قال الأعشى:

قالت قتيله ما له قد جللت شيبا شواته

و الشوى الأكارع و الأطراف و الشوى ما عدا المقاتل من كل حيوان يقال رماه فأشواه أى أصاب غير مقتله و رمى فأصمى أى أصاب المقتل و الشوى أيضا الخسيس من المال و الهلوع الشديد الحرص الشديد الجزع و الإشفاق رقه القلب عن تحمل ما يخاف من الأمور فإذا قسا قلب الإنسان بطل الإشفاق و العادى الخارج عن الحق يقال عدا فلان إذا اعتدى و عدا فى مشيه إذا أسرع و هو الأصل و العادى الظالم بالإسراع إلى الظلم.

الإعراب

يجوز أن يكون العامل فى الظرف من قوله يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهَيْلِ قوله «يُبَصَّرُونَهُمْ» و قوله «يَوَدُّ الْمُجْرِمُ» يجوز أن يكون استئناف كلام و يجوز أن يكون فى محل الجر

بدلاً من تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ. هلوفاً و منوعاً و جزوعاً منصوبه على الحال و التقدير خلق هلوفاً، جزوعاً إذا مسه الشر، منوعاً إذا مسه الخير و المصلين منصوب على الاستثناء و قوله «إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ» قيل أن على هذه محموله على المعنى و التقدير فإنهم يلامون على غير أزواجهم و يدل عليه قوله «فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ» عن الزجاج و قيل تقديره إلا من أزواجهم فيكون على بمعنى من.

المعنى

لما وصف سبحانه القيامة و أخبر أن الحميم فيه لا يسأل حميمه لشغله بنفسه قال «يُبَصَّرُونَهُمْ» أى يعرف الكفار بعضهم بعضاً ساعه ثم لا يتعارفون و يفر بعضهم من بعض عن ابن عباس و قتاده و قيل يعرفهم المؤمنون عن مجاهد أى يبصر المؤمن أعداءه على حالهم من العذاب فيشمت بهم و يسر و قيل يعرف أتباع الضلالة رؤساءهم و قيل إن الضمير يعود إلى الملائكة و قد تقدم ذكرهم أى يعرفهم الملائكة و يجعلون بصراء بهم فيسوقون فريقاً إلى الجنة و فريقاً إلى النار «يُودُّ الْمُجْرِمُ» أى يتمنى العاصى «لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمئِذٍ بِنَيْبِهِ» يتمنى سلامته من العذاب النازل به بإسلام كل كريم عليه من أولاده الذين هم أعز الناس عليه «وَ صَاحِبَتِهِ» أى زوجته التى كانت سكناً له و ربما آثرها على أبويه «وَ أَخِيهِ» الذى كان ناصر له و معيناً «وَ فَصِيْلَتِهِ» أى و عشيرته «الَّتِي تُؤْوِيهِ» فى الشدائد و تضمه و يأوى إليها فى النسب «وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً» أى و بجميع الخلائق يقول يود لو يفتدى بجميع هذه الأشياء «ثُمَّ يُنْجِيهِ» ذلك الفداء «كُلًّا» لا- ينجيه ذلك قال الزجاج كلا- ردع و تنبيه أى لا- يرجع أحد من هؤلاء فارتدعوا «إِنَّهَا لَطِي» يعنى أن نار جهنم أو القصة لظى نزاعه للشوى و سميت لظى لأنها تتلظى أى تشتعل و تلتهب على أهلها و قيل لظى اسم من أسماء جهنم و قيل هى الدرکه الثانية منها و هى «نَزَّاعَةٌ لِلشَّوَى» تنزع الأطراف فلا تترك لحماً و لا جلداً إلا أحرقتة عن مقاتل و قيل تنزع الجلد و أم الرأس عن ابن عباس و قيل تنزع الجلد و اللحم عن العظم عن الضحاك و قال الكلبي يعنى تأكل الدماغ كله ثم يعود كما كان و قال أبو صالح الشوى لحم الساق و قال سعيد بن جبیر العصب و العقب و قال أبو العاليه محاسن الوجه «تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلَّى» يعنى النار تدعو إلى نفسها من أدبر عن الإيمان و تولى عن طاعة الله و رسوله عن قتاده و المعنى أنه لا يفوت هذه النار كافر فكأنها تدعوه فيجيبها كرها و قيل إن الله تعالى ينطق النار حتى تدعوهم إليها و قيل معناه تدعو زبانيه النار من أدبر و تولى عن الحق فجعل ذلك سبحانه دعاء من النار عن الجبائي و قيل تدعو أى تعذب رواه المبرد عن الخليل قال يقال دعاك الله أى عذبك «وَ جَمَعَ» المال «فَأَوْعَى» أى أمسكه فى الوعاء فلم ينفقه فى طاعة الله فلم يؤد زكاه و لم يصل رحماً و قيل جمعه من باطل و منعه عن الحق

«إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا» أى ضجورا شحيحا جزوعا من الهلع و هو شده الحرص و قال أهل البيان تفسيره فيما بعده «إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَ إِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا» يعنى إذا أصابه الفقر لا- يحتسب لا- يصبر و إذا أصابه الغنى منعه من البر ثم استثنى سبحانه الموحدین المطيعین فقال «إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ» مستمرون على أدائها لا يخلون بها و لا يتركونها و

روى عن أبى جعفر (عليه السلام) أن هذا فى النوافل

و قوله «وَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ» فى الفرائض و الواجبات و قيل هم الذين لا يزيلون وجوههم عن سمت القبلة عن عقبه عن عامر و الزجاج «وَ الَّذِينَ فِي أُمُورِهِمْ حَقٌّ مِّمَّا لِّلنَّاسِ مِنَ الْمَحْرُومِ» يعنى الزكاه المفروضه و السائل الذى يسأل و المحروم الفقير الذى يتعفف و لا يسأل و قد سبق تفسيرها و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال الحق المعلوم ليس من الزكاه و هو الشىء الذى يخرج من مالك إن شئت كل جمعه و إن شئت كل يوم و لكل ذى فضل فضله

و

روى عنه أيضا أنه قال هو أن تصل القرابه و تعطى من حرمك و تصدق على من عاداك

«وَ الَّذِينَ يُصَيِّدُونَ يَوْمَ الدِّينِ» أى يؤمنون بأن يوم الجزاء و الحساب حق لا- يشكون فى ذلك «وَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ» أى خائفون «إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ» أى لا- يؤمن حلوله بمستحقه و هم العصاه و قيل معناه يخافون أن لا تقبل حسناتهم و يؤخذون بسيناتهم و قيل غير مأمون لأن المكلف لا يدرى هل أدى الواجب كما أمر به و هل انتهى عن المحظور على ما نهى عنه و لو قدرنا أن إنسانا يعلم ذلك من نفسه لكان آمنا «وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ» يعنى الذين يحفظون فروجهم عن المناكح على كل وجه و سبب إلا على الأزواج أو ملك الأيمان من الإماء «فَبِأَنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ» على ترك حفظ الفروج عنهم «فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ» فمن طلب وراء ما أباحه الله له من الفروج فأولئك هم الذين تعدوا حدود الله و خرجوا عما أباحه لهم و معنى وراء ذلك ما خرج عن حده من أى جهه كان «وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ رَاعُونَ» أى حافظون و الأمانه ما يؤتمن المرء عليه مثل الوصايا و الودائع و الحكومات و نحوها و قيل الأمانه الإيمان و ما أخذ الله عباده من التصديق بما أوجبه عليهم و العمل بما يجب عليهم العمل به «وَ الَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ» أى يقيمون الشهادات التى تلتزمهم إقامتها و الشهاده الإخبار بالشىء أنه على ما شاهدوه ذلك أنه قد يكون عن مشاهده للمخبر به و قد يكون عن مشاهده ما يدعو إليه «وَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ» أى يحفظون أوقاتها و أركانها فيؤدونها بتمامها و لا يضيعون شيئا منها و

روى محمد بن الفضيل عن أبى الحسن (عليه السلام) أنه قال أولئك أصحاب الخمسين صلاه من شيعتنا

و

روى زراره عن أبى جعفر (عليه السلام)

قال هذه الفريضة من صلاها لوقتها عارفا بحقتها لا يؤثر عليها غيرها كتب الله له بها براءة لا يعذبه و من صلاها لغير وقتها مؤثرا عليها غيرها فإن ذلك إليه إن شاء غفر له و إن شاء عذبه

و «أولئك» من وصفوا بهذه الصفات «في جنات» أي بساتين يجنهما الشجر «مُكْرَمُونَ» معظمون مبعجلون بما يفعل بهم من الثواب.

[سورة المعارج (٧٠): الآيات ٣٦ الى ٤٤]

إشارة

فَمَا لِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (٣٧) أَيْ طَمَعُ كُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٨) كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ (٣٩) فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠)

عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١) فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٤٢) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤)

القراءة

قرأ ابن عامر و حفص و سهل «إلى نُصْبٍ» بضمين و الباقون إلى نصب بفتح النون و سكون الصاد.

الحجج

قال أبو علي يجوز أن يكون نصب جمع نصب مثل سقف و سقف و ورد و من ثقل فقال نصب كان بمنزلة أسد و يمكن أن يكون النصب و النصب لغتين كالضعف و الضعف و ما أشبه ذلك و يكون الثقيل كشغل و شغل و طنب و طنب.

اللغة

قال الزجاج المهطع المقبل ببصره على الشيء لا يزايله و ذلك من نظر العدو و قال أبو عبيدة الإهطاع الإسراع و عزين جماعات في تفرقه واحدهم عزه و إنما جمع بالواو و النون لأنه عوض مثل سنه و سنون و أصل عزه عزوه من عزاه يعزوه إذا أضافه إلى غيره فكل جماعه من هذه الجماعات مضافه إلى الأخرى.

قال الراعى:

أخليفه الرحمن إن عشيرتى أمسى سوامهم عزيزن فلولا

و قال عنتره:

و قرن قد تركت لدى مكر عليه الطير كالعصب العزينا

و قيل إن المحذوف من عزه هاء و الأصل عزهه و هو من العزهاه و هو المنقبض عن النساء و عن اللهو معهن قال الأحوص:

إذا كنت عزهاه عن اللهو و الصبى فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا

و

عن أبى هريره قال خرج النبى ص على أصحابه و هم حلق حلق متفرقون فقال ما لى أراكم عزيزن

و الأجدات القبور واحدها جدث و جدف بمعناه و الإيفاض الإسراع و النصب الصنم الذى كانوا يعبدونه قال الأعشى:

و ذا النصب المنسوب لا تنسكنه لعاقبه و الله ربك فاعبدا

. الإعراب

«فَمَا لِ الَّذِينَ كَفَرُوا» ما رفع بالابتداء و اللام خبره و فيه ضميره و قبلك فى موضع الحال من كفروا أو من المجرور على تقدير
فما لهم ثابتين قبلك و مهطعين حال من الضمير فى قبلك و يجوز فى قبلك أن يكون ظرفا للأم و أن يكون ظرفا لمهطعين و
يجوز أن يكون مهطعين حالا- بعد حال و عن اليمين يتعلق به و عزيزن حال بعد حال و يجوز أن يتعلق عن اليمين بعزيرن و معناه
مجتمعين عن اليمين و عن الشمال. «كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ» جملة منصوبه الموضع على الحال من قوله «سِرَاعاً» «خَاشِعَةً
أَبْصَارُهُمْ» حال من الضمير فى يوفضون.

المعنى

ثم قال سبحانه على وجه الإنكار على الكفار «فَمَا لِ الَّذِينَ كَفَرُوا» يعنى

ص: ١١٤

أى شىء للذين كفروا بتوحيد الله أى ما بالهم و ما حملهم على ما فعلوا «قَبْلَكَ» أى عندك يا محمد «مُهْطِعِينَ» مسرعين إليك عن أبى عبیده و قيل متطوعين عن الحسن و قيل مقبلين عنك بوجههم لا- يلتفتون عنك أى ناظرين إليك بالعداوة و المراد بالذين كفروا هنا المنافقون «عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشَّمَالِ» أى عن يمينك و عن شمالك «عَزِينَ» أى جماعات متفرقين عصبه عصبه و جماعه جماعه «أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ» أى من هؤلاء المنافقين ب «أَنْ يُدْخَلَ جَنَّهَ نَعِيمٍ» كما يدخل أولئك الموصوفون قبل هذا و إنما قال هذا لأنهم كانوا يقولون إن كان الأمر على ما قال محمد فإن لنا فى الآخرة عند الله أفضل مما للمؤمنين كما أعطانا فى الدنيا أفضل مما أعطاهم «كَلَّا» أى لا يكون و لا يدخلونها «إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ» أى من النطفه عن الحسن أى من كان أصله من هذا الماء المهين فكيف استوجب الجنة بأصله و بنفسه إنما يستوجبها بالأعمال الصالحه نبه سبحانه بهذا على أن الناس كلهم من أصل واحد و إنما يتفاضلون بالإيمان و الطاعه و تحقيقه إنما خلقناهم من المقاذر و الأنجاس فمتى يدخلون الجنة و لم يؤمنوا بى و لم يصدقوا رسولى و قيل معناه خلقناهم من الجنس الذين يعلمون أو من الخلق الذين يعلمون و يفقهون و يلزمهم الحجه و لم نخلقهم من الجنس الذى لا- يفقه كالبهائم و الطير و قيل معناه خلقناهم من أجل ما يعلمون من الثواب و العقاب و التكليف للطاعات تعريضا للثواب كما يقول القائل غضبت عليك مما تعلم أى من أجل ما تعلم قال الأعشى:

أأزمت من آل ليلي ابتكارا و شطت على ذى هوى أن تزارا

أى من أجل آل ليلي و دل قوله و شطت على ذى هوى أنه لم يزعم من عندهم و إنما أزمع من أجلهم للمصير إليهم «فَلَا أُقْسِمُ» هو مفسر فى سورة الحاقه «بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَ الْمَغَارِبِ» يعنى مشارق الشمس و مغاربها فإن لها ثلاثمائة و ستين مطالعا لكل يوم مطلع لا تعود إليه إلى قابل عن ابن عباس «إِنَّا لَفَادِرُونَ عَلَى أَنْ نُبَدَّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ» هذا جواب

القسم يعنى أنا نقدر على أن نهلكهم و نأتى بدلهم بقوم آخرين خيرا منهم «وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ» هذا عطف على جواب القسم أى و إن هؤلاء الكفار لا يفوتون بأن يتقدموا على وجه يمنع لحاق العذاب بهم فإنهم لم يكونوا سابقين و لا العقاب مسبوqa منهم و التقدير و ما نحن بمسبوقين يفوت عقابنا إياهم فإنهم لو سبقوا عقابنا لسبقونا و قيل معناه و ما نحن بمغلوبين عن أبى مسلم «فَعَذَرُهمْ يَخُوضُوا» فى باطلهم «وَيَلْعَبُوا» فإن وبال ذلك عائد عليهم «حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ» يعنى يوم القيامة «يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ» أى القبور «سِرَاعًا» مسرعين لشده السوق «كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ» أى كأنهم يسعون و يسرعون إلى علم نصب لهم عن الجبائى و أبى مسلم و قيل كأنهم إلى أوثانهم يسعون للتقرب إليها عن ابن عباس و قتاده «خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ» أى ذليله خاضعه لا يستطيعون النظر من هول ذلك اليوم «تَرَهَقْتُهُمْ ذَلَّةً» أى تغشاهم مذله «ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي» وصفه اليوم الذى «كَانُوا يُوعَدُونَ» به دار التكليف فلا يصدقون به و يجحدونه قد شاهدوه فى تلك الحال.

(٧١) سورة نوح مكيه و آياتها ثمان و عشرون (٢٨)

اشاره

عدد آياتها

ثمان و عشرون آيه كوفى تسع بصرى شامى ثلاثون فى الباقيين.

اختلافها

أربع آيات سُوعاً فَأَدْخِلُوا نَاراً كلاهما غير الكوفى وَ نَشراً كوفى و المدنى الأخير أَضَلُّوا كَثِيراً مكى و المدنى الأول.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدرکہم دعوه نوح

أبو عبد الله (عليه السلام) قال من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر و يقرأ كتابه فلا يدع أن يقرأ سورة إنا أرسلنا نوحاً فأى عبد قرأها محتسباً صابراً فى فريضه أو نافله أسكنه الله مساكن الأبرار و أعطاه ثلاث جنان مع جنته كرامه من الله و زوجته مائتى حوراء و أربعه آلاف ثيب إن شاء الله تعالى.

تفسيرها

لما ختم سبحانه تلك السوره بوعيد أهل التكذيب افتتح هذه السوره بذكر قصه نوح و قومه و ما نالهم بالتكذيب تسليه للنبي ص فقال:

ص: ١١٧

أشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢) أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ وَ أَطِيعُوا (٣) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ يُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤)

قال رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَ نَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (٦) وَ إِنِّي كَلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَ اسْتَعْصَمُوا ثِيَابَهُمْ وَ أَصْرُوا وَ اسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَ اسْتَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩)

فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَ يُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَيْنَ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَ قَدْ خَلَقْكُمْ أَطْوَارًا (١٤)

اللغة

الاستغشاء طلب التغشى و الإصرار الإقامه على الأمر بالعزيمة عليه و المدرار الكثير الدرور بالغيث و المطر و الأمداد إلحاق الثانى بالأول على النظام حالا بعد حال يقال أمده بكذا و مد النهر نهر آخر و الأموال جمع المال و هو عند العرب النعم و أصل الوقار الثبوت و ما به يكون الشىء عظيما من الحلم الذى يمتنع معه الخرق و الرجاء بمعنى الخوف قال أبو ذؤيب:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها و خالفها فى بيت نوب عواسل.

الإعراب

«أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ» فى موضع نصب بأرسلنا لأن الأصل بأن أنذر قومك فلما سقطت الباء أفضى الفعل و قيل إن موضعه جر و إن سقطت الباء و قد تقدم بيانه و يجوز أن يكون أن هذه المفسره بمعنى أى. و جهارا مصدر وضع موضع الحال أى دعوتهم مجاهرا لهم بالدعاء إلى التوحيد و قوله «مِدْرَارًا» نصب على الحال. لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا» جمله فى موضع الحال أيضا و العامل فى الحال ما فى لكم فى معنى الفعل. وقارا منصوب بأنه مفعول ترجون.

أخبر سبحانه عن نفسه فقال «إِنَّا أَرْسَلْنَا» أى بعثنا «نُوحًا» رسولا «إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» معناه أرسلنا لينذرهم بالعذاب إن لم يؤمنوا قال الحسن أمره أن ينذرهم عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة ثم حكى أن نوحا امتثل ما أمر الله سبحانه به بأن قال «قَالَ يَا قَوْمِ» أضافهم إلى نفسه فكأنه قال أنتم عشيرتى يسوؤنى ما يسوؤكم «إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ» أى مخوف مبين وجوه الأدله فى الوعيد و بيان الدين و التوحيد «أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ» أى اعبدوا الله وحده و لا تشركوا به شيئا و اتقوا معاصيه «وَ أَطِيعُوا» فيما أمركم به لأن طاعتى مقرونه بطاعه الله و طاعه الله واجبه عليكم لمكان نعمه السابقه التى لا توازيها نعمه منعم «يَعْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ» أى فإنكم إن فعلتم ذلك يغفر لكم ذنوبكم و من مزیده و قيل إن من هاهنا للتبعض و المعنى يغفر لكم ذنوبكم السالفه و هى بعض الذنوب التى تضاف إليكم و لما كانت ذنوبهم التى يستأنفونها لا يجوز الوعد بغفرانها على الإطلاق لما يكون فى ذلك من الإغراء بالقبيح قيد سبحانه هذا التقييد «وَ يُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى» و فى هذا دلالة على ثبوت أجلين كأنه شرط فى الوعد بالأجل المسمى عباده الله و التقوى فلما لم يقع ذلك منهم اقتطعوا بعذاب الاستيصال قبل الأجل الأقصى بالأجل الأدنى ثم قال «إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ» يعنى الأقصى «إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» صححه ذلك و تؤمنون به قال الحسن يعنى بأجل الله يوم القيامة جعله أجلا للبعث و يجوز أن يكون هذا حكاية عن قول نوح (عليه السلام) لقومه أن يكون إخبارا منه سبحانه عن نفسه «قَالَ» نوح «رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَ نَهَارًا» إلى عبادتك و خلع الأنداد من دونك و إلى الإقرار بنبوتى «فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا» أى لم يزدادوا بدعائى إياهم إلا فرارا من قبوله و نفارا منه و إدبارا عنه و إنما سمي كفرهم عند دعائه زياده فى الكفر لأنهم كانوا على كفر و ضلال فلما دعاهم نوح (عليه السلام) إلى الإقلاع عن ذلك و الإقرار به و لم يقبلوه فكفروا بذلك كان ذلك زياده فى الكفر لأن الزيادة هى إضافة الشىء إلى مقدار قد كان حاصلًا و لو حصلًا جميعا فى وقت واحد لم يكن لأحدهما زياده على الآخر «وَ إِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ إِلَى إِخْلَاصِ عِبَادَتِكَ لِتَغْفِرَ لَهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ «جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ» لثلا- يسمعون كلامى و دعائى «وَ اسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ» أى غطوا بها وجوههم لثلا يرونى «وَ أَصْرُوا» أى داموا على كفرهم «وَ اسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا» أى تكبروا و أنفوا عن قبول الحق و الإصرار الإقامه على الأمر بالعزيمه عليه فلما كانوا عازمين على الكفر كانوا مصرين و قيل إن الرجل منهم كان يذهب بانه إلى نوح فيقول له احذر هذا لا يغوينك فإن أبى قد ذهب بى إليه و أنا مثلك فحذرنى مثل ما حذرتك عن قتاده «ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا» أى بأعلى صوتى عن ابن عباس و قيل مجاهره

يرى بعضهم بعضاً أى ظاهراً غير خفى «ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا» أى دعوتهم فى العلانية و فى السر و قيل معناه
 إني أعلنت جماعه بالدعوه و أسررت جماعه ثم أعلنت للذين أسررت و أسررت للذين أعلنت لهم و معناه إني سلكت معهم فى
 الدعوه كل مذهب و تلطفت لهم فى ذلك غاية التلطف فلم يجيبوا «فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ» أى اطلبوا منه المغفره على كفركم و
 معاصيكم «إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا» لكل من طلب منه المغفره فمتى رجعتم عن كفركم و أطعتموه «يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا» أى
 كثيره الدرور بالغيث و قيل إنهم كانوا قد قحطوا و أسنتوا و هلكت أموالهم و أولادهم فلذلك رغبهم فى رد ذلك بالاستغفار مع
 الإيمان و الرجوع إلى الله قال الشعبى قحط المطر على عهد عمر بن الخطاب فصعد المنبر ليستسقى فلم يذكر إلا الاستغفار حتى
 نزل فلما نزل قيل له ما سمعناك استسقيت قال لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء التى بها يستنزل القطر ثم قرأ هذه الآية «وَ
 يُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَيْنٍ» أى يكثر أموالكم و أولادكم المذكور عن عطا «وَ يَجْعَلُ لَكُمْ جَنَاتٍ» أى بساتين فى الدنيا «وَ يَجْعَلُ لَكُمْ
 أَنْهَارًا» تسقون بها جناتكم قال قتاده علم نبي الله نوح أنهم كانوا أهل حرص على الدنيا فقال هلموا إلى طاعه الله فإن فيها درك
 الدنيا و الآخرة و روى الربيع بن صبيح أن رجلاً أتى الحسن فشكا إليه الجدوبه فقال له الحسن استغفر الله و أتاه آخر فشكا إليه
 الفقر فقال له استغفر الله و أتاه آخر فقال ادع الله أن يرزقنى ابنا فقال له استغفر الله فقلنا أتاك رجال يشكون أبوابا و يسألون
 أنواعا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فقال ما قلت ذلك من ذات نفسى إنما اعتبرت فيه قول الله تعالى حكاية عن نبيه نوح إنه قال
 لقومه «اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا» إلى آخره و

روى على بن مهزيار عن حماد بن عيسى عن محمد بن يوسف عن أبيه قال سأل رجل أبا جعفر (عليه السلام) و أنا عنده فقال له
 جعلت فداك إني كثير المال و ليس يولد لى ولد فهل من حيله قال نعم استغفر ربك سنة فى آخر الليل مائه مره فإن ضيقت
 ذلك بالليل فاقضه بالنهار فإن الله يقول «اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ» إلى آخره

ثم قال نوح (عليه السلام) لهم على وجه التبكيت «مَا لَكُمْ» معاشر الكفار «لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا» أى لا تخافون الله عظمه فالوقار
 العظمه اسم من التوقير و هو التعظيم و الرجاء الخوف هنا و المعنى لا تعظمون الله حق عظمته فتوحدوه و تطيعوه عن ابن عباس و
 مجاهد و قيل معناه ما لكم لا ترجون لله

عاقبه عن قتاده أى لا- تطمعون فى عاقبه لعظمه الله تعالى و قيل معناه ما لكم لا تخافون الله عذابا و لا ترجون منه ثوابا فى روايه
أخرى عن ابن عباس و قيل معناه ما لكم لا ترجون الله عاقبه الإيمان و توحيدون الله عن الزجاج و قيل معناه ما لكم لا تعتقدون الله
إثباتا عن أبى مسلم «وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا» أى خلقكم طورا نطفه ثم طورا علقه ثم مضغه ثم عظاما ثم كسا العظام لحما ثم أنشأه
خلقا آخر نبت له الشعر و كمل له الصورة عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و قيل أطوارا أحوالا حالا بعد حال و قيل معناه صيانا
ثم شبانا ثم شيوخا و قيل خلقكم مختلفين فى الصفات أغنياء و فقراء و زمنا و أصحاء و طولالا و قصارا و الآيه محتمله للجميع.

ص: ١٢١

إشارة

أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦) وَاللَّهُ أُنْتَبِذَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩)

لِتَسْأَلُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (٢٠) قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢) وَقَالُوا لَا تَنْزِرَنَّ آيَاتِكُمْ وَلَا تَنْزِرَنَّ وَدًّا وَلَا سَوْعَاءً وَلَا يَعْوَجُ وَيَعْوَجُ وَنَسِيرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَالًّا (٢٤)

مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا (٢٥) وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (٢٨)

القراءة

قرأ أهل المدينة ودا بالضم والباقون بالفتح وقرأ أبو عمرو مما خطاياهم والباقون «مِمَّا خَطَبْتَهُمْ» بالتاء والمد والهمزة وقد ذكرنا الاختلاف في ولده في سورة مريم (عليه السلام).

الحجج

قال أبو عبيد زعموا أن ودا كان صنم لهذا الحي من كلب و حكاه بالفتح قال و سمعت قول الشاعر:

فحياك ود ما هداك لفتيه و خوص بأعلى ذى طواله هجد

و قال أبو الحسن ضم أهل المدينة الواو و عسى أن يكون لغه فى اسم الصنم و سمعت هذا البيت:

حياك ودا فإننا لا يحل لنا لهو النساء و أن الدين قد عزما

الواو مضمومه و خطاياهم جمع التكسير و خطيئات جمع التصحيح و ما زائده كالتى فى قوله فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ و قوله فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ*.

اللغة

الفجاج الطرق المتسعة المتفرقة واحدها فج و قيل الفج المسلك بين جبلين و السواع هنا صنم و فى غيره الساعه من الليل و مثله السعواء و الكبار الكبير جدا يقال كبير ثم كبار ثم كبار و مثله عجيب و عجاب و عجاب و حسن و حسان و حسان و

روى أن أعرابيا سمع النبي ص يقرأ «وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا» فقال ما أفصح ربك يا محمد

و هذا من جفاء الأعراب لأن الله تعالى سبحانه لا يوصف بالفصاحة و ديارا فيعال من الدوران و نحوه القيام و الأصل قيوام و ديوار فقلبت الواو ياء و أدغمت إحداهما فى الأخرى قال الزجاج يقال ما بالدار ديار أى ما بها أحد يدور فى الأرض قال الشاعر:

ص: ١٢٢

و ما نبالى إذا ما كنت جارتنا أن لا يجاورنا إلاك ديار

فجعل المتصل موضع المنفصل ضروره.

الإعراب

طباقا منصوبا على أحد وجهين أن يكون على تقدير خلقهن طباقا و أن يكون نعنا لسبع أى سبع سماوات ذات طباق نباتا مصدر فعل محذوف تقديره أنبتكم فنبتم نباتا و قال الزجاج هو محمول على المعنى لأن معنى أنبتكم جعلكم تنبتون نباتا و ما من قوله «مِمَّا حَطِيبَاتِهِمْ» مزيده لتأكيد الكلام.

المعنى

ثم خاطب سبحانه المكلفين منبها لهم على توحيده فقال «أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا» أى واحده فوق الأخرى كالقباب «وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا» قيل فيه وجوه (أحدها) أن المعنى و جعل القمر نورا فى السماوات و الأرض عن ابن عباس قال يضىء ظهره لما يليه من السماوات و يضىء وجهه لأهل الأرض و كذلك الشمس (و ثانيها) أن معنى فيهن معهن يعنى و جعل القمر معهن أى مع خلق السماوات نورا لأهل الأرض (و ثالثها) أن معنى فيهن فى حيزهن و إن كان فى واحده منها كما تقول أتيت بنى تميم و إنما أتيت بعضهم «وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا» أى مصباحا يضىء لأهل الأرض كما كانت الشمس جعل فيها النور للاستضاءه به كانت سراجا فهى سراج العالم كما أن المصباح سراج الإنسان «وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا» يعنى مبتدأ خلق آدم و آدم خلق من الأرض و الناس ولده و هذا كقوله «وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَ نِسَاءً» و قيل معناه أنه أنشأ جميع الخلق باغتذاء ما تنبتة الأرض و نما فيها و قيل معناه أنبتكم من الأرض بالكبر بعد الصغر و بالطول بعد القصر «ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا» أى فى الأرض أمواتا «وَيُخْرِجُكُمْ» منها عند البعث أحياء «إِخْرَاجًا» و إنما ذكر المصدر تأكيدا «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا» أى مبسوطة ليتمكنكم المشى عليها و الاستقرار فيها ثم بين أنه إنما جعلها كذلك «لِتَسِيلُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا» أى طرقا واسعها و قيل طرقا مختلفه عن ابن عباس و قيل سبلا فى الصحارى و فجاجا فى الجبال و إنما عدد سبحانه هذه الضروب من النعم امتنانا على خلقه و تنبيها لهم على استحقاها للعباده خالصه من كل شرك و دلالة لهم على أنه عالم بمصالحهم و مدبر لهم على ما تقتضيه الحكمة فيجب أن لا يقابلوا هذه النعم الجليله بالكفر و الجحود ثم عاد سبحانه إلى ذكر نوح (عليه السلام) بقوله «قَالَ نُوحٌ» على سبيل الدعاء «رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي» فيما أمرتهم به و نهيتهم عنه يعنى قومه «وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَ وَّلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا» أى و اتبعوا أغنياء

قومهم اغترارا بما آتاهم الله من المال و الولد فقالوا لو كان هذا رسولا لله لكان له ثروه و غنى و قرئ «وَلَمُدَّهُ» و ولده بالضم و الفتح فالولد الجماعه من الأولاد و الولد الواحد و قيل هما سواء و الخسار الهلاك بذهاب رأس المال و قيل إن معناه اتبع الفقراء و السفله الرؤساء الذين لم يزددهم كثره المال و الأولاد إلا هلاكاً في الدنيا و عقوبه في الآخرة «وَمَكَّرُوا» في دين الله «مَكْرًا كُبْرًا» أى كبيراً عظيماً عن الحسن و قيل معناه قالوا قولاً عظيماً عن ابن عباس و قيل اجترءوا على الله و كذبوا رسله عن الضحاك و قيل مكرهم تحريشهم سفلتهم على قتل نوح (عليه السلام) «وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ آلِهَتَكُمْ» أى لا تتركوا عباده أصنامكم ثم خصوا أصناما لهم معروفه بعد دخولها في الجمله الأولى تعظيماً لها فقالوا «لَا تَدْرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسِيرًا» و هذه أسماء أصنام كانوا يعبدونها ثم عبدتها العرب فيما بعد عن ابن عباس و قتاده و قيل إن هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم و نوح (عليه السلام) فنشأ قوم بعدهم يأخذون أخذهم في العباده فقال لهم إبليس لو صورتم صورهم كان أنشط لكم و أشوق إلى العباده ففعلوا فنشأ بعدهم قوم فقال لهم إبليس إن الذين كانوا قبلكم كانوا يعبدونهم فعبدوهم فمبدأ عباده الأوثان كان ذلك الوقت عن محمد بن كعب و قيل كان نوح يحرس جسد آدم على جبل بالهند و يحول بينه و بين الكفار لئلا يطوفوا بقبره فقال لهم إبليس إن هؤلاء يفخرون عليكم و يزعمون أنهم بنو آدم دونكم و إنما هو جسد و أنا أصور لكم مثله تطيفون به فنحت خمسه أصنام و حملهم على عبادتها و هى ود و سواع و يعوق و يغوث و نسر فلما كان أيام الغرق دفن الطوفان تلك الأصنام و طمها التراب فلم تزل مدفونه حتى أخرجها الشيطان لمشركى العرب فاتخذت قضاعه ودا فعبدوها بدومه الجندل ثم توارثها بنوه الأكبر فالأكابر حتى صارت إلى كلب فجاء الإسلام و هو عندهم و أخذ بطنان من طى يغوث فذهبوا به إلى مراد فعبدوه زمنا ثم أن بنى ناجيه أرادوا أن يتزعوه منهم ففروا به إلى بنى الحرث بن كعب و أما يعوق فكان لكهلان ثم توارثه بنوه الأكبر فالأكابر حتى صار إلى همدان و أما نسر فكان لختعم يعبدونه و أما سواع فكان لآل ذى الكلاع يعبدونه عن ابن عباس و قيل إن أوثان قوم نوح صارت إلى العرب فكانت ود بدومه الجندل و سواع برهاط لهذيل و كان يغوث لبنى غطيف من مراد و كان يعوق لهمدان و كان نسر لآل ذى الكلاع من حمير و كان اللات لثقيف و أما العزى فلسليم و غطفان و جشم و نضر و سعد بن بكر و أما مناه فكانت لفديد و أما إساف و نائله و هبل فلاهل مكه و كان إساف حيال الحجر الأسود و كانت نائله حيال الركن اليماني و كان هبل فى جوف الكعبه

ثمانية عشر ذراعاً عن عطا و قتاده و الشمالي و قال الواقدي كان ود على صورة رجل و سواع على صورة امرأه و يغوث على صورة أسد و يعوق على صورة فرس و نسر على صورة نسر من الطير «وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا» أى ضلّ عبادتها و بسببها كثير من الناس نظيره رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّوا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ و قيل معناه و قد أضلّ كبراًؤهم كثيراً من الناس عن مقاتل و أبى مسلم و على هذا فإن الضمير فى أضلوا يعود إلى أكبر قوم نوح «وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا» أى هلاكاً كما فى قوله «إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَ سُعْرٍ» و قيل إلا- فتنه بالمال و الولد و قيل إلا ذهاباً عن الجنة و الثواب قال البلخى لا تزدهم إلا منعا من الطاعات عقوبه لهم على كفرهم فإنهم إذا ضلوا استحقوا منع الألفاظ التى تفعل بالمؤمنين فيطيعون عندها و يمتثلون و لا يجوز أن يفعل بهم الضلال عن الحق و الإيمان لأن ذلك لا يجوز فى صفه الحكيم تعالى الله عن ذلك «مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أُغْرِقُوا» أى من خطيئاتهم و ما مزيده و التقدير من أجل ما ارتكبه من الخطايا و الكبائر «أُغْرِقُوا» على وجه العقوبه «فَأَدْخَلُوا نَارًا» بعد ذلك ليعاقبوا فيها «فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا» أى لم يجدوا أحداً يمنعهم من عذاب الله و إنما أتى سبحانه بألفاظ المضى على معنى الاستقبال لصدق الوعد به و قال الضحّاك أغرقوا فادخلوا ناراً فى الدنيا فى حاله واحده كانوا يغرقون من جانب و يحترقون فى النار من جانب و أنشد ابن الأنبارى:

الخلق مجتمع طورا و مفترق و الحادثات فنون ذات أطوار

لا تعجبن لأضداد إذا اجتمعت فالله يجمع بين الماء و النار

«وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا» أى نازل دار يعنى لا تدع منهم أحداً إلا أهلكته قال قتاده ما دعا بهذا عليهم إلا بعد أن أنزل عليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلذلك قال «إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ» أى إن تركهم و لم تهلكهم يضلوا عبادك عن الدين بالإغواء و الدعاء إلى خلافه «وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا» و إلا فلم يعلم نوح الغيب و إنما قال ذلك بعد أن أعلمه الله إياه و المعنى و لا يلدوا إلا من يكون عند بلوغه كافراً لأنه لا يذم على الكفر من لم يقع منه فعل الكفر و قال مقاتل و الربيع و عطاء إنما قال ذلك نوح (عليه السلام) لأن الله تعالى أخرج من أصلابهم كل من يكون مؤمناً و أعقم أرحام نسائهم و أبيض أصلاب رجالهم قبل العذاب بأربعين سنة و أخبر الله تعالى نوحاً بأنهم لا يؤمنون و لا يلدون مؤمناً فحينئذ دعا عليهم فأجاب الله دعاه فأهلكهم كلهم و لم يكن فيهم صبى وقت العذاب ثم دعا لنفسه و للمؤمنين و المؤمنات فقال «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِرِجَالِي»

و اسم أبيه لمك بن متوشلخ و اسم أمه سمحاء بنت أنوش و كانا مؤمنين و قيل يريد آدم و حواء «وَلَمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا» أى دخل دارى و قيل مسجدى عن الضحاك و قيل سفينتى و قيل يريد بيت محمد ص «وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ» عامه و قيل من أمه محمد ص عن الكلبي «وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا» أى هلاكاً و دماراً قال أهل التحقيق دعا نوح (عليه السلام) دعوتين دعوه على الكافرين و دعوه للمؤمنين فاستجاب الله دعوته على الكافرين فأهلك من كان منهم على وجه الأرض و نرجو أن يستجيب أيضاً دعوته للمؤمنين فيغفر لهم.

ص: ١٢٦

(٧٢) سورة الجن مكيه و آياتها ثمان و عشرون (٢٨)

اشاره

[توضيح]

و هي ثمان و عشرون آيه

فضلها

أبي بن كعب عن النبي ص قال و من قرأ سورة الجن أعطى بعدد كل جنى و شيطان صدق بمحمد و كذب به عتق رقبه.
حنان بن سدير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال من أكثر قراءة قل أوحى لم يصبه في حياه الدنيا شىء من أعين الجن و لا من نفثهم و لا من سحرهم و لا من كيدهم و كان مع محمد ص فيقول يا رب لا أريد بهم بدلا و لا أريد بدرجتى حولا.

تفسيرها

لما تقدم في سورة نوح (عليه السلام) أتباع قومه أكابرهم افتتح سبحانه في هذه السوره اتباع الجن نبينا ص ليعلم الفرق بين من ربحت صفقته و بين من خسرت بيعته فقال:

ص: ١٢٧

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤)

وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧) وَأَنَا لَمَشِينَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (٩)

وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠)

القراءة

قرأ أبو جعفر «قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ» بفتح الألف و لم يختلفوا فيه ثم قرأ في الآية الثالثة و «أَنَّهُ تَعَالَى» بالفتح و في الرابعة «وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ» بالفتح و في السادسة «وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ» بالفتح و يقرأ ما سواها بالكسر إلا قوله «وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا» و «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ» و «وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ» فإنه يقرأ هذه الثلاثة بالفتح و قال الرواه عنه ما كان مردودا على الوحي فهو أنه بالفتح و ما كان من قول الجن فهو بالكسر و هذا قول غير مستقيم على قراءته و يمكن أن يكون قد وقع خلل في روايته و قرأ ابن عامر و أهل الكوفة غير أبي بكر بالفتح من قوله أنه تعالى إلى قوله و أنا منا المسلمون و قرأ الباقرن كله بالكسر إلا قوله «وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا» و «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ» فإنهما بالفتح لم يختلفوا فيه و قرأ نافع و عاصم بروايه أبي بكر و إنه لما قام بالكسر و الباقرن بالفتح و قرأ يعقوب أن لن تقول بتشديد الواو و فتحها و فتح القاف و روى ذلك عن الجحدري و الحسن و الباقرن «أَنْ لَنْ تَقُولَ» بالتخفيف و في الشواذ قراءه جويه بن عابد قل أحى إلى على وزن فعل.

الحججه

قال أبو على أما قوله «أَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا» فإنه يجوز فيه أمران (أحدهما) أن تكون أن المخففه من الثقيله فيكون محمولا على الوحي كأنه أوحى إلى أن لو استقاموا و فصل لو بينها و بين الفعل كفصل السين و لا في قوله «أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ» و عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ (و الآخر) أن يكون أن قبل لو بمنزله اللام في قوله «لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُؤْمِنُونَ» إلى قوله «لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ» و قوله «لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبَّنَا وَ يَعْفُرْ لَنَا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» فتلحق مره و تسقط أخرى لأن لو بمنزله فعل الشرط فكما لحقت اللام زائده قبل أن الداخلة على الشرط كذلك لحقت أن هذه قبل لو و معنى أَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ قد قيل فيه قولان (أحدهما) لو استقاموا على طريقه الهدى (و الآخر) لو استقاموا على الطريقه الكفر

و يستدل على القول الأول بقوله تعالى «وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ» و قوله «وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ» و يستدل على الآخر بقوله تعالى «وَ لَوْ لَا أَنَّ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْتِيَهُمْ سُقُوطًا مِنْ فَضْلِهِ» " و أما " قوله «وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ» فزعم سيبويه أن المفسرين حملوه على أوحى كأنه و أوحى إلى أن المساجد لله و مذهب الخليل أنه على قوله و لأن المساجد لله فلا تدعوا كما أن قوله «إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ» * على قوله و لأن هذه أمتكم أمه واحده و أنا ربكم فاعبدون أى لهذا فاعبدون و مثله فى قول الخليل لِيَلْفِ قُرَيْشٍ كَأَنَّهُ قَالَ لِهَذَا فَلْيَعْبُدُوا قَالَ سِبْيُوِيَهْ وَ لَوْ قَرَأَ وَ إِنْ الْمَسَاجِدَ بِالْكَسْرِ لَكَانَ جَيِّدًا فَأَمَّا قَوْلُهُ «وَ أَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ» فإنه على «أَوْحَى إِلَيَّ» و يكون أن يقطع من قوله «أَوْحَى» و يستأنف به كما جوز سيبويه القطع من أوحى فى قوله و إن المساجد لله و على هذا يحمل قراءه من كسر إن من قوله «وَ أَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ» و من قرأ كل ذلك بالفتح فإنه للحمل على أوحى و يجوز أن يكون على غيره كما حمل المفسرون وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ عَلَى الْوَحْيِ وَ حَمَلَهُ الْخَلِيلُ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ عَنْهُ فَأَمَّا مَا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ بَعْدَ قَوْلِ فَحَكَايَهْ كَمَا حَكَى قَوْلُهُ «قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزَّلُهَا عَلَيْكُمْ» و كذلك ما بعد فاء الجزاء لأن ما بعد فاء الجزاء موضع ابتداء و لذلك حمل سيبويه وَ مَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَ مَنْ كَفَرَ فَأَمْتَعُهُ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ عَلَى أَنْ الْإِبْتِدَاءَ فِيهَا مَضْمَرٌ وَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ وَ مَنْ قَرَأَ لَنْ تَقُولَ فَيَكُونُ قَوْلُهُ «كَذِبًا» مَنْصُوبًا عَلَى الْمَصْدَرِ مِنْ غَيْرِ حَذْفِ مَوْصُوفٍ وَ ذَلِكَ أَنْ لَنْ تَقُولَ فَيَعْنَى تَكْذِبَ فَجَرَى مَجْرَى تَبَسَّمْتَ وَ مِیْضَ الْبَرْقِ فَإِنَّهُ مَنْصُوبٌ بِفِعْلِ مَضْمَرٍ دَلَّ عَلَيْهِ تَبَسَّمْتَ أَى أَوْ مَضَتْ فَكَأَنَّهُ قَالَ إِنْ لَنْ تَكْذِبَ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا قَالَ ابْنُ جَنِى وَ مَنْ رَأَى أَنْ يَنْتَضِبَ وَ مِیْضَ الْبَرْقِ بِنَفْسٍ تَبَسَّمْتَ لِأَنَّهُ فِى مَعْنَى أَوْ مَضَتْ أَيْضًا كَذِبًا بِنَفْسٍ تَقُولُ لِأَنَّهُ بِمَعْنَى كَذِبٍ وَ مَنْ قَرَأَ «أَنْ لَنْ تَقُولَ» عَلَى وَزْنِ تَقُولُ فَإِنْ كَذَبَا وَصَفَ مَصْدَرَ مَحْذُوفٍ أَى قَوْلًا كَذِبًا فَكَذِبَا هَاهُنَا وَصَفَ لَا مَصْدَرَ كَمَا فِى قَوْلِهِ «وَ جَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ» أَى كَاذِبٍ فَإِنْ جَعَلْتَهُ هَاهُنَا مَصْدَرًا نَصَبْتَهُ نَصْبَ الْمَفْعُولِ بِهِ أَى لَنْ تَقُولَ كَذِبًا كَقَوْلِكَ قَلْتَ حَقًّا وَ قَلْتَ شَعْرًا وَ لَا يَحْسُنُ أَنْ تَجْعَلَهُ مَعَ تَقُولَ وَصْفًا أَى تَقُولَ تَقُولًا كَذِبًا لِأَنَّ التَّقُولَ لَا يَكُونُ إِلَّا كَذِبًا فَلَا فَائِدَةَ فِيهِ وَ مَنْ قَرَأَ أَحَى فَهُوَ مِنْ وَحِيَّتِ إِلَيْهِ بِمَعْنَى أَوْحِيَّتِ وَ أَصْلُهُ وَحَى فَلَمَّا انضَمَّتِ الْوَاوُ ضَمًّا لَازِمًا هَمَزَتْ وَ نَحْوَهُ وَ إِذَا الرُّسُلُ أُفْتُتْ أَى وَقَّتْ قَالَ الْعِجَاجُ

" وحي لها القرار

اللغة

الجد أصله القطع و منه الجد العظمه لانقطاع كل عظمه عنها لعلوها عليه و منه الجد أبو الأب لانقطاعه بعلو أبوته و كل من فوقه لهذا الولد أجداد و الجد الحظ لانقطاعه بعلو شأنه و الجد خلاف الهزل لانقطاعه عن السخف و منه الجديد لأنه حديث عهد بالقطع فى غالب الأمر و الرهق لحاق الإثم و أصله اللحوق و منه راهق الغلام إذا لحق حال الرجال قال الأعشى:

لا شىء ينفعنى من دون رؤيتها هل يشفى وامق ما لم يصب رهقا

أى لم يغش إثمًا.

الإعراب

حرسا منصوب على التمييز و هو جمع حارس و يجوز أن يكون جمع حرسى فيكون مثل عربى و عرب و شديدا مذكر محمول على اللفظ و يمكن أن يكون على النسبه أى ذات شده و مقاعد نصب لأنه ظرف مكان. «أَشْرُّ أُرِيدَ» مبتدأ و خبر و إنما جاز أن تكون النكرة مبتدأ من غير تخصيص لأجل همزه الاستفهام كما يجوز ذلك بعد حرف النفي لأن كليهما يفيد معنى العموم.

المعنى

أمر سبحانه نبيه محمدا ص أن يخبر قومه بما لم يكن لهم به علم فقال «قُلْ» يا محمد «أَوْحَى إِلَيَّ» إنما ذكره على لفظ ما لم يسم فاعله تفخيما و تعظيما و الله سبحانه أوحى إليه و أنزل الملك عليه «أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ» أى استمع القرآن طائفه من الجن و هم جيل رفاق الأجسام خفيفه على صوره مخصوصه بخلاف صوره الإنسان و الملائكه فإن الملك مخلوق من النور و الإنس من الطين و الجن من النار «فَقَالُوا» أى قالت الجن بعضها لبعض «إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا» و العجب ما يدعو إلى التعجب منه لخفاء سببه و خروجه عن العاده فى مثله فلما كان القرآن قد خرج بتأليفه المخصوص عن العاده فى الكلام و خفى سببه عن الأنام كان عجبا لا محاله و أيضا فإنه مبين لكلام الخلق فى

المعنى و الفصاحه و النظام لا يقدر أحد على الإتيان بمثله و قد تضمن أخبار الأولين و الآخرين و ما كان و ما يكون أجراه الله على يد رجل أُمى من قوم أميين فاستعظموه و سموه عجباً «يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ» أى يدل على الهدى و يدعو إليه و الرشد ضد الضلال «فَأَمَّا بِهِ» أى صدقنا بأنه من عند الله «وَلَنْ نُشْرِكَ» فيما بعد «بِرَبِّنَا أَحَدًا» فنوجه العباده إليه بل نخلص العباده لله تعالى و المعنى أنا قد بدأنا بأنفسنا فقبلنا الرشد و الحق و تركنا الشرك و اعتقدنا التوحيد و فى هذا دلالة على أنه ص كان مبعوثاً إلى الجن و الإنس و على أن الجن عقلاء مخاطبون و بلغات العرب عارفون و على أنهم يميزون بين المعجز و غير المعجز و أنهم دعوا قومهم إلى الإسلام و أخبروهم بإعجاز القرآن و أنه كلام الله تعالى لأن كلام العباد لا يتعجب منه و

روى الواحدى بإسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ما قرأ رسول الله ص على الجن و ما رأهم انطلق رسول الله ص فى طائفه من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ و قد حيل بين الشياطين و بين خبر السماء فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا ما لكم قالوا حيل بيننا و بين خبر السماء و أرسلت علينا الشهب قالوا ما ذاك إلا من شىء حدث فاضربوا مشارق الأرض و مغاربها فمر نفر الذين أخذوا نحو تهامة بالنبى ص و هو بنخل عامدين إلى سوق عكاظ و هو يصلى بأصحابه صلاه الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له و قالوا هذا الذى حال بيننا و بين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم و قالوا «إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَأَمَّا بِهِ وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا» فأوحى الله تعالى إلى نبيه ص «قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْمِعَ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ» و رواه البخارى و مسلم أيضا فى الصحيح

و

عن علقمه بن قيس قال قلت لعبد الله بن مسعود من كان منكم مع النبى ص ليله الجن فقال ما كان منا معه أحد فقدناه ذات ليله و نحن بمكة فقلنا اغتيل رسول الله ص أو استطير فانطلقنا نطلبه من الشعاب فلقيناه مقبلا من نحو حراء فقلنا يا رسول الله أين كنت لقد أشفقنا عليك و قلنا له بتنا الليله بشر ليله بات بها قوم حين فقدناك فقال لنا أنه أتانى داعى الجن فذهبت أقرئهم القرآن فذهب بنا فأرانا آثارهم و آثار نيرانهم فأما أن يكون صحبه منا أحد فلم يصحبه

و عن أبى روق قال هم تسعه نفر من الجن قال أبو حمزه الثمالى و بلغنا أنهم من بنى الشيصبان هم أكثر الجن عددا و هم عامه جنود إبليس و قيل كانوا سبعة نفر من جن نصيبين رأهم النبى ص فأمنوا به و أرسلهم إلى سائر الجن «وَأَنَّ تَعَالَى حَيْدُ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَهُ وَ لَا وَلَمَدًا» الاختيار كسر إن لأنه من قول الجن لقومهم و هو معطوف على قوله «فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا» أى و قالوا تعالى جد ربنا و قال الفراء من فتح فتقديره فأمنوا به و آمنوا بأنه تعالى جد ربنا و كذلك كل ما كان بعده ففتح أن بوقوع الإيمان عليه و المعنى تعالى جلال ربنا و عظمتته عن اتخاذ الصحابه و الولد عن الحسن

و مجاهد و قيل معناه تعالت صفات الله التي هي له خصوصا و هي الصفات العاليه التي ليست للمخلوقين عن أبي مسلم و قيل معناه جل ربنا في صفاته فلا- تجوز عليه صفات الأجسام و الأعراض عن الجبائي و قيل تعالى قدره ربنا عن ابن عباس و قيل تعالى ذكره عن مجاهد و قيل فعله و أمره عن الضحاك و قيل علا ملك ربنا عن الأخفش و قيل تعالى آلاؤه و نعمه على الخلق عن القرظي و الجميع يرجع إلى معنى واحد و هو العظمة و الجلال على ما تقدم ذكرهما و منه قول أنس بن مالك كان الرجل إذا قرأ سورة البقره جد في أعيننا أى عظم و

قال الربيع بن أنس أنه قال ليس لله تعالى جد و إنما قالته الجن بجهاله فحكاه سبحانه كما قالت و روى ذلك عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) و أبي عبد الله (عليه السلام)

«وَأَنَّهُ كَانَ يَاقُولُ سَيَفِيهِنَا» أى جاهلنا «عَلَى اللَّهِ شَطَطًا» أرادوا بسفيهم إبليس عن مجاهد و قتاده و الشطط السرف فى ظلم النفس و الخروج عن الحق فاعترفوا بأن إبليس كان يخرج عن الحد فى إغواء الخلق و دعائهم إلى الضلال و قيل شططا أى قولاً بعيداً من الحق و هو الكذب فى التوحيد و العدل «وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» اعترفوا بأنهم ظنوا أن لن يقول أحد من الإنس و الجن كذبا على الله فى اتخاذ الشريك معه و صاحبه و الولد أى حسبنا أن ما يقولونه من ذلك صدق و أنا على حق حتى سمعنا القرآن و تبينا الحق به و فى هذا دلاله على أنهم كانوا مقلده حتى سمعوا الحجه و انكشف لهم الحق فرجعوا عما كانوا عليه و فى إشاره إلى بطلان التقليد و وجوب اتباع الدليل «وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ» أى يعتصمون و يستجرون و كان الرجل من العرب إذا نزل الوادى فى سفره ليلا- قال أعوذ بعزير هذا الوادى من شر سفهاء قومه عن الحسن و مجاهد و قتاده و كان هذا منهم على حسب اعتقادهم أن الجن تحفظهم قال مقاتل و أول من تعوذ بالجن قوم من اليمن ثم بنو حنيفه ثم فشا فى العرب و قيل معناه و أنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من أجل الجن و من معره الجن عن البلخي قال لأن الرجال لا تكون إلا فى الناس و قال الأولون فى الجن رجال مثل ما فى الناس «فَزَادُوهُمْ رَهَقًا» أى فزاد الجن الإنس إثما على إثمهم الذى كانوا عليه من الكفر و المعاصى عن ابن عباس و قتاده و قيل رهقا أى طغيانا عن مجاهد و قيل فرقا و خوفا عن الربيع و ابن زيد و قيل شرا عن الحسن و قيل زادوهم ذله و ضعفا قال الزجاج يجوز أن يكون الإنس الذين كانوا يستعيذون بالجن زادوا الجن رهقا و ذلك أن الجن كانوا يزدادون طغيانا فى قومهم بهذا التعوذ فيقولون سدنا الإنس و الجن و يجوز أن يكون الجن زاد الإنس رهقا «وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا» قيل معناه قال مؤمنوا الجن لكفارهم

إن كفار الإنس الذين يعوذون برجال من الجن فى الجاهليه حسبوا كما حسبتم يا معشر الجن أن لن يبعث الله رسولا بعد موسى أو عيسى و وراء هذا أن الجن مع تمردهم و عتوهم لما سمعوا القرآن آمنوا و اهتدوا به فأنتم معاشر العرب أولى بالتفكر و التدبر لتؤمنوا و تهتدوا مع أن الرسول من جنسكم و لسانه لسانكم و قيل إن هذه الآيه مع ما قبلها اعتراض من إخبار الله تعالى يقول إن الجن ظنوا كما ظننتم معاشر الإنس أن الله لا يحشر أحدا يوم القيامة و لا يحاسبه عن الحسن و قيل يعنى لن يبعث الله أحدا رسولا عن قتاده ثم حكى عن الجن قولهم «وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ» أى مسسناها و قيل معناه طلبنا الصعود إلى السماء فعبر عن ذلك باللمس مجازا عن الجبائى و قيل التمسنا قرب السماء لاستراق السمع عن أبى مسلم «فَوَجَّحْنَاهَا مِلَّتْ حَرَسًا شَدِيدًا» أى حفظه من الملائكه شدادا «وَوَشَّهَبًا» و التقدير ملئت السماء من الحرس و الشهب و هو جمع شهاب و هو نور يمتد من السماء كالنار «وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ» أى لاستراق السمع أى كان يتهاى لنا فيما قبل القعود فى مواضع الاستماع فنسمع منها صوت الملائكه و كلامهم «فَمَنْ يَسْمَعِ» منا «الآن» ذلك «يَجِدُ لَهُ شَهَابًا رَصِيدًا» يرمى به و يرصد له و شهباً مفعول به و رصدا صفتة قال معمر قلت للزهري أ كان يرمى بالنجوم فى الجاهليه قال نعم قلت أ فرأيت قوله «أَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا» الآيه قال غلظ و شدد أمرها حين بعث النبى ص قال البلخى إن الشهب كانت لا محاله فيما مضى من الزمان غير أنه لم يكن يمنع بها الجن عن صعود السماء فلما بعث النبى ص منع بها الجن من الصعود «وَأَنَا لَا نَدْرِي أَ شَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ» أى بحدوث الرجم بالشهب و حراسه السماء جوزوا هجوم انقطاع التكليف أو تغيير الأمر بتصديق نبى من الأنبياء و ذلك قوله «أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا» أى صلاحا و قيل معناه إن هذا المنع لا يدرى العذاب سينزل بأهل الأرض أم لنبى يبعث و يهدى إلى الرشد فإن مثل هذا لا يكون إلا لأحد هذين الأمرين و سمي العذاب شرا لأنه مضره و سمي بعثه الرسول رشدا لأنه منفعه.

إشاره

وَ أَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَ مِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا (١١) وَ أَنَا ظَنَّنَا أَن لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْمَأْرُضِ وَ لَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا (١٢) وَ أَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَ لَا رَهَقًا (١٣) وَ أَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَ مِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَ أَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥)

وَ أَن لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَ مَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صِدَّاعًا (١٧) وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨) وَ أَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدًّا (١٩) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَ لَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠)

القراءه

قرأ أهل العراق غير أبي عمرو يسلكه بالياء و الباقون بالنون و قرأ ابن عامر بروايه هشام لبدا بضم اللام و الباقون بكسرها و قرأ أبو جعفر و عاصم و حمزه «قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا» و الباقون قال و فى الشواذ قراءه الأعمش و يحيى بن وثاب لو استقاموا بضم الواو و قراءه الحسن و الجحدري لبدا بالتشديد و فى روايه أخرى عن الجحدري لبدا بضميتين.

الحجه

من قرأ «يَسْلُكْهُ» بالياء فلتقدم ذكر الغيبه فى قوله «وَ مَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ» و من قرأ بالنون فهو مثل قوله وَ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ بعد قوله سبحانه الَّذِي أَسْرَى و من قرأ قال إنما ادعوا فلتقدم ذكر الغيبه أيضا فى قوله «وَ أَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ» و من قرأ «قُلْ» فلأن بعده قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ * قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ و من قرأ لبدا فإن اللبد الكثير من قوله مَالِمَا لِيَدًا و كأنه قيل له لبدا لركوب بعضه على بعض و لصوق بعضه ببعض لكثرتة و اللبد جمع لبده و هى الجماعه و قد يقال ذلك للجراد الكثير قال بعض الهذليين:

صابوا بسته أبيات و واحده حتى كان عليهم جايا لبدا

قال الجبائى هو الجراد لأنه يجبى كل شىء بأكله و قال الزجاج اللبده و اللبده بمعنى

و من قرأ لبدا بالتشديد فإنه وصف على فعل كالجبا و الزمل و يجوز أن يكون جمع لأبد فيكون مثل راع و ركع و اللبد من الأوصاف التي جاءت على فعل كناقه سرح و رجل طلق و من قرأ لو استقاموا فإنه على التشبيه بواو الجماعه نحو قوله اشترؤا الضَّالَّه* كما شبهت تلك بهذه فقيل اشترؤوا الضلاله و قد مضى هذا فى سورة البقره.

اللغه

الصالح عامل الصلاح الذى يصلح به حاله فى دينه و أما المصلح فهو فاعل الصلاح الذى يقوم به أمر من الأمور و لهذا يوصف سبحانه بأنه مصلح و لا يوصف بأنه صالح و الطرائق جمع طريقه و هى الجبهه المستمره مرتبه بعد مرتبه و القدد القطع جمع قده و هى المستمره بالقد فى جهه واحده و الرهق لحاق السرف فى الأمر و هو الظلم و القاسط الجائر و المقسط العادل و نظيره الترب الفقير و المترب الغنى و أصله التراب فالأول ذهب ماله حتى لصق بالتراب و الآخر كثر ماله حتى صار بعدد التراب و كذلك القاسط هو العادل عن الحق و المقسط العادل إلى الحق قال:

قوم هم قتلوا ابن هند عنوه عمرا و هم قسطوا على النعمان

و قال آخر:

قسطنا على الأملاك فى عهد تبع و من قبل ما أردى النفوس عقابها

و التحرى تعمد إصابه الحق و أصله طلب الشىء و القصد له قال امرؤ القيس:

ديمه هطلاء فيها وطف طبق الأرض تحرى و تدر

و ماء غدق كثير و غدق المكان يغدق غدقا كثر فيه الماء و الندى و هو غدق عن الزجاج و قال أميه بن أبى الصلت:

مزاجها سلسيل ماؤها غدق عذب المذاقه لا ملح و لا كدر

ص: ١٣٥

و الصعد الغليظ الصعب المتصعب فى العظم و منه التنفس الصعداء و الصعود العقبة الكؤود الشاقه.

المعنى

ثم قال سبحانه فى تمام الحكايه عن الجن الذين آمنوا عند سماع القرآن «وَ أَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ» و هم الذين عملوا الصالحات المخلصون «وَ مِنَّا دُونَ ذَلِكَ» أى دون الصالحين فى الرتبة عن ابن عباس و قتاده و مجاهد «كُنَّا طَرَائِقَ قِمَادًا» أى فرقا شتى على مذاهب مختلفه و أهواء متفرقه من مسلم و كافر و صالح و دون الصالح عن ابن عباس و مجاهد و قيل قددا ألوانا شتى مختلفين عن سعيد بن جبير و الحسن و قيل فرقا متباينه كل فرقه تباين صاحبها كما يبين المقدود بعضه من بعض قال السدى الجن أمثالكم فيهم قدرية و مرجئه و رافضة و شيعة «وَ أَنَا ظَنَّنَا» أى علمنا و تيقنا «أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ» أى لن نفوته إذا أراد بنا أمرا «وَ لَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا» أى أنه يدركنا حيث كنا «وَ أَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ» اعترفوا بأنهم لما سمعوا القرآن الذى فيه الهدى صدقوا به ثم قالوا «فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ» أى يصدق بتوحيد ربه و عرفه على صفاته «فَلَا يَخَافُ» تقديره فإنه لا يخاف «بِخَسَاءٍ» أى نقصانا فيما يستحقه من الثواب «وَ لَا رَهَقًا» أى لحاق ظلم و غشيان مكروه و كأنه قال لا يخاف نقصا قليلا و لا كثيرا و ذلك أن أجره و ثوابه موفر على أتم ما يمكن فيه و قيل معناه فلا يخاف نقصا من حسناته و لا زياده فى سيئاته عن ابن عباس و الحسن و قتاده و ابن زيد قالوا لأن البخس النقصان و الرهق العدوان و هذه حكاية عن قوه إيمان الجن و صحه إسلامهم ثم قالوا «وَ أَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ» الذين استسلموا لما أمرهم الله سبحانه به و انقادوا لذلك «وَ مِنَّا الْقَاسِطُونَ» أى الجائرون عن طريق الحق «فَمَنْ أَسْلَمَ» لما أمره الله به «فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا» أى توجهوا الرشده و التمسوا الثواب و الهدى و تعمدوا إصابه الحق و ليسوا كالمشركين الذين ألفوا ما يدعوهم إليه الهوى و زاغوا عن طريق الهدى «وَ أَمَّا الْقَاسِطُونَ» العادلون عن طريق الحق و الدين «فَكَأَنُوا» فى علم الله و حكمه «لِجَهَنَّمَ حَطَبًا» يلقون فيها فتحرقهم كما تحرق النار الحطب أو يكون معناه فسيكونون لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد النار بالحطب «وَ أَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا» هذا ابتداء حكم من الله سبحانه أى لو استقام الإنس و الجن على طريقه الإيمان عن ابن عباس و السدى و قيل أرادته مشركى مكه أى لو آمنوا و استقاموا على الهدى لأسقيناهم ماء كثيرا من السماء و ذلك بعد ما رفع ماء المطر عنهم سبع سنين عن مقاتل و قيل لو آمنوا و استقاموا لوسعنا عليهم فى الدنيا و ضرب الماء الغدق مثلا لأن الخير كله و الرزق يكون فى المطر و هذا كقوله «وَ لَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ» إلى قوله «لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ» و قوله «لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمُ

بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ» و قيل معناه لو استقاموا على طريقه الكفر فكانوا كفارا كلهم لأعطيناهم مالا كثيرا و لوسعنا عليهم تغليظا للمحنة في التكليف و لذلك قال «لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ» أى لنختبرهم بذلك عن الفراء و هو قول الربيع و الكلبي و الثمالي و أبى مسلم و ابن مجلز و دليله فلما نسوا ما ذكروا به فتحننا عليهم الآيه و قيل لنفتنهم معناه لنعاملهم معاملة المختبر فى شدة التعب بتكليف الانصراف عما تدعو شهواتهم إليه و فى ذلك المحنة الشديده و هى الفتنة و المثوبه على قدر المشقه فى الصبر عما تدعو إليه الشهوات و روى عن عمر بن الخطاب أنه قال فى هذه الآيه أينما كان الماء كان المال و أينما كان المال كانت الفتنة و قيل معناه لتختبرهم كيف يكون شكرهم للنعم عن سعيد بن المسيب و قتاده و مقاتل و الحسن و الأولى أن تكون الاستقامه على الطريقه محموله على الاستقامه فى الدين و الإيمان لأنها لا تطلق إلا على ذلك و لأنها فى موضع التلطف و الاستدعاء إلى الإيمان و الحث على الطاعه و

فى تفسير أهل البيت (عليه السلام) عن أبى بصير قال قلت لأبى جعفر (عليه السلام) قول الله «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا»* قال هو و الله ما أنتم عليه و لو استقاموا على الطريقه لأسقيناهم ماء غدقا

و

عن بريد العجلي عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال معناه لأفدناهم علما كثيرا يتعلمونه من الأئمه

ثم قال سبحانه على وجه التهديد و الوعيد «وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ» أى و من يعدل عن الفكر فيما يؤديه إلى معرفه الله و توحيده و الإخلاص فى عبادته و قيل عن شكر الله و طاعته «يَسْئَلُكَ عَذَابًا صَعَدًا» أى يدخله عذابا شاقا شديدا متصعدا فى العظم و إنما قال يسلكه لأنه تقدم ذكر الطريقه و قيل معناه عذابا ذا صعده أى ذا مشقه «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا» تقديره و لأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا سوى الله عن الخليل و المعنى لا تذكروا مع الله فى المواضع التى بنيت للعباده و الصلاه أحدا على وجه الإشراك فى عبادته كما تفعل النصارى فى بيعهم و المشركون فى الكعبه قال الحسن من السنه عند دخول المساجد أن يقال لا إله إلا الله لا أدعو مع الله أحدا و قيل المساجد مواضع السجود من الإنسان و هى الجبهه و الكفان و أصابع الرجلين و عينا الركبتين و هى لله تعالى إذ خلقها و أنعم بها فلا ينبغى أن يسجد بها لأحد سوى الله تعالى عن سعيد بن جبیر و الزجاج و الفراء و

روى أن المعتصم سأل أبا جعفر محمد بن على بن موسى الرضا (عليه السلام) عن قوله تعالى «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ» فقال هى الأعضاء السبعة التى يسجد عليها

و قيل إن المراد بالمساجد البقاع كلها و ذلك لأن الأرض كلها جعلت للنبي ص مسجدا عن الحسن و قال سعيد بن جبیر قالت الجن للنبي ص كيف لنا أن نأتى المسجد و نشهد معك الصلاه و نحن ناءون عنك فنزلت الآيه و روى عن الحسن أيضا أن المساجد الصلوات و هى لله و المراد أخلصوا لله العباده

و أقروا له بالتوحيد و لا تجعلوا فيها لغير الله نصيبا «وَ أَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ» يريد به محمدا ص «يَدْعُوهُ» بقول لا إله إلا الله و يدعو إليه و يقرأ القرآن «كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدًّا» أى كاد الجن يركب بعضهم بعضا يزدحمون عليه حرصا منهم على استماع القرآن عن ابن عباس و الضحاك و قيل هو من قول الجن لأصحابهم حين رجعوا إليهم و المراد أن أصحاب النبي ص يتزاحمون عليه لاستماع القرآن منه يود كل واحد منهم أن يكون أقرب من صاحبه فيتلبد بعضهم على بعض عن سعيد بن جبير و قيل هو من جملة ما أوحى الله إلى النبي ص بما كان من حرص الجن على استماع القرآن و قيل معناه أنه لما دعا قريشا إلى التوحيد كادوا يتراكبون عليه بالزحمة جماعات متكاثرات ليزيلوه بذلك عن الدعوه و أبى الله إلا أن ينصره و يظهره على ما ناواه عن قتاده و الحسن و على هذا فيكون ابتداء كلام «قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَ لَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا» و ذلك أنهم قالوا للنبي ص إنك جئت بأمر عظيم لم يسمع مثله فارجع عنه فأجابهم بهذا عن مقاتل و أمره سبحانه بأن يجيبهم بهذا فقال «قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي» و هذا يعضد قول الحسن و قتاده لأنه كالذم لهم على ذلك.

إشاره

قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا (٢٣) حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعُفٌ نَاصِرًا وَ أَقْلٌ عَدَدًا (٢٤) قُلْ إِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا (٢٥)

عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨)

القراءه

قرأ يعقوب ليعلم بضم الياء و الباقون «لِيَعْلَمَ» بفتح الياء و المعنيان متقاربان.

اللغه

الملتحد الملتجأ بالميل إلى جهه و الرصد جمع راصد و هو الحافظ.

الإعراب

بلاغاً منصوب لأنه بدل من ملتحد أى لن أجد ملجأ إلا أن أبلغ عن الله ما أرسلنى به فهو ملجأى و رسالاته منصوبه بالعطف على محذوف و التقدير إلا بلاغاً من الله و آياته و رسالاته قوله «مَنْ أَضَعُفٌ نَاصِرًا» جمله من مبتدأ و خبره هى تعليق و ناصرا نصب على التمييز و كذلك قوله «عَدَدًا» و قوله «أَقْرَبٌ مَا تُوعَدُونَ» الاستفهام مع ما فى حيزه تعليق «إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ» يجوز أن يكون من مبتدأ و قوله «فَإِنَّهُ يَسْلُكُ» خبره و يجوز أن يكون استثناء منقطعاً و عددا انتصابه على ضربين (أحدهما) على معنى و أحصى كل شىء فى حال العدد فلم يخف عليه سقوط ورقه و لا حبه و لا رطب و لا يابس (و الآخر) أن يكون فى موضع المصدر لأن معناه و عد كل شىء عددا عن الزجاج.

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال «قُلْ» يا محمد للمكلفين «إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا» أى لا أقدر على دفع الضرر عنكم و لا إيصال الخير إليكم و إنما القادر على ذلك هو الله تعالى و لكنى رسول ليس على إلا البلاغ و الدعاء إلى الدين و الهدايه إلى الرشاد و هذا اعتراف بالعبوديه و إضافه الحول و القوه إليه تعالى ثم قال «قُلْ» لهم يا محمد «إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ» أى لا يمنعنى أحد مما قدره الله على «وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ» أى من دون الله «مُلْتَحَدًا» أى ملتجأ إليه أطلب به السلامه «إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ» أى تبليغا من الله آياته «وَرِسَالَاتِهِ» فإنه ملجأى و منجأى و ملتحدى و لى فيه الأمن و النجاه عن الحسن و الجبائى و قيل معناه لا

أملك لكم ضرا و لا رشدا فما على إلا البلاغ عن الله فكأنه قال لا أملك شيئا سوى تبليغ وحى الله بتوفيقه و عونه عن قتاده و قيل أن قوله «إِلَّا بِلَاغًا» يحتمل معنيين (أحدهما) إلا- ما بلغنى من الله أى لا يجيرنى شىء إلا ما أتانى من الله فلا فرق بين أن يقول بلغنى كتابه و أن يقول أتانى كتابه (و الثانى) إلا تبليغ ما أنزل إلى فأما القبول و الإيمان فليس إلى و إنما ذلك إليكم عن أبى مسلم و قيل أنه عطف رسالاته على البلاغ فوجب أن يكون غيره فالأولى أن يكون أراد بالبلاغ ما بلغه من توحيد الله و عدله و ما يجوز عليه و ما لا يجوز و أراد بالرساله ما أرسل لأجله من بيان الشرائع و لما بين سبحانه أنه لا

ملجأ من عذابه إلا طاعته عقبه بوعيد من قارف معصيته فقال «وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» أى خالف أمره فى التوحيد و ارتكب الكفر و المعاصى «فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا» جزاء على ذلك «حَتَّى إِذَا رَأَوْا» فى الآخرة «مَا يُوعَدُونَ» به من العقاب فى الدنيا و قيل هو عذاب الاستئصال «فَسَيَعْلَمُونَ» عند ذلك «مَنْ أضعفُ ناصراً و أقلُّ عدداً» المشركون أم المؤمنون و قيل أجد الله أم الذى عبده المشركون و إنما قال «مَنْ أضعفُ ناصراً» و لا ناصر لهم فى الآخرة لأنه جاء على جواب من توهم أنه إن كانت الآخرة فناصرهم أقوى و عددهم أكثر و فى هذا دلالة على أن المراد بقوله «وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» الكفار و كانوا يفتخرون على النبى ص بكثره جموعهم و يصفونه بقله العدد فبين سبحانه أن الأمر سينعكس عليهم «قُلْ» يا محمد «إِنْ أَدْرَى» أى لست أعلم «أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ» به من العذاب «أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمِيداً» أى مهله و غايه ينتهى إليها قال عطاء أراد أنه لا يعرف يوم القيامة إلا- الله وحده «عَالِمُ الْغَيْبِ» أى هو عالم الغيب يعلم متى تكون القيامة «فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحِيداً» أى لا يطلع على الغيب أحدا من عباده ثم استثنى فقال «إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ» يعنى الرسل فإنه يستدل على نبوتهم بأن يخبروا بالغيب لتكون آيه معجزه لهم و معناه أن من ارتضاه و اختاره للنبوه و الرساله فإنه يطلعه على ما شاء من غيبه على حسب ما يراه من المصلحه و هو قوله «فَإِنَّهُ يَسْئَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصِداً» و الرصد الطريق أى يجعل له إلى علم ما كان قبله من الأنبياء و السلف و علم ما يكون بعده طريقاً و قيل معناه أنه يحفظ الذى يطلع عليه الرسول فيجعل من بين يديه و من خلفه رسداً من الملائكه يحفظون الوحي من أن تسترقه الشياطين فتلقيه إلى الكهنه و قيل رسداً من بين يدي الرسول و من خلفه و هم الحفظه من الملائكه يحرسونه عن شر الأعداء و كيدهم فلا يصل إليه شرهم و قيل المراد به جبرائيل (عليه السلام) أى يجعل من بين يديه و من خلفه رسداً كالحجاب تعظيماً لما يتحملة من الرساله كما جرت عاده الملوك بأن يضموا إلى الرسول جماعه من خواصهم تشريفا له و هذا

كما روى أن سورة الأنعام نزلت و معها سبعون ألف ملك

«لِيَعْلَمَ» الرسول «أَنْ قَدْ أبلغُوا» يعنى الملائكه قال سعيد بن جبیر ما نزل جبرائيل بشىء من الوحي إلا و معه أربعة من الملائكه حفظه فيعلم الرسول أنه قد أبلغ الرساله على الوجه الذى قد أمر به و قيل ليعلم من كذب الرسل أن الرسل قد أبلغوا رسالات الله عن مجاهد و قيل ليعلم محمد ص أن الرسل قبله قد أبلغ جميعهم «رسالات ربهم» كما أبلغ هو إذ كانوا محروسين محفوظين بحفظ الله عن قتاده و قيل ليعلم الله أن قد أبلغوا عن الزجاج و قيل معناه ليظهر المعلوم على ما كان سبحانه عالماً و يعلمه واقعا كما كان يعلم أنه سيقع و قيل أراد

ليبلغوا فجعل بدل ذلك قوله «لِيَعْلَمَ» إبلاغهم توسعا عن الجبائي وهذا كما يقول الإنسان ما علم الله ذلك منى أى ما كان ذلك أصلا لأنه لو كان لعلم الله ذلك فوضع العلم موضع الكون «وَ أَحَاطَ بِمَا لَمَدَيْهِمْ» أى أحاط الله علما بما لدى الأنبياء و الخلائق و هم لا يحيطون إلا بما يطلعهم الله عليه مما هو عند الله «وَ أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا» أى أحصى ما خلق و عرف عدد ما خلق لم يفته علم شىء حتى مثاقيل الذر و الخردل عن ابن عباس و قيل معناه عد جميع المعلومات المعدومه و الموجوده عدا فعلم صغيرها و كبيرها و قليلها و كثيرها و ما يكون و ما لا يكون و ما كان و ما لم يكن و لو كان كيف كان و قيل معناه لا شىء يعلمه عالم أو يذكره ذاكر إلا- و هو تعالى عالم به و محص إياه عن الجبائي قال الإحصاء فعل و ليس هو بمنزله العلم فلا يجوز أن يقال أحصى ما لا- يتناهى كما يجوز أن يقال علم ما لا يتناهى فإن حمل على العلم تناول جميع المعلومات و إن حمل على العد تناول الموجودات.

ص: ١٤١

(٧٣) سورة المزمل مكيه و آياتها عشرون (٢٠)

اشاره

[توضيح]

و هي مدنيه و قيل بعضها مكى و بعضها مدنى.

عدد آياتها

ثمانى عشره آيه المدنى الأخير و تسع عشره بصرى عشرون فى الباقيين.

اختلافها

ثلاث آيات «الْمَزْمَلُ» كوفى شامى و المدنى الأول «شيباً» غير المدنى الأخير «إِلَيْكُمْ رَسُولًا» مكى.

فضلها

أبى بن كعب قال قال رسول الله ص و من قرأ سورة المزمل رفع عنه العسر فى الدنيا و الآخرة منصور بن حازم عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال و من قرأ سورة المزمل فى العشاء الآخرة أو فى آخر الليل كان له الليل و النهار شاهدين مع السوره و أحياه الله حياه طيبه و أماته ميته طيبه.

تفسيرها

لما ختم الله سورة الجن بذكر الرسل افتتح هذه السوره بذكر نبينا ص خاتم الرسل فقال:

ص: ١٤٢

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤)

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيَلًا (٦) إِنَّ لَمَكَّ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (٧) وَ اذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (٩)

وَ اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَ اهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (١٠)

القراءة

قرأ أبو عمرو و ابن عمرو و طاء بكسر الواو و المد و الباقون «وَطْئًا» بفتح الواو و سكون الطاء مقصورا و قرأ أهل الكوفة غير حفص و ابن عمرو و يعقوب رب المشرق بالجر و الباقون بالرفع و فى الشواذ قراءة عكرمه المزمل و المدثر خفيفه الزاى و الدال مشدده الميم و الثاء و قراءة أبى السماك قم الليل بضم الميم.

الحجج

من قرأ أشد و طاء فمعناه مواطاه أى موافقه و ملاءمه و منه لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ أَي لِيُوَافِقُوا و المعنى أن صلاه ناشئه الليل و عمل ناشئه الليل يواطئ السمع القلب فيها أكثر مما يواطئ فى ساعات النهار و لأن البال أفرغ لانقطاع كثير مما يشغل بالنهار و من قال «وَطْئًا» فالمعنى أنه أشق على الإنسان من القيام بالنهار لأن الليل للدعه و السكون و

جاء فى الحديث اللهم اشدد وطأتك على مضر

«وَ أَقْوَمُ قِيَلًا» أى أشد استقامه و صوابا لفراغ البال و انقطاع ما يشغله قال:

له و لها وقع بكل قراره و وقع بمستن الفضاء قويم

أى مستقيم.

و الناشئه ما يحدث و ينشأ من ساعات الليل و الرفع فى «رَبُّ الْمَشْرِقِ» يحتمل أمرين (أحدهما) أنه لما قال «وَ اذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ» قطعه من الأول فقال هو «رَبُّ الْمَشْرِقِ» فيكون خبر مبتدأ محذوف (و الآخر) أن يكون مبتدأ و خبره الجملة التى هى «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» و من جر فعلى إتباعه قوله «اسْمَ رَبِّكَ» و أما قوله المزمل بتخفيف الزاى فعلى حذف المفعول به يا أيها المزمل نفسه و المدثر نفسه و حذف المفعول كثير قال الحطيطه:

منعمه تصون إلیک منها کصونک من رداء شرعی

ص: ۱۴۳

أى تصون حديثا و تخزنه كقول الشنفرى:

كان لها فى الأرض نسيا نقصه على أمها و إن تكلمك تبت

و من قرأ قم الليل و ضم فيمكن أن يكون ضمه للاتباع.

اللغة

المزمل المترمل فى ثيابه أدغم التاء فى الزاى لأن الزاى قريبه المخرج من التاء و هى أندى فى المسموع من التاء و كل شىء لفف فقد زمل قال امرؤ القيس:

كان ثيرا فى عرائين وبله كبير أناس فى بجاد مزمل

و النصف أحد قسمى الشىء المساوى للآخر فى المقدار كما أن الثلث جزء من ثلاثه و الربع جزء من أربعة و هذه من صفات الأجسام فإذا رفعت التاليفات عنها بقيت أجزاء لا توصف بأن لها نصفاً أو ثلثاً أو ربعاً و العرض لا يوصف بالنصف و الجزء. و القديم لا يوصف أيضاً بذلك لأن هذه عبارات عن مؤلفات على وجوه فإن قيل فإذا يجب أن لا يكون وصف القديم تعالى بأنه واحد مدحا فالجواب أن معنى قولنا أنه واحد اختصاصه بصفات لا يستحقها غيره و هى كونه قادرا عالما لذاته قديما و نحو ذلك و إذا قيل أنه لا- يتجزأ فليس بمدح إلا أن يقال أنه حى لا يتجزأ بخلاف غيره من الأحياء و الترتيل ترتيب الحروف على حقا فى تلاوتها بتثبث فيها و الحدر هو الإسراع فيها و كلاهما حسن إلا أن الترتيل هنا هو المرغب فيه و الإلقاء مثل التلقية تقول ألفت على فلان مسأله و الأقوم الأ-خلص استقامه و السبح التقلب و منه السابح فى الماء لتقلبه فيه و قرأ يحيى بن يعمر و الضحاك سبخا طويلا بالخاء و معناه التوسعه يقال سبخت القطن إذا وسعته للندف و منه

قول النبى ص لعائشه و قد سمعها تدعو على سارق لا تسبخى عنه بدعائك عليه

أى لا تخففى و يقال لقطع القطن إذا ندف سبائح قال الأخطل يصف القناص و الكلاب:

فأرسلوهن يذرين التراب كما يذرى سبائح قطن ندف أوتار

و قال ثعلب السبح التردد و الاضطراب و السيخ السكون و منه

قول النبي ص الحمى من فيح جهنم فسبخوها بالماء

أى أسكنوها و التبتل الانقطاع إلى الله عز و جل و إخلاص العباده له قال امرؤ القيس:

تضىء الظلام بالعشى كأنها مناره ممسى راهب متبتل

و أصله من تبتل الشئء قطعتة و صدقه بته بتله أى باثنه مقطوعه من صاحبها لا سبيل له عليها و منه التبتل ع لانقطاعها إلى عباده الله عز و جل.

الإعراب

الليل نصب على الظرف إلا قليلا نصب على الاستثناء تقديره إلا شيئا قليلا منه لا تقوم فيه ثم بين القدر فقال «نِصْفَهُ» قال الزجاج أن نصفه بدل من الليل كما تقول ضربت زيدا رأسه فإنما ذكرت زيدا لتوكيد الكلام و هو أوكد من قولك ضربت رأس زيد فالمعنى قم نصف الليل إلا- قليلا- أو أنقص من النصف أو زد على النصف و أنقص منه قليلا- بمعنى إلا- قليلا- ولكنه ذكر مع الزيادة فالمعنى قم نصف الليل أو أنقص من نصف الليل أو زد على نصف الليل.

المعنى

«يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ» معناه يا أيها المترمل بشيابه المتلف بها عن قتاده و قيل يا أيها المترمل بعباءه النبوه أى المتحمل لأنقالها عن عكرمه و قيل معناه يا أيها النائم و كان قد تزمّل للنوم عن السدى و قيل كان يتزمل بالثياب فى أول ما جاء به جبرائيل خوفا حتى أنس به و إنما خوطب بهذا فى بدء الوحي و لم يكن قد بلغ شيئا ثم خوطب ص بعد ذلك بالنبي و الرسول «قُمِ اللَّيْلُ» للصلاه «إِلَّا قَلِيلًا» و المعنى بالليل صل إلا قليلا من الليل فإن القيام بالليل عباره عن الصلاه بالليل «نِصْفَهُ» هو بدل من الليل فيكون بيانا للمستثنى منه أى قم نصف الليل و معناه صل من الليل النصف إلا- قليلا- و هو قوله «أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا» أى من النصف «أَوْ زِدْ عَلَيْهِ» أى على النصف و قال المفسرون أو أنقص من النصف قليلا إلى الثلث أو زد على النصف إلى الثلثين و قيل أن نصفه بدل من القليل فيكون بيانا للمستثنى و المعنى فيهما سواء و يؤيد هذا القول

ما روى عن الصادق (عليه السلام) قال القليل النصف أو أنقص من القليل قليلا أو زد على القليل قليلا

و

قيل معناه قم نصف الليل إلا قليلا من الليالى و هى لياالى العذر كالمريض و غلبه النوم و عله العين و نحوها أو أنقص من النصف قليلا أو زد عليه

ذكره الإمام علي بن أبي الطالب (عليه السلام)

خير الله سبحانه نبيه ص في هذه الساعات القيام بالليل و جعله موكولا- إلى رأيه و كان النبي ص و طائفه من المؤمنين معه يقومون على هذه المقادير و شق ذلك عليهم فكان الرجل منهم لا يدرى كم صلى و كم بقى من الليل فكان يقوم الليل كله مخافه أن لا يحفظ القدر الواجب حتى خفف الله عنهم بآخر هذه السوره

و عن قتاده عن زراره بن أوفى عن سعيد بن هشام قال قلت لعائشه أنبئني عن قيام رسول الله ص فقال أ لست تقرأ «يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ» قلت بلى قالت فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السوره فقام نبي الله و أصحابه حولا و أمسك الله خاتمتها اثني عشر شهرا في السماء حتى أنزل الله في آخر هذه السوره التخفيف فصار قيام الليل تطوعا بعد أن كان فريضة

و قيل كان بين أول السوره و آخرها الذى نزل فيه التخفيف عشر سنين عن سعيد بن جبير و قيل كان هذا بمكة قبل فرض الصلوات الخمس ثم نسخ بالخمس عن ابن كيسان و مقاتل و قيل لما نزل أول المزمّل كانوا يقومون نحوا من قيامهم في شهر رمضان فكان بين أولها و آخرها سنه عن ابن عباس و قيل أن الآيه الأخيره نسخت الأولى عن الحسن و بكرمه و ليس في ظاهر الآيات ما يقتضى النسخ فالأولى أن يكون الكلام على ظاهره فيكون القيام بالليل سنه مؤكدا مرغبا فيه و ليس بفرض «و رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيْلًا» أى بينه بيانا و اقرأه على هيتتك ثلاث آيات و أربعا و خمسا عن ابن عباس قال الزجاج و البيان لا يتم بأن تعجل في القرآن إنما يتم بأن تبين جميع الحروف و توفى حقها من الإشباع قال أبو حمزه قلت لابن عباس إني رجل في قراءتى و فى كلامى عجله فقال ابن عباس لأن أقرأ البقره أرتلها أحب إلى من أن أقرأ القرآن كله و قيل معناه ترسل فيه ترسلا عن مجاهد و قيل معناه تثبت فيه تثبتا عن قتاده و

روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) فى معناه أنه قال بينه بيانا و لا تهذه هذ الشعر و لا تنثره نثر الرمل و لكن أفرع به القلوب القاسيه و لا يكونن هم أحدكم آخر السوره

و

عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال إذا مررت بآيه فيها ذكر الجنة فاسأل الله الجنة و إذا مررت بآيه فيها ذكر النار فتعوذ بالله من النار

و قيل الترتيل هو أن تقرأ على نظمه و تواليه و لا تغير لفظا و لا تقدم مؤخرا و هو مأخوذ من ترتل الأسنان إذا استوت و حسن انتظامها و ثغر رتل إذا كانت أسنانه مستويه لا تفاوت فيها و قيل رتل معناه ضعف و الرتل اللين عن قطرب قال و المراد بهذا تحزين القرآن أى اقرأه بصوت حزين و يعضده

ما رواه أبو بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) فى هذا قال هو أن تتمكث فيه و تحسن به صوتك

و

روى عن أم سلمه أنها قالت كان رسول الله ص يقطع قراءته آيه آيه

و

عن أنس قال كان يمد صوته مدا

و

عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ص يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك

ص: ١٤٦

«إِنَّا سَيُنْقِىَ عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا» أى سنوحى عليك قولاً يثقل عليك و على أمتك أما ثقله عليه فلما فيه من تبليغ الرسالة و ما يلحقه من الأذى فيه و ما يلزمه من قيام الليل و مجاهدته النفس و ترك الراحة و الدعه و أما ثقله على أمته فلما فيه من الأمر و النهى و الحدود و هذا معنى قول قتاده و مقاتل و الحسن قال ابن زيد هو و الله ثقل مبارك و كما ثقل فى الدنيا ثقل فى الموازين يوم القيامة و قيل ثقيلاً لا يحمله إلا قلب مؤيد بالتوفيق و نفس مؤيده بالتوحيد و قيل ثقيلاً ليس بالسفساف الخفيف لأنه كلام ربنا جلت عظمتة عن الفراء و قيل معناه قولاً عظيم الشأن كما يقال هذا كلام رصين و هذا الكلام له وزن إذا كان واقعا موقعه و قيل معناه قولاً ثقيلاً نزوله فإنه ص كان يتغير حاله عند نزوله و يعرق و إذا كان راكبا يبرك راحلته و لا يستطيع المشى و

سأل الحرث بن هشام رسول الله ص فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال ص أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس و هو أشد على فيفصم عنى و قد وعيت ما قال و أحيانا يتمثل الملك رجلاً فأعى ما يقول

قالت عائشه أنه كان ليوحى إلى رسول الله ص و هو على راحلته فيضرب بجرانها قالت و لقد رأيتة ينزل عليه فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه و إن جبينه ليرفض عرقاً

و قيل ثقيلاً- على الكفار لما فيه من الكشف عن جهلهم و ضلالهم و سفه أحلامهم و قبح أفعالهم «إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ» معناه إن ساعات الليل لأنها تنشأ ساعه بعد ساعه و تقديره أن ساعات الليل الناشئه و قال ابن عباس هو الليل كله لأنه ينشأ بعد النهار و قال مجاهد هى ساعات التهجد من الليل و قيل هى بالحشيه قيام الليل عن عبد الله بن مسعود و سعيد بن جبير و قيل هى القيام بعد النوم عن عائشه و قيل هى ما كان بعد العشاء الآخره عن الحسن و قتاده و المروى

عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام) أنهما قالاً هى القيام فى آخر الليل إلى صلاه الليل

«هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا» أى أكثر ثقلاً و أبلغ مشقه لأن الليل وقت الراحة و العمل يشق فيه و من قال وطاء فالمعنى أشد مواطاه للسمع و البصر يتوافق فيها قلب المصلى و لسانه و سمعه على التفهم و التفكير إذ القلب غير مشغول بشىء من أمور الدنيا «وَأَقْوَمُ قِيلًا» أى أصوب للقراءه و أثبت للقول لفرغ البال و انقطاع ما يشغل القلب عن أنس و مجاهد و ابن زيد و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) هو قيام الرجل عن فراشه لا يريد به إلا الله تعالى

«إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا» معناه أن لك يا محمد فى النهار منصرفاً و منقلبا إلى ما تقضى فيه حوائجك عن قتاده و المراد أن مذاهبك فى النهار و مشاغلك كثيره فإنك تحتاج فيه إلى تبليغ الرسالة و دعوه الخلق و تعليم الفرائض و السنن و إصلاح المعيشه لنفسك و عيالك و فى الليل يفرغ القلب

للتذكر و القراءه فاجعل ناشئه الليل لعبادتك لتأخذ بحظك من خير الدنيا و الآخره و فى هذا دلالة على أنه لا عذر لأحد فى ترك صلاه الليل لأجل التعليم و التعلم لأن النبي ص كان يحتاج إلى التعليم أكثر مما يحتاج الواحد منا إليه ثم لم يرض سبحانه أن يترك حظه من قيام الليل «وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ» يعنى أسماء الله تعالى التى تعبد بالدعاء بها و قيل اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فى ابتداء صلاتك توصلك بركه قراءتها إلى ربك و تقطعك من كل ما سواه و قيل و اقصد بعملك وجه ربك «وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا» أى أخلص له إخلاصا عن ابن عباس و غيره يعنى فى الدعاء و العباده و قيل انقطع إليه انقطاعا عن عطاء و هو الأصل و قيل توكل عليه توكلنا عن شقيق و قيل تفرغ لعبادته عن ابن زيد و قد جاء فى الحديث النهى عن التبتل و المراد به الانقطاع عن الناس و الجماعات و كان يجب أن يقول تبتلا لأن المراد بتلك الله من المخلوقين و اصطفاك لنفسه تبتيلا فتبتل أنت أيضا إليه و قيل إنما قال تبتيلا ليطابق أواخر آيات السوره و

روى محمد بن مسلم و زراره و حمران عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام) أن التبتل هنا رفع اليدين فى الصلاه

و

فى روايه أبى بصير قال هو رفع يدك إلى الله و تضرعك إليه

«رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ» أى رب العالم بما فيه لأنه بين المشرق و المغرب و قيل رب مشرق الشمس و مغربها و المراد أول النهار و آخره فأضاف النصف الأول من النهار إلى المشرق و النصف الآخر منه إلى المغرب و قيل مالك المشرق و المغرب أى المتصرف فيما بينهما و المدبر لما بينهما «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» أى لا أحد تحق له العباده سواه «فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا» أى حفيظا للقيام بأمرك و قيل معناه فاتخذه كافيا لما وعدك به و اعتمد عليه و فوض أمرك إليه تجده خير حفيظ و كاف «وَ اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ» لك يعنى الكفار من التكذيب و الأذى و النسبه إلى السحر و الكهانه «وَ اهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا» و الهجر الجميل إظهار الموجهه عليهم من غير ترك الدعاء إلى الحق على وجه المناصحه قال الزجاج هذا يدل على أنه نزل قبل الأمر بالقتال و قيل بل هو أمر بالتلطف فى استدعائهم فيجب مع القتال و لا نسخ و فى هذا دلالة على وجوب الصبر على الأذى لمن يدعو إلى الدين و المعاشره بأحسن الأخلاق و استعمال الرفق ليكونوا أقرب إلى الإجابة.

ص: ١٤٨

إشارة

وَ ذَرْنِي وَ الْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَ مَهْلُهمْ قَلِيلًا (١١) إِنَّ لَمَدِينًا أَنْكَالًا وَ جَحِيمًا (١٢) وَ طَعَامًا ذَا عُصْبَةٍ وَ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣) يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَ الْجِبَالُ وَ كَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَهِيلًا (١٤) إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥)

فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً (١٦) فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مُمْطِرَةٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا (١٨) إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (١٩)

اللغة

يذر و يدع بمعنى يترك و لا يقال وذر و لا ودع و استغنى بترك عن ذلك لأن الابتداء بالواو عندهم مكروه و لذلك أبدلوا منها الهمزة فى أقت و التاء فى تخمه و تراث و النعمة بفتح النون لين اللمس و ضدها الخشونه و النعمة الشروه و المنه أيضا و النعمة بضم النون المسره يقال نعم و نعمه عين و نعمى عين و الأنكال القيود واحدها نكل و الغصه تردد اللقمه فى الحلق و لا يسيغها آكلها يقال غص بريقه يغص غصصا و فى قلبه غصه من كذا و هى كاللدغه التى لا يسوغ معها الطعام و الشراب قال عدى بن زيد:

لو بغير الماء حلقى شرق كنت كالغصان بالماء اعتصارى

و الكتيب الرمل المجتمع الكثير و هلت الرمل أهيله هيلاً فهو مهيل إذا حرك أسفله فسال أعلاه و

منه الحديث كيلوا و لا تهيلوا و كل ثقيل وبييل

و منه كلاً- مستوبل أى مستوخم لا- يستمرأ لثقله و منه الويل و الوابل و هو المطر العظيم القطر و منه الوبال و هو ما يغلظ على النفس و الوييل أيضا الغليظ من العصى قال طرفه:

فمرت كهاه ذات خيف جلاله عقيله شيخ كالوييل يلندد

ثم قال سبحانه مهديدا للكفار «وَذَرْنِي» يا محمد «وَالْمُكَذِّبِينَ» الذين يكذبونك فيما تدعوهم إليه من التوحيد وإخلاص العبادة وفي البعث والجزاء وهذا كما يقول القائل دعنى وإياه إذا أراد أن يهدده وهو نصب على أنه مفعول معه «أُولَى النَّعْمَةِ» يعنى المتنعمين ذوى الثروه فى الدنيا أى كل جزاءهم إلى ولا- تشغل قلبك بمجازاتهم «وَمَهْلُهُمْ قَلِيلًا» وهذا أيضا وعيد لهم ولم يكن إلا يسيرا حتى كانت وقعه بدر والمعنى وأخرهم فى المده قليلا قال مقاتل نزلت فى المطعمين ببدر وهم عشره ذكرناهم فى الأنفال وقيل نزلت فى صنديد قريش والمستهزئين «إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا» أى عندنا قيودا فى الآخرة عظاما لا تفكك أبدا عن مجاهد وقتاده وقيل أغلالا- «وَجَحِيمًا» وهو اسم من أسماء جهنم وقيل يعنى ونارا عظيمة ولا يسمى القليل به «وَوَطْعًا» أى ذا شوكة يأخذ الحلق فلا يدخل ولا يخرج عن ابن عباس وقيل طعما يأخذ بالحلقوم لخشونته وشده تكرهه وقيل يعنى الزقوم والضريع و

روى عن حمران بن أعين عن عبد الله بن عمر أن النبى ص سمع قارئاً يقرأ هذه فصعق

«وَعَذَابًا أَلِيمًا» أى عقابا موجعا مؤلما ثم بين سبحانه متى يكون ذلك فقال «يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ» أى تتحرك باضطراب شديد «وَالْجِبَالُ» أى وترجف الجبال معها أيضا وتضطرب بمن عليها «وَوَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَّهِيلًا» أى رملا سائلا متناثرا عن ابن عباس وقيل المهيل الذى إذا وطأته القدم زل من تحتها وإذا أخذت أسفله انهار أعلاه عن الضحاك والمعنى أن الجبال تنقلع من أصولها فتصير بعد صلابتها كالرمل السائل ثم أكد سبحانه الحجة على أهل مكة فقال «إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا» يعنى محمدا ص «شَاهِدًا عَلَيْكُمْ» أى يشهد عليكم فى الآخرة بما يكون منكم لا فى الدنيا «كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ» بمصر «رَسُولًا» يعنى موسى ابن عمران «فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ» ولم يقبل منه ما دعاه إليه «فَأَخَذْنَاهُ» بالعذاب «أَخَذًا وَبِيلًا» أى شديدا ثقيلا مع كثره جنوده وسعه ملكه يعنى الغرق حذرهم سبحانه أن ينالهم مثل ما نال فرعون وقومه «فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ» ولم تؤمنوا برسولكم «يَوْمًا» أى عقاب يوم «يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا» وهو جمع أشيب وهذا وصف لذلك اليوم وشده كما يقال هذا أمر يشيب منه الوليد وتشيب منه النواصي إذا كان عظيما شديدا والمعنى بأى شىء تتحصنون من عذاب ذلك اليوم إن كفرتم وكيف تدفعون عنكم ذلك قال النابغه:

أى دفعتنا ثم زاد سبحانه فى وصف شده ذلك اليوم فقال «السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ» الهاء تعود إلى اليوم و هذا كما يقال فلان بالكوفه أى هو فيها و المعنى أن السماء تنفطر و تشق فى ذلك اليوم من هولته و قيل سبب ذلك اليوم و هولته و شدته و قيل بأمر الله و قدرته و لم يقل منفطره لأن لفظه السماء مذكر فيجوز أن يذكر و يؤنث و من ذكر أراد السقف و قيل معناه ذات انفطار كما يقال امرأه مطفل أى ذات أطفال و مرضع ذات رضاع فيكون على طريق النسبه «كَانَ وَعَيْدُهُ مَفْعُولًا» أى كائنا لا خلف فيه و لا تبديل «إِنَّ هَذِهِ» الصفه التى ذكرناها و بينها «تَذَكْرَةٌ» أى عظه لمن أنصف من نفسه و التذكره الموعظه التى يذكر بها ما يعمل عليه «فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا» أى فمن شاء من المكلفين اتخذ إلى ثواب ربه سبيلا لأنه قادر على الطاعه التى لو فعلها وصل إلى الثواب و قد رغبه الله تعالى فيه و دعاه إلى فعل ما يوصله إليه و بعث رسولا يدعوه إليه فمن لم يصل إليه فبسوء اختياره انصرف عنه.

إشارة

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاقْرَأُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٠)

القراءة

قرأ ابن كثير و أهل الكوفه نصفه و ثلثه بالنصب و الباقون بالجر.

الحجه

قال أبو علي من نصب حملة على أدنى و أدنى في موضع نصب قال أبو عبيده أدنى أقرب فكأنه قال إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل و تقوم نصفه و ثلثه و من جر فإنه يحمله على الجار قال أبو الحسن و ليس المعنى عليه فيما بلغنا لأن المعنى يكون على أدنى من نصفه و أدنى من ثلثه قال و كان الذي افترض الثلث و أكثر من الثلث قال فأما الذين قرءوا بالجر فعلى أن يكون المعنى أنكم إن لم تؤدوا ما فرض الله عليكم فقوموا أدنى من ثلثي الليل و من نصفه و من ثلثه.

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال «إِنَّ رَبَّكَ» يا محمد «يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ» أى أقرب و أقل «مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ» أى أقل من نصفه و ثلثه و الهاء تعود إلى الليل أى نصف الليل و ثلث الليل و المعنى أنك تقوم فى بعض الليالى قريبا من الثلثين و فى بعضها قريبا من نصف الليل و قريبا من ثلثه و قيل إن الهاء تعود إلى الثلثين أى و أقرب من نصف الثلثين و من ثلث الثلثين و إذا نصبت فالمعنى تقوم نصفه و ثلثه «وَ» تقوم «طَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ» على الإيمان و روى الحاكم أبو القاسم إبراهيم الحسكاني بإسناده عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس فى قوله «وَ طَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ» قال على و أبو ذر «وَ اللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ» أى يقدر أوقاتها لتعلموا فيها على ما يأمركم به و قيل معناه لا يفوته علم ما تفعلون عن عطاء و المراد أنه يعلم مقادير الليل و النهار فيعلم القدر الذى تقومونه من الليل «عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ» قال مقاتل كان الرجل يصلى الليل كله مخافه أن لا يصيب ما أمر به من القيام فقال سبحانه «عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ» أى لن تطيقوا معرفه ذلك و قال الحسن قاموا حتى انتفخت أقدامهم فقال سبحانه إنكم لا تطيقون إحصاءه على الحقيقه و قيل معناه لن تطيقوا مداومه على قيام الليل و يقع منكم التقصير فيه «فَتَابَ عَلَيْكُمْ» بأن جعله تطوعا و لم يجعله فرضا عن الجبائى و قيل معناه فلم يلزمكم إثما كما لا يلزم التائب أى رفع التبعه فيه كرفع التبعه عن التائب و قيل فتاب عليكم أى فحفف عليكم «فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ» الآن يعنى فى صلاه الليل عن أكثر المفسرين و أجمعوا أيضا على أن المراد بالقيام المتقدم فى قوله قُمِ اللَّيْلَ هو القيام إلى الصلاه إلا أبا مسلم فإنه قال أراد القيام لقراءه القرآن

لا غير و قيل

ص: ١٥٢

معناه فصلوا ما تيسر من الصلاة و عبر عن الصلاة بالقرآن لأنها تتضمنه و من قال إن المراد به قراءة القرآن في غير الصلاة فهو محمول على الاستحباب عند الأَكثَرين دون الوجوب لأنه لو وجبت القراءة لوجب الحفظ و قال بعضهم هو محمول على الوجوب لأن القارئ يقف على إعجاز القرآن و ما فيه من دلائل التوحيد و إرسال الرسل و لا يلزم حفظ القرآن لأنه من القرب المستحب المرغَّب فيها ثم اختلفوا في القدر الذي تضمنه هذا الأمر من القراءة فقال سعيد بن جبیر خمسون آية و قال ابن عباس مائة آية و عن الحسن قال من قرأ مائة آية في ليله لم يحاجه القرآن و قال كعب من قرأ مائة آية في ليله كتب من القانتين و قال السدي مائتا آية و قال جويبر ثلث القرآن لأن الله يسره على عباده و الظاهر أن معنى ما تيسر مقدار ما أردتم و أحببتم «عَلِمَ أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرَضِيٌّ» و ذلك يقتضى التخفيف عنكم «وَ آخَرُونَ» أى و منكم قوم آخرون «يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَنْتَعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ» أى يسافرون للتجاره و طلب الأرباح عن ابن عباس «وَ آخَرُونَ» أى و منكم قوم آخرون «يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» فكل ذلك يقتضى التخفيف عنكم «فَأَقْرُوا مَا تَيْسَّرَ مِنْهُ» و

روى عن الرضا (عليه السلام) عن أبيه عن جده (عليه السلام) قال ما تيسر منه لكم فيه خشوع القلب و صفاء السر

«وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ» بحدودها التى أوجبها الله عليكم «وَ آتُوا الزَّكَاةَ» المفروضه «وَ أَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا» أى و أنفقوا فى سبيل الله و الجهات التى أمركم الله و ندبكم إلى النفقه فيها و قد مر معنى القرض فيما تقدم «وَ مَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ» أى طاعه «تَجِدُوهُ» أى تجدوا ثوابه «عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ» لكم من الشح و التقصير «وَ أَعْظَمَ أَجْرًا» أى أفضل ثوابا و هو هنا يسمى فصلا عند البصريين و عمادا عند الكوفيين و يجوز أن يكون صفة للهاء فى تجدوه «وَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ» أى اطلبوا مغفرته «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» أى ستار لذنوبكم صفوح عنكم رحيم بكم منعم عليكم قال عبد الله ابن مسعود أيما رجل جلب شيئا إلى مدينه من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزله الشهداء ثم قرأ «وَ آخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ» الآية و قال ابن عمر ما خلق الله موته أموتها بعد القتل فى سبيل الله أحب إلى من أن أموت بين شقى رحل أضرب فى الأرض أبتغى من فضل الله و قيل إن هذه الآية مدينه و يدل عليها أن الصلاة و الزكاه لم توجبا بمكه و قيل أوجبتا بمكه و الآية مكيه.

(٧٤) سورة المدثر مكيه و آياتها ست و خمسون (٥٦)

اشاره

عدد آياتها

خمسون و ست آيات عراقى و البزى و المدنى الأول و خمس شامى و المدنى الأخير و المكى غير البزى.

اختلافها

«يَسَاءَ لَوْنَ» غير المدنى الأخير «عَنِ الْمُجْرِمِينَ» غير الشامى و المكى إلا البزى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأ المدثر أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد ص و كذب به بمكه محمد بن مسلم عن أبى جعفر (عليه السلام) قال من قرأ فى الفريضة سورة المدثر كان حقا على الله أن يجعله مع محمد ص فى درجته و لا يدركه فى حياه الدنيا شقاء أبدا.

تفسيرها

لما أمر سبحانه نبيه ص فى آخر المزمّل بالصلاه و غيرها أمره فى مفتتح هذه السوره بالإنذار فكأنه أمره أن يبدأ بنفسه ثم بالناس فقال:

ص: ١٥٤

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤)

وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمَنَّؤْ تَسْتَكْبِرُ (٦) وَ لِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَلِكِ يَوْمِئِذٍ عَسِيرٌ (٩)

عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرٌ يَسِيرٌ (١٠)

القراءه

قرأ أبو جعفر و حفص و يعقوب و سهل و الرجز بالضم و الباقون بكسر الراء و قرأ الحسن تستكثر بالجزم و قرأ الأعمش تستكثر بالنصب و القراءه بالرفع.

الحجه

«الرُّجْزَ» بالضم قراءه الحسن و هو اسم صنم فيما زعموا و قال قتاده هما صنمان إساف و نائله و من كسر فهو العذاب و المعنى ذات العذاب فاهجر لأن عبادتها تؤدي إلى العذاب و يجوز أن يكون الرجز و الرجز لغتين كالذكر و الذكر و قال ابن جنى الجزم فى تستكثر يحتمل أمرين (أحدهما) أن يكون بدلا من تمنن فكأنه قال لا تستكثر فإن قيل فعبره البدل أن يصلح إقامه الثانى مقام الأول و أنت لو قلت لا تستكثر لا يدل لك النهى على المن للاستكثر و إنما المعنى لا تمنن من مستكثر قيل قد يكون البدل على حذف الأول و قد يكون على نيه ثباته و ذلك كقولك زيد مررت به أبى محمد فتبدل أبى محمد من الهاء و لو قلت زيد مررت مررت بأبى محمد كان قبيحا فقله «وَلَا تَمَنَّؤْ تَسْتَكْبِرُ» من هذا القبيل و أنكر أبو حاتم الجزم على البدل (و الآخر) أن يكون أراد تستكثر فأسكن الراء لثقل الضمه مع كثره الحركات كما حكى أبو زيد من قولهم بلى وَرُسُلُنَا يَأْسُكُنُ اللَّامُ و أما تستكثر بالنصب فبأن مضمرة و ذلك أن يكون بدلا من قوله «وَلَا تَمَنَّؤْ» فى المعنى أ لا ترى أن معناه لا يكن منك من فاستكثر فكأنه قال لا يكن منك من أن تستكثر فتضمير أن لتكون مع الفعل المنصوب بها بدلا عن المن فى المعنى الذى دل عليه الفعل و مما وقع فيه الفعل موقع المصدر قوله:

فقالوا ما تشاء فقلت ألهو إلى الأصباح آثر ذى أثر

أراد فقلت للهو فوضع ألهو موضع اللهو.

اللغه

المدثر المتفعل من الدثار إلا أن الثاء أدغمت في الدال و هو المتغطى بالثياب عند النوم و التكبير وصف الأكبر على اعتقاد معناه
كتكبير المكبر فى الصلاة بقوله الله أكبر و التكبير نقيض التصغير و الكبير الشأن هو المختص باتساع للمقدور و المعلوم و
الطهاره النظافه بانتفاء النجاسه لأن النظافه قد تكون بانتفاء الوسخ من غير نجاسه و قد تكون بانتفاء النجاسه فالطهاره فى الآيه هو
القسم الأخير و المن ذكر النعمه بما يكدرها و يقطع حق الشكر بها يقال من بعبائه يمن منا إذا فعل ذلك فأما المن على الأسير
فهو إطلاقه بقطع أسباب

ص: ١٥٥

الاعتقال عنه و الاستكثار طلب الكثرة و هو هنا طلب ذكر الاستكثار للعطيه و الناقور فاعول من النقر كهاضوم من الهضم و حاطوم من الحطم و هو الذى من شأنه أن ينقر فيه للتصويت به و اليسير و القليل الكلفه و منه اليسار و هو كثره المال لقله الكلفه به فى الإنفاق و منه تيسير الأمور لسهولته.

الإعراب

«وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ» تقديره قم فكبر ربك و كذلك ما بعده و فائده تقديم المفعول عنها التخصيص لأنك إذا قلت و كبر ربك لم يدل ذلك على أنه لا يجوز تكبير غير الرب إذا قلت ربك فكبر دل على أنه لا يجوز تكبير غيره و تستكثر فى موضع نصب على الحال فذلك مبتدأ و يوم عسير خبره و يومئذ يجوز أن يكون رفعا و يجوز أن يكون نصبا فإذا كان رفعا فإنما يبنى على الفتح لإضافته إلى إذ لأن إذ غير متمكنه و إذا كان نصبا فعلى الظرف و تقديره فذلك يوم عسير فى يوم ينفخ فى الصور قاله الزجاج و قال أبو على فى بعض كتبه لا يجوز أن ينتصب يومئذ بقوله «عَسِيرٌ» لأن الصفه لا تعمل فيما قبل الموصوف و إنما انتصب يومئذ على أنه صلته قوله «فَذَلِكَ» لأن ذلك كناية عن المصدر فكأنه قال فذلك النقر يومئذ و على هذا فيكون التقدير فذلك النقر فى ذلك الوقت نقر يوم عسير و قوله «عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرَ يَسِيرٍ» على يتعلق بعسير و لا يتعلق بيسير لأن ما يعمل فيه المضاف إليه لا يتقدم على المضاف على أنهم قالوا إن غيرا فى حكم حرف النفى فيجوز أن يعمل ما بعده فيما قبله نحو أن تقول أنت زيدا غير ضارب و لا يجوز أن تقول أنت زيدا مثل ضارب فتعمل ضاربا فى زيد و إنما أجازوا أنت زيدا غير ضارب حملا على أنت زيدا لا ضارب.

المعنى

خاطب سبحانه نبيه ص فقال «يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ» أى المتدثر بشيابه قال الأوزاعى سمعت يحيى بن أبى كثير يقول سألت أبا سلمه أى القرآن أنزل من قبل قال «يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ» فقلت أو اقرأ باسمِ رَبِّكَ فقال سألت جابر بن عبد الله أى القرآن أنزل قبل قال «يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ» فقلت أو اقرأ

فقال جابر أحدثكم ما حدثنا رسول الله ص قال جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جوارى نزلت فاستبطنت الواد فنوديت فنظرت أمامى و خلفى و عن يمينى و شمالى فلم أر أحدا ثم نوديت فرفعت رأسى فإذا هو على العرش فى الهواء يعنى جبرائيل فقلت دثرونى دثرونى فصبوا على ماء فأنزل الله عز و جل «يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ»

و

فى روايه فحييت منه فرقا حتى هويت إلى الأرض فجئت إلى أهلى فقلت زملونى فنزل «يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ»

«قُمْ فَأَنْذِرْ» أى ليس بك ما تخافه من الشيطان إنما أنت نبى فأنذر الناس و ادعهم إلى التوحيد و فى هذا ما فيه لأن الله تعالى لا يوحى إلى رسوله إلا بالبراهين النيره و الآيات البينه الداله على أن ما يوحى إليه

إنما هو من الله تعالى فلا يحتاج إلى شىء سواها ولا يفزع ولا يفرق وقيل معناه يا أيها الطالب صرف الأذى بالذثار اطلبه بالإنذار وخوف قومك بالنار وإن لم يؤمنوا وقيل إنه كان قد تدرثر بشمله صغيره لينام فقال يا أيها النائم قم من نومك فأندرك قومك وقيل إن المراد به الجعد في الأمر والقيام بما أرسل به وترك الهوينا فيه فكأنه قيل له لا تنم عما أمرتك به وهذا كما تقول العرب فلان لا ينام في أمره إذا وصف بالجلد والانكماش وصدق العزيمه و كأنهم يخطرون النوم على ذى الحاجه حتى يبلغ حاجته و بذلك نطقت أشعارهم كما قيل:

ألا أيها الناهى فزاره بعد ما أجدت لأمر إنما أنت حالم

أرى كل ذى وتر يقوم بوتره و يمنع عنه النوم إذ أنت نائم

و يقال لمن أدرك ثاره هذا هو الثأر المنيم و قال الشاعر يصف من أورد إبلا له:

أوردها سعد و سعد مشتمل ما هكذا توردد يا سعد الإبل

والاشتغال مثل التدرثر «وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ» أى عظمه و نزهه عما لا يليق به وقيل كبره فى الصلاة فقل الله أكبر «وَتِيَابِكَ فَطَهِّرْ» أى و تيابك الملبوسه فطهرها من النجاسه للصلاه و قيل معناه و نفسك فطهر من الذنوب و الثياب عباره عن النفس عن قتاده و مجاهد و على هذا فيكون التقدير و ذا تيابك فطهر فحذف المضاف و مما يؤيد هذا القول قول عنتره:

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم

و قيل معناه طهر تيابك من لبسها على معصيه أو غدره كما قال سلامه بن غيلان الثقفى أنشده ابن عباس:

و إني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست و لا من غدره أتقنع

قال الزجاج معناه و يقال للغادر دنس الثياب و فى معناه قول من قال و عملك فأصلح.

قال السدى يقال للرجل إذا كان صالحا أنه لظاهر الثياب و إذا كان فاجرا إنه لخبث الثياب و

قيل معناه و ثيابك فقصر عن طاووس و روى ذلك عن أبي عبد الله (عليه السلام)

قال الزجاج لأن تقصير الثوب أبعده من النجاسة فإنه إذا انجر على الأرض لم يؤمن أن يصيبه ما ينجسه و قيل معناه و ثيابك فاغسلها عن النجاسة بالماء لأن المشركين كانوا لا يتطهرون عن ابن زيد و ابن سيرين و قيل لا يكن ثيابك من حرام عن ابن عباس و قيل معناه و أزواجك فطهرهن عن الكفر و المعاصي حتى يصرن مؤمنات صالحات و العرب تكنى بالثياب عن النساء عن أبي مسلم و

روى أبو بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال قال أمير المؤمنين (عليه السلام) غسل الثياب يذهب الهم و الحزن و هو طهور الصلاة و تسمير الثياب طهور لها و قد قال الله سبحانه «وَ ثِيَابَكَ فَطَهِّرْ» أى فشم

«وَ الرَّجْزَ فَاهْجُرْ» أى اهجر الأصنام و الأوثان عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و الزهري و قيل معناه اجتنب المعاصي عن الحسن قال الكسائي الرجز بالكسر العذاب و بالضم الصنم و قال المعنى أهجر ما يؤدي إلى العذاب و لم يفرق غيره بينهما و قيل معناه جانب الفعل القبيح و الخلق الذميم عن الجبائي و قيل معناه أخرج حب الدنيا من قلبك لأنه رأس كل خطيئه «وَ لَا تَمُنُّنْ تَشْتَكِرْ» أى لا تعط عطية لتعطى أكثر منها و هذا للنبي ص خاصة أدبه الله سبحانه بأكرم الآداب و أشرفها عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و النخعي و الضحاك و قيل معناه و لا تمنن حسناتك على الله تعالى مستكثرا لها فينقصك ذلك عند الله عن الحسن و ربيع بن أنس و قيل معناه لا- تمنن ما أعطاك الله من النبوه و القرآن مستكثرا به الأجر من الناس عن ابن زيد و قيل هو نهى عن الربا المحرم أى لا- تعط شيئا طالبا أن تعطى أكثر مما أعطيت عن أبي مسلم و قيل لا تضعف فى عملك مستكثرا لطاعاتك عن مجاهد و قيل و لا تمنن بعطائك على الناس مستكثرا ما أعطيته فإن متاع الدنيا قليل و لأن المن يكدر الصنيعه و قيل معناه إذا أعطيت عطية فأعطها لربك و اصبر حتى يكون هو الذى يثيبك عليها عن زيد بن أسلم و قيل معناه لا تمنن بإبلاغ الرسالة على أمتك عن الجبائي «وَ لِرُبِّكَ» أى لوجه ربك «فَاصْبِرْ» على أذى المشركين عن مجاهد و قيل فاصبر على ما أمرك الله به من أداء الرسالة و تعظيم الشريعة و على ما ينالك من التكذيب و الأذى لتتال الفوز و الذخر و قيل فاصبر عن المعاصي و على الطاعات و المصائب و قيل فاصبر لله على ما حملت من الأمور الشاقة فى محاربه العرب و العجم عن ابن زيد «فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ» معناه إذا نفخ فى الصور و هى كهيته البوق عن مجاهد و قيل إن ذلك فى النفخه الأولى و هو أول الشده الهائله العامه و قيل إنه النفخه الثانيه و عندها يحيى الله الخلق و تقوم القيامة و هى صيحه الساعه عن الجبائي «فَذَلِكِ يَوْمٌ مِّمَّ» قد مر معناه فى الأعراف «يَوْمٌ عَسِيرٌ» أى شديد «عَلَى الْكَافِرِينَ» نعم الله الجاحدين لآياته «غَيْرٌ يَسِيرٌ»

غير هين ولا سهل و هو بمعنى قوله «عَسِيْرٌ» إلا أنه أعاده بلفظ آخر للتأكيد كما تقول إني واد لفلان غير مبغض و قيل معناه عسير فى نفسه و غير عسير على المؤمنين لما يرون من حسن العاقبه.

[سوره المدثر (٧٤): الآيات ١١ الى ٣١]

اشاره

ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً (١١) وَ جَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً (١٢) وَ بَيْنِينَ شُهُوداً (١٣) وَ مَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥)

كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً (١٦) سَأَرْهُقُهُ صُعُوداً (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَ قَدَّرَ (١٨) فَفُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠)

ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَ اسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥)

سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَ مَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَ لَا تَذَرُ (٢٨) لَوْ آحَهُ لِلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠)

وَ مَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَ مَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَ يَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً وَ لَا يَوْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ لِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَ مَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَ مَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ (٣١)

التمهيد و التوطئه و التذليل و التسهيل نظائر و العنيد الذاهب عن الشىء على طريق العداوه له يقال عند العرق يعند عنودا فهو عاند إذا نفر و المعانده منافره المضاده و كذلك العناد و بعير عنود أى نافر قال الشاعر:

إذا نزلت فاجعلونى وسطا إنى كبير لا أطيق العندا

و الإرهاق الإعجاز بالعنف و الصعود العقبه التى يصعب صعودها و هى الكؤود و عبس يعبس عبوسا إذا قبض وجهه و العبوس و التكليح و التقطيب نظائر و ضدها الطلاقه و البشاشه و البسور بدو التكره فى الوجه و أصله من بسر بالأمر إذا عجل به و منه البسر لتعجيل حاله قبل الإرتاب قال توبه:

و قد رابنى منها صدود رأيتة و إعراضها عن حاجتى و بسورها

و الإصلاء إزام موضع النار يقال أصليته فاصطلى و سقر اسم من أسماء جهنم لم يصرف للتأنيث و التعريف و أصله من سقرته الشمس سقرا إذا ألت دماغه و الإبقاء ترك شىء مما أخذ و التلويح تغيير اللون إلى الاحمرار و لوحته الشمس تلويحا فهى لوحه على المبالغه و البشر جمع بشره و هى ظاهر الجلد و منه سمى الإنسان بشرا لأنه ظاهر الجلد بتعريه من الوبر و الريش و الصوف الذى يكون فى غيره من الحيوان.

الإعراب

وحيدا منصوب على الحال و هو على وجهين أحدهما أن يكون من صفة الله أى ذرنى و من خلقتة وحدى و الآخر أن يكون من صفة المخلوق.

النزول

نزلت الآيات فى الوليد بن المغيرة المخزومى و ذلك أن قريشا اجتمعت فى دار الندوه فقال لهم الوليد إنكم ذوو أحساب و ذوو أحلام و إن العرب يأتونكم فينطلقون من عندكم على أمر مختلف فاجمعوا أمركم على شىء واحد ما تقولون فى هذا الرجل قالوا نقول إنه شاعر فعبس عندها و قال قد سمعنا الشعر فما يشبه قوله الشعر فقالوا نقول إنه كاهن قال إذا تأتونه فلا تجدونه يحدث بما تحدث به الكهنة قالوا نقول إنه لمجنون فقال إذا تأتونه فلا تجدونه مجنونا قالوا نقول إنه ساحر قال و ما الساحر فقالوا بشر يحبون بين المتباغضين

و يبغضون بين المتحابين قال فهو ساحر فخرجوا فكان لا يلقى أحد منهم النبي ص إلا قال يا ساحر يا ساحر و اشتد عليه ذلك فأنزل الله تعالى أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ إِلَى قَوْلِهِ «إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ» عن مجاهد و يروى أن النبي ص لما أنزل عليه حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ قام إلى المسجد و الوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي ص لاستماعه لقراءته أعاد قراءه الآيه فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه بنى مخزوم فقال و الله لقد سمعت من محمد أنفا كلاما ما هو من كلام الإنس و لا من كلام الجن و إن له لحلاوه و إن عليه لطلاوه و إن أعلاه لمثر و إن أسفله لمغدق و إنه ليعلو و ما يعلى ثم انصرف إلى منزله فقال قريش صبا و الله و الوليد و الله لتصبا قريش كلهم و كان يقال للوليد ريحانه قريش فقال لهم أبو جهل أنا أكفيكموه فانطلق فقعد إلى جانب الوليد حزينا فقال لى ما أراك حزينا يا ابن أخى قال هذه قريش يعيونك على كبر سنك و يزعمون أنك زينت كلام محمد فقام مع أبى جهل حتى أتى مجلس قومه فقال أ تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق قط فقالوا اللهم لا قال أ تزعمون أنه كاهن فهل رأيتم عليه شيئا من ذلك قالوا اللهم لا قال أ تزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه أنه ينطق بشعر قط قالوا اللهم لا قال أ تزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا اللهم لا و كان يسمى الصادق الأمين قبل النبوه من صدقه فقالت قريش للوليد فما هو فتفكر فى نفسه ثم نظر و عبس فقال ما هو إلا ساحر ما رأيتموه يفرق بين الرجل و أهله و ولده و مواليه فهو ساحر و ما يقوله سحر يؤثر.

المعنى

ثم قال سبحانه لنبيه ص على وجه التهديد للكافر الذى وصفه «ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً» أى دعنى و إياه فإنى كاف له فى عقابه كما يقول القائل دعنى و إياه و معناه دعنى و من خلقته متوحدا بخلقه لا شريك لى فى خلقه و إن حملته على صفه المخلوق فمعناه دعنى و من خلقته فى بطن أمه واحد لا مال له و لا ولد يعنى الوليد بن المغيرة قال مقاتل معناه خل بينى و بينه فأنا أفرد بهلكته و قال ابن عباس كان الوليد يسمى الوحيد فى قومه و

روى العياشى بإسناده عن زراره و حمران و محمد بن مسلم عن أبى عبد الله و أبى جعفر أن الوحيد ولد الزنا

قال زراره ذكر لأبى جعفر عن أحد بنى هشام أنه قال فى خطبته أنا ابن الوحيد فقال و يله لو علم ما الوحيد ما فخر بها فقلنا له و ما هو من لا يعرف له أب

ثم ذكر سبحانه رزقه المال و الولد فقال «وَ جَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُوداً» ما بين مكة إلى

الطائف من الإبل المؤبله و الخيل المسومه و النعم المرحله و المستغلات التى لا تنقطع غلتها و الجوارى و العبيد و العين الكثيره عن عطاء عن ابن عباس و قيل الممدود الكثير الذى لا تنقطع غلته عنه سنه حتى يدرك غله سنه أخرى فهو ممدود على الأيام و كان له بستان بالطائف لا ينقطع خيره فى شتاء و لا صيف و عشره بنين و مائه ألف دينار عن مجاهد و قيل سته آلاف دينار عن قتاده و قيل أربعه آلاف دينار عن سفيان «وَبَيْنَ شُهُودًا» حضورا معه بمكه لا يغيبون عنه لغناهم عن ركوب السفر للتجاره قال سعيد بن جبير كانوا ثلاثه عشر و قال مقاتل كانوا سبعة الوليد و خالد و عماره و هشام و العاص و قيس و عبد شمس أسلم منهم ثلاثه خالد و هشام و عماره قالوا فما زال الوليد بعد هذه الآيه فى نقصان من ماله و ولده حتى هلك «وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا» أى بسطت له فى العيش بسطا حتى صار مكفى المئونه من كل وجه حتى صارت أحواله متناسبه عن الحسن و غيره و قيل سهلت له و قيل سهلت له التصرف فى الأمور تسهيلا «ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ» أى لم يشكرنى على هذه النعم بل كفر نعمائى و هو مع ذلك يطمع أن أزيد فى إنعامه ثم قال على وجه الردع و الزجر «كَلَّا» أى لا يكون كما ظن و لا أزيده مع كفره و قيل كلا معناه انزجر و ارتدع فليس الأمر على ما تتوهم ثم بين سبحانه كفره فقال «إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا» أى إنما لم نفعل به ذلك لأنه كان بحججنا و أدلتنا معاندا ينكرها مع معرفته بها و قيل عنيدا جحودا عن ابن عباس و قتاده «سَأُرْهِقُهُ صَيْهُودًا» أى سأكلفه مشقه من العذاب لا راحه فيه و

قيل صعود جبل فى جهنم من نار يؤخذ بارتقائه فإذا وضع يده عليه ذابت فإذا رفعها عادت و كذلك رجله فى خبر مرفوع

و قيل هو جبل من صخره ملساء فى النار يكلف أن يصعدها حتى إذا بلغ أعلاها أحدر إلى أسفلها ثم يكلف أيضا أن يصعدها فذلك دأبه أبدا يجذب من أمامه بسلاسل الحديد و يضرب من خلفه بمقاطع الحديد فيصلها فى أربعين سنه عن الكلبى «إِنَّهُ فَكَّرَ» و دبر ما ذا يقول فى القرآن «وَقَدَّرَ» القول فى نفسه و إنما فكر ليحتال به للباطل لأنه لو فكر على وجه طلب الرشاد لكان ممدوحا و قدر فقال إن قلنا شاعر كذبتنا العرب باعتبار ما أتى به و إن قلنا كاهن لم يصدقونا لأن كلامه لا يشبه كلام الكهان فنقول ساحر يؤثر ما أتى به عن غيره من السحره «فَقُتِلَ» أى لعن و عذب و قيل لعن بما يجرى مجرى القتل و قيل استحق العذاب عن الجبائى «كَيْفَ قَدَّرَ» قال صاحب النظم معناه لعن على أى حال قدر ما قدر من الكلام كما يقال فى الكلام لأضربنه كيف صنع أى على أى حال كان منه «ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ» هذا تكرير للتأكيد و قيل معناه كيف

قدر فى آياتنا ما قدر مع وضوح الحجه ثم لعن و عوقب بعقاب آخر كيف قدر فى إبطال الحق تقدير آخر و قيل معناه عوقب فى الآخره مره بعد مره «ثُمَّ نَظَرَ» فى طلب ما يدفع به القرآن و يرده «ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ» أى كلع و كره و وجهه و نظر بكراهه شديد كالمتهم المتفكر فى الشىء «ثُمَّ أَذْبَرَ» عن الإيمان «وَاسْتَكْبَرَ» أى تكبر حين دعا إليه «فَقَالَ إِنَّ هَذَا» أى ما هذا القرآن «إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَى» أى يروى عن السحره و قيل هو من الإيثار أى سحر تؤثره النفوس و تختاره لحلاوته فيها «إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ» أى ما هذا إلا كلام الإنس و ليس من عند الله و لو كان القرآن سحرا أو من كلام البشر كما قاله الملعون لأمكن السحره أن يأتوا بمثله و لقدر هو و غيره مع فصاحتهم على الإتيان بسوره مثله ثم قال سبحانه مهديا له «سَأُضِلُّهُ بِسَقَرٍ» أى سأدخله جهنم و ألزمه إياها و قيل سقر دركه من دركات جهنم و قيل باب من أبوابها «وَمَا أَذْرَاكَ» أيها السامع «مَا سَقَرٌ» فى شدتها و هولها و ضيقها ثم وصف بعض صفاتها فقال «لَا تُبْقَى وَ لَا تَدْرُ» أى لا تبقى لهم لحما إلا أكلته و لا تذرهم إذا أعيدوا خلقا جديدا عن مجاهد و قيل لا تبقى شيئا إلا أحرقتة و لا تذر أى لا تبقى عليهم بل يبلغ مجهودهم فى أنواع العذاب عن الجبائى «لَوَاحِئَهُ لِلْبَشَرِ» أى مغيره للجلود و قيل لافحه للجلود حتى تدعها أشد سوادا من الليل «عَلَيْهَا تَشِعَّةٌ عَشْرَ» من الملائكه هم خزنتها مالك و معه ثمانيه عشر أعينهم كالبرق الخاطف و أنيابهم كالصياصى يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبى أحدهم مسيره سنه تسع كف أحدهم مثل ربيعه و مضر نزعت منهم الرحمه يرفع أحدهم سبعين ألفا فيرميهم حيث أراد من جهنم و قيل معناه على سقر تسعه عشر ملكا و هم خزان سقر و للنار و دركاتنا الآخر خزان آخرون و قيل إنما خصوا بهذا العدد ليوافق المخبر الخبر لما جاء به الأنبياء قبله و ما كان من الكتب المتقدمه و يكون فى ذلك مصلحه للمكلفين و قال بعضهم فى تخصيص هذا العدد أن تسعه عشر يجمع أكثر القليل من العدد و أقل الكثير منه لأن العدد آحاد و عشرات و مئات و ألوف فأقل العشرات عشره و أكثر الآحاد تسعه قالوا و لما نزلت هذه الآيه قال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم أ تسمعون ابن أبى كبشه يخبركم أن خزنه النار تسعه عشر و أنتم الدهم الشجعان أ فيعجز كل عشره منكم أن يبطشوا برجل من خزنه جهنم فقال أبو الأسد الجمحى أنا أكفيكم سبعة عشر عشره على ظهري و سبعة على بطنى فاكفونى أنتم اثنين فنزل «وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً» الآيه عن ابن عباس و قتاده و الضحاك و معناه و ما جعلنا الموكلين بالنار المتولين تدبيرها إلا ملائكه جعلنا شهوتهم فى تعذيب أهل

النار و لم نجعلهم من بنى آدم كما تعهدون أنتم فتطيقونهم «و ما جَعَلْنَا عَدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا» أى لم نجعلهم على هذا العدد إلا- محنه و تشديدا فى التكليف للذين كفروا نعم الله و جحدوا وحدانيته حتى يتفكروا فيعلموا أن الله سبحانه حكيم لا يفعل إلا- ما هو حكمه و يعلموا أنه قادر على أن يزيد فى قواهم ما يقدرون به على تعذيب الخلائق و لو راجع الكفار عقولهم لعلموا أن من سلط ملكا واحدا على كافه بنى آدم لقبض أرواحهم فلا- يغلبونه قادر على سوق بعضهم إلى النار و جعلهم فيها بتسعه عشر من الملائكه «لَيْسَتِيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» من اليهود و النصارى أنه حق و إن محمدا ص صادق من حيث أخبر بما هو فى كتبهم من غير قراءه لها و لا- تعلم منهم «و يَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا» أى يقينا بهذا العدد و بصحه نبوه محمد ص إذا أخبرهم أهل الكتاب أنه مثل ما فى كتابهم «و لَا يَزِدَاتَبَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَ الْمُؤْمِنُونَ» أى و لثلا يشك هؤلاء فى عدد الخزنه و المعنى و ليستيقن من لم يؤمن بمحمد ص و من آمن به صحه نبوته إذا تدبروا و تفكروا «و لَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْكٰفِرُونَ ما ذا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا» اللام هنا لام العاقبه أى عاقبه أمر هؤلاء أن يقولوا هذا يعنى المنافقين و الكافرين و قيل معناه و لأن يقولوا ما ذا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا الوصف و العدد و يتدبروه فيؤدى بهم التدبير فى ذلك إلى الإيمان «كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» أى مثل ما جعلنا خزنه أصحاب النار ملائكه ذوى عدد محنه و اختبارا تكلف الخلق ليظهر الضلال و الهدى و أضافهما إلى نفسه لأن سبب ذلك التكليف و هو من جهته و قيل يضل عن طريق الجنه و الثواب من يشاء و يهدى من يشاء إليه «و ما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ» أى ما يعلم جنود ربك من كثرتها أحد إلا هو و لم يجعل خزنه النار تسعه عشر لقله جنوده و لكن الحكمه اقتضت ذلك و قيل هذا جواب أبى جهل حين قال ما لمحمد أعوان إلا تسعه عشر عن مقاتل و قيل معناه و ما يعلم عده الملائكه الذين خلقهم الله لتعذيب أهل النار إلا الله عن عطاء و المعنى أن التسعه عشر هم خزنه النار و لهم من الأعوان و الجنود ما لا- يعلمه إلا- الله ثم رجع إلى ذكر سقر فقال «و ما هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ» أى تذكره و موعظه للعالم ليتذكروا فيتجنبوا ما يستوجبون به ذلك و قيل معناه و ما هذه النار فى الدنيا إلا تذكره للبشر من نار الآخره حتى يتفكروا فيها فيحذروا نار الآخره و قيل ما هذه السوره إلا تذكره للناس و قيل و ما هذه الملائكه التسعه عشر إلا عبره للخلق يستدلون بذلك على كمال قدره الله تعالى و ينزجرون عن المعاصى.

إشارة

كَلَّا وَالْقَمَرَ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لَإِخْدَى الْكُبْرِ (٣٥) نَذِيرًا لِلْبَشَرِ (٣٦)

لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧) كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١)

مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَحُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦)

حَتَّىٰ آتَانَا الْيَقِينَ (٤٧) فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨) فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرِهِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (٥٠) فَزَتْ مِنْ قَسْوَرِهِ (٥١)

بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُنشَرَةً (٥٢) كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ (٥٣) كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرُهُ (٥٤) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرُهُ (٥٥) وَ مَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَعْفَرَةِ (٥٦)

القراءه

قرأ نافع و حمزه و يعقوب و خلف «إذ» بغير ألف «أدبر» بالألف و الباقون إذا بالألف دبر بغير الألف و قرأ أهل المدينة و ابن عامر مستنفره بفتح الفاء و الباقون بكسر الفاء و فى الشواذ قراءه بعضهم يرويه عن ابن كثير أنها لحد الكبر بلا همزه و قراءه سعيد بن جبير صحفا منشره بسكون الحاء و النون.

الحججه

أبو على قال يونس دبر انقضى و أدبر تولى قال قتاده الليل إذ أدبر إذا ولى و يقال دبر و أدبر و قال و التخفيف فى «لإخدى الكبر» أن يجعل فيها الهمزه بين بين نحو سيم فأما حذف الهمزه فليس بقياس و وجه ذلك أن الهمزه حذفت حذفاً كما حذفت فى قوله:

و يلمها فى هواء الجو طالبها و لا كهذا الذى فى الأرض مطلوب

و قد جاء ذلك فى مواضع من الشعر قال أبو الأسود لزياد:

يا با المغيره رب أمر معضل فرجته بالنكر منى و الدهاء

و قال آخر:

إن لم أقاتل فالبسونى برقعا و فتحات فى اليدىن أربعا

و أنشد أحمد بن يحيى:

إن كان حزن لك با فقيمه باعك عبدا بأخس قيمه

و قال الفرزدق:

و عليك إثم عطيه بن الخطفى و إثم التى زجرتك إن لم تجهد

قال و الكسر فى «مُسْتَنْفِرَةٌ» أولى لقوله «فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ» فهذا يدل على أنها هى استنفرت و يقال نفر و استنفر مثل سخر و استسخر و عجب و استعجب و من قال مستنفره فكان القسوره استنفرتها و الرامى قال أبو عبيده مستنفره مذعوره و أنشد الزجاج:

أمسك حمارك إنه مستنفر فى إثر أحمره عمدن لغرب

و رويت بالكسر أيضا قال ابن سلام سألت أبا سوار العرنى و كان أعرابيا فصيحاً قارئاً للقرآن فقلت «كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ» ما ذا قال حمر مستنفره طردها قسوره قلت إنما هو فرت من قسوره فقال أ فرت قلت نعم فقال «مُسْتَنْفِرَةٌ» قال ابن جنى أما سكون الحاء من صحف فلغه تميميه و أما منشره بسكون النون فإن العرف فى الاستعمال نشرت الثوب و غيره و أنشر الله الموتى فنشروا هم قال و قد جاء عنهم أيضا نشر الله الميت قال المتنبى:

ردت صنائعه إليه حياته فكأنه من نشرها منشور

و لم نعلمهم قالوا أنشرت الثوب و نحوه إلا أنه يجوز أن يشبه بشىء و كما جاز أن يشبه

الميت بالشىء المطوى حتى قال المتنبي منشور فكذلك يجوز أن يشبه المطوى بالميت فيقال صحف منشره أى كأنها بطيها ميتة فلما نشرت قيل منشره.

اللغة

اليقين العلم الذى يوجد برد الثقة به فى الصدر و يقال وجد فلان برد اليقين و ثلج اليقين فى صدره و لذلك لا يوصف سبحانه بأنه متيقن و القسوره الأسد و قيل هم الرماه من قسره يقسره قسرا إذا قهره و أصل الفرار الانكشاف عن الشىء و منه يقال فر الفرس يفر فرا إذا كشف عن سنه و الصحف جمع الصحف و هى الورقه التى من شأنها أن تقلب من جهه إلى جهه لما فيها من الكتابه و منه المصحف و جمعه مصاحف.

الإعراب

«نَذِيرًا لِلْبَشَرِ» اختلف فى وجه انتصابه ف قيل نصب على الحال و هو اسم فاعل بمعنى منذر و ذو الحال الضمير فى إحدى الكبر العائد إلى الهاء فى أنها و هى كناية عن النار فالمعنى أنها لكبيره فى حال الإنذار و أنا ذكره لأن معناه معنى العذاب و يجوز أن يكون التذكير على قولهم امرأه طالق أى ذات طلاق و كذلك نذير بمعنى ذات إنذار و قيل هو حال يتعلق بأول السوره فكأنه قال يا أيها المدثر قم نذيرا للبشر فأنذر و قيل إن النذير هنا بمعنى الإنذار و تقديره إنذارا للبشر فيكون نصبا على المصدر لأنه لما قال «إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكُبْرِ» دل على أنه أنذرهم بها إنذارا و قوله «مُعْرَضِينَ» منصوب على الحال مما فى اللام من قوله «فَمَا لَهُمْ» من معنى الفعل و التقدير أى شىء ثبت لهم معرضين عن التذكرة و «كَانَهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ» جملة فى موضع الحال من معرضين و هى حال من حال أو حال بعد حال أى مشابهين حمرا.

المعنى

ثم أقسم سبحانه على عظيم ما ذكره من الوعيد فقال «كَلَّا» أى حقا و قيل معناه ليس الأمر على ما يتوهمونه من أنهم يمكنهم دفع خزنه النار و غلبتهم «وَ الْقَمَرِ» أقسم بالظهور لما فيه من الآيات العجيبه فى طلوعه و غروبه و مسيره و زيادته و نقصانه «وَ اللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ» و أقسم بالليل إذا ولى و ذهب عن قتاده و قيل أدبر إذا جاء بعد غيره و أدبر إذا ولى مدبرا فعلى هذا يكون المعنى فى إذ أدبر إذا جاء الليل فى أثر النهار و فى إذ أدبر إذا ولى الليل فجاء الصبح عقيب و على القول الأول فهما لغتان معناه ولى و انقضى «وَ الصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ» أى إذا أضاء و أثار عن قتاده و هم قسم آخر و قيل معناه إذا كشف الظلام و أضاء الأشخاص و قال قوم التقدير فى هذه الأقسام و رب هذه الأشياء لأن اليمين لا يكون إلا بالله تعالى «إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكُبْرِ» هذا جواب القسم يعنى أن سقر التى هى النار لإحدى العظام و الكبر جمع الكبرى و هى العظمى عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و قيل معناه أن آيات القرآن لإحدى الكبر فى الوعيد «نَذِيرًا لِلْبَشَرِ» أى منذرا و مخوفا معلما مواضع المخافه

و النذير الحكيم بالتحذير عما ينبغي أن يحذر منه فكل نبي نذير لأنه حكيم بتحذيره عقاب الله تعالى على معاصيه و اختلف فيه فقيل إنه من صفه النار عن الحسن و قيل من صفه النبي ص فكأنه قال قم نذيرا عن ابن زيد و قيل من صفه الله تعالى عن ابن رزين و على هذا يكون حالا من فعل القسم المحذوف «لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ» أى يتقدم فى طاعه الله أو يتأخر عنها بالمعصيه عن قتاده و المشيئه هى الإراده فيكون المعنى أن هذا الإنذار متوجه إلى من يمكنه أن يتقى عذاب النار بأن يتجنب المعاصى و يفعل الطاعات فيقدر على التقدم و التأخر فى أمره بخلاف قول أهل الجبر القائلين ما لا يطاق و قيل إنه سبحانه عبر عن الإيمان و الطاعه بالتقدم لأن صاحبه متقدم فى العقول و الدرجات و عن الكفر و المعصيه بالتأخير لأنه متأخر فى العقول و الدرجات و

روى محمد بن الفضيل عن أبى الفضل عن أبى الحسن (عليه السلام) أنه قال كل من تقدم إلى ولايتنا تأخر عن سقر و كل من تأخر عن ولايتنا تقدم إلى سقر

«كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ» أى مرهونه بعملها محبوسه به مطالبه بما كسبته من طاعه أو من معصيه فالرهن أخذ الشىء بأمر على أن لا يرد إلا بالخروج منه قال زهير:

و فارتكك برهن لا فكاك له يوم الوداع فأمسى الرهن قد غلقا

فكذلك هؤلاء الضلال قد أخذوا برهن لا فكاك له و الكسب هو كل ما يجتلب به نفع أو يدفع به ضرر و يدخل فيه الفعل و أن لا يفعل ثم استثنى سبحانه أصحاب اليمين فقال «إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ» و هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم و قيل هم الذين يسلك بهم ذات اليمين قال قتاده غلق الناس كلهم إلا- أصحاب اليمين و هم الذين لا- ذنب لهم فهم ميامين على أنفسهم و قيل هم المؤمنون المستحقون للثواب عن الحسن و قيل هم الملائكه عن ابن عباس و

قال الباقر (عليه السلام) نحن و شيعتنا أصحاب اليمين

«فِي جَنَاتٍ يَتَسَاءَلُونَ» أى يسأل بعضهم بعضا و قيل يساءلون «عَنِ الْمُجْرِمِينَ» أى عن حالهم و عن ذنوبهم التى استحقوا بها النار «مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ» هذا سؤال توبيخ أى تطلع أهل الجنة على أهل النار فيقولون لهم ما أوقعكم فى النار «قَالُوا لَمْ نَكُ مِنْ الْمُصَلِّينَ» أى كنا لا نصلى الصلاه المكتوبه على ما قررها الشرع و فى هذا دلالة على أن الإخلال بالجواب يستحق به الذم و العقاب لأنهم علقوا استحقاقهم العقاب بالإخلال فى الصلاه و فيه دلالة أيضا على أن الكفار مخاطبون بالعبادات الشرعيه لأنه حكاية عن الكفار بدلاله قوله «وَكُنَّا نُكَذِّبُ يَوْمَ الدِّينِ» و قوله «وَلَمْ نَكُ

نُطِعُ الْمَسْكِينِ» معناه لم نك نخرج الزكوات التي كانت واجبه علينا و الكفارات التي وجب دفعها إلى المساكين و هم الفقراء «وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ» أى كلما غوى غاوا بالدخول فى الباطل غوينا معه عن قتاده و المعنى كنا نلوث أنفسنا بالمرور فى الباطل كتلوث الرجل بالخوض فلما كان هؤلاء يجرون مع من يكذب بالحق مشيعين لهم فى القول كانوا خائضين معهم «وَكُنَّا نُكذِّبُ يَوْمَ الدِّينِ» مع ذلك أى نجحد يوم الجزاء و هو يوم القيامة و الجزاء هو الإيصال إلى كل من له شىء أم عليه شىء ما يستحقه فى يوم الدين هو يوم أخذ المستحق بالعدل «حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ» أى أتانا الموت على هذه الحالة و قيل حتى جاءنا العلم اليقين من ذلك بأن عايناه «فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ» أى شفاعه الملائكه و النبيين كما نفعت الموحدين عن ابن عباس فى روايه عطاء و قال الحسن لم تنفعهم شفاعه ملك و لا شهيد و لا مؤمن و يعضد هذا الإجماع على أن عقاب الكفر لا يسقط بالشفاعه و قد صحت الروايه عن عبد الله بن مسعود قال يشفع نبيكم ص رابع أربعه جبريل ثم إبراهيم ثم موسى أو عيسى ثم نبيكم ص لا يشفع أحد أكثر مما يشفع فيه نبيكم ص ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء و يبقى قوم فى جهنم فيقال لهم «مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ» إلى قوله «فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ» قال ابن مسعود فهؤلاء الذين يبقون فى جهنم و

عن الحسن عن رسول الله ص قال يقول الرجل من أهل الجنة يوم القيامة أى رب عبدك فلان سقانى شربه من ماء فى الدنيا فشفعنى فيه فيقول اذهب فأخرجه من النار فيذهب فيتجسس فى النار حتى يخرج منه

و

قال ص إن من أمتى من سيدخل الله الجنة بشفاعته أكثر من مضر

«فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرِهِ مُعْرِضِينَ» أى أى شىء لهم و لم أعرضوا و تولوا عن القرآن فلم يؤمنوا به و التذكرة التذكير بمواعظ القرآن و المعنى لا شىء لهم فى الآخرة إذا أعرضوا عن القرآن و نفروا عنه «كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ» أى كأنهم حمر وحشيه نافره «فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرِهِ» يعنى الأسد عن عطاء و الكلبي قال ابن عباس الحمر الوحشيه إذا عاينت الأسد هربت منه كذلك هؤلاء الكفار إذا سمعوا النبى ص يقرأ القرآن هربوا منه و قيل القسوره الرماه و رجال القنص عن ابن عباس بخلاف و الضحاك و مقاتل و مجاهد و قال سعيد بن جبير هم القناص «بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشَرَةً» أى كتباً من السماء تنزل إليهم بأسمائهم أن آمنوا بمحمد ص عن الحسن و قتاده و ابن زيد و قيل معناه أنهم يريدون صحفاً من الله تعالى بالبراءه من العقوبه و إسباغ النعمه حتى يؤمنوا و إلا قاموا على كفرهم و قيل يريد كل واحد منهم أن يكون رسولا يوحى إليه متبوعاً و أنف من

ص: ١٦٩

أن يكون تابعا وقيل هو تفسيرها ما ذكره الله تعالى في قوله **وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُؤْيَاكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ** فقال سبحانه **«كَلَّا»** أى حقا ليس الأمر على ما قالوا ولا يكون كذلك **«بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ»** بجحدهم صحتها ولو خافوا عذاب الآخرة لما اقترحوا الآيات بعد قيام الدلالات والمعجزات **«كَلَّا»** أى حقا **«إِنَّهُ تَذَكُّرٌ»** أى إن القرآن تذكير وموعظه **«فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ»** أى اتعظ به لأنه قادر عليه **«وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ»** هذه المشيئة غير الأولى إذ لو كانت واحده لتناقض فالأولى مشيئة اختيار والثانية مشيئة إكراه وإجبار والمعنى أن هؤلاء الكفار لا يذكرون إلا أن يجبرهم الله تعالى على ذلك وقيل معناه إلا أن يشاء الله من حيث أمر به ونهى عن تركه و وعد الثواب على فعله و أوعدهم بالعقاب إن لم تفعله فكانت مشيئته سابقه أى لا تشاءون إلا والله قد شاء ذلك **«هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَ أَهْلُ الْمَغْفِرَةِ»** أى هو أهل أن يتقى محارمه و أهل أن يغفر الذنوب عن قتاده و

روى مرفوعا عن أنس قال إن رسول الله ص تلا هذه الآية فقال قال الله سبحانه أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معى إليه فمن اتقى أن يجعل معى إليها فأنا أهل أن أغفر له

وقيل معناه و هو أهل أن يتقى عقابه و أهل أن يعمل له بما يؤدي إلى مغفرته.

(٧٥) سورة القيامة مكيه و آياتها أربعون (٤٠)

إشارة

[توضيح]

أربعون آية كوفى و تسع و ثلاثون فى الباقيين.

اختلافها

آيه «لَتَعَجَّلَ بِهِ» كوفى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص و من قرأ سورة القيامة شهدت أنا و جبريل له يوم القيامة أنه كان مؤمنا بيوم القيامة و جاء و وجهه مسفر على وجوه الخلائق يوم القيامة

أبو بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من أدمن قراءة لا أقسم و كان يعمل بها بعثها الله يوم القيامة معه فى قبره فى أحسن صورته تبشر و تضحك فى وجهه حتى يجوز الصراط و الميزان.

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة المدثر بذكر القيامة و أن الكافر لا يؤمن بها افتتح هذه السورة بذكر القيامة و ذكر أهوالها فقال:

ص: ١٧١

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤)
 بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) يَسْتَلْ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ (٦) فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧) وَحَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩)
 يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢) يُتَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣) بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤)
 وَ لَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ (١٥)

القراءة

قرأ القواس لأقسام و الباقون «لا أقسم» و لم يختلفوا في الثاني أنه «و لا أقسم» وقرأ أهل المدينة برق البصر بفتح الراء و الباقون «برق» بالكسر و في الشواذ قراءة ابن عباس و عكرمه و أيوب السخيتاني و الحسن المفر بفتح الميم و كسر الفاء و قراءه الزهري المفر بكسر الميم و فتح الفاء.

الحج

قال أبو علي من قرأ «لا أقسم بيوم القيامة» كانت لا- على قوله صله كالتى فى قوله لئلا يعلم أهيل الكتاب فإن قلت لا- و ما و الحروف التى هن زوائد إنما تكون بين كلامين كقوله ممّا خطيئاتهم و فيما رحمه من الله و فيما نقضهم* و لا تكاد تزداد أولاً فقد قالوا إن مجارى القرآن مجارى الكلام الواحد و السوره الواحده قال و الذى يدل على ذلك أنه قد يذكر الشىء فى سوره و يجىء جوابه فى سوره أخرى كقوله يا أيها الذى نزل عليه الذكر إتكك لمجنون جاء جوابه فى سوره أخرى ما أنت بنعمه ربك بمجنون فلا- فصل على هذا بين قوله لئلا يعلم و بين قوله «لا أقسم» فأما من قرأ لأقسام فإن اللام تجوز أن تكون اللام التى تصحبها إحدى النونين فى أكثر الأمر و قد حكى ذلك سيبويه و أجازه و كما لم يلحق النون مع الفعل الآتى فى لأقسام كذلك لم يلحق اللام مع النون فى نحو قول الشاعر:

و قتل مره أثارن فإنه فرع و إن أخاكم لم يثار

يريد لأثارن فحذف اللام و يجوز أن يكون اللام لحقت فعل الحال و إذا كان المثال للحال لم يتبعها النون لأن هذه النون التى تلتق الفعل فى أكثر الأمر إنما هى للفصل بين فعل الحال و الفعل الآتى و قد يمكن أن يكون لا ردا لكلام و زعموا أن الحسن قرأ «لا أقسم بيوم القيامة و لا أقسم بالنفس اللوامة» و قال أقسم بالأولى و لم يقسم بالثانيه و حكى نحو ذلك عن ابن أبى إسحاق

أيضا و ذكر أبو على في غير كتاب الحجّه أن اللام زياده لأن القسم لا يدخل

ص: ١٧٢

على القسم و قال ابن جنى ينبغي أن تكون هذه اللام لام الابتداء أى لأننا أقسم بيوم القيامة و حذف المبتدأ للعلم به و قال أبو الحسن برق البصر أكثر فى كلام العرب و المفتوحه لغه قال الزجاج من قرأ «بَرْقَ» فمعناه فزع و تحير و من قرأ برق فهو من بريق العينين و قال أبو عبيده برق البصر إذا شق و أنشد:

لما أتانى ابن صبيح راغبا أعطيته عيساء منها فبرق

و المفر الفرار و المفر بكسر الفاء الموضع الذى يفر إليه و المفر بكسر الميم و فتح الفاء الإنسان الجيد الفرار و قال امرؤ القيس:

مكر مفر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

. الإعراب

«بلى قَادِرِينَ» نصب على الحال و التقدير بلى بجمعها قادرين فالعامل فى الحال محذوف لدلاله ما تقدم عليه كما فى قوله فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ فُصُولًا أَوْ مَفْعُولٌ يُرِيدُ محذوف تقديره بل يريد الإنسان الحياه ليفجر و يسأل جملة فى موضع الحال و «لا وَزَرَ» خبره محذوف و تقديره لا وزر فى الوجود و قوله «بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ» قيل فى تفسيره أقوال (أحدها) أن المعنى بل الإنسان على نفسه عين بصيره (و الثانى) حجه بصيره أى بينه (و الثالث) أن الهاء للمبالغه كما يقال رجل علامه و نسابه و قال على بن عيسى تقديره بل الإنسان على نفسه من نفسه بصيره أى جوارحه شاهده عليه يوم القيامة فانت بصيره لأنه حمل الإنسان على النفس و جواب لو محذوف تقديره و لو ألقى معاذيره و لم ينفعه ذلك و يجوز أن يكون جوابه فيما سبق.

المعنى

«لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ» قيل إن لا صله و معناه أقسم بيوم القيامة عن ابن عباس و سعيد بن جبير و قيل إن لا رد على الذين أنكروا البعث و النشور من المشركين فكأنه قال لا- كما تظنون ثم ابتداء القسم فقال أقسم بيوم القيامة أنكم مبعوثون ليكون فرقا بين اليمين التى تكون جحدا و بين اليمين المستأنفه و قيل معناه لا أقسم بيوم القيامة لظهورها بالدلائل العقلية و السمعية و قيل معناه لا أقسم بيوم القيامة فإنكم لا تقرون بها «وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ

ص: ١٧٣

اللَّوَامِهِ» فَإِنَّكُمْ لَا تَقْرُونَ بِأَنَّ النَّفْسَ تَلُومُ صَاحِبَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ لَكِنْ اسْتَخْبِرْكُمْ فَأَخْبِرُونِي هَلْ أَقْدَرُ عَلَى أَنْ أَجْمَعَ الْعِظَامَ الْمَتَفَرِّقَةَ وَ هَذَا الْوَجْهَانِ عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ أَقْسَمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ لَا- أَقْسَمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ أَقْسَمُ بِالْأُولَى وَ لَمْ يَقْسَمِ بِالثَّانِي عَنْ الْحَسَنِ قَالَ عَلَى بْنِ عِيْسَى وَ هَذَا ضَعِيفٌ لِأَنَّهُ يَخْرُجُ عَنْ تَشَاكُلِ الْكَلَامِ وَ الْأُولَى أَنْ يَكُونَ قَسْمَيْنِ وَ هُوَ قَوْلُ الْأَكْثَرِينَ وَ جَوَابُ الْقَسْمِ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ مَا الْأَمْرُ عَلَى مَا تَتَوَهَّمُونَ وَ إِنَّكُمْ تَبْعَثُونَ أَوْ لَتَبْعَثَنَّ وَ مَنْ قَرَأَ لِأَقْسَمَ فَإِنَّهُ يَجْعَلُهَا جَوَابَ الْقَسْمِ وَ حَذَفَ النَّونَ لِأَنَّهُ أَرَادَ الْحَالِ وَ قَدْ ذَكَرْنَا مَا قِيلَ فِيهِ وَ النَّفْسُ اللَّوَامَةُ الْكَثِيرَةُ اللَّوْمِ وَ لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ بَرَةٍ وَ لَا فَاجِرَةٍ إِلَّا وَ هِيَ تَلُومُ نَفْسَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ كَانَتْ عَمِلَتْ خَيْرًا قَالَتْ هَلَا أَزِدُّدُتْ وَ إِنْ كَانَتْ عَمِلَتْ سُوءًا قَالَتْ يَا لَيْتَنِي لَمْ أَفْعَلْ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةِ عَطَاءٍ وَ قَالَ مُجَاهِدٌ تَلُومٌ عَلَى مَا مَضَى تَقُولُ لَمْ فَعَلْتُ وَ لَمْ لَمْ أَفْعَلْ وَ قِيلَ النَّفْسُ اللَّوَامَةُ الْكَافِرَةُ الْفَاجِرَةُ عَنْ قَتَادَةَ وَ مُجَاهِدٍ وَ مَعْنَاهُ ذَاتُ اللَّوْمِ الْكَثِيرُ لِمَا سَلَفَ مِنْهَا وَ قِيلَ هِيَ النَّفْسُ الْمُؤْمِنَةُ تَلُومُ نَفْسَهَا فِي الدُّنْيَا وَ تَحَاسِبُهَا فَتَقُولُ مَاذَا فَعَلْتُ وَ لَمْ قَصْرَتْ فَتَكُونُ مَفْكَرَةً فِي الْعَوَاقِبِ أَبَدًا وَ الْفَاجِرُ لَا- يَفْكَرُ فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ وَ لَا- يَحَاسِبُ نَفْسَهُ عَنِ الْحَسَنِ «أَيَّ حَسَبُ الْإِنْسَانُ» صُورَتُهُ صُورَةُ الْإِسْتِفْهَامِ وَ مَعْنَاهُ الْإِنْكَارُ عَلَى مَنْكَرِ الْبَعْثِ وَ مَعْنَاهُ أَيَّ حَسَبُ الْكَافِرِ بِالْبَعْثِ وَ النُّشُورِ يَعْنِي جِنْسَ الْكَافِرِ «أَلَّنَّ نَجْمَعَ عِظَامَهُ» أَيُّ أَنَّهُ لَنْ نَعِيدَهُ إِلَى مَا كَانَ أَوْ لَا خَلْقًا جَدِيدًا بَعْدَ أَنْ صَارَ رِفَاتًا فَكُنِيَ عَنِ الْبَعْثِ بِجَمْعِ الْعِظَامِ ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ «بَلَى» نَجْمَعُهَا «قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ» عَلَى مَا كَانَتْ وَ إِنْ قَلَّتْ عِظَامُهَا وَ صَغُرَتْ فَنَزَدَهَا كَمَا كَانَتْ وَ تَوَلَّفَ بَيْنَهَا حَتَّى يَسْتَوِيَ الْبَنَانُ وَ مَنْ قَدَّرَ عَلَى جَمْعِ صِغَارِ الْعِظَامِ فَهُوَ عَلَى جَمْعِ كِبَارِهَا أَقْدَرُ عَنِ الزُّجَاجِ وَ الْجَبَائِي وَ أَبِي مُسْلِمٍ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ نَقْدَرُ عَلَى أَنْ نَجْعَلَ بَنَانَهُ كَالْخَلْفِ وَ الْحَافِرِ فَيَتَنَاوَلُ الْمَأْكُولَ بَفِيهِ وَ لَكِنَّا مَنَّا عَلَيْهِ بِالْأَنَامِلِ لِيَكْمَلَ بِهَا الْمَنْفَعَةُ وَ يَتَهَيَّأُ لَهُ الْقَبْضُ وَ الْبَسْطُ وَ الْإِرْتِفَاقُ بِالْأَعْمَالِ اللَّطِيفَةِ كَالْكِتَابَةِ وَ غَيْرِهَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ قَتَادَةَ «بَلَى يُرِيدُ الْإِنْسَانُ» أَيُّ يُرِيدُ الْكَافِرُ «لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ» هَذَا إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّ الْإِنْسَانَ يَمْضِي قَدَمًا فِي مَعَاصِي اللَّهِ تَعَالَى رَاكِبًا رَأْسَهُ لَا يَنْزِعُ عَنْهَا وَ لَا يَتُوبُ عَنِ مُجَاهِدٍ وَ الْحَسَنِ وَ عِكْرَمَةَ وَ السُّدِيِّ أَيُّ فَهَذَا هُوَ الَّذِي يَحْمِلُهُ عَلَى الْإِعْرَاضِ عَنِ مَقْدُورَاتِ رَبِّهِ فَلِذَلِكَ لَا يَقْرَبُ الْبَعْثَ وَ يَنْكُرُ النُّشُورَ وَ قِيلَ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ أَيُّ لِيَفْكَرَ بِمَا قَدَامَهُ مِنَ الْبَعْثِ وَ يَكْذِبُ بِهِ فَالْفُجُورُ وَ هُوَ التَّكْذِيبُ وَ عَنِ الزُّجَاجِ قَالَ وَ يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ أَنَّهُ يَسُوفُ التُّوبَةَ وَ يَقْدَمُ الْأَعْمَالُ السَّيِّئَةَ وَ قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ يُرِيدُ أَنْ يَفْجُرَ مَا أَمْتَدَّ عَمْرُهُ وَ لَيْسَ فِي نِيَّتِهِ أَنْ يَرْجِعَ عَنِ ذَنْبِ يَرْتَكِبُهُ وَ قِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَقُولُ أَعْمَلْتُ ثُمَّ أَتُوبُ عَنْ عَطِيَّةٍ وَ الْمُرَادُ أَنَّهُ يَتَعَجَّلُ الْمَعْصِيَةَ ثُمَّ يَسُوفُ التُّوبَةَ يَقُولُ غَدًا وَ بَعْدَ غَدٍ «يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ» مَعْنَاهُ أَنَّ الَّذِي يَفْجُرُ أَمَامَهُ يَسْأَلُ مَتَى تَكُونُ الْقِيَامَةُ فَإِنَّ مَعْنَى أَيَّانَ مَتَى إِلَّا أَنَّ السُّؤَالَ بِمَتَى أَكْثَرَ مِنَ السُّؤَالِ بِأَيَّانَ

فلذلك حسن أن يفسر بها و إنما يسأل عن ذلك تكديبا و اشتغالا بالدنيا من غير تفكر في العاقبه فإذا خوف بالقيامه قال متى يكون ذلك ثم قال سبحانه «فَإِذَا بَرِقَ الْبَصِيرُ» أى شخص البصر عند معانيه ملك الموت فلا يطرف من شده الفزع و قيل إذا فرغ و تحير لما يرى من أهوال القيامه و أحوالها مما كان يكذب به فى الدنيا و هذا كقوله لا يَزِيدُ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ عن قتاده و أبى مسلم «وَ خَسِيفَ الْقَمَرِ» أى ذهب نوره و ضوءه «وَ جَمِيعَ الشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ» جمع بينهما فى ذهاب ضوءهما بالخسوف ليتكامل ظلام الأرض على أهلها حتى يراها كل أحد بغير نور و ضياء عن مجاهد و هو اختيار الفراء و الزجاج و الجمع على ثلاثه أقسام جمع فى المكان و جمع فى الزمان و جمع الأَعْرَاضِ فى المحل فأما جمع الشئيين فى حكم أو صفه فمجاز لأن حقيقه الجمع جعل أحد الشئيين مع الآخر و قيل جمع بينهما فى طلوعهما من المغرب كالبعيرين القرينين عن ابن مسعود «يَقُولُ الْإِنْسَانُ» المكذب بالقيامه «يَوْمَئِذٍ أَيَّنَ الْمَفْرُ» أى أين الفرار و يجوز أن يكون معناه أين موضع الفرار عن الفراء و قال الزجاج المفر بالفتح الفرار و المفر بالكسر مكان الفرار قال الله سبحانه «كَلَّا لَا وَزَرَ» أى لا مهرب و لا ملجأ لهم يلجئون إليه و الوزر ما يتحصن به من جبل أو غيره و منه الوزير الذى يلجأ إليه فى الأمور و قيل معناه لا حصن عن الضحاك «إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ» أى المنتهى عن قتاده أى ينتهى الخلق يومئذ إلى حكمه و أمره فلا حكم و لا أمر لأحد غيره و قيل المستقر المكان الذى يستقر فيه المؤمن و الكافر و ذلك إلى الله لا إلى العباد و قيل المستقر المصير و المرجع عن ابن مسعود و المستقر على وجهين مستقر إلى أمد و مستقر إلى الأبد «يُتَبَوُّوا الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَ أَخَّرَ» أى يخبر الإنسان يوم القيامه بأول عمله و آخره فيجازى به عن مجاهد و قيل معناه بما قدم من العمل فى حياته و ما سنه فعمل به بعد موته من خير أو شر و قيل بما قدم من المعاصى و آخر من الطاعات عن ابن عباس و قيل بما أخذ و ترك عن ابن زيد و قيل بما قدم من طاعه الله و آخر من حق الله فضيعه عن قتاده و قيل بما قدم من ماله لنفسه و ما خلقه لورثته بعده عن زيد بن أسلم و حقيقه النيا الخير بما يعظم شأنه و إنما حسن فى هذا الموضع لأن ما جرى مجرى المباح لا يعتد به فى هذا الباب و إنما هو ما يستحق عليه الجزاء فأما ما وجوده كعدمه فلا اعتبار به «بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ» أى إن جوارحه تشهد عليه بما عمل فهو شاهد على نفسه بشهاده جوارحه عليه عن ابن عباس و عكرمه و مقاتل و قال القتيبي أقام جوارحه مقام نفسه و لذلك أنث لأن المراد بالإنسان هاهنا الجوارح و قال الأخفش هى كقولك فلان حجه و عبره و دليله قوله تعالى كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا و قيل معناه أن الإنسان بصير بنفسه و عمله و

روى العياشى بإسناده عن محمد بن مسلم عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال ما يصنع

أحدكم أن يظهر حسنا و يسر سيئا أ ليس إذا رجع إلى نفسه يعلم أنه ليس كذلك و الله سبحانه يقول «بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ
بَصِيرَةٌ» إن السريره إذا صلحت قويت العلانيه

عن عمر بن يزيد عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه تلا هذه الآية ثم قال ما يصنع الإنسان أن يتعذر إلى الناس خلاف ما يعلم الله
منه أن رسول الله ص كان يقول من أسر سريره رداه الله رداها إن خيرا فخير و إن شرا فشر

و

عن زراره قال سألت أبا عبد الله ما حد المرض الذى يفطر صاحبه قال «بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ» هو أعلم بما يطيق و فى
روايه أخرى هو أعلم بنفسه ذاك إليه

«وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرُهُ» أى و لو اعتذر و جادل عن نفسه لم ينفعه ذلك يقال معذره و معاذر و معاذير و هى ذكر موانع تقطع عن
الفعل المطلوب و قيل معناه و لو أرخى الستور و أغلق الأبواب عن الضحاك و السدى قال الزجاج معناه و لو أدلى بكل حجه
عنده و جاء فى التفسير المعاذير الستور واحدها معذار و قال المبرد هى لغه طائيه و المعنى على هذا القول و إن أسبل الستور
ليخفى ما يعمل فإن نفسه شاهده عليه.

[سوره القیامه (٧٥): الآيات ١٦ الى ٢٥]

إشارة

لا- تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩) كَلَّا بَلْ
تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠)

وَ تَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١) وَجُودَهُ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ (٢٣) وَجُودَهُ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَةٍ (٢٤) تَطْنُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥)

القراءة

قرأ أهل المدينة و الكوفه تحبون و تذرون بالتاء و الباقون بالياء.

الحج

من قرأ بالتاء فعلى معنى قل لهم بل تحبون و تذرون و من قرأ بالياء فعلى معنى هم يحبون و يذرون قال أبو على الياء على ما
تقدم من ذكر الإنسان فإن المراد به الكثرة و العموم كقوله إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ثم قال إِلَّا الْمُصَلِّينَ.

اللغة

التحريك تصيير الشئ من مكان إلى مكان أو من جهة إلى جهة بفعل الحركة

فيه و الحركة ما به يتحرك المتحرك و المتحرك هو المنتقل من جهة إلى غيرها و اللسان آله الكلام و العجله طلب عمل الشىء قبل وقته الذى ينبغى أن يعمل فيه و نقيضه الإبطاء و السرعه عمل الشىء فى أول الوقت الذى هو له و ضده الأناه و القرآن أصله الضم و الجمع و هو مصدر كالرجحان و النقصان و البيان إظهار المعنى للنفس بما يتميز به عن غيره و نقيض البيان الإخفاء و الإغماض و النصره مثل البهجه و الطلاقه و ضده العبوس و البسور نصر وجهه ينصر نضاره و نصره فهو ناصر و النظر تقليب الحدقه الصحيحه نحو المرئى طلبا لرؤيته و يكون النظر بمعنى الانتظار كما قال عز شأنه وَ إِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ أَى منتظره و قال الشاعر:

وجوه يوم بدر ناظرات إلى الرحمن تنتظر الفلاحا

ثم يستعمل فى الفكر فيقال نظرت فى هذه المسأله أى تفكرت و منه المناظره و تكون من المقابله يقال دور بنى فلان تتناظر أى تتقابل و الفاقره الكاسره لفقار الظهر شده و قيل الفاقره الدايمه و الآبده.

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال «لا- تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ» قال ابن عباس كان النبى ص إذا نزل عليه القرآن عجل بتحريك لسانه لحبه إياه و حرصه على أخذه و ضبطه مخافه أن ينساه فنهاه الله عن ذلك و فى روايه سعيد بن جبير عنه أنه ص كان يعاجل من التنزيل شده و كان يشتد عليه حفظه فكان يحرك لسانه و شفثيه قبل فراغ جبريل من قراءه الوحي فقال سبحانه «لا تُحَرِّكْ بِهِ» أى بالوحي أو بالقرآن لسانك يعنى بالقراءه لتعجل به أى لتأخذه كما قال و لا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه «إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ» فى صدرك حتى تحفظه «وَقُرْآنَهُ» أى و تأليفه على ما نزل عليك عن قتاده و قيل معناه إن علينا جمعه و قرآنه عليك حتى تحفظه و يمكنك تلاوته فلا تخف فوت شىء منه عن ابن عباس و الضحاك «فَإِذَا قَرَأْنَاهُ» أى قرأه جبريل عليك بأمرنا «فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ» أى قراءته عن ابن عباس و المعنى اقرأه إذا فرغ جبريل عن قراءته قال فكان النبى ص بعد هذا إذا نزل عليه جبريل (عليه السلام) أطرق فإذا ذهب قرأ و قيل «فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ» أى فاعمل بما فيه من الأحكام و الحلال و الحرام عن قتاده و الضحاك و قال البلخى الذى اختاره أنه لم يرد القرآن و إنما أراد قراءه العباد لكتبهم يوم القيامة يدل على ذلك ما قبله و ما بعده و ليس فيه شىء يدل على أنه القرآن و لا شىء من أحكام الدنيا و فى ذلك تقريع للعبد و توبيخ له حين لا تنفعه العجله يقول لا تحرك لسانك بما تقرأه من صحيفتك التى فيها أعمالك يعنى اقرأ كتابك و لا تعجل فإن هذا الذى هو على نفسه

بصيره إذا رأى سيئاته ضجر و استعجل فيقال له توبىخا لا تعجل و تثبت لتعلم الحجه عليك فإننا نجمعها لك فإذا جمعناه فاتبع ما جمع عليك بالانقياد لحكمه و الاستسلام للتبعه فيه فإنه لا يمكنك إنكاره «ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ» لو أنكرت و قال الحسن معناه ثم إن علينا بيان ما أنبأناك أنا فاعلون فى الآخره و تحقيقه و قيل يريد أنا نبين لك معناه إذا حفظته عن قتاده و قيل معناه ثم إن علينا أن نحفظه عليك حتى تبين للناس بتلاوتك إياه عليهم و قيل معناه علينا أن ننزله قرآنا عربيا فيه بيان للناس عن الزجاج و فى هذا دلالة على أنه لا تعميمه فى القرآن و لا الغاز و لا دلالة فيه على جواز تأخير البيان عن وقت الحاجة و إنما يدل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب «كَلَّا» أى لا تتدبرون القرآن و ما فيه من البيان «بَلْ تُجِئُونَ الْعَاجِلَةَ وَ تَذَرُونَ الْآخِرَةَ» أى تختارون الدنيا على العقبى فيعلمون للدنيا لا- للآخرة جهلا منهم و سوء اختيار ثم بين سبحانه حال الناس فى الآخرة فقال «وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ» يعنى يوم القيامة «ناضِرَةٌ» أى ناعمه بهجه حسنه عن ابن عباس و الحسن و قيل مسروره عن مجاهد و قيل مضيئه بيض يعلوها النور عن السدى و مقاتل جعل الله سبحانه وجوه المؤمنين المستحقين للثواب بهذه الصفه علامه للخلق و الملائكه على أنهم الفائزون «إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ» اختلف فيه على وجهين (أحدهما) أن معناه نظر العين (و الثانى) أنه الانتظار و اختلف من حمله على نظر العين على قولين (أحدهما) أن المراد إلى ثواب ربها ناظره أى هى ناظره إلى نعيم الجنة حالا- بعد حال فيزداد بذلك سرورها و ذكر الوجوه و المراد أصحاب الوجوه روى ذلك عن جماعه من علماء المفسرين من الصحابه و التابعين لهم و غيرهم فحذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه كما فى قوله تعالى وَ جَاءَ رَبُّكَ أى أمر ربك و قوله وَ أَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ أى إلى طاعه العزيز الغفار و توحيد و قوله إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ أى أولياء الله (و الآخر) أن النظر بمعنى الرؤيه و المعنى تنظر إلى الله معانيه روى ذلك عن الكلبي و مقاتل و عطاء و غيرهم و هذا لا يجوز لأن كل منظور إليه بالعين مشار إليه بالحدقه و اللحاظ و الله يتعالى عن أن يشار إليه بالعين كما يجلس سبحانه عن أن يشار إليه بالأصابع و أيضا فإن الرؤيه بالحاسه لا تتم إلا بالمقابله و التوجه و الله يتعالى عن ذلك بالاتفاق و أيضا فإن رؤيه الحاسه لا تتم إلا باتصال الشعاع بالمرئى و الله منزه عن اتصال الشعاع به على أن النظر لا- يفيد الرؤيه فى اللغه فإنه إذا علق بالعين أفاد طلب الرؤيه كما أنه إذا علق بالقلب أفاد طلب المعرفه بدلاله قولهم نظرت إلى الهلال فلم أراه فلو أفاد النظر الرؤيه لكان هذا القول ساقطا متناقضا و قولهم ما زلت أنظر إليه حتى رأيت و الشىء لا يجعل غايه لنفسه فلا يقال ما زلت أراه حتى رأيت و لأننا نعلم الناظر ناظرا بالضروره و لا نعلمه رائيا بالضروره بدلاله أنا نسأله

هل رأيت أم لا و أما من حمل النظر فى الآيه على الانتظار فإنهم اختلفوا فى معناه على أقوال (أحدها)

أن المعنى منتظره لثواب ربها و روى ذلك عن مجاهد و الحسن و سعيد بن جبیر و الضحاك و هو المروى عن على (عليه السلام)

و من اعترض على هذا بأن قال إن النظر بمعنى الانتظار لا- يتعدى بإلى فلا يقال انتظرت إليه و إنما يقال انتظرته فالجواب عنه على و جوه منها أنه قد جاء فى الشعر بمعنى الانتظار معدى بإلى كما فى البيت الذى سبق ذكره:

ناظرات إلى الرحمن

و كقول جميل بن معمر:

و إذا نظرت إليك من ملك و البحر دونك جدتنى نعماً

و قول الآخر:

إنى إليك لما وعدت لناظر نظر الفقير إلى الغنى الموسر

و نظائره كثيره و منها أن تحمل إلى فى قوله «إلى ربها ناظرة» على أنها اسم فهو واحد الآلاء التى هى النعم فإن فى واحدتها أربع لغات إلى و ألى مثل معا و قفا و إلى و إلى مثل جدى و حسى و سقط التنوين بالإضافه و قال أعشى وائل:

أبيض لا يرهب الهزال و لا يقطع رحماً و لا يخون إلى

أى لا يخون نعمه من أنعم عليه و ليس لأحد أن يقول إن هذا من أقوال المتأخرين و قد سبقهم الإجماع فإننا لا نسلم ذلك لما ذكرناه من

أن علياً (عليه السلام) و مجاهداً و الحسن و غيرهم قالوا المراد بذلك تنتظر الثواب و منها أن لفظ النظر

يجوز أن يعدى بإلى فى الانتظار على المعنى كما أن الرؤيه عدت بإلى فى قوله تعالى أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ فَأَجْرَى الكلام على المعنى و لا يقال رأيت إلى فلان و من إجراء الكلام على المعنى قول الفرزدق:

و لقد عجبت إلى هوازن أصبحت منى تلوذ ببطن أم جرير

فعدى عجبت بإلى لأن المعنى نظرت (و ثانيها) أن معناه مؤمله لتجديد الكرامه كما يقال عيني ممدوده إلى الله تعالى و إلى فلان و أنا شاخص الطرف إلى فلان و لما كانت العيون بعض أعضاء الوجوه أضيف الفعل الذى يقع بالعين إليها عن أبى مسلم (و ثالثها) أن المعنى

أنهم قطعوا آمالهم و أطماعهم عن كل شىء سوى الله تعالى و وجوده دون غيره فكنى سبحانه عن الطمع بالنظر ألا ترى أن الرعيه تتوقع نظر السلطان و تطمع فى إفضاله عليها و إسعافه فى حوائجها فنظر الناس مختلف فناظر إلى سلطان و ناظر إلى تجاره و ناظر إلى زراعته و ناظر إلى ربه يؤمله و هذه الأقوال متقاربه فى المعنى و على هذا فإن هذا الانتظار متى يكون فقيل إنه بعد الاستقرار فى الجنة و قيل إنه قبل استقرار الخلق فى الجنة و النار فكل فريق ينتظر ما هو له أهل و هذا اختيار القاضى عبد الجبار و ذكر جمهور أهل العدل أن النظر يجوز أن يحمل على المعنيين جميعا و لا مانع لنا من حمله على الوجهين فكأنه سبحانه أراد أنهم ينظرون إلى الثواب المعد لهم فى الحال من أنواع النعيم و ينتظرون أمثالها حالا بعد حال ليتم لهم ما يستحقونه من الإجلال و يسأل على هذا فيقال إذا كان بمعنى النظر بالعين حقيقه و بمعنى الانتظار مجازا فكيف يحمل عليهما و الجواب أن عند أكثر المتكلمين فى أصول الفقه يجوز أن يراد بلفظه واحده إذ لا تنافى بينهما و هو اختيار المرتضى قدس الله روحه و لم يجوز ذلك أبو هاشم إلا إذا تكلم به مرتين مره يريد النظر و مره يريد الانتظار و أما قولهم المنتظر لا يكون نعيمه خالصا فكيف يوصف أهل الجنة بالانتظار فالجواب عنه أن من ينتظر شيئا لا يحتاج إليه فى الحال و هو واثق بوصوله إليه عند حاجته فإنه لا يهتم بذلك و لا يتغص سروره به بل ذلك زائد فى نعيمه و إنما يلحق الهم المنتظر إذا كان يحتاج إلى ما ينتظره فى الحال و يلحقه بفوته مضره و هو غير واثق بالوصول إليه و قد قيل فى إضافه النظر إلى الوجوه إن الغم و السرور إنما يظاهران فى الوجوه فبين الله سبحانه أن المؤمن إذا ورد يوم القيامة تهلل وجهه و أن الكافر العاصى يخاف مغبه أفعاله القبيحه فيكلح وجهه و هو قوله «وَأُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِيرَةٍ» أى كالحه عابسه متغيره «تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ» أى تعلم و تستيقن أنه يعمل بها داهيه تفقر ظهورهم أى تكسرها و قيل إنه على حقيقه الظن أى يظنون حصولها جملة و لا يعلمون تفصيلها و هذا أولى من الأول لأنه لو كان بمعنى العلم لكان أن بعده مخففه من أن الثقيله على ما ذكر فى غير موضع و ذكر سبحانه هذه الوجوه الظانه فى مقابله الوجوه الناظره فهؤلاء يرجون تجديد الكرامه و هؤلاء يظنون حلول الفاقره فيكون حال الوجوه الراجيه للأحوال الساره على الضد من حال الوجوه الظانه للفاقره.

النظم

وجه اتصال قوله «لَا تَحْرُكُ بِهِ لِسَانِكَ» بما قبله أنه لما تقدم ذكر القيامه و الوعيد خاطب سبحانه نبيه ص فقال لا تحرك به لسانك لتعجل قراءته بل كررها عليهم ليتقرر فى قلوبهم فإنهم غافلون عن الأدله ألهاهم حب العاجله فاحتاجوا إلى زياده تنبيه و تقرير.

ص: ١٨٠

اشاره

كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (۲۶) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (۲۷) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (۲۸) وَالتَّفْتِ السَّاقِ بِالسَّاقِ (۲۹) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (۳۰)
فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى (۳۱) وَ لَكِنْ كَذَبَ وَ تَوَلَّى (۳۲) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى (۳۳) أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (۳۴) ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (۳۵)

أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (۳۶) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (۳۷) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَحَلَقَ فَسَوَّى (۳۸) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنثَى (۳۹) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى (۴۰)

القراءه

قرأ حفص و رويس يمني بالياء و الباقون بالتاء.

الحجه

قال أبو علي من قرأ بالتاء حملة على النطفه أى لم يك نطفه تمنى من منى و من قرأ بالياء حملة على المنى أى من منى يمنى يقدر خلق الإنسان و غيره منها قال:

منت لك أن تلقى ابن هند منيه و فارس مياس إذا ما تلبيا

و قال آخر:

لعمر أبى عمرو لقد ساقه المنى إلى جدث يؤزى له بالأهاضب

أى ساقه القدر.

اللغه

التراقى جمع الترقوه و هو مقدم الحلق من أعلى الصدر تترقى إليه النفس عند

الموت وإليه يتراعى البخار من الجوف و هناك تقع الحشرجه قال ذو الرمه:

و رب عظيمه دافعت عنها و قد بلغت نفوسهم التراقي

و الراقى طالب الشفاء رقاہ يرقيه رقيه إذا طلب له شفاء بأسماء الله الشريفه و آيات كتابه العظيمه و أما العوذہ فهى دفع البليه بكلمات الله تعالى و تقول العرب قامت الحرب على ساق يعنون شدة الأمر قال:

فإذ شممت لك عن ساقها فويها ربيع و لا تسأم

و المطى تمدد البدن من الكسل و أصله أن يلوى مطاه أى ظهره و قيل أصله يتمطط فجعل إحدى الطائين ياء و هو من المط بمعنى المد كقولهم تظنيت و أمليت و نحو ذلك و نهى عن مشيه المطيطاء و ذلك أن يلقي الرجل يديه مع التكفى فى مشيته. أولى لك كلمه وعيد و تهديد قالت الخنساء:

هممت بنفسى كل الهموم فأولى بنفسى أولى لها

و السدى المهمل و العلقه القطعه من الدم المنعقد.

الإعراب

فى إعراب أولى وجوه (أحدها) أن يكون مبتدأ و خبره لك (و الآخر) أن يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره الشر أولى لك فعلى هذا يكون اللام فى لك للاختصاص كأنه قال الشر أولى لك من الخير و يجوز أن يكون بمعنى من تقديره الشر أقرب منك و سدى منصوب على الحال من قوله «يُتْرَكُ».

المعنى

ثم بين سبحانه حالهم عند النزع فقال «كَلَّا» أى ليس يؤمن الكافر بهذا و قيل معناه حقا «إِذَا بَلَغَتِ» النفس أو الروح و لم يذكره لدلاله الكلام عليه كما قال ما ترك على ظهرها من دابه يعنى على ظهر الأرض «التَّرَاقِي» أى العظام المكتنفه بالحلق و كنى بذلك عن الإشفاء على الموت «وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ» أى و قال من حضره من أهله هل من راق أى طبيب شاف يرقيه و يداويه فلا يجدونه عن أبى قلابه و الضحاك و قتاده و ابن زيد قال قتاده التمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من عذاب الله شيئا و قيل إن معناه قالت الملائكه من يرقى بروحه أم ملائكه الرحمه أم ملائكه العذاب عن ابن عباس و مقاتل قال أبو العالیه تختصم فيه ملائكه الرحمه و ملائكه العذاب أيهم يرقى روحه و قال الضحاك أهل الدنيا يجهزون البدن

و أهل الآخرة يجهزون الروح «وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ» أى و علم عند ذلك هذا الذى بلغت روحها تراقبها أنه الفراق من الدنيا و الأهل و المال و الولد و الفراق ضد الوصال و هو بعاد الألف و

جاء فى الحديث أن العبد ليعالج كرب الموت و سكراته و مفاصله يسلم بعضها على بعض يقول عليك السلام تفارقنى و أفارقك إلى يوم القيامة

«وَ التَّفْتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ» قيل فيه وجوه (أحدها) التفت شدة أمر الآخرة بأمر الدنيا عن ابن عباس و مجاهد (و الثانى) التفت حال الموت بحال الحياه عن الحسن (و الثالث) التفت ساقاه عند الموت عن الشعبي و أبى مالك لأنه يذهب القوه فيصير كجلد يلتف بعضه ببعض و قيل هو أن يضطرب فلا يزال يمد إحدى رجليه و يرسل الأخرى و يلف إحداهما بالأخرى عن قتاده و قيل هو التناصف الساقين فى الكفن (و الرابع) التفت ساق الدنيا بساق الآخرة و هو شدة كرب الموت بشده هول المطلع و المعنى فى الجميع أنه تتابعت عليه الشدائد فلا يخرج من شدة إلا جاءه أشد منها «إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ» أى مساق الخلائق إلى المحشر الذى لا يملك فيه الأمر و النهى غير الله تعالى و قيل يسوق الملك بروحه إلى حيث أمر الله تعالى به إن كان من أهل الجنة فألى عليين و إن كان من أهل النار فألى سجين و المساق موضع السوق «فَلَا صَدَقَ وَ لَا صَلَّى» أى لم يتصدق بشىء و لم يصل لله «وَ لَكِنْ كَذَّبَ» بالله «وَ تَوَلَّى» عن طاعته عن الحسن و قيل معناه لم يصدق بكتاب الله و لا صلى الله و لكن كذب بالكتاب و الرسول و أعرض عن الإيمان عن قتاده «ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى» أى يرجع إليهم يتبختر و يختال فى مشيته و قيل إن المراد بذلك أبو جهل بن هشام «أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى» و هذا تهديد من الله له و المعنى وليك المكروه يا أبا جهل و قرب منك و

جاءت الروايه أن رسول الله أخذ بيد أبى جهل ثم قال له أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى فقال أبو جهل بأى شىء تهددنى لا تستطيع أنت و لا ربك أن تفعلوا بى شيئا و إنى لأعز أهل هذا الوادى فأنزل الله سبحانه كما قال له رسول الله ص

و قيل معناه الذم أولى لك من تركه إلا أنه حذف و كثر فى الكلام حتى صار بمنزله الويل لك و صار من المحذوف الذى لا يجوز إظهاره و قيل هو وعيد على وعيد عن قتاده و معناه وليك الشر فى الدنيا وليك ثم وليك الشر فى الآخرة وليك و التكرار للتأكيد و قيل بعدا لك من خيرات الدنيا و بعدا لك من خيرات الآخرة عن الجبائى و قيل أولى لك ما تشاهده يا أبا جهل يوم بدر فأولى لك فى القبر ثم أولى لك يوم القيامة فلذلك أدخل ثم فأولى لك فى النار «أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ» يعنى أبا جهل «أَنْ يُتْرَكَ سُدىً» مهملا لا يؤمر و لا ينهى عن ابن عباس و مجاهد و الألف للاستفهام و المراد الإنكار أى لا ينبغى أن يظن ذلك و قيل أنه عام أى أ يظن الإنسان الكافر بالبعث الجاحد لنعم الله أن يترك مهملا من غير أمر يؤخذ به فيكون فيه

تقويم له و إصلاح لما هو أعود عليه في عاقبه أمره و أجمل به في دنياه و آخرته «أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى» أى كيف يظن أن يهمل و هو يرى في نفسه و من تنقل الأحوال ما يمكنه أن يستدل به على أن له صانعا حكيما أكمل عقله و أقدره و خلق فيه الشهوه فيعلم أنه لا يجوز أن يخليه من التكليف و معنى قوله «يُمنَى» أى يقدر و قيل معناه يصب في الرحم «ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ» منها خلقا في الرحم «فَسَوَّى» خلقه و صورته و أعضائه الباطنه و الظاهره في بطن أمه و قيل فسواه إنسانا بعد الولاده و أكمل قوته و قيل معناه فخلق الأجسام فسواها للأفعال و جعل لكل جارحه عملا يختص بها «فَجَعَلَ مِنْهُ» أى من الإنسان «الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثَى» و قيل من المنى و هذا إخبار من الله سبحانه أنه لم يخلق الإنسان من المنى و لم ينقله من حال إلى حال ليتركه مهملا فإنه لا بد من غرض في ذلك و هو التعريض للثواب بالتكليف «أَلَيْسَ ذَلِكَ» الذى فعل هذا «بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى» هذا تقرير لهم على أن من قدر على الابتداء قدر على البعث و الإحياء فإن من قدر على جعل النطفه علقه و العلقه مضغه إلى أن يجعلها حيا سليما مركبا فيه الحواس الخمس و الأعضاء الشريفه التى يصلح كل منها لما لا يصلح له الآخر و خلق الزوجين الذكر و الأنثى الذين يصح بهما التناسل فإنه يقدر على إعادته بعد الموت إلى ما كان عليه من كونه حيا و

جاء في الحديث عن البراء بن عازب قال لما نزلت هذه الآيه «أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى» قال رسول الله ص سبحانك اللهم و بلى و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله ع

و فى الآيه دلالة على صحه القياس العقلى فإنه سبحانه اعتبر النشأه الثانيه بالنشأه الأولى.

(٧٦) سورة الإنسان مدنيه و آياتها إحدى و ثلاثون (٣١)

إشارة

[توضيح]

و تسمى سورة الدهر و تسمى سورة الأبرار و منهم من يسميها بفاتحتها و اختلفوا فيها ف قيل مكيه كلها و قيل مدنيه كلها عن مجاهد و قتاده و قيل إنها مدنيه إلا قوله «وَلَا تُطْعَمُنَّ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَافُورًا» فإنه مكي عن الحسن و عكرمه و الكلبي و قيل إن قوله «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا» إلى آخر السوره مكي و الباقي مدني.

عدد آياتها

إحدى و ثلاثون آيه بالإجماع.

فضلها

أبي بن كعب عن النبي ص قال و من قرأ سورة (هل أتى) كان جزاؤه على الله جنه و حريرا

و

قال أبو جعفر (عليه السلام) من قرأ سورة هل أتى في كل غداه خميس زوجه الله من الحور العين مائه عذراء و أربعه آلاف ثيب و كان مع محمد ص.

تفسيرها

ختم الله سبحانه يوم القيامة بأن دل على صحه البعث بخلق الإنسان من نطفه و افتتح هذه السوره بمثل ذلك فقال:

ص: ١٨٥

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا (١) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢)
 إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (٤)

إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) يُوفُونَ بِالْإِذْرِ وَيَخْفُونَ يَوْمًا
 كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَشِيكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا
 شُكْرًا (٩)

إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠)

القراءه

قرأ أهل المدينة و أبو بكر عن عاصم و الكسائي سلاسل بالتونين و كذلك قواريرا قواريرا و يقفون بالألف على الجميع وقرأ ابن كثير و خلف سلاسل بغير تنوين و قواريرا قوارير الأولى بالتونين و الثانى بغير تنوين و يقفان على سلاسل و قوارير الثانى بغير الألف وقرأ حمزه و يعقوب بغير تنوين فى الجميع و يقفان بغير ألف عليها وقرأ أبو عمرو و ابن عامر و حفص بغير تنوين فيها أيضا إلا أنهم يقفون على سلاسل و قواريرا الأولى بالألف و على قوارير الثانى بغير ألف غير أن شجاعا يقف على سلاسل أيضا بغير ألف.

الحجه

قال أبو على حجه من صرف سلاسل و قواريرا فى الوصل و الوقف أمران (أحدهما) أن أبا الحسن قال سمعنا من العرب من يصرف هذا و يصرف جميع ما لا ينصرف قال و هذه لغة أهل الشعر لأنهم اضطروا إليه فى الشعر فصرفوه فجرت ألسنتهم على ذلك و احتملوا ذلك فى الشعر لأنه يحتمل الزيادة كما يحتمل النقص فاحتملوا زياده التنوين و الأمر الآخر أن هذه الجموع أشبهت الآحاد لأنهم قالوا صواحيبات يوسف فلما جمعت جمع الآحاد المنصرفه جعلوه فى حكمها فصرفوها قال أبو الحسن و كثير من العرب يقول مواليات يريد الموالي و أنشد للفرزدق:

فإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم خضع الرقاب نواكسى الأبصار

فهذا كأنه جمع نواكس و من قرأ بغير تنوين و لا- أَلْفَ فَيَانِهْ جَعَلَهْ كَقَوْلِهْ «لَهَيْدُمْتُ صَوَامِعَ وَ بَيْعَ وَ صَيْلَوَاتٍ وَ مَسَاجِدُ» وَ إِحَاقِ الْأَلْفِ فِي سِلَاسِلِ وَ قَوَارِيرِ كَالْحَاقِهْ فِي قَوْلِهْ «الظُّنُونَا» وَ «السَّيْلَمَا» وَ «الرَّسُولَا» يَشْبُهْ ذَلِكَ بِالْإِطْلَاقِ فِي الْقَوَافِي مِنْ حَيْثُ كَانَتْ مِثْلَهَا فِي أَنَّهَا كَلَامٌ تَامٌ.

اللغة

الدهر مرور الليل و النهار و جمعه أدهر و دهور و أصل النطفه الماء القليل و قد تقع على الكثير

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) حين ذكر الخوارج مصارعهم دون النطفه

يريد النهروان و الجمع نطاف و نطف قال الشاعر:

و ما النفس إلا نطفه بقراره إذا لم تكدر كان صفوا غدورها

و واحد الأمشاج مشيج و مشجت هذا بهذا أى خلطته و هو ممشوج و مشيج و واحد الأبرار بار نحو ناصر و أنصار و ير أيضا و الكأس الإناء إذا كان فيه شراب قال عمرو بن كلثوم:

صددت الكأس عنا أم عمرو و كان الكأس مجراها اليمينا

و أوفى بالعقد و وفى به فأوفى لغه أهل الحجاز و وفى لغه تميم و أهل نجد و النذر عقد عملى فعل بر يوجه الإنسان على نفسه نذر ينذر قال عنترة:

الشاتمي عرضى و لم أشتهما و الناشرين إذا لم ألقهما دمي

أى يقولان إن لقينا عنتره لنقتله و المستطير المنتشر قال الأعشى:

فبان و قد أسارت فى الفؤاد صدعا على نأيتها مستطيرا

و القمطير الشديد فى الشر و قد اقمطر اليوم اقمطارا و يوم قمطير و قماطر كأنه قد التف شره بعضه على بعض قال الشاعر:

بنى عمنا هل تذكرون بلاءنا عليكم إذا ما كان يوم قماطر

قيل إن هل هنا بمعنى قد قال الشاعر:

أم هل كبير بكى لم يقض عبرته إثر الأعبه يوم البين مشكوم

. الإعراب

«لَمْ يَكُنْ شَيْئاً» جملة فى محل الرفع لأنها صفة حين و التقدير لم يكن فيه شيئاً مذكورا و أمشاج يجوز أن يكون صفة لنطفه و يجوز أن يكون بدلا و الوصف بالجمع مثل قولهم برمه أعشار و ثوب أسمال و نبتليه فى موضع نصب على الحال. «إِذَا شَاكِرًا وَ إِذَا كَفُورًا» حالان من الهاء فى هديناه أى هديناه شاكرا أو كفورا و قوله «عَيْنًا» فى انتصابه وجوه (أحدها) أن يكون بدلا من كافورا إذا جعلت الكافور اسم عين فىكون بدل الكل من الكل (و الثانى) أن يكون بدلا من قوله «مِنْ كَأْسٍ» أى يسقون من عين ثم حذف الجار فوصل الفعل إليه فنصبه (و الثالث) أن يكون منصوبا على المدح و التقدير أعنى عينا يشرب بها الباء مزیده أى يشربها و المعنى يشرب ماؤها لأن العين لا تشرب و إنما يشرب ماؤها.

النزول

قد روى الخاص و العام أن الآيات من هذه السوره و هى قوله «إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ» إلى قوله «وَ كَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا» نزلت فى على و فاطمه و الحسن و الحسين ع و جاريه لهم تسمى فضه و هو المروى عن ابن عباس و مجاهد و أبى صالح.

[و القصه طويله]

جملتها أنهم قالوا مرض الحسن و الحسين (عليه السلام) فعادهما جد هما ص و وجوه العرب و قالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك نذرا فنذر صوم ثلاثه أيام إن شفاهما الله سبحانه و نذرت فاطمه (عليه السلام) كذلك و كذلك فضه فبرءا و ليس عندهم شىء فاستقرض على (عليه السلام) ثلاثه أصوع من شعير من يهودى و روى أنه أخذها ليغزل له صوفا و جاء به إلى فاطمه (عليه السلام) فطحنت صاعا منها فاخبزته و صلى على المغرب و قربته إليهم فأتاهم مسكين يدعو لهم و سألهم فأعطوه و لم يذوقوا إلا الماء فلما كان اليوم الثانى أخذت صاعا فطحنته و خبزته و قدمته إلى على (عليه السلام) فإذا يتيم فى الباب يستطعم فأعطوه و لم يذوقوا إلا الماء فلما كان اليوم الثالث عمدت إلى الباقي فطحنته و اخبزته و قدمته إلى على (عليه السلام) فإذا أسير بالباب يستطعم فأعطوه

ص: ١٨٨

و لم يذوقوا إلا الماء فلما كان اليوم الرابع و قد قضاوا نذورهم أتى على (عليه السلام) و معه الحسن و الحسين (عليه السلام) إلى النبي ص و بهما ضعف فبكى رسول الله ص و نزل جبرائيل (عليه السلام) بسوره هل أتى و

في روايه عطاء عن ابن عباس أن على ابن أبي طالب (عليه السلام) آجر نفسه ليستقى نخلا بشىء من شعير ليله حتى أصبح فلما أصبح و قبض الشعير طحن ثلثه فجعلوا منه شيئاً لياًكلوه يقال له الحريره فلما تم إنضاجه أتى مسكين فأخرجوا إليه الطعام ثم عمل الثلث الثانى فلما تم إنضاجه أتى يتيم فسأل فأطعموه ثم عمل الثلث الثالث فلما تم إنضاجه أتى أسير من المشركين فسأل فأطعموه و طووا يومهم ذلك ذكره الواحدى فى تفسيره

و

ذكر على بن إبراهيم أن أباه حدثه عن عبد الله بن ميمون عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال كان عند فاطمه شعير فجعلوه عصيده فلما أنضجوها و وضعوها بين أيديهم جاء مسكين فقال المسكين رحمكم الله فقام على فأعطاه ثلثها فلم يلبث أن جاء يتيم فقال اليتيم رحمكم الله فقام على (عليه السلام) فأعطاه الثلث ثم جاء أسير فقال الأسير رحمكم الله فأعطاه على (عليه السلام) الثلث الباقي و ما ذاقوها فأنزل الله سبحانه الآيات فيهم

و هى جاريه فى كل مؤمن فعل ذلك لله عز و جل و فى هذا دلالة على أن السوره مدنيه و قال أبو حمزه الثمالى فى تفسيره حدثنى الحسن بن الحسن أبو عبد الله بن الحسن أنها مدنيه نزلت فى على و فاطمه السوره كلها

[النزول]

حدثنا السيد أبو الحمد مهدي بن نزار الحسينى القائنى قال أخبرنا الحاكم أبو القسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني قال حدثنا أبو نصر المفسر قال حدثنى عمى أبو حامد إملاء قال حدثنى الفزارى أبو يوسف يعقوب بن محمد المقرئ قال حدثنا محمد بن يزيد السلمى قال حدثنا زيد بن موسى قال حدثنا عمرو بن هارون عن عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس قال أول ما أنزل بمكه (اقرأ باسم ربك) ثم (ن و القلم) ثم (المزمل) ثم (المدثر) ثم (تبت) ثم (إذا الشمس كورت) ثم (سبح اسم ربك الأعلى) ثم (و الليل إذا يغشى) ثم (و الفجر) ثم (و الضحى) ثم (ألم نشرح) ثم (و العصر) ثم (و العاديات) ثم (إننا أعطيناك الكوثر) ثم (ألهيكم التكاثر) ثم (أ رأيت) ثم (الكافرون) ثم (ألم تر كيف) ثم (قل أعوذ برب الفلق) ثم (قل أعوذ برب الناس) ثم (قل هو الله أحد) ثم (و النجم) ثم (عبس) ثم (إننا أنزلناه) ثم (و الشمس) ثم (البروج) ثم (و التين) ثم (لإيلاف) ثم (القارعه) ثم (القيامة) ثم (الهمزه) ثم (و المرسلات) ثم (ق).

ص: ١٨٩

ثم (لا- أقسم بهذا البلد) ثم (الطارق) ثم (اقتربت الساعة) ثم (صلى الله عليه و آله) ثم (الأعراف) ثم (قل أوحى) ثم (يس) ثم (الفرقان) ثم (الملائكة) ثم (كهيعص) ثم (طه) ثم (الواقعه) ثم (الشعراء) ثم (النمل) ثم (القصص) ثم (بنى إسرائيل) ثم (يونس) ثم (هود) ثم (يوسف) ثم (الحجر) ثم (الأنعام) ثم (الصفات) ثم (لقمان) ثم (القمر) ثم (سبأ) ثم (الزمر) ثم (حم المؤمن) ثم (حم السجده) ثم (جمعسق) ثم (الزخرف) ثم (الدخان) ثم (الجاثية) ثم (الأحقاف) ثم (الذاريات) ثم (الغاشية) ثم (الكهف) ثم (النحل) ثم (نوح) ثم (إبراهيم) ثم (الأنبياء) ثم (المؤمنون) ثم (الم تنزيل) ثم (الطور) ثم (الملك) ثم (الحاقة) ثم (ذو المعارج) ثم (عم يتساءلون) ثم (النازعات) ثم (انفطرت) ثم (انشقت) ثم (الروم) ثم (العنكبوت) ثم (المطففين) فهذه أنزلت بمكة و هى خمس و ثمانون سوره ثم أنزلت بالمدينه (البقره) ثم (الأنفال) ثم (آل عمران) ثم (الأحزاب) ثم (المتحنه) ثم (النساء) ثم (إذا زلزلت) ثم (الحديد) ثم سوره (محمد) ثم (الرعد) ثم سوره (الرحمن) ثم (هل أتى) ثم (الطلاق) ثم (لم يكن) ثم (الحشر) ثم (إذا جاء نصر الله) ثم (النور) ثم (الحج) ثم (المنافقون) ثم (المجادله) ثم (الحجرات) ثم (التحریم) ثم (الجمعه) ثم (التغابن) ثم سوره (الصف) ثم سوره (الفتح) ثم سوره (المائده) ثم سوره (التوبه) فهذه ثمان و عشرون سوره و قد رواه الأستاذ أحمد الزاهد بإسناده عن عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس فى كتاب الإيضاح و زاد فيه و كانت إذا نزلت فاتحه سوره بمكة كتبت بمكة ثم يزيد الله فيها ما يشاء بالمدينه و بإسناده عن عكرمه و الحسن بن أبى الحسن البصرى إن أول ما أنزل الله من القرآن بمكة على الترتيب (اقرأ باسم ربك و ن و المزمّل) إلى قوله و ما نزل بالمدينه (ويل للمطففين) (و البقره و الأنفال و آل عمران و الأحزاب و المائده و الممتحنه و النساء و إذا زلزلت و الحديد و سوره محمد) ص (و الرعد و الرحمن و هل أتى على الإنسان) إلى آخره و

إسناده عن سعيد بن المسيب عن على بن أبى طالب (عليه السلام) أنه قال سألت النبى عن ثواب القرآن فأخبرنى بثواب سوره سوره على نحو ما نزلت من السماء فأول ما نزل عليه بمكة (فاتحه الكتاب) ثم (اقرأ باسم ربك) ثم (ن) إلى أن قال و أول ما نزل بالمدينه سوره (البقره) ثم (الأنفال) ثم (آل عمران) ثم (الأحزاب) ثم (المتحنه) ثم (النساء) ثم (إذا زلزلت) ثم (الحديد) ثم (سوره محمد) ثم

(الرعد) ثم (سوره الرحمن) ثم (هل أتى) إلى قوله فهذا ما أنزل بالمدينه ثم قال النبي ص جميع سور القرآن مائه و أربع عشره سوره و جميع آيات القرآن سته آلاف آيه و مائتا آيه و ست و ثلاثون آيه و جميع حروف القرآن ثلاثمائه ألف حرف واحد و عشرون ألف حرف و مائتان و خمسون حرفا لا يرغب في تعلم القرآن إلا السعداء و لا يتعهد قراءته إلا أولياء الرحمن

(أقول) قد اتسع نطاق الكلام في هذا الباب حتى كاد يخرج عن أسلوب الكتاب و ربما نسبنا به إلى الإطناب و لكن الغرض فيه أن بعض أهل العصبية قد طعن في هذه القصة بأن قال هذه السوره مكيه فكيف يتعلق بها ما كان بالمدينه و استدل بذلك على أنها مخترعه جراه على الله سبحانه و عداوه لأهل بيت رسوله فأحبت إيضاح الحق في ذلك و إيراد البرهان في معناه و كشف القناع عن عناد هذا المعاند في دعواه على أنه كما ترى يحتوى على السر المخزون و الدر المكنون من هذا العلم الذى يستضاء بنوره و يتلأل بزهوره و هو معرفه ترتيب السور في التنزيل و حصر عددها على الجملة و التفصيل اللهم أمددنا بتأييدك و أيدنا بتوفيقك فأت الرجاء و الأمل و على فضلك المعول و المتكل.

المعنى

«هَلْ أَتَى» معناه قد أتى «عَلَى الْإِنْسَانِ» أى أ لم يأت على الإنسان «حِينَ مِنَ الدَّهْرِ» و قد كان شيئا إلا أنه «لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً» لأنه كان ترابا و طينا إلى أن نفخ فيه الروح عن الزجاج و على هذا فهل هنا استفهام يراد به التقرير قال الجبائى و هو تقرير على اللطف الوجوه و تقديره أيها المنكر للصانع و قدرته أ ليس قد أتى عليك دهور لم تكن شيئا مذكورا ثم ذكرت و كل أحد يعلم من نفسه أنه لم يكن موجودا ثم وجد فإذا تفكر في ذلك علم أن له صانعا صنعه و محدثا أحدثه و المراد بالإنسان هنا آدم (عليه السلام) و هو أول من سمى به عن الحسن و قتاده و سفيان و الجبائى و قيل إن المراد به كل إنسان و الألف و اللام للجنس عن أبى مسلم و قيل أنه أتى على آدم (عليه السلام) أربعون سنه لم يكن شيئا مذكورا لا فى السماء و لا فى الأرض بل كان جسدا ملقى من طين قبل أن ينفخ فيه الروح و روى عطاء عن ابن عباس أنه تم خلقه بعد عشرين و مائه سنه و

روى العياشى بإسناده عن عبد الله بن بكير عن زواره قال سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قوله «لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً» قال كان شيئا و لم يكن مذكورا

و

ياسناده عن سعيد الحداد عن أبى جعفر (عليه السلام) قال كان مذكورا فى العلم و لم يكن مذكورا فى الخلق و عن عبد الأعلى مولى آل سام عن أبى عبد الله (عليه السلام) مثله

و

عن حمران بن أعين قال سألت عنه فقال كان شيئا مقدورا و لم يكن مكونا

و فى هذا دلالة على أن المعدوم معلوم و إن لم يكن مذكورا و إن المعدوم يسمى شيئا فإذا حملت الإنسان على الجنس فالمراد أنه

قبل الولاده لا يعرف ولا يذكر ولا يدري من هو و ما يراد به بل يكون معدوما ثم يوجد فى صلب أبيه ثم فى رحم أمه إلى وقت الولاده و قيل المراد به العلماء لأنهم كانوا لا يذكرون فصيرهم الله سبحانه بالعلم المذكورين بين الخاص و العام فى حياتهم و بعد مماتهم و سمع عمر بن الخطاب رجلا يقرأ هذه الآيه فقال ليت ذلك ثم يعنى ليت آدم بقى على ما كان فكان لا يلد و لا يبتلى أولاده ثم قال سبحانه «إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ» يعنى ولد آدم (عليه السلام) «مِنْ نُطْفَةٍ» و هى ماء الرجل و المرأه الذى يخلق منه الولد «أَمْشَاجٍ» أى أخلاط من ماء الرجل و ماء المرأه فى الرحم فأيهما علا ماء صاحبه كان الشبه له عن ابن عباس و الحسن و عكرمه و مجاهد و قيل أمشاج أطوار طوراً نطفه و طوراً علقه و طوراً مضغه و طوراً عظاما إلى أن صار إنسانا عن قتاده و قيل أراد اختلاف ألوان النطفه فنطفه الرجل بيضاء و حمراء و نطفه المرأه خضراء و صفراء فهى مختلفه الألوان عن مجاهد و الضحاك و الكلبي و روى أيضا عن ابن عباس و قيل نطفه مشجت بدم الحيض فإذا حبلت ارتفع الحيض عن الحسن و قيل هى العروق التى تكون فى النطفه عن ابن مسعود و قيل أمشاج أخلاط من الطبائع التى تكون فى الإنسان من الحرارة و البروده و اليبوسه و الرطوبه جعلها الله فى النطفه ثم بناه الله البنيه الحيوانيه المعدله الأخلاط ثم جعل فيه الحياه ثم شق له السمع و البصر فتبارك الله رب العالمين و ذلك قوله «فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا» و قوله «نَبْتَلِيهِ» أى نختبره بما نكلفه من الأفعال الشاقه ليظهر إما طاعته و إما عصيانه فنجازيه بحسب ذلك قال الفراء معناه «فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا» لنتبليه أى لنتعبده و نأمره و ننهاه و المراد فأعطيناه آله السمع و البصر ليتمكن من السمع و البصر و معرفه ما كلف «إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ» أى بينا له الطريق و نصبنا له الأدله و أزرنا له العله حتى يتمكن من معرفه الحق و الباطل و قيل هو طريق الخير و الشر عن قتاده و قيل السبيل هو طريق معرفه الدين الذى به يتوصل إلى ثواب الأبد و يلزم كل مكلف سلوكه و هو أدله العقل و الشرع التى يعم جميع المكلفين «إِمَّا شَاكِرًا وَّ إِمَّا كَفُورًا» قال الفراء معناه أن شكر و أن كفر على الجزاء و قال الزجاج معناه ليختار إما السعاده و إما الشقاوه و المراد إما أن يختار بحسن اختياره الشكر لله تعالى و الاعتراف بنعمه فيصيب الحظ و إما أن يكفر نعم الله و يجحد إحسانه فيكون ضالا عن الصواب فأيهما اختار جوزى عليه بحسبه و هذا كقوله «فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمَرْ وَّ مَنْ شَاءَ فَلْيُكْفَرْ» و فى هذه الآيه دلالة على أن الله قد هدى جميع خلقه لأن اللفظ عام ثم بين سبحانه ما أعدده للكافرين فقال «إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ» أى هيأنا و ادخرنا لهم جزاء على كفرانهم و عصيانهم «سَلَاسِلَ» يعنى فى جهنم كما قال فى سلسله ذرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا «وَأَغْلَالًا وَّ سَعِيرًا» نار موقده نعدبهم بها و نعاقبهم فيها ثم ذكر ما أعدده

للساكرين المطيعين فقال «إِنَّ الْأَبْرَارَ» و هو جمع البر المطيع لله المحسن فى أفعاله و قال الحسن هم الذين لا يؤذون الذر و لا يرضون الشر و قيل هم الذين يقضون الحقوق اللانزمه و النافله و قد أجمع أهل البيت (عليه السلام) و موافقوهم و كثير من مخالفينهم إن المراد بذلك على و فاطمه و الحسن و الحسين ع و الآيه مع ما بعدها متعينه فيهم و أيضا فقد انعقد الإجماع على أنهم كانوا أبرارا و فى غيرهم خلاف «يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ» إناء فيه شراب «كَانَ مِزَاجُهَا» أى ما يمازجها «كافُوراً» و هو اسم عين ماء فى الجنة عن عطاء و الكلبى و اختاره الفراء قال و يدل عليه قوله «عَيْنًا» و هى كالمفسره للكافور و قيل يعنى الكافور الذى له رائحه طيبه و المعنى يمازجه ريح الكافور و ليس ككافور الدنيا عن مجاهد و مقاتل قال قتاده يمزج بالكافور و يختم بالمسك و قيل معناه طيب بالكافور و المسك و الزنجبيل عن ابن كيسان «عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ» أى أولياؤه عن ابن عباس أى هذا الشراب من عين يشرب بها أولياء الله و خصهم بأنهم عباد الله تشريفا و تبجيلا قال الفراء شربها و شرب بها سواء فى المعنى كما يقولون تكلمت بكلام حسن و كلاما حسنا قال عنتره:

شربت بماء الدحرضين فأصبحت عسرا على طلابها ابنه مخرم

و أنشد الفراء:

شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن نثيج

أى صوت.

«يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا» أى يقودون تلك العين حيث شاءوا من منازلهم و قصورهم عن مجاهد و التفجير تشقيق الأرض بجرى الماء قال و أنهار الجنة تجرى بغير أخدود فإذا أراد المؤمن أن يجرى نهرا خطا فينبع الماء من ذلك الموضع و يجرى بغير تعب ثم وصف سبحانه هؤلاء الأبرار فقال «يُوفُونَ بِالْأَنْدَرِ» أى كانوا فى الدنيا بهذه الصفه و الإيفاء بالندر هو أن يفعل ما نذر عليه فإذا نذر طاعه تممها و وفى بها عن مجاهد و عكرمه و قيل يتمون ما فرض الله عليهم من الواجبات عن قتاده «وَ يَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا»

ص: ١٩٣

أى فاشيا منتشرا ذاهبا فى الجهات بلغ أقصى المبالغ وسمى العذاب شرا لأنه لا خير فيه للمعاقبين و إن كان فى نفسه حسنا لكونه مستحقا و قيل المراد بالشر هنا أهوال يوم القيامة و شدائده «وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ» أى على حب الطعام و المعنى يطعمون الطعام أشد ما تكون حاجتهم إليه و صفهم الله سبحانه بالأثره على أنفسهم و

فى الحديث عن أبى سعيد الخدرى أن النبى ص قال ما من مسلم أطعم مسلما على جوع إلا أطعمه الله من ثمار الجنة و ما من مسلم كسا أخاه على عرى إلا كساه الله من خضر الجنة و من سقى مسلما على ظمإ سقاه الله من الرحيق

قال ابن عباس يطعمون الطعام على شهوتهم له و محبتهم إياه و قيل الهاء كناية عن الله تعالى أى يطعمون الطعام على حب الله «مِسْكِينًا» و هو الفقير الذى لا شىء له «وَيَتِيمًا» و هو الذى لا والد له من الأطفال «وَأَسِيرًا» و هو المأخوذ من أهل دار الحرب عن قتاده و قيل هو المحبوس من أهل القبله عن مجاهد و سعيد بن جبیر و قيل الأسير المرأه «إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ» أى لطلب رضا الله خالصا من الرياء و طلب الجزاء و هو قوله «لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَ لَا شُكْرًا» و هو مصدر مثل القعود و الجلوس و قيل إنهم لم يتكلموا بذلك و لكن علم الله سبحانه ما فى قلوبهم فأثنى به عليهم ليرغب فى ذلك الراغب عن سعيد بن جبیر و مجاهد و المراد لا نطلب بهذا الطعام مكافاه عاجله و لا نريد أن تشكرونا عليه عند الخلق بل فعلناه لله «إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا» أى عذاب يوم «عَبُوسًا» أى مكفهرًا تعبس فيه الوجوه و وصف اليوم بالعبوس توسعا لما فيه من الشده و هذا كما يقال يوم صائم و ليل قائم قال ابن عباس يعبس فيه الكافر حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران «فَمُطْرِرًا» أى صعبا شديدا عن أبى عبيده و المبرد و قال الحسن سبحانه الله ما أشد اسمه و هو من اسمه أشد و قيل القمطير الذى يقلص الوجوه و يقبض الجباه و ما بين الأعين من شدته عن قتاده.

إشارة

فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢) مُتَكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣) وَدَاتِيَهُ عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَاتِيئِهِ مِنْ فَضِّهِ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا (١٥)

قَوَارِيرًا مِنْ فَضِّهِ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (١٨) وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا (٢٠)

عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعًا أُسْوَرٌ مِنْ فَضِّهِ وَسَيَّقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا (٢٢)

القراءة

قرأ الشعبي و عبيد بن عمير قدروها بضم القاف و القراء المشهوره «قَدَّرُوهَا» بفتح القاف و قرأ أهل المدينة و حمزه عليهم ساكنه الياء و الباقون «عَالِيَهُمْ» بفتح الياء و قرأ أهل البصرة و أبو جعفر و ابن عامر خضر بالرفع و إستبرق بالجر و قرأ ابن كثير و أبو بكر خضر بالجر و إستبرق بالرفع و قرأ نافع و حسن بالرفع فيهما و قرأ حمزه و الكسائي و خلف بالجر فيهما.

الحج

من قرأ «قَدَّرُوهَا» بالفتح فالمعنى قدروها في أنفسهم فجاءت كما قدروها و من قرأ بالضم أراد أن ذلك قدر لهم أى قدره الله لهم كذلك قال أبو على الضمير فى «قَدَّرُوهَا» للخزان أو الملائكة أى قدروها على ربهم لا ينقص من ذلك و لا يزيد عليه و من قرأ قدروها فهو على هذا المعنى يريد كان اللفظ قدروا عليها فحذف الجار كما حذف من قوله:

كأنه واضح الأقرب فى لقح أسمى بهن و عزته الأناصيل

فلما حذف الحرف وصل الفعل فكذلك قوله قدروها إلا أن المعنى قدرت عليهم أى على ربهم فقلب كما قال:

لا تحسبن دراهما سرقتها تمحو مخازيك التى بعمان

و على هذا يتأول قوله «ما إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ» و مثل هذا ما حكاه أبو زيد إذا طلعت الجوزاء أوفى السود فى الجرباء قال و من نصب «عَالِيَهُمْ» فإن النصب يحتمل أمرين

(أحدهما) أن يكون حالاً- (و الآخر) أن يكون ظرفاً فأما الحال فيحتمل أن يكون العامل فيها أحد شيئين (أحدهما) لقاها (و الآخر) جزاهم و مثله في كونه حالاً- «مُنَكِّينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ» فإن قلت لم لا يكون متكئين صفة جنه و فيها ذكر لها قيل لا يجوز ذلك ألا ترى أنه لو كان كذلك للزمك أن تبرز الضمير الذى فى اسم الفاعل من حيث كان صفة للجنه و ليس الفعل لها فإذا لم يجز ذلك كان حالاً- و كذلك قوله «وَ دَائِيَّةٌ عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا» إلا- أنه يجوز فى قوله «وَ دَائِيَّةٌ عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا» أمران (أحدهما) الحال (و الآخر) أن ينتصب على أنه مفعول به و يكون المعنى و جزاهم جنه و حريرا أى لبس حرير و دخول جنه و دانيه عليهم ظلالها فيكون على هذا التقدير كقوله وَ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ فَإِنْ لَمْ يَحْمِلْهُ عَلَى هَذَا وَ قُلْتَ إِنَّهُ يَعْزُضُ فِيهِ إِقَامَهُ الصِّفَةِ مَقَامَ الْمَوْصُوفِ وَ إِنْ ذَلِكَ لَيْسَ بِالْمَطْرُوحِ فِى كَلَامِهِمْ وَ إِذَا حَمَلْتَهُ عَلَى الْحَالِ يَكُونُ مِثْلَ مَا عَطَفْتَهُ عَلَيْهِ مِنْ قَوْلِهِ «مُنَكِّينَ» «وَ دَائِيَّةٌ عَلَيْهِمْ» وَ كَذَلِكَ يَكُونُ «عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ» معطوفاً على ما انتصب على الحال فى السوره فيكون ثياب سندس مرتفعه باسم الفاعل و الضمير عائد إلى ذى الحال من قوله «عَالِيَهُمْ» و فى الشواذ عاليتهم قراءه الأعمش و يكون بمنزله قوله خاشعا أبصارهم و خاشعه أبصارهم و من جعله ظرفاً فإنه لما كان على معنى فوق أجرى مجراه فى هذا و من قرأ عليهم بسكون الياء جعله مبتدأ و ثياب سندس خبره و يكون عليهم المبتدأ فى موضع الجماعه كما أن الخبر جماعه و قد جاء اسم الفاعل فى موضع جماعه قال:

ألا إن جيرانى العشيهِ رائح دعتهم دواعٍ من هوى و منادح

و فى التنزيل مُشْتَكِبِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ فَقَطِّعْ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا فَكَأَنَّهُ أَفْرَدَ مِنْ حَيْثُ جَعَلَ بِمَعْنَى الْمَصْدَرِ مِنْ نَحْوِ قَوْلِهِ

" و لا خارجا من فى زور كلام "

و قد قالوا الجامل و الباقر يراد بهما الكثيره و أخذ عليه البصير النحوى الملقب بجامع العلوم هذا الكلام و نسبه فيه إلى سوء التأمل و قال عاليهم بسكون الياء صفة الولدان أى يطوف عليهم ولدان عاليهم ثياب سندس فيرتفع ثياب سندس باسم الفاعل الجارى صفة على الموصوف و أقول و بالله التوفيق إنى لأرى أن نظر هذا الفاضل قد اختل كما أن بصره قد اعتل فرمى أبا على بدائه و أنسل أ لم ينظر فى خاتمه هذه الآيه إلى قوله سبحانه «وَ سَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا» ثم قوله عقيب ذلك «إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً» فيعرف أن الضمير فى عاليهم هو بعينه فى و سقاهاهم و هو ضمير المخاطبين فى لكم و هذا الضمير لا- يمكن أن يعود إلا إلى الأبرار

المشايين المجازين دون الولدان المخلدن الذين هم من جملة ثوابهم و جزائهم اللهم لك الحمد على تأييدك و تسديدك رجعنا إلى كلام أبي على قال و يجوز على قياس قول أبي الحسن فى قائم أخواك و إعمال اسم الفاعل عمل الفعل و إن لم يعتمد على شىء أن يكون ثياب سندس مرتفعه بعاليهم و أفردت عاليا لأنه فعل متقدم قال أبو على و الأوجه قراءه من قال خضر بالرفع و إستبرق بالجر لأن خضرا صفه مجموعه لموصوف مجموع و هو ثياب و أما إستبرق فجر من حيث كان جنسا أضيفت إليه الثياب كما أضيفت إلى سندس كما يقال ثياب خز و كتان و يدل على ذلك قوله «وَ يَلْبَسُونَ ثِيَابًا خَضْرًا مِنْ سُندُسٍ» و إستبرق و من قرأ «خُضْرٌ وَ إِسْتَبْرَقٌ» فإنه أجرى الخضر و هو جمع على السندس لما كان المعنى أن الثياب من هذا الجنس و أجاز أبو الحسن وصف هذه الأجناس بالجمع فقال تقول أهلك الناس الدينار الصفر و الدرهم البيض على استقباح له و من رفع إستبرق فإنما أراد عطف الاستبراق على الثياب كأنه ثياب سندس و ثياب إستبرق فحذف المضاف الذى هو ثياب و أقام إستبرق مقامه كما إنك إذا قلت عليه خز بمعنى عليه ثوب خز و ليس المعنى أن عليه الدابه التى هى الخز و على هذا قوله:

كان خزا تحته و قزا و فرشا محشوه اوزا.

اللغة

الوقايه الحفظ و المنع من الأذى وقاه يقيه وقايه و وقاه توقيه قال رؤبه

" أن الموقى مثل ما وقيت "

و منه اتقاه و توقاه و أصل الشر الظهور فهو ظهور الضرر و منه شررت الثوب إذا ظهرته للشمس أو الريح قال

" و حتى أشرت بالأكف المصاحف "

أى أظهرت و منه شرر النار لظهوره بتطايره و النضره حسن الألوان و نبت ناضر و نضير و نضر و السرور اعتقاد وصول المنافع إليه فى المستقبل و قال قوم هو لذه فى القلب فحسب متعلقه بما فيه النفع و كل سرور فلا بد له من متعلق كالسرور بالمال و الولد و السرور بالإكرام و الإجلال و السرور بالحمد و الشكر و السرور بالثواب و الأرائك الحجال فيها الأسره واحدها أريكه قال الزجاج الأريكه كل ما يتكأ عليه من مسوره أو غيرها و الزمهير أشد ما يكون من البرد و الزنجبيل ضرب من القرفه طيب الطعم يحذو اللسان و يربى بالعسل و يستدفع به المضار و إذا مزج به الشراب فاق فى الإلذاذ و العرب تستطيب الزنجبيل جدا قال الشاعر:

ص: ١٩٧

و السلسبيل الشراب السهل اللذيذ يقال شراب سلسل و سلسال و سلسبيل و الولدان الغلمان جمع وليد و السندس الديباج الرقيق الفاخر الحسن و الإستبرق الديباج الغليظ الذي له بريق.

الإعراب

«وَ إِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ» قال الزجاج العامل فى ثم معنى رأيت و المعنى و إذا رأيت ببصرك ثم قال الفراء المعنى و إذا رأيت ما ثم و غلظه الزجاج فى ذلك و قال إن ما تكون موصوله بقوله ثم على هذا التفسير و لا يجوز إسقاط الموصول و ترك الصلته و لكن رأيت يتعدى فى المعنى إلى ثم و أقول يجوز أن يكون مفعول رأيت محذوفا و يكون ثم ظرفا و التقدير و إذا رأيت ما ذكرناه ثم.

المعنى

ثم أخبر سبحانه بما أعد للأبرار الموصوفين فى الآيات الأولى من الجزاء فقال «فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ» أى كفاهم الله و منع منهم أهوال يوم القيامة و شدائده «وَ لَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا» أى استقبلهم بذلك «وَ جَزَاهُمْ» أى و كافأهم «بِمَا صَبَرُوا» أى بصبرهم على طاعته و اجتناب معاصيه و تحمل محن الدنيا و شدائدها «جَنَّةً» يسكنونها «وَ حَرِيرًا» من لباس الجنة يلبسونه و يفرشونه «مُتَّكِنِينَ» أى جالسين جلوس الملوك «فِيهَا» أى فى الجنة «عَلَى الْأَرَائِكِ» أى الأسره فى الحجال عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و قيل كلما يتكأ عليه فهو أريكه عن الزجاج و قيل الأرائك الفرش فوق الأسره عن أبى مسلم «لَا يَرَوْنَ فِيهَا» أى فى تلك الجنة «شَمْسًا» يتأذون بحرهما «وَ لَا زَمْهَرِيرًا» يتأذون ببرده «وَ دَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا» يعنى أن أفياء أشجار تلك الجنة قريبه منهم و قيل إن ظلال الجنة لا تنسخها الشمس كما تنسخ ظلال الدنيا «وَ ذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذَلُّلًا» أى و سخرت و سهل أخذ ثمارها تسخيرا إن قام ارتفعت بقدره و إن قعد نزلت عليه حتى ينالها و إن اضطجع تدلت حتى تنالها يده عن مجاهد و قيل معناه لا يرد أيديهم عنها بعد و لا شوكة «وَ يُطَافُ عَلَيْهِمْ» أى على هؤلاء الأبرار الموصوفين قبل «بِأَنِّيهِ مِنْ فَضِّهِ وَ أَكْوَابٍ» جمع كوب و هو إناء للشرب من غير عروه و قيل الأكواب الأقداح عن مجاهد «كَأَنَّ» تلك الأكواب «قَوَارِيرًا» أى زجاجات «مِنْ فَضِّهِ»

قال الصادق (عليه السلام) ينفذ البصر فى فضه الجنة كما ينفذ فى الزجاج

و المعنى أن أصلها من فضه فاجتمع لها بياض الفضه و صفاء

القوارير فيرى من خارجها ما في داخلها قال أبو علي إن سئل فقيل كيف تكون القوارير من فضه و إنما القوارير من الرمل دونها فالقول في ذلك أن الشيء إذا قاربه شيء و اشتدت ملابسته له قيل أنه من كذا و إن لم يكن منه في الحقيقة كقول البعيث:

ألا أصبحت خنساء خارمه الوصل و ضنت علينا و الضنين من البخل

و صدت فأعدانا بهجر صدودها و هن من الأخلاف قبلك و المطل

و قال:

ألا في سبيل الله تغيير لمتى و وجهك مما في القوارير أصفر

فعلى هذا يجوز قوارير من فضه أى هي في صفاء الفضه و نقائها و يجوز تقدير حذف المضاف أى من صفاء الفضه و قوارير الثانيه بدل من الأولى و ليست بتكرار و قيل أن قوارير كل أرض من تربتها و أرض الجنه فضه فلذلك كانت قواريرها مثل الفضه عن ابن عباس «قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا» أى قدروا الكأس على قدر ربهم لا يزيد و لا ينقص من الرى و الضمير في قدروها للسقاء و الخدم الذين يسقون فإنهم يقدرونها ثم يسقون و قيل قدروها على قدر ملء الكف أى كانت الأكواب على قدر ما اشتها لم تعظم و لم يثقل الكف عن حملها عن الربيع و القرظى و قيل قدروها في أنفسهم قبل مجيئها على صفه فجاءت على ما قدروا و الضمير في قدروا للشاربين «وَيَسْقُونَ فِيهَا» أى في الجنه «كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا» قال مقاتل لا يشبه زنجبيل الدنيا و قال ابن عباس كل ما ذكره الله في القرآن مما في الجنه و سماه ليس له مثل في الدنيا و لكن سماه الله بالاسم الذى يعرف و الزنجبيل مما كانت العرب تستطيه فلذلك ذكره في القرآن و وعدهم أنهم يسقون في الجنه الكأس الممزوجه بزنجبيل الجنه «عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا» أى تمزج الخمر بالزنجبيل و الزنجبيل من عين تسمى تلك العين سلسبيلا قال ابن الأعرابي لم أسمع السلسبيل إلا في القرآن و قال الزجاج هو صفه لما كان في غايه السلاسه يعنى أنها سلسله تتسلسل في الحلق و قيل سمسى سلسبيلا لأنها تسيل عليهم في الطرق و فى منازلهم تنبع من أصل العرش من جنه عدن إلى أهل الجنان عن أبى العالیه و مقاتل و قيل سميت بذلك لأنها ينقاد ماؤها لهم يصرفونها حيث شاءوا عن قتاده «وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ» مر تفسيره «إِذَا رَأَيْتَهُمْ» يعنى إذا رأيت أولئك الولدان «حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا» من الصفاء و حسن المنظر و الكثره فذكر لونها و كثرتهم و قيل إنما

شبههم بالمنتور لانتثارهم فى الخدمه فلو كانوا صفا لشبهوا بالمنظوم «وَ إِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ» أى إذا رميت ببصرك ثم يعنى الجنه و

قيل أن تقديره و إذا رأيت الأشياء ثم «رَأَيْتَ نَعِيمًا» خطيرا «وَ مُلْكًا كَبِيرًا» لا يزول و لا يفنى عن الصادق (عليه السلام)

و قيل كبيرا أى واسعا يعنى أن نعيم الجنه لا يوصف كثره و إنما يوصف بعضها و قيل الملك الكبير استئذان الملائكه عليهم و تحيتهم بالسلام و قيل هو أنهم لا يريدون شيئا إلا قدروا عليه و قيل هو أن أدناهم منزله ينظر فى ملكه من مسيره ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه و قيل هو الملك الدائم الأبدى فى نفاذ الأمر و حصول الأمانى «عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سَيْدُسٌ» من جعله ظرفا فهو بمنزله قولك فوقهم ثياب سندس و من جعله حالا فهو بمنزله قولك يعلوهم ثياب سندس و هو ما رق من الثياب فيلبسونها و

روى عن الصادق (عليه السلام) أنه قال فى معناه تلوهم الثياب فيلبسونها

«حُضْرٌ وَ إِسْتَبْرَقٌ» و هو ما غلظ منها و لا يراد به الغلظ فى السلك إنما يراد به الثخانه فى النسج قال ابن عباس أ ما رأيت الرجل عليه ثياب و الذى يعلوها أفضلها «وَ حُلُوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ» الفضة الشفافه و هى التى يرى ما وراءها كما يرى من البلوره و هو أفضل من الدر و الياقوت و هما أفضل من الذهب و الفضة فتلك الفضة أفضل من الذهب و الفضة فى الدنيا و هما أثمان الأشياء و قيل أنهم يحلون بالذهب تاره و بالفضه أخرى ليجمعوا محاسن الحليه كما قال الله تعالى يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ* و الفضة و إن كانت دنيه الثمن فى الدنيا فهى فى غايه الحسن خاصه إذا كانت بالصفه التى ذكرناها و الغرض فى الآخره ما يكثر الاستلذاذ و السرور به لا- ما يكثر ثمنه لأنه ليست هناك أثمان «وَ سَيَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا» أى طاهرا من الأقدار و الأقداء لم تدنسها الأيدى و لم تدهسها الأرجل كخمر الدنيا و قيل طهورا لا يصير بولا نجسا و لكن يصير رشحا فى أبدانهم كريح المسك و إن الرجل من أهل الجنه يقسم له شهوه مائه رجل من أهل الدنيا و أكلهم و نهمتهم فإذا أكل ما شاء سقى شرابا طهورا فيطهر بطنه و يصير ما أكل رشحا يخرج من جلده أطيب ريحا من المسك الأذفر و يضم بطنه و تعود شهوته عن إبراهيم التيمي و أبى قلابه و

قيل يطهرهم عن كل شىء سوى الله إذ لا طاهر من تدنس بشىء من الأكوان إلا الله رووه عن جعفر بن محمد (عليه السلام)

«إِنَّ هَذَا» يعنى ما وصف من النعيم و أنواع الملاذ «كَانَ لَكُمْ جَزَاءً» أى مكافاه على أعمالكم الحسنه و طاعتكم المبروره «وَ كَانَ سَعْيِكُمْ» فى مرضاه الله و قيامكم بما أمركم الله به «مَشْكُورًا» أى مقبولا مرضيا جوزيتم عليه فكأنه شكر لكم فعلكم.

إشارة

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا (٢٣) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَ لَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا (٢٤) وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَ أُصِيلًا (٢٥) وَ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَ سَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (٢٦) إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَ يَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا (٢٧)

نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَ شَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَ إِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا (٢٨) إِنَّ هَذِهِ تَذِكْرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (٢٩) وَ مَا تَشَاوَنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٠) يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَ الظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٣١)

القراءة

قرأ ابن كثير و أبو عمرو و ابن عامر و ما يشاءون بالياء و الباقون بالتاء و فى الشواذ قراءة عبد الله بن الزبير و أبان بن عثمان و الظالمون بالواو.

الحجج

وجه الياء قوله تعالى «فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ» و وجه التاء أنه خطاب للكافه أى و ما تشاءون الطاعة و الاستقامه إلا أن يشاء الله أو يكون محمولاً على الخطاب و أما قوله و الظالمون فإنه على ارتجال جمله مستأنفه قال ابن جنى كأنه قال الظالمون أعد لهم عذاباً أليماً ثم أنه عطف الجملة على ما قبلها و قد سبق الرفع إلى مبتدئها غير أن قراءه الجماعة أسبق و هو النصب لأن معناه و يعذب الظالمين فلما أضمر هذا الفعل فسر به بقوله «أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» و هذا أكثر من أن يؤتى له بشاهد قال الزجاج يقول النحويون أعطيت زيدا و عمرا أعددت له برا فيختارون النصب على معنى و بررت عمرا أعددت له برا و أنشد غيره:

أصبحت لا أحمل السلاح و لا أملك رأس البعير إن نفرا

و الذئب أخشاه إن مررت به وحدى و أخشى الرياح و المطرا.

اللغة

الأسر أصله الشد و منه قتب مأسور أى مشدود و منه الأسير لأنهم كانوا يشدونهم بالقدر قولهم خذ بأسره أى بشده قبل أن يحل ثم كثر حتى صار بمعنى خذ جميعه قال الأخطل:

من كل مجتنب شديد أسره سلس القياد تخاله مختالا.

الإعراب

قال الزجاج فى قوله «وَلَا تُطْعَمُ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا» أو هنا أو كد من الواو لأنك إذا قلت لا تطعم زيدا و عمرا فأطاع أحدهما كان غير عاص لأنك أمرته أن لا- يطيع الاثنين و إذا قلت لا تطعم منهم آثما أو كفورا فأو قد دلت على أن كل واحد منهما أهل أن يعصى و أنهما أهل أن يعصيا كما أنك إذا قلت جالس الحسن أو ابن سيرين فقد قلت كل واحد منهما أهل أن يجالس قال البصير النحوى أو هذه التى للتخيير إذا قلت اضرب زيدا أو عمرا فمعناه اضرب أحدهما فإذا قلت لا تضرب زيدا أو عمرا فمعناه لا تضرب أحدهما فيحرم عليه ضربهما لأن أحدهما فى النفى يعمم و ابن كيسان يحمل النهى على الأمر فيقول إذا قال لا تضرب أحدهما لم يحرم عليه ضربهما و إنما حرم فى الآيه طاعتهما لأن أحدهما بمنزله الآخر فى امتناع الطاعة له ألا ترى أن الآثم مثل الكفور فى هذا المعنى قال سيويوه و لو قال لا- تطعم آثما و لا تطعم كفورا لانقلب المعنى إذ ذاك لأنه حينئذ لا تحرم طاعتها كليهما.

المعنى

ثم أخير سبحانه عن نفسه فقال «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا» فيه شرف و تعظيم لك و قيل معناه فصلناه فى الإنزال آيه بعد آيه و لم ننزله جملة واحده عن ابن عباس «فماضبر» يا محمد على ما أمرتك به من تحمل أعباء الرسالة «لِحُكْمِ رَبِّكَ» أن تبلغ الكتاب و تعمل به و قيل أنه أمر لنبينا ص بالصبر و إن كذب فيما أتى به و وعيد لمن كذبه «وَلَا تُطْعَمُ مِنْهُمْ» أى من مشركى مكة «آثِمًا» يعنى عتبه بن ربيعه «أَوْ كَفُورًا» يعنى الوليد بن المغيرة فإنهما قالا له ارجع عن هذا الأمر و نحن نرضيك بالمال و التزويج عن مقاتل و قيل الكفور أبو جهل نهى النبى ص عن الصلاة و قال لئن رأيت محمدا يصلى لأطأن عنقه فنزلت الآيه عن قتاده و قيل إن ذلك عام فى كل عاص فاسق و كافر منهم أى من الناس أى لا تطعم من يدعوك إلى إثم أو كفر و هذا أولى لزياده الفائدة و عدم التكرير «وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا» أى أقبل على شأنك من ذكر الله و الدعاء إليه و تبليغ الرسالة صباحا و مساء أى دائما فإن الله ناصرك و مؤيدك و معينك و البكره أول النهار و الأصيل العشى و هو أصل الليل «وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ» دخلت من للتبعيض و المعنى فاسجد له فى بعض الليل لأنه لم يأمره بقيام الليل كله و قيل فاسجد له يعنى صلاه المغرب و العشاء «وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا» أى

روى عن الرضا (عليه السلام) أنه سأله أحمد بن محمد عن هذه الآيه و قال ما ذلك التسبيح قال صلاه الليل

«إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ» أى يؤثرون اللذات و المنافع العاجله فى دار الدنيا «وَيَذَرُونَ وِرَاءَهُمْ» أى و يتركون أمامهم «يَوْمًا ثَقِيلًا» أى عسيرا شديدا و المعنى أنهم لا يؤمنون به و لا يعملون له و قيل معنى وراءهم خلف ظهورهم و كلاهما محتمل ثم قال سبحانه «نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَ شَدَدْنَا أَسْرَهُمْ» أى قوبنا و أحكمنا خلقهم عن قتاده و مجاهد و قيل أسرهم أى مفاصلهم عن الربيع و قيل أوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق و العصب عن الحسن و لولا- إحصاه إياها على هذا الترتيب لما أمكن العمل بها و الانتفاع منها و قيل شددنا أسرهم جعلناهم أقوياء عن الجبائى و قيل معناه كلفناهم و شددناهم بالأمر و النهى كيلا يجاوزوا حدود الله كما يشد الأسير بالقد لثلا يهرب «وَ إِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا» أى أهلكناهم و أتينا بأشباههم فجعلناهم بدلا منهم و لكن نبقهم إتماما للحجه «إِنَّ هَذِهِ» السوره «تَذَكْرَةٌ» أى تذكير و عظه يتذكر بها أمر الآخره عن قتاده و قيل أن هذه الرساله التى تبلغها «فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا» أى فمن أراد اتخذ إلى رضا ربه طريقا بأن يعمل بطاعته و ينتهى عن معصيته و فى هذا دلاله على أن الاستطاعه قبل الفعل «وَ مَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ» أى و ما تشاءون اتخاذا الطريق إلى مرضاه الله اختيارا إلا أن يشاء الله إجباركم عليه و إجماعكم إليه فحينئذ تشاءون و لا ينفعكم ذلك و التكليف زائل و لم يشأ الله هذه المشيئه بل شاء أن تختاروا الإيمان لتستحقوا الثواب عن أبى مسلم و قيل معناه و ما تشاءون شيئا من العمل بطاعته إلا و الله يشاؤه و يريد و ليس المراد بالآيه أنه سبحانه يشاء كل ما يشاء العبد من المعاصى و المباحات و غيرها لأن الدلائل الواضحه قد دلت على أنه سبحانه لا يجوز أن يريد القبائح و يتعالى عن ذلك و قد قال سبحانه «وَ لَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ» «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا» مر معناه «يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ» أى جنته يعنى المؤمنين «وَ الظَّالِمِينَ» يعنى و يجزى الكافرين و المشركين «أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا».

(٧٧) سورة المرسلات مكيه و آياتها خمسون (٥٠)

اشاره

[توضيح]

و هي خمسون آيه بلا خلاف.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأ سورة و المرسلات كتب أنه ليس من المشركين

و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأها عرف الله بينه و بين محمد ص.

تفسيرها

لما ختم سبحانه سورة هل أتى بذكر القيامة و ما أعد فيها للظالمين افتتح هذه السوره بمثل ذلك فقال:

[سورة المرسلات (٧٧): الآيات ١ الى ١٥]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَ النَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا (٤)

فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦) إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَوَاقِعٍ (٧) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَ إِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩)

وَ إِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (١٠) وَ إِذَا الرُّسُلُ أُقْتَتَتْ (١١) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣) وَ مَا أَذْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ (١٤)

وَئِلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٥)

القراءه

قرأ أهل الحجاز و الشام و أبو بكر و يعقوب و سهل «عُذْرًا» ساكنه الذال أو نذرا

بضمها و روى محمد بن الحبيب عن الأعشى و البرجمى عن أبى بكر بضم الذال فيهما و محمد بن خالد عن الأعشى عذرا بسكون الذال أو نذرا بضمها مثل روايه حماد و يحيى عن أبى بكر و قرأ الباقون بسكون الذال فيهما و قرأ أبو جعفر وقتت بالواو و التخفيف و قرأ أهل البصره غير رويس بالواو و التشديد و قرأ الباقون «أُقْتُتُ» بالألف و تشديد القاف.

الحجه

قال أبو على النذر بالثقل و النذير مثل النكر و النكير و هما جميعا مصدران و يجوز فى النذير ضربان (أحدهما) أن يكون مصدرا كالنكير و عذير الحى (و الآخر) أن يكون فعلا يراد به المنذر كما أن الأليم بمعنى المؤلم و يجوز تخفيف النذر على حد التخفيف فى العنق و العنق و الأذن و الأذن قال أبو الحسن «عُدْرًا أَوْ نُذْرًا» أى إعدارا أو إنذارا و قد خففتا جميعا و هما لغتان فأما انتصاب عذرا فعلى ثلاثه أضرب (أحدها) أن يكون بدلا من الذكر فى قوله «فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا» (و الآخر) أن يكون مفعول ذكرا أى فالملقيات أن يذكر عذرا أو نذرا (و الثالث) أن يكون منصوبا على أنه مفعول له و يجوز فى قول من ضم عذرا أو نذرا (و الثالث) أن يكون منصوبا على أنه مفعول له و يجوز فى قول من ضم عذرا أو نذرا أن يكون عذرا جمع عاذر أو عذور و النذر جمع نذير قال حاتم:

أ ماوى قد طال التجنب و الهجر و قد عذرتنى فى طلابكم العذر

فيكون عذرا أو نذرا على هذا حالا من الإلقاء كأنهم يلقون الذكر فى حال العذر و الإنذار و من قرأ وقتت بالواو فلان الكلمه أصلها من الوقت و من أبدل منها الهمزه فلانضمام الواو و الواو إذا انضمت أولا فى نحو وجوه و وعود و ثالثه فى نحو أدور فإنها تبدل على الاطراد همزه لكرهتهم الضمه على الواو.

المعنى

«وَالْمُرْسِيَاتِ عُرْفًا» يعنى الرياح أرسلت متتابعه كعرف الفرس عن ابن مسعود و ابن عباس و مجاهد و قتاده و أبى صالح فعلى هذا يكون عرفا نصبا على الحال من قولهم جاءوا إليه عرفا واحدا أى متتابعين و قيل إنها الملائكه أرسلت بالمعروف من أمر الله و نهييه و

فى روايه أخرى عن ابن مسعود و عن أبى حمزه الثمالى عن أصحاب على عنه (عليه السلام)

و على هذا يكون مفعولا- له و قيل المراد بها الأنبياء جاءت بالمعروف و الإرسال نقيض الإمساك «فَالْعَاصِيَاتِ كَيْفًا» يعنى الرياح الشديديات الهبوب و العصوف مرور الريح بشده

«وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا» وهى الرياح التى تأتى بالمطر تنشر السحاب نشرا للغيث كما تلحقه للمطر وقيل أنها الملائكة تنشر الكتب عن الله تعالى عن أبى حمزه الثمالى و أبى صالح وقيل أنها الأمطار تنشر النبات عن أبى صالح فى روايه أخرى وقيل الرياح ينشرها الله تعالى نشرا بين يدى رحمته عن الحسن وقيل الرياح تنشر السحاب فى الهواء عن الجبائى «فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا» يعنى الملائكة تأتى بما يفرق به بين الحق والباطل والحلال والحرام عن ابن عباس و أبى صالح وقيل هى آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال عن الحسن و أبى حمزه و قتاده وقيل أنها الرياح التى تفرق بين السحاب فتبدده عن مجاهد «فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا» يعنى الملائكة تلقى الذكر إلى الأنبياء و تلقيه الأنبياء إلى الأمم عن ابن عباس و قتاده كأنها الحاملات للذكر الطارحات له ليأخذه من خوطب به و الإلقاء طرح الشىء على غيره «عُذْرًا أَوْ نَذْرًا» أى للإعذار و الإنذار و معناه إعذارا من الله و إنذارا إلى خلقه وقيل عذرا يعتذر الله به إلى عباده فى العقاب أنه لم يكن إلا على وجه الحكمة و نذرا أى إعلاما بموضوع المخافه عن الحسن و هذه أقسام ذكرها الله تعالى وقيل أقسم الله سبحانه برب هذه الأشياء عن الجبائى قال لا يجوز القسم إلا بالله سبحانه و قال غيره بل أقسم بهذه الأشياء تنبيها على عظم موقعها «إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ» هذا جواب القسم و المعنى أن الذى وعدكم الله به من البعث و النشور و الثواب و العقاب لكائن لا محاله وقيل إن الفرق بين الواقع و الكائن أن الواقع لا يكون إلا حادثا تشبيها بالحائظ الواقع لأنه من أبين الأشياء فى الحدوث و الكائن أعم منه لأنه بمنزله الموجود الثابت يكون حادثا و غير حادث ثم بين سبحانه وقت وقوعه فقال «فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ» أى محيت آثارها و أذهب نورها و أزيل ضوءها «وَ إِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ» أى شقت و صدعت فصار فيها فروج «وَ إِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ» أى قلعت من مكانها كقوله سبحانه يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا وَقِيلَ نَسَفَتْ أَذْهَبَتْ بِسْرَعَةٍ حَتَّى لَا يَبْقَى لَهَا أَثَرٌ فِي الْأَرْضِ «وَ إِذَا الرُّسُلُ أَقْتُتْ» أى جمعت لوقتها و هو يوم القيامة لتشهد على الأمم و هو قوله «لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ» أى أخرت و ضرب لهم الأجل لجمعهم تعجب العباد من ذلك اليوم عن إبراهيم و مجاهد و ابن زيد و قيل أقتت معناه عرفت وقت الحساب و الجزاء لأنهم فى الدنيا لا يعرفون متى تكون الساعة و قيل عرفت ثوابها فى ذلك اليوم و

قال الصادق ع أقتت أى بعثت فى أوقات مختلفه

ثم بين سبحانه ذلك اليوم فقال «لِيَوْمِ الْفُضْلِ» أى يوم يفصل الرحمن بين الخلائق ثم عظم ذلك اليوم فقال «وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفُضْلِ» ثم أخبر سبحانه حال من كذب به فقال «وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» هذا تهديد و وعيد إنما خص الوعيد بمن جحدوا يوم القيامة و كذب به لأن التكذيب بذلك يتبعه خصال المعاصى كلها و إن لم يذكر معه و العامل

فى الظرف محذوف يدل عليه قوله «إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ» و التقدير فإذا طمست النجوم و فرجت السماء و نسفت الجبال و أقتت الرسل وقعت القيامة.

[سوره المرسلات (٧٧): الآيات ١٦ الى ٢٨]

اشاره

أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُنَبِّئُهُمُ الْآخِرِينَ (١٧) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٩) أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٢٠)

فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (٢١) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٣) وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٤) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥)

أَحْيَاءَ وَ أَمْواتًا (٢٦) وَ جَعَلْنَا فِيهَا رِواسِي شامِخاتٍ وَ أسْقَيْنَاكُمْ ماءً فُرَاتًا (٢٧) وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٨)

القراءه

قرأ أهل المدينة و الكسائي فقدرنا بالتشديد و الباقون «فَقَدَرْنَا» بالتخفيف و فى الشواذ قراءه الأعرج نتبعهم بالجزم.

الحجه

قد تقدم أن قدر و قدر بمعنى و التخفيف أليق بقوله «فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ» و من شد أراد أن يجىء باللغتين كما يقال جاد مجد و كقوله سبحانه فَمَهَّلِ الْكافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ و من جزم نتبعهم فإنه يحتمل أمرين (أحدهما) أنه أسكن العين استتقالا لتوالى الحركات (و الثانى) أن يكون عطفًا على نهلك كما تقول أ لم أزرك ثم أحسن إليك فيكون معنى هذه القراءه أنه يريد قوما أهلكتهم الله سبحانه بعد قوم قبلهم على اختلاف أوقات المرسلين إليهم نيبا بعد نبي و أما الرفع على القراءه المشهوره فلاستئناف الكلام أو على أن يجعل خبر مبتدأ محذوف.

اللغه

القرار المكان الذى يمكن طول المكث فيه و القدر المقدر المعلوم الذى لا زياده فيه و لا نقصان و القدر المصدر من قولهم قدر يقدر قدرا و قدرا أى قدر فمن شدد جمع بين اللغتين كما قال الأعشى:

و أنكرتني و ما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب و الصلعا

و كفت الشىء يكفته كفتا و كفاتا إذا ضمه و

منه الحديث اكفتوا صبيانكم

أى ضمواهم إلى أنفسكم و مثله

ضموا مواشيكم حتى تذهب فحمة العشاء

و يقال للوعاء كفت و كفيت و قال أبو عبيده كفاتا أى أوعيه و الرواسى الثوابت و الشامخات العاليات و منه شمشخ بأنفه إذا رفعه
كبرا و ماء فرات و زلال و عذب و نمير كله من العذوبه و الطيب و منه سمى النهر العظيم المعروف بالفرات قال الشاعر:

إذا غاب عنا غاب عنا فراتنا و إن شهد أجدى نيله و فواضله

قال ابن عباس أصول الأنهار العذبه أربعة جيحان و منه دجله و سيحان نهر بلخ و فرات الكوفه و نيل مصر.

الإعراب

أحياء منصوب بأنه مفعول قوله «كفاتاً» معناه أن يكفت أحياء و أمواتا فعلى هذا يكون كفاتا مصدرا و إن جعلته جمع كفت
فيكون العامل فى أحياء معناه و التقدير و اعيه أحياء أو تعى أحياء.

المعنى

ثم ذكر سبحانه ما فعله بالمكذبين الأولين فقال «أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ» يعنى بالعذاب فى الدنيا يريد قوم نوح و عاد و ثمود حين
كذبوا رسالهم «ثُمَّ تَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ» قوم لوط و إبراهيم لم يعطف تتبعهم على نهلك فيجزم بل استأنف و قال المبرد تقديره ثم
نحن نتبعهم لا- يجوز غيره لأن قوله «أَلَمْ نُهْلِكِ» ماض و قوله «ثُمَّ تَتَّبِعُهُمُ» مستقبل و يؤيده قول الحسن أن الآخريين هم الذين
تقوم عليهم القيامة «كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ» أى كما فعلنا بمن تقدم نفعل بالمكذبين من أهل مكه و قد فعل بهم ذلك فقتلوا
يوم بدر و قد يكون الإهلاك بتصيير الشىء إلى حيث لا يدري أين هو إما بإعدامه أو بإخفاء مكانه و قد يكون بالأمانه و قد
يكون بالنقل إلى حال الجماديه «وَيَلِيْلُ يَوْمَئِذٍ» يعنى يوم الجزاء «لِلْمُكذِّبِينَ» فإنهم يجازون باليم العقاب «أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ
مَّهِينٍ» أى حقير قليل الغناء و فى خلق الإنسان على هذا الكمال من الحواس الصحیحه و العقل الشریف و التمييز و النطق من ماء
ضعيف أعظم الاعتبار و أبين الحججه على أن له صانعا مدبرا حكيما و الجاحد لذلك كالمكابر لبدايه العقول «فَجَعَلْنَاهُ» أى فجعلنا
ذلك الماء المهين «فِي قَرَارٍ مَكِينٍ» يعنى الرحم

«إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ» أى إلى مقدار من الوقت معلوم يعنى مده الحمل «فَقَدَرْنَا» أى قدرنا خلقه كيف يكون قصيرا أو طويلا ذكرا أم أنثى «فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ» أى فنعم المقدرون نحن و يجوز أن يكون المعنى إذا خفف من القدره أى قدرنا على جميع ذلك فنعم القادرون على تدبير ذلك و على ما لا يقدر عليه أحد إلا نحن فحذف المخصوص بالمدح «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» بأنا قد خلقنا الخلق و أنا نعيدهم «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا» للعباد تكفتهم «أَحْيَاءَ» على ظهرها فى دورهم و منازلهم «وَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» تكفتهم «أَمْوَاتًا» فى بطنها أى تحوزهم و تضمهم عن قتاده و مجاهد و الشعبى

قال بنان خرجنا فى جنازه مع الشعبى فنظر إلى الجنازه فقال هذه كفات الأموات ثم نظر إلى البيوت فقال هذه كفات الأحياء و روى ذلك عن أمير المؤمنين (عليه السلام)

و قيل كفاتا أى وعاء و هذا كفته أى وعاءه و قوله «أَحْيَاءَ وَ أَمْوَاتًا» أى منه ما ينبت و منه ما لا ينبت فعلى هذا يكون أحياء و أمواتا نصبا على الحال و على القول الأول على المفعول به «وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوَاثَ شَامِيحَاتٍ» أى جبالا ثابتة عاليه «وَأَشْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا» أى و جعلنا لكم سقيا من الماء العذب عن ابن عباس «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» بهذه النعم و أنها من جهه الله و قيل بالأنبياء و القرآن و إنما كرر لأنه عدد النعم فذكره عند كل نعمه فلا يعد ذلك تكرارا و قد تقدم الوجه فى التكرار فى سورة الرحمن.

[سورة المرسلات (٧٧): الآيات ٢٩ الى ٤٠]

إشارة

انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٩) انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (٣٠) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَاصِرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ (٣٣)

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٣٤) هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٣٧) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأُولَى (٣٨)

فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا (٣٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٠)

القراءة

قرأ رويس عن يعقوب انطلقوا الثانية بفتح اللام و الباقون من القراء على كسر اللام فيهما و قرأ أهل الكوفة غير أبى بكر جِمَالَتٌ بغير ألف و يعقوب «جمالات صفر» بالألف و ضم الجيم و روى ذلك عن ابن عباس و سعيد بن جبير و غيرهما و قرأ الباقون جمالات بالألف

و كسر الجيم و فى الشواذ قراءه ابن عباس و سعيد بن جبیر بخلاف كالقصر بفتح القاف و الصاد.

الحج

من قرأ انطلقوا الثانيه بالفتح فإنه حمل الأول على الأمر و الثانى على الخبر و جمالات جمع جمال و جمع بالألف و التاء على تصحيح البناء كما جمع على تكسيه فى قولهم جمائل قال ذو الرمه:

و قربن بالزرق الجمائل بعد ما تقوب عن غربان أوراكها الخطر

و أما جماله فإن التاء لحقت جمالا- لتأنيث الجمع كما لحقت فى فحل و فحاله و ذكر و ذكاره و من قرأ جمالات بالضم فهى جمع جماله و هو القلس من قلوب سفن البحر و يقال من قلوب الجسر قال الزجاج و يجوز أن يكون جمع جمل جمال و جمالات كما قيل رخال جمع رخل و من قرأ كالقصر بفتح الصاد فهو جمع قصره أى كأنها أعناق الإبل و قيل القصر أصول الشجر واحدها قصره و كذا قرأها مجاهد قال و هى خرم الشجر قال الحسن قصره و قصر مثل جمره و جمر و هى أصول الشجر قال و العامه يجعلونها على القصور قال ابن جنى و حدثنا أبو على أن القصر هنا بمعنى القصور و قال هى بيوت من آدم كان يضربون بها إذا نزلوا على الماء.

المعنى

ثم بين سبحانه ما يقال لهم جزاء على تكذيبهم فقال «انْطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ» أى تقول لهم الخزنه اذهبوا و سيروا إلى النار التى كنتم تجحدونها و تكذبون بها و لا تعترفون بصحتها فى الدنيا و الانطلاق الانتقال من مكان إلى مكان من غير مكث ثم ذكر الموضوع الذى أمرهم بالانطلاق إليه فقال «انْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ» أى نار لها ثلاث شعب سماها ظلا لسواد نار جهنم و قيل هو دخان جهنم له ثلاث شعب تحيط بالكافر شعبه تكون فوقه و شعبه عن يمينه و شعبه عن شماله وسمى الدخان ظلا- كما قال أحاط بهم سرادقها أى من الدخان الآخر بالأنفاث عن مجاهد و قتاده و قيل يخرج من النار لسان فيحيط بالكافر كالسرادق فيتشعب ثلاث شعب فيكون فيها حتى يفرغ من الحساب ثم وصف سبحانه ذلك الظل فقال «لَا ظَلِيلٍ» أى غير مانع من الأذى بستره عنه و مثله الكنين فالظليل من

الظله و هي الستره و الكنين من الكن فظل هذا الدخان لا يغنى الكفار شيئا من حر النار و هو قوله «وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ» و اللهب ما يعلو على النار إذا اضطرت من أحمر و أصفر و أخضر يعنى أنهم إذا استظلوا بذلك الظل لم يدفع عنهم حر اللهب ثم وصف سبحانه النار فقال «إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ» و هو ما يتطاير من النار فى الجهات «كَالْقَصِيرِ» أى مثله فى عظمه و تخويفه تتطاير على الكافرين من كل جهه نعوذ بالله منه و هو واحد القصور من البنيان عن ابن عباس و مجاهد و العرب تشبه الإبل بالقصور قال الأخطل:

كأنه برج رومى يشيده لز بجص و آجر و أحجار

قال عنتره:

فوقفت فيها ناقتى و كأنها فدن لأقضى حاجه المتلوم

و الفدن القصر و قيل كالقصر أى كأصول الشجر العظام عن قتاده و الضحاك و سعيد بن جبیر ثم شبهه فى لونه بالجمالات الصفر فقال «كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ» أى كأنها أيتق سود لما يعترى سوادها من الصفره عن الحسن و قتاده قال الفراء لا ترى أسود من الإبل إلا و هو مشرب صفره و لذلك سمت العرب سود الإبل صفراء و قيل هو من الصفره لأن النار تكون صفراء عن الجبائى «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» بنار هذه صفتها «هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ وَ لَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ» قيل فى معناه قولان (أحدهما) أنهم لا ينطقون بنطق ينتفعون به فكأنهم لم ينطقوا (و الثانى) أن فى القيامة مواقف ففى بعضها يختصمون و يتكلمون و فى بعضها يختم على أفواههم و لا يتكلمون و عن قتاده قال جاء رجل إلى عكرمه قال أ رأيت قول الله تعالى «هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ» و قوله ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ فقال إنها مواقف فأما موقف منها فتكلموا و اختصموا ثم ختم على أفواههم و تكلمت أيديهم و أرجلهم فحيث لا- ينطقون و أجاز النحويون «هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ» بالنصب على أنه يشير إلى الجزاء و لا يشير إلى اليوم و قوله «فَيَعْتَذِرُونَ» رفع عطفًا على قوله «وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ» تقديره فلا يعتذرون و لو قيل فلا يعتذروا فنصب لكان المعنى أن الإذن سبب لعذرهم و لكن المعنى لا يؤذن لهم فى الاعتذار فهم لا يعتذرون «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» بهذا الخبر «هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ» بين أهل الجنة و النار و قيل هذا يوم الحكم و القضاء بين الخلق

ص: ٢١١

و الانتصاف للمظلوم من الظالم و فصل القضاء يكون فى الآخره على ظاهر الأمر و باطنه بخلاف الدنيا لأن القاضى يحكم على ظاهر الأمر فى الدنيا و لا يعرف البواطن «جَمَعْنَاكُمْ وَ الْأَوَّلِينَ» يعنى مكذبى هذه الأمه مع مكذبى الأمم قبلها يجمع الله سبحانه الخلائق فى يوم واحد و فى صعيد واحد «فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا» أى إن كانت لكم حيله فاحتالوا لأنفسكم و قيل إن هذا توبيخ من الله تعالى للكفار و تقريع لهم و إظهار لعجزهم عن الدفع عن أنفسكم فضلا عن أن يكيدوا غيرهم و إنما هو على أنكم كنتم تعملون فى دار الدنيا ما يغضبنى فالآن عجزتم عن ذلك و حصلتم على وبال ما عملتم «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» بهذا.

[سوره المرسلات (٧٧): الآيات ٤١ الى ٥٠]

أشاره

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَاحِشَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُّوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٤٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٥)

كُلُّوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ (٤٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٧) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (٤٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٩) فَبَأَىٰ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (٥٠)

المعنى

ثم ذكر سبحانه المؤمنين فقال «إِنَّ الْمُتَّقِينَ» الذين اتقوا الشرك و الفواحش «فِي ظِلَالٍ» من أشجار الجنة «وَعُيُونٍ» جاريه بين أيديهم فى غير حدود لأن ذلك أمتع لهم بما يرونه من حسن مياهاها و صفائها و قيل عيون أى ينابيع بما يجرى خلال الأشجار «وَفَوَاحِشَ» جمع فاكهه و هى ثمار الأشجار «مِمَّا يَشْتَهُونَ» أى من جنس ما يشتهونه و الشهوه معنى فى القلب إذا صادف المشتهى كان لذه و ضدها النفار ثم يقال لهم «كُلُّوا وَ اشْرَبُوا» صورته صورته الأمر و المراد الإباحه و قيل إنه أمر على الحقيقه و هو سبحانه يريد منهم الأكل و الشرب فى الجنة فإنهم إذا أعلموا ذلك ازداد سرورهم فلا يكون إرادته لذلك عبثا «هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فى دار الدنيا أى خالصا من التكدير و الهنىء النفع الخالص من شائب الأذى و قيل هو الأذى الذى لا أذى يتبعه «إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» هذا ابتداء الإخبار من الله تعالى و يقال لهم ذلك أيضا «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» بهذا

الوعد، ثم عاد الكلام إلى ذكر المكذبين فقال سبحانه «كُلُوا» أى يقال لهم كلوا «وَتَمَتَّعُوا» فى الدنيا «قَلِيلًا» أى تمتعا قليلا أو زمانا قليلا فإن الموت كائن لا محاله «إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ» أى مشركون مستحقون للعقاب «وَيَلُوكُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» بهذا الوعيد «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا» أى صلوا «لَا يَرْكَعُونَ» أى لا يصلون

قال مقاتل نزلت فى ثقيف حين أمرهم رسول الله بالصلاه فقالوا لا ننحنى و الروايه لا ننحنى فإن ذلك سبه علينا فقال ص لا خير فى دين ليس فيه ركوع و سجود

و قيل إن المراد بذلك يوم القيامة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون عن ابن عباس «وَيَلُوكُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» بوجوب الصلاه و العبادات «فَبِأَيِّ حَيْدِثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ» أى فبأى كتاب بعد القرآن يصدقون و لم يصدقوا به مع إعجازه و حسن نظمه فإن من لم يؤمن به مع ما فيه من الحجج الظاهره و الآيه الباهره لا يؤمن بغيره.

(٧٨) سورة النبا مكيه و آياتها أربعون (٤٠)

اشاره

[توضيح]

و تسمى سورة النبا و سورة المعصرات و منهم من يقول سورة التساؤل و هى مكيه.

عدد آياتها

إحدى و أربعون آيه مكي و بصرى و أربعون فى الباقيين.

اختلفها

آيه واحده «عَذَابًا قَرِيبًا» مكي بصرى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأ سورة (عم يتساءلون) سقاه الله برد الشراب يوم القيامة

و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال من قرأ عم يتساءلون لم يخرج سنته إذا كان يدمنها فى كل يوم حتى يزور البيت الحرام.

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه تلك السوره بذكر القيامة و وعيد المكذبين بها افتتح هذه السوره بذكرها و ذكر دلائل قدره على البعث و الإعادة فقال:

ص: ٢١٤

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤)

ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩)

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤)

لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦)

القراءه

فى الشواذ قراءه عكرمه و عيسى بن عمر عما يتساءلون و قرأ ابن الزبير و ابن عباس و قتاده و أنزلنا بالمعصرات.

الحجه

قال ابن جنى إثبات الألف فى ما الاستفهاميه إذا دخل عليها حرف جر أضعف اللغتين و رويانا عن قطرب لحسان:

على ما قام يشتمنى لثيم كخنزير تمرغ فى رماد

و قال فى قوله بالمعصرات إذا أنزل منها فقد أنزل بها كقولهم أعطيته من يدي شيئا و بيدي شيئا و المعنى واحد و معنى من هنا ابتداء الغايه أى كان مبتدأ العطييه من يده.

اللغه

النبأ الخبر العظيم الشأن و منه النبى ء على مذهب من يهزم و المهاد الوطاء و مهد الشى ء تمهيدا أى وطأه توطيه و الوتد المسمار إلا- أنه أغلظ منه و السبات قطع العمل للراحه و منه سبت أنفه إذا قطعه و منه يوم السبت أى يوم قطع العمل على ما جرت به العاده فى شرع موسى (عليه السلام) و الوهاج الوقاد و هو المشتغل بالنور العظيم و المعصرات السحاب تعصر بالمطر كان السحاب يحمل الماء ثم تعصره الرياح و ترسله كإرسال الماء بعصر الثور و عصر القوم مطروا و الثجاج الدفاع فى انصبابه كنج دماء البدن يقال ثججت دمه أثجه ثجا و قد ثج الدم يثج ثجوجا و

فى الحديث أفضل الحج العج فالثج

فالعج رفع الصوت بالتلبيه و الشج إساله دم الهدى و الألفاف الأخلاط المتداخله يدور بعضها على بعض واحدها لف و لفيق و قيل شجره لفاء و أشجار لف بضم اللام و جنات ألفاف.

الإعراب

عم أصله عن ما جعل النون ميما و أدغم فى الميم و حذفت الألف لاتصال ما بحرف الجر حتى صارت كالجزم منه و ليحصل الفرق بين الاستفهام و الخبر و هذه الحروف التى تسقط معها هذه الألف ثمانية عن تقول عم و من تقول مم و الباء نحو بم و اللام نحو لم

ص: ٢١٥

و فى نحو فيم و إلى نحو إلى م و على نحو على م و حتى نحو حتى م قال البصير جامع العلوم النحوى «عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ» لا يكون بدلا من عم لأنه لو كان بدلا لوجب تكرار ما لأن الجار المتصل بحرف الاستفهام إذا أعيد أعيد مع الحرف المستفهم بها كقولك بكم ثوبك أبعشرين أم بثلاثين و لا يجوز بعشرين من غير همزه فإذا كان كذلك كان قوله «عَنِ النَّبِيِّ» متعلقا بفعل آخر دون هذا الظاهر.

المعنى

«عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ» قالوا لما بعث رسول الله ص و أخبرهم بتوحيد الله تعالى و بالبعث بعد الموت و تلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم أى يسأل بعضهم بعضا على طريق الإنكار و التعجب فيقولون ما ذا جاء به محمد و ما الذى أتى به فأنزل الله تعالى «عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ» أى عن أى شىء يتساءلون قال الزجاج اللفظ لفظ الاستفهام و المراد تفخيم القصة كما تقول أى شىء زيد إذا عظمت شأنه ثم ذكر أن تساءلهم عن ما ذا فقال «عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ» و هو القرآن و معناه الخبر العظيم الشأن لأنه ينبئ عن التوحيد و تصديق الرسول و الخبر عما يجوز و عما لا يجوز و عن البعث و النشور و قيل يعنى نبأ يوم القيامة عن الضحاك و قتاده و يؤيده قوله «إِنَّ يَوْمَ الْفُضَيْلِ كَانَ مِيقَاتًا و قيل النبأ العظيم ما كانوا يختلفون فيه من إثبات الصانع و صفاته و الملائكة و الرسل و البعث و الجنة و النار و الرسالة و الخلافة فإن النبأ معروف يتناول الكل «الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ» فمصدق به و مكذب «كَلَّا» أى ليس الأمر كما قالوا «سَيَعْلَمُونَ» عاقبه تكذيبهم حين تنكشف الأمور «ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ» هذا وعيد على إثر وعيد و قيل كلا- أى حقا سيعلمون أى سيعلم الكفار عاقبه تكذيبهم و سيعلم المؤمنون عاقبه تصديقهم عن الضحاك و قيل كلا سيعلمون ما ينالهم يوم القيامة ثم كلا سيعلمون ما ينالهم فى جهنم من العذاب فعلى هذا لا يكون تكرارا ثم نبههم سبحانه على وجه الاستدلال على صحه ذلك فقال «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا» أى وطاء و قرارا مهينا للتصرف فيه من غير أذيه و قيل مهادا أى بساطا عن قتاده «وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا» للأرض لثلا تميد بأهلها «وَوَخَّلْنَاكُمْ أَزْوَاجًا» أى أشكالا كل واحد شكل للآخر و قيل معناه ذكرانا و إناثا حتى يصح منكم التناسل و يتمتع بعضكم ببعض و قيل أصنافا أسود و أبيض و صغيرا و كبيرا إلى غير ذلك «وَوَجَعْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا» اختلف فى معناه على وجوه (أحدها) أن معناه و جعلنا نومكم راحه و دعه لأجسادكم (و ثانيها) أن المعنى جعلنا نومكم قطعاً لأعمالكم و تصرفكم عن ابن الأنبارى (و ثالثها) جعلنا نومكم سباتا ليس بموت على الحقيقة و لا مخرجا عن الحياه و الإدراك «وَوَجَعْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا» أى غطاء و ستره يستر كل شىء بظلمته و سواده «وَوَجَعْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا» المعاش العيش أى جعلناه مطلب معاش أى مبتغى معاش و قيل معناه و جعلنا

النهار وقت معاشكم لتصرفوا في معاشكم أو موضع معاشكم تبتغون فيه من فضل ربكم «وَبَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا» أى سبع سماوات «شِدَادًا» محكمه أحكمنا صنعها و أوثقنا بناءها «وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا» يعنى الشمس جعلها سبحانه سراجا للعالم وقادا متلأثا بالنور يستضيئون به فالنعمه عامه به لجميع الخلق قال مقاتل جعل فيه نورا و حرا و الوهج يجمع النور و الحر «وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ» أى الرياح ذوات الأعاصير عن مجاهد و قتاده و الكلبى و قال الأزهرى و من معناه الباء فكأنه قال بالمعصرات أو ذلك أن الريح تستدر المطر و قيل المعصرات السحاب تتحلب بالمطر عن الربيع و أبى العالیه و هو رواه الوالى عن ابن عباس «مَاءٌ ثَجَّاجًا» أى صابا دفاعا فى انصبابه و قيل مدرارا عن مجاهد و قيل متتابعا يتلو بعضه بعضا عن قتاده «لِنُخْرِجَ بِهِ» أى بالماء حَبًّا وَ نَبَاتًا» فالحب كل ما تضمنه كمام الزرع الذى يحصد و النبات الكلاً من الحشيش و الزرع و نحوهما فجمع سبحانه بين جميع ما يخرج من الأرض و قيل حبا يأكل الناس و نباتا تنبتة الأرض مما يأكله الأنعام «وَ جَنَّاتٍ أَلْفَافًا» أى بساتين ملتفه بالشجر و التقدير و نخرج به شجر جنات ألفافا فحذف لدلاله الكلام عليه و إنما سمى جنه لأن الشجر تجننها أى تسترها.

[سوره النبأ (٧٨): الآيات ١٧ الى ٣٠]

إشاره

إِنَّ يَوْمَ الْفُضَيْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَمَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَ سَيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١)

لِلطَّاغِينَ مآبًا (٢٢) لَا يَبْنِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَ لَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَ غَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وَفِاقًا (٢٦)

إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا (٢٨) وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠)

القرءه

قرأ أهل الكوفه غير الأعشى و البرجمى «وَفُتِحَتِ» بالتخفيف و الباقون بالتشديد

و قرأ حمزه لبين بغير الألف و الباقون «لايئين» بالألف و الخلاف في غساق مذكور في ص و

رووا عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) و كذبوا بآياتنا كذابا خفيفه

و القراءه المشهوره «و كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا» بالثقل و حكى أبو حاتم في الشواذ عن عبد الله بن عمر كذابا بضم الكاف و تشديد الذال.

الحجه

قال أبو علي فتحت بالتشديد أوفق لقوله تعالى «مُفْتَحَهُ لَهُمُ الْأَبْوَابُ» و من حجه التخفيف قوله فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ و حجه من قرأ «لايئين» بالألف مجىء المصدر على اللبث فهو من باب شرب يشرب و لقم يلقم و ليس من باب فرق يفرق إذ لو كان منه لكان المصدر مفتوح العين فلما أسكن و جب أن يكون اسم الفاعل على فاعل كشارب و لاقم كما كان اللبث كاللقم و من قرأ لبين جعل اسم الفاعل فعلا و قد جاء غير حرف من هذا النحو على فاعل و فعل و الكذاب مصدر كذب كما أن الكلام مصدر كلم و كذا القياس فيما زاد على الثلاثة أن تأتي بلفظ الفعل و تزيد في آخره الألف كقوله أكرمه إكراما و أما التكذيب فزعم سيبويه أن التاء عوض من التضعيف و الياء التي قبل الآخر كالألف فأما الكذاب فمصدر كذب قال الأعشى:

فصدقته و كذبتة و المرء ينفعه كذابه

فهو مثل كتاب في مصدر كتب و أما الكذاب بضم الكاف فقد قال أبو حاتم لا وجه له إلا أن يكون كذاب جمع كاذب فينصبه على الحال أى و كذبوا بآياتنا في حال كذبهم قال طرفه:

إذا جاء ما لا بد منه فمرحبا به حين يأتى لا كذاب و لا علل.

اللغه

الميقات منتهى المقدار المضروب لحدوث أمر من الأمور و هو من الوقت كما أن الميعاد من الوعد و المقدار من القدر و المرصاد هو المعد لأمر على ارتقاب الوقوع فيه قال الأزهري المرصاد المكان الذى يرصد فيه العدو و الأحقاب جمع واحدها حقب من قوله «أَوْ أَمْضَى حُقْبًا» أى دهرا طويلا و قيل واحده حقب بفتح القاف و واحد الحقب حقبه قال:

و كنا كندمانى جذيمة حقبه من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

. الإعراب

«يَوْمٌ يُنْفَخُ» منصوب لأنه بدل من «يَوْمَ الْفَصْلِ» و أفواجا نصب على الحال «لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا» جملة يجوز أن يكون حالا من لاين و التقدير يلبثون غير ذائقين و يجوز أن

يكون صفه لقوله «أَحْقَابًا» و التقدير أحقابا غير مذوق فيها و جزاء مصدر وضع موضع الحال و كل شىء منصوب بفعل مضمرة يفسره قوله «أَحْصَيْنَاهُ» و كتابا منصوب على المصدر لأن كتب فى معنى أحصى و يجوز أن يكون فى موضع الحال أى نكتبه و التقدير أحصيناه كاتبين.

المعنى

ثم ذكر سبحانه الإعادة و البعث تبيينها على أنه دل بذكر الآيات فيما تقدم على صحه البعث فقال «إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ» أى يوم القضاء الذى يفصل الله فيه الحكم بين الخلائق «كَانَ مِيقَاتًا» لما وعد الله من الجزاء و الحساب و الثواب و العقاب «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ» قد مر معناه «فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا» أى جماعه جماعه إلى أن تتكاملوا فى القيامة و قيل زمرا زمرا من كل مكان للحساب و كل فريق يأتى مع شكله و قيل إن كل أمه تأتى مع نبيها فلذلك جاءوا أفواجا أفواجا «وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ» أى شقت لنزول الملائكة «فَكَانَتْ أَبْوَابًا» أى ذات أبواب و قيل صار فيها طرق و لم تكن كذلك من قبل «وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ» أى أزيلت عن أماكنها و ذهب بها «فَكَانَتْ سَرَابًا» أى كالسراب يظن أنها جبال و ليست إياها و

فى الحديث عن البراء بن عازب قال كان معاذ بن جبل جالسا قريبا من رسول الله ص فى منزل أبى أيوب الأنصارى فقال معاذ يا رسول الله أ رأيت قول الله تعالى «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَأْتُونَ أَفْوَاجًا» الآيات فقال يا معاذ سألت عن عظيم من الأمر ثم أرسل عينيه ثم قال يحشر عشره أصناف من أمتى أشتاتا قد ميزهم الله من المسلمين و بدل صورهم بعضهم على صوره القرده و بعضهم على صوره الخنازير و بعضهم منكسون أرجلهم من فوق و وجوههم من تحت ثم يسحبون عليها و بعضهم عمى يترددون و بعضهم صم بكم لا يعقلون و بعضهم يمضغون ألسنتهم فيسيل القيح من أفواههم لعابا يتقذروهم أهل الجمع و بعضهم مقطعه أيديهم و أرجلهم و بعضهم مصلبون على جذوع من نار و بعضهم أشد نتنا من الجيف و بعضهم يلبسون جبابا سابغه من قطران لازقه بجلودهم فأما الذين على صوره القرده فالقتات من الناس و أما الذين على صوره الخنازير فأهل السحت و أما المنكسون على رءوسهم فأكله الربا و العمى الجائرون فى الحكم و الصم و البكم المعجبون بأعمالهم و الذين يمضغون بألسنتهم فالعلماء و القضاء الذين خالف أعمالهم أقوالهم و المقطعه أيديهم و أرجلهم الذين يؤذون الجيران و المصلبون على جذوع من نار فالسعا بالناس إلى السلطان و الذين هم أشد نتنا من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات و اللذات و يمنعون حق الله فى أموالهم و الذين يلبسون الجباب فأهل الفخر و الخيلاء

«إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا» يرصدون به أى هى معده

لهم يرصد بها خزنتها الكفار عن المبرد وقيل مرصدا محبسا يحبس فيه الناس عن مقاتل وقيل طريقا منصوبا على العاصين فهو مورد هم ومنه لهم وهذا إشاره إلى أن جهنم للعصاة على الرصد لا يفوتونها «لِلطَّاعِينَ مَأْبًا» أى للذين جاوزوا حدود الله و طغوا فى معصية الله مرجعا يرجعون إليه و مصيرا فكان المجرم قد كان بإجرامه فيها ثم رجع إليها «لَا يَشِينُ فِيهَا أَحْقَابًا» أى ما كثر فيها أزمانا كثيره و ذكر فيها أقوال (أحدها) أن المعنى أحقابا لا انقطاع لها كلما مضى حقب جاء بعده حقب آخر و الحقب ثمانون سنه من سنى الآخرة عن قتاده و الربيع (و ثانيها) أن الأحقاب ثلاثه و أربعون حقبا كل حقب سبعون خريفا كل خريف سبعمائنه سنه كل سنه ثلاثمائنه و ستون يوما و كل يوم ألف سنه عن مجاهد (و ثالثها) أن الله تعالى لم يذكر شيئا إلا و جعل له مده ينقطع إليها و لم يجعل لأهل النار مده بل قال «لَا يَشِينُ فِيهَا أَحْقَابًا» فو الله ما هو إلا أنه إذا مضى حقب دخل آخر ثم آخر كذلك إلى أبد الأبدين فليس للأحقاب عده إلا الخلود فى النار و لكن قد ذكروا أن الحقب الواحد سبعون ألف سنه كل يوم من تلك السنين ألف سنه مما نعه عن الحسن (و رابعها) أن مجاز الآيه لا يشين فيها أحقابا لا يذوقون فى تلك الأحقاب بردا و لا شرابا إلا حميما و غساقا ثم يلبثون فيها لا يذوقون غير الحميم و الغساق من أنواع العذاب فهذا توقيت لأنواع العذاب لا لمكثهم فى النار و هذا أحسن الأقوال (و خامسها) أنه يعنى به أهل التوحيد عن خالد بن معدان و

روى نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ص لا يخرج من النار من دخلها حتى يمكث فيها أحقابا و الحقب بضع و ستون سنه و السنه ثلاثمائنه و ستون يوما كل يوم كألف سنه مما تعدون فلا يتكلن أحد أن يخرج من النار

و

روى العياشى بإسناده عن حمران قال سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن هذه الآيه فقال هذه فى الذين يخرجون من النار و روى عن الأحوال مثله

و قوله «لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَ لَا شَرَابًا» يريد النوم و الماء عن ابن عباس قال أبو عبيده البرد النوم هنا و أنشد

"فصدنى عنها و عن قبلاتها البرد"

أى النوم و قيل لا يذوقون فى جهنم بردا ينفعهم من حرها و لا شرابا ينفعهم من عطشها عن مقاتل «إِلَّا حَمِيمًا» و هو الماء الحار الشديد الحر «وَ غَسَّاقًا» و هو صديد أهل النار «جَزَاءً وَ فِاقًا» أى وافق عذاب النار الشرك لأنهما عظيمان فلا ذنب أعظم من الشرك و لا عذاب أعظم من النار عن مقاتل و قيل جوزوا جزاء وفق أعمالهم عن الزجاج و هو المروى عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و الوفاق الجارى على المقدار فالجزاء وفاق لأنه جار على مقدار الأعمال فى الاستحقاق «إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا» أى فعلنا ذلك بهؤلاء

الكفار لأنهم كانوا لا يخافون أن يحاسبوا والمعنى كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بأنهم محاسبون عن الحسن و قتاده و قيل لا يرجون المجازاة على الأعمال و لا يظنون أن لهم حسابا عن أبي مسلم و قال الهذلي في الرجاء بمعنى الخوف:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها و خالفها في بيت نوب عواسل

«وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا» أى بما جاءت به الأنبياء و قيل بالقرآن و قيل بحجج الله و لم يصدقوا بها «كِدَابًا» أى تكذيباً «وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْتَنَاهُ كِتَابًا» أى و كل شىء من الأعمال بيناه فى اللوح المحفوظ و مثله وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْتَنَاهُ فِى إِمَامٍ مُّبِينٍ و قيل معناه و كل شىء من أعمالهم حفظناه لنجازيهم به ثم بين أن ذلك الإحصاء و الحفظ وقع بالكتابة لأن الكتابه أبلغ فى حفظ الشىء من الإحصاء و يجوز أن يكون كتابا حالا- مؤكداً أى أحصيناه فى حال كونه مكتوباً عليهم و الكتاب بمعنى المكتوب «فَسُدُّوْا» لهؤلاء الكفار ذوقوا ما أنتم فيه من العذاب «فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا» لأن كل عذاب يأتى بعد الوقت الأول فهو زائد عليه.

[سوره النبيا (٧٨): الآيات ٣١ الى ٤٠]

إشارة

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَ كَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَ كَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَ لَا كِدَابًا (٣٥)

جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (٣٦) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلَائِكَةُ صِفًا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَ قَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَلِكَ يَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَأ (٣٩) إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَ يَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (٤٠)

ص: ٢٢١

القراءه

قرأ الكسائي و لا كذابا بتخفيف الذال و الباقون بالتشديد و قرأ أهل الحجاز و أبو عمرو رب السماوات بالرفع و الباقون بالجر و قرأ عاصم و ابن عامر و يعقوب و سهل الرحمن بالجر و الباقون بالرفع.

الحجه

و لا كذابا يجوز أن يكون مصدر كذب فيكون معناه و لا كذبا و يجوز أن يكون مصدر كاذبه مكاذبه و كذابا و بالتشديد قد يكون مصدر كذب قال الفراء قال أعرابي في طريق مكه يا با زكريا القصار أحب إليك أم الحلق يريد أقصر شعري أم أحلق و من قرأ رب السماوات و الأرض و ما بينهما الرحمن قطع الاسم الأول من الجر الذي قبله في قوله «جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ» فابتدأه و جعل الرحمن خبره ثم استأنف «لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ» و من قرأ «رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ» أتبع الاسمين الجر الذي قبلهما في قوله «مِنْ رَبِّكَ» و من قرأ «رَبِّ السَّمَاوَاتِ» الرحمن أتبع رب السماوات الجر الذي في قوله «مِنْ رَبِّكَ» و استأنف بقوله الرحمن و جعل قوله «لَا يَمْلِكُونَ» خبر قوله «الرَّحْمَنِ».

اللغه

الحديقه الجنه المحوطه و الجمع حدائق و منه أحدق القوم بفلان إذا طافوا به و منه الحدقه لأنه يحيط بها جفنها و الأعناب جمع عنب و هو ثمر الكرم قبل أن يجف فإذا جف فهو الزبيب و الكواعب جمع الكعاب و هى الجاربه التى نهد ثدياها و الأتراب جمع الترب و هى اللده التى تنشأ مع لدتها على سن الصبى الذى يلعب بالتراب و الدهاق الكأس الممتلئه التى لا مزيد فيها و أصل الدهق شده الضغط أدهقت الكأس ملأتها قال

" يلذه بكأسه الدهاق "

و «عَطَاءً حِسَابًا» أى كثيرا كافيا يقال أحسبت فلانا أى أعطيته ما يكفيه حتى قال حسبي قال:

و نقفى وليد الحى إن كان جائعا و نحسبه إن كان ليس بجائع

قال الأصمعى يقال حسبت الرجل بالتشديد أى أكرمته و أنشد:

إذا أتاه ضيفه يحسبه من حاقن أو من صريح يحلبه

. الإعراب

حدائق بدل من قوله «مَفَازًا» بدل البعض من الكل و كذلك ما بعده و أترابا صفة لكواعب. جزاء منصوب بمعنى أن للمتقين مفازا أى جازاهم بذلك جزاء و أعطاهم عطاء فإن معنى جازاهم و أعطاهم واحد يوم يقوم الروح ظرف لقوله «لَا يَمْلِكُونَ» و قوله «صَفًّا»

منصوب على الحال و «يَوْمَ يَنْظُرُ» ظرف لقوله «عَذَاباً» لأنه بمعنى التعذيب.

المعنى

ثم عقب سبحانه وعيد الكفار بالوعد للمتقين الأبرار فقال «إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ» الذين يتقون الله باجتناب الشرك و المعاصي «مَفَازاً» أى فوزاً و نجاه إلى حال السلامه و السرور و قيل المفاز موضع الفوز و قالوا للمهلكه مفازه على طريق التفاؤل كأنهم قالوا و قيل مفازا منجى إلى منتزه و هو النجاه من النار إلى الجنة ثم بين ذلك الفوز فقال «حَدَائِقَ وَ أَعْنَاباً» يعنى أشجار الجنة و ثمارها «وَ كَوَاعِبَ أْتْرَاباً» أى جوارى تكعب ثديهن مستويات فى السن عن قتاده و معناه استواء الخلقه و القامه و الصوره و السن حتى يكن متشاكلات و قيل أترابا على مقدار أزواجهن فى الحسن و الصوره و السن عن أبى على الجبائى «وَ كَأَسَا دِهَاقاً» أى مترعه مملوءه عن ابن عباس و الحسن و قتاده و قيل متابعه على شاريها أخذ من متابعه الشد فى الدهق عن مجاهد و سعيد بن جبير و قيل دمام عن أبى هريره و قيل على قدر ربهم عن مقاتل «لَا يَشْفَعُونَ فِيهَا» أى فى الجنة «لَعَوّاً» أى كلاماً لغوا لا فائده فيه «وَ لَا كِذْباً» و لا تكذيب بعضهم لبعض و من قرأ بالتخفيف يريد و لا مكاذبه عن أبى عبيده و قيل كذبا عن أبى على الفارسى «جِزَاءً مِنْ رَبِّكَ» أى فعل بالمتقين ما فعل بهم جزاء من ربك على تصديقهم بالله و نبيه ص «عَطَاءً» أى أعطاهم الله عطاء «حِسَاباً» أى كافيا عن أبى عبيده و الجبائى و قيل حساباً أى كثيراً و قيل حساباً على قدر الاستحقاق و بحسب العمل قال الزجاج معناه ما يكفيهم أى إن فيه ما يشتهون «رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ» مر ذكره و المعنى أن الذى يفعل بالمؤمنين ما تقدم ذكره هو رب السماوات و الأرض و مدبرهما و مدبر ما بينهما و المتصرف فيهما على ما يشاء الرحمن المنعم على خلقه مؤمنهم و كافرهم «لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً» أى لا يملكون أن يسألوه إلا فيما أذن لهم فيه كقوله وَ لَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَادَ قَوْلَهُ لَا تَكَلَّمْ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ و الخطاب توجيه الكلام إلى مدرك له بصيغه منبئه عن المراد على طريقه أنت و ربك قال مقاتل لا يقدر الخلق على أن يكلموا الرب إلا بإذنه «يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلَائِكَةُ صَفًّا» أى فى ذلك اليوم اختلف فى معنى الروح هنا على أقوال (أحدها) أن الروح خلق من خلق الله تعالى على صورته بنى آدم و ليسوا بناس و ليسوا بملائكة يقومون صفا و الملائكة صفا هؤلاء جند و هؤلاء جند عن مجاهد و قتاده و أبى صالح قال الشعبي هما سماطا رب العالمين يوم القيامة سماط من الروح و سماط من الملائكة (و ثانيها) أن الروح ملك من الملائكة ما خلق الله مخلوقاً أعظم منه فإذا كان يوم القيامة قام و هو وحده

صفا و قامت الملائكة كلهم صفا واحدا فيكون عظم خلقه مثل صفهم عن ابن مسعود و عن عطاء عن ابن عباس (و ثالثها) أن أرواح الناس تقوم مع الملائكة فيما بين النفختين قبل أن ترد الأرواح إلى الأجساد عن عطيه عن ابن عباس (و رابعها) أنه جبريل (عليه السلام) عن الضحاك و قال وهب إن جبرائيل (عليه السلام) واقف بين يدي الله عز و جل ترعد فرائصه يخلق الله عز و جل من كل رعه مائه ألف ملك فالملائكة صفوف بين يدي الله تعالى منكسو رءوسهم فإذا أذن الله لهم فى الكلام قالوا لا إله إلا أنت و قال صوابا أى لا إله إلا الله

و روى على بن إبراهيم بإسناده عن الصادق (عليه السلام) قال هو ملك أعظم من جبرائيل و ميكائيل

(و خامسها) أن الروح بنو آدم عن الحسن و قوله «صَيْفًا» معناه مصطفين «لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ» و هم المؤمنون و الملائكة «وَقَالَ» فى الدنيا «صَوَابًا» أى شهد بالتوحيد و قال لا إله إلا الله و قيل إن الكلام هاهنا الشفاعة أى لا يشفعون إلا لمن أذن له الرحمن أن يشفع عن الحسن و الكلبي و

روى معاوية بن عمار عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال سئل عن هذه الآية فقال نحن و الله المأذون لهم يوم القيامة و القائلون قال جعلت فداك ما تقولون قال نمجد ربنا و نصلى على نبينا ص و نشفع لشيعتنا فلا يردنا ربنا رواه العياشى مرفوعا

«ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ» الذى لا شك فى كونه و حصوله يعنى القيامة «فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَاءً» أى مرجعا للطاعة و المعنى فمن شاء عمل عملا صالحا يؤوب إلى ربه فقد أزيحت العلل و أوضحت السبل و بلغت الرسل و المآب مفعل من الأوب و هو الرجوع قال عبيد

و كل ذى غيبه يؤوب و غائب الموت لا يؤوب

ثم خوف سبحانه كفار مكة فقال «إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا» يعنى العذاب فى الآخرة فإن كل ما هو آت قريب «يَوْمَ يُنظَرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ» أى ينتظر جزاء ما قدمه فإن قدم الطاعة تنتظر الثواب و إن قدم المعصية تنتظر العقاب و قيل معناه أن كل أحد ينظر إلى عمله فى ذلك اليوم من خير و شر مثبتا عليه فى صحيفته فيرجو ثواب الله على صالح عمله و يخاف العقاب على سوء عمله «وَقَوْلُ الْكَافِرِ» فى ذلك اليوم «يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا» أى ليتنى أن لو كان ترابا لا يعاد و لا يحاسب ليتخلص من عقاب ذلك اليوم قال الزجاج إن معنى «يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا» يا ليتنى لم أبعث قال عبد الله بن عمر إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم و حشر الدواب و البهائم و الوحوش ثم يجعل القصاص بين الدواب حتى يقتص للشاه الجماء من الشاه القرناء التى نطحتها و قال مجاهد يقاد يوم القيامة للمنطوحه من الناطحه

وقال المقاتلان إن الله يجمع الوحوش و الهوام و الطير و كل شىء غير الثقلين فيقول من ربكم فيقولون الرحمن الرحيم فيقول لهم الرب بعد ما يقضى بينهم حتى يقتص للجماء من القرناء إنا خلقناكم و سخرناكم لبنى آدم و كنتم مطيعين أيام حياتكم فارجعوا إلى الذى كنتم كونوا ترابا فتكون ترابا فإذا التفت الكافر إلى شىء صار ترابا يتمنى فيقول يا ليتنى كنت فى الدنيا على صوره خنزير رزقى كرزقه و كنت اليوم أى فى الآخرة ترابا و قيل إن المراد بالكافر هنا إبليس عاب آدم بأن خلق من تراب و افتخر بالنار فيوم القيامة إذا رأى كرامه آدم و ولده المؤمنين قال يا ليتنى كنت ترابا.

ص: ٢٢٥

(٧٩) سورة النازعات مكيه و آياتها ست و أربعون (٤٦)

اشاره

عدد آيها

ست و أربعون آيه كوفي و خمس في الباين.

اختلافها

آيتان «وَأَنْعَمِ كُمْ» حجازى كوفي «طغى» عراقى شامى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأ سورة و النازعات لم يكن حبسه و حسابه يوم القيامة إلا- كقدر صلاه مكتوبه حتى يدخل الجنة

و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) من قرأها لم يمت إلا ريان و لم يبعثه الله إلا ريان و لم يدخله الجنة إلا ريان.

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه تلك السوره بذكر أحوال القيامة و أهوالها افتتح هذه السوره بمثله فقال:

ص: ٢٢٦

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ النَّازِعَاتِ غَرَقًا (١) وَ النَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَ السَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤)

فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتَّبِعُنَّ الرَّادِفَةَ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩)

يَقُولُونَ أَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أَ إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣)
فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (١٤)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير حفص و قتيبة و نصير و رويس عن يعقوب ناخره بالألف و الباوقن «نَخِرَةً» بغير ألف و روى أبو عمرو الدوري و حمدون عن الكسائي ناخره و «نَخِرَةً» لا يبالى كيف قرأ و فى الشواذ قراءة أبي حياه الحفزه بغير ألف و قرأ نافع غير قالون و يعقوب إنا لمردودون بهمزه واحده غير ممدوده إذا كنا بغير استفهام و قرأ ابن عامر و الكسائي «أَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ» بهمزتين إذا كنا كما تقدم و قرأ ابن كثير إنا إذا كنا بالاستفهام فيهما بهمزه واحده غير ممدوده و قرأ أبو عمرو بالاستفهام فيهما بهمزه ممدوده و قرأ عاصم و حمزه و خلف فيهما بهمزتين مميزتين و قد تقدم ذكر هذا مشروحا فى مواضع.

الحج

نخره و ناخره لغتان و قال الفراء النخره الباليه و الناخره المجوفه قال الزجاج ناخره أكثر و أجود لشبهه أواخر الآى بعضها ببعض نحو الخاسره و الحافره و أما الوجه فى الحفزه فهو أن يكون أراد الحافره كقراءه الجماعه فحذف الألف تخفيفا كما فى قوله:

أصبح قلبى صردا لا يشتهى أن يردا

إلا عرادا عردا

أى عاردا.

اللغة

الغرق اسم أقيم مقام المصدر و هو الإغراق يقال أغرق فى النزع إذا استوفى فى مد القوس و بالغ فيه و النشط النزع أيضا و منه حديث أم سلمه فجاء عمار و كان أخاها من الرضاعه و نشط زينب من حجرها أى نزعها و نشط الوحش من بلد إلى بلد إذا خرج بنشاط و الهموم تنشط بصاحبها أى تخرج به من حال إلى حال قال هميان بن قحافه:

أمست همومي تنشط المناشطا الشام بي طوراً و طوراً واسطاً

و أنشطت العقده حللتها و نشطتها عقدتها قالوا كأنما أنشط من عقال و الأنشطة العقده تنحل إذا مد طرفها يقال ما عقاله
بأنشوطه و الرجف حركه الشىء من تحت غيره بترديد و اضطراب و الرجفه الزلزله العظيمة و أرجفوا أى أزعجوا الناس
باضطراب الأمور و كل شىء

ص: ٢٢٧

تبع شيئاً فقد ردفه و أرداف النجوم توالياً يتبع بعضها بعضاً و أرداف الملوك فى الجاهليه الذين يخلفون الملوك و الردفان الليل و النهار و الوجيف شده الاضطراب و قلب واجف مضطرب و الوجيف سرعه السير و أوجف فى السير أسرع و أزعج الركاب فيه و الحافره بمعنى المحفوره مثل ماء دافق أى مدفوق و قيل الحافره الأرض المحفوره و رجع الشيخ فى حافره أى رجع من حيث جاء و ذلك كرجوع القهقرى قال:

أ حافره على صلح و شيب معاذ الله من سفه و عار

أى أ رجوعاً إلى حال الشباب و أوله و يقال النقد عند الحافر أى لا يزول حافر الفرس حتى ينقد الثمن لأنه لكرامته لا يباع نسيئه ثم كثر حتى قيل فى غير الحافره. و الساهره وجه الأرض و العرب تسمى وجه الأرض من الفلاه ساهره أى ذات سهر لأنه يسهر فيها خوفاً منها قال أميه بن أبى الصلت:

و فيها لحم ساهره و بحر و ما فاهوا به لهم مقيم

أى و فيها صيد البر و البحر و قال آخر:

فإنما قصرك ترب الساهره ثم تعود بعدها فى الحافره

. الإعراب

جواب القسم محذوف على تقدير ليعثن و قبل الجواب فى إن فى ذلِكَ لَعِبْرَةٌ «يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ» نصب باذكر و إن شئت كان نصبا بمدلول قوله «قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ» على تقدير يوم ترجف الراجفه رجفت قلوبهم و يكون يومئذ بدلا من «يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ».

المعنى

«و النَّازِعَاتِ غَرْقًا» اختلف فى معناها على وجوه (أحدها)

أنه يعنى الملائكه الذين ينزعون أرواح الكفار عن أبدانهم بالشده كما يغرق النازع فى القوس فيبلغ بها غايه المدى و روى ذلك عن على (عليه السلام)

و مقاتل و سعيد بن جبير و قال مسروق هى الملائكه تنزع نفوس بنى آدم و

قيل هو الموت ينزع النفوس عن مجاهد و روى ذلك عن الصادق (عليه السلام)

(و ثانيها) أنها النجوم تنزع من أفق إلى أفق أى تطلع و تغيب عن الحسن و قتاده و أبى عبيده و الأخفش و الجبائى قال أبو عبيده تنزع من مطالعها و تغرق فى مغاربها

(و ثالثها) النازعات القسى تنزع بالسهم و الناشطات الأزهاق عن عطاء و عكرمه و على هذا فالقسم بفاعلهما و هم الغزاه المجاهدون فى سبيل الله «وَ النَّاشِطَاتِ نَشْطًا» فى معناها أقوال (أحدها) ما ذكرناه (و ثانيها)

أنها الملائكة تنشط أرواح الكفار بين الجلد و الأظفار حتى تخرجها من أجوافهم بالكرب و الغم عن على (عليه السلام)

و النشاط الجذب يقال نشطت الدلو نشاطا نزعته (و ثالثها) أنها الملائكة تنشط أنفس المؤمنين فتقبضها كما تنشط العقال من يد البعير إذا حل عنها عن ابن عباس و حكى الفراء هذا القول ثم قال و الذى سمعت من العرب أن يقولوا كأنما أنشط من عقال و نشطت الحبل ربطته و أنشطته حللته (و رابعها) أنها أنفس المؤمنين عند الموت تنشط للخروج و ذلك أنه ما من مؤمن يحضره الموت إلا- عرضت عليه الجنة قبل أن يموت فىرى موضعه فيها و أزواجه من الحور العين فنفسه تنشط أن تخرج عن ابن عباس أيضا (و خامسها) أنها النجوم تنشط من أفق إلى أفق أى تذهب يقال حمار ناشط عن قتاده و الأخفش و الجبائى «وَ السَّابِحَاتِ سَبِيحًا» فيها أقوال (أحدها)

أنها الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلمونها سلا رفيقا ثم يدعونها حتى تستريح كالسباح بالشىء فى الماء يرمى به عن على (عليه السلام)

و الكلبى (و ثانيها) أنها الملائكة ينزلون من السماء مسرعين و هذا كما يقال للفارس الجواد سابع إذا أسرع فى جريه عن مجاهد و أبى صالح (و ثالثها) أنها النجوم تسبح فى فلکها عن قتاده و الجبائى و قيل هى خيل الغزاه تسبح فى عدوها كقوله و العاديات ضَبْحًا عن أبى مسلم و قيل هى السفن تسبح فى الماء عن عطاء «فَالسَّابِحَاتِ سَبِيحًا» فيها أقوال أيضا (أحدها) أنها الملائكة لأنها سبقت ابن آدم بالخير و الإيمان و العمل الصالح عن مجاهد و قيل إنها تسبق الشياطين بالوحى إلى الأنبياء و

قيل إنها تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة عن على (عليه السلام)

و مقاتل (و ثانيها) أنها أنفس المؤمنين تسبق إلى الملائكة الذين يقبضونها و قد عاينت السرور شوقا إلى رحمه الله و لقاء ثوابه و كرامته عن ابن مسعود (و ثالثها) أنها النجوم يسبق بعضها بعضا فى السير عن قتاده و الجبائى (و رابعها) أنها الخيل يسبق بعضها بعضا فى الحرب عن عطاء و أبى مسلم «فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا» فيها أقوال أيضا (أحدها)

أنها الملائكة تدبر أمر العباد من السنه إلى السنه عن على (عليه السلام)

(و ثانيها) أن المراد بذلك جيرائيل و ميكائيل و ملك الموت و إسرافيل ع يدبرون أمور الدنيا فأما جيريل فموكل بالرياح و الجنود و أما ميكائيل فموكل بالقطر و النبات و أما ملك الموت فموكل بقبض الأنفس و أما إسرافيل فهو ينزل بالأمر عليهم عن عبد الرحمن بن سابط (و ثالثها) أنها الأفلاك يقع فيها أمر الله تعالى فىجرى بها القضاء فى الدنيا رواه على بن إبراهيم أقسم الله تعالى بهذه الأشياء التى عددها و قيل تقديره و رب النازعات و ما ذكر بعدها و هذا ترك للظاهر

و قد قال الباقر و الصادق (عليه السلام) إن الله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه و ليس لخلقه أن يقسموا إلا به

و الوجه فى ذلك أنه سبحانه يقسم بخلقه للتنبيه على موضع العبره فيه لأن القسم يدل على عظم شأن المقسم به و جواب القسم محذوف فكأنه سبحانه أقسم فقال و هذه الأشياء لتبعثن و لتحاسبن «يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ» يعنى النفخه الأولى التى يموت فيها جميع الخلائق و الراجفه صيحه عظيمه فيها تردد و اضطراب كالرعد إذا تمخض «تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ» يعنى النفخه الثانيه تعقب النفخه الأولى و هى التى يبعث معها الخلق و هو كقوله «وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَصَيَّرَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ» و يوم منصوب على معنى «قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ» يوم ترجف الراجفه و معنى الواجهه الشديده الاضطراب أيضا و هذا معنى قول الحسن و قتاده و غيرهما و قيل معناه يوم تضطرب الأرض اضطرابا شديدا و تحرك تحركا عظيما يعنى يوم القيامه تتبعها الرادفه أى اضطرابه أخرى كائنه بعد الأولى فى موضع الردف من الراكب فلا تزال تضطرب حتى تنفى كلها و قال ابن عباس معنى الواجهه خائفه و المراد بذلك أصحاب القلوب يعنى أنها قلقة غير هادئه و لا ساكنه لما عاينت من أهوال يوم القيامه «أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ» أى ذليله من هول ذلك اليوم قال عطاء يريد أبصار من مات على غير الإسلام «يَقُولُونَ أَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ» أى يقول هؤلاء المنكرون للبعث من مشركى قريش و غيرهم فى الدنيا إذا قيل لهم إنكم مبعوثون من بعد الموت أ نرد إلى أول حالنا و ابتداء أمرنا فنصير أحياء كما كنا و الحافره عند العرب اسم لأول الشىء و ابتداء الأمر قال ابن عباس و السدى الحافره الحياه الثانيه و قيل الحافره الأرض المحفوره و المعنى أ نرد من عبورنا بعد موتنا أحياء «أ إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً» أى باليه مفتته و المعنى أنهم أنكروا البعث فقالوا أ نرد أحياء إذا متنا و تفتت عظامنا يقال نخر العظم ينخر فهو ناخر و نخر «قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ» أى قال الكفار تلك الكره الكائنه بعد الموت كره خسران و معناه أن أهلها خاسرون لأنهم نقلوا من نعيم الدنيا إلى عذاب النار و الخاسر الذاهب رأس ماله و إنما قالوا كره خاسره على معنى أنه لا يجىء منها شىء كالخسيران الذى لا يجىء منه فائده فكأنهم قالوا هى كالخسيران بذهاب رأس المال لا تجىء به تجاره فكذلك لا تجىء بتلك الكره حياه و قيل معناه إن كان الأمر على ما يقوله محمد من أنا نبعث و نعاقب فتلك كره ذات خسيران علينا ثم أعلم سبحانه سهوله البعث عليه فقال «فَإِنَّمَا هِيَ» يعنى النفخه الأخيره «رَجْرَجَةٌ وَاحِدَةٌ» أى صيحه واحده من إسرافيل يسمعونها و هم أموات فى بطون الأرض فيحيون و هو قوله «فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ» و هى وجه الأرض و ظهرها عن الحسن و قتاده و مجاهد و غيرهم و قيل إنما سميت الأرض ساهره لأن عملها فى

النبت في الليل و النهار دائب و لذلك قيل خير المال عين خواره في أرض خواره تسهر إذا نمت و تشهد إذا غبت ثم صارت اسما لكل أرض و قيل المراد بذلك عرصه القيامة لأنها أول مواقف الجزاء و هم في سهر لا نوم فيه.

[سوره النازعات (٧٩): الآيات ١٥ الى ٢٦]

اشاره

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (١٧) فَتَقَلُّ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَّكَّى (١٨) وَ أَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (١٩)

فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (٢٠) فَكَذَّبَ وَ عَصَى (٢١) ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤)

فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (٢٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى (٢٦)

القرءاء

قرأ أهل الحجاز و البصره طوى بغير تنوين و الباقون بالتنوين و قرأ أهل الحجاز و عباس و يعقوب تزكى بتشديد الزاء و الباقون بتخفيفها.

الحججه

قال أبو على قال أبو عبيده طوى مضمومه الأول و مكسورته فمن لم ينون جعله اسما مؤنثا و من نون جعله مثل ثنى على معنى المقدس مره بعد مره و روى عن الحسن أنه قرأ طوى بكسر الطاء و قال و طوى بالبركه و التقديس مرتين كما قال طرفه:

أ عاذل إن اللوم في غير كنهه على طوى من غيك المتردد

أى أن لومك مكرر على قال أبو على من لم يصرف طوى احتمال قوله أمرين (أحدهما) أنه جعله اسم بلده أو بقعه أو يكون معدولا كزفر و ممر و من صرف احتمال أيضا أمرين (أحدهما) أن يكون جعله اسم موضع أو بلد أو مكان (و الآخر) أن يكون مثل زحل

ص: ٢٣١

و حطم و لكع و قوله «تَزَكَّى» معناه تطهر من الكفر و المبتدأ محذوف من اللفظ مراد فى المعنى و التقدير هل لك إلى ذلك حاجه أو إربه قال الشاعر:

فهل لكم فيها إلى فإنى طيب بما أعيى النطاسى حديما

و من قال تزكى أراد تزكى فأدغم تاء التفعّل فى الزاء لتقاربهما و من خفف حذف التاء التى أثبتها من أدغم و تخفيفها بالحذف أشبه.

المعنى

ثم ذكر سبحانه قصه موسى (عليه السلام) فقال «هَلْ أَتَاكَ» يا محمد «حَدِيثُ مُوسَى» استفهام يراد به التقرير «إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ» أى حين ناداه الله و دعاه فالنداء الدعاء بطريقه يا فلان فالمعنى قال له يا موسى «بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ» أى المطهر «طُوى» اسم واد عن مجاهد و قتاده و قيل طوى بالتقديس مرتين و هو الموضع الذى كلم الله فيه موسى «أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى» أى علا و تكبر و كفر بالله و تجاوز الحد فى الاستعلاء و التمرد و الفساد «فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى» أى تتطهر من الشرك و تشهد أن لا إله إلا الله عن ابن عباس و هذا تلى فى الاستدعاء و معناه هل لك رغبة إلى أن تسلم و تصلح و تطهر «وَ أَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ» أى و أدلك إلى معرفه ربك و أنه خلقك و رباك و قيل و أهديك أى أرشدك إلى طريق الحق الذى إذا سلكته وصلت إلى رضاه الله و ثوابه «فَتَخْشَى» أى فتخافه فتفارق ما نهاك عنه و فى الكلام حذف تقديره فأتاه و دعاه «فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى» يعنى العصا و قال الحسن هى اليد البيضاء «فَكَذَّبَ» بأنها من الله «وَ عَصَى» نبي الله و جحد نبوته «ثُمَّ أَدْبَرَ» فرعون أى ولى الدبر ليطلب ما يكسر به حجه موسى فى المعجزه العظيمه فما ازداد إلا غوايه «يَسْجَى» أى يعمل بالفساد فى الأرض و قيل إنه لما رأى الحيه فى عظمها خاف منها فأدبر و سعى هربا عن الجبائى «فَحَشَرَ» أى فجمع قومه و جنوده «فَنَادَى» فيهم «فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى» أى لا رب فوقى و قيل معناه أنا الذى أنال بالضرر من شئت و لا ينالنى غيرى و كذب اللعين إنما هذه صفه الله الذى خلقه و خلق جميع الخلائق و قيل إنه جعل الأصنام أربابا فقال أنا ربها و ربكم «فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْأَخْرِهِ وَ الْأُولَى» نكال مصدر مؤكد لأن معنى أخذه الله نكل به نكال

الآخرة والأولى بأن أغرقه في الدنيا و يعذبه في الآخرة و قيل معناه فعاقبه الله بكلمته الآخرة و كلمته الأولى فالآخرة قوله «أنا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى» و الأولى قوله ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فنكل به نكال هاتين الكلمتين و

جاء فى التفسير عن أبى جعفر (عليه السلام) أنه كان بين الكلمتين أربعون سنة

و قيل إنه إنما ناداهم «فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى» فامنعونى من هذا الثعبان و لم يعلم الجهال أن من يخاف ضرر حيه و يستعين بأمثاله لا يكون إلها و

عن وهب عن ابن عباس قال قال موسى (عليه السلام) يا رب إنك أمهلت فرعون أربعمائى سنة و هو يقول أنا ربكم الأعلى و يجحد رسلك و يكذب بآياتك فأوحى الله تعالى إليه أنه كان حسن الخلق سهل الحجاب فأحببت أن أكافيه

و

روى أبو بصير عن أبى جعفر (عليه السلام) قال قال رسول الله ص قال جبرئيل (عليه السلام) قلت يا رب تدع فرعون و قد قال أنا ربكم الأعلى فقال إنما يقول هذا مثلك من يخاف الفوت

«إِنَّ فِي ذَلِكَ» الذى فعل بفرعون حين كذب و عصى «لَعِبْرَةً» أى لعظه «لِمَنْ يَخْشَى» الله تعالى و يخاف عقابه و نعمته و دلاله يمكن أن يعتبر بها العاقل و يميز بين الحق و الباطل.

النظم

وجه اتصال قصه موسى (عليه السلام) بما قبلها أنه لما تقدم ذكر المكذبين للأنبياء المنكرين للبعث عقبه بحديث موسى و تكذيب قومه إياه و ما قاساه من الشدائد تسليه لنبينا ص و عده له بالنصر و حثا إياه على الصبر اقتداء بموسى و تحذيرا لقومه أن ينزل بهم ما نزل بأولئك و عظه بهم و تأكيدا للحججه عليهم.

ص: ٢٣٣

إشارة

أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَ أَغَطَّشَ لَيْلَهَا وَ أَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَ مَرْعَاهَا (٣١)

وَ الْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَكُمْ وَ لِلْأَنْعَامِ كُمْ (٣٣) فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَيَعَى (٣٥) وَ بُرِّرَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى (٣٦)

فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَ آتَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَ أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١)

يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَى رَبِّكَ مُتْتَهَايَا (٤٤) إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا (٤٥) كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُرَوَّنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (٤٦)

القراءة

قرأ أبو جعفر و العباس عن العياشى عن أبي عمرو و إنما أنت منذر بالتنوين و الباقون بغير تنوين و فى الشواذ قراءة الحسن و عمرو بن عبيد و الجبال أرساها بالرفع و قراءة مجاهد و الأرض مع ذلك دحاها و قراءة عكرمه و برزت الجحيم لمن ترى بالتاء.

الحجج

قال أبو على حجه التنوين فى قوله إنما أنت منذر أن اسم الفاعل هنا للحال و يدل عليه قوله «قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ» فليس المراد أنذر فيما استقبل و إنما يقول أنذر فى الحال و اسم الفاعل على قياس الفعل و من أضاف استخف فحذف التنوين كما حذف من قوله فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسِيئًا يَتَّقِلُ أَوْ دِيْتِهِمْ وَ نحو ذلك مما جاء على لفظ الإضافة و المراد به الانفصال و يجوز أن يكون منذر من على نحو هذا ضارب زيدا أمس لأنه قد فعل الإنذار و من قرأ و الجبال أرساها بالرفع فإنه مثل قراءة من قرأ و الظالمون أعد لهم و قد تقدم بيانه و من قرأ و الأرض مع ذلك فلعله قال ذلك تفسيراً للقراءة المشهورة لأنه ليس الغرض فيه ترتيب الزمان و إنما الغرض اجتماعهما أعنى السماوات و الأرض فى الخلق لا فى أن زمان الفعلين واحد و هذا كقولك فلان كريم فيقول السامع و هو مع ذلك شجاع أى قد اجتمع له الوصفان و أما قوله لمن ترى بالتاء المفتوحة فيمكن أن يكون خطاباً للنبي ص و المراد لمن ترى يا محمد من الناس فأشار إلى البعض و غرضه الجنس و الجميع كقول لبيد:

و لقد سئمت من الحياه و طولها و سؤال هذا الناس كيف لبيد

فأشار إلى جنس الناس و نحن نعلم أنه ليس جميعهم شاهداً حاضراً له و يمكن أن يكون التاء فى ترى للجحيم أى لمن تراه النار.

السمك الارتفاع و هو مقابل العمق لأنه ذهاب الجسم بالتأليف إلى جهة العلو و بالعكس صفة العمق و المسموكات السماوات لارتفاعها و منه

قول أمير المؤمنين (عليه السلام) يا داعم المسموكات

قال الفرزدق:

إن الذى سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز و أطول

و التسويه جعل أحد الشئيين على مقدار الآخر فى نفسه أو فى حكمه و الغطش الظلمه و أغطشه الله أظلمه و الأغطش الذى فى عينيه شبه العمش و فلاه غطشاء لا يهتدى فيها و الدحو البسط دحوت أدحو دحوا و دحيت أدحى دحيا لغتان قال أميه بن أبى الصلت:

دار دحاها ثم أعمر بابها و أقام بالأخرى التى هى أمجد

و قال أوس:

ينفى الحصى عن جديد الأرض مبترك كأنه فاحص أو لاعب داح

و الطامه العاليه الغالبه يقال هذا أطم من هذا أى أعلى منه و طم الطائر الشجره علاها و تسمى الداهيه التى لا يستطيع دفعها طامه.

الإعراب

و الأرض منصوب بفعل مضمرة الذى ظهر تفسيره و كذا قوله «وَ الْجِبَالُ أَرْسَاهَا مَتَاعًا لَكُمْ» مفعول له لأن المعنى لإمتاعكم و يجوز أن يكون منصوبا على المصدر لأن معنى قوله «أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَ مَرْعَاهَا» أمتع بذلك و قوله «فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى» و تقديره هى المأوى له قال الزجاج و قال قوم الألف و اللام بدل من الضمير العائد أى هى مأواه و المراد أن المعنى يؤول إلى التى هى مأواه لأن الألف و اللام بدل من الهاء و هذا كما يقول الإنسان غض الطرف يا هذا فليس الألف و اللام بدلا من الكاف و إن كان المعنى غض طرفك لأن المخاطب يعرف أنك لا تأمره بغض طرف غيره قال:

فغض الطرف إنك من نمير فلا سعدة بلغت و لا كلابا

و كذلك المعنى فى الآيه و جواب إذا فى قوله «فَإِذَا جَاءَتِ الطَّائِمَةُ الْكُبْرَى» فى قوله «فَأَمَّا

مَنْ طَغَى» و ما بعده فإن المعنى إذا جاءت الطامه الكبرى فإن الأمر كذلك و قوله «أَوْ ضُحَاهَا» أضاف الضحى إلى العشي و الغداه و العشى و الضحوه و الضحى لليوم الذى يكون فيه فإذا قلت أتيتك صباحا و مساء و مساءه و صباحه فالمعنى أتيتك صباحا و مساء يلى الصباح و أتيتك مساء و صباحا يلى المساء و تقول أتيتك العشي و غداتها.

المعنى

لما قدم سبحانه ما أتى به موسى و ما قابله به فرعون و ما عوقب به فى الدارين عظه لمن كان على عهد رسول الله ص و تحذيرا لهم من المثلات خاطب عقيب ذلك منكرى البعث فقال «أَأَنْتُمْ» أيها المشركون المنكرون للبعث «أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ» يعنى أ خلقكم بعد الموت أشد عندكم و فى تقديركم أم السماء و هما فى قدره الله تعالى واحد و هذا كقوله لَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ثم ابتداءً فبين سبحانه كيف خلق السماء فقال «بَنَاهَا» الله تعالى الذى لا يكبر عليه خلق شىء «رَفَعَ سَمَكَهَا» سقفها و ما ارتفع منها «فَسَوَّاهَا» بلا شقوق و لا فطور و لا تفاوت و قيل سواها أحكمها و جعلها متصرفا للملائكة «وَأَغَطَّسَ لَيْلَهَا» أى أظلم ليلها عن ابن عباس و مجاهد و قتاده «وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا» أى أبرز نهارها و إنما أضاف الليل و الضحى إلى السماء لأن منها منشأ الظلام و الضياء بغروب الشمس و طلوعها على ما دبرها الله عز و جل «وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا» أى بعد خلق السماء بسطها من الدحو و هو البسط قال ابن عباس إن الله تعالى دحا الأرض بعد السماء و إن كانت الأرض خلقت قبل السماء و كانت ربوه مجتمعته تحت الكعبه فبسطها و قال مجاهد و السدى معناه و الأرض مع ذلك دحاها كما قال عْتَلُّ بَعِيدٌ ذَلِكَ زَنِيمٌ أى مع ذلك «أَخْرَجَ مِنْهَا» أى من الأرض «مَاءَهَا» و المعنى فجر الأنهار و البحار و العيون عن ابن عباس «وَمَرَعَاهَا» مما يأكل الناس و الأنعام بين سبحانه بذلك جميع المنافع المتعلقة بالأرض من المياه التى بها حياه كل شىء من الحيوانات و الأشجار و الثمار و الحبوب و العيون عن ابن عباس و بها يحصل جميع الأرزاق و النبات التى تصلح للمواشى فهى ترعاه بأن تأكله فى موضعه «وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا» أى أثبتها فى أوساط الأرض «مَتَاعًا لَكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ» أى خلق سبحانه الأرض و أخرج منها المياه و المراعى و أثبت الجبال بما فيها من أنواع المعادن لمنفعتكم و منفعه أنعامكم تنتفعون بها و لما دل سبحانه بهذه الأشياء على صحة البعث وصف يوم البعث فقال «فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى» و هى القيامة لأنها تطم على كل داهيه هائله أى تعلق و تغلب و من ذلك يقال ما من طامه إلا و فوقها طامه و القيامة فوق كل طامه فهى الداهيه العظمى قال الحسن هى النفخه الثانيه و قيل هى الغاشيه الغليظه المجلله التى تدقق

الشيء بالغلظ وقيل إن ذلك حين يساق أهل الجنة إلى الجنة و أهل النار إلى النار «يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى» أى تجىء الطامه فى يوم يتذكر الإنسان ما عمله من خير أو شر «وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ» أى أظهرت النار «لِمَنْ يَرَى» فيراها الخلق مكشوفاً عنها الغطاء و يبصرونها مشاهدته «فَأَمَّا مَنْ طَغَى» أى تجاوز الحد الذى حده الله و ارتكب المعاصى «وَأَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» على الآخره «فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى» له و الإيثار إرادته الشىء على طريقه التفضيل له على غيره «وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ» أى خاف مقام مسأله ربه عما يجب عليه فعله أو تركه «وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى» أى عن المحارم التى تشتتها و تهواها و قيل إن الرجل يهيم بالمعصيه فيذكر مقامه للحساب فيتركها عن مقاتل «فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى» له أى هى مقره و مأواه ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال «يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا» أى متى يكون قيامها ثابتة على ما وصفتها «فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا» أى لست فى شىء من علمها و ذكراها و المعنى لا تعلمها قال الحسن أى ليس عندك علم بوقتها و إنما تعلم أنها تكون لا محاله و قيل معناه ليس هذا مما يتصل بما بعثت لأجله فإنما بعثت داعياً و قيل إنها من حكاية قولهم و المعنى أنك قد أكثرت من ذكراها فمتى يكون «إِلَى رَبِّكَ مُتَّهَاهَا» أى قل لهم إلى الله إجراؤها و المنتهى موضع بلوغ الشىء فكأنه قيل إلى أمر ربك منتهى أمرها بإقامتها لأن منتهى أمرها بذكرها و وصفها و الإقرار بها إلى الرسول و منتهى أمرها بإقامتها إلى الله لا يقدر عليها إلا هو سبحانه و قيل معناه إلى ربك منتهى علمها أى لا يعلم وقتها إلا هو عن الحسن «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا» أى إنما أنت مخوف من يخاف قيامها أى إنما ينفع إنذارك من يخافها فأما من لا يخشاها فكأنك لم تنذره «كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا» أى يعاينون القيامه «لَمْ يَلْبُثُوا» فى الدنيا «إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا» أى إلا قدر آخر نهار و أوله و مثله كأنهم يَوْمَ يَرَوْنَ ما يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ و قد مر بيانه و قيل إن معناه أنهم إذا رأوا الآخره صغرت الدنيا فى أعينهم حتى كأنهم لم يقيموا بها إلا مقدار عشيء أو مقدار ضحى تلك العشيء عن قتاده.

(٨٠) سورة عبس مكيه و آياتها ثنتان و أربعون (٤٢)

اشاره

[توضيح]

و تسمى سورة السفره مكيه.

عدد آياتها

اثنان و أربعون آيه حجازى كوفى و إحدى و أربعون بصرى و أربعون شامى و المدنى الأول.

اختلافها

ثلاث آيات «وَلِأَنعَامِكُمْ» حجازى كوفى «إِلَى طَعَامِهِ» غير يزيد «الصَّاحَّة» غير الشامى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة و وجهه ضاحك مستبشر

و

روى معاويه بن وهب عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال و من قرأ سورة عبس و تولى و إذا الشمس كورت كان تحت الله من الجنان و فى ظل الله و كرامته فى جنانه و لا يعظم ذلك على ربه عز و جل.

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه تلك السوره بذكر إنذاره من يخشى القيامة افتتح هذه السوره بذكر إنذاره قوما يرجو إسلامهم و إعراضه
عمن يخشى فقال:

ص: ٢٣٨

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَ مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤)
 أَمَا مَنِ اسْتَعْنَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَ مَا عَلَيْكَ إِلَّا يَزَّكَّى (٧) وَ أَمَا مَنِ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَ هُوَ يَخْشَى (٩)
 فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (١٤)
 بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦) قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ (١٩)
 ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (٢٣)

القراءة

قرأ عاصم غير الأعشى و البرجمي فتنفعه بالنصب و الباقون بالرفع و قرأ أهل الحجاز تصدى بالتشديد و الباقون «تصدى» بتخفيف
 الصاد و فى الشواذ قراءة الحسن أن جاءه و

قراءة أبى جعفر الباقر (عليه السلام) تصدى بضم التاء و فتح الصاد

و تلهى بضم التاء أيضا و قراءة أبى حيوه و شعيب بن أبى حمزه نشره بغير ألف.

الحج

قال أبو على من قرأ فتنفعه بالرفع عطفه على ما تقدم من المرفوع و من قرأ بالنصب فعلى أنه جواب بالفاء لأن المتقدم غير
 موجب فكان قوله تعالى «يَذَّكَّرُ» المعطوف على «يَزَّكَّى» فى معنى لعله يكون منه تذکر فانتفاع و كذا قوله لَعَلَّى أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ
 أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعُ وقوله «تَصَدَّى» أى تعرض فمن قرأ بتشديد الصاد أدغم التاء فى الصاد و من قرأ بالتخفيف أراد تصدى
 فحذف التاء و لم يدغمها و قرأ ابن فليح و البزى عن ابن كثير تلهى بتشديد التاء على أنه شبه المنفصل بالمتصل و جاز وقوع
 الساكن بعد اللين كما جاز تمود الثوب فى المتصل و حكى سيبويه فلا تناجوا و من قرأ أن جاءه بلفظ الاستفهام فتقديره الآن
 جاءه الأعمى و كان ذلك منه فعلق أن يفعل بمحذوف دل عليه «عَبَسَ وَ تَوَلَّى» و أما على القراءه المشهوره فإن جاءه فى موضع
 نصب بتولى لأنه الفعل الأقرب منه فكأنه قال تولى لمجىء الأعمى و هو مفعول به و من قرأ تصدى فالمعنى يدعوك داع من
 زينه الدنيا و بشارتها إلى

التصدى له و الإقبال عليه و على ذلك قوله تلهى أيضا أى تصرف عنه و من قرأ نشره فعلى أنه لغه فى أنشره.

اللغه

التصدى التعرض للشىء كتعرض الصديان للماء و الصحف جمع صحيفه و العرب تسمى كل مكتوب فيه صحيفه كما تسميه كتابا رقا كان أو غيره و السفره الكتب لأسفار الحكمه واحدهم سافر و واحد الأسفار سفر و أصله الكشف من قولهم سفرت المرأه إذا كشفت عن وجهها و سفرت القوم إذا أصلحت بينهم قال:

و ما أدع السفاره بين قومی و ما أمشى بغش إن مشيت

و البرره جمع بار و هو فاعل البر و البر فعل النفع اجتلابا للموده و أصله اتساع النفع و منه البر سمي به تفاؤلا باتساع النفع به و أقبره جعل له قبرا فالإقبار جعل القبر لدفن الميت فيه و يقال أقبرنى فلانا أى اجعلنى أقبره و القابر الدافن للميت بيده قال الأعشى:

لو أسندت ميتا إلى نحرها عاش و لم ينقل إلى قابر

حتى يقول الناس مما رأوا يا عجبا للميت الناشر

و الإنشار الإحياء للتصرف بعد الموت كنشر الثوب بعد الطى.

الإعراب

«ثُمَّ السَّيْلَ يَسْرُهُ» انتصب السبيل بفعل مضمر يفسره هذا الظاهر تقديره ثم يسر السبيل يسره له أى للإنسان ثم حذف الجار و المجرور و قوله «كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرُهُ» أى ما أمره به فحذف الباء فصار التقدير ما أمره فحذف الهاء الأولى فصار ما أمره فالهاء الباقية لما الموصولة و الهاء المحذوفه للإنسان.

النزول

قيل نزلت الآيات فى عبد الله بن أم مكتوم و هو عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعه الفهرى من بنى عامر بن لؤى و ذلك أنه أتى رسول الله ص و هو يناجى عتبه بن ربيعه و أباه جهل بن هشام و العباس بن عبد المطلب و أبيا و أميه ابنى خلف يدعوهم إلى الله و يرجو إسلامهم فقال يا رسول الله أقرئنى و علمنى مما علمك الله فجعل يناديه و يكرر النداء و لا يدرى أنه مشتغل مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهه فى وجه رسول الله ص لقطعه

كلامه و قال فى نفسه يقول هؤلاء الصناديد إنما أتباعه العميان و العبيد فأعرض عنه و أقبل على القوم الذين يكلمهم فنزلت الآيات و كان رسول الله بعد ذلك يكرمه و إذا رآه قال مرحبا بمن عاتبنى فيه ربي و يقول له هل لك من حاجة و استخلفه على المدينة مرتين فى غزوتين

و قال أنس بن مالك فرأته يوم القادسيه و عليه درع و معه رايه سوداء قال المرتضى علم الهدى قدس الله روحه ليس فى ظاهر الآيه دلالة على توجهها إلى النبي ص بل هو خبر محض لم يصرح بالمخبر عنه و فيها ما يدل على أن المعنى بها غيره لأن العبوس ليس من صفات النبي ص مع الأعداء المباينين فضلا عن المؤمنين و المسترشدين ثم الوصف بأنه يتصدى للأغنياء و يتلهى عن الفقراء لا يشبه أخلاقه الكريمه و يؤيد هذا القول قوله سبحانه فى وصفه ص وَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ و قوله وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فالظاهر أن قوله «عَبَسَ وَ تَوَلَّى» المراد به غيره و

قد روى عن الصادق (عليه السلام) أنها نزلت فى رجل من بنى أميه كان عند النبي ص فجاء ابن أم مكتوم فلما رآه تقدر منه و جمع نفسه و عبس و أعرض بوجهه عنه فحكى الله سبحانه ذلك و أنكره عليه

فإن قيل فلو صح الخبر الأول هل يكون العبوس ذنبا أم لا فالجواب أن العبوس و الانبساط مع الأعمى سواء إذ لا يشق عليه ذلك فلا يكون ذنبا فيجوز أن يكون عاتب الله سبحانه بذلك نبيه ص ليأخذه بأوفر محاسن الأخلاق و ينبهه بذلك على عظم حال المؤمن المسترشد و يعرفه أن تأليف المؤمن ليقيم على إيمانه أولى من تأليف المشرك طمعا فى إيمانه و قال الجبائى فى هذا دلالة على أن الفعل يكون معصيه فيما بعد لمكان النهى فأما فى الماضى فلا يدل على أنه كان معصيه قبل أن ينهى عنه و الله سبحانه لم ينهه إلا فى هذا الوقت و قيل أن ما فعله الأعمى نوعا من سوء الأدب فحسن تأديبه بالإعراض عنه إلا أنه كان يجوز أن يتوهم أنه أعرض عنه لفقره و أقبل عليهم لرياستهم تعظيما لهم فعاتبه الله سبحانه على ذلك و

روى عن الصادق (عليه السلام) أنه قال كان رسول الله ص إذا رأى عبد الله بن أم مكتوم قال مرحبا مرحبا لا و الله لا يعاتبني الله فيك أبدا و كان يصنع به من اللطف حتى كان يكف عن النبي ص مما يفعل به.

المعنى

«عَبَسَ» أى بسر و قبض و وجهه «وَ تَوَلَّى» أى أعرض بوجهه «أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى» أى لأن جاءه الأعمى «وَ مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ» أى لعل هذا الأعمى «يَزْكِي» يتطهر بالعمل الصالح و ما يتعلمه منك «أَوْ يَذَّكَّرُ» أى يتذكر فيتعظ بما يعلمه من مواظب القرآن «فَتَنْفَعُهُ الذِّكْرَى» فى دينه قالوا و فى هذا لطف من الله عظيم لنبيه ص إذ لم يخاطبه فى باب العبوس فلم يقل عبست فلما جاوز العبوس عاد إلى الخطاب فقال و ما يدريك.

ثم قال «أَمَّا مَنْ اسْتَعْنَى» أى من كان عظيما فى قومه و استغنى بالمال «فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى» أى

تعرض له و تقبل عليه بوجهك «وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكِّيَ» أى أى شىء يلزمك إن لم يسلم و لم يتطهر من الكفر فإنه ليس عليك إلا- البلاغ «وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسِيحًا» أى يعمل فى الخير يعنى ابن أم مكتوم «وَهُوَ يَخْشَى» الله عز و جل «فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى» أى تتغافل و تشتغل عنه بغيره «كَلَّا» أى لا تعد لذلك و انزجر عنه «إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ» أى إن آيات القرآن تذكير و موعظه للخلق «فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ» أى ذكر التنزيل أو القرآن أو الوعظ و المعنى فمن شاء أن يذكره ذكره و فى هذا دلالة على أن العبد قادر على الفعل مخير فيه و قوله «كَلَّا» فيه دلالة على أنه ليس له أن يفعل ذلك فى المستقبل و أما الماضى فلم يتقدم النهى عن ذلك فيه فلا يكون معصيه ثم أخبر سبحانه بجلاله قدر القرآن عنده فقال «فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ» أى هذا القرآن أو هذه التذكرة فى كتب معظمه عند الله و هى اللوح المحفوظ عن ابن عباس و قيل يعنى كتب الأنبياء المنزل عليهم كقوله «إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى «مَرْفُوعَةٍ» فى السماء السابعة و قيل مرفوعه قد رفعها الله عن دنس الأنجاس «مُطَهَّرَةٍ» لا يمسها إلا المطهرون و قيل مصونه عن أن تنالها أيدي الكفرة لأنها فى أيدي الملائكة فى أعز مكان عن الجبائى و قيل مطهره من كل دنس عن الحسن و قيل مطهره من الشك و الشبهه و التناقض «بِأَيْدِي سَافِرَةٍ» يعنى الكتبه من الملائكة عن ابن عباس و مجاهد و قيل يعنى السفراء بالوحي بين الله تعالى و بين رسله من السفاره و قال قتاده هم القراء يكتبونها و يقرءونها و

روى فضيل بن يسار عن الصادق قال الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الكرام البرره

ثم أتى عليهم فقال «كِرَامٍ» على ربهم «بَرَزِهِ» مطيعين و قيل كرام عن المعاصى يرفعون أنفسهم عنها برره أى صالحين متقين و قال مقاتل كان القرآن ينزل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ليله القدر إلى الكتبه من الملائكة ثم ينزل به جبريل (عليه السلام) إلى النبي ص ثم ذكر سبحانه المكذبين بالقرآن فقال «قُتِلَ الْإِنْسَانُ» أى عذب و لعن الإنسان و هو إشاره إلى كل كافر عن مجاهد و قيل هو أميه بن خلف عن الضحاك و قيل هو عتبه بن أبى لهب إذ قال كفرت برب النجم إذا هوى «مَا أَكْفَرَهُ» أى ما أشد كفره و ما أبين ضلاله و هذا تعجب منه كأنه قد قال تعجبوا منه و من كفره مع كثره الشواهد على التوحيد و الإيمان و قيل أن ما للاستفهام أى أى شىء أكفره و أوجب كفره عن مقاتل و الكلبي فكأنه قال ليس هاهنا شىء يوجب الكفر و يدعو إليه فما الذى دعاه إليه مع كثره نعم الله عليه، ثم بين سبحانه من أمره ما كان ينبغى معه أن يعلم أن الله خالقه فقال «مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ» لفظه استفهام و معناه التقرير و قيل معناه لم لا ينظر إلى أصل خلقته من أى شىء خلقه الله ليدله على وحدانيه الله تعالى ثم فسر فقال «مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ» أطوارا نطفه ثم علقه إلى آخر خلقه و على حد معلوم من طوله و قصره

و سمعه و بصره و حواسه و أعضائه و مده عمره و رزقه و جميع أحواله «ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ» أى ثم يسر سبيل الخروج من بطن أمه حتى خرج منه عن ابن عباس و قتاده و ذلك أن رأسه كان إلى رأس أمه و كذلك رجلاه كانتا إلى رجليها فقلبه الله عند الولاده ليسهل خروجه منها و قيل ثم السبيل أى سبيل الدين يسره و طريق الخير و الشر بين له و خيره و مكنه من فعل الخير و اجتناب الشر و نظيره وَ هَيَّدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ عن مجاهد و الحسن و ابن زيد «ثُمَّ أَمَاتَهُ» أى خلق الموت فيه و قيل أزال عنه حياته «فَأَقْبَرَهُ» أى صيره بحيث يقبر و جعله ذا قبر عن أبى مسلم و قيل جعله مقبورا و لم يجعله ممن يلقى إلى السباع و الطير عن الفراء و قيل أمر بأن يقبر عن أبى عبيده «ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ» أى أحياه من قبره و بعثه إذا شاء تعالى أن يحييه للجزاء و الحساب و الثواب و العقاب عن الحسن «كَلَّا» أى حقا «لَمَّا يَفْضُ» أى لم يقض «ما أَمَرَهُ» الله به من إخلاص عبادته و لم يؤد حق الله تعالى عليه مع كثره نعمه قال مجاهد هو على العموم فى الكافر و المسلم لم يعبد أحد حق عبادته.

[سوره عبس (٨٠): الآيات ٢٤ الى ٤٢]

إشاره

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَ عَنبًا وَ قَضْبًا (٢٨) وَ زَيْتُونًا وَ نَخْلًا (٢٩) وَ حَدَائِقَ عُلبًا (٣٠) وَ فَاكِهَةً وَ أَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ (٣٢) فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَ أُمِّهِ وَ أَبِيهِ (٣٥) وَ صَاحِبَتِهِ وَ بَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وَ جُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨)

ضاحكُهُ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَ جُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرَةُ الْفٰجِرَةُ (٤٢)

القرءاء

قرأ أهل الكوفه أنا صببنا بالفتح و الباقون بالكسر و فى الشواذ قراءه ابن محيصن يعنيه بالعين و فتح الياء.

قال أبو علي من كسر كان ذلك تفسيرا للنظر إلى طعامه كما أن قوله «لَهُمْ مَغْفِرَةٌ» تفسير للوعد و من فتح فقال أنا فالمعنى على البدل بدل الاشتمال لأن هذه الأشياء مشتملة على كون الطعام و حدوده فهو من نحو «يَسْتَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ» و «قِتْلَ أَصِيحَابِ الْأَخْذُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ» و قوله «وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكَرَهُ» لأن الذكر كالمشتمل على المذكور و معنى «إِلَى طَعَامِهِ» إلى كون طعامه و حدوده و هو موضع الاعتبار قال ابن جنى قوله يعنيه بالعين قراءه حسنه إلا أن قراءه الجماعه أقوى معنى فإن الإنسان قد يعنيه الشىء و لا يعنيه عن غيره ألا ترى أن من كان له ألف درهم فيؤخذ منها مائه درهم يعنيه أمرها و لا يعنيه عن بقيه ماله أن يهتم به و يراعيه فأما إذا أغناه الأمر عن غيره فإن ذلك أقوى فأعرفه.

اللغة

الحديقه البستان المحوط و جمعه حدائق و منه قولهم أحدق به القوم إذا أحاطوا به و الغلب الغلاظ شجره غلباء غليظه قال الفرزدق:

عوى فأثار أغلب ضيغما فويل ابن المراغه ما استثارا

و الألب المرعى من الحشيش و سائر النبات الذى ترعاه الأنعام و الدواب و يقال أب إلى سيفه فاستله أى بدر إليه و هب إليه فيكون كبدور المرعى بالخروج قال الأعشى:

صرمت و لم أصرمكم و كصارم أخ قد طوى كشحا و أب ليذهبا

و قال فى الأب:

جذمنا قيس و نجد دارنا و لنا الأب بها و المكرع

و الصاخه الصاكه لشده صوتها الآذان فتصمها و القتره ظلمه الدخان و منه القطار ريح الشواء لأنها كالدخان.

الإعراب

«فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ» العامل فى الظرف فى قوله «لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ» أى ثبت لكل امرئ منهم ذلك فى وقت مجىء الصاخه.

المعنى

لما ذكر سبحانه خلق ابن آدم ذكر رزقه ليعتبر فقال «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ»

الذى يأكله و يتقوته من الأطعمه الشهيه اللذيذه كيف خلقها سبحانه و هيأها لرزق عباده ليفكر كيف مكنه من الانتفاع بذلك ثم بين فقال «أَنَا صَيَّبْنَا الْمَاءَ صَيَّبًا» أى نزلنا الغيث إنزالاً «ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا» بالنبات «فَأَنْبَتْنَا فِيهَا» أى فى الأرض «حَبًّا» أى جنس الحبوب التى يتغذى بها و تدخر «وَعِنْبًا» خص العنب لكثرة منافعه «وَقَضْبًا» و هو ألقت الرطب يقضب مره بعد أخرى يكون علفا للدواب عن ابن عباس و الحسن «وَزَيْتُونًا» و هو ما يعصر عنه الزيت «وَنَخْلًا» جمع نخله «وَوَيْدَائِقَ غُلْبًا» أى و بساتين محوطه تشتمل على أشجار عظام غلاظ مختلفه و قيل غلبا ملتفه الشجر عن مجاهد «وَفَاكِهَةً» يعنى سائر ألوان الفواكه «وَأَبًّا» و هو المرعى و الكلاء الذى لم يزرعه الناس مما تأكله الأنعام و قيل أن الأب للأنعام كالفاكهه للناس «مَتَاعًا» أى منفعه «لَكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ» مر معناه ثم ذكر يوم القيامة فقال «فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ» يعنى صيحه القيامة عن ابن عباس سميت بذلك لأنها تصخ الآذان أى تبالغ فى إسماعها حتى تكاد تصمها و قيل لأنها يصخ لها الخلق أى يستمع و قد قلب حرف التضعيف ياء لكراهيه التضعيف فقالوا صاخ كما قالوا تظنيت فى تظنت و تفضى البازى فى تقضض ثم ذكر سبحانه فى أى وقت تجىء الصاخة فقال «يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَ أُمِّهِ وَ أَبِيهِ وَ صَاحِبَتِهِ» أى و زوجته «وَ بَنِيهِ» أى أولاده الذكور أى لا يلتفت إلى واحد من هؤلاء لعظم ما هو فيه و شغله بنفسه و إن كان فى الدنيا يعنى بشأنهم و قيل يفر منهم حذرا من مطالبتهم إياه بما بينه و بينهم من التبعات و المظالم و قيل لعلمه بأنهم لا ينفعونو و لا يغنون عنه شيئا و يجوز أن يكون مؤمنا و أقرباؤه من أهل النار فيعاديهم و لا يلتفت إليهم أو يفر منهم لثلا- يرى ما نزل بهم من الهوان «لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ» أى لكل إنسان منهم أمر عظيم يشغله عن الأقرباء و يصرفه عنهم و معنى يغنيه يكفيه من زياده عليه أى ليس فيه فضل لغيره لما هو فيه من الأمر الذى قد اكتنفه و ملأ صدره فصار كالغنى عن الشىء فى أمر نفسه لا ينازع إليه و

روى عن عطاء بن يسار عن سوده زوجة النبي ص قالت قال رسول الله ص يبعث الناس عراه حفاه غرلا يلجمهم العرق و يبلغ شحمه الآذان قالت قلت يا رسول الله و سواتاه ينظر بعضنا إلى بعض قال شغل الناس عن ذلك و تلا رسول الله «لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ»

ثم قسم سبحانه أحوال الناس فى ذلك اليوم فقال «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ» أى مشرقه مضيئه «ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ» من سرورها و فرحها بما أعد لها من الثواب و أراد بالوجوه أصحاب الوجوه «وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ» أى سواد و كآبه اللهم

«تَرَهَّقُهَا» أى تعلوها و تغشاها «قَتْرَةٌ» أى سواد أو كسوف عند معاينه النار و قيل أن الغيره ما انحطت من السماء إلى الأرض و القتره ما ارتفعت من الأرض إلى السماء عن زيد بن أسلم «أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ» فى أديانهم «الْفَجْرَةُ» فى أفعالهم و استدلت الخوارج بذلك على أن من ليس بمؤمن لا بد أن يكون كافرا فإن الله سبحانه قسم الوجوه هذين القسمين و لا تعلق لهم به لأنه سبحانه ذكر هنا قسمين من الوجوه متقابلين و وجوه الكفار و لم يذكر وجوه الفساق من أهل الصلاه فيجوز أن يكون لها صفه أخرى بأن يكون عليها غيره لا تغشاها قتره أو يكون عليها صفه أو لون آخر.

اشاره

[توضيح]

و منهم من يقول سورة التكوير مكيه.

عدد آياتها

تسع و عشرون آيه.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأ سورة إذا الشمس كورت أعاده الله تعالى أن يفضحه حين تنشر صحيفته.

ابن عمر قال قال رسول الله ص من أحب أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ إذا الشمس كورت

و

روى أبو بكر قال قلت لرسول الله ص يا رسول الله أسرع إليك الشيب قال شيبتنى هود و الواقعه و المرسلات و عم يتساءلون و إذا الشمس كورت

فأما ما

روى عن أنس أنه سئل هل اختضب رسول الله ص فقال ما شأنه الشيب فقيل أ و شين هو يا أبا حمزه فقال كلكم يكرهه

فالوجه فيه أنه يجوز أن يكون المراد بقوله شيبتنى أنه لو كان أمر يشيب منه إنسان لشبت من قراءه هذه السطور و

قد روى أن عليا (عليه السلام) لما غسل رسول الله ص وجد فى لحيته شعرات بيضا

و ما لا يظهر إلا بعد التفطيش لا يكون شيئا.

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة عبس بذكر يوم القيامة و أهوالها افتتح هذه السوره أيضا بذكر علاماتها و أحوالها فقال:

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (۱) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (۲) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (۳) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (۴)

وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (۵) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (۶) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (۷) وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ (۸) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (۹)

وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (۱۰) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (۱۱) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (۱۲) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (۱۳) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أُخْضِرَتْ (۱۴)

القراءه

قرأ ابن كثير و أهل البصره سجرت بالتخفيف و الباقون بالتشديد و قرأ أهل المدینه و ابن عامر و عاصم و يعقوب و سهل «نُشِرَتْ» بالتخفيف و الباقون بالتشديد و قرأ أهل المدینه و ابن عامر و رويس و عاصم غير يحيى و حماد «سُجِّرَتْ» بالتشديد و الباقون بالتخفيف و قرأ أبو جعفر قتلت بالتشديد و الباقون بالتخفيف و

روى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام) و إذا الموده سئلت بفتح الميم و الواو

و روى ذلك عن ابن عباس أيضا و

روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) و إذا الموءوده سئلت بأى ذنب قتلت

و هو قراءه ابن عباس و يحيى بن يعمر و مجاهد و أبى الضحى و جابر بن زيد.

الحجه

قال أبو على حجه سجرت قوله وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ و قيل فى البحر المسجور أنه الفارغ و المتلئى و منه الممتلئى قول الشاعر فى صفه وعل:

إذا شاء طالع مسجوره ترى حولها النبع و الساسما

و حجه تشديد نشرت قوله صِيحْفًا مُشْرَرَةً و حجه سعرت بالتخفيف قوله «وَ كَفَىٰ بَجَهَنَّمَ سَيِّعِيرًا» فسعير فعيل بمعنى مفعول و هذا إنما يجىء من فعل و حجه من قال «سُجِّرَتْ» أن الفعل مسند إلى ضمير كثره من باب غَلَقَتِ الْأَبْوَابَ و حجه «نُشِرَتْ» خفيفه قوله فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ و حجه «سُجِّرَتْ» مشدده كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَيِّعِيرًا فهذا يدل على كثره و شىء بعد شىء فحقه التشديد و

من قرأ و إذا الموءوده سألت بفتح السين جعل الموءوده موصوفه بالسؤال و بالقول «بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلْتُ» و يمكن أن يكون الله سبحانه أكملها فى تلك الحال و أقدرها على النطق حتى قالت ذلك القول و يعضده

ما روى عن النبى ص أنه قال يجىء المقتول ظلما يوم القيامة و أوداجه تشخب دما اللون لون الدم و الريح ريح المسك متعلقا بقاتله يقول يا رب سل هذا

ص: ٢٤٨

فيم قتلنى

و من قرأ قتلت بالتشديد فالمراد به تكرار الفعل لأن المراد بالموءوده هنا الجنس فأراده التكرار جائزه و أما من قرأ الموده بفتح الميم و الواو فالمراد بذلك الرحم و القرابه و أنه يسأل قاطعها عن سبب قطعها و روى عن ابن عباس أنه قال هو من قتل فى مودتنا أهل البيت (عليه السلام) و

عن أبى جعفر (عليه السلام) قال يعنى قرابه رسول الله ص و من قتل فى جهاد

و

فى روايه أخرى قال هو من قتل فى مودتنا و ولايتنا.

اللغه

التكوير التليف على جهه الاستداره و منه كور العمامه كرت العمامه على رأسى أكورها كورا و كورتها تكويرا و طعنه فكوره إذا ألقاه مجتمعا و نعوذ بالله من الحور بعد الكور أى من النقصان بعد الزيادة و الانكدار انقلاب الشىء حتى يصير أعلاه أسفله بما لو كان ماء لتكدر و أصله الانصباب قال العجاج

" أبصر خربان فضاء فانكدر "

و العشار جمع عشاء و هى الناقه التى قد أتى عليها عشره أشهر من حملها و الناقه إذا وضعت لتمام ففى سنه و أصل السجر الملاء قال لييد:

فتوسطا عرض السرى فصدعا مسجوره متجاورا قلامها

أى مملوءه و تنور مسجور مملوء بالنار و الموءوده من وأد يئد وأدا و كانت العرب تئد البنات خوف الإملاق قال

قتاده جاء قيس بن عاصم التميمى إلى النبى ص فقال إنى وأدت ثمانى بنات فى الجاهليه فقال فأعتق عن كل واحده رقبه قال إنى صاحب إبل قال فاهد إلى من شئت عن كل واحده بدنه

قال الجبائى إنما سميت موءوده لأنها ثقلت فى التراب الذى طرح عليها حتى ماتت و هذا خطأ لأن الموءوده من وأد يئد معتل الفاء و من الثقل آده يؤده أثقله و هو معتل العين و لو كانت مأخوذه منه لقليل موؤده على وزن معوءده و

روى عن النبى ص أنه سئل عن العزل فقال ذاك الواد الخفى

قال الفرزدق:

و منا الذى منع الوائدات فأحيا الوئيد فلم تواد

وقال:

ص: ٢٤٩

و منا الذى أحيا الوئيد و غالب و عمرو و منا حاجب و الأقارع

و الكشط القلع عن شدة التزاق و الكشط و القشط واحد و فى حرف عبد الله و إذا السماء قشطت و التسعير تهيج النار حتى تتأجج و منه السعر لأنه حال هيج الثمن بالارتفاع و الانحطاط.

الإعراب

ارتفعت الشمس بفعل مضمّر تقديره إذا كورت الشمس كورت و لا يجوز إظهاره لأن ما بعده يفسره و إنما احتيج إلى إضمار فعل لأن فى إذا معنى الشرط و الشرط يقتضى الفعل و جواب إذا قوله «عَلِمْتُ نَفْسٌ مَا أَحْضَرْتُ» فإذا فى موضع النصب لأنه ظرف لعلمت و على هذا يجرى أمثاله و الجملة التى هى الفعل المحذوف مع فاعله بعد إذا فى موضع جر بإضافه إذا إليها و التقدير وقت تكوير الشمس تعلم كل نفس ما عملته و تجزى به و على هذا فهنا اثنا عشر ظرفا كلها إضافة إلى الجمل من قوله «إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ» إلى قوله «وَ إِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ» و العامل فيها كلها قوله «عَلِمْتُ نَفْسٌ مَا أَحْضَرْتُ».

المعنى

أخبر الله سبحانه عن القيامة و شدائدها فقال «إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ» أى ذهب ضوءها و نورها فأظلمت و اضمحلت عن ابن عباس و أبى و مجاهد و قتاده و قيل ألقيت و رمى بها عن أبى صالح و الربيع بن خثيم و قيل جمع ضوءها و لفت كما تلف العمامة عن الزجاج و المعنى أن الشمس تكور بأن يجمع نورها حتى تصير كالكاره الملقاء و يذهب ضوءها و يحدث الله تعالى للعباد ضياء غيرها «وَ إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ» أى تساقطت و تناثرت عن مجاهد و قتاده و الربيع بن خثيم يقال انكدر الطائر من الهواء إذا انقض و قيل تغيرت من الكدوره عن الجبائى و الأول أولى لقوله «وَ إِذَا الْكُوكَبُ انْتَثَرَتْ» إلا أن تقول يذهب ضوءها ثم تتناثر «وَ إِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ» عن وجه الأرض فصارت هباء منبثا و سرايا «وَ إِذَا الْعِشَارُ» و هى النوق الحوامل أتت عليها عشره أشهر و بعد الوضع تسمى عشارا أيضا و هى أنفس مال عند العرب «عُطِّلَتْ» أى تركت هملا بلا راع و قيل العشار السحاب تعطل فلا تمطر عن الجبائى و حكى ذلك عن أبى عمرو قال الأزهرى لا أعرف هذا فى اللغة «وَ إِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ» أى جمعت حتى يقتص لبعضها من بعض فيقتص للجماء من القرناء و يحشر الله سبحانه الوحوش ليوصل إليها ما تستحقه من الأعواض على الآلام التى نالتها فى الدنيا و ينتصف لبعضها من بعض فإذا وصل إليها ما استحقته من الأعواض فمن قال أن

العوض دائم تبقى منعمه إلى الأبد و من قال تستحق العوض منقطعا فقال بعضهم يديمه الله لها تفضلا لثلا يدخل على المعوض غم بانقطاعه و قال بعضهم إذا فعل الله بها ما استحقته من الأعواض جعلها ترابا «وَ إِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ» أى أرسل عذبتها على مالحها و مالحها على عذبتها حتى امتلأت و قيل إن المعنى فجر بعضها فى بعض فصارت البحور كلها بحرا واحدا و يرتفع البرزخ عن مجاهد و مقاتل و الضحاك و قيل سجرت أى أوقدت فصارت نارا تضطرم عن ابن عباس و قيل يبست و ذهب ماؤها فلم يبق فيها قطره عن الحسن و قتاده و قيل ملئت من القيح و الصديد الذى يسيل من أبدان أهل النار فى النار و أراد بحار جهنم لأن بحور الدنيا قد فئت عن الجبائى «وَ إِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ» أى قرن كل واحد منها إلى شكله و ضم إليه و النفس يعبر بها عن الإنسان و قد يعبر بها عن الروح فالمعنى قرن كل إنسان بشكله من أهل النار و بشكله من أهل الجنة عن عمر بن الخطاب و ابن عباس و مجاهد و الحسن و قتاده و قيل معناه ردت الأرواح إلى الأجساد فتصير أحياء عن عكرمه و الشعبى و أبى مسلم و قيل يقرن الغاوى بمن أغواه من إنسان أو شيطان عن الجبائى و قيل زوجت أى قرنت نفوس الصالحين من المؤمنين بالبحور العين و قرنت نفوس الكافرين بالشياطين عن عطاء و مقاتل «وَ إِذَا المَوُودَةُ سُئِلَتْ» يعنى الجارية المدفونه حيا و كانت المرأه إذا حان وقت ولادتها حفرت حفره و قعدت على رأسها فإن ولدت بنتا رمت بها فى الحفره و إن ولدت غلاما حبسته عن ابن عباس قال شاعرهم:

سميتها إذ ولدت تموت و القبر صهر ضامن زميت

و معنى قوله «سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ» أن الموءوده تسأل فيقال لها بأى ذنب قتلت و معنى سؤالها توبيخ قاتلها لأنها تقول قتلت بغير ذنب و يجرى هذا مجرى قوله سبحانه لعيسى (عليه السلام) «أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمَّيِ الْهَيْئِ مِنْ دُونِ اللَّهِ» على سبيل التوبيخ لقومه و إقامة الحجه عليهم عن الفراء و قيل إن معنى سئلت طولب قاتلها بالحجه فى قتلها و سئل عن سبب قتلها فكأنه قيل و الموءوده يسأل قاتلها بأى ذنب قتلت هذه و نظيره قوله «إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولا» أى مسئولا عنه عن أبى مسلم و على هذا فيكون القتل هنا هم المسئولين على الحقيقه لا المقتوله و إنما المقتوله مسئول عنها «وَ إِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ» يعنى صحف الأعمال التى كتبت الملائكه فيها أعمال أهلها من خير و شر تنشر ليقراها أصحابها و لتظهر الأعمال فيجازوا بحسبها «وَ إِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ» أى أزيلت عن موضعها كالجلد يزال عن

الجزور ثم يطويها الله و قيل معناه قلعت كما يقلع السقف عن الزجاج و قيل كشفت عمن فيها و معنى الكشط رفعك شيئا عن شىء قد غطاه كما يكشط الجلد عن السنم «وَ إِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ» أوقدت و أضرمت حتى ازدادت شدة على شدة و قيل سعرها غضب الله و خطايا بنى آدم عن قتاده «وَ إِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ» أى قربت من أهلها للدخول و قيل قربت بما فيها من النعيم فيزداد المؤمن سرورا و يزداد أهل النار حسره «عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أُخْضِرَتْ» أى إذا كانت هذه الأشياء التى تكون فى القيامة علمت فى ذلك الوقت كل نفس ما وجدت حاضرا من عملها كما قالوا أحمدته وجدته محمودا و قيل علمت ما أحضرته من خير و شر و إحضار الأعمال مجاز لأنها لا تبقى و المعنى أنه لا يشذ عنها شىء فكان كلها حاضره و قيل أن المراد صحائف الأعمال.

[سوره التكوير (٨١): الآيات ١٥ الى ٢٩]

إشارة

فَلَا أُفْسِمُ بِالْخُنُوسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩)
ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَ مَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَ لَقَدْ رَأَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٣) وَ مَا هُوَ عَلَى الْعَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤)
وَ مَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (٢٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلَّا- ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَ مَا تَشَاوَنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)

القراءة

قرأ أهل البصره غير سهل و ابن كثير و الكسائى بظنين بالطاء و الباقون «بِضَنِينٍ» بالضاد.

الحججه

الظنين المتهم من قولهم ظننت أى اتهمت لا من ظننت المتعدى إلى

مفعولين إذ لو كانت منه لكان لا- بد من ذكر المفعول الثاني و في أنه لم يذكر المفعول الآخر دلالة على أنه من ظننت بمعنى اتهمت و كان النبي ص يعرف بالأمين و بذلك وصفه أبو طالب في قوله:

إن ابن آمنه الأمين محمدا عندي بمثل منازل الأولاد

و من قرأ «بَصَّ نِينَ» فهو من البخل و المعنى أنه يخبر بالغيب فيبينه و لا يكتمه كما يتمتع الكاهن من إعلام ذلك حتى يأخذ عليه حلوانا.

اللغة

الخنس جمع خانس و الكنس جمع كانس و أصلهما الستر و الشيطان خناس لأنه يخنس إذا ذكر الله تعالى أى يذهب و يستتر و كناس الطير و الوحش بيت يتخذه و يختفى فيه و الكواكب تكنس في بروجها كالطباء تدخل في كناسها و عسعس الليل إذا أقبل من أوله و أظلم و عسعس إذا أدبر و هو من الأضداد قال علقمه بن قرط:

حتى إذا الصبح لها تنفسا و إنجاب عنها ليلها و عسعسا

و العس طلب الشىء بالليل و منه أخذ العسس و يقال عسعس الليل و سعسع.

الإعراب

«إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ» جواب القسم ثم وصف الرسول بأوصاف إلى قوله «أَمِينٍ» ثم قال «وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ» و هو معطوف على جواب القسم و كذلك ما بعده و قوله «فَأَيُّنَ تَذْهَبُونَ» اعتراض قال الفراء تقول العرب إلى أين تذهب و أين تذهب و تقولون ذهبت الشام و خرجت الشام و انطلقت السوق سمعناه في هذه الأحرف الثلاثة و أنشد الفراء:

تصيح بنا حنيفه إذ رأتنا و أى الأرض تذهب للصباح

يريد إلى أى الأرض و لم يحك سيبويه من هذا إلا ذهبت الشام و على هذا جاء «فَأَيُّنَ تَذْهَبُونَ» و المعنى فإلى أين تذهبون و قوله «إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ» جواب القسم أيضا و قوله «وَمَا تَشَاؤُنَ» داخل في جواب القسم أيضا و قوله «لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ» بدل من قوله «لِلْعَالَمِينَ» بدل البعض من الكل فإذا السوره كلها مركبه من فعل و فاعل و من قسم و أجوبه.

المعنى

ثم أكد سبحانه ما تقدم بالقسم فقال «فَلَا أُقْسِمُ» أى فأقسم و لا زائده

وقد ذكرنا اختلاف العلماء فيه عند قوله «لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ» «بِالْخُنُسِ» و هي النجوم تخنس بالنهار و تبدو بالليل و «الْجَوَارِ» صفه لها لأنها تجرى في أفلاكها «الْكُنُسِ» من صفتها أيضا لأنها تكنس أى تتوارى فى بروجها كما تتوارى الظباء فى كناسها و

هى خمسه أنجم زحل و المشترى و المريخ و الزهره و عطارد عن على (عليه السلام)

و قيل معناه أنها تخنس بالنهار فتختفى و لا ترى و تكنس فى وقت غروبها فهذا خنوسها و كنوسها و قيل هى بقر الوحش عن ابن مسعود و قيل هى الظباء عن ابن جبير

«وَ اللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ» أى إذا أدبر بظلامه عن على (عليه السلام)

و ابن عباس و مجاهد و قتاده و قيل أقبل بظلامه عن الحسن و قيل أظلم عن الجبائى «وَ الصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ» أى إذا أسفر و أضاء و المعنى امتد ضوءه حتى يصير نهارا «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ» هذا جواب القسم أى أن القرآن قول رسول كريم على ربه و هو جبرائيل و هو كلام الله تعالى أنزله على لسانه أى سمعه محمد من جبرائيل و لم يقله من قبل نفسه عن الحسن و قتاده و قيل إنما أضافه إلى جبرائيل لأن الله تعالى قال لجبرائيل ائت محمدا ص و قل له كذا ثم وصف جبرائيل (عليه السلام) فقال «ذِي قُوَّةٍ» أى فيما كلف و أمر به من العلم و العمل و تبليغ الرساله و قيل ذى قدره فى نفسه و من قوته قلعه ديار قوم لوط بقوادم جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها «عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ» معناه متمكن عند الله صاحب العرش و خالقه رفيع المنزله عظيم القدر عنده كما يقال فلان مكين عند السلطان و المكانه القرب «مُطَاعٍ ثَمَّ» أى فى السماء تطيعه ملائكه السماء قالوا و من طاعه الملائكه لجبرائيل أنه أمر خازن الجنة ليله المعراج حتى فتح لمحمد ص أبوابها فدخلها و رأى ما فيها و أمر خازن النار ففتح له عنها حتى نظر إليها «أَمِينٍ» أى على و حى الله و رسالاته إلى أنبيائه و فى

الحديث أن رسول الله ص قال لجبرائيل (عليه السلام) ما أحسن ما أثنى عليك ربك «ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ» فما كانت قوتك و ما كانت أمانتك فقال أما قوتى فإنى بعثت إلى مدائن لوط و هى أربع مدائن فى كل مدينه أربعمائنه ألف مقاتل سوى الذرارى فحملتهم من الأرض السفلى حتى سمع أهل السماوات أصوات الدجاج و نباح الكلاب ثم هويت بهن فقلبتهن و أما أمانتى فإنى لم أومر بشىء فعدوته إلى غيره

ثم خاطب سبحانه جماعه الكفار فقال «وَ مَا صَاحِبُكُمْ» الذى يدعوكم إلى الله و إخلاص طاعته «بِمَجْنُونٍ» و المجنون المغطى على عقله حتى لا يدرك الأمور على ما هى عليه للآفه الغامره له و بغمور الآفه يتميز من النائم لأن النوم ليس بآفه و هذا أيضا من جواب القسم أقسم الله عز اسمه أن القرآن نزل به جبرائيل و أن محمدا ص ليس على ما يرميه به أهل مكه من الجنون «وَ لَقَدْ رَأَاهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ» أى رأى محمدا ص جبرائيل (عليه السلام) على صورته التى خلقه الله تعالى عليها حيث تطلع الشمس و هو

الأفق الأعلى من ناحيه المشرق عن قتاده و مجاهد و الحسن «و ما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ» أى ليس هو على وحى الله تعالى و ما يخبر به من الأخبار بمتهم فإن أحواله ناطقه بالصدق و الأمانه عن ابن عباس و سعيد بن جبير و إبراهيم و الضحاك و من قرأ بالضاد فالمعنى أنه ليس بيخيل فيما يؤدى عن الله أن يعلمه كما علمه الله «و ما هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ» رجمه الله باللغنه عن الحسن و قيل رجم بالشهب طردا من السماء و المعنى و ليس القرآن بقول شيطان رجيم ألقاه إليه كما قال المشركون أن الشيطان يلقى إليه كما يلقى إلى الكهنة ثم بكتهم الله سبحانه فقال «فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ» أى فأى طريق تسلكون أبين من هذه الطريقه التى قد بينت لكم عن الزجاج و قيل معناه فأين تعدلون عن هذا القرآن و هو الشفاء و الهدى «إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ» معناه ما القرآن إلا عظه و تذكره للخلق يمكنهم أن يتوصلوا به إلى الحق و الذكر هو ضد السهو و الذاكر لا يخلو من أن يكون عالما أو جاهلا أو مقلدا أو شاكا و لا يصح شىء من ذلك مع السهو الذى يضاد الذكر «لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ» على أمر الله و طاعته ذكر سبحانه أنه ذكر لجميع الخلق على العموم ثم خص المستقيم لأن المنفعه راجعه إليهم كما قال «إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذُّكْرَ وَ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ «و ما تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» فيه أقوال (أحدها) أن معناه و ما تشاءون الاستقامه على الحق إلا- أن يشاء الله ذلك من حيث خلقكم لها و كلفكم بها فمشيئته بين يدي مشيئتكم عن الجبائى (و ثانيها) أنه خطاب للكفار و المراد لا- تشاءون الإسلام إلا- أن يشاء الله أن يجبركم عليه و يلجأكم إليه و لكنه لا- يفعل لأنه يريد منكم أن تؤمنوا اختيارا لتستحقوا الثواب و لا- يريد أن يحملكم عليه عن أبى مسلم (و ثالثها) إن المراد و ما تشاءون الإسلام إلا أن يشاء الله أن يطف لكم فى الاستقامه لما فى الكلام من معنى النعمه.

(٨٢) سورة انفطرت مكيه و آياتها تسع عشره (١٩)

اشاره

[توضيح]

و تسمى سورة الانفطار مكيه تسع عشره آيه.

فضلها

أبى بن كعب قال قال النبى ص و من قرأها أعطاه الله من الأجر بعدد كل قبر حسنه و بعدد كل قطره مائه حسنه و أصلح الله شأنه يوم القيامه

و

روى الحسن بن أبى العلاء عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ هاتين السورتين إذا السماء انفطرت و إذا السماء انشقت و جعلهما نصب عينه فى صلاه الفريضة و النافله لم يحجبه من الله حجاب و لم يحجزه من الله حاجز و لم يزل ينظر إلى الله و ينظر الله إليه حتى يفرغ من حساب الناس.

تفسيرها

لما كانت السوره المتقدمه فى ذكر أهوال يوم القيامه افتتح سبحانه هذه السوره بمثل ذلك ليتصل بها اتصال النظير بالنظير فقال:

ص: ٢٥٦

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثِرَتْ (٤)

عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥) يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالذِّينِ (٩)

وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤)

يَصِيلُونَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩)

القراءة

قرأ أهل الكوفة و أبو جعفر «فَعَدَلَكَ» خفيفه و الباقون بالتشديد و قرأ أبو جعفر بل يكذبون بالياء و الباقون بالتاء و قرأ ابن كثير و أهل البصره يوم لا تملك بالرفع و الباقون بالنصب و فى الشواذ قراءه سعيد بن جبير ما أغرك بربك.

الحجه

أما عدلك بالتشديد فمعناه عدل خلقك فأخرجك فى أحسن تقويم و أما «فَعَدَلَكَ» بالتخفيف فمعناه عدل بعضك ببعض فكنت معتدل الخلقه متناسبها فلا تفاوت فيها و قوله يكذبون بالياء يكون إخبارا عن الكفار و بالتاء على خطابهم و أما وجه الرفع فى قوله يوم لا تملك نفس أنه خبر مبتدأ محذوف أى هو يوم لا تملك و المعنى يوم الدين يوم لا تملك نفس و أما النصب فإنه لما قال و ما أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ فجرى ذكر الدين و هو الجزاء قال «يَوْمَ لَا تَمْلِكُ» يعنى الجزاء يوم لا تملك نفس فصار «يَوْمَ لَا تَمْلِكُ» خبر الجزاء المضممر لأنه حدث و تكون أسماء الزمان أخبارا عن الحدث و يجوز النصب على وجه آخر و هو أن اليوم لما جرى فى أكثر الأمر ظرفا ترك على ما كان يكون عليه فى أكثر أمره و الدليل على ذلك ما اجتمع عليه القراء و العرب فى قوله تعالى «وَ أَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَ مِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ» و مما يقوى النصب فى ذلك قوله «وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ» و قوله «يَسِيلُونَ أَيْانَ يَوْمِ الدِّينِ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ» فالنصب فى «يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ» مثل هذا و نحوه قال أبو الحسن و لو رفع ذلك كله كان جيدا إلا أنا نختار ما عليه الناس و أما من قرأ ما أغرك فيجوز أن يكون معناه ما الذى دعاك إلى الاغترار به و يجوز أن يكون تعجبا و قد قيل فى قوله «فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ» هذان الوجهان و أغرك يجوز أن يكون من الغر و الغراره فيكون معناه ما أجهلك و ما أغفلك عما يراد بك و يجوز أن يكون من الغرور على غير القياس

كما قيل في المثل أشغل من ذات النحيين.

اللغة

الانفطار و الانشقاق و الانصداع نظائر و الانتشار تساقط الشىء فى الجهات و التفجير خرق بعض مواضع الماء إلى بعض على الكثير و منه الفجور لانخراق صاحبه بالخروج إلى كثير من الذنوب و منه الفجر لانفجاره بالضياء و بعثرت الحوض و بحثرته إذا جعلت أسفله أعلاه و البعثره و البحثره إثارة الشىء بقلب باطنه إلى ظاهره و الغرور ظهور أمر يتوهم به جهلا الأمان من المحذور يقال غره غرورا و اغتره اغترارا قال الحرث بن حلز:

لم يغروكم غرورا و لكن رفع الآل جمعهم و الضحاء

. الإعراب

قوله «فى أئى صوره ما شاء» يجوز أن تكون ما زیده مؤكده و المعنى فى أى صورہ شاء ركبك إما طويلا و إما قصيرا و إما كذا و كذا يكون ركبك عطفًا على عدلك فحذف الواو و يجوز أن يكون ما فى معنى الشرط و الجزاء فيكون المعنى فى أى صورہ ما شاء أن يركبك فيها ركبك و لا يكون على هذا قوله «فى أئى صوره» من صله ركبك لأن سبويه قال إن تضرب زيدا أضرب عمرا و لا- يجوز تقديم عمرو على إن فوجب أن يكون قوله «فى أئى صوره» من صله مضمر و لا- يكون من صله عدلك لأنه استفهام فلا- يعمل فيه ما قبله. يصلونها فى موضع نصب على الحال و يجوز أن يكون فى موضع رفع فيكون خبرا لأنه خبر بعد خبر و التقدير إن الفجار فى جحيم صالون.

المعنى

«إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ» أى انشقت و تقطعت و مثله يَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءِ بِالْغَمَامِ الْآيَهُ «وَ إِذَا الْكُوَاكِبُ انْتَثَرَتْ» أى تساقطت و تهافتت قال ابن عباس سقطت سودا لا- ضوء لها «وَ إِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ» أى فتح بعضها فى بعض عذبها فى ملحها و ملحها فى عذبها فصارت بحرا واحدا عن قتاده و الجبائى و قيل معناه ذهب ماؤها عن الحسن «وَ إِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ» أى قلب ترابها و بعث الموتى الذين فيها و قيل معناه بحثت عن الموتى فاخرجوا منها

ص: ٢٥٨

يريد عند البعث عن ابن عباس و مقاتل «عَلِمْتُ نَفْسُ مَا قَدَّمْتُ وَ أَخَّرْتُ» و هذا كقوله سبحانه يُبَيِّنُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَ أَخَّرَ و قد مر ذكره عن عبد الله بن مسعود قال ما قدمت من خير أو شر و ما أخرت من سنه حسنه استن بها بعده فله أجر من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شىء أو سنه سيئه عمل بها بعده فعليه وزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شىء و يؤيد هذا القول ما

جاء فى الحديث أن سائلا قام على عهد النبى ص فسأل فسكت القوم ثم أن رجلا أعطاه فأعطاه القوم فقال النبى ص من استن خيرا فاستن به فله أجره و مثل أجور من اتبعه من غير منتقص من أجورهم و من استن شرا فاستن به فعليه وزره و مثل أوزار من اتبعه غير منتقص من أوزارهم قال فتلا حذيفه بن اليمان «عَلِمْتُ نَفْسُ مَا قَدَّمْتُ وَ أَخَّرْتُ»

«يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ» أى شىء غررك بخالفك و خدعك و سول لك الباطل حتى عصيته و خالفته و

روى أن النبى ص لما تلا هذه الآية قال غره جهله

و اختلف فى معنى الكريم فقيل هو المنعم الذى كل أفعاله إحسان و إنعام لا يجربه نفعاً و لا يدفع به ضرراً و قيل هو الذى يعطى ما عليه و ما ليس عليه و لا يطلب ماله و قيل هو الذى يقبل اليسير و يعطى الكثير و قيل إن من كرمه سبحانه أنه لم يرض بالعمو عن السيئات حتى بدلها بالحسنات و قيل للفضيل بن عياض لو أقامك الله يوم القيامة بين يديه فقال «ما غرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ» ما ذا كنت تقول له قال أقول غرنى ستورك المرخاه و قال يحيى بن معاذ لو أقامنى الله بين يديه فقال ما غررك بى قلت غرنى بك برك بى سالفاً و أنفاً و عن بعضهم قال غرنى حلمك و عن أبى بكر الوراق غرنى كرم الكريم و إنما قال سبحانه «الْكَرِيمِ» دون سائر أسمائه و صفاته لأنه كأنه لفته الإجابة حتى يقول غرنى كرم الكريم و قال عبد الله بن مسعود ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة فيقول يا ابن آدم يا ابن آدم ما غررك بى يا ابن آدم ما ذا عملت فيما عملت يا ابن آدم ما ذا أجبتم المرسلين و

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) كم مغرور بالستر عليه و مستدرج بالإحسان إليه

«الَّذِي خَلَقَكَ» من نطفه و لم تك شيئا «فَسَوَّاكَ» إنسانا تسمع و تبصر «فَعَدَلَكَ» أى جعلك معتدلاً و قيل معناه عدل خلقك فى العينين و الأذنين و اليدين و الرجلين عن مقاتل و المعنى عدل بين ما خلق لك من الأعضاء التى فى الإنسان منها اثنان لا تفضل يد على يد و لا رجل على رجل «فِي أَى صُورِهِ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ» أى فى أى شبه من أب أو أم أو خال أو عم عن مجاهد و

روى عن الرضا (عليه السلام) عن آبائه عن النبى ص أنه قال لرجل ما ولد لك قال يا رسول الله و ما عسى أن يولد لى إما غلام و إما جارية قال فمن يشبهه قال يشبه أمه و أباه فقال ص لا تقل هكذا إن النطفة إذا استقرت فى الرحم أحضرها الله كل نسب بينها و بين آدم أ ما قرأت هذه الآية «فِي أَى صُورِهِ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ» أى فيما بينك و بين آدم.

و قيل فى أى صورته ما

شاء من صور الخلق ركبك إن شاء فى صوره إنسان و إن شاء فى صوره حمار و إن شاء فى صوره قرد عن عكرمه و أبى صالح و

قال الصادق (عليه السلام) لو شاء ركبك على غير هذه الصورة

و المعنى أنه سبحانه يقدر على جعلك كيف شاء و لكنه خلقك فى أحسن تقويم حتى صرت على صورتك التى أنت عليها لا يشبهك شىء من الحيوان و قيل فى أى صورته شاء من ذكر أو أنثى أو جسيم أو نحيف حسن أو دميم طويل أو قصير «كلاً» أى ليس الأمر كما تزعمون أنه لا- بعث و لا- حساب و ليس هنا موضع الإنكار للبعث مع وضوح الأمر فيه و قيام الدلالة عليه «بَلْ تُكذِّبُونَ» معاشر الكفار «بِالدِّينِ» الذى هو الجزاء لإنكاركم للبعث و النشور عن مجاهد و قتاده و قيل تكذبون بالدين الذى جاء به محمد ص و هو الإسلام عن الجبائى «وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ» من الملائكة يحفظون عليكم ما تعلمونه من الطاعات و المعاصى ثم وصف الحفظه فقال «كِرَامًا» على ربهم «كَاتِبِينَ» يكتبون أعمال بنى آدم «يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ» من خير و شر فيكتبونه عليكم لا يخفى عليهم من ذلك شىء و قيل إن الملائكة تعلم ما يفعله العبد إما باضطرار و إما باستدلال و قيل معناه يعلمون ما تفعلون من الله دون الباطن و فى هذا دلالة على أن أفعال العبد حادثه من جهتهم و أنهم المحدثون لها دونه تعالى و إلا فلا يصح قوله «تَفْعَلُونَ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ» و هو الجنة و الأبرار أولياء الله المطيعون فى الدنيا «وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ» و هو العظيم من النار و المراد بالفجار هنا الكفار المكذبون للنبي ص لقوله «يَضِلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ» أى يلزمونها بكونهم فيها «وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ» أى لا يكونون غائبين عنها بل يكونون مؤبدين فيها و قد دل الدليل على أن أهل الكبيره من المسلمين لا يخلدون فى النار و لأنه سبحانه قد ذكر المكذبين بالدين فيما قبل هذه الآيه فالأولى أن تكون لفظه الفجار مخصوصه بهم و أيضا فإذا احتمل الكلام ذلك بطل تعلق أهل الوعيد بعموم اللفظ ثم عظم سبحانه يوم القيامة فقال «وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ» تعظيما له لشدته و تنبيها على عظم حاله و كثرة أهواله «تُمْ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ» كرره تأكيدا لذلك و قيل أراد ما أدراك ما فى يوم الدين من النعيم لأهل الجنة و ما أدراك ما فى يوم الدين من العذاب لأهل النار عن الجبائى «يَوْمَ لَا تَفْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا» أى لا يملك أحد الدفاع عن غيره ممن يستحق العقاب كما يملك كثير من الناس فى دار الدنيا ذلك «وَ الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ» وحده أى الحكم له فى الجزاء و الثواب و العفو و الانتقام و

روى عمرو بن شمر عن جابر عن أبى جعفر (عليه السلام) أنه قال إن الأمر يومئذ و اليوم كله لله يا جابر إذا كان يوم القيامة بادت الحكام فلم يبق حاكم إلا الله

و قيل معناه يوم لا تملك نفس لنفس كافر شيئا من المنفعة عن مقاتل و المعنى الصحيح فى الآيه أن الله

سبحانه قد ملك في الدنيا كثيرا من الناس أمورا و أحكاما و في القيامة لا أمر لسواه و لا حكم و متى قيل فيجب أن لا يصح على هذا شفاعه النبي ص فالجواب أن ذلك لا يكون إلا بأمره تعالى و بإذنه و هو من تدابيره.

ص: ٢٤١

(٨٣) سورة المطففين مكيه و آياتها ست و ثلاثون (٣٦)

اشاره

[توضيح]

و تسمى سورة التطفيف مكيه و قال المعدل مدنيه عن الحسن و الضحاك و عكرمه قال و قال ابن عباس و قتاده إلا ثمانى آيات منها و هى «إِنَّ الَّذِينَ أُجْرُمُوا» إلى آخر السوره.

عدد آياتها

ست و ثلاثون آيه بالإجماع.

فضلها

أبى بن كعب قال قال النبى ص و من قرأها سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة

و

روى صفوان الجمال عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من كانت قراءته فى الفريضة ويل للمطففين أعطاه الله الأمن يوم القيامة من النار و لا تراه و لا يراها و لا يمر على جسر جهنم و لا يحاسب يوم القيامة.

تفسيرها

ختم الله سبحانه تلك السوره بذكر القيامة و ما أعد فيها للأبرار و الفجار و بين فى هذه السوره أيضا ذكر أحوال الناس فى القيامة فقال:

ص: ٢٦٢

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤)

لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦) كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سَجِّينٍ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِّينٌ (٨) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٩)

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٣) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤)

كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (١٧)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم إلا يحيى ران بكسر الراء و الباقون بفتحها.

اللغة

التطفيف نقص المكيال و الميزان و الطفيف الشىء النزر القليل مأخوذ من طف الشىء و هو جانبه و

فى الحديث كلكم بنو آدم طف الصاع لم تملؤوه فليس لأحد فضل إلا بالتقوى

و طف الصاع قريب من ملئه أى بعضكم قريب من بعض و إناء طفان إذا لم يكن ملآن و الاكتيال الأخذ بالكيل و نظيره الاتزان و هو الأخذ بالوزن و «إذا كألوههم أو وزنوههم» كان عيسى بن عمر يجعل "هم" فصلا فى موضع رفع أو تأكيدا للضمير فى كالوا أو وزنوا و الباقون يجعلونها ضمير المنصوب و هو الصحيح و أهل الحجاز يقولون وزنتك حقك و كلتك طعامك و عليه جاء التنزيل و غيرهم يقول وزنت لك و كلت لك و يقال أخسرت الميزان و خسرت أى نقصت فى الوزن و السجين فعيل من السجن قال ابن مقبل

" ضربا توأسى به الأبطال سجينا "

أى شديدا و قيل السجين هو السجن على التخليد فيه لأن هذا الوزن للمبالغة قالوا شريب و سكير و شرير و الرقم طبع الخط بما فيه علامه الأمر يقال رقمت الثوب أرقمه رقما و الرين أصله الغلبه ران على قلبه أى غلب عليه و الخمر ترين على قلب السكران و

الموت يرين على الميت فيذب به و في حديث عمر بن الخطاب أنه قال في أسيفع جهينه لما ركبه الدين أدان معرضا فأصبح قد رين به أي أحاط الدين بماله حتى غلبه.

ص: ٢٦٣

«يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ» منصوب بقوله «مَبْعُوثُونَ» أى ألا- يظنون أنهم مبعوثون يوم القيامة و قيل فى أصل كلا قولان (أحدهما) أنها كلمه واحده من غير تركيب وضعت للردع و الزجر و جرت مجرى الأ-صوات نحو صه و مه و نحوهما (و الثانى) أن يكون الكاف للتشبيه دخلت على لا و شددت للمبالغه فى الزجر مع الإيذان بتركيب اللفظ.

النزول

قيل لما قدم رسول الله ص المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل الله عز و جل «وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ» فأحسنوا الكيل بعد ذلك عن عكرمه عن ابن عباس و قيل إنه ص قدم المدينة و بها رجل يقال له أبو جهينه و معه صاعان يكيل بأحدهما و يكتال بالآخر فنزلت الآيات عن السدى.

المعنى

«وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ» و هم الذين ينقصون المكيال و الميزان و يبخسون الناس حقوقهم فى الكيل و الوزن قال الزجاج و إنما قيل له مطفف لأنه لا يكاد يسرق فى المكيال و الميزان إلا الشىء اليسير الطفيف ثم فسر المطففين فقال «الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ» أى إذا كالأوا ما على الناس ليأخذوه لأنفسهم «يَشْتَتِفُونَ» عليهم الكيل و لم يذكر اتزنوا لأن الكيل و الوزن بهما الشراء و البيع فأحدهما يدل على الآخر «وَ إِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ» أى كالوا لهم أو وزنوا لهم «يُخْسِرُونَ» أى ينقصون و المعنى أنهم إذا كالوا أو وزنوا لغيرهم نقصوا تقول كلتك و كلت لك كما تقول نصحتك و نصحت لك و يروى عن ابن مسعود أنه قال الصلاه مكيال فمن وفى وفى الله له و من طفف قد سمعتم ما قال الله فى المطففين ثم عجب الله خلقه من غفله هؤلاء حيث فارقوا أمر الله و طريقه العدل فقال «أَلَا يَظُنُّ» أى ألا يعلم «أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ» و هو يوم القيامة يريد ألا يستيقن من فعل هذا أنه مبعوث محاسب عن ابن عباس ثم أخبر عن ذلك اليوم فقال «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» و المعنى يوم يقوم الناس من قبورهم لأمر رب العالمين و لجزائه أو حسابه و

جاء فى الحديث أنهم يقومون فى رشحهم إلى إنصاف آذانهم

و

فى حديث آخر يقومون حتى يبلغ الرشح إلى أطراف آذانهم

و يحتمل أن يكون المراد أيضا ألا يحسب أولئك لأن من ظن الجزاء و البعث و قوى ذلك فى نفسه و إن لم يكن عالما به فإنه يجب عليه أن يتحرز خوفا من العقاب الذى يجوزه و يظنه كما أن من ظن العطب فى سلوكه طريق فواجب عليه أن يتجنب سلوكه و

فى الحديث عن سليم بن عامر عن المقدماد بن الأسود قال سمعت رسول الله ص يقول إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من

العباد حتى تكون الشمس بقدر ميل أو ميلين قال سليم فلا أدرى أ مسافه الأرض أم الميل الذى تكحل به العين ثم قال صهرتهم
الشمس فيكونون فى

ص: ٢٦٤

العرق بقدر أعمالهم فمنهم من يأخذه إلى عقبه و منهم من يلجمه إلجاما قال فرأيت رسول الله ص يشير بيده إلى فيه قال يلجمه إلجاما أورده مسلم فى الصحيح

و روى أن ابن عمر قرأ «وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ» حتى بلغ «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» فبكى حتى خر و امتنع من القراءة «كَلَّا» هو ردع و زجر أى ارتدعوا و انزجروا عن المعاصى فليس الأمر على ما أنتم عليه تم الكلام هاهنا و عند أبى حاتم و سهل كلا ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقا «إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِّينٍ» يعنى كتابهم الذى فيه ثبت أعمالهم من الفجور و المعاصى عن الحسن و قيل معناه أنه كتب فى كتابهم أنهم يكونون فى سجين و هى فى الأرض السابعة السفلى عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و الضحاك و

عن البراء بن عازب قال قال رسول الله ص سجين أسفل سبع أرضين

و قال شمر بن عطيه جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار فقال أخبرنى عن قول الله تعالى «إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِّينٍ» قال إن روح الفاجر يصعد بها إلى السماء فتأبى السماء أن تقبلها ثم يهبط بها إلى الأرض فتأبى الأرض أن تقبلها فتدخل سبع أرضين حتى ينتهى بها إلى سجين و هو موضع جند إبليس و المعنى فى الآية أن كتاب عملهم يوضع هناك و قيل

إن سجين جب فى جهنم مفتوح و الفلق جب فى جهنم مغطى رواه أبو هريره عن النبى ص

و قيل السجين اسم لكتابهم و هو ظاهر التلاوه أى ما كتبه الله على الكفار بمعنى أوجه عليهم من الجزاء فى هذا الكتاب المسمى سجيئا و يكون لفظه من السجن الذى هو الشده عن أبى مسلم و الذى يدل على أن العرب ما كانت تعرفه و هو قوله «وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَجِّينٌ» أى ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت و لا قومك عن الزجاج ثم قال مفسرا لذلك «كِتَابٌ مَرْقُومٌ» أى كتاب معلوم كتب فيه ما يسوءهم و يسخن أعينهم و قيل مرقوم معناه رقم لهم بشر كأنه أعلم بعلامه يعرف بها الكافر و الوجه الصحيح أن قوله «كِتَابٌ مَرْقُومٌ» ليس تفسيراً لسجين لأنه ليس السجين من الكتاب المرقوم فى شىء و إنما هو تفسير للكتاب المذكور فى قوله «إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ» على تقدير و هو كتاب مرقوم أى مكتوب قد تبينت حروفه «وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» و هذا تهديد لمن كذب بالجزاء و البعث و لم يصدق و ذكر صاحب النظم أن هذا منتظم بقوله «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ» و أن قوله «كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ» و ما اتصل به اعتراض بينهما ثم فسر سبحانه المكذبين فقال «الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ» أى يوم الجزاء فإن من كذب بالباطل لا يتوجه إليه الوعيد بل هو ممدوح ثم قال «وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ» أى لا يكذب بيوم الجزاء «إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ» أى متجاوز للحق إلى الباطل «أَثِيمٌ» كثير الإثم مبالغ فى ارتكابه ثم وصف المعتدى الأثيم بقوله «إِذَا تَتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا» و هى القرآن «قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» أى أباطيل الأولين و التقدير قال هذا أساطير الأولين أى ما سطره الأولون و كتبه مما لا أصل له «كَلَّا» لا

يؤمنون و قيل ليس الأمر على ما قالوه ثم استأنف فقال «بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ» أى غلب عليها «ما كانوا يَكْسِبُونَ» و المعنى غلب ذنوبهم على قلوبهم و قيل إن معنى الرين هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب عن الحسن و قتاده و قال الفراء كثرت المعاصى منهم و الذنوب و أحاطت بقلوبهم فذلك الرين عليها و عن عبد الله بن مسعود قال إن الرجل ليذنب الذنب فتنتك على قلبه نكته سوداء ثم يذنب الذنب فتنتك نكته أخرى حتى يصير قلبه على لون الشاه السوداء و

روى العياشى بإسناده عن زراره عن أبى جعفر (عليه السلام) قال ما من عبد مؤمن إلا و فى قلبه نكته بيضاء فإذا أذنب ذنبا خرج فى تلك النكته سوداء فإذا تاب ذهب ذلك السواد و إن تمادى فى الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطى البياض فإذا غطى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبدا و هو قول الله تعالى «كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ» الآية

و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) يصدأ القلب فإذا ذكرته بآلاء الله انجلى عنه

و قال أبو مسلم أن اعتيادهم الكفر و ألفتهم له و غفلتهم صار غطاء على قلوبهم فلا يعقلون ما ينفعهم لأن ترك النظر فى العواقب و كثرة المعاصى و الانهماك فى الفسق يقوى الدواعى فى الإعراض عن التوبه و الإيلاع بالذنوب فصار ذلك كالعالم على القلوب الرائن عليها و قال أبو القاسم البلخى و فى الآية دلالة على صحه ما يقوله أهل العدل فى تفسير الطبع على القلوب و الختم عليها و الإضلال لأنه تعالى أخبر أن أعمالهم السيئه و ما كانوا يكسبونه من القبيح ران على قلوبهم «كَلَّا» يريد لا يصدقون عن ابن عباس ثم استأنف «إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ» يعنى أن هؤلاء الذين وصفهم بالكفر و الفجور محجوبون يوم القيامة عن رحمه ربهم و إحسانه و كرامته عن الحسن و قتاده و قيل ممنوعون من رحمته مدفوعون عن ثوابه غير مقبولين و لا مرضيين عن أبى مسلم و قيل

محرومون عن ثوابه و كرامته عن على (عليه السلام)

«ثُمَّ إِنَّهُمْ» بعد أن منعوا من الثواب و الكرامه «لَصَالُوا الْجَحِيمِ» أى لانزموا الجحيم بكونهم فيها لا- يغيبون عنها و قال أبو مسلم لصائرون صلاها أى وقودها «ثُمَّ يُقَالُ» لهم توبيخا و تبيكتا «هَذَا الَّذِي» فعل بكم من العذاب و العقاب «الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ» فى دار التكليف و يسمى مثل هذا الخطاب تقريرا لأنه خبر بما يقرع بشده الغم على وجه الدم.

إشاره

كَلَّا- إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَ مَا أَذْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٢١) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢)

عَلَى الْأَرَائِكِ يُنظَرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسَبِّحُونَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَ فِي ذَلِكَ فَلَيْتِنَافِسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَ مِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٧)

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (٢٨) إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَ إِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَ إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَ إِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢)

وَ مَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يُنظَرُونَ (٣٥) هَلْ تُؤْتِبُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦)

القراءة

قرأ أبو جعفر و يعقوب تعرف بضم التاء و فتح الراء نضره بالرفع و الباقون «تَعْرِفُ» بفتح التاء و كسر الراء «نَضْرَةَ» بالنصب و قرأ الكسائي وحده

خاتمه و هي قراءة علي (عليه السلام)

و علقمه و الباقون «خِتَامُهُ» و قرأ أبو جعفر و حفص «فَكِهِينَ» بغير ألف و الباقون فاكهين و قرأ حمزه و الكسائي هثوب الكفار بإدغام اللام في التاء و قد روى نحوه عن أبي عمرو و الباقون بالإظهار.

الحجّه

«تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ» على الخطاب و المعنى في القراءتين سواء و قال أبو عبيده ختامه أى عاقبته قال ابن مقبل:

مما يفتق في الحانوت باطنها بالفلفل الجون و الرمان مختوم

قال أبو علي «خِتَامُهُ مِسْكٌ» و المراد به لذاذه المقطع و ذكاء الرائحة و أرجها مع طيب

الطعم و هذا كقوله كَانَ مِزَاجُهَا كَأُفُورًا و كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجِيًّا أى يحذى اللسان و أما قول الكسائى خاتمه فإن معناه آخره كما كان خاتم النبيين معناه آخرهم فالختام المصدر و الخاتم اسم الفاعل كالطابع و التابل و العرب تقول خاتم بالفتح و خاتم و ختام و خيتام قال سيويه أدغم أبو عمرو هثوب الكفار و إدغامها فيها حسن و إن كان دون إدغام اللام فى الراء فى الحسن لتقاربهما و جاز إدغامها فيها لأنه قد أدغم فى الشين فيما قد أنشده من قوله

هشى بكفيك لائق

يريد هل شىء .

اللغة

عليون علو على علو مضاعف و لهذا جمع بالواو و النون تفخيما لشأنه و تشبيها بما يعقل فى عظم الشأن و هى مراتب عاليه محفوفه بالجلاله قال الشاعر:

فأصبحت المذاهب قد أذاعت به الأعصار بعد الوايلينا

يريد قطرا بعد قطر غير محدود العدد و كذلك تفخيم شأن العدد الذى ليس على الواحد نحو ثلاثون و أربعون إلى التسعين و جرت العشرون عليه و قال الزجاج عليون اسم لأعلى الأمكنه و إعرابه كأعراب الجمع لأنه على لفظ الجمع كما تقول هذا قسرون و رأيت قسرين و الأرائك الأسره فى الحجال و الرحيق الشراب الذى لا غش فيه قال حسان:

يسقون من ورد البريص عليهم بردى تصفق بالرحيق السلسل

قال الخليل هى أفضل الخمر و أجودها و التنافس تمنى كل واحد من النفسين مثل الشىء النفس الذى للنفس الأخرى أن يكون له تنافسوا فى الشىء تنافسا و نافسه فيه منافسه و نفس عليه بالشىء نفس نفاسه إذا ضن به لجلاله قدره عنده و ذلك الشىء الذى ينفس به نفيس و المزج خلط مائع بمائع على خلاف صفته كمزج الشراب بالماء و التسنيم عين ماء يجرى من علو إلى أسفل يتسنم عليهم من الغرف و اشتقاقه من السنم و سنمت العين تسنيم إذا أجريتها عليهم من فوقهم و التغامز إشاره بعضهم إلى بعض بالأعين استهزاء و طلبا للعب يقال غمز بجفنه إذا أشار و الفاكهون اللاهون و الفكهون المرحون الأشرون و الفكاهه المزاح و أصل الثواب من الرجوع كأنه يرجع على العامل بعمله و تاب عليه عقله إذا رجع.

الإعراب

«عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ» يجوز أن تكون منصوبه مفعوله لتسنيم أى مزاجه من ماء متسنم عينا كقوله تعالى «أَوْ إِطْعَامٌ يَتِيمًا» و يجوز أن تكون منصوبه على تقدير

و يسقون من عين و يجوز أن تكون منصوبه على الحال و يكون تسنيم معرفه و عينا نكره.

المعنى

لما تقدم ذكر حال الفجار عقبه سبحانه بذكر حال الأبرار فقال «كَلَّا» أى لا يؤمنون بالعذاب الذى يصلونه فعلى هذا يتصل بما قبله و قيل معناه حقا و يتصل بما بعده «إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ» أى المطيعين لله «لَفِي عِلِّيِّينَ» أى مراتب عاليه محفوظه بالجلاله و قيل فى السماء السابعة و فيها أرواح المؤمنين عن قتاده و مجاهد و الضحاك و كعب و قيل فى صدره المنتهى و هى التى ينتهى إليها كل شىء من أمر الله تعالى عن الضحاك فى روايه أخرى و قيل العليون الجنة عن ابن عباس قال الفراء فى ارتفاع بعد ارتفاع لا غايه له و قيل هو لوح من زبرجده خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبه فيها عن ابن عباس فى روايه أخرى و

عن البراء بن عازب عن النبي ص قال فى عليين فى السماء السابعة تحت العرش

«وَمَا أَذْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ» و هذا تعظيم لشأن هذه المنزله و تفضيل لأمرها و تنبيه على أن تفصيل تفضيله لا- يمكن العلم به إلا بالمشاهده ثم قال «كِتَابٌ مَرْقُومٌ» أى هو كتاب مكتوب فيه جميع طاعاتهم و ما تقر به أعينهم و يوجب سرورهم بصد الكتاب الذى للفجار لأن فيه ما يسوؤهم و ينوؤهم و يسخن عيونهم قال مقاتل مرقوم مكتوب لهم بالخيرات فى ساق العرش و يدل عليه قوله «يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ» يعنى الملائكه الذين هم فى عليين يشهدون و يحضرون ذلك المكتوب أو ذلك الكتاب إذا صعد به إلى عليين و المقربون هم الذين قربوا إلى كرامه الله فى أجل المراتب و قال عبد الله بن عمر أن أهل عليين لينظرون إلى أهل الجنة من كذا فإذا أشرف رجل منهم أشرفت الجنة و قالوا قد اطلع علينا رجل من أهل عليين «إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ» أى يحصلون فى ملاذ و أنواع من النعمه فى الجنة «عَلَى الْأَرَائِكِ» قال الحسن ما كنا نعرف ما الأرائك حتى قدم إلينا رجل من أهل اليمن فزعم أن الأريكه عندهم الحجله إذا كان فيها سرير «يُنْظَرُونَ» إلى ما أعطوا من النعيم و الكرامه و قيل ينظرون إلى عدوهم حين يعذبون عن مقاتل «تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ» أى إذا رأيتهم عرفت أنهم من أهل النعمه بما ترى فى وجوههم من النور و الحسن و البياض و البهجه قال عطاء و ذلك أن الله تعالى قد زاد فى جمالهم و ألوانهم ما لا يصفه و اصف «يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ» أى خمر صافيه خالصه من كل غش «مَخْتُومٌ» و هو الذى له ختام أى عاقبه و قيل مختوم فى الآنيه بالمسك و هو غير الخمر التى تجرى فى الأنهار و قيل مختوم أى ممنوع من أن تمسه يد حتى يفك ختمه للأبرار ثم فسر المختوم بقوله «خِتَامُهُ مِسْكٌ» أى آخر طعمه ريح المسك إذا رفع الشارب فاه عن آخر شرابه وجد ريحه كريح المسك عن ابن عباس و الحسن و قتاده.

و قيل ختم

ص: ٢٤٩

إنَّاهُ بِالْمَسْكَ بَدَلًا مِنَ الطَّيْنِ الَّذِي يَخْتَمُّ بِهِ الشَّرَابُ فِي الدُّنْيَا عَنْ مَجَاهِدٍ وَابْنِ زَيْدٍ قَالَ مَجَاهِدٌ طِينُهُ مَسْكٌ وَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ هُوَ شَرَابٌ أبيضٌ مِثْلُ الفِضَّةِ يَخْتَمُونَ بِهِ شَرَابَهُمْ وَ لو أَنَّ رَجُلًا مِنَ أَهْلِ الدُّنْيَا أَدْخَلَ إِصْبَعَهُ فِيهِ ثُمَّ أَخْرَجَهُ لَمْ يَبْقَ ذُو رُوحٍ إِلَّا وَ نَالَ طَيْبَهَا ثُمَّ رَغِبَ فِيهَا فَقَالَ «وَ فِي ذَلِكَ فَلَيْتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ» أَي فليَرْغَبِ الرَّاعِبُونَ بِالمَبَادِرَةِ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَ مِثْلُهُ قَوْلُهُ سَبْحَانَهُ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ وَ قِيلَ فَلْيَتَنَازَعِ الْمُتَنَازِعُونَ عَنْ مِقَاتِلٍ وَ قِيلَ لِيَتَشَاحِ الْمُتَشَاحُونَ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمٍ وَ

فِي الْحَدِيثِ مِنْ صَامَ لِلَّهِ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ سَقَاهُ اللَّهُ عَلَى الظَّمَا مِنَ الرَّحِيقِ الْمُخْتَوِمِ

وَ

فِي وَصِيهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَ مَنْ تَرَكَ الخَمْرَ لِلَّهِ سَقَاهُ اللَّهُ مِنَ الرَّحِيقِ الْمُخْتَوِمِ

«وَ مِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ» أَي وَ مِزَاجُ ذَلِكَ الشَّرَابِ الَّذِي وَصَفْنَاهُ وَ هُوَ مَا يَمِزُجُ بِهِ مِنَ التَّسْنِيمِ وَ هُوَ عَيْنٌ فِي الْجَنَّةِ وَ هُوَ أَشْرَفُ شَرَابٍ فِي الْجَنَّةِ قَالَ مَسْرُوقٌ يَشْرِبُهَا الْمُقْرَبُونَ صَرَفًا وَ يَمِزُجُ بِهَا كَأْسَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَيَطِيبُ وَ رَوَى مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ سَأَلَ عَنْ تَسْنِيمٍ فَقَالَ هَذَا مِمَّا يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ وَ نَحْوُ هَذَا قَوْلُ الْحَسَنِ خَفَايَا أَخْفَاهَا اللَّهُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ وَ قِيلَ هُوَ شَرَابٌ يَنْصَبُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَلْوِ انْصِبَابًا عَنْ مِقَاتِلٍ وَ قِيلَ هُوَ نَهْرٌ يَجْرِي فِي الْهَوَاءِ فَيَنْصَبُ فِي أَوَانِي أَهْلِ الْجَنَّةِ بِحَسَبِ الْحَاجَةِ عَنْ قَتَادَةَ ثُمَّ فَسَّرَهُ سَبْحَانَهُ فَقَالَ «عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقْرَبُونَ» أَي هِيَ خَالِصَةٌ لِلْمُقْرَبِينَ يَشْرَبُونَهَا صَرَفًا وَ يَمِزُجُ لِسَائِرِ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَ ابْنِ عَبَّاسٍ «إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا» يَعْنِي كَفَّارَ قَرِيشٍ وَ مَتْرَفِيهِمْ كَأَبِي جَهْلٍ وَ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ وَ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ وَ أَصْحَابَهُمْ «كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا» يَعْنِي أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ عِمَارٍ وَ خُبَابٍ وَ بِلَالٍ وَ غَيْرِهِمْ «يَضْحَكُونَ» عَلَى وَجْهِ السَّخْرِيَّةِ بِهِمْ وَ الِاسْتِهْزَاءِ فِي دَارِ الدُّنْيَا وَ يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ضَحْكُوا مِنْ جَدِّهِمْ فِي عِبَادَتِهِمْ وَ كَثْرَةِ صَلَاتِهِمْ وَ صِيَامِهِمْ لِانْكَارِهِمُ الْجَزَاءَ وَ الْبَعْثَ وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كَانَ ضَحْكُهُمْ انْكَارًا وَ تَعْجَبًا مِنْ قَوْلِهِمْ بِالْإِعَادَةِ وَ إِحْيَاءِ الْعِظَامِ الرَّمِيمَةِ وَ يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لَغْلُوهِمْ فِي كُفْرِهِمْ وَ جَهْلِهِمْ وَ لِإِيْهَامِ الْعَوَامِ أَنَّهُمْ عَلَى حَقٍّ وَ إِنْ الْمُسْلِمِينَ عَلَى بَاطِلٍ فَكَانُوا يَضْحَكُونَ «وَ إِذَا مَرُّوا بِهِمْ» يَعْنِي وَ إِذَا مَرَّ الْمُؤْمِنُونَ بِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ «يَتَغَامَرُونَ» بَأَنَّ يَشِيرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ بِالْأَعْيُنِ وَ الْحَوَاجِبِ اسْتِهْزَاءً بِهِمْ أَي يَقُولُ هَؤُلَاءِ إِنَّهُمْ عَلَى حَقٍّ وَ إِنْ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أُنزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ وَ أَنَّهُ رَسُولٌ وَ إِنَّا نَبِئُتُ وَ نَحْوُ ذَلِكَ وَ قِيلَ نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ جَاءُوا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَخَّرَ مِنْهُمْ الْمُنَافِقِينَ وَ ضَحِكُوا وَ تَغَامَرُوا ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى أَصْحَابِهِمْ فَقَالُوا رَأَيْنَا الْيَوْمَ الْأَصْلَعَ فَضَحِكْنَا مِنْهُ فَتَزَلَّتِ الْآيَةُ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ عَلِيُّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَ أَصْحَابُهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ مِقَاتِلٍ وَ الْكَلْبِيِّ وَ ذَكَرَ الْحَاكِمُ أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَكَانِيُّ فِي كِتَابِ شَوَاهِدِ التَّنْزِيلِ لِقَوَاعِدِ التَّفْضِيلِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ

عن ابن عباس قال «إِنَّ الَّذِينَ أُجْرِمُوا» منافقوا قريش و «الَّذِينَ آمَنُوا» على بن أبي طالب (عليه السلام) و أصحابه «وَ إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ» يعنى و إذا رجع هؤلاء الكفار إلى أهلهم رجعوا معجيين بما هم فيه يتفكهون بذكرهم «وَ إِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ» عن طريق الحق و الصواب تركوا التمتع رجاء ثواب لا حقيقه لهم خدعهم به محمد ص ثم قال سبحانه «وَ مَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ» أى و لم يرسل هؤلاء الكفار حافظين على المؤمنين ما هم عليه و ما كلفوا حفظ أعمالهم فكيف يطغون عليهم و لو اشتغلوا بما كلفوه كان ذلك أولى بهم و قيل معناه و ما أرسلوا عليهم شاهدين لأن شهادة الكفار لا تقبل على المؤمنين أى ليسوا شهداء عليهم بل المؤمنون شهداء على الكفار يشهدون عليهم يوم القيامة عن أبى مسلم «فَالْيَوْمَ» يعنى يوم القيامة الذى يجازى الله كل أحد على عمله «الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ» كما ضحك الكفار منهم فى الدنيا و ذلك أنه يفتح للكفار باب إلى الجنة و يقال لهم أخرجوا إليها فإذا وصلوا إليها أغلق دونهم يفعل ذلك بهم مرارا فيضحك منهم المؤمنون عن أبى صالح و قيل يضحكون من الكفار إذا رأوهم فى العذاب و أنفسهم فى النعيم و قيل أن الوجه فى ضحك أهل الجنة من أهل النار أنهم لما كانوا أعداء الله و أعداء لهم جعل الله سبحانه لهم سرورا فى تعذيبهم و لو كان العفو قد وقع عليهم لم يجز أن يجعل السرور فى ذلك لأنه مضمن بالعداوة و قد زالت بالعفو «عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ» يعنى المؤمنون ينظرون إلى عذاب أعدائهم الكفار على سرر فى الحجال ثم قال سبحانه «هَلْ تُؤْتَبُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ» أى هل جوزى الكفار إذا فعل بهم هذا الذى ذكره على ما كانوا يفعلونه من السخرية بالمؤمنين فى الدنيا و هو استفهام يراد به التقرير و ثوب بمعنى أتيب و قيل معناه يتصل بما قبله و يكون التقدير إن الذين آمنوا ينظرون هل جوزى الكفار بأعمالهم و يكون الجملة متعلقه بينظرون و على القول الأول يكون استئناف كلام لا- موضع له من الإعراب و إنما قال «هَلْ تُؤْتَبُ الْكُفَّارُ» فاستعمل لفظ الثواب فى العقوبة لأن الثواب فى أصل اللغة الجزاء الذى يرجع إلى العامل بعمله و إن كان فى العرف اختص الجزاء بالنعيم على الأعمال الصالحة فاستعمل هنا على أصله و قيل لأنه جاء فى مقابلة ما فعل بالمؤمنين أى هل ثوب الكفار كما ثوب المؤمنون و هذا القول يكون من قبل الله تعالى أو تقوله الملائكة للمؤمنين تنبيها لهم على أن الكفار جوزوا على كفرهم و استهزائهم بالمؤمنين ما استحقوه من أليم العذاب ليزدادوا بذلك سرورا إلى سرورهم و يحتمل أن يكون ذلك يقوله المؤمنون بعضهم لبعض سرورا بما ينزل بالكفار و كل هذه الوجوه إنما تتجه على القول الأول إذا كانت الجملة كلاما مستأنفا لا تعلق له بما قبله.

(٨٤) سورة انشقت مكيه و آياتها خمس و عشرون (٢٥)

اشاره

[توضيح]

و تسمى سورة الانشقاق مكيه.

عدد آياتها

ثلاث و عشرون آيه بصرى شامى و خمس فى الباقين.

اختلافها

آيتان «كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ» «وَرَاءَ ظَهْرِهِ» كلاهما حجازى كوفى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأ سورة انشقت أعاذه الله أن يعطيه كتابه وراء ظهره.

تفسيرها

ختم الله سبحانه تلك السوره بذكر أحوال القيامة و افتتح هذه السوره بمثل ذلك فاتصلت بها اتصال النظير بالنظير فقال:

ص: ٢٧٢

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (١) وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤)

وَ أَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَ حُقَّتْ (٥) يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (٦) فَمَا مَنَّ مِنْ أُوْتَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَ يَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩)

وَ أَمَّا مَنْ أُوْتَى كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا (١١) وَ يَصْلى سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (١٤)

بلى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (١٥) فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١٦) وَ اللَّيْلِ وَ مَا وَسَقَ (١٧) وَ الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبِقِ (١٩)

فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْتَجِذُونَ (٢١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ (٢٢) وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤)

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٢٥)

القراءة

قرأ أبو جعفر و أهل العراق غير الكسائي «يَضِيلى» بالتخفيف بفتح الباء و الباقون يضلون بضم الباء و التشديد و قرأ ابن كثير و أهل الكوفة غير عاصم لتركن بفتح الباء و الباقون بضم الباء.

الحجج

قال أبو على حجه يضلون مشدده اللام ثُمَّ الْجَحِيمِ صِلُوهُ وَ حجه «يَضِيلى» وَ سَيَضِلُونَ سَعِيرًا اضْلَوْهَا الْيَوْمَ وَ هذا كثير فى التنزيل و حجه «لَتَرْكَبُنَّ» قول ابن عباس لتركن السماء حالا بعد حال مره كالمهل و مره كالدهان و ابن مسعود لتركن يا محمد طبقا عن طبق و مجاهد لتركن أمرا بعد أمر و الحسن أى حالا عن حال و منزلا عن منزل أبو عبيده لتركن سنه من كان قبلكم أبو على من فتح الباء أراد النبى ص و من ضم الباء أراد النبى ص و غيره و الضم يأتى على معنى المفتوحه و فسروا طبقا عن طبق حالا بعد حال و مثل ما فسروا من أن معنى عن معنى بعد قول الأعشى:

ساد و ألقى رهطه ساده و كابرا سادوك عن كابر

المعنى كابرًا بعد كابر فعن متعلق بسادوك و لا يكون متعلقًا بكابر و قد بينوا ذلك في قول الناغية:

بقية قدر من قدور تورثت لآل الجلاح كابرًا بعد كابر

و قالوا عرق عن الحمى أى بعدها.

اللغة

الانشقاق افتراق امتداد عن التثام فكل انشقاق افتراق و ليس كل افتراق انشقاقًا و الأذن الاستماع تقول العرب أذن لك هذا الأمر أذنا بمعنى استمع لك قال عدى بن زيد:

فى سماع يأذن الشيخ له و حديث مثل ماذى مشار

و قال أيضا:

أيها القلب تعلق بدين إن همى فى سماع و أذن

و قال آخر

" و إن ذكرت بشر عندهم أذنوا "

و الكدح السعى الشديد فى الأمر و الدأب فى العمل و يقال كدح الإنسان فى عمله يكدح و ثور فيه كدوح أى آثار من شدة السعى قال ابن مقبل:

و ما الدهر إلا تارتان فمنهما أموت و أخرى أبتغى العيش أكدح

و الحور الرجوع حار يحور إذا رجع و كلمته فما حار جوابا أى ما رد جوابا و نعوذ بالله من الحور بعد الكور أى من الرجوع إلى النقصان بعد الزيادة و التمام و حوره إذا رده إلى البياض و المحور البكره تدور حتى ترجع إلى مكانها و

الشفق هو الحمرة بين المغرب و العشاء الآخرة و هو قول مالك و الشافعى و الأوزاعى و أبى يوسف و محمد و هو قول الخليل و هو المروى عن أئمة الهدى (عليه السلام)

و قال ثعلب هو البياض و هو قول أبى حنيفة قال الفراء سمعت بعض العرب تقول الثوب أحمر كأنه الشفق و قال الشاعر

" أحمر اللون كمحمر الشفق "

و قال آخر:

قم يا غلام أعنى غير محتشم على الزمان بكأس حشوها شفق

ص: ٢٧٤

و أصل الشفق الرقه و مثله التشفيق و هو الرقه على خلل فيه و أشفق على كذا إذا رق عليه و خاف هلاكه و ثوب شفق رقيق فالشفق هو الحمرة الرقيقه فى المغرب بعد مغيب الشمس و الوسق الجمع و سقته أسقه إذا جمعته و طعام موسوق أى مجموع و الوسق الطعام المجتمع الكثير مما يكال أو يوزن و مقداره ستون صاعا و الاتساق الاجتماع على تمام افتعال من الوسق و أصل الطبق الحال و العرب تسمى الدواهى أم طبق و بنات طبق قال

" قد طرقت ببيكرها أم طبق "

و قال فى أن الطبق الحال:

الصبر أحمد و الدنيا مفجعه من ذا الذى لم يذق من عيشه رنقا

إذا صفا لك من مسرورها طبق أهدى لك الدهر من مكروها طبقا

و قال آخر:

إنى امرؤ قد حلبت الدهر أشطره و ساقنى طبق منه إلى طبق

فلست أصبو إلى خل يفارقنى و لا تقبض أحشائى من الفرق

. الإعراب

قال الزجاج جواب إذا يدل عليه قوله «فَمَلَّاقِيهِ» و المعنى إذا كان يوم القيامة لقى الإنسان عمله و الهاء فى قوله «فَمَلَّاقِيهِ» يجوز أن يكون تقديره فملاق ربك و يجوز أن يكون فملاق كدحك أى عملك و سعيك و قوله «كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا» قيل إن إلى هنا بمعنى اللام و الوجه الصحيح فيه أن يكون محمولا على المعنى لأن معناه ساع إلى ربك سعيًا على أنه يحتمل أن يكون إلى متعلقه بمحذوف و يكون التقدير إنك كادح لنفسك صائر إلى ربك كما أن قوله «و تَبَتَّلْ إِلَيْهِ» يكون على معنى تبتل من الخلق راجعا إلى الله تعالى أو راغبا إليه و قوله «يَدْعُوا ثُبُورًا» معناه أنه يقول يا ثوراه فكأنه يدعوه و يقول يا ثور تعال فهذا أو أنك مثل ما قيل فى يا حسرتى فعلى هذا يكون ثورا مفعولا به «أَنْ لَنْ يَحُورَ» تقديره أنه لن يحور فهى مخففه من الثقيله و لا يجوز أن تكون أن الناصبه للفعل لأنه لا يجوز أن يجتمع عاملان على كلمه واحده و قوله «فَمَا لَهُمْ» مبتدأ و خبر و «لَا يُؤْمِنُونَ» جملة منصوبه الموضع على الحال و التقدير أى شىء استقر لهم غير مؤمنين.

«إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ» أى تصدعت و انفرجت و انشقاقها من علامات القيامة و ذكر ذلك فى مواضع من القرآن «وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا» أى سمعت و أطاعت فى الانشقاق عن ابن عباس و سعيد بن جبير و مجاهد و قتاده و هذا توسع أى كأنها سمعت و انقادت لتدبير الله «وَحُقَّتْ» أى و حق لها أن تأذن بالانقياد لأمر ربها الذى خلقها و تطيع له «وَأِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ» أى بسطت باندكاك جبالها و آكامها حتى تصير كالصحيفه الملساء و قيل إنها تمد مد الأديم العكاظى و تزداد فى سعتها عن ابن عباس و قيل سويت فلا بناء و لا جبل إلا دخل فيها عن مقاتل «وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا» من الموتى و الكنوز مثل «وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا» عن قتاده و مجاهد «وَتَخَلَّتْ» أى خلت فلم يبق فى بطنها شىء و قيل معناه ألقى ما فى بطنها من كنوزها و معادنها و تخلت مما على ظهرها من جبالها و بحارها «وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ» ليس هذا بتكرار لأن الأول فى صفه السماء و الثانى فى صفه الأرض و هذا كله من أشراف الساعه و جلائل الأمور التى تكون فيها و التقدير إذا كانت هذه الأشياء التى ذكرناها و عددناها رأى الإنسان ما قدم من خير أو شر و يدل على هذا المحذوف قوله «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا» أى ساع إليه فى عملك و قوله «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ» خطاب لجميع المكلفين من ولد آدم يقول الله لهم سبحانه و لكل واحد منهم يا أيها الإنسان إنك عامل عملا فى مشقه لتحمله إلى الله و توصله إليه «فَمُلَاقِيهِ» أى ملاق جزاءه جعل لقاء جزاء العمل لقاء له تفخيما لشأنه و قيل معناه ملاق ربك أى صائر إلى حكمه حيث لا حكم إلا حكمه و قال ابن الأنبارى و البلخى جواب إذا قوله «أَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ» و الواو زائده كقوله «حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فَتَبَحَّتْ أَبْوَابُهَا» و هذا ضعيف و الأول هو الوجه ثم قسم سبحانه أحوال لخلق يوم القيامة فقال «فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ» أى من أعطى كتابه الذى ثبت فيه أعماله من طاعه أو معصيه بيده اليمنى «فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا» يريد أنه لا يناقش فى الحساب و لا يواقف على ما عمل من الحسنات و ما له عليها من الثواب و ما حط عنه من الأوزار إما بالتوبه أو بالعفو و

قيل الحساب اليسير التجاوز عن السيئات و الإثابه على الحسنات و من نوقش الحساب عذب فى خبر مرفوع

و

فى روايه أخرى يعرف عمله ثم يتجاوز عنه

و

فى حديث آخر ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا و أدخله الجنة برحمته قالوا و ما هى يا رسول الله قال تعطى من حرمك و تصل من قطعك و تعفو عن ظلمك

«وَيُنْقَلِبُ» بعد الفراغ من الحساب «إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا» بما أوتى من الخير و الكرامه و المراد بالأهل هنا ما أعد الله له من الحور العين و قيل أهله أزواجه و أولاده و عشائره و قد سبقوه إلى الجنة و السرور هو الاعتقاد و العلم بوصول نفع إليه أو دفع ضرر عنه فى المستقبل و قال قوم هو معنى فى القلب يلتذ

لأجله نبيل المشتهى يقال سر بكذا من مال أو ولد أو بلوغ أمل فهو مسرور «وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ» لأن يمينه مغلوله إلى عنقه و تكون يده اليسرى خلف ظهره عن الكلبى و قيل تخلع يده اليسرى خلف ظهره عن مقاتل و الوجه فى ذلك أن تكون إعطاء الكتاب باليمين أماره للملائكه و المؤمنين لكون صاحبه من أهل الجنة و لطفاً للخلق فى الأخباريه و كنايه عن قبول أعماله و إعطاؤه على الوجه الآخر أماره لهم على أن صاحبه من أهل النار و علامه المناقشه فى الحساب و سوء المآب ثم حكى سبحانه ما يحل به فقال «فَسَوْفَ يَدْعُوا بُثُورًا» أى هلاكاً إذا قرأ كتابه و هو أن يقول وا ثوراه وا هلاكاه «وَيَضِلُّ سَبْعِينَ أَلْفًا مِنْهُمْ يَدْخُلُ النَّارَ وَيُعَذَّبُ بِهَا عَنِ الْجَبَائِىِّ وَ قِيلَ يَصِيرُ صِلَاءُ النَّارِ الْمُسْعِرَةِ وَ قِيلَ يَلْزَمُ النَّارَ مَعَذَّبًا عَلَى وَجْهِ التَّأْيِيدِ «إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَشِيرُورًا» فى الدنيا ناعماً لا يهمله أمر الآخرة و لا يتحمل مشقه العباده فأبدله الله بسروره غماً باقياً لا ينقطع و كان المؤمن مهتماً بأمر الآخرة فأبدله الله بهمه سرورا لا يزول و لا يبيد و قيل كان مسرورا بمعاصى الله تعالى لا يندم عليها عن الجبائى و قيل إن من عصى و سر بمعصيه الله فقد ظن أنه لا يرجع إلى البعث و لو كان موقناً بالبعث و الجزاء لكان بعيداً عن السرور بالمعاصى «إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ» أى ظن فى دار التكليف أنه لم يرجع إلى حال الحياه فى الآخرة للجزاء فارتكب المآثم و انتهك المحارم و قال مقاتل حسب أن لا يرجع إلى الله فقال سبحانه «بلى» ليحورن و ليعثن و ليس الأمر على ما ظنه «إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا» من يوم خلقه إلى أن يبعثه قال الزجاج كان به بصيراً قبل أن يخلقه عالماً بأن مرجعه إليه ثم أقسم سبحانه فقال «فَلَا أُقْسِمُ» سبق بيانه فى سورة القيامة «بِالشَّفَقِ» أى بالحمرة التى تبقى عند المغرب فى الأفق و قيل البياض «وَ اللَّيْلِ وَ مَا وَسَقَ» أى و ما جمع و ضم مما كان منتشرًا بالنهار فى تصرفه و ذلك أن الليل إذا أقبل أوى كل شىء إلى مأواه عن عكرمه و غيره و قيل و ما ساق لأن ظلمه الليل تسوق كل شىء إلى مسكنه عن الضحاك و مقاتل و قيل «وَ مَا وَسَقَ» أى طرد من الكواكب فإنها تظهر بالليل و تخفى بالنهار و أضاف ذلك إلى الليل لأن ظهورها فيه مطرد عن أبى مسلم «وَ الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ» أى إذا استوى و اجتمع و تكامل و تم قال الفراء اتساقه امتلاءه و اجتماعه و استواؤه لثلاث عشره إلى ست عشره «لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ» هذا جواب القسم أى لتركبن يا محمد سماء بعد سماء تصعد فيها عن ابن عباس و ابن مسعود و مجاهد و الشعبي و الكلبى و يجوز أن يريد درجه بعد درجه و رتبه بعد رتبه فى المقربه من الله و رفعه المنزله عنده و روى مجاهد عن ابن عباس أنه كان يقرأ لتركبن بفتح الباء «طَبَقًا عَن طَبَقٍ» قال يعنى نبيكم حالاً بعد حال رواه البخارى فى الصحيح و من قرأ بالضم فالخطاب للناس أى لتركبن حالاً بعد حال و منزلاً بعد منزل و أمراً بعد أمر يعنى فى الآخرة

و المراد أن الأحوال تتقلب بهم فيصرون على غير الحال التي كانوا عليها في الدنيا و عن بمعنى بعد كما قال سبحانه «عَمَّا قَلِيلٍ لِيُضِجَنَّ نَادِمِينَ» أى بعد قليل.

و قال الشاعر:

قربا مربوط النعمه منى لقت حرب وائل عن حيال

أى بعد حيال و

قيل معناه شده بعد شده حياه ثم موت ثم بعث ثم جزاء و روى ذلك مرفوعا

و قيل أمرا بعد أمر و رخاء بعد شده و شده بعد رخاء و فقرا بعد غنى و غنى بعد فقر و صحه بعد سقم و سقما بعد صحه عن عطا و قيل حالا بعد حال نطفه ثم علقه ثم مضغه ثم عظما ثم خلقا آخر ثم جنينا ثم وليدا ثم رضيعا ثم فطيمنا ثم يافعا ثم ناشئا ثم مترعرا ثم حزورا ثم مراهقا ثم محتلما ثم بالغا ثم أمرد ثم طارا ثم باقلا ثم مسيطرا ثم مطرخما ثم مختطا ثم صملا ثم ملتحميا ثم مستويا ثم مصعدا ثم مجتمعا و الشاب يجمع ذلك كله ثم ملهوزا ثم كهلا ثم أشمط ثم شيخا ثم أشيب ثم حوقلا ثم صفتانا ثم هما ثم هرما ثم ميتا فيشتمل الإنسان من كونه نطفه إلى أن يموت على سبعة و ثلاثين اسما و قيل معناه لتحدثن أمرا لم تكونوا عليه فى كل عشرين سنه عن مكحول و قيل معناه لتركبن منزله عن منزله و طبقه عن طبقه و ذلك أن من كان على صلاح دعاه ذلك إلى صلاح فوجه و من كان إلى فساد دعاه إلى فساد فوجه لأن كل شىء يجر إلى شكله و

قيل لتركبن سنن من كان قبلكم من الأولين و أحوالهم عن أبى عبيده و روى ذلك عن الصادق (عليه السلام)

و المعنى أنه يكون فيكم ما كان فيهم و يجرى عليكم ما جرى عليهم حذو القذه بالقذه ثم قال سبحانه على وجه التقرير لهم و التبكيت «فَمَا لَهُمْ» يعنى كفار قريش «لَا يُؤْمِنُونَ» بمحمد ص و القرآن و المعنى أى شىء لهم إذا لم يؤمنوا و هو استفهام إنكار أى لا شىء لهم من النعيم و الكرامه إذا لم يؤمنوا و قيل معناه فما وجه الارتباب الذى يصرفهم عن الإيمان و هو تعجب منهم فى تركهم الإيمان و المراد أى مانع لهم و أى عذر لهم فى ترك الإيمان مع وضوح الدلائل «وَ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ» عطف على قوله «فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» أى ما الذى يصرفهم عن الإيمان و عن

السجود لله تعالى إذا تلى عليهم القرآن وقيل معنى لا يسجدون لا يصلون لله تعالى عن عطا والكلبي و

فى خبر مرفوع عن أبى هريره قال قرأ رسول الله ص إذا السماء انشقت فسجد

ثم قال سبحانه «بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ» أى لم يتركوا الإيمان لقصور فى البيان أو لانقطاع من البرهان لكنهم قلدوا أسلافهم و رؤساءهم فى التكذيب بالرسول و القرآن «وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ» أى يجمعون فى صدورهم و يضمرون فى قلوبهم من التكذيب و الشرك عن ابن عباس و قتاده و مقاتل و قيل بما يجمعون من الأعمال الصالحه و السيئه عن ابن زيد قال الفراء أصل الإيعاء جعل الشىء فى وعاء و القلوب أوعيه لما يحصل فيها من علم أو جهل و

فى كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) إن هذه القلوب أوعيه فخيرها أوعاها

ثم قال «فَبَشِّرْهُمْ» يا محمد «بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» أى اجعل ذلك لهم بدل البشاره للمؤمنين بالرحمه ثم استثنى سبحانه المؤمنين من جمله المخاطبين فقال «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» أى غير منقوص و لا مقطوع لأن نعيم الآخره غير منقطع عن ابن عباس و قيل غير منقص و لا مكدر بالمن عن الجبائى و روى ذلك عن الحسن و قيل له من و لا منه و إنما قيل له من و له منه لأنه يقطع عن شكر النعمه و أصل المن القطع يقال مننت الحبل إذا قطعتة قال لبيد:

لمعفر قهد تنازع شلوه غبس كواسب ما يمن طعامها

و قيل ليس لأحد عليها منه فيما يكسب و فى قوله سبحانه «فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» و «لَا يَسْجُدُونَ» دلالة على أن الإيمان و السجود فعلهم لأن الحكيم لا يقول ما لك لا تؤمن و لا تسجد لمن يعلم أنه لا يقدر على الإيمان و السجود و لو وجد ذلك لم يكن من فعله و يدل قوله «لَا يَسْجُدُونَ» على أن الكفار مخاطبون بالعبادات.

النظم

وجه اتصال قوله «إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا» بما قبله أنه سبحانه لما أخبر عن ظن الكافر أن لن يحور عقبه بالإخبار بأنه يحور و القطع عليه و ذكر أنه بصير به و قيل أن تقديره بلى سيرجع إلى الآخره و ربه بصير بأحواله فسيجازيه بأعماله.

ص: ٢٧٩

(٨٥) سورة البروج مكيه و آياتها ثنتان و عشرون (٢٢)

اشاره

[توضيح]

مكيه اثنتان و عشرون آيه بالإجماع.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأها أعطاه الله من الأجر بعدد كل يوم جمعه و كل يوم عرفه يكون فى دار الدنيا عشر حسنات

يونس بن ظبيان عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ و السماء ذات البروج فى فرائضه فإنها سورة النبيين كان محشره و موقفه مع النبيين و المرسلين

تفسيرها

ختم الله سبحانه تلك السوره بذكر المؤمنين و افتتح هذه السوره أيضا بذكر المؤمنين من أصحاب الأخدود فقال:

ص: ٢٨٠

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَ الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَ شَاهِدِ وَ مَشْهُودِ (٣) قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ (٤)

النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَ هُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَ مَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩)

إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَ لَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَ يُعِيدُ (١٣) وَ هُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤)

ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ (١٦) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنُ وَ ثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبِ (١٩)

وَ اللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (٢٢)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم و قتيبة المجيد بالجر و الباقون بالرفع و قرأ نافع في لوح محفوظ بالرفع و الباقون بالجر.

الحج

قال أبو علي من رفع المجيد كان متبعا قوله «ذو العرش» و من جر فمن النحويين من جعله وصفا لقوله «ربك» في «إن بطش ربك» قال و لا أجعله وصفا للعرش و منهم من قال صفه للعرش قال أبو زيد يقال مجدت الإبل تمجد مجودا إذا رعت في أرض مكلته و شبع و أمجدت الإبل إذا أشبعتها و قالوا في كل شجر نار و استمجد المرخ و العفار أى صار ماجدا في إيرائه النار و قيل استمجد العفار إذا كثر ناره و صفت و حجه نافع في قراءته محفوظ أن القرآن وصف بالحفظ في قوله «وإننا له لحافظون»* و معنى حفظ القرآن أنه يؤمن من تحريفه و تبديله و تغييره فلا يلحقه شىء من ذلك و حجه من جر محفوفا جعله وصفا للوح فإنهم يقولون اللوح المحفوظ.

اللغة

الأخدود الشق العظيم فى الأرض و

منه ما روى فى معجز النبى ص أنه دعا الشجره فجعلت تخذ الأرض خدا حتى أته

و منه الخد لمجارى الدموع و تخذد لحمه إذا صار

ص: ٢٨١

فيه طرائق كالشقوق و الوقود ما تشتعل به النار من الحطب و غيره بفتح الواو و الوقود بالضم الإيقاد يقال فتننت الشيء أحرقتة و الفتين حجاره سود كأنها محرقة و أصل الفتنة الامتحان ثم يستعمل فى العذاب.

الإعراب

قال الفراء «قَتَلَ أَصِيحَابُ الْأَخْدُودِ» جواب القسم كما كان جواب وَ الشَّمْسِ وَ ضُحَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا و قيل إن جواب القسم محذوف و تقديره أن الأمر حق فى الجزاء على الأعمال و قيل جواب القسم قوله «إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ» الآية و قيل جواب القسم قوله «إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ» النار بدل من الأخدود و هو بدل الاشتمال لأن الأخدود يشتمل على ما فيه من النار أى النار منه و «ذَاتِ الْوُقُودِ» صفة للنار و يسأل على هذا فيقال كيف خصت هذه النار بذات و كل نار لها وقود و أجيب عنها بجوابين (أحدهما) أنه قد يكون نار ليست بذات وقود كنار الحجر و نار الكبد (و الآخر) إن الوقود معرف فصار مخصوصا كأنه وقود بعينه كما قال وقودها الناس و الحجارة فكان الوقود هنا أبدان الناس، إذ هم عليها قعود إذ مضاف إلى الجملة و هى ظرف لقوله «قَتَلَ أَصِيحَابُ الْأَخْدُودِ» إذا كان إخبارا لا-دعاء و «أَنْ يُؤْمِنُوا» فى موضع نصب بقوله «نَقَمُوا» و التقدير و ما نعموا إلا إيمانهم «فِرْعَوْنَ وَ ثَمُودَ» فى موضع جر بدل من الجنود و يجوز أن يكونا فى موضع نصب بإضمار فعل كأنه قال أعنى فرعون و ثمود.

قصه أصحاب الأخدود

روى مسلم فى الصحيح عن هديه بن خالد عن حماد بن سلمه عن ثابت بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب عن رسول الله ص قال كان ملك فيمن كان قبلكم له ساحر فلما مرض الساحر قال إنى قد حضر أجلى فادفع إلى غلاما أعلمه السحر فدفع إليه غلاما و كان يختلف إليه و بين الساحر و الملك راهب فمر الغلام بالراهب فأعجبه كلامه و أمره فكان يطيل عنده القعود فإذا أبطأ عن الساحر ضربه و إذا أبطأ عن أهله ضربوه فشكا ذلك إلى الراهب فقال يا بنى إذا استبطأك الساحر فقل حبسنى أهلى و إذا استبطأك أهلك فقل حبسنى الساحر فبينما هو ذات يوم إذا بالناس قد حبستهم دابه عظيمة فظيعه فقال اليوم أعلم أمر الساحر أفضل أم أمر الراهب فأخذ حجرا فقال اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك فاقتل هذه الدابة فرمى فقتلها و مضى الناس فأخبر بذلك الراهب فقال أى بنى إنك ستبتلى و إذا ابتليت فلا تدل على قال و جعل يداوى الناس فيبئ الأكمه و الأبرص فبينما هو كذلك إذ عمى جليس للملك فأتاه و حمل إليه مالا كثيرا فقال اشفنى و لك ما هاهنا فقال إنى لا أشفى أحدا و لكن الله يشفى فإن آمنت بالله دعوت الله فشفاك قال فأمن فدعا الله له فشفاه فذهب

فجلس إلى الملك فقال يا فلان من شفاك قال ربي قال أنا قال لا ربي وربك الله قال أ و إن لك ربا غيري قال نعم ربي و ربك الله فأخذه فلم يزل به حتى دله على الغلام فبعث إلى الغلام فقال لقد بلغ من أمرك أن تشفى الأكمه و الأبرص قال ما أشفى أحدا و لكن الله ربي يشفى قال أ و إن لك ربا غيري قال نعم ربي و ربك الله فأخذه فلم يزل به حتى دله على الراهب فوضع المنشار عليه فنشره حتى وقع شقين و قال للغلام ارجع عن دينك فأبى فأرسل معه نفرا و قال اصعدوا به جبل كذا و كذا فإن رجع عن دينه و إلا فدهدوه منه قال فعلوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت قال فرجف بهم الجبل فتدهدوهوا أجمعون و جاء إلى الملك فقال ما صنع أصحابك قال كفانيهم الله فأرسل به مره أخرى قال انطلقوا به فلججوه في البحر فإن رجع و إلا فغرقوه فانطلقوا به في قرقور فلما توسطوا به البحر قال اللهم اكفنيهم بما شئت قال فانكفأت بهم السفينه و جاء حتى قام بين يدي الملك فقال ما صنع أصحابك قال كفانيهم الله ثم قال إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به أجمع الناس ثم اصلبني على جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضعه على كبد القوس ثم قل باسم رب الغلام فإنك ستقتلني قال فجمع الناس و صلبه ثم أخذ سهما من كنانته فوضعه على كبد القوس و قال باسم رب الغلام و رمى فوق السهم في صدغه و مات فقال الناس آمنة برب الغلام فقيل له أ رأيت ما كنت تخاف قد نزل و الله بك آمن الناس فأمر بالأخدود فخذدت على أفواه السككك ثم أضرمها نارا فقال من رجع عن دينه فدعوه و من أبى فأقحموه فيها فجعلوا يقتحمونها و جاءت امرأه بابت لها فقال لها يا أمه اصبري فإنك على الحق

و قال ابن المسيب كنا عند عمر بن الخطاب إذ ورد عليه أنهم احتفروا فوجدوا ذلك الغلام و هو واضع يده على صدغه فكلما مدت يده عادت إلى صدغه فكتب عمر واروه حيث وجدتموه و

روى سعيد بن جبير قال لما انهزم أهل اسفندهان قال عمر بن الخطاب ما هم يهود و لا نصارى و لا لهم كتاب و كانوا مجوسا فقال علي بن أبي طالب (عليه السلام) بل قد كان لهم كتاب و لكنه رفع و ذلك أن ملكا لهم سكر فوقع على ابنته أو قال على أخته فلما أفاق قال لها كيف المخرج مما وقعت فيه قالت تجمع أهل مملكتك و تخبرهم أنك ترى نكاح البنات و تأمرهم أن يحلوه فجمعهم فأخبرهم فأبوا أن يتابعوه فخذ لهم أخدودا في الأرض و أوقد فيه النيران و عرضهم عليها فمن أبى قبول ذلك قذفه في النار و من أجاب خلى سبيله

و

قال الحسن كان النبي ص إذا ذكر أمامه أصحاب الأخدود تعوذ بالله من جهد البلاء

و

روى العياشي بإسناده عن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) قال أرسل علي (عليه السلام) إلى أسقف

نجران يسأله عن أصحاب الأخدود فأخبره بشيء فقال (عليه السلام) ليس كما ذكرت و لكن سأخبرك عنهم إن الله بعث رجلا حبشيا نبيا و هم حبشه فكذبوه فقاتلهم فقتلوا أصحابه و أسروه و أسروا أصحابه ثم بنوا له حيرا ثم ملأوه نارا ثم جمعوا الناس فقالوا من كان على ديننا و أمرنا فليعتزل و من كان على دين هؤلاء فليرم نفسه في النار معه فجعل أصحابه يتهافتون في النار فجاءت امرأه معها صبي لها ابن شهر فلما هجمت على النار هابت و رقت على ابنها فنادها الصبي لا تهابي و ارمى بي و بنفسك في النار فإن هذا و الله في الله قليل فرمت بنفسها في النار و صبيها و كان ممن تكلم في المهدي

و

ياسناده عن ميثم التمار قال سمعت أمير المؤمنين (عليه السلام) و ذكر أصحاب الأخدود فقال كانوا عشرة و على مثالهم عشرة يقتلون في هذا السوق

و قال مقاتل كان أصحاب الأخدود ثلاثة واحد بنجران و الآخر بالشام و الآخر بفارس حرقوا بالنار أما الذي بالشام فهو أنطياخوس الرومي و أما الذي بفارس فهو بخت نصر و أما الذي بأرض العرب فهو يوسف بن ذى نواس فأما من كان بفارس و الشام فلم ينزل الله تعالى فيهما قرآنا و أنزل في الذي كان بنجران و ذلك أن رجلين مسلمين ممن يقرءون الإنجيل (أحدهما) بأرض تهامة (و الآخر) بنجران اليمن أجز أحدهما نفسه في عمل يعمله فجعل يقرأ الإنجيل فرأت ابنة المستأجر النور يضيء من قراءه الإنجيل فذكرت لأبيها فرمق حتى رآه فسأله فلم يخبره فلم يزل به حتى أخبره بالدين و الإسلام فتابعه مع سبعة و ثمانين إنسانا من رجل و امرأه و هذا بعد ما رفع عيسى إلى السماء فسمع يوسف بن ذى نواس بن شراحيل بن تبع الحميري فخذ لهم في الأرض و أوقد فيها فعرضهم على الكفر فمن أبى قذفه في النار و من رجع عن دين عيسى لم يقذف فيها و إذا امرأه جاءت و معها ولد صغير لا يتكلم فلما قامت على شفير الخندق نظرت إلى ابنها فرجعت فقال لها يا أماه إنى أرى أمامك نارا لا تطفى فلما سمعت من ابنها ذلك قذفها في النار فجعلها الله و ابنها في الجنة و قذف في النار سبعة و سبعون إنسانا قال ابن عباس من أبى أن يقع في النار ضرب بالسياط فأدخل الله أرواحهم في الجنة قبل أن تصل أجسامهم إلى النار.

المعنى

إن الله سبحانه أقسم بالسماء فقال «و السَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ» فالبروج المنازل العالیه و المراد هنا منازل الشمس و القمر و الكواكب و هي اثنا عشر برجا يسير القمر في كل برج منها يومين و ثلاث و تسير الشمس في كل برج شهرا «و الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ» يعنى

ص: ٢٨٤

يوم القيامة في قول جميع المفسرين و هو اليوم الذى يجازى فيه الخلائق و يفصل فيه القضاء «و شَاهِدٍ وَ مَشْهُودٍ» فيه أقوال (أحدها)

إن الشاهد يوم الجمعة و المشهود يوم عرفه عن ابن عباس و قتاده و روى ذلك عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام) و روى ذلك عن النبى ص

و سُمى يوم الجمعة شاهداً لأنه يشهد على كل عامل بما عمل فيه و

فى الحديث ما طلعت الشمس على يوم و لا غربت على يوم أفضل منه و فيه ساعه لا يوافقها من يدعو فيها الله بخير إلا استحباب له و لا استعاذ من شر إلا أعاده منه

و يوم عرفه مشهود يشهد الناس فيه موسم الحج و تشهده الملائكة (و ثانيها) أن الشاهد يوم النحر و المشهود يوم عرفه عن إبراهيم (و ثالثها)

أن الشاهد محمد ص و المشهود يوم القيامة عن ابن عباس فى روايه أخرى و سعيد بن المسيب و هو المروى عن الحسن بن على

و

روى أن رجلاً دخل مسجد رسول الله ص فإذا رجل يحدث عن رسول الله ص قال فسألته عن الشاهد و مشهود فقال نعم الشاهد يوم الجمعة و المشهود يوم عرفه فجزته إلى آخر يحدث عن رسول الله ص فسألته عن ذلك فقال أما الشاهد فيوم الجمعة و أما المشهود فيوم النحر فجزتهما إلى غلام كان وجهه الدينار و هو يحدث عن رسول الله ص فقلت أخبرنى عن شاهد و مشهود فقال أما الشاهد فمحمد ص و أما المشهود فيوم القيامة أ ما سمعته سبحانه يقول «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَ مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا» و قال «ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ»

فسألت عن الأول فقالوا ابن عباس و سألت عن الثانى فقالوا ابن عمر و سألت عن الثالث فقالوا الحسن بن على (عليه السلام) (و رابعها) أن الشاهد يوم عرفه و المشهود يوم القيامة و

عن أبى الدرداء عن النبى ص قال أكثروا الصلاه على يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهد الملائكة و إن أحدا لا يصلى على إلا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها قال فقلت و بعد الموت فقال إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فنبى الله حى يرزق

(و خامسها) إن الشاهد الملك يشهد على بنى آدم و المشهود يوم القيامة عن عكرمه و تلاهاتين الآيتين وَ جَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَ شَهِيدٌ وَ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ و قد قيل فى ذلك أقوال آخر كقول الجبائى الشاهد الذين يشهدون على الناس و المشهود هم الذين يشهد عليهم و قول الحسين بن الفضل الشاهد هذه الأمة و المشهود سائر الأمم لقوله «لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ» و قيل الشاهد أعضاء بنى آدم و المشهود هم لقوله «يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمُ أَلْسِنَتُهُمْ» الآيه و قيل الشاهد الحجر الأسود و

المشهدود الحاج و قیل الشاهد الأیام و اللیالی و المشهدود بنو آدم و ینشد للحسین بن علی (علیه السلام):

مضى أمسك الماضی شهیدا معدلا و خلفت فی یوم علیك شهید

فإن أنت بالأمس اقترفت إساءه فقید یا حسان و أنت حمید

ص: ٢٨٥

و لا ترج فعل الخير يوما إلى غد لعل غدا يأتي و أنت فقيد.

و قيل الشاهد الأنبياء و المشهود محمد ص بيانه «وَ إِذِ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ» إلى قوله «فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ» و قيل الشاهد الله و المشهود لا إله إلا الله بيانه قوله «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» الآية و قيل الشاهد الخلق و المشهود الحق و إليه أشار الشاعر بقوله:

أيا عجا كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد

و لله في كل تحريكه و في كل تسكينه شاهد

و في كل شيء له آية تدل على أنه واحد

فهذه ثمانية أقوال أخر «قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ» أى لعنوا بتحريقهم الناس فى الدنيا قبل الآخرة و المراد به الكافرون الذين حفروا الأخدود و عذبوا المؤمنين بالنار و يحتمل أن يكون إخبارا عن المسلمين الذين عذبوا بالنار فى الأخدود و المعنى أنهم قتلوا بالإحراق فى النار ذكرهم الله سبحانه و أثنى عليهم بحسن بصيرتهم و صبرهم على دينهم حتى أحرقوا بالنار لا يعطون التقية بالرجوع عن الإيمان «النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ» أى أصحاب النار الذين أوقدوها بإحراق المؤمنين و قوله «ذَاتِ الْوُقُودِ» إشاره إلى كثره حطب هذه النار و تعظيم لأمرها فإن النار لا تخلو عن وقود «إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ» يعنى الكفار إذ هم على أطراف هذه النار جلوس يعذبون المؤمنون عن ابن عباس و قيل يعنى هم عندها قعود يعرضونهم على الكفر عن مقاتل قال مجاهد كانوا قعودا على الكراسى عند الأخدود و هو قوله «وَهُمْ» يعنى الملك و أصحابه الذين خدوا الأخدود «عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ» من عرضهم على النار و إرادتهم أن يرجعوا إلى دينهم «شُهُودٌ» أى حضور قال الزجاج أعلم الله قصه قوم بلغت بصيرتهم و حقيقه إيمانهم إلى أن صبروا على أن أحرقوا بالنار فى الله و قال الربيع بن أنس لما ألقوا فى النار نجى الله المؤمنين بأن أخذ أرواحهم قبل أن تمسهم النار و خرجت النار إلى من على شفير الأخدود من الكفار فأحرقتهم و قيل أنهم كانوا فرقتين فرقه تعذب المؤمنين و فرقه تشاهد الحال لم يتولوا تعذيبهم لكنهم قعود رضوا بفعل أولئك و كانت الفرقة القاعده مؤمنه لكنهم لم ينكروا على الكفار صنيعهم فلعنهم الله جميعا عن أبى مسلم و القعود جمع القاعد و كذلك الشهود جمع الشاهد و هم كل حاضر على ما شاهدوه إما بسمع أو بصر «وَ مَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ» أى ما كرهوا منهم إلا أنهم آمنوا عن ابن عباس و قيل ما أنكروا عليهم دينا و ما عابوا منهم شيئا إلا إيمانهم و هذا كقوله «هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ»

عن الزجاج و مقاتل و قال الجبائي ما فعلوا بهم ذلك العذاب إلا بإيمانهم «العزير» القادر الذي لا يمتنع عليه شىء القاهر الذي لا يقهر «الحميد» المحمود فى جميع أفعاله «الذى له ملك السماوات و الأرض» أى له التصرف فى السماوات و الأرض لا اعتراض لأحد عليه «و الله على كل شىء شهيد» أى شاهد عليهم لم يخف عليه فعلهم بالمؤمنين فإنه يجازيهم و ينتصف للمؤمنين منهم «إن الذين فتنوا المؤمنين و المؤمنات» أى الذين أحرقوهم و عذبوهم بالنار عن ابن عباس و قتاده و الضحاك و مثله يوم هم على النار يفتنون «ثم لم يتوبوا» من فعلهم ذلك و من الشرك الذى كانوا عليه و إنما شرط عدم التوبه لأنهم لو تابوا لما توجه إليهم الوعيد «فلهم عذاب جهنم» بكفرهم «و لهم عذاب الحريق» بما أحرقوا المؤمنين يسأل فىقال كيف فصل بين عذاب جهنم و عذاب الحريق و هما واحد. أجب عن ذلك بأن المراد لهم أنواع العذاب فى جهنم سوى الإحراق مثل الزقوم و الغسلين و المقامع و لهم مع ذلك الإحراق بالنار و قيل لهم عذاب جهنم فى الآخرة و لهم عذاب الحريق فى الدنيا و ذلك أن النار ارتفعت من الأخدود فأحرقتهم عن الربيع بن أنس و هو قول الكلبي و قال الفراء ارتفعت النار عليهم فأحرقتهم فوق الأخاديد و نجا المؤمنون ثم ذكر سبحانه ما أعد للمؤمنين الذين أحرقوا بالنار فقال «إن الذين آمنوا» أى صدقوا بتوحيد الله «و عملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير» النجاه العظيم و النفع الخالص و إنما وصفه بالكبير لأن نعيم العاملين كبير بالإضافة إلى نعيم من لا عمل له من داخل الجنة لما فى ذلك من الإجلال و الإكرام و التبجيل و الإعظام ثم قال سبحانه متوعدا للكفار و العصاة «إن بطش ربك» يا محمد «لشديد» يعنى أن أخذه بالعذاب إذا أخذ الظلمه و الجابره أليم شديد و إذا وصف البطش و هو الأخذ عنفا بالشده فقد تضاعف مكروهه و تزايد إيلامه «إنه هو يبدئ الخلق يخلقهم أولا فى الدنيا «و يعيد» هم أحياء بعد الموت للحساب و الجزاء فليس إمهاله لمن يعصيه لإمهاله إياه و قيل أنه يبدئ بالعذاب فى الدنيا و يعيده فى الآخرة عن ابن عباس و ذلك لأن ما قبله يقتضيه «و هو الغفور» لذنوب المؤمنين من أهل طاعته و معناه كثير الغفران عادته مغفره الذنوب «الودود» يود أولياءه و يحبهم عن مجاهد قال الأزهرى فى تفسير أسماء الله يجوز أن يكون ودودا فعولا بمعنى مفعول كركوب و حلوب و معناه أن عباده الصالحين يودونه و يحبونه لما عرفوا من فضله و كرمه و لما أسبغ من آلائه و نعمه قال و كلتا الصفتين مدح لأنه سبحانه أن أحب عباده المطيعين فهو فضل منه و أن أحبه فلما عرفوه من فضله و إحسانه «ذو العرش المجيد» أكثر القراءه فى المجيد الرفع لأن الله سبحانه هو الموصوف بالمجد و لأن المجيد لم يسمع فى غير صفه الله

تعالى و إن سمع الماجد و من كسر المجيد جعله من صفه العرش و روى عن ابن عباس أنه قال يريد العرش و حسنه و يؤيده أن العرش وصف بالكرم فى قوله «رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ» فجاز أيضا أن يوصف بالمجد لأن معناه الكمال و العلو و الرفعه و العرش أكمل كل شىء و أعلاه و أجمعه لصفات الحسن «فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ» لا يعجزه شىء طلبه و لا يمتنع منه شىء أرادته عن عطاء و قيل لما يريد من الإبداء و الإعادة ثم ذكر سبحانه خبر الجموع الكافره فقال «هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ» الذين تجندوا على أنبياء الله أى هل بلغك أخبارهم و قيل أراد قد أتاك ثم بين سبحانه أصحاب الجنود فقال «فِرْعَوْنُ وَ ثَمُودَ» و المعنى تذكر يا محمد حديثهم تذكر معتبر كيف كذبوا أنبياء الله و كيف نزل بهم العذاب و كيف صبر الأنبياء و كيف نصرُوا فاصبر كما صبر أولئك ليأتيك النصر كما أتاهم و هذا من الإيجاز البديع و التلويح الفصيح الذى لا يقوم مقامه التصريح «بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا» يعنى مشركى قريش «فِي تَكْذِيبٍ» لك و القرآن قد عرضوا عما يوجب الاعتبار و أقبلوا على ما يوجب الكفر و الطغيان «وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ» معناه أنهم فى قبضه الله و سلطانه لا يفوتونه كالمحاصر المحاط به من جوانبه لا يمكنه الفوات و الهرب و هذا من بلاغه القرآن «بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ» أى كريم لأنه كلام الرب عن ابن عباس أى ليس هو كما يقولون من أنه شعر أو كهانه و سحر بل هو قرآن كريم عظيم الكرم فيما يعطى من الخير جليل الخطر و القدر و قيل هو قرآن كريم لما يعطى من المعانى الجليله و الدلائل النفيسه و لأن جميعه حكم و الحكم على ثلاثه أوجه لا- رابع لها معنى يعمل عليه فيما يخشى أو يتقى و موعظه تليين القلب للعمل بالحق و حجه تؤدى إلى تميز الحق من الباطل فى علم دين أو دنيا و علم الدين أشرفهما و جميع ذلك موجود فى القرآن «فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ» من التغيير و التبديل و النقصان و الزيادة و هذا على قراءه من رفعه فجعله من صفه قرآن و من جره فجعله صفه للوح فالمعنى أنه محفوظ لا يطلع عليه غير الملائكه و قيل محفوظ عند الله و هو أم الكتاب و منه نسخ القرآن و الكتب و هو الذى يعرف باللوحة المحفوظ و هو من دره بيضاء طوله ما بين السماء و الأرض و عرضه ما بين المشرق و المغرب عن ابن عباس و مجاهد و قيل إن اللوح المحفوظ الذى ذكره الله فى جبهه إسرافيل عن أنس و قيل اللوح المحفوظ عن يمين العرش عن مقاتل.

(٨٦) سورة الطارق مكيه و آياتها سبع عشره (١٧)

اشاره

[توضيح]

مكيه سبع عشره آيه.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأها أعطاه الله بعدد كل نجم فى السماء عشر حسنات

عن المعلى بن خنيس عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من كان قراءته فى الفريضة بالسماء و الطارق كان له يوم القيامة عند الله جاه و منزله و كان من رفقاء النبيين و أصحابهم فى الجنة.

تفسيرها

ختم الله سبحانه تلك السوره بالوعيد و افتتح هذه السوره بمثله و أكد ذلك بأن أعمال الخلق محفوظه فقال:

ص: ٢٨٩

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ السَّمَاءِ وَ الطَّارِقِ (١) وَ مَا أَذْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤)

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩)

فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَ لَا نَاصِرٍ (١٠) وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَ الْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ (١٣) وَ مَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤)

إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَ أَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُوَيْدًا (١٧)

القراءة

قرأ أبو جعفر و ابن عامر و عاصم و حمزه لما عليها بتشديد الميم و الباقون بالتخفيف و فى الشواذ قراءة ابن عباس مهلهم رويدها بغير ألف.

الحججه

قال أبو على من خفف لما كانت إن عنده المخففه من الثقيله و اللام معها هى اللام التى تدخل مع هذه المخففه لتخلصها من أن النافيه و ما صله كالتى فى قوله «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ» و «عَمَّا قَلِيلٍ» و تكون إن متلقيه للقسم كما تتلقاه مثقله و من ثقل "لما" كانت أن عنده النافيه كالتى فى قوله «فِيمَا إِنَّ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ» و لما فى معنى إلا و هى متلقيه للقسم كما يتلقاه "ما" قال أبو الحسن الثقيله فى معنى إلا- و العرب لا- تكاد تعرف ذا و قال الكسائى لا أعرف وجه التثليل و عن ابن عوف قال قرأت عند ابن سيرين «إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا» بالتشديد فأنكره قال الزجاج استعملت لما فى موضع إلا فى موضعين (أحدهما) هذا و الآخر فى باب القسم تقول سألتك لما فعلتك بمعنى إلا فعلت.

اللغه

طرقنى فلان إذا أتانى ليلا و أصل الطرق الدق و منه المطرقه لأنها يدق بها و الطريق لأن الماره تدقه و الطارق الآتى ليلا يحتاج إلى الدق للتنبيه و

نهى رسول الله ص أن يطرق الرجل أهله ليلا حتى تستحد المغيبه و تمشط الشعثه

و قالت هند بنت عتبه

"نحن بنات طارق نمشى على النمارق"

تريد أن أبانا نجم فى شرفه و علوه و قال الشاعر:

يا راقد الليل مسرورا بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسحارا

لا تأمنن بليل طاب أوله فرب آخر ليل أجج النارا

و النجم الكواكب الطالعه فى السماء يقال لكل طالع ناجم تشبيها به نجم النبت و نجم السن و القرن و الثاقب المضى ء النير و ثقبه توقده بنوره و الثاقب العالى الشديد العلو و الدفع صب الماء الكثير باعتماد قوى و مثله الدفع فالماء الذى يكون منه الولد يكون دافقا و هو القاطر المصب و هى النطفه التى يخلق الله منها الولد و قيل ماء دافق معناه مدفوق و مثله سر كاتم و عيشه راضيه و الترائب نواحى الصدر واحدها تربيه و هو مأخوذ من تدليل حركتها كالتراب قال المثقب:

ص: ٢٩٠

و من ذهب يسن على تريب كلون العاج ليس بذى غضون

و قال آخر:

و الزعفران على ترائبها شرقا به اللبات و الصدر

و الرجع أصله من الرجوع و هو الماء الكثير تزدده الرياح تمر عليه قال المنخل فى صفة السيف:

أبيض كالرجع رسوب إذا ما تاخ فى محتفل يختلى

قال الزجاج الرجع المطر لأنه يجىء و يرجع و يتكرر و الصدع الشق فصدع الأرض انشقاقها بالنبات و ضرور الزروع و الأشجار.

الإعراب

«مِا الطَّارِقُ» ما استفهام و الجملة مبتدأ و خبر و هى معلقة بإدراك فى موضع المفعول الثانى و الثالث و قوله «يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ» العامل فيه فعل مضمر يدل عليه قوله «عَلَى رَجْعِهِ لِقَادِرٌ» و التقدير يرجعه يوم إبلاء السرائر و لا يجوز أن يعمل فيه المصدر لأنه يكون من صلته و قد فرق بينه و بينه بقوله «لِقَادِرٌ» و يجوز أن يكون العامل فيه قوله «لِقَادِرٌ» و رويدها صفة لمصدر محذوف و تقديره إمهالا رويدها.

المعنى

أقسم الله سبحانه فقال «وَ السَّمَاءِ» أى بالسما و قيل برب السماء و قد بينا القول فى ذلك «وَ الطَّارِقِ» و هو الذى يجىء ليلا «وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ» و ذلك أن هذا الاسم يقع على كل ما طرق ليلا و لم يكن النبى ص يدرى ما المراد لو لم يبينه ثم بينه بقوله «النَّجْمُ الثَّاقِبُ» أى هو الكوكب المضىء و يريد به العموم و هو جماع النجوم عن الحسن و قيل هو زحل و الثاقب العالى على النجوم عن ابن زيد و قيل أراد به الثريا و العرب تسميه النجم و قيل هو القمر لأنه يطلع بالليل عن الفراء و جواب القسم قوله «إِنْ كُنَّ نَفْسٌ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ» أى ما كل نفس إلا عليها حافظ من الملائكة يحفظ عملها و قولها و فعلها و يحصى ما يكتسبه من خير و شر و من قرأ لما بالتخفيف فالمعنى إن كل نفس

لعلها حافظ يحفظها وقال قتاده حافظ من الملائكة يحفظ عملها و رزقها و أجلها ثم نبه سبحانه على البعث بقوله «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ» يعنى المكذب بالبعث عن مقاتل «مِمَّ خُلِقَ» أى فلينظر نظر التفكير و الاستدلال من أى شىء خلقه الله و كيف خلقه و أنشأه حتى يعرف أن الذى ابتدأه من نطفه قادر على إعادته ثم ذكر من أى شىء خلقه فقال «خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ» أى من ماء مهراق فى رحم المرأة يعنى المنى الذى يكون منه الولد عن ابن عباس قال الفراء و أهل الحجاز يجعلون الفاعل بمعنى المفعول فى كثير من كلامهم نحو سر كاتم و هم ناصب و ليل نائم و قد ذكرناه قبل ثم وصف سبحانه ذلك الماء فقال «يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرَائِبِ» و هو موضع القلاده من الصدر عن ابن عباس قال عطاء يريد صلب الرجل و ترائب المرأة و الولد لا يكون إلا من الماءين و قيل الترائب اليدان و الرجلان و العينان عن الضحاك و سئل عكرمه عن الترائب فقال هذه و وضع يده على صدره بين ثديه و قيل ما بين المنكبين و الصدر عن مجاهد و المشهور فى كلام العرب أنها عظام الصدر و النحر «إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ» يعنى أن الذى خلقه ابتداء من هذا الماء يقدر على أن يرجعه حيا بعد الموت عن الحسن و قتاده و الجبائى و قيل معناه أنه تعالى على رد الماء فى الصلب لقادر عن عكرمه و مجاهد و قيل إنه على رد الإنسان ماء كما كان قادر عن الضحاك و قال مقاتل بن حيان يقول إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب و من الشباب إلى الصبى و من الصبى إلى النطفه و الأصح القول الأول لقوله «يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ» أى أنه قادر على بعثه يوم القيامة و معنى الرجوع رد الشىء إلى أول حاله و السرائر أعمال بنى آدم و الفرائض التى أوجبت عليه و هى سرائر بين الله و العبد و تبلى أى تختبر تلك السرائر يوم القيامة حتى يظهر خيرها من شرها و مؤديها من مضيعها

روى ذلك مرفوعا عن أبى الدرداء قال قال رسول الله ص ضمن الله خلقه أربع خصال الصلاة و الزكاه و صوم رمضان و الغسل من الجنابه و هى السرائر التى قال الله «يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ»

و

عن معاذ بن جبل قال سألت رسول الله ص و ما هذه السرائر التى تبلى بها العباد فى الآخرة فقال سرائركم هى أعمالكم من الصلاة و الصيام و الزكاه و الوضوء و الغسل من الجنابه و كل مفروض لأن الأعمال كلها سرائر خفيه فإن شاء قال الرجل صليت و لم يصل و إن شاء قال توضأت و لم يتوضأ فذلك قوله «يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ»

و قيل يظهر الله أعمال كل أحد لأهل القيامة حتى يعلموا على أى شىء أثابه و يكون فيه زياده سرور له و إن يكن من أهل العقوبة يظهر عمله ليعلموا على أى شىء عاقبه و يكون ذلك زياده غم له و السرائر ما أسره من خير أو شر و ما أضمره من إيمان أو كفر و روى عن عبد الله بن عمر أنه قال يبدى الله يوم القيامة كل سر و يكون زينا فى الوجوه و شينا فى الوجوه «فَمَا لَهُ» أى فما لهذا الإنسان المنكر للبعث و الحشر «مِنْ قُوَّةٍ»

يمنتع به من عذاب الله «وَلَا نَاصِرٍ» ينصره من الله و القوه هي القدره ثم ذكر سبحانه قسما آخر تأكيدا لأمر القيامه فقال «وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ» أى ذات المطر عن أكثر المفسرين و قيل يعنى بالرجع شمسها و قمرها و نجومها تغيب ثم تطلع عن ابن زيد و قيل رجع السماء إعطاؤها الخير الذى يكون من جهتها حالا بعد حال على مرور الأزمان فترجع بالغيث و أرزاق العباد و غير ذلك «وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدَعِ» تتصدع بالنبات أى تنشق فيخرج منها النبات و الأشجار

«إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصِيْلٌ» هذا جواب القسم يعنى أن القرآن يفصل بين الحق و الباطل بالبيان عن كل واحد منهما و روى ذلك عن الصادق (عليه السلام)

و قيل معناه إن الوعد بالبعث و الإحياء بعد الموت قول فصل أى مقطوع به لا خلاف و لا ريب فيه «وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ» أى هو الجد و ليس باللعب و قيل إن القرآن لم ينزل باللعب ثم أخبر سبحانه عن مشركى قريش فقال «إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا» أى يحتالون فى الإيقاع بكك و بمن معكك و يريدون إطفاء نورك «وَأَكِيدُ كَيْدًا» أى أريد أمرا آخر على ضد ما يريدون و أدبر ما ينقض تدابيرهم و مكايدهم فسمى ذلك كيدا من حيث يخفى ذلك عليهم «فَمَهَّلِ الْكَافِرِينَ» أى انتظر بهم يا محمد و لا تعاجلهم و ارض بتدبير الله فيهم «أَمْهَلُهُمْ رُوَيْدًا» أى إمهالا قليلا عن قتاده و إنما قلل الإمهال لأن ما هو كائن آت لا محاله فهو قليل و المراد به يوم القيامه و قيل أراد يوم بدر و المعنى لا-تعجل على فى طلب هلاكهم بل اصبر عليهم قليلا فإن الله مجزيهم لا محاله إما بالقتل و الذل فى الدنيا أو بالعذاب فى الآخرة قال ابن جنى قوله «فَمَهَّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ» غير اللفظ لأنه أثر التأكيد و كره التكرير فلما تجشم إعاده اللفظ انحرف عنه بعض الانحراف بتغييره المثل و انتقل عن لفظ فعل إلى لفظ افعل فقال «أَمْهَلُهُمْ» و لما تجشم التثليث جاء بالمعنى و ترك اللفظ البته فقال «رُوَيْدًا».

اشاره

[توضيح]

مكيه عن ابن عباس مدنيه عن الضحاک و هي تسع عشره آيه بلا خلاف.

فضلها

أبي بن كعب قال قال النبي ص من قرأها أعطاه الله من الأجر عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله على إبراهيم و موسى و محمد ص

و

روى عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال كان رسول الله ص يحب هذه السوره سبح اسم ربك الأعلى و أول من قال سبحان ربي الأعلى ميكائيل

و

عن ابن عباس كان النبي ص إذا قرأ سبح اسم ربك الأعلى قال سبحان ربي الأعلى و كذلك روى عن علي (عليه السلام) و ابن عمر و ابن الزبير أنهم كانوا يفعلون ذلك و روى جوير عن الضحاک أنه كان يقول ذلك و كان يقول من قرأها فليفعل ذلك و

عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ سبح اسم ربك الأعلى في فريضه أو نافله قيل له يوم القيامة أدخل من أى أبواب الجنة شئت

و

روى العياشى بإسناده عن أبي حميصه عن علي (عليه السلام) قال صليت خلفه عشرين ليله فليس يقرأ إلا سبح اسم ربك و قال لو يعلمون ما فيها لقرأها الرجل كل يوم عشرين مره و إن من قرأها فكأنما قرأ صحف موسى و إبراهيم الذى وفى

و

عن عقبه بن عامر الجهنى قال لما نزلت فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ* قال رسول الله ص اجعلوها فى ركوعكم و لما نزلت «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى» قال اجعلوها فى سجودكم.

لما ختم الله سبحانه تلك السوره بذكر الوعيد و التهديد للكفار افتتح هذه السوره بذكر صفاته العلى و قدرته على ما يشاء فقال:

ص: ٢٩٤

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤)

فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥) سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (٧) وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى (٨) فَذَكَرْ إِنَّ نَفْعَتِ الذُّكْرَى (٩)

سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى (١٠) وَيَتَجَبَّبَهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصِيلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (١٣) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤)

وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥) بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (١٩)

القراءة

قرأ الكسائي

قدر بالتخفيف و هو قراءة على (عليه السلام)

و الباقر «قَدَّرَ» بالتشديد وقرأ أبو عمرو و روح و زيد و قتيبه يؤثرون بالياء و الباقرن بالتاء.

الحج

قد تقدم أن قدر في معنى قدر فكلا الوجهين حسن و يؤثرون بالتاء على الخطاب بل أنتم تؤثرون و الياء على أنه يريد الأشقيين و روى أن ابن مسعود و الحسن قرءاه.

اللغة

الأعلى نظير الأكبر و معناه العالی بسلطانه و قدرته و كل من دونه في سلطانه و لا يقتضى ذلك المكان قال الفرزدق:

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز و أطول

و الغناء ما يقذف به السيل على جانب الوادى من الحشيش و النبات و أصله الأخلاط من أجناس شتى و العرب تسمى القوم إذا اجتمعوا من قبائل شتى أخلاطا و غناء و الأحوى الأسود و الحوه السواد قال ذو الرمة:

لمياء فى شفيتها حوه لعس و فى اللثا؁ و فى أنيابها شنب

ص: ٢٩٥

وقال:

قرحاء حواء أشراطيه وكفت فيها الذهب و حفتها البراعيم

و الإقراء أخذ القراءه على القارئ بالاستماع لتقويم الزلل و القارئ التالى و أصله الجمع لأنه يجمع الحروف و النسيان ذهب المعنى عن النفس و نظيره السهو و نقيضه الذكر و هو ذهب العلم الضرورى بما جرت به العاده أن يعلمه و ليس بمعنى و قال أبو على الجبائى و هو معنى من فعل الله تعالى.

الإعراب

الأعلى يحتمل أن يكون جراً صفة لرب و أن يكون نصبا لاسم أحوى نصب على الحال من المرعى و التقدير أخرج المرعى أحوى أى أسود لشده خضرتة «فَجَعَلَهُ غُثَاءً» أى جففه حتى صار جافاً كالغثاء و يجوز أن يكون نعتاً لغثاء و التقدير فجعله غثاء أسود و الأول أوجه و هو قول الزجاج. «ما شاء الله» فى موضع نصب على الاستثناء و التقدير سنقرئك القرآن فلا تنساه إلا ما شاء الله أن تنساه برفع حكمه و تلاوته و هو قول الحسن و قتاده «إِنْ نَفَعَتِ الذُّكْرَى» شرط جزاؤه محذوف يدل عليه قوله «فَذَكَّرْ» و التقدير إن نفعت الذكرى فذكرهم.

المعنى

«سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى» أى قل سبحان ربى الأعلى عن ابن عباس و قتاده و قيل معناه نزه ربك عن كل ما لا يليق به من الصفات المذمومه و الأفعال القبيحه لأن التسييح هو التنزيه لله عما لا يليق به يجوز أن تقول لا إله إلا هو فتنفى ما لا يجوز فى صفته من شريك فى عبادته مع الإقرار بأنه الواحد فى إلهيته و أراد بالاسم المسمى و قيل إنه ذكر الاسم و المراد به تعظيم المسمى كما قال ليبيد

" إلى الحول ثم اسم السلام عليكما "

و يحسن بالقارئ إذا قرأ هذه الآية أن يقول سبحان ربى الأعلى و إن كان فى الصلاة

قال الباقر (عليه السلام) إذا قرأت «سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى» فقل سبحان ربى الأعلى و إن كان فيما بينك و بين نفسك

و الأعلى معناه القادر الذى لا قادر أقدر منه القاهر لكل أحد و قيل الأعلى صفة الاسم و المعنى سبح الله بذكر اسمه الأعلى و أسماؤه الحسنى كلها أعلى و قيل معناه صل باسم ربك الأعلى عن ابن عباس «الَّذِي خَلَقَ» الخلق «فَسَوَّى» بينهم فى باب الأحكام و الإتقان و قيل خلق

كل ذى روح فسوى يديه و عينيه و رجليه عن الكلبى و قيل خلق الإنسان فعدل قامته عن الزجاج يعنى أنه لم يجعله منكوسا كالبهائم و الدواب و قيل خلق الأشياء على موجب إرادته و حكمته فسوى صنعها لتشهد على وحدانيته «وَ الَّذِى قَدَّرَ فَهْدَى» أى قدر الخلق على ما خلقهم فيه من الصور و الهيئات و أجرى لهم أسباب معاشهم من الأرزاق و الأقوات ثم هداهم إلى دينه بمعرفه توحيدده بإظهار الدلالات و البينات و قيل معناه قدر أقواتهم و هداهم لطلبها و قيل قدرهم على ما اقتضته حكمته فهدى أى أرشد كل حيوان إلى ما فيه منفعتة و مضرتة حتى أنه سبحانه هدى الطفل إلى ثدى أمه و هدى الفرخ حتى طلب الزق من أبيه و أمه و الدواب و الطيور حتى فزع كل منهم إلى أمه و طلب اليمينه من جهته سبحانه و تعالى و قيل قدرهم ذكورا و إناثا و هدى الذكر كيف يأتى الأنتى عن مقاتل و الكلبى و قيل هدى إلى سبيل الخير و الشر عن مجاهد و قيل قدر الولد فى البطن تسعه أشهر أو أقل أو أكثر و هدى للخروج منه للتمام عن السدى و قيل قدر المنافع فى الأشياء و هدى الإنسان لاستخراجها منه فجعل بعضها غذاء و بعضها دواء و بعضها سما و هدى إلى ما يحتاج إلى استخراجها من الجبال و المعادن كيف تستخرج و كيف تستعمل «وَ الَّذِى أَخْرَجَ الْمَرْعى» أى أنبت الحشيش من الأرض لمنافع جميع الحيوان و أقواتهم «فَجَعَلَهُ» بعد الخضره «غُثَاءً» أى هشيما جافا كالغثاء الذى تراه فوق السيل «أَحْوَى» أى أسود بعد الخضره و ذلك أن الكلاً إذا يبس اسود و قيل معناه أخرج العشب و ما ترعاه النعم أحوى أى شديد الخضره يضرب إلى السواد من شدة خضرته فجعله غثاء أى يابساً بعد ما كان رطبا و هو قوت البهائم فى الحالين فسبحان من دبر هذا التدبير و قدر هذا التقدير و قيل إنه مثل ضربه الله تعالى لذهاب الدنيا بعد نضارتها «سَيُنْقَرُوكَ فَلَا تَنْسى» أى سنأخذ عليك قراءه القرآن فلا تنسى ذلك و قيل معناه سيقراً عليك جبريل القرآن بأمرنا فتحفظه و لا تنساه

قال ابن عباس كان النبى ص إذا نزل عليه جبرائيل (عليه السلام) بالوحي يقرأه مخافه أن ينساه فكان لا يفرغ جبرائيل ع من آخر الوحي حتى يتكلم هو بأوله فلما نزلت هذه الآية لم ينس بعد ذلك شيئاً

«إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ» أن ينسيكه بنسخه من رفع حكمه و تلاوته عن الحسن و قتاده و على هذا فالإنشاء نوع من النسخ و قد مر بيانه فى سورة البقره عند قوله ما نُنسخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِئُهَا آيَةً و قيل معناه إلا ما شاء الله أن يؤخر إنزاله عليك فلا تقرأه و قيل إلا ما شاء الله كالاستثناء فى الإيمان و إن لم يقع منه مشيئه النسيان قال الفراء لم يشأ الله أن ينسى عليه السلم شيئاً فهو كقوله خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ

وَ الْمَأْرُضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ* و لا يشاء و كقول القائل لأعطينك كل ما سألت إلا ما شئت و إلا أن أشاء أن أمنعك و النيه أن لا يمنعه و مثله الاستثناء فى الإيمان فى الآيه بيان لفضيله النبى ص و إخبار أنه مع كونه ص أميا كان يحفظ القرآن و إن جبرائيل ع كان يقرأ عليه سورة طويله فيحفظه بمره واحده ثم لا ينساه و هذه دلالة على الإعجاز الدال على نبوته.

«إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ مَا يَخْفَى» معناه إن الله سبحانه يعلم العلانيه و السر. و الجهر رفع الصوت و نقيضه الهمس و المعنى أنه سبحانه يحفظ عليك ما جهرت به و ما أخفيت به مما تريد أن تعيه «وَ يُسِّرُكَ لِلْيُسْرَى» اليسرى هى الفعلى من اليسر و هو سهوله عمل الخير و المعنى نوفقك للشريعة اليسرى و هى الحنيفيه و نهون عليك الوحى و نسهله حتى تحفظه و لا- تنساه و تعمل به و لا تخالفه و قيل معناه نسهل لك من الألفاف و التأييد ما يثبتك على أمرك و يسهل عليك المستصعب من تبليغ الرساله و الصبر عليه عن أبى مسلم و هذا أحسن ما قيل فيه فإنه يتصل بقوله «سَتُقِرُّكَ فَلَا تَنْسَى» فكأنه سبحانه أمره بالتبليغ و وعده النصر و أمره بالصبر و قيل إن اليسرى عبادته عن الجنه فهى اليسرى الكبرى أى نيسر لك دخول الجنه عن الجبائى «فَهَذَا كَرَمٌ» أمر النبى ص أن يذكر الخلق و يعظهم «إِنْ نَفَعَتِ الذُّكْرَى» و إنما قال ذلك و ذكراه تنفع لا محاله فى عمل الإيمان و الامتناع من العصيان لأنه ليس بشرط حقيقه و إنما هو إخبار عن أنه ينفع لا محاله فى زياده الطاعه و الانتهاء عن المعصيه كما يقال سله إن نفع السؤال و قيل معناه عظمهم إن نفعت الموعظه أو لم تنفع لأنه ص بعث للإعذار و الإنذار فعليه التذكير فى كل حال نفع أو لم ينفع و لم يذكر الحاله الثانيه كقوله سَرَايِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَ سَرَايِلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ و قد نبه الله سبحانه على تفصيل الحالتين بقوله «سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى» أى سيتعظ بالقرآن من يخشى الله تعالى و يخاف عقابه «وَ يَنْجِبُهَا» أى يتجنب الذكرى و الموعظه «الْأَشْقَى» أى أشقى العصاه فإن للعاصين درجات فى الشقاوه فأعظمهم درجه فيها الذى كفر بالله و توحيده و عبد غيره و قيل الأشقى من الاثنين من يخشى و من يتجنب عن أبى مسلم «الَّذِي يَصَلَّى النَّارَ الْكُبْرَى» أى يلزم أكبر النيران و هى نار جهنم و النار الصغرى نار الدنيا عن الحسن و قيل إن النار الكبرى هى الطبقة السفلى من جهنم عن الفراء «ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا» فيستريح «وَ لَا يَحْيَى» حياه ينتفع بها بل صارت حياته وبالا عليه يتمنى زوالها لما هو معها من فنون العقاب و ألوان العذاب و قيل و لا يحيى أى و لا يجد روح الحياه «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى» أى قد فاز من تطهر من الشرك و قال لا إله إلا الله عن عطاء و عكرمه و قيل معناه قد ظفر بالبغيه من صار زاكيا بالأعمال الصالحه و الورع عن ابن عباس و الحسن و قتاده و قيل زكى أى أعطى زكاه ماله عن ابن مسعود و كان يقول قد رحم الله امرأ تصدق ثم صلى و يقرأ هذه

قيل أراد صدقه الفطره و صلاه العيد عن أبى عمرو و أبى العاليه و عكرمه و ابن سيرين و روى ذلك مرفوعا عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و متى قيل على هذا القول كيف يصح ذلك و السوره مكيهه و لم يكن هناك صلاه عيد و لا زكاه و لا فطره قلنا يحتمل إن يكون نزلت أوائلها بمكه و ختمت بالمدينه «و ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى» أى وحد الله عن ابن عباس و قيل ذكر الله بقلبه عند صلاته فرجا ثوابه و خاف عقابه فإن الخشوع فى الصلاه بحسب الخوف و الرجاء و قيل ذكر اسم ربه بلسانه عند دخوله فى الصلاه فصلى بذلك الاسم أى قال الله أكبر لأن الصلاه لا تنعقد إلا به و قيل هو أن يفتح بسم الله الرحمن الرحيم و يصلى الصلوات الخمس المكتوبه ثم قال سبحانه مخاطبا للكفار «بَلْ تُؤْتِرُونَ» أى تختارون «الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» على الآخره فتعملون لها و تعمرونها و لا تتفكرون فى أمر الآخره و قيل هو عام فى المؤمن و الكافر بناء على الأعم الأغلب فى أمر الناس قال عبد الله بن مسعود إن الدنيا اخضرت لنا و عجل لنا طعامها و شرابها و نساؤها و لذتها و بهجتها و إن الآخره نعتت لنا و زويت عنا فأخذنا بالعاجل و تركنا الآجل ثم رغب سبحانه فى الآخره فقال «وَالْآخِرَةُ» أى و الدار الآخره و هى الجنه «خَيْرٌ» أى أفضل «وَأَبْقَى» و أدوم من الدنيا فى الحديث من أحب آخرته أضر بدنياه و من أحب دنياه أضر بآخرته

«إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى» يعنى أن هذا الذى ذكر من قوله «قَدْ أَفْلَحَ» إلى أربع آيات لفى الكتب الأولى التى أنزلت قبل القرآن ذكر فيها فلاح المصلى و المتركى و إثثار الخلق الدنيا على الآخره و إن الآخره خير و قيل معناه أن من تزكى و ذكر اسم ربه فصلى فهو ممدوح فى الصحف الأولى كما هو ممدوح فى القرآن ثم بين سبحانه أن الصحف الأولى ما هى فقال «صُّحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى» و فى هذا دلالة على أن إبراهيم كان قد أنزل عليه الكتاب خلافا لمن يزعم أنه لم ينزل عليه كتاب و واحده الصحف صحيفه و

روى عن أبى ذر أنه قال قلت يا رسول الله كم الأنبياء فقال مائة ألف نبى و أربعة و عشرون ألفا قلت يا رسول الله كم المرسلون منهم قال ثلاثمائة و ثلاثه عشر و بقيتهم أنبياء قلت كان آدم (عليه السلام) نبيا قال نعم كلمه الله و خلقه بيده يا أبا ذر أربعة الأنبياء عرب هود و صالح و شعيب و نبيك قلت يا رسول الله كم أنزل الله من كتاب قال مائة و أربعة كتب أنزل الله منها على آدم (عليه السلام) عشر صحف و على شيث خمسين صحيفه و على أخنوخ و هو إدريس ثلاثين صحيفه و هو أول من خط بالقلم و على إبراهيم عشر صحائف و التوراه و الإنجيل و الزبور و الفرقان

و

فى الحديث أنه كان فى صحف إبراهيم ينبغى للعاقل أن يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شأنه و قيل إن كتب الله كلها أنزلت فى شهر رمضان.

(٨٨) سورة الغاشية مكيه و آياتها ست و عشرون (٢٤)

اشاره

[توضيح]

مكيه ست و عشرون آيه بالإجماع.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص من قرأها حاسبه الله حسابا يسيرا

أبو بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من أدمن قراءه هل أتاك حديث الغاشيه فى فرائضه أو نوافله غشاه الله برحمته فى الدنيا و الآخره و أعطاه الأمن يوم القيامه من عذاب النار.

تفسيرها

ختم الله سبحانه تلك السوره بالترغيب فى الآخره و أنها خير من الدنيا و افتتح هذه أيضا ببيان أحوال الآخره فقال:

ص: ٣٠٠

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصَلِي نَارًا حَامِيَةً (٤)

تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (٧) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩)

فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِاَغْيَةٍ (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَ أَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤)

وَ نَمَارِقٌ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَ زُرَابٌ مَبْتُوثَةٌ (١٦) أَ فَلَـ يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَ إِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَ إِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩)

وَ إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ (٢٢) إِلَّاـ مَنْ تَوَلَّى وَ كَفَرَ (٢٣) فَيَعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (٢٤)

إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ (٢٦)

القراءه

قرأ أهل البصره غير سهل و أبو بكر تصلى بضم التاء و الباقون بفتحها و قرأ ابن كثير و أهل البصره غير سهل لا يسمع بضم الياء لاغيه بالرفع و قرأ نافع لا تسمع بضم التاء لاغيه بالرفع و قرأ الباقون «لا تَسْمَعُ» بفتح التاء «لاغِيَةً» بالنصب و قرأ أبو جعفر إِيَابُهُمْ بتشديد الياء و الباقون بالتخفيف و

روى عن على (عليه السلام) أَ فَلَـ يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ و إِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ و إِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ و إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ بفتح أوائل هذه الحروف كلها و ضم التاء

و عن ابن عباس و قتاده و زيد بن أسلم و زيد بن على إلا من تولى بالتخفيف.

الحجه

حجه من قال «تَصَلِي» قوله سَيَصِيلى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ و قوله إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ و حجه من قال تصلى قوله ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلْوُهُ و صلوه مثل اصلوه و اللاغيه مصدر بمنزله العاقبه و العافيه و يجوز أن تكون صفه نحو أن تقول لا تسمع فيها كلمه لاغيه و الأول أوجه لقوله تعالى لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا* و لا تسمع على بناء الفعل للمفعول به حسن لأن الخطاب ليس بمصروف إلى واحد بعينه

و بناء الفعل للفاعل أيضا حسن على الشيعاء فى الخطاب و إن كان لواحد و على هذا وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا و يجوز أن يكون الخطاب للنبي ص و كل واحد من التاء و الياء فى تسمع و يسمع حسن على اللفظ و على المعنى و أما قوله إياهم على التشديد فقال أبو الفتح أنكر أبو حاتم هذه القراءة لأنه حملها على نحو كذبوا كذا با قال و هذا لا يجوز لأنه كان يجب أوبا لأنه فعال فيصح لاحتمال التغيير بالإدغام كقولهم اجلوذ اجلوذا قال أبو الفتح يجوز أن يكونوا قلبوا الواو ياء من أواب و إن كانت متحصنه بالإدغام استحسانا للتخفيف لا وجوبا كما قالوا ديمت السماء فى دومت قال:

ص: ٣٠١

هو الجواد ابن الجواد ابن سبل إن ديموا جاد و إن جادوا وبل

يريد دوموا و قال و يجوز أن يكون بنى من آب فيعلت و أصله أيوبت و المصدر إيواب فقلبت الواو ياء لوقوع الياء ساكنه قبلها و يجوز أن يكون أوبت فوعلت و المصدر على الفيعل كالحيقال من حوقلت أنشد الأصمعي:

يا قوم قد حوقلت أو دنوت و بعد حيقال الرجال الموت

فصار إيوابا فقلبت الواو ياء فصار إيابا و أما قراءه على (عليه السلام) فالمفعول جميعها محذوف لدلاله المعنى عليه أى كيف خلقتها و كيف رفعها و كيف نصبها و سطحها و من قرأ إلا من تولى فإلا افتتاح كلام و من شرط و جوابه «فَيُعَذَّبُهُ اللَّهُ» أى فهو يعذبه الله و قد تقدم القول فيه فى مواضع.

اللغة

الغاشيه المجلله لجميع الجمله غشيه يغشاه غشيانا و أغشاه غيره إذا جعله يغشى و غشاه بمعناه و نصب الرجل ينصب نصبا فهو نصب و ناصب إذا تعب فى العمل و الآنيه البالغه النهايه فى شده الحر و الضريع نبت تأكله الإبل يضر و لا ينفع و إنما سمي ضريعا لأنه يشتهه عليها أمره فتظنه كغيره من النبت و الأصل من المضارعه و المشابهه و النمارق واحدها نمرقه و الزرابى البسط الفاخره واحدها زريبه و المصيطر المتسلط على غيره بالقهر له يقال تصيطر فلان على فلان و صيطر إذا تسلط و قال أبو عبيده مصيطر و مبيطر لا ثالث لهما فى كلام العرب.

الإعراب

«كَيْفَ خُلِقَتْ» يجوز أن يكون فى موضع نصب على الحال من خلقت و يجوز أن يكون على المصدر و تكون الجمله التى هى كيف خلقت معلقه بينظرون لأن النظر مؤد إلى العلم «إِلَّا مَنْ تَوَلَّى» هو استثناء منقطع و سيبويه يقدر الاستثناء المنقطع ولكن و الفراء يقدره بسوى.

المعنى

«هَلْ أَتَاكَ خَيْدِيْتُ الْغَاشِيَةِ» خطاب للنبي ص يريد قد أتاك حديث يوم القيامة لأنها تغشى الناس بأهوالها بغته عن ابن عباس و الحسن و قتاده و قيل الغاشيه النار تغشى وجوه الكفار بالعذاب و هذا كقوله تَغْشَى وَجُوهَهُمُ النَّارُ عن محمد بن كعب و سعيد بن جبير «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ» أى ذليله بالعذاب الذى يغشاه و الشدائد التى تشاهدها و المراد

بذلك أرباب الوجوه و إنما ذكر الوجوه لأذن الذل و الخضوع يظهر فيها و قيل المراد بالوجوه الكبراء تقول جاءنى وجوه بنى تميم أى ساداتهم و قيل عنى به وجوه الكفار كلهم لأنها تكبرت عن عباده الله تعالى عن مقاتل «عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ» فيه وجوه (أحدها) أن المعنى عامله فى النار ناصبه فيها عن الحسن و قتاده قالاً لم يعمل الله سبحانه فى الدنيا فأعملها و أنصبها فى النار بمعالجه السلاسل و الأغلال قال الضحاك يكلفون ارتقاء جبل من حديد فى النار و قال الكلبي يجرون على وجوههم فى النار (و ثانيها) أن المراد عامله فى الدنيا بالمعاصى ناصبه فى النار يوم القيامة عن عكرمه و السدى (و ثالثها) عامله ناصبه فى الدنيا يعملون و ينصبون و يتعبون على خلاف ما أمرهم الله تعالى به و هم الرهبان و أصحاب الصوامع و أهل البدع و الآراء الباطلة لا يقبل الله أعمالهم فى البدعه و الضلاله و تصير هباء لا يثابون عليها عن سعيد بن جبير و زيد بن أسلم و أبى الضحاك عن ابن عباس و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) كل ناصب لنا و إن تعبد و اجتهد يصير إلى هذه الآية «عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ»

«تَصِيْلِي نَارًا حَامِيَةً» قال ابن عباس قد حميت فهى تنظى على أعداء الله و قيل المعنى إن هؤلاء يلزمون الإحراق بالنار التى فى غايه الحراره «تَشِيْقِي مِنْ عَيْنِ آتِيَةٍ» أى و تسقى أيضا من عين حاره قد بلغت إناها و انتهت حرارتها قال الحسن قد أوقدت عليها جهنم مذ خلقت فدفعوا إليها وردا عطاشا هذا شرابهم ثم ذكر طعامهم فقال «لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيْعٍ» و هو نوع من الشوك يقال له الشبرق و أهل الحجاز يسمونه الضريع إذا يبس و هو أخبث طعام و أبشعه لا ترعاه دابه و

عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله ص الضريع شىء يكون فى النار يشبه الشوك أمر من الصبر و أنتن من الجيفه و أشد حرا من النار سماه الله الضريع

و قال أبو الدرداء و الحسن إن الله يرسل على أهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام ذى غصه فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بالماء فيستقون فيعطشهم الله سبحانه ألف سنه ثم يسقون من عين آتية شربه لا هنيهة و لا مريئه كلما أدنوه إلى وجوههم سلخ جلود وجوههم و شواها فإذا وصل إلى بطونهم قطعها فذلك قوله وَ سَقُوا مَاءً حَمِيمًا فَفَقَّعَ أَمْعَاءَهُمْ و لما نزلت هذه الآية قال المشركون إن إبلنا لتسمن على الضريع و كذبوا فى ذلك لأن الإبل لا ترعاه فقال الله سبحانه تكذبا لهم «لَا يُشْبِهُنَّ وَلَا يُغْنِيَنَّ مِنْ جُوعٍ» أى لا يدفع جوعا و لا يسمن أحدا قال الحسن لا أدرى ما الضريع لم أسمع من أصحاب محمد ص شيئا فيه و قيل هو سم عن مجاهد و قتاده و قيل ضريع بمعنى مضرع أى يضرعهم و يذلهم و قيل يسمى ضريعا لأن آكله يضرع فى الإعفاء منه لخشونته و شدة كراهته عن كيسان و قيل هو الحجارة عن سعيد بن جبير ثم وصف سبحانه أهل الجنة فقال «وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ» أى

منعمه فى أنواع اللذات ظاهر عليها إثر النعمه و السرور و مضيئه مشرقه «لِسَ عِيهَا» فى الدنيا «راضِيَه» حين أعطيت الجنة بعملها و المعنى لثواب سعيها و عملها من الطاعات راضيه يريد أنه لما ظهر نفع أعمالهم و جزاء عباداتهم رضوه و حمدوه و هذا كما يقال عند الصباح يحمد القوم السرى «فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ» أى مرتفعه القصور و الدرجات و قيل إن علو الجنة على وجهين علو الشرف و الجلاله و علو المكان و المنزله بمعنى أنها مشرفه على غيرها و هى أنزه ما تكون و الجنة درجات بعضها فوق بعض كما أن النار درجات «لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِأَغْيَه» أى كلمه ساقطه لا- فائده فيها و قيل لاغيه ذات لغو كقولهم نابل و دارع أى ذو نبل و درع قال الحطيئه:

" و غررتنى و زعمت أنك لابن بالصيف تأمر "

«فِيهَا» أى فى تلك الجنة «عَيْنٌ جَارِيَةٌ» قيل إنه اسم جنس و لكل إنسان فى قصره من الجنة عين جاريه من كل شراب يشتهي و فى العيون الجاريه من الحسن و اللذه و المنفعه ما لا يكون فى الواقعه و لذلك وصف بها عيون أهل الجنة و قيل إن عيون أهل الجنة تجرى فى غير أهدود و تجرى كما يريد صاحبها «فِيهَا» أى فى تلك الجنة «سَيْرٌ مَرْفُوعَةٌ» قال ابن عباس ألواحها من ذهب مكمله بالزبرجد و الدر و الياقوت مرتفعه ما لم يجىء أهلها فإذا أراد أن يجلس عليها تواضعت له حتى يجلس عليها ثم ترتفع إلى موضعها و السرر جمع سرير و هو مجلس السرور و قيل إنما رفعت ليرى المؤمنون بجلوسهم عليها جميع ما حولهم من الملك «وَ أَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ» على حافات العيون الجاريه كلما أراد المؤمن شربها وجدها مملوءه و هى الأباريق ليس لها خراطيم و لا عرى تتخذ للشراب و قيل هى أوانى الشراب من الذهب و الفضة و الجواهر بين أيديهم و يشربون بها ما يشتهونه من الأشربه و يتمتعون بالنظر إليها لحسنها «وَ نَمَارِقٌ مَّضِيَةٌ مَوْفَقَةٌ» أى وسائل يتصل بعضها ببعض على هيئة مجالس الملوك فى الدنيا «وَ زُرَابِيٌّ مَبْتُوثَةٌ» و هى البسط الفاخره و الطنافس المخمليه و المبتوئه المبسوطة المنشوره و يجوز أن يكون المعنى أنها مفرقه فى المجالس و

عن عاصم بن ضميره عن على (عليه السلام) أنه ذكر أهل الجنة فقال يحيئون فيدخلون فإذا أسس بيوتهم من جندل اللؤلؤ و سرر مرفوعه و أكواب موضوعه و نمارق مصفوفه و زرابى مبتوئه و لو لا- أن الله تعالى قدرها لهم لالتمعت أبصارهم بما يرون و يعانقون الأزواج و يعقدون على السرر و يقولون الحمد لله الذى هدانا لهذا

قال قتاده و لما نعت الله الجنة و ما فيها عجب من ذلك أهل الضلال فأنزل الله سبحانه «أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ» و كانت عيشا من عيشهم فيقول أ فلا يتفكرون فيها و ما يخرج الله من ضروعها من بين فرث و دم لبنا خالصا سائغا للشاربين يقول كما صنعت هذا لهم فكذلك أصنع لأهل الجنة فى الجنة و قيل معناه أ فلا يعتبرون بنظرهم إلى الإبل و ما ركب الله عليه من عجب الخلق فإنه مع

عظمته وقوته يذلل الصغير فينقاد له بتسخير الله إياه لعباده فيبركه و يحمل عليه ثم يقوم و ليس ذلك فى غيره من ذوات الأربع فلا يحمل على شىء منها إلا و هو قائم فأراهم الله سبحانه هذه الآيه فيه ليستدلوا على توحيده بذلك عن أبى عمرو بن العلاء و الزجاج و سأل الحسن عن هذه الآيه و قيل له الفيل أعظم من الإبل فى الإعجوبه فقال أما الفيل فالعرب بعيدو العهد بها ثم هو خنزير لا- يركب ظهرها و لا يؤكل لحمها و لا يحلب درها و الإبل من أعز مال العرب و أنفسه تأكل النوى و ألق و تخرج اللبن و يأخذ الصبى بزمامها فيذهب بها حيث شاء مع عظمتها فى نفسها و يحكى أن فأره أخذت بزمام ناقه فأخذت تجرها و هى تتبعها حتى دخلت الحجر فجرت الزمام فبركت الناقه فجرت فقربت فمها من جحر الفأر.

«وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ» أى كيف رفعها الله فوق الأرض و جعل بينهما هذا الفضاء الذى به قوام الخلق و حياتهم ثم إلى ما خلقه فيها من بدائع الخلق من الشمس و القمر و الكواكب و علق بها منافع الخلق و أسباب معاشهم «وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ» أى أ و لا- يتفكرون فى خلق الله سبحانه الجبال أوتادا للأرض و مسكنه لها و أنه لولاها لمادت الأرض بأهلها «وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ» أى كيف بسطها الله و وسعها و لو لا ذلك لما صح الاستقرار عليها و الانتفاع بها و هذه من نعم الله سبحانه على عباده لا توازيها نعمه منعم و فيها دلائل على توحيده و لو تفكروا فيها لعلموا أن لهم صانعا صنعمهم و موجدا أوجدهم و لما ذكر سبحانه الأدله أمر نيته بالتذكير بها فقال «فَذَكِّرْ» يا محمد و التذكير التعريف للذكر بالبيان الذى يقع به الفهم و النفع بالتذكير عظيم لأنه طريق للعلم بالأمور التى يحتاج إليها «إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ» لهم بنعم الله تعالى عندهم و بما يجب عليهم فى مقابلتها من الشكر و العباده و قد أوضح الله تعالى طريق الحجج فى الدين و أكده غايه التأكيد بما لا يسع فيه التقليد بقوله «إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ» و قوله «ذَكِّرْ فَإِنَّ الذُّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ» و قوله «إِنَّ فِي ذَلِكْ لَمَآئِةَ لِقَوْمٍ يُعْقِلُونَ» و لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ» و يَتَفَكَّرُونَ*» و قيل إن المراد فذكرهم بهذه الأدله و أمرهم بالاستدلال بها و نبههم عليها عن الجبائى و أبى مسلم «لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ» معناه لست عليهم بمتسلط تسليطا يمكنك أن تدخل الإيمان فى قلوبهم و تجبرهم عليه و إنما الواجب عليك الإنذار فاصبر على الإنذار و التبليغ و الدعوه إلى الحق و قيل معناه لست عليهم بمتسلط الآن حتى تقاتلهم إن خالفوك و كان هذا قبل نزول آيه الجهاد ثم نسخ بالأمر بالقتال و الوجه الصحيح أنه لا نسخ فيه لأن الجهاد ليس بأكره للقلوب و المراد أنك إنما بعثت للتذكير و ليس عليك من ترك قبولهم شىء «إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَ كَفَرَ» أى أعرض عن الذكر و لم يقبل منك و كفر بالله و بما جئت به فكل أمره إلى الله عن الحسن و قيل معناه إلا من تولى و كفر فلست له بمذكر لأنه لا يقبل منك فكأنك لست تذكره «فَيَعَذِّبُهُ اللَّهُ

العَذَابِ الْأَكْبَرِ» و هو الخلود فى النار و لا عذاب أعظم منها ثم ذكر سبحانه أن مرجعهم إليه فقال «إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ» أى مرجعهم و مصيرهم بعد الموت «ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ» أى جزاءهم على أعمالهم فهذا جامع بين الوعد و الوعيد و معناه لا يهمنك أمرهم فإنهم و إن عاندوك و آذوك فمصير جميعهم إلى حكمنا لا- يفوتونا و مجازاتهم علينا و عن قريب تفر عينك بما تراه فى أعدائك.

النظم

يسأل كيف يتصل ذكر الإبل و ما بعدها بذكر وصف الجنان و نعيمها (و الجواب) إنه يتصل بأول السوره و الضمير فى قوله «يَنْظُرُونَ» عائد إلى الذين وصفهم بقوله «عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ» و أنه لما ذكر عقابهم و ثواب المؤمنين عاد عليهم بالاحتجاج بالإبل و السماء و الأرض و الجبال و كيفية دلالتها على وجود الصانع الحكيم يريد هلا نظر هؤلاء فى صنائع الله فيعرفونه و يعبدونه عن أبى مسلم و قيل إنه لما ذكر سرر الجنة و ارتفاعها تعجبوا من ذلك و قالوا كيف يصعد عليها فأراهم الله سبحانه الإبل و أنه كيف سخرت لبنى آدم مع عظمها حتى أنيخت للحمل عليها و تقوم بعد ذلك و كيف أحكم الله خلق السماوات و الأرض و الجبال ردا على أولئك القوم و إنما خص سبحانه هذه الأشياء بالذكر لاستواء الناس كلهم فى معرفتها.

(٨٩) سورة الفجر مكيه و آياتها ثلاثون (٣٠)

اشاره

[توضيح]

مكيه اثنتان و ثلاثون آيه حجازى و ثلاثون كوفى شامى و تسع و عشرون بصرى.

اختلفها

أربع آيات «و نَعَمَهُ» «فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ» كلتهما حجازى «بِجَهَنَّمَ» حجازى شامى «فِي عِبَادِي» كوفى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأها فى ليال عشر غفر الله له و من قرأها سائر الأيام كانت له نورا يوم القيامة

و

روى داود بن فرقد عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال اقرأوا سورة الفجر فى فرائضكم و نوافلكم فإنها سورة الحسين بن على (عليه السلام) من قرأها كان مع الحسين بن على (عليه السلام) يوم القيامة فى درجته من الجنة.

تفسيرها

ختم الله سبحانه تلك السوره بأن إياب الخلق إليه و حسابهم عليه و افتتح هذه السوره بتأكيد ذلك المعنى حين أقسم أنه بالمرصاد فقال:

ص: ٣٠٧

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ الْفَجْرِ (١) وَ لَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَ الشَّفْعِ وَ الْوَتْرِ (٣) وَ اللَّيْلِ إِذَا يَسِر (٤)

هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٍ لِّدَىٰ حِجْرِ (٥) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَ ثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩)

وَ فِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبَالِغٌ صَادٍ (١٤)

فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَ أَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَ لَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَ تَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (١٩)

وَ تُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠) كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَ جَاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَ جِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَ أَنَّىٰ لَهُ الذُّكْرَىٰ (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤)

فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا (٢٥) وَ لَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدًا (٢٦) يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩)

وَ ادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير عاصم و الوتر بكسر الواو و الباقون بالفتح و قرأ أبو جعفر و ابن عامر فقدر بالتشديد و الباقون بالتخفيف و قرأ لا يكرمون بالياء و كذلك ما بعده أهل البصره و الباقون بالتاء و قرأ لا تحاضون أهل الكوفه و أبو جعفر و قرأ لا يعذب و لا يوثق بالفتح الكسائي و يعقوب و سهل و الباقون «لا يُعَذِّبُ» و «لا يُوثِقُ» و قرأ أهل المدينه و أبو عمرو و قتيبه عن

الكسائي و الليل إذا يسرى بإثبات الياء فى الوصل و حذفها فى الوقف و قرأ ابن كثير و يعقوب بإثبات الياء فى الوصل و الوقف و الباقر بالحذف فىهما و قرأ القواس و البزى و يعقوب بالوادى بإثبات الياء فى الوصل و الوقف و ورش بإثباتها فى الوصل و حذفها فى الوقف و الباقر بحذفها فى الوصل و الوقف و قرأ أهل المدينة أكرمنى و أهاننى بإثبات الياء فى الوصل و حذفها فى الوقف و القواس و البزى و يعقوب بإثبات الياء فى الوصل و الوقف و أبو عمرو و لا- يبالى كيف قرأ بالياء و غير الياء و روى العياشى عنه بحذف الياء من غير تخيير و الباقر بحذف الياء فى الحرفين فى الوصل و الوقف و فى الشواذ قراءه ابن عباس بعاد إرم ذات العماد و روى ذلك عن الضحاك أيضا و قراءه ابن عباس و عكرمه و الضحاك و ابن السميع فادخلى فى عدى.

الحجج

قال أبو على حدثنا محمد بن السرى أن الأصمعى قال لكل فرد وتر و أهل الحجاز يفتحون فيقولون وتر فى الفرد و يكسرون الوتر فى الذحل و قيس و تميم يسوونهما فى الكسر و يقولون فى الوتر الذى هو الأفراد أوترت و أنا أوتر إيثارا أى جعلت أمرى و ترا و فى الذحل وترته أتره و ترا وتره قال أبو بكر وترته فى الذحل إنما هو أفردته من أهله و ماله و من قرأ يكرمون و ما بعده بالياء فلما تقدم من ذكر الإنسان و المراد به الجنس و الكثرة على لفظ الغيبة و لا يمتنع فى هذه الأشياء الداله على الكثرة أن يحمل على اللفظ مره و على المعنى أخرى و من قرأ بالياء فعلى معنى قل لهم ذلك و معنى لا تحضون على طعام المسكين لا تأمرون به و لا- تبعثون عليه «و لا- تحاضون» تتفاعلون منه و قوله «لا يُعَذَّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ» معناه لا يعذب تعذيبه فوضع العذاب موضع التعذيب كما وضع العطاء موضع الإعطاء فى قوله

" و بعد عطائك المائه الرتاعا "

فالمصدر الذى هو عذاب مضاف إلى المفعول به مثل دعاء الخير و المفعول به الإنسان المتقدم ذكره فى قوله «يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ» و الوصاق أيضا موضع الإيثاق فأما من قرأ لا يعذب فقد قيل إن المعنى فيه أنه لا يتولى عذاب الله تعالى يومئذ أحد و الأمر يومئذ أمره و لا أمر لغيره هذا قول و قد قيل أيضا لا يعذب أحد فى الدنيا مثل عذاب الله فى الآخرة و كان الذى حمل قائل هذا القول على أن قاله إنه إن حمله على ظاهره كان المعنى لا يعذب أحد فى الآخرة مثل عذاب الله و معلوم أنه لا يعذب أحد فى الآخرة مثل

عذاب الله إنما المعذب الله تعالى فعدل عن الظاهر لذلك.

و لو قيل إن المعنى فيومئذ لا يعذب أحد أحدا تعذيبا مثل تعذيب الكافر المتقدم ذكره فأضيف المصدر إلى المفعول به كما أضيف إليه في القراءة الأولى و لم يذكر الفاعل كما لم يذكره في مثل قوله تعالى مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ لكان المعنى في القراءتين سواء و الذى يرد بأحد الملائكة الذين يتولون تعذيب أهل النار و يكون ذلك كقوله يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ و قوله وَ لَوْ تَرَى إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهُهُمْ وَ أَدْبَارَهُمْ و قوله «وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ» لا شبهه أن يكون هذا القول أولى و الفاعل له هم الملائكة قال و وجه قول من قال يسرى بالياء وصل أو وقف إن الفعل لا يحذف منه فى الوقف كما يحذف من الأسماء نحو قاض و غاز فتقول هو يقضى و أنا أقضى فتثبت الياء و لا تحذف كما تحذف من الاسم نحو هذا قاض و ليس إثبات الياء بالأحسن فى الوقف من الحذف و ذلك أنها فاصله و جميع ما لا يحذف فى الكلام و ما يختار فيه أن لا يحذف نحو القاضى بالألف و اللام يحذف إذا كان فى قافيه أو فاصله قال سيبويه: و الفاصله نحو «وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ» و يَوْمَ التَّنَادِ و الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ فإذا كان شىء من ذلك فى كلام تام شبه بالفاصله فحسن حذفها نحو قوله «ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ» فإن قلت كيف كان الاختيار فيه أن يحذف إذا كان فى فاصله أو قافيه و هذه الحروف من أنفس الكلم و هلا لم يستحسن حذفها كما أثبت سائر الحروف و لم يحذف و القول فى ذلك أن الفواصل و القوافى فى مواضع الوقف و الوقف موضع تغير فلما كان الوقف تغير فيه الحروف الصحيحة بالتضعيف و الإسكان و روم الحركة غيرت فيه هذه الحروف المشابهة للزيادة بالحذف ألا ترى أن النداء لما كان فى موضع حذف بالترخيم و الحذف للحروف الصحيحة أزموا الحذف فى أكثر الكلام للحرف المتغير و هو تاء التأنيث فكذلك أزم الحذف فى الوقف لهذه الحروف المتغيره فجعل تغييرها الحذف و لما يراع فيها ما روعى فى الحروف الصحيحة فسووا بينها و بين الزائد فى الحذف للجزم نحو لم يغز و لم يرم و لم يخش و أجروها مجرى الزائد فى الإطلاق نحو

" و بعض القوم يخلق ثم لا يفري "

و ما يمر و ما يحلو كما قالوا

" أقوين من حجج و من دهر "

فلذلك اختير فيها الحذف فى الفواصل و القوافى و كذلك قوله «جأبوا

الصَّخْرَ بِالْوَادِ» الأوجه فيه الحذف إذا كانت فاصله و إن كان الأحسن إذا لم تكن فاصله الإثبات و من قرأ فى الوصل يسرى بالياء و فى الوقف بغير ياء فإنه ذهب إلى أنه إذا لم يقف عليها صار بمنزله غيرها من المواضع التى لا يوقف عليها فلم تحذف من الفاصله إذا لم يقف عليها كما لم يحذف من غيرها و حذفها إذا وقف عليها من أجل الوقف و من قرأ «أَكْرَمَنِ» و «أَهَانَنِ» بغير ياء فى وصل و لا وقف فهو كمن قرأ «يَسْرِ» فى الوصل و الوقف لأن ما قبلها كسره فى فاصله و من قرأهما بياء فى الوصل كمثل من قرأ يسرى فى الوصل بإثبات الياء و حذفها فى الوقف و روايه سيويه عن أبى عمرو أنه قرأ «رَبِّى أَكْرَمَنِ» و «رَبِّى أَهَانَنِ» على الوقف و من قرأ أرم ذات العماد فالمعنى جعلها رميمما رمت هى و استرمت و أرمها غيرها قال ابن جنى و أما القراءه «بِعَادِ إِرَمَ» فعلى أنه أراد أهل إرم هذه المدينة فحذف المضاف و هو يريده كقوله تعالى بَزِينَهُ الْكَوَاكِبِ أَى بزينه الكواكب قال و قوله فى عبدى لفظه لفظ الواحد و معناه الجمع أى عبادى و ذلك أنه جعل عبادى كالواحد أى لا خلاف بينهم فى عبوديته كما لا يخالف الإنسان فيصير

كقول النبى ص و هم يد على من سواهم

و قال غيره معناه فادخلى فى جسم عبدى.

اللغة

الفجر شق عمود الصبح فجره الله لعباده فجرا إذا أظهره فى أفق المشرق مبشرا بإدبار الليل المظلم و إقبال النهار المضى ء و هما فجران (أحدهما) الفجر المستطيل و هو الذى يصعد طولا كذنب السرحان و لا حكم له فى الشرع (و الآخر) هو المستطير المنتشر فى أفق السماء و هو الذى يحرم عنده الأكل و الشرب لمن أراد أن يصوم فى شهر رمضان و هو ابتداء اليوم و الحجر العقل و أصله المنع يقال حجر القاضى على فلان ماله أى منعه من التصرف فيه فالعقل يمنع من المقبحات و يزجر عن فعلها و العماد جمعه عمد و هو ما تبنى به الأبنية و يستعمل فى القوه و الشرق يقال فلان رفيع العماد قال:

و نحن إذا عماد البيت خرت على الأخفاض نمنع من يلينا

و الجواب القطع قال النابغه:

أتاك أبو ليلى تجوب به الدجى دجى الليل جواب الفلاة غشمشم

و الغشمشم الطويل و السوط معروف قال الفراء السوط اسم للعذاب و إن لم يكن ثم ضرب بسوط و أصل السوط خلط الشىء بعضه ببعض فكان السوط قسط عذاب يخالط اللحوم و الدماء كما يخالطهما السوط قال الشاعر:

أ حارث أنا لو تساط دماؤنا تزايلن حتى لا يمس دم دما

و المرصاد الطريق مفعال من رصده يرصده رصدا إذا راعى ما يكون منه ليقابله بما يقتضيه و اللم الجمع و لممت ما على الخوان ألمه لما إذا أكلته أجمع كأنه يأكل ما ألم به و لا يميز شيئا من شىء و الجم الكثير العظيم و جمه الماء معظمه و جم الماء فى الحوض إذا اجتمع و كثر قال زهير:

فلما وردن الماء زرقا جمامه وضعن عصى الحاضر المتخيم

و الدك حط المرتفع بالبسط يقال اندك سنام البعير إذا انفرش فى ظهره و ناقه دكاء إذا كانت كذلك و منه الدكان لاستوائه قال:

ليت الجبال تداعت عند مصرعها دكا فلم يبق من أحجارها حجر

و الوثاق الشد و أوثقته شدته.

الإعراب

جواب القسم قوله «إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمُرْصَادِ» و قيل جوابه محذوف تقديره ليقبضن على كل ظالم أو لينتصفن كل مظلوم من ظالمه أ ما رأيت كيف فعلنا بعاد و فرعون و ثمود لما ظلموا و أجرى إرم على عاد عطف بيان أو على البدل و لا يجوز أن يكون صفه لأنه غير مشتق و إنما لا ينصرف إرم للتعريف و التأنيث ألا ترى إلى قوله «ذَاتِ الْعِمَادِ» و من أضاف فقال بعاد إرم فى الشواذ فإنه عنده بمنزله قولهم زيد بطله لأنه لقب فيضاف إليه الاسم و ثمود فى موضع جر أى و بتمود لا ينصرف لأنه أعجمى معرفه على طعام المسكين تقديره على إطعام طعام المسكين فحذف المضاف و يجوز أن يكون طعام اسما أقيم مقام الإطعام كقول لبيد:

باكرت حاجتها الدجاج بسحره لأعل منها حين هب نيامها

أى لاحتياجى إليها فهو مفعول له و التراث أصله الوارث من ورثت و لكن التاء تبدل من الواو و مثله تجاه أصله وجاه من واجهه و جواب إذا فى قوله «إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ» قوله «فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا» و قوله «صَيْفًا صَيْفًا» مصدر وضع موضع الحال أى مصطفين.

المعنى

«وَ الْفَجْرِ» أقسم الله سبحانه بفجر النهار و هو انفجار الصبح كل يوم عن

عكرمه و الحسن و الجبائى و رواه أبو صالح عن ابن عباس و قيل هو فجر ذى الحجه لأن الله تعالى قرن الأيام به فقال «و ليالٍ عَشْرٍ» و هى عشر ذى الحجه عن مجاهد و الضحاك و قيل فجر أول المحرم لأنه تتجدد عنده السنه عن قتاده و قيل يريد فجر يوم النحر لأنه يقع فيه القربان و يتصل بالليالى العشر عن أبى مسلم و قيل أراد بالفجر النهار كله عن ابن عباس و

ليال عشر يعنى العشر من ذى الحجه عن ابن عباس و الحسن و قتاده و مجاهد و الضحاك و السدى و روى ذلك مرفوعا

شرفها الله ليسارع الناس فيها إلى عمل الخير و قيل هى العشر الأواخر من شهر رمضان فى روايه أخرى عن ابن عباس و قيل إنها عشر موسى للثلاثين ليله التى أتمها الله بها «و الشَّفَعِ وَ الوُتْرِ» يعنى الزوج و الفرد من العدد كله عن الحسن قال أبو مسلم هو تذكير بالحساب لعظم ما فيه من النفع و النعم بما يضبط به من المقادير و قيل الشفع و الوتر كل ما خلقه الله تعالى لأن جميع الأشياء إما زوج و إما فرد عن ابن زيد و الجبائى و

قيل الشفع الخلق لأنه قال وَ خَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا وَ الوتر الله تعالى عن عطيه العوفى و أبى صالح و ابن عباس و مجاهد و هى روايه أبى سعيد الخدرى عن النبى ص

و

قيل الشفع و الوتر الصلاة و منه شفع و منها وتر و هى روايه ابن حصين عن النبى ص

و

قيل الشفع يوم النحر و الوتر يوم عرفه عن ابن عباس و عكرمه و الضحاك و هى روايه جابر عن النبى ص

و الوجه فيه أن يوم النحر يشفع بيوم نفر بعده و ينفرد يوم عرفه بالموقف و

قيل الشفع يوم الترويه و الوتر يوم عرفه و روى ذلك عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل إن الشفع و الوتر فى قول الله عز و جل فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ فالشفع النفر الأول و الوتر يوم النفر الأخير و هو الثالث و أما الليالى العشر فالثمانى من ذى الحجه و عرفه و النحر عن ابن الزبير و قيل الوتر آدم شفع بزوجه عن ابن عباس و قيل الشفع الأيام و الليالى و الوتر اليوم الذى لا ليل بعده و هو يوم القيامه عن مقاتل بن حيان و قيل الشفع صفات المخلوقين و تضادها العز و الذل و الوجود و العدم و القدره و العجز و العلم و الجهل و الحياه و الموت و الوتر صفه الله تعالى إذ هو الموجود لا يجوز عليه العدم و القادر لا يجوز عليه العجز و العالم لا يجوز عليه الجهل و الحى لا يجوز عليه الموت و قيل الشفع على و فاطمه (عليه السلام) و الوتر محمد ص و قيل الشفع الصفا و المروه و الوتر البيت الحرام «وَ اللَّيْلِ إِذَا يَسِيرٍ» اختلفوا فى المراد به على و جهين (أحدهما) أنه أراد جنس الليالى كما قال وَ اللَّيْلِ إِذَا يَسِيرٍ أَوْ اللَّيْلِ إِذَا يَمْضَى بظلامه فيذهب حتى ينقضى بالضياء المبتدئ فى سيره على المقادير المرتبه و مجيئه بالضياء عند تقضيه أدل دلالة على أن فاعله يختص بالعز و الجلال و يتعالى عن الأشباه و الأمثال و قيل إنه إنما أضاف السير إليه لأن الليل يسير بمسير الشمس فى الفلك و انتقالها من أفق إلى أفق و قيل إذا يسرى إذا جاء

و أقبل إلينا و يريد كل ليله عن قتاده و الجبائي و الوجه الآخر أن المراد به ليله بعينها تمييزا لها من بين الليالي ثم قيل إنها ليله المزدلفه لاختصاصها باجتماع الناس فيها بطاعة الله تعالى و فيها يسرى الحاج من عرفه إلى المزدلفه ثم يصلى الغداه بها و يغدو منها إلى منى عن مجاهد و عكرمه و الكلبي «هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِتِذِي حِجْرٍ» أى هل فيما ذكر من الأقسام مقنع لذى عقل و لب يعقل القسم و المقسم به و هذا تأكيد و تعظيم لما وقع القسم به و المعنى أن من كان ذا لب علم أن ما أقسم الله به من هذه الأشياء فيه عجائب و دلائل على توحيد الله توضح عن عجائب صنعه و بدائع حكمته ثم اعترض بين القسم و جوابه بقوله «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ» و هذا خطاب للنبي ص و تنبيه للكفار على ما فعله سبحانه بالأمم السالفه لما كفرت بالله و بأنبيائه و كانت أطول أعمارا و أشد قوه و عاد قوم هود و اختلفوا فى إرم على أقوال (أحدها) أنه اسم لقبيله قال أبو عبيده هما عادان فالأولى هى إرم و هى التى قال الله تعالى فيهم وَ أَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى و قيل هو جد عاد و هو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عن محمد بن إسحاق و قيل هو سام بن نوح نسب عاد إليه عن الكلبي و قيل إرم قبيله من قوم عاد كان فيهم الملك و كانوا بمهره و كان عاد أباهم عن مقاتل و قتاده (و ثانيها) أن إرم اسم بلد ثم قيل هو دمشق عن ابن سعيد المقرئ و سعيد بن المسيب و عكرمه و قيل هو مدينه الإسكندريه عن محمد بن كعب القرظي و قيل هو مدينه بناها شداد بن عاد فلما أتمها و أراد أن يدخلها أهلكه الله بصيحه نزلت من السماء (و ثالثها) أنه ليس بقبيله و لا بلد بل هو لقب لعاد و كان عاد يعرف به عن الجبائي و روى عن الحسن أنه قرأ بعاد إرم على الإضافه و قيل هو اسم آخر لعاد و كان له اسمان و من جعله بلدا فالتقدير فى الآيه بعاد صاحب إرم و قوله «ذَاتِ الْعِمَادِ» يعنى أنهم كانوا أهل عمد سياره فى الريح فإذا هاج النبت رجعوا إلى منازلهم عن ابن عباس فى روايه عطاء و الكلبي عن قتاده و قيل معناه ذات الطول و الشده عن ابن عباس و مجاهد من قول العرب رجل معمد للطويل و رجل طويل العماد أى القامه ثم وصفهم سبحانه فقال «الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ» أى لم يخلق فى البلاد مثل تلك القبيله فى الطول و القوه و عظم الأجسام و هم الذين قالوا من أشد منا قوه و روى أن الرجل منهم كان يأتى بالصخره فيحملها على الحى فيهلكهم و قيل ذات العماد أى ذات الأبنيه العظام المرتفعه عن الحسن و قال ابن زيد ذات العماد فى أحكام البنيان التى لم يخلق مثلها أى مثل أبنيتها فى البلاد.

[قصه إرم ذات العماد]

قال وهب بن منبه خرج عبد الله بن قلابه فى طلب إبل له شردت فينا هو فى صحارى

عدن إذ هو قد وقع في مدينه في تلك الفلوات عليها حصن و حول الحصن قصور كثيره و أعلام طوال فلما دنا منها ظن أن فيها أحدا يسأله عن إبله فنزل عن دابته و عقلها و سل سيفه و دخل من باب الحصن فلما دخل الحصن فإذا هو ببايين عظيمين لم ير أعظم منهما و البابان مرصعان بالياقوت الأبيض و الأحمر فلما رأى ذلك دهش ففتح أحد البابين فإذا هو بمدينه لم ير أحد مثلها و إذا هو قصور كل قصر فوقه غرف و فوق الغرف غرف مبنيه بالذهب و الفضة و اللؤلؤ و الياقوت و مصاريع تلك الغرف مثل مصراع المدينه يقابل بعضها بعضا مفروشه كلها باللاكي و بنادق من مسك و زعفران فلما رأى الرجل ما رأى و لم ير فيها أحدا هاله ذلك ثم نظر إلى الأزقه فإذا هو بشجر في كل زقاق منها قد أثمرت تلك الأشجار و تحت الأشجار أنهار مطرده يجرى ماؤها من قنوات من فضه كل قناه أشد بياضا من الشمس فقال الرجل و الذى بعث محمدا ص بالحق ما خلق الله مثل هذه فى الدنيا و إن هذه هى الجنه التى وصفها الله تعالى فى كتابه فحمل معه من لؤلؤها و من بنادق المسك و الزعفران و لم يستطع أن يقلع من زبرجدها و من ياقوتها شيئا و خرج و رجع إلى اليمن فأظهر ما كان معه و علم الناس أمره فلم يزل ينمو أمره حتى بلغ معاويه خبره فأرسل فى طلبه حتى قدم عليه فقص عليه القصة فأرسل معاويه إلى كعب الأحبار فلما أتاه قال يا أبا إسحاق هل فى الدنيا مدينه من ذهب و فضه قال نعم أخبرك بها و بمن بناها إنما بناها شداد بن عاد فأما المدينه فارم ذات العماد التى وصفها الله تعالى فى كتابه و هى التى لم يخلق مثلها فى البلاد قال معاويه فحدثنى حديثها فقال إن عادا الأولى ليس بعاد قوم هود و إنما هود و قوم هود ولد ذلك و كاد عاد له ابنان شداد و شديد فهلك عاد فبقيا و ملكا فقهرا البلاد و أخذها عنوه ثم هلك شديد و بقى شداد فملك وحده و دانت له ملوك الأرض فدعته نفسه إلى بناء مثل الجنه عتوا على الله سبحانه فأمر بصنعه تلك المدينه إرم ذات العماد و أمر على صنعها مائه قهرمان مع كل قهرمان ألف من الأعوان و كتب إلى كل ملك فى الدنيا أن يجمع له ما فى بلاده من الجواهر و كان هؤلاء القهارمه أقاموا فى بنائها مده طويله فلما فرغوا منها جعلوا عليها حصنا و حول الحصن ألف قصر ثم سار الملك إليها فى جنده و وزرائه فلما كان منها على مسيره يوم و ليله بعث الله عز و جل عليه و على من معه صيحه من السماء فأهلكتهم جميعا و لم يبق منهم أحدا و سيدخلها فى زمانك رجل من المسلمين أحمر أشقر قصير على حاجبه خال و على عنقه خال يخرج فى طلب إبل له فى تلك الصحارى و الرجل عند معاويه فالتفت كعب إليه و قال هذا و الله ذلك الرجل

[المعنى]

ثم قال سبحانه «و تَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ» أى و كيف فعل بشمود الذين قطعوا الصخر و نقبوها بالوادى الذى كانوا ينزلونه يعنى وادى القرى قال ابن عباس كانوا ينحتون الجبال

ص: ٣١٥

فيجعلون منها بيوتا كما قال الله تعالى وَ تَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ «وَفِرْعَوْنَ» أى وكيف فعل فرعون الذى أرسل إليه موسى «ذِي الْأُوتَادِ» أى ذى الجنود الذين كانوا يشيدون أمره عن ابن عباس و سماهم أوتادا لأنهم قواد عسكره الذين بهم قوام أمره و قيل كان يشد الرجل بأربعة أوتاد على الأرض إذا أراد تعذيبه و يتركه حتى يموت عن مجاهد و عن ابن مسعود قال و تد امرأته بأربعة أوتاد ثم جعل على ظهرها رحي عظيمه حتى ماتت و قد مر بيانه فى سورة ص «الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ» يعنى عادا و ثمود و فرعون طغوا أى تجبروا فى البلاد على أنبياء الله و عملوا فيها بمعصيه الله «فَأَكْثَرُوا فِيهَا» أى فى الأرض أو فى البلاد «الْفَسَادَ» أى القتل و المعصيه عن الكلبي ثم بين سبحانه ما فعله بهم عاجلا بأن قال «فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ» أى فجعل سوطه الذى ضربهم به العذاب عن الزجاج و قيل معناه صب عليهم قسط عذاب كالعذاب بالسوط الذى يعرف أراد ما عذبوا به و قيل إن كل شىء عذب الله به فهو سوط فأجرى على العذاب اسم السوط مجازا عن قتاده شبه سبحانه العذاب الذى أحله بهم و ألقاه عليهم بانصباب السوط و تواتره على المضروب حتى يهلكه «إِنَّ رَبَّكَ لَبَالْمُرْصَادِ» أى عليه طريق العباد فلا يفوته أحد عن الكلبي و الحسن و عكرمه و المعنى أنه لا يفوته شىء من أعمالهم لأنه يسمع و يرى جميع أقوالهم و أفعالهم كما لا يفوت من هو بالمرصاد و

روى عن على (عليه السلام) أنه قال معناه إن ربك قادر على أن يجزى أهل المعاصى جزاءهم

و

عن الصادق (عليه السلام) أنه قال المرصاد قنطره على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمه عبد

و قال عطاء يعنى يجازى كل واحد و ينتصف من الظالم للمظلوم و قيل لأعرابي أين ربك قال بالمرصاد و ليس يريد به المكان

فقد سئل على (عليه السلام) أين كان ربنا قبل أن خلق السماوات و الأرض فقال أين سؤال عن مكان و كان الله و لا مكان

و روى عن ابن عباس فى هذه الآية قال إن على جسر جهنم سبع محابس يسأل العبد عندها أولها عن شهادته أن لا إله إلا الله فإن جاء بها تامه جاز إلى الثانى فيسأل عن الصلاة فإن جاء بها تامه جاز إلى الثالث فيسأل عن الزكاه فإن جاء بها تامه جاز إلى الرابع فيسأل عن الصوم فإن جاء بها تامه جاز إلى الخامس فيسأل عن الحج فإن جاء به تاما جاز إلى السادس فيسأل عن العمره فإن جاء بها تامه جاز إلى السابع فيسأل عن المظالم فإن خرج منها و إلا يقال انظروا فإن كان له تطوع أكمل به أعماله فإذا فرغ انطلق به إلى الجنة ثم قسم سبحانه أحوال البشر فقال «فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ» أى اختبره و امتحنه بالنعمة «فَأَكْرَمَهُ» بالمال «و نَعَّمَهُ» بما وسع عليه من أنواع الإفضال «فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ» فيفرح بذلك و يسر و يقول ربي أعطاني هذا لكرامتى عنده و منزلتى لديه أى يحسب أنه كريم على ربه حيث وسع الدنيا عليه «وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ» بالفقر و الفاقة «فَقَدَرَ» أى فضيق و

قتر «عَلَيْهِ رِزْقُهُ» و جعله على قدر البلغه «فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ» أى فيظن أن ذلك هوان من الله و يقول ربى أذلنى بالفقر ثم قال «كَلَّا» أى ليس كما ظن فإنى لا أغنى المرء لكرامته على و لا أفقره لمهانتته عندى و لكنى أوسع على من أشاء و أضييق على من أشاء بحسب ما توجه الحكمة و يقتضيه الصلاح ابتلاء بالشكر و الصبر و إنما الإِكْرَام على الحقيقة يكون بالطاعة و الإِهَانَة تكون بالمعصية ثم بين سبحانه ما يستحق به الهوان فقال بل إنما أهنت من أهنت لأنهم عصونى.

ثم فصل العصيان فقال «بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ» و هو الطفل الذى لا أب له أى لا تعطونهم مما أعطاكم الله حتى تغنوهم عن ذل السؤال و خص اليتيم لأنهم لا كافل لهم يقوم بأمرهم و

قد قال ص أنا و كافل اليتيم كهاتين فى الجنة و أشار بالسبابه و الوسطى

قال مقاتل: كان قدامه بن مظعون فى حجر أميه بن خلف يتيما و كان يدفعه عن حقه فعلى هذا فإنه يحتمل معنيين (أحدهما) إنكم لا- تحسنون إليه (و الآخر) إنكم لا- تعطونه حقه من الميراث على ما جرت به عادة الكفار من حرمان اليتيم ما كان له من الميراث و لا تحضون على طعام المسكين أى و لا تحثون على إطعامه و لا تأمرون بالتصدق عليه و من قرأ «لَا تَحَاضُّونَ» أراد لا يحض بعضكم بعضا على ذلك و المعنى أن الإِهَانَة ما فعلتموه من ترك إكرام اليتيم و منع الصدقه من الفقير لا ما توهمتموه و قيل إن المراد إنما أعطيتكم المال لذلك فإذا لم تفعلوه فذلك يوجب إهانتكم «وَأَتَاكُلُونَ الثَّرَاثَ» أى الميراث و قيل أموال اليتامى عن أبى مسلم قال و لم يرد الميراث الحلال لأنه لا يلام آكله عليه قال الحسن: يأكل نصيبه و نصيب اليتيم و ذلك أنهم كانوا لا- يورثون النساء و الصبيان و يأكلون أموالهم و قيل يأكلون الميراث فيما يشتهون و لا يتفكرون فى إخراج ما أوجب الله عليهم من الحقوق فيه «أَكَلًا لَمًّا» شديدا تلمون جميعه فى الأكل و قيل هو أن يأكل نصيبه و نصيب غيره عن الحسن و قيل هو أن يأكل ما يجده و لا يفكر فيما يأكله من خبيث و طيب عن ابن زيد «وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا» أى كثيرا شديدا عن ابن عباس و مجاهد و المعنى تحبون جمع المال و تولعون به فلا تنفقونه فى خير و قيل يحبون كثره المال من فرط حرصهم فيجمعونه من غير وجهه و يصرفونه فى غير وجهه و لا يتفكرون فى العاقبه ثم قال سبحانه «كَلَّا» أى لا ينبغى أن يكون الأمر هكذا و قال مقاتل:

معناه لا يفعلون ما أمروا به فى اليتيم و المسكين و قيل كلا زجر تقديره لا تفعلوا هكذا ثم خوفهم فقال «إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا» أى كسر كل شىء على ظهرها من جبل أو بناء أو شجر حتى زلزلت فلم يبق عليها شىء يفعل ذلك مره بعد مره و قيل دكت الأرض أى مدت يوم القيامة مد الأديم عن ابن عباس و قيل دقت جبالها و أنشازها حتى استوت عن ابن قتيبه و المعنى استوت فى انفراشها و ذهب دورها و قصورها و سائر أبنيتها حتى تصير كالصحراء

الملساء «وَجَاءَ رَبُّكَ» أى أمر ربك وقضاؤه ومحاسبته عن الحسن والجبائى وقيل جاء أمره الذى لا أمر معه بخلاف حال الدنيا عن أبى مسلم وقيل جاء جلائل آياته فجعل مجيئها مجيئه تفخيماً لأمرها وقال بعض المحققين: المعنى وجاء ظهور ربك لضروره المعرفه به لأن ظهور المعرفه بالشىء يقوم مقام ظهوره ورؤيته ولما صارت المعارف بالله فى ذلك اليوم ضروريه صار ذلك كظهوره وتجليه للخلق فقبل جاء ربك أى زالت الشبهه وارتفع الشك كما يرتفع عند مجىء الشىء الذى كان يشك فيه جل وتقدس عن المجىء والذهاب لقيام البراهين القاهره والدلائل الباهره على أنه سبحانه ليس بجسم «وَالْمَلَكُ» أى وتجىء الملائكه «صَفًّا صَفًّا» يريد صفوف الملائكه وأهل كل سماء صف على حده عن عطاء وقال الضحاك:

أهل كل سماء إذا زلزلوا يوم القيامة كانوا صفاً محيطين بالأرض وبمن فيها فيكون سبع صفوف فذلك قوله «صَفًّا صَفًّا» وقيل معناه مصطفين كصفوف الناس فى الصلاه يأتى الصف الأول ثم الصف الثانى ثم الصف الثالث ثم على هذا الترتيب لأن ذلك أشبه بحال الاستواء من التشويش فالتعديل والتقويم أولى «وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ» أى وأحضرت فى ذلك اليوم جهنم ليعاقب بها المستحقون لها ويرى أهل الموقف هولها وعظم منظرها و

روى مرفوعاً عن أبى سعيد الخدرى قال لما نزلت هذه الآية تغير وجه رسول الله ص وعرف فى وجهه حتى اشتد على أصحابه ما رأوا من حاله وانطلق بعضهم إلى على بن أبى طالب (عليه السلام) فقالوا يا على لقد حدث أمر قد رأيناه فى نبى الله ص فجاء على (عليه السلام) فاحتضنه من خلفه وقبل بين عاتقيه ثم قال يا نبى الله بأبى أنت وأمى ما الذى حدث اليوم قال جاء جبرائيل (عليه السلام) فأقرأنى «وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ» قال فقلت كيف يجاء بها قال يجىء بها سبعون ألف ملك يقودونها بسبعين ألف زمام فتشرد شرده لو تركت لأحرق أهل الجمع ثم أعرض لجهنم فتقول ما لى ولك يا محمد فقد حرم الله لحمك على فلا يبقى أحد إلا قال نفسى نفسى وإن محمداً يقول رب أمتى أمتى

ثم قال سبحانه «يَوْمَئِذٍ» يعنى يوماً يجاء بجهنم «يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ» أى يتعظ ويتوب الكافر «وَأَنَّى لَهُ الذُّكْرَى» أى ومن أين له التوبه عن الزجاج وقيل معناه يتذكر الإنسان ما قصر وفرط إذ يعلم يقيناً ما قد توعد به فكيف ينفعه التذكر أثبت له التذكر ثم نفاه بمعنى أنه لا- ينتفع به فكأنه لم يكن وكان ينبغى له أن يتذكر فى وقت ينفعه ذلك فيه ثم حكى سبحانه ما يقول الكافر والمفرط الجانى على نفسه ويتمناه بقوله «يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي» أى يتمنى أن يكون قد كان عمل الطاعات والحسنات لحياته بعد موته أو عملها للحياه التى تدوم له بقوله «يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي» العمل الصالح لآخرتى التى لا موت فيها ثم قال سبحانه «فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا» أى لا يعذب عذاب الله أحد من

الخلق «وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ» أى وثاق الله أحد من الخلق فالمعنى لا يعذب أحد فى الدنيا مثل عذاب الله الكافر يومئذ و لا يوثق أحد فى الدنيا بمثل وثاق الله الكافر يومئذ و أما القراءه بفتح العين فى يعذب و يوثق

فقد وردت الروايه عن أبى قلابه قال أقرأنى من أقرأه رسول الله ص فيومئذ لا يعذب عذابه أحد و لا يوثق وثاقه أحد

و المعنى لا يعذب أحد تعذيب هذا الكافر إن قلنا إنه كافر بعينه أو تعذيب هذا الصنف من الكفار و هم الذين ذكروا فى قوله «لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ» الآيات و هذا و إن أطلق فالأولى أن يكون المراد التقييد لأننا نعلم أن إبليس أشد عذابا و وثاقا منه و قيل معناه لا يؤاخذ بذنبه غيره و التقدير لا يعذب أحد بعذابه لأنه المستحق بعذابه و لا يؤاخذ الله أحدا بجرم غيره «يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ» بالإيمان المؤمنه الموقنه المصدقه بالثواب و البعث و الطمأنينه حقيقه الإيمان عن الحسن و مجاهد و قيل المطمئنه الآمنه بالبشاره بالجنه عند الموت و يوم البعث عن ابن زيد و قيل النفس المطمئنه التى يبىض وجهها و يعطى كتابها بيمينها فحينئذ تطمئن عن الكلبي و أبى روق «ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ» أى يقال لها عند الموت عن أبى صالح و قيل عند البعث عن عكرمه و الضحاك ارجعى إلى ثواب ربك و ما أعدده لك من النعيم عن الحسن و قيل ارجعى إلى الموضع الذى يختص الله سبحانه بالأمر و النهى فيه دون خلقه و قيل إن المراد ارجعى إلى صاحبكك و جسدك فيكون الخطاب للروح أن ترجع إلى الجسد عن ابن عباس «راضية» بثواب الله «مَرْضِيَّةٌ» أعمالها التى عملتها و قيل راضيه عن الله بما أعد الله لها مرضيه رضى عنها ربها بما عملت من طاعته و قيل راضيه بقضاء الله فى الدنيا حتى رضى الله عنها و رضى بأفعالها و اعتقادها «فَادْخُلِي فِي عِبَادِي» أى فى زمرة عبادى الصالحين المصطفين الذين رضيت عنهم و هذه نسبة تشرىف و تعظيم «وَادْخُلِي جَنَّتِي» التى وعدتكم بها و أعددت نعيمكم فيها.

النظم

وجه اتصال قوله «فَأَمَّا الْإِنْسَانُ» الآيه بما قبله فيه قولان (أحدهما) أنه يتصل بقوله «إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ» أى هو بالمرصاد لأعمالهم لا- يخفى عليه شىء من مصالحهم فإذا أكرم أحدا منهم بنوع من النعم التى هى الصحه و السلامه و المال و البنون امتحانا و اختبارا ظن ذلك واجبا و إذا قتر عليه رزقه ظن ذلك إهانه له و إنما يفعل سبحانه جميع ذلك للمصالح عن أبى مسلم (و الثانى) أن المعنى بالمرصاد لهم يتعبده بما هو الأصلح لهم و أنهم يظنون أنه يتبدئ عباده بالإكرام و الإهانه و ليس كذلك بل هما مستحقان و لا يدخل العباد تحت الاستحقاق إلا بعد التكليف و أما قوله «بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ» فوجه اتصاله بما قبله أنه رد عليهم ظنهم أنه ضيق عليهم أرزاقهم على وجه الإهانه فبين سبحانه أن الإهانه لما ذكره لا لما قالوه.

ص: ٣١٩

(٩٠) سورة البلد مكيه و آياتها عشرون (٢٠)

اشاره

[توضيح]

مكيه عشرون آيه بالإجماع.

فضلها

أبى بن كعب قال قال رسول الله ص من قرأها أعطاه الله الأمن من غضبه يوم القيامة

أبو بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من كان قراءته فى الفريضة لا أقسم بهذا البلد كان فى الدنيا معروفا أنه من الصالحين و كان فى الآخرة معروفا أن له من الله مكانا و كان من رفقاء النبيين و الشهداء و الصالحين.

تفسيرها

لما ختم تلك السوره بذكر النفس المطمئنه بين فى هذه السوره وجه الاطمئنان و أنه النظر فى طريق معرفه الله و أكد ذلك بالقسم فقال:

ص: ٣٢٠

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَ وَالِدٍ وَ مَا وَلَدٌ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤)

أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يُقَسِّدَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَدَأَ (٦) أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَ لِسَانًا وَ شَفَتَيْنِ (٩)

وَ هَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠) فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤)

يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَ تَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨) وَ الَّذِينَ كَفَرُوا بآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩)

عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ (٢٠)

القراءة

قرأ أبو جعفر لبدا بالتشديد و الباقون بالتخفيف و قرأ ابن كثير و أبو عمرو و الكسائي فك رقه أو أطمع و الباقون «فك رقبته» بالرفع و الإضافه «أَوْ إِطْعَامٌ» بالتثنية و قرأ أبو عمرو و أهل الكوفه غير عاصم مؤصده بالهمزه و الباقون بغير همزه و يعقوب مختلف عنه و فى الشواذ قراءة الحسن فى يوم ذا مسغبه.

الحج

لبد يجوز أن يكون واحدا على وزن زمل و جبا و يجوز أن يكون جمعا فيكون جمع لأبد و أما قوله «فك رقبته أَوْ إِطْعَامٌ» فقد قال أبو على: المعنى فيه و ما أدراك ما اقتحام العقبة فك رقبه أو إطعام أى اقتحامها أحد هذين أو هذا الضرب من فعل القرب فلو لم تقدره و تركت الكلام على ظاهره كان المعنى العقبة فك رقبه و لا تكون العقبة الفك لأنه عين و الفك حدث و الخبر ينبغى أن يكون المبتدأ فى المعنى و مثل هذا قوله «وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الْخَطْمَةُ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ» أى الحطمة نار الله و مثله «وَ مَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ نَارٌ حَامِيَةٌ» و كذلك قوله «وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ» و المعنى القارعه يوم يكون الناس لأن القارعه مصدر فيكون اسم الزمان خبرا عنه فهذه الجمل من الابتداء و الخبر تفسير لهذه الأشياء المتقدم ذكرها من اقتحام العقبة و الحطمة و القارعه كما أن قوله تعالى «لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِيمٌ» تفسير للوعد و قوله «فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ» معناه فلم يقتحم و إذا كانت لا بمعنى لم لم يلزم تكريرها كما لا يلزم التكرير مع لم فإن تكررت فى موضع نحو فلا صيدق و لا صيلمى فهو كتكرير لم فى قوله لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا و قوله «ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا» أى كان مقتحم العقبة و فكاك الرقبه من الذين آمنوا فإنه إذا لم يكن منهم لم ينفعه رقبه و جاز وصف

اليوم بقوله «ذِي مَسْغِيهِ» كما جاز أن يقال ليله نائم ونهاره صائم ونحو ذلك و من قرأ فك رقبه أو أطعم فإنه يجوز أن يكون ما ذكر من الفعل تفسيرا لاقتحام العقبة فإن قلت إن هذا الضرب لم يفسر بالفعل وإنما فسر بالابتداء والخبر كقوله «نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ» وقوله «نَارُ حَامِيَّتِهِ» فهلا رجحت القراءة الأخرى قيل إنه قد يمكن أن يكون كَذَبَتْ ثَمُودٌ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ تفسيرا لقوله وَ مَا أَذْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ على المعنى وقد جاء إنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ و فسر المثل بقوله خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ و زعموا أن أبا عمرو واحتج بقوله «ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا» لقراءه فك رقبه كأنه لما كان فعلا وجب أن يكون المعطوف عليه مثله وقد يجوز أن يكون ذلك كالقطع من الأول والاستئناف كأنه أعلم أن فكاك الرقبه من الرق بأن كان من الذين آمنوا لأنه بالإيمان يحرز ثواب ذلك و يحوزه فإذا لم ينضم الإيمان إلى فعل القرب التي تقدم ذكرها لم ينفع ذلك و التقدير ثم كونه من الذين آمنوا فجاء هذا مجيء قوله سبحانه كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَ شَهِدُوا بِرِيدٍ و إن شهدوا. و أوصدت الباب و أصدته لغتان فمن لم يهزم مؤصده احتمل أمرين (أحدهما) أن يكون على لغة من قال أوصدت (و الوجه الآخر) أن يكون من آصدت ثم خففت الهمزة فقلت واوا كما جاء في جونه و تووى و من همز مؤصده فهو من أصدت و أبو عمرو يترك الهمزة الساكنة و يبديلها واوا إذا انضم ما قبلها نحو يؤمنون و مؤمنين و يبديلها ألفا إذا انفتح ما قبلها ياء إذا انكسر ما قبلها و لا يبديلها في نحو قوله «مُؤَصِّدَةٌ» بل يهزمها لأن مؤصده بالهمز هي لغة من قال آصدت الباب و الباب مؤصده و أبو عمرو على هذه اللغة فلا يترك الهمز إذا احتاج أن يترك لغته و ينتقل عنها إلى لغة أخرى و كذلك لا يترك الهمز في قوله تووى إليك لأنه لو أبدلها واوا و بعدها واو اجتمع واوان و اجتماعهما أثقل من الهمزة و كذلك إذا كان الفعل مجزوما و لامها همزة بقاها على حالها و لا يبديلها بته نحو قوله إن تَمَسَّ بِكُمْ حَسِيْنَةُ تَسُوْهُمُ لِأَنَّهُ لَوْ أَبْدَلَهَا وَاوَا وَجِبَ حَذْفُهَا بِالْجَزْمِ كَمَا تَقُولُ فِي يَغْزُو لَمْ يَغْزُ كَذَلِكَ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبُكُمْ لَا يَبْدِلُهَا أَلْفَا لِهَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا وَ كَذَلِكَ قَوْلُهُ أَثَانًا وَ رِيًّا لَا يَقْبَلُهَا يَاءٌ لِأَنَّهُ يَشْتَبُه بِالرِّيِّ مِنْ رَوَى مِنَ الْمَاءِ فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ أَحْوَالٍ لَا يَتْرُكُ الْهَمْزَ فِيهَا إِذَا احتاج إلى ترك لغته و أن ينتقل إلى لغة أخرى و إذا كان الهمز في موضع الجزم و إذا اشتبه المعنى في الكلمة بكلمه أخرى و إذا كان ترك الهمز يؤدي إلى اجتماع الواوين فافهم ذلك و من قرأ ذا مسغبه جعله مفعول إطعام و يتيما بدل منه و يجوز أن يكون يتيما وصفا لذا مسغبه كقولك رأيت كريما عاقلا و جاز وصف الصفه الذي هو كريم لأنه لما لم يجر على الاسم الموصوف أشبه الاسم.

اللغة

الحل الحال و هو الساكن و الحل الحلال و رجل حل و حلال أى محل و الكبد

فى اللغة شده الأمر و منه تكبد اللبن إذا غلظ و اشتد و منه الكبد لأنه دم يغلظ و يشتد و تكبد الدم إذا صار كالكبد قال لبيد:

عين هلا بكيت أربد إذ قمنا و قام الخصوم فى كبد

و اللبد الكثير مأخوذ من تلبد الشىء إذا تراكب بعضه على بعض و منه اللبد يقال ما له سبد و لا لبد و أصل النجد العلو و سمي نجد نجدا لعلوه عن انخفاض تهامه و كل عال من الأرض نجد و الجمع نجاد قال امرؤ القيس:

غداه غدوا فسألك بطن نخله و آخر منهم جازع نجد كبكب

أراد طريقه فى ارتفاع و كبكب جبل و فى المثل (أنجد من رأى حضنا) و رجل نجد بين النجده إذا كان جلدا قويا لاستعلائه على قرنه و استنجدت فلانا فأنجدنى أى استعنته للاستعلاء على قرنى فأعانى و شبه طريق الخير و الشر بالطريقين العالين لظهور ما فيهما و الاقتحام الدخول على الشده بالضيق يقال اقتحم و تقحم و أقحمه و قحمه غيره و العقبه الطريقه التى ترتقى على صعوبه و يحتاج فيها إلى معاقبه الشده بالضيق و المخاطره و قيل العقبه الثنيه الضيقه فى رأس الجبل يتعاقبها الناس فشبهت النفقه فى وجوه البر بها و عاقب الرجل صاحبه إذا صار فى موضعه بدلا منه و الفك فرق يزيد المنع و يمكن معه أمر لم يكن متمكنا كفك القيد و الغل لأنه يزول به المنع و يمكن به تصرف لم يمكن قبل فك الرقبه فرق بينها و بين حال الرق بإيجاب الحريره و إبطال العبوديه و المسغبه المجاعه سغب يسغب سغبا فهو ساغب إذا جاع قال جرير:

تعلل و هى ساغبه بنيتها بأنفاس من الشيم القراح

و المقربه القرابه و لا يقال فلان قرابتى و إنما يقال ذو قرابتى لأنه مصدر كما قال الشاعر:

بيكى الغريب عليه ليس يعرفه و ذو قرابته فى الحى مسرور

و المتربه الحاجه الشديده من قولهم ترب الرجل إذا افتقر.

المعنى

«لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ» أجمع المفسرون على أن هذا قسم بالبلد الحرام و هو مكه و قد تقدم بيان قوله «لَا أُقْسِمُ» فى سوره القيامه «وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ» أى و أنت يا محمد مقيم به و هو محللك و هذا تنبيه على شرف البلد بشرف من حل به من الرسول الداعى إلى توحيديه و إخلاص عبادته و بيان أن تعظيمه له و قسمه به لأجله ص و لكونه حالا فيه كما سميت المدينه طيبه لأنها طابت به حيا و ميتا و قيل معناه و أنت محل بهذا البلد و هو ضد المحرم و المراد و أنت حلال لك قتل من رأيت به من الكفار و ذلك حين أمر بالقتال يوم فتح مكه فأحلها الله له ص حتى قاتل و قتل و

قد قال ص لا يحل لأحد قبلى و لا يحل لأحد من بعدى و لم يحل لى إلا ساعه من نهار

عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و عطاء و هذا وعد من الله لنبيه ص أن يحل له مكه حتى يقاتل فيها و يفتحها على يده و يكون بها حلا يصنع بها ما يريد القتل و الأسر و قد فعل سبحانه ذلك فدخلها غلبه و كرها و قتل ابن أخطل و هو متعلق بأستار الكعبه و مقيس بن سبابه و غيرهما و

قيل معناه لا أقسم بهذا البلد و أنت حل فيه منتهك الحرمه مستباح العرض لا تحترم فلم يبين للبلد حرمه حيث هتكت حرمتك عن أبى مسلم و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

قال كانت قريش تعظم البلد و تستحل محمدا ص فيه فقال «لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ» يريد أنهم استحلوك فيه فكذبوك و شتموك و كانوا لا يأخذ الرجل منهم فيه قاتل أبيه و يتقلدون لحاء شجر الحرم فيأمنون بتقليدهم إياه فاستحلوا من رسول الله ص ما لم يستحلوا من غيره فعاب الله ذلك عليهم ثم عطف على القسم فقال «وَ وَالِدٍ وَ مَا وَلَدٌ» يعنى آدم (عليه السلام) و ذريته عن الحسن و مجاهد و قتاده و ذلك أنهم خليفه أعجب من هذه الخليفه و هم عمار الدنيا و

قيل آدم و ما ولد من الأنبياء و الأوصياء و أتباعهم عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل يريد إبراهيم (عليه السلام) و ولده عن ابن أبى عمران الجونى لما أقسم بالبلد أقسم بإبراهيم فإنه بانيه و بأولاده العرب إذ هم المخصصون بالبلد و قيل يعنى كل والد و ولده عن ابن عباس و الجبائى و قيل و والد من يولد له و ما ولد يعنى العاقر عن ابن جبير فيكون ما نفيا و هو بعيد لأنه يكون تقديره و ما ما ولد فحذف ما الأولى التى تكون موصوله أو موصوفه «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ» أى فى نصب و شدة عن ابن عباس و سعيد بن جبير و الحسن قال يكابد مصائب الدنيا و شدائد الآخرة و قال ابن آدم لا يزال يكابد أمرا حتى يفارق الدنيا و قيل فى شدة خلق من حملة و ولادته و رضاعه و فطامه و معاشه و حياته و موته ثم أنه سبحانه لم

يخلق خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم و هو أضعف الخلق و قيل فى كبد أى قائما على قدميه منتصبا و كل شىء خلق فإنه يمسى مكبا إلا الإنسان فإنه خلق منتصبا فالكبد الاستواء و الاستقامة و هو روايه مقسم عن ابن عباس و هو قول مجاهد و أبى صالح و عكرمه و قيل يريد شده الأمر و النهى أى خلقناه ليعبدنا بالعبادات الشاقه مثل الاغتسال من الجنابه فى البرد و القيام إلى الصلاه من النوم فينبغى له أن يعلم أن الدنيا دار كبد و مشقه و الجنه دار الراحة و النعمه «أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ» معناه أى يظن هذا الإنسان أنه لن يقدر على عقابه أحد إذا عصى الله تعالى و ركب القبائح فبئس الظن ذلك و هذا استفهام إنكار أى لا يظن ذلك و قيل معناه أى يحسب هذا المغتر بماله أن لا يقدر عليه أحد يأخذ ماله عن الحسن و قيل أى يحسب أن لا يسأل عن هذا المال من أين اكتسبه و فى ما ذا أنفقه عن قتاده و قيل أنه يعنى أبا الأسد بن كلده و هو رجل من جمح كان قويا شديد الخلق بحيث يجلس على أديم عكاظى فتجره العشره من تحته فينقطع و لا- يبرح من مكانه عن الكلبي ثم أخبر سبحانه عن مقاله هذا الإنسان فقال «يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُدِيًّا» أى أنفقت مالا كثيرا فى عداوه النبى ص يفتخر بذلك و قيل هو الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف و ذلك أنه أذنب ذنبا فاستفتى رسول الله ص فأمره أن يكفر فقال لقد ذهب مالى فى الكفارات و النفقات منذ دخلت فى دين محمد عن مقاتل «أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ» فيطالبه من أين اكتسبه و فى ما ذا أنفقه عن قتاده و سعيد بن جبير و روى عن ابن عباس عن النبى ص قال لا- تزول قدما العبد حتى يسأل عن أربعه عن عمره فيما أفناه و عن ماله من أين جمعه و فيما ذا أنفقه و عن عمله ما ذا عمل به و عن حبا أهل البيت

و قيل أنه كان كاذبا لم ينفق ما قاله فقال الله سبحانه أى يظن أن الله تعالى لم ير ذلك فعل أو لم يفعل أنفق أو لم ينفق عن الكلبي ثم ذكر سبحانه النعم التى أنعم بها عليه ليستدل بها على توحيدده فقال «أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ» ليصير بهما آثار حكمته «وَلِسَانًا وَ شَفَتَيْنِ» لينطق بهما فيبين باللسان و يستعين بالشفنتين على البيان قال قتاده: نعم الله عليك متظاهرة فقررك بها كيما تشكر و

روى عبد الحميد المدائنى عن أبى حازم أن رسول الله ص قال إن الله تعالى يقول يا ابن آدم إن نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد أعتكك عليه بطبقتين فأطبق و إن نازعك بصرك إلى بعض ما حرمت عليك فقد أعتكك عليه بطبقتين فأطبق و إن نازعك فرجك إلى ما حرمت عليك فقد أعتكك عليه بطبقتين فأطبق

«وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ» أى سبيل الخير و سبيل الشر عن على (عليه السلام)

و ابن مسعود و ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتاده و قيل معناه أرشدناه للثديين عن سعيد بن المسيب و الضحاک و

فى روايه أخرى عن ابن عباس روى أنه قيل لأمير المؤمنين (عليه السلام) أن ناسا يقولون فى قوله «وَهَدَيْنَاهُ

النَّجْدَيْنِ» أنهما الشديان فقال لا هما الخير و الشر

و

قال الحسن بلغنى أن رسول الله ص قال يا أيها الناس هما نجدان نجد الخير و نجد الشر فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير

و لو قيل كيف يكون نجد الشر مرتفعا كنجد الخير و معلوم أنه لا رفعه في الشر " و الجواب " أن الطريقتين جميعا ظاهران باديان للمكلفين فسمى سبحانه كلاهما نجدا لظهوره و بروزه و يجوز أن يكون سمي طريق الشر نجدا من حيث يحصل في اجتناب سلوكه الرفعه و الشرف كما يحصل ذلك في طريق الخير و قيل أيضا أنه على عادة العرب في تشبيه الأمرين إذا اتفقا على بعض الوجوه فيجربى لفظ أحدهما على الآخر كقولهم القمرين في الشمس و القمر قال الفرزدق:

أخذنا بآفاق السماء عليكم لنا قمرها و النجوم الطوالع

و نظائره كثيره «فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ» فيه أقوال (أحدها) أن المعنى فلم يقتحم هذا الإنسان العقبة و لا جاوزها و أكثر ما يستعمل هذا الوجه بتكرير لفظه لا كما قال سبحانه فَلَا صَدَقَ وَ لَا صَلَّى أَي لم يصدق و لم يصل و كما قال الحطيئة:

و إن كانت النعماء فيهم جزوا بها و إن أنعموا لأكدروها و لا كدوا

و قد جاء من غير تكرار في نحو قوله:

إن تغفر اللهم تغفر جما و أى عبد لك لا ألما

أى لم يلم بذنب (و الآخر) أن يكون على وجه الدعاء عليه بأن لا- يقتحم العقبة كما يقال لا- غفر الله له و لا- نجا و لا سلم و المعنى لا- نجا من العقبة و لا- جاوزها (و الثالث) أن المعنى فهلا اقتحم العقبة أو أ فلا اقتحم العقبة عن ابن زيد و الجبائي و أبى مسلم قالوا و يدل على ذلك قوله تعالى «ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَ تَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ» و لو كان أراد النفي لم يتصل الكلام قال المرتضى قدس الله روحه: هذا الوجه ضعيف جدا لأن الكلام خال من لفظ الاستفهام و قبيح حذف حرف الاستفهام فى مثل هذا الموضوع و قد عيب على عمر بن أبى ربيعه قوله:

ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد الرمل و الحصى و التراب.

ص: ٣٢٦

و أما قولهم لو أريد النفي لم يتصل الكلام فليس بشىء لأن المعنى فلا اقتحم العقبة ثم كان من الذين آمنوا أى لم يقتحم و لم يؤمن و أما المراد بالعقبه ففيه وجوه (أحدها) أنه مثل ضربه الله تعالى لمجاهده النفس و الهوى و الشيطان فى أعمال الخير و البر فجعل ذلك كتكليف صعود العقبة الشاقه الكؤود فكأنه قال لم يحمل على نفسه المشقه بعق الرقبه و الإطعام و هو قوله «وَمَا أَذْرَاكَ مِمَّا الْعَقْبَةُ» أى ما اقتحام العقبة ثم ذكره فقال «فَكُ رَقَبَةٍ» و هو تخليصها من إسار الرق إلى آخره (و ثانيها) أنها عقبه حقيقه قال الحسن و قتاده: هى عقبه شديده فى النار دون الجسر فافتحموها بطاعه الله عز و جل و

روى أن النبى ص أنه قال إن أمامكم عقبه كؤودا لا يجوزها المثقلون و أنا أريد أن أخفف عنكم لتلك العقبه

و عن ابن عباس أنه قال:

هى النار نفسها و روى عنه أيضا أنها عقبه فى النار (و ثالثها) ما روى عن مجاهد و الضحاك و الكلبي أنها الصراط يضرب على جهنم كحد السيف مسيره ثلاثه آلاف سهلا و صعودا و هبوطا و إن فى جنبيه كالليب و خطاطيف كأنها شوكة السعدان فمن بين مسلم و ناج و مخدوش فى النار منكوس فمن الناس من يمر عليه كالبرق الخاطف و منهم من يمر عليه كالريح العاصف و منهم من يمر عليه كالفارص و منهم من يمر عليه كالرجل يعدو و منهم من يمر عليه كالرجل يسير و منهم من يزحف زحفا و منهم الزالون و الزالمت و منهم من يكرس فى النار و اقتحامه على المؤمن كما بين صلاه العصر إلى العشاء و قال سفيان بن عيينه: كل شىء قاله سبحانه «وَمَا أَذْرَاكَ» فإنه أخبره به و كل شىء قال فيه «وَمَا يُدْرِيكَ»* فإنه لم يخبره به و

روى مرفوعا عن البراء بن عازب قال جاء أعرابي إلى النبى ص فقال يا رسول الله علمنى عملا- يدخلنى الجنة قال إن كنت أقصرت الخطبه لقد عرضت المسأله أعتق النسمة و فك الرقبه فقال أ و ليسا واحدا قال لا عتق النسمة أن تنفرد بعقها و فك الرقبه أن تعين فى ثمنها و الفىء على ذى الرحم الظالم فإن لم يكن ذلك فأطعم الجائع و اسق الظمآن و أمر بالمعروف و أنه عن المنكر فإن لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من الخير

و قيل أن معنى فك رقبه أن يفك رقبه من الذنوب بالتوبه عن عكمره و قيل أراد فك نفسه من العقاب بتحمل الطاعات عن الجبائى «أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ» أى ذى مجاعه قال ابن عباس:

يريد بالمسغبه الجوع و

فى الحديث عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله ص من أشبع جائعا فى يوم سغب أدخله الله يوم القيامة من باب من أبواب الجنة لا يدخلها إلا من فعل مثل ما فعل

و

عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ص من موجبات المغفره إطعام المسلم

روى عن محمد بن عمر بن يزيد قال قلت لأبى الحسن الرضا (عليه السلام) أن لى ابنا شديد العله قال مره يتصدق بالقبضه من الطعام بعد القبضه فإن الله تعالى يقول فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وقرأ الآيات

«يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ» أى ذا قربى من قرابه النسب و الرحم و هذا حث على تقديم ذوى القرابه المحتاجين على الأجانب فى الإطعام و الإنعام «أَوْ مَسْكِينًا» أى فقيرا «ذَا مَقْرَبَةٍ» قد لصق بالتراب من شده فقره و ضره و روى مجاهد عن ابن عباس أنه قال: هو المطروح فى التراب لا يقيه شىء و هذا مثل قولهم فقير مدقع مأخوذ من الدقعاء و هو التراب ثم بين سبحانه أن هذه القربه إنما تنفع مع الإيمان فقال «ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا» أى ثم كان مع هذا من جمله المؤمنين الذين استقاموا على إيمانهم «وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ» على فرائض الله و الصبر عن معصيه الله أى وصى بعضهم بعضا بذلك «وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ» أى و أوصى بعضهم بعضا بالمرحمه على أهل الفقر و ذوى المسكنه و الفاقه و قيل تواسوا بالمرحمه فيما بينهم فرحموا الناس كلهم «أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ» يؤخذ بهم ناحيه اليمين و يأخذون كتبهم بإيمانهم عن الجبائى و قيل هم أصحاب اليمين و البركه على أنفسهم عن الحسن و أبى مسلم «وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا» أى بحججنا و دلالاتنا و كذبوا أنبياءنا «هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ» أى يأخذون كتبهم بشمالهم و يؤخذ بهم ذات الشمال و قيل أنهم أصحاب الشؤم على أنفسهم «عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ» أى مطبقه عن ابن عباس و مجاهد و قيل يعنى أن أبوابها عليهم مطبقه فلا يفتح لهم باب و لا يخرج عنها غم و لا يدخل فيها روح آخر الأبد عن مقاتل.

النظم

وجه اتصال قوله سبحانه «أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ» بما قبله أن المعنى كيف يحسب هذا الإنسان أن الله سبحانه لا يراه و هو الذى خلقه و جعل له عينين و كذا و قيل أنه اتصل بقوله «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ» أى اخترناه حيث كلفناه ثم أرحنا علة بأن جعلنا له عينين و قيل أنه يتصل بقوله «أَلَيْسَ لَكَ عَيْنَانِ» أى كيف يظن ذلك و قد خلقناه و خلقنا أعضاءه التى يبصر الدلائل بها و يتكلم بها.

(٩١) سورة الشمس مكيه و آياتها خمس عشره (١٥)

اشاره

عدد آياتها

ست عشره آيه مكى و المدنى الأول و خمس عشره فى الباقيين.

اختلافها

آيه فَعَقَّرَوهَا مكى و المدنى الأول.

فضلها

أبى بن كعب عنه ص قال من قرأها فكأنما تصدق بكل شىء طلعت عليه الشمس و القمر.

معاويه بن عمار عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من أكثر قراءه و الشمس و ضحاها و الليل إذا يغشى و الضحى و ألم نشرح فى يومه أو فى ليلته لم يبق شىء بحضرته إلا شهد له يوم القيامة حتى شعره و بشره و لحمه و دمه و عروقه و عصبه و عظامه و جميع ما أقلت الأرض منه و يقول الرب تبارك و تعالى قبلت شهادتكم لعبدى و أجرتها له انطلقوا به إلى جنانى حتى يتخير منها حيث أحب فأعطوه إياها من غير منى و لكن رحمه و فضلا منى عليه فهنيئا هنيئا لعبدى.

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه تلك السوره بذكر النار المؤصده بين فى هذه السوره أن النجاه منها لمن زكى نفسه و أكده بأن أقسم عليه فقال:

ص: ٣٢٩

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ الشَّمْسِ وَ ضُحَاهَا (١) وَ الْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا (٢) وَ النَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا (٣) وَ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤)

وَ السَّمَاءِ وَ مَا بَنَاهَا (٥) وَ الْأَرْضِ وَ مَا طَحَّاهَا (٦) وَ نَفْسٍ وَ مَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَ تَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩)

وَ قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤)

وَ لَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥)

القراءة

قرأ أهل المدينة و ابن عامر

فلا يخاف بالفاء و كذلك هو في مصاحف أهل المدينة و الشام و روى ذلك عن أبي عبد الله (عليه السلام)

و الباقر «وَ لَا يَخَافُ» بالواو و كذلك هو في مصاحفهم.

الحج

قال أبو علي: الواو يجوز أن يكون في موضع حال أي فسواها غير خائف عقباها يعني غير خائف أن يتعقب عليه في شيء مما فعله و فاعل يخاف الضمير العائد إلى قوله «رَبُّهُمْ» و قيل أن الضمير يعود إلى صالح النبي ص الذي أرسل إليهم و قيل إذا انبعث أشقاها و هو لا يخاف عقباها أي لا يخاف من إقدامه على ما أتاه مما نهى عنه ففاعل يخاف العاقر على هذا و الفاء للعطف على قوله «فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا» فلا يخاف كأنه يتبع تكذيبهم و عقبرهم إن لم يخوفوا.

اللغة

ضحى الشمس صدر وقت طلوعها و ضحى النهار صدر وقت كونه و أضحى يفعل كذا إذا فعله في وقت الضحى و ضحى بكبش أو غيره إذا ذبحه في وقت الضحى من أيام الأضحى ثم كثر ذلك حتى لو ذبح في غير ذلك الوقت ل قيل ضحى و الطحو و الدحو بمعنى يقال طحا بك همك يطحو طحوا إذا انبسط بك إلى مذهب بعيد قال علقمه:

" طحا بك قلب في الحسان ظروب "

يقال طحا القوم بعضهم بعضا عن الشيء إذا دفعوا دفعا

ص: ٣٣٠

شديد الانبساط و الطواحي النسور تنبسط حول القتلى و أصل الطحو البسط الواسع يقال دسا فلان يدسو دسوا فهو داس نقيض زكا يزكو زكا فهو زاك و قيل أن أصل دسا دس فأبدل من أحد السينين ياء كما قالوا تظنيت بمعنى تظننت و مثله:

" تقضى البازى إذا البازى كسر "

بمعنى تقضض و إنما يفعلون ذلك كراهيه التضعيف و الطغوى و الطغيان مجاوزه الحد فى الفساد و بلوغ غايته و فى قراءه الحسن و حماد بن مسلمه بطغواها بضم الطاء و على هذا فيكون مصدرا على فعلى كالرجعى و الحسنى و بعث مطاوع انبعث يقال بعثته على الأمر فانبعث له و السقيا الحظ من الماء و النصيب منه و العقر قطع اللحم بما يسيل الدم و هو من عقر الحوض أى أصله و العقر نقص شىء من أصل بنيه الحيوان و الدمدمه ترديد الحال المستكره و هى مضاعفه ما فيه الشقه و قال مؤرج: الدمدمه هلاك باستئصال قال ابن الأعرابى: دمدم أى عذب عذابا تاما.

الإعراب

و الشمس هذه الواو الأولى هى التى للقسم و سائر الواوات فيما بعدها عطف عليها إلى قوله «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا» و هو جواب القسم و التقدير لقد أفلح و قوله «وَمَا بَنَاهَا» «وَمَا طَحَّاهَا» «وَمَا سَوَّاهَا» ما هاهنا مصدرية و تقديره و السماء و بنائها و الأرض و طحواها و نفس و تسويتها و قيل أن ما فى هذه المواضع بمعنى من أى و الذى بناها و يحكى عن أهل الحجاز أنهم يقولون إذا سمعوا صوت الرعد سبحان ما سبحت له أى سبحان الذى سبحت له و من سبحت له و قوله «نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا» منصوب بفعل مضمرة أى احذروا ناقة الله و ذروا سقياها.

المعنى

«وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا» قد تقدم أن الله سبحانه أن يقسم بما يشاء من خلقه تنيبها على عظيم قدره و كثره الانتفاع به و لما كان قوام العالم من الحيوان و النبات بطلوع الشمس و غروبها أقسم الله سبحانه بها و بضحاها و هو امتداد ضوئها و انبساطه عن مجاهد و الكلبى و قيل هو النهار كله عن قتاده و قيل حرها عن مقاتل كقوله تعالى فى طه «وَلَا تَصْحَى» أى لا يؤذيك حرها «وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّاهَا» أى إذا أتبعها فأخذ من ضوئها و سار خلفها قالوا و ذلك فى النصف الأول من الشهر إذا غربت الشمس تلاها القمر فى الإضاءة و خلفها فى النور و قيل تلاها ليله الهلال و هى أول ليله من الشهر إذا سقطت الشمس رؤى القمر عند غيوبتها عن الحسن و قيل فى الخامس عشر يطلع القمر مع غروب الشمس و قيل فى الشهر كله فهو فى النصف الأول يتلوها و تكون أمامه و هو وراؤها و فى النصف الأخير يتلو

غروبها بالطلوع «وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا» أى جلى الظلمه و كشفها و جازت الكنايه عن الظلمه و لم تذكر لأن المعنى معروف غير ملتبس و قيل أن معناه و النهار إذا أظهر الشمس و أبرزها سمي النهار مجليا لها لظهور جرمها فيه «وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا» أى يغشى الشمس حتى تغيب فتظلم الآفاق و يلبسها سواده «وَالسَّمَاءِ وَ مَا بَنَاهَا» أى و من بناها عن مجاهد و الكلبي و قيل و الذى بناها عن عطاء و قيل معناه و السماء و بنائها مع إحكامها و اتساقها و انتظامها «وَالْمَأْرُضِ وَ مَا طَحَاهَا» فى ما وجهان كما ذكرناه أى و طحوها و تسطيحها و بسطها ليتمكن الخلق التصرف عليها «وَالنَّفْسِ وَ مَا سَوَّاهَا» هو كما ذكرناه و سواها عدل خلقها و سوى أعضائها و قيل سواها بالعقل الذى فضل به سائر الحيوان ثم قالوا يريد جميع ما خلق من الجن و الإنس عن عطاء و قيل يريد بالنفس آدم و من سواها الله تعالى عن الحسن «فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَ تَقْوَاهَا» أى عرفها طريق الفجور و التقوى و زهداها فى الفجور و رغباها فى التقوى عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و الضحاك و قيل علمها الطاعة و المعصية لتفعل الطاعة و تذر المعصية و تجتنى الخير و تجتنب الشر «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا» على هذا وقع القسم أى قد أفلح من زكى نفسه عن الحسن و قتاده أى طهرها و أصلحها بطاعه الله و صالح الأعمال «وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا» بالعمل الطالح أى أخملها و أخفى محلها و قيل أضلها و أهلكها عن ابن عباس و قيل أفجرها عن قتاده و قيل معناه قد أفلحت نفس زكاهها الله و خابت نفس دساها الله أى جعلها قليله خسيسه و

جاءت الروايه عن سعيد بن أبى هلال قال كان رسول الله إذا قرأ هذه الآيه «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا» وقف ثم قال اللهم آت نفسى تقواها أنت وليها و مولاها و زكها و أنت خير من زكها

و

روى زراره و حمران و محمد بن مسلم عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام) فى قوله «فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَ تَقْوَاهَا» قال بين لها ما تأتى و ما تترك و فى قوله «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا» قال قد أفلح من أطاع «وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا» قال قد خاب من عصى

و قال ثعلب قد أفلح من زكى نفسه بالصدقه و الخير و خاب من دس نفسه فى أهل الخير و ليس منهم ثم أخبر سبحانه عن ثمود و قوم صالح فقال «كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا» أى بطغيانها و معصيتها عن مجاهد و ابن زيد يعنى أن الطغيان حملهم على التكذيب فالطغوى اسم من الطغيان كما أن الدعوى من الدعاء و قيل أن الطغوى اسم العذاب الذى نزل بهم فالمعنى كذبت ثمود بعذابها عن ابن عباس و هذا كما قال فَأَهْلِكُوا بِالطَّاعِيَةِ و المراد كذبت بعذابها الطاعيه فأتاها ما كذبت به «إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا» أى كان تكذيبها حين انبعث أشقى ثمود للعقر و معنى انبعث انتدب و قام و الأشقى عاقر الناقه و هو أشقى الأولين على لسان رسول الله ص و اسمه قدار بن سالف قال الشاعر و هو عدى بن زيد:

فمن يهدى أخا لذناب لو فأرشوه فإن الله جار

و لكن أهلكت لو كثيرا و قبل اليوم عالجهما قدار

يعنى حين نزل بها العذاب فقال لو فعلت و قد صحت

الروايه بالإسناد عن عثمان بن صهيب عن أبيه قال قال رسول الله ص لعلى بن أبى طالب (عليه السلام) من أشقى الأولين قال عاقر الناقه قال صدقت فمن أشقى الآخرين قال قلت لا أعلم يا رسول الله قال: الذى يضربك على هذه و أشار إلى يافوخه

و

عن عمار بن ياسر قال كنت أنا و على بن أبى طالب (عليه السلام) فى غزوه العسره نائمين فى صور من النخل و دقعاء من التراب فو الله ما أهبنا إلا رسول الله ص يحركنا برجله و قد تتربنا من تلك الدقعاء فقال أ لا أحدثكما بأشقى الناس رجلين قلنا بلى يا رسول الله قال أحيمر ثمود الذى عقر الناقه و الذى يضربك بالسيف يا على على هذه و وضع يده على قرنه حتى تبل منها هذه و أخذ بلحيته

و قيل أن عاقر الناقه كان أشقر أزرق قصيرا ملترق الحلق «فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ» صالح «نَاقَةَ اللَّهِ» قال الفراء: حذرهم إياها و كل تحذير فهو نصب و التقدير احذروا ناقه الله فلا تعقروها عن الكلبى و مقاتل كما يقال الأسد الأسد أى احذروه «و سَيِّئَاتِهَا» أى و شربها من الماء أو ما يسقيها أى فلا تزاحموها فيه كما قال سبحانه لها شَرِبْتُ وَ لَكُمْ شَرِبْتُ يَوْمَ مَعْلُومٍ «فَكَذَّبُوهُ» أى فكذب قوم صالح صالحا و لم يلتفتوا إلى قوله و تحذيره إياهم بالعذاب بعقرها «فَعَقَرُوهَا» أى فقتلوا الناقه «فَدَمَّ دَمٌ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ» أى فدمر عليهم ربهم عن عطاء و مقاتل و قيل أطبق عليهم بالعذاب و أهلكتهم «بِحَذَنِيهِمْ» لأنهم رضوا جميعا به و حثوا عليه و كانوا قد اقترحوا تلك الآيه فاستحقوا بما ارتكبوه من العصيان و الطغيان عذاب الاستئصال «فَسَوَّاهَا» أى فسوى الدمدمه عليهم و عمهم بها فاستوت على صغيرهم و كبيرهم و لم يفلت منها أحد منهم و قيل معناه سوى الأمه أى أنزل العذاب بصغيرها و كبيرها فسوى بينها فيه عن الفراء و قيل جعل بعضها على مقدار بعض فى الاندكاك و اللصوق بالأرض فالتسويه تصيير الشىء على مقدار غيره و قيل سوى أرضهم عليهم «وَ لَا يَخَافُ عُقْبَاهَا» أى لا يخاف الله من أحد تبعه فى إهلاكهم عن ابن عباس و الحسن و قتاده و مجاهد و الجبائى و المعنى لا- يخاف أن يتعقب عليه فى شىء من فعله فلا يخاف عقبى ما فعل بهم من الدمدمه عليهم لأن أحدا لا يقدر على معارضته و الانتقام منه و هذا كقوله لا يُسْتَلُّ عَمَّا يَفْعَلُ و قيل معناه لا يخاف الذى عقرها عقباها عن الضحاك و السدى و الكلبى أى لا يخاف عقبى ما صنع بها لأنه كان مكذبا بصالح و قيل معناه و لا يخاف صالح عاقبه ما خوفهم به من العقوبات لأنه كان على ثقه من نجاته.

(٩٢) سورة الليل مكيه و آياتها إحدى و عشرون (٢١)

اشاره

[توضيح]

مكيه إحدى و عشرون آيه بالإجماع.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأها أعطاه الله حتى يرضى و عافاه من العسر و يسر له اليسر.

تفسيرها

لما قدم فى تلك السوره بيان حال المؤمن و الكافر عقبه سبحانه بمثل ذلك فى هذه السوره فاتصلت بها اتصال النظر بالنظر فقال:

ص: ٣٣٤

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَ النَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢) وَ مَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَ الْأُنثَى (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (٤)

فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَ اتَّقَى (٥) وَ صَدَقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنِيَّ لَهُ لِلْإِسْرَى (٧) وَ أَمَّا مَنْ بَخِلَ وَ اسْتَغْنَى (٨) وَ كَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩)

فَسَنِيَّ لَهُ لِلْعُسْرَى (١٠) وَ مَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (١١) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (١٢) وَ إِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَ الْأُولَى (١٣) فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (١٤)

لَا يَصِيْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَ تَوَلَّى (١٦) وَ سَيَجْتَبِيهَا الْأُنْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَ مَا لِأَخِيْدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩)

إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (٢٠) وَ لَسَوْفَ يَرْضَى (٢١)

القراءه

فى الشواذ قراء النبى ص و قراءه على بن أبى طالب (عليه السلام) و ابن مسعود و أبى الدرداء و ابن عباس و النهار إذا تجلى و خلق الذكر و الأنثى بغير ما و روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام).

الحجه

قال ابن جنى: فى هذه القراءه شاهد لما أخبرنا به أبو بكر عن أبى العباس أحمد بن يحيى قراءه بعضهم و ما خلق الذكر و الأنثى بالجر و ذلك أنه جره لكونه بدلا من ما فقراءه النبى ص شاهد بصحه ذلك.

اللغه

شتى أى متفرق على تباعد ما بين الشئين جدا و منه شتان أى بعد ما بينهما كبعد ما بين الثرى و الثريا و تشتت أمر القوم و شتتهم ريب الزمان و اليسرى تأنيث الأيسر و العسرى تأنيث الأعسر من اليسر و العسر و التلظى تلهب النار بشده الإيقاد و تلظت النار تتلظى فحذف إحدى التاءين تخفيفا و قرأ ابن كثير تلظى بتشديد التاء أدغم إحدى التاءين فى الأخرى و التجنب تصيير الشىء فى جانب من غيره.

الإعراب

«وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى» أن جعلت ما مصدرية فهو في موضع الجر و التقدير و خلق الذكر أى و خلقه الذكر و الأنثى و إن جعلتها بمعنى من فكذلك و الحسنى صفه حذف موصوفها أى و صدق بالخصلة الحسنى و كذا اليسرى و العسرى. التقدير فيهما للطريقه اليسرى و للطريقه العسرى و يتركى فى موضع نصب على الحال و يجوز أن يكون منصوب الموضع أو مرفوعا على تقدير حذف أن أى لأن يتركى فحذف اللام فصار أن يتركى ثم حذف أن أيضا كما فى قول طرفه:

ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى و أن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

روى أحضر بالرفع و النصب «وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى» من نعمه الجار و المجرور

ص: ٣٣٥

فى موضع رفع، و من مزیده لتأکید النفى و إفاده العموم و تجزى جمله مجروره الموضع لكونها صفه لنعمه و التقدير من نعمه مجزیه و إن شئت كانت مرفوعه الموضع على محل كونه من نعمه و التقدير و ما لأحد عنده نعمه مجزیه و ابتغاء منصوب لأنه مفعول له و العامل فيه يؤتى أى و ما يؤتى ماله إلا ابتغاء وجه ربه أى لطلب ثواب ربه و لم يفعل ذلك مجازاه ليد قد أسديت إليه.

المعنى

«وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى» أقسم الله سبحانه بالليل إذا يغشى بظلمته النهار و قيل إذا يغشى بظلمته الأفق و جميع ما بين السماء و الأرض و المعنى إذا أظلم و ادلهم و أغشى الأنام بالظلام لما فى ذلك من الهول المحرك للنفس بالاستعظام «وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى» أى بأن و ظهر من بين الظلمه و فيه أعظم النعم إذ لو كان الدهر كله ظلاما لما أمكن الخلق طلب معاشهم و لو كان ذلك كله ضياء لما انتفعوا بسكونهم و راحتهم فلذلك كرر سبحانه ذكر الليل و النهار فى السورتين لعظم قدرهما فى باب الدلاله على مواقع حكمته «وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَ الْأُنثَى» أى و الذى خلق عن الحسن و الكلبى و على هذا يكون ما بمعنى من و قيل معناه خلق الذكر و الأنثى عن مقاتل قال مقاتل و الكلبى: الذكر و الأنثى آدم و حواء (عليه السلام) و قيل أراد كل ذكر و أنثى من الناس و غيرهم «إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى» هذا جواب القسم و المعنى أن أعمالكم لمختلفه فعمل للجنة و عمل للنار عن ابن عباس و قيل أن سعيكم لمتفرق فساع فى فكاك رقبته و ساع فى هلاكه و ساع للدين و ساع للعقبى و

روى الواحدى بالإسناد المتصل المرفوع عن عكرمه عن ابن عباس أن رجلا كانت له نخله فرعها فى دار رجل فقير ذى عيال و كان الرجل إذا جاء فدخل الدار و صعد النخله ليأخذ منها التمر فربما سقطت التمره فيأخذها صبيان الفقير فينزل الرجل من النخله حتى يأخذ التمر من أيديهم فإن وجدها فى أحدهم أدخل إصبعه حتى يأخذ التمره من فيه فشكا ذلك الرجل إلى النبى ص و أخبره بما يلقى من صاحب النخله فقال له النبى ص اذهب و لقي رسول الله ص صاحب النخله فقال تعطينى نخلتك المائله التى فرعها فى دار فلان و لك بها نخله فى الجنة فقال له الرجل إن لى نخلا كثيرا و ما فيه نخله أعجب إلى تمره منها قال ثم ذهب الرجل فقال رجل كان يسمع الكلام من رسول الله ص يا رسول الله أ تعطينى ما أعطيت الرجل نخله فى الجنة إن أنا أخذتها قال نعم فذهب الرجل و لقي صاحب النخله فساومها منه فقال له أ شعرت أن محمدا أعطانى بها نخله فى الجنة فقلت له يعجبنى تمرتها و إن لى نخلا كثيرا فما فيه نخله أعجب إلى تمره منها فقال له الآخر أ تريد بيعها فقال لا إلا أن أعطى ما لا أظنه أعطى قال فما مناك قال أربعون نخله فقال الرجل جئت بعظيم تطلب بنخلتك المائله أربعين نخله ثم سكت عنه فقال له أنا أعطيك

أربعين نخله فقال له اشهد إن كنت صادقاً فمر إلى أناس فدعاهم فأشهد له بأربعين نخله ثم ذهب إلى النبي ص فقال يا رسول الله إن النخلة قد صارت في ملكي فهي لك فذهب رسول الله ص إلى صاحب الدار فقال له النخلة لك و لعيالك فأنزل الله تعالى «وَ اللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى» السوره

و عن عطاء قال اسم الرجل أبو الدحداح «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَ اتَّقَى» هو أبو الدحداح «وَ أَمَّا مَنْ بَخِلَ وَ اسْتَتَعَنَى» و هو صاحب النخله و قوله «لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى» و هو صاحب النخله «وَ سَيَجْزِيهَا الْأَثَقَى» هو أبو الدحداح «وَ لَسَوْفَ يَرْضَى» إذا دخل الجنة

قال و كان النبي ص يمر بذلك الحش و عذوقه دانيه فيقول عذوق و عذوق لأبي الدحداح في الجنة

و عن ابن الزبير قال أن الآيه نزلت في أبي بكر لأنه اشترى المماليك الذين أسلموا مثل بلال و عامر بن فهيره و غيرهما و أعتقهم و الأولى أن تكون الآيات محموله على عمومها في كل من يعطى حق الله من ماله و كل من يمنع حقه سبحانه و

روى العياشي ذلك بإسناده عن سعد الإسكاف عن أبي جعفر (عليه السلام) قال «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى» مما أتاه الله «وَ اتَّقَى وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنَى» أى بأن الله يعطى بالواحد عشرا إلى كثير من ذلك و فى روايه أخرى إلى مائه ألف فما زاد «فَسَيُيسِّرُهُ لِلْيُسْرَى» قال لا يريد شيئا من الخير إلا يسره الله له «وَ أَمَّا مَنْ بَخِلَ بِمَا آتَاهُ اللَّهُ وَ اسْتَتَعَنَى وَ كَذَّبَ بِالْحُسْنَى» بأن الله يعطى بالواحد عشرا إلى أكثر من ذلك و فى روايه أخرى إلى مائه ألف فما زاد «فَسَيُيسِّرُهُ لِلْيُسْرَى» قال لا يريد شيئا من الشر إلا يسره الله له قال ثم قال أبو جعفر (عليه السلام) «وَ مَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى» أما و الله ما تردى من جبل و لا- تردى من حائط و لا تردى فى بئر و لكن تردى فى نار جهنم

فعلى هذا يكون قوله «وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنَى» معناه بالعهده الحسنى و هو قول ابن عباس و قتاده و عكرمه و قيل بالجنة التى هى صواب المحسنين عن الحسن و مجاهد و الجبائى و قوله «فَسَيُيسِّرُهُ لِلْيُسْرَى» معناه فسنهون عليه الطاعه مره بعد مره و قيل معناه سنهيوه و نوفقه للطريقه اليسرى أى سنسهل عليه فعل الطاعه حتى يقوم إليها بجد و طيب نفس و قيل معناه سنيسره للخصله اليسرى و الحاله اليسرى و هو دخول الجنة و استقبال الملائكه إياه بالتحيه و البشرى و قوله «وَ أَمَّا مَنْ بَخِلَ» أى ضمن بماله الذى لا يبقى له و بخل بحق الله فيه «وَ اسْتَتَعَنَى» أى التمس الغنى بذلك المنع لنفسه و قيل معناه أنه عمل عمل من هو مستغن عن الله و عن رحمته «وَ كَذَّبَ بِالْحُسْنَى» أى بالجنة و الثواب و الوعد و بالخلف «فَسَيُيسِّرُهُ لِلْحُسْرَى» هو على مزواجه الكلام و المراد به التمكين أى نخلى بينه و بين الأعمال الموجهه للعذاب و العقوبه «وَ مَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى» أى سقط فى النار عن قتاده و أبى صالح.

وقيل إذا مات و هلك عن مجاهد و قيل للحسن أن فلانا جمع مالا فقال هل جمع لذلك عمرا قالوا لا قال فما تصنع الموتى بالأموال «إِنَّ عَلَيْنَا لِلْهُدَى» معناه إن علينا لبيان الهدى بالدلالة عليه فأما الاهتداء فإليكم أخبر سبحانه أن الهدى واجب عليه و لو جاز الإضلال عليه لما وجب الهداية قال قتاده: معناه أن علينا بيان الطاعة و المعصية «وَإِنَّ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى» و إن لنا ملك الآخرة و ملك الأولى فلا يزيد في ملكنا اهتداء من اهتدى و لا ينقص منه عصيان من عصى و لو نشاء لمنعناهم عن ذلك قسرا و جبرا و لكن التكليف اقتضى أن نمنعهم بيانا و أمرا و زجرا ثم خوف سبحانه العادل عن الهدى فقال «فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى» أى خوفتكم نارا تتلهب و تتوهج و تتوقد «لَا يَصْصِلُهَا» أى لا يدخل تلك النار و لا يلزمها «إِلَّا الْأَشْقَى» و هو الكافر بالله «الَّذِي كَذَّبَ» بآيات الله و رسله «وَ تَوَلَّى» أى أعرض عن الإيمان «وَ سَيُجْزَى» أى سيجنب النار و يجعل منها على جانب «الْآتَقَى» المبالغ فى التقوى «الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ» أى ينفقه فى سبيل الله «يَتَرَكَى» يطلب أن يكون عند الله زكيا لا يطلب بذلك رياء و لا سمعه قال القاضى: قوله «لَا يَصْصِلُهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَ تَوَلَّى» لا يدل على أنه تعالى لا يدخل النار إلا الكافر على ما يقوله الخوارج و بعض المرجئه و ذلك لأنه نكر النار المذكوره و لم يعرفها فالمراد بذلك أن نارا من جملة النيران لا يصلها إلا من هذه حاله و النيران دركات على ما بينه سبحانه فى سورة النساء فى شأن المنافقين فمن أين عرف أن غير هذه النار لا يصلها قوم آخرون و بعد فإن الظاهر من الآيه يوجب أن لا يدخل النار إلا من كذب و تولى و جمع بين الأمرين فلا بد للقوم من القول بخلافه لأنهم يوجبون النار لمن يتولى عن كثير من الواجبات و إن لم يكذب و قيل أن الآتقى و الأشقى المراد بهما التقى و الشقى كما قال طرفه:

تمنى رجال أن أموت و إن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد

أراد بواحد ثم وصف سبحانه الآتقى فقال «وَ مَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى» أى و لم يفعل الآتقى ما فعله من إيتاء المال و إنفاقه فى سبيل الله ليد أسديت إليه يكافئ عليها و لا ليد يتخذها عند أحد من الخلق «إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى» أى و لكنه فعل ما فعل يبتغى به وجه الله و رضاه و ثوابه و إنما ذكر الوجه طلبا لشرف الذكر و المعنى إلا الله و لا ابتغاء ثواب الله «وَ لَسَوْفَ يَرْضَى» أى و لسوف يعطيه الله من الجزاء و الثواب ما يرضى به فإنه يعطيه كل ما تمنى و لم يخطر بباله فيرضى به لا محاله.

(٩٣) سورة الضحى مكيه و آياتها إحدى عشره (١١)

اشاره

[توضيح]

إحدى عشر آيه بالإجماع.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأها كان ممن يرضاه الله و لمحمد ص أن يشفع له و له عشر حسنات بعدد كل يتيم و سائل.

تفسيرها

ختم الله سبحانه تلك السوره بأن الأتقى يعطيه من الثواب ما به يرضى و افتتح هذه السوره بأنه يرضى نبيه بما يؤتیه يوم القيامة من الكرامه و الزلفى فقال:

[سورة الضحى (٩٣): الآيات ١ الى ١١]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ الضُّحَى (١) وَ اللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ مَا قَلَى (٣) وَ لِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (٤)

وَ لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَ وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَ وَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩)

وَ أَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)

القراءه

فى الشواذ

عن النبى ص و عروه بن الزبير ما ودعك بالتخفيف

و القراءه المشهوره بالتشديد و عن أشهب العقيلي فأوى بغير مد و عن ابن أبى السميع عيلا بالتشديد

و عن النخعي و الشعبي فلا تكهر بالكاف و كذلك هو في مصحف عبد الله.

الحجه

قال ابن جنى: ودع بالتخفيف يقل استعماله و قال سيويه: استغنوا عن وزر و ودع بقولهم ترك و أنشد أبو علي ذلك في شعر أبي الأسود قوله:

ليت شعري عن خليلي ما الذي غاله في الحب حتى ودعه

و أما قوله فأوى فإنه من أويته أى رحمته و أما عيلا فإنه فيعل من العيله و هى الفقر و هو مثل العائل و معناها ذو العيله من غير جده يقال عال الرجل يعيل عيله إذا كثر عياله و افتقر قال الشاعر:

و ما يدرى الفقير متى غناه و ما يدرى الغنى متى يعيل

أى متى يفتقر و أما الكهر فهو مثل القهر و العرب قد تعاقب بين القاف و الكاف و فى حديث معاوية بن الحكم الذى تكلم فى الصلاة قال ما كهرنى و لا ضربنى.

اللغه

السجو السكون يقال سجى يسجو إذا هدئ و سكن و طرف ساج و بحر ساج قال الأعشى:

فما ذنبنا إذ جاش بحر ابن عمكم و بحرك ساج لا يوارى الدعامصا

و قال الآخر:

يا حبذا القمرء و الليل الساج و طرق مثل ملائ النساج

و القلى البغض إذا كسرت القاف قصرت و إذا فتحت مددت قال:

عليك سلام لا مللت قريبه و ما لك عندى إن نأيت قلاء

و نهره و انتهره بمعنى و هو أن يصيح فى وجه السائل الطالب للرفد.

الإعراب

«و ما قلى» أى و ما قلا-ك و كذلك قوله «فأوى» «فأغنى» تقديره فأواك فأغناك فالمفعول فى هذه الآى محذوف و قال «و سَوْفَ يُعْطِيكَ» و لم يقل و يعطينك و إن كان جواب

القسم لأن النون إنما تدخل لتؤذن بأن اللام لام القسم لا لام الابتداء وقد حصل هاهنا العلم بأن هذه اللام للقسم لا للابتداء لدخوله على سوف و لام الابتداء لا تدخل على سوف لأن سوف تختص بالأفعال و لام الابتداء إنما تدخل على الأسماء «فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ» تقديره فمهما يكن من شيء فلا تقهر اليتيم ثم أقيم أما مقام الشرط فحصل أما فلا تقهر اليتيم ثم قدم المفعول على الفاء كراهه لأن يكون الفاء التي من شأنها أن تكون متبعه شيئاً فشيئاً في أول الكلام و إن كثر يجتمع في اللفظ مع أما فتكون على خلاف أصول كلامهم و كذلك «أَمَّا يَنْعَمَ رَبُّكَ فَحَدِّثْ».

النزول

قال ابن عباس: احتبس الوحي عنه ص خمسة عشر يوماً فقال المشركون أن محمداً قد ودعه ربه و قلاه و لو كان أمره من الله تعالى لتتابع عليه فنزلت السورة و قيل إنما احتبس الوحي اثني عشر يوماً عن ابن جريج و قيل أربعين يوماً عن مقاتل و

قيل إن المسلمين قالوا ما ينزل عليك الوحي يا رسول الله فقال و كيف ينزل على الوحي و أنتم لا تنقون براجمكم و لا تقلمون أظفاركم و لما نزلت السورة قال النبي ص لجبرائيل (عليه السلام) ما جئت حتى اشتقت إليك فقال جبرائيل (عليه السلام) و أنا كنت أشد إليك شوقاً و لكنني عبد مأمور و ما نتزل إلا بأمر ربك

و

قيل سألت اليهود رسول الله ص عن ذي القرنين و أصحاب الكهف و عن الروح فقال سأخبركم غداً و لم يقل إن شاء الله فاحتبس عنه الوحي هذه الأيام فاغتم لشماته الأعداء فنزلت السورة تسليه لقلبه

و

قيل إن النبي ص رمى بحجر في إصبه فقال "هل أنت إلا إصبع رميت، و في سبيل الله ما لقيت" فمكث ليلتين أو ثلاثاً لا يوحى إليه فقالت له أم جميل بنت حرب امرأه أبي لهب يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث فنزلت السورة.

المعنى

«وَ الضُّحَى» أقسم سبحانه بنور النهار كله من قولهم ضحى فلان للشمس إذ ظهر لها و يدل عليه قوله في مقابلته «وَ اللَّيْلِ إِذَا سَجَى» أى سكن و استقر ظلامه و قيل إن المراد بالضحى أول ساعه من النهار و قيل صدر النهار و هى الساعه التى فيها ارتفاع الشمس و اعتدال النهار فى الحر و البرد فى الشتاء و الصيف و قيل معناه و رب الضحى و رب الليل إذا سجد عن الجبائى و قيل إذا سجد أى غطى بالظلمه كل شىء عن عطاء و الضحاك و قيل إذا أقبل ظلامه عن الحسن «مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ مَا قَلَى» هذا جواب القسم و معناه و ما

تركك يا محمد ربك و ما قطع عنك الوحي توديعا لك و ما قلاك أى ما أبغضك منذ اصطفاك «وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى» يعنى أن ثواب الآخرة و النعيم الدائم فيها خير لك من الدنيا الفانية و الكون فيها و قيل إن له ص فى الجنة ألف ألف قصر من اللؤلؤ ترابه من المسك و فى كل قصر ما ينبغى له من الأزواج و الخدم و ما يشتهى على أتم الوصف عن ابن عباس و قيل معناه و لآخر عمرك الذى بقى خير لك من أوله لما يكون فيه من الفتوح و النصره «وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى» معناه و سيعطيك ربك فى الآخرة من الشفاعة و الحوض و سائر أنواع الكرامه فيك و فى أمتك ما ترضى به و روى حرث بن شريح عن محمد بن على بن الحنفية أنه قال يا أهل العراق تزعمون أن أرجى آيه فى كتاب الله عز و جل «يا عِبَادِى الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ» الآيه و إنا أهل البيت (عليه السلام) نقول أرجى آيه فى كتاب الله «وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى» و هى و الله الشفاعة ليعطينها فى أهل لا إله إلا الله حتى يقول رب رضيت و

عن الصادق (عليه السلام) قال دخل رسول الله ص على فاطمه (عليه السلام) و عليها كساء من ثله الإبل و هى تطحن بيدها و ترضع ولدها فدمعت عينا رسول الله ص لما أبصرها فقال يا بنتاه تعجلى مراره الدنيا بحلاوه الآخرة فقد أنزل الله على «وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى»

و قال زيد بن على إن من رضا رسول الله ص أن يدخل أهل بيته الجنة و

قال الصادق (عليه السلام) رضا جدى أن لا يبقى فى النار موحد

ثم عدد سبحانه عليه نعمه فى دار الدنيا فقال «أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى» قيل فى معناه قولان (أحدهما) أنه تقرير لنعمه الله عليه حين مات أبوه و بقى يتيما فأواه الله بأن سخر له أولا عبد المطلب ثم لما مات عبد المطلب قيض له أبا طالب و سخره للإشفاق عليه و حبه إليه حتى كان أحب إليه من أولاده فكلفه و رباه و اليتيم من لا أب له و كان النبى ص مات أبوه و هو فى بطن أمه و قيل أنه مات بعد ولادته بمدته قليله و ماتت أمه ص و هو ابن ستين و مات جدده و هو ابن ثمانى سنين فسلمه إلى أبى طالب (عليه السلام) لأنه كان أخوا عبد الله لأمه فأحسن تربيته و

سئل الصادق (عليه السلام) لم أوتم النبى ص عن أبويه فقال لثلا يكون لمخلوق عليه حق

(و الآخر) أن يكون المعنى أ لم يجدك واحدا لا مثل لك فى شرفك و فضلك فأواك إلى نفسه و اختصك برسالته من قولهم دره يتيمه إذا لم يكن لها مثل قال:

لا و لا دره يتيمه بحر تتلأأ فى جؤنه البياع

و قيل فأواك أى جعلك مأوى للأيتام بعد أن كنت يتيما و كفيلا للأنام بعد أن كنت

مكفولاً- عن الماوردي ثم ذكر نعمه أخرى فقال «وَوَجِدَكَ ضَالًّا فَهَيِّدِي» قيل في معناه أقوال (أحدها) وجدك ضالاً عما أنت عليه الآن من النبوه و الشريعة أى كنت غافلاً عنهما فهذاك إليهما عن الحسن و الضحاك و الجبائي و نظيره ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَ لَا الْإِيمَانُ و قوله «وَ إِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لِمَنِ الْغَافِلِينَ» فمعنى الضلال على هذا هو الذهاب عن العلم مثل قوله «أَنْ تَضَلَّ إِخِيْدَاهُمَا فَتَذَكَّرَ إِخِيْدَاهُمَا الْآخْرَى» (و ثانيها) إن المعنى وجدك متحيراً لا تعرف وجوه معاشك فهذاك إلى وجوه معاشك فإن الرجل إذا لم يهتد طريق مكسبه و وجه معيسته يقال أنه ضال لا يدري إلى أين يذهب و من أى وجه يكتسب عن أبى مسلم و

فى الحديث نصرت بالرعب و جعل رزقى فى ظل رمحى يعنى الجهاد

(و ثالثها) إن المعنى وجدك لا تعرف الحق فهذاك إليه بإتمام العقل و نصب الأدله و الألفاف حتى عرفت الله بصفاته بين قوم ضلال مشركين و ذلك من نعم الله سبحانه عليك (رابعها) وجدك ضالاً فى شعاب مكه فهذاك إلى جدك عبد المطلب

فروى أنه ص ضل فى شعاب مكه و هو صغير فرآه أبو جهل و رده إلى جده عبد المطلب

فروى أنه ص ضل فى شعاب مكه و هو صغير فرآه أبو جهل و رده إلى جده عبد المطلب فمن الله سبحانه بذلك عليه إذا رده إلى جده على يد عدوه

عن ابن عباس (و خامسها)

ما روى أن حليمه بنت أبى ذؤيب لما أرضعته مده و قضت حق الرضاع ثم أرادت رده على جده جاءت به حتى قربت من مكه فضل فى الطريق فطلبته جزعه و كانت تقول إن لم أره لأرمين نفسى من شاهق و جعلت تصيح و محمداه قالت فدخلت مكه على تلك الحال فرأيت شيخاً متوكلنا على عصا فسألنى عن حالى فأخبرته فقال لا تبكين فأنا أدلك على من يرده عليك فأشار إلى هبل صنمهم الأكبر و دخل البيت فطاف بهبل و قبل رأسه و قال يا سيداه لم تنزل منتك جسيمه رد محمداً على هذه السعديه قال فتساقطت الأصنام لما تفوه باسم محمد ص و سمع صوت إن هلاكنا على يدى محمد فخرج و أسنانه تصطك و خرجت إلى عبد المطلب و أخبرته بالحال فخرج فطاف بالبيت و دعا الله سبحانه فنودى و أشعر بمكانه فأقبل عبد المطلب و تلقاه ورقه بن نوفل فى الطريق فبينما هما يسيران إذ النبى ص قائم تحت شجره يجذب الأغصان و يلعب بالورق فقال عبد المطلب فداك نفسى و حملة و رده إلى مكه

عن كعب (و سادسها)

ما روى أنه ص خرج مع عمه أبى طالب فى قافله ميسره غلام خديجه فبينما هو راكب ذات ليله ظلماء جاء إبليس فأخذ بزمام ناقته فعدل به عن الطريق فجاء جبرائيل (عليه السلام) فنفخ إبليس نفخه رفع بها إلى الحبشه و رده إلى القافله فمن الله عليه بذلك

عن سعيد بن المسيب (و سابعها) إن المعنى وجدك مضللاً عنك فى قوم لا يعرفون حقك فهذاهم إلى معرفتك و أرشدهم إلى فضلك و الاعتراف بصدقك و المراد أنك كنت خاملاً لا تذكر و لا تعرف فعرفك الله الناس حتى عرفوك و عظموك.

«وَ وَجَدَكَ عَائِلًا»

أى فقيرا لا مال لك «فَأَغْنِي» أى فأغناك بمال خديجه و الغنائم و قيل فأغناك بالقناعه و رضاك بما أعطاك عن مقاتل و اختار الفراء قال لم يكن غنيا عن كثره المال لكن الله سبحانه أرضاه بما أتاه من الرزق و ذلك حقيقه الغنى و

روى العياشى بإسناده عن أبى الحسن الرضا (عليه السلام) فى قوله «أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى» قال فردا لا مثل لك فى المخلوقين فآوى الناس إليك و وجدك ضالا- أى ضاله فى قوم لا- يعرفون فضلك فهداهم إليك و وجدك عائلا تعول أقواما بالعلم فأغناهم بك

و

روى أن النبى ص قال من على ربى و هو أهل المن

و قد طعن بعض الملحدين فقال كيف يحسن الامتنان بالإنعام و هل يكون هذا من فعل الكرام (و الجواب) أن المن إنما يقبح من المنعم إذا أراد به الغض من المنعم عليه و الأذى له فأما من أراد التذكير لشكر نعمته و الترغيب فيه ليستحق الشاكر المزيد فإنه فى غايه الحسن و لأن من كمال الجود و تمام الكرم تعريف المنعم عليه أنه إنما أنعم عليه ليسأل جميع ما يحتاج إليه فيعطى ثم أوصاه سبحانه باليتامى و الفقراء فقال «فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ» أى فلا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه كما كانت تفعل العرب فى أمر اليتامى عن الفراء و الزجاج و قيل معناه لا تحتقر اليتيم فقد كنت يتيما عن مجاهد و كان النبى ص يحسن إلى اليتامى و يبرهم و يوصى بهم و

جاء فى الحديث عن أبى أوفى قال كنا جلوسا عند رسول الله ص فأتاه غلام فقال غلام يتيم و أخت لى يتيمه و أم لى أرملة أطعمنا مما أطعمك الله أعطاك الله مما عنده حتى ترضى قال ما أحسن ما قلت يا غلام اذهب يا بلال فأتنا بما كان عندنا فجاء بواحدة و عشرين تمره فقال سبع لك و سبع لأختك و سبع لأمك فقام إليه معاذ بن جبل فمسح رأسه و قال جبر الله يتمك و جعلك خلفا من أبيك و كان من أبناء المهاجرين فقال رسول الله ص رأيتك يا معاذ و ما صنعت قال رحمته قال لا يلى أحد منكم يتيما فيحسن ولايته و وضع يده على رأسه إلا كتب الله له بكل شعره حسنه و محا عنه بكل شعره سيئه و رفع له بكل شعره درجه

و

عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ص من مسح على رأس يتيم كان له بكل شعره تمر على يده نور يوم القيامة

و

قال ص أنا و كافل اليتيم كهاتين فى الجنة إذا اتقى الله عز و جل و أشار بالسبابه و الوسطى

و

عن عمر بن الخطاب عن النبى ص قال إن اليتيم إذا بكى اهتر لبكائه عرش الرحمن فيقول الله لملائكته يا ملائكتى من أبكى هذا

اليتيم الذى غيب أبوه فى التراب فتقول الملائكة أنت أعلم فيقول الله تعالى يا ملائكتى فإنى أشهدكم أن لمن أسكته و أرضاه
أن أرضيه يوم القيامة

و كان عمر إذا رأى يتيما مسح رأسه و أعطاه شيئا «وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ» أى لا تنهر السائل و لا ترده إذا أتاك يسألك فقد
كنت فقيرا فأما أن تطعمه و إما أن ترده ردا لنا و

فى الحديث عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ص إذا أتاك سائل

ص: ٣٤٤

على فرس باسط كفيه فقد وجب له الحق و لو بشق تمره

قال أبو مسلم يريد كما أعطاك الله و رحمك و أنت عائل فأعط سائلك و ارحمه و قال الجبائي: المراد بها جميع المكلفين و إن كان الخطاب للنبي ص و قيل إن المراد بالسائل طلب العلم و هو متصل بقوله «وَوَجَّيْدَكَ ضَالًّا فَهَيْدِي» عن الحسن و المعنى علم من يسألك كما علمك الله الشرائع و كنت بها غير عالم «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ» معناه اذكر نعمه الله و أظهرها و حدث بها و

فى الحديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله و من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير و التحدث بنعمه الله شكر و تركه كفر

و قيل يريد بالنعمه القرآن عن الكلبي قال و كان القرآن أعظم ما أنعم الله عليه به فأمره أن يقرأه و قيل بالنبوه التى أعطاك ربك عن مجاهد و اختاره الزجاج قال: أى بلغ ما أرسلت به و حدث بالنبوه التى آتاكها الله و هى أجل النعم و قيل معناه اشكر لما ذكر من النعمه عليك فى هذه السوره

قال الصادق (عليه السلام) معناه فحدث بما أعطاك الله و فضلك و رزقك و أحسن إليك و هداك.

النظم

وجه اتصال قوله «لَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى» بما قبله أن فى قوله «مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ مَا قَلَى» إثباتا لمحبتة سبحانه إياه و إنعامه عليه فاتصل هذا أيضا به و التقدير ليس الأمر كما قالوه بل الوحي يأتيك ما عمرت و تدوم محبتى لك و ما أعطيتك فى الآخرة من الشرف و رفعه المنزله خير مما أعطيتك اليوم فإذا حسدوك على ذا فكيف بهم إذا رأوا ذلك و أما اتصال قوله «أَلَمْ يَجِدْكَ» بما قبله فوجهه أنه اتصال ذكر النعم بذكر المنعم و التقدير أنه سبحانه سينعم عليك فى مستقبل أمرك كما أنعم عليك فى الماضى من أمرك.

ص: ٣٤٥

اشاره

[توضيح]

مكيه و هي ثمانى آيه بالإجماع.

فضلها

أبى بن كعب عنه ص قال من قرأها أعطى من الأجر كمن لقي محمدا ص مغتما ففرج عنه

و روى أصحابنا أن الضحى و ألم نشرح سورة واحده لتعلق إحديهما بالأخرى و لم يفصلوا بينهما بسم الله الرحمن الرحيم و جمعوا بينهما فى الركعه الواحده فى الفريضة و كذلك القول فى سورة ألم تر كيف و لإيلاف قريش و السياق يدل على ذلك لأنه قال ألم يجدك يتيماً فآوى إلى آخرها ثم قال:

[سورة الشرح (٩٤): الآيات ١ الى ٨]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَ وَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ (٢) الَّذِى أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَ رَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤)

فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨)

اللغه

الشرح فتح الشىء ياذهب ما يصد عن إدراكه و أصل الشرح التوسعه و يعبر عن السرور بسعه القلب و شرحه و عن الهم بضيق القلب لأنه يورث ذلك و الوزر الثقل فى اللغه و منه اشتق اسم الوزير لتحمله أثقال الملك و إنما سميت الذنوب أوزارا لما يستحق عليها من العقاب العظيم و الأنقاض الأثقال التى كان ينتقض بها ما حمل عليه و النقض

و الهدم واحد و نقض المذهب إبطاله بما يفسده و بعير نقض سفر إذا أثقله السفر و النصب التعب و أنصبه لهم فهو منصب قال الشاعر:

(تعناك هم من أميمه منصب)

و هم ناصب ذو نصب قال النابغه:

(كلينى لهم يا أميمه ناصب)

. المعنى

ثم أتم سبحانه تعداد نعمه على نبيه ص فقال «أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ»

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله ص لقد سألت ربي مسأله وددت أنى لم أسأله قلت أى رب أنه قد كان أنبياء قبلى منهم من سخرت له الريح و منهم من كان يحيى الموتى قال فقال (ألم أجذك يتيما فأويتك) قال قلت بلى قال (ألم أجذك ضالا فهديتك) قال قلت بلى أى رب قال (ألم أشرح لك صدرك و وضعت عنك وزرك) قال قلت بلى أى رب

و المعنى أ لم نفتح لك صدرك و نوسع قلبك بالنبوه و العلم حتى قمت بأداء رساله و صبرت على المكاره و احتمال الأذى و اطمأنت إلى الإيمان فلم تضق به ذرعا و منه تشريح اللحم لأنه فتحه بترقيقه فشرح سبحانه صدره بأن ملاءه علما و حكمه و رزقه حفظ القرآن و شرائع الإسلام و من عليه بالصبر و الاحتمال و قيل إنه ص كان قد ضاق صدره بمعاداه الجن و الإنس إياه و مناصبتهم له فأتاه من الآيات ما اتسع به صدره بكل ما حملة الله إياه و أمره به و ذلك من أعظم النعم عن البلخي و قيل معناه أ لم نشرح صدرك بإذهاب الشواغل التى تصد عن إدراك الحق و

عن ابن عباس قال سئل النبى ص فقيل يا رسول الله أ ينشرح الصدر قال نعم قالوا يا رسول الله و هل لذلك علامه يعرف بها قال نعم التجافى عن دار الغرور و الإنابه إلى دار الخلود و الإعداد للموت قبل نزول الموت

و معنى الاستفهام فى الآيه التقرير أى قد فعلنا ذلك و يدل عليه قوله فى العطف عليه «وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ» أى و حططنا عنك وزرك «الذى أَنْقَضَ ظَهْرَكَ» أى أثقله حتى سمع له نقيض أى صوت عن الزجاج قال: و هذا مثل معناه أنه لو كان حملا لسمع نقيض ظهره و قيل إن المراد به تخفيف أعباء النبوه التى تثقل الظهر من القيام بأمرها سهل الله ذلك عليه حتى تيسر له و من عليه بذلك عن أبى عبيده و عبد العزيز بن يحيى و قيل معناه و أزلنا عنك همومك التى أثقلتك من أذى الكفار فشبه الهموم بالحمل و العرب تجعل الهم ثقلا عن أبى مسلم و قيل معناه و عصمناك عن احتمال الوزر فإن المقصود من الوضع أن لا يكون عليه ثقل فإذا عصم كان أبلغ فى أن لا يكون قال المرتضى قدس الله روحه إنما سميت الذنوب بأنها أوزار لأنها تثقل كاسبها و حاملها فكل شىء أثقل الإنسان و غمه و كده جاز أن يسمى وزرا فلا يمتنع أن يكون

الوزر في الآيه إنما أراد به غمه ص بما كان عليه قومه من الشرك و أنه و أصحابه بينهم مقهور مستضعف فلما أعلى الله كلمته و شرح صدره و بسط يده خاطبه بهذا الخطاب تذكيراً له بمواقع النعمة ليقابله بالشكر و يؤيده ما بعده من الآيات فإن اليسر بإزاله الهموم أشبه و العسر بإزاله الشدائد و الغموم أشبه فإن قيل أن السوره مكيه نزلت قبل أن يعلى الله كلمه الإسلام فلا وجه لقولكم قلنا أنه سبحانه لما بشره بأن يعلى دينه على الدين كله و يظهره على أعدائه كان بذلك واضعاً عنه ثقل غمه بما كان يلحقه من أذى قومه و مبدلاً عسره يسراً فإنه يثق بأن وعد الله حق و يجوز أيضاً أن يكون اللفظ و إن كان ماضياً فالمراد به الاستقبال كقوله وَ نَادَى أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ وَ نَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رُبُّكَ وَ لِهَذَا نُنَازِلُكَ وَ رَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ» أى قرنا ذكرك بذكرنا حتى لا- أذكر إلا- و تذكر معى يعنى فى الأذان و الإقامه و التشهد و الخطبه على المنابر عن الحسن و غيره قال قتاده: رفع الله ذكره فى الدنيا و الآخره فليس خطيب و لا متشهد و لا صاحب صلاه إلا و ينادى بأشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمداً رسول الله و

فى الحديث عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ص فى هذه الآيه قال قال لى جبرائيل قال الله عز و جل إذا ذكرت ذكرت معى

و فى هذا يقول حسان بن ثابت يمدح النبى ص:

أغر عليه للنبوّه خاتم من الله مشهور يلوح و يشهد

و ضم الإله اسم النبى إلى اسمه إذا قال فى الخمس المؤذن أشهد

و شق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود و هذا محمد.

ثم وعد سبحانه اليسر و الرخاء بعد الشده و ذلك أنه كان بمكه فى شده قال «فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» أى مع الفقر سعه عن الكلبى و قيل معناه أن مع الشده التى أنت فيها من مزاوله المشركين يسرا و رخاء بأن يظهر ك الله عليهم حتى ينقادوا للحق الذى جئتهم به طوعاً أو كرها ثم كرر ذلك فقال «إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»

روى عطاء عن ابن عباس قال يقول الله تعالى خلقت عسراً واحداً و خلقت يسرين فلن يغلب عسر يسرين

و

عن الحسن قال خرج النبى ص يوماً مسروراً فرحاً و هو يضحك و يقول لن يغلب عسر يسرين

«فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» قال الفراء: إن العرب تقول إذا ذكرت نكره ثم أعدتها نكره مثلها صارتا اثنتين كقولك إذا كسبت درهما فأنفق درهما فالثانى غير الأول فإذا أعدتها معرفه فهى كقولك إذا كسبت الدرهم فأنفق الدرهم فالثانى هو الأول و نحو هذا ما قال الزجاج: أنه ذكر العسر مع الألف و اللام ثم ثنى ذكره فصار المعنى إن مع العسر يسرين و قال صاحب كتاب النظم فى تفسير

هذه الآية: إن الله بعث نبيه و هو مقل مخف و كانت قريش تعيره بذلك حتى قالوا له إن كان بك من هذا القول الذى تدعيه طلب الغنى جمعنا لك مالا- حتى تكون كأيسر أهل مكة فكره النبي ص ذلك و ظن أن قومه إنما يكذبوه لفقره فوعده الله سبحانه الغنى ليسليه بذلك عما خامره من الهم فقال «فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» و تأويله لا يحزنك ما يقولون و ما أنت فيه من الإقلال فإن مع العسر يسرا فى الدنيا عاجلا ثم أنجز ما وعده فلم يمت حتى فتح عليه الحجاز و ما والاها من القرى العربيه و عامه بلاد اليمن فكان يعطى المائتين من الإبل و يهب الهبات السنيه و يعد لأهله قوت سنته ثم ابتداء فصلا آخر فقال «إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» و الدليل على ابتدائه تعريه من فاء و واو و هو وعد لجميع المؤمنين لأنه يعنى بذلك أن مع العسر فى الدنيا للمؤمن يسرا فى الآخرة و ربما اجتمع له اليسران يسر الدنيا و هو ما ذكر فى الآية الأولى و يسر الآخرة و هو ما ذكر فى الآية الثانية

فقوله ص لن يغلب عسر يسرين

أى يسر الدنيا و الآخرة فالعسر بين يسرين أما فرج الدنيا و أما ثواب الآخرة و هذا الذى ذكره الجرجانى يؤيد ما ذهب إليه المرتضى قدس الله روحه من أن القائل إذا قال شيئا ثم كرره فإن الظاهر من تغاير الكلامين تغاير مقتضاهما حتى يكون كل واحد منهما مفيدا لما لا يفيد الآخرة فيجب مع الإطلاق حمل الثانى على غير مقتضى الأول إلا إذا كان بين المتخاطبين عهد أو دلالة يعلم المخاطب بذلك أن المخاطب أراد بكلامه الثانى الأول فيحمله على ذلك و أنشد أبو بكر الأنبارى:

إذا بلغ العسر مجهوده فثق عند ذاك بيسر سريع

ألم تر نحس الشتاء الفظيع يتلوه سعد الربيع البديع

و أنشد إسحاق بن بهلول القاضى:

فلا تياس و إن أعسرت يوما فقد أيسرت فى دهر طويل

و لا تظنن بربك ظن سوء فإن الله أولى بالجميل

فإن العسر يتبعه يسار و قول الله أصدق كل قيل

«فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَ إِلَى رَبِّكَ فَارْجِعْ» معناه فإذا فرغت من الصلاة المكتوبه فانصب إلى ربك فى الدعاء و أرغب إليه فى المسأله يعطك عن مجاهد و قتاده و الضحاك و مقاتل و الكلبي و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام)

و معنى انصب من النصب و هو التعب أى لا- تشتغل بالراحه و قال الزهرى: إذا فرغت من الفرائض فادع بعد التشهد بكل حاجتك و

قال الصادق (عليه السلام) هو الدعاء فى دبر الصلاة و أنت جالس

و قيل معناه فإذا فرغت من

الفرائض فانصب في قيام الليل عن ابن مسعود وقيل معناه فإذا فرغت من دنياك فانصب في عباده ربك و صل عن مجاهد و الجبائي وقيل فإذا فرغت من الفرائض فانصب فيما رغبتك الله فيه من الأعمال و صل عن ابن عباس وقيل إذا فرغت من جهاد أعدائك فانصب بالعبادة لله عن الحسن و ابن زيد وقيل فإذا فرغت من جهاد الأعداء فانصب بجهاد نفسك وقيل إذا فرغت من أداء الرسالة فانصب لطلب الشفاعة و سئل علي بن طلحة عن هذه الآية فقال القول فيه كثير و قد سمعناه أنه يقال إذا صححت فاجعل صحتك و فراغك نصبا في العبادة و يدل على هذا ما روى أن شريحا مر برجلين يصطرعان فقال: ليس بهذا أمر الفارغ إنما قال الله سبحانه «فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ» أي فارفع حوائجك إلى ربك و لا ترفعها إلى أحد من خلقه و قال عطاء: يريد تضرع إليه راهبا من النار و راغبا إلى الجنة.

ص: ٣٥٠

(٩٥) سورة التين مكيه و آياتها ثمان (٨)

اشاره

[توضيح]

مكيه المعدل عن ابن عباس مدنيه ثمانى آيات بالإجماع.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص من قرأها أعطاه الله خصلتين العافيه و اليقين ما دام فى دار الدنيا فإذا مات أعطاه الله من الأجر بعدد من قرأ هذه السوره صيام يوم

و

عن البراء بن عازب قال سمعت النبى ص يقرأ فى المغرب و التين و الزيتون فما رأيت إنسانا أحسن قراءه منه رواه أبو مسلم فى الصحيح

و

روى شعيب العرقوفى عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ و التين فى فرائضه و نوافله أعطى من الجنه حيث يرضى.

تفسيرها

أمر الله سبحانه بالرغبه إليه فى خاتمه تلك السوره و افتتح هذه السوره بذكر أنه الخالق المستحق للعباده بعد أن أقسم عليه فقال:

[سورة التين (٩٥): الآيات ١ الى ٨]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ التِّينِ وَ الزَّيْتُونِ (١) وَ طُورِ سِينِينَ (٢) وَ هَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤)

ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (٨)

ص: ٣٥١

التقويم تصيير الشيء على ما ينبغي أن يكون عليه من التأليف والتعديل يقال قومه فاستقام و تقوم.

المعنى

«وَالَّتَيْنِ وَ الزَّيْتُونَ» أقسم الله سبحانه بالتين الذى يؤكل و الزيتون الذى يعصر منه الزيت عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و عكرمه و قتاده و هو الظاهر و إنما أقسم بالتين لأنه فاكهه مخلصه من شائب التنغيص و فيه أعظم عبره لأنه عز اسمه جعلها على مقدار اللقمة و هيأها على تلك الصفة إنعاماً على عباده بها و

قد روى أبو ذر عن النبي ص قال فى التين لو قلت إن فاكهه نزلت من الجنة لقلت هذه هى لأن فاكهه الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تقطع البواسير و تنفع من النقرس

و أما الزيتون فإنه يعتصر منه الزيت الذى يدور فى أكثر الأطعمة و هو إدام و التين طعام فيه منافع كثيرة و قيل التين الجبل الذى عليه دمشق و الزيتون الجبل الذى عليه بيت المقدس عن قتاده و قال عكرمه: هما جبلان و إنما سميا لأنهما ينبتان بهما و قيل التين مسجد دمشق و الزيتون بيت المقدس عن كعب الأخبار و عبد الرحمن بن غنيم و ابن زيد و قيل التين مسجد نوح الذى بنى على الجودى و الزيتون بيت المقدس عن ابن عباس و قيل التين المسجد الحرام و الزيتون المسجد الأقصى عن الضحاك «و طُورِ سِينِينَ» يعنى الجبل الذى كلم الله عليه موسى عن الحسن و سينين و سيناء واحد و قيل إن سينين معناه المبارك الحسن و كأنه قيل جبل الخير الكثير لأنه إضافه تعريف عن مجاهد و قتاده و قيل معناه كثير النبات و الشجر عن عكرمه و قيل إن كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين و سيناء بلغه النبط عن مقاتل

قال عمرو بن ميمون سمعت عمر بن الخطاب يقرأ بمكة فى المغرب و التين و الزيتون و طور سيناء قال فظننت أنه إنما قرأها ليعلم حرمة البلد و روى ذلك عن موسى بن جعفر (عليه السلام)

أيضاً «وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ» يعنى مكة البلد الحرام يأمن فيه الخائف فى الجاهلية و الإسلام فالأمين يعنى المؤمن من يدخله و قيل بمعنى الأمان و يؤيده قوله أَنَا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا قال الشاعر:

ألم تعلمى يا أسم ويحك إننى حلفت يمينا لا أخون أمني

يريد آمنى «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ» هذا جواب القسم و أراد جنس الإنسان و هو آدم و ذريته خلقهم الله فى أحسن صوره عن إبراهيم و مجاهد و قتاده و قيل فى أحسن تقويم أى منتصب القامة و سائر الحيوان مكب على وجهه إلا الإنسان عن ابن عباس

وقيل أراد أنه خلقهم على كمال في أنفسهم و اعتدال في جوارحهم و أبانهم عن غيرهم بالنطق و التمييز و التدبير إلى غير ذلك مما يختص به الإنسان و في ذلك إشاره أيضا إلى حال الشباب «ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ» يريد إلى الخرف و أرذل العمر و الهرم و نقصان العقل و السافلون هم الضعفاء و الزمنى و الأطفال و الشيخ الكبير أسفل هؤلاء جميعا عن ابن عباس و إبراهيم و قتاده و قيل معناه ثم رددناه إلى النار عن الحسن و مجاهد و ابن زيد و الجبائي و المعنى إلى أسفل الأسفلين لأن جهنم بعضها أسفل من بعض و على هذا فالمراد به الكفار أى خلقناهم فى أحسن خلقه أحرارا عقلاء مكلفين فكفروا فرددناهم إلى النار فى أقيح صوره ثم استثنى فقال «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا بالله «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» أى أخلصوا العباده لله و أضافوا إلى ذلك الأعمال الصالحه فإن هؤلاء لا يردون إلى النار و من قال بالقول الأول قال إن المؤمن لا يرد إلى الخرف و إن عمر عمرا طويلا قال إبراهيم: إذا بلغ المؤمن من الكبر ما يعجز معه من العمل كتب له ما كان يعمل و هو قوله «فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» و قال عكرمه: من رد منهم إلى أرذل العمر كتب له صالح ما كان يعمل فى شبابه و ذلك أجر غير ممنون و عن ابن عباس قال: و من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر و ذلك قوله «ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» قال إلا الذين قرءوا القرآن و

فى الحديث عن أنس قال قال رسول الله ص المولود حتى يبلغ الحنث ما عمل من حسنه كتب لوالديه فإن عمل سيئه لم تكتب عليه و لا على والديه فإذا بلغ الحنث و جرى عليه القلم أمر الله الملكين اللذين معه يحفظانه و يسددانه فإذا بلغ أربعين سنه فى الإسلام آمنه الله من البلايا الثلاث الجنون و الجذام و البرص فإذا بلغ خمسين خفف الله حسابه فإذا بلغ ستين رزقه الإنابه إليه فيما يجب فإذا بلغ سبعين أحبه أهل السماء فإذا بلغ ثمانين كتب الله حسناته و تجاوز عن سيئاته فإذا بلغ تسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر و شفعه فى أهل بيته و كان اسمه أسير الله فى الأرض فإذا بلغ أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا كتب الله له بمثل ما كان يعمل فى صحته من الخير و إن عمل سيئه لم تكتب عليه

و أقول إن صح الخبر فإنما لا تكتب عليه السيئه لزوال عقله و نقصان تمييزه فى ذلك الوقت و قوله «غَيْرُ مَمْنُونٍ» أى غير منقوص و قيل غير مقطوع عن أبى مسلم و قيل غير محسوب عن مجاهد و قيل غير مكدر بما يؤذى و يغم عن الجبائي «فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ» معناه أى شىء يكذبك أيها الإنسان بعد هذه الحجج بالدين الذى هو الجزاء و الحساب عن الحسن و عكرمه و أبى مسلم و المراد ما يحملك على أن لا تتفكر فى صوتك و شبابك و هرمك فتعتبر و تقول إن الذى فعل ذلك قادر على أن يبعثنى و يحاسبنى و يجازينى بعملى فيكون قوله «فَمَا يُكَذِّبُكَ» يعنى به ما الذى يجعلك تكذب و قيل إن الخطاب

للنبي ص أى فمن يكذبك أيها الرسول بعد هذه الحجج بالدين الذى هو الإسلام عن مجاهد و قتاده أى لا شىء يكذبك «أ
لَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ» هذا تقرير للإنسان على الاعتراف بأنه تعالى أحكم الحاكمين فى صنائعه و أفعاله و أنه لا خلل فى
شىء منها و لا اضطراب فكيف يترك هذه الخلائق و يهملهم فلا يجازيهم و قيل معناه أ ليس الله بأقضى القاضين فيحكم بينك
يا محمد و بين أهل التكذيب بك عن مقاتل و

قال قتاده و كان رسول الله ص إذا ختم هذه السوره قال بلى و أنا على ذلك من الشاهدين.

النظم

اتصل قوله «أ لَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ» بما قبله من ذكر الدين و الجزاء على سبيل التنبيه على الإعادة فإن الحكيم إذا كلف و
أمر و نهى و خلى بين الظالم و المظلوم فلا بد من المجازاه و الإنصاف و الانتصاف فإذا لم يكن ذلك فى الدنيا فلا بد من البعث
فإن أحكم الحاكمين لا يجوز عليه الإخلال بما ذكرناه.

ص: ٣٥٤

(٩٦) سورة العلق مكيه و آياتها تسع عشره (١٩)

اشاره

عدد آياتها

عشرون آيه حجازى و تسع عشره عراقى و ثمانى عشره شامى.

اختلافها

آيتان الذى ينهى غير الشامى لئن لم ينته حجازى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص من قرأها فكأنما قرأ المفصل كله

محمد بن حسان عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ فى يومه أو فى ليلته اقرأ باسم ربك ثم مات فى يومه أو فى ليلته مات شهيدا و بعثه الله شهيدا و أحياه كمن ضرب بسيفه فى سبيل الله مع رسول الله ص.

تفسيرها

ختم الله سبحانه تلك السوره بذكر اسمه و افتتح هذه السوره باسمه أيضا فقال:

ص: ٣٥٥

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤)

عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ (٦) أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى (٧) إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩)

عَبْدًا إِذَا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (١٤)

كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَدِّدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَا تُطْعَمُهُ وَاَسْدِجُدْ وَاقْتَرِبْ (١٩)

اللغة

العلق جمع علقه و هي القطعه الجامده من الدم التي تعلق لرتوبتها بما تمر به فإذا جفت لا تسمى علقه و العلق ضرب من الدود أسود لأنه يعلق على العضو فيمتص منه الدم و الرجعي الرجوع و المرجع واحد و السفع الجذب الشديد يقال سفعت بالشىء إذا قبضت عليه و جذبته جذبا شديدا و سفته النار و الشمس إذا غيرت وجهه إلى حال تشويبه و منه الحديث

ليصين أقواما سفع من النار

أى تشويبه خلقه و الناصيه شعر مقدم الرأس سميت بذلك لأنها متصله بالرأس من قولهم ناصى يناصره إذا وصل قال الراجز:

"قى تناصيها بلاد قى"

النادى مجلس أهل النادى ثم كثر فسمى كل مجلس ناديا و واحد الزبانية زبينه عن أبى عبيده و زبنى عن الكسائى و زابن عن الأخفش أخذ من الزبن و هو الدفع و الناقه تزبن الحالب أى تركضه برجلها قال الشاعر:

و مستعجب مما يرى من انائنا و لو زبنته الحرب لم يترمرم

. الإعراب

«خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ» تخصيص بعد تعميم ألا ترى أن قوله «خَلَقَ الْإِنْسَانَ» بعد قوله «خَلَقَ» خصوص بعد عموم فهو مثل قوله

يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ثُمَّ قَالَ وَ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ فَخَصَّصَ الْآخِرَةَ بَعْدَ ذِكْرِ الْغَيْبِ الَّذِي هُوَ عَامٌ لِكُلِّ مَا غَابَ عَنَّا وَ عَكْسَهُ قَوْلَ لِبَيْدٍ:

و هم العشيره أن يبطئ حاسد أو أن يلوم بحاجه لوامها

ص: ٣٥٦

ألا- ترى أن اللوم أعم من التبطئه لأن التبطئه نسبة قوم إلى البطء فهذا بعض اللوم وقوله «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ» الضمير المستكن في رآه عائد إلى الضمير المستكن في يطغى والهاء في رآه عائد إلى الضمير المستكن فيه وإنما جاز أن يعود الضمير المنصوب إلى ضمير الفاعل في باب علمت و أخواتها من غير ذكر النفس لدخول هذه الأفعال على المبتدأ والخبر والخبر هو نفس المبتدأ فتقول علمتني وحسبتي أفعَل كذا ولا يجوز في غيرها إلا بواسطة النفس تقول ضربت نفسي ولا تقول ضربتني وإن رآه في محل نصب لأنه مفعول له و «اسْتَيْغَى» جملة في موضع النصب لكونها مفعوله ثانيه لرآه والتقدير لأن رآه مستغنيا. ناصيه بدل من الناصيه أى بناصيه كاذبه خاطئه ومعناه بناصيه صاحبها كاذب خاطئ يقال فلان نهاره صائم و ليله قائم أى هو صائم فى نهاره و قائم فى ليله. «فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ» أى أهل ناديه فحذف المضاف. و النون فى «لَنْسِيْفَعًا» نون التأكيد الخفيفه و الاختيار عند البصريين أن تكتب بالألف لأن الوقف عليها بالألف و اختار الكوفيون أن تكتب بالنون لأنها نون فى الحقيقة.

المعنى

«اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ» هذا أمر من الله سبحانه لنبيه ص أن يقرأ باسم ربه و أن يدعو بأسمائه الحسنى و فى تعظيم الاسم تعظيم المسمى لأن الاسم ذكر المسمى بما يخصه فلا سبيل إلى تعظيمه إلا بمعناه و لهذا لا يعظم اسم الله حق تعظيمه إلا من هو عارف به و معتقد عبادته و لهذا قال سبحانه قُلْ اذْعُوا لِلَّهِ أَوْ اذْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى و قال سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى فالباء هنا زائده و التقدير اقرأ باسم ربك و أكثر المفسرين على أن هذه السوره أول ما نزل من القرآن و أول يوم نزل جبرائيل (عليه السلام) على رسول الله ص و هو قائم على حراء علمه خمس آيات من أول هذه السوره و قيل أول ما نزل من القرآن قوله «يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ» و قد مر ذكره و قيل أول سوره نزلت على رسول الله ص فاتحه الكتاب

رواه الحاكم أبو عبد الله الحافظ بإسناده عن أبي ميسره عمرو بن شرحبيل أن رسول الله ص قال لخديجه:

إنى إذا خلوت وحدى سمعت نداء فقالت ما يفعل الله بك إلا خيرا فو الله إنك لتؤدى الأمانه و تصل الرحم و تصدق الحديث قالت خديجه: فانطلقنا إلى ورقه بن نوفل بن أسد بن عبد العزى هو ابن عم خديجه فأخبره رسول الله ص بما رأى فقال له ورقه: إذا أتاك فائت له حتى تسمع ما يقول ثم أتيني فأخبرنى فلما خلا ناداه يا محمد قل له ذلك فقال له أبشر ثم أبشر فأنا أشهد أنك الذى بشر به ابن مريم و أنك على مثل ناموس موسى و أنك نبي مرسل و أنك سوف تؤمر بالجهاد بعد يومك هذا و لئن أدركنى ذلك لأجاهدن معك فلما توفى ورقه قال رسول الله ص: لقد رأيت القس فى الجنة عليه ثياب الحرير لأنه آمن بى و صدقنى

يعنى ورقه و روى أن ورقه قال فى ذلك:

فإن يك حقا يا خديجه فأعلمي حديثك إيانا فأحمد مرسل

و جبريل يأتيه و ميكال معهما من الله وحي يشرح الصدر منزل

يفوز به من فاز عزا لدينه و يشقى به الغاوى الشقى المضلل

فريقان منهم فرقه فى جناه و أخرى بأغلال الجحيم تغلغل

ثم وصف سبحانه ربه و بينه بفعله الدال عليه فقال «الَّذِي خَلَقَ» أى خلق جميع المخلوقات على مقتضى حكمته و أخرجه من العدم إلى الوجود بكمال قدرته ثم خص الإنسان بالذكر تشريفا له و تبيها على إبانته إياه عن سائر الحيوان فقال «خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ» أراد به جنس بنى آدم أى خلقهم من دم جامد بعد النطفه و قيل معناه خلق آدم من طين يعلق باليد و الأول أصح و فى هذا إشاره إلى بيان النعمه بأن خلقه من الأصل الذى هو فى الغايه القصوى من المهانه ثم بلغ به مبالغ الكمال حتى صار بشرا سويا مهيتا للنطق و التمييز مفرغا فى قالب الاعتدال و أنه كما نقل الإنسان من حال إلى حال حتى استكمل كذلك بنقلك من الجهاله إلى درجه النبوه و الرساله حتى تستكمل شرف محلها ثم أكد الأمر بالإعاده فقال «أَقْرَأُ» و قيل أمره فى الأول بالقراءه لنفسه و فى الثانى بالقراءه للتبليغ و ليس بتكرار عن الجبائى و معناه اقرأ القرآن «وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ» أى الأعظم كرما فلا يبلغه كرم كريم لأنه يعطى من النعم ما لا يقدر على مثله غيره فكل نعمه توجد من جهته تعالى إما بأن اخترعها و إما سببها و سهل الطريق إليها و قيل معناه بلغ قومك و ربك الأكرم الذى يثيبك على عملك بما يقتضيه كرمه و يقويك و يعينك على حفظ القرآن «الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ» أى علم الكاتب أن يكتب بالقلم أو علم الإنسان البيان بالقلم أو علم الكتابه بالقلم امتن سبحانه على خلقه بما علمهم من كيفية الكتابه بالقلم لما فى ذلك من كثره الانتفاع فيما يتعلق بالدين و الدنيا قال قتاده: القلم نعمه من الله عظيمه لولاه لم يقيم دين و لم يصلح عيش و قال بعضهم فى وصفه:

لعاب الأفاعى القاتلات لعابه و أرى الجنى اشتارته أيد عواسل.

و قيل أراد سبحانه آدم لأنه أول من كتب عن كعب و قيل أول من كتب إدريس عن الضحاك و قيل أراد كل نبى كتب بالقلم لأنه ما علمه إلا- بتعليم الله إياه «عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» من أنواع الهدى و البيان و أمور الدين و الشرائع و الأحكام فجميع ما يعلمه الإنسان

من جهته سبحانه إما بأن اضطره إليه و إما بأن نصب الدليل عليه في عقله و إما بأن بينه له على ألسنه ملائكته و رسله فكل العلوم على هذا مضاف إليه و في هذا دلالة على أنه سبحانه عالم لأن العلم لا يقع إلا من عالم «كَلَّا» أى حقا «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ» أى يتجاوز حده و يستكبر على ربه و يعدو طوره «أَنْ رَأَاهُ سَمِعَتْهُ نَفْسٌ مِنْ حَتَّىٰ» أى لأن رآه نفسه مستغنية عن ربه بعشيرته و أمواله و قوته كأنه قال إنما يطغى من رأى أنه مستغن عن ربه لا من كان غنيا قال قتاده:

كان إذا أصاب مالا زاد في ثيابه و مركبه و طعامه و شرابه فذلك طغيانه و قيل إنها نزلت في أبى جهل هشام من هنا إلى آخر السوره «إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ» أى إلى الله مرجع كل أحد أى فهذا الطاغى كيف يطغى بماله و يعصى ربه و رجوعه إليه و هو قادر على إهلاكه و على مجازاته إذا رجع إليه «أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ» هذا تقرير للنبي ص و أعلام له بما يفعله بمن ينهاه عن الصلاة

فقد جاء في الحديث أن أبا جهل قال هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم قالوا نعم قال فبالذى يحلف به لئن رأيتك يفعل ذلك لأطأن على رقبتك فليلطأ على رقبتك فما فجأهم إلا و هو ينكص على عقبيه و يتقى بيديه فقالوا ما لك يا أبا الحكم قال إن بينى و بينه خندقا من نار و هولاء و أجنحة و قال نبي الله و الذى نفسى بيده لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضوا عضوا فأنزل الله سبحانه «أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ» إلى آخر السوره رواه مسلم فى الصحيح

و معنى الآية أ رأيت يا محمد من منع من الصلاة و نهى من يصلى عنها ما ذا يكون جزاؤه و ما يكون حاله عند الله تعالى و ما الذى يستحقه من العذاب فحذف لدلاله الكلام عليه و الآية عامه فى كل من ينهى عن الصلاة و الخير و

روى عن على (عليه السلام) أنه خرج فى يوم عيد فرأى ناسا يصلون فقال يا أيها الناس قد شهدنا نبي الله فى مثل هذا اليوم فلم يكن أحد يصلى قبل العيد أو قال النبي ص فقال رجل يا أمير المؤمنين ألا تنهى أن يصلوا قبل خروج الإمام فقال لا أريد أن أنهى عبدا إذا صلى و لكننا نحدثهم بما شهدنا من النبي ص أو كما قال

و معنى أ رأيت هاهنا تعجيب للمخاطب ثم كرر هذه اللفظه تأكيداً فى التعجيب فقال «أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ» يعنى العبد المنهى و هو محمد ص «أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ» يعنى بالإخلاص و التوحيد و مخافه الله تعالى و هاهنا حذف أيضا تقديره كيف يكون حال من ينهاه عن الصلاة و يزجره عنها ثم قال «أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ» أبو جهل «وَتَوَلَّىٰ» عن الإيمان و أعرض عن قبوله و الإصغاء إليه «أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ» ما يفعله و يعلم ما يصنعه و التقدير أ رأيت الذى فعل هذا الفعل ما الذى يستحق بذلك من الله تعالى من العقاب و قيل إن تقدير نظم الآية أ رأيت الذى ينهى عبدا إذا صلى و هو على الهدى أمر بالتقوى و الناهى كاذب مكذب متول عن الإيمان فما أعجب هذا ثم هدده بقوله ألم يعلم هذا

المكذب فإن لم يعلم فليعلم بأن الله يرى هذا الصنيع الشنيع فيؤاخذ به وفي هذا إشاره إلى فعل الطاعة وترك المعصية ثم قال سبحانه «كَلَّا» أى لا يعلم ذلك «لَئِن لَّمْ يَنْتَه» يعنى أن لم يمتنع أبو جهل عن تكذيب محمد ص وإيذائه «لَنْسِفَعَا بِالنَّاصِيَةِ» أى لنجرن بناصيته إلى النار وهذا كقوله فَيُؤَخِّدُ بِالنَّوَاصِيَةِ وَ الْأَقْدَامِ ومعناه لنذلنه ونقيمنه مقام الأذله ففى الأخذ بالناصيه إهانته واستخفاف وقيل معناه لنغيرن وجهه ونسودنه بالنار يوم القيامة لأن السفع أثر الإحراق بالنار ثم أخبر سبحانه عنه بأنه فاجر خاطئ بأن قال «نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ» وصفها بالكذب والخطأ بمعنى أن صاحبها كاذب فى أقواله خاطئ فى أفعاله، لما ذكر الجبر بها أضاف الفعل إليها قال ابن عباس: لما أتى أبو جهل رسول الله ص انتهره رسول الله ص فقال أبو جهل أ تنتهرنى يا محمد فو الله لقد علمت ما بها أحد أكثر ناديا منى فأنزل الله سبحانه «فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ» وهذا وعيد أى فليدع أهل ناديه أى أهل مجلسه يعنى عشيرته فليستنصر بهم إذا حل عقاب الله به والنادى الفناء قال وَ تَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ ثم قال «سَيَدْعُو النَّبَاتِيَةَ» يعنى الملائكة الموكلين بالنار وهم الملائكة الغلاظ الشداد قال ابن عباس: لو دعا ناديه لأخذته زبانية النار من ساعته معاينه وقيل إنه إخبار بأنه يدعو إليه الزبانية دعا ناديه أم لم يدع و صدق سبحانه ذلك فقتل أبو جهل يوم بدر ثم قال «كَلَّا» أى ليس الأمر على ما عليه أبو جهل «لَا تُطْعَمُهُ» فى النهى عن الصلاة «وَ اسْجُدْ» له عز اسمه «وَ اقْتَرَبْ» من ثوابه وقيل معناه و تقرب إليه بطاعته وقيل معناه اسجد يا محمد للتقرب منه فإن أقرب ما يكون العبد من الله إذا سجد له وقيل «وَ اسْجُدْ» أى و صل لله و اقترب من الله

و فى الحديث عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ص قال أقرب ما يكون العبد من الله إذا كان ساجدا

وقيل المراد به السجود لقراءة هذه السوره و السجود هنا فرض و هو من العزائم و

روى عن عبد الله بن سنان عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال العزائم الم تنزل و حم السجده و النجم إذا هوى و اقرأ باسم ربك و ما عداها فى جميع القرآن مسنون و ليس بمفروض

(٩٧) سورة القدر مكيه و آياتها خمس (٥)

اشاره

[توضيح]

مكيه و قيل مدنيه.

عدد آياتها

ست آيات مكي و شامى و خمس فى الباقيين.

اختلفا

آيه لَيْلَةُ الْقَدْرِ الثَّالِثِ مَكِّي شَامِي.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص من قرأها أعطى من الأجر كمن صام رمضان و أحيا ليله القدر.

الحسين بن أبى العلاء عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ إنا أنزلناه فى فريضه من الفرائض نادى مناد يا عبد الله قد غفر لك ما مضى فاستأنف العمل.

سيف بن عميره عن رجل عن أبى جعفر (عليه السلام) قال من قرأ إنا أنزلناه بجهر كان كشاهر سيفه فى سبيل الله و من قرأها سرا كان كالمتشحط بدمه فى سبيل الله و من قرأها عشر مرات مرت على نحو ألف ذنب من ذنوبه.

تفسيرها

أمر سبحانه بالسجود و التقرب إليه فى خاتمه تلك السوره و افتتح هذه السوره بذكر ليله القدر و إن التقرب فيها إلى الله يزيد على التقرب إليه من سائر الليالى و الأيام فكأنه قال اقترب إليه فى سائر الأوقات خصوصا فى ليله القدر و قال أبو مسلم: لما أمره بقراءه القرآن فى تلك السوره بين فى هذه السوره أن إنزاله فى ليله القدر فقال:

ص: ٣٤١

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَ مَا أَذْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَ الرُّوحِ فِيهَا يَأْتِي رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤)

سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ (٥)

القراءة

قرأ الكسائي و خلف مطلع بكسر اللام و الباقون بفتح اللام و في الشواذ قراءة ابن عباس و عكرمه و الكلبى من كل امرء.

الحج

قال أبو علي: مطلع هنا مصدر بدلاله أن المعنى سلام هي حتى وقت طلوعه و إلى وقت طلوعه نحو مقدم الحاج و خفوق النجم المصدر فيه زمانا على تقدير حذف المضاف فالقياس أن يفتح اللام كما أن مصادر سائر ما كان من فعل يفعل مفتوح العين نحو المخرج و المدخل و أما الكسر فلأن المصادر التي ينبغي أن تكون على المفعول ما قد كسر كقولهم علاه المكبر و المعجزة و قوله «من كل امرء» قال ابن جنى أنكر أبو حاتم هذه القراءة على أنه حكى عن ابن عباس أنه قال يعنى الملائكة قال و لا أدري ما هذا و إنما هو تنزل الملائكة فيها كل أمر كقوله فيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا وَ «مِنْ كُلِّ أَمْرٍ» فتم الكلام ثم استأنف فقال سلام أى هي سلام إلى أن يطلع الفجر و قال قطرب: معناه هي سلام من كل أمر و امرئ و يلزم على قول قطرب أن يقال فكيف جاز تقديم معمول المصدر الذى هو سلام عليه و قد عرفنا امتناع جواز تقديم صله الموصول أو شىء منها عليه و الجواب أن سلاما فى الأصل كعمري مصدر فأما هنا فإنه موضوع اسم الفاعل الذى هو سالمه هي أو مسلمه فكأنه قال من كل أمر سالمه أو مسلمه هي أى هي سالمه أو مسلمه منه.

اللغة

القدر كون الشىء مساويا لغيره من غير زياده و لا نقصان و قدر الله هذا الأمر يقدره قدرا إذا جعله على مقدار ما تدعو إليه الحكمة و الشهر فى الشرع عبارته عما بين هلالين من الأيام و إنما سمي شهرا لاشتهاره بالهلاك و قد يكون الشهر ثلاثين و يكون تسعة و عشرين إذا كان هلاليا فإن لم يكن هلاليا فهو ثلاثون.

الإعراب

«خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» تقديره خير من ألف شهر لا ليله قدر فيه فحذف الصفة و قوله «سَلَامٌ هِيَ» هي مبتدأ و سلام خبر مقدم عليه

و هو بمعنى الفاعل لأنه إذا حمل على المصدر لم يجر تعليق حتى به لأنه لا يفصل بين الصلة و الموصول و مثله قول الشاعر:

فهلأ سعيتم سعى عصبه مازن و هل كفلائي في الوفاء سواء

سواء بمعنى مستو و التقدير فهل كفلائي مستوون في الوفاء لا بد من هذا التقدير لأن

ص: ٣٦٢

سواء لو كانت مصدرا لما تقدم عليه ما فى صلته و يجوز تعليق حتى بقوله «تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ» و لا يجوز أن يكون هى مبتداً و تكون حتى نكره فى موضع الخبر لأنه لا فائده فيه إذ كل ليله بهذه الصفة و مطلع مجرور بحتى و هو فى معنى إلى.

المعنى

«إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ» الهاء كناية عن القرآن و إن لم يجر له ذكر لأنه لا يشتبه الحال فيه «فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ» قال ابن عباس: أنزل الله القرآن جملة واحده من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا فى ليله القدر ثم كان ينزله جبريل (عليه السلام) على محمد ص نجوماً و كان من أوله إلى آخره ثلاث و عشرون سنة و قال الشعبي: معناه أنا ابتدأنا إنزاله فى ليله القدر و قال مقاتل:

أنزله من اللوح المحفوظ إلى السفره و هم الكتبه من الملائكة فى السماء الدنيا و كان ينزل ليله القدر من الوحي على قدر ما ينزل به جبرائيل (عليه السلام) على النبي ص فى السنه كلها إلى مثلها من القابل و الكلام فى ليله القدر على ضروب (فالأول) اختلاف العلماء فى معنى هذا الاسم و مأخذه فليل سميت ليله القدر لأنها الليله التى يحكم الله فيها و يقضى بما يكون فى السنه بأجمعها من كل أمر عن الحسن و مجاهد و هى الليله المباركه فى قوله «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ» لأن الله تعالى ينزل فيها الخير و البركه و المغفره و روى أبو الضحى عن ابن عباس أنه كان يقضى القضايا فى ليله النصف من شعبان ثم يسلمها إلى أربابها فى ليله القدر و قيل ليله القدر أى ليله الشرف و الخطر و عظم الشأن من قولهم رجل له قدر عند الناس أى منزله و شرف و منه ما قَدَرُوا اللَّهَ* أى ما عظموه حق عظمته عن الزهرى قال أبو بكر الوراق لأن من لم يكن ذا قدر إذا أحيها صار ذا قدر و قال غيره لأن للطاعات فيها قدرا عظيما و ثوابا جزيلا و قيل سميت ليله القدر لأنه أنزل فيها كتاب ذو قدر إلى رسول ذى قدر لأجل أمه ذات قدر على يدي ملك ذى قدر و قيل هى ليله التقدير لأن الله تعالى قدر فيها إنزال القرآن و قيل سميت بذلك لأن الأرض تضيق فيها بالملائكة من قوله «وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ» عن الخليل بن أحمد (الضرب الثانى) اختلافهم فى أنها أيله ليله فذهب قوم إلى أنها إنما كانت على عهد رسول الله ص ثم رفعت و

جاءت الروايه عن أبى ذر أنه قال قلت يا رسول الله ليله القدر هى شىء تكون على عهد الأنبياء ينزل فيها فإذا قبضوا رفعت قال لا بل هى إلى يوم القيامة

و قيل إنها فى ليالى السنه كلها و من علق طلاق امرأته على ليله القدر لم يقع إلى مضى السنه و هو مذهب أبى حنيفه و فى بعض الروايات عن ابن مسعود أنه قال: من يقيم الحول كله يصبها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فقال رحم الله أبا عبد الرحمن أ ما أنه علم أنها فى شهر رمضان و لكنه أراد أن لا يتكل الناس و جمهور العلماء على أنها فى شهر رمضان فى كل سنه ثم اختلفوا فى.

أى ليله هي منه فقيل هي أول ليله منه عن ابن زيد العقيلي وقيل هي ليله سبع عشره منه عن الحسن و روى أنها ليله الفرقان و فى صبيحتها التقى الجمعان و الصحيح أنها فى العشر الأواخر من شهر رمضان و هو مذهب الشافعى و

روى مرفوعا أنه ص قال التمسوها فى العشر الأواخر

و

عن على (عليه السلام) أن النبى ص كان يوقظ أهله فى العشر الأواخر من شهر رمضان قال و كان إذا دخل العشر الأواخر دأب و أدأب أهله

و

روى أبو بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال كان رسول الله ص إذا دخل العشر الأواخر شد المئزر و اجتنب النساء و أحيا الليل و تفرغ للعباده

ثم اختلفوا فى أنها أيه ليله من العشر فقيل إنها ليله إحدى و عشرين و هو مذهب أبى سعيد الخدرى و اختيار الشافعى

قال أبو سعيد الخدرى قال رسول الله ص رأيت هذه الليله ثم أنسيتها و رأيتنى أسجد فى ماء و طين فالتمسوها فى العشر الأواخر و التمسوها فى كل وتر قال فأبصرت عيناي رسول الله ص انصرف و على جبهته و أنفه أثر الماء و الطين من صبيحه إحدى و عشرين أورده البخارى فى الصحيح

وقيل هي ليله ثلاث و عشرين منه

عن عبد الله بن عمر قال جاء رجل إلى النبى ص فقال يا رسول إني رأيت فى النوم كان ليله القدر هي ليله سابعه تبقى فقال ص: أرى رؤياكم قد تواطأت على ثلاث و عشرين فمن كان منكم يريد أن يقوم من الشهر شيئا فليقم ليله ثلاث و عشرين

قال معمر كان أيوب يغتسل ليله ثلاث و عشرين و يمس طيبا و سأل عمر بن الخطاب أصحاب رسول الله ص فقال قد علمتم

أن رسول الله ص قال فى ليله القدر اطلبوها فى العشر الأواخر و ترا

ففى أى الوتر ترون فأكثر القوم فى الوتر قال ابن عباس فقال لى ما لك لا تتكلم يا ابن عباس فقلت رأيت الله أكثر ذكر السبع فى القرآن فذكر السماوات سبعا و الأرضين سبعا و الطواف سبعا و الجمار سبعا و ما شاء الله من ذلك خلق الإنسان سبعا و جعل رزقه فى سبعه فقال كل ما ذكرت عرفت فما قولك خلق الإنسان من سبعه و جعل رزقه فى سبعه فقلت خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ إِلَى قَوْلِهِ خَلَقْنَا آخَرَ قَرَأَتْ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا إِلَى قَوْلِهِ وَ فَكَيْهَهُ وَ أَبًّا فَمَا أَرَاهَا إِلَّا لَيْلَهُ ثَلَاثَ وَ عَشْرِينَ لَسَبْعَ بَقِيْنَ فَقَالَ عَمْرُ عَجَزْتُمْ أَنْ تَأْتُوا بِمَا جَاءَ بِهِ هَذَا الْغُلَامِ الَّذِي لَمْ يَجْتَمِعْ شُؤْنُ رَأْسِهِ قَالَ وَ قَالَ عَمْرُ وَافِقَ رَأْيِي رَأْيِكَ ثُمَّ ضَرَبَ مِنْكِبِي فَقَالَ مَا أَنْتَ بِأَقْلِ الْقَوْمِ عِلْمًا وَ

روى العياشى بإسناده عن زرارہ عن عبد الواحد بن المختار الأنصارى قال سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن ليله القدر قال فى ليلتين ليله ثلاث و عشرين و إحدى و عشرين فقلت أفرد لى أحدهما فقال و ما عليك أن تعمل فى ليلتين هى إحداهما

و

عن شهاب ابن عبد ربه قال قلت لأبى عبد الله (عليه السلام) أخبرنى بليله القدر فقال ليله إحدى و عشرين و ليله ثلاث و عشرين

و

عن حماد بن عثمان عن حسان بن أبى على قال سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن ليله القدر قال اطلبها فى تسع عشره و إحدى و عشرين و ثلاث و عشرين

و

فى كتاب من لا

ص: ٣٦٤

يحضره الفقيه عن علي بن حمزه قال كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) فقال له أبو بصير جعلت فداك الليله التي يرجى فيها ما يرجى أى ليله هي فقال هي ليله إحدى وعشرين و ثلاث و عشرين قال فإن لم أقو على كليهما فقال ما أيسر ليلتين فيما تطلب قال قلت فربما رأينا الهلال عندنا و جاءنا من يخبرنا بخلاف ذلك في أرض أخرى فقال ما أيسر أربع ليال فيما تطلب فيها جعلت فداك ليله ثلاث و عشرين ليله الجهنى قال إن ذلك ليقال قلت جعلت فداك إن سليمان بن خالد روى أن في تسع عشره يكتب وفد الحاج فقال يا أبا محمد وفد الحاج يكتب في ليله القدر و المنايا و البلايا و الأرزاق ما يكون إلى مثلها في قابل فاطبها في إحدى و ثلاث و صل في كل واحده منها مائه ركعه و أحيهما إن استطعت إلى النور و اغتسل فيهما قال قلت فإن لم أقدر على ذلك و أنا قائم قال فصل و أنت جالس قلت فإن لم أستطع قال فعلى فراشك قلت فإن لم أستطع فقال لا عليك أن تكتحل أول الليل بشىء من النوم إن أبواب السماء تفتح في شهر رمضان و تصفد الشياطين و تقبل أعمال المؤمنين نعم الشهر شهر رمضان كان يسمى على عهد رسول الله ص المرزوق

و

في روايه عبد الله بن بكير عن زراره عن أحدهما قال سألته عن الليالى التي يستحب فيها الغسل في شهر رمضان فقال ليله تسع عشره و ليله إحدى وعشرين و ليله ثلاث و عشرين و قال ليله ثلاث و عشرين هي ليله الجهنى و حديثه أنه قال لرسول الله ص إن منزلى نأى عن المدينه فمرنى بليله أدخل فيها فأمره بليله ثلاث و عشرين

قال الشيخ أبو جعفر (ره) و اسم الجهنى عبد الله بن أنيس الأنصارى و قيل إنها ليله سبع و عشرين عن أبي بن كعب و عائشه و

روى أن ابن عباس و ابن عمر قالوا قال رسول الله ص تحروها ليله سبع و عشرين

و عن زر بن حبيش قال قلت لأبى يا أبا المنذر من أين علمت إنها ليله سبع و عشرين قال بالآيه

ص: ٣٦٥

التي أنبأ بها رسول الله ص قال تطلع الشمس غداتئذ كأنها طست ليس لها شعاع و قال بعضهم إن الله قسم كلمات السوره على ليالى شهر رمضان فلما بلغ السابعه و العشرين أشار إليها فقال هي و قيل إنها ليله تسع و عشرين و

روى عن أبى بكره قال سمعت رسول الله ص يقول التمسوها فى العشر الأواخر فى تسع بقين أو سبع بقين أو خمس بقين أو ثلاث بقين أو آخر ليله

و الفائدة فى إخفاء هذه الليله أن يجتهد الناس فى العباده و يحيوا جميع ليالى شهر رمضان طمعا فى إدراكها كما أن الله سبحانه أخفى الصلاه الوسطى فى الصلوات الخمس و اسمه الأعظم فى الأسماء و ساعه الإجابه فى ساعات الجمعة (و الضرب الثالث) ذكر بعض ما ورد فى فضل هذه الليله

روى ابن عباس عن النبى أنه قال إذا كان ليله القدر تنزل الملائكه الذين هم سكان سدره المنتهى و منهم جبرائيل فينزل جبرائيل (عليه السلام) و معه ألويه ينصب لواء منها على قبرى و لواء على بيت المقدس و لواء فى المسجد الحرام و لواء على طور سيناء و لا يدع فيها مؤمنا و لا مؤمنه إلا سلم عليه إلا مدمن الخمر و آكل لحم الخنزير و المتضمخ بالزعفران

عنه ص قال من قام ليله القدر إيمانا و احتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه

و

عنه ص قال إن الشيطان لا يخرج فى هذه الليله حتى يضىء فجرها و لا يستطيع فيها على أحد بخبل أو داء أو ضرب من ضروب الفساد و لا ينفذ فيه سحر ساحر

و

روى الحسن عن النبى ص قال فى ليله القدر إنها ليله سمحه لا حاره و لا بارده تطلع الشمس فى صبيحتها و ليس لها شعاع

ثم قال الله سبحانه تعظيما لشأن هذه الليله و تنبيها لعظم قدرها و شرف محلها «و ما أذراك ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ» فكأنه قال و ما أدراك يا محمد ما خطر ليله القدر و ما حرمتها و هذا حث على العباده فيها ثم فسر سبحانه تعظيمه و حرمة فقال «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» أى قيام ليله القدر و العمل فيها خير من قيام ألف شهر ليس فيه ليله القدر و صيامه عن مقاتل و قتاده و ذلك أن الأوقات إنما يفضل بعضها على بعض بما يكون فيها من الخير من النفع فلما جعل الله الخير الكثير فى ليله القدر كانت خيرا من ألف شهر لا يكون فيها من الخير و البركه ما يكون فى هذه الليله ذكر

عطاء عن ابن عباس قال ذكر لرسول الله ص رجل من بنى إسرائيل أنه حمل السلاح على عاتقه فى سبيل الله تعالى ألف شهر فعجب من ذلك رسول الله ص عجا شديدا و تمنى أن يكون ذلك فى أمته فقال يا رب جعلت أمتى أقصر الناس أعمارا و أقلها أعمالا فأعطاه الله ليله القدر و قال ليله القدر خير من ألف شهر الذى حمل الإسرائيلي السلاح فى سبيل الله لك و لأمتك من بعدك إلى يوم القيامة فى كل رمضان

ثم أخبر سبحانه بما يكون في تلك الليلة

ص: ٣٦٦

فقال «تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ» أى تنزل الملائكة «وَالرُّوحُ» يعنى جبرائيل «فِيهَا» أى فى ليله القدر إلى الأرض ليسمعوا الثناء على الله و قراءه القرآن و غيرها من الأذكار و قيل ليسلموا على المسلمين بإذن الله أى بأمر الله و قيل ينزلون بكل أمر إلى السماء الدنيا حتى يعلم ذلك أهل السماء الدنيا فيكون لطفاً لهم و قال كعب و مقاتل بن حيان الروح طائفه من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليله ينزلون من لذن غروب الشمس إلى طلوع الفجر و قيل الروح هو الوحي كما قال وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا أى تنزل الملائكة و معهم للوحي بتقدير الخيرات و المنافع «بِإِذْنِ رَبِّهِمْ» أى بأمر ربهم كما قال و ما ننزل إلا بأمر ربك و قيل بعلم ربهم كما قال أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ «مِنْ كُلِّ أَمْرٍ» أى بكل أمر من الخير و البركه كقوله يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ أى بأمر الله و قيل بكل أمر من أجل و رزق إلى مثلها من العام القابل فعلى هذا يكون الوقف هنا تاماً ثم قال «سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ» أى هذه ليله إلى آخرها سلامه من الشرور و البلايا و آفات الشيطان و هو تأويل قوله فِى لَيْلِهِ مُبَارَكَةٌ عَنْ قَتَادَةَ و قال مجاهد يعنى أن ليله القدر سالمه عن أن يحدث فيها سوء أو يستطيع شيطان أن يعمل فيها و قيل معناه سلام على أولياء الله و أهل طاعته فكلما لقيهم الملائكة فى هذه الليله سلموا عليهم من الله تعالى عن عطاء و الكلبي و قيل إن تمام الكلام عند قوله «بِإِذْنِ رَبِّهِمْ» ثم ابتداء فقال «مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ» أى بكل أمر فيه سلامه و منفعه و خير و بركه لأن الله يقدر فى تلك الليله كل ما فيه خير و بركه ثم قال «هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ» أى السلامه و البركه و الفضيله تمتد إلى وقت طلوع الفجر و لا- يكون فى ساعه منها فحسب بل يكون فى جميعها و الله أعلم بالصواب.

(٩٨) سورة البينه مدنيه و آياتها ثمان (٨)

اشاره

[توضيح]

و تسمى سورة البريه و سورة القيمه مدنيه و قيل مكيه.

عدد آياتها

تسع آيات بصرى ثمان فى الباين.

اختلافها

آيه مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ بصرى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال و من قرأها كان يوم القيامة مع خير البريه مسافرا و مقيما

و

عن أبى الدرداء قال قال رسول الله ص: لو يعلم الناس ما فى لم يكن لعطلوا الأهل و المال و تعلموها فقال رجل من خزاعه ما فيها من الأجر يا رسول الله فقال لا يقرأها منافق أبدا و لا عبد فى قلبه شك فى الله عز و جل و الله إن الملائكه المقربين ليقرونها منذ خلق الله السماوات و الأرض لا يفترون عن قراءتها و ما من عبد يقرأها بليل إلا بعث الله ملائكه يحفظونه فى دينه و دنياه و يدعون له بالمغفره و الرحمه فإن قرأها نهارا أعطى عليها من الثواب مثل ما أضاء عليه النهار و أظلم عليه الليل فقال رجل من قيس عيلان زدنا يا رسول الله من هذا الحديث فداك أبى و أمى فقال ص تعلموا عم يتساءلون و تعلموا ق و القرآن المجيد و تعلموا و السماء ذات البروج و تعلموا و السماء و الطارق فإنكم لو تعلمون ما فيهن لعطلتكم ما أنتم فيه و تعلمتموهن و تقربتن إلى الله بهن و إن الله يغفر بهن كل ذنب إلا الشرك بالله و اعلموا أن تبارك الذى بيده الملك تجادل عن صاحبها يوم القيامة و تستغفر له من الذنوب.

أبو بكر الحضرمى عن أبى جعفر (عليه السلام) قال: من قرأ سورة لم يكن كان بريئا من الشرك و أدخل فى دين محمد ص و بعثه الله مؤمنا و حاسبه الله حسابا يسيرا

تفسيرها

بين الله سبحانه فى سورة القدر أن القرآن حجه ثم بين فى هذه السوره أن الكفار قبله لم يخلو قط من حجه فقال:

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ الْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتِبَ قَيِّمَةٌ (٣) وَ مَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ (٤)

وَ مَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَ يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَ ذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ الْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَسِبَ رَبَّهُ (٨)

القراءه

قرأ نافع و ابن ذكوان البريئه مهموزه و الباقون بغير همزه.

الحجه

قال أبو على البريئه من برأ الله الخلق فالقياس فيه الهمز إلا أنه مما ترك همزه كقولهم النبي و الذريه و الخاييه فالهمزه فيه كالرد إلى الأصل المتروك في الاستعمال كما أن همز النبي كذلك و ترك الهمز أجود لأنه لما ترك فيه الهمز صار كرده إلى الأصول المرفوضه مثل ظنوا و همز من همز البريئه يدل على فساد قول من قال إنه من البرى الذى هو التراب.

الانفكاك الانفصال عن شدة اتصال قال ذو الرمة:

قلانس ما تنفك إلا مناخه على الخسف أو نرمى بها بلدا قفرا

و أكثر ما يستعمل ذلك فى النفى مثل ما زال تقول ما انفك من هذا الأمر أى ما انفصل منه لشده ملابسته له و بينه الحجة الظاهره التى يتميز بها الحق من الباطل و أصلها من بينونه و فصل الشىء من غيره فالنبي ص حجه و بينه و إقامه الشهاده العادله بينه و كل برهان و دلالة بينه و القيمه المستمره فى جهه الصواب و الحنيف المائل إلى الصواب و الحق و الحنيفيه الشريعه المائله إلى الحق و أصله الميل و من ذلك الأحنف المائل القدم إلى جهه القدم الأخرى و قيل أصله الاستقامه و إنما قيل للمائل القدم أحنف على وجه التفاؤل.

الإعراب

«رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ» بدل من البينه قبله و قال الفراء هو مستأنف تقديره هو رسول دين القيمه تقديره دين لمله القيمه لأنه إذا لم يقدر ذلك كان إضافه الشىء إلى صفته و ذلك غير جائز لأنه بمنزله إضافه الشىء إلى نفسه «جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ» أى دخول جنات عدن «خَالِدِينَ فِيهَا» حال من مضمرة أى يجزونها خالدين فيها.

المعنى

«لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» يعنى اليهود و النصارى «وَالْمُشْرِكِينَ» أى و من المشركين الذين هم عبده الأوثان من العرب و غيرهم و هم الذين ليس لهم كتاب «مُنْفَكِينَ» أى منفصلين و زائلين و قيل لم يكونوا منتهين عن كفرهم بالله و عبادتهم غير الله عن ابن عباس فى روايه عطاء و الكلبي «حَتَّى تَأْتِيَهُمُ» اللفظ لفظ الاستقبال و معناه المضى كقوله ما تَتَلَّوْا الشَّيَاطِينَ أى ما تلت و قوله «الْبَيْتِ» يريد محمدا ص عن ابن عباس و مقاتل بين سبحانه لهم ضلالهم و شركهم و هذا إخبار من الله تعالى عن الكفار أنهم لم ينتهوا عن كفرهم و شركهم بالله حتى أتاهم محمد ص فبين لهم ضلالهم عن الحق و دعاهم إلى الإيمان و قيل معناه لم يكونوا ليتركوا منفكين من حجج الله حتى تأتاهم البينه التى تقوم بها الحجة عليهم و قوله «رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ» بيان للبينه و تفسير لها أى رسول من قبل الله «يَتْلُوا» عليهم «صُحُفًا مُطَهَّرَةً» يعنى مطهره فى السماء لا- يمسها إلا- الملائكه المطهرون و من الأنجاس عن الحسن و الجبائى و هو محمد ص أتاهم بالقرآن و دعاهم إلى

التوحيد و الإيمان «فيها» أى فى تلك الصحف «كُتِبَ قِيَمَةٌ» أى مستقيمه عادله غير ذات عوج تبين الحق من الباطل و قيل مطهره عن الباطل و الكذب و الزور يريد القرآن عن قتاده و يعنى بالصحف ما تتضمنه الصحف من المكتوب فيها و يدل على ذلك أن النبى ص كان يتلو عن ظهر قلبه لا- عن كتاب و قيل معناه رسول من الملائكه يتلو صحفا من اللوح المحفوظ عن أبى مسلم و قيل «فيها كُتِبَ قِيَمَةٌ» معناه فى هذه الصحف التى هى القرآن كتب قيمه أى إن القرآن يشتمل على معانى الكتب المتقدمه فتاليها تالى الكتب القيمه كما قال مُصَيِّدًا لِمَا بَيَّنَّ يَدَيْهِ* فَإِذَا كَانَ مِصْدَقًا لَهَا كَانَ تَالِيًا لَهَا و قيل معناه فى القرآن كتب قيمه بمعنى أنه يشتمل على أنواع من العلوم كل نوع كتاب قال السدى: فيها فرائض الله العادله «وَ مَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ» يعنى و ما اختلف هؤلاء فى أمر محمد ص إلا من بعد ما جاءتهم البشاره به فى كتبهم و على السنه رسلهم فكانت الحجه قائمه عليهم فكذلك لا- يترك المشركون من غير حجه تقوم عليهم و قيل معناه و لم يزل أهل الكتاب مجتمعين فى تصديق محمد ص حتى بعثه الله فلما بعث تفرقوا فى أمره و اختلفوا فآمن به بعضهم و كفر آخرون ثم ذكر سبحانه ما أمروا به فى كتبهم فقال «وَ مَا أُمِرُوا إِلَّا لِيُعْبُدُوا اللَّهَ» أى لم يأمرهم الله تعالى إلا لأن يعبدوا الله وحده لا يشركون بعبادته فهذا ما لا تختلف فيه مله و لا يقع فيه تبدل «مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» لا يخلطون بعبادته عباده ما سواه «حُنَفَاءَ» مائلين عن جميع الأديان إلى دين الإسلام مسلمين مؤمنين بالرسول كلهم قال عطيه: إذا اجتمع الحنيف و المسلم كان معنى الحنيف الحاج و إذا انفرد كان معناه المسلم و هو قول ابن عباس لأنه قال حنفاء أى حجاجا و قال ابن جبير: لا تسمى العرب حنيفا إلا من حج و اختتن قال قتاده: الحنيفيه الختان و تحريم البنات و الأمهات و الأخوات و العمات و الخالات و إقامة المناسك «وَ يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُوا الزَّكَاةَ» أى و يداوموا على إقامة الصلاه و يخرجوا ما فرض عليهم فى أموالهم من الزكاه «وَ ذَلِكَ» يعنى الدين الذى قدم ذكره «دِينُ الْقِيَمَةِ» أى دين الكتب القيمه التى تقدم ذكرها و قيل دين المله القيمه و الشريعه القيمه قال النضر بن شميل سألت الخليل عن هذا فقال القيمه جمع القيم و القيم و القائم واحد فالمراد و ذلك دين القائمين لله بالتوحيد و فى هذه الآيه دلالة على بطلان مذهب أهل الجبر لأن فيها تصريحاً بأنه سبحانه إنما خلق الخلق ليعبدوه و استدل بهذه الآيه أيضا على وجوب النيه فى الطهاره إذ أمر سبحانه بالعباده على وجه الإخلاص و لا- يمكن الإخلاص إلا- بالنيه و القربه و الطهاره عباده فلا تجزى بغير نيه ثم ذكر سبحانه حال الفريقين فقال «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ الْمُشْرِكِينَ» يعنى من جحد توحيد الله و أنكر نبوه نبيه ص و من أشرك

معه إليها آخر في العباده «فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا» لا يفنى عقابهم «أُولَئِكَ هُم شَرُّ الْبَرِيَّةِ» أى شر الخليقه ثم أخبر عن حال المؤمنين فقال «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» أى خير الخليقه «جَزَاءُ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» مر معناه «خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا» أى مؤبدين فيها دائما «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» بما قدموه من الطاعات «وَرَضُوا عَنْهُ» بما جازاهم من الثواب و قيل رضى الله عنهم إذ وحدوه و نزهوه عما لا يليق به و أطاعوه و رضوا عنه إذ فعل بهم ما رجوا من رحمته و فضله «ذَلِكَ» الرضاء و الثواب «لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ» فترك معاصيه و فعل طاعاته و

في كتاب شواهد التنزيل للحاكم أبى القاسم الحسكاني (ره) قال أخبرنا أبو عبد الله الحافظ بالإسناد المرفوع إلى يزيد بن شراحيل الأنصارى كاتب على (عليه السلام) قال سمعت عليا (عليه السلام) يقول قبض رسول الله ص و أنا مسنده إلى صدرى فقال يا على أ لم تسمع قول الله تعالى «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» هم شيعتك و موعدى و موعدكم الحوض إذا اجتمعت الأمم للحساب يدعون غرا محجلين

و فيه عن مقاتل بن سليمان عن الضحاک عن ابن عباس فى قوله «هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» قال نزلت فى على (عليه السلام) و أهل بيته.

(٩٩) سورة الزلزله مدنيه و آياتها ثمان (٨)

اشاره

[توضيح]

مدنيه عن ابن عباس و قتاده مكيه عن الضحاک و عطاء.

عدد آياتها

ثمان آيات كوفى و المدنى الأول تسع فى الباقيين.

اختلافها

آيه أشتاتاً غير الكوفى و المدنى الأول.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأها فكأنما قرأ البقره و أعطى من الأجر كمن قرأ ربع القرآن

و

عن أنس بن مالك قال سأل النبى ص رجلاً من أصحابه فقال يا فلان هل تزوجت قال لا و ليس عندى ما أتزوج به قال أليس معك قل هو الله أحد قال بلى قال ربع القرآن قال أليس معك قل يا أيها الكافرون قال بلى قال ربع القرآن قال أليس معك إذا زلزلت قال بلى قال ربع القرآن ثم قال تزوج تزوج تزوج

و

عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال لا تملوا من قراءه إذا زلزلت فإن من كانت قراءته فى نوافله لم يصبه الله بزلزله أبداً و لم يمت بها و لا بصاعقه و لا بأفه من آفات الدنيا و إذا مات أمر به إلى الجنة فيقول الله سبحانه عبدى أبحثك جنتى فاسكن منها حيث شئت و هويت لا ممنوع و لا مدفوع عنه.

تفسيرها

ختم الله سبحانه تلك السوره ببيان حال المؤمنين و الكافرين و افتتح هذه السوره ببيان وقت ذلك فقال:

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤)
بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)

القراءة

فى بعض الروايات عن الكسائى

خيرا يره و شرا يره بضم الياء فيهما و هى روايه أبان عن عاصم أيضا و هى قراءه على (عليه السلام)

و الباقون «يَرَهُ» بفتح الياء فى الموضوعين إلا أن أبا جعفر و روحا و رويسا قرءوا بضم الهاء ضمه مختلسه غير مشبعه.

الحجّه

قال أبو على من قرأ يره جعل الفعل منقولاً من رأيت زيدا إذا أدركته ببصرك و أريته عمرا و بنى الفعل للمفعول و من قرأ «يَرَهُ» فالتقدير ير جزاءه و إثبات الواو فى يرهو بعد الهاء هو الوجه كما تقول أكرمهُ لأن هذه الهاء يتبعها حرف اللين الواو و الياء إذا كان قبلها كسره أو ياء نحو بهى و عليهى و قد جاء فى الشعر نحوه قاله

" و نضواى مشتاقان له أرقان "

اللغة

الزلزله شده الاضطراب و الزلزال بكسر الزاى المصدر و بفتحها الاسم و زلزلت و رجفت و رجت بمعنى واحد و الأثقال جمع الثقل و سمى سبحانه الموتى أثقالا تشبيها بالحمل الذى يكون فى البطن لأن الحمل سمى ثقلا كما قال سبحانه فَلَمَّا أَثْقَلَتْ و تقول العرب إن للسيد الشجاع ثقلا على الأرض فإذا مات سقط عنها بموته ثقل قالت الخنساء ترثى أخاها صخرًا:

أ بعد ابن عمرو من آل الشريد حلت به الأرض أثقالها

عنت بذلك أنه حل عن الأرض ثقل بموته لسؤدده و عزه و قيل معناه زينت موتها به من الحليه و قال الشمردل اليربوعى يرثى أخاه:

و حلت به أثقالها الأرض و انتهى لمثواه منها و هو عف شمائله

و ذكر ابن السائب أن زهير بن أبي سلمى قال بيتا ثم أكدى فمر به النابغه الذبياني

ص: ٣٧٤

فقال له يا أبا أمامه أجز قال ما ذا قال:

تزال الأرض إما مت خفا و تحبا ما حيت بها ثقيلًا

نزلت بمستقر العز منها

فما ذا قال فأكدى و الله النابغه الذبياني و أقبل كعب بن زهير و هو غلام فقال له أبوه أجز يا بنى قال ما ذا فأنشده فقال كعب

" فتمنع جانبها أن تزولا "

فقال له زهير أنت و الله ابني و أوحى و وحى بمعنى واحد قال العجاج:

" وحى القرار فاستقرت "

. الإعراب

العامل فى إذا قوله «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ» و قوله «خَيْرًا» منصوب على التمييز و قيل إن العامل فى إذا قوله «تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا» و يكون يومئذ تكرارا أى إذا زلزلت الأرض تحدث أخبارها و قيل إن التقدير و قال الإنسان يومئذ ما لها يومئذ تحدث أخبارها فقيل ذلك بأن ربك أوحى لها و تحدث يجوز أن يكون على الخطاب أى تحدث أنت و يجوز أن يكون على تحدث هى.

المعنى

خوف الله سبحانه عباده أهوال يوم القيامة فقال «إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا» أى إذا حركت الأرض تحريكا شديدا لقيام الساعة زلزالها التى كتب عليها و يمكن أن يكون إنما أضافها إلى الأرض لأنها تعم جميع الأرض بخلاف الزلازل المعهودة التى تختص ببعض الأرض فى قوله «زِلْزَالَهَا» تنبيهها على شدتها «وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا» أى أخرجت موتاها المدفونه فيها تخرجها أحياء للجزاء عن ابن عباس و مجاهد و الجبائى و قيل معناه لفظت ما فيها من كنوزها و معادنها فتلقيا على ظهرها ليراها أهل الموقف و تكون الفائده فى ذلك أن يتحسر العصاه إذا نظروا إليها لأنهم عصوا الله فيها ثم تركوها لا تغنى عنهم شيئا و أيضا فإنه تكوى بها جباههم و جنوبهم و ظهورهم «وَ قَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا» أى و يقول الإنسان متعجبا ما للأرض تتزلزل يعنى ما لها حدث فيها ما لم يعرف منها عن أبى مسلم و قيل إن المراد بالإنسان الكافر لأن المؤمن معترف بها لا يسأل عنها أى يقول الكافر الذى لم يؤمن بالبعث أى شىء زلزلها و أصارها إلى هذه الحاله «يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا» أى تخبر بما عمل عليها و جاء فى

الحديث أن النبى ص قال أ تدرون ما أخبارها قالوا الله و رسوله أعلم قال أخبارها أن تشهد على كل عبد و أنه بما عمل على ظهرها تقول عمل كذا و كذا يوم كذا و كذا و هذا أخبارها

و على هذا فيجوز أن يكون الله تعالى أحدث الكلام فيها و إنما

نسبه إليها توسعا و مجازا و يجوز أن يقلبها حيوانا يقدر على النطق و يجوز أن يظهر فيها ما يقوم مقامه الكلام فعبر عنه بالكلام كما يقال عيناك تشهدان بسهرك و كقول الشاعر

" و قالت له العينان سمعا و طاعه "

و قد مر أمثاله و قوله «بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا» معناه أن الأرض تحدث بها فتقول إن ربك يا محمد أوحى لها أى ألهمها و عرفها بأن تحدث أخبارها و قيل بأن تلقى الكنوز و الأموات على ظهرها يقال أوحى له و إليه أى ألقى إليه من جهة تخفى قال الفراء تحدث أخبارها بوحي الله و إذنه لها و قال ابن عباس إذن لها لتخبر بما عمل عليها و

روى الواحدى بإسناده مرفوعا إلى ربيعه الحرشى قال قال رسول الله ص حافظوا على الوضوء و خير أعمالكم الصلاة و تحفظوا من الأرض فإنها أمكم و ليس فيها أحد يعمل خيرا و شرا إلا و هى مخبره

و

قال أبو سعيد الخدرى إذا كنت بالبوادى فارفع صوتك بالأذان فإنى سمعت رسول الله ص يقول لا يسمعه جن و لا إنس و لا حجر إلا يشهد له

«يَوْمَئِذٍ يَصِفُّ ذُرَّ النَّاسِ أَشْتَاتًا» أى يرجع الناس عن موقف الحساب بعد العرض متفرقين أهل الإيمان على حده و أهل كل دين على حده و هذا كقوله و يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ و قوله يَوْمَئِذٍ يَصَدَّعُونَ «لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ» أى ليروا جزاء أعمالهم عن ابن عباس و المعنى أنهم يرجعون عن الموقف فرقا لينزلوا منازلهم من الجنة و النار و قيل معنى الرؤيه هنا المعرفه بالأعمال عند تلك الحال و هى رؤيه القلب و يجوز أن يكون التأويل على رؤيه العين بمعنى ليروا صحائف أعمالهم فيقرءون ما فيها لا يغادر صغيره و لا- كبيره إلا- أحصاها «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ» أى فمن يعمل وزن ذره من الخير ير ثوابه و جزاءه «وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» أى ير ما يستحق عليه من العقاب و يمكن أن يستدل بها على بطلان الإحباط لأن الظاهر يدل على أنه لا يفعل أحد شيئا من طاعه أو معصيه إلا و يجازى عليها و ما يقع محبطا لا يجازى عليه و ليس لهم أن يقولوا إن الظاهر بخلاف ما تذهبون إليه فى جواز العفو عن مرتكب الكبيره و ذلك لأن الآيه مخصوصه بالإجماع فإن التائب معفو عنه بلا خلاف و عندهم أن من شرط المعصيه التى يؤاخذ بها أن لا- تكون صغيره فجاز لنا أيضا أن ن شرط فيها أن لا يكون مما يعفو الله عنه و قال محمد بن كعب معناه فمن يعمل مثقال ذره خيرا و هو كافر ير ثوابه فى الدنيا فى نفسه و أهله و ماله و ولده حتى يخرج من الدنيا و ليس له عند الله خير و من يعمل مثقال ذره شرا و هو مؤمن ير عقوبته فى الدنيا فى نفسه و أهله و ماله و ولده حتى يخرج من الدنيا و ليس له عند الله شر و قال مقاتل فمن يعمل مثقال ذره خيرا يره يوم القيامة فى كتابه فيفرح به و كذلك من الشر يراه

فى كتابه فى سوءه ذلك قال و كان أحدهم ىستقل أن يعطى الیسیر و یقول إنما نوجر على ما نعطى و نحن نحبه و لیس الیسیر مما یحب و یتهاون بالذنب الیسیر و یقول إنما وعد الله النار على الكبائر فأنزل الله هذه الآیه یرغبهم فى القلیل من الخیر و یحذرهم الیسیر من الشر و

عن أبى عثمان المازنى عن أبى عبيده قال قدم صعصعه بن ناجیه جد الفرزدق على رسول الله ص فى وفد بنى تمیم فقال بأبى أنت یا رسول الله أوصینى خیرا فقال أوصیک بأمک و أبیک و أدانیک قال زدنى یا رسول الله قال احفظ ما بین لحيک و رجلیک ثم قال رسول الله ص ما شىء بلغنى عنک فعلته فقال یا رسول الله رأیت الناس یرجون على غیر وجه و لم أدر أين الصواب غیر أنى علمت أنهم لیسوا علیه فرأیتهم یتدون بناتهم فعرفت الله عز و جل لم يأمرهم بذلك فلم أتركهم یتدون و فدیت ما قدرت و فى روایه أخرى أنه سمع «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» فقال حسبى ما أبالى أن لا أسمع من القرآن غیر هذا

و قال عبد الله بن مسعود أحکم آیه فى القرآن «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ» إلى آخر السوره و كان ص یسمیها الجامعه و تصدق سعد بن أبى وقاص بتمرین فقبض السائل یده فقال سعد و یحكك یقبل الله منا مثقال الذره و الخردله و كان فیها مثاقیل.

(١٠٠) سورة العاديات مكيه و آياتها إحدى عشره (١١)

اشاره

[توضيح]

مدنيه عن ابن عباس و قتاده و قيل مكيه.

عدد آياتها

إحدى عشره آيه بالإجماع.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأها أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفه و شهد جمعا.

سليمان بن خالد عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال و من قرأ و العاديات و أدمن قراءتها بعثه الله مع أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم القيامة خاصه و كان فى حجره و رفقاءه.

النظم

اتصلت هذه السوره بما قبلها لما فيها من ذكر القيامة و الجزاء اتصال النظم بالنظم فقال:

ص: ٣٧٨

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَنْزَلَ بِهِ نَجْعًا (٤)

فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (٥) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَ إِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَ إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) أَ فَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ إِلَى الْقُبُورِ (٩)

وَ حُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ (١١)

القراءة

في الشواذ قراءة أبي حياه فأثرن بتشديد الثاء

و قراءة علي (عليه السلام) و قتاده و ابن أبي ليلي فوسطن بتشديد السين.

الحج

قال ابن جني: فأثرن مثل أبدین و أرين نقعا كما يؤثر الإنسان النقش و غيره مما يبديه للناظر و هو من التأثير فالهمزة فاء الفعل و أثرن بالتخفيف من الإثارة فالهمزة مزیده و قوله «فوسطن» بالتشديد معناه ميزن به جمعا أى جعلته شطرين قسمين و شقين و معنى ووسطه بالتخفيف صرن فى وسطه.

اللغة

الضبح فى الخيل الحمحمه عند العدو و قيل هو شدة النفس عند العدو و ضبحت الخيل تضبح ضباحا و قيل ضبح و ضبع بمعنى و هو أن يمد ضبعه فى السير حتى لا يجد مزيدا و أورى القادح النار يورى إبراء إذا قدح قدحا و تسمى تلك النار نار الجباب لضعفها قال النابغة:

يقد السلوقى المضاعف نسجه و يوقدن بالصفاح نار الجباب

و هو اسم رجل كان بخيلا و كانت ناره ضعيفه لثلا يراها الأضياف فضرَبوا المثل بناره و شبهوا نار الحوافر بها لقلتها و النقع الغبار يغوص فيه صاحبه كما يغوص فى الماء و الكنود الكفور و منه الأرض الكنود و هى التى لا تنبت شيئا و الأصل فيه منع الحق و الخير قال الأعشى:

أحدث لها تحدث لوصلك إنها كند لوصل الزائر المعتاد

وقيل إنما سميت كنده لقطعها إياها.

النزول

قيل بعث رسول الله ص سرية إلى حى من كنانه فاستعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصارى أحد النقباء فتأخر رجوعهم فقال المنافقون قتلوا جميعاً فأخبر الله تعالى عنها بقوله وَ الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا عن مقاتل وقيل

نزلت السورة لما بعث النبي ص عليا (عليه السلام) إلى ذات

ص: ٣٧٩

السلاسل فأوقع بهم و ذلك بعد أن بعث عليهم مرارا غيره من الصحابه فرجع كل منهم إلى رسول الله ص و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام) فى حديث طويل قال و سميت هذه الغزوه ذات السلاسل لأنه أسر منهم و قتل و سبى و شد أسراهم فى الحبال مكتفين كأنهم فى السلاسل و لما نزلت السوره خرج رسول الله ص إلى الناس فصلى بهم الغداه و قرأ فيها و العاديات فلما فرغ من صلاته قال أصحابه هذه سوره لم نعرفها فقال رسول الله ص نعم إن عليا ظفر بأعداء الله و بشرنى بذلك جبرئيل (عليه السلام) فى هذه الليله فقدم على (عليه السلام) بعد أيام بالغنائم و الأسارى.

المعنى

«وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا» قيل هى الخيل فى الغزو تعدو فى سبيل الله عن ابن عباس و عطاء و عكرمه و الحسن و مجاهد و قتاده و الربيع قالوا أقسم الله بالخيل العاديه لغزو الكفار و هى تضبح ضبحا و ضبوحا صوت أجوافها إذا عدت ليس بصهيل و لا حمحمه و لكنه صوت نفس و قيل

هى الإبل حين ذهبت إلى غزوه بدر تمد أعناقها فى السير فهى تضبح أى تضبح روى ذلك عن على (عليه السلام)

و ابن مسعود و السدى و روى أيضا أنها إبل الحاج تعدو من عرفه إلى المزدلفه و من المزدلفه إلى منى قالت صفيه بنت عبد المطلب:

ألا و العاديات غداه جمع بأيديها إذا سطع الغبار

و اختلفت الروايات فيه

فروى عن أبى صالح أنه قال قاوت فيه عكرمه فقال عكرمه قال ابن عباس هى الخيل فى القتال فقلت أنا قال على (عليه السلام) هى الإبل فى الحج و قلت مولاي أعلم من مولاك

و فى

روايه أخرى أن ابن عباس قال: هى الخيل ألا- تراه يقول «فَأَتَزْنَ بِهِ نَقْعًا» فهل تثيره إلا بحوافرها و هل تضبح الإبل إنما تضبح الخيل قال على (عليه السلام) ليس كما قلت لقد رأيتنا يوم بدر و ما معنا إلا فرس أبلق للمقداد بن الأسود

و فى

روايه أخرى لمرشد بن أبى مرشد الغنوى و روى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال بينما أنا فى الحجره جالس إذ أتانى رجل فسأل عن العاديات ضبحا فقلت له الخيل حين تغير فى سبيل الله ثم تأوى إلى الليل فيصنعون طعامهم و يورون نارهم فانفتل عنى و ذهب إلى على بن أبى طالب (عليه السلام) و هو تحت سقايه زمزم فسأله عن العاديات ضبحا فقال سألت عنها أحدا قبلى قال نعم سألت عنها ابن عباس فقال الخيل حين تغير فى سبيل الله قال فاذهب فادعه لى فلما وقف على رأسه قال تفتى الناس بما لا- علم لك به و الله إن كانت لأول غزوه فى الإسلام بدر و ما كانت معنا إلا فرسان فرس للزبير و فرس للمقداد بن

الأسود فكيف تكون العاديات الخيل بل العاديات ضبحا الإبل من عرفه إلى مزدلفه و من مزدلفه إلى منى قال ابن عباس فرغبت
عن قولي و رجعت إلى الذي قاله علي (عليه السلام)

«فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا» هي الخيل توري النار بحوافرها إذا

ص: ٣٨٠

صارت في الحجارة و الأرض المحصبه عن عكرمه و الضحاك و قال مقاتل: يقدحن بحوافهن النار في الحجارة قال ابن عباس: يريد ضرب الخيل بحوافها الجبل فأورت منه النار مثل الزناد إذا قدح و قال مجاهد: يريد مكر الرجال في الحروب تقول العرب إذا أراد الرجل أن يمكر بصاحبه أما و الله لأورين لك بزند وار و لأقدحن لك و خالف المصدر فيها صدر الكلام و مجازه فالقادحات قدحا و قيل هي النيران بجمع عن محمد بن كعب و قيل هي ألسنه الرجال توری النار من عظيم ما تتكلم به عن عكرمه «فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا» يريد الخيل تغير بفرسانها على العدو وقت الصبح و إنما ذكر وقت الصبح لأنهم كانوا يسرون إلى العدو ليلا- فيأتونهم صباحا هذا قول الأكثرين و قيل يريد الإبل ترتفع بركبائها يوم النحر من جمع إلى منى و السنه أن لا ترتفع بركبائها حتى تصيح و الإغاره سرعه السير و منه قولهم أشرق ثبير كيما نغير عن محمد بن كعب «فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا» يقال ثار الغبار و الدخان و أثرته أى هيجهته و الهاء فى به عائد إلى معلوم يعنى بالمكان أو بالوادى المعنى فهيجن بمكان عدوهن غبارا «فَوَسَّيَ طَنَ بِهِ جَمْعًا» أى صرن بعدوهن أو بذلك المكان وسط جمع العدو و هم الكتيبه و قال محمد بن كعب: يريد جمع منى «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ» هذا جواب القسم و الكنود الكفور الجحود لنعم الله عن ابن عباس و قتاده و الحسن و مجاهد و قيل هو بلسان كنده و حضرموت العاصى و بلسان مضر و ربيعه و قضاعه الكفور عن الكلبي و قيل هو الذى يعد المصائب و ينسى النعم عن الحسن أخذه بعض الشعراء فقال:

يا أيها الظالم فى فعله و الظلم مردود على من ظلم

إلى متى أنت و حتى متى تشكو المصيبات و تنسى النعم

و

روى أبو أمامه عن النبى ص أنه قال أ تدرون من الكنود قالوا الله و رسوله أعلم قال الكنود الذى يأكل وحده و يمنع رفته و يضرب عبده

و قيل الكنود الذى لا يعطى فى النائبه مع قومه عن عطاء و قيل هو القليل الخير عن أبى عبيده «وَ إِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ لَشَهِيدٌ» معناه و إن الله على كفره لشهيد عن ابن عباس و قتاده و عطاء و قيل أن الهاء تعود إلى الإنسان و المعنى أن الإنسان شاهد على نفسه يوم القيامه بكنوده أو فى الدنيا فإنك لو سألته عن النعمه لم يذكر أكثرها و يذكر جميع مصائبه و هو معنى قول الحسن «وَ إِنَّهُ» يعنى الإنسان «لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ» أى لأجل حب الخير الذى هو المال أى من أجله لبخيل شحيح يمنع منه حق الله تعالى عن الحسن يقال للبخيل شديد و متشدد قال طرفه:

أرى الموت يعتام الكرام و يصطفى عقيله مال الفاحش المتشدد

و قيل معناه و إنه لشديد الحب للخير أى المال عن الفراء و قال ابن زيد: سمي الله سبحانه المال خيرا و عسى أن يكون خبيثا و حراما و لكن لأن الناس يعدونه خيرا فكذلك سمي الجهاد سوءا فقال لم يَمَسُّهُمْ سُوءٌ أى قتال و ليس هو عند الله بسوء لأن الناس يسمونه سوءا و قال سبحانه على وجه التذكير و الوعيد «أَفَلَا يَعْلَمُ» هذا الإنسان الذى وصفناه «إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ» أى بعث الموتى و نشروا و أخرجوا و مثله بـ «وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ» أى ميزوا بين ما فيها من الخير و الشر و قيل معناه و أظهر ما أخفته الصدور ليجازى على السر كما يجازى على العلانية «إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ» قال الزجاج: الله سبحانه خبير بهم فى ذلك اليوم و فى غيره و لكن المعنى أن الله يجازيهم على كفرهم فى ذلك اليوم و ليس يجازيهم إلا بعلمه بأحوالهم و أعمالهم و مثله قوله «أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ» و معناه أولئك الذين لا يترك الله مجازاتهم و فى هذا إشارة إلى الزجر و الوعيد فإن الإنسان متى علم أن خالقه يرى جميع أعماله و يعلم سائر أفعاله و يحقق ذلك لا بد أن ينزجر عن المعاصى.

ص: ٣٨٢

(١٠١) سورة القارعه مكيه و آياتها إحدى عشره (١١)

إشاره

عدد آياتها

إحدى عشره آيه كوفى حجازى ثمان بصرى شامى.

اختلافها

ثلاث آيات القارعه الأولى كوفى ثقلت موازينه و خفت موازينه كلتاها حجازى كوفى.

فضلها

فى حديث أبى من قرأها ثقل الله بها ميزانه يوم القيامه.

عمرو بن ثابت عن أبى جعفر (عليه السلام) قال من قرأ القارعه آمنه الله من فتنه الدجال أن يؤمن به و من قبح جهنم يوم القيامه.

تفسيرها

اتصلت هذه السوره بما قبلها اتصال النظير بالنظير فإن كليهما فى ذكر القيامه فقال سبحانه:

ص: ٣٨٣

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَ مَا أَذْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤)

وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (٥) فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشِهِ رَاضِيَهُ (٧) وَ أَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩)

وَ مَا أَذْرَاكَ مَا هِيَهُ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١)

القراءه

روى عن أبى عمرو أنه أمال «القارعه» و قرأ حمزه و يعقوب ما هى فى الوصل و الباقون «ما هيه» بإثبات الهاء و لم يختلفوا فى الوقف أنها بالهاء.

الحجه

قال أبو على: إماله القارعه و إن كان المستعلى فيه مفتوحا جائزه و ذلك أن كسره الراء غلبت عليها فإمالتها و قد أمالت ما تباعد عنها نحو قادر و زعم سيبويه أن ذلك لغه قوم ترضى عربيتهم و كذلك طارد و غارم و طاهر و كل ذلك تجوز إمالته إذا كانت الراء مكسوره و قال سيبويه: و ينشد أصحاب هذه اللغه:

عسى الله يغنى عن بلاد ابن قادر بمنهم جون الرباب سكوب

و أما قوله «ما هيه» فيوقف عندها لأنها فاصله و الفواصل مواضع وقوف كما أن أواخر الأبيات كذلك و هذا مما يقوى حذف الياء من يشر و ما أشبهه ألا ترى أنهم حذفوا الياء من نحو قوله:

و لأنت تفرى ما خلقت و بعض القوم يخلق ثم لا يفرى.

اللغه

القارعه البليه التى تفرع القلب بشده المخافه و القرع الضرب بشده الاعتماد قرع يقرع قرعا و منه المقرعه و تقارع القوم فى القتال إذا تضاربوا بالسيوف و القرعه كالضرب بالفال و قوارع الدهر دواهيته و الفراش الجراد الذى ينفرش و يركب بعضه بعضا و هو غوغاء الجراد عن الفراء و المبتوث المتفرق فى الجهات كأنه محمول على الذهب فيها و البث التفريق و أبثته الحديث إذا ألقيته إليه كأنك فرقته بأن جعلته عند اثنين و العهن الصوف ذو الألوان يقال عهن و عهنه و عيشه راضيه مرضيه بمعنى المفعول و قيل

معناه ذات رضى كقولهم فلان نابل أى ذو نبل قال:

و غررتنى و زعمت أنك لابن بالصيف تأمر

أى ذو لبن و تمر و قال النابغه:

ص: ٣٨٤

كلينى لهم يا أميمه ناصب و ليل أقاسيه بطى ء الكواكب

أى ذى نصب و الهاويه من أسماء جهنم و هى المهواه التى لا يدرك قعرها.

الإعراب

«الْقَارِعَةُ» مبتدأ و ما مبتدأ ثان و ما بعده خبره و كان حقه القارعه ما هى لكنه سبحانه كرر تفخيما لشأنها و مثله قوله لا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ و الجملة خبر المبتدأ الأول و يجوز أن يكون قوله «الْقَارِعَةُ» مبتدأ و يكون الناس خبره بمعنى أن القارعه تحدث فى هذا اليوم فيكون قوله «مَا الْقَارِعَةُ وَ مَا أَذْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ» اعتراضا و يجوز أن يكون التقدير هذا الأمر يقع يوم يكون الناس كالفراش المبثوث.

المعنى

«الْقَارِعَةُ» اسم من أسماء يوم القيامة لأنها تفرع القلوب بالفزع و تفرع أعداء الله بالعذاب «مَا الْقَارِعَةُ» هذا تعظيم لشأنها و تهويل لأمرها و معناه و أى شىء القارعه ثم عجب نبيه ص فقال «وَ مَا أَذْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ» يقول إنك يا محمد لا تعلم حقيقه أمرها و كنه وصفها على التفصيل و إنما تعلمها على سبيل الإجمال ثم بين سبحانه أنها متى تكون فقال «يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ» شبه الناس عند البعث بما يتهافت فى النار و قال قتاده: هذا هو الطائر الذى يتساقط فى النار و السراج و قال أبو عبيده: هو طير ينفرش ليس بذباب و لا- بعوض لأنهم إذا بعثوا ماج بعضهم إلى بعض فالفراش إذا ثار لم يتجه إلى جهه واحده فدل ذلك على أنهم يفرعون عند البعث فيختلفون فى المقاصد على جهات مختلفه و هذا مثل قوله كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ «وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمُنْفُوشِ» و هو الصوف المصبوغ المندوف و المعنى أن الجبال تزول عن أماكنها و تصير خفيفه السير ثم ذكر سبحانه أحوال الناس فقال «فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ» أى رجحت حسناته و كثرت خيراته «فَهُوَ فِي عِيشِهِ رَاغِبٌ» أى معيشه ذات رضى يرضاها صاحبها «وَ أَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ» أى خفت حسناته و قلت طاعاته و القول فى حقيقه الوزن و الميزان و الاختلاف فى ذلك قد مضى ذكره فيما سبق من الكتاب و قد ذكر سبحانه الحسنات فى الموضوعين و لم يذكر وزن السيئات لأن الوزن عباره عن القدر و الخطر و السيئه لا خطر لها و لا قدر و إنما الخطر و القدر للحسنات فكان المعنى فأما من عظم قدره عند الله لكثرت حسناته و من خف قدره عند الله لخفته حسناته «فَأَمَّهُ هَاوِيَةٌ» أى فمأواه جهنم و مسكنه النار و إنما سماها أمه لأنه يأوى إليها كما يأوى الولد إلى أمه و لأن الأصل السكون إلى الأمهات قال قتاده: هى كلمه عربيه كان الرجل إذا وقع

فى أمر شديد قيل هوت أمه و قيل إنما قال «فَأَمُّهُ هَاوِيَةٌ» لأن العاصى يهوى إلى أم رأسه فى النار عن أبى صالح و قيل أنه يهوى فيها و هى المهواه لا يدرك قعرها ثم قال سبحانه «وَمَا أَذْرَاكَ مَا هَيْئَةٌ» هذا تعظيم و تفخيم لأمرها يريد أنك لا تعلم تفصيلها و أنواع ما فيها من العقاب و إن كنت تعلمها على طريق الجملة و الهاء فى هيه للوقف ثم فسرها فقال «نَارٌ حَامِيَةٌ» أى نار حاره شديده الحراره.

(١٠٢) سورة التكاثر مكيه و آياتها ثمان (٨)

اشاره

[توضيح]

مدنيه و قيل مكيه ثمان آيات بالإجماع.

فضلها

فى حديث أبى و من قرأها لم يحاسبه الله بالنعيم الذى أنعم عليه فى دار الدنيا و أعطى من الأجر كأنما قرأ ألف آيه.

شعيب العقرقوفى عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ سورة ألهاكم التكاثر فى فريضه كتب له ثواب و أجر مائه شهيد و من قرأها فى نافله كان له ثواب خمسين شهيدا و صلى معه فى فريضته أربعون صفا من الملائكه.

و

عن درست عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال قال رسول الله ص من قرأ ألهاكم التكاثر عن النوم و قى فتنه القبر.

تفسيرها

أخبر الله سبحانه فى تلك السوره عن صفه القيامة و ذكر فى هذه السوره من ألها عنها التكاثر فقال:

[سورة التكاثر (١٠٢): الآيات ١ الى ٨]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤)

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (٨)

القراءه

قرأ ابن عامر و الكسائى

لترون بضم التاء و روى ذلك عن على (عليه السلام)

والباقون «كثرون» بالفتح.

ص: ٣٨٧

قال أبو علي: من قال لترون بضم التاء فإن رأى فعل يتعدى إلى مفعول واحد تقول رأيت الهلال كما تقول لبست ثوبك فإذا نقلت الفعل بالهمزة زاد مفعول آخر تقول رأيت زيدا الهلال فإذا بنيت هذا الفعل للمفعول قلت أرى زيد الهلال وكذلك «لَتَرُونَ الْجَحِيمَ».

اللغة

الإلهاء الصرف إلى اللهو و اللهو الانصراف إلى ما يدعو إليه الهوى يقال لها يلهو لهوا و لهى عن الشىء يلهى و منه قولهم فإذا استأثر الله بشىء فله عنه و التكاثر التفاخر بكثرة المناقب يقال تكاثر القوم إذا تعادوا ما لهم من المناقب و الزياره إتيان الموضع كإتيان المؤلف على غير إقامة زاره يزوره زياره و منه زور تزويرا إذا شبه الخط بما يوهم أنه خط فلان و ليس به و المزوره من ذلك اشتقت و الفرق بين النعيم و النعمة أن النعمة كالإنعام فى التضمين لمعنى منعم أنعم إنعاما و نعمة و كلاهما موجب للشكر و النعيم ليس كذلك لأنه من نعم نعيما فلو عمل ذلك بنفسه لكان نعيما لا يوجب شكرا و أما النعمة بفتح النون فمن نعم بضم العين إذا لان.

الإعراب

كلا حرف و ليس باسم و تضمنه معنى ارتدع لا يدل على أنه كصه بمعنى اسكت و مه بمعنى اكفف ألا ترى أن أما تتضمن معنى مهما يكن من شىء و هو حرف فكذا كلا ينبغى أن يكون حرفا «كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ» جواب لو محذوف و تقديره لما ألهاكم التكاثر. و «عِلْمَ الْيَقِينِ» مصدر و قيل هو قسم و التقدير و علم اليقين لترون الجحيم أى عذاب الجحيم فحذف لأن رؤيتها ليس بوعيد و إن الوعيد برؤيه عذابها و تقديره فى الإعراب علم الخبر اليقين فحذف المضاف و مثله حب الصيد و لا يجوز الهمز فى واو «لَتَرُونَ» و «لَتَرُونَهَا» على قياس أثوب فى أثوب و أعد فى وعد لأن الضمه هنا عارضه لالتقاء الساكنين و ليست بلازمه و أما «عَيْنَ الْيَقِينِ» فانتصابه انتصاب المصدر أيضا كما تقول رأيت حقا و تبينته يقينا و الرؤيه هنا بمعنى المشاهده كما قال سبحانه وَ إِنِّ مِنْكُمْ إِلًّا وَارِدُهَا.

التزول

قيل نزلت السوره فى اليهود قالوا نحن أكثر من بنى فلان و بنو فلان أكثر من بنى فلان ألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالا عن قتاده و قيل نزلت فى فخذ من الأنصار تفاخروا عن أبى بريده و قيل نزلت فى حيين من قريش بنى عبد مناف بن قصى و بنى سهم بن عمرو تكاثروا و عدوا أشرفهم فكثروهم بنو عبد مناف ثم قالوا نعد موتانا حتى زاروا القبور فعدوهم و قالوا هذا قبر فلان و هذا قبر فلان فكثروهم بنو سهم لأنهم كانوا أكثر عددا فى الجاهليه عن مقاتل و الكلبي.

«أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ» أى شغلكم عن طاعة الله و عن ذكر الآخرة التكاثر بالأموال و الأولاد و التفاخر بكثرتهم «حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ» أى حتى أدر ككم الموت على تلك الحال عن الحسن و قتاده و قال الجبائي: حتى متم على ذلك و لم تتوبوا و قيل ألهاكم التباهى بكثرة المال و العدد عن تدبر أمر الله حتى عدتم الأموات فى القبور و

روى قتاده عن مطرف بن عبد الله الشخير عن أبيه قال انتهيت إلى رسول الله ص و هو يقول «أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ» السوره قال يقول ابن آدم مالى مالى و ما لك من مالك إلا ما أكلت فأفريت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت أورده مسلم فى الصحيح

ثم رد الله تعالى عليهم هذا فقال «كَلَّا» أى ليس الأمر الذى ينبغى أن تكونوا عليه التكاثر ثم أوعدهم فقال «سَوْفَ تَعْلَمُونَ» ثم أكد ذلك و كرره فقال «ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» قال الحسن و مقاتل: هو وعيد بعد وعيد و المعنى سوف تعلمون عاقبه تباهيكم و تكاثركم إذا نزل بكم الموت و قيل معناه سوف تعلمون فى القبر ثم سوف تعلمون فى الحشر

رواه زر بن حبيش عن على (عليه السلام) قال ما زلنا نشك فى عذاب القبر حتى نزلت «أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ» إلى قوله «كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» يريد فى القبر «ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» بعد البعث

و قيل إن المعنى «كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» إذا رأيتم دار الأبرار «ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» إذا رأيتم دار الفجار و العرب تؤكد بكلا- و حقا «كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ» هذا كلام آخر يقول لو تعلمون الأمر علما يقينا لشغلكم ما تعلمون عن التفاخر و التباهى بالعز و الكثرة و علم اليقين هو العلم الذى يثلج به الصدر بعد اضطراب الشك فيه و لهذا لا يوصف الله بأنه متيقن ثم استأنف سبحانه وعيدا آخر فقال «لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ» على نيه القسم عن مقاتل يعنى حين تبرز الجحيم فى القيامة قبل دخولهم إليها «ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا» يعنى بعد الدخول إليها «عَيْنَ الْيَقِينِ» كما يقال حق اليقين و محض اليقين و معناه ثم لترونها بالمشاهده إذا دخلتموها و عذبتم بها «ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ» قال مقاتل: يعنى كفار مكة كانوا فى الدنيا فى الخير و النعمه فيسألون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه إذ لم يشكروا رب النعيم حيث عبدوا غيره و أشركوا به ثم يعذبون على ترك الشكر و هذا قول الحسن قال لا يسأل عن النعيم إلا أهل النار و قال الأكثرون: أن المعنى ثم لتسئلن يا معاشر المكلفين عن النعيم قال قتاده: إن الله سائل كل ذى نعمه عما أنعم عليه و قيل عن النعيم فى المأكل و المشرب و غيرهما من الملاذ عن سعيد بن جبير و قيل النعيم الصحه و الفراغ عن عكرمه و يعضده ما

رواه ابن عباس عن النبى ص قال نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحه و الفراغ

و

قيل هو الأيمن و الصحه عن عبد الله بن مسعود و مجاهد و روى ذلك عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل يسأل عن كل نعيم إلا ما خصه الحديث و هو

قوله ثلاث لا يسأل

عنها العبد خرقة يوارى بها عورته أو كسره يسد بها جوعته أو بيت يكنه من الحر و البرد

و

روى أن بعض الصحابه أضاف النبي ص مع جماعه من أصحابه فوجدوا عنده تمرا و ماء باردا فأكلوا فلما خرجوا قال هذا من النعيم الذى تسألون عنه

و

روى العياشى بإسناده فى حديث طويل قال سأل أبو حنيفه أبا عبد الله (عليه السلام) عن هذه الآية فقال له ما النعيم عندك يا نعمان قال القوت من الطعام و الماء البارد فقال لئن أوقفك الله يوم القيامة بين يديه حتى يسألك عن كل أكله أكلتها و شربه شربتها ليطولن و قوفك بين يديه قال فما النعيم جعلت فداك قال نحن أهل البيت النعيم الذى أنعم الله بنا على العباد و بنا ائلفوا بعد أن كانوا مختلفين و بنا ألفت الله بين قلوبهم و جعلهم إخوانا بعد أن كانوا أعداء و بنا هداهم الله للإسلام و هى النعمة التى لا تنقطع و الله سائلهم عن حق النعيم الذى أنعم الله به عليهم و هو النبى ص و عترته

ص: ٣٩٠

(١٠٣) سورة العصر مكيه و آياتها ثلاث (٣)

اشاره

[توضيح]

مكيه ثلاث آيات بالإجماع.

اختلافها

آيتان و العَصْرِ غير المكي و المدني الأخير بِالْحَقِّ مكي و المدني الأخير.

فضلها

فى

حديث أبى و من قرأها ختم الله له بالصبر و كان مع أصحاب الحق يوم القيامة.

الحسين بن أبى العلاء عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ و العصر فى نوافله بعثه الله يوم القيامة مشرقا وجهه ضاحكا سنه
قريه عينه حتى يدخل الجنه.

تفسيرها

ختم الله سبحانه تلك السوره بوعيد من ألهاه التكاثر و افتتح هذه السوره بمثل ذلك و هو أن الإنسان لفى خسر إلا المؤمن
الصالح فقال سبحانه:

[سورة العصر (١٠٣): الآيات ١ الى ٣]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ الْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)

اللغه

أصل العصر عصر الثوب و نحوه و هو فتله لإخراج مائه و منه عصر الدهر فإنه الوقت الذى يمكن فيه فتل الأمور كما يفتل الثوب
و العصر العشى قال:

يروح بنا عمرو و قد قصر العصر و فى الروحه الأولى الغنيمه و الأجر

و العصران الغداه و العشى و العصران الليل و النهار قال:

ص: ٣٩١

و لن يلبث العصران يوم و ليله إذا طلبا أن يدركا ما تيمما

. الإعراب

أراد بالإنسان الجمع دون المفرد بدلاله أنه استثنى منه الذين آمنوا و روى بعضهم عن أبي عمرو «و تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ» على لغه من قال مررت ببيكر.

المعنى

«و العَصْرِ» أقسم سبحانه بالدهر لأن فيه عبره لذوى الأبصار من جهة مرور الليل و النهار على تقدير الأدوار و هو قول ابن عباس و الكلبى و الجبائى و قيل هو وقت العشى عن الحسن و قتاده فعلى هذا أقسم سبحانه بالطرف الأخير من النهار لما فى ذلك من الدلالة على وحدانيه الله تعالى بإدبار النهار و إقبال الليل و ذهاب سلطان الشمس كما أقسم بالضحى و هو الطرف الأول من النهار لما فيه من حدوث سلطان الشمس و إقبال النهار و أهل الملتين يعظمون هذين الوقتين و قيل أقسم بصلاه العصر و هى الصلاه الوسطى عن مقاتل و قيل هو الليل و النهار و يقال لهما العصران عن ابن كيسان «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ» هذا جواب القسم و الإنسان اسم الجنس و المعنى أنه لفى نقصان لأنه ينقص عمره كل يوم و هو رأس ماله فإذا ذهب رأس ماله و لم يكتسب به الطاعه يكون على نقصان طول دهره و خسران إذ لا خسران أعظم من استحقاق العقاب الدائم و قيل لفى خسر أى فى هلكه عن الأَخْفَش «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» استثنى من جملة الناس المؤمنين المصدقين بتوحيد الله العاملين بطاعه الله «و تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ» أى وصى بعضهم بعضا باتباع الحق و اجتناب الباطل و قيل الحق القرآن عن الحسن و قتاده و قيل هو الإيمان و التوحيد عن مقاتل و قيل هو أن يقولوا عند الموت لمخلفيهم لا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ «و تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ» أى وصى بعضهم بعضا بالصبر على تحمل المشاق فى طاعه الله عن الحسن و قتاده و بالصبر عن معاصى الله أى فإن هؤلاء ليسوا فى خسر بل هم فى أعظم ربح و زياده يربحون الثواب باكتساب الطاعات و إنفاق العمر فيها فكان رأس مالهم باق كما أن التاجر إذا خرج رأس المال من يده و ربح عليه لم يعد ذلك ذهابا و قيل «لَفِي خُسْرٍ» معناه لفى عقوبه و غبن من فوت أمهله و منزله فى الجنه و قيل المراد بالإنسان الكافر خاصه و هو أبو جهل و الوليد بن المغيرة و فى هذه السوره أعظم دلالة على إعجاز القرآن ألا ترى أنها مع قله حروفها تدل على جميع ما يحتاج الناس إليه فى الدين علما و عملا و فى وجوب التواصى بالحق و الصبر إشاره إلى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و الدعاء إلى التوحيد و العدل و أداء الواجبات و الاجتناب عن المقبحات و قيل أن فى قراءه ابن مسعود

و العصر إن الإنسان لفى خسر و أنه فيه إلى آخر الدهر و روى ذلك عن على (عليه السلام).

ص: ٣٩٢

(١٠٤) سورة الهمزة مكيه و آياتها تسع (٩)

اشاره

[توضيح]

مكيه و هي تسع آيات بالاجماع.

فضلها

و

في حديث أبي من قرأها أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد ص و أصحابه.

أبو بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ ويل لكل همزه في فريضة من فرائضه نفت عنه الفقر و جلبت عليه الرزق و تدفع عنه ميتة السوء.

تفسيرها

أجمل سبحانه في تلك السوره أن الإنسان لفي خسر و فصل في هذه السوره تلك الجملة فقال:

[سورة الهمزة (١٠٤): الآيات ١ الى ٩]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَ عَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلَّا لِيُتْبَدَّنَ فِي الْخُطْمِ (٤)

وَ مَا أَذْرَاكَ مَا الْخُطْمُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوَقَّدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ (٩)

القراءه

قرأ أهل البصره و ابن كثير و نافع و عاصم «جَمَعَ» بالتخفيف و الباقون جمع بالتشديد «مُوصَّدَةٌ» و ذكرناه في سوره البلد و قرأ أهل الكوفه غير حفص في عمد بضميتين و الباقون «فِي عَمَدٍ» بفتح العين و الميم.

«الَّذِي جَمَعَ» فى موضع جر على البدل من همزه و لا- يجوز أن يكون صفة لأنه معرفه و يجوز أن يكون فى موضع نصب على إضمار أعنى و فى موضع رفع على إضمار هو و فى حرف عبد الله ويل للهمزه اللزمه فعلى هذا الوجه يكون صفة. «لَيْتَبَدَّنَّ» يعنى الجامع للمال و روى فى الشواذ عن الحسن لينبذان يعنى الجامع و المال. و «نَارُ اللَّهِ» تقديره هى نار الله.

المعنى

«وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ» هذا وعيد من الله سبحانه لكل مغتاب غياب مشاء بالنميمة مفرق بين الأوجه عن ابن عباس و عنه أيضا قال: الهمزه الطعان و اللمزه المغتاب و قيل الهمزه المغتاب و اللمزه الطعان عن سعيد بن جبير و قتاده و قيل الهمزه الذى يطعن فى الوجه بالعيب و اللمزه الذى يغتاب عند الغيبه عن الحسن و أبى العالیه و عطاء بن أبى رباح و قيل الهمزه الذى يهزم الناس بيده و يضربهم و اللمزه الذى يلزمهم بلسانه و بعينه عن ابن زيد «الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَ عَدَّدَهُ» أى أحصاه عن الفراء و قيل عدده للدهور فيكون من العده عن الزجاج يقال أعددت الشىء و عددته إذا أمسكته و قيل جمع مالا من غير حله و منعه من حقه و أعده ذخرا لنوائب دهره عن الجبائى و قيل أن الآيات نزلت فى الوليد بن المغيرة و كان يغتاب النبى ص من ورائه و يطعن عليه فى وجهه عن مقاتل و قيل نزلت فى الأحنس بن شريق الثقفى و كان يلزم الناس و يغتابهم عن الكلبي ثم ذكر سبحانه طول أمله فقال «يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ» أى يظن أن ماله الذى جمعه يخلده فى الدنيا و يمنعه من الموت فأخلده فى معنى يخلده لأن قوله «يَحْسَبُ» يدل عليه و إنما قال ذلك و إن كان الموت معلوما عند جميع الناس لأنه يعمل عمل من يتمنى ذلك و قيل «أَخْلَدَهُ» بمعنى أوجب إخلاده و هذا كما يقال هلك فلان إذا حدث به سبب الهلاك و إن لم يقع هلاكه بعد ثم قال سبحانه «كَلَّا» أى لا يخلده ماله و لا يبقى له و قيل معناه ليس الأمر كما حسب و قيل معناه حقا «لَيْتَبَدَّنَّ فِي الْحُطَمَةِ» أى ليقذفن و يطرحن من وصفناه فى الحطمه و هى اسم من أسماء جهنم قال مقاتل: و هى تحطم العظام و تأكل اللحوم حتى تهجم على القلوب ثم قال سبحانه «وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ» تفخيما لأمرها ثم فسرها بقوله «نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ» أى المؤججه أضافها سبحانه إلى نفسه ليعلم أنها ليست كسائر النيران ثم وصفها بالإيقاد على الدوام «الَّتِي تَطَّلَعُ عَلَى الْأُفُقِ» أى تشرف على القلوب فيبلغها ألمها و حريقها و قيل معناه أن هذه النار تخرج من الباطن إلى الظاهر بخلاف نيران الدنيا «إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ» يعنى أنها على أهلها مطبقه يطبق أبوابها عليهم تأكيدا للإياس عن الخروج «فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ» و هى جمع عمود و قال أبو عبيده:

كلاهما جمع عماد قال و هى أوتاد الأطباق التى تطبق على أهل النار و قال مقاتل: أطبقت

الأبواب عليهم ثم شددت بأوتاد من حديد من نار حتى يرجع إليهم غمها و حرها فلا يفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم روح و قال الحسن: يعنى عمد السرادق فى قوله أحاطَ بهم سِرَادِقُهَا فإذا مدت تلك العمد أطبقت جهنم على أهلها نعوذ بالله منها و قال الكلبي: فى عمد مثل السوارى ممدده مطوله تمد عليهم و قال ابن عباس: هم فى عمد أى فى أغلال فى أعناقهم يعذبون بها و

روى العياشى بإسناده عن محمد بن النعمان الأحول عن حمran بن أعين عن أبى جعفر (عليه السلام) قال أن الكفار و المشركين يعيرون أهل التوحيد فى النار و يقولون ما نرى توحيدكم أغنى عنكم شيئاً و ما نحن و أنتم إلا سواء قال فيأنف لهم الرب تعالى فيقول للملائكة اشفَعُوا فيشفَعون لمن شاء الله ثم يقول للنبيين اشفَعُوا فيشفَعون لمن شاء الله ثم يقول للمؤمنين اشفَعُوا فيشفَعون لمن شاء الله و يقول الله أنا أرحم الراحمين أخرجوا برحمتى كما يخرج الفراش قال ثم قال أبو جعفر (عليه السلام) ثم مدت العمد و أوصدت عليهم و كان و الله الخلود.

ص: ٣٩٦

(١٠٥) سورة الفيل مكيه و آياتها خمس (٥)

اشاره

[توضيح]

مكيه خمس آيات بالإجماع.

فضلها

فى حديث أبى من قرأها عافاه الله أيام حياته فى الدنيا من المسخ و القذف.

أبو بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ فى الفريضة أ لم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل شهد له يوم القيامة كل سهل و جبل و مدر بأنه كان من المصلين و ينادى يوم القيامة مناد صدقتم على عبدى قبلت شهادتكم له أو عليه أدخلوا عبدى الجنة و لا تحاسبوه فإنه ممن أحبه و أحب عمله و من أكثر قراءه لإيلاف قريش بعثه الله يوم القيامة على مركب من مراكب الجنة حتى يقعد على موائد النور يوم القيامة.

تفسيرها

ذكر الله سبحانه فى تلك السوره ما أعده من العذاب لمن عاب الناس و اغتابهم و ركن إلى الدنيا و بين فى هذه السوره ما فعله بأصحاب الفيل قال:

[سورة الفيل (١٠٥): الآيات ١ الى ٥]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلِيلٍ (٢) وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَزْمِيهِمْ بِحِجَارِهِ مِنْ سِجِّيلٍ (٤)

فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (٥)

القراءه

فى الشواذ قراءه أبى عبد الرحمن أ لم تر بسكون الراء.

الحجه

قال ابن جنى: أن هذا السكون بابہ الشعر دون القرآن لما فيه من استهلاك

ص: ٣٩٧

الحرف و الحركه قبله يعنى الألف و الفتحة من ترى أنشد أبو زيد:

" قالت سليمان اشتر لنا سويقا "

يريد اشتر و أنشد:

قد حج في ذا العام من كان رجا فاكتر لنا كرى صدق فالنجا

و احذر فلا تكتر كريا أعرجا علجا إذا سار بنا عفنجا

فحذف كسره اكثر في الموضعين.

اللغة

أبائيل جماعات في تفرقه زمره زمره و لا واحد لها في قول أبي عبيده و الفراء كعباديد و قال الكسائي: واحدها أبول مثل عجول و زعم أبو جعفر الرواسي أنه سمع في واحدها إباله.

الإعراب

« كَيْفَ فَعِيلَ رَبُّكَ » منصوب بفعل على المصدر أو على الحال من الرب و التقدير أ لم تر أى فعل فعل ربك أو أ منتقما فعل ربك بهم أم مجازيا و نحو ذلك و الجملة التى هى كيف فعل ربك سدت مسد مفعولى ترى.

قصه أصحاب الفيل

أجمعت الرواه على أن ملك اليمن الذى قصد هدم الكعبه هو أبرهه بن الصباح الأشرم و قيل أن كنيته أبو يكسوم قال الواقدي: هو صاحب النجاشي جد النجاشي الذى كان على عهد رسول الله ص و قال محمد بن يسار أقبل تبع حتى نزل على المدينة فنزل بوادى قبا فحفر بها بئرا يدعى اليوم بئر الملك قال و بالمدينة إذ ذاك يهود و الأوس و الخزرج فقاتلوه و جعلوا يقاتلونه بالنهار فإذا أمسى أرسلوا إليه بالضيافه فاستحيا و أراد صلحهم فخرج إليه رجل من الأوس يقال له أحيحة بن جلاح و خرج إليه من اليهود بنيامين القرظي فقال أحيحة:

أيها الملك نحن قومك و قال بنيامين: هذه بلده لا تقدر على أن تدخلها و لو جهدت قال و لم قال لأنها منزل نبي من الأنبياء يبعثه الله من قريش قال ثم خرج يسير حتى إذا كان من مكة على ليلتين بعث الله عليه ريحا فقصفت يديه و رجله و شنجت جسده فأرسل إلى من معه من اليهود فقال ويحكم ما الذى أصابنى قالوا حدثت نفسك بشىء قال نعم و ذكر ما أجمع عليه من هدم البيت و إصابه ما فيه قالوا ذلك بيت الله الحرام و من أراد هلك قال ويحكم و ما

المخرج مما دخلت فيه قالوا تحدث نفسك بأن تطوف به و تكسوه و تهدى له فحدث نفسه بذلك فأطلقه الله ثم سار حتى دخل مكة فطاف بالبيت و سعى بين الصفا و المروه و كسا البيت و ذكر الحديث فى نحره بمكة و إطعامه الناس ثم رجوعه إلى اليمن و قتله و خروج ابنه إلى قيصر و استغاثته به فيما فعل قومه بأبيه و أن قيصر كتب له إلى النجاشى ملك الحبشه و أن النجاشى بعث له ستين ألفا و استعمل عليهم روزبه حتى قاتلوا حمير أبيه و دخلوا صنعاء فملكوها و ملكوا اليمن و كان فى أصحاب روزبه رجل يقال له أبرهه و هو أبو يكسوم فقال لروزبه: إني أولى بهذا الأمر منك و قتله مكرأ و أرضى النجاشى ثم أنه بنى كعبه باليمن و جعل فيها قبابا من ذهب فأمر أهل مملكته بالحج إليها يضاهى بذلك البيت الحرام و إن رجلا من بنى كنانة خرج حتى قدم اليمن فنظر إليها ثم قعد فيها يعنى لحاجه الإنسان فدخلها أبرهه فوجد تلك العذره فيها فقال من اجترأ على بهذا و نصرانيتى لأهدمن ذلك البيت حتى لا يحجه حاج أبدا و دعا بالفيل و أذن قومه بالخروج و من اتبعه من أهل اليمن و كان أكثر من اتبعه منهم عك و الأشعرون و خثعم قال ثم خرج يسير حتى إذا كان ببعض طريقه بعث رجلا من بنى سليم ليدعو الناس إلى حج بيته الذى بناه فتلقيه أيضا رجل من الحمس من بنى كنانة فقتله فازداد بذلك حنقا و حث السير و الانطلاق و طلب من أهل الطائف دليلا- فبعثوا معه رجلا- من هذيل يقال له نفيل فخرج بهم يهديهم حتى إذا كانوا بالمغمس نزلوه و هو من مكة على سته أميال فبعثوا مقدماتهم إلى مكة فخرجت قريش عباديد فى رءوس الجبال و قالوا لا- طاقه لنا بقتال هؤلاء- و لم يبق بمكة غير عبد المطلب بن هاشم أقام على سقايته و غير شبيهه بن عثمان بن عبد الدار أقام على حجاب البيت فجعل عبد المطلب يأخذ بعضادتي الباب ثم يقول:

لا هم إن المرء يمنع رحله فامنع حلالك لا يغلبوا بصليبهم و محالهم عدوا محالك

لا يدخلوا البلد الحرام إذا فأمر ما بدا لك

ثم إن مقدمات أبرهه أصابت نعماً لقريش فأصابت فيها مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم فلما بلغه ذلك خرج حتى أتى القوم و كان حاجب أبرهه رجلا من الأشعريين و كانت له بعبد المطلب معرفه فاستأذن له على الملك و قال له أيها الملك جاءك سيد قريش الذى يطعم إنسها فى الحى و وحشها فى الجبل فقال له ائذن له و كان عبد المطلب رجلا جسيما جميلا فلما رآه أبو يكسوم أعظمه أن يجلسه تحته و كره أن يجلسه معه على سريره فنزل من سريره

فجلس على الأرض و أجلس عبد المطلب معه ثم قال ما حاجتك قال حاجتى مائتا بعير لى أصابتها مقدمتك فقال أبو يكسوم و الله لقد رأيتك فأعجبتنى ثم تكلمت فزهدت فيك فقال و لم أيها الملك قال لأنى جئت إلى بيت عزكم و منعتكم من العرب و فضلكم فى الناس و شرفكم عليهم و دينكم الذى تعبدون فجئت لأكسره و أصيبت لك مائتا بعير فسألتك عن حاجتك فكلمتنى فى إبلك و لم تطلب إلى فى بيتكم فقال له عبد المطلب: أيها الملك أنا أكلمك فى مالى و لهذا البيت رب هو يمنعه لست أنا منه فى شىء فراع ذلك أبا يكسوم و أمر برد إبل عبد المطلب عليه ثم رجع و أمست ليلتهم تلك الليله كالحه نجومها كأنها تكلمهم كلاما لاقتربا منها فأحست نفوسهم بالعذاب و خرج دليلهم حتى دخل الحرم و تركهم و قام الأشعرون و خثعم فكسروا رماحهم و سيوفهم و برءوا إلى الله أن يعينوا على هدم البيت فباتوا كذلك بأخبث ليله ثم أدلجوا بسحر فبعثوا فيلهم يريدون أن يصبحوا بمكه فوجهوه إلى مكه فربض فضرىبه فتمرغ فلم يزلوا كذلك حتى كادوا أن يصبحوا ثم أنهم أقبلوا على الفيل فقالوا لك الله أن لا- نوجهك إلى مكه فانبعث فوجهوه إلى اليمن راجعا فتوجه يهرول فعطفوه حين رأوه منطلقا حتى إذا رده إلى مكانه الأول ربض فلما رأوا ذلك عادوا إلى القسم فلم يزلوا كذلك يعالجونه حتى إذا كان مع طلوع الشمس طلعت عليهم الطير معها الحجارة فجعلت ترميهم و كل طائر فى منقاره حجر و فى رجليه حجران و إذا رمت بذلك مضت و طلعت أخرى فلا- يقع حجر من حجارتهم تلك على بطن إلا خرقة و لا عظم إلا أوهاه و ثقبه و تاب أبو يكسوم راجعا قد أصابته بعض الحجارة فجعل كلما قدم أرضا انقطع له فيها أرب حتى إذا انتهى إلى اليمن لم يبق شىء إلا باده فلما قدمها تصدع صدره و انشق بطنه فهلك و لم يصب من الأشعرين و خثعم أحد قال و كان عبد المطلب يرتجز و يدعو على الحبشه يقول:

يا رب لا أرجو لهم سواكا يا رب فامنع منهم حماكا

إن عدو البيت من عاداكا إنهم لم يقهروا قواكا

قال و لم تصب تلك الحجارة أحدا إلا- هلك و ليس كل القوم أصابت و خرجوا هارين بيتدرون الطريق التى منها جاءوا و يسألون عن نفيل ليدلهم على الطريق و قال نفيل فى ذلك:

ردينه لو رأيت و لن ترينه لدى جنب المحصب ما رأينا

حمدت الله إذ عاينت طيرا و خفت حجاره تلقى علينا

و كل القوم يسأل عن نفيل كان على للحبشان دينا

و قال مقاتل بن سليمان: السبب الذي جر أصحاب الفيل إلى مكة هو أن فئه من قريش خرجوا تجارا إلى أرض النجاشي فساروا حتى دنوا من ساحل البحر و في حقف من أحقادها بيعه للنصارى تسميها قريش الهيكل و يسميها النجاشي و أهل أرضه ماسرخشان فنزل القوم فجمعوا حطبا ثم أجبوا نارا و اشتروا لحما فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم عاصف فذهبت الرياح بالنار فاضطرم الهيكل نارا فغضب النجاشي لذلك فبعث أبرهه لهدم الكعبه و روى

العياشي بإسناده عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال أرسل الله على أصحاب الفيل طيرا مثل الخطاف و نحوه في منقاره حجر مثل العدسه فكان يحاذي برأس الرجل فيرميه بالحجاره فيخرج من دبره فلم تزل بهم حتى أتت عليهم قال فأفلت رجل منهم فجعل يخبر الناس بالقصه فيينا هو يخبرهم إذ أبصر طيرا فقال هذا هو منها قال فحاذى فطرحه على رأسه فخرج من دبره

و قال عبيد بن عمير الليثي: لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل فبعث عليهم طيرا نشأت من البحر كأنها الخطاطيف كل طير منها معه ثلاثه أحجار ثم جاءت حتى صفت على رؤوسهم ثم صاحت و ألقته ما في أرجلها و مناقيرها فما من حجر وقع منها على رجل إلا خرج من الجانب الآخر و إن وقع على رأسه خرج من دبره و إن وقع على شيء من جسده خرج من الجانب الآخر و عن عكرمه عن ابن عباس قال دعا الله الطير الأبايل فأعطاها حجاره سودا عليها الطين فلما حاذت بهم رمتهم فما بقى أحد منهم إلا أخذته الحكه و كان لا يحك الإنسان منهم جلدا إلا تساقط لحمه قال و كانت الطير نشأت من قبل البحر لها خراطيم الطيور و رؤوس السباع لم تر قبل ذلك و لا بعده

المعنى

خاطب الله سبحانه نبيه ص تنبيها على عظم الآيه التي أظهرها و المعجزه التي فعلها فقال «أَلَمْ تَرَ» أي أ لم تعلم يا محمد لأنه ص لم ير ذلك و قيل معناه أ لم تخبر عن الفراء «كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ» الذي قصدوا تخريب الكعبه و كان معهم فيل واحد اسمه محمود عن مقاتل و قيل ثمانيه أفيال عن الضحاک و قيل اثنا عشر فيلا عن الواقدي و إنما وحد لأنه أراد الجنس و كان ذلك في العام الذي ولد فيه رسول الله ص و عليه أكثر العلماء و قيل كان أمر الفيل قبل مولد النبي ص بثلاث و عشرين سنه عن الكلبي و قيل كان قبل مولده بأربعين سنه عن مقاتل و الصحيح الأول و يدل عليه ما ذكر أن عبد الملك بن مروان قال لعتاب بن أشيم الكنانى الليثي يا عتاب أنت أكبر أم رسول الله ص قال عتاب رسول الله ص

أكبر منى و أنا أسن منه ولد رسول الله ص عام الفيل و وقعت على روث الفيل و قالت عائشه:

رأيت قائد الفيل و سائقه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان «أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ» معناه أ لم يجعل إرادتهم السوء و احتيالهم فى تخريب البيت الحرام و قتل أهله و سبيهم و استباحتهم فى تضليل عما قصدوا إليه ضل سعيهم حتى لم يصلوا إلى ما أرادوه بكيدهم و قيل فى تضليل أى فى ذهاب و بطلان «وَأَرْسَلْ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ» أى أفاطيع يتبع بعضها بعضا كالإبل المؤبله قال الأعشى:

طريق و جبار رواء أصوله عليه أبابيل من الطير تنعب

و قال امرؤ القيس:

تراهم إلى الداعى سراعا كأنهم أبابيل طير تحت داجن مدجن

و كانت لها خراطيم كخراطيم الطير و أكف كأكف الكلاب عن ابن عباس و قيل لها أنياب كأنياب السباع عن الربيع و قيل طير خضر لها مناقير صفر عن سعيد بن جبير و قيل طير سود بحريه تحمل فى مناقيرها و أكفها الحجاره عن عبيد الله بن عمير و قتاده و يمكن أن يكون بعضها خضرا و بعضها سودا «تَرْمِيهِمْ بِحِجَارِهِ مِنْ سِتِّجِيلٍ» أى تقذفهم بحجاره صلبه شديده ليست من جنس الحجاره و قد فسرنا السجيل فى سوره هود و ما جاء من الأقوال فيه فلا معنى لإعادته و قال موسى بن عائشه: كانت الحجاره أكبر من العدسه و أصغر من الحمصه و قال عبد الله بن مسعود: صاحت الطير فرمتهم بالحجاره فبعث الله ريحا فضربت الحجاره فزادتها شده فما وقع منها حجر على رجل إلا- خرج من الجانب الآخر فإن وقع على رأسه خرج من دبره «فَجَعَلَهُمْ كَعَضِيقِ مَيِّأُكُولٍ» أى كزرع و تبين قد أكلته الدواب ثم راثته فديست و تفرقت أجزاءه شبه الله تقطع أوصالهم بتفرق أجزاء الروث قال الحسن: كنا و نحن غلمان بالمدينه نأكل الشعير إذا قصب و كان يسمى العصف و قال أبو عبيده: العصف ورق الزرع قال الزجاج:

أى جعلهم كورق الزرع الذى جز و أكل أى وقع فيه الأكال و كان هذا من أعظم المعجزات القاهرات و الآيات الباهرات فى ذلك الزمان أظهره الله تعالى ليدل على وجوب معرفته و فيه إرهاب لنبوه نبينا ص لأنه ولد فى ذلك العام و قال قوم من المعتزله أنه كان معجزه لنبى من الأنبياء فى ذلك الزمان و ربما قالوا هو خالد بن سنان و نحن لا نحتاج إلى ذلك لأننا نجوز

إظهار المعجزات على غير الأنبياء من الأئمة و الأولياء و فيه حجه لائحه قاصمه لظهور الفلاسفه و الملحدين المنكرين للآيات الخارقه للعادات فإنه لا يمكن نسبه شىء مما ذكره الله تعالى من أمر أصحاب الفيل إلى طبع و غيره كما نسبوا الصيحه و الريح العقيم و الخسف و غيرهما مما أهلك الله تعالى به الأمم الخاليه إلى ذلك إذ لا يمكنهم أن يروا فى أسرار الطبيعه إرسال جماعات من الطير معها أحجار معهه مهياه لهلاك أقوام معينين قاصدات إياهم دون من سواهم فترميهم بها حتى تهلكهم و تدمر عليهم حتى لا يتعدى ذلك إلى غيرهم و لا يشك من له مسكه من عقل و لب أن هذا لا يكون إلا من فعل الله تعالى مسبب الأسباب و مذل الصعاب و ليس لأحد أن ينكر هذا لأن نبينا ص لما قرأ هذه السوره على أهل مكه لم ينكروا ذلك بل أقروا به و صدقوه مع شده حرصهم على تكذيبه و اعتنائهم بالرد عليه و كانوا قريبي العهد بأصحاب الفيل فلو لم يكن لذلك عندهم حقيقه و أصل لأنكروه و جحدوه و كيف و أنهم قد أرخوا بذلك كما أرخوا ببناء الكعبه و موت قصى بن كعب و غير ذلك و قد أكثر الشعراء ذكر الفيل و نظموه و نقلته الرواه عنهم فمن ذلك ما قاله أميه بن أبى الصلت:

إن آيات ربنا بينات ما يمارى فيهن إلا الكفور

حبس الفيل بالمغمس حتى ظل يحبو كأنه معقور

و قال عبد الله بن عمرو بن مخزوم:

أنت الجليل ربنا لم تدنس أنت حبست الفيل بالمغمس

من بعد ما هم بشىء ملبس حبسته فى هيئه المكرس

أى المنكس قال ابن الرقيات فى قصيده:

و استهلت عليهم الطير بالجنديل حتى كأنه مرجو.

(١٠٦) سورة قريش مكيه و آياتها أربع (٤)

اشاره

[توضيح]

مكيه خمس آيات حجازى أربع آيات عند غيرهم.

اختلفها

آيه مِنْ جُوعٍ حِجَازِيٍّ.

فضلها

فى حديث أبى من قرأها أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبه و اعتكف بها

و

روى العياشى بإسناده عن المفضل بن صالح عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال سمعته يقول لا تجمع بين سورتين فى ركعه واحده إلا (الضحى و ألم نشرح و ألم تر كيف و لإيلاف قريش).

و

عن أبى العباس عن أحدهما (عليه السلام) قال (ألم تر كيف فعل ربك و لإيلاف قريش) سورة واحده

و روى أن أبى بن كعب لم يفصل بينهما فى مصحفه. و قال عمرو بن ميمون الأزدي صليت المغرب خلف عمر بن الخطاب و قرأ فى الأولى (و التين) و فى الثانية (ألم تر كيف و لإيلاف قريش).

تفسيرها

و لما ذكر سبحانه عظيم نعمته على أهل مكه بما صنعه بأصحاب الفيل قال عقيب ذلك:

[سورة قريش (١٠٦): الآيات ١ الى ٤]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ
(٤)

ص: ٤٠٤

القراءه

قرأ أبو جعفر ليلاف قريش بغير همز إلافهم مختلسه الهمزه ليس بعدها ياء وقرأ ابن عامر لثلاف قريش مختلسه الهمزه ليس بعدها ياء «إيلافهم» مشبعه الهمزه فى الحرفين بعدها ياء. وقرأ ابن فليح لإيلاف قريش الفهم ساكنه اللام ليس بعدها ياء وقرأ الآخرون «لإيلاف قريش إلافهم» مشبعه الهمزه فى الحرفين بعدها ياء.

الحجه

قال أبو على: قال أبو عبيده ألفته و آلفته لغتان أنشد أبو زيد:

من المولفات الرمل أدماء حره شعاع الضحى فى جيدها يتوضح

و أنشد غيره:

ألف الصفون فلا يزال كأنه مما يقوم على الثلاث كسيرا

و قال آخر:

زعمتم أن إخوتكم قريش لهم إلف و ليس لكم إلاف

و الألف و الآلاف مصدر ألف و الإيلاف مصدر آلف.

اللغه

الإيلاف إيجاب الألف بحسن التدبير و التلطف يقال ألف يألف ألفا و آلفه يؤلفه إيلافا إذا جعله يألف فالإيلاف نقيض الإيحاش و نظيره الإيناس و ألف الشىء لزومه على عادته فى سكون النفس إليه. و الرحله حال السير على الرحله و هى الناقه القويه على السير و منه

الحديث المروى الناس كإبل مائه لا تجد فيها رحله

و الرحل متاع السفر و الارتحال احتمال الرحل للسير فى السفر.

الإعراب

قال أبو الحسن الأخفش اللام فى قوله «لإيلاف قريش» يتعلق بقوله «كعصف مأكول» أى فعلنا ذلك بهم لتألف قريش رحلتها و قال الزجاج معناه أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قريش و ما قد ألفوا من رحله الشتاء و الصيف قال أبو على اعترض معترض فقال إنما جعلوا كعصف مأكول لكفرهم و لم يجعلوا كذلك لتألف قريش قال و ليس هذا الاعتراض بشىء لأنه يجوز أن

يكون المعنى أهلكوا لكفرهم و لما أدى إهلاكهم إلى أن تألف قريش جاز كقوله تعالى «لِيَكُونَ لَهُمْ عَيْدٌ وَ حَزَنًا» و هم لم يلتقطوه لذلك فلما آل

ص: ٤٠٥

الأمر إليه حسن أن يجعله عله الالتقاط و قال الخليل و سيويه فليعبدوا رب هذا البيت لإيلاف قريش أى ليجعلوا عبادتكم شكرا لهذه النعمة و اعترافا بها و قيل هو على أ لم تر كيف فعل ربك لإيلاف قريش عن الفراء لأنه سبحانه ذكر أهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما صنع بالحيشه.

المعنى

«لِإِيْلَافِ قُرَيْشٍ» أى فعلنا ذلك بأصحاب الفيل نعمه منا على قريش مضافه إلى نعمتنا عليهم فى رحله الشتاء و الصيف فكأنه قال نعمه إلى نعمه فتكون اللام مؤديه معنى إلى و هو قول الفراء و قيل معناه فعلنا ذلك لتألف قريش بمكة و يمكنهم المقام بها أو لتؤلف قريشا فإنهم هابوا من أبرهه لما قصدها و هربوا منه فأهلكناهم لترجع قريش إلى مكة و يألفوا بها و يولد محمد ص فيبعث إلى الناس بشيرا و نذيرا و قوله «إِيْلَافِهِمْ» ترجمه عن الأول و بدل منهم «رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَ الصَّيْفِ» منصوبه بوقوع إيلافهم عليها و تحقيقه أن قريشا كانت بالحرم آمنه من الأعداء أن تهجم عليهم فيه و أن يعرض لهم أحد بالسوء إذا خرجت منها لتجارتها و الحرم واد جديب إنما كانت تعيش قريش فيه بالتجاره و كانت لهم رحلتان فى كل سنه فى الشتاء إلى اليمن لأنها بلاد حاميه و رحله فى الصيف إلى الشام لأنها بلاد بارده و لو لا-هاتان الرحلتان لم يمكنهم به مقام و لو لا الأمن لم يقدروا على التصرف فلما قصد أصحاب الفيل مكة أهلكهم الله لتألف قريش هاتين الرحلتين اللتين بهما معيشتهم و مقامهم بمكة و قيل إن كلتا الرحلتين كانت إلى الشام و لكن رحله الشتاء فى البحر و أيله طلب للدفاً و رحله الصيف إلى الشام لأنها بلاد بارده و لو لا هاتين الرحلتين لم يمكنهم مقام و لو لا الأمن لم يقدروا على التصرف فلما قصد أصحاب الفيل مكة أهلكهم الله لتألف قريش هاتين الرحلتين اللتين بهما معيشتهم و مقامهم بمكة و قيل إن كلتا الرحلتين كانت إلى الشام و لكن رحله الشتاء فى البحر و أيله طلب للدفاً و رحله الصيف إلى بصرى و أذرعات طلبا للهواء و أما قريش فهم ولد النضر بن كنانه فكل من ولده النضر فهو قرشى و من لم يولد النضر فليس بقرشى و اختلف فى تسميتهم بهذا الاسم فقيل سمو قريشا للتجاره و طلب المال و جمعه و كانوا أهل تجاره و لم يكونوا أصحاب ضرع و لا زرع و القرش المكسب يقال هو يقرش لعياله أى يكتسب لهم و ذكر أنه قيل لابن عباس لم سميت قريش قريشا فقال لدابه تكون فى البحر من أعظم دوابه يقال لها القريش لا تمر بشىء من الغث و السمين إلا أكلته قيل أفتنشد فى ذلك شيئا فأنشد قول الجمحي:

و قريش هى التى تسكن البحر بها سميت قريش قريشا

تأكل الغث و السمين و لا تترك فيه لدى الحناجر ريشا

و كانت قريش تعيش بتجارتهم و رحلتهم و كان لا يتعرض لهم أحد بسوء و كانوا يقولون قريش سكان حرم الله و ولاء بيته قال الكلبى و كان أول من حمل الميره من الشام و رحل إليها الإبل هاشم بن عبد مناف و يصدقه قول الشاعر:

تحمل هاشم ما ضاق عنه و أعيأ أن يقوم به ابن بيض

أتاهم بالغرائر متأقات من أرض الشام بالبر النفيض

فوسع أهل مكة من هشيم و شاب البر باللحم الغريض

و

قال سعيد بن جبير مر رسول الله ص و معه أبو بكر بملا و هم ينشدون:

يا ذا الذى طلب السماحة و الندى هلا مررت بآل عبد الدار

لو أن مررت بهم تريد قراهم منعوك من جهد و من إقتار

فقال لأبى بكر أ هكذا قال الشاعر فقال لا و الذى بعثك بالحق بل قال:

يا ذا الذى طلب السماحة و الندى هلا مررت بآل عبد مناف

لو أن مررت بهم تريد قراهم منعوك من جهد و من إيجاف

الرائشين و ليس يوجد رائش و القائلين هلم للأضياف

و الخالطين غنيهم بفقيرهم حتى يصير فقيرهم كالكافى

و القائلين بكل وعد صادق و رجال مكة مستتين عجاف

سفرين سنهما له و لقومه سفر الشتاء و رحله الأضياف

«فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ» هذا أمر من الله سبحانه أى فليوجهوا عبادتهم إلى رب

هذه الكعبه و يوحده و هو الله سبحانه «الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ» بما سبب لهم من الأرزاق في رحله الشتاء و الصيف و أعطاهم من الأموال «و آمَنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ» فلا- يتعرض لهم أحد في سفرهم إذا قالوا نحن أهل حرم الله و قيل آمنهم من خوف الغاره بالحرم الذى جبلت قلوب الناس على تعظيمه لأنهم كانوا يقولون فى الجاهليه نحن قطان حرم الله فلا يتعرض لهم و إن كان الرجل ليصاب فى الحى من أحياء العرب فيقال هو حرمى فيخلى عنه و عن ماله تعظيما للحرم و كان غيرهم إذا خرج أغير عليه و قيل «أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ» أى من بعد جوع كما يقال كسوتك من بعد عرى يعنى ما كانوا فيه من الجوع قال ابن عباس كانوا فى ضر و مجاعه حتى جمعهم هاشم على الرحلتين فلم يكن بنو أب أكثر مالا و لا أعز من قريش.

(١٠٧) سورة الماعون مكيه و آياتها سبع (٧)

اشاره

[توضيح]

و تسمى سورة الماعون مكيه و قال الضحاك مدنيه و قيل بعضها مكى و بعضها مدنى.

عدد آياتها

سبع عراقى و ست فى الباقيين.

اختلفها

آيه يُرَأَوْنَ عراقى.

فضلها

فى

حديث أبى من قرأها غفر الله له إن كان للزكاه مؤديا

و ،

عمرو بن ثابت عن أبى جعفر (عليه السلام) قال من قرأ أ رأيت الذى يكذب بالدين فى فرائضه و نوافله قبل الله صلاته و صيامه و لم يحاسبه بما كان منه فى الحياه الدنيا.

تفسيرها

ذكر سبحانه نعمه على قريش ثم عجب سبحانه فى هذه السوره من تكذيبهم مع عظيم النعمه عليهم فقال:

[سوره الماعون (١٠٧): الآيات ١ الى ٧]

اشاره

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

أ رَأَيْتَ الَّذِیْ یُكذِّبُ بِالْءِیْمٰنِ (١) فَذٰلِكَ الَّذِیْ یَدْعُ الْیٰتِیْمَ (٢) وَ لَا یَحْضُ عَلٰی طَعَامِ الْمِسْكِیْنِ (٣) فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّیْنَ (٤)

الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُنَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)

ص: ٤٠٩

القراءه

فى الشواذ قراءه أبى رجاء العطاردى يدع اليتيم بفتح الدال خفيفه.

الحجه

و معناه يتركه و يعرض عنه فهو صائر إلى معنى القراءه المشهوره «يُدْعُ الْيَتِيمَ» أى يدفعه و يجفو عليه.

اللغه

الدع الدفع بشده و منه الددعه تحريكك المكيال ليستوعب الشىء كأنك تدفعه و الددعه أيضا زجر المعز و الحض و الحث و التحريض بمعنى واحد و الماعون كل ما فيه منفعه قال الأعشى:

بأجود منه بماعونه إذا ما سماؤهم لم تغم

و قال الراعى:

قوم على الإسلام لما يمنعوا ماعونهم و يضيعوا التهليلا

و قال أعرابى فى ناقيه له

" كيما أنها تعطيك الماعون "

أى تنقاد لك و تطيعك و أصله القله من المعن و هو القليل قال الشاعر

" فإن هلاك مالك غير معن "

أى غير قليل و يقال ما له ممعن و لا معن فالماعون القليل القيمه مما فيه منفعه و يقال معن الوادى إذا جرت مياهه قليلا قليلا.

الإعراب

«فَوَيْلٌ لِلْمُصَيِّبِينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صِيْلَاتِهِمْ سَاهُونَ» اعتمد هنا فى الخبر على ما جرى فى صله الموصول الذى هو وصف المجرور باللام المتعلق بالخبر ألا- ترى أن قوله «فَوَيْلٌ لِلْمُصَيِّبِينَ» غير محمول على الظاهر و الاعتماد على السهو فى صله الذين و قوله «الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤْنَ» يجوز أن يكون مجرورا على أنه صفة للمصلين و يجوز أن يكون منصوبا على إضمار أعنى و أن يكون مرفوعا على إضمارهم.

المعنى

خاطب الله تعالى نبيه ص فقال «أَرَأَيْتَ» يا محمد «الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدِّينِ» أى هذا الكافر الذى يكذب بالجزاء و الحساب و ينكر البعث مع وضوح الأمر فى ذلك و قيام الحجج على صحته و إنما ذكره سبحانه بلفظ الاستفهام إرادته للمبالغة فى الأفهام و التكذيب بالجزاء من أضر شىء على صاحبه لأنه يعدم بذلك أكثر الدواعى إلى الخير و الصوارف عن الشر فهو يتهالك فى الإسراع إلى الشر الذى يدعوه إليه طبعه إذ لا يخاف عواقب الضرر فيه

ص: ٤١٠

قال الكلبي نزلت في العاص بن وائل السهمي و قيل نزلت في الوليد بن المغيرة عن السدي و مقاتل بن حيان و قيل نزلت في أبي سفيان بن حرب كان ينحرف في كل أسبوع جزورين فأتاه يتيما فسأله شيئا فقرعه بعصاه عن ابن جريج و قيل نزلت في رجل من المنافقين عن عطاء عن ابن عباس «فَذَلِكَ الَّذِي يُدْعَى الْيَتِيمَ» بين سبحانه أن من صفه هذا الذي يكذب بالدين أنه يدفع اليتيم عنفا به لأنه لا- يؤمن بالجزاء عليه فليس له رادع عنه و قيل يدع اليتيم أي يدفعه عن حقه بجفوه و عنف و يقهره عن ابن عباس و مجاهد «وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ» أي لا- يطعمه و لا- يأمر بإطعامه يعني لا يفعله إذا قدر و لا يحض عليه إذا عجز لأنه يكذب بالجزاء «فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ» و هم الذين يؤخرون الصلاة عن أوقاتها عن ابن عباس و مسروق و روى ذلك مرفوعا و قيل يريد المنافقين الذين لا يرجون لها ثوبا إن صلوا و لا يخافون عليها عقابا إن تركوا فهم عنها غافلون حتى يذهب وقتها فإذا كانوا مع المؤمنين صلوا رياء و إذا لم يكونوا معهم لم يصلوا و هو قوله «الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ» عن علي (عليه السلام) و ابن عباس و قال أنس: الحمد لله الذي قال عن صلاتهم و لم يقل في صلاتهم يريد بذلك أن السهو الذي يقع للإنسان في صلاته من غير عمد لا يعاقب عليه و قيل ساهون عنها لا يباليون صلوا أم لم يصلوا عن قتاده و قيل هم الذين يتركون الصلاة عن الضحاك و قيل الذين إن صلوا صلوا رياء و إن فاتتهم لم يندموا عن الحسن و قيل هم الذين لا يصلونها لمواقبتها و لا يتمون ركوعها و لا سجودها عن أبي العالبي و عنه أيضا قال هو الذي إذا سجد قال برأسه هكذا و هكذا ملتفتا و

روى العياشي بالإسناد عن يونس بن عمار عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال سألت عن قوله «الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ» أ هي و سوسه الشيطان فقال لا كل أحد يصيبه هذا و لكن أن يغفلها و يدع أن يصل في أول وقتها

و

عن أبي أسامة زيد الشحام قال سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله «الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ» قال هو الترك لها و التواني عنها

و

عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن (عليه السلام) قال هو التضييع لها

و قيل هم الذين يراءون الناس في جميع أعمالهم لم يقصدوا بها الإخلاص لله تعالى «وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ» اختلف فيه فقيل

هي الزكاه المفروضه عن علي و ابن عمر و الحسن و قتاده و الضحاك و روى ذلك عن أبي عبد الله (عليه السلام)

و قيل هو ما يتعاوره الناس بينهم من الدلو و الفأس و القدر و ما لا يمنع كالماء و الملح عن ابن مسعود و ابن عباس و سعيد بن جبير و روى ذلك مرفوعا و

روى أبو بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال هو القرض تقرضه و المعروف تصنعه و متاع البيت تعيره و منه الزكاه قال فقلت إن لنا جيرانا إذا أعرناهم متاعا كسروه و أفسدوه أ فعلينا جناح أن نمنعهم فقال لا ليس عليك جناح أن تمنعهم إذا كانوا كذلك

و قيل هو المعروف كله عن الكلبي.

(١٠٨) سورة الكوثر مكيه و آياتها ثلاث (٣)

اشاره

[توضيح]

مكيه عن ابن عباس و الكلبي مدنيه عن عكرمه و الضحاك و هي ثلاث آيات بالإجماع.

فضلها

فى

حديث أبى من قرأها سقاه الله من أنهار الجنة و أعطى من الأجر بعدد كل قربان قربه العباد فى يوم عيد و يقربون من أهل الكتاب و المشركين.

أبو بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ إنا أعطيناك الكوثر فى فرائضه و نوافله سقاه الله يوم القيامة من الكوثر و كان محدثه عند محمد ص.

تفسيرها

ذم سبحانه فى تلك السوره تاركى الصلاه و مانعى الزكاه و ذكر فى هذه السوره أنهم إن فعلوا ذلك و كذبوه فإنه يعطيه الخير الكثير و أمره بالصلاه فقال:

[سورة الكوثر (١٠٨): الآيات ١ الى ٣]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)

اللغه

الكوثر فوعل من الكثره و هو الشىء الذى من شأنه الكثره و الكوثر الخير الكثير و الإعطاء على وجهين إعطاء تمليك و إعطاء غير تمليك و إعطاء الكوثر إعطاء تمليك كإعطاء الأجر و أصله من عطا يعطو إذا تناول و الشانئ المبغض و الأبتَر أصله من الحمار الأبتَر و هو المقطوع الذنب و فى حديث زياد أنه خطب خطبته البتراء لأنه لم يحمد الله فيها و لم يصل على النبى ص.

«وَ أَنْحَرْ» مفعوله محذوف أى و انحر أضحيتك كما حذف لبيد من قوله:

" و هم العشيره أن يبطنى حاسد "

أى إن يبطنهم حاسد أى أن ينسبهم إلى البطوء و قوله «إِنَّ شَانِيكَ هُوَ الْمَأْتَرُ» لا- أنت هذا تقديره أى هو مبتور لا- أنت لأن ذكرك مرفوع مهما ذكرت ذكرت معى و هو فصل و الأبر خبر إن.

النزول

قيل نزلت السوره فى العاص بن وائل السهمى و ذلك أنه رأى رسول الله ص يخرج من المسجد فالتقيا عند باب بنى سهم و تحدثا و أناس من صنديد قريش جلوس فى المسجد فلما دخل العاص قالوا من الذى كنت تتحدث معه قال ذلك الأبر و كان قد توفى قبل ذلك عبد الله بن رسول الله ص و هو من خديجه و كانوا يسمون من ليس له ابن أبر فسمته قريش عند موت ابنه أبر و صنورا عن ابن عباس.

المعنى

خاطب سبحانه نبيه ص على وجه التعداد لنعمه عليه فقال «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوْثَرَ» اختلفوا فى تفسير الكوثر فقيل هو نهر فى الجنة عن عائشه و ابن عمر

قال ابن عباس لما نزلت إنا أعطيناك الكوثر صعد رسول الله ص المنبر فقرأها على الناس فلما نزل قالوا يا رسول الله ما هذا الذى أعطاك الله قال نهر فى الجنة أشد بياضا من اللبن و أشد استقامه من القدرح حافظه قباب الدر و الياقوت ترده طير خضر لها أعناق كأعناق البخت قالوا يا رسول الله ما أنعم تلك الطير قال أ فلا أخبركم بأنعم منها قالوا بلى قال من أكل الطائر و شرب الماء و فاز برضوان الله

و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال نهر فى الجنة أعطاه الله نبيه ص عوضا من ابنه

و قيل هو حوض النبی ص الذى يكثر الناس عليه يوم القيامة عن عطاء و

قال أنس بينا رسول الله ص ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاء ثم رفع رأسه مبتسما فقلت ما أضحكك يا رسول الله قال أنزلت على أنفا سورة فقرأ سورة الكوثر ثم قال أ تدرين ما الكوثر قلنا الله و رسوله أعلم قال فإنه نهر وعدنيه عليه ربي خيرا كثيرا هو حوضى ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء فيختلج القرن منهم فأقول يا رب إنهم من أمتى فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك أورده مسلم فى الصحيح

وقيل الكوثر الخير الكثير عن ابن عباس و ابن جبير و مجاهد و قيل هو النبوه و الكتاب عن عكرمه و قيل هو القرآن عن الحسن
و قيل هو كثره الأصحاب و الأشياع عن أبي بكر بن عياش و قيل هو كثره النسل و الذريه و قد ظهرت الكثره فى نسله من ولد
فاطمه (عليه السلام) حتى لا يحصى عددهم و اتصل إلى يوم القيامة مددهم و

قيل هو الشفاعة

ص: ٤١٣

رووه عن الصادق (عليه السلام)

و اللفظ يحتمل للكلمة فيجب أن يحمل على جميع ما ذكر من الأقوال فقد أعطاه الله سبحانه و تعالى الخير الكثير في الدنيا و وعده الخير الكثير في الآخرة و جميع هذه الأقوال تفصيل للجمله التي هي الخير الكثير في الدارين «فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انْحَرْ» أمره سبحانه بالشكر على هذه النعمة العظيمة بأن قال فصل صلاه العيد لأنه عقبها بالانحر أى و انحر هديك و أضحيتك عن عطاء و عكرمه و قتاده و قال

أنس بن مالك كان النبي ص ينحر قبل أن يصلى فأمر أن يصلى ثم ينحر

و قيل معناه فصل لربك صلاه الغداه المفروضه بجمع و انحر البدن بمنى عن سعيد بن جبير و مجاهد و قال محمد بن كعب إن أناسا كانوا يصلون لغير الله و ينحرون لغير الله فأمر الله تعالى نبيه ص أن يكون صلاته و نحره للبدن تقربا إليه و خالصا له و قيل معناه فصل لربك الصلاه المكتوبه و استقبال القبلة بنحرك و تقول العرب منازلنا تتناحر أى هذا ينحر هذا يعنى يستقبله و أنشد:

أبا حكم هل أنت عم مجالد و سيد أهل الأبطح المتناحر

أى ينحر بعضه بعضا و هذا قول الفراء و أما

ما رووه عن على (عليه السلام) أن معناه ضع يدك اليمنى على اليسرى حذاء النحر في الصلاه

فمما لا يصح عنه لأن

جميع عترته الطاهره (عليه السلام) قد رووه بخلاف ذلك و هو أن معناه ارفع يديك إلى النحر في الصلاه

و

عن عمر بن يزيد قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول في قوله «فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انْحَرْ» هو رفع يديك حذاء وجهك و روى عنه عبد الله بن سنان مثله

و

عن جميل قال قلت لأبى عبد الله (عليه السلام) «فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انْحَرْ» فقال بيده هكذا يعنى استقبال يديه حذو وجهه القبلة في افتتاح الصلاه

و

عن حماد بن عثمان قال سألت أبا عبد الله (عليه السلام) ما النحر فرفع يده إلى صدره فقال هكذا ثم رفعها فوق ذلك فقال هكذا يعنى استقبال يديه القبلة في افتتاح الصلاه

روى عن مقاتل بن حيان عن الأصمغ بن نباته عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال لما نزلت هذه السوره قال النبى ص لجبريل (عليه السلام) ما هذه النحيه التى أمرنى بها ربى قال ليست بنحيه و لكنه يأمرك إذا تحرمت للصلاه أن ترفع يديك إذا كبرت و إذا ركعت و إذا رفعت رأسك من الركوع و إذا سجدت فإنه صلاتنا و صلاه الملائكه فى السماوات السبع فإن لكل شىء زينه و إن زينه الصلاه رفع الأيدى عند كل تكبيره

قال النبى ص رفع الأيدى من الاستكانه قلت و ما الاستكانه قال أ لا تقرأ هذه الآيه «فَمَا اسْتِكَانُوا لِلرَّبِّهِمْ وَ مَا يَتَضَرَّعُونَ» أورده الثعلبى و الواحدى فى تفسيرهما

«إِنَّ شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» معناه إن مبغضك هو المنقطع عن الخير و هو العاص بن وائل و قيل معناه أنه الأقل الأذل بانقطاعه عن كل خير عن قتاده و قيل معناه أنه لا ولد له على الحقيقه و أن من ينسب إليه ليس بولد له

قال مجاهد الأبتى الذى لا عقب له و هو جواب لقول قريش إن محمدا ص لا عقب له يموت فنستريح منه و يدرس دينه إذ لا يقوم مقامه من يدعو إليه فينقطع أمره و فى هذه السورة دلالات على صدق نبينا ص و صحه نبوته (أحدها) أنه أخبر عما فى نفوس أعدائه و ما جرى على ألسنتهم و لم يكن بلغه ذلك فكان على ما أخبر (و ثانيها) أنه قال «أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ» فانظر كيف انتشر دينه و علا أمره و كثرت ذريته حتى صار نسبه أكثر من كل نسب و لم يكن شىء من ذلك فى تلك الحال (و ثالثها) أن جميع فصحاء العرب و العجم قد عجزوا عن الإتيان بمثل هذه السورة على و جازة ألفاظها مع تحديه إياهم بذلك و حرصهم على بطلان أمره منذ بعث النبى ص إلى يومنا هذا و هذا غاية الإعجاز (و رابعها) أنه سبحانه وعده بالنصر على أعدائه و أخبره بسقوط أمرهم و انقطاع دينهم أو عقبهم فكان المخبر على ما أخبر به هذا و فى هذه السورة الموجه من تشاكل المقاطع للفواصل و سهوله مخارج الحروف بحسن التأليف و التقابل لكل من معانيها بما هو أولى به ما لا يخفى على من عرف مجارى كلام العرب.

مكيه و عن ابن عباس و قتاده مدنيه و هي ست آيات بالإجماع.

حديث أبى و من قرأ يا أيها الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن و تباعدت عنه مرده الشياطين و برى من الشرك و يعافى من الفزع الأكبر.

عن جبير بن مطعم قال قال لى رسول الله ص أ تحب يا جبير أن تكون إذا خرجت سفرا من أمثل أصحابك هيئه و أكثرهم زادا قلت نعم بأبى أنت و أمى يا رسول الله قال فاقراً هذه السور الخمس قل يا أيها الكافرون و إذا جاء نصر الله و الفتح و قل هو الله أحد و قل أعوذ برب الفلق و قل أعوذ برب الناس و افتتح قراءتك بسم الله الرحمن الرحيم قال جبير و كنت غير كثير المال و كنت أخرج مع من شاء الله أن أخرج فأكون أكثرهم همه و أمثلهم زادا حتى أرجع من سفرى ذلك

فروه بن نوفل الأشجعى عن أبيه أنه أتى النبى ص فقال جئت يا رسول الله لتعلمنى شيئاً أقوله عند منامى قال إذا أخذت مضجعتك فاقراً قل يا أيها الكافرون ثم نم على خاتمتها فإنها براءه من الشرك.

شعيب الحداد عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال كان أبى يقول قل يا أيها الكافرون ربع القرآن و كان إذا فرغ منها قال أعبد الله وحده أعبد الله وحده.

عن هشام بن سالم عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال إذا قلت «لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ» فقل و لكنى أعبد الله مخلصاً له دينى فإذا فرغت منها فقل دينى الإسلام ثلاث مرات.

عن الحسين بن أبى العلاء قال من قرأ قل يا أيها الكافرون و قل هو الله أحد فى فريضه من الفرائض غفر الله له و لوالديه و ما

ولدا و إن كان شقيا محى من ديوان الأشقياء و كتب فى ديوان السعداء و أحياه الله سعيد و أماته شهيدا و بعثه شهيدا.

تفسيرها

ذكر سبحانه فى تلك السوره أن أعداءه عابوه بأنه أبتز فرد ذلك عليهم و ذكر فى هذه السوره أنهم سألوه المداهنه فأمره بالبراءه منهم فقال:

ص: ٤١٦

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤)

وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِي دِينِ (٦)

الفراءه

قرأ نافع و ابن كثير و حفص عن عاصم «لِي دِينِ» بفتح الياء و الباقون بسكون الياء.

الحجه

إسكان الياء من و لى و فتحها جميعا حسنان سائغان.

الإعراب

«وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ» كان الوجه من أعبد و لكنه جاء بما ليطابق ما قبله و ما بعده و قيل إن ما هاهنا بمعنى من و العائد من الصلته إلى الموصول فى الجميع محذوف و التقدير ما تعبدونه و ما أعبده و ما عبدتموه.

النزول

نزلت السوره فى نفر من قريش منهم الحارث بن قيس السهمى و العاص ابن أبى وائل و الوليد بن المغيرة و الأسود بن عبد يغوث الزهرى و الأسود بن المطلب بن أسد و أميه بن خلف قالوا هلم يا محمد فاتبع ديننا نتبع دينك و نشركك فى أمرنا كله تعبد آلهتنا سنه و نعبد إلهك سنه فإن كان الذى جئت به خيرا مما بأيدينا كنا قد شركناك فيه و أخذنا بحظنا منه و إن كان الذى بأيدينا خيرا مما فى يديك كنت قد شركتنا فى أمرنا و أخذت بحظك منه فقال ص معاذ الله أن أشرك به غيره قالوا فاستلم بعض الهتنا نصدقك و نعبد إلهك فقال حتى أنظر ما يأتى من عند ربي فنزل قل يا أيها الكافرون السوره فعدل رسول الله ص إلى المسجد الحرام و فيه الملاء من قريش فقام على رءوسهم ثم قرأ عليهم حتى فرغ من السوره فأيسوا عند ذلك فأذوه و آذوا أصحابه قال ابن عباس و فيهم نزل قوله قُلْ أَلَمْ يَغَيِّرِ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ.

المعنى

خاطب سبحانه النبى ص فقال «قُلْ» يا محمد «يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ» يريد قوما معينين لأن الألف و اللام للعهد «لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ» أى لا أعبد آلهتكم التى تعبدونها اليوم و فى هذه الحال «وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ» أى إلهى الذى أعبده اليوم و فى هذه الحال

أيضا

ص: ٤١٧

«وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ» فيما بعد اليوم «وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ» فيما بعد اليوم من الأوقات المستقبله عن ابن عباس و مقاتل قال الزجاج: نفى رسول الله ص بهذه السوره عباده آلهتهم عن نفسه فى الحال و فيما يستقبل و نفى عنهم عباده الله فى الحال و فيما يستقبل و هذا فى قوم أعلمه الله سبحانه أنهم لا يؤمنون كقوله سبحانه فى قصه نوح (عليه السلام) أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنِ قَدْ آمَنَ و قيل أيضا فى وجه التكرار إن القرآن نزل بلغه العرب و من عادتهم تكرير الكلام للتأكيد و الأفهام فيقول المجيب بلى بلى و يقول الممتنع لا لا عن الفراء قال و مثله قوله تعالى كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ و أنشد:

و كائن و كم عندى لهم من صنيعه أياذى ثنوها على و أوجبوا

و أنشد:

كم نعمه كانت لكم كم كم كم كم و كم

و قال آخر:

نعق الغراب بين ليلى غدوه كم كم و كم بفراق ليلى ينعق

و قال آخر:

" هلا سألت جموع كنده يوم و لو أين أينا "

و قال آخر:

أردت لِنَفْسِي بَعْضَ الْأُمُورِ فَأُولَى لِنَفْسِي أُولَى لَهَا

و قال و هذا أولى المواضع بالتأكيد لأن الكافرين أبدوا فى ذلك و أعادوا فكرر سبحانه ليؤكد أيأسهم و حسم أطماعهم بالتكرير و قيل أيضا فى ذلك أن المعنى لا أعبد الأصنام التى تعبدونها و لا أنتم عابدون الله الذى أنا عابده إذا أشركتم به و اتخذتم الأصنام و غيرها تعبدونها من دونه و إنما يعبد الله من أخلص العباده له «وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ» أى لا أعبد عبادتكم فيكون ما مصدرية «وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ» أى و ما تعبدون عبادتى على نحو ما ذكرناه فأراد فى الأول المعبود و فى الثانى العباده فإن قيل أما اختلاف المعبودين فمعلوم فما معنى اختلاف العباده (قلنا) إنه يعبد الله على وجه الإخلاص و هم يشركون به فى عبادته فاختلفت العبادتان و لأنه كان يتقرب إلى عبادته إلى معبوده بالأفعال المشروعه الواقعه على وجه العباده و هم لا يفعلون

ذلك و إنما يتقربون إليه بأفعال يعتقدونها قربه جهلا من غير شرع «لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِي دِينٌ» ذكر فيه وجوه (أحدها) أن معناه لكم جزاء دينكم و لى جزاء دينى فحذف المضاف و أقام المضاف إليه مقامه (و ثانيها) أن المعنى لكم كفركم بالله و لى دين التوحيد و الإخلاص و هذا و إن كان ظاهره إباحه فإنه وعيد و تهديد و مبالغه فى النهى و الزجر كقوله اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ (و ثالثها) أن الدين الجزاء و معناه لكم جزاؤكم و لى جزائى قال الشاعر:

إذا ما لقونا لقيناهم و دناهم مثل ما يقرضونا

و قد تضمنت السوره معجزه لنبينا ص من جهه الإخبار بما يكون فى الأوقات المستقبلة مما لا سبيل إلى علمه إلا بوحي من قبل الله سبحانه العالم بالغيوب فكان ما أخبر به كما أخبر و فيها دلالة على ذم المداهنه فى الدين و وجوب مخالفه الكفار و المبطلين و البراءه منهم و

روى داود بن الحصين عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال إذا قرأت «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ» فقل أيها الكافرون و إذا قلت «لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ» فقل أعبد الله وحده و إذا قلت «لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِي دِينٌ» فقل ربي الله و دينى الإسلام.

ص: ٤١٩

(١١٠) سورة النصر مدنيه و آياتها ثلاث (٣)

اشاره

[توضيح]

مدنيه و هي ثلاث آيات بالإجماع.

فضلها

فى حديث أبى من قرأها فكأنما شهد مع رسول الله ص فتح مكه

و

روى كرام الخثعمى عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ إذا جاء نصر الله و الفتح فى نافله أو فريضه نصره الله على جميع أعدائه و جاء يوم القيامة و معه كتاب ينطق قد أخرجه الله من جوف قبره فيه أمان من حر جهنم و من النار و من زفير جهنم يسمعه بأذنيه فلا تمر على شىء يوم القيامة إلا بشره و أخبره بكل خير حتى يدخل الجنة.

تفسيرها

ختم الله سبحانه تلك السوره بذكر الدين و افتتح هذه السوره بظهور الدين فقال:

[سورة النصر (١١٠): الآيات ١ الى ٣]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)

الإعراب

مفعول جاء محذوف و التقدير إذا جاءك نصر الله و جواب إذا محذوف و التقدير إذا جاء نصر الله حضر أجلك و قيل جوابه الفاء فى قوله فسبح و أفواجا منصوب على الحال.

«إِذَا جَاءَ» يا محمد «نَصِيرُ اللَّهِ» على من عاداك و هم قريش «وَ الْفَتْحُ» فتح مكة و هذه بشاره من الله سبحانه لنبيه ص بالنصر و الفتح قبل وقوع الأمر «وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا» أى جماعه بعد جماعه و زمره بعد زمره و المراد بالدين الإسلام و التزام أحكامه و اعتقاد صحته و توطين النفس على العمل به قال الحسن: لما فتح رسول الله ص مكة قالت العرب أما إذا ظفر محمد ص بأهل الحرم و قد أجارهم الله من أصحاب الفيل فليس لكم به يدان أى طاقه فكانوا يدخلون فى دين الله أفواجا أى جماعات كثيره بعد أن كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا أو اثنين فصارت القبيله تدخل بأسرها فى الإسلام و قيل فى دين الله أى فى طاعه الله و طاعتك و أصل الدين الجزاء ثم يعبر به عن الطاعه التى يستحق بها الجزاء كما قال سبحانه فى دين المَلِكِ أى فى طاعته «فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ» هذا أمر من الله سبحانه بأن ينزه عمالا يليق به من صفات النقص و أن يستغفره و وجه وجوب ذلك بالنصر و الفتح أن النعمه تقتضى القيام بحقها و هو شكر المنعم و تعظيمه و الائتمار بأوامره و الانتهاء عن معاصيه فكانه قال قد حدث أمر يقتضى الشكر و الاستغفار و إن لم يكن ثم ذنب فإن الاستغفار قد يكون عند ذكر المعصيه بما ينافى الإصرار و قد يكون على وجه التسييح و الانقطاع إلى الله عز و جل «إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا» يقبل توبه من بقى كما قبل توبه من مضى

قال مقاتل لما نزلت هذه السوره قرأها ص على أصحابه ففرحوا و استبشروا و سمعها العباس فبكى فقال ص: ما يبكيك يا عم فقال أظن أنه قد نعت إليك نفسك يا رسول الله فقال: إنه لكما تقول فعاش بعدها سنتين ما رؤى فيهما ضاحكا مستبشرا

قال و هذه السوره تسمى سوره التوديع و قال ابن عباس: لما نزلت إذا جاء نصر الله قال: نعت إلى نفسى بأنها مقبوضه فى هذه السنه و اختلف فى أنهم من أى وجه علموا ذلك و ليس فى ظاهره نعى فقيل لأن التقدير فسيح بحمد ربك فإنك حينئذ لاحق بالله و ذائق الموت كما ذاق من قبلك من الرسل و عند الكمال يرقب الزوال كما قيل

إذا تم أمر بدا نقصه توقع زوالا إذا قيل تم

و قيل لأنه سبحانه أمره بتجديد التوحيد و استدراك الفائت بالاستغفار و ذلك مما يلزم عند الانتقال من هذه الدار إلى دار الأبرار و

عن عبد الله مسعود قال: لما نزلت السوره كان النبى ص يقول كثيرا سبحانك اللهم و بحمدك اللهم اغفر لى إنك أنت التواب الرحيم

و

عن أم سلمه قالت: كان رسول الله ص بالآخره لا يقوم و لا يقعد و لا يجىء و لا يذهب إلا قال سبحان الله و بحمده أستغفر الله و أتوب إليه فسألناه عن ذلك فقال ص إنى أمرت بها ثم قرأ إذا

فى روايه عائشه: أنه كان يقول سبحانك اللهم و بحمدك أستغفرك و أتوب إليك.

[حديث فتح مكه]

لما صالح رسول الله ص قريشا عام الحديبيه كان فى أشراطهم أنه من أحب أن يدخل فى عهد رسول الله ص أدخل فيه فدخلت خزاعه فى عقد رسول الله ص و دخلت بنو بكر فى عقد قريش و كان بين القبيلتين شر قديم ثم وقعت فيما بعد بين بنى بكر و خزاعه مقاتله و رفدت قريش بنى بكر بالسلاح و قاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا و كان ممن أعان بنى بكر على خزاعه بنفسه عكرمه بن أبى جهل و سهيل بن عمرو فركب عمرو بن سالم الخزاعى حتى قدم على رسول الله ص المدينه و كان ذلك مما هاج فتح مكه فوقف عليه و هو فى المسجد بين ظهرانى القوم فقال:

لا هم إنى ناشد محمدا حلف أينا و أبيه الأتلا

إن قريشا أخلفوك الموعدا و نقضوا ميثاقتك المؤكدا

و قتلونا ركعا و سجدا

فقال رسول الله: حسبك يا عمرو ثم قام فدخل دار ميمونه و قال: اسكبى لى ماء فجعل يغتسل و هو يقول لا نصرت أن لم أنصر بنى كعب و هم رهط عمرو بن سالم ثم خرج بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من خزاعه حتى قدموا على رسول الله ص فأخبروه بما أصيب منهم و مظاهره قريش بنى بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين إلى مكه و قد كان ص قال للناس كأنكم بأبى سفيان قد جاء ليشدد العقد و يزيد فى المده و سيلقى بديل بن ورقاء فلقوا أبا سفيان بعسفان و قد بعثته قريش إلى النبى ص ليشدد العقد فلما لقى أبو سفيان بدिला قال: من أين أقبلت يا بديل قال: سرت فى هذا الساحل و فى بطن هذا الوادى قال: ما أتيت محمدا قال: لا فلما راح بديل إلى مكه قال أبو سفيان: لئن كان جاء من المدينه لقد علف بها النوى فعمد إلى مبرك ناقته و أخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى فقال أحلف بالله تعالى لقد جاء بديل محمدا ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ص فقال: يا محمد احقن دم قومك و أجر بين قريش و زدنا فى المده فقال ص: أ غدرتم يا أبا سفيان قال: لا قال ص: فنحن على ما كنا عليه فخرج فلقى أبا بكر فقال: أجر بين قريش قال: ويحك واحد يجير على رسول الله ص ثم لقى

عمر بن الخطاب فقال له مثل ذلك ثم خرج فدخل على أم حبيبه فذهب ليجلس على الفراش فأهوت إلى الفراش فطوته فقال: يا بنيه أربب بهذا الفراش عنى فقالت نعم هذا فراش رسول الله ص ما كنت لتجلس عليه و أنت رجس مشرك ثم خرج فدخل على فاطمه (عليه السلام) فقال: يا بنت سيد العرب تجيرين بين قريش و تزيدين فى المده فتكونين أكرم سيده فى الناس فقالت: جوارى جوار رسول الله ص قال: أ تأمرين ابنيك أن يجيرا بين الناس قالت: و الله ما بلغ ابناى أن يجيرا بين الناس و ما يجير على رسول الله ص أحد فقال: يا أبا الحسن إنى أرى الأمور قد اشتدت على فانصحنى فقال على (عليه السلام): إنك شيخ قريش فقم على باب المسجد و أجر بين قريش ثم الحق بأرضك قال و ترى ذلك مغنيا عنى شيئا قال: لا و الله ما أظن ذلك و لكن لا أجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان فى المسجد فقال يا أيها الناس إنى قد أجزت بين قريش ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا ما وراك فأخبرهم بالقصه فقالوا: و الله إن زاد على بن أبى طالب على أن لعب بك فما يغنى عنا ما قلت قال: لا و الله ما وجدت غير ذلك قال: فأمر رسول الله ص بالجهاز لحرب مكه و أمر الناس بالتهيئه و قال: اللهم خذ العيون و الأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها و كتب حاطب بن أبى بلتعه إلى قريش فأتى رسول الله ص الخبر من السماء فبعث عليا (عليه السلام) و الزبير حتى أخذ كتابه من المرأه و قد مضت هذه القصه فى سورة الممتحنه ثم استخلف رسول الله ص أبا ذر الغفارى و خرج عامدا إلى مكه لعشر مضين من شهر رمضان سنه ثمان فى عشره آلاف من المسلمين و نحو من أربعمائه فارس و لم يتخلف من المهاجرين و الأنصار عنه أحد و قد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب و عبد الله بن أميه بن المغيره قد لقيا رسول الله ص بنيق العقاب فيما بين مكه و المدينه فالتمسا الدخول عليه فلم يأذن لهما فكلمته أم سلمه فيهما فقالت: يا رسول الله ابن عمك و ابن عمك و صهرك قال: لا حاجه لى فيهما أما ابن عمى فهتك عرضى و أما ابن عمتى و صهرى فهو الذى قال لى بمكه ما قال فلما خرج الخبر إليهما بذلك و مع أبى سفيان بنى له فقال: و الله ليأذن لى أو لآخذن بيد بنى هذا ثم لنذهبن فى الأرض حتى نموت عطشا و جوعا فلما بلغ ذلك رسول الله ص رق لهما فأذن لهما فدخلا عليه فأسلما فلما نزل رسول الله ص من الظهران و قد غمت الأخبار عن قريش فلا- يأتهم عن رسول الله ص خبر خرج فى تلك الليله أبو سفيان بن حرب و حكيم بن حزام و بديل بن ورقاء يتجسسون الأخبار و قد قال العباس ليلتئذ يا سوء صباح قريش و الله لئن بغتها رسول الله فى بلادها فدخل مكه عنوه أنه لهلاك

قريش إلى آخر الدهر فخرج على بغله رسول الله و قال أخرج إلى الأراك لعلى أرى خطابا أو صاحب لبن أو داخلا يدخل مكة
فنخبرهم بمكان رسول الله فيأتونه فيستأمنونه قال العباس:

فو الله إنى لأطوف فى الأراك ألتمس ما خرجت له إذ سمعت صوت أبى سفيان و حكيم بن حزام و بديل بن ورقاء و سمعت
أبا سفيان يقول: و الله ما رأيت كالليله قط نيرانا فقال بديل: هذه نيران خزاعه فقال أبو سفيان: خزاعه الأم من ذلك قال فعرفت
صوته فقلت يا أبا حنظله يعنى أبا سفيان فقال أبو الفضل فقلت نعم قال لييك فداك أبى و أمى ما وراك هذا رسول الله
وراءك قد جاء بما لا قبل لكم به بعشره آلاف من المسلمين قال فما تأمرنى فقلت تركب هذه البغله فاستأمن لك رسول
الله ص فو الله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فردفنى فخرجت أركض به بغله رسول الله فكلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا
هذا عم رسول الله ص على بغله رسول الله حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال يعنى عمر يا أبا سفيان الحمد لله الذى أمكن
منك بغير عهد و لا عقد ثم اشتد نحو رسول الله ص و ركضت البغله حتى اقتحمت باب القبه و سبقت عمر بما يسبق به الدابه
البطيئه الرجل البطىء فدخل عمر فقال يا رسول الله هذا أبو سفيان عدو الله قد أمكن الله منه بغير عهد و لا عقد فدعنى أضرب
عنقه فقلت يا رسول الله إنى قد أجرته ثم إنى جلست إلى رسول الله ص و أخذت برأسه و قلت و الله لا يناجيه اليوم أحد دونى
فلما أكثر فيه عمر قلت مهلا يا عمر فو الله ما يصنع هذا الرجل إلا أنه رجل من آل بنى عبد مناف و لو كان من عدى بن كعب ما
قلت هذا قال مهلا يا عباس فو الله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلى من إسلام الخطاب لو أسلم فقال ص اذهب فقد أمناه
حتى تغدو به على فى الغداه قال: فلما أصبح غدوت به على رسول الله ص فلما رآه قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن
تعلم أن لا- إله إلا- الله فقال بأبى أنت و أمى ما أوصلك و أكرمك و أرحمك و أحلمك و الله لقد ظننت أن لو كان معه إله
لأغنى يوم بدر و يوم أحد فقال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله فقال بأبى أنت و أمى أما هذه فإن فى
النفس منها شيئا قال العباس فقلت له ويحك اشهد بشهادته الحق قبل أن يضرب عنقك فتشهد فقال ص للعباس انصرف يا عباس
فاحبسه عند مضيق الوادى حتى تمر عليه جنود الله قال: فحبسته عند خطم الجبل بمضيق الوادى و مر عليه القبائل قبيله قبيله و هو
يقول من هؤلاء و أقول أسلم و جهينه و فلان حتى مر رسول الله ص فى الكتيبه الخضراء من المهاجرين و الأنصار فى الحديد لا
يرى منهم إلا الحدق فقال من هؤلاء يا أبا الفضل قلت هذا رسول الله ص فى المهاجرين و الأنصار فقال يا أبا الفضل لقد أصبح
ملك ابن أخيك عظيما فقلت ويحك إنها النبوه فقال نعم إذا و جاء حكيم بن حزام و بديل بن ورقاء رسول الله ص و أسلما

و بايعاه فلما بايعاه بعثهما رسول الله ص بين يديه إلى قريش يدعونهم إلى الإسلام و قال من دخل دار أبي سفيان و هى بأعلى مكة فهو آمن و من دخل دار حكيم و هى بأسفل مكة فهو آمن و من أغلق بابيه و كف يده فهو آمن و لما خرج أبو سفيان و حكيم من عند رسول الله ص عامدين إلى مكة بعث فى إثرهما الزبير بن العوام و أمره على خيل المهاجرين و أمره أن يغرز رايته بأعلى مكة بالحجون و قال له لا تبرح حتى آتيك ثم دخل رسول الله ص مكة و ضربت هناك خيمته و بعث سعد بن عباده فى كتيبه الأنصار فى مقدمته و بعث خالد بن الوليد فيمن كان أسلم من قضائه و بنى سليم و أمره أن يدخل أسفل مكة و يغرز رايته دون البيوت و أمرهم رسول الله ص جميعا أن يكفوا أيديهم و لا يقاتلوا إلا من قاتلهم و أمرهم بقتل أربعة نفر عبد الله بن سعد بن أبي سرح و الحويرث بن نفيل و ابن خطل و مقبس بن ضبابه و أمرهم بقتل قينتين كانتا تغنيان بهجاء رسول الله ص و قال اقتلوهم و إن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبه فقتل على (عليه السلام) الحويرث بن نفيل و إحدى القينتين و أفلتت الأخرى و قتل مقبس بن ضبابه فى السوق و أدرك ابن خطل و هو متعلق بأستار الكعبه فاستبق إليه سعيد بن حريث و عمار بن ياسر فسبق سعيد عمارا فقتله قال و سعى أبو سفيان إلى رسول الله ص و أخذ غرزه أى ركابه فقبله ثم قال بأبى أنت و أمى أما تسمع ما يقول سعد إنه يقول

اليوم يوم الملحمة اليوم تسبى الحرمه

فقال ص لعلى (عليه السلام) أدركه فخذ الرايه منه و كن أنت الذى يدخل بها و أدخلها إدخالا رفيقا فأخذها على (عليه السلام) و أدخلها كما أمر و لما دخل رسول الله ص مكة دخل صناديد قريش الكعبه و هم يظنون أن السيف لا يرفع عنهم و أتى رسول الله و وقف قائما على باب الكعبه فقال: لا إله إلا الله وحده و قد أنجز وعده و نصر عبده و هزم الأحزاب وحده ألا أن كل مال أو مأثره و دم تدعى فهو تحت قدمى هاتين إلا سدان الكعبه و سقايه الحاج فإنهما مردودتان إلى أهليهما ألا أن مكة محرمه بتحريم الله لم تحل لأحد كان قبلى و لم تحل لى إلا ساعه من نهار و هى محرمه إلى أن تقوم الساعه لا يختلى خلاها و لا يقطع شجرها و لا يفر صيدها و لا تحل لقطتها إلا لمنشد ثم قال ألا لبئس جيران النبى كنتم لقد كذبتهم و طردتم و أخرجتم و آذيتهم ثم ما رضيتهم حتى جئتمونى فى بلادى تقاتلوننى فاذهبوا فأنتم الطلقاء فخرج القوم فكأنما أنشروا من القبور و دخلوا فى الإسلام و كان الله سبحانه أمكنه من رقابهم عنوه فكانوا له فيئا فلذلك سمي أهل مكة الطلقاء و جاء ابن الزبعرى إلى رسول الله ص و أسلم و قال:

يا رسول الإله إن لسانى راتق ما فتقت إذ أنا بور

إذ أبارى الشيطان فى سنن الغى و من مال ميله مشبور

أمن اللحم و العظام لربى ثم نفسى الشهيد أنت النذير

و عن ابن مسعود قال: دخل النبى ص يوم الفتح و حول البيت ثلاثمائة و ستون صنما فجعل يطعنهما بعود فى يده و يقول جاء الحق و ما يبدئ الباطل و ما يعيد جاء الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقا و عن ابن عباس قال: لما قدم النبى ص إلى مكة أبى أن يدخل البيت و فيه الآلهة فأمر بها فأخرجت صورته إبراهيم و إسماعيل (عليه السلام) و فى أيديهما الأزلام فقال ص: قاتلهم الله أما و الله لقد علموا أنهما لم يستقسما بها قط.

ص: ٤٢٦

(١١١) سورة المسد مكيه و آياتها خمس (٥)

اشاره

[توضيح]

و تسمى أيضا سورة أبى لهب و تسمى سورة المسد مكيه.

عدد آياتها

خمس آيات بالإجماع.

فضلها

فى حديث أبى من قرأها رجوت أن لا يجمع الله بينه و بين أبى لهب فى دار واحده

عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال إذا قرأتُم تبّت فادعوا على أبى لهب فإنه كان من المكذبين بالنبى ص و بما جاء به من عند الله.

تفسيرها

ذكر سبحانه فى تلك السوره وعده بالنصر و الفتح ثم بين فى هذه السوره ما كفاه الله من أمر أبى لهب فقال:

[سورة المسد (١١١): الآيات ١ الى ٥]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَ مَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَ امْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤)

فى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥)

القراءة

قرأ ابن كثير أبى لهب ساكنه الهاء و الباقون بفتحها و اتفقوا فى «ذات لَهَبٍ» أنها مفتوحة الهاء لو فاق الفواصل و قرأ عاصم

«حَمَّالَةَ الْحَطَبِ» بالنصب و الباقون بالرفع و روى

ص: ٤٢٧

عن البرجمي سيصلى بضم الياء و هي قراءه أشهب العقيلي و أبي رجاء و في الشواذ قراءه ابن مسعود و مريثته حماله للحطب في جيدها حبل من مسد.

الحج

قال أبو علي يشبه أن يكون لهب و لهب لغتين كالشمع و الشمع و النهر و النهر و اتفاهم في الثانيه على الفتح يدل على أنه أوجه من الإسكان و كذلك قوله و لا يُعْنَى مِنَ اللَّهَبِ و أما حماله الحطب فمن رفع جعله وصفا لقوله «و امرأته» و يدل على أن الفعل قد وقع كقولك مررت برجل ضارب عمرا أمس فهذا لا يكون إلا معرفه و لا يقدر فيه إلا الانفصال كما يقدر في هذا النحو إذا لم يكن الفعل واقعا و أما ارتفاع امرأته فيحتمل وجهين (أحدهما) العطف على فاعل سيصلى التقدير سيصلى نارا هو و امرأته إلا أن الأحسن أن لا يؤكد لما جرى من الفصل بينهما و يكون «حَمَّالَةَ الْحَطَبِ» على هذا وصفا لها و يجوز في قوله «في جيدها» أن يكون في موضع حال و فيها ذكر منها و يتعلق بمحذوف و يجوز فيه وجه آخر و هو أن يرتفع امرأته بالابتداء و حماله وصف لها و في جيدها خبر المبتدأ و أما النصب في «حَمَّالَةَ الْحَطَبِ» فعلى الذم لها كأنها كانت اشتهرت بذلك فجرت الصفه عليها للذم لا للتخصيص و التخليص من موصوف غيرها و قوله «حَبْلٌ» معناه غليظ. رجل حبل الوجه و حبل الرأس.

اللغة

التب و التباب الخسران المؤدى إلى الهلاك و المسد الحبل من الليف و جمعه أمساد قال:

و مسد أمر من أيانق ليس بأنياب و لا حقائق

. النزول

سعيد بن جبير عن ابن عباس قال سعد رسول الله ص ذات يوم الصفا فقال يا صباحاه فأقبلت إليه قريش فقالوا له ما لك فقال أ رأيتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أ ما كنتم تصدقوني قالوا بلى قال فإنني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبأ لك لهذا دعوتنا جميعا فأنزل الله هذه السوره أوردته البخارى في الصحيح.

المعنى

«تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ» أى خسرت يدها و خسر هو عن مقاتل و إنما قال خسرت يدها لأن أكثر العمل يكون باليد و المراد خسر عمله و خسرت نفسه بالوقوع في النار و قيل أن اليد هنا صله كقولهم يد الدهر و يد السنه قال:

" و أيدى الرزايا بالذخائر مولع "

و قيل معناه صفرت يدها من كل خير قال الفراء: الأول دعاء و الثانى خبر فكأنه قال أهلكه الله

وقد هلك و في حرف عبد الله و أبى و قد تب و قيل أن الأول أيضا خبر و معناه أنه لم تكتسب يده خيرا قط و خسر مع ذلك هو نفسه أى تب على كل حال و أبو لهب هو ابن عبد المطلب عم النبي ص و كان شديد المعاداة و المناصبه له

قال طارق المحاربي: بينا أنا بسوق ذى المجاز إذا أنا بشاب يقول أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا و إذا برجل خلفه يرميه قد أدمى ساقيه و عرقويه و يقول يا أيها الناس أنه كذاب فلا تصدقوه فقلت من هذا فقالوا هو محمد يزعم أنه نبى و هذا عمه أبو لهب يزعم أنه كذاب

و إنما ذكر سبحانه كنيته دون اسمه لأنها كانت أغلب عليه و قيل لأن اسمه عبد العزى فكره الله سبحانه أن ينسبه إلى العزى و أنه ليس بعبد لها و إنما هو عبد الله و قيل بل اسمه كنيته و إنما سمي بذلك لحسنه و إشراق وجهه و كانت وجنتاه كأنهما تلتهبان عن مقاتل «ما أغنى عنه ماله و ما كسب» أى ما نفعه و لا دفع عنه عذاب الله ماله و ما كسبه و يكون ما فى قوله «و ما كَسَبَ» موصوله و الضمير العائد من الصلة محذوف و قيل معناه أى شىء أغنى عنه ماله و ما كسب يعنى ولده لأن ولد الرجل من كسبه و ذلك أنه قال لما أنذره النبي ص بالنار إن كان ما تقول حقا فإنى أفتدى بمالى و ولدى ثم أنذره سبحانه بالنار فقال «سَيَصِيلى ناراً ذاتَ لَهَبٍ» أى سيدخل نارا ذات قوه و اشتعال تلتهب عليه و هى نار جهنم و فى هذا دلالة على صدق النبي ص و صحه نبوته لأنه أخبر أن أبا لهب يموت على كفره و كان كما قال «و امرأته» و هى أم جميل بنت حرب أخت أبى سفيان «حَمَالَةَ الحُطَبِ» كانت تحمل الشوك و العضاه فتطرحه فى طريق رسول الله ص إذا خرج إلى الصلاة ليعقره عن ابن عباس و فى روايه الضحاك قال الربيع بن أنس كانت تبث و تنشر الشوك على طريق الرسول فيطأه كما يطأ أحدكم الحرير و قيل أنها كانت تمشى بالنميمة بين الناس فتلقى بينهم العداوه و توقد نارها بالتهيج كما توقد النار الحطب فسمى النميمة حطبا عن ابن عباس فى روايه أخرى و قتاده و مجاهد و عكرمه و السدى قالت العرب فلان يحطب على فلان إذا كان يغرى به قال

" و لم يمش بين الحى بالحطب الرطب "

أى لم يمش بالنميمة و قيل حماله الحطب معناه حماله الخطايا عن سعيد بن جبير و أبى مسلم و نظيره قوله وَ هُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ «فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ» أى فى عنقها حبل من ليف و إنما وصفها بهذه الصفة تخسيسا لها و تحقيرا و قيل حبل يكون له خشونه الليف و حراره النار و ثقل الحديد يجعل فى عنقها زياده فى عذابها و قيل فى عنقها سلسله من حديد طولها سبعون ذراعا تدخل من فيها و تخرج من دبرها و تدار على عنقها فى النار عن ابن عباس و عروه بن الزبير و سميت السلسله مسدا بمعنى أنها ممسوده أى مفتوله و قيل أنها كانت لها قلاده فاخره من جوهر فقالت لأنفقتها فى عداوه محمد فيكون عذابا يوم القيامة فى عنقها عن سعيد بن المسيب و يروى عن أسماء

بنت أبي بكر قالت لما نزلت هذه السوره أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب و لها ولوله و فى يدها فهر و هى تقول

" مذمما أينا. و دينه قلينا

و أمره عصينا"

و النبى ص جالس فى المسجد و معه أبو بكر فلما رآها أبو بكر قال يا رسول الله قد أقبلت و أنا أخاف أن تراك قال رسول الله ص إنها لن ترانى و قرأ قرآنا فاعتصم به كما قال و إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا فوقفت على أبي بكر و لم تر رسول الله ص فقالت يا أبا بكر أخبرت أن صاحبك هجانى فقال لا و رب البيت ما هجاك فقلت و هى تقول " قريش تعلم إنى بنت سيدها"

و روى أن النبى ص قال صرف الله سبحانه عنى أنهم يذمون مذمما و أنا محمد

و متى قيل كيف يجوز أن لا ترى النبى ص و قد رأته غيره فالجواب يجوز أن يكون الله قد عكس شعاع عينيها أو صلب الهواء فلم ينفذ فيه الشعاع أو فرق الشعاع فلم يتصل بالنبى ص

و روى أن النبى ص قال ما زال ملك يسترنى عنها

و إذا قيل هل كان يلزم أبا لهب الإيمان بعد هذه السوره و هل كان يقدر على الإيمان و لو آمن لكان فيه تكذيب خير الله سبحانه بأنه سيصلى نارا ذات لهب فالجواب أن الإيمان يلزمه لأن تكليف الإيمان ثابت عليه و إنما توعدده الله بشرط أن لا يؤمن أ لا ترى إلى قوله سبحانه فى قصه فرعون «آلآنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ» و فى هذا دلالة على أنه لو تاب قبل وقت اليأس لكان يقبل منه و لهذا خص رد التوبه عليه بذلك الوقت و أيضا فلو قدرنا أن أبا لهب سأل النبى ص قال لو آمنت هل أدخل النار لكان ص يقول له لا و ذلك لعدم الشرط.

ص: ٤٣٠

(١١٢) سورة الإخلاص مكيه و آياتها أربع (٤)

إشارة

[توضيح]

مكيه و قيل مدنيه و سميت سورة التوحيد لأنه ليس فيها إلا التوحيد و كلمه التوحيد تسمى كلمه الإخلاص و قيل إنما سميت بذلك لأن من تمسك بما فيها اعتقادا و إقرارا كان مؤمنا مخلصا و قيل لأن من قرأها على سبيل التعظيم أخلصه الله من النار أى أنجاه منها و تسمى أيضا سورة الصمد و تسمى أيضا بفاتحتها و تسمى أيضا نسبة الرب و

روى فى الحديث لكل شىء نسبة و نسبة الرب سورة الإخلاص

و

فى الحديث أيضا أنه كان يقول لسورتى قل يا أيها الكافرون و قل هو الله أحد المقشقتان

سميتا بذلك لأنهما يبرئان من الشرك و النفاق يقال تقشش المريض من علته إذا أفاق و برأ و قشقه أبرأه كما يقشش الهناء الجرب.

عدد آياتها

خمس آيات مكي شامى أربع فى الباقيين.

اختلافها

آيه «لَمْ يَلِدْ» مكي شامى.

فضلها

فى حديث أبى من قرأها فكأنما قرأ ثلث القرآن و أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من آمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر

و

عن أبى الدرداء عن النبى ص قال أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن فى ليله قلت يا رسول الله و من يطيق ذلك قال اقرأوا قل هو الله أحد

و

عن أنس عن النبي ص قال من قرأ قل هو الله أحد مره بورك عليه فإن قرأها مرتين بورك عليه و على أهله فإن قرأها ثلاث مرات بورك عليه و على أهله و على جميع جيرانه فإن قرأها اثنتى عشره مره بنى له اثنا عشر قصرًا فى الجنة فتقول الحفظه انطلقوا بنا ننظر إلى قصر أحنينا فإن قرأها مائه مره كفر عنه ذنوب خمس و عشرين سنه ما خلا- الدماء و الأموال فإن قرأها أربعمائه كفر عنه ذنوب أربعمائه سنه فإن قرأها ألف مره لم يمت حتى

ص: ٤٣١

يرى مكانه من الجنة أو يرى له

و

عن سهل بن سعد الساعدي قال جاء رجل إلى النبي ص فشكا إليه الفقر و ضيق المعاش فقال له رسول الله ص إذا دخلت بيتك فسلم إن كان فيه أحد و إن لم يكن فيه أحد فسلم و اقرأ قل هو الله أحد مره واحده ففعل الرجل فأفاض الله عليه رزقا حتى أفاض على جيرانه.

السكوني عن أبي عبد الله (عليه السلام) أن رسول الله ص صلى على سعد بن معاذ فلما صلى عليه قال ص لقد وافى من الملائكه سبعون ألف ملك و فيهم جبرائيل (عليه السلام) يصلون عليه فقلت يا جبرائيل بم استحق صلاتكم عليه قال بقراءه قل هو الله أحد قاعدا و قائما و راكبا و ماشيا و ذاهبا و جائيا.

منصور بن حازم عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال من مضى به يوم واحد فصلى فيه الخمس صلوات و لم يقرأ فيها بقل هو الله أحد قيل له يا عبد الله لست من المصلين.

إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال من مضت عليه جمعه و لم يقرأ فيها بقل هو الله أحد ثم مات مات على دين أبي لهب.

هارون بن خارجه عنه ص قال من أصابه مرض أو شده فلم يقرأ في مرضه أو شدته بقل هو الله أحد ثم مات في مرضه أو في تلك الشده التي نزلت به فهو من أهل النار.

أبو بكر الحضرمي عنه ص قال من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فلا يدع أن يقرأ في دبر الفريضة بقل هو الله أحد فإنه من قرأها جمع له خير الدنيا و الآخرة و غفر الله له و لوالديه و ما ولدا.

عبد الله بن حجر قال سمعت أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول من قرأ قل هو الله أحد إحدى عشره مره في دبر الفجر لم يتبعه في ذلك اليوم ذنب و أرغم أنف الشيطان.

إبراهيم بن مهزم عن سمع أبا الحسن (عليه السلام) يقول من قدم قل هو الله أحد بينه و بين كل جبار منعه الله منه يقرؤها بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله فإذا فعل ذلك رزقه الله خيره و منعه شره و قال إذا خفت أمرا فاقرا مائة آيه من القرآن حيث شئت ثم قل اللهم اكشف عني البلاء ثلاث مرات.

عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده عن علي (عليه السلام) قال قال رسول الله ص من قرأ قل هو الله أحد مائة مره حين يأخذ مضجعه غفر الله له ذنوب خمسين سنه.

تفسيرها

لما ذم سبحانه أعداء أهل التوحيد في السوره المتقدمه ذكر في هذه السوره بيان التوحيد فقال:

[سوره الإخلاص (١١٢): الآيات ١ الى ٤]

أشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)

ص: ٤٣٢

قرأ أبو عمرو أحد الله الصمد بغير تنوين الدال من أحد و

روى عنه (عليه السلام) أنه كان يقول «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» ثم يقف فإن وصل قال أحد الله

و زعم أن العرب لم تكن تصل مثل هذا و الباقون «أَحَدُ اللَّهِ» بالتنوين و قرأ إسماعيل عن نافع و حمزه و خلف و رويس كفوًا ساكنه الفاء مهموزه و قرأ حفص «كُفُوًا» مضمومه الفاء مفتوحه الواو و غير مهموزه و قرأ الباقون كفوًا بالهمزه و ضم الفاء.

الحجه

قال أبو علي: من قرأ «أَحَدُ اللَّهِ» فوجهه بين و ذلك أن التنوين من أحد ساكن و لام المعرفه من الاسم ساكن فلما التقى الساكنان حرك الأول منهما بالكسر كما تقول اذهب اذهب و من قال أحد الله فحذف النون فإن النون قد شابهت حروف اللين في الآخر في أنها تزداد كما يزدن و في أنها تدغم فيهن كما يدغم كل واحد من الواو و الياء في الآخر و في أنها قد أبدلت منها الألف في الأسماء المنصوبه و في الخفيفه فلما شابهت حروف اللين أجريت مجراها في أن حذفت ساكنه لالتقاء الساكنين كما حذفت الألف و الواو و الياء لذلك في نحو رمى القوم و يغزو الجيش و يرمى القوم و من ثم حذفت ساكنه في الفعل في نحو لَمْ يَكُ* و فَلَا تَكُ في مَرْيَه فحذفت في أحد الله لالتقاء الساكنين كما حذفت هذه الحروف في نحو هذا زيد بن عمرو حتى استمر ذلك في الكلام و أنشد أبو زيد:

فالفيته غير مستعجب و لا ذاكر الله إلا قليلا

و قال الشاعر:

كيف نومي على الفراش و لما تشمل أشأم غاره شعواء

تذهل الشيخ عن بنيه و تبدى عن خدام العقيله العذراء

أما كفوا و «كُفُوًا» فأصله الضم فخفف مثل طنّب و طنّب و عنق و عنق.

اللغه

أحد أصله وحد فقلبت الواو همزه و مثله أناه و أصله وناه و هو على ضربين (أحدهما) أن يكون اسما (و الآخر) أن يكون صفة فالاسم نحو أحد و عشرون يريد به الواحد و الصفة كما في قول النابغه:

كان رحلى و قد زال النهار بنا بذى الجليل على مستأنس وحد

و كذلك قولهم واحد يكون اسما كالكاهل و الغارب و منه قولهم واحد اثنان ثلاثه و تكون صفه كما فى قول الشاعر:

" فقد رجعوا كحى واحدينا "

و قد جمعوا أحدا الذى هو الصفه على أحد أن قالوا أحد و أحدان شبهوه بسلق و سلقان و نحوه قول الشاعر:

يحمى الصريمه أحدان الرجال له صيد و مجترئ بالليل هماس

فهذا جمع لأحد الذى يراد به الرفع من الموصوف و التعظيم له و أنه متفرد عن الشبه و المثل و قالوا هو أحد الأحد إذا رفع منه و عظم و قالوا أحد الأحدين و واحد الآحاد و حقيقه الواحد شىء لا ينقسم فى نفسه أو فى معنى صفته فإذا أطلق واحد من غير تقدم موصوف فهو واحد فى نفسه و إذا أجرى على موصوف فهو واحد فى معنى صفته فإذا قيل الجزء الذى لا يتجزأ واحد أريد أنه واحد فى نفسه و إذا قيل هذا الرجل إنسان واحد فهو واحد فى معنى صفته و إذا وصف الله تعالى بأنه واحد فمعناه أنه المختص بصفات لا يشاركه فيها أحد غيره نحو كونه قادرا لنفسه عالما حيا موجودا كذلك و الصمد السيد المعظم الذى يصمد إليه فى الحوائج أى يقصد و قيل هو السيد الذى ينتهى إليه السؤدد قال الأسدى:

ألا بكر الناعى بخيرى بنى أسد بعمر و بن مسعود و بالسيد الصمد

و قال الزبرقان:

" و لا رهينه إلا السيد الصمد "

و قال رجل مصمد أى مقصود و كذلك بيت مصمد قال طرفه:

و إن يلتقى الحى الجميع تلاقنى إلى ذروه البيت الرفيع المصمد

و الكفو و الكفى ء و الكفاء واحد و هو المثل و النظير قال النابغه:

لا تقذفنى بركن لا كفاء له و لو تأثفك الأعداء بالرمد

ص: ٤٣٤

و قال حسان:

و جبريل رسول الله منا و روح القدس ليس له كفاء

و قال آخر فى الكفىء:

أما كان عباد كفيئا لدارم بلى و لأبيات بها الحجرات

. الإعراب

قال أبو على «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» يجوز فى إعراب الله ضربان (أحدهما) أن يكون خبر مبتدأ و ذلك على قول من ذهب إلى أن هو كناية عن اسم الله تعالى ثم يجوز فى قوله «أَحَدٌ» ما يجوز فى قولك زيد أخوك قائم (و الآخر) على قول من ذهب إلى أن هو كناية عن القصة و الحديث فيكون اسم الله عنده مرتفعا بالابتداء و أحد خبره و مثله قوله تعالى فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَّا أَنْ هِيَ جَاءتْ عَلَى التَّائِيثِ لِأَنَّ فِي التَّفْسِيرِ اسْمًا مَوْثًا وَعَلَى هَذَا جَاءَ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي التَّفْسِيرِ مَوْثٌ لَمْ يُوْنِثْ ضَمِيرُ الْقِصَّةِ وَقَوْلُهُ «اللَّهُ الصَّمَدُ» اللَّهُ مَبْتَدَأٌ وَالصَّمَدُ خَبْرُهُ وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الصَّمَدُ صِفَةً لِلَّهِ وَاللَّهُ خَبْرٌ مَبْتَدَأٌ مَحذُوفٌ أَيْ هُوَ اللَّهُ الصَّمَدُ وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «اللَّهُ الصَّمَدُ» خَبْرًا بَعْدَ خَبْرٍ عَلَى قَوْلٍ مِنْ جَعَلَ هُوَ ضَمِيرَ الْأَمْرِ وَالْحَدِيثُ «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» قَالَ أَنْ لَهُ ظَرْفٌ غَيْرٌ مُسْتَقَرٌّ وَ هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِكَانَ وَ كَفُوا مُنْتَصِبٌ بِأَنَّهُ خَبْرٌ مُتَقَدِّمٌ كَمَا كَانَ قَوْلُهُ تَعَالَى وَ كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ كَذَلِكَ وَ زَعَمُوا أَنْ مِنَ الْبَغْدَادِيِّينَ مَنْ يَقُولُ أَنْ فِي يَكُنْ مِنْ قَوْلِهِ «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» ضَمِيرًا مَجْهُولًا وَ قَوْلُهُ «كُفُوًا» يَنْتَصِبُ عَلَى الْحَالِ وَالْعَامِلُ فِيهَا لَهُ وَ هَذَا إِذَا أُفْرِدَتْهُ عَنْ يَكُنْ كَانَ مَعْنَاهُ لَهُ أَحَدٌ كَفُوا وَإِذَا حَمَلَ عَلَى هَذَا لَمْ يَسْغُ وَ وَجْهٌ ذَلِكَ أَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى مَعْنَى النَّفْيِ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ لَهُ كَفُوا كَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ لَيْسَ الطَّيِّبُ إِلَّا الْمَسْكُ مَحْمُولًا عَلَى مَعْنَى النَّفْيِ وَ لَوْلَا حَمَلُهُ عَلَى الْمَعْنَى لَمْ يَجْزِ أَلَا- تَرَى أَنْكَ لَوْ قُلْتَ زَيْدًا إِلَّا مُنْطَلِقٌ لَمْ يَكُنْ كَلَامًا فَكَمَا أَنَّ هَذَا مَحْمُولٌ عَلَى الْمَعْنَى كَذَلِكَ «لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» مَحْمُولٌ عَلَى الْمَعْنَى وَ عَلَى هَذَا جَازٌ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ فِيهِ الَّذِي يَقَعُ لِعَمُومِ النَّفْيِ وَ لَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَجْزِ أَنْ يَقَعُ أَحَدٌ هَذَا فِي الْإِيجَابِ فَإِنْ قُلْتَ أَيْ جُوزُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ تَعَالَى «لَهُ» عِنْدَكُمْ حَالًا عَلَى أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى وَ لَمْ يَكُنْ كَفُوا لَهُ أَحَدٌ فَيَكُونَ لَهُ صِفَةً لِلنَّكَرَةِ فَلَمَّا قَدِمَ صَارَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ كَقَوْلِهِ

" لعزه موحشا طلل قديم "

فإن سبويه قال إن ذلك يقل

ص: ٤٣٥

فى الكلام و إن كثر فى الشعر فإن حملته على هذا على استكراه كان غير ممتنع و العامل فى قوله «لَهُ» إذا كان حالا يجوز أن يكون أحد شيئين (أحدهما) يكن (و الآخر) أن يكون ما فى معنى كفوا من معنى المماثلة فإن قلت أن العامل فى الحال إذا كان معنى لم يتقدم الحال عليه فإن له لما كان على لفظ الظرف و الظرف يعمل فيه المعنى و إن تقدم عليه كقولك كل يوم لك ثوب كذلك يجوز فى هذا الظرف و ذلك من حيث كان ظرفا و فيه ضمير فى الوجهين يعود إلى ذى الحال و هو كفوا.

النزول

قيل أن المشركين قالوا لرسول الله ص أنسب لنا ربك فنزلت السوره عن أبى بن كعب و جابر و قيل أتى عامر بن الطفيل و أربد بن ربيعه أخو لبيد النبى ص و قال عامر إلى ما تدعوننا يا محمد فقال إلى الله فقال صفه لنا أ من ذهب هو أم من فضه أم من حديد أم من خشب فنزلت السوره و أرسل الله الصاعقه على أربد فأحرقته و طعن عامر فى خنصره فمات عن ابن عباس و قيل جاء أناس من أحبار اليهود إلى النبى ص فقالوا يا محمد صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فإن الله أنزل نعتة فى التوراه فنزلت السوره و هى نسبة الله خاصة عن الضحاك و قتاده و مقاتل و

روى محمد بن مسلم عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال أن اليهود سألو النبى ص فقالوا أنسب لنا ربك فمكث ثلاثا لا يجيبهم ثم نزلت السوره.

و قريب منه ما ذكره القاضى فى تفسيره أن عبد الله بن سلام انطلق إلى رسول الله ص و هو بمكة فقال له رسول الله ص أنشدك بالله هل تجدنى فى التوراه رسول الله فقال أنعت لنا ربك فنزلت هذه السوره فقرأها النبى ص فكانت سبب إسلامه إلا أنه كان يكتم ذلك إلى أن هاجر النبى ص إلى المدينة ثم أظهر الإسلام.

المعنى

«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» هذا أمر من الله عز اسمه لنبىه ص أن يقول لجميع المكلفين هو الله الذى تحقق له العباده قال الزجاج: هو كناية عن ذكر الله عز و جل و معناه الذى سألتم تبين نسبته هو الله أحد أى واحد و يجوز أن يكون المعنى الأمر الله أحد لا شريك له و لا نظير و قيل معناه واحد ليس كمثلته شىء عن ابن عباس و قيل واحد فى الإلهيه و القدم و قيل واحد فى صفه ذاته لا يشركه فى وجوب صفاته أحد فإنه يجب أن يكون موجودا عالما قادرا حيا و لا- يكون ذلك واجبا لغيره و قيل واحد فى أفعاله لأن أفعاله كلها إحسان لم يفعلها لجر نفع و لا لدفع ضرر فاختص بالوحده من هذا الوجه إذ لا يشركه فيه سواه واحد فى أنه لا يستحق العباده سواه لأنه القادر على أصول النعم من الحياه و القدره و الشهوه و غير ذلك مما لا تكون النعمه نعمه إلا به و لا يقدر على شىء من ذلك غيره فهو أحد من هذه الوجوه الثلاثه

وقيل إنما قال أحد و لم يقل واحد لأن الواحد يدخل فى الحساب و يضم إليه آخر و أما الأحد فهو الذى لا يتجزأ و لا ينقسم فى ذاته و لا فى معنى صفاته و يجوز أن يجعل للواحد ثانيا و لا يجوز أن يجعل للأحد ثانيا لأن الأحد يستوعب جنسه بخلاف الواحد ألا- ترى أنك لو قلت فلان لا يقاومه واحد جاز أن يقاومه اثنان و لما قلت لا يقاومه أحد لم يجز أن يقاومه اثنان و لا أكثر فهو أبلغ و

قال أبو جعفر الباقر (عليه السلام) فى معنى «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» أى قل أظهر ما أوحينا إليك و ما نبأناك به بتأليف الحروف التى قرأناها عليك ليهتدى بها من ألقى السمع و هو شهيد

و هو اسم مكنى مشار إلى غائب فالهاء تنبيه عن معنى ثابت و الواو إشارة إلى الغائب عن الحواس كما أن قولك هذا إشاره إلى الشاهد عند الحواس و ذلك أن الكفار نبهوا عن آلهتهم بحرف إشارة إلى المشاهد المدرك فقالوا هذه آلهتنا المحسوسه بالأبصار فأشر أنت يا محمد إلى إلهك الذى تدعو إليه حتى نراه و ندركه و لا ناله فيه فأنزل الله سبحانه «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» فالهاء تثبيت للثابت و الواو إشارة إلى الغائب عن درك الأبصار و لمس الحواس و أنه يتعالى عن ذلك بل هو مدرك الأبصار و مبدع الحواس و

حدثنى أبى عن أبيه عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال رأيت الخضر فى المنام قبل بدر بليله فقلت له علمنى شيئا أنتصر به على الأعداء فقال قل يا هو يا من لا هو إلا هو فلما أصبحت قصصت على رسول الله ص فقال يا على علمت الاسم الأعظم فكان على لسانى يوم بدر قال و قرأ (عليه السلام) يوم بدر «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» فلما فرغ قال يا هو يا من لا هو إلا هو اغفر لى و انصرنى على القوم الكافرين و كان يقول ذلك يوم صفين و هو يطارد فقال له عمار بن ياسر يا أمير المؤمنين ما هذه الكنايات قال اسم الله الأعظم و عماد التوحيد لله لا- إله إلا هو ثم قرأ شهد الله أنه لا إله إلا هو و الملائكة و أولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم و آخر الحشر ثم نزل فصلى أربع ركعات قبل الزوال قال و قال أمير المؤمنين (عليه السلام) الله معناه المعبود الذى يأله فيه الخلق و يؤله إليه الله المستور عن إدراك الأبصار المحجوب عن الأوهام و الخطرات

و

قال الباقر (عليه السلام) الله معناه المعبود الذى أله الخلق عن إدراك ماهيته و الإحاطه بكيفيته

و تقول العرب أله الرجل إذا تحير فى الشىء فلم يحط به علما و وله إذا فرغ إلى شىء قال و الأحد الفرد المتفرد و الأحد الواحد بمعنى واحد و هو المتفرد الذى لا نظير له و التوحيد الإقرار بالوحده و هو الانفراد و الواحد المبين الذى لا ينبعث من شىء و لا يتحد بشىء و من ثم قالوا إن بناء العدد من الواحد و ليس الواحد من العدد لأن العدد لا يقع على الواحد بل يقع على الاثنين فمعنى قوله «اللَّهُ أَحَدٌ» أى المعبود الذى يسأله الخلق عن إدراكه و الإحاطه بكيفيته فرد بإلهيته متعال عن صفات خلقه.

«اللَّهُ الصَّمَدُ»

قال الباقر (عليه السلام) حدثنى أبى زين العابدين (عليه السلام) عن أبيه الحسين بن على

(عليه السلام) أنه قال الصمد الذي قد انتهى سؤدده و الصمد الدائم الذي لم يزل و لا يزال و الصمد الذي لا جوف له و الصمد الذي لا يأكل و لا يشرب و الصمد الذي لا ينام

و أقول أن المعنى فى هذه الثلاثة أنه سبحانه الحى الذى لا يحتاج إلى الطعام و الشراب و النوم

قال الباقر (عليه السلام) و الصمد السيد المطاع الذى ليس فوقه أمر و لا ناه

قال و كان محمد بن الحنفية يقول الصمد القائم بنفسه الغنى عن غيره و قال غيره الصمد المتعالى عن الكون و الفساد و الصمد الذى لا يوصف بالنظائر قال و

سئل على بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) عن الصمد فقال الصمد الذى لا شريك له و لا يؤوده حفظ شىء و لا يعزب عنه شىء

و قال أبو البختري وهب بن وهب القرشى قال زيد بن على (عليه السلام) الصمد الذى إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون و الصمد الذى أبداع الأشياء فخلقها أضداداً و أصنافاً و أشكالاً و أزواجاً و تفرد بالوحده بلا ضد و لا شكل و لا مثل و لا ند

قال وهب بن وهب و حدثنى الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) عن أبيه الباقر (عليه السلام) إن أهل البصره كتبوا إلى الحسين بن على (عليه السلام) يسألونه عن الصمد فكتب إليهم بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فلا تخوضوا فى القرآن و لا تجادلوا فيه و لا تكلموا فيه بغير علم فقد سمعت جدى رسول الله ص يقول من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار إن الله قد فسر سبحانه الصمد فقال «لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُؤَلَدْ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»

«لَمْ يَلِدْ» لم يخرج منه شىء كثيف كالولد و لا سائر الأشياء الكثيفه التى تخرج من المخلوقين و لا شىء لطيف كالنفس و لا ينبعث منه البدوات كالسنه و النوم و الخطره و الغم و الحزن و البهجه و الضحك و البكاء و الخوف و الرجاء و الرغبه و السامه و الجوع و الشبع تعالى أن يخرج منه شىء و أن يتولد منه شىء كثيف أو لطيف «وَلَمْ يُؤَلَدْ» أى و لم يتولد من شىء و لم يخرج من شىء كما تخرج الأشياء الكثيفه من عناصرها كالشىء من الشىء و الدابه من الدابه و النبات من الأرض و الماء من الينابيع و الثمار من الأشجار و لا كما تخرج الأشياء اللطيفه من مراكزها كالبصر من العين و السمع من الأذن و الشم من الأنف و الذوق من الفم و الكلام من اللسان و المعرفه و التمييز من القلب و النار من الحجر لا بل هو الله الصمد الذى لا من شىء و لا فى شىء و لا على شىء مبدع الأشياء و خالقها و منشىء الأشياء بقدرته يتلاشى ما خلق للفناء بمشيئته و يبقى ما خلق للبقاء بعلمه فذلكم الله الصمد الذى لم يلد و لم يولد عالم الغيب و الشهاده الكبير المتعال «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»

قال وهب بن وهب سمعت الصادق (عليه السلام) يقول قدم وفد من فلسطين على الباقر (عليه السلام) فسأله عن مسائل فأجابهم عنها ثم سأله عن الصمد فقال تفسيره فيه الصمد خمسه أحرف (فالألف) دليل على انيته و هو قوله عز و جل «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ» و ذلك تنبيه و إشاره إلى الغائب عن درك الحواس (و اللام)

دليل على إلهيته بأنه هو الله والألف واللام مدغمان لا يظهران على اللسان ولا يقعان في السمع و يظهران في الكتابه دليلان على أن إلهيته بلطفه خافيه لا يدرك بالحواس ولا يقع في لسان واصف ولا أذن سامع لأن تفسير الإله هو الله الذي أله الخلق عن درك ماهيته و كفيته بحس أو بوهم لا بل هو مبدع الأوهام و خالق الحواس و إنما يظهر ذلك عند الكتابه فهو دليل على أن الله سبحانه أظهر ربوبيته في إبداع الخلق و تركيب أرواحهم اللطيفه في أجسادهم الكثيفه و إذا نظر عبد إلى نفسه لم ير روحه كما أن لا-الصدمد لا- يتبين و لا يدخل في حاسه من حواسه الخمس فلما نظر إلى الكتابه ظهر له ما خفى و لطف فمتى تفكر العبد في ماهيه البارئ و كفيته أله و تحير و لم تحط فكرته بشىء يتصور له لأنه تعالى خالق الصور و إذا نظر إلى خلقه ثبت له أنه عز و جل خالقهم و مركب أرواحهم في أجسادهم و أما (الصاد) فدليل على أنه سبحانه صادق و قوله صدق و كلامه صدق و دعا عباده إلى اتباع الصدق بالصدق و وعدنا بالصدق و أراد الصدق و أما (الميم) فدليل على ملكه و أنه الملك الحق المبين لم يزل و لا- يزال و لا- يزول ملكه و أما (المدال) فدليل على دوام ملكه و أنه دائم تعالى عن الكون و الزوال بل هو الله عز و جل مكون الكائنات الذى كان بتكوينه كل كائن ثم قال (عليه السلام) لو وجدت لعلمى الذى أتانى الله حملة لنشرت التوحيد و الإسلام و الدين و الشرائع من الصمد و كيف لى بذلك و لم يجد جدى أمير المؤمنين (عليه السلام) حملة لعلمه حتى كان يتنفس على الصعداء أو يقول على المنبر سلونى قبل أن تفقدونى فإن بين الجوانح منى علما جما هاه هاه ألا لا أجد من يحمله ألا و أن عليكم من الله الحجه البالغه فلا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخره كما يئس الكفار من أصحاب القبور

و

عن عبد خير قال سأل رجل عليا (عليه السلام) عن تفسير هذه السوره فقال قل هو الله أحد بلا تأويل عدد الصمد بلا تبعض بدد لم يلد فيكون موروثا هالكا و لم يولد فيكون إلها مشاركا و لم يكن له من خلقه كفوا أحد

و قال ابن عباس لم يلد فيكون والدا و لم يولد فيكون ولدا و قيل لم يلد ولدا فيرث عنه ملكه و لم يولد فيكون قد ورث الملك عن غيره و قيل لم يلد فيدل على حاجته فإن الإنسان يشتهى الولد لحاجته إليه و لم يولد فيدل على حدوته و ذلك من صفه الأجسام و فى هذا رد على القائلين أن عزيرا و المسيح ابن الله و إن الملائكه بنات الله و لم يكن له كفوا أحد أى لم يكن له أحد كفوا أى عديلا و نظيرا يماثله و فى هذا رد على من أثبت له مثلا فى القدم و غيره من الصفات و قيل معناه و لم تكن له صاحبه و زوجه فتلد منه لأن الولد يكون من الزوجه فكفى عنها بالكفو لأن الزوجه تكون كفوا لزوجهها و قيل إنه سبحانه بين التوحيد بقوله «اللَّهُ أَحَدٌ» و بين العدل بقوله «اللَّهُ الصَّمَدُ» و بين ما يستحيل عليه من الوالد و الولد بقوله «لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ» و بين

ما لا

يجوز عليه من الصفات بقوله «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» وفيه دلالة على أنه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا هو في مكان ولا جهة وقال بعض أرباب اللسان وجدنا أنواع الشرك ثمانية النقص والتقلب والكثرة والعدد وكونه عله أو معلولا- والأشكال والأضداد فنفي الله سبحانه عن صفته نوع الكثرة والعدد بقوله «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» ونفي التقلب والنقص بقوله «اللَّهُ الصَّمَدُ» ونفي العله والمعلول بقوله «لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ» ونفي الأشكال والأضداد بقوله «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» فحصلت الوجدانيه البحث و

روى عمران بن الحصين أن النبي ص بعث سريه واستعمل عليها عليا (عليه السلام) فلما رجعوا سألهم عن علي (عليه السلام) فقالوا كل خير غير أنه كان يقرأ في أثناء كل صلاه بقل هو الله أحد فقال لم فعلت يا علي هذا فقال لحبي قل هو الله أحد فقال النبي ص ما أحببتها حتى أحبك الله عز وجل

و

يروى أن النبي ص كان يقف عند آخر كل آيه من هذه السوره

و

روى الفضيل بن يسار قال أمرني أبو جعفر أن أقرأ قل هو الله أحد و أقول إذا فرغت منها كذلك الله ربي ثلاثا.

ص: ٤٤٠

(١١٣) سورة الفلق مكيه و آياتها خمس (٥)

اشاره

[توضيح]

مدنيه فى أكثر الأفاويل و قيل مكيه.

عدد آياتها

خمس آيات بالإجماع.

فضلها

فى

حديث أبى و من قرأ (قل أعوذ برب الفلق و قل أعوذ برب الناس) فكأنما قرأ جميع الكتب التى أنزلها الله على الأنبياء.

و

عن عقبه بن عامر قال قال رسول الله ص أنزلت على آيات لم ينزل مثلهن المعوذتان أوردته مسلم فى الصحيح.

و

عنه عن النبى ص قال يا عقبه ألا أعلمك سورتين هما أفضل القرآن أو من أفضل القرآن قلت بلى يا رسول الله فعلمنى المعوذتين ثم قرأ بهما فى صلاه الغداه و قال لى اقرأهما كلما قمت و نمت.

أبو عبيده الحذاء عن أبى جعفر (عليه السلام) قال من أوتر بالمعوذتين و قل هو الله أحد قيل له يا عبد الله أبشر فقد قبل الله و ترك.

تفسيرها

ذم سبحانه أعداء الرسول ص فى سورة تبت ثم ذكر التوحيد فى سورة الإخلاص ثم ذكر سبحانه الاستعاذه فى السورتين فقال:

[سورة الفلق (١١٣): الآيات ١ الى ٥]

اشاره

اشاءه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤)

وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)

ص: ٤٤١

أصل الفلق الفرق الواسع من قولهم فلق رأسه بالسيف يفلقه فلقا و يقال أبين من فلق الصبح و فرق الصبح لأن عموده ينفلق بالضياء عن الظلام و الغاسق فى اللغة الهاجم بضرره و هو هاهنا الليل لأنه يخرج السباع من آجامها و الهوام من مكانها فيه يقال غسقت القرحة إذا جرى صديدها و منه الغساق صديد أهل النار لسيلانه بالعذاب و غسقت عينه سال دمعها. التقوب الدخول و قب يقب و منه الوقبه النقره لأنه يدخل فيها النفث شبيهه بالنفخ و أما التفل فنفخ بريق فهذا الفرق بين النفث و التفل قال الفرزدق:

هما نفثا فى فى من فمويهما على النافث الغاوى أشد رجام

و الحاسد الذى يتمنى زوال النعمه عن صاحبها و إن لم يردها لنفسه فالحسد مذموم و الغبطه محموده و هى أن يريد من النعمه لنفسه مثل ما لصاحبه و لم يرد زوالها عنه.

النزول

قالوا أن لبيد بن أعصم اليهود سحر رسول الله ص ثم دس ذلك فى بئر لبنى زريق فمرض رسول الله ص فبينما هو نائم إذا أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه و الآخر عند رجليه فأخبراه بذلك و أنه فى بئر دروان فى جف طلعه تحت راعوفه و الجف قشر الطلع و الراعوفه حجر فى أسفل البئر يقوم عليها الماتح فانتبه رسول الله ص و بعث عليا (عليه السلام) و الزبير و عمار فنزحوا ماء تلك البئر ثم رفعوا الصخره و أخرجوا الجف فإذا فيه مشاطه رأس و أسنان من مشطه و إذا فيه معقد فى إحدى عشره عقده مغروزه بالأبر فنزلت هاتان السورتان فجعل كلما يقرأ آيه انحلت عقده و وجد رسول الله ص خفه فقام فكأنما أنشط من عقال و جعل جبرائيل (عليه السلام) يقول باسم الله أرقيك من شر كل شىء يؤذيك من حاسد و عين الله تعالى يشفيك و رووا ذلك عن عائشه و ابن عباس

و هذا لا يجوز لأن من وصف بأنه مسحور فكأنه قد خبل عقله و قد أبى الله سبحانه ذلك فى قوله «وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا» أنظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا و لكن يمكن أن يكون اليهودى أو بناته على ما روى اجتهدوا فى ذلك فلم يقدروا عليه و أطلع الله نبيه ص على ما فعلوه من التمويه حتى استخرج و كان ذلك دلاله على صدقه و كيف يجوز أن يكون المرض من فعلهم و لو قدروا على ذلك لقتلوه و قتلوا كثيرا من المؤمنين مع شدة عداوتهم له.

المعنى

«قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ» هذا أمر من الله سبحانه لنبيه ص و المراد جميع أمته و معناه قل يا محمد اعتصم و امتنع برب الصبح و خالقه و مدبره و مطلعته متى شاء على ما يرى من الصلاح فيه «مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ» من الجن و الإنس و سائر الحيوانات و إنما سمي الصبح فلقا لانفلاق عموده بالضياء عن الظلام كما قيل له فجر لانفجاره بذهاب ظلامه و هذا

قول ابن عباس و جابر و الحسن و سعيد بن جبیر و مجاهد و قتاده و قيل الفلق الموالي لأنهم ينفلقون بالخروج من أصلاب الآباء و أرحام الأمهات كما ينفلق الحب من النبات و قيل الفلق جب في جهنم يتعوذ أهل جهنم من شدة حره عن السدى و رواه أبو حمزه الثمالي و علي بن إبراهيم في تفسيريهما و قوله «ما خَلَقَ» عام في جميع ما خلقه الله تعالى ممن يجوز أم يحصل منه الشر و تقديره من شر الأشياء التي خلقها الله تعالى مثل السباع و الهوام و الشياطين و غيرها «وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ» أي و من شر الليل إذا دخل بظلامه عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و علي هذا فيكون المراد من شر ما يحدث في الليل من الشر و المكروه كما يقال أعود من شر هذه البلده و إنما اختص الليل بالذكر لأن الغالب أن الفساق يقدمون على الفساد بالليل و كذلك الهوام و السباع تؤذي فيه أكثر و أصل الفسق الجريان بالضرر و قيل إن معنى الغاسق كل هاجم بضره كائنا ما كان «وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ» معناه و من شر النساء الساحرات اللاتي ينفثن في العقد عن الحسن و قتاده و إنما أمر بالتعوذ من شر السحره لايهامهم أنهم يمرضون و يصحون و يفعلون شيئاً من النفع و الضرر و الخير و الشر و عامه الناس يصدقونهم فيعظم بذلك الضرر في الدين و لأنهم يوهمون أنهم يخدمون الجن و يعلمون الغيب و ذلك فساد في الدين ظاهر فلاجل هذا الضرر أمر بالتعوذ من شرهم و قال أبو مسلم النفاثات النساء اللاتي يملن آراء الرجال و يصرفنهم عن مرادهم و يردونهم إلى آرائهن لأن العزم و الرأي يعبر عنهما بالعقد فعبير عن حلها بالنفث فإن العاده جرت أن من حل عقد نفث فيه «وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ» فإنه يحمل الحسد على إيقاع الشر بالمحسود فأمر بالتعوذ من شره و قيل إنه أراد من شر نفس الحاسد و من شر عينه فإنه ربما أصاب بهما فعاب و ضرر و قد جاء

في الحديث أن العين حق

و قد مضى الكلام فيه و روى

أن العصابة ناقة النبي ص لم تكن تسبق فجاء أعرابي على قعود له فسابق بها فسبقها فشق ذلك على الصحابه فقال النبي ص حق على الله عز و جل ألا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه

و

روى أنس أن النبي ص قال من رأى شيئاً يعجبه فقال الله الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يضر شيئاً

و

روى أن النبي ص كان كثيراً ما يعوذ الحسن و الحسين (عليه السلام) بهاتين السورتين

و قال بعضهم إن الله سبحانه جمع الشرور في هذه السوره و ختمها بالحسد ليعلم أنه أحسن الطبائع نعوذ بالله منه.

(١١٤) سورة الناس مكيه و آياتها ست (٦)

اشاره

[توضيح]

مدنيه و هي مثل سورة الفلق لأنها إحدى المعوذتين و هي ست آيات.

فضلها

الفضل بن يسار قال سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول إن رسول الله ص اشتكى شكوى شديده و وجع وجعا شديدا فأتاه جبرائيل و ميكائيل (عليه السلام) ففعد جبرائيل (عليه السلام) عند رأسه و ميكائيل عند رجله فعوذه جبرائيل بقل أعوذ برب الفلق و عوذه ميكائيل بقل أعوذ برب الناس.

أبو خديجه عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال جاء جبرائيل إلى النبي ص و هو شاك فرقاه بالمعوذتين و قل هو الله أحد و قال باسم الله أرقيك و الله يشفيك من كل داء يؤذيك خذها فلتهنيك

فقال:

[سورة الناس (١١٤): الآيات ١ الى ٦]

اشاره

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤)

الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)

القرءاءه

قرأ أبو عمرو والدورى عن الكسائى يميل الناس فى موضع الجر و لا يميل فى الرفع و النصب و الباقر لا يميلون.

اللغه

الوسواس حديث النفس بما هو كالصوت الخفى و أصله الصوت الخفى من قول الأعشى:

ص: ٤٤٤

تسمع للحلى وسواسا إذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل

قال رؤبه:

وسوس يدعو مخلصا رب الفلق سرا و قد أون تأوين العقق

و الوسوسة كالمهممه و منه قولهم فلان موسوس إذا غلب عليه ما يعتريه من المره يقال وسوس وسواسا و وسوسة و توسوس و الخنوس الاختفاء بعد الظهور خنس يخنس و منه الخنس فى الأنف لخفائه بانخفاضه عند ما يظهر بنتوه و أصل الناس الأناس فحذفت الهمزه التى هى فأويد لك على ذلك الإنس و الأناس و أما قولهم فى تحقيره نويس فإن الألف لما كانت ثانيه زائده أشبهت ألف فاعل فقلبت واوا.

الإعراب

قيل إن قوله «مَنْ الْجِنَّةِ» بدل من قوله «مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ» فكأنه قال أعود بالله من شر الجنه و الناس و قيل إن من تبين للوسواس و التقدير من شر ذى الوسواس الخناس من الجنه و الناس أى صاحب الوسواس الذى من الجنه و الناس فيكون الناس معطوفا على الوسواس الذى هو فى معنى ذى الوسواس و إن شئت لم تحذف المضاف فيكون التقدير من شر الوسواس الواقع من الجنه التى توسوسه فى صدور الناس فيكون فاعل يوسوس ضمير الجنه و إنما ذكر لأن الجنه و الجن واحد و جازت الكنايه عنه و إن كان متأخرا لأنه فى نيه التقديم فجرى مجرى قوله فَأَوْجَسَ فى نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى و حذف العائد من الصله إلى الموصوف كما فى قوله أ هَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا أَى بعثه الله رسولا.

المعنى

«قُلْ» يا محمد «أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ» أى خالقهم و مدبرهم و منشئهم «مَلِكِ النَّاسِ» أى سيدهم و القادر عليهم و لم يجز هنا إلا ملك و جاز فى فاتحه الكتاب ملك و مالك و ذلك لأن صفه ملك تدل على تدبير من يشعر بالتدبير و ليس كذلك مالك و ذلك لأنه يجوز أن يقال مالك الثوب و لا يجوز ملك الثوب فجرت اللفظه فى فاتحه الكتاب على معنى الملك فى يوم الجزاء و جرت فى هذه السوره على ملك تدبير من يعقل التدبير فكان لفظ

ص: ٤٤٥

ملك أولى هنا و أحسن و معناه ملك الناس كلهم و إليه مفزعهم فى الحوائج «إِلَهِ النَّاسِ» معناه الذى يجب على الناس أن يعبدوه لأنه الذى تحق له العبادة دون غيره و إنما خص سبحانه الناس و إن كان سبحانه ربا لجميع الخلائق لأن فى الناس عظماء فأخبر بأنه ربهم و إن عظموا و لأنه سبحانه أمر بالاستعاذه من شرهم فأخبر بذكرهم أنه الذى يعيذه منهم و فى الناس ملوك فذكر أنه ملكهم و فى الناس من يعبد غيره فذكر أنه إلههم و معبودهم و أنه هو المستحق للعبادة دون غيره قال جامع العلوم النحوى و ليس قوله «النَّاسِ» تكرارا لأن المراد بالأول الأجنه و لهذا قال «بِرَبِّ النَّاسِ» لأنه يرببهم و المراد بالثانى الأطفال و لذلك قال «مَلِكِ النَّاسِ» لأنه يملكهم و المراد بالثالث البالغون المكلفون و لذلك قال «إِلَهِ النَّاسِ» لأنهم يعبدونه و المراد بالرباع العلماء لأن الشيطان يوسوس إليهم و لا يريد الجهال لأن الجاهل يضل بجهله و إنما تقع الوسوسة فى قلب العالم كما قال فَوْسُوسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ و قوله «مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ» فيه أقوال (أحدها) أن معناه من شر الوسوسة الواقعه من الجنه و قد مر بيانه (و ثانيها) أن معناه من شر ذى الوسواس و هو الشيطان

كما جاء فى الأثر أنه يوسوس فإذا ذكر العبد ربه خنس

ثم وصفه الله تعالى بقوله «الَّذِي يُوسُّوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ» أى بالكلام الخفى الذى يصل مفهومه إلى قلوبهم من غير سماع ثم ذكر أن هذا الشيطان الذى يوسوس فى صدور الناس «مِنَ الْجِنَّةِ» و هم الشياطين كما قال سبحانه «إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ» ثم عطف بقوله «وَ النَّاسِ» على الوسواس و المعنى من شر الوسواس و من شر الناس كأنه أمر أن يستعيذ من شر الجن و الإنس (و ثالثها) أن معناه من شر ذى الوسواس الخناس ثم فسره بقوله «مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ» كما يقال نعوذ بالله من شر كل مارد من الجن و الإنس و على هذا فيكون وسواس الجنه هو وسواس الشيطان على ما مضى و فى وسواس الإنس وجهان (أحدهما) أنه وسوسة الإنسان من نفسه (و الثانى) إغواء من يغويه من الناس و يدل عليه قوله «شَّيَاطِينِ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ» فشىطان الجن يوسوس و شيطان الإنس يأتى علانيه و يرى أنه ينصح و قصده الشر قال مجاهد:

الخناس الشيطان إذا ذكر اسم الله سبحانه خنس و انقبض و إذا لم يذكر الله انبسط على القلب و يؤيده

ما روى عن أنس بن مالك أنه قال: قال رسول الله ص: إن الشيطان واضح خطمه على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله سبحانه خنس و إذا نسى التقم قلبه فذلك الوسواس الخناس

و قيل الخناس معناه الكثير الاختفاء بعد الظهور و هو المستتر المخفى من أعين الناس لأنه يوسوس من حيث لا يرى بالعين و قال إبراهيم التيمى أول ما يبدو الوسواس من قبل الوضوء و قيل إن معنى قوله «يُوسُّوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ» يلقى الشغل فى قلوبهم بوسواسه و المراد أن له رفقاء به يوصل الوسواس إلى المصدر و هو أقرب من خلوصه بنفسه إلى صدره و فى هذا إشارة إلى أن

الضرر يلحق من جهه هؤلاء و أنهم قادرون على ذلك و لولاه لما حسن الأمر بالاستعاذه منهم و فيه دلالة على أنه لا ضرر ممن يتعوذ به و إنما الضرر كله ممن يتعوذ منه و لو كان سبحانه خالقا للقبائح لكان الضرر كله منه جل و عز و فيه إشارة أيضا إلى أنه سبحانه يراعى حال من يتعوذ به فيكفيه شرورهم و لو لا ذلك لما دعاه إلى التعوذ به من شرورهم و لما وصف سبحانه نفسه بأنه الرب الإله الغنى عن الخلق فإن من احتاج إلى غيره لا يكون إلها و من كان غنيا عالما لغناه لا يختار فعل القبيح و لهذا حسنت الاستعاذه به من شر غيره و

روى عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال إذا قرأت قل أعوذ برب الفلق فقل في نفسك أعوذ برب الفلق و إذا قرأت قل أعوذ برب الناس قل في نفسك أعوذ برب الناس

و

روى العياشى بإسناده عن أبان بن تغلب عن جعفر بن محمد قال قال رسول الله ص أما من مؤمن إلا و لقلبه فى صدره أذنان أذن ينفث فيها الملك و أذن ينفث فيها الوسواس الخناس فيؤيد الله المؤمن بالملك و هو قوله سبحانه و أَيَدُهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ

ص: ٤٤٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

